

سَعِيدُ حَوَّيْ

السِّيَرُ فِي السُّنَنِ

وَفَفَحَها

المجلد الأول
القسم الأول
السيرة النبوية

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الشيء في السيرة
وفيها
السيرة النبوية

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة

للمنشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

لصاحبها

عبد الغادر محمود البكار

١٢٠ شارع الأزهر _ ص. ب. ١٦١ الغربية
ت. : ٩٣٢٨٢٠ : ٢٧٤١٥٧٨ فاكس ٢٧٤١٧٥٠

الطبعة الثالثة

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه
وَرَبَّنَا اقْبَلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

راجع لهذا القسم ورقم

فضيلة أخينا الشيخ

عبد الحميد الأصب

حفظه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ النَّاشِر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبع سنتهم وعمل بهديهم إلى يوم الدين .

فقد روى الإمام مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال : « تَزَكَّتْ فِيكُمْ أُمُورٌ لَنْ تَضَلُّوا مَا مَسَكْتُمْ بِهَا : كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ » فلقد يسر الله لنا أن قدمنا للامة الإسلامية تفسير كتاب الله (الأساس في التفسير) وهو يعتبر القسم الأول من سلسلة الأساس في المنهج وأرجو أن نكون وفقنا في ذلك وها نحن والحمد لله تقدم لأمتنا الغالية (التي لم تعرف قدر نفسها) الكتاب الأول من القسم الثاني من سلسلة الأساس في المنهج والمكون من خمس كتب .

والتي تمثل الأساس في السنة وفقهها ، وهذا القسم له ما للتفسير من الأهمية ، وخاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه الصيحات للأخذ بالقرآن دون السنة وهذا عن جهل أحياناً وعن علم وتخطيط ومكر أحياناً أخرى وقد اتخذت هذه الدعوات أشكالاً شتى ، تارة بالظعن فيها وتارة بطبع الكتب وتوزيعها وتارة بالتشكيك في حجيتها ونصوصها وتارة في صحة نقلها وتارة بالظعن في روايتها كما تفعل بعض الفرق الضالة . وهذا الاتجاه قديم يعود للقرن الهجري الأول فقد أخرج البيهقي بسنده عن شبيب بن أبي فضالة المكي أن عمران بن حصين رضي الله عنه ذكر الشفاعة فقال رجل من القوم : يا أبا نجيد إنكم تحدثونا بأحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن فغضب عمران وقال للرجل : فرأت القرآن ؟ قال : نعم . قال فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعاً وصلاة المغرب ثلاثاً والغداة - أي الصبح - ركعتين والظهر أربعاً والعصر أربعاً ؟ قال لا . قال : فَعَمَّنْ أَخَذْنَمُ ذَلِكَ ؟ أَلَسَمُ عَنَا أَخَذْنَمُوهُ وَأَخَذْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إلخ الحديث ، وفي نهاية الحديث يقول عمران بن حصين رضي الله عنه ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ . قال عمران : فقد أخذنا عن رسول الله ﷺ أشياء ليس لكم بها علم .

بل إن الرسول ﷺ قد أخبرنا عن أمثال هؤلاء المشككين في السنة النبوية وحذر

منهم فقد روى الإمام أحمد وأبو داود بسند صحيح عن المقدم بن معد يكرب (رضي الله عنه) قال ﷺ : « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله » . وصدق رسول الله ﷺ . ويقول الله تبارك وتعالى ﴿ من يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ ﴾ .

وأقول : الحمد لله الذي حفظ لنا القرآن الكريم وسنة نبيه ﷺ ، والشائع أن الآية الكريمة ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ هي للقرآن فقط ، وإن كان هذا على أرجح الأقوال إلا أن حفظ السنة النبوية من لوازم حفظ الشريعة ، وقد اختارها الله تعالى ديناً لعباده إلى قيام الساعة ، وختم بها الشرائع ، فكان من لوازم التدبير الإلهي أن تحفظ هذه الشريعة الغراء ولن يتحقق ذلك الحفظ إلا بحفظ أصلها العظمين الكتاب والسنة .

وقد انفردت هذه الأمة عن باقي الأمم بأنها حفظت نصوص دينها حفظاً دقيقاً كاملاً لا مثيل له لتبقى زاد الأمم ومصدر هدايتها إلى قيام الساعة .

إلا أن فهم هذه النصوص هي التي عمل اجتهاد وتقديمها للناس بأسلوب يناسب العصور على تتابعها ، والتركيز على ما يهم كل جيل من الأجيال وتلمس حاجاته ومراعاة مدى استيعابه وفهمه ، وحل مشاكله . فهذا هو الذي نحن بحاجة إليه في عصرنا ، فكان هذا الكتاب ، الذي نأمل من الله تبارك وتعالى أن يسد ثغرة في وجه المشككين بالسنة .

وأكرر دعوة وجهتها للقارئ الكريم على صفحات المقدمة في الأساس في التفسير أن لا يألو جهداً في توجيه النصح لنا لكي نتدارك ذلك في الطبقات القادمة إن شاء الله سواء ذلك للمؤلف حفظه الله أو للناشر مباشرة فنكون له من الشاكرين ، ورحم الله عملاق هذه الأمة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما قال : رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبي .

وفي الختام اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك .

الناشر

عبدالقادر العلي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تستطيع أن تقول إذا قرأت هذا الكتاب أنك
كدت تحيط بمعاني السنة النبوية ، لأنه حوى
الهدى النبوي الذي روته أمهات كتب السنة :
صحيح البخاري ومسلم ، والسنن الخمسة : لأبي
داود والنسائي والترمذي وابن ماجه
والدارمي ، وموطأ الإمام مالك ، ومسانيد :
الإمام أحمد وأبي يعلى الموصلي وأبي بكر البزار ،
وصحيح ابن خزيمة وابن حبان ، ومعاجم
الطبراني الثلاثة ومستدرک الحاكم وما تيسر جمعه
من غير هذه الكتب من صحيح السنة وحسنها .

مقدمة
الأساس في السنة وفقهها
وفيها

أولاً : تعريف بهذا الكتاب
ثانياً : التعريف بأصول هذا الكتاب ووصفها

أولاً : تعريف بهذا الكتاب

تمهيد

أقبلت على الدعوة الإسلامية - بفضل الله - في سن مبكرة من حياتي ، وكانت المكتبة الإسلامية الحديثة فقيرة ، وكان من أبرز الكتاب الذين تصادفنا كتبهم في تلك الأيام الشيخ محمد الغزالي - أطال الله بقاءه - وكان مما قرأت له كتاب فقه السيرة ، وكان مما قاله في هذا الكتاب :

إن القرآن روح الإسلام ومادته ، وفي آياته الحكمة شريح دستوره وبُسِطَتْ دعوته ، وقد تكفل الله بحفظه فصينت به حقيقة الدين ، وكُتِبَ لها الخلود أبد الأبد ، وكان الرجل الذي اصطفاه الله لإبلاغ آياته وحمل رسالته (قرآناً) حياً يسعى بين الناس ، كان مثلاً لما صوره القرآن من إيمان وإخبات ، وسعي وجهاد ، وحق وقوة ، وفقه وبيان ، فلا جرم أن قوله وفعله وتقريره وأخلاقه وأحكامه ، ونواحي حياته كلها تعد ركناً في الدين ، وشريعة للمؤمنين .

إن الله اختاره ليتحدث باسمه ويبلغ عنه ، فمن أولى منه بفهم مراد الله فيما قال ؟ ومن أولى منه بتحديد المسلك الذي يتواءم مع دلالات القرآن القريبة والبعيدة ؟ إن تطبيق القانون لا يقل خطراً عن صياغته ، وللقانون نص وروح ، وعند علاج الأحداث المختلفة لتسير وفق القانون العتيق ، تجد فتاوى وتدوّن نصائح ، وتحفظ تجارب وعبر ، وتثبت أحكام بعضها أقرب إلى حرفية النص وبعضها أدنى إلى روحه .. وهكذا .

والقرآن هو قانون الإسلام ، والسنة هي تطبيقه ، والمسلم مكلف باحترام هذا التطبيق تكليفه باحترام القانون نفسه ، وقد أعطى الله نبيه ﷺ حق الاتباع فيما يأمر به وينهى عنه لأنه - في ذلك - لا يصدر عن نفسه بل عن توجيه ربه ، فطاعته هي طاعة الله ، قال الله عز وجل : **مَنْ يَطْعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ**

حفيظاً ﴿^(١)﴾ وقال : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ ^(٢) وقال : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ^(٣) .

إن السير في ركاب المرسلين هو الخير كله ، ومن ثمَّ كانت سنة محمد - عليه الصلاة والسلام - مصدراً لشريعته مع الكتاب الذي شرفه الله به ، إلا أنَّ السنن المأثورة عَرَضَ لها ما يوجب اليقظة في تلقائها ، فليس كل ما ينسب إلى الرسول - عليه الصلاة والسلام - سنة تقبل ، ولا كل ما صحت نسبته صح فهمه ، أو وُضِعَ موضعه .

والمسلمون لم يؤدوا من الأحاديث الموضوعة - لسهولة تزييفها وفضحها - قدر ما أودوا من الأحاديث التي أسيء فهمها واضطربت أوضاعها ، حتى جاء أخيراً من ينظر إلى السنن جمعاء نظرية ريبة واتهام ، ويتبنّى لو تخلص المسلمون منها .

وهذا خطأ من ناحيتين : إهمال الحقيقة التاريخية أولاً ، فإنَّ الدنيا لم تعرف بشراً أخصيت آثاره وتقدت بحذر ، ومُخِّصت بدقة ، كما حدث ذلك في آثار محمد بن عبد الله ﷺ .

والناحية الأخرى أن في السنة كنوزاً من الحكمة العالية ، لو نسب بعضها إلى أحد من الناس لكان من عظماء المصلحين ، فلماذا تضيع ويحرم الناس خيرها ؟!

عندما درسنا تراث محمد - عليه الصلاة والسلام - في (الأخلاق) وذاكرنا أحاديثه التي تربو على الألوف في شتى الفضائل ، خيل إلينا : لو أن جيشاً من علماء النفس والتربية اجتمع ليسوق للعالم مثل هذا الأدب لعجز ، والأخلاق شعبة واحدة من رسالة محمد - عليه الصلاة والسلام - الضخمة اهـ .

وهكذا استقر في ذهني منذ بدايات سيري إلى الله ضرورة التعرف على السنة الصحيحة والحسنة ، وضرورة فهمها فهماً صحيحاً . وبعد مطالعات كثيرة في كتب السنة وجدت أن الحاجة ملحة لوجود كتاب يجمع السنة الصحيحة والحسنة ، ويقدم مع ذلك الفهم الصحيح للنصوص التي تحتاج إلى شرح أو توضيح . ومن ثمَّ ولدت فكرة هذا الكتاب .

(٣) الحشر : ٧ .

(٢) النحل : ٤٤ .

(١) النساء : ٨٠ .

وأثناء مطالعائي في كتب السنة كنت أتردد في قراءة بعض الكلمات أو الأسماء بسبب من غياب الشكل وال ضبط ، وإذا ما أردت التحقيق كان ذلك يستغرق قسماً من الوقت ليس قليلاً ، وكثيراً ما كانت تفوتني معاني بعض الكلمات والتراكيب ، وكان ذلك يقتضي مني بحثاً طويلاً إن أردت المعرفة ، فشعرت أنه إذا كان من الضروري أن تجمع السنة المعتبرة في كتاب ، وأن يعرض في هذا الكتاب الفهم الصحيح لبعض النصوص ، فلا بد أن يكون هذا الكتاب مشكلاً مشروحاً فيه كل ما هو غامض في حق القارئ العادي .

وأثناء مطالعائي في كتب السنة كنت ألاحظ أن المؤلفين فيها ما تركوا شيئاً إلا وعلموا على خدمة السنة النبوية فيه ، ولكنه شيء عادي أن يتحكم في تأليف كل عصر اهتمامات ذلك العصر ، فالتأليف في الأصل وليد الحاجة أو وليد الظرف ، فثلاً حيثما وجد صراع مذهبي أو وجدت فرقة ضالة أو جهل معين أو المحراف ما فلا بد أن يراعى في تأليف أهل ذلك العصر مثل هذا ، ومن ههنا تبرز عناوين ويركز على موضوعات ، وقد يتغلب نوع من الترتيب في عصر على غيره ، وقد وجدت أن موضوعات كثيرة مما هم عصرنا لم تنل حظها من الإبراز ، كما أنني وجدت أن نوعاً من الترتيب يمكن أن يكون أكثر مناسبة للقارئ العادي ، وأكثر تحقيقاً لبعض المعاني التربوية أو النفسية التي أحرص عليها .

وكان مما استقر في نفسي أن احتياجات القارئ العادي غير احتياجات القارئ المختص ، فالقارئ العادي يهيم الجوهر دون ما احتاجه حفظ هذا الجوهر أو تمييزه عن غيره ، ولما كانت أكثر كتب الحديث تهتم بما أحاط بالسنة أو لزم لتحصيلها اهتمامها بالسنة نفسها فقد وجدت أن كتاباً ينصب الكلام فيه على السنة ذاتها دون ما أحاط بها من ضرورات التحقيق هو الذي يحتاجه القارئ غير المختص في عصرنا . وهذا الكتاب للقارئ المسلم مطلقاً .

وإذ كنت أرى أن من واجبات دعاة الإسلام في عصرنا أن يقدموا للناس نصوص الكتاب والسنة بأسهل عرض وأجوده ، وأقوم شرح وأعدله ، خاصة وهم يريدون أن يقدموا للعالم هذا الإسلام ، ويريدون أن يصوغوا الحياة عليه ، فقد وجدت من الضرورة أن توجد

سلسلة في هذا الشأن ، وهكذا تأكد لَدَيَّ إصدار سلسلة الأساس في المنهج بأقسامها الثلاثة :
(الأساس في التفسير) و (الأساس في السنة) و (الأساس في قواعد المعرفة وضوابط الفهم
للنصوص) .

وإذ كنت أتصور أنه لاتنضج شخصية الداعية والقائد المسلم في عصرنا إلا باستكمال
دراسة عدة أمور ، منها السنة النبوية ، فقد رأيت أنه لابد من كتاب جامع لنصوص السنة
الصحيحة والحسنة يدرسه كل من يتصدر للدعوة إلى الله أو تؤهله مؤهلاته لذلك ، أو
يقدمه إخوانه للقيادة الإسلامية الراشدة .

وكان هذا عاملاً من عوامل تأليف هذا الكتاب .

* * *

هذه بعض الدوافع التي دفعت إلى التفكير في إخراج هذا الكتاب . ودعني الآن أحدثك
بعض الحديث عن بعض المباحث الحديثية وغيرها بين يَدَيَّ ما فعلته ؛ ليخرج هذا الكتاب
بالشكل الذي تراه ، والذي أطمح أن يكون قد حقق كل ما استهدفته منه .

(١)

انفردت الأمة الإسلامية عن جميع الأمم بأنها حفظت نصوص دينها حفظاً دقيقاً كاملاً ،
وذلك من معجزات الإسلام ، وأن ما قاله كتابه هو الحق والصدق ، يشهد لذلك تحقق قوله
- جل جلاله - : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ^(١) فلقد حفظ القرآن حفظاً لا
ينتطح فيه عزان ، وحفظت السنة النبوية التي تشرح القرآن حفظاً هو وحده معجزة ،
فلقد وَفَّقَتْ هذه الأمة إلى اعتماد كل ما يلزم لحفظ النصوص ، وقد قامت جهود هائلة من
أجل ذلك ، ومن عرف حقائق هذا الأمر أدرك معجزة الإسلام هذه .

(٢)

اعتمدت الأمة الإسلامية من أجل حفظ نصوص الوحي مبدأي الرواية والتثبت ،

(١) الحجر : ٩ .

وتَوَضَّعتُ نتجة لاعتقاد هذين المبدئين مئات الاصطلاحات والقواعد والضوابط وعشرات العلوم وأنواع الدراسات ، وتنتج عن ذلك عشرات الألوف من الكتب ، وكل ذلك للوصول في النهاية إلى ما يصح اعتاده من النصوص وما لا يصح .

(٣)

انصب جهد القراء على حفظ الشاردة والواردة مما له علاقة بالقرآن الكريم ، أحرفه ورواياته ، من الهمس فيه إلى تعدد اللهجات في النطق به ، إلى استقراء طرائق الأداء التي أدى بها الرسول ﷺ هذا القرآن لشقى القبائل .

وانصبَّ جهد المحدثين على حفظ الحديث وتبيان ما داخله أو خالطه أو أدخل عليه .

وبهذا الجهد وذاك قدم القراء والمحدثون المادة الخام لكل علوم الإسلام التي انبثقت عن الكتاب والسنة ، كعلم أسباب النزول وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم التفسير وعلم الأصول وعلوم العقائد والفقه والأخلاق والآداب والسلوك وعلوم السيرة والشمايل والخصائص إلى غير ذلك من علوم أمهات ، ولقد وسَّعتْ هذه المادة الخام الحياة كلها ؛ ولذلك فإن الدراسات والمعاني التي يمكن أن تنبثق عن الكتاب والسنة لا تتناهى .

وإذ كانت المحصلة المرادة من النصوص هي الأحكام الشرعية فقد وجد علم أصول الفقه الذي يضبط كيفية الوصول إلى الأحكام الشرعية التي تسع الزمان والمكان والتي لا تتناهى كذلك .

وهذا العلم - علم أصول الفقه - هو الذي وضع القواعد التي تضع السنة في محلها بالنسبة لأصول التشريع ، والذي وضع قواعد الوصول إلى الحكم الشرعي من خلال استشراف النصوص وأصول الأحكام .

وهكذا تعاون القراء والمحدثون والمجتهدون والأصوليون والراسخون في العلم بعامة على وضع كل نص في محله بالنسبة لبناء الإسلام .

(٤)

وقد اشتغل المحدثون للتثبت من المرويات على محورين : محور السند ، ومحور المتن .
فعلى محور السند : درسوا وضع الرواة : عدالتهم وصدقهم وضبطهم ، واجتماعهم
ببعضهم ، وإمكانية أخذ بعضهم عن بعض ، إلى غير ذلك .
وعلى محور المتن : قارنوا بين المتن المروية فإذا خالف الثقة من هو أوثق منه أو إذا
خالف الثقة الثقات لم يقبلوا المتن إلا إذا أمكن الجمع بين الحديثين .

وهكذا من خلال سبر السند ومقارنة المتن أحكوا أمر التثبت ، ومع ذلك فإنهم لم
يكتفوا بذلك بل أوجبوا على أنفسهم أن ينظروا نظرة شمولية إلى السند والمتن بعين الخبير
بشأنها البصير بها ، لعلمهم يكتشفون قادحاً خفياً ، ومن ثم أوجدوا ما يسمى بعلم العلل ، ولم
يعتبروا الحديث صحيحاً إلا إذا سلم من الشذوذ والعلة .

وهذا كله كان جهد المحدثين ، وأكمل عملهم الأئمة المجتهدون ، فإذا كان المحدثون مهمتهم
النظر في السند والمتن ومقارنة متون السنة النبوية ببعضها البعض لمعرفة الشذوذ في
الرواية ، فهمة المجتهدين أن يستشرفوا نصوص الكتاب والسنة ، وأن يلحظوا ما إذا كانت
رواية من الروايات تخالف معنى قرآنياً أو قاعدة تشريعية ، وهكذا أكمل المجتهد عمل
المحدث ، ولذلك ترى بعض النصوص صححها المحدثون ولم يأخذ بها الأئمة المجتهدون إما
لاعتبارها مخالفة لنص قرآني أو لقاعدة شرعية محكمة أو لاعتبارهم إياها سنة يومية فعلها
رسول الله ﷺ بحكم قيادته السياسية للدولة الإسلامية ، وإذا كانت هذه القضية من أخطر
القضايا لما يترتب عليها من تعطيل السنن فإنها محرمة إلا على أهل الاجتهاد ، ولذلك
اعتبروا من يتصدر للاجتهاد وليس أهلاً له ضالاً مضلاً ؛ لما يترتب على اجتهاده من
تعطيل لبعض النصوص أو مسّ لهيكل الشريعة .

وهكذا تضافرت جهود لامثيل لها حتى بقيت نصوص الإسلام سليمة من الخلط أو
التحريف أو التبديل أو الزيادة أو النقص ، لتبقى زاد الأمم ومصدر هدايتها إلى قيام
الساعة .

ضخامة المكتبة الحديثية :

وإذن لي أن أحدثك من أقرب طريق - عن المكتبة الحديثية ، وذلك من خلال استعراض كتاب مشهور عنوانه : (الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة) لمؤلفه السيد : محمد بن جعفر الكتاني - رحمه الله - وذلك بين يدي ما فعلته لتحقيق ما استهدفته في هذا الكتاب .

بدأ المؤلف الحديث عن المؤلفات الأولى في السنة النبوية ، وذكر أعلام المؤلفين في القرنين الأول والثاني ، ثم تحدث عن تتابع التأليف فقال :

ثم كثرت بعد ذلك التصانيف ، وانتشرت في أنواعه وفنونه التأليف ، حتى أربت على العدّ وارتقت من كثرتها عن التفصيل والحدّ ، وهي مراتب متفاوتة وأنواع مختلفة ، فيها ما ينبغي لطالب الحديث البداءة به ، وذكر الأصول الستة صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وسنن الترمذي وسنن النسائي وسنن ابن ماجه .

ثم ذكر كتب السنة التي تعتبر أساساً لمذاهب الأئمة الأربعة فذكر موطأ الإمام مالك ومسند الإمام أبي حنيفة وقد قال في الأخير منها :

ومسند إمام الأئمة - أيضاً - ركن الإسلام أبي حنيفة النعمان بن ثابت القارئ الكوفي فقيه العراق ، المتوفى ببغداد سنة خمسين أو إحدى وخمسين ومائة ، وله خمسة عشر مسنداً ، وأوصلها الإمام أبو الصبر أيوب الخلوقي في ثبته إلى سبعة عشر مسنداً ، كلها تنسب إليه لكونها من حديثه وإن لم تكن من تأليفه ، وقد جمع بين خمسة عشر منها أبو المؤيد محمد بن محمود بن محمد بن الحسن الخطيب الخوارزمي - نسبة إلى خوارزم بضم الخاء وكسر الراء ناحية معلومة - المتوفى سنة خمس وخمسين وستائة ، في كتاب سماه جامع المسانيد ، رتبّه على ترتيب أبواب الفقه بحذف المعاد وترك تكرير الإسناد .

ثم ذكر مسند الإمام الشافعي وعرف به ثم ذكر مسند الإمام أحمد وعرف به وبعد ذلك قال :

فهذه كتب الأئمة الأربعة وبإضافتها إلى الستة الأولى تكل الكتب العشرة التي هي أصول

الإسلام وعليها مدار الدين .

ثم قال : ومنها - أي ومن كتب السنة - كتب التزم أهلها فيها الصحة من غير ما تقدم .
فذكر : صحيح ابن خزيمة وصحيح ابن حبان وصحيح الحاكم وكتاب الإلزامات للدارقطني وكتاب المستدرك للحافظ أبي ذر الهروي وصحيح الحافظ أبي حامد النيسابوري المعروف بابن الشرفي وكتاب الأحاديث الجياد المختارة لضياء الدين المقدسي وكتاب المنتقى لابن الجارود وكتاب المنتقى لابن أصعب الأندلسي وصحيح ابن السكن ، والكتب المخرجة على الصحيحين أو أحدهما : كستخرج الإسماعيلي ، ومستخرج الفطريفي ومستخرج أبي ذهل ومستخرج ابن مردويه الكبير ومستخرج أبي عوانة ومستخرج ابن أصعب ومستخرج أبي جعفر الحبري ومستخرج محمد بن محمد النيسابوري ومستخرج الجوزقي ومستخرج الشاركي ومستخرج أبي الوليد القزويني ومستخرج أبي عمران الجويني ومستخرج أبي النصر الطوسي ومستخرج أبي عثمان الحيري ومستخرج أحمد بن سلمة النيسابوري ومستخرج أحمد بن محمد الطوسي البلاذري ... إلى كثيرين آخرين ذكرهم ، لهم مستخرجات بأسانيد أخرى للصحيحين أو لأحدهما ، وكلها تفيد توثيق أحاديث الصحيحين : صحيح البخاري وصحيح مسلم .

ثم تحدث عن الكتب المؤلفة في السنن ، وهي الكتب المؤلفة على أبواب الفقه ، فذكر زيادة على الكتب الأربعة المشهورة : سنن الإمام الشافعي للمزني وسنن النسائي الكبرى وسنن ابن جريج الرومي وسنن سعيد بن منصور وسنن الكشي وسنن محمد بن الصباح البزار وسنن أبي قرة موسى بن طارق وسنن الأشرم وسنن الخلال وسنن سهل بن أبي سهل وسنن الصفار وسنن الهمداني وسنن ابن لال وسنن النجاد وسنن ابن إسحاق وسنن يوسف بن يعقوب الأزدي اللالكائي . ثم قال : فهذه هي مشاهير كتب السنة وبعضها أشهر من بعض ويضافتها إلى السنن الأربعة السابقة تكل كتب السنن خمسة وعشرين كتاباً .

ثم تحدث عن نوع آخر من التأليف ، وهو في الحض على اتباع السنة وترك الأهواء والبدع ، فذكر ستة عشر كتاباً .

ثم ذكر نوعاً آخر من التأليف في السنة وهي كتب مرتبة على الأبواب الفقهية ، مشتملة على السنن وما هو في حيزها أو له تعلق بها بعضها يُسمى مصنفاً وبعضها جامعاً وغير ذلك سوى ما تقدم ، فذكر اثنين وعشرين كتاباً .

ثم ذكر نوعاً آخر من التصانيف وهي الكتب المفردة في الآداب والأخلاق والترغيب والترهيب والفضائل ونحو ذلك فذكر حوالي مئة وأربعين كتاباً .

ثم ذكر نوعاً آخر من التصانيف وهي كتب المسانيد - جمع مسند - وهي الكتب التي موضوعها جعل حديث كل صحابي على حدة صحيحاً كان أو حسناً أو ضعيفاً ، مرتبين على حروف الهجاء أو على القبائل أو على السابقة في الإسلام أو الشرف في النسب ، وقد يقتصر في بعضها على أحاديث صحابي واحد أو أكثر .

قال : (والمسانيد كثيرة جداً) ثم عدّ ما تيسر له ذكره منها فذكر اثنين وثمانين مسنداً .

ثم ذكر كتباً لم تُؤلف في السنة قصداً ، ولكنها حوت الكثير من نصوصها ، ككتب التفسير والكتب المؤلفة في المصاحف والقراءات وكتب النسخ والنسوخ وذكر أسماء العشرات منها .

ثم تحدث عن المؤلفات في الأحاديث القدسية والأحاديث المسلسلة والأحاديث المرسلة فذكر العشرات منها .

ثم تحدث عما يُسمى بالأجزاء الحديثية وهي كتب مفردة في موضوع أو في روايات أو مرويات فذكر العشرات منها .

ثم ذكر كتباً مؤلفة تحت عنوان (الفوائد) فذكر كثيراً منها .

ثم ذكر ما يُسمى خصوصيات انفرد بها بعض الأئمة وألف فيها آخرون فذكر الكثير من ذلك .

ثم تحدث عن كتب الشئائل النبوية والسير المصطفوية والمغازي فذكر منها تسعة

وعشرين كتاباً .

ثم تحدث عن نوع من الكتب يجمع أحاديث شيوخ بأعيانهم فذكر أحد عشر كتاباً .

ثم ذكر كتباً تجمع طرق بعض الأحاديث فذكر عشرة كتب .

ثم تحدث عن نوع من الكتب فذكر رواية بعض الأئمة المشهورين فذكر اثني عشر كتاباً .

ثم ذكر الكتب التي تتحدث عن الأحاديث الأفراد فذكر أربعة كتب .

ثم تحدث عن الكتب التي تتحدث عن المتفق لفظاً وخطاً والمفترق معنى من الأسماء والألقاب والأنساب وعن المتفق خطأ والمختلف لفظاً .. وذكر ثلاثة وثلاثين كتاباً مؤلفاً فيها .

ثم تحدث عن نوع آخر من التأليف وهو في مهات الأسانيد والمتون فذكر ثلاثة عشر كتاباً .

ثم تحدث عن كتب الأنساب فذكر أحد عشر كتاباً .

ثم تحدث عن الكتب المؤلفة في معرفة الصحابة فذكر ثمانية عشر كتاباً .

ثم تحدث عن الكتب المؤلفة في تواريخ الرجال وأحوالهم فذكر ثلاثة عشر كتاباً .

ثم تحدث عن كتب المعاجم ، وهي الكتب التي تذكر الأحاديث على ترتيب الصحابة أو الشيوخ أو البلدان أو غير ذلك فذكر ثلاثة وأربعين معجماً .

ثم تحدث عن كتب الطبقات وهي التي تشتمل على ذكر الشيوخ وأحوالهم ورواياتهم طبقة بعد طبقة وعصراً بعد عصر إلى زمن المؤلف فذكر ثمانية عشر كتاباً .

ثم تحدث عن كتب المشيخات ، وهي التي تشتمل على ذكر الشيوخ الذين لقيهم مؤلف وأخذ عنهم ، أو أجازوه وإن لم يلقهم فذكر ثلاثة عشر كتاباً .

ثم تحدث عن الكتب المؤلفة في علوم الحديث - أي مصطلحه - ، ذكرت فيها أحاديث بأسانيد فذكر منها ثمانية كتب .

ثم تحدث عن الكتب التي تتحدث عن الضعفاء من الرواة ، أو تتحدث عن الثقات ، فذكر خمسة وعشرين كتاباً .

ثم ذكر الكتب التي تتحدث عن الأحاديث الموضوعة المكذوبة على رسول الله - ﷺ - فذكر ثلاثة وعشرين كتاباً .

ثم ذكر الكتب المؤلفة في غريب الحديث - أي في شرح الكلمات الغامضة منه - فذكر سبعة عشر كتاباً .

ثم ذكر كتباً تتحدث عن مشكل الحديث وهي كتب تجمع بين النصوص فتد التمشابه إلى الحكم أو ترجح النسخ أو عدمه فذكر خمسة كتب .

وهناك كتب الأماي التي يلى فيها الشيخ على تلاميذه في جلسات عامة فتسجل ، ذكر منها واحداً وثلاثين كتاباً .

ثم ذكر الكتب التي تتحدث عن رواية الأكابر عن الأصاغر ، ورواية الآباء عن الأبناء والعكس ، فذكر ستة كتب مؤلفة فيها .

ثم تحدث عن الكتب التي يجمع فيها الأسانيد العالية أي التي يقل فيها الرواة بين الشيخ وبين رسول الله ﷺ فذكر أربعة عشر كتاباً .

ثم ذكر كتباً في التصوف فيها أحاديث بأسانيد فذكر ثلاثة عشر كتاباً .

ثم تحدث عن كتب الأطراف ، وهي التي يقتصر فيها على ذكر طرف الحديث الدال على بقيقته ، مع الجمع لأسانيد إمام على طريق الاستيعاب أو على جهة التقيد بكتب مخصوصة ، فذكر خمسة عشر كتاباً .

ثم تحدث عن كتب الزوائد ، أي الأحاديث التي تزيد فيها بعض كتب الحديث على بعض آخر معين منها ، كزوائد سنان ابن ماجه على كتب الحفاظ الخمسة للشهاب البوصيري ،

فذكر تسعة عشر كتاباً .

ثم ذكر الكتب التي تجمع بين بعض الكتب الحديثية فذكر سبعة عشر كتاباً .

ثم ذكر كتباً مجردة من الأسانيد أو كتباً فيها أحاديث منتقاة فذكر واحداً وثلاثين كتاباً .

ثم ذكر كتباً تختص بتخريج الأحاديث الواردة في كتب بعض المصنفين فذكر ثلاثة وأربعين كتاباً .

ثم ذكر بعض الكتب التي تتحدث عن الأحاديث المشتهرة على الألسنة فذكر أحد عشر كتاباً .

ثم تحدث عن الكتب التي جمعت فتاوى مبناهها على النصوص ، والتي تسمى الفتاوى الحديثية ، فذكر منها ستة كتب .

ثم تحدث عن كتب تجمع نوعاً من الحديث كالحديث المتواتر ، فذكر خمسة كتب .

ثم ذكر كتباً في التفسير والشروح الحديثية لأهلها اعتناء بالحديث ومعرفة به وإكثار من رواياته ، فذكر عشرة كتب .

ثم ذكر كتباً في السيرة النبوية والخصائص الحمديدية غير ما سبق ، فتحدث عن ثلاثة وثلاثين كتاباً .

ثم تحدث عن كتب في أسماء الصحابة غير ما ذكر ، فذكر ثلاثة عشر كتاباً .

ثم تحدث عن كتب تذكر أحوال الرواة وتضبط أسماءهم وأسماء بلدانهم غير ما ذكره من قبل ، فذكر ثلاثة وخمسين كتاباً .

ثم تحدث عن كتب الوفيات فذكر أربعة عشر كتاباً .

ثم تحدث عن كتب مصطلح الحديث فذكر ستة وثلاثين كتاباً .

ثم ختم كتابه بالحض على الاشتغال بعلوم الحديث .

من هذا العرض المختصر ندرك الجهود الهائلة التي بذلتها الأمة الإسلامية في خدمة سنة نبيها ﷺ حتى تبقى غضة طرية متميزة عما سواها ، مقلماً للهداية الربانية ، فإذا ما أُلقيت نظرة على كتب مصطلح الحديث تجد الدقة العلمية في البحث بما لا تطال العقول أرفع منه ، ولا تحكم العقول بأن هناك أكثر منهجية في الوصول إلى الحق الخالص منه ، فهناك قواعد لجرح وتعديل الرواة ، وهناك قواعد تُسَبَّرُ بها المتنون .

وكأثر عن هذا كله ميّز العلماء بين أكثر من خمسين نوعاً من أنواع الأحاديث كلها متفرعة عن دراسة السند والمتن ، وكل ذلك في النهاية للوصول إلى ما تبنى عليه الأحكام من الروايات ، كالأحاديث المتواترة لفظاً ومعنى ، أو معنى فقط ، والأحاديث الصحيحة والحسنة ، ومن أجل ذلك كتبوا كل رواية لأن الروايات الضعيفة يمكن أن يكون لها دخل في تحسين حديث أو في تصحيحه ، واقتضى ذلك منهم جهوداً كبيرة ، حتى إن الإمام أحمد كان يحفظ مليون حديث بأسانيدھا ومتونها ، وهذا يعني بالضرورة أنه دخل كثيرون من الرجال تحت أشعة رصده ، فإذا ما عرفنا أن تشعب الروايات يكثر كلما تطاول الزمن أدركنا كم من الجهود بذلت في خدمة السنة النبوية . ومن أجل الوصول إلى هذا الجوهر كم وجدت من دراسات وتوضعات من قواعد ، ويكفي أن تقرأ كتاباً في مصطلح الحديث حتى تدرك جليل ما نذكره لك .

فمن أجل تمحيص الرواية وَجِدَتْ علوم كعلم الوَفَيَات وسني الولادة ، ووجدت دراسات مستوعبة عن كل راوٍ ، عن عقيدته وسلوكه وصدقه وكذبه وعن عوامل الجرح أو التعديل في حياته ، ومن أجل المتن وجدت علوم كعلم المقارنة بين المتن لمعرفة العلل والشذوذ ، ولعرفة الناسخ والمنسوخ ، وتوضعت نتيجة لذلك مصطلحات .

ثم كان علم أصول الفقه هو العلم المكمل بالنسبة للسنة النبوية ، إذ إنه هو العلم الذي تحدث عن عل السنة بالنسبة لأصول التشريع الأربعة الرئيسية وهي : الكتاب والسنة والإجماع والقياس . وهو الذي تحدث عن قوة إلزامية السنة بحسب كونها متواترة أو صحيحة أو حسنة أو غير ذلك ، وهو الذي وضع القواعد التي تجمع بين النصوص بعضها مع بعض وبين

النصوص والأحكام العقلية والعادية ، وهو الذي وضع القواعد لاستخراج الحكم الشرعي بناء على أن هناك رخصة وعزيمة وقواعد أصلية وأحوالاً استثنائية

إن من ثمرات العلم بالكتاب والسنة وأصول الفقه الوصول إلى معرفة الحكم الشرعي في كل قضية من قضايا المكلفين ، وثمره ذلك كله الاعتقاد الصحيح والعمل الصحيح ، المقبولان عند الله تعالى ، وإن ذلك لشيء عظيم وكبير ، فهؤلاء الذين اجتمع لهم حسن الاعتقاد وحسن العمل هم وحدهم من بين أفراد هذا العالم الذين حَقَّقُوا معنى العبودية لله - عز وجل - .

* * *

إذا عرفت ما مرَّ وثقت في تحقيقات الراسخين في العلم ، وأدركت عظم الجهود التي قام بها علماؤنا في خدمة السنة النبوية ، تثبتاً في شأنها وتخليصاً لها عن سواها ، وفي الوقت نفسه تدرك استحالة جمع كل ما ورد في السنة النبوية في كتاب ، بل استحالة أن يطالع إنسان ما على كل ما كتب في السنة ، فضلاً عن جمع كل روايات السنة في كتاب .

ولكن إذا عرفت معاني أخرى فإن ذلك يرجعك إلى أن تطمئن إلى أنه بإمكانك أن تطلع بسرعة على معاني السنة دون أن تغرق في بحار التأليف .

إنك إذا عرفت أن الكتب الستة المشهورة في السنة وهي : صحيح البخاري ومسلم ، والسنن الأربعة لأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، والمختلف في السادس منها : هل هو الموطأ أو سنن ابن ماجه - والتي تلقىها الأمة بالقبول - ما فاتها إلا القليل من الأحاديث الصحيحة ، وإذا عرفت أن هذه الكتب الستة تمت محاولات لجمع معانيها في مجلدين كما فعل ذلك ابن الديبع الشيباني في كتابه : (تيسير الوصول إلى جامع الأصول) مثلاً ؛ إذا عرفت ذلك أدركت أن بإمكانك أن تعرف معاني السنة النبوية عن طرق مختصرة .

وقد اشتهرت بجانب الكتب الستة كتبٌ أخرى ، كسند الإمام أحمد ومسند أبي بكر والبخاري ومسند أبي يعلى الموصلي ، ومعاجم الطبراني الثلاثة ، فلو أنك قرأت زوائد هذه الكتب على الكتب الستة أو السبعة فإنك تستطيع أن تثق أنه ما فاتك إلا القليل ، وإلا تحقيقات وكاليات ، فإذا اطمأنت إلى كلامنا هذا فقد آن الأوان لنحدثك عن كتابنا هذا .

* * *

منهج تأليف هذا الكتاب

١ - تستطيع أن تقول إذا قرأت هذا الكتاب أنك كدت أن تحيط بمعاني السنة النبوية ، لأنه حوى المهدي النبوي الذي روته أمهات كتب السنة وهي سبعة عشر كتاباً هي : صحيح البخاري ومسلم ، والسنن الخمسة : لأبي داود و النسائي والترمذي وابن ماجه والدارمي ، وموطأ الإمام مالك ، ومسانيد الإمام أحمد وأبي يعلى الموصلي وأبي بكر البزار ، وصحيح ابن خزيمة وابن حبان ، ومعاجم الطبراني الثلاثة ، ومستدرک الحاكم ، وما تيسر جمعه من غير هذه الكتب من صحيح السنة وحسنها .

فقد اتجهت الهمة لأن تكون هذه الكتب السبعة عشر هي أصول هذا الكتاب ، على أن أستفيد من الكتب التي جمعت بعضها أو أكثرها من أمثال الجامع للأصول لابن الأثير أو مجمع الزوائد للهيثمي أو جمع الفوائد لمحمد بن محمد بن سليمان المغربي .

٢ - وقد ألزمت نفسي ألا أخذ من هذه الأصول إلا حديثاً صحيحاً أو حسناً ، وقد أدخلت في الكتاب بعض ما صادفني من الحديث الصحيح أو الحسن مما ليس في الكتب السبعة عشر ، فتميز هذا الكتاب على كتب الجمع الأخرى بأنه ما حوى إلا الصحيح والحسن ، وحاول أن يستقصى أصوله ، مع ملاحظة أن هناك روايات في أصول هذا الكتاب لا تدخل بشكل مباشر في مقصوده ، فأسقطتها ، فهناك روايات كثيرة مثلاً تتحدث عن أنساب الصحابة وعن تاريخ وفياتهم مما يصلح لدراسات إحصائية استقرائية ، وبما عمله كتب التاريخ وبما لا تعلق مباشراً له بالمهدي النبوي الذي يحتاجه كل مسلم ، أو بالمعرفة التي يطالب بها كل مسلم ، ولذلك فقد أسقطت مثل هذه الروايات في الغالب من كتابي .

وقد أدخلت في هذا الكتاب بعض الأحاديث المرسلّة مع ما يقال في الأحاديث المرسلّة ، لأن لها محلها في البناء الأصولي لمن يريد التحقيق ، وأدخلت روايات أناس اختلف عليهم إذا حكم إمام لحديثهم بالصحة أو الحسن إذا وُجد ما يقوي الرواية .

٣ - ولم أكتف بتصحيح أو تحسين من اشتهر عنهم أنهم يتساهلون في التصحيح والتحسين كالترمذي وابن حبان والحاكم إلا إذا أكد ذلك إمام آخر أو محقق ثبت ، وكل ذلك ليطمئن

القارئ والداعية أن ما يأخذه من هذا الكتاب حجة وبه تقوم الحجة بإذن الله ، ونرجو أن يكون مأجوراً في عمله وعمله إذا بناء على هذا الكتاب .

وإذا كنا أدخلنا روايات لأناس اختلف عليهم فذلك لأن التصحيح والتحسين والتضعيف يخضع في بعض حيثياته لعوامل ذوقية . وللتبحر في علم الحديث ، وللخبرة دخلها في ذلك ، ومن ثم كان للاحتهاد دخل في التصحيح أو التحسين أو التضعيف ، ألا ترى أن بعض قواعد الجرح والتعديل محل خلاف ؟

ومع أننا أدخلنا بعض ما اختلف فيه إذا كان التحقيق يوصل إلى تصحيح أو تحسين ، فقد حاولنا أن نذكر وجهات النظر الأخرى إذا عثرنا عليها احتياطاً لحزمة جناب السنة النبوية المطهرة .

وإنما انصب جهدي على جمع الصحيح والحسن ؛ لأنها اللذان عليهما مدار الأحكام ، وبها تقوم الحجة ، ولم أدخل الضعيف في متن هذا الكتاب - مع أن الضعيف لا يعتبر موضوعاً بالضرورة ، وبالتالي فاحتمال أنه من كلام رسول الله ﷺ قائم - لأنني استهدفت بهذا الكتاب معاني متعددة ...

منها : أن يألف القارئ العبارة النبوية وأن يراها خالصة لا يخالطها غيرها .

ومنها : حفظ القارئ عن التشويش والاضطراب وتغيير الخاطر وقلق الفكر .

ومنها : حفظ وقت القارئ .

ومنها : أن يندفع القارئ في العمل دون تردد .

٤ - وقد كنت ذكرت في مقدمة كتاب الأساس في التفسير بعض احتياجات الأمة

الإسلامية في عصرنا بالنسبة للسنة فقلت :

أ - المسلم المعاصر عنده رغبة في أن يتعرف على السنة المتواترة والصحيحة والحسنة السند ، ويحتاج إلى كتاب جامع لذلك كله ، على أن يكون هذا الكتاب مضبوطاً شكله

مشروحاً غريبه .

ب - والمسلم غير المتخصص في الحديث يهمل كذلك أن يأخذ الجوهر - دون ما احتاجه هذا الجوهر لحمايته - أي هو يحرص على أن يقرأ متون السنة دون أسانيدھا .

ج - والمسلم المعاصر بحاجة إلى أن يفهم السنة فهماً صحيحاً وأن يأخذ الجواب الشافي على كثير من الإشكالات ، وأن يعرف كثيراً من الأمور التي يتلجلج في قلبه سؤال عنها .

د - وهناك شبهات حول السنة يثيرها أعداء الله عز وجل ، وهناك مناقشات حادة حول الكثير من الأمور بين المسلمين أنفسهم في شأن فهم الكثير من متون السنة ، وكل ذلك يحتاج المسلم المعاصر إلى أن يرتاح قلبه في شأنه .

هذا ما ذكرته في مقدمة كتاب التفسير عما يحتاجه المسلم المعاصر بالنسبة للسنة وشيء عادي أن أراعي ذلك في هذا الكتاب .

هـ - ولما كان هذا الكتاب ليس جمعاً للسنة فقط ، بل جمع للسنة وحديث عن شيء من فقهها ، وذلك من أهداف هذا الكتاب ، فإنني أدخلت بعض تحقیقات أهل الاختصاص فيه ، وذلك شيء لا بد منه لمريد فهم السنة ؛ فهناك نصوص في السنة يفهمها بعض الناس فهماً خاطئاً فضّلوا وأضلّوا ، كتلك الفرق المنشقة عن جسم الأمة الإسلامية .

وهناك نصوص يمكن أن يفهمها بعض الناس فهماً خاطئاً كالنصوص التي تتحدث عن تسلسل الأحداث إلى قيام الساعة ، وأقواله - عليه الصلاة والسلام - من جوامع الكلم ، وأفعاله كلها في غاية من الحكمة ، وفي هذا وذاك يوجد الفقيه والأفقه ، والاستفادة من فقه أهل الفقه مهمة .

وهناك نصوص تعددت في فهمها أو في الموقف منها آراء أئمة الاجتهاد فكان لا بد من تبيان أسباب ذلك لتبقى ثقة الأمة الإسلامية بأئمتها على أشدها فذلك هو الذي يعصم من السير وراء الأهواء ، أو عن الاندفاع وراء الآراء الشاذة ، أو عن الخطأ في المواقف .

وهناك - أيضاً - قضايا كثيرة تحتاج إلى أن يذكر فيها تحقيق الحقيقتين كل في

اختصاصه ، فثلاً : تجدد في السيرة كثيراً من النصوص الصحيحة والحسنة تشير إلى حادثة بعينها ، ولكنك لا تجد في النصوص الصحيحة والحسنة التفصيلات ، فإذا ما وجدت تفصيلات عند أئمة السير والمغازي فهذه التحقيقات مهمة ومفيدة ، فهي لا تخرج عن أن يكون مضمونها مذهباً لصاحب التحقيق ، فإذا كان إماماً فلنا في هذه الحالة أن نتابعه في قضية ليس فيها نص مخالف ، وفي قضايا العقائد أو السلوك أو الفقه أو الطب أو التفسير نجد تحقيقات مهمة ومفيدة ، تعين على الفهم أو تهيئ على تساؤلات .

كل ذلك دعائي إلى إدخال تحقيق أهل التحقيق من أهل الاختصاص في هذا الكتاب ، ولكن بأقصى ما أستطيع من الاختصار حتى لا يتوسع حجم الكتاب ، وعلى هذا الهدي علفت وحشيت وهشت وأدخلت كثيراً من الفوائد ليحقق الكتاب مجموع أهدافه .

٦ - وإذا كنت مولعاً بالبحث عن الكليات وربط أجزائها بها فقد راعيت في هذا الكتاب أن تأخذ موضوعات السنة محلها ضمن تسلسل يستشعر فيها القارئ وحدة السنة النبوية وكأنها في الأصل كتاب واحد .

٧ - وقارئ هذا الكتاب يخرج بانطباع أنه أمام أعظم هدي بشري لنبي . وقد راعيت فيه أن لا يمل قارئه وأن يزداد رغبة في القراءة كلما أوغل فيه ، كما راعيت فيه أن يخرج قارئه وقد فقه السنة حق الفقه ، مركزاً على ما يغفل عنه أبناء العصر من موضوعات تفرضها وقائع ومناقشات .

٨ - وقد بذلت جهداً كبيراً في تحقيق روايات بعض الكتب التي لم تتل من التحقيق ما يكفي ، مما يعتبر وحده جهداً تتوجه إليه مقاصد الراغبين في السنة ، كمجمع الزوائد للهيتمي ، وقت بضبط وتحقيق وتشكيل ما يشكل على القارئ العادي ، معتمداً في ذلك على مصادر السنة الصحيحة المحققة وكتب اللغة المعتمدة .

٩ - وقد كان لأعداء الإسلام دور كبير في محاولة التشكيك في السنة وفي بعض معانيها ، مما جعلني ألحظ ذلك في تأليف هذا الكتاب بشكل غير مباشر ، بحيث تعود الكرة إلى مرمى أهلها ، فيصبح ما هو محل تشكيك في زعمهم محل إيمان كما هو في الواقع والحقيقة

١٠ - وإذا كانت بعض الموضوعات تحتاج إلى الاستفادة من معطيات عصرنا ، وإذا كانت بعض معطيات عصرنا تُظهر من معجزات نبينا ﷺ الكثير ، فقد كان هذا وهذا محل تركيز في هذا الكتاب .

١١ - ثم إن المسلم في عصرنا يحتاج إلى أن تفتح أمامه آفاق جديدة على الحاضر والمستقبل التزاماً وتطبيقاً ، وأملاً وتفاؤلاً ، وإذا كانت النصوص تعطي هذا كله ، فقد كان هذا محل تركيز في الكتاب ، خاصة وأن بعض الموضوعات قد فهمت فيها مغلوطاً انعكس على نفسية الأمة يأساً وإحباطاً .

١٢ - وكما أن بعض الموضوعات قد ركزت عليها شرحاً وتقديماً وتعليقاً وتلخيصاً وإحاطاً بإياها بمسائل وفوائد ، فإنني سردت أحاديث بعض الموضوعات سرداً؛ لرؤيتي أن حاجة المسلم هي تلمّي هذه النصوص صرفاً لم تُشَبَّ بتعليقات الرجال .

١٣ - ومع هذا كله فإن هذا الكتاب لا يعتبر شرحاً تقليدياً للسنة ولا يعتبر تحقيقاً تقليدياً لها ، ولكنه كتاب يعطيك السنة عن أقرب طريق ويعطيك فهماً لها عن أيسر طريق ، الحشو فيه مستبعد ، والتعقيد فيه متروك ، هذا مع المحاولة بألا يفوتك شيء من الهدى النبوي إن شاء الله .

١٤ - والأصل عندي أن أختصر ما أمكن ليسهل على القارئ الاستيعاب السريع ، ولذلك لم أكرر إلا حيث وجدت ملحظاً يقتضي التكرار : إمّا لإعلام أن أكثر من صحابي قد روى معنى من المعاني ، وإمّا لضرورة أن يكرر حديث في أكثر من مكان إلى غير ذلك من الضرورات ، ولقد أهملت بعض المعاني الفنية عمداً رغبة في الاختصار ، حيث أجد أن ما أذكره كاف ليثق المسلم فيعتقد ويعمل .

ومن باب الاختصار أيضاً أنني في بداية كل حديث أذكر من أخرجه ، ثم أحذف السند ، وأكتفي بالصحابي الذي رواه فأقول مثلاً : روى البخاري عن أبي هريرة وكان ينبغي أن يقال : روى البخاري بسنده عن أبي هريرة ، ولكن حذفت الجار والمجرور تخفيفاً ، اعتماداً على أن هذا مفهوم من الكلام ، ويستطيع القارئ الكريم أن يقدره ، بناء على معرفته بشرط هذا الكتاب .

١٥ - وفي عملية جمع النصوص من أصول هذا الكتاب صادفني أن بعض الروايات موجودة في أكثر الأصول فلم أر أن أذكر الأصول كلها في العزو لأن ذلك يضخم حجم الكتاب دون فائدة للقارئ العادي ، ولذلك اختصرت في العزو بالقدر الذي يحقق الغرض ، وإذا كانت أكثر روايات الأصول الزائدة على الكتب الستة تكراراً لما في الكتب الستة ، فإنك لا تجد كثيراً من العزو إلى هذه الأصول ، فلا تظن أن هذا قصور في الكتاب .

١٦ - وعلى عادتي فيما أولف فإنني لا أتوانى أن أنقل تحقيقات المحققين مما يحتاجه كتابي ، دون أن أحاول إعادة صياغته ، ولا حرج عليّ في كل ما فعلته فلقد درج علماء المسلمين خلال العصور على أن يعتبروا مجرد الدمج بين كتابين أو أكثر هدفاً ، وأن يعتبروا الانتقاء والاختيار من كتاب أو مجموعة كتب هدفاً ، وأن يزيد اللاحق على فعل السابق أخذاً جهده مضيفاً إليه هدفاً ، ومجرد تجميع الفوائد من كتب متعددة هدفاً .

فإذا حاولت أن أوجد عقد جوهر من جواهر مبثوثة ، فإنني لا أجد حرجاً من أن أكثر النقل فقد لا يصل الكتاب المنقول عنه إلى قارئ فأكون وسيطاً ، ثم إن كثيرين يعرضون بعض الأمور عرضاً موفقاً قد لا أطيقه لو أنني أردته ، فإذا لو أنني رصعت كتابي بفوائد أمثال هؤلاء ؟!

١٧ - وقد أفدت من تحقيقات البوصيري لزوائد ابن ماجه ، وتحقيقات عبد الله اليماني لجمع الفوائد وتحقيقات عبد القادر أرناؤوط لجامع الأصول وتحقيقات الهيتمي لجمع الزوائد وتحقيقات الذهبي للحاكم وتحقيقات الشيخ عبد الفتاح أبو غدة وناصر الألباني وشعيب الأرناؤوط وغيرهم ، فجزى الله الجميع خيراً .

١٨ - ولعل قصة الجهد الذي بذلناه في هذا الكتاب تجعل لنا عند أهل الإنصاف عُذراً فيما يروونه من تقصير ، فلكي أتجنب أخطاء النقل الكتابي ، ولكي لا يفوتني حديث من أحاديث الكتب التي قررت أن أجمع منها هذا الكتاب ، فقد جعلت كل حديث من أصول هذه الكتب في ورقة مستقلة تصويراً أو أخذاً مباشراً من نسخ هذه الكتب ، حتى إذا انتهى

هذا الجهد ، وجدتني أمام عشرات الآلاف من أوراق ، فبدأت بحذف الضعيف ، وضم النظر
إلى النظر ، على ضوء نظرية جامعة في الترتيب والتبويب ، ثم كانت مرحلة ثانية وثالثة
ورابعة ، وخامسة حتى استكمل هذا الكتاب شكله الذي أقدمه إليك .

ونرجو من أي إنسان عنده علم في السنة أن يقدم لنا ملاحظاته ، فنحن بفضل الله
نفرح إن أهدانا أحد هدية الدلالة على خطأ .

* * *

أقسام الكتاب

وقد جعلت هذا الكتاب مقدمة وخمسة أقسام :

المقدمة : وفيها تعريف بهذا الكتاب ومنهج البحث فيه ، وإلمامة بأصوله ، وتعريف بالجهود الكبرى التي جمعت بين هذه الأصول وأفدت منها .

وجعلت القسم الأول من الكتاب في السيرة النبوية ، لأن التعريف بالرسول ﷺ مقدم على التعريف بالرسالة ، ولأن الإيمان بالرسول ﷺ هو المقدمة العادية لتلقي هديه .

وجعلت القسم الثاني في العقائد ، لأنها هي الأساس ، وعنها يصدر العمل وإذا صحت وجد القبول ، ولأنها أول ما يخاطب به الإنسان ، وهي المظهر الأول لدعوة رسول الله ﷺ فناسب أن يكون أول ما يطالعه الإنسان بعد سيرة رسول الله ﷺ العقائد ، وقد جمعت في قسم العقائد بين الفهم الفطري للنصوص ، ومباحث الأصوليين ، وتحقيق الحقائق .

وجعلت القسم الثالث في العبادات الرئيسية وما هو ألصق بها .

وجعلت القسم الرابع في الأخلاقيات وأحكام الحياتيات والعاديات .

وجعلت القسم الخامس في الحكم وما هو ألصق به وفي حقوق الإنسان .

وسنرى أن الربط بين أبحاث كل قسم والتسلسل بين الأقسام كان قوياً لدرجة يعمل الكتاب بعضه أخذاً برقاب بعض ، وقد لحظت في هذا الترتيب معاني تربوية ونفسية نرجو أن تكون ذا نفع .

* * *

وبعد : فهناك السنة النبوية تكاد تكون مجموعة في كتاب ، وإني لأرجو لمن قرأ هذا الكتاب وكتاب الأساس في التفسير وكتاب الأساس في قواعد المعرفة وضوابط الفهم ، أن يكون قد اجتمع له إِبصار كامل بمواطن الحق والباطل والخطأ والصواب .

ولقد مرت على المسلمين أدوار ، دور كانوا يأخذون فيه الكتاب والسنة وحدهما ، ودور

أخذوا فيه الكتاب والسنة مع أقوال العلماء كلٌ بدليله ، ودور أخذوا فيه أقوال العلماء بلا دليل وأهملوا دراسة الكتاب والسنة ، مع أن أكثر أقوال العلماء تبحث في غير الأمور المشهورة في الكتاب والسنة ، فحدث نتيجة لذلك أخطاء كثيرة ، وجهل عريض ، وغفلة كبيرة ، ولا أزعم أنه ليست لهذا استثناءات ولكنه هو الغالب ، ولعل جهدي في سلسلة (في المنهج) يشارك في إعادة الأمور إلى نصابها .

* * *

وها أنذا أكرر توجيه الدعوة لأهل العلم والفضل أن يوافقوني بأي وجهة نظر - مباشرة أو عن طريق الناشر - أستكمل فيها ما فاتني ، أو أحرر فيها ما ذكرته ، أو أرصع بها هذا الكتاب ، فكل ذلك أفتح له صدري بل أطلبه ، وليس عندي من حرج أن يَزِدْ عَلَيَّ من يرد في كتاب أو مجلة سيارة أو في صحيفة ، فإنني أرجو أن أستفيد من ذلك كله ، لله وفي الله .

وإذا وجد أحد أن هذا الكتاب لم يبلغ الكمال فأبي جهد بشري بلغ الكمال ؟! إنما هو خطوة في طريق جمع الأحاديث الصحيحة والحسنة لَعَلِّي أو لعل غيري يسير خطوات أخرى نحو الكمال والله الموفق ، وما يجد القارئ في هذا الكتاب من خير وسداد فمن الله تعالى وما يجد فيه من نقص وخلل فمني وأستغفر الله .

هذا وإني لأدعو الله - عز وجل - أن يتقبلني ويتقبل أعمالي وأن ينفع بها ، كما أنني أدعو لنفسي ولكل من ساعدني في إنجاز هذا المشروع أو انتفع به أن يتغمدنا الله وأهلينا وذرياتنا برحمته ، وأن يكرمنا برعايته ، إنه سميع مجيب .

(رب اغفر لي ولوالدي رب ارحمهما كما ربياني صغيراً)

ثانياً: تعريف بأصول هذا الكتاب ومصنفها

أصول هذا الكتاب الحديثية سبعة عشر كتاباً، هي: صحيح البخاري ومسلم، والسنن الخمسة لأبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجه والدارمي، وموطأ الإمام مالك، ومسانيد الإمام أحمد وأبي يعلى الموصلي وأبي بكر البزار، وصحيح ابن خزيمة وابن حبان، ومستدرک الحاكم، ومعجم الطبراني الثلاثة .

والجامع لهذه الكتب لا يستطيع إلا أن يستهدي بجمع من جمع منها، احتياطاً في البحث، واسترشاداً بجهود المتقدمين، وبعض كتب الجمع هي السبيل الوحيد المتوفر عندي للوصول إلى مروياتها لأنها لم تطبع حتى تأليف هذا الكتاب .

وأهم ما انصبت عليه عملية الجمع قديماً جمع الأصول الستة للبخاري ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي والموطأ، وجمع زيادات بعض الكتب على الأصول الستة ولكن بتبديل الموطأ بابن ماجه، وهي عملية الجمع التي قام بها نور الدين الهيثمي، ثم الجمع بين الجامع للأصول وجمع الزوائد، مضافاً إليهما زيادات من ابن ماجه وسنن الدارمي، والتي قام بها محمد بن محمد بن سليمان المغربي في كتابه جمع الفوائد .

ونحن في هذا الكتاب مع استرشادنا بكتاب جمع الفوائد الذي هو أرقى عمليات الجمع فقد جمعنا الروايات كلها من الأصول الأقرب حتى لاتفتننا رواية من روايات الكتب الأصول فكانت المحصلة هي ما جمعناه لك أو اعتمدناه في هذا الكتاب .

وسنقدم لك في هذه الفقرة تعريفاً بأصول هذا الكتاب وأصحابها وتعريفاً ببعض من جمع الأصول الستة وجميع الزوائد وجميع الفوائد .

* * *

١ - الإمام البخاري وصحيحه

قال ابن الأثير - صاحب جامع الأصول - في ترجمة البخاري :

هو أبو عبد الله : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري .

وإنما قيل له : الجعفي لأن المغيرة - أبا جدّه - كان عجوسياً ، أسلم على يد يمان البخاري ، وهو الجعفي والي بخارى ، فنُسب إليه حيث أسلم على يده .

وجعفي : أبو قبيلة من الين ، وهو جعفي بن سعد العشيرة بن مذحج ، والنسبة إليه كذلك .

ولد يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ، وتوفي ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومائتين ، وعمره اثنتان وستون سنة ، إلا ثلاثة عشر يوماً ، ولم يعقب ذكراً .

والبخاري - الإمام في علم الحديث - رحل في طلب العلم إلى جميع محدثي الأمصار ، وكتب بخراسان والجلال ، والعراق والحجاز ، والشام ومصر ، وأخذ الحديث عن المشايخ الحفاظ .

منهم : مكي بن إبراهيم البلخي ، وعبدان بن عثمان المروزي ، وعبيد الله بن موسى العبسي ، وأبو عاصم الشيباني ، ومحمد بن عبد الله الأنصاري ، ومحمد بن يوسف الفريابي ، وأبي نعيم الفضل بن دكين ، وعلي بن المديني ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وإسماعيل بن أبي أويس المدني ، وغير هؤلاء من الأئمة .

وأخذ عنه الحديث خلق كثير في كل بلدة حدث بها .

قال الفريابي : سمع كتاب البخاري تسعون ألف رجل ، فما بقي أحد يروي عنه غيره ، وكذلك لا يروى اليوم - صحيح البخاري - عن أحد سواه .

وردّ على المشايخ وله إحدى عشرة سنة ، وطلب العلم وله عشر سنين .

قال البخاري : خرجت كتاب الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث ، وما وضعت فيه حديثاً إلا صليت ركعتين .

وقدم البخاري بغداد ، فسمع به أصحاب الحديث ، فاجتمعوا وعدوا إلى مائة حديث ، فقبلوا متونها وأسانيدها ، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر ، وإسناد هذا المتن لمتن آخر ، ودفعوها إلى عشرة أنفس ، لكل رجل عشرة أحاديث ، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوها على البخاري ، فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث . فلما اطمأن المجلس بأهله ، وانتدب إليه رجل من العشرة ، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال : لا أعرفه ، فسأله عن آخر ، فقال : لا أعرفه . حتى فرغ من العشرة . والبخاري يقول : لا أعرفه . فأما العلماء فمرفوا بإنكاره أنه عارف ، وأما غيرهم فلم يدركوا ذلك منه . ثم انتدب رجل آخر من العشرة فكان حاله معه كذلك ، ثم انتدب آخر بعد آخر ، إلى تمام العشرة ، والبخاري لا يزيد على قوله : لا أعرفه .

فلما فرغوا التفت إلى الأول منهم ، فقال : أما حديثك الأول ، فهو كذا ، والثاني كذا ، على النسق ، إلى آخر العشرة ، فرد كل متن إلى إسناده ، وكل إسناد إلى متنه ، ثم فعل بالباقيين مثل ذلك ، فأقر له الناس بالحفظ ، وأذعنوا له بالفضل .

الجامع الصحيح

قال الشيخ محمد أبو شعبة :

كان الأئمة قبل البخاري لا يقصرون مؤلفاتهم على الأحاديث الصحيحة ، بل كانوا يجمعون بين الصحيح والحسن والضعيف ، تاركين التمييز بينها إلى معرفة القارئ والطالبين بنقد الأحاديث ، والتمييز بين المقبول والمردود ، إلى أن جاء البخاري فرأى أن يخص الصحيح بالتأليف ، فألف كتابه الصحيح ، وسماه :

(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) .

وبذلك يكون الإمام البخاري قد خطا بالتأليف في الحديث خطوة موفقة يسرت

معرفة الحديث والاحتجاج به على الطالبين ، ولا سيما المتأخرين .

الحامل له على تأليف الصحيح :

وقد وجهه إلى هذا العمل الجليل كلمة سمعها من أستاذه إسحاق بن راهويه . روي عن البخاري أنه قال : كنت عند إسحاق بن راهويه فقال : لو جعتم كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله ﷺ ، قال : فوقع في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح ، وقد قوى عنده العزم رؤيا رآها فقد روي عنه أنه قال :

رأيت النبي ﷺ وكأني واقف بين يديه ، وييدي مروحة أذب بها عنه ، فسألت بعض المعبرين فقال لي : أنت تذب الكذب عن حديث رسول الله ﷺ ، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح .

منهج البخاري في جمع الصحيح :

لقد نهج البخاري في جمع صحيحه منهجاً يدعو إلى الثقة والاطمئنان إلى صحة أحاديثه ، وقد بالغ في التحري عن الرواة ، والتوثق من صحة المرويات ، وبذل في هذا أقصى ما وصل إليه الجهد الإنساني ، وما زال يوازن بين المرويات ، ويمحصها ، ويتخير منها ما تركن إليه نفسه حتى صار كتابه إلى الحالة التي هو عليها تحريراً وتنقيحاً ، يدل على ذلك ما روي عنه أنه قال : صنف هذا الجامع من ستمائة ألف حديث - في ست عشرة سنة .

ومع أن البخاري اتبع في جمع صحيحه قواعد البحث العلمي الصحيح فقد استلهم الجانب الروحي من نفسه ، قال تلميذه الفربري . سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول : صنف كتاب الجامع في المسجد الحرام ، وما أدخلت فيه حديثاً إلا استخرت الله ، وصليت ركعتين ، وتبينت صحته .

ومراده أنه بوب أبوابه ، ووضع أساسه في المسجد الحرام ، ثم بيض تراجمه ، وأصوله في

الروضة ^(١) بين قبر النبي ﷺ ومنبره ، ثم صار يجمع ما يتيسر له من الأحاديث ، ويضعها في أبوابها اللائقة بها في الحرمين وغيرهما من البلاد التي ارتحل إليها ، وقد مكث في تأليف صحيحه ست عشرة سنة ، وهو محرر ويدقق ، وينتقي ويتخير ما هو على شرطه حتى جاء كتابه على ما أحب ، ويحبه طلاب الحقيقة ، ورواد البحث .

وبذلك اجتمع لهذا الكتاب الصحيح من دواعي التوفيق إلى الحق والصواب ما لم يجتمع لغيره ، فلا عجب أن كانت له منزلة سامية في نفوس العلماء ، وأن تلقته الأمة الإسلامية بالقبول والاطمئنان إلى ما فيه ، وأن استحق أن يطلق عليه أنه أصح الكتب المدونة في الحديث النبوي .

براعة البخاري في النقد :

وللإمام البخاري في تعديل الرجال وتجريحهم ، ونقد المتن ، ونقد الرواية شروط عالية دقيقة ، وشفوف نظر ، وملكة عجيبة اكتسبها من طول ما بحث ، ونقد ، ومن طول ما عرض له من علل الأسانيد والمتون وذلك : كالنطاسي البارع الذي يحصل له من طول ملازمته لمهنة الطب وكثرة ما عرض عليه من الأمراض ، نوع من العلم ، قد يصل إلى حد الإلهام ، بالعلل والأمراض ، والوقوف على حقيقتها ومكانها مما كانت خفية ، أو كانت عوارضها غير واضحة . وكالصيرفي الماهر الذي اكتسب بطول ملازمته الصيرفة التمييز بين النقود الجيدة السليمة ، والنقود الزائفة وربما تسأله عن السبب في الحكم عليها فلا يجيب .

وهذه الملكة في التمييز بين الصحيح من الحديث والعليل تكاد تكون عند معظم أئمة الحديث وجهابذته ، وإن كانوا يتفاوتون فيها على حسب الأصالة في النقد والاستعداد ، وسعة الاطلاع ولعلك لحت هذا التنظير بين المحدثين والأطباء في كلمة الإمام مسلم للبخاري : (يا أستاذ الأستاذين ، وسيد المحدثين ، وطبيب الحديث في علله) وبين المحدثين والصيارفة في تعبيرهم عن نقاد الحديث : (صيارفته) .

(١) في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » .

شروط البخاري في التصحيح في القمة :

من المعروف المقرر عند أئمة الحديث وعلمائه أن شروط الحديث الصحيح أن يكون : راويه مسلماً ، عاقلاً ، صادقاً ، غير مدلس ولا مختلط^(١) ، متصفاً بصفات العدالة^(٢) ، ضابطاً لما يرويه ، متحفظاً عليه ، سليم الذهن والحواس التي لا بد منها في السماع والضبط ، قليل الهم - الغلط - سليم الاعتقاد .

وأن يكون إسناده^(٣) متصلاً ، فلا إرسال فيه ، ولا انقطاع ، ولا إعضال^(٤) وأن يكون متن الحديث غير شاذ ، ولا معلل^(٥) .

فإذا اجتمعت هذه الشروط في الحديث كان صحيحاً - يعني في نسبته إلى قائله - وترجح ترجيحاً قوياً في صدق هذه النسبة يكاد يصل عند أهل هذا الفن المترسين فيه إلى حد العلم واليقين .

ومن ثم يتبين لنا أن الشروط التي وضعها المحدثون لصحة الحديث تقتضي الثقة والطمأنينة ، وترجح جانب الصدق على الكذب ، والصواب على الخطأ ، وما ينبغي أن يعلم أن البخاري لم ينقل عنه أنه قال : شرطي في صحيحي كذا وكذا على التفصيل والتصريح كما يصنع بعض المؤلفين ، وإنما عرف ذلك من سير^(٦) كتابه ، والبحث فيه .

(١) المدلس : هو الذي يروي عن عاصره ما لم يسمعه منه موهماً أنه سمعه منه . والمختلط : هو الذي طرأ عليه كثرة الغلط أو الخطأ بسبب كبر سن أو عمى أو ضياع كتبه مثلاً .

(٢) العدالة : ملكة أي حالة نفسية راسخة تحمل على ملازمة التقوى ، والمروءة . والتقوى : امتثال المأمورات واحتساب المنهيات فلا يفعل كبيرة ولا يصغر على صغيرة ، ولا يكون مبتدعاً بدعة تغل بعد الله . والمروءة : آداب نصابية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند عمارن الأخلاق وجميل العادات فيترفع عن صفائر الخسة ، والمباحات التي تواضع العرف على إخلالها بالكرامة .

(٣) السند والإسناد : هم الرواة الذين يروون الحديث .

(٤) المرسل : من الحديث : ما حذف من سنده الصحابي ، والمنقطع : ما حذف من سنده راو واحد غير الصحابي ولو في مواضع ، والمعضل : ما حذف من سنده إثنان فأكثر على التوالي .

(٥) الشاذ : هو الحديث الذي خالف فيه الثقة من هو أوثق منه ، والمعلل : ما اطلع فيه على علة خفية غامضة تظعن في صحة الحديث .

(٦) اختبرها وتعرف عليها .

والذي استخلصه العلماء بعد البحث والتتبع أن الإمام البخاري في صحيحه التزم أعلى درجات الصحة ، ولا ينزل عن هذه الدرجة إلا في بعض الأحاديث التي ليست من أصل موضوع الكتاب كالتابعات والشواهد ^(١) ، والأحاديث المروية عن الصحابة والتابعين .

وليس من شك في أن الرواة يتفاوتون في الأخذ عن شيوخهم إتقاناً وضبطاً ، وطول ملازمة ومصاحبة وقلة ذلك ، كما يتفاوتون في العدالة والأمانة ، والبخاري في صحيحه إنما يعتمد من الرواة من كانوا في أعلى الدرجات من هذه الصفات وسأوضح ذلك بمثال : ذلك أن تلامذة الإمام الزهري مثلاً على خمس طبقات ودرجات ولكل طبقة مزية على التي تليها :

الطبقة الأولى : هم الذين امتازوا بالعدالة والحفظ والإتقان والأمانة ، وطول الملازمة للزهري في السفر والحضر مثل : مالك وسفيان بن عيينة ورجال هذه الطبقة هم مقصد البخاري في صحيحه .

الطبقة الثانية ^(٢) : وهم الذين شاركوا الأولى في الثبوت والأمانة ، إلا أن رجال الأولى امتازوا بطول المصاحبة للزهري سفرًا وحضرًا ، أما رجال الثانية فلم يلازموا الزهري إلا مدة يسيرة فكانوا في الإتقان والمعرفة بحديثه دون الأولى ، وذلك مثل : الأوزاعي والليث بن سعد ورجال هذه الدرجة الثانية يعتمد رواياتهم الإمام مسلم ، أما البخاري فلا يخرج من أحاديثهم إلا قليلاً في غير أصول الكتاب كما ذكرنا آنفاً .

الطبقة الثالثة : وهم من دون الثانية مثل : جعفر بن برقان وزمعة بن صالح ، فلا يخرج لهم البخاري أصلاً ، وقد يخرج لهم في المتابعات والشواهد .

أما رجال الطبقة الرابعة والخامسة : وهم المجروحون والضعفاء فلا يخرج لهم البخاري ومسلم . وهكذا يتبين لنا أن شرط البخاري في صحيحه في القمة .

* * *

(١) المتابعة : موافقة راو لراو آخر في رواية لفظ الحديث ، والشاهد : الحديث الذي يوافق حديثاً آخر في معناه .

(٢) الطبقة : هم الرواة الذين تقاربوا في السن ولقاء الشيوخ .

٢ - الإمام مسلم وصحيحه

قال ابن الأثير في ترجمة مسلم :

هو أبو الحسين : مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، أحد الأئمة الحفاظ .
ولد سنة ست ومائتين ، وتوفي عشية يوم الأحد لست بقين من رجب سنة إحدى وستين
ومائتين .

رحل إلى العراق والحجاز والشام ومصر .

وأخذ الحديث عن يحيى بن يحيى النيسابوري ، وقتيبة بن سعيد ، وإسحاق بن راهويه ،
وعلي بن الجعد ، وأحمد بن حنبل ، وعبيد الله القواريري ، وشريح بن يونس ، وعبد الله بن
مسلمة القفني ، وحرمة بن يحيى ، وخلف بن هشام ، وغير هؤلاء من أئمة الحديث وعلمائه .
وقدم بغداد بغير مرة وحدث بها .

روى عنه خلق كثير ؛ منهم : إبراهيم بن محمد بن سفيان ، ومن طريقه رويناه صحيحه ،
وكان آخر قدومه بغداد سنة سبع وخسين ومائتين .

قال أحمد بن سلمة : رأيت أبا زرعة وأبا حاتم يتقدمان مسلم بن الحجاج في معرفة الصحيح
على أهل عصرهما .

وقال الحسن بن محمد الماسرجسي : سمعت أبي يقول : سمعت مسلماً يقول : صنعت (المسند
الصحيح) من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة .

وقال محمد بن إسحاق بن منده ، سمعت أبا علي بن علي النيسابوري يقول : ما تحت أديم
السما أصح من كتاب مسلم بن الحجاج في علم الحديث .

وقال أبو عمرو محمد بن حمدان الحيري : سألت أبا العباس بن عقدة عن محمد بن إسماعيل
البخاري ، ومسلم بن الحجاج النيسابوري أيهما أعلم ؟

فقال : كان البخاري عالماً ، وكان مسلم عالماً ، فكررت عليه مراراً وهو يجيبني بمثل هذا

الجواب ، ثم قال : يا أبا عمرو : قد يقع للبخاري الغلط في أهل الشام ، وذلك أنه أخذ كتبهم ، فنظر فيها ، فربما ذكر الواحد منهم بكنيته ، ويذكره في موضع آخر باسمه ، ويتوهم أنها اثنان ، فأما مسلم ، فقلما يقع له الغلط ، لأنه كتب المقاطيع والمراسيل .

وقال محمد بن يعقوب الأخرم - وذكر كلاماً معناه - : قلما يفوت البخاري ومسلماً مما يثبت في الحديث حديث .

قال الخطيب أبو بكر البغدادي : إنما قفا مسلم طريق البخاري ، ونظر في علمه وحذا حذوه .

ولما ورد البخاري نيسابور في آخر مرة ، لازمه مسلم ، وأدام الاختلاف إليه .

وقال الدارقطني : لولا البخاري لما ذهب مسلم ولا جاء .

صحيح الإمام مسلم

وهو أحد الكتابين اللذين هما أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل ، واللذين تلقتهم الأمة الإسلامية بالقبول .

وقد بالغ الإمام مسلم في البحث والتحري عن الرجال ، والتحصيل للمرويات ، والموازنة بينها ، والتدقيق في تحرير الألفاظ ، والإشارة إلى الفروق بينها ، حتى جاء صحيحه على الهيئة الكاملة ، التي ينشدها أهل البحث والمعرفة .

وليس أدل على هذا من أنه انتقى كتابه من ألوف الروايات المسموعة ، روى عنه أنه قال : (صنف هذا الصحيح من ثلثمائة ألف حديث) .

والكتاب ثمرة حياة مباركة استغلها صاحبها في السفر والترحال والكد والجهد ، والجمع والحفظ ، والكتابة والتنقيح ، حتى كان كما ترى صحة وتهذيباً وتنسيقاً ، وقد مكث هو وبعض تلاميذه يكتبون ويحررون حتى تم تأليفه في خمس عشرة سنة .

روي عن أحمد بن سلمة أنه قال : كتبت مع مسلم في تأليف صحيحه خمس عشرة سنة وهو اثنا عشر ألف حديث .

فلا تعجب إذا كان مسلم يشيد بذكر صحيحه فيقول - تحدثاً بنعمة ربه عليه - : لو أن أهل الأرض يكتبون الحديث مائتي سنة ما كان مدارهم إلا على هذا المسند .

ويدل على شدة تحريه ، واستيثاقه من الرويات قوله : ما وضعت شيئاً في كتابي هذا إلا بحجة ، وما أسقطت منه شيئاً إلا بحجة .

سماحة الإمام في البحث :

ولم يكن مسلم متعصباً لرأيه بل كان يتسم بسمة العلماء الذين يبتغون الحق ، ولا عليهم لو ظهر على لسان أي شخص كان ، ولا يرون غشاً في الرجوع إلى الحق إذا ظهر ، بل يعتبرونه فضيلة .

وبعد انتهائه من تدوين صحيحه عرضه على أئمة هذا العلم النبوي الشريف . روى الخطيب بإسناده عن مكي بن عبدان أحد حفاظ نيسابور قال : سمعت مسلماً يقول : عرضت كتابي هذا على أبي زرعة الرازي ^(١) ، فكل ما أشار أنه له علة تركته ، وكل ما قال إنه صحيح وليس له علة خرجته .

وهذا غاية التواضع ، وعدم الاغترار بالنفس ، والإعجاب بالرأي ، وهو أدب عال من آداب البحث في الإسلام .

منهج مسلم في صحيحه :

لم ينص الإمام مسلم على أن شرطه في صحيحه ^(٢) هو كذا ، وإنما استخرج العلماء ذلك من النظر في كتابه ؛ والذي استخلصوه أن شرطه في صحيحه أنه لا يخرج الأحاديث إلا عن العدول الضابطين ، الموثوق بصدقهم وأمانتهم ، وحفظهم ويقظتهم وعدم غفلتهم ، كما يخرج عن ذلك من الرواة وأنه لا يخرج في كتابه بالأصالة إلا الأحاديث المسندة المتصلة المرفوعة إلى النبي ﷺ .

(١) هو حافظ عصره عبيد الله بن عبد الكريم ، كان من أفراد الدهر حفظاً وذكاء ودينياً ، وإخلاصاً . وعلماً وعلاً ، وكانت وفاته سنة أربع وستين ومائتين .

(٢) وذلك فيما عدا العنينة فقد ذكر في مقدمة صحيحه اكتفاءه في إفادتها الاتصال بالمعاصرة ولم يشترط تلقي وأنحى باللائمة على من اشترطه أيضاً .

ومعنى هذا أنه لم يلزم نفسه بما التزم به البخاري من مراعاة مستوى خاص في الرواية والرواة ، بل توسع في شرطه فروى عن رواة لم يرو لهم البخاري في صحيحه ، ولعلك على ذكر من المثال الذي ذكرناه أثناء الكلام على شرط البخاري في صحيحه ، وهو أن تلامذة الإمام ابن شهاب الزهري على خمس طبقات : الأولى ، ثم الثانية ، ثم الثالثة ، ثم الرابعة ، ثم الخامسة ، ولكل طبقة مزية على التي تليها في الحفظ والإتقان وطول الملازمة والصحة .

وقد ذكرنا هناك أن البخاري يخرج أحاديث الطبقة الأولى ، ويخرج من أحاديث الطبقة الثانية قليلاً وفي غير أصول الكتاب .

أما مسلم فيخرج أحاديث رجال الطبقة الأولى والثانية استيعاباً ، ويخرج من أحاديث الطبقة الثالثة قليلاً ، وذلك في المتابعات والشواهد لا في أصل الكتاب ، ولعل فيما ذكره مسلم في مقدمة صحيحه ما يلقي لنا ضوءاً نتعرف به شرطه في صحيحه ذلك أنه قسم الأحاديث ثلاثة أقسام :

الأول : ما رواه الحفاظ المتقنون .

الثاني : ما رواه المستورون المتوسطون في الحفظ والإتقان .

الثالث : ما رواه الضعفاء والمتروكون وقد ذكر أنه إذا فرغ من القسم الأول أتبعه الثاني وأما الثالث فلا يمرج عليه ^(١) وهو يؤيد ما ذكرناه .

خصائص صحيح مسلم :

وقد امتاز صحيح مسلم بأن مؤلفه سلك فيه طريقة حسنة ، ذلك أنه يجمع المتون كلها بطرقها في موضع واحد ، ولا يفرقها في الأبواب ، ولا يكررها إلا في القليل النادر ، إلا إذا كانت هناك ضرورة لهذا التكرار كفائدة زائدة في سند الحديث أو متنه .

وقد سهل له هذا المنهج أنه لم يقصد أن يضم إلى جمع الأحاديث بيان فقهم واستنباط الأحكام والآداب منها .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٤٨ .

أما البخاري فقد قصد إلى ذلك فن ثم اضطر إلى طريقته التي سلكها في صحيحه .

ومن هذه الخصائص : التدقيق في الألفاظ ، والحفاظة على اللفظ ما وسعه الأمر حتى إذا خالف راوٍ راوياً آخر في لفظه والمعنى واحد فرواها بعضهم بلفظ والآخر بلفظ آخر ، يَتَّبَعُ ، وكذا إذا قال راوٍ (حدثنا) وقال آخر (أخبرنا) ^(١) بين الخلاف في ذلك ، وكذلك إذا روى الحديث جماعة وكانت هناك مغايرة في بعض الألفاظ فإنه يبين أن اللفظ المذكور من رواية فلان ، ولذا تجده يقول في هذا النوع من الحديث : (واللفظ لفلان) وهذا غاية الدقة والأمانة في النقل اللتين امتاز بهما مثل الإمام مسلم .

وأيضاً فقد حرص مسلم أن لا يذكر في كتابه إلا الأحاديث المسندة المرفوعة - أي المنسوبة إلى النبي ﷺ - فلذلك لم يذكر أقوال الصحابة ولا التابعين وليس فيه بعد المقدمة إلا الأحاديث المرفوعة .

وكذلك لم يكثر مسلم في كتابه من الأحاديث المعلقة ^(٢) فليس فيه إلا اثنا عشر حديثاً وهي في المتابعات لا في أصول الكتاب ومقاصده ، هذا وهناك - غير ما ذكرنا - خصائص تظهر لمن يدرس الكتاب حق الدرس .

* * *

(١) الذي عليه جمهور الحديثين - ومنهم مسلم - التفرقة بين حدثنا ، وأخبرنا ، فالأول : بما سمعه الراوي من لفظ شيخه ، والثاني : لما قرأه التأليف على شيخه .

(٢) هي ما حذف من مبتدأ إسنادها واحد أو أكثر .

٣ - الإمام أبو داود وسننه

قال ابن الأثير في ترجمة أبي داود :

هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني ، أحد من رحل وطوف ، وجع وصنف ، وكتب عن العراقيين والخراسانيين والشاميين والمصريين والجزريين .

ولد سنة اثنين ومائتين ، وتوفي بالبصرة لأربع عشرة بقية من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين .

وقدم بغداد مراراً ، ثم خرج منها آخر مراته سنة إحدى وسبعين .

وأخذ الحديث عن مسلم بن إبراهيم ، وسليمان بن حرب ، وعثمان بن أبي شيبة وأبي الوليد الطيالسي ، وعبد الله بن مسلمة القعنبي ، ومُسَدَّد بن مُسْرَهْد ، ويحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل ، وقتيبة بن سعيد ، وأحمد بن يونس ، وغير هؤلاء من أئمة الحديث ، ممن لا يحصى كثرة .

وأخذ الحديث عنه : ابنه عبد الله ، وأبو عبد الرحمن النسائي ، وأحمد بن محمد الخلال ، وأبو علي محمد بن عمرو اللؤلؤي ، ومن طريقه نروي كتابه .

وكان أبو داود سكن البصرة .

وقدم بغداد ، وروى كتابه المصنّف في (السنن) بها ، ونقلها أهلها عنه ، وصنفه قديماً ، وعرضه على أحمد بن حنبل ، فاستجاده واستحسنه .

قال أبو بكر بن داسّة : قال أبو داود : كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث ، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب - يعني كتاب السنن - جمعت فيه أربعة آلاف حديث وثمانمائة حديث ذكرت الصحيح ، وما يشبهه ويقاربه . ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث .

أحدها : قوله عليه الصلاة والسلام : « إنما الأعمال بالنيات » .

والثاني : قوله ﷺ : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

والثالث : قوله ﷺ : « لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه » .

والرابع : قوله ﷺ : « إن الحلال بيّن ، وإن الحرام بيّن ، وبينهما أمور مشبهات ... » الحديث .

وقال أبو بكر الخلال : أبو داود : سليمان بن الأشعث : الإمام المقدم في زمانه ، رجل لم يسبقه إلى معرفته بتخريج العلوم وبصره بمواضعها أحد في زمانه ، رجل ورع مقدم .

وكان إبراهيم الأصفهاني ، وأبو بكر بن صدقة ، يرفعان من قدره ، ويذكرانه بما لا يذكران أحداً في زمانه مثله .

وقال أحمد بن حنبل بن ياسين الهروي : كان سليمان بن الأشعث ، أبو داود ، أحد حفاظ الإسلام لحديث رسول الله ﷺ ، عِلْمُهُ وَعِلَلُهُ وَسَنَدُهُ ، وكان في أعلى درجة من النسك والعفاف ، والصلاح والورع ، من فرسان الحديث .

وقال محمد بن أبي بكر بن عبد الرزاق : كان لأبي داود كَمٌ واسع وكَمٌ ضيق ، فقال له : يرحمك الله ! ما هذا ؟ قال : الواسع للكتب ، والآخر لاحتاج إليه .

وقال أبو سليمان الخطابي : كتاب (السنن) لأبي داود ، كتاب شريف لم يصنف في علم الدين كتاب مثله ، وقد رزق القبول من كافة الناس ، على اختلاف مذاهبهم ، فصار حَكَمًا بين فرق العلماء ، وطبقات الفقهاء ، فلكل فيه ورد ، ومنه شرب ، وعليه معول أهل العراق ومصر وبلاد المغرب ، وكثير من مدن أقطار الأرض ، فأما أهل خراسان ، فقد أولع أكثرهم بكتاب محمد بن إسماعيل البخاري ، وكتاب مسلم بن الحجاج النيسابوري .

وقال : قال أبو داود : ما ذكرت في كتابي حديثاً اجتمع الناس على تركه .

وكان تصنيف علماء الحديث قبل زمان أبي داود : (الجوامع) و (المسانيد) ونحوهما ، فتجمع تلك الكتب - إلى ما فيها من (السنن) و (الأحكام) - أخباراً وقصصاً ، ومواعظ

وأدباً . فأما (السنن) المحضة ، فلم يقصد أحد منهم إفرادها واستخلاصها من أثناء تلك الأحاديث ، ولا اتفق له ما اتفق لأبي داود ، ولذلك حل هذا الكتاب عند أئمة الحديث وعلماء الأثر محل العجب ، فضربت إليه أكباد الإبل ، ورامت إليه الرحل .

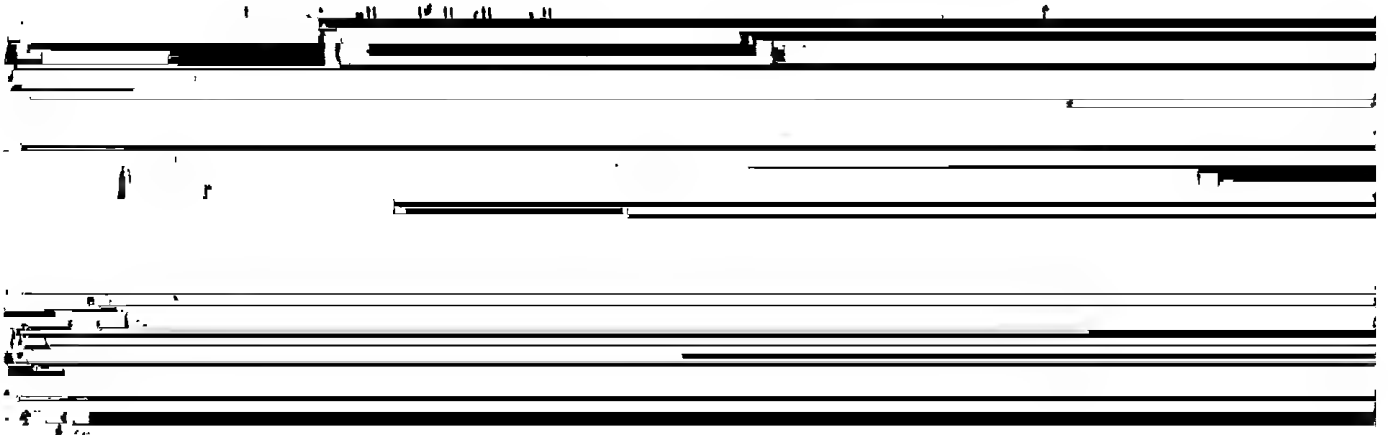
قال إبراهيم الحري لما صنف أبو داود هذا الكتاب ، ألين لأبي داود الحديث ، كما ألين لداود عليه السلام الحديد .

وقال ابن الأعرابي عن كتاب أبي داود : لو أن رجلاً لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله - عز وجل - ثم هذا الكتاب ، لم يحتج معها إلى شيء من العلم بته .

* * *

٤ - الإمام الترمذي وسننه

قال ابن الأثير في ترجمة الترمذي :



٥ - الإمام النسائي وسننه

قال ابن الأثير في ترجمة النسائي :

هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان النسائي ، ولد سنة خمس وعشرين ومائتين .

ومات بمكة سنة ثلاثة وثلاثمائة ، وهو مدفون بها .

قال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري : سمعت أبا علي الحافظ غير مرة يذكر أربعة من أئمة المسلمين رآهم فيبدأ بأبي عبد الرحمن .

وهو أحد الأئمة الحفاظ العلماء ، لقي المشايخ الكبار .

وأخذ الحديث عن قتيبة بن سعيد ، وإسحاق بن إبراهيم ، وحيد بن مسعدة وعلي بن خشرم ، ومحمد بن عبد الأعلى ، والحارث بن مسكين ، وهناد بن السري ، ومحمد بن بشار ، ومحمود بن غيلان ، وأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، وغير هؤلاء من المشايخ الحفاظ .

وأخذ عنه الحديث خلق كثير ، منهم : أبو بشر الدولابي - وكان من أقرانه - وأبو القاسم الطبراني ، وأبو جعفر الطحاوي ، ومحمد بن هارون بن شعيب ، وأبو الميمون بن راشد ، وإبراهيم بن محمد بن صالح بن سنان ، وأبو بكر أحمد بن إسحاق السني الحافظ ، ومن طريقه روينا كتابه (السنن) .

وله كتب كثيرة في الحديث والعلل ، وغير ذلك .

قال مأمون المصري الحافظ : خرجنا مع أبي عبد الرحمن إلى طرسوس سنة الفداء ، فاجتمع جماعة من مشايخ الإسلام ، واجتمع من الحفاظ عبد الله بن أحمد بن حنبل ، ومحمد ابن إبراهيم مَرِيَّع ، وأبو الأذان ، وكيُلَجَة وغيرهم ، فتشاوروا من ينتقى لهم على الشيوخ ؟ فاجتمعوا على أبي عبد الرحمن النسائي ، وكتبوا كلهم بانتخابه .

وقال الحاكم النيسابوري : أما كلام أبي عبد الرحمن على فقه الحديث فأكثر من أن يذكر ، ومن نظر في كتاب السنن له تحير في حسن كلامه .

وقال : سمعت علي بن عمر الحافظ غير مرة يقول : أبو عبد الرحمن مُقَدِّمٌ على كل من يذكر هذا العلم في زمانه .

وكان شافعي المذهب ، له مناسك ، ألفها على مذهب الشافعي وكان ورعاً متحريراً ، ألا تراه يقول في كتابه (الحارث بن مسكين قراءة عليه ، وأنا أسمع) ولا يقول فيه : (حدثنا) ولا (أخبرنا) كما يقول عن باقي مشايخه .

وذلك : أن الحارث كان يتولى القضاء بمصر ، وكان سنه وبن أبي عبد الرحمن خشفة ، لم

٦ - ابن ماجه وسننه

قال الشوكاني :

وأما ابن ماجه فهو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن عبد الله بن ماجه القزويني مولى ربيعة بن عبد الله .

ولد سنة تسع ومائتين ، ومات يوم الثلاثاء لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث أو خمس وسبعين ومائتين .

وهو أحد الأعلام المشاهير ، ألف سننه المشهورة ، وهي إحدى السنن الأربع وإحدى الأمهات الست . وأول من عدها من الأمهات ابن طاهر في الأطراف ثم الحافظ عبد الغني ، قال ابن كثير : إنها كتاب مفيد قوي التبويب في الفقه .

رحل ابن ماجه وطوّف الأقطار وسمع من جماعة منهم أصحاب مالك والليث ، وروى عنه جماعة منهم أبو الحسن القطان .

وقد تحدث صاحب الرسالة المستطرفة عن ابن ماجه وسننه بقوله :

وسنن أبي عبد الله محمد بن يزيد المعروف بابن ماجه ، وهو لقب أبيه لا جده ، ولا أنه اسم لأمه خلافاً لمن زعم ذلك ، وهماؤه ساكنة وصلأً ووقفأً لأنه اسم أعجمي ، الربيعي نسبة إلى ربيعة مولاهم ، القزويني نسبة إلى قزوين مدينة مشهورة بعراق العجم ، المتوفى سنة ثلاثة أو خمس وسبعين ومائتين .

وهي التي كملت بها الكتب الستة والسنن الأربعة بعد الصحيحين ، واعتنى بأطرافها الحافظ ابن عساكر ثم المزي مع رجالها ، ولم يذكر ابن الصلاح والنووي وفاته ، كما لم يذكر كتابه في الأصول ، بل جعلها خمسة فقط تبعاً لتقدمي أهل الأثر وكثير من محققي متأخريهم .

ولما رأى بعضهم كتابه كتاباً مفيداً قوي النفع في الفقه ورأى من كثرة زوائده على الموطأ أدرجه على ما فيه في الأصول وجعلها ستة .

وأول من أضافه إلى الخمسة مكملاً به الستة أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي في أطراف الكتب الستة له ، وكذا في شروط الأئمة الستة له ، ثم الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي في الكمال في أسماء الرجال ، أي رجال الكتب الستة ، الذي هذبه الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي - بكسر الميم وتشديد الزاي المكسورة ، نسبة إلى المزة قرية بدمشق - فتبعها على ذلك أصحاب الأطراف والرجال والناس ، ومنهم من جعل السادس الموطأ كرزين بن معاوية العبدري في التجريد ، وأثير الدين أبي السعادات المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري الشافعي في جامع الأصول .

وقال قوم من الحفاظ منهم ابن الصلاح والنووي وصلاح الدين العلائي والحافظ ابن حجر : لو جعل مسند الدارمي سادساً كان أولى ، ومنهم من جعل الأصول سبعة فعد منها زيادة على الخمسة كلاً من الموطأ وابن ماجه ، ومنهم من أسقط الموطأ وجعل بدله سنن الدارمي ، والله أعلم .

وقد تحدث الدكتور محمد أديب الصالح في كتابه (لمحات في أصول الحديث) عن سنن ابن ماجه فقال :

أحد السنن الأربع ، وأحد الكتب الستة والأهميات : الصحيحين والسنن الأربع ، وإنه - بشهادة العلماء الأثبات - غزير الفقه والفوائد ، وفيه الكثير من الزيادات على الموطأ ، بل والزيادات على الكتب الخمسة ، فقد روى عنه الحافظ الذهبي أنه قال : عرضت هذه السنن على أبي زرعة فنظر فيه وقال : أظن إن وقع هذا في أيدي الناس تعطلت هذه الجوامع أو أكثرها ، ثم قال : لعله لا يكون فيه تمام ثلاثين حديثاً مما في إسناده ضعيف . ووصفه الحافظ ابن كثير بأنه كتاب مفيد قوي التبويب في الفقه .

ومع شهادة العلماء بجودة هذا الكتاب لم يغفلوا ذكر ما فيه من الضعيف ، قال ابن حجر : كتابه في السنن - يعني ابن ماجه - جامع جيد كثير الأبواب والفرائب وفيه أحاديث ضعيفة جداً ، وقد تقل مثل هذا الكلام عن ابن الأثير أيضاً : وكل هذه الأحاديث معروف

عند العلماء متميز عن غيره من الصحيح . ولكن عدد الضعيف قليل إذا قيس بعدد الأحاديث التي يشتمل عليها الكتاب ، فقد ذكر أبو الحسن القطان - من أصحاب ابن ماجه - أن في السنن - يعني سنن ابن ماجه - ألفاً وخمسمائة باب ، وجملة ما فيها أربعة آلاف حديث . وهذه الجملة دقق فيها أحد علماء العصر الحديث ، محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله ، فبلغت في تعداده (٤٣٤١) حديثاً . من هذه الأحاديث (٣٠٠٢) حديثاً أخرجها أصحاب الكتب الخمسة كلهم أو بعضهم ، ولكنه هو رواها من طرق غير طرقهم ، وبأقوال الأحاديث مما يحتج به عند العلماء . وتفصيل الزوائد - كما أثبتها محمد فؤاد عبد الباقي في آخر الجزء الثاني من (سنن ابن ماجه) كما يلي :

(٤٢٨) أحاديث رجالها ثقات ، وصحيحة الإسناد .

(١٩٩) أحاديث حسنة الإسناد .

(٦١٣) أحاديث ضعيفة الإسناد .

(٩٩) أحاديث واهية الإسناد أو منكورة أو مكذوبة .

وبعد هذا التقسيم قرر رحمه الله أن من مزايا الكتاب : ... رواية أحاديث الكتب الخمسة من طرق أخرى يؤيد بعضها بعضاً مما يعطي الأحاديث قوة على قوة ، ثم كون الأحاديث - صحيحة الإسناد وحسنة الإسناد - تشكل عدداً كبيراً مما انفرد به ، فإذا أضيف هذا إلى مزاياه الأخرى ظهرت لنا قيمة هذا الكتاب بشكل جلي .

* * *

٧ - الدارمي وسننه

قال صاحب الرسالة المستطرفة :

وسنن أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد التيمي السمرقندي الدارمي ، نسبة إلى دارم بن مالك بطن كبير من تيم ، المتوفى بمرو سنة خمس وخمسين ومائتين ، وله أسانيد عالية وثلاثياته ^(١) أكثر من ثلاثيات البخاري .

قال الدكتور أديب الصالح :

وذهب جماعة من العلماء منهم ابن الصلاح والنووي والحافظ ابن حجر إلى أنه لو جعل مسند الدارمي سادساً (أي سادس كتب السنة المعتمدة) لكان أولى .

وقد قدم محقق سنن الدارمي : محمد أحمد دهمان ، للسنن معروفاً بالسنن ومؤلفها فقال :

هو الحافظ الكبير ، شيخ الإسلام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام ابن عبد الصمد التيمي السمرقندي الدارمي - بكسر الراء - نسبة إلى دارم بن مالك بن حنظلة ابن زيد مناة بن تيم أحد بطونه .

روى ابن عساكر بسنده إلى أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم الوراق قال : سمعت أبا محمد عبد الله بن عبد الرحمن يقول : ولدت سنة مات ابن المبارك سنة ١٨١ هـ .

نشأ على غاية من العقل والديانة يضرب به المثل في الحلم والدراية والحفظ والعبادة والزهد . ورحل في طلب الحديث فدخل مصر والشام والعراق والحرمين ، وأظهر علم الحديث والآثار بسمرقند ، وذبح عنها الكذب ، وكان مفسراً كاملاً ، وفقهاً عالماً ، طلب للقضاء على سمرقند فأبى ، فألح عليه السلطان حتى تقلده ف قضى مرة واحدة ثم استعفى فأعفى .

توفي سنة (٢٥٥ هـ) يوم التروية بعد العصر ودفن يوم عرفة يوم الجمعة وهو ابن (٧٥)

(١) الثلاثية : السند الذي فيه ثلاثة رواة بين المؤلف والني ﷺ .

سنة ودفن بمرور ، وقيل إن وفاته سنة (٢٥٠هـ) وهو وهم .

قال إسحاق بن أحمد : كنا عند محمد بن إسماعيل البخاري فورد عليه كتاب فيه نعي عبد الله بن عبد الرحمن فنكس رأسه ثم رفع واسترجع ، وجعل يسيل دموعه على خديه ثم أنشد :

إن تبق تفجع بالأحبة كلهم وفناء نفسك لا أبالك أفجع

ولم يكن ينشد شعراً إلا ما ورد في الأحاديث .

ومن مؤلفاته : التفسير ، والجامع ، والمسند وهو هذا .

شيوخه :

سبع من أبي مسهر ومروان بن محمد ، وعبد الوهاب بن سعيد المغني والنضر بن شميل ويزيد بن هارون وسعيد بن عامر الضبعي وجعفر بن عون وزيد بن يحيى بن عبيد الدمشقي ووهب بن جرير وخالد بن غلند وطبقتهم بالحرمين وخراسان والشام والعراق .

من روى عنه :

روى عنه البخاري في غير جامعه ، ومسلم في صحيحه ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي خارج سننه ، والحسن بن الصباح البزار ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم ، وبقي بن مخلد ، وعمر بن محمد البجلي ، وجعفر بن محمد الفريابي ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل ، وعيسى بن عمر بن العباس السمرقندي ، وغيرهم .

ثناء الأئمة عليه :

قال إسحاق سمعت محمد بن عبد الله بن المبرد المحرمي ببغداد يقول : يا أهل خراسان ! ما دام عبد الله بن عبد الرحمن بين أظهركم فلا تشتغلوا بغيره ، قال إسحاق : وسمعت أبا سعيد الأشج يقول : عبد الله بن عبد الرحمن إمامنا . قال إسحاق : وسمعت عثمان بن أبي شيبة يقول : إن عبد الله بن عبد الرحمن أعظم من ذاك فيما يقولون من البصر والحفظ وصيانة النفس عافاه الله .

وقال إسحاق : سمعت شريح بن يونس البغدادي يقول : طوبى لكم يا أهل خراسان
بعبد الله بن عبد الرحمن .

وقال محمد بن عبد الله بن بكير : غلبنا عبد الله بن عبد الرحمن بالحفظ والورع .

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم سمعت أبي يقول : عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي
إمام أهل زمانه .

وقال زاهر الخطيب السمرقندي : كنت عند أحمد بن حنبل فذكر عبد الله بن عبد
الرحمن فقال : هو ذاك السيد ، ثم قال عَرَضَ علي الكفر فلم أقبل وعرضت عليه الدنيا فلم
يقبل .

وقال أحمد بن حنبل : سمعت رجاء بن مرجى يقول : رأيت أحمد بن حنبل وإسحاق
وابن المديني والشاذكوني فما رأيت أحفظ من عبد الله .

وقال أبو سعيد الجريري ، عمر بن الحسن : كنت بمصر والشام - وذكر البلدان - ما
رأيت أحداً من أهل العلم إلا وهو يعرف عبد الله بن عبد الرحمن ، ولا يعرفون رجاء بن
المرجى ولا محمد بن إسماعيل .

وقال أبو حامد بن الشرقي : إنما أخرجت خراسان من أئمة الحديث خمسة رجال محمد بن
يحيى ، ومحمد بن إسماعيل ، وعبد الله بن عبد الرحمن ، ومسلم بن الحجاج ، وإبراهيم بن أبي
طالب .

وقال أبو محمد جعفر بن محمد الأُمي سمعت رجاء الحافظ يقول : ما أعلم أحداً أعلم
بحديث النبي ﷺ من عبد الله بن عبد الرحمن .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل : قلت لأبي : يا أبت ما الحافظ ؟

قال : يا بني شباب كانوا عندنا من أهل خراسان وقد تفرقوا .

قلت : من هم يا أبت ؟

قال : محمد بن إسماعيل ذاك البخاري ، وعبد الله بن عبد الكريم ذاك الرازي - يعني أبا زرعة ، وعبد الله بن عبد الرحمن ذاك السمرقندي ، والحسن بن شجاع ذاك البلخي .

قلت : فن أحفظ هؤلاء ؟

قال : أما أبو زرعة فأسردهم ، وأما محمد بن إسماعيل فأعرفهم ، وأما عبد الله بن عبد الرحمن فأتقنهم ، وأما الحسن بن شجاع فأجمعهم للأبواب .

وقال بNDAR : حفاظ الدنيا أربعة : أبو زرعة بالرّي ، ومسلم بن الحجاج بنيسابور ، وعبد الله بن عبد الرحمن بسمرقند ، ومحمد بن إسماعيل ببخارى .

وقال أبو حاتم الرازي : البخاري أعلم من دخل العراق ، ومحمد بن يحيى أعلم من بخراسان اليوم ، ومحمد بن سليم أورعهم ، والدارمي أثبتهم .

وقال النووي عنه : هو أحد حفاظ المسلمين في زمانه ، قل من يدانيه في الفضيلة والحفظ .

مرتبة هذه السنن عند المحدثين :

اشتهرت هذه السنن عند المحدثين بالمسند ، على خلاف اصطلاحهم . قال السيوطي في تدريب الراوي : ومسند الدارمي ليس بمسند ، بل هو مرتب على الأبواب ، وبعض المحدثين سموه بالصحيح .

وقال الحافظ الذهبي عنه : صاحب المسند العالمي الذي في طبقة منتخب مسند عبد بن حميد .

قال الحافظ الذهبي : وسمي كتابه مسنداً وإن لم يكن على ترتيب المسانيد .

وقال ملا علي القاري في المرقاة : ومسنده المشهور وهو على الأبواب دون الصحابة خلافاً لمن وهم فيه .

والذي وهم فيه هو ابن الصلاح فقد عده من المسانيد على وجه اليقين : قال السيوطي

في تدريب الراوي : قيل ومسند الدارمي ليس بمسند بل هو مرتب على الأبواب وقد سماه بعضهم بالصحيح . قال شيخ الإسلام : ولم أر لمغلطاي سلفاً في تسميته الدارمي صحيحاً إلا قوله أنه رآه بخط المنذري .

وقال شيخ الإسلام : إنه ليس دون السنن في الرتبة بل لو ضم إلى الخمسة لكان أولى من ابن ماجه فإنه أمثل منه بكثير .

وقال العراقي في النكت : اشتهر تسميته بالمسند كما سمي البخاري كتابه بالمسند لتكون أحاديثه مسندة .

* * *

٨ - الإمام مالك وموطؤه

قال ابن الأثير :

هو أبو عبد الله : مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث - وهو ذو أصبح - بن سويد ، من بني حمير بن سبأ الأكبر ، ثم من بني يشجب بن قحطان ، وفي نسبه خلاف غير هذا .

ولد سنة خمس وتسعين من الهجرة ، ومات بالمدينة سنة تسع وسبعين ومائة ، وله أربع وثمانون سنة .

وقال الواقدي : مات وله تسعون سنة ، وله ولد اسمه يحيى ، ولا يعلم له غيره .

هو إمام أهل الحجاز ، بل إمام الناس في الفقه والحديث ، وكفاه فخراً أن الشافعي من أصحابه .

أخذ العلم عن : محمد بن شهاب الزهري ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، ونافع مولى عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - ومحمد بن المنكدر ، وهشام بن عروة بن الزبير ، وإسماعيل بن أبي حكيم ، وزيد بن أسلم ، وسعيد بن أبي سعيد المقبري ، ومخزومة بن سليمان ، وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، وأفتى معه ، وعبد الرحمن بن القاسم ، وشريك بن عبد الله بن أبي نمر - وليس بالقاضي - وخلق كثير سوام .

وأخذ العلم عنه خلق كثير لا يحصون كثرة ، وهم أئمة البلاد .

منهم : الشافعي ، ومحمد بن إبراهيم بن دينار ، وأبو هشام المغيرة بن عبد الرحمن الخزومي ، وأبو عبد الله عبد العزيز بن أبي حازم ، وعثمان بن عيسى بن كنانة؛ هؤلاء نظراؤه من أصحابه ومثمن بن عيسى القرظي ، وأبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون ، ويحيى بن يحيى الأندلسي ، ومن طريقه رويناه الموطأ - وعبد الله بن مسلمة القعنبي ، وعبد الله بن وهب وأصنغ بن الفرّج ، وغير هؤلاء ممن لا يحصى عدده .

وهؤلاء مشايخ البخاري ، ومسلم ، وأبي داود ، والترمذي ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن

معين ، وغيرهم من أئمة الحديث .

قال مالك - رحمه الله تعالى -: قل من كتبت عنه العلم ، مامات حق يبيئني ويستفتيني .
وقال بكر بن عبد الله الصنعاني : أتينا مالك بن أنس فجعل يحدثنا عن ربيعة بن عبد الرحمن وكنا نستزيده من حديثه . فقال لنا ذات يوم : ما تصنعون بربيعة ، وهو نائم في ذلك الطاق ؟ فأتينا ربيعة فأنبهناه ، وقلنا له : أنت ربيعة ؟ قال : نعم . قلنا : الذي يتحدث عنك مالك بن أنس ؟ قال : نعم ، قلنا : كيف حظي بك مالك ولم تحظ أنت بنفسك ؟! قال : أما علمت أن مثقالاً من دؤلة خير من جمل علم ؟! (١) .

وكان مالك مبالغا في تعظيم العلم والدين ، حتى كان إذا أراد أن يحدث تواضاً وجلس على صدر فراشه ، وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ، ثم حدث ، فقليل له في ذلك ، فقال : أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ .

ومر يوماً على أبي حازم وهو جالس فجازه ، فقليل له ، فقال : إني لم أجد موضعاً أجلس فيه ، فكرهت أن آخذ حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم .

قال يحيى بن سعيد القطان : ما في القوم أصح حديثاً من مالك .

وقال الشافعي - رحمه الله - إذا ذكر العلماء فمالك النجم ، وما أحد أقر عليّ من مالك - رحمة الله عليه - .

وروي أن المنصور منعه من رواية الحديث في طلاق المكره ، ثم دس عليه من يسأله ، فروى على ملأ من الناس : (ليس على مُستكره طلاق) فضربه بالسياط ، ولم يترك رواية الحديث .

وروي أن الرشيد سأل مالكا فقال : هل لك دار ؟ فقال : لا ، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار ، وقال : اشتر بها داراً ، فأخذها ولم ينفقها فلما أراد الرشيد الشخوص . قال لمالك : ينبغي أن تخرج معي ، فإني عزمتم أن أحمل الناس على الموطأ ، كما حمل عثمان الناس على

(١) يعني : أن مالك بن أنس محظوظ ، جعل الله له شهرة وسعة وإقبالا ، بخلاف حالي .

القرآن . فقال : أما حل الناس على الموطأ فليس إلى ذلك سبيل ، لأن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا بعده في الأمصار فحدثوا ، فعند أهل كل مصر علم ، وقد قال رسول الله ﷺ : « اختلاف أمتي رحمة » ^(١) وأما الخروج معك فلا سبيل إليه . قال رسول الله ﷺ : « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » وقال : « المدينة تنفي خبثها » وهذي دنائيركم كما هي ، إن شئتم فخذوها ، وإن شئتم فدعوها .

يعني أنك إنما تكلفني مفارقة المدينة لما اصطنعتني إليّ فلا أوتر الدنيا على مدينة رسول الله ﷺ .

وقال الشافعي - رحمه الله - رأيت على باب مالك كراعاً من أفراس خراسان وبغال مصر ، ما رأيت أحسن منه ، فقلت له : ما أحسنه ، فقال : هو هدية مني إليك يا أبا عبد الله ، فقلت : دع لنفسك منها دابة تركبها ، فقال : أنا أستحي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ بمحافر دابة .

وكم مثل هذه المناقب لهذا الطود الأشم ، والبحر الزاخر .

قال صاحب الرسالة المستطرفة :

ولأبي عمر بن عبد البر .. كتاب في وصل ما في الموطأ ، من المرسل والمنقطع والمفضل . قال : وجميع ما فيها من قوله بلفني ، ومن قوله عن الثقة عنده مما لم يسنده أحد وستون حديثاً ، كلها مسندة من غير طريق مالك إلا أربعة لا تعرف ، ثم ذكرها .

قال الشيخ صالح الفلاني : وقد رأيت لابن الصلاح تأليفاً وصل هذه الأربعة فيه بأسانيده .

* * *

(١) حديث سنده ضعيف ، وبعضهم قال : لا أصل له .

٩ - الإمام أحمد ومسنده

قال الشوكاني :

وأما أحمد بن حنبل فهو الإمام الكبير ، المجمع على إمامته وجلالته ، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني . رحل إلى الشام والحجاز واليمن وغيرها ، وسمع من سفيان بن عيينة وطبقته ، وروى عنه جماعة من شيوخه وخلائق آخرون لا يحصون ، منهم البخاري ومسلم .

قال أبو زرعة : كانت كتب أحمد بن حنبل اثني عشر حملاً وكان يحفظها عن ظهر قلبه وكان يحفظ ألف ألف حديث .

ولد في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة ، وتوفي سنة إحدى وأربعين ومائتين على الأصح ، وله كرامات جليلة وامتنح المحنة المشهورة . وقد طول المؤرخون ترجمته وذكرها فيها عجائب وغرائب ، وترجمه الذهبي في (سير أعلام النبلاء) في مقدار خمسين ورقة وأفردت ترجمته بمصنفات مستقلة .

وله - رحمه الله - المسند الكبير انتقاه من أكثر من سبعمائة ألف حديث وخمسين ألف حديث ولم يدخل فيه إلا ما يحتج به وبالغ بعضهم فأطلق على جميع ما فيه أنه صحيح ، وأما ابن الجوزي فأدخل كثيراً منه في موضوعاته ، في كتاب الموضوعات لابن الجوزي ، حيث أورد فيه أحاديث موضوعة مكذوبة .

لكنه رحمه الله كان يورد أحاديث ضعيفة ، بل حسنة وصحيحة في كتابه . وتعقبه بعضهم في بعضها ، وقد حقق الحافظ ابن حجر نفى الوضع عن جميع أحاديثه وأنه أحسن انتقاء وتحريراً من الكتب التي لم يلتزم مصنفوها الصحة في جميعها كالموطأ والسنن الأربعة ، وليست الأحاديث الزائدة فيه على الصحيحين بأكثر ضعفاً من الأحاديث الزائدة في سنن أبي داود والترمذي ، وقد ذكر العراقي أن فيه تسعة أحاديث موضوعة ، وأضاف إليها خمسة عشر حديثاً أوردها ابن الجوزي في الموضوعات وهي فيه ، وأجاب عنها حديثاً حديثاً . قال

السيوطي : وقد فاته أحاديث أخر أوردها ابن الجوزي وهي فيه وقد جمعها السيوطي في جزء سماه (الذيل الممهد) وذب عنها وعدتها أربعة عشر حديثاً . قال الحافظ ابن حجر في كتابه ، (تعجيل المنفعة في رجال الأربعة) ليس في المسند حديث لا أصل له إلا ثلاثة أحاديث أو أربعة ، منها حديث عبد الرحمن بن عوف أنه يدخل الجنة زحفاً ، قال : والاعتذار عنه أنه مما أمر أحد بالضرب عليه فترك سهواً ، قال الهيثمي في زوائد المسند : إن مسند أحمد أصح صحيحاً من غيره ، لا يوازي مسند أحمد كتاب مسند في كثرته وحسن سياقاته . قال السيوطي في خطبة كتابه (الجامع الكبير) ما لفظه : وكل ما كان في مسند أحمد فهو مقبول فإن الضعيف الذي فيه يقرب من الحسن .

وقال صاحب الرسالة المستطرفة :

ومسند الإمام الأوحى محيي السنة أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي ، ثم البغدادي المتوفى ببغداد سنة إحدى وأربعين ومائتين ، وكان يحفظ ألف ألف حديث ، ومسنده هذا يشتمل على ثمانية عشر مسنداً أولها مسند العشرة ، وما معه من زيادات ولده عبد الله ويسير من زيادات أبي بكر القطيعي الراوي عن عبد الله .

وقد اشتهر عند كثير من الناس أنه أربعون ألف حديث . قال أبو موسى المديني : لم أزل أسمع ذلك من الناس حتى قرأته على أبي منصور بن زريق . وقد صرح بذلك الحافظ شمس الدين محمد بن الحسين في التذكرة فقال : عدة أحاديثه أربعون ألفاً بالمرور . وقال ابن المنادي : إنه ثلاثون ألفاً ، والاعتماد على قوله دون غيره . وقد انتقاءه من أكثر من سبعمائة ألف وخمسين ألف حديث . ولم يدخل فيه إلا ما يحتج به عنده ، وتفضيل ابن الصلاح كتب السنن عليه منتقداً ، وبالحق بعضهم فأطلق عليه اسم الصحة ، والحق أن فيه أحاديث كثيرة ضعيفة وبعضها أشد في الضعف من بعض ، حتى إن ابن الجوزي أدخل كثيراً منها في موضوعاته ، ولكن تعقبه في بعضها الحافظ أبو الفضل العراقي ، وفي سائرها الحافظ ابن حجر في (القول المسدد في الذب عن مسند أحمد) والسيوطي في ذيله المسمى : (الذيل الممهد على القول المسدد) . وحقق الأول منها نفي الوضع عن جميع أحاديثه ، وأنه أحسن انتقاء وتحريراً من الكتب التي لم تلتزم الصحة في جمعها . قال : وليست الأحاديث الزائدة

فيه على ما في الصحيحين بأكثر ضعفاً من الأحاديث الزائدة في سنن أبي داود والترمذي عليها . وقال غيره: ما ضعف من أحاديثه أحسن جالاً مما يصححه كثير من المتأخرين .

وقد رتبته على الأبواب بعض الحفاظ الأصهبانيين ، وكذا الحفاظ ناصر الدين بن زريق ، وكذا بعض من تأخر عنه ، ورتبه على حروف المعجم في أسماء المقلين الحفاظ أبو بكر بن الحب ، ولولده أبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل البغدادي الحفاظ المتوفى سنة تسعين ومائتين كتاب في زوائد مسنده هذا وهو نحو من ربعه في الحجم ، قيل إنه مشتمل على عشرة آلاف حديث ، وله أيضاً زوائد كتاب الزهد لأبيه ، وللإمام الحفاظ أبي بكر محمد بن الحفاظ أبي محمد عبد الله المقدسي الحنبلي ترتيب مسند أحمد هذا على حروف المعجم .

ومن أجود الخدمات المعاصرة التي قدمت لمسند الإمام أحمد : خدمة الشيخ أحمد شاكر له على أنها خدمة لم تتم ، وخدمة الشيخ عبد الرحمن البنا والد الشيخ حسن البنا - رحم الله الجميع - إذ رتب المسند على حسب الأبواب الفقهية والعلمية وشرحه .

وقال المناوي في التعريف بالإمام أحمد ويكتابه :

والإمام أحمد هو ابن محمد بن حنبل ، الناصر للسنة ، الصابر على الهنة ، الذي قال فيه الشافعي : ما ببغداد أفقه ولا أزهد منه . وقال إمام الحرمين : غسل وجه السنة من غبار البدعة وكشف الغمة عن عقيدة الأمة .

ولد ببغداد سنة أربع وخمسين ومائة ، وروى عن الشافعي وابن مهدي وخلق وعنه الشيخان وغيرهما ، ومات سنة إحدى وأربعين ومائتين ، وارثت الدنيا لموته .

قال ابن المديني : مسنده - وهو نحو أربعين ألفاً - أصل من أصول الإسلام ، وقال ابن الصلاح : مسند أحمد ونحوه من المسانيد كأبي يعلى والبزار والدارمي وابن راهويه وعبد بن حميد لا يلتحق بالأصول الخمسة وما أشبهها - أي كسند ابن ماجه - في الاحتجاج بها والركون إليها . وقال العراقي : وجود الضعيف في مسند أحمد محقق ، بل فيه أحاديث موضوعة جمعتها في جزء . وتعقبه تلميذه الحفاظ ابن حجر بأنه ليس فيه حديث لا أصل له

إلا أربعة منها خبر ابن عوف أنه يدخل الجنة زحفاً . قال (أعني ابن حجر في تجريد زوائد
البرار) : وإذا كان الحديث في مسند أحمد لا يعزى لغيره من المسانيد .

* * *

١٠ ، ١١ ، ١٢ - معاجم الطبراني الثلاثة

قال صاحب الرسالة المستطرفة :

كتب المعاجم جمع معجم ، وهو في اصطلاحهم ما تذكر فيه الأحاديث على ترتيب الصحابة أو الشيوخ أو البلدان أو غير ذلك ، والغالب أن يكونوا مرتبين على حروف الهجاء ، كمعجم الطبراني الكبير : المؤلف في أسماء الصحابة على حروف المعجم ، عدا مسند أبي هريرة : فإنه أفرده في مصنف ، يقال : إنه أورد فيه ستين ألف حديث في اثني عشر مجلداً ، وفيه قال ابن دحية : هو أكبر معاجم الدنيا ، وإذا أطلق في كلامهم (المعجم) فهو المراد وإذا أريد غيره قيد .

والأوسط : ألفه في أسماء شيوخه ، وهم قريب من ألفي رجل ، حتى إنه روى عن عاش بعده لسعة روايته وكثرة شيوخه ، وأكثره من غرائب حديثهم ، قال الذهبي : فهو ينظر الأفراد للدارقطني بين فيه فضيلة سعة روايته ، ويقال : إن فيه ثلاثين ألف حديث وهو في ست مجلدات كبار ، وكان يقول فيه : هذا الكتاب روعي ، لأنه تعب فيه . قال الذهبي : وفيه كل نفيس وعزيز ومنكر .

والصغير : وهو في مجلد خرج فيه عن ألف شيخ ، يقتصر فيه غالباً على حديث واحد عن كل واحد من شيوخه ، قيل : وهو عشرون ألف حديث ذكره غير واحد ، لكن ذكر المقرئ في (فتح المتعال) نقلاً عن كتاب (إرشاد المهتدين لمشايخ ابن فهد تقي الدين) أن المعجم الصغير للطبراني في مجلد ، يشتمل على نحو من ألف وخمسمائة حديث بأسانيدھا . قال : لأنه خرج فيه عن ألف شيخ ، كل شيخ حديثاً أو حديثين . وهو التحرير والصواب وخلافه سبق قلم ، والله أعلم ، اهـ .

وقد عرف لناوي المؤلف بقوله :

سليمان اللخمي أبو القاسم أحد الحفاظ الكثيرين الجوالين ، صاحب التصانيف الكثيرة أخذ عن أكثر من ألف شيخ منهم : أبو زرعة وطبقته ، وعنه : أبو نعيم وغيره . قال

الذهبي : ثقة صدوق ، واسع الحفظ ، بصير بالعلل والرجال والأبواب ، كثير التصانيف ، إليه المنتهى في كثرة الحديث وعلومه ، تكلم ابن مردويه في أخيه فأوهم أنه فيه وليس به ، بل هو حافظ ثبت ، مات بأصبهان سنة ستين وثلاثمائة عن مائة سنة وعشرة ، اهـ .

وحظنا من معاجم الطبراني في هذا الكتاب هو ما أخرجه نور الدين الهيثمي منها في كتابه مجمع الزوائد ، الذي يفترض فيه أنه جمع فيه زوائد الطبراني على الكتب الست ، ولذلك تقول : إن من قرأ كتابنا هذا لم يفته معنى من المعاني التي انفرد بها الطبراني من هديه - عليه الصلاة والسلام - .

وبعد أن سرت شوطاً بعيداً في هذا الكتاب ، وصلتني بعض الأجزاء المطبوعة من كتاب المعجم الكبير لكنني لم أجِد فيها ما يجعلني أعيد النظر فيما سرت فيه .

* * *

١٣ - ابن حبان وصحيحه

قال محمد بن جعفر الكتاني :

وصحيح أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ البني الدارمي ، البُستي - بضم
الموحدة ، وإسكان السين - نسبة إلى بستان كبير من بلاد الغور بطرق خراسان ،
الشافعي ، أحد الحفاظ الكبار ، صاحب التصانيف العديدة ، المتوفى ببستان سنة أربع
وخمسين وثلاثمائة ، وهو المسمى بالتقاسيم والأنواع في خمسة مجلدات ، وترتيبه مخترع ليس
على الأبواب ولا على المسانيد ، والكشف منه عسر جداً ، وقد رتب بعض المتأخرين على
الأبواب ترتيباً حسناً ، وهو الأمير علاء الدين أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله الفارسي
الحنفي الفقيه النحوي ، المتوفى بالقاهرة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ، وبناه (الإحسان في
تقريب صحيح ابن حبان) كما أنه رتب معجم الطبراني الكبير على الأبواب أيضاً ، وصحيح
ابن حبان موجود الآن بتمامه ، بخلاف صحيح ابن خزيمة فقد عدم أكثره كما قال السخاوي .
وقد قيل إن أصح من صنف في الصحيح بعد الشيخين ابن خزيمة فابن حبان .

وقد تحدث الدكتور محمد أديب الصالح في كتابه (لمحات في أصول الحديث) عن ابن
حبان وصحيحه بقوله :

صاحب هذا الصحيح هو : الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البستي
الشافعي . سمع من كثير : أبو عبد الرحمن النسائي ، وأبو بكر بن خزيمة ، وجعفر بن أحمد
الدمشقي ، وغيرهم من مصر إلى خراسان ، ومن حدث عنه : الحاكم ، ومنصور ، وعبد الله
الحالدي وآخرون . وهو أحد الحفاظ الكبار . قال الخطيب : كان ثقة نبيلاً فهاً ، وله
بجانب (صحيحه) العديد من التصانيف في الحديث والتاريخ ، وله كتاب (الضعفاء)
وقال عنه الحاكم : كان ابن حبان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث . وقال ياقوت
المحوي : أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره .. توفي سنة (٢٥٤) .

وقال المناوي في التعريف به :

محمد بن حبان أبو حاتم التميمي الفقيه الشافعي البستي ، أحد الحفاظ الكبار ، روى عن النسائي وأبي يعلى وابن خزيمة وخلق ، وعنه الحاكم وغيره ، وصنف كتباً نفيسة منها : تاريخ الثقات وتاريخ الضعفاء .

ولي قضاء سمرقند ، وكان رأساً في الحديث ، عالماً بالفقه والكلام والطب والفلسفة والنجوم ، ولهذا امتحن ونسب للزندقة وأمر بقتله ، ثم مات بسمرقند سنة أربع وخمسين وثلثمائة في عشر الثمانين .

وقال عن صحيحه : المسمى بالتقاسيم والأنواع المقدم عندهم على مستدرک الحاكم . قال الحازمي : ابن حبان أمكن في الحديث من الحاكم ، والحاكم أشد تساهلاً منه ، غايته أن ابن حبان يسمي الحسن صحيحاً ، وما اقتضاه كلام التقريب كأصله مما يخالف ذلك رده الزين المراقبي بأن ابن حبان شرط تخريج مروايه ثقة غير مدلس سمع من شيخه وسمع منه الآخذ عنه ، ووفى بالتزامه ، ولم يعرف للحاكم ، قال : وصحيح ابن خزيمة أعلى رتبة من صحيح ابن حبان لشدة تحريره ، فأصح من صنف في الصحيح بعد الشيخين ابن خزيمة فابن حبان فالحاكم قال ابن حجر : وذكر ابن حبان في كتابه أنه إنما لم يرتبه ليحفظ ، لأنه لو رتبه ترتيباً سهلاً لا تكل كل من يكون عنده على سهولة الكشف فلا يحفظه ، وإذا توعد طريق الكشف كان أدعى لحفظه ليكون على ذكر من جمعه .

* * *

١٤ - ابن خزيمة وصحيحه

قال صاحب الرسالة المستطرفة :

ومنها - أي كتب السنة - كتب التزم أهلها فيها الصحة من غير ما تقدم من الموطأ والصحيحين ، منها صحيح أبي عبد الله وأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة السلمي النيسابوري الشافعي شيخ ابن حبان المتوفى سنة إحدى عشر وثلاثمائة ، ويعرف عند المحدثين بإمام الأئمة .

وقد تحدث الدكتور محمد أديب الصالح في كتابه (لمحات في أصول الحديث) عن ابن خزيمة وصحيحه بقوله :

صاحب هذا الصحيح هو شيخ الإسلام الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق (ابن خزيمة) النيسابوري ، سمع من كثيرين مثل : محمود بن غيلان ، وعتبة بن عبد الله اليماني ، وأحمد ابن منيع ، وعبد الجبار بن العلاء وطبقتهم ، وانتهت إليه الإمامة والحفظ في عصره بخراسان .

وقد حدث عنه الكثيرون من العلماء ، منهم : محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أحد شيوخه ، وأحمد بن المبارك المستلي ، وأبو علي النيسابوري ، وحدث عنه الشيخان البخاري ومسلم في غير صحيحهما .

ولد رحمه الله سنة (٢٢٣ هـ) وتوفي سنة (٣١١ هـ) .

إلا أن الكتاب (صحيح ابن خزيمة) غير موجود بتمامه لأن أكثره قد عدم ، علماً بأنه قيل : إنه أصبح ما صنف في الصحيح بعد البخاري ومسلم . وهذا الموجود هو في غاية القبول عند العلماء . وإنك واجد في نقول الثقات الكثير من ردة أحاديثهم إليه .

وقد تحدث محقق صحيح ابن خزيمة الدكتور : محمد مصطفى الأعظمي ، في تقديمه لصحيح ابن خزيمة عن ابن خزيمة وصحيحه ، وكان من كلامه :

يعد القرنان الثالث والرابع الهجريان من أنفضج قرون الثقافة الإسلامية إنتاجاً ، وما

غرس في القرن الأول على يد الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - وسقي على أيدي التابعين وأتباع التابعين في القرن الثاني ، بدأ يؤتي أكله ناضجاً شهياً في القرنين الثالث والرابع .

في هذا العصر الذهبي ولد إمام الأئمة فقه الآفاق المجتهد المطلق أبو بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمية النيسابوري مولى مجشر بن مزاحم ، في شهر صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين بنيسابور .

عني بالحديث منذ حداثته ، وسمع من إسحق بن راهويه المتوفى سنة ٢٣٨ هـ ، ومحمد بن حميد المتوفى سنة ٢٣٠ هـ ولم يحدث عنها لكونه كتب عنها في صغره وقبل فهمه وتبصره .

رحلاته لطلب العلم :

وعلى سنة الزمان أراد أن يرتحل لسماع الحديث النبوي ، وكان يرغب في الذهاب إلى قتيبة فاستأذن أباه ، فأجابته : (اقرأ القرآن أولاً حتى آذن لك) يقول ابن خزيمية : فاستظهرت القرآن ، فقال لي : امكث أولاً حتى تصلي بالحنبة ، ففعلت ، فلما عيّدنا أذن لي ، فخرجت إلى مرو ، وسمعت بمرور الروذ من محمد بن هشام - يعني صاحب هشيم - فنعي إلينا قتيبة . وكانت وفاة قتيبة في سنة أربعين ومائتين .

فعلى هذا بدأ ابن خزيمية رحلاته العلمية وهو في السابعة عشرة من عمره ، وقد اتسعت رحلاته حتى شملت الشرق الإسلامي حينذاك فسمع :

بنيسابور : ابن راهويه وغيره .

وبمرو : علي بن محمد وغيره .

وبالري : محمد بن مهران وغيره .

وبالشام : موسى بن سهل الرملي وغيره .

وبالجزيرة : عبد الجبار بن العلاء وغيره .

- وبمصر : يونس بن عبد الأعلى وغيره .
 وبواسط : محمد بن حرب وغيره .
 وببغداد : محمد بن إسحق الصاغاني وغيره .
 وبالبصرة : نصر بن علي الأزدي الجهضمي وغيره .
 وبالكوفة : أبا كريب محمد بن العلاء الهمداني وغيره .
 كما سمع من البخاري ومسلم بن الحجاج القشيري والذهلي وخلق .

وروى عنه جماعة من مشايخه منهم البخاري ومسلم خارج الصحيحين ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم شيخه ، ويحيى بن محمد بن صاعد ، وأبو علي النيسابوري وخلّاق ، وآخر من روى عنه بنيسابور حفيده أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحق بن خزيمة .

شجاعته الأدبية :

كان ابن خزيمة جريئاً لا يخاف قال أبو بكر بن بالويه : سمعت ابن خزيمة يقول : كنت عند الأمير إسماعيل بن أحمد فحدث عن أبيه . بحديث وهم في إسناده فردّته عليه ، فلما خرجت من عنده قال أبو ذر القاسمي : قد كنا نعرف أن هذا الحديث خطأ منذ عشرين سنة ، فلم يقدر واحد منا أن يردّه عليه ، فقلت له : لا يحمل لي أن أسمع حديث رسول الله ﷺ فيه خطأ أو تحريف فلا أردّه .

* * *

١٥ - أبو يعلى ومسنده

قال صاحب الرسالة المستطرفة :

ومسند أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى التيمي الموصلي الحافظ المشهور الثقة المتوفى بالموصل سنة سبع وثلاثمائة ، وقد زاد على المائة وعمر وتفرد ورحل الناس إليه ، وله مسندان صغير وكبير . وفيه قال إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الحافظ : قرأت المسانيد كمسند العدني ومسند أبي منيع وهي كالأنهار ، ومسند أبي يعلى كالبحر فيكون مجموع الأنهار .

وقال المناوي في التعريف بأبي يعلى :

الحافظ الثبت محدث الجزيرة أحمد بن علي بن المثنى التيمي ، سمع ابن معين وطبقته ، وعنه ابن حبان والإسماعيلي وغيرهما ، أهل صدق وأمانة وعلم وحلم ، وثقه ابن حبان والحاكم ، ولد سنة عشر ومائتين ومات سنة سبع وثلاثمائة .

* * *

١٦ - أبو بكر البزار ومسنده

قال محمد بن جعفر الكتاني :

ومسند أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار البصري الحافظ الشهير المتوفى بالرملة سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، وله مسندان الكبير المعلن وهو المسمى (البحر الزاخر) يبين فيه الصحيح من غيره ، قال العراقي : ولم يغفل ذلك إلا قليلاً ، إلا أنه يتكلم في تفرد بعض رواة الحديث ومتابعة غيره عليه .

وحظنا في هذا الكتاب من مسند البزار هو زوائده على الكتب الستة التي أخرجها الهيثمي في (مجمع الزوائد) أو في كتاب (كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة) فنحن في هذا الكتاب نختار منها ما اجتمع فيه شرط الحسن أو الصحة ووافق غرضنا من هذا الكتاب .

قال الهيثمي في تقديمه لكشف الأستار :

وبعد فقد رأيت مسند الإمام أبي بكر البزار المسمى بـ (البحر الزخار) قد حوى جملة من الفوائد الغزار ، يصعب التوصل إليها على من التمسها ، ويطول ذلك عليه قبل أن يخرجها ، فأردت أن أتبع ما زاد فيه على الكتب الستة ، من حديث بتمامه ، وحديث شاركهم .. وفيه زيادة .

* * *

١٧ - الحاکم ومستدرکه

قال صاحب الرسالة المستطرفة :

وصحيح أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاکم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيّح - بوزن قِيم - صاحب التصانيف التي لم يسبق لمثلها ككتاب (الإكليل) وكتاب (المدخل إليه) (وتاريخ نيسابور) (فضائل الشافعي) وغيرها ، المتوفى بنيسابور سنة خمس وأربعائة ، وهو المعروف بـ (المستدرک على الصحيحين) مما لم يذكره وهو على شرطها ، أو شرط أحدهما ، أولاً على شرط واحد منها . وهو متساهل في التصحيح . واتفق الحفاظ على أن تلميذه البيهقي أشدّ تحريماً منه .

وقد لخص مستدرکه هذا الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قیاز التركاني الفارقي الأصل الذهبي نسبة إلى الذهب كما في النصير الدمشقي الشافعي المتوفى بدمشق سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وتعقب كثيراً منها بالضعف والنعارة أو الوضع ، وقال في بعض كلامه : إن العلماء لا يعتدون بتصحيح الترمذي والحاکم . وذكر له ابن الجوزي في موضوعاته ستين حديثاً أو نحوها . ولكن انتصر له الحفاظ في أكثرها .

وفي التعقبات أنه جَرَّد بعض الحفاظ منه مائة حديث موضوعة في جزء ، ولجلال الدين (توضيح المدرك في تصحيح المستدرک) لم يكل ولخصه أيضاً - أعني المستدرک - برهان الدين الحلبي - وزعم أبو سعد الماليني أنه ليس فيه حديث على شرطها ، ورده الذهبي بأنه غلو وإسراف ، بل فيه جملة وافرة على شرطها ، وأخرى كبيرة على شرط أحدهما ، ولعل مجموع ذلك نحو نصف الكتاب ، وفيه نحو الربع مما صح سنده ، وإن كان فيه علة ، وما بقي فهو مناكير وواهيات لا تصح وفي بعض ذلك موضوعات ، ويقال : إن السبب في التساهل الواقع فيه أنه صنفه أواخر عمره ، وقد حصلت له غفلة وتغير أو أنه لم يتيسر له تحريره وتنقيحه ، ويدل له أن تساهله في قدر الخمس الأول منه قليل جداً بالنسبة لباقيه ، وقد قال الحفاظ : وجدت قريباً من نصف الجزء الثاني - من تجزئة ستة من المستدرک - إلى هنا انتهى إملاء الحاکم ، قال : وما عدا ذلك من الكتاب لا يؤخذ عنه إلا بطريق الإجازة ،

والتساهل في القدر الممل قليل جداً بالنسبة إلى ما بعده . وقد قال الحازمي : ابن حبان أمكن في الحديث من الحاكم . وقال العماد ابن كثير : قد التزم ابن خزيمة وابن حبان الصحة وهما خير من المستدرك بكثير وأنظف أسانيد ومتوناً ، وقال غيرهما : صحيح ابن خزيمة أعلى مزية من صحيح ابن حبان وصحيح ابن حبان أعلى من الحاكم ، وهو مقارب للحاكم في التساهل ، لأنه غير متقيد بالمعدلين ، بل ربما يخرج للمجهولين لا سيما ومذهبه إدراج الحسن في الصحيح ، ولكن هذا كله اصطلاح له ولا مُشاحة فيه ، على أن في صحيح ابن خزيمة أيضاً أحاديث محكوم منه بصحتها وهي لا ترتقي عن درجة الحسن ، بل وفيما صححه الترمذي من ذلك أيضاً جملة مع أنه يفرق بين الصحيح والحسن وحينئذ فلا بد من النظر في أحاديث كل ليحكم على كل واحد منه بما يليق به . والله أعلم .

وفي تدريب الراوي :

واعتنى الحافظ أبو عبد الله الحاكم في المستدرك بضبط الزوائد عليها ، مما هو على شرطها أو على شرط أحدهما ، أو صحيح مصحح وإن لم يوجد شرط أحدهما ، وربما أورد فيه ما لم يصح عنده منبهاً على ذلك وهو متساهل في التصحيح . وقد لخص الذهبي مستدركه وتعقب كثيراً منه بالضعف والنكارة ، وجمع جزءاً في الأحاديث التي فيه وهي موضوعة فذكر نحو مئة حديث . فما صححه الحاكم ولم نجد فيه لغيره من المعتمدين تصحيحاً ولا تضعيفاً ، حكنا بأنه حسن ، إلا أن يظهر فيه علة توجب ضعفه ، اهد ملخصاً .

وقد أغنانا عن ذلك الذهبي ، فما أقره عليه فهو صحيح ، وما سكت عنه ولم يتعقبه بشيء فهو كما قال ابن الصلاح : حسن . وقد رأيت العيزي في (شرحه للجامع الصغير) يحتج كثيراً بتقرير الذهبي للحاكم على التصحيح ، فليعلم ذلك . والله أعلم . ا هـ .

وقد علق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة على قول صاحب تدريب الراوي : (فما صححه الحاكم ولم نجد فيه لغيره من المعتمدين ...) بقوله :

هذا كلام ابن الصلاح في (مقدمته) ووافقه النووي في (التقريب) وقد انتقده السيوطي في (التدريب) ص ٥٢ فقال عقبه : قال البدر بن جماعة : والصواب أنه يتتبع

عليه بما يليق بحاله من الحسن أو الصحة أو الضعف ، ووافقه العراقي وقال : إن حكه أي :
ابن الصلاح - عليه بالحسن فقط تحكم .

قال إلا أن ابن الصلاح قال ذلك بناء على رأيه : أنه قد انتقطع التصحيح في هذه
الأعصار ، فليس لأحد أن يصحح ، فلهذا قطع النظر عن الكشف عليه ، والعجب من
المصنف - أي النووي - كيف وافقه هنا ؟ مع مخالفته له في المسألة المبني عليها .

* * *

١٨ - رزين وابن الأثير وابن الديبع الشيباني والأصول الستة

قال في الرسالة المستطرفة :

والجمع بين الأصول الستة أي : الصحاح الثلاثة التي هي البخاري ومسلم والموطأ ، والسنن الثلاثة وهي سنن أبي داود والترمذي والنسائي ، لأبي الحسن (رزين) بوزن أمير ، ابن معاوية العبدي السرقسطي الأندلسي المالكي ، المتوفى بمكة - بعد ما جاور بها أعواماً - سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ، وهو المسمى بـ (التجريد للصحاح والسنن) ، والجمع بينهما أيضاً لأبي السعادات مجد الدين المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف (بابن الأثير) الجزري نسبة إلى جزيرة ابن عمر لكونه ولد بها ونشأ بها ، ثم انتقل إلى الموصل وبه توفي سنة ست وستائة ودفن برباطه ، وهو المسمى (جامع الأصول من أحاديث الرسول) على وضع كتاب رزين إلا أن فيه زيادات كثيرة عليه ، في عشرة أجزاء ، واختصره أبو زيد وأبو الضياء حافظ العصر وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الشهير (بابن الدُّيُّع) بدال مهملة مفتوحة فياء تحتية ساكنة فياء موحدة مفتوحة أيضاً فعين مهملة آخره ، الشيباني الزبيدي اليمني الشافعي المولود بزبيد سنة ست وستين وثمانمائة ، والمتوفى ضحى يوم الجمعة سادس عشر رجب سنة أربع وأربعين وقيل سنة خمسين وتسعمائة وهو أحسن مختصراته سماه (تيسير الوصول إلى جامع الأصول) في مجلدين .

وإذن فعندنا ثلاثة كتب :

(تجريد الصحاح والسنن) لرزين ، و (جامع الأصول من أحاديث الرسول) لابن الأثير و (تيسير الوصول إلى جامع الأصول) مبني على كتاب جامع الأصول محاولاً فيه صاحبه الخروج من التكرار وهو لابن الديبع الشيباني ، وأصول هذه الكتب الثلاثة : صحيحا البخاري ومسلم وموطأ الإمام مالك وسنن أبي داود والترمذي والنسائي .

قال ابن الأثير في مقدمة كتابه الجامع للأصول :

لما وقفت على هذه الكتب أي الستة ورأيتها في غاية من الوضع الحسن والترتيب الجميل ، ورأيت كتاب (رزين) هو أكبرها وأعمها ، حيث حوى هذه الكتب الستة التي هي أم كتب الحديث ، وأشهرها في أيدي الناس وبأحاديثها أخذ العلماء واستدل الفقهاء ، وأثبتوا الأحكام ، وشادوا مباني الإسلام .

ومصنفوها أشهر علماء الحديث ، وأكثرهم حفظاً ، وأعرفهم بمواضع الخطأ والصواب ، وإليهم المنتهى ، وعندهم الموقف .

فحينئذ أحببت أن أشتغل بهذا الكتاب الجامع لهذه الصحاح ، وأعتني بأمره ، ولو بقرائه ونسخه ، فلما تتبعته وجدته - على ما قد تعب فيه - قد أودع أحاديث في أبواب ، غير تلك الأبواب أولى بها ، وكرر فيه أحاديث كثيرة ، وترك أكثر منها .

ثم إنني جمعت بين كتابه وبين الأصول الستة التي ضمنها كتابه ، فرأيت فيها أحاديث كثيرة لم يذكرها في كتابه ، إما للاختصار ، أو لغرض وقع له فأهلها ، ورأيت في كتابه أحاديث كثيرة لم أجدها في الأصول التي قرأتها وسمعتها ونقلتها منها ، وذلك لاختلاف النسخ والطرق ، ورأيت أنه قد اعتمد في ترتيب كتابه على أبواب البخاري ، فذكر بعضها وحذف بعضها .

فناجتني نفسي أن أهذب كتابه ، وأرتب أبوابه ، وأطوى مقصده ، وأسهل مطلبه ، وأضيف إليه ما أسقطه من الأصول ، وأتبعه شرح ما في الأحاديث من الغريب والإعراب والمعنى ، وغير ذلك مما يزيده إيضاحاً وبياناً ، فاستصغرت نفسي عن ذلك ، واستعجزتها ، ولم يزل الباعث يقوى والهمة تنازع ، والرغبة تتوفر ، وأنا أعللها بما في ذلك من التعرض للاملام ، والانتصاب للقبح ، والأمن من ذلك جميعه مع الترك ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، فتحققت بلطف الله العزيمة ، وصدق بعونه النية ، وخلصت بتوفيقه الطوية .

فشرعت في الجمع بين هذه الكتب الستة التي أودعها (رزين) - رحمه الله - كتابه ، وصدفت عما فعله ورتبه ، فاعتمدت على الأصول دون كتابه ، واخترت له وضعاً يزيد بيانه حسبما أدى إليه اجتهادي ، وانتهى إليه عرفاني .

لكن ابن الأثير كرر الأحاديث على حسب احتياجات الأبواب إليها ، فخرج كتابه كبيراً واسعاً ؛ لذلك اختصره ابن الديبع في مجلدين . وقد عرف الشيخ عبد القادر الأرناؤوط - محقق كتاب الجامع - على ابن الأثير وكان مما قال :

هو الإمام البارع مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، ثم الموصلية المعروف بابن الأثير .

ولد في أحد الريمين سنة أربع وأربعين وخمسة في جزيرة ابن عمر ، وهي - على ما يقول ياقوت الحموي معاصر المؤلف - بلدة فوق الموصل : بينها ثلاثة أيام ، ونشأ بها وتلقى من علمائها معارفه الأولى ، من تفسير وحديث ونحو ولغة وفقه ، ثم تحول سنة (٥٦٥ هـ) إلى الموصل ، وفيها بدأت معارفه تنضج وثقافته تزدد ، وأقام بها إلى أن توفي .

قرأ الأدب على ناصح الدين أبي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان البغدادي ، وأبي بكر يحيى بن سعدون القرطبي ، وأبي الحزم مكي بن الريان بن شبة النحوي الضرير ، وسمع الحديث بالموصل من جماعة منهم خطيب الموصل أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسي ، وقدم بغداد حاجاً فسمع بها من أبي القاسم صاحب ابن الخل ، وعبد الوهاب بن سكيئة ، وعاد إلى الموصل فروى بها وحدث وانتفع به الناس .

وصفه من أرخ له بأنه كان من محاسن الزمن ، ذا دين متين ، وطريقة مستقيمة ، عارفاً ، فاضلاً ، ورعاً ، عاقلاً ، سيداً ، مطاعاً ، رئيساً ، مشاوراً ، ذا بر وإحسان . قد جمع بين علم العربية والقرآن والنحو واللغة والحديث والفقه ، وصنف تصانيف مشهورة وألف كتباً مفيدة .

منها : (غريب الحديث) على حروف المعجم ، وهو المعروف بالنهاية ، و (الشافي في شرح مسند الشافعي) و (الإنصاف بين الكشف والكشاف) ، جمع فيه بين تفسيري الشعلبي والزعرري ، و (البديع) في النحو ، و (أباهر في الفروق) في النحو أيضاً ، و (تهذيب فصول ابن الدهان) و (المصطفى المختار من الأدعية والأذكار) و (كتاب لطيف في صناعة الكتابة) وله رسائل في الحساب مجذولات ، وكتاب ديوان رسائله : كتاب البنين

والبنات ، والآباء والأمهات ، والأدواء والذنوب ، و (جامع الأصول في أحاديث الرسول) وهو هذا الكتاب . إلى غير ذلك من المؤلفات القيمة والمصنفات النافعة .

قال ياقوت الحموي في (معجم الأدباء) : حدثني أخوه أبو الحسن قال : تولى أخي أبو السعادات الخزائن لسيف الدين الغازي بن مودود بن زنكي ، ثم ولاء ديوان جزيرة ابن عمر وأعمالها ، ثم عاد إلى الموصل ، فنانب في الديوان عند الوزير جلال الدين أبي الحسن علي بن جمال الدين محمد بن منصور الأصبهاني ، ثم اتصل بمجاهد الدين بن قايماز - وكان نائب المملكة - بالموصل أيضاً ، فنال عنده درجة رفيعة ، فلما قبض على مجاهد الدين سنة ٥٨٩هـ اتصل بخدمة أتابك عز الدين مسعود بن مودود إلى أن توفي عز الدين وآل الأمر إلى ولده نور الدين شاه ، فاتصل بخدمته حتى صار واحداً دولته حقيقة ، بحيث إن السلطان كان يقصده في منزله في مهام نفسه ، لأنه أقعد في آخر زمانه ، فكانت الحركة تصعب عليه ، فكان يجيئه بنفسه أو يرسل إليه بدر الدين لؤلؤاً .

وكان قد عرض عليه غير مرة أن يستوزره ، وهو يأبى ، فركب السلطان إليه ، فامتنع أيضاً ، حتى غضب عليه ، فاعتذر إليه وقال له : أنا رجل كبير ، وقد خدمت العلم عمري واشتهر ذلك عني في البلاد ، وأعلم أنني لو اجتهدت في إقامة العدل بغاية جهدي ما قدرت أن أؤدي حقه ، ولو ظلم أكار (حراث) في ضيعة من أقصى أعمال السلطان لنسب ظلمه إليّ ، ورجعت أنت وغيرك باللائمة عليّ ، والمملك لا يستقيم إلا بشيء من العسف والظلم ، وأخذ الخلق بالشدة ، وأنا لا أقدر عليه ، ولا يليق بي ، فعذره وأعفاه .

ولما أقعد في آخر عمره ، جاء رجل مغربي فعالجه بدهن صنعه ، فبان ثمرته ، وتمكن من مدّ رجله ، فقال لأخيه عز الدين أبي الحسن علي بن الأثير : أعطه ما يرضيه ، واصرفه ، فقال أخوه : لماذا وقد ظهر النجح ؟! قال : هو كما تقول ، ولكنني في راحة من صعبة هؤلاء القوم - يعني الأمراء والسلاطين ، وقد سكنت نفسي إلى الانقطاع والدعة ، وبالأمس كنت أذل نفسي بالسعي إليهم ، وهنا في منزلي لا يأتون إليّ إلا في مشورة مهمة ، ولم يبق من العمر إلا القليل ، فدعني أعش باقيه حراً سليماً من الذل ، قال أخوه : فقبلت قوله وصرفت الرجل بإحسان .

فلزم بيته صابراً محتسباً ، يقصده العلماء ، ويفد إليه السلاطين والأمراء ، يقبسون من
علمه ، وينهلون من فيضه ، حتى توفي رحمه الله بالموصل سنة ٦٠٦ هـ .

* * *

١٩ - نور الدين الهيثمي ومجمع الزوائد

هو علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر بن عمر بن صالح نور الدين أبو الحسن الهيثمي القاهري الشافعي الحافظ ويعرف بالهيثمي . كان أبوه صاحب حانوت بالصحراء ، فولد له هذا في رجب سنة خمس وثلاثين وسبعائة ، ونشأ فقرأ القرآن ، ثم صحب الزين العراقي وهو بالغ ، ولم يفارقه سافراً وحضراً ، حتى مات بحيث حج معه جميع حجاته ، ورحل معه سائر رحلاته ، ورافقه في جميع مسبوعه بمصر والقاهرة والحرمين وبيت المقدس ودمشق وبلبك وحلب وحماة وطرابلس وغيرها ، وربما سمع الزين بقرائه ، ولم ينفرد عنه الزين بغير ابن البابا ، والتقي السبكي وابن شاهد الجيش . كما أن صاحب الترجمة لم ينفرد عنه بغير صحيح مسلم على ابن عبد الهادي .

ومن سمع عليه سوى ابن عبد الهادي : الميديمي ومحمد بن إسماعيل بن الملوك ومحمد بن عبد الله النعماني وأحمد بن الرصدي وابن القطرواني والعرضي ومظفر الدين محمد بن محمد بن يحيى العطار وابن الخباز وابن الحموي وابن قيم الضيائية وأحمد بن عبد الرحمن المرداوي ، فما سمعه على المظفر : صحيح البخاري ، وعلى ابن الخباز : صحيح مسلم ، وعليه وعلى العرضي : مسند أحمد ، وعلى العرضي والميديمي : سنن أبي داود ، وعلى الميديمي وابن الخباز : جزء ابن عرفة .

وهو مكثراً سماعاً وشيوخاً ، ولم يكن الزين يعتمد في شيء من أموره إلا عليه حتى إنه أرسله مع ولده الولي لما ارتحل بنفسه إلى دمشق ، وزوجه ابنته خديجة ، ورزق منها عدة أولاد .

وكان عجباً في الدين والتقوى والزهد والإقبال على العلم والعبادة والأوراد وخدمة الشيخ وعدم مخالطة الناس في شيء من الأمور ، والمحبة في الحديث وأهله . وحدث بالكثير رفيقاً للزين بل قل أن حدث الزين بشيء إلا وهو معه ، وكذلك قل أن حدث هو بمفرده ، لكنهم بعد وفاة الشيخ أكثروا عنه ، ومع ذلك فلم يغير حاله ولا تصدر ولا تمشيخ ، وكان مع كونه شريكاً للشيخ يكتب عنه الأمالي بحيث كتب عنه جميعها وربما استلى عليه ،

ويحدث بذلك عن الشيخ لا عن نفسه إلا لمن ضايقه .

ولم يزل على طريقه حتى مات في ليلة الثلاثاء تاسع عشر من رمضان سنة سبع وثمانمائة ، بالقاهرة ودفن من الغد ، خارج باب البرقية منها ، رحمه الله وإيانا . اهـ .

قال الهيثي في مقدمته على مجمع الزوائد :

وبعد فقد كنت جمعت زوائد مسند الإمام أحمد وأبي يعلى الموصلي وأبي بكر البزار ومعاجم الطبراني الثلاثة - رضي الله تعالى عن مؤلفيهم وأرضاهم وجعل الجنة مثوام - كل واحد منها في تصنيف مستقل - ما خلا المعجم الأوسط والصغير فإنها في تصنيف واحد - فقال لي سيدي وشيخي العلامة شيخ الحفاظ بالمشرق والمغرب ومفيد الكبار ومن دونهم الشيخ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن العراقي - رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثوانا ومثواه - : اجمع هذه التصنيفات واحذف أسانيدنا لكي يجمع أحاديث كل باب منها في باب واحد من هذا ، فلما رأيت إشارته إليّ بذلك صرفت همتي إليه ، وسألت الله تعالى تسهيله والإعانة عليه ، وأسأل الله تعالى النفع به إنه قريب مجيب .

قال صاحب الرسالة المستطرفة :

و(غاية المقصد في زوائد المسند) - أي مسند أحمد - على الكتب الستة ، للحفاظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثي بالثناء المثلثة ، وأما أحمد بن حجر الهيثي ، فقال الأمير في ثبته « بالثناء الفوقية نسبة للهياتم من قرى مصر » الشافعي المصري المتوفى بالقاهرة سنة سبع وثمانمائة وهو رفيق أبي الفضل العراقي في سماع الحديث وصهره وتلميذه ، وهو الذي أشار عليه بجمع الزوائد المذكورة وهي في مجلدين ، وله أيضاً زوائد مسند البزار على الكتب الستة وسماها « البحر الزخار في زوائد مسند البزار » في مجلد ضخم ، وزوائد مسند أبي يعلى الموصلي عليها أيضاً في مجلد ، وزوائد المعجم الكبير للطبراني عليها أيضاً ، وسماها (البدر المنير في زوائد المعجم الكبير) في ثلاثة مجلدات ، وزوائد المعجم الأوسط والصغير له عليها أيضاً وسماها (مجمع البحرين في زوائد المعجمين) في مجلدين ، ثم جمع الزوائد الستة المذكورة كلها في كتاب واحد محذوف الأسانيد مع الكلام عليها بالصحة

والحسن والضعف ، وما في بعض روايتها من الجرح والتعديل ، وسماه (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) وهو في ست مجلدات كبار ويوجد في ثمان مجلدات وأكثر وهو من أنفع كتب الحديث ، بل لم يوجد مثله كتاب ، ولا صنف نظيره في هذا الباب .

* * *

٢٠ - محمد بن محمد بن سليمان المغربي وكتابه جمع الفوائد

قال صاحب الرسالة المستطرفة :

وللشيخ الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن محمد بن سليمان المغربي الروداني ، صاحب (صلة الخلف بموصول السلف) المتوفى سنة أربع وتسعين وألف ، ودفن بسفح جبل قاسيون من دمشق الشام ، كتاب (جمع الفوائد من جامع الأصول وجمع الزوائد) اشتمل على الصحيحين والموطأ والسنن الأربعة ومسنند الدارمي ومسنند أحمد ومسنند أبي يعلى ومسنند البزار ومعاجم الطبراني الثلاثة .

وقد تحدث الشيخ محمد بن محمد في مقدمة كتابه عن كتابه فقال :

فهذا (جمع الفوائد من جامع الأصول وجمع الزوائد) .

(الأول) للإمام محمد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري الموصلي - رحمه الله - جمع فيه ما في تجريد رزين بن معاوية للأصول الستة ، بإبدال ابن ماجه بالموطأ ، وما نقصه رزين منها ، وعزا كل حديث إلى مخرجه سوى ما زاده - أعني ما في تجريد رزين - ولم يجده ابن الأثير في الأصول الستة ، فإنه بيّض له مكاناً حتى إذا عثر على مخرجه عزاه إليه فيه ، ورتبه على ترتيب بديع ، لكن لغموض دقة وضعه واتساع حجمه في جمعه : قل أن ينتفع به إلا ذو فكرة ذاكية وحافظة واعية .

(وأما الثاني) للحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر ابن سليمان الهيثمي - رحمه الله - جمع فيه ما في مسند الإمام أحمد وأبي يعلى الموصلي وأبي بكر البزار ومعاجم الطبراني الثلاثة من الأحاديث الزائدة على ما في الأصول الستة بجعل ابن ماجه ههنا دون الموطأ وعقب كل حديث بالكلام على رواته تعديلاً وتجريحاً ، فجاء حجمه في ست مجلدات يتناهل بجامع الأصول ، فتجشمت هذا الجمع منها لضيق وسعي عن الإحاطة بكل ما فيها ، فاقتضى الجمع أن أضيف إليهما سان ابن ماجه ، لكن لكون جامع الأصول أخرجه من الستة فلم يذكر

ما فيه ، وكون جمع الزوائد أدخله فلم يذكر زوائده ، لم يحسن مني أن أضيف كله إلى الجامع أو زوائده إلى المجمع لأن ذلك كجبر لأحدهما على خلاف مراده ، فلهذا أفردت زوائده وعزوتها إليه ، ولما كان اختلاف القوم في سادس الستة أهو ابن ماجه أو الموطأ أو مسند الدارمي ؟ راعيت هذا الخلاف ، فأضفت لذلك أيضاً زوائد الدارمي مفردة ، إلا أن يتفق مع ابن ماجه فأجمعهما ، وتكلمت على رجالهما تجريحاً وتعديلاً بما في الكاشف للذهبي وتهذيب التهذيب والتقريب للحافظ ابن حجر وغيرها ، ورتبته على ترتيب أصوله لكونه مألّف طبعي دون ترتيب الجامع ، وأينا عثرت على حديث مكرر عندهم في أبواب أثبتته في أليق تلك الأبواب به وحذفته في غيرها ، إلا لفائدة أو غفلة مني كما فعل مسلم - رحمه الله - وأينا ورد في حكم أو معنى حديثان فأكثر أو روايتا حديث فأكثر ، فإني أقتصر فيه على ما هو أكثر فائدة من تلك الأحاديث أو الروايات ، وأحذف غيره إلا إن اشتغل على زيادة ، فإني أخلص منه تلك الزيادة ، أو أذكر كله ، والحديث الذي تعدد من أخرجه أذكره بلفظ أحدهم وسياقه ثم تارة أذكر من له اللفظ وتارة لا أذكره .

أقول : وقد جعلت كتاب محمد بن محمد بن سليمان أنيساً لي ، ودليلاً في عملي ، فقد اجتمع فيه ما تفرق في غيره ، بل وجدت فيه الكثير مما يحقق مقاصد كتابنا هذا ، ولولا أنني أستهدف أكثر مما استهدف ، وأريد أكثر مما أريد لاكتفيت بخدمة كتابه ، ولكن حاجة عصرنا أوسع ، فتطلعت إلى التأليف المستقل فكان هذا الكتاب ، الذي أرجو أن يكون قد انصبت فيه كل هذه الجهود التي خدمت السنة النبوية ، كما أرجو أن أكون قد وفقت لاستخلاص جناها وعبيرها ، ورصف جواهرها ، وإحكام البناء والزخرفة من لبنات ذهبها . وها نحن أولاء نسلمك للقسم الأول من هذا الكتاب .

* * *

القِسم الأول

في

السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ

وَيَشْمَلُ عَلَى:

مَقْدَمَةٌ وَسِتَّةُ أَبْوَابٍ

الباب الأول : من البدء حتى النبوة الشريفة

الباب الثاني : من البعثة حتى الاستقرار في المدينة

الباب الثالث : من الاستقرار في المدينة حتى الوفاة

الباب الرابع : في الصفات والخصائص والشمائل

الباب الخامس : في معجزات الرُّسُولِ ﷺ

الباب السادس : دواشر شرف حول الرُّسُولِ ﷺ

المقدمة

السيرة النبوية - في الأصل - هي الكتاب والسنة ، إنك لا تعرف رسول الله ﷺ إلا إذا عرفت الكتاب الذي أنزل عليه ، وعرفت مجموع أقواله وأفعاله وصفاته وتقريراته ، وتلك هي سنته .

لقد كان خلق رسول الله ﷺ القرآن ، ولقد كان القرآن نفسه سجلاً لأهم الأحداث في حياته - عليه الصلاة والسلام - فمن هنا قلنا إن القرآن سيرته ، وإن أقواله وأفعاله وصفاته وتقريراته هي سيرته ، ومن ثم فإن هذا الكتاب وكتاب الأساس في التفسير من سلسلة في المنهج هما في سيرته .

وبهذا المعنى نقول : إن السيرة النبوية تسع الزمان والمكان والأشخاص فهي منهج متكامل متجدد ، فما من وضع للإنسان وللناس وللكافرين إلا والسيرة النبوية تسعه قدوة وعلاً ملاحظاً في ذلك أحوال الناس جميعاً من ضعف إلى قوة ، وما دام الإنسان على مقتضى الفتوى فإنه على نوع من القدوة .

على أن كتاب السيرة درجوا على أن يرسموا صورة لشخصه ومسرى لأحداث حياته - عليه الصلاة والسلام - ومن هنا أصبحت السيرة في الاصطلاح جزءاً من كل ، وأصبحت علماً على علم خاص أشبه بالتاريخ الشخصي وما يحيط به .

ولهذا جعلنا الكلام عن سيرته - عليه الصلاة والسلام - قسماً من أقسام هذا الكتاب .

وقد أدخلنا في هذا القسم ما هو الصق بالسيرة الذاتية ، وما فاتنا ذكره هنا مما هو الصق بموضوعات أخرى يجده القارئ في بقية الأقسام .

وكما توضع حول أي موضوع من موضوعات الكتاب والسنة دراسات وتحقيقات وأصبح لكثير من الموضوعات مختصون ومحققون ، فكذلك هذا القسم من السنة النبوية ، فكما وجد في الفقه وفي التوحيد وفي التفسير أئمة ، فقد وجد في السيرة أئمة ، من أمثال ابن إسحق وموسى بن عقبة والواقدي ، وغيرهم كثير .

وهناك فارق بين المحدث وكاتب السيرة ، كالفارق بين المحدث والفقهاء ، كالفارق بين المنتقب عن الآثار والمؤرخ . فالمنتقب عن الآثار مهمته : أن يعثر على الأثر وأن يُقدّم دراسة عنه ، ولكن مهمة المؤرخ : أن يستفيد من هذا الأثر وغيره ليقدم صورة متكاملة عن حدث أو مرحلة ، أو يقدم نظرية متكاملة في مسرى الأمور . والفارق بين المحدث والفقهاء : أن المحدث مهمته : جمع الروايات وتحقيقها ، وهو لا يدخل في حسابه ما زاد على ذلك من التتبع للنصوص القرآنية ، أو البحث في مَجَل هذه الروايات بالنسبة لبناء الشريعة ، أما الفقهاء فهمته : رؤية كل ما ورد من كتاب أو سنة في موضوع ما ، وإذا كانت هناك مسائل تحتاج إلى جواب وليس في النصوص الصحيحة والقرآن جواب واضح عليها فعليه أن يبحث عن الجواب من خلال قياس أو إجماع أو روايات ضعيفة يسندها قياس أو استئناس بروح الشريعة إلى غير ذلك ، قُلْ مثل هذا في الفارق بين المحدث وكاتب السيرة ، فكاتب السيرة محدث وزيادة ، فهو من حيثية كونه محدثاً عليه أن يروي وأن يجمع الروايات وأن يحصها وأن ينتقد الرواة وأن يقارن بين المرويات ، ولكنه ككاتب سيرة له مهمة زائدة : أن ينظر في هذه الروايات على ضوء النصوص القرآنية ، وما كان له أصل صحيح وليس فيه تفصيلات فعليه أن يبحث عن هذه التفصيلات ، وإذا كان هناك تعارض بين الروايات فعليه أن يرجح ، وإذا كانت هناك فجوة في تسلسل الأحداث فعليه أن يبحث ليلأها ، وقد يملؤها من خلال استقراء أو استنتاج أو من خلال روايات ضعيفة ، وأحياناً من خلال روايات وصلته دون إسناد ، فهو من هذه الحيثية محقق ومؤرخ بل قد يكون مجتهداً .

وكما يختلف الفقهاء في النهاية فقد يختلف محققو السيرة في النهاية . وفي حالة الاتفاق أو الاختلاف فهناك صور لا يترتب عليها عمل ، سواء اتفقوا أو اختلفوا كالقضايا التاريخية البحتة ، فمثلاً : ما هي مدة فترة الوحي التي حدثت بين نزول قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ .. ﴾ من سورة العلق ، وبين نزول سورة (المدثر) ؟ لا يترتب على المعرفة التفصيلية هنا عمل ، وإن كان بعض علماء التريية قد يستفيد منها نوع فائدة .

وهناك قضايا يترتب عليها عمل ، ولاتفاق المحققين أو اختلافهم تأثير ، فمثلاً : المعاهدات التي عقدها رسول الله - ﷺ - أول استقراره في المدينة مع غير المسلمين ، هذه

المعاهدات تعتبر سوابق دستورية للحركة الإسلامية في تعاملها مع الآخرين إذا لم تكن منسوخة ، نفرض أن هذه المعاهدات نقلت لنا على طريقة المحدثين ، وسندها صحيح أو حسن ، فالأمر في هذه الحالة واضح ، إذ تأخذ هذه الروايات محلها من أصول الأحكام فحكمها حكم السنة النبوية المعتمدة . ولكن لنفرض أن هذه الروايات لم تبلغ هذا المستوى وأجمع عليها كُتّاب السِّير المعتمدون وأئمة هذه الشأن أو اختلفوا ، فهل هذه الروايات لا قيمة لها أبداً ؟ الذي أذهب إليه أن هذه الروايات إذا لم يكن لها معارض ، وكان لها أصل صحيح ترجع إليه ، لا تنزل عن أن تكون مذهباً لصاحبها ، فإذا كان صاحبها إماماً أو مرجعاً في هذه الشأن صح تقليده ، وللمسلمين أن يبنوا على مثل هذه الروايات ، والحجّة في هذه الحالة لا من حيث إن ما ورد تقوم به الحجّة سنداً ، لكن من حيث إن من رواه يعتبره جزءاً من السيرة ، ويعتبره أهلاً للبناء عليه .

واحتراساً أقول : ليس كل إنسان مرشحاً لأن يفتي بناء على ذلك .

إنني أذهب إلى مثل هذا في كتب التراث ، فمن كان من أئمة شأن من الشؤون ، وقد وصل إلى أن يكون مرجعاً فيه ، وليس متهماً في عقيدته أو ورعه أو علمه ، فإن للمسلم أن يعتد بتحقيقه ، وأن يبني عليه ، قل مثل هذا في كتب الحديث أو التفسير أو الفقه أو السيرة الصادرة عن الراسخين في العلم .

وإنما أوردنا هذه المعاني حتى لا يظن ظان أن كتب السيرة وكتب الحديث يحرم النظر فيها إلا إذا كانت محققة على الأصول الفنيّة التي هي محل اجتهاد ، فذلك باب لو أغلقناه ينسد به باب القراءة للتراث كله ، وهذا مخالف للإجماع ، فما أحد من أهل العلم في تاريخ هذه الأمة قال : يحرم على المسلم أن يقرأ سيرة ابن هشام أو مسند الإمام أحمد أو سنن الترمذي .

وكذلك أوردنا هذه المعاني هنا للتقديم لعملنا في هذا القسم ، فعملنا في هذا القسم أن نذكر الروايات الصحيحة والحسنة الواردة في سيرته - عليه الصلاة والسلام - في أصول هذا الكتاب وقد نذكر ما صح أو حسن من غير هذه الأصول مع الخدمة التي وعدنا بها ، وتحقيق الأغراض التي استهدفناها ، ولكننا في الوقت نفسه ننقل خلاصات من أقوال المحققين

من أئمة أهل السير والمغازي ، فما ننقله عن هؤلاء لا ينزل في رأينا عن أن يكون مذهباً لصاحبه ، ونحن مضطرون لذلك لأنه إذا لم نفعله فإن قارئ هذا القسم سيخرج بفوائد أقل ، وقد التزمنا في كتابنا هذا أن ننقل في كل بحث تحقيقات أهل الاختصاص فيه ، ولا نحب أن نخل بهذا الالتزام في هذا القسم أو غيره .

* * *

وإنما جعلنا هذا القسم مقدمة وستة أبواب ، لأننا حريصون على تصحيح مفاهيم وترسيخ أخرى حول السيرة ، فاخترنا أن يكون هذا في المقدمة ، واعتمدنا الأبواب الستة - كما سنعرضها - كشيء لا بد منه لتكامل العرض .

فالمراحل الرئيسية في حياة رسول الله ﷺ ثلاثة : ما قبل البعثة ، ثم ما بعد البعثة حتى الاستقرار في المدينة ، ثم من الهجرة حتى الوفاة ؛ فهذه ثلاثة أبواب .

وهناك دائرتان لا بد من الحديث عنها لتكامل الصورة : دائرة آل بيته وفيهم أزواجه ، ودائرة أصحابه ومنهم خلفاؤه ، فهؤلاء الذين حلوا الراية ، وتابعوا مرحلة التأسيس فأصبحت الأبواب أربعة .

ومعرفة صفاته وشأله وخصائصه جزء من سيرته ، والتعرف على معجزاته طريق الإيمان به فتمت الأبواب بذلك ستة ، وما سيأتي في بقية أقسام هذا الكتاب يكمل صورة ما فات ، فهذه الموضوعات هي الألقى بالسيرة .

* * *

تصحيح مفاهيم حول السيرة :

إن هذه المقدمة قد خصصناها لتصحيح مفاهيم ولترسيخ أخرى ، والمفاهيم الخاطئة في موضوع السيرة نوعان : فمنها أخطاء عند بعض الإسلاميين ، ومنها مفاهيم خاطئة أو قاصرة عند الكافرين . ألا إن هناك أغلاطاً في شأن السيرة النبوية ، بعضها ناشئ عن جهل بكلمات السيرة النبوية ، وبعضها ناشئ عن القصور في تصور أصول التشريع الإسلامي

وكيفية انبثاق الأحكام عنها ، ومحل السيرة النبوية - في الاصطلاح - منها .

وقد وجدت أن كثيراً من المفاهيم التي أحب تصحيحها أو ترسيخها ، وكثيراً من الأغلاط التي أرغب في تصويبها ، قد تعرّض لها الشيخ سليمان الندوي - رحمه الله - في محاضراته الثمان التي خرجت باسم (الرسالة الحمديّة) ، بل إن المعاني التي ذكرها لا يستغني عنها قارئ للسيرة النبوية في عصرنا ، ولذلك فإنني سأعطيك تصوراً عن بعض ما ذكره في هذه المحاضرات ، ثم أنطلق بعد ذلك في المقدمة مكملاً ما أردت لها من أغراض .

* * *

إن سيرة النبي ﷺ حلقة من سلسلة النبوات والرسالات ، وللنبوة والرسالة خصائصها وميزاتها ، وسيرة النبي ﷺ مع اشتراكها في خصائص النبوات والرسالات لها خصائصها وسماتها الخاصة ، ومحاضرات الشيخ سليمان الندوي الثمان كانت في هذه الشؤون ، فقد أبرز المؤلف في محاضراته الأولى أهمية رسالات الله في الحياة البشرية ، وأن الرسل وحدهم - عليهم الصلاة والسلام - هم الهداة الحقيقيون بالدعوة والقدوة لكن هؤلاء الرسل باستثناء محمد ﷺ لم يصلنا عنهم ما يغطي احتياجات البشر في الهداية والقدوة ، ولذلك حكته ، فمحمد ﷺ هو الرسول الخاتم ورسالته هي الرسالة الخاتمة ولذلك اجتمع لها أربعة شروط لا بد منها لسيرة القدوة والهادي: التاريخية، والشمول، والكمال، والواقعية العملية. وهذا هو محور المحاضرة الثانية. ثم جاءت المحاضرات الأربع التالية لتفصل في كل شرط من هذه الشروط وكيف أنه موجود على التمام في سيرة رسول الله ﷺ ، حتى إذا وصل إلى المحاضرة السابعة تحدث عن أن سيرة النبي ﷺ التي تجمعت فيها كل شروط القدوة والهداية ينبغي أن تهدي بها الأمم ، لأنها موجهة إلى الأمم جميعها ، ولأن الأمم كلها بحاجة إليها ، ثم تأتي المحاضرة الثامنة لتذكر بعض أيادي الرسالة الحمديّة على البشرية ، وفيها تأكيد لضرورة اعتداء البشرية برسالة محمد ﷺ كما فيها تعداد لجوانب كثيرة في هذه الرسالة وأنها هي الدواء والبلسم لأصعب أمراض الأمم القديمة والمعاصرة .

هذا هو الخط العريض لهذه المحاضرات ، وكم فيها من معاني عظيمة ، وكنوز راقية ، وكم قُنت فيها أخطاء وشبهات ، لذلك أجدني أسير النقل عنها في هذه المقدمة شعوراً مني بأن ذلك يخدم أغراضها .

(١)

حاجة البشرية إلى الدين

إن أعظم احتياجات البشر على الإطلاق هي حاجتهم إلى دين ، يعطيهم تصورات صحيحة ، ويطلق طباقاتهم في طريق مستقيم وبسلوك قويم ، والرسول من بين خلق الله تعالى هم الذين قَدَّموا للبشرية ذلك من خلال الدعوة والقدوة ، أما من سواهم من أمراء وملوك وشعراء وأدباء وغير ذلك ممن ليسوا على قدم الأنبياء فهؤلاء مهما أعطوا البشرية فإنهم يعطونها ما هو دون الاحتياج الأعظم ، بل هم يضلونها ويعذبونها ، وفي كل الأحوال فهم لا يشكّلون القدوة الرفيعة للإنسانية الجديرة بالاحترام .

هذا هو المحور الرئيسي للمحاضرة الأولى التي سار فيها المؤلف على الترتيب التالي :

أ - الحديث عن مكانة الإنسان في هذا الكون ، ومحلّه في تسلسل مراتب الكمال الحياتي ، وأنه أُعطي استعداداً للكلمات فاقت ما أُعطيّه كل مخلوق ، وقد سخر الله له المخلوقات كلها .

ب - هذا الإنسان عنده استعداد للعدل والعلم كما أن عنده استعداداً للظلم والجهل ، وهو بدون هداية الأنبياء يغلب عليه الظلم والجهل ، بينما تجعله هداية الأنبياء سائراً في طريق العدل والعلم ، والبشرية لم يزل مستقرّاً في ضميرها حب العلم والعدل ، ولذلك فقد استقر في ضميرها تقديس الأنبياء والرسول ، وازدراء الظالمين والجاهلين .

ج - وإذا كان الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - هم الذين دعوا بالحال والمقال إلى العدل والعلم ، فقد استقامت بهم الحياة ، وتحقق بهم فلاح الإنسان وصلاحه وسعادته ، بينما نجد غيرهم في تاريخ البشرية قد لمعت أسماؤهم ، ولكن من منهم ترك لمن أتى بعده أسوة

يتأسى بها في تعميم الخير ؟ ومن منهم إذا اهتدى الناس بهديه ينجون من المهالك ويسلكون سبيل السعادة والهناء ؟ ومن من هؤلاء من استعملوا سيوفهم البواتر في قطع حبال العقائد الفاسدة ، وتخليص العقول من الأوهام الواهية والأفكار الباطلة ؟ ومن منهم من وقف حياته على حل معضلات بني آدم ، وكان حريصاً على عقد أواصر الإخاء بينهم على الحق والتواصي بالخير ؟ وهل يوجد في حياة من ذكرنا من هؤلاء العظماء ما يستعين به بنو الإنسان على تخفيف ما يعانونه من الغمرات في حياتهم الاجتماعية ؟ أم في أخلاقهم وأعمالهم ما ييسر للإنسانية الشفاء من أمراضها الخلقية وأوصالها النفسية ؟ أم في دعوتهم ما يجلو صدأ القلوب ورينها ، أو يرتق فتقاً في الحياة الاجتماعية ؟

وقد تحدث المؤلف حديثاً مستفيضاً عن أصناف من الأعلام شعراء وكتاب وقانونيين واجتماعيين وأمراء وملوك ، وأقام الدليل على أن هؤلاء ليسوا في منصب الإصلاح الحقيقي ، مهما كان شأنهم إذا قورنوا بالأنبياء .

ثم تحدث عن الأنبياء والمرسلين الذين لم يترك الله أمة إلا وقد أرسل لها طائفة منهم وأن كل لمعة خير في قلب أو في أمة إنما هي بقايا فطرة وأثر دعوة نبي .

وبعد أن يقارن بين آثار الملوك والجبابة وبين آثار الأنبياء ، وبين ما تحيish به العواطف والقلوب نحو الأنبياء ، وبين تأثيرات الملوك على القلوب والعواطف ، يقول :

أظنكم قد استعتم لما ألقى عليكم من الأدلة العقلية والبراهين التاريخية ، وإخالها قد تركت فيكم أثراً أورث في قلوبكم يقيناً بأنه لم تكن طائفة من الناس أصلحت من فساد الأخلاق ، وقومت من عوجها ، وهذبت النفوس ، وهدتها من ضلال ، مثل الذي قام به الأنبياء عليهم السلام ، فهم الذين أصلحوا الحياة الاجتماعية ، وعلموا الناس الاقتصاد في المعيشة ، والاعتدال في كل شيء ، وهم الذين أقاموا العدل في الدنيا ، وحكموا بالقسط بين الناس ، وزكّوا القلوب ، وأخذوا بيد الإنسانية إلى الحق والخير وأتقذوها من حمأة الرذائل ، وأن الله سبحانه قد بعثهم ليخرجوا الناس من الظلمات - ظلمات العقائد ، وظلمات الأخلاق ، وظلمات الأعمال - إلى النور - نور الإيمان ، ونور الخلق الكريم ، ونور العمل

الصالح - ، وتركوا بعدهم سنة للناس يتبعها السوقة ويعمل بها الملوك ، وينتفع بها صغار الناس وكبارهم ، ويتمتع بخيراتهم الأغنياء والبؤساء على السواء ، وإن مثل الأسوة بهم كمثل عين ثرة فياضة تروي البلاد وتسقي العباد ، يشرب منها كل عطشان بقدر حاجته ، ويرتوي بمائها العذب الزلال كل ظمآن فينتقع غلته .

وبعد ذلك يتحدث عن أعلام الأنبياء في القرآن ، ويذكر المعالم الكبرى لشخصية كل نبي ، وأن مجموع هذه المعالم هي التي تحتاجها الحياة البشرية .

ثم تحدث عن دور البناء جميعاً في الحياة البشرية من مهندسين وأطباء وحكّاء وأنصف الجميع ، ثم برهن على أن ذلك كله بالنسبة لاحتياجات البشرية هو الجانب الأدنى إذا قورن باحتياجات البشر إلى هداية الأنبياء .

وبعد هذا خلص إلى الحديث عن الدعوة والقُدوة في حياة الأنبياء ، وكأهلها وتكاملها ، وذلك هو المظهر الأرقى للرشد والإرشاد في حياة البشرية .

تلك هي بعض معالم المحاضرة الأولى التي بينت عظم الفضل وعظيم العمل الذي قام به الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فَطَوَّقُوا حَيَاةَ الْبَشَرِيَّةِ بِالْمَنَّةِ .

* * *

(٢)

محمد الرسول الأكل ﷺ

ومن بين الرسل جميعاً يظهر محمد ﷺ كأكمل رسول ، وهو من بين الرسل جميعاً تصلنا دعوته مفصلة وسيرته كاملة ، ولذلك فهو الذي يمكن أن يَهْتَدَى بهديه اهتداءً كاملاً ، وَيَقْتَدَى بسيرته اقتداءً كاملاً ، لأنه من بين الأنبياء كانت سيرته ورسالته تجتمع فيها : التاريخية والشمولية والكيال والعملية ، عدا عن كون رسالته هي الرسالة الخاتمة والناسخة ، وهي التكليف الرباني الذي لا يقبل الله غيره ، ولكنها كذلك جعلها الله على ما ذكرنا .

هذا هو محور المحاضرة الثانية :

إنَّ لكلَّ رسول ميزة وخصيصة ، ومحمد ﷺ من بين الرسل تجمعت فيه الميزات والخصائص جميعها على كمالها وتامها ، ولكل رسول إضاءته وتبشيره وإنذاره ودعوته ، ومحمد ﷺ من بين الرسل الشمس المنيرة والبشير الأعظم والمنذر الأكبر والداعية الأجل ، فهو النبي الجامع محمد ﷺ لأنه بعث ليختم الله به النبيين والنبوات ، فأعطي الرسالة الأخيرة ليلبلغها إلى البشر كافة ، فجاء بالشرعة الكاملة التي لا يحتاج البشر معها إلى غيرها ، ولم تنزل من السماء إلى الأرض شرعة على قلب بشر بعد هذه الشرعة ، لقد حظيت التعاليم المحمدية بالخلود ، واختصت بالبقاء والدوام إلى يوم القيامة ، فكانت نفس محمد ﷺ جامعة لجميع الأخلاق العالية والعادات السنية ، وقد بعث ليتم مكارم الأخلاق .

ثم يأتي بالأدلة والبراهين على ذلك ، وأول برهان على ذلك : أن سيرته وشريعته باقيتان خالدتان معروفتان .

ثم يتحدث عن أشهر الديانات المعروفة : الهندوسية والبوذية والكونفوشيوسية والزرادشتية واليهودية والمسيحية ، ليقم الدليل على أن المنقول منها لا يغطي احتياجات البشرية في الهداية ولا في القدوة .

يقول المؤلف :

إنه ليس في مئات الألوف من المصلحين والنبيين من يشهد لهم التاريخ إلا ثلاثة أو أربعة ، ومع ذلك فإن التاريخ لا يعرف من تفاصيل أحوالهم وشؤون حياتهم ودخائل سيرتهم إلا نزراً يسيراً وغير كامل ، فكيف يتسنى للإنسان أن يتخذ من ذلك أسوة لحياته ذات النواحي المختلفة ؟ .

وأخذ يضرب الأمثلة في البرهان على ذلك من خلال ما يعرفه الناس عن بوذا وزرادشت وموسى وعيسى ، مع البرهان على أن هذه المعلومات - كما وردت عن أهلها - لا تشكل روايات ثابتة ، ويخلص بالتالي إلى أن كل ما تعرفه البشرية عن الأنبياء السابقين عن طريق أتباعهم لا تجتمع فيه شروط التاريخية أو الواقعية أو الشمولية أو الجمع لكل ما يلزم الإنسان وهي شروط الاهتداء والاقتداء . ثم إن هذه الديانات نفسها على حسب ما

تقلت لنا ليس فيها ما يتفق مع الفطرة البشرية ، إن في شأن الربوبية أو في شأن السلوك أو في شأن العمران ، فعدا عن قصورها فإن فيها الحرافة وضلالاً وخراباً ، فبعض هذه الديانات ليس الله فيها ذكر كالديانة البوذية والصينية ، وبعضها ليس في أصولها المنقولة تفصيل عن طبيعة العلاقة مع الله كالديانة اليهودية والمسيحية ، وفي التعامل بين بني الإنسان لا تجد تفصيلاً شاملاً بل نجد قصوراً وأخطاءً فطرية ، ولو طبقت هذه الأديان حرفياً كما وصلت إلينا لترتب على ذلك خراب العالم وشقاء الإنسان .

يقول المؤلف :

لم تكن سيرة بوذا قط أسوة للهناء العائلي ، ولا لأهل الصناعات والمتاجر ، ولو اتخذ أتباع بوذا قدوة لهم من حياة بوذا لما قامت لهم هذه الدول في الصين واليابان وسيام وتبت وبرما ، ولما عمرت للتجارة في بلادهم سوق ، ولا دبت الحياة في صناعاتهم ومصانعهم ، ولو اختار أهل تلك البلاد سيرة متبوعهم سيرة لهم وساروا عليها لأقفرّت الأرض العامرة وتحولت إلى صحاري قاحلة ، ولأصبحت المدن خراباً أو أرضاً جرداء .

ولو أن الناس في أيامنا هذه آثروا التأسّي بحياة عيسى - عليه السلام - وأرادوا أن يعيشوا كما عاش ، لخربت الدنيا واستحال عمرانها خراباً يباباً ، ولأصبحت القرى مقابر تتردد في أنحائها أصوات البوم ، أما الحضارة وتقدمها فسرعان ما يعتريها الزوال ويمحى اسمها ، وأوروبا المسيحية لن تبقى بعد ذلك يوماً واحداً .

ويخلص في نهاية المحاضرة إلى قوله :

إن الإنسان ينشد مثلاً يقتدي به في كل عمل يقدم عليه ، في غناه وفقره ، وفي سلمه وحره ، ويتحرى السبيل الذي يسلكه إذا تزوج أو بقي عزباً ، ويريد أفودجاً عالياً يأتم به إذا عبد ربه ، أو عاشر الناس ، ويحاول أن يلم بالقوانين التي ينبغي العمل بها بالنسبة إلى الراعي والرعية والحكام والمحكومين .

جميع هذه الأمور ينبغي للمرء أن يتخذ لنفسه القدوة فيها ، لأن الأمم قد التوت عليها هذه المسألة ، فأهمها التماس الطريق الموصل إلى حلّ هذه المعضلات وتذليل هذه المصاعب ،

ومعظم الشعوب تشعر بالحاجة الشديدة إلى المثل العليا في ذلك لتخفف عن الإنسانية آلامها وتأسو جراحها ، وهي متلهفة على مثال لذلك من الأعمال ، لا على مثال عليه من الأقوال .

ولست بمبالغ إذا قلت : إن التاريخ أصدق شاهد على أنه ليس في الدنيا أحد يصح أن يكون للإنسانية أسوة من سيرته وحياته غير سيرة محمد ﷺ وحياته .

وليكن على ذكر منكم ما تحدثت به إليكم من قبل ، وهو أن حياة العظيم التي يجدر بالناس أن يتخذوا منها قدوة لهم في الحياة ينبغي أن تتوافر فيها أربع خصال :

١ - أن تكون (تاريخية) أي أن التاريخ الصحيح المحض يصدقها ويشهد لها .

٢ - أن تكون (جامعة) أي محيطة بأطوار الحياة ومناحيها وجميع شؤونها .

٣ - أن تكون (كاملة) أي أن تكون متسلسلة لا تنقص شيئاً من حلقات الحياة .

٤ - أن تكون (عملية) أي أن تكون الدعوة إلى المبادئ والفضائل والواجبات بعمل الداعي وأخلاقه ، وأن يكون كل ما دعا إليه بلسانه قد حققه بسيرته وعمل به في حياته الشخصية والعائلية والاجتماعية ، فأصبحت أعماله مثلاً علياً للناس يتأسون بها .

وأنا لا أقول إن الأنبياء صفرت صحائف حياتهم من هذه الميزة مدة وجودهم في الحياة الدنيا ، بل أقول إن سيرتهم التي توجد الآن بين أيدي الناس لا تنص على هذه الأمور ، ويخيل إلي أن الحكمة الإلهية في ذلك ترجع إلى أن أولئك الأنبياء إنما بعث الواحد منهم لزمن قصير نسبياً فكان الموفقون للخير من شعوبهم يعرفون سيرتهم فيتأسون بها ، ولم يكن هنالك حاجة إلى أن تبقى سيرتهم معلومة للأجيال التالية بعدهم ؛ لأن النبوءات ستختم برسالة محمد ﷺ الكاملة إلى الناس كافة في كل زمان ومكان ، فست الحاجة إلى أن تكون سيرته ﷺ معلومة على حقيقتها في كل زمان ومكان إلى يوم القيامة ، ليتيسر الناسي بها لجميع أمم الأرض . وهذا من أصدق البراهين على كون محمد ﷺ خاتم النبيين ولا نبي بعده : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (١) .

الشروط الصحيحة لسيرة الهادي القدوة

ثم جاءت المحاضرات الأربع اللاحقة تنصبُّ على الشروط التي يجب أن تتوافر فيها سيرة الهادي القدوة . فالأولى في شرط التاريخية ، والثانية في شرط الكمال ، والثالثة في شرط الشمول ، والرابعة في شرط العملية .

* * *

(٣)

شرط التاريخية

وها هو ذا يتحدث عن التاريخية في سيرة محمد ﷺ :

لقد شهدت الدنيا أصدق شهادة ، ثم ازداد ذلك ثبوتاً على الأيام ، بأن المسلمين لم يقتصروا على حفظ سيرته ﷺ بل توسعوا في ذلك إلى ما يتعلق بها من كل النواحي ، فصانوا هذه الأمانة القدسية فلم تلمسها يد الضياع ، ولم تعبت بها عوامل الدهر ، إلى درجة أن العالم كله يقف من ذلك موقف العجب والاستغراب . والذين وقفوا حياتهم منذ العصر النبوي على حفظ أقوال النبي ﷺ ورواية أحاديثه ، وكل ما يتعلق بحياته ، أدّوها إلى من ضبطوها بعدم ، وكتبوها وصاروا يسمون (رواة الحديث) أو (المحدثين) و (أصحاب السير) وهم طبقات متسلسلة من (الصحابة) و (التابعين) و (تابعي التابعين) .

وقد بلغ عدد الصحابة - رضي الله عنهم - في آخر حياة النبي ﷺ الذين حجوا معه حجة الوداع [حوالي] مائة ألف ، ومن هؤلاء [حوالي] عشرة آلاف صحابي مذكورة أسماؤهم وأحوالهم في كتب التاريخ التي أفردت لتدوين أحوالهم خاصة ، لأن كل واحد منهم حفظ شيئاً من أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتصرفاته وهديه وسيرته .

ثم جال المؤلف جولات موفقة في عرض طبقات المشتغلين بنقل السنة النبوية وتعليقها ، متحدثاً خلال ذلك عن تحري الصحابة والأئمة العدول صدق النقل عن رسول الله ﷺ ومتحدثاً عن قوة ذاكرة العرب خاصة ، ثم المشتغلين بالسنة بشكل عام ، وكيف أنهم كانوا يجمعون مع الحفاظ الكتابة لزيادة التوثيق ، وإنه مع هذا وهذا وجدت العلوم التي تمحّص

وتقارن وتحقق، ووجد الجهابذة الذين يمتلكون القدرة على التمييز بين المرويات .

وخلال ذلك ردّ على فرية بعض المستشرقين الذين يزعمون أن السنة النبوية تأخر تدوينها ، فيقيم الأدلة التاريخية القاطعة على كذب هؤلاء ، فلم ينقطع التدوين منذ عهد رسول الله ﷺ إلى أن وجدت كتب السنة المشهورة ، ولعل هذه الصفحات من كتابه من أروع الصفحات . وما قاله في هذه الصفحات :

فأصحاب النبي ﷺ كتبوا بأيديهم في عهده ﷺ وجمعوا من أحاديثه في حياته ، وتركوا ذلك لمن بعدهم ، والذين جاءوا بعدهم أدخلوه في كتبهم ، ولا أعدوا الحقيقة إذا قلت : إن التابعين - رضي الله عنهم - جمعوا جميع المرويات في عهد الصحابة ، وكتبوا في حياتهم ما وصل إلى علمهم من الأخبار والشؤون ، وبحثوا عن ذلك بحثاً طويلاً ، وبذلوا فيه جهودهم وسافروا له ، وطرقوا أبواب العلماء والمحدثين ، حتى لقد كانوا يطوون لأجل الحديث الواحد مسافة طويلة وشقّة بعيدة .

والحق أن جميع الأحاديث والأحكام والأخبار تمّ تدوينها عند المسلمين في ثلاثة أطوار :

الطور الأول هو الذي كان فيه الصحابة وكبار التابعين .

الطور الثاني هو الذي كان فيه صفار التابعين وتابعو التابعين .

والطور الثالث هو عهد المحدثين وأئمة السنة كالإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، والإمام مسلم صاحب الجامع الصحيح ، والإمام الترمذي ، والإمام أحمد بن حنبل ، وغيرهم من المحدثين .

وما جمع في الطور الأول دَوْن في كتب الطور الثاني ، وما دَوْن في الطور الثاني جمع ونظّم في كتب الطور الثالث ، ونرى أمامنا أكثر ما جمع في الطورين الثاني والثالث مدونا في كتب كثيرة تشتمل على آلاف من الأوراق هي في الواقع من أثمن الذخائر العلمية في العالم ، بل لا يوجد في جميع ذخائر الدنيا العلمية أوثق منها سنداً وأصح تاريخاً ورواية .

ولقد صدق الأستاذ الكبير العلامة الشيخ شبلي النعماني حين قال :

(لما أرادت الأمم الأخرى من غير المسلمين أن تجمع في أطوار نهضتها أقوال رجالها ورواياتهم ، كان قد فات عليهم زمن طويل ، وانقضى بينها وبينهم عهد بعيد ، فحاولوا كتابة شئون أمة قد خلت ، ولم يميزوا بين غث ذلك الماضي وسمينه ، وصحيحه وسقيمه ، بل لم يعملوا أحوال رواة تلك الأخبار ولا أسماءهم ولا تواريخ ولادتهم فاكتفوا بأن اصطفوا من أخبار هؤلاء الرواة المجهولين ورواياتهم ما يوافق هواهم ويلائم بيئتهم وينطبق على مقاييسهم ، ثم لم يميز غير زمن يسير حتى صارت تلك الخرافات معدودة كالحقائق التاريخية المدونة في الكتب ، وعلى هذا المنهاج السقيم صنفت أكثر الكتب الأوربية مما يتعلق بالأمم الخوالي وشئونها ، والأقوام القديمة وأخبارها ، والأديان السالفة ومذاهبها ورجالها .

أما المسلمون فقد جعلوا لرواية الأخبار والسير قواعد محكمة يرجعون إليها وأصولاً متقنة يتسكون بها وأعلوها أن لا تُروى واقعة من الوقائع إلا عن الذي يشهدها ، وكلما بعد العهد على هذه الواقعة فن الواجب تسمية من نقل ذلك الخبر عن الذي نقله عنه شهد ، وهكذا بالتسلسل من وقت الاستشهاد بالواقعة والتحدث عنها إلى زمن وقوعها . والتثبت من أمانة هؤلاء الرواة وفقهم وعدالتهم وحسن تحملهم للخبر الذي يروونه ، وإذا كانوا على خلاف ذلك وجب تبيينه أيضاً .

وهذه المهمة من أشق الأمور ، ومع ذلك فإن مئات من المحدثين تفرغوا لها ، ووقفوا أعمارهم على تحري ذلك واستقصائه وتدوينه ، وطافوا لأجله البلاد ، ورحلوا بين الأقطار ، باحثين دارسين لأحوال الرواة ، وكانوا يلقون المعاصرين لهم من الرواة لينقدوا أحوالهم ، وإذا اطمأنوا إلى سيرة فريق منهم سألوهم عما يعرفونه من أحوال الطبقة التي كانت قبلهم ، وقد اجتمع من هذا المجهود العلمي العظيم علم مستقل من العلوم الإسلامية أطلق عليه فيما بعد عنوان (أسماء الرجال) فتيسر لمن أتى بعدهم أن يقفوا على أقدار مئات الألوف من الحفاظ والعلماء والرواة وغيرهم) .

هذا فيما يتعلق بالرواية وحملتها ، وهناك (علم نقد الحديث) من جهة الدراية والفهم ، وأن له أصولاً محكمة وقواعد متقنة اتخذوها لنقد المرويات وتمييز صحيحها من سقيمها وغشها من السمين والراجح من المرجوح ، وقد تحرر علماء السنة في هذا الأمر الحق وحده ، وتمسكوا

فيه بالحجة البيضاء ، وكل ما يؤدي إليه الصدق ، فكان علمهم هذا من مفاخر الإسلام .

وبعد ذلك يجول المؤلف جولة موفقة فيما يؤكد التوثيق ، في شأن نقل السنة النبوية وتحيص رواياتها ، ثم بعد ذلك يخص السيرة النبوية بالحديث ، فيتحدث عن مصادرها فيقول :

وأريد أن ألفت أنظاركم إلى المصادر التي أخذت عنها سيرة النبي ﷺ وهديه ، وكيف دونت تلك المصادر وجمعت ، وأن أهم ما في سيرته ﷺ وأوثقها وأكثرها صحة هو ما اقتبس من القرآن الحكيم الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ غَيْرِ حَمِيدٍ ﴾ ، وهو الذي لم يشك في صحته العدو اللدود ، فضلاً عن الحبيب الودود .

فالقرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر السيرة النبوية : والقرآن يقص علينا جميع مناحي السيرة النبوية وطرفاً من حياته ﷺ قبل النبوة ، فيذكر لنا بيته وقره وتحنشه ، كما يذكر لنا شئونه بعد النبوة من هبوط الوحي الإلهي عليه وتبليغه إياه والعروج به وعداوة الأعداء وهجرته وغزواته ، وفي القرآن الكريم ذكر أخلاقه ﷺ .

كل ذلك تراه مذكوراً في القرآن ببيان واضح وأسلوب متين رائع : ومن ذلك تعلمون أنه لم تطرق أذن التاريخ سيرة رجل بأحسن ولا أصح ولا أوثق من سيرة محمد ﷺ .

والمصدر الثاني من مصادر السيرة النبوية كتب الحديث : وهي كتب حفظت لنا من أقوال النبي ﷺ وأفعاله وأحواله ما يبلغ مائة ألف حديث ، وقد امتاز الصحيح منها عن الضعيف والموضوع ، والقوي منها عن غير القوي .

ومن الكتب المصنفة في الحديث الكتب الستة التي محص العلماء كل ما ورد فيها ، وذكروا شواهد ومتابعاته ، حتى لم يتركوا في النفوس منزع ظفر لحقق منصف ، بل ولا لمدقق جائر ، ويتلو الكتب الستة كتب المسانيد ، وأعظمها مسند الإمام أحمد بن حنبل ، في ستة مجلدات كبار ، كل مجلد منها يحتوي على نحو خمسمائة صفحة من القطع الكبير بحروف دقيقة ، وقد تضمن هذا المسند مرويات كل صحابي مجموعة ومذكورة على

حدة ، وفي هذه المجموعات جميع تعاليم الرسول ﷺ وأحواله وسيرته غير مرتبة على المواضع .

والمصدر الثالث كتب المغازي : ومعظم ما فيها ذكر الغزوات النبوية ، وقد تتضمن أموراً أخرى ، ومن المصنفات القديمة في المغازي : مغازي عروة بن الزبير المتوفى سنة ٩٤هـ ، ومغازي الزهري المتوفى سنة ١٢٤هـ . ومغازي ابن إسحاق المتوفى سنة ١٥٠هـ ، ومغازي زياد البكائي المتوفى سنة ١٨٢هـ ، ومغازي الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧هـ وغيرهم .

والمصدر الرابع كتب التاريخ الإسلامي العام : التي تبتدئ بالسيرة النبوية ومن أوثقها وأصحها وأطولها وأضخمها : طبقات ابن سعد ، وتاريخ الرسل والملوك للإمام أبي جعفر الطبري ، والتاريخ الصغير والتاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل البخاري ، وتاريخ ابن حبان ، وتاريخ ابن أبي خيثمة البغدادي المتوفى سنة ٢٩٩هـ وغيرهم .

والمصدر الخامس الكتب التي ألفت في المعجزات : وتسمى بكتب السدائل ومنها : دلائل النبوة لأبي إسحق الحري المتوفى سنة ٢٥٥هـ ، ودلائل النبوة لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ ، ودلائل النبوة للإمام البيهقي المتوفى سنة ٤٣٠هـ ، ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ ، ودلائل النبوة للمستغفري المتوفى سنة ٤٣٢هـ ، ودلائل أبي القاسم إسماعيل الأصفهاني المتوفى سنة ٥٣٥هـ ، وأضخمها وأبسطها كتاب الخصائص الكبرى للجلال السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ .

والمصدر السادس كتب الشمائل : وهي مقصورة على ذكر أخلاق النبي ﷺ وعاداته وفضائله وما كان يعمل في يومه من الصباح إلى المساء ، وفي ليله من المساء إلى الصباح . وأشهر هذه الكتب وأولها : كتاب الشمائل للحافظ المنذري . وقد كتب كبار العلماء زيادات عليه أهمها وأضخمها وأطولها : كتاب الشفا في حقوق المصطفى للقاضي عياض ، وقد شرحه الشهاب الخفاجي وسماه نسيم الرياض ، وصنف في هذا الموضوع علماء آخرون ، منها : كتاب شمائل النبي ﷺ لأبي العباس المستغفري المتوفى سنة ٤٣٢هـ ، والنور الساطع لابن المقرئ الغرناطي المتوفى سنة ٥٥٢هـ ، وسفر السعادة لمجد الدين الفيروزآبادي المتوفى سنة ٨١٢هـ .

يضاف إلى ما ذكرناه الكتب التي صنفها بعض العلماء المتقدمين في أحوال مكة المعظمة والمدينة المكرمة ، وذكروا فيها ما في هذين البلدين الطيبين من بقاع وأماكن وأودية وجبال وخطط ، وذكروا من تولى إمارتها ، بادئين بكل ما له علاقة بالنبي ﷺ وأقدم كتاب في هذا الموضوع : أخبار مكة للأزرقي المتوفى سنة ٢٢٣هـ ، وأخبار المدينة لعمر بن شبة المتوفى سنة ٢٦٨هـ ، ثم أخبار مكة للفاكهي ، وأخبار المدينة لابن زبالة .

ثم بعد ذلك يتحدث عن التأليف في السيرة النبوية وأنه تجاوز على مدى العصور كل تصور ، وبعد أن يضرب أمثلة على سعة التأليف في السيرة النبوية ينقل نقلاً عن كاتب متحامل على الإسلام هو (ريزورند باسورث سميث) من كتابه (محمد والمحمدية) يقول فيه هذا الكاتب :

كل ما يقال في الدين يغلب فيه الجهل ببدايته ، وما يؤسف له أن هذا يصح إطلاقه على الديانات الثلاث ^(١) وعلى أصحابها الذين نعدم تاريخيين ، لأننا لا نعلم لهم وصفاً أحسن من هذا الوصف ، فإننا قلما نعلم عن الذين كانوا في طلائع الدعوة ، والذي نعلمه عن الذين جاءوا بعدهم واجتهدوا في نشر عقائدهم أكثر من الذي نعلمه عن أصحاب الدعوة الأولين ، فالذي نعلمه من شئون زردشت وكونفوشيوس أقل من الذي نعلمه عن سولون وسقراط . والذي نعلمه عن موسى ، وبوذا أقل مما نعلمه عن أمبراس Ambrase وقيصر ، ولا نعلم من سيرة عيسى إلا شذرات تتناول شعباً قليلة من شعب حياته المتنوعة والكثيرة ، ومن ذا الذي يستطيع أن يكشف لنا الستار عن شئون ثلاثين عاماً هي تمهيد واستعداد للثلاثة أعوام التي لنا علم بها من حياته ، إنه بعث ثلث العالم من رقده ، ولعله يجي أكثر مما أحيى ، وحياته المثالية بعيدة عنا مع قربها منا ، وإنها تتراوح بين الممكن والمستحيل ، بيد أن كثيراً من صفحاتها لا نعلم عنها شيئاً أبداً ، وما الذي نعلمه عن أم المسيح ، وعن حياته في بيته ؟ وعيشته العائلية ؟ وما الذي نعلمه عن أصحابه الأولين وحوارييه ؟ وكيف كان يعاملهم ؟ وكيف تدرجت رسالته الروحية في الظهور ؟ وكيف فاجأ الناس بدعوته ورسالته ؟ ولم ولم من الأسئلة تحيish في نفوسنا ، ولن يستطيع أحد أن يجيب عليها إلى يوم القيامة !

(١) يريد ديانات : بوذا وكونفوشيوس وزرادشت .

أما الإسلام فأمره واضح كله ، ليس فيه سر مكتوم عن أحد ، ولا غمّة يَنْتَبِه أمرها على التاريخ . ففي أيدي الناس تاريخه الصحيح ، وهم يعلمون من أمر محمد ﷺ كالذي يعلمونه من أمر لوثر وملتن ، وإنك لا تجد فيما كتبه عنه المؤرخون الأولون أساطير ولا أوهاماً ولا مستحيلات ، وإذا عرض لك طرف من ذلك أمكنك تمييزه عن الحقائق التاريخية الراهنة ، فليس لأحد هنا أن يخدع نفسه ولا أن يخدع غيره ، والأمر كله واضح وضوح النهار ، كأنه الشمس رأد الضحى ، يتبين تحت أشعة نورها كل شيء . اهـ .

هذا كلام كاتب متحامل على الإسلام ، لكنه لم يسعه إلا أن يقرر هذه الحقيقة التي كانت وراء محور هذه المحاضرة ، إن سيرة محمد ﷺ تاريخية لا ريب في ذلك ولا لبس ، وقد ختم المؤلف المحاضرة الثالثة بقوله :

لقد ألف المسلمون في السيرة النبوية ألوف الكتب بل أكثر من ذلك ، ولا يزالون ماضين في التأليف فيها ، وكل كتاب في السيرة الحمديّة - مهما كان - لا ريب أنه أوضح بياناً وأوثق رواية وأكثر صحة من كل ما كتبه الناس في قصص النبيين وسيرهم - عليهم السلام - .

والكتب الأولى في السيرة الحمديّة تلقاها عن أصحابها مئون وآلاف من تلاميذهم ، وأتقنوها فيها ، وأحكموها فيها ، ولم يتركوا فيها كلمة غامضة ولا عبارة معضلة إلا أوضحوا مبهمها وحلوا معضلها .

وأول كتاب عندنا في الحديث النبوي كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس ، وقد سمعه من مؤلفه ستائة من تلاميذه فيهم الخلفاء والولاة والعلماء والفقهاء والأدباء والزهاد والنساک ، والجامع الصحيح لأبي عبد الله بن إسماعيل البخاري تلقاه ستون ألفاً من أهل العلم عن تلميذ واحد من تلاميذه وهو الإمام الفريزي ، فهل في العالم دين احتاط أهلُه مثل هذا الاحتياط واهتموا مثل هذا الاهتمام بكل ما يتعلق بأمر نبيهم وهدايتهم ؟ وهل ألف في هذا الباب تأليف أكثر صحة وأعظم ثقة وثبتاً ؟ وهل نال مثل هذه الصحة التاريخية دين غيره ؟ وهل حفظ التاريخ من تفاصيل حياة نبي من الأنبياء - عليهم السلام - مثل الذي حفظه من سيرة محمد ﷺ ؟ .

شرط الكمال المطلق

قد يوجد في تاريخ البشرية من سيرته تاريخية ولا يعتبر ذلك وحده كافياً للهداية والافتداء ، بل قد تكون سيرة هؤلاء شراً وخبثاً ، فلا بد أن يجتمع مع شرط التاريخية شرط آخر لتصالح السيرة للافتداء والاهتداء ، هذا الشرط هو أن يكون تصرف صاحب السيرة في الصغيرة والكبيرة هو الكمال المطلق ، وهذا الذي نجده على الكمال والتام في سيرة النبي ﷺ وهذا هو محور المحاضرة الرابعة ، فلقد أخذ المؤلف يضرب على ذلك الأمثال في الصغيرة والكبيرة من تصرفاته ﷺ قبل النبوة وبعدها في حياته البيتية وغيرها مقيماً الأدلة على ذلك .

ومن كلامه في هذه المحاضرة :

إن أعظم الناس وأجلهم إذا انقلب إلى بيته كان فيه رجلاً من الرجال وواحداً كآحاد الناس ، ولقد صدق فولتير في كلمته المشهورة : (إن الرجل لا يكون عظيماً في داخل بيته ، ولا بطلاً في أسرته) يريد أن عظمة المرء لا يعترف بها من هو أقرب الناس إليه ، لاطلاعه على دخيلته في مبادله .

وهذا الحكم يشذ عن الرسول ﷺ فيقول باستور سميث : (إن ما قيل عن العطاء في مبادله لا يصح - على الأقل - في محمد رسول الإسلام) واستشهد بقول كبن : (لم يتحن رسول من الرسل أصحابه كما امتحن محمد أصحابه ، إنه قبل أن يتقدم إلى الناس جميعاً ، تقدم إلى الذين عرفوه إنساناً ، المعرفة الكاملة ، فطلب من زوجته وغلामه وأخيه وأقرب أصدقائه إليه وأحب خلانه أن يؤمنوا به نبياً مرسلأ ، فكل منهم صدق دعواه وآمن بنبوته ، وإن حليلة المرء أكثر الناس علماً بباطن أمره ودخيلة نفسه وأصدقهم به ، فلا يوجد من هو أعرف منها بهناته وتقائصه ، أليس أول من آمن بمحمد رسول الله زوجة الكريمة التي عاشته خمسة عشر عاماً ، واطلعت على دخائله في جميع أموره وأحاطت به علماً ومعرفة فلما ادعى النبوة كانت أول من صدقه في نبوته) .

إن أعظم الناس لا يأذن لزوجيه - وإن كانت له زوج واحدة - بأن تحدث الناس عن جميع ما تراه من حليلها ، وأن تعلن كل ما شاهدته من أحواله . لكن رسول الله كانت له في وقت واحد تسع زوجات ، وكانت كل منهن في إذن من الرسول بأن تقول عنه للناس كل ما تراه منه في خلواته ، وهُنَّ في حِلٍّ من أن يخبرن الناس في وضوح النهار كل ما رأين منه في ظلمة الليل ، وأن يتحدثن في الساحات والجامع بما يشاهدن منه في الحجرات ، فهل عرفت الدنيا رجلاً كهذا الرجل يثق بنفسه كل هذه الثقة ، ولا يخاف قالة السوء عنه من أحد لأنه أبعد الناس عن السوء .

إن النبي ﷺ أذن لأصحابه ولمن يحضر مجالسه أن يبلغوا عنه لمن غاب عنها ، وهذا الإذن عام لما يكون عنه في بيته وبين أهله وعياله ، أو ما يصدر عنه في حلقاته مع أصحابه ، أو ما يقفون عليه من أعماله وأقواله ، عند تعبدته في مسجده ، أو قيامه على منبره خطيباً ، أو جهاده في ساحة الحرب تجاه أعدائه ، وهو يسوي صفوف الجاهدين في سبيل الله ، أو إذا خلا إلى ربه في حجرة منعزلة في بيته يعبد الله ويتضرع إليه فكان أزواجه وأصحابه يتحدثون جميعاً بكل ما يصدر عنه من قول أو عمل .

ثم إنه كان تجاه مسجده صُفَّة يأوي إليها فقراء الصحابة الذين لم تكن لهم بيوت يأوون إليها ، فكانوا يتناوبون الخروج إلى ما بعد ببيان المدينة يحتطبون من أشجار الصحراء والجبل ، ويبيعون ما يأتون به ليقناتوا جميعاً بثمنه ، ولم يكن لسائرهم عمل غير صحبتة النبي ﷺ ولزوم مجالسه ليحفظوا عنه ما يقول وما يعمل ثم يروونه للناس بعناية وأمانة ، وقد بلغ عدد أهل الصُفَّة هؤلاء [في بعض الأحوال] سبعين رجلاً ، كان منهم أبو هريرة الذي لم يكن صحابي أكثر منه حديثاً عن رسول الله ﷺ وهؤلاء السبعون يسرهم الله لحفظ كل ما يستطيعون حفظه مما يدخل في موضوع الحديث النبوي لا يفترون عن ذلك اناء الليل وأطراف النهار ، وقد استمر الحال بهم على ذلك يوماً ، وإذا ارتحل الرسول ﷺ عن المدينة في غزوة أو حج كانوا معه ، وكذلك غيرهم من الصحابة ، حتى لم تخف عنهم خافية من أمره ، ولم يغيب عنهم معنى من معاني رسالته ، ولما كان فتح مكة كان معه من أصحابه

حوالي عشرة آلاف ، ولما سار إلى تبوك كان في معسكره حوالي ثلاثين ألفاً ، ولما حج حجة الوداع حج معه تلك السنة حوالي مائة ألف مسلم ، ينطبق عليهم عنوان الصحابة ، وما منهم إلا من يحرص على الوقوف على شيء من هداية نبيه ﷺ أو أي أمر من أموره فيتحدث عنه ، بل هو الذي أمرهم أن يبلغوا عنه ما يسمعون منه أو يرون من تصرفاته ، فما ظنكم به بعد ذلك هل يخفى عن التاريخ وجه من وجوه حياته أو ناحية من نواحيها .

هذا من جهة أصحابه ، وأما أعداؤه فإنهم أفرغوا جهدهم ، واستنفدوا سعيهم ليقفوا على دخيلة من دوائله وليؤاخذوه بحقيقة يعلمونها عنه فلم يستطع أحد منهم أن يجد له ناحية ضعف ولا ما يندد به وأقصى ما استطاع أعداؤه في كل زمان ومكان أن يقولوه عنه إنه سل سيفه للقتال وأنه كان كثير الزوجات .

وقد تبين لكم أن حياته الطاهرة هي حياة العصمة من كل نقص ، البريئة من كل عيب .

إن الرسول ﷺ لم يقض حياته كلها بين أحبائه وأصحابه ، بل قضى أربعين سنة من عمره في مكة قبل أن يبعث ، فكان بين أهلها مشركي قريش ، وكان يتعاطى فيهم التجارة ، ويعاملهم في أمور الحياة ليل نهار ، وهي الحياة اليومية وما تنطوي عليه من أخذ وعطاء ، ومن شأنها أن تكشف عن أخلاق المرء فيتبين للناس فسادها وصلاحها ، وهي عيشة طويلة طريقها ، كثيرة منعطفاتها ، وعرة مسالكها ، تعترضها وهبات بما قد يصدر عن المرء من خيانة وإخفار عهد وأكل مال بالباطل ، وعقبات من الخديعة والخيانة وتطفيف الكيل وبخس الحقوق وإخلاف الوعد .

وإن الرسول ﷺ اجتاز هذه السبيل الشائكة الوعرة وخلص منها سالماً نقياً لم يصبه شيء مما يصيب عامة الناس ، حتى لقد دعوه (الأمين) وإن قريشاً بعد بعثته وادعائه النبوة كانوا يودعون عنده ودائعهم وأموالهم لعظيم ثقتهم به ، وقد علمتم أنه ﷺ لمّا هاجر من مكة خلفَ عليها علياً ليرد ما كان لديه من الودائع إلى أهلها . فقريش خالفوه أشد الخلاف في دعوته ولم يتركوا سبيلاً إلى ذلك إلا سلكوه ، فقاطعوه وعاندوه وصدوا عن

سبيله ، وألقوا عليه سلى جزور وهو يصلي ، ورموه بالحجارة ، وأرادوا قتله ، وكادوا له كيدهم ، وسَمَّوه ساحراً ودعوه شاعراً ، وفندوا آراءه وسخفوا حلمه ، ولكن لم يجرؤ أحد منهم على أن يقول شيئاً في أخلاقه ، ولا أن يرميه بالخيانة ، أو ينسب إليه الكذب في القول ، أو إخلاف الوعد أو إخفار الذمة أو نقض العهد .

وإن من ادعى النبوة وقال إن الله يوحى إليه فكأنه ادعى العصمة والبراءة من جميع المفسدات ومساوئ الأعمال . ألم يكن يكفي قريشاً في ردهم على الرسول أن يذكروا أموراً عمل فيها الرسول بغير الحق ، وأن يشهدوا عليه بأنه أخلفهم وعداً أو خانهم في أموالهم أو كذبهم في شيء مما قاله لهم ؟ إن قريشاً أنفقوا أموالهم ، وبذلوا نفوسهم في عداوة الرسول ، وضحوا بفلذات أكبادهم في قتاله حتى قتل منهم وجرح كثيرون ، لكنهم لم يستطيعوا أن يَدْنَسُوا ذيله الطاهر ولا أن يصموه بشيء في عظيم أخلاقه . وكانت أحوال الرسول ﷺ وشئونه وهديه ظاهرة لجميع الناس معلومة لهم ، استوى في ذلك أحبابه وأعداؤه ولم يخف عليهم شيء من أمره .

ثم أفاض المؤلف في ذكر الأعجوبة الماثلة أن يقدم شخص للعالم كل ما يحتاجه هذا العالم ، بحيث يزيد سعة وشمولاً ويفوق كلاً - مع السلامة من النقص - على ما تبنيه الأمم خلال عصور ، بما لا نجده في ما وصلنا عن أحد غيره ، ألا أنها الرسالة والنبوة .

ويختتم محاضراته بقوله :

نحن لا نزال نقدم للناس تلك السيرة الكاملة ، التي هي لنا سراج وهاج في جميع شئون الحياة البشرية ، فكان السيرة المحمدية مرآة صافية للعالم كلها ، يرى فيها كل إنسان صورته وروحه ، ظاهره وباطنه ، قوله وعمله ، خلقه وأدبه ، هديه وسنته ، وفي استطاعته أن يصلح أخلاقه ويثقف عوجه بحسب ما يراه في تلك المرآة الصافية .

لأجل ذلك لا ترى أمة مسلمة تبحث - في خارج دينها وبمنأى عن سيرة نبيها - عن أصول وضوابط تقوم بها اعوجاجها وتثقف منأدائها وتصلح زينها . لأنها في غنى عما هو أجنبي عنها ، وعندها في هدي سيرة نبيها ﷺ الميزان القويم والقسطاس المستقيم ، الذي تبين

به ما في العالم من خير وشر وتميز به الحق من الباطل .

وفي الحق إن العالم كله لفي حاجة شديدة إلى سيرة بشر كامل تتخذ من حياته الأسوة العظمى ، وليس في الدنيا إنسان كامل يعرف التاريخ سيرته على التفصيل كما يعرف تفاصيل حياة محمد ﷺ خاتم النبيين ، فالناس كلهم في أمس الحاجة إلى أن يتخذوا من السيرة المحمدية منهاج حياتهم ففيها الأسوة الطاهرة ، وهي الحياة المثالية للناس جميعاً ، ﷺ .

* * *

(٥)

شرط الشمولية

قد توجد التاريخية في حياة بعض الناس ، وقد يوجد شيء من الكمال في حياة هؤلاء ، ولكن أن تكون حياتهم من الخصب والغنى بحيث تسع الناس زماناً ومكاناً - حيث إن هذا هو المطلوب في سيرة القدوة والهادي - فليس ذلك لأحد إلا لرسول الله ﷺ فقد اجتمع في سيرته التاريخية والكمال في التصرفات ، والشمولية ، حتى لتسع سيرته الزمان والمكان والأشخاص ، بالقدوة والهداية ، وهذا هو محور المحاضرة الخامسة .

يقول المؤلف :

ليس من الممكن أن يكون جميع الداخلين في دين من الأديان من طائفة بشرية واحدة ، أو أن يكونوا من شعب إنساني واحد ، لأن الدنيا قد قام بنيانها على التنوع في الأعمال والاختلاف في الأفعال ، ولولا أن الناس مختلفون في مهنتهم ومكاسبهم وأشغالهم ومعايشهم ، وهم يتعاونون ويساعد بعضهم بعضاً ، لخربت الدنيا .

ولا بد للعالم من ملك أو رئيس جمهورية أو وال يتولى أمورهم العامة ، وحاكم يحكم بينهم فيما يختلفون فيه . وكذلك لا تخلو الدنيا من رعية يرعى أمورهم رئيس ، ومن محكومين يحكم فيهم حاكم ، ومن خصوم يقضي بينهم قاض بالعدل ، ليسود الأمان ويستتب

السلام . وكذلك الأمم تحتاج إلى أن يكون لها جنود يدافعون عن كيائها ، وأن يكون على الجنود ضباط وقادة ، وتجذب فيهم الفقراء الذين يعانون الشدة والبؤس ، كما تجذب فيهم الأغنياء من أهل الترف والسرف . وفيهم عباد الله يقومون بطاعته في جوف الليل ، وزهاد تحرروا من متع الدنيا وزخرفها ، ومجاهدون في سبيل الله يقارعون الباطل ويقيئون الحق في الأرض ، وكذلك الدنيا لا تخلو من قادة الأمم وساسة الشعوب وزعماء الأحزاب .

وعلى شتى الطوائف ومختلف الفرق قام نظام هذه الدنيا ، وكل منهم يحتاج في عمله إلى حياة مثالية وأسوة كاملة يقتدي بها ليكون سعيداً في الحياة . والإسلام دعا جميع هذه الفرق والطوائف والأحزاب لأن يتبعوا سنة محمد ﷺ ويقتفوا آثاره ويسلكوا طريقه .

ومن تتبع ذلك يتبين له أن السيرة الحمديدية تكفي جميع شعوب البشر وطوائفهم وفرقهم ، إذا اتخذوا منها الأسوة والقذوة ، ففيها النور الذي يستضاء به في ظلمات الحياة الاجتماعية وكَم من ظلمة حالكة في الحياة ! ومن هنا تعلم أن سيرة محمد رسول الله ﷺ جامعة تجذب فيها كل طائفة من طوائف البشر المثل الأعلى الذي تقتدي به ، والأسوة التي يتأسى بها .

ومن الظاهر الواضح أن حياة المحكوم لا تصلح لأن تكون قدوة لحياة الحاكم ، كما أن حياة الحاكم لا تصلح لأن تكون قدوة لحياة المحكوم . وكذلك الفقير المعدم لا يتسنى له أن يسير في معيشته على ضوء من حياة الغني المثيري ، ومن ثم مست الحاجة إلى أن تكون الحياة الحمديدية جامعة يجد فيها الناس كلهم - على اختلاف طوائفهم - الأسوة الكاملة في جميع ألوان الحياة وأطوارها ، وإن مثلها كمثل الباقية الجامعة لكل أصناف الزهور والورود بجميع ألوانها ، ففيها الأحمر القاني والأبيض الناصع والأخضر الناضر والأصفر الفاقع .

وفي البشر طوائف مختلفة وفرق شتى تحتاج كلها إلى حياة مثالية تكون نموذجاً لها في حياتها ومعيشتها . ولكل إنسان من هذه الطوائف أعمال وأحوال تتقلب عليه بتقلب الظروف ، بين قيام وقعود ومشى وأكل وشرب ونوم ويقظة وضحك وبكاء وارتداء الملابس وخلعها وأخذ وعطاء وتعلم وتعليم ، وقد يموت حتف أنفه أو يقتل ، ويكون محسناً لغيره أو محتاجاً لإحسان الآخرين إليه ، وقد يكون في عبادة ربه أو في معاملة الناس

ومعاشرتهم ، وقد ينزل على غيره ضيفاً أو يستقبل الضيف ويقوم له بحق القرى . هذه الأحوال وغيرها تطراً على الإنسان وتعرض له فيما يتعلق بجسمه وجوارحه فيحتاج في كل حال منها إلى هداية نافعة وأسوة كاملة .

وأعظم من الأسوة في أعمال الإنسان الظاهرة ، الأسوة فيما يتعلق بخطر القلوب ومجالات الفكر ونزعات العواطف ، فنحن نشعر بين كل حين وآخر بنزعات وعواطف تخالج قلوبنا وأفكارنا ، فنرضى ونسخط ، ونفرح ونحزن وتعترينا السكينة والطمأنينة أو القلق والضجر ، وتترتب على هذه الأحوال عواطف مختلفة ونوازع متعددة ، وليس الخلق الحسن إلا التعديل بين هذه الأحوال ، وإقامة الوزن بالقسط بين العواطف القوية والنوازع الشائرة ، ولا يحظى بنصيبه من مكارم الأخلاق إلا الذي يعرف كيف يكبح النفس عند جوحها ، ويحسن التصرف فيها وقت ثورتها ، ومع ذلك فلا بد للإنسان من إمام تكون له فيه الأسوة التامة في هذه الأمور ، فيأتم به في قهر هذه القوى الشائرة والعواطف المتوثبة ، إلى أن تسكن ثورة نفسه ، ويسلك في ذلك مسلك قدوته الأعظم ، وهو النبي ﷺ الذي يحمل بين جنبيه قلباً زكياً ونفساً طاهرة وروحاً عالية نزيهة .

وهكذا المرء في كل خلة من خلال العزيمة والشجاعة والشكر والتوكل والرضا بالقدر والصبر على النوائب والتضحية والقناعة والاستغناء والإيثار والجود والتواضع والمسكنة ، وسائر ما يطراً على البشر في منفسح حياتهم ومدى عيشهم ، وما ربما يعتري هذه الخصال في ساعات مختلفة من مضطرب حياة الإنسان ، فإنه يحتاج في كل ذلك إلى أسوة وهداية ممن سبق له العمل بذلك ، وأئني لنا هذه الأسوة الكاملة والهداية التامة إلا في حياة محمد رسول الله ﷺ .

إذا كنت غنياً مثرياً فاقتد بالرسول ﷺ عندما كان تاجراً يسير بسلمه بين الحجاز والشام ، وحين ملك خزائن البحرين .

وإن كنت فقيراً معدماً فلتكن لك أسوة به وهو محصور في شعب أبي طالب ، وحين قدم إلى المدينة مهاجراً إليها من وطنه وهو لا يحمل من حطام الدنيا شيئاً .

وإن كنت ملكاً فاقتد بسننه وأعماله حين ملك أمر العرب ، وغلب على آفاقهم ، ودان لطاعته عظماءهم ، وذوو أحلامهم ، وإن كنت رعية ضعيفاً فلك في رسول الله أسوة حسنة أيام كان محكوماً بمكة في نظام المشركين .

وإن كنت فاتحاً غالباً فلك من حياته نصيب أيام ظفـره بعدوّه في بدر وحنين ومكة ، وإن كنت منهزماً - لا قدر الله ذلك - فاعتبر به في يوم أحد وهو بين أصحابه القتلى ورفقائه المشـخين بالجراح .

وإن كنت معلماً فانظر إليه وهو يعلم أصحابه في صُفّة المسجد ، وإن كنت تلميذاً متعلماً فتصور مقعده بين يدي الروح الأمين جاثياً مسترشداً . وإن كنت واعظاً ناصحاً ومرشداً أميناً فاستمع إليه وهو يعظ الناس على أعواد المسجد النبوي .

وإن أردت أن تقيم الحق وتصدع بالمعروف وأنت لا ناصر لك ولا معين فانظر إليه وهو ضعيف بمكة لا ناصر ينصره ولا معين يمينه ، ومع ذلك فهو يدعو إلى الحق ويعلن به . وإن هزمت عدوك ، وخضدت شوكتـه ، وقهرت عناده ، فظهر الحق على يدك ، وزهق الباطل ، واستتب لك الأمر ، فانظر إلى النبي ﷺ يوم دخل مكة وفتحها .

وإن أردت أن تصلح أمورك وتقوم على ضياعك فانظر إليه ﷺ وقد ملك ضياع بني النضير وخيبر وفدّك كيف دبّر أمورها وأصلح شئونـها وفوضها إلى من أحسن القيام عليها .

وإن كنت يتيماً فانظر إلى فلذة كبد آمنة وزوجها عبد الله وقد توفيا وإبـنهما صغير رضيع . وإن كنت صغير السن فانظر إلى ذلك الوليد العظيم حين أرضعته مرضعته الحنون حلـية السعدية . وإن كنت شاباً فاقراً سير راعي مكة . وإن كنت تاجراً مسافراً بالبضائع فلاحظ شئون سيد القافلة التي قصدت بُصرى .

وإن كنت قاضياً أو حكماً فانظر إلى الحكم الذي قصد الكعبة قبل بزوغ الشمس ليضع الحجر الأسود في محله وقد كاد رؤساء مكة يقتتلون ، ثم أرجع البصر إليه مرة أخرى وهو في فناء مسجد المدينة يقضي بين الناس بالعدل يستوي عنده منهم الفقير المعدم والغني الثري .

وإن كنت زوجاً فاقراً السيرة الطاهرة والحياة الزهية لزوج خديجة وعائشة . وإن كنت أباً لأولاد فتعلم ما كان عليه والد فاطمة الزهراء وجد الحسن والحسين .

وأياً من كنت ، وفي أي شأن كان شأنك ، فإنك معها أصبحت أو أمسيت وعلى أي حال بت أو أضحيت فلك في حياة محمد ﷺ هداية حسنة وقدوة صالحة تضيء لك بنورها دياجي الحياة ، وينجلي لك بضوئها ظلام العيش ، فتصلح ما اضطرب من أمورك ، وتثقف بهديه أودك ، وتقوم بسنته عوجك .

وإن السيرة الطيبة الجامعة لشتى الأمور هي ملاك الأخلاق وجماع التعاليم لشعوب الأرض وللناس كافة في أطوار الحياة كلها وأحوال الناس على اختلافها وتنوعها ، فالسيرة الحميدة نور للمستنير ، وهدى نبراس للمستهدي وإرشادها ملجأ لكل مسترشد .

يمثل هذا البيان تحدث المؤلف عن الشمولية في السيرة النبوية ، وقارن في هذه المحاضرة بين حياة محمد ﷺ وحياة غيره من الأنبياء ، فأثبت أن سيرة غير سيرته لم ينقل لنا منها مثل هذه الشمولية ، ومن ثم كلف الله عز وجل الإنسانية جميعاً - وإلى قيام الساعة - أن تقتدي به ، ويؤمن أن الاقتداء بغيره ليس كافياً ، عدا عن كونه لا يمثل التكليف الإلهي بعد بعثته - عليه الصلاة والسلام - .

وقدّم في جملة ما قدّم براهين على شمولية سيرته ﷺ أن دعوته منذ نشأتها كانت موجهة لكل الناس ، ودخل فيها كل الناس ، وكل الأصناف ، وظهرت في أتباعه جميع الطبقات ، وكلهم سواء كانوا سياسيين أو عسكريين أو زهاداً أو عباداً أو علماء مربين وسعتهم سيرته وكان لهم القدوة الكاملة .

وكما أنه في المحاضرة السابقة استطرّد ليعث على الإيمان بمحمد ﷺ ويستجلب التصديق ، فهنا كذلك استطرّد ليعمق الإيمان ، فضرب الأمثلة على الانقلاب الهائل الذي حدث في حياة أصحاب رسول الله ﷺ فأصبحوا أكمل الخلق في كل شيء ، كما تحملوا في سبيل هذه الدعوة ما لا يتحمّله إلا أصحاب الدعوات الربانية ، وذلك وحده علامة من علامات الرسالة .

وختم هذه المحاضرة بقوله :

لقد بينت لكم في هذه المحاضرة ما كان في الرسول الأعظم ﷺ من خلال جامعة . وقد أشرت إلى مظاهرها العديدة ونواحيها المختلفة ، وإخالكم قد ألفت مما درست في طبيعة الكون من ألوان مختلفة ، وما عرفتم في طبائع البشر من مواهب شتى وهذه الدنيا ليست إلا مظهراً من مظاهر الحياة متنوعة الألوان - أن العالم لا يمكن أن تكون هدليته إلا بالمصلح الأخير للدنيا وهو خاتم رسل الله محمد ﷺ الذي اجتمعت فيه خلال الإرشاد كلها وخصال الإصلاح للنوع البشري بأجمعه ، ولذلك قال له الله عز وجل : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ ^(١) فوجه الرسول ﷺ الدعوة إلى كل من يدعي محبة الله بأن يتبعه ويطيع أمره ، ونسأى الملوك في ممالكهم ، والرعاة في شوارعهم ، والعلمين في مدارسهم ، والتلاميذ في فصولهم ، والفقراء في أكواخهم ، والأغنياء في قصورهم ، كما دعا المظلومين والمفهورين والمخذولين ، بل أهاب بالعالم كله أن يتبعوا سبيله ويقتفوا أثره ، لأن سيرته الشريفة هي المثل الأعلى ، وفيها الأسوة الكاملة لكل من يحب الخير ويبتغي الصلاح لنفسه .

اللهم صل وسلم عليه وآله وصحبه أجمعين .

* * *

(٦)

واقعية السيرة الحمديدية

وبعد أن أثبت تاريخية السيرة الحمديدية وكالها وشمولها ، خشي أن يفهم فاهم أن هذه السيرة غير عملية أو غير واقعية أو غير ممكنة التطبيق فكانت المحاضرة السادسة في ذلك : فأثبت واقعيته من خلال نقطتين ، الأولى : أن رسول الله ما كان يأمر بشيء إلا فعله ، الثانية : أنه ارتفع بأصحابه إلى تطبيق ما دعا إليه ، فسيرته قائمة على التطبيق العملي في حياة

(١) آل عمران : ٣١ .

القدوة ، وفي حياة الجيل الذي رباه ، والذي كان خيراً على العالم لا يمكن أن يكون إلا عملياً وواقعياً وقابلاً للتطبيق ، هذا مع الكمال والشمول والنقل التاريخي التفصيلي ، إن ذلك لم يجمع لأحد إلا لرسول الله ﷺ وذلك دليل من أدلة رسالته ، وذلك يجعله القدوة الأولى لهذا العالم .

استعرض في هذه المحاضرة أعظم التكليفات الإسلامية وبرهن أنه عليه الصلاة والسلام كان أكثر خلق الله التزاماً بها ، وأعظمهم تطبيقاً لها ، سواء في ذلك الأذكار والدعوات أو الصلوات والإنفاق أو الصوم والجهاد .

كما استعرض كل الأخلاق التي استقر في ضمير البشرية تقديسها وتعظيم أهلها ، من ثبات على الدعوة ، إلى الرحمة والعفو ، إلى العدل والحزم ، إلى التوكل والصبر ، إلى الرضا بالقضاء والتسليم لله في الهبة إلى الشجاعة والنجدة ، إلى غير ذلك من أخلاق عظيمة وكيف أن رسول الله كان أكمل خلق الله فيها .

هذا مع القدرة والافتقار ، فلم يكن حليماً لأنه لا يستطيع إلا الحلم ، بل كان حليماً وهو قادر على البطش . ولم يكن رحيماً وهو عاجز عن العقوبة ، بل كان قادراً على الاستئصال .

وكما كان في نفسه كذلك فإنه كان يحمل أصحابه وأهله على ذلك ، حتى سمّا بهم هذا السمو الذي لم يعرف في تاريخ البشرية إلا لماماً .

لقد تحدث المؤلف عن هذه الموضوعات فأطنب ، وضرب كثير الأمثال حتى استوعب وأقام الحجة واستخرج من القلوب كوامن الفطرة ، داعياً إياها إلى الإيمان بحمد ﷺ فكان معلماً وداعية وواعظاً في محاضراته بأن واحد .

وهكذا من خلال تطبيق رسول الله ﷺ لما دعا إليه ، ومن خلال ارتقاء الجيل الذي رباه للتطبيق العملي رجالاً ونساء وأطفالاً وشيوخاً وحاكين ومحكومين ومحاربين ومسلمين ، أثبت المؤلف العملية والواقعية وإمكانية التطبيق في الرسالة المحمدية .

(٧)

عالمية السيرة المحمدية

بعد أن أقام المؤلف الحجة على أن سيرة محمد ﷺ هي السيرة المثلى التي لا يوجد في غيرها ما يوجد فيها ، يتبن في المحاضرة السابعة أن هذه السيرة وهذه الرسالة تُطالب بها الأمم جميعها ، تطالب بالاهتداء بها والافتداء بصاحبها ، فهي رسالة للجميع ويطلب بها الجميع ، ولا نجاة لأحد ولا فلاح لإنسان إلا باتباعها ، وقد سلك لإقامة الحجة في هذا مسالك شتى .

تحدث عن التوقيت في حياة الرسل ، وتحدث عن التخصيص في حياة الرسل ، فكل رسول قبل محمد ﷺ كان لزمان ، والدليل على ذلك ضياع هديهم ، وكل رسول بعث لقومه خاصة والدليل على ذلك موجود في كتبهم ، أما محمد ﷺ فقد بُشِّرَ به من سبقه ، وهذه نصوص دعوته محفوظة ، وقد دعا كل الأقوام ، وأتى على كل ذلك بالأدلة الكثيرة .

ثم سلك في إقامة الحجة مسلكاً آخر ، فذكر أن الدين الذي يحتاجه كل إنسان هو ما اجتمع فيه تفصيل في قضايا الإيمان والعبادة والمعاملات والآداب والأخلاق ، ويدخل في المعاملات القوانين والمبادئ الدستورية ، ويدخل في الأخلاق والآداب: أخلاق النفس وآداب السلوك وآداب التعامل الاجتماعي .

ثم تحدث عن أن هذه الأمور لا تجد تفصيلاتها إلا في الإسلام ، ومع هذا فإن كل جزء منها معقول المعنى صحيح المضمون ممكن الفهم والتطبيق ، أما الأديان الأخرى - كما هي عليه منذ الدعوة المحمدية - فلا تجد فيها شيئاً من ذلك ، فكم من خرافات في شأن الربوبية عند الأديان القائلة بها ، وكم من أباطيل في التصورات ، ثم إنك لا تجد أي تفصيل لقضية العبادات في أي من الكتب الدينية المنقولة إلينا ، وفي المعاملات لا تجد تفصيلاً ، وإذا وجدت تفصيلاً ففي الغالب يرافق التطبيق حرج ، وأكثر الأخلاق التي فصلتها كتب الأديان أخلاق سلبية بعضها جيد تجده في الإسلام وبعضها تفتى به الحياة ، لكن الإسلام كما فصل في الرذائل فصل في الفضائل ، كبيرها وصغيرها .

وبعد جولة موفقة في هذه الأمور كلها ، قال :

والذي يعنينا الآن من هذا الكلام على الرسالة المحمدية ناحية الكمال فيها ، وإتمامها ما كان ناقصاً في الديانات السابقة مما يرجع إلى العقائد والأعمال ، فأصلحت ما كان من قبل فاسداً ، وردت البدع الطارئة ، وقعت المفساد العظيمة الفاشية التي شوهت وجه الإنسانية ، وكانت باباً لكل شر ، وأصلاً لكل فساد ، وبذلك سدت في أصول الدين جميع الثلمات التي تسربت منها المفساد ، التي كانت سبباً في الخطايا الإنسانية عن مستواها الكريم .

ثم سلك في إقامة الحجة على عالمية الإسلام ، وأنه التكليف الوحيد للإنسان ، وأن أي إنسان لا يكون منسجماً مع فطرته وعقله إلا باتباعه الإسلام ، عدة مسالك يطول شرحها ثم سلك في إقامة الحجة في ذلك مسلكاً آخر ، هو مسلك التركيز على جوانب بعينها من الرسالة المحمدية تقوم بها الحجة على كل مخلوق .

فتحدث عن التوحيد ، وكيف أن الإسلام بواسطته نقل الإنسان من كونه أحط المخلوقات بسبب الشرك إلى أن أصبح سيد الوجود بسبب التوحيد ، ثم تحدث عن نظرية الإسلام إلى الإنسان ، وكيف أن فطرته بريئة في الأصل ، بل كيف أن تكاليف الإسلام هي الفطرة ، والفطرة والدين توأمان بل متطابقان ، وأن الإنسان ليس مسؤولاً إلا عن عمله ولا يتحمل وزر من تقدمه أو سبقه أو ولده ، أين هذا من الأديان القائلة بالتناسخ ، والتي تجعل الإنسان الحالي أثراً عن عمل من تقدمه ؟ أين ذلك من الأديان التي تجعل الأصل في الإنسان الشر ، وتجعله مسؤولاً عن خطيئة أبيه ، وتنطلق في التكليف من مبدأ التناقض مع الفطرة ؟

إن هذه المعاني وحدها كافية لإقناع المنصف أن الإسلام هو دين الله ، وأنه الدين الحق ، وأنه ليس أمام الإنسان إلا طريق وحيد هو الإيمان به ، والالتزام بتعاليمه ، فهو تكليف الله إلى كل الأمم ، وقد جعل الله فيه من مشرقات البراهين ما لا يسع المنصف إلا التسليم به .

ثم سلك المؤلف مسلكاً آخر للتدليل على عالمية الإسلام ، وأن البشرية مطالبة به ، ذلك أن الإسلام هو الذي طالب بالإيمان برسول الله جميعاً ، فطالب بالإيمان بهم وعدم التفريق فيما

بينهم وصحح النظرة إليهم ، فالغلاة من أتباعهم أرجعهم إلى القصد ، والمنتقصون لأقدارهم أرجعهم إلى الرشد .

بهذا وأمثاله وبمسالك متعددة أقام المؤلف الحجة على عالمية الإسلام ، وأنه لكل الأمم ، وأن على الأمم جميعاً أن تؤمن به ، وأن تقتدي بسيرة رسوله ﷺ وأن تهتدي بهداه .

* * *

(٨)

حقيقة الرسالة المحمدية وأيادها على البشرية

وبعد أن برهن المؤلف على أن الرسالة المحمدية لكل الأمم ، وأن على جميع الشعوب والأفراد أن يدخلوا فيها ، ختم محاضراته بالمحاضرة الثامنة التي تحدث فيها عن حقيقة هذه الرسالة ، وعن حقيقة مضمونها ، وعن بعض أيادها على البشرية ، وعن احتياجات البشرية حالاً واستقبالاً لها .

تحدث عن مظاهر متعددة من المحراف البشر قديماً وحديثاً ، وكيف أن الرسالة المحمدية صحت ، وأنها وحدها أعطت الحُلَّ الصحيح والجواب الصريح لمشكلات البشرية ولتساؤلاتها .

تحدث بالنسبة للذات الإلهية عما وقعت فيه البشرية من تشبيه وتثليل ، وكيف أن الإسلام صحح ذلك .

وأن نظريات الخير والشر وفلسفة الخير والشر وأسباب الخير والشر ، كل ذلك قد وجدت فيه أخطاء ، وجاء الإسلام فصيح ذلك .

وأن فكرة تعذيب الأجسام أصبحت جزءاً من كل الديانات ، فجاء الإسلام وحسم ذلك .

وأن فكرة الانتحار تضحية لله في زعمهم أو فراراً من ألم كانت ولا زالت جزءاً من تفكير

الإنسان ، وجاء الإسلام فأبطل ذلك وحرمه .

وأن فكرة قتل الأولاد أو وأد البنات أو حرق المرأة نفسها بعد وفاة زوجها كانت في بعض الأديان ، ولا زالت في بعضها بصور شتى ، وجاء الإسلام فحرم ذلك وأبطله .

ومن أكبر الجرائم التي اقترفتها الأمم ولا تزال باقية في بلاد لم تبلفها دعوة الإسلام ولم تشرق أنواره في أرضها ، أنهم جعلوا ثراء المال ونقاء الدم وشرف النسب وكرم المحتد ولون البشرة أساس الكرامة ورأس ما يتفاضلون به ويتفاخرون ، فجاء الإسلام بأسس جديدة هي وحدها الأسس الحميدة في تقويم الإنسان .

وكانت حياة الرقيق والمستعبدين والأسرى لا تطاق ، فجاء الإسلام يرحمته الشاملة ، ففتح الباب لتحرير الرقيق ، ووضع الأساس لحسن التعامل مع الأسير .

ولقد وجد من فرق بين الدين والدنيا ، وجاء الإسلام فألغى هذا التناقض ، ولقد جاء الإسلام وفي العالم رهبانية وعزلة رهبة عن الحياة فوضع الأمور مواضعها ، فهناك واجبات حياتية لا يسع أحداً أن يفرط فيها .

وفي شأن المرأة كانت ولا زالت أخطاء ، وفي شأن الأسرة كانت ولا زالت أخطاء ، وفي شأن السلم والحرب ، وفي شأن الحياة الاقتصادية كانت ولا زالت أخطاء ، وفي علاقات الشعوب مع بعضها البعض ، وفي نظرة الإنسان إلى الإنسان ، جاء الإسلام مصححاً وموجهاً ومعلماً ومربياً وقاطعاً الطريق على الانحراف .

كل ذلك بعض أيادي الإسلام على البشرية ، وكل ذلك وغيره تحتاجه البشرية بلا استثناء ، وكل ما في الإسلام حق وعدل .

فيا شعوب هذا العالم ويا أبناءه ليس أمامكم إلا الإسلام فآمنوا به والتزموا هديه .

وقد عرض المؤلف هذه المعاني كلها أجمل عرض وأقواه وضرب له من الأمثلة ما يشفي ويغني .

وقد ترددت كثيراً أن أجعل هذا التلخيص جزءاً من هذه المقدمة لطوله ، ولكن غلبني أسره فأثبتته .

* * *

وعلى كل حال فقد عرفنا من هذه المحاضرات القيمة الكبرى لدراسة كل ما له علاقة بالرسالة المحمدية ، وعرفنا أن السيرة النبوية لا تعني فقط أن ندرس بعض أحداث هذه السيرة تاريخياً ، وقد أصاب الشيخ محمد الغزالي عندما ختم كتابه (فقه السيرة) بهذه الكلمات :

قد تظن أنك درست حياة محمد ﷺ إذا تابعت تاريخه من المولد إلى الوفاة ، وهذا خطأ بالغ ، إنك لن تفقه السيرة حقاً إلا إذا درست القرآن الكريم والسنة المطهرة . وبقدر ما تنال من ذلك تكون صلتك بنبي الإسلام ﷺ . اهـ .

* * *

ولقد صحح ما نقلناه عن الشيخ سليمان الندوي بعض المفاهيم والأغلاط ورُسِّخ بعض المعاني ، وقد آن الأوان لنكمل أغراض هذه المقدمة في التصحيح والترسيخ فأقول :

السيرة في الاصطلاح هي التاريخ لحياته - عليه الصلاة والسلام - كما جرت عليه عادة كتاب السيرة . فالسيرة من هذه الحثيثة يدخل فيها جزء من أفعاله وأقواله وتاريخه ﷺ وفي السيرة بالمعنى الاصطلاحي يقع بعض الناس في أغلاط .

من هذه الأغلاط أن بعضهم يعتبر السيرة النبوية بالمعنى الاصطلاحي وكأنها المصدر التشريعي الوحيد الذي تستخرج منه الأحكام ، وبعضهم يستخرجون من السيرة قواعد وعموميات ويحاولون تطبيقها على جزئيات حياتية قد تدخل فيها وقد لا تدخل ، وأحياناً يفرضون على الأمة ألا تخرج على ما يستنبطون ، ويحرمون على الأمة ألا تسير على ما يستخرجون ، وهناك ناس يعتبرون أفعال رسول الله ﷺ كلها على حد سواء في فرضية الاقتداء ، وهناك ناس يعطون أنفسهم حق التمييز بين أفعال الرسول ﷺ فهذا سنة وهذا مباح ، وهذا فعّله بحكم رئاسته للدولة ، وهذا فعّله بحكم أنه مشرع للأمة ، يعطون أنفسهم هذا الحق وهم ليسوا مؤهلين لذلك ، وهذا كله يستدعي توضيحاً .

إن أفعال الرسول ﷺ كلها جزء من سنته ، وسنته هي المصدر الثاني من مصادر التشريع ، ومصادر التشريع الأصلية أربعة : الكتاب والسنة والإجماع والقياس . أما المصادر

الفرعية فتعددة وهي محل خلاف بين المذاهب الأربعة ، ومنها : الاستحسان والاستصحاب والاستصلاح .. الخ .

والمسلمون بمجموعهم مكلفون أن يسيروا على ضوء حكم الله في الواقعة التي تواجههم ، والمسلم مكلف بالسير على ضوء حكم الله في الواقعة التي تواجهه ، وحكم الله يؤخذ من المصادر الأصلية والفرعية ، وتطراً عليه طوائف بسبب من ظروف خاصة زماناً أو مكاناً أو شخصاً ، فما دام المسلم ملتزماً بحكم الله وبالفقوى المبصرة من أهلها فهو على إسلام ، وهو على سنة ، وهو مقتد برسول الله ﷺ ويدخل في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ۖ ﴾ ^(١) وهكذا لا تقيّد الأمة الإسلامية ولا الفرد المسلم إلا بهذا القيد ، وهو الفتوى البصيرة من أهلها .

فإذا اتضح هذا نقول : إن من مصادر التشريع - التي تبنى عليها الفتوى - السنة ، وأفعال الرسول جزء من السنة النبوية وسيرته من أفعاله ، وللأصوليين مباحث بخصوص هذا الشأن منها : هل إذا فعل رسول الله ﷺ فعلاً فذلك يفيد الوجوب إلا إذا وجدت قرينة ، أم أنه لا يفيد الوجوب إلا إذا وجدت قرينة ؟ هناك وجهتا نظر .

قال أبو حامد الغزالي في (المنحول) :

والمختار عندنا وهو مذهب الشافعي - رضي الله عنه - أنه إن اقترن به قرينة الوجوب كقوله ﷺ : « صلوا كما رأيتموني أصلي » فهو للوجوب . وإن لم يقترن بنظر ، فإن وقع من جملة الأفعال المعتادة ، من أكل ، وشرب ، وقيام وقعود ، واتكاء ، واضطجاع ، فلا حكم له أصلاً . وظن بعض المحدثين أن التشبه به في كل أفعاله سنة ، وهو غلط ؛ وإن تردد بين الوجوب والندب ، فإن اقترنت به قرينة القربة فهو محمول على الندب ، لأنه أقل ، والوجوب متوقف فيه . وإن تردد بين القربة والإباحة ، فيتلقى منه رفع الحرج ، وليس هذا متلقى من صيغة الفعل ، إذ الفعل لا صيغة له ، ومستنده مسلك الصحابة فإننا نعلم أن المنوع من فعل فيما بينهم ، لو نقل عن الرسول ﷺ فعله لفهموا منه رفع الحرج .

وأما الإباحة فلا نتلقاه ، فإنه حكم يقتضي التخيير مع تساوي الطرفين ، وهو يناقض النذب ، والفعل متردد بينه وبين رفع الحرج ، فأقل الدرجات رفع الحرج .

فإن تمسك أبو حنيفة - رحمه الله - بإجماع الأمة على كون النبي - عليه السلام - أسوة وقدوة ومطاعاً ، وشرطه الاقتداء به في كل ما يأتي ويذر .

قلنا : معناه أن أمره ممتثل ، كما يقال : الأمير مطاع في قنومه ، ولا يراد به أنهم يتربعون إذا تربع ، أو ينامون إذا نام .

فإن تمسك بقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ ^(١) وقوله : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ ^(٢) وقوله : ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ ^(٣) فكل ذلك محمول على الأمر ، وهو الذي أتانا به دون الفعل .

وهل الأصل فيما لم يفعله الرسول ﷺ الحرمة أو الإباحة ؟ الذي عليه جماهير الأمة سلفاً وخلفاً أن الأصل في الأشياء الإباحة ، ومن هنا ندرك خطأ الذين يقولون : هات الدليل على أن هذا الشيء فعله رسول الله ﷺ لكي يعتبر جائزاً ، الصواب أن يقال : هات الدليل على أن الرسول ﷺ حرّمه ، فشيء لم يفعله ولم يأمر به ولم ينه عنه فالأصل فيه الجواز .

إذا اتضحت هذه المعاني فإننا نستطيع أن ندرك كثيراً من الأخطاء ، خطأ الذين يحرّمون شيئاً لأن رسول الله ﷺ لم يفعله ، وخطأ الذين يعتبرون أن مجرد فعل الرسول ﷺ يفيد الفرضية .

لقد وجد ناس قرأوا السيرة فاستخرجوا منها أن المنحى العام لرسول الله ﷺ في إقامة الدولة الإسلامية كان على طريقة معينة : دعوة دون قتال مع طلب النصرة ثم هجرة ثم ... ، وبناء عليه فإن الأمة الإسلامية يفترض عليها أن تسير على نفس المنحى ، مع أن الظروف التي تمر بها الأمة الإسلامية تختلف ، والأحكام قد اكتملت ولم يعد النسخ في الشريعة متصوراً ، والعبرة لآخر ما استقر عليه التشريع ، ومن ثم فالمسلم مكلف في ما

(١) الحشر : ٧ .

(٢) النور : ٦٣ .

(٣) آل عمران : ٣١ .

يواجهه أن يبحث عن حكم الله ، والأمة الإسلامية مقيدة في سيرها بحكم الله ، فقد يكون حكم الله القتال ابتداء ، وقد يكون غير ذلك .

وأفعال الرسول ﷺ منها ما يفيد الإباحة ، ومنها ما يفيد السنية ، ومنها ما يفيد الوجوب ، والقرائن هي التي تحدد ، وحتى أوامره ونواهيه ﷺ للقرائن دخل في فهم الوجوب أو الحرمة منها ، وفهم هذه القضية بالمكان الأعلى من قفه الحركة ، صحيح أن من قلد رسول الله ﷺ في أفعاله غير المنسوخة فهو مأجور في كل حال ، ولكن هذا شيء وادعاء الفرضية أو الحرمة شيء آخر .

ولا شك أن بعض أفعال رسول الله ﷺ ينطبق عليه وصف السياسة الشرعية ، وبالتالي فبعض أفعاله جزء من السياسة اليومية التي كان يفعلها رسول الله ﷺ بحكم إدارته لشؤون المسلمين .

ولكن هل كل أحد مرشح لأن يقول عن أفعال رسول الله ﷺ إن هذا يفيد السنية ، وهذا يفيد الوجوب ؟ وهل كل إنسان مرشح لأن يقول : هذا من السياسة اليومية وهذا من التشريع الدائم ؟

إن هناك معلومات من الدين بالضرورة يستوي في معرفتها والفتوى بها العام والخاص ولكن ما سوى ذلك من أمور مشتهات لا يستطيعها إلا مجتهد استشرى نصوص الكتاب والسنة واستوعب الكليات والجزئيات ، أمثال هؤلاء هم المرشحون للبيان قال - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الصحيح : « وبين ذلك أمور مشتهات لا يعلمها كثير من الناس » وإذن فهناك من يعلمها وهم الأئمة المجتهدون ، ولخطورة أن يتكلم في هذا الموضوع أحد لم يصل إلى رتبة الاجتهاد ، حكم الأئمة على من يتصدر للاجتهاد وليس أهلاً له بأنه ضال مضل ، لأنه في هذه الحالة يجعل الحرام حلالاً ، والواجب مباحاً ، أو المباح حراماً ، أو يعطل لنصوص بحجة أنها مؤقتة بوقت ، أو كانت مرحلية ، إلى غير ذلك من أقوال إن لم تكن صادقة فهي الضلال عينه .

* * *

وإلى الباب الأول من قسم السيرة النبوية .

الباب الأول
من
سيرته صلى الله عليه وسلم
وهو
من البدء حكمة النبوة الشريفة

هذه المرحلة في سطور

* لم نقصد بكلمة (البدء) الميلاد ، وإنما أردنا في هذا الباب أن نذكر بعض النصوص التي تعتبر معالم كبرى متعلقة به ﷺ قبل النبوة ، سواء كانت قبل الميلاد أو بعده .

* أخذ الله على الرسل جميعاً أن يؤمنوا بمحمد ﷺ إذا بعث وهم أحياء ، وقد بشر به الرسل أقوامهم ، ولا زالت في بقايا الوحي آثار كثيرة تبشر به ﷺ ففي كتب الهند الدينية ، وفي كتب الفرس الدينية ، وفي العهدين القديم والجديد ، كثير من البشارات به ، وقد ذكرنا ذلك في كتابنا (الرسول ﷺ) وهو مع ذلك كله من ذرية إبراهيم عن طريق إسماعيل - عليها السلام - .

* ظهرت إرهاصات كثيرة تبشر ببعثته ، وظهرت علامات تهمد لاستقبال الوحي .

* ولد من أبوين قرشيين ، يعتبران أكرم خلق الله نسباً ، هما : عبد الله بن عبد المطلب ، وأمنة بنت وهب الزهرية .

* ولد عام الفيل ، ونبي على رأس الأربعين ، توفي أبوه في المدينة المنورة وأمه حامل به - على القول الراجح - ، ومن حواضنه : بركة أم أيمن ، ومن مرضعه : ثويبة مولاة أبي لهب ، وحليمة السعدية .

* بقي في حضانة حليمة السعدية حتى السنة السادسة من عمره - في رواية - ثم أعادته إلى أمه بعد حادثة شق الصدر ، وفي نفس السنة ذهبت أمه إلى المدينة المنورة لزيارة قبر زوجها ، وفي العودة توفيت ودفنت بالأبواء بين مكة والمدينة .

* وفي أوائل السنة التاسعة من عمره توفي كافله ومرييه : جده عبد المطلب ، بعد أن عهد إلى ابنه أبي طالب بكفالته .

* وفي أوائل السنة الثالثة عشرة من عمره خرج به أبو طالب إلى الشام ، وأرجعه من الطريق بناءً على وصية بحيرا الراهب .

* وفي السنة العشرين من عمره - على قول - حضر حرب الفجار التي كانت بين قومه

وكنانة وبين قيس، وكان يجهز فيها النبل لأعمامه .

* وشارك بعد حرب الفجار في حلف الفضول في دار ابن جدعان ، وهذا الحلف من مكارم قريش الكبرى ، إذ كان حلفاً على نصرة المظلوم .

* وقد رعى أثناء هذه المرحلة الغنم ، وكان لا يألو جهداً في العمل .

* وأخيراً أجر نفسه للخدمة ، فذهب هو وغلماها ميسرة إلى الشام في تجارة لها ، وتخفضت العلاقة التجارية عن زواج رسول الله ﷺ بها وهو ابن خمس وعشرين سنة وهي بنت أربعين ، ولدت له جميع أولاده وبناته ، ما عدا إبراهيم عليه السلام .

* ووالى العمل التجاري بعد ذلك ، وكان له في مرحلة من المراحل شريك هو السائب ابن أبي السائب .

* وشارك وهو في سن الخامسة والثلاثين في بناء الكعبة ، وحكّمته قريش فهن يضع الحجر الأسود .

* وغلبت عليه العبادة في أخريات هذه المرحلة ، وأصبحت رؤياه كفلق الصبح ، ورأى خلال هذه المرحلة نوراً ، وسمع صوتاً ، وكلمته بعض الجمادات ، وحدث له في صفه حادثة شق الصدر ، ثم تكررت .

* ولم يشارك طوال حياته في أعمال الجاهلية ، ولا في عبادات أهلها ، وكان قومه يطلقون عليه لقب الأمين .

* تبنى زيد بن حارثة بعد أن اعتقه على إثر إيثار زيد له ﷺ على أهله ، وبقائه معه .

* وكانت له صداقاته القليلة ، وعلاقاته النظيفة ، وسمته الطاهرة ، واجتمع له الفقر والعمل مع مكارم الأخلاق كلها .

* كفل في أخريات هذه المرحلة عليّ بن أبي طالب ، ليخفف عن عمه أبي طالب .

* وصفته خديجة بعد النبوة -ملخصة صفاته قبل النبوة بما معناه بأنه : يحمل المنقطع، ويقرى الضيف ، ويفيئ الملهوف ، ويعين على نوائب الحق ، مستدلة بهذه الصفات على السلامة من الآفات ، ومثبتة له على أمر النبوة .

* * *

فصلٌ : في فضل النَّسَبِ وفي فضل الجيل

نسب الرسول ﷺ :

* ذكر البخاري ^(١) نسب رسول الله ﷺ فقال : (هو ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان) .

أقول : ثم يصل نسبه إلى إبراهيم - عليه السلام - ويرى بعض النسابين أن بين عدنان وإبراهيم أربعين جداً لرسول الله ﷺ ، فهو من أبناء إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - ثم بعد ذلك يدخل في نسب إبراهيم الذي تلمع فيه نبوات ورسالات كبرى إلى آدم - عليه السلام - وإنما اتصل نسب إبراهيم - عليه السلام - بالعرب من خلال ابنه إسماعيل ، حيث أسكنه وأمه بوادٍ غير ذي زرع في مكة المكرمة ، كما هو معلوم من القرآن والسنة الصحيحة .

* * *

اصطفاء نبينا من خير بني آدم ومن خير الأجيال : ^(٢) :

١ - * روى مسلم عن واثلة بن الأسقع - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » .

٢ - * روى الترمذي عن العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - قال : قلت :

(١) ذكر زَيْنٌ أَنَّهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

(٢) لهذه الفقرة تعلق بفصل النسب من حيث شرفه ﷺ .

١ - مسلم (٤ / ١٧٨٢) ٤٣ - كتاب الفضائل - ١ - فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة .

والترمذي (٥ / ٥٨٣) ٥٠ - كتاب المناقب - ١ - باب في فضل النبي ﷺ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن

صحيح غريب .

٢ - الترمذي (٥ / ٥٨٤) ٥٠ - كتاب المناقب - ١ - باب في فضل النبي ﷺ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن .

كهوة : الكهوة هنا محل تجمع الغبار والطمي .

يارسول الله إن قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابهم بينهم ، فجعلوا مثلك كمثل غلظة في كبوة من الأرض فقال ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ مِنْ خَيْرِ فِرْقِهِمْ ، وَخَيْرِ الْفَرِيقَيْنِ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْقَبَائِلَ ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ قَبِيلَةٍ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْبَيْتُوتَ ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بَيْتُوتِهِمْ ، فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْسًا وَخَيْرُهُمْ بَيْتًا » .

٣ - * روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قُرْناً فَقُرْناً ، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقُرُونِ الَّتِي كُنْتُ مِنْهَا » .

٤ - * روى الطبراني عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَتَقْلِبْكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ ^(١) قال : « مِنْ صُلْبِ نَبِيٍّ إِلَى صُلْبِ نَبِيٍّ حَتَّى صُرْتُ نَبِيًّا » .

وقد علق الدكتور البوطي على ما ورد بخصوص نسبه الشريف ﷺ بقوله : فيما أوضحناه من نسبه الشريف ﷺ ، دلالة واضحة على أن الله - سبحانه وتعالى - ميّز العرب على سائر الناس ، وفضل قريشاً على سائر القبائل الأخرى .

واعلم أن مقتضى محبة رسول الله ﷺ ، محبة القوم الذين ظهر فيهم والقبيلة التي ولد فيها ، لا من حيث الأفراد ... بل من حيث الحقيقة المجردة ، ذلك لأن الحقيقة العربية القرشية ، قد شرف كل منها - ولا ريب - بانتساب رسول الله ﷺ إليها .

ولا ينافي ذلك ما قد يلحق من سوء بكل من قد انحرف من العرب أو القرشيين ، عن صراط الله - عز وجل - وانحط عن مستوى الكرامة الإسلامية التي اختارها الله لعباده ، لأن هذا الانحراف أو الانحطاط من شأنه أن يودي بما كان من نسبة بينه وبين رسول الله ﷺ ويلغيها من الاعتبار .

٢ - البخاري (٦ / ٥٦٦) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٣ - باب صفة النبي ﷺ .

القرون : جمع قرن ، وهو الأمة في عصر من الأعصار ، كلما انقضى عصر سمي أهله قرناً ، سواء طال أو قصر .

٤ - أورده الميثقي في مجمع الزوائد (٧ / ٨٦) وقال : رواه البزار والطبراني ، ورجلها رجال الصحيح ، غير شبيب بن

بشر ، وهو ثقة .

(١) الشعراء : ٢١٩ .

أقول :

وفي الحديث قبل الأخير ما يفيد أن إيجابيات بعض النفوس البشرية في عصره كانت أرقى منها في أي عصر مضى أو سيأتي بعده ، ومن عرف خصائص جيل الصحابة أدرك أنه جيل فريد لم يوجد مثله ولن يوجد جيل في مستواه .

* * *

تزكية الله لنبيه ﷺ وللصحابة (١) :

٥ - * روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود ، قال : إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ ، فَأَبْتَعَتْهُ بِرِسَالَاتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَجَعَلَهُمْ وَزَرَاءَ نَبِيِّهِ . يَقَاتِلُونَ عَنْ دِينِهِ ، فَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ .

فائدة :

هذا الحديث أصل من الأصول التي يستدل بها على حجية الإجماع . وفيه تعليل لاختيار الله محمداً ﷺ . كما أن فيه تعليلاً لفضل الصحابة على غيرهم ، ولفضل جيلهم على الأجيال . ومن الحديث تعرف سرّ قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (٢) فقلب من نوع معين هو الذي يستأهل أن يتلقى الوحي ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ (٣) .

* * *

(١) تعلق هذه الفقرة بعنوان الفصل من حيث إنها حديث عن كرامة الجليل الذي وجد فيه رسول الله ﷺ .

٥ - أحمد في مسنده (١ / ٢٧٩) . وذكر البزار جزءاً منه ، راجع : كشف الأستار (٣ / ١١٤) كتاب علامات النبوة - باب في منزلته ﷺ . ورواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله موثقون ، راجع : مجمع الزوائد (٨ / ٢٥٢) - كتاب علامات النبوة - باب عظم قدره ﷺ .

(٢) الأنعام : ١٢٤ .

(٣) الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤ .

[هاجر] جدة رسولنا - عليها الصلاة والسلام - : (١)

٦ - * روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَطُّ ، إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ ، ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللَّهِ ، قَوْلُهُ : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ (٢) ، وَقَوْلُهُ : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ (٣) . وَوَاحِدَةً فِي شَأْنِ سَارَةَ ، فَإِنَّهُ قَدِيمَ أَرْضِ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ ، فَقَالَ لَهَا : إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ ، إِنْ يَعْلَمَنَّ أَنَّكَ امْرَأَتِي ، يَغْلِبَنِي عَلَيْكَ ، فَإِنْ سَأَلَكَ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكَ أُخْتِي ، فَإِنَّكَ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرِكَ . »

فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَأَاهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ ، أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ : لَقَدْ قَدِيمَ أَرْضِكَ امْرَأَةٌ لَا يَنْتَبِغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا بِكَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأَتَتْ بِهَا . فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الصَّلَاةِ .

فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا ، فَقَبِضَتْ يَدَهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً ، فَقَالَ لَهَا : ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلَا أُضْرِكَ . فَفَعَلَتْ ، فَقَادَتْ ، فَقَبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الْأُولَى ، فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ ، فَفَعَلَتْ ، فَقَادَتْ ، فَقَبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الْأُولَتَيْنِ ، فَقَالَ : ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي ، فَلَكَ اللَّهُ أَنْ لَا أُضْرِكَ ، فَفَعَلَتْ ، وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ ، وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي

(١) تعلق هذه الفقرة بفصل النسب واضح لأن فيها حديثاً عن المجد الأشراف لرسولنا عليه الصلاة والسلام وفي هذه الفقرة كلام عن جدته هاجر أم إسماعيل عليها السلام .

٦ - البخاري : (٦ / ٣٨٨) ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٨ - باب قول الله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ ، وقوله : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ ﴾ . وأخرجه مسلم ، واللفظ له : (٤ / ١٨٤٠) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٤١ - باب من فضائل إبراهيم الخليل - عليه السلام - .

يغلبني عليك : يقتلني ليتزوجك . فلك الله : أي شاهد وضامن أن لا أضرك . مَهْنَمٌ : كلمة معناها : ما شأنك ؟ وما خورك ؟ . الحادام : يطلق على الذكر والأنثى . بنو ماء السماء : هم العرب ، سُبُوا بذلك لخلوص نسبهم وصفائهم ، وقيل : لأنهم يرعون العشب الذي ينبت ماء السماء .

(١) الصافات : ٨٩ .

(٢) الأنبياء : ٦٣ .

بَشَيْطَانٍ ، وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ ، فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي ، وَأَعْطِهَا هَاجِرَ .
 قَالَ : فَأَقْبَلْتُ تَمْشِي ، فَلَمَّا رَأَاهَا إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - انْصَرَفَ ، فَقَالَ لَهَا :
 مَهَيْتُمْ ، قَالَتْ : خَيْرًا ، كَفَّ اللَّهُ يَدَ الْفَاجِرِ ، وَأَخَذْتُمْ خَادِمًا .
 قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَبَلَغَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ .

تعليق حول صدق إبراهيم - عليه السلام - :

ما ذكره إبراهيم - عليه السلام - في المواقف الثلاثة إنما هو من التورية الجائزة ، وإنما أطلق عليه الكذب مجازاً ، قال النووي في شرحه لمسلم :
 وأما قوله ﷺ : «... ثنتين في ذات الله - تعالى - ...» ، وواحدة في شأن سارة ..» فعنناه :

أن الكذبات المذكورة إنما هي بالنسبة إلى فهم المخاطب والسماع ، وأما في نفس الأمر فليست كذباً مذموماً ، لوجهين ، أحدهما : أنه ورى بها ، فقال في سارة : أخقي في الإسلام ، وهو صحيح في باطن الأمر ، وسنذكر - إن شاء الله تعالى - تأويل اللفظين الآخرين ^(١) .
 والوجه الثاني : أنه لو كان كذباً لا تورية فيه لكان جائزاً في دفع الظالمين ، وقد اتفق الفقهاء على أنه لو جاء ظالم يطلب إنساناً محتفياً ليقته ، أو يطلب وديعة لإنسان ليأخذها غضباً ، وسأل عن ذلك وجب على من علم ذلك إخفاؤه وإنكار العلم به ، وهذا كذب جائز بل واجب لكونه في دفع الظالم فنبه النبي ﷺ على أن هذه الكذبات ليست داخلية في مطلق الكذب المذموم .

ولعله من أجل كمال صدق إبراهيم - عليه السلام - سماه الله - تعالى - في التنزيل الشريف : ﴿ ... صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ ﴾ ^(٢) ، ولعل أيضاً من إنعامات الله عليه لهذا الصدق أن

(١) قال النووي في موضع آخر : وذكروا في قوله : إني سقيم ، أي : سأسقم ، لأن الإنسان عرضة للأقسام ، وأراد بذلك الاعتذار عن الخروج معهم إلى عيدهم وشهود باطلهم وكفرهم . وقيل : سقيم بما قدر عليّ من الموت . وقيل : كانت تأخذه الحمى في ذلك الوقت . وأما قوله : بل فعله كبيرهم ، فقال ابن قتيبة وطائفة : جعل النطق شرطاً لفعل كبيرهم ، أي فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون ، وقال الكسائي : يوقف عند قوله : بل فعله ، أي فعله فاعله فأخضر ، ثم يبتدئ فيقول : كبيرهم هذا ، فأسألهم عن ذلك الفاعل .

(٢) مريم : ٤١ .

جعل من نسله إمام الصديقين وخاتم المرسلين محمداً ﷺ الذي ربي أمة على الصدق في القول والحال والعمل ، فكانت خير أمة أخرجت للناس .

قصة إسماعيل الذبيح - عليه السلام - وبناء البيت ^(١) :

٧ - * روى البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل ، اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل - وهي ترضع - حتى وضعا عند البيت ، عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعا هنالك ، ووضع عندهما جراباً فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ، ثم قفى إبراهيم منطقاً ، فتبعته أم إسماعيل ، فقالت : يا إبراهيم ، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مراراً ، وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت له : الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم : قالت : إذا لا يضيئنا .

ثم رجعت ، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية - حيث لا يرونة - استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا هؤلاء الكلمات ، ورفع يديه فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ﴾ حتى بلغ ﴿ يَشْكُرُونَ ﴾ ^(٢) .

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل ، وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت ، وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلو - أو قال : يتلبط - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً ؟ فلم تر أحداً ، فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ، ثم سعت سعي الإنسان المجهود ، حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت

(١) تعلق هذه الفقرة بفصل النسب من حيث إنها حديث عن إبراهيم وإسماعيل جندي رسول الله عليهم الصلاة والسلام وما أحاط بسرية السكنى في الحرم .

٧ - البخاري (٦ / ٢٩٦) ٦٠ - كتاب الأنبياء - ١ - باب يزفون النسلان في للشي .
المنطق : هو ما تشد به المرأة وسطها عن عمل الأشغال لترفع ثوبها . وهو أيضاً النطاق . لتعفي : لتخفي .
الدوحة : الشجرة العظيمة . قفى : ولاك قفاه رجماً عنك . الله أمرك بهذا : أي هل أمرك الله بهذا ؟ . الثنية : الطريق في العقبة ، وقيل : هو المرتفع من الأرض فيها . ﴿ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ﴾ : مكة ، فلا ينبت فيها زرع . يتلبط : يضطرب ويتقلب ظهراً لبطن . درعها : قميصها . الإنسان المجهود : الذي أصابه الجهد .

(٢) إبراهيم : ٣٧ .

المُرْوَة ، فقامت عليها فنظرت ، هل ترى أحداً ؟ فلم ترَ أحداً ، ففعلت ذلك سبعَ مرّاتٍ قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : « فذلك سعي الناس بينهما » .

فلما أشرقت على المروة سمعت صوتاً ، فقالت : صه - تريد نفسها - ثم سمعت أيضاً ، فقالت : قد سمعت إن كان عندك غواث ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه - أو قال : بجناحه - حتى ظهر الماء ، فجعلت تخوضه ، وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تعرف من الماء في سقائها ، وهو يَفُورُ بعد ما تعرف . قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : « يرحم الله أم إسماعيل ، لو تركت زمزم - أو قال : لو لم تعرف من الماء - لكانت زمزم عيناً معيناً » ، قال : فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة ، فإن هاهنا بيت الله ، يبني هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله .

وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالراية ، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله ، فكانت كذلك حتى مرّت بهم رفقة من جرهم - أو أهل بيت من جرهم - مقبلين من طريق كداء ، فنزلوا في أسفل مكة ، قرأوا طائراً عائفاً ، فقالوا : إن هذا الطائر ليذوّر على ماء ، لنهضنا بهذا الوادي وما فيه ماء ، فأرسلوا جرياً أو جريين ، فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبرهم بالماء ، فأقبلوا - قال : وأم إسماعيل عند الماء - فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت : نعم ، ولكن لا حق لكم في الماء . قالوا : نعم .

قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : « فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس » فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم ، فزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشب الغلام ، وتعلم العربية منهم ، وأنفسهم وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زوجة امرأة منهم .

وماتت أم إسماعيل ، فجاء إبراهيم ، بعد ما تزوج إسماعيل ، يطالع تركته ، فلم يجد

== صه : اسكت ، وقوله : (تريد نفسها) معناه : لما سمعت الصوت سكنت نفسها لتتحققه . غواث : الفواث والغياث والنوثة : المعونة ، وإجابة المستغيث . تخوضه : أي : تجعل له حوضاً يجتمع فيه الماء . معيناً : الماء الظاهر الجاري الذي لا يتمذر أخذه . الضيعة : الضياع والحاجة . الراهبة : ما ارتفع من الأرض . جرهم : قبيلة من اليمن ، تزوج منها إسماعيل - عليه السلام - . كداء : بالفتح والمد : الثنية من أعلى مكة مما يلي المقابر . وبالضم والقصر : من أسفلها مما يلي باب العمرة . عائفاً : العائف : المتردد حول الماء . الجرهمي : الرسول والوكيل . أنفسهم : أي : صار عندهم نفساً مرغوباً فيه . تركته : التركة بسكون الراء : ولد الإنسان ، وهو في الأصل : بيضة النعام - والتركة : اسم للشيء المتروك .

إسماعيل ، فسأل امرأته عنه ؟ فقالت : خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا ، ثم سأَلها عن عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ ؟ فقالت : نَحْنُ بِشَرٍّ ، نَحْنُ فِي ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ ، فَشَكْتُ إِلَيْهِ ، قَالَ : فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَاقْرَأِي عَلَيْهِ السَّلَامَ ، وَقُولِي لَهُ : يُغَيِّرُ عَتَبَةَ بَابِهِ ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ أَنْسَ شَيْئاً ، فَقَالَ : هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا ، فَسَأَلْنَا عَنْكَ ، فَأَخْبَرْتُهُ ، وَسَأَلَنِي : كَيْفَ عَيْشُنَا ؟ فَأَخْبَرْتُهُ أَنَا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ ، قَالَ : فَهَلْ أَوْصَاكَ بِشَيْءٍ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ ، وَيَقُولَ : غَيَّرَ عَتَبَةَ بَابِكَ ، قَالَ : ذَاكَ أَبِي ، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَفَارِقَكَ ، الْحَقِيقِي بِأَهْلِكَ ، فَطَلَّقَهَا ، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى .

فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ ، فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ ، فَسَأَلَهَا عَنْهُ ؟ فَقَالَتْ : خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا ، قَالَ : كَيْفَ أَنْتُمْ ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ ، فَقَالَتْ : نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ ، وَأَثْنْتُ عَلَى اللَّهِ ، فَقَالَ : مَا طَعَامُكُمْ ؟ قَالَتْ : اللَّحْمُ ، قَالَ : فَمَا شَرَابُكُمْ ؟ قَالَتْ : الْمَاءُ ، قَالَ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ » . وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ « ، قَالَ : فَهَمَا لَا يَخْلُقُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ .

قَالَ : فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَاقْرَأِي عَلَيْهِ السَّلَامَ ، وَمَرِيهِ يَنْبَتُ عَتَبَةَ بَابِهِ ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ : هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ - وَأَثْنْتُ عَلَيْهِ - فَسَأَلَنِي عَنْكَ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَسَأَلَنِي ، كَيْفَ عَيْشُنَا ؟ فَأَخْبَرْتُهُ أَنَا بِخَيْرٍ ، قَالَ : فَأَوْصَاكَ بِشَيْءٍ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُنْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ ، قَالَ : ذَاكَ أَبِي وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ ، أَمَرَنِي أَنْ أُمِسَّكَ .

ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلاً لَهُ تَحْتَ دُوْحَةٍ قَرِيباً مِنْ زَمْرَمَ ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَامَ إِلَيْهِ ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ ، وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا إِسْمَاعِيلُ ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ ، قَالَ : فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ ، قَالَ : وَتُعِينُنِي ؟ قَالَ : وَأُعِينُكَ ، قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُبْنِيَ هَاهُنَا بَيْتاً - وَأَشَارَ إِلَى أَكْمَةِ مُرْتَفَعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا -

يَبْتَغِي لَنَا : يَطْلُبُ لَنَا الرِّزْقَ وَيَسْعَى فِيهِ . اقْرَأِي عَلَيْهِ السَّلَامَ : بَلِّغِيهِ السَّلَامَ . أَنْسَ شَيْئاً : أَبْصَرَ شَيْئاً ، وَأَرَادَ : كَانَ رَأَى أَثَرَ أَبِيهِ وَبَرَكَتَهُ قُدُومِهِ . أَفَارِقَكَ : أَيِ أَطْلُقَكَ . أَكْمَةُ : الْأَكْمَةُ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ . الْقَوَاعِدُ : مَفْرَدُهَا قَاعِدَةٌ ، وَهِيَ أَسَاسُ الْبَيْتِ .

فعند ذلك رَفَعَا القواعدَ مِنَ البيتِ ، فجعلَ إسماعيلُ يأتي بالحجارة ، وإبراهيمُ يبني ، حتى إذا ارتَفَعَ البناءُ جاءَ بهذا الحجرِ فوضَعَهُ لَهُ ، فقامَ عليه وهو يبني ، وإسماعيلُ يُناوِلُهُ الحِجارةَ ، وهما يَقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(١) .

٨ - * روى الحاكم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله - عز وجل - :

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴾ ^(٢) قال : من شيعة نوح إبراهيم على منهاجه وسنته .

﴿ بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾ ^(٣) : شب حتى بلغ سعيه سعي إبراهيم في العمل .

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا ﴾ ^(٤) : ما أمرا به .

﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ^(٥) : وضع وجهه إلى الأرض ، فقال : لا تذبجني وأنت تنظر ، عسى أن ترحني فلا تجهز عليّ ، اربط يدي إلى رقبتني ، ثم ضع وجهي على الأرض ، فلما أدخل يده ليزبجه ، فلم يحك المديّة حتى نودي :

﴿ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾ ^(٦) : فأمسك يده ورفع .

قوله : ﴿ وَقَدْ يُنَادِيهِ بِذُبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(٧) : بكبش عظيم متقبل .

وزعم ابن عباس أن الذبيح إسماعيل .

أقول :

ما قاله ابن عباس يوافق دقائق فهم القرآن من أن الذبيح إسماعيل - عليه السلام - ، ولا

(١) البقرة : ١٢٧ .

٨ - المستدرک (٢ / ٤٣٠) وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .
لا تجهز عليّ : معناه : ترحني فلا تقتلني .

(٢) الصافات : ٨٢ .

(٣) الصافات : ١٠٢ .

(٤) الصافات : ١٠٣ .

(٥) الصافات : ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٦) الصافات : ١٠٧ .

أعلم في تاريخ العالم مثلاً أرقى على الاستسلام لله من هذا المثل ، فلا عجب أن أكرم الله - تبارك وتعالى - إبراهيم وإسماعيل أن جعل من نسلهما محمداً ﷺ أول المسلمين وخاتم المرسلين .

وقد سارع إبراهيم وإسماعيل إلى تحقيق الرؤيا ، لأن رؤيا الأنبياء وحي واجب الطاعة ، وأما رؤيا غير الأنبياء فحلها النظر .

* * *

فائدة في التعريف بالقبائل العربية :^(١)

يحسن بنا ونحن بصدد بعض النصوص التي نتحدث عن نسب رسول الله ﷺ ، أن نتعرف في عجلة سريعة على قبائل العرب ، خاصة العرب المستعربة ، أو العدنانية المنحدرة من صلب إسماعيل ، عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات وأتم التسليمات .

قال المباركفوري في الرحيق المختوم^(٢) :

أقوام العرب قد قسمها المؤرخون إلى ثلاثة أقسام ، بحسب السلالات التي ينحدرون منها :

١ - العرب البائدة : وهم العرب القدامى الذين لم يمكن الحصول على تفاصيل كافية عن تاريخهم ، مثل : عاد ، وثمود ، وطسّم ، وجديس ، وعِمْلَاق ، وسواها .

٢ - العرب العاربة : وهم العرب المنحدرة من صلب يَعْرَبَ بن يَشْجَبَ بن قَحْطَان ، وتسمى بالعرب القحطانية .

٣ - العرب المستعربة وهم العرب المنحدرة من صلب إسماعيل ، وتسمى بالعرب العدنانية . فأما العرب العاربة - وهي شعب قحطان - فهدّها بلاد اليمن ، وقد تشعبت قبائلها

(١) لهذه الفقرة صلة بفصل النسب لأنها تعرفنا على قبائل الشعب العربي وعلى محل قبيلته عليه الصلاة والسلام من هذه القبائل .

(٢) الرحيق المختوم : (٢٠ - ٢٧) .

وبطونها ، فاشتهرت منها قبيلتان :

أ - جَمِير ، وأشهر بطونها : زيد الجمهور ، وقضاة ، والسكاسك .

ب - كَهْلَان : وأشهر بطونها : هَمْدَان ، وَأَنْمَار ، وَطَيِّء ، وَمَذْحِج ، وَكِنْدَةَ ، وَلَحْم ، وَجَذَام ، وَالْأَزْد ، وَالْأَوْس ، وَالْحَزْرَج ، وأولاد جَفْنَةَ ملوك الشام^(١)

وأما العرب المستعربة ، فأصل جدم الأعلى - وهو سيدنا إبراهيم عليه السلام - من بلاد العراق ، من بلدة يقال لها (أور) على الشاطيء الغربي من نهر الفرات ، بالقرب من الكوفة ومعلوم أن إبراهيم - عليه السلام - هاجر منها إلى حاران - أو حران - ، ومنها إلى فلسطين ، فاتخذها قاعدة لدعوته ، وكانت له جولات في أرجاء هذه البلاد وغيرها ، وقدم مرة إلى مصر ، وقد حاول فرعون مصر كيداً وسوءاً بزوجه سارة ، ولكن الله رد كيده في نحره ، وعرف فرعون ما لسارة من الصلة القوية بالله ، حتى أخدمها (هاجر) اعترافاً بفضلها ، وَزَوَّجَهَا سَارَةَ إِبْرَاهِيمَ^(٢) .

ورجع إبراهيم إلى فلسطين ، ورزقه الله من هاجر إسماعيل ، وغارت سارة حتى ألجأت إبراهيم إلى نفي هاجر مع ولدها الصغير - إسماعيل - فقدم بها إلى الحجاز ، وأسكنها بواي غير ذي زرع عند بيت الله المحرم الذي لم يكن إذ ذاك إلا مرتفعاً من الأرض كالرايية والقصة معروفة بطولها^(٣) .

وقد كان إبراهيم يرحل إلى مكة بين آونة وأخرى ليطالع تركته ، ولا يعلم كم كانت هذه الرحلات ، إلا أن المصادر التاريخية حفظت أربعة منها^(٤) .

وقد رزق الله إسماعيل من ابنة مضا (٥) اثني عشر ولداً ذكراً ، وهم : نابت أو

(١) وانظر : المصدر السابق (٢٠ - ٢٢) لتفصيل هذه القبائل وهجراتها .

(٢) انظر : نص الحديث الذي رواه البخاري ومسلم ، لتفصيل قصة هذا الكيد : ص ١٤١ من هذا الفصل .

(٣) انظر : نص الحديث الذي رواه البخاري ، لتطالع تفصيل هذه القصة : ص ١٤٣ إلى ص ١٤٦ .

(٤) انظر : النص السابق والذي بعده ، ففيه تفصيل الرحلات الأربع التي ارتحلها إبراهيم - عليه السلام - إلى مكة .

(٥) وهي الزوجة الثانية التي أمر إبراهيم ولده إسماعيل أن ينبتها ولا يفارقها . راجع الحديث ص ١٤٥ وهي ابنة مضا من قبيلة جرم وسيدم .

بنالوط ، وقيدار ، وأدبائيل ، ومبشام ، ومشاع ، ودوما ، وميشا ، وحدد ، ويطا ، ويطور ، ونقيس ، وقيدمان .

وتشعبت من هؤلاء اثنتا عشرة قبيلة ، سكنت كلها في مكة مدة ، وكانت جُلُ معيشتهم التجارة من بلاد اليمن إلى بلاد الشام ومصر ، ثم انتشرت هذه القبائل في أرجاء الجزيرة بل إلى خارجها ، ثم أدرجت أحوالهم في غياهب الزمان ، إلا أولاد نابت وقيدار .

وازدهرت حضارة الأنباط في شمال الحجاز ، وكونوا حكومة قوية دان لها من بأطرافها ، واتخذوا البتراء عاصمة لهم ، ولم يكن يستطيع مناوأتهم أحد حتى جاء الرومان فقصوا عليهم ، وقد رجح السيد سليمان الندوي بعد البحث الأنيق والتحقيق الدقيق أن ملوك آل غسان وكذا الأنصار من الأوس والخزرج لم يكونوا من آل قحطان ، وإنما كانوا من آل نابت بن إسماعيل ، وبقاياهم في تلك الديار .

وأما قيدار بن إسماعيل فلم يزل أبناؤه بمكة يتناسلون هناك حتى كان منه عدنان وولده معد ، ومنه حفظت العرب العدنانية أنسابها ، وعدنان هو الجد الحادي والعشرون في سلسلة النسب النبوي ، وقد ورد أنه ﷺ كان إذا انتسب فبلغ عدنان يمك ويقول : « كذب النسابون » فلا يتجاوزه . وذهب جمع من العلماء إلى جواز رفع النسب فوق عدنان ، مضعين للحديث المشار إليه ، وقالوا : إن بين عدنان وبين إبراهيم - عليه السلام - أربعين أبا بالتحقيق الدقيق .

وقد تفرقت بطون معد من ولده نزار - قيل : لم يكن لمعد ولد غيره - فكان لنزار أربعة أولاد ، تشعبت منهم أربعة قبائل عظيمة : إياد وأنمار وربيعة ومضر ، وهذان الأخيران هما اللذان كثرت بطونهما واتسعت أفخاذهما ، فكان من ربيعة : أسد بن ربيعة ، وعنزة ، وعبد القيس ، وأبنا وائل - بكر وتغلب - ، وحنيفة ، وغيرها . وتشعبت قبائل مضر إلى شعبتين عظيمتين : قيس عيلان بن مضر ، وبطون إلياس بن مضر ، فمن قيس عيلان : بنو سليم ، وبنو هوازن ، وبنو غطفان . ومن غطفان : عبس وذبيان وأشجع وغني بن أعصر . ومن إلياس بن مضر : تميم بن مرة ، وهذيل بن مدركة ، وبنو أسد بن خزيمه ، وبطون كنانة بن خزيمه .

ومن كنانة قريش ، وهم أولاد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، وانقسمت قريش إلى قبائل شتى ، من أشهرها : جمح وسهم وعدي ومخزوم وتيم وزهرة ، وبطون قصي بن كلاب وهي عبد الدار بن قصي وأسد بن عبد العزى بن قصي وعبد مناف بن قصي .

وكان من عبد مناف أربع فصائل : عبد شمس ، ونوفل ، والمطلب ، وهاشم . ويبت هاشم هو الذي اصطفى الله - تعالى - منه سيدنا محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم عليه السلام (١) .

ولما تكاثروا أولاد عدنان تفرقوا في أنحاء شتى من بلاد العرب ، متبعين مواقع القطر ومنابت ... (٢) .

وبقي بتهامة بطون كنانة ، وأقام بمكة وضواحيها بطون قريش ، وكانوا متفرقين لا تجمعهم جامعة حتى نبغ فيهم قصي بن كلاب ، فجمعهم ، وكون لهم وحدة شرفتهم ورفعت من أقدارهم .

* * *

(١) ذلك مصداقه ما رواه واثلة بن الأسقع والعباس بن عبد المطلب - رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم . راجع : ص ١٣٨ من هذا الفصل .

(٢) ولتفصيل ذلك ، راجع : الرحيق المختوم ص ٢٦ ، ٢٧ .

فصل : في بعض البشارات بنبينا ﷺ

بشارات في الكتب السابقة :

٩ - * روى البخاري عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهم - : أن هذه الآية التي في القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ ^(١) قال في التوراة : يا أيها النبي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَحُزْناً لِلْأُمِّيِّينَ ، أنت عبيدي ورسولي ، مَمِّيتُكَ الْمُتَوَكِّلَ ، لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ ، وَلَا سَخَابٍ بِالْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يَقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ ، بَأَنْ يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَيَفْتَحَ بِهِ أَغْنِئاً عَمِيّاً ، وَأَذَاناً صَمّاً ، وَقُلُوباً غُلْفاً .

١٠ - * روى الإمام أحمد عن العرياض بن سارية قال : قال رسول الله ﷺ : « إني عند الله لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأنبئكم بتأويل ذلك ، دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أمي التي رأت ، خرج منها نور ، أضاءت له قصور الشام ، وكذلك أمهات النبيين يرين » .

١١ - * روى الطبراني عن أبي مریم رضي الله عنه قال : أقبل أعرابي حتى أتى النبي ﷺ ، وعنده خلق من الناس ، فقال : ألا تعطيني شيئاً أتعلمه وأحمله وينفعني ولا يضرک ؟

٩ - البخاري (٨ / ٥٨٥) - ٦٥ - كتاب التفسير - ٢ - باب ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ .

حزناً : أصل الحز هو الوعاء الحصين الذي يحفظ فيه الشيء . الأميون : جمع الأمي ، وهم العرب ، وذلك أنهم لا يحسنون الكتابة ، والذي لا يكتب يقال له : أمي . فظ : اللفظ القاسي القلب ، الغليظ الجانب . سَخَاب : السخب بالسين والصاد : الصياح والجلبة ، أي : ليس من ينافس في الدنيا وجمعها ، فيحصر الأسواق لذلك . بالسبيئة : لا يقابل الإساءة والشر بالمثل . أَذَاناً صَمّاً : لا تسمع ، أو أعرض أصحابها عن السماع . الغُلْف : جمع أغلف ، وهو الذي عليه غلاف .

(١) الأحزاب : ٤٥ .

١٠ - أحمد في مسنده (٤ / ١٢٧) وكشف الأستار (٢ / ١١٣) وللحاكم قريب منه ، وقد حسنه بعضهم .

منجدل في طينته : أي ملقى على الجذالة وهي الأرض .

١١ - المعجم الكبير (٢٢ / ٣٣٣) ورباله وثقوا ، وهو حسن .

فقال الناس : مه ، اجلس .

فقال النبي ﷺ : « دعوه ، فإنما يسأل الرجل ليعلم » .

فأفروا له حتى جلس .

فقال : أي شيء كان أول نبوتك ؟

قال : « أخذ الله الميثاق كما أخذ من النبيين ميثاقهم ، ثم تلا : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ ^(١) وبشر بي المسيح ابن مريم .

ورأت أم رسول الله ﷺ في منامها أنه خرج من بين رجلها سراج أضاءت له قصور الشام » .

فقال الأعرابي : هاه ، وأدنى منه رأسه ، وكان في سمعه شيء .

فقال النبي ﷺ : ووراء ذلك » .

قصة تدل على أن الراسخين في العلم من أهل الكتاب كانوا يعرفون علامات في شأنه :

١٢ - * روى ابن سعد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : سكن يهودي بمكة يبيع بها تجارات ، فلما كان ليلة ولد رسول الله ﷺ ، قال في مجلس من مجالس قريش : هل كان فيكم من مولود هذه الليلة ؟ قالوا : لا نعلمه ، قال : أخطأت والله حيث كنت أكره ، انظروا يامعشر قريش ، واحصوا ما أقول لكم : وَلِدَ الليلة نبي هذه الأمة أحد الآخر . فإن

مه : اسكت .

سراج : هو المصباح الزاهر . هاه : بمعنى : ماذا تقول ؟ ووراء ذلك : أي وراء قصور الشام من البلاد .

(١) الأحزاب : ٤٥ .

١٢ - أخرجه ابن سعد ، قال : أخبرنا علي بن محمد عن أبي عبيدة بن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر

وغيره عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، به . (الطبقات الكبرى : ١ / ١٦٢ - ١٦٣) .

الآخر : الخاتم . يبرز أحبارهم : أي يغلبهم ويدحرهم ويبطل باطلهم . والبرز : الغلبة . ليسطون بكم : ليطشون بكم وليقهرونكم .

أخطأكم بفلسطين ، به شامة بين كتفيه سوداء صفراء ، فيها شعرات متواترات ، فتصدع القوم من مجالسهم وهم يعجبون من حديثه ، فلما صاروا في منازلهم ذكروا لأهاليهم ، فقيل لبعضهم : وَلَيْدَ لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام فسماه محمداً ، فالتقوا بعد من يومهم فأتوا اليهودي في منزله فقالوا : أعلمت أنه ولد فينا مولود ؟ قال : أبعد خبري أم قبله ؟ قالوا : قبله واسمه أحد ، قال : فاذهبوا بنا إليه ، فخرجوا معه حتى دخلوا علي أمه ، فأخرجته إليهم ، فرأى الشامة في ظهره ، فغشي على اليهودي ثم أفاق ، فقالوا : ويلك ! مالك ؟ قال : ذهبت النبوة من بني إسرائيل ، وخرج الكتاب من أيديهم ، وهذا مكتوب يقتلهم وَيَبْزُ أَحْبَارُهُمْ ، فازت العرب بالنبوة ، أفرحتم يامعشر قريش ؟ أما والله لَيْسَطُونُ بكم سَطَوَةٌ يخرج نبؤها من المشرق إلى المغرب .

تعليق :

تحدث العقاد في كتابه (مطلع النور) عن كتاب بعنوان (محمد في الأسفار الدينية العالمية) لمؤلفه (عبد الحق فديبارتي) وتقل منه نقولاً واضحة الدلالة على أن محمداً ﷺ مذكور في كتب العهدين القديم والجديد ، ومذكور في كتب الهند الدينية السامافيدا وغيرها ، وفي كتب الديانة الفارسية القديمة المنسوبة لزرادشت .

وقد تقلنا في كتابنا (الرسول ﷺ) الكثير من هذه النقول ، سواء ما كان منها موجوداً في هذا الكتاب أو في غيره ، ومن تتبع هذا الأمر في مصادره ، ومن تأمل النصوص والحوادث والأحداث يجد أن الأمر كان على غاية الوضوح عند أصحاب الديانات أن رسولاً عربياً اسمه محمد ﷺ سيبعث .

وقد ذكرنا الحديث الأخير هنا ليعلم أنه كان عند أهل الكتاب علامات كثيرة يتعرفون بها على الحدث الجلل والنبأ العظيم ، نبأ الرسالة الخاتمة ، وهذا معنى سيتأكد لك مرة بعد مرة .

أقول :

وقد أشارت الأحاديث إلى التمهيدات الكبرى التي قدمت لبعثته ونبوته ﷺ . ولقد اختير لرسول الله ﷺ الزمان والمكان والنسب والبيئة ، كما اختيرت له حتى الأسماء ، فكان في ذلك توفيق على توفيق ، وذلك من أعلام نبوته ﷺ .

وفي قصة بحيرا شاهد على أنه عليه الصلاة والسلام مبشر به :

١٣ - * روى الترمذي عن أبي موسى الأشعري قال : خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ ، وَخَرَجَ مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَشْيَاخٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الرَّاهِبِ هَبَطَ فَحَلَّوْا رِحَالَهُمْ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ فَلَا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُ .

قال : فَهُمْ يَحْلُونَ رِحَالَهُمْ ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ ، حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِسِدِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قال : هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، يَبْعَثُهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ : مَا عَلِمُكَ ؟

فَقَالَ : إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ الْعَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا وَلَا يَسْجُدَانِ إِلَّا لِنَبِيِّ ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النَّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غَضُوفٍ كَتِفِهِ مِثْلَ التُّفَاحَةِ .

ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ فَكَانَ هُوَ فِي رِغْيَةِ الْإِبِلِ فَقَالَ : أُرْسِلُوا إِلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ غَمَامَةٌ تَطْلُغُ ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْقَوْمِ وَجَدَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَى فِيءِ الشَّجَرَةِ ، فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ فِيءِ الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : انظُرُوا إِلَى فِيءِ الشَّجَرَةِ مَا لَ عَلَيْهِ .

قال : فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يُنَاشِدُهُمْ أَنْ لَا يَنْدَهُبُوا بِهِ إِلَى الرُّومِ ، فَإِنَّ الرُّومَ إِنْ رَأَوْهُ عَرَفُوهُ بِالصِّفَةِ فَيَقْتُلُونَهُ ، فَالْتَفَتَ فَإِذَا بِسَبْعَةٍ قَدْ أَقْبَلُوا مِنَ الرُّومِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ فَقَالَ : مَا جَاءَ بِكُمْ ؟ قَالُوا : جِئْنَا أَنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ ، فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلَّا بَعِثَ إِلَيْهِ بِأَنَاسٍ وَإِنَّا قَدْ أَخْبَرْنَا خَبْرَةَ بَعْثَتْنَا إِلَى طَرِيقِكَ هَذَا ، فَقَالَ : هَلْ خَلَفَكُمْ أَحَدٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ ؟ قَالُوا : إِنَّا اخْتَرْنَا خَيْرَ لَكَ بِطَرِيقِكَ هَذَا .

١٣ - الترمذي : (٥ / ٥١٠) - ٥٠ - كتاب المناقب - ١ - باب ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ . قال أبو عيسى : حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه : وقد رواه البزار بنحوه .
وقد أقر الترمذي على تحسينه ، لكن العلماء قالوا : ذَكَرَ بِلَالٌ فِيهِ غَيْرُ مَحْفُوظٍ ، وَغَدَهُ الْأُمَّةُ وَهِيَ ، فَإِنَّ سَبْنَ النَّبِيِّ إِذَا ذَاكَ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً ، وَأَبُو بَكْرٍ أَصْفَرُ مِنْهُ بِسِتِينَ ، وَبِلَالٌ لَعْلُهُ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ .
وفي رواية البزار : « وَأُرْسِلَ مَعَهُ عَشْرَةُ رِجَالٍ » ، وَلَعْلَ ذَكَرَ أَبِي بَكْرٍ وَبِلَالٌ مَدْرَجٌ فِي الْحَدِيثِ ، وَوَمِمَّنْ مِنْ أَحَدِ الرِّوَاةِ ، فَإِذَا انْتَهَى هَذَا الْإِشْكَالُ فَقَدْ صَحَّ الْحَدِيثُ أَكْثَرَ مِنْ مَحْدَثٍ .
أَشْرَفُوا : اقْتَرَبُوا . حَلَّوْا رِحَالَهُمْ : كَنَابَةُ عَنِ التَّوَقُّفِ عَنِ الْمَسِيرِ وَالِاسْتِرَاحَةِ ، وَإِنْزَالُ حَوَائِجِ الْإِسْتِرَاحَةِ عَنِ الرِّوَاكِلِ وَهِيَ الْإِبِلُ . غَضُوفٍ كَتِفُهُ : رَأْسُ لَوْحَةِ الْكَتِفِ .

قالَ : أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَهُ ، هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدُّهُ ؟ قَالُوا : لَا .
 قالَ : فَتَبَايَعُوا مَعَهُ قالَ : أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ ؟ قَالُوا : أَبُو طَالِبٍ ، فلم يَزَلْ
 يَنْشِدُهُ حَتَّى رَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ وَبَعَثَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بِلَالًا ، وزُوْدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ الْكَمَكِ
 وَالزَّيْتِ .

فائدة حول موضوع الكشف للأولياء :

تحدثنا في كتابنا (تربيته الروحية) عما يسمّى في اصطلاح العلماء بالكشف ، وذكرنا
 هناك أدلة وجوده وإمكانية وقوعه ، وههنا نقول :

إنّ الكشف في حق الأنبياء معجزة ، وهو في حق الأولياء كرامة ، فقد يُكشف للنبي
 من أمر الغيب ، وقد يكشف للنبي الشيء ولا يُكشف لمن هم معه ، وذلك يمكن أن يكون
 لأولياء هذه الأمة ، ومن سياق قصة الراهب بحيرا نعلم أنه من بقايا أهل الكتاب الذين
 حافظوا على ديانة المسيح تقية ، ومن ثم فإنّ تعليلنا لبعض ماورد فيها أنه كشف كوشف به
 الراهب بحيرا ، فلقد كوشف بأمر محمد ﷺ ، وكوشف بسجود الشجر والحجر له عليه الصلاة
 والسلام .

* * *

فصل : في الميلاد

متى ولد رسول الله ﷺ ؟

١٤ - * روى الحاكم عن أبي قتادة : أن أعرابياً سأل النبي ﷺ عن صوم يوم الإثنين فقال : « إن ذلك اليوم الذي وُلِدْتُ فيه وأنزِلَ عليّ فيه » .

١٥ - * روى الترمذي عن قيس بن غزوة قال : وُلِدْتُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفِيلِ ، وسأل عثمان بن عفان قُبَاثَ بْنَ أَشِيمَ أَخَا بَنِي تَعْمَرِ بْنِ لَيْثٍ : أَلَأَنْتَ أَكْبَرُ أَمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ فقال : رسولُ الله ﷺ أَكْبَرُ مِنِّي ، وَأَنَا أَقْدَمُ مِنِّهِ فِي الْمِيلَادِ ، قال : ورأيت حَذَقَ الطَّيْرِ أَخْضَرَ مَحِيلاً .

١٦ - روى الطبراني عن قيس بن مخرمة قال : وُلِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الْفِيلِ ، وبين الفجار والفيل عشرون سنة ، وبين الفجار وبناء الكعبة خمس عشرة سنة ، وبين بناء الكعبة ومبعثه ﷺ خمس سنين ، فُبِعْثَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ .

فائدة :

قال الشيخ الغزالي في فقه السيرة :

كانت حرب الفجار بالنسبة إلى قريش دفاعاً عن قداسة الأشهر الحرم ، ومكانة أرض الحرم ، وهذه الشعائر بقية مما احترمه العرب من دين إبراهيم ، وكان احترامها مصدر نفع

١٤ - للمستدرك (٢ / ٦٠٢) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .
١٥ - الترمذي (٥ / ٥٨٩) ٥٠ - كتاب المناقب - ٢ - باب ما جاء في ميلاد النبي ﷺ . وقال : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق .

حَذَقَ الطَّيْرِ : الحَفِظَ وَالذَّقَّ وَالخُزَّ ، كلها بمعنى واحد ، وهو العَنَزَةُ ، أي : براز الطائر . وقد قيل : إن المراد هنا الفيل لا الطير ، وهو يعني أن الراوي رأى براز الفيل أخضر محيلاً ، أي : بالياً قد دثر ، وذلك لأن ميلاد النبي ﷺ عام الفيل ، وهو أسن من النبي ﷺ ، كما ذكر وعمل ذلك بأنه رأى حَذَقَ الطَّيْرِ أو الفيل . ولأن رواية « حَذَقَ الطَّيْرِ » صحيحة ، فلعله أراد الطير التي أرسلها الله على أصحاب الفيل ، ترميمهم بحجارة من سجيل ، وذلك صحيح أيضاً .

١٦ - قال في مجمع الزوائد (٨ / ٢٥٧) : رواه الطبراني ، وفيه جعفر بن مهران السبكي ، وقد وثق وفيه كلام ، وبقية رجاله ثقات .

الفجار : اسم للحروب التي اندلعت في الجاهلية في الأشهر الحرم .

كبير لهم ، وضماناً لانتظام مصالحهم وهدوء عداوتهم . كان الرجل يلقي قاتل أبيه خلاها فيحجزه عن إدراك ثأره شعوره بهذه الحرمات .

ولكن أهل الجاهلية ما لبثوا أن ابتلوا بمن استباحها ، فظلموا أنفسهم فيها ، وكانت حرب الفجار من آثار هذه الاستباحة الجائرة ، وليس هنا تفصيل خبرها ، وقد ظلت أربعة أعوام كان عُمَرُ (محمد ﷺ) في أثنائها بين الخمسة عشرة والتسعة عشر ، قيل : قاتل فيها بنفسه . وقيل : بل أعان المقاتلين .

أقول :

اختير له - عليه الصلاة والسلام - في جملة ما اختير له عام الميلاد ، فكان ميلاده في عام الفيل ، وهو العام الذي وقع فيه أعظم حدث في تاريخ الجزيرة العربية وقتذاك ، مما مكن لقريش ولكعبتها .

* * *

ولد يتيماً ﷺ :

١٧ - * روى الحاكم عن قيس بن مخزومة أنه ذكر ولادة رسول الله ﷺ ، فقال : تُوْفِيَ أبوه وأمه حُبْلَى به .

أقول :

يذكر أهل السير أن أباه توفي في المدينة وأمه حُبْلَى به ، وأن أمه توفيت بعد زيارة لقبر زوجها ، وهو - عليه الصلاة والسلام - في السنة السادسة من عمره ، ودفنت بالأبواء ، وتوفي جدّه عبد المطلب بعد السنة الثامنة من مولده فانتقل إلى كفالة عمّه أبي طالب الذي كان فقيراً .

١٧ - المستدرك (٢ / ٦٠٥) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

تعليق حول الحكمة من هذا اليتيم وذاك الفقير :

يقول الدكتور سعيد رمضان البوطي في كتابه فقه السيرة :

لقد اختار الله عز وجل لنبيه هذه النشأة لحكم باهرة ، لعل من أهمها أن لا يكون للمبطلين سبيل إلى إدخال الريبة القلوب ، أو إيهام للناس بأن محمداً ﷺ إنما رضع لبنان دعوته ورسالته التي نادى بها منذ صباه ، بإرشاد وتوجيه من أبيه وجده ، ولم لا ؟ وإن جده عبد المطلب كان صدرأ في قومه ، فلقد كانت إليه الرفاة ^(١) والسقاية .

ومن الطبيعي أن يرَبِّي الجد حفيده أو الأب ابنه على ما يحفظ لديه هذا الميراث .

لقد شاءت حكمة الله - عز وجل - أن لا يكون للمبطلين من سبيل إلى مثل هذه الريبة ، فنشأ رسوله بعيداً عن تربية أبيه وأمه وجده ، وحتى فترة طفولته الأولى ، فقد أرادت حكمة الله عز وجل أن يقضيها في بادية بني سعد بعيداً عن أسرته كلها ، ولما توفي جده وانتقل إلى كفالة عمه أبي طالب الذي امتدت حياته إلى ما قبل الهجرة بثلاث سنوات كان من تمة هذه الحكمة أن لا يسلم عنه . حتى لا يتوهم أن لعنه مدخلاً في دعوته ، وأن المسألة مسألة قبيلة وأسرة وزعامة ومنصب .

وهكذا أرادت حكمة الله أن ينشأ رسوله يتيماً ، تتولاه عناية الله وحدها ، بعيداً عن الذراع التي تمعن في تدليله ، والمال الذي يزيد في تنعيمه ، حتى لا تميل به نفسه إلى مجد المال والجاه ، وحتى لا يتأثر بما حوله من معنى الصدارة والزعامة ، فتلتبس على الناس قداسة النبوة بجاه الدنيا ، وحتى لا يحسبوه يصطنع الأول ابتغاء الوصول إلى الثاني .

* * *

(١) الرفاة : شيء كانت قریش تترافد به في الجاهلية ، أي : تتعاون به ، فيخرج كل إنسان بقدر طاقته فيجمعون مالا عظيماً ، فيشترون به طعاماً وزيباً ونبيئاً ، ويطعمون الناس ويسقونهم أيام موسم الحج حتى ينقضي .

فصل : في أسمائه ﷺ

١٨ - * روى البخاري عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

« لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب » ، والعاقب الذي : ليس بعده نبي . وقد سماه الله رؤوفاً رحيماً .

١٩ - * روى مسلم عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله ﷺ يُسَمِّي لنا نفسه أسماء فقال :

« أنا محمد ، وأحمد ، والمقفي ، والحاشر ، ونبي التوبة ، ونبي الرحمة » وفي رواية ^(١) « نبي الملاحم » ، وفي أخرى ^(٢) : « وإذا كان يوم القيامة كنت إمام المرسلين ، وصاحب شفاعتهم » .

٢٠ - * روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

« ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم ؟ يشتمون مُذَمِّماً ، ويلعنون مُذَمِّماً ، وأنا محمد » .

١٨ - البخاري : (٦ / ٥٥٤) ٦١ - كتاب المناقب - ١٧ - باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ .

ومسلم : (٤ / ١٨٢٨) ٤٢ - كتاب الفضائل - ٣٤ - باب في أسمائه ﷺ ، وزاد فيه : « وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد » .

١٩ - أخرجه مسلم : (٤ / ١٨٢٨) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٣٤ - باب في أسمائه ﷺ .

٢٠ - البخاري : (٦ / ٥٥٤) ٦١ - كتاب المناقب - ١٧ - باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ .

والنسائي : (٦ / ١٥٩) - كتاب الطلاق - باب الإبانة والإفصاح بالكلمة الملقب بها إذا قصد بها لا لا يحتل معناها لم توجب شيئاً ولم تثبت حكماً .

(١) هذه الرواية عند أحمد في مسنده (٤ / ٣٩٥) .

(٢) هذه الرواية عند الطبراني في الكبير والأوسط عن جابر .

تعليق :

أسماءه ﷺ مشتقة من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال .
 فحمد : اسم مفعول ، مشتق من الفعل المضاعف حَمَدَ ، فهو ﷺ يستجلب الحمد من
 الناس بصفاته وأقواله وأفعاله ، وهو محل الحمد ، ومن ههنا فهو محمد .
 وأحد : اسم على زنة أفعل التفضيل ، مشتق - أيضاً - من الحمد ، فهو ﷺ أكثر خلق
 الله حمداً لله ، فمن ههنا كان أحمد .
 والحاشر الذي يحشر الناس على قدمه : بمعنى أنه ﷺ أول من يُحْشَر من الخلق ، ثم
 يحشر الناس على قدمه ، أي : على أثره ، وقيل : أراد ﷺ عهده وزمانه ، يقال : كان
 ذلك على رجل فلان وعلى قدم فلان ، أي : في عهده .
 والمقفي : الذاهب المؤلّي ، لأنه ﷺ آخر الأنبياء ، وإذا قُفِيَ فلا نبي بعده . وقيل :
 المقفي المتّبع ، أراد أنه متّبع النبيين .
 ونبي الملاحم : الملاحم جمع ملحمة وهي من التلاحم في الحرب ، أي : التقاء اللحم
 باللحم ، أو التقاء السيف باللحم . وفي وصفه ﷺ لنفسه بأنه نبي الملاحم إشارة إلى المعارك
 الكبرى التي خاضتها أمته والتي ستخوضها ، كما أنه يمكن أن يكون فيها إشارة إلى أن عهد
 نبوته الممتد إلى قيام الساعة ستكون فيه معارك ضخمة ، وعلى هذا الفهم فالحربان العالميتان
 الأولى والثانية من جملة الملاحم .

* * *

٢١ - * روى الحاكم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال :

« أنا أبو القاسم ، الله يعطي ، وأنا أقسم » .

٢١ - المستدرك (٢ / ٦٠٤) وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبي . وأخرج الطبراني
 نحو ذلك في حديث صحيح .

أقول :

يفيد الحديث أن من مهماته عليه السلام القسمة ، والقسمة تقتضي عدلاً ، ولذلك كان عليه السلام يقبل على أصحابه إقبالاً واحداً في التربية والتعليم والتوجيه ، حتى ليكاد يظن كل واحد من أصحابه أنه أحب إليه مما سواه ثم إن كل إنسان يأخذ على قدر استعدادده ، وذلك هو العطاء الرباني .

وفي هذا الباب أدب للدعاة أن يقبلوا على المريدين إقبالاً واحداً ، كما أن في ذلك درساً للذين يزهدون في بعض المريدين فمن يدري فقد يكون المزهود فيه خيراً من كثير من المرغوب فيهم ، وفي سورة (عبس) درس .

* * *

ما جاء عن رضاعه وتنشئته في البادية :

٢٢ - * روى أبو يعلى عن حليمة بنت الحارث - أم رسول الله صلى الله عليه وسلم السُّعْدِيَّة التي أرضعته - قالت : خرجت في نسوة من بني سعد بن بكر نلتبس الرُّضْعَاء بمكة على أتانٍ لي قراء قد أَدَمَّتْ بِالرَّكْب . قالت : وخرجنا في سنة شَهْبَاء لم تُبْقِ لَنَا شَيْئاً ، ومعِي زوجي الحارث بن عبد العزى . قالت : ومعنا شَارِفٌ لَنَا وَاللَّهِ إِنْ يَبِضُّ عَلَيْنَا بِقَطْرَةٍ مِنْ لَبَنٍ ، ومعِي صبي لي ، إِنْ نَنَامَ لَيْلَتَنَا مَعَ بَكَائِهِ ، مَا فِي ثَدْيِي مَا يَمُصُّهُ ، وَمَا فِي شَارِفِنَا مِنْ لَبَنٍ نَغْذُوهُ ، إِلَّا أَنَا

٢٢ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٢١) : رواه أبو يعلى ، والطبراني بنحوه ، إلا أنه قال : حليمة بنت أبي ذؤيب ، ورجالها ثقات .

الأتان : أنثى الحمار ، وجمعها : أَتْنٌ ، وَأَتْنٌ . قراء : أي صاحبة لون قريب إلى الحضرة ، أو بياض فيه كدرة . أَدَمَّتْ الركب : حبستهم لضعفها وانقطاع سيرها . سنة شهباء : لا خضرة فيها أو لا قطر . شارف : الشارف من السهام العتيق القديم ، ومن النوق المسنة الهرمة . تبض : تبض الماء يبيض بوضاً وبضوضاً ، سأل قليلاً قليلاً . نغذوه : أي نغذيه . رواء : من الري وهو ضد العطش . كَفِّي عَلَيْنَا : بمعنى انتظرينا . الحاضر : الحاضر والحضارة خلاف البادية ، والحضارة الإقامة في الحضر ، أي المدينة أو القرية التي يقيم الناس فيها إقامة دائمة دوناً ترحال . بطاناً : أي أن بطونها ملأت من الشبع ، لبناً : حافلة باللبن ، حفلاً : تمتلأت الضروع باللبن . الشُعب : الطريق بين حلين . غلام جفر : استجفر الصبي ، بمعنى : قوي على الأكل . ونحن أضن بشأنه : أصل الضن البخل ، والمعنى هنا : أننا نحرس على أنه يبقى معنا . يرعيان بُهْمًا : مفردها بهمة ، وهي صغار الضأن . جاء أخوه يشتد : أي : جاء يعدو ، والشُد : العدو . شَهَابٌ : شعلة من نار ساطعة .

نرجو . فلما قَدِمنا مكة لم يبق منا امرأة إلا عَرِضَ عليها رسولُ الله ﷺ فتأباه ، وإنما كنّا نرجو كرامة رضاعه من والد المولود ، وكان يتيمًا ، فكنا نقول ، ما عسى أن تصنع أمّه . حق لم يبقَ من صَوَاحِيي امرأة إلا أخذت صبيًّا غيري ، وكَرِهْتُ أن أرجع ولم آخذ شيئاً وقد أخذ صواحي فقلت لزوجي : والله لأرجعنَّ إلى ذلك فلاخُذْنَه .

قالت : فأتيته فأخذته فرجَعْتُهُ إلى رَحْلي ، فقال زوجي : قد أخذتيه ؟ فقلت : نعم ، والله ذاك أني لم أجِدْ غيره . فقال : قد أَصَبْتُ ، فعسى الله أن يجعل فيه خيراً . فقالت : والله ما هو إلا أن حملته في حجرِي ، قالت : فأقبل عليه ثديي بما شاء من اللبن . قالت : فَشَرِبَ حتى رَوِيَ ، وَشَرِبَهُ أخوه - تعني ابنها - حتى روي ، وقام زوجي إلى شاربنا من الليل فإذا هي حامل ، فَحَلَبْتُ لنا ما شئنا ، فَشَرِبَ حتى روي ، قالت : وشربت حتى رَوَيْت ، فَبَيْتُنا ليلتنا تلك بخير شَبَاعاً رِواءً ، وقد نام صبيُّنا . قالت يقول أبوه - يعني زوجها - : والله يا حلِمة ما أراك إلا أَصَبْتُ نِسْمةً مباركةً ، قد نام صبينا وروي . قالت : ثم خرجنا فوالله لَحَرَجْتُ أَتاني أمام الرِّكَبِ قد قَطَعْتُهُ ، حتى ما يبلُغُونها ، حتى أنهم ليقولون : وَيُحَاك يا بنت الحارث كُفِّي علينا : أليست هذه بأثانك التي خرجت عليها ، فأقول : بلى والله ، وهي قَدَامُنا حتى قَدِمنا منازلنا من حاضر بني سعدِ بن بكرِ .

فقدِمنا على أجذبِ أرضِ الله فوالذي نفسُ حلِمةٍ بيده إن كانوا ليسرحون أغنامهم إذا أصبحوا ويسرح راعي غنمي ، فتروح غنمي بطاناً لبناً حَفلاً ، وتروح أغنامهم جِياعاً هالكةً ما بها من لبن . قال : فشربنا ما شئنا من لبن ، وما في الحاضر أحد يحلب قَطْرة ولا يجدها . فيقولون لرعاتهم : ويلكم ألا تَسْرَحون حيث يسرح راعي حلِمة . فيسرحون في الشَّعْبِ الذي يسرح فيه راعيُنا .

قالت : وكان ﷺ يَشِبُّ في اليوم شباب الصبي في شهر ، ويشب في الشهر شباب الصبي في سنة ، فبلغ ستاً وهو غلام جَفُرٌ . قالت : قدِمنا أمه فقلنا لها ، وقال لها أبوه : رَدُوا علينا ابني فلنرجع به ، فإننا نخشى عليه وباء مكة . قلت : ونحن أضنُّ بشأنه لما رأينا من بركته قالت : فلم نَزَلْ بها حتى قالت : ارجعنا به فرجعنا به .

فكثرت عندنا شهرين قالت : فَبَيْتُنا هو يلعب وأخوه يوماً خلف البيوت يَرْعِيان بهُما

لنا ، إذ جاءنا أخوه يَشْتَدُّ ، فقال لي ولأبيه ، أدركا أخي القرشي ، قد جاءه رجلان فأضجماه ، فشَقَّا بطنه . فخرَجْنَا نحوه نَشْتَدُّ ، فانتهينا إليه وهو قائم مُنْتَبِعٌ لونه فاعتنقَه أبوه واعتنقته ، ثم قلنا : مالك أي بُني ؟ قال : أتاني رجلان عليهما ثيابٌ بياض فأضجعاني ، ثم شَقَّا بطني ، فوالله ما أدري ما صنعا . قالت : فاحتملناه فرجعنا به . قالت يقول أبوه : والله يا حليّة ما أرى هذا الغلام إلا قد أُصيبَ ، فانطَلقي فلنرّه إلى أهله قبل أن يظهر به ما تتخوّف عليه . قالت فقلت : لا والله إنا كفّفناه وأدّينا الحق الذي يَجِبُ علينا فيه . ثم تخوّفتُ الأحداث عليه . فقلت : يكون في أهله . قالت فقالت أمه : والله ما ذاك بكما ، فأخبراني خبرَكُما وخبره ، قالت : فوالله ما زالت بنا حتى أخبرناها خبره . قالت : فتخوّفتُا عليه ، كلا والله إن لابني هذا لشأنا ، ألا أخبرَكَا عنه ، إني حَمَلْتُ به فلم أرَ حلاً قطُّ كان أخفّ ولا أعظمَ بركةً منه ، ثم رأيت نوراً كأنه شهاب خرج من حين وضعته أضاءت لي أعناق الإبل ببُصرى ، ثم وضعته فإِذَا وقع كما تقع الصبيان ، وقع واضعاً يده بالأرض رافعاً رأسه إلى السماء . دَعَاهُ والحقا بشأنِكَا .

فائدة حول تنشئته ﷺ في البادية :

قال الشيخ الغزالي في كتابه فقه السيرة :

وتنشئة الأولاد في البادية ، ليرحوا في كنف الطبيعة ، ويستمتعوا بجوها الطلق وشعاعها المرسل ، أدني إلى تزكية الفطرة وإغناء الأعضاء والمشاعر ، وإطلاق الأفكار والعواطف .

إنها لتعاسة أن يعيش أولادنا في شقق ضيقة من بيوت متلاصقة كأنها علب أغلقت على من فيها ، وحرمتهم لذة التنفس العميق والهواء المنعش .

ولا شك أن اضطراب الأعصاب الذي قارن الحضارة الحديثة يعود - فيما يعود إليه - إلى البعد عن الطبيعة ، والإغراق في التصنع . ونحن نقدر لأهل مكة اتجاههم إلى البادية لتكون عرصاتها الفساح مدارج طفولتهم . وكثير من علماء التربية يود لو تكون الطبيعة هي المعهد الأول للطفل حتي تتسق مداركه مع حقائق الكون الذي وجد فيه ، ويبدو أن هذا حُلْمٌ غيّر التحقيق . أهـ .

فصل : في شق صدر النبي ﷺ وتكرار هذه الحادثة

* سبق ذكر ما ورد عن حلقة السعدية في مسألة شق الصدر ، في الفصل السابق .

٢٣ - * روى الحاكم عن عتبة بن عبد السلمي أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كيف كان أول شأنك يا رسول الله ؟ قال : « كَانَتْ حَاضِنَتِي مِنْ بَنِي سَعْدِ ابْنِ بَكْرٍ ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَابْنُ لَهَا فِي بَهْمٍ لَنَا ، وَلَمْ نَأْخُذْ مَعَنَا زَاداً فَقُلْتُ : يَا أَخِي أَذْهَبُ فَأَتِيَا بِزَادٍ مِنْ عِنْدِ أُمِّنَا فَانْطَلَقَ أَخِي ، وَكُنْتُ عِنْدَ الْبَهْمِ ، فَأَقْبَلَ طَيْرَانِ أَيْضَانِ كَأَنَّهَا نِسْرَانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : أَهْوَهُو ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَأَقْبَلَا يَتَبَدَّرَانِي فَأَخَذَانِي فَبَطَحَانِي لِلْقَفَاءِ ، فَشَقَّ بَطْنِي ، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا قَلْبِي فَشَقَّاهُ ، فَأَخْرَجَا مِنْهُ عِلْقَتَيْنِ سَوْدَاوَيْنِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : حِصَّةٌ - يَعْنِي خِطَّةٌ - وَاخْتَمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ النَّبُوَّةِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : اجْعَلْهُ فِي كِفَّةٍ ، وَاجْعَلْ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِهِ فِي كِفَّةٍ ، فَإِذَا أَنَا أَنْظُرُ إِلَى أَلْفٍ فَوْقِي أَشْفَقُ أَنْ يَخْرُؤَا عَلَيَّ ، فَقَالَا : لَوْ أَنَّ أُمَّتَهُ وَزِنَتْ بِهِ لِمَالَ بِهِمْ . ثُمَّ انْطَلَقَا وَتَرَكَانِي وَفَرَّقَتْ فَرَقاً شَدِيداً ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ إِلَى أُمِّي فَأَخْبَرَتْهَا بِالَّذِي رَأَيْتُ ، فَأَشْفَقَتْ أَنْ يَكُونَ قَدِ التَّبَسُّبِ بِهَا فَقَالَتْ : أَعِيدْكَ بِاللَّهِ ، فَرَحَلْتُ بَعِيراً لَهَا فَجَعَلْتَنِي عَلَى الرَّحْلِ ، وَرَكِبْتُ خَلْفِي ، حَتَّى بَلَغْنَا أُمَّي فَقَالَتْ : أَدَيْتُ أَمَانَتِي وَذِمَّتِي ، وَحَدَّثْتُهَا بِالَّذِي لَقِيتُ . فَلَمْ يَرْغَبْهَا ذَلِكَ ، فَقَالَتْ : إِنِّي رَأَيْتُ خَرَجَ مِنِّي نُوراً أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ . »

٢٤ - * روى مسلم عن أنس بن مالك : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَّامِ - فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عِلْقَةً ، فَقَالَ : هَذَا حِطُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ لَأَمَهُ ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ ، وَجَاءَ الْغُلَّامُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِلَّةً - فَقَالُوا : إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَفِعُ اللَّوْنِ . قَالَ أَنَسٌ : وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْخَيْطِ فِي صَدْرِهِ .

٢٣ - المستدرک (٢ / ٦١٦) ، وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

حاضنتي : الحاضنة هي التي تقوم على تربية الصغير مقام الأم . بهم : مفردا همة وهي الصغير من الضأن .

٢٤ - مسلم (١ / ١٤٧) ١ - كتاب الإيمان - ٧٤ - باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات .

العلقة : القطعة من الدم . لأمه : جمعه وضم بعضه إلى بعض . ظنره : مرضعته وهي حلقة ، ويقال أيضاً لزوج المرضعة ظنر . منتقع : يقال : انتقع لونه وامتنع : إذا تغير .

٢٥ - * روى النسائي عن أنس - أيضاً - قال : إن الصلوات فُرِضَتْ بِمَكَّةَ ، وإنَّ مَلَكَينِ أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَهَبَا بِهِ إِلَى زَمْرَمَ ، فَشَقَّا بَطْنَهُ ، وَأَخْرَجَا حَشْوَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فَغَسَلَاهُ بِمَاءِ زَمْرَمَ ، ثُمَّ كَبَسَا خَوْفَهُ حِكْمَةً وَعِلْماً .

أقول :

الحادثة التي أخرجها مسلم غير الحادثة التي ذكرها النسائي ، فتلك في الصحراء وهذه في مكة ، وهذه متأخرة .

٢٦ - * روى عبد الله بن أحمد عن أبي بن كعب ، أن أبا هريرة كان حريصاً على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره ، فقال : يا رسول الله ! ما أول ما رأيت من أمر النبوة ؟ فاستوى رسول الله ﷺ جالساً ، وقال : « لقد سألت أبا هريرة ، إني لفي صحراء ابن عشرين سنين وأشهر ، وإذا بكلام فوق رأسي ، وإذا برجل يقول لرجلي : أهو هو ؟ قال : نعم ، فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط ، وأرواح لم أجد لها من خلق قط ، وثياب لم أرها على أحد قط ، فأقبلوا إليّ يمشيان حتى أخذ كل واحد منها بعضي ، لا أجد لأخذيها مساً ، فقال أحدهما لصاحبه : أضجعه ، فأضجعاني بلا قصير ولا هضم ، فقال أحدهما لصاحبه : أفلق صدره . فتهوى أحدهما إلى صدري ففلقها - فيما أرى - بلا دم ولا وجع . فقال له : أخرج الغل والحسد ، فأخرج شيئاً كههيئة العلقية ، ثم نبذها فطرحها ، فقال له : أدخل الرحمة والرفقة ، فإذا مثل الذي أخرج شبيهة الفضة ، ثم هز إبهام رجلي اليمنى ، فقال : أعذ وأسلم فرجعت بيها أعذوها رقة على الصغير ورحمة على الكبير » .

٢٥ - النسائي (١ / ٢٢٤) كتاب الصلاة - باب أين فرضت الصلاة .

٢٦ - رواه عبد الله بن أحمد في زيادته على أبيه ورجاله ثقات وتتهم ابن حبان .
لقد سألت أبا هريرة : أي : لقد سألت سؤالاً منها يا أبا هريرة . فأضجعاني بلا قصير ولا هضم : القصر - الإيجار ، والمصر : الجذب والإمالة والكسر والدفع . والمعنى أنهم شقوا صدره بكل لطف وحنان دون إيجار أو قسوة . إفلق : من الفلق وهو الشق ، وفلقه : شقه .

فوائد حول حادثة شق الصدر :

١ - قال الشيخ الغزالي :

وهذه القصة التي روعت حلية وزوجها ، ومحمد مسترضع فيهم ، نجدها قد تكررت مرة أخرى ومحمد - عليه الصلاة والسلام - رسول جاوز الخمسين من عمره ، فعن مالك بن صعصعة أن رسول الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال : بينا أنا في الحطيم - وربما قال في الحجر - مضطجع بين النائم واليقظان أتاني آتٍ ، فشق ما بين هذه إلى هذه - يعني ثغرة نحره إلى شعرته - قال : فاستخرج قلبي : ثم أتيت بطست من ذهب مملوء إيماناً ، فغسل قلبي ، ثم حشي ثم أعيد

وشيء واحد هو الذي نستطيع استنتاجه من هذه الآثار ، أن بشراً ممتازاً كمحمد لا تدعه العناية غرضاً للوساوس الصغيرة التي تناوش غيره من سائر الناس ، فإذا كانت للشر (موجات) تملأ الآفاق ، وكانت هناك قلوب تسرع إلى التقاطها والتأثر بها فقلوب النبيين - بتولي الله لها - لا تستقبل هذه التيارات الحبيثة ولا تهتز لها ، وبذلك يكون جهد المرسلين في (متابعة الترقى) لا في (مقاومة التدلي) وفي تطهير العامة من المنكر لا في التطهر منه ، فقد عافاهم الله من لوثاته .

* * *

٢ - قال القسطلاني في المواهب :

وهذا الشق روي أنه وقع له - عليه الصلاة والسلام - مرات في حال طفولته إرهاباً ، وتقدم المعجزة على زمان البعثة جائز للإرهاب .

* * *

٣ - أقول :

لقد ذكر العلماء أن هناك قلباً حسيّاً للإنسان يرتبط به - نوع ارتباط - القلب الذي هو محل الكفر والإيمان ومحل الرجاء والخوف والحب والبغض ، ولا شك أن الشق الحسي

استهدف القلب الثاني الذي هو غيب من الغيب ، وإن كان بعض ما يجري فيه وعليه محسّاً من الإنسان ، هذا القلب يمرض ، وتتراكم عليه تراكمات ، وتطراً عليه الحجب .

وتكرر حادثة الشق قبل النبوة أي قبل التكليف فيه إشارة إلى إرادة الله - عز وجل - في أن يبقى قلب محمد على حالة خاصة استصلاحاً وإعداداً ، وهذا يفيد أنه حتى أظهر القلوب يحتاج إلى شيء من عالم الأسباب ليبقى على صفاء وتقاء ، وتكرر حادثة شق الصدر قبيل الإسراء والمعراج فيه إشارة إلى أن بعض مقامات القلوب يحتاج إلى مزيد من الصفاء القلبي .

* * *

فصل : في رعيه ﷺ والغنم والحكمة من ذلك

٢٧ - * روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ : « ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم » فقال أصحابه : وأنت ؟ فقال : « نعم ، كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة » .

فوائد :

١ - عن حكمة رعي الغنم : قال الحافظ في الفتح : قال العلماء : الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يجعل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم ؛ ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة ، لأنهم إذا صبروا على رعيها ، وجمعها بعد تفرقها في المرعى ، ونقلها من مسرح إلى مسرح ، ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق ، وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها ، واحتياجها إلى المعاهدة ، ألفوا من ذلك الصبر على الأمة ، وعرفوا اختلاف طباعها ، وتفاوت عقولها ، فجهروا كسرهما ،

٢٧ - البخاري : (٤ / ٤٤١) ٣٧ - كتاب الإجارة - ٢ - باب رعي الغنم على قراريط

وأخرج نحوه ابن ماجه : (٢ / ٧٣٧) ١٢ - كتاب التجارات - ٥ - باب الصناعات مع خلاف يسير في اللفظ .

بالقراريط : يعني كل شاة بقيراط ، والقيراط هو من أجزاء الدينار ، وهو نصف عترة في أكثر البلاد ، وأهل الشام يجعلونه جزءاً من أربعة وعشرين .

ورفقوا بضعفها ، وأحسنوا التعاهد لها ، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة ؛ لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الغنم ، وخصت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها ، ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر ، وبالإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة ، ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقياداً من غيرها ، وفي ذكر النبي ﷺ لذلك بعد أن علم أنه أكرم الخلق على الله ما كان عليه من عظيم التواضع لربه والتصريح بمننه عليه وعلى إخوانه الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء .

٢ - وعن الأخذ بالأسباب للتكسب ؛ أقول : يتحدث بعض العلماء عن الأخذ بالأسباب ، وعن التجريد في موضوع كسب القوت ، ويعتبرون كلاً منهما في محله هو الكمال . وهكذا كان شأن رسول الله ﷺ ، فقد كانت حياته قبل النبوة عملاً متواصلاً لكسب القوت ، فمن رعي غنم إلى رعي إبل إلى تجارة ، ومن إجارة إلى شركة ، وقد استمر هذا بعد النبوة ضمن حدود ، حتى إذا اقتضت الدعوة الإسلامية تجريداً لم يبق لمحاولة الكسب محل ، فكان التجريد على أكمله ، فحتى فتحت خيبر لم يكن له - عليه الصلاة والسلام - معلوم في الرزق ، بل هو الزهد والعفة والتوكل ، وكلا المقامين من أعلام نبوته - عليه الصلاة والسلام - .

* * *

فصل : في عصمته ﷺ مما يشينه حتى قبل البعثة

بناء البيت وعصمته من كشف العورة :

٢٨ - * روى الحاتم عن أبي الطفيل ، قال : لما بُني البيت كان الناس ينقلون الحجارة والنبي ﷺ ينقل معهم ، فأخذ الثوب ووضعهُ على عاتقه فنودي : لا تكشف عورتك ، فألقى الحجر وليس ثوبة .

٢٩ - * روى البخاري عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : لما بُنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان الحجارة ، فقال عباس للنبي ﷺ : اجعل إزارك على رقبتك يذك من الحجارة ، فخر إلى الأرض ، وطمحت عيناه إلى السماء ، ثم أفاق فقال : « إزاري إزاري » ، فشد عليه إزاره .

قال في الفتح : وقد وردت رواية بنحوها وفيها : فما رأيي بعد ذلك عريانا ﷺ .

* * *

عصمته من فعل الجاهلية :

٣٠ - * روى الحاتم عن علي بن أبي طالب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما هممتُ بما كان أهل الجاهلية يهْمُونَ به إلا مرّتين من الدهر ، كلاهما يعصمني الله تعالى منهما ، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش في أعلى مكة في أغنام لأهلها تُرعى : أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بكّة كما تسمر الفتيان قال : نعم ، فخرجت فلما جئت أذن داري من دور مكة سمعت غناء وصوت دُفوف وزمر فقلت : ما هذا ؟ قالوا فلان تزوج فلانة لرجل من قريش تزوج امرأة ، فلهوت

٢٨ - المستدرك (٤ / ١٧٩) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

العائق : التقاء الذراع بالكتف ، ويسمى بالنكف أيضاً .

٢٩ - البخاري (٧ / ١٤٥) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٢٥ - باب بنيان الكعبة .

ومسلم (١ / ٣٦٨) ٢ - كتاب الحيض - ١٩ - باب ما يستتر به لقضاء الحاجة ، باختلاف يسير .

الإزار : ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن . طمحت : طمع بصري أي : امتد وعلا .

٣٠ - المستدرك (٢ / ٢٤٥) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي ، وقد ضعف بعضهم هذا الحديث .

بِذَلِكَ الْغِنَاءِ وَالصَّوْتِ حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَمَتَّ فَمَا أُقِظُنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ ،
 فَرَجَعْتُ فَسَمِعْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَقِيلَ لِي مِثْلُ مَا قِيلَ لِي فَلَهَوْتُ بِمَا سَمِعْتُ وَغَلَبَتْنِي
 عَيْنِي فَمَا أُقِظُنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ . ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي فَقَالَ : مَا فَعَلْتَ
 فَقُلْتُ : مَا فَعَلْتُ شَيْئاً . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَوَاللَّهِ مَا هَمَمْتُ بِعُودِهَا أَبَدًا
 بِسُوءِ مَا يَعْمَلُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِنُبُوَّتِهِ » .

تعليق :

في هذه الأحاديث مظهر من مظاهر حفظ الله لرسوله ﷺ من كل ما يتنافى مع المهمة
 العلية والسيرة المرضية ، فالمرشحون لجلال الأعمال لا يليق بهمهم أن تتوجه إلى مثل هذه
 الأفعال .

* * *

فصل : في حضوره ﷺ حلف الفضول

٣١ - « روى ابن سعد عن جُبَيْر بن مُطْعَم قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا أَحِبُّ أَنْ لِي بِمُحَلِّفِ حَضْرَتِهِ بَدَارِ ابْنِ جُدْعَانَ حَمَرَ النَّعَمِ وَأَنْتِي أَغْدِرُ بِهِ ، هَاشِمٌ وَزَهْرَةُ وَتَيْمٌ ، تَحَالَفُوا أَنْ يَكُونُوا مَعَ الْمَظْلُومِ مَا بَلَ بَحْرٍ صَوْفَةً ، وَلَوْ دُعِيَ بِهِ لِأَجَبْتُ ، وَهُوَ حِلْفُ الْفُضُولِ » . قال محمد بن عمر : ولا نعلم أحداً سبق بني هاشم بهذا الحلف .

تعليق :

قال ابن هشام : وكان حلف الفضول بعد الفجار ، وذلك أن حرب الفجار كانت في شعبان ، وكان حلف الفضول في ذي القعدة قبل المبعث بعشرين سنة .

فوائد حول حادث حلف الفضول :

١ - قال الشيخ الغزالي في حلف الفضول :

أما حلف الفضول فهو دلالة على أن الحياة مهما اسودت صحائفها وكلحت شرورها ، فلن تخلو من نفوس تهزها معاني النبيل ، وتستجيشها إلى النجدة والبر .

ففي الجاهلية الغافلة نهض رجال من أولي الخير ، وتواثقوا بينهم على إقرار العدالة وحرب المظالم ، وتجديد ما اندرس من هذه الفضائل في أرض الحرم . أ هـ .

٢ - هل يجوز لبعض المسلمين أن يتعاقدا عقداً كعقد حلف الفضول ؟ وهل يجوز للمسلمين أن يتعاقدا عقداً مع غيرهم كعقد الفضول ؟

أقول :

لقد أوجب الله على المسلمين التعاون على البر والتقوى بقوله سبحانه : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى

٣١ - ابن سعد في الطبقات (١ / ١٢٨) من طريق محمد بن عمر عن محمد بن عبد الله الزهري عن طلحة بن عبد الله بن عوف بن عبد الرحمن بن أزهر عن جبير بن مطعم .

البر والتقوى ﴿١﴾ فأن يتعاقد بعض المسلمين عقداً في مثل هذا ، فذلك جائز ، لأنه ليس إلا مجرد تأكيد لشيء مطلوب شرعاً ، على ألا يكون ذلك شبيهاً بمسجد الضرار ، بحيث يتحول التعاقد إلى نوع من الحزبية الموجهة ضد مسلمين آخرين ظالماً وبغياً ، وأما تعاقد المسلمين مع غيرهم على دفع ظلم أو في مواجهة ظالم ، فذلك جائز لهم ، على أن تلاحظ في ذلك مصلحة الإسلام والمسلمين في الحاضر وفي المستقبل ، وفي هذا الحديث دليل ، والدليل فيه هو استعداد الرسول ﷺ للاستجابة بعد الإسلام لمن ناداه بهذا الحلف .

* * *

فصل : في الإجارة عند خديجة ثم زواجه ﷺ منها

٣٢ - * روى الحاكم عن جابر، قال : استأجرت خديجة - رُضوان الله عليها - رسول الله ﷺ سفرتين إلى جَرَشٍ ، كل سفرة بقلوصٍ .

٣٣ - * روى الطبراني عن جابر بن سمرة - أو رجل من أصحاب النبي ﷺ - قال : كان النبي ﷺ يرعى غنماً ، فاستغلى الغنم فكان في الإبل ، هو وشريك له . فأكرّيا أخت خديجة ، فلما قَضُوا السفر بقي لهم عليها شيء ، فجعل شريكهم يأتيها فيتقاضاهم ، ويقول الحمد : انطلق فيقول : اذهب أنت فأني أستحي . فقالت مرةً وأتاهم : فأين محمد ؟ قال : قد قلت له ، فزعم أنه يستحي . فقالت : ما رأيت رجلاً أشدَّ حياءً ولا أعفً ولا ولا ، فوقع في نفس أختها خديجة ، فبعثت إليه فقالت : أئت أبي فاخطبني . قال : أبوك رجل كثير المال ، وهو لا يفعل . قالت : انطلقْ فآلقه فكلّمه فأنا أكفيك ، وأئت عند سكره . ففعل ، فأتاه فزوَّجته ، فلما أصبح جلس في المجلس ، فقيل له : أحسنت زوّجتَ محمداً . فقال : أو قد فعلتُ . قالوا : نعم . فقام فدخل عليها فقال : إن الناس يقولون إني قد زوّجتُ محمداً وما فعلتُ . قالت : بلى فلا تسفهَن رأيك فإن محمداً كذا . فلم تَزَلْ به حتى رضي ، ثم بعثتُ إلى محمد ﷺ بوقيتين من فضة ، أو ذهبٍ وقالت : اشترِ خلّةً وأهديها لي وكبشاً وكذا وكذا ، ففعل .

٣٤ - * روى الطبراني عن ابن عباس - فيما يحسب حمّاد أن رسول الله ﷺ ذكر خديجة ، وكان أبوها يرغب عن أن يزوّجَه ، فصنعتُ طعاماً وشراباً ، فدعتُ أباهما ونفراً

٣٢ - المستدرك (٢ / ١٨٢) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

جرش : لعلها جرش المدينة الواقعة في شمال الأردن حالياً . قلوص : القلوص من الإبل الفتية المجتعة الخلق ، وذلك من حين تركب إلى التاسعة من عمرها ثم هي ناقة .

٣٣ - قال الميمني : رواه الطبراني والبراز - ورجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي خالد الوالي وهو ثقة ، ورجال البراز أيضاً إلا شيخه أحمد بن يحيى الصوفي : ثقة . انظر : مجمع الزوائد (١ / ٢٢١) كتاب المناقب - باب فضل خديجة بنت خويلد .

أكرّيا : الكراء معناه أجر المستأجر .

٣٤ - قال الميمني : رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد والطبراني رجال الصحيح . انظر : مجمع الزوائد (١ / ٢٢٠) كتاب المناقب - باب : فضل خديجة بنت خويلد . وراجع نفس الحديث عند أحمد في مسنده (١ / ٣١٢) .

من قريش ، فَطَعِمُوا وَشَرَبُوا حَتَّى تَمَلُّوا . فقالت خديجة : إن محمد بن عبد الله يخطبني فزوّجني إياه . فزوّجها إياه ، فخلعته وألبسته حُلّة ، وكذلك كانوا يفعلون بالآباء . فلما سري عنه سكره نظر فإذا هو مُخَلَّقٌ وعليه حُلّة . فقال : ما شأني ؟ ما هذا ؟ قالت : زوجتني محمد بن عبد الله . فقال أنا أزوّج يتيم أبي طالب إلا لعمرى . قالت خديجة : ألا تستحي ، تريد أن تسفّه نفسك عند قريش ، تخبر الناس أنك كنت سكران . فلم تزل به حتى رضي .

تعليق حول الروايات السابقة :

قال الواقدي : والثابت عندنا المحفوظ عن أهل العلم ، أن أباها (أي خديجة) خويلد ابن أسد مات قبل الفجار ، وأن عمّها عمرو بن أسد زوجها رسول الله ﷺ .

أقول :

وفي زواج خديجة روايات كثيرة ، وإنما أثبتنا هنا ما ذكر في الأصول التي اعتمدناها ، وقد حمل بعضهم حملاتٍ منكراً على هاتين الروايتين ، لما ذكر فيها من إسكار خديجة والدها ، ولا أرى في ذلك شيئاً ، بل هذا يدل على دهائها وحسن تأتيها للأمور ، إذ الوقت وقت جاهلية ولا تحليل فيه ولا تحريم ، وإذا انتفى المحذور ، فبالإمكان الجمع بين هاتين الروايتين والمشهور ، فقد تطلق العرب على العمّ أباً ، فيكون المراد بالأب في الروايتين عم خديجة ، إذا ثبت أن أباها كان متوفى وقتذاك .

* * *

فصل : في رجاحة عقله ﷺ وتلقيبه بالأمين قبل البعثة

٣٥ - * روى الإمام أحمد عن مجاهد عن مولاة أنه حدثته أنه كان في بني الكعبة في الجاهلية ، قال : ولي حجر أنا أنحته بيدي أعبده من دون الله تعالى ، فأجيت باللبن الحاثري الذي أنفه على نفسي فأصبته عليه فيجيء الكلب فيلحسه ثم يشغره فيبول ، فبنينا حتى بلغنا موضع الحجر ، وما يرى الحجر أحد ، فإذا هو وسط حجارتنا مثل رأس الرجل يكاد يتراءى منه وجه الرجل ، فقال بطن من قرئش : نحن نضعه ، وقال آخرون : نحن نضعه فقالوا : اجعلوا بينكم حكماً ، قالوا أول رجل يطلع من الفج .

فجاء النبي ﷺ فقالوا : أتاكم الأمين فقالوا له قوضعه في ثوب ، ثم دعا بطونهم فأخذوا بنواحيه معه قوضعه هو ﷺ .

٣٦ - * روى الطبراني عن علي بن أبي طالب - في بناء الكعبة - قال : لما رآوا النبي ﷺ قد دخل قالوا : قد جاء الأمين .

فائدة حول تحكيمة ﷺ في وضع الحجر الأسود :

في حادثة تجديد بناء الكعبة تجد كمال الحفظ الإلهي وكمال التوفيق الإلهي في سيرة رسول الله ﷺ ، كما أنك تجد كيف أن الله أكرم رسوله بهذه القدرة الهائلة على حل المشكلات بأقرب طريق وأسهله ، وذلك ما تراه في حياته كلها ، وذلك معلم من معالم رسالته ، فرسالته إيصال للحقائق بأقرب طريق ، وحل للمشكلات بأسهل أسلوب وأكمله .

* * *

٣٥ - أحد في مسنده (٣ / ٤٣٥) وقال الميمني في الجمع : وفيه هلال بن جناب وهو ثقة وفيه كلام ، وبقية رجاله رجال الصحيح .
اللبن الحاثري : الرائب . أنف : أنفاً وأنفه ، استنكف واستكبر ، يقال : فيهم أنف وأنفة . يشغره : أي يرفع الكلب إحدى رجليه ليهول . يتراءى منه وجه الرجل : أي كالمرأة . البطن : دون القبيلة ودون الفخذ . الفج : الطريق الواسع بين جبلين ، وجمعه : فجاج وأفجة .

٣٦ - قال الميمني : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير حفص بن عمر الضرير ، وخالد بن عرعة ، وكلاهما ثقة . انظر : معجم الزوائد (٨ / ٢٢٩) كتاب علامات النبوة - باب : ما كان يدعى به ﷺ قبل البعثة .

بركته ومحبة الناس له وثقتهم به :

٣٧ - * روى الحاكم عن كندير بن سعيد عن أبيه قال : حَجَّجْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهُوَ يَزُجُّ وَيَقُولُ :

رَبِّ رَدِّ إِلَيَّ زَاكِي مَحْمُوداً رَدِّ إِلَيَّ وَاصْطِنِعْ عِنْدِي يَدَا

فقلت : من هذا ؟ فقالوا : عبدُ المطلبِ بن هاشمٍ ، بَعَثَ بَابِنِ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ فِي طَلَبِ إِبْلِ
لَهُ وَلَمْ يَبْعَثْهُ فِي حَاجَةٍ إِلَّا أَنْجَحَ فِيهَا ، وَقَدْ أَتِطَأُ عَلَيْهِ ، قَلَمَ يَلْبِثُ أَنْ جَاءَ مُحَمَّدٌ وَالْإِبْلُ
فَاغْتَنَقَهُ ، وَقَالَ : يَا بُنَيَّ لَقَدْ جَزَعْتُ عَلَيْكَ جَزَعًا لَمْ أَجْزَعُهُ عَلَى شَيْءٍ قَطُّ ، وَاللَّهِ لَا أَبْعَثُكَ
فِي حَاجَةٍ أَبَدًا ، وَلَا تَفَارِقُنِي بَعْدَ هَذَا أَبَدًا .

أقول :

ذكرت هذا الحديث هنا ليعلم كيف أن البركة والحب والشفقة كانت تحيط برسول الله
ﷺ دائماً وأبداً ، فبركته يحسها الجميع ، وكل من يعرفه يحبه أصفى الحب وأرقاه ، وكل من
يخالطه يمتلئ قلبه ثقة به في صغره وكبره ، ولو أنك تتبعت الروايات التي سجلها كتاب
سيرته ﷺ لوجدتها كلها تنصب فيما ذكرناه .

٣٨ - * روى الحاكم عن صهيب قال : لَقَدْ صَحِّبْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ .

أقول :

نذكر هذا الحديث تأسيساً لموضوع سيطالعنا كثيراً ، وهو أن كل من عرف
رسول الله ﷺ وخالطه قبل النبوة آمن به بعد النبوة كأشد ما يكون الإيمان وأرقاه ،
وصهيب واحد من هؤلاء ، وذلك من أعلام نبوته ، فلولا أن حياته قبل النبوة تستدعي
الإيمان به ، ما كان مخالطوه ليؤمنوا به على مثل هذه الشاكلة ، فهذه خديجة وزيد وأبو
بكر ... وغيرهم .

٣٧ - المستدرك (٢ / ٦٠٣) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

٣٨ - المستدرك (٣ / ٤٠٠) ، وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

فصل : في مقدمات بعثته ﷺ

تطلعات إلى دين جديد صحيح :

٣٩ - * روى البخاري عن سالم بن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلّح قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي ، فقدمت إلى النبي ﷺ سفرة ، فأبى أن يأكل منها . ثم قال زيد : إني لست أكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا أكل إلا ما ذكر اسم الله عليه ، وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قریش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها الله ، وأنزل لها من السماء ماء ، وأنبت لها من الأرض ، ثم تذبحونها على غير اسم الله ، إنكاراً لذلك وإعظماً له .

٤٠ - * روى البخاري قال موسى : حدثني سالم بن عبد الله - ولا أعلمه إلا تحدث به عن ابن عمر - أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه ، فلقي عالماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال : إني لأعلم أن أدين دينكم فأخبرني . فقال : لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله . قال زيد : ما أفر إلا من غضب الله ، ولا أحجل من غضب الله شيئاً أبداً وأني أستطيع ؟ فهل تدلني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً ، قال زيد : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم ؛ لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ، ولا يعبد إلا الله . فخرج زيد فلقي عالماً من النصارى ، فذكر مثله فقال : لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله . قال : ما أفر إلا من لعنة الله ، ولا أحجل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً ، وأني أستطيع ؟ فهل تدلني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً ، قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم ، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله . فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم - عليه السلام - خرج فلما برز رفع يديه فقال : اللهم إني أشهد أني على دين إبراهيم .

٤١ - * روى البخاري عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - قالت : رأيت زيد بن

٣٩ - ٤٠ - ٤١ - هذه الأحاديث الثلاثة أخرجها البخاري : (٧ / ١٤٢ - ١٤٣) ٦٢ - كتاب مناقب الأنصار - ٢٤ - باب

حديث زيد بن عمرو بن نفيل .

بلّح : هو مكان في طريق التنعم بمكة ، ويقال : هو واد . أنصابكم : الأنصاب جمع نصب ، وهي الحجارة التي كانوا

عمر بن نفيل قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش ، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري . وكان يحيي المؤودة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، أنا أكنيك مؤنتها ، فيأخذها ، فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مؤنتها .

٤٢ - * روى أبو يعلى عن سعيد بن زيد ، قال : سألت أنا وعمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن زيد بن عمرو ، فقال : « يأتي يوم القيامة أمة وحده » .

أقول :

ذكرت هذه الروايات عن زيد بن عمرو بن نفيل ههنا للإشعار بأنه كانت قبل البعثة تطلعات لدين يروي ظمأ القلوب العطشى إلى الحق ، ولكن هذه التطلعات كانت تتردد خائبة ، فتجهد ، وكل ما تصل إليه كان محدوداً ، وهذا كله من أعلام نبوته ﷺ ، فالناس بحاجة إلى دين صحيح ، والاجتهادات لا تغني فتيلاً في هذا الشأن عن الوحي المعصوم ، فأن يظهر رجل يروي الظمأ ويقيم صرح دين كله حق يملأ الساحة البشرية إلى قيام الساعة فذلك وحده دليل على أن الرجل رسول الله وعلى أن دينه دين الله .

ضلال العرب في عقائدهم وفساد تصرفاتهم :

٤٣ - * روى البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ ﴾

= ينصبونها ويذبحون عليها القرابين . وقول زيد : « إني لست أكل مما تذبحون على أنصابكم » يشعر بأنه يؤمن أن هذا الذي دعي إليه قد ذبح على الأنصاب ، ولم يكن الأمر كذلك ، فرسول الله ﷺ كان يتحاشى هذا وأمثاله من أمر الجاهلية ، وما ورد من روايات تفيد ذلك فرجمها إلى اختلاط بعض الرواة . المؤودة : هي الطفلة التي كانوا يدفنونها وهي حية ، وذلك أنهم كانوا إذا ولد لهم بنت حفرها لها حفرة ودفنوها فيها وهي حية ، يحملهم على ذلك الغيرة - في زعمهم - والخل ، فحرم الله ذلك .

٤٢ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٤١٧) - كتاب المناقب - باب ما جاء في زيد بن عمرو بن نفيل : رواه أبو يعلى ، وإسناده حسن .

٤٣ - البخاري (٦ / ٥٥١) ٦١ - كتاب المناقب - ١٢ - باب قصة زمزم وجهل العرب .

سَفَهَا يَغْيِرِ عِلْمٍ إِلَى قَوْلِهِ ﴿... قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (١) .

أقول :

تذكر الآيات فيما بعد ذلك من سورة الأنعام أن العرب حرّموا الإنثاء من الأنعام كما اعتبروا أن ما يفعلونه من كفر وشرك يمثل مشيئة الله ، وتذكر هذه الآيات تكذيب العرب بالآيات واليوم الآخر ، وإشراكهم بالله عز وجل ، ولو أنك تتبعت نصوص الكتاب والسنة التي تتحدث عما كان عليه العرب وغيرهم قبل البعثة النبوية لرأيت عجباً ، وخلصت إلى أن من أعلام النبوة أن يبعث الله عمداً ﷺ والحال على ما هي عليه ، لأنه لا أمل في أي نوع من الهداية للبشرية إلا بهذه البعثة ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ * رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً * فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿ (٢) .

٤٤ - * روى البخاري عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء : فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصديقها ثم ينكحها ، ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمئنها : أرسلني إلى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد ، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع ، ونكاح آخر يجتمع الرهط مادون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها ، فإذا حملت ووضعت ومرّ ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها ، تقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم ، وقد ولدت ، فهو ابنك يا فلان ، تسمى من أحببت باسمه ،

٤٤ - البخاري (٩ / ١٨٢ - ١٨٢) ٦٧ - كتاب النكاح - ٣٦ - باب من قال : لا نكاح إلا بولي . وأخرجه أبو داود (٢ / ٢٨١ - ٢٨٢) .

الطمث : الحيض والدم . الاستبضاع : هو استعمال من البضع وهو الجماع ، وذلك أن تطلب المرأة جماع الرجل لتنال منه الولد فقط . القافة : الذين يشبهون بين الناس ، فيثبتون النسب بالشبه . فالتناط به : أي ألصقه بنفسه وجعله ولده .

(١) الأنعام : ١٤٠ .

(٢) البينة : ١ / ٣ .

فيلحقُ به وَلَدُهَا لا يستطيعُ أن يمتنعَ به الرجل ، ونكاح رابع يجتمعُ الناس الكثير فيدخلونَ على المرأة لا تمتنع من جاءها ، وهنُّ البغايا كُنَّ يَنْصِبْنَ على أبوابهن راياتٍ تكون عَلَمًا ، فمن أرادهن دخلَ عليهن ، فإذا حَمَلَتْ إحداهن وَوَضَعَتْ حَمْلَهَا جمعوا لها ، ودعوا لهم القافة ، ثم ألحقوا وَلَدَهَا بالذي يَرَوْنَ ، فالتاطت به وَدَّعِيَ ابنه لا يَمْتَنِعُ من ذلك . فلما بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ بالحق هَدَمَ نِكَاحَ الجاهلية كله ، إلا نِكَاحَ الناس اليوم .

أقول :

هذا نموذج على ما كان عليه الحال في الجاهلية ، فإذا ما عرفت أن بعض النساء كن يطفن بالكعبة عاريات أدركت أين وصل الإسفاف في العبادات وفي العلاقات ، فإذا ما اجتمع لذلك عبادة الأصنام عرفت الرحمة الإلهية بالبشرية إذ بعث الله محمداً ﷺ فأعطى أصفى أنواع التوحيد وأرقى أنواع العبادة وأطهر أنواع المعاملات والآداب .

نقل حول ما وصل إليه العرب من سوء الأحوال وحاجتهم إلى الدين الجديد :

لخص الأستاذ الندوي الحال التي كان عليها العرب وغيرهم وقتذاك بقوله :

كانت الأوضاع الفاسدة ، والدرجة التي وصل إليها الإنسان في منتصف القرن السادس المسيحي أكبر من أن يقوم لإصلاحها مصلحون ومعلمون في أفراد الناس ، فلم تكن القضية قضية إصلاح عقيدة من العقائد ، أو إزالة عادة من العادات ، أو قبول عبادة من العبادات ، أو إصلاح مجتمع من المجتمعات ، فقد كان يكفي له المصلحون والمعلمون الذين لم يخل منهم عصر ولا مصر .

ولكن القضية كانت قضية إزالة أنقاض جاهلية ، ووثنية تخريبية ، تراكت عبر القرون والأجيال ، ودفنت تحتها تعاليم الأنبياء والمرسلين ، وجهود المصلحين والمعلمين ، وإقامة بناء شامخ مشيد البنيان ، واسع الأرجاء ، يسه العالم كله ، ويؤوي الأمم كلها ، قضية إنشاء إنسان جديد ، يختلف عن الإنسان القديم في كل شيء ، كأنه ولد من جديد ، أو عاش من جديد ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي

الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴿^(١) قضية اقتلاع جرثومية الفساد واستئصال شأفة الوثنية، واجتثاثها من جذورها، بحيث لا يبقى لها عين ولا أثر، وترسيخ عقيدة التوحيد في أعماق النفس الإنسانية ترسيخاً لا يتصور فوقه، وغرس ميل إلى إرضاء الله وعبادته، وخدمة الإنسانية، والانتصار للحق، يتغلب على كل رغبة، ويقهر كل شهوة، ويجرف بكل مقاومة، وبالجملة الأخذ بحُجَزِ الإنسانية المنتحرة التي استجمعت قواها للوثوب في جحيم الدنيا والآخرة، والسلوك بها على طريق أولها سعادة يحظى بها العارفون المؤمنون. وآخرها جنة الخلد التي وعد المتقون، ولا تصوير أبلغ وأصدق من قول الله - تعالى - في معرض المن بيعثة محمد ﷺ :

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً قَالَفَا بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ ^(٢).

* * *

الفترة التي بين عيسى ونبيينا - عليهما الصلاة والسلام - :

٤٥ - * روى البخاري عن سلمان - رضي الله عنه - قال فُتْرَةُ بَيْنِ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ - عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - سِتَائَةٌ سَنَةٍ .

نقل :

قال الحافظ في الفتح : المراد بالفُتْرَةِ المدة التي لا يبعث فيها رسول من الله ؛ ولا يمتنع أن ينبأ فيها من يدعو إلى شريعة الرسول الأخير، ونقل ابن الجوزي الاتفاق على ما اقتضاه حديث سلمان هذا ، وتُعَقَّبُ بأن الخلاف في ذلك منقول ، فمن قتادة : خمسمائة وستين سنة أخرجه عبد الرزاق عن معمر عنه .

٤٥ - البخاري : (٧ / ٢٧٧) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٥٢ - باب إسلام سلمان الفارسي - رضي الله عنه .

(١) الأنعام : ١٢٢ .

(٢) آل عمران : ١٠٣ .

أقول :

قد يكون مرجع الخلاف بين روايتي سلمان وقتادة إلى أن أحدهما اعتبر الزمن الواقع بين البعثة والبعثة ، وآخر اعتبر الزمن الواقع بين بعثة وميلاد ، ولا يترتب على ذلك حكم ، أو أن أحدهما اعتبر السنين الشمسية والآخر القمرية ، والمشهور أن بين المولدين ٥٧٠ سنة شمسية ، والقياس بالسنة الشمسية أو القمرية يترتب عليه فارق كبير .

ويلحظ من هذا الحديث طول فترة انقطاع الوحي ، مما يؤكد حاجة الناس إلى من يصحح لهم المسار ، ويربطهم من جديد بالسماء .

* * *

إرهاصات بنبوته ﷺ :

٤٦ - * روى مسلم عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرف حجراً بمكة ، كان يُسَلِّمُ عَلَيَّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن » .

٤٧ - * روى الإمام أحمد عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال لخديجة : « إني أرى ضوءاً وأسمع صوتاً وإني أخشى أن يكون بي جن » . قالت : لم يكن الله ليفعل ذلك بك يا ابن عبد الله . ثم أتت ورقة بن نوفل فذكرت ذلك له فقال : إن يك صادقاً فإن هذا ناموس مثل ناموس موسى ، فإن بعث وأنا حي فأسأله وأنصره وأؤمن به .

فائدة :

في هذا الحديث والذي قبله مظهران من الإرهاصات والتهديدات التي هيأت رسول الله ﷺ للأمر الجليل وهو استقبال الوحي .

٤٦ - مسلم : (٤ / ١٧٨٢) - ٤٢ - كتاب الفضائل - ١ - باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة .
والترمذي (٥ / ٥٩٣) - ٥٠ - كتاب المناقب - ٥ - باب ما جاء في آيات نبوة النبي ﷺ وما قد خصه الله به .
وقال : حديث حسن غريب .

٤٧ - رواه أحمد في مسنده (١ / ٣١٢) ، والطبراني بنحوه وزاد : وأعينه .
الناموس : صاحب السر المطلع على باطن أمرك ، أو صاحب سر الخير . وجبريل - عليه السلام - ، والظاهر أنه الوحي . عززه : شددته وقواه .

خاتمة الباب

ونختم هذا الباب بتعليق :

هذه السيرة العامرة العطرة النظيفة قبل النبوة ، كانت من أعظم التهديدات للنبوة ولثقة بصاحبها ، فإذا ما اجتمع إلى ذلك التهديدات القديمة لهذه النبوة ، فإن رصيذاً ضخماً من المقدمات أوصل إلى أن يستقبل هذا العالم النبوة الخاتمة كاستقبال المطر ، فلا غرو أن تنتشر رسالته هذا الانتشار .

انظر إلى وصفه من قومه بالأمين قبل النبوة .

انظر إلى وصف خديجة له - بما معناه - من أنه يصل الرحم ، ويحمل المنقطع ، ويقرى الضيف ، ويغيث الملهوف ، ويعين على نوائب الحق .

ثم انظر إلى البشارات به في النبوات السابقة ، واصطفائه من العرب الأمة الفطرية ، واختياره من ذرية إبراهيم لتكون له عراقه النبوة .

وانظر إلى ما اختار الله له من كمال الاسم والنسب والتركيب الخَلقي والخَلقي ، وإلى الإرهاضات التي رافقت حياته الأولى .

ثم انظر إلى ما سخره الله له وما هيأه له من علاقات نظيفة ، وما كان فيه من فقر وعمل ويُسّر وحلم ويُعد عن التطلعات الهابطة أو التطلعات الدنيوية .

فإنك تجد في هذا كله قوة الأساس للمرحلة اللاحقة (مرحلة النبوة) .

إن هذا وغيره ليدل على أن قدر الله يسوق كل شيء لصالح هذه النبوة وهذه الرسالة ، فلقد سبقت هذه الرسالة بمرحلة ممتدة في الزمان . وَجِدَتْ فيها كل المقدمات التي تخدم الدعوة الخاتمة من مكانة قريش بين العرب ، والنسب إلى إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - وحفظ النسب من السفاح والضياع ، وأخذ العهد على الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - أن يؤمنوا بمحمد إذا بعث ، وما سبق من تعميق قضية النبوة في الحياة البشرية .

كل ذلك كان مقدمات خدمت الرسالة الخاتمة والدين الخاتم الذي ستطالب به البشرية كلها .

ولعل من أهم المقدمات التي تقدمت الدعوة الإسلامية فساد الدين والدنيا قبل البعثة ؛ فالنصوص الدينية خُرِّفت ، والتصورات خُرفَت ، والضائِرُ فسدت ، والظلم كثر ، والشهوات تحكَّت ، والفطرة البشرية السليمة بدأت تتطلع إلى نبوة جديدة ورسول ، وجاءت النبوة والرسالة لمحمد بن عبد الله ﷺ .

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾

* * *

الباب الثاني
من
البعثة حكة الاستقرار في المدينة

هذه المرحلة في سطور

* بعد ثلاث سنوات من العزلة والخلوة ، وبعد ستة أشهر من الرؤيا الصادقة ، وفي يوم الإثنين لإحدى وعشرين مضت من رمضان ليلاً - على ما رجّحه المباركفوري (الرحيق المختوم) - وكان عمره إذ ذاك أربعين سنة قرية وستة أشهر واثنى عشر يوماً ، أي تسعة وثلاثين سنة شمسية وثلاثة أشهر واثنى عشر يوماً ، نزل عليه الوحي .

* أخبر الرسول ﷺ خديجة بما حدث فطمأنته ، وأخبرت هي بدورها ورقة بن نوفل فطمأنها وبشّرها بأنها النبوة .

* فتر الوحي بعد ذلك أياماً لتذهب حرّة المفاجأة وليحدث التشوّق ، ثم ظهر له جبريل مرّة ثانية جالساً على كرسيّ بين السماء والأرض ، فعاد إلى أهله طالباً التّزّمّل والتّدنُّر فنزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ... ﴾ و ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * ... ﴾ ، وكان في ذلك الأمر بالتبليغ والدعوة .

* بدأ الرسول ﷺ يدعو سراً ، واستمرت الدعوة السرية ثلاث سنين ، ثم دعا جهراً في مكة ، فلم يتحرك أحد من أهلها أو ممن حولها أو ممن يأتي إليها حاجّاً أو معتبراً إلا وقد حاول إيصال الدعوة إليه ، على مدى سبع سنين بعد الدعوة السرية ، ثم حاول أن يخرج بالدعوة إلى الطائف في السنة العاشرة ، ولكن أهل الطائف لم يستجيبوا له ، فعاد إلى مكة ودخلها في حماية المطعم بن عدي ، ثم بعد ذلك وعلى مدار ثلاث سنوات دخل الإسلام إلى المدينة المنورة ، وتمت في السنتين الأخيرتين بيعتا العقبة الأولى والثانية ، ثم كان الإذن بالهجرة والاستقرار في المدينة .

* استجاب للدعوة خلال المرحلة السرية حوالي أربعين نفراً - ويرى بعضهم أن هذا العدد لم يكتمل إلا في السنة السادسة أي بعد ثلاث سنين من الجهر على رأي ابن هشام - وكانت الصلاة المفروضة عليهم وقتذاك - وبقي هذا حتى حادثة الإسراء - ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي - على قول - ، وقد فرض عليهم في المرحلة الأولى قيام الليل .

* بدأت الدعوة الجهرية بدعوة عشيرته الأقربين جهراً ، دعوةً جماعيةً ، ثم دعا قريشاً

جميعها دعوةً جماعيةً ، ثم بدأ ينقض البنيان الديني للناس نقضاً مباشراً وصريحاً ؛ وههنا بدأ أصعب صراع وأشده ، ومنذ المرحلة السرية بدأ الكيد يأخذ أبعاده الكثيرة المتعددة ، والإيذاء ينصب على المسلمين الذين لا يجدون حماية .

* ثم زاد الأمر شدة فتخض ذلك عن الهجرة الأولى إلى الحبشة ، وانطلق أول فوج في رجب من السنة الخامسة للبعثة وكان مكوناً من اثني عشر رجلاً وأربع نسوة .

* ثم حدثت حادثة مشاركة المشركين لرسول الله ﷺ في سجوده إثر تلاوة سورة (النجم) ، فبلغ ذلك مهاجري الحبشة فظنوا أن قريشاً أسلمت فرجعوا ، ثم تبين لهم كذب الشائعة فرجع بعضهم إلى الحبشة ، ودخل بعضهم مكة مستخفياً أو في جوار ، واشتد البلاء على المسلمين ، فكانت الهجرة الثانية إلى الحبشة ، وفي هذه المرة هاجر ثلاثة وثمانون رجلاً وثمانى عشرة امرأة أو تسع عشرة امرأة ، وكادت قريش للمسلمين عند النجاشي ولكنها لم تفلح .

* ثم لجأت قريش إلى تهديد أبي طالب وإغرائه ليتخلى عن محمد ﷺ أو يُسلمه إليها ، فباءت محاولاتها بالفشل .

* وأسلم في السنة السادسة للبعثة حمزة وعمر بن الخطاب وكان إسلامهما نصراً وفتحاً ، وههنا مالت قريش للمفاوضة والمسالة فلم تنجح ، وجدّ أبو طالب في الحماية فعَبَّأَ بني هاشم وبني المطلب لذلك . فاجتمعوا على ذلك ما عدا أبا لهب .

* وعلى إثر هذا كله تعاقدت قريش في السنة السابعة للبعثة على مقاطعة المسلمين ومقاطعة بني هاشم وبني المطلب ، ألا يناكحهم ولا يبائعهم ولا يجالسهم ولا يخالطهم ولا يدخلوا بيوتهم ولا يكلمهم ، حتى يُسَلِّمُوا إليهم رسول الله ﷺ . وكانت محنة عظيمة استمرت ثلاث سنين .

* وفي الحرم سنة عشر من النبوة حدث نقض الصحيفة وفك الميثاق بتوفيق من الله ، تم بترتيب من بعض المتعاطفين وأصحاب الأريحية .

* ثم حاولت قريش المحاولة الأخيرة مع أبي طالب لينتوا محمداً ﷺ عن دعوته ، وهو

على فراش المرض ، فلم تنجح .

* وكان العام العاشر للبعثة عام حزن ، فقد توفي فيه أبو طالب في رجب سنة عشر للبعثة بعد الخروج من الشعب بستة أشهر ، وبعد وفاة أبي طالب بنحو شهرين - على قول - توفيت أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - وكانت وفاتها في شهر رمضان في السنة العاشرة من النبوة ولها خمس وستون سنة ورسول الله ﷺ في الحسین من عمره ، وفقد بذلك الدعم البيتي والدعم الخارجي ، والله في ذلك حكمة ، وتجراً المشركون على رسول الله ﷺ وزادوا في أذاه ، فخرج إلى الطائف لعله يجد أرضاً أكثر خصباً ، ولكن لم يجد استجابة .

* وفي شوال من السنة العاشرة تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة - رضي الله عنها - على إثر وفاة خديجة ، وكانت ممن أسلم قديماً وهاجرت الهجرة الثانية إلى الحبشة مع زوجها السكران بن عمرو الذي توفي بأرض الحبشة أو بعد العودة إلى مكة .

* وفي موسم الحج في السنة الحادية عشرة من النبوة دخلت الكوكبة الأولى من خزرج المدينة في الإسلام وكانوا ستة وعادوا دعاء مبشرين ، ففشا ذكر الرسول ﷺ في المدينة ، وفي شوال من نفس السنة عقد رسول الله ﷺ على عائشة - رضي الله عنها - وكانت صغيرة السن ؛ لذلك لم يدخل بها إلا بعد الهجرة .

* وفي هذه المرحلة حدثت حادثة الإسراء - على خلاف كبير في تعيين زمنها ، هل هو في السابع والعشرين من رجب في السنة العاشرة للبعثة ؟ أم في رمضان في السنة الثانية عشرة للبعثة ؟ أو المحرم في السنة الثالثة عشرة للبعثة ؟ أو ربيع الأول في السنة الثالثة عشرة ؟ وهناك أقوال أخرى . وأشهر الأقوال وأقواها القول الأول .

* وفي السنة الثانية عشر للبعثة وفي موسم الحج اثنا عشر نفراً من المدينة منهم خمسة سبقوا في العام السابق وسبعة جدد وكانت بيعة ، وأرسل رسول الله ﷺ مع هؤلاء مصعب ابن عمير ليعلمهم ويفقههم ويقرئهم القرآن ويدعو إلى الله ، وانتشر الإسلام في المدينة .

* وفي موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من البعثة تمت بيعة العقبة الثانية مع بضع وسبعين نفراً من أهل المدينة المنورة ، واختاروا بأمر النبي ﷺ اثني عشر تقياً منهم .

* جاء بعد ذلك الإذن بالهجرة ، وتآمرت قريش على رسول الله ﷺ ليقتلوه وأنجاه الله منهم ، وكانت الهجرة ، وتمّ الاستقرار في المدينة ، وكانت مرحلة جديدة .

* * *

من ملامح هذه المرحلة

١ - إنها مرحلة تبليغ ودعوة مستمرين ، فلقد سمع بالدعوة كل العرب تقريباً ، ولقد استفاد رسول الله ﷺ من موسم الحج ، فبلّغ تبليغاً مباشراً على مدى سنوات كل من استطاع الوصول إليهم .

قال المقرئزي :

ثم عرض نفسه على القبائل أيام الحج ، ودعاهم إلى الإسلام وهم : بنو عامر وغسان وبنو فزارة وبنو مرة وبنو حنيفة وبنو سليم وبنو عبس وبنو نصر وثلعة بن عكابة وكنانة وكتب وبنو الحارث بن كعب وبنو عذرة وقيس بن الخطيم وأبو الحيسر أنس بن أبي رافع وبنو شيان وبنو مجاشع وسويد بن الصامت والطفيل بن عمرو الدوسي وصام بن ثعلبة .
وقد اقتصر الواقدي أخبار هذه القبائل قبيلة قبيلة .

ويقال : إنه ﷺ بدأ بكنانة فدعاهم إلى الإسلام ثم أتى كلباً ثم بني حنيفة ثم بني عامر ، وجعل يقول : مَنْ رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ فَيُنْعِنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي ، فَإِنْ قَرِشْتُ قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي ؟ هَذَا ؛ وَعُمُّهُ أَبُو لَهَبٍ وَرِأَاهُ يَقُولُ لِلنَّاسِ : لَا تَسْمَعُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ كَذَّابٌ . وكان أحياء العرب يتحامونه لما يسمعون من قريش فيه : إنه كاذب ، إنه ساحر ، إنه كاهن ، إنه شاعر ، أكاذيب يقترفونها بها حسداً من عند أنفسهم وبغياً ؛ فيُضْغِي إليهم من لا تمييز له من أحياء العرب ، وأما الألباء فإنهم إذا سمعوا كلامه ﷺ وتفهموه شهدوا بأن ما يقوله حقٌ وصدقٌ ، وأن قومه يفترون عليه الكذب ، فيسلمون .

٢ - إنها مرحلة تكوين رفيع المستوى للجيل الأول ، فقد انصهر فيها ذلك الجيل بالمعاني القرآنية واحترق بمعاني العبادة ، وخرج ذهباً من غنة الاضطهاد والإيذاء

والتشكيك ، وتجرد للآخرة حق التجرد ، وانسلخ عن الجاهلية انسلاخاً تاماً ، وبذلك وُجِدَ الجيل القادر على حمل الدعوة وصهر الناس فيها ، حتى إذا جاءت مرحلة الدولة في المدينة المنورة كان الملك القيادي معداً .

لقد كانت المرحلة المكية مرحلة تعريف وتكوين ، وضع فيها الأساس للعمل الدعوي والتكويني إلى قيام الساعة ، كما أنها المرحلة التي تعد لأعباء المرحلة اللاحقة مرحلة الجهاد المتواصل ، على أعلى وأرقى ما يكون .

لقد كانت مرحلة مران على ضبط النفس والطاعة المطلقة ، وكانت مرحلة تعلق بالمثل العليا - وهم رسل الله صلى الله عليهم جميعاً - ولذلك نزلت أكثر قصص الأنبياء في هذه المرحلة .

وقد أخذ الأستاذ البنا - رحمه الله - من هذه المرحلة والمرحلة اللاحقة فكرته الرئيسية : أن الدعوة الإسلامية تمر بثلاث مراحل : مرحلة التعريف ومرحلة التكوين ومرحلة التنفيذ . ولقد صاغ نظريته هذه متأسيماً بالسيرة ، ومنسجماً مع اكتمال الوحي واستقرار التشريع ، وملاحظاً الأوضاع المعاصرة للمسلمين ، فكانت نظرية لا أجل منها ولا أكمل .

٣ - وتجسد في هذه المرحلة أن الرسول ﷺ كان يتجنب الصراع السياسي والصراع العسكري ، ويكرس كل جهوده للوصول بالدعوة إلى قلوب الناس وعقولهم ، دون أن يعطي لعدوه فرصة الاستئصال للدعوة والداعية ، بل كان كثير الحرص على تأمين الحماية للدعوة والداعية والمستجيبين ، ولقد عدّد الطرق التي تتأمن بها الحماية : فمن دخول في حماية ، إلى أمر بهجرة ، إلى طلب لبعضهم أن يعيشوا في أكناف قبائلهم مستفيدين من الأعراف والعادات والتقاليد .

وهذا وضع يجب أن يفتن له الدعاة فلا يعطوا فرصاً لخصومهم كي يستأصلوهم ، وعليهم أن يستفيدوا من الأعراف الدولية والقوانين المحلية ليعطوا لدعوتهم فرصة السير .

٤ - كما أنه من الواضح في هذه المرحلة أن الرسول ﷺ كان دائب البحث عن الجهة القادرة على حماية هذا الدين ونصرتة والقيام بنشره ، وفي اصطلاح عصرنا كان دائم

البحث عما تقوم به دولة للإسلام يعيش المسلمون في ظلها أحراراً آمنين ، وتقوم هذه الدولة بحمل الإسلام والتبشير به والانتصار له ولأهله ، وجاءت الفرصة بقبول الأوس والخزرج القيام بهذا الدور ، وبذلك قامت دولة الإسلام الأولى في المدينة المنورة ، وهذا درس للدعاة ألا تقف همهم دون الوصول إلى دولة للإسلام تقيمه في واقع الحياة وتحمي حماه .

٥ - إنها مرحلة بطيئة من حيث الكم كبيرة من حيث الكيف ؛ لأنها المرحلة التي تمهد لكل المراحل اللاحقة إلى قيام الساعة .

* * *

فصل : في بدء الوحي وفترته واستثنائه

٤٨ - * روى البخاري عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي : الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبِبَ إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنّث فيه - وهو التعبّد - الليالي ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزوّد لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة ، فيتزوّد لمثلها .

حتى جاءه الحق - وفي رواية : حتى فجأه الحق - وهو في غار حراء ، فجاءه الملك ، فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارئ ، قال : فأخذني فغطّني ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطّني الثانية ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ؟! فأخذني فغطّني الثالثة ، ثم أرسلني ،

٤٨ - البخاري (١ / ٢٢) - كتاب بدء الوحي .

٢ - باب حدثنا يحيى بن بكير .

مسلم (١ / ١٣٩) - كتاب الإيمان - ٧٣ - باب : بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ .

التحنّث : التعبّد وهو أن يفعل فعلاً يخرج به من الخنث ، وهو الإثم . نزعت إلى أهلي : أي رجعت . غطّه : إذا حطه بشدة كما يغطه في الماء إذا بالغ في حطه فيه . الجهد : بفتح الجيم : المشقة ، وبضها : الطاقة ، وقيل : هما لفتان . رَمَلُونِي : التزميل والتدثير : واحد وهو التغطية والتلفّ في الثوب . لقد خشيت على نفسي : تكلم العلماء في معنى هذه الحشية بأقوال كثيرة : فذهب أبو بكر الإسماعيلي إلى أن هذه الحشية كانت منه قبل أن يحصل له العلم بأن الذي جاءه ملك من عند الله ، وكان أشق شيء عليه أن يقال عنه : مجنون . وقد قيل في قوله : « لقد خشيت على نفسي » ، أي : خشيت ألا أنهض بأعساء النسوة ، وأن أضعف عنها ، ثم أزال الله خشيته ، ورزقه الأيد والقوة والثبات والعصّة . وقد قيل : إن حشيته كانت من قومه أن يقتلوه ، ولا غرور ، فإنه بثر يخشى من القتل والإنابة الشديدة ما يحشاه البشر ، ثم يهوى عليه الصبر في ذات الله كل خشية ، ويحب إلى قلبه كل شجاعة وقوة . الكل : الأثقال والحوائج المهمة والعيال ، وكل ما يتكلمه الإنسان من الأحوال ، ويجعله عن غيره مهم كل . تكسب المعلوم : جعل الكسب لنفسه وأنه يصل إلى كل معدوم ويناله فلا يتمدّر عليه لتعذره . وقيل : أي يعطي الشيء للمعوم غيره ويوصله إلى كل من هو معدوم عنده . ويقال كسبت مالاً : وكسبت زيدا مالاً : أي أعتته على كسبه ومنهم من عدّاه بالهمزة ، يقال : أكسبت زيدا مالاً ، أي جعلته يكسبه . والقول الثاني أولى القولين ، لأنه أشبه بما قبله في باب التفضل والإنعام ، إذ لا إنعام أن يكسب هو لنفسه مالاً كان معدوماً عنده ، وباب الحظ والسعادة في الاكتساب غير باب التفضل والإنعام . الناموس : صاحب سرّ الملك الذي لا يحضر إلا بحير ، ولا يظهر إلا الجليل ، وسُمّي جبريل عليه السلام ناموساً ، لأنه مخصوص بالوحي والغييب الذي لا يطلع عليه أحد من الملائكة سواء . =

فقال : ﴿ اقْرَأْ بِأَمْرِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ (١) .

فرجع بها رسول الله ﷺ يَرْجِفُ فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - فقال : « زَمِّلُونِي ، زَمِّلُونِي ، زَمِّلُونِي » فزَمِّلُوهُ حتى ذَهَبَ عنه الرُّوعُ ، فقال لخديجة - وأخبرها الخبر - : « لقد خَشِيتُ على نفسي » فقالت خديجة : كَلَّا ، والله ما يَخْزِيكَ الله أبداً ، إِنَّكَ لَتَصِلَ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلَ الْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ الْمُدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينَ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ .

فانطلقت به خديجة ، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة - وكان امرأ تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي - فقالت له خديجة : يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخي ، ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ، ياليتني فيها جذاعاً ، ليتني أكون حياً إذ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، فقال رسول الله ﷺ : « أَوْ مَخْرُجِيْ هَمْ ؟ » قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزراً ، ثم لم ينشأ ورقة أن توفي ، وفتر الوحي .

قال البخاري : وتابعه هلال بن رقاد عن الزهري . وقال يونس ومعمر : (ترَجَفَ بوادره)

وفي حديث معمر عن الزهري عند مسلم (فوالله لا يحزنك الله أبداً) بالحاء والنون .

وزاد البخاري (٢) في رواية أخرى قال : (وَفَتَرَ الْوَحْيَ فِتْرَةً ، حتى حَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ -

= جَنَاحًا: الجَذَعُ هاهنا : كناية عن الشباب ، يقول : ياليتني كنت شاباً عند ظهورك لأنصرك وأعينك . فمَرَّاً مؤزراً : أي : مؤكداً قوياً . ترَجَفَ : تحنَّنَ وبوادره جمع بادرة ، وهي اللحمية تكون بين عنق الإنسان ومنكبه ، وكذلك في غير الإنسان .

(١) الملق : ١ ، ٢ ، ٣ .

(٢) البخاري (١٢ / ٢٥٢) ٩١ - كتاب التعبير - ١ - باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة . يتردّد : التردّي : الوقوع من وضع عال . الشوايق : الجبال العالية ، الواحد : شاق . أولى : أشرف على الشيء . وذروة كل شيء : أعلاه . الجاش : الجنان والقلب .

فَمَا بَلَّغْنَا - حُزْناً غَدَا مِنْهُ مِرَاراً كِي يَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ ، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لَكِي يَلْقَى نَفْسَهُ مِنْهُ : تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقّاً ، فَيَسْكُنُ لَذَلِكَ جَأَشَهُ وَتَقَرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ قَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ ، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ) .

وأخرج الترمذي^(١) طرفاً من هذا الحديث عن عائشة قالت : (أَوَّلُ مَا ابْتَدَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ النَّبُوَّةِ حِينَ أَرَادَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ وَرَحْمَةَ الْعِبَادِ بِهِ : أَنْ لَا يَرَى شَيْئاً إِلَّا مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ فَكَثَّ عَلَى ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْثَ ، وَحُبَّبَ إِلَيْهِ الْخُلُوءُ ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَخْلُوَ .

* * *

السر في الخلوة :

عند قوله : (ثُمَّ حُبَّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ) قال صاحب الفتح :

وَالْخَلَاءُ بِالْمَدِّ الْخُلُوءُ ، وَالسَّرَفُ فِيهِ أَنْ الْخُلُوءَ فَرَاغَ الْقَلْبِ لِمَا يَتَوَجَّهُ لَهُ .

أقول : وقد أخذ بعض أهل السلوك إلى الله من ذلك فكرة الخلوة مع الذكر والعبادة في مرحلة من مراحل السلوك ؛ لتنوير القلب وإزالة ظلمته وإخراجه من غفلته وشهوته وهفواته ، وبعضهم يستحبها للسالك في أول سيره ويركز على الاعتكاف في رمضان وغيره ، أخذاً من حال رسول الله ﷺ في الابتداء والانتهاء .

* * *

حياته قبل النبوة :

عند قول خديجة : (كَلَّا وَاللَّهِ لَا يَخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا . إِنَّكَ) .

قال صاحب الفتح : استدلت على ما أقسمت عليه من نفي ذلك أبداً بأمر استقرائي ،

(١) الترمذي (٥ / ٥٩٦) ٥٠ - كتاب المناقب ، باب : ٦ . وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب .

وصفته بأصول مكارم الأخلاق ، لأن الإحسان إما إلى الأقارب أو إلى الأجانب ، وإما بالبدن أو بالمال ، وإما على من يستقل بأمره أو من لا يستقل ، وذلك كله مجموع فيما وصفناه به .

أقول : لعل أبلغ وصف توصف به حياته - عليه الصلاة والسلام - قبل النبوة ما وصفته به خديجة - وهي أعرف الخلق به - لقد اجتمع له - عليه الصلاة والسلام - أظهر قلب وأكرم سلوك ، فكانت كرامة الله .

* * *

المراحل الأولى للوحي :

قال في الفتحة :

(فائدة) : وقع في تاريخ أحمد بن حنبل عن الشعبي أن مدة فترة الوحي كانت ثلاث سنين ، وبه جزم ابن إسحاق ، وحكى البيهقي أن مدة الرؤيا كانت ستة أشهر ، وعلى هذا فابتداء النبوة بالرؤيا وقع من شهر مولده وهو ربيع الأول بعد إكاله أربعين سنة ، وابتداء وحي اليقظة وقع في رمضان . وليس المراد بفترة الوحي المقدرة بثلاث سنين وهي ما بين نزول اقرأ ويا أيها المدثر عدم مجيء جبريل إليه ، بل تأخر نزول القرآن فقط . ثم راجعت المنقول عن الشعبي من تاريخ الإمام أحمد ، ولفظه من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي : أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته إسماعيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل عليه القرآن على لسانه . فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل ، فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة . وأخرجه ابن أبي خيثمة من وجه آخر مختصراً عن داود بلفظ : « بعث لأربعين ، ووكل به إسماعيل ثلاث سنين ، ثم وكل به جبريل . فعلى هذا فيحسن - بهذا المرسل إن ثبت - الجمع بين القولين في قدر إقامته بمكة بعد البعثة ، فقد قيل ثلاث عشرة ، وقيل عشر ، ولا يتعلق ذلك بقدر مدة الفترة ، والله أعلم . وقد حكى ابن التين هذه القصة ، لكن وقع عنده ميكائيل بدل إسماعيل ، وأنكر

الواقدي هذه الرواية المرسلة وقال : لم يقرن به من الملائكة إلا جبريل ، انتهى . ولا يخفى ما فيه ، فإن المثبت مقدم على النافي إلا إن صحب النافي دليل نفيه فيقدم ، والله أعلم . وأخذ السهيلي هذه الرواية فجمع بها المختلف في مكثه ﷺ بمكة ، فإنه قال : جاء في بعض الروايات المسندة أن مدة الفترة سنتان ونصف ، وفي رواية أخرى أن مدة الرؤيا ستة أشهر . فمن قال مكث عشر سنين حذف مدة الرؤيا والفترة ، ومن قال ثلاث عشرة أضافها . وهذا الذي اعتده السهيلي من الاحتجاج بمرسلي الشعبي لا يثبت ، وقد عارضه ما جاء عن ابن عباس أن مدة الفترة المذكورة كانت أياماً .

أقول : على القول : إن فترة الوحي كانت ثلاث سنين فيكون نزول سورة المدثر والمزمل بعد بدء الوحي بثلاث سنين ، وبسبب هذا القول ذهب من ذهب أن النبوة كانت على رأس الأربعين ، وأن الرسالة كانت بعد ثلاث سنين ، والراجح عندي أن الأمر بالدعوة لم يكن متأخراً كثيراً عن بدء الوحي ، ولكن منذ بدء الوحي حتى انتهاء الفترة السريّة كان ثلاث سنين ، وعلى كل الأحوال فإن سورة ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ نزلت بعد فترة الوحي ، وعلى هذا تحمل الرواية التي تذكر أن أول ما نزل سورة المدثر فهي أولية نسبية ذلك أنها أول ما نزل بعد فترة الوحي .

٤٩ - * روى الحاكم عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ قَالَ : « فَقُلْتُ زَمَلُونِي فَدَثَرُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ » قال هي الأوثان .

يؤكد هذا الحديث أن سورة المدثر نزلت بعد فترة الوحي فليس هي أول سورة نزلت بإطلاق ، بل هي أول ما نزل بعد فترة الوحي .

٥٠ - * روى البخاري عن جُنْدُب بن سفيان البجلي رضي الله عنه قال : اشتكى رسول

٤٩ - المستدرك (٢ / ٢٥١) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه هذه اللفظة .

زملوني : أي لغوني بثيابي ، والمزمل هو اللثف بثيابه ، وكذلك دثروني . الأوثان : الأصنام ، والوثن هو الصنم .

٥٠ - البخاري (٨ / ٧١٠) ٦٥ - كتاب التفسير - ٩٣ - سورة الضحى - ١ - باب : ما ودعك ربك وما قلى .

ومسلم (٣ / ١٤٢٢) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٣٩ - باب : ما لقي النبي ﷺ من أذى للمشركين والنافقين .

الله ﷺ ، فلم يَمُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ ، فَقَالَتْ : يَا مُحَمَّد ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ ، لَمْ أَرَهُ قَرِيبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ ^(١) .

وفي رواية قال : أَبْطَأَ جَبْرِيلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ : قَدْ وَدَّعَ مُحَمَّدٌ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ .

٥١ - * روى الترمذي عن جُنْدُبِ الْبَجَلِيِّ قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَارٍ ، قَدِمَتِ إِصْبَعُهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ وفي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ ؟

قال : فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ : قَدْ وَدَّعَ مُحَمَّدٌ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ .

ذكرت هذه الرواية هنا لأنه اختلط على بعض العلماء فترة الوحي هذه بفترة الوحي التي كانت بعد فجأة الوحي وليس ذلك صحيحاً . قال صاحب الفتح :

والحق أن الفترة المذكورة في سبب نزول والضحى غير الفترة المذكورة في ابتداء الوحي . فإن تلك دامت أياماً وهذه لم تكن إلا ليلتين أو ثلاثاً . وههنا إشكال : أن بعض الروايات تذكر : أن خديجة قالت لرسول الله ﷺ : ما أرى ربك إلا قد قلاك ، وقد قال صاحب الفتح في هذا :

وقع في رواية أخرى عن الحاكم (فقالت خديجة) وأخرجه الطبري أيضاً من طريق عبد الله بن شداد (فقالت خديجة ولا أرى ربك) ومن طريق هشام بن عروة عن أبيه

= اشتكى : أي : مرض . والمرأة : هي أم جميل - بفتح الجيم - امرأة أبي لهب وأخت أبي سفيان . وقرب : بالضم لازم ، يقال : قرب الشيء ، أي : دنا ، وبالكسر : متعمد ، يقال : قربته ، أي : دنوت منه . شيطانك : أي أنها كانت تقول عن الوحي شيطان ، قاتلها الله وتبب يداها ويذا زوجها . والليل إذا سجي : أي ثبت بظلامه وسكن بأهله . قلا : قلاه : إذا هجره ، والاسم : القلى . ودَّعَ : أي فوِّق ، ويقال ودَّعَ المسافر الناس أي فارقههم محيياً لهم . (١) الضحى : ١ - ٣ .

٥١ - الترمذي (٤٢٢ / ٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٨٢ باب : ومن سورة الضحى . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(فقالت خديجة لما ترى من جزعه) ، وهذان طريقان مرسلان وروايتها ثقات ، فالذي يظهر أن كلاً من أم جميل وخديجة قالت ذلك ، لكن أم جميل عبرت - لكونها كافرة - بلفظ شيطانك . وخديجة عبرت - لكونها مؤمنة - بلفظ ربك أو صاحبك ، وقالت أم جميل شامة وخديجة توجعاً .

وفي الجمع بين سببي النزول لقوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ . أقول : إنه قد يتكرر نزول الآية مرة بعد مرة على إثر حوادث متعددة .

٥٢ - * روى البخاري ومسلم عن يَحْيَى بن أبي كَثِير قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ فقلت : يقولون ﴿ اقْرَأْ بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ قال أبو سلمة سألت جابراً ، فقلت له مثل ما قلت لي ، فقال لي جابر : لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ ، قال : « جَاوَرْتُ بِحَرَاءٍ شَهْرًا ، فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي ، هَبَطْتُ ، فَتَوَدَّيْتُ ، فَانْظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرْ شَيْئًا ، وَانْظَرْتُ عَنْ شِمَالِي ، فَلَمْ أَرْ شَيْئًا ، وَانْظَرْتُ أَمَامِي فَلَمْ أَرْ شَيْئًا ، وَانْظَرْتُ خَلْفِي ، فَلَمْ أَرْ شَيْئًا ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَرَأَيْتُ شَيْئًا ، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ ، فَقُلْتُ : دَثِّرُونِي ، فَدَثَّرُونِي ، وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا ، فَانْزَلْتُ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * فَمُ قَانْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ » ^(١) وذلك قبل أن تفرض الصلاة .

وفي رواية ^(٢) « فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي هَبَطْتُ فَاسْتَبَطَنْتُ الْوَادِي ، فَتَوَدَّيْتُ فَانْظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي ، فَلَمْ أَرْ أَحَدًا ، ثُمَّ تَوَدَّيْتُ ، فَانْظَرْتُ فَلَمْ أَرْ أَحَدًا ، ثُمَّ تَوَدَّيْتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا هُوَ قَاعِدٌ عَلَى عَرْشٍ فِي

٥٢ - والبخاري (٨ / ٦٧٦) ٦٥ - كتاب التفسير - ٧٤ - سورة المدثر .

مسلم (١ / ١٤٤) ١ - كتاب الإيمان - ٧٣ - باب : بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ .

فلما قضيت جوازي : أي عاورتي واعتكافي في الغار . فاستبطنت الوادي : أي : صرت في باطنه . فآخذتني رجفة شديدة : الرجفة : الاضطراب .

(١) للمدثر : ١ - ٥ .

(٢) مسلم (١ / ١٤٤) ١ - كتاب الإيمان - ٧٣ - باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ .

المهوء - يعني جبريل - فأخذتني رجفة شديدة ، فأتيت خديجة فقالت : دثروني ، فدثروني ، وصبوا علي ماء بارداً ، فأنزل الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ .

وفي رواية^(١) « فإذا هو جالس على العرش بين السماء والأرض » .

وفي رواية^(٢) عن أبي سلمة عن جابر قال : سمعت النبي ﷺ يحدث عن فترة الوحي ، فقال لي في حديثه « فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت رأسي ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئشت منه رعباً ، فرجعت ، فقالت : زملوني زملوني ، فدثروني ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ » قبل أن تفرض الصلاة ، والرجز هي الأوثان .

وفي أخرى « فجئشت منه حتى هويت إلى الأرض » وفيه : قال أبو سلمة (والرجز : الأوثان) قال : « ثم حمي الوحي ، وتتابع » .

وأول هذه الرواية : أن رسول الله ﷺ قال : « ثم فتر الوحي عني فترة ، فبينما أنا أمشي ... » ثم ذكر نحوه .

أقول : أولية نزول ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ أولية نسبية فهي أول ما نزل بعد فترة الوحي . فالصحيح أن أول ما نزل من القرآن هو قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ وأما ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ فكانت بعد ذلك . ويصدق في ذلك ما وقع في بعض روايات هذا الحديث « فإذا الملك الذي جاءني بحراء » وقوله « ثم تابع الوحي » أي بعد فترته .

(١) البخاري (١ / ٦٧٨) ٦٥ - كتاب التفسير - ٧٤ - سورة المدثر - باب : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ .

(٢) مسلم (١ / ١٤٥) ١ - كتاب الإيمان - ٧٣ - باب : بدء الوحي .

فإذا هو على العرش : المراد بالعرش الكرسي . قال أهل اللغة : العرش هو السرير ، وقيل سرير الملك . قال تعالى : ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ . فجئشت منه : يقال : « جئشت » بهمة قبل ثاء ، وبشاءين ، وبشاء وتاء : كلمة بمعنى فرغت ، والذي في الرواية : الأول . هويت : هوى إلى الأرض وأهوى إليها . أي : سقط . ثم حمي الوحي وتتابع : أي كثر نزوله وازداد من قولهم حيث الشمس والنار أي قويت حرارتها .

وقبل كل ذلك الحديث الطويل الذي رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها في قصة أول بعثته ﷺ ونزول جبريل عليه براء .

بدأ الوحي بقوله تعالى ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ وبعد فترة نزل ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَدُنِيُّ * قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَل * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ فلنقف وقفة عند ذلك :
عند قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ قال السهيلي :

أي لا تقرؤه بقوتك ولا بمعرفتك ، لكن بحول ربك وإعانتة ، فهو يعلمك ، كما خلقك وكما نزع عنك الدم وغرز الشيطان في الصغر ، وعلم أمتك حتى صارت تكتب بالقلم بعد أن كانت أمية .

أقول : أخذ بعض أهل السلوك إلى الله عز وجل من هذا أن السالك إلى الله يبدأ بقراءة هذا الكون مستعيناً باسم الله ، حتى إذا احترق بالذكر وأذن له شيوخه بالدعوة إلى الله قام بالدعوة ، وعليه في هذا الحال أن يجتمع له دعوة وعبادة ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ ﴿ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ولا ينجح بالدعوة إلا من اجتمع له تعظيم الله ﴿ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴾ وطهارة الظاهر والباطن ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ والتباعد عن عبادات الجاهلية ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ والعمل مع رؤية التقصير ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ ﴾ والصبر على مقتضيات الدعوة ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ .

* * *

فصل : في ظاهرة الوحي

٥٣ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام - رضي الله عنه - سأل رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس - وهو أشده عليّ - فيفصم عني وقد وعيتُ عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني ، فأعي ما يقول » .

قالت عائشة - رضي الله عنها - : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً .

وفي رواية النسائي^(١) إلى قوله : « فيفصم عني وقد وعيتُ عنه » ثم قال : « وهو أشدُّ عليّ » ، وأحياناً يأتيني في مثل صورة الفتى ، فينبذه إليّ » .

٥٤ - * روى الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي سَمِعَ عِنْدَ وَجْهِهِ كَدَوِيَّ النحل ، فَأُنْزِلَ عَلَيْهِ يَوْمًا فَكُنْثَا سَاعَةً فَسَرَى عَنْهُ فَاسْتَقْبَلَ الْقُبْلَةَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ : « اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا ، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا ، وَأَعْظِمْنَا وَلَا تَحْزِنْنَا ، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا ، وَأَرْضِنَا وَارْضَ عَنَّا » ، ثم قال ﷺ : « أَنْزَلَ عَلَيَّ عَشْرَ آيَاتٍ ، مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ » ثم قرأ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٢) حتى خَتَمَ عَشْرَ آيَاتٍ .

٥٥ - * روى أحمد عن عائشة قالت : إِنْ كَانَ لِيُوحَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى

٥٣ - البخاري (١ / ١٨) ١ - كتاب بدء الوحي ، باب : ٢ .

ومسلم (٤ / ١٨١٧) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٢٣ - باب : عرق النبي ﷺ في البرد ، وحين يأتيه الوحي .

والترمذي (٥ / ٥٩٧) ٥٠ - كتاب المناقب - ٧ - باب : ما جاء كيف كان ينزل الوحي على النبي ﷺ . قال أبو عيسى : حديث حسن صحيح .

الصلابة : صوت الأشياء الصلبة اليابسة . قَصَمَ عَنِي : انفصل عني وفارقتي . وعيت الكلام : إذا حفظته وعرفته . ليتفصد عرقاً : أي : جرى عرقه كما يجري الدم من الفصاد . فينبذه إليّ : أي يلقيه إليّ .

(١) النسائي (٢ / ١٤٦) كتاب الافتتاح باب : جامع ما جاء في القرآن .

٥٤ - الترمذي (٥ / ٣٢٦) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٢٤ - باب : ومن تفسير سورة المؤمنين ، وهو حديث حسن .

كدوي النحل : صوتها وطنينها . آثَرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا : أي أكرمنا ولا تكرم غيرنا دون أن تكرمنا .

(٢) المؤمنون : ١ .

٥٥ - أحمد في مسنده (١ / ١٨٨) وقال عنه الميثقي في الجمع (٨ / ٢٥٧) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

راحلته فتضرب بجِرائِها .

٥٦ - * روى الطبراني عن زيد بن ثابت قال : كُنْتُ أَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ أَخَذَتْهُ بَرَحَاءُ شَدِيدَةً وَعَرَقَ عَرَقًا شَدِيدًا مِثْلَ الْجَمَانِ ثُمَّ سَرَى عَنْهُ ، فَكُنْتُ أَدْخُلُ عَلَيْهِ بِقِطْعَةِ الْعَسْبِ أَوْ كَسِرِهِ فَأَكْتُبُ وَهُوَ يُمْلِي عَلَيَّ ، فَمَا أَفْرَعُ حَتَّى تَكَادُ رِجْلِي تَنْكَسِرُ مِنْ ثِقَلِ الْقُرْآنِ حَتَّى أَقُولَ لَا أَمْشِي عَلَى رِجْلِي أَبَدًا ، فَإِذَا فَرَعْتُ قَالَ اقْرَأْ فَإِنْ كَانَ فِيهِ سَقَطٌ أَقَامَهُ ، ثُمَّ أَخْرَجَ بِهِ إِلَى النَّاسِ .

٥٧ - * روى مسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ كَرِبَ لَذَلِكَ ، وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ .

وفي رواية : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ نَكَسَ رَأْسَهُ ، وَنَكَسَ أَصْحَابُهُ رُؤُوسَهُمْ ، فَلَمَّا أَبْلُغَ عَنْهُ رَفَعَ رَأْسَهُ .

وفي رواية^(١) : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَرِبَ لَذَلِكَ ، وَتَرَبَّدَ لَهُ وَجْهُهُ ، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَقَى كَذَلِكَ ، فَلَمَّا سَرَى عَنْهُ قَالَ : « خُذُوا عَنِّي ، خُذُوا عَنِّي ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ هُنَّ سَبِيلًا ، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جِلْدٌ مَائَةٌ ، وَتَفِي سَنَةٌ ، وَالتَّيِّبُ بِالتَّيِّبِ جِلْدٌ مَائَةٌ وَالرَّجْمُ » .

= فتضرب بجِرائِها : أي تمتد عنقها على الأرض من التعب . قال الحافظ في الفتح : الجِرائُ بكسر الجيم وتخفيف الراء المفتوحة : باطن العنق والمعنى أنه ﷺ إذا أتاه الوحي وهو راكب على راحلته بركت من ثقل الوحي وضربت الأرض بباطن عنقها . أي مدت عنقها على الأرض لأن في ذلك راحة لها .

٥٦ - الطبراني (٥ / ١٤٢) وقال الميثقي في المجمع (٨ / ٢٥٧) : رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات .
الوحي : الإشارة والكتابة والمكتوب والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقىته إلى غيرك والصوت يكون في الناس وغيرهم والوحي ما يوحيه الله إلى أنبيائه . بَرَحَاءُ : البرحاء : الشدة . ومنه برحاء الحمى . الجمان : اللؤلؤ . سرى : مضى وذهب . العسب : (العسيب) من النخل مستقيمة دقيقة يكشفط خوصها والذي لم ينبت عليه الخوص من السعف .

٥٧ - مسلم (٤ / ١٨١٧) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٢٢ - باب عرق النبي ﷺ في البرد ، وحين يأتيه الوحي .
كرب لذلك : أي أصابه الكرب وهو المشقة . تربد : أي تغير لون وجهه فأصبح قريبا من لون السحاب . أبل : للريض من مرضه : إذا زال عنه ، وكذلك للمغمى عليه ، والمراد : زوال ما كان يعرض عند نزول الوحي ، وكذلك سَرَى عَنْهُ ، أي : كشف عنه ذلك .

(١) مسلم (٣ / ١٣١٦) ٢٩ - كتاب الحدود - ٣ - باب حد الزنى .

سبب ورود قول النبي ﷺ : « قد جعل الله لمن سبيلاً » أن الله عز وجل قد أنزل في سورة النساء في الحكم بشأن من يزني من النساء : ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ مَسْبِلاً ۝ ﴾ (١) . قال مكي بن أبي طالب في الإيضاح : كان الله جل ذكره قد فرض في الزانين المحصنين إذا شهد عليهما بالزنا أربعة شهود أن يحبسوا في البيت حتى يموتا أو يجعل الله لهما سبيلاً ، فجعل الله السبيل بالرجم ، المتواتر نقله ، الثابت حكمه المنسوخ تلاوته .

٥٨ - * روى البخاري عن صفوان بن يعلى بن أمية ، أن يعلى كان يقول : ليتني أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه الوحي ، فلما كان النبي ﷺ بالجعرانة وعليه ثوب قد أظلم عليه ومعه الناس من أصحابه ، إذ جاءه رجل متضمخ بطيب فقال : يا رسول الله : كيف ترى في رجل أحرم في جبة بعدما تضحخ بطيب ، فنظر النبي ﷺ ساعة فجاءه الوحي : فأشار عمر إلى يعلى أي تعال ، فجاء يعلى فأدخل رأسه ، فإذا هو محمر الوجه يغط كذلك ساعة ، ثم سرى عنه فقال : أين الذي يسألني عن العمرة آنفاً ؟ فالتمس الرجل فجاء به إلى النبي ﷺ فقال : « أما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات ، وأما الجبة فانزعها ، ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجبك » .

ذكرنا هذه النصوص ههنا للتعريف على ظاهرة الوحي في حياة رسول الله ﷺ وهي ظاهرة لا تشبه أي ظاهرة من الظواهر التي علل بها الكافرون لحديثها عند رسول الله ﷺ ، إن تعليلاتهم حقد خالص ، فمن يصدق أن ظاهرة مَرَضِيَّة من الظواهر التي يزعمون أن يخرج على أثرها نص كنصوص القرآن ؟

وقد ناقش الأستاذ البوطي في كتابه فقه السيرة المشككين في ظاهرة الوحي ثم قال :

(١) النساء : ١٦ .

٥٨ - البخاري (٩ / ١) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن - ٢ - باب نزول القرآن بلسان قريش والعرب .
ومسلم (٢ / ٨٢٧) ١٥٠ - كتاب الحج - ١ - باب ما يباح للمحرم بمح أو عمرة ومالا يباح وبيان تحريم الطيب عليه .

إن هذه الحالة التي مرّ بها رسول الله ﷺ ، تجعل مجرد التفكير في كون الوحي إلهاماً نفسياً ضرباً من الجنون ، إذ من البدهة بمكان أن صاحب الإلهامات النفسية والتأملات الفكرية لا يمرّ إلهامه أو تأمله بمثل هذه الأحوال .

وإذاً فإن حديث بدء الوحي على النحو الذي ورد في الحديث الثابت الصحيح ، ينطوي على تهديم كل ما يحاول المشككون تخييله إلى الناس في أمر الوحي والنبوة التي أكرم الله بها محمداً عليه الصلاة والسلام ، وإذا تبين لك ذلك أدركت مدى الحكمة الإلهية العظيمة في أن تكون بدء الوحي على النحو الذي أراده الله عز وجل .

وربما عاد بعد ذلك محترفو التشكيك ، يسألون : فلماذا كان ينزل عليه ﷺ الوحي بعد ذلك وهو بين الكثير من أصحابه فلا يرى الملك أحدٌ منهم سواء ؟

والجواب : أنه ليس من شرط وجود الموجودات أن تُرى بالأبصار ، إذ إن وسيلة الإبصار فينا محدودة بحد معين ، وإلا لاقتضى ذلك أن يصبح الشيء معدوماً إذا ابتعد عن البصر بعداً يمنع من رؤيته . على أن من اليسير على الله جل جلاله - وهو الخالق لهذه العيون المبصرة - أن يزيد في قوة ما شاء منها فيرى ما لا تراه العيون الأخرى ، يقول مالك بن نبي في هذا الصدد :

إن عى الألوان مثلاً يقدم لنا حالة غوذجية ، لا يمكن أن ترى فيها بعض الألوان بالنسبة لكل العيون ، وهناك أيضاً مجموعة من الإشعاعات الضوئية دون الضوء الأحمر وفوق الضوء البنفسجي لا تراها أعيننا ، ولا شيء يثبت علمياً أنها كذلك بالنسبة لجميع العيون . فلقد توجد عيون يمكن أن تكون أقل أو أكثر حساسية .

ثم إن استمرار الوحي بعد ذلك يحمل نفس الدلالة على حقيقة الوحي وأنه ليس كما أراد المشككون : ظاهرة نفسية محضة . ونستطيع أن نجمل هذه الدلالة فيما يلي .

١ - التمييز الواضح بين القرآن والحديث ، إذ كان يأمر بتسجيل الأول فوراً ، على حين يكتفي بأن يستودع الثاني ذاكرة أصحابه ، لا لأن الحديث كلام من عنده لا علاقة للنبوة به ، بل لأن القرآن موحى به إليه بنفس اللفظ والحروف بواسطة جبريل عليه السلام . أما

الحديث فمعناه وحي من الله عز وجل ، ولكن لفظه وتركيبه من عنده عليه الصلاة والسلام ، فكان يحاذر أن يختلط كلام الله عز وجل الذي يتلقاه من جبريل بكلامه هو .

٢ - كان النبي ﷺ يُسأل عن بعض الأمور فلا يجيب عليها ، وربما مرّ على سكوته زمن طويل ، حتى إذا نزلت آية من القرآن في شأن ذلك السؤال ، طلب السائل وتلا عليه ما نزل من القرآن في شأن سؤاله . وربما تصرف الرسول في بعض الأمور على وجه معين ، فتنزل آيات من القرآن تصرفه عن ذلك الوجه ، وربما انطوت على عتب أو لوم له .

٣ - كان رسول الله ﷺ أمياً ، وليس من الممكن أن يعلم إنسان بواسطة المكاشفة النفسية حقائق تاريخية ، كقصة يوسف ، وأم موسى حينما أُلقت وليدها في اليم ، وقصة فرعون ، ولقد كان هذا من جملة الحكَم في كونه ﷺ أمياً : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (١) .

٤ - إن صدق النبي ﷺ أربعين سنة مع قومه واشتهاره فيهم بذلك ، يستدعي أن يكون ﷺ من قبل ذلك صادقاً مع نفسه بما لا يمكن أن يشك في صدقه فيما بعد ذلك ، اهـ .
وقال الدكتور مصطفى السباعي :

إن الله إذا أراد لعبد أن يوجهه لدعوة الخير والإصلاح ألقى في قلبه كره ما عليه مجتمعه من ضلال وفساد . إن محمداً عليه الصلاة والسلام لم يكن يستشرف للنبوة ، ولا يحلم بها . وإنما كان يلهمه الله الخلوة للعبادة تطهيراً ، وإعداداً روحياً لتحمل أعباء الرسالة . ولو كان عليه الصلاة والسلام يستشرف للنبوة ، لما فزع من نزول الوحي عليه ، ولما نزل إلى خديجة يستفسرها عن سر تلك الظاهرة التي رآها في غار حراء . ولم يتأكد من أنه رسول إلا بعد رؤية جبريل يقول له : يا محمد أنت رسول الله . وأنا جبريل ، وإلا بعد أن أكد له ولخديجة وورقة بن نوفل أن ما رآه في الغار هو الوحي الذي كان ينزل على موسى عليه الصلاة والسلام .

* * *

أقسام الوحي :

ذكر ابن القيم وغيره مراتب الوحي فأوصلوها إلى الثانية :

إحداها : الرؤيا الصادقة . وكانت مبدأ وحيه ﷺ .

الثانية : ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه ، كما قال النبي ﷺ : « إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها . فاتقوا الله ، وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله ، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته » .

الثالثة : أنه ﷺ كان يتمثل له الملك رجلاً فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له ، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناً .

الرابعة : أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس ، وكان أشده عليه فيلتبس به الملك ، حتى أن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد ، وحتى أن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها ، ولقد جاء الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت ، فثقلت عليه حتى كادت ترضها .

الخامسة : أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها ، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه ، وهذا وقع له مرتين كما ذكر الله ذلك في سورة النجم .

السادسة : ما أوحاه الله إليه ، وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها .

السابعة : كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك كما كلم الله موسى بن عمران ، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعاً بنص القرآن . وثبوتها لنبينا ﷺ هو في حديث الإسراء .

وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي : تكليم الله له كفاحاً من غير حجاب ، وهي مسألة خلاف بين السلف والخلف . [الرحيق المختوم]

حفظ أمر السماء بعد النبوة :

٥٩ - * روى البخاري عن ابن عباس قال : انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين ، فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب . قال : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث ؟ فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء ؟ قال : فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن سمعوا له ، فقالوا : هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا : يا قومنا ، إنا سمعنا قرأنا عجباً يهدي إلى الرشيد فأمنّا به ، ولن نشرك برّبنا أحداً . وأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ : ﴿ قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ﴾^(١) وإنما أوحى إليه قول الجن .

هذه رواية البخاري . وقد أخرجها مسلم مع زيادة فيها نفي ابن عباس لرؤية الجن

٥٩ - البخاري (٨ / ٦٦٩) ٦٥ - كتاب التفسير - باب - ١ ، سورة ﴿ قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ ﴾ .

ومسلم (١ / ٣٣١) ٤ - كتاب الصلاة - ٣٣ - باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن .

عامدين : عمدت إلى الشيء : قصدت نحوه . عكاظ : موسم معروف للعرب قال في الفتح . بل كان من أعظم مواسمهم ، وهو غل في واد بين مكة والطائف وهو إلى الطائف أقرب ، بينها عشرة أميال ، وهو وراء قرن المنازل بمرحلة من طريق صنعاء الين . وقال البكري : أول ما أحدث قبل الفيل بخمس عشرة سنة ، ولم تزل سوقاً إلى سنة تسع وعشرين ومائة ، فخرج الحوارج الحرورية فنهبوها فتركت إلى الآن ، وكانوا يقيمون به جميع شوال يتبايعون ويتفاخرون وتنشد الشعراء ما تجدد لهم ، وقد كثر ذلك في أشعارهم كقول حسان :

سأنشر إن حييت لكم كلاماً
ينشر في الجمامع من عكاظ

وكان المكان الذي يجتمعون به منه يقال له الابتداء . وكانت هناك صخور يطوفون حولها ، ثم يأتون مجنة فيقيمون بها عشرين ليلة من ذي القعدة . ثم يأتون ذا الحجاز ، وهو خلف عرفة فيقيمون به إلى وقت الحج .

حيل : حلت بين الشئين : فصلت بينهما ، ومنعت أحدهما من الآخر . تهامة : بكسر التاء : وهو اسم لكل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز ، ومكة من تهامة . نخلة : بفتح النون وسكون المعجمة . موضع بين مكة والطائف ، على ليلة من مكة ، وهي التي ينسب إليها بطن غل . وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر : المراد به ههنا صلاة الغداة في أول الإسلام قبل فرض الصلوات الخمس لأن الصلوات الخمس فرضت ليلة الإسراء ، أما قبل ذلك فقد كان الفرض صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها .

وذلك محمول على ما كان في ابتداء النبوة وهو ما ذكره ابن عباس هنا ، أما رواية ابن مسعود التي ذكر فيها اجتماع رسول الله ﷺ بالجن فتلک حادثة متأخرة سنراها ، قال الحافظ في الفتح جامعاً بين نفي ابن عباس وإثبات ابن مسعود (ويمكن الجمع بالتعدد) .

قال في الفتح :

وفي الحديث إثبات وجود الشياطين والجن وأنها لمسى واحد ، وإنما صاروا صنفين باعتبار الكفر والإيمان ، فلا يقال لمن آمن منهم إنه شيطان . وفيه أن الصلاة في الجماعة شرعت قبل الهجرة . وفيه مشروعيتها في السفر . والجهر بالقراءة في صلاة الصبح ، وأن الاعتبار بما قضى الله للعبد من حسن الخاتمة لا بما يظهر منه من الشر ولو بلغ ما بلغ ، لأن هؤلاء الذين بادروا إلى الإيمان بمجرد استماع القرآن لو لم يكونوا عند إبليس في أعلى مقامات الشر ما اختارهم للتوجه إلى الجهة التي ظهر له أن الحدث الحادث من جهتها . ومع ذلك فغلب عليهم ما قضى لهم من السعادة بحسن الخاتمة . اهـ .

وهناك روايات صحيحة تثبت أن الشهب كانت موجودة قبل البعث فلا تعارض بغيرها لذلك قال الزهري في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً ﴾^(١) غلط أمرها وشدد .

قال في الفتح : والشهب عند علماء الكون نيازك تشتعل إذا اصطدمت بالهواء من جزاء الاحتكاك .

وإثبات هذا المعنى لا ينفي أن يكون لبعضها آثار على عالم الجن فأن يكون لشيء واحد مظهر حسي وارتباط عيني فذلك جائز كالموت يكون له سبب حسي كالمرض وهو أثر عن نزاع الروح كذلك .

ومن فكرة أن اشتعال النيازك إنما يكون بعد ملامستها للهواء ، ومن تفسير المفسرين : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ ﴾ أي قصدناها فهم أن مقاعد الجن في السماء إنما هي في جو الأرض .
والتشديد في حراسة السماء لا يمنع أن يستمر الجن في المحاولة وأن يسمعو شيئاً .

قال صاحب الفتح :

فإن الشياطين مع شدة التغليظ عليهم في ذلك بعد المبعث لم ينقطع طمعهم في استراق السمع في زمن النبي ﷺ فكيف بما بعده ، وقد قال عمر لغيلان بن سلمة لما طلق نساءه :
إني أحسب أن الشياطين فيما تسترق السمع سمعت بأنك ستموت فألقت إليك ذلك الحديث ،
أخرجه عبد الرزاق وغيره . فهذا ظاهر في أن استراقهم السمع استمر بعد النبي ﷺ ، فكانوا
يقصدون استماع الشيء مما يحدث فلا يصلون إلى ذلك إلا إن اختطف أحدهم بخفة حركته
خطفة فيتبعه الشهاب ، فإن أصابه قبل أن يلقيها لأصحابه فانت وإلا سمعوها وتداولوها . اهـ .

ومن الحديث نعلم أن السماء قد حفظت من بدء رسالته عليه الصلاة والسلام حتى لا
يشتبه أمر النبوة على الخلق .

* * *

القرآن

معجزة الرسول ﷺ الخالدة

٦٠ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أُوتيته وحياً أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » .

المعجزة الرئيسية لرسول الله ﷺ هي القرآن ، والقرآن معجزة فيها معجزات : ففي القرآن كله إعجاز مظهره عجز البشر أن يأتوا بسورة مثله مع أنه كلام يتألف من اسم وفعل وحرف ، وزيادة على الإعجاز الموجود في القرآن كله فهناك معجزات كثيرة أخرى ، من مثل إخباره عن غيوب سابقة ولاحقة ، ومن مثل حديثه عن أسرار كونية لم تعرف إلا في عصور متأخرة لاحقة . وبالإعجاز القرآني والمعجزات القرآنية تقوم الحجة على الخلق إلى قيام الساعة أن محمداً رسول الله ﷺ .

ولكن إذا كانت المعجزة الرئيسية لرسولنا هي القرآن فهناك معجزات أخرى لا تعد ولا تحصى تقوم بها الحجة ، فهناك خوارق للعادات حدثت في عصره على يديه ، وهناك نبوءات تحققت في عصره وفيما بعد ذلك ، وهناك كرامات أولياء أمته .

وبسبب من كون القرآن هو المعجزة الرئيسية لرسولنا عليه الصلاة والسلام ، وبسبب من كون هذا القرآن باقياً محفوظاً ، فالمعجزة مستمرة في حق الأمم وهي محسوسة ملموسة ، بينا معجزات الرسل انتقضت بوقوعها فلم يصل إلى الأمم إلا خبرها ، فمن هذه الحيشة فإن المتوقع أن يكون أتباع رسول الله ﷺ كثيراً .

٦٠ - البخاري (٣ / ٩) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن - ١ - باب كيفية نزول الوحي .

مسلم (١ / ١٢٤) - ١ - كتاب الإيمان - ٧٠ - باب : وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملة بملته .

آمن عليه البشر : أي : آمنوا عند معانيمة ما آتاه الله من الآيات والمعجزات والدلائل الواضحات ، أراد إعجاز القرآن الذي خص به رسول الله ﷺ ، وإن كان كل نبي من الأنبياء قد أوتي من المعجزات ما يوجب على البشر الإيمان به . وحياً أوحاه الله : أراد القرآن ، فإنه ليس شيء من كتب الله المنزل كان معجزاً إلا القرآن .

بهذا القرآن بدأ الرسول ﷺ دعوته ، وبهذا القرآن ربى من استجاب له وعلمهم ، وبهذا القرآن واجه وجابه ، ولأمر أراد الله عز وجل لم تصلنا تفصيلات شاملة كاملة عن تسلسل الآيات في النزول ، وقد تكون الحكمة قطع الطريق على التفكير في إعادة ترتيب القرآن لأن ترتيبه رباني ومعجز كما أثبتنا ذلك في كتاب (الأساس في التفسير) ، وعلى كل فقد بقيت هناك معالم كبرى للقرآن الذي نزل في مكة قبل الهجرة ، ومعالم كبرى لما نزل في المدينة ، كما أن هناك معالم كبرى في تحديد زمن نزول بعض السور ، فقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ^(١) نزل بعد أربع سنين من البعثة ، وسورة المزمل نزلت في أوائل البعثة .

ومن استعراض هذه المعالم الكبرى نستطيع أن نتعرف على كيفية المواجهة والمجابهة بين الوحي والفكر الجاهلي ، كما نتعرف على مجموع الأفكار التي واجهت بها الجاهلية هذه الدعوة ، لكن الترتيب الرباني لسور القرآن تسلسلت فيه المعاني على نمط لا يتقيد بترتيب النزول ، وقد كان هذا بصيغة خالدة تسع الزمان والمكان فالتسلسل ذاك ملاحظ به الجيل الأول ، أما هذا فقد جاء بشكل آخر يسع احتياجات البشر بعد كمال التشريع ، ولا يفوت قارئ القرآن حالياً أن يستأنس بمكيته أو مدنيته ليتعرف على ما كان في المرحلة الأولى والثانية .

* * *

متى وكيف نزل القرآن :

قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ^(٣) .

فيستشهد بذلك على أن القرآن أنزل في شهر رمضان ، وفي ليلة القدر ، وهذا يحتمل تأويلين : أحدهما : أن يكون أراد بدء النزول وأوله ، لأن القرآن نزل في أكثر من عشرين

(١) الحديد : ١٦ .

(٢) البقرة : ١٨٥ .

(٣) القدر : ١ .

سنة في رمضان وغيره ، والثاني : ما قاله ابن عباس : أنه نزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، فجعل في بيت العزة مكنوناً في الصحف المكرمة ، المرفوعة المطهرة ، ثم نزلت منه الآية بعد الآية ، والسورة بعد السورة ، في أجوبة السائلين ، والنوازل الحادثة ، إلى أن توفي ﷺ وهذا التأويل أشبه بالظاهر ، وأصح في النقل والله أعلم .

* * *

فصل : في الدعوة السرية

بعد نزول قوله تعالى ﴿ اقْرَأْ ﴾ عرض رسول الله ﷺ ما حدث على خديجة وورقة بن نوفل فآمنّا ابتداء لمجرد العرض دون دعوة منه عليه الصلاة والسلام ، ونزول قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ... ﴾ ^(١) أصبح الرسول ﷺ مكلفاً بالإنذار ومكلفاً بالصلاة والطهارة والتوحيد والصبر وتجنب الأوثان ، وهذه هي التكليف التي جاءت بعد فترة الوحي ، ولم يسبق ذلك إلا التكليف بالقراءة باسم الله وذلك في قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ... ﴾ ^(٢) وهكذا بدأ التكليف بالتوحيد والعبادة والدعوة والصبر . والعبادة في هذه المرحلة تتلخص في الصلاة وقراءة القرآن والذكر والفكر ، فالصلاة رافقت نزول سورة المدثر ، وعلى رواية المقرئ أنها رافقت نزول سورة اقرأ ، ولذلك فسنزى روايات تذكر الصلاة من الابتداء ، وقد دخل في تكليف الصلاة ابتداء صلاة في الصباح وصلاة في المساء على سعة في الوقتين ، ثم تكليف بقيام الليل ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزْمَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ... ﴾ ^(٣) وبعد سنة خفف الأمر بقيام الليل عن عامة المسلمين وبقي في حقه عليه الصلاة والسلام فريضة ، واستمر الحال على ذلك حتى حادثة الإسراء والمعراج إذ فرضت الصلوات الخمس ، وقد بدأت الدعوة سرية وفردية حتى جاء الأمر بالجهر بالإنذار والصدع بالدعوة وذلك على القول الراجح بعد ثلاث سنين من البعثة ، ويبدو أن الاضطهاد بدأ مبكراً منذ هذه المرحلة ، واشتد بعد الجهر بالدعوة مما ألجأ إلى الاختباء في دار الأرقم ثم أسفر عن المهجرتين إلى الحبشة ، وقد شدد المشركون القبضة بفرض المقاطعة والحصار مما ألجأ المسلمين ومن تعاطف معهم إلى الانكاش في شعب أبي طالب .. كما سنراه .

وإذ كنا لا نملك تأريخاً محققاً لكل حادثة في المرحلة المكية متى كانت إلا في حدود ضيقة ، فإننا سنعرض الروايات على تسلسل معين مستأنسين لهذا التسلسل ببعض المعاني ، لكنه في الكثير من الأحيان لا يصل إلى حد الجزم فليلاحظ القارئ ذلك ، فبعض

(١) للدر : ١ - ٤ .

(٢) العلق : ١ .

(٣) المزمل : ١ ، ٢ .

الروايات التي نذكرها قبل الهجرتين إلى الحبشة قد يكون زمنها بعد الهجرتين ، وبعض الروايات التي نذكرها بعد الهجرتين قد تكون وقعت قبلها .

ولنعد إلى استعراض الحال قبل نزول الأمر بالجهار بالدعوة ، فالدعوة في هذه المرحلة سرية وفردية وقد قام بها رسول الله ﷺ بنفسه أو بمن استجاب له كأبي بكر رضي الله عنه . قال المقرئ :

ثم استجاب له عباد الله من كل قبيلة ، فكان حائز قصب السبق ؛ أبو بكر عبد الله بن أبي قُحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن غالب القرشي التيمي رضي الله عنه فأزره في دين الله وصدقته فيما جاء به ، ودعا معه إلى الله على بصيرة ، فاستجاب لأبي بكر رضي الله عنه جماعة منهم : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي ، وطلحة بن عبيد الله بن عثمان ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي ، وسعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري ، والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدي ، وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري ، فجاءهم رسول الله ﷺ حتى استجابوا له بالإسلام وصلوا ، فصار المسلمون ثمانية نفر ، أول من أسلم وصلى الله تعالى .

وأما علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي فلم يشرك بالله قط ، وذلك أن الله تعالى أراد به الخير فجعله كقالة ابن عمه سيّد المرسلين محمد ﷺ ، فعندما أتى رسول الله ﷺ الوحي ، وأخبر خديجة رضي الله عنها وصدقت ، كانت هي وعلي بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر ابن عبد ودّ ابن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبية ، حب رسول الله ﷺ يصلون معه ، وكان ﷺ يخرج إلى الكعبة أول النهار فيصلّي صلاة الضحى ، وكانت صلاة لا تنكرها قريش . وكان إذا صلى في سائر اليوم بعد ذلك قعد عليّ أو زيد رضي الله عنها يرصدانه .

وكان ﷺ وأصحابه إذا جاء وقت العصر تفرقوا في الشعاب فُرَادَى وَمُثْنَى ، وكانوا يصلون الضُّحَى والعصر ، ثم نزلت الصلوات الخمس ، وكانت الصلاة ركعتين ركعتين قبل الهجرة . فلم يحتج علي رضي الله عنه أن يُدْعَى ، ولا كان مشركاً حتى يوحَّد فيقال أسلم ، بل كان - عندما أوحى الله إلى رسول الله ﷺ - عَمْرَةً ثَمَانِي سَنِينَ ؛ وقيل سبع سنين ، وقيل إحدى عشرة سنة . وكان مع رسول الله ﷺ في منزله بين أهله كَأَحَدِ أَوْلَادِهِ يتبعه في جميع أحواله . وكان أبو بكر رضي الله عنه أَوَّلَ مَنْ أسلم من له أَهْلِيَّةُ الذَّبِّ عن رسول الله ﷺ والحماية والمناصرة . هذا هو التحقيق في المسألة لمن أنصف وترك الهوى من الفريقين . أي : الذين يقدم أحدهما إسلام أبي بكر ، والآخر إسلام علي رضي الله عنهما .

وقال صاحب الرحيق المختوم :

ومن أوائل المسلمين : بلال بن رباح الحبشي ، ثم تلام أَمِين هذه الأمة أبو عبيدة عامر ابن الجراح من بني الحارث بن فهر ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم المخزوميان ، وعثمان بن مظعون وأخواه قُدَامَةُ وعبد الله ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، وسعيد بن زيد العدوي ، وامراته فاطمة بنت الخطاب العدوية أخت عمر بن الخطاب ، وَخَبَّابُ بن الأرت ، وعبد الله بن مسعود الهَذَلِي وخلق سواهم ، وأولئك هم السابقون الأولون ، وهم من جميع بطون قريش وعدنهم ابن هشام أكثر من أربعين نفرأ . وفي ذكر بعضهم في السابقين الأولين نظر .

قال ابن إسحاق : ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام بمكة ، وَتَحَدَّثَ بِهِ .

أسلم هؤلاء سراً ، وكان الرسول ﷺ يجتمع بهم ويرشدهم إلى الدين متخفياً لأن الدعوة كانت لا تزال فردية وسرية ، وكان الوحي قد تتابع وحي نزوله بعد نزول أوائل المدثر . وكانت الآيات وقطع السور التي تنزل في هذا الزمان آيات قصيرة ، ذات فواصل رائعة منيعة ، وإيقاعات هادئة خلاصة تتناسق مع ذلك الجو الهامس الرقيق ، تشتتل على تحسين تزكية النفوس ، وتقبيح تلويثها برغائم الدنيا ، تصف الجنة والنار كأنها رأي عين ، تسير

بالمؤمنين في جو آخر غير الذي فيه المجتمع البشري آنذاك .

وتعليقاً على سرية الدعوة في السنين الثلاثة الأولى للدعوة قال الدكتور البوطي :

وبناءً على ذلك فإنه يجوز لأصحاب الدعوة الإسلامية في كل عصر أن يستعملوا المرونة في كيفية الدعوة - من حيث التكتّم والجرّ ، أو اللين والقوة - حسباً يقتضيه الظروف وحال العصر الذي يعيشون فيه . وهي مرونة حدّتها الشريعة الإسلامية اعتماداً على واقع سيرته ﷺ ... على أن يكون النظر في كل ذلك إلى مصلحة المسلمين ومصلحة الدعوة الإسلامية .

ومن أجل هذا أجمع جمهور الفقهاء على أن المسلمين إذا كانوا من قلة العدد أو ضعف العدة بحيث يغلب على الظن أنهم سيقتلون من غير أي نكايّة في أعدائهم ، إذا ما أجمعوا قتالهم ، فينبغي أن تقدم هنا مصلحة حفظ النفس ، لأن المصلحة المقابلة وهي مصلحة حفظ الدين موهومة أو منفية الوقوع .

ويقرر العز بن عبد السلام حرمة الخوض في مثل هذا الجهاد قائلاً :

فإذا لم تحصل النكايّة وجب الانهزام ، لما في الثبوت من فوات النفس مع شفاء صدور الكفار وإرغام أهل الإسلام ، وقد صار الثبوت هنا مفسدة محضة . ليس في طيها مصلحة .

وتقديم مصلحة النفس هنا من حيث الظاهر فقط ، أما من حيث حقيقة الأمر ومرماء البعيد ، فإنها في الواقع مصلحة دين ، إذ المصلحة الدينية تقتضي - في مثل هذه الحال - أن تبقى أرواح المسلمين سليمة لكي يتقدموا ويجاهدوا في الميادين المفتوحة الأخرى . وإلا فإن هلاكهم يعتبر إضراراً بالدين نفسه وفسحاً للمجال أمام الكافرين ليقترحوا ما كان مسدوداً أمامهم من السبل ١٠ هـ .

أقول : إن صاحب الدعوة لابد أن يعطيها فرصة لتتمكّن في الأنفس فلا تؤثر فيها الأعاصير ، قدّر لو أن الرعيل الأول انشغل بغير التكوين النفسي فكيف سيكون قادراً على الصبر والتحمل إذا جاءت الحنة ؟ وكيف يستطيع مقارعة الباطل وشبهه ؟ وهل يستطيع صهر المستجيبين وحمل الدعوة ؟

٦١ - * روى الإمام أحمد عن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندي عن أبيه عن جده قال : كُنْتُ امْرَأً تاجراً فَقَدِمْتُ الْحِجَّ ، فَأَتَيْتُ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلِبِ لِأَتَّبَعَ مِنْهُ بَعْضَ التَّجَارَةِ وَكَانَ امْرَأً تاجراً ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَعِنْدَهُ بِمَنْى إِذْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ خِيَاءٍ قَرِيبٍ مِنْهُ فَنَظَرَ إِلَى الشَّمْسِ فَلَمَّا رَأَاهَا مَالَتْ قَامَ يُصَلِّي ، قَالَ : ثُمَّ خَرَجْتُ امْرَأَةً مِنْ ذَلِكَ الْخِيَاءِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقَامْتُ خَلْفَهُ تُصَلِّي ، ثُمَّ خَرَجَ غُلَامٌ حِينَ رَاهِقَ الْحَلَمَ مِنْ ذَلِكَ الْخِيَاءِ فَقَامَ مَعَهُ يُصَلِّي ، قَالَ : فَقُلْتُ لِلْعَبَّاسِ مِنْ هَذَا يَا عَبَّاسُ ؟ قَالَ : هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ ابْنُ أَخِي ، قَالَ فَقُلْتُ : مَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ ؟ قَالَ : هَذِهِ امْرَأَتُهُ خَدِيجَةُ ابْنَةُ خُوَيْلِدٍ ، قَالَ قُلْتُ : مَنْ هَذَا الْفَتَى ؟ قَالَ : هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ابْنُ عَمِّهِ ، قَالَ فَقُلْتُ : فَمَا هَذَا الَّذِي يَصْنَعُ ؟ قَالَ : يُصَلِّي وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَلَمْ يَتَّبِعْهُ عَلَى أَمْرِهِ إِلَّا امْرَأَتُهُ وَابْنُ عَمِّهِ ، هَذَا الْفَتَى ، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَفْتَحُ عَلَيْهِ كَنُوزُ كِشْرَى وَقِصْرٍ . قَالَ : فَكَانَ عَفِيفٌ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ يَقُولُ : - وَأَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ - لَوْ كَانَ اللَّهُ رَزَقَنِي الْإِسْلَامَ يَوْمَئِذٍ فَأَكُونُ ثَالِثًا مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

قال صاحب الفتح الرباني :

مالَتِ الشَّمْسُ : أَيِ إِلَى جِهَةِ الْمَغْرِبِ ، وَجَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى بِهَا حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ فَهِيَ تَقْسَرُ مَا هُنَا ، وَلَا يَعَارِضُهُ قَوْلُ مُقَاتِلَ كَانَتْ الصَّلَاةُ أَوَّلَ فَرَضِهَا رَكْعَتَيْنِ بِالْغَدَاةِ وَرَكْعَتَيْنِ بِالْعِشَاءِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشَاءِ وَالْإِبْكَارِ ﴾ ^(١) فَقَدْ قِيلَ الْعِشَاءُ مَا بَيْنَ الزَّوَالِ إِلَى الْغُرُوبِ ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلظُّهْرِ وَالْعَصْرِ صَلَاتَا الْعِشَاءِ (قَالَ الْحَافِظُ) كَانَ ﷺ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ يُصَلِّي قِطْعًا وَكَذَلِكَ أَصْحَابُهُ ، وَلَكِنْ اخْتَلَفَ هَلْ افْتَرَضَ قَبْلَ الْخَمْسِ شَيْءٌ مِنَ الصَّلَاةِ أَمْ لَا ؟ فَقِيلَ إِنْ الْفَرَضُ كَانَ صَلَاةً قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ، وَالْحُجَّةُ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَسَبِّحْ ﴾ أَيِ : صَلِّ حَالِ كَوْنِكَ مُتَلَبِّسًا ﴿ بِحَمْدِ رَبِّكَ

٦١ - أحمد في مسنده (٢٠٩ / ١) والطبراني (١٨ / ١٠٠) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣ / ١) : رواه أحمد وأبو يعلى بنحويه والطبراني بأسانيد ، ورجال أحمد ثقات .

(١) غافر : ٥٥ .

قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ^(١) .

٦٢ - * روى الطبراني عن أسماء بنت أبي بكر أن النبي ﷺ سئل عن ورقة بن نوفل فقال : « يَبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةٌ وَحِدَهُ » . وذلك لأنه آمن ونوى النصره وتوفي قبل أن يدعى .

٦٣ - * روى أحمد والترمذي عن زيد بن أرقم قال : أَوَّلُ مَنْ صَلَّى (وفي لفظ) أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مع رسول الله ﷺ علي (قال عمرو أحد الرواة) فذكرت ذلك لإبراهيم (أي : النخعي) فأنكر ذلك ، وقال : أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

قال في الفتح :

وروى ابن إسحاق في السيرة قال : أَوَّلُ ذَكَرَ آمَنَ برسول الله ﷺ وصدقته علي بن أبي طالب وهو ابن عشر سنين ، وكان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام . وقال محمد بن كعب : أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ من هذه الأمة خديجة ، وأول رجلين أسلما أبو بكر وعلي ، وأسلم علي قبل أبي بكر وكان علي يكتُم إيمانه خوفاً من أبيه حتى لقيه أبوه قال : أسلمت ؟ قال : نعم . قال : أزر ابن عمك وانصره ، قال : وكان أبو بكر الصديق أول من أظهر الإسلام ، وروى الطبراني عن أبي رافع : صلى النبي ﷺ أول يوم الإثنين وصلت خديجة آخره ، وصلى علي يوم الثلاثاء . وروى الحاكم في المستدرک من حديث بريدة الأسلمي قال : أوحى إلى رسول الله ﷺ يوم الإثنين وصلى علي يوم الثلاثاء . وصححه الحاكم وأقره الذهبي .

وتوفيقاً بين النصوص التي تذكر أول من أسلم قال صاحب الفتح :

ولا منافاة ، فإن أبا بكر أول من أسلم من الرجال ، وعلياً أول من أسلم من الصبيان ، فقد روي أنه كان حينذاك بين تسع سنين وعشر ، وكان إسلامه قبل إسلام أبي بكر رضي

(١) طه : ١٣٠ .

٦٢ - للمعجم الكبير (٨٢ / ٢٤) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٤١٦ / ٩) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

٦٣ - أحمد في مسنده (٢٧١ / ٤) والترمذي (٦٤٢ / ٥) - ٥٠ - كتاب المناقب . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح

مجمع الزوائد (١٠٢ / ٩) وقال : رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح .

الله عنهما .

٦٤ - * روى أحمد والبخاري عن حبة العزني قال : رأيتُ علياً رضي الله عنه يضحكُ على المنبرِ لم أَرَهُ ضَحِكاً أكثرَ منه حتى بدتُ نَواجِذهُ ، ثم قال : ذكرتُ قولَ أبي طالبٍ : ظَهَرَ علينا أبو طالبٍ وأنا مع رسولِ الله ﷺ ونحنُ نُصَلِّي بِبَطْنِ نَخْلَةٍ فقال : ماذا تَصْنَعانِ يا ابنَ أخي ؟ فدعاهُ رسولُ الله ﷺ إلى الإسلامِ ، فقالَ : ما بالذي تَصْنَعانِ بأَسٍّ ، ولكن لا تَعْلُونِي إسْتِي أبداً . فضحك تعجباً لقوله أبيه ثم قال : اللهم لا أعترفُ عبداً من هذه الأمةَ عَبْدَكَ قبلي غَيْرَ نَبِيِّكَ - ثلاثَ مراتٍ - لقد صَلَّيتُ قبل أن يُصَلِّيَ النَّاسُ سَبْعاً .

٦٥ - * روى الطبراني عن ابن شهاب قال : أول من أسلم زيدُ بن حارثة .

زيد بن حارثة أول من أسلم من الموالي ، وقصة تبني رسول الله ﷺ لزيد بعد عتقه مشهورة ، وإسلام زيد وأمثاله ممن هم أكثر الناس خلطة برسول الله ﷺ وأكثرهم معرفة به علم من أعلام نبوته .

٦٦ - * روى الترمذي عن جَبَلَةَ بنِ حارثة رضي الله عنه قال : قَدِمْتُ على رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ابْعَثْ معي أخي زيدا ، قال : « هو ذا ، فَإِنْ انْطَلَقَ معَكَ لم أَمْنَعُهُ » . قال زيد : يا رسول الله ، والله لا أختار عليك أحداً ، قال : فرأيت رأيَ أخي أفضلَ من رأيي .

٦٧ - * روى أحمد عن ابن مسعود قال : كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن أبي

٦٤ - أحمد في مسنده (٩٩ / ١) والبخاري : كشف الأستار (٣ / ١٨٢) ، وأورده المهيبي في مجمع الزوائد (١٠٢ / ١) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى باختصار ، والبخاري والطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

نواجهه : التواجد هي الأسنان التي تبدو عند الضحك . بطن نخلة : اسم مكان . سبعا : تحتل كثيراً وتحتل سبع ليال . لا تعلوني استي أبداً : أي لا ترتفع مقعدتي عن رأسي كما يحدث للساجد .

٦٥ - أورده المهيبي في مجمع الزوائد (٢٧٤ / ١) وقال : رواه الطبراني مرسلًا وإسناده حسن .

٦٦ - الترمذي (٥ / ٦٧٦) ٥٠ - كتاب المناقب - ٤٠ - باب مناقب زيد بن حارثة رضي الله عنه . وقال عنه : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن الرومي عن علي بن مُشَرٍّ . والحاكم (٣ / ٢١٤) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وذكره الحافظ في الفتح وسكت عنه وذلك أمانة تحسینه .

٦٧ - أحمد في مسنده (١ / ٤٦٢) . قال المهيبي : رواه أحمد وأبو يعلى ورجالها رجال الصحيح .

مُعِيطٍ ، فجاء النبي ﷺ وأبو بكر وقد فرّا من المشركين ، فقالا : يا غلام هل عندك من لبن تسقيننا ؟ قلت : إني مؤتمن ولست بسافيكما .

كان هذا أول الإسلام قبل إسلام عبد الله بن مسعود ، وقد يكون المراد بالفرار في الرواية ؛ ما كان يفعله رسول الله ﷺ وأصحابه من استخفاء إذا ما أرادوا الصلاة ولكن الظاهر أن الأمر غير ذلك ، وهذا يفيد أن الاضطهاد بدأ مبكراً ، والرواية تدلنا على أمانة ابن مسعود مما يشير إلى أن هذه النوعية من الناس هي التي غلّك الاستعداد الرفيع للدخول في الإسلام كما حدث لابن مسعود ، وسؤالها اللبن كان بناء على أن من حق ابن مسعود أن يسقيها كأن يكون هو صاحب الغنم أو أنه مأذون بالضيافة .

٦٨ - * روى البخاري عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : لقد رأيتني وأنا ثلثُ الإسلام . وفي رواية : ما أسلم أحدٌ إلا في اليوم الذي أسلمت فيه ، ولقد مكثتُ سبعة أيّامٍ ، وإني لثلثُ الإسلام .

قال في الفتح شارحاً قوله : (وإني لثلثُ الإسلام) قال ذلك بحسب اطلاعه ، والسبب فيه أن من كان أسلم في ابتداء الأمر كان يخفي إسلامه ، ولعله أراد بالاثنتين الآخرين خديجة وأبا بكر ، أو النبي ﷺ وأبا بكر ، وقد كانت خديجة أسلمت قطعاً فلعله خص الرجال ، وقد تقدم في ترجمة الصديق حديث عمار (رأيت النبي ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وأبو بكر) وهو يعارض حديث سعد ، والجمع بينهما ما أشرت إليه ، أو يحمل قول سعد على الأحرار البالغين ليخرج الأعبد المذكورون وعلي رضي الله عنه ، أو لم يكن اطلع على أولئك ، ويدل على هذا الأخير أنه وقع عند الإسماعيلي من رواية يحيى بن سعيد الأموي عن هاشم بلفظ (ما أسلم أحد قبلي) ومثله عند ابن سعد من وجه آخر عن عامر ابن سعد عن أبيه ، وهذا مقتضى رواية الأصيلي ، وهي مشكلة لأنه قد أسلم قبله جماعة ، لكن يحمل ذلك على مقتضى ما كان اتصل بعلمه حينئذ . وقد رأيت في (المعرفة لابن منده) من طريق أبي بدر عن هاشم بلفظ (ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه) وهذا

٦٨ - البخاري (٢ / ٨٢) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ١٥ - باب مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري .
ثلث الإسلام : أي ثالث رجل أسلم .

لا إشكال فيه إذ لا مانع أن يشاركه أحد في الإسلام يوم أسلم ، لكن أخرجه الخطيب من الوجه الذي أخرجه ابن منده فأثبت فيه (إلا) كبقية الروايات فتعين الحل على ما قلته .

٦٩ - * روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : إنه نزلت فيه آيات من القرآن ، قال : حلفت أم سعد أن لا تكلمة أبداً حتى يكفر بدينه ، ولا تأكل ولا تشرب ، قالت : زعمت أن الله وصاك بوالديك وأنا أمك ، وأنا أمرك بهذا ، قال : مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد فقام ابن لها يقال له : عمارة ، فسقاها ، فجعلت تدعو على سعد ، فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ ^(١) ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَمَا حَيْثُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ ^(٢) . قال : وأصاب رسول الله ﷺ غنية عظيمة ، فإذا فيها سيف ، فأخذته فأتيت به رسول الله ﷺ ، فقلت : تفلني هذا السيف ، فأتنا من قد علمت حالة ، فقال : « رُدّه من حيث أخذته » فأنطلقت حتى إذا أردت أن ألقيه في القبض ، لامتنى نفسي ، فرجعت إليه ، فقلت : أعطنيه ، قال : فشد لي صوته : « رُدّه من حيث أخذته » ، قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾ ^(٣) . ومريض ، فأرسلت إلى النبي ﷺ ،

٦٩ - مسلم (٤ / ١٨٧٧) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٥ - باب في فضل سعد بن أبي وقاص .

نفلني : نقلته كذا ، أي : أعطيته نافلة وزيادة على سهمه من الغنمة .

القبض : بسكون الباء : مصدر قبض الشيء قبضاً : أخذه إليك فصار في قبضتك ، أي : في يدك وتحت تصرفك ، وفتح الباء : الشيء للقبوض وأراد به : ما يجمع من الغنائم ويحرز ، وهو المراد في الحديث . الجزور : البعير ، ذكر أو أنثى ، وأصله : البعير يُنحر ويقطع له ، إلا أن اللفظة مؤنثة . الميسر : القمار . الأنصاب : الأصنام أو الحجارة التي كانوا يذبحون عليها لألهتهم . والأزلام : القداح ، وإحداها : زلم ، وزلم - بفتح الزاي وضهما - وهي سهام بلا نصول ولا ريش ، كانوا يضربون بها في القمار ليعرفوا نصيب كل واحد منهم ، وكانوا يضربون بها أيضاً عند الشروع في الأمر يعرض لهم ، من سفر أو زواج أو بيع أو نحو ذلك ، يعرفون بها - في زعمهم - ما هو الأصلح لهم ، فإن خرج لهم « افعل » فعلوا ، وإن خرج « لا تفعل » لم يفعلوا . رجس : الرجس : النجس . شجروا لها : أي : فتحوه كرهاً . أو جرت : الدواء في فيه : إذا ألقيته فيه ، فشبه إلقاء الطعام في فيها كرهاً بإلقاء الدواء عن غير اختيار . مفزوراً : أي : مشقوقاً .

(١) سورة العنكبوت : ٨ .

(٢) سورة لقمان : ١٥ .

(٣) سورة الأنفال : ١ .

فَاتَانِي ، فَقُلْتُ : دَعْنِي أَقْسَمَ مَالِي حَيْثُ شِئْتُ ، قَالَ : فَأَبَى ، قُلْتُ : فَالْنِّصْفُ ، قَالَ : فَأَبَى قُلْتُ : فَالْثُلُثُ ، قَالَ : فَسَكَتَ ، فَكَانَ بَعْدَ الثُّلُثِ جَائِزاً ، قَالَ : وَأَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ ، فَقَالُوا : تَعَالِ نَطْعِمُكَ ، وَنُسْقِيكَ خَمِراً - وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُحَرَّمَ الْخَمْرُ - قَالَ : فَأَتَيْتُهُمْ فِي حِشٍّ - وَالْحِشُّ : الْبُسْتَانُ - فِإِذَا رَأَسُ جَزْوَيرٍ مَشْوِيٍّ عِنْدَهُمْ ، وَزَيْقٌ مِنْ خَمْرِ فَأَكَلْتُ وَشَرَبْتُ مَعَهُمْ ، قَالَ : فَذَكَرْتُ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرِينَ عِنْدَهُمْ ، فَقُلْتُ : الْمُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، قَالَ : فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لَحْيِ الرَّأْسِ ، فَضَرَبَنِي بِهِ ، فَجَرَحَ أَنْفِي ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيَّ - يَعْنِي نَفْسَهُ - شَأْنَ الْخَمْرِ ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ ^(١) .

وفي رواية في قصة أم سعد : فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُطْعِمُوهَا شَجَرُوا فَاهَا بِعَصَا ، ثُمَّ أَوْجَرُوهَا . وفي آخرها : فَضَرَبَ بِهِ أَنْفَ سَعْدٍ فَفَزَرَهُ ، فَكَانَ أَنْفُ سَعْدٍ مَفْزُوراً .

واختصره الترمذي ^(٢) قال : أُنْزِلَتْ فِي أَرْبَعِ آيَاتٍ ، فَذَكَرَ قِصَّةَ فَقَالَتْ أُمُّ سَعْدٍ : أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْبِرِّ ؟ وَاللَّهُ لَا أَطْعَمُ طَعَاماً ، وَلَا أَشْرَبُ شَرَاباً حَتَّى أَمُوتَ ، أَوْ تَكْفُرَ ، قَالَ : فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُطْعِمُوهَا شَجَرُوا فَاهَا ، فَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ... ﴾ ^(٣) الْآيَةُ .

٧٠ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا مَعَهُ إِلَّا خَمْسَةُ أَعْبِيدٍ وَامْرَأَتَانِ وَأَبُو بَكْرٍ .

نَجِدُ ههنا نوعية المستجيبين الأوائل لرسول الله ﷺ أصحاب الأصالة ومكارم الأخلاق والمضطهدين والنساء ، وفي ذلك تذكير للدعاة ألا يهملوا المضطهدين والفقراء من عمال

(١) للمائدة : ٩٠ .

(٢) الترمذي (٢٤١ / ٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٣٠ - باب ومن سورة العنكبوت . وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) العنكبوت : ٨ .

٧٠ - البخاري (١٨ / ٧) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٥ - باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً » .

وفلاحين ، وألا يهملوا النساء ، وأن يركزوا على المثقفين .

٧١ - * روى أحمد عن سالم بن أبي الجعد قال : دعا عثمانُ ناساً من أصحاب النبي ﷺ فيهم عمارُ بن ياسر فقال : إني سائلكم وإني أحبُّ أن تصدقوني ، نشدّكم الله أن تعلمون أن رسول الله ﷺ كان يؤثّر قريشاً على سائر الناس ويؤثّر بني هاشمٍ على سائر قريش ؟ فسكت القومُ فقال عثمان : لو أن بيديّ مفاتيح الجنة لأعطيتهما بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم ، فبعث إلى طلحة والزبير فقال عثمان : ألا أحدثكمَا عنه - يعني عماراً - أقبلت مع رسول الله ﷺ أخذاً بيديّ تمشي بالبطحاء حتى أتى على أبيه وأمه وعليه يعذبون ، فقال أبو عمار : يا رسول الله الدهر هكذا ؟ فقال له النبي ﷺ : « اصبر » ، ثم قال : « اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت » .

٧٢ - * روى الحاكم عن جابر أن رسول الله ﷺ مرّ بعمار وأهله وهم يعذبون فقال : « أبشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة » .

٧٣ - * روى الحاكم عن كردوس : أن خطاباً أسلم سادس ستة ، كان سدس الإسلام .

٧٤ - * روى ابن ماجه عن أبي ليلى الكندي قال : جاء خطاب إلى عمر فقال : ادنُ فما أحدٌ أحقُّ بهذا المجلس منك إلا عمار ، فجعل خطاب يريه آثاراً بظهره مما عذبه المشركون .

٧١ - أحمد في مسنده (٦٢ / ١) .

وأورده الهيثمي في الزوائد (٢٩٣ / ٩) ، وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

نشدّكم بالله : نشدّك بالله أي سألتك بالله . البطحاء : مسيل واسع فيه دقاق الحصى . يقصد عثمان - رضي الله عنه - أنه كما أكرم رسول الله ﷺ قريشاً وبني هاشم وأثرهم لأنهم قرابته فهو يفعل ذلك ببني أمية لأنهم قرابته حتى لو استطاع أن يدخلهم الجنة لفعل ، ومن السياق تعلم أن عماراً - رضي الله عنه - كان لا يرتاح لإيثار بني أمية ، لأن الإيثار لم يقتصر على ما هو شخصي وخاص ، ورضي الله عن الجميع . والنص يدل على ما تقدم إسلام عثمان - رضي الله عنه - .

٧٢ - المستدرك (٢٨٩ / ٢) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

٧٣ - المستدرك (٢٨٢ / ٣) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٨ / ٩) رواه الطبراني مرسلًا ورجاله إلى كردوس رجال الصحيح وكردوس ثقة .

٧٤ - ابن ماجه (٥٤ / ١) المقدمة - ١١ - باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ في الزوائد : إسناده صحيح .

٧٥ - * روى البخاري عن خباب بن الارت قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو الله لنا ؟ فقال : « كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه ، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين ، وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه . والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه . ولكنكم تستعجلون » .

٧٦ - * روى مسلم عن أبي أمامة قال : قال عمرو بن عبسة السلمي : كنت ، وأنا في الجاهلية ، أظن أن الناس على ضلالة . وأنهم ليسوا على شيء . وهم يعبدون الأوثان . فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً . فقعدت على راحلتي . فقدمت عليه . فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً ، جراءً عليه قومه . فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة . فقلت له : ما أنت ؟ قال : « أنا نبي » فقلت : وما نبي ؟ قال : « أرسلني الله » فقلت : وبأي شيء أرسلك ؟ قال : « أرسلني بصفة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيء » قلت له : فمن معك على هذا ؟ قال : « حر وعبد » (قال ومعه يومئذ أبو بكر وبلال من آمن به) فقلت : إني متبعك . قال : « إنك لا تستطيع ذلك يؤمك هذا . ألا ترى حالي وحال الناس ؟ ولكن ارجع إلى أهلِكَ . فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني » قال : فذهبت إلى أهلي . وقدم رسول الله ﷺ المدينة . وكنت في أهلي فجعلت أتخبر الأخبار ...

أقول : قوله عليه الصلاة والسلام : « ولكن ارجع إلى أهلِكَ فإذا سمعت بي قد ظهرت

٧٥ - البخاري (٦ / ٦١٩) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٥ - باب علامات النبوة في الإسلام .

وأبو داود (٢ / ٤٧) كتاب الجهاد ، باب : الأسير يكره على الكفر .

٧٦ - مسلم (١ / ٥٦٩) ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - ٥٢ - باب إسلام عمرو بن عبسة .

الأرحام : مفردا رحم وهو بيت منبت الولد ووعاؤه ، والقرابة أصلها وأسائها ، والمقصود من قول الرسول ﷺ أنه يأمر الناس بأن يعتمدوا عن التشاحن والبغضاء والاقتتال والغدر والكيد بين بعضهم وخاصة الأقارب منهم وأن ينشروا بينهم الحب والإخاء والمعاملة الحسنة والوفاء . ظهرت : ظهر الشيء ظهوراً : تبين وبرز بعد الخفاء ، وظهر على عدوه : غلبه .

فأتني ، ، نأخذ منه درساً في الدعوة : أن تكديس المريدين والأعضاء حيث المحنة والإيذاء ليس هو الأصل ، فهذا رسول الله ﷺ يوجه نحو الرجوع إلى الأقوام ، وأمر كما سئرى بالمجرتين إلى الحبشة ، فذلك تخفيف عن المسلمين وإبعاد عن مواطن الخطر وستر لقوة المسلمين ، وإعطاء فرصة للقائد حتى لا يشغل ، وضمان للسرية ، وإفادة للمكان المرسل إليه ، وإعداد للمستقبل ، وملاحظة لضمان الاستمرار وتجنب الاستئصال .

٧٧ - * روى الحاكم عن خالد بن عمار العدوي قال : حَظَبْنَا عُبَيْدَ بْنَ عَزْوَانَ فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَذْنَتْ بِضُرْمٍ وَوَلَّتْ حَذَاءً ، وَإِنَّا بَقِيَ مِنْهَا صَبَابَةٌ كَصَبَابَةِ الْإِنَاءِ يَصْطَبُهَا صَاحِبُهَا ، وَإِنَّكُمْ مَتَّقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا ، فَاتَّقِلُوا مِنْهَا بِخَيْرٍ مَا يَحْضُرُكُمْ ، فَإِنَّهُ قَدْ ذَكَرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يَلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ عَامًا وَمَا يَدْرِكُ لَهَا قَعْرًا فَوَاللَّهِ لَتَمْلَأَنَّ . أَفَعَجِبْتُمْ وَقَدْ ذَكَرَ لَنَا أَنَّ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مِصْرَاعِ الْجَنَّةِ بَيْنَهُمَا أَرْبَعُونَ سَنَةً وَلِيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَهُوَ كَطِيطٍ مِنَ الزَّحَامِ . وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لَسَابِعُ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ حَتَّى قَرَحَتْ أَشْدَاقُنَا ، وَإِنِّي لَتَقَطُّتُ بُرْدَةً فَشَقَّقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ فَارْسِ الْإِسْلَامِ فَأَتَزَرْتُ بِنُصْفِهَا وَأَتَزَرَّ سَعْدٌ بِنُصْفِهَا ، وَمَا أَصْبَحَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ حَيٍّ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرَ مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ ، وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا وَعِنْدَ اللَّهِ صَغِيرًا ، وَإِنِّي لَمْ تَكُنْ نَبُوءَةً قَطُّ إِلَّا تَنَاقَصَتْ حَتَّى يَكُونَ عَاقِبَتُهَا مُلْكًا ، وَسَتَجَرُّونَ أَوْ سَتَبْلُونَ الْأَمْرَاءَ بَعْدِي .

قوله : (وما أصبح منا اليوم أحد حي إلا أصبح أمير مصر من الأمصار) فيه إشارة إلى ملاحظة السبق والقدم في التأمير دون أن يكون ذلك قاعدة مطلقة ، ومن الملاحظ أن الخلفاء الراشدين الأربعة كلهم ممن تقدمت له سابقة إسلام وتقدم إسلام .

قوله : (لم تكن نبوة قط إلا تناقصت حتى يكون عاقبتها ملكاً) هذا هو الواقع التاريخي قديماً وهو ما حدث بعد محمد ﷺ ، وعلى الأمة الإسلامية الآن أن تحكم أمرها

٧٧ - المستدرك (٢ / ٣٦١) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

أذنت بضم وولت حذاء : المراد انقطاع الدنيا ، والحذاء : المقطوعة . صبابه : البقية من الماء واللبن في الإناء . شفير جهنم : أي جانبها وطرفها . كطيط : ممتلئ من الازدحام . قرحت أشداقنا : أي تجرحت .

للولصول إلى الخلافة الراشدة ووضع القواعد لضمان استمرارها .

٧٨ - * روى مسلم عن عبد الله بن الصامت قال: قال أبو ذر: خرجنا من قَوْمِنَا غِفَارٍ وَكَأَنَّا يُحِلُّونَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَخِي أَنَيْسٌ وَأُمُّنَا ، فَنَزَلْنَا عَلَى خَالٍ لَنَا ، فَأَكْرَمَنَا خَالُنَا وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا ، فَحَسَدْنَا قَوْمَهُ ، فَقَالُوا: إِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ عَنْ أَهْلِكَ خَالَفَ إِلَيْهِمُ أَنَيْسٌ ، فَجَاءَ خَالُنَا فَتَنَّا عَلَيْنَا الَّذِي قِيلَ لَهُ ، فَقُلْتُ: أُمَّا مَا مَضَى مِنْ مَعْرِوفِكَ ، فَقَدْ كَدَّرْتَهُ ، وَلَا جِمَاعَ لَكَ فِيمَا بَعْدَ ، فَقَرَّبْنَا صِرْمَتَنَا ، فَأَحْتَمَلْنَا عَلَيْهَا ، وَتَغَطَّى خَالُنَا ثَوْبَهُ ، فَجَعَلَ يَبْكِي ، فَأَنْطَلَقْنَا حَتَّى نَزَلْنَا بِحَضْرَةِ مَكَّةَ ، فَنَافَرَ أَنَيْسٌ عَنْ صِرْمَتِنَا وَعَنْ مِثْلِهَا . فَأَتَيْنَا الْكَاهِنَ ، فَخَبَّرَ أَنَيْسًا ، فَأَتَانَا أَنَيْسٌ بِصِرْمَتِنَا وَمِثْلِهَا مَعَهَا قَالَ: وَقَدْ صَلَّيْتُ يَا ابْنَ أَخِي قَبْلَ أَنْ أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِثَلَاثِ سَنِينَ ، قُلْتُ: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ . قُلْتُ: فَأَيْنَ تَوَجَّهَ؟ قَالَ: أَتَوَجَّهَ حَيْثُ يُوَجِّهُنِي رَبِّي . أَصْلَى عِشَاءً ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَلْقَيْتُ كَأَنِّي خِفَاءٌ ، حَتَّى تَغْلُوَنِي الشَّمْسُ ، فَقَالَ أَنَيْسٌ: إِنْ لِي حَاجَةٌ بِمَكَّةَ ، فَأَكْفِنِي ، فَأَنْطَلَقَ أَنَيْسٌ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ ، فَرَأَتْ عَلِيٌّ ، ثُمَّ جَاءَ ، فَقُلْتُ: مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: لَقِيتُ رَجُلًا بِمَكَّةَ عَلَى دِينِكَ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ ، قُلْتُ: فَمَا يَقُولُ النَّاسُ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: شَاعِرٌ ، كَاهِنٌ ، سَاحِرٌ ، وَكَانَ أَنَيْسٌ أَخَذَ الشُّعْرَاءَ ، قَالَ أَنَيْسٌ:

٧٨ - مسلم (٤ / ١٩١٩) - ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٨ - باب من فضائل أبي ذر .

ثنا : الحديث ينتوه تتوأ : إذا أطهره وأتاعه وأفشاه . لا جِمَاعَ : أي : لا مجامعة لنا معك ولا مقام . صِرْمَتَنَا : الصرمة : القطعة من الإبل نحو الثلاثين . فننافر : المنافرة : المحاكاة تكون في تفضيل أحد الشيئين على الآخر ، يقال : نافرته ، فنفرته ، أي : حاكته ، فغلبيته ، ونفره الحاكم في المنافرة ، أي : غلبه وحكم له . خِفَاءٌ : الحفاء بالخاء المعجمة وكسرهما : كساء يطرح على السقاء . فراث : رأت فلان علينا : أبطأ . أقرء الشعر : طرائقه وأنواعه ، واحدها : قرء - بفتح القاف . فتضعفت : أي نظرت إلى أضعفهم فسألته لأن الضعيف مأمون العائلة ومع ذلك فإنه لم يسلم من قبله . الصابغ : منصوب على الإغراء أي : انظروا وحذروا هذا الصابغ . والصابغ من غير دينه . مسرة : اللذة : الطينة المستحجرة . نصب : النصب : الخجر أو الصم الذي كانوا ينصبونه في الجاهلية ويدبحون عليه ، فيحمر من كثرة دم القربان والذبائح ، أراد : أنهم ضربه حتى أدموه ، فصار كأنه نُصِبَ أحر . تكسرت عكن بطني : جمع عكنة وهو الطي من البطن من السن ، ومعنى تكسرت أي انتشت وانطوت طاقات لحم بطنه . سخفة جوع : سخفة الجوع : رفته وهزاله . ليلة إضحيان : وإضحيانة ، أي : مضيفة لا غم فيها ، فقمرها ظاهر يضيئها . ضرب على أمصختهم : الأمسخة : جمع سبخ ، وهو ثقب الأذن ، والضرب هاهنا : المنع من الاستماع ، وذلك كناية عن النوم المفرط . إسافاً وثائلة : إساف وثائلة : صنان تزعم العرب أنها كانا رجلاً وامرأة زنيا في الكعبة فمسيخا . هن مثل الحفصية : ألهن من الرجل ذكره . تولولان : الولولة : الاستفائة والصباح . أو الدعاء بالويل . أنفارتنا : الأنفار : الجماعة ، أي : من أصحابنا وجماعتنا ، وهو من النفر الذي هو من الثلاثة إلى العشرة . قتلاً : قتلاً : قولها : قتلاً : أي أنها عظيمة لا شيء أقبح منها . قدغثته : أي : منغته . طعام طعم : يقال : هنا طعام =

لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ ، فَمَا هُوَ يَقُولُهُمْ ، وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشَّعْرَاءِ ، فَمَا يَلْتَمُّ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي أَنَّهُ شِعْرٌ ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ، قَالَ : قُلْتُ : فَمَا كَيْفِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَنْظُرَ ، قَالَ : فَأَتَيْتُ مَكَّةَ فَتَضَعْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَقُلْتُ : أَيْنَ هَذَا الَّذِي تَدْعُوهُ الصَّابِي ؟ فَأَشَارَ إِلَيَّ ، فَقَالَ : الصَّابِي ؟ قَالَ عَلِيُّ أَهْلُ الْوَادِي بِكُلِّ مَدْرَةٍ وَعَظَمٍ ، حَتَّى خَرَرْتُ مَغْشِيًا عَلَيَّ ، قَالَ : فَارْتَفَعْتُ حِينَ ارْتَفَعْتُ . كَأَنِّي نَضَبْتُ أَحْمُرًا ، قَالَ : فَأَتَيْتُ زَمْزَمَ ، فَغَسَلْتُ عَنِّي الدَّمَاءَ ، وَشَرِبْتُ مِنْ مَآئِهَا ، وَلَقَدْ لَبِثْتُ يَا ابْنَ أَخِي ثَلَاثِينَ ، بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ ، وَمَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ ، فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عَنِّي بَطْنِي ، وَمَا وَجَدْتُ عَلَى كَبْدِي سَخْفَةً جُوعٍ ، قَالَ : فَبَيْنَا أَهْلُ مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ قَرَاءَ إِضْحِيَّانَ ، إِذْ ضَرَبَ عَلَى أَسْمِخَتِهِمْ فَمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ أَحَدٌ ، وَامْرَأَتَانِ مِنْهُمْ تَدْعُوَانِ إِسَافًا وَنَائِلَةً ، قَالَ : فَأَتَيْتَا عَلِيَّ فِي طَوَافِهَا ، فَقُلْتُ : هَلْ مَثَلُ الْخَشْبَةِ - غَيْرَ أَنِّي لَا أَكِي - فَأَنْطَلَقَتَا تَوَلَّوْلَانِ ، وَتَقُولَانِ : لَوْ كَانَ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ أَنْقَارِنَا ؟ قَالَ : فَاسْتَقْبِلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ ، وَهَما هَاطِبَانِ ، قَالَ : مَا لَكُمَا ؟ قَالَتَا : الصَّابِي بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَأَسْأَرِيهَا ، قَالَ : مَا قَالَ لَكُمَا ؟ قَالَتَا : إِنَّهُ قَالَ لَنَا كَلِمَةً تَمْلَأُ الْفَمَ ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى اسْتَلَمَ الْحَجَرَ ، وَطَافَ بِالْبَيْتِ هُوَ وَصَاحِبُهُ ، ثُمَّ صَلَّى فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ : فَكُنْتُ أَنَا أَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ ، قَالَ فَقُلْتُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ : « وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ » ، ثُمَّ قَالَ : « مَنْ أَنْتَ ؟ » قُلْتُ : مِنْ غِفَارٍ ، قَالَ : فَأَهْوَى يَدَيْهِ ، فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : كَرِهَ أَنْ انْتَمَيْتُ إِلَى غِفَارٍ ، فَذَهَبَتْ أَخَذَ يَدَيْهِ ، فَقَدَعَنِي صَاحِبُهُ ، وَكَانَ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّي ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : « مَتَى كُنْتَ هَاهُنَا ؟ » قَالَ : قُلْتُ : قَدْ كُنْتُ هَاهُنَا مِنْذُ ثَلَاثِينَ ، بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ ، قَالَ : « فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ ؟ » قَالَ : قُلْتُ : مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ ، فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عَنِّي بَطْنِي ، وَمَا أَجَدْتُ عَلَى كَبْدِي سَخْفَةً جُوعٍ ، قَالَ : « إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ ، إِنَّهَا طَعَامٌ

== طعم ، أي : طعام شبع ، يعني أنه يشبع ويكف الجوع ويكفي منه . غَهَزْتُ : الغابر هَاهُنَا : الباقي ، وهو من الأضداد . أَي يَقِيْتُ مَا بَقِيْتُ . يَثْرِبُ : للمدينة المنورة طابة وطيبة . وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثٍ فِي النَّهْيِ عَنْ تَسْمِيَّتِهَا يَثْرِبُ . شَتَّفُوا لَهُ : أَي : أَبْنَصُوهُ وَنَفَرُوا مِنْهُ ، وَالشَّتْفُ : الْبُغْضُ ، تَقُولُ : شَتَفْتُهُ . وَشَتِفْتُ لَهُ . تَجَهَّمُوا : تَجَهَّمَتْ لِفُلَانٍ ، أَي : تَنَكَّرْتُ لَهُ وَاسْتَقْبَلْتُهُ عَا يَكْرَهُ ، وَفُلَانٌ جَهْمٌ الْحَيُّ ، أَي : كَرِهَ النَّظَرَ .

طَعِمَ» ، فقال أبو بكرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ائْذَنْ لِي فِي طَعَامِي اللَّيْلَةَ ، فَاَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ ، وَاَنْطَلَقْتُ مَعَهَا ، فَفَتَحَ أَبُو بَكْرٍ بَاباً ، فَجَعَلَ يَقْبِضُ لَنَا مِنْ زَيْبِ الطَّائِفِ ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ طَعَامٍ أَكَلْتُهُ بِهَا ، ثُمَّ غَبَرْتُ مَا غَبَرْتُ ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « إِنَّهُ قَدْ وَجَّهْتُ لِي أَرْضَ ذَاتِ نُحْلٍ ، لَا أَرَاهَا إِلَّا يَثْرِبَ ، فَهَلْ أَنْتَ مُبْلَغٌ عَنِّي قَوْمَكَ ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ ، وَيَأْجُزَكَ فِيهِمْ ؟ » فَأَتَيْتُ أُنَيْسًا ، فَقَالَ : مَا صَنَعْتَ ؟ قُلْتُ : صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ ، قَالَ : مَا بِي رَغْبَةً عَنْ دِينِكَ فَمَآئِي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ ، فَاحْتَمِلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا ، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ ، وَكَانَ يُؤْمِنُهُمْ إِيمَاءُ بْنُ رَحْضَةَ الْغِفَارِيِّ ، وَكَانَ سَيِّدَهُمْ ، وَقَالَ نِصْفُهُمْ : إِذَا قَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْمَدِينَةِ أَسْلَمْنَا ، فَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي ، وَجَاءَتْ أَسْلَمُ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِخْوَانُنَا نَسَلُ عَلَى الَّذِي أَسْلَمُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا ، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ » .

زاد بعض الرواة - بعد قول أبي ذر لأخيه : (فَاكْفِنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَاَنْظُرَ) - (قَالَ : نَعَمْ ، وَكُنْ عَلَى حَدَرٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ شَفَعُوا لَكَ وَتَجَهَّمُوا) .

وفي رواية قال : (فَتَنَّاَفَرُوا إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْكُهَّانِ ، قَالَ : فَلَمْ يَزَلْ أَخِي أُنَيْسٌ يَمْدَحُهُ حَتَّى غَلَبَهُ ، فَأَخَذْنَا صِرْمَتَهُ فَضَمَمْنَاهَا إِلَى صِرْمَتِنَا) .

وفي رواية البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس قال : أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِإِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ ؟ قُلْنَا : بَلَى ، قَالَ : قَالَ أَبُو ذَرٍّ : كُنْتُ رَجُلًا مِنْ غِفَارٍ ، فَبَلَعْنَا أَنْ رَجُلًا خَرَجَ بِمَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، فَقُلْتُ لِأَخِي : اَنْطَلِقْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَكَلِّمِهِ ، وَأَتْنِي بِخَبْرِهِ .

٧٩ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لِأَخِيهِ : اَرْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي ؛ فَاَعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَاسْمِعْ مِنْ قَوْلِهِ ، ثُمَّ اِئْتِنِي ، فَاَنْطَلِقُ الْأَخَ حَتَّى قَدَمِهِ ، وَاسْمِعْ مِنْ قَوْلِهِ ، ثُمَّ رَجِعْ إِلَى أَبِي ذَرٍّ ،

٧٩ - البخاري (١٧٣ / ٧) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٢٣ - باب إسلام أبي ذر الغفاري .

ومسلم (١٩٢٣ / ٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٨ - باب : من فضائل أبي ذر .

الفئة : الزق البالي الذي يحمل فيه الماء .

فقال : رأيته يأمر بكارم الأخلاق ، وكلاماً ما هو بالشعر ، فقال : ما شَفَيْتَنِي مما أردتُ ، فَتَزُودَ وحل شَنَّةَ له فيها ماءً ، حتى قَدِمَ مكةَ ، فأقَى المسجدَ ، فالتبس النبي ﷺ - ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه - حتى أدركه بعض الليل فرآه عليٌّ ، فعرف أنه غريب ، فلما رآه تبعه ، فلم يسأل واحداً منها صاحبه عن شيء حتى أصبح ، ثم احتُمل قُرْبَتَه وزاده إلى المسجد ، وظل ذلك اليوم ، ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى ، فعاد إلى مَضْجَعِهِ ، فمرَّ به عليٌّ ، فقال : أما نال للرجل أن يعلم منزله ؟ فأقامه فذهب به معه ، لا يسأل واحد منها صاحبه عن شيء ، حتى إذا كان يوم الثالث فعاد علي مثل ذلك ، فأقامه معه ، ثم قال : ألا تحدثني ما الذي أقدَمَكَ ؟ قال : إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلتُ ، ففعل ، فأخبره ، قال : فإنه حق ، وهو رسولُ الله ﷺ فإذا أصبحتَ فاتبعني ، فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قتت كأني أريق الماء ، فإذا مضيتُ فاتبعني حتى تدخل مدخلي ، ففعل ، فانطلق يَفْقُوهُ حتى دخل على النبي ﷺ ، ودخل معه ، فسمع من قوله ، وأسلم مكانه ، فقال له النبي ﷺ : « ارجع إلى قومك فأخبرهم ، حتى يأتيتك أمري » ، قال : والذي نفسي بيده ، لأصْرُخَنَّ بها بين ظهرانيهم ، فخرج حتى أتى المسجدَ ، فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله . ثم قام القوم فضربوه حتى أوجعوه ، وأتى العباسُ ، فأكَبَّ عليه ، وقال : ويلكم ، ألسن تعلمون أنه من غِفَار ، وأن طريق تجَّاركم إلى الشام ؟ فأنقذه منهم ، ثم عاد من الغد فضربوه ، وثاروا إليه ، فأكَب العباس عليه .

وفي الرواية الأخرى : أن النبي ﷺ قال له لما أسلم : « يا أبا ذرٍّ ، اكتم هذا الأمر ، وارجع إلى بلدك ، فإذا بلغك ظُهورُنا فأقبل » ، قال : فقلتُ : والذي بعثك بالحق ، لأصْرُخَنَّ بها بين أظهرهم .. وذكر نحوه .

قال : فكان هذا أول إسلام أبي ذر رضي الله عنه .

٨٠ - * روى الحاكم عن عبد الله بن بُرَيْدَةَ عن أبيه قال : انطلق أبو ذرٍّ ونعيم ابن عم أبي

٨٠ - المستدرک (٣ / ١١٢) وقال : صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي .

مكتوم : أي متخفّف وهو اسم فاعل من الكتم : وكتم الشيء كتماناً : ستره وأخفاه . وفي هذا تصريح بأن إسلام أبي ذر كان في المرحلة السرية .

ذر وأنا معهم نطلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بالجبل مكتتم ، فقال أبو ذر : يا محمد أتيناك نسمع ما تقول وإلى ما تدعو ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أقول لا إله إلا الله وإني رسول الله » فآمن به أبو ذر وصاحبه وأمنت به ، وكان علي في حاجة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرسله فيها ، وأوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء .

والجمع بين هذه الرواية والتي قبلها أنها حادثة لاحقة للحادثة الأولى ، فبعد أن أسلم أبو ذر أتى بهذين معه متظاهراً أنه لم يسبق له إسلام من أجل أن يسمع رفيقه فيسما .

٨١ - * روى الحاكم عن عبد الله بن مسعود قال : لقد رأيتني سادس ستة ما على الأرض مسلم غيرنا .

٨٢ - * روى الحاكم عن عروة قال : كانت نفحة من الشيطان أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قد أخذ ، فسمع بذلك الزبير وهو ابن إحدى عشرة سنة فخرج بالسيف مسللاً حتى وقف على النبي ﷺ فقال : « ما شأنك ؟ » فقال : أردت أن أضرب من أخذك فدعا له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولسيفه ، وكان أول سيف سل في سبيل الله عز وجل .

٨٣ - * روى ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود قال : كان أول من أظهر إسلامه سبعة : رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد ، فأما رسول الله ﷺ فنعمة الله بعمه أبي طالب ، وأما أبو بكر فنعمة الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس . فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا إِلَّا بِلَالاً فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطُوهُ

٨١ - المستدرک (٣ / ٣١٢) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

٨٢ - المستدرک (٣ / ٣٦٠) وسكت عنه الذهبي في التلخيص . وإفا أردناه ههنا مع أن فيه ابن لبيعة لمواقفته للمحفوظ من تقدم إسلام الزبير وهو صغير .

٨٣ - ابن ماجه (١ / ٥٣) المقدمة ١١ - باب فضل سلمان وأبي ذر والمقداد . والحاكم (٢ / ٢٨٤) ، وصححه ووافقه الذهبي . منعه : أي عصه الله من أذام . صهروهم : من صهر كنع أي عذّبهم . واتاهم : أي وافقتهم على ما أرادوا من ترك إظهار الإسلام . هانت : أي حقرت وصغرت عنده لأجله تعالى . الشعاب : جمع شعب وهو الطريق في الجبل .

الولدانَ فَجَعَلُوا يُطَوِّفُونَ به في شعابِ مَكَّةَ وهو يَقُولُ أَخَذَ أَخَذَ .

٨٤ - * روى الحاكم عن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه قال : أَخَذَ الْمُشْرِكُونَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ فلم يتركوه حتى سَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَذَكَرَ آلَهُمْ بِخَيْرٍ ثم تركوه ، فَلَمَّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال : « مَا وَرَاءَكَ ؟ » قال : شَرٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَرَكْتُ حتى نِلْتُ مِنْكَ ، وَذَكَرْتُ آلَهُمْ بِخَيْرٍ . قال : « كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ ؟ » قال : مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ . قال : « إِنَّ عَادُوا فَعُدُّ » .

٨٥ - * روى مسلم عن سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه قال : كُنَّا مع النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا ، قَالَ : وَكُنْتُ : أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هَذِيلٍ وَبِلَالٌ وَرَجُلَانِ لَسْتُ أَسْمِيَهُمَا ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ ، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ ^(١) .

٨٦ - * روى أحمد والطبراني عن ابن مسعود في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ قال : مَرَّ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ خَبَابٌ وَصُهَيْبٌ وَبِلَالٌ وَعَمَّارٌ فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ أَرْضَيْتَ هَؤُلَاءِ فَنَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾

٨٤ - المستدرک (٢ / ٢٠٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

نلت منك : سببتك وشئتك . كيف تجد قلبك : أي هل مازال على الإيمان بالله واليوم الآخر ، فالقول إذا كان من غير تصديق القلب فلا حرج فيه حال الإكراه وهذا مصداق قول الله عز وجل : ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ (النحل : ١٠٦) . وقد أجاز فقهاء الحنفية للمسلم أن يقول ما يخرج به من البلاء إذا كان هذا البلاء قتلاً أو قطعاً أو سجن ظالم .

٨٥ - مسلم (٤ / ١٨٧٨) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٥ - باب في فضل سعد بن أبي وقاص .

لا يجترئون : من المرأة وهو الإقدام على الشيء . والمعنى : أي أبعد هؤلاء عن مجلسنا معك حتى لا يتسلطوا علينا ولكي يحترمونا ويقدرونا حتى قدرنا . فوقع في نفس رسول الله : أي خطر في قلبه : وأصل الوقوع في اللغة السقوط . (١) الأنعام : ٥٢ .

٨٦ - أحمد في مسنده (١ / ٤٢٠) (المعجم الكبير (١٠ / ٢٦٨) .

وقال الميمني في مجمع الروائد (٧ / ٢١) : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير كردوس وهو ثقة .

إلى قوله : ﴿ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(١) وفي رواية الطبراني أنه قال : فقالوا : يا محمد أهؤلاء من الله عليهم من بيننا لو طردت هؤلاء لاتبعتك فأنزل الله : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ .

* * *

بداية الدعوة في سريتها وفرديتها :

سيرة رسول الله ﷺ تسع الزمان والمكان والأشخاص ، وهي مجموعها يجد فيها كل عامل قدوة وأسوة ، وأحكام الإسلام المنبثقة عن الكتاب والسنة تكمل الاستجابة لحاجات الإنسان وظروفه ، ومن ههنا نقول :

إن من واجبه ظروفاً كالظروف التي واجهها رسول الله ﷺ في بداية الدعوة يسن له أن يدعو سراً ، وقد يتعين ذلك عليه إذا كان واجب الدعوة وتحقيق الهدف لا يتأتى إلا بالسرية ، فليست السرية مفروضة دائماً أو مسنونة دوماً ، بل الحكم فيها منوط بالظروف التي تواجهها الدعوة وأصحابها .

ورأينا في مرحلة الدعوة السرية كيف أن الدعوة كانت فردية يقوم بها رسول الله ﷺ أو أصحابه ، وأن الإيذاء بدأ مبكراً ، والعروض والإغراءات والتزهد بالمستجيبين من قبل الكبراء كل ذلك كان واضحاً ، وهي قضايا يجب أن يلتفت إليها الدعاة ، وقد رأينا أكثر من نموذج أسلم فأرجعه رسول الله ﷺ إلى قومه متريصاً منتظراً داعياً ، مما يشير إلى أن هناك حالات يفضل فيها الانتشار على التجمع في المكان الواحد ، وهذا كذلك موضوع يخضع لظروف الدعوة والداعية فليس التجمع في المكان الواحد مفروضاً في كل الأحوال ، فلكل وضع أحكامه .

ولم نستقص فيما تقلناه كل الأحوال والأحداث التي حدثت في المرحلة السرية والفردية لتداخلها مع ما بعدها فكان ما ذكرناه نموذجاً يكفي لتوضيح الصورة .

قال السباعي :

إن دعوة الإصلاح إذا كانت غريبة على معتقدات الجمهور وعقليته ، ينبغي أن لا يجهر بها الداعية حتى يؤمن بها عدد يضحون في سبيلها بالغالي والرخيص . حتى إذا نال صاحب الدعوى أذى . قام أتباعه المؤمنون بدعوته بواجب الدعوة ، فيضمن بذلك استمرارها .

* * *

فصل : في الدعوة الجهرية

اعتاد المؤلفون أن يعنونوا لهذه المرحلة بمثل العنوان الذي عنونا به ، فوافقناهم عليه مع أنه ملتبس ، فالمرحلة الثانية كان فيها دعوة جهرية جماعية ، لكن قد بقيت الدعوة الفردية مستمرة ، وبقيت السرية قائمة فالاستخفاء في دار الأرقم لازال موجوداً ، وهناك روايات تصرح بذلك ، المهم أن التكتّم بقي مستمراً مع الجهر بالدعوة ، ولعل هذه المرحلة تشهد لمن ينادون بجهرية الدعوة وسرية التنظيم ، والظاهر أن هذه المرحلة استمرت حتى إسلام عمر فعندئذ وجدت جهرية الدعوة على كالمها ، وخلال ذلك كان كثيراً ما ينكشف إسلام من أسلم ، وعلى كل الأحوال فجهرية الدعوة وسرية التنظيم منوطان بالظروف والمصلحة والأوضاع التي تواجهها الدعوة أو يواجهها الدعاة .

وبعد ثلاث سنين من البعثة على القول الراجح نزل قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(٢) ، وعندئذ بدأت الدعوة الجهرية فخصّ بها رسول الله ﷺ وعمّ تنفيذاً لأمره تعالى .

٨٧ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عز وجل : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ قال : « يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئاً . يا بني عبد مناف ، لا أغني عنكم من الله شيئاً . يا عباس بن عبد المطلب ، لا أغني عنك من الله شيئاً . يا صفية عمّة رسول الله ، لا أغني عنك من الله شيئاً . ويا فاطمة بنت محمد ، سأليني ما شئت من مالي ، لا أغني عنك من الله شيئاً » .

وللبخاري أيضاً ^(٣) قال : « يا بني عبد مناف ، اشتروا أنفسكم من الله ، يا بني

(١) الشعراء : ٢١٤ .

(٢) الحجر : ٩٤ .

٨٧ - البخاري (٨ / ٥٠١) ٦٥ - كتاب التفسير - باب - ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ .

(٣) البخاري (٦ / ٥٥١) ٦١ - كتاب المناقب - ١٣ - باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية .

عبد المطلب ، اشتروا أنفسكم من الله ، يا أمّ الزبير بن العوام عمّة رسول الله ، يا فاطمة بنت محمد ، اشتريا أنفسكما من الله ، لا أملك لكما من الله شيئاً ، ستلاني من مالي ما شئتما .

ولسلم أيضاً ^(١) قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً ، فاجتمعوا ، فعمّ وخصّ ، فقال : « يا بني كعب بن لؤي ، أنقذوا أنفسكم من النار . يا بني مرة بن كعب ، أنقذوا أنفسكم من النار . يا بني عبد شمس ، أنقذوا أنفسكم من النار . يا بني عبد مناف ، أنقذوا أنفسكم من النار . يا بني هاشم ، أنقذوا أنفسكم من النار . يا بني عبد المطلب ، أنقذوا أنفسكم من النار . يا فاطمة ، أنقذي نفسك من النار . فإني لا أملك لكم من الله شيئاً ، غير أن لكم رجياً ، سأبئلهما ببئلاهما » .

وأخرجه الترمذي ^(٢) عن أبي هريرة قال : لما نزلت ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ جمع رسول الله ﷺ قريشاً ، فخصّ وعمّ ، فقال : « يامعشر قريش ، أنقذوا أنفسكم من النار ، فإني لا أملك لكم من الله ضراً ولا نفعاً . يامعشر بني عبد مناف ، أنقذوا أنفسكم من النار ، فإني لا أملك لكم من الله ضراً ولا نفعاً . يامعشر بني قصي ، أنقذوا أنفسكم من النار ، فإني لا أملك لكم من الله ضراً ولا نفعاً . يامعشر بني عبد المطلب ، أنقذوا أنفسكم من النار ، فإني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً . يا فاطمة بنت محمد ، أنقذي نفسك من النار ، فإني لا أملك لك ضراً ولا نفعاً ، إن لك رجياً ، سأبئلهما ببئلاهما » .

(١) مسلم (١ / ١٩٢) - كتاب الإيمان - ٨٩ - باب في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ .

أنقذوا : أنقذت فلاناً : إذا خلصته مما يكون قد وقع فيه ، أو شارف أن يقع فيه .

سأبئلهما : البئال : ما يبئ به ، وإنما قالوا في صلة الرحم : بل رجعة ، لأنهم لما رأوا بعض الأشياء يتصل ويختلط بالنداء ، ويحصل بينها التجافي والتفرق باليبس ، استعاروا البئ لمعنى الوصل ، واليبس لمعنى القطيعة ، والمعنى : سأصل الرحم بصلتها ، وقيل : البئال : جمع بئ .

(٢) الترمذي (٥ / ٢٣٨) - ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٢٧ - باب : ومن سورة الشعراء . قال أبو عيسى : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

٨٨ - * روى مسلم عن قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ وَزُهَيْرِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قالا : لما نزلت : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ انطلق نبي الله ﷺ إلى رَضْمَةٍ من جَبَلٍ فَعَلَا أَغْلَاهَا حَجْرًا ، ثم نادى : « يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافَاهُ إِنِّي نَذِيرٌ ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى الْعَدُوَّ ، فَانْطَلَقَ يَرْبَأُ أَهْلَهُ ، فَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ : يَا صَبَاحَاهُ . »

يفغل كثير من الدعاة عن تذكير أسرهم وأهليهم وعشيرتهم وأقاربهم ، وهذا مجافٍ للفطرة ولفقه الدعوة ولسنة الدعوة فعلى الداعية إلى الله أن يخص أرحامه وأقاربه ببعض الوقت لدعوتهم وتعليمهم وتربيتهم .

إن أصل الفطرة أن يحب الإنسان أقاربه وأرحامه ، وأن يحرص على ما ينفعهم وأن يبعد عنهم ما يضرهم ، والداعية إلى الله هم الأول أن يتخذ الناس من النار ، فإذا ما أهل أقرب الناس إليه ، فكأنه يدل على عدم صدقه في دعوته ، فإن كان هم الإنقاذ فهو لاء أولى الناس بالبداية ، أما إذا كان هم الزعامة والرئاسة وهؤلاء مطمئن لموقفهم منه فهذه كارثة ، أو كان لا تحركه غوهم عاطفة خاصة فهذا مجافٍ للفطرة ، المهم أن كل داعية لابد أن يخص أهله وأقاربه بمزيد عناية ابتداءً أو توسطاً أو انتهاءً ، والابتداء سنة رسول الله ﷺ .

قال السباعي : إن على الداعية أن يهتم بأقربائه ، فيبلغهم دعوة الإصلاح . فإذا أعرضوا ، كان له عذر أمام الله والناس ، عما هم عليه من فساد وضلال .

٨٩ - * روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا ، فَجَعَلَ يُنَادِي : « يَا بَنِي فَهْرٍ ، يَا بَنِي عَدِيٍّ » - لِبَطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا . فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا ، لِيَنْظُرَ مَا هُوَ ؟ فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ ، فَقَالَ : « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي ،

٨٨ - مسلم (١ / ١٩٢) - كتاب الإيمان - ٨٩ - باب في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ .
رضمة : الرَّمْثَةُ : واحدة الرضم : وهي الحجارة والصخور بعضها على بعض . يُزْبَأُ . الرِّيْبَةُ : الذي يجرس القوم ، ويتطلع لهم ، خوفًا من أن يكبسه العدو . يا صباحاه : كلمة يقولها الملهوف والمستغيث .

٨٩ - البخاري (٨ / ٥٠١) - ٦٥ - كتاب التفسير - ٢ - باب ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ .
تَبَأَ لَكَ : التَّبُّ : الهلاك : أي هلاكاً لك ، وهو منصوب بفعل مضارع . البطحاء : الأرض المستوية .

تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي ؟ » قَالُوا : نَعَمْ ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا ، قَالَ : « فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيِّ عَذَابٍ شَدِيدٍ » فقال أبو لهب : تبأ لك سائر اليوم ، ألم هذا جَمَعْتَنَا ؟ فَتَنَزَّلَتْ : ﴿ قَبْتُ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۖ ﴾^(١).

وفي بعض الروايات^(٢) : (وقد تبَّ) كذا قرأ الأعشى .

وفي رواية^(٣) : أن النبي ﷺ خَرَجَ إِلَى الْبَطْحَاءِ ، فَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ ، فَنَادَى : « صَبَاحَاهُ ، يَا صَبَاحَاهُ » فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ قَرِيشٌ فَقَالَ : « أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ : أَنَّ الْعَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ ، أَوْ مُمَسِّكُكُمْ ، أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي ؟ » قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : « فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيِّ عَذَابٍ شَدِيدٍ » وذكر نحوه .

وللبخاري^(٤) أيضاً قال : لما نزل : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۖ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُوهُمْ قَبَائِلَ ، قَبَائِلَ .

وفي رواية للبخاري^(٥) : لما نزلت : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ، وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ۖ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصُّفَا ، فَهَتَفَ : « يَا صَبَاحَاهُ » فَقَالُوا : مِنْ هَذَا ؟ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، فَقَالَ : « أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي ؟ » قَالُوا : مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا .. وذكر الحديث .

قال في الفتح :

والسر في الأمر بإنذار الأقربين أولاً أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم ، وإلا فكانوا علة للأبعدين في الامتناع ، وأن لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة فيحاييهم في الدعوة والتخويف ، فلذلك نص له على إنذارهم . وفيه جواز تكتية الكافر ، وفيه خلاف بين العلماء ، كذا قيل .

(١) سورة المد : ١ ، ٢ .

(٢) البخاري (٨ / ٧٣٧) ٦٥ - كتاب التفسير - تفسير سورة (١١١) - ٢ - باب ﴿ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۖ ﴾ .

(٣) البخاري (٦ / ٥٥١) ٦١ - كتاب المناقب - ١٣ - باب : من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية .

(٤) البخاري (٨ / ٥٣٧) ٦٥ - كتاب التفسير - تفسير سورة (١١١) ، باب : ١ - .

(٥) ورهطك منهم المخلصين) : هذا ما نسخت تلاوته .

٩٠ - * روى الإمام أحمد عن عليّ قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ قال : جمع رسول الله ﷺ من أهل بيته فاجتمع له ثلاثون رجلاً فأكلوا وشربوا قال : فقال لهم : « من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي » فقال رجل لم يسمه شريك : يا رسول الله أنت كنت بحراً من يقوم بهذا ، قال : ثم قال : لآخر فعرض ذلك على أهل بيته فقال عليّ : أنا .

نفهم من الحديث أدباً وهو أن يكون للداعية إلى الله سواء كان شيخاً أو أمير جماعة أن يكون معه من يحفظ مواعيده لينذكر بها أو ليوفيهما، وقد يكون منصب أمين السري عصرنا يحقق الضبط لهذه الشؤون ، وخلفاء القائد عليهم مراعاة ذلك ، ومن فقه الدعوة في الحديث أن يخص الداعية الأخص من أهل بيته بزيد عناية في الدعوة ، وأن يصطنع المناسبات لتبليغ دعوته ، والولية مناسبة من المناسبات عند الداعية لتحقيق هدف أو لتبليغ دعوة .

* * *

أصناف خصوم الدعوة الجهرية :

ويبدو أن الدعوة الجهرية لقريش لم تلق استجابة مباشرة بل لقيت صداً مباشراً وكيداً غنياً ، وهذه المناسبة تحدّث الشيخ الغزالي في كتابه فقه السيرة عن أنواع الخصوم الذين واجهوا دعوة رسول الله ﷺ . قال : ومن أولئك الخصوم :

* متعصبون تحجّرت عقولهم . تزين لهم سطوتهم البطش بمن يخالفهم . ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ... ﴾^(١)

* .. أو مترفون بربهم ثروتهم يحبون الباطل لأنه على أرائك وثيرة ، ويكرهون الحق

٩٠ - أحمد في مسنده (١ / ١١١) وإسناده جيد وتقدمت له طرق في علامات النبوة .

مواعيدي : أي ما وعد به الرسول ﷺ أحداً ولم يتم له أن يعطيه . بحراً : أي كانت مواعيده وعطاؤه كثيرين كالبحر .

(١) الحج : ٧٢ .

لأنه عاطل عن الحلي والمتاع ﴿ وَإِذَا تُلْتِ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾^(١) !!

* .. أو متعنتون يحسبون هدايا الرحمن عبث صبية ، أو أزياء غانية فهم يقولون : دع هذا وهات هذا ﴿ وَإِذَا تُلْتِ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّهُ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلَهُ ﴾^(٢) !!

* .. أو مهرجون يتواصون بينهم بافتعال ضجة عالية وصياح منكر عندما تقرأ الآيات ، حتى لا تسمع فتفهم فتترك أثراً في عقل نقي وقلب طيب ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾^(٣) !!

لو أن أهل مكة ترددوا في تصديق محمد ﷺ حتى يبحثوا أمره ويحصوا رسالته ، ويزنوا - على مهل - ما لديهم وما جاء به ، لما عابهم على هذا عاقل . ولكنهم نفروا من الإسلام نفور المذنب من ساحة القضاء بعدما انكشفت جريمته وثبتت إدانته . اهـ .

٩١ - * روى الطبراني عن جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ قَالَ : جَلَسْنَا إِلَى الْمَقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ يَوْمًا وَنَزَّ بِنَا رَجُلٌ وَاسْتَمَعْنَا إِلَيْهِ فَقَالَ : طُوبَى لِهَاتَيْنِ الْعَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ رَأَتَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَاللَّهِ لَوَدِدْنَا أَنَا زَايِنًا مَا رَأَيْتَ وَشَهِدْنَا مَا شَهِدْتَ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ : مَا يَحْمِلُ الرَّجُلَ أَنْ يَتَنَى مُحَضَرًا غَيْبَةَ اللَّهِ عَنْهُ لَا يَذْهَبُ كَيْفَ يَكُونُ فِيهِ ، وَاللَّهِ لَقَدْ خَضَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْوَامٌ كَبَّهُمُ اللَّهُ عَلَى مَتَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ لَمْ يُجِيبُوهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُ ، أَلَا يَحْمَدُ اللَّهُ تَعَالَى أَحَدَكُمْ أَنْ لَا تَعْرِفُوا إِلَّا رَبَّكُمْ مُصَدِّقِينَ بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيِّكُمْ ، فَقَدْ كَفَيْتُمُ الْبَلَاءَ بِغَيْرِكُمْ ، وَاللَّهِ لَقَدْ بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَشَدِّ حَالٍ بُعِثَ عَلَيْهَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي فِتْرَةٍ وَجَاهِلِيَّةٍ لَمْ يَرَوْا أَنْ دِينَنَا أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، فَجَاءَ بِفَرَقَانِ فَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَفَرَّقَ بَيْنَ الْوَالِدِ وَوَلَدِهِ ، حَقٌّ إِنَّ كَانَ الرَّجُلَ لَيَرَى وَالِدَهُ أَوْ وَلَدَهُ أَوْ أَخَاهُ

(١) مريم : ٧٣ .

(٢) يونس : ١٥ .

(٣) فصلت : ٣٦ .

٩١ - للمعجم الكبير (٢٠ / ٢٥٤) وأحمد في مسنده (٦ / ٢) ، وقال الهيثمي في المجمع (٦ / ١٧) : رواه الطبراني بأسانيد في أحدها يحيى بن صالح ، وثقه الذهبي وقد تكلموا فيه ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

طوبى : اسم للجنة . وقيل هي شجرة فيها وأصلها في اللغة فعلى من الطيب . لو ددنا : من الود وهو الحب أي أحببنا . فترة وجاهلية : الفترة أي زمان انقطع فيه مجيء الأنبياء . وهي الفترة ما بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ . والجاهلية : ما كان عليه العرب قبل الإسلام من عبادة الأصنام والجهل والضلال . بفرقان : أي القرآن . حميه : أي قريبه .

كَافِرًا ، وقد فَتَحَ اللهُ تعالى قَلْبَهُ للإِيمَانِ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ قد هَلَكَ من دَخَلَ النَّارَ ، فلا تَقَرَّ عَيْنُهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ حَمِيمَةَ في النَّارِ ، وَأَنَّهَا الَّتِي قَالَ اللهُ تعالى : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ۖ ﴾^(١) .

٩٢ - * روى مسلم عن أبي هريرة قال : قال أبو جهل : هل يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وجهه بين أظهركم ؟ قال : فقييل : نعم ، فقال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب . قال : فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليظاً على رقبته قال : فما فجئتهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه ، قال : فقييل له : مالك ؟ فقال : إن بيني وبينه لحدقاً من نارٍ وهولاً وأجنحة ، فقال رسول الله ﷺ : « لو دنا مني لاختطفتة الملائكة عضواً عضواً » قال : فأنزل الله عز وجل ، لا ندرى في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه ، ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ۚ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۚ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۚ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ ۚ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۚ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۚ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۚ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۚ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۚ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۚ كَلَّا لَا تَطْفَعُ ۚ ﴾^(٢) زاد عبید الله في حديثه قال : وأمره بما أمره به . وزاد ابن عبد الأعلى فليدع ناديه : يعني قومه .

قال في الفتح : وإنما شدد الأمر في حق أبي جهل ، ولم يقع مثل ذلك لعقبة بن أبي معيط حيث طرح سلى الجزور على ظهره ﷺ وهو يصلي ، لأنها وإن اشتركا في مطلق الأذية حالة صلاته ، لكن زاد أبو جهل بالتهديد وبدعوى أهل طاعته وبإرادة وطء العنق الشريف ، وفي ذلك من المبالغة ما اقتضى تعجيل العقوبة لو فعل ذلك ، ولأن سلى الجزور لم يتحقق نجاستها ، وقد عوقب عقبة بدعائه ﷺ عليه وعلى من شاركه في فعله فقتلوا يوم بدر .

(١) الفرقان : ٧٤ .

٩٢ - مسلم (٤ / ٢١٥٤) ٢٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - ٦ - باب قوله : إن الإنسان ليطغى أن رآه استعفى .
التعفير : التبريق في التراب . يعفر أي يسجد ويلصق وجهه بالتراب وهو التراب . فجئهم : بكسر الجيم ويقال أيضاً فجأهم . نكص على عقبيه : رجع إلى ورائه القهقري . الاختطاف : الاستلاب بسرعة . كذب وتولى : يعني أبا جهل .

(٢) العلق : ٦ - ١٩ .

٩٣ - * روى الحاكم عن خالد بن سعيد أن سعيد بن العاص بن أمية مريض فقال : لئن رَفَعَنِي اللهُ من مَرَضِي هذا لا يُعْبَدُ إِلَهَ ابنِ أَبِي كَبْشَةَ بِيْطْنِ مَكَّةَ أَبَدًا فَقَالَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ عند ذلك : اللَّهُمَّ لا تَرْفَعُهُ ، فَتُوفِّيَ فِي مَرَضِهِ ذَلِكَ .

٩٤ - * روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ ^(١) قال : نَزَلَتْ فِي أَبِي طَالِبٍ ، كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويتباعدوا عما جاء به .

٩٥ - * روى البخاري عن قيس بن أبي حازم رحمه الله قال : سمعتُ سعيدَ بن زيد بن عمرو في مسجد الكوفة يَقُولُ : وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنْ عَمَّرْتُمُوْنِي عَلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يُسَلَّمَ عَمْرٌ ، وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا ارْفَضَ لِلَّذِي صَنَعْتُمْ بَعَثَانِ لَكَانَ مُحَقَّقًا أَنْ يَرْفَضَ .

٩٦ - * روى الترمذي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لَقَدْ أَخْفَتُ فِي اللَّهِ وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ ، وَلَقَدْ أُودِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذِي أَحَدٌ . وَلَقَدْ أُتْتُ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِبَلَالٍ طَعَامَ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءَ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ . » ومعنى هذا الحديث : حين خرج النبي ﷺ هارباً من مكة ومعه بلال إنما كان مع بلال من الطعام ما يحمله تحت إبطه .

٩٣ - المستدرك (٢ / ٢٤٩) وسكت عنه الحافظ الذهبي في التلخيص .

لئن رفعتني الله من مرضي : أي : لئن شفاني الله من مرضي ، ومثل هذا النذر من هذا المشرك يدل على مقدار ثقة المشركين أنهم على حق ، وهذا يبين الصعوبة التي واجهها الرسول في التنوير . ابن أبي كبشة : أي : عمده ﷺ كانوا ينسبونه لأبيه من الرضاة . وفي دعاء خاله : على أبيه مظهر من مظاهر الولاء الخالص الشديد عند أصحاب رسول الله ﷺ لهذا الدين .

٩٤ - المستدرك (٢ / ٣١٥) وقال : صحيح على شرط الشيخين وصححه الذهبي .

ينأون : يعتمدون . أي أنهم لا يستجيبون لدعوته .

(١) الأنعام : ٣٦ .

٩٥ - البخاري (٧ / ١٧٦) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٣٤ - باب إسلام سعيد بن زيد .

لوقني على الإسلام : أي أن عمر - رضي الله عنه - ربطه بسبب إسلامه إهانة له وإلزاماً بالرجوع عن الإسلام . ارفض : والارفضاض : التفرق .

٩٦ - الترمذي (٤ / ٦٤٥) ٣٨ - كتاب صفة القيامة - ٢٤ - باب حدثنا هارون بن إسحاق ... وقال : حسن غريب . وابن ماجه (١ / ٥٤) ١ - المقدمة - ١١ - باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ، وهو حديث حسن بشواهد . ورواه ابن جبان - الإحسان (٨ / ١٨٢) .

٩٧ - * روى أبو يعلى عن جابر بن عبد الله قال : اجتمعت قريش للنبي ﷺ يوماً ، فقال : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا ، وشئت أمرنا ، وعاب ديننا ، فليكله ولينظر ما يرد عليه ، قالوا : ما نعلم أحداً غير عتبة ابن ربيعة ، قالوا : أنت يا أبا الوليد ، فأتاه عتبة فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله ﷺ قال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله ﷺ قال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك قد عبدوا الألهة التي عبت ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك ، أما والله ما رأينا سخطاً أشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا ، وشئت أمرنا ، وعبت ديننا ، وقضحتنا في العرب حتى طار فيهم أن في قريش ساحراً ، وأن في قريش كاهناً ، ما ينتظر إلا مثل صيحة الجبل بأن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى تتفانى . أيها الرجل : إن كان إنا بك الحاجة جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أغنى قريش رجلاً ، وإن كان إنا بك الباءة فاخترأي نساء قريش فنزوجهن عثراً ، فقال له رسول الله ﷺ : « أفرغت ؟ » قال : نعم ، قال : فقال رسول الله ﷺ : ﴿ حم * تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ ^(١) حتى بلغ ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ ^(٢) فقال عتبة : حسبك ، ما عندك غير هذا ؟ قال : لا ، فرجع إلى قريش فقالوا : ما وراءك ؟ فقال : ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته ، قالوا : هل أجابك ؟ قال : نعم ، قال : والذي نصبها نبي ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه قال : أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ، قالوا : وبذلك يكلمك رجل بالعربية فلا تدري ما قال ، قال : لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة . أقول : إن فتح باب الحوار لمصلحة الإسلام والمسلمين إذا وجد الداعية الكامل هو

٩٧ - قال الميمني في مجمع الزوائد (٦ / ١٩) : رواه أبو يعلى وفيه الأجلح الكندي وثقه ابن معين وغيره وضعفه النسائي وغيره ، وبقية رجاله ثقات . وقال عنه الحافظ في التقریب (١ / ٤٩) (صدوق) لذا ما الحديث حسن إن شاء الله تعالى . ويزيده ما رواه ابن إسحاق مرسلأ بإسناد جيد (١ / ٣١٢) .

الباءة : النكاح .

(١) فصلت : ١ ، ٢ .

(٢) فصلت : ١٣ .

الأصل ، فهذا رسول الله ﷺ ما كان يغلق باب الحوار مع أحد ، ولكنه في أي حوار كان يدعو إلى الله ويحقق مصلحة للإسلام والمسلمين .

٩٨ - * روى الترمذي عن عروة بن الزبير بن العوام ، أن عائشة رضي الله عنها قالت : أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾^(١) في ابن أم مكتوم الأعمى ، أتى رسول الله ﷺ ، فجعل يقول : يا رسول الله أرشدني - وعند رسول الله ﷺ من عظماء المشركين - فجعل رسول الله ﷺ يَغْرِضُ عنه وَيَقْبَلُ على الآخرين ، ويقول : « أترى بما أقول بأساً ؟ » فيقال : لا ، ففي هذا أنزل .

هذه حادثة خالدة ولذلك سجلها القرآن الكريم ، لأنها تشكل ظاهرة متجددة في الدعوة إلى الله ، وهي من الخطورة بالمكان العظيم ، فالدعاة دائماً يتطلعون إلى كسب جديد للدعوة ، وفي غرة التطلع هذا قد يغفلون حقوق المستجيبين للدعوة ، وفي كثير من الأحيان لا يستجيب الآخرون ويفقد الداعية صفته . وأول مبادئ العمل الإسلامي أن تحرص على رأس المال أكثر من حرصك على الكسب ، ثم إن التطلع المبكر نحو رؤوس القوم ليس هو الأصل ، فالعادة جرت أن هؤلاء تتأخر استجابتهم ، فالتركيز على المستجيبين ليشكلوا القيادة الحقيقية للأمة هو الأساس ، ثم إن الأولوية يجب أن تعطى دائماً للمستجيبين وللصف لتبقى أرواحهم معلقة بالملأ الأعلى .

٩٩ - * روى الطبراني وأبو يعلى عن عقيل بن أبي طالب قال : جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك يأتيك في أفنيتنا وفي نادينا فيُسَبِّحُنَا ما يؤذينا

٩٨ - الترمذي (٥ / ٤٣٢) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٧٣ - باب ومن سورة عبس . وقال : حديث حسن غريب . وللوطأ (١ / ٢٠٣) ١٥ - كتاب القرآن - ٤ - باب : ما جاء في القرآن . وصححه ابن حبان (موارد : ١٧٦٩) . أرشدني . أهدني ودلني على الخير . والرشد : الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه . أترى بما أقول بأساً : أي هل قلت شيئاً مذموماً ؟ (١) عبس : ١ .

٩٩ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٤) : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وأبو يعلى باختصار يسير من أوله ، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح المعجم الكبير (١٧ / ١٩٢) . الكبس : بيت صغير لمطاعاً : أي لمطوعاً أي لطيفاً إما أنه ضمن اسم الفاعل معنى المفعول أو أنه بالنسبة لمحمد ﷺ مطاع . حلق : حلق ببصره : رفعه . راشدين : مهتدين .

به ، فإن رأيتَ أن تكفَّ عَنَّا فافعل . فقال لي : يا عقيلَ التمسُ لي ابنَ عمِّك ، فأخرجته من كبسٍ من أكباسِ أبي طالبٍ ، فأقبلَ يمشي معي يطلبُ الفياءَ يمشي فيه فلا يقدرُ عليه ، حتَّى انتهى إلى أبي طالبٍ فقال له : يا ابنَ أخي والله ما علمتُ أن كنتَ لي لمطاعاً ، وقد جاء قومك يزعمون أنك تأتيهم في كعبتهم وفي نَادِيهم تُسمعهم ما يؤذِيهم ، فإن رأيتَ أن تكفَّ عنهم ، فحلّقَ ببصره إلى السماءِ فقال : « والله ما أنا بأقدرَ أدعَ ما بعثتُ به من أن يشعلَ أحدكم من هذه الشمسِ شُعلةً من نارٍ » ، فقال أبو طالبٍ : والله ما كذبَ ابنُ أخي قطُّ ارجعوا راشدينَ .

١٠٠ - * روى الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أن أباً جهلي قال للنبي ﷺ : إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به ، فأنزل الله : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْتُمُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيِّنَاتٍ اللَّهُ يَجْعَلُوهُمْ ﴾ ^(١) .

* * *

١٠٠ - الترمذي (٥ / ٢٦١) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٧ - باب : ومن سورة الأنعام . والحديث صحيح ، وهو عند الحاكم بلفظ : إنك تصل الرحم وتصدق الحديث ولا تكذبك ، ولكن تكذب ... قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : ما خرجنا لناجية شيئاً . قال ابن حجر : ناجية ثقة من علي . يجهلون : جحد الأمر جحداً أو جحواً : أي أنكروه مع علمه به .

(١) الأنعام : ٣٢ .

فصل ووصل

الوحي ، ففترة الوحي ، فالأمر بالإندار ، فالدعوة الفردية السرية ، فالدعوة الجماعية الجهرية ، فالهجرة الأولى إلى الحبشة ، فالهجرة الثانية إلى الحبشة ، وإسلام حمزة وعمر رضي الله عنهما ؛ هذه هي المعالم الكبرى لأحداث السنين الست بعد البعثة .

دامت فترة الوحي على الأرجح أياماً وستة شهور ثم نزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ۚ فبدأ رسول الله ﷺ الدعوة سرية وفردية واستمر على ذلك ثلاث سنين ، ثم أمر بالجهر بالدعوة ، فبدأ بعشيرته الأقربين فجهر ودعا فزادت المقاومة والاضطهاد مما اضطر رسول الله ﷺ لاتخاذ دار الأرقم مقراً سريراً للدعوة والتربية والتعليم والعبادة ، وكان ذلك في بداية السنة الخامسة ، وفي رجب من السنة الخامسة ، هاجر أول فوج من الصحابة إلى الحبشة وكان مكوناً من اثني عشر رجلاً وأربع نسوة ، وفي شوال من نفس السنة عاد هؤلاء بعد أن بلغتهم شائعة أن قريشاً أسلمت فلما عرفوا جلية الأمر رجع بعضهم إلى الحبشة ودخل بعضهم مكة مستخفياً أو في جوار ، واشتد الاضطهاد فكانت الهجرة الثانية إلى الحبشة والتي شارك فيها ثلاثة وثمانون رجلاً وثمان عشر أو تسع عشر امرأة ، والذي يبدو أن الهجرة الثانية كانت على دفعات ، والراجح أن إسلام حمزة وعمر كان بعد الهجرة الثانية أواخر السنة السادسة من البعثة ، والروايات تذكر أن عمر أسلم بعد تسعة وثلاثين رجلاً وثلاث وعشرين امرأة ، أو بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة ، أو بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى وعشرين امرأة ، أو بعد ثلاثة وثلاثين رجلاً ، والتوفيق بين هذا العدد وبين أن الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة كانوا حوالي المئة ، إما أن إسلام عمر كان بين الهجرتين فانتعشت الدعوة أو كان بعد الهجرتين ، لكن الهجرة الثانية كانت على دفعات وكانت عصلتها العدد المذكور .

وكان المسلمون لا يقدرّون يصلّون عند الكعبة ، فلما أسلم عمر رضي الله عنه قاتل قريشاً حتّى صلى عندها وصلى معه المسلمون ، وقد قووا بإسلامه وإسلام حمزة رضي الله عنهما ، وجهروا بالقرآن ولم يكونوا قبل ذلك يقدرّون أن يجهروا به ففشا الإسلام وكثر المسلمون .

١٠١ - * روى الحاكم عن عثمان بن الأرقم ، أنه كان يقول : أنا ابنُ سُنَّعِ الإسلام ، أسلمَ أبي سابعَ سبعةً ، وكانت دائرة على الصفا هي الدائر التي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكون فيها في الإسلام ، وفيها دعا الناس إلى الإسلام فأسلم فيها قومٌ كثيرٌ ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الإثنين فيها : « اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام » فجاء عمر بن الخطاب من الغد بكرة فأسلم في دار الأرقم وخرجوا منها وكبروا وطاقوا بالبيت ظاهرين ، ودعيت دار الأرقم دار الإسلام .

تشير هذه الرواية إلى تقدم اتخاذ دار الأرقم فياذا كان الأرقم سابع سبعة دخلوا الإسلام ، وإذا شهدت دار الدعوة السرية الفردية فاتخاذ الدار إذن متقدماً ، وكوّن عمر بن الخطاب أسلم فيها فهذا يفيد أنها استمرت مركزاً للدعوة سنوات طويلة .

يقول الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله : إن على الداعية أن يجتمع بأنصاره على فترات في كل نهار أو أسبوع : ليزيدهم إيماناً بدعوتهم ، وليعلمهم طرقها وأساليبها وآدابها ، وإذا خشي على نفسه وجماعته من الاجتماع بهم علناً وجب عليه أن يكون اجتماعهم سرّاً لئلا يجمع المبطلون أمرهم فيقضوا عليهم جميعاً ، أو يزدادوا في تعذيبهم واضطهادهم . أ.هـ .

ومن فكرة اتخاذ دار الأرقم نأخذ ضرورة وجود مراكز للدعوة على أن يتولى الدعوة فيها الدعاة الكبار .

* * *

١٠١ - المستدرك (٣ / ٥٠٢) وسكت عنه الذهبي .

وأخر الحديث موجود عن الترمذي (٥ / ٦١٧) ٥٠ - كتاب المناقب - ١٨ - باب : في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقال : حسن صحيح غريب . وصححه ابن حبان .

فصل : في هجرتي الحبشة

اشتدّ البلاء على المسلمين فوجد بعضهم حماية وبعضهم لم يجد ، ووجد هناك تطلع لحرية العبادة فكانت فكرة الهجرة إلى الحبشة حيث كان يحكمها ملك عادل .

كان عمر في تلك الأثناء مشركاً هو وحمة ، وقد دخلا في الإسلام في هذه المرحلة بعد ابتداء الهجرة إلى الحبشة وقبل حصار الشعب في السنة السابعة ، وترتب على إسلامهما وضع جديد مما جعل قريشاً تفكر بوسائل جديدة ، فاخترعت فكرة حصار الشعب ، وهكذا تعددت أنواع الإيذاء ، ورسول الله ﷺ ماض يبلغ الناس في المواسم وحيثما لقيهم ، أفراداً وجماعات .

والهجرة الأولى إلى الحبشة كانت في السنة الخامسة للبعثة وكان عدد الذين هاجروا فيها اثني عشر رجلاً وأربع نسوة ، ورجع بعض هؤلاء على أثر سجود المشركين عند تلاوة سورة النجم ، فوجدوا الأمر على أشده فكانت الهجرة الثانية إلى الحبشة ، وتمت على دفعات ، ومجموع من ذكرت أسماؤهم في الهجرة الثانية ثلاثة وثمانون رجلاً وثمان أو تسع عشرة امرأة .

١٠٢ - * روى الطبراني عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أمه ليلى قالت : كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا في إسلامنا ، فلما تهيأنا للخروج إلى أرض الحبشة ، فأتى عمر بن الخطاب وأنا على بعيري وأنا أريد أن أتوجه ، فقال : أين يا أم عبد الله ؟ فقلت : أذيتمونا في ديننا فنذهب في أرض الله حيث لا نُؤذى . فقال : صحبكم الله ثم ذهب ، فجاء زوجي عامر بن ربيعة فأخبرته بما رأيت من رقة عمر ، فقال : ترجين أن يسلم ، والله لا يسلم حتى يسلم حيار الخطاب .

وهذا يدل على أن إسلام عمر تأخر إلى ما بعد البدء بالهجرة الأولى إلى الحبشة .

١٠٣ - * روى الطبراني عن عروة في تسمية الذين خرجوا إلى الحبشة المرة الأولى قبل

١٠٢ - قال الميمني في مجمع الزوائد (٢٣ / ٦) : رواه الطبراني وقد صرح ابن إسحاق بالسماع فهو صحيح .

١٠٣ - قال الميمني في مجمع الزوائد (٢٣ / ٦) : رواه الطبراني في الكبير بلين وإرسال . قلت : وإنما ذكرناه ليتعرف القارئ على أسماء بعض من خرج في الهجرة الأولى .

خروج جعفر وأصحابه : الزبير بن العوام ، سهل بن بيضاء ، عامر بن ربيعة ، عبد الله بن مسعود ، عبد الرحمن بن عوف ، عثمان بن عفان ، مع امرأته رقية بنت النبي ﷺ ، عثمان ابن مظعون ، مصعب بن عمير ، أبو حذيفة بن عتبة ، مع امرأته سهلة بنت سهيل ، وولدت بالحبشة محمد بن أبي حذيفة ، أبو سبرة بن أبي رهم ، مع امرأته أم كلثوم بنت سهيل ، أبو سلمة بن عبد الأسد ، مع امرأته أم سلمة .

١٠٤ - * روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سجد النبي ﷺ بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس .

وراجت على أثر هذا السجود شائعة أن قريشاً ومن معها أسلم فرجع بعض المهاجرين فوجدوا الأمر على غير ما شاع فرجع بعضهم ودخل بعضهم مستخفياً أو بجوار .

١٠٥ - * روى الطبراني والبخاري عن عمرو بن العاص قال : قال جعفر : يا رسول الله ائذن لي أن أتى أرضاً يعبد الله فيها لا أخاف أحداً ، قال : فأذن له فيها ، فأتى النجاشي .

قال عمير : حدثني عمرو بن العاص قال : لما رأيت جعفر وأصحابه آمنين بأرض الحبشة حسدته قلت : لا تستقبلن لهذا وأصحابه فأتيت النجاشي فقلت : ائذن لعمرو بن العاص ، فأذن لي ، فدخلت فقلت : إن بأرضنا ابن عم لهذا يزعم أنه ليس للناس إلا إله واحد وإننا والله إن لم نرحبنا منه وأصحابه لا قطعنا إليك هذه النطفة ولا أحد من أصحابي أبداً ، فقال : وأين هو ؟ قلت : إنه يجيء مع رسولك إنه لا يجيء معي ، فأرسل معي رسولاً فوجدناه قاعداً بين أصحابه ، فدعاه فجاء ، فلما أتيت الباب ناديت ائذن لعمرو بن العاص ، ونادى خلفي ائذن لحزب الله عز وجل فسمع صوته فأذن له قبلي ، فدخل ودخلت ، وإذا النجاشي على السرير قال : فذهبت حتى قعدت بين يديه وجعلت خلفي وجعلت بين كل رجلين من أصحابه رجلاً من أصحابي .

١٠٤ - البخاري (٨ / ٦١٤) ٦٥ - كتاب التفسير (٥٣) سورة النجم - ٤ - باب ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ .

١٠٥ - قال الميثقي في جمع الروائد (٦ / ٢٩) : رواه الطبراني والبخاري وصدر الحديث في أوله له ، وزاد في آخره قال : ثم كنت بعد من الذين أقبلوا في السفن مسلمين ، وعمير بن إسحق وثقه ابن حبان وغيره وفيه كلام لا يضر ، وبقيته رجاله رجال الصحيح ، وروى أبو يعلى بعضه ثم قال : فذكر الحديث بطوله . وانظر كشف الأستار : ٢ / ٢٩٧ .
المنطقة : الماء الصافي قل أو أكثر ، والمراد به هنا ماء بحر جنة . القشرة : اللباس .

فَقَالَ النِّجَاشِيُّ : نَجِّرُوا . قَالَ عَمْرُو : بِعْنِي تَكَلَّمُوا . قُلْتُ : إِنَّ بَأْرَضِيكَ رَجُلًا ابْنُ عَمِّهِ
بَأْرَضِيًا وَيَزْعُمُ أَنَّهُ لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ ، وَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَقْطَعْ وَأَصْحَابِي لَا أَقْطَعُ إِلَيْكَ
هَذِهِ النُّطْفَةُ أَنَا وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي أَبَدًا ، قَالَ جَعْفَرٌ : صَدَقَ ابْنُ عَمِّي وَأَنَا عَلَى دِينِهِ ،
قَالَ : فَصَاحَ صَيَّاحًا وَقَالَ : أُوهِ ، حَتَّى قُلْتُ : مَا لَابْنِ الْحَبَشَةِ لَا يَتَكَلَّمُ ؟ وَقَالَ : أَنَا مُوسَى
كَنَا مُوسَى مُوسَى ؟ .

قَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ؟ قَالَ : أَقُولُ هُوَ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ . قَالَ : فَتَسْأَلُونَ
شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ ، فَقَالَ : مَا أَخْطَأُ فِي أَمْرِهِ مِثْلَ هَذَا ، فَوَاللَّهِ لَوْلَا مُلْكِي لَا تَبْعُنَكُمْ وَقَالَ
لِي : مَا كُنْتُ أَبَالِي أَنْ لَا تَأْتِيَنِي أَنْتَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ أَبَدًا ، أَنْتَ أَمِنَ بِأَرْضِي ، مِنْ
ضَرْبِكَ قَتَلْتُهُ ، وَمِنْ سَبِّكَ غَرَّمْتُهُ ، وَقَالَ لِأَذْنِهِ : مَتَى اسْتَأْذَنَكَ هَذَا فَائْذَنْ لَهُ إِلَّا أَنْ أَكُونَ
عِنْدَ أَهْلِي فَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ تَأْذَنَ لَهُ فَأْذَنْ لَهُ .

قَالَ : فَتَفَرَّقْنَا وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَاهُ مِنْ جَعْفَرٍ ، قَالَ : فَاسْتَقْبَلَنِي مِنْ طَرِيقٍ
مَرَّةً فَنَظَرْتُ خَلْفَهُ فَلَمْ أَرَ أَحَدًا ، فَتَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرَ أَحَدًا فَدَنَوْتُ مِنْهُ وَقُلْتُ : أَتَعْلَمُ أَنِّي
أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، قَالَ : فَقَدْ هَدَاكَ اللَّهُ فَاتَّبَعْتُ ، فَتَرَكْنِي
وَذَهَبَ ، فَاتَّبَعْتُ أَصْحَابِي فَكَانُوا شَهِدَوْهُ مَعِيَ ، فَأَخَذُوا قَطِيفَةً أَوْ ثَوْبًا فَجَعَلُوهُ عَلَيَّ حَتَّى
غَمَوْنِي بِهَا قَالَ ، وَجَعَلْتُ أَخْرِجُ رَأْسِي مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ مَرَّةً وَمِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ مَرَّةً حَتَّى
أَفْلَتُ وَمَا عَلَيَّ قِشْرَةٌ ، فَرَرْتُ عَلَى حَبَشِيَّةٍ فَأَخَذْتُ قِنَاعَهَا فَجَعَلْتُهُ عَلَى عَوْرَتِي ، فَاتَّبَعْتُ
جَعْفَرًا فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ : مَا لَكَ ؟ فَقُلْتُ : أَخَذْتُ كُلَّ شَيْءٍ لِي مَا تَرَكَ عَلَيَّ قِشْرَةً فَاتَّبَعْتُ
حَبَشِيَّةً فَأَخَذْتُ قِنَاعَهَا فَجَعَلْتُهُ عَلَى عَوْرَتِي ، فَاذْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ مَعَهُ حَتَّى أَتَى إِلَى بَابِ
الْمَلِكِ ، فَقَالَ جَعْفَرٌ لِأَذْنِهِ : اسْتَأْذِنْ لِي ، قَالَ : إِنَّهُ عِنْدَ أَهْلِهِ فَأْذَنْ لَهُ فَقُلْتُ : إِنَّ عَمْرًا
تَابَعَنِي عَلَى دِينِي ، قَالَ : كَلَّا ، قُلْتُ : بَلَى ، فَقَالَ لِلْإِنْسَانِ : أَذْهَبُ مَعَهُ فَإِنْ فَعَلَ فَلَا تَقُلْ
شَيْئًا إِلَّا كَتَبْتَهُ ، قَالَ : فَجَاءَ فَقَالَ : نَعَمْ ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ وَجَعَلَ يَكْتُبُ حَتَّى كَتَبْتُ كُلَّ شَيْءٍ
حَتَّى الْقَدَحِ ، قَالَ : وَلَوْ شِئْتُ أَخَذْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَى مَالِي فَعَلْتُ .

١٠٦ - * رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ فِي تَسْمِيَةِ مَنْ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَأَقَامَ بِهَا

حَتَّى قَدِيمٍ بَعْدَ بَدْرِ : شُرْحِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنَةَ وَهِيَ أُمُّهُ .

١٠٧ - * روى الطبراني عن أبي موسى ، قال : أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَنْطَلِقَ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى النَّجَاشِيِّ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا فَبَعَثُوا عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ وَعُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ وَجَمَاعًا لِلنَّجَاشِيِّ هَدِيَّةً ، وَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ فَأَتِيَاهُ بِالْهَدِيَّةِ فَقَبِلَهَا وَسَجَدَا لَهُ ، ثُمَّ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : إِنَّ نَاسًا مِنْ أَرْضِنَا رَغِبُوا عَنْ دِينِنَا وَهُمْ فِي أَرْضِكَ ، فَقَالَ لَهُمُ النَّجَاشِيُّ : فِي أَرْضِي ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، فَبَعَثَ إِلَيْنَا ، فَقَالَ لَنَا جَعْفَرُ : لَا يَتَكَلَّمُ مِنْكُمْ أَحَدٌ أَنَا خَطِيبُكُمْ الْيَوْمَ ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ وَهُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَنْ يَمِينِهِ وَعُمَارَةُ عَنْ يَسَارِهِ ، وَالْقَسِيسُونَ وَالرَّهْبَانُ جُلُوسٌ سَمَاطِينَ وَقَدْ قَالَ لَهُ عَمْرُو وَعُمَارَةُ إِنَّهُمْ لَا يَسْجُدُونَ لَكَ ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا بَدَرْنَا مِنْ عِنْدِهِ مِنَ الْقَسِيسِينَ وَالرَّهْبَانِ : اسْجُدُوا لِلْمَلِكِ .

فَقَالَ جَعْفَرُ : إِنَّا لَا نَسْجُدُ إِلَّا لِلَّهِ ، قَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ إِلَيْنَا رَسُولًا وَهُوَ الرَّسُولُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَعْدِهِ اسْمُهُ أَحْمَدُ ، فَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَأَمَرَنَا أَنْ نُقِيمَ الصَّلَاةَ وَأَنْ نُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَأَمَرَنَا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَأَعْجَبَ النَّجَاشِيُّ قَوْلَهُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَمْرُو قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْمَلِكُ إِنَّهُمْ يَخَالِفُونَكَ فِي ابْنِ مَرْيَمَ ، فَقَالَ النَّجَاشِيُّ : مَا يَقُولُ صَاحِبُكُمْ فِي ابْنِ مَرْيَمَ ؟ قَالَ : يَقُولُ فِيهِ قَوْلُ اللَّهِ هُوَ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَخْرَجَهُ مِنَ الْعِذْرَاءِ الْبَتُولِ الَّتِي لَمْ يَقْرَبْهَا بَشَرٌ وَلَمْ يَفْتَرَضْهَا وَلَدٌ . فَتَنَاولَ النَّجَاشِيُّ عَوْدًا مِنَ الْأَرْضِ فَرَفَعَهُ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْقَسِيسِينَ وَالرَّهْبَانِ مَا يَزِيدُ هَؤُلَاءِ عَلَى مَا تَقُولُونَ فِي ابْنِ مَرْيَمَ مَا يَزِنُ هَذِهِ ، مَرْحَبًا بِكُمْ وَبِمَنْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِهِ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّهُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى وَلَوْلَا مَا أَتَانَا فِيهِ مِنَ الْمَلِكِ لَأُتِيتُهُ حَتَّى أَقْبَلَ نَعْلَيْهِ ، امْكُثُوا فِي أَرْضِي مَا شِئْتُمْ ، وَأَمْرُنَا بِطَعَامٍ وَكِسْوَةٍ ، وَقَالَ : رُدُّوا عَلَى هَذَيْنِ هَدِيَّتَهُمَا .

وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيراً وكان عُمَارَةُ رجلاً جليلاً وكانَا أَقْبَلَا إِلَى النَّجَاشِيِّ فَشَرِبُوا يَعْنِي خَمَرًا وَمَعَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ امْرَأَتُهُ ، فَلَمَّا شَرِبُوا مِنَ الْخَمْرِ قَالَ عُمَارَةُ لِعَمْرُو :

١٠٧ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٣٠) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

سماطين : السباط : الصف يقال مشى بين سمطين : أي بين صفين . لم يفترضها : لم يؤثر فيها ولم يجزها أي قيل المسيح عليه السلام . طار مع الوحش : جُنَّ وسار مع الوحوش .

مُرَّ امْرَأَتُكَ فَلْتَقْبَلْنِي . فقال له عمرو : أَلَا تَسْتَحْيِي ؟ فَأَخَذَ عِمَارَةُ عُمَرَا فَرَمَى بِهِ فِي الْبَحْرِ فَجَعَلَ عَمْرُو يَنَاشِدُ عِمَارَةَ حَتَّى أَذْخَلَهُ السَّفِينَةَ ، فَحَقَدَ عَمْرُو عَلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ عَمْرُو لِلنَّجَاشِيِّ : إِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ خَلْفَكَ عِمَارَةُ فِي أَهْلِكَ . فدعا النجاشي عِمَارَةَ . فنَفَخَ فِي إِخْلِيلِهِ فَطَارَ مَعَ الْوَحْشِ .

١٠٨ - * روى أحمد عن أم سلمة ابنة أمية بن المغيرة زوج النبي ﷺ ، قالت : لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جارٍ النجاشي أمنا على ديننا وعبدنا الله ، لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشاً اثتروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جليدين ، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة ، وكان أعجب ما يأتيه منها الأدم فجعلوا له أدماً كثيراً ، ولم يتركوا من بطارقتيه بطريقاً إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن ربيعة الخزومي وعمرو بن العاص بن وائل السهمي وأمروهما أمرهم ، وقالوا لهما : ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم ، ثم قدموا للنجاشي هداياه ، ثم سلوه أن يستلمهم إليكم قبل أن يكلمهم .

قالت : فخرجا فقيما على النجاشي ، ونحن عنده بخير دارٍ ، وعند خير جارٍ ، فلم يبق من بطارقتيه بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلمنا النجاشي ، ثم قالوا لكل بطريق منهم : إنك قد صبا إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم لتردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم فتشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم ، فإن قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم ، فقالوا لهما : نعم . ثم قربا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منها ، ثم كلماه فقالا له : أيها الملك قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائريهم لتردهم إليهم ، فهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعائبوهم فيه . قالت : ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن

١٠٨ - أحمد في مسنده (١ / ٢٠١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٢٧) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع .

البطريق : الحاذق بالحرب وأمورها بلغة الروم وهو ذو منصب عندهم .

العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم ، فقالت بطارقة حولة : صدقوا أيها الملك ، قومهم أعلى ٣٠ عينا وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلمهم إليها فليرداهم إلى بلادهم وقومهم .

فغضب النجاشي ثم قال : لا ها الله أيم الله ، إذا لا أسلمهم إليهما ، ولا أكاد قوماً جاوروني ونزلوا بلادني واختاروني على من سواي ، حتى أدعوه فأسألمهم ما يقول هذا في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعهم منها وأحسنت جوارهم ما جاوروني .

قال : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض ، ما تقولون للرجل إذا جئتموه ، قالوا : تقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ كائن في ذلك ما هو كائن ، فلما جاءوه وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله ، سألم فقال : ما هذا الدين الذي قد فارقت فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الأمة ؟ .

قالت : فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال : أيها الملك كننا قوماً أهل جاهلية : نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبدَه ونخلع ما كننا نعبد نحن وأباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وشهادة الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . قال : فعدت عليه أمور الإسلام ، فصدقناه وأماناً به واتبعناه على ما جاء به فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً ، وحرّمنا ما حرّم علينا وأحللنا ما أحلّ لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وقتلونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله عز وجل ، وأن نستحل ما كننا نستحل من الحبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلدك واختزناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ .

قالت : فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ قالت : فقال له

جعفر : نَعَمْ ، فقال له النجاشي : فاقْرَأْ . فقرأ عليه صدرًا من ﴿ كَهَيْعَص ﴾ قالت : فَبَكَى
والله النجاشي حتى اخْضَلَ لِحْيَتَهُ وبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حتى اخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حين سَمِعُوا ما تلا
عليهم ، ثم قَالَ النجاشي : إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لِيَخْرُجَ مِنْ مَشْكَائِهِ وَاحِدَةً
انطلقا فوالله لا أَسْلِمُهُمَ إِلَيْكُمَا أَبَدًا وَلَا أَكَاذُ .

قالت أم سلمة : فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ قَالَ عمرو بن العاص : وَاللَّهِ لَأُبَيِّنَنَّ غَدًا أَعْيَبَهُمْ
عندهم ثم اسْتَأْصَلَ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ ، فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان اتَّقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا : لَا
تَفْعَلْ فَإِنَّ لَهُمَ أَرْحَامًا وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا قَالَ : وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى بْنُ
مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَبْدٌ .

قالت : ثم غدا عليه الغد فقال له : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا
عَظِيمًا ، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ فَسَأَلَهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ . قالت : فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ . قالت :
وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهَا وَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ ؟
قَالُوا : تَقُولُ وَاللَّهِ فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِينًا كَاثِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ
كَاثِنٌ ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي
طَالِبٍ : تَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِينًا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرَوْحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ
الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ ، قَالَ : فَضَرَبَ النِّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا ثُمَّ قَالَ : مَا عَدَا
عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ ، فَتَنَاضَخَتْ بِطَارِقَتِهِ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ .

فقال : وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللَّهِ ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سَيَوْمَ بِأَرْضِي - وَالسَّيَوْمُ الْآمَنُونَ - مَنْ سَبَّكُمْ
غَرِمَ ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ ، فَمَا أَحِبُّ أَنْ لِي ذُبْرًا ذَهَبًا وَأَتِي أَدَيْتَ رَجُلًا مِنْكُمْ (وَالدُّبْرُ بِلِسَانِ
الْحَبَشَةِ : الْجَمَلُ) ، رَدُّوا عَلَيْهَا هَدَايَاهَا فَلَا حَاجَةَ لِي بِهَا ، فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ
حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَأَخَذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِي فِئَاتِهِمْ فِيهِ . قالت : فَخَرَجَا
مِنْ عِنْدِهِ مُقْبُوْحَيْنِ مُرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَ بِهِ وَأَقْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ فَوَاللَّهِ إِنَّا عَلَى
ذَلِكَ إِذْ نَزَلَ بِهِ مِنْ يَنَّا زِعَةٍ فِي مُلْكِهِ .

خضراءهم : أصْلَهُمُ الَّذِي مِنْهُ تَفَرَّعُوا . تَنَاضَخَتْ : نَخَرَ يَنْخَرُ نَخِيرًا : مَدَّ الصَّوْتُ فِي خِيَاشِيمِهِ . اسْتَوْسَقَ : اتَّسَقَ
وَاتَّعَظَمَ .

قالت : فوالله ما علمنا حزنًا قطُّ كان أشدَّ من حُزْنِ حَزَنَاهِ عِنْدَ ذَلِكَ تَخَوُّفًا أَنْ يَظْهَرَ ذلك على النَّجَاشِيِّ فَيَأْتِي رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ حَقِّنَا مَا كَانَ النَّجَاشِيُّ يَعْرِفُهُ مِنْهُ . وقالت : وسارَّ النَّجَاشِيُّ وبينهما عرضُ النِّيلِ . قالت : فقال أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ مَنْ رَجُلٌ يُخْرِجُ حتى يَحْضُرَ الْقَوْمَ ثُمَّ يَأْتِينَا بِالْخَبَرِ . قالت : فقال الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ : أنا . قلت : وكان من أحدثِ القومِ سنًا ، قالت : فَتَفَخَّخُوا لَهُ قِرْبَةً فَجَعَلُوهَا فِي صَدْرِهِ ثُمَّ سَبَحَ عَلَيْهَا حَتَّى خَرَجَ إِلَى نَاحِيَةِ النِّيلِ الَّتِي بِهَا مُلْتَقَى الْقَوْمِ ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى حَضَرَهُمْ ، قالت : ودَعَوْنَا اللهَ لِلنَّجَاشِيِّ بِالظُّهُورِ عَلَى عَدُوِّهِ وَالتَّكِينِ لَهُ فِي بِلَادِهِ ، وَاسْتَوَسَّقَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْحَبَشَةِ فَكُنَّا عِنْدَهُ فِي خَيْرِ مَنَازِلٍ حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ .

* * *

دروس من الهجرة إلى الحبشة :

١ - هناك ناس يعتبرون مجرد التفكير في أمن الدعوة ورجالها ونسائها علامة ضعف ، ويعتبرون البحث عن الأمن والأمان جريمة ، وهذا تفكير ناس قطع الله قلوبهم عن أن تستشعر حاجات الإنسان ، نعم لا يصح أن يكون البحث عن الأمن والأمان على حساب الدعوة إلا في الحدود التي رخص فيها الإسلام ، والرخصة في علها طيبة ، فهذا عمار بن ياسر قال كلمة الكفر تحت التعذيب ، وهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ هاجروا إلى الحبشة بحثاً عن الأمن والأمان ، والعبرة في النهاية لإذن القيادة الراشدة ولحسن تقديرها .

٢ - لقد هاجر أصحاب رسول الله ﷺ إلى قُطْرِ كَافِرٍ فِيهِ عَدَالَةٌ وَحُرِيَّةٌ يَسْتَطِيعُونَ مِنْ خِلَالِهَا أَنْ يَأْمَنُوا وَأَنْ يَقِيمُوا شَعَائِرَ الْإِسْلَامِ ، وَهَذَا يَفْتَحُ أَمَانًا آفَاقًا وَاسِعَةً فِي الْعَمَلِ وَالْحُرُوكَةِ ، فَهَنَّاكَ بِلْدَانٍ فِي الْعَالَمِ تَسْبَحُ لِلْمُسْلِمِ بِأَنْ يَقِيمَ شَعَائِرَهُ الدِّينِيَّةَ وَتَعَامِلَهُ كَمَا تَعَامَلُ أَبْنَاءَهَا فِي الْحَقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ ، مِثْلَ هَذِهِ الْبِلْدَانِ تَصْلُحُ لِلتَّفَكِيرِ فِيهَا إِذَا مَا اضْطَهَدَ الْمُسْلِمُ فِي بِلَدِهِ بَلْ تَصْلُحُ لِلْإِقَامَةِ فِيهَا ، وَلَا حَرَجَ إِذَا مَا ضَمِنَ الْمُسْلِمُ إِمْكَانِيَّةَ تَرْبِيَةِ أَسْرَتِهِ بَلْ قَالَ فَقَهَاءُ الشَّافِعِيَّةِ : لَوْ أَنَّ مُسْلِمًا اسْتَطَاعَ أَنْ يَظْهَرَ شَعَائِرَ الْإِسْلَامِ فِي دَارِ كُفْرٍ ، فَالْأَوَّلَى لَهُ الْبَقَاءُ لِأَنَّهُ بِذَلِكَ تَصْبِيحُ دَارِهِ دَارَ إِسْلَامٍ فِي أَرْضِ كُفْرٍ ، وَالْمَسْأَلَةُ تَخَضَعُ فِي النِّهَايَةِ لِلْمَوَازِنَاتِ بَيْنَ الْمَصَالِحِ

والأضرار كما تخضع للفتوى البصيرة من أهلها .

٣ - يلاحظ أن مهاجري الحبشة لم يكلفوا بأية مهام دعوية على أرض الحبشة ، وهذا يفتح أمامنا باباً واسعاً في آداب المسلم إذا ما اضطرته ظروفه إلى هجرة ، فإنه في هذه الحالة يسهل أن يلاحظ قوانين البلد الآخر وألا يتدخل في شؤونه الداخلية إلا بالقدر الذي يسمح به البلد الآخر ، والأمر واسع فهو يدور بين رخصة وعزيمة وللقيادة الراشدة دور في تحديد العمل المطلوب من المهاجرين على أن لا يقع غدر أو نكث أو خيانة من قبلنا ، ولئن كان رسول الله ﷺ لم يكلف جعفرأ وأصحابه بالدعوة فإن هناك روايات تفيد أن جعفرأ قد دعا واستجيب له .

٤ - من قصة النجاشي ابتداءً وانتهاءً نصل إلى قضية على غاية من الأهمية في العمل الحركي ، فالنجاشي أسلم في النهاية ، وبقي على رأس نظام له قوانين غير إسلامية ، وقبل الرسول ﷺ ذلك منه وصلى عليه لما مات ، وهذا يفيد أن الحكم على نظام بالكفر لا يعني الحكم على كل فرد فيه بذلك ، بل قد يوجد نظام كافر ويحكم للرأس المدبر لهذا النظام بالإسلام ظاهراً وباطناً ، كما هو حال النجاشي .

٥ - نذكر بمناسبة الكلام عن الهجرة الأولى للحبشة حادثة سجود المشركين عندما سمعوا سورة « النجم » ويذكر في سياق ذلك حادثة الغرائيق من أن الشيطان أسمع المشركين تمجيداً من رسول الله ﷺ لأصنامهم أثناء تلاوته عليه الصلاة والسلام ، وتلك قصّة باطلة لا أصل لها .

٦ - وفي حكم الهجرة قال الدكتور البوطي : أما الهجرة من دار الإسلام فحكمها بين الوجوب والجواز والحرمة : أما الوجوب فيكون عند عدم تمكن المسلم من القيام بالشعائر الإسلامية فيها كالصلاة والصيام والأذان والحج .. ، وأما الجواز فيكون عندما يصيبه فيها بلاء يضيق به ، فيجوز له أن يخرج منها إلى دار إسلامية أخرى ، وأما الحرمة فتكون عندما تستلزم هجرته إهمال واجب من الواجبات الإسلامية لا يقوم به غيره .

٧ - وقال الدكتور البوطي تعليقاً على حادثة الهجرة إلى الحبشة :

يجوز للمسلمين أن يدخلوا في حماية غير المسلمين إذا دعت الحاجة إلى ذلك سواء كان المجير من أهل الكتاب كالنجاشي - إذ كان نصرانياً عندئذ ولكنه أسلم بعد ذلك - ، أو كان مشركاً كأولئك الذين عاد المسلمون إلى مكة في حمايتهم عندما رجعوا من الحبشة ، وكأبي طالب عم الرسول ﷺ وكالمطعم بن عدي الذي دخل الرسول ﷺ مكة في حمايته عندما رجع من الطائف .

٨ - قال الدكتور السباعي رحمه الله : إن على الداعية إذا وجد جماعته في خطر على حياتهم أو معتقداتهم من الفتنة ، أن يهيء لهم مكاناً يأمنون فيه من عدوان المبطلين ، ولا ينافي ذلك ما يجب على دعاة الحق من تضحية ، فإنهم إذا كانوا قلة استطاع المبطلون أن يقضوا عليهم قضاءً مبرماً ، فيتخلصوا من دعوتهم ، وفي وجودهم في مكان آمن ضمان لاستمرار الدعوة وانتشارها .

٩ - وقال : إن في أمر الرسول أصحابه أولاً وثانياً بالهجرة إلى الحبشة ، ما يدل على أن رابطة الدين بين المتدينين - ولو اختلفت دياناتهم - هي أقوى وأوثق من رابطتهم مع الوثنيين والملحدين .

١٠ - وقال : إن المبطلين لا يستسلمون أمام أهل الحق بسهولة ويسر ، فهم كلما أخفقت لهم وسيلة من وسائل المقاومة والقضاء على دعوة الحق ، ابتكروا وسائل أخرى ، وهكذا حتى ينتصر الحق انتصاره النهائي ويلفظ الباطل أنفاسه الأخيرة .

* * *

فصل : في إسلام عمر وحمزة

١٠٩ - * روى الطبراني عن محمد بن كعب القرظي قال : كان إسلام حمزة رضي الله عنه حميةً وكان يخرج من الحرم فيصطاد فإذا رجع مر بمجلس قريش ، وكانوا يجلسون عند الصفا والمروة فيمر بهم فيقول : رميت كذا وكذا وصنعت كذا وكذا ثم ينطلق إلى منزله ، فأقبل من رميته ذات يوم فلقينته امرأة فقالت : يا أبا عمارة ماذا لقي ابن أخيك من أبي جهل بن هشام ؟ شتمه وتناوله وفعل وفعل ، فقال : هل رآه أحد ؟ قالت : أي والله لقد رآه ناس ، فأقبل حتى انتهى إلى ذلك المجلس عند الصفا والمروة ، فإذا هم جلوس وأبو جهل فيهم فأتكا على قوسه وقال : رميت كذا وفعلت كذا وكذا ، ثم جمع يديه بالقوس ف ضرب بها بين أذني أبي جهل فدق سيئها ، ثم قال : خذها بالقوس وأخرى بالسيف ، أشهد أنه رسول الله ﷺ وأنه جاء بالحق من عند الله ، قالوا : يا أبا عمارة إنه سب آل هنتا ، وإن كنت أنت وأنت أفضل منه ما أقرناك وذاك ، وما كنت يا أبا عمارة قاحشاً .

١١٠ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « اللهم أعز الإسلام بأبي جهل بن هشام ، أو بعمر » . قال : فأصبح ، فغدا عمر على رسول الله ﷺ فأسلم .

١١١ - * روى الطبراني عن ابن عباس قال : أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب .

المراد بالجهر هنا التحدي ، وإلا فقد جهر قبله غيره .

١١٢ - * روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : مازلنا أعزة منذ أسلم عمر .

١٠٩ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٦٧) : رواه الطبراني مرسلاً ورجاله رجال الصحيح .

١١٠ - الترمذي (٥ / ٦١٧ ، ٦١٨) ٥٠ - كتاب المناقب - ١٨ - باب في مناقب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه . - وهذا الحديث غريب من هذا الوجه ، وتشهد لهذه الرواية روايات أخرى صحيحة . فغدا : غدا عليه غدواً وغدوة - بالضم - واعتدى : بكر ، أي ذهب إليه مبكراً . والغدوة البكرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس .

١١١ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٦٣) : رواه الطبراني وإسناده حسن .

١١٢ - البخاري (٧ / ٤١) - ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٦ - باب مناقب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه . -

١١٣ - * روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود قال : إن كان إسلامُ عمرُ لفتحاً ، وهجرته لنصراً ، وإمارته رحمةً ، والله ما استطعنا أن نصليَ حول البيتِ ظاهرين حتى أسلم عمر .

١١٤ - * روى الحاكم عن عثمان بن عبد الله بن الأرقم عن جده الأرقم ، وكان بدرياً ، وكان رسولُ الله ﷺ أوى في داره عند الصفا حتى تكاملوا أربعين رجلاً مسلمين وكان آخرهم إسلاماً عمر بن الخطاب رضي الله عنهم ، فلما كانوا أربعين خرجوا إلى المشركين . قال الأرقم : فجئتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم لأودعه وأردتُ الخروجَ إلى بيت المقدس ، فقال لي رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أين تريد ؟ » قلت : بيت المقدس . قال : « وما يخرجك إليه أفي تجارة ؟ » قلت : لا ولكن أصلي فيه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : « صلاةٌ ها هنا خيرٌ من ألف صلاةٍ » .

ذكر رقم الأربعين هنا يحتمل أنهم تكاملوا أربعين بعد هجرة من هاجر إلى الحبشة لأن الذين هاجروا إلى الحبشة الهجرة الثانية أكثر من ثمانين ، أو نقول : إن الثمانين لم يهاجروا دفعة واحدة فالمسلمون تزايدوا بعد إسلام عمر وقسم منهم هاجر فزاد رقم المهاجرين على الثمانين وهذا الذي نرجحه ، فيكون عمر هو الموفي على العدد الأربعين وهي حصيلة عمل خمس سنين من الدعوة ، وفي هذا درس للمتعبين .

١١٥ - * روى البخاري عن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : بينما هو في الدار خائفاً ، إذ جاءه العاص بن وائل السهمي أبو عمرو عليه حلة حبر وقيص مكفوف بحريز ، وهو من بني سهم ، وهم حلفاؤنا في الجاهلية ، فقال : ما بالك ؟ قال : زعم قومك أنهم سيقتلوني إن أسلمت ، قال : لا سبيل إليك - بعد أن قالها أمنت - فخرج العاص ، فلقي

١١٣ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٢ / ٩) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، إلا أن القاسم لم يدرك جده ابن مسعود . للمعجم الكبير (١٧٨ / ٩) .

١١٤ - المستدرک (٥٠٤ / ٣) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي :

١١٥ - البخاري (١٧٧ / ٧) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٢٥ - باب : إسلام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - .
الحجرة : بُرد عاتق ، والجمع : حِبر وحِبرات . الخلفاء : جمع حليف ، وهو الذي يحلف لك وتحلف له على التماسد والتناصر . لا سبيل إليك : أي لن يقربك أحد بوء . صباً : صباً فلان إذا خرج من دين إلى دين غيره . كمر =

النَّاسَ قَدْ سَالَ بِهِمُ الْوَادِي ، فَقَالَ : أَيْنَ تُرِيدُونَ ؟ قَالُوا : نُرِيدُ هَذَا ابْنَ الْخَطَّابِ الَّذِي صَبَأَ ، قَالَ : لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ . فَكَّرَ النَّاسُ .

وفي رواية قال : لما أَسْلَمَ عُمَرُ اجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَ دَارِهِ ، وَقَالُوا : صَبَأَ عُمَرُ - وَأَنَا غُلَامٌ فَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِي - فَجَاءَ رَجُلٌ عَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْ دِيْبَاجٍ ، فَقَالَ : قَدْ صَبَأَ عُمَرُ ، فَمَا ذَاكَ ؟ فَأَنَا لَهُ جَارٌ ، فَرَأَيْتُ النَّاسَ تَصْدَعُوا عَنْهُ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ .

١١٦ - * رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَمْرٍ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَا أَدْعُ جُلُوسًا جُلُوسَةً فِي الْكُفْرِ إِلَّا أَعْلَنْتُ فِيهِ الْإِسْلَامَ ، فَأَتَى الْمَسْجِدَ وَفِيهِ بَطُونٌ قَرِيشٍ مُتَحَلِّقَةٌ فَجَعَلَ يَعْلَنُ الْإِسْلَامَ وَيَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . فَتَنَزَّ الْمُشْرِكُونَ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ وَيَضْرِبُهُمْ . فَلَمَّا تَكَاثَرُوا عَلَيْهِ خَلَصَهُ رَجُلٌ فَقُلْتُ لِعَمْرٍ : مَنْ الرَّجُلُ الَّذِي خَلَصَكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ؟ قَالَ : ذَاكَ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ .

* * *

دروس من إسلام عمر وحمزة :

إن معرفة الرجال وإدراك مزاياهم والاستفادة من كفاءاتهم شيء لا يلحق به أحدٌ من الناس رسولنا عليه الصلاة والسلام وفي قصة عمر غوذج ، والقائد الذي لا يدرك مزينة الرجال ويحسن الاستفادة من قوة القوي منهم قائد فاشل وضائع .

ولقد عزَّ الإسلام بعمر من حيث إنه حل هذا الدين جهرة وتحدي به وصارع من أجله - دون قتال - ومن ههنا نعرف أن مجرد إظهار الدعوة والوقوف بقوة معها والثبات على ذلك يعتبر نصراً للإسلام وأهله .

وإسلام حمزة وعمر وجد وضع جديد في مكة ، وبخروج بعض الأصحاب إلى الحبشة

== الناس : رجعوا . القباء : ثوب يلبس فوق الثياب . الديباج : نوع من الثياب يصنع من الإبرسم ، وهو أحسن أصناف الحرير . جار : أنا لفلان جار ، أي : حام ، وفلان في جوارِي : في حِمَاي وحفطي . تصدعوا عنه : أي تفرقوا عنه .

١١٦ - قال في الجمع (١ / ٦٥) : رواه الطَّبْرَانِيُّ ورجاله ثقات .

زادت أضعاف المشركين ، ولكن أبا طالب كان يحمي رسول الله ﷺ ، وهذا كله دعا قريشاً لأن تفكر وتعمل الحيلة ، فهداها شيطانها إلى فكرة المقاطعة لرسول الله ﷺ وأصحابه ومن يتعاطف معهم مما ألجأ رسول الله ﷺ وأصحابه وأبا طالب وبنو هاشم وبنو المطلب ما عدا أبا لهب إلى الدخول في شعب أبي طالب لمواجهة الحصار الاقتصادي والاجتماعي مجتمعين ، وكانت محنة جديدة استمرت ثلاث سنين ، أنهك فيها أبو طالب وخديجة فتوفيا على إثرها ، وههنا ازدادت المحنة وبدأت قريش بالإيذاء المباشر لرسول الله ﷺ ، فكان من آثار ذلك أن قرر رسول الله الرحلة إلى الطائف للدعوة هناك ، فوقفت منه ثقيف موقفاً هو شر من موقف قريش فعاد إلى مكة ودخلها بحماية المطعم بن عدي .

وخلال هذه الأحداث كلها كانت الدعوة مستمرة ، والتبليغ قائماً على قدم وساق ، وفتح آخر الأمر الطريق إلى المدينة بدخول الإسلام إلى أهلها على مدار ثلاث سنوات متوالية حدثت خلالها حادثة الإسراء والمعراج كقدمة لميلاد الدولة الإسلامية في المدينة المنورة ، ثم كان آخر الأمر الهجرة إلى المدينة .

* * *

فصل : في حصار الشعب

بدأ حصار الشعب في السنة السابعة للبعثة ، واستمر ثلاث سنوات وانتهى على القول الراجح في المحرم من السنة العاشرة . تعاقدت قريش على بني هاشم وبني المطلب ألا يناكحهم ولا يبايعهم ولا يحالسوم ولا يخالطوهم ولا يدخلوا بيوتهم ولا يكلموهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل ، وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهود ومواثيق أن لا يقبلوا من بني هاشم صلحاً أبداً ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموه للقتل ، وكتبوا هذا في صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة فاحاز بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافهم إلا أبا لهب إلى شعب أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة ، واشتد الحصار وقطعت عنهم الميرة والمادة حتى بلغهم الجهد والتجأوا إلى أكل الأوراق والجلود ، وحتى كان يسمع من وراء الشعب أصوات نسائهم وصبيانهم يتضاغون من الجوع ، وكان لا يصل إليهم شيء إلا سراً ولا يشترون حوائج إلا في الأشهر الحرم أو مما يرد إلى مكة من خارجها ، ومع ذلك كانت قريش تزيد عليهم في السعر ، ثم تحركت عواطف أهل النخوة والأريحية فأبطلوا الصحيفة ، ولما أرادوا تمزيقها وجدوا الأرض أكلتها إلا قولهم (باسمك اللهم) . وكان رسول الله ﷺ قد أخبر عنه بذلك فكانت معجزة ، وقد ذكر البخاري حادثتين أشار فيهما رسول الله ﷺ إلى تقاسم المشركين على كفرهم هذا في خيف^(١) بني كنانة مرة بمناسبة غزوة حنين ومرة بمناسبة الحج ، وكتب السيرة طافحة بأخبار هذا الحصار ومآسيه ، وقد ذكره البخاري في صحيحه مرتين وها نحن ننقل إحدى الروايتين وننقل ما ذكره ابن حجر بمناسبة إحداها :

١١٧ - * روى البخاري عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : من الغد يوم النحر وهو بمنى : « نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر » يعني بذلك المحصب ، وذلك أن قريشاً وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب - أو بني المطلب - أن لا يناكحهم ولا يبايعهم حتى يسلموا إليهم النبي ﷺ . وقال سلامة عن

(١) خيف : الناحية أو ما انحدر من غلط الجبل وارتفع عن مسب مسيل الماء وبها سمي مسجد الخيف أو لأنها ناحية من منى .

١١٧ - البخاري (٢ / ٤٥٣) ٢٥ - كتاب الحج - ٤٥ - باب نزول النبي ﷺ مكة .
المعصب : الشعب الذي عجزه إلى الأبطح ، أو المعصب موضع رمي الجمار بمنى .

عَقِيلَ وَيَحْيَى بْنِ الضَّحَّاكِ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ : أَخْبَرَنِي ابْنُ شِهَابٍ وَقَالَا : بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بَنِي الْمُطَّلِبِ أَشْبَهُ .

قال ابن حجر : قال ابن إسحاق وموسى بن عقبة وغيرهما من أصحاب المغازي : لما رأت قريش أن الصحابة قد نزلوا أرضاً أصابوا بها أماناً وأن عمر أسلم وأن الإسلام فشا في القبائل ، أجمعوا على أن يقتلوا رسول الله ﷺ ، فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم وبني المطلب فأدخلوا رسول الله ﷺ ومنعوه ممن أراد قتله ، فأجابوه إلى ذلك حتى كفارهم فعلوا ذلك حية على عادة الجاهلية ، فلما رأت قريش ذلك أجمعوا أن يكتبوا بينهم وبين بني هاشم والمطلب كتاباً أن لا يعاملوهم ولا يناكحوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ ، ففعلوا ذلك ، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة ، وكان كاتبها منصور بن عكرمة بن عامر ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فشلت أصابعه ، ويقال إن الذي كتبها النضر ابن الحارث ، وقيل طلحة بن أبي طلحة العبدي ، قال ابن إسحاق : فأنحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فكانوا معه كلهم إلا أبا لهب فكان مع قريش ، وقيل كان ابتداء حصرهم في الحرم سنة سبع من البعثة ، قال ابن إسحاق : فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً ، وجزم موسى بن عقبة بأنها كانت ثلاث سنين حتى جهدوا ولم يكن يأتيهم شيء من الأقوات إلا خفية ، حتى كانوا يؤذون من اطلعوا على أنه أرسل إلى بعض أقاربه شيئاً من الصلوات .

إلى أن قام في نقض الصحيفة نفر من أشدّهم في ذلك صنيعاً هشام بن عمرو بن الحارث العامري ، وكانت أم أبيه تحت هاشم بن عبد مناف قبل أن يتزوجها جده ، فكان يصلهم وهم في الشعب ، ثم مشى إلى زهير بن أبي أمية وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب فكلّمه في ذلك فوافقه ، ومشى جميعاً إلى المطعم بن عدي وإلى زمعة بن الأسود فاجتمعوا على ذلك ، فلما جلسوا بالحجر تكلموا في ذلك وأنكروه وتواطئوا عليه فقال أبو جهل : هذا أمر قضي بليل . وفي آخر الأمر أخرجوا الصحيفة فزقوها وأبطلوا حكمها . وذكر ابن هشام أنهم وجدوا الأرضة قد أكلت جميع ما فيها إلا اسم الله تعالى . وأما ابن إسحاق وموسى بن عقبة وعروة فذكروا عكس ذلك أن الأرضة لم تدع اسماً لله تعالى إلا أكلته ، وبقي ما فيها من الظلم والقطيعة ، فالله أعلم .

وذكر الواقدي أن خروجهم من الشعب كان في سنة عشر من المبعث ، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ، ومات أبو طالب بعد أن خرجوا بقليل . قال ابن إسحاق ومات هو وخديجة في عام واحد ، فنالت قريش من رسول الله ﷺ ما لم تكن تناله في حياة أبي طالب . ولما لم يثبت عند البخاري شيء من القصة اكتفى بإيراد حديث أبي هريرة لأن فيه دلالة على أصل القصة ، لأن الذي أورده أهل المغازي من ذلك كالشرح لقوله في الحديث : « تقاسموا على الكفر » .

* * *

درس من الحصار :

نلاحظ من خلال قصة الحصار أن مشركي بني هاشم وبني المطلب تضامنوا مع رسول الله ﷺ وحموه أكثر من أعراف الجاهلية ، ومن ههنا ومن غيره نأخذ أنه يسع المسلم أن يستفيد من قوانين الكفر فيما يخدم الدعوة على أن يكون ذلك مبنياً على فتوى صحيحة من أهلها .

إن حقوق الإنسان في عصرنا ضمان للمسلم ، والحرية الدينية في كثير من البلدان يستفاد منها ، وقوانين كثير من أقطار العالم تعطي للمسلمين فرصاً ، وعلى المسلمين أن يستفيدوا من ذلك وغيره من خلال موازنات دقيقة .

قال الدكتور البوطي بمناسبة حادثة الحصار :

واللهم أن تعلم بأن حماية أقارب رسول الله ﷺ له ، لم تكن حماية للرسالة التي بعث بها ، وإنما كانت لشخصه من الغريب ، وإذا أمكن أن تستغل هذه الحماية من قبل المسلمين وسيلة من وسائل الجهاد والتغلب على الكافرين والرد لمكائدهم وعدوانهم فأنعم بذلك من جهد مشكور وسبيل ينتبهون إليها .

* * *

جزاء المقاطعة :

١١٨ - * روى مسلم عن مسروق بن الأجدع رحمه الله قال : كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ جُلُوسًا - وَهُوَ مُضْطَجِعٌ بَيْنَنَا - فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، إِنَّ قَاصًّا عِنْدَ أَبْوَابِ كِنْدَةَ يَقْصُ ، وَيَزْعَمُ : أَنَّ آيَةَ الدُّخَانِ تَحْيِيءُ فَتَأْخُذُ بِأَنْفَاسِ الْكَفَّارِ ، وَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهَا كَهَيْئَةِ الزُّكَّامِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَجَلَسَ وَهُوَ غَضْبَانٌ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا اللَّهَ ، مِنْ عِلْمِ مَنْكُمْ شَيْءٌ فَلْيَقُلْ بِمَا يَعْلَمُ ، وَمَنْ لَا يَعْلَمُ فَلْيَقُلْ : اللَّهُ أَعْلَمُ ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ : اللَّهُ أَعْلَمُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ ﴾ ^(١) إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَأَى مِنَ النَّاسِ إِذْ بَارَأ قَالَ : « اللَّهُمَّ سَبْعَ كَسْبَعٍ يُوسَفَ » .

وفي رواية للبخاري ^(٢) : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَأَى قَرِيشًا اسْتَعْصَوْا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسْبَعِ يُوسَفَ » فَأَخَذَتْهُمُ السَّنَةُ حَتَّى حَصَّتْ كُلُّ شَيْءٍ . حَتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ وَالْمَيْتَةَ ، وَجَعَلَ يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ ، فَأَتَاهُ أَبُو سَفِيَّانٍ ، فَقَالَ : أَيُّ عَمْدٍ ، إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَكْشِفَ عَنْهُمْ فِدْعًا ، ثُمَّ قَالَ : « تَعَوَّدُوا بَعْدَ هَذَا » ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ ^(٣) . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَفِيكُشِفَ عَنْهُمْ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : وَالْبَطْشَةُ الْكُبْرَى يَوْمَ بَدْرِ .

وفي رواية للبخاري ^(٤) قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : إِنَّمَا كَانَ هَذَا ، لِأَنَّ قَرِيشًا لَمَّا اسْتَعْصَوْا عَلَى

١١٨ - مسلم (٢ / ٤) ٢١٥٥ - ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - ٧ - باب الدخان .

سبع كسبع : أراد بالسبع : سبع سنين التي كانت في زمن النبي يوسف عليه السلام المجيدة التي ذكرها الله تعالى في القرآن . حلفت واستأصلت . قعط : القحط : احتباس المطر . الجهد : بفتح الجيم - المشقة . لمضر : أي : تأمرني أن أستسقي الله لمضر ، مع ما هم عليه من المعصية والإشراك به ؟ ١٩ . الرفاهية . الدعة وسعة العيش .

(١) ص : ٨٦ :

(٢) البخاري (٨ / ٥٧٣) ٦٥ - كتاب التفسير (٤٤) سورة الدخان - ٥ - باب ﴿ ثُمَّ قَوْلُوا هَئِهِ ﴾ .

(٣) الدخان : ١٠ - ١٦ .

(٤) البخاري (٨ / ٥٧١) ٦٥ - كتاب التفسير - ٢ - باب : يفتي الناس هذا عذاب ألم .

النبي ﷺ ، دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم قحطٌ وجهْدٌ ، حتى أكلوا العظام ، فجعل الرجلُ ينظرُ إلى السماءِ فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهدِ ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ قَارُتِيبُ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ قال : فَأُتِيَ رسول الله ﷺ ، فقل : يا رسول الله ، استسقى الله لِمُضَرٍ ، فإنها قد هلكَتْ ، قال : « لِمُضَرٍ ؟ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ » ، فاستقى لهم ، فسَقُوا ، فزَلَتْ ﴿ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ فلما أصابهم الرفاهية ، عَادُوا إلى حالهم ، حين أصابتهم الرفاهية ، فأنزل الله عز وجل ، ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴾ قال : يعني يوم بدرٍ .

وفي رواية للبخاري ^(١) : فقل له : إن كُشفنا عنهم ، عادوا ، فدعا ربه فكشف عنهم ، فعادوا ، فانتقم الله منهم يوم بدرٍ ، فذلك قوله : ﴿ قَارُتِيبُ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴾ .

وفي رواية الترمذي ^(٢) مثل الرواية الأولى إلى قوله : ﴿ قَارُتِيبُ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ قال أحد رواة : هذا كقوله : ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ ﴾ فهل يكشف عذاب الآخرة ؟ قد مضى البطشة واللزام والدخان ، وقال أحدهم : القمر ، وقال الآخر : الروم واللزام يعني : يوم بدرٍ .

وروى مسلم ^(٣) عن عبد الله قال : خمسٌ قد مضَيْنَ : الدخان ، واللزام ، والروم ، والبطشة ، والقمر .

* * *

(١) البخاري (٥٧٢ / ٨) ٦٥ - كتاب التفسير (٤٤) سورة الدخان ، باب : ٢ .

(٢) الترمذي (٣٧٩ / ٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٤٦ - باب : ومن سورة الدخان . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) مسلم (٢١٥٧ / ٤) ٥٠ - كتاب الماقي وأحكامهم - ٧ - باب الدخان .

فصل : في انشقاق القمر

ذكر البخاري انشقاق القمر بين إسلام عمر بن الخطاب وبين هجرة الحبشة ، وقد فهم من ذلك ابن حجر إشارة إلى أن حادثة انشقاق القمر كانت في تلك المرحلة قال :

جعل ابن إسحاق إسلام عمر بعد هجرة الحبشة ، ولم يذكر انشقاق القمر فاقترضه صنيع المؤلف أنه وقع في تلك الأيام ، وقد ذكر ابن إسحاق من وجه آخر أن إسلام عمر كان عقب هجرة الحبشة الأولى اهـ. وقد ذكر الألوسي في تفسيره بصيغة الجزم أن انشقاق القمر كان قبل الهجرة بنحو خمس سنين .

وبناء على قول الألوسي فإن انشقاق القمر كان بعد الهجرة الثانية إلى الحبشة وخلال حصار الشعب وإني أرجح ذلك ، فحصار الشعب كان أشد الحن ، وفي الحن تأتي التثبيات في الغالب ، ومعجزة انشقاق القمر كانت من أشد التثبيات .

١١٩ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ : أن يرهم آية ، فأراه انشقاق القمر .
وفي أخرى : فأراه القمر شقين^(١) .

وزاد الترمذي^(٢) : فنزلت : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ - إلى - ﴿ سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾^(٣) يقول : ذاهب .

١٢٠ - * روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ بشقين ، فقال رسول الله ﷺ : « اشهدوا » وفي أخرى : وغنّ معه ، فقال

١١٩ - البخاري (٦ / ٦٣١) - كتاب المناقب - ٢٧ - باب : سؤال المشركين أن يرهم النبي ﷺ آية فأراه انشقاق القمر . ومسلم (٤ / ٢١٥٩) - ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - ٨ - باب : انشقاق القمر .

(١) البخاري (٧ / ١٨٢) - ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٣٦ - باب انشقاق القمر .

(٢) الترمذي (٥ / ٣٩٧) - ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٥٥ - باب : ومن سورة القمر . قال أبو عيسى : هذا حديث

حسن صحيح .

(٣) سورة القمر : ٢٠١ .

١٢٠ - ومسلم (٤ / ٢١٥٨) - ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - ٨ - باب : انشقاق القمر .

« اشْهَدُوا ، اشْهَدُوا » .

وفي أخرى قال : بينا نحن مع رسول الله ﷺ بمنى ، إذ انفلق القمر فلقين ، فُلُقَّةٌ وراءَ الجبلِ ، وفُلُقَّةٌ دُونَهُ ، فقال لنا رسولُ الله ﷺ : « اشْهَدُوا » .

وللبخاري^(١) قال : وقال مسروق عن عبد الله (بكَّة) وأخرج الترمذي مثله .

١٢١ - * روى مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، مثل حديث قُبْلَةَ قال : انشقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ فُلُقَتَيْنِ ، فسترَ الجبلُ فُلُقَةً ، وكانت فُلُقَةً فوقَ الجبلِ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « اللهم اشْهَدْ » .

١٢٢ - * روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : إن القمرَ انشقَّ في زمن النبي ﷺ .

١٢٣ - * روى الترمذي عن جُبَيْرِ بنِ مُطْعَمٍ رضي الله عنه قال : انشقَّ القمرُ على عهدِ النبي ﷺ ، صارَ فرقتين على هذا الجبل ، وعلى هذا الجبل ، فقالوا : سحرنا محمد فقال بعضهم : لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحرَ الناسَ كُلَّهُم .

وزاد رزين : فكانوا يتلقَّونَ الرُّكبانَ ، فيخبرونهم بأنهم قد رَأَوْهُ فيكذبونهم .

أقول : وفي رواية أبي نعيم في الدلائل : فما قدم عليهم أحد إلا أخبرهم بذلك ، ذكره في الفتح .

لقد روى هذه الحادثة ابن مسعود وجبير بن مطعم وحذيفة ، قال ابن حجر : وهؤلاء شاهدوها . ورواها من صفار الصحابة عن كبارهم ابن عباس وأنس مما يدل على أن ذلك كان متداولاً يرويه الصفار عن الكبار .

١٢١ - مسلم (٤ / ٢١٥٩) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - ٨ - باب انشقاق القمر .

(١) البخاري : (٦ / ٦٣١) ٦١ - كتاب المناقب - ٢ - باب : سؤال المشركين أن يرعهم النبي ﷺ آية فأراهم إنشقاق القمر .

ومسلم (٤ / ٢١٥٩) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - ٨ - باب : انشقاق القمر .

١٢٣ - الترمذي (٥ / ٢٩٨) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٥٥ - باب : ومن سورة القمر . وقال : حديث حسن .

قال ابن عبد البر : قد روى هذا الحديث جماعة كثيرة من الصحابة ، وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين ، ثم نقله عنهم الجهم الغفير إلى أن انتهى إلينا ، ويؤيد ذلك بالآية الكريمة ، فلم يبق لاستبعاد من استبعد وقوعه عذر .

وقال صاحب الفتح الرباني :

وهذا من المعجزات الكونية التي لم تسبق لني غير نبينا ﷺ . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة .

قال : وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات .

وقال في التاريخ : وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك زمنه ، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها ، وذكر كثيراً من الأحاديث وطرقها في التفسير والتاريخ ، أهـ .

وقال الخطابي : انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء ، وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجاً من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع ، فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة ، فلذلك صار البرهان به أظهر ، وقد أنكر ذلك بعضهم فقال : لو وقع ذلك لم يجوز أن يخفى أمره على عوام الناس لأنه أمر صدر عن حس ومشاهدة ، فالناس فيه شركاء والدواعي متوفرة على رؤية كل غريب وتقل ما لم يعهد ، فلو كان لذلك أصل لخلد في كتب أهل التسيير والتنجم ، إذ لا يجوز إطباقهم على تركه وإغفاله مع جلالة شأنه ووضوح أمره . والجواب عن ذلك أن هذه القصة خرجت عن بقية الأمور التي ذكروها لأنه شيء طلبه خاص من الناس فوق ليلاً لأن القمر لا سلطان به بالنهار ، ومن شأن الليل أن يكون أكثر الناس فيه نياماً ومستكينين بالأبنية ، والبارز بالصحراء منهم إذا كان يقظان يحتمل أنه كان في ذلك الوقت مشغولاً بما يليه من سمر وغيره ، ومن المستبعد أن يقصدوا إلى مرصد مركز القمر ناظرين إليه لا يغفلون عنه ، فقد يجوز أنه وقع ولم يشعر به أكثر الناس ، وإنما رآه من تصدى لرؤيته ممن اقترح وقوعه ،

ولعل ذلك إنما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر . ثم أبدى حكمة بالغة في كون المعجزات الحمديّة لم يبلغ شيء منها مبلغ التواتر الذي لا نزاع فيه إلا القرآن بما حاصله : إن معجزة كل نبي كانت إذا وقعت عامة أعقبت هلاك من كذب به من قومه للاشتراك في إدراكها بالحس ، والنبي ﷺ بعث رحمة فكانت معجزته التي تحدى بها عقلية ، فاختص بها القوم الذين بعث منهم لما أوتوه من فضل العقول وزيادة الأفهام ، ولو كان إدراكها عاماً لعوجل من كذب به كما عوجل من قبلهم . أه من الفتح .

أقول : لما كان هناك خلاف بين الأئمة في تواتر انشقاق القمر ، ولما كانت الآية ﴿ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ قابلة للتأويل الضعيف بمعنى أنه سينشق ، فإننا لا نحكم بكفر من أنكر الانشقاق ، لكنه إما ضال وإما فاسق لتكذيبه الأحاديث الصحيحة ، وعلى العموم فثل هذا الإنكار دليل على مرض القلب .

* * *

فصل : الإيذاء مستمر والدعوة مستمرة

١٢٤ - * روى أحمد عن رجل من بني مالك بن كنانة قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ بسوقٍ ذي الحجاز يتخللها يقول : « يا أيُّها الناسُ قولوا لا إله إلا الله تَفْلِحُوا » قال : وأبو جهل يَحْثِي عليه الترابَ ويقولُ : لا يفرنكم هذا عن دينكم ، فإنما يُريدُ لتتركوا آلهتكم ولتتركوا اللَّاتَ والعُزَّى ، وما يلتفتَ إليه رسولُ الله ﷺ . قلنا : أئمتُ لنا رسولَ الله ﷺ ، قال : بينَ بُردينِ أحمرينِ ، مربوعٌ ، كثيرُ اللحمِ ، حسنُ الوجهِ ، شديدُ سوادِ الشعرِ ، أبيضُ شديدُ البياضِ ، سابغُ الشعرِ .

١٢٥ - * روى أحمد عن ربيعة بن عبادٍ من بني الدَّيْل ، وكانَ جاهلياً قال : رأيتُ النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي الحجاز وهو يقول : « يا أيُّها الناسُ قولوا لا إله إلا الله تَفْلِحُوا » والنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عليه ووراءَهُ رجلٌ وضيءُ الوجهِ أحولُ ذو غديرتينِ يقول : إِنَّهُ صَابِيءٌ كاذِبٌ ، يتتبعهُ حيثُ ذَهَبَ ، فسألتُ عَنْهُ فذكروا لي نسب رسول الله ﷺ وقالوا لي : هذا عمُّ أبو لهبٍ ، وفي روايةٍ ورسولُ الله ﷺ يقرُّ منه وهو يتبعهُ ، وفي روايةٍ والنَّاسُ مُنْقَصِفُونَ عليه ، فما رأيتُ أحداً يقولُ شيئاً وهو لا يَسْكُتُ .

١٢٦ - * روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النبي ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ، ويقولُ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي ، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » .

١٢٧ - * روى الطبراني عن الحارث بن الحارث قال : قُلْتُ لِأَيِّ مَا هَذِهِ الْجَمَاعَةُ قَالَ :

١٢٤ - أحمد في مسنده (٣٧٦ / ٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢ / ٦) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .
يَحْثِي : حَثَى عليه الترابُ ؛ حَثَا في وجهه الترابُ ؛ هَالَهُ عَلَيْهِ . يَغْوِينَكُمْ : غَوَى : أَمَعَنَ فِي الضَّلَالِ . أَغْوَاهُ : أَضَلَّهُ وَأَغْرَاهُ . مَرْبُوعٌ : الرَبْعَةُ : الوَسِيطُ الْقَامَةُ . سَابِغٌ : سَبَغَ الشَّيْءُ سَبْغًا : تَمَّ وَطَالَ وَاتَّسَعَ .

١٢٥ - أحمد في مسنده (٢٤١ / ٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢ / ٦) : رواه أحمد وإسناده والطبراني في الكبير بنحوه والأوسط باختصار بأسانيد وأحد أسانيد عبد الله بن أحمد ثقات . للمعجم الكبير (٦١ / ٥) .

منقصفون : أي متزاحون حتى يقصف بعضهم بعضاً ، من القصف : الكسر والدفع الشديد لفرط الزحام .

١٢٦ - البخاري (٥١٤ / ٦) ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : ٥٤ .

ومسلم (١٤١٧ / ٣) ٣٢٠ - كتاب الجهاد والسير - ٣٧ - باب : غزوة أحد .

١٢٧ - المعجم الكبير (٣٦٨ / ٣) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١ / ٦) : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

هؤلاء القوم الذين اجتمعوا على صابئ لهم ، قال : فنزلنا فإذا رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى توحيد الله عز وجل والإيمان ، وهم يردون عليه ويؤذونه حتى انتصف النهار وانصدع الناس عنه ، أقبلت امرأة قد بدا نحرها تحمل قدحاً ومنديلاً فتتناوله منها فشرب وتوضأ ثم رفع رأسه فقال : « يا بنيّة خمري عليك نحركِ ولا تخافي على أيك » قلنا : من هذه ؟ قالوا : هذه زينب بنته .

١٢٨ - * روى أبو داود عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهم - قال : كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف ، فقال : « ألا رجل يحملني إلى قومي ؟ فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربّي » .

١٢٩ - * روى الطبراني عن مدركة بن الحارث قال : حججت مع أبي قلما نزلنا منى إذا نحن بجماعة ، فقلت لأبي : ما هذه الجماعة ، قال : هذا الصابئ ، فإذا رسول الله ﷺ يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » .

لم ينقطع رسول الله ﷺ عن الدعوة أبداً منذ كلف بها . وهذه نماذج : فلا الإيذاء لشخصه ولا لأهله ولا لأصحابه ولا المقاطعة أوقفته عن الدعوة ﷺ ، وقد وضعنا هذا الفصل بين فصل المقاطعة وفصل عام الحزن مع أنها متتابعان حتى لا يقع في خلد أحد أن الدعوة توقفت .

* * *

= صابئ : صبا الرجل : ترك دينه ودان بآخر . الصدع : انشقق . وانصدع الصبح : أسفر . قدحاً : القدح : إناء يشرب به الماء أو النبيذ ونحوها . مخري : التخمر : التغطية . محرك : لحر : الصدر أعلاه أو موضع القلادة .
١٢٨ - أبو داود (٤ / ٣٣٤) كتاب السنة - باب في القرآن .
والترمذي (٥ / ١٨٤) ٤٦ - كتاب فضائل القرآن ، ٢٤ - باب حدثنا محمد بن إسحاق . وقال : حسن غريب صحيح .

وابن ماجه (١ / ٧٣) ١٣ - المقدمة - باب : فيما أنكرت الجهمية . وإسناده صحيح .

١٢٩ - للمعجم الكبير (٢٠ / ٢٤٣) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٢١) : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

فصل : عام الحزن والشدة

انتهى حصار الشعب في الحرم من السنة العاشرة للبعثة وتوفي أبو طالب بعد ستة أشهر من ذلك أي في شهر رجب ، وقد جاوز الثمانين من عمره ، فلم يمض على خروجه من الشعب إلا أشهر معلومات حتى أصابه مرض الوفاة ثم توفي ، وبعد وفاته بشهرين على قول توفيت أم المؤمنين خديجة في شهر رمضان من السنة العاشرة للبعثة ولها خمس وستون سنة ورسول الله ﷺ إذ ذاك في الخمسين من عمره ، وحاولت قريش أن تأخذ من رسول الله شيئاً قبل وفاة أبي طالب فلم تفلح ، فلما توفي أذت رسول الله ﷺ كل الإيذاء ، ولعل أكثر روايات الإيذاء وقعت في هذه المرحلة مما اضطر رسول الله ﷺ للخروج إلى الطائف .

ويذهب الدكتور البوطي إلى أن حزن رسول الله ﷺ لم يكن على فراق عمه وزوجه بل لانسداد أبواب الدعوة أمامه ، ومع التسليم بالثاني فيأني لا أنفي الأول ، لأن رسول الله ﷺ كان أكمل الناس في كل شيء ، ومن ذلك أنه كان أكملهم عواطف ، وعاطفتنا الوفاء والرحمة كانتا بارزتين عنده ، فإذا ما حزن على عمه وفاءً ، وعلى زوجته رحمة ووفاءً ، فلا حرج في ذلك بل هو الكمال بعينه ، ونحن سنذكر في هذا الفصل بعض روايات الإيذاء لأنها مظنة أن تكون وقعت بعد وفاة أبي طالب ولكن ليس ذلك شرطاً فاقتضى التنويه :

١٣٠ - * روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مَرَضَ أَبُو طَالِبٍ فَجَاءَتْهُ قُرَيْشٌ ، وَجَاءَهُ النَّبِيُّ ﷺ - وَعِنْدَ أَبِي طَالِبٍ مَجْلِسُ رَجُلٍ - فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ يَمْنَعُهُ وَشَكْوَهُ إِلَى أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، مَا تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ ؟ قَالَ : « أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً ، تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ » ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمُ الْعَجْمَ الْجَزِيَّةَ . قَالَ : كَلِمَةً وَاحِدَةً ؟ قَالَ : « كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ ، قَالَ : يَا عَمُّ ، يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » . فَقَالُوا : إِلَهًا وَاحِدًا ؟ مَا سَمِعْنَا هَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ . إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ . قَالَ : فَزَلَّ فِيهِمُ الْقُرْآنُ : ﴿ هُوَ صَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ * كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَسَآدُوا وَلَآتٍ حِينَ مَنَاصٍ *

١٣٠ - الترمذي (٥ / ٣٦٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٣٩ - باب ومن سورة « ص » . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن ا هـ . والحاكم (٢ / ٤٣٢) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره وفي مسنده يحيى بن عمار لم يوثقه غير

ابن حبان فلعن تحسینه لشواهده .

تدين : دان له بدين : إذا أطاعه ودخل تحت حكمه . الملة الآخرة : النصرانية . اختلاق : الاختلاق : الكذب .

وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا تَعْبَهُنَا بِهَذَا فِي الْإِلَهِ الْأَخِيرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿١﴾ .

١٣١ - * روى البخاري ومسلم عن المسيب بن حزن رضي الله عنه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة ، جاءه رسول الله ﷺ ، فوجدته عنده أبا جهل ، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عم ، قل : لا إله إلا الله ، كلمة أشهد لك بها عند الله » ، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ، أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمتهم هو على ملة عبد المطلب ، وأبي أن يقول : لا إله إلا الله ، فقال رسول الله ﷺ : « أما والله ، لأستغفرنَّ لك ، ما لم أنه عنك » ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (٢) . وأنزل الله عز وجل في أبي طالب ، فقال لرسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٣) .

١٣٢ - * روى الحاكم عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما زالت قريش كاعة حتى توفي أبو طالب .

١٣٣ - * روى أحمد (٢) عن عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قلت له : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته ، قال : حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله ﷺ ، فقالوا : ما

(١) ص : ١ - ٧ .

١٣١ - البخاري (٢٤١ / ٨) ٦٥ - كتاب التفسير ١٦ - باب ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ ومسلم (٥٤ / ١) ١ - كتاب الإيمان (١) باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت . والنسائي (٩٠ / ٤) . كتاب الجنائز ، باب - النهي عن الاستغفار للمشركين .

(٢) التوبة : ١١٣ .

(٣) القصص : ٥٦ .

١٣٢ - المستدرک (٢ / ٦٢٢) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

كاعة : كع - يكع : يكع : بالضم كموعاً جبن وضئف .

١٣٣ - أحد في مسنده (٢ / ٢١٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٦) : قلت : في الصحيح طرف منه ، رواه أحمد وقد صرح ابن إسحاق بالساع وبقيته رجاله رجال الصحيح .

رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ، سقه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا وفرق
جماعتنا ، وسب آلِهتنا ، لقد صبرنا منه على أمرٍ عظيم ، أو كما قالوا .

قال : فبينما كذلك إذ طلع عليهم رسولُ الله ﷺ فأقبلَ يمشي حتى الركنَ ثم مرَّ بهم
طائفاً بالبيتِ ، فلما مرَّ بهم غمزوه ببعض ما يقول قال : فعرفتُ ذلك في وجهه ثم مضى ،
فلما مرَّ بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفتُ ذلك في وجهه ثم مضى ، فلما مرَّ الثالثة فغمزوه
بمثلها ، فقال : « أسمعون يا معشرَ قريشٍ أما والذي نفسُ محمدٍ بيده لقد جئتُكم
بالذبح » فأخذت القومَ كلمته حتى ما منهم رجلٌ إلا على رأسه طائرٌ واقع ، حتى إنَّ أشدهم
فيه وصاةً قبلَ ذلك ليرفوه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنَّه ليقولُ انصرف يا أبا القاسم
انصرف راشداً فوالله ما كنتَ جهولاً ، قال : فانصرف رسولُ الله ﷺ .

حتى إذا كان الغدُ اجتمعوا في الحجرِ وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ
منكم وما بلغكم عنه ، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه ، فبينما هم في ذلك إذ طلعَ عليهم
رسولُ الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجلٍ واحدٍ ، فأحاطوا به يقولون له : أنت الذي تقولُ
كذبا وكذا - لما كان يبلغهم عنه من عيبِ آلهتهم ودينهم - قال : فيقولُ رسولُ الله ﷺ :
« نعم أنا الذي أقولُ ذلك » قال : فلقد رأيتُ رجلاً منهم أخذَ بمجمعِ رداءه ، وقام أبو
بكرٍ ذونه يقولُ وهو يبكي : أتقتلون رجلاً أن يقولَ ربي الله ؟ ، ثم انصرفوا عنه فإنَّ ذلك
لأشدُّ ما رأيتُ قريشاً بلغت منه قط .

١٣٤ - « روى البخاري عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال : سألتُ عبدَ الله بن عمرو عن أشدِّ
ما صنعَ المشركونَ برسولِ الله ﷺ ؟ قال : رأيتُ عقبة بن أبي معيطٍ جاءَ إلى النبي ﷺ وهو
يُصلي ، فوضعَ رداءه في عنقه ، فخنقه خنقاً شديداً ، فجاء أبو بكرٍ حتى دفعه عنه ، ثم قال :
﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (١) .

= سقه أحلامنا : جهل عقولنا . غمزوه : غزوه بيده يعمزه : غسه . أشدهم فيه وصاة : يعني أنهم له أذى وهدا عن
اتباعه .

١٣٤ - البخاري (٢٢ / ٧) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٥ - باب : قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً » .
البيِّنات : المعجزات الظاهرات . فناء الكعبة : الساحة التي حولها . والفناء : الساحة في الدار أو بجانيها وتجمع على
أفنية . المنكب : المنكب مجتمع رأس الكتف والعضد أي : نقطة التقاء الذراع بالكتف .

(١) غامر : ٢٨ .

وفي رواية : يَتَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِفَنَاءِ الْكَعْبَةِ ، إِذْ أَقْبَلَ عَقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَأَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَفَّ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ ، فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِمَنْكِبَيْهِ وَدَفَعَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .. وذكر الحديث .

١٣٥ - * روى البزار والطبراني في الأوسط ، عن عبد الله بن مسعود قال : يَتَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ ، وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ وَشَيْبَةُ وَعْتَبَةُ ابْنَا رِبِيعَةَ وَعَقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ وَرَجُلَانِ آخَرَانِ كَانُوا سَبْعَةً وَهُمْ فِي الْحِجْرِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي فَلَمَّا سَجَدَ أَطَالَ السُّجُودَ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : أَيُّكُمْ يَأْتِي سَلَا جَزُورٍ بَنِي فَلَانٍ فَيَأْتِينَا بِفَرِيئَتِهَا فَتَكْفُتُهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ؟ ، فَاذْطَلَقَ أَشْقَاهُمْ عَقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَأَتَى بِهِ فَأَلْقَاهُ عَلَى كَتِفِيهِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاجِدٌ .

قال ابن مسعود : وَأَنَا قَائِمٌ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَكَلَّمَ لَيْسَ عِنْدِي مَنَعَةٌ تَمْنَعُنِي فَأَنَا أَذْهَبُ ، إِذْ سَمِعْتُ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلْتُ حَتَّى أَلْقَيْتُ ذَلِكَ عَنْ عَاتِقِهِ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلْتُ قُرَيْشًا تَسْبِيَهُمْ فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَيْهَا شَيْئًا ، وَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ كَمَا كَانَ يَرْفَعُ عِنْدَ تِمَامِ السُّجُودِ ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاتَهُ قَالَ : « اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ - ثَلَاثًا - عَلَيْكَ بِعَقْبَةِ وَعَقْبَةِ وَأَبِي جَهْلٍ وَشَيْبَةَ » .

ثم خرج من المسجد فلقية أبو البخترى بسوطٍ يتخصَّرُ بِهِ ، فلما رأى النبي ﷺ أنكر وجهه

١٣٥ - البزار : كُتِفَ الْأَسْتَارُ (١٢٦ / ٢) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨ / ٦) : قلت : حديث ابن مسعود في الصحيح باختصار قصة أبي البخترى - رواه البزار والطبراني في الأوسط وفيه الأجلح بن عبد الله الكندي ، وهو ثقة عند ابن معين وغيره وضعفه النسائي وغيره ، أ.هـ. وثقة رجاله ثقات . قلت : الأجلح الكندي قال عنه الحافظ في التقریب (٤٩ / ١) « صدوق » وعلى ذلك فالحديث حسن إن شاء الله تعالى .

السلا : بفتح السين المهملة : قال في النهاية الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه ، وقيل هو في الماشية السلا وفي الناس المشية والأول أشبه لأن المشية تخرج بعد الولد ولا يكون الولد فيها حين يخرج أمه (وقال الحافظ ابن كثير) في تاريخه : السلا هو الذي يخرج مع ولد الناقة كالمشية لولد المرأة ، وفي بعض ألفاظ الصحيح أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل بعضهم يبيل على بعض أي يبيل هذا على هذا من شدة الضحك لعنهم الله . الجزور : ما يصلح لأن يذبح من الإبل . ولفظه أنثى ، يقال للبعير : هذه جزور سمينة يجمع على جزائر وجزر . الفرث : الأوساخ في الكرش . تكفته : (كفاً) الإناء - كفيها : كبه وقلبه ، العاتق : ما بين المنكب والعنق . السوط : ما يضرب به من جلد ، يتخصَّرُ بالسوط : يلفه على خاصرته . خلى : خلى الأمر : تركه . ويقال خلى سبيله : تركه وأرسله . الملا : أي : أشراف القوم وسراهم .

فقال مالك ؟ فقال النبي ﷺ : « خَلَّ عَنِّي » قال : عَلِمَ اللَّهُ لَا أُخْلِي عَنْكَ أَوْ تُخْبِرُنِي مَا شَأْنُكَ فَلَقَدْ أَصَابَكَ شَيْءٌ ، فَلَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ غَيْرُ مُخْلِ عَنْهُ أَخْبَرَهُ ، فقال : « إِنَّ أَبَا جَهْلٍ أَمْرٌ فَطَرِحَ عَلَيَّ قَرْثٌ » فقال أبو البختري : هَلُمَّ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ فدخلوا المسجدَ ، ثم أقبلَ أبو البختري إلى أبي جهلٍ فقال : يَا أَبَا الْحَكَمِ أَنْتَ الَّذِي أَمَرْتَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَطَرِحَ عَلَيْهِ الْفَرْثُ ؟ قال : نعم ، قال : فَرَفَعَ السُّوْطَ فَضَرَبَ بِهِ رَأْسَهُ ، قال : فَشَارَ الرِّجَالَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، قال : وصاح أبو جهلٍ : وَيَحْكُمُ هِيَ لَهُ ، إِنَّمَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ ﷺ أَنْ يُلْقِيَ بَيْنَنَا الْعَدَاوَةَ وَيَنْجُوَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ . وفي رواية فَلَمَّا رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثم قال : « أَمَّا بَعْدُ ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْمَلَأِ مِنْ قَرِيشٍ » .

١٣٦ - * روى أبو يعلى والطبراني عن عمرو بن العاص قال : ما رأيتُ قريشاً أرادوا قتلَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلا يوماً ائتمروا به وهم جلوسٌ في ظلِّ الكعبةِ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْمَقَامِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَقْبَةُ بْنُ أَبِي مَعْطٍ فَجَعَلَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ ثُمَّ جَذَبَهُ حَتَّى وَجَبَ لِرُكْبَتَيْهِ ، وَتَصَايَحَ النَّاسُ وَظَنُّوا أَنَّهُ مَقْتُولٌ ، قال : وأقبلَ أبو بكرٍ يشتدُّ حتى أخذَ بضميرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ من ورائِهِ وهو يقول : أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ؟ ثم انصرفوا عن النَّبِيِّ ﷺ .

فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ مَرَّ بِهِمْ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ أَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ إِلَّا بِالذَّبْحِ » وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْحُلُقِيِّ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ : يَا عَمْدُ مَا كُنْتَ جَهُولًا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنْتَ مِنْهُمْ » .

١٣٧ - * روى أبو يعلى والبخاري عن أنس بن مالك قال : لَقَدْ ضَرَبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّةً حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهِ ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَجَعَلَ يَنَادِي : وَيَلَكُمْ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ، فَقَالُوا : مِنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : أَبُو بَكْرٍ الْمَجْنُونُ .

١٣٦ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦ / ٦) : رواه أبو يعلى والطبراني وفيه محمد بن عمرو عن علقمة وحديثه حسن ، وبقية رجال الطبراني رجال الصحيح .

وجب : سقط . الضبيع : وسط العضد . جهولاً : جهل فلان على غيره ، جهلاً ، وجهالة : جفا وتسافه .

١٣٧ - البخاري : كشف الأستار (٣ / ١٢٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧ / ٦) : رواه أبو يعلى والبخاري . ورواه فخره وأقبلوا على أبي بكر ورجاله رجال الصحيح .

غشي عليه : أغشى عليه . ويلكم : من الويل وهو حلول الشر ، أو هي كلمة عتاب ، وقيل إنها واد في جهنم .

١٣٨ - * روى أحمد عن ابن عباس قال : إن الملاء من قريش اجتمعوا في الحِجْرِ فتماهدوا باللائ والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، وقد رأينا محمداً ، قمنا إليه قيام رجلٍ واحدٍ فلم نفارقه حتى تقتله .

فأقبلت فاطمة رضي الله عنها تبكي حتى دخلت على أبيها ، فقالت : هؤلاء الملاء من قومك في الحِجْرِ قد تماهدوا أن لو قد رأوك قاموا إليك فقتلوك ، فليس منهم رجلٌ إلا وقد عرف نصيبه من ذلك .

قال : « يا بنيّة أذني وضوءاً » فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد فلما رأوه قالوا : هو هنا فخفضوا أبصارهم ، وعفروا في مجالسهم فلم يرفعوا إليه أبصارهم ، ولم يقيم منهم رجلٌ فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رؤوسهم فأخذ قبضة من ترابٍ فحصبهم بها وقال : « شأهت الوجوه » قال : فما أصابت رجلاً منهم حصاة ، إلا قتل يوم بدرٍ كافراً .

أقول : ليس كل ما ذكرناه في هذا الفصل من الإيذاء قد وقع بالضرورة في عام الحزن ، ولكن يحتمل إلى حد كبير أن يكون قد وقع في هذا العام ولذلك أثبتناه ههنا ، والظاهر أن هذا العام وصلت الدعوة إلى حد معين وقفت عنده فقد استقر الوضع في مكة بين مستجيب ومعارض ، والقبائل العربية وقفت تنتظر ، ولكن موقفها الرسمي هو موقف قريش ، وقرر رسول الله ﷺ أن يحرك هذا السكون فتحرك نحو الطائف فكانت محنة جديدة .

* * *

فصل : في رحلة الطائف

١٣٩ - * روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يومٍ أُخِذَ ؟ فقال : « لقد لقيتُ من قَوْمِكَ ، وكانَ أشدَّ ما لقيتُ مِنْهُم يومَ العقبةِ ، إذْ عَرَضْتُ نفسي على ابنِ عبدِ يالِيلِ بنِ عبدِ كَلال ، فلم يُجِبْني إلى ما أردتُ ، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وَجْهي ، فلم أَسْتَفِقْ إلا بقرْنِ الثَّعالبِ ، فرفعتُ رأسي ، فإذا أنا بِسَحَابَةٍ قد أَظَلَّتْني ، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ ، فناداني ، فقال : إن الله عز وجل قد سَمِعَ قولَ قومكَ لك ، وما ردُّوا عليك ، وقد بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بما شِئْتَ فيهِم . قال : فناداني مَلَكُ الْجِبَالِ ، وسلم عليَّ ، ثم قال : يا مُحَمَّدُ ، إن الله قد سَمِعَ قولَ قَوْمِكَ لك ، وأنا مَلَكُ الْجِبَالِ ، وقد بَعَثَني رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَني بِأَمْرِكَ ، فَمَا شِئْتَ ، إن شِئْتَ أن أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأُخْشَبِينَ ، فقال له رَسولُ اللهِ ﷺ : بل أُرْجُوا أن يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِم من يعبدُ اللهَ وحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً . »

قال ابن حجر في شرح هذا الحديث : وذكر موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب أنه ﷺ لما مات أبو طالب توجه إلى الطائف رجاء أن يؤوه ، فعمد إلى ثلاثة نفر من ثقيف وهم سادتهم وهم إخوة عبد ياليل وحبيب ومسعود بنو عمرو فعرض عليهم نفسه وشكى إليهم ما انتهك منه قومه فردوا عليه أقبح رد ، وكذا ذكره ابن إسحاق بغير إسناد مطولاً ، وذكر ابن سعد أن ذلك كان في شوال سنة عشر من المبعث وأنه كان بعد موت أبي طالب وخديجة .

وقد لخص الدكتور البوطي رحلة الطائف من سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد بقوله:

١٣٩ - مسلم (٣ / ١٤٢٠) ٢٢ - كتاب الجهاد والسير - ٣٩ - باب : ما لقي النبي ﷺ من أذى للمشركين والمنافقين والبخاري (٦ / ٣١٢) ٥٩ - كتاب بدء الخلق - باب : إذا قال أحدكم (آمين) وللائكة في السماء .
على وجهي : أي على الجهة المواجهة لي . بقرن الثعالب : هو ميقات أهل نجد ويقال له قرن المنازل أيضاً ، وهو على يوم وليلة من مكة . وقرن كل جبل صغير منقطع من جبل كبير ، وحكي عياض أن بعض الرواة ذكره بفتح الراء قال : هو غلط ، وحكى القاسبي أن من سكن الراء أراد الجبل ومن حركها أراد الطريق التي يقرب منه ، وأفاد ابن سعد أن مدة إقامته ﷺ بالطائف كانت عشرة أيام . ملك الجبال : أي : الوكل بها . الأخشبان : جبلا مكة المحيطان بها ، وكل جبل عظيم فهو أخشب .

ولما نالت قريش من النبي ﷺ ما وصفناه من الأذى ، خرج إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ويرجو أن يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله عز وجل .

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف ، هم يومئذ سادته ، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله وكرهم بما جاءهم من أجله فردوا عليه رداً منكراً ، وفاجأوه بما لم يكن يتوقع من الغلظة وسمج القول ، فقام رسول الله ﷺ من عندهم وهو يرجوهم أن يكتبوا خبر مقدمه إليهم عن قريش إذا ، فلم يجيبوه إلى ذلك أيضاً . ثم أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم ويصيحون به ، وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أن رجلي رسول الله ﷺ لتدميان ، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه عدة شجاج ، حتى وصل رسول الله ﷺ إلى بستان لعتبة بن ربيعة ، فرجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه . فعمد عليه الصلاة والسلام ، وقد أنهكه التعب والجراح إلى ظل شجرة عنب فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، فلما اطمان النبي ﷺ في ذلك الظل رفع رأسه يدعو بهذا الدعاء : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس . يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك ، لك العتي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » . ولا سند لهذا الدعاء ، فلم ندخله في المتن .

ثم إن ابني ربيعة - صاحبي البستان - تحركت الشفقة في قلبيهما ، فدعوا غلاماً نصرانياً لهما يقال له (عداس) فأرسلا إليه قطعاً من العنب في طبق . فلما وضع عداس العنب بين يدي رسول الله ﷺ وقال له : كل . مد الرسول يده قائلاً : « بسم الله » . ثم أكل . فقال عداس متعجباً : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له الرسول ﷺ : « ومن أي البلاد أنت ؟ وما دينك ؟ » قال : نصراني ، وأنا رجل من أهل نينوى (قرية بالموصل) . فقال الرسول ﷺ : « من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ » فقال عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ذلك أخي ، كان نبياً وأنا نبي » فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه . وسند هذه القصة مرسل ، فلم ندخلها في المتن .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي ، فربه النفر (من الجن) من الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى ، فاستمعوا له . فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا .

وقد قص الله خبرهم عليه ﷺ في قوله : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ ^(١) إلى قوله : ﴿ وَيَجْرُكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ ^(٢) وقوله : ﴿ قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ الآيات .

ثم عاد رسول الله ﷺ - ومعه زيد بن حارثة - يريد دخول مكة ، فقال له زيد : كيف تدخل عليهم يا رسول الله وهم أخرجوك ؟ فقال : « يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه » ثم أرسل رجلاً من خزاعة إلى مطعم بن عدي يخبره أنه داخل مكة في جواره . فاستجاب مطعم لذلك ، وعاد رسول الله ﷺ إلى مكة .

أقول : دخول رسول الله ﷺ مكة بجوار المطعم بن عدي ثابت وبما يدل على ثبوت هذا : ١٤٠ - * روى البخاري عن جُبَيْرِ بْنِ مَطْعَمٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي أَسَارَى بَدْرٍ : « لَوْ كَانَ الْمَطْعَمُ بْنُ عَدِي حَيًّا ، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ » .

قال سفيان : وَكَانَتْ لَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَدٌ ، وَكَانَ أَجْزَى النَّاسِ بِالْيَدِ .

وقال ابن حجر :

ويبين ابن شاهين من وجه آخر السبب في ذلك ، وأن المراد باليد المذكورة ما وقع منه حين رجع النبي ﷺ من الطائف ودخل في جوار المطعم بن عدي ، وقد ذكر ابن إسحاق القصة في ذلك مبسوطاً ، وكذلك أوردتها الفاكهي بإسناد حسن مرسل . فإذا ثبت ذلك فيكون هذا أصلاً كبيراً من أصول الحركة الدعوة الإسلامية ، فللإسلاميين الحق أن يستفيدوا

(١) الأحقاف : ٢٩ .

(٢) الأحقاف : ٣٠ .

(٣) الجن : ١ .

١٤٠ - البخاري (٦ / ٢٤٣) ٥٧ - كتاب فرض الخس - ١٦ - باب ما من النبي ﷺ على الأسارى من غير أن يخنس .

من الأعراف والقوانين التي تعطيهم أمناً وحماية لأشخاصهم ولحرياتهم ، كما أن هذا التصرف أصل يستند إليه في فعل كل ما هو من مصلحة الدعوة الإسلامية وحملتها ومن ذلك التحالفات والتعاقدات المرحلية .

وإنما ما ذكره كتاب السير أن الجنّ استمعوا قراءته متفكّله من الطوائف فيكون الفصل اللاحق في بعض الروايات التي تذكر سماع الجن منه عليه الصلاة والسلام .

* * *

فصل : في تبليغ الجن

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) ، فرسالته عليه الصلاة والسلام رحمة للخلق جميعهم ، وهذه الرحمة مظهرها الأول أن المستجيبين لها مرحومون في الدنيا والآخرة ، وبرحمتهم وتطبيقاتهم لشريعة الله يرحم الخلق وترحم أنفسهم فتعطى طمأنينة قلب واستقامة سلوك ، والمكلفون من الخلق هم من يملكون إدراكاً يستطيعون به فهم الخطاب ، وهم مبتلون بالشر والخير ولهم إرادة يختارون بها طريق الخير من الشر وهذا ينطبق على الإنسان والجن .

ولقد حدث في سيرة رسول الله ﷺ الأولى أن سمع الجن لقراءته عليه الصلاة والسلام ، وقد قص القرآن علينا ذلك في سورتي الأحقاف والجن فكان ذلك نوع بلاغ ، ولكن البلاغ المباشر المقصود تم كذلك ، وإن كنا لا نستطيع تعيين الزمن الذي تم فيه هذا النوع من البلاغ بدقة ، لكن الشيء الثابت أن سماع الجن من رسول الله ﷺ وتبليغهم المباشر قد حدث ، وقد مر معنا فصل من قبل في حفظ أمر السماء ، وههنا نذكر بعض الروايات بمناسبة أن كتاب السير ذكروا أنه قد حدث سماع للجن من رسول الله ﷺ بعد رحلة الطائف .

قال الحافظ في الفتح :

تقدم في أوائل المبعث في (باب ذكر الجن) أن ابن إسحاق وابن سعد ذكرا أن ذلك كان في ذي القعدة سنة عشر من المبعث لما خرج النبي ﷺ إلى الطائف ثم رجع منها ، ويؤيده قوله في هذا الحديث : (إن الجن رأوه يصلي بأصحابه صلاة الفجر) والصلاة المفروضة إنما شرعت ليلة الإسراء ، والإسراء كان على الراجح قبل الهجرة بستين أو ثلاث فتكون القصة بعد الإسراء ، لكنه مشكل من جهة أخرى ، لأن محصل ما في الصحيح كما تقدم في بدء الخلق وما ذكره ابن إسحاق أنه ﷺ لما خرج إلى الطائف لم يكن معه من أصحابه إلا زيد بن حارثة ، وهنا قال إنه انطلق في طائفة من أصحابه ، فلعلها كانت

(١) الأنبياء : ١٠٧ .

وجهة أخرى . ويمكن الجمع بأنه لما رجع لاقاه بعض أصحابه في أثناء الطريق فراقفوه .

١٤١ - * روى مسلم عن علقمة رحمه الله قال : أنا سألت ابن مسعود فقلت : هل شهد أحدٌ منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ؟ قال : لا ، ولكننا كنّا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه ، فالتسناه في الأودية والشعاب ، فقلنا ، استطير ، أو اغتيل ، قال : فبتنا بشر ليلة بات بها قومٌ ، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء ، قال : فقلنا : يا رسول الله ، فقدناك ، فطلبناك ، فلم نجدك ، فبتنا بشر ليلة بات بها قومٌ ، فقال : « أتاني داعي الجن ، فذهبتُ معه ، فقرأتُ عليهم القرآن » قال : فانطلق بنا ، فأرانا آثارهم ، وآثار نيرانهم ، وسألوه الزاد ، فقال : « لكم كلُّ عظمٍ ذكر اسمُ الله عليه ، يقع في أيديكم أوفر ما يكونُ لحماً ، وكلُّ بعرةٍ علفٌ لِدوابكم » فقال رسول الله ﷺ : « فلا تستنجوا بهما ، فإنهما طعامُ إخوانكم » .

وفي رواية بعد قوله : (وآثار نيرانهم) قال الشعبي : وسألوه الزاد ؟ وكانوا من جن الجزيرة إلى آخر الحديث ، من قول الشعبي مفصلاً من حديث عبد الله .

وفي رواية أن ابن مسعود قال : لم أكن ليلة الجن مع رسول الله ﷺ ، ووددتُ أني كنتُ معه .

وأخرجه الترمذي ^(١) ، وذكر فيه قول الشعبي ، كما سبق في هذه الرواية الآخرة ، وزاد فيه : أو روثة .

وأخرج أبو داود منه طرفاً ^(٢) ، قال : قلت لعبد الله بن مسعود : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْلَةَ الْجِنِّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ؟ فَقَالَ : مَا كَانَ مَعَهُ مَنْ أَحَدٌ .

١٤١ - مسلم (١ / ٣٣٢) ٤ - كتاب الصلاة - ٣٢ - باب : الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن .
استطير : استفعل من الطيران ، كأنه أخذ شيء وطار به . اغتيل : أخذ غيلة والاعتيال : الاحتيال .
(١) الترمذي (٥ / ٢٨٢) ٤٨ - كتاب التفسير - ٤٧ - باب : ومن سورة الأحقاف . قال أبو عيسى : حديث حسن صحيح .
(٢) أبو داود (١ / ٢٢) كتاب الصلاة - باب - الوضوء بالنبيد .

قال الحافظ في الفتح :

وقد روى ابن مردويه أيضاً من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس : كانوا اثني عشر ألفاً من جزيرة الموصل ، فقال النبي ﷺ لابن مسعود : « انظرنى حتى آتيك » وخط عليه خطأ . الحديث . والجمع بين الروایتين تعدد القصة ، فإن الذين جاءوا أولاً كان سبب مجيئهم ما ذكر في الحديث من إرسال الشهب ، وسبب مجيء الذين في قصة ابن مسعود أنهم جاءوا لقصد الإسلام وسماع القرآن والسؤال عن أحكام الدين وقد بينت ذلك في أوائل المبعث في الكلام على حديث أبي هريرة ، وهو من أقوى الأدلة على تعدد القصة . فإن أبا هريرة إنما أسلم بعد الهجرة ، والقصة الأولى كانت عقب المبعث ، ولعل من ذكر في القصص المفرقة كانوا ممن وفد بعد ، لأنه ليس في كل قصة منها إلا أنه كان ممن وفد ، وقد ثبت تعدد وفودهم . وتقدم في بدء الخلق كثير مما يتعلق بأحكام الجن والله المستعان .

١٤٢ - * روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : صلى رسول الله ﷺ العشاء ، ثم انصرف فأخذ بيد عبد الله بن مسعود ، حتى خرج به إلى بطحاء مكة ، فجلسه ، ثم خط عليه خطأ ، ثم قال : « لا تبرحن خطأك ، فإنه سينتهي إليك رجال فلا تكلمهم ، فإنهم لا يكلمونك » ثم مضى رسول الله ﷺ حيث أراد ، فبينما أنا جالس في خطي ، إذ أتاني رجال كأنهم الزط أشعارهم وأجسامهم ، لا أرى عورة ، ولا أرى قشراً ، وينتهون إلي ، لا يجاوزون الخط ، ثم يصدرون إلى رسول الله ﷺ ، حتى إذا كان من آخر الليل ، لكن رسول الله ﷺ قد جاءني وأنا جالس ، فقال : لقد أراني منذ الليلة ، ثم دخل علي في خطي ، فتوسد فخيدي فرقد ، وكان رسول الله ﷺ إذا رقد تفخ ، فبينما أنا قاعد ورسول الله ﷺ متوسد فخيدي ، إذا أنا برجال عليهم ثياب بيض ، الله أعلم ما بهم من الجمال ، فانتبهوا إلي ، فجلس طائفة منهم عند رأس رسول الله ﷺ ، وطائفة منهم عند رجليه ، ثم قالوا بينهم : ما رأينا عبداً قط أوتي مثل ما أوتي هذا النبي ، إن عينيه

١٤٢ - الترمذي (٥ / ١٤٥) ٤٥ - كتاب الأمثال - ١ - باب ما جاء في مثل الله لعباده . وقال هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه وهو كما قال .

الدارمي (١ / ٧) المقدمة باب صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبثته .
قشراً : أراد بالقشر : الثوب ، وذلك أنه قال : لا أرى عورة منكشفة منهم ، ولا أرى عليهم ثياباً تغطي عوراتهم .
الزط : جيل من الناس .

تَنَامَانِ ، وَقَلْبُهُ يَقْطَانُ ، اضْرِبُوا لَهُ مِثْلًا : مِثْلَ سَيِّدِ بَنَى قَصْرًا ثُمَّ جَعَلَ مَادِبَةً فَدَعَا النَّاسَ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ ، فَمَنْ أَجَابَهُ أَكَلَ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرِبَ مِنْ شَرَابِهِ ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ عَاقِبَهُ - أَوْ قَالَ : عَذَّبَهُ - ثُمَّ ارْتَفَعُوا ، وَاسْتَيْقِظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ ، فَقَالَ : « سَمِعْتُ مَا قَالَ هَؤُلَاءِ ؟ وَهَلْ تَدْرِي مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ » قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : « هُمُ الْمَلَائِكَةُ ، فَتَدْرِي مَا الْمِثْلُ الَّذِي ضَرَبُوا ؟ » قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « الْمِثْلُ الَّذِي ضَرَبُوا : الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَنَى الْجَنَّةَ ، وَدَعَا إِلَيْهَا عِبَادَةً ، فَمَنْ أَجَابَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ عَاقِبَهُ وَعَذَّبَهُ » .

١٤٣ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ مَعْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي ، قَالَ : سَأَلْتُ مُشْرُوقًا : مَنْ آذَنَ النَّبِيَّ ﷺ بِالْجَنِّ لَيْلَةَ اسْتَمْعُوا الْقُرْآنَ ؟ فَقَالَ : حَدَّثَنِي أَبُوكَ - يَعْنِي : عَبْدَ اللَّهِ - أَنَّهُ آذَنَتْ بِهِمْ شَجَرَةٌ .

١٤٤ - * رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ . قَالَ : كَانَ نَفَرٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ ، فَأَسْلَمَ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ وَاسْتَمْسَكَ الْإِنْسُ بِعِبَادَتِهِمْ ، فَنَزَلَتْ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ ^(١) .

قَالَ الْحَافِظُ : أَيُّ : اسْتَرِ الْإِنْسُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ عَلَى عِبَادَةِ الْجِنِّ ، وَالْجِنُّ لَا يَرْضُونَ بِذَلِكَ ، لَكُونَهُمْ أَسْلَمُوا ، وَهُمْ الَّذِينَ صَارُوا يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ، وَرَوَى الطَّبْرِيُّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ فَزَادَ فِيهِ : وَالْإِنْسُ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِإِسْلَامِهِمْ وَهَذَا هُوَ الْمَعْتَدُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ .

١٤٣ - الْبُخَارِيُّ (٧ / ١٧١) ٦٣ - كِتَابُ مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ - ٣٢ - بَابُ : ذِكْرِ الْجِنِّ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ﴾ .

وَمُسْلِمٌ (١ / ٢٣٣) ٤ - كِتَابُ الصَّلَاةِ - ٣٢ - بَابُ : الْجَهْرِ بِالتَّوْحِيدِ فِي الصُّبْحِ وَالْقِرَاءَةِ عَلَى الْجِنِّ . آذَنَ : بِالْمَدِّ أَيْ أَعْلَمَ .

١٤٤ - مُسْلِمٌ (٤ / ٢٣٢١) ٥٤ - كِتَابُ التَّفْسِيرِ - ٤ - بَابُ : قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ ... الْوَسِيلَةَ ﴾ . ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ : الْوَسِيلَةُ : مَا يَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى الشَّيْءِ ، أَيْ : يَطْلُبُونَ الْقُرْبَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ . النَّفَرُ : دُونَ الْعِشْرَةِ مِنَ الرِّجَالِ وَتَجْمَعُ عَلَى أَنْفَارٍ . (١) الْإِسْرَاءُ : ٥٧ .

وقد علق الدكتور البوطي على سماع الجنّ من رسول الله ﷺ في عودته من الطائف فقال :

والذي يهمنا أن نعلمه بعد هذا كله هو أن على المسلم أن يؤمن بوجود الجن وبأنهم كائنات حية كلفها الله عز وجل بعبادته كما كلفنا بذلك ، ولئن كانت حواسنا ومداركنا لا تشعر بهم فذلك لأن الله عز وجل جعل وجودهم غير خاضع للطاقة البصرية التي بثها في أعيننا ، ومعلوم أن أعيننا إنما تبصر أنواعاً معينة من الموجودات بقدر معين وبشروط معينة .

ولما كان وجود هذه الخليفة مسنداً إلى أخبار يقينية متواترة وردت إلينا من الكتاب والسنة ، وكان أمرها معلوماً من الدين بالضرورة ، أجمع المسلمون على أن إنكار الجن أو الشك في وجودهم يستلزم الردة والخروج عن الإسلام . إذ إن إنكارهم إنكار لشيء علم أنه من الدين بالضرورة ، عدا أنه يتضمن تكذيب الخبر الصادق المتواتر إلينا عن الله عز وجل وعن رسوله ﷺ .

ولا ينبغي أن يقع العاقل في أشد مظاهر الغفلة والجهل من حيث يزعم أنه لا يؤمن إلا بما يتفق مع العلم ، فيضي يتبجح بأنه لا يعتقد بوجود الجن ، من أجل أنه لم ير الجن ولم يحس بهم .

إن من البدهة بمكان أن مثل هذا الجهل المتعالم ، يستدعي إنكار كثير من الموجودات اليقينية لسبب واحد هو عدم إمكان رؤيتها . والقاعدة العلمية المشهورة تقول : عدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود . أي عدم رؤيتك لشيء تقتض عنه لا يستلزم أن يكون بحد ذاته مفقوداً أو غير موجود . أهـ .

أقول : لم يزل بين المسلمين الثقات العدول من يحدثنا عن صلة له بالجن ، وتاريخنا طافح بأخبار علماء كانت للجن بهم صلة تلمذة ، وقد كتب الشيخ ابن عابدين الفقيه الحنفي المشهور رسالة عن صلات أحد شيوخه بالجن وتلمذتهم عليه ، ولا أذكر هذا كتدليل على وجود الجن فكفى بشهادة القرآن والسنة الثابتة ، ولكن أقول هذا بين يدي الدعوة إلى

تتبع هذه الروايات وجمعها في كتاب مع التحليل والتعليل .

الفرج بعد الشدة :

وَأَلَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَعْوَتَهُ فِي مَكَّةَ بَعْدَ رَحْلَةِ الطَّائِفِ ، وَفِي أَوَائِلِ السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشَرَ لِلْبُعْثَةِ اجْتَمَعَ مَعَ وَفَدٍ مِنَ الْأَوْسِ ، جَاءُوا يَطْلُبُونَ النِّصْرَةَ وَالْخَلْفَ مِنْ قُرَيْشٍ بَعْدَ وَقْعَةِ بَعَاثِ الْتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَقَارِبِهِمْ مِنَ الْخَزْرَجِ ، فَتَجَاوَبَ أَحَدُ أَعْضَاءِ الْوَفْدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَفِي مَوْسَمِ الْحِجِّ مِنَ السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ لِلْبُعْثَةِ اسْتَجَابَ سِتَّةٌ مِنَ الْخَزْرَجِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَمَّا رَجَعَ هَؤُلَاءُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ حَمَلُوا إِلَيْهَا رِسَالَةَ الْإِسْلَامِ حَتَّى لَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دَوْرِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا ذِكْرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ، وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنَ النَّبُوَّةِ وَفِي مَوْسَمِ الْحِجِّ وَفَدَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ فِيهِمْ خَمْسَةٌ مِنَ السِتَّةِ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا فِي عَامٍ سَابِقٍ وَكَانَ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ مِنَ الْخَزْرَجِ وَاثْنَانِ مِنَ الْأَوْسِ وَكَانَتْ بَيْعَةُ الْعُقْبَةِ الْأُولَى ، وَأَرْسَلَ الرَّسُولُ مَعَ هَؤُلَاءِ مَصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ لِيُعَلِّمَهُمْ وَيَقُومَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا وَخَاصَّةً بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ وَأَسِيدُ بْنُ حَضِيرٍ ، وَقَبْلَ حُلُولِ مَوْسَمِ الْحِجِّ التَّالِي عَادَ مَصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ إِلَى مَكَّةَ لِيُبَلِّغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا حَدَثَ وَلِيَهَيِّئَ لِبَيْعَةِ الْعُقْبَةِ الثَّانِيَةِ ، وَفِي مَوْسَمِ الْحِجِّ مِنَ السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ عَشْرَةَ لِلْبُعْثَةِ تَمَّتْ بَيْعَةُ الْعُقْبَةِ الثَّانِيَةِ وَكَانَتْ بَعْدَهَا الْمُهْجَرَةُ .

وخلال هذه السنوات الثلاث بقي البلاغ مستمرا ، وحدثت أثناءها حادثة الإسراء .

وهناك حادثة نرجح أنها حدثت في هذه المرحلة وهي حادثة تكسيره عليه الصلاة والسلام لبعض الأصنام ، ومن ثم سنعرض لكل هذا بالتفصيل .

* * *

فصل : في تكسير بعض الأصنام

١٤٥ - * روى أحمد عن علي بن أبي طالب قال : انطلقت أنا والنبي ﷺ حتى أتينا الكعبة فقال لي رسول الله ﷺ : « اجلس » وصعد على منكي ، فذهبت لأنهب به فرأى مني ضعفاً فنزل ، وجلس لي نبي الله ﷺ وقال : « اصعد على منكي » قال : فصعدت على منكبيه ، قال : فنهض بي ، فإنه يخيل إلي أنني لو شئت لنلت أفق السماء ، حتى صعدت على البيت وعليه تمثال أصفر أو نحاس ، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه ، حتى إذا استكنت منه قال لي رسول الله ﷺ : « أقذف به » فقفزت به فتكسر كما تتكسر القوارير ، ثم نزلت . فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق ، حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس . وفي رواية : كان على الكعبة أصنام ، فذهبت أحمل النبي ﷺ فلم أستطع ، فحملني فجعلت أقطعها ، ولو شئت لنلت السماء .

هذه الحادثة الثابتة الوقوع يرويها الحاكم على أنها حدثت ليلة الهجرة ، وقد وصف الذهبي رواية الحاكم بأن إسنادهما نظيف ومتنها منكر ، والظاهر أن نكارة متنها سببه أن هذه الرواية ذكرت أن الحادثة تمت ليلة الهجرة ، وإلا فالرواية صحيحة كما رأينا ، ولذلك اعتدنا الرواية التي لم تذكر الهجرة ، ورجحنا أن الحادثة تمت خلال السنوات الثلاث الأخيرة دون تحديد زمن فعقدنا لها هذا الفصل .

وبعد أن ذكر الله عز وجل عدداً من رسله في سورة الأنعام قال : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبإيدهم اقتد به ﴾ ومن ذكر هناك ومن أمر عليه الصلاة والسلام بالاعتداء به إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ولقد كثر إبراهيم عليه الصلاة والسلام الأصنام ، وهذا رسول الله ﷺ يفعل ذلك اقتداء به ، وهذا يفتح أمامنا آفاقاً في التطبيق ، ومن ثم فإننا نلفت النظر إلى ضرورة التأمل في قصص الأنبياء في القرآن ، وأن يحاول المسلم الاقتداء فيما

١٤٥ - أحمد في مسنده (١ / ٨٤) ، والبزار : كشف الأستار ، (٣ / ١٢٨) ، وأورده الهيتمي في مجمع الزوائد (٦ / ٢٣)

وقال : رواه أحمد وابنه وأبو يعلى والتزار ورجال الجميع ثقات .

لنلت : (نلته) والنيل والنائل ما نلته وما أصاب منه نيلاً ولا نيلة ولا نولة . الصفر : النحاس مخلوط بغيره . أزاوله : (زاوله) مزاوله وزوالاً : عالجته وحوله وطلبه القوارير : الزجاج . نستبق : (استبقا) : تسابعا .

يستطيعه من أخلاقهم . وغلب على بعض المسلمين تصوّر أن المرحلة المكية لم يحدث فيها تغيير للمنكر باليد ، وهذه الحادثة تدل على عكس ذلك ، ولكننا ننبه دائماً على أن تغيير المنكر يحتاج إلى موازنات كثيرة ، حتى لا يؤدي تغيير منكر إلى منكر أكبر .

* * *

فصل : في الإسراء والمعراج

١ - تحدّث القرآن عن الإسراء في سورة الإسراء وعن المعراج في سورة النجم ، وذكر حكمة الإسراء في سورة الإسراء بقوله : ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ ^(١) وقال في سورة النجم بعد ذكر ما حدث : ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ ^(٢) . لقد كانت حكمة الإسراء والمعراج أن يُريَ اللهَ رسولَهُ من آياته الكبرى توطئة لمرحلة المجابهة المسلحة ، فن حكمة الله أنه عندما كلّف موسى بمواجهة فرعون أراه آياته الكبرى لأنها مواجهة تحتاج إلى مزيد من اليقين : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ ﴾ ^(٣) .

لقد كانت رؤية الآيات الكبرى توطئة للأمر بمواجهة فرعون ، وكان الإسراء والمعراج توطئة للهجرة ولأعظم مواجهة على مدى التاريخ للكفر والضلال والفسوق ، والآيات التي رآها رسول الله ﷺ كثيرة :

الذهاب إلى بيت المقدس ، العروج إلى السماء ، رؤية الغيب الذي دعا إليه : الأنبياء والمرسلين ، الملائكة ، السماوات ، الجنة والنار ، ناذج من النعم والعذاب ، ولقد رأى الله عز وجل ذاته بقلبه أو بعيني بصره على قول .

وبذلك يكون قد شاهد عياناً ما دعا إليه الناس من الإيمان بالغيوب ، وكان بذلك الشاهد المبصر على أمر الغيوب :

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَذَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِآذِنِهِ وَيَسْأَلُا مُنِيرَا ﴾ ^(٤) .

٢ - هذا والإسراء والمعراج من معجزاته عليه الصلاة والسلام التي تقوم بها الحجة على

(١) الإسراء : ١ .

(٢) النجم : ١٨ .

(٣) طه : ١٧ - ٢٤ .

(٤) الأحزاب : ٤٥ - ٤٦ .

الخلق ، لا من حيث أنها خارقتان حدثتا له وأخبر الناس عنها - وهو الصادق المصدوق - ثم أكد وقوعهما القرآن ، فذلك حجة بالنسبة للمؤمن ، ولكن بما رافق ذلك من مشاهد أخبر بها الناس ما كان ليستطيع الإخبار بها لولا أنه قد أسري به عليه الصلاة والسلام .

٣ - ولقد حدث نوع آخر من المعراج لرسول الله ﷺ بالروح أو بالرؤيا ، مما جعل الأمر يختلط على بعضهم ، والأمر من النصوص واضح فالإسراء والمعراج كانا بالجسد والروح ، وهذا لا ينبغي أن يكون له عليه الصلاة والسلام معراج آخر كان توطئة أو تأكيداً ، سابقاً أو لاحقاً على المعراج الذي تحدث عنه القرآن .

٤ - وفي الإسراء والمعراج علوم وأسرار ودقائق ودروس وعبر ، فهو يؤكد وجود السماوات السبع - وهي من أمر الغيب عندي بما فيها - وفي المعراج ، فرضت الصلوات الخمس ، وأوتي رسول الله ﷺ خواتيم سورة البقرة ، فذلك إيمان وعمل ورمز على معان كثيرة ، منها أن الصلاة معراج القلب .

قال الأستاذ أبو الحسن الندوي :

ولم يكن الإسراء مجرد حادث فردي بسيط رأى فيه رسول الله ﷺ الآيات الكبرى ، وتجلي له ملكوت السماوات والأرض مشاهدة وعياناً - بل زيادة إلى ذلك - اشتملت هذه الرحلة النبوية الغيبية على معان عميقة دقيقة كثيرة ، وشارات حكيمة بعيدة المدى : فقد ضمت قصة الإسراء ، وأعلنت السورتان الكريمتان اللتان نزلتا في شأنه وتسميان سورة (الإسراء) وسورة (النجم) أن محمداً ﷺ هو نبي القبلتين ، وإمام المشرقين والمغربين ، ووارث الأنبياء قبله ، وإمام الأجيال بعده ، فقد التقت في شخصه وفي إسرائه مكة بالقدس ، والبيت الحرام بالمسجد الأقصى ، وصلى الأنبياء خلفه ، فكان هذا إيذاناً بعموم رسالته وخلود إمامته وإنسانية تعاليمه ، وصلاحياتها لاختلاف المكان والزمان ، وأفادت هذه السورة الكريمة تعيين شخصية النبي ﷺ ووصف إمامته وقيادته وتحديد مكانة الأمة التي بعث فيها وأمنت به ، وبيان رسالتها ودورها الذي ستمثله في العالم ، ومن بين الشعوب والأمم .

وفي صبيحة ليلة الإسراء جاء جبريل وعلم رسول الله ﷺ كيفية الصلاة وأوقاتها ، وكان عليه الصلاة والسلام وأصحابه يصلّون ركعتين صباحاً ومثلها مساء .

زمن الإسراء والمعراج :

قال المباركفوري في الرحيق المختوم :

واختلف في تعيين زمنه على أقوال شتى :

- (١) فقيل : كان الإسراء في السنة التي أكرمها الله فيها بالنبوة ، اختاره الطبري .
- (٢) وقيل : كان بعد المبعث بخمس سنين ، رجح ذلك النووي والقرطبي .
- (٣) وقيل : كان ليلة السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٠ من النبوة ، واختاره العلامة المنصورفوري .

(٤) وقيل : قبل الهجرة بستة عشر شهراً ، أي في رمضان سنة ١٢ من النبوة .

(٥) وقيل : قبل الهجرة بسنة وشهرين ، أي في المحرم سنة ١٣ من النبوة .

(٦) وقيل : قبل الهجرة بسنة ، أي في ربيع الأول سنة ١٣ من النبوة .

ورُدَّتْ الأقوال الثلاثة الأولى ؛ بأن خديجة رضي الله عنها توفيت في رمضان سنة عشر من النبوة ، وكانت وفاتها قبل أن تفرض الصلوات الخمس . ولا خلاف أن فرض الصلوات الخمس كانت ليلة الإسراء . أما الأقوال الثلاثة الباقية فلم أجد ما أرجح به واحداً منها ، غير أن سياق سورة الإسراء يدل على أن الإسراء متأخر جداً .

قال البوطي : والذي رواه ابن سعد في طبقاته أنها كانت قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً .

الإيمان بالإسراء والمعراج :

قال الشيخ أديب الكيلاني رحمه الله في شرحه على جوهرة التوحيد :

وأجزم بمعراج النبي ﷺ كما رووا : أي أعتقد جازماً بعروج النبي ﷺ وصعوده إلى

الساوات السبع إلى سدره المنتهى إلى حيث شاء الله بعد الإسراء به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، حال كون العروج الذي جازمت به مثل الذي رواه أهل الحديث والتفسير والسير . وقد استغنى الناظم بذكر المعراج عن الإسراء لشهرة إطلاق أحد الاسمين على ما يعم مدلوليهما ، وهو سيره ﷺ ليلاً إلى أمكنة مخصوصة على وجه خارق للعادة . والحق أنه كان يقظة روحاً وجسداً خلافاً لمن قصره على المنام ، والإسراء ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين ، فمن أنكره كفر ، وأما المعراج فثابت بالأحاديث المشهورة من المسجد الأقصى إلى الساوات السبع ، ومنها إلى الجنة ، ثم إلى المستوى أو العرش وبخبر الواحد ، لذا لا يكفر منكره بل يفسق . والتحقيق أنه لم يصل إلى العرش .

الإسراء بالروح وبالجسد :

وقال الدكتور البوطي :

كان الإسراء والمعراج بكل من الروح والجسد معاً . على ذلك اتفق جمهور المسلمين من المتقدمين والمتأخرين . قال النووي في شرح مسلم ما نصه :

والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أُسري بجسده ﷺ ، والآثار تدل عليه لمن طالها وبُحث عنها ، ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج إلى تأويل .

ويقول ابن حجر في شرحه على البخاري : إن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسده وروحه ، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ، ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل .

ومن الأدلة التي لا تقبل الاحتمال على أن الإسراء والمعراج كانا بالجسد والروح ، ما ذكرنا من استعظام مشركي قريش لذلك ، وتعجبهم للخبر وسرعة تكذيبهم له . إذ لو كانت المسألة مسألة رؤيا وكان إخباره إياها لذلك على هذا الوجه ، لما استدعى الأمر منهم أي

تعجب أو استعظام أو استنكار ، لأن الرئيات في النوم لا حدود لها ، بل ويجوز مثل هذه الرؤيا حينئذ على المسلم والكافر ، ولو كان الأمر كذلك لما سأله أيضاً عن صفات بيت المقدس وأبوابه وسواريه بقصد الإلزام والتحدي .

أما كيف تمت هذه المعجزة وكيف يتصورها العقل فكما تم كل معجزة غيرها من معجزات الكون والحياة !... لقد قلنا آنفاً أن كل مظاهر هذا الكون ليست في حقيقتها إلا معجزات ، فكما تتصورها العقول في سهولة ويسر يمكن لها أن تتصور هذه أيضاً في سهولة ويسر . وقال الدكتور البوطي :

احذر وأنت تبحث عن قصة الإسراء والمعراج أن تركز إلى ما يسمى بـ (معراج ابن عباس) فهو كتاب ملفق من مجموعة أحاديث باطلة لا أصل لها ولا سند . اهـ .

قلت : وبعضها صحيح ، إلا أن التمييز عسير على غير أهل العلم .

وسنرد هنا الروايات دون توقف ؛ لأن الحادثة وما جرى فيها من أمر الغيب الذي يجب الإيمان به والتسليم . وما يضيء لنا فهم بعض النصوص أن نعرف أن هناك اتجاهين يقول : إن حادثة الإسراء قد تكررت وأن حادثة المعراج قد تكررت ، وهناك اتجاه يقول : إنه قد كان بين يدي المعراج رؤيا مهدت له ووطأت ، وبذلك يجمع بين النصوص .

ولقد كان الإسراء على البراق ، أما المعراج فهناك قولان فيه فبعضهم ذهب أنه كان على البراق ، وبعضهم ذهب إلى أنه نصب شيء فكان العروج عليه .

١٤٦ - روى ابن حبان عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالاً تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمِقَارِ يَضَ مِنْ النَّارِ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ ؟ فَقَالَ : الْخُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ » .

١٤٧ - * روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :
 « لما كان ليلة أُسْرِي بي وأصبحت بمكة فظيئتُ بأمرِي ، وعرفتُ أن الناسَ
 مُكذِّبِي ، فقعدتُ مُعْتَزِلاً حَزِيناً » ، فرُّ به عدوُّ الله أبو جهل ، فجاء حتَّى جلسَ إليه
 فقال له كالمستهزئ : هل كان من شيء ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « نعم » قال : وما هو ؟
 قال : « إنه أُسْرِي بي الليلة » قال : إلى أين ؟ قال : « إلي بيت المقدس » قال : ثمَّ
 أصبحتَ بين ظهرائِنَا ؟ قال : « نعم » فلم ير أنه يكذِّبه ، مخافة أن يحده الحديث إذا دعا
 قومه إليه ، قال : أرايتَ إن دعوتُ قومك أتحدثهم ما حدثتني ؟ قال : « نعم » قال : هيا
 معشرَ بني كعب بن لؤي حتَّى قال : فانتقضتُ إليه المجالسُ وجاءوا حتَّى جلسوا إليهما قال :
 حَدَّثْ قومك بما حدثتني ، فقال رسولُ الله ﷺ : « إني أُسْرِي بي الليلة » قالوا : إلى
 أين ؟ قال : « إلى بيت المقدس » قالوا : ثمَّ أصبحتَ بين ظهرائِنَا ؟ قال : « نعم » قال :
 فن بين مصفِّي ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً للكذب - زعم - قالوا : وهل تستطيع
 أن تنعتَ لنا المسجدَ ؟ وفي القوم من قد سافرَ إلى ذلك البلدِ ورأى المسجدَ ، فقال رسولُ
 الله ﷺ : « فذهبتُ أنعتُ فمازلتُ انعتُ حتَّى التبتُ عليَّ بعضُ النعتِ قال :
 فجيءُ بالمسجدِ وأنا أنظرُ حتَّى وُضِعَ دون دار عقاب أو عَقِيل فنعتُهُ ، وأنا أنظرُ
 إليه قال : وكانَ مع هذا نعتٌ لم أحفظُهُ » قال : فقال القومُ : أمَّا النعتُ فوالله لقد
 أصاب .

١٤٨ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « ليلة

١٤٧ - أحمد في مسنده (٣٠٩ / ١) والبخاري : كشف الأستار (٤٦ / ١) ، وأورده الميمني في مجمع الزوائد (٦٥ / ١)
 وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح .
 فطلعت بأمرِي : أي : اشتد علي رهبته .

١٤٨ - البخاري (٤٧٦ / ٦) ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء - ٤٨ - باب : قول الله تعالى : ﴿ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ
 انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ .

ومسلم (١٥٤ / ١) ، ١ - كتاب الإيمان - ٧٤ - باب : الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلاة .
 والترمذي (٣٠٠ / ٥) ٤٠ - كتاب التفسير - ١٨ - باب : ومن سورة بني إسرائيل .
 مضطرب : رجل مضطرب الخلقة ، يجوز أن يُريد به : أنه غير متناسب الخلقة ، وأن أعضائه متباينة ، لكنه قال
 في حديث آخر في صفة موسى عليه السلام : « إنه ضربٌ من الرجال » والضرب : الرقيق ، فيجوز على هذا أن =

أُسْرِيَ بِهِ لَقِيتُ مُوسَى ، قَالَ : فَنَعْتُهُ فَإِذَا رَجُلٌ - حَسِبْتُهُ قَالَ : مُضْطَرَبٌ - رَجُلُ الرَّأْسِ ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ ، قَالَ : وَلَقِيتُ عِيسَى ، فَنَعْتُهُ النَّبِيُّ ﷺ ، رُبْعَةٌ أَحْمَرُ كَأَنَّا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ - يَعْنِي : الْحَمَامَ - وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ ، وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدَهُ بِهِ ، قَالَ : وَأَتَيْتُ بِنَاءَ بَيْنِ أَحَدَهُمَا لَبَنٌ ، وَالْآخَرُ فِيهِ خَمْرٌ ، فَقِيلَ لِي : خُذْ أُيُّهُمَا شِئْتَ ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ ، فَقِيلَ لِي : هُدَيْتَ الْفِطْرَةَ - أَوْ أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ - أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْحَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ .

وفي رواية نحوه ، وفيه : « فَإِذَا مُوسَى ، ضَرَبَ مِنَ الرِّجَالِ ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ » .

في رواية لمسلم ^(١) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ ، وَقَرِيشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ ؟ فَسَأَلْتَنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أَثْبِتْهَا ، فَكُرِّبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِّبْتُ مِثْلَهَا قَطُّ ، قَالَ : فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي ، أَنْظِرْ إِلَيْهِ ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي ، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرَبَ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ ، وَإِذَا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ قَائِمٌ يُصَلِّي ، أَقْرَبَ النَّاسِ بِهِ شَبْهًا عُرُوَّةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي ، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ : صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ فَحَآنَتِ الصَّلَاةَ فَأَمَمَتْهُمْ ، فَلَمَّا فَرَغَتْ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ : يَا مُحَمَّدُ هَذَا مَالِكُ صَاحِبِ النَّارِ ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَالتَفْتُ إِلَيْهِ ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ » .

= يكون قوله : « مضطرب » أنه مُتَعَمِّلٌ مِنَ الضَّرْبِ ، أَي : أَنَّهُ مُسْتَدَقٌّ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . دِيمَاسُ : الدِّيمَاسُ فِي اللَّفْظِ الظُّلْمَةُ ، وَيُسَمَّى الْكَنْ دِيمَاسًا ، وَالشَّرِبُ دِيمَاسًا ، وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْحَدِيثِ مَفْسُورًا بِالْحَمَامِ ، وَلَمْ أَرَهُ فِي اللَّفْظِ ، وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ فِي كِتَابِ (الصَّحَاحِ) فِي تَفْسِيرِ الْحَدِيثِ : إِنَّهُ أَرَادَ بِهِ : الْكَنْ ، وَكَذَلِكَ قَالَ الْمَرْوِيُّ : أَرَادَ بِهِ الْكَنْ أَوْ الشَّرِبَ . الْفِطْرَةُ : الْخَلْقَةُ ، وَالْفِطْرَةُ . الْإِسْلَامُ . غَوَتْ : الْغَيُّ : الضَّلَالُ ، وَهُوَ ضِدُّ الرِّشَادِ .

(١) مسلم (١ / ١٥٦) - ١ - كتاب الإيمان - ٧٥ - باب : ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال .

١٤٩ - * روى: مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أُتَيْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عِنْدَ الْكُثَيْبِ الْأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يَصَلِّي فِي قَبْرِهِ » .

١٥٠ - * روى عبد الله بن أحمد عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِيَةٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَعَهَا فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهَا ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ فَلَمَّا جَاءَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَافْتَتَحَ ، قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قَالَ : هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ : قَالَ : نَعَمْ ، مَعِيَ مُحَمَّدٌ : قَالَ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ، قَالَ : نَعَمْ فَافْتَتَحَ ، فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا إِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوَدَةٌ ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوَدَةٌ ، وَإِذَا نَظَرْتُ قَبْلَ يَمِينِهِ تَبَسَّمَ ، وَإِذَا نَظَرْتُ قَبْلَ يَسَارِهِ بَكَى ، قَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْإِنِّ الصَّالِحِ ، قَالَ : قُلْتُ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ هَذَا آدَمُ وَهَذِهِ الْأَسْوَدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نِسَمٌ بَنِيهِ فَأَهْلُ الْيَمِينِ هُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَالْأَسْوَدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ فَإِذَا نَظَرْتُ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ ، وَإِذَا نَظَرْتُ قَبْلَ شِمَالِهِ بَكَى ، قَالَ : ثُمَّ عَرَجَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى جَاءَ السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَقَالَ لِخَازِنِهَا : افْتَحْ ، فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ خَازِنُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَفَتَحَ لَهُ » .

١٥١ - * روى الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت : لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ ، فَارْتَدَّتْ نَاسٌ مِمَّنْ كَانُوا آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ وَسَعَوْا بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالُوا : هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ

١٤٩ - مسلم (٤ / ١٨٤٥) ٤٢ - كتاب الفضائل - ٤٢ - باب من فضائل موسى عليه السلام .

والنسائي (٣ / ٢١٥) . كتاب قيام الليل ، باب : ذكر صلاة نبي الله موسى عليه السلام .
الكشيبي : الرمل المرتفع للمستطيل المحدود .

١٥٠ - المسند (٥ / ١٤٢) .

جمع الزوائد (١ / ٦٦) وقال : رواه عبد الله من زياداته على أبيه ورجاله رجال الصحيح .

أسودة : جمع قلة لسواد وهو الشخص لأنه يرى من بعيد أسود .

١٥١ - المستدرک (٣ / ٦٢) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَقَالَ : أَوْ قَالَ ذَلِكَ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ . قَالُوا : أَوْ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ ؟ قَالَ . نَعَمْ إِنِّي لأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ بِخَيْرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ فَلِذَلِكَ سَمِيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ .

١٥٢ - * روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَقْرَأُ أَمْسَكَ مِنِّي السَّلَامَ ، وَأَخْبِرْهُمْ : أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ ، عَذْبَةُ الْمَاءِ ، وَأَنْهَا قِيَعَانٌ ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ » .

١٥٣ - * روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيَقْبُضُ مِنْهَا ، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يَهْبِطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيَقْبُضُ مِنْهَا . قَالَ ﷺ إِذَا يَفْقَى السِّدْرَةَ مَا يَفْقَى ﴿ ١ ﴾ قَالَ : فَرَأَى مِنْ ذَهَبٍ ، قَالَ : فَأَعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا : أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَغَفَرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمَقْعَاتِ .

وفي رواية الترمذي (٢) قَالَ : لَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى ، قَالَ : انْتَهَى إِلَيْهَا مَا يُعْرَجُ مِنَ الْأَرْضِ وَمَا يَنْزِلُ مِنْ فَوْقِ ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ عِنْدَهَا ثَلَاثًا ، لَمْ يُعْطِ نَبِيًّا كَانَ قَبْلَهُ : فَرِضْتُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ خَمْسًا ، وَأَعْطَيْتُ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَغَفَرْتُ لَأُمَّتِهِ الْمَقْعَاتِ .

١٥٢ - الترمذي (٥١٠ / ٥) ٤٩ - كتاب الدعوات - باب : ٥٩ . وحسنه وهو كما قال (م) .

قِيَعَان : جمع قاع ، وهو المكان المستوي الواسع في وطاء من الأرض يعلوه ماء السماء فيسكه ويستوي نباته ، ويجمع القاع : قِيعَةً ، وقِيَعَانًا ، هِرَاسًا : الْفِرَاسُ : مصدر غَرَسَ الشَّجَرَةَ غَرْسًا وَفِرَاسًا : إِذَا نَصَبَهَا فِي الْأَرْضِ .

١٥٣ - مسلم (١ / ١٥٧) ١ - كتاب الإيمان (٧٦) - باب في ذكر سدرَةِ الْمُنْتَهَى . والنسائي (١ / ٢٢٣) .

فَرَأَى مِنْ ذَهَبٍ : الْفَرَاشُ : هذا الحيوان الذي يرمي نفسه في النار وضوء السراج . الْمَقْعَاتِ : هي الذنوب التي تقحم صاحبها في النار ، أي : تلقية فيها .

(١) النجم : ١٦ .

(٢) الترمذي (٥ / ٣٩٣) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٥٤ - باب : ومن سورة النجم قال أبو عيسى : هذا حديث

حسن صحيح

ما لَمْ يَشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا . قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : ﴿ إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾ قَالَ : السُّدْرَةُ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، قَالَ سَفْيَانٌ : فَرَّاشٌ مِنْ ذَهَبٍ ، وَأَشَارَ سَفْيَانُ بِيَدِهِ فَأَرَعَدَهَا .

وفي رواية « إليها ينتهي علمُ الخلقِ ، لا عِلْمَ لَهُمْ بِمَا فَوْقَ ذَلِكَ » .

جاء في هذه الرواية أنَّ سُدْرَةَ المنتهى في السماء السادسة ، وهذا خلاف المشهور .

قال الحافظ ابن حجر :

وقال القرطبي في (المفهم) : ظاهر حديث أنس أنها في السابعة لقوله بعد ذكر السماء السابعة « ثم ذهب بي إلى السدرة » وفي حديث ابن مسعود أنها في السادسة ، وهذا تعارض لاشك فيه ، وحديث أنس هو قول الأكثر ، وهو الذي يقتضيه وصفها بأنها التي ينتهي إليها علم كل نبي مرسل وكل ملك مقرب على ما قال كعب ، قال : وما خلفها غيب لا يعلمه إلا الله أو من أعلمه ، وبهذا جزم إسماعيل بن أحمد ، وقال غيره : إليها منتهى أرواح الشهداء ، قال : ويترجح حديث أنس بأنه مرفوع ، وحديث ابن مسعود موقوف ، كذا قال .

١٥٤ - * روى البزار والطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « بَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ إِذْ جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَوَكَّرَ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَقَمْتُ إِلَى شَجَرَةٍ فِيهَا كَوْكَبِي الطَّيْرُ فَقَعَدْتُ فِي أَحَدِهَا وَقَعَدْتُ فِي الْآخَرِ ، فَسَمْتُ وَارْتَفَعْتُ حَتَّى سَدْتُ الْحَافِقَيْنِ وَأَنَا أَقْلِبُ طَرْفِي وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَمَسَ السَّمَاءَ لَمَسَسْتُ ، فَالْتَفَتُ إِلَى جِبْرِيلَ كَأَنَّهُ جَلَسَ لَاطِيٍّ فَعَرَفْتُ فَضْلَ عِلْمِهِ بِاللَّهِ عَلَيَّ وَفَتَحَ بَابَ مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ وَرَأَيْتُ النُّورَ الْأَعْظَمَ ، وَإِذَا دُونَ الْحِجَابِ رَفْرَفَةُ الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ فَأُوحِيَ إِلَيَّ مَا شَاءَ أَنْ يُوحَى » .

١٥٥ - * روى البخاري عن قتادة بن دعامة : عن أنس بن مالك بن صعصعة : أنَّ نبيَّ

١٥٤ - البزار : كشف الأستار (١ / ٤٧) .

مجمع الزوائد (١ / ٧٥) وقال . رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح .

لاطية : لاطاً بالشيء لاطناً : لثق . المجلس : ما ولي ظهره لدابة القتب والسرجه ، وما يبسط في البيت من حصيرة ونحوه ، ويقال هو مجلس بيته : لا يبرحه .

١٥٥ - البخاري (٢ / ٢٠١) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٤٢ - باب المعراج .

الله ﷺ حدثه عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِي ، قَالَ : « بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَاطِيطِ - وَرَبِّمَا قَالَ : فِي الْحِجْرِ - مُضْطَجِعًا - إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدْ - قَالَ : وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : فَشَقُّ - مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ ، فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ ، وَهُوَ إِلَى جَنْبِي : مَا يَعْني بِهِ ؟ قَالَ : مِنْ ثَغْرَةِ غُحْرِهِ إِلَى شَعْرَتِهِ ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : مِنْ قَصِّهِ إِلَى شَعْرَتِهِ ، فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي ، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيْمَانًا ، فَغَسِلَ قَلْبِي ، ثُمَّ حُشِيَ ، ثُمَّ أُعِيدَ ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ ، دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَيْضًا ، فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ : هُوَ الْبَرَّاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ ؟ فَقَالَ أَنَسٌ : نَعَمْ يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرَفِهِ ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا ، فَاسْتَفْتَحَ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَفَتَحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ ، فَإِذَا فِيهَا آدَمُ ، فَقَالَ : هَذَا أَبُوكَ آدَمُ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ السَّلَامَ ، وَقَالَ : مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ ، فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قَالَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَفَتَحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ ، فَإِذَا يَحْيَى وَعِيسَى وَهَمَّا ابْنَا خَالَةٍ ، قَالَ : هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا ، فَسَلَّمْتُ ، فَرَدَّا ، ثُمَّ قَالَا : مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ

= إِذْ أَتَانِي آتٍ : هُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ . ثَغْرَةُ النَمَرِ : الثَّغْرَةُ : الثَّقَرَةُ الَّتِي بَيْنَ التَّرْقُوتَيْنِ . الْقَمَصُ : رَأْسُ الصَّدْرِ ، وَقِيلَ : وَسَطُهُ .

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ : قَوْلُهُ « إِيْمَانًا » زَادَ فِي يَدِهِ الْخَلْقُ « وَحِكْمَةً » وَهِيَ بِالنَّصَبِ عَلَى الْقِيَازِ ، قَالَ النَّوَوِيُّ : مَعْنَاهُ أَنَّ الطَّسْتَ كَانَ فِيهَا شَيْءٌ يَحْصُلُ بِهِ زِيَادَةُ كَالِ الْإِيْمَانِ وَكَالِ الْحِكْمَةِ وَهَذَا الْمَلَاءُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَقِيقَتِهِ ، وَتَجْسِيدُ الْمَعَانِي جَائِزٌ كَمَا جَاءَ أَنَّ سُورَةَ الْبَقَرَةِ تَجْمِءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُلُّهَا ظِلَّةً ، وَاللَّوْتُ فِي صُورَةِ كَيْشٍ ، وَكَذَلِكَ وَزْنَ الْأَعْمَالِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِ الْغَيْبِ . وَقَالَ الْبِيضَاوِيُّ : لَعَلَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ التَّثْيِيلِ ، إِذْ تَثْيِيلُ الْمَعَانِي قَدْ وَقَعَ كَثِيرًا ، كَمَا مَثَلَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فِي عَرْضِ الْحَائِطِ ، وَفَائِدَتُهُ كَتَفُ الْمَعْنَوِيِّ بِالْحُسُوسِ . وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَمْرَةَ : فِيهِ أَنَّ الْحِكْمَةَ لَيْسَ بِعَدِ الْإِيْمَانِ أَجَلُ مَهَا ، وَلِذَلِكَ قُرِنَتْ مَعَهُ ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۚ وَأَصْحًا مَا قِيلَ فِي الْحِكْمَةِ أَنَّهَا وَضْعُ الشَّيْءِ فِي مَحَلِّهِ ، أَوْ التَّهَمُّ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، فَعَلَى التَّفْسِيرِ الثَّانِي قَدْ تَوَجَّدَ الْحِكْمَةُ دُونَ الْإِيْمَانِ وَقَدْ لَا تَوَجَّدُ ، وَعَلَى الْأَوَّلِ فَقَدْ يَتَلَازِمَانِ لِأَنَّ الْإِيْمَانِ يَدُلُّ عَلَى الْحِكْمَةِ . أ. هـ .

مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قِيلَ : مَرْحَباً بِهِ ،
فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ ، إِذَا يُوسُفُ (١) ، قَالَ : هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ،
فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ ، ثُمَّ قَالَ : مَرْحَباً بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، ثُمَّ صَعِدَ بِي
حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ ، فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جَبْرِيلُ ، قِيلَ
وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قِيلَ : مَرْحَباً بِهِ
فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَفَتَحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ ، فَإِذَا إِدْرِيسُ ، قَالَ : هَذَا إِدْرِيسُ
فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ ، ثُمَّ قَالَ : مَرْحَباً بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ثُمَّ
صَعِدَ بِي ، حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ ، فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ :
جَبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ
قِيلَ : مَرْحَباً بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ ، فَإِذَا هَارُونَ ، قَالَ : هَذَا
هَارُونَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ ، ثُمَّ قَالَ : مَرْحَباً بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ
الصَّالِحِ ، ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ ، فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ :
جَبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ
قِيلَ : مَرْحَباً بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ ، فَإِذَا مُوسَى ، قَالَ : هَذَا
مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ ، ثُمَّ قَالَ : مَرْحَباً بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ
الصَّالِحِ ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَّى ، قِيلَ لَهُ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : أَبُكِّي ، لِأَنْ غَلَاماً
بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى
السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جَبْرِيلُ ، قِيلَ :
وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قِيلَ : مَرْحَباً

(١) قال الحافظ في الفتح : قوله « فلما خلصت إذا يوسف » زاد مسلم في رواية ثابت عن أنس : « فإذا هو قد أعطي شطر الحسن » وفي حديث أبي سعيد عند البيهقي وأبي هريرة عند ابن عائد والطبراني : « فإذا أنا برجل أحسن ما خلق الله ، قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب » وهذا ظاهره أن يوسف عليه السلام كان أحسن من جميع الناس ، لكن روى الترمذي من حديث أنس : ما بعث الله نبياً إلا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم أحسنهم وجهاً وأحسنهم صوتاً ، فعلى هذا يحمل حديث للعراج على أن المراد غير النبي ﷺ ، ويؤيده قول من قال : إن التكلم لا يدخل في عموم خطابه ، وأما حديث الباب فقد حمله ابن المنير على أن المراد : أن يوسف أعطي شطر الحسن الذي أوتيته نبيينا ﷺ ، والله أعلم .

به ، ونعم المجيء جاء ، فلما خلصت ، فإذا إبراهيم ، قال : هذا أبوك ، فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ، ثم رفعت إلى سيدة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، قال : هذه سيدة المنتهى ، فإذا أربعة أنهار : نهران باطنان ، ونهران ظاهران ، فقلت : ما هذان يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان ، فههران في الجنة ، وأما الظاهران ، فالنيل والفرات ^(١) ، ثم رفع لي البيت المعمور ، ثم أتيت ياناء من خمير وإناء من لبن ، وإناء من عسل ، فأخذت اللبن ، فقال : هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك ، قال : ثم فرضت علي الصلاة ، خمسين صلاة كل يوم ، فرجعت فمررت على موسى ، فقال : يم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإني والله قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عني عشر ، فرجعت إلى موسى ، فقال مثله ، فرجعت ، فوضع عني عشر ، فرجعت إلى موسى ، فقال مثله ، فرجعت فأمريت بعشر صلوات كل يوم ، فرجعت فقال مثله ، فرجعت فأمريت بخمس صلوات كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإني قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك ، فاسأله التخفيف لأمتك ، قال : سألت ربي حتى استحييت ، ولكن أرضى وأسلم ، فلما جاؤزت ، نادى مناد : أمضيت فريضتي ، وخففت عن عبادي .

= نبقها مثل قلال هجر : النبق : معروف ، أراد : ثمرة سدة المنتهى و«القلال» جمع قلّة ، وهي الحب يسع مرادة من الماء ، ونسبت إلى « هجر » لأنها تعرف بها . سدة المنتهى : السدر : شجر النبق ، وأما سدة المنتهى ، فهي شجرة في أقصى الجنة ، إليها ينتهي علم الأولين والآخرين .

(١) قال القرطبي « وقيل إنما أطلق على هذه الأنهار أنها من الجنة تشبيهاً لما بأنهار الجنة لما فيها من شدة العزوبة والحسن والبركة .

وفي رواية (١) : « بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِرِ وَالْيَقْظَانِ » وفيه : « ثُمَّ غُسِلَ الْبَطْنُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ مِلِيَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا » وفيه : « فَرَفَعَ لِي الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ ؟ فَقَالَ : هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ ، يُصَلِّي فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخَرُ مَا عَلَيْهِمْ » وفي آخِرِهِ « وَخَفَّفْتُ عَنْهُ عِبَادِي ، وَأَجَزِي بِالْحَسَنَةِ عَشْرًا » .

وفي أخرى (٢) : « بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ ، بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ ، إِذْ سَبَعْتُ قَائِلًا يَقُولُ : أَحَدُ الثَّلَاثَةِ ، بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ ، فَأَتَيْتُ ، فَانْطَلَقَ بِي ، فَأَتَيْتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فِيهَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ ، فَشَرَحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا - يَعْنِي إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ » .

وفي أخرى (٣) : « فَأَتَيْتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُثَلَّثِي حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، فَشَقُّ مِنْ النُّخْرِ إِلَى مَرَاقِ الْبَطْنِ ، فَغُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ » .

وأخرجه النسائي (٤) نحوه بمعناه وأخصر منه ، وهذا أتم وأطول .

وأخرجه الترمذي (٥) إلى قوله : « فَغَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ ، ثُمَّ حُشِيَ إِيمَانًا وَحِكْمَةً » ، قَالَ التِّرْمِذِيُّ : وفي الحديث قصة طويلة ، وَلَمْ يَذْكُرْهَا .

قال الحافظ في الفتح : وقد استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء وقال : إنما كان ذلك وهو صغير في بني سعد ، ولا إنكار في ذلك ، فقد تواردت الروايات به ، وثبت شق الصدر أيضاً عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في (الدلائل) ولكل منهما حكمة فالأول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس « فأخرج علقه فقال : هذا حظ الشيطان

(١) للبخاري (٢٠٢ / ٦) ٥٩ - كتاب بدء الخلق - ٦ - باب : ذكر الملائكة .

(٢) لمسلم (١٥٠ / ١) ١ - كتاب الإيمان - ٧٤ - باب : الإسراء برسول الله ﷺ .

(٣) لمسلم (١٥١ / ١) ١ - كتاب الإيمان - ٧٤ - باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات .

(٤) النسائي (٢١٧ / ١) كتاب الصلاة ، باب فرض الصلاة .

(٥) الترمذي (٤٤٢ / ٥) ٤٨ - كتاب التفسير - ٨٢ - باب : ومن سورة ألم نشرح . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن

منك » وكان هذا في زمن الطفولة فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ، ثم وقع شق الصدر عند البعث زيادة في إكرامه ؛ ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير ، ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ؛ ليتأهب للمناجاة ، ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل ؛ لتقع المبالغة في الإسباغ بمحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه ﷺ . ويحتمل أن تكون الحكمة في انفراج سقف بيته الإشارة إلى ما سيقع من شق صدره وأنه سيلتئم بغير معالجة يتضرر بها ، وجميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته ؛ لصلاحيته القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك ، قال القرطبي في (المفهم) : لا يلتفت لإنكار الشق ليلة الإسراء لأن رواته ثقات مشاهير .

ثم قال : وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم : أن للسماء أبواباً حقيقة وحفظة موكلين بها ، وفيه إثبات الاستئذان ، وأنه ينبغي لمن يستأذن أن يقول : أنا فلان ، ولا يقتصر على (أنا) لأنه ينافي المطلوب الاستفهام ، وأن المأز يسلم على القاعد وإن كان المأز أفضل من القاعد ، وفيه استحباب تلقي أهل الفضل بالبشر والترحيب والثناء والدعاء ، وجواز مدح الإنسان المأمون عليه الافتتان في وجهه ، وفيه جواز الاستناد إلى القبلة بالظهر وغيره مأخوذ من استناد إبراهيم إلى البيت المعمور وهو كالكعبة في أنه قبله من كل جهة ، وفيه جواز نسخ الحكم قبل وقوع الفعل ، وقد سبق البحث فيه في أول الصلاة ، وفيه فضل السير بالليل على السير بالنهار لما وقع من الإسراء بالليل ، ولذلك كانت أكثر عبادته ﷺ بالليل ، وكان أكثر سفره ﷺ بالليل ، وقال ﷺ « عليكم بالدجلة فإن الأرض تطوى بالليل » وفيه أن التجربة أقوى في تحصيل المطلوب من المعرفة الكثيرة ، يستفاد ذلك من قول موسى عليه السلام للنبي ﷺ أنه عالج الناس قبله وجربهم ، ويستفاد منه تحكيم

العادة ، والتنبيه بالأعلى على الأدنى لأن من سلف من الأمم كانوا أقوى أبداناً من هذه الأمة ، وقد قال موسى في كلامه إنه عاجلهم على أقل من ذلك فما وافقوه ، أشار إلى ذلك ابن أبي جرة قال : ويستفاد منه أن مقام الخلعة مقام الرضا والتسليم ، ومقام التكليم مقام الادلال والانبساط ، ومن ثم استبد موسى بأمر النبي ﷺ بطلب التخفيف دون إبراهيم عليه

السلام ، مع أن للنبي ﷺ من الاختصاص بإبراهيم أزيد مما له من موسى لمقام الأبوة ورفعته المنزلة والاتباع في الملة ، وقال غيره : الحكمة في ذلك ما أشار إليه موسى عليه السلام في نفس الحديث من سبقه إلى معالجة قومه في هذه العبادة بعينها وأنهم خالفوه وعصوه ، وفيه أن الجنة والنار قد خلقتا ، لقوله في بعض طرقه التي بينها « عرضت على الجنة والنار » وفيه استحباب الإكثار من سؤال الله تعالى وتكثير الشفاعة عنده ، لما وقع منه في إجابته مشورة موسى في سؤال التخفيف ، وفيه فضيلة الاستحياء ، وبذل النصيحة لمن يحتاج إليها وإن لم يستشر الناصح في ذلك . اهـ .

١٥٦ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان أبو ذر يحدث أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : قَالَ : « قُرْجَ سَقْفُ يَتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ ، فَتَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقُرْجَ صَدْرِي ، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِعَانًا ، فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي ، ثُمَّ أَطْبَقَهُ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي ، فَقَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ ، فَلَمَّا جِئْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِحَازِنِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا : افْتَحْ ، قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا جِبْرِيلُ ، قَالَ : هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، مَعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ ، قَالَ : فَأَرْسِلْ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَفَتَحَ ، قَالَ ، فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَإِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوَدَةٌ ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوَدَةٌ ، قَالَ : فَإِذَا نَظَرْتُ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحِكٌ ، وَإِذَا نَظَرْتُ قَبْلَ شِمَالِهِ بَكَى ، قَالَ : فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، وَالْإِثْنِ الصَّالِحِ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا ، قَالَ : هَذَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهَذِهِ الْأَسْوَدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ أَهْلُ الْجَنَّةِ ، وَالْأَسْوَدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ ، فَإِذَا نَظَرْتُ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحِكٌ ، وَإِذَا نَظَرْتُ

١٥٦ - مسلم (١ / ١٤٨) - كتاب الإيمان - ٧٤ - باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات .

والبخاري (١ / ٤٥٨) - ٨٠ - كتاب الصلاة - ١ - باب : كيف فرضت الصلوات في الإسراء ؟

الأسود : جمع سواد ، والسواد : الشخص ، إنساناً كان أو غيره ، أراد : وحوله أشخاص . تَمَّ بَنِيهِ : النسم جمع نسمة ، وهي كل شيء فيه روح ، وقيل : (النسمة) النفس والروح .

ظَهَرَتْ لِمُسْتَوًى : أي : علوت وارتفعت .، وصرت على ظهره ، والمستوى : المكان للمستوي . صريف الأقدام : الصريف : الصوت ، ومنه : صريف البكرة ، وصريف ناب البعير . الجنابذ : القصور .

قَبْلَ شِمَالِهِ بَكَى ، قَالَ : ثُمَّ عَرَجَ بِي جَبْرِيلُ ، حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ ، فَقَالَ لِخَازِنِهَا : افْتَحْ ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ خَازِنُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَفَتَحَ . فَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ : فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَوَاتِ آدَمَ وَإِدْرِيسَ وَعِيسَى وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

وَلَمْ يَنْبِتْ كَيْفَ مَنَازِلِهِمْ ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ وَجَدَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ . قَالَ : « فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ وَرَسُولُ اللَّهِ بِإِدْرِيسَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، قَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ ، قَالَ : ثُمَّ مَرَّ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا إِدْرِيسُ ، قَالَ : ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ ، قَالَ : هَذَا مُوسَى ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ ، قَالَ : قُلْتُ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ، قَالَ : ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ ، قَالَ : قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : إِبْرَاهِيمُ » .

قال ابن شهاب : وأخبرني ابن حزم ، أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان :
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ
 الأَقْلَامِ » .

قال ابن حزم وأنس بن مالك : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً ، قَالَ : فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ ، حَتَّى أَمَرَ بِمُوسَى ، فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً ، قَالَ لِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَرَأَيْتَ رَبُّكَ ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَطِيقُ ذَلِكَ ، قَالَ : فَرَجَعْتُ رَبِّي ، فَوَضَعَ شَطْرَهَا ، قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ ، قَالَ : رَأَيْتَ رَبُّكَ ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَطِيقُ ذَلِكَ ، فَوَضَعَ شَطْرَهَا ، فَقَالَ لَهُ :

نَأْتِي سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى ، فَغَشِيَهَا الْوَانُ ، لَا أُدْرِي مَا هِيَ ؟ قَالَ : ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ ، فَإِذَا فِيهَا جَنَائِدُ اللَّوْلُؤِ ، وَإِذَا تُرَائِبُهَا الْمِسْكُ .

١٥٧ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ ^(١) . قَالَ : رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

١٥٨ - * روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ ^(٢) ، وفي قوله تعالى : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ ^(٣) ، وفي قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ ^(٤) .

قَالَ فِيهَا كُلُّهَا : رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَهُ سِتْمَائَةٌ جَنَاحٍ - زَادَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ أَيُّ : جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ . كَذَا عِنْدَ مُسْلِمٍ .

وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا

١٥٧ - مسلم (١ / ١٥٨) - ١ - كتاب الإيمان - ٧٧ - باب : معنى قول الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ .

١٥٨ - البخاري (٦ / ٣١٢) - ٥٩ - كتاب بدء الخلق - ٧ - باب : إذا قال أحدكم « آمين » ولللائكة في السماء .

ومسلم (١ / ١٥٨) - ١ - كتاب الإيمان - ٧٦ - باب : في ذكر سدرة المنتهى .

قَابَ قَوْسَيْنِ : قَابُ الشَّيْءِ : قَدْرُهُ ، وَالْمَعْنَى : فَكَانَ قُرْبُ جِبْرِيلَ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ قَدْرُ قَوْسَيْنِ عَرَبِيَّتَيْنِ ، وَقِيلَ : قَابُ الْقَوْسِ : صَدْرُهَا ، حَيْثُ يَشُدُّ عَلَيْهِ السَّيْرُ .

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ : وَ (الْقَابُ) : مَا بَيْنَ الْقَبِيضَةِ وَالسِّيَةِ مِنَ الْقَوْسِ ، قَالَ الْوَاحِدِيُّ : هَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ الْمُفْسِّرِينَ : أَنَّ الْمُرَادَ : الْقَوْسَ الَّتِي يَرْمِي بِهَا ، قَالَ : وَقِيلَ : لِلْمُرَادِ بِهَا : الذَّرَاعُ ، لِأَنَّهُ يُقَاسُ بِهَا الشَّيْءُ ، قُلْتُ : (الْقَائِلُ ابْنُ حَجَرٍ) : وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا الْقَوْلُ هُوَ الرَّاجِحُ ، فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : (الْقَابُ : الْقَدْرُ ، وَالْقَوْسَانِ : الذَّرَاعَانِ) وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ الْقَوْسُ الَّتِي يَرْمِي بِهَا لَمْ يَثَلْ بِذَلِكَ لِحْتَاجٍ إِلَى التَّنْثِيَةِ ، فَكَانَ يُقَالُ مَثَلًا : قَابَ رَمَحٍ ، وَغَوْ ذَلِكَ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُ عَلَى الْقَلْبِ ، وَلِلْمُرَادِ : فَكَانَ قَابَ قَوْسٍ ، لِأَنَّ الْقَابَ : مَا بَيْنَ الْمُقْبِضِ إِلَى السِّيَةِ ، وَلِكُلِّ قَوْسٍ قَابَانِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى خَالَفَتِهِ ، وَقَوْلُهُ : ﴿ أَوْ أَدْنَى ﴾ أَيُّ : أَقْرَبَ . قَالَ الزَّجَّاجُ : خَاطَبَ اللَّهُ الْعَرَبَ بِمَا أَلْفَوْا ، وَالْمَعْنَى : فَمَا تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى عَالِمُ بِالْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ ، لَا تَرُدُّ عَنْهُ ، وَقِيلَ : « أَوْ » بِمَعْنَى « بَل » وَالتَّقْدِيرُ : بَلْ هُوَ أَقْرَبُ مِنَ الْقَدْرِ الْمَذْكُورِ .

(١) النجم : ١٢ .

(٢) النجم : ٩ .

(٣) النجم : ١١ .

(٤) النجم : ١٨ .

أَوْحَى ﴿^(١) قَالَ : رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتَائِدٌ جَنَاحٌ .

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ ^(٢) قَالَ : ﴿ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ قَالَ : رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلَ فِي حُلَّةٍ مِنْ زُفْرِ قَدْ مَلَأَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .

وَلِلْبُخَارِيِّ ^(٣) فِي قَوْلِهِ : ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ قَالَ : زُفْرًا أَخْضَرَ سَدَّ أَفْقَ السَّمَاءِ .

١٥٩ - * رَوَى أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَرَاهُ فِي صُورَتِهِ ، قَالَ : اذْغِ رَبَّكَ عِزًّا وَجَلَّ ، فَطَلَعَ عَلَيْهِ سَوَادٌ مِنْ قَبْلِ الْمَشْرِقِ . قَالَ فَجَعَلَ يَرْتَفِعُ وَيَنْتَشِرُ فَلَمَّا رَأَاهُ النَّبِيُّ ﷺ صَعِقَ فَأَتَاهُ فَنَقَشَهُ وَمَسَحَ الْبَرَقَ عَنْ شِدْقَيْهِ .

١٦٠ - * رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : ﴿ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿^(٤) ، قَالَ : رَأَاهُ بِفُؤَادِهِ ، مَرَّتَيْنِ ، وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ : رَأَاهُ بِقَلْبِهِ ، وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى .

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ ^(٥) قَالَ : رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ ، قُلْتُ : أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ ^(٦) . قَالَ ، وَيُحَاكُ ، ذَاكَ إِذَا تَجَلَّى بِنُورِهِ الَّذِي هُوَ نُورُهُ ، مَرَّتَيْنِ .

وَفِي أُخْرَى لَهُ ^(٧) : ﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ

(١) النجم : ٩ ، ١٠ .

(٢) الترمذي : (٣٩٦ / ٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ٥٤ - باب : ومن سورة النجم . قال أبو عيسى : هذا حديث

حسن صحيح .

(٣) البخاري : (٢١٣ / ٦) ٥٩ - كتاب بدء الخلق - ٧ - باب : إذا قالت للملائكة آمين والملائكة في السماء .

١٥٩ - أحمد في مسنده (٣٢٢ / ١) ، والطبراني (٥٧ / ١١) . قال الميثمي (٢٥٧ / ٨) : رواه أحمد والطبراني ورجلها ثقات .

١٦٠ - مسلم (١٥٨ / ١) ١ - كتاب الإيمان - ٧٧ - باب معنى قول الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ وهل رأى النبي ﷺ ليلة الإسراء .

(٤) النجم : ١١ - ١٤ .

(٥) الترمذي : (٣٩٥ / ٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٥٤ - باب : ومن سورة النجم . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن .

(٦) الأنعام : ١٠٣ .

(٧) الترمذي في الموضع السابق .

مَا أُوحِيَ ﴿ مَا كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَدْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ .
وَلَهُ فِي أُخْرَى : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ قَالَ : رَأَى بِقَلْبِهِ .

١٦١ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :
« عُرِضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ ، فَإِذَا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ ،
وَرَأَيْتُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ، فَإِذَا أَقْرَبُ مِنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهَا : عَزُورَةُ بْنُ مَسْعُودٍ ،
وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِذَا أَقْرَبُ مِنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهَا صَاحِبِكُمْ - يَعْنِي
نَفْسَهُ - وَرَأَيْتُ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِذَا أَقْرَبُ مِنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهَا : دِحْيَةَ بْنِ
خَلِيفَةَ » .

١٦٢ - * روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : قال مجاهد :
أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما وذكروا له الدجال مكتوب بين عينيه كافر ، أو
ك ف ر - قال : لم أسمع ولكنه قال : « أَمَّا إِبْرَاهِيمُ ، فَانْظُرُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ ، وَأَمَّا
مُوسَى : فَجَعَدَ آدَمَ ، عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ مَخْطُومٍ بِخَلْبَةٍ ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ انْحَدَرَ فِي
الْوَادِي » .

وفي رواية ^(١) قَالَ : « ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ فَقَالَ : مُوسَى آدَمَ
طَوَالَ ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ ، وَقَالَ : عِيسَى جَعَدَ مَرْبُوعٌ ، وَذَكَرَ مَالِكًا خَازِنَ
النَّارِ ، وَذَكَرَ الدَّجَالَ » .

زَادَ فِي رِوَايَةٍ : « وَرَأَيْتُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ مَرْبُوعَ الْخَلْقِ ، إِلَى الْحَمْرَةِ وَالْبَيَاضِ ،
سَبَطَ الرَّأْسِ ، وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ ، وَالدَّجَالَ فِي آيَاتِ أَرَاهُنَّ اللَّهُ إِيَّاهُ :
﴿ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ ﴾ ^(٢) .

١٦١ - مسلم (١ / ١٥٣) - ١ - كتاب الإيمان - ٧٤ - باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات .

والترمذي (٥ / ٦٠٤) - ٥٠ - كتاب المناقب ٢١٢ - باب : في صفة النبي ﷺ .

١٦٢ - البخاري (٦ / ٢٨٨) (٦٠) - كتاب الأنبياء (٨) - باب قول الله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ .

خَلْبَةُ : الْخَلْبُ : اللَّيْفُ ، وَاحِدَتُهُ خَلْبَةٌ طَوَالَ : رَجُلٌ طَوَالَ : مِثْلُ طَوِيلٍ .

(١) لمسلم (١ / ١٥٣) - ١ - كتاب الإيمان - ٧٤ - باب الإسراء برسول الله ﷺ .

(٢) المسجدة : ٢٣ .

١٦٣ - * روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ ^(١) . قَالَ : هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ ، أَرَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى يَثِيبِ الْمَقْدِسِ ، ﴿ وَالشَّجَرَةُ الْمُلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ ﴾ هِيَ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ .

قال الحافظ :

واختلف السلف هل رأى ربه في تلك الليلة أم لا ؟ على قولين مشهورين ، وأنكرت ذلك عائشة رضي الله عنها وطائفة ، وأثبتها ابن عباس وطائفة .

١٦٤ - * روى مسلم عن ابن عباس قال : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ ^(٢) قَالَ : رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ .

١٦٥ - * روى البخاري عن مسروق قال : قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : يَا أُمُّنَاةُ ، هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ ؟ فَقَالَتْ : لَقَدْ قَفَّ شِعْرِي مِمَّا قُلْتَ ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ مِنْ حَدَّثَكُمْنَ فَقَدْ كَذَبَ : مِنْ حَدَّثِكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ ، فَقَدْ كَذَبَ ، ثُمَّ قَرَأَتْ ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ^(٣) ﴿ وَمَا كَانَ لِيُشِيرَ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ ^(٤) . وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ ، ثُمَّ قَرَأَتْ : ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ ^(٥) . وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ ، ثُمَّ

١٦٣ - البخاري (٢٠٣ / ٧) - كتاب مناقب الأنصار - ٤٢ - باب المراج .

الترمذي (٣٠٢ / ٥) - ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ١٨ - باب : ومن سورة بني إسرائيل

﴿ لَا فِتْنَةَ لِلنَّاسِ : الْفِتْنَةُ : الْإِخْتِبَارُ وَالْإِبْتِلَاءُ ، وَقِيلَ : أَرَادَ بِهِ الْإِفْتِتَانُ فِي الدِّينِ . وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ . وَحَدَّثَ النَّاسَ بِمَا رَأَى مِنَ الْعَجَائِبِ . صَدَقَهُ بَعْضُ النَّاسِ وَكَذَّبَهُ بَعْضُهُمْ ، فَافْتَتَنُوا بِهَا .

(١) الإسراء : ٦٠ .

١٦٤ - مسلم (١ / ١٥٨) - ١ - كتاب الإيمان - ٧٧ - باب معنى قول الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ ﴿ وَهَلْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ .

قَفَّ لَهُ شِعْرِي : إِذَا سَمِعَ الْإِنْسَانُ أَمْرًا عَظِيمًا هَائِلًا قَامَ شَمْرُ رَأْسِهِ وَبَدَنُهُ ، فَيَقُولُ : قَدْ قَفَّ شِعْرِي لِذَلِكَ .

(٢) النجم : ١١ ، ١٣ .

١٦٥ - البخاري (٦٠٦ / ٨) - ٦٥ - كتاب التفسير ، باب : ١ .

(٣) الأنعام : ١٠٣ .

(٤) الشورى : ٥١ .

(٥) لقمان : ٣٤ .

قَرَأَتْ : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ^(١) الآية . ولكن رأى جبريلَ عليه السلام في صورته مرتين .

١٦٦ - * روى الترمذي عن الشعبي رحمه الله قال : لقيَ ابنُ عباس كُتُبا بِعِرفة ، فسألَهُ عَنْ شَيْءٍ ، فَكَبَّرَ ، حَتَّى جَاوَبَتْهُ الْجِبَالُ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّا بَنُو هَاشِمٍ ، فَقَالَ كَعْبٌ : إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ رُؤْيَا رُؤْيَا بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى ، فَكَلَّمَ مُوسَى مُرَّتَيْنِ ، وَرَأَى مُحَمَّدٌ مُرَّتَيْنِ ، قَالَ مُشْرُوقٌ : فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَقُلْتُ : هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ ؟ فَقَالَتْ : لَقَدْ تَكَلَّمْتُ بِشَيْءٍ قَفَا لَهُ شَعْرِي ، قُلْتُ : رَوَيْدًا ، ثُمَّ قَرَأْتُ : ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ ^(٢) فَقَالَتْ : أَيْنَ يَذْهَبُ بِكَ ؟ إِنَّا هُوَ جِبْرِيلُ ، مَنْ أَخْبَرَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ ، أَوْ كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أَمَرَ بِهِ ، أَوْ يَعْلَمُ الْخُمُسَ الَّتِي قَالَ اللَّهُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ﴾ ^(٣) فَقَدْ أَعْظَمَ الْفِرْيَةَ ، وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ ، لَمْ يَرَ فِي صُورَتِهِ إِلَّا مُرَّتَيْنِ : مَرَّةً عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وَمَرَّةً فِي جَنَادٍ لَهُ سِتْعَائَةُ جَنَاحٍ ، قَدْ سَدَّ الْأَفْقَ .

١٦٧ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لَمَّا كَذَّبْتَنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ ، فَجَلَّا اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمُقَدَّسِ ، فَطَفِئَتْ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ » .

وزاد البخاري في رواية قال : « لَمَّا كَذَّبَنِي قُرَيْشٌ حِينَ أُسْرِيَ بِي إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ... » وذكر الحديث .

قال ابن حجر : قال الشيخ ابن أبي جمرة :

الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس قبل العروج إلى السماء إرادة إظهار الحق لمعاندة من

(١) للمائدة : ٦٧ .

١٦٦ - الترمذي (٥ / ٢٩٤) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٥٤ - باب : ومن سورة النجم . وسنده فيه ضعيف ، لكن له طرق وألفاظ أخرى نحوه عند الشيخين ، الفرية : الكذب ، جياذ : موضع بكة .

(٢) النجم : ١٨ .

١٦٧ - مسلم (١ / ١٥٦) ١ - كتاب الإيمان - ٧٥ - باب : ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال . والبخاري (١٩٦ / ٧) ٦٢ - كتاب مناقب الأنصار - ٤١ - باب : حديث الإسراء .

(٣) لقمان : ٢٤ .

يريد إخماده ؛ لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلاً إلى البيان والإيضاح ، فلما ذكر أنه أسري به إلى بيت المقدس سألوه عن تعريفات جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك ، فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس في ليلة ، وإذا صح خبره في ذلك لزم تصديقه في بقية ما ذكره ، فكان ذلك زيادة في إيمان المؤمن وزيادة في شقاء الجاحد والمعاندة . انتهى ملخصاً .

أقول : ومن ههنا عدّ من المعجزات التي تقوم بها الحجة على الخلق ، ولولا ذلك لكأنت من الغيوب التي يجب الإيمان بها فقط ، ولكن بإظهاره عليه الصلاة والسلام معاني ما كانت لتكون لولا وقوع الحارق قامت الحجة على الناس بأنها معجزة وأن عليهم أن يسموا لصاحبها بالرسالة ، وأن يسموا له بما تقله من أمرها .

* * *

فصل : في بداية دخول الإسلام المدينة المنورة وفي بيعتي العقبة

دخل الإسلام إلى المدينة المنورة على مدار ثلاث سنين قبل الهجرة ، وكان بداية ذلك مجيء وفد من الأوس إلى مكة باحثين عن تحالفات ضد أبناء عمهم الخزرج الذين كانوا في صراع معهم ، فهؤلاء أول ناس طرق سمعهم الإسلام وقد أسلم واحد منهم ، ثم جاء وفد من أهل المدينة معترين في رجب ، فاجتمع بهم رسول الله ﷺ وعرض عليهم الدعوة فأسلموا ثم رجعوا إلى قومهم ، فدعاهم فاستجاب لهم عدد ، فقدم من استطاع منهم إلى الحج وبايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة الأولى ثم عادوا ، وأرسل معهم أو بعدهم رسول الله ﷺ مصعب ابن عمير ففشا الإسلام في المدينة حتى سيطر ، ووافق من أسلم حوالي سبعين في موسم الحج وكانت بيعة العقبة الثانية ، ثم أمر رسول الله ﷺ من بايعه أن يختاروا له اثني عشر تقياً ، يكونون على أقوامهم كفلاء وبين أقوامهم وبين رسول الله ﷺ وسطاء ، وعلى إثر ذلك أمر الرسول ﷺ بالهجرة .

وبقبول أهل المدينة للإسلام من ناحية ولنصرة رسول الله ﷺ تحقق هدفان بآن واحد : هدف النصرة من أهلها وأن هؤلاء مسلمون ، وهذا يقتضي تفصيلاً :

لقد كان الهدف السياسي المرحلي لرسول الله ﷺ في مكة - فيما نعلم - أن يجد من يحميه وينصره ليبلغ دعوة ربه دون أن يقيد هذه النصرة بإسلام هؤلاء ، وباصطلاح عصرنا فإن رسول الله ﷺ كان يبحث عن حرية الدعوة والعبادة في مجتمع قادر على أن يحمي هذه الحرية . قال ابن حجر في الفتح :

وقال موسى بن عقبة عن الزهري : فكان في تلك السنين - أي التي قبل الهجرة - يعرض نفسه على القبائل ، ويكلم كل شريف قوم ، لا يسألهم إلا أن يؤوه ويمنعوه ، ويقول : « لا أكره أحداً منكم على شيء ، بل أريد أن تمنعوا من يؤذيني حتى أبلغ رسالة ربي » فلا يقبله أحد بل يقولون : قوم الرجل أعلم به . اهـ .

ولو أنه استجاب له من يستطيع المنعة والنصرة من العرب لسارت الدعوة غير المسار

الذي سارت فيه باستجابة أهل المدينة للإسلام وللنصرة بآن واحد ، إذ قد تسير الدعوة في الحالة الأولى على مسار تجميع للمستجيبين يعيشون به في ظل الحماية ثم تكون انطلاقة بعد ذلك نحو أرض أخرى ، أما وقد قبل الأنصار الإسلام والنصرة بآن واحد فقد طويت مرحلتان في مرحلة واحدة ، ومع ذلك فقد كان رسول الله ﷺ يتعامل مع الأنصار ابتداءً على أن البيعة كانت على الدفاع ، ولذلك نلاحظ أنه لم يشرك في التحركات العسكرية قبل بدر إلا المهاجرين ، ويوم بدر طلب شورى الأنصار خشية أن يكونوا فهموا من النصرة الدفاع فقط ، مع أن الأنصار دخلوا في الإسلام وقبلوا أحكامه فهم والمهاجرون سواء في التكليف ، ومع ذلك كان رسول الله ﷺ يراعي تلك الظروف .

ومن ههنا نعرف أن أكبر نصر سياسي للإسلام كان في قبول أهل المدينة النصرة وما ترتب على ذلك من هجرة .

ومن ههنا نقول : إنه عندما يكون المسلمون في حالة ضعف وليست لهم دار إسلام يستطيعون الهجرة إليها ، فلهم أن يضعوا هدفاً سياسياً مرحلياً من مثل الوصول إلى حريتهم في الدعوة والعبادة ، وإذا وجدوا في مجتمع يعطيهم ذلك فعليهم أن يعمقوا جذور الإسلام ويطوّروا امتداده ويعملوا لانتصاره .

وقد حلّل الأستاذ الندوي الأسباب التي جعلت المدينة المنورة مؤهلة لقبول الإسلام فقال :

وكان من صنع الله تعالى لرسوله وللإسلام ، أن هيا الله الأوس والخزرج - وهما قبيلتان عربيتان عظيمتان في مدينة يثرب - لتقدرا هذه النعمة التي لا نعمة أعظم منها ، وتسبقا أهل عصرهما ، وأبناء الجزيرة ، إلى الترحيب بالإسلام والدخول فيه ، حين تنكرت له قبائل العرب وفي مقدمتها وعلى رأسها قريش ﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

وقد ساعدت على ذلك عدة عوامل ، هي من خلق الله تعالى وتيسيره وصنعه ، كانت فارقة بين قريش وأهل مكة ، وقبائل يثرب العربية ، منها ما طبعها الله عليه من الرقة واللين وعدم الغلظة في الكبرياء وجحود الحق ، وذلك يرجع إلى الخصائص الدموية

والسلاية التي أشار إليها رسول الله ﷺ حين وقد وفد من الين ، بقوله : « أتاكم أهل الين أرق أفئدة وألين قلوباً » وما ترجعان في أصلها إلى الين ، نرح أجدادهم منها في الزمن القديم ، يقول القرآن مادحاً لهم :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (١) .

ومنها أنها قد أنهكتها الحروب الداخلية ، وما يوم بعث ببعيد ، وقد اکتوا بنارها ، وذاقوا مرارتها ، وعافوها ، ونشأت فيهم رغبة في اجتاع الكلمة ، وانتظام الشمل ، والتفادي من الحروب ، وذلك ما عبروا عنه بقولهم : (إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فإن يجمعهم الله بك ، فلا رجل أعز منك) ، قالت عائشة رضي الله عنها : كان يوم بعث يوماً قدمه الله تعالى لرسوله .

ومنها أن قريشاً ، وسائر العرب قد طال عهدهم بالنبوات والأنبياء ، وأصبحوا يجهلون معانيها بطول العهد ، وبحكم الأمية والإمعان في الوثنية ، والبعد عن الأمم التي تنتسب إلى الأنبياء وتحمل الكتب السماوية - على ما دخل فيها من التحريف والعبث - وذلك ما يشير إليه القرآن بقوله : ﴿ لَتَنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾ (٢) .

أما الأوس والخزرج فكانوا يسمعون اليهود يتحدثون عن النبوة والأنبياء ويتلون صحف التوراة ويفسرونها ، بل كانوا يتوعدونهم به ، ويقولون إنه سيبعث نبي في آخر الزمان ، تقتلكم معه قتل عاد وإرم ، وفي ذلك يقول الله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٣) .

وبذلك لم تكن بين أبناء الأوس والخزرج وسكان المدينة من العرب المشركين تلك

(١) المشر : ٩ .

(٢) يس : ٦ .

(٣) البقرة : ١٦٠ .

الفجوة العميقة الواسعة من الجهل والنفور من المفاهيم الدينية والسنن الإلهية التي كانت بينها وبين أهل مكة وجيرانهم من العرب ، بل قد عرفوها وألفوها عن طريق اليهود ، وأهل الكتاب الذين كانوا يختلطون بهم بحكم البلد والجوار والصلح والحرب والتحالفات ، فلما تعرفوا برسول الله ﷺ وقد حضروا الموسم ، ودعاهم إلى الإسلام ، ارتفعت الفشاوة عن عيونهم ، وكأنهم كانوا من هذه الدعوة على ميعاد .

١٦٨ - * روى أحمد والطبراني عن محمود بن لبيد أخيه بني عبد الأشهل قال لما قدم أبو الجليس أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتئمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج سيع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم فقال لهم : « هل لكم إلى خير مما جئتم له ؟ » قالوا : وما ذاك ؟ قال : « أنا رسول الله بعثني إلى العباد أذعهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل علي الكتاب » ثم ذكر الإسلام وتلا عليهم القرآن . فقال إياس بن معاذ وكان غلاماً حدثاً : أي قوم هذا والله خير مما جئتم له . قال : فأخذ أبو جليس أنس بن رافع حفنة من البطحاء فصرَبَ بها في وجه إياس بن معاذ وقام رسول الله ﷺ عنهم ، وأنصرفوا إلى المدينة ، فكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج قال : ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك قال محمود بن لبيد فأخبرني من حضرة من قومي عند موته أنهم لم يزلوا يستمعونه يهلل الله ويكبره ويحمده ويستبجحه حتى مات ، فما كانوا يشكون أن قد مات مسلماً لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سيع من رسول الله ﷺ ما سيع .

المفروض أن تكون هذه الحادثة قبل خمس سنين من الهجرة لأن موقعة بعاث كانت كذلك على رأي ابن هشام .

١٦٩ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان يوم بعاث يوماً قدمه

١٦٨ - أحمد في مسنده (٥ / ٤٢٧) .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٣٦) وقال : رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات .

بعاث : بضم الباء وهو يوم كان بين الأوس والخزرج فيه قتال قبل الإسلام ، وهو اسم حصن للأوس وبعضهم يقوله بالعين المعجمة وهو تصحيف .

١٦٩ - البخاري (٧ / ١١٠) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ١ - باب مناقب الأنصار .

الملا : الأشراف والجماعة من الناس الذين يكونون رؤوس القوم . السروات : جمع سراة وترية : جمع سري ، وهو =

الله لِرَسُولِهِ ﷺ ، فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدِ افْتَرَقَ مَلَامُ ، وَقَتِلَتْ سَرَوَاتُهُمْ ، وَجَرِحُوا ، فَقَدَّمَهُ اللَّهُ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي دُخُولِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ .

١٧٠ - * روى أحمد عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول : « هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِيهِ ، فَإِنْ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبْلَغَ كَلَامَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ » ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ فَقَالَ : « مِمَّنْ أَنْتَ ؟ » فَقَالَ الرَّجُلُ مِنْ هَمْدَانَ . قَالَ : « فَهَلْ عِنْدَ قَوْمِكَ مِنْ مَنَعَةٍ ؟ » ، قَالَ : نَعَمْ ، ثُمَّ إِنَّ لِلرَّجُلِ خَشْيَةً أَنْ يَحْفَرَهُ قَوْمُهُ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : آتَيْتُهُمْ فَأَخْبَرْتُهُمْ أَنَّكَ مِنْ عَامِرٍ قَابِلٍ ، قَالَ : « نَعَمْ » فَاُنْطَلَقَ وَجَاءَ وَفَدَّ الْأَنْصَارَ فِي رَجَبٍ .

قال ابن حجر في الفتح :

وقد أخرج الحاكم وأبو نعيم والبيهقي في (الدلائل) بإسناد حسن عن ابن عباس : حدثني علي بن أبي طالب قال : لما أمر الله نبيه ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى ، حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب ، وتقدم أبو بكر وكان نسابة فقال : من القوم ؟ فقالوا : من ربيعة . فقال : من أي ربيعة أنتم ؟ قالوا : من ذهل - فذكروا حديثاً طويلاً في مراجعتهم وتوقفهم أخيراً عن الإجابة - قال : ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج ، وهم الذين ساءم رسول الله ﷺ الأنصار لكونهم أجابوه إلى إيوائه ونصره ، قال : فما نهضوا حتى بايعوا رسول الله ﷺ انتهى . وذكر ابن إسحاق أن أهل العقبة الأولى كانوا ستة نفر وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة النجاري ، ورافع بن مالك بن العجلان العجلاني ، وقطبة بن عامر بن حديدة ، وجابر بن عبد الله ابن رثاب ، وعقبة بن عامر - وهؤلاء الثلاثة من بني سلمة - وعوف بن الحارث بن رفاع من بني مالك بن النجار . وقال موسى بن عقبة عن الزهري وأبو الأسود عن عروة : هم أسعد بن زرارة ورافع بن مالك ومعاذ بن عفراء ويزيد بن ثعلبة وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة ، ويقال : كان فيهم عبادة بن الصامت وذكوان . قال ابن إسحاق :

= الشرف الكبير من الناس ، وسراة جمع عزيز ، قال الجوهري : لا يعرف غيره ، وهو أن يجمع فاعل على فاعلة .
١٧٠ - أحمد في مسنده (٢ / ٣٩٠) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٣٥) وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قال : لما رآهم النبي ﷺ قال : من أنتم ؟ قالوا : من الخزرج . قال : أفلا تجلسون أكلكم ؟ قالوا : نعم . فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . وكان مما صنع الله لهم أن اليهود كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهل كتاب ، وكان الأوس والخزرج أكثر منهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا : إن نبياً سيبعث الآن قد أظل زمانه تتبعه ، فنقتلهم معه ، فلما كلمهم النبي ﷺ عرفوا النعت ، فقال بعضهم لبعض : لا تسبقنا إليه اليهود . فأمنوا وصدقوا ، وانصرفوا إلى بلادهم ليدعوا قومهم ، فلما أخبرهم لم يبق دور من قومهم إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ ، حتى إذا كان الموسم وافاه منهم اثنا عشر رجلاً .

١٧١ - * روى الطبراني عن ابن إسحق قال : قلما أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِظْهَارَ دِينِهِ وَإِعْزَازَ نَبِيِّهِ ﷺ وَإِنْجَازَ وَعْدِهِ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَوْسِمِ الَّذِي لَقِيَهِ فِيهِ النَّفَرُ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُمْ فِيهَا يَزْعُمُونَ سِتَّةً فِيهِمْ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبَابٍ ..

١٧٢ - * روى الطبراني عن عُرْوَةَ قَالَ : لَمَّا حَضَرَ الْمَوْسِمَ حَجَّ نَفَرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي مَازِنَ بْنِ النَّجَّارِ مِنْهُمْ مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ وَأَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ ، وَمِنْ بَنِي زُرَيْقٍ رَافِعُ بْنُ مَالِكٍ وَذِكْوَانُ بْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ ، وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ ، وَمِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ عَوْفُ بْنُ سَاعِدَةَ ، وَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَخْبَرَهُمْ خَبْرَ الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ نُبُوَّتِهِ وَكَرَامَتِهِ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ، فَلَمَّا سَمِعُوا قَوْلَهُ أَنْصَتُوا وَاطْمَأْنَنَتْ أَنْفُسُهُمْ إِلَى دَعْوَتِهِ وَعَرَفُوا مَا كَانُوا يَسْتَمْعُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ ذِكْرِهِمْ إِيَّاهُ بِصِفَتِهِ وَمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، فَصَدَّقُوهُ ، وَأَمَنُوا بِهِ ، وَكَانُوا مِنْ أَسْبَابِ الْخَيْرِ ، ثُمَّ قَالُوا لَهُ قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ مِنَ الدَّمَاءِ وَنَحْنُ نَحِبُّ مَا أُرْشَدَ اللَّهُ بِهِ أَمْرَكَ ، وَنَحْنُ لِلَّهِ وَلَكِ مُجْتَهِدُونَ ، وَإِنَّا نَشِيرُ عَلَيْكَ بِمَا تَرَى فَاثْمَكْتُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ حَتَّى نَرْجِعَ إِلَى قَوْمِنَا فنخبرهم بِشَأْنِكَ وَنَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَلَعَلَّ اللَّهَ يُصْلِحَ بَيْنَنَا وَيَجْمَعَ أَمْرَنَا فَإِنَّا الْيَوْمَ مَتَّبَاعِدُونَ مَتَّبَاعُونَ ، فَإِنْ تَقَدَّمَ عَلَيْنَا الْيَوْمَ وَلَمْ نَصْطَلِحْ لَمْ يَكُنْ لَنَا جَمَاعَةٌ عَلَيْكَ ، وَنَحْنُ نَوَاعِدُكَ الْمَوْسِمَ مِنَ الْقَامِ

١٧١ - قال الهيثبي في مجمع الزوائد (٤٢ / ٦) : رواه الطبراني ورجاله ثقات

١٧٢ - قال الهيثبي في مجمع الزوائد (٤٢ / ٦) : رواه الطبراني مرسلًا : وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وهو حسن الحديث ، وبقية رجاله ثقات . أقول : وإنما يحسن حديث ابن لهيعة إذا وافق المشهور ، وهو هنا كذلك .

الْقَابِلِ فَرَضِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الَّذِي قَالُوا ، فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ يَدْعُوْنَهُمْ سِرًّا وَأَخْبَرُوهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالَّذِي بَعَثَهُ اللَّهُ بِهِ ودعا عليه بالقرآن حتى قَلَّ دَارَ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا أَسْلَمَ فِيهَا نَاسٌ لَا مَحَالَةَ ، ثُمَّ بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ ابْعَثْ إِلَيْنَا رَجُلًا مِنْ أَقْبَلِكَ يَدْعُو النَّاسَ بِكِتَابِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ أَدْنَى أَنْ يُتَّبَعَ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِصْعَبَ بْنَ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ ، فَنَزَلَ فِي بَنِي غَنَمٍ عَلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ فَبَجَلَّ يَدْعُو النَّاسَ وَيَفْشُو الْإِسْلَامَ وَيَكْثُرُ أَهْلُهُ وَهُمْ فِي ذَلِكَ مُسْتَخْفُونَ بِدُعَائِهِمْ ، ثُمَّ إِنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ أَقْبَلَ هُوَ وَمِصْعَبُ بْنُ عَمْرِ حَتَّى أَتَيَا بئرَ مَرْقٍ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا ، فَجَلَسُوا هُنَالِكَ ، وَبَعَثُوا إِلَى رَهْطٍ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَأَتَوْهُمْ مُسْتَخْفِينَ ، فَبَيَّنَّا مِصْعَبُ بْنُ عَمْرِ يَحْدِثُهُمْ وَيَقْصُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ أَخْبِرَ بِهِمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَأَتَاهُمْ وَمَعَهُ الرَّمْحُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ عَلَامَ يَأْتِيْنَا فِي دُورِنَا هَذَا الْوَحِيدِ الْفَرِيدِ الطَّرِيعِ الْغَرِيبِ ، يَسْقُ ضَعْفَاءَنَا بِالْبَاطِلِ وَيَدْعُوهُمْ لَا أَرَاكُمْ بَعْدَ هَذَا بِشَيْءٍ مِنْ جَوَارِنَا فَرَجَعُوا ثُمَّ إِنَّهُمْ عَادُوا الثَّانِيَةَ بِبئرِ مَرْقٍ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا ، فَأَخْبَرَ بِهِمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الثَّانِيَةَ ، فَوَاعَدَهُمْ بِوَعِيدِ دُونَ الْوَعِيدِ الْأَوَّلِ فَلَمَّا رَأَى أَسْعَدُ مِنْهُ لِينًا قَالَ : يَا ابْنَ خَالَةٍ اسْتَمِعْ مِنْ قَوْلِهِ فَإِنْ سَمِعْتَ مِنْهُ مُنْكَرًا فَارْذُدْهُ يَا هَذَا مِنْهُ ، وَإِنْ سَمِعْتَ خَيْرًا فَأَجِبِ اللَّهَ فَقَالَ : مَاذَا يَقُولُ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ مِصْعَبُ بْنُ عَمْرِ هَـ حَمَّ وَالْكِتَابَ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ فَقَالَ سَعْدُ وَمَا أَسْمِعَ إِلَّا مَا أَعْرِفُ فَرَجَعَ وَقَدْ هَدَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَلَمْ يَظْهَرْ أَمْرُ الْإِسْلَامِ حَتَّى رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ ، فَدَعَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَظْهَرَ إِسْلَامَهُ وَقَالَ فِيهِ : مَنْ شَكَّ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ أَوْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى فَلْيَأْتِنَا بِأَهْدَى مِنْهُ نَأْخُذْ بِهِ قَوْلَ اللَّهِ لَقَدْ جَاءَ أَمْرٌ لَنُخْزَنَ فِيهِ الرِّقَابُ فَأَسْلَمْتُ بَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ عِنْدَ إِسْلَامِ سَعْدٍ ، وَدُعَائِهِ إِلَّا مَنْ لَا يَذْكُرُ فَكَانَتْ أَوَّلَ دُورٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ أَسْلَمَتْ بِأَسْرِعِهَا ، ثُمَّ إِنَّ بَنِي النَّجَّارِ أَخْرَجُوا مِصْعَبَ بْنَ عَمْرِ ، وَاشْتَدُّوا عَلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ فَانْتَقَلَ مِصْعَبُ بْنُ عَمْرِ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَلَمْ يَزَلْ يَدْعُو وَيُهْدِي عَلَى يَدَيْهِ حَتَّى قَلَّ دَارَ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا أَسْلَمَ فِيهَا نَاسٌ لَا مَحَالَةَ وَأَسْلَمَ أَشْرَافُهُمْ وَأَسْلَمَ عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ ، وَكَثُرَتْ أَصْنَامُهُمْ ؛ فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ أَعَزَّ أَهْلِهَا وَصَلَحَ أَمْرُهُمْ وَرَجَعَ مِصْعَبُ بْنُ عَمْرِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ يَدْعَى الْمُقَرِّي .

(١) الزخرف : ١٠ - ٢ .

قال ابن حجر في الفتح :

وذكر ابن إسحاق أن النبي ﷺ بعث مع الاثني عشر رجلاً مصعب بن عمير العبدري، وقيل بعثه إليهم بعد ذلك بطلبهم ليفقههم ويقرئهم، فنزل على أسعد بن زرارة، فروى أبو داود من طريق عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال : كان أبي إذا سمع الأذان للجمعة استغفر لأسعد بن زرارة، فسألته، فقال : كان أول من جمع بنا بالمدينة . وللدارقطني من حديث ابن عباس : أن النبي ﷺ كتب إلى مصعب بن عمير أن اجمع بهم . أهـ ، فأسلم خلق كثير من الأنصار على يد مصعب بن عمير بمعاونة أسعد بن زرارة حتى فشا الإسلام بالمدينة ، فكان ذلك سبب رحلتهم في السنة المقبلة ، حتى وافى منهم العقبة سبعون مسلماً وزيادة ، فبايعوا كما تقدم .

١٧٣ - * روى الإمام أحمد عن جابر قال : مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يَتَّبِعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِمَكَاظَ وَمِجَنَّةٍ وَفِي الْمَوْسِمِ يَتَقَوَّلُ : « مَنْ يُؤْوِينِي ، مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أَتْلُغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ ؟ » حَتَّى إِذَا الرَّجُلُ لِيَخْرُجَ مِنَ الْبَيْتِ - أَوْ مِنْ مَضَرٍّ كَذَا قَالَ - قَالَ : قِيَاتِيهِ قَوْمُهُ فَيَقُولُونَ اخْذِرْ غَلَامَ قُرَيْشٍ لَا يَفْتِنُكَ . وَيَمْشِي بَيْنَ رِجَالِهِمْ ، وَهُمْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ حَتَّى بَعَثْنَا اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ يَثْرِبَ ، فَأَوْثِنَاهُ ، وَصَدَقْنَاهُ ، فَيَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنَّا فَيُؤْمِنُ بِهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، فَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ فَيَسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ ذَاكَ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَظْهَرُونَ الْإِسْلَامَ ، ثُمَّ اتَّعَمَرُوا جَمِيعاً فَقُلْنَا حَتَّى مَتَى تَتْرُكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَطْرُدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ ، فَرَحَلْنَا إِلَيْهِ سَبْعُونَ رَجُلًا حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ ، فَوَاعَدْنَا شُعْبَ الْعَقَبَةِ ، فَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ حَتَّى تَوَاقَفْنَا ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَبَايَعُكَ : قَالَ : « تَبَايَعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لَا تَخَافُونَ فِي اللَّهِ لِسُوءَةِ لَائِمٍ وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ ، وَلَكُمْ

١٧٣ - أحمد في مسنده (٣ / ٢٢٢ ، ٣٣١) ، البزار : في كشف الأستار (٢ / ٣٠٧) . وأورده الميمني في مجمع الزوائد (٦ / ٤٦) وقال : رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح .

الجنة» قَالَ : فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ وَأَخَذَ بِيَدِهِ أُسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ وَهُوَ أَصْغَرُهُمْ فَقَالَ : رُوَيْنَا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ فَإِنَّا لَمْ نَضْرِبْ أَكْبَادَ الْإِبِلِ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كُلِّهَا ، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ وَأَنْ تَعْضَكُمْ السُّيُوفُ فِيمَا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَبِيئَةٌ فَتَبَيَّنُوا ذَلِكَ فَهُوَ عُذْرٌ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ قَالُوا أَمِطْ عَنَّا يَا أُسْعَدُ فَوَاللَّهِ لَا نَدَعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَبَدًا وَلَا نُسَلِّبُهَا أَبَدًا ، فَبَايَعْنَاهُ فَأَخَذَ عَلَيْنَا وَشَرَطَ وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ .

١٧٤ - * - روى أحمد والطبراني عن كعب بن مالك وكان ممن شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ قَالَ : خَرَجْنَا فِي حُجَّاجٍ قَوْمِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ صَلَّيْنَا وَفَقِهْنَا وَمَعَنَا الْبَرَاءُ ابْنُ مَعْرُورٍ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا ، فَلَمَّا تَوَجَّهْنَا لِسَفَرِنَا وَخَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ ، قَالَ الْبَرَاءُ لَنَا يَا هَؤُلَاءِ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ وَاللَّهِ رَأْيَا وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَذْرِي تَوَافِقُونِي عَلَيْهِ أَمْ لَا ؟ قُلْنَا لَهُ : وَمَا ذَلِكَ قَالَ : قَدْ رَأَيْتُ أَنْ لَا أَدْعَ هَذِهِ الْبَيْعَةَ مِثْنِي بِظَهْرِ يَغْنِي الْكَعْبَةَ ، وَأَنْ أَصَلِّيَ إِلَيْهَا قَالَ : فَقُلْنَا وَاللَّهِ مَا بَلَّغْنَا أَنْ نَبَيِّنَا ﷺ يُصَلِّيَ إِلَّا إِلَى الشَّامِ ، وَمَا نُرِيدُ أَنْ نَخَالَفَهُ فَقَالَ : إِنِّي أَصَلِّيُ إِلَيْهَا : فَقُلْنَا لَهُ : لَكِنَّا لَا نَفْعَلُ ، فَكُنَّا إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ صَلَّيْنَا إِلَى الشَّامِ وَصَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ قَالَ : وَقَدْ عِينَا عَلَيْهِ مَا صَنَعَ ، وَأَبَى إِلَّا الْإِقَامَةَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ قَالَ : يَا ابْنَ أَخِي : انْطَلِقْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْأَلْهُ عَمَّا صَنَعْتَ فِي سَفَرِي هَذَا ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْهُ شَيْءٌ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ خِلَافِكُمْ إِيَّايَ . قَالَ : فَخَرَجْنَا نَسْأَلُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكُنَّا لَا نَعْرِفُهُ لَمْ تَرَهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَلَقِينَا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : هَلْ تَعْرِفَانِي الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّةٌ : قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : كُنَّا نَعْرِفُ الْعَبَّاسَ كَانَ لَا يَزَالُ يَقْدُمُ عَلَيْنَا تَاجِرًا ، قَالَ فَإِذَا دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ ، فَهُوَ الرَّجُلُ الْجَالِسُ مَعَ الْعَبَّاسِ قَالَ : فَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ فَإِذَا الْعَبَّاسُ جَالِسٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ جَالِسٌ فَسَلَّمْنَا ثُمَّ جَلَسْنَا إِلَيْهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْعَبَّاسِ « هَلْ تَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يَا أَبَا الْفَضْلِ ؟ » قَالَ : نَعَمْ هَذَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ سَيِّدُ قَوْمِهِ ، وَهَذَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ : قَوْلُ اللَّهِ مَا أَنْتَى قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ « الشَّاعِرَ » . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَقَالَ

١٧٤ - أحمد في مسنده (٢ / ٤٦٠ ، ٤٦١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٤٥) : رواه أحمد والطبراني بنحوه ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق ، وقد صرح بالسماع .

البراء بن معرور يابني الله إني خرجت في سفري هذا وهداني الله للإسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر؛ فصليت إليها وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء فمأذا ترى يا رسول الله؟ قال: «لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها»، قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ فصلّى معنّا إلى الشام قال، وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات وليس ذلك كما قالوا نحن أعلم به منهم. قال: وخرجنا إلى الحج فواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي وعدنا رسول الله ﷺ ومعنا عبد الله بن عمرو بن حزام أبو جابر سيد من ساداتنا وكنا نكتم من معنّا من قومنا من المشركين أمرنا فكلّمناه وقلنا له يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا، وإننا نرغب بك أن تكون خطيباً للنار غداً، ثم دعوتنا إلى الإسلام، وأخيرتة بيماد رسول الله ﷺ فأسلم وشهد معنّا العقبة وكان نقيباً، قال: فبينما تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ تتسلل مستخفين تسأل القطا، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نسائهم نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار وأسما بنت عمرو بن عدي بن ثابت إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه يؤمذ عمة العباس بن عبد المطلب وهو يؤمذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق، فلما جلسنا كان العباس بن عبد المطلب أول من تكلم فقال يامعشر الخزرج - وكانت العرب مما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج أوسها وخزرجها - إن محمداً منا حيث قد علم وقد متغنا من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه وهو في عز من قومه ومتعة في بلده. قال: فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت فتكلم رسول الله ﷺ فتلا ودعا إلى الله عز وجل ورغب في الإسلام. قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم»، قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أوزنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر، قال: فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان حليف بني عبد الأشهل فقال يا رسول

الله : إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حَبَالًا وَإِنَّا قَاطِعُوهَا يَعْنِي الْعَهْدَ فَقُلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدْعَنَا ، قَالَ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ : « بَلِ الدَّمُ الدَّمُ وَالْهَدْمُ الْهَدْمُ ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي ، أَحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ وَأَسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ » وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنِي عَشَرَ تَقِيْبًا يَكُونُونَ عَلَى قَوْمِهِمْ » فَأَخْرَجُوا مِنْهُمْ اثْنِي عَشَرَ تَقِيْبًا مِنْهُمْ تِسْعَةٌ مِنَ الْخَزَرَجِ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوْسِ .

وَأَمَّا مَعْبِدُ بْنُ كَعْبٍ فَحَدَّثَنِي فِي حَدِيثِهِ عَنْ أَخِيهِ عَنْ أَبِيهِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ ، ثُمَّ تَتَابَعَ الْقَوْمُ فَلَمَّا بَاتَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَرَخَ الشَّيْطَانُ مِنْ رَأْسِ الْعَقْبَةِ بِأَبْعَدِ صَوْتٍ سَمِعْتُهُ قَطْ يَا أَهْلَ الْجَبَا حِبِّ - وَالْجَبَا حِبُّ الْمَنَازِلِ - هَلْ لَكُمْ فِي مَذْمُورِ الصَّبَاةِ مَعَهُ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ قَالَ عَلِيٌّ - يَعْنِي ابْنَ إِسْحَاقٍ - : مَا يَقُولُ يَا مُحَمَّدٌ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « هَذَا أَزْبُ الْعَقْبَةِ هَذَا ابْنُ أَذِيبٍ ، اسْتَعْ أَيُّ عَدُوِّ اللهِ أَمَا وَاللَّهِ لَا فَرْعَنَ لَكَ » ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « اِرْفَعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ » ، قَالَ فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عِبَادَةَ بْنِ نُضَلَةَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَئِنْ شِئْتَ لَتَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مِنِي غَدًا بِأَسْيَافِنَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَمْ أُؤْمَرْ بِذَلِكَ » ، قَالَ : فَرَجَعْنَا ، فَمِئْنَا حَتَّى أَصْبَحْنَا فَلَمَّا أَصْبَحْنَا عَدَتْ عَلَيْنَا جِلَّةُ قُرَيْشٍ حَتَّى جَاءُونَا فِي مَنَازِلِنَا فَقَالُوا : يَا مَعْشَرَ الْخَزَرَجِ ، إِنَّهُ قَدْ بَلَغْنَا أَنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ إِلَى صَاحِبِنَا هَذَا تَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا وَتَبَايَعُونَهُ عَلَى حَرْبِنَا ، وَاللَّهِ إِنَّهُ مَا مِنَ الْعَرَبِ أَحَدٌ أَبْغَضُ إِلَيْنَا أَنْ تَنْشَبَ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مِنْكُمْ ، قَالَ : فَانْبَعَثَ مِنْ هُنَالِكَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِنَا يَخْلِفُونَ لَهُمْ بِاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ هَذَا شَيْءٍ وَمَا عَلِمْنَاهُ وَقَدْ صَدَقُوا لَمْ يَعْلَمُوا مَا كَانَ مِنَّا قَالَ : فَبَعْضُنَا يَنْظُرُ إِلَى بَعْضٍ قَالَ : وَقَامَ الْقَوْمُ وَفِيهِمُ الْحَرْثُ بْنُ هِشَامٍ مِنَ الْمَغِيرَةِ ، وَعَلَيْهِ نَعْلَانِ جَدِيدَانِ قَالَ : فَقُلْتُ كَلِمَةً كَأَنِّي أُرِيدُ أَنْ أَشْرِكَ الْقَوْمَ بِهَا فِيمَا قَالُوا : مَا تَسْتَطِيعُ يَا أَبَا جَابِرٍ ، وَأَنْتَ سَيِّدُ مِنْ سَادَاتِنَا أَنْ تَتَّخِذَ نَعْلَيْنِ مِثْلَ نَعْلِي هَذَا الْفَتَى مِنْ قُرَيْشٍ ، فَسَمِعَهَا الْحَرْثُ فَخَلَعَهُمَا ، ثُمَّ رَمَى بِهِمَا إِلَيَّ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَتَسْتَعْلَنَهُمَا ، قَالَ يَقُولُ أَبُو جَابِرٍ : أَحْفَظْتُ وَاللَّهِ الْفَتَى فَارْزُدْ عَلَيْهِ نَعْلِيهِ قَالَ : فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا أُرُدُّهُمَا قَالَ : وَاللَّهِ صَالِحٌ لَئِنْ صَدَقَ الْقَالَ لَأَسْلُبْنَهُ . فَهَذَا

أزب العقبة : الأرب • القصير الضخم البطن والالية - واللثم الداهية ، والمراد به اسم شيطان العقبة . أحفظت : أحفظه . أغضبه . الفأل : قول أو فعل يستبشر به .

حديث ابن مالك عن العقبة وما حضر منها .

وقال الطبراني ^(١) في حديثه فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ فلقيننا رجلاً بالأبطح فقلنا له تدلنا على محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ؟ قال : فهل تعرفانيه إذا رأيتماه ؟ ، وقال أيضاً وتكلم رسول الله ﷺ وتلا القرآن ورغب في الإسلام فأجبتاه بالإيمان به والتصديق به ، وقال أيضاً : فقال رسول الله ﷺ : « أخرجوا منكم اثني عشر نقيباً » فأخرجهم فكان نقيب بني النجار سعد بن زرارة ، وكان نقيب بني سلمة البراء بن معمر وعبد الله بن عمرو بن حزام وكان نقيب بني ساعدة سعد بن عبادة والمنذر ابن عمرو ، وكان نقيب بني زريق رافع بن مالك بن العجلان ، وكان نقيب بني الحارث بن الخزرج عبد الله بن رباح ، وسعد بن الربيع ، وكان نقيب بني عوف ابن الخزرج عبادة بن الصامت ونقيب بني عبد الأشهل أسيد بن حضير وأبو الهيثم بن التيهان وكان نقيب بني عمرو بن عوف سعد بن خيثمة .

١٧٥ - * روى أحمد عن الشعبي قال : انطلق النبي ﷺ ومعه العباس عه إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة فقال ليتكلم متكلمكم ولا يطيل الخطبة فإن عليكم من المشركين عينا وإن تعلموا بكم يفضحوكم ، فقال قائلهم وهو أبو أمية : سل يا معمر لربك ما شئت ثم سل لنفسك ولأصحابك ما شئت ، ثم أخبرنا مالتا من الثواب على الله عز وجل وعليكم إذا فعلنا ذلك فقال : « أسألكم لربي عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأسألكم لأنفسي ولأصحابي أن تؤوونا وتنصرونا ونمنعونا مما منعتهم منه أنفسكم » قالوا : فإنا إذا فعلنا ذلك ؟ ، قال : « لكم الجنة » قالوا : فلك ذلك .

١٧٦ - * روى أبو يعلى عن أنس بن ثابت بن قيس أنه خطب مقدم النبي ﷺ فقال : إنا نمنعك مما تمنع منه أنفسنا وأولادنا ، فما لنا يا رسول الله ؟ قال : « لكم الجنة » قالوا رضيينا .

(١) الطبراني (١٩ / ٨٨) .

١٧٥ - أحمد في مسنده (٤ / ١١٩ ، ١٢٠) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٤٨) وقال : رواه أحمد مرسلًا ورجاله رجال الصحيح .

١٧٦ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٤٨) وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .

١٧٧ - * روى أبو يعلى والبخاري عن جابر بن عبد الله ، قَالَ : لَمَّا لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ النَّقَبَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ لَهُمْ : « تَوَوَّنِي وَتَمَنَّعُونِي » ، قَالُوا فَمَا لَنَا ؟ قَالَ : « لَكُمْ الْجَنَّةُ » .

ونلاحظ أن الخطاب الذي وجهه للنقباء هو نفسه الذي خاطب به الجميع ، مما يشير إلى ضرورة التأكيد على الخاصة بما تطالب به العامة .

١٧٨ - * روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قَالَ : شَهِدَ بِي خَالَايَ الْعَقْبَةَ قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : أَحَدَهُمَا : الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ .

وفي رواية قال : أَنَا وَأَبِي وَخَالَايَ مِنْ أَصْحَابِ الْعَقْبَةِ .

١٧٩ - * روى الطبراني عن جابر بن عبد الله قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقْبَةِ قَالَ جَابِرٌ : وَأَخْرَجَنِي خَالَايَ وَأَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُرْمِيَ بِحَجَرٍ .

أقول : في هذا الحديث إشارة إلى جواز إشراك الصبيان في العمل الإسلامي بل حتى فيما يعتبر من الأسرار ، ولكن هذا منوط بتربية الطفل ، وضمان أقراره ، وحياطتهم له .

١٨٠ - * روى الطبراني عن جابر بن عبد الله قَالَ : حَمَلَنِي خَالِي جِدُّ بْنُ قَيْسٍ فِي السَّبْعِينَ رَاكِباً الَّذِينَ وَقَدُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَبْلِ الْأَنْصَارِ لَيْلَةَ الْعَقْبَةِ ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ عُمَةُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ : « يَاعَمُّ خُذْ عَلَى أَخَوَاكَ » فَقَالَ لَهُ السَّبْعُونَ يَا مُحَمَّدُ سَلْ لِرَبِّكَ وَلِنَفْسِكَ مَا شِئْتَ فَقَالَ : « أُمَّا الَّذِي أَسْأَلُكُمْ لِرَبِّي فَتَعْبُدُوهُ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَأُمَّا الَّذِي أَسْأَلُكُمْ لِنَفْسِي مِنْهُ فَتَمَنَّعُونِي مِمَّا تَمَنَّعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ » قَالُوا : فَمَا لَنَا إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ قَالَ : « الْجَنَّةُ » .

١٧٧ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٤٨) . وقال : رواه أبو يعلى والبخاري بنحوه ورجال أبي يعلى رجال الصحيح .

١٧٨ - البخاري (٧ / ٢١٩) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٤٣ - باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ وبهيمة العقبة . البراء بن معرور : من أقارب أم جابر ، وأقارب الأم يسمون أخوالاً مجازاً .

١٧٩ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٤٩) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

١٨٠ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٤٩) : رواه الطبراني في الثلاثة ورجاله ثقات .

١٨١ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٥٠) : رواها كلها الطبراني ، وإسنادهما إلى ابن شهاب واحد ، ورجاله ثقات .

١٨١ - * روى الطبراني عن ابن شهاب في تسمية مَنْ حَضَرَ الْعَقَبَةَ مِنَ الْأَنْصَارِ ثُمَّ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ : أَوْسُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَوْسُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ أَصْرَمَ وَأَبُو أَمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ ، وَمِنْ الْأَنْصَارِ ثُمَّ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَوْصَى بِثُلُثِ مَالِهِ وَاسْتَقْبَلَ الْكَعْبَةَ وَهُوَ بِيَلَادِهِ وَكَانَ تَقِيًّا ، وَمِنْ الْأَنْصَارِ ثُمَّ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْحَزْرَجِ بَشِيرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ النَّمَانِ ، وَمِنْ الْأَنْصَارِ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَجَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ ، وَمِنْ الْأَنْصَارِ ثُمَّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ الْحَارِثُ بْنُ قَيْسِ بْنِ مَالِكٍ وَقَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَذُكُوَانَ بْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ بْنِ خَلْدَةَ ، وَرَافِعُ بْنُ مَالِكٍ وَقَدْ شَهِدَ بَدْرًا ، وَمِنْ الْأَنْصَارِ ثُمَّ مِنْ بَنِي الْجُبَلِيِّ رِفَاعَةُ بْنُ عَمْرٍو ، وَمِنْ الْأَنْصَارِ ثُمَّ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ بْنِ كَعْبٍ سَعْدُ بْنُ عَبَّادَةَ وَهُوَ تَقِيٌّ ، وَمِنْ الْأَنْصَارِ ثُمَّ مِنْ بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ وَهُوَ تَقِيٌّ ، وَمِنْ الْأَنْصَارِ ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ سَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ ، وَمِنْ الْأَنْصَارِ ثُمَّ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ ظَهْرُ بْنُ رَافِعٍ ، وَمِنْ الْأَنْصَارِ ثُمَّ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ أَبُو بَرْدَةَ بْنُ نَيْلٍ ..

١٨٢ - * روى الحاكم عن سلمة بن سلامة بن وقش ، قَالَ : كَانَ لَنَا جَارٌ مِنْ يَهُودَ فِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ قَالَ : فَخَرَجَ عَلَيْنَا يَوْمًا مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ قَالَ سَلَمَةُ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ حَدَّثَ عَلِيٌّ بَرْدَةَ لِي ، مُضْطَجِعٍ فِيهَا بِفَنَاءِ أَهْلِي ، فَذَكَرَ الْقِيَامَةَ وَالْبَعْثَ

فصل : في الهجرة إلى المدينة المنورة

مقدمة :

١ - كانت الهجرة هي الدرس الأخير في المرحلة المكية ، وهي التصفية النهائية لأنفس الرعيل الأول ، لقد طوب الرعيل الأول من أصحاب رسول الله ﷺ بالتوحيد والعبادة ففعلوا ، وسلط عليهم الإيذاء ، وأمروا بالصبر وكف اليد ، والاستسلام لأمر الله ففعلوا ، وحب الوطن أصيل في النفس فطولبوا بالهجرة فهاجروا ، ثم قاتلوا مع الأنصار أهلهم وقبيلتهم فوجد بذلك كله جيل لم يعرف العالم له مثيلاً بالتجرد من أهواء النفوس وعصيانها .

٢ - والهجرة بالنسبة للدعوة الإسلامية هي أعظم الأحداث الدعوية والحركية ، لأن بها قامت دولة الإسلام ووجدت قاعدته التي حلت هذه الدعوة ابتداء وقدّمتها للعالم انتهاء ، ولذلك أرّخ المسلمون بالهجرة .

٣ - وقد أقبل المسلمون على الكتابة في الهجرة واستخراج دروسها وعبرها وخاصة في عصرنا فمن سابق ومن مقتصد ، واستخرج بعضهم تعميمات تحتاج إلى تخصيص ، وأراد بعضهم أن يستخرج نظرية محددة يقيد بها الحركة الإسلامية باعتداده فكرة الهجرة إلى جهة ما وهذا كله يحتاج إلى شيء من الإيضاح ، وستأتي الإيضاحات شيئاً فشيئاً ، وقد اخترنا أن ننقل لك في هذه المقدمة ثلاثة نماذج - المأخوذ في الهجرة من (١) (٢) (٣) .

عنه من قلق وأحزان ، ولو كان الأمر مغامرة فرد بنفسه لقليل : مغامر طياش ، فكيف وهو ينطلق في طول البلاد وعرضها ، يحمل أهله وولده ؟ وكيف وهو بذلك رضي الضير ، وضاء الوجه ؟!

إنه الإيمان الذي يزن الجبال ولا يطيش ! وإيمان بمن ؟ بالله الذي له ما في السماوات والأرض ، وله الحمد في الأولى والآخرة ، وهو الحكيم الخبير .

هذه الصعاب لا يطيقها إلا مؤمن ، أما الهيباء الخوار القلق ، فما يستطيع شيئاً من ذلك ، إنه من أولئك الذين قال الله فيهم : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ۖ ﴾ (١) .

أما الرجال الذين التقوا بمحمد ﷺ في مكة ، وقبسوا منه أنوار الهدى ، وتواصوا بالحق والصبر . فإنهم نفروا - خفافاً - ساعة قيل لهم : هاجروا إلى حيث تعزون الإسلام وتؤمنون مستقبله .

* * *

الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام :

وقال الأستاذ البوطي :

يستنبط من مشروعية هذه الهجرة حكان شرعيان :

١ - وجوب الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام ، روى القرطبي عن ابن العربي : (أن هذه الهجرة كانت فرضاً في أيام النبي ﷺ ، وهي باقية مفروضة إلى يوم القيامة . والتي انقطعت بالفتح ، إنما هي القصد إلى النبي ﷺ ، فإن بقي في دار الحرب عصى) . ومثل دار الحرب في ذلك كل مكان لا يتسنى للمسلم فيه إقامة الشعائر الإسلامية من صلاة وصيام وجماعة وأذان ، وغير ذلك من أحكامه الظاهرة .

(١) النساء : ٦٦ .

وما يستدل به على ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَامِيعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝ (١) .

٢ - وجوب نصره المسلمين لبعضهم ، مهما اختلفت ديارهم وبلادهم ما دام ذلك ممكناً . فقد اتفق العلماء والأئمة على ان المسلمين إذا قدروا على استنقاذ المستضعفين أو المأسورين أو المظلومين من إخوانهم المسلمين ، في أي جهة من جهات الأرض ، ثم لم يفعلوا ذلك ، فقد باءوا بإثم كبير .

يقول أبو بكر بن العربي : إذا كان في المسلمين أسراء أو مستضعفون فإن الولاية معهم قائمة ، والنصرة لهم واجبة بالبدن ، بأن لا تبقى منا عين تطرف ، حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عدداً يحتمل ذلك ، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم ، حتى لا يبقى لأحد درهم من ذلك ، أه .

أقول : ليست الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام واجبة في كل حال ، وإن اشتهر من مذهب الحنفية ذلك كما اشتهر في مذهبهم وجوب الهجرة من دار البدعة إلى دار السنة فالأمر فيه تفصيل .

فإذا كنت في دار كفر لكنك حر آمن تستطيع أن تعبد الله وتدعو إليه ولا تخشى على نفسك وأهلك وذريتك الفتنة ، ولم يطلب منك أمير المؤمنين الشرعي الهجرة إلى دار الإسلام ، فقامك حيث أنت أجود وأطيب وأكثر أجراً ، بل اعتبر الشافعية أنه يندب لك البقاء لأنه ببقائك يصبح جزء من دار الكفر دار إسلام .

أما حيث يخاف المسلم الفتنة على نفسه وأهله أو ذريته فعندئذ تجب عليه الهجرة إن كان قادراً عليها ووجدت الجهة التي تستقبله ولا يخشى فيها الفتنة على نفسه وأهله وذريته ، وفي عصرنا تجد الأمر في غاية التعقيد ، فليس الخروج من بلد إلى بلد سهلاً ، واحتمال الفتنة قائم

في كثير من البلدان ، ولذلك فيأتي أرى أن حكم الهجرة الآن منوط بالفتوى البصيرة من أهلها ، ولا ينبغي أن يكون هناك تسرع فيه .

قال ابن حجر في الفتح بمناسبة تعليل عائشة رضي الله عنها للهجرة بقولها الذي ورد في صحيح البخاري :

(كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه .. إلخ) أشارت عائشة إلى بيان مشروعية الهجرة وأن سببها خوف الفتنة ، والحكم يدور مع علته ، فقتضاه أن من قدر على عبادة الله في أي موضع اتفق لم تجب عليه الهجرة منه وإلا وجبت ، ومن ثم قال للماوردي : إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام ، فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يترجى من دخول غيره في الإسلام .

وقال الخطابي : كانت الهجرة أي إلى النبي ﷺ في أول الإسلام مطلوبة ، ثم افترضت لما هاجر إلى المدينة إلى حضرته للقتال معه وتعلم شرائع الدين ، وقد أكد الله ذلك في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا ﴾ ^(١) فلما فتحت مكة ودخل الناس في الإسلام من جميع القبائل سقطت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب . وقال البغوي في (شرح السنة) : يحتمل الجمع بينهما بطريق أخرى بقوله : « لا هجرة بعد الفتح » أي من مكة إلى المدينة ، وقوله (لا تنقطع) أي من دار الكفر في حق من أسلم إلى دار الإسلام ، قال : ويحتمل وجهاً آخر وهو أن قوله لا هجرة أي : إلى النبي ﷺ حيث كان بنية عدم الرجوع إلى الوطن المهاجر منه إلا بإذن ، وقوله : (لا تنقطع) أي : هجرة من هاجر على غير هذا الوصف من الأعراب ونحوهم . قلت : الذي يظهر أن المراد بالشق الأول وهو للنفي ما ذكره في الاحتمال الأخير ، وبالشق الآخر المثبت ما ذكره في الاحتمال الذي قبله ، وقد أفصح ابن عمر بالمراد فيما أخرجه الإسماعيلي بلفظ (انقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول الله ﷺ ، ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار) أي : ما دام في الدنيا دار كفر ،

فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشي أن يفتن عن دينه ، ومفهومه : أنه لو قدر أن لا يبقى في الدنيا دار كفر أن الهجرة تنقطع لانقطاع موجبها والله أعلم أ.هـ .

لماذا اختيرت المدينة :

ولنُزَصِّحُ جيداً هذه المقدمة بذكر الحكيم التي اختيرت من أجلها المدينة داراً لهجرة رسول الله ﷺ ننقلها عن الشيخ أبي الحسن الندوي في كتابه (السيرة النبوية) :

وكان من حكمة الله تعالى في اختيار المدينة ، داراً للهجرة ، ومركزاً للدعوة ، هذا عدا ما أَرَادَهُ الله من إكرام أهلها ، أسرار لا يعلمها إلا الله ، أنها امتازت بتحصن طبيعي حربي ، لا تَزَاحِمُها في ذلك مدينة قريبة في الجزيرة ، فكانت حرة الوبرة ، مطبقة على المدينة من الناحية الغربية ، وحرّة واقم ، مطبقة على المدينة من الناحية الشرقية ، وكانت المنطقة الشمالية من المدينة ، هي الناحية الوحيدة المكشوفة (وهي التي حصنها رسول الله ﷺ بالخندق سنة خمس في غزوة الأحزاب) وكانت الجهات الأخرى من أطراف المدينة محاطة بأشجار النخيل والزروع الكثيفة ، لا يمر منها الجيش إلا في طرق ضيقة لا يتفق فيها النظام العسكري ، وترتيب الصفوف .

وكانت خفارات عسكرية صغيرة ، كافية بإفساد النظام العسكري ومنعه من التقدم ، يقول ابن إسحاق : (كان أحد جانبي المدينة عورة ، وسائر جوانبها مشككة بالبنيان والنخيل ، لا يتمكن العدو منها) .

ولعل النبي ﷺ قد أشار إلى هذه الحكمة الإلهية في اختيار المدينة بقوله لأصحابه قبل الهجرة : « إني رأيت دار هجرتكم ، ذات نخيل بين لابتين وهما الحرتان » فهاجر من هاجر قبل المدينة .

وكان أهل المدينة من الأوس والخزرج أصحاب نخوة وإباء وفروسية وقوة وشكبة ، ألفوا الحرية ، ولم يخضعوا لأحد ، ولم يدفعوا إلى قبيلة أو حكومة إتاوة أو جباية ، وقد جاء ذلك صريحاً في الكلمة التي قالها سعد بن معاذ - سيد الأوس - لرسول الله ﷺ : قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا

حيطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو يبعاً .

يقول ابن خلدون : ولم يزل هذان الحيان قد غلبوا اليهود على يثرب ، وكان الاعتزاز والمنعة تعرف لهم في ذلك ، ويدخل في ملتهم من جاورهم من قبائل مضر .

وجاء في (العقد الفريد) : ومن الأزد الأنصار ، وهم الأوس والخزرج وهما ابنا حارثة ابن عمرو بن عامر ، وهم أعز الناس أنفساً وأشرفهم هما ، ولم يؤدوا إتاوة قط إلى أحد من الملوك .

وكان بنو عدي بن النجار أخواله ، فأمر عبد المطلب بن هاشم إحدى نسائهم ، فقد تزوج هاشم بسلمى بنت عمرو أحد بني عدي بن النجار ، وولدت له هاشم عبد المطلب ، وتركه هاشم عندها ، حتى صار غلاماً دون المراهقة ، فذهب إليه عمه المطلب ، فجاء به إلى مكة ، وكانت الأرحام يحسب لها حساب كبير في حياة العرب الاجتماعية ، ومنهم أبو أيوب الأنصاري الذي نزل رسول الله ﷺ في داره في المدينة .

وكان الأوس والخزرج من قحطان ، والمهاجرون ومن سبق إلى الإسلام في مكة وما حولها من عدنان ، ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وقام الأنصار بنصره ، اجتمعت بذلك عدنان وقحطان تحت لواء الإسلام ، وكانوا كجسد واحد ، وكانت بينهما مفاصلة ومسابقة في الجاهلية ، وبذلك لم يجد الشيطان سبيلاً إلى قلوبهم ، لإثارة الفتنة والتعزي بعزاء الجاهلية باسم الحمية القحطانية أو العدنانية .

فكانت لكل ذلك مدينة يثرب أصلح مكان لهجرة الرسول ﷺ وأصحابه واتخاذهم لها داراً وقراراً ، حتى يقوى الإسلام ، ويشق طريقه إلى الأمام ، ويفتح الجزيرة ثم يفتح العالم المتبدن . اهـ .

١٨٣ - * روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مكث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة نبياً ، فنزلت عليه : ﴿ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ ^(١) يفتح للمير ، فهاجر .

١٨٣ - المستدرك (٢ / ٢٤٣) وقال : هذا حديث صحيح ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .
(١) الإسراء : ٨٠ .

١٨٤ - * روى الحاکم عن جریر أن النبی ﷺ قال : « إن الله عز وجل أوحى إلي أي هؤلاء البلاد الثلاث نزلت فهي دار هجرتك المدينة أو البحرين أو قنسرین » .

١٨٥ - * روى الحاکم عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين : « قد أريت دار هجرتكم أريت سبخة ذات نخل بين لابتين » وهما الحرتان .

١٨٦ - * روى البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « رأيت في المنام أنني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة ، أو هجر ، فإذا هي المدينة يثرب ، ورأيت في رؤيائي هذه : أني هزرت سيفاً ، فانقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب به المؤمنون يوم أحد ، ثم هزرتة أخرى ، فعاد أحسن ما كان ، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح ، واجتمع المؤمنون ، ورأيت فيها بقرأ والله خير ، فإذا هم المؤمنون يوم أحد ، وإذا ما جاء الله به من الخير وثواب الصديق الذي آتانا الله بعد يوم بدر » .

إلا أن عند البخاري عن أبي موسى : أراه عن النبي ﷺ - بالشك .

وعند مسلم : عنه عن النبي ﷺ بغير شك .

١٨٤ - المستدرك (٢ / ٣) وقال : هنا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

البحرين : هي المنطقة الشرقية من السعودية اليوم بالإضافة إلى الكويت وقطر . قنسرين : بلد بالشام قريب من حلب .

١٨٥ - المستدرك (٣ / ٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

سبخة : أرض ذات ملح ، لأنكاد تنبت . اللابة : الحرة ، والحرة : الأرض ذات الحجارة السود .

١٨٦ - البخاري (٦ / ٦٢٧) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٥ - باب : علامات النبوة في الإسلام .

ومسلم (٤ / ١٧٧٩) ٤٢ - كتاب الرؤيا - ٤ - باب رؤيا النبي ﷺ .

أهاجر : الهجرة عند العرب : خروج البدوي من البادية إلى المدن ، ليقيم بها ، يقال : هاجرت إلى مدينة كذا ، أي قصدتها للإقامة فيها ، والمجرة في الباب الانتقال إلى المدينة . وهلي : يقال : وهل إلى الشيء بالفتح : يهل ، ويوهل : بالكسر ، وهلا بالسكون : إذا ذهب وهم إليه . والله خير : قال النووي ١٥ / ٣٢ : قال القاضي : قال

أكثر شراح أي صنع الله بالقتولين خير لهم من بقائهم في الدنيا : ثم قال والأولى قول من قال : =

١٨٧ - * روى الحاكم عن قتادة : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَكَلَّ رَبُّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ فَأَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ مُخْرَجَ صِدْقٍ ، وَأَدْخَلَهُ الْمَدِينَةَ مُدْخَلَ صِدْقٍ ، قَالَ وَنَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهَذَا الْأَمْرِ إِلَّا بِسُلْطَانٍ فَسَأَلَ سُلْطَانًا تَصِيرًا لِكِتَابِ اللَّهِ وَخُدُودِ اللَّهِ وَلِقَرَائِصِ اللَّهِ وَلِإِقَامَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَإِنْ السُّلْطَانُ عِزَّةً مِنَ اللَّهِ جَعَلَهُ بَيْنَ أَظْهُرِ عِبَادِهِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَغَارَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَكَأَكَلَ شَدِيدُهُمْ ضَعِيفَهُمْ .

) أقول : في كلام قتادة هذا إشارة إلى ضرورة وجود السلطان السياسي للإسلام ، وأنه لابد من تلاحم السلطان مع القرآن ليقوم الإسلام .

قدوم المهاجرين إلى المدينة :

١٨٨ - * روى الطبراني عن البراء قال : كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ فَقُلْتُ لَهُ : مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ : هُوَ مَكَانَهُ وَأَصْحَابُهُ عَلَى أَثَرِي .

أقول : جاء مصعب إلى المدينة عقب العقبة الأولى ثم عاد ليقدم تقريره مع أصحاب العقبة الثانية ، والنص ههنا يشير إلى عودته إلى المدينة بعد ذلك .

١٨٩ - * روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : أَوَّلَ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ، فَجَعَلَا يَقْرَأَانَا الْقُرْآنَ ، ثُمَّ جَاءَ عَمَّارٌ وَبِلَالٌ وَسَعْدٌ ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عَشْرِينَ ، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهِ ، حَتَّى رَأَيْتُ الْوَلَايَةَ وَالصَّبِيَّانَ يَقُولُونَ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ قَدْ جَاءَ ، فَمَا جَاءَ حَتَّى قَرَأَ : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ (١) فِي سُورِ مَثَلِهَا .

= والله خير من جملة الرؤيا وكلمة ألقيت إليه وسمعتها في الرؤيا : اهـ .

١٨٧ - الحاكم (٢ / ٣) وسكت عنه الذهبي .

١٨٨ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٦٠) وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

١٨٩ - البخاري (٨ / ٦٩٩) - ٦٥ - كتاب التفسير - ٨٧ - سورة سبوح اسم ربك الأعلى .

(١) الأعلى : ١ .

١٩٠ - * روى البزار عن عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ : لَمَّا اجْتَمَعْنَا لِلْهِجْرَةِ اتَّعَدْتُ أَنَا وَعِيَّاشُ بْنُ أَبِي رِبْعَةَ وَهَشَامُ بْنُ الْعَاصِ الْمِثْضَةَ مِثْضَةً بَنِي غِفَارٍ فَوْقَ شَرْفٍ وَقُلْنَا : أَيْكُمْ لَمْ يُصْبِحْ عِنْدَهَا فَقَدْ احْتَبَسَ فَلْيَمُضْ صَاحِبَاهُ فَحَبَسَ عَنَّا هِشَامُ بْنُ الْعَاصِ فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ نَزَلْنَا فِي بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ وَخَرَجَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ إِلَى عِيَّاشِ بْنِ أَبِي رِبْعَةَ وَكَانَ ابْنُ عَمِيٍّ وَأَخَاهُمَا لَأُمِّهِمَا حَتَّى قَدِمَا عَلَيْنَا الْمَدِينَةَ ، فَكَلَّمَاهُ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ أَمْرَكَ نَذَرْتُ أَنْ لَا يَمَسَّ رَأْسُهَا مِشْطٌ حَتَّى تَرَكَ فَرَّقَ لَهَا ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا عِيَّاشُ وَاللَّهِ إِنْ يُرِيدُكَ الْقَوْمُ إِلَّا عَنْ دِينِكَ فَاحْذَرْهُمْ ، قَوْلَ اللَّهِ لَوْ قَدْ آذَى أَمْرُكَ الْقَمَلَ لَامْتَشَطْتُ وَلَوْ قَدْ اشْتَدَّ عَلَيْهَا حَرٌّ مَكَّةَ أَحْسَبُهُ قَالَ لَامْتَشَطْتُ ، قَالَ : إِنَّ لِي هُنَاكَ مَالًا فَاخْذُهُ قَالَ قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِ قَرِيْشٍ مَالًا ، فَلَكَ نِصْفُ مَالِي ، وَلَا تَذْهَبْ مَعَهُمَا . فَأَبَى إِلَّا يَخْرُجَ مَعَهُمَا ، فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا أَبَى عَلِيٌّ : أَمَا إِذَا فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ فَخُذْ نَاقَةً هَذِهِ فَإِنَّهَا نَاقَةٌ ذَلُولٌ ، فَالْزِمْ ظَهْرَهَا فَإِنْ رَأَيْتَكَ مِنَ الْقَوْمِ رَيْبٌ فَانْجِ عَلَيْهَا فَخَرَجَ مَعَهُمَا عَلَيْهَا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ قَالَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَبْطَأْتُ بَعِيرِي هَذَا أَفَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى نَاقَتِكَ هَذِهِ ؟ قَالَ : بَلَى ، فَأَنَاحَ وَأَنَاحَا لِيَتَحَوَّلَ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا اسْتَوَوْا بِالْأَرْضِ عَدِيَا عَلَيْهِ ، وَأَوْقَعَاهُ ، ثُمَّ أَدْخَلَاهُ مَكَّةَ وَفَتَنَاهُ فَافْتَنَ ، قَالَ : فَكُنَّا نَقُولُ وَاللَّهِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ افْتِنَ صَرَفًا وَلَا عَدْلًا وَلَا يَقْبَلُ تَوْبَةَ قَوْمٍ عَرَفُوا اللَّهَ ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْكُفْرِ لِبَلَاءِ أَصَابِهِ قَالَ وَكَانُوا يَتَوَلَّوْنَ ذَلِكَ لَا أَنْفُسِهِمْ ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَنْزَلَ فِيهِمْ وَفِي قَوْلِنَا لَهُمْ وَقَوْلِهِمْ لَا أَنْفُسِهِمْ : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(١) إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ ^(٢) قَالَ عُمَرُ فَكَتَبْتُهَا فِي صَحِيفَةٍ وَبَعَثْتُ بِهَا إِلَى هِشَامِ بْنِ الْعَاصِ قَالَ هِشَامُ : فَلَمْ أَزَلْ أَقْرُؤَهَا بِبَنِي طَوًى أَصْعَدُ بِهَا فِيهِ حَتَّى فَهِمْتُهَا . قَالَ : قَالَتِي فِي نَفْسِي أَنَّمَا نَزَلَتْ فِيْنَا وَفِيَا كُنَّا نَقُولُ فِي أَنْفُسِنَا وَيَقَالُ فِيْنَا فَرَجَعْتُ فَجَلَسْتُ عَلَى بَعِيرِي فَلَحِقْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ .

(١) فِي الْأَصْلِ (لَا مِتَشَطَّت) وَلَا يَمُ الْمَعْنَى .

١٩٠ - البزار : فِي كَشَفِ الْأَسْتَارِ (٢ / ٢٠٢) وَأَوْرَدَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (٦ / ٦١) وَقَالَ رَوَاهُ الْبُزَارُ وَرِجَالُهُ ثَقَاتٌ .

(٢) الزمر : ٥٣ .

(٣) الزمر : ٥٥ .

١٩١ - * روى البخاري عن أبي عثمان النهدي رحمه الله قال : سمعت ابن عمر رضي الله عنها إذا قيل له هاجر قبل أبيه يغضب . قال : وقدمت أنا وعمر على رسول الله ﷺ فوجدناه قائلاً ، فرجعنا إلى المنزل ، فأرسلني عمر وقال : اذهب فانظر هل استيقظ ؟ فأتيته فدخلت عليه فبايعته ، ثم انطلقت إلى عمر فأخبرته أنه قد استيقظ ، فانطلقنا إليه نهول هرولة حتى دخل عليه فبايعه ، ثم بايعته .

١٩٢ - * روى البخاري عن أمّ العلاء الأنصارية رضي الله عنها قالت : إن عثمان بن مظعون طار له سهمه في السكنى حين أقرعت الأنصار سكن المهاجرين ، قالت : فسكن عندنا عثمان بن مظعون ، فاشتكى ، فرضناه ، حتى إذا توفي وجعلناه في ثيابه - وذكرت الحديث - قالت : فمت فأريت لعثمان عيناً تجري ، فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته ، فقال : « ذلك عمله » .

هجرة الرسول ﷺ :

١٩٣ - * روى الحاكم عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لجبريل عليه الصلاة والسلام « مَنْ يَهَاجِرْ مَعِيَ ؟ » قَالَ : أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ .

١٩٤ - * روى أحمد عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(١) الآية ، قال : تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فاثبتوه بالوثاق ، يريدون النبي ﷺ . وقال بعضهم : بل اقتلوه . وقال بعضهم : بل أخرجوه . فأطلع الله نبيه على ذلك فبات علي فراش النبي ﷺ تلك الليلة ، وخرج النبي ﷺ حتى لحق

١٩١ - البخاري (٢٥٥ / ٧) - ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٤٥ - باب : هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

القالل : الذي أقام وقت شدة الحر ، إما في مكان أو بيت ، لينكسر الحر ويخرج أو يسير .

١٩٢ - البخاري (٢٩٣ / ٥) - ٥٢ - كتاب الشهادات - ٢٠ - باب : القرعة في المشكلات .

طار لنا : كذا : أي حصل لنا ، وجرى سهمنا أي كان من حصتنا بالقرعة . اشتكى : مرض . فرضناه : تبرص العليل : معالجته وتديره في مرضه .

١٩٣ - المستدرك (٥ / ٢) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولتن ولم يخرجاه وقال الذهبي : صحيح عريب .

١٩٤ - أحمد في مسنده (٢٤٨ / ١) قال الهيثمي (٢٧ / ٧) : وفيه عثمان بن عمرو الجزري وثقه ابن حبان وضعفه غيره .

وبقية رجاله رجال الصحيح . اهـ . وقد حسن بعضهم الحديث .

(١) الأنفال : ٢٠ .

بالغار ، وباتَ المشركونَ يحرسونَ علياً يحسبونه النبي ﷺ ، فلما أصبحوا ثاروا عليه فلما رأوا علياً رد الله مكرهم فقالوا : أين صاحبك هذا ؟ قال : لا أدري . فاقترضوا أثره ، فلما بلغوا الجبلَ خلطَ عليهم ، فصعدوا الجبلَ فرأوا بالغار فرأوا على بابهِ نسجَ العنكبوتِ فقالوا : لو دخلَ ههنا لم يكن نسجَ العنكبوتِ على بابهِ ، فكثتَ فيه ثلاثَ ليالٍ .

١٩٥ - * روى الحاكم عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهَ عنهُما قالَ : شَرَى عَلِيٌّ نَفْسَهُ ، وَلَيْسَ ثَوْبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ نَامَ مَكَانَهُ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَرَوْنَهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْبَسَةَ بُرْدَةً ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلُوا يَرْقُبُونَ عَلِيًّا وَيَرَوْنَهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ لَيْسَ بُرْدَةً وَجَعَلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَضَوَّرُ فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ فَقَالُوا إِنَّكَ لِلَّهِمَّ إِنَّكَ لَتَتَضَوَّرُ ، وَكَانَ صَاحِبُكَ لَا يَتَضَوَّرُ وَلَقَدْ اسْتَنْكَرْنَاكَ مِنْكَ .

١٩٦ - * روى أحمد والطبراني عن أسماء بنتِ أبي بكرٍ قالت لما خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَخَرَجَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ احْتَلَى أَبُو بَكْرٍ مَعَهُ مَالَهُ كُلَّهُ خَمْسَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ أَوْ سِتَّةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَأَنْطَلَقَ بِهَا مَعَهُ قَالَتْ فَدَخَلَ عَلَيْنَا جَدِّي أَبُو قُحَافَةَ وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ قَدْ فَجَعَلَكُمْ بِأَيْدِيهِ مَعَ نَفْسِهِ قَالَتْ : قُلْتُ كَلَّا يَا أَبَتِ قَدْ تَرَكَ لَنَا خَيْرًا كَثِيرًا قَالَتْ فَأَخَذْتُ أَحْجَارًا فَتَرَكْتُهَا فَوَضَعْتُهَا فِي كُوَّةٍ لِبَيْتِ كَانَ أَبِي يَضَعُ فِيهَا مَالَهُ ثُمَّ وَضَعْتُ عَلَيْهَا ثَوْبًا ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ فَقُلْتُ : يَا أَبَتِ ضَعْ يَدَكَ عَلَى هَذَا الْمَالِ قَالَتْ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَا بَأْسَ إِنْ كَانَ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا لَقَدْ أَحْسَنَ ، وَفِي هَذَا لَكُمْ بَلَاغٌ قَالَتْ وَلَا وَاللَّهِ مَا تَرَكَ لَنَا شَيْئًا ، وَلَكِنْ قَدْ أَرَدْتُ أَنْ أُسْكِنَ الشَّيْخَ بِذَلِكَ .

١٩٧ - * روى البخاري عن أسماء بنتِ أبي بكرٍ رضيَ اللهَ عنهُما قالتُ : صَنَعْتُ سَفَرَةَ

١٩٥ - المستدرك (٤ / ٣) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .
يتضوَّر : أي يتلوى ويتقلب ظهرًا لبطن .

١٩٦ - أحمد في مسنده (٦ / ٢٥٠) والطبراني (٢٤ / ٨٨) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٥٩) وقال : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع .
الكوة : ثقب في الحائط .

١٩٧ - البخاري (٦ / ١٢٩) ٥٦ - كتاب الجهاد - ١٢٢ - باب : حمل الزاد في الغزو .

للنبي ﷺ في نيت أبي بكر، حين أراد أن يهاجر إلى المدينة، فلم نجد لسفرته ولا لسقائه ما نربطها به، فقلت لأبي بكر: والله ما أجد شيئاً أربط به، إلا نطائي، قال: فشقيبه باثنين، فاربطيه بواحد السقاء، وبالأخر السفرة، ففعلت، فلذلك سميت: ذات النطاقين.

١٩٨ - * روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أخرج رسول الله ﷺ من مكة، قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، ليهلكوا فأنزل الله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾^(١) فقال أبو بكر: لقد علمت أنه سيكون قتال.

وفي رواية النسائي^(٢) قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة، قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون ليهلكن، فنزلت ﴿أذن للذين يقاتلون....﴾ الآية. فعرفت أنه سيكون قتال. قال ابن عباس: هي أول آية نزلت في القتال.

١٩٩ - روى أبو يعلى عن ابن عباس قال لما خرج رسول الله ﷺ من مكة قال: «أما والله لأخرج منك، وإني لأعلم أنك أحب بلاد الله إلي وأكرمها على الله ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت يأتيني عبد مناف إن كنتم ولاية هذا الأمر من بعدي فلا تمنعوا طائفاً بيئت الله ساعة ما شاء من ليل ولا نهار ولولا أن تطغى قريش لأخبرتها ما لها عند الله اللهم إنك أذقت أولهم وبالا فأذق آخرهم نوالاً».

٢٠٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي بكر قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال: «يا أبا

نطاي: النطاق: شيء تشد به المرأة وسطها، وترفع به ثوبها أن يسال الأرض عند قضاء الأشغال. سقاء: السقاء: إناء للماء من الجلود كالقربة.

١٩٨ - الترمذي (٢٢٥ / ٥) (٤٨) - كتاب تفسير القرآن (٢٣) باب «من سورة الحج». قال: هذا حديث حسن.

(١) الحج: ٢٩.

(٢) النسائي: (٢ / ٦) كتاب الجهاد - باب وجوب الجهاد - وإسناده صحيح.

١٩٩ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢ / ٢٨٢). وقال: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات.

٢٠٠ - البخاري (٢٢٥ / ٨) ٦٥ - كتاب التفسير - ٩ - باب: ثاني اثنين إذ هما في الغار.

بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما .

٢٠١ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : لَمْ أَغَيِّلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهَمًا يَدِينَانِ الدِّينَ ، وَلَمْ يَمِرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفِي النَّهَارِ ، بَكْرَةً وَعَشِيَّةً ، فَلَمَّا ابْتَلَى الْمُسْلِمُونَ ، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مَهَاجِرًا لِحُورِ الْأَرْضِ الْحَبَشَةِ ، حَتَّى بَلَغَ بَرَكَ الْغِيَادِ ، لَقِيَهُ ابْنُ الدُّغْنَةِ - وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ - فَقَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَخْرَجَنِي قَوْمِي ، فَأَرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي ، فَقَالَ ابْنُ الدُّغْنَةِ : فَإِنْ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ وَلَا يَخْرُجُ ، إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمُدُومَ ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الْكُلَّ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتَعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ ، ارْجِعْ فاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَيْتِكَ ، فَارْجِعْ . وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدُّغْنَةِ ، فَطَافَ ابْنُ الدُّغْنَةِ فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلَهُ وَلَا يَخْرُجُ ، أَنْخَرِجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ الْمُدُومَ ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ ، وَيَحْمِلُ الْكُلَّ ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ ، وَيَعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ؟ فَلَمْ تَكْذِبْ قُرَيْشٌ بِجَوَارِ ابْنِ الدُّغْنَةِ .

وفي رواية : فَأَنْفَذَتْ قُرَيْشٌ جَوَارَ ابْنِ الدُّغْنَةِ - وَأَمَنُوا أَبَا بَكْرٍ - وَقَالُوا لِابْنِ الدُّغْنَةِ : مُرَّ أَبَا بَكْرٍ فَلْيُعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ ، فَلْيَصِلْ فِيهَا ، وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ ، وَلَا يُوْذِنَا بِذَلِكَ ، وَلَا يَسْتَعْلِنَ بِهِ ، فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا ، فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدُّغْنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ ، فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ ، وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ ، وَلَا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ ، ثُمَّ بَدَأَ لِأَبِي بَكْرٍ ، فابْتَنَى مَسْجِدًا بِفَنَاءِ دَارِهِ ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَتَقَدِّفُ عَلَيْهِ نِسَاءَ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاءَهُمْ وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً ، لَا يَمْلِكُ عَيْنِيهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ

= ومسلم (٤ / ١٨٥٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١ - باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

٢٠١ - البخاري (٧ / ٢٢٠) ٦٢ - كتاب مناقب الأنصار - ٤٥ - باب : هجرة النبي ﷺ إلى المدينة .

يدينان الدين : مسلمين على دين الإسلام . بَرَكَ القَاد : بفتح الباء وكسر الغين وفتحها : هو بلد يمان . القارة : بتخفيف الراء قبيلة من كنانة . تَكْسِبُ المَدُوم : تعطي الفقير المعدم مالا وفعل (كَسَبَ) متعدي . الْكُلُّ : ما يثقل حمله ، من صلات الأرحام ، والقيام بالعيال ، وقرى الأضياف ، ونحو ذلك . نَوَائِبِ الْحَقِّ : النوائب : ما ينوب الإنسان من المفارم ، وقضاء الحقوق لمن يقصده ويؤمله . فَأَنَا لَكَ جَارٌ : أي : حامي وناصر ومدافع . تَقْصِفُ : الناس عليه : أي : ازدحوا .

الدُّغْنَةُ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالُوا : إِنَّا كُنَّا أَجْرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجَوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفَنَاءِ دَارِهِ ، فَأَعْلَنَ بِالصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا ، فَانْهَ ، فَإِنْ أَحَبُّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَقُلْ ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلَنَ بِذَلِكَ ، فَسَلِّهُ أَنْ يَزِدَّ ذِمَّتَكَ ، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ ، وَلَسْنَا مَقْرِينَ لِأَبِي بَكْرٍ الْاسْتِغْلَانِ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَأَتَى ابْنُ الدُّغْنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّمَا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي ، فَإِنِّي لِأَحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أَخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : فَإِنِّي أُرِدُّ إِلَيْكَ

ثَلَاثَ لَيَالٍ بَيْتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌ ثَقِفٌ لَقِنٌ ، فَيَدْلُجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بَسَحَرٍ ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِكَّةَ كَبَائِتٍ ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يَكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاةً ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ ، وَيَرْغَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ ابْنِ فُهَيْرَةَ - مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ - مَنَحَةٌ مِنْ غَنَمٍ ، فَيَرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ ، فَيَبِيَّتَانِ فِي رِسْلِ - وَهُوَ لَبَنٌ مَنَحْتُهُمَا - وَرَضِيْفُهُمَا - حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِفَلَسٍ ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ ، وَاسْتَأْجَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدَّيْلِ - وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ - هَادِيًا خَرِيْتًا - وَالْخَرِيْتُ : الْمَاهِرُ بِالْهُدَايَةِ - قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ ، فَأَمَانَةٌ ، فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا ، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا ، وَأَنْطَلَقَ مَعَهُمَا ابْنُ فُهَيْرَةَ ، وَالِدَيْهِ ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ « وَفِي رَوَايَةٍ « طَرِيقَ السَّاحِلِ » .

قَالَ ابْنُ شَهَابٍ ^(١) وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَالِكٍ الْمَدْلُجِيُّ - وَهُوَ ابْنُ أَخِي سَرَّاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْثَمٍ - أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ : أَنَّهُ سَمِعَ سَرَّاقَةَ بْنَ جُعْثَمٍ يَقُولُ : جَاءَنَا رَسُولُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَّةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسْرَهُ ، فَبَيَّنَّا أَنَّا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مَدْلُجٍ ، إِذَا أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ ، حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ ، فَقَالَ : يَا سَرَّاقَةَ ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْفًا أَسْوَدَةً بِالسَّاحِلِ ، أَرَاهَا عَمْدًا وَأَصْحَابَةً ، قَالَ سَرَّاقَةُ : فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فَلَانًا وَفَلَانًا أَنْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا ، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً ، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ ، فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ

= فتعطف طرفًا من أعلاه على أسفله ، لئلا ينال الأرض .

ثَقِفٌ : ثَقَفَ الرَّجُلُ ثَقَافَةً ، أَيْ : صَارَ حَادِقًا خَفِيفًا ، فَهُوَ ثَقِفٌ ، مَتَالُ ضَخْمٍ ، فَهُوَ ضَخْمٌ - لَقِنٌ : اللَّقِنُ : سَرِيعُ الْفَهْمِ - أَدْلُجٌ : يَدْلُجُ : إِذَا سَارَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ ، وَأَدْلُجٌ يَدْلُجُ - تَشْدِيدُ الدَّالِ : إِذَا سَارَ مِنْ آخِرِهِ - كَدْتُ : الرَّجُلُ أَكِيدُهُ : إِذَا طَلَبْتُ لَهُ الْغَوَائِلَ وَمَكْرَتُ بِهِ - مَنَحَةٌ : الْأَصْلُ فِي الْمَنَحَةِ : أَنْ يَجْعَلَ الرَّجُلُ لِبَنٍ نَاقَتَهُ أَوْ شَاتَهُ لِأَخَرٍ وَقَتًا مَا ، ثُمَّ يَقَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ مَا يَرْزُقُهُ الْمَرْءُ وَيُعْطَاهُ - فَيَرِيحُهَا : الرَّوَّاحُ : ذَهَابُ الْعِشَاءِ ، وَهُوَ مِنْ زَوَالِ الشَّمْسِ إِلَى

تَخْرُجُ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكْمَةِ ، فَتَحْبِسُهَا عَلَيَّ ، وَأَخْذْتُ رُمْحِي ، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ ، فَخَطَطْتُ بِرُجَّةِ الْأَرْضِ ، وَخَفَضْتُ غَالِيَةَ ، حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا ، فَرَفَعْتُهَا تَقَرُّبَ بِي ، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ ، فَعَثَرْتُ بِي فَرَسِي ، فَخَرَزْتُ عَنْهَا ، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ بِيَدِي إِلَى كِنَانَتِي فَاسْتَخَرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ ، فَاسْتَقَسِمْتُ بِهَا : أَضْرَمَ ، أَمْ لَا ؟ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي - وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ - تَقَرُّبُ بِي ، حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ ، وَأَبُو بَكْرٍ يَكْثُرُ اللَّاتِفَاتِ : سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَعَتَا الرُّكْبَتَيْنِ ، فَخَرَزْتُ عَنْهَا ، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَتَهَضَّتْ ، فَلَمْ تَكُدْ تَخْرِجُ يَدَيَّهَا ، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عَثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ ، فَاسْتَقَسِمْتُ بِالْأَزْلَامِ ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ ، فَسَادِيَتْهُمْ بِالْأَمَانِ ، فَوَقَّفُوا ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي - حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَسَنِ عَنْهُمْ - أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ - وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ - وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ ، فَلَمْ يَزَلْزَلِي إِلَّا أَنْ قَالَ : « أَخْفِ عَنَّا » ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ ، فَأَمَرَ عَامَرَ بْنَ فُهَيْرَةَ ، فَكَتَبَ لِي فِي رَقْعَةٍ مِنْ أَدَمٍ ، وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : « فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ تُجَّارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّامِ ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بِياضٍ ، وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلُّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ فَيَنْتَظِرُونَهُ ، حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ ، فَاتَّقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَمَا أَطَالُوا أَنْتِظَارَهُمْ ، فَلَمَّا أَوْوَأَ إِلَى بُيُوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أَطْرَافِهِمْ لَأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَبَصَرَ بِرَسُولِ اللَّهِ

= قُرْبَى : الْفَرَسُ يَقْرَبُ تَقْرِيبًا : إِذَا عَدَا عَدُوًّا دُونَ الْإِسْرَاعِ ، وَلَهُ تَقْرِيبَانِ أَدْنَى وَأَعْلَى . الْكِنَانَةُ : كَيْسٌ مِنْ جِلْدٍ تَجْعَلُ فِيهَا السَّهَامَ ، وَهِيَ الْجَبَّةُ . الْأَزْلَامُ : الْقِدَاحُ ، وَاحِدُهَا : زَلَمٌ ، وَزَلَمٌ - بِفَتْحِ الزَّايِ وَصَوْبِهَا ، وَفَتْحِ اللَّامِ فِيهَا - وَ (الْقِدْحُ) : السَّهْمُ الَّذِي لَا نَصْلَ لَهُ وَلَا رِيشَ ، وَكَانَ لَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ هَذِهِ الْأَزْلَامُ ، مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ ، وَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَضَعُهَا فِي كِنَانَتِهِ أَوْ فِي وَعَائِهِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا عِنْدَ عَزِيمَتِهِ عَلَى أَمْرٍ مَا اتَّفَقَ لَهُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ ، فَإِنْ خَرَجَ الْأَمْرُ مَضَى عَلَى عَزَمِهِ ، وَإِنْ حَرَجَ النَّاهِي أَنْصَرَفَ . الْاسْتَقْسَامُ : أَصْلُ الْاسْتِقْسَامِ : طَلَبُ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْأَقْسَامِ . وَ (الْقَسْمُ) : النَّصِيبُ لِلْغَيْبِ عَنْهُ عِنْدَ طَلْبِهِ ، وَذَلِكَ مَعْدُودٌ إِذَا طُلِبَ مِنْ جِهَتِهِ سَبْحَانَهُ ، وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَطْلُبُونَ مَا غِيبَ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ الْأَزْلَامِ ، فَمَا دَلَّتْهُمْ عَلَيْهِ فَعَمَلُوهُ . سَاخَتْ : قَوَائِمُ الدَّابَّةِ فِي الْأَرْضِ : غَاصَتْ فِيهَا . عَثَانٌ : الْغُبَارُ ، وَأَصْلُهُ الدُّخَانُ ، وَجَمْعُهُ عَوَائِنٌ ، عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ . السَّاطِعُ : الْمُرْتَفِعُ فِي الْجَوِّ مَمْتَرًا ، مَارِزَاتٌ فَلَانًا شَيْئًا : أَيُّ : مَا أَصَابَتْ مِنْهُ شَيْئًا ، وَالْمُرَادُ : أَنَّهَا لَمْ يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا . قَافِلِينَ : الْقَافِلُ : الرَّاجِعُ مِنْ سَفَرِهِ .

ﷺ وأصحابه مبيضين ، يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوتيه : يامعشر العرب ، هذا جدكم الذي تنتظرون ، قال : فقار المسلمون إلى السلاح ، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين ، حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف ، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، فقام أبو بكر للناس ، وجلس رسول الله ﷺ صامتا ، فطفيق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر ، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه ، فعرف الناس رسول الله ﷺ عنده ذلك ، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضعة عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى ، وصلى فيه رسول الله ﷺ ، ثم زكبة راحلته ، فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة ، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين ، وكان مربدا للتمر ، لسهل وسهل - غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة - فقال رسول الله ﷺ حين بركت راحلته « هذا إن شاء الله المنزل » ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين ، فساومهما بالبريد ليتخذاه مسجدا ، فقالا : بل نهيه لك يا رسول الله فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعة منهما ثم بناء مسجدا ، وطفيق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في ثنيانیه ، ويقول وهو ينقل اللبن :

هَذَا الْحِمَالُ لِحِمَالِ خَيْبَرِ هَذَا أَبْرُ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ

ويقول :

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

فمثل بشعر رجل من المهاجرين ، لم يسم لي .

قال ابن شهاب : ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ مثل ببئس شعر تام غير هذه الأبيات .

مبيضين : بكسر الباء ، أي : هم ذوو ثياب بيض ، ومنه للسود كسر الواو للابس السواد ، ولذلك قيل لأصحاب الدعوة العباسية : للسودة . يزول بهم : زال بهم السراب ، أي : ظهرت حركتهم فيه للمعين . حطكم . المرهد : المكان الذي يوضع فيه التمر . الحمال : بكسر الحاء : من الحمل ، والذي يحمل من خيبر هو التمر ، ولعله عنى : أن هذا في الآخرة أفضل من ذلك ثوابا وأحسن عاقبة .

فوائد من فتح الباري :

١ - عن ابن شهاب قال : كان بين ليلة العقبة - يعني الأخيرة - وبين مهاجر النبي ﷺ ثلاثة أشهر أو قريب منها . قلت : هي ذو الحجة والمحرم وصفر ، لكن كان مضى من ذي الحجة عشرة أيام ، ودخل المدينة بعد أن استهل ربيع الأول فهما كان الواقع أنه اليوم الذي دخل فيه من الشهر يعرف منه القدر على التحرير ، فقد يكون ثلاثة سواء وقد ينقص وقد يزيد ، لأن أقل ما قيل إنه دخل في اليوم الأول منه ، وأكثر ما قيل إنه دخل الثاني عشر منه .

٢ - بمناسبة قول ابن الدُّغْنَةِ عن أبي بكر (لا يخرج مثله) قال ابن حجر : أي : من وطنه باختياره على نية الإقامة في غيره مع ما فيه من النفع المتعدي لأهل بلده ، (ولا يُخْرِج) أي : ولا يخرج أحد بغير اختياره للمعنى المذكور ، واستنبط بعض المالكية من هذا أن من كانت فيه منفعة متعدية لا يمكن من الانتقال عن البلد إلى غيره بغير ضرورة راجحة .

٣ - بمناسبة أمر رسول الله ﷺ لعامر بن فهيرة أن يكتب عقد أمان لسراقة . قال ابن حجر :

قوله : فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من آدم وفي رواية بن إسحاق : (فكتب لي كتاباً في عظم - أو ورقة أو خرقة - ثم ألقاه إلي ، فأخذته فجعلته في كنانتي ثم رجعت) وفي رواية موسى بن عقبة نحوه وعندهما (رجعت فسئلت فلم أذكر شيئاً عما كان ، حتى إذا فرغ من حنين بعد فتح مكة خرجت لألقاه ومعني الكتاب ، فلقيته بالجعرانة حتى دنوت منه فرفعت يدي بالكتاب فقلت : يا رسول الله هذا كتابك ، فقال : يوم وفاء وبر ، أدن ، فأسلمت) وفي رواية صالح بن كيسان نحوه ، وفي رواية الحسن عن سراقة قال : (قبلتني أنه يريد أن يبعث خالد بن الوليد إلى قومي ، فأنتيتني فقلت : أحب أن توادع قومي ، فإن أسلم قومك (أي : قريش) أسلموا وإلا أمنت منهم ، ففعل ذلك ، قال : ففهم نزلت : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ﴾ (١) الآية) اهـ .

انظر إلى الوفاء كيف أن العقد لسراقة سرى على قومه بطلبه ، مع العلم أن قومه لم يكونوا يقاتلون المسلمين ولولا ذلك ما سرى ذلك العقد إليهم .

٤ - بمناسبة الحديث عن نزول رسول الله ﷺ ابتداء في قباء ، قال ابن حجر :

وهو في التحقيق أول مسجد صلى النبي ﷺ فيه بأصحابه جماعة ظاهراً ، وأول مسجد بني لجماعة المسلمين عامة .

٥ - وبمناسبة خروج رسول الله ﷺ من قباء إلى المدينة قال ابن حجر عند قوله :

(ثم ركب راحلته) وقع عند ابن إسحاق وابن عائد أنه ركب من قباء يوم الجمعة فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فقالوا : يا رسول الله هلم إلى العَدَد والعُدَد والقوة ، أنزل بين أظهرنا . وعند أبي الأسود عن عروة نحوه وزاد : وصاروا يتنازعون زمام ناقته . وسمى من سألته النزول عندهم : عتبان بن مالك في بني سالم ، وفروة بن عمرو في بني بياضة ، وسعد بن عباد والمنذر بن عمرو وغيرهما في بني ساعدة ، وأبا سليط وغيره في بني عدي ، يقول لكل منهم : « دعوها فإنها مأمورة » وعند الحاكم من طريق إسحاق بن أبي طلحة عن أنس : (جاءت الأنصار فقالوا إلينا يا رسول الله ، فقال : « دعوا الناقة فإنها مأمورة » ، فبركت على باب أبي أيوب) قوله : (حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة) في حديث البراء عن أبي بكر (فتنازعه القوم أيهم ينزل عليه فقال : إني أنزل على أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك) وعند ابن عائد عن الوليد بن مسلم وعند سعيد بن منصور كلاهما عن عطف بن خالد : « أنها استناخت به أولاً فجاءه ناس فقالوا : المنزل يا رسول الله ، فقال : « دعوها » ، فانبعث حتى استناخت عند موضع المنبر من المسجد ، ثم تحلحلت فنزل عنها ، فأتاه أبو أيوب ، فقال : إن منزلي أقرب المنازل فأذن لي أن أتقل رحلك ، قال : « نعم » ، فنقل وأناخ الناقة في منزله . وذكر ابن سعد أن أبا أيوب لما تقل رجل النبي ﷺ إلى منزله قال النبي ﷺ : « المرء مع رحله » وأن أسعد بن زرارة جاء فأخذ ناقته فكانت عنده ، قال : وهذا أثبت ، وذكر أيضاً أن مدة إقامته عند أبي أيوب كانت سبعة أشهر .

٢٠٢ - * روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : جاء أبو بكر رضي الله عنه إلى أبي في منزله ، فاشترى منه رجلاً ، فقال لعازب : ابعت ابنك يحمله معي ، قال فحملته معه ، وخرج أبي ينتقد ثمنه ، فقال له أبي : يا أبا بكر حدثني كيف صنعتما ليلة سريت مع رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، أشرينا ليلتنا ومن الغد ، حتى قام قائم الظهيرة ، وخلا الطريق لا يمر فيه أحد ، فرفعت لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت عليه الشمس ، فنزلنا عندها وسويت للنبي ﷺ مكاناً بيدي ينأى عنه وبسطت عليه فروة ، وقلت له : ثم يارسول الله ، وأنا أنفض لك ماحولك ، فنام ، وخرجت أنفض ماحولة ، فإذا أنا براع مقبل بغيره إلى الصخرة ، يريد منها الذي أردنا ، فقلت : لمن أنت يا غلام ؟ فقال : لرجل من أهل المدينة ، فقلت : أفي غنمك لبن ؟ قال : نعم ، قلت : أفتحلب لي ؟ قال : نعم ، فأخذ شاة ، فقلت : أنفض الضرع من التراب والشعر والقذى . قال : فرأيت البراء يضرب إحدى يديه على الأخرى ينفض . فحلب في قعب كئبة من لبن ، قال : ومعى إداوة حملتها للنبي ﷺ يرتوي منها ويشرب ويتوضأ ، فأتيت النبي ﷺ فكرهت أن أوقفه فواقفته حتى استيقظ . فصبت من الماء على اللبن حتى برة أسفله ، فقلت : يارسول الله اشرب : فشرب حتى رضى ، ثم قال : « ألم يأن للرحيل ؟ » قلت : بلى ، قال : فارتحلنا بعد ما مالت الشمس ، وأتبعنا سراقه بن مالك ، فقلت : أتينا يارسول الله ، فقال : « لاتخزن ، إن الله معنا » فدعا عليه رسول الله ﷺ ، فارتطمت به فرسة إلى بطنها : فقال : إني أراكم قد دعوتنا علي ، فادعوا لي ، فالله لكم أن أرد عنكم الطلب ، فدعا له رسول الله ﷺ ، فنجأ ، فجعل لا يلقى أحداً إلا قال : كفيتم ما هنا ، فلا يلقى أحداً إلا رده قال : ووفى لنا .

٢٠٢ - البخاري (٦ / ٦٢٢) ٦١ - كتاب اللناقب (٢٥) باب علامات النبوة في الإسلام .

ومسلم (٤ / ٢٣٠٩) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق - ١٩ - باب : في حديث الهجرة .

الرجل : سرج البعير - وهو الكور - وقد يراد به القتب والجداجة . قائم الظهيرة : أشد الحر وسط النهار ، وقائما : وقت استواء الشمس في وسط السماء (أنفض لك ما حولك) أي أحرك وأطوف هل أرى أحداً يطلبك .

قعب : قدح ضخم غليظ . كئبة : الكئبة : القليل من اللبن . ألم يأن : ألم يقرب ويحيي ، وقت الرواح . المجدل : الأرض الغليظة الصلبة . أتينا : المراد : أنهم لحقونا وأدركونا . فارتطمت : ارتطمت في الوحل : إذا شبت فيه ولم تك تد تخلص ، وارتطم الرجل في أمره : إذا سدت عليه مداخله .

٢٠٣ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أقبل نبي الله ﷺ إلى المدينة وهو مُرَدَفٌ أبا بكر، وأبو بكر شيخٌ يُعرف، ونبي الله ﷺ شابٌ لا يُعرف، فالتقى الرجلُ أبا بكر، فيقول : يا أبا بكر، من هذا الرجل الذي بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهديني السبيلَ فيحسبُ الحاسبُ : أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني به سبيلَ الخير، فالتفت أبو بكر، فإذا هو بفارسٍ قد لحقهم، فقال : يا رسول الله، هذا فارسٌ قد لحق بنا، فالتفت نبي الله ﷺ، فقال : « اللهم اضرعه »، فصرعه قرسه، ثم قامت تُحَمِّمُ، فقال : يانبي الله، مُرِنِي بما شئتَ، قال : « فقف مكانك، لا تتحركنَّ أحداً يلحق بنا »، فكان أولُ النهارِ جاهداً على رسول الله ﷺ، وكان آخرُ النهارِ مسلحةً له، فنزل رسول الله ﷺ جانبَ الحرة، ثم بعث إلى الأنصار، فجاءوا إلى نبي الله ﷺ وأبي بكر، فسلموا عليهما، وقالوا : اركبا أمينين مطاعين، فركب نبي الله ﷺ وأبو بكر، وخفوا دونهما بالسلاح، فقبل في المدينة : جاء نبي الله، جاء نبي الله، فاشرفوا ينظرون، ويقولون : جاء نبي الله فأقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب فإنه ليحدث أهله، إذ سمع به عبد الله بن سلام - وهو في نخلٍ لأهله يخترِف لهم - فجعل أن يضع الذي يخترِف لهم فيها، فجاء وهي معة، فسمع من نبي الله ﷺ، ثم رجع إلى أهله، فقال رسول الله ﷺ : « أيُّ بُيُوتِ أَهْلِنَا أَقْرَبُ ؟ » فقال أبو أيوب : أنا يانبي الله، هذه داري، وهذا بابي، قال : « فأنطلق فهِسْ لَنَا مَقِيلًا »، قال : قوما على بركة الله، فلما جاء رسول الله ﷺ، جاء عبد الله بن سلام، فقال : أشهد أنك رسول الله، وأنت جئت بالحق، وقد علمتَ يهودُ أني سيِّدُهم وابنُ سيِّدِهم، وأعلمهم وابنُ أعلمهم، فادعهم، فاسألهم عني قبل أن يعلموا أنني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أنني قد أسلمت قالوا في ما ليس في، فأرسل

٢٠٣ - البخاري (٢٤٩ / ٧) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٤٥ - باب هجرة النبي ﷺ .

(وأبو بكر شيخ يعرف ورسول الله ﷺ شاب لا يعرف) : لعل الراوي أنسا يعني أن أبا بكر حسب مظهره يبدو أنه أسن من النبي ﷺ والمعلوم أن النبي ﷺ كان أسن من أبي بكر بنحو سنتين، وهذا ما ذكره ابن حجر في الفتح قال : يريد أن أبا بكر قد شاب .

جاهداً : الجاهد : المبالغ الباذل غاية ما يقدر عليه . مسلحة : المسلحة : قوم ذو سلاح، والمسلحة أيضاً : كالشفر والمزق وهو الموضع الذي يقيم فيه قوم يحفظون من وراءهم من العدو، لئلا يهجموا عليهم، ويدخلوا إليهم، وهو بالأصمية : اليرك . الاختراف : اجتناء الثمر من الشجر .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأَقْبَلُوا فَدْخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ، وَبَلَّغْتُكُمْ ، اتَّقُوا اللَّهَ ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا ، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ ، فَأَسْلِمُوا » ، قَالُوا : مَا نَعْلَمُ - قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - قَالَ : « فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ ابْنُ سَلَامٍ ؟ » قَالُوا : ذَلِكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا ، وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا ، قَالَ : « أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ ؟ » قَالُوا : خَاشَى اللَّهَ ، مَا كَانَ لِيُسَلِّمَ - قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَرَدُّوا عَلَيْهِ - فَقَالَ : « يَا ابْنَ سَلَامٍ ، أَخْرِجْ عَلَيْهِمْ » فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ، اتَّقُوا اللَّهَ ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ ، قَالُوا : كَذَبْتَ ، فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

٢٠٤ - * روى البراء عن قيس بن النعمان قال : لما انطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر يَسْتَخْفِيَانِ نَزَلَا بِأَبِي مَعْبُدٍ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا لَنَا شَاءَ وَإِنْ شَاءَنَا لَحَوَامِلُ فَمَا بَقِيَ لَنَا لَبَنٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - أَحْسَبُهُ - « فَمَا تِلْكَ الشَّاءُ ؟ » فَأَتَيْتُ بِهَا ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْبَرَكَةِ عَلَيْهَا ثُمَّ خَلَبَ عَسَا ، فَسَقَاهُ ثُمَّ شَرِبُوا ، فَقَالَ : أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ قَرِيشُ أَنَّكَ صَابِئٌ ، قَالَ : « إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ » قَالَ أَشْهَدُ أَنْ مَا جِئْتُ بِهِ حَقٌّ ، ثُمَّ قَالَ : أَتُبْعُكَ قَالَ : « لَا حَتَّى تَسْمَعَ أَنَا قَدْ ظَهَرْنَا » فَاتَّبَعَهُ بَعْدَ .

٢٠٥ - * روى الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْغَارِ مُهَاجِرًا وَفَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعَامِرُ بْنُ قُهَيْرَةَ مُرَدِّقَهُ أَبُو بَكْرٍ وَخَلْفَهُ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَرْيَظٍ اللَّيْثِيُّ ، فَسَلَكَ بَيْنَهُمَا أَسْفَلَ مِنْ مَكَّةَ ثُمَّ مَضَى بَيْنَهُمَا حَتَّى هَبَطَ بَيْنَهُمَا عَلَى السَّاحِلِ أَسْفَلَ مِنْ عُسْفَانَ ، ثُمَّ اسْتَجَارَ بَيْنَهُمَا عَلَى أَسْفَلِ أَمَجٍ ، ثُمَّ عَارَضَ الطَّرِيقَ بَعْدَ أَنْ أَجَازَ قُدَيْدًا ثُمَّ سَلَكَ بَيْنَهُمَا الْحِجَازَ ، ثُمَّ أَجَازَ بَيْنَهُمَا تَنْيَةَ الْمُرَارِ ، ثُمَّ سَلَكَ بَيْنَهُمَا الْحَفِيَاءَ ، ثُمَّ أَجَازَ بَيْنَهُمَا مَدْلَجَةَ لَقْفٍ ثُمَّ اسْتَبْطَنَ بَيْنَهُمَا مَدْلَجَةَ صَحَاحٍ ، ثُمَّ سَلَكَ بَيْنَهُمَا مَذْحِجٍ ، ثُمَّ بَطَّنَ مَذْحِجٍ مِنْ ذِي الْفُصْنِ

٢٠٤ - البراء : كشف الأستار (٢ / ٢٠١) وأورده الميمني في مجمع الزوائد (٦ / ٥٨) وقال رواه البراء ورجاله رجال الصحيح .

عُتَا : القدح الكبير .

٢٠٥ - الحاكم (٢ / ٨) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبي .

ذِي الْفُصْنِ : وادٍ من حرة بني سليم .

السنه : في الجبل كالعقبة فيه وقيل هو الطريق العالي فيه .

ثُمَّ يَبْطِنُ ذِي كَشْدٍ ، ثُمَّ أَخَذَ الْجَبَاحِبَةَ ثُمَّ سَلَكَ ذِي سَلَمٍ مِنْ بَطْنِ أَعْلَى مَذْلَجَةٍ ، ثُمَّ أَخَذَ الْقَاحَةَ ثُمَّ هَبَطَ الْعَرَجَ ، ثُمَّ سَلَكَ ثَنِيَّةَ الْغَائِرِ عَنْ يَمِينِ رَكُوبِهِ ثُمَّ هَبَطَ بَطْنَ رَيْمٍ ، فَقَدِمَ قَبَاءَ عَلَى نَبِيِّ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ .

فائدة : عبد الله هو دليل الرحلة وكان مشركاً من بني ليث من كنانة وقد استأجره أبو بكر وفي ذلك ما يدل على أنه إذا لم يوجد مسلم لمهمة لابد منها فبالإمكان الاستفادة من الكافر الثقة .

يلاحظ أن الدليل سار بهم في طريق راعى فيه كل مقتضيات الأمن وكان رسول الله ﷺ مسلماً في ذلك مما يدل على أن أخذ الاحتياط الأمني جزء من السنة النبوية .

٢٠٦ - * روى الحاكم عن محمد بن سيرين قال : ذَكَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَكَانَهُمْ فَضَّلُوا عُمَرَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَبِلْتُ ذَلِكَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : وَاللَّهِ لِلَّيْلَةِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ آلِ عُمَرَ وَلَيَوْمٍ مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ آلِ عُمَرَ ، لَقَدْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِيَنْطَلِقَ إِلَى الْغَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ فَجَعَلَ يَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَاعَةً خَلْفَهُ حَتَّى فَطَنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « يَا أَبَا بَكْرٍ مَا لَكَ تَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيَّ وَسَاعَةً خَلْفِي » فَقَالَ : يَارَسُولَ اللَّهِ أَذْكَرُ الطَّلَبِ فَأَمْشِي خَلْفَكَ ثُمَّ أَذْكَرُ الرُّصْدِ فَأَمْشِي بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَقَالَ : « يَا أَبَا بَكْرٍ لَوْ كَانَ شَيْءٌ أَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ بِكَ دُونِي » قَالَ : نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا كَانَتْ لِي تَكُونَ مِنْ مُلِمَّةٍ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِي دُونَكَ ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُمَا إِلَى الْغَارِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : مَكَانَكَ يَارَسُولَ اللَّهِ حَتَّى أَسْتَبْرِئَ لَكَ الْغَارَ ، فَدَخَلَ وَأَسْتَبْرَأَ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي أَغْلَاةٍ ذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَبْرِئِ الْجِحْرَةَ فَقَالَ : مَكَانَكَ يَارَسُولَ اللَّهِ حَتَّى أَسْتَبْرِئَ الْجِحْرَةَ ، فَدَخَلَ وَأَسْتَبْرَأَ ثُمَّ قَالَ : انْزِلْ يَارَسُولَ اللَّهِ ، فَتَنَزَّلَ فَقَالَ عُمَرُ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَبْلُكَ اللَّيْلَةَ خَيْرٌ مِنْ آلِ عُمَرَ .

٢٠٧ - * روى الحاكم عن عروة بن الزبير أنه سَمِعَ الزُّبَيْرَ يَذْكُرُ أَنَّهُ لَقِيَ الرُّكْبَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

٢٠٦ - المستدرك (٦ / ٢) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرساله فيه ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

ملء : نازلة شديدة من شدائد الدهر . استبرئ : استبرأ الشيء : تقصى بحشه . الجحرة : بكسر الجيم جمع جحر .

٢٠٧ - المستدرك (١١ / ٢) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

كَانُوا تَجَارًا بِالشَّامِ قَافِلِينَ مِنْ مَكَّةَ عَارِضُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ بَثْيَابٍ بِيضٍ حِينَ سَمِعُوا بِخُرُوجِهِمْ فَلَمَّا سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ بِخُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانُوا يَنْغَدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يُؤْذِيَهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ فَيَنْقَلِبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا أَنْتِظَارَهُ فَلَمَّا أُذُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ أَتَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودِ أَطْلَافٍ مِنْ أَطَامِهِمْ لِيَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ مَبْيُضِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ هَذَا صَاحِبُكُمْ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ فَتَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السِّلَاحِ فَاتَّقُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ .

٢٠٨ - * روى الطبراني عن ابن إسحق قَالَ : نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَقِيَاءَ عَلَى كَلْثُومِ بْنِ هِرْمٍ أَخِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَيُقَالُ : بَلُّ نَزَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ فَأَقَامَ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْثَلَاثَاءِ وَالْأَرْبَعَاءِ وَالْخَمِيسِ وَأَسَسَ مَسْجِدَهُمْ وَخَرَجَ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فَأَذْرَكَهُ الْجُمُعَةُ فِي بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ فَصَلَّى الْجُمُعَةَ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي يَبْطِنُ الْوَادِي قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي أَيُّوبَ ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبِنَاءِ مَسْجِدِهِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ .

٢٠٩ - * روى الطبراني عن الشُّمُسِ بِنْتِ النُّعْمَانِ قَالَتْ نَظَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ قَدِيمٍ وَنَزَلَ وَأَسَسَ هَذَا الْمَسْجِدَ مَسْجِدَ قَبَاءَ فَرَأَيْتُهُ يَأْخُذُ الْحِجْرَ أَوِ الصُّخْرَةَ حَتَّى يَهْضُرَهُ الْحِجْرُ ، وَأَنْظُرَ إِلَى تَيَاضِ التَّرَابِ عَلَى بَطْنِهِ أَوْ سُرَّتِهِ فَيَأْتِي الرَّجُلُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَيَقُولُ بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطِنِي أَكْفِكَ فَيَقُولُ : « لَا ، خُذْ مِثْلَهُ » حَتَّى أَسْأَلَهُ . وَيَقُولُ : « إِنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ يَوْمُ الْكَعْبَةِ » قَالَ فَكَانَ يَقَالُ إِنَّهُ أَقَامَ مَسْجِدَ قِبْلَةٍ .

٢١٠ - * روى الطبراني عن عَاصِمِ بْنِ عَدِي قَالَ قَدِيمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لَأَثْنَتِي

قَالَ ابْنُ : رَاحِعِينَ - الْغَافِلُ الرَّاجِعُ مِنْ سَفَرِهِ . أَوَّلُ . أَشْرَفَ وَاطْلَعَ . مَبْيُضِينَ : بِكَسْرِ الْيَاءِ أَيْ هُمْ ذَوِ ثِيَابٍ بِيضٍ . أَطَامِهِمْ : الْأَطْمُ : الْبِنَاءُ الْمُرْتَفِعُ .

٢٠٨ - المعجم الكبير (٣٠ / ٦) وجمع الزوائد (٦٢ / ٦) . قال الهيثمي : رواه الطبراني ورجاله ثقات

٢٠٩ - المعجم الكبير (٣١٨ / ٢٤) وأورده الهيثمي في جمع الزوائد (١١ / ٤) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .
يعصره : أي يبلله .

٢١٠ - قال الهيثمي في جمع الزوائد (٦٢ / ٦) . رواه الطبراني ورجاله ثقات .

عَشْرَةَ لَيْلَةٍ خَلَّتْ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ فَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ .

٢٢١ - * روى الحاكم عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : شَهِدْتُ يَوْمَ دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَلَمْ أَرِ يَوْمًا أَحْسَنَ وَلَا أَضْوَأَ مِنْهُ .

٢١٢ - * روى الحاكم عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَخَرَجَ النَّاسُ حَتَّى دَخَلْنَا فِي الطَّرِيقِ وَصَاحَ النِّسَاءُ وَالْحُدَّامُ وَالْعِلْمَانُ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ أَكْبَرُ جَاءَ مُحَمَّدٌ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ انْطَلَقَ فَتَنَزَّلَ حَيْثُ أُمِرَ .

هذا الحديث أصل في جواز الهتاف الذي اعتاده أبناء الحركة الإسلامية في المناسبات .

٢١٣ - * روى أبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ لَعِبَتِ الْحَبَشَةُ لِقْدُومِهِ ، فَرَحًا بِذَلِكَ ، لَعِبُوا بِحِجَابِهِمْ .

٢١٤ - * روى الحاكم عن عكرمة قال لما خَرَجَ صَهِيبٌ مُهَاجِرًا تَبِعَهُ أَهْلُ مَكَّةَ فَتَنَزَّلَ كِنَانَتَهُ فَأَخْرَجَ مِنْهَا أَرْبَعِينَ سَهْمًا فَقَالَ : لَا تَصِلُونِ إِلَيَّ حَتَّى أَصْنَعَ فِي كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ سَهْمًا ثُمَّ أَصِيرُ بَعْدَ إِلَى السَّيْفِ فَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَجُلٌ وَقَدْ خَلَفْتُ بِمَكَّةَ فَيَنْتَنِي فِيهَا لَكُمْ . قَالَ (وَحَدَّثَنَا) حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ نَحْوَهُ وَنَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ الْآيَةَ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ « أَبَا يَحْيَى رِبْحُ الْبَيْعِ » قَالَ : وَتَلَا عَلَيْهِ الْآيَةَ .

٢١٥ - * روى الحاكم عن سعيد بن المسيب عن صهيب قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ سَبْخَةً بَيْنَ ظَهْرَانِي خَرَّةٌ فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ هَاجِرًا أَوْ تَكُونَ يَثْرِبَ » قَالَ : وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَخَرَجَ مَعَهُ

٢١١ - المستدرک (١٢ / ٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

٢١٢ - الحاكم (١٢ / ٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

٢١٣ - أبو داود (٤ / ٢٨١) كتاب الأدب ، باب في النهي عن الغناء . وإسناده صحيح .

فتنزل : نزل الشيء نزلًا : استخرجه .

٢١٤ - المستدرک (٣ / ٣٩٨) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبي .

٢١٥ - المستدرک (٣ / ٤٠٠) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

أبو بكر رضي الله عنه وكنت قد هممت بالخروج معه فصَدَّنِي فَيَّانَ مِنْ قَرِيشٍ فَجَعَلْتُ لِيَلْتِي تِلْكَ أَقْوَمُ وَلَا أَقْعَدُ فَقَالُوا : « قَدْ شَغَلَهُ اللَّهُ عَنْكُمْ بَيْطْنِهِ وَلَمْ أَكُنْ شَاكِيًا فَقَامُوا فَلَحِقَنِي مِنْهُمْ نَاسٌ بَعْدَ مَا سِرْتُ بِرَيْدًا لِيُرِدُونِي فَقُلْتُ لَهُمْ : هَلْ لَكُمْ أَنْ أُعْطِيَكُمْ أَوَاقِي مِنْ ذَهَبٍ وَتُخْلُونِ سَبِيلِي وَتَقُونِ لِي قَتْبَتَهُمْ إِلَى مَكَّةَ فَقُلْتُ لَهُمْ : اخْفَرُوا تَحْتَ أُسْكُفَةِ الْبَابِ فَإِنْ نُحِثَهَا الْأَوَاقِ وَادْهَبُوا إِلَى فَلَانَةَ فَخُذُوا الْحَلَّتَيْنِ وَخَرَجْتُ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَتَحَوَّلَ مِنْهَا يَعْنِي قَبَاءَ فَلَمَّا رَأَى قَالَ : « يَا أَبَا يَحْيَى زَبِجَ الْبَيْعِ » فَلَاثًا فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا سَبَقَنِي إِلَيْكَ أَحَدٌ وَمَا أَخْبَرَكَ إِلَّا جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

٢١٦ - * روى الحاكم عن صهيب ، قال : قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْهَجْرَةِ وَهُوَ يَأْكُلُ تَمْرًا فَأَقْبَلْتُ أَكُلُ مِنَ التَّمْرِ وَبَعِينِي رَمَدٌ فَقَالَ : « أَتَأْكُلُ التَّمْرَ وَبِكَ رَمَدٌ » فَقُلْتُ إِنَّهَا أَكُلُ عَلَى شِقْيِي الصَّحِيحِ لَيْسَ بِهِ رَمَدٌ قَالَ : فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

٢١٧ - * روى البخاري ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، أَنَّهَا حَمَلَتْ بِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ ، قَالَتْ : فَخَرَجْتُ وَأَنَا مَتَمٌ ، فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ ، فَنَزَلْتُ بِقَبَاءَ ، فَوَلَدْتُهُ بِقَبَاءَ ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَوَضَعَهُ فِي حِجْرِهِ ، ثُمَّ دَعَا بِتَمْرَةٍ فَمَضَغَهَا ، ثُمَّ تَقَلَّ فِي فِيهِ ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ حَنَكُهُ بِالتَّمْرِ ، ثُمَّ دَعَا لَهُ ، وَبَرَكَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وَلِدَ فِي الْإِسْلَامِ .

وفي رواية : ففرحوا به فرحاً شديداً لأنهم قيلَ لهم : إن اليهود سخرتكم فلا يولد لكم .

٢١٨ - * روى مالك عن عائشة رضي الله عنها قالت : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ

٢١٦ - المستدرک (٢ / ٢٩٩) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

٢١٧ - والبخاري (٧ / ٢٤٨) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٤٥ - باب . هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

متى : أتمت الحامل : دنا وقت ولادتها ، وأتمت أيام حملها فهي متة .

مسلم (٣ / ١٦٩١) ٣٨ - كتاب الآداب - ٥ - باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته ، وحمله إلى صالح بمنكه .

٢١٨ - اللوطا (٢ / ٨٩٠) ٤٥ - كتاب الجامع (المدينة) ٤ - باب ما جاء في وباء المدينة .

والبخاري (٤ / ٩٩) ٢٩ - كتاب فضائل المدينة ، باب ١٢ .

ومسلم (٢ / ١٠٠٢) ١٥ - كتاب الحج - ٨٦ - باب : الترغيب في سكنى المدينة ، والصبر على لأوائها .

وعنه : وعك فلان أصابه ألم من شدة التعب ، وعك المرض فلاناً آذاه وأوجعه . ألقح : ألقح الشيء : أنجلى

وانكشف . العقيرة : الصوت رفع عقيرته : رفع صوته من الألم .

وَعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ ، قَالَتْ : فَدَخَلْتُ عَلَيْهَا ، فَقُلْتُ : يَا أَبَتِ ، كَيْفَ تَجِدُكَ ؟
وَيَابِلَالُ ، كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ قَالَتْ : فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَى يَقُولُ :

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبِّحٍ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَذْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ
وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أَقْلَعَ عَنْهُ ، يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ فَيَقُولُ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً بِوَادٍ ، وَحَوْلِي إِذْخِرَ وَجَلِيلُ ؟
وَهَلْ أَرِدَنَ يَوْمًا مَيَّاهَ مَجَنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُونُ لِي شَامَةً وَطَفِيلُ ؟

قَالَتْ عَائِشَةُ : فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ
كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ ، وَصَحَّحْهَا ، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدَّهَا ، وَانْقُلْ حُمَاهَا
فاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ » .

وفي رواية نحوه ، وَزَادَ بَعْدَ بَيْتِي بِلَالٍ مِنْ قَوْلِهِ : اللَّهُمَّ أَلْعَنُ شَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَعَثْبَةَ
ابْنِ رَبِيعَةَ ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ ، كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الْوَبَاءِ . ثُمَّ قَالَتْ : قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ ... » .

وَذَكَرَ بَاقِي الدُّعَاءِ . قَالَتْ : وَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهِيَ أَوْبَاءُ أَرْضِ اللَّهِ ، قَالَتْ : وَكَانَ بَطْحَانُ
يَجْرِي نَجْلًا ، تَغْنِي مَاءَ آجِنَا » .

وَأَخْرَجَ الْمَوْطَأُ عَقِيبَ هَذَا الْحَدِيثِ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ : وَكَانَ عَامِرُ
ابْنُ قُهَيْرَةَ يَقُولُ :

لَقَدْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ إِنَّ الْجَبَانَ حَتَفَهُ مِنْ فَوْقِهِ

٢١٩ - رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ كَانُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، لِأَنَّهُمْ هَجَرُوا الْمُشْرِكِينَ ، وَكَانَ مِنَ الْأَنْصَارِ مُهَاجِرُونَ ،
لِأَنَّ الْمَدِينَةَ كَانَتْ دَارَ شِرْكٍ ، فَجَاؤُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ .

٢٢٠ - * روى البزار عن حذيفة قال : خيّرني رسول الله ﷺ بين الهجرة والنصرة فاخترت الهجرة .

وكان حذيفة بن اليمان من عبس وقد مع أبيه إلى المدينة قبل الهجرة النبوية .

٢٢١ - * روى الحاكم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أتعلم أول زمرة تدخل الجنة من أمّتي » قال : الله ورسوله أعلم فقال : « المهاجرون يأتون يوم القيامة إلى باب الجنة ويستفتحون فيقول لهم الخزنة أو قد حوسبتم فيقولون بأي شيء نحاسب وإننا كانت أسيافنا على عواتقنا في سبيل الله حتى متنا على ذلك قال : فيفتح لهم فيقولون فيه أربعين عاماً قبل أن يدخلها الناس * »

وبقيت الهجرة مستمرة إلى المدينة المنورة في حياة الرسول ﷺ حتى فتح مكة عندئذ قال رسول الله ﷺ « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » لكن بقيت الهجرة مشروعة حيث وجدت أسبابها : من خوف فتنة في دار الكفر أو البدعة إلى وجوب تجمع في دار الإسلام لصالح جهاد أو قوة للإسلام والمسلمين ، ومن تأمل هذه المعاني عرف كيف يعمل النصوص اللاحقة على محاملها الصحيحة .

٢٢٢ - * روى الطبراني في الأوسط عن ابن عباس : كان قدومنا على رسول الله ﷺ الخمس من الهجرة خزعنا متواصلين مع قريش عام الأحزاب وأنا مع أخي الفضل ومعنا غلامنا أبو رافع حتى انتهينا إلى العرج ثم أخذنا في طريق حتى خرجنا على بني عمرو بن عوف فدخلنا المدينة فوجدناه ﷺ في الخندق وأنا يومئذ ابن ثمان سنين وأخي في ثلاث عشرة .

٢٢٠ - البزار « كشف الأستار » (٣ / ٣٦٥) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٦٥) وقال : رواه البزار رجاله رجال الصحيح غير علي بن زيد وهو حسن الحديث .

٢٢١ - المستدرک (٢ / ٧٠) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

٢٢٢ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٦٤) : رواه الطبراني في الأوسط من طريق عبد الله بن محمد بن عمارة الأنصاري عن سليمان بن داود بن الحصين وكلاهما لم يوثق ولم يضمن ، وبقي رجاله ثقات .

٢٢٣ - * روى النسائي - عن يعلى بن أمية : جئت رسول الله ﷺ بأبي أمية يوم الفتح فقلت : يا رسول الله بايع أبي على الهجرة فقال : « أبايعه على الجهاد وقد انقطعت الهجرة » .

٢٢٤ - * روى النسائي عن عمر ، قال : لا هجرة بعد وفاة رسول الله ﷺ .

٢٢٥ - * روى النسائي عن ابن عمرو بن العاص : قال رجل يا رسول الله أي الهجرة أفضل ؟ قال : « أن تهجر ما كره ربك » وقال : « الهجرة هجرتان هجرة الحاضر وهجرة البادي فأما البادي فيجيب إذا دعي ويطيع إذا أمر وأما الحاضر فهو أعظمها بلية وأعظمها أجراً » .

أما الأحاديث التي تدل على عدم انقطاع الهجرة إذا وجدت أسبابها فمنها :

٢٢٦ - * روى النسائي عن عبد الله بن السعدي : قلت يا رسول الله يزعمون أن الهجرة قد انقطعت قال : « لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار » .

٢٢٧ - * روى أبو داود عن معاوية رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » .

قال ابن حجر : وروى الإسماعيلي عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ : (انقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولانقطع الهجرة ما قوتل الكفار) . أي مادام في الدنيا دار كفر ، فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشي أن يفتن عن دينه ، ومفهومة أنه لو قدر أن لا يبقى في الدنيا دار كفر أن الهجرة تنقطع لانقطاع موجبها ، والله أعلم .

٢٢٣ - النسائي (٧ / ١٤١) كتاب البيعة ، باب - البيعة على الجهاد وسنده حسن .

٢٢٤ - النسائي (٧ / ١٤٦) كتاب البيعة ، باب - في ذكر الاختلاف في انقطاع الهجرة وسنده حسن .

٢٢٥ - النسائي (٧ / ١٤٤) كتاب البيعة ، باب - في هجرة البادي وسنده حسن .

٢٢٦ - النسائي (٧ / ١٤٦) كتاب البيعة ، باب - في ذكر الاختلاف في انقطاع الهجرة وسنده حسن .

٢٢٧ - أبو داود (٢ / ٢) كتاب الجهاد ، باب - ما جاء في الهجرة وسكنى البدو . وسنده صالح .

٢٢٨ - * وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله السعدي : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لاتنقطع الهجرة مادام العدو يُقاتل » ، فقال معاوية ، وعبد الرحمن ابن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص : إن النبي ﷺ قال : « إن الهجرة خصلتان : إحداهما أن تهجر السيئات ، والأخرى أن تهجر إلى الله ورسوله . ولاتنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة ، ولاتزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه ، وكفى الناس العمل » .

تعليق :

إن من تأمل حادثة الهجرة ورأى دقة التخطيط فيها ودقة الأخذ بالأسباب من ابتدائها إلى انتهائها ومن مقدماتها إلى ما جرى بعدها يدرك أن التخطيط المسدد بالوحي في حياة رسول الله ﷺ كان قائماً وأن التخطيط جزء من السنة النبوية وهو جزء من التكليف الإلهي في كل ما طولب به المسلم وأن الذين يميلون إلى العفوية بحجة أن التخطيط وإحكام الأمور ليسا من السنة أمثال هؤلاء مخطئون ويجنون على أنفسهم وعلى المسلمين .

فوائد من كتاب الهجرة للدكتور محمد أبو فارس

- إن الهجرة أهم حدث في تاريخ الدعوة الإسلامية ، إذ بالهجرة تكوّن الكيان السياسي للأمة الإسلامية لنشر الإسلام والدفاع عن حرمانته .

- ولأهميتها كان التأريخ بالهجرة ولم يكن بغيرها من الأحداث الهامة كالميلاد والبعثة أو وقعة بدر أو ما شابه .

- ولم يؤرخ المسلمون بتاريخ غيرهم حفاظاً على استقلالية الأمة وتميزها .

- تعلمنا الهجرة كيف أن على الدعاة أن يبحثوا دائماً عن أماكن خصبة للدعوة تكون مركز انطلاق ونواة تأسيس .

ومن دروس الهجرة أيضاً :

- أن في الهجرة رد على من يقول أن الأحداث مبعثها حاجات الإنسان المادية والدوافع الجنسية والبطنية . فهذه الهجرة فر أصحابها بدينهم وتركوا أموالهم وديارهم دون ربح مادي .

- بروز عنصر التخطيط في هذه الهجرة وأهمية ذلك في حياة المسلمين ، فكان الهدف محدداً والوسائل محددة والعقبات مأخوذة بالحسبان واختيار الطريق والمكان والتوين ومن يحمل الأخبار والدليل ؛ كل ذلك مؤمن ، مع إحاطة ذلك بالسرية والحيلة والحذر وكل ذلك ينبى عن تخطيط وتنظيم وترتيب لا مثيل له .

- ينبغي على المسلم ألا يغفل أبداً عن جانب الدعاء إلى الله والتوجه إليه وطلب العون والنصرة منه - مع الأخذ بالأسباب - إذ إن الأول هو الأهم في حياة المسلم وكان هذا واضحاً في هجرة الرسول ﷺ بل وفي كل حركاته وسكناته .

- من معاملة أبي بكر لرسول الله ﷺ يتجلى الحب الصادق والتضحية بالنفس ، وتجلى هذا في الغار وعند الخروج منه ، وفي الطريق حينما كان يمشي تارة خلفه وتارة أمامه وتارة عن يمينه ...

- نجد رسول الله ﷺ في طريقه يدعو من يراه إلى الإسلام ، وكان من ذلك أن أسلم بريدة بن الحصيب الأسلمي في ركب من قوم ، مما يدل على أن الداعية يجب أن لا يفتقر عن الدعوة إلى الله بل يغتنم كل فرصة تلوح له ولا يزهد بشيء من ذلك^(١)

* * *

(١) انظر كتاب : في طلال السيرة النبوية - الهجرة النبوية للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس .

تأملات في العهد المكي وتصويبات

أخذنا فيما مضى تصوراً إجمالياً عن المرحلة المكية ، والتفصيل الكامل يحتاج إلى جهود كثيرة لا يطيقها فرد ، واستكمال صورة العهد المكي يقتضي عرضاً للقرآن المكي وتقصد به القرآن الذي نزل قبل استقرار رسول الله ﷺ في المدينة وهذا القسم من القرآن يكاد يكون نصف القرآن ، والصحابة الذين عاصروا تنزل القرآن كان عندهم علم بإمكانة النزول وتسلسل النزول وأسباب النزول .

ولو أن هذا العلم وصلنا كاملاً لأمكن من خلاله أن نعرف المسيرة العلمية والتربوية لرسول الله ﷺ وأصحابه ، ولأمكننا أن نعرف كيف كان التدرج في بناء النفس والأمة بشكل تفصيلي ، وزيادة على ذلك فإنه كان بالإمكان أن نعرف تفاصيل دقيقة عن سيرة رسول الله ﷺ ، ولكن هذا العلم لم ينقل لنا بشكل تفصيلي كامل ، وإذا تقل ففني حدود ضيقة ، وذلك لأن الجيل الأول والأجيال اللاحقة لم يقدرُوا أن لذلك أهمية كبيرة ما دام ترتيب القرآن توقيفياً والله عز وجل هو الذي تولى ترتيبه ، وقد رأينا في كتابنا (الأساس في التفسير) الحكمة بل المعجزة في هذا الترتيب .

ونتيجة لعدم وصول دقائق تاريخ النزول ؛ فإن العلماء اجتهدوا في تحديد ترتيب نزول السور القرآنية ، فكان عملهم اجتهداً من ناحية وإجمالاً من ناحية أخرى ، ولذلك فإذا ما تكلف متكلف أن يقدم عرضاً لأحداث السيرة من القرآن فإجمال والاجتهاد هما عمله ، نسجل هذا كأول ملاحظة على استحالة الفصل بين المرحلة المكية والمدينة من الناحية التشريعية البحتة ، ومن ههنا ننتقل لنقول :

إن الذين يعتبرون المرحلة المكية إمامهم في العمل الإسلامي بمعنى أنهم مطالبون بها وحدها ومكلفون بالافتداء برسول الله ﷺ في حدودها فقط ، هؤلاء جاهلون بالإسلام .

فالتشريع الإسلامي اكتل والأمة الإسلامية مطالبة به كله ، فهي مطالبة بالكتاب كله وبالسنة كلها ، وبما استقر عليه التشريع في الرحلتين المكية والمدينة .

إن الحج والصوم والحدود والقصاص والجهاد وغير ذلك ، كل ذلك لم يكن مفروضاً في المرحلة المكية فمن اعتبر نفسه مكلفاً بالمرحلة المكية وحدها في بعض الشؤون عليه أن يفتن لما يترتب على تفكيره من إلزامات توصله للكفر فإذا وضع هذا وهذا نقول :

إننا مطالبون أن تقتدي برسول الله ﷺ في كل ما لم ينسخ وما لا يعتبر خاصاً به ، وعلى هذا الأساس فكل ما لم ينسخ من المرحلة المكية أو ما لا يعتبر خاصاً به عليه الصلاة والسلام فهو محل الطلب منا ، وهو محل التكليف فإذا ما اتضح هذا نقول :

لقد ركز القرآن المكي على معان بعينها وجاء القرآن المدني فأكمل وتم ، وقد يكون من المناسب أن نلاحظ في التربية الأولى للإنسان هذه المعاني مع ملاحظة أن ذلك تحصيل حاصل لمن يأخذ الكتاب والسنة جملة وتفصيلاً ، لقد ركز القرآن المكي على اليقين ونفي الريب وجاءت في ذلك سور كثيرة ، كما ركز على الإيمان بالغيب والصلاة والإنفاق وعق الرقاب والإحسان إلى الناس عامة والضعفاء والأيتام خاصة وجاءت في ذلك سور ، وركز على أخلاق بعينها وعلى أعمال صالحة من مثل ما يدخل في تزكية النفوس ، ومن مثل التواصي بالحق والصبر والتواضع وعدم الاختيال وعدم رد السيئة بمثلاً وقيام الليل وعدم الإسراف ، وإنصات القلب لآيات الله والحرص على صلاح الذرية وترك الزنا والسرقه والإقبال على الله بصلة الوالدين والأرحام ، وركز على عبادة الله وحده والإخلاص فيها وعدم مشاركة الكافرين في عبادتهم .

وركز على إقامة الحجّة على الكافرين وتبيين الكفر وأخلاقه وأسبابه وشبهه وأقوال أهله .

وركز على التذكير بالنعم لاستخراج الشكر .

وركز على أن القدوة الحسنة في الحياة البشرية هم الرسل .

وركز على تبيان أن الخلقين الرئيسيين الواجب الاجتناب هما : الحسد والكبر ، وهما خلقا الشيطان .

وركز على اتباع الوحي وترك اتباع الشيطان وأئمة الضلال .

هذه المعاني وغيرها تعرض لها القرآن المكي وركز عليها ، ولكنها ليست خاصة به بل هي سمة القرآن كله .

ومن هنا لا نجد مسوغاً للتمييز بين التكليف المكي والتكليف المدني ، فنحن الآن مكلفون بالإسلام كله ومن جلته المرحلة المكية .

في العهد المكي وجدت مرحلة سرية ، وللمسلمين إذا وجدت ظروف أن يلجأوا إلى الدعوة السرية ، ولكن هل نحن مقيدون أن تكون هذه المرحلة السرية في حدود تلك المرحلة ؟ ثم إذا خرجنا منها ألا نعود إليها ، إن الذين يريدون أن يفهموا المرحلة المكية كذلك لا يدركون حقائق هذا الإسلام ، فالفتوى تقدر زماناً ومكاناً وشخصاً ، ونادراً ما تتكرر الظروف التي مرت في مرحلة بحيث تكون طبق الأصل ، والشريعة الإسلامية جاءت لتلي كل ظرف وكل وضع ولتعطيه الحكم المناسب المستخرج من الكتاب والسنة .

* * *

فإذا ما اتضح هذا الذي قدمناه وانتفى المحذور فإننا ننصح دارس القرآن الراغب في فهم المرحلة المكية أن يتأمل السور التي توصف بأنها مكية فإن ذلك يفتح عليه آفاقاً في الفهم والسلوك والدعوة ، كما يعطيه كالأل في فهم المرحلة من الناحية التاريخية والنفسية والعملية والتكليفية .

فن خلال ذلك يدرك كيف تدرج التكليف ، ويدرك الأوليات والأساسيات في هذا التكليف ، ويدرك كيف تكامل البناء على الزمن ، ويدرك لماذا استطاع هؤلاء العدد القليل أن يصهروا بعد ذلك أضعاف أضعافهم ثم استطاعوا هم ومن صهروهم أن يصهروا الشعوب والأمم ، كما يستطيع أن يدرك من الناس مؤهلون ومرشحون لبناء الدول والمحافظة عليها والتوسع من خلالها ، إن هذا كله يتأق لنا من خلال دراسة متأنية للقرآن المكي ، وهذا شيء وأن تعتبر المرحلة المكية وحدها هي مناط التكليف شيء آخر ، فنحن نحذر من هذا وندعو إلى ذاك .

* * *

الباب الثالث

مِنَ

الاستقرار في المدينة حكمة الوفاة

هذه المرحلة في سطور

أَرخ المسلمون بالهجرة ؛ لأهميتها كعلم بارز في تاريخ الدعوة النبوية ، لِمَا للهجرة من آثار على انتصار الدعوة وظهورها ، ولأنه بالهجرة ولدت دولة الإسلام .

ولم يبدأوا التاريخ من يوم وصول رسول الله ﷺ إلى المدينة ، بل منذ بدأ الأصحاب يتوافدون على المدينة ، ولذلك تبدأ السنة الهجرية بالحرَم مع أن الرسول ﷺ وصل إلى المدينة بعد ذلك .

ولأهمية الهجرة فقد اعتاد المسلمون أن يحبوا هذه الذكرى ، وأن يجددوا لها فرحاً . وقد انتكس من أرخ بالوفاة لمخالفته للإجماع ، وكأنه أراد أن يقطع على المسلمين طريق الفرح بالذكرى ، فأَرخ بالوفاة ليقطع الدوافع التي تحييها ذكرى الهجرة ليستبدلها بالحزن .

وقد قضى الرسول ﷺ في المدينة المنورة عشر سنين كانت مليئة بالأحداث ، ثرة بجلال الأعمال وعظيما ، فتحت الطريق أمام المسلمين للسيطرة على مقاليد هذا العالم إن أحسنوا العمل والتأسي ، ونحن سنعرض هذه المرحلة حسب السنين مبتدئين بأحداث السنة الأولى ثم الثانية وهكذا إلى السنة الحادية عشرة .

* * *

من ملامح هذه المرحلة

١ - أنها مرحلة حركة مستمرة دعويًا وتربويًا واجتماعيًا واقتصاديًا وقانونيًا ودستوريًا وسياسيًا وعسكريًا ، يتلاحم فيها العمل الدعوي والتربوي مع العمل السياسي والعسكري .

٢ - أنها مرحلة عمل وجهاد متواصلين لتحقيق الأهداف ، ومنها أخذ الأستاذ البنا فكرته عن التنفيذ .

٣ - كما أنها مرحلة تجريد شامل للنفس فلا تبقى نزعة للنفس إلا وهذبت ، ولا مظهر ارتقاء إلا وشد نحو المثل الأعلى ، فوجد بذلك وغيره جيل ليس له مثيل « خير القرون قرني » .

٤ - وهي مرحلة إحكام للبناء الداخلي للمجتمع والأمة والدولة ؛ يظهر ذلك في الإخاء والمؤاخاة بين المسلمين وفي التحالفات مع المواطنين من غير المسلمين ، وفي الصيغ الدستورية والعملية لضبط العلاقات السياسية والاجتماعية .

٥ - وهي مرحلة توسع فيها الصراع الفكري فشمّل دوائر جديدة : أهل الكتاب ، المنافقين ، المجوس .

٦ - وهذه المرحلة قام البناء السياسي للإسلام وللمسلمين ، ووجد اللواء الأول للسلطان السياسي للأمة الإسلامية في رحلتها الخاتمة .

٧ - ومن ملامح الحركة السياسية في هذه المرحلة أنها كانت بحثاً عن الأحلاف وفصلاً بين الأطراف ، ولذلك لم يستطع الأعداء أن يلتقوا على حرب الإسلام في وقت واحد إلا مرة واحدة يوم الأحزاب ، ومع ذلك فقد قصم الرسول ﷺ هذا التحالف .

٨ - ومن ملامح الحركة العسكرية أنها كانت مطردة مستمرة ، ويكفي أن نعرف أنّ بعضهم أوصل مجموع سراياه ويعوثة وغزواته العسكرية إلى المئة خلال عشر سنين لندرك مدى الحركة والفاعلية التي حفلت بها هذه المرحلة .

* * *

السَّنة الأولى للهجرة

أحداث السنة الأولى في سطور

١ - في يوم الإثنين ٨ ربيع الأول - على القول الراجح - سنة ١٤ من النبوة الموافق لسنة ٦٢٢ م ، وصل الرسول ﷺ إلى قباء ، وأقام بها أربعة أيام (الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس) - على القول الراجح - وأسس فيها مسجد قباء ، وصلى فيه ، وهو أول مسجد أسس ، وفي يوم الجمعة انطلق إلى المدينة ، فأدركته الجمعة في منازل بني سالم بن عوف ، فأقام أول صلاة جمعة في الإسلام وخطب فيها ، ودخل المدينة بعد صلاة الجمعة تاركاً لناقته العنان ، وكان مسجده ومنزله حيث بركت ناقته ، ونزل ريثما أسس مسجده وبني بيوته في دار أبي أيوب الأنصاري .

٢ - قام الرسول ﷺ في المدينة بخطوات ثلاث :

أ - بناء المسجد النبوي ، فأوجد بذلك مركزاً للعبادة ، ومقراً للتجمع ، ومنطلقاً للحركة .

ب - آخى بين المهاجرين والأنصار ، فحلّ مشكلة الهجرة عن أقرب طريق ، وصهر بين المقيمين والوافدين أقوى صهر وأجوده .

ج - كتب وثيقة دستورية متفقاً عليها بين سكّان المدينة جميعاً - مسلمين ومشرّكين ويهود - ، وهكذا رتّب أمور البيت الداخلية مباشرة .

٣ - بدأت تهديدات قريش تتوالى ، ونزل الإذن بالقتال ، وأخذ الرسول ﷺ يرسل سراياه للاستطلاع ، ولإيجاد التعبئة النفسية ، ولعقد تحالفات مع القبائل القاطنة حول المدينة أو في الطرق التجارية لقريش .

٤ - أرسل في السنة الأولى للهجرة ثلاث سرايا ، لخص الحديث عنها صاحب الرحيق المختوم بما يلي :

(١) سرية سيف البحر (أي : ساحل البحر) في رمضان سنة (١) هـ الموافق سنة

٦٢٣ م :

أمر رسول الله ﷺ على هذه السرية حمزة بن عبد المطلب ، وبهش في ثلاثين رجلاً من المهاجرين يعترض عيراً لقريش جاءت من الشام ، وفيها أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة رجل ، فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص ^(١) ، فالتقوا واصطفوا للقتال ، فشى مجدي بن عمرو الجهني - وكان حليفاً للفريقين جميعاً - بين هؤلاء وهؤلاء حتى حجز بينهم فلم يقتتلوا .

وكان لواء حمزة أول لواء عقده رسول الله ﷺ ، وكان أبيض وكان حامله أبا مرثد كَنَازَ ابنَ حَصِينِ الغَنَوِي .

(٢) مرية رابغ ، في شوال سنة (١) من الهجرة - أبريل (نَيْسَان) سنة ٦٢٣ م :

بعث رسول الله ﷺ عبدة بن الحارث بن المطلب في ستين راكباً من المهاجرين ، فلقى أبا سفيان - وهو في مائتين - على بطن رابغ ، وقد ترامى الفريقان بالنبل ، ولم يقع قتال .

وفي هذه السرية انضم رجلان من جيش مكة إلى المسلمين ، وهما المقداد بن عمرو البهراني ، وعتبة بن غزوان المازني ، وكانا مسلمين ، خرجا مع الكفار ليكون ذلك وسيلة للوصول إلى المسلمين . وكان لواء عبدة أبيض ، وحامله مسطح بن أثانة بن المطلب بن عبد مناف .

(٣) مرية الخرار (موضع بالقرب من الجَحْفَة) في ذي القعدة سنة (١) هـ الموافق مايو (آيار) سنة ٦٢٣ م :

بعث رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص في عشرين راكباً يعترضون عيراً لقريش ، وعهد إليه أن لا يجاوز الخرار ، فخرجوا مشاة يكتنون بالنهار ويسرون بالليل حتى بلغوا الخرار صبيحة خمس ، فوجدوا العير قد مرت بالأمس .

كان لواء سعد رضي الله عنه أبيض ، وحمله المقداد بن عمرو .

(١) العيص : مكان بين ينبع والمروة من ناحية البحر الأحمر .

٥ - عاقِد في هذه السنة جهينة على ألا يعتدوا ولا يعينوا ، وكانت مساكنهم على ثلاثة مراحل من المدينة للنّورة .

٦ - بنى في هذه السنة بالسيدة عائشة رضي الله عنها ، وكان قد عقد عليها بمكة قبل الهجرة ، وشرع في هذه السنة الأذان .

وسنعتقد عدداً من الفصول مما يحسن ذكره في مثل هذا الكتاب من أحداث السنة الأولى .

* * *

فصل : المدينة عند الهجرة

رسم الأستاذ الندوي في كتابه (السيرة النبوية) صورة للمدينة عند الهجرة فقال :

ولكي نأخذ صورة إجمالية صحيحة عن مدينة يثرب - التي اختارها الله دار هجرة للرسول ، ومنطلق الدعوة الإسلامية في العالم ، ومهد أول مجتمع إسلامي يقوم بعد ظهور الإسلام - يجب أن نعرف وضعها المدني ، والاجتماعي ، والاقتصادي ، وصلة القبائل المقيمة فيها ، بعضها ببعض ، ومركز اليهود فيها ، الاجتماعي ، والاقتصادي ، والحربي ، والواقع الذي كانت تعيشه هذه المدينة الخصبة الغنية ، التي التقت فيها ديانات ، وثقافات ، ومجتمعات مختلفة ، بخلاف مكة ذات الطبيعة الواحدة ، والطابع الموحد ، والدين المشترك ، وإلى القارئ بعض أضواء :

اليهود :

المرجح في ضوء التاريخ أن غالبية اليهود حلوا بالجزيرة العربية بصفة عامة ، ومدينة يثرب بصفة خاصة ، في القرن الأول الميلادي ، يقول الدكتور إسرائيل ولفنسون :

بعد حرب اليهود والرومان سنة ٧٠ م التي انتهت بخراب بلاد فلسطين ، وتدمير هيكل بيت المقدس ، وتشتت اليهود في أصقاع العالم ، قصدت جموع كثيرة من اليهود بلاد العرب كما حدثنا عن ذلك المؤرخ اليهودي (يوسي فوس) الذي شهد تلك الحروب ، وكان قائداً لبعض وحداتها ... وتؤيد المصادر العربية كل هذا .

وكانت في المدينة ثلاث قبائل من اليهود ، بلغ عدد رجالها البالغين أكثر من ألفين ، وهي : قَيْنَقَاع ، والنَضِير ، وقَرِيظَة ، ويقدر أن رجال قَيْنَقَاع المحاربين ، بلغ عددهم سبعمائة ، كما كان عدد رجال النضير مثل هذا العدد ، وكان الرجال البالغون من قريظة ما بين سبعمائة وتسعمائة .

وكانت العلاقة بين هذه القبائل الثلاث مضطربة متوترة ، وقد يكون بعضهم حرياً على بعض ، يقول الدكتور إسرائيل ولفنسون :

قد كانت هناك عداوة بين بني قينقاع وبقية اليهود ، سببها أن بني قينقاع كانوا قد اشتركوا مع بني الحزرج في يوم (بعث) وقد أثنى بنو النضير وبنو قريظة في بني قينقاع ، ومزقوهم كل ممزق ، مع أنهم - أي بني النضير وبنو قريظة - دفعوا الفدية عن كل من وقع في أيديهم من اليهود - من بني قينقاع - ، وقد استمرت هذه العداوة بين البطون اليهودية بعد يوم (بعث) ، حتى وقعت الحرب بين المسلمين وبين بني قينقاع فلم ينهض معهم أحد من اليهود في عارية المسلمين .

وقد أشار القرآن إلى عداوة اليهود فيما بينهم بقوله :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تُهْلِكُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِلْهَمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى فَفَادُوهُمْ وَهُوَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ ۚ ﴾ (١) .

وكانوا يعيشون في أحياء وقرى مختلفة خاصة بهم ، فكانت بنو قينقاع يسكنون داخل المدينة في حلة خاصة بهم ، بعد أن طردهم إخوانهم بنو النضير وقريظة من مساكنهم التي كانت خارج المدينة ، وكانت مساكن بني النضير بالعالية - جنوب شرق المدينة - بوادي (بطحان) على بعد ميلين أو ثلاثة من المدينة ، وكانت عامرة بالنخيل ، والزروع ، وكانت بنو قريظة يسكنون في منطقة مهزور التي تقع على بعد بضعة أميال من جنوب المدينة .

وكانت لهم حصون ، وأطام ، وقرى ، يعيشون فيها متكئين مستقلين ، لم يتمكنوا من إنشاء حكومات يحكمها اليهود ، بل كانوا مستقلين في حاية سادات القبائل ورؤسائها ، يؤدون لهم إتاوة في كل عام ، مقابل حمايتهم لهم ، ودفاعهم عنهم ، ومنع الأعراب من التعدي عليهم ، وقد لجأوا إلى عقد المحالفات معهم ، وكان لكل زعيم يهودي حليء من الأعراب ومن رؤساء العرب .

وكانوا ينعتون أنفسهم بأنهم أهل العلم بالأديان والشرائع ، وكانت لهم مدارس يتدارسون

(١) البقرة : ٨٤ ، ٨٥ .

فيها أمور دينهم ، وأحكام شريعتهم ، وأيامهم الماضية ، وأخبارهم الخاصة برسلمهم وأنبيائهم ، كما كانت أماكن خاصة يقيمون فيها عباداتهم وشعائر دينهم ، وكانت تسمى (المدراس) وكان المكان الذي يتجمع فيه اليهود لتبادل المشورة في سائر أحوالهم الدينية والدنيوية .

وكانت لهم تشريعاتهم ونظمهم الخاصة بهم ، أخذوا بعضها عن كتبهم ، وبعضها وضعه لهم كهانهم وأخبارهم من عند أنفسهم ، وكانت لهم أعيادهم الخاصة بهم ، وأيام خاصة ، يصومون فيها ، كيوم عاشوراء .

وكانت معظم معاملاتهم مع غيرهم تقوم على الرهون وتعاطي الربا ، وكانت لهم من طبيعة منطقة المدينة الزراعية فرصة إلى ذلك ، لأن الزراع عادة يحتاجون إلى اقتراض الأموال لحين الحصاد .

وكانت المراهنة لا تقتصر على الرهائن المالية ، بل تخطتها إلى مراهنة النساء والولدان وقد جاء في قصة قتل كعب بن الأشرف النضري التي رواها الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه ، أنه قال له محمد بن مسلمة : قد أردنا أن نُسَلِّفَنا وَنُسْقَا أو وَنُسْقِينَ ، فقال : نعم ، أرهنوني . قالوا : أي شيء تريد ؟ قال : أرهنوني نساءكم ، قالوا : كيف نرهنك نساءنا وأنت أجل العرب ، قال : فأرهنوني أبناءكم ، قالوا : كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رَهْنٌ بَوَسُقٍ أو وسقين ، هذا عار علينا ، ولكننا نرهنك اللأمة ^(١) .

ومن طبيعة هذه المراهنات خصوصاً إذا كانت في الأبناء والنساء نشوء الحقد والكراهة بين الراهنين وللمرتنين ، لاسيما لأن العرب اشتهروا بالغيرة الشديدة على نسائهم وشدة الأنفة .

وقد ترتب على سيطرة اليهود على الجوانب الاقتصادية في المدينة وضواحيها أن قوي نفوذهم المالي ، وصاروا يتحكمون في الأسواق تحكماً فاحشاً ، ويحتكرونها لمصلحتهم

(١) اللأمة : الدرع .

ومنفعتهم ، فكرهم السواد الأعظم من الناس بسبب أنانيتهم واشتطاطهم في أخذ الربا ، وحصولهم على غنى وثراء بطرق يأنف العربي عن سلوكها والتعامل بها ، ولما طبعوا عليه من الجشع ، ولسياستهم التوسعية .

يقول (De-Lacy , O'Leary) في كتابه (العرب قبل محمد) :

ساءت العلاقات بين أولئك البدو (المدنيين) واليهود المستعمرين في القرن السابع الميلادي ، فإنهم كانوا قد وسعوا مناطقهم المزروعة إلى مراعي هؤلاء البدو .

وكانت علاقة اليهود بالأوس والخزرج - سكان المدينة العرب - خاضعة للمنفعة الشخصية والمكاسب المادية ، فهم يعملون على إثارة الحرب بين الفريقين ، متى وجدوا في إثارتها فائدة لهم ، كما حصل ذلك في كثير من الحروب التي أنهكت الأوس والخزرج ، وكان مهمهم فقط أن تكون لهم السيطرة المالية على المدينة ، وحديثهم عن النبي المرتقب شجع الأوس والخزرج على الدخول في الإسلام .

أما لغة اليهود في بلاد العرب ، فقد كانت العربية بطبيعة الحال ، ولكنها لم تكن خالصة ، بل كانت تشوبها الرطانة العبرية ، لأنهم لم يتركوا استعمال اللغة العبرية تركاً تاماً ، بل كانوا يستعملونها في صلواتهم ودراساتهم . أ هـ .

أما الجانب الديني والدعوي فيقول الدكتور إسرائيل ولفنسون :

لاشك أنه كان في المقدرة اليهودية أن تزيد في بسط نفوذها الديني بين العرب ، حتى تبلغ منزلة أرقى مما كانت عليه لو توافرت عند اليهود النية على نشر الدعوة الدينية بطريقة مباشرة ، ولكن الذي يعلم تاريخ اليهود يشهد بأن الأمة الإسرائيلية لم تعمل بوجه عام إلى دعوة الأمم على اعتناق دينها ، وأن نشر الدعوة الدينية من بعض الوجوه محظور على اليهود . أ هـ .

ولكن مما لا شك فيه أن عدداً من العرب للنتين إلى الأوس والخزرج وغيرها من القبائل العربية الأصيلة ، دانوا باليهودية عن رغبة منهم ، أو بتأثير المصاهرة والزواج ، أو

بحكم النشأة في البيئة اليهودية ، وقد كان في يهود العرب جميع هذه الأنواع ، وقد ثبت أن التاجر اليهودي الكبير والشاعر المشهور كعب بن الأشرف الذي يعرف بالنضري كان من قبيلة (طَيِّئ) تزوج أبوه في بني النضير ، فنشأ كعب بن الأشرف يهودياً متحمساً .

قال ابن هشام : وكان رجلاً من طَيِّئ ، ثم أحد بني نُبْهان ، وكانت أمه من بني النضير ، وكان بعض من لا يمشي له ولد من العرب ينذر ، إذا ولد له ابن وعاش هَوْدُوهُ ، فكان في المدينة عدد من العرب الذين دخلوا في اليهودية عن هذا الطريق .

روى الإمام أبو داود السجستاني^(١) بسنده عن ابن عباس قال : كانت المرأة تكون مِثْلًا فتجعل على نفسها إن عَاشَ لها ولد أن تُهَوِّدَهُ ، فلما أُجْلِيَتْ بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا : لاندع أبناءنا ، فأُنزل الله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾^(٢) .

* * *

الأوس والخزرج :

تنتمي بطون الأوس والخزرج - سكان المدينة العرب - إلى القبائل الأزدية اليمنية ، وكانت موجات هذه الهجرة من اليمن إلى يثرب متفرقة في أوقات مختلفة ، وكانت لعوامل متعددة ؛ منها اضطراب أحوال اليمن وغزو الأحباش ، وإهمال أمر الإرواء بخراب سد (مأرب) ، وعلى هذا فالأوس والخزرج أحدث عهداً في المدينة من اليهود .

وقد سكنت بطون الأوس في المنطقة الجنوبية والشرقية ، وهي منطقة العوالي من يثرب ، بينما سكنت بطون الخزرج المنطقة الوسطى الشمالية ، وهي ساقلة المدينة ، وليس وراءهم شيء في الغرب إلى خلاء حرة الوبرة .

(١) أبو داود (٥٩ / ٣) كتاب الجهاد - باب في الأسير يكره على الإسلام .

(مِثْلًا) المِثْلَة ، هي التي لا يمشي لها ولد .

(٢) البقرة : ٢٥٦ .

وكان من جملة بطون الخزرج أربعة أبطن ، وهم : مالك ، وعدي ، ومازن ، ودينار ، كلها من بني النجار المعروف بـ (تم اللات) ، وقد سكنت بطون بني النجار في المنطقة الوسطى التي حول مسجد النبي ﷺ .

وقد سكن الأوس المناطق الزراعية الغنية في المدينة ، وجاوروا أم قبائل اليهود وجموعهم ، واستوطن الخزرج مناطق أقل خصباً ، وقد جاورهم قبيلة يهودية كبيرة واحدة ، وهي القينقاع .

ليس من السهل الحصول الآن على إحصاء دقيق عن عدد رجال الأوس والخزرج ، ولكن الباحث المتتبع للحوادث يستطيع تحديد قوتهم الحربية من الممارك التي خاضوها بعد الهجرة ، فقد بلغ عدد محاربيهم في يوم فتح مكة أربعة آلاف مقاتل .

وكان العرب في وقت الهجرة النبوية أصحاب الكلمة العليا في يثرب ، ويسدّم كان توجيه الأمور بها ، ولم يستطع اليهود مقابل ذلك أن يجمعوا كلمتهم ، ويقفوا صفّاً واحداً في وجه خصومهم ، فتفرقت بطونهم ، ودخل بعضها في محالفات مع الأوس ، ودخل بعضها في محالفات مع الخزرج ، وكانوا في القتال أقسى على بني جنسهم من العرب ، واستحكم عداً بين بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة ، جعل بني قينقاع يتركون أرضهم وزرعهم ، ويقتصرون على الصياغة .

ووقعت كذلك بين الأوس والخزرج حروب كثيرة ، أولاها حرب (سمر) وأخرها حرب (بَعاث) قبل الهجرة بخمس سنوات ، وقد عمل اليهود على الدس بين الأوس والخزرج ، وتشجيع عوامل الفرقة ، وإذكاء روح التحاسد ، حتى يشغلهم بأنفسهم عنهم ، وقد أدرك العرب منهم ذلك فلقبهم بـ (الثعالب) .

* * *

الوضع الطبيعي :

كانت يثرب عند الهجرة النبوية منقسمة إلى عدة دوائر تسكنها بطون عربية ويهودية ، وكل دائرة تابعة لبطن من البطون ، وكانت الدائرة تنقسم إلى قسمين : يشتمل القسم الأول على الأراضي الزراعية بمنازلها وسكانها ، ويشتمل القسم الثاني على الأطم أو الآطام .

وقد بلغ عدد آطام اليهود في يثرب تسعة وخسين أطمًا ، ويقول الدكتور ولفنسون في وصف هذه الآطام :

كانت أهمية الآطام عظيمة في يثرب ، فكان يفرع إليها أفراد البطن عند هجوم العدو ، ويأوي إليها النساء والأطفال والعجزة حين يذهب الرجال لمقاتلة الأعداء ، وقد كانت الآطام تستعمل كالمخازن تجمع فيها الغلال والثمار ، ذلك أنها كانت معرضة في أماكنها المكشوفة للنهب والسلب ، وكان الأطم مريعاً لكثرة الأموال والسلاح ، وكان للقوافل الثقيلة بالبضائع أن تنزل بالقرب منه ، كما كانت تقام على أبوابه الأسواق .

وكانت الآطام تشتمل - كما يظن - على المعابد وبيوت للدراس ، إذ كانت فاخرة الأثاث ، كثيرة الأدوات ، مملوءة بالأسفار ، فكان يجتمع فيها الزعماء للبحث والمشاورة حيث يقسمون بالكتب المقدسة ، حين يهيمون بإبرام العقود والاتفاقات .

ويقول الدكتور في تفسير كلمة (أطم) : أنها مأخوذة من اللغة العبرية ، فيقال : أطم عينيه : أغمضها ، وأطم أذنيه : سدها ، والأطم في الجدران والحيطان : هي النوافذ المغلقة من الخارج ، والمفتوحة من الداخل ، ويستعمل في السور أي الحائط الضخم ، يقول الدكتور :

وعلى ذلك يمكننا أن نفترض أن اليهود أطلقوا على الحصن اسم أطم ، لأنه كان في إمكانهم أن يغلقوا أبوابه ، وإن كانت له نوافذ من الخارج وتفتح من الداخل .

ومن هذه الأحياء والدوائر المحصنة كانت تتكون مدينة يثرب ، فهي في الحقيقة مجموعة من القرى تقاربت وتجمعت ، فتكونت منها المدينة ، وإلى ذلك أشار القرآن بقوله :

﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ﴾^(١) ، ويقول :
 ﴿ لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر ﴾^(٢) .

وحرّة واقم التي تحد المدينة من الشرق ، كانت أكثر عمراناً من الوبرة ، وحين هاجر النبي ﷺ إلى يثرب ، كانت حرة واقم مسكونة بأهل قبائل اليهود من بني النضير وقريظة ، وعدد من عشائر اليهود الأخرى ، كما كانت تسكنها أم البطون الأوسية : بنو عبد الأشهل وبنو ظفر وبنو حارثة ، وبنو معاوية ، وفي منازل بني عبد الأشهل كان يقوم حصنهم واقم ، الذي سميت الحرة باسمه .

* * *

الحالة الدينية والمكانة الاجتماعية :

كان العرب تابعين لقريش وأهل مكة في العقيدة والديانة ، ينظرون إلى قريش كسدنة للبيت ، وقادة في الدين ، وقدوة في الاعتقاد والعبادة ، خاضعين للوثنية السائدة على جزيرة العرب ، يعبدون من الأصنام ما تعبد قريش وأهل الحجاز ، إلا أن علاقتهم ببعض الأصنام كانت أقوى من علاقتهم ببعضها ، فكانت مناة لأهل المدينة ، وكانت أقدم الأصنام ، وكان الأوس والخزرج أشد إعظاماً لها من غيرهم ، وكانوا يهلون لها شركاً بالله تعالى ، وكانت حذو (قَدِيد) الجبل الذي بين مكة والمدينة من ناحية الساحل ، كما كانت اللات لأهل الطائف ، والعزى لأهل مكة ، وكان أهل هذه المدن أكثر تعصباً وحمية لها من غيرها ، وكان من اتخذ في داره صنماً من أهل المدينة من خشب أو غيره يسميه « مناة » أيضاً ، كما فعل ذلك عمرو بن الجموح سيد من سادات بني سلمة قبل أن يسلم .

وقد جاء في حديث رواه الإمام أحمد عن عروة عن عائشة في تفسير قوله تعالى ﴿ وإن

(١) الحشر : ٧ .

(٢) الحشر : ١٤ .

الصفاء والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ^(١) .

قالت : إن الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية ، التي كانوا يعبدونها عند المشلل ، وكان من أهلها يتحرج أن يطوف بالصفاء والمروة ، فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفاء والمروة في الجاهلية ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إن الصفاء والمروة من شعائر الله ﴾ الآية . ولم نطلع على صنم لهم خاص في المدينة اشتهر كاللات ومناة ، والعزى ، أو كهبل ، يعكفون على عبادته ، ويشد إليه الرحال من خارج المدينة ، ويبدو أن الأصنام لم تنتشر في المدينة انتشارها في مكة ، فقد كان لكل بيت في مكة صنم خاص ، وكانت الأصنام يطاف بها وتباع ، فكانوا في الوثنية عيالاً على أهل مكة وأتباعاً لهم .

وكان لأهل المدينة يومان يلعبون فيهما ، فلما قدم النبي ﷺ المدينة قال لهم : « قد أبدلكم الله تعالى بها خيراً منها يوم الفطر والأضحى » ، وقد ذكر بعض شراح الحديث أنها النيروز والمهرجان ، وكأنهم أخذوها من الفرس .

وكانت قريش تعترف بشرف الأوس والخزرج ، وهم بنو قحطان العرب العاربة ، وكانوا يصاهرونهم ، ويتزوجون فيهم ، وقد تزوج هاشم بن عبد مناف وهو سيد قريش في بني النجار ، تزوج سلمى بنت عمرو بن زيد من بني عدي بن النجار وهم من الخزرج ، إلا أنهم كانوا يرون لأنفسهم فضلاً عليهم ، وقد قال عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة - الذين دعوا إلى المبارزة يوم بدر ، فخرج إليهم فتية من الأنصار - فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار ، قالوا : مالنا بكم من حاجة ، ثم نادى مناديهم ، يا محمد ! أخرج إلينا أكفأنا من قومنا ، فقال رسول الله ﷺ : « قم يا عبدة بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا علي » فلما قاموا ودنوا منهم ، وسموا أنفسهم ، قالوا : نعم أكفأ كرام ، وكانوا ينظرون إلى الفلاحة التي كان يارسها أهل المدينة بحكم طبيعة أرضهم لاعتمادهم عليها في معاشهم نظرة

فيها شيء من الاحتقار ، وقد تجلت هذه النظرة في الكلمة التي قالها أبو جهل وهو عقير ،
قد قتله ابنا عفراء وهما من الأنصار ، وقد أدركه عبد الله بن مسعود وبه رمق (لو غير أكار
قتلني) .

* * *

الحالة الاقتصادية والحضارية :

كانت مدينة يثرب بطبيعتها منطقة زراعية ، وكان أكثر اعتماد أهلها على الزراعة
والبساتين ، وكان من أهم حاصلاتها التمر والعنب ، فكانت فيها جنات النخيل والأعناب ،
وجنات معروشات وغير معروشات ، وزروع ونخيل صنوان وغير صنوان ، ومن الزروع
الحبوب والبقول ، وكان التمر وخاصة أيام الجذب ، وتختلف الأمطار ، يسد كثيراً من حاجة
السكان الغذائية ، وكان كعملة يتبادل بها أهلها عند الحاجة ، وكانت النخيل مصدر خيرات
كثيرة في حياتهم ، فكانوا يستخدمونه في الغذاء والبناء ، والصناعة ، والوقود ، وعلف
الدواب ، ولتمر المدينة أنواع كثيرة وتفصيل دقيقة تصعب الإحاطة بها ، لأهل المدينة
تجارب وطرق في تربية حاصل النخيل وتحسينه استفادوها من طول المراس ، منها تأبير
النخل .

هذا لا ينفي وجود حركة تجارية في المدينة ، ولكنها لم تكن في القوة والانتشار بمكانة
الحركة التجارية في مكة ، إذ كان اعتماد أبناء الوادي (مكة) وهو غير ذي زرع ومياه
وفيرة - على التجارة ورحلة الشتاء والصيف .

وكانت في المدينة بعض الصناعات يمارس أكثرها اليهود ، ولعلمهم جلبوها من اليمن ، فلم
يزالوا فيه إلى أن غادروه في الزمن الأخير ، حاذقين في الصناعات ، وكان عامة بني قينقاع
صاغة ، وكانوا أغنى طوائف اليهود في مدينة يثرب ، وكانت بيوتهم تحتوي على الأموال
الطائلة ، والحلي الكثيرة من الفضة والذهب ، مع أن عددهم كان غير كثير .

وقد منحت طبيعة يثرب ، وهي بركانية التربة ، أراضيها خصباً زائداً ، وهي ذات
واديان كثيرة ، تفيض بمياه السيول ، فتروي أرضها وتسقي النخل والزروع ، اشتهر منها

وادي العقيق الذي كان متنزه المدينة ، وكان يتدفق بالماء ، ويزهو بالبساتين ، وكانت الأرض صالحة لحفر الآبار ، وقد كثرت في البساتين ، ومنها ما هو مسور ويسميه أهل المدينة (الحائط) واشتهرت آبار كثيرة بمذوبة الماء ووفرته ، وكانت لهم شِراج^(١) ، وكانوا يحولون الماء بالمساحي^(٢) إلى حدائقهم .

وكان من الحبوب الرئيسية الشعير ، ثم القمح ، وتكثر الخضروات والبقول ، وكانت لهم طرق في المزارعة والمواجرة والمزابنة ، والمحاقلة ، والخابرة ، والمعاومة ، منها ما أقره الإسلام ومنها ما منعه أو أصلحه .

وكانت العملة في مكة والمدينة واحدة ، وكانت المدينة تعتمد على المكايل وتحتاج إليها أكثر من مكة ، لاعتماد أهلها على الحبوب والثمار ، وكانت الأكيال المستعملة في المدينة هي المد والصاع والفرق والعرق والتوشق ، أما الأوزان المستعملة فهي الدرهم والمثقال والدانق والقيراط والنواة والرطل والقنطار والأوقية .

ولم تكن المدينة - على خصبها - مكتفية غذائياً ، فكان أهلها يستوردون بعض المواد الغذائية من الخارج ، وكانوا يجلبون دقيق الحوار والسمن والعسل ، من الشام .

قد جاء في حديث رواه الترمذي عن قتادة بن النعمان - رضي الله عنه - : « كان الناس إنما طعامهم بالمدينة ، التمر والشعير ، وكان الرجل إذا كان له يسار فقَدِمَت ضافطة^(٣) من الشام من الدرهم^(٤) ، ابتاع الرجل منها فخص بها نفسه ، وأما العيال فإنما طعامهم التمر والشعير ، والقصة تلقي ضوءاً على الحالة الغذائية في المدينة - التي لم تحدث بعد الهجرة فجأة - وعلى المستويات المختلفة في المعيشة .

وكان اليهود - كما عرف من طبيعتهم وتاريخهم في كل بلد - أكثر غنى من العرب ، وكان

(١) الشِراج : جمع شَرَج ، وهو سيل للماء من المضاب ونحوها إلى السهل .

(٢) المساحي : هي المحارف ، وهي على أشكال .

(٣) ضافطة : قافلة الحيرة .

(٤) الدرهم : الدقيق الأبيض .

العرب بطبيعتهم العربية البدوية ، لا يفكرون في المستقبل كثيراً ، فيوفرون له المال ، وكانوا أهل ضيافة وكرم ، يضطرون إلى الاستدانة من اليهود ، وكثيراً ما تكون هذه الاستدانة بالربا والرهن .

وكان لأهل المدينة ثروة من الإبل والبقر والأغنام ، ويستخدمون الإبل في إرواء الأراضي ويسمونها بـ (الإبل النواضح) وكانت لهم مراعي اشتهرت منها : (زُغابة) و (الغابة) ، يحتطب منها الناس ، ويرعون فيها ماشيتهم وكانت لهم خيل يستخدمونها في الحروب وإن كانت قليلة بالنسبة إلى مكة ، وكان بنو سُلَيم مشهورين باقتناء الخيل ، يجلبونها من الخارج .

وكانت في المدينة عدة أسواق ، أهمها (سوق بني قينقاع) مركز بيع الحلي والمصوغات الذهبية ، وكانت سوق البزازين ، وتوجد في المدينة المنسوجات القطنية والحريرية ، والبارق الملونة والستور المرسومة ، وكان عطارون يبيعون أنواع العطور والمسك ، وكان يوجد من يتجر في العنبر والزئبق ، وكانت أنواع من البيع منها ما أقره الإسلام ومنها ما منعه ، من النجش والاحتكار ، وتلقي الركبان خارج المدينة ، وبيع المَصْرَاة ، والبيع بالنسيئة ، وبيع الحاضر للبادي ، وبيع المجازفة ، وبيع المزبنة ، والمخاطرة ^(١) . وكان من الأوس والخزرج من يتعامل بالربا ، وإن كان ذلك نادراً بالنسبة إلى اليهود - يعني فيما بينهم .

وقد توسعت الحياة في المدينة بعض التوسع ، ورقت بحكم طبيعة أهلها ، فكانت البيوت ذات طبقات ، وكانت لبعض البيوت حدائق ، وكانوا يستعذبون الماء ، وقد يأتون به من بعيد ، وكانت توجد كراسي ، وكانت تستعمل أقداح من زجاج وأقداح من الحجارة ، وسرج متنوعة ، وكانوا يستخدمون المكاتل والقفف في أعمال المنزل والزراعة ، وكان للأغنياء شيء كثير من الأثاث لبيوتهم ، خصوصاً اليهود ، وكانت أنواع من الحلي كالأساور ، والدمالج ،

(١) سيأتي شرح هذه البيوع في القسم الرابع من الكتاب بإذن الله تعالى .

والخلايل ، والأقرطة ، والخواتم والعقود من الذهب أو من جَزَع ظَفَارٍ^(١) ، وكان الغزل والنسيج فاشيين في النساء ، فكانت الخياطة والدباغة وعمل بناء البيوت ، وضرب الطوب والنحت ، من الصناعات التي عرفت في المدينة قبل الهجرة .

الوضع المعقد الذي واجهه الرسول ﷺ في مدينة يثرب :

وهكذا لم ينتقل رسول الله ﷺ والمهاجرون من مدينة - مكة - إلى قرية - يثرب - بل انتقل من مدينة إلى مدينة ، وإن كانت هي الأخرى تختلف عن الأولى في مظاهر كثيرة للحياة ، وكانت أصغر منها نسبياً ، ولكن الحياة فيها كانت أكثر تعقيداً ، والقضايا التي سيواجهها الرسول أكثر تنوعاً ، لوجود ديانات وبيئات وثقافات مختلفة ، لا يتغلب عليها ولا يصهر المدينة كلها في بوتقة عقيدة واحدة ، ودعوة واحدة إلا الرسول المؤيد من الله ، الذي أعطاه الله الحكمة وفصل الخطاب ، وقوة الجمع بين الأنماط البشرية الكثيرة ، والقوى المتصارعة ، والأهواء للتعاكسة ، وألقى عليه محبة منه ، وصدق الله العظيم :

﴿ هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين * وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ﴾^(٢) .

* * *

(١) ظَفَار : إقليم في غربي عمان على شاطئ البحر العربي .

(٢) الأنفال : ٦٢ ، ٦٣ .

فصل : التأريخ بالهجرة

٢٢٩ - * روى البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنها قال : ما عدُّوا من مَبْعَثِ النبي ﷺ ولا مِن وفاته ، ما عدُّوا إلا من مَقْدَمِهِ المدينة .

٢٣٠ - * روى الحاكم ، عن سعيد بن المسيَّب رضي الله عنه قال : جمع عُمَرُ النَّاسَ فسألهم : مِنْ أَيِّ يَوْمٍ يَكْتُبُ التَّارِيخَ ؟ فقال علي بن أبي طالب : مِنْ يَوْمِ هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَتَرَكَ أَرْضَ الشُّرْكِ ، ففعله عمر - رضي الله عنه .

أقول : قال ابن كثير في البداية والنهاية : اتفق الصحابة رضي الله عنهم في سنة ست عشرة - وقيل سنة سبع عشرة ، أو ثماني عشرة - في الدولة العُمَريَّة على جعل ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة ، وذلك أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه رَفَعَ إليه صك - أي حجة - لرجل على آخر وفيه ؛ إنه يحل عليه في شعبان . فقال عمر : أي شعبان ؟ أشعبان هذه السنة التي نحن فيها أو السنة الماضية ، أو الآتية ؟ ثم جمع الصحابة فاستشارهم في وضع تاريخ يتعرفون به حلول الديون وغير ذلك . فقال قائل : أرخوا كتاريخ الفرس فكره ذلك ، وكانت الفرس يؤرخون بملوكهم واحداً بعد واحد . وقال قائل : أرخوا بتاريخ الروم ، وكانوا يؤرخون بملك إسكندر بن فيلبس المقدوني فكَّره ذلك . وقال آخرون : أرخوا بولد رسول الله ﷺ . وقال آخرون : بل بمبعثه . وقال آخرون : بل بهجرته . وقال آخرون : بل بوفاته عليه السلام . قال عمر رضي الله عنه إلى التأريخ بالهجرة لظهوره واشتباره . واتفقوا معه على ذلك .

والمقصود أنهم جعلوا ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة ، وجعلوا أولها من المحرم فيما اشتهر عنهم وهذا هو قول جمهور الأئمة ، وذلك لأن أول شهور العرب المحرم فجعلوا السنة الأولى سنة الهجرة ، وجعلوا أولها المحرم كما هو المعروف لثلا يختلط النظام والله أعلم .

٢٢٩ - البخاري (٧ / ٢٦٧) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٤٨ - باب : التاريخ من أين أرخوا التاريخ ؟

٢٣٠ - المستدرک (٢ / ١٤) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

أقول : للبداءة بالمحرم سببان :

أولاً : لأنه بداية السنة عند العرب .

ثانياً : لأنّ الأصحاب بدأوا هجرتهم من المحرم ، فالمحرم وجدت فيه مقدمات الهجرة .

وقال في الفتح : وقد أبدى بعضهم للبداءة بالمهجرة مناسبة ، فقال : كانت القضايا التي اتفقت له ويمكن أن يؤرخ بها أربعة : مولده ومبعثه وهجرته ووفاته ، فرجح عندهم جعلها من الهجرة لأن المولد والمبعث لا يخلو واحد منهما من النزاع في تعيين السنة ، وأما وقت الوفاة فأعرضوا عنه لما توقع بذكره من الأسف عليه ، فانحصر في الهجرة ، وإنما أخروه من ربيع الأول إلى المحرم ؛ لأن ابتداء العزم على الهجرة كان في المحرم ، إذ البيعة وقعت في أثناء ذي الحجة وهي مقدمة الهجرة ، فكان أول هلال استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هلال المحرم فناسب أن يجعل مبتدأ ، وهذا أقوى ما وقفت عليه من مناسبة الابتداء بالمحرم .

* * *

فصل : في حسن الاستقبال وقوة الإقبال

شهد الله عز وجل للأنصار بالإيثار وحب الأضياف المهاجرين . فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۝ ﴾ ^(١) وبهذه الروح وبحسن التربية من رسول الله ﷺ وحسن التدبير حلّت مشكلة الهجرة ، وكان ليس لها مشكلات مع أنّ مشكلات الهجرة من أعقد للمشكلات في العالم .

وهذه نصوص نذكرها توضح حسن الاستقبال من الأنصار للمهاجرين ومنهم لرسول الله ﷺ ، وكثرة إقبالهم عليه ﷺ :

٢٣١ - * روى البخاري عن خَارِجَةَ بِنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ أُمَّ الْعَلَاءِ - امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ - بَايَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ ، أَخْبَرَتْهُ : أَنَّهُ افْتَسَمَ الْمُهَاجِرُونَ قُرْعَةً ، فَطَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ ، فَأَنْزَلَنَا فِي أُثْيَاتِنَا ، فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِي تُوْفِيَ فِيهِ ، فَلَمَّا تُوْفِيَ وَغَسَلَ وَكَفَّنَ فِي أَثْوَابِهِ ، دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ : رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ أبا السَّائِبِ ، فَشَهِدَتِي عَلَيْكَ : لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ ؟ » فَقُلْتُ : يَا بِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَمَنْ يَكْرِمُهُ اللَّهُ ؟ فَقَالَ : « أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي - وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ - مَا يَفْعَلُ بِي ؟ » قَالَتْ : فَوَاللَّهِ لَا أَرْكِي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا .

زاد في رواية قالت : وَأَرَيْتُ لِعُثْمَانَ فِي النَّوْمِ عَيْنًا تَجْرِي ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : « ذَلِكَ عَمَلُهُ » .

وفي رواية قالت : فَأَخْرَجَنِي ذَلِكَ ، فَنَمْتُ ، فَزَأَيْتُ لِعُثْمَانَ عَيْنًا تَجْرِي .

(١) الحشر . ٩ .

٢٣١ - البخاري (٢ / ١١٤) ٢٣ - كتاب الجنائز - ٣ - باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه

فطار لنا : أي وقع لنا في سهمنا ، أي صار من حظنا .

أبو السائب : تعني عثمان بن مظعون .

٢٣٢ - * روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ، لما قدم النبي ﷺ المدينة أتاه المهاجرون فقالوا : يارسول الله . ما رأينا قوماً أبذل من كثير ، ولا أحسن مواساة من قليل ، من قوم نزلنا بين أظهرهم ، لقد كفونا المؤنة ، وأشركونا في المنأ ، حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله فقال النبي ﷺ : « لا ، مادعوتكم الله لهم ، وأثنيتم عليهم » .

واختصره أبو داود ^(١) وقال : إن المهاجرين قالوا : يارسول الله ، ذهب الأنصار بالأجر كله ، قال : « لا ، ما دعوتكم الله لهم ، وأثنيتم عليهم » .

٢٣٣ - * روى البخاري عن أبي هريرة قال : قالت الأنصار للنبي ﷺ : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل . قال : « لا » ، فقالوا : تكفونا المؤنة ونشرككم في الثرة ، قالوا : سمعنا وأطعنا .

٢٣٤ - * روى البخاري عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال : لما قدموا المدينة ألقى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن وسعد بن الربيع . قال لعبد الرحمن : إني أكثر الأنصار مالاً ، فاقسم مالي نصفين . ولي امرأتان فانظر أعجبها إليك فسمها لي أطلقها ، فإذا انقضت عدتها فتزوجها . قال : بارك الله لك في أهلك ومالك ، أين سوقكم ؟ فدلوه على سوق بني قينقاع ، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقطر وسمن وذكر الحديث .

٢٣٥ - * روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : قدم عبد الرحمن بن عوف

٢٣٢ - الترمذي (٤ / ٦٥٣) ٢٨ - كتاب صفة القيامة - باب : ٤٤ . وقال : هذا حديث صحيح حسن غريب من هذا الوجه .

للمنأ : السرور - ما يأتيك فتسيفه وتقبله طبعك ، جمعه مهانئ .

(١) أبو داود (٤ / ٢٥٥) كتاب الأدب - باب : في شكر المعروف . وإسناده صحيح .

٢٣٣ - البخاري (٥ / ٨) ٨١ - كتاب الحرف والمزارة - ٥ - باب : إذا قال أكفني مؤنة النخل وغيره وتشركني في الثمر .

٢٣٤ - البخاري (٧ / ١١٢) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٢ - باب إخوان النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار .

أقطا : الأقط : لبن جامد يابس .

٢٣٥ - البخاري (٤ / ٢٨٨) ٢٤ - كتاب البيوع ١ - باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة ... ﴾ .

وضر من صفرة : الوضر : الأثر ، والصفرة من الزعفران والخلوق .

مهم : كلمة استفهام أي ما حالك وما شأنك وما وراءك أو أحدث لك شيء ؟ .

المدينة ، فأخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري ، وكان سعد ذا غنى ، فقال لعبد الرحمن : أقاسمك مالي نصفين وأزوجك . قال : بآرك الله لك في أهلك ومالك ، ثلوني على السوق ، فما رجع حتى استفضل أقطاً وسنناً ، فأتى به أهل منزله ، فمكثنا سيراً - أو ما شاء الله - فجاء وعليه وضر من صفرة فقال له النبي ﷺ : « مهيم ؟ » قال : يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار . قال : « ما سئمت إليها ؟ » قال : نواة من ذهب - أو وزن نواة من ذهب - قال : « أولم ولو بشاة » .

قال صاحب الفتح الرباني : قال النووي : الصحيح في معنى هذا الحديث أنه تعلق به أثر من الزعفران وغيره من طيب العروس ولم يقصده ولا تعمده التزعر ، فقد ثبت في الصحيح النهي عن التزعر للرجال ، وكذا نهى الرجال عن الخلق لأنه شعار النساء ، وقد نهى الرجال عن التشبه بالنساء فهذا هو الصحيح في معنى الحديث ، وهو الذي اختاره القاضي والمحققون ، قال القاضي وقيل : إنه يرخص في ذلك للرجل العروس ، وقد جاء ذلك في أثر ذكره أبو عبيد أنهم كانوا يرخصون في ذلك للشاب أيام عرسه ، قال : ومذهب مالك وأصحابه جواز لبس الثياب المزعفرة ، وحكاه مالك عن علماء المدينة ، وهذا مذهب ابن عمر وغيره ، وقال الشافعي وأبو حنيفة لا يجوز ذلك للرجل . اهـ .

٢٣٦ - * روى أحمد عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « ما يضّر امرأة نزلت بين بيتين من الأنصار أو نزلت بين أبويها » .

٢٣٧ - * روى الحاكم عن أبي أيوب قال : لما نزل علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلت : بأبي أنت وأمي أكره أن أكون فوقك وتكون أسفل مني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إني أرفق بي أن أكون في السفلي لما يغشانا من

٢٣٦ - أحمد في مسنده (٢٥٧ / ٦) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٠ / ١٠) وقال : رواه أحمد والبرار ورجالها رجال الصحيح .

امرأة نزلت : أي نزولها بين بيتين من الأنصار كنزولها بين أبويها .

٢٣٧ - المستدرک (٤٦١ / ٣) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

أريق : أريق .

القطيفة : كساء له خل وأهداب .

فرقاً : خوفاً من أن يصل إليه الماء .

النَّاسِ» قَالَ فَلَقَدْ رَأَيْتُ جُرَّةَ لَنَا انْكَسَرَتْ فَأَهْرَيْقُ مَاؤَهَا ، فَقُمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ بِقَطِيفَةٍ لَنَا مَا لَنَا لِحَافَ غَيْرِهَا نَتَشَفَّى بِهَا الْمَاءَ ، فَرَقَا أَنْ يَصِلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَيْءٌ يُؤْذِيهِ .

أقول : إن كثيراً من الناس يهتمون قضية الذوق العام ، ولا يعطون للتصرف الذوقي أهمية مع شدة أهميته في حياة المسلمين ، وما أكثر ما نجد هذا في حياة رسول الله ﷺ وأصحابه ، وتصرف أبي أيوب وأم أيوب المذكور في الحديث نموذج على هذا .

٢٣٨ - * روى الحاكم عن جابر بن سمرّة قال : نزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي أَيُّوبَ وَكَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَاماً بَعَثَ إِلَيْهِ بِقُضْلِهِ فَيَنْظُرُ إِلَى مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَيَأْكُلُ مِنْ حَيْثُ مَوْضِعَ يَدِهِ ، فَصَنَعَ ذَاتَ يَوْمٍ طَعَاماً فِيهِ ثُومٌ فَأَرْسَلَ بِهِ إِلَيْهِ فَرَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَرَأْ أَصَابِعَكَ ، فَقَالَ : « إِنَّهُ كَانَ فِيهِ ثُومٌ » قَالَ شَعْبَةُ فِي حَدِيثِهِ : أَحَرَمَ هُوَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « لَا » وَقَالَ حَمَّادٌ فِي حَدِيثِهِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِمَا لَمْ تَأْكُلْ ، فَقَالَ : « إِنَّكَ لَسْتَ مِثْلِي إِنَّهُ يَأْتِينِي الْمَلَكُ » .

* * *

فصل : المسجد أولاً

قال ابن كثير في البداية والنهاية : ولما حل الركاب النبوي بالمدينة ، وكان أول نزوله بها في دار بني عمرو بن عوف وهي قُبَاء كما تقدم فأقام بها - أكثر ما قيل - ثنتين وعشرين ليلة ، وقيل : ثماني عشرة ليلة ، وقيل : بضع عشرة ليلة ، وقال موسى بن عُقْبَةَ : ثلاث ليال . والأشهر ما ذكره ابن إسحاق وغيره أنه عليه السلام أقام فيهم بقياء من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة ، وقد أسس في هذه المدة المختلف في مقدارها - على ما ذكرناه - مسجد قباء .

ولما ارتحل عليه السلام من قباء وهو راكب ناقته القصواء وذلك يوم الجمعة أدركه وقت الزوال وهو في دار بني سالم بن عوف ، فصلى بالمسلمين الجمعة هنالك ، في واد يقال له وادي رانواناء ، فكانت أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ بالمسلمين بالمدينة ، أو مطلقاً لأنه والله أعلم لم يكن يتمكن هو وأصحابه بمكة من الاجتماع حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة وإعلان بموعظة ، وما ذاك إلا لشدة مخالفة المشركين له ، وأذيتهم إياه . اهـ .

ولما قدم المدينة كان من أوائل أعماله عليه الصلاة والسلام بناء المسجد .

٢٣٩ - * روى البخاري عن أنس بن مالك قال : قَدِمَ النبي ﷺ المدينةَ فَتَزَلَّ في أعلى المدينة في حيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، فَأَقَامَ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَ لَيْلَةً ، ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ رِدْفَهُ ، وَمَلَأَ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ حَتَّى أَلْقَى بِفَنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ ، وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَصَلِّيَ حَيْثُ أَذْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ ، وَيَصَلِّيَ فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ ، وَإِنَّهُ أَمَرَ بِنَاءَ الْمَسْجِدِ ، فَأُرْسِلَ إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ فَقَالَ : « يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا » فَقَالُوا : لَا وَاللَّهِ لَا تَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ ، فَقَالَ أَنَسٌ : فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ : قُبُورُ الْمُشْرِكِينَ ، وَفِيهِ خَرْبٌ ، وَفِيهِ نَخْلٌ ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَتُبِسَتْ ، ثُمَّ بِالْخَرْبِ فَسُوِّيَتْ ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ ؛ فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ ، وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ الْحِجَارَةَ ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخَرَ وَهُمْ يَرْتَجِرُونَ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ وَهُوَ يَقُولُ « اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ ، فَاعْفُ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ »

٢٣٩ - البخاري (١ / ٥٢٤) ٨ - كتاب الصلاة - ٤٨ - باب : هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ، ويتخذ مكانها مساجد ؟ .

ومسلم (١ / ٣٧٣) ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - ١ - باب ابتداء مسجد النبي ﷺ .

٢٤٠ - * وقد ورد في صحيح البخاري عن الزهري عن عروة أن المسجد الذي كان مريدًا - وهو يندر التمر - ليتيمين كانا في حجر أسعد بن زرارة ، وهما سهل وسهيل ، فساومهما فيه رسول الله ﷺ فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله ، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منها هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناءً مسجداً وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول :

هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالُ خَيْرٌ هَذَا أَتْرُ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ

ويقول :

اللهم إِنَّ الْأَجَرَ أَجْرُ الْآخِرَةِ فَأَرْحِمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

٢٤١ - * روى البخاري عن ابن عمر أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن ، وسقفه الجريد ، وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً ، وزاد فيه عمر وبناء على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً . ثم غيرة عثمان فزاد فيه زيادة كبيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة وجعل عده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج .

قال ابن كثير في البداية والنهاية : زاده عثمان بن عفان رضي الله عنه متأولاً قوله ﷺ : « من بنى لله مسجداً ولو كفحص قطعة بني الله له بيتاً في الجنة » ووافقه الصحابة الموجودون على ذلك ولم يغيروه بعده ، فيستدل بذلك على الراجح من قول العلماء أن حكم الزيادة حكم المزيدي ، فتدخل الزيادة في حكم سائر المسجد من تضعيف الصلاة فيه وشد الرجال إليه ، وقد زيد في زمان الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق زاده له بأمره عمر ابن عبد العزيز حين كان نائبه على المدينة ، وأدخل الحجرة النبوية فيه كما سيأتي بيانه في

٢٤٠ - البخاري (٧ / ٢٤٠) ٦٢ - كتاب مناقب الأنصار - ٤٥ - باب : هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

٢٤١ - البخاري (١ / ٥٤٠) ٨ - كتاب الصلاة - ٦٢ - باب : بنية المسجد .

وأبو داود (١ / ١٢٣) كتاب الصلاة - باب : في بناء المسجد .

القصة : الجص .

الساج : ضرب من الشجر .

وقته ، ثم زيد زيادة كثيرة فيما بعد ، وزيد من جهة القبلة حتى صارت الروضة والمنبر بعد الصفوف المقدمة كما هو المشاهد اليوم .

وبني لرسول الله ﷺ حول مسجده الشريف حَجَر لتكون مساكن له ولأهله ، وكانت مساكن قصيرة البناء قريبة الفناء . قال الحسن بن أبي الحسن البصري - وكان غلاماً مع أمه خيرة مولاة أم سلمة - : لقد كنت أنال أطول سقف في حجر النبي ﷺ بيدي . قلت : إلا أنه قد كان الحسن البصري شكلاً^(١) ضخماً طوالاً رحمه الله .

وقال السُّهيلي في الروض : كانت مساكنه عليه السلام مبنية من جريد عليه طين بعضها من حجارة مرضومة وسقوفها كلها من جريد ، وقد حكى عن الحسن البصري ما تقدم ، قال : وكانت حَجَره من شعر مربوطة بخشب من عرعر . قال وفي تاريخ البخاري أن بابه عليه السلام كان يقرع بالأظافر ، فدل على أنه لم يكن لأبوابه حلق . ا هـ .

٢٤٢ - * روى الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كنا ننقل اللبن للمسجد لَبْنَةً لَبْنَةً وكان عمارٌ ينقل لبنتين لبنتين فنقص رسول الله ﷺ عن رأسه وقال : « وَيُحَكِّك يا ابنَ سَمِيَّةٍ تَقْتَلُكَ الفُتَّةُ الباغِيَةُ » .

قال ابن كثير في البداية والنهاية : وهذا الحديث من دلائل النبوة حيث أخبر صلوات الله وسلامه عليه عن عمار أنه تقتله الفتنة الباغية ، وقد قتله أهل الشام في وقعة صفين وعمار مع علي وأهل العراق كما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه ، وقد كان عليّ أحق بالأمر من معاوية ، ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بغاة تكفيرهم كما يحاوله جهلة الفرقة الضالة من الشيعة وغيرهم ؛ لأنهم وإن كانوا بغاة في نفس الأمر فإنهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال ، وليس كل مجتهد مصيباً ، بل المصيب له أجران والمخطئ له أجر ، ومن زاد في هذا الحديث بعد تقتلك الفتنة الباغية - لا أنالها الله شفاعتي يوم القيامة - فقد افترى في هذه الزيادة على رسول الله ﷺ ، فإنه لم يقلها إذ لم تنقل من طريق تقبل ، والله

(١) الشَّكْل : مالهونه أبيض خالطته حرة .

٢٤٢ - أورده الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٩٦) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

أعلم . وأما قوله يدعومهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، فإن عمارًا وأصحابه يدعون أهل الشام إلى الألفة واجتماع الكلمة ، وأهل الشام يريدون أن يستأثروا بالأمر دون من هو أحق به ، وأن يكون الناس أوزاعاً ^(١) على كل قطر إمام برأسه ، وهذا يؤدي إلى افتراق الكلمة واختلاف الأمة فهو لازم مذهبهم وناشئ عن مسلكهم ، وإن كانوا لا يقصدونه ، والله أعلم .

ونختم هذا الفصل بكلمة للشيخ الغزالي وأخرى للسباعي حول بدئه عليه الصلاة والسلام أول استقراره في المدينة ببناء المسجد .

قال الشيخ الغزالي حفظه الله :

بادر الرسول عليه الصلاة والسلام إلى بناء المسجد ، لتظهر فيه شعائر الإسلام التي طالما حوربت ، ولتقام فيه الصلوات التي تربط المرء برب العالمين ، وتنقي القلب من أدران الأرض ، ودسائس الحياة الدنيا .

وتم المسجد في حدود البساطة ، فراشه الرمال والحصباء وسقفه الجريد ، وأعمدته الجذوع ، وربما أمطرت السماء فأوحلت أرضه ، وقد تفلت الكلاب إليه فتغدو وتروح .

هذا البناء المتواضع الساذج ، هو الذي ربي ملائكة البشر ، ومؤدبي الجبابرة وملوك الدار الآخرة ، في هذا المسجد أذن الرحمن لني يوم بالقرآن خير من أمن به ، يتمهدم بأدب السماء من غبش الفجر إلى غسق الليل .

إن مكانة المسجد في المجتمع الإسلامي ، تجعله مصدر التوجيه الروحي والمادي فهو ساحة للعبادة ، ومدرسة للعلم ؛ وندوة للأدب وقد ارتبطت بفريضة الصلاة وصفوفها أخلاق وتقاليد هي لباب الإسلام .

والمسجد الذي وجه الرسول ﷺ همته إلى بنائه قبل أي عمل آخر بالمدينة ، ليس أرضاً تحتكر العبادة فوقها ؛ فالأرض كلها مسجد ، والمسلم لا يتقيد في عبادته بمكان .

إنما هو رمز لما يكثرث له الإسلام أعظم اكتراث ، ويتشبث به أشد تشبث ، وهو وصل

(١) أوزاع : جماعات متفرقة .

العباد برهم وصلأ يتجدد مع الزمن ، ويتكرر مع أناء الليل والنهار ، فلا قيمة لحضارة تذهل عن الإله الواحد ، وتجهل اليوم الآخر ، وتغلط المعروف بالمنكر ! .

والحضارة التي جاء بها الإسلام ، تذكر أبدأ بالله وبلقائه وتمسك بالمعروف وتبفض في المنكر ، وتقف على حدود الله ... اهـ .

وقال الدكتور السباعي حول بناء المسجد : من وقائع الهجرة إلى المدينة تبين لنا أنه ﷺ ما أقام بمكان إلا كان أول ما يفعله بناء مسجد يجتمع فيه المؤمنون فقد أقام مسجد قباء حين أقام فيها أربعة أيام ، وبنى مسجداً في منتصف الطريق بين قباء والمدينة لما أدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن الوادي « وادي رانونا » .

فلما أن وصل إلى المدينة ، كان أول عمل عمله بناء مسجد فيها .

وهذا يدلنا على أهمية المسجد في الإسلام ، وعبادات الإسلام كلها تطهير للنفس ، وتزكية للأخلاق ، وتقوية لأواصر التعاون بين المسلمين ، وصلاة الجماعة والجمعة والعيد ، ومظهر قوي من مظاهر اجتماع المسلمين ، ووحدة كلمتهم ، وأهدافهم ، وتعاونهم على البر والتقوى ، لاجرم أن كان للمسجد رسالة اجتماعية وروحية عظيمة الشأن في حياة المسلمين ، فهو الذي يوحد صفوفهم ، ويهذب نفوسهم ، ويوقظ قلوبهم وعقولهم ، ويحل مشاكلهم ، وتظهر فيه قوتهم وتماسكهم .

ولقد أثبت تاريخ المسجد في الإسلام أن منه انطلقت جحافل الجيوش الإسلامية لغمر الأرض بهداية الله ، ومنه انبعثت أشعة النور والهداية للمسلمين وغيرهم ، وفيه ترعرعت بذور الحضارة الإسلامية ونمت ، وهل كان أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وخالد ، وسعد ، وأبو عبيدة ، وأمثالهم من عظماء التاريخ الإسلامي إلا تلامذة المدرسة المحمدية التي كان مقرها المسجد النبوي .

وميزة أخرى للمسجد في الإسلام أنه تنبث منه في كل أسبوع كلمة الحق مدوية مجلجلة على لسان خطيبه ، في إنكار منكر أو أمر بمعروف ، أو دعوة إلى خير ، أو إيقاظ من غفلة ، أو دعوة إلى تجمع ، أو احتجاج على ظالم ، أو تحذير لطاغية ، ولقد شاهدنا في عهد

الطفولة كيف كانت المساجد مراكز الانطلاق للحركات الوطنية ضد المستعمرين يلجأ إليها
زعماء الجهاد ضد الاستعمار وضد الصهيونية . اهـ .

* * *

فصل : المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

أقام الرسول ﷺ بعد وجوده في المدينة نوعين من التعاقدات ، تعاقد على الإخاء الخاص بين أصحابه ، وتعاقد بين المسلمين وغيرهم من سكّان المدينة .

وهذه نصوص تشير أو تتحدّث عن التعاقدات من النوع الأوّل :

٢٤٢ - * روى مسلم عن جبير بن مطعم ، رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا حِلْفَ في الإسلام ، وأَيُّمَا حِلْفٍ كَانَ في الجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الإسلامُ إِلَّا شِدَّةً » .

قال ابن الأثير : (لا حِلْفَ في الإسلام) أصل الحِلْفِ : المُعَاقَدَةُ والمعاهدة على التعاضد والتساعّد والاتفاق ، فما كان منه في الجاهلية على الفتن والقتال بين القبائل والغارات ، فذلك الذي ورد النهي عنه في الإسلام بقوله ﷺ : « لا حِلْفَ في الإسلام » وما كان منه في الجاهلية على نُصْر المظلوم وصلّة الأرحام ، كحِلْفِ المُطَيِّبين وما جرى مجراه ، فذلك الذي قال فيه ﷺ : « وأَيُّمَا حِلْفٍ كَانَ في الجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الإسلامُ إِلَّا شِدَّةً » يريد : من المُعَاقَدَةِ عَلَى الخير ، والنَّصْرِ للحق ، وبذلك يجتمع الحديثان ، وقد حالف رسول الله ﷺ في الإسلام بين قريش والأنصار ، يعني : آخى بينهم ، وهذا هو الحلف الذي يقتضيه الإسلام ، والمنوع منه : ما خالف حكم الإسلام ، وكان رسول الله ﷺ وأبو بكر من المطيّبين ، وكان عمر من الأحلاف ، والأحلاف ست قبائل : عبد الدار ، وجَمَح ، ومَخْزُوم ، وعَدِي ، وكَعْب ، وسَهْم ، سُمُوا بذلك لأنهم لما أرادت بنو عبد مناف أخذ ما في أيدي عبد الدار ؛ من الحِجَابَةِ والرَّفَادَةِ واللَّوَاءِ والسَّقَايَةِ ، وأَبَتْ عبد الدار ، عَقَدَ كلُّ قومٍ على أمرهم حِلْفًا مُوَكَّدًا على أن لا يَتَخَذُوا ، فَأُخْرِجَتْ بنو عبد مناف جَفَنَةً مملوءة طيباً ، فوضعتها لأخلافهم في المسجد عند الكعبة ، ثم غَمَسَ القوم أيديهم فيها وتعاقدوا ، وتعاقدت بنو عبد الدار

٢٤٢ - مسلم (٤ / ١٩٦١) - كتاب فضائل الصحابة - ٥٠ - باب : مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه رضي الله تعالى عنهم .

وأبو داود (٣ / ١٢٩) كتاب الفرائض - باب في الحلف .

وقال أبو داود : يريد : حلف المطيّبين .

وحلفاؤها حلفاً آخر مؤكداً على أن لا يتخاذلوا ، فسموها الأحلاف لذلك .

٢٤٤ - * روى البخاري عن عاصم بن سليمان الأحول قال : قلت لأنس بن مالك رضي الله عنه :

أبْلَغَكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ ؟ » فَقَالَ : قَدْ خَالَفَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ فِي ذَارِي .

وعند أبي داود ^(١) قال : سمعت أنس بن مالك يقول : خَالَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي ذَارِنَا ، فَقِيلَ لَهُ : أَلَيْسَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ ؟ فَقَالَ : خَالَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي ذَارِنَا ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا .

أقول : يرى بعض الناس أنه لا تجوز التعاقدات السياسية بين المسلمين وغيرهم ، ومن ثم بين الجماعة الإسلامية وغير المسلمين أو غير الإسلاميين ، وذلك خطأ ووهم ، فحيثما وجدت مصلحة حقيقية للإسلام ولجماعة المسلمين جاز التحالف على أن يكون ذلك بشورى المسلمين وبالفتوى الصحيحة من أهلها ، ونحن سنرى في حياة الرسول ﷺ أن التحالفات كانت جزءاً من سيرته عليه الصلاة والسلام .

٢٤٥ - * روى أبو يعلى عن زيد بن حارثة أنه قال : يارسول الله آخيت بيني وبين حمزة بن عبد المطلب .

٢٤٦ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : آخى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ

٢٤٤ - البخاري (٤ / ٤٧٢) ٣٩ - كتاب الكفالة - ٢ - باب : قول الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَفْسِهِمْ ﴾ . ومسلم (٤ / ١٩٦٠) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٥٠ - باب : مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه رضي الله تعالى عنهم .

(١) أبو داود (٢ / ١٢٩) كتاب الفرائض - باب : في الحلف .

٢٤٥ - أورده الهيثمي في مجمع الروائد (٨ / ١٧١) وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن صالح الأزدي وهو ثقة .

٢٤٦ - مسلم (٤ / ١٩٦٠) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٥٠ - باب : مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه رضي الله تعالى عنهم .

أبي عبيدة بن الجراح وبين أبي طلحة .

٢٤٧ - * روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ آخى بين الزبير وابن مسعود .

٢٤٨ - * روى أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه قال : آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه ، آخى تين سلمات وأبي الدرداء وتين عوف بن مالك وتين صعب بن جثامة .

٢٤٩ - * روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما : قال في قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَّ ﴾^(١) : ورثة . ﴿ والذين عقدت أيمانكم ﴾ : كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمه للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم ، فلما نزلت ﴿ ولكل جعلنا موالى ﴾ نسخت ثم قال : ﴿ والذين عقدت أيمانكم ﴾ من النصر والرفادة والنصيحة ، وقد ذهب الميراث ويوصى له .

وبعقد الإخاء بين المهاجرين والأنصار حلّ رسول الله ﷺ مشكلات الهجرة عن أقرب طريق وأسهل ، وقد تحدّث الشيخ الغزالي في كتابه فقه السيرة عن هذا الموضوع فقال :

أما أمر صلة الأمة بعضها ببعض الآخر ، فقد أقامه الرسول ﷺ على الإخاء الكامل . الإخاء الذي تحى فيه كلمة « أنا » ويتحرك الفرد فيه بروح الجماعة ومصالحتها وأماها ، فلا يرى لنفسه كياناً دونها ، ولا امتداداً إلا فيها .

ومعنى هذا الإخاء ، أن تذوب عصبية الجاهلية ، فلا حمية إلا للإسلام . وأن تسقط فوارق النسب واللون والوطن . فلا يتأخر أحد أو يتقدم إلا بمروءته وتقواه .

وقد جعل الرسول ﷺ هذه الأخوة عقداً نافذاً ، لا لفظاً فارغاً ، وعلاً يرتبط بالدماء والأموال لا تحية تثرثر بها الألسنة ولا يقوم لها أثر .

٢٤٧ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ١٧١) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، ورجال الأوسط ثقات .

٢٤٨ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ١٧١) وقال : رواه أبو يعلى ورجال الصريح .

٢٤٩ - البخاري (٨ / ٢٤٧) ٦٥ - كتاب التفسير - ٧ - باب ﴿ ولكل جعلنا موالى ما ترك الوالدان والأقربون ... ﴾ .

(١) النساء : ٢٣ .

وكانت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة تبرز في هذه الأخوة ، وتتلأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال .

والإخاء الحق لا ينبت في البيئات الخسيسة ، فحيث يشيع الجهل والنقص والجبن والبخل والجشع ، لا يمكن أن يصح إخاء ، أو تترعرع محبة ، ولولا أن أصحاب رسول الله ﷺ جُبلُوا على شمائل تقية ، واجتمعوا على مبادئ رضية ، ما سجلت لهم الدنيا هذا التأخي الوثيق في ذات الله .

فَسَمُّوا الغاية التي التقوا عليها وجلال الأسوة التي قادتهم إليها ، تَمَيَّنَا فيهم خلال الفضل والشرف ، ولم يدعوا مكاناً لنجوم خلة رديئة .

ذلك ، ثم إن محمداً عليه الصلاة والسلام كان إنساناً ، تجتمع فيه ما تفرق في عالم الإنسان كله من أجداد ومواهب وخيرات ، فكان صورة لأعلى قمة من الكمال يمكن أن يبلغها بشر ، فلا غرو إذا كان الذين قَبَسُوا منه ، وداروا في فلكه ، رجالاً يحيون بالنجدة والوفاء والسخاء .

إن الحب كالنبع الدافق يسيل وحده ، ولا يُتكلف استخراجُه بالآلات والأنتقال ، والأخوة لا تُفرض بقوانين ومراسم ، وإنما هي أثر تخلص الناس من نوازع الأثرة والشح والضعفة .

وقد تبودلت الأخوة بين المسلمين الأولين ، لأنهم ارتَقُوا - بالإسلام - في نواحي حياتهم كلها ، فكانوا عباد الله إخواناً ، ولو كانوا عبيد أنفسهم ما أبقى بعضهم على بعض .

وقد ظلت عقود الإخاء مقدمة على حقوق القرابة في توارث التركات إلى موقعة (بدر) حتى نزل قوله تعالى : ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾ ^(١) فألغى التوارث بعقد الأخوة ، ورجع إلى ذوي الرحم .

* * *

أهداف المؤاخاة :

قال ابن حجر في الفتح : قال ابن عبد البر : كانت للمؤاخاة مرتين : مرة بين المهاجرين خاصة وذلك بمكة ، ومرة بين المهاجرين والأنصار ، فهي المقصودة هنا .

وقال السهيلي : آخى بين أصحابه ليذهب عنهم وحشة الغربة ويتأنسوا من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد بعضهم أزر بعض ، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أبطل المواريث وجعل المؤمنين كلهم إخوة وأنزل ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ يعني في التوادد وشمول الدعوة .

وأذكر ابن تيمية في « كتاب الرد على ابن المطهر الرافضي » للمؤاخاة بين المهاجرين وخصوصاً مؤاخاة النبي ﷺ لعلي قال : لأن المؤاخاة شرعت لإرفاق بعضهم بعضاً ولتأليف قلوب بعضهم على بعض فلا معنى لمؤاخاة النبي لأحد منهم ولا لمؤاخاة مهاجري لمهاجري ، وهذا رد للنص بالقياس وإغفال عن حكمة المؤاخاة ، لأن بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة والقوى ، فأخى بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعلى ويستعين الأعلى بالأدنى وبهذا تظهر مؤاخاته ﷺ لعلي ، لأنه هو الذي كان يقوم به من عهد الصبا من قبل البعثة واستمر ، وكذا مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة لأن زيدا مولاهم ، فقد ثبت أخوتها وهما من المهاجرين ، وسيأتي في عمرة القضاء قول زيد بن حارثة : إن بنت حمزة بنت أخي ، وأخرج الحاكم وابن عبد البر بسند حسن عن أبي الشعثاء عن ابن عباس : « أخى النبي ﷺ بين الزبير وابن مسعود » وهما من المهاجرين . قلت : وأخرجه الضياء في المختارة من المعجم الكبير للطبراني ، وابن تيمية يصرح بأن أحاديث المختارة أصح وأقوى من أحاديث المستدرک ، وقصة المؤاخاة الأولى أخرجها الحاكم من طريق جميع بن عمير عن ابن عمر : « أخى رسول الله ﷺ بين أبي بكر وعمر ، وبين طلحة والزبير ، وبين عبد الرحمن بن عوف وعثمان - وذكر جماعة قال - فقال علي : يا رسول الله إنك أخيت بين أصحابك فمن أخي ؟ قال « أنا أخوك » وإذا انضم هذا إلى ما تقدم تقوى به .

وحول المؤاخاة قال الدكتور مصطفى السباعي : في مؤاخاة الرسول بين المهاجرين والأنصار أقوى مظهر من مظاهر عدالة الإسلام الإنسانية الأخلاقية البناءة ، فالمهاجرون قوم تركوا في سبيل الله أموالهم وأراضيهم ، فجاؤوا المدينة لا يملكون من حطام الدنيا شيئاً ، والأنصار قوم أغنياء بزروعهم وأموالهم وصناعاتهم . فليحمل الأخ أخاه ، وليقتسم معه سراء الحياة وضراءها ، ولينزله في بيته ما دام فيه متسع لها ، وليعطه نصف ماله ما دام غنياً عنه ، موفراً له ، فأية عدالة اجتماعية في الدنيا تعدل هذه الأخوة ؟

إن الذين ينكرون أن يكون في الإسلام عدالة اجتماعية ، قوم لا يريدون أن يبهز نور الإسلام أبصار الناس ويستولي على قلوبهم ، أو قوم جامدون يكرهون كل لفظ جديد ولو أحبه الناس وكان في الإسلام مدلوله ، وإلا فكيف تنكر العدالة الاجتماعية في الإسلام وفي تاريخه هذه المؤاخاة الفذة في التاريخ . وهي التي عقدها صاحب الشريعة محمد ﷺ بنفسه ، وطبقها بإشرافه .

* * *

فصل : في الترتيبات الدستورية

قال الأستاذ البوطي : روى ابن هشام أن النبي عليه الصلاة والسلام لم تقض له سوى مدة قليلة في المدينة حتى اجتمع له إسلام عامة أهل المدينة من العرب ، ولم يبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها ، عدا أفراداً من قبيلة الأوس . فكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم ، وأقرم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم .

وقد ذكر ابن إسحاق هذا الكتاب بدون إسناد . وذكره ابن خيثمة فأسنده : حدثنا أحمد ابن جناب أبو الوليد ، ثنا عيسى بن يونس ، ثنا كثير بن عبد الله بن عمرو المزني عن أبيه عن جده أن رسول الله عليه السلام كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، فذكر نحو ما ذكره ابن إسحاق ، وذكره الإمام أحمد في مسنده فرواه عن سريج قال حدثنا عباد عن حجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار ... إلخ .

وقال الشيخ الغزالي في معرض كلامه عن أهم أعمال الرسول ﷺ بعد مقدمه المدينة : أما عن صلة الأمة بالأجانب عنها ، الذين لا يدينون بدينها ، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام قد سن في ذلك قوانين السامح والتجاوز التي لم تمهد في عالم مليء بالتعصب والتغالي ، والذي يظن أن الإسلام دين لا يقبل جوار دين آخر ، وأن المسلمين قوم لا يستريحون إلا إذا انفردوا في العالم بالبقاء والتسلط ، هو رجل مخطئ بل متحامل جريء .

أقول : هذه الوثيقة التي ذكرها الأستاذان الكريمان لم تكن تنظم الحياة بين المسلمين وغيرهم فحسب ، بل كانت كذلك تنظم الحياة بين المسلمين أنفسهم ، وهذه الحادثة بالذات تعتبر أهم معلم يجب أن تضعه الحركة الإسلامية نصب عينيه ، بل هذه الوثيقة تعتبر من أعظم السوابق الدستورية في تاريخ البشرية ، ففي مراحل متأخرة بدأت البشرية تفكر في كتابة الدساتير الناظمة لحياة الأمم في أطرها الكبرى ، فأن نرى ذلك في حياة رسول الله ﷺ في السنة الأولى لإقامة الدولة فتلك من معجزات الإسلام ، ولقد جهل ناس حاربوا

التعميد الدستوري والقانوني لحياة شعوب الأمة الإسلامية ، كما أفرط ناس في التصورات السياسية حتى دخلوا معارك ضد مصطلحات لاجرح في استعمالها ، وكل ذلك أثر عن تشنجات سقيمة لم يعرف أصحابها الحدود بين ما يحرم أخذه وما يجوز وما يفترض ، وبين ما لا يسوغ إغفاله وما يجب إبطاله له .

ومع أن هذه الوثيقة قد أوردها ابن إسحاق بلا إسناد فإن لها قوة كبرى من حيث إن ابن خيثمة قد أوردها بإسناد كما ذكر ذلك ابن سيّد الناس في عيون الأثر ، ومن حيث إن هناك نصواً ثابتة تشير إلى أن عقوداً ما قد تمت بين رسول الله ﷺ وبين اليهود ، وأن تعاقداً أبرمه رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار ولذلك فإن ابن كثير في البداية والنهاية قد لخص هذه الوثيقة وعنون لمضمونها وقدم لها بذكر بعض الأحاديث الصحيحة التي تشير إلى بعض مضموناتها ، وعلى كل الأحوال فعلى مذهبنا الذي ذكرناه في مقدمة هذا القسم والذي اعتمدنا فيه أن إماماً من الأئمة عندما يذكر شيئاً بلا تكثير فذلك يدل على أن مذهبه اعتماد ما ذكره فإذا كان من أهل الاجتهاد في شأن فيما كاننا اتبعه فيه ، ولا أحد يشك أن ابن إسحاق إمام الأئمة في السيرة .

وها نحن نذكر بعض ما ذكره ابن كثير عن هذه الوثيقة : فقد قال بعد ذكره عقد الرسول عليه السلام الألفة بين المهاجرين والأنصار والمؤاخاة بينهم ، ومواعدته اليهود الذين كانوا بالمدينة :

وكان بها من أحياء اليهود بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ، وكان نزولهم بالحجاز قبل الأنصار أيام بخت نصر حين دُوخ بلاد المقدس فيما ذكره الطبري ، ثم لما كان سيل العرم وتفرقت شذر مذر ، نزل الأوس والخزرج المدينة عند اليهود فحالفوهم وصاروا يتشبهون بهم لما يرون لهم عليهم من الفضل في العلم المأثور عن الأنبياء ، لكن من الله على هؤلاء الذين كانوا مشركين بالهدى والإسلام وخذل أولئك لحسدهم وبغيهم واستكبارهم عن اتباع الحق .

٢٥٠ - * روى الإمام أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أن رسول الله ﷺ

كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار على أن يعقلوا معاقبتهم ، ويفدوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين .

٢٥١ - * روى مسلم عن جابر . كتب رسول الله ﷺ : « على كل بطن عقرولسه » .

وقال محمد بن إسحاق ^(١) : كتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدتهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي الأمي بين المؤمنين والمسلمين من قرشي ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قرشي على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط ، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلتهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين » ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار ، وأهل كل دار : بني ساعدة ، وبني جشم ، وبني النجار ، وبني عمرو وبني عوف ، وبني النبيت ، إلى أن قال :

« وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل ، ولا يحالف مؤمن مؤلى مؤمن دونه ، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيديتهم عليه جميعهم ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافر على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أذناهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس وإنه من تبعنا من يهود ، فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسأل مؤمن دون

٢٥١ - مسلم (١١٤٦ / ٢) ٢٠ كتاب العتق - ٤ - باب : تحريم تولي العتيق غير مواليه .

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١١٩ / ٢) .

يتعاقلون معاقلتهم : يكونون على ما كانوا عليه من أخذ الديات عند قتل أحد وإعطائها . والتعاقل جمع مثقلة .

وهي الذية والمقول جمع عقل وهي الذية أيضاً .

عانيهم : أسيرهم .

ربعتهم : الحال التي جاء الإسلام وهم عليها .

المفرح : للثقل بالدين ، الكثير الميال .

ذبيحة : عطية .

مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا عَلَى سَوَاءٍ وَعَدَلٍ بَيْنَهُمْ ، وَإِنْ كُلُّ غَارِيَّةٍ غَزَتْ مَعَنَا يَعْقِبَ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِيَّءَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِمَا نَالَ دِمَاءَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ عَلَى أَحْسَنَ هُدًى وَأَقْوَمِهِ ، وَإِنَّهُ لَا يُجِيرُ مُشْرِكٌ مَالًا لِقَرِيشٍ وَلَا نَفْسًا وَلَا يَحُولُ دُونَهُ عَلَى مُؤْمِنٍ ، وَإِنَّهُ مَنْ اعْتَبَطَ مُؤْمِنًا قَتَلًا عَنْ بَيِّنَةٍ فَإِنَّهُ قَوْدٌ بِهِ إِلَّا أَنْ يَرْضَى وَلِيُّ الْمَقْتُولِ ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ كَافَّةٌ وَلَا يَحِلُّ لَهُمْ إِلَّا قِيَامٌ عَلَيْهِ ، وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَقْرَبُ بَأًا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَنْصُرَ مُحَدِّثًا وَلَا يُؤْوِيَهُ ، وَإِنَّهُ مَنْ نَصَرَ أَوْ آوَاهُ فَإِنَّ عَلَيْهِ لَعْنَةَ اللَّهِ وَغَضَبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ ، وَإِنَّكُمْ مَتَمُّوا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ مَرَدَّةً إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنَّ الْيَهُودَ يَنْفَقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ ، وَإِنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنَّهُ لَا يُوتَغُ إِلَّا نَفْسُهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ ، وَإِنَّ لِيَهُودَ بَنِي النَّجَّارِ وَبَنِي الْحَارِثِ وَبَنِي سَاعِدَةَ وَبَنِي جُثَمَ وَبَنِي الْأَوْسِ وَبَنِي ثَعْلَبَةَ وَجَفْنَةَ وَبَنِي الشُّطَيْبَةِ مِثْلَ مَا لِيَهُودَ بَنِي عَوْفٍ ، وَإِنَّ بَطْنَانَةَ يَهُودَ كَانَتْهُمْ ، وَإِنَّهُ لَا يُخْرِجُ مِنْهُمْ أَحَدًا إِلَّا بِإِذْنِ مُحَمَّدٍ ، وَلَا يَنْحَجِزُ عَلَى نَارٍ جَرْجٍ ، وَإِنَّهُ مَنْ قَتَلَكَ فَبَنْفُسِهِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى أَمْرٍ هَذَا ، وَإِنَّ عَلَى الْيَهُودِ نَفَقَتَهُمْ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ تَفَقُّتَهُمْ ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النُّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ وَالْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ ، وَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ أَمْرٌ بِخَلْفِيهِ . وَإِنَّ النُّصْرَةَ لِلْمُظْلُومِ وَإِنْ يَثْرِبَ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ، وَإِنَّ الْجَارَ كَالنَّفْسِ غَيْرَ مُضَارٍ وَلَا آثِمٍ ، وَإِنَّهُ لَا تَجَارَ حَرَمَةٌ إِلَّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا ، وَإِنَّهُ مَا

يُيَيءُ : يبيء من السواء أي المساواة ، يقال : با وأبأ بمعنى ساوى . اعْتَبَطَ : قَتَلَ بِلَا جَنَايَةٍ . قَوْدٌ : الْقَصَاصُ . مُحَدِّثًا : جَانِيًا . صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ : نَافِلَةٌ وَلَا فَرْضٌ أَوْ تَوْبَةٌ وَلَا فِدْيَةٌ . لَا يُوتَغُ : أَي لَا يُؤْتَى وَجَهْلُكَ . وَلَا يَنْحَجِزُ عَلَى نَارٍ جَرْجٌ : لَا يَمْنَعُ صَاحِبُ حَقٍّ مِنْ حَقِّهِ فِي الْقَصَاصِ . وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى أَمْرٍ هَذَا : أَي أَنَّ اللَّهَ رَاضٍ أَوْ شَهِيدٌ عَلَى أَمْرٍ هَذَا الْعَقْدِ . أَقُولُ : قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : إِذَا كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا الْكِتَابَ قَبْلَ أَنْ تَفْرُسَ الْجَزْيَةَ وَإِذَا كَانَ الْإِسْلَامُ ضَعِيفًا ، وَكَانَ لِلْيَهُودِ إِذْ ذَاكَ نَصِيبٌ فِي الْمَعْمِ إِذَا قَاتَلُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، كَمَا شَرَطَ عَلَيْهِمْ فِي هَذَا الْكِتَابِ النِّفْقَةَ مَعَهُمْ فِي الْحُرُوبِ . وَالْبِرُّ دُونَ الْإِثْمِ : أَي أَنَّ الْبِرَّ وَالْوَفَاءَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَاجِزًا عَنِ الْإِثْمِ . لَمْ يَأْتِ أَمْرٌ بِخَلْفِيهِ : لَا يَحْسَبُ الْخَلِيفُ عَلَى جُزْمِ خَلِيفِهِ .

كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يَخَافُ فَسَادَهُ ، فَإِنْ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى أَتَقَى مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبْرَهُ ، وَإِنَّهُ لَا تَجَارَ قَرِيشٌ وَلَا مَنْ نَصَرَهَا وَإِنْ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ دَهَمَ يَثْرِبُ ، وَإِذَا دُعُوا إِلَى صَلَاحٍ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ فَإِنَّهُمْ يَصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ وَإِنَّهُمْ إِذَا دُعُوا إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَّا مَنْ حَارَبَ فِي الدِّينِ عَلَى كُلِّ أَنْاسٍ حِصَّتُهُمْ مِنْ جَانِبِهِمُ الَّذِي قَبْلَهُمْ ، وَإِنَّهُ لَا يَحُولُ هَذَا الْكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ أَوْ آثِمٍ ، وَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنًا ، وَمَنْ قَعَدَ آمِنًا بِالْمَدِينَةِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ آثَمَ ، وَإِنَّ اللَّهَ جَارٌ لِمَنْ بَرَّ وَاتَّقَى . كَذَا أوردته ابن إسحاق بنحوه .

دروس من الصحيفة :

١ - هذه الوثيقة ضبطت العلاقة بين أبناء المجتمع المدني جميعهم مؤمنهم ومشرِكهم ويهوديهم ، ومن ههنا نأخذ أن على الحركة الإسلامية حيثما وجدت أن تفكر في الصيغة الدستورية التي تحكم العلاقات بين المسلمين وبين غيرهم ، والأمر في هذا للموضوع يختلف من وضع لوضع ومن قطر لقطر ومن ضعف لقوة ، ومن كثرة لقلّة ، ومن استخلاف لسعي نحو الاستخلاف ، والفتوى والشورى والمصلحة هي ضوابط هذا الأمر .

٢ - من تعبيرات هذه الوثيقة (وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم) هذا التعبير يفيد في المصطلحات الحالية أن كل المواطنين شعب واحد ، وفي هذا أبلغ ردّ على بعض المتشجّجين الذين تتسع دائرة المحرّمات عندهم حتّى تصل إلى كلّ شيء .

٣ - إنّ على الحركة الإسلامية المعاصرة أن تأتني الناس من حيث يعرفون بما لا يحلّ حراماً ولا يحرم حلالاً ولا يناقض نصّاً ولا فتوى ولا شورى ، فتلك هي مصلحة الإسلام والمسلمين في عصرنا ، وليس العكس كما يحلو لبعضهم أن يصوّر ، فليس مطلوباً منّا أن

لا تجار حرمه إلا بإذن أهلها : ليس لأحد أن يجير ذات حرمه لغيره إلا بإذن أهلها .

على كل أناس حصتهم من جانبيهم الذي قبلهم : على كل قوم أن يدافعوا عن المدينة من جهتهم إذا دومت .

نصارح كل شيء ولا أن نغير كل شيء والقدر الذي يجب أن نغيره لسنا مطالبين بتغييره طفرة واحدة ، فهناك قضايا للإسلام فيها أكثر من حكم على حسب الضعف والقوة ، وهناك رخصة وعزيمة ، وأحكام أصلية وأحكام استثنائية ، وأنت مطالب بالممكن والمستطاع ، على حسب المرحلة والقدرة، والفتوى والشورى من أهلها هما اللذان يضبطان السير .

٤ - إن فقه التحالفات وفقه الجهاد يشكلان الأساسين النظريين لاندفاع الحركة الإسلامية فما لم تدرك الجماعة الإسلامية دقائق هذا الفقه فإن حركتها تكون قاصرة أو عاجزة أو مبتورة .

٥ - علق الدكتور السباعي حول الوثيقة فقال : وفي الكتاب الذي عقد فيه الرسول الأخوة بين المهاجرين والأنصار ، والتعاون بين المسلمين وغيرهم جملة من الأدلة التي لا ترد على أن أساس الدولة الإسلامية قائم على العدالة الاجتماعية ، وأن أساس العلائق بين المسلمين وغيرهم - من مواطني الدولة الإسلامية - هو السلم ما سالموا ، وأن مبدأ الحق والعدل والتعاون على البر والتقوى والعمل بخير الناس ، ودفع أذى الأشرار عن المجتمع ، هو أبرز الشعارات التي تنادي بها دولة الإسلام ، وبذلك تكون الدولة الإسلامية أينما قامت ، وفي أي عصر نشأت قائمة على أقوم المبادئ وأعدلها ، وهي تنطبق اليوم على أكرم المبادئ التي تقوم عليها الدول ، وتعيش في ظلها الشعوب ، وإن العمل في عصرنا هذا لإقامة دول في مجتمعاتنا الإسلامية ترتكز قواعدها على مبادئ الإسلام عمل يتفق مع تطور الفكر الإنساني في مفهوم الدولة ، عدا أنه يحقق للمسلمين بناء مجتمع من أقوى المجتمعات وأكملها وأسعدا وأرقاها .

وأياً ما كان فإن من مصلحتنا أن تبني الدولة عندنا على أساس الإسلام ، وفي ترك ذلك خرابنا ودمارنا ، والإسلام لا يؤدي غير المسلمين في الوطن الإسلامي ، ولا يضطهد عقائدهم ، ولا ينتقص من حقوقهم ، ففيم الخوف من إلزام الدول في البلاد الإسلامية بتنفيذ شرائع الإسلام وإقامة أحكامه وهي كلها عدل وحق وقوة وإخاء وتكافل اجتماعي شامل على أساس من الإخاء والحب والتعاون الكريم ؟ إننا لن نخلص من الاستعمار ، إلا بالمنادة

بالإسلام ، وفي سبيل ذلك فليعمل العاملون ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ ^(١) ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ ^(٢) ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً ﴾ ^(٣) ﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً ﴾ ^(٤) ﴿ ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً ﴾ ^(٥) .

٦ - ومن تعليقات الدكتور سعيد رمضان البوطي على هذه الوثيقة ننقل ما يلي :

إن كلمة (الدستور) هي أقرب إطلاق مناسب في اصطلاح العصر الحديث ، على هذه الوثيقة ، وهي إذا كانت بمثابة إعلان دستور فإنه شمل جميع ما يمكن أن يعالجه أي دستور حديث يعني بوضع الخطوط الكلية الواضحة لنظام الدولة في الداخل والخارج : أي فيما يتعلق بعلاقة أفراد الدولة مع بعض ، وفيما يتعلق بعلاقة الدولة مع الآخرين .

وحسبنا هذا الدستور الذي وضعه رسول الله ﷺ بوحى من ربه واستكتبه أصحابه ، ثم جعله الأساس المتفق عليه فيما بين المسلمين وجيرانهم اليهود - حسبنا ذلك دليلاً على أن المجتمع الإسلامي قام منذ أول نشأته على أسس دستورية تامة ، وأن الدولة الإسلامية قامت - منذ أول بزوغ فجرها - على أتم ما قد تحتاجه الدولة من المقومات الدستورية والإدارية .

ومن هنا تسقط دعاوى أولئك الذين يغمضون أبصارهم وبصائرهم عن هذه الحقيقة البديهية ، ثم يزعمون أن الإسلام ليس إلا ديناً قوامه ما بين الإنسان وربه ، وليس له من مقومات الدولة والتنظيم الدستوري شيء ، وهي أحبولة عتيقة ، كان يقصد منها محترفو الغزو الفكري وأرقاء الاستعمار ، أن يقيدوا بها الإسلام كي لا ينطلق فيعمل عمله في المجتمعات

(١) الأعراف : ٩٦ .

(٢) الأنعام : ١٥٣ .

(٣) الطلاق : ٢ .

(٤) الطلاق : ٤ .

(٥) الطلاق : ٥ .

الإسلامية ، ولا يصبح له شأن قد يتغلب به على المجتمعات المنحرفة الأخرى ، إذ الوسيلة إلى ذلك محصورة في أن يكون الإسلام ديناً لا دولة ، وعبادات مجردة ، لا تشريعاً وقوانين . وحتى لو كان الإسلام ديناً ودولة في الواقع ، فينبغي أن يتغلب فيصبح غير صالح لذلك ، ولو بكاذيب القول .

إن هذه الوثيقة تدل على مدى العدالة التي اتسمت بها معاملة النبي ﷺ لليهود ، ولقد كان بالإمكان أن تؤتي هذه المسألة العادلة ثمارها فيما بين المسلمين واليهود ، لو لم تتغلب على اليهود طبيعتهم من حب للمكر والغدر والخديعة ، فما هي إلا فترة وجيزة حتى ضاقوا ذرعاً بما تضمنته بنود هذه الوثيقة التي التزموا بها ، فخرجوا على الرسول والمسلمين بألوان من الغدر والخيانة .

وقد دلت هذه الوثيقة على أحكام هامة في الشريعة الإسلامية نذكر منها ما يلي :

- يدلنا البند الأول منها على أن الإسلام هو وحده الذي يؤلف وحدة المسلمين وهو وحده الذي يجعل منهم أمة واحدة ، وعلى أن جميع الفوارق والمميزات فيما بينهم تذوب وتضمحل ضمن نطاق هذه الوحدة الشاملة ، تفهم هذا جلياً واضحاً من قوله عليه الصلاة والسلام « المسلمون من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، أمة واحدة من دون الناس » .

- إنها تدل على مدى الدقة في المساواة بين المسلمين لا من حيث إنها شعار براق للدعاية والعرض ، بل من حيث إنها ركن من الأركان الشرعية الهامة للمجتمع الإسلامي ، يجب تطبيقه بأدق وجه وأتم صورة .

- كما تدل أيضاً على أن الحكم العدل الذي لا ينبغي للمسلمين أن يهرعوا إلى غيره ، في سائر خصوماتهم وخلافاتهم وشؤونهم إنما هو شريعة الله تعالى وحكمه ، وهو ما تضمنه كتاب الله تعالى وسنة رسوله ، ومهما بحثوا عن الحلول لمشاكلهم في غير هذا المصدر فهم آثمون ، معرضون أنفسهم للشقاء في الدنيا وعذاب الله تعالى في الآخرة .

* * *

فصل : في البيعة

٢٥٢ - * روى أحمد عن أم عطية قالت : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، جمع نساء الأنصار في بيت ، ثم أرسل إليهن عمر بن الخطاب ، فقام على الباب فسلم عليهن ، فرددن السلام فقال : « أنا رسول رسول الله ﷺ إليكن » فقلن مرحباً برسول الله ﷺ وبرسول رسول الله ﷺ فقال : « تباعن على أن لا تشركن بالله شيئاً ، ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين بهتاناً تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصين في معروف » قلن : نعم فمد عمر يده من خارج الباب ، ومدن هن أيديهن من داخل ، ثم قال « اللهم أشهد » وأمر أن يخرج في العيدن العتق والحيض ونهيناً عن اتباع الجنائز ، ولا جمعة علينا ، فسألته عن البهتان ، وعن قوه ولا يعصينك في معروف ، قال : « هي النياحة » .

قال في عون المعبود في باب ما جاء في البيعة : (فأعطته) أي المرأة الميثاق للنبي ﷺ . وفي رواية البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية ﴿ لا يشركن بالله شيئاً ﴾^(١) قالت : ما مست يد رسول الله ﷺ إلا امرأة يملكها .

٢٥٢ - أحمد في مسنده (٤٠٨ / ٦) .

وأورده الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨ / ٦) وقال : رواه أبو داود باختصار شديد ، ورواه أحمد وأبو يعلى والطبراني .

أم عطية : اسمها نسبية بالتصغير ، بنت الحارث الأنصارية صحابة مشهورة .

أراد بقتل الأولاد : وأد البنات الذي كان يفعله (بعض العرب) في الجاهلية .

﴿ ولا تأتين بهتاناً يفترينه .. ﴾ الآية : المراد منه : من تلتقط مولوداً وتقول لزوجها : هذا ولدي منك .

﴿ ولا يعصينك في معروف .. ﴾ الآية : أي في كل أمر وافق طاعة الله وفي كل نهي عن معصية الله .

الحيض : بوزن عتق جمع حائض وهي المرأة زمن الحيض . والمراد أنهم يشهدن الخير ويكترن مع الكثرين وإن كن لا يصلين .

العتق : بضم العين المهملة وفتح اللثاء فوق مشددة . جمع عاتق : وهي الشاة أول ماتدرك وقيل : التي لم تب من والدتها ولم تتزوج وقد أدركت وشبت .

النوح : البكاء على الميت وتمديد عاهته . وقيل : النوح بكاء مع الصوت ومنه ناح الحمام نوحاً .

(١) المتحنة : ١٢ .

قال النووي : فيه دليل على أن بيعة النساء بالكلام من غير أخذ كف وأن صوتها ليس بمورة وأنه لا يلمس بشرة الأجنبية من غير ضرورة ، كتطبيب وفصد وحجامة وقلع ضرس وكحل عين ونحوها مما لا توجد امرأة تفعله جاز للرجل الأجنبي فعله للضرورة .

٢٥٣ - * روى أحمد عن محمد بن الأسود بن خلف ، أن أباه حضر النبي يبايع الناس عند قرنٍ مسقلة ، فجاءه الرجال والنساء والصغار والكبار فبايعوه على الإسلام والشهادة . قيل : وما الشهادة ؟ فقال محمد بن الأسود : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

٢٥٤ - * روى أحمد عن سلمى بنت قيس وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ قد صلت معه القبلتين وكانت إحدى نساء بني عدي بن النجار . قالت : جئت رسول الله ﷺ فبايعته في نسوة من الأنصار ، فلما شرط علينا أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرقة ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي بيهتان نفترية بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف قال : « ولا تفشش أزواجك » قالت : فبايعناه ثم أنصرفنا ، فقلت لامرأة منهن ارجعي فأسألي رسول الله ﷺ ما غش أزواجنا ؟ قالت ، فسألته ، فقال : « تأخذ ماله فتحتابي به غيره »

* * *

٢٥٣ - أحمد في مسنده (٢ / ٤١٥) . والمعجم الكبير (١ / ٢٨٠) .

مجمع الزوائد (٦ / ٣٧) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط وأحمد باختصار ورجاله ثقات .

٢٥٤ - أحمد في مسنده (٦ / ٣٧٩) .

يهتان : الكذب للفتري .

ولا تفشش : من الفش : وهو ضد النصح ، غشه : لم يحضه النصح أو أظهر له خلاف ما أخبره .

فصل : في الإذن بالقتال وبدء الحركة القتالية

الراجح عند علماء السير أن رسول الله ﷺ حرّك ثلاث سرايا في السنة الأولى للهجرة وهي سرية سيف البحر وكان على رأسها حمزة بن عبد المطلب ، وسرية رابغ وكان على رأسها عبيدة بن الحارث بن المطلب ، وسرية الحرّار وكان على رأسها سعد بن أبي وقاص .

وهذا يؤكد أن الإذن بالقتال كان في السنة الأولى للهجرة :

﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ (١) .

ومّا يرجح أن الإذن بالقتال كان في السنة الأولى ، أنه بالهجرة قامت دولة ، ولا دولة إلا باستعداد لقتال ، وفي أصول هذا الكتاب إشارات لهذه السرايا المذكورة وفيها ذكر لاستعداد قريش للحرب :

٢٥٥ - * روى أحمد عن سعد بن أبي وقاص قال : لما قَدِمَ النبي ﷺ المدينة جاءتُ جُهَيْنَةُ فقالوا : إنك نزلت بين أظهرنا فأوثق لنا حتى نأتيك وتؤمنا ، فأوثق لهم فأسلموا ، فبعثنا صلى الله عليه وسلم في رجب ولم تكن مائة وأمرنا أن نغيّر على حيٍّ من كِنَانَةٍ إلى جَنْبِ جُهَيْنَةَ فَأَعْرَضْنَا عَلَيْهِمْ وَكَانُوا كَثِيرًا ، فَلَجَأْنَا إِلَى جُهَيْنَةَ فَنَعُونَا وَقَالُوا : لِمَ تَقَاتِلُونَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ؟ فَقُلْنَا : إِنَّمَا تَقَاتِلُ مَنْ أَخْرَجَنَا مِنَ الْبَلَدِ الْحَرَامِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ : مَا تَرَوْنَ ؟ فَقَالَ بَعْضُنَا : نَأْتِي نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَنُخَبِّرُهُ ، وَقَالَ قَوْمٌ : لَا بَلْ تَقِيمُ ههنا ، وَقُلْتُ أَنَا فِي أَنَاسٍ مَعِيَ : لَا بَلْ نَأْتِي عِيْرَ قُرَيْشٍ فَنَقْطَعُهَا فَنَنْطَلِقُنَا إِلَى الْعِيْرِ وَكَانَ الْغِيءُ إِذْ ذَاكَ مِنْ أَخَذَ شَيْئًا فَهُوَ لَهُ فَنَنْطَلِقُنَا إِلَى الْعِيْرِ ، وَانْطَلَقَ أَصْحَابُنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ الْخَبْرَ فَقَامَ غَضِبَانَ مَحْمَرُ الْوَجْهِ ، فَقَالَ : « أَذْهَبْتُمْ مِنْ عِنْدِي جَمِيعًا وَجِئْتُمْ مَتَفَرِّقِينَ ؟ إِنَّمَا أَهْلَكَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْفُرْقَةُ ، لِأَبْعَثَنَّ عَلَيْكُمْ رَجُلًا لَيْسَ بِخَيْرِكُمْ أَصْبَرَكُمْ عَلَى الْجُوعِ وَالْعَطَشِ » فَبَعَثَ عَلَيْنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ الْأَسَدِي فَكَانَ أَوَّلَ أَمِيرٍ أَمَرَ فِي الْإِسْلَامِ .

(١) الحج : ٢١ ، ٤٠ .

٢٥٥ - أحمد في مسنده (١ / ١٧٨) والحديث حسن على منذهب النسائي ، وضعفه بعضهم .

أقول : هذا نموذج آخر على التحالفات والتعاقدات التي كان يجريها رسول الله ﷺ ، والتي كانت لها ثمارها المباركة ، وآثارها الطيبة على المسلمين .

٢٥٦ - * روى الطبراني عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، قال أبو جهل حين قَدِمَ مَكَّةَ مُنْصَرِفَهُ عَنْ حَمْرَةَ : يَامَعَشَرَ قَرِيشٍ إِنْ عَمِدًا قَدْ نَزَلَ يَثْرِبَ وَأَرْسَلَ طَلِائِعَهُ ، وَإِنَّا يَرِيدُ أَنْ يُصِيبَ مِنْكُمْ شَيْئًا ، فَاحْذَرُوا أَنْ تَمُرُّوا طَرِيقَهُ وَأَنْ تُقَارِبُوهُ فَإِنَّهُ كَالْأَسَدِ الضَّارِي ... وزاد : بَعَثَ حَمْرَةَ حِينَ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، فَلَقِيَ أَبَا جَهْلٍ فِي ثَلَاثِ مِائَةِ رَاكِبٍ فِي عِيرٍ لِقَرِيشٍ جَاءَتْ مِنَ الشَّامِ فَحَجَّرَ بَيْنَهُمْ مَجْدِيُّ بْنُ عَوْفٍ الْجُهَنِيُّ وَلَمْ يَكُنْ قِتَالٌ .

وهذه رواية جبير كاملة :

٢٥٧ - * روى الطبراني في الكبير عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قال : قَالَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ حِينَ قَدِمَ مَكَّةَ مُنْصَرِفَهُ عَنْ حَمْرَةَ : يَامَعَشَرَ قَرِيشٍ إِنْ عَمِدًا قَدْ نَزَلَ يَثْرِبَ وَأَرْسَلَ طَلِائِعَهُ : وَإِنَّا يَرِيدُ أَنْ يُصِيبَ مِنْكُمْ شَيْئًا فَاحْذَرُوا أَنْ تَمُرُّوا طَرِيقَهُ وَأَنْ تُقَارِبُوهُ فَإِنَّهُ كَالْأَسَدِ الضَّارِي إِنَّهُ حَتِيقٌ عَلَيْكُمْ ، تَقِيْمُوهُ تَقِيَّ الْقِرْدَانَ عَلَى الْمَنَاسِمِ ، وَاللَّهُ إِنْ لَهُ لَسَحْرَةٌ مَا رَأَيْتَهُ قَطُّ ، وَلَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَّا رَأَيْتَ مَعَهُمُ الشَّيَاطِينَ ، وَإِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ عِدَاوَةَ ابْنِي قَيْلَةَ فَهُوَ عَدُوٌّ اسْتَعَانَ بَعْدُوًّا فَقَالَ لَهُ مُطْعِمٌ بْنُ عَدِيٍّ : يَا أَبَا الْحَكَمِ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتَ أَحَدًا

٢٥٦ - أورده الميمني في مجمع الزوائد (٦ / ٦٨) وقال : أخرجه الطبراني وجادة ورجاله ثقات .

٢٥٧ - المعجم الكبير (٢ / ١٢٣) قال أحمد بن صالح : أرجو أن يكون صحيحاً .

تَقِيْمُوهُ تَقِيَّ الْقِرْدَانَ عَلَى الْمَنَاسِمِ : أي تقيموه كما يتقي القردان على المناسم . والقردان : حشرة تلتصق بجسم البعير ، والمناسم : مفردتها منسم : خُفَّ البعير .

ابن قَيْلَةَ : يريد الأوس والخزرج قبيلتي الأنصار ، وقَيْلَةَ : اسم أم لهم قديمة ، وهي قبيلة بنت كاهل .

الْحَتِيقُمْ خَيْرُ كُنَاةٍ : افعلوا بهم كما فعلتم بكنانة في الحرب .

دهلك : جزيرة بين بر اليمن وبر الحبشة وأهلها مستذلون .

إِنْ لِي أَسْمَاءُ : أراد بهذه الأسماء التي عدها ما هو مذكور في كتب الله تعالى المنزل على الأمم التي كُتِبَتْ بنبوته حجة عليهم .

يَحْشُرُ النَّاسَ عَلَى يَدَيْ : أي الذي يحشر الناس خلفي وعلى ملتي دون ملة غيري .

العاقب : الذي ليس بعده نبي .

أَصْدَقَ لِسَانًا وَلَا أَصْدَقَ مَوْعِدًا مِنْ أَخِيكَ الَّذِي طَرَدْتُمْ ، فَإِذَا فَعَلْتُمْ الَّذِي فَعَلْتُمْ فَكُونُوا أَكْفَى النَّاسِ عَنْهُ . فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ : كُونُوا أَشَدَّ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ فَإِنْ ابْنِي قَيْلَةَ إِنْ ظَفِرُوا بِكُمْ لَمْ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ ، وَإِنْ أَطَعْتُمُونِي أَلْحَمْتُمُومَ خَبَرَ كِنَانَةَ أَوْ يُخْرِجُوا مُحَمَّدًا مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ فَيَكُونُ وَحِيدًا مَطْرُودًا . وَأَمَّا ابْنَا قَيْلَةَ فَوَاللَّهِ مَا هُمَا وَأَهْلُ دَهْلِكَ فِي الْمَذَلَّةِ إِلَّا سَوَاءٌ وَسَأَكْفِيكُمْ حَدَّثَهُمْ وَقَالَ :

سَأَمْنَحُ جَانِبًا مِنِّي غَلِيظًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ قُرْبٍ وَبُعْدٍ
رِجَالُ الْحَزْرَجِيَّةِ أَهْلٌ ذُلٌّ إِذَا مَا كَانَ هَزْلٌ بَعْدَ جِدٍّ

فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَقْتُلُهُمْ وَلَا أَصْلِبُهُمْ لِأَهْدِيَنَّهُمْ وَهُمْ كَارِهُونَ إِيَّيَ رَحْمَةً بَعَثَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا يَتَوَفَّانِي حَتَّى يَظْهَرَ اللَّهُ دِينَهُ . لِي خَمْسَةُ أَشْهُاءَ : أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكَفَرَ وَأَنَا الْحَاشِرُ يَحْشُرُ النَّاسَ عَلَى يَدَيَّ وَأَنَا الْعَاقِبُ » .

أَقُولُ : الْمُطْعَمُ بْنُ عَدِي وَأَبُو سَفْيَانَ كِلَاهُمَا مِنْ أَسْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنْفَرٍ ، وَكَانَ الْمُطْعَمُ أَوْصَلَ الرَّجُلَيْنِ لِرَحْمَةِ ، وَهُوَ الَّذِي أَجَارَ النَّبِيَّ ﷺ عِنْدَ عَوْدَتِهِ مِنَ الطَّائِفِ وَدَخُولِهِ مَكَّةَ .

وَالشَّاهِدُ مِنْ ذِكْرِهِ أَسْمَاءَهُ ﷺ أَنَّهُ الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْكَفَرَ ، فَهُوَ وَاثِقٌ أَنَّهُ لَنْ يَتْرَكَ كَافِرًا مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ يَسْلَمَ أَوْ يَقْتُلَ .

٢٥٨ - * رَوَى الْحَاكِمُ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ : أَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ .

قَالَ فِي الْفَتْحِ : وَوَرَدَ عَنِ الْبُخَارِيِّ جُزْءٌ مِنْ حَدِيثِ سَعْدٍ : (إِنْ لَأَوَّلُ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قَالَ : وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَرِيَّةِ عَبِيدَةَ بْنِ الْحَارِثِ ، وَكَانَ الْقِتَالُ فِيهَا أَوَّلَ حَرْبٍ وَقَعَتْ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَهِيَ أَوَّلُ سَرِيَّةٍ بَعَثَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي السَّنَةِ الْأُولَى

من الهجرة ، بعث ناساً من المسلمين إلى رايغ ليلقوا عيراً لقريش فتراموا بالسهم ولم يكن بينهم سابقة ، فكان سهمه أول ما رمي .

ذكر ذلك الزبير بن بكار بسند له وآخرون .

أقول : هذا وهناك خلاف بين كتّاب السير حول هذه السرايا الثلاث ، هل كانت في السنة الأولى أو الثانية ، وأياً كانت أولاً ، وقد رجّح ابن كثير أنها كانت في السنة الأولى ، وقد نص كتاب السيّر على أن سرية حمزة وسريّة عبيدة بن الحارث لم يكن فيها أنصاري واحد ، وذلك من حكمته عليه الصلاة والسلام . فمن خلال تحرك الرعيل الأول للجهاد تبدأ دائرة الحركة الجهاديّة تتوسع وتبدأ الروح الجهاديّة تعمّ ، ثم إن المهاجرين كانوا معبئين نفسياً للصراع مع قريش ، كما أنهم بحاجة إلى أن يتحرّروا من مظاهر الضعف وأسر الاضطهاد ، وهذه قضايا يجب أن يفتن لها القادة ، فنقل الأمة من طور السلم إلى طور الحرب ، وتقل الجماعات من طور الاضطهاد إلى دور الجهاد ينبغي أن تصحبه تمهيدات تعين عليه ، وبمثل هذا تظهر حكمة القيادات ، وكل قيادة لاتراعي الجوانب النفسية تحقق .

ويلاحظ أنه بمجرد إذن الله بالقتال بدأت الحركة العسكريّة ، فلم ينتظر الرسول ﷺ حتّى يفرض القتال ، وهذا شيء ينبغي أن تراعيه القيادات الإسلامية ، فتق أصبح الجهاد ممكناً فليكن سير فيه ، ولكن هذا الموضوع يحتاج إلى موازنات كثيرة محلّية وعالمية فما يصلح لمكان لا يصلح لمكان ، وما يصلح في زمان لا يصلح في زمان آخر ، وتقدير الموقف واتخاذ القرار المناسب هما علامتا جديّة القيادات وكفاءتها .

ومن موقف أبي جهل وردّ المطعم بن عدي عليه نعرف حكمة الرسول ﷺ السياسيّة ، فأن تجعل من خصومك من يدافع عنك ، وأن تلقى الرعب في قلب عدوك ، تلك قفة من قم النجاح السياسي والعسكري ، وهكذا كانت البدايات ناجحة .

فصل : في أمور متفرقة

حدثت في السنة الأولى

هناك أحداث ذات دلالات حدثت في هذه السنة يحسن ذكرها :

١ - إسلام عبد الله بن سلام :

٢٥٩ - * روى ابن ماجه عن عبد الله بن سلام قال : لما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينة انجفلَ الناسُ إليه ، وقيل : قَدِمَ رسولُ الله ﷺ ، فجئتُ في الناسِ لأنظَرَ إليه ، فلما استَبَنْتُ وجهَ رسولِ الله ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وجهه ليس بوجهِ كَذَّابٍ ، فكان أولُ شيءٍ تكلم به ، أن قال : « يا أيها الناسُ أفسحوا السلامَ ، وأطعموا الطعامَ ، وصلوا بالليل والناس نيامَ ، تدخلوا الجنةَ بسلامٍ » .

٢٦٠ - * روى البخاري من طريق عبد العزيز عن أنس قال : فلما جاء النبي ﷺ جاء عبدُ الله بن سلام فقال : أشهدُ أنك رسولُ الله وأنتَ جئتَ بحق ، وقد علمتُ يهودُ أني سيِّدُهم وابنُ سيِّدِهم وأعلمُهم وابنُ أعلمِهم فادعهم فاسألهم عني قبل أن يَعلَمُوا أني قد أسلمتُ فإنهم إن يَعلَمُوا أني قد أسلمتُ قالوا في ما ليس في . فأرسلَ نبيُّ الله ﷺ إلى اليهود فدخلوا عليه . فقال لهم رسولُ الله ﷺ : « يا معشرَ اليهودِ وتُلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسولُ الله حقاً وأنني جئتكم فأسلمُوا » قالوا : ما نَعْلَمُه . قالوا ذلك للنبي ﷺ قالها ثلاثَ مرار . قال « فأَيُّ رجلٍ فيكم عبدُ الله بن سلام » قالوا ذاك سيدنا وابنُ سيدنا وأعلنا وابنُ أعلنا . قال : « أفرأيتم إن أسلمَ » قالوا : خاشَ الله ما كانَ لِيَسْلَمَ . قال « يا ابن سلام اخرجْ عليهم » فخرج فقال : يا معشرَ يهودِ اتقوا الله الذي لا

٢٥٩ - ابن ماجه (١ / ٤٢٣) ٥ - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها - ١٧٤ - باب ما جاء في قيام الليل .

والترمذي (٤ / ٦٥٢) ٢٨ - كتاب صفة القيامة - باب : ٤٢ . وقال : حديث صحيح .

انجفلَ الناسُ : أقبل الناس لرؤية رسول الله ﷺ .

أفسحوا : انشروا .

٢٦٠ - البخاري (٧ / ٢٤١) - ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٤٥ - باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ، وهذا جزء من الحديث .

إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بالحق فقلوا : كذبت فأخرجهم رسول الله ﷺ .

٢٦١ - * روى الإمام أحمد عن عبد الله بن سلام قال : لما قديم رسول الله ﷺ المدينة أخبرني عبد الله بقدمه وهو في نخله فأتاه ، فقال : إني سائلك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي فإن أخبرني بها آمنت بك وإن لم تعلمن عرفت أنك لست نبي ، قال : فسأله عن الشبه وعن أول شيء يأكله أهل الجنة وعن أول شيء يحشرون الناس ؟ قال رسول الله ﷺ : « أخبرني بهن جبريل أنفاً ، قال : ذاك عدو اليهود ، قال : أما الشبه إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة ذهب بالشبه وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل ذهب بالشبه ، وأما أول شيء يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وأما أول شيء يحشرون الناس فنار تخرج من قبل المشرق فتحشرونهم إلى المغرب » فآمن ، وقال : أشهد إنك رسول الله . قال ابن سلام : يارسول الله إن اليهود قوم بهت وإنهم إن سمعوا يسلامي يبهتوني فأخبرني عندك وابعث إليهم فتسألهم عني فخبأه رسول الله ﷺ وبعث إليهم فجاءوا فقال : « أي رجل عبد الله بن سلام فيكم » قالوا : هو خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وعالمنا وابن عالمنا . فقال : « رأيتم إن أسلم تسلمون » فقالوا : أعاده الله من ذلك فقال : « يا عبد الله بن سلام اخرج إليهم فأخبرهم » فخرج فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقالوا : أشربنا وابن أشربنا وجاهلنا وابن جاهلنا فقال ابن سلام : قد أخبرتك يارسول الله إن اليهود قوم بهت .

أقول : إن إسلام عبد الله بن سلام على علمه ومعرفته بعلامات النبوة ، وبعد امتحانه لرسول الله ﷺ ، حجة كاملة على يهود وعلى غيرهم ، فهذا الموقف هو استجابة الفطرة السلية والإنصاف الكامل ، ومتى اجتمعنا عند فرد من أهل الكتاب فإنه لابد مسلم .

ومن النصوص التي يخطئ في فهمها بعض الناس قوله عليه الصلاة والسلام : « وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع » فالسبق ههنا - والله أعلم - سبق قوة فإذا

كانت بويضة الأنثى أقوى من الحيوان المنوي تغلبت خصائص المرأة على خصائص الرجل
فشاها الولد والعكس صحيح .

* * *

٢ - خروج وباء المدينة منها :

٢٦٢ - * روى البخاري عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « رَأَيْتُ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ ، خَرَجَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ ، حَتَّى قَامَتْ بِمِيعَةٍ » وَهِيَ الْجُحْفَةُ ، فَأَوَّلَتْ : أَنْ وَبَاءَ الْمَدِينَةَ نَقْلَ إِلَيْهَا .

أقول : انتقل وباء المدينة إلى الجحفة كان معجزة لرسول الله ﷺ ، وأثراً عن بركته عليه الصلاة والسلام ، ولكننا نأخذ منه درساً كبيراً ؛ لأنه كان من فعل الله لرسوله عليه الصلاة والسلام ، ولذلك فإنَّ على الحركة الإسلامية أن تعمل جاهدة من أجل إيجاد نظام صحي رفيع المستوى ، فإن كانت لها سلطة فعليها أن تبذل الجهود الكثيرة في ذلك ، وفي كل الأحوال عليها أن تساعد .

* * *

٣ - دخوله عليه الصلاة والسلام بعائشة :

٢٦٣ - * روى مسلم عن عائشة قالت : تزوجني رسول الله ﷺ في شوال ، وَبَنَى بِي فِي

٢٦٢ - البخاري (١٢ / ٤٢٥) ٩١ - كتاب التعبير - ٤١ - باب إذا رأى أنه أخرج الشيء من كوة وأسكنه موضعاً آخر ،
والترمذي (٤ / ٥٤١) ٣٠ - كتاب الرؤيا - ١٠ - باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ لليزان والدلو . قال : حديث
حسن صحيح غريب .

فاثرة الرأس : أي شحنة الشعر ، بعيدة العهد بالتمريخ والفصل .
الجحفة : موضع بالحجاز على ثلاث مراحل من مكة على طريق المدينة ، وهي ميقات أهل الشام وكانت تسمى
قديماً مهيمة ، وقد هجرت ولم يبق إلا آثارها ، وقد بُني فيها مسجد حديثاً ، والرسول ﷺ يقص علينا في هذا
الحديث رؤيا منامية رآها ورؤيا الأنبياء وحي ، ويبدو أن وباء المدينة كان مرض الملاريا الذي أصاب الصحابة
أول هجرتهم ومنهم أبو بكر وبلال وعامر بن فهيرة وعائشة ..

٢٦٣ - مسلم (٢ / ١٠٣٩) ١٦ - كتاب النكاح - ١١ - باب : استحباب التزوج والتزويج في شوال ، واستحباب الدخول
فيه .

شَوَّال ، فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَحْطَىٰ عِنْدَهُ مِنِّي . قَالَ : وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَسْتَحِبُّ أَنْ تُدْخَلَ نِسَاءَهَا فِي شَوَّالٍ .

قال ابن كثير في البداية والنهاية : فعلى هذا يكون دخوله بها عليه السلام بعد الهجرة بسبعة أشهر - أو ثمانية أشهر - وقد حكى القولين ابن جرير ، وقد تقدم في تزويجه عليه السلام بسودة كيفية تزويجه ودخوله بعائشة بعدما قدموا المدينة وأن دخوله بها كان بالسُّنْحِ نهاراً ، وهذا خلاف ما يعتاده الناس اليوم ، وفي دخوله عليه السلام بها في شَوَّالٍ ردٌّ لما يتوهمه بعض الناس من كراهية الدخول بين العيدين خشية المفارقة بين الزوجين ، وهذا ليس بشيء لما قالته عائشة رادة على من توهمه من الناس في ذلك الوقت : تزوجني في شَوَّالٍ ، وبنى بي في شَوَّالٍ - أي دخل بي - في شَوَّالٍ ، فَأَيُّ نِسَائِهِ كَانَ أَحْطَىٰ عِنْدَهُ مِنِّي ؟ فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّهَا فَهَمَّتْ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهَا أَحَبُّ نِسَائِهِ إِلَيْهِ ، وهذا الفهم منها صحيح لما دَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الدَّلَائِلِ الْوَاضِحَةِ ، ولو لم يكن إلا الحديث الثابت في صحيح البخاري عن عمرو بن العاص : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : « عَائِشَةُ » قُلْتُ مِنْ الرِّجَالِ قَالَ : « أَبُوهَُا » .

أقول : والملاحظ أنَّ الدعوة والجهاد والتربية وما يترتب على ذلك من تعب وأحزان لم يعطَلِ الزَّوْجُ في حياة الرسول ﷺ وأصحابه ، بل الزَّوْجُ والإكثار منه كان عادياً جداً في حياتهم كالطعام والشراب ، وذلك من مظاهر أنَّ الإسلام دين الفطرة والواقع ، وفي ذلك أبلغ ردٌّ على التَّحَرِّجِينَ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي وَاللَّائِمِينَ لَغَيْرِهِمْ عَلَيْهَا ، لكنَّ الملاحظ كذلك أنَّ الزَّوْجَ في حياة الرسول ﷺ وأصحابه لم يؤخَّرْ عن واجب .

* * *

٤ - تشريع الأذان وإكمال الصلاة :

٢٦٤ - * روى أبو داود عن عبد الله بن زيِّد بن عبد ربه قَالَ : لما أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

٢٦٤ - أبو داود (١ / ١٢٥) كتاب الصلاة - باب : كيف الأذان .

وإين ماجه (١ / ٢٣٢) ٣ - كتاب الأذان والسنة فيها - ١ - باب بده الأذان .

بِالنَّاقُوسِ يَعْمَلُ لِيُضْرَبَ بِهِ لِلنَّاسِ لِمَجْعِ لِلصَّلَاةِ (وفي رواية وَهُوَ كِبَارَةٌ لِمُوَافَقَتِهِ النَّصَارَى) طَافَ بِي وَأَنَا نَائِمٌ رَجُلٌ يَحْمِلُ نَاقُوسًا فِي يَدِهِ فَقُلْتُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ أَتَبِيعُ النَّاقُوسَ ؟ قَالَ : مَا تَصْنَعُ بِهِ ؟ فَقُلْتُ : نَدْعُو بِهِ إِلَى الصَّلَاةِ ، قَالَ : أَقْلًا أَذَلِكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : بَلَى ، قَالَ : تَقُولُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي غَيْرَ بَعِيدٍ ، ثُمَّ قَالَ : وَتَقُولُ إِذَا أَقَمْتَ الصَّلَاةَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا رَأَيْتُ فَقَالَ : « إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ ، فَإِنَّهُ أُنْدَى صَوْتًا مِنْكَ » فَقُمْتُ مَعَ بِلَالٍ ، فَجَعَلْتُ أَلْقِيهِ عَلَيْهِ وَيُؤَذِّنُ بِهِ ، قَالَ : فَسَمِعَ ذَلِكَ عَمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ فَخَرَجَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ وَيَقُولُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ مَا رَأَى ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَلِلَّهِ الْحَمْدُ » .

وَعَنْهُ مِنْ طَرِيقَ ثَانٍ بِنَحْوِهِ وَزَادَ : ثُمَّ أَمَرَ بِالتَّأْذِينِ فَكَانَ بِلَالٌ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ يُؤَذِّنُ بِذَلِكَ وَيَدْعُو رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ ، فَجَاءَهُ قَدْعَاءُ ذَاتِ غَدَاةٍ إِلَى الْفَجْرِ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَائِمٌ ، قَالَ : فَصَرَخَ بِلَالٌ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ فَأَدْخَلَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ فِي التَّأْذِينِ إِلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ (أَدْخَلَتْ بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ) .

٢٦٥ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : فُرِضَتِ الصَّلَاةُ أَوَّلَ مَا فُرِضَتْ رُكْعَتَيْنِ ،

= وأحد في مسنده (٤٢١ / ٤) والبيهقي (٢٩٠ / ١) .

وابن خزيمة (١٨١ / ١) كتاب الصلاة - ٣١ - باب في بدء الأذان والإقامة .

أندى صوتاً : فيه دليل على اختيار المؤذن الحسن الصوت ، وليس من الحكمة الأذان بالأصوات الرديئة المنفرة في بعض أقطار الإسلام وكان بلال قبل إسلامه مغنياً حسن الصوت بالغناء .

= ٢٦٥ - البخاري (١٦٤ / ١) ٨ - كتاب الصلاة - ١ - باب : كيف فرضت الصلوات في الإسراء ؟

فَأَقْرَأَتْ صَلَاةَ السَّفَرِ ، وَزَيْدٌ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ .

· قال ابن جرير : (وفي هذه السنة - يعني السنة الأولى من الهجرة - زيد في صلاة الحضر - فيما قيل - ركعتان ، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين ، ذلك بعد مقدم النبي ﷺ للمدينة بشهر في ربيع الآخر لمضي ثنتي عشرة ليلة مضت) .

أقول : إن دعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً تقوم على العبادة ۞ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ۞^(١) والعبادة مظهرها الأول الصلاة ، لذلك كان تشريع الصلاة وتنظيمها وإقامتها من أوائل ما وقع في الإسلام ، وما استمر به اهتمام رسول الله ﷺ ، وهذا شيء يجب أن يفتن له الدعاة دائماً وأبداً ، والصلاة لابد لها مع التأقيت من منظم ، ولقد كان الأذان هو المنظم وقد رأينا قصته وستأتي معنا في باب الصلاة أحكامه .

ومن استقرار أمر الصلاة في السنة الأولى ندرك أن أول ما ينبغي أن تهتم به الحركة الإسلامية قبل النصر وبعد النصر هو إقامة الصلاة :

۞ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ۞^(٢)

* * *

٥ - حراسة الصحابة لرسول الله ﷺ :

٢٦٦ - * روى مسلم عن عبد الله بن عامر رَجِمَهُ اللَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ : سَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقْدَمَةَ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً ، فَقَالَ : « لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسَنِي

= ومسلم (١ / ٤٧٨) ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - ١ - باب : صلاة المسافرين وقصرها .
(١) الأنبياء : ٢٥ .

٢٦٦ - مسلم (٤ / ١٨٧٥) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٥ - باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

والبخاري (١٢ / ٢١٩) ٩٤ - كتاب التقي - ٤ - باب قوله ﷺ « ليت كذا وكذا » .

خشخشة سلاح : صوت سلاح صدم بعضه بعضاً .

غليظه : هو بالفين المعجمة . وهو صوت النائم المرتفع .

الليلة» قَالَتْ : قَبِينَا نَحْنُ كَذَلِكَ ، سَمِعْنَا خَشْخَشَةَ سِلَاحٍ ، فَقَالَ : « مَنْ هَذَا ؟ » قَالَ : سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا جَاءَ بِكَ ؟ » قَالَ : وَقَعَ فِي نَفْسِي خَوْفٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَجِئْتُ أَخْرُسُهُ ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ نَامَ .

وفي رواية نحوه ، وفي آخره : فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيْطَهُ .

هذا الحديث فيه جواز الاحتراس من العدو والأخذ بالحزم وترك الإهمال في موضع الحاجة إلى الاحتياط . قال العلماء : وكان هذا الحديث قبل نزول قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ^(١) لَأَنَّهُ ﷺ ترك الاحتراس حين نزلت هذه الآية وأمر أصحابه بالانصراف عن حراسته ، وقد صرح بروايته الثانية بأن هذا الحديث الأول كان في أول قدومه المدينة ومعلوم أَنَّ الآية نزلت بعد ذلك بأزمان .

وقد نقل الشيخ الشعراوي أن مستشرقاً أسلم بسبب هذا الموضوع وقال : إن اهتمام النبي ﷺ بحراسته ثم صرفه للحرس بعد ذلك بعد نزول الآية ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ أكبر دليل على صدقه في رسالته عن الله فأَيُّ عاقل يصرف حراسته وله آلاف الأعداء الموتورين إلا أن يكون واثقاً من حراسة الله عز وجل له .

أقول : هذا وإن مما أمر الله عز وجل به المسلم أن يأخذ حذره قال تعالى : ﴿ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ ^(٢) فالمسلم مطالب بالتوكل ومطالب بأخذ الأسباب ، وليس الكمال أن يفرط الإنسان في الأخذ بأسباب الأمن ، هذا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أكمل الخلق يرغب في الحراسة . إِنَّ أمن القيادات يشكل جزءاً هاماً من أمن الشعوب والهيئات والحكومات وأفراد الجماعات نفسها ، فكثيراً ما يعني وجود جهة ما بقاء قيادتها ، وعلى هذا فإن علينا أن نعطي لأمن القيادات دائماً الكبير الكثير ووسائل ذلك متعددة ، وبعض هذه الوسائل يصلح لما قبل الحكم وبعضها يصلح لما بعد الحكم ، ويزداد الطلب لأمن القيادات بعد الحكم ، لأنَّ الحكم الإسلامي نفسه يُسْتَهْدَف من خلال استهداف العناصر القيادية .

(١) المائدة : ٦٧ .

(٢) النساء : ١٠٢ .

تقويم الموقف في نهاية السنة الأولى

تنتهي السنة الأولى وقد نظّم الرسول ﷺ أمور العبادة والاجتماع والصلة التوجيهية المباشرة بالأمة ، كما صهر بين المهاجرين والأنصار وجعل المسلمين صفًا واحدًا وأوجد علاقات منضبطة بين المسلمين وغيرهم داخل المجتمع المدني ، وبدأ تحركات واسعة خارج المدينة هدفها توسعة دائرة أمن المدينة ، وفتح الطريق أمام انتشار الإسلام ، والضغط على قريش ، وأوجد المناخ الكامل لتلقي الأحكام والخضوع لها ، فأوجد بذلك كل مقومات الدولة النموذجية : أرض ودستور وقوانين وجيش ودعوة ورسالة وهدف . على رأس ذلك كله رئيس يسلم له الجميع ، وبدأت بذلك عملية مدّ الرسالة من خلال أمة لم يعرف لها العالم مثيلاً .

* * *

السَّنة الثَّانِيَّة لِلْهَجْرَةِ

هذه السنة في سطور

حوّلت في هذه السنة القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام ، ونزلت فريضة صيام شهر رمضان ، وفرضت زكوات الأموال وزكاة الفطر ، وتمّ تشريع المعاقل لتصفية آثار القتل الخطأ وتوفيت رُقَيْة بنت رسول الله ﷺ زوج عثمان بن عفان عقب غزوة بدر، وقدمت زينب بنت رسول الله مهاجرة من مكّة إلى المدينة ، وتزوَّج علي رضي الله عنه فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وكانت الحركة السياسيّة ممثّلة في التحالفات ، والحركة العسكريّة ممثّلة في البعوث والسرايا والغزوات على أشدهما ؛ فتحقّق من خلال ذلك كلّ : أن توسّعت دائرة الأمن والنفوذ للدولة الإسلاميّة وأصبحت سيطرة المسلمين على الطريق بين مكّة والشام كاملة ، ولذلك حاولت قريش أن ترسل تجارتها بعد بدر عبر العراق ومع ذلك سقطت بيد المسلمين ، وترتّب على ذلك تلقائياً أن تأخذ المعارك منحى أكثر شدّة وأوعب تعبئة ، وهذا عرض سريع للتحالفات ، وللحركة العسكريّة لهذا العام كما عرضها كتاب السير ، مع ملاحظة أنّ في تاريخ بعض السرايا والغزوات خلافاً بين كتاب السير ، وهو خلاف لا يترتّب عليه عمل ؛ لذلك لم نشدّد فيه .

* * *

١ - في تحالفات هذا العام :

قال ابن كثير في البداية والنهاية : ثم خرج رسول الله ﷺ غازياً في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سعد بن عباد . قال ابن إسحاق : حتى بلغ ودّان وهي غزوة الأيواء ، قال ابن جرير : ويقال لها غزوة ودّان أيضاً ، يريد قريشاً وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فوادعته فيها بنو ضمرة ، وكان الذي وادعه منهم مخشي بن عمرو الضمري ، وكان سيدهم في زمانه ذلك . ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيذاً فأقام بها بقية صفر وصدراً من شهر ربيع الأول . قال ابن هشام : وهي أول غزوة غزاها عليه السلام .

وقال ابن كثير نقلاً عن ابن إسحاق : نزل العشيرة من بطن ينبع فأقام بها جُمادى

الأولى وليالي من جمادى الآخرة ، ووادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا .

٢ - في الحركة العسكرية :

حدث في هذا العام :

١ - غزوة الأبواء أو ودان : في صفر سنة ٢ هـ - وودان بالفتح والتشديد - موضع بين مكة والمدينة بينه وبين رابغ مما يلي المدينة تسعة وعشرون ميلاً ، والأبواء موضع بالقرب من ودان .

قال في الرحيق المختوم : خرج رسول الله ﷺ بنفسه بعد أن استخلف على المدينة سعد ابن عباد في سبعين رجلاً من المهاجرين خاصة يعترض عيراً لقريش حتى بلغ ودان ، فلم يلق كيداً . اهـ .

وفي هذه الغزوة عقد معاهدة حلف مع مخشي بن عمرو الضمري ، وكان سيد بني ضمرة في زمانه ، وهاك نص المعاهدة :

هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة ، فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم ، وإن لهم النصر على من رامهم إلا أن يحاربوا دين الله ، ما بئل بحر صوفة ^(١) . وأن النبي إذا دعاهم لنصره أجابوه . (المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني) .

وهذه أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ ، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة ، وكان اللواء أبيض وحامله حمزة بن عبد المطلب .

٢ - غزوة بواط : في شهر ربيع الأول سنة ٢ هـ الموافق سبتمبر سنة ٦٢٣ م ، خرج رسول الله ﷺ في مائتين من أصحابه يعترض عيراً لقريش فيها أمية بن خلف الجمحي ومائة رجل من قريش ، وألفان وخسمائة بعير ، فبلغ بواطاً من ناحية رضوى ^(٢) ولم يلق كيداً .

(١) ما بئل بحر صوفة : تعبير دارج عند العرب بمعنى على الدوام .

(٢) بواط ورضوى : جبلان بينهما وبين المدينة أربعة برد .

واستخلف في هذه الغزوة على المدينة سعد بن معاذ ، واللواء كان أبيض ، وحامله سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه .

٣ - غزوة سفوان : في شهر ربيع الأول سنة ٢ هـ الموافق سبتمبر (أيلول) سنة ٦٢٣ م ، أغار كرز بن جابر الفهري في قوات خفيفة من المشركين على مراعي المدينة ، ونهب بعض المواشي ، فخرج رسول الله ﷺ في سبعين رجلاً من أصحابه لمطاردته ، حتى بلغ وادياً يقال له سفوان من ناحية بدر ، ولكنه لم يدرك كرزاً وأصحابه ، فرجع من دون حرب ، وهذه الغزوة تسمى بغزوة بدر الأولى .

واستخلف في هذه الغزوة على المدينة زيد بن حارثة ، وكان اللواء أبيض ، وحامله على ابن أبي طالب .

٤ - غزوة ذي العُشيرة : في جمادى الأولى ، وجمادى الآخرة سنة ٢ هـ الموافق نوفمبر وديسمبر (تشرين الثاني وكانون الأول) سنة ٦٢٣ م ، خرج رسول الله ﷺ في خمسين ومائة ويقال : في مائتين من المهاجرين ، ولم يكره أحداً على الخروج ، وخرجوا على ثلاثين بعيراً يعتمقونها ، يعترضون عيراً لقريش ، ذاهبة إلى الشام ، وقد جاء الخبر بفصولها من مكة فيها أموال لقريش ، فبلغ ذا العشيرة ، فوجد العير قد فاتته بأيام ، وهذه هي العير التي خرج في طلبها حين رجعت من الشام ، فصارت سبباً لغزوة بدر الكبرى .

وكان خروجه ﷺ في أواخر جمادى الأولى ، ورجوعه في أوائل جمادى الآخرة على ما قاله ابن إسحاق ، ولعل هذا هو سبب اختلاف أهل السير في تعيين شهر هذه الغزوة . (وبعضهم يرى أن هذه الغزوة هي نفسها غزوة ودّان) .

وفي هذه الغزوة عقد رسول الله ﷺ معاهدة عدم اعتداء مع بني مدلج وحلفائهم من بني ضمرة .

واستخلف على المدينة في هذه الغزوة أبا سامة بن عبد الأسد المخزومي ، وكان اللواء في هذه الغزوة أبيض ، وحامله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه .

٥ - معرية نخلة : في رجب سنة ٢ هـ الموافق يناير سنة ٦٢٤ م ، بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة في اثني عشر رجلاً من المهاجرين كل اثنين يعتقبان

على بعير .

٦ - في السابع عشر من رمضان في السنة الثانية للهجرة حدثت واقعة بدر ، وكان خروج الرسول ﷺ من المدينة في ٨ أو في ١٢ من الشهر .

٧ - قال في الرحيق : نقلت استخبارات المدينة إلى النبي ﷺ بعد بدر أن بني سليم من قبائل غطفان تحشد قواتها للغزو على المدينة ، فباغت النبي ﷺ في مائتي راكب هذه القبائل المتحشدة في عقر دارها ، وبلغ إلى منازلهم في موضع يقال له الكدّر^(١) . ففر بنو سليم وتركوا في الوادي خمسمائة بعير استولى عليها جيش المدينة ، وقسمها رسول الله ﷺ بعد إخراج الخمس فأصاب كل رجل بعيرين ، وأصاب غلاماً يقال له (يسار) فأعتقه .

وأقام النبي ﷺ في ديارهم ثلاثة أيام ، ثم رجع إلى المدينة وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ٢ هـ بعد الرجوع من بدر بسبعة أيام ، واستخلف في هذه الغزوة على المدينة سباع بن عرفطة . وقيل : ابن أم مكتوم .

٨ - وفي شوال سنة ٢ هـ حاصر رسول الله ﷺ بني قينقاع بعد نقضهم للعهد ، فنزلوا على حكمه فأجلاهم إلى الشام .

٩ - وفي هذه السنة حاول عمير بن وهب الجمحي اغتيال رسول الله ﷺ فكشف ، وكاشفه الرسول ﷺ بأسراره فأسلم .

١٠ - وفي ذي الحجة سنة ٢ هـ حدثت غزوة السويق كرد على محاولة قريش أخذ ثأرها من بدر فارتدت على أعقابها هاربة ملاحقة من رسول الله ﷺ .

وقال في الرحيق : وقصة ذلك أنه بينما كان صفوان بن أمية واليهود والمنافقون يقومون بؤامراتهم وعلياتهم كان أبو سفيان يفكر في عمل قليل المغارم ظاهر الأثر ، يتعجل به ، ليحفظ مكانة قومه ، ويبرز ما لديهم من قوة ، وكان قد نذر أن لا يس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً . فخرج في مائتي راكب ليبر يمينه ، حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له نيب ، من المدينة على بريد^(٢) أو نحوه ، ولكنه لم يجرؤ على مهاجمة المدينة جهاراً ، فقام

(١) الكدّر : اسم ماء لبني سليم قبل نجد .

(٢) البريد : اثنا عشر ميلاً .

بعمل هو أشبه بأعمال القرصنة ، فإنه دخل في ضواحي المدينة في الليل مستخفياً تحت جنح الظلام ، فأتى حُيَّ بنَ أَخْطَبَ ، فاستفتح بابه ، فأبى وخاف فانصرف إلى سَلَامِ بْنِ مِشْكَمَ - سيد بني النضير ، وصاحب كنزهم إذ ذاك - فاستأذن عليه فأذن . فقراه وسقاه الخمر ، وبطن له من خبر الناس ، ثم خرج أبو سفيان في عقب ليلته حتى أتى أصحابه ، فبعث مفرزة منهم ، فأغارَت على ناحية من المدينة يقال لها « القَرْيُضُ » ، فقطعوا وأحرقوا هناك أسواراً من النخل ، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لها فقتلوهما ، وفروا راجعين إلى مكة .

وبلغ رسول الله ﷺ الخبر ، فسارع لمطاردة أبي سفيان وأصحابه ، ولكنهم فروا ببالغ السرعة ، وطرحوا سويقاً ^(١) كثيراً من أزوادهم وتويناتهم يتخففون به ، فتكنوا من الإفلات ، وبلغ رسول الله ﷺ إلى قرقرة الكدر ^(٢) ، ثم انصرف راجعاً ، وحمل المسلمون ما طرحه الكفار من سويقهم ، وسموا هذه المناوشة بغزوة السويق . وقعت في ذي الحجة سنة ٢ هـ بعد بدر بشهرين ، واستعمل على المدينة في هذه الغزوة أبا لبابة بن عبد المنذر .

* * *

* وهكذا نجد في هذه السنة تلاحم عملية البناء للأمة مع الحركة السياسية والعسكرية على أشدها فالمسلمون في حركة عسكرية دائمة ، ومع هذه الحركة حركة سياسية تظهر بالتحالفات وقطع الطريق على تأليب الأعداء أو غدرهم مع تنزل التشريع شيئاً فشيئاً بما يعمق الوحدة وينير الطريق لتقوم صروح التشريع الإسلامي على أرضية الواقع والخلود .

* وبسبب من الانتصارات في هذه السنة فقد دخل مشركو المدينة في الإسلام ، فمنهم صادق ومنهم كاذب ومن هنا بدأت ظاهرة النفاق في المدينة المنورة .

* ومن خلال الحركة السياسية والعسكرية ندرك أن : الحكم والدولة والسياسة تحتاج إلى يقظة وسهر دائم وأخذ بالأسباب وقوة مبادرة وكل ذلك نجده في حياة رسول الله ﷺ على

(١) السويق : أن تحمص الحنطة أو الشعير أو نحو ذلك ثم تطحن ثم يسافر بها وقد تمزج باللبن والعمل والسنن وإلا ساءل .

(٢) قرقرة الكدر : موضع بناحية المدن ، بينها وبين المدينة ثمانية مرد .

أكله ، وهناك تصرفات فعلها رسول الله ﷺ قد تكون منسوخة ، ولكن يبقى المنحى العام الذي سار عليه رسول الله ﷺ سُنَّةً ينبغي أخذها بعين الاعتبار ، فالحركة الدائمة والتحالفات المستمرة سمتان ينبغي أن تفتن لها الحركة الإسلامية المعاصرة مع الأخذ بعين الاعتبار الشورى والفتوى والمصلحة الإسلامية العليا .

* إنَّ الذين يشتغلون بالعمل السياسي والعسكري يصبح في حكم البديهي عندهم أنَّ النجاح في المعركة يقتضي أن تقطع طرق الإمداد عن عدوك ، وأنَّ تحذُل عنه ما استطعت ، وأنَّ تبقي طرق إمدادك مفتوحة وتجمّع حولك ما استطعت ، ومن لم تستطع أن تحشده معك فلا أقلَّ أن تُحَيِّدَه في معركتك مع خصمك الرئيسي ، وبقدر نجاح القائد العسكري أو السياسي في مثل هذه الأمور تظهر عبقريته ، وقليلون من الساسة والعسكريين هم الذين يستطيعون أن يحققوا هذه المعاني متكاملة دون أن يرتكبوا خطأ ، وأقلَّ من القليل الذين يستطيعون أن يفعلوا ذلك دون أن يتناقضوا مع دعواتهم ورسالتهم إنَّ كان لهم دعوة أو رسالة ، ولكنَّ رسول الله ﷺ حقَّق هذه المعاني مجتَمعة على كمالها وتامها ، فأى شرف لهذا العالم أن يكون فيه مثل رسول الله ﷺ ؟ وأي قدوة للإنسان هذا الرسول ؟.

* وكل العسكريين والسياسيين يدركون أهمية الحركة الداخلية والخارجية في حياة الشعوب والجيوش كما يدركون أهمية التوعية والتربية والثقافة ، ولكنَّ القلَّة هي التي تقدر على أن توازن بين هذه المعاني فتحققها جميعاً ، وأقلَّ من القليل هم الذين تكون توعيتهم وتربيتهم وتثقيفهم حقّاً وحركتهم ضمن الحدود التي لا تزيد ولا تنقص عن القدر المطلوب ، ولكن رسول الله ﷺ حقَّق هذه المعاني كلّها على غاية من الكمال ما كانت لتكون لولا أنَّه رسول الله ﷺ .

وما حدث في هذه السنة نموذج ، ولا يعرف أحد أبعاد هذه المعاني إلّا إذا استوعب نصوص الكتاب والسنة واستوعب دروس السيرة .

* ولما كان كثير من مواضع السيرة تأتي في أمكنة متفرقة من كتب السنة ، فنحن ههنا لن نتحدَّث عن الصغيرة والكبيرة من الحوادث والأحكام فلذلك مقاماته في هذا الكتاب ، ولذلك سنقتصر ههنا على أبرز الأحداث .

فصل : في سرية عبد الله بن جحش

٢٦٧ - * روى الطبراني عن جندب بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه بعث رهطاً وبعث عليهم أبا عبيدة فلما ذهب لينطلق ، بكى صابئة إلى رسول الله ﷺ فجلس ، فبعث عليهم عبد الله بن جحش مكانه ، وكتب له كتاباً وأمره أن لا يقرأ الكتاب حتى يبلغ مكان كذا وكذا ، وقال : « لا تكبرهن أحداً من أصحابك على المسير معك » ، فلما قرأ الكتاب استرجع وقال : تبع وطاعة لله ولرسوله ، فخيرهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب ، فرجع رجلان ، ومضى بقيتهم ، فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ، ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو جادى ، فقال المشركون للمسلمين : قتلتم في الشهر الحرام ، فأنزل الله عز وجل ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ الآية . فقال بعضهم : إن لم يكونوا أصابوا وذكراً فليس لهم أجر ، فأنزل الله عز وجل ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

٢٦٨ - روى الطبراني عن زيد قال : أول راية رُفعت في الإسلام راية عبد الله بن جحش ، وأول مال خُمس في الإسلام مال عبد الله بن جحش .

لقد رأينا أن هناك سرايا سبقت سرية عبد الله بن جحش هذه ، كما أن هناك غزوة قادها رسول الله ﷺ نفسه وهي غزوة العشيرة ، وكانت قبل هذه السرية فالأولية بالنسبة لعلم الراوي ، وعلى كل الأحوال فلسرية عبد الله بن جحش هذه أهمية كبيرة في التاريخ ؛ فهي التي مهدت لتجاوز فكرة تحريم القتال في الأشهر الحرم ، فلقد انطلق الصحابة بعد ذلك وكل أيامهم جهاد ، ولو بقيت فكرة تحريم القتال في الأشهر الحرم وهي تلك السنة لأصيب المسلمون بالحرَج ، ومع ذلك فقد بقي رسول الله ﷺ يلاحظ قدسية الأشهر الحرم

٢٦٧ - المعجم الكبير (٢ / ١٦٢) . جمع الزوائد (٦ / ١٩٨) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

الرهط : الجماعة من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة أو مادون العشرة .

صابئة : الشوق أو رقة وحرارته .

استرجع : عن مصيبة وفيها أرجع ، وأرجع في المصيبة قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(١) البقرة : ٢١٨ .

٢٦٨ - أورده الهيثمي (٦ / ٦٧) وقال رواه الطبراني بإسناد حسن .

عند العرب وتجنبهم فيها القتال وذلك من مراعاة للرأي العام ، وبعضهم يرى أنّ نسخ تحريم القتال في الأشهر الحرم جاء متأخراً ولا أرى ذلك .

* * *

دروس من هذه السرية :

١ - قال الشيخ الغزالي تعليقا على هذه الحادثة : ووجد المشركون فيما حدث فرصة لاتهم المسلمين بأنهم قد أحلوا ما حرم الله وكثر في ذلك القيل والقال ، حتى نزل الوحي حاسماً هذه الأقاويل ومؤيداً مسلك عبد الله تجاه المشركين .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (١) .

إن الضجة التي افتعلها المشركون لإثارة الريبة في سيرة للمقاتلين المسلمين لا مساغ لها ، فإن الحرمات المقدسة قد انتهكت كلها في محاربة الإسلام واضطهاد أهله ! فما الذي أعاد لهذه الحرمات قداستها فجأة ، فأصبح انتهاكها معرّة وشناعة ؟

ألم يكن المسلمون مقيمين بالبلد الحرام حين تقرر قتل نبيهم وسلب أموالهم ؟ لكن بعض الناس يرفع القوانين إلى السماء عندما تكون في مصلحته ، فإذا رأى هذه المصلحة مهددة بما ينتقضها هدم القوانين والدساتير جميعاً .

فالقانون المرعي - عنده في الحقيقة - هو مقتضيات هذه المصلحة الخاصة فحسب .

وقد أوضح الله عز وجل أن المشركين لن يحجزهم شهر حرام أو بلد حرام عن المضي في خطتهم الأصلية ، وهي سحق المسلمين ، حتى لا تقوم لدينهم قائمة فقال : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ (٢) .

ثم حذر المسلمين من الهزيمة أمام هذه القوى الباغية والتفريط في الإيمان الذي شرفهم

(١) البقرة : ٢١٧ .

(٢) البقرة : ٢١٧ .

الله به ، وناطَ سعادتهم في الدنيا والآخرة بالبقاء عليه فقال : ﴿ وَمَنْ يُرْقِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَمِيتٌ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١) .

وزكى القرآن عمل « عبد الله » وصحبه ، فقد نفذوا أوامر الرسول بأمانة وشجاعة وتوغلوا في أرض العدو مسافات شاسعة ؛ متعرضين للقتل في سبيل الله متطوعين لذلك من غير مكره أو محرج .

فكيف يُجْزَوْنَ على هذا بالتقريع والتخويف ؟ قال الله فيهم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

والقرآن في فعال هذه السرية ، لم يدع مجالاً للهوادة مع المشركين المعتدين مما كان له أثره البعيد لدى المسلمين وخصومهم .

فبعد أن كان أغلب المكتتبين في السرايا السابقة من المهاجرين ، أخذت البعث الخارجة تتألف من المهاجرين والأنصار معاً .

وزاد الشعور بأن الكفاح المرتقب قد يطول مداه ، وتكثر تبعاته ، ولكنه كفاح مستحب ، مقرون بالخير العاجل والآجل .

وأدركت مكة أنها مؤاخذه بما جد أو يجد من سيئاتها ، وأن تجارتها مع الشام أمست تحت رحمة المسلمين .

وهكذا اتسعت الهوة ، وزادت بين الفريقين الجفوة .

وكأن هذه الأحاديث الشداد هي المقدمة لما أعده القدر بعد شهر واحد من وقوعها عندما جمع رجالات مكة . وخيرة أهل المدينة على موعد غير منظور في « بدر » .

(١) البقرة : ٢١٧ .

(٢) البقرة : ٢١٨ .

٢ - لقد جاء قوله تعالى : ﴿ كتب عليكم القتال ﴾ قبيل الآية التي تحدّثت عن سرية عبد الله بن جحش ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ﴾ وقد ربطنا في تفسيرنا بين آية القتال وهنا وبين سورة الأنفال ربطاً غير متعسف ولا متكلف ، فهنا يأتي قوله تعالى : ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ﴾ ^(١) وفي سورة الأنفال يأتي قوله تعالى : ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ﴾ ^(٢) فغزوة بدر كانت هي المصادقية لحكمة فرضية القتال ، فهي التي صدقت أن القتال وإن كان مكروهاً للنفس البشرية لكنّ فيه خيراً لأهل الإيمان ، وبدر هي الدليل ، فكم ترتّب من خير على غزوة بدر .

* * *

الحكمة في السرايا :

كان مما قاله الدكتور محمد أبو فارس حول فوائد إرسال السرايا والمناوشات الأولى :

- إحياء قضية المهاجرين في أنفسهم وعلى المستوى الخارجي : فهم مظلومون مطاردون قد صودرت أموالهم وضيق عليهم في حرية التفكير والقول والتعبّد ، وبالتالي كان لابد من إحيائها في نفوسهم ليسمعوها للآخرين ، وأنه بدون السلاح لا يمكن أن يعطي الآخرون أذنّاً صاغية للمستضعفين .

- إنهاك الاقتصاد القرشي ومحاصرته ، فقد كانت قريش تعتمد على التجارة وكذلك استعادة بعض الحقوق المسلوبة .

- إضعاف قريش عسكرياً وتوجيه ضربة قاصمة لسعة قريش لإلقاء الرعب في صفوف مقاتليها وإرباكهم .

- رفع معنويات المهاجرين وجعلهم يحطمون الخوف ، وإلقاء الرعب في نفوس المشركين

(١) البقرة : ٢١٦ .

(٢) الأنفال : ٥ .

وتخطيط معنوياتهم ورصد تحركات قريش .

- التعرف على طبيعة الأرض التي سيقاثلون عليها .

- وهذه المناوشات استمرار للتدريب العملي وتربية الكفاءة القتالية عند الجنود في التخطيط والتنفيذ ، وفيها تعويد على السَّريّة في التحرك والقتال ، وفيها اختبار للرجال والتعرف على معادهم .

- وفي المناوشات إرهاب العدو الداخلي في المدينة ، وإضعاف جبهة الأعداء الخارجية ، مع اختبار قدرة العدو ، وفوائد أخرى .

* * *

فصل : في تحويل القبلة

قال صاحب الرحيق المختوم : في شعبان سنة ٢ هـ الموافق فبراير (شباط) ٦٢٤ م ، أمر الله تعالى بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام ، وأفاد ذلك أن الضعفاء والمناقين من اليهود الذين كانوا قد دخلوا في صفوف المسلمين ، لإثارة البلبلة انكشفوا عن المسلمين ورجعوا إلى ما كانوا عليه ، وهكذا تطهرت صفوف المسلمين عن كثير من أهل الغدر والخيانة .

وفي تحويل القبلة إشارة لطيفة إلى بداية دور جديد لا ينتهي إلا بعد احتلال المسلمين هذه القبلة ، أو ليس من العجب أن تكون قبلة قوم بيد أعدائهم ، وإن كانت بأيديهم فلا بد من تخليصها يوماً ما .

٢٦٩ - * روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس سنة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً وكان يُعجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ ، وَأَنَّهُ صَلَّى - أَوْ صَلَّى - صَلَاةَ الْقَضْرِ ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ الْمَسْجِدِ وَهُمْ رَاكِعُونَ ، قَالَ : أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ - قِبَلَ مَكَّةَ فَذَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ .

قال : وفي رواية : وكان الذي مات على القبلة - قبل أن تُحوَّلَ قِبَلَ الْبَيْتِ - رجالاً قَتَلُوا لَمْ نَذِرْ مَا نَقُولُ فِيهِمْ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ (١) .

وفي أخرى (٢) : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ فَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ ، وَقَالَ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ - وَهُمْ الْيَهُودُ - ﴿ مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ اللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٣) .

٢٦٩ - البخاري (٨ / ١٧١) ٦٥ - كتاب التفسير - ١٢ - باب : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ... ﴾ .

(١) البقرة : ١٤٣ .

(٢) البخاري (١ / ٥٠٢) ٨ - كتاب الصلاة - ٢١ - باب التوجه نحو القبلة حيث كان .

(٣) البقرة : ١٤٢ .

وأخرجه الترمذي ^(١) قال : لما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينة ، صَلَّى نحو بيت المقدس سِتَّةَ ، أو سبعةَ عشر شهراً ، وكان رسولُ الله ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوْجَّهَ إِلَى الكعبةِ ، فَأَنْزَلَ اللهُ تبارك وتعالى ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوُجَّهْ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ^(٢) فَوُجَّهَ نحو الكعبةِ ، وَكَانَ يُحِبُّ ذَلِكَ ، فَصَلَّى رَجُلٌ مَعَهُ الْعَصْرَ ، ثُمَّ مَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ نحو بيت المقدس . فَقَالَ : هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَأَنَّهُ قَدْ وُجَّهَ إِلَى الكعبةِ ، فَاخْرُفُوا وَهُمْ رُكُوعٌ .

وأخرجه النسائي ^(٣) قال : قدم رسول الله ﷺ للمدينة ، فَصَلَّى نحو بيت المقدس سِتَّةَ عشر شهراً ، ثُمَّ إِنَّهُ وُجَّهَ إِلَى الكعبةِ ، فَرَّ رَجُلٌ قَدْ كَانَ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ وُجَّهَ إِلَى الكعبةِ ، فَاخْرُفُوا إِلَى الكعبةِ .

٢٧٠ - * روى الطبراني عن ثُوَيْلَةَ بِنْتِ أَسْلَمَ وَهِيَ مِنَ الْمَبَايِعَاتِ قَالَتْ : إِنَّا لَبِيقَامِنَا نُصَلِّي فِي بَنِي حَارِثَةَ ، فَقَالَ عَبَادَةُ بْنُ بَشَرَ بْنِ قَبِيطٍ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ اسْتَقْبَلَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ وَالْكَعْبَةَ ، فَتَحَوَّلَ الرِّجَالُ مَكَانَ النِّسَاءِ وَالنِّسَاءُ مَكَانَ الرِّجَالِ ، فَصَلُّوا الرُّكْعَتَيْنِ الْبَاقِيَتَيْنِ نحو الكعبةِ .

٢٧١ - * روى الطبراني عن سهل بن سعد أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَلَمَّا حَوَّلَ أَنْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى أَهْلِ قُبَاءَ فَوَجَدَهُمْ يُصَلُّونَ صَلَاةَ الْغَدَاةِ ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَ أَنْ يُصَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ فَاسْتَدَارَ إِمَامُهُمْ حَتَّى اسْتَقْبَلَ بِهِمُ الْقِبْلَةَ .

(١) الترمذي (١٦٩ / ٢) أبواب الصلاة - باب ما جاء في ابتداء القبلة وقال : حديث حسن صحيح وكذا في (٥ /

٢٠٧) كتاب تفسير القرآن - ١ - باب : وعن سورة البقرة .

قِبَلَ الْبَيْتِ : أَيِ حِذَاءَهُ ، وَجْهَتَهُ الَّتِي تَقَابَلُهُ .

شَطْرَ الْقِبْلَةِ : جِهَتَهُ وَنَحْوَهُ

(٢) البقرة : ١٤٤ .

(٣) النسائي (٢٤٣ / ١) كتاب الصلاة - باب فرض القبلة .

٢٧٠ - للمعجم الكبير (٢٤ / ٢٠٧) . أورده الهيثمي (١٤ / ٢) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله موثقون .

٢٧١ - أورده الهيثمي (١٤ / ٢) وقال : رواه الطبراني ورجاله موثقون .

صلَاةُ الْغَدَاةِ : هِيَ صَلَاةُ الْفَجْرِ .

دروس من تحويل القبلة :

١ - قال الأستاذ الندوي : وكان المسلمون العرب - وقد رضعوا بلبان حب الكعبة وتعظيمها ، وامتزج ذلك بلحومهم ودمائهم - لا يعدلون بالكعبة بيتاً ، ولا بقبلة إبراهيم وإسماعيل قبله ، وكانوا يحبون أن يصرف إلى الكعبة ، وكان في جعل القبلة إلى بيت المقدس عنة للمسلمين ، ولكنهم قالوا : سمعنا وأطعنا وقالوا : آمنا به كل من عند ربنا ، فلم يكونوا يعرفون إلا الطاعة لرسول الله ﷺ والخضوع لأوامر الله ، وافقت هوام أم لم توافقها ، واتفقت مع عاداتهم أم لم تتفق .

فلما امتحن الله قلوبهم للتقوى واستسلامهم لأمر الله ، صرف رسوله والمسلمين إلى الكعبة يقول القرآن :

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾ (١) .

٢ - إنَّ لحادثة تحويل القبلة أبعاداً كثيرة : منها السياسي ، ومنها العسكري ، ومنها الديني البحت ، ومنها التاريخي

فبعدها السياسي أنها جعلت الجزيرة العربية محور الأحداث ، وبعدها التاريخي أنها ربطت هذا العالم بالإرث العربي لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وبعدها العسكري أنها مهدت لفتح مكة وإنهاء الوضع الشاذ في المسجد الحرام حيث أصبح مركز التوحيد مركزاً لعبادة الأصنام ، وبعدها الديني أنها ربطت القلب بالحنيفية وميّزت الأمة الإسلامية عن غيرها ، والعبادة في الإسلام عن العبادة في بقية الأديان .

* * *

عدد غزواته ﷺ :

٢٧٢ - * روى البخاري عن أبي إسحاق قال : كنت إلى جنب زيد بن أرقم ف قيل له : كم غزا النبي ﷺ من غزوة ؟ قال : تسع عشرة قال : كم غزوت أنت معه ؟ قال : سبع عشرة ، قلت : فأيهم كانت أول ؟ قال : ذات العُشَيْرِ أو العُسَيْرِ . فذكرت لقتادة فقال : العُسَيْرِ .

٢٧٣ - * روى الشيخان عن بريدة قال : غزا رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة ، قاتل في ثمانٍ منهن .

قال ابن حجر : قوله (تسع عشرة) كذا قال ، ومراده الغزوات التي خرج النبي ﷺ فيها بنفسه سواء قاتل أو لم يقاتل ، لكن روى أبو يعلى من طريق أبي الزبير عن جابر أن عدد الغزوات إحدى وعشرون ، وإسناده صحيح وأصله في مسلم ، فعلى هذا فأت زيد بن أرقم ذكر ثنتين منها ولعلهما الإبواء وبواط ، وكأن ذلك خفي عليه لصغره ، ويؤيد ما قلته ما وقع عند مسلم بلفظ (قلت ما أول غزوة غزاها ؟ قال : ذات العشير أو العشيرة) أهـ ، والعشيرة كما تقدم هي الثالثة .

وأما قول ابن التين : يحمل قول زيد بن أرقم على أن العشيرة أول ما غزا هو ، أي زيد ابن أرقم ، والتقدير : فقلت ما أول غزوة غزاها أي وأنت معه ؟ قال : العشير فهو محتمل أيضاً ، ويكون قد خفي عليه ثنتان مما بعد ذلك . أو عد الغزوتين واحدة ، فقد قال موسى ابن عقبة : « قاتل رسول الله ﷺ بنفسه في ثمان : بدر ثم أحد ثم الأحزاب ثم المصطلق ثم خيبر ثم مكة ثم حنين ثم الطائف ، وأهل غزوة قريظة ؛ لأنه ضمها إلى الأحزاب لكونها كانت في إثرها ، وأفردها غيره لوقوعها منفردة بعد هزيمة الأحزاب ، وكذا وقع لغيره عد

٢٧٢ - البخاري (٧ / ٢٧٩) ٦٤ - كتاب للغازي - ١ - باب غزوة العُسَيْرِ أو العُسَيْرِ .

ومسلم (٣ / ١٤٤٧) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٤٩ - باب غزوات النبي ﷺ .

والترمذي (٤ / ١٩٤) ٢٤ - كتاب الجهاد - ٦ - باب ما جاء في غزوات النبي ﷺ وكم غزا .

٢٧٣ - البخاري (٨ / ١٥٣) ٦٤ - كتاب للغازي - ٨١ - باب كم غزا النبي ﷺ .

ومسلم (٣ / ١٤٤٨) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٤٩ - باب عدد غزوات النبي ﷺ .

الطائف وحنين واحدة لتقاربها ، فيجتمع على هذا قول زيد بن أرقم وقول جابر .

وقد توسع ابن سعد فبلغ عدة المغازي التي خرج فيها رسول الله ﷺ بنفسه سبعاً وعشرين ، وتبع في ذلك الواقدي ، وهو مطابق لما عده ابن إسحاق إلا أنه لم يفرد وادي القرى من خيبر ، أشار إلى ذلك السهيلي ، وكأن الستة الزائدة من هذا القبيل ، وعلى هذا يحمل ما أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح عن سعيد بن المسيب قال : غزا رسول الله ﷺ أربعاً وعشرين ، وأخرجه يعقوب بن سفيان عن سلمة بن شبيب عن عبد الرزاق فزاد فيه أن سعيداً قال أولاً : ثنائي عشرة ، ثم قال : أربعاً وعشرين ، قال الزهري : فلا أدري أوم أو كان شيئاً سمعه بعد . قلت : وحله على ما ذكرته يدفع الوم ويجمع الأقوال ، والله أعلم . وأما البعوث والسرايا فعد ابن إسحق ستاً وثلاثين وعد الواقدي ثمانياً وأربعين . وحكى ابن الجوزي في (التلخيص) ستاً وخمسين ، وعد المسعودي ستين ، وبلغها شيخنا في « نظم السيرة » زيادة على السبعين ، ووقع عند الحاكم في « الإكليل » أنها تزيد على مائة ، فلعله أراد ضم للمغازي إليها . اهـ .

لقد كانت مرحلة عجيبة في تاريخ البشرية برجالها وأعمالها وبمجموع ما تم ، ويكفي أنها وضعت الأمة الإسلامية على طريق الانطلاق في حيوية متجددة ، وأنها أسلمت الإسلام لهذا العالم هادياً قوياً دائم التوسع والانتشار ، وجعلت العالم القديم كله أمام خيار وحيد إما أن يسلم للحق أو يستسلم لأهله .

* * *

فصل : في غزوة بدر

تمهيد :

لبدر أهمية كبيرة في السيرة النبوية وفي التاريخ الإسلامي ، فلقد تركت بصماتها على كل معارك الإسلام ، فلا تجد اندفاعاً نحو الجهاد إلا ودروس بدر وراءه ، بل إن سورة الأنفال التي نزلت بسببها هي التي اعتاد المسلمون أن يقرؤوها بين يدي القتال ، وأن يدرسوها كلما أرادوا جهاداً ، ولقد كانت بدر معلماً بارزاً بين مرحلتين مرحلة الضعف ومرحلة القوة ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ﴾^(١) .

ولذلك فقد وجد بعدها النفاق ومن قبل كان كفر وإيمان فقط ، ولقد حقق الله عز وجل بها وعداً كثيرة وعدّها رسوله ﷺ والمسلمين وأنجز فيها وعيداً كثيراً كان تهدّد به الكافرين ، وعنها وبها وجدت كثير من أحكام القتال المستقرّة وأدابه للمستقرّة ، إن القتال يتفرّع عنه الغنيمة والأسر ، ولم تنج أمة من الخداع أخلاقي في شأن الغنائم والأسارى إلا هذه الأمة ، ولقد كانت غزوة بدر هي الفاتحة لإقامة الصرح الأخلاقي الأعلى في هاتين القضيتين وغيرها .

كان عدد المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً معهم قرّسان وحوالي سبعين بعيراً ، وكان المشركون ألفاً وثلاثمائة ابتداء ، تقلّصوا إلى حوالي ٩٥٠ انتهاء ، معهم حوالي مائة فرس وستائة درع وأعداد كبيرة من الجمال ، وهؤلاء عرب وهؤلاء عرب ، ومع ذلك كانت النتيجة أن هُزِمَ المشركون وانتصر المسلمون ، وكانت هزيمة عجيبة غير متوقّعة على ضوء عالم الأسباب ، قتل من المشركين سبعون وأسر سبعون وفرّ الباقون بينما قتل من المسلمين أربعة عشر رجلاً ، ستّة من الأنصار وثمانية من المهاجرين ، إنّه في موازين المادّة لأمر عجيب ، ولكنّه في الموازين الإيمانيّة نتيجة عادية ، إنّها إرادة الله التي لا يقف أمامها شيء ، وهذه هي عبرة بدر الكبرى .

(١) آل عمران : ١٢٣ .

عندما تلتقي قوتان ماديتان ، ففي ميزان الأسباب تتغلب الأوزان في قوانين الكون ، فإذا تعادل السلاح والأرض والمقاتلون والقيادة والوسائل فلا انتصار لإحدى القوتين ، وإذا حدث التفاضل فالميزان في النهاية لمن فضل ، وإرادة الله غالبية ، أمّا في الموازين الإيمانية فالنصر من عند الله ولو قلّت الإمكانيات أمام الإمكانيات ، ففي غزوة بدر كان المشركون متفوّقين من بعض النواحي ، وكان المسلمون متفوّقين من بعض النواحي ، ولكن يبقى تفوّق المشركين من الناحية المادية أوضح ولكنّ جند الله غلب بفضل الله عز وجل .

اجتمع على المشركين البطر والفرور والرياء والشقاق وعدم وحدة القيادة ، واجتمع للمسلمين أن خذل الله بعض المشركين فانسحبوا ، وأنزل الله مطراً قبيل المعركة كان لصالح المسلمين ، وأرى الله عز وجل المشركين المسلمين ضعفيهم أثناء القتال فوهنوا ، وأنزل ملائكة وقذف رعباً ، وكان رسول الله ﷺ هو القائد وهو أحبّ قائد في التاريخ لجنده مع طاعة لأمثلهما ، واجتمع مع الحب والطاعة للقائد الدعاء والشورى والإقبال على الشهادة والتنافس على الآخرة ، وبذل الجهد في القتال وإحكام الرأي وتجنّب الظلم والبغي وحسن الترتيب والتنظيم والسبق إلى الأمكنة الاستراتيجية ، وكلّها توفيقات سياسية وتأييدات ، وللمسلمين مثلها ، ومن ثمّ كان لبدر هذا الشأن العظيم في التاريخ الإسلامي وعند المسلمين فهي كما قال الأستاذ الندوي :

فكل ما حدث من فتوح وانتصارات ، وكل ما قام من دول وحكومات ، مدين للفتح المبين في ميدان بدر ، ولذلك سمى الله هذه المعركة بـ « يوم الفرقان » فقال :

﴿ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ لِلْجَمْعَانِ ﴾^(١)
اهـ .

ولأهمية بدر قد ذكرها الله في سورة آل عمران كما أنزل فيها سورة كاملة هي سورة الأنفال ، وقد عرضنا ذلك في التفسير ، وههنا نعرض بدرّاً من خلال النصوص الحديثية .

* * *

١ - مقدّمات الغزوة

٢٧٤ - * روى أبو داود عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك رضي الله عنهما عن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ : « أَنْ كَفَّارَ قَرِيْشٍ كَتَبُوا إِلَى ابْنِ أَبِيٍّ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مَعَهُ الْأَوْثَانُ مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمُئِذٍ بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرَ :

إِنَّكُمْ أَوْيْتُمْ صَاحِبِنَا - وَإِنَّا نَقْسِمُ بِاللَّهِ لَتُقَاتِلَنَّهُ أَوْ لَتُخْرَجَنَّ ، أَوْ لَتُسَيِّرَنَّ إِلَيْكُمْ بِأَجْمَعِنَا ، حَتَّى تَقْتُلَ مُقَاتِلَتَكُمْ ، وَتُسْتَبِيحَ نِسَاءَكُمْ - فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِيٍّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ عِبْدَةِ الْأَوْثَانِ اجْتَمَعُوا لِقَتَالِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ لَقِيَهُمْ فَقَالَ : « لَقَدْ بَلَغَ وَعَيْدُ قَرِيْشٍ مِنْكُمْ الْمَبَالِغَ ، مَا كَانَتْ تَكِيدُكُمْ بِأَكْثَرِ مَا تَرِيدُونَ أَنْ تَكِيدُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ ، تَرِيدُونَ أَنْ تَقَاتِلُوا أَبْنَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ » فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ تَفَرَّقُوا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ كِفَارُ قَرِيْشٍ ، فَكَتَبَتْ كِفَارُ قَرِيْشٍ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ إِلَى الْيَهُودِ : إِنَّكُمْ أَهْلُ الْحَلْقَةِ وَالْحِصُونِ وَإِنَّكُمْ لَتُقَاتِلُنَّ صَاحِبِنَا ، أَوْ لَنَفْعَلَنَّ كَذَا وَكَذَا ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَدَمِ نِسَائِكُمْ شَيْءٌ - وَهِيَ الْخِلَاحِيلُ - فَلَمَّا بَلَغَ كِتَابُهُمُ النَّبِيَّ ﷺ : اجْتَمَعَتْ بَنُو النَّضِيرِ ، بِالْفَدْرِ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَخْرِجْ إِلَيْنَا فِي ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِكَ ، وَيَخْرُجْ مَعَنَا ثَلَاثُونَ حَبْرًا ، حَتَّى نَلْتَقِيَ بِمَكَانِ النُّصُفِ ، فَيَسْمَعُوا مِنْكَ ، فَإِنْ صَدَّقُوا وَآمَنُوا بِكَ ، آمَنَّا بِكَ ، فَقَصَّ خَبْرَهُمْ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْكَتَائِبِ فَحَضَرَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ : « إِنَّكُمْ وَاللَّهِ لَا تَأْمَنُونَ عِنْدِي إِلَّا بِعَهْدِ تَعَاهِدُونِي عَلَيْهِ » ، فَأَتَوْا أَنْ يُعْطَوْهُ عَهْدًا ، فَقَاتَلَهُمْ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ ، ثُمَّ غَدَا الْغَدَ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ بِالْكَتَائِبِ ، وَتَرَكَ بَنِي النَّضِيرِ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ

٢٧٤ - أبو داود (٣ / ١٥٦) كتاب الحجاج والإمارة والفسء - باب في خبر النضير .

نستبيح : استباحتهم : نهبهم وسبيهم والتصرف فيهم .

وعيد : الوعيد : التخويف والتهديد .

تكيدكم : كاده يكيد : إذا مكر به وخدعه .

الحلقة : يسكون اللام : الدرع ، وقيل . اسم جامع للسلح .

حبر : الحبر : العالم العاقل .

متنصف : المتنصف بالفتح : نصف الطريق ، أراد : أنهم يجتمعون في موضع لا يميل إلى جهته ولا جهتهم ، ليكون

أعدل وأقرب إلى الأمن .

الكتائب : جمع كتيبة ، وهي الجيش .

يَعَاهِدُوهُ ، فَعَاهِدُوهُ ، فَأَنْصَرَفَ عَنْهُمْ ، وَغَدَا عَلَى بَنِي النَّضِيرِ بِالْكَتَائِبِ ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاءِ ، فَجَلَّتْ بَنُو النَّضِيرِ ، وَاحْتَمَلُوا مَا أَقْلَتِ الْإِبِلُ مِنْ أَمْتَعَتِهِمْ ، وَأَبْوَابُ بَيْتِهِمْ وَخَشَبُهَا ، فَكَانَ نَحْلُ بَنِي النَّضِيرِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَةً ، أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا ، وَخَصَّهُ بِهَا ، فَقَالَ : ﴿ وَمَا أَهَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾ (١) .

يَقُولُ : بَغِيرِ قِتَالٍ ، فَأَعْطَى النَّبِيَّ ﷺ أَكْثَرَهَا لِلْمُهَاجِرِينَ ، وَقَسَمَهَا بَيْنَهُمْ وَقَسَمَ مِنْهَا لِرَجُلَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَكَانَا ذَوِي حَاجَةٍ ، وَلَمْ يَقْسِرْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَنْصَارِ غَيْرَهَا ، وَبَقِيَ مِنْهَا صَدَقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي هِيَ فِي أَيْدِي بَنِي فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

٢٧٥ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَ عَنْ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ صَدِيقًا لِأُمِّيَّةَ بْنِ خَلْفٍ ، وَكَانَ أُمِّيَّةٌ إِذَا مَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدٍ ، وَكَانَ سَعْدٌ إِذَا مَرَّ بِمَكَّةَ نَزَلَ عَلَى أُمِّيَّةَ ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ : انْطَلَقَ سَعْدٌ مُعْتَمِرًا ، فَتَزَوَّلَ عَلَى أُمِّيَّةَ بِمَكَّةَ ، فَقَالَ لِأُمِّيَّةَ : انْظُرِي لِي سَاعَةَ خُلُوعٍ ، لَعَلِّي أَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، فَخَرَجَ بِهِ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ ، فَلَقِيَهَا أَبُو جَهْلٍ ، فَقَالَ : يَا أَبَا صَفْوَانَ ، مَنْ هَذَا مَعَكَ ؟ فَقَالَ : هَذَا سَعْدٌ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ : أَلَا أَرَاكَ تَطُوفُ بِمَكَّةَ آمِنًا ، وَقَدْ زَعَمْتُمْ أَوْيْتُمْ الصُّبَاةَ ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَنْصُرُونَهُمْ وَتُعِينُونَهُمْ ، أَمَا وَاللَّهِ ، لَوْلَا أَنَّكَ مَعَ أَبِي صَفْوَانَ مَا رَجَعْتَ إِلَى أَهْلِكَ سَالِمًا ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ - وَرَفَعَ صَوْتَهُ عَلَيْهِ - : أَمَا وَاللَّهِ ، لَئِنْ مَنَعْتَنِي هَذَا لَأَمْنَعَنَّكَ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْهُ : طَرِيقَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ لَهُ أُمِّيَّةُ : لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ يَا سَعْدُ عَلَى أَبِي الْحَكَمِ سَيَدِ

= الجلاء : النفي عن الأوطان .

أَقْلَتِ الْإِبِلُ : الْأَحَالُ ، أَيْ : حَمَلَتْهَا .

مَا أَهَاءَ اللَّهِ : الْغِيَاءُ : مَا يَحْصُلُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ أَمْوَالِ الْكُفَّارِ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ وَلَا قِتَالٍ .

أَوْجَفْتُمْ : الْإِجْافُ : الْإِسْرَاعُ وَالْحَثُّ فِي السَّيْرِ ، وَأَرَادَ بِهِ : الْإِسْرَاعُ فِي الْقِتَالِ .

رِكَابٍ : الرِّكَابُ جَمَاعَةُ الْإِبِلِ فَوْقَ الْعِشْرَةِ .

(١) الْحَشْرِ : ٦ .

٢٧٥ - الْبُخَارِيُّ (٧ / ٢٨٢) ٦٤ - كِتَابُ الْمَغَازِي - ٢ - بَابُ : ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ يَقْتُلُ بَيْدَرًا .

الصُّبَاةُ : جَمْعُ صَابِيءٍ ، وَهُوَ الَّذِي قَارِقَ دِينَهُ إِلَى غَيْرِهِ .

اسْتَنْفَرُوا : اسْتَنْفَرُوا : طَلَبُ النَّصْرَةِ مِنَ النَّاسِ ، لِيَنْفِرُوا مَعَهُ إِلَى مَقْصَدِهِ .

الْمُزِيغُ : الصَّائِحُ ، وَهُوَ الَّذِي يَسْتَنْجِدُ النَّاسَ .

أهل الوادي ، فقال سعد : دعنا عنك يا أمية ، فوالله ، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول « إنهم قاتلوك » ، قال : بمكة ؟ قال : لا أدري ، ففرع لذلك أمية فرعاً شديداً ، فلما رجع أمية إلى أهله ، قال : يا أبا صفوان ، ألم ترى ما قال لي سعد ؟ قالت : وما قال لك ؟ قال : زعم أن عمداً أخبرهم : أنهم قاتلي ، فقلت له : بمكة ؟ قال : لا أدري . فقال أمية : والله لا أخرج من مكة ، فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس ، فقال : أدركوا غيركم ، فكرة أمية أن يخرج ، فأتاه أبو جهل ، فقال : يا أبا صفوان ، إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت ، وأنت سيد أهل الوادي : تخلفوا معك ، فلم يزل به أبو جهل حتى قال : أما إذ غلبتني ، فوالله ، لأشترين أجود بعير بمكة ، ثم قال أمية : يا أبا صفوان ، جهزني ، فقالت له : يا أبا صفوان ، وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثري ؟ قال : لا ، وما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً ، فلما خرج أمية أخذ لا يتنزل منزلاً إلا عقل بعيره ، فلم يزل بذلك حتى قتله الله عز وجل بيدرس .

وفي رواية نحوه ، إلا أن فيه : فجعل أمية يقول لسعد : لا ترفع صوتك ، وجعل يمسكه ، فغضب سعد ، فقال : دعنا منك ، فإني سمعت محمداً ﷺ : يزعم أنه قاتلك ، قال : إياي ؟ قال : نعم ، قال : والله ، ما يكذب محمد إذا حدث ، فرجع إلى امرأته ، فقال : أتعلمين ما قال أخوي اليثري ؟ قالت : وما قال ؟ قال : زعم أنه سمع محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلي ، قالت : فوالله ، ما يكذب محمد ، قال : فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريح ، قالت له امرأته : أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثري ؟ قال : فأراد أن لا يخرج ، فقال له أبو جهل : إنك من أشرف الوادي ، فسر يوماً أو يومين ، فسار معهم ، فقتله الله .

قال في الفتح : وفي الحديث معجزات للنبي ﷺ ظاهرة ، وما كان عليه سعد بن معاذ من قوة النفس واليقين ، وفيه أن شأن العمرة كان قديماً ، وأن الصحابة كان مأذوناً لهم في الاعتار من قبل أن يعتمر النبي ﷺ بخلاف الحج ، والله أعلم .

٢٧٦ - * روى الطبراني عن عروة قال : كانت عاتكة بنت عبد المطلب عمه رسول الله

٢٧٦ - أورده الميثقي في مجمع الزوائد (٦ / ٧٠) وقال : رواه الطبراني مرسلأ وفيه ابن لهيعة ، وفيه صف ، وحديثه حسن .

سَاطِئَةً مَعَ أَخِيهَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، فَرَأَتْ رُؤْيَا قُبِيلٍ بَذِيرٍ فَفَزِعَتْ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى أَخِيهَا عَبَّاسٍ مِنْ لَيْلَتِهَا حِينَ فَزِعَتْ وَاسْتَيْقَظَتْ مِنْ نَوْمِهَا ، فَقَالَتْ : قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا وَقَدْ خَشِيتُ مِنْهَا عَلَى قَوْمِكَ الْمَلَكَ ، قَالَ : وَمَا رَأَيْتِ ؟ قَالَتْ : لَمْ أَحَدِّثْكَ حَتَّى تُعَاهِدَنِي أَنْ لَا تَذْكُرَهَا ، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَسْمَعُوهَا أَذُونَا فَاسْمَعُونَا مَا لَا نُحِبُّ ، فَعَاهَدَهَا عَبَّاسٌ ، فَقَالَتْ : رَأَيْتُ زَاكِبًا أَقْبَلَ عَلَى رَاحِلَتِهِ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ يَصِيحُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا آلَ غُدَرٍ وَيَا آلَ فَجْرِ اخْرُجُوا مِنْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَصَرَخَ فِي الْمَسْجِدِ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ ، وَقَالَ عَلَيْهِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ وَفَزِعَ النَّاسُ لَهُ أَشَدَّ الْفَزَعِ ، ثُمَّ أَرَاهُ مَثَلٌ عَلَى ظَهْرِ الْكُعْبَةِ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَصَرَخَ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ يَا آلَ غُدَرٍ وَيَا آلَ فَجْرِ اخْرُجُوا مِنْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ حَتَّى أَسْمَعَ مَنْ بَيْنَ الْأَخْشَبِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، ثُمَّ عَمِدَ لَصَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ فَتَزَعَهَا مِنْ أَصْلِهَا ثُمَّ أَرْسَلَهَا عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، فَأَقْبَلَتِ الصَّخْرَةُ لَهَا دَوِيٌّ ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ عَلَى أَصْلِ الْجَبَلِ رَمَضَتْ ، فَلَا أَعْلَمُ بِمَكَّةَ بَيْتًا وَلَا دَارًا إِلَّا قَدْ دَخَلَهَا فِرْقَةٌ مِنْ تِلْكَ الصَّخْرَةِ ، فَلَقَدْ خَشِيتُ عَلَى قَوْمِكَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ شَرٌّ ، فَفَزَعَ عَبَّاسٌ ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا ، فَلَقِيَ مِنْ لَيْلَتِهِ الْوَلِيدَ بْنَ عَثْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَكَانَ خَلِيلًا لِلْعَبَّاسِ فَقَصَّ عَلَيْهِ رُؤْيَا عَائِكَ وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَذْكُرَهَا لِأَحَدٍ ، فَذَكَرَهَا الْوَلِيدُ لِأَخِيهِ ، وَذَكَرَهَا عَثْبَةُ لِأَخِيهِ شَيْبَةَ ، وَارْتَفَعَ حَدِيثُهَا حَتَّى بَلَغَ أَبَا جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ وَاسْتَفَاضَتْ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَا الْعَبَّاسُ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ حَتَّى أَصْبَحَ ، فَوَجَدَ أَبَا جَهْلٍ وَعَثْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ وَزُمَعَةَ بْنَ الْأَسْوَدِ وَأَبَا الْبَخْتَرِيِّ فِي نَفَرٍ يَتَحَدَّثُونَ ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَى عَبَّاسٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ ؛ نَادَاهُ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ : يَا أَبَا الْفَضْلِ إِذَا قَضَيْتَ طَوَافَكَ فَائْتِنَا ، فَلَمَّا قَضَى طَوَافَهُ أَتَى فَجَلَسَ . فَقَالَ أَبُو

مَثَلٌ بِهِ : قَامَ بِهِ .

غُدَرٍ : جَمْعُ غُدُورٍ .

الْأَخْشَبَانِ : الْحَبْلَانِ الْمَطْيَقَانِ بِمَكَّةَ وَهِيَ أَبُو قَبَيْسٍ وَالْأَحْمَرُ .

رَمَضَتْ : اشْتَدَّتْ .

سَجَلًا : الْكِتَابُ يَدُونُ فِيهِ مَا يَرَادُ حِفْظُهُ .

يَا مُصَفَّرَ اسْتَه : رَمَاهُ بِالْأُبْنَةِ وَأَنَّهُ كَانَ يُزَغْفِرُ اسْتَه ، وَقِيلَ هِيَ كَلِمَةٌ تَقَالُ لِلْمُتَنَمِّ الْمُتَرَفِّ الَّذِي لَمْ تَحْنُكِهِ التَّجَارِبُ

وَالشَّدَائِدُ وَقِيلَ : أَرَادَ يَا مُضَرَّطُ نَفْسِهِ مِنَ الصَّغِيرِ وَهُوَ الصَّوْتُ بِالْقَمِّ وَالشَّفَتَيْنِ ، كَأَنَّهُ قَالَ يَا مُضَرَّطُ . نَسَبَهُ إِلَى الْجَبَنِ

=

وَالْحَقُورُ ، وَقِيلَ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَكَانَ يَرُدُّعُهُ بِالزُّعْفَرَانِ .

جَهْلٍ : يَا أَبَا الْفَضْلِ ، مَا رُؤْيَا رَأَتْهَا عَاتِكَةُ ؟ قَالَ : مَا رَأَتْ مِنْ شَيْءٍ . قَالَ : بَلَى ، أَمَا رَضَيْتُمْ يَا بَنِي هَاشِمٍ بِكَذِبِ الرِّجَالِ حَتَّى جِئْتُمُونَا بِكَذِبِ النِّسَاءِ ، إِنَّا كُنَّا وَأَنْتُمْ كَفَرْتُمْ بِرِهَانٍ فَاسْتَبَقْنَا الْمَجْدَ مِنْذُ حِينٍ ، فَلَمَّا حَاذَتْ الرُّكْبَةَ قُلْتُمْ : مَنْ نَبِيٌّ ، فَمَا بَقِيَ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا مِنَّا نَبِيَّةٌ ، وَلَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ أَكْذَبَ رَجُلًا وَلَا أَكْذَبَ امْرَأَةً مِنْكُمْ . فَأَذُوهُ يَوْمَئِذٍ أَشَدُّ الْأَذَى ، وَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : زَعَمْتُ عَاتِكَةُ أَنَّ الرَّاكِبَ قَالَ : أَخْرَجُوا فِي لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ ، فَلَوْ قَدْ مَضَتْ هَذِهِ الثَّلَاثُ تَبَيَّنَ لِقُرَيْشٍ كَذِبُكُمْ ، وَكُنْتُمْ سِجِلًا ، ثُمَّ عَلِقْنَا بِالْكَعْبَةِ إِنْكُمْ أَكْذَبُ بَيْتٍ فِي الْعَرَبِ رَجُلًا وَامْرَأَةً ، أَمَا رَضَيْتُمْ يَا بَنِي قُصَيٍّ أَنْكُمْ ذَهَبْتُمْ بِالْحِجَابَةِ وَالنَّدْوَةِ وَالسَّقَايَةِ وَاللَّوَاءِ حَتَّى جِئْتُمُونَا زَعَمْتُمْ بَنِيَّ مِنْكُمْ ، فَأَذُوهُ يَوْمَئِذٍ أَشَدُّ الْأَذَى ، وَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ : مَهْلًا يَا مُصَفَّرُ اسْتَبِيهِ هَلْ أَنْتَ مِنْتِهِ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ فِيكَ وَفِي أَهْلِ بَيْتِكَ . فَقَالَ لَهُ مِمَّنْ حَضَرَهُ : يَا أَبَا الْفَضْلِ مَا كُنْتُ بِجَاهِلٍ وَلَا خَرِفٍ وَنَالِ عَبَّاسًا مِنْ عَاتِكَةَ أَذَى شَدِيدًا فِيمَا أَفْشَى مِنْ حَدِيثِهَا . فَلَمَّا كَانَ مَسَاءَ لَيْلَةِ الثَّلَاثَةِ مِنَ اللَّيَالِي الَّتِي رَأَتْ فِيهَا عَاتِكَةُ الرُّؤْيَا جَاءَهُمُ الرَّاكِبُ الَّذِي بَعَثَ أَبُو سُفْيَانَ صَمُومَ بْنَ عَمْرِو الْغِفَارِيِّ فَقَالَ : يَا آلَ عُذْرٍ انْفِرُوا فَقَدْ خَرَجَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ لِيَعْرِضُوا لِأَبِي سُفْيَانَ فَأَخْرِزُوا عَيْرَكُمْ ، فَفَزَعَتْ قُرَيْشٌ أَشَدَّ الْفَزَعِ وَأَشْفَقُوا مِنْ قِبَلِ رُؤْيَا عَاتِكَةَ وَنَفَرُوا عَلَى كُلِّ صَغْبٍ وَذَلُولٍ .

٢٧٧ - * روى الإمام أحمد عن عائشة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِالْأَجْرَاسِ أَنْ تَقَطَّعَ مِنْ أَعْنَاقِ الْإِبِلِ يَوْمَ بَدْرٍ .

وهناك سببان لهذا الأمر :

السبب الأول : كراهة الأجراس لشبهها بالنواقيس ، وكان رسول الله ﷺ حريصاً على ألا يبقى مظهراً دينياً غير إسلامي إلا وخالفه أو نقصه أو أدخله في غيره أو أوجد له صيغة استقلالية .

السبب الثاني : عسكري ، فالأجراس تدلّ وتشعر الخصم فتنبيهه .

* * *

٢ - صور ومشاهد

٢٧٨ - * روى الطبراني عن أبي أيوب الأنصاري قال : قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة : « إِنِّي أُخْبِرْتُ عَنْ عِيرِ أَبِي سَفْيَانَ أَنَّهَا مُقْبِلَةٌ فَهَلْ لَكُمْ أَنْ تَخْرُجَ قَبْلَ هَذَا الْعِيرِ لَعَلَّ اللَّهَ يُغْنِمَنَاهَا » فقلنا : نعم فخرج وخرجنا ، فلمَّا يَزْنَا يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ قَالَ لَنَا : مَا تَرَوْنَ فِي الْقَوْمِ فَإِنَّهُمْ قَدْ أُخْبِرُوا بِمُخْرَجِكُمْ : فَقُلْنَا : لَا وَاللَّهِ مَا لَنَا طَاقَةٌ بِقِتَالِ الْعَدُوِّ وَلَكِنْ أَرَدْنَا الْعِيرَ ، ثُمَّ قَالَ : مَا تَرَوْنَ فِي قِتَالِ الْقَوْمِ ؟ فَقُلْنَا مِثْلَ ذَلِكَ . فَقَالَ لِلْمُقَدَّادِ بْنِ عَمْرٍو : إِذَا لَا تَقُولُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى : اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ . قَالَ : فَتَمَنَّيْنَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَوْ أَنَّا قُلْنَا كَمَا قَالَ الْمُقَدَّادُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ يَكُونَ لَنَا مَالٌ عَظِيمٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلًّا عَلَى رَسُولِهِ ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾ * يجادلونك في الحقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿ ^(١) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلًّا : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرِّغْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَغْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ ^(٢) وَقَالَ ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّكُوكِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ ^(٣) وَالشُّوكَةُ الْقَوْمُ وَغَيْرُ ذَاتِ الشُّوكَةِ الْعِيرُ ، فَلَمَّا وَعَدْنَا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ إِمَّا الْقَوْمَ وَإِمَّا الْعِيرَ طَابَتْ أَنْفُسُنَا ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا لِيَنْظُرَ مَا قَبْلَ الْقَوْمِ ، فَقَالَ : رَأَيْتُ سَوَادًا وَلَا أَدْرِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هُمْ هُمْ ، هَلُمُّوا أَنْ تَتَّعَادَ » ففعلنا فإِذَا نَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثَةُ عَشَرَ رَجُلًا ، فَأَخْبَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِعِدَّتِنَا فَسَرَّهُ ذَلِكَ فَحَمَدَ اللَّهَ وَقَالَ « عِدَّةُ أَصْحَابِ طَالُوتَ » ثُمَّ إِنَّا اجْتَمَعْنَا مَعَ الْقَوْمِ فَصَفَّفْنَا فَبَدَرَتْ مِنَّا بَادِرَةٌ أَمَامَ الصَّفِّ فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : « مَعِيَ مَعِيَ » ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي

٢٧٨ - المعجم الكبير (٤ / ١٧٤) وإسناده حسن .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٧٣) وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن .

حمد لنا : على أخذ الفدية .

(١) الأنفال : ٥ ، ٦ .

(٢) الأنفال : ١٢ .

(٣) الأنفال : ٧ .

أَنْشَدَكَ وَعَدَكَ » فقال ابن رَوَاحَةَ : يا رسول الله إني أريد أن أشير عليك ورسول الله ﷺ أفضل من يشير عليه وإن الله أعظم من أن تنشده وعده فقال : « يا ابن رَوَاحَةَ لَأَنْشَدَنَ الله وعده فإن الله لا يُخْلِفُ الميعاد » فأخذ قبضة من التراب فرمى بها رسول الله ﷺ وجوه القوم فانهمزوا فأنزل الله عز وجل : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ ^(١) فقتلنا وأسرونا فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ما أرى أن تكون لك أسرى فإنما نحن داعون مؤلفون فقتلنا معشر الأنصار : إنما يحمل عمر على ما قال حسد لنا ، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ ثم قال : « أَدْعُوا لي عمر » فدعي له فقال : « إِنَّ الله عز وجل قد أنزل عليّ » : ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ﴾ ^(٢) .

أقول : فيه ابن لهيعة ، والملاحظ أن الهيثمي يحسن أحاديث ابن لهيعة ولو كانت عن غير العبادة ، وذلك فيما نعتد للحفظ دقيق يلحظه الشيخ الهيثمي ، ولذلك فإننا كثيراً ما نتابعه على تحسينه في هذا الكتاب لقوة مدركه في الحديث .

٢٧٩ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَسِيْئَةً ، عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عَيْرُ أَبِي سَفِيَّانَ ، فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قال : لا أدري ، ما استثنى بَعْضُ نِسَائِهِ .. - قال : فَحَدَّثَنِي الْحَدِيثَ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَكَلَّمَ ، فَقَالَ : « إِنَّ لَنَا طَلِبَةَ ، فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا » فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظَهْرَانِهِمْ فِي عُلُوِّ الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ : « إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا » فَاِنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَقْدِمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ » فدنا المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : « قَوْمُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ » قال : يقول عُمَيْرُ بْنُ الْحُطَّامِ الْأَنْصَارِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ

(١) الأنفال : ١٧ .

(٢) الأنفال : ٦٧ .

والأرض ؟ قال : « نعم » قال : بخـ بخـ يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : « ما يحملك على قولك : بخـ بخـ ؟ » قال : لا والله يا رسول الله ، إلا رجاء أن أكون من أهلها ، قال : « فإنك من أهلها » قال : فأخرج قمرات من قرنه ، فجعل يأكل منهن ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة ، قال : فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل .

قال النووي : قوله : (بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُسَيْسَةَ عَيْنًا) هكذا هو في جميع النسخ بُسَيْسَةَ بياء موحدة مضومة وبسينين مهملتين مفتوحتين بينهما ياء مثناة تحت ساكنة ، قال القاضي : هكذا هو في جميع النسخ ، قال : وكذا رواه أبو داود وأصحاب الحديث . قال : والمعروف في كتب السيرة بسبس بياءين موحدين مفتوحتين بينهما سين ساكنة وهو بسبس ابن عمرو ، ويقال : ابن بشر من الأنصار من الخزرج ، ويقال : حليف لهم ، قلت : يجوز أن يكون أحد اللفظين اسماً له والآخر لقباً . وقوله (عَيْنًا) أي : متجسساً ورقيباً . قوله (ما صنعت غير أبي سفيان) هي الدواب التي تحمل الطعام وغيره من الأمتعة ، قال في المشارق : العير هي الإبل والدواب تحمل الطعام وغيره من التجارات ، قال : ولا تسمى عيراً إلا إذا كانت كذلك . وقال الجوهري في الصحاح : العير الإبل تحمل للميرة وجمعها عيَرات بكسر العين وفتح الياء . قوله ﷺ : (إن لنا طليبة فن كان ظهره حاضراً فليركب) هي بفتح الطاء وكسر اللام أي شيئاً نطلبه والظهر الدواب التي تركب . قوله : (فجعل رجال يستأذنونهم في ظهرانهم) هو بضم الظاء وإسكان الهاء أي مركوباتهم في هذا استحباب التورية في الحرب وأن لا يبين الإمام جهة إغارته وإغارة سراياه لكلا يشيع ذلك فيحذرهم العدو . قوله (في علو المدينة) بضم العين وكسرها . قوله ﷺ : (لا يتقدم أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه) أي قدامه متقدماً في ذلك الشيء لكلا يفوت شيء من المصالح التي لا تعلمونها . قوله : (عير بن الحمام) بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم . قوله : (بخـ بخـ) فيه لغتان إسكان الحاء وكسرها منوناً وهي كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير . قوله : (لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها) هكذا هو في أكثر النسخ المعتمدة رجاء بالمد ونصب التاء ، وفي بعضها رجاء بلا تنوين وفي بعضها بالتنوين ممدودان

بجذف التاء ، وكله صحيح معروف في اللغة ، ومعناه والله ما فعلته لشيء إلا لرجاء أن أكون من أهلها . قوله (فأخرج تمرات من قرنه) هو بقاف وراء مفتوحتين ثم نون أي جَعَبَةُ النَّشَابِ^(١) ووقع في بعض نسخ المغاربة فيه تصحيف . قوله : (لأن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل) فيه جواز الانغمار في الكفار والتعرض للشهادة وهو جائز بلا كراهة عند جماهير العلماء . قوله : (وهو بحضرة العدو) هو بفتح الحاء وضمة وكسرهما ثلاث لغات ، ويقال أيضاً بِحَضَرَ بفتح الحاء والضاد بجذف الهاء . اهـ .

٢٨١ - * روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خَرَجَ يَوْمَ بَدْرٍ فِي ثَلَاثِيَةِ وَخَمْسَةِ عَشَرَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ حَفَاةٌ فَأَحْمِلْهُمْ ، اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ عَرَاةٌ فَأَكْسِهِمْ ، اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ جِيَاعٌ فَأَشْبِعْهُمْ » فَفَتَحَ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَأَنْقَلَبُوا - حِينَ أَنْقَلَبُوا - وَمَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ رَجَعَ بِجَمَلٍ ، أَوْ جَمَلَيْنِ ، وَاكْتَسَوْا وَشَبَّهُوا .

أقول : بعض الروايات تذكر أن عدد المسلمين يوم بدر كانوا (٣١٣) وبعضها تذكر أنهم كانوا (٣١٤) ، وبعضها تذكر أنهم كانوا (٣١٥) ، وبعضها تذكر أنهم كانوا (٣١٧) ، وبعضها تذكر أنهم (٣١٩) وسبب الخلاف يعود إلى أن بعضهم أدخل ما لم يدخله الآخر ، فثلاً هناك روايات صحيحة تذكر حضور أنس وهو صغير ، وهناك روايات تذكر أن بعض الناس ردم الرسول ﷺ إلى المدينة للقيام بأمرها ، فبسبب من الإدخال والإخراج تعددت الروايات ، عد منهم عثمان بن عفان ولم يحضر ، أمره النبي ﷺ أن يمرض امرأته رقية ، وكذلك عد منهم قوماً كلفوا بمهمات ولم يحضروا المعركة ، وقد وردت أسماء تسعة لم يحضروا وضرب لهم بسهم وأجر ذكروا في هذا الكتاب تحت عنوان من غاب عن بدر وكان كأهلها .

وفي سنن أبي داود ^(١) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَزَامٍ أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ أَمِيحُ ^(٢) لِأَصْحَابِي الْمَاءَ يَوْمَ بَدْرٍ .

وهذا الحديث لم يذكره البخاري ولا الضياء . كذا في البداية والنهاية .

٢٨٢ - * روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : كنا أصحاب محمدٍ نتحدثُ : أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا مَعَةَ النَّهْرِ - ولم يجاوز معه إلا مؤمنٌ - بضعة ^(٣) وثلاثمائة ، وفي رواية قَالَ الْبَرَاءُ : لَا ، وَاللَّهِ مَا جَاوَزَ مَعَهُ

٢٨١ - أبو داود (٢ / ٧٩) كتاب الجهاد - باب : في ثقل السرية تخرج من العسكر .

(١) أبو داود (٢ / ٧٥) كتاب الجهاد - باب : في المرأة والعبد يحذان من الغنبة .

(٢) أميح : أستقي .

٢٨٢ - البخاري (٧ / ٢١٠) ٦٤ - كتاب المغازي - ٦ - باب عدة أصحاب بدر .

(٣) بضعة : البضع : ما بين الثلاثة إلى التسعة .

النهر إلا مؤمن .

٢٨٣ - * روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : اسْتُصْفِرْتُ أَنَا وَابْنُ عَمَرٍ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَوْمَ بَدْرٍ : نَيْفًا عَلَى سَتِينَ ، وَالْأَنْصَارُ نَيْفًا وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ .

٢٨٤ - * روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَوَقَّعَ الرَّايَةَ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَشْرِينَ سَنَةً .

٢٨٥ - * روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ بَدْرٍ ، فَلَمَّا كَانَ بِحَرَةِ الْوَبْرَةِ أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قَدْ كَانَ يُذَكِّرُ مِنْهُ جُرْأَةً وَنَجْدَةً ، فَفَرَحَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ رَأَوْهُ . فَلَمَّا أَدْرَكَهُ ، قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : جِئْتُ لَأَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تَوَمِّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ » ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ « فَارْجِعْ ، فَلَنْ أُسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ » قَالَتْ ثُمَّ مَضَى ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ قَالَ : « فَارْجِعْ فَلَنْ أُسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ » ثُمَّ رَجَعَ ، قَالَ ، فَأَدْرَكَهُ بِالْبِيدَاءِ ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ : « تَوَمِّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ » ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَاَنْطَلِقْ » .

وأُخْرِجَهُ التِّرْمِذِيُّ ^(١) إِلَى قَوْلِهِ : « فَلَنْ أُسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ » قَالَ : وَفِي الْحَدِيثِ كَلَامٌ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا .

٢٨٣ - البخاري (٢٩٠ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٦ - باب : عدة أصحاب بدر .

نَيْفٌ : بوزن المِئِينَ : الزيادة يخفف ويشدد ، وكل ما زاد على العقد فهو نيف حتى يبلغ العقد الثاني .

٢٨٤ - المستدرک (١١١ / ٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي وقال : هذا نص في أنه أسلم وله أقل من عشر سنين ، بل نص في أنه أسلم وهو ابن سبع سنين أو ثمان وهو قول عروة .

٢٨٥ - مسلم (١٤٤٩ / ٣) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٥١ - باب : كراهة الاستعانة في الغزو بكافر .

حَرَّةُ الْوَبْرَةِ : موضع على بعد أربعة أميال من المدينة .

نَجْدَةٌ : النجدة : القوة والشجاعة .

(١) الترمذي (١٢٧ / ٤) ٢٢ - كتاب السير - ١٠ - باب : ما جاء في أهل الذمة يفترون مع المسلمين هل يسهم لهم .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

وأخرج أبو داود^(١) مختصراً أن رجلاً من المشركين لحق بالنبي ﷺ ليقاتل معه ، فقال : « ارجع » ، ثم اتفقا فقال : « إنا لا نستعين بمشرك » .

قال النووي : قوله عليه الصلاة والسلام : (فارجع فلن أستعين بمشرك) وقد جاء في الحديث الآخر أن النبي ﷺ استعان بصفوان بن أمية قبل إسلامه ، فأخذ طائفة من العلماء بالحديث الأول على إطلاقه ، وقال الشافعي وآخرون : إن كان الكافر حسن الرأي في المسلمين ودعت الحاجة إلى الاستعانة به استعين به وإلا فيكره ، وحمل الحديثين على هذين الحالين ، وإذا حضر الكافر بالإذن رضخ له أي أعطاه قليلاً ولا يسهم له ، هذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة والجمهور ، وقال الزهري والأوزاعي يسهم له والله أعلم .

٢٨٦ - * روى مسلم عن أبي الطفيل رحمه الله قال : حدثنا حذيفة بن اليمان قال : ما تمنيت أن أشهد بذراً إلا أنني خرجت أنا وأبي ، حسيل ، فأخذنا كُفَّارَ قُرَيْشٍ ، فقالوا : إنكم تريدون محمداً ، فقلنا : ما نريده ، وما نريد إلا المدينة ، فأخذوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وميثاقه : لننصرفن إلى المدينة ، ولا نقاتل معه ، فأتينا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأخبرناه الخبر ، فقال : « انصرفا نفي لهم بعهدهم ، ونستعين الله عليهما » .

قال النووي : في هذا الحديث جواز الكذب في الحرب ، وإذا أمكن التعريض في الحرب فهو أولى ، ومع هذا يجوز الكذب في الحرب وفي الإصلاح بين الناس وكذب الزوج لامرأته كما صرح به الحديث الصحيح وفيه الوفاء بالعهد ، وقد اختلف العلماء في الأسير يعاهد الكفار أن لا يهرب منهم ، فقال الشافعي وأبو حنيفة والكوفيون : لا يلزمه ذلك بل متى أمكنه الهرب هرب ، وقال مالك : يلزمه ، واتفقوا على أنه لو أكرهوه فحلف لا يهرب لا يمين عليه لأنه مكره ، وأما قضية حذيفة وأبيه فإن الكفار استحلوا ما لا يقاتلان مع النبي ﷺ في غزاة بدر فأمرهما النبي ﷺ بالوفاء . وهذا ليس بالإيجاب فإنه لا يجب الوفاء بترك الجهاد مع الإمام ونائبه ولكن أراد النبي ﷺ أن لا يشيع عن أصحابه نقض العهد وإن كان

(١) أبو داود مختصراً (٣ / ٧٥) كتاب الجهاد - باب : في المشرك يسهم له .

٢٨٦ - مسلم (٣ / ١٤١٤) - ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٣٥ - باب : الوفاء بالعهد .

لا يلزمهم ذلك لأنّ المسيح عليهم لا يذكر تأويلاً .

٢٨٧ - * روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : شهدت من المقداد ابن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبة أحب إليّ مما عدل به : أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال : لا تقول كما قال قوم موسى : ﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا ﴾ ^(١) ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلّك . فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره ، يعني قوله .

وفي رواية ^(٢) : قال المقداد يوم بدر : يا رسول الله ، إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ﴾ ولكن امض وكن معك . فكانت سرّي عن رسول الله ﷺ .

قال ابن حجر : قوله (مما عدل به) بضم المهملة وكسر الدال المهملة أي وزن أي من كل شيء يقابل ذلك من الدنيويات ، وقيل من الثواب ، أو المراد الأعم من ذلك ، والمراد المبالغة في عظمة ذلك المشهد ، وأنه كان لو خيّر بين أن يكون صاحبه وبين أن يحصل له ما يقابل ذلك كائناً ما كان لكان حصوله له أحب إليه ، وقوله : (لأن أكون صاحبه) هو بالنصب ، وفي رواية الكشيبي (لأن أكون أنا صاحبه) ويجوز فيه الرفع والنصب ، قال ابن مالك : النصب أجود . قوله : (وهو يدعو على المشركين) زاد النسائي في روايته (جاء المقداد على فرس يوم بدر فقال) وذكر ابن إسحاق أنّ هذا الكلام قاله المقداد لما وصل النبي ﷺ الصفراء وبلغه أن قريشاً قصدت بدرأ وأن أبا سفيان نجاً بمن معه فاستشار الناس ، فقام أبو بكر فقال فأحسن ، ثم قام عمر كذلك ، ثم المقداد فذكر نحو ما في حديث الباب وزاد « فقال : والذي بعثك بالحق لو سلّكت بنا برك الغياد لجاهدنا معك من دونه . قال : فقال : (أشيروا علي) قال : فعرفوا أنه يريد الأنصار ، وكان يتخوف أن لا يوافقوه لأنهم لم

٢٨٧ - البخاري (٧ / ٢٨٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤ - باب : قول الله تعالى : ﴿ إذا تستغيثون ربكم فاستجاب لكم » .

(١) المائدة : ٢٤ .

(٢) البخاري (٨ / ٢٧٣) ٦٥ - كتاب التفسير - ٤ - باب : فاذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ها هنا قاعدون .

سرّي : عن المزون وغيره : إذا كشف عنه ما به .

يبايعوه إلا على نُصْرَتِهِ مَنْ يَقْصِدُهُ لَا أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ إِلَى الْعَدُوِّ ، فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ : امْضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَمَرْتَ بِهِ فَنَحْنُ مَعَكَ . قَالَ فَسَرِهَ قَوْلَهُ وَنَشَطَهُ « وَكُنَّا ذَكَرَهُ مُوسَى ابْنُ عَقْبَةَ مَبْسُوطاً ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ عَائِذٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ عُرْوَةَ ، وَعَنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ مِنْ مَرْسِلِ عُلُقَمَةَ بْنِ وَقَاصٍ فِي نَحْوِ قِصَةِ الْمَقْدَادِ (فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ : لَيْتُنِي سُرْتُ حَتَّى تَأْتِي بِرُكِّ الْغِيَادِ مِنْ يَمِينٍ لِنَسِيرَنَّ مَعَكَ ، وَلَا نَكُونُ كَالَّذِينَ قَالُوا لِمُوسَى - فَذَكَرَهُ وَفِيهِ - لَعَلَّكَ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ فَأَحْدَثَ اللَّهُ غَيْرَهُ ، فَاْمْضِ لِمَا شِئْتَ ، وَصِلْ حِبَالَ مَنْ شِئْتَ ، وَاقْطَعْ حِبَالَ مَنْ شِئْتَ ، وَسَلِّمْ مَنْ شِئْتَ ، وَعَادِ مَنْ شِئْتَ ، وَخُذْ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا شِئْتَ » قَالَ : وَإِنَّمَا خَرَجَ يَرِيدُ غَنِيَةً مَا مَعَ أَبِي سَفِيَّانٍ فَأَحْدَثَ اللَّهُ لَهُ الْقِتَالَ .

وروى ابنُ أبي حاتمٍ من حديثِ أبي أيوبٍ قال : قالَ لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ ونحنُ بالمدينة : « إني أخبرتُ عَنْ عِيرِ أَبِي سَفِيَّانٍ ، فَهَلْ لَكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ اللَّهَ يَغْنَمُهَا ؟ » قُلْنَا : نَعَمْ ، فَخَرَجْنَا . فَلَمَّا سِرْنَا يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ قَالَ : « قَدْ أُخْبِرُوا خَبْرَنَا فَاسْتَعِدُّوا لِلْقِتَالِ » فَقُلْنَا : لَا وَاللَّهِ مَا لَنَا طَاقَةٌ بِقِتَالِ الْقَوْمِ ، فَأَعَادَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْمَقْدَادُ : لَا تَقُولَ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى وَلَكِنْ تَقُولُ : إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ . قَالَ : فَتَمَنَيْنَا مَعِشَرَ الْأَنْصَارِ لَوْ أَنَّا قُلْنَا كَمَا قَالَ الْمَقْدَادُ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾ ^(١) وأخرج ابنُ مردويه عن طريقِ محمدِ ابنِ عمرو بنِ علقمة بنِ وقاصٍ عن أبيه عن جده نحوه ، لكن فيه أنَّ سعدَ بنَ مُعَاذٍ هو الذي قَالَ مَا قَالَ الْمَقْدَادُ ، والمحفوظُ أنَّ الكلامَ المذكورَ للمقدادِ كما في حديثِ الباب ، وأنَّ سعدَ بنَ مُعَاذٍ إنما قال : (لو سُرْتُ بِنَا حَتَّى تَبْلُغَ بِرُكِّ الْغِيَادِ لِسِرْنَا مَعَكَ) كذلك ذكره موسى بنُ عَقْبَةَ . وعند ابنِ عَائِذٍ في حديثِ عُرْوَةَ (فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ : لَوْ سُرْتُ بِنَا حَتَّى تَبْلُغَ الْبَرْكَ مِنْ غِمْدِ ذِي يَمِينَ) ووقع في مسلمٍ أنَّ سعدَ بنَ عُبَادَةَ هو الذي قَالَ ذَلِكَ ، وكذا أخرجه ابنُ أبي شَيْبَةَ مِنْ مَرْسِلِ عَكْرَمَةَ ، وفيه نظرٌ لأنَّ سعدَ بنَ عُبَادَةَ لم يشهدْ بَدْرًا ، وإنَّ كان يعد فيهم لكونه من ضربٍ له بسهمه كما سأذكره في آخر الغزوة ، ويمكن الجمعُ بأنَّ النبي ﷺ استشارهم في غزوة بدر مرتين : الأولى : وهو بالمدينة أول ما بلغه خبر العير مع أبي

سفيان ، وذلك بين في رواية مسلم ولفظه (أن النبي ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان) والثانية : كانت بعد أن خرج كما في حديث الباب ؛ ووقع عند الطبراني أن سعد ابن عباد قال ذلك بالحديبية ، وهذا أولى بالصواب ؛ وقد تقدم في الهجرة شرح برك الغماد ، ودلت رواية ابن عائد هذه على أنها من جهة الين ، وذكر السهيلي أنه رأى في بعض الكتب أنها أرض الحبشة ، وكأنه أخذه من قصة أبي بكر مع ابن الدغنة ، فإن فيها أنه لقيه ذاهباً إلى الحبشة ببرك الغماد فأجاره ابن الدغنة كما تقدم في هذا الكتاب ، ويجمع بأنها من جهة الين تقابل الحبشة وبينهما عرض البحر . أ.هـ .

٢٨٨ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان ، قال : فتكلم أبو بكر ، فأعرض عنه ثم تكلم عمر فأعرض عنه ، فقام سعد ابن عباد ، فقال : إيانا تريد يا رسول الله ؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نغيضها البحر لأخضناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا ، قال : فندب رسول الله ﷺ الناس فانطلقوا ، حتى نزلوا بدرأ ، ووردت عليهم زوايا قريش وفيهم غلام أسود لبني الحجاج ، فأخذوه ، فكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه ؟ فيقول : مالي علم بأبي سفيان ، ولكن هذا أبو جهل ، وعتبة ، وشيبة ، وأميرة بن خلف فإذا قال ذلك ضربوه ، فقال : نعم أنا أخبركم ، هذا أبو سفيان ، فإذا تركوه فسألوه قال : مالي بأبي سفيان علم ولكن هذا أبو جهل ، وعتبة ، وشيبة ، وأميرة بن خلف في الناس ، فإذا قال هذا أيضاً ضربوه ، ورسول الله ﷺ قائم يصلي ، فلما رأى ذلك انصرف ، وقال : « والذي نفسي بيده ، لتضربوه إذا صدقكم ، وتتركوه إذا كذبكم » قال : فقال رسول

٢٨٨ - مسلم (٢ / ١٤٠٣) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٢٠ - باب : غزوة بدر .

مخيضها : الضمير يعود على الخيل .

الكبد : أوسط الشيء ومعظمه .

برك الغماد : برك بفتح الباء وإسكان الراء ، وقال بعضهم : صوابه كسر الراء والغماد بغين معجمة مكسورة ومضومة

لغتان مشهورتان ، لكن الكسر أفصح والمشهور عند الحديثين ، والضم هو للمشهور في كتب اللغة .

= روايا : جمع رواية ، وهي المزايدة ، والمراد به هاهنا : الجمال التي تحمل المزداد ، والجل : رواية ، وتسمى به المزايدة .

الله ﷺ : « هَذَا مَضْرَعُ فَلَانٍ » وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ هَاهُنَا وَهَاهُنَا - قَالَ : فَمَا مَاطَ أَخَذَهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأُخْرِجَةُ أَبُو دَاوُدَ ^(١) ، وَأَوَّلُ حَدِيثِهِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَدَبَ أَصْحَابَهُ ، فَأَنْطَلَقَ إِلَى بَدْرِ ، فَإِذَا هُمْ بِرَوَايَا قُرَيْشٍ ، فِيهَا عَبْدُ أُسُودَ لِبَنِي الْحَجَّاجِ ... وَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى آخِرِهِ بِتَغْيِيرِ شَيْءٍ مِنْ أَلْفَاظِهِ ، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِهِ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا جَاوَزَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَمَرَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأَخَذُوا بِأَرْجُلِهِمْ فَسَحَبُوا ، فَأَلْقَوْا فِي قَلْبِ بَدْرِ .

٢٨٩ - * رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ قَالَ : لَقَدْ قُلَّلُوا فِي أَغْنَيْنَا يَوْمَ بَدْرِ حَتَّى قُلْتُ لَصَاحِبِي الَّذِي إِلَى جَانِبِي أَتَرَاهُمْ سَبْعِينَ ؟ قَالَ : أَرَاهُمْ مِائَةً ، حَتَّى أَخَذْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا فَسَأَلْنَاهُ قَالَ : كُنَّا أَلْفًا .

وقد ذكرنا الحديث مع أن فيه عنعنة ابن إسحاق لما يشهد له من ظاهر النصوص القرآنية كما ذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية فقال :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْيَكُمُوهُمْ إِذِ التَّحِيَّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيَقَلُّكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ ^(٢) فَمَنْدَمًا تَقَابُلَ الْفَرِيقَانِ قَلَّلَ اللَّهُ كَلًّا مِنْهَا فِي أَغْنَيْنِ الْآخَرِينَ لِيَجْتَرِيَ هَوْلًا عَلَى هَوْلًا وَهَوْلًا عَلَى هَوْلًا لَمَّا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ ، وَلَيْسَ هَذَا مُغَارَضًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ

= مَضْرَعٌ : لِلْمَرْعِ : مَوْضِعُ الْقَتْلِ .

مَاطَط : أَي : مَازَالَ وَمَا بَعْدَ ، وَالْمِطَط : اللَّيْلُ وَالْعَدُولُ .

(١) أَبُو دَاوُدَ (٥٨ / ٣) كِتَابُ الْجِهَادِ - بَابُ : فِي الْأَسِيرِ يُنَالُ مِنْهُ وَيَضْرَبُ .

فُتْنَةٌ : نَدَبْتُ الرَّجُلَ لِهَذَا الْأَمْرِ ، أَي : هَيَّأْتُهُ لَهُ ، وَيَعِثُّهُ فِيهِ ، فَاتَّذَبَّ ، أَي : أَجَابَ .

الْقَلْبِيبُ : الْبُئْرُ لَمْ تَطُرْ ، وَإِنَّمَا هِيَ حَفِيرَةٌ قَلْبُ تَرَاهَا ، فَسَمِيَتْ قَلْبِيًّا .

٢٨٩ - أوردته الميثقي في مجمع الزوائد (٨٤ / ٦) وقال : رواه الطبراني . ولم يتكلم عليه في المجمع ، وفيه عنعنة ابن إسحاق .

(٢) الأنفال : ٤٤ .

يَشَاءُ ﴿١﴾ فَإِنَّ الْمَعْنَى فِي ذَلِكَ عَلَى أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ أَنَّ الْفِرْقَةَ الْكَافِرَةَ تَرَى الْفِرْقَةَ الْمُؤْمِنَةَ مِثْلِي عِدَدِ الْكَافِرَةِ عَلَى الصَّحِيحِ أَيْضاً ، وَذَلِكَ عِنْدَ التَّحَامِ الْحَرْبِ وَالْمُسَابَقَةِ أَوْ قَعِ اللَّهِ الْوَهْنِ وَالرَّعْبَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَاسْتَدْرَجَهُمْ أَوَّلًا بِأَنْ أَرَامَ إِيَّاهُمْ عِنْدَ الْمَوَاجَهَةِ قَلِيلًا ، ثُمَّ أَيْدِ الْمُؤْمِنِينَ بِنَصْرِهِ فَجَعَلَهُمْ فِي أَعْيُنِ الْكَافِرِينَ عَلَى الضَّعْفِ مِنْهُمْ حَقٌّ وَهَنُوا وَضَعُفُوا وَغَلَبُوا .
وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ وَاللَّهُ يُوَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ۝ ﴾ .

أَقُولُ : كَانَ هَذَا مِنْ فِعْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ، وَلَوْ أَخْلَصَ الْمُسْلِمُونَ وَأَحْسَنُوا لَوَجَدُوا التَّوْفِيقَاتِ وَالتَّأْيِيدَاتِ تَحْفَهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ .

وَقَدْ عَلَّلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِإِرَاءَتِهِ الْمُسْلِمِينَ الْمُشْرِكِينَ قَلَّةَ بَقُولِهِ : ﴿ وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا
لَفُشِلَتْ وَلِتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۝ ﴾ (٢) .

إِنَّ هَذَا التَّعْلِيلَ يُوحِي بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ : مِنْهَا : أَوَّلًا : أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَحْكُمُهُمْ عَالَمُ الْأَسْبَابِ فَعِنْدَمَا يَرُونَ أَنَّ الْقُوَى غَيْرَ مُتَكَافِئَةٍ لَا بَدَّ أَنْ يَخْتَلَفُوا فِي أَمْرِ الْقِتَالِ هَلْ يَقَاتِلُونَ أَوْ لَا يَقَاتِلُونَ ؟ فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِحِكْمَتِهِ جَنَّبَهُمْ هَذَا الْمَوْقِفَ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَلَكِنَّ هَذَا الْمَوْقِفَ يُمْكِنُ أَنْ يَوَاجِهَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ فَعَلَى قِيَادَتِهِمْ أَنْ تَلَاخِظَ ذَلِكَ أَوَّلًا فِي الْمَوَازِنَاتِ الَّتِي تَسْبِقُ الْقَرَارَ . ثَانِيًا : فِي الْقَرَارِ نَفْسِهِ ، ثَالِثًا : فِي الْخَطَّةِ الْمُنَاسِبَةِ عَلَى ضَوْءِ تَفَاضُلِ الْقُوَى ، رَابِعًا : فِي الْإِعْدَادِ النَّفْسِيِّ وَالتَّدْرِيبِيِّ ، خَامِسًا : فِي إِدَارَةِ الْمَعْرَكَةِ .

٢٩٠ - * رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ :
« مَنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَأْسِرُوهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُمْ خَرَجُوا كَرْهًا » .

مَعْنَى الْحَدِيثِ : مَنْ اسْتَطَعْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَاسْرِوهُ وَلَا تَقْتُلُوهُ .

تَعْلِيلٌ : لَمْ تَكُنْ قَرِيشٌ كُلُّهَا مُقْتَنِعَةً بِهَذِهِ الْحَرْبِ وَلِذَلِكَ خَرَجَ بَعْضُهُمْ ثُمَّ نَكَصَ وَبَعْضُهُمْ

(١) آل عمران : ١٢ .

(٢) الأنفال : ٤٢ .

٢٩٠ - أحمد في مسنده (١ / ٨٩) ، وأورده المهيبي في مجمع الزوائد (٦ / ٨٥) وقال : رواه أحمد والبخاري ، ورجال أحمد ثقات .

لم يخرج أصلاً . وقد عرض ابن كثير صورة عن هذه الأمور في البداية والنهاية قال : وقال الأحنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي - وكان حليفاً لبني زهرة - وهم بالجحفة : يا بني زهرة قد نجي الله لكم أموالكم ، وخلص لكم صاحبكم غزوة بن نوفل ، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله فاجعلوا بي جبينها وارجموا فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعة لا ما يقول هذا . قال : فرجعوا فلم يشهدوا زهري واحد ، أطاعوه وكان فيهم مطاعاً ولم يكن بقي بطن من قريش إلا وقد نفر منهم ناس إلا بني عدي لم يخرج منهم رجل واحد ، فرجعت بنو زهرة مع الأحنس فلم يشهد بدياً من هاتين القبيلتين أحد . قال : ومضى القوم وكان بين طالب بن أبي طالب - وكان في القوم - وبين بعض قريش محاورة . فقالوا : والله لقد عرفنا يا بني هاشم - وإن خرجتم معنا - أن هواكم مع محمد ، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع .

٢٩١ - * روى البزار عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما نزل المسلمون بدرًا وأقبل المشركون نظر رسول الله ﷺ إلى عتبة بن ربيعة وهو على جمل أحمر فقال : « إن يكن عند أحد من القوم خير فهو عند صاحب الجمل الأحمر ، إن يطيعوه يرشدوا » وهو يقول : يا قوم أطيعوني في هؤلاء القوم فإنكم إن فعلتم لن يزال ذلك في قلوبكم ، ينظر كل رجل إلى قاتل أخيه وقاتل أبيه فاجعلوا جبينها برأسي وارجموا ، فقال أبو جهل : انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه ، إنما محمداً وأصحابه كأكلة جزور لو قد التقينا ، فقال عتبة : ستعلم من الجبان الفساد لقومه ، أما والله إنني لأرى قوماً يضربونكم ضرباً ، أما ترون كأن رؤوسهم الأقاعي وكأن وجوههم السيوف ، ثم دعا أخاه وابنه فخرج يمشي بينهما ودعا بالمبارزة .

٢٩٢ - * روى الإمام أحمد عن علي قال : لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها

٢٩١ - أورده الميمني في جمع الزوائد (٦ / ٧٦) وقال : رواه البزار ورجاله ثقات . كشف الأستار (٢ - ٢١٣) . انتفخ سحره : السحر الرقة ، والمعنى امتلأ خوفاً وجبناً .

٢٩٢ - أحمد في مسنده (١ / ١١٧) . وأورده الميمني في جمع الزوائد (٦ / ٧٥) وقال : روى أبو داود منه طرفاً ، ورواه أحمد والبزار ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب وهو ثقة .

فاجتويناها وأصابنا بها وَعُكٌّ وكان النبي ﷺ يتخبر عن بدرٍ، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله ﷺ إلى بدر، وبدر بئر، فسبقنا المشركون إليها فوجدنا فيها رجلين منهم رجلاً من قريش ومولى لِعَقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فأما القرشي فأنفلت وأما مولى عَقْبَةَ فأخذناه فجعلنا نقول له : كم القوم ؟ فيقول : هم والله كثير عددهم ، شديدة بأسهم فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه ، حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ فقال له : « كم القوم » قال : هم والله كثير عددهم شديدة بأسهم فجهد رسول الله ﷺ أن يخبره كم هم فأبى ، ثم إن النبي ﷺ سأله : « كم ينحرون من الجزور » قال : عشراً كل يوم . فقال رسول الله ﷺ : « القوم ألف كل جزور لثاة وتبعها » ثم إنه أصابنا من الليل طش من مطر فأنطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر ، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول : « اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد » قال : فلما أن طلع الفجر ، نادى الصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصرخ رسول الله ﷺ وحرص على القتال ثم قال : « إن جمع قريش تحت هذه الضلع الحمراء من الجبل » فلما دنا القوم منا وصافناهم إذا رجل منهم على جبل له أحمر يسير في القوم فقال رسول الله ﷺ : « يا علي ناد حمزة » وكان أقربهم من المشركين من صاحب الجمل الأحمر وماذا يقول لهم ، ثم قال رسول الله ﷺ : « إن يكن في القوم أحد يأمر بخير فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر » فجاء حمزة فقال : هو عتبة بن ربيعة وهو ينهى عن القتال ويقول لهم : يا قوم إني أرى قوماً مستيتين لا تصلون إليهم وفيكم خير ، يا قوم اعصوها اليوم برأسي وقولوا جبن عتبة بن ربيعة وقد علمت أني لست بأجبنكم فسمع ذلك أبو جهل فقال : أنت تقول

= فاجتويناها : أي أصابهم الجوى وهو المرض وداء إذا تطاول وذلك لم يوافقهم هواؤها .

واستوخوها : يقال اجتويت البلد إذا كرهت اللقاع فيه وإن كنت في نعمة .

الوعك : أذى الحمى ووجعها .

طش : هو الضعيف القليل .

الحجفة : الترس جمعها : حجف .

الضلع : جبيل منفرد صغير يشبه بالضلع .

صافناهم : أي واقفناهم وقنا حذاهم .

ذَلِكَ وَاللَّهُ لَوْ غَيْرَكَ يَقُولُ لَأَغْضَضْتُهُ ، قَدْ مَلَأْتُ رُءُوسَكَ رُغْبًا فَقَالَ عَتْبَةُ : إِيَّايَ تَعْنِي يَامُصْفَّرُ إِسْمُهُ سَتَعْلَمُ الْيَوْمَ أَئِنَّا الْجَبَانُ قَالَ : فَبَرَزَ عَتْبَةُ وَأَخُوهُ شَيْبَةُ وَابْنَةُ الْوَلِيدِ حَمِيَّةُ ، فَقَالُوا : مَنْ يُبَارِزُ ؟ فَخَرَجَ فِتْيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ سِتَّةَ ، فَقَالَ عَتْبَةُ : لَا نُرِيدُ هَؤُلَاءِ وَلَكِنْ يُبَارِزُنَا مِنْ بَنِي عَمْنَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قُمْ يَا عَلِيُّ وَقُمْ يَا حَمْرَةَ وَقُمْ يَا عَبِيدَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ » فَقَتَلَ اللَّهُ شَيْبَةَ وَعَتْبَةَ ابْنَيْ رِبِيعَةَ وَالْوَلِيدَ بْنَ عَتْبَةَ وَجَرَحَ عَبِيدَةَ ، فَقَتَلْنَا مِنْهُمْ سَبْعِينَ وَأَسْرُنَا سَبْعِينَ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسِيرًا ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ هَذَا وَاللَّهِ مَا أَسْرَنِي ، أَسْرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ مَا أَرَاهُ فِي الْقَوْمِ . فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : أَنَا أَسْرَنُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : « اسْكُتْ فَقَدْ أَيْدَكَ اللَّهُ بِمَلِكٍ كَرِيمٍ » قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَسْرُنَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْعَبَّاسَ وَعَقِيلًا وَنُوفَلَ بْنَ الْحَارِثِ .

٢٩٣ - * روى أبو داود عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : تَقَدَّمَ عَتْبَةُ بْنُ رِبِيعَةَ ، وَتَبِعَهُ ابْنُهُ وَأَخُوهُ ، فَتَنَادَى : مَنْ يُبَارِزُ ؟ فَانْتَدَبَ لَهُ شَبَابٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ : مِنْ أَنْتُمْ ؟ فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ : لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكُمْ ، إِنَّمَا أَرَدْنَا تَبْيِيحَ عَمْنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قُمْ يَا حَمْرَةَ ، قُمْ يَا عَلِيُّ ، قُمْ يَا عَبِيدَةَ بْنِ الْحَارِثِ ، فَأَقْبَلَ حَمْرَةَ إِلَى عَتْبَةَ ، وَأَقْبَلَتْ إِلَى شَيْبَةَ ، وَاخْتَلَفَ بَيْنَ عَبِيدَةَ وَالْوَلِيدِ ضَرْبَتَانِ ، فَأُخِذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَةً ثُمَّ مِلْنَا عَلَى الْوَلِيدِ ، فَقَتَلْنَاهُ ، وَاخْتَمَلْنَا عَبِيدَةَ .

لأغضضته : غضّ هن أليك (وهي كلمة شتم عند العرب) .

ملئت رءوسك رغباً : تعبیر يقال لمن خاف خوفاً عظيماً .

يامصفر اسمه : المست : المقعدة ، والتصغير يكون بدهنها بالخلوق وهو طيب أصفر اللون ، وهي شتية .

أجلح : الذي المحسر شعره عن جانبي رأسه . حمية : الأنفة . أبلق : أبلق الفرس : كان فيه سواد وبياض .

٢٩٣ - أبو داود (٣ / ٥٢) كتاب الجهاد - باب : في المبارزة .

يبارز : ينفرّد عن جماعة ويظهر أمام عدوه .

فانتدب : ندبه إلى الأمر : كنصره ودعاؤه وحته .

اختلفت ضربتان : ترددت الضربة خلف الضربة الأخرى .

أخفن : بالغ في جراحة عدوه .

وفي رواية ذكرها رزين : لما كان يوم بدر تقدم عتبة بن ربيعة ، وشيبة أخوه ، والوليد بن عتبة ... وذكره ، وفيها : إنا أزدنا أكفأنا من بني عمنّا . وفيه قال علي : فأما أنا وحمزة : فألجزنا صاحبينا ، وأما عبيدة والوليد : فألخن كل واحد منهما صاحبه ... وذكره أقول : أخرج النبي ﷺ للمبارزة ثلاثة هم أقرب الناس إليه نسباً فلم يكن له ولد ذكر أو أخ أو أب وكان أقرب الناس منه حمزة عه وعلي ابن عه وعبيدة ابن عه الأعلى وهذا يعلمنا ألا نبخل بأقرب الناس منا لنقدمهم للجهاد ونعرضهم للشهادة ، وكان في هذا درس للصحابة والمسلمين بليغ .

٢٩٤ - * روى البزار عن عبد الله يعني ابن مسعود قال : كَانَ سَعْدٌ يُقَاتِلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ قَتَلَ الْفَارِسَ وَالرَّاجِلَ .

٢٩٥ - * روى البخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : أنا أول من يثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة ، قال قيس : وفيهم نزلت : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ ^(١) قال : هم الذين بارزوا يوم بدر : علي ، وحمزة ، وعبيدة ، وشيبة ابن ربيعة : وعتبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة .

وفي رواية أن علياً قال . فينا نزلت هذه الآية ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ .

٢٩٦ - * روى البخاري عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه : قال قيس بن عباد : سمعت أبا ذر يقسم قسمًا أن هذه الآية : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ نزلت في الذين برزوا يوم بدر : حمزة وعلي ، وعبيدة بن الحارث ، وعتبة وشيبة ابني ربيعة ، والوليد بن عتبة .

٢٩٤ - كشف الأستار (٢ / ٣١٥) .

جمع الزوائد (٦ / ٨٢) وقال : رواه البزار بإسنادين أحدهما متصل والآخر مرسل ورجلهم ثقات .

٢٩٥ - البخاري (٨ / ٤٤٢) ٦٥ - كتاب التفسير - ٣ - باب ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ .
يُجَاهِدُ : أي : يقدم على رُكْبَتِهِ .

(١) الحج : ١٩ .

٢٩٦ - البخاري (٧ / ٢٩٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨ - باب : قتل أبي جهل .

ومسلم (٤ / ٢٢٢٢) ٥٤ - كتاب التفسير - ٧ - باب : في قوله تعالى : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ .

٢٩٧ - * روى أحمد عن عتبة بن عبد السلمي أن النبي ﷺ قال لأصحابه : « قُومُوا فَقَاتِلُوا » قالوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا تَقُولُ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ انْطَلِقْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ ، ولكن انْطَلِقْ أَنْتَ وَرَبُّكَ يَا أَحْمَدُ فَقَاتِلَا وَإِنَّا مَعَكُمْ نُقَاتِلُ .

٢٩٨ - * روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال - وهو في قَبَّةِ يَوْمِ بَدْرٍ - : « اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْشِدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي تَشَأُ لَا تُعْبِدَ بَعْدَ الْيَوْمِ » فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ : حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلْحَحْتُ عَلَى رَبِّكَ ، وَهُوَ يَشِيبُ فِي الدَّرْعِ ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ : ﴿ سَيَهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ ^(١) .

قال في الفتح : وعن سعيد بن منصور عن طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : « لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وتكاثرهم وإلى المسلمين فاستقلهم ، فركع ركعتين وقام أبو بكر عن يمينه ، فقال رسول الله ﷺ وهو في صلاته : « اللَّهُمَّ لَا تُؤَدِّعْ مِنِّي ، اللَّهُمَّ لَا تُخْذِلْنِي ، اللَّهُمَّ لَا تَتْرُكْنِي » .

وعند الطبراني بإسناد حسن عن ابن مسعود قال : « ما سمعنا مناشداً ينشد ضالة أشد مناشدة من محمد لربه يوم بدر : « اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْشِدُكَ مَا وَعَدْتَنِي » قال السهيلي : سبب شدة اجتهاد النبي ﷺ وَنَصَبِهِ في الدعاء لأنه رأى لللائكة تنصب في القتال ، والأنصار يخوضون غمار الموت ، والجهاد تارة يكون بالسلاح وتارة بالدعاء ، ومن السنة أن يكون الإمام وراء الجيش لأنه لا يقاتل معهم فلم يكن ليريح نفسه ، فتشاغل بأحد الأمرين وهو الدعاء . قوله : (اللَّهُمَّ إِن شئت لم تعبد) في حديث عمر « اللَّهُمَّ إِن تَهْلِكْ هَذِهِ الْعَصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تَعْبُدْ فِي الْأَرْضِ » . أما « تَهْلِكْ » فبفتح أوله وكسر اللام ، « وَالْعَصَابَةُ » بالرفع ، وإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ فَلَوْ هَلَكَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ حِينَئِذٍ لَمْ يَبْعَثْ أَحَدٌ مِمَّنْ يَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ ، وَلَا يَسْتَمِرُّ الْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ ، فَالْمَعْنَى لَا يَعْبُدُ فِي الْأَرْضِ

٢٩٧ - أحمد في مسنده (٤ / ١٨٤) . ومجمع الزوائد (٦ / ٧٤) وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

٢٩٨ - البخاري (٨ / ٦١٩) ٦٥ - كتاب التفسير - ٥ - باب : قوله تعالى : ﴿ سَيَهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾

(١) القمر : ٤٥ .

بهذه الشريعة ، ووقع عند مسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال هذا الكلام أيضاً يوم أحد ، وروى النسائي والحاكم من حديث علي قال : « قاتلت يوم بدر شيئاً من قتال ، ثم جئت فإذا رسول الله ﷺ يقول في سجوده : « يا حي يا قيوم » فرجعت فقاتلت ، ثم جئت فوجدته كذلك » .

قال الخطابي : لا يجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق بربه من النبي ﷺ في تلك الحال ، بل الحامل للنبي ﷺ على ذلك شفقتة على أصحابه وتقوية قلوبهم ، لأنه كان أول مشهد شهده ، فبالغ في التوجه والدعاء والابتهاال لتسكن نفوسهم عند ذلك ، لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة ، فلما قال له أبو بكر ما قال كف عن ذلك وعلم أنه استجيب له لما وجد أبو بكر في نفسه من القوة والطهانية ، فلهذا عقب بقوله « سيهزم الجمع » انتهى ملخصاً .

قوله (فخرج وهو يقول : سيهزم الجمع ويولون الدبر) وفي رواية أيوب عن عكرمة عن ابن عباس لما نزلت ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ قال عمر : أى جمع يهزم ؟ قال : فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يشب في الدرع ويقول : (سيهزم الجمع) أخرجه الطبري وابن مردويه . وله من حديث أبي هريرة عن عمر : (لما نزلت هذه الآية قلت : يا رسول الله أى جمع يهزم ؟) فذكر نحوه وهذا مما يؤيد ما قدمته أن ابن عباس حمل هذا الحديث عن عمر ...) اهـ .

٢٩٩ - * روى البخاري عن أبي أسيد رضي الله عنه قال : قال لنا رسول الله ﷺ يوم بدر : « إِذَا أَكْثَبُوكُمْ » يعني أكثروكم وفي أخرى يعني : أَكْثَرُوكُمْ - « فَأَرْمُوهُمْ » واستنبقوا نبلكم .

وفي أخرى لأبي داود ^(١) « إِذَا أَكْثَبُوكُمْ فَأَرْمُوهُمْ بالنبل وَلَا تَسْلُوا السُّيُوفَ حَتَّى يَغْشَوْكُمْ » .

٢٩٩ - البخاري (٧ / ٣٠٦) ٦٣ - كتاب المغازي - باب - ١٠ .

(١) أبو داود (٣ / ٥٢) كتاب الجهاد - باب : في سل السيف عند اللقاء .

أكثرهم : قربوا منكم ، والكثب : القرب . غشوا : دنوا منكم أو ازدحوا عليكم وكثروا .

طَرَفَاها ، قَالَ عُرْوَةُ : فَسَأَلَهُ إِثَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأَعْطَاهُ ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخَذَهَا ، ثُمَّ طَلَبَهَا أَبُو بَكْرٍ ، فَأَعْطَاهُ ، فَلَمَّا قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ سَأَلَهَا إِيَاهُ عُمَرُ ، فَأَعْطَاهُ إِثَاهَا ، فَلَمَّا قُبِضَ عُمَرُ أَخَذَهَا ، ثُمَّ طَلَبَهَا عُثْمَانُ مِنْهُ ، فَأَعْطَاهُ إِثَاهَا ، فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ وَقَعَتْ عِنْدَ آلِ عَلِيٍّ ، فَطَلَبَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، فَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى قُتِلَ .

أقول : هذا الحديث يصلح أصلاً لفكرة المتاحف على أن يلحظ حدود الجائز في شأنها .

٣٠١ - * روى أبو يعلى عن علي بن أبي طالب قال : كُنْتُ عَلَى قَلْبٍ فَكُنْتُ يَوْمَ بَدْرٍ أَمِيحٌ وَأَمْتَحُ مِنْهُ فَجَاءَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ ، ثُمَّ جَاءَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ شَدِيدَةٌ فَلَمْ أَرِ رِيحاً أَشَدَّ مِنْهَا إِلَّا الَّتِي كَانَتْ قَبْلَهَا ، ثُمَّ جَاءَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ ، فَكَانَتْ الْأُولَى مِيكَائِيلَ فِي أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَالثَّانِيَةُ إِسْرَافِيلَ فِي أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَنِ يَسَارِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَالثَّلَاثَةُ جِبْرِيلَ فِي أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ عَنِ يَمِينِهِ ، وَكُنْتُ عَنِ يَسَارِهِ ، فَلَمَّا هَزَمَ اللَّهُ الْكَفَّارَ حَمَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَرْسِهِ ، فَلَمَّا اسْتَوَيْتُ عَلَيْهِ حَمَلَنِي فَنَصَرْتُ عَلَى عُنُقِهِ فَدَعَوْتُ اللَّهَ فَتُبَّتَنِي عَلَيْهِ فَطَعَنْتُ بِرُحْمِي حَتَّى بَلَغَ الدَّمُ إِبْطِي .

٣٠٢ - * روى الطبراني عن عروة قال : نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ بَدْرٍ عَلَى سَيْمَاءِ الزُّبَيْرِ ، وَهُوَ مُتَعَجِّرٌ بِعِمَامَةٍ صَفْرَاءَ .

٣٠٣ - * روى البزار عن علي قال : قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ وَلَأَبِي بَكْرٍ يَوْمَ بَدْرٍ : « مَعَ أَحَدِكُمَا جِبْرِيلٌ وَمَعَ الْآخَرِ مِيكَائِيلُ ، وَإِسْرَافِيلُ مَلَكٌ عَظِيمٌ يَشْهَدُ الْقِتَالَ ، أَوْ

٣٠١ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٧٧) وقال : رواه أبو يعلى ورجاله ثقات .

متح : متح الدلو يمتحها إذا جنبها مسقياً لها ، ومأحها يميحها إذا ملأها .

حمل بي : ظهر واشتد .

استويت عليه : صعدت عليه .

٣٠٢ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٨٤) وقال : رواه الطبراني ، وهو مرسل صحيح الإسناد .

سما : السبا : العلامة .

معتجر : اعتجر فلان بالعمامة : لفها على رأسه ورد طرفها على وجهه .

٣٠٣ - كشف الاستار (٢ / ٢١٤) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٨٢) وقال : رواه أحمد بن حنبل والبزار واللفظ له ، ورجاله رجال الصحيح ، ورواه أبو يعلى .

قال في الفتح : والذي يظهر لي أن معنى قوله « واستبقوا نبلكم » لا يتعلق بقوله « ارموهم » وإنما هو كالبيان للمراد بالأمر بتأخير الرمي حتى يقربوا منهم ، أي إنهم إذا كانوا بعيداً لا تصيبهم غالباً ، فالمعنى استبقوا نبلكم في الحالة التي إذا رميت بها لا تصيب غالباً وإذا صاروا إلى الحالة التي يمكن فيها الإصابة غالباً فارموا . ا . هـ

* * *

عوامل النصر

جرت عادة القادة في الحروب أنهم يتقدمون لجندهم بتوجيهات القتال بين يدي المعركة والملاحظ من خلال هذا الحديث وغيره مما مر معنا ويمر ما يلي :

١ - أن توجيهات القتال كانت واضحة وحكيمة .

٢ - أن التعبئة النفسية كانت على أرقاها وأعلها .

٣ - أن القناعة بالمعركة كانت كاملة .

وكل ذلك كانت عوامل مناسبة للوصول إلى النصر وهي جزء من عالم الأسباب الذي يجب أن يلاحظه المسلمون في معاركهم .

٣٠٠ - * روى البخاري عن الزبير بن العوام القرشي قال : لَقِيتُ يَوْمَ بَدْرٍ عَبِيدَةَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ النَّصَّاصِ ، وَهُوَ مَدَجُّجٌ ، لَا يُرَى مِنْهُ إِلَّا عَيْنَاهُ ، وَكَانَ يَكْنَى أَبَا ذَاتِ الْكَرْشِ ، فَقَالَ : أَنَا أَبُو ذَاتِ الْكَرْشِ ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالْعَنْزَةِ ، فَطَعَنْتُهُ فِي عَيْنِهِ ، فَمَاتَ ، قَالَ فَأُخْبِرْتُ أَنَّ الزَّبِيرَ قَالَ : لَقَدْ وَضَعْتُ رَجُلِي عَلَيْهِ ، ثُمَّ تَمَطَّاتُ فَكَانَ الْجُهْدُ : أَنْ نَزَعْتُهَا ، وَقَدْ انْتَنَى

٣٠٠ - البخاري (٧ / ٢١٤) ٦٤ - كتاب المغازي - باب : ١٢ .

مدجج : المدجج : الغائص في سلاحه .

العنزة : شبه العنزة في رأسها سنان كسنان الرمح .

تمطيت : تمطى : امتد وطال ومنه التمطي .

الجهد : بضم الجيم . الوسع والطاقة وفتحها : المشقة . وقيل : هما لفتان في المشقة .

يَكُونُ فِي الصَّفِّ » .

٣٠٤ - * روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر: « هذا جبريل أخذ برأس قريسه ، عليه أذاة الحرب » .

٣٠٥ - * روى الحاكم عن أبي أمامة بن سهل قال : قال لي أبي : يا بني لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا يُشيرُ بسيفه إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه .

٣٠٦ - * روى مسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : حدثني عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف ، وأصحابه ثلاثمائة وتسع عشر رجلاً ، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ، ثم مد يديه ، فجعل يهتف بربه يقول : « اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم أني ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام ، لا تعبد في الأرض » فما زال يهتف بربه ما يدنيه مستقبل القبلة ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر ، فأخذ رداءه ، فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه ، وقال : ياني الله كذاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّمٌ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ ﴾ (١) فأمدّه الله بالملائكة ، قال سيماك : فحدثني ابن عباس قال : بينما رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت الفارس يقول : أقدم خيزوم فنظر إلى المشرك أمامه خر مستلقياً ، فنظر إليه ،

٣٠٤ - البخاري (٢١٢ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ١١ - باب شهود الملائكة بدرأ .

٣٠٥ - المستدرک (٤٠٩ / ٣) كتاب معرفة الصحابة ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

٣٠٦ - (١٢٨٣ / ٣) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ١٨ - باب : الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ، وإباحة الغنائم .

هتف به : إذا ناداه وصاح به ، والمراد به : الدعاء والتضرع في السؤال .

العصابة : الجماعة من الناس .

يناشده : للناشدة : المسألة والطلب ، والابتهال إلى الله تعالى .

مردفين : أي : متتابعين ، يتبع بعضهم بعضاً .

(١) الأنفال : ٩ .

يهتف : الشد : العذو .

= خيزوم : اسم فرس من خيل الملائكة الذين أمدّ الله بهم المسلمين يوم بدر .

فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفَهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ ، كَضَرْبَةِ السُّوْطِ ، فَاخْضَبَ ذَلِكَ أَجْمَعُ ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « صَدَقْتَ ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ » فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ ، وَأَسْرَوْا سَبْعِينَ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَلَمَّا أَسْرَوْا الْأَسَارَى ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ : « مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسَارَى ؟ » فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِذْيَةً ، فَتَكُونَ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟ » قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا أَرَى السَّيِّئَ رَأَى أَبُو بَكْرٍ ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا ، فَتَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ ، فَتَمُوتَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ ، وَتَمُوتَ مِنْ فُلَانٍ - نَسِيْبًا لِعُمَرَ - فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَإِنْ هَؤُلَاءِ أَلَمَةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا ، فَهَوِيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوُ مَا قُلْتُ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيْ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بَكَاءَ بَكَيْتَ ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بَكَاءَ تَبَاكَيْتُ لِبَكَائِكُمَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ ، لَقَدْ عَرَضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ لِشَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ - وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : هُوَ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَشْخَنَ فِي الْأَرْضِ ثَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * فَكَلُّوا مَا عَمِلْتُمْ خَلَالًا طَيِّبَاتٍ » (١) . فَأَحَلَّ اللَّهُ الْغَنِيَةَ لَهُمْ .

وأخرج الترمذي (٢) منه إلى قوله : فَأَمَدَهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ .

= خُطِمَ أَنْفُهُ : الْخُطْمُ - بِالْهَاءِ الْمُهْمَلَةِ - الذَّقُّ وَالْكَسْرُ ، وَبِالْهَاءِ الْمَعْجَمَةِ : الْأَثَرُ عَلَى الْأَنْفِ ، كَمَا يُخْطَمُ الْبَعِيرُ بِالْكَيْ ، يُقَالُ : خُطِمَتِ الْبَعِيرُ : إِذَا وَسَمَتْهُ بِكَيْ فِي الْأَنْفِ إِلَى أَحَدِ خَدَيْهِ ، وَالْخُطَامُ : السَّمَةُ فِي عَرْضِ الْوَجْهِ إِلَى الْحَذِّ .
صَنَادِيدُهَا : الصَّنَادِيدُ جَمْعُ صَنَدِيدٍ ، وَهُوَ السَّيِّدُ الشَّجَاعُ .
فَهَوِيَّ : هَوَيْتُ الشَّيْءَ أَهْوَاهُ : إِذَا مَلْتَ إِلَيْهِ ، وَرَغَبْتَ فِيهِ .
يَشْخَنُ : أَيْ حَتَّى يَكْثُرَ فِيهَا الْقَتْلُ ، وَيَتَكَبَّرُ مِنْهَا ، وَتَقْوَى شَوْكَتُهُ .

(١) الْأَنْفَالُ : ٦٧ ، ٦٨ .

(٢) الترمذي (٥ / ٢٦٦) كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ - بَابُ : وَمِنْ سُورَةِ الْأَنْفَالِ . قَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ .

وأخرج أبو داود ^(١) منه طرفاً قال : حدثني عَمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ ، فَأَخَذَ - يَغْفِي النَّبِيَّ ﷺ - الْفِدَاءَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ لَمَسْتُمْ فِيهَا أُخْدُتُمْ ﴾ مِنَ الْفِدَاءِ ، ثُمَّ أَحْلَى لَهُمُ الْغَنَامَ .

٣٠٧ - * روى البخاري ^(٢) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : بينا أنا واقفة في الصفِّ يوم بدر ، فنظرت عن يميني وشمالِي فَإِذَا أَنَا بِغَلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةُ أَسْنَانَهُمَا ، تَمْنِيَتْ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعِ مِنْهَا ، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا ، فَقَالَ : يَا عَمَّ ، هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي ؟ قَالَ : أَخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسْبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَنْ رَأَيْتَهُ لَا يَفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا ، قَالَ : فَتَعَجَّيْتُ لَذَلِكَ ، قَالَ : فَغَمَزَنِي الْآخَرُ فَقَالَ لِي مِثْلَهَا ، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ ، فَقُلْتُ : أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكَ الَّذِي سَأَلْتَنِي ، فَأَبْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضْرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَاهُ ، فَقَالَ : « أَيُّكُمَا قَتَلَهُ ؟ » قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا : أَنَا قَتَلْتُهُ ، فَقَالَ : « هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا ؟ » قَالَا : لَا ، فَتَنَظَرُ فِي السَّيْفَيْنِ ، فَقَالَ : « كَلَّا كَمَا قَتَلَهُ سَلْبَةُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ » ، وَكَانَا مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ وَمُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ .

وفي أخرى ^(٣) قال : إني لفي الصفِّ يوم بدر ، إذ التفتُ فإذا عن يميني وعن يساري

(١) أبو داود (٢ / ٦١) كتاب الجهاد - باب : في فداء الأسير بالمال .

٣٠٧ - البخاري (٦ / ٢٤٦) ٥٧ - كتاب فرض الخمس - ١٨ - باب : من لم يغمس الأسلاب .

ومسلم (٢ / ١٣٧٢) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ١٢ - باب : استحقاق القاتل سلب القتيل .

بين أضلع منها أي : أقوى منها وأشد ، والضلع : القوي الشديد .

سوادي سواده : أي شخصي شخصه .

حتى يموت الأعجل منا : أي لا أفارقه حتى يموت أحدهما ، وهو الأقرب أجلاً .

لم أنشب : أي لم ألبث . أي لم يمض زمن كثير على سؤالها إلا وأنا رأيته .

كلاكما قتله : تطييباً لقلب الآخر من حيث أن له مشاركة في قتله . وإلا فالقتل الشرعي الذي يتعلق به استحقاق السلب ، وهو الإغثان وإخراجه عن كونه ممتنعاً ، إنما وُجِدَ من معاذ بن عمرو بن الجموح ، فلهذا قضى له بالسلب .

(٣) البخاري (٧ / ٣٠٧) ٦٢ - كتاب المغازي - باب : ١٠ .

فتيان حديثا السن ، فكأنني لم آمن بمكانها ، إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه : ياعم ، أرني أبا جهل ، فقلت : يا ابن أخي وما تصنع به ؟ قال : عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه ، فقال لي الآخر سراً من صاحبه مثله ، قال : فما سرني أي بين رجلين مكانها ، فأشرت لها إليه فشدًا عليه مثل الصقرين ، حتى ضرباه ، وهما ابنا عفراء .

٣٠٨ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ يوم بدر « مَنْ يَنْظُرُ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ » فانطلق ابن مسعود فوجدته قد ضربه ابنا عفراء ، حتى برد فأخذ بلحيته ، فقال : أنت أبو جهل ؟ قال : وهل فوق رجل قتلتموه ؟ أو قال : قتلته قومه ؟ .

وفي رواية : قال أبو جهل : فلو غير أكار قتلني .

٣٠٩ - * روى الطبراني عن ابن مسعود قال : أذركت أبا جهل يوم بدر صريعاً ، فقلت : أي عدو الله قد أخزأك الله قال : وبما أخزاني من رجل قتلتموه . ومعني سيف لي فجعلت أضربه ولا يحنك فيه شيء ومعني سيف له جيد فضررت يده فوق السيف من يده فأخذته ، ثم كشفت المغفر عن رأسه فضررت عنقه ، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال : « الله الذي لا إله إلا هو » قلت : الله الذي لا إله إلا هو قال : « انطلق فاستثبت » فانطلقت وأنا أسعى مثل الطائر ثم جئت وأنا أسعى مثل الطائر أضحك فأخبرته ، فقال رسول الله ﷺ : « انطلق » فانطلقت معه ، فأرسته فلما وقف عليه ﷺ قال : « هذا فرعون هذه الأمة » .

٣٠٨ - البخاري (٢٩٢ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨ - باب : قتل أبي جهل . وكذا في (٣٢١ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ١١ - باب : شهود الملائكة بدرأ .

ومسلم (١٤٢٤ / ٣) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٤١ - باب : قتل أبي جهل .
أكار : الأكار : القلاح ، وأراد بقوله ذلك استصفاً واستعظماً ، كيف مثله يقتل مثله .
حتى برد : أي صار في حالة من مات ولم يبق منه إلا حركة اللذبح .
٣٠٩ - أورده الميمني في جمع الزوائد (٧٩ / ٦) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، غير محمد بن وهب بن أبي كريمة ، وهو ثقة .

المغفر : زرقة ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة .

٣١٠ - * روى الطبراني عن حكيم بن حزام قال : سَمِعْنَا صَوْتًا وَقَعَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَأَنَّهُ صَوْتُ حَصَاةٍ فِي طَبَسْتٍ وَرَمَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتِلْكَ الْحَصَاةِ فَانْهَزَمْنَا .

٣١١ - * روى البزار عن ابن عباس ، قال : أَخَذْتُهُمْ رِيحٌ عَقِيمٌ يَوْمَ بَدْرٍ .

٣١٢ - * روى الطبراني عن ابن عباس ، أن النبي ﷺ قال لعلي : « ناولني كفا من حصى » فناوله ، فرمى به وجوه القوم فما بقي أحدٌ من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصى ، فنزلت : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ... ﴾ (١) .

أقول : وهكذا اجتمع في بدر الأخذ بالأسباب بالقدر الممكن مع التوفيق الرباني في تهيئة جميع أسباب النصر متعاونة متكافئة مع التأييدات الربانية الخارقة والغيبية ، ففي عالم الأسباب تشكل دراسة الأرض والطقس ووجود القيادة والثقة بها والروح المعنوية لبينات أساسية في صحة القرار العسكري ، ولقد كانت الأرض لصالح المسلمين وكان الطقس مناسباً للمعركة ، والقيادة الراقية موجودة والثقة بها عالية والروح المعنوية سابقة ، وبعض من هذه المعاني كان من الله بشكل مباشر وتوفيقه وبعضها كان من فعل رسول الله ﷺ أخذاً بالأسباب المطلوبة فتضافر الأخذ بالأسباب مع توفيق الله وزيد على ذلك التأييدات الغيبية والخارقة فكان ما كان ، وذلك نموذج على ما يعطاه المسلمون بفضل الله إذا ما صلحت النيات عند الجند والقيادة ووجدت الاستقامة على أمر الله ، وأخذ المسلمون بالأسباب .

* * *

٣١٠ - أورده المهيبي في الجمع (٦ / ٨٤) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط وإسناده حسن .

٣١١ - أورده المهيبي في جمع الزوائد (٦ / ٧٧) وقال : رواه البزار ورجاله ثقات .

الريح العقيم : هي التي لا تُلقيح .

٣١٢ - للمعجم الكبير (١١ / ٢٨٥) وأورده المهيبي في الجمع (٦ / ٨٤) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(١) الأنفال : ١٧ .

٣١٣ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أُمَّ الرُّيَّع بنت البراء - وهي أم حارثة بن سُرَاقَة - أتت النبي ﷺ ، فقالت : يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة - وكان قُتِلَ يوم بدر ، أصابه سهمٌ غَرِبَ - فإن كان في الجنة صَبَرْتُ ، وإن كان غير ذلك اجتهدتُ عليه في البكاء ؟ قال : « يا أُمَّ حارثة ، إنها جنَّانٌ في الجنة ، وإن ابنك أصابَ الفِرْدَوْسَ الأعلى » .

وفي رواية ^(١) : قال أنس : أصيبت حارثة يوم بدر وهو غلام ، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، قد عَرَفْتُ منزلة حارثة مني ، فإن يك في الجنة أصْبَرُ وأَحْتَسِبُ ، وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع ، فقال : « وَيَحْكُ - أو هَبِلَتْ - أو جَنَّةٌ واحدة هي ؟ إنها جنَّانٌ كثيرة ، وإنه في جنة الفِرْدَوْسِ » .

وزاد رزين : « وإنه في الفِرْدَوْسِ الأعلى . وسَقَّفه عَرَشُ الرحمن ، ومنه تَفَجَّرَ أنهارُ الجنة ، وإنْ غَدُوَّةٌ في سبيلِ الله أو رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدنيا وما فيها ، وَلَقَابٌ قَوْسٌ أَحَدِكُمْ - أو موضعٌ قِدْه - من الأرض في الجنة خَيْرٌ مِنَ الدنيا وما فيها ، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلَّعتْ إلى الأرض لأضاءت الدنيا وما فيها ، وَلَنَصِيفُها - يعني خيَّارها - خَيْرٌ مِنَ الدنيا وما فيها » .

٣١٤ - * روى الحاكم عن عبد الله بن عباس ، ذكر حديثَ المِبارِزَةِ وأن عُبَيْةَ بن ربيعة قتل عُبَيْدَةَ بن الحارث مِبارِزَةً ضربته عُبَيْةٌ على ساقِهِ فقطعها فحمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمات بالصفراء مَنصُرفِهِ من بدرٍ فَدَفَنَهُ هُنالك .

٣١٣ - البخاري (٦ / ٢٦) ٥٦ - كتاب الجهاد - ١٤ - باب : من أتاه سهم غرب فقتله .

سهم غرب : يقال : أصابه سهم غرب ، يضاف ولا يضاف ، وتحرك الراء وتسكن إذا لم يدر من أين أتاه .
ولَقَابٌ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ - أو مَوْضِعٌ قِدْه : القاب : القُدْر ، والقُدْ : السوط ، يعني لَقْدُرٌ قَوِيَّةٌ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

(١) البخاري (١١ / ٤١٥) ٨١ - كتاب الرقاق - ٥١ - باب : صفة الجنة والنار

٣١٤ - المستدرک (٣ / ١٨٨) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .
الصفراء : واد قرب المدينة كثير النخل والزرع والخير يجلب منه العر إلى المدينة .

٣١٥ - * روى البخاري عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : كَاتَبْتُ أُمِيَّةَ بِنَ خَلْفٍ كِتَابًا : بَأَن يَحْفَظَنِي فِي صَاغِيَّتِي بِكَّةَ ، وَأَحْفَظُهُ فِي صَاغِيَّتِهِ بِالْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا ذَكَرْتُ (الرَّحْمَنَ) قَالَ : لَا أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ ، كَاتَبَنِي بِاسْمِكَ الَّذِي كَانَ لَكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَكَاتَبْتُهُ (عَبْدُ عَمْرُو) فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ يَذْرُ خَرَجْتُ إِلَى جَبَلٍ لِأُخْرِزَهُ حِينَ نَامَ النَّاسُ فَأُبْصَرُهُ بِلَالٌ ، فَخَرَجَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَجْلِسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ : أُمِيَّةُ بِنَ خَلْفٍ ، لَا نَجُوتُ إِنْ نَجَا أُمِيَّةُ ، فَخَرَجَ مَعَهُ فَرِيقٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَثَارِنَا ، فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَلْحَقُونَا خَلَفْتُ لَهُمْ ابْنَهُ ، لِأَشْغَلَهُمْ بِهِ ، فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ أَبُوا حَتَّى يَتَّبِعُونَا ، وَكَانَ رَجُلًا ثَقِيلًا . فَلَمَّا أَذْرَكُونَا قُلْتُ لَهُ : ابْرُكْ ، فَتَبَرَّكَ ، فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ نَفْسِي لِأَمْنَعَهُ ، فَتَجَلَّلُوهُ بِالسُّيُوفِ مِنْ تَحْتِي حَتَّى قَتَلُوهُ ، وَأَصَابَ أَحَدُهُمْ رَجُلِي بِسَيْفِهِ ، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَرِينَا ذَلِكَ الْأَثَرُ فِي ظَهْرِ قَدَمِهِ .

وفي رواية : فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرَ ، حَصَلَ لِي دَرْعَانِ ، فَلَقِيَنِي أُمِيَّةُ فَقَالَ : خُذْنِي وَابْنِي ، فَأَنَا خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدَّرْعَيْنِ ، أَفْتَدِي مِنْكَ ، فَرَأَاهُ بِلَالٌ ، فَقَالَ : أُمِيَّةُ رَأْسُ الْكُفْرِ ، لَا نَجُوتُ إِنْ نَجَا أُمِيَّةُ ، فَقَتَلَهُمَا ، فَكَانَ ابْنُ عَوْفٍ يَقُولُ : يَرْحَمُ اللَّهُ بِلَالًا ، فَلَا دِرْعِي وَلَا أَسِيرِي .

قال في الفتح : قوله : (بَأَن يَحْفَظَنِي فِي صَاغِيَّتِي) الصاغية بصاد مهملة وغيث معجمة خاصة الرجل ، مأخوذ من صغى إليه إذا مال . قال الأصمعي : صاغية الرجل كل من يميل إليه ، ويطلق على الأهل والمال . وقال ابن التين : رواه الداودي طاعنتي بالظاء المشالة المعجمة والعين المهملة بعدها نون ، ثم فسره بأنه الشيء الذي يسفر إليه قال ولم أر هذا لغيره . قوله : (لَا أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ) أي لَا أَعْتَرِفُ بِتَوْحِيدِهِ ، وَزَادَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي حَدِيثِهِ أَنَّ أُمِيَّةَ بِنَ خَلْفٍ كَانَ يَسْمِيهِ عَبْدَ الْإِلَهِ . قوله : (حِينَ نَامَ النَّاسُ) أي رَقَدُوا ، وَأَرَادَ بِذَلِكَ اغْتِنَامَ غَفْلَتِهِمْ لِيَصُونَ دَمَهُ . قوله (فَقَالَ : أُمِيَّةُ بِنَ خَلْفٍ) بالنصب على الإغراء ، أي عليكم أُمِيَّةُ ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ مُبْتَدَأَ مُضْمَرِ أَيِ هَذَا أُمِيَّةُ . قوله : (خَلَفْتُ لَهُمْ)

٣١٥ - البخاري (١ / ١٨١) ٤٠ - كتاب الوكالة - ٢ - باب . إذا وكل المسلم حربياً في دار الحرب أو في دار الإسلام .

لأُخْرِزَهُ : أَي : لِأَحْوَطِهِ وَأَحْفَظَهُ مِنَ الْقَتْلِ ، وَمِنْهُ الْحَرْزُ ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَحْفَظُ فِيهِ الشَّيْءُ .

فَتَجَلَّلُوهُ : تَجَلَّلُوهُ بِالسُّيُوفِ ، أَي : قَتَلُوهُ بِهَا طَمَعًا ، جَعَلَ السُّيُوفَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ كَالْأَخْلَةِ ، حَيْثُ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَصْرَبُوهُ بِهَا .

ابنه) هو علي بن أمية ، ووجه أخذ الترجمة من هذا الحديث أن عبد الرحمن بن عوف وهو مسلم في دار الإسلام فوض إلى أمية بن خلف وهو كافر في دار الحرب ما يتعلق بأموره ، والظاهر اطلاع النبي ﷺ عليه ولم ينكره ، قال ابن المنذر : توكليل المسلم حريياً مستأمناً وتوكليل الحربي المستأمن مسلماً لا خلاف في جوازه . قوله (وكان رجلاً ثقیلاً) أي ضخماً الجثة .

٣١٦ - * روى الطبراني عن شقيق أن ابن مسعود حَدَّثَهُ : أَنَّ الثَّانِيَةَ عَشَرَ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرَ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي الْجَنَّةِ فِي طَيْرٍ خُضِرَ تَشْرَحُ فِي الْجَنَّةِ ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَطْلَعَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ أَطْلَاعَةً ، فَقَالَ : يَا عِبَادِي مَاذَا تَشْتَهُونَ ؟ فَقَالُوا : يَا رَبَّنَا هَلْ فَوْقَ هَذَا شَيْءٌ قَالَ : فَيَقُولُ عِبَادِي مَاذَا تَشْتَهُونَ ؟ فَيَقُولُونَ فِي الرَّابِعَةِ تَرَدُّ أَرْوَاحُنَا فِي أَجْسَادِنَا فَتَقْتُلُ كَمَا قُتِلْنَا .

أقول : المشهور أن الذين استشهدوا من المسلمين يوم بدر أربعة عشر فلعل ذكر الثانية عشر ههنا وهم ، وقد ذكر أسماء الشهداء ابن كثير في البداية والنهاية فقال :

وكان الذين استشهدوا من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً : من المهاجرين ستة وهم : عبدة بن الحارث بن المطلب قطعت رجله فمات بالصفراء رحمه الله ، وعُمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص الزُّهري قتله العاص بن سعيد وهو ابن ست عشرة سنة ويقال إنه كان قد أمره رسول الله ﷺ بالرجوع لصغره فبكى فأذن له في الذهاب فقتل رضي الله عنه ، وحليفهم ذو الشمالين بن عبد عمرو الحِزَاعِي ، وصَفْوَان بن بيضاء ، وعَاقِلُ بن الْبَكَّير اللَّيْثِي حليف بني عدي، ومهجع مولى عمر بن الخطاب وكان أول قتيل قُتِلَ من المسلمين يومئذ، ومن الأنصار ثمانية وهم : حارثة بن سراقة رماه حِجَابُ بن العرقعة بسهم فأصاب خَنْجَرَتَهُ فمات ، ومُعَوَّذ وعوف ابنا عفراء ، ويزيد بن الحارث - ويقال ابن قُسْحَم - وعُمير بن الحمام ، ورافع بن المَعْلَى وسعد بن خيثمة ، ومبشر بن عبد المنذر رضي الله عن جميعهم .

٣١٧ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : لما فرغ رَسُولُ اللَّهِ

٣١٦ - أورده المهيبي في مجمع الزوائد (٦ / ١٠) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

٣١٧ - الترمذي (٥ / ٢٦٩) كتاب التفسير - باب : ومن سورة الأنفال . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

ﷺ مِنْ بَدْرِ قِيلَ لَهُ : عَلَيْكَ الْعِيرُ ، لَيْسَ دُونَهَا شَيْءٌ ، قَالَ : فَنَادَاهُ الْعَبَّاسُ وَهُوَ فِي وَثَاقِهِ : لَا يَصْلَحُ ، وَقَالَ لِأَنَّ اللَّهَ وَعَدَكَ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ، وَقَدْ أَعْطَاكَ مَا وَعَدَكَ .

قال صاحب الفتح الرباني : العير بكسر العين الإبل بأحمالها يعني عير أبي سفيان التي كان رسول الله ﷺ خرج بالمسلمين من المدينة يريدوها فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا إليها وسبقت العير المسلمين ، فلما فاتهم العدو نزل النبي ﷺ بالمسلمين بدرًا فوق القتال ، وهذه العير يقال كانت ألف بعير وكان المال خمسين ألف دينار وكان فيها ثلاثون رجلاً من قريش وقيل أربعون وقيل ستون ، (ليس دونها شيء) أي ليس دون العير شيء يزاحمك ، (فناداه العباس) يعني ابن عبد المطلب وكان إذ ذاك أسيرًا (في وثاقه) بكسر الواو وفتحها ما يشد به من قيد وحبل ونحوهما (لا يصلح لك) أي لا ينبغي لك . المراد بالطائفتين العير والنفير فكان في العير أبو سفيان ومن معه كعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وما معه من الأموال ، وكان في النفير أبو جهل وعتبة بن ربيعة وغيرهم من رؤساء قريش ، زاد الترمذي قال : أي النبي ﷺ (صدقت) أي فيما قلت . اهـ .

٣١٨ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن أبي طلحة قال : إن نبي الله ﷺ ، أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش ، فقتلوا في طوي من أطواء بدر خبيث مخبث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليالٍ ، فلما كان ببدر اليوم الثالث : أمر براحلته فشد عليها رحلها ، ثم مشى ، وأتبعه أصحابه ، وقالوا : ما نرى ينطق إلا لبعض حاجته حتى قام على شفة الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : « يافلان بن فلان ، ويافلان بن فلان ، أيسرُكم أنكم أطعتم الله ورسوله ؟ فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ » فقال عمر : يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ؟ فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفس محمد

= وأجد في مسنده (١ / ٢٢٩) .

٣١٨ - البخاري (٧ / ٣٠٠) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨ - باب : قتل أبي جهل . ومسلم (٤ / ٢٢٠٤) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعمها وأهلها - ١٧ - باب : عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه . عرصة النار : ساحتها .

الرحل : رجل البعير : ما يوضع على ظهره للركوب فكل شيء يمد للرحيل من وعاء للمناع وغيره .

بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» قال قتادة : أحيّاهم الله حتى أسمعهم قوله ،
توبيخاً ، وتضعيفاً ، وثقمةً ، وحسرةً ، ونذماً .

قال صاحب فتح الباري : وسيأتي من حديث البراء أن قتلى بدر من الكفار كانوا
سبعين ، وكان الذين طرحوا في القليب كانوا الرؤساء منهم ثم من قريش ، وخصوصاً بالمخاطبة
المذكورة لما كان تقدم منهم من المعاندة ، وطرح باقي القتلى في أمكنة أخرى . وأفاد الواقدي
أن القليب المذكور كان حفرة رجل من بني الناز فناسب أن يلقي فيه هؤلاء الكفار .
قوله : (على شفة الركي) أي طرف البئر ، وفي رواية الكشيميني (على شفير الركي) والركي
بفتح الراء وكسر الكاف وتشديد آخره : البئر قبل أن تطوى . والإطواء جمع طوى وهي
البئر التي طويت وبنيت بالحجارة لتثبت ولا تنهار ، ويجمع بين الروايتين بأنها كانت
مطوية فاستهدمت فصار كالركي . قوله : (فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : يافلان
بن فلان) في رواية حميد عن أنس (فنادى يا عتبة بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، ويا أبا
جهل بن هشام) أخرجه ابن إسحق وأحمد وغيرهما ، وكذا وقع عند أحمد ومسلم من طريق
ثابت عن أنس ، فسمى الأربعة ، لكن قدم وآخر ، وسيأقاهم . قال في أوله : (تركهم
ثلاثة أيام حتى جيفوا) فذكره ، وفيه من الزيادة : فسمع عمر صوته فقال : يا رسول الله
أتناديهم بعد ثلاث ، وهل يسمعون ؟ اهـ

٣١٩ - * روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود قال : وقف رسول الله ﷺ على أهل
القليب فقال : « يا أهل القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني وجدت ما
وعدني ربي حقاً » قالوا : يا رسول الله هل يستعون ما تقول ؟ قال : « ما أنتم بأسمع لما
أقول منهم ولكنهم اليوم لا يجيبون » .

٣٢٠ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر
ثلاثاً ، ثم أتاهم ، فقام عليهم ، فناداهم فقال : « يا أبا جهل بن هشام ، يا أمية بن

٣١٩ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١١ / ٦) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

٣٢٠ - مسلم (٤ / ٢٢٠٣) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - ١٧ - باب : عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ،
= وإثبات عذاب القبر ، والتعمود منه .

خَلْفٍ ، يَا عَتَبَةُ بْنُ رِيعةَ ، يَا شَيْبَةَ بْنَ رِيعةَ ، أليس قد وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حقاً ، فَإِنِّي قد وَجَدْتُ ما وَعَدَنِي رَبِّي حقاً » فسمع عمر قول النبي ﷺ ، فقال : يارسول الله ، كيف يسمعون ؟ وأنى يُجيبوا وقد جَيَّفُوا ؟ قال : « والذي نفسي بيده ، ما أنتم بأُسْمَعُ لما أقولُ مِنْهُمْ ، ولكنهم لا يَقْدِرُونَ أن يُجيبُوا » ، ثم أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا ، فَأُلْقُوا فِي قَلْبٍ بِدِرٍ .

قال النووي : (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم) : قال للمازري : قال بعض الناس : الميت يسمع عملاً بظاهر الحديث ثم أنكره المازري وادعى أن هذا خاص في هؤلاء ورد عليه القاضي عياض وقال : يحمل سماعهم على ما يحمل عليه سماع الموقى في أحاديث عذاب القبر وفتنته التي لا مدفع لها وذلك بإحيائهم أو إحياء جزء منهم يعقلون به ويسمعون في الوقت الذي يريد الله . اهـ .

هذا كلام القاضي وهو الظاهر المختار الذي تقتضيه أحاديث السلام على القبور والله أعلم . ولأن عائشة رضي الله عنها كان لها تحفظ على بعض هذه الروايات فقد قال ابن حجر في الفتح :

ومن الغريب أن في المازري لابن إسحق رواية يونس بن بكير بإسناد جيد عن عائشة مثل حديث أبي طلحة وفيه « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » وأخرجه أحمد بإسناد حسن ، فإن كان محفوظاً فكأنها رجعت عن الإنكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة لكونها لم تشهد القصة ، قال الإسماعيلي : كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم مالا مزيد عليه ، لكن لا سبيل إلى رد رواية الثقة إلا بنص مثله يدل على نسخه أو تخصيصه أو استحالته ، فكيف والجمع بين الذي أنكرته وأثبتته غيرها ممكن .

٣٢١ - * روى الحاكم عن أمامة بن سهل قال : لما قرَّغ رسول الله صلى الله عليه وآله

جَيَّفُوا : جاف القليلُ وجَيَّفَ : إذا أتن .

الْقَلْبُ : البئر يذكر ويؤنث .

٣٢١ - المستدرک (٢ / ٢١٨) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبي .

وسلم من بدر بعث بشيرين إلى أهل المدينة ، بعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة وبعث عبد الله بن رواحة إلى أهل العالية يَبشِرُونَهُمْ بفتح الله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فوافق زيد بن حارثة ابنه أسامة حين سوى التراب على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقيل له : ذاك أبوك حين قدم قال أسامة : فجئت وهو واقف للناس يقول : قَتِلَ عَثْبَةُ بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام ونُبَيَّة ومُتَبِه وأمِيَّة بن خلف فقلت : يا أبتِ أحقّ هذا قال : نعم ، والله يا بُنَيَّ .

٣ - الأنفال

٣٢٢ - * روى أحمد عن عبادة بن الصامت قال : خَرَجْنَا مع النبي ﷺ فشهد معه بدرًا فالتقى الناس فهزم الله تبارك وتعالى العدو فانطلقت طائفة في آثارهم يَهْزِمُونَ وَيَقْتُلُونَ ، فَأَكْبَت طائفة على العسكر يَحْوُونَ وَيَجْمَعُونَ أُحْدَقَتْ طائفة برسول الله ﷺ لا يُصِيبُ العدو منه غُرَّةٌ حق إذا كان الليلُ وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جَمَعُوا الْغَنَامَ نحن جَوْنُهَا وَجَمَعْنَاهَا فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهَا نَصِيبٌ ، وقال الذين خَرَجُوا في طلب العدو لستم بأحقّ بها مِنَّا نحن نفينا عنها العدو ، وهزمنام ، وقال الذين أُحْدَقُوا برسول الله ﷺ لستم بأحقّ بها مِنَّا ، نحن أُحْدَقْنَا برسول الله ﷺ وخِفْنَا أَنْ يَصِيبَ العدو منه غُرَّةٌ واشتغلنا به فنزلت : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ ^(١) فقسمها رسول الله ﷺ على فِئَتَيْنِ الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَغَارَ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ وَنَفَلَ الرِّيعَ ، وَإِذَا أُقْبِلَ رَاجِعًا وَكَلَّ النَّاسُ نَقَلَ الثَّلَثَ ، وَكَانَ يَكْرَهُ الْأَنْفَالَ ويقول : « لِيرُدَّ قَوِيُّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى ضَعِيفِهِمْ » .

العالية : اسم لما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمايرها .

سوى : سوى الشيء : قومه وعدله وجعله سويًا .

٣٢٢ - أحمد في مسنده (٢٢٤ / ٥) .

غُرَّة : غفلة في اليقظة - جمع غَرَر .

فاء : رجع .

النفل : الغنمة .

(١) الأنفال : ١ .

روى الترمذي وابن ماجه منه : كَانَ يَنْفُلُ فِي الْبَدَاةِ الرَّبِيعَ وَفِي الْقَفُولِ الثَّلَاثَ فَقَطْ . وَفِي رَوَايَةٍ عَنْهُ سَأَلَتْ عِبَادَةَ بِنَ الصَّامِتِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ الْأَنْفَالِ فَقَالَ : فِينَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ بَدْرِ نَزَلَتْ حِينَ اخْتَلَفْنَا فِي النَّفْلِ وَسَاءَتْ فِيهِ أَخْلَاقُنَا ، فَأَنْتَزَعَهُ اللَّهُ مِنْ أَيْدِينَا وَجَعَلَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَسَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ بَوَائٍ يَقُولُ عَلَى السَّوَاءِ .

أقول : (فِي الْبَدَاةِ الرَّبِيعَ) : أَرَادَ بِالْبَدَاةِ ابْتِدَاءَ الْغَزْوِ ، وَبِالرَّجْعَةِ الْقَفُولِ مِنْهُ . قَالَ فِي النِّهَايَةِ بِاخْتِصَارٍ : (أَيِ إِذَا نَهَضَتْ سَرِيَّةٌ مِنْ جُلَّةِ الْعَسْكَرِ الْمَقْبَلِ عَلَى الْعَدُوِّ فَأَوْقَعَتْ بِهِمْ نَفْلَهَا الرَّبِيعَ ، وَإِذَا فَعَلَتْ ذَلِكَ عِنْدَ عَوْدِ الْعَسْكَرِ نَفْلَهَا الثَّلَاثَ لِأَنَّ الْكُرَّةَ الثَّانِيَةَ أَشَقُّ وَلِأَنَّهُمْ فِي الْأَوَّلِ أَنْشَطُ وَأَشْهَى وَهِيَ عِنْدَ الْقَفُولِ أَوْفَعُ وَأَقْوَى .

٣٢٣ - * رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرِ ، جِئْتُ بِسَيْفٍ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ شَفَى صَدْرِي مِنَ الْمُشْرِكِينَ - أَوْ نَحْوِ هَذَا - هَبْ لِي هَذَا السَّيْفَ ، فَقَالَ : « هَذَا لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ » ، فَقُلْتُ : عَسَى أَنْ يُعْطَى هَذَا مِنْ لَا يُبْلِي بِلَاثِي ، فَجَاءَنِي الرَّسُولُ فَقَالَ : « إِنَّكَ سَأَلْتَنِي وَلَيْسَتْ لِي وَقَدْ صَارَتْ لِي ، وَهُوَ لَكَ » قَالَ : فَنَزَلَتْ ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ .. ﴾ الْآيَةِ .

٣٢٤ - * رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ عِبَادَةَ بِنِ الصَّامِتِ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْفُلُ فِي الْبَدَاةِ الرَّبِيعَ وَفِي الْقَفُولِ الثَّلَاثَ .

٣٢٥ - * رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَنَفَّلَ سَيْفَةً ذَا الْفَقَارِ

٣٢٣ : التِّرْمِذِيُّ (٥ / ٣٦٨) كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ - بَابُ : وَمِنْ سُورَةِ الْأَنْفَالِ . وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

وَأَبُو دَاوُدَ (٢ / ٧٧) كِتَابُ الْجِهَادِ - بَابُ : فِي النَّفْلِ .

يُبْلِي بِلَاثِي : أَبْلَيْتَ بِلَاةً حَسَنًا ، أَيِ : صَنَعْتُ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ : الْإِهْلَاءُ وَالْإِخْتِبَارُ ، أَيِ : فَعَلْتُ بِنَفْلٍ اخْتَبَرْتُ فِيهِ ، وَظَهَرَ بِهِ خَيْرِي وَفُرِّي .

٣٢٤ - التِّرْمِذِيُّ (٤ / ١٣٠) كِتَابُ السَّيْرِ - بَابُ : فِي النَّفْلِ .

وَقَالَ : وَفِي الْبَابِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَحَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ وَمَعْنِ بْنِ يَزِيدٍ وَابْنِ عُمَرَ وَسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ . وَحَدِيثُ عِبَادَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ .

٣٢٥ - التِّرْمِذِيُّ (٤ / ١٣٠) كِتَابُ السَّيْرِ - بَابُ : فِي النَّفْلِ . وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ .

تَنَفَّلَ : تَنَفَّلَ الشَّيْءُ : إِذَا أَخَذَهُ زِيَادَةً عَنِ السَّهْمِ .

ذَا الْفَقَارِ : اسْمُ سَيْفِ النَّبِيِّ ﷺ ، سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ فِيهِ خَطَرٌ صَفَارٍ حَسَنٍ ، فَيُقَالُ لِلْحَفْرَةِ : قُفْرَةٌ .

يَوْمَ بَذَرٍ وَهُوَ الَّذِي رَأَى فِيهِ الرُّؤْيَا يَوْمَ أُحُدٍ .

قال الترمذي : وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي النَّفْلِ مِنَ الْخُمْسِ . فَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : لَمْ يَبْلُغْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَفَلَ فِي مَغَازِيهِ كُلِّهَا .

وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ نَفَلَ فِي بَعْضِهَا وَإِنَّمَا ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الاجْتِهَادِ مِنَ الْإِمَامِ فِي أَوَّلِ الْمَغْنَمِ وَآخِرِهِ ، قَالَ ابْنُ مَنْصُورٍ : قُلْتُ لِأَحْمَدَ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَفَلَ إِذَا قُصِلَ بِالرُّبْعِ بَعْدَ الْخُمْسِ وَإِذَا قُفِلَ بِالثُّلُثِ بَعْدَ الْخُمْسِ ؟ فَقَالَ : يُخْرِجُ الْخُمْسَ ثُمَّ يَنْفِلُ مِمَّا بَقِيَ وَلَا يُجَاوِزُ هَذَا .

قَالَ أَبُو عِيْسَى : وَهَذَا الْحَدِيثُ عَلَى مَا قَالَ الْمُسَيَّبُ النَّفْلُ مِنَ الْخُمْسِ ، قَالَ إِسْحَاقُ كَمَا قَالَ .

٣٢٦ - * روى أبو داود عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كُنْتُ أُمِيجُ أَصْحَابِي الْمَاءَ يَوْمَ بَذَرٍ .

وفي نسخة : أَمْنَحُ أَصْحَابِي الْمَاءَ يَوْمَ بَذَرٍ .

قَالَ أَبُو دَاوُدَ : مَعْنَاهُ : أَنَّهُ لَمْ يُسْهِمَ لَهُ .

٣٢٧ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لَمْ تَحِلُّ الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ سِوِ الرُّؤُوسِ مِنْ قَبْلِكُمْ كَأَنَّهُ تَنْزَلُ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتَأْكُلُهَا » قَالَ سُلَيْمَانُ الْأَعْمَشُ : فَمَنْ يَقُولُ هَذَا إِلَّا أَبُو هُرَيْرَةَ الْآنَ ؟ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَذَرٍ ، وَقَعُوا فِي الْغَنَائِمِ قَبْلَ أَنْ تَحِلَّ لَهُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ

= الرُّؤْيَا : الَّتِي رَأَاهَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ : هِيَ أَنَّهُ رَأَى كَأَنَّهُ فِي سَيْفِهِ قُلُوبًا ، فَأَوَّلَهَا : هَزِيمَةً ، وَكَانَتْ يَوْمَ أُحُدٍ .

٣٢٦ - أبو داود (٣ / ٧٥) ، كتاب الجهاد ، باب : فِي الْمِرَاةِ وَالْعَبْدِ يُخَذَّيَانِ مِنَ الْغَنِيَةِ ، وَإِسْنَادُهُ قَوِي .
أَمْنَحُ ، أُمِيجُ : الْمَانَحُ : الْمُغْطِي ، وَالْمَانَحُ : الَّذِي يَنْزِلُ إِلَى أَسْفَلِ الْبَرْقِ فِيهِ الدُّلُ ، وَيُدْفَعُهَا إِلَى السَّائِحِ ، وَهُوَ الَّذِي يَسْتَقِي الدُّلُ .

٣٢٧ - الترمذي (٥ / ٢٧١) ، ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ، ٩ - باب : « وَمِنْ سُورَةِ الْأَنْفَالِ » وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ .

لأحد سود الرؤوس : للناس . فمن يقول هذا إلا أبو هريرة الآن : أي لا يروي هذا عن النبي ﷺ إلا أبو هريرة .

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ .

أقول : ورد في الحديث : وأحلت لي الغنائم . وكانت الغنائم لا تحمل لبني إسرائيل وإحلالها للأمة الإسلامية من التيسير في دين الإسلام ﴿ ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ (٢) .

٣٢٨ - * روى الطبراني عن الأرقم بن أبي الأرقم قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ : «رُدُّوا مَا كَانَ مَعَكُم مِّنَ الْأَنْفَالِ» فَرَفَعَ أَبُو أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ سَيْفَ بَنِي الْعَابِدِ الْمَرْزُبَانَ فَعَرَفَهُ الْأَرْقَمُ ، فَقَالَ : هَبْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ .

٣٢٩ - * روى أبو داود عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ : « مِنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا ، فَلَهُ مِنَ النَّفْلِ كَذَا وَكَذَا » قَالَ : فَتَقَدَّمَ الْفَتَيَانِ ، وَلَزِمَ الْمَشِيخَةُ الرَّايَاتِ ، فَلَمْ يَبْزَحُوها ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، قَالَ الْمَشِيخَةُ ، كُنَّا رِءَاءَ لَكُمْ ، لَوْ أَنَّهُزَمْتُمْ لَفُتِمُ إِلَيْنَا ، فَلَا تَذْهَبُوا بِالْغَنَمِ وَتَبْقَى ، فَأَبَى الْفَتَيَانِ ، وَقَالُوا : جَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَنَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ

(١) الأنفال : ٦٨ .

(٢) الأعراف : ١٥٧ .

٣٢٨ - المعجم الكبير (٢٠٧ / ١) مختصراً .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢ / ٦) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ، ورجاله ثقات . بنو عابد : من بني عزم ، والأرقم : من بني عزم ، والمرزبان : اسم السيف فقد طلب الأرقم رضي الله عنه سيف أسرته المشهور .

٣٢٩ - أبو داود (٣ / ٧٧) ، كتاب الجهاد ، باب في النفل .

النفل : بفتح الفاء : الغنية ، وأصله الزيادة ، وهو أيضاً : ما يُعطاه الإنسان زيادة على سهمه من الغنمة ، وتروى بسكون الفاء .

رِءَاءَ لَكُمْ : الرِّءَاءُ : للمساعد والمعين .

فُتِمَ : فاء ، يعني : إذا رجع ، يعني : إن خفتم أمراً رجعت إلينا .

رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةً وَرِزْقًا كَرِيمًا * كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴿١﴾ يَقُولُ : فَكَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ ، فَكَذَلِكَ أَيْضًا فَأَطِيعُونِي ، فَإِنِّي أَعْلَمُ بِعَاقِبَةِ هَذَا مِنْكُمْ .

وفي رواية يقول : فَكَمَا كَانَ خُرُوجُهُ خَيْرًا لَكُمْ ، فَكَذَلِكَ فَأَطِيعُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِعَاقِبَةِ أُمُورِكُمْ وَمَصَالِحِهَا ، فَاصْطَلَحُوا ، وَرَضِي كُلُّ بِقِشْمٍ إِلَهِ فِيهِمْ .

في رواية بإسناده (٢) ومعناه ، قال : فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْإِسْوَاءِ .

٣٣٠ - * روى البخاري عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : ضُرِبَتْ يَوْمَ بَدْرٍ لِلْمُهَاجِرِينَ مِائَةٌ سَهْمٍ .

قال البخاري : فَجَمِيعٌ مِنْ شَهَدَةِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ ضُرِبَ لَهُ بِسَهْمِهِ : أَحَدٌ وَثَمَانُونَ رَجُلًا ، وَكَانَ عُرْوَةُ بْنُ الزَّبِيرِ يَقُولُ : قَالَ الزَّبِيرُ : قُسِمَتْ سَهْمَانَهُمْ ، فَكَانُوا مِائَةً . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قال الحافظ في الفتح : قوله (ضربت يوم بدر المهاجرين بمائة سهم) عند ابن عائذ من طريق أبي الأسود عن عروة (سألت الزبير على كم سهم جاء للمهاجرين يوم بدر ؟ قال : على مائة سهم) قال الداودي هذا يغاير قوله (كانوا إحدى وثمانين) قال : فإن كان قوله بمائة سهم من كلام الزبير فلعله دخله شك في العدد ، ويحتمل أن يكون من قول الراوي عنه ، قال : وإنما كانوا على التحرير أربعة وثمانين ، وكان معهم ثلاثة أفراس فأسهم لها سهمين سهمين ، وضرب لرجال كان أرسلهم في بعض أمره بسهامهم فصح أنها كانت مائة بهذا الاعتبار . قلت : هذا الذي قاله أخيراً لا بأس به ، لكن ظهر أن إطلاق المائة إنما هو باعتبار الخمس ، وذلك أنه عزل خمس الغنيمة ثم قسم ما عداه على الثمانين على ثمانين سهماً عدد من شهدها ومن ألحق بهم ، فإذا أضيف إليه الخمس كان ذلك من حساب مائة سهم ، والله أعلم .

(١) الأنفال : ١ - ٥ .

(٢) أبو داود (٣ / ٧٧) كتاب الجهاد ، باب : في النفل .

٣٣٠ - البخاري (٧ / ٣٢٤) ، ٦٤ - كتاب المغازي ، ١٢ - باب : حديثي خليفة .

فوائد :

١ - قال ابن كثير في البداية والنهاية : قال ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كتيب بين المضيق وبين النازية يقال له سَيْر إلى سرحة به فقسم هنالك النفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء ، ثم ارتحل حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين فقال لهم سَلِّمَ بن سلامة بن وَقْشٍ كما حدثني عاصم بن عمر ويزيد بن رومان ما الذي تهنئوننا به . والله إن لقينا إلا عجائز صلماً كالبدن المعقلة فنحرناها ، فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : (أي ابن أخي أولئك الملأ) قال ابن هشام: يعني الأشراف والرؤساء .

٢ - المسلم يقاتل الله وفي الله ، والغنية لا تشكل بالنسبة له هدفاً يؤثر على نية القتال في سبيل الله ، ولكنها في الوقت نفسه تعتبر حافزاً للنفس البشرية ، وقد أراح الله عز وجل هذه النفس فأعطاه من الغنائم حتى لا تفكر أصلاً .

وقد نزلت سورة الأنفال تحدد استحقاق المقاتلين بأنه أربعة أخماس الغنية بعد أن يأخذ أهل البلاء ما وعدوه من الإمام وبعد أن يأخذ الإمام الخمس ليضعه في المصارف التي حددها الله عز وجل .

٣ - وأعطى الإسلام للإمام أو الأمير أن يعيد أهل البلاء بأن لهم كذا وكذا ، وقد يعطي مجموعة حصّة من الغنية قبل التخميس ، وذلك كذلك يشكّل حافزاً ولا ينبغي أن يؤثر على أصل النية .

٤ - بالنسبة لغنائم بدر فقد أعطى الرسول ﷺ ما وعد به أهل البلاء من نفل ، ثم من خمس الغنية ، ووزع أربعة أخماسها على المقاتلين أو من هم في حكمهم ورضخ لغير المقاتلين ، وأعطى بعض المقاتلين من الخمس لأنه عليه الصلاة والسلام كان له خمس الخمس .

٥ - من هذه المعاني ندرك أنه ينبغي للأمير أن ينفل المقاتلين فيقول : من قتل قتيلاً فله سلبه ، أي ما يحمله أثناء القتال ، أو يقول : له سلبه وله ربع ما يملك أو ثلث ما يملك فكل ذلك من السنة ، وما زاد على ذلك يخمس فتأخذ المجموعة المقاتلة أربعة أخماسه ،

والخمس يصرفه الإمام في مصارفه .

وفقه هذا الأمر من أهم أنواع الفقه لمن يمارس شؤون القتال .

* * *

٤ - فضل أهل بدر

٣٣١ - * روى البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأرجو أن لا يدخل النار من شهد بدرًا إن شاء الله » .

٣٣٢ - * روى الطبراني عن أبي هريرة أن رجلاً من الأنصار عمي فبعث إلى رسول الله ﷺ اخطط لي في داري مسجداً لأصلي فيه فجاء رسول الله ﷺ وقد اجتمع إليه قومه فتغيب رجل فقال رسول الله ﷺ : « ما فعل فلان ؟ » فذكره بعض القوم فقال رسول الله ﷺ : « أليس قد شهد بدرًا » قالوا : نعم ولكنه كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ : « فلعل الله أطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

٣٣٣ - * روى البخاري عن رفاعه بن رافع الزرقي - وكان من أهل بدر - رضي الله عنه قال : جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ ، فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : « من أفضل المسلمين » أو كلمة نحوها - قال : وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة .

وفي حديث حماد بن زيد : وكان رفاعه من أهل بدر ، وكان رافع من أهل العقبة فكان يقول لابنه : ما يسرني أني شهدت بدرًا بالعقبة ، قال : سألت جبريل النبي ﷺ يعني فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ ... وذكر باقي الحديث نحوه .

٣٣١ - البزار (٢ / ٢٨٨) ، كتاب علامات النبوة ، باب : مناقب أهل بدر والحديبية .

وأورده الميثقي في مجمع الزوائد (٩ / ١٦١) ، وقال : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح .

٣٣٢ - أورده الميثقي في مجمع الزوائد (٦ / ١٠٦) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وإسناده جيد . فذكره بعض القوم : أي بسوء .

الرجل الأعمى : هو عتب بن مالك الأنصاري .

٣٣٣ - البخاري (٧ / ٣١٢) ، ٦٤ - كتاب المغازي . ١١ - باب : شهود للملائكة بدرًا .

في رواية (١) : أن ملكاً سأل النبي ﷺ .

٣٣٤ - * روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اطلع الله على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم » .

٣٣٥ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : أن عبداً لحاطب جاء إلى رسول الله ﷺ يشكو حاطباً فقال : يا رسول الله ليدخلن حاطب النار ، فقال رسول الله ﷺ : « كذبت لا يدخلها ، فإنه شهد بدرًا والحديبية » .

قال النووي في شرحه على مسلم : وفيه فضيلة أهل بدر والحديبية وفضيلة حاطب لكونه منهم وفيه أن لفظة الكذب هي الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه عمدًا كان أو سهواً سواء كان الإخبار عن ماضٍ أو مستقبل وخصته للمعتزلة بالعمد وهذا يرد عليهم .

وقال بعض أهل اللغة لا يستعمل الكذب إلا في الإخبار عن الماضي بخلاف ما هو مستقبل وهذا الحديث يرد عليهم .

٣٣٦ - * روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين ﴾ (٢) عَنْ بَدْرِ وَالْحَارِثِ إِلَى بَدْرِ .

٣٣٧ - * روى الترمذي : لما نزلت غزوة بدر ، قال عبد الله بن جحش ، وابن أم مكتوم : إنا أعفيان يا رسول الله ، فهل لنا رخصة ؟ فنزلت : ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرب ﴾ ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ فَهَؤُلَاءِ الْقَاعِدُونَ

(١) البخاري (٧ - ٣١٢) ٦٤ - كتاب المغازي - ١١ - باب : شهد الملائكة بدرًا .

٣٣٤ - أبو داود (٤ / ٢١٣) ، كتاب السنة ، باب : في الخلفاء ، وإسناده صحيح .

٣٣٥ - مسلم (٤ / ١٩٤٢) ، ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ، ٣٦ - باب : من فضائل أهل بدر ، رضي الله عنهم ، وقصة حاطب بن أبي بلتعة .

٣٣٦ - البخاري (٨ / ٢٦٠) ، ٦٥ - كتاب التفسير ، ١٨ - باب : لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله . (٢) النساء : ٩٥ .

٣٣٧ - الترمذي مطولاً (٥ / ٢٤١) ، ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ، ٥ - باب : « ومن سورة النساء » ، وقال : هذا حديث حسن غريب .

غَيْرَ أُولَى الضَّرِّ ، ﴿ وَفَضَلَ اللَّهُ الْجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ دَرَجَاتٍ مِنْهُ ﴿
عَلَى الْقَاعِدِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولَى الضَّرِّ .

قال صاحب الفتح : وأما أولو الضرر فلحقون في الفضل بأهل الجهاد إذا صدقت نياتهم
كما تقدم في المغازي من حديث أنس (إن بالمدينة لأقواماً ما سرتهم من مسير ولا قطعتم من
واد إلا وهم معكم حبسهم العذر) . ويحتمل أن يكون المراد بقوله : ﴿ فَضَلَ اللَّهُ الْجَاهِدِينَ
عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ أي من أولي الضرر وغيرهم .

من غاب عن بدر وكان كأهلها :

٣٣٨ - * روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إنما تغيب عثان عن بدر فإنه
كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة ، فقال له النبي ﷺ « إِنْ لَكَ أَجْرٌ رَجُلٍ
مَنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ » .

قال ابن كثير في البداية والنهاية : وفي الذين عدم ابن إسحاق في أهل بدر من ضرب
له سهم في مغنمها وأنه لم يحضرها تخلف عنها لعذر أذن له في التخلف بسببها وكانوا ثمانية أو
تسعة وهم ، عثان بن عفان تخلف على رقية بنت رسول الله ﷺ يمرضها حتى ماتت فضرب
له بسهمه وأجره ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كان بالشام فضرب له بسهمه وأجره ،
وطلحة بن عبيد الله كان بالشام أيضاً فضرب له بسهمه وأجره ، وأبو لبابة بشير بن عبد
المنذر رده رسول الله ﷺ من الروحاء حين بلغه خروج النفي من مكة فاستعمله على
المدينة وضرب له بسهمه وأجره ، والحارث بن حاطب بن عبيد بن أمية رده رسول الله ﷺ
أيضاً من الطريق وضرب له بسهمه وأجره ، والحارث بن الصمة كسر بالروحاء فرجع
فضرب له بسهمه ، زاد الواقدي : وأجره ، وخوات بن جبير لم يحضر الواقعة وضرب له
بسهمه وأجره ، وأبو الصياح بن ثابت خرج مع رسول الله ﷺ فأصاب ساقه فصيل

٣٣٨ - البخاري (٦ / ٢٣٥) ، ٥٧ - كتاب فرض الخس . ١٤ - باب : إذا بعث الإمام رسولاً في حاجة ، أو أمره بالمقام ،
هل يسهم له ؟ .

حَجَر^(١) فرجع وضرب له بسنمه وأجره .

* * *

٥ - الأسارى

٣٣٩ - * روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : فادى رسول الله ﷺ أسارى بذير وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف ، وقتل عقبة بن أبي معيط قبل الفداء ، قام إليه علي بن أبي طالب فقتله صبراً فقال من للصبيّة يا محمد ؟ قال : « النار » .

٣٤٠ - * روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بذير أربع مائة .

قال ابن كثير : وهذا كان أقل ما فودى به أحد من المال ، وأكثر ما فودى به الرجل منهم أربعة آلاف درهم .

٣٤١ - * روى أحمد عن ابن عباس قال : كان ناس من الأشرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة ، قال فجاء يوماً غلام يئكي إلى أبيه فقال : ما شأنك ؟ قال : ضربني معلّم قال : الخبيث يطلب بذحل بذير والله لا تأتيه أبداً .

٣٤٢ - * روى الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن جبريل عليه السلام هبط عليه ، فقال له : خيرهم - يعني أصحابك - في

(١) فصيل حجر : قطعة من حجر .

٣٣٩ - المعجم الكبير (١١ / ٤١٦) .

وأورده الميمني في مجمع الزوائد (٦ / ٨٩) ، وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

٣٤٠ - المستدرک (٢ / ١٢٥) ، كتاب الجهاد ، وقال : هذا حديث صحيح على شرطها ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

٣٤١ - أحمد في مسنده (١ / ٢٤٧) . وهو على شرط السنن .

النحل : الحقد والثأر ، جمعها أذحال وذحول .

٣٤٢ - الترمذي (٤ / ١٣٥) ، ٢٢ - كتاب السير . ١٨ - باب ما جاء في قتل الأسارى والفداء ، وإسناده صحيح . =

أسارى بِدْرِ : القتل ، أو الفداء ، على أن يُقتَلَ مِنْهُمْ قَابِلَ مِثْلِهِمْ « قالوا : الفداء ، ويُقتل منا .

٣٤٣ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أَنَّ رِجَالاً مِنَ الْأَنْصَارِ اسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالُوا : ائْذَنْ لَنَا فَلْنَتْرُكُ لَابْنِ أَخْتِنَا عَبَّاسٍ فِدَاءَهُ فَقَالَ : « لَا تَدْعُونَ مِنْهَا دِرْهَمًا » .

٣٤٤ - * روى الطبراني عن أبي عَزِيزٍ بنِ عَمْرِو بْنِ مَصْعُبٍ بنِ عَمِيرٍ قَالَ : كُنْتُ فِي الْأَسْرَى يَوْمَ بَدْرِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اسْتَوْصُوا بِالْأَسَارَى خَيْرًا » وَكُنْتُ فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَكَانُوا إِذَا قَدَمُوا غَدَاءَهُمْ وَعَشَاءَهُمْ أَكَلُوا التَّمْرَ وَأَطْعَمُونِي الْبُرَّ لَوْصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

٣٤٥ - * روى البخاري عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في أسارى بدر : « لو كان المطعم بن عدي حيًا ، ثم كلمني في هؤلاء النتنى ، لتركتهن له » وفي بعض الروايات : « لما له من يدٍ » .

قال في الفتح : المراد باليد المذكورة ما وقع منه حين رجع النبي ﷺ من الطائف ودخل في جوار المطعم بن عدي ، وقد ذكر ابن إسحق القصة في ذلك مبسوطه ، وكذلك أوردتها الفاكهي بإسناد حسن مرسل وفيه (أن المطعم أمر أربعة من أولاده فلبسوا السلاح ، وقام كل واحد منهم عند ركن من الكعبة ، فبلغ ذلك قريشاً فقالوا له : أنت الرجل الذي لا تخفر ذمتك) وقيل المراد باليد المذكورة أنه كان من أشد من قام في نقض الصحيفة التي

= من قابل : في العام التالي .

٣٤٣- البخاري (٦ / ١٦٧) ، ٥٦ - كتاب الجهاد . ١٧٢ - باب : فداء المشركين .

٣٤٤ - أورده الميثقي في جمع الزوائد (٦ / ٨٦) ، وقال : رواه الطبراني في الصغير والكبير ، وإسناده حسن .
البر : القمح ، أي : الحبز ، وقد كان الحبز خيراً من القمح عند العرب .

٣٤٥ - البخاري (٦ / ٢٤٣) ، ٥٧ - كتاب فرض الجس - ١٦ - باب : ما من النبي ﷺ على الأسارى من غير أن يخمس ،
النتنى : أراد بهم الأسرى ، وجعلهم نتنى لأنهم كفار مشركون ، والمشركون نجس ، فاستعمار لهم النتن مجازاً .
وإطلاقهم له ليد كانت للمطعم .

كتبتها قریش على بني هاشم ومن معهم من المسلمين حين حصروهم في الشعب ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في أوائل السيرة ، وروى الطبراني من طريق محمد بن صالح التار عن الزهري عن محمد بن جبير عن أبيه قال : (قال المطعم بن عدي لقریش : إنكم قد فعلتم بمحمد ما فعلتم ، فكونوا أكف الناس عنه) وذلك بعد الهجرة ثم مات المطعم بن عدي قبل وقعة بدر وله بضع وتسعون سنة وذكر الفاكهي بإسناد مرسل أن حسان بن ثابت رثاه لما مات مجازاة له على ما صنع للنبي ﷺ . وروى الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم بإسناد صحيح عن علي قال : (جاء جبريل إلى النبي ﷺ يوم بدر فقال : خير أصحابك في الأسرى ، إن شاءوا القتل وإن شاءوا الفداء على أن يقتل منهم عاماً مقبلاً مثلهم ، قالوا : الفداء ويقتل منا) . وأخرج مسلم هذه القصة مطولة من حديث عمر ذكر فيها السبب ، هو أنه ﷺ قال : « ما ترون في هؤلاء الأسرى ؟ » فقال أبو بكر : أرى أن نأخذ منهم قوة تكون لنا ، وعسى الله أن يهديهم . فقال عمر : أرى أن تمكنا منهم فتضرب أعناقهم ، فإن هؤلاء أئمة الكفر ، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر (الحديث ، وفيه نزول قوله تعالى ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أمرى حتى يشغله في الأرض ﴾ .

وقد اختلف السلف في أي الرأيين كان أصوب ؟ فقال بعضهم : كان رأي أبي بكر لأنه وافق ما قدر الله في نفس الأمر ولما استقر الأمر عليه ، ولدخول كثير منهم في الإسلام إما بنفسه وإما بذريته التي ولدت له بعد الوقعة ، ولأنه وافق غلبة الرحمة على الغضب كما ثبت ذلك عن الله في حق منكم ، إله الرحمة ، وأما الآخر : ما أخذناه من الأسارى فقتلناه ، فذلك

يذكر الإسلام ، قال : فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قال : فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليَّ حِجَارَةٌ من السماء مِنِّي في ذلك اليوم ، قال : حتى قال رسول الله ﷺ : « إِلَّا سَهْلٌ بَنَ تَيْضَاءَ » قال : وَنَزَلَ الْقُرْآنُ بقول عمر : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَمْرٌ حَتَّى يَتَخَيَّنَ فِي الْأَرْضِ ... ﴾ ^(١) إلى آخر الآيات .

٣٤٧ - * روى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدرٍ نظرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلى المشركينَ وَهُمْ أَلْفٌ ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةُ عَشَرَ رَجُلًا . فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ . ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ « اللَّهُمَّ ! أَنْجِرْ لِي مَا وَعَدْتَنِي . اللَّهُمَّ ! آتِ مَا وَعَدْتَنِي . اللَّهُمَّ ! إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تَعْبُدُ فِي الْأَرْضِ » فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ ، مَا دَامَ يَدَيْهِ ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، حَتَّى سَقَطَ رِذَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ . فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ . فَأَخَذَ رِذَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ . وَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ! كَذَلِكَ مُنَاشِدَتُكَ رَبِّكَ ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴾ ^(٢) فَأَمَدَهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ .

قال أبو زميل : فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمِيذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسُّوْطِ فَوْقَهُ ، وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ : أَقْدِمْ حَسْرَةً ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا ، فَتَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفَهُ ، وَشَقَّ

وَجْهَهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ ، فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « صَدَقْتَ . ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ » فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ ، وَأَسْرَوْا سَبْعِينَ .

قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَلَمَّا أُسْرُوا الْأَسَارَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ : « مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسَارَى ؟ » فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ! هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ . أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً . فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةٌ عَلَى الْكُفَّارِ ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا تَرَى ؟ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ! » قُلْتُ : لَا . وَاللَّهِ ! يَارَسُولَ اللَّهِ ! مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمْكِنَّا فَتَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ . فَتُمْكِنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ . وَتُمْكِنَنِي مِنْ فُلَانٍ (نَسِيبًا لِعُمَرَ) فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أُمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا ، فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ . وَلَمْ يَهُوَ مَا قُلْتُ . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَتَكَيَّانِ . قُلْتُ : يَارَسُولَ اللَّهِ ! أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ . فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءَ بَكَيْتُ . وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءَ تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ . لَقَدْ عَرَضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَذْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ » (شَجَرَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ) وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَمْرٌ حَتَّى يَشْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ خَلَالًا طَيِّبًا ﴾ ^(١) فَأَحَلَّ اللَّهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ .

٣٤٨ - * روى الحاكم عن عبد الله بن مسعود أنه قال : لما كان يوم بدر قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما تقولون في هؤلاء الأسارى ؟ » فقال عبد الله بن رَوَاحَةَ : آيَتٍ فِي وَادٍ كَثِيرٍ الْخَطْبِ فَأَضْرِبُ نَارًا ثُمَّ أَلْقِيَهُمْ فِيهَا ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

= لولا كتاب من الله سبق لمستم : لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ - لمستم : لناكم وأصابكم .

لها أخذتم : من الفداء .

يشخن : الإنحان في الشيء : المبالغة فيه والإكثار ، يقال : أشخنه المرض : إذا أنقله وأوهنه ، والمراد به هاهنا : المبالغة في قتل الكفار ، والإكثار من ذلك .

(١) الأنفال : ٦٧ - ٦٩ .

٣٤٨ - الاستدرك (٣ / ٢١) ، كتاب المغازي ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

قطعَ الله رَحِمَكَ، فقال عَمَرُ رضي الله عنه : قَادَتْهُمْ ورؤسائهم قَاتِلُوكَ وكَذَّبُوكَ فاضْرِبْ أعناقهم بعد ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : عَشِيرَتُكَ وقَوْمُكَ ، ثم دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم لبعض حاجته فقالت طائفة : القولُ ما قال عَمَرُ ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « مَا تَقُولُونَ فِي هَؤُلَاءِ ؟ إِنْ مَثَلَ هَؤُلَاءِ كَمَثَلِ إِخْوَةٍ لَهِمْ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ قَالَ نُوحٌ : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَيَّارًا ﴾ ^(١) وقال موسى : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ ^(٢) الآية قال إبراهيم : ﴿ فَمَنْ تَبَغَّى فَإِنَّهُ مِثْلِي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٣) وقال عيسى : ﴿ إِنْ تَعَذَّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ^(٤) وَأَنْتُمْ قَوْمٌ فِيكُمْ غِيلَةٌ فَلَا يَنْقَلِبُنَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا بَفْدَاءٍ أَوْ بِضَرْبٍ عُنُقٍ » قال عبد الله : فقلت إلا سهيلُ بنُ بيضاء فإنه لا يُقْتَلُ وقد سمعته يتكلم بالإسلام . فسكت ، فما كان يومَ أخوفَ عندي أن يلقى عليَّ حجارةً من السماء من يومي ذلك حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إِلَّا سَهِيلُ بْنُ بِيضَاءَ » .

قال الرازي : ﴿ إِنْ تَعَذَّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ معنى الآية ظاهر وفيه سؤال وهو إنه كيف جاز لعيسى عليه السلام أن يقول وإن تغفر لهم والله لا يغفر الشرك ، والجواب عنه من وجوه (الأول) أنه تعالى لما قال لعيسى عليه السلام : ﴿ وَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا لِي آلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ علم أن قوماً من النصارى حكوا هذا الكلام عنه والحاجي لهذا الكفر عنه لا يكون كافراً بل يكون مذنباً حيث كذب في هذه الحكاية وغفران الذنب جائز فلهذا المعنى طلب المغفرة من الله تعالى (والثاني) أنه يجوز على مذهبنا من الله تعالى أن يدخل الكفار الجنة وأن يدخل الزهاد والعباد النار ؛ لأن الملك ملكه ولا اعتراض لأحد عليه فذكر عيسى هذا الكلام ومقصوده منه تفويض الأمور كلها إلى الله ، وترك التعرض والاعتراض بالكلية ولذلك ختم الكلام بقوله فإنك أنت العزيز

(١) نوح : ٢٦ .

(٢) يونس : ٨٨ .

(٣) إبراهيم : ٣٦ .

(٤) المائدة : ١١٨ .

الحكيم يعني. أنت قادر على ما تريد حكيم في كل ما تفعل لا اعتراض لأحد عليك ، فمن أنا والخوض في أحوال الربوبية وقوله : إن الله لا يغفر الشرك فنقول : إن غفرانه جائز عندنا وعند جمهور البصريين من المعتزلة قالوا : لأن العقاب حق الله على المذنب وفي إسقاطه منفعة للمذنب وليس في إسقاطه على الله مضره فوجب أن يكون حسناً بل دل الدليل السمي في شرعنا على أنه لا يقع فلعل هذا الدليل السمي ما كان موجوداً في شرع عيسى عليه السلام (الوجه الثالث في الجواب) أن القوم لما قالوا هذا الكفر فميسى عليه السلام جوز أن يكون بعضهم قد تاب عنه فقال إن تعذبهم علمت أن أولئك المعذبين ماتوا على الكفر فلك أن تعذبهم بسبب أنهم عبادك وأنت قد حكمت على كل من كفر من عبادك بالعقوبة وإن تغفر لهم علمت أنهم تابوا عن الكفر وأنت حكمت على من تاب عن الكفر بالمغفرة (الوجه الرابع) إنا ذكرنا أن من الناس من قال إن قول الله تعالى لعيسى أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله إنما كان عند رفعه إلى السماء لا في يوم القيامة وعلى هذا القول فالجواب سهل لأن قوله إن تعذبهم فإنهم عبادك يعني إن توفيتهم على هذا الكفر وعذبته فإنهم عبادك فلك ذاك ، وإن أخرجتهم بتوفيتك من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان وغفرت لهم ما سلف منهم فلك أيضاً ذاك وعلى هذا التقدير فلا إشكال .

٣٤٩ - * روى الطبراني عن عبد الله بن الزبير قال : كانت قريش ناجت قتلها ثم نديمت وقالوا : لا تنوحوا عليهم فيبلغ ذلك عمداً وأصحابه فيشتموا بهم . وكان في الأسرى أبو وداعة بن ضبيرة السهمي ، فقال رسول الله ﷺ : « إن له بمكة ابناً تاجراً كيساً ذا مال كأنكم قد جاءكم في فداء أبيه » فلما قالت قريش في الفداء ما قالت قال المطلب : صدقتم والله لأن صدقتم ليثارب بن عليكم ، ثم انسل من الليل فقدم المدينة ففدى أباه بأربعة آلاف درهم .

قال ابن كثير في البداية والنهاية : وأول من أسروا عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث قُتلا صبراً بين يدي رسول الله ﷺ من بين الأسارى ، وقد اختلفت في أيهما قُتل

٣٤٩ - أورده الميمني في مجمع الزوائد (٦ / ٩٠) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

ما قالت : قالت قريش : لا تستعجلوا بفداء أسراكم . يثارب بن : ثرب فلاناً وعليه : لأمه وعيهره بذنه .

أولاً على قولين وأنه عليه السلام أطلق جماعة من الأسارى مجاناً بلا فداء ، منهم : أبو العاص بن الربيع الأموي ، والمطلب بن حنطب بن الحارث الخزومي ، وصيفي بن أبي رفاعه ، وأبو عزة الشاعر ، وهب بن عمير بن وهب الجمحي ، وفاذي بقيتهم حتى عمه العباس أخذ منه أكثر مما أخذ من سائر الأشرى لئلاً يحاييه لكونه عمه ، مع أنه قد سألهم الذين استروا من الأنصار أن يتركوا له فداءه فأبى عليهم ذلك ، قال لا تتركوا منه درهمًا ، وقد كان فداؤهم متفاوتًا فأقل ما أخذ أربعمائة ، ومنهم من أخذ منه أربعمائة أوقية من ذهب . قال موسى ابن عقبة وأخذ من العباس مائة أوقية من ذهب ، ومنهم من استوجر على عمل بمقدار فداؤه .

* * *

٦ - آيات بدرية

٣٥٠ - * روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل الكتاب ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان ، فذكر ذلك المسلمون لأبي بكر رضي الله عنه ، فذكر ذلك أبو بكر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم « أما أنهم سيهزمون » فذكر أبو بكر لهم ذلك ، فقالوا : اجعل بيننا وبينك أجلاً فإن ظهروا كان لك كذا وكذا وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا فجعل بينهم أجل خمس سنين فلم يظهروا فذكر ذلك أبو بكر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « ألا جعلته (أراه قال) دون ، العشرة » ، قال : فظهرت الروم بعد ذلك فذلك قوله تعالى : ﴿ ألم * غلبت الروم * في أذى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفليون ﴾ قال : فغلبت الروم ثم غلبت بعد ﴿ الله الأمر من قبل ومن بعد يومئذ يفرج المؤمنين بنصر الله ﴾ ^(١) قال سفيان : وسمعت أنهم ظهروا يوم بدر .

٣٥١ - * وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل ﴿ ويقولون

٣٥٠ - المستدرك (٢ / ٤١٠) ، كتاب التفسير ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

(١) الروم : ١ .

٣٥١ - المستدرك (٢ / ٤١٤) ، كتاب التفسير ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

متى هذا الفتح إن كنتم صادقين * قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم يُنظرون ﴿^(١)﴾ قال : يوم بدرٍ فُتِحَ للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فلم ينفع الذين كفروا إيمانهم بعد الموت .

٣٥٢ - * روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل : ﴿ إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان ﴾ ^(٢) يعني بالفرقان يوم بدرٍ يوم فرق الله بين الحق والباطل .

٣٥٣ - * وروى الحاكم عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى : ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأذى دون العذاب الأكبر ﴾ ^(٣) قال : يوم بدر .

٣٥٤ - * وروى الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في هذه الآية : ﴿ ومن يؤمن يومئذ ذبرة ﴾ ^(٤) قال : نزلت فينا يوم بدرٍ .

٣٥٥ - * روى البخاري عن سعيد بن جبير رحمه الله قال : قلت لابن عباس رضي الله عنهما سورة الأنفال ؟ قال : نزلت في بدرٍ .

قال صاحب الرحيق المختوم : حول موضوع هذه المعركة نزلت سورة الأنفال ، وهذه السورة تعليق إلهي - إن صح هذا التعبير - على هذه المعركة ، يختلف كثيراً عن التعليقات التي ينطق بها الملوك والقواد بعد الفتح .

(١) السجدة : ٢٨ ، ٢٩ .

٣٥٢ - المستدرك (٣ / ٢٢) ، كتاب المغازي ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

(٢) الأنفال : ٤١ .

٣٥٣ - المستدرك (٢ / ٤١٤) ، كتاب التفسير ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

(٣) السجدة . .

٣٥٤ - المستدرك (٢ / ٢٢٧) كتاب التفسير ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

(٤) الأنفال : ١٦ .

٣٥٥ - البخاري (٨ / ٣٠٦) ٦٥ - كتاب التفسير - ١ - باب : قوله : * يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم * ، من سورة الأنفال .

ومسلم نحوه مطولاً (٤ / ٢٢٢٢) ٥٤ - كتاب التفسير ٥ - باب : في سورة براءة والأنفال والحشر .

إن الله تعالى لفت أنظار المسلمين - أولاً - إلى التقصيرات والتفريطات الأخلاقية التي كانت قد بقيت فيهم ، وصدر بعضها منهم ، ليسعوا في تكميل نفوسهم وتزكيتها عن هذه التفريطات .

ثم ثنى بما كان في هذا الفتح من تأييد الله وعونه ونصره بالغيب للمسلمين . ذكر لهم ذلك لئلا يغتروا بشجاعتهم وبسالتهن ، فتتسور نفوسهم الفطرية والكبرياء بل ليتوكلوا على الله ويطيعوه ويطيعوا رسوله عليه الصلاة والسلام .

ثم بين لهم الأهداف والأغراض النبيلة التي خاض الرسول ﷺ لأجلها هذه المعركة الدامية الرهيبة ، ودلهم على الصفات والأخلاق التي تسببت في الفتوح في المعارك .

ثم خاطب المشركين والمنافقين واليهود وأسارى المعركة ، ووعظهم موعظة بليغة ، تهديهم إلى الاستسلام للحق والتقييد به .

ثم خاطب المسلمين حول موضوع الغنائم ، وقان لهم مبادئ وأسس هذه المسألة .

ثم بين وشرع لهم من قوانين الحرب والسلام ما كانت الحاجة تمس إليها بعد دخول الدعوة الإسلامية في هذه المرحلة ، حتى تمتاز حروب المسلمين عن حروب أهل الجاهلية ، ويقوم لهم التفوق في الأخلاق والقيم والمثل ، ويتأكد للدنيا أن الإسلام ليس مجرد وجهة نظرية ، بل إنه يثقف أهله عملياً على الأسس والمبادئ التي يدعو إليها .

ثم قرر بنوداً من قوانين الدولة الإسلامية التي تقيم الفرق بين المسلمين الذين يسكنون داخل حدودها ، والذين يسكنون خارجها .

* * *

٧ - من فقه غزوة بدر

قال الدكتور البوطي :

١ - إن عامة ممتلكات الحريين تعتبر بالنسبة للمسلمين أموالاً غير محترمة ، فلمهم أن يستولوا عليها ويأخذوا ما امتدت إليه أيديهم منها ، وما وقع تحت يدهم من ذلك اعتبر

ملكاً لهم . وهو حكم متفق عليه عند عامة الفقهاء ، على أن للمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأبنائهم في مكة عذراً آخر في القصد إلى أخذ عير قريش والاستيلاء عليها ، وهو محاولة التعويض - أو شيء من التعويض - عن ممتلكاتهم التي بقيت في مكة واستولى عليها المشركون من ورائهم .

إنه بالرغم من مشروعية هذا القصد ، فإن الله تعالى أراد لعباده المؤمنين قصداً أرفع من ذلك وأليق بوظيفتهم التي خلقوا من أجلها ، ألا وهي الدعوة إلى دين الله والجهاد في سبيل ذلك ، والتضحية بالروح والمال في سبيل إعلاء كلمة الله ، ومن هنا كان النصر العظيم لحليف أبي سفيان في النجاة بتجارته ، بمقدار ما كانت الهزيمة العظيمة لحليف قريش في ميدان الجهاد بينهم وبين المسلمين ، وإن هذه التربية الإلهية لنفوس المسلمين لتتجلى بأبرز صورها في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(١) .

٢ - وعندما تتأمل كيف يجلس رسول الله ﷺ إلى أصحابه ليشاورهم في الأمر الذي فوجئوا به بعد أن أفلت منهم العير وطلع عليهم النفير العظيم المدجج بالسلاح الكامل ، نقف على دالتين شرعيتين لكل منهما أهمية بالغة :

الدلالة الأولى : التزامه ﷺ مبدأ التشاور مع أصحابه ، وإذا استعرضنا حياته ﷺ ، وجدنا أنه كان يلتزم هذا المبدأ في كل أمر لا نص فيه من كلام الله تعالى ، مما له علاقة بالتدبير والسياسة الشرعية ، ومن أجل هذا أجمع المسلمون على أن الشورى في كل ما لم يثبت نص مُلْزِم فيه من كتاب أو سنة ، أساس تشريعي دائم لا يجوز إهماله . أما ما ثبت فيه نص من الكتاب أو حديث من السنة أبرم به الرسول ﷺ حكمه ، فلا شأن للشورى فيه ولا ينبغي أن يقضي عليه بأي سلطان .

الدلالة الثانية : خضوع حالات الغزو أو المعاهدات أو الصلح بين المسلمين وغيرهم لما

يسمى بالسياسة الشرعية أو ما يسميه بعضهم بـ (حكم الإمامة) . وبيان ذلك أن مشروعية فرض الجهاد من حيث الأصل ، حكم تبليغي لا يخضع لأي نسخ أو تبديل ، كما أن أصل مشروعية الصلح والمعاهدات ثابت لا يجوز إبطاله أو اجتثاثه من أحكام الشريعة الإسلامية ، غير أن جزئيات الصور التطبيقية المختلفة لذلك ، تخضع لظروف الزمان والمكان وحالة المسلمين وحالة أعدائهم ، والميزان الحكم في ذلك إنما هو بصيرة الإمام للمتدين العادل وسياسة الحاكم المتبحر في أحكام الدين مع إخلاص في الدين وتجرد في القصد ، إلى جانب اعتماد دائم على مشاورة المسلمين والاستفادة من خبراتهم وآرائهم المختلفة .

فإذا رأى الحاكم أنّ من الخير للمسلمين أن لا يجاهوا أعداءهم بالحرب والقوة ، وتثبت من صلاحية رأيه بالتشاور والمذاكرة في ذلك ، فله أن يجنح إلى سلم معهم لا يصادم نصاً من النصوص الشرعية الثابتة ، ريثما يأتي الظرف المناسب والملائم للقتال والجهاد ، وله أن يحمل رعيته على القتال والدفع إذا ما رأى المصلحة والسياسة الشرعية السليمة في ذلك الجانب .

وهذا ما اتفق عليه عامة الفقهاء ودلت عليه مشاهد كثيرة من سيرته ﷺ اللهم إلا إذا دام المدو المسلمين في مقر دورهم وبلادهم ، فإن عليهم دفعه بالقوة مهما كانت الوسيلة والظروف ، ويعم الواجب في ذلك المسلمين والمسلمات كافة بشرط توفر مقومات التكليف اهـ .

* * *

٨ - في أعقاب بدر

٣٥٦ - * روى الحاكم عن أبي رافع مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال : كُنْتُ عَلَماً لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَكُنْتُ قَدْ أُسْلِمْتُ وَأُسْلِمْتُ أُمُّ الْفَضْلِ وَأُسْلِمَ الْعَبَّاسُ وَكَانَ يَكْتُمُ إِسْلَامَهُ خِيفَةً قَوْمِهِ ، وَكَانَ أَبُو لَهُبٍ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرِ وَبَعَثَ مَكَاةَ الْعَاصِ بْنِ هِشَامٍ وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَقَالَ لَهُ : أَكْفِينِي هَذَا الْغَزْوَ وَأَتْرِكَ لَكَ مَا عَلَيْكَ ، فَفَعَلَ فَلَمَّا جَاءَ الْخَبْرُ

٣٥٦ - المستدرک (٣ / ٣٢١) ، کتاب معرفة الصحابة . وسكت عنه الذهبي . وفي أحد رواياته خلاف فالرواية حسنة على رأي بعضهم .

اكفي : كناه الشيء كفاية : استغنى به عن غيره فهو كاف ، وكفىء .

وَكَبَتَ اللَّهُ أَبَا لَهَبٍ وَكُنْتُ رَجُلًا ضَعِيفًا أُنَحْتُ هَذِهِ الْأَقْدَاحَ فِي حَجَرَةٍ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَجَالِسٌ فِي الْحَجَرَةِ أُنَحْتُ أَقْدَاحِي وَعِنْدِي أُمُّ الْفَضْلِ إِذْ أَقْبَلَ الْفَاسِقُ أَبُو لَهَبٍ يَجُرُّ رَجُلِيهِ أَرَاهُ قَالَ عِنْدَ طَنْبِ الْحَجَرَةِ وَكَانَ ظَهْرُهُ إِلَى ظَهْرِي فَقَالَ النَّاسُ : هَذَا أَبُو سَفِيَانَ بْنِ الْحَارِثِ فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ : هَلُمُّ إِلَيَّ يَا ابْنَ أَخِي فَجَاءَ أَبُو سَفِيَانَ حَتَّى جَلَسَ عِنْدَهُ فَجَاءَ النَّاسُ فَقَامُوا عَلَيْهَا فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي كَيْفَ كَانَ أَمْرُ النَّاسِ فَقَالَ لَا شَيْءَ فَوَاللَّهِ إِنْ لَقِينَاهُمْ فَمَنْحَنَاهُمْ أَكْتَأَفْنَا يَقْتُلُونَنَا كَيْفَ شَاءُوا وَيَأْسِرُونَنَا كَيْفَ شَاءُوا وَيَأْتِمُ اللَّهُ مَا لَأَمْتُ النَّاسُ قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ رَجُلًا بِيضًا عَلَى خَيْلٍ بُلْقٍ لَا وَاللَّهِ مَا تَلِيْقُ شَيْئًا وَلَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ قَالَ فَرَفَعْتُ طَنْبَ الْحَجَرَةِ فَقُلْتُ : وَاللَّهِ تِلْكَ الْمَلَانِكَةُ ، فَرَفَعَ أَبُو لَهَبٍ يَدَهُ فَضْرَبَ وَجْهِي وَثَاوَزْتُهُ فَاحْتَلَنِي فَضْرَبَ بِي الْأَرْضَ حَتَّى بَرَكَ عَلَى صَدْرِي فَقَامَتْ أُمُّ الْفَضْلِ فَاحْتَجَزَتْ وَرَفَعَتْ عُمُودًا مِنْ عَمْدِ الْحَجَرَةِ فَضْرَبَتْ بِهِ فَلَعَتْ فِي رَأْسِهِ شَجَةً مُنْكَرَةً وَقَالَتْ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ اسْتَضَعَفْتَهُ إِنْ رَأَيْتُ سَيِّدَةً غَائِبًا عَنْهُ فَقَامَ ذَلِيلًا فَوَاللَّهِ مَا عَاشَ إِلَّا سَبْعَ لَيَالٍ حَتَّى ضَرَبَهُ اللَّهُ بِالْعَدْسَةِ فَقَتَلْتُهُ فَلَقَدْ تَرَكَهُ ابْنَاءَهُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً مَا يَذْفِنَانِهِ حَتَّى أَتَتْنِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ لِابْنِهِ : أَلَا تَسْتَحْيِيَانِ أَنْ أَبَاكَمَا قَدْ أَتَتْنِ فِي بَيْتِهِ فَقَالَا : إِنَّا نَحْشَى هَذِهِ الْقَرْحَةَ ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَتَّقِي الْعَدْسَةَ كَمَا تَتَّقِي الطَّاعُونَ فَقَالَ رَجُلٌ : انْطَلِقَا فَاُنَا مَعَكُمْ قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا عَسَلُوهُ إِلَّا قَذْفًا بِالمَاءِ عَلَيْهِ مِنْ بَعِيدٍ ثُمَّ احْتَمَلُوهُ فَقَذَفُوهُ فِي أَعْلَى مَكَّةَ إِلَى جِدَارٍ وَقَذَفُوا عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ .

قال الشيخ الغزالي : شدة العرب قاطبة للنصر الحاسم الذي ناله المسلمون في بدر ، بل إن

= كبت : المكبوت : الممتلئ ، غمًا .

كبته : يكبته : صرعه وأخزاه وضربه وكسره ورة العدو بهيظه .

الأقداح : القِدْحُ : السهم قبل أن يراش وينصل ، ونميتها : بريةا ، وتأقي القدح بمعنى : السهم الذي كانوا يستقسمون به في الجاهلية .

الطَنْبُ : حبلٌ طويلٌ يشدُّ به سرادق البيت أو الوتد .

بُلْقٍ : جمع أُلْبَقٍ ، بُلْقٍ الفرس ونحوه بُلْقًا وبُلْقَةً كان فيه سواد وبياض فهو ألبق وهي بُلْقَاء .

وثاورته : ثاوره مثاورة وثواراً : واثبه .

فلعت : شققت .

العدسة : بذرة تخرج بالبدن فتقتل ، ربما الجُدري .

أتق : تان تلتنا : خبشت رائحته ، فهو تان .

أهل مكة استنكروا الحَبْرَ أول ما جاءهم ، وحسبوه هَذَيَانِ مجنون ، فلما استبان صدقه صَعِقَ نفر منهم فهلك لتَوَّه ، وماج بعضهم في بعض من هول المصاب لا يدري ما يفعل ...

وكا استبعد أهل مكة الهزيمة على أنفسهم حتى جوبهوا بعارها ، استبعد مشركو المدينة ويهودها ما قرع آذانهم من بشریات الفوز ، وذهب بعضهم إلى حدِّ اتهام المسلمين بأن ما يذاع عن نصرهم محض اختلاق ، وظلوا يكابرون حتى رأوا الأسرى مقرنين في الأصفاد ، فسقطَ في أيديهم .

وقد اختلفت مسالك الأحزاب الكافرة بإزاء المسلمين بعد هذا الغلب الذي مكن للإسلام وأهله ، وجعل سلطانهم مهيباً في المدينة وما حولها ، ومد نفوذهم على طريق القوافل في شمال الجزيرة ، فأصبح لا يمر بها أحد إلا ياذنهم .

فأما أهل مكة فقد انطوا على أنفسهم ، يداوون جراحهم ، ويستعيدون قوامهم ويستعدون لنيل ثأرهم ، ويعلنون أن يوم الانتقام قريب ، ولم تزدِهم الهزيمة إلا كرهاً للإسلام ، وتقمّة على محمد وصحبه ، واضطهاداً لمن يدخل في دينه ، فكان من ينشر صدره للإسلام يختفي به أو يعيش ذليلاً مستضعفاً. ذلك في مكة ، حيث كانت الدولة للكفر .

أما في المدينة حيث المسلمون كثرة مكينة ظاهرة ؛ فقد اتخذت العداوة للإسلام طريق الدس والنفاق والمخاتلة ، فأسلم فريق من المشركين واليهود ظاهراً وقلوبهم تغلي حقداً وكفراً ، وعلى رأس هؤلاء عبد الله بن أبي .

روى أسامة بن زَيْدٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ - كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - وَيَصْبِرُونَ عَلَى الْأَذَى :

﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ (١) .

فكان النبي ﷺ يتأول في العفو الذي أمره الله به - حتى أذن فيهم فلما غزا بدرًا ، وقتل

الله فيها من قتل من صناديد قريش ، وقفل رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه منصورين غانمين معهم أسارهم . قال « عبد الله بن أبي » ومن معه من المشركين عبدة الأوثان هذا أمر قد توجه (أي استقر فلا مطمع في إزالته) فبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام فأسلموا ..

على أن هذا الخداع لاذ به فريق من الكفار في الوقت الذي عالن فيه فريق آخر من اليهود بسخطهم على محمد ، وألهم للهزيمة التي أصابت قريشاً في « بدر » بل إن كعب بن الأشرف - من رجالات اليهود - أرسل القصائد في رثاء قتلاهم والمطالبة بثأرهم . !

ولقد اتسعت شقة العداوة بين المسلمين واليهود إثر هذا الموقف النابي .

ثم حاول اليهود أن يحرقوا من شأن النصر الذي حظي به الإسلام ، مما مهد للأحداث العنيفة التي وقعت بعد ، ودفع اليهود ثمنها من دمهم ، أفراداً وجماعات .

وعلق الدكتور السباعي على غزوة بدر فقال رحمه الله : إن النصر في المعارك لا يكون فقط بكثرة العدد ، ووفرة السلاح ، وإنما يكون بقوة الروح المعنوية لدى الجيش . وقد كان الجيش الإسلامي في هذه المعارك يمثل العقيدة النقية والإيمان المتقصد ، والفرح بالاستشهاد ، والرغبة في ثواب الله وجنته ، كما يمثل الفرحة من الانعتاق من الضلال ، والفرقة ، والفساد ، بينما كان جيش المشركين يمثل فساد العقيدة ، وتفسيخ الأخلاق ، وتفكك الروابط الاجتماعية ، والانفاس في الملذات ، والعصبية العمياء للتقاليد البالية ، والآباء الماضين ، والآلهة المزيقة .

انظر إلى ما كان يفعله الجيشان قبل بدء القتال ، فقد حرص المشركون قبل بدء معركة بدر على أن يقيموا ثلاثة أيام ، يشربون فيها الخمر ، وتغني لهم القيان ، وتضرب لهم الدفوف ، وتشعل عندهم النيران لتسمع العرب بما فعلوا فتهابهم ، وكانوا يظنون ذلك سبيلاً إلى النصر ، بينما كان المسلمون قبل بدء المعركة يتجهون إلى الله بقلوبهم ، يسألونه النصر ، ويرجون الشهاده ، ويشمون روائح الجنة . ويخبر الرسول ﷺ ساجداً مبتهلاً يسأل الله أن ينصر عباده المؤمنين ، وكانت النتيجة أن انتصر الأتقياء الخاشعون ، وانهزم اللاهون العابثون .

والذي يقارن بين أرقام المسلمين المحاربين ، وبين أرقام المشركين المحاربين في كل معركة . يجد أن المشركين أكثر من المسلمين أضعافاً مضاعفة . ومع ذلك فقد كان النصر للمسلمين ، حتى في معركتي أحد وحنين حيث انتصر فيهما المسلمون ، ولولا ما وقع من أخطاء المسلمين في هاتين المعركتين ومخالفتهم لأمر رسول الله ﷺ ، لما لقي المسلمون هزيمة قط .

- إن شدة عزائم الجيش واندفاعه في خوض المعركة ، وفرحه بلقاء عدوه يزيد القائد إقداماً في تنفيذ خطته ، وثقته بالنجاح والنصر . كما حدث في معركة بدر .

- إن على القائد ألا يكره جيشه على القتال ، وخوض المعارك إذا كانوا غير راغبين ومتحمسين حتى يتأكد من رضاهم وتحمسهم ، كما فعل الرسول ﷺ من استشارة أصحابه يوم بدر قبل خوض المعركة .

- إن احتياط الجنود لحياة قائدهم أمر تحتمه الرغبة في نجاح المعركة والدعوة ، وعلى القائد أن يقبل ذلك ، لأن في حياته حياة الدعوة ، وفي فواتها خسارة المعركة .

وقد رأينا في معركة بدر كيف رضي صلى الله عليه وسلم ببناء العريش له ، ورأينا في بقية المعارك : « أحد » و « حنين » ، كيف كان المؤمنون الصادقون وللمؤمنات الصادقات يلتفتون جميعاً حول رسولهم ، ويحمونه من سهام الأعداء ، بتعريض أنفسهم لها ، ولم يعرف عنه ﷺ أنه أنكر ذلك مع شجاعته وتأيد الله له ، بل أثنى على هؤلاء الملتفتين حوله ، كما رأينا في ثنائه على نسيبة أم عمارة ، ودعائه لها بأن تكون هي وزوجها وأولادها رفقاءه في الجنة .

- إن الله تبارك وتعالى يحيط عباده المؤمنين الصادقين في معاركهم بجيش من عنده ، كما أنزل الملائكة يوم بدر ، وأرسل الريح يوم الأحزاب . وما دام هؤلاء المؤمنون يحاربون في سبيله ، فكيف يتخلّى عنهم وهو الذي قال : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١)

وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ^(١) .

- إن من طبيعة الداعية الصادق أن يحرص على هداية أعدائه ، وأن يفسح لهم المجال لعل الله يلقي في قلوبهم الهداية ، ومن هنا نفهم سر ميل الرسول إلى فداء الأسرى يوم بدر ، فقد كان يرجو أن يهديهم الله ، وأن تكون لهم ذرية من بعدهم تعبد الله وتدعو إليه ، وإذا كان القرآن الكريم قد عاتب الرسول على ذلك ، فلأن هناك مصلحة أخرى للإسلام يومئذ ، وهو إرهاب أعداء الله والقضاء على رؤوس الفتنة والضلالة ، ولو قتل الأسرى يوم بدر لضعفت مقاومة قريش للقضاء على زعمائها ومؤججي نار الفتنة ضد المؤمنين .

ويلوح لي سر آخر في قبول الرسول أمر الفداء ، وهو أن العباس عم الرسول ﷺ كان من بين الأسرى ، وللعباس مواقف في نصرة الرسول قبل إعلان إسلامه ، فقد شهد معه بيعة العقبة الثانية سراً ، وكان يخبر الرسول عن كل تحركات قريش ، مما يؤكد عندي أنه كان مسلماً يكتُم إسلامه ، فكيف يقتله الرسول وهذا شأنه معه ؟ ولو استثناه الرسول من بين الأسرى لخالف شرعته في تحريم قتل المسلم إن كان العباس مسلماً . وإن كان مشركاً ، فشرعته لا تفرق بين قريب وبعيد في الوقوف موقف الحزم والعداء من كل من يحارب الله ورسوله ، ولا تغتنها المشركون والمنافقون فرصة للتشهير به ، ولإضعاف الثقة بعدالته وتجرده عن الهوى في كل ما يصدر عنه ، وليس ذلك من مصلحة الدعوة في شيء .

فوائد من كتاب غزوة بدر للدكتور محمد أبو فارس

وبما قاله الدكتور أبو فارس حول دروس بدر الكبرى :

- أهمية الشورى في الإسلام وفي مجال الحرب خصوصاً ، وإذا كان النبي ﷺ الموحى إليه من ربه يستشير أصحابه في القتال وغيره ، أفلا تكون الشورى في حق غيره أكد وأوجب .
- ضرورة تعرف القائد على مدى رغبة الجنود في القتال وهذا ما فعله رسول الله ﷺ في مشاورة أصحابه ، إذ إن المكره على القتال لا يمكن أن يقدم نتيجة إيجابية .

- تتجلى في بدر صفات القائد الناجح ومن ذلك : التواضع وعدم التبرّز والسهر على راحة الجنود وبذل الحب لهم وتوثيق الصلة بالله والسرية في التحرك والإيثار...

ومن نعم الله على المسلمين في غزوة بدر :

١ - النعاس والنوم : وفي ذلك راحة للجسم واطمئنان للنفوس وسكينة وهدوء وهمة متوثبة على عكس عدوم الذي كان متوتراً هائجاً قلقاً مضطرباً .

٢ - إنزال المطر : يأخذون منه حاجتهم وناحية أخرى أن المطر في جانب المسلمين كان معتدلاً حتى تماسكت الأرض تحتهم ، أما في جانب المشركين فكان غزيراً فأوحلت الأرض .

٣ - إراءة الله المسلمين المشركين قلة .

٤ - إنزال الله الملائكة تؤيد المؤمنين وتقاتل معهم .

٥ - إلقاء الرعب في قلوب الكافرين .

٦ - أوحى الله إلى النبي ﷺ أن يرمي الحصباء فاستقبل قريشاً وريماها قائلًا : شأهت الوجوه ، فأوصل الله ذرات الرمل إلى أعين المقاتلين فانشغلوا بذلك عن القتال وكل ذلك بقدرة الله ﷻ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ^(١) . اهـ بتصرف من كتاب غزوة بدر .

فائدة أخيرة : في كتاب فن الحرب لـ « صن تزو » - وهو مؤلف صيني قديم - ذكر أن قرار الحرب لا ينبغي أن يتخذ إلا إذا توافرت شروط :

١ - ثقة الشعب بحكومته .

٢ - ارتفاع معنويات الجنود .

٣ - وجود القائد الكفء .

٤ - معرفة الأرض .

(١) الأنفال : ١٧ .

٥ - مراعاة الطقس وأن يتخذ قرار الحرب ينبغي أن يتخذ في المعبد ليباركه الله .
 وهو كلام حكيم ولو أنك تأملت غزوة بدر لوجدت توجهها نحو الله ولرايت ثقة لا
 مثيل لها ومعنويات لا مثيل لها وقيادة لا مثيل لها واختيار لأرض المعركة .
 ولرايت مع هذا كله طقساً موافقاً لأهل الحق وذلك كله من التوفيقات الإلهية التي تجعل
 أفعال رسول الله ﷺ على أعلى ما تصل إليه حكمة الحكماء مع احتمال خطئهم .

* * *

فصل : في إجلاء يهود بني قينقاع

٣٥٧ - * روى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أصابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَرْيُشًا يَوْمَ بَذْرِ ، وَقَدِيمَ الْمَدِينَةِ ، جَمَعَ الْيَهُودَ فِي سَوَاقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ ، فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ يَهُودَ ، أَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَرْيُشًا » قَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، لَا يَفْرُنَكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قَرْيُشٍ كَانُوا أَغْثَارًا لَا يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ ، إِنَّكَ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتُمْ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ ، وَأَنَّكَ لَمْ تَلَقَ مِثْلَنَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَلِبُونَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ فَتَّةٌ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ بِبَذْرِ ﴿ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾ (١) .

وقد فصلَ كُتَّابُ السَّيْرِ مَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ بَنِي قَيْنُقَاعَ فَذَكَرَهَا ابْنُ هِشَامٍ وَابْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ وَيَذْكُرُ الْمَفْسُورُونَ قِصَّتَهُمْ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَلِبُونَ وَتَحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ . وَعِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ (٢) .

وهناك خلاف بين كُتَّابِ السَّيْرِ حَوْلَ السَّنَةِ الَّتِي حَدَّثَتْ فِيهَا وَاقِعَةُ بَنِي قَيْنُقَاعَ ، وَالْوَاقِدِيُّ يَرَى أَنَّهَا كَانَتْ فِي يَوْمِ السَّبْتِ النِّصْفِ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ ثَنَتَيْنِ مِنَ الْهَجْرَةِ .

قال ابن حجر العسقلاني في الفتح : ونون قينقاع مثلثة والأشهر فيها الضم ، وكانوا أول من أخرج من المدينة كما تقدم في أول الباب . وروى ابن إسحاق في المغازي عن أبيه عن

٣٥٧ - أبو داود (٣ / ١٥٤) ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب : كيف كان إخراج اليهود من المدينة ، وهو حديث حسن بشواهده .

أغصانًا : الأغصان ؛ جمع عُمر بضم الفين ، وهو الجاهل الفَرّ الذي لم يجرب الأمور .

(١) آل عمران : ١٢ ، ١٣ .

(٢) المائدة : ٥١ ، ٥٢ .

عبادة بن الوليد عن عبادة بن الصامت قال : لما حاربت بنو قينقاع قام بأمرهم عبد الله بن أبي فشى عبادة بن الصامت وكان له من حلفهم مثل الذي لعبد الله بن أبي ، فترا عبادة منهم . قال : فنزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ . إلى قوله ﴿ يَقُولُونَ نَحْشِي أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ وكان عبد الله بن أبي لما سأل النبي ﷺ أن ين عليهم قال : يا محمد إنهم منعوني من الأسود والأحمر ، وإني امرؤ أخشى الدوائر ، فوهبهم له . وذكر الواقدي أن إجلأهم كان في شوال سنة اثنتين ، يعني بعد بدر شهر ، ويؤيده ما روى ابن إسحق بإسناد حسن عن ابن عباس قال : « لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر جمع يهود في سوق بني قينقاع فقال يا يهود : أسلموا قبل أن يصيبكم ما أصاب قريشاً يوم بدر ، فقالوا : إنهم كانوا لا يعرفون القتال ولو قاتلتنا لعرفت أننا الرجال . فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَلِبُونَ ﴾ . إلى قوله - ﴿ لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ وأغرب الحاكم فزعم أن إجلأ بني قينقاع وإجلأ بني النضير كان في زمن واحد ، ولم يوافق على ذلك . أ.هـ .

وقد قال ابن كثير في البداية والنهاية : قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن بني قينقاع كانوا أول يهود تقضوا العهد وحاربوا فيما بين بدر وأحد . قال ابن هشام فذكر عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن غزمية عن أبي عون قال : كان أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بحلب لها فباعته بسوق بني قينقاع وجلست إلى صائغ هناك منهم ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سواها فضحكوا بها ، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهودياً فشددت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فأغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع . قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم فقال : يا محمد أحسن في موالي وكنوا حلفاء الحزرج قال : فأبطل عليه رسول الله ﷺ فقال : يا محمد أحسن في موالي فأعرض عنه ، قال : فأدخل يده في حيب درع النبي ﷺ قال ابن هشام : وكان يقال لها

ذَاتَ الْفَضُولِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أُرْسِلْنِي» وَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى رَأَوْا لَوَجْهَهُ ظُلُمًا^(١) ثُمَّ قَالَ : « وَيُحَكِّكْ أُرْسِلْنِي » قَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أُرْسِلُكَ حَتَّى تُحَسِّنَ فِي مَوَالِيَّ أَرْبَعَمِائَةِ خَاصِرٍ وَثَلَاثَةَ دَارِعٍ قَدْ مَنَعُونِي مِنَ الْأَخْمَرِ وَالْأَسْوَدِ تُحْصِدُهُمْ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ إِنِّي وَاللَّهِ أَمْرٌ أَخْشَى الدَّوَائِرَ . قَالَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هُمْ لَكَ » . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ وَاسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَاصِرَتِهِ إِثَامَ أَبِي لُبَابَةَ بِشِيرِ بْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ وَكَانَتْ مُحَاصِرَتَهُ إِثَامَهُمْ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ عَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ : لَمَّا حَارَبْتُ بَنُو قَيْنِقَاعِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَشَبَّثَ بِأَمْرِهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَقَامَ دُونَهُمْ وَمَشَى عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ مِنْ بَنِي عَوْفٍ لَهُ مِنْ حَلْفِهِمْ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَجَعَلَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَبَرَّأَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ مِنْ حَلْفِهِمْ وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَوَلَّى اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ وَأَبْرَأُ مِنْ حَلْفِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ وَوَلَايَتِهِمْ قَالَ وَفِيهِ وَفِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَزَلَتْ الْآيَاتُ مِنَ الْمَائِدَةِ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ الْآيَاتِ حَتَّى قَوْلِهِ : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ يَعْنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾^(٢) يَعْنِي عِبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ . اهـ .

وقال ابن حجر : وكان الكفار بعد الهجرة مع النبي ﷺ على ثلاثة أقسام : قسم وادعهم على أن لا يحاربوه ولا يمالئوا عليه عدوه ، وهم طوائف اليهود الثلاثة قريظة والنضير وقينقاع . وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش . وقسم تاركوه وانتظروا ما يؤول إليه أمره كطوائف من العرب ، فمنهم من كان يحب ظهوره في الباطن كخزاعة ، وبالعكس كبنو بكر ، ومنهم من كان معه ظاهراً ومع عدوه باطناً وهم المنافقون ، فكان أول من تقض العهد من اليهود بنو قينقاع فحاربهم في شوال بعد وقعة بدر فنزلوا على حكه ، وأراد قتلهم

(١) ظُلُمًا : جمع ظُلْمَةٍ ، يعني تنير وجهه عند اشتداد الغضب .

(٢) المائدة : ٥١ - ٥٦ .

فاستوهمهم منه عبد الله بن أبيّ وكانوا حلفاء فوهبهم له ، وأخرجهم من المدينة إلى أذرعات . اهـ .

أقول : من أجل اعتداء على حجاب امرأة مسلمة واحدة فعل رسول الله ﷺ ما فعل ، وهذه القصة ذات دلالات كثيرة على طبيعة اليهود وطبيعة النفاق ، وكيف أنّ الحزم من ناحية وحسن السياسة من ناحية أخرى هما طريقا المسلمين في معالجة أمور الدولة .

* * *

تقويم الموقف في نهاية السنة الثانية للهجرة

في نهاية السنة الثانية للهجرة أخذت الهيبة العسكرية للمسلمين مداها الكبير في دائرة واسعة من الجزيرة العربية ، وأحس ضعفاء المشركين بالخطر وشعر أقويأؤهم بغلبة الإسلام ، وبدأت النفوس تتطلع إلى الإيمان ، فتوسّعت دائرة الدخول في الإسلام ، ورأى الكثيرون أن يدخلوا في الإسلام نفاقاً ضعفاً أو خديعة ، وهذا كله أصبحت الدولة الجديدة أمام أوضاع جديدة من المكر والتآلب والتحالفات ، ولكن عين رسول الله ﷺ الساهرة وحكمته الباهرة وتأييد الله له أولاً وآخرأ دفع الأمور في غير الطريق التي يخطّط لها الأعداء :

﴿ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ ^(١)

﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ولو كره الكافرون ﴾ ^(٢)

* * *

(١) الأنفال : ٣٠ .

(٢) الصف : ٨ .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الناشر	٥
مقدمة الأساس في السنة وفقهها	٩
أولاً : تعريف بهذا الكتاب	١١
تمهيد :	١١
ضخامة المكتبة الحديثية	١٧
منهج تأليف هذا الكتاب	٢٥
أقسام الكتاب	٣٢
ثانياً : التعريف بأصول هذا الكتاب ومصنفاتها	٣٥
١ - الإمام البخاري وصحيحه	٣٦
الجامع الصحيح	٣٧
الحامل له على تأليف الصحيح	٣٨
منهج البخاري في جمع الصحيح	٣٨
براعة البخاري في النقد	٣٩
شروط البخاري في التصحيح في القمة	٤٠
٢ - الإمام مسلم وصحيحه	٤٢
صحيح الإمام مسلم	٤٣
ساحة الإمام في البحث	٤٤
منهج مسلم في صحيحه	٤٤
خصائص صحيح مسلم	٤٥
٣ - الإمام أبو داود وسننه	٤٧
٤ - الإمام الترمذي وسننه	٥٠
٥ - الإمام النسائي وسننه	٥١

- ٦ - ابن ماجه وسننه ٥٣
- ٧ - الدارمي وسننه ٥٦
- ٨ - الإمام مالك وموطؤه ٦١
- ٩ - الإمام أحمد ومسنده ٦٤
- ١٠ ، ١١ ، ١٢ - معاجم الطبراني الثلاثة ٦٨
- ١٣ - ابن حبان وصحيحه ٧٠
- ١٤ - ابن خزيمة وصحيحه ٧٢
- ١٥ - أبو يعلى ومسنده ٧٥
- ١٦ - أبو بكر البزار ومسنده ٧٦
- ١٧ - الحاكم ومستدركه ٧٧
- ١٨ - رزين وابن الأثير وابن الديبع الشيباني والأصول الستة ٨٠
- ١٩ - نور الدين الهيثمي ومجمع الزوائد ٨٥
- ٢٠ - محمد بن محمد بن سليمان المغربي وكتابه جمع الفوائد ٨٨
- القسم الأول : في السيرة النبوية : ٩١
- المقدمة : ٩٥
- تصحيح مفاهيم حول السيرة ٩٨
- ١ - حاجة البشرية إلى الدين ١٠٠
- ٢ - محمد الرسول الأكمل صلى الله عليه وسلم ١٠٢
- الشروط الصحيحة لسيرة الهادي القدوة ١٠٦
- ٣ - شرط التاريخية ١٠٦
- ٤ - شرط الكمال المطلق ١١٣
- ٥ - شرط الشمولية ١١٧
- ٦ - واقعية السيرة المحمدية ١٢٢
- ٧ - عالمية السيرة المحمدية ١٢٤

- ٨ - حقيقة الرسالة المحمدية وأباديها على البشرية ١٢٦
- الباب الأول : من البدء حتى النبوة الشريفة ١٣٣
- هذه المرحلة في سطور ١٣٥
- فصل : في فضل النسب وفي فضل الجيل ١٣٨
- نسب الرسول صلى الله عليه وسلم ١٣٨
- اصطفاء نبينا من خير بني آدم ومن خير الأجيال ١٣٨
- تزكية الله لنبية صلى الله عليه وسلم وللصحابه ١٤٠
- « هاجر » جدة رسولنا - عليها الصلاة والسلام - ١٤١
- تعليق حول صدق إبراهيم عليه السلام ١٤٢
- قصة إسماعيل الذبيح - عليه السلام - وبناء البيت ١٤٣
- فائدة : في التعريف بالقبائل العربية ١٤٧
- فصل : في بعض البشارات بنبينا صلى الله عليه وسلم ١٥١
- بشارات في الكتب السابقة ١٥١
- قصة تدل على أن الراسخين في العلم كانوا يعرفون علامات من شأنه ١٥٢
- قصة بحيرا وما بها من شاهد على أنه عليه الصلاة والسلام مبشر به ١٥٤
- فائدة حول موضوع الكشف للأولياء ١٥٥
- فصل : في الميلاد ١٥٦
- متى ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ١٥٦
- ولد يتيماً صلى الله عليه وسلم ١٥٧
- تعليق حول الحكمة من هذا اليتيم وذاك الفقر ١٥٨
- فصل : في أسمائه صلى الله عليه وسلم ١٥٩
- فائدة حول تنشئته صلى الله عليه وسلم في البادية ١٦٣
- فصل : في شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم وتكرار هذه الحادثة ١٦٤

- ١٦٦ فوائد حول حادثة شق الصدر
- ١٦٧ فصل : في رعيه صلى الله عليه وسلم الغنم والحكمة من ذلك
- ١٦٩ فصل : في عصيته ﷺ مما يشينه حتى قبل البعثة
- ١٦٩ عصيته من فعل الجاهلية
- ١٧١ فصل : في حضوره حلف الفضول
- ١٧١ فوائد حول حادث حلف الفضول
- ١٧٣ فصل : في الإجارة عند خديجة ثم زواجه ﷺ منها
- ١٧٥ فصل : في رجاحة عقله ﷺ وتلقيبه بالأمين قبل البعثة
- ١٧٥ فائدة حول تحكيه ﷺ في وضع الحجر الأسود
- ١٧٦ بركته ومحبة الناس له وثقتهم به
- ١٧٧ فصل : في مقدمات بعثته صلى الله عليه وسلم
- ١٧٧ تطلعات إلى دين جديد صحيح
- ١٧٨ ضلال العرب في عقائدهم وفساد تصرفاتهم
- ١٨٠ نقل حول ما وصل إليه العرب من سوء الأحوال وحاجتهم إلى الدين الجديد
- ١٨١ الفترة التي بين عيسى ونبينا - عليها الصلاة والسلام
- ١٨٢ إرهابات بنبوته صلى الله عليه وسلم
- ١٨٣ خاتمة الباب
- ١٨٥ الباب الثاني : من البعثة حتى الاستقرار في المدينة
- ١٨٧ هذه المرحلة في سطور
- ١٩٠ من ملامح هذه المرحلة
- ١٩٣ فصل : في بدء الوحي وفترته واستثنائه
- ١٩٥ السر في الخلوة

١١٥	حياته قبل النبوة
١٩٦	المراحل الأولى للوحي
٢٠٢	فصل : في ظاهرة الوحي
٢٠٧	أقسام الوحي
٢٠٨	حفظ أمر السماء بعد النبوة
٢١١	القرآن : معجزة الرسول ﷺ الخالدة
٢١٢	متى وكيف نزل القرآن
٢١٤	فصل : في الدعوة السرية
٢٢٣	بداية الدعوة في سريتها وفرديتها
٢٣٥	فصل : في الدعوة الجهرية
٢٣٩	أصناف خصوم الدعوة الجهرية
٢٤٦	فصل ووصل :
٢٤٨	فصل : في هجري الحبشة
٢٥٥	دروس من الهجرة إلى الحبشة
٢٥٨	فصل : في إسلام عمر وحزمة
٢٦٠	دروس من إسلام عمر وحزمة
٢٦٢	فصل : في حصار الشعب
٢٦٤	درس من الحصار
٢٦٥	جزاء المقاطعة
٢٦٧	فصل : في انشقاق القمر
٢٧١	فصل : الإيذاء مستمر والدعوة مستمرة
٢٧٣	فصل : عام الحزن والشدة

٢٧٩	فصل : في رحلة الطائف
٢٨٣	فصل : في تبليغ الجن
٢٨٨	الفرج بعد الشدة
٢٨٩	فصل : في تكسير بعض الأصنام
٢٩١	فصل : في الإسراء والمعراج
٢٩٣	زمن الإسراء والمعراج
٢٩٣	الإيمان بالإسراء والمعراج
٢٩٤	الإسراء بالروح وبالجسد
٣١٤	فصل : في بداية دخول الإسلام المدينة المنورة وفي بيعتي العقبة
٣٢٨	فصل : في الهجرة إلى المدينة المنورة
٣٢٩	الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام
٣٣٧	هجرة الرسول ﷺ
٣٤٥	فوائد من فتح الباري
٣٥٨	فوائد من كتاب الهجرة للدكتور محمد أبو فارس
٣٦٠	تأملات في العهد المكي وتصويبات
٣٦٣	الباب الثالث : من الاستقرار في المدينة حتى الوفاة
٣٦٥	هذه المرحلة في سطور
٣٦٥	من ملامح هذه المرحلة
٣٦٧	السنة الأولى للهجرة
٣٦٩	أحداث السنة الأولى في سطور
٣٧١	فصل : المدينة عند الهجرة
٣٧١	اليهود
٣٧٦	الأوس والخزرج

الوضع الطبيعي	٣٧٨
الحالة الدينية والمكانة الاجتماعية	٣٧٩
الحالة الاقتصادية والحضارية	٣٨١
الوضع المعقد الذي واجهه الرسول ﷺ في مدينة يثرب	٣٨٤
فصل : في التأريخ بالهجرة	٣٨٥
فصل : في حسن الاستقبال وقوة الإقبال	٣٨٧
فصل : المسجد أولاً	٣٩١
فصل : المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار	٣٩٧
أهداف المؤاخاة	٤٠١
فصل : في الترتيبات الدستورية	٤٠٣
دروس من الصحيفة	٤٠٧
فصل : في البيعة	٤١١
فصل : في الإذن بالقتال وبدء الحركة القتالية	٤١٣
فصل : في أمور متفرقة حدثت في السنة الأولى	٤١٧
١ - إسلام عبد الله بن سلام	٤١٧
٢ - خروج وباء المدينة منها	٤١٩
٣ - دخوله عليه الصلاة والسلام بعائشة	٤١٩
٤ - تشريع الأذان وإكمال الصلاة	٤٢٠
٥ - حراسة الصحابة لرسول الله ﷺ	٤٢٢
تقويم الموقف في نهاية السنة الأولى	٤٢٤
السنة الثانية للهجرة	٤٢٥
هذه السنة في سطور	٤٢٧
١ - في تحالفات هذا العام	٤٢٧

٤٢٨	٢ - في الحركة العسكرية
٤٢٣	فصل : في سرية عبد الله بن جحش
٤٣٤	دروس من هذه السرية
٢٣٦	الحكمة في السرايا
٤٣٨	فصل : في تحويل القبلة
٤٤٠	دروس من تحويل القبلة
٤٤١	عدد غزواته ﷺ
٤٤٣	فصل في غزوة بدر
٤٤٣	تهديد
٤٤٥	١ - مقدمات الغزوة
٤٥٠	٢ - صور ومشاهد
٤٦٩	عوامل النصر
٤٨١	٣ - الأنفال
٤٨٧	٤ - فضل أهل بدر
٤٩٠	٥ - الأسارى
٤٩٧	٦ - آيات بدرية
٤٩٩	٧ - من فقه غزوة بدر
٥٠١	٨ - في أعقاب بدر
٥٠٦	فوائد من كتاب غزوة بدر للدكتور محمد أبو فارس
٥٠٧	ومن نعم الله على المسلمين في غزوة بدر
٥٠٩	فصل : في إجلاء يهود بني قينقاع
٥١٢	تقويم الموقف في نهاية السنة الثانية للهجرة

رقم الإيداع : ٢٨٧٢ / ٨٩
التقويم الدولي : ١ - ٢٤ - ١٤٧١ - ٩٧٧

سَعِيدُ حَوّٰى

الْأَسْبَغُ فِي السَّنَةِ

وَفَفْهَهَا

المجلد الثاني

القسم الأول

السيرة النبوية

دار السّلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة
للمنشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

١٢٠ شارع الأزهر - ص. ب. ١٦١ الغربية
ت: ٩٣٢٨٢٠ - ٢٧٤١٥٧٨ فاكس ٢٧٤١٧٥٠

الطبعة الثالثة

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

السَّنة الثَّالِثَةُ لِلْهِجْرَةِ

هذه السنة في سطور

أبرز أحداث هذه السنة غزوة ذي أمر، وقتل كعب بن الأشرف، وغزوة بخران، وسرية زيد بن حارثة، ووقعة أحد، ثم غزوة حمراء الأسد، وفي هذه السنة: تزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر، وزوج عثمان بن عفان بنته أم كلثوم رضي الله عنها، أما الحياة الدعوية والتربوية والتعليمية والتشريعية فهي مستمرة بشكل دائم، والملاحظ أنّ حجم القوة التي خرجت يوم أحد تعدل نحو مثلي القوة التي خرجت يوم بدر، وصحيح أنّ بعض الصحابة لم يخرج يوم بدر ولكن ما كان الغائبون ليبلغوا هذا المبلغ، ولما كنّا سنعقد ثلاثة فصول عن مقتل كعب بن الأشرف ووقعة أحد وغزوة حمراء الأسد، بسبب أن قتل كعب بن الأشرف يعتبر ظاهرة مهمة في الحركة العسكرية، وبسبب من أنّ وقعة أحد وغزوة حمراء الأسد نزل فيهما قرآن لأهميتهما؛ لذلك وجرياً على عادتنا سنرسم صورة مختصرة لمجريات الأمور في هذه السنة تاركين التوسع إلى حينه :

* * *

قال صاحب الرحيق المختوم :

غَزْوَةُ ذِي أَمْرِ (بِنَجْدٍ)

وهي أكبر حملة عسكرية قادها رسول الله ﷺ قبل معركة أحد، قادها في المحرم سنة ٣ هـ . وسببها أن استخبارات المدينة نقلت إلى رسول الله ﷺ أن جمعاً كبيراً من بني ثعلبة ومحارب (من غطفان) تجمعوا ، يريدون الإغارة على أطراف المدينة ، فندب رسول الله ﷺ المسلمين ، وخرج في أربعمائة وخمسين مقاتلاً ما بين راكب وراجل ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان .

وفي أثناء الطريق قبضوا على رجل يقال له جبار من بني ثعلبة ، فأدخل على رسول الله ﷺ ، فدعاه إلى الإسلام فأسلم ، فضمه إلى بلال ، وصار دليلاً لجيش المسلمين إلى أرض العدو .

وتفرق الأعداء في رؤوس الجبال حين سمعوا بقدوم جيش المدينة . أما النبي ﷺ فقد وصل بجيشه إلى مكان تجمعهم ، وهو الماء المسمى « بذي أمر » فأقام هناك صفراً كله - من سنة ٢ هـ - أو قريباً من ذلك ، ليشعر الأعراب بقوة المسلمين ، ويستولي عليهم الرعب والرهبة ، ثم رجع إلى المدينة .

* * *

غزوة بَحْران

وهي دورية قتال كبيرة ، قوامها ثلاثمائة مقاتل ، قادها الرسول ﷺ في شهر ربيع الآخر سنة ٣ هـ إلى أرض يقال لها بجران - وهي معدن بالحجاز في ناحية الفرع - فأقام بها شهر ربيع الآخر ثم جمادى الأولى - من السنة الثالثة من الهجرة - ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق حرباً .

* * *

واختلفت المصادر في تعيين سبب هذه الغزوة فقليل : إن استخبارات المدينة نقلت إلى رسول الله ﷺ أن بني سليم يحشدون قوات كبيرة لغزو المدينة أو أطرافها ، وقيل : بل خرج يريد قريشاً ، وهذا الثاني هو الذي ذكره ابن هشام واختاره ابن القيم - حتى لم يذكر الأول رأساً - وهو الوجه ، وذلك لأن ديار بني سليم لم تكن بناحية الفرع ، وإنما هي في نجد بعيدة عن ناحية الفرع .

* * *

سرية زيد بن حارثة (إلى القردة)

وهي آخر وأنجح دورية للقتال قام بها المسلمون قبل أحد ، وقعت في جمادى الآخرة سنة ٣ هـ .

وتفصيلها أن قريشاً بقيت بعد بدر يساورها القلق والاضطراب ، وجاء الصيف واقترب

موسم رحلتها إلى الشام فأخذها هم آخر .

قال صفوان بن أمية لقريش - وهو الذي انتخبته قريش في هذا العام لقيادة تجارتها إلى الشام - : إن محمداً وصحبه عَوَّزُوا علينا متجربنا ، فما ندري كيف نصنع بأصحابه ، وهم لا يَبْرَحُونَ الساحل ؟ وأهل الساحل قد وادَعَهُمْ ودخل عامَّتُهُمْ معهُ ، فما نَدْرِي أين نسلك ؟ وإن أَقْمُنَا في دارنا هذه أَكَلْنَا رءوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء . وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام في الصيف ، وإلى الحبشة في الشتاء .

ودارت المناقشة حول هذا الموضوع . فقال الأسود بن عبد المطلب لصفوان : تنكب الطريق على الساحل وخذ طريق العراق - وهي طريق طويلة جداً تخترق نجداً إلى الشام ، وتمر في شرقي المدينة على بعد كبير منها ، وكانت قريش تجهل هذه الطريق كل الجهل - فأشار الأسود بن عبد المطلب على صفوان أن يتخذ فرات بن حيان - من بني بكر بن وائل - دليلاً له ، يكون رائده في هذه الرحلة .

وخرجت عير قريش يقودها صفوان بن أمية ، آخذة الطريق الجديدة ، إلا أن أنباء هذه القافلة وخطة سيرها طارت إلى المدينة ، وذلك أن سليط بن النعمان - وكان قد أسلم - اجتمع في مجلس شرب - وذلك قبل تحريم الخمر - مع نعيم بن مسعود الأشجعي - ولم يكن أسلم إذ ذاك - فلما أخذت الخمر من نعيم تحدث بالتفصيل عن العير وخطة سيرها ، فأسرع سليط إلى النبي ﷺ يروي له القصة .

وجّهز رسول الله ﷺ لوقته حملة قوامها مائة راكب في قيادة زيد بن حارثة الكلبي ، وأسرع زيد حتى دهم القافلة بغتة - على حين غرة - وهي تنزل على ماء في أرض نجد يقال له قَرْدَة - بالفتح فالسكون - فاستولى عليها كلها ولم يكن من صفوان ومن معه من حرس القافلة إلا الفرار بدون أي مقاومة .

وأسر المسلمون دليل القافلة - فرات بن حيان ، وقيل : ورجلين غيره - وحملوا غنية كبيرة من الأواني والفضة كانت تحملها القافلة ، قدرت قيمتها بمائة ألف .

وقسم رسول الله ﷺ هذه الغنية على أفراد السرية بعد أخذ الخمس ، وأسلم فرات بن

حيان على يديه ﷺ . ا . هـ .

وفي ٧ شوال من السنة الثالثة للهجرة حدثت وقعة أحد ، وكان فيها ما كان وفي الثامن من شوال سار رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد فكانت حركته هذه غسلاً لآثار أحد وتحويلاً للموقف .

هذه هي أهم أحداث السنة الثالثة العسكرية .

* * *

والملاحظ أنه من بدر حتى أحد كان الخط البياني للانتصارات العسكرية في تصاعد ونتيجة لذلك فإن هيبة الرسول ﷺ العسكرية بلغت كل مبلغ . لقد سيطر على الطريق إلى الشام ، ثم سيطر على طريق الشام عبر طريق العراق ، وأحكم الحصار الاقتصادي على قريش ، وكان ذروة هذا الإحكام عندما استطاع زيد بن حارثة أن يستولي على قافلة قريش التجارية السائرة إلى الشام عبر طريق العراق ، ثم إن سراياه وغزواته عليه الصلاة والسلام صارت تذهب بعيداً عن المدينة المنورة ونحو كل الاتجاهات تقريباً ، وبهذا قطع الطريق على أي تفكير داخلي بالتردد أو خارجي بالغزو إلا إذا كان غزواً منظماً كبيراً وهذا الذي حدث يوم أحد ، ولقد وصل رسول الله ﷺ إلى هذا كله بأقل الخسائر وبأسهل طريق ، فلقد كان يفوت على خصومه أهدافهم ولما يبدؤوا التحضير لها فما يكاد يسمع أن تعبئة تعد حتى يعبئ ويسارع ويضرب ، وما يكاد يحس بخطر أحد إلا ويسارع بتصفيته كما فعل بكعب ، وكثيراً ما كان يصيب أكثر من عصفور بحجر واحد ؛ فلقد أحبط بمقتل كعب ما كان يمكن أن يفعله كعب لصالح قريش يوم أحد ، وأجبر كل من في دائرة المدينة على المهادنة ، ولو أنك جمعت خسائر المسلمين حتى وقعة أحد فإنك تجدها أفراداً ، بينما تجد خسائر الآخرين أكبر من ذلك بكثير .

إنك عندما تدرس مبادئ الحرب من مفاجأة إلى مبادأة إلى اقتصاد بالقوات فإنك لا تجدها على كالمها وقامها كما تجدها عند رسول الله ﷺ ، بل إن كثيراً من القادة العظام ينجحون في وضع ويفشلون في وضع آخر ، وقد يفقدون السيطرة على أمور إذا لم تجر على

ضوء توقعاتهم ، أمّا رسول الله ﷺ فإنك تجده يواجه كل الأوضاع على أكمل ما يكون ، فلقد خطّط يوم أحد أعظم تخطيط وأجوده ، ولما أفسد عليه تخطيطه من خالفوه قاد المعركة كأرقى ما تكون القيادة ثم غسل الكثير من آثار أحد بعملية خاطفة .

وإلى الفصول الثلاثة التي تحتاج إلى التفصيل :

الفصل الأول : في قتل كعب بن الأشرف .

الفصل الثاني : في غزوة أحد .

الفصل الثالث : في غزوة حمراء الأسد .

ثم نختم الحديث عن السنة الثالثة بذكر حواشي على غزوتي أحد وحمراء الأسد ، ويذكر تقييم عام للموقف في نهاية السنة الثالثة .

* * *

فصل : في قتل كعب بن الأشرف في ربيع الأول من السنة الثالثة

قال ابن حجر : قال ابن إسحاق وغيره : كان عريباً من بني نبهان وهم بطن من طيء ، وكان أبوه أصاب دماً في الجاهلية فأقى المدينة فحالف بني النضير فشرف فيهم ، وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق فولدت له كعباً ، وكان طويلاً جسيماً ذا بطن وهامة ، وهجا المسلمين بعد وقعة بدر ، وخرج إلى مكة فنزل على ابن أبي وداعة السهمي والد المطلب . فهجاه حسان وهجا امرأته عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص بن أمية فطردته ، فرجع كعب إلى المدينة وتشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم ، وروى أبو داود والترمذي من طريق الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه (إن كعب بن الأشرف كان شاعراً ، وكان يهجو رسول الله ﷺ ويحرض عليه كفار قريش ، وكان النبي ﷺ قدم المدينة وأهلها أخلاط . فأراد رسول الله ﷺ استصلاحهم ، وكان اليهود والمشركون يؤذون المسلمين أشد الأذى ، فأمر الله رسوله والمسلمين بالصبر . فلما أبى كعب أن ينزع عن آذاه أمر رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً ليقتلوه . وذكر ابن سعد أن قتله كان في ربيع الأول من السنة الثالثة . أ.هـ

٣٥٨ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ ؟ » فَقَالَ مُحَمَّدٌ بْنُ مُسْلِمَةَ : يَارَسُولَ اللَّهِ أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ ؟ قَالَ : «نعم» قَالَ : ائْذَنْ لِي فَلَأَقُلَّ ، قَالَ : « قُلْ » ، قَالَ : فَأَتَاهُ ، فَقَالَ لَهُ ، وَذَكَرَ مَا بَيْنَهُمَا ، وَقَالَ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَرَادَ صَدَقَةً ، وَقَدْ عَنَّا ، فَلَمَّا سَبَعَهُ قَالَ : وَأَيْضاً وَاللَّهِ لَتَمْلُنَّهُ ، قَالَ : إِنَّا قَدْ أَتَيْنَاهُ الْآنَ ، وَنَكْرُهُ أَنْ نَدْعَهُ ، حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ أَمْرُهُ ؟ قَالَ : وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تُسَلِّفَنِي سَلَفاً ، قَالَ : فَمَا تَرَهْنُنِي ؟ قَالَ : مَا تُرِيدُ ، قَالَ : تَرَهْنُنِي بِنِسَاءِكُمْ ؟ قَالَ : أَنْتَ أَجَلُ الْعَرَبِ ، أَنْزِهْنِكَ نِسَاءَنَا ؟ قَالَ لَهُ : تَرَهْنُونِي أَوْلَادَكُمْ ؟ قَالَ : يُسِبُّ ابْنُ أَحَدِنَا ، فَيَقَالُ : رَهْنٌ فِي وَسْقَيْنِ مِنْ تَمْرٍ ، وَلَكِنْ

٣٥٨ - مسلم (٣ / ١٤٢٥) - ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٤٢ - باب : قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود .

ونسقا : الوشق مفتوح الواو : ستون صاعاً .

نَرَهْنَكَ الْإِلَامَةَ - يعني : السِّلَاحَ - قَالَ : فَتَنَعُمْ ، وَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالْحَارِثِ ، وَأَبِي عَبْسِ بْنِ جَبْرِ ، وَعَبَّادِ بْنِ بِشْرِ ، قَالَ : فَجَاؤُوا ، فَدَعَا لَيْلًا ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ، قَالَ سَفِيَانُ : قَالَ غَيْرُ عَمْرٍو ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : إِنِّي لَأَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ صَوْتُ دَمٍ ، قَالَ : إِنَّمَا هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعُهُ وَأَبُو نَائِلَةَ ، إِنْ الْكَرِيمُ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ لَيْلًا لِأَجَابَ ، قَالَ مُحَمَّدٌ : إِنِّي إِذَا جَاءَ فَسَوْفَ أَمُدُّ يَدِي إِلَى رَأْسِهِ ، فَإِذَا اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ فَدُونَكُمْ ، قَالَ : فَلَمَّا نَزَلَ ، نَزَلَ وَهُوَ مَتَوَشِّحٌ ، فَقَالُوا : نَجِدُ مِنْكَ رِيحَ الطَّيِّبِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، تَحْتِي فَلَانَةٌ ، هِيَ أُعْطِرُ نِسَاءَ الْعَرَبِ ، قَالَ : فَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشَمُّ مِنْهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَشَمُّ ، فَتَنَاوَلُ فَشَمُّ ، ثُمَّ قَالَ : أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَعُودَ ؟ قَالَ فَاسْتَمَكَنَ مِنْ رَأْسِهِ ، ثُمَّ قَالَ : دُونَكُمْ ، قَالَ : فَفَقْتَلُوهُ .

٣٥٩ - * وَرَوَى الْبُخَارِيُّ نَحْوَهُ ، وَفِيهِ : قَدْ أَرَدْنَا أَنْ تَسْلِفَنَا وَسُقَا أَوْ وَسْقَيْنَ وَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ غَيْرَ مَرَّةٍ ، فَلَمْ يَذْكُرْ وَسُقَا أَوْ وَسْقَيْنَ ، فَقُلْتُ لَهُ : فِيهِ وَسُقَا أَوْ وَسْقَيْنَ ؟ فَقَالَ : أَرَى فِيهِ وَسُقَا أَوْ وَسْقَيْنَ . وَفِيهِ : فَيَسْبُ أَحَدُهُمْ ، فَيُقَالُ : زُهْنٌ بَوْسُقٍ أَوْ وَسْقَيْنَ ، هَذَا عَارِ عَلَيْنَا ، وَفِيهِ فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ ، فَجَاءَهُ لَيْلًا ، وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ ، وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرِّضَاعَةِ ، وَفِيهِ : وَلَوْ وَجَدَانِي نَائِمًا مَا أَنَبَهَانِي ، وَقَالَ ، إِنْ الْكَرِيمُ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ بِاللَّيْلِ لِأَجَابَ . وَفِيهِ : قَالَ لَهَا : إِذَا مَا جَاءَ ، فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعْرِهِ ، فَأَتَتْهُ ، فَإِذَا رَأَيْتُونِي اسْتَمَكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ ، فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ - وَقَالَ مَرَّةً : أَشَمُّ ثُمَّ أَشَمُّكُمْ - فَزَلَ إِلَيْهِمْ مَتَوَشِّحًا ، وَهُوَ يَنْفَحُ مِنْهُ رِيحَ الطَّيِّبِ ، فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا - أَيُّ أَطْيَبٍ - قَالَ كَعْبٌ : وَكَيْفَ لَا ؟ وَعِنْدِي أُعْطِرُ نِسَاءَ الْعَرَبِ ، وَأَجَلُ الْعَرَبِ ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ : ثُمَّ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ ، فَأَخْبَرُوهُ . وَفِيهِ : فَجَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَ بَرَجَلَيْنِ . قِيلَ لِسَفِيَانٍ : سَمَاهُمْ عَمْرٍو ؟ قَالَ : سَمَيْتُ بَعْضَهُمْ ، وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو : أَبُو عَبْسِ بْنِ جَبْرِ ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ ، وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرِ .

= اللامه : مخففة : الدرع ، وجمعها لأَمٌّ ، وقيل : هي آلة الحرب .

مَتَوَشِّحٌ : التَّوَشُّحُ بِالرِّدَاءِ : هُوَ أَنْ تَجْعَلَ كَالْوَشَاحِ ، وَهُوَ شَيْءٌ مَضْفُورٌ مِنْ سَيُورٍ مَرَصِعٍ ، تَجْعَلُهُ الْمَرْأَةُ عَلَى خَصْرِهَا ، فَإِذَا جُمِلَ الرِّدَاءُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ كَانَ مَتَوَشِّحًا بِهِ .

٣٥٩ - الْبُخَارِيُّ (٧ / ٣٣٦) ، ٦٤ - كِتَابُ الْمَغَازِي - ١٥ - بَابُ : قَتْلُ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ .

نَفَحَ : الطَّيِّبُ : إِذَا فَاخَتْ رَائِحَتُهُ ، وَكَذَلِكَ نَفَحَ طَبِيبًا ، أَيُّ : فَاخَ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْعَرَقِ ، أَيُّ : عَرَقَ فَفَاخَتْ رِيحُهُ .

قال صاحب الرحيق المختوم : كان كعب بن الأشرف من أشد اليهود حنقاً على الإسلام والمسلمين ، وإيذاء لرسول الله ﷺ . وتظاهراً بالدعوة إلى حربيه .

كان من قبيلة طيء - من بني نبهان - وأمه من بني النضير ، وكان غنياً مترفاً معروفاً بجماله في العرب ، شاعراً من شعرائها . وكان حصنه في شرق جنوب المدينة في خلفيات ديار بني النضير .

ولما بلغه أول خبر عن انتصار المسلمين ، وقتل صناديد قريش في بدر قال : أحق هذا ؟ هؤلاء أشرف العرب ، وملوك الناس ، والله إن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لَبَطُنُ الأرض خير من ظهرها .

ولما تأكد لديه الخبر ، انبعث عدو الله يهجو رسول الله ﷺ والمسلمين ، ويمدح عدوهم ، ويجرضهم عليهم ، ولم يرضَ بهذا القدر حتى ركب إلى قريش فنزل على المطلب بن أبي وداعة السهمي ، وجعل ينشد الأشعار يبكي فيها على أصحاب القليب من قتلى المشركين ، يثير بذلك حفايظهم ، ويذكي حقدهم على النبي ﷺ ، ويدعوهم إلى حربيه ، وعندما كان بمكة سأله أبو سفيان والمشركون : أديننا أحب إليك أم دين محمد وأصحابه ؟ وأي الفريقين أهدى سبيلاً ؟ فقال : أنتم أهدى منهم سبيلاً ، وأفضل ، وفي ذلك أنزل الله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾ (١) .

ثم رجع كعب إلى المدينة على تلك الحال ، وأخذ يشبب في أشعاره بنساء الصحابة ، ويؤذيهم بسلطة لسانه أشد الإيذاء .

وحينئذ قال رسول الله ﷺ : « من يكُفِّب بن الأشرف ؟ فإنه آذى الله ، ورسوله » ، فانتدب له محمد بن مسلمة ، وعَبَاد بن بشر ، وأبو نائلة - واسمه سِلْكَان بن سلامة ، وهو أخو كُعب من الرضاعة - والحارث بن أوس ، وأبو عبس بن جبر ، وكان قائد هذه المفرزة محمد ابن مسلمة . ا هـ .

قال صاحب الفتح : قوله (آذى الله ورسوله) في رواية محمد بن محمود بن محمد بن مسلمة عن جابر عند الحاكم في الإكليل « فقد أذانه بشعره وقوى المشركين » وأخرج ابن عائد من طريق الكلبي أن كعب بن الأشرف قدم على مشركي قريش فخالفهم عند أستار الكعبة على قتال المسلمين ، ومن طريق أبي الأسود عن عروة (أنه كان يهجو النبي ﷺ والمسلمين ويحرض قريشاً عليهم ، وأنه لما قدم على قريش قالوا له : أديننا أهدى أم دين محمد ؟ قال : دينكم . فقال النبي ﷺ : « من لنا بآبى الأشرف فإنه قد استعلن بعداوتنا » اهـ .

أقول : هذه هي الأسباب التي أدت للحكم عليه بالقتل ، وعلى كل الأحوال فهو : إما محارب فدمه هدر وإما معاهد فقد نقض بهذا عهده .

قال في الفتح : قوله : (فقام محمد بن مسلمة فقال : يا رسول الله أتحب أن أقتله) ؟ في مرسل عكرمة (فقال محمد بن مسلمة هو خالي) . قوله : (قال نعم) في رواية محمد بن محمود (فقال أنت له) وفي رواية ابن إسحاق (قال فافعل إن قدرت على ذلك) وفي رواية عروة (فسكت رسول الله ﷺ ، فقال محمد بن مسلمة : أقر صامتاً) ومثله عند سمويه في فوائده ، فإن ثبت احتمال أن يكون سكت أولاً ثم أذن له ، فإن في رواية عروة أيضاً أنه قال له : (إن كنت فاعلاً فلا تعجل حتى تشاور سعد بن معاذ ، قال فشاوره فقال له : توجه إليه واشك إليه الحاجة ، وسله أن يسلفكم طعاماً) قوله (فائذن لي أن أقول شيئاً ، قال : قل) كأنه استأذنه أن يفتعل شيئاً يحتال به ، ومن ثم بوب عليه المصنف : (الكذب في الحرب) وقد ظهر من سياق ابن سعد للقصة أنهم استأذنوا أن يشكوا منه ويعيبوا رأييه ، ولفظه : (فقال له : كان قدوم هذا الرجل علينا من البلاء ، حاربنا العرب ، ورمتنا عن قوس واحدة) وعند ابن إسحاق بإسناد حسن عن ابن عباس (أن النبي ﷺ مشى معهم إلى بقيع الغرقد ثم وجههم فقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم) . قوله : (إن هذا الرجل) يعني النبي ﷺ . قوله : (قد سألنا صدقة) في رواية الواقدي (سألنا الصدقة ، ونحن لا نجد ما نأكل) وفي مرسل عكرمة (فقالوا : يا أبا سعيد ، إن نبينا أراد منا الصدقة ، وليس لنا مال نصدقه) . قوله : (قد عنانا) بالمهملة وتشديد النون الأولى من العناء وهو التعب . قوله : (قال وأيضاً) أي وزيادة على ذلك ، وقد فسر بعد ذلك

قوله : (والله لثمنه) بفتح المثناة والميم وتشديد اللام والنون من اللال ، وعند الواقدي (إن كعباً قال لأبي نائلة : أخبرني ما في نفسك ، ما الذي تريدون في أمره ؟ قال : خذلانه والتخلي عنه ، قال : سررتني) . قوله : (وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين ، وحدثنا عمرو غير مرة فلم يذكر وسقاً أو سقين) قائل ذلك على بن المديني ، ولم يقع ذلك في رواية الحميدي ، ووقع في رواية عروة (وأحب أن تسلفنا طعاماً . قال : أين طعامكم ؟ قالوا : أنفقناه على هذا الرجل وعلى أصحابه . قال : ألم يأن لكم أن تعرفوا ما أنتم عليه من الباطل) . (تنبيه) : وقع في هذا الرواية الصحيحة أن الذي خاطب كعباً بذلك هو محمد ابن مسلمة ، والذي عند ابن إسحاق وغيره من أهل المغازي أنه أبو نائلة ، وأوماً الدمياطي إلى ترجيحه ، ويحتل أن يكون كل منهما كلمة في ذلك ، لأن أبا نائلة أخوه من الرضاعة ، ومحمد بن مسلمة ابن أخته . وفي مرسل عكرمة في الكل بصيغة الجمع (قالوا) ، وفي مرسل عكرمة (وإئذن لنا أن نصيب منك فيطمئن إلينا ، قال : قولوا ماشئتم) وعنده (أما مالي فليس عندي اليوم ، ولكن عندي التمر) وذكر ابن عائذ أن سعد بن معاذ بعث محمداً ابن أخيه الحارث بن أوس بن معاذ . قوله : (أرهنوني) أي ادفعوا لي شيئاً يكون رهناً على التمر الذي تريدونه . قوله : (وأنت أجمل العرب) لعلمهم قالوا له ذلك تهكماً ، وإن كان هو في نفسه كان جليلاً . زاد ابن سعد من مرسل عكرمة (ولا نأمنك ، وأي امرأة تفتنك منك بجمالك) وفي المرسل الآخر الذي أشرت إليه (وأنت رجل حسان تعجب النساء) وحسان بضم الحاء وتشديد السين المهملتين .

قوله (دونكم فقتلوه ، ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه) في رواية عروة (وضربه محمد بن مسلمة فقتله وأصاب ذباب السيف الحارث بن أوس ، وأقبلوا حتى إذا كانوا بجرف بعث تخلف الحارث ونزف ، فلما افتقده أصحابه رجعوا فاحتلوه ، ثم أقبلوا سراعاً حتى دخلوا المدينة) وفي رواية الواقدي (إن النبي ﷺ تفل على جرح الحارث بن أوس فلم يؤذه) . وفي مرسل عكرمة (فبزق فيها ثم ألصقها فالتحمت) وفي رواية ابن الكلبي (فضربه حتى برد ، وصاح عند أول ضربة ، واجتمعت اليهود فأخذوا على غير طريق أصحاب رسول الله ﷺ فقاتلهم) وفي رواية ابن سعد (أن محمد بن مسلمة لما أخذ بقرون شعره قال لأصحابه :

اقتلوا عدو الله ، فضربوه بأسيا فهم ، فالتفت عليه فلم تغن شيئاً . قال محمد : فذكرت مغولاً^(١) كان في سيفي فوضعت في سرتي ، ثم تحاملت عليه ففططته حتى انتهى إلى عاتته ، فصاح وصاحت امرأته : يا آل قريظة والنضير مرتين) . قوله : (فأخبروه) في رواية عروة (فأخبروا النبي ﷺ ، فحمد الله تعالى) وفي رواية ابن سعد (فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا ، وقد قام رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلي ، فلما سمع تكبيرهم كبر ، وعرف أن قد قتلوه ، ثم انتهوا إليه فقال : أفلحت الوجوه ، فقالوا : ووجهك يا رسول الله ، ورموا رأسه بين يديه ، فحمد الله على قتله ، وفي مرسل عكرمة (فأصبحت يهود مذعورين ، فأتوا النبي ﷺ فقالوا : قتل سيدنا غيلة ، فذكرهم النبي ﷺ صنيعه وما كان يحرض عليه ويؤذي المسلمين) زاد ابن سعد (فخافوا فلم ينطقوا) . قال السهيلي : في قصة كعب بن الأشرف قتل المعاهد إذا سب الشارع ، خلافاً لأبي حنيفة . قلت : وفيه نظر ، وصنيع المصنف في الجهاد يعطي أن كعباً كان محارباً حيث ترجم لهذا الحديث « الفتك بأهل الحرب » وترجم له أيضاً « الكذب في الحرب » وفيه جواز قتل المشرك بغير دعوة إذا كانت الدعوة العامة قد بلغت ، وفيه جواز الكلام الذي يحتاج إليه في الحرب ولو لم يقصد قائله إلى حقيقته اهـ.

٣٦٠ - * روى أبو داود عن كعب بن مالك رضي الله عنه وكان كعب بن الأشرف ، يهجو رسول الله ﷺ ، ويحرض عليه كفار قريش ، وكان رسول الله ﷺ حين قدم المدينة وأهلها أخلاط ، منهم المسلمون ، والمشركون يعبدون الأوثان ، واليهود وكانوا يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه ، فأمر الله عز وجل نبيه بالصبر والعفو ، ففهم أنزل الله ﴿ وَلَتَسْمَعُنَ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ﴾^(٢) فأبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى النبي ﷺ ، فأمر رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أن

(١) مغولاً : شبه خنجر أو السكين التي تكون في السوط .

٣٦٠ - أبو داود (٣ / ١٥٤) ، كتاب الحراج والإمارة والفيء ، باب : كيف كان إخراج اليهود من المدينة ، ورجاله ثقات .

طرق : طرقت الرجل : إذا أتيت ليلاً .

(٢) آل عمران ، الآية (١٨٦) .

يبعث رهطاً يقتلونه فبعث مُحَمَّدَ بْنَ سَلَمَةَ - وذكر قصة قتله - فلما قتلوه فزعت اليهود والمشركون ، فَعَدَّوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالوا : طَرِقَ صَاحِبُنَا فقتل ، فذكر لهم رسول الله ﷺ الذي كان يقول ، ودعاهم إلى أن يكتب بينه وبينهم كتاباً ، ينتهون إلى ما فيه ، فكتب النبي ﷺ بينه وبينهم وبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَامَةً صَحِيفَةً .

قال صاحب الرحيق المختوم : وفي ليلة مقمرة - ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ٣ هـ ، اجتمعت هذه المفزة إلى رسول الله ﷺ ، فشيّعهم إلى بقيع الغرقد ، ثم وجههم قائلاً : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم ، ثم رجع إلى بيته ، وطفق يصلي ويناجي ربه . ولقد نجحت المجموعة بقتل كعب بن الأشرف .

ورجعت المفزة وقد أصيب الحارث بن أوس بذهاب بعض سيوف أصحابه فجرح ونزف الدم ، فلما بلغت المفزة حرّة العريض ، رأت أن الحارث ليس معهم فوقفت ساعة حتى أتاهم يتبع آثارهم ، فاحتلوه حتى إذا بلغوا بقيع الغرقد كبروا وسمع رسول الله ﷺ تكبيرهم ، فعرف أنهم قد قتلوه ، فكبر ، فلما انتهوا إليه قال : أفلحت الوجوه ، قالوا : ووجهك يا رسول الله . ورموا برأس الطاغية بين يديه ، فحمد الله على قتله ، وتفل على جرح الحارث فبرأ ، ولم يؤذ بعده . ١ هـ

دروس من قتل كعب بن الأشرف

- ١ - بهذه العملية حقق رسول الله ﷺ أهدافاً :
- أ - قطع الطريق على أمثال كعب أن يفعلوا فعله .
- ب - أجبر اليهود على أن يجددوا عهداً أو يكتبوا عهداً جديداً وبذلك أكد وحدة المجتمع المدني .
- ج - قطع الطريق على أي تعاون بين الداخل والخارج .
- د - أكد سيادته على دائرة دولته عليه الصلاة والسلام .

٢ - قوله في رواية أبي داود (فكتب بينه وبين المسلمين عامّة صحيفة) يقطع أنّ وثيقة دستورية بين المسلمين واليهود كانت موجودة ، ولكن هذه الصحيفة المذكورة ههنا هل هي الصحيفة التي ذكرها ابن إسحاق في أحداث السنة الأولى ؟ أم هذه الصحيفة تأكيد للصحيفة الأولى ؟ أو هي مع اليهود الذين لم يدخلوا في الصحيفة الأولى .

٣ - هناك جدل كبير في هذا العالم يدور حول فكرة الاغتيال السياسي ؟ حول جدواها وحول مشروعيتها والذي أقوله ههنا هو ماكرّره دائماً العبرة للفتوى الصحيحة من أهلها ثم الشورى والمصلحة ، فحيثما جاز القتل وكانت مصلحة المسلمين فيه فليكن ، ولكن معرفة المصلحة ليست سهلة في عصرنا حيث تتشابك المصالح ، وحيث للرأي العام العالمي دوره الكبير في قرارات الدول ، وحيث احتمالات توسّع الأضرار .

٤ - أهتم ما في حادثة قتل ابن الأشرف إجازة الرسول ﷺ لقائله أن يقولوا ، ولقد قالوا كلاماً هو في الأحوال العادية كفر ، ومن ههنا تعرف أنّه من أجل تحقيق المهام العسكرية فلا حدود للكلام الذي يقال ، ولكن تأتي هنا مسألة أخرى وهي ما إذا كان النجاح في المهام العسكرية يقتضي أفعالاً لا تجوز أو يقتضي ترك فرائض فما العمل ؟ المعروف أنه ليس أفطع من الكفر فإذا جاز التطاهر بالكفر لذلك فمن باب أولى جواز غيره ، على أن يتأكد طريقاً للوصول إلى الهدف أو يغلب على الظنّ ذلك ، وعلى أن يقتصر فيه على الحد الذي لا بد منه ، سواء كانت الوسيلة تأخير فريضة أو ارتكاب محظور ، على أن هذا وهذا مقيّدان بالفتوى فهناك محظورات لا يصحّ فعلها بحال . كالزنا واللواط .

٥ - بعض جيوش البلدان الكافرة تحظر على المسلم أن يصلّي ، أو أنّهم في الظاهر لا يحظرون ولكنهم لو وجدوه يفعل فإنهم يفصلونه أو يترّبصون به ليقتلوه ، وإذا وجدوه يتعقّف عن معان جعلوه ضمن دائرة الرصد ، فهل له رخصة في بعض الأمور ؟ وما هي حدود هذه الرخصة ؟ هذا شيء يقدره أهل الفتوى المؤهلون لأن يفتوا في مثل هذه الأمور .

٦ - من حادثة كعب وأمثالها ومن نصوص الشريعة وروحها وقواعدها نستخرج القاعدة التالية :

أنه متى وجدت ظروف استثنائية أو حالات اضطرارية ومتى انتقل الدعاة إلى العمل السياسي والعسكري ، فإنهم سيدخلون بذلك باب الموازنات والفتاوى الاستثنائية التي لا يستطيعها كل إنسان . ومن هنا جاءت الحاجة إلى المجتهدين والمفتين ، وكما قال سفيان الثوري : (العلم رخصة من ثقة وأما التشدد فيعرفه كل الناس) ، فالأحكام الأصلية ليست مجهولة ، وإنما الأحكام الاستثنائية التي تقتضيها الظروف الاستثنائية هي التي تحتاجها الحركة اليومية .

* * *

فصل : في غزوة أحد

وسنذكر في هذا الفصل عرضاً عاماً بين يدي النصوص ثم نذكر النصوص على فقرات :

- ١ - بين يدي الالتحام .
- ٢ - الالتحام .
- ٣ - في أعقاب المعركة .
- ٤ - عبر أحد وبعض دروسها .
- ٥ - فقهيات .

* * *

عرض عام

حدثت هذه الغزوة في ٧ شوال في رأي ابن القيم ، وفي ١٥ شوال عند ابن إسحاق .

قال ابن كثير : سمي أحد أحداً لتوحده من بين تلك الجبال ، وفي الصحيح « أحد جبل يحبنا ونحبه » ^(١) قيل معناه أهله ، وقيل لأنه كان يبشره بقرب أهله إذا رجع من سفره كما يفعل الحب ، وقيل على ظاهره كقوله : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَنْ يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ ^(٢) .

قال ابن حجر : قوله : (هذا جبل يحبنا ونحبه) ظهر من الرواية التي بعدها أنه ﷺ قال ذلك لما رآه في حال رجوعه من الحج . ووقع في رواية أبي حميد أنه قال لهم ذلك لما رجع من تبوك وأشرف على المدينة قال : « هذه طابة » فلما رأى أحداً قال : « هذا جبل يحبنا ونحبه » فكأنه ﷺ تكرر منه ذلك القول . وللعلماء في معنى ذلك أقوال : أحدها : أنه على حذف مضاف والتقدير أهل أحد ، والمراد بهم الأنصار لأنهم جيرانه . ثانيها : أنه قال ذلك للمسة بلسان الحال إذا قدم من سفر لقربه من أهله ولقيائهم ، وذلك فعل من يحب بمن يحب ثالثها : أن الحب من الجانبين على حقيقته وظاهره لكون أحد من جبال الجنة كما ثبت في حديث أبي عبيد بن جبر مرفوعاً « جبل أحد يحبنا ونحبه وهو من جبال الجنة » أخرجه أحمد . ولا مانع في جانب البلد من إمكان المحبة منه كما جاز التسبيح منها ، وقد خاطبه ﷺ مخاطبة من يعقل فقال لما اضطرب « اسكن أحد » الحديث . وقال السهيلي : كان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن والاسم الحسن ، ولا اسم أحسن من اسم مشتق من الأحدية . قال : ومع كونه مشتقاً من الأحدية فحركات حروفه الرفع ، وذلك يشعر بارتفاع دين الأحد وعلوه ، فتعلق الحب من النبي ﷺ به لفظاً ومعنى فخص من بين الجبال بذلك ، والله أعلم . أ.هـ

أقول : من الحكم في ذكر محبة رسول الله ﷺ لجبل أحد نفي التشاؤم بأحد بعد ما

(١) البخاري (٦ / ٨٣) ٥٦ - كتاب الجهاد - ٧١ - باب : فضل الخدمة في الغزو ، عن أنس بن مالك .

ومسلم (٢ / ٩٩٣) ١٥ - كتاب الحج - ٨٥ - باب : فضل المدينة ، ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة ، وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها ، وبيان حدود حرمها ، عن أنس بن مالك .

(٢) البقرة : ٧٤ .

حدث عنده ما حدث ومن أجل ذلك قدمنا هذين النقلين ههنا بين يدي العرض العام ولنبدأ العرض :

قال المباركفوري : على إثر غزوة بدر اتفقت قريش على أن تقوم بحرب شاملة ضد المسلمين تشفي غيظها وتروي غلة حقدتها ، وأخذت في الاستعداد للخوض في مثل هذه المعركة وكان عكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، وأبو سفيان بن حرب ، وعبد الله بن أبي ربيعة أكثر زعماء قريش نشاطاً وتحمساً لخوض المعركة ، وأول ما فعلوه بهذا الصدد أنهم احتجزوا العير التي كان قد نجا بها أبو سفيان والتي كانت سبباً لمعركة بدر ، ثم فتحوا باب التطوع لكل من أحب المساهمة في غزو المسلمين من الأحابيش وكنانة وأهل تهامة .

ولما استدارت السنة كانت مكة قد استكلت عدتها ، واجتمع إليها من المشركين ثلاثة آلاف مقاتل من قريش والحلفاء والأحابيش ، ورأى قادة قريش أن يستحبوا معهم النساء حتى يكون ذلك أبلغ في استئانة الرجال دون أن تصاب حرماهم وأعراضهم ، وكان عدد هذه النسوة خمس عشرة امرأة .

وكان سلاح الثقليات في هذا الجيش ثلاثة آلاف بعير ، ومن سلاح الفرسان مائتا فرس ، جَنَّبُوهَا ^(١) طول الطريق وكان من سلاح الوقاية سبعائة درع ، وكانت القيادة العامة إلى أبي سفيان بن حرب ، وقيادة الفرسان إلى خالد بن الوليد يعاونه عكرمة بن أبي جهل ، أما اللواء فكان إلى بني عبد الدار ، تحرك الجيش المكي بعد هذا الإعداد التام نحو المدينة ، وكانت التارات القديمة والغبيظ الكامن يشعل البغضاء في القلوب ، ويشف عما سوف يقع من قتال مرير .

وكان العباس بن عبد المطلب يرقب حركات قريش واستعداداتها العسكرية ، فلما تحرك هذا الجيش بعث العباس رسالة مستعجلة إلى النبي ﷺ ضمنها جميع تفاصيل الجيش . وأسرع رسول العباس بإبلاغ الرسالة ، وجد في السير حتى إنه قطع الطريق بين مكة

(١) جَنَّبُوهَا : قادوها إلى جنوبهم ولم يركبوها .

والمدينة - التي تبلغ مسافتها إلى خمسمائة كيلو متراً - في ثلاثة أيام ، وسلم الرسالة إلى النبي ﷺ وهو في مسجد قباء .

قرأ الرسالة على النبي ﷺ أبي بن كعب فأمره بالكتبان ، وعاد مسرعاً إلى المدينة ، وتبادل الرأي مع قادة المهاجرين والأنصار .

وظلت المدينة في حالة استنفار عام لا يفارق رجالها السلاح ، استعداداً للطوارئ .

وقامت مفرزة من الأنصار - فيهم سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، وسعد بن عباد - بحراسة رسول الله ﷺ ، فكانوا يبيتون على بابه وعليهم السلاح ، وقامت على مداخل المدينة وأتقائها مفرزات تحرسها خوفاً من أن يؤخذوا على غرة ، وقامت دوريات من المسلمين - لاكتشاف تحركات العدو - تتجول حول الطرق التي يحتمل أن يسلكها المشركون للإغارة على المسلمين .

واصل جيش مكة سيره حتى اقترب من المدينة ، فسلك وادي العقيق ، ثم انحرف منه إلى ذات اليمين حتى نزل قريباً بجبل أحد في مكان يقال له عينين في بطن السبخة من قناة على شفير الوادي - الذي يقع شمالي المدينة - فعسكر هناك يوم الجمعة السادس من شهر شوال سنة ثلاث من الهجرة .

عقد رسول الله ﷺ مجلساً استشارياً عسكرياً أعلى ، تبادل فيه الرأي لاختيار الموقف ، وأخبرهم عن رؤيا رآها ، ثم قدم رأيته إلى صحابته أن لا يخرجوا من المدينة ، وأن يتحصنوا بها ، فإن أقام المشركون بمعسكرهم أقاموا بشر مقام وبغير جدوى ، وإن دخلوا المدينة قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة ، والنساء من فوق البيوت ، وكان هذا هو الرأي ووافقه على هذا الرأي عبد الله بن أبي بن سلول - رأس المنافقين .

بادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاتته الخروج يوم بدر ، فأشاروا على النبي ﷺ بالخروج ، وألحوا عليه في ذلك ، وكان في مقدمة هؤلاء التحمسين حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ - الذي كان قد أرى فرئند سيفه في معركة بدر - فقد قال للنبي ﷺ : والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم طعاماً حتى أجالدهم بسييفي خارج المدينة ، ورفض

رسول الله ﷺ رأيته أمام رأي الأغلبية واستقر الرأي على الخروج من المدينة واللقاء في الميدان السافر .

صلى النبي ﷺ بالناس يوم الجمعة فوعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد وأخبر أن لهم النصر بما صبروا ، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ، وفرح الناس بذلك ، ثم صلى بالناس العصر ، وقد حشدوا وحضر أهل العوالي ، ثم دخل بيته ، ومعه صاحباؤه أبو بكر وعمر ، فعماءه وألبسائه ، فتدجج بسلاحه وظاهر بين درعين (أي لبس درعاً فوق درع) وتقلد السيف ، ثم خرج على الناس . فلما خرج قالوا له : يا رسول الله ما كان لنا أن نخالفك ، فاصنع ما شئت ، إن أحببت أن تمكث بالمدينة فافعل . فقال رسول الله ﷺ : ما ينبغي لني إذا لبس لأمتي - وهي الدرع - أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه (١) .

وقسم النبي ﷺ جيشه إلى ثلاث كتائب :

- (١) كتيبة المهاجرين وأعطى لواءها مصعب بن عمير العبدي .
- (٢) كتيبة الأوس من الأنصار . وأعطى لواءها أسيد بن حضير .
- (٣) كتيبة الخزرج من الأنصار . وأعطى لواءها الحباب بن المنذر .

وكان الجيش متألّفاً من ألف مقاتل فيهم مائة دارع وخمسون فارس ، وقيل لم يكن من الفرسان أحد ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم على الصلاة بمن بقي في المدينة ، وأذن بالرحيل فتحرك الجيش نحو الشمال ، وخرج السعدان أمام النبي ﷺ يعدوان دارعين وعندما وصل إلى مقام يقال له (الشيخان) استعرض جيشه ، فرد من استصره ولم يره مطيقاً للقتال ، وفي هذا المكان أدركهم المساء ، فصلى المغرب ، ثم صلى العشاء ، وبات هنالك ، وانتخب خمسين رجلاً لحراسة المعسكر يتجولون حوله ، وكان قائدهم محمد بن مسلمة الأنصاري ، بطل سرية كعب بن الأشرف ، وتولى ذكوان بن عبد قيس حراسة النبي ﷺ خاصة .

(١) البخاري تعليقاً (١٣ / ٢٢٩) ، ٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - ٢٨ - باب : قول الله تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ ، ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ .

وقبل طلوع الفجر بقليل أدلج حتى إذا كان بالشوط صلى الفجر ، وكان بمقربة جداً من العدو ، فقد كان يراهم ويرونها ، وهناك تمرّد عبد الله بن أبي المنافق ، فانسحب بنحو ثلث العسكر - ثلاثمائة مقاتل .

وبعد هذا التمرّد والانسحاب قام النبي ﷺ ببقية الجيش - وهم سبعمائة مقاتل - ليواصل سيره نحو العدو ، وكان معسكر المشركين يحول بينه وبين أحد في مناطق كثيرة ، فقال : من رجل يخرج بنا على القوم من كئب (أي من قريب) من طريق لا يمر بنا عليهم ؟

فقال أبو خيثمة : أنا يا رسول الله ، ثم اختار طريقاً قصيراً إلى أحد يمر بحرة بني حارثة وبمزارعهم ، تاركاً جيش المشركين إلى الغرب ، ونفذ رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من جبل أحد في غُدوة الوادي ، فعسكر بجيشه مستقبلاً للدينة ، وجاعلاً ظهره إلى هضاب جبل أحد ، وعلى هذا صار جيش العدو فاصلاً بين المسلمين وبين المدينة .

وهناك عبأ رسول الله ﷺ جيشه ، وهياهم صفوفاً للقتال ، فانتخب منهم فصيلة من الرماة الماهرين ، قوامها خمسون مقاتلاً ، وأعطى قيادتها لعبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري الأوسي البصري ، وأمرهم بالتركز على جبل يقع على الضفة الجنوبية من وادي قناة - وعرف فيما بعد بجبل الرماة - جنوب شرق معسكر المسلمين ، على بعد حوالي مائة وخمسين متراً من مقر الجيش الإسلامي .

وبتعيين هذه الفصيلة في الجبل مع هذه الأوامر العسكرية الشديدة سد رسول الله ﷺ الثُّلْمة الوحيدة التي كان يمكن لفرسان المشركين أن يتسللوا من ورائها إلى صفوف المسلمين ، ويقوموا بحركات الالتفاف وعملية التطويق ، أما بقية الجيش فجعل على المينة المنذر بن عمرو ، وجعل على الميسرة الزبير بن العوام ، يسانده المقداد بن الأسود ، وكان إلى الزبير مهمة الصمود في وجه فرسان خالد بن الوليد ، وجعل في مقدمة الصفوف نخبة ممتازة من شجعان المسلمين ورجالاتهم المشهورين بالنجدة والبرالة ، والذين يوزنون بالآلاف ، وهكذا تمت تعبئة الجيش النبوي صباح يوم السبت السابع من شهر شوال سنة ٣ هـ .

أما المشركون فعباؤا جيشهم حسب نظام الصفوف ، فكانت القيادة العامة إلى أبي سفيان

صخر بن حرب الذي تمركز في قلب الجيش . وجعلوا على المينة خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل ، وعلى المشاة صفوان بن أمية ، وعلى رماة النبل عبد الله بن أبي ربيعة ، أما اللواء فكان إلى مفرزة من بني عبد الدار .

وقبيل نشوب المعركة حاولت قريش إيقاع الفرقة والنزاع داخل صفوف المسلمين وتقارب الجمعان ، وتدانت الفتتان ، وبدأت مراحل القتال ، وكان أول وقود المعركة حامل لواء المشركين طلحة بن أبي طلحة العبدري ، وكان من أشجع فرسان قريش ، يسميه المسلمون كبش الكتيبة ، خرج وهو راكب على جمل ، يدعو إلى المبارزة ، فأحجم عنه الناس لفرط شجاعته ، ولكن تقدم إليه الزبير ، ولم يمهله بل وثب إليه وثبة الليث حتى صار معه على جملة ، ثم اقتحم به الأرض ، فألقاه عنه وذبحه بسيفه ، ثم اندلعت نيران المعركة ، واشتد القتال بين الفريقين في كل نقطة من تقاطع الميدان ، وكان ثقل المعركة يدور حول لواء المشركين . فقد تعاقب بنو عبد الدار لحمل اللواء ، عشرة من بني عبد الدار - من حملة اللواء - أبيدوا عن آخرهم ، ولم يبقَ منهم أحد يحمل اللواء ، فتقدم غلام لهم حبشي - اسمه صواب - فحمل اللواء وأبدي من صنوف الشجاعة والثبات ما فاق به مواليه من حملة اللواء الذين قتلوا قبله فقد قاتل حتى قطعت يده ، فبرك على اللواء ب صدره وعنقه ؛ لئلا يسقط حتى قُتل وهو يقول : اللهم أعزرت ^(١) ؟ يعني هل أعزرت . وبعد أن قتل هذا الغلام - صواب - سقط اللواء على الأرض ، ولم يبقَ أحد يحمله ، فبقي ساقطاً .

قال ابن إسحاق : ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده ، فحسّوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن المعسكر ، وكانت الهزيمة لا شك فيها .

وبينا كان الجيش الإسلامي الصغير ، يسجل مرة أخرى نصراً ساحقاً على مكة لم يكن أقل روعة من النصر الذي اكتسبه يوم بدر ، وقعت من أغلبية فضيلة الرماة غلطة فظيعة ، قلبت الوضع تماماً ، وأدت إلى إلحاق الخسائر الفادحة بالمسلمين وكادت تكون سبباً في مقتل

(١) أعزرت : أصلها : أعذرت ، بلسان الحبشة لا يعضون على الأحرف اللثوية : الثاء والذال والظاء .

النبي ﷺ ، وقد تركت أسوأ أثر على سمعتهم ، والهيبه التي كانوا يتمتعون بها بعد بدر .

لقد أسلفنا نصوص الأوامر الشديده التي أصدرها رسول الله ﷺ إلى هؤلاء الرماة ، بلزومهم موقفهم من الجبل في كل حال من النصر أو الهزيمة لكن على رغم هذه الأوامر المشددة ؛ لما رأى هؤلاء الرماة أن المسلمين ينتهبون غنائم العدو ، غلبت عليهم إثارة من حب الدنيا ، فقال بعضهم لبعض : الغنية ، الغنية ، ظهر أصحابكم ، فما تنتظرون ؟ أما قائدهم عبد الله بن جبير ، فقد ذكرهم بأوامر الرسول ﷺ وقال : أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟ ولكن الأغلبية الساحقة لم تَلَقِ لهذا التذكير بالآ ، وقالت : والله لنأتين الناس فلنصين من الغنية ، ثم غادر أربعون رجلاً من هؤلاء الرماة مواقعهم من الجبل والتحقوا بسواد الجيش ليشاركوه في جمع الغنائم ، وهكذا خلت ظهور المسلمين ولم يبق فيها إلا ابن جبير وتسعة من أصحابه ، التزموا مواقعهم مصممين على البقاء حتى يؤذن لهم أو يبادوا .

وانتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة الذهبية ، فاستدار بسرعة خاطفة حتى وصل إلى مؤخرة الجيش الإسلامي ، فلم يلبث أن أباد عبد الله بن جبير وأصحابه ، ثم انقض على المسلمين من خلفهم ، وصاح فرسانه صيحة عرف المشركون الهزيمة بالتطور الجديد فانقلبوا على المسلمين ، وأسرت امرأة منهم - وهي عمرة بنت علقمة الحارثية - فرفعت لواء المشركين المطروح على التراب ، فالتف حوله المشركون ولأثوا به ، وتنادى بعضهم بعضاً ، حتى اجتمعوا على المسلمين وثبتوا للقتال ، وأحيط المسلمون من الأمام والخلف ، ووقعوا بين شقي الرحى .

موقف الرسول الباسل إزاء عمل التطويق :

وكان رسول الله ﷺ حينئذ في مفرزة صغيرة - تسعة نفر من أصحابه - في مؤخرة المسلمين ، وكان يرقب محالدة المسلمين ومطاردتهم المشركين إذ بُوغِتَ بفرسان خالد مباغتة كاملة ، فكان أمامه طريقان ، إما أن ينجو - بالسرعة - بنفسه وبأصحابه التسعة إلى ملجأ مأمون ، ويترك جيشه المطوق إلى مصيره المقدور ، وإما أن يخاطر بنفسه فيدعو أصحابه ليجمعهم حوله ، ويتخذ بهم جبهة قوية يشق بها الطريق لجيشه المطوق إلى هضاب أحد .

وهناك تجلت عبقرية الرسول ﷺ وشجاعته المنقطعة النظير، فقد رفع صوته ينادي أصحابه : عباد الله ، وهو يعرف أن المشركين سوف يسمعون صوته قبل أن يسمعه المسلمون ، ولكنه ناداهم ودعاهم مخاطراً بنفسه في هذا الظرف الدقيق ، وفعلاً فقد علم به المشركون فخلصوا إليه ، قبل أن يصل إليه المسلمون .

تبدد المسلمين في الموقف :

أما المسلمون فلما وقعوا في التطويق طار صواب طائفة منهم ، فلم تكن تهمها إلا أنفسها ، فقد أخذت طريق الفرار ، وتركت ساحة القتال ، وهي لا تدري ماذا وراءها ؟ وفر من هذه الطائفة بعضهم إلى المدينة حتى دخلها ، وانطلق بعضهم إلى فوق الجبل ، ورجعت طائفة أخرى فاختلطت بالمشركين ، والتبس العسكران ، فلم يتميزوا ، فوقع القتل في المسلمين بعضهم من بعض .

وهذه الطائفة حدث داخل صفوفها ارتباك شديد ، وعمتھا الفوضى ، وتاه منها الكثيرون ، لا يدرون أين يتوجهون ، وبينما هم كذلك إذ سمعوا صائحاً يصيح إن محمداً قد قُتِلَ ، فطارت بقية صوابهم ، وانهارت الروح المعنوية أو كادت تنهار في نفوس كثير من أفرادها ، فتوقف من توقف منهم عن القتال ، وألقى بأسلحته مستكيناً ، وفكر آخرون في الاتصال بعبد الله بن أبي - رأس المنافقين - ليأخذ لهم الأمان من أبي سفيان .

وكانت هناك طائفة ثالثة لم يكن يهمهم إلا رسول الله ﷺ ، فقد كُرّت هذه الطائفة إلى رسول الله ﷺ ، وعمل التطويق في بدايته وفي مقدمة هؤلاء أبو بكر الصديق ، وعمر ابن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب وغيرهم رضي الله عنهم ، كانوا في مقدمة المقاتلين ، فلما أحسوا بالخطر على ذاته الشريفة - عليه الصلاة والسلام والتحية - صاروا في مقدمة المدافعين .

احتدام القتال حول رسول الله ﷺ :

وبينما كانت تلك الطوائف تتلقى أوامر التطويق ، تطحن بين شقي رحى المشركين ، كان العراك محتدماً حول رسول الله ﷺ ، وقد ذكرنا أن المشركين لما بدأوا عمل التطويق لم

يكن مع رسول الله ﷺ إلا تسعة نفر ، فلما نادى المسلمين : هلم إليّ ، أنا رسول الله ، سمع صوته المشركون وعرفوه فكروا إليه وهاجوه ، ومالوا إليه بثقلهم قبل أن يرجع إليه أحد من جيش المسلمين فجرى بين المشركين وبين هؤلاء النفر التسعة من الصحابة عراك عنيف ظهرت فيه نواذر الحب والتفاني والبرالة والبطولة .

وقعت هذه كلها بسرعة هائلة في لحظات خاطفة ، وإلا فالمصطفون الأخيار من صحابته ﷺ - الذين كانوا في مقدمة صفوف المسلمين عند القتال - لم يكادوا يرون تطور الموقف ، أو يسمعون صوته ﷺ ، حتى أسرعوا إليه ؛ لئلا يصل إليه شيء يكرهونه ، إلا أنهم وصلوا وقد لقي رسول الله ﷺ ما لقي من الجراحات - وستة من الأنصار قد قتلوا والسابع قد أثبتته الجراحات ، وسعد وطلحة يكافحان أشد الكفاح - فلما وصلوا أقاموا حوله سياجاً من أجسادهم وسلاحهم ، وبالفوا في وقايتهم من ضربات العدو ، ورد هجماتهم . وكان أول من رجع إليه هو ثانيه في الغار أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

وخلال هذه اللحظات الحرجة اجتمع حول النبي ﷺ عصابة من أبطال المسلمين منهم : أبو دجانة ، ومصعب بن عمير ، وعلي بن أبي طالب ، وسهل بن حنيف ، ومالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري ، وأم عمار نسيبة بنت كعب المازنية ، وقتادة بن النعمان ، وعمر بن الخطاب ، وحاطب بن أبي بلتعة ، وأبو طلحة .

تضاعف ضغط المشركين :

كما كان عدد المشركين يتضاعف كل آن ، وبالطبع فقد اشتدت حملاتهم وزاد ضغطهم على المسلمين ، حتى سقط رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق يكيدها ، فجحشت ركبتة وأخذ عليّ بيده ، واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً .

وشاع مقتل النبي ﷺ أشاعه ابن قنينة بعد مقتل مصعب بن عمير رضي الله عنه .

وهذا هو الظرف الدقيق الذي خارت فيه عزائم كثير من الصحابة المطوقين ، الذين لم يكونوا مع رسول الله ﷺ ، وانهارت معنوياتهم ، حتى وقع داخل صفوفهم ارتباك شديد ، وعمتها الفوضى والاضطراب ، إلا أن هذه الصيحة خفت بعض التخفيف من مضاعفة

هجمات المشركين ؛ لظنهم أنهم نجحوا في غاية مرامهم ، فاشتغل الكثير منهم بتمثيل قتلى المسلمين .

الرسول ﷺ يواصل المعركة وينقذ الموقف :

ولما قُتِلَ مصعب أعطى رسول الله ﷺ اللواء علي بن أبي طالب ، فقاتل قتالاً شديداً ، وقامت بقية الصحابة الموجودين هناك ببطولاتهم النادرة يقاتلون ويدافعون ، وحينئذ استطاع رسول الله ﷺ أن يشق الطريق إلى جيشه المطوق ، فأقبل إليهم ، فعرفه كعب ابن مالك - وكان أول من عرفه - فنادى بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أبشروا ، هذا رسول الله ﷺ ، فأشار إليه أن اصمّتْ - وذلك لئلا يعرف موضعه المشركون - إلا أن هذا الصوت بلغ إلى آذان المسلمين ، فلاذّ إليه المسلمون حتى تجمّع حوله حوالي ثلاثين رجلاً من الصحابة .

وبعد هذا التجمع أخذ رسول الله ﷺ في الانسحاب المنظم إلى شِعبِ الجبل ، وهو يشق الطريق بين المشركين المهاجرين ، واشتد المشركون في هجومهم ؛ لمرقلة الانسحاب إلا أنهم فشلوا أمام بسالة ليوث الإسلام ، وفي أثناء انسحاب رسول الله ﷺ إلى الجبل عرضت له صخرة من الجبل ، فنهض إليها ليعلوها ، فلم يستطع ، لأنه كان قد بدن وظاهر بين الدرعين وقد أصابه جرح شديد . فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض به حتى استوى عليها وقال : أوجب طلحة ، أي : الجنة .

آخر هجوم قام به المشركون :

ولما تمكّن رسول الله ﷺ من مقرّ قيادته في الشّعب قام المشركون بآخر هجوم حاولوا به النيل من المسلمين . قال ابن إسحاق : بينا رسول الله ﷺ في الشعب إذ علت عالية من قريش الجبل - يقودهم أبو سفيان وخالد بن الوليد - فقال رسول الله ﷺ : « اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا » ، فقاتل عمر بن الخطاب ورهطٌ معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل .

وكان هذا آخر هجوم قام به المشركون ضد النبي ﷺ ، ولما لم يكونوا يعرفون من

مصيره شيئاً - بل كانوا على شبه اليقين من قتله - رجعوا إلى مقرهم ، وأخذوا يتهيأون للرجوع إلى مكة ، واشتغل من اشتغل منهم - وكذا اشتغلت نساؤهم - بقتلى المسلمين ، يثّلون بهم ، ويقطعون الآذان والأنوف والفروج ، ويقرّون البطون . بقرت هند بنت عتبة كبد حمزة ، فلاكتها فلم تستطع أن تُسيفها ، فلفظتها ، واتخذت من الآذان والأنوف خدماً - خلاخيل - وقلائد .

قال ابن إسحاق : ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى : إن موعدكم بدر العام القابل . فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه : « قل : نعم هو بيننا وبينك موعد » .

التثبت من موقف المشركين :

ثم بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ، فقال : « اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون ؟ وما يريدون ؟ فإن كانوا قد جنبوا الخيل ، وامتنطوا للإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن كانوا قد ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة . والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ، ثم لأناجزنهم » قال علي : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون ، فجنبوا الخيل وامتنطوا للإبل ووجهوا إلى مكة .

اتفقت جل الروايات على أن قتلى المسلمين كانوا سبعين ، وكانت الأغلبية الساحقة من الأنصار ، فقد قتل منهم خمسة وستون رجلاً ، واحد وأربعون من الخزرج وأربع وعشرون من الأوس ، وقتل رجل من اليهود . وأما شهداء المهاجرين فكانوا أربعة فقط ، وأما قتلى المشركين فقد ذكر ابن إسحاق أنهم اثنان وعشرون قتيلاً ، ولكن الإحصاء الدقيق - بعد تعميق النظر في جميع تفاصيل المعركة التي ذكرها أهل المغازي والسير ، والتي تتضمن ذكر قتلى المشركين في مختلف مراحل القتال - يفيد أن عدد قتلى المشركين سبعة وثلاثون ، لا اثنان وعشرون . والله أعلم .

بات المسلمون في المدينة - ليلة الأحد الثامن من شهر شوال سنة ٣ هـ - بعد الرجوع عن معركة أحد - وهم في حالة الطوارئ ، باتوا - وقد أنهكهم التعب ، ونال منهم أي منال - يحرسون أنقاب المدينة ومدخلها ، ويحرسون قائدهم الأعلى رسول الله ﷺ خاصة ، إذ كانت

تتلاحقهم الشبهات من كل جانب . ا هـ المباركفوري .

هذه هي قصّة أحد في خطوطها الكبرى ، وقد لخصها ابن حجر في الفتح وعلّق عليها فقال :

وكان السبب فيها ما ذكر ابن إسحاق عن شيوخه وموسى بن عقبة عن ابن شهاب وأبو الأسود عن عروة قالوا ، وهذا ملخص ما ذكره موسى بن عقبة في سياق القصة كلها قال : لما رجعت قريش استجلبوا من استطاعوا من العرب وسار بهم أبو سفيان حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل أحد ، وكان رجال من المسلمين أسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر وتمنوا لقاء العدو ، ورأى رسول الله ﷺ ليلة الجمعة رؤيا ، فلما أصبح قال : « رأيت البارحة في منامي بقرأ تذيب ، والله خير وأبقى ، ورأيت سيفي ذا الفقار انقصم من عند ظمّته أو قال به فلول فكرهته وهما مصيبتان ، ورأيت أني في درع حصينة وأنني مردف كبشاً » قالوا : وما أولتها ؟ قال : « أولت البقر بقرأ يكون فينا ، وأولت الكبش كبش الكتيبة ، وأولت الدرع الحصينة المدينة ، فامكثوا ، فإن دخل القوم الأزقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت » فقال أولئك القوم : يا نبي الله كنا نمتي هذا اليوم ، وأبي كثير من الناس إلا الخروج فلما صلى الجمعة وانصرف دعا بالأمّة فلبسها ، ثم أذن في الناس بالخروج ، فندم ذوو الرأي منهم فقالوا : يا رسول الله امكث كما أمرتنا ، فقال : « ما ينبغي لنبي إذا أخذ لأمة الحرب أن يرجع حتى يقاتل » نزل فخرج بهم وهم ألف رجل وكان المشركون ثلاثة آلاف حتى نزل بأحد ، ورجع عنه عبد الله ابن أبي بن سلول في ثلاثمائة فبقي في سبعمائة ، فلما رجع عبد الله سقط في أيدي طائفتين من المؤمنين وهما بنو حارثة وبنو سلمة ، وصف المسلمون بأصل أحد ، وصف المشركون بالسبخة وتعبؤوا للقتال ، وعلى خيل المشركين - وهي مائة فرس - خالد بن الوليد ، وليس مع المسلمين فرس وصاحب لواء المشركين طلحة بن عثمان ، وأمر رسول الله ﷺ عبد الله بن جبير على الرماة وهم خمسون رجلاً وعهد إليهم أن لا يتركوا منازلهم ، وكان صاحب لواء المسلمين مصعب بن عمير ، فبارز طلحة بن عثمان فقتله ، وحمل المسلمون على المشركين حتى أجهضوهم عن أثقالهم ، وحملت خيل المشركين فضحتهم الرماة بالنبل ثلاث مرات ، فدخل المسلمون عسكر المشركين فانتهبوهم ، فرأى ذلك الرماة فتركوا

مكائهم ، ودخلوا العسكر ، فأبصر ذلك خالد بن الوليد ومن معه فحملوا على المسلمين في الخيل فزقوهم ، وصرخ صارخ : قتل محمد أخزاكم ، فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضاً وهم لا يشعرون ، وانهمز طائفة منهم إلى جهة المدينة وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل ، وثبت نبي الله حين انكشفوا عنه وهو يدعوهم في أخراهم ، حتى رجع إليه بعضهم وهو عند المهراس في الشعب ، وتوجه النبي ﷺ يلتبس أصحابه ، فاستقبله المشركون فرموا وجهه فأدموه وكسروا رُباعيَّته ، فرمُضِعِدًا في الشعب ومعه طلحة والزبير ، وقيل معه طائفة من الأنصار منهم الحارث بن الصمة ، وشغل المشركون بقتلى المسلمين يثثلون بهم يقطعون الأذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون أنها أصابوا النبي ﷺ وأشرف أصحابه ، فقال أبو سفيان يفتخر بأهله : اعل هبل ، فناداه عمر : الله أعلى وأجل . ورجع المشركون إلى أثقالهم فقال النبي ﷺ لأصحابه : « إن ركبوا وجعلوا الأثقال - أي الإبل - تتبع آثار الخيل ، فهم يريدون البيوت ، وإن ركبوا الأنفال وتجنبوا الخيل فهم يريدون الرجوع » فتبعهم سعد بن أبي وقاص ، ثم رجع فقال : رأيت الخيل مجنونة ، فطابت أنفس المسلمين ورجعوا إلى قتلاهم فدفنوا في ثيابهم ولم يغسلوهم ولم يصلوا عليهم ، وبكى المسلمون على قتلاهم ، فسر المنافقون وظهر غش اليهود وفارت المدينة بالنفاق ، فقالت اليهود : لو كان نبياً ما ظهروا عليه ، وقالت المنافقون : لو أطاعونا ما أصابهم هذا .

قال العلماء : وكان في قصة أحد وما أصيب به المسلمون فيها من الفوائد والحكم الربانية أشياء عظيمة :

منها تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب النهي ، لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم الرسول أن لا يبرحوا منه . ومنها أن عادة الرسل أن تبتلى وتكون لها العاقبة كما تقدم في قصة هرقل مع أبي سفيان ، والحكمة في ذلك أنهم لو انتصروا دائماً دخل في المؤمنين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره ، ولو انكسروا دائماً لم يحصل المقصود من البعثة فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين لتمييز الصادق من الكاذب ، وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفياً عن المسلمين ، فلما جرت هذه القصة وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول عاد التلويع تصريحاً ، وعرف المسلمون أن لهم عدواً في دورهم فاستعدوا لهم

وتحرزوا منهم ، ومنها أن في تأخير النصر في بعض المواطن هضماً للنفس وكسراً لشماختها ، فلما ابتلي المؤمنون صبروا وجزع المنافقون . ومنها أن الله هياً لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم ، فقيض لهم أسباب الابتلاء والحن ليصلوا إليها . ومنها أن الشهادة من أعلى مراتب الأولياء فساقتها إليهم . ومنها أنه أراد إهلاك أعدائه فقيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم في أذى أوليائه ، فحصى بذلك ذنوب المؤمنين ، ومحق بذلك الكافرين . ثم ذكر المصنف آيات من آل عمران في هذا الباب وفيما بعده كلها تتعلق بوقعة أحد ، وقد قال ابن إسحاق : أنزل الله في شأن أحد ستين آية من آل عمران ، وروى ابن أبي حاتم من طريق المسور بن مخرمة قال : قلت لعبد الرحمن بن عوف أخبرني عن قصتك يوم أحد ، قال أقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجدها ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال ﴾ إلى قوله ﴿ أمنة نعاماً ﴾ ^(١) هـ .

* * *

١ - بين يدي الالتحام

٣٦١ - * روى الطبراني عن عمر بن الخطاب قال : فلما كان عامُ أُحُدٍ من العامِ المقبلِ عَوَّيَبُوا بما صَنَعُوا يومَ بدرٍ من أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ فَقَتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ وَفَرَّ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فَكَثُرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ وَهَشَمَتِ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ وَسَالَ الدَّمُ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَوَلَمْ أَصَابِكُمْ مِصْبِيبةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَها قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٢) بِأَخْذِكُمُ الْفِدَاءَ .

٣٦٢ - * روى الطبراني عن محمد بن إسحاق قال : وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ

(١) آل عمران : ١٢١ - ١٥٤ .

٣٦١ - أورده الهيثبي في مجمع الزوائد (٦ / ١١٥) ، وقال : رواه الطبراني في آخر حديث عمر الذي في الصحيح في مسنده الكبير .

مِصْبِيبةٌ : هي ما أصيب منهم يوم أحد من قتل السبعين من المسلمين .
قد أصبتم مثليها : يعني يوم بدر فإنهم قتلوا من المشركين سبعين وأسروا سبعين أسيراً .

(٢) آل عمران : ١٦٥ .

٣٦٢ - أورده الهيثبي في مجمع الزوائد (٦ / ١٢٤) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

حين صلى الجمعة فأصْبَحَ بالشَّعْبِ مِنْ أَحَدٍ فَالتَقُوا يَوْمَ السَّبْتِ فِي النُّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ .

قال ابن كثير في البداية والنهاية : وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ثلاث قاله الزهري وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق ومالك ، قال ابن إسحاق للنصف من شوال ، وقال قتادة يوم السبت الحادي عشر منه قال مالك وكانت الوقعة في أول النهار وهي على المشهور التي أنزل الله فيها قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ مَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ . إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ . وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ . إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴾ . بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿ الْآيَاتِ وَمَا بَعْدَهَا إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُنْذِرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ (١) .

٣٦٣ - * روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : اصْطَبَحَ نَاسٌ الْحَمْرَ يَوْمَ أُحُدٍ ثُمَّ قَتَلُوا شُهَدَاءَ .

قال ابن كثير : (تنبيهه) : ذكر البيهقي والبخاري قبله خبر بني النضير قبل وقعة أحد والصواب إيرادها بعد ذلك ، كما ذكر ذلك محمد بن إسحاق وغيره من أئمة المغازي ، وبرهانه أن الحمر حرمت ليالي حصار بني النضير وثبت في الصحيح أنه اصطبح الحمر جماعة ممن قُتِلَ يوم أحد شهيداً ، فدل على أن الحمر كانت إذ ذاك حلالاً وإنما حرمت بعد ذلك ، فتبين ما قلناه من أن قصة بني النضير بعد وقعة أحد . والله أعلم .

(تنبيه آخر) : خبر يهود بني قينقاع بعد وقعة بدر كما تقدم ، وكذلك قتل كعب بن الأشرف اليهودي على يدي الأوس ، وخبر بني النضير بعد وقعة أحد كما سيأتي ، وكذلك

(١) آل عمران : ١٢١ - ١٢٩ .

٣٦٣ - البخاري (٦ / ٣١) ، ٥٦ - كتاب الجهاد ١٩ - باب فضل قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾ .

مقتل أبي رافع اليهودي تاجر أهل الحجاز على يدي الخزرج وخبر يهود بني قريظة بعد يوم الأحزاب وقصة الخندق كما سيأتي .

٣٦٤ - * روى أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قَالَ : « رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ وَرَأَيْتُ بَقْرًا مُنْحَرَةً ، فَأَوَّلْتُ أَنَّ الدَّرْعَ الْحَصِينَةَ الْمَدِينَةُ ، وَأَنَّ الْبَقَرَ هُوَ وَاللَّهُ خَيْرٌ » قَالَ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : « لَوْ أَنَا أَقَمْنَا بِالْمَدِينَةِ فَإِنْ دَخَلُوا عَلَيْنَا فِيهَا قَاتَلْنَاهُمْ » فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ مَا دَخَلَ عَلَيْنَا فِيهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَكَيْفَ يَدْخُلُ عَلَيْنَا فِيهَا فِي الْإِسْلَامِ قَالَ عِفَانٌ فِي حَدِيثِهِ فَقَالَ : « شَأْنُكُمْ إِذَا » قَالَ : فَلَبِسَ لَأَمَتِهِ قَالَ فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ : رَدَدْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَأْيَهُ ، فَجَاؤُوا فَقَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ شَأْنُكَ إِذَا فَقَالَ : « إِنَّهُ لَيْسَ لَنَبِيِّ إِذَا لَبَسَ لَأَمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ » .

٣٦٥ - * روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : تَنَقَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سَيْفَهُ ذَا الْفَقَارِ يَوْمَ بَدْرٍ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : وَهُوَ الَّذِي رَأَى فِيهِ الرُّؤْيَا يَوْمَ أَحَدٍ وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لما جَاءَهُ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ أَحَدٍ كَانَ رَأْيُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقِيمَ بِالْمَدِينَةِ يِقَاتِلُهُمْ فِيهَا ، فَقَالَ لَهُ نَاسٌ لَمْ يَكُونُوا شَهِدُوا بَدْرًا : تَخْرُجُ بَنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ تَقَاتِلُهُمْ بِأَحَدٍ وَرَجَوْا أَنْ يُصِيبُوا مِنَ الْفَضِيلَةِ مَا أَصَابَ أَهْلَ بَدْرٍ ، فَازَالُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى لَبَسَ أَدَاتَهُ فَنَدِمُوا وَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقِيمْ فَالرَّأْيُ رَأْيُكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « مَا يَنْبَغِي لَنَبِيِّ أَنْ يَضَعَ أَدَاتَهُ بَعْدَ أَنْ لَبَسَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ » قَالَ : وَكَانَ لَمَّا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ قَبْلَ أَنْ يَلْبَسَ الْأَدَاةَ : « إِنِّي رَأَيْتُ أُنِي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ فَأَوَّلْتُهَا الْمَدِينَةَ ، وَأُنِي مُرْدِفٌ كَبْشًا فَأَوَّلْتُهُ كَبْشَ الْكُتَيْبَةِ وَرَأَيْتُ أَنَّ سَيْفِي ذَا الْفَقَارِ فُلٌّ فَأَوَّلْتُهِ فَلَا فَيْكُم وَرَأَيْتُ بَقْرًا تَذْبَحُ فَبَقَرِ وَاللَّهُ خَيْرُ فَبَقَرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ » .

٣٦٤ - أحمد في مسنده (٣ / ٣٥١) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٠٧) ، وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

اللائمة : مهموزة : الدرع ، وقيل : السلاح ، وقد يترك الهمز تخفيفاً .

٣٦٥ - المستدرک (٢ / ١٢٨) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي . =

٣٦٦ - * روى أبو داود عن السائب بن يزيد رضي الله عنه عن رجلٍ قد سَمَّاهُ أن رسولَ الله ﷺ ظاهرَ يومَ أحدٍ بين درُعَيْنِ أو لَبَسَ درُعَيْنِ .

٣٦٧ - * روى الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : عَرِضْتُ يومَ أحدٍ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولي ثلاثَ عَشْرَةَ فجعل أبي يأخذ بيدي فيقول : يا رسول الله عبُلُ العظام . قال : وجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُصَعِّدُ في البصر وَيَصَوِّبُهُ ثم قَالَ رَدَّهُ فَرَدَّنِي * .

٣٦٨ - * روى البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه : لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَحَدٍ رَجَعَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَتْ فِرْقَةٌ : تَقْتُلُهُمْ ، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ : لَا تَقْتُلُهُمْ ، فَنَزَلَتْ : ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾ ^(١) . وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّهَا تَنْفِي الرِّجَالَ ، كَمَا تَنْفِي النَّارَ خَبَثَ الْحَدِيدِ » .

قال في الفتوح : قوله : (رجع ناس من خرج معه) يعني عبد الله بن أبي وأصحابه ، وقد ورد ذلك صريحاً في رواية موسى بن عقبة في المغازي وأن عبد الله بن أبي كان وافق رأيَه رأيَ النبي ﷺ على الإقامة بالمدينة ، فلما أشار غيره بالخروج وأجابهم النبي ﷺ فخرج

= مردف : ردفه ردفاً : ركب خلفه .

فل : السيف فلأ : ثلته وكسره في حده .

٣٦٦ - أبو داود (٣٢ / ٣) ، كتاب الجهاد ، وباب في لبس الدروع .

وأحمد نحوه في مسنده (٣ / ٤٤٩) .

ظاهر بين درعين : أي لبس إحداها فوق الأخرى .

وكأنه من التظاهر بمعنى التعاون والتساعد كأن جعل إحداها ظهارة والأخرى بطانة ، ومنه يعلم أن مباشرة الأسباب لا تنافي التوكُّل .

٣٦٧ - المستدرك (٣ / ٥٦٣) ، وسكت عنه الذهبي ، وهو صحيح .

العبل : الضخم في كل شيء .

٣٦٨ - البخاري (٤ / ٩٦) ٢٩ - كتاب فضائل المدينة - ١٠ - باب المدينة تنفي الحبث .

وأيضاً نحوه (٧ / ٣٥٦) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٧ - باب غزوة أحد .

- وسلم بعضه (٤ / ٢١٤٢) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم .

(١) النساء : ٨٨ .

قال عبد الله بن أبي لأصحابه : أطاعهم وعصاني ، علام تقتل أنفسنا ؟ فرجع بثلاث الناس . قال ابن إسحاق في روايته : فاتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام وهو والد جابر وكان خزرجياً كعبد الله بن أبي فناداهم أن يرجعوا فأبوا فقال : أبعدم الله .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية : قال ابن إسحاق حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأحد انخزل عنه عبد الله بن أبي بثلاث الناس وقال : أطاعهم وعصاني ما ندري علام تقتل أنفسنا ههنا أيها الناس . فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي والد جابر بن عبد الله فقال : يا قوم أذكركم الله أن لا تأخذوا قوتكم ونبئكم عندما حضر من عدوهم . قالوا : لو نعلم أنكم تقتلون ما أسلمناكم ولكننا لا نرى أن يكون قتال . فلما استعضوا عليه وأبوا إلا الانصراف قال : أبعدم الله أعداء الله فسيفني الله عنكم نبيه ﷺ . قلت : وهؤلاء القوم هم المرادون بقوله تعالى : ﴿ وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ﴾ (١) يعني أنهم كاذبون في قولهم لو نعلم قتالاً لاتبعناكم ، وذلك لأن وقوع القتال أمره ظاهر بين واضح لا خفاء ولا شك فيه ، وهم الذين أنزل الله فيهم : ﴿ فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا ﴾ الآية وذلك أن طائفة قالت : تقتلهم ، وقال آخرون : لا تقتلهم كما ثبت وبين في الصحيح . أ.هـ .

٣٦٩ - «روى البزار عن الزبير بن العوام قال : عرض رسول الله ﷺ سيفاً يوم أحد ، فقال : « من يأخذ هذا السيف بحقه » فقام أبو دجانة سبأ بن خرشة فقال : يا رسول الله : أنا أخذه بحقه فما حقه ؟ قال : فأعطاه إياه وخرج وأتبعته فجعل لا يمر بشيء إلا أفراه

(١) آل عمران : ١٦٧ .

٣٦٩ - كشف الأستار (٢ / ٣٢٢) ، كتاب الهجرة والمغازي ، باب غزوة أحد .

وأورده الميثقي في مجمع الزوائد (٦ / ١٠٩) ، وقال : رواه البزار ، ورجاله ثقات .

وهكذا ورد في الرواية السؤال : « فما حقه » دون الإجابة وقد جاءت الإجابة في بعض الروايات : « حقه أن

تضرب به العدو حتى ينحني » .

أفراه : فرى الشيء فرياً : شقه وفتته .

وَهَتَكَةُ حَتَّى أَقَى نِسْوَةً فِي سَفْحِ الْجَبَلِ وَمَعَهُنَّ هَنْدٌ وَهِيَ تَقُولُ :

نَحْنُ بَنَاتُ طَبَارِقُ	نَمُشِّي عَلَى النَّمَارِقِ
وَالْمُسْكُ فِي الْمَفَارِقِ	إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقُ
أَوْ تَدْبِرُوا نُفَارِقُ	فِرَاقٌ غَيْرُ وَامٍ قُتِّ

فحملت عليها فتأذت بالصَّحراء فلم يجبها أحدٌ ، فانصرف فقلت له : كل صنيعك قد رأيته فأعجبني ، غير أنك لم تقتل المرأة . قال : إنها نادت فلم يجبها أحدٌ ، فكبرهت أن أضرب بسيف رسول الله ﷺ امرأة لا ناصر لها .

٣٧٠ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد ، فقال : « مَنْ يَأْخُذْ مِنِّي هَذَا ؟ » فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ - كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ : أَنَا ، أَنَا - فَقَالَ : « فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ ؟ » فَأَخْجَمَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرْشَةَ ، أَبُو دُجَانَةَ : أَنَا أَخْذُهُ بِحَقِّهِ ، قَالَ : فَأَخْذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ .

٣٧١ - * روى الحاكم عن جابر رضي الله عنه قال : قال لي أبي : يَا بُنَيَّ لَا أَدْرِي لِعَلِّي أَنْ أَكُونَ فِي أَوَّلِ مَنْ يُصَابُ غَدًا وَذَلِكَ يَوْمَ أَحَدٍ ، فَأَوْصِيكَ بِنِیَّاتِ عَبْدِ اللَّهِ خَيْرًا ، فَأَلْتَقُوا فَأُصِيبَ ذَلِكَ الْيَوْمَ .

٣٧٢ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول يوم أُحُدٍ : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَشَأْ لَا تُعَبِّدَ فِي الْأَرْضِ » .

= هتكة : هتك الستر هتكاً : جذبه فأزاله من موضعه أو شق جزءاً منه فبدا ما وراءه .

طارق : نجم الصبح وقولها في البيت تعني أن أبانا في الشرف كالنجم المضيء قاله الجوهري .

وقال الواقدي : عنت أنها من المخدرات اللاتي لا يبرزن إلا ليلاً كالنجم .

الفرق : البرق والتمرقة - مثلثة - : الوسادة الصغيرة .

وامق : ومقه أحبه فهو وامق .

٣٧٠ - مسلم (٤ / ١٩١٧) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٥ - باب من فضائل أبي دجانة سمالك بن خرشة رضي الله عنه .

ففلق به هام المشركين : أي : شق رؤسهم .

٣٧١ - المستدرک (٢ / ٢٠٣) ، كتاب معرفة الصحابة ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ،

وأقره الذهبي .

٣٧٢ - مسلم (٢ / ١٣٦٢) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير . ٧ - استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو .

قال النووي : قوله : (إن تشأ لا تعبد في الأرض) قال العلماء : فيه التسليم لقدر الله تعالى والرد على غلاة القدرية الزاعمين أن الشر غير مراد ولا مقدر . تعالى الله عن قولهم . وهذا الكلام متطلب أيضاً النصر . وجاء في هذه الرواية أنه ﷺ قال هذا يوم أحد ، وجاء بعده أنه قاله يوم بدر ، وهو المشهور في كتب السيرة والمغازي ، ولا معارضة بينها . فقال في اليومين .

٣٧٣ - * روى الطبراني عن سعد بن أبي وقاص أن عبداً لله بن جحش قال له يوم أحد : ألا تدعو الله ؟ فخلوا في ناحية فدعا سعد فقال : يارب إذا لقيت العدو فلقني رجلاً شديداً بأسه شديداً حرده أقاتله ويقاتلني ، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله وأخذ سلبه فأمن عبداً لله ابن جحش ثم قال : اللهم ارزقني رجلاً شديداً حرده شديداً بأسه ، أقاتله فيك ويقاتلني ، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني فإذا لقيتك غداً : قلت : من جدع أنفك وأذنك ؟ فأقول : فيك وفي رسولك ﷺ فتقول : صدقت قال سعد : يا بني كانت دعوة عبد الله بن جحش خيراً من دعوتي ، لقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقان في خيط .

٣٧٤ - * روى البخاري عن أبي طلحة رضي الله عنه قال : كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد ، حتى سقط سيفي من يدي مراراً ، يسقط وأخذه ، ويسقط فأخذه

وفي رواية الترمذي^(١) قال : غشنا ونحن في مصافنا يوم أحد ، حدث أنه كان فيمن غشيته النعاس يومئذ ، قال : فجعل سيفي يسقط من يدي وأخذه ، ويسقط من يدي وأخذه ، والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم هم إلا أنفسهم ، أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق .

٣٧٣ - أورده الميهني في جمع الزوائد (٢٠١ / ٩) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

خرجه : خرده عليه خرده : غضب واغتاظ فتحترش بالذي غاظه وهم به فهو خرده وخردان .

سلبه : السلب : ما يسلب من القتل ، وفي الحديث : من قتل قتيلاً فله سلبه .

٣٧٤ - البخاري (٣٦٥ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٢١ - باب قوله تعالى : ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً ... ﴾

الآية

(١) الترمذي (٢٢٩ / ٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٤ - باب « ومن سورة آل عمران » . عن أبي طلحة . وقال

أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

وفي أخرى له ^(١) قَالَ : رَفَعْتُ رَأْسِي يَوْمَ أَحَدٍ ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرَ ، وَمَا مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا يَمِيدُ تَحْتَ حَجَفَتِهِ مِنَ النَّعَاسِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسًا ﴾ ^(٢) .

قائدة : الذي يبدو لي أَنَّ النعاس أصابهم مرتين يوم أحد : مرة قبل المعركة ومرة بعد المعركة ، والروايات هذه تشير إلى الاثنتين فلا شك أَنَّ النعاس الذي أشارت إليه الآية كان بعد المعركة .

﴿ ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسًا ﴾ ^(٣) .

والنعاس الذي أشار إليه النص (ونحن في مصافنا) كان قبل المعركة واختلط الأمر على بعض الرواة فدعجوا الروايتين .

* * *

٢ - الالتحام

٢٧٥ - * روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ما نُصِرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم في موطنٍ كما نُصِرَ يومَ أَحَدٍ ، قال : فَأَنْكَرْنَا ذَلِكَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِي يَوْمِ أَحَدٍ ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسُرُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ : وَالْحَسُّ الْقَتْلُ ﴿ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾

(١) الترمذي في نفس الموضع السابق ، عن أبي طلحة أيضاً . وقال : حديث حسن صحيح .

حجفته : الترس من جلود بلا خشب ولا رباط من عصب .

قميد : مآذ الشيء يميد : إذا تحرك ، ومال من جانب إلى جانب .

أَمْنَةً : الأَمَنَةُ والأَمْنُ واحد .

(٢) آل عمران : ١٥٤ .

(٣) آل عمران : ١٥٤ .

٢٧٥ - المستدرک (٢ / ٢٩٦) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

وأحمد في مسنده (١ / ٢٨٧) .

يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ^(١) وَإِنَّمَا غَنَى بِهَذَا الرِّمَاءَ ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَقَامَهُمْ فِي مَوْضِعٍ ، ثُمَّ قَالَ : « احْمُوا ظُهُورَنَا ، فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا تَقْتُلْ فَلَا تَنْصُرُونَا وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنَيْنَا فَلَا تَشْرَكُونَا » فَلَمَّا غَنِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَأَبَاحُوا عَسْكَرَ الْمُشْرِكِينَ انْكَشَفَ الرِّمَاءُ جَمِيعاً ^(٢) فَدَخَلُوا فِي الْعَسْكَرِ يَنْتَهَبُونَ ، وَقَدْ التَقَتْ صُفُوفُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَهُمْ هَكَذَا ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدَيْهِ ، وَالتَّبَسُّوا ، فَلَمَّا أَخْلَى الرِّمَاءُ تِلْكَ الْحَلَّةَ الَّتِي كَانُوا فِيهَا ، دَخَلَ الْحَيْلُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَضَرَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَالتَّبَسُّوا ، وَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَاسٌ كَثِيرٌ ، وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَوَّلَ النَّهَارِ حَتَّى قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ لُؤَاءِ الْمُشْرِكِينَ سَبْعَةٌ أَوْ تِسْعَةٌ ، وَجَالَ الْمُسْلِمُونَ جَوْلَةً نَحْوَ الْجَبَلِ ، وَلَمْ يَبْلُغُوا حَيْثُ يَقُولُ النَّاسُ الْغَابَ ، إِنَّمَا كَانَ تَحْتَ الْمَهْرَاسِ ، وَصَاحَ الشَّيْطَانُ : قُتِلَ مُحَمَّدٌ ، فَلَمْ يَشْكُوا فِيهِ أَنَّهُ حَقٌّ فَبَارَزْنَا كَذَلِكَ مَا نَشْكُ أَنَّهُ قَدْ قُتِلَ ، حَتَّى طَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ السَّعْدَيْنِ ، فَعَرَفْنَاهُ بِتَكْفُوهِ إِذَا مَشَى ، قَالَ : فَفَرَحْنَا ، حَتَّى كَانَهُ لَمْ يُصِيبْنَا مَا أَصَابَنَا . قَالَ : فَفَرَّقَ نَحُونًا وَهُوَ يَقُولُ « اسْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ دَمُّوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ » قَالَ وَيَقُولُ مَرَّةً أُخْرَى : « اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يُعْلُونَا » حَتَّى انْتَهَى إِلَيْنَا قَالَ : فَمَكَثَ سَاعَةً ، فَإِذَا أَبُو سَفِيَانَ يَصِيحُ فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ ، اغْلُ هُبْلُ اغْلُ هُبْلُ - يَعْنِي أَهْلَتُهُ أَيْنَ ابْنُ أَبِي كَبُشَّةَ ؟ أَيْنَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ؟ أَيْنَ ابْنُ الْخَطَّابِ ؟ فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَلَا أَجِيبُهُ قَالَ : « بَلَى » فَلَمَّا قَالَ اغْلُ هُبْلُ اغْلُ هُبْلُ قَالَ عُمَرُ : اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُ فَقَالَ أَبُو

(١) آل عمران : ١٥٢ .

(٢) قوله : انكشف الرماة جميعاً : فيه نظر حيث ذكر ابن هشام ستة لم ينكشفوا من الرماة ، واستشهدوا ، منهم أميرهم

عبد الله بن جبير .

أَخْلَى : أَخْلَى بِالشَّيْءِ : أَجْهَفَ وَقَضَرَ فِيهِ - وَأَخْلَى الْوَالِي بِالْثُغُورِ - وَقَلَّلَ الْجُنْدَ بِهَا .

جَوْلَةٌ : جَالِ الْقَوْمِ فِي الْحَرْبِ جَوْلَةً : فَرَّوْا ثُمَّ كَرَّوْا .

مهراش : للمهراش بكسر أوله وسكون ثانيه وآخره سين مهملة - ماء بجبل أحد ، وفي الحديث : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ

عَطَشَ يَوْمَ أَحَدٍ فَجَاءَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي دَرَقَتِهِ بِمَاءٍ مِنَ الْمَهْرَاسِ .

تَكْفَأُ فِي مَشِيَّتِهِ : انْصَبَ فِيهَا انْصَاباً .

دَمُّوا : بِمَعْنَى أَدْمَوْا ، أَيْ : أَسَالُوا الدَّمَ .

سفيان : يا ابن الخطّابِ إنه يومُ الصُّمْتِ فَعَادَ فَقَالَ : أَيْنَ ابنُ أبي كبشة ؟ أينَ ابنُ أبي قحافة ؟ أينَ ابنُ الخطّابِ ؟ فَقَالَ عُمَرُ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَهَذَا أَبُو بَكْرٍ وَهَذَا أُمُّ دَا عُمَرُ فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ : يَوْمَ يَوْمٍ بَدْرٍ ، الْأَيَّامُ دَوْلٌ وَالْحَرْبُ سِجَالٌ ، فَقَالَ عُمَرُ : لَأَسَوَاءَ قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتَلْنَاكُمْ فِي النَّارِ . قَالَ : إِنَّكُمْ لَتَزْعُمُونَ ذَلِكَ لَقَدْ خِينَا إِذَا وَخَسِرْنَا . ثُمَّ قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : أَمَّا إِنَّكُمْ سَوْفَ تَجِدُونَ فِي قَتْلَاكُمْ مِثْلَةً ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَنْ رَأْيِ سَرَاتِنَا ، ثُمَّ أَذْرَكْتُهُ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقَالَ : أَمَّا إِنَّهُ إِذْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ نَكْرَهُهُ .

قال الدكتور البوطي : ما الحكمة في أن يشيع خبر مقتل رسول الله ﷺ في صفوف المسلمين ؟ ..!

الجواب : أن ارتباط المسلمين برسول الله ﷺ ووجوده فيما بينهم كان من القوة بحيث لم يكونوا يتصورون فراقه ولم يكونوا يتخيلون قدرة لهم على التأسك من بعده ، فكان أمر وفاة رسول الله ﷺ شيئاً لا يخطر لهم في بال ، وكأنهم كانوا يسقطون حساب ذلك من أذهانهم ، ولا ريب أنهم لو استيقظوا من غفلتهم هذه على خبر وفاته الحقيقية ، لصدّع الخبر أفئدتهم ، ولزعزع كيانهم الإيماني بل ولقوّضه في نفوس كثير منهم .

فكان من الحكمة الباهرة أن تشيع هذه الشائعة ، تجربة درسيّة بين تلك الدروس العسكرية العظيمة ، كي يستفيق المسلمون من ورائها إلى الحقيقة التي ينبغي أن يوطنوا أنفسهم لها منذ الساعة ، وأن لا يرتدوا على أعقابهم إذا وجدوا أن رسول الله ﷺ قد اختفى من بينهم .

ومن أجل بيان هذا الدرس الجليل نزلت الآية تعليقاً على ما أصاب كثيراً من المسلمين من ضعف وتراجع لدى سماعهم نبأ مقتل رسول الله ﷺ ، وذلك إذ يقول الله تعالى :

﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ﴾

= دول : جمع دولة : والدولة في الحرب بين الفئتين : أن تهزم هذه مرة وهذه مرة .
الحرب سجال : أي تكون مرة لنا ومرة لكم ، وأصله من المستقن بالدلو ، وهو السجل ، يكون لهذا دلو ولهذا دلو .
المثلة : العقوبة والتنكيل ، وجمعها مثلات .
مِرَّة : أشراف ، فهو سرى وهم مِرَّة .

ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴿١﴾ .

ولقد اتضح الأثر الإيجابي لهذا الدرس ، يوم أن لحق رسول الله ﷺ فعلاً بالرفيق الأعلى ، فقد كانت شائعة أخذ هذه ، مع ما نزل بسببها من القرآن ، هي التي أيقظت المسلمين ونبّهتهم إلى الحقيقة ، فودّعوا رسول الله ﷺ بقلوبهم الحزينة ، ثم رجعوا إلى الأمانة التي تركها بين أيديهم ، أمانة الدعوة والجهاد في سبيل الله ، فنهضوا بها أقوياء بإيمانهم أشداء في عقيدتهم وتوكلهم على الله تعالى .

٣٧٦ - * روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رجل للنبي ﷺ يوم أُحُدٍ : أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنَا ؟ قَالَ : « فِي الْجَنَّةِ » فَأَلْقَى ثَمَرَاتٍ فِي يَدِهِ ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

قال في الفتح : لكن وقع التصريح في حديث أنس أن ذلك كان يوم بدر ، والقصة التي في الباب وقع التصريح في حديث جابر أنها كانت يوم أُحُد ، فالذي يظهر أنها قصتان وقعتا لرجلين ، والله أعلم . وفيه ما كان الصحابة عليه من حب نصر الإسلام ، والرغبة في الشهادة ابتغاء مرضاة الله .

٣٧٧ - * روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : دَخَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى فَاطِمَةَ يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ : خُذِي هَذَا السِّيفَ غَيْرِ ذَمِيمٍ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَنْ كُنْتُ أَحْسَنَ الْقِتَالِ لَقَدْ أَحْسَنَهُ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ وَأَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرِشَةَ »

٣٧٨ - * وروى أبو يعلى عن عَقَبَةَ مَوْلَى جَبْرِ بْنِ عَتِيكَ رضي الله عنهما ، قال : شَهِدْتُ أَحَدًا مَعَ مَوَالِيٍّ قَضَرْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَلَمَّا قَتَلْتُهُ قُلْتُ : خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا الرَّجُلُ الْفَارِسِيُّ ،

(١) آل عمران : ١٤٤ .

٣٧٦ - البخاري (٣٥٤ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٧ - باب غزوة أُحُد .

ومسلم نحوه (٣ - ١٥٠٩) ٣٣ - كتاب الإمامة - ٤١ - باب ثبوت الجنة للشهيد .

٣٧٧ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٣ / ٦) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

٣٧٨ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٥ / ٦) ، وقال : رواه أبو يعلى ، ورجاله ثقات .

فلما بلغت رسول الله ﷺ قال : « أَلَا قُلْتَ خذْهَا وَأَنَا الْغَلَامُ الْأَنْصَارِيُّ فَإِنَّ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ » .

٣٧٩ - * روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : لقينا المشركين يومئذ ، وأجلس النبي ﷺ جيشاً من الرماة ، وأمر عليهم عبد الله وقال : « لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهرنا علينا فلا تعينونا » فلما لقينا هربوا ، حتى رأيت النساء يشتردين في الجبل ، رفعن عن سوقهن ، قد بدت خلاخلهن فأخذوا يقولون : الغنية ، الغنية ، فقال عبد الله عهداً إلى النبي ﷺ : أن لا تبرحوا ، فأبوا ، فلما أبوا صرّف وجوههم ، فأصيب سبعون قتيلاً ، وأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال : « لا تجيبوه » قال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ قال : « لا تجيبوه » فقال : أفي القوم ابن الخطّاب ؟ فقال : إن هؤلاء قتلوا ، فلو كانوا أحياء لأجابوا ، فلم يملك عمر نفسه ، فقال كذبت يا عدو الله ، أبقى الله عليك ما يخريك ، قال أبو سفيان : اغلُ هُبَل . فقال النبي ﷺ « أجيبوه » قالوا : ما تقول ؟ قال : « قولوا : الله أعلى وأجل » قال أبو سفيان : لنا العزى ، ولا عزى لكم ، فقال النبي ﷺ : « أجيبوه » . قالوا : ما تقول ؟ قال : « قولوا : الله مولانا ، ولأمولى لكم » قال أبو سفيان : يوم يوم بدر ، والحرب سجال ، وتجدون مثله ، لم أمر بها ، ولم تسؤني .

- وأخرج أبو داود^(١) الرواية الثانية إلى قوله : صرّفت وجوههم ، ثم قال : وأقبلوا منهزمين وفي رواية : فأنا والله رأيت النساء يشتردن في الجبل .

٣٧٩ - البخاري (٧ / ٣٤٩) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٧ - باب غزوة أحد .

يشتردن : الشد : القذو .

سوقهن : السوق : جمع ساق الإنسان .

اغلُ هُبَل هُبَل : اسم صنم ، وقوله : ﴿ اغلُ ﴾ أمر بالعلو .

العزى : اسم صنم ، وهو تأنيث الأعز .

(١) أبو داود (٣ / ٥١) ، كتاب الجهاد ، باب في الكثناء .

صرّف وجوههم : كفى بصرف الوجوه عن المعركة ، فإن المنهزم يلوي وجهه عن الجهة التي كان يطلبها إلى ورائه .
يشتردن : يصعدن .

وقال في الفتح : قوله (رفعن عن سوقهن) جمع ساق أي ليعينهن ذلك على سرعة الهرب . وفي حديث الزبير بن العوام عند ابن إسحاق قال : والله لقد رأيته أنظر إلى خَدَم^(١) هند بنت عتبة وصواحباتها مشترات هوارب ما دون أحدهن قليل ولا كثير . إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه وخللوا ظهرنا للخيل ، فأتينا من خلفنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قُتِلَ ، فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب لوائهم حتى ما يدنو منه أحد من القوم .

وقال : وفي هذا الحديث من الفوائد منزلة أبي بكر وعمر من النبي ﷺ وخصوصيتهما به بحيث كان أعداؤه لا يعرفون بذلك غيرها ، إذ لم يسأل أبو سفيان عن غيرها . وأنه ينبغي للمرء أن يتذكر نعمة الله ويعترف بالتقصير عن أداء شكرها . وفيه شؤم ارتكاب النهي ، وأنه يعم ضرره من لم يقع منه ، كما قال تعالى : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾^(٢) وأن من أثر دنياه ، أضر بأمر آخرته ولم تحصل له دنياه . واستفيد من هذه الكائنة أخذ الصحابة الحذر من العود إلى مثلها ، والمبالغة في الطاعة ، والتحرز من العدو الذين كانوا يظهرون أنهم منهم وليسوا منهم ، وإلى ذلك أشار سبحانه وتعالى في سورة آل عمران أيضاً : ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ إلى أن قال - ﴿ وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾^(٣) وقال : ﴿ ما كان الله ليجزر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾^(٤) .

وقد تحدث في الفتح عما آل إليه الأمر بعد الفشل :

صاروا ثلاث فرق : فرقة استبرأوا في الهزيمة إلى قرب المدينة فما رجعوا حتى انقض القتال وهم قليل ، وهم الذين نزل فيهم : ﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان ﴾^(٥) ، وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي ﷺ قتل فصار غاية الواحد منهم

(١) خَدَم : خلاخيل ، ومفردها : خَدَمَةٌ .

(٢) الأنفال : ٢٥ .

(٣) آل عمران : ١٤٠ - ١٤١ .

(٤) آل عمران : ١٧٩ .

(٥) آل عمران : ١٥٥ .

أن يذب عن نفسه أو يستتر على بصيرته في القتال إلى أن يقتل ، وهم أكثر الصحابة ، وفرقة ثبتت مع النبي ﷺ ، ثم تراجع إليه القسم الثاني شيئاً فشيئاً لما عرفوا أنه حي ، وهذا يجمع بين مختلف الأخبار في عدة من بقي مع النبي ﷺ ، فعند محمد بن عائذ من مرسل المطلب بن حنطب : لم يبق معه سوى اثني عشر رجلاً ، وعند ابن سعد ثبت معه سبعة من الأنصار وسبعة من قريش ، وفي مسلم من حديث أنس ، أفرد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش طلحة وسعد ، وقد سرد أسماءهم الواقدي ، واقتصر أبو عثمان النهدي على ذكر طلحة وسعد وهو في الصحيح « وأخرج الطبري من طريق السدي أن ابن قثمة لما رمى النبي ﷺ وكسر رباعيته وشجه في وجهه وتفرق الصحابة منهزمين وجعل يدعوهم فاجتمع إليه منهم ثلاثون رجلاً ، فذكر بقية القصة ا هـ .

٣٨٠ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَذْرِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمَشْرِكِينَ ، لَئِنْ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمَشْرِكِينَ لَيَرَيْنَّ اللَّهَ مَا أَصْنَعُ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أَحَدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأُبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي الْمَشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ ، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، فَقَالَ ، يَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، الْجَنَّةُ وَرَبُّ النَّضْرِ ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أَحَدٍ ، قَالَ سَعْدُ : فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعْتُ ، قَالَ أَنَسُ : فَوَجَدْنَا بِهِ بَضْعًا وَثْنَانَيْنِ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ ، أَوْ رُمِيَّةً بِسَهْمٍ ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ ، وَقَدْ مَثَلَ بِهِ الْمَشْرِكُونَ ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أَخْتَهُ بَيْنَانِيهِ ، قَالَ أَنَسُ : كُنَّا نَرَى - أَوْ نَظُنُّ - أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ : ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ (١) .

٣٨٠ - البخاري (٦ / ٢١) ٥٦ - كتاب الجهاد - ١٢ - باب قول الله عز وجل : ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ... ﴾ الْآيَةُ .

البضع : ما بين الثلاث إلى التسع .

بينانه : البنان : الأصابع ، واحدها : بنانة .

(١) الأحزاب : ٢٣ .

وعند مسلم ^(٢) ، قال أنس : عمي الذي سُميتُ به : لم يشهد مع رسول الله ﷺ بَدْرًا قال : فشقَّ عليه ، قال : أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَيْبَتُهُ عَنْهُ وَإِنْ أَرَانِي اللَّهُ مَشْهَدًا فِيمَا بَعْدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيرَانِي اللَّهُ مَا أَصْنَعُ ، قَالَ : فَهَابُ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا ، قَالَ : فَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ ، قَالَ : فَاسْتَقْبَلَ سَعْدَ بْنَ مَعَاذٍ ، فَقَالَ لَهُ أَنَسُ : يَا أَبَا عَمْرٍو : أَيْنَ ؟ فَقَالَ : وَاهَا لِرِيحِ الْجَنَّةِ ، أَجْدُهُ دُونَ أُحُدٍ ، قَالَ : فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ ، قَالَ : فَوُجِدَ فِي جَنْدِهِ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ ، مِنْ بَيْنِ صَرْبَةٍ وَرَمِيَةٍ وَطَعْنَةٍ ، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقْدَمُ .

قال في الفتح : قوله : ﴿ إِنِّي أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ ﴾ يحتمل أن يكون ذلك على الحقيقة بأن يكون شم رائحة طيبة زائدة عما يعهد فعرف أنها رِيحُ الجنة ، ويحتمل أن يكون أطلق ذلك باعتبار ما عنده من اليقين حتى كأن الغائب عنه صار محسوساً عنده ، والمعنى أن الموضع الذي أقاتل فيه يئول بصاحبه إلى الجنة .

قوله : (فضى فقتل) في رواية عبد الأعلى (قال سعد بن معاذ : فما استطعت يارسول الله ما صنع) . قلت : وهذا يشعر بأن أنس بن مالك إنما سمع هذا الحديث من سعد بن معاذ لأنه لم يحضر قتل أنس بن النضر ، ودل ذلك على شجاعة مفرطة في أنس بن النضر بحيث أن سعد بن معاذ مع ثباته يوم أحد وكأل شجاعته ما جسر على ما صنع أنس بن النضر . اهـ .

- وفي الحديث جواز الأخذ بالشدّة في الجهاد ، وبذل المرء نفسه في طلب الشهادة ، والوفاء بالعهد .

٣٨١ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةِ مِائَةِ الْإِنْسَارِ ، وَرَجُلَيْنِ مِنَ قُرَيْشٍ ، فَلَمَّا رَهَقُوهُ قَالَ : « مَنْ يَرُدُّهُمْ عَلَيَّ وَلَهُ

(٢) مسلم (٣ / ١٥١٢) ٣٣ - كتاب الإمامة - ٤١ - باب : ثبوت الجنة للشهيد .

٣٨١ - مسلم (٣ / ١٤١٥) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٣٧ - باب غزوة أحد .
رَهَقُوهُ : رَهَقَهُ يَرْهَقُهُ رَهَقًا ، أَي : غَشِيَهُ ، وَالْإِرْهَاقُ : الْإِغْجَالُ . وَقِيلَ : رَهَقُوهُ ، أَي قَرَّبُوا مِنْهُ ، وَمِنْهُ الرَّاهِقُ ، وَهُوَ الْغُلَامُ الَّذِي قَارِبَ الْإِحْتِلَامَ .

الجنة؟ « أو » هو رفيقي في الجنة « - فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، ثُمَّ زَهَقُوهُ أَيْضاً ، فَقَالَ : « مَنْ يَرُدُّهُمْ عَلَيْنَا وَلَهُ الْجَنَّةُ ؟ » أو « هو رفيقي في الجنة » فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لصاحبيه : « ما أنصفنا أصحابنا » .

وفي قوله : « ما أنصفنا أصحابنا » . قال ابن القيم : وهذا يروى على وجهين : بسكون الفاء ونصب أصحابنا على المفعولية ، وفتح الفاء ورفع أصحابنا على الفاعلية ، ووجه النصب أن الأنصار لما خرجوا للقتال واحد بعد واحد حتى قتلوا ولم يخرج القرشيان ، قال ذلك أي ما أنصفت قريش الأنصار ، ووجه الرفع أن يكون المراد بالأصحاب الذين فروا عن رسول الله ﷺ حتى أفردوه في النفر القليل فقتلوا واحد بعد واحد فلم ينصفوا رسول الله ﷺ ولا من ثبت معه اهـ .

قال ابن حجر في الفتح : عن جابر قال : (تفرق الناس عن النبي ﷺ يوم أحد وبقي معه أحد عشر رجلاً من الأنصار وطلحة) وإسناده جيد ، وهو كحديث أنس ، إلا أن فيه زيادة أربعة فلعلهم جاءوا بعد ذلك . اهـ .

أقول : لقد كانت المواقف متلاحقة والمشاهد متعددة متجددة ، وكلُّ تحدٍّ عن مشهد أو موقف فلا منافاة بين الأقوال .

٢٨٢ - * روى مسلم عن أنس بن مالك قال : لما كان يوم أحد انهزم ناس من الناس عن النبي ﷺ ، وأبو طلحة بين يدي النبي ﷺ مجوب عليه بحجفة . قال : وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزع ، وكسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً . قال : فكان الرجل يمر مع الجعبة من النبيل . فيقول : انثرها لأبي طلحة . قال : ويشرف نبي الله ﷺ ينظر

٢٨٢ - مسلم (٣ / ١٤٤٢) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٤٧ - باب غزوة النساء مع الرجال .

والبخاري نحوه (٧ / ١٢٨) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ١٨ - باب مناقب أبي طلحة رضي الله عنه .

مُجَوَّبٌ عليه : أي سائر له ، قاطع بينه وبين الناس ، وهو من الجوب : القطع ، ويتجوب : يتفعل منه .

شديد النزع : المد القوس ، وشدته : كناية عن استيفاء السهم جميعه في جذبه .

الجمعة : التي تكون فيها السهام ، تتخذ من الجلود .

إلى القوم . فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ! يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! لَا تُشْرِفُ لَا يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ . نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ . قَالَ : وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمَشْمَرَتَانِ . أَرَى خَدَمَ سَوْفِيهَا . تَنْقُلَانِ الْقُرْبَ عَلَى مَتُونِيهَا ، ثُمَّ تُفْرِغَانِيهِ فِي أَفْوَاهِهِمْ ، ثُمَّ تُرْجِعَانِ فَتَمْلَأَانِيهَا ، ثُمَّ تَجِيئَانِ تُفْرِغَانِيهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ . وَلَقَدْ وَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدَيَّ أَبِي طَلْحَةَ إِثْمًا مَرَّتَيْنِ وَإِثْمًا ثَلَاثًا ، مِنْ النَّعَاسِ .

وللبخاري ^(١) قال : كَانَ أَبُو طَلْحَةَ يَتَرَسُّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِتَرَسٍ وَاحِدٍ ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ حَسَنَ الرَّمْيِ ، فَكَانَ إِذَا رَمَى يُشْرِفُ النَّبِيُّ ﷺ ، فَيَنْظُرُ إِلَى مَوْضِعِ نَبْلِهِ .

٣٨٣ - * وروى الحاكم عن موسى بن طلحة أن طلحة رَجَعَ بِسَبْعٍ وَثَلَاثِينَ أَوْ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ بَيْنَ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمِيَةٍ تَرَصُّعُ جَبِينِهِ وَقَطَعَتْ سَبَابَتَهُ وَشَلَّتِ الْإِصْبَغَ الَّتِي تَلِيهَا .

٣٨٤ - * روى البخاري عن قيس بن أبي حازم رحمه الله قال : رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ الَّتِي وَقَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ قَدْ شَلَّتْ .

وفي رواية ^(٢) : « رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ شَلَاءً وَقَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ .

٣٨٥ - * وروى النسائي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : لما كان يوم أحد وَ ولى الناسُ ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَاحِيَةٍ فِي اثْنَتَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَفِيهِمْ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَأَذَرَكَهُمُ الْمُشْرِكُونَ ، فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ : « مَنْ لِلْقَوْمِ ؟ » فَقَالَ طَلْحَةُ : أَنَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كَمَا أَنْتَ » فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا

= يشرف : الإشراف : : الاطلاع على الشيء .

خدم سوقيها : الخدمة : الخلال .

(١) البخاري (١٣ / ٦) ٥٦ - كتاب الجهاد - ٨٠ - باب اليجن ومن يترس بترس صاحبه .

٣٨٣ - المستدرك (٢ / ٢٥) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

ترصع جبينه : أي ضرب ضرباً شديداً .

٣٨٤ - البخاري (٨٢ / ٧) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ١٤ - باب ذكر طلحة بن عبيد الله .

شلت : الشلل فساد اليد بمرض أو قطع ، وزجل أشل ، ويد شلاء ، وشلت يده ، فهي مشلولة .

(٢) البخاري (٢٥٩ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٨ - باب « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليها ... » .

٣٨٥ - النسائي (٢٩ / ٦) كتاب الجهاد ، باب ما يقول من يطعنه العدو . وجود إسناده الحافظ في الفتح . =

يارسول الله ، فقال : « أنت » فقاتل حتى قُتل ، ثم التفت فإذا المشركون ، فقال : « مَنْ للقوم ؟ » فقال طلحة : أنا ، قال : « كما أنت » فقال رجل من الأنصار : أنا ، فقال : « أنت » فقاتل حتى قُتل ، ثم لم يزل يقول ذلك ، ويخرج إليهم رجل من الأنصار ، فيقاتل قتال مَنْ قبله حتى يقتل حتى بقي رسول الله ﷺ وطلحة بن عبيد الله ، فقال رسول الله ﷺ : « مَنْ للقوم ؟ » فقال طلحة : أنا فقاتل طلحة قتال الأحد عشر ، حتى ضربت يده ، فقطعت أصابعه ، فقال : حس ، فقال رسول الله ﷺ : « لو قلت : بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون » ثم رد الله المشركين .

٣٨٦ - * روى البخاري ومسلم عن أبي عثمان النهدي رحمه الله قال : لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام - التي قاتل فيهن رسول الله ﷺ - غير طلحة وسعيد ، عن حديثهما .

قال في الفتح : ووقع عند أبي نعيم في « المستخرج » من طريق عبد الله بن معاذ عن معتبر في هذا الحديث « قال سليمان فقلت لأبي عثمان : وما علمك بذلك ؟ قال : عن حديثهما » وهذا قد يعكر عليه أن المقداد كان ممن بقي معه ، لكن يحتمل أن المقداد إنما حضر بعد تلك الجولة ، ويحتمل أن يكون انفرادها عنه في بعض المقامات ، فقد روى مسلم من طريق ثابت عن أنس قال : « أفرد رسول الله ﷺ يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش » وكأنه المراد بالرجلين طلحة وسعد ، وكأن المراد بالحصص المذكور في حديث الباب تخصيصه بالمهاجرين ، فكأنه قال : لم يبق معه من المهاجرين غير هذين ، وتعين حمله على ما أولته وأن ذلك باعتبار اختلاف الأحوال وأنهم تفرقوا في القتال ، فلما وقعت الهزيمة فبين انهزم وصاح الشيطان : قتل محمد ، اشتغل كل واحد منهم بهمهم والذب عن نفسه كما في حديث سعد ، ثم عرفوا عن قرب ببقائه فتراجعوا إليه أولاً فأولاً ، ثم بعد ذلك كان يندبهم إلى القتال فيشتغلون به . وروى ابن إسحاق بإسناد حسن عن الزبير بن

= خـ : كلمة تقال عند التوجه .

٣٨٦ - البخاري (٧ / ٨٢) ، واللفظ له ، ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ١٤ - باب ذكر طلحة بن عبيد الله .

ومسلم (٤ / ١٨٧٩) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٦ - باب من فضائل طلحة والزبير ، رضي الله تعالى عنها .

العوام قال : « مال الرماة يوم أحد يريدون النهب ، فأتينا من ورائنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قتل ، فانكفأنا راجعين ، وانكفأ القوم علينا » . أ.هـ .

٣٨٧ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما كان يوم أحد هُزِمَ المشركون فصرخ إبليس لعنة الله عليه أي عباد الله ، أخرأكُم ، فرجعت أولاهم ، فاجتلدتُ هي وأخراهم ، فَبَصَرَ حذيفة ، فإذا هو بأبيه اليان ، فقال: أي عباد الله ، أي ، أبي ، قال: قَالَتْ : فَوَالله ما احتجزوا حتَّى قَتَلُوهُ ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ : يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ ، قَالَ عُرْوَةُ : فَوَالله ما زَالَتْ في حُذَيْفَةَ مِنْهَا بَقِيَّةٌ خَيْرٌ ، حتَّى لَحِقَ بالله .

في رواية أن النبي ﷺ قدَّم لحذيفة دية أبيه فرفضها وتصدق بديته على المسلمين فزاده ذلك عند النبي ﷺ خيراً .

٣٨٨ - * روى البزار عن أبي بكر ، رضي الله عنه : لما انصرف الناس عن النبي ﷺ كنتُ أولَ من قاءَ إلى رسول الله ﷺ فجعلتُ أنظرُ إلى رجلٍ يقاتِلُ بينَ يديه فقلتُ : كُنْ طلحةً ، ثم تَظَرْتُ فإذا أنا بإنسانٍ خلفي كأنه طائرٌ فلم أشعرُ أن أدركني ، فإذا هو أبو عبيدة ابن الجراح ، وإذا طلحة بينَ يديه صريعاً ، قال : دونكم أخوكم فقد أُوجِبَ ، فتركناه ، وأقبلنا على رسول الله ﷺ وإذا قد أصاب رسول الله ﷺ في وجهه سهمان فأردتُ أن أنزعهما فما زال أبو عبيدة يسألني ويطلبُ إلي حتَّى تركتُهُ فنزع أحدَ السهمين وأزمَ عليه بأسنانه فقلَّعه ، وابتَدَرْتُ إحدى ، ثنيتيه ، ثم لم يزل يسألني ويطلبُ إلي أن أدعَه ينزع الآخرَ ، فوضَعَ ثنيتَه على السهم وأزمَ عليه كراهية أن يؤدي النبي ﷺ إن تحوَّل فنزعَه وابتَدَرْتُ ثنيتَه أو إحدى ثنيتيه فكان أبو عبيدة أهتمَّ الثنايا .

٣٨٧ - البخاري (٧ / ٣٦١) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٨ - باب : « إذ هَمَّت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما ... » .

اجتلدت : الاجتلاذ : افتعال من الجلد ، وهو الضرب .

احتجزوا : الاحتجاز والاحتجاز : الكف عن الشيء .

٣٨٨ - البزار : كشف الأستار (٢ / ٢٢٤) ، كتاب الهجرة والمغازي ، باب غزوة أحد ، وقال : لا نعلم أحداً رفعه إلا أبو

بكر الصديق ، ولا نعلم له إسناداً غير هذا ، وإسحاق - يعني ابن يحيى بن طلحة - قد روى عنه عبد الله بن المبارك

وجاعة ، وإن كان فيه ، ولا نعلم أحداً شاركه في هذا . أ.هـ - وللحديث طرق يرتقي بها إلى رتبة الحسن .

الثنية : إحدى الأسنان الأربعة التي في مقدم الفم . أهتم : مزروع الثنايا .

٣٨٩ - * روى الحاكم عن سعيد بن المسيّب عن أبيه قال : أَقْبَلَ أَبِيُّ بْنُ خَلْفٍ يَوْمَ أَخَذَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُهُ فَاعْتَرَضَ رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُ فَاسْتَقْبَلَهُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَرْقُوتَ أَبِي مِنْ فَرْجَةٍ بَيْنَ سَابِغَةِ الدَّرْعِ وَالتَّيْضَةِ ، فَطَعَنَهُ بِحَرْبَتِهِ ، فَسَقَطَ أَبِيٌّ عَنْ فَرَسِهِ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ طَعْنَتِهِ دَمٌ فَكَسَرَ ضِلْعاً مِنْ أَضْلَاعِهِ فَأَتَاهُ أَصْحَابُهُ وَهُوَ يَخْوَ خَوَارِ الثَّوْرِ فَقَالُوا لَهُ : مَا أَعْجَزَكَ إِنَّمَا هُوَ خَدَشٌ ، فَذَكَرَ لَهُمْ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ « بَلْ أَنَا أَقْتُلُ أُتَيًّا » ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ هَذَا الَّذِي بِي بِأَهْلِ ذِي الْمَجَازِ لَمَاتُوا أَجْمَعِينَ ، فَمَاتَ أَبِيٌّ إِلَى النَّارِ فَسُحِقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ قَبْلَ أَنْ يَقْدَمَ مَكَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ (١) الْآيَةَ .

٣٩٠ - * روى الحاكم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : لما جال الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلك الجولة يوم أُحُدٍ تنحيتُ فقلتُ : أدودُ عن نفسي . فإِذَا أَنَا أَسْتَشْهَدُ وَإِنَّمَا أَنَا أَنْجُو حَتَّى أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذَا بِرَجُلٍ مُخَمَّرٍ وَجْهَهُ مَا أَدْرِي مَنْ هُوَ ؟ فَأَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ ، حَتَّى قُلْتُ : قَدْ رَكِبُوهُ مَلَأَ يَدَهُ مِنَ الْحَصَى ، ثُمَّ رَمَى بِهِ فِي وَجْهِهِمْ ، فَتَكَبُّوا عَلَى أَعْقَابِهِمُ الْقَهْقَرَى ، حَتَّى يَأْتُوا الْجَبَلَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ مَرَّاراً وَلَا أَدْرِي مَنْ هُوَ ؟ وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ الْمُقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ فَبَيْنَمَا أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ الْمُقْدَادَ عَنْهُ ، إِذْ قَالَ الْمُقْدَادُ : يَا سَعْدُ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

٣٨٩ - المستدرك (٢ / ٣٢٧) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

ترقوة : أعلى الصدر - عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق وهما ترقوتان .
سابقة : درع سابغة : ثامة طويلة .

(١) الأنفال : ١٧ .

٣٩٠ - المستدرك (٣ / ٢٦) ، كتاب المغازي ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

جال : جال القوم جولة : انكشفوا ثم كروا .

تنحيت : تنحى . الناحية : الجانب .

أدود : الذود : السوق والطرود والدفع .

مُخَمَّرٌ : خر : توارى . التخميم : التغطية .

ركبوه : ركب : علاه .
تَكَبُّوا : تَكَبَّ عَنْهُ عَدَلُ وَتَنَحَّى . والشئ غناه .

يدعوك فقلتُ : وأين هو ؟ فأشار لي المقدادُ إليه فقمتُ ، ولكنه لم يُصِبنِ شيءٌ من الأذى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أين كنتَ اليومَ يا سعدُ ؟ » فقلتُ : حيثَ رأيتَ يارسولَ الله ، فأجلسني أمامه ، فجعلت أرمي وأقول : اللهم سَهْمَكَ فَأَرْمِ بِهِ عَدُوَّكَ ، ورسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « اللهم استجبْ لسعدٍ اللهم سَدِّدْ لِسَعْدٍ رَمِيَّتَهُ إِيَّهَا سَعْدُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي » فما من سهم أرمي به إلا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم سَدِّدْ رَمِيَّتَهُ وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ إِيَّهَا سَعْدُ » حتى إذا فرغت من كِنَانَتِي نثر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما في كِنَانَتِهِ فَنَبَلَنِي سَهْمًا نَضِيًّا وَكَانَ أَشَدَّ مِنْ غَيْرِهِ . قال الزُّهْرِيُّ إِنَّ السَّهَامَ الَّتِي رَمَى بِهَا سَعْدٌ يَوْمَئِذٍ كَانَتْ أَلْفَ سَهْمٍ .

٣٩١ - * روى الحاكم عن سعد بن أبي وقاص قال : كان حمزة بن عبد المطلب يقاتل يوم أُحُدٍ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويقول : أَنَا أَسَدُ اللَّهِ .

٣٩٢ - * روى البخاري عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري رحمه الله قال : خَرَجْتُ مَعَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ الْخِيَارِ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا حِمَصَ ، قَالَ لِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَدِيٍّ : هَلْ لَكَ فِي وَحْشِيٍّ نَسَأَلُهُ عَنْ قَتْلِ حِمَزَةٍ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، وَكَانَ وَحْشِيٍّ يَسْكُنُ حِمَصَ ، فَسَأَلْنَا عَنْهُ ، فَقِيلَ لَنَا : هُوَ ذَاكَ فِي ظِلِّ قَصْرِهِ ، كَأَنَّهُ حَمِيَّتٌ ^(١) ، قَالَ : فَجِئْنَا حَتَّى وَقَفْنَا عَلَيْهِ بَيْسِيرَ ، فَسَلَّمْنَا ، فَرَدَّ السَّلَامَ ، قَالَ : وَعُبَيْدُ اللَّهِ مُعْتَجِرٌ ^(٢) بِعَامَتِهِ ، مَا يَرَى وَحْشِيٍّ إِلَّا غِيْنِيهِ

إِيَّاهُ : بالتَّوْنِينِ لِلِاسْتِزَادَةِ مِنْ حَدِيثٍ أَوْ عَمَلٍ مَا .

النُّضْيُ : سهم فسد من كثرة ما رمى به ، والنضْي كُفْيٌ : السهم بلا نصل ولا ريش .

٣٩١ - المستدرک (٣ / ١٩٤) ، کتاب معرفة الصحابة ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وصححه الذهبي .

٣٩٢ - البخاري (٧ / ٣٦٧) ٦٤ - كتاب الغايزي ٢٣ - باب قتل حمزة بن عبد المطلب ، رضي الله عنه .

(١) قال في الفتح : قوله (كأنه حميت) بمهمله وزن رغيف ، أي زق كبير ، وأكثر ما يقال ذلك إذا كان مملوءاً ، وفي رواية لابن عائذ « فوجدناه رجلاً سمياً حمرة عيناه » وفي رواية الطيالسي « فإذا به قد ألقي له شيء على بابه وهو جالسٌ صاح وفي رواية ابن إسحاق (على طنفسة له) وزاد (فإذا شيخ كبير مثل البُعَافِ) يعني بفتح الموحدة والمعجمة الخفيفة وآخر مثله وهو طائر ضعيف الجثة كالرخمة ونحوها مما لا يصيد ولا يصاد .

(٢) قوله (متجر) أي لاف عامته على رأسه من غير تحنك .

قال الحميدي : وقد جاء في هذا الحديث (وما يَرَى وَحْشِيٍّ مِنْهُ إِلَّا عَيْنِيهِ وَرَجْلِيهِ) فلعله كان قد غطى وجهه بعد الاعتجار .

ورجله ، فقال عبیدُ الله : يا وحشيُّ ، أتعرفني ؟ قال : فنظر إليه ، ثم قال : لا والله ، إلا أني أعلم أن عديَّ بنَ الخيار تزوج امرأة يُقال لها : أمُّ قتال بنت أبي العيص ، فولدت له غلاماً بمكة ، فكنْتُ أسترُضِعُ له ، فحملْتُ ذلك الغلامَ مع أمِّه ، فناولتها إياه ، فكأنني نظرتُ إلى قدميكَ ، قال : فكشَفَ عبِيدُ الله عَنْ وَجْهِهِ ، ثم قال : ألا تخبرنا بقتل حمزة ؟ قال : نعم ، إن حمزة قتلَ طُعَيْمَةَ بنَ عدي بنِ الخيار بِسُدر ، فقال لي مَوْلَايَ جُبَيْرُ بنُ مطعم : إن قُتِلَ حمزة بعَمِّي فأنتَ حرٌّ ، قال : فلما أن خرج الناسُ عامَ عَينَيْن - وعَينَيْن جَبَلٍ بِحِيَالٍ أَحَدٍ ، بينه وبينه وادٍ - خَرَجْتُ مع الناسِ إلى القِتالِ ، فلما اصطَفُوا لِلِقِتالِ خَرَجَ سِباعٌ ، فقال : هل مِن مُبارِزٍ ؟ قال : فخرَجَ إليه حمزة بنُ عبدِ المطلبِ ، فقال : ياسِباعُ ، يا ابنَ أمِّ أُنمارٍ مَقْطُوعِ البَطْورِ ، أَتُحَادُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ ؟ قال : ثم شدَّ عليه ، فكان كَأَمْسِ الذاهِبِ ، قال : وَكَمَنْتُ لحمزة تَحْتَ صَخْرَةٍ ، فلما دنا مِني رَمَيْتُهُ بِحُرْبِي ، فَأَضَعُها في ثُنْتِي ، حتى خرجتُ من بين وركبِي ، قال : فكان ذلك العهدُ به ، فلما رجع الناسُ رجعتُ معهم ، فَأَقَمْتُ بمكة حتى فشا فيها الإسلامُ ، ثم خرجتُ إلى الطائفِ ، فَأَرْسَلُوا إلى رسولِ الله ﷺ رُسُلًا فَقِيلَ لي : إنه لا يَهِيجُ الرسلَ ، قال : فخرجتُ معهم ، حتى قَدِمْتُ على رسولِ الله ﷺ ، فلما رآني قال : «أنت وحشيٌّ» قُلْتُ : نعم ، قال : «أنت قتلتَ حمزة ؟» قُلْتُ : قد كانَ مِن الأمرِ ما بلغكَ ، قال : « فهل تستطيعُ أن تُغَيِّبَ وجهَكَ عني ؟ » قال : فخرجتُ ، فلما قبضَ رسولُ الله ﷺ ، فخرجَ مسيلمةُ الكذابُ قُلْتُ : لأُخْرِجَنَّ إلى مسيلمة لعلِّي أَقتله ، فأَكافئُ به حمزة ، قال : فخرَجْتُ مَعَ الناسِ ، فَكَانَ مِن أمرِهِ ما كانَ قال : فَإِذَا رَجُلٌ قائِمٌ في ثُلْمَةِ جدارٍ كأنه جَمَلٌ أَوْرَقٌ ، ثائِرُ الرأسِ ، قال : فَرَمَيْتُهُ بِحُرْبَتِي ، فَأَضَعُها بين ثَدْيِيهِ حتى خَرَجَتْ مِن بَيْنِ كَتِفَيْهِ ، قال : وَوَثَبَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصارِ فَضَرَبَهُ بالسيفِ على هامَتِهِ قال : قال عبد الله بنُ الفضلِ : فَأَخْبَرَنِي سَلِيحانُ بنُ

= بحيال : حيال الشيء : مقابله .

مَقْطُوعَةُ البَطْورِ : بطور النساء : اللاتي تُخْتَنُ منهن ، والمَقْطُوعَةُ : التي تُخْتَنُ النساء .

أَتُحَادُّ ؟ : لِلْحَادَّةِ : المخالفة ، ومنع الواجب عليه .

لا يَهِيجُ : هاج الإنسان يهيجه : إذا أَفْزَعَهُ وأذاه .

أَوْرَقٌ : الوُرْقَةُ في ألوان الإبل : كالسُرة في الإنسان .

على هامته : الهامة : وسط الرأس .

يسار: أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: فَقَالَتْ جَارِيَةٌ عَلَى ظَهْرِ نَيْتٍ: وا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَتَلَهُ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ.

قال في الفتح: وفي حديث وحشي من الفوائد غير ما تقدم ما كان عليه من الذكاء المفرط، ومناقب كثيرة لمحة، وفيه أن المرء يكره أن يرى من أوصل إلى قريبه أو صديقه أذى، ولا يلزم من ذلك وقوع المعجزة المنهية بينهما، وفيه أن الإسلام يهدم ما قبله، ما أخذ في الجور، وألن لا يحتق المء فما أجدأ، فان حنة لا بد أن يكون رأي وحشي في

لأمثلن بسبعين منهم ، فنزل القرآن ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ ﴾ الآية وعند عبد الله بن أحمد في زيادات المسند والطبراني من حديث أبي بن كعب قال : مثل المشركون بقتلى المسلمين ، فقال الأنصار : لئن أصبنا منهم يوماً من الدهر لنزيدن عليهم ، فلما كان يوم فتح مكة نادى رجل : لا قريش بعد اليوم ، فأنزل الله : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ ﴾ فقال رسول الله ﷺ : « كفوا عن القوم » وفي رواية : فقال : « بل نصبر يا رب » وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً . أ.هـ

٣٩٥ - * روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ جَمَعَ لَهُ أَبْوِيَهُ يَوْمَ أُحُدٍ . قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَحْرَقَ الْمُسْلِمِينَ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « أَرُم . فِدَاكَ أَبِي وَآمِي ! » قَالَ : « فَزَعْتُ لَهُ بِسَهْمٍ لَيْسَ فِيهِ نَصْلٌ فَأَصَبْتُ جَنْبَهُ ، فَسَقَطَ . فَاِنْكَشَفْتُ عَوْرَتَهُ ، فَضَحَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى نَوَاجِذِهِ .

وتفصيل هذه الرواية في المغازي للواقدي : أن المشرك رمى أم أيمن التي كانت تسقي المسلمين بنبل فأصاب ذيلها فسقطت وانكشفت فغضب النبي ﷺ وقال لسعد : « ارم الرجل » وأعطاه نبلاً لانصل له فأصابه في غره فسقط وانكشفت عورته فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه ولم يذكر الواقدي أنه قُتل . والواقدي أوسع كتاب أعلمه في المغازي وهو ٤ مجلدات ، وسمي الرجل جِيَّانُ بْنُ الْعَرِيقَةِ .

٣٩٦ - * روى البخاري عن سعد بن أبي وقاص يقول : نَثَلَ لِي النَّبِيُّ ﷺ كِنَانَتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ : « إِرْمِ فِدَاكَ أَبِي وَآمِي » .

٣٩٥ - مسلم (٤ / ١٨٧٦) . ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٥ - باب فضل سعد بن أبي وقاص . .

أحرق المسيحيين : أظن فيهم ، وعمل فيهم عمل النار .

فزعته له بسهم : فرميته بسهم . ليس له نصل : أي : ليس فيه رُجٌّ .

فأصبت جنبه : هكذا في معظم النسخ . نواجذه : أي : أنيابه ، وقيل : أضراره .

٣٩٦ - البخاري (٧ / ٣٥٨) ٦٤ - كتاب للمغازي - ١٨ - باب : « إذ همت طائفتان منك أن تفشلا والله وليهما وعلى الله

فليتوكل المؤمنون » .

نثل : نثل الكنانة : استخرج نبيلها فنثرها .

الكنانة : جعبة صغيرة من آدم للنبل .

٣٩٧ - * روى الطبراني عن كعب بن مالك قال : لما كان يومٌ أحدٍ وصِرْنَا إلى الشَّعبِ ، كنتُ أوَّلَ من عرفته ، فقلت : هذا رسولُ اللهِ ﷺ : فأشار إليَّ بيده أن اسكت ثم ألبسني لأمتةً وليس لأمتي فلقد ضُرْتُ حتى جُرْحْتُ عشرين جراحةً ، أو قال بِضْعَةً وَعِشْرِينَ جَرْحاً ، كلُّ من يضربني يحسبني رسولَ اللهِ ﷺ .

فعل ذلك لأنَّ المشركين عرفوه رغم المغفر وعلموه بدرعه ، فقصد أن يعمي عليهم وهذا من الأخذ بالأسباب ويعلمنا هذا أن حفظ القيادات في المعارك مراعى في الإسلام .

٣٩٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ « اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّهِ - يُشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَّتِهِ - وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَبِيلِ اللهِ » .

٣٩٩ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كَسَرَتْ رَبَاعِيَّتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَشَجَّ فِي رَأْسِهِ ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ ويقول : « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَّتَهُ ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ » فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ۚ ﴾ (١) .

٣٩٧ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١١٢) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ، ورجال الأوسط ثقات .

البِضْعَةُ : البِضْعُ : ما بين الثلاث إلى التسع .

اللأمة : الدرع .

٣٩٨ - البخاري (٧ / ٣٧٢) واللفظ له ، ٦٤ - كتاب المغازي - ٢٤ - باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد . ومسلم (٣ / ١٤١٧) بنحوه ، ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٢٨ - باب اشتداد غضب الله على من قتل رسول الله ﷺ .

الرَّبَاعِيَّةُ : على وزن ثمانية السن بين الثنية والنباب .

وقد كسرت في أحد رباعية النبي ﷺ البنى السفلى وهي التي تلي نابه الأيمن السفلى من الأمام . الذي رمى رسول الله ﷺ في وجنتيه هو ابن قبيصة . والذي رماه في شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبي وقاص . فأما الأول فقتله تيس الجبل وأما الثاني فدعا عليه ﷺ بأن لا يحول عليه الحول ويؤت كافراً فكان ذلك . (الفتح الرباني بتصرف) .

٣٩٩ - مسلم (٣ / ١٤١٧) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٣٧ - باب غزوة أحد .

شَجَّ رَأْسَهُ : إذا شَقَّ جلده وأجرى دمه . يَسْلُتُ : سَلَّتْ الدَّمُ عن الجرح : إذا مسحه .

(١) آل عمران : ١٢٨ .

قال في الفتح : « لما كان يوم أحد وانصرف المشركون خرج النساء إلى الصحابة يعينونهم ، فكانت فاطمة فيمن خرج ، فلما رأت النبي ﷺ اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته بالماء فيزداد الدم » فلما رأت ذلك أخذت شيئاً من حصير فأحرقته بالنار وكمدته به حتى لصق بالجرح فاستسك الدم ، . وله من طريق زهير بن محمد عن أبي حازم « فأحرق حصيراً حتى صارت رماداً ، فأخذت من ذلك الرماد فوضعت فيه حتى رقاً الدم » وقال في آخر الحديث : ثم قال يومئذ : اشتد غضب الله على قوم ذموا وجه رسول الله . ثم مكث ساعة ثم قال : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » وقال ابن عائد : أخبرنا الوليد بن مسلم حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أن النبي ﷺ رمى رسول الله ﷺ بأحد فجره في وجهه قال : « خذها مني وأنا ابن قميّة فقال : « أقمك الله » قال : فانصرف إلى أهله فخرج إلى غبه فوافاه على ذروة جبل ، فدخل فيها فشد عليه تيئها فطعته نطحة أرواه من شاق الجبل فتقطع ، وفي الحديث جواز التداوي ، وأن الأنبياء قد يصابون ببعض العوارض الدنيوية من الجراحات والآلام والأسقام ليعظم لهم بذلك الأجر وتزداد درجاتهم رفعة ، وليتأسى بهم أتباعهم في الصبر على المكروه ، والعاقبة للمتقين . أ.هـ .

٤٠٠ - * روى الطبراني عن أبي سعيد أنه قال : أصيب وجه رسول الله ﷺ يوم أحد ، فاستقبله مالك بن سنان فمض جرح رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « من أحب أن ينظر إلى من خالط دمي دمه ، فلينظر إلى مالك بن سنان » .

٤٠١ - * روى أحمد عن أبي قتادة قال : أتى عمرو بن الجوح إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله أرايت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة ؟ وكانت رجله عرجاء ، فقال رسول الله ﷺ : « نعم » فقتلوه يوم أحد هو وابن أخيه ومولى لها ، فر عليه رسول الله ﷺ فقال : « كاني أنظر إليك تمشي برجليك هذه صحيحة في الجنة » فأمر رسول الله ﷺ بها وبمولاها فجعلوا في قبر واحد .

٤٠٠ - المعجم الكبير (٦ / ٣٤) ومالك بن سنان : هو والد الراوي أبي سعيد الخدري : سعد بن مالك بن سنان .

٤٠١ - أحمد في مسنده (٥ / ٢٩٩) .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٦) ، وقال : رواه أحمد ، ورجال الصريح غير يحيى بن نصر الأنصاري ، وهو ثقة .

قال في الفتح الرباعي : قال جابر : حولت أبي بعد ستة أشهر فما أنكرت منه شيئاً إلا شعرات من لحيته كانت مستها الأرض ، يروي معناه البخاري عن جابر ولفظه فأصبحنا فكان - أي والده - أول قتيل ودفن معه آخر في قبر ، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع الآخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته كهيئته غير أذنه وروى مالك في الموطأ عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريين كانا قد حفر السيل عن قبرهما وكانا في قبر واحد مما يلي السيل فحفر عنها ليغريا من مكانها - أي لينقلا منه - فوجدا لم يتغيرا كأنها ماتا بالأمس ، وكان بين أحد ويوم حفر عنها ست وأربعون سنة والمراد بقوله كانا في قبر واحد أي كانا متجاورين كأنهما في قبر واحد أو أن السيل خرق أحد القبرين فصارا كقبر واحد ويتبين مما ذكر أن النقل كان مرتين الأولى لأفراد كل منهما بقبر وكان بعد ستة أشهر والثانية كانت لأن السيل كان قد حفر عن قبريهما وذلك بعد ست وأربعين سنة وقد ذكر ابن إسحاق قصة حفر السيل في المغازي فقال حدثني أبي عن أشياخ من الأنصار قالوا: لما ضرب معاوية عينه التي مرت على قبور الشهداء انفجرت العين عليهم فجئنا فأخرجناهما يعني عمرًا وعبد الله وعليهما بردتان قد غطى بها وجوههما وعلى أقدامهما شيء من نبات الأرض فأخرجناهما يتثنيان تنثياً كأنهما دفنا بالأمس . اهـ.

٤٠٢ - * روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لما أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأَحَدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مَعْلُوقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ ، فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَأْكِلِهِمْ وَمَشْرِبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ ، قَالُوا : مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَا أَحْيَاءُ فِي الْجَنَّةِ نَرْزُقُ لَثَلًا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلَا يَنْكُكُوا فِي الْحَرْبِ ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا أَبْلَغُهُمْ عَنْكُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ^(١) الْآيَةَ .

٤٠٢ - المستدرک (٢ / ٨٨) ، کتاب الجهاد ، وأيضاً في (٢ / ٢٩٧) ، کتاب التفسير ، وقال في كلا الموضعين : هذا

حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وأقره الذهبي فيها .

مقيلهم : قال قيلاً : نام وسط النهار . والمقيل : نومة النهار أو الاستراحة فيه وإن لم يكن نوم .

نكل : نكولاً : نكص وجبن . (١) آل عمران : ١٦٩ .

٤٠٣ - * روى مسلم عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ يَوْمَ أُحُدٍ ، عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَنْ يَسَارِهِ ، رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيضٌ . يُقَاتِلَانِ عَنْهُ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ . مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ .

٤٠٤ - * روى البزار عن بُرَيْدَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ عَلَى الْحَقِّ فَاخْصِفْ بِي قَالَ : فَخْصِفَ بِهِ .

قال ابن حجر في الفتح : (تنبيه) : وقع في رواية أبي الوقت والأصيلي قبل حديث عقبة بن عامر حديث ابن عباس ؛ قال النبي ﷺ يوم أُحُدٍ : « هذا جبريل أخذ برأس فرسه » الحديث ، وهو وهم من وجهين : أحدهما أن هذا الحديث تقدم بسنده ومثنه في « باب شهود الملائكة بداراً » ولهذا لم يذكره هنا أبو ذر ولا غيره من متقني رواية البخاري ، ولا استخرجه الإسماعيلي ولا أبو نعيم . ثانيهما : أن المعروف في هذا المتن يوم بدر كما تقدم لا يوم أُحُدٍ ، والله المستعان . أ.هـ .

٤٠٥ - * روى البخاري عن إبراهيم بن عبد الرحمن أن عبد الرحمن بن عوف أتى بطعام - وكان صائماً - فقال - : قُتِلَ مَصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ وهو خيرٌ مني ، كُفِّنَ في بُرْدَةٍ إِنْ غَطِيَّ رَأْسُهُ بَدَّتْ رِجْلَاهُ ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ . وَأَرَاهُ قَالَ : وَقُتِلَ حِمْرَةُ وهو خيرٌ مني . ثُمَّ بَسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بَسِطَ - أَوْ قَالَ : أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا - وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا قَدْ عَجَلَتْ لَنَا . ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ .

٤٠٣ - مسلم (٤ / ١٨٠٢) ٤٣ - كتاب الفضائل ١٠ - باب قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أُحُدٍ . وزاد في رواية في نفس الموضع : « يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام » .
والبخاري (٧ / ٣٥٨) بنحوه ، ٦٤ - كتاب المغازي - ١٨ - باب : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما ... » الآية .

٤٠٤ - البزار : كشف الأستار (٢ / ٣٢٩) ، كتاب الهجرة والمغازي ، باب غزوة أُحُدٍ .
وأورده الميمني في جمع الزوائد (٦ / ١٢٢) ، وقال : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح .
وبريدة بن الحصيب - الراوي - صحابي أسلم قبل بدر ، ومات سنة ٦٢ هـ .
٤٠٥ - البخاري (٧ / ٣٥٣) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٧ - باب غزوة أُحُدٍ .

قال في الفتح : وفي الحديث فضل الزهد ، وأن الفاضل في الدين ينبغي له أن يمتنع من التوسع في الدنيا لئلا تنقص حسناته ، وإلى ذلك أشار عبد الرحمن بقوله : (خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت) وسيأتي مزيد لذلك في كتاب الرقاق إن شاء الله تعالى . قال ابن بطال : وفيه أنه ينبغي ذكر سير الصالحين وتقليلهم في الدنيا لقتل رغبته فيها . أ.هـ .

٤٠٦ - * روى البخاري عن ثعلبة بن أبي مالك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قَسَمَ مَرُوطاً بَيْنَ نِسَاءٍ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَبَقِيَ مِنْهَا مِرْطٌ جَيِّدٌ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ عِنْدَهُ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَعْطَ هَذَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي عِنْدَكَ - يَرِيدُونَ أُمَّ كَلثُومَ بِنْتَ عَلِيٍّ - فَقَالَ عُمَرُ : أُمُّ سَلَيْطٍ أَحَقُّ بِهِ . وَأُمُّ سَلَيْطٍ مِنْ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ مَنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . قَالَ عُمَرُ : فَإِنِهَا كَانَتْ تَزْفِرُ لَنَا الْقِرْبَ يَوْمَ أُحُدٍ .

٤٠٧ - * روى أحمد عن أبي هريرة أنه كان يقول : حَدَّثُونِي عَنْ رَجُلٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ لَمْ يُصَلِّ قَطُّ ، فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهُ النَّاسُ سَأَلُوهُ مَنْ هُوَ ؟ فَيَقُولُ : أَصْغَرُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ عُمَرُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ وَقْشٍ ، فَقُلْتُ لِمُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ : كَيْفَ كَانَ شَأْنُ الْأَصْغَرِ ؟ قَالَ : كَانَ يَأْبَى الْإِسْلَامَ عَلَى قَوْمِهِ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أُحُدٍ بَدَأَ لَهُ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَ ، فَأَخَذَ سَيْفَهُ فَعَدَا حَتَّى أَتَى الْقَوْمَ فَدَخَلَ فِي غُرْضِ النَّاسِ ، فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ . قَالَ : فَبَيْنَا رَجَالُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، يَلْتَمِسُونَ قَتْلَهُمْ فِي الْمَعْرَكَةِ ، إِذَا هُمْ بِهِ فَقَالُوا : وَاللَّهِ إِنْ هَذَا لِلْأَصْغَرِ ، وَمَا جَاءَ ، لَقَدْ تَرَكْنَاهُ وَإِنَّهُ لَمَنْكَرُ هَذَا الْحَدِيثِ فَسَأَلُوهُ مَا جَاءَ بِهِ ؟ فَقَالُوا : مَا جَاءَ بِكَ يَا عُمَرُ ؟ أَحْزَباً عَلَى قَوْمِكَ أَوْ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ ؟ قَالَ : بَلْ

٤٠٦ - البخاري (٣٦٦ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٢٢ - باب ذكر أم سليط .

تزرع القرب : تَحْمِلُهَا .

قال في الفتح (باب ذكر أم سليط) بفتح المهملة وكسر اللام ، ذكر فيه حديث عمر في قصة المروط ، وأم سليط المذكورة هي والدة أبي سعيد الخدري كانت زوجاً لأبي سليط فأتى منها قبل الهجرة فتزوجها مالك بن سنان الخدري فولدت له أبا سعيد .

٤٠٧ - أحمد في مسنده (٤٢٨ / ٥) .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٦٢ / ٩) ، وقال : رواه أحمد ، ورجاله ثقات .

غُرْضُ النَّاسِ : مَعْظَمُهُمْ .

أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ : أَيِ حَبْسَتْهُ وَسَكَنَتْهُ .

رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ ، آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَسْلَمْتُ ، ثُمَّ أَخَذْتُ سَيْفِي فَقَعَدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَاتَلْتُ حَتَّى أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي قَالَ : ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ فِي أَيْدِيهِمْ ، فَذَكَرُوهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » .

٤٠٨ - * روى أبو يعلى عن سهّل بن سعد رضي الله عنه قال : أتى رجل رسول الله ﷺ يوم أُحُدٍ فقال : ما رأينا مثلاً ما أتى فلانٌ ، أتاه رجلٌ لقد فرّ الناسُ ، وما فرّ ، وماترك للمشركين شاذّة ولا فاذّة إلا اتّبعتها يضربها بسيفه قال : « ومن هو ؟ » فنسب لرسول الله ﷺ نسبه ، فلم يعرفه ثم وُصِفَ له بصفته فلم يعرفه ، حتى طلع الرجل بعينه فقال ، ذا يارسول الله الذي أخبرناك عنه فقال : « هذا ؟ » فقالوا : نعم فقال : « إنه من أهل النار » فاشتد ذلك على المسلمين ، قالوا : أينما من أهل الجنة إذا كان فلانٌ من أهل النار ؟ فقال رجل من القوم : يا قوم أنظروني ، فوالذي نفسي بيده لا يموت إلا مثل الذي أصبح عليه ولا يكون صاحبه من بينكم ، ثم راح على حدة في العدو ، فجعل الرجل يشدّ معه إذا شدّ ، ويرجع معه إذا رجّع ، فينظر ما يصير إليه أمره ، حتى أصابه جرحٌ أدلّقه ، فاستعجل الموت فوضع قائم سيفه بالأرض ، ثم وضع ذبابة بين ثدييه ، ثم تحامل على سيفه ، حتى خرج من ظهره ، وخرج الرجل يعدو يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، حتى وقف بين يدي رسول الله ﷺ فقال : « وذاك ماذا ؟ » فقال : يا رسول الله الرجل الذي ذكر لك ، فقلت : إنه من أهل النار فاشتد ذلك على المسلمين ، وقالوا : أينما من أهل الجنة إذا كان فلانٌ من أهل النار ، فقلت : يا قوم أنظروني ، فوالذي نفسي بيده لا يموت إلا مثل الذي أصبح عليه ، ولا يكون صاحبه من بينكم فجعلت أشدّ معه إذا شدّ وأرجع معه إذا رجّع ، أنظر إلى ما يصير أمره ، حتى أصابه جرحٌ أدلّقه ، فاستعجل الموت ، فوضع قائم سيفه بالأرض ، ووضع ذبابة بين ثدييه ، ثم تحامل على سيفه حتى خرج من بين ظهره ، فهو ذاك يا رسول الله يضطرب بين أضغاثه فقال رسول الله

٤٠٨ - أورده الميضي في جمع الزوائد (٦ / ١١٦) ، وقال : رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح .

الحدة : النشاط .

أدلقه : أضعفه .

الأضغاث : الأخطاط .

ذباب السيف : طرفه الذي يضرب به ، يريد هنا رأسه .

ﷺ : « إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ، وإنه من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وإنه من أهل الجنة » . قال الهيثمي : هو في الصحيح باختصار .

* * *

٣ - بعد المعركة

قال ابن كثير : ثم شرع ابن إسحاق في ذكر شهداء أحد وتعدادهم بأسمائهم وأسماء آبائهم على قبائلهم كما جرت عادته فذكر من المهاجرين أربعة : حمزة ومصعب بن عمير وعبد الله ابن جحش وشماس بن عثمان رضي الله عنهم ، ومن الأنصار إلى تمام خمسة وستين رجلاً واستدرك عليه هشام خمسة آخرين فصاروا سبعين على قول ابن هشام ثم سمي ابن إسحاق من قتل من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلاً على قبائلهم أيضاً . قلت : ولم يؤسر من المشركين سوى أبي عزة الجمحي كما ذكره الشافعي وغيره وقتله رسول الله ﷺ صبراً بين يديه . أمر الزبير - ويقال عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح - فضرب عنقه .

وقد حقق صاحب الرحيق المختوم (وهناك مبررات قوية له في ذلك) أن قتل المشركين بلغوا سبعة وثلاثين .

تعليق : وقتل رجل من اليهود أسلم وهو مخيريق .

٤٠٩ - * روى الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد فسمع نساء بني عبد الأشهل يبكين على هلكاهن فقال : « لكن حمزة لا بواكي له » فجئن نساء الأنصار ، فبكين على حمزة عنده ، وزقد فاستيقظ وهن يبكين فقال « يا ويلهن إنهن لهاهنا حتى الآن ، مروهن فليرجعن ، ولا يبكين على هالك بعد اليوم » .

٤٠٩ - المستدرك (٣ / ١٩٥) ، كتاب معرفة الصحابة ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

٤١٠ - * روى الطبراني عن كعب بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ رَأَى مَقْتَلَ حِمْرَةٍ ؟ » فقال رجل : أعزك الله أنا رأيت مقتله . فانطلق ، فوقف على حمرة ، فرأه قد شقَّ بطنه ، وقد مثل به ، فقال : يا رسول الله قد مثل به ، فكره رسول الله ﷺ أن ينظر إليه ، ووقف بين ظهري القتل ، وقال : « أنا شهيدٌ على هؤلاء ، لُفَّوْهُمْ بِدِمَائِهِمْ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مَجْرُوحٌ يُجْرَحُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، إِلَّا جَاءَ جُرْحُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَذْمَى لَوْنُهُ لَوْنُ الدَّمِ وَرِيحُهُ رِيحُ الْمَسْكِ ، قَدِّمُوا أَكْثَرَهُمْ قِرْآنًا وَاجْعَلُوهُ فِي اللَّحْدِ » .

٤١١ - * روى الترمذي عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ : أُصِيبَ مِنَ الْأَنْصَارِ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ رَجُلًا ، وَمِنَ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ - فِيهِمْ حِمْرَةٌ - فَمَثَلُوا بِهِمْ ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ : لَنْ أَصْبَنَا مِنْهُمْ يَوْمًا مِثْلَ هَذَا لَنُرِيَنَّ عَلَيْهِمْ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَلَنْ صَبْرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١﴾ فقال رجل لا قرئش بعد اليوم ، فقال رسول الله ﷺ : « كَفُّوا عَنِ الْقَوْمِ إِلَّا أَرْبَعَةً » .

قال محقق جامع الأصول : والأربعة الذين أباح رسول الله ﷺ دماءهم هم : عكرمة بن أبي جهل ، وعبد الله بن خطل ، ومقيس بن صباية ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، أما عكرمة بن أبي جهل : فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، فاستأمنت له من رسول الله ﷺ فأمنه . فخرجت في طلبه إلى اليمن ، حتى أتت به رسول الله ﷺ ، فأسلم وحسن إسلامه .

٤١٠ - المعجم الكبير ١٦٨ / ٨٢ () .

وأورده الميثقي في جمع الزوائد (١١٩ / ٦) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح . مقتله : المقتل : الموضع الذي أصيب فيه الإنسان .

٤١١ - الترمذي (٢٩٩ / ٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ١٧ - باب : « ومن سورة النحل » ، وقال : هذا حديث حسن غريب .

مثَّلوا بهم : مثل به يُمثَّلُ : إذا نُكِّلَ به ، ومثَّلَ بالقتيل : إذا جده ، وشَوَّهَ خِلْقَتَهُ ، والاسم : المثلَّة . لَنُرِيَنَّ أَي : لَنُرِيدَنَّ .

(١) النحل : ١٢٦ .

وأما عبد الله بن خطل : فقتله سعيد بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي ، اشتركا في دمه . وابن خطل : رجل من بني تيم بن غالب . وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله ، لأنه كان مسلماً - فبعثه رسول الله ﷺ مصدقاً ، وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى من المسلمين يخدمه فنزلاً منزلاً ، وأمر ابن خطل المولى أن يذبح له تيساً فيصنع له طعاماً ، فنام فاستيقظ ولم يصنع المولى له شيئاً ، فعدا عليه فقتله ، ثم ارتد مشركاً .

وكانت له قيتان - فرقتى وسارة - وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ . فأمر رسول الله ﷺ بقتلها معه ، فقتلت فرقتى ، وهربت صاحبتها ، وبقيت حتى أوطأها رجل فرسه فقتلها في زمن عمر .

ويقال : إن فرقتى أسلمت ، وإن سارة أمنتها رسول الله ﷺ .

وأما مقيس بن صبابه : فقتله غيلة بن عبد الله ، رجل من قومه بني ليث ، حي من بني كعب .

٤١٢ - * روى الحاكم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر بحمزة يوم أُحُدٍ ، وقد جُدع ومثّل به ، وقال : « لولا أن صفيّة تجدّ لتركته حتى يحشّره الله من بطون الطير والسباع » فكفنه في نِمرّة .

٤١٣ - * روى الطبراني عن ابن عباس قال : قُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ وَقُتِلَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَجَاءَتْهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِثَوْبَيْنِ لِيَكْفَنَ فِيهِمَا حَمْزَةً ، فَلَمْ يَكُنْ لِلْأَنْصَارِيِّ كَفَنٌ ، فَأَسْهَمَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الثَّوْبَيْنِ ثُمَّ كَفَنَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي ثَوْبٍ .

٤١٤ - * وروى الطبراني عن أبي أسيد السّاعدي قال : أنا مع رسول الله ﷺ على قبرٍ

٤١٢ - المستدرک (١٩٦ / ٢) ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

جدع : الجذع : كاللنع : قطع الأنف أو الأذن أو اليد أو الشفة .

تجد : من التّجدد ، وهو الحزن .

٤١٣ - المعجم الكبير (١١ / ٤٠٦) .

وأورده المهيبي في جمع الزوائد (٦ / ١٢٠) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

٤١٤ - أورده المهيبي في جمع الزوائد (٦ / ١١٩) ، وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وإسناده حسن .

حمزة بن عبد المطلب فجعلوا يَجْرُونَ النَّمْرَةَ عَلَى وجهه فَتَكْشَفَ قَدَمَاهُ ، وَيَجْرُونَهَا عَلَى قَدَمَيْهِ فَيَنْكَشِفَ وَجْهَهُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اجْعَلُوهَا عَلَى وَجْهِهِ واجْعَلُوا عَلَى قَدَمَيْهِ مِنْ هَذَا الشَّجَرِ » قال : قَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ فإِذَا أَصْحَابُهُ يَبْكُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَخْرُجُونَ إِلَى الْأُرْيَافِ فَيُصِيبُونَ مِنْهَا مَطْعَمًا وَمَلْبَسًا وَمَرْكَبًا ، أَوْ قَالَ : مَرَكَبٌ فَيَكْتُبُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا فَإِنَّكُمْ بِأَرْضٍ مَجَازٍ جَدُوبَةٍ ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » .

٤١٥ - * روى البخاري عن خَبَابِ بْنِ الْأَرْثَرِ رضي الله عنه قال : هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله ، فَوَجِبَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ ، وَمَنَا مَنْ مَضَى أَوْ ذَهَبَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا ، كَانَ مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ لَمْ يَتْرِكْ إِلَّا نَمْرَةً كُنَّا إِذَا غَطَيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلَاهُ ، وَإِذَا غَطَيْنَا بِهَا رِجْلَاهُ خَرَجَ رَأْسُهُ . فقال لنا النبي ﷺ : « غَطُّوا بِهَا رَأْسَهُ ، واجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ الْإِذْخِرَ ، أَوْ قَالَ : أَلْقُوا عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الْإِذْخِرِ » وَمَنَا مَنْ أَيْتَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ ، فَهُوَ يَهْدِيهَا .

أشار الحديث إلى عظم أجر من لم يحصل شيئاً من الدنيا مع عظيم جهاده وبمناسبة الحديث تحدّث صاحب الفتح عن الصحابة فقال :

منهم من مات قبل الفتوح كصعب بن عمير ومنهم من عاش إلى أن فتح عليهم ، ثم انقسموا فمنهم من أعرض عنه وواسى به الحاويج أولاً فأولاً بحيث بقي على تلك الحالة الأولى وهم قليل منهم أبو ذر ، وهؤلاء ملتحقون بالقسم الأول ، ومنهم من تبسط في بعض المباح فيما يتعلق بكثرة النساء والسراري أو الخدم والملابس ونحو ذلك ولم يستكثر وهم كثير ومنهم ابن عمر ، ومنهم من زاد فاستكثر بالتجارة وغيرها مع القيام بالحقوق الواجبة والندوبة وهم كثير أيضاً ، منهم عبد الرحمن بن عوف ، وإلى هذين القسمين أشار خباب ، فالقسم الأول وما التحق به توفر له أجره في الآخرة ، والقسم الثاني مقتضى الخبر أنه يحسب عليهم ما

= الأرض المجاز : هي التي ليست دار إقامة .
الجدوبة : هي الجدبة .

٤١٥ - البخاري (٢٥٤ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٧ - باب غزوة أحد .

ومسلم (٦٤٩ / ٢) بنحوه . ١١ - كتاب الجنائز - ١٣ - باب في كفن الميت .

أَيْتَعَتْ : أَيْتَعَ الثَّر : إِذَا نَضِجَ وَأَدْرَكَ . يَهْدِيهَا : هَدَبَ الثَّمَرَةَ يَهْدِيهَا : إِذَا اجْتَنَاهَا .

وصل إليهم من مال الدنيا من ثوابهم في الآخرة ، ويؤيده ما أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رفعه « ما من غازیة تغزوفتغم وتسلم إلا تعجلوا ثلثي أجرهم » الحديث ، ومن ثم أثر كثير من السلف قلة المال وقنعوا به إما ليتوفروا لهم ثوابهم في الآخرة وإما ليكون أقل لحسابهم عليه .

٤١٦ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : أُصِيبَ أَبِي يَوْمَ أُحُدٍ ، فَجَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِه وَأُبْكِي ، وَجَعَلُوا يَنْهَوْنِي وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَنْهَانِي ، قَالَ : وَجَعَلْتُ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرٍو تَبْكِيهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تَبْكِيهِ أَوْ لَا تَبْكِيهِ ، مَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تَظْلُمُهُ بِأَجْنِحَتَيْهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ » .

وفي رواية (١) : لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ جِيءَ مُسْجِي ، وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ .

وفي أخرى (٢) : جِيءَ بِأَبِي يَوْمَ أُحُدٍ مُجْدَعًا - فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ ... بَنَحُوهُ .

٤١٧ - * روى الحاكم عن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قال : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ لَطْلُبَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ وَقَالَ لِي : « إِنْ رَأَيْتَهُ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ : يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ » قَالَ : فَجَعَلْتُ أَطُوفُ بَيْنَ الْقَتْلَى فَأَصَابَتُهُ وَهُوَ فِي آخِرِ رَمَقٍ وَبِهِ سَبْعُونَ ضَرْبَةً فَقُلْتُ لَهُ : يَا سَعْدُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ ، وَيَقُولُ لَكَ : خَبَّرَنِي كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ قَالَ : عَلَى رَسُولِ اللَّهِ السَّلَامَ وَعَلَيْكَ السَّلَامَ ، قُلْ لَهُ : أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ ، وَقُلْ لِقَوْمِي الْأَنْصَارِ : لَا عَذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يُخْلَصَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَفِيكُمْ شَعْرٌ يَطُرْفُ قَالَ : وَقَاضَتْ نَفْسُهُ .

٤١٦ - مسلم (٤ / ١٩١٨) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٦ - باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن حرام ، والد جابر رضي الله تعالى عنها .

والبخاري (٣ / ١١٤) بنحوه . ٢٣ - كتاب الجنائز - ٣ - باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه .

(١) مسلم في نفس الموضوع السابق (٤ / ١٩١٧) . (٢) مسلم في نفس الموضوع السابق (٤ / ١٩١٨) .

الْمُسْجِي : الْمُنْطَوِي . مُثِّلَ بِهِ : التَّمَثِيلُ بِالْقَتِيلِ : تَشْوِيهِ خَلْقَتِهِ بِجَدْعٍ أَوْ قَطْعِ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ .

مُجْدَعًا : الْجَدْعُ : قَطْعُ الْأَنْفِ وَنَحْوِهِ مِنَ الْأَعْضَاءِ .

٤١٧ - المستدرك (٣ / ٢٠١) ، كتاب معرفة الصحابة ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

الشَّعْرُ : حَرْفُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَشَعْرُ الْجَفْنَيْنِ : حَرْفُهُ الَّذِي يَنْبَغِي عَلَيْهِ الْمَذْبُوبُ . وَجَمْعُهُ : أَشْفَارُ .

٤١٨ - * روى الطبراني عن أنيسة بنت عدي أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ابني عبد الله بن سلمة وكان بدرية قتل يوم أحد أحببت أن أنقله فأنس بقربه ، فأذن لها رسول الله ﷺ ، فعدلته بالمجدر بن زياد على ناضح له في عبادة ، فمرت بها فعجب لها الناس فنظر إليهما رسول الله ﷺ فقال : « سوى بينهما عملهما » وكان عبد الله رجلاً جسيماً ثقيلاً وكان المجدر قليل اللحم وهو الذي يقول :

أنا الذي أضلي من بلى أظعن بالصعدة حتى تشني
ولا نرى مجزراً يفري قري

٤١٩ - * روى الحاكم عن أبي ذر رضي الله عنه قال : لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد من مر على مصعب مقتولاً على طريقه فقرأ : ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ (١) الآية .

٤٢٠ - * روى أحمد عن عبيد الله بن رفاعة الزرقى قال : لما كان يوم أحد وإنكفأ المشركون ، قال رسول الله ﷺ : « استنوا حتى أثنى على ربي » فصاروا خلفه صفوفاً ، فقال : « اللهم لك الحمد كله . اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادي لما أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت ، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك ، اللهم إني أسألك النعم المقيم الذي لا يحول ولا يزول ، اللهم إني أسألك النعم يوم العيلة والأمن يوم الخوف ، اللهم إني عائذ

٤١٨ - للمعجم الكبير (٢٤ / ١٩٢) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٠٦) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .
الناضح : جل يتخذ للسقي غالباً .

٤١٩ - المستدرک (٣ / ٢٠٠) ، كتاب معرفة الصحابة ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي .
(١) الأحزاب : ٢٣ .

٤٢٠ - أحمد في مسنده (٣ / ٤٢٤) والبزار بنحوه : كشف الأستار (٢ / ٣٣٠) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٢١) .

وقال : رواه أحمد والبزار ، ورجال أحمد رجال الصحيح .
انكفا : صرقت وكب .

بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أُعْطِينَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا ، وَكْرَهُ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَحِينَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكُفْرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رِسْلَكَ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رَجْزَكَ وَغَذَابَكَ ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكُفْرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَهَ الْحَقِّ .

يبدو أن هذا قد تم بعد أن انتهت المعركة وانسحب المشركون وتفقد المسلمون القتلى والجرحى قبيل اتجاه المسلمين نحو المدينة .

٤٢١ - * روى ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أُنِيَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ فَجَعَلَ يُصَلِّي عَلَى عَشْرَةِ عَشْرَةٍ وَحُمْزَةٌ هُوَ كَمَا هُوَ ، يُرْفَعُونَ وَهُوَ كَمَا هُوَ مُوَضُّوعٌ .

٤٢٢ - * روى البخاري عن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال : صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ كَالْمَوْدِعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ ، ثُمَّ طَلَعَ النَّبْرَ فَقَالَ : « إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ ، وَإِنْ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا » قَالَ : فَكَانَتْ آخِرَ نَظَرِهِ نَظَرُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

٤٢٣ - * روى أبو داود والنسائي وابن ماجه واللفظ له عن جابر بن عبد الله (رضي

٤٢١ - ابن ماجه (١ / ٤٨٥) ٦ - كتاب الجنائز - ٢٨ - باب ما جاء في الصلاة على الشهداء ودفنهم .

قال المعلق على ابن ماجه : قال السندي : يظهر من الزوائد أن إسناده حسن .

٤٢٢ - البخاري (٧ / ٣٤٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٧ - باب غزوة أحد .

ومسلم نحوه (٤ / ١٧٩٥) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

الفرط : في الأصل : السابق إلى الماء يرتاده لقومه . ويستعمل للسابق إلى الجنة ، وهنا كذلك .

٤٢٣ - أبو داود (٣ / ٢٠٢) ، كتاب الجنائز ، باب في الميت يحمل من أرض إلى أرض وكراهة ذلك .

والنسائي (٤ / ٧٩) ، كتاب الجنائز ، باب أين يدفن الشهيد .

وابن ماجه (١ / ٤٨٦) ٦ - كتاب الجنائز . ٢٨ - باب ما جاء في الصلاة على الشهداء ودفنهم . وهو صحيح .

الله عنها) قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِ أَحَدٍ أَنْ يَرُدُّوا إِلَى مَصَارِعِهِمْ وَكَانُوا نَقِلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ .

٤٢٤ - * روى ابن ماجه عن ابن عباس: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِ أَحَدٍ أَنْ يُنْزَعَ عَنْهُ الْحَدِيدُ وَالْجُلُودُ وَأَنْ يُذَقَّنُوا فِي ثِيَابِهِمْ بِدِمَائِهِمْ .

٤٢٥ - * روى أحمد عن جابر بن عبد الله قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا ذَكَرَ أَصْحَابُ أَحَدٍ: «أَمَّا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي غَوْدِرْتُ مَعَ أَصْحَابِ نَحْصِ الْجَبَلِ» يَعْنِي سَفْحَ الْجَبَلِ .

٤٢٦ - * روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَسَهْلِ بْنِ عَمْرِو، وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١) .

وفي رواية الترمذي (٢) قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أَحَدٍ: «اللَّهُمَّ الْعَنُ أَبَا سَفْيَانَ، اللَّهُمَّ الْعَنُ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ الْعَنُ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ» قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ﴾ فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَأَسْلَمُوا، فَحَسَنَ إِسْلَامُهُمْ .

إلى مزارعهم: أي إلى الحقل الذي قتلوا فيه، وهذه هي السنة وقد دفن بعضهم في المدينة قبل الأمر .

٤٢٤ - ابن ماجه (١ / ٤٨٥) ٦ - كتاب الجنائز - ٢٨ - باب ما جاء في الصلاة على الشهداء ودفنهم . ولا بأس بإسناده .
الحديد: السلاح والدروع .

٤٢٥ - أحمد في مسنده (٣ / ٣٧٥) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٢٣) ، وقال: رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع .

غَوْدِرْتُ: أي تركت الدنيا معهم ويعني الحديث: أي ياليتني استشهدت معهم .

أَصْحَابُ نَحْصِ الْجَبَلِ: قتل أحد وغيرهم من الشهداء .

٤٢٦ - البخاري (٧ / ٣٦٥) ٦٤ - كتاب المغازي - ٢١ - باب ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ﴾ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿﴾ .

(١) آل عمران: ١٢٨ .

(٢) الترمذي (٥ / ٢٢٧) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٤ - باب «ومن سورة آل عمران» وقال: حديث حسن غريب .

وفي رواية النسائي ^(١) : أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - حِينَ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنَ الرُّكْعَةِ الْآخِرَةِ - قَالَ : « اللَّهُمَّ الْعَنْ قُلَانَا وَقُلَانَا ، يَدْعُو عَلَى أَنَاسٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ » فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ .

وقد ذكر الترمذي ^(٢) بسند حسن أن الرسول ﷺ كان يدعو على أربعة وأن الله هداهم .

٤٢٧ - * روى الحَاكِم عن عبد الله بن أبي فروة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم زار قُبُورَ الشَّهَدَاءِ بِأَحَدٍ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنَّ عَبْدَكَ وَنَبِيَّكَ يَشْهَدُ أَنَّ هَؤُلَاءِ شُهَدَاءٌ ، وَأَنَّهُ مَنْ زَارَهُمْ وَسَلَّمْ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ رَدُّوا عَلَيْهِ » (قَالَ الْعُطَاف) وَحَدَّثَنِي خَالَتِي أَنَّهَا زَارَتْ قُبُورَ الشَّهَدَاءِ ، قَالَتْ : وَلَيْسَ مَعِيَ إِلَّا غُلَامَانِ يَحْفَظَانِ عَلَيَّ الدَّابَّةَ ، قَالَتْ : فَسَمِعْتُ رَدَّ السَّلَامِ ، قَالُوا : وَاللَّهِ إِنَّا نَعْرِفُكُمْ كَمَا يَعْرِفُ بَعْضُنَا بَعْضًا ، قَالَتْ : فَافْشَعَرْتُ ، فَقُلْتُ : يَا غُلَامُ أَذُنِي بَغْلَتِي فَرَكِبْتُ .

* * *

٤ - عِبَرُ أَحَدٍ وَبَعْضُ دُرُوسِهَا

تكلّم العلماء كثيراً في عبر أحد ودروسها ، ونحن هنا ننقل بعض كلام الغزالي المعاصر وابن القيم والسباعي رحمهما الله :

١ - قال الغزالي حفظه الله :

موقعة « أحد » فيأضة بالعظّات الغوالي والدروس القيمة ، وقد نزلت في أدوارها وحوادثها ونتائجها آيات طوال ، وكان لها في نفس الرسول عليه الصلاة والسلام أثر عميق

(١) النسائي (٢ / ٢٠٣) ، كتاب الافتتاح (التطبيق) ، باب لمن المنافقين في القنوت .

(٢) الترمذي (٥ / ٢٢٨) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن . ٤ - باب « ومن سورة آل عمران » .

٤٢٧ - المستدرک (٣ / ٢٩) ، كتاب المغازي ، وقال : هذا إسناد مدني صحيح ولم يخرجاه قال الذهبي عنه : مرسل .

ظل يذكره إلى قبيل وفاته ، كانت امتحاناً ثقيلاً الوطأة محض السرائر ومزق النقاب عن عيوبها ، فامتاز النفاق عن الإيمان ، بل تميّزت مراتب الإيمان نفسه فعرف الذين ركّلوا الدنيا بنعالمهم فلم يعرجوا على مطمع من مطامعها والذين مالوا إليها بعض الميل فنشأ عن أطعامهم التافهة ما ينشأ عن الشرر المستصغر من حرائق مروعة .

بدأت المعركة بانسحاب ابن أبيّ ، وهو عمل ينطوي على استهانة بمستقبل الإسلام وغدر به في أخرج الظروف ، وتلك أبرز خسائس النفاق .

والدعوات - إبان امتدادها وانتصارها - تُغري الكثير بالانضواء تحت لوائها ، فيختلط الخلق بالمغرض ، والأصيل بالدخيل . وهذا الاختلاط مضر أكبر الضرر بسير الرسائل الكبيرة وإنتاجها .

ومن مصلحتها الأولى أن تصاب برجات عنيفة تعزل الحُبث عنها ، وقد اقتضت حكمة الله أن يقع هذا التحيص في أحد .

ولئن أفادت وقعة « بدر » في خذل الكافرين ، إن وقعة « أحد » أفادت مثلها في فضح المنافقين ، ورب ضارة نافعة ، وربما صحت الأجسام بالعلل .

ولعل ما ترتب على عصيان الأوامر في هذه الموقعة ، درس عميق يتعلم منه المسلمون قيمة الطاعة ، فالجماعة التي لا يحكمها أمر واحد ، أو التي تغلب على أفرادها وطوائفها النزعات الفردية النافرة لا تنجح في صدام ، بل لا تُشرف نفسها في حرب أو سلام .

والأمر كلّها ، مؤمنها وكافرها ، تعرف هذه الحقيقة ، ولذلك قامت الجندية على الطاعة التامة ، وعندما تشتبك أمة في حرب ، تجعل أحزابها جبهة واحدة وأهواءها رغبة واحدة ، وتُخمد كل تمرّد أو شذوذ ينجم في صفوفها .

ولذلك لما دهش المسلمون للكارثة التي قلبت عليهم الأمور ، بيّن لهم أنهم هم مصدرها :
فأخلفهم مؤعداً ، ولاظلمهم حقاً :

هو أولاً أصابتكم مصيبة قد أصبّت مثليها فقلتم أئى هذا قل هو من عند أنفسكم إن

الله على كل شيء قدير ﴿١﴾ .

إن الإسلام يشترط لكمال العمل وقبوله الإيمان والاحتساب ، والتجرد . ا هـ .

٢ - قال ابن القيم :

(فصل في ذكر بعض الحكم والغايات المحمودة التي كانت في وقعة أحد) وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى أمهاتها وأصولها في سورة آل عمران حيث افتتح القصة بقوله ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ (٢) إلى تمام ستين آية فنما تعريفهم بسوء عاقبة المعصية والفشل والتنازع وأن الذي أصابهم إنما هو بشؤم ذلك كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُمُ بِأُذُنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ﴾ (٣) فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول وتنازعهم وفشلهم كانوا بعد ذلك أشد حذراً ويقظة وتحزناً من أسباب الخذلان .

ومنها أن حكمة الله وسنته في رسله وأتباعهم جرت بأن يدالوا مرة ويدال عليهم أخرى ، لكن تكون لهم العاقبة ، فإنهم لو انتصروا دائماً دخل معهم المسلمون وغيرهم ولم يتميز الصادق من غيره ، ولو انتصر عليهم دائماً لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة فاقترضت حكمة الله أن جمع لهم بين الأمرين ليميز من يتبعهم ويطيعهم للحق وما جاؤا به من يتبعهم على الظهور والغلبة خاصة ومنها أن هذا من أعلام الرسل ، كما قال هرقل لأبي سفيان هل قاتلتوه ؟ قال : نعم . قال : كيف الحرب بينكم وبينه ؟ قال : سجال ندال عليه ويدال علينا الأخرى ، قال كذلك الرسل تبلى ثم تكون لهم العاقبة .

ومنها أن يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب ، ومنها استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء وفيما يحبون وما يكرهون وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم فإذا

(١) آل عمران : ١٦٥ .

(٢) آل عمران : ١٢١ .

(٣) آل عمران : ١٥٢ .

ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون فهم عبيده حقاً وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية .

ومنها أنه سبحانه لو نصرهم دائماً وأظفرهم بعدوهم في كل موطن وجعل لهم التكن والقهر لأعدائهم أبداً لطغت نفوسهم وشمخت وارتفعت فلو بسط النصر والظفر لكانوا في الحال التي يكونون فيها لو بسط لهم الرزق ، فلا يصلح عباده إلا السراء والضراء والشدة والرخاء والقبض والبسط فهو المدبر لأمر عباده كما يليق بحكمته إنه بهم خبير بصير .

ومنها أنه إذا امتحنهم بالغلبة والكسرة والهزيمة ذلوا وانكسروا وخضعوا فاستوجبوا منه العز والنصر فإن خلعة النصر إنما تكون مع ولاية الذل والانكسار قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ ^(١) وقال : ﴿ وَيَوْمَ حُتَيْنَ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرْتُمْ فَلَمْ تَفْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً ﴾ ^(٢) فهو سبحانه إذا أراد أن يعز عبده ويجبره وينصره كسره أولاً ويكون جبره له ونصره على مقدار ذله وانكساره .

ومنها أنه سبحانه هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لم تبلغها أعمالهم ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والحنة فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها .

ومنها أن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغناء طغياناً وركوناً إلى العاجلة ، وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها إلى الله والدار الآخرة ، فإذا أراد بها ربها ومالكها وراحها كرامته قبيض لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواء لذلك المرض العائق عن السير الحثيث إليه ، فيكون ذلك البلاء والحنة بمنزلة الطبيب يسقي العليل الدواء الكريه ويقطع منه العروق المؤلمة لاستخراج الأدوية منه ، ولو تركه لغلبته الأدوية حتى يكون فيها هلاكه ومنها أن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه ، والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده ، وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة ، وهو سبحانه يحب أن يتخذ

(١) آل عمران : ١٢٣ .

(٢) التوبة : ٢٥ .

من عباده شهداء يراق دماؤهم في محبته ومرضاته ويؤثرون رضاه ومحابه على نفوسهم ، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو .

ومنها أن الله سبحانه إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم قيص لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقتهم ومن أعظمها بعد كفرهم بغيهم وطغيانهم ومبالغتهم في أذى أوليائهم وعاربتهم وقتالهم والتسلط عليهم فيتحص بذلك أوليائهم من ذنوبهم وعيوبهم ويزداد بذلك أعدائهم من أسباب محقتهم وهلاكهم وقد ذكر سبحانه وتعالى ذلك في قوله ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ * إِنَّ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

ومنها أن وقعة أحد كانت مقدمة وإرهاصاً بين يدي موت رسول الله ﷺ ، فنبأهم ووجههم على انقلاهم على أعقابهم إن مات رسول الله ﷺ أو قتل بل الواجب له عليهم أن يشبثوا على دينه وتوحيده ويموتوا عليه أو يقتلوا ، فإنهم إنما يعبدون رب محمد وهو حي لا يموت ، فلو مات محمد أو قتل لا ينبغي لهم أن يصرفهم ذلك عن دينه وما جاء به ، فكل نفس ذائقة الموت .

٣ - علق الدكتور السباعي على غزوة أحد فقال :

إن مخالفة أمر القائد الحازم البصير يؤدي إلى خسارة المعركة ، كما حصل في وقعة أحد ، فلو أن رماة النبل الذين أقامهم رسول الله ﷺ خلف جيشه ثبتوا في مكانهم كما أمرهم الرسول ﷺ لما استطاع المشركون أن يلتفوا من حولهم ويقلبوا هزيمتهم أول المعركة إلى النصر في آخرها ، وكذلك يفعل العصيان في ضياع الفرص ونصر الأعداء ، وقد أنذر الله المؤمنين بالعذاب إن خالفوا أمر رسولهم . فقال : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ (٢) .

(١) آل عمران : ١٣٩ - ١٤١ .

(٢) النور : ٦٣ .

وفي ثبات نسبية أم عمارة ، ووقوفها وزوجها وأولادها حول رسول الله ﷺ حين انكشف المسلمون يوم أحد ، دليل من الأدلة المتعددة على إسهام المرأة المسلمة بقسط كبير من الكفاح في سبيل دعوة الإسلام ، وهو دليل على حاجتنا اليوم إلى أن تحمل المرأة المسلمة عبء الدعوة إلى الله من جديد ، لتدعو إلى الله في أوساط الفتيات والزوجات والأمهات ، ولتنشئ في أطفالها حب الله ورسوله ، والاستمسك بالإسلام وتعاليمه ، والعمل لخير المجتمع وصلاحه .

وما دام ميدان الدعوة شاغراً من المرأة المسلمة الداعية ، أو غير ممتلئ بالعدد الكافي منهن . فستظل الدعوة مقصرة في خطاها ، وستظل حركة الإصلاح عرجاء حتى يسمع نصف الأمة وهن النساء - دعوة الخير ، ويستيقظ في ضائرها وقلوبهن حب الخير والإقدام على الدين ، والإسراع إلى الاستمسك بعروته الوثقى .

وفي إصابة رسول الله ﷺ بالجراح يوم أحد عزاء للدعاة فيما ينالهم في سبيل الله من أذى في أجسامهم ، أو اضطهاد لحرياتهم بالسجن والاعتقال ، أو قضاءً على حياتهم بالإعدام والاعتقال ، وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ أَلَمْ أَحْصِبِ النَّاسُ أَنْ يَتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ ولقد فتننا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴿ (١) .

وفيما فعله المشركون يوم أحد من التمثيل بقتلى المسلمين ، وبخاصة حزة عم الرسول ﷺ ، دليل واضح على خلو أعداء الإسلام من كل إنسانية وضمير ، فالتمثيل بالقتيل لا يؤلم القاتل نفسه ، إذ الشاة المذبوحة لا تتألم من السليخ ، ولكنه دليل على الحقد الأسود الذي يملأ نفوسهم ، فيتجلى في تلك الأعمال الوحشية التي يتألم منها كل ذي وجدان حي ، وضمير إنساني .

وفي تقدمه [عليه الصلاة والسلام] الصفوف في كل معركة وخوضه غمارها معهم إلا فيما يشير به أصحابه ، دليل على أن مكان القيادة لا يحتله إلا الشجاع المثبت ، وأن الجبناء

(١) العنكبوت : ١ - ٣ .

خائري القوى لا يصلحون لرئاسة الشعوب ، ولا لقيادة الجيوش ، ولا لزعامة حركات الإصلاح ودعوات الخير ، فشجاعة القائد والداعية بفعله وعمله يفيد في جنوده وأنصاره في إثارة حماسهم واندفاعهم مالا يفيد ألف خطاب حماسي يلقونه على الجماهير ، ومن عادة الجنود والأنصار أن يستمدوا قوتهم من قوة قائدهم ورائدهم ، فإذا جبن في مواقف اللقاء ، وضعف في مواطن الشدة ، أضر بالقضية التي يحمل لواءها ضرراً بالغاً . ١ هـ .

* * *

٥ - فقهيات

ذكر ابن القيم عدداً من الأحكام والمسائل الفقهية التي تؤخذ من غزوة أحد ، وها نحن ننقل بعضاً مما ذكره : منها أنه لا يجب على المسلمين إذا طرقتهم عدوهم في ديارهم الخروج إليه بل يجوز لهم أن يلزموا ديارهم ويقاتلوه فيها إذا كان ذلك أنصر لهم على عدوهم كما أشار به رسول الله ﷺ يوم أحد .

ومنها جواز سلوك الإمام بالعسكر في بعض أملاك رعيته إذا صادف ذلك طريقه وإن لم يرض المالك .

ومنها أنه لا يأذن لمن لا يطيق القتال من الصبيان غير البالغين بل يردهم إذا خرجوا كما رد رسول الله ﷺ ابن عمر ومن معه .

ومنها جواز الغزو بالنساء والاستعانة في الجهاد بهن ومنها جواز الانغماس في العدو كما انغمس أنس بن النضر وغيره .

ومنها أن الإمام إذا أصابته جراحة صلى بهم قاعداً وصلوا وراءه قعوداً كما فعل رسول الله ﷺ في هذه الغزوة واستمرت على ذلك سنته إلى حين وفاته .

ومنها جواز دعاء الرجل أن يقتل في سبيل الله وتمنيه ذلك وليس هذا من تمنى الموت المنهي عنه .

ومنها أن المسلم إذا قتل نفسه فهو من أهل النار لقوله ﷺ في قُرْمان الذي أبلى يوم

أحد بلاء شديداً فلما اشتد به الجراح نحر نفسه فقال صلى الله عليه وسلم هو من أهل النار .
ومنها أن السنة في الشهيد أن لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن في غير ثيابه بل يدفن فيها بدمه وكلومه إلا أن يُسَلِّبَهَا فيكفَّنَ في غيرها .

ومنها أنه إذا كان جنبا عُسِّلَ كما عُسِّلَتِ الملائكة حنظلة بن أبي عامر ومنها أن السنة في الشهداء أن يُدْفَنُوا في مصارعهم ولا يُنْقَلُوا إلى مكان آخر .

ومنها جَوَّازُ دَفْنِ الرَّجُلَيْنِ أَوْ الثَّلَاثَةِ فِي الْقَبْرِ الْوَاحِدِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْفِنُ الرَّجُلَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ فِي الْقَبْرِ وَيَقُولُ : أَيْمٌ أَكْثَرُ أَخْذًا فِي الْقُرْآنِ ؟ فَإِذَا أَشَارُوا إِلَى رَجُلٍ قَدِمَهُ فِي اللَّحْدِ ، وَدَفَنَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ وَعَمْرٍو بْنُ الْجَمُوحِ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ لَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْحُبَةِ فَقَالَ : « ادْفِنُوا هَذَيْنِ الْمُتَحَابِّينِ فِي الدُّنْيَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ » ثُمَّ حَفَرَ عَنْهُمَا بَعْدَ زَمَنِ طَوِيلٍ وَدَفَنَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ عَلَى جِرَاحَتِهِ كَمَا وَضَعَهَا حِينَ جَرَحَ ، فَأَمِيطَتْ يَدُهُ عَنْ جِرَاحَتِهِ فَانْبَعَثَ الدَّمُ فَرُدَّتْ إِلَى مَكَانِهَا فَسَكَنَ الدَّمُ ، وَقَالَ جَابِرٌ : رَأَيْتُ أَبِي فِي حَفْرَتِهِ حِينَ حَفَرَ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ نَائِمٌ وَمَا تَغَيَّرَ مِنْ خَالِهِ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ قِيلَ لَهُ : أَفَرَأَيْتَ أَكْفَأَنَّهُ فَقَالَ إِنَّمَا دَفِنَ فِي نَمِرَةٍ خُمَّرَ بِهَا وَجْهَهُ وَعَلَى رِجْلَيْهِ الْحَرْمَلُ ^(١) فوجدنا النمرة كما هي وعلى رجليه الحرمل على هيأته وبين ذلك ستة وأربعون سنة .

وقد اختلف الفقهاء في أمر النبي ﷺ أن يدفن شهداء أحد في ثيابهم هل هو على وجه الاستحباب والألوية أو على وجه الوجوب على قولين الثاني أظهرهما ، وهو المعروف عن أبي حنيفة رحمه الله والأول هو المعروف عن أصحاب الشافعي وأحمد رحمه الله ، فإن قيل فقد روى يعقوب بن شيبه وغيره بإسناد جيد أن صفية أرسلت إلى النبي ﷺ ثوبين ليكفن فيهما حمزة فكفنه في أحدهما وكفن في الآخر رجلاً آخر ، قيل حمزة كان الكفار قد سلبوه ومثلوا به وبقرؤا عن بطنه واستخرجوا كبده فلذلك كفن في كفن آخر ، وهذا القول في الضعف نظير قول من قال يُغَسَّلُ الشهيد وسنة رسول الله ﷺ أولى بالاتباع .

(١) (الحرمل) : ثبَّتَ له حب أسود كالخردل .

ومنها أن من عذره الله في التخلف عن الجهاد لمرضٍ أو عرج يجوز له الخروج إليه وإن لم يجب عليه كما خرج عمرو بن الجموح وهو أعرج .

ومنها أن المسلمين إذا قتلوا واحداً منهم في الجهاد يظنونونه كافراً فعلى الإمام ديتة من بيت المال لأن رسول الله ﷺ أراد أن يدي اليَمَان أبا حذيفة فامتنع حذيفة من أخذ الدية وتصدق بها على المسلمين . اهـ كلام ابن القيم .

* * *

فصل : في غزوة حمراء الأسد

قال في الرحيق المختوم : وبات الرسول ﷺ وهو يفكر في الموقف ، فقد كان يخاف أن المشركين إن فكروا في أنهم لم يستفيدوا شيئاً من النصر والغلبة التي كسبوها في ساحة القتال ، فلا بد من أن يندموا على ذلك ، ويرجعوا من الطريق لغزو المدينة مرة ثانية ، فصمم على أن يقوم بعملية مطاردة الجيش المكي .

وسار رسول الله ﷺ والمسلمون معه حتى بلغوا حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة فعسكروا هناك .

(وكان من آثار ذلك أن عدل المشركون عن قرارهم في مهاجمة المدينة ، وانطلقوا نحو مكة أشبه بالمهاريين) .

أقام رسول الله ﷺ بجمراء الأسد بعد - مقدمه يوم الأحد - الاثنين والثلاثاء والأربعاء .

لا شك أن غزوة حمراء الأسد ليست بغزوة مستقلة ، إنما هي جزء من غزوة أحد وتمة لها ، وصفحة من صفحاتها .

٤٢٨ - * روى الطبراني عن ابن عباس قال : لما انصرف أبو سفيان والمشركون عن أحد ، وبلغوا الروحاء قالوا : لا محمداً قتلت ، ولا الكواعب أردفت ، شر ما صنعتم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فندب الناس فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد أو بئر بني عيينة فأنزل الله عز

٤٢٨ - أوردته الهيئتي في مجمع الزوائد (٦ / ١٢١) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجواز ، وهو ثقة .

الروحاء : تبعد عن المدينة جنوباً حوالي أربعين ميلاً .

الكواعب : جمع كاعب وهي الفتاة التي نهد ثديها .

أردفت : أركبتم وراءكم على الإبل والمعنى أسرتم .

ندب الناس فانتدبوا : دعاهم للخروج فخرجوا .

حمراء الأسد : موضع على ثمانية أميال من المدينة .

وَجَلَّ ۞ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۞ ^(١) وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا سَفِيَانَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : مَوْعِدُكَ مَوْسِمٌ بَدْرٍ ، حَيْثُ قَتَلْتُمْ أَصْحَابَنَا فَأَمَّا الْجَبَانُ فَرَجَعُوا ، وَأَمَّا الشُّجَاعُ فَأَخَذَ أَهْبَةَ الْقِتَالِ وَالتَّجَارَةَ فَأَتَوْهُ فَلَمْ يَجِدُوا بِهِ أَحَدًا وَتَسَوَّقُوا فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ ۞ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَسْتَهُمْ سُوءٌ ۞ ^(٢) .

٤٢٩ - * روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما : ۞ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۞ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا ۞ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۞ ^(٣) .

والملاحظ أَنَّ الحرب النفسية كانت جزءاً من مخططات الرسول ﷺ ومخططات المشركين ، فليست إذن هي وليدة الفكر المعاصر بل تقول : إن كثيراً مما يظنُّ أَنَّهُ وليد الفكر المعاصر ليس هو كذلك فهناك منطق البدهة والغريزة ينطلق الناس عنه دائماً أبداً وإنما التعقيد والتنظيم يتضحان على مدى العصور .

والملاحظ أَنَّ الحرب النفسية لم تؤثر في رسول الله ﷺ وأصحابه وإنما أثرت بالمشركين فقط وذلك هو الوضع الطبيعي الذي ينبغي أن يكون عليه الحال ، فإذا ما حدث غير ذلك - فالسبب - المرض عند المسلمين .

بل تقول : إِنَّ قوله عليه الصلاة والسلام : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » ^(٤) يدلُّ على أَنَّ الغلبة في الحرب النفسية هي الأساس وهي النصر ، ولكن ذلك لا يكون للمسلمين إلا إذا تأسوا برسول الله ﷺ وأصحابه في طلب الموت وإحسان الحركة السياسية والعسكرية .

= القرح : عض السلاح وجروحه .

وتسَوَّقُوا : اشتروا من السوق .

(١) آل عمران : ١٧٢ .

(٢) آل عمران : ١٧٤ .

٤٢٩ - البخاري (٨ / ٢٢٩) ٦٥ - كتاب التفسير - ١٣ - باب ۞ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ۞ الآية .

(٣) آل عمران : ١٧٣ .

(٤) البخاري (١ / ٤٣٥) .

٤٣٠ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيم﴾^(١) . قالت لعروة : « يا ابن أخي ، كان أبواك منهُم الزبير وأبو بكر ، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أُحُدٍ وانصرف عنه المشركون خاف أن يَرْجِعُوا ، قال : مَنْ يذهب في إثرِهِم ؟ فانتدب منهم سبعون رجلاً ، قال : كان فيهم أبو بكر والزبير .

وفي رواية^(٢) قال عروة : قَالَتْ لي عَائِشَةُ : أَبَوَاكَ وَاللَّهِ مِنَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ - زَادَ في رِوَايَةٍ - تَعْنِي أبا بكر والزبير .

قال ابن كثير : المشهور عند أصحاب المغازي أن الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى حراء الأسد كل من شهد أحداً وكانوا سبعة كما تقدم ، قتل منهم سبعون وبقي الباقيون ، وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال : إِنَّ اللَّهَ قَذَفَ في قَلْبِ أَبِي سَفْيَانَ الرَّعْبَ يَوْمَ أُحُدٍ بعد الذي كان منه فَرَجَعَ إلى مكة .

قال ابن إسحاق : كان أحد يوم السبت للنصف من شوال ، فلما كان الغد يوم الأحد سادس عشر من شوال أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس يطلب العدو ، وأن لا يخرج معنا إلا من حضر بالأمس ، فاستأذنه جابر بن عبد الله في الخروج معه فأذن له ، وإنما خرج مرهباً للعدو وليظنوا أن الذي أصابهم لم يوهنهم عن طلب عدوهم .

أقول : يبدو أن السبعين الذين ذكرتهم عائشة رضي الله عنها كانوا طليعة القوم ، وإلا فالنصوص واضحة بأنه حتى المجرى لم يتخلفوا عن غزوة حراء الأسد .

* * *

٤٣٠ - البخاري (٧ / ٣٧٣) - ٦٤ - كتاب المغازي - ٢٥ - باب ﴿الذين استجابوا لله والرسول﴾ .

البخاري مطولاً (١ / ٤٢٥) - ٧ - كتاب التيمم - ١ - باب حدثنا عبد الله بن يوسف عن جابر بن عبد الله .

(١) آل عمران : ١٧٢ .

(٢) مسلم (٤ / ١٨٨١) - ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٦ - باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله تعالى عنها والزيادة

في نفس الموضع .

هوامش على غزوة أحد

١ - يبدو لي أنّ غزوة أحد جمعت هزيمتين للطرفين بأن واحد واستمرت الهزيمتان إلى آخر الغزوة ، فلقد هرب المشركون ابتداءً ، ثمّ وجد خالد الفرصة فهاجم وهرب بعض المسلمين ، واستمرّ الهروب عند الطرفين فنحن لا نعثر بعد هجمة خالد على تجمع كبير للمسلمين ، كما أنّنا لا نعثر على تجمع كبير للمشركين وإنّا بقيت مجموعات في أرض المعركة ، حتى إنّ خالدًا نفسه وهو الذي أوقع الهزيمة بالمسلمين لا نسمع له حساً بعد ذلك فكأنه تصرف هذا التصرف الخاطف وهو في موقع اليأس ، والذين بقوا على أرض المعركة لم يكونوا متكافئين ، ومع ذلك فالإدارة الحازمة الحكيمة الرائعة للمعركة من قِبل رسول الله ﷺ أوقفت المشركين عند حدّهم واكتفوا بما حقّقوا ، ولولا أنّهم شعروا بالعجز أو أنّ خسائرهم ستكون أكثر من أرباحهم ما انسحبوا وهم يرون رسول الله ﷺ ومجموعة قليلة من أصحابه حوله أمامهم ، ولذلك فالمعركة في مجموعها كانت متعادلة من ناحية النصر والهزيمة وإن كانت ضحايا المسلمين أكثر لأن عدد العدو أكبر .

٢ - لا أعرف في تاريخ العالم ملحمة هي أعظم في البطولة والشجاعة والكفاءة العسكرية والقياديّة كلحمّة أحد ، فأى قائد في تاريخ العالم يبقى في أفراد من جنده يتابع القتال ويدير المعركة حتّى يكفّ العدو يده ، ثم أي قائد يصاب بما أصيب به رسول الله ﷺ يومذاك ويبقى على غاية من اليقظة في إدارة الأمور فيرسل من يستكشف له وجهة قريش ، ويعلن عن تصميمه على المعركة إلى النهاية ، ثم يغسل آثار هزيمة المشركين بعملية خاطفة هي عملية حمراء الأسد التي أرجعت إلى الصف الإسلامي روحه المعنوية وأعادت هيبة المسلمين إلى المجتمع الذي يعيشون فيه ، وأعادت قريشاً إلى صوابها وقذفت في قلوب رجالها الرعب .

٣ - لقد تلافى قريش الكثير من نواقصها يوم بدر ، فلقد كان ينقصها يوم بدر وحدة القيادة وجودة التعبئة والتصميم الشامل على القتال والدوافع القويّة نحو النصر ، أمّا في أحد فلقد توحّدوا تحت إمرة أبي سفيان وكانت تعبئتهم جيّدة ، وكان لهم ثأرٌ يحركهم ومصالحٌ

يفتقدونها ، وكان تصحيحهم على المعركة شاملاً وكفاءتهم القيادية والقتالية عالية جداً يظهر ذلك من تصرفات أبي سفيان وخالد وبنو عبد الدار حملة اللواء ، ومع ذلك هُزموا ابتداءً وتكافؤوا انتهاءً ، ولولا غلطة الرماة لم تكن إلا الهزيمة ، هذا مع أن العدو أربعة أضعاف ونيف ، والخيـل كانت عندهم كلها على قول وكانت أربعة أضعاف على قول آخر وهكذا ، ولقد عوّض رسول الله ﷺ عن النقص في العدد والعدة بحسن التخطيط والاستفادة من الأرض ولكنّه في النهاية لا تعليل إلا الإيمان وإلا التأييد الرباني وفعل الله لرسوله ﷺ والمؤمنين .

٤ - بعد سنتين من قـيام الدولة الإسلامية في المدينة تبين أن ثلث الجيش

قوله تعالى : ﴿لَمَّا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ ^(٢) ، وإذا كان من البدهيات أنَّ القرآن لا يتحدث إلا عن المعاني الخوالد التي تسع الزمان والمكان ، ويحتاجها الإنسان في كل زمان ومكان ندرك كم في غزوة أحد من دروس تحتاجها الأمة الإسلامية .

٧ - من المعاني المهمة في الحياة ما ذكره بعضهم أنَّ عليك أن تنظر إلى الأمور كلها بعين الشريعة وبعين الحقيقة وأن تتعرف على الحكمة الربانية في كل حركة وسكون في هذا الكون ، ولقد رأينا حكماً كثيرة وراء ما حدث في أحد ولكن حكمة ينبغي أن نضعها في حسابنا وهي : أنَّ لقريش فضلها وستحمل الإسلام فيما بعد ، فأن تكون أخذت ثأرها أدعى لأن تتعقل .

٨ - أهم دروس أحد أنَّها الدرس المقابل الذي لا بد منه لبدر ، فلو كانت بدر هي الدرس الوحيد للمسلمين لدفعهم ذلك إلى المغامرة دون حدود ، وإلى اليأس إذا حدث فشل ، ولكن أن تقع أحد بعد بدر فذلك هو الذي أوجد التوازن في التفكير الإسلامي العسكري على مدى العصور ، فالله ينصر جنده ولكن لهذا النصر شروطاً منها المادي ومنها المعنوي ، وربنا يفعل ما يشاء .

بعبارة بدر وبعبارة أحد انطلق المسلمون ولا زالوا ينطلقون ، وبروحانية بدر وبروحانية أحد يجب أن يتحرك المسلمون .

تقدير الموقف في نهاية السنة الثالثة

في الأصل كانت عواطف العرب مع قريش ومع مكة ، لأسباب متعددة :

لأن ذلك يمثل الاستقرار ، وللاستمرار قوته ، ولأنَّ دين قريش هو دين العرب ، وأكثر العرب لم يستوعبوا الرسالة الجديدة ، وكان من عوامل التلاحم مع قريش أسواق العرب وحجَّها ، وقد تجمعت المواقف بالحركة النبوية العسكرية والسياسية حتى غزوة أحد ،

وغلب على أكثر العرب التربص حتى يروا إلى أي شيء تصير الأمور ، هذا مع استقرار الوضع الداخلي في المجتمع الإسلامي فهيبة الدولة أخذت مداها ، ولكنّ حادثة أحد مع كلّ ما فعله رسول الله ﷺ لتلافي آثارها قد أعادت بعض الأمور إلى أصولها ، وأوجدت موازنات خطيرة ، فقد شعر العرب أن قريشاً لازال بيدها زمام الأمور وأنها قادرة على التعبئة والحشد المتفوقين ، وأنها قادرة على تحقيق النصر وكلّ ذلك ترك آثاره وبصماته على التفكير داخل المجتمع المكي وداخل المجتمع المدني وفي المحيط العربي كلّ ، فما انتقاض بني النضير في السنة الرابعة ومأساة بئر معونة وكارثة الرجيع إلا أثراً عن أحد بل إن غزوة الأحزاب كانت أثراً عن أحد ، ولذلك فلقد كان على رسول الله ﷺ في السنتين الرابعة والخامسة أن يعفي على

آثاره في المجتمع الإسلامي وأثرها في استقرار الوضع الداخلي في المجتمع الإسلامي

أجل هذا وغيره .

السَّنةُ الرَّابِعَةُ لِلْهَجْرَةِ

السنة الرابعة في سطور

* في بداية المحرم من السنة الرابعة أرسل رسول الله ﷺ أبا سلمة على رأس سرية قوامها مائة وخمسون مقاتلاً إلى بني أسد على إثر ما بلغه أنهم يعدّون العدة لحربه ، فباغتهم أبو سلمة وهزمهم وعاد غافماً ، لكنّه نفر عليه جرح - أي انفجر - كان قد أصابه يوم أحد فتوفي عليه رضوان الله .

* وفي اليوم الخامس من المحرم أرسل رسول الله ﷺ عبد الله بن أنيس في مهمّة هي أن يقتل له خالد بن سفيان الهذلي الذي كان يحشد لرسول الله ﷺ فقتله عبد الله وجاء برأسه إلى رسول الله ﷺ وقد استغرقت هذه المهمّة ثمانية عشر يوماً ، وبهذه العمليّة أنهى رسول الله ﷺ خطراً محتملاً .

* وفي شهر صفر من السنة الرابعة حدثت فاجعة الرجيع التي غدر فيها قوم من عضل وقازة وترتب عليها مقتل عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم خبيب وزيد بن الدثنة ومزند بن أبي مرزند الغنوي .

* وفي شهر صفر كذلك وقعت مأساة أخرى أشدّ وأفظع من الأولى وهي فاجعة بئر معونة التي قتل فيها حوالي سبعين من قراء الصحابة .

* وفي ربيع الأوّل غزا رسول الله ﷺ بني النضير على إثر محاولتهم قتله عليه الصلاة والسلام فاستسلموا بعد حصار ، وجلوا عن أرض الحجاز إلى الشام بعد أن تمّ الصلح على أن يخرجوا من أراضيهم بنفوسهم وذرائعهم وأن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح .

* وفي شهر ربيع الثاني أو جمادى الأولى سنة ٤ هـ غزا رسول الله ﷺ نجدا في حملة تأديبيّة ضدّ الذين أسأوا لأصحابه وغدروا بهم ، ففرض في هذه الغزوة هيبة المسلمين ومكّن لها ، ومن قبل ذلك قام بحملة استهدف بها بني ليحيان الذين قتلوا وأسروا أصحابه في حادثة الرجيع .

* وفي شعبان من السنة الرابعة خرج رسول الله ﷺ في جيش قوامه ألف وخمسمائة لملاقاة قريش في الموعد المضروب يوم أحد ، وإلى المكان المتفق عليه وهو بدر ولكنّ

المشركين جبنوا عن اللقاء ورجعوا بعد أن خرجوا فكان في ذلك نصر أي نصر ، وتعرف هذه الغزوة ببدر الموعد وبدر الثانية وبدر الآخرة وبدر الصغرى .

* ومن أحداث هذه السنة زواجه عليه الصلاة والسلام من زينب بنت خزيمة . وزواجه من أم سلمة بنت أبي أمية .

قال ابن كثير في تاريخه : قال ابن جرير : وفي جمادى الأولى من هذه السنة مات عبد الله بن عثمان بن عفان رضي الله عنه - يعني من رقيقة بنت رسول الله ﷺ وهو ابن ست سنين فصلى عليه رسول الله ﷺ ونزل في حفرته والده عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وقال الواقدي : وفي هذه السنة - يعني سنة أربع - أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود . قلت : ثبت عنه في الصحيح أنه قال : تعلمته في خمسة عشر يوماً والله أعلم .

* كانت مأساة الرجيع ، وفاجعة بئر معونة ، وتحرك بني النضير ، ومن قبل تحرك بني أسد وبني هذيل ، كل ذلك من آثار ما حدث يوم أحد ، ولقد بادر رسول الله ﷺ بمبادرات كثيرة ليضع الأمور في نصابها ، فقفى على تحرك بني أسد قبل أن يبدأ ، وقضى على تجمع هذيل فقفى على التحرك من أساسه ، وأجلى بني النضير ، وهاجم الذين تسببوا بمحادثة بئر معونة ، وخرج لبدر الآخرة بكامل تعبته وبكل ما استطاع حشده فأعاد الهيبة الداخلية والخارجية إلى نصابها ، ولكن المشركين لم يقولوا كلمتهم الأخيرة بعد وسيقولونها في السنة الخامسة كما سئرى .

والجديد في هذه السنة أن رسول الله ﷺ حاول أن ينشر الدعوة الإسلامية من خلال التبليغ دون قتال ، فسبب ذلك كارثتي الرجيع وبئر معونة مما يدل على أن العرب ما كانوا ليعطوا حرية للدعوة الإسلامية إلا حيث يسيطر السلاح ، ومع أن هاتين المبادرتين كلفتا كثيراً في هذه السنة ، فلقد فتحتا للدعوة الإسلامية باباً عريضاً ، وسجلتا سابقة تستفيد منها الدعوة الإسلامية على مدى العصور ، كما سئرى ذلك أثناء استعراضنا لمجريات الأمور .

ونحن سنعتقد سبعة فصول لأهم أحداث هذا العام :

فصل : في سرية أبي سلمة لبني أسد .

فصل : في سرية عبد الله بن أنيس لخالد بن سفيان الهذلي .

فصل : في فاجعة الرجيع .

فصل : في فاجعة بئر معونة .

فصل : في إجلاء بني النضير .

فصل : في غزوتي الرد على حادثتي الرجيع وبئر معونة .

فصل : في بدر الموعد .

* * *

فصل : في سرية أبي سلمة لبني أسد

قال ابن القيم في زاد المعاد :

وكانت وقعة أحد يوم السبت في سابع شوال - على رأي ابن القيم - سنة ثلاث كما تقدم ، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فأقام بها بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم ، فلما استهل هلال المحرم بلغه أن طلحة وسلمة ابني خويلد قد سارا في قومها ومن أطاعهما يدعوان بني أسد بن خزيمية إلى حرب رسول الله ﷺ ، فبعث أبا سلمة وعقد له لواء وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من الأنصار والمهاجرين فأصابوا إبلاً وشاة ولم يلقوا كيداً فانحدر أبو سلمة بذلك كله إلى المدينة .

قال الشيخ الغزالي حفظه الله :

« ولم يلق أبو سلمة عناء في تشتيت أعدائه واستيقاق نعمهم أمامه ، حتى عاد إلى المدينة مظفراً ، وأبو سلمة يعد من خيرة القادة الذين صحبوا رسول الله وسبقوا إلى الإيمان والجهاد معه ، وقد عاد من هذه الغزاة مجهوداً ، إذ نفر جرحه الذي أصابه في « أحد » فلم يلبث حتى مات .

وقد ذكر هذه السرية ابن كثير في البداية والنهاية عن الواقدي الذي يعتبره ابن كثير من أهل التحقيق في باب المغازي والسير على كلام كثير للمحدثين فيه .

* * *

فصل : في سرية عبد الله بن أنيس لخالد بن سفيان الهذلي

قال ابن القيم في زاد المعاد :

ولما كان خامس المحرم بلغه أن خالد بن سفيان الهذلي قد جمع له الجموع فبعث إليه عبد الله بن أنيس فقتله : قال عبد المؤمن بن خلف وجاءه برأسه فوضعه بين يديه ، فأعطاه عصاً فقال : « هذه آية بيني وبينك يوم القيامة » فلما حضرته الوفاة أوصى أن تجعل معه في أكفانه ، وكانت غيبته ثمان عشرة ليلة ، وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم .

- وهذه رواية بطل القصة :

٤٣١ - * روى الطبراني عن محمد بن كعب القرظي قال : قال عبد الله بن أنيس : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ لِي مِنْ خَالِدِ بْنِ نَبِيحٍ رَجُلٍ مِنْ هَذِيلٍ » وَهُوَ يَوْمُئِذٍ بِعَرَنَةَ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : قُلْتُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْتَنَّهُ لِي ؟ قَالَ : « لَوْ رَأَيْتَهُ هَبْتَهُ » قُلْتُ : وَالَّذِي أَكْرَمَكَ مَا هَبْتُ شَيْئاً قَطُّ ، فَخَرَجْتُ حَتَّى لِقَيْتُهُ بِحِيَالِ عَرَنَةَ قَبْلُ أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ ، فَلَقَيْتُهُ فَرَعَيْتُ مِنْهُ ، فَعَرَفْتُ حِينَ رَعَيْتُ مِنْهُ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَقَالَ : مَنْ الرَّجُلُ ؟ قُلْتُ بَاغِي حَاجَةٍ فَهَلْ مِنْ مَبِيتٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ فَالْحَقُّ بِي . قَالَ : فَخَرَجْتُ فِي أَثَرِهِ فَصَلَّيْتُ الْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَأَشْفَقْتُ أَنْ يَرَانِي ، ثُمَّ لَحَقْتُهُ فَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ ، ثُمَّ غَشِيتُ الْجَبَلَ ، وَكَمَنْتُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ النَّاسُ خَرَجْتُ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَأَخْبَرْتُهُ الْحَبْرَ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ مِخْصَرَةً ، فَقَالَ : « تَخْصُرُ بِهِدِهِ حَتَّى تَلْقَانِي بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْلُ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ الْمُتَخَصَّرُونَ » قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ : فَلَمَّا تَوَفَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَيْسٍ أَمَرَ بِهَا فَوُضِعَتْ عَلَى بَطْنِهِ وَكُنَّ عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ مَعَهُ .

فوائد :

١ - لقد ثارت هذيل لمقتل صاحبها فأعانت على أصحاب رسول الله ﷺ في حادثة

٤٣١ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٢٠٤) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .
المخصرة : ما يتوكأ عليها كالعضا ونحوها . تخصر بالمخصرة : أخذها بيده وأمسكها .

الرجيع ، وكل عملية عسكرية لها عقابيلها والعبرة بالمحصلة النهائية لأي عملية على المستوى
المرحلي أو المستقبلي ، لقد كان إجهاض التحرك العسكري الذي كان يقوده خالد بن سفيان
لهذلي أهم بكثير من أية عملية ثأرية .

٢ - في كثير من الأحيان يكون قتل إنسان وأداً لفتنة أو إنهاء لحرب أو قضاءً على
فكرة ، وكثيراً ما تحيا أمم وشعوب وقبائل برجال ، وأنت في صراعك مع أعدائك قد تخفف
الكثير عن أمتك ودعوتك إذا استطعت أن تقضي على رجل ، ورسول الله ﷺ في هذا
الشأن لا يجازي مع ملاحظة أن ضرباته كلها كانت عادلة ومع محاربين فهو عليه الصلاة
والسلام أبعد الناس عن غدر بمعاهد ، وأبعد الناس عن اعتداء على مواطن غير مدين شرعاً ،
فها هو عليه الصلاة والسلام لم يمس المنافقين على معرفته بهم وعلى شدة ما فعلوه به ، كما أنه
لم ينكث عهداً مع أحد ، ولكن المحاربين كان له معهم شأن آخر وخاصة أولئك الذين
بقتلهم يُجهض تحرك عسكري ، كما فعل بكعب بن الأشرف وكما فعل بخالد بن سفيان وكما
سيفعل بآخرين ممن سيأتي الحديث عنهم .

٣ - ولم يكن خصومه عليه الصلاة والسلام غافلين كذلك عن محاولتهم قتله ولكن الله
سلم ، ففي حوادث سنة أربع من الهجرة ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أكثر من محاولة
اغتيال ، فقد ذكر محاولة دفع إليها أبو سفيان ، وكلف رسول الله ﷺ على أثر اكتشافها
عمرو بن أمية الضمري وآخر باغتيال أبي سفيان ولم ينجح ، كما ذكر ابن كثير محاولة غورث
ابن الحارث اغتياله أثناء قفوله من غزوة نجد التي حاول فيها تأديب من قتلوا أصحابه يوم
الرجيع .

٤ - وبهذه المناسبة أقول : لقد كان رسول الله ﷺ معصوماً أن يسلم عليه أحد
فيقتله . وهذا مقتضى قوله تعالى : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ ^(١) ولقد رأينا أنه قبل
نزول هذه الآية كان يجب أن يحرس ، ولذلك فلا عليه - عليه الصلاة والسلام - ألا يحتاط
كثيراً في أمر نفسه ، ولكن هذا لا يعني أن تتساهل قيادات المسلمين في أمنها فذلك من
التفريط الخطير ، كيف والله عز وجل يقول : ﴿ وخذوا حذرکم ﴾ ^(٢) .

(١) المائدة : ٦٧ .

(٢) النساء : ١٠٢ .

فصل : في بعث الرّجيع

قال المباركفوري :

وفي شهر صفر من السنة نفسها - أي الرابعة من الهجرة - قديم على رسول الله ﷺ قوم من عَضَلٍ وقَارَةَ ، وذكروا أن فيهم إسلاماً ، وسألوا أن يبعث معهم من يعلمهم الدين ، ويُقرئهم القرآن ، فبعث معهم ستّة نفر - في قول ابن إسحاق وفي رواية البخاري أنهم كانوا عشرة - وأمر عليهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي - في قول ابن إسحاق وعند البخاري أنه عاصم ابن ثابت جد عاصم بن عمر بن الخطاب .

وهذه بعض روايات الحادثة :

٤٣٢ - * روى الطبراني عن عاصم بن عمر بن قتادة قال قديم على رسول الله ﷺ بعد أحدٍ نفر من عَضَلٍ والقَارَةِ فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاماً ، فابعثْ مَعَنَا نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِكَ ، يُفَقِّهُونَا فِي الدِّينِ ، وَيُقرئُونَا الْقُرْآنَ ، وَيُعَلِّمُونَا شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِهِ ستّة مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب ، قَالَ فَذَكَرَ الْقِصَّةَ ، قَالَ وَأَمَّا مَرثدُ بْنُ أَبِي مَرثدٍ وَخَالِدُ بْنُ الْبَكَيْرِ وَعَاصِمُ بْنُ أَبِي الْأَفْلَحِ ، فَقَالُوا : وَاللَّهِ لَا نَقْبَلُ عَهْدًا مِنْ مُشْرِكٍ ، وَلَا عَهْدًا أَبَدًا ، فَقَاتَلُوهُمْ ، حَتَّى قَتَلُوهُمْ .

أقول : الذي يظهر من هذه الرواية والتي بعدها أنّ السريّة كانت مكلفة بمهمتين : الأولى : تعلية دعويّة ، والثانية : استطلاعية عسكرية .

٤٣٢ - أورده المهيبي في مجمع الزوائد (٦ / ١٩٩) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

والرجيع : بفتح الراء وكسر الجيم هو في الأصل اسم للروث ، سمي بذلك لاستحالاته . والمراد هنا اسم موضع من بلاد هذيل كانت الوقعة بقرب منه سميت به .

أما عَضَلٍ : فبفتح المهملة ثم للمجمة بعدها لام : بطن من بني الهول بن خزّيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ينسبون إلى عضل بن الديش بن محم ، وأما القارة فبالقاف وتخفيف الراء بطن من الهول أيضاً ينسبون إلى الديش المذكور ، وقال ابن دَرِيد : القارة أكمة سوداء فيها حجارة كأنهم نزلوا عندها فسمّوها بها ، ويضرب بهم المثل في إصابة الرمي .

وقال الشاعر : قد أنصف القارة من رامها .

٤٣٣ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً عَيْنًا ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ - وَهُوَ جَدُّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - فَانْطَلَقُوا ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذَكَّرُوا لِحَيٍّ مِنْ هَذِيلٍ ، يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لِحْيَانَ ، فَتَبِعُوهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَاثٍ ، فَاقْتَصَوْا آثَارَهُمْ ، حَتَّى أَتَوْا مَنْزِلًا نَزَلُوهُ ، فَوَجَدُوا فِيهِ نَوَى تَمْرِ تَزْوَدُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَقَالُوا : هَذَا تَمْرٌ يَشْرَبُ ، فَتَبِعُوا آثَارَهُمْ حَتَّى لَحِقُوهُمْ ، فَلَمَّا انْتَهَى عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ ، لَجَّؤُوا إِلَى فَدَقْدَ ، وَجَاءَ الْقَوْمُ ، فَأَحَاطُوا بِهِمْ ، فَقَالُوا : لَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ : إِنْ نَزَلْتُمْ إِلَيْنَا أَنْ لَا نَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلًا ، فَقَالَ عَاصِمٌ : أَمَّا أَنَا فَلَا أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ ، فَقَاتَلُوهُمْ ، حَتَّى قَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ بِالنَّبْلِ ، وَبَقِيَ خُبَيْبٌ وَزَيْدٌ ، وَرَجُلٌ آخَرٌ ، فَأَعْطَوْهُمْ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ ، فَلَمَّا أُعْطَوْهُمْ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ نَزَلُوا إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا اسْتَمَكَّتُوا مِنْهُمْ ، حَلَّوْا أَوْتَارَ قَسِيهِمْ فَرَبَطُوهُمْ بِهَا ، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ الَّذِي مَعَهَا وَهَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ ، فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ ، فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَقَتَلُوهُ ، وَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ وَزَيْدٍ ، حَتَّى بَاغَوْهَا بِمَكَّةَ ، فَاشْتَرَى خُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ ابْنَ عَامِرٍ بْنِ نَوْفَلٍ ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَكَثَّ عَنْدهُمْ أُسِيرًا ، حَتَّى إِذَا أَجْمَعُوا قَتْلَهُ ، اسْتَعَارَ مُوسَى مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ ، لِيَسْتَحِدَّ بِهَا ، فَأَعَارَتْهُ ، قَالَتْ : فَعَفَلْتُ عَنْ صَبِيٍّ لِي ، فَدَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَاهُ ، فَوَضَعَهُ عَلَى فَخْذِهِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ فَرَعَتْ فَرْعَةً عَرَفَتْ ذَلِكَ مِنِّي ، وَفِي يَدِهِ الْمَوْسَى ، فَقَالَ : أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَكَأَنْتُ تَقُولُ : مَا رَأَيْتُ أُسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ قَمَرَةٌ ، وَإِنَّهُ لَمَوْثِقٌ فِي الْحَدِيدِ ، وَمَا كَانَ إِلَّا رِزْقُ رِزْقِهِ اللَّهُ ، فَخَرَجُوا بِهِ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ ، فَقَالَ : دَعُونِي أَصْلِي رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : لَوْلَا أَنْ تَرَوْا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ مِنَ الْمَوْتِ لَزِدْتُ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرُّكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ هُوَ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا .

٤٣٣ - البخاري (٧ / ٣٧٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ٢٨ - باب غزوة الرجيع ، ورعل وذكوان ويثر معونة .

فَدَقْدَ : الْفَدَقْدُ : الْمَوْضِعُ الَّذِي فِيهِ غَلَطَ وَارْتَفَاعٌ .

عَالَجُوهُ : أَي : مَارَسُوهُ ، وَأَرَادَ بِهِ : أَنَّهُمْ خَدَعُوهُ لِيَتَبَعَهُمْ ، فَأَبَى .

لِيَسْتَعِدَّ : الْاسْتِحْدَادُ : حَلْقُ الْعَانَةِ .

قِطْفٌ : الْقِطْفُ : الْمُتَقَوَّدُ ، وَهُوَ اسْمٌ لِكُلِّ مَا يَقْطَفُ .

ثُمَّ قَالَ :

مَا إِنْ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ لِلَّهِ مَضْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ ، وَإِنْ يَشَاءُ يُبَارِكُ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ .

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ عَقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ ، فَقَتَلَهُ ، وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ إِلَى عَاصِمٍ ، لِيُؤْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَعْرِفُونَهُ - وَكَانَ عَاصِمٌ قَتَلَ عَظِيمًا مِنْ عَظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ - فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِثْلَ الظِّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ فَحَمَّتُهُ مِنْ رُسُلِهِمْ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ .

وَفِي رِوَايَةٍ ^(١) قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَةَ رَهْطٍ عَيْنًا ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمٌ بِنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ - جَدُّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْهَدَاةِ ، بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ... وَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

وَفِي رِوَايَةٍ ^(٢) : بِقَرِيبٍ مِنْ مَائَتِي رَجُلٍ ، كُلُّهُمْ رَامٍ وَفِيهِ : لَجَّؤُوا إِلَى مَوْضِعٍ ، وَفِيهِ فَقَالَ عَاصِمٌ : أَيُّهَا الْقَوْمُ ، أَمَّا أَنَا ، وَفِيهِ : مِنْهُمْ خُبَيْبٌ وَزَيْدُ بْنُ الدَّثَنَةِ ، وَفِيهِ حَتَّى بَاغَوْهَا بِكَكَّةٍ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، فَأَبْتَاغَ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ عَبْدِ مَنَاةٍ خُبَيْبًا ، وَفِيهِ فَلَمَّا أَخْرَجُوهُ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الْحِلِّ ، وَفِيهِ قَالَ : اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا ، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا ، وَلَا تَبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا .

وَقَالَ :

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَضْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ ، وَإِنْ يَشَاءُ يُبَارِكُ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ .

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ أَبُو سَرُوعة ، عَقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَتَلَهُ ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ سَنٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ قُتِلَ

(١) البخاري (٧ / ٣٠٨) ٦٤ - كتاب المغازي ١٠ - باب حدثني عبد الله بن محمد الجعفي .

(٢) البخاري في نفس الموضع السابق .

بددا : البدد : المتفرقون أشتاتا .

شِلْو : الشلْو : العضو من أعضاء الإنسان .

ممزَّع : الممزَّع : المنفرد .

صَبْرًا : الصَّلَاةَ ، وأُخْبِرَ - يعني النبي ﷺ - أصحابه يَوْمَ أُصِيبُوا خَبَرَهُمْ ، وَبِعَثَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ ، حِينَ حَدَّثُوا : أَنَّهُ قُتِلَ - أَنْ يُؤْتُوا بِشَيْءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ ، وَكَانَ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ عَظَمَائِهِمْ ، فَبِعَثَ اللَّهُ لِعَاصِمٍ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبِيرِ ، فَحَمَتَهُ مِنْ رُسُلِهِمْ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْطَعُوا مِنْهُ شَيْئًا .

وأخرجه أبو داود ^(١) إلى قوله : يَسْتَحِدُّ بِهَا ، ثُمَّ قَالَ : فَلَمَّا خَرَجُوا بِهِ لِيَقْتُلُوهُ ، قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ : دَعُونِي أَزْكِعْ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ ، لَوْلَا أَنْ تَحْسَبُوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَزِدْتُ .

وأخرجه في موضع آخر قَالَ : ابْتَنَعَ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ تَوْقَلٍ خُبَيْبًا - وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ - فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أُسِيرًا ، حَتَّى اجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ ، فَاسْتَعَارَ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا ، فَأَعَارَتْهُ ... وذكر الحديث ... إلى قَوْلِهِ : مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ : وَرَوَى الزَّهْرِيُّ هَذِهِ الْقِصَّةَ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عِيَاضٍ : أَنَّ بِنْتَ الْحَارِثِ أَخْبَرَتْهُ : أَنَّهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا - يَغْنِي لِقَتْلِهِ - اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَى لِيَسْتَحِدَّ بِهَا ، فَأَعَارَتْهُ .

وفي رواية رَزِينُ زِيَادَةَ : قَالَ عَاصِمٌ : أَمَا أَنَا فَلَا أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا رَسُولَكَ ، فَجَعَلَ يَزْمِيهِمْ وَيَقُولُ :

مَا عَلَيَّ وَأَنَا جَلَدٌ نَابِلٌ والقوسُ فِيهَا وَتَرَّ عَنَابِلُ

قال في الفتح :

وذكر ابن إسحاق بإسناد صحيح عن عقبة بن الحارث قال : ما أنا قتلتُ خُبَيْبًا لأني

= صَبْرًا : قَتْلُ الصَّبْرِ : هُوَ أَنْ يَقْتُلَ بِأَيِّ أَنْوَاعِ الْقَتْلِ كَانَ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ فِي حَرْبٍ وَلَا قِتَالٍ .
الظُّلَّةُ : الشَّيْءُ الَّذِي يُظَلَّلُ مِنْ فَوْقٍ .
الدَّبِيرُ : جَمَاعَةُ النَّحْلِ .

(١) أَبُو دَاوُدَ (٣ / ٥١) ، كِتَابُ الْجِهَادِ ، بَابُ فِي الرَّجُلِ يَسْتَأْسِرُ .

نَابِلٌ : النَّابِلُ : الَّذِي مَعَهُ النَّبْلُ .

عَنَابِلُ : الْعَنَابِلُ : الْغَلِيظُ .

كنت أصغر من ذلك ، ولكن أبا ميسرة العبدري أخذ الحربة فجعلها في يدي ثم أخذ بيدي وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله .

قال في الفتح : قوله : (فاقترضوا آثارهم حتى أتوا منزلاً نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر) في رواية أبي معشر في مغازيه فنزلوا بالرجيع سحراً فأكلوا تمر عجوة فسقطت نواة بالأرض ، وكانوا يسيرون الليل ويكننون النهار ، فجاءت امرأة من هذيل ترعى غنماً فرأت النواة فأنكرت صغرها وقالت : هذا تمر يثرب ، فصاحت في قومها : أيتيم ، فجاءوا في طلبهم فوجدوهم قد كمنوا في الجبل .

أقول : رواية أبي معشر تدلّ على أنّهم كانوا يحتاطون ألا يتركوا أثراً بما في ذلك نوى ترمم الذي يأكلونه ، وهذا يفيد أنّهم كانوا في أعلى درجات الحسن الأمني ، وعلى كل الأحوال فإنّ أدب المسلم أن يرهف حسّه الأمني دائماً حتّى تكون تصرفاته على غاية من الحكمة فلا يكون إهماله سبباً في تدمير نفسه أو تدمير جماعة من المسلمين فضلاً عن أن يكون إهماله سبباً في تدمير جماعة المسلمين . وفي قوله في الرواية (وما كان إلّا رزق رزقه الله) عن قطف العنب .

قال في الفتح : والمشهور عن أهل السنة إثبات الكرامات مطلقاً ، لكن استثنى بعض المحققين منهم كأبي القاسم القشيري ما وقع به التحدي لبعض الأنبياء فقال ، ولا يصلون إلى مثل إيجاد ولد من غير أب ونحو ذلك ، وهذا أعدل المذاهب في ذلك ، فإنّ إجابة الدعوة في الحال وتكثير الطعام والماء والمكاشفة بما يغيب عن العين والأخبار بما سيأتي ونحو ذلك قد كثر جداً حتى صار وقوع ذلك ممن ينسب إلى الصلاح كالعادة ، فانحصر الخارق الآن فيما قاله القشيري ، وتعين تقييد قول من أطلق أن كل معجزة وجدت لنبي يجوز أن تقع كرامة لولي ، ووراء ذلك كله أن الذي استقر عند العامة أن خرق العادة يدل على أن من وقع له ذلك من أولياء الله تعالى ، وهو غلط ممن يقول ، فإنّ الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب ، فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية أولياء الله تعالى إلى فارق ، وأولى ما ذكره أن يختبر حال من وقع له ذلك فإن كان متمسكاً بالأوامر الشرعية والنواهي كان ذلك علامة ولايته ومن لا فلا وبالله التوفيق .

وقال في الفتح بمناسبة حماية الله عاصماً بالدبر .

قوله (فلم يقدورا منه على شيء) في رواية شعبة فلم يقدروا أن يقطعوا من لحمه شيئاً ، وفي رواية أبي الأسود عن عروة « فبعث الله عليهم الدبر تطير في وجوههم وتلدغهم ، فحالت بينهم وبين أن يقطعوا » وفي رواية ابن إسحاق عن عاصم بن عمر عن قتادة قال : كان عاصم بن ثابت أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً ، فكان عمر يقول لما بلغه خبره : يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته .

فوائد :

قال ابن حجر معلقاً على الحديث السابق :

وفي الحديث أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان ولا يمكن من نفسه ولو قتل ، أنفة من أنه يجري عليه حكم كافر ، وهذا إذا أراد الأخذ بالشدة ، فإن أراد الأخذ بالرخصة فله أن يستأمن ، قال الحسن البصري : لا بأس بذلك . وقال سفيان الثوري : أكره ذلك . وفيه الوفاء للمشركون بالعهد ، والتورع عن قتل أولادهم ، والتلطف بمن أريد قتله ، وإثبات كرامة الأولياء ، والدعاء على المشركون بالتعميم ، والصلاة عند القتل ، وفيه إنشاء الشعر وإنشاده عند القتل ودلالة على قوة يقين خبيب وشدة في دينه ، وفيه أن الله يبتلي عبده المسلم بما شاء كما سبق في علمه ليثيبه ، ولو شاء ربك ما فعلوه . وفيه استجابة دعاء المسلم وإكرامه حياً وميتاً ، وغير ذلك من الفوائد مما يظهر بالتأمل . وإنما استجاب الله له في حماية لحمه من المشركون ولم يمنعه من قتله لما أراد من إكرامه بالشهادة ، ومن كرامته حمايته من هتك حرمة بقطع لحمه . وفيه ما كان عليه مشركو قريش من تعظيم الحرم والأشهر الحرم .

وقال الدكتور البوطي معلقاً على رفض عاصم الأسر واستئسار خبيب :

يستدل مما سبق أن للأسير في يد العدو أن يمتنع من قبول الأمان ، ولا يمكن من نفسه ولو قتل ، ترفعاً عن أن يجري عليه حكم كافر ، كما فعل عاصم .

فإن أراد الترخص ، فله أن يستأمن ، مترقباً الفرصة مؤملاً الخلاص كما فعل خبيب وزيد .

ولكن لو قدر الأسير على الهرب لزمه ذلك في الأصح ، وإن أمكنه إظهار دينه بينهم ، لأن الأسير في يد الكفار مقهور مهان ، فكان من الواجب عليه تخليص نفسه من هوان الأسر ورقه .

أقول : إن من حق المسلم ألا يستأسر للسلطة الكافرة سواء كانت كافرة كفراً أصلياً أو عارضاً إذا كان الطلب بظلم ، بل إن من حق المسلم ألا يستأسر وأن يقاتل إذا كان الطلب من ظالم بظلم ، وهذا الذي فعله الحسين رضي الله عنه وهذا يفتح أمام الحركات الإسلامية باباً واسعاً في التعامل مع الأحداث فمن حق أبناء هذه الحركة أن يستأسروا إذا طلبوا مظلومين ومن حقهم أن يقاتلوا حتى الموت مادام الطالب لا يطلبهم بعدل ومادامت السلطة غير إسلامية .

٤٣٤ - * روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً إلى بني لحَيَّانَ مِنْ هَذِيلٍ ، فَقَالَ : « لِيَتَّبِعْتُ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدَهُمَا ، وَالْأَجْرُ بَيْنَهُمَا » .

وفي رواية (١) « لِيَخْرُجُ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ رَجُلٌ ثُمَّ قَالَ لِلْقَاعِدِ : « أَيُّكُمْ خَلَفَ الْخَارِجَ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ بِخَيْرٍ ، كَانَ لَهُ مِثْلُ نَصْفِ أَجْرِ الْخَارِجِ » .

أقول : هذا مظهر من مظاهر الترتيب والتدبير في حياة رسول الله ﷺ وهو القدوة ويمثل هذا أدار الأمور عن أقرب طريق ، وههنا نجد صورتين ، صورة التخيير في الجهاد عندما يكون في الأمر سعة ، وصورة كفالة الخارج في أهله من شخص بعينه ، ومن هنا تعرف أن من خرج مجاهداً لا ينبغي أن يضع ولا أن يضع أهله .

* * *

٤٣٤ - مسلم (١٥٠٧ / ٢) ٢٢ - كتاب الإمامة - ٢٨ - باب إعانة الغازي في سبيل الله بركوب وغيره ، وخلافته في أهله بخير .

(١) مسلم في نفس الموضع السابق .

وأبو داود (١٢ / ٣) ، كتاب الجهاد ، باب ما يجزئ من الغزو .

فصل : في مأساة بئر معونة

قال المباركفوري :

وفي الشهر نفسه الذي وقعت فيه مأساة الرجيع صفر ٤ هـ ، وقعت مأساة أخرى أشد وأفظع من الأولى ، وهي التي تعرف بوقعة بئر معونة .

وملخصها : أن أبا براء عامر بن مالك المدعو بملاعب الأسنة قدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فدعاه إلى الإسلام فلم يسلم ولم يبعد ، فقال : يا رسول الله لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك ؛ لرجوت أن يجيبوهم ، فقال : إني أخاف عليهم أهل نجد ، فقال أبو براء : أنا جار لهم ، فبعث معه أربعين رجلاً - في قول ابن إسحاق ، وفي الصحيح أنهم كانوا سبعين ، والذي في الصحيح هو الصحيح - وأمر عليهم المنذر بن عمرو أحد بني ساعدة الملقب بالمعنق ليموت ، وكانوا من خيار المسلمين وفضلائهم وساداتهم وقرائهم ، وكانوا يحتطبون بالنهار ، يشترون به الطعام لأهل الصفة ، ويتدارسون القرآن ، ويصلون بالليل ساروا حتى نزلوا بئر معونة - وهي أرض بين بني عامر وحرّة بني سليم - فنزلوا هناك ، ثم بعثوا حزام بن ملحان أخا أم سليم بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلم ينظر فيه ، وأمر رجلاً فطعنه بالحربة من خلفه ، فلما أنفذها فيه ورأى الدم قال حرام : الله أكبر ، فزت ورب الكعبة .

ثم استنفر عدو الله لفوره بني عامر إلى قتال الباقيين ، فلم يجيبوه لأجل جوار أبي براء ، فاستنفر بني سليم ، فأجابته عصية ورغل وذكوان ، فجاءوا حتى أحاطوا بأصحاب رسول الله ﷺ ، فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد من بني النجار ، فإنه ارتث^(١) من بين القتلى ، فعاش حتى قتل يوم الخندق .

وكان عمرو بن أمية الضمري والمنذر بن عقبة بن عامر في سرح المسلمين فرأيا الطير تحوم على موضع الوقعة ، فنزل المنذر ، فقاتل المشركين حتى قتل مع أصحابه ، وأسير عمرو بن أمية الضمري ، فلما أخبر أنه من مضر جزّ عامر ناصيته ، وأعتقه عن رقبة كانت على أمه .

(١) (الرثث) فلان : ضرب في الحرب فأثخن وحبل به رمق .

ورجع عمرو بن أمية الضمري إلى النبي ﷺ حاملاً معه أنباء المصاب الفادح ، مصرع سبعين من أفاضل المسلمين . تذكر نكبتهم الكبيرة بنكبة أحد ؛ إلا أن هؤلاء ذهبوا في قتال واضح؛ وأولئك ذهبوا في غدره شائنة .

ولما كان عمرو بن أمية في الطريق بالقرقرة من صدر قناة ، نزل في ظل شجرة وجاء رجلان من بني كِلَاب فنزلا معه ، فلما ناما فتك بهما عمرو ، وهو يرى أنه قد أصاب ثأر أصحابه ، وإذا معهما عهد من رسول الله ﷺ لم يشعر به ، فلما قدم أخبر رسول الله ﷺ بما فعل ، فقال : لقد قتلت قتيلين لأديننهما وانشغل بجمع دياتهم من المسلمين وحلفائهم اليهود وهذا الذي صار سبباً لغزو بني النضير كما سيذكر .

وقد تألم النبي ﷺ لأجل هذه المأساة ، ولأجل مأساة الرجيع اللتين وقعتا خلال أيام معدودة تألماً شديداً وتغلب عليه الحزن والقلق حتى دعا على هؤلاء الأقوام والقبائل التي قامت بالغدر والفتك في أصحابه .

قال في الفتح بمناسبة الكلام عن بئر معونة :

(ورِغْلٌ وذُكْوَانٌ) أي وغزوة رعل وذكوان ، فأما رعل فبكسر الراء وسكون المهملة بطن من بني سليم ينسبون إلى رعل بن عوف بن مالك بن امرئ القيس بن لهيعة بن سُلَيْم ، وأما ذكوان فبطن من بني سُلَيْم أيضاً ينسبون إلى ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم فنسبت الغزوة إليهما .

٤٣٥ - * روى البخاري عن أنس بن مالك : إِنَّمَا قَنَّتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ الرُّكُوعِ شَهْرًا أَنَّهُ كَانَ بَعَثَ نَاسًا يَقَالُ لَهُمُ الْقُرَاءُ - وَهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا - إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَهْدٌ قَبْلَهُمْ ، فَظَهَرَ ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَهْدٌ ، فَقَنَّتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ الرُّكُوعِ شَهْرًا يَدْعُو عَلَيْهِمْ » .

قال في الفتح : قوله (إلى ناس من المشركين وبينهم وبين رسول الله ﷺ عهد قبلهم) .

فظهر هؤلاء الذين كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد) وهكذا ساقه هنا ، وقوله قبلهم بكسر القاف وفتح الموحدة واللام أي من جهتهم ، وأورده في آخر كتاب الوتر عن مسدد عن عبد الواحد بلفظ « إلى قوم من المشركين دون أولئك وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد » وليس المراد من ذلك أيضاً بواضح ، وقد ساقه الإسماعيلي مبيناً فأورده يوسف القاضي عن مسدد شيخ البخاري فيه ولفظه « إلى قوم من المشركين فقتلهم قوم مشركون دون أولئك وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد ، فظهر أن الذين كان بينهم وبين رسول الله ﷺ العهد غير الذين قتلوا المسلمين ، وقد بين ابن إسحاق في المغازي عن مشايخه وكذلك موسى بن عقبة عن ابن شهاب أصحاب العهد بنو عامر ورأسهم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر المعروف بملاعب الأسنة وأن الطائفة الأخرى من بني سليم ، وأن عامر بن الطفيل وهو ابن أخي ملاعب الأسنة أراد الغدر بأصحاب النبي ﷺ فدعا بني عامر إلى قتالهم ، فامتنعوا وقالوا : لا نخفر ذمة أبي براء ، فاستصرخ عليهم عصية وذكوان من بني سليم فأطاعوه وقتلوهم ، وذكر لحسان شعراً يعيب فيه أبا براء ويحرضه على قتال عامر بن الطفيل فيما صنع فيه ، فعمد ربيعة بن أبي براء إلى عامر بن الطفيل فطعنه فأرداه ، فقال له عامر بن الطفيل : إن عشت نظرت في أمري ، وإن مت فدمي لعمي ، قالوا : ومات أبو براء عقب ذلك أسفاً على ما صنع به عامر بن الطفيل ، وعاش عامر بن الطفيل بعد ذلك ومات بدعاء النبي ﷺ .

أقول : نلاحظ أن التعاقدات والتحالفات والمعاهدات كانت جزءاً لا يتجزأ من سياسة الرسول ﷺ وحركته الدائبة ، وقد حققت له مصالح وكانت أحياناً سبباً في مأس ، والمسلم مكلف أن يجتهد في الموقع الذي هو فيه وليس عليه أن يعرف الغيب . والحذر والاحتياط مطلوبان .

٤٣٦ - * روى الطبراني عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك وغيره أن عامراً بن مالك الذي يُدعى مُلَاعِبَ الأَسْنَةِ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُشْرِكٌ فَقَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِسْلَامَ ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنِّي لَا أَقْبَلُ هَدِيَّةَ مُشْرِكٍ » فَقَالَ عَامِرُ بْنُ

٤٣٦ - المعجم الكبير (١٦ / ٧١) وأورده المهيبي في مجمع الزوائد (٦ / ١٢٧) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

مَالِكٍ : ابْعَثْ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ رُسُلِكَ مَنْ شِئْتَ ، فَأَنَا لَهُمْ جَارٌ ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَهْطًا فِيهِمُ الْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرٍو السَّاعِدِيُّ وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ : أُعْتُقَ لِيَمُوتَ عَيْنًا فِي أَهْلِ نَجْدٍ فَسَمِعَ بِهِمْ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ فَاسْتَنْفَرَ لَهُمْ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ فَتَنَفَرُوا مَعَهُ فَقَتَلَهُمْ بِئْرَ مَعُونَةَ غَيْرِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الصَّمْرِيِّ أَخَذَهُ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ فَأَرْسَلَهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَنِيهِمْ ، وَكَانَ فِيهِمْ عَامِرُ بْنُ قُهَيْرَةَ ، فَزَعَمَ لِي عُرْوَةُ أَنَّهُ قُتِلَ يَوْمَئِذٍ فَلَمْ يُوجَدْ جَسَدُهُ حِينَ ذَفَنُوهُ يَقُولُ عُرْوَةُ : كَانُوا يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ هِيَ ذَفَنَتْهُ فَقَالَ حَسَانٌ يُحْرَضُ بِعَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ :

بني أم البنين ألم يرعكم
وأنتم من ذوائب أهل نجد
تهكم عامر بآبي براء
ليخفركم وما خطأ كعميد

فَطَعَنَ رِبِيعَةُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ رِبِيعَةَ بْنِ مَالِكٍ عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ فِي فَخْذِهِ طَعْنَةً فَقَدَّهُ .

٤٣٧ - * رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ : أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ أَحَدٍ بَقِيَّةَ شَوَالٍ وَذَا الْقَعْدَةِ وَذَا الْحِجَّةِ ، وَوَلَّى تِلْكَ الْحِجَّةَ وَالْمَحْرَمَ ، ثُمَّ بَعَثَ أَصْحَابَ بَيْرِ مَعُونَةَ فِي صَفَرٍ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ أَحَدٍ ، فَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِمْ ، كَمَا حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالُوا : قَدِمَ أَبُو بَرَاءٍ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ جَعْفَرٍ مَلَايِبُ الْأَسِنَّةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِسْلَامَ وَدَعَاهُ إِلَيْهِ فَلَمْ يُسْلِمِ ، وَلَمْ يَتَّبِعْهُ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ لَوْ بَعَثْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ قَدَعُوهُمْ إِلَى أَمْرِكِ ، رَجَوْتُ أَنْ يَسْتَجِيبُوا

= جَارٌ : أَيُّ : جَارٍ .

رَهْطًا : الرَهْطُ : قَوْمُ الرَّجُلِ وَقَبِيلَتُهُ . وَالرَهْطُ : ثَلَاثَةٌ أَوْ سَبْعَةٌ أَوْ عَشْرَةٌ أَوْ مَادُونَ الْعَشْرَةِ .

عَيْنًا : الْعَيْنُ : الْجَبَاسُوسُ .

ذَوَائِبُ : (الذَّوَابِ) مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَعْلَاهُ .

لِيَخْفِرَهُ : خَفَرَهُ : نَقَصَ عَهْدَهُ ، وَغَدَرَهُ .

يُرْعَمُ : يُعَزُّ عَلَيْهِمْ .

قَدْ : أَيُّ شَقَهُ طَوْلًا ، قَدْ اللَّحْمُ : قَطَعَهُ طَوْلًا .

٤٣٧ - أَوْرَدَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (٦ / ١٢٨) . وَقَالَ : رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ ، وَرَجَالُهُ ثِقَاتٌ إِلَى ابْنِ إِسْحَاقَ وَقَدْ صَرَّحَ
= بِالسَّاعِدِ ، وَالحديث مرسل .

لَكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِمْ أَهْلَ نَجْدٍ » فَقَالَ أَبُو بَرَاءَ : أَنَا لَهُمْ جَارٌ ، فَابْتَعْهُمْ ، فَلْيَدْعُوا النَّاسَ إِلَى أَمْرِكَ ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرِو أَخَا بَنِي سَاعِدَةَ بْنِ الْخَزْرَجِ الْمُعْتَقَ لِيَمُوتَ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ خِيَارِهِمْ ، مِنْهُمْ الْحَرِثُ بْنُ الصَّمَّةِ ، وَحَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ أَخُو بَنِي عَدِي بْنِ النَّجَارِ ، وَعُرْوَةُ بْنُ أَسَاءَ بْنِ الصَّلْتِ السَّلْمِيِّ ، وَنَافِعُ بْنُ بَدِيلِ بْنِ وَرْقَاءَ الْخَزَاعِيِّ ، وَعَامِرُ بْنُ فَهَيْزَةَ - مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ - وَرَجَالًا مُتَمِّينَ مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ ، فَسَارُوا حَتَّى نَزَلُوا بِرِمْيَةَ ، وَهِيَ بَيْنَ أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ ، وَحَرَّةِ بَنِي سَلِيمٍ ، كِلَا الْبَلَدَيْنِ مِنْهَا قَرِيبٌ ، وَهِيَ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ أَقْرَبُ ، فَلَمَّا نَزَلُوهَا بَعَثُوا حَرَامَ بْنَ مِلْحَانَ بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ ، فَلَمَّا أَتَاهُ ، لَمْ يَنْظُرْ فِي كِتَابِهِ حَتَّى عَدَا عَلَى الرَّجُلِ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ اسْتَصْرَخَ بَنِي عَامِرٍ ، فَأَتَوْا أَنْ يُجِيبُوهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ وَقَالُوا : لَنْ نُخَفِّرَ أَبَا بَرَاءَ ، وَقَدْ عَقَدَ لَهُمْ عَقْدًا وَجَوَارًا ، فَاسْتَصْرَخَ عَلَيْهِمْ قِبَائِلُ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ غُصَيَّةَ وَرِغْلَ وَذَكْوَانَ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَخَرَجُوا حَتَّى غَشَوْا الْقَوْمَ ، فَأَحَاطُوا بِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ أَخَذُوا أَسْيَافَهُمْ ، فَقَاتَلُوا حَتَّى قُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ إِلَّا كَعْبُ بْنُ زَيْدٍ أَخَا بَنِي دِينَارِ ابْنِ النَّجَارِ ، فَإِنَّهُمْ تَرَكَوهُ وَبِهِ رَمَقٌ ، فَارْتَثَ مِنْ بَيْنِ الْقَتْلَى ، فَعَاشَ حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ الْحَنْدَقِ ، وَكَانَ فِي السَّرْحِ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ ، وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، فَلَمْ يَنْبُتْهُمَا بِمَصَابِ إِخْوَانِهِمَا إِلَّا الطَّيْرُ تَحُومٌ عَلَى الْعُسْكَرِ ، فَقَالَا : وَاللَّهِ إِنَّ لِهَذَا الطَّيْرِ لِشَأْنًا فَأَقْبَلَا لِيَنْظُرَا ، فَإِذَا الْقَوْمُ فِي دِمَائِهِمْ ، وَإِذَا الْخَيْلُ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ وَاقِفَةٌ ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : لِعَمْرُو بْنِ أُمَيَّةَ : مَا تَرَى قَالَ : أَرَى أَنْ نُلْحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَخَبَّرَهُ الْخَبَرُ ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : لَكِنِّي مَا كُنْتُ لِأَرْغَبَ بِنَفْسِي عَنْ مَوْطِنٍ قُتِلَ فِيهِ الْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرِو ، وَمَا كُنْتُ لِتُخْبِرَنِي عَنْهُ الرِّجَالُ ، فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ ، وَأَخَذُوا عَمْرُو بْنَ أُمَيَّةَ أَسِيرًا ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ مِنْ مُضَرَ ، أَطْلَقَهُ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ ، وَجَزَّ نَاصِيَتَهُ وَأَعْتَقَهُ عَنْ رَقَبَةٍ ، زَعَمَ أَنَّهَا كَانَتْ عَلَى أُمِّهِ ، فَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْقَرْقَرَةِ مِنْ صَدْرِ قَنَاةٍ ، أَتَاهُ رَجُلَانِ

= ارتث : الارتثاث : أن يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد ألحنته الجراح .

لأرغب : رغب عن الشيء : تركه متعمداً ، وزهد فيه .

ما كُنتُ لتخبرني عنه الرجال : لأرضى العيش بعده .

جز : جز الشعر : قطعه .

ناصيته : الناصية : شعر مقدم الرأس إذا طال .

مِنْ بَنِي عَامِرٍ نَزَلَا فِي ظِلِّ هُوَ فِيهِ ، وَكَانَ لِلْعَامِرِيِّينَ عُقْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَوَارٍ ، لَمْ يَعْلَمْ بِهِ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ ، وَقَدْ سَأَلَهَا حِينَ نَزَلَا ، مِمَّنْ أَنْتُمَا ؟ قَالَا : مِنْ بَنِي عَامِرٍ فَأَمْلَهُمَا ، حَتَّى نَامَا فَعَدَا عَلَيْهِمَا فَقَتَلَهُمَا ، وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ قَدْ أَصَابَ بِهِمَا ثَارَةً مِنْ بَنِي عَامِرٍ ، لَمَّا أَصَابُوا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَقَدْ قَتَلْتَ قَتِيلَيْنِ لِأَدِينَهُمَا » ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هَذَا عَمَلُ أَبِي بَرَاءٍ قَدْ كُنْتُ لِهَذَا كَارِهًا مُتَخَوِّفًا » فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا بَرَاءٍ فَشَقَّ عَلَيْهِ إِخْفَارُ عَامِرٍ إِيَّاهُ ، وَمَا أَصِيبَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَبَبِهِ وَجَوَارِهِ فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ، يُحَرِّضُ ابْنَ أَبِي بَرَاءٍ عَلَى عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ :

بني أمّ التَّيْنِ أَلَمْ يَرْعَكُم	وَأَنْتُمْ مِنْ ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدٍ
تَهْكُمُ عَامِرٌ بِأَبِي بَرَاءٍ	لِيُخْفِرَهُ وَمَا خَطَا كَعْمَدٍ
أَلَا أُلْبِغُ رِبْعَةَ ذَا الْمَسَاعِي	بِمَا أَحْدَثْتَ فِي الْحَدَثَانِ بَعْدِي
أَبُوكَ أَبُو الْحُرُوبِ أَبُو بَرَاءٍ	وَحَالَكَ مَا جَدَّ حَكَمُ بْنُ سَعْدٍ

فَحَمَلَ رِبْعَةَ بْنَ عَامِرٍ عَلَى عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ ، فَطَعَنَهُ بِالرُّمْحِ ، فَوَقَعَ فِي فَخِذِهِ ، فَأَشْوَاهُ وَوَقَعَ عَنْ فَرْسِهِ ، فَقَالَ : هَذَا عَمَلُ أَبِي بَرَاءٍ ، فَإِنْ أُمْتُ قَدَمِي لَعَمِي ، لَا يُتَّبَعُ بِهِ ، وَإِنْ أَعِشَ فَسَأَرَى رَأْيِي فِيمَا أَتَى إِلَيَّ .

٤٣٨ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْوَامًا مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ إِلَى بَنِي عَامِرٍ فِي سَبْعِينَ ، فَلَمَّا قَدِمُوا قَالَ لَهُمْ خَالِي : اتَّقِدْكُمْ ، فَإِنْ آمَنُونِي حَتَّى أُبَلِّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَإِلَّا كُنْتُمْ مِنِّي قَرِيبًا ، فَتَقَدَّمُوا ، فَأَمَنُوهُ ، فَبَيْنَمَا يُحَدِّثُهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، إِذْ أَوْمَرُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ ، فَطَعَنَهُ فَأَنْفَذَهُ ، فَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، فَزَتْ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ، ثُمَّ مَالُوا

= لأدينها : سادفع ديتها .

الحدَثَانِ : حَدَثَانُ الدَّهْرِ : نَوَائِبُهُ وَحَوَادِثُهُ .

أَشْوَى : يُقَالُ : رَمَى فَأَشْوَى ، إِذَا لَمْ يَصِبِ الْمَقْتُلَ .

٤٣٨ - الْبُخَارِيُّ (١٨ / ٦) ٥٦ - كِتَابُ الْجِهَادِ - ٩ - بَابُ مَنْ يَنْكَبُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

أَمْنُونِي : أَعْطُونِي أَمْنًا .

أَوْمَرُوا : أَمَرُوا .

فَزَتْ : الْمَرَادُ بِالْفَوْزِ حَصُولُهُ عَلَى الشَّهَادَةِ .

على بقيّة أصحابه ، فقتلوه ، إلا رجلاً أخرج صعد الجبل . قال همّام : وأراه آخر معه ، فأخبر جبريل عليه السلام النبي ﷺ أنهم قد لقوا ربهم ، فرضى عنهم وأرضاهم ؛ فكنا نقرأ : « أن بلغوا قومنا أنا قد لقينا ربنا ، فرضى عنا وأرضانا » ثم نسيخ بعد ، فدعا عليهم أُرَينين صباحاً على رِعلٍ وذكوان وبني إحيان وبني عصيّة الذين عصوا الله ورسوله .

وفي رواية ^(١) « أن رجلاً وذكوان وبني إحيان استمَدُّوا رسولَ الله ﷺ على عدو فأمدهم بسبعين من الأنصار كُنّا نُسَبِّحهم : القراء في زمانيهم ، كانوا يختطبون بالنهار ، ويصلُّون بالليل ، حتّى كانوا يبئُر معونة قتلوه ، وعدّروا بهم ، فبلغ النبي ﷺ ، فقنّت شهراً يدعوا في الصبح على أحياء من أحياء العرب ، على رِعلٍ وذكوان وعصيّة وبني إحيان ، قال أنس : فقرأنا فيهم قرأنا ، ثم إن ذلك رُفِعَ : بلغوا عنا قومنا .. وذكره » .

وللبخاري ومسلم في رواية ^(٢) قال : دعا رسولُ الله ﷺ على الذين قتلوا أصحابَ بئر معونة : ثلاثين صباحاً ، يدعوا على رِعلٍ وذكوان وإحيان وعصيّة ، عصت الله ورسوله . قال أنس : أنزل الله عز وجل لنبيه في الذين قتلوا بئُر معونة قرأنا قرأناه ، حتّى نسيخ بعد : أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا ، فرضى عنا ، ورضينا عنه .

وللبخاري ^(٣) عن أنس قال : لما طعن حرام بن ملحان - وكان خاله - يوم بئر معونة ، قال بالدم هكذا ، فنضحه على وجهه ورأسه ، ثم قال : فزت ورب الكعبة .

ومسلم ^(٤) قال : جاء ناس إلى النبي ﷺ ، فقالوا : ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة ، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم : القراء ، فيهم خالي حرام ، يقرؤون القرآن ، ويتدارسون بالليل يتعلمون ، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في

(١) البخاري (٣٨٥ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٢٨ - باب غزوة الرجيع ، ورعل وذكوان ، وبئر معونة وحديث عضل والقارة وعاصم بن ثابت وخبيب وأصحابه .

(٢) البخاري (٣٨٩ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٢٨ - باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان .

ومسلم واللفظ له (٤٦٨ / ١) ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - ٥٤ - باب استحباب القنوت في جميع الصلاة ، إذا نزلت بالمسلمين نازلة .

(٣) البخاري في الموضع السابق (٣٨٦ / ٧) .

طعن : طعن الرجل : إذا رمي بالطاعون .

(٤) مسلم (١٥١١ / ٣) ٣٣ - كتاب الإمامة - ٤١ - باب ثبوت اللجنة للشهيد .

المسجد ، ويَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَّةِ وَالْفُقَرَاءِ ، فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ ، فَعَرَضُوا لَهُمْ ، فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ ، فَقَالُوا : اللَّهُمَّ أبلغْ عَنَّا نَبِيَّنَا : أَنَا قَدْ لَقِينَاكَ ، فَرَضِينَا عَنْكَ ، وَرَضِيتَ عَنَّا ، قَالَ : وَآتَى رَجُلٌ حَرَاماً - خَالَ أَنَسٍ - مِنْ خَلْفِهِ ، فَطَعَنَهُ بِرُمَحٍ حَتَّى أُنْقَذَهُ ، فَقَالَ حَرَامٌ : قُزْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ : « إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا ، وَإِنَّهُمْ قَالُوا : اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا : أَنَا قَدْ لَقِينَاكَ ، فَرَضِينَا عَنْكَ ، وَرَضِيتَ عَنَّا » .

وفي روايةٍ للبخاري ^(١) أن رسول الله ﷺ بعث خالَهُ - أَخَا لَأَمِّ سُلَيْمٍ - فِي سَبْعِينَ رَاكِباً ، وَكَانَ رَئِيسُ الْمُشْرِكِينَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ خَيْرَ بَيْنِ ثَلَاثِ خِصَالٍ ، فَقَالَ : يَكُونُ لَكَ أَهْلُ السَّهْلِ ، وَلِي أَهْلُ الْمَدْرِ ، أَوْ أَكُونُ خَلِيفَتَكَ ، أَوْ أَغْزُوكَ بِأَهْلِ عَطْفَانَ بِأَلْفٍ وَأَلْفٍ ، فَطَعَنَ عَامِرٌ فِي بَيْتِ أُمِّ فُلَانٍ ، فَقَالَ : غَدَةٌ كَغَدَةِ الْبَكْرِ ، فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ آلِ فُلَانٍ ، اثْنُونِي بِفَرَسِي ، فَمَاتَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ ، فَانْطَلَقَ حَرَامٌ أَخُو أُمِّ سُلَيْمٍ - وَهُوَ رَجُلٌ أَغْرَجٌ - وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي فُلَانٍ ، قَالَ : كُونَا قَرِيباً حَتَّى آتِيَهُمْ ، فَإِنْ آمَنُونِي كُنْتُمْ قَرِيباً ، وَإِنْ قَتَلُونِي أَتَيْتُمْ أَصْحَابَكُمْ ، فَقَالَ : أَتُؤْمِنُونِي أُبَلِّغُ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ مِثْلَ الْأُولَى .

أقول : وما أشار إليه أنس من آيات تتلى ثم نسخت نموذج على منسوخ التلاوة من القرآن ، وهو أحد أنواع النسخ الحاصل .

ولابن حجر بعض تفصيلات وتصويبات في الفتح بمناسبة الحديث قال :

قوله (في بيت امرأة من آل بني فلان) بينها الطبراني من حديث سهل بن سعد فقال « امرأة من آل سلول » وبين فيه قدوم عامر بن الطفيل على النبي ﷺ وأنه قال فيه « لأغزونك بألف أشقر ^(٢) وألف شقراء ^(٣) » وأن النبي ﷺ أرسل أصحاب بئر معونة بعد

(١) البخاري (٧ / ٢٨٦) ٦٤ - كتاب المغازي - ٢٨ - باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان .

أهل السهل : أراد بأهل السهل : أهل البادية ، فإنه جعل في مقابلها أهل المدر ، وأهل المدر : هم أهل المدن والقرى .
غدة : صار ذاغدة فهو مغدود جمع غداد ، والغدد : طاعون الإبل .

(٢) أشقر : المراد الحصان .

(٣) شقراء : المراد بها الفرس .

أن رجع عامر ، وأنه غدر بهم وأخفر ذمة عمه أبي براء وأن النبي ﷺ دعا عليه فقال : « اللهم اكفني عامراً » قال فجاء إلى بيت امرأة من بني سلول . قلت : سلول امرأة ، وهي بنت ذهل بن شيبان ، وزوجها مرة بن صعصعة أخو عامر بن صعصعة فنسب بنوه إليها قوله (فانطلق حرام أخو أم سليم وهو رجل أعرج) كذا هنا على أنها صفة حرام ، وليس كذلك بل الأعرج غيره ، وقد وقع في رواية عثمان بن سعيد فانطلق حرام ورجلان معه رجل أعرج ورجل من بني فلان ، فالذي يظهر أن الواو في قوله « وهو » قدمت سهواً من الكاتب ، والصواب تأخيرها ، وصواب الكلام : فانطلق حرام هو ورجل أعرج ، فأما الأعرج فاسمه كعب بن زيد ، وهو من بني دينار بن النجار ، وأما الآخر فاسمه المنذر بن محمد بن عتبة بن أحيحة بن الجلاح الخزرجي ساهما ابن هشام في زيادات السيرة . ووقع في بعض النسخ « وهو رجل أعرج » وهو الصواب اهـ ابن حجر .

قال في الفتح بمناسبة ذكر بني لحيان في بعض الروايات : لحيان بكسر اللام وفتحها وهذا يوم أن بني لحيان ممن أصاب القراء يوم بئر معونة وليس كذلك : وإنما أصاب هؤلاء القراء رعل وذكوان وعصية ومن صحبهم من سليم ، وأما بنو لحيان فهم الذين أصابوا بعث الرجيع ، وإنما أتى الخبر إلى رسول الله ﷺ عنهم كلهم في وقت واحد فدعا على الذين أصابوا أصحابه في الموضعين دعاء واحداً والله أعلم ، قاله القسطلاني في المواهب . اهـ .

وقال في الفتح : قوله : (بعث النبي ﷺ سبعين رجلاً لحاجة) فسرقتادة الحاجة بقوله « إن رِعلاً وغيرهم استمدوا رسول الله ﷺ على عدو فأمدهم بسبعين من الأنصار » وقد تقدم في الجهاد من وجه آخر عن سعيد عن قتادة بلفظ « أن النبي ﷺ أتاه رعل وذكوان وعصية وبنو لحيان فزعموا أنهم أسلموا واستمدوا على قومهم ، وفي هذا رد على من قال رواية قتادة وهم ، وأنهم لم يستمدوا رسول الله ﷺ وإنما الذي استمدهم عامر بن الطفيل على أصحاب رسول الله ﷺ انتهى . ولا مانع أن يستمدوا رسول الله ﷺ في الظاهر ويكون قصدهم الغدر بهم ، ويحتمل أن يكون الذين استمدوا غير الذين استمدهم عامر بن الطفيل وإن كان الكل من بني سليم ، وفي رواية عاصم آخر الباب عن أنس « أن النبي ﷺ بعث أقواماً إلى ناس من المشركين بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد ، ويحتمل أنه لم يكن استمدادهم لهم

لقتال عدو ، وإنما هو للدعاء إلى الإسلام . وقد أوضح ذلك ابن إسحاق قال : حدثني أبي عن المغيرة بن عبد الرحمن وغيره قال : قدم أبو براء عامر بن مالك المعروف بملاعب الأسنة على رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام فلم يسلم ولم يبعد وقال : يا محمد ، لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد رجوت أن يستجيبيوا لك وأنا جار لهم . ١٠ هـ .

أقول : وقد ابتلى الله عز وجل عامر بن الطفيل بما يشبه السرطان أو الجدري ومات في بيت امرأة من بني سلول وهي قبيلة مزدرة فكان ذلك أبلغ في الإهانة ، وقد كان تهدد رسول الله ﷺ أن يغزوه بألف أشقر وألف شقراء ثم تسبب بقتل القرءاء فعاقبه الله عز وجل .

ومن أهم ما نأخذه من حادثة بئر معونة أنه إذا فتحت لنا باب الدعوة إلى الله سلماً فعلينا أن نلجّه ، وأن نرسل الوفود والبعوث لذلك ، وهذا يفتح أمامنا آفاقاً واسعة في العمل الإسلامي على الأرض الإسلامية أو خارجها ، فحيثما أعطينا حرية الدعوة إلى الله فعلينا أن ندعو مستفيدين من الأعراف والقوانين ، ويسعنا في هذه الحالة أن ننصح وأن نعمل من خلال القانون للتغيير الإسلامي الشامل ، ولكن الاكتفاء بهذا القدر من العمل منوط بالفتوى من أهلها .

* * *

فصل : في إجلاء بني النضير

هناك خلاف حول غزوة بني النضير متى كانت ، وعامة كُتّاب السِّير أنها في السنة الرابعة وهذه الرواية تدلّ على أنها كانت في السنة الثالثة ، ولا يترتب على الخلاف عمل ، وقد جرينا على رأي الجمهور في هذه الغزوة .

قال ابن القيم في زاد المعاد عن ما جرى في أخريات بئر معونة ثم عن غزوة النضير :

وكان عمرو بن أمية الضمري والمندر بن عقبة بن عامر في سرح المسلمين فرأيا الطير تحوم على موضع الوقعة ، فنزل المندر بن محمد فقاتل المشركين حتى قتل مع أصحابه وأسر عمرو بن أمية الضمري ، فلما أخبر أنه من مضر جز عامر ناصيته وأعتقه عن رقبة كانت على أمه ، ورجع عمرو بن أمية فلما كان بالقرقرة من صدر قناة نزل في ظل شجرة ، وجاء رجلان من بني كلاب فزلا معه ، فلما ناما فتك بها عمرو وهو يرى أنه قد أصاب ثأر أصحابه ، وإذا معها عهد من رسول الله ﷺ يشمر به ، فلما قدم أخبر رسول الله ﷺ بما فعل فقال لقد قتلت قتيلين لأدينهما ، فكان هذا سبب غزوة بني النضير ، فإنه خرج إليهم ليعينوه في ديتهما لما بينه وبينهم من الحلف ، فقالوا : نعم وجلس هو وأبو بكر وعمر وعليّ وطائفة من أصحابه ، فاجتمع اليهود وتشاوروا وقالوا : من رجل يُلقي على محمد هذه فيقتله ؟ فانبعث أشقاها عمرو بن جحاش لعنه الله ، ونزل جبريل من عند رب العالمين على رسوله يعلمه بما همّوا به فنهض رسول الله ﷺ من وقته راجعاً إلى المدينة ، ثم تجهّز وخرج بنفسه لحرهم ، فحاصروهم ست ليال ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، وذلك في ربيع الأول ، قال ابن حزم : وحينئذ حرمت الخمر ، فنزلوا على أن لهم ما حملت إبلهم غير السلاح ويرحلون من ديارهم فترحل أكابرهم كحيتي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق إلى خيبر ، وذهبت طائفة منهم إلى الشام ، وأسلم منهم رجلان فقط يامين بن عمرو وأبو سعيد بن وهب فأحرزا أموالهما وقسم رسول الله ﷺ أموال بني النضير بين المهاجرين الأولين خاصة ، لأنها كانت مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، إلا أنه أعطى أبا دُجّانة وسهل بن حنيف الأنصاريين لفقرهما . وفي هذه الغزوة نزلت سورة الحشر هذا الذي ذكرناه هو الصحيح عند أهل المغازي والسير ، وزعم محمد بن شهاب الزهري أن غزوة بني النضير كانت بعد بدر

بسته أشهر ، وهذا وهم منه أو غلط عليه بل الذي لاشك فيه أنها كانت بعد أحد والتي كانت بعد بدر بسته أشهر هي غزوة بني قينقاع وقرية بعد الخندق وخير بعد الحديبية . فكان له مع اليهود أربع غزوات : أولها غزوة بني قينقاع بعد بدر ، والثانية بني النضير بعد أحد ، والثالثة قرية بعد الخندق ، والرابعة خير بعد الحديبية .

قال ابن كثير في البداية والنهاية :

قال ابن إسحاق فاحتلوا من أموالهم ما استقلّت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به ، فخرجوا إلى خير ومنهم من سار إلى الشام ، فكان من أشرف من ذهب منهم إلى خير سَلَام بن أبي الحَقِيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحَقِيق وحيّ بن أخطب فلما نزلوها دان لهم أهلها . فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث أنهم استقلّوا بالنساء والأبناء والأموال معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم بزهاء وفخر ما رَؤي مثله لحي من الناس في زمانهم اهـ .

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح :

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في ديتها فيما حدثني يزيد بن رومان ، وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف ، فلما أتاهم يستعينهم قالوا : نعم . ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوه على مثل هذه الحال . قال : وكان جالساً إلى جانب جدار لهم ، فقالوا من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جَحَاش بن كعب فأتاه الخبر من السماء ، فقام مظهراً أنه يقضي حاجته وقال لأصحابه : لا تبرحوا ، ورجع مسرعاً إلى المدينة ، واستبطأه أصحابه فأخبروا أنه توجه إلى المدينة ، فلحقوا به ، فأمر بحربهم والمسير إليهم ، فتحصنوا ، فأمر بقطع النخل والتحريق ، وذكر ابن إسحاق أنه حاصرهم ست ليال ، وكان ناس من المنافقين بعثوا إليهم أن اثبتوا وتمنعوا ، فإن قوتلتهم قاتلنا معكم ، فتربصوا ، فقذف الله في قلوبهم الرعب فلم ينصروهم ، فسألوا أن يجلوا عن أرضهم على أن لهم ما حملت الإبل فصولوا على ذلك ، وروى البيهقي في « الدلائل » من حديث محمد بن مسلمة أن رسول الله ﷺ بعثه إلى بني النضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاثة أيام ، قال ابن إسحاق : فاحتلوا

إلى خيبر وإلى الشام ، قال فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنهم حلوا الأموال من النخيل والمزارع فكانت لرسول الله ﷺ خاصة . قال ابن إسحاق : ولم يسلم منهم إلا يامين بن عمير وأبو سعيد بن وهب فأحرزا أموالهما . وروى ابن مردويه قصة بني النضير بإسناد صحيح إلى معمر عن الزهري « أخبرني عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : كتب كفار قريش إلى عبد الله بن أبي وغيره من يعبد الأوثان قبل بدر يهددونهم بإيوائهم النبي ﷺ وأصحابه ، ويتوعدونهم أن يغزوهم بجميع العرب ، فهم ابن أبي ومن معه بقتال المسلمين ، فأتاهم النبي ﷺ فقال : ما كادكم أحد بثل ما كادتكم قريش ، يريدون أن تلقوا بأسكم بينكم ، فلما سمعوا ذلك عرفوا الحق فتفرقوا . فلما كتبت كفار قريش بعدها إلى اليهود : إنكم أهل الحلقة والحصون ، يتهددونهم ، فأجمع بنو النضير على الغدر ، فأرسلوا إلى النبي ﷺ : اخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا ، فإن آمنوا بك اتبعناك . ففعل ، فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر فأرسلت امرأة من بني النضير إلى أخ لها من الأنصار مسلم تخبره بأمر بني النضير ، فأخبر أخوها النبي ﷺ قبل أن يصل إليهم ، فرجع ، وصبحهم بالكتائب فحصرهم يومه ، ثم غدا على بني قريظة فحاصروهم فعاهدوه ، فانصرف عنهم إلى بني النضير ، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا السلاح ، فاحتلوا حتى أبواب بيوتهم ، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم فيهدمونها ويحملون ما يوافقهم من خشبها ، وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام ، وكذا أخرجه عبد بن حيد في تفسيره عن عبد الرزاق ، وفي ذلك رد على ابن التين في زعمه أنه ليس في هذه القصة حديث بإسناد ، قلت : فهذا أقوى مما ذكر ابن إسحاق من أن سبب غزوة بني النضير طلبه ﷺ أن يعينوه في دية الرجلين ، لكن وافق ابن إسحاق جل أهل المغازي ، فالله أعلم . وإذا ثبت أن سبب إجلاء بني النضير ما ذكر من مهمم بالغدر به ﷺ ، وهو إنما وقع عندما جاء إليهم ليستعين بهم في دية قتيل عمرو بن أمية ، تعين ما قال ابن إسحاق ، لأن بئر معونة كانت بعد أحد بالاتفاق . اهـ .

وقال الشيخ الغزالي :

وفي هذه المعركة نزلت سورة الحشر بأكلها ، فوصفت طرد اليهود في صدرها .

﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ (١).

ثم فضح القرآن مسلك منافقي المدينة الذين حاولوا إعانة يهود في غدرها وحررها ، وحرضوها على مقاتلة المسلمين بما وعدوها من أمداد وعتاد فقال :

﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون * لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون ﴾ (٢).

وهذا النصر الذي أحرزه المسلمون دون تضحيات ، توطد سلطانتهم في المدينة ، وتخاذل المنافقون عن الجهر بكيدهم ، وأمكن رسول الله أن يتفرغ لقمع الأعراب الذين آذوا المسلمين بعد أحد وتواثبوا على بعوث الدعاة يقتلون رجالها في نذالة وكفران . اهـ .

٤٣٩ - * روى أبو داود عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أبي ومن كان يعبد معه الأوثان من الأوس والخزرج ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة قبل وقعة بدر : إنكم أويتم صاحبنا ، وإننا نقسم بالله لتقاتلن أو لتخرجن أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم ، فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن كان معه من عبدة الأوثان اجتمعوا لقتال النبي ﷺ ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم فقال : « لَقَدْ بَلَغَ وَعِيدُ قَرِيشٍ مِنْكُمْ الْمَبَالِغَ ، مَا كَانَتْ

(١) الحشر : ٢ .

(٢) الحشر : ١١ ، ١٢ .

٤٣٩ - أبو داود (٢ / ١٥٦) ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب في خبر النضير ، بسند صحيح .

الأوثان : جمع وثن ، وهو الصنم .

نستبيح : استباحتهم : نهبهم وسبيهم والتصرف فيهم .

وعيد : الوعيد : التخويف والتهديد .

تَكِيدُكُمْ بِأَكْثَرِ مِمَّا تَرِيدُونَ أَنْ تَكِيدُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ ، تَرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا أَبْنَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ » فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا ، فبلغ ذلك كفارَ قريش ، فكتب كفارَ قريش بعد وقعة بدرٍ إلى اليهود : إنكم أهلُ الحلقةِ والحِصونِ وإنكم لتقاتِلُنَّ صاحبنا أو لتفعلنَّ كذا وكذا ، ولا يحولُ بيننا وبين خِدمِ نساءكم شيء ، وهي الخلاخيل ، فلما بلغ كتابهم النبي ﷺ اجتمعَ بنو النضير بالغدر ، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ : اخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك ، وليخرج منّا ثلاثون خبِراً ، حتى نلتقي بمكان المُنصف فيسمعوا منك ، فإن صدّقوك وآمنوا بك آمناً بك فقصّ خبرهم فلما كان الغدُ غداً عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحضّرهم ، فقال لهم : « إِنَّكُمْ وَاللَّهِ لَا تَأْمَنُونَ عِنْدِي إِلَّا بِعَهْدٍ تَعَاهِدُونِي عَلَيْهِ » فأبوا أن يعطوه عهداً ، فقاتلهم يومهم ذلك ، ثم غدا الغدَ على بني قُرَيْظَةَ بالكتائب ، وترك بني النضير ، ودعاهم إلى أن يعاهدوه ، فعاهدوه ، فانصرف عنهم ، وغداً على بني النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء ، فجلّت بنو النضير واحتملوا ما أَقْلَتِ الإبل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها ، فكان نخلُ بني النضير لرسول الله ﷺ خاصةً ، أعطاه الله إياها وخصّه بها ، فقال : هُوَ وَمَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴿١﴾ يقول : بغير قتال ، فأعطى النبي ﷺ أكثرها للمهاجرين ، وقسمها بينهم ، وقسم منها لرجلين من الأنصار ، وكانا ذوي حاجة ، ولم يقسم لأحد من الأنصار غيرهما .

= يَكِيدُ : كاده يَكِيدُهُ : إذا مكر به وخدعه .

الحلقة : بسكون اللام : الدرع ، وقيل : اسم جامع للسلاح .

خبِر : الخبِر : العالم الفاضل .

مُنْصَف : المنصف بالفتح : نصف الطريق ، أراد : أنهم يجتمعون في موضع لا يميل إلى جهته ولا جبهة ، ليكون أعدل وأقرب إلى الأمن .

الجلاء : النفي عن الأوطان .

أَقْلَتِ الإبل : الأحالَ ، أي : حملتها .

ما أقاء الله : الفياء : ما يحصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا قتال .

أَوْجَفْتُمْ : الإيجاف : الإسراع والحثُّ في السير ، وأراد به : الإسراع في القتال .

ركاب : الركاب جماعة الإبل فوق العشرة .

(١) الحشر : ٦ .

- (وفي رواية ابن هشام ^(١)) : أنها سهل بن حنيف وأبو دُجَانة سِياكُ بنُ خَرَشَة) -
وبقي منها صدقةُ رسولِ الله ﷺ التي هي في أيدي بني فاطمة .

٤٤٠ - * روى البخاري ومسلم عن ابن عمر : أن يهودَ بني النضير وقريظة حاربوا النبي ﷺ ، فأجلى رسول الله ﷺ بني النضير وأقرَّ قَريظةَ ومنَ عليهم حتى حاربتُ قريظة بعد ذلك فقتلَ رجالهم وقسمَ نساءهم وأولادهم وأموالهم بينَ المسلمين إلا أن بعضهم لحقوا بالنبي ﷺ فأمّنتهم وأسلموا وأجلى رسول الله ﷺ يهودَ المدينة كلهم بني قَيْنِقاعَ وهم قومُ عبدِ الله بنِ سلام ويهودَ بني حارِثة وكلُّ يهودي كان بالمدينة .

٤٤١ - * وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : انطلقوا إلى يهود . فخرجنا معه حتى جئنا بيتَ المدراس ، فقام النبي ﷺ فناداهم : « يا معشرَ يهودَ ، أسلمُوا تسلمُوا » فقالوا : بلغت يا أبا القاسم . فقال : « ذلك أريدُ » ثم قالها الثانية ، فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم . ثم قال الثالثة فقال : « اعلموا أنَّ الأرضَ لله ورسوله وأني أريدُ أن أجليكم ، فمن وجدَ منكم بماله شيئاً فليبيعه ، وإلا فاعلموا أنما الأرضُ لله ورسوله » .
لكنهم رفضوا الجلاء الطوعي فكان ما رأينا .

٤٤٢ - * وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل : ﴿ ما قطعتم من لينةٍ أو تركتموها قائمة على أصولها ﴾ قال : اللينة : النخلة ، ﴿ وليخزي

(١) السيرة النبوية (٢ / ١٩٤) .

٤٤٠ - البخاري (٢ / ٣٢٩) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٤ - باب حديث بني النضير ، ومخرج رسول الله ﷺ في دية الرجلين ، وما أرادوا من الغدر برسول الله ﷺ .

ومسلم واللفظ له (٣ / ١٣٨٧) ٢٢ - كتاب الجهاد والسير - ٢٠ - باب إجلاء اليهود من الحجاز .

٤٤١ - البخاري (١٢ / ٣١٧) ٨٩ - كتاب الإكراه - ٢ - باب في بيع المكره ونحوه في الحق وغيره .

ومسلم في نفس الموضع السابق .

بيت المدراس : بكسر الميم ، مفعال من الدرس ، والمراد به كبير اليهود ، ونسب البيت إليه ؛ لأنه هو الذي كان صاحب دراسة كتبهم ، أي قراءتها .

٤٤٢ - الترمذي (٥ / ٤٠٨) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٦٠ - باب « ومن سورة الحشر » وإسناده حسن .

لينة : اللينة : مادون الخطوة من النخل ، والعجوة : نوع من التمر معروف بالمدينة .

الفاستقين ﴿ وقال : استنزلوهم من حصونهم ، قال : وأمروا بقطع النخل فحك في صدورهم ، فقال المسلمون : قد قطعنا بعضاً ، وتركنا بعضاً ، فلنسأل رسول الله ﷺ : هل لنا فيما قطعنا من أجر ؟ وهل علينا فيما تركناه من وزر ؟ فأنزل الله تعالى ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها ... ﴾ (١) .

٤٤٣ - * وروى الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت غزوة بني النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر ، وكان منزلهم وتخلهم بناحية المدينة ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلقة يعني السلاح فأنزل الله فيهم ﴿ سبح لله ما في السموات وما في الأرض ﴾ إلى قوله ﴿ لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا ﴾ (٢) فقاتلهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى صالحهم على الجلاء فأجلاهم إلى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما خلا ، وكان الله قد كتب عليهم ذلك ، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي وأما قوله ﴿ لأول الحشر ﴾ فكان جلاؤهم ذلك أول حشر في الدنيا إلى الشام .

ونشهد في زماننا حشراً آخر لليهود إلى بلاد الشام وسيتبعه حشر آخر في عهد الدجال عند نهر الأردن ، وقد بشرنا الكتاب والحديث أن النصر للإسلام .

٤٤٤ - * روى البخاري عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع ، وهي البؤيرة ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاستقين ﴾ (١) .

فتحك : يقال : حك الشيء في نفسه : إذا لم يكن منشرج الصدر به ، وكان في قلبه شيء منه من الشك والريب ، لتوهمه أنه ذنب أو خطيئة .

وزر : الوزر : الحمل والثقل والإثم .

(١) الحشر : ٥

٤٤٣ - المستدرك (٢ / ٤٨٣) ، كتاب التفسير ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وأقرة الذهبي .

(٢) الحشر : ١ ، ٢ .

٤٤٤ - البخاري (٩ / ٥) ٤١ - كتاب الحرث والمزارعة - ٦ - باب قطع الشجر والنخل .

وفي رواية صحيحة ^(٢) قال ابن عمر : ولها يقول حسان بن ثابت :
وهان على سرة بني لؤي
حريق بالبؤيرة مستطير

زاد في رواية ^(٣) قال : فأجابه أبو سفيان بن الحارث :
أدام الله ذلك من صنيع
وحرّق في نواحيها السعير
ستعلم أينما منها بنزّه
وتعلم أي أرضينها تضرّ

تعليقات على حادثة النضير :

سجّل الله حادثة النضير في كتابه فأنزل فيها سورة كاملة ، هي سورة الحشر التي أسأها ابن عباس سورة النضير ، ومن ثمّ فإن النضير من الحوادث الخالدات التي يحتاج المسلمون على مدى العصور إلى معرفة دروسها وأخذ عبرها ، فهي حادثة تمرّد وغدير داخليين تقوم بهما فئة معاهدة من غير المسلمين ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يؤدبها تعاطف معها منافقون ، ظاهرهم مسلمون ، إنّ هذا الوضع يمكن أن يحدث في كل زمان وفي كل مكان ، فكيف تصرف رسول الله ﷺ ؟ وما هي السنّة التي تحكم ذلك ؟ وما حكم أموال المترددين الغادرين ونسائهم ؟ وماذا يجوز لنا في هذا الشأن ؟ كل ذلك بعض ما في سورة النضير التي تحدّثت عن غزوتها ، وهذه بعض دروس الغزوة والسورة :

١ - إنّ تلاحم الكافرين والمنافقين على الأرض الإسلامية لاشكّ فيه ، وأنت عليك أن تستهدف الكفر فإذا ما استطعت أن تنتصر عليه فقد انتهت قيمة المنافقين السياسية والعسكرية ، ولذلك يجب أن تضع نصب عينيك أن السيطرة على الكفر هي الهدف ، وفي الغالب فإنّ المنافقين لن ينتقلوا من القول إلى الفعل إلّا في حالة واحدة هي أن تضمّهم جميعاً

(١) الحشر : ٥ .

(٢) البخاري (٢ / ٢٢٩) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٤ - باب حديث بني النضير .

سرة : السراة جمع سري ، وهو النفيس الشريف على غير قياس .

مستطير : استطار الضوء وغيره : إذا تفرّق واتسع .

(٣) البخاري في نفس الرواية السابقة .

بنزه : أي : بعيد ، وفلان يتنزه عن الفحش ، أي : يبعد عنه .

تضير : ضارة يضره ضيراً ، مثل : ضره يضره ضراً .

حصون يقاتلون من خلالها . وإذن فلا ينبغي أن تعطيتهم فرصة التجمع والتحصن .

٢ - وما حدث في إجلاء بني النضير وبما نزل من آيات الله في ذلك نعرف صورة مما يمكن أن تفعله الدولة الإسلامية الراشدة في المواطنين غير المسلمين إذا تأكد لنا غدرهم .

٣ - ومن تعليقات الدكتور البوطي على حادثة النضير ما يلي :

قطع نخيل بني النضير وإحراقها ، ثبت بالاتفاق . والذي أتلّفه الرسول ﷺ من ذلك إنما هو البعض ثم ترك الباقي . وقد نزل القرآن تصويماً لما أقدم عليه النبي ﷺ من ذلك : قطعاً وإبقاءً ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ .. ﴾ (١) .

وقد استدلل عامة العلماء بذلك ، على أن الحكم الشرعي في أشجار العدو وإتلافها منوط بما يراه الإمام أو القائد من مصلحة النكاية بأعدائهم ، فالمسألة إذاً من قبيل ما يدخل تحت اسم السياسة الشرعية . قال العلماء : وإنما كان قصد الرسول ﷺ بتصرفه هذا في النخيل - قطعاً أو كفاً - تحقيق المصلحة وتلمس السبيل إليها ، إرشاداً وتعليقاً للأئمة من بعده .

وهذا أيضاً علل الشافعي رحمه الله ، أمر أبي بكر رضي الله عنه بالإحراق والقطع ، حينما أرسل خالداً إلى طليحة وبني تميم ، مع أنه نهى هو نفسه عن ذلك في حروب الشام . ويقول رحمه الله في هذا : « ولعل أمر أبي بكر بأن يكفوا عن أن يقطعوا شجراً مثراً ، إنما هو لأنه سمع رسول الله ﷺ يخبر أن بلاد الشام تفتح على المسلمين . فلما كان مباحاً له أن يقطع ويترك ، اختار الترك نظراً للمسلمين » .

وهذا الذي قلناه من إباحة قطع شجر الكفار وإحراقه إذا اقتضت المصلحة هو مذهب نافع مولى ابن عمر ومالك والثوري وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وإسحاق وجمهور الفقهاء . ورؤي عن الليث بن سعد وأبي ثور والأوزاعي القول بعدم جوازه .

واتفق الأئمة على أن ما غنمه المسلمون من أعدائهم بدون قتال - وهو الفبيء - يعود النظر

والتصرف فيه إلى ما يراه الإمام من المصلحة ، وأنه لا يجب عليه تقسيمه بين الجيش كما تقسم عليهم الغنائم التي غنوها بعد قتال وحرب ، مستدلين على ذلك بسياسة ﷺ في تقسيم فيء بني النضير ، فقد خص به - كما رأيت - المهاجرين وحدهم ، وقد نزل القرآن تصويماً لذلك ، في الآيتين اللتين ذكرناهما .

ثم اختلفوا في الأراضي التي غنها المسلمون بواسطة الحرب : فذهب مالك إلى أن الأرض لا تقسم مطلقاً ، وإنما يكون خراجها وقفاً لمصالح المسلمين إلا أن يرى الإمام أن المصلحة تقضي القسمة فإن له ذلك ، ويذهب الحنفية قريباً من هذا المذهب .

أما الشافعي فذهب إلى أن الأرض المأخوذة عنوة تجب قسمتها كما تجب قسمة غيرها من الغنائم ، وهو الظاهر من مذهب الإمام أحمد أيضاً .

ودليل ما ذهب إليه الشافعي ، أن تصرف النبي ﷺ بأموال بني النضير ، على خلاف ما تقتضيه القسمة بين الغانمين في الحرب ، إنما كان بسبب عدم وجود أي قتال تسبب عنه الحصول على تلك الغنائم . وقد نصت الآية على ذلك في معرض تعليل حكمه ﷺ ، في فيء بني النضير ، وهي قوله تعالى : ﴿ وما أفاء الله على رسوله منهم ، فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ﴾ ^(١) وإذا كان هذا هو مناط جواز عدم القسمة لأراضي الفيء فمن الواضح أنه إذا ارتفع مناط الحكم ، ارتفع الحكم معه ، وعاد الحكم المنصوص عليه في حق الغنائم ، سواء في ذلك الأراضي وغيرها .

ودليل ما ذهب إليه مالك وأبو حنيفة أمور كثيرة ، من أهمها عمل عمر رضي الله عنه حينما امتنع عن تقسيم سواد العراق ، وجعلها وقفاً يجري خراجها ريعاً للمسلمين وليس المجال هنا متسعاً لأكثر من هذا العرض الجمل في الموضوع .

إنما الذي ينبغي أن ننتبه إليه من هذا البحث هنا ، هو التعليل الذي ذكره الله تعالى في الآيتين اللتين أوضحنا سياسته عليه الصلاة والسلام في تقسيم فيء بني النضير إذ اختص به أناساً دون آخرين . فقد ذكر الله تعالى في تعليل ذلك قوله : ﴿ لكي لا يكون دولة بين

(١) الحشر : ٦ .

الأغنياء منكم ﴿^(١)﴾ أي لكي لا يكون تداول المال محصوراً فيما بين طبقة الأغنياء منكم فقط .

والتعليل بهذه الغاية يؤذن بأن سياسة الشريعة الإسلامية في شؤون المال ، قائمة في جملتها على تحقيق هذا المبدأ . وأن كل ما تفيض به كتب الشريعة الإسلامية من الأحكام المتعلقة بمختلف شؤون الاقتصاد والمال يُبتغى من ورائه إقامة مجتمع عادل تتقارب فيه طبقات الناس وفئاتهم ويُقضى فيه على أسباب الثغرات التي قد تظهر فيما بينها ، والتي قد تؤثر على سير العدالة وتطبيقها .

ولو طُبِّقت أحكام الشريعة الإسلامية وأنظمتها الخاصة بشؤون المال من إحياء لشريعة الزكاة ومنع للربا وقضاء على مختلف مظاهر الاحتكارات لعاش الناس كلهم في مجبوحة من العيش ، قد يتفاوتون في الرزق ولكنهم جميعاً مكثفون ، وليس فيهم كَلٌّ على آخر وإن كانوا جميعاً يتعاونون .

والمهم أن تعلم أن الله تعالى لما جعل غاية شريعته في الدنيا إقامة هذا المجتمع ، شرع لذلك وسائل وأسباباً معينة ألزمنا باتباعها وعدم الخروج عليها . أي أن الله تعالى تعبدنا بكل من الغاية والوسيلة معاً . فلا يجوز أن يقال : إن الغاية من الإسلام إقامة العدالة الاجتماعية . فلنسلك إلى ذلك ما نراه من السبل والأسباب ، بل إن هذا يعد خروجاً على كل من الغاية والوسيلة معاً ، فلن نتحقق الغاية التي أمرنا الله تعالى بتحقيقها إلا باتباع الوسيلة التي شرعها لنا سبيلاً إلى تلك الغاية . والتاريخ أعظم دليل والوقائع أكبر شاهد .

هذا وجدير بك أن تعود إلى سورة الحشر بكاملها ، لتتأمل تعليق البيان الإلهي العظيم على هذه الحادثة بمجموعها وعامة ملابساتها : اليهود ، المنافقون ، سياسة الرسول في المال والحرب ، وغير ذلك ... فهذه السورة من أهم ما يَكُنُّكَ من الوقوف على دروس هذه القصة وعظاتها . اهـ .

* * *

فصل : في غزوتي الرد

ذكر ابن كثير في أحداث السنة الرابعة غزوتين لرسول الله ﷺ ، غزوة بني لحيان وغزوة نحو نجد أسماها غزوة ذات الرقاع ، ومن عرف سنته عليه الصلاة والسلام في رده على الاعتداء من قبل المحاربين رجح أن الغزوتين كانتا في هذه السنة ، لكن اختلط الأمر على بعض المحققين بين غزوة ذات الرقاع ، وغزوة أخرى حدثت في السنة السابعة شارك فيها أبو موسى الأشعري وربط بها هو وأصحابه رقاعا على أرجلهم فظنوا أن هذه الغزوة هي غزوة ذات الرقاع المشهورة التي كانت ردًا على حادثة بئر معونة ، والذي أرجحه أن غزوة بني لحيان وغزوة ذات الرقاع كانتا في السنة الرابعة ، واسم ذات الرقاع هنا لم يأت من الرقاع المربوطة على الأرجل بل كان لأسباب أخرى سنها .

١ - غزوة بني لحيان :

قال ابن كثير : وقال الحافظ البيهقي : لما أصيب خبيب وأصحابه خرج رسول الله ﷺ طالباً بدمائهم ليصيب من بني لحيان غزوة ، فسلك طريق الشام ليترى أنه لا يريد بني لحيان ، حتى نزل بأرضهم فوجدهم قد حذروا وتنعوا في رؤوس الجبال ، فقال رسول الله ﷺ « لو أنا هبطنا عُسْفان لرأت قريش أننا قد جئنا مكة » فخرج في مائتي راكب حتى نزل عسفان ثم بعث فارسين حتى جاء كراع الغميم ثم انصرفا . اهـ .

أقول : هذه الغزوة وإن لم تحقق هدفها الأساسي وهو الثأر لحادثة الرجيع ، لكنها أوقعت الرعب في قلوب أهل المنطقة وأرثهم أن عمداً ﷺ لا ينام على ثأر ، وأنه وراء المسيئين لن يتركهم حتى يعاقبهم أو يسلموا أو يعاهدوا .

* * *

٢ - غزوة ذات الرقاع :

تختلط روايات هذه الغزوة بأكثر من روايات غزوات أخرى فهي تختلط بغزوة لَفَ فيها أصحاب رسول الله ﷺ الحرق على أرجلهم فتوهم بعضهم أن هذه الغزوة هي غزوة ذات الرقاع ، وتختلط بغزوتي عسفان وأُتار ؛ بسبب أن في الجميع روايات لجابر ، وبسبب

أنّ بعض الروايات فيها ذكر لصلاة الخوف ، مع اتفاق الجميع أنّ صلاة الخوف نزلت بعد غزوة الأحزاب ، فقد رأى بعضهم أنّ غزوة ذات الرقاع هذه ، لم تكن في السنة الرابعة ، ولكنّ المحققين من كُتّاب السير يرون أنّها في السنة الرابعة وعلى هذا فلا بد من التمييز بين رواياتها وروايات الغزوات الأخرى وإعطاء كل غزوة اسمها المناسب ، ونحن سنتخير من الروايات والتحقيقات ما لا يكون فيه تناقض مع ما ذهب إليه المحققون في كل .

وننقل بين يدي ذلك ما قاله ابن حجر في الفتح كدليل على أنّ هذه الغزوة تختلط بغيرها ولذلك وقع اللبس :

قال ابن حجر :

(باب غزوة ذات الرقاع) هذه الغزوة اختلف فيها متى كانت ، واختلف في سبب تسميتها بذلك . وقد جنح البخاري إلى أنها كانت بعد خيبر ، واستدل لذلك في هذا الباب بأمور سياقي الكلام عليها مفصلا ، ومع ذلك ذكرها قبل خيبر فلا أدري هل تعتمد ذلك تسليماً لأصحاب المغازي أنها كانت قبلها كما سيأتي ، أو أن ذلك من الرواة عنه ، أو إشارة إلى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسماً لغزوتين مختلفتين كما أشار إليه البيهقي ، على أن أصحاب المغازي مع جزمهم بأنها كانت قبل خيبر مختلفون في زمانها ، فعند ابن إسحاق أنها بعد بني النضير وقبل الخندق سنة أربع ، قال ابن اسحاق : أقام رسول الله ﷺ بعد غزوة بني النضير شهر ربيع وبعض جمادى - يعني من سنته - وغزا نجدا يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان ، حتى نزل نخلا وهي غزوة ذات الرقاع . ا هـ .

وبمناسبة رواية البخاري عن جابر (كنّا مع النبي ﷺ بنخل فذكر صلاة الخوف) قال ابن حجر :

أورده مختصراً معلقاً لأن غرضه الإشارة إلى أن روايات جابر متفقة على أن الغزوة التي وقعت فيها صلاة الخوف هي غزوة ذات الرقاع ، لكن فيه نظر لأن سياق رواية هشام عن أبي الزبير هذه تدل على أنه حديث آخر في غزوة أخرى ، ويبان ذلك أن في الحديث عند الطيالسي وغيره أن المشركين قالوا : دعوهم فإن لهم صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم ، قال فنزل جبريل فأخبره ؛ فصلى بأصحابه العصر ، وصفهم صفين ، فذكر صفة صلاة الخوف ،

وهذه القصة إنما هي في غزوة عُسْفان ، وقد أخرج مسلم هذا الحديث من طريق زهير بن معاوية عن أبي الزبير بلفظ يدل على مغايرة هذه القصة لغزوة محارب في ذات الرقاع ، ولفظه عن جابر قال : (غزونا مع النبي ﷺ قوماً من جهينة ، فقاتلونا قتالاً شديداً ، فلما أن صلينا الظهر قال المشركون : لو ملنا عليهم ميلاً واحدة لأفطعنهم ، فأخبر جبريل النبي ﷺ بذلك ، قال وقالوا : ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد ، فذكر الحديث . وروى أحمد والترمذي وصححه النسائي من طريق عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ نزل بين ضجنان وعُسْفان ، فقال المشركون : إن هؤلاء صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم ، فذكر الحديث في نزول جبريل لصلاة الخوف ، وروى أحمد وأصحاب السنن وصححه ابن حبان من حديث أبي عَيَّاش الزرقى قال : كنا مع النبي ﷺ بعُسْفان ، فصلى بنا الظهر وعلى المشركين يومئذ خالد بن الوليد ، فقالوا : لقد أصبنا منهم غفلة ، ثم قال : إن لهم صلاة بعد هذه هي أحب إليهم من أموالهم وأبنائهم ، فنزلت صلاة الخوف بين الظهر والعصر ، فصلى بنا العصر ففرقنا فرقتين . الحديث وسياقه نحو رواية زهير عن أبي الزبير عن جابر ، وهو ظاهر في اتحاد القصة ، وقد روى الواقدي من حديث خالد بن الوليد قال : لما خرج النبي ﷺ إلى الحديبية لقيته بعسفان فبازائه وتعرضت له ، فصلى بأصحابه الظهر ، فهممنا أن نغير عليهم فلم يعزم لنا ، فأطلع الله نبيه على ذلك فصلى بأصحابه العصر صلاة الخوف . الحديث ، وهو ظاهر فيما قررته أن صلاة الخوف بعسفان غير صلاة الخوف بذات الرقاع ، وأن جابراً روى القصة معاً . اهـ .

وقد ذكر ابن حجر أدلة القائلين بالتعدد فقال :

وقد قيل إن الغزوة التي شهدها أبو موسى وسميت ذات الرقاع غير غزوة ذات الرقاع التي وقعت فيها صلاة الخوف ، لأن أبا موسى قال في روايته إنهم كانوا ستة أنفس ، والغزوة التي وقعت فيها صلاة الخوف كان المسلمون فيها أضعاف ذلك .

واستدل على التعدد أيضاً بقول أبي موسى إنها سميت ذات الرقاع لما لفوا في أرجلهم من الخرق ، وأهل المغازي ذكروا في تسميتها بذلك أمورا غير هذا ، قال ابن هشام وغيره : سميت بذلك لأنهم رَقَعُوا فيها راياتهم ، وقيل بشجر بذلك الموضع يقال له ذات الرقاع ،

وقيل بل الأرض التي كانوا نزلوا بها كانت ذات ألوان تشبه الرقاع ، وقيل لأن خيلهم كان بها سواد وبياض قاله ابن حبان ، وقال الواقدي : سميت بجبل هناك فيه بقع ، وهذا لعله مستند ابن حبان ويكون قد تصحف جبل بخيل ، وما يدل على التعدد أنه لم يتعرض أبو موسى في حديثه إلى أنهم صلوا صلاة الخوف ولا أنهم لقوا عدوا ، ولكن عدم الذكر لا يدل على عدم الوقوع . ١ هـ .

مما مرّ ندرك اختلاط الروايات ما بين غزوة نجد وغزوة ذات الرقاع وغزوة عسفان ونضيف غزوة أثمار .

قال صاحب الفتح : فظهر لي من هذا وجه المتابعة . وهو أن حديث سهل بن أبي حنثة في غزوة ذات الرقاع متحد مع حديث جابر ، لكن لا يلزم من اتحاد كيفية الصلاة في هذه وفي هذه أن تتحد الغزوة ، وقد أفرد البخاري غزوة بني أثمار بالذكر كما سيأتي بعد باب . ١ هـ .

لذلك أذهب أن غزوة ذات الرقاع حدثت في السنة الرابعة ولم يكن فيها صلاة الخوف ، وأن الروايات التي تذكر صلاة الخوف ينبغي أن تحمل على غزوات أخرى وأن يفتش لها عن مخارج يخرج بها من التعارض .

قال ابن كثير : قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهري ربيع وبعض جمادى ، ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذر . قال ابن هشام : ويقال عثمان بن عفان . قال ابن إسحاق فسار حتى نزل نخلاً وهي غزوة ذات الرقاع . قال ابن هشام لأنهم رقعوا راياتهم ، ويقال لشجرة هناك اسمها ذات الرقاع ، وقال الواقدي : بجبل فيه بقع حمر وسود وبيض .

٤٤٥ - * روى أبو داود عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها قال : خرجنا مع

٤٤٥ - أبو داود (١ / ٥٠) ، كتاب الطهارة ، باب الوضوء من الدم .

وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (٤ / ٨٥) عن ابن إسحاق واللفظ له .

وأخرجه ابن إسحاق مصرحاً بالتحديث وفي سنده عقيل بن جابر بن عبد الله الأنصاري لم يوثقه غير ابن حبان ، وباقي رجاله ثقات ، وقد صحح الحديث ابن خزيمة وابن حبان والحاكم .

رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرِّقَاع من نخلٍ فأصاب رجلٌ امرأة رجلٍ من المشركين فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً ، أتى زوجها وكان غائباً ، فلما أُخبرَ الخبرَ حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد دماً ، فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ فنزل رسول الله ﷺ منزلاً فقال من رجل يكلؤنا ليلتنا ؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار . فقالا : نحن يارسول الله ، قال : فكونا بفم الشعب من الوادي ، وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر ، فلما خرجا إلى فم الشعب قال الأنصاري للمهاجري : أي الليل تحب أن أكفيك أوله أم آخره ؟ قال : بل أكفي أوله ، فاضطجع المهاجري فنام وقام الأنصاري يصلي ، قال : وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عَرَفَ أنه ريثةُ القوم فرمى بسهم فوضعه فيه ، فانتزعه ووضعه وَتَبَت قائماً قال : ثم رمى بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه فوضعه وثبت قائماً ، قال : ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ثم أهبَّ صاحبه فقال : اجلس فقد أثبتُ قال : فوثب الرجل ، فلما رآهما عرف أنه قد نذرا به فهرب قال : ولما رأى المهاجري ملأ بالأنصاري من الدماء قال : سبحان الله أفلا أهبتي أول ما رماك قال : كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها فلما تابع عليّ الرمي ركعت فأذنتك وإيم الله لولا أن أضيّع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطعت نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها .

٤٤٦ - * روى أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرِّقَاع من نخلٍ على جملٍ ضعيفٍ فلما قفل رسول الله ﷺ جعلت الرِّقَاعُ قضي ، وجعلتُ أتخلف حتى أدركني رسول الله ﷺ فقال : « مالك يا جابر ؟ » قلت : يا رسول الله أبطأ بي جملي هذا . قال : « أغخه » قال : فأغخته وأناخ رسول الله ﷺ ثم قال : « أعطيني هذه العصا من يدك أو اقطع عصاً من شجرة » ففعلت فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه بها نخساتٍ ثم قال : « اركب » فركبت فخرج والذي بعثه بالحق يواحق ناقته مواهقة . قال : وتحدثت مع رسول الله ﷺ فقال : « أتبيعي جملك هذا

= الرِّيْثَةُ : الرِيء جمع ربابا : الطليعة الذي يرقب العدو من مكان عال ، يستطلع .
٤٤٦ - أحمد في مسنده (٣ / ٢٧٦) .

والبخاري بعضه (٤ / ٢٢٠) ٣٤ - كتاب البيوع - ٢٤ - باب شراء الدواب والحير .
يواحق : يعارض ناقة رسول الله ﷺ في المشي ، والمواهقة : المبارزة .

يا جابر ؟ » قال : قلت ، بل أهبة لك قال : « لا ، ولكن بعنييه » ، قال : قلت : فتعنييه ، قال : « أخذته بدرهم » ، قال : قلت : لا ، إذا تعنيني يا رسول الله ، قال : « فبدرهمين » ، قال : قلت : لا قال : فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ حتى بلغ الأوقية ، قالت فقلت : أفقد رضىت ؟ قال : « نعم » ، قلت : فهو لك ، قال : « قد أخذته » ثم قال : « يا جابر هل تزوجت بعد ؟ » قال : قلت : نعم يا رسول الله ، قال : « أثيبا أم بكرا ؟ » قال : قلت بل ثيبا ، قال : « أفلا جارية تُلَاعِبُهَا وتَلَاعِبُكَ » قال : قلت : يا رسول الله إن أبي أصيبَ يومَ أحدٍ وتركَ بناتٍ له سبعا فنكحتُ امرأةَ جامعةٍ تجمعُ رؤوسهن فتقومُ عليهن قال : « أصبتَ إن شاء الله » ، أما إننا لو جئنا صرارا أمرنا بجزورٍ فنحرتُ ، فأقننا عليها يومنا ذلك وسبعتُ بنا فنفضتُ نمارقها » قال : فقلت : والله يا رسول الله مالنا نمارقُ ، قال : « إنها ستكونُ فإذا أنتَ قدِمْتُ فاعملِ عملا كئسا » قال : فلما جئنا صرارا أمر رسول الله ﷺ بجزورٍ فنحرتُ وأقننا عليها ذلك اليومَ ، فلما أمسى رسول الله ﷺ دخلَ ودخلنا . قال : فحدثتُ المرأةَ الحديثَ وما قال لي رسول الله ﷺ ، قالت : فدونك فسمعَ وطاعةً فلما أصبحتُ أخذتُ برأسَ الجملي فأقبلتُ به حتى أنخته على باب رسول الله ﷺ ، ثم جلستُ في المسجدِ قريبا منه ، قال : وخرج رسول الله ﷺ فرأى الجملي فقال : « ما هذا ؟ » قالوا : يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر ، قال : « فأين جابر » فدعيتُ له ، قال فقال : « يا ابنَ أخي خذ برأسَ جملِكَ فهو لك » قال : ودعا بلالا فقال : « اذهبْ بجابر فأعطه أوقية » قال : فذهبتُ معه فأعطاني أوقيةً وزادني شيئا يسيرا ، قال : فوالله ما زال ينمى عندي ويَرى مكانه من بيننا حتى أصيبَ أمسَ فيما أصيبَ لنا . يعني يومَ الحرةِ .

= الأوقية : أربعون درهما .

جامعة تجمع رؤوسهن : قادرة على العناية بأخوات جابر الصغيرات وحفظهن .

صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

نمارق : وسائل صغار .

دونك : افعل ما تريد .

تعليقات :

١ - علق الشيخ البوطي على حادثة عباد بن بشر في استغراقه بصلاته والسهام تنصب عليه بقوله : إنما الجهاد - كما علمه الرسول أصحابه وكما فهمه الصحابة منه - عبادة كبرى يتعلق فيها كيان المسلم كله بخالقه جل جلاله خاشعاً متبتلاً . وما ساعة يكون فيها المؤمن أقرب إلى ربه جل جلاله من تلك الساعة التي يستدبر فيها الدنيا ويستقبل بوجهه شطر الموت والاستشهاد .

ولذلك ، كان من الطبيعي جداً بالنسبة لذلك الأنصاري ، (عباد بن بشر) رضي الله عنه ، أن يشغل شطر حراسته من الليل بركعات خاشعة يقف فيها بين يدي ربه جل جلاله . وقد انصرفت مشاعره كلها إلى مناجاته بآيات من كتابه الكريم .

وكان من الطبيعي جداً أن لا يبالي بذلك السهم الذي أسرع فانحط في جسمه ، ولا بالسهم الثاني الذي تبعه ، لأن بشريته كلها إنما كانت في تلك الساعة مطوية ضمن مشاعره المنصرفة إلى ربه جل جلاله وقد غمرتها لذة المناجاة بين العبد وخالقه .

ولما ارتد شعوره إليه وأخذ يهتم بما قد أصابه ، لم يكن ذلك لمزيد من الألم بدأ يشعر به . وإنما للمسؤولية المنوطة به مخافة أن يضيعها بضياح حياته واستمرار سكوته . فكان ذلك هو الذي اضطره إلى أن يلتفت فيوقف صاحبه ليستلم منه أمانة الثغر الذي أنيط بهما حفظه .

وتأمل يا أخي المسلم في قوله رضي الله عنه : وإيم الله ، لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه ، لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها (أي الصلاة) ١ هـ .

٢ - وعلق كذلك على محادثته عليه الصلاة والسلام لجابر في الطريق بقوله : إنما ذكرنا قصة جابر بن عبد الله وما كان بينه وبين رسول الله ﷺ من المحادثة في طريق عودتهما إلى المدينة ، مع أنها لا تتعلق بشيء من أمر الغزوة لما فيها من الصورة الكاملة الدقيقة لخلق رسول الله ﷺ مع أصحابه ، وما انطوى عليه خلقه الكريم هذا من لطف في المعاشرة ورقة في الحديث وفكاهة في المحاوراة ومحبة شديدة لأصحابه .

فأنت إذا تأملت جيداً في هذه القصة التي سردناها . علمت أن النبي ﷺ كان متأثراً بالحنّة التي طافت على بيت جابر بن عبد الله . فقد استشهد والده في أحد . فقام هو - وهو أكبر أولاد أبيه - على شأن الأسرة ورعاية الأطفال الكثيرين الذين خلفهم له والده من ورائه . وهو على ذلك رقيق الحال ليس له نصيب وافر من الدنيا .

وكأنما استشعر رسول الله ﷺ في تأخر جابر عن القوم بسبب جَمَلِهِ الضعيف الذي لا يمتلك غيره . مظهراً لحالته العامة هذه .. (وقد كان من عادته ﷺ إذا سار مع صحبه في طريق . أن يتفقد أصحابه كلهم ويطمئن عليهم بين كل فترة وأخرى) . فانتهازها فرصة وتخلّف حتى التقى معه وراح يواسيه بأسلوبه الرقيق الفكاهة الذي رأيت ، في طريق ليس معها فيه ثالث .

عرض عليه ﷺ شراء بعيره ، وهو إنما يريد أن يجعل من ذلك ذريعة ومناسبة لإكرامه ومساعدته على وضعه الذي هو فيه . ثم سأله عن الزوجة والبيت . في أسلوب فكاهة رقيق ، وراح يطمئن الزوج الجديد ، أنهم إذا وصلوا قريباً من المدينة أقاموا ساعات هناك ، حتى يتسامع أهل المدينة بمقدمهم ، فتسمع زوجته ، فتصلح له من شأنها ، وتهيء له البيت بزيئته ونمارقه . وينساق معه جابر في الأسلوب نفسه فيقول : والله يا رسول الله ما لنا من غارق ! .. فيجيبه عليه الصلاة والسلام قائلاً : إنها ستكون .

صورة رائعة ، عن لطف معشره ، وأنس حديثه ، والفكاهة الحلوة في محاورته لأصحابه . ا.هـ

فصل : في غزوة بدر الآخرة

قال ابن كثير في البداية والنهاية :

وهي بدر الموعد التي تواعدوا إليها من أحد كما تقدم . قال ابن إسحاق : ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً ، ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول . قال ابن إسحاق : فنزل رسول الله ﷺ بدرأ وأقام عليه ثمانياً ينتظر أبا سفيان . وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مَجَنَّة من ناحية الظهران . وبعض الناس يقول : قد بلغ عُسْفان ثم بدا له في الرجوع فقال : يا معشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن . فإن عامكم هذا عام جذب وإني راجع فارجعوا . فرجع الناس فسامهم أهل مكة جيش السَّوَيْق^(١) يقولون إنما خرجتم تشربون السويق . قال وأتى مخشي بن عمرو الضمري وقد كان وادع النبي ﷺ في غزوة وَدَّان على بني ضَمْرَةَ فقال : يا محمد أجيئت للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : « نعم يا أخا بني ضَمْرَةَ وإن شئتَ ردَدْنَا إليك ما كان بيننا وبينك وجالدُناك حتى يحكم الله بيننا وبينك » قال : لا والله يا محمد ما لنا بذلك من حاجة . ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً .

وقد ذكر موسى بن عقبة عن الزهري وابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ استنفر الناس لموعد أبي سفيان ، وانبعث المنافقون في الناس يشبطونهم فسلم الله أوليائه ، وخرج المسلمون صحبة رسول الله ﷺ إلى بدر وأخذوا معهم بضائع ، وقالوا : إن وجدنا أبا سفيان وإلا اشترينا من بضائع موسم بدر ثم ذكر نحو سياق ابن إسحاق في خروج أبي سفيان إلى مجنة ورجوعه وفي مقولة الضمري ، وعرض النبي ﷺ المنايضة فأبى ذلك . قال الواقدي : خرج رسول الله ﷺ إليها في ألف وخمسمائة من أصحابه واستخلف

(١) السَّوَيْق : أن تمحص الخنطة أو الشعير أو نحو ذلك ، ثم تطحن ثم يسافر بها ، وقد تمزج باللبن والعسل والسمن ، وتُلت ، فإن لم يكن شيء من ذلك مزجت بالماء .

على المدينة عبد الله بن رواحة . وكان خروجه إليها في مستهل ذي القعدة يعني سنة أربع ،
والصحيح قول ابن إسحاق أن ذلك في شعبان من هذه السنة الرابعة .

قال الواقدي : فأقاموا ببندر مدة الموسم الذي كان يعقد فيها ثمانية أيام ، فرجعوا وقد
رجحوا من الدرهم درهمين . وقال غيره : فاتقلبوا كما قال الله عز وجل : ﴿ فانتقلبوا بنعمة
من الله وفضلٍ لم يمسسهم سوءٌ واتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (١) أ هـ .

أقول : قد مرّت معنا رواية حسنة السند عند الكلام عن غزوة (٢) حمراء الأسد تشير
إلى بدر الموعد فلم نر أن نذكرها واكتفينا بما قاله كتاب السير عنها لكي لا يكون في السياق
ثغر .

دروس بدر الآخرة :

إن أهم دروس بدر الآخرة قوة التصميم والسهرة على القضية ، فمن المعروف أنه في كل
قضية من القضايا تجد الناس بين متردد ومُقدِّم ، وههنا تأتي مهمّة القيادة في اتخاذ القرار
لتحسم التردد ، وبعد اتخاذ القرار تجد ناسا يشبّطون الهمم وههنا تأتي مهمّة القيادة في الحسم
والتصميم وردّ كلّ التردد والقضاء عليه ، فلا تعطي فرصة لمؤجّل أو مسوّف أن يفسد
الموقف .

وإنك لترى هذا كلّهُ مجسّدا برسول الله ﷺ في كلّ موقف وأظهر ما يظهر ذلك في
غزوة بدر الآخرة ، قارن بين موقفه عليه الصلاة والسلام وموقف أبي سفيان لتدرك الفارق
بين القيادة المصمّة والقيادة المترددة .

ومن بدر الآخرة تأخذ الدرس الآخر درس السهرة على القضية لقد عقد الموعد للمواجهة
أبو سفيان يوم أحد ، ولقد عقده من موقع القوّة في زعمه ، وهو بذلك يتحدّى ، ولكن
كيف تصرّف عندما حان الموعد ، وكيف تصرّف رسول الله ﷺ ؟ .

(١) آل عمران : ١٧٤ .

(٢) انظر (٦٠٠) من هذا الجزء .

ههنا سهر وهناك بطر ، والعجيب أنك لا تجد في جيش أبي سفيان من عارض ، ولا تجد أن أبا سفيان قد استشار ، تلك علل الشرك في ذلك الدهر ، قارن هذا كله ببعض ما نحن فيه : إنّ الكفر الآن ساهر على قضاياه ، وله مؤسساته ، وعنده تصميم على أمور كثيرة وهذا يقتضي منا سهرًا وتصميمًا ، وعلى القيادات الإسلامية أن ترتقي في القدوة إلى أعلى قمة مستطاعة .

* * *

فوائد عامة

من أحداث السنة الرابعة

١ - إنَّ الحكم ليس لعبة ولا تسلية ولا متعة ، وإنَّ بناء الدول ليس ألهيّة ولا عبثاً ، فكيف إذا كان الحكم إسلامياً ، والبناء يراد به ساحتا الدنيا والآخرة والحاضر والمستقبل ، إنَّ من يرى هذه السلسلة من العمليّات المتلاحقة والتضحيات الكثيرة يدرك ماهيّة الطريق لحفظ الحكم وإقامة البناء ، إنَّك ترى في حياة رسول الله ﷺ اليقظة الدائمة والحذر الدائم والجديّة في الصغيرة والكبيرة وعلى المسلمين جميعاً أن يدركوا هذا الدرس ، إنَّ العرض والدين والمال والحكم لا يصحّ أن تطرف عين الإنسان فيها إلا على وعي وحذر ، فإذا ما نامت العيون على واحدة من هذه الشؤون فما أسرع أن تصاب ولات ساعة مندم .

٢ - الناس قسمان فمنهم عاملون ومنهم قاعدون ، فالقاعدون لا يرتكبون خطأ القعود فقط ولكنهم يعطون أنفسهم فرصة نقد لهذا العالم ، فهؤلاء هم الأخس في التاريخ ، والعاملون نوعان : فمنهم من يمتلك روح المبادرة والمبادرة ومنهم من يعمل ضمن حدود المكرر والمعاد ، فالآخرون عاجزون عن التطوير والتنفيذ ، وليس لهم مكان في عليّة البناء ، والذين يمتلكون روح المبادرة والمبادرة قسمان : فمنهم المتهوّنون المغامرون ، ومنهم الحكماء المتأثّنون ، فهؤلاء وحدهم هم البناة ، ومع ذلك فالحسائر لابد منها ، هذا رسول الله ﷺ وهو أعظم البناة في تاريخ البشريّة أصيب في الرجيع وفي بئر معونة ترى ماذا يقول القاعدون في قيادة حالية تخسر مثل هذه الخسارة ؟ ! ألا إن درسيّ الرجيع وبئر معونة عزاء للقادة وردّ أي ردّ على القاعدين .

٣ - وفي أمره عليه الصلاة والسلام لزيد بن ثابت أن يتعلّم اللسان العبراني إشارة إلى أنّه عليه الصلاة والسلام ما كان يشغله شيء عن شيء ، فبناء الأمة لابد أن يكون على ضوء خريطة شاملة ، وهذه الخريطة ينبغي أن يلاحظ فيها احتياجات الأمة فإذا كان المهندس مكلفاً أن يوجد خريطة تسع الزمان والمكان فما أصعب مهمّته ، وإنَّك لتجد رسول الله ﷺ هو ذلك المهندس ، الذي لا يغفل عن احتياج من احتياجات البناء بما يسع الحاضر وبما يستوعب المستقبل .

٤ - عرضت لنا أثناء أحداث هذه السنة وعرض لنا من قبل وسيعرض لنا من بعد أبيات من الشعر تقال بمناسبة ما ، وهذا الموضوع لم نشأ أن نتوسّع فيه لقلة ما يرد منه في الروايات الصحيحة ، مع أنّه من أخطر المواضيع على الإطلاق ولذلك نكتفي بالتنبية إليه ليضعه العاملون على ذكر منهم : إنّ الجهاد باللسان هو شطر الجهاد ، وإن كان شطره الأقل كلفة ، ولكنّه في بعض الأحيان يكون أكثر نجاعة ولذلك ذكره الرسول ﷺ في أكثر من حديث : « ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن » ^(١) ، « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » ^(٢) .

وهذا الجهاد باللسان له صور متعددة فقد يكون خطبة وقد يكون قصيدة وقد يكون كتاباً أو رسالة أو مقالة ...

والشعر قديماً في حياة العرب هو الإعلام كلّهُ فهو الحرب النفسيّة ، وهو الدعوة والدعاية ، وهو التعبير عن الذات ، وهو الدفاع عن الحق فن غلب فيه غلب ، وقد أعطى الرسول ﷺ هذه المعاني كلّها مداها ، وبالنسبة للشعر فقد كان له أكثر من شاعر : حسان ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة وكلّ أحداث السيرة كانت تغطّى شعراً ، وكل قصيدة للكافرين كانت تقابل بقصيدة أو قصائد ، وكان لغلبة شعرائه في معاركهم الشعريّة أثر قويّ على أعدائه ، لقد طرد كعب بن الأشرف بسبب هجاء من حسان لمن أنزله عنده ، وكان عليه الصلاة والسلام يقول لحسان عن شعره : (هو أشد عليهم من نضح النبل) ^(٣) ولقد كانت العرب في الماضي إذا نبغ فيهم الشاعر تعاودوه ، وكان هذا من شأن رسول الله ﷺ ، وعلى الحركة الإسلاميّة المعاصرة أن تفتن لهذا وما يحيط به فترعى شعراءها وتشجّعهم ، وترعى منشديها وكتّابها وعلماءها ودعاتها وتشجّعهم ، وجماعة على أرض العرب

(١) مسلم مطولا (١ / ٧٠) عن ابن مسعود ١ - كتاب الإيمان - ٢٠ - باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان .

(٢) أحمد في مسنده (٣ / ٢٤ ، ١٥٢ ، ٢٥١) عن أنس . وإسناده صحيح .

وأبو دواد (١ / ١٠٣) عن أنس في كتاب الجهاد ، باب كراهية ترك الغزو .

والنسائي (٦ / ٧) عن أنس في كتاب الجهاد ، باب وجوب الجهاد .

والدارمي (٢ / ٢١٣) عن أنس في كتاب الجهاد ، باب في جهاد المشركين . باللسان واليد .

(٣) النسائي (٥ / ٢١١) عن أنس في كتاب مناسك الحج ، باب استقبال الحج ، بلفظ : « لكلامه أشد عليهم من وقع النبل » .

لا ترعى شاعرا ولا تشجع منشداً لا تصلح أن تسوس العرب ولا أن تقودهم .

* * *

تقويم الموقف في نهاية السنة الرابعة

لقد كانت خسائر أحد كبيرة وجاءت خسارة الرجيع وبئر معونة فزادت الطين بلة ، ومع أن رسول الله ﷺ حاول تلافي آثار ذلك كله مباشرة ، ولكن الآثار أكبر ، فلا قريش أصيبت ولا الذين أساءوا في الرجيع وبئر معونة نالهم القصاص ، وأصبح لليهود أكثر من ثأر ، وعواطف المشركين متأججة ، وما حدث في أحد وما بعدها شجعهم ، وهذا كله جعل الأيام حبلى بالعواصف ، وجاءت ذروة العواصف في السنة الخامسة حيث كانت غزوة الأحزاب ، فغزوة الأحزاب كانت ذروة تصاعد الخط البياني للمشركين ثم بدأ الانحدار ، وهي بالنسبة للمسلمين كانت ذروة الشدة ثم بدأ الانفراج . ونستطيع أن نقول إن الخط البياني بالنسبة للمسلمين كان يرتفع بصعوبة منذ أحد ، ولكنه ما توقّف أبداً عن الارتفاع فالمسلمون يتكاثرون بدليل أن مقاتليهم يوم أحد كانوا سبعائة بينما عبأ الرسول ﷺ لبدر الآخرة ألفاً وخمسمائة ، فلنر كيف ستسير الخطوط البيانية في السنة الخامسة .

* * *

السَّنةُ الْخَامِسَةُ لِلْهِجْرَةِ

السنة الخامسة في سطور

* قبل خمسة أيام من نهاية شهر ربيع الأول خرج رسول الله ﷺ في ألف من المسلمين نحو دومة الجندل القريبة من بلاد الشام ، بعد أن بلغه أن القبائل حولها تنهب ما يمر ، وأنها قد حشدت جمعا كثيرا تريد أن تهاجم به المدينة ، ففاجأهم وأصاب من أصاب منهم وفرّ الباقون . وأقام هناك أياما يث السرايا ويرسل الجيوش وهنا وهناك ثم رجع إلى المدينة بعد أن وادع عيينة ابن حصن .

* وفي شوال من السنة الخامسة غزا أكبر جيش أفرزته الجزيرة العربية حتى ذلك الحين المدينة بزعامه قريش وبتواطؤ مع يهود المدينة ، واستطاعت قريش أن تحشد حوالي عشرة آلاف مقاتل حاصرت بها المدينة ، وأحكم الطوق على المدينة بخيانة بني قريظة واستمر الحصار أكثر من شهر - إلى نهاية ذي القعدة إلى سبع بَقِين منه على رواية ابن سعد - وقد ردّ الله كيدهم في نحورهم .

* وفي اليوم الذي رجع فيه رسول الله ﷺ إلى المدينة من الحصار عبأ لبني قريظة وحاصرهم بثلاثة آلاف مسلم حتى نزلوا على حكمه بعد حصار دام خمسا وعشرين ليلة .

* وفي ذي الحجة من هذه السنة أرسل رسول الله ﷺ مفرزة إلى خيبر فقتلت سلام بن أبي الحقيق الذي كان له دور في تأليب الأحزاب وإمدادهم ، وكان كثير الأذى لرسول الله ﷺ .

* وفي هذه السنة تمّ زواج رسول الله ﷺ من أم حَبِيبَة بنت أبي سفيان ومن زينب بنت جحش رضي الله عنهما ونزل الحجاب صبيحة عرس زينب ، فكان ذلك خطوة اجتماعية كبيرة تؤكد نوعا من الحجز بين الرجال والنساء .

* * *

وكانت غزوة دومة الجندل استمراراً للحركة العسكرية في السنة الرابعة فاستكملت بذلك الحركة العسكرية كلّ الجهات المحيطة بالمدينة فلم تبقى جهة إلا وأحسّت بحركة المسلمين

العسكرية ، وبموادعة عيينة بن حصن في هذه الغزوة اجتمع مع الحركة العسكرية العمل السياسي ، ولكن ما حدث يوم أحد ويوم الرجيع ويوم بئر معونة من ناحية ، وهذه التحركات من ناحية أخرى ، والتفكير الذي أورثته الأوضاع الجديدة أوجد حركة مناوئة قوية ، هذه الحركة استهدفت تجميع غير المسلمين على هدف واحد هو استئصال الإسلام والمسلمين ، وكان الذي قاد هذا التحرك هم اليهود ، وصادف ذلك استعدادا عند كل الأطراف ، فقريش لم تخرج إلى موعدها في بدر السنة الرابعة ، وغطفان وغيرها من قبائل العرب استهدفتها حملات الرسول ﷺ أكثر من مرة ، واليهود أصبحت لهم تارات ، وهكذا وفجأة تتحد قوى الشرك والكفر ضد رسول الله ﷺ وتسير نحوه في أعظم حشد صادفه رسول الله ﷺ ، وههنا يبلغ الخط البياني للكافرين ذروته ، وتبلغ الهنة بالنسبة للمسلمين ذروتها . ولقد كان رسول الله ﷺ حريصاً ألا يعطي لأعدائه فرصة للتجمع ضده ، وهما هم هؤلاء يجتمعون ، فحاول تفريقهم من خلال إغراء بعضهم ، ثم فرّقهم خلال خدعة ، وجاء الله بالفرج ، وههنا نجد جديداً في السياسة العسكرية لرسول الله ﷺ فقد تجنّب رسول الله ﷺ القتال التصادمي لقلّة جنده وكثرة العدو ، وهذا الموقف يثير أماننا مجموعة من المسائل ، وبعد أن فشلت حملة الأحزاب توجّه رسول الله ﷺ إلى قريظة التي نقضت عهدها في أخرج لحظة وكان من أمرها ما سناه ، وكذلك فإنّ هذه الحادثة تضعنا أمام مجموعة من المسائل .

* * *

وقد سجّل القرآن غزوتي الأحزاب وقريظة ، والقرآن كمهدنا به يسجّل الخالدات التي تسع الزمان والمكان ، فإن يسجّل غزوتي الأحزاب وقريظة فذلك شأنه ، فالمسلمون معرضون دائماً لأن يغزوا في عقر دارهم وفي عواصم بلدانهم ، ومعرضون لأن يتكالب عليهم الأعداء جميعاً ، والأعداء دائماً يعتبرون غير المسلمين على الأرض الإسلامية مظنة طمع وغدر ، فإن يسجّل القرآن حادثتي الأحزاب وقريظة فذلك كما قلنا في هاتين الحادثتين من سمة القابلية للتكرار على مدى العصور .

* * *

وبجانب هذا نجد حركة البناء التشريعي والاجتماعي للأمة الإسلامية تتكامل فنظام التبنّي يهدم ، والحجاب يفرض .

هذه هي أهم أحداث السنة الخامسة ونحن سنعقد لأهم أحداثها فصولاً :

فصل : في غزوة دومة الجندل .

فصل : في غزوتي الأحزاب وقريظة .

فصل : في سرية عبد الله بن عتيك رضي الله عنه لقتل أبي رافع .

فصل : في زواجه عليه الصلاة والسلام من زينب بنت جحش رضي الله عنها .

* * *

فصل : في غزوة دومة الجندل

قال ابن القيم في زاد المعاد :

وهي بضم الدال ، وأما دومة بالفتح ، فكان آخر . خرج إليها رسول الله ﷺ في ربيع الأول سنة خمس . وذلك أنه بلغه أن بها جمعاً كثيراً يريدون أن يذئبوا من المدينة ، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة . وهي من دمشق على خمس ليال ، فاستعمل على المدينة سباع بن عرفة الغفاري ، وخرج في ألف من المسلمين ، ومعه دليل من بني عذرة ، يقال له : مذكور ، فلما دنا منهم ، إذا هم مغربون . وإذا آثار النعم والشاء فهجم على ماشيتهم ورعاتهم ، فأصاب من أصاب ، وهرب من هرب ، وجاء الخبر أهل دومة الجندل ، فتفرقوا ، ونزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يجد فيها أحداً ، فأقام بها أياماً ، وبث السرايا ، وفرق الجيوش . فلم يصب منهم أحداً ، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ، ووادع في تلك الغزوة عيينة بن حصن . أ هـ .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية :

فلما دنا من دومة الجندل أخبره دليله بسوالم بني تميم ، فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه ، وجاء الخبر أهل دومة الجندل فتفرقوا ، فنزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يجد فيها أحداً ، فأقام بها أياماً ، وبث السرايا ثم رجعوا وأخذ محمد بن مسلمة رجلاً منهم فأقن به رسول الله ﷺ ، فسأله عن أصحابه فقال هربوا أمس ، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام فأسلم ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة . قال الواقدي : وكان خروجه عليه السلام إلى دومة الجندل في ربيع الآخر سنة خمس . قال : وفيه توفيت أم سعد بن عبادة ، وابنها مع رسول الله ﷺ في هذه الغزوة ، وقد قال أبو عيسى الترمذي في جامعه ^(١) : حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب : أن أم سعد ماتت والنبي ﷺ غائب ،

(١) الترمذي (٣ / ٢٤٧) ٨ - كتاب الجنائز - ٤٧ - باب ما جاء في الصلاة على القبر .

فلما قدم صلى عليها وقد مضى لذلك شهر وهذا مرسل جيد ، وهو يقتضي أنه عليه السلام غاب في هذه الغزوة شهراً فما فوقه على ما ذكره الواقدي رحمه الله . أ هـ .

* * *

فصل : في غزوتي الأحزاب وقريظة

١ - من تحقیقات کتاب السیر :

قال ابن القيم في زاد المعاد :

وكان سبب غزوة الخندق أن اليهود لما رأوا انتصارَ المشركين على المسلمين يومَ أحد ، وعلموا ببعادِ أبي سفيان لغزو المسلمين ، فخرج لذلك ، ثم رجع للعام المُقبل ؛ خرج أشرافهم ، كسلاًم بن أبي الحقيق ، وسلاًم بن مِشْكَم ، وكِنانة بن الرِّبيع وغيرهم إلى قريش بمكة يَحْرِضُونَهُمْ عَلَى غَزْوِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَيُؤَلِّبُونَهُمْ عَلَيْهِ ، ووعدوهم من أنفسهم بالنَّصْرِ لهم ، فأجابَتْهُمْ قريشٌ ، ثم خرجوا إلى غَطَفَانَ فدَعَوْهُمْ ، فاستجابوا لهم ، ثم طافوا في قبائل العرب ، يدعونهم إلى ذلك ، فاستجاب لهم من استجاب ، فخرجت قُريشٌ وقائدهم أبو سفيان في أربعة آلاف ، ووافَتْهُمْ بنو سَلَمٍ بِمَرِّ الظُّهْرَانِ ، وخرجت بنو أسد وفَرَازَة ، وأشجع ، وبنو مِرَّة ، وجاءت غَطَفَانُ وقائدهم عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ . وكان مَنْ وافى الخندقَ مِنَ الكفار عشرة آلاف .

فلما سَمِعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بمسيرهم إليه ، استشار الصحابة ، فأشار عليه سلمانُ الفارسي بحفرِ خندقٍ يَحُولُ بين العدوِّ وبين المدينة ، فأمر به رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فبادر إليه المسلمون ، وعَمِلَ بنفسه فيه ، وبادروا هجُومَ الكُفَّارِ عليهم ، وكان في حَفْرِه من آياتِ نُبوته ، وأعلام رسالته ما قد تواتر الخبرُ به ، وكان حفرُ الخندق أمامَ سَلْعٍ ، وسَلْعٌ : جبل خلفَ ظهورِ المسلمين ، والخندقُ بينهم وبين الكفار .

وقال الشيخ أبو الحسن الندوي :

وقد تم حفر الخندق من شمالي المدينة الشرقي إلى غربيها ، وكان حده الشرقي طرف حرة واقم ، وحده الغربي غربي وادي بَطْحَان ، حيث طرف الحرة الغربية (حَرَّةُ الْوَبْرَةِ) - انظر الخارطة بعد صفحات .

وقسم رسول الله - ﷺ - الخندق بين أصحابه ، لكل عشرة منهم أربعين ذراعاً ، وقد

بلغ طول الخندق حوالي خمسة آلاف ذراع ، وعمقه من سبعة أذرع إلى عشرة ، والعرض من تسعة إلى ما فوقها . أ هـ .

قال ابن القيم : « ونقضت قريظة العهد واشتد الأمر على المسلمين . وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فتحصن بالجبل من خلفه ، وبالخندق أمامهم .

وأقام المشركون محاصرين رسول الله ﷺ شهراً ، ولم يكن بينهم قتال لأجل ما حال الله به من الخندق بينهم وبين المسلمين ، إلا أن قواريس من قريش ، منهم عمرو بن عبد ود وجماعة معه أقبلوا نحو الخندق ، فلما وقفوا عليه ، قالوا : إن هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها ، ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق ، فاقتحموه ، وجالت بهم خيلهم في السبخة بين الخندق وسلع ، ودعوا إلى البراز ، فانتدب لعمرو علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فبارزه ، فقتله الله على يديه ، وكان من شجعان المشركين وأبطالهم ، وانهمز الباقيون إلى أصحابهم ، وكان شعار المسلمين يومئذ (حم لا ينصرون) . أ هـ .

قال الفزالي في فقه السيرة : قال موسى بن عقبة : وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن من كتائبهم . فحاصروهم قريباً من عشرين ليلة ، وأخذوا بكل ناحية حتى لا يدري : أتمهم أم لا ؟ - هل احتلوا البلد أم لا ؟ قال : ووجهوا نحو منزل ^(١) رسول الله ﷺ كتيبة غليظة فقاتلها المسلمون يوماً إلى الليل ، فلما حانت صلاة العصر دنت الكتيبة - من المنزل - فلم يقدر النبي عليه الصلاة والسلام ولا أحد من أصحابه ، أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا .

وانكفأت الكتيبة المشتركة مع الليل ، وقال رسول الله ﷺ : « شغلونا عن صلاة العصر ملأ الله بطونهم وقلوبهم ناراً » ^(٢) . أ هـ .

(١) منزل رسول الله ﷺ : المراد به : مكان نزوله .

(٢) البخاري (٨ / ١١٥) - ٦٥ - كتاب تفسير ٤٢ - باب (حافظوا على نصرتنا ، الصلاة الوسطى) عن علي رضي الله عنه .

ومسلم (١ / ٤٣٧) ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - ٣٦ - باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر . عن علي أيضاً .

قال ابن القيم : ولما طالت هذه الحال على المسلمين ، أراد رسول الله ﷺ أن يُصالح عِيسَى بْنَ حِصْنٍ ، والحَارِثَ بْنَ عَوْفٍ رُئِيسِي غَطَفَانَ ، على ثَلَاثِ ثِيَارِ الْمَدِينَةِ ، وينصرفا بقومهما ، وجرت المِراوِضَةُ على ذلك ، فاستشار السُّعْدِيُّ فِي ذَلِكَ ، فقالا : يا رسول الله ! إِنْ كَانَ اللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا ، فسمِعاً وطاعةً ، وَإِنْ كَانَ شَيْئاً تَصْنَعُهُ لَنَا ، فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ . أ هـ .

ثم إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْهَى هَذَا الْإِبْتِلَاءَ الْعَظِيمَ بِخَدْعَةٍ مِنْ نَعِيمِ بْنِ مَسْعُودٍ وَبِإِلْقَاءِ الرَّعْبِ وَتَسْلِيْطِ الرِّيحِ فَانْسَحَبَتِ الْأَحْزَابُ .

قال ابن القيم : وأرسلَ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ جُنْدًا مِنَ الرِّيحِ ، فَجَعَلَتْ تُقَوِّضُ خِيَامَهُمْ ، وَلَا تَدْعُ لَهُمْ قِذْرًا إِلَّا كَفَّأَتْهَا ، وَلَا طَنْبًا ، إِلَّا قَلَعَتْهُ ، وَلَا يَقْرُرُ لَهُمْ قَرَارٌ ، وَجُنْدُ اللَّهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَزْلُزِلُونَهُمْ . وَيَلْقَوْنَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَةَ وَالْخَوْفَ ، وَأرسلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُذِيفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَأْتِيهِمْ بِخَبَرِهِمْ ، فوجدَهم على هذه الحال ، وقد تهيَّؤوا لِلرَّحِيلِ . فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأخبره بِرَحِيلِ الْقَوْمِ . فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ عَدُوَّهُ بِغِيْظِهِ ، لَمْ يَنْأَلُوا خَيْرًا ، وَكَفَاءَ اللَّهِ قِتَالَهُمْ ، فَصَدَقَ وَعْدُهُ ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ، فَدَخَلَ الْمَدِينَةَ وَوَضَعَ السِّلَاحَ ، فَجَاءَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ يَغْتَسِلُ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ ، فَقَالَ : أَوْضَعْتُمُ السِّلَاحَ ؟ ! إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمْ تَضَعْ بَعْدَ أَسْلِحَتِهَا ، أَنْهَضُوا إِلَى غَزْوَةِ هَؤُلَاءِ ، يَغْنِي بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَنَادَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطِيعًا ، فَلَا يَصْلِيَنَّ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ » ، فَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ سِرَاعًا ، وَاسْتَشْهَدَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَيَوْمَ قُرَيْظَةَ نَحْوُ عَشْرَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

وأما قُرَيْظَةُ ، فَكَانَتْ أَشَدَّ الْيَهُودِ عَدَاوَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَغْلَظَهُمْ كُفْرًا وَلِذَلِكَ جَرَى عَلَيْهِمْ مَا لَمْ يَجْرِ عَلَى إِخْوَانِهِمْ .

وكان سببُ غزوهم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لما خَرَجَ إِلَى غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ وَالْقَوْمِ مَعَهُ صَلُحَ ، جَاءَ حَبِيبُ بْنُ أَخْطَبٍ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فِي دِيَارِهِمْ ، فَقَالَ : قَدْ جِئْتُكُمْ بِعَمْرِ الدَّهْرِ ، جِئْتُكُمْ بِقُرَيْشٍ عَلَى سَادَتِهَا ، وَغَطَفَانَ عَلَى قَادَتِهَا ، وَأَنْتُمْ أَهْلُ الشُّوْكَةِ وَالسِّلَاحِ ، فَهَلُمْ حَتَّى نَنَاجِزَ مُحَمَّدًا وَنَفْرُغَ مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ رُئِيسُهُمْ : بَلْ جِئْتَنِي وَاللَّهِ بِذَلِكَ الدَّهْرِ ، جِئْتَنِي بِسَحَابٍ قَدْ أَرَاكَ مَاءَهُ . فَهُوَ

يرعُد ويبرق ، فلم يزل حَيُّ يُخادعه وَيَعِدُّهُ وَيُؤْمِنُهُ حَتَّى أَجَابَهُ بِشَرط أَنْ يَدْخُلَ مَعَهُ فِي حِصْنِهِ ، يُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ ، ففعل ، ونقضوا عهدَ رسول الله ﷺ ، وأظهروا سبَّهُ ، فبلغ رسول الله ﷺ الخبرَ ، فأرسل يستعلمُ الأمرَ ، فوجدهم قد نقضوا العهدَ ، فكبر وقال : « أُبَشِّرُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ » أ هـ .

تمّ جلا الأحزاب كما مرّ ، وحاصر رسول الله ﷺ قريظة حتّى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فحكمَ فيهم رسول الله ﷺ سعد بن معاذ مراعاةً للأوس حلفائهم في الجاهلية فحكم أن يقتل الرجال وتسبى الذرية وتقسم الأموال ونفذ رسول الله ﷺ الحكم .

وبمناسبة الكلام عن غزوة قريظة ذكرَ الشيخ أبو الحسن الندوي بالعهود التي كانت بين يدي رسول الله ﷺ وبين بني قريظة ، كما ذكرَ أنَّ أحكام التوراة الحالية لا تخرج عمّا فعله رسول الله ﷺ بهم وإنّا يذكرُ بذلك - حفظه الله - من باب الرد على احتمالات النقد التي يمكن أن يشنها اليهود أو من يتأثر بهم . قال :

كان رسول الله ﷺ لما قدم المدينة ، كتب كتابا بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم ، واشترط عليهم ، وجاء فيه : « أنه من تبعنا من يهود ، فإن له النصرة والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ، وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وأن قبائل يهود أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم » .

وجاء فيه : « أن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم ، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب » .

ولكن حيّ بن أخطب اليهودي - سيد بني النضير - نجح في حمل بني قريظة على نقض العهد ، وبملاة قريش ، بعد ما قال سيدهم كعب بن أسد القرظي : لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء ونقض كعب بن أسد عهده ، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ .

وكان ما عامل به رسول الله ﷺ - بني قريظة مما اقتضته سياسة الحرب وطبيعة

القبائل العربية واليهودية ، وكان لابد من عقوبة صارمة تكون درساً للعابثين بالمهود والمخالفات ونكالا لما بين يديها وما خلفها ، يقول R. V. C, Bodley في كتابه « حياة محمد الرسول » :

« كان محمد وحيداً في بلاد العرب وكانت هذه البلاد من حيث المساحة ثلث الولايات المتحدة الأمريكية ، وكان عدد النفوس فيها يبلغ خمسة ملايين نفس ... ولم يكن عنده من الجيوش التي تحمل الناس على امتثال أمره إلا الجيش الذي لا يزيد على ثلاثة آلاف جندي ، ولم يكن هذا الجيش مسلحاً تسليحاً كاملاً ، فإذا وهن محمد في هذه القضية أو ترك جريئة غدر بني قريظة من غير أن يعاقبهم عليها ، لم يكن للإسلام في جزيرة العرب بقاء ، إنه لا شك أن عملية قتل اليهود كانت عنيفة ، ولكن لم يكن ذلك حادثاً فريداً من نوعه في تاريخ الديانات ، وقد كان لهذا العمل مبرر من وجهة نظر المسلمين ، وقد تحتم الآن على القبائل العربية واليهود أن يتأملوا مرة بعد مرة قبل أن يقدموا إلى غدر أو نقض عهد ، لأنهم قد عرفوا عواقبه الوخيمة وشاهدوا أن محمداً يستطيع أن ينفذ ما يريد .

وقد كان من فوائد القضاء على آخر حصن من حصون اليهود في المدينة الضعف الذي طرأ على معسكر النفاق ، ونشاط المنافقين ، فقد أثر ذلك في معنويتهم ، وأفقدتهم الشيء الكثير من الثقة ، والآمال الواسعة ، فقد كانوا آخر معقل من معاقلهم الكبيرة ، يقول الدكتور إسرائيل ولفنسون معلقاً على غزوة بني قريظة :

« وأما المنافقون فقد خفت صوته بعد يوم قريظة ، ولم نعد نسمع لهم أعمالاً أو أقوالاً تناقض إرادة النبي وأصحابه ، كما كان يفهم ذلك من قبل » .

وقد وافق ذلك قانون الحرب في شريعة بني إسرائيل ، فقد جاء في سفر التثنية (الإصحاح العشرون ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣) :

« حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح ، وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ، ويستعبد لك ، وإن لم تسلمك ، بل عملت معك حرباً ، فحاصرها ، وإذا دفع الرب إهلك إلى يدك ، فاضرب جميع

ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيتها فتفتتها لنفسك ، وتأكل غنية أعدائك التي أعطاك الرب إلهك » .

وهذه كانت العادة المتبعة في بني إسرائيل في عهد أنبيائهم ، فقد جاء في التوراة :

« فتجندوا على مديان كما أمر الرب ، وقتلوا كل ذكر وملوك مديان قتلهم فوق قتلاهم ، أوى وراقم ، وصور ، وهور ، ورابع خمسة ملوك مديان ، وبلعام بن باعور قتلوه بالسيف وسبى بنو إسرائيل نساء كل مديان وأطفالهم ، ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم ، وأحرقوا جميع مدنها بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار » . سفر العدد ، الإصحاح الحادي والثلاثون ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ .

وذلك في عهد موسى - عليه السلام - وبموافقة منه ، وقد جاء في التوراة :

« فخرج موسى والعازار الكاهن وكل رؤساء الجماعة لاستقبالهم إلى خارج الحلة ، فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب ، وقال لهم موسى : هل أبقيتم كل أنثى حية » سفر العدد ، الإصحاح الحادي والثلاثون ١٣ - ١٦ . أ هـ .

* * *

٢ - روايات في غزوة الأحزاب :

٤٤٧ هـ - روى الطبراني عن ابن عباس قال : احتفر رسول الله ﷺ الخندق ، وأصحابه قد شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع ، فلمّا رأى ذلك رسول الله ﷺ قال : « هل دلّتم على أحد يطعمنا أكلة » قال رجل : نعم قال : « أمّالا فتقدّم فدّلنا عليه » فانطلقوا إلى الرجل فإذا هو في الخندق يعالج نصيبه منه ، فأرسلت امرأته أن جاء فإن رسول الله ﷺ قد أتانا ، فجاء الرجل يسعى فقال : بأبي وأمي ، وله معزة ومعها جديها فوثب إليها ، فقال النبي ﷺ : « الجدّي من ورائنا » فدّبح الجدّي وعمدت امرأته إلى طحينة

٤٤٧ هـ - المعجم الكبير (١١ / ٣٧٦) قال الميثقي في مجمع الزوائد (٦ / ١٣١) : ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد ابن حنبل ونعيم العنبري ، وهما ثقتان .

لَهَا فَعَجَّنتَهَا وَخَبَزَتْ فَأَدْرَكَتِ الْقِدْرُ فَثَرَدَتْ قَصَعَتْهَا فَقَرَّبَتْهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ، فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْبَعَهُ فِيهَا فَقَالَ : « بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهَا ، اطْعَمُوا » فَأَكَلُوا مِنْهَا حَتَّى صَدَرُوا وَلَمْ يَأْكُلُوا مِنْهَا إِلَّا ثُلُثَهَا وَبَقِيَ ثُلَاثُهَا ، فَسَرَّحَ أُولَئِكَ الْعَشْرَةَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ « أَنْ اذْهَبُوا وَسَرَّحُوا إِلَيْنَا بِعِدَّتِكُمْ » ، فَذَهَبُوا وَجَاءَ أُولَئِكَ الْعَشْرَةَ فَأَكَلُوا مِنْهَا حَتَّى شَبِعُوا ، ثُمَّ قَامَ وَدَعَا لِرَبِّهِ الْبَيْتِ وَسَمَّتْ عَلَيْهَا وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهَا ثُمَّ تَمَشُّوا إِلَى الْخَنْدَقِ فَقَالَ : « اذْهَبُوا بِنَا إِلَى سَلْمَانَ » فَلِذَا صَخْرَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ قَدْ ضَعُفَتْ عَنْهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ : « دَعُونِي فَأَكُونَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَهَا » فَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ « فَضَرَبَهَا فَوَقَعَتْ فِلْقَةً فِلْقَةً ثُلُثُهَا فَقَالَ : « اللَّهُ أَكْبَرُ قُصُورِ الرُّومِ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ » ثُمَّ ضَرَبَ بِأُخْرَى فَوَقَعَتْ فِلْقَةً فَقَالَ : « اللَّهُ أَكْبَرُ قُصُورِ فَارِسَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ » فَقَالَ عِنْدَهَا الْمُنَافِقُونَ : نَحْنُ نَخْنَدِقُ عَلَى أَنْفُسِنَا وَهُوَ يَعِدُنَا قُصُورَ فَارِسَ وَالرُّومِ .

٤٤٨ - * وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْخَنْدَقِ فَخَنْدَقَ عَلَى الْمَدِينَةِ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا وَجَدْنَا صَفَاةً لَا نَسْتَطِيعُ حَفَرَهَا ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَفَنَّا مَعَهُ فَلَمَّا أَتَى أَخَذَ الْمِغُولَ فَضَرَبَ بِهِ ضَرْبَةً وَكَبَّرَ فَسَمِعَتْ هَدَّةٌ لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهَا قَطُّ ، فَقَالَ : « فُتِحَتْ فَارِسُ » ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى وَكَبَّرَ فَسَمِعَتْ هَدَّةٌ لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهَا قَطُّ ، قَالَ : « فُتِحَتْ الرُّومُ » ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى وَكَبَّرَ فَسَمِعَتْ هَدَّةٌ لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهَا قَطُّ ، فَقَالَ : « وَجَاءَ اللَّهُ بِحُمَيْرٍ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا » .

٤٤٩ - * رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَخْبَرَنِي مَنْ هُوَ خَيْرٌ

فَثَرَدَتْ : تَرَدَّدَ الْخَبْرُ ثَرْدًا : فَتَهُ ثُمَّ بَلَغَ بِمَرَقِي .

سَمَّتْ عَلَيْهَا : التَّسْمِيَةُ وَالتَّشْمِيَةُ : الدَّعَاءُ .

الْفِلْقَةُ : الْقِطْعَةُ .

٤٤٨ - أَوْرَدَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَالِدِ (٦ / ١٣١) ، وَقَالَ : رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا حَبِيبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَثَقَّهُ

ابْنُ مَعِينٍ وَضَعَفَهُ جَمَاعَةٌ ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ .

الصَّفَاةُ : الصَّخْرَةُ .

الْهَدَّةُ : الصَّوْتُ وَالْخَسْفُ .

٤٤٩ - مُسْلِمٌ (٤ / ٢٢٣٥) ٥٢ - كِتَابُ الْفَتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ - ١٨ - بَابُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ ، فَيَتَنَبَّأُ أَنْ

يَكُونُ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ .

مِنِّي - أبو قتادة - أن رسول الله ﷺ قال لِعِمَارٍ حين جَعَلَ يَحْفِرُ الخندق ، وجعل يَمْسَحُ رأسه ، ويقول : « بُؤْسَ ابنِ سُمَيَّةَ ، تَقْتُلُكَ فِتْنَةٌ بِأَغْيَةٍ » وفي رواية (١) : مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، ولم يَسْمَهُ ، وفي أخرى ويقول : « وَيُسَ ، أو يَاوَيْسَ ابنِ سُمَيَّةَ » .

لقد وقع عدد من المعجزات في غزوة الخندق منها الذي ظهرت المعجزات فيه فيما بعد ، ومنه ما كان معجزة مرئية شاهدها أصحاب رسول الله ﷺ ، وهذه المعجزات كانت تثبيتاً للمؤمنين وقتذاك ، وهي تثبيت للمؤمنين إلى قيام الساعة ، ومن معجزات الخندق تكثير الطعام عند جابر وسنراه في باب المعجزات ، ومنها فلقه عليه الصلاة والسلام الصخرة وما قاله أثناءها ومنها الإخبار عَمَّن يقتل عماراً ومنها إخباره أن قريشاً لن تغزوهم مرة أخرى .

٤٥٠ - * روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : جَعَلَ المهاجرون والأنصارُ يَحْفِرُونَ الخندقَ حَوْلَ المدينة ، وَيَنْقُلُونَ الترابَ على مَتُونِهِمْ ويقولون .

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الجهادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا

قال : يقول النبي ﷺ وهو يُجِيبُهُمْ وَيَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ ، فَبَارِكْ فِي الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ » .

وروى البخاري (٢) أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال : خَرَجَ رسول الله ﷺ إلى الخَنْدِيقِ ، فإذا المهاجرون والأنصارُ يَحْفِرُونَ في عِدَاةٍ بَارِدَةٍ ، فلم يَكُنْ لهم عبيدٌ يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ما بهم من النَّصَبِ والجُوعِ قال : « اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ ، فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ » فقالوا مُجِيبِينَ له :

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الجهادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا

= بؤس : ترحم لعمار من الشدة التي يقع فيها .

وَيْسَ : كلمة تقال لمن يترحم عليه ، مثل : ويح ، وكذلك في حال الشفقة والتعطف .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٣٦) .

٤٥٠ - البخاري (٧ / ٣٩٢) ٦٤ - كتاب المغازي - ٢٩ - باب غزوة الخندق وهي الأحزاب .

(٢) البخاري في نفس الموضع السابق .

المتن : الظاهر . الغداة : هنا الصباح . النَّصَب : التعب .

٤٥١ - * روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة ، وينقلون التراب على متونهم وهم يقولون :

نحن الذين بايعوا محمداً على الإسلام ما بقينا أبداً
قال يقول النبي ﷺ وهو يجيهم : « اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة ، فبارك في الأنصار والمهاجرة » قال : يؤتون بلاء كفيين من الشعر ، فيصنع لهم بإهالة سبخة توضع بين يدي القوم والقوم جياغ وهي بشعة في الحلق ولها ريح مئنة .

٤٥٢ - * روى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : رأيت النبي ﷺ يوم الخندق ينقل معنا التراب ، وهو يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا ضلنا ولا صلينا
فأنزلن سكيناً علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أينا
ويرفع بها صوته .

- وفي رواية ^(١) : ولقد وارى التراب بياض بطنه .

- وللبخاري ^(٢) قال : كان رسول الله ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبر بطنه - زاد في رواية ^(٣) : حتى وارى عني التراب جلد بطنه ، وكان كثير الشعر ، فسمعه يرتجز بكلمات ابن رواحة ، ثم اتفقا - ويقول : « والله لولا الله ما اهتدينا » وذكر الحديث .

٤٥١ - البخاري (٧ / ٣٩٢) ٦٤ - كتاب المغازي - ٢٩ - باب غزوة الخندق ، وهي الأحزاب .
الإهالة : الشحم والزيت وكل ما ائتم به .

سبخ : زنج .

٤٥٢ - البخاري (١١ / ٥١٥) ٨٢ - كتاب القدر - ١٦ - باب (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) .
ومسلم نحوه (٣ / ١٤٣١) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٤٤ - باب غزوة الأحزاب وهي الخندق .

(١) مسلم في نفس الموضع السابق .

(٢) البخاري (٧ / ٣٩٩) ٦٤ - كتاب المغازي - ٢٩ - باب غزوة الخندق ، وهي الأحزاب .

(٣) البخاري في نفس الموضع السابق .

قال : ويرفع بها صوته : « أَيْبُنَا ، أَيْبُنَا » .

فوائد : .

١ - إنَّ مواساة القادة جندهم بمشاركتهم إياهم مهامهم ، ومعاونتهم فيما هم مكلفون به لم يزل من أخلاق القادة العظام الواثقين بأنفسهم ، على أنَّ هؤلاء القادة لهم ملاحظ من هذه المشاركات أمّا محمد ﷺ فلقد كان هذا هديه وسنته عليه الصلاة والسلام مع أنَّ تاريخ العالم لم يشهد حباً ولا ثقة كالحب والثقة اللذين أعطاهما أصحاب محمد ﷺ لحمد مما كان يغنيه أن يفعل شيئاً تكلفاً ، لكنّها العبودية لله والإخلاص له والطبع الصافي ، والفطرة المستقيمة التي تأبى التمييز وتكره التصنع .

٢ - ومن حسن الإدارة توزيع العمل ، وتنشيط العاملين ، وترويحهم بحيث يقومون بأعلى الجهد وهم لا يشعرون بمشقة ذلك ، وإنك لترى هذا كله في حفر الخندق ، فالتوزيع حاصل ، والإنشاد يخفف أعباء العمل ، فكيف إذا كان رسول الله ﷺ يشارك في العمل والنشيد وهذا درس للقادة .

٣ - ولكن قل لي : كم من الرؤساء لو شاركوا جندهم العمل والنشيد وأكثروا من مخالطتهم تزداد محبتهم ويبقى احترامهم ، إنَّ أكثر الخلق لو خالطتهم تنزل ربتك عندهم ، ويقلَّ احترامهم لك ، ولقد فطنت العرب لذلك فقالت (وجدت الناس : أخبره تَقْلَهُ ^(١)) لكن رسول الله ﷺ كلما ازداد خلطة زادت محبته وعظم احترامه ، إنها النبوة وإنه الكمال فهو كما وصفه علي رضي الله عنه من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه ^(٢)) .

٤ - ما الهدف الاستراتيجي من الخندق ؟ .

عندما ندرس مخطط المدينة المنورة - والخريطة اللاحقة تعطيك صورة عنه - فإنك تجد أنَّ جهة وحيدة هي التي يمكن أن يدخل فيها جيش المشركين معركة مواجهة كاملة هي

(١) قال في لسان العرب : القلى البقّض ، يقول : جرب الناس ، فإنك إذا جربتهم قليتهم وتركتهم لما يظهر لك .

من بواطن سرائرهم ، لفظه لفظ الأمر ، ومعناه الخبر (مادة ق ل ي) .

(٢) الترمذي مطولاً (٥ / ٥٩٩) - كتاب المناقب - ٨ - باب ما جاء في صفة النبي ﷺ .

جهة الشمال من المدينة المنورة أما المناطق الأخرى فإن بعض هذا الجيش أو أفراداً منه يمكن أن يهاجموا ويدخلوا معركة مواجهة على شيء من المشقة وهذا وحده لا يشكل إشكالاً في المعركة ، فبحفره عليه الصلاة والسلام الخندق أخرج جيش المشركين من المعركة في الحقيقة لأن أي محاولة جزئية للهجوم يمكن ردها من خلال السهام وسرعة الحركة . تصوّر الآن مجموعات سريعة الحركة مع جيش منتشر على أطراف المدينة ، إن هذا وحده كاف لأن يجهض أي محاولة اقتحام مع وجود الخندق ، وهذا الذي حدث يوم الأحزاب ، هجوم الجيش كله مستحيل ، هجوم أفراد منه يسهل صدّهم ، ولذلك فمع كثرة المحاولات لاقتحام الخندق أو لاقتحام جزء منه أو للهجوم على المدينة فإن ذلك كله باء بالفشل بسبب الخندق وسهر القيادة ومرونة الحركة ، ولكن هذا كلّهُ أصبح معرّضاً للخطر بسبب غدر قريظة فعندما تصبح أرض قريظة مرتكز انطلاق ، أو عندما تهاجم قريظة من الخلف فكل الوضع الاستراتيجي سيتغير ، لأن هذا يعطي جيش المشركين كلّهُ فرصة عبور الخندق وفرصة القتال ويصبح المسلمون مطوّقين من كل جانب بأعداد هائلة ، ولذلك كانت غدر قريظة بالمكان الأفظع ، فلقد عرّضت الإسلام والمسلمين لخطر الاستئصال ، ولعلّك من خلال هذه الصورة تدرك دقّة الأمر وخطورة الموقف ، وتعرف مع ذلك أنّها النبوة والرسالة في كفاءتها العالية وتأييد الله لرسوله ﷺ وللمسلمين ، فلقد ربح المسلمون المعركة .

* * *

روايات في يوم الخندق

٤٥٣ - * روى أحمد عن سعد بن أبي وقاص قال : كَانَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَرَجُلٌ يَتَرَسُ جَعَلَ يَقُولُ بِالتَّرْسِ هَكَذَا فَوَضَعَهُ فَوْقَ أَنْفِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ هَكَذَا يَسْفِلُهُ بَعْدَ قَالَ : فَأَهْوَيْتُ إِلَى كِنَانَتِي فَأَخْرَجْتُ مِنْهَا سَهْمًا مَدَّمِي فَوَضَعْتُهُ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ، فَلَمَّا قَالَ هَكَذَا يَسْفُلُ التَّرْسُ رَمَيْتُ ، فَمَا نَسِيتُ وَقَعَ الْقِدْحُ عَلَى كَذَا وَكَذَا مِنَ التَّرْسِ ، قَالَ : وَسَقَطَ فَقَالَ بِرَجُلِهِ فَضَحِكَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ ، أَحْسَبُهُ قَالَ : حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ قَالَ ، قلت : لم ؟ قال : لِفَعْلِ الرَّجُلِ .

- وفي رواية البزار ^(١) قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مَعَ ثُرْسَانٍ وَكَانَ سَعْدٌ زَامِيًا فَكَانَ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا بِالتَّرْسَيْنِ يُعْطِي جَبْهَتَهُ فَتَنَزِعُ لَهُ سَعْدٌ بِسَهْمٍ فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ رَمَاهُ فَلَمْ يُخْطِ هَذِهِ مِنْهُ يَغْنِي جَبْهَتَهُ . والباقي بنحو رواية أحمد .

٤٥٤ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : كُنْتُ يَوْمَ الْأَحْزَابِ جَعِلْتُ أَنَا وَعَمْرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ فِي النِّسَاءِ فَتَنَظَرْتُ ، فَإِذَا أَنَا بِالزُّبَيْرِ عَلَى فَرَسِهِ يَخْتَلِفُ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، فَلَمَّا رَجَعْتُ قُلْتُ : يَا أَبَتِ ، رَأَيْتُكَ تَخْتَلِفُ ؟ قَالَ : أَوْ هَلْ رَأَيْتَنِي يَا بَنِي ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ يَأْتِي بَنِي قُرَيْظَةَ فَيَأْتِيَنِي بِخَبَرِهِمْ ؟ » فَانْطَلَقْتُ ، فَلَمَّا رَجَعْتُ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

٤٥٣ - أحمد في مسنده (١ / ١٨٦) .

يترس : يعني يتوق بالتربس بضم التاء المثناة فوق وهو من آلات الحرب التي يتقى بها .
مدمي : بضم الميم الأولى وفتح المهملة وتشديد الميم الثانية مفتوحة قال في النهاية : الدمى من السهام الذي أصابه الدم فحصل في لونه سواد وحمرة بما رمي بها العدو ويطلق على ما تكرر الرمي به والرماة يتبركون به .
القيح : القاف وسكون المهملة ، عود السهم .
فقال برجله : أي صار يحرك برجله .

(١) البزار : كشف الأستار (٢ / ٣٢٤ ، ٣٣٥) .

وقال الهيثمي عنه وعن سابق في مجمع الزوائد (٦ / ١٣٥ ، ١٣٦) ورجالها رجال الصحيح غير محمد بن الأسود ، وهو ثقة .

٤٥٤ - البخاري (٧ / ٨٠) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ١٣ - باب مناقب الزبير بن العوام .

- ومسلم نحوه (٤ / ١٨٧٩) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٦ - باب من فضائل طلحة والزبير ، رضي الله عنهما .
يختلف : يتردد .

وَسَلَّمَ أَبَوَيْهِ . فَقَالَ : « فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي » .

- ولسلم^(١) في رواية : أَطَمَ حَسَّانٍ ، فَكَانَ يُطَاطِئُ لِي مَرَّةً فَاَنْظُرَ ، وَأَطَاطِئُ لَهُ مَرَّةً فَيَنْظُرُ ... وَذَكَرَهُ .

وَأَخْرَجَ مِنْهُ التِّرْمِذِيُّ^(٢) : قَالَ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَوَيْهِ يَوْمَ قُرَيْظَةَ ، فَقَالَ : « بِأَبِي وَأُمِّي » .

٤٥٥ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ : « مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ ؟ » فَقَالَ الزَّبِيرُ : أَنَا ، ثُمَّ قَالَ : « مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ » فَقَالَ الزَّبِيرُ : أَنَا ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا ، وَإِنْ حَوَارِيُّ الزَّبِيرِ » .

وَلِلْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ^(٣) فِي رِوَايَةٍ قَالَ : نَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ ، فَانْتَدَبَ الزَّبِيرُ وَذَكَرَهُ .

٤٥٦ - * رَوَى الْحَاكِمُ عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى الْخَنْدَقِ جَعَلَ نِسَاءَهُ فِي أَطَمٍ يَقَالُ لَهُ : فَارِعْ وَجْعَلْ مَعَهُنَّ حَسَّانَ بِنْتُ ثَابِتٍ ،

(١) مسلم في نفس الموضع السابق .

أَطَمَ : بَنَاءٌ مَرْتَفِعٌ وَجَمْعُهُ أَطَامٌ .

يُطَاطِئُ لِي : الْمَقْصُودُ أَنْ أَحْدَثَنَا يَحْمِلُ رَفِيقَهُ عَلَى ظَهْرِهِ أَوْ كَتِفَيْهِ لِيَعْلُوَ وَيَنْظُرَ - حَيْثُ كَانَا صَغِيرَيْنِ - .

(٢) التِّرْمِذِيُّ (٥ / ٦٤٦) ٥٠ - كِتَابُ الْمَنَاقِبِ ٢٣ - بَابُ مَنَاقِبِ الزَّبِيرِ بْنِ الْعَوَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

٤٥٥ - الْبُخَارِيُّ (٧ / ٤٠٦) ٦٤ - كِتَابُ الْمَغَازِي - ٢٩ - بَابُ غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ ، وَهِيَ الْأَحْزَابُ .

وَمُسْلِمٌ نَحْوَهُ (٤ / ١٨٧٩) ٤٤ - كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ - ٦ - بَابُ مِنْ فَضَائِلِ طَلْحَةَ وَالزَّبِيرِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ ؟ : الْمُرَادُ بِالْقَوْمِ هُنَا قُرَيْظَةُ ، كَمَا وَضَّحَتْ ذَلِكَ الرِّوَايَةُ السَّابِقَةُ .

نَذَبَ : بَعَثَ وَوَجَّهَ .

(٣) الْبُخَارِيُّ (٦ / ٥٣) ٥٦ - كِتَابُ الْجِهَادِ - ٤١ - بَابُ هَلْ يَبِيعُ الثَّلَاجُ وَحْدَهُ وَمُسْلِمٌ (٤ / ١٨٧٩) .

٤٥٦ - الْمُسْتَدْرَكُ (٤ / ٥٠) ، كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ ، وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ كَبِيرٌ غَرِيبٌ بِهَذَا الْإِسْنَادِ ، وَقَدْ زُوِيَ بِإِسْنَادٍ

صَحِيحٍ . وَأَقْرَهُ الذَّهَبِيُّ . الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ (٢٤ / ٣٢٢) ، دُونَ ذِكْرِ قَوْلِ عَائِشَةَ .

وَأَوْرَدَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (٦ / ١٤٤) ، وَقَالَ : رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ مِنْ طَرِيقِ أُمِّ عُرْوَةَ بِنْتِ

جَعْفَرِ بْنِ الزَّبِيرِ عَنْ أَبِيهَا ، وَلَمْ أَعْرِفْهَا ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ .

الْأَطَمُ : الْبَنَاءُ الْمَرْتَفِعُ .

فجاء اليهود إلى الأطم يَلْتَمِسُونَ غِرَّةَ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فترقى إنساناً من الأطم علينا ، فقلتُ له : يا حَسَّانُ قُمْ إِلَيهِ فَأَقْتُلْهُ ، فقال : والله ما كان ذلك في ولو كان ذلك في لكنتُ مع النبي ﷺ فقلتُ له : اربط هذا السيف على ذراعي فربطه فقممتُ إليه ، فضربتُ رأسه حتى قَطَعْتُهُ ، فقلتُ له : خذ بأذنيه فارم به عليهم فقال : والله ما ذلك في فأخذتُ برأسه فرميتُ به عليهم فَتَضَعَضُوا وهم يقولون : قد عَلِمْنَا أَنَّ مُحَمَّدًا لم يكن ليترك أهلَه خُلُوفًا ليس معهن أحدٌ . قالتُ : وكان رسولُ الله ﷺ إذا اشتدَّ على المشركين شدَّ حسانٌ مع رسول الله ﷺ وهو معنا في الحصن . فإذا رَجَعَ رَجَعَ وراءَه كما يرجع رسول الله ﷺ وهو ثَمَّ فَرَبْنَا سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ وَقَدْ أَخَذَ صَفْرَةً وَهُوَ مُعْرَسٌ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ وَهُوَ يَرْجُزُ :
مهلاً قليلاً يلحق المہيجا جَمَلُ لا بأسَ بالموت إذا حلَّ الأجلُ

قالت عائشة رضي الله عنها : فما رأيتُ رجلاً أجملَ منه في ذلك اليوم .

أقول : ومع تصحيح الحاكم للحديث ، وإقرار الذهبي ، وحفاظاً على حرمة الصحابة أثقل ما قال السهيلي في الروض الأنف :

وذكر حديث حسان حين جعل في الآطام مع النساء والصبيان ، وما قالت له صفة في أمر اليهودي حين قتلته ، وما قال لها ؛ ومحل هذا الحديث عند الناس على أن حساناً كان جباناً شديد الجبن ، وقد دفع هذا بعض العلماء ، وأنكره ، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ، وقال : لو صح هذا لمجي به حسان ، فإنه كان يهاجي الشعراء كضرار وابن الزبيري ، وغيرهما ، وكانوا يناقضونه ويردون عليه ، فما عيره أحد منهم بجبن ، ولا وسمه به ، فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح فلعل حسان أن يكون معتلاً في ذلك اليوم بعلّة منعتة من شهود القتال ، وهذا أولى ما تأول ومن أنكر أن يكون هذا صحيحاً أبو عمر رحمه الله في كتاب الدرر له أ هـ .

٤٥٧ - * روى الطبراني عن رافع بن خديج : لم يكن حصنٌ أحصنَ من حصنِ بني حارثٍ

فجعل النبي ﷺ النساء والصبيان والذرياء فيه فقال : إن ألم يكن أحد قالمين بالسيف ، فجاءهن رجل من بني ثعلبة بن سعد يقال له بجذان أحد بني جحاش على فرس حتى كان في أصل الحصن ، ثم جعل يقول للنساء : انزلن إلى خير لكن فحركن السيف فأبصره أصحاب النبي ﷺ فابتدر الحصن قوم فيهم رجل من بني حارثة يقال له : ظهير بن رافع ، فقال : يا بجذان أبرز فبرز إليه ، فحمل عليه فرسه فقتله ، وأخذ رأسه فذهب به إلى النبي ﷺ .

٤٥٨ - * روى الطبراني عن نافع قال : قيل لابن عمر : أين كان رسول الله ﷺ يصلي يوم الأحزاب ؟ قال : كان يصلي في بطن الشعب عند خربة هناك ، ولقد أذن رسول الله ﷺ في الانصراف للناس ثم أمرني أن أدعهم فدعوتهم .

٤٥٩ - * روى البخاري ومسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس جعل يسب كفار قريش وقال : يا رسول الله ما كدت أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب قال النبي ﷺ : « والله ما صليتها » فنزلنا مع رسول الله ﷺ بطحان فتوضأنا لها ، فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ، ثم صلى بعدها المغرب .

٤٦٠ - * روى الدارمي وابن خزيمة عن أبي سعيد الخدري : حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هوي من الليل حتى كفيينا وذلك قوله ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالِ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾^(١) قال : فدعا رسول الله ﷺ بلالاً فأمره فأقام فصلى الظهر كما كان يصليها في

= ألم : ألم بالقوم : أنام فنزل بهم .

ألمن : ألبسنا وحررنا .

٤٥٨ - أوردته الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٣٥) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

٤٥٩ - البخاري (٧ / ٤٠٥) ، ٦٤ - كتاب المغازي - ٢٩ - باب غزوة الخندق ، وهي الأحزاب . ومسلم (١ / ٤٣٨) ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - ٣٦ - باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر .

٤٦٠ - الدارمي في مسنده (١ / ٣٥٨) ، كتاب الصلاة ، باب الحبس عن الصلاة وابن خزيمة في صحيحه (٢ / ١٠٠) ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة جماعة بعد ذهاب وقتها . وأجد نحوه في مسنده (٣ / ٢٥) .

- والنسائي نحوه (٢ / ١٨) عن ابن مسعود ، كتاب الأذان ، باب الاكتفاء بالإقامة لكل صلاة . الهوي : الساعة من الليل .

(١) الأحزاب : ٢٥ .

وقتها ، ثم أقامَ العَصْرَ فصلّاها كذلك ثم أقامَ المغربَ فصلّاها كذلك ثم أقامَ العِشاءَ فصلّاها كذلك وذلك قبل أن ينزل ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾^(١).

والجمع بين الروايات القائلة بتأخير العصر وحدها والروايات القائلة بتأخير الظهر والعصر والمغرب ، أن هذا كان في يوم ، وهذا كان في يوم ، على رأي النووي رحمه الله .

* * *

فقه هذه الروايات :

وفي فقه هذه الروايات يقول ابن كثير في البداية والنهاية :

وقد استدل طائفة من العلماء بهذه الأحاديث على كون الصلاة الوسطى هي صلاة العصر كما هو منصوص عليه في هذه الأحاديث وألزم القاضي الماوردي مذهب الشافعي بهذا لصحة الحديث وقد حررنا ذلك نقلاً واستدلالاً عند قوله تعالى : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾^(٢) ، وقد استدل طائفة بهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال كما هو مذهب مكحول والأوزاعي وقد بوب البخاري ذلك واستدل بهذا الحديث بقوله ﷺ يوم أمرهم بالذهاب إلى بني قريظة - كما سيأتي - « لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة »^(٣) وكان من الناس من صلى العصر في الطريق ومنهم من لم يصل إلا في بني قريظة بعد الغروب ولم يعنف واحداً من الفريقين ، واستدل بما ذكره عن الصحابة ومن معهم في حصار تُسْتَرَسنة عشرين في زمن عمر حيث صلوا الصبح بعد طلوع الشمس لعذر القتال واقترب فتح الحصن .

وقال الدكتور البوطي : لقد فاتت النبي ﷺ صلاة العصر كما قد رأيت في هذه الموقعة ،

(١) البقرة : ٢٣٩ .

(٢) البقرة : ٢٣٨ .

(٣) أخرجه البخاري (٧ / ٤٠٧) ، ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٠ - باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب .
ومسلم (٣ / ١٣٩١) ٢٢ - كتاب الجهاد والسير - ٢٣ باب المبادرة بالغزو ، وتقديم أم الأمرين المتعارضين . ولكن بلفظ : « أن لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة ... » .

لشدة انشغاله ، حتى صلاها قضاء بعد ما غربت الشمس ، وفي روايات أخرى غير الصحيحين أن الذي فاته ، أكثر من صلاة واحدة ، صلاها تباعاً بعدما خرج وقتها وفرغ لأدائها .

وهذا يدل على مشروعية قضاء الفائتة . ولا ينقض هذه الدلالة ما ذهب إليه البعض من أن تأخير الصلاة لمثل ذلك الانشغال كان جائزاً إذ ذاك ثم نسخ حينما شرعت صلاة الخوف للمسلمين رجالاً وركباناً عند التحام القتال بينهم وبين المشركين ، إذ النسخ - على فرض صحته - ليس وارداً على مشروعية القضاء ، وإنما هو وارد على صحة تأخير الصلاة بسبب الانشغال . أي أن نسخ صحة التأخير ليس نسخاً لما كان قد ثبت من مشروعية القضاء أيضاً ، بل هي مسكوت عنها ، فتبقى على مشروعيتها السابقة .

ومن أدلة هذه المشروعية أيضاً ما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال عند منصرفه إلى المدينة من غزوة الأحزاب « لا يصلين أحد العصر - أو الظهر - إلا في بني قريظة » فأدرك بعضهم وقت الصلاة في الطريق فقال البعض : لا نصلي حتى نأتيها ، وقال بعضهم : بل نصلي ، لم يرد منا ذلك . فصلاها الفريق الأول بعد وصولهم إلى بني قريظة قضاءً .

إذا ثبت وجوب قضاء المكتوبة بعد فواتها ، فسيان أن يكون سبب الفوات نوماً أو إهمالاً وتركاً متعمداً ، إذ لم يرد - بعد ثبوت الدليل العام على وجوب قضاء الفائتة عموماً - أي دليل يخصص مشروعية القضاء ببعض أسباب التفويت دون بعضها الآخر ، والذين تركوها في طريقهم إلى بني قريظة ، لم يكونوا نائمين ولا ناسين . فمن الخطأ إذاً أن تخصص مشروعية قضاء الفائتة المكتوبة - مع ذلك - بما عدا التفويت المتعمد . وهو أشبه ما يكون بمن يخصصها ببعض المكتوبات دون بعض ، بدون أي تخصيص شرعي .

وربما توهم البعض أنه قد ثبت دليل يخصص عموم أدلة مشروعية القضاء ، وهو المفهوم المخالف لحديث : « من نام عن صلاة أو نسيها ، فليصلها إذا ذكرها ، ولكن هذا وهم لا ينبغي أن يدخل على طالب علم متبصر . فالمقصود بالحديث ليس هو أمر الناسي والنائم بقضاء الصلاة ، دون غيرها ، ولكن المقصود التركيز على القيد ، وهو « إذا ذكرها » وذلك

للتنبية إلى أنه لا يشترط لمن فاتته صلاة وأراد تداركها أن ينتظر حلول وقتها من اليوم الثاني ثم يؤديها إذ ذاك . بل عليه أن يبادر إلى قضائها بمجرد التذكر ، في أي وقت كان . فإذا عرفت أن هذا هو مقصود رسول الله ﷺ كما تدل على ذلك صيغة الحديث نفسها وكما ذكر ذلك علماء الحديث وشراحه عرفت أنه لا دلالة تشريعية تتعلق بالمفهوم المخالف للنوم أو النسيان في الحديث . أ هـ .

أقول : ثم إن المذاهب الأربعة اتفقت على وجوب القضاء على الناسي والنائم والمتعمد .

٤٦١ - * روى البزار عن أبي هريرة قال : جاء الحارث الغطفاني إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ! ناصفنا قمر المدينة وإلا ملأناها عليك خيلاً ورجالاً فقال : « حتى أستأمر السُّعود » - سعد بن عبادة وسعد بن معاذ يعني يُشاورهما - ، فقالا : لا والله ما أعطينا الدنيا من أنفسنا في الجاهلية ، فكيف وقد جاء الله بالإسلام ؟ فرجع إليه الحارث فأخبره ، فقال : غدرت يا محمد قال : فقال حسّان :

يا حارٍ من يغدرُ بذمةٍ جاريه منكم فإنَّ عمداً لا يَغْدِرُ
إن تغدروا فالغدْرُ من عاداتكم واللؤمُ ينبتُ في أصول السُّخْبِرِ
وأمانة النهديِّ حيث لقيتها مثلُ الزجاجةِ صدْعها لا يُجْبِرُ

قال : فقال الحارثُ : كَفَّ عنا يا محمد لسان حسّانٍ فلو مَرِج به ماء البحر لمزجه .

ورواه الطبراني ^(١) ولفظه عن أبي هريرة قال : جاء الحارث الغطفاني إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد شاطرنا قمر المدينة فقال : « حتى أستأمر السُّعود » فبعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وسعد بن خيثمة وسعد بن مسعود ، فقال : « إني قد

٤٦١ - البزار : كشف الأستار (٢ / ٣٣١) ، كتاب الهجرة والمغازي ، باب غزوة الخندق . الدنية : الحصلة المذمومة . السُّخْبِر : شجر تألفه الحيات فتسكن في أصوله .

(١) مجمع الزوائد (٦ / ١٣٢) ، وقال عنه وعن رواية البزار السابقة : رواه البزار والطبراني ... ورجال البزار والطبراني فيها محمد بن عمرو ، وحديثه حسن ، وبقية رجاله ثقات .

أقول : ذكر سعد بن خيثمة وسعد بن الربيع وهُم من الراوي لأن خيثمة استشهد في بدر وابن الربيع استشهد يوم أُحُدٍ قبل الخندق .

عَلِمْتُ أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَإِنَّ الْحَارِثَ سَأَلَكُمْ تُشَاطِرُوهُ تَمَرَّ
الْمَدِينَةِ فَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْفَعُوهُ عَامَكُمْ هَذَا ثُمَّ تَنْظُرُوا فِي أَمْرِكُمْ بَعْدُ .

فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْحِيْ مِنَ السَّمَاءِ فَالتَّسْلِيمُ لِأَمْرِ اللَّهِ أَوْ عَنْ رَأْيِكَ وَهَوَاكَ فَرَأَيْنَا تَبِعَ
لِهَوَاكَ وَرَأْيِكَ وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَرِيدُ الْإِبْقَاءَ عَلَيْنَا فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْنَا وَإِيَّاهُمْ عَلَى سَوَاءٍ مَا
يُنَالُونَ مِنَّا ثَمَرَةً إِلَّا شَرَاءً أَوْ قِرَى . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هُوَذَا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُونَ »
قَالُوا : غَدَرْتَ يَا مُحَمَّدُ . فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

يَا حَارِ مِنْ يَغْدِرُ بِذِمَّةِ جَارِهِ مِنْكُمْ فَإِنْ عَمِدُوا لَا يَغْدِرُ
وَأَمَّا نَتُّ الْمُرِّيِّ حِينَ لَقِيَتْهَا كَسْرُ الزَّجَاجَةِ صَدْعُهَا لَا يُجْبَرُ
إِنْ تَغْدِرُوا فَالْغَدْرُ مِنْ عَادَاتِكُمْ وَاللُّؤْمُ يُنْبِتُ فِي أَصُولِ السَّخْبَرِ

هذا الحديث يطرح ثلاثاً من أخطر القضايا التي تواجه الأمة الإسلامية دائماً :

القضية الأولى : قضية المصالحة على مال .

والقضية الثانية : قضية الشورى .

والقضية الثالثة : تفتيت الصف المعادي .

(١)

فلو أن كيان المسلمين في قطرٍ أو في العالم تعرض لخطر الاستئصال ، أو أن أمنهم أصبح
في خطر فهل لهم في هذه الحالة أن يعطوا تنازلات مادية ولو بأن يدفعوا مالا ؟ الظاهر
من الحديث أن ذلك جائز ولكنه ليس مفروضاً ، وقد نصَّ فقهاء الحنفية على هذه المسألة
فأجازوا دفع المال للعدو إذا أصبح يهدد الوجود الإسلامي .

والمسألة في عصرنا قد تأخذ طابعاً أكثر تعقيداً فقد تصبح في خطر خفيٍّ أو تتعرض
لخطر خفيٍّ وَجِهَةٌ ما هي القادرة على الإنقاذ ، وهي لا تفعل إلا بشروط ، فإذا كانت
الشروط ماديةً بجثة فللمسلمين ذلك ، ولهم ألا يفعلوا والفتوى من أهلها ، والشورى
والمصلحة هي التي تحكم هذه الأمور ، وقد تشتبك المصالح وتتعارض مصالح الأمة

والأفراد . والحاكم والمحكوم ، وكلّ ذلك ينبغي أن يخضع إلى موازنات عند أهل التقوى لتقرير ما هو المصلحة في النهاية .

(٢)

والقضية الثانية هي إلزامية الشورى ، فهنا نرى أنّ رسول الله ﷺ نزل على رأي السّعديين وهما ممثّلا الأنصار ، وبعض الروايات تذكر أنّ هذا النزول كان بعد أن كتب رسول الله ﷺ العقد ولكنّه لم يمض ، وكذلك نزل عليه الصلاة والسلام على رأي الأكثرية يوم أحد ، هذا النزول على رأي ممثّلين لجهة أو على رأي الأكثرية يجعلنا نقول بإلزامية الشورى للأمير ولكنها إلزامية تخضع لقواعد فصلناها في أكثر من مكان في كتبنا ، فالشورى ينبغي أن تعطى لأهلها وإذا أعطيت لأهلها فرأي أكثرتهم ملزم في نفي الضرر أو في استجلاب المصلحة ، ومع ذلك يعطي الأمير فرصة تعميم الشورى على دائرة أدنى أو أعلى ، ولكن يبقى رأي الأكثرية هو الملزم ، وكلّ ذلك على ضوء القواعد الدستورية أو النظامية المتفق عليها بين المسلمين ، وإنّا نشترط هذا لأنّ بعض العلماء لا يرى إلزامية الشورى للأمير ، فإذا ما وجد شرط الإلزامية لم يعد لأحد متكاً في رفض شورى الأكثرية من أهلها (فالمسلمون عند شروطهم)^(١) ، وعندئذ فللمرشد للإمرة الحق في أن يقبل الإلزامية فيكون أميراً أو يرفض فلا يكون ، وللذين يرفضون إلزامية الشورى نقول : إنّ رسول الله ﷺ نزل على رأي الأكثرية يوم أحد وهو يعلم أنّ رأيهم خطأ ، وهاهو هنا نزل على رأي ممثلي الأنصار وهم أصحاب العلاقة مع أنّه كان مقتنعا بوجهة النظر الأخرى ، أليس هذا يدلّ في حدّه الأدنى على سنيّة النزول على رأي الأكثرية صاحبة العلاقة ، فإذا كانت المسألة في حدّها الأدنى سنّة ، ألا يحقّ للمسلمين أن يعتمدوها ؟ ألم يشترط الخضر على موسى وهو - أي الخضر - دونه ؟ والتزم موسى ، ألا يكفي هذا للقول : بأنّ المسلمين إذا اشتروا على أميرهم أن ينزل على شورا فلهم ذلك ! أليس مصلحة المسلمين في عصرنا تستدعي ذلك ؟ وهل يسع عصرنا

(١) ذكره البخاري معلقاً (٤ / ٤٥١) ٣٧ - كتاب الإجارة - ١٤ - باب أجر السّيرة .

- وأبو داود مطولاً (٣ / ٣٠٤) ، كتاب الأقضية ، باب في الصلح . عن أبي هريرة بلفظ (على شروطهم) .

إلا هذا ؟ على أنه لا مانع أن يفوض المسلمون من شاؤوا في أمر أو حكم فضلا عن أن يفوضوا أميرهم ، وفي حادثة حكم سعد في بني قريظة مأنس لمن يرى ذلك .

(٢)

قوله عليه الصلاة والسلام في تعليل مفاوضته لغطفان على ثلث ثمار المدينة (إني قد علمت أن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة) دليل لما ذكر من قبل أن رسول الله ﷺ كان يستهدف في عمله السياسي ألا يجتمع الأعداء عليه صفًا واحدًا وموقفه ههنا دليل على أن هذا كان هدفا له ، وهذا يصل بنا إلى عدد من الأمور :

١ - أن تحاول الحركة الإسلامية التفتيش عن ثغرات القوى المعادية .

٢ - أن محاولة التحالفات مع بعض الأطراف لا حرج منها ، فالهدف الاستراتيجي حيّد من تستطيع تحييده ، اجعل في جانبك من تستطيع كسبه ، فتش عن المتعاطفين معك مهما كانت الأسباب ، واجعل ثقّتك في هذا بالله أولا وأحكم التوكّل عليه ، ولا تنسَ الفتوى والشورى والمصلحة الآتية والمستقبلية للإسلام والمسلمين .

* * *

هزيمة الله عز وجل للأحزاب :

٤٦٢ - * روى أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : قلنا يومَ الخندق : يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغتِ القلوبُ الحناجرَ ؟ قال : « نعم : اللهم استرْ عوراتِنَا وآمِنْ رُوعَاتِنَا » . قال فضربَ الله عز وجل وجوهَ أعدائه بالريح .

٤٦٣ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن أبي أوفى قال : دعا رسولُ الله ﷺ على الأحزاب فقال : « اللهم مُنْزِلَ الكتابِ سريّ الحسابِ اهْزِمِ الأحزابَ . اللهم اهْزِمْهُمْ »

٤٦٢ - أحمد في مسنده (٢ / ٢) .

٤٦٣ - البخاري (١٠٦ / ٦) ٥٦ - كتاب الجهاد - ٩٨ - باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة .

ومسلم (١٣٦٢ / ٣) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٧ - باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو .

وَزَلَّ لَهُمْ» وفي ^(١) رواية : « اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم » .

٤٦٤ - * روى البزار عن حذيفة أن الناس تفرقوا عن رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب ، فلم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً ، فأتاني رسول الله ﷺ وأنا جاثم من النوم ، فقال : « يَا ابْنَ الْيَمَانِ ! قُمْ فَأَنْطَلِقْ إِلَى عَسْكَرِ الْأَحْزَابِ . فَأَنْظُرْ إِلَى حَالِهِمْ » قلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا قُمْتُ إِلَيْكَ إِلَّا حَيَاءً مِنَ الْبَرْدِ . قَالَ : « أَنْطَلِقْ يَا ابْنَ الْيَمَانِ ، فَلَا بَأْسَ عَلَيْكَ مِنْ بَرْدٍ وَلَا حَرٍّ ، حَتَّى تَرْجِعَ إِلَيَّ » فَأَنْطَلَقْتُ حَتَّى آتَيْتُ عَسْكَرَهُمْ . فَوَجَدْتُ أَبَا سَفِيَانَ يُوقِدُ النَّارَ فِي عُصْبَةِ حَوْلِهِ ، وَقَدْ تَفَرَّقَ الْأَحْزَابُ عَنْهُ ، فَجِئْتُ حَتَّى أَجْلِسَ فِيهِمْ ، فَأَحْسَنَ أَبُو سَفِيَانَ أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ فِيهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَقَالَ : لِيَأْخُذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِيَدِ جَلِيسِهِ ، قَالَ : فَضَرَبْتُ بِيَدِي عَلَى الَّذِي عَنْ يَمِينِي فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ ، ثُمَّ ضَرَبْتُ بِيَدِي عَلَى الَّذِي عَنْ يَسَارِي فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ . فَلَبِثْتُ فِيهِمْ هَنِيئَةً ، ثُمَّ قُمْتُ ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي ، فَأَوْسَأَ إِلَيَّ أَنْ أَذْنُو . فَدَنَوْتُ حَتَّى أُرْسَلَ عَلَيَّ مِنَ الثَّوْبِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ لِيُدْفِنَنِي ، فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ : « يَا ابْنَ الْيَمَانِ ! اقْعُدْ ، مَا خَبَرَ النَّاسَ ؟ » قلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي سَفِيَانَ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا فِي عُصْبَةِ يُوقِدُ النَّارَ ، وَقَدْ صَبَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَرْدِ مِثْلَ الَّذِي صَبَّ عَلَيْنَا ، وَلَكِنَّا نَرْجُو مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ .

٤٦٥ - * روى الطبراني عن ابن عمر قال : بَعَثَنِي خَالِي عُثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ لَاتِيَةً بِلِحَافٍ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَاسْتَأْذَنْتُهُ وَهُوَ بِالْخَنْدَقِ فَأَذَنَ لِي ، وَقَالَ : « مَنْ لَقِيتَ ، فَقُلْ لَهُمْ إِنَّ

(١) البخاري (٦ / ١٢٠) ٥٦ - كتاب الجهاد - ١١٢ - باب كان النبي ﷺ إذا لم يُقاتل أول النهار أخسر القتال حتى

تزول الشمس .

٤٦٤ - البزار : كشف الأستار (٢ / ٢٣٥) ، كتاب الهجرة والمغازي ، باب غزوة الخندق .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٣٦) ، وقال : رواه البزار ، ورجاله ثقات .

جاثم : من النوم : جثم : لزم مكانه .

إلحياًء من البرد : أي : إلحياًء منك بسبب شدة البرد .

٤٦٥ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٢٥) ، وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

فاستأذنته : أي في الرجوع إلى بيتي من شدة البرد .

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا» وَكَانَ ذَلِكَ فِي بَرْدٍ شَدِيدٍ فَخَرَجْتُ وَلَقِيتُ النَّاسَ فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا ، قَالَ ، فَلَا وَاللَّهِ مَاعَطَفَ عَلَيَّ مِنْهُمْ اثْنَانِ أَوْ وَاحِدٌ .

الظاهر أَنَّ الناس لم يلتفتوا لكلمة ابن عمر لصغره ؛ ولأَنَّ الإذن كان قد حصل مباشرة قبل ذلك ، والبرد شديد .

٤٦٦ - * روى مسلم عن يزيد بن شريك رحمه الله قَالَ : كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ ، فَقَالَ رَجُلٌ : لَوْ أَذْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ : أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ ؟ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ ، وَأَخَذْتُنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ ، جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ » فَسَكَنَّا ، فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ ، ثُمَّ قَالَ : « أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ ، جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ » فَسَكَنَّا ، فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ ، ثُمَّ قَالَ : « أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ ، جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ » فَسَكَنَّا ، فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ ، ثُمَّ قَالَ : « أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ ، جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ » فَسَكَنَّا ، فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ ، فَقَالَ : « قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَاتِّبِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ » فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ ، قَالَ : « اذْهَبْ ، فَاتِّبِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ ، وَلَا تَذْعُرْهُمْ عَلَيَّ » ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ ، فَرَأَيْتُ أَبَا سَفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُرْمِيَهُ ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : وَلَا تَذْعُرْهُمْ عَلَيَّ ، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ ، فَارْجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ ، وَفَرَّغْتُ ، قُرِرْتُ ،

= عطف : رجع وانصرف .

٤٦٦ - مسلم (٣ / ١٤١٤) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٣٦ - باب غزوة الأحزاب .

لا تذعروهم : أي : لا تفرعوهم ولا تحركهم عليّ .

يصلّي ظهره : صليت اللحم أصليه صلياً : إذا شويته ، وصليت الرجل نارا : إذا أدخلته فيه ، فجعلته يصلها ،

والمراد به هاهنا : إدفاء ظهره بالنار .

كبد القوس : وسطها .

قُرِرْتُ : أقر : أي أصابني القُرُّ ، وهو البرد .

قَالَ بَسْتِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عِبَادَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا . فَلَمْ أَزَلْ نَائماً حَتَّى أَصْبَحْتُ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ : « قُمْ يَا نَوْمَانُ » .

٤٦٧ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : - حِينَ أَجَلَى الْأَحْزَابَ عَنْهُ - « الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا ، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ » .
 قَالَ الْحَافِظُ فِي « الْفَتْحِ » : وَفِيهِ عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِ النَّبُوَّةِ ، فَإِنَّهُ ﷺ اعْتَمَرَ فِي السَّنَةِ الْمَقْبِلَةِ ، فَصَدَّاهُ قَرِيشٌ عَنْ الْبَيْتِ ، وَوَقَعَتِ الْمَدِينَةُ بَيْنَهُمْ إِلَى أَنْ تَقْضَوْهَا ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ فَتْحِ مَكَّةَ ، فَوَقَعَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ ﷺ .

وروي ^(١) عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال يوم الأحزاب ، وقد جمَعُوا لَهُ جُمُوعاً كَثِيرَةً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَلَا يَغْزُوكُمْ بَعْدَهَا أَبَداً ، وَلَكِنْ تَغْزُوهُمْ » .

٤٦٨ - * رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ : اسْتَشْهَدَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ مِنَ الْأَنْصَارِ أُنْسُ بْنُ مُعَاذٍ بْنُ أَوْسٍ بْنِ عَبْدِ عَمْرِو . وَمِنْ الْأَنْصَارِ ثَمُّ بْنُ بَنِي سَلَمَةَ : ثَعْلَبَةُ بْنُ غَنَمَةَ .
 قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ :

قال ابن إسحاق : واستشهد من المسلمين يوم الخندق ثلاثة من بني عبد الأشهل ، وهم : سعدُ بن معاذ وأُنسُ بن أوس بن عتيك بن عمرو ، وعبدُ الله بن سهل . والطفيل بن النعمان ، وثعلبة بن غنمة الجشيان السلميان وكعب بن زيد النجاري أصابه سهم غزب فقتله قال : وقتل من المشركين ثلاثة وهم : منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات منه بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة اقتحم الخندق بفرسه فتورط فقتل هناك وطلبوا جسده بثن كبير وعمرو بن عبد وُدٍّ العامري قتله علي بن أبي طالب

= ياتومان : التَّوْمَانُ : كثير النوم ، قال الجوهري : وهو يختص بالنساء .

٤٦٧ - البخاري (٤٠٥ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٢٩ - باب غزوة الخندق ، وهي الأحزاب .

(١) البزار : كشف الأستار (٣ / ٢٣٦) كتاب الهجرة والمغازي ، باب غزوة الخندق .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٣٩) رواه البزار ، ورجاله ثقات .

٤٦٨ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٤٣) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

قال ابن هشام : وحدثني الثقة أنه حدث عن الزهري أنه قال : قُتل عليُّ يومئذ عمرو بن عبد ودُّ وابنه حِسل بن عمرو . قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبد ودُّ ويقال : عمرو بن عبد أ هـ .

٤٦٩ - * روى أحمد عن عائشة قالت : خَرَجْتُ يَوْمَ الحَنْدَقِ أَقْفُو آثَارَ النَّاسِ ، قَالَتْ ، فَسَمِعْتُ وَئِيدَ الْأَرْضِ وَرَائِي - يَعْنِي حِسَّ الْأَرْضِ - قَالَتْ : قَالَتْ فَأِذَا أَنَا بِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَمَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ الْحَارِثِ بْنُ أَوْسٍ يَحْمِلُ مِجَنَّةً قَالَتْ : فَجَلَسْتُ إِلَى الْأَرْضِ فَرَّ سَعْدٌ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ مِنْ حَدِيدٍ خَرَجَتْ مِنْهَا أَطْرَافُهُ فَأَنَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أَطْرَافِ سَعْدٍ ، قَالَتْ : وَكَانَ سَعْدٌ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ وَأَطْوَلِهِمْ ، قَالَتْ : فَمَرَّ وَهُوَ يَرْتَجِرُ وَيَقُولُ :

لَبِثَ قَلِيلًا يَدْرِكُ الْهَيْجَا جَمَلُ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

قَالَتْ : فَقَمْتُ فَاقْتَحَمْتُ حَدِيقَةً ، فَإِذَا فِيهَا نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِذَا فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَفِيهِمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ سَبْغَةٌ لَهُ يَعْنِي مَغْفَرًا ، فَقَالَ عُمَرُ : مَا جَاءَ بِكَ ؟ لَعْمُرِي وَاللَّهِ إِنَّكَ لَجَرِيئٌ ، وَمَا يُؤْمِنُكَ أَنْ يَكُونَ بَلَاءٌ أَوْ يَكُونَ تَحَوُّزٌ ؟ قَالَتْ : فَمَا زَالَ يُلُومُنِي حَتَّى تَمْنَيْتُ أَنْ الْأَرْضُ انْشَقَّتْ لِي سَاعَتُئذٍ فَدَخَلْتُ فِيهَا ، قَالَتْ : فَرَفَعَ الرَّجُلُ السَّبْغَةَ عَنْ وَجْهِهِ فَإِذَا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ : يَا عُمَرُ وَيْحَكَ ، إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ مِنْذُ الْيَوْمِ : وَأَيْنَ التَّحَوُّزُ أَوْ الْفِرَارُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَتْ وَيَزِيْمِي سَعْدُ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَرِيْشٍ يَقَالُ لَهُ ابْنُ الْعَرِيقَةِ بِسْمِهِمْ لَهُ فَقَالَ لَهُ خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْعَرِيقَةِ فَأَصَابَ أَكْحَلَهُ فَقَطَعَهُ فَدَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ

٤٦٩ - أحمد في مسنده (١٤١ / ٦) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٦ / ٦) : رواه أحمد ، وفيه محمد بن عمرو بن

علقمة ، وهو حسن الحديث وبقية رجاله ثقات .

- وأورده الحافظ ابن كثير في تاريخه (٢١٤ / ٤) ثم قال : وهذا الحديث إسناده جيد وله شواهد من وجوه كثيرة . وفيه التصريح بدعاء سعد مرتين مرة قبل حكمة في بني قريظة ومرة بعد ذلك كما قلنا أولاً والله الحمد والمنة

الجنة : بكسر الميم وفتح الجيم ، هو الترس ؛ لأنه يوارى حامله أي يستره والميم زائدة .

المغفر : بوزن المنبر ، هو ما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد ونحوه .

السبغة : شيء من حلق الدروع ، والزرد يعلق بالمغفر دائراً معه يستر الرقبة وجيب الدرع .

التحوز : المراد بالتحوز : الإشارة إلى قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَتَحِيزاً إِلَى فِتْنَةٍ ﴾ .

الأكحل : عرق في وسط الذراع في كل عضو منه شعبة .

سعدٌ فَقَالَ اللَّهُ لَا تُؤْتِنِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ قَرِيْظَةٍ ، قَالَتْ : وَكَانُوا حُلَفَاءَهُ وَمَوَالِيَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، قَالَتْ فَرَقًا كَلِمَةً وَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الرِّيحَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَكَفَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيْزًا ، فَلَحِقَ أَبُو سَفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ بِتِهَامَةٍ ، وَلَحِقَ عَيْنَةُ بْنُ بَدْرِ وَمَنْ مَعَهُ بَنَجْدٍ وَرَجَعَتْ بَنُو قَرِيْظَةٍ فَتَحَصَّنُوا فِي صِيَّاصِيهِمْ ، وَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ فَوَضَعَ السَّلَاحَ ، وَأَمَرَ بَقِيَّةَ مِنْ أَدَمَ فَضْرَبَتْ عَلَى سَعْدٍ فِي الْمَسْجِدِ ، قَالَتْ : فَجَاءَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِنْ عَلَى ثَنَائِيَّاهُ لَنَفْعُ الْغُبَارِ ، فَقَالَ : أَقَدْ وَضَعْتَ السَّلَاحَ ؟ وَاللَّهِ مَا وَضَعْتَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ السَّلَاحِ ، أَخْرَجَ إِلَى بَنِي قَرِيْظَةٍ فَقَاتِلَهُمْ . قَالَتْ : فَلَيْسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأُمْتِهِ ، وَأَذَنُ فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ أَنْ يَخْرُجُوا فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَرَّ عَلَى بَنِي غَنْمٍ وَهُمْ جِيرَانُ الْمَسْجِدِ حَوْلَهُ ، فَقَالَ : « مَنْ مَرَّ بِكُمْ ؟ » فَقَالُوا : مَرَّ بِنَا دِخْيَةُ الْكَلْبِيِّ . وَكَانَ دِخْيَةُ الْكَلْبِيِّ تُشَبِّهُ لِحْيَتَهُ وَسِنُّهُ وَوَجْهَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَتْ : فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَاصَرَهُمْ خَمْسًا وَعَشْرِينَ لَيْلَةً ، فَلَمَّا اشْتَدَّ حَضْرُهُمْ وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ قِيلَ لَهُمْ . انْزِلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَاسْتَشَارُوا أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ الذُّبْحُ قَالُوا : نَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « انْزِلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ » فَتَزَلُّوا وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ فَأَتَى بِهِ عَلَى حِمَارٍ عَلَيْهِ إِكَافٌ مِنْ لَيْفٍ قَدْ حُمِلَ عَلَيْهِ وَخَفَّ بِهِ قَوْمُهُ ، فَقَالُوا : يَا أَبَا عَمْرٍو حُلَفَاؤُكَ وَمَوَالِيكَ وَأَهْلُ النُّكَايَةِ وَمَنْ قَدْ عَلِمْتَ ، قَالَتْ : وَإِنَّهُ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ دُورِهِمِ التَفَتَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ : قَدْ أَتَى لِي أَنْ لَا أَبَالِي فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، قَالَ : قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : فَلَمَّا طَلَعَ عَلَى

= رَقًا : الدَّمْعُ وَالْدَمُ : جَفَّ وَسَكَنَ وَانْقَطَعَ .

كَلِمَةً : بِنَتِجَ الْكَافِ وَسَكُونُ اللَّامِ ، أَصْلُ الْكَلَمِ : الْجَرْحُ ، وَالْكَلِمُ : الْجَرِيحُ .

صِيَّاصِيهِمْ : أَيِ حَصُونِهِمْ ، جَمْعُ صَيْصِيَّةٍ ، وَكُلُّ شَيْءٍ امْتَنَعَ بِهِ وَتَحَصَّنَ بِهِ فَهُوَ صَيْصِيَّةٌ .

أَدَمَ : الْأَدَمُ : الْجُلُودُ .

ثَنَائِيَّاهُ : الثَّنَائِيَا : الْأَسْنَانُ الْمُتَقَدِّمَةُ .

النَّفْعُ : هُوَ الْغُبَارُ كَمَا فَسَّرَهُ الرَّاوِي ، وَالْمَعْنَى أَنَّ أَثَرَ غُبَارِ الْحَرْبِ بَاقٍ عَلَيْهِ .

الْإِكَافُ : هُوَ مَا يُشَدُّ عَلَى ظَهْرِ الْحِمَارِ ، كَالرَّجْلِ لِلْبَعِيرِ وَالسَّرَجِ لِلْفَرَسِ .

أَنَى : مَعْنَاهُ : أَنْ لِي أَنْ لَا أَبَالِي ، بِمَعْنَى أَنْ ، قَالَ فِي النِّهَايَةِ : هَلْ أَتَى الرَّحِيلُ ؟ أَيِ : حَانَ وَقْتُهُ ، تَقُولُ : أَتَى يَأْتِي ، وَفِي رَوَايَةٍ هَلْ أَنْ ؟ .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ فَأَنْزَلُوهُ » فقال عمر : سيدنا الله عز وجل ، قال : أَنْزِلُوهُ فَأَنْزَلُوهُ قال رسول الله ﷺ : « احْكُمُوا فِيهِمْ » قال سعد : فإني أحكم فيهم أن تُقْتَلَ مقاتلتهم وتُسَبَى ذراريهم وتُقَسَمَ أموالهم . وقال يزيد ببغداد : ويقسم : فقال رسول الله ﷺ : « لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل وحكم رسوله » قالت : ثم دعا سعد قال : اللهم إن كنت أبقيت على نبيك ﷺ من حرب قريش شيئاً فأبقني لها ، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك ، قالت : فانفجر كلُّهم وكان قد برئ حتى ما يرى منه إلا مثل الخرص ، ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ قالت عائشة : فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، قالت : فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي ، وكانوا كما قال الله عز وجل ﴿ رحماء بينهم ﴾ قال علقمة قلت : أي أمة فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع ؟ قالت : كانت عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان إذا وجد فإمنا هو أخذ بلحيته .

قال في فتح الباري :

واختلف في عدة مقاتلي بني قريظة : فعند ابن إسحاق أنهم كانوا ستائة وبه جزم أبو عمرو في ترجمة سعد بن معاذ ، وعند ابن عائد من مرسل قتادة ، كانوا سبعمائة ، وقال السهيلي : المكث يقول إنهم ما بين الثمانمائة إلى التسعمائة . وفي حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حبان بإسناد صحيح أنهم كانوا أربعمائة مقاتل ، فيحتمل في طريق الجمع أن يقال إن الباقيين كانوا أتباعا ، وقد حكى ابن إسحاق أنه قيل إنهم كانوا تسعمائة .

وفي قصة بني قريظة من الفوائد وخبر سعد بن معاذ جواز تمني الشهادة ، وهو مخصوص من عموم النهي عن تمني الموت . وفيها تحكيم الأفضل من هو مفضل . وفيها جواز الاجتهاد في زمن النبي ﷺ ، وهي خلافة في أصول الفقه . واختار الجواز سواء كان بحضور النبي

= قال يزيد ببغداد : معناه أن شيخ الإمام أحمد حدثه مرة أخرى ببغداد بلفظ (ويُقَسَم) بالياء والتحتية بدل التاء الفوقية .

الخرص : يضم الحاء المعجمة وسكون الراء : الحلقة الصغيرة من الحلي ، وهو حلي الأذن ، أنه لم يبق من جرح سعد إلا مثل حلقة الخرص من قلة ما بقي منه .

عليه أم لا ، وإنما استبعد المانع وقوع الاعتقاد على الظن مع إمكان القطع ، ولا يضر ذلك ،

لأن المانع هو ما يوجب الاعتقاد على الظن ، ولا يوجب الاعتقاد على الظن مع إمكان القطع ، ولا يضر ذلك ،

ولا يضر ذلك ، وإنما استبعد المانع وقوع الاعتقاد على الظن مع إمكان القطع ، ولا يضر ذلك ،

أخذ بيدها فجاء بها حتى يجلسها في مكانه ، وكانت إذا أتاها النبي ﷺ رحبت به ثم قامت إليه فقبلته .

واعلم أن هذا كله لا يتنافى مع ما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من أحب أن يمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار » لأن مشروعية إكرام الفضلاء وتوقيرهم لا تستدعي السعي منهم إلى ذلك أو تعلق قلوبهم بمحبته ، بل إن من أبرز صفات الصالحين والفضلاء أن يكونوا متواضعين لإخوانهم زهاداً في طلب هذا الشيء . رأيت إلى الفقير المحتاج ؟ إن الأدب الإسلامي يوصيه ويعلمه الترفع عن المسألة وإظهار الفاقة والحاجة للناس ، ولكن هذا الأدب الإسلامي نفسه يوصي الأغنياء بالبحث عن هؤلاء الفقراء المتعفين ويأمرهم بإكرامهم وإعطائهم من فضول أموالهم . أ هـ .

٤٧٠ - * روى الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال : رُمِيَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ ، فَقَطَّعُوا أَكْحَلَهُ - أو أَيْجَلَهُ - فَحَسَّتَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّارِ ، فَانْتَفَخَتْ يَدُهُ ، فَتَرَكَهُ ، فَزَوَّغَهُ الدَّمَ ، فَحَسَّتَهُ أُخْرَى ، فَانْتَفَخَتْ يَدُهُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ : اللَّهُمَّ لَا تُخْرِجْ نَفْسِي حَتَّى تَقَرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَاسْتَمَسَكَ عِرْقُهُ ، فَمَا قَطَرَ قَطْرَةً حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَكَمِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَحَكَمَ : أَنْ يُقْتَلَ رِجَالُهُمْ ، وَيُسْتَحْيَا نِسَاؤُهُمْ ، يَسْتَعِينُ بِهِنَّ الْمَسْلُومُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَصَبْتَ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ » . وَكَانُوا أَرْبَعًا مِائَةً ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ قَتْلِهِمْ انْفَتَقَ عِرْقُهُ ، فَمَاتَ .

٤٧١ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : حَارَبَتْ

٤٧٠ - الترمذي (٤ / ١٤٤) ، ٢٢ - كتاب السير - ٢٩ - باب ما جاء في النزول على الحكم ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

أَيْجَلَهُ : الْأَيْجَلُ : عِرْق ، وهو من الفرس والبعر بمنزلة الأكحل من الإنسان .

فَحَسَّتَهُ : الْحَسَمَ : الْكَى لِيَنْقَطِعَ الدَّمُ .

تُسْتَحْيَا : الِاسْتِحْيَاءُ : الْإِبْقَاءُ ، وهو استفعال من الحياة .

٤٧١ - البخاري (٧ / ٣٢٩) - ٦٤ - كتاب المغازي - ١٤ - حديث بني النضير .

ومسلم نحوه (٣ / ١٣٨٧) ، ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٢٠ - باب إجلاء اليهود من الحجاز .

قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ ، فَأَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ ، وَأَقْرَبُ قُرَيْظَةَ ، وَمَنْ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةَ ،
فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، إِلَّا بَعْضَهُمْ ، لَحِقُوا بِالنَّبِيِّ
ﷺ ، فَأَمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا ، وَأَحْلَى بِمَعْدَةِ الْمَدِينَةِ كُلِّهَا : نَزَلَ قَتْنُ قَاءَ - هِرَافُطَ - عَنِ اللَّهِ .

يصلين أحدَ العصرِ إلا في بني قريظة» فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم : لا نصلي حتى نأتيهم ، وقال بعضهم : بل نصلي ، لم يزد منا ذلك . فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم .

قال في الفتح :

قوله (لا يصلين أحد العصر) كذا وقع في جميع النسخ عند البخاري ، ووقع في جميع النسخ عند مسلم « الظهر » مع اتفاق البخاري ومسلم على روايته عن شيخ واحد بإسناد واحد ، وقد وافق مسلماً أبو يعلى وآخرون .

وقد جمع بعض العلماء بين الرويتين باحتمال أن يكون بعضهم قبل الأمر كان صلى الظهر وبعضهم لم يصلها فليل لم يصلها لا يصلين أحد الظهر ولمن صلاها لا يصلين أحد العصر . وجمع بعضهم باحتمال أن تكون طائفة منهم راحت بعد طائفة فقيل للطائفة الأولى الظهر ، وقيل للطائفة التي بعدها العصر ، وكلاهما جمع لا بأس به .

قال السهيلي وغيره : في هذا الحديث من الفقه : أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية ، ولا على من استنبط من النص معنى يخصه .

وفيه : أن كل مختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب . قال السهيلي : ولا يستحيل أن يكون الشيء صواباً في حق إنسان وخطأ في حق غيره ، وإنما الحال أن يحكم في النازلة بحكمين متضادين في حق شخص واحد ، قال : والأصل في ذلك أن الحظر والإباحة صفات أحكام لا أعيان قال : فكل مجتهد وافق اجتهاده وجهاً من التأويل فهو مصيب انتهى . والمشهور أن الجمهور ذهبوا إلى أن المصيب في القطعيات واحد ، وخالف الجاحظ والعنبري . وأما ما لا قطع فيه فقال الجمهور أيضاً : المصيب واحد ، وقد ذكر ذلك الشافعي وقرره ، ونقل عن الأشعري أن كل مجتهد مصيب وأن حكم الله تابع لظن المجتهد . وقال بعض الحنفية وبعض الشافعية : هو مصيب باجتهاده ، وإن لم يصب ما في نفس الأمر فهو مخطئ وله أجر واحد . ثم الاستدلال بهذه القصة على أن كل مجتهد مصيب على الإطلاق ليس بواضح ، وإنما فيه ترك تعنيف من بذل وسعه واجتهد ، فيستفاد منه عدم تأنيبه .

وحاصل ما وقع في القصة أن بعض الصحابة حملوا النهي على حقيقته ، ولم يباليوا بخروج الوقت ترجيحاً للنهي الثاني على النهي الأول وهو ترك تأخير الصلاة عن وقتها ، واستدلوا بجواز التأخير لمن اشتغل بأمر الحرب بنظير ما وقع في تلك الأيام بالخندق فقد تقدم حديث جابر المصريح بأنهم صلوا العصر بعد ما غربت الشمس وذلك لشغلهم بأمر الحرب ، فجوزوا أن يكون ذلك عاماً في كل شغل يتعلق بأمر الحرب ولاسيما والزمان زمان التشريع ، والبعض الآخر حملوا النهي على غير الحقيقة وأنه كناية عن الحث والاستمجال والإسراع إلى بني قريظة ، وقد استدل به الجمهور على عدم تأنيهم من اجتهد لأنه ﷺ لم يعنف أحداً من الطائفتين ، فلو كان هناك من إثم لعنف من أثم ، أ هـ .

٤٧٤ هـ - * روى أبو داود والترمذي عن عطية القرظي رضي الله عنه قال : غرضنا على رسول الله ﷺ يوم قريظة فكان من أنبت قتل ، ومن لم ينبت خلّي سبيله ، فكنت ممن لم ينبت ، فخلّي سبيلي .

وللنسائي ^(١) قال : كنت يوم حكم سعد في بني قريظة غلاماً ، فشكوا في ، فلم يجدوني أنبت ، فاستبقيت ، فما أنا ذا بين أظهركم .

(أنبت) أراد بالإنبات : نبات شعر العانة ، فجعله علامة على البلوغ ، وليس ذلك حداً إلا في أهل الشرك عند الأكثرين ، وقال أحمد بن حنبل رحمه الله : الإنبات حدٌ يقام به الحد على من أنبت ، ويحكي مثل ذلك عن مالك رحمه الله ، فأما من جعله مخصوصاً بأهل الشرك فيشبه أن يكون أن أهل الشرك لا يوقف على بلوغهم من جهة السن ، ولا يمكن الرجوع إلى قولهم لأنهم متهمون في ذلك لدفع القتل عنهم ، وأداء الجزية ، وغير ذلك من الأحكام ، بخلاف المسلمين ، فإنهم يمكن أن تعرف أوقات بلوغهم وولادتهم .

٤٧٤ هـ - أبو داود (١ / ١٢١) ، كتاب الحدود ، باب العلام بهيمة ، الحد

والترمذي واللفظ له (١ / ١٢٥) ، ٢٧ - كتاب السير ، ٢١ - باب ما جاء في العزل على الحد

وقال : هذا حديث حسن صحيح وهو لا قال

(١) النسائي (١ / ١٥٥) كتاب الطلاق ، باب متى يقع طلاق النسي

٤٧٥ - * روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : لَمْ يَقْتُلْ مِنْ نِسَائِهِمْ - تعني بني قريظة إلا امرأة ، إنها لعندي تَحَدَّثُ ، تَضْحَكُ ظَهْرًا وَبَطْنًا ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْتُلُ رِجَالَهُمْ بِالسَّيْفِ ، إِذْ هَتَفَ هَاتِفٌ بِاسْمِهَا : أَيْنَ فُلَانَةُ ؟ قَالَتْ : أَنَا ، قُلْتُ : وَمَا شَأْنُكَ ؟ قَالَتْ : حَدَّثْتُ أَحَدُثَّهُ ، قَالَتْ فَانْطَلَقَ بِهَا فَضْرِبْتُ عُنُقَهَا ، فَمَا أَنْتَ عَجَبًا مِنْهَا : أَنَّهَا تَضْحَكُ ظَهْرًا وَبَطْنًا ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهَا تُقْتَلُ .

٤٧٦ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ ^(١) قَالَتْ : كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُنْدَقِ .

* * * فوائد من غزوتي الأحزاب وقريظة

١ - في هاتين الغزوتين تظهر لك الكفاءة النبوية العالية ، وتظهر المعجزات الخارقات ، والمعجزات والكمالات هما النبوة والرسالة ، وكثيرون من الناس وهم يتحدثون عن محمد عليه الصلاة والسلام لا يحسنون العرض المتكامل فهم إما يبرزون الكفاءة على حساب المعجزة ، وإما يظهرهم المعجزة على حساب الكفاءة ، مع أن الكفاءة والمعجزة توأمان في حق الأنبياء جميعاً ، وذلك كله مظهر الحكمة الربانية في اختيار الرسل ، ومظهر التأييد الرباني للرسول عليهم الصلاة والسلام ، فهم بين توفيق وتأييد معجز أو سبي ، ولكن يبقى لعالم الأسباب في حياة الرسل عليهم الصلاة والسلام محله المريض لأن الأصل في

٤٧٥ - أبو داود (٢ / ٥١) ، كتاب الجهاد ، باب في قتل النساء - وإسناده حسن .

حدث : قال الخطابي : يقال إن الحدث الذي أحدثته : أنها شئت النبي ﷺ ، وذكر ابن هشام في الحديث الذي أحدثته : أنها قتلت صحابياً هو حلال بن سويد طرحت عليه الرجا .

٤٧٦ - البخاري (٧ / ٣٩٩) ، ٦١ - كتاب المغازي ٢٩ - باب غزوة الخندق ، وهي الأحزاب .

ومسلم (١ / ٢٢١٦) ، ٥٤ - كتاب التفسير - حديث (٢٠٢٠) .

زَاغَتِ الْأَبْصَارُ : مَالَتْ مِنْ مَخَاطِبِهَا ، وَذَلِكَ لِأَنَّهَا يَفْرَضُ لِلْإِنْسَانِ عِدَّةُ الْخَوَافِ .

الْحَنَاجِرُ : جَمْعُ الْحَجَرَةِ ، وَهِيَ الْخَلْفُومُ

(١) الْأَحْزَابُ : ١٠

التكليف ليس الخارق وإنما هو عالم الأسباب ، والرسول هم القدوة ، والناس عامة محكومون بعالم الأسباب ، ولذلك فأنت عندما تدرس المعجزات التي حدثت في هذه المرحلة لا تجدها تؤثر على قضايا الاقتداء المرتبطة بعالم الأسباب ، بمعنى أن ما حدث في هاتين الغزوتين يمكن إدخاله في دائرة التفكير والتدبير والاستعانة بالله أولاً وأخيراً ، وبعضه لرسول الله ﷺ معجزة خاصة ، وبعضه معجزة لرسول الله ﷺ ويمكن أن تطلبه من الله ، وفضل الله واسع ، مثال ذلك : تكثير الطعام القليل هو لرسول الله ﷺ معجزة ونحن علينا أن نُدبر الطعام لجندنا وهذا جزء من القدوة ، والريح كانت معجزة لرسول الله ﷺ ونحن ندعو الله أن يؤيدنا بما لا نحسب ، وفضل الله واسع .

٢ - وحول الخندق قال السباعي رحمه الله :

وفي قبوله ﷺ إشارة سلمان بحفر الخندق ، وهو أمر لم تكن تعرفه العرب من قبل ، دليل على أن الإسلام لا يضيّق ذرعاً بالاستفادة مما عند الأمم الأخرى من تجارب تفيد الأمة وتنفع المجتمع ، فلا شك أن حفر الخندق أفاد إفادة كبرى في دفع خطر الأحزاب عن المدينة ، وقبول رسول الله هذه المشورة ، دليل على مرونته ﷺ . واستعداداه لقبول ما يكون عند الأمم الأخرى من أمور حسنة ، وقد فعل الرسول مثل ذلك أكثر من مرة ، فلما أراد إنفاذ كتبه إلى الملوك والأمراء والرؤساء قيل له : إن من عادة الملوك ألا يقبلوا كتاباً إلا إذا كان مختوماً باسم مرسله ، فأمر على الفور بنقش خاتم له كتب عليه : محمد رسول الله ، وصار يختم به كتبه ، ولما جاءته الوفود من أنحاء العرب فتح مكة تعلن إسلامها ، قيل له : يارسول الله إن من عادة الملوك والرؤساء أن يستقبلوا الوفود بثياب جميلة فخمة ، فأمر رسول الله ﷺ أن تشتري له حلة يستقبل بها الوفود ، وهذا هو صنيع الرسول الذي أرسل بأخر الأديان وأبقاها إلى أبد الدهر ، فإن مما تحته مصلحة أتباعه في كل زمان وفي كل بيئة أن يأخذوا بأحسن ما عند الأمم الأخرى ، مما يفيدهم ، ولا يتعارض مع أحكام شريعتهم وقواعدها العامة ، والامتناع عن ذلك جود لا تقبله طبيعة الإسلام الذي يقول في دستوره الخالد : ﴿ فبشر عباد • الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾ ^(١) ولا طبيعة

(١) الزمر : ١٧ ، ١٨ .

رسوله الذي رأينا أمثلة عما أخذ من الأمم الأخرى ، ولهذا قيل : (الحكمة ضالة المؤمن يلتبسها أتى وجدها) ^(١) ويوم غفل المسلمون في العصور الأخيرة ، وخاصة بعد عصر النهضة الأوربية عن هذا المبدأ العظيم في الإسلام ، وقاوموا كل إصلاح مأخوذ عن غيرهم مما هم في أشد الحاجة إليه ، أصيبوا بالانهيار ، وتأخروا من حيث تقدم غيرهم ﷻ والله عاقبة الأمور ^(٢) . أ هـ

٣ - قال الشيخ الغزالي حفظه الله :

إن معركة الأحزاب لم تكن معركة خسائر بل معركة أعصاب فقتلى الفريقين من المؤمنين والكفار يعدون على الأصابع . ومع تلك الحقيقة فهي من أحسم المعارك في تاريخ الإسلام إذ إن مصير هذه الرسالة العظمى كان فيها أشبه بمصير رجل يمشي على حافة قمة سامقة ، أو حبل ممدود ، فلو اختل توازنه لحظة وفقد السيطرة على موقفه ، لهوى من مرتفعه إلى وادٍ سحيق ، ممزق الأعضاء ، ممزق الأشلاء ! ولقد أمسى المسلمون وأصبحوا فإذا هم كالجزيرة المنقطعة وسط طوفان يتهدها بالفرق ليلاً أو نهاراً . وبين الحين والحين يتطلع المدافعون : هل اقتحمت خطوطهم في ناحية ما من منطقة الدفاع ؟ وكان المشركون يدورون حول المدينة غضاباً يتحسسون نقطة ضعيفة لينحدروا منها فينفسوا عن حنقهم المكتوم ، ويقطعوا أوصال هذا الدين الثائر .

وعرف المسلمون ما يترتب بهم وراء هذا الحصار ، فقرروا أن يربطوا في مكانهم ينضحون بالنبل كل مقرب ، ويتحملون لأواء هذه الحراسة التي تنتظم السهل والجبل ، وتوسع ثغورها يوماً بعد يوم وهم كما وصف الله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ قَوْفِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ﴾ هنالك ابتلي

(١) الترمذي نحوه (٥ / ٥١) ٤٢ - كتاب العلم - ١٩ - باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ، بلفظ : « الكلمة الحكمة

ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحق بها » . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ،

وإبراهيم بن الفضل المدني الخزومي ، يضعف في الحديث من قبل حفظه .

وابن ماجه مثل رواية الترمذي (٢ / ١٣٩٥) ٣٧ - كتاب الزهد - ١٥ - باب الحكمة .

(٢) الحج : ٤١ .

المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴿ (١) أ هـ .

٤ - وقال الدكتور البوطي :

لقد كان من جملة الوسائل الحربية التي استعملها المسلمون في هذه الغزوة حفر الخندق ، ولقد كانت غزوة الأحزاب أول غزوة في التاريخ العربي والإسلامي يحفر فيها الخنادق ، إذ هو مما كان متعارفاً بين الأعاجم فقط ، وقد رأيت أن الذي اقترح ذلك في غزوة الأحزاب إنما هو سلمان الفارسي ، وقد رأيت أن النبي ﷺ أعجب بهذه الوسيلة الحربية وسرعان ما دعا أصحابه إلى القيام بتحقيقها .

وهذا من جملة الأدلة الكثيرة التي تدل على أن الحكمة هي ضالة المؤمن ، فحيثما وجدها التقطها بل هو أولى بها من غيره ، وأن الشريعة الإسلامية بمقدار ما تكره للمسلمين اتباع غيرهم وتقليدهم على غير بصيرة ، تحب لهم أن يجمعوا لأنفسهم أطراف الخير كله والمبادئ المفيدة جميعها ، أينما لاح لهم ذلك ، وحيثما وجد . فالقاعدة الإسلامية العامة في هذا الصدد ، هي أن لا يعطل المسلم عقله الحر وتفكيره الدقيق في سلوكه وعامة شؤونه وأحواله ، وإذا كان المسلم كذلك ، فهو ولا ريب ، لا يمكن أن يربط في عنقه زمناً يسلم طرفه للآخرين فيقوده حيثما أرادوا بدون وعي ولا بصيرة ، وهو أيضاً لا يمكن أن يتجاهل أي مبدأ أو عمل أو نظام يسلم به العقل النّير والفكر الحر وينسجم مع مبادئ الشريعة الإسلامية ، ليتجاوزها ولا يتعب نفسه بأخذها والاستفادة منه .

وقد استنبط علماء الحديث والسيرة من قصة بني قريظة هذه أحكاماً هامة نجملها فيما يلي :

أولاً - (جواز قتال من نقض العهد) ، وقد جعل الإمام مسلم رحمه الله هذا الحكم عنواناً لغزوة بني قريظة ، فالصلح والمعاهدة والاستئمان بين المسلمين وغيرهم ، كل ذلك ينبغي احترامه والتزامه على المسلمين ، ما لم ينقض الآخرون العهد أو الصلح أو الأمان

وحيثُذ يجوز للمسلمين قتالهم إن رأوا المصلحة في ذلك .

ثانياً - (جواز التحكيم في أمور المسلمين ومهامهم) ، قال النووي رحمه الله : فيه جواز التحكيم في أمور المسلمين وفي مهامهم العظام والرجوع في ذلك إلى حكم مسلم عادل صالح للحكم ، وقد أجمع العلماء عليه في شأن الخوارج ، فإنهم أنكروا على عليّ التحكيم ، وأقام الحجة عليهم .

وفيه جواز مصالحه أهل قرية أو حصن على حُكم حاكم مسلم عدل صالح للحكم أمين على هذا الأمر ، وعليه الحكم بما فيه مصلحة للمسلمين ، وإذا حكم بشيء لزم حكمه ، ولا يجوز للإمام ولاهم الرجوع ، ولهم الرجوع قبل الحكم .

ثالثاً - (مشروعية الاجتهاد في الفروع وضرورة وقوع الخلاف فيها) ، وفي اختلاف الصحابة في فهم كلام رسول الله ﷺ : « ألا لا يُصلّين أحد العصر إلا في بني قريظة ^(١) » على النحو الذي روينا ، مع عدم تعنيف النبي ﷺ أحداً منهم أو معاتبته - دلالة هامة على أصل من الأصول الشرعية الكبرى ، وهو تقرير مبدأ الخلاف في مسائل الفروع ، واعتبار كل من المتخالفين معذوراً ومثاباً ، سواء قلنا إن المصيب واحد أو متعدد كما أن فيه تقريراً لمبدأ الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية . وفيه ما يدل على أن استئصال الخلاف في مسائل الفروع التي تنبع من دلالات ظنية ، أمر لا يمكن أن يتصور أو يتم ، فالله سبحانه وتعالى تعبد عباده بنوعين من التكليف :

أحدهما : تطبيق أوامر معينة واضحة تتعلق بالعقيدة أو السلوك .

ثانيهما : البحث وبذل الجهد ابتغاء فهم المبادئ والأحكام الفرعية من أدلتها العامة المختلفة ، فليس المطلوب ممن أدركته الصلاة في بادية التَّبَسُّتْ عليه جهة القبلة فيها ، أكثر من أن تتجلى عبوديته لله تعالى في أن يبذل كل ما لديه من وسع لمعرفة جهة القبلة حسب فهمه وما يبدوله من أدلة ، حتى إذا سكنت نفسه إلى جهة ما ، استقبلها فصلّى إليها .

(١) سبق تخريجه في صفحة (٩٠) من هذا الجزء .

ثم إن هنالك حكماً باهرة لمجيء كثير من الأدلة والنصوص الشرعية ظنية الدلالة غير قطعية . من أبرزها ، أن تكون الاجتهادات المختلفة في مسألة ما ، كلها وثيقة الصلة بالأدلة المعتبرة شرعاً ، حتى يكون للمسلمين متسع في الأخذ بأيها شاءوا حسبها تقتضيه ظروفهم ومصالحهم المعتبرة وتلك من أجلى مظاهر رحمة الله بعباده ، في كل عصر وزمن .

وإذا تأملت هذا ، علمت أن السعي في محاولة القضاء على الخلاف في مسائل الفروع ، معاندة للحكمة الربانية والتدبير الإلهي في تشريعه ، عدا أنه ضرب من العبث الباطل . إذ كيف تضمن انتزاع الخلاف في مسألة ما ما دام دليلها ظنياً محتملاً ؟ لو أمكن ذلك أن يتم في عصر ما ، لكان أولى العصور به عصر رسول الله ﷺ ، ولكان أولى الناس بأن لا يختلفوا هم أصحابه ، فما بالهم اختلفوا مع ذلك كما قد رأيت ؟! أ هـ .

* * *

فصل : في قتل أبي رافع

هو زعيم يهودي اسمه سلام بن أبي الحقيق رحل عن المدينة مع بني النضير وأقام بخيبر .

قال ابن القيم : قدّمنا أن أبا رافع كان ممن ألب الأحزاب على رسول الله ﷺ ، ولم يقتل مع بني قريظة كما قتل صاحبه حيي بن أخطب ، ورغبت الخزرج في قتله مساواة للأوس في قتل كعب بن الأشرف ، وكان الله - سبحانه وتعالى - قد جعل هذين الحيين يتصاولان بين يدي رسول الله ﷺ في الخيرات ، فاستأذنه في قتله ، فأذن لهم ، فانتدب له رجال كلهم من بني سلمة ، وهم عبد الله بن عتيك ، وهو أمير القوم ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربيع ، ومسمود بن سنان ، وخزاعي بن أسود ، فساروا حتى أتوه في خيبر فقتلوه .

٤٧٧ - * روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً وهو نائم ، فقتله .

وفي رواية ^(١) قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجلاً من الأنصار ، فأمر عليهم عبد الله بن عتيك ، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ، ويعين عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز ، فلما دنوا منه - وقد غربت الشمس وراح الناس بسرهم - فقال عبد الله لأصحابه : اجلسوا مكانكم ، فإني متطلق ومتلطف للبواب ، لعلني أن أدخل ، فأقبل حتى دنا من الباب ، ثم تقنّع بثوبه ، كأنه يقضي حاجة ، وقد دخل الناس ، فهتف به البواب : يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل ، فإني أريد أن أغلق الباب ، فدخلت فكمّنت ، فلما دخل الناس أغلق الباب ، ثم علّق الأغاليق على ود ، قال : فقامت

٤٧٧ - البخاري (٧ / ٣٤٠) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٦ - باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق .

رهط : الرهط : الجماعة من الناس دون العشرة .

(١) البخاري في نفس الموضع السابق .

بسرهم : السرح : اللواشي ، لأنها تسرح نهاراً في المرعى .

الأقاليد : والأغاليق : المفاتيح .

إلى الأقاليد فأخذتها ، ففتحت الباب - وكان أبو رافع يُسَمِّرُ عنده ، وكان في غلايٍ له - فلما ذهب عنه أهلُ سَمَرِهِ صَعِدَتْ إليه ، فَجَعَلَتْ كما فتحتُ باباً أغلقتُ عليَّ من داخل ، قلتُ : إن القومَ نَذِرُوا بي ، لم يَخْلُصُوا إليَّ حتَّى أقتله ، فأنتهيتُ إليه ، فإذا هو في بيتٍ مظلم وسط عياله ، لا أدري أين هو من البيت ؟ فقلتُ : أبا رافع ، قال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوتِ ، فأضربُهُ ضربةً بالسيف ، وأنا دَهْشٌ ، فَاغْنَيْتُ شيئاً ، وصاح ، فخرجتُ من البيت ، فأمكنثُ غَيْرَ بعيد ، ثم دَخَلْتُ إليه ، فقلتُ : ما هذا الصوتُ يا أبا رافع ؟ فقال : لأَمْكُ الويلُ ، إن رجلاً في البيت ضربني قبلُ بالسيف ، قال : فأضربُهُ ضربةً أثخنته ، ولم أقتله ، ثم وضعت صَيِّبَ السيفِ في بطنه ، حتى أخذ في ظهره ، فعرفتُ أني قتلته فجعلتُ أفتحُ الأبوابَ باباً باباً ، حتى انتهيتُ إلى درجةٍ له ، فوضعتُ رجلي ، وأنا أَرَى أني قد انتهيتُ إلى الأرض ، فوقعت في ليلةٍ مُقَمَّرَةٍ ، فانكسرتُ ساقِي ، فعصبتها بعمامة ، ثم انطلقتُ حتى جلستُ على الباب ، فقلتُ : لا أخرج الليلةَ حتى أعلم : أقتلته ؟ فلما صاح الديكُ : قام النَّاعي على السور فقال : أنعى أبا رافع تاجرَ أهلِ الحجاز ، فانطلقتُ إلى أصحابي ، فقلتُ : النجاء ، فقد قَتَلَ الله أبا رافع فأنتهيتُ إلى النبي ﷺ ، فحدثته ، فقال : لي : « ابسطُ رِجْلَكَ » فبسطت رجلي ، فمسحها ، فكأنها لم أشتكيها قط .

وفي رواية ^(١) قال : بعثَ رسولُ الله ﷺ إلى أبي رافع عبدُ الله بنَ عَتِيكَ وعبدُ الله بنَ عَتْبَةَ في ناسٍ معهم ، فانطلقوا حتى دَنَوْا من الحِصْنِ ، فقال لهم عبدُ الله بنُ عَتِيكَ : أمْكُثُوا

وَدَ : الوُدُ : الودد في لغة تميم .

يسمر : السَمَرُ : الحديث في الليل .

نذروا : نَذِرَ القومُ بفلان : إذا علموا به .

فأهويتُ إلى الشيء : إذا مددت يدك إليه .

ظَبَّةُ السيف : طرفه ، وجمعها ظَبِيٌّ ، وصبيب السيف قد اختلفوا فيه ، فقيل : هو بالصاد المهملة ، وهو طرفه ، قال الحربي : هو آخر ما بلغ سيلانه حين ضُرب وعمل ، وقيل : هو بالظاء المعجمة ، ولا أرى له معنى ، وأما ظَبَّةُ السيف : فطرفه ، وقد ذكرت ، وأما بالصاد المعجمة : فلا مدخل له هاهنا ، والصحيح : أنه بالصاد المهملة كما قلنا ، والله أعلم .

النجاة : أي اطلبوا النجاة ، وهي الخلاص من طلب العدو .

(١) البخاري (٧ / ٣٤١) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٦ - باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق .

أنتم ، حتى أنطلق أنا فأنظر ، قال : فتلطف أن أدخل الحصن ، ففقدوا حياراً لهم ، قال : فخرجوا بقبس يطلبونه ، قال : فخشيت أن أعرف قال : فغطيت رأسي كأني أقضي حاجة ، ثم نادى صاحب الباب : من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أغلقه ، فدخلت ، ثم اختبأت في مَرَبِط حمارٍ عند باب الحصن ، فتعشوا عند أبي رافع ، وتحدثوا حتى ذهب ساعة من الليل ، ثم رجعوا إلى بيوتهم ، فلما هدأت الأصوات ، ولا أسمع حركة خرجت ، قال : ورأيت صاحب الباب حيث وُضِعَ مفتاح الحصن في كوة فأخذته ، ففتحت به باب الحصن ، قال : قلت : إن نذير بني القوم انطلقت على مهل ، ثم عمدت إلى أبواب بيوتهم ، فغلقتها عليهم من ظاهر ، ثم صعدت إلى أبي رافع في سلم ، فإذا البيت مظلم قد طفيء سراجُه ، فلم أدري أين الرجل ؟ فقلت : يا أبا رافع ، قال : من هذا ؟ قال : فعمدت نحو الصوت فأضربه وصاح فلم تغن شيئاً . قال : ثم جئت كأني أغيبه ، فقلت : مالك يا أبا رافع ، وغيّرت صوتي ، فقال : ألا أعجبك ؟ لأشك الويل ، دخل علي رجل فضرني بالسيف ، قال : فعمدت له أيضاً فأضربه أخرى فلم تغن شيئاً ، فصاح ، وقام أهله قال : ثم جئت ، وغيّرت صوتي كهية المغيث ، فإذا هو مستلقٍ على ظهره ، فأضع السيف في بطنه ، ثم أنكفيء عليه ، حتى سمعت صوت العظم ، ثم خرجت دهباً ، حتى أتيت السلم ، أريد أن أنزل ، فأسقط منه ، فانخلعت رجلي ، فعصبتها ، ثم أتيت أصحابي أحجل ، فقلت : انطلقوا ، فبشروا رسول الله ﷺ ، فإني لا أبرح حتى أسمع الناعية ، فلما كان في وجه الصبح صعد الناعية ، فقال : أنعى أبا رافع ، قال : فقامت أمشي ما بي قلبه ، فأدركت أصحابي قبل أن يأتوا النبي ﷺ فبشرته .

وفي رواية (١) : بعث رسول الله ﷺ رهطاً من الأنصار إلى أبي رافع ليقتلوه

= بقبس : القبس : الشعلة من النار .

هدأت : الأصوات ، أي : سكنت .

كوة : الكوة : الثقب النافذ في الحائط يدخل منها الهواء والضوء .

انكفاً : ينكفيء انكفاءً : إذا رجع من حيث جاء .

أحجل : الحجل مشي قريب الخطو كشي المقيد .

(١) البخاري (١ / ١٥٥) ٥٦ - كتاب الجهاد - ١٥٥ - باب قتل النائم للشرك .

فخرجتُ فَمِنْ خَرَجَ، أَرِيهِمْ أَنِّي أَطْلُبُهُ مَعَهُمْ، فوجدوا الحِجَارَ، فدخلوا ودخلتُ، فأغلقوا بابَ الحِصْنِ ليلاً، فوضعوا المفاتيحَ في كُوةٍ حيثُ أراها، فلما ناموا أخذتُ المفاتيحَ، ففتحتُ بابَ الحِصْنِ، ثم دخلتُ عليه... ثم ذكر نحوه في قتل أبي رافع ووقوعه من السلم، قال: قَوِّثْتُ رَجُلِي، فخرجتُ إلى أصحابي، فقلتُ: ما أنا بيارح حتى أسمع الناعية، فما بَرَحْتُ حتى سَمِعْتُ نَعَايَا أَبِي رَافِعٍ تَاجَرَ أَهْلَ الْحِجَازِ، قال: فقمْتُ وما بي قَلْبَةٌ، حتى أَتَيْنا النَّبِيَّ ﷺ فأخبرناه.

قال ابن حجر: وفي هذا الحديث من الفوائد جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة وأصر، وقتل من أعان على رسول الله ﷺ بيده أو ماله أو لسانه، وجواز التجسس^(١) على أهل الحرب وتطلب غرتهم، والأخذ بالشدة في محاربة المشركين، وجواز إيهام القول للمصلحة، وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين؛ والحكم بالدليل والعلامة لاستدلال ابن عتيك على أبي رافع بصوته، واعتماده على صوت الناعي بموته، والله أعلم.

٤٧٨ - * روى مالك عن عبد الرحمن بن كعب رضي الله عنهما أنه قال: نهى رسول الله ﷺ الذين قتلوا ابن أبي الحقيق عن قتل النساء والولدان؟ قال: فكان رجلٌ منهم يقول: بَرَحْتُ بِنَا امْرَأَةً ابْنُ أَبِي الْحَقِيقِ بِالصِّيَاحِ، فأرفعُ السَّيْفَ عَلَيْهَا، ثم أذكرُ نَهْيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فأكفُ وَلَوْلَا ذَلِكَ اسْتَرَحْنَا مِنْهَا.

* * *

وُثِّتُ: قَدُمْتُ فَهِيَ مَوْتُوَّةٌ - تَهْمَزُ وَلَا تَهْمَزُ - : إِذَا تَوَجَّعْتَ وَتَأَلَّمْتَ، وَالْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا: أَنَّهَا اخْلَعَتْ وَكَادَتْ. الناعية: النادبة والنايحة، والجمع: النعايا، ويكون للرجل، والهاء فيه زائدة للمبالغة، لا للتأنيث. برحت: برح به الأمر، أي أضُرُّ به ولقي منه شدة. قنبة: يقال ما به قنبة: أي ما به من ألم يحتاج أن ينقلب ليبصر، وقيل هو من القنبة، وهو داء يأخذ البعير في قلبه فيقتله.

(١) التجسس: تجسس الخبر: جسسه، ومنه الجاسوس، من يتجسس الأخبار.

٤٧٨ - مالك في الموطأ (٢ / ٤٤٧) ٢١ - كتاب الجهاد - ٣ - باب النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو. قال ابن عبد البر: اتفق رواة الموطأ على إرساله.

بَرَحْتُ: برح به الأمر: أضُرُّ به ولقي منه شدة.

فصل : في زواجه عليه الصلاة والسلام بزینب بنت جحش

زینب بنت جحش بن رثاب الأسدية بنت عمه رسول الله ﷺ ، أمها أمية بنت عبد المطلب وهي التي زوجها الله سبحانه وتعالى بنبيه لمصلحة تشريع ، بينه في سورة الأحزاب .

٤٧٩ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما انقضت عدة زینب قال رسول الله ﷺ : « اذكروها علي » قال : فانطلق زيد حتى أتاهها وهي تخمر عجبها ، قال : فلما رأيته عظممت في صدري ، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها : أن رسول الله ﷺ ذكرها ، فوليتها ظهري ، ونكصت على عقبي ، فقلت : يا زینب أرسل رسول الله ﷺ يذكرك قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي ، فقامت إلى مسجدها ، ونزل القرآن ، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن قال : فقال : ولقد رأيته أن رسول الله ﷺ أطعنا الخبز واللحم حين امتد النهار ، فخرج الناس ، وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام ، فخرج رسول الله ﷺ واتبعته ، فجعل يتبع حجر نسائه ، يسلم عليهن ، ويقولن : يا رسول الله ، كيف وجدت أهلک ؟ قال : فما أدري ، أنا أخبرته : أن القوم قد

٤٧٩ - مسلم (٢ / ١٠٤٨) ١٦ - كتاب النكاح - ١٥ - باب زواج زینب بنت جحش ، ونزول الحجاب ، وإثبات ولية العرس .

لزيد : هو زيد بن حارثة الذي سماه الله سبحانه في تلك السورة من كتابه .

فاذكروها علي : أي فاخطبها لي من نفسها .

تخمر عجبها : أي تجعل في عجبها الخير . قال الحد : وتخمر العجب تركه ليجود .

فلما رأيته عظممت في صدري .. : معناه أنه هابها واستجلها من أجل إرادة النبي ﷺ تزوجها . فعاملها معاملة من تزوجها ﷺ ، في الإعظام والإجلال والمهابة . وقوله : أن رسول الله .. هو بفتح الهمزة من أن أي من أجل ذلك . وقوله : نكصت ، أي رجعت . وكان جاء إليها ليخطبها وهو ينظر إليها ، على ما كان من عادتهم .

وهذا قبل نزول الحجاب . فلما غلب عليه الإجلال تأخر . وخطبها وظهره إليها ، لئلا يسبقه النظر إليها .

إلى مسجدها : أي موضع صلاتها من بيتها .

ونزل القرآن : يعني نزل قوله تعالى : ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها ﴾ فدخل عليها بغير إذن .

ولقد رأيته : أي رأيته أنفسنا .

حين امتد النهار : أي ارتفع . هكذا هو في النسخ : حين ، بالنون .

خَرَجُوا ، أَوْ أَخْبَرَنِي ، قَالَ : فَانْطَلِقْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ ، فَذَهَبَتْ أَدْخَلَ مَعَهُ ، فَأَلْقَى السَّيْفَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَزَلَ الْحِجَابُ ، قَالَ : وَوَعِظَ الْقَوْمَ بِمَا وَعِظُوا بِهِ .

زَادَ فِي رِوَايَةٍ : ذَكَرَ الْآيَةَ ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ - ﴿ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾ (١) .

وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ (٢) أَبِي كَامِلٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَوْلَمَ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ مَا أَوْلَمَ عَلَى زَيْنَبَ ، فَإِنَّهُ دَخَلَ شَاءَ .

٤٨٠ - * رَوَى الْحَاكِمُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ بَعَثَتْهُ أُمُّ سَلَيْمٍ خَيْسًا فِي تَوْرٍ مِنْ حِجَارَةٍ ، قَالَ أَنَسُ : فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : « أَذْهَبَ فَأَدْعُ مَنْ لَقِيتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » فَذَهَبْتُ فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا إِلَّا دَعَوْتُهُ قَالَ : وَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فِي الطَّعَامِ وَدَعَا فِيهِ ، وَقَالَ : « مَا شَاءَ اللَّهُ » قَالَ فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ ، وَبَقِيَتْ طَائِفَةٌ فِي الْبَيْتِ فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَسْتَحْيِي مِنْهُمْ وَأَطَالُوا الْحَدِيثَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَتَرَكَهُمْ فِي الْبَيْتِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاءَهُ ﴾ يَعْنِي غَيْرَ مَتَحِينَينَ ، حَتَّى بَلَغَ ﴿ ذَلِكَمُ أَطْهَرُ لِقَافِلَتِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ (٣) .

جَوَانِبُ مَنْ كَالِ شَخْصِيَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ذَكَرْنَا قِصَّةَ زَوَاجِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ زَيْنَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هَهُنَا لِإِدْرَاكِ جَانِبٍ

(١) الْأَحْزَابُ : ٥٢ .

(٢) مُسْلِمٌ فِي نَفْسِ الْمَوْضِعِ السَّابِقِ (٢ / ١٠٤٩) .

غَيْرِ نَاطِرِينَ إِنَاءَهُ : أَيِ غَيْرِ مُنْتَظَرِينَ لِإِدْرَاكِهِ . وَالْإِنَاءُ كَلْبِي ، مُصْدَرَأْتِي يَأْنِي ، إِذَا أَدْرَكَ وَنَضَجَ . وَيُقَالُ : بَلَغَ هَذَا إِنَاءَهُ ، أَيِ غَايَتِهِ ، وَمِنْهُ جَمِ أَنْ ، وَعَيْنُ آنِيَةِ ، وَبَابُهُ رَمَى .

٤٨٠ - الْمُسْتَدْرَكُ (٢ / ٤١٧) ، كِتَابُ التَّفْسِيرِ ، وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادُ وَلَمْ يَخْرُجْ . وَأَقْرَأَهُ الذَّهَبِيُّ . الْحَمِيسُ : تَمْرٌ وَأَقَطُ وَسَمْنٌ تَخْلُطُ وَتَمَجَّنُ وَتَسْوَى كَالْثَرِيدِ .

تَوْرٌ : إِنَاءٌ يُشْرَبُ فِيهِ ، وَجَمْعُهُ أَتَوَارُ .

(٣) الْأَحْزَابُ : ٥٢ .

من شخصيته عليه الصلاة والسلام وكالاتها ، فهذا الرسول الأعظم ﷺ الذي رأيته في الغزوات والعمل السياسي أعظم ما يمكن أن يكون إنسان تجده في قضايا الشخصية على مثل هذا الحياء والتحمل لأصحابه ، حتى إنه لا يواجههم بطلب شخصي يذكرهم بواجب ذوقي مادام هذا الأمر مرتبطاً به .

بل إنك لتجد أن حسن الأدب معه عليه الصلاة والسلام وأدب التعامل ينزل به القرآن . فيخرج بذلك رسول الله ﷺ من الإحراجات في شؤون كانت تضايقه ويخرج بالتنبية عليها .

كما أنه في قصة زينب نجد مظهراً من مظاهر الكمال ودليلاً من أدلة الرسالة فكثيراً ما يحدث أن تغيير تشريع أو سنّ قانون أو إنهاء عادة يحتاج إلى مقدمات وتمهيدات ، وقد يوافق الغرض وقد لا يوافق ، وقد ينجح وقد لا ينجح ، وههنا تجد أن نظام التبني وهو نظام عميق الجذور في حياة العرب وفي حياة البشر يهدم بضربة واحدة بنزول آيات فيه ، وبزواج محمد ﷺ من كانت زوجة لمتبناه ، فينتهي بذلك نظام التبني من المجتمع الإسلامي الحق ، إلى الأبد .

* * *

فوائد عامة من أحداث السنة الخامسة

١ - لقد برز لنا في أحداث هذه السنة ومن قبل كان بارزا وسرى ذلك دائماً أن رسول الله ﷺ كانت تأتيه أخبار تحشّدت الأعداء في أوائلها فلم يكن يفاجأ بمحاذة ولا تدبير يدبره الأعداء ، وهذا يجعلنا أمام أهم قضية في الحرب والسلم ، وهي قضية أجهزة المخابرات ، إن العالم كلّه قد أدرك اليوم أنّه بقدر ما يكون جهاز المخابرات قوياً فإنّ ذلك يعوّض عليك أشياء كثيرة ويجنبك أشياء خطيرة ، صحيح أن ذلك قد يكلف ولكن مهما كانت التكلفة فالربح أكبر ، إنّه بالنسبة لأي نظام يشكل جهاز المخابرات عينه التي تكشف الخطأ والخطر فتتلافى الأخطاء وتستأصل الأخطار قبل وقوعها ، ومهما يقال بالنسبة لأجهزة المخابرات فالمسألة أخطر وأكبر ، وكل ما يمكن أن تحققه أجهزة المخابرات في العالم كان يتحقق لرسول الله أحياناً عن طريق عالم الأسباب وأحياناً عن طريق الغيب ، فكم من مؤامرة كشفها جبريل ، ولكن رسول الله ﷺ مع هذا لم يكن ليغفل فذلك تكليفه ولقد كانت تتجمع عند رسول الله ﷺ المعلومات من مصادر متعدّدة ، سراياه الاستطلاعية ، المسلمون المتخفون ، المتعاطفون مع المسلمين ، المعاهدون ، الفراسة واستكشاف ما وراء السطور ، المهم أن رسول الله ﷺ ما كان يفاجأ بتأمر داخلي أو تهديد خارجي وهذا يجعل المسلمين في عصرنا أمام قضية يجب أن يعطوها كامل الاعتبار ، مع ملاحظة الضوابط الشرعية .

٢ - لقد قرّر رسول الله ﷺ أن يدافع عن عاصمته ، فهي معقله الأول والأخير على قلة العدد وكثرة العدو ، وهذا يجعلنا أمام قاعدة مهمة أنّه لا خيار في القتال عندما يصل العدو إلى العاصمة أو المعقل الأخير ، أمّا إذا كان الانسحاب إلى معقل أو قيادة فهذا يدخل في التحيز إلى فئة . ولكن مع هذا فقد حرص الرسول ﷺ ألا يدخل في قتال تصادمي مع جيوش تفوق جيشه ، وهذا يوصلنا إلى فكرة البحث عن أجدى الوسائل لتجنب الاستئصال ، فليست مهمات القيادة أن تقاتل أو تجهز للقتال فقط بل من مهمّاتها أن تفكر في أن تكون خسائرها أقل إن فاتها أن تجعل خسائرها معدومة . فإذا عرفنا أنّه لم يقتل من المسلمين في غزوة الأحزاب إلا ستة أدركنا كيف أن مبدأ الاقتصاد في القوى كان مطبقاً على أرقاه عند رسول الله ﷺ وفي ذلك درس للقيادات التي لا تبالى بعدد الضحايا

في المعارك الرئيسية أو الجانبية .

٣ - أسوأ القادة هم الذين لا يستطيعون أن يسيطروا على العصبية ، فضلا عن أن ينزلوا في حمايتها ، وأفضل القادة هم الذين يعرفون خصائص الناس ويعرفون لكل حقّه ويستطيعون أن يضعوا الإنسان المناسب في المكان المناسب ويحسنون توجيه الطاقات ، ولقد كان رسول الله ﷺ في كل شيء هو الأرق ، ومن ذلك هذا الجانب ، فالجزيرة العربية مهد العصبية ، العصبية للأسرة وللشعب وللقبيلة ، ورسول الله ﷺ محل قيادته المباشرة هم العرب ، فكان لابد أن يسيطر على العصبية وأن يصهرها بعصبية واحدة هي العصبية للإسلام وأهله ، وأن يستفيد بعد ذلك من خصائص الناس ومن تنافسهم ، وإنك لتجد كيف أنّ هذا كله قد تهيأ لرسول الله ﷺ فلم يفلت الزمام من يده مرة واحدة على كثرة المحاولات من يهود ومن المنافقين لإركاس الناس في هذه الحماة ، تجد ذلك في مواقف كثيرة وسنرى في أحداث السنة السادسة نموذجاً على ذلك ، وفي تنافس الأوس والخزرج على الفضائل بما يخدم الإسلام نموذج على الجانب الآخر ، ومقتل أبي رافع الذي فعلته الخزرج لتكافئ الأوس في قتلها لكعب بن الأشرف بيان لهذا الجانب من حياته عليه الصلاة والسلام في الاستفادة من العصبية بما يخدم الإسلام .

٤ - المبادرة في العمل السياسي تشكل جانباً مهماً منه أو ركناً من أركانه ، والسياسي الناجح هو الذي يبادر في الوقت المناسب إذا وجد استعدادا ، ويفسد مبادرة خصمه إذا بادر الخصم إلى ما يضره ، والسياسي المسلم مقيّد دائماً بالحق والعدل والحكم الشرعي والمصلحة ، ولكن لابد أن يمتلك في حدود ذلك قوة المبادرة وقوة تجنب مبادرة الخصوم الضارة وما أصعب ذلك ، والملاحظ أنّ حياة رسول الله ﷺ مليئة بالمبادرات ، فبإدارته بكتابة العهد بينه وبين سكان المدينة ، ومبادراته بالعقود ، ومبادراته ضد استعدادات الآخرين غاذج ، وفي قصة الأحزاب تجد الذين أقدموا على مبادرة التجميع ضد رسول الله ﷺ هم اليهود واليهود في كل زمان ومكان يمتلكون الجرأة على المبادرات ، ولكن مبادراتهم تلك ضد رسول الله ﷺ كانت كارثة عليهم ، وهذا من توفيق الله له عليه الصلاة والسلام ثم من كالاته ، على كل الأحوال فإنّ على الحركة الإسلامية أن تبادر . وأن تمتلك القدرة على التصرف أمام

مبادرات الخصوم .

٥ - في كثير من الأحيان تضطر القيادات السياسية والعسكرية لمواقف لا بد منها ، وفي مثل هذه المواقف لا يفرق بين الخائن والأمين إلا الثقة ، فمن وثق قال عن قائده أمين ومن لم يثق قال عنه خائن ، ولذلك لا يصح بالنسبة للقيادات الإسلامية أن تخذش الثقة ، والقيادات الإسلامية في هذه الحالة بين أمرين : إما أن تستقيل ، أو تنتزه عن مواطن الشبهات ، وما عدا ذلك فإنه خيار صعب وقد يكون فاسداً ، وعلى كل الأحوال فهذا يجعلنا نؤكد على أنه يجب أن تبذل كافة الجهود لتبني الثقة في القيادات على أرقاها ، فذلك هو الطريق الوحيد للوصول إلى القرار الحكيم ، تقول هذا بمناسبة أن رسول الله ﷺ عرض على غطفان ثلث ثمار المدينة في مقابل أن يتبذروا عن قريش . صحيح أن ذلك لم يُبرم ، ولكن هل أثمر عرض رسول الله ﷺ على الثقة فيه ؟ ترى من يستطيع الآن من القيادات الإسلامية أن يعرض عروضاً ما على الكافرين بسبب ظروف صعبة ثم لا يكون محلّ تهمة لدى إخوانه ؟ هذا الوضع يجب أن تتحرر الحركة الإسلامية منه ، يجب أن يكون تقديرها للموقف سليماً وعلى ضوء ذلك تتخذ قرارها المناسب ، كائناً ما كان مادام شرعياً وفيه مصلحة ، وعليها أن تربي الصف على الثقة ، وعلى القيادات أن تكون جديرة بهذه الثقة .

* * *

تقويم الموقف في نهاية السنة الخامسة

لقد انتهت غزوة الأحزاب في الظاهر بسلامة الفريقين وتكافئهما ، ولكن الأمر في حقيقته كان غير ذلك ، فلقد سجّل رسول الله ﷺ في هذه الغزوة انتصاراً من أعظم انتصاراته ، لقد كان هو المنتصر الأكبر على الساحة جميعها سياسياً وعسكرياً وإعلامياً ونفسياً ، فعندما يرجع جيش مقداره عشرة آلاف وهو أضخم جيش عرفته الجزيرة العربية حتى يومها ، دون أن يحقق شيئاً ضد جيش قوامه ثلاثة آلاف فذلك وحده خسارة لهذا الجيش ، فإذا ما أضيف إلى ذلك أن هذه أول تجربة لتجميع العرب المشركين ضد محمد ﷺ وكانت تجربة فاشلة فهذا يعني أنها لن تتكرر وذلك ربح آخر ، ولكن ترتّب على هذه الغزوة استئصال قريظة بسبب غدرها فذلك يعني أن المسلمين لن يؤثّروا مرة أخرى من

داخلهم وذلك ربح ، فإذا ما اجتمع مع ذلك أنّ قريشاً رجعت يائسة لأنها مع غيرها لن تستطيع أن تفعل شيئاً فكيف بها وحدها ؟ وإذن فقريش لن تعيد الكرة وذلك كذلك ربح وهكذا نجد رسول الله ﷺ وهو يدلف إلى السنة السادسة في أفضل وضع سياسياً وعسكرياً وسرى كيف أنّه استفاد من هذه الظروف كلّها أيما استفادة فحقّق في السنة السادسة أعظم انتصار في تاريخ الدولة الإسلاميّة الناشئة .

* * *

السَّنة السَّادِسَةُ لِلْهَجْرَةِ

أحداث السنة السادسة في سطور

كان الموقف الذي تمخّضت عنه أحداث السنة الخامسة يحتاج إلى استئثار، ولا أعرف في تاريخ العالم أحداً يستطيع أن يستثمر وضعاً كما يفعل رسول الله ﷺ وما جرى في السنة السادسة نموذج على ذلك، فلقد صعد رسول الله ﷺ زَحَمَ^(١) السرايا والبعوث كما لم يفعل من قبل وبذلك ثبت القبائل كلها، كل في مكانه، وفي هذا الجوّ أعلن أنه يريد العمرة وبهذا بلغ ﷺ قمة الموقف، فالقبائل مثبتة، وشعار العمرة لا يرفضه أحد، وبهذا دخلت قريش في أكبر إحراج سياسي وعسكري، فلو شاءت أن تستنفر العرب لقتال لا تجد من يستجيب، فمن يقاتل من يريد العمرة؟! ولو أرادت أن تتحد لقتال فإنها لا تستطيع لأنه لا يمكن أن يجتمع أهل مكة على قتال العُمّار فلم يكن أمامها إلا أن تصالح، وبهذا الصلح حقق رسول الله ﷺ أكبر انتصار سياسي، فبهذا الصلح ترك الشرك بلا رأس ولا قيادة، وبهذا أصبح وحده سيّد الموقف، وأصبح بإمكانه أن يضرب حيث شاء دون أن يخشى تجمع الأطراف ضده، فقد أصبح أبناء الجزيرة أمامه أفراداً أو فئات قليلة، وهذا أعطاه فرصاً كبيرة منها: فتح خيبر وغيرها كما سنرى في أحداث السنة السابعة، وفي خضمّ هذه الإنجازات الهائلة نجد مشكلات في غاية الضخامة، ومتاعب كثيرة، وكل ذلك كان رسول الله ﷺ يتعامل معه على أقوى ما يكون التعامل ولا نستبق الأحداث.

فلنبداً بما اعتدنا أن نبدأ به من ذكر أحداث السنة في سطور، ولعلّك من هذه السطور تتعرف على بعض ما ذكرناه.

(١) زَحَمَ: زَحَمَهُ زَحْماً: دفعه دفعاً شديداً.

أهم أحداث هذه السنة في سطور

* في عشر من المحرم سنة ست للهجرة أرسل الرسول ﷺ سرية على رأسها محمد بن مسلمة في ثلاثين راكباً قبل نجد فسارت بناحية القرطاء بناحية ضريبة^(١) بالبكرات من أرض نجد ، وداهمت بطناً من بني بكر بن كلاب ، فلما أغارت عليهم هربوا واستأق المسلمون نعتهم وشاءهم وأسروا ثمانية بن أثال سيد بني حنيفة الذي كان قادماً لاغتيال رسول الله ﷺ ثم كان عاقبة أمره أن أسلم .

* وفي ربيع الأول أو الآخر سنة ٦ هـ ، أرسل رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن في أربعين رجلاً إلى الغمر ماء لبني أسد ! ففر القوم وأصاب المسلمون مائتي بعير ساقوها إلى المدينة ، ثم كانت السرايا التالية :

قال المباركفوري :

* سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القصة في ربيع الأول أو الآخر سنة ٦ هجرية خرج ابن مسلمة في عشرة رجال إلى القصة في ديار بني ثعلبة ، فكن القوم لهم - وهم مائة فلما ناموا قتلهم إلا ابن مسلمة فإنه أفلت منهم جريحاً .

* سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة في ربيع الآخر سنة ٦ هـ ، وقد بعثه النبي ﷺ على إثر مقتل أصحاب محمد بن مسلمة ، فخرج معه أربعون رجلاً إلى مصارعهم ، فساروا ليلتهم مشاة ، ووافوا بني ثعلبة مع الصبح فأغاروا عليهم ، فأعجزوهم هرباً في الجبال ، وأصابوا رجلاً واحداً فأسلم . وغنوا نعباً وشاء .

* سرية زيد بن حارثة إلى الجحوم في ربيع الآخر سنة ٦ هـ . والجحوم ماء لبني سليم في مَرَّ الظَّهْران ، خرج إليهم زيد فأصاب امرأة من مزينة يقال لها حليلة ، فدلّتهم على محلة من بني سليم أصابوا فيها نعباً وشاء وأسرى ، فلما قفل بما أصاب ، وهب رسول الله ﷺ للمزينية نفسها وزوجها .

(١) ضريبة : قرية بين البصرة ومكة .

* سرية زيد أيضاً إلى العيص في جمادى الأولى سنة ٦ هـ في سبعين ومائة راكب ، وفيها أخذت أموال عير لقريش كان قائدتها أبو العاص خَتَنُ ^(١) رسول الله ﷺ . وأُفلت أبو العاص ، فأتى زينب فاستجار بها ، وسألها أن تطلب من رسول الله ﷺ رد أموال العير عليه ، ففعلت ، وأشار رسول الله ﷺ على الناس برد الأموال من غير أن يكرههم ، فردوا الكثير والقليل والكبير والصغير حتى رجع أبو العاص إلى مكة ، وأدى الودائع إلى أهلها ، ثم أسلم وهاجر فرد عليه رسول الله ﷺ زينب بالنكاح الأول بعد ثلاث سنين ونيف كما ثبت في الحديث الصحيح ردها بالنكاح الأول لأن آية تحريم المسلمات على الكفار لم تكن نزلت إذ ذاك ^(٢) .

* سرية زيد أيضاً إلى الطرف أو الطرق في جمادى الآخرة سنة ٦ هـ خرج زيد في خمسة عشر رجلاً إلى بني ثعلبة فهربت الأعراب ، وخافوا أن يكون رسول الله ﷺ سار إليهم ، فأصاب من نعمهم عشرين بعيراً ، وغاب أربع ليال .

* سرية زيد أيضاً إلى وادي القرى في رجب سنة ٦ هـ خرج زيد في اثني عشر رجلاً إلى وادي القرى لاستكشاف حركات العدو إن كانت هناك ، فهجم عليهم سكان وادي القرى . فقتلوا تسعة وأفلت ثلاثة فيهم زيد بن حارثة .

* سرية الحَبْط ^(٣) - تذكر هذه السرية في رجب سنة ٨ هـ . ولكن السياق يدل على أنها كانت قبل الحديبية ، قال جابر : بعثنا النبي ﷺ في ثلاثمائة راكب أميرنا أبو عبيدة بن الجراح نرصد عيراً لقريش ، فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الحَبْطَ ، فسمى جيش الحَبْطَ ، فنحر رجل ثلاث جزائر ، ثم نحر ثلاث جزائر ، ثم نحر ثلاث جزائر ، ثم إن أبا عبيدة نهاء ، فألقى إلينا البحر دابة يقال لها : العنبر ، فأكلنا منه نصف شهر . وَاذْهَبَا ^(٤) منه حتى

(١) الختن : المراد زوج ابنته زينب رضي الله عنها .

(٢) وأما ما ورد من الحديث من أنه رد عليه بنكاح جديد ، أو رد عليه بعد ست سنين فلا يصح معنى ، كما أنه ليس بصحيح سنداً .

(٣) الحَبْط : ما سقط من ورق الشجر بالحَبْط والنفض .

(٤) اذْهَبَا منه : انتفعنا من دهنه .

ثابت منه أجسامنا ، وصلحت ، وأخذ أبو عبيدة ضلعا من أضلاعه ، فنظر إلى أطول رجل في الجيش وأطول جبل ، فحَمِلَ عليه ، ومرَّ تحته ، وتزودنا من لحمه وشائق^(١) ، فلما قدمنا المدينة ، أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا له ذلك فقال : « هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحم شيء ، تطعمونا » فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ^(٢) منه .

وإنما قلنا : إن سياق هذه السرية يدل على أنها كانت قبل الحديبية لأن المسلمين لم يكونوا يتعرضون لعير قريش بعد صلح الحديبية .

* وفي ٢ شعبان سنة ٦ للهجرة خرج رسول الله ﷺ نحو بني المصطلق ، بعد أن بلغه أن الحارث بن أبي ضرار يحشد له يريد غزو المدينة ، وكانت معركة قصيرة هرب فيها المشركون وانتصر المسلمون ، وفي هذه الغزوة حدثت حادثة الإفك ، كما حاول المنافقون أن يحدثوا فتنة بين المسلمين ولكن الله سلّم ، وتمخضت هذه الغزوة عن زواج رسول الله ﷺ بجويرة بنت الحارث رضي الله عنها .

ثم وإلى رسول الله ﷺ إرسال السرايا : قال المباركفوري :

* سرية عبد الرحمن بن عوف إلى ديار بني كلب بدوامة الجنذل ، في شعبان سنة ٦ هـ . أقعده رسول الله ﷺ بين يديه ، وعممه بيده ، وأوصاه بأحسن الأمور في الحرب ، وقال له : « إن أطاعوك فتزوج ابنة ملكهم » فكث عبد الرحمن بن عوف ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام ، فأسلم القوم وتزوج عبد الرحمن تهاضر بنت الأصْبَغ ، وهي أم أبي سلمة ، وكان أبوها رأسهم وملكهم .

* سرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر بَقْدَك في شعبان سنة ٦ هـ وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أن بها جمعا يريدون أن يدعوا اليهود . فبعث إليهم عليا في مائتي رجل ،

(١) وشائق : شق اللحم : شرّحه وقُدّده وجففه .

(٢) أخرجه البخاري بنحوه (١ / ٦١٥) . ٧٢ - كتاب الذبائح والصيد . ١٢ - باب قول الله تعالى : ﴿ أحصل لكم

صيد البحر ﴾

= - وسلم واللفظ له (٢ / ١٥٣٦) . ٢٤ - كتاب الصيد والذبائح ٤ - باب إباحة ميتات البحر .

وكان يسير الليل ويكن النهار ، فأصاب عيننا لهم فأقر أنهم بعثوه إلى خيبر يعرضون عليهم نصرتهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر . ودل العين على موضع تجمع بني سعد ، فأغار عليهم علي ، فأخذ خمسمائة بعير وألفي شاة ، وهربت بنو سعد بالظعن ، وكان رئيسهم وبر بن عليم .

* سرية أبي بكر الصديق أو زيد بن حارثة إلى وادي القرى في رمضان سنة ٦ هـ . كان بطن قزارة يريد اغتيال النبي ﷺ ، فبعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق فأغار عليهم وقتل وأسر وسبى وكان من شياطينهم أم قُرْفة التي جهزت ثلاثين فارساً من أهل بيته لاغتيال رسول الله ﷺ ، فقتلوا وسببتُ ابنتها ففدى بها رسول الله ﷺ بعض أسارى المسلمين في مكة .

* سرية كُرْز بن جابر الفهري إلى العرنيين في شوال سنة ٦ هـ وذلك أن رهطاً من عُكْل وعُريْنَة أظهروا الإسلام ، وأقاموا بالمدينة فاستوخوها ، فبعثهم رسول الله ﷺ في ذود في المرعى ، وأمرهم أن يشربوا من ألبانها وأبوالها ، فلما صحّوا قتلوا راعي رسول الله ﷺ ، واستاقوا الإبل وكفروا بعد إسلامهم ، فبعث في طلبهم كُرْزاً الفهري في عشرين من الصحابة ، ودعا على العرنيين : «اللهم اعم عليهم الطريق ، واجعلها عليهم أضيق من مَسْك» فعسى الله عليهم السبيل فأدركوا ، فقطعت أيديهم وأرجلهم وسملت أعينهم ، جزاء وقصاصاً بما فعلوا فقد جمعوا بين قتل الراعي وسمل عينيّه ، ثم تركوا في ناحية الحرّة حتى ماتوا . وحديثهم في الصحيح عن أنس ^(١) .

وبعد هذا الزخّم من العمليّات المتواصلة ، قام رسول الله ﷺ بأعظم ضربة سياسيّة إذ أعلن أنّه يريد العمرة إلى بيت الله الحرام غرّة ذي القعدة ، وقد تمخّض ذلك عن صلح الحُدَيْبِيّة الذي يعتبر نصراً ساحقاً من وجهة النظر السياسيّة كما سنرى .

= متلك : الموضع الذي يمسك الماء من الجريان .

(١) أخرجه البخاري (٧ / ٤٥٨) - ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٦ - باب قصة عُكْل وعُريْنَة .

- ومسلم نحوه (٣ / ١٢٩٦) - ٢٨ - كتاب القسامة - ٢ - باب حكم الحاربيين والمتردين .

وبعد أن آبَ إلى مدينته المباركة وجّه مباشرة رسائل إلى الملوك المعروفين في عصره يدعوهم فيها إلى الله ، ثمّ توجه في بداية السنة السابعة نحو تصفية السلطان السياسي لليهود في جزيرة العرب فكانت غزوة خيبر في أوائل السنة السابعة ، وذكر ابن كثير أنّه في سنة ست هذه فرض الحج على رأي الشافعي رحمه الله .

ولقد درجنا في هذا القسم على أن نعقد فصولاً لأهم الأحداث أو لأحداث نريد أن نعلّق عليها تاركين بعض الموضوعات إلى محالّها من هذ السلسلة ، كما درجنا أن نقف وقفات خاصّة عند أحداث السيرة التي نزل بسببها أو فيها قرآن ، ولقد نزل قرآن في حادثتين وقعتا في غزوة بني المصطلق ونزل قرآن في حادثة الحديبية ومراعاة لهذا كلّه فسنعقد خمسة فصول لهذه السنة :

فصل : في غزوة نجد وإسلام ثُمّامة بن أثال .

فصل : في غزوة المُرَيْسِيع وبني المصطلق .

فصل : في العَرَنَيْن .

فصل : في صلح الحُدَيْبِيَّة .

فصل : في مراسلات رسول الله ﷺ إلى الملوك والرؤساء والأمراء .

فصل : في غزوة نجد وإسلام ثمامة بن أثال

٤٨١ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد ، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال ، فربطوه بسارية من سواري المسجد ، فخرج إليه النبي ﷺ فقال : « ماذا عندك يا ثمامة ؟ » فقال : عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكرك ، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت . فترك حتى كان الغد ثم قال له : « ما عندك يا ثمامة ؟ » فقال : ما قلت لك : إن تنعم تنعم على شاكرك . فتركة حتى كان بعد الغد فقال : « ما عندك يا ثمامة ؟ » فقال : عندي ما قلت لك . فقال : أطلقوا ثمامة . فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ، ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله . يا محمد ، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي . والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك ، فأصبح دينك أحب الدين إلي . والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي . وإن خيلك أخذتني ، وأنا أريد العمرة ، فإذا ترى ؟ فبشره رسول الله ﷺ ، وأمره أن يعتز . فلما قدم مكة قال له قائل : صبوت ؟ قال : لا والله ، ولكن أسلمت مع رسول الله ، ولا والله لا يأتكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ .

٤٨١ - البخاري (٨ / ٨٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٧ - باب وفد بني حنيفة ، وحديث ثمامة بن أثال .
ومسلم (٣ / ١٣٨٦) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ١٩ - باب ربط الأسير وحسه ، وجواز المن عليه .
تقتل ذا دم : تقتل صاحب دم لئلا يهتدي بقتله قاتله ويدرك قاتله به تأزله لرياسته وفضيلته وقيل تقتل من عليه دم مطلوب به وهو مستحق لذلك فلا عتب عليك في قتله (عن القاضي عياض في شرح صحيح مسلم) .
صبوت : أي : خرجت من دينك ؟ .

فصل : في غزوة المريسيع

٤٨٢ - * روى الطبراني عن سنان بن وَبَرَةَ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ الْمَرِيسِيِّعِ غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ، فَكَانَ شِعَارُهُمْ يَأْمَنُصُورُ أَمِتُ أَمِتُ .

٤٨٣ - * روى الطبراني عن محمد بن إسحاق قال : حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عَمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حَيَّانٍ كُلُّ قَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ حَدِيثِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ قَالَ : بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ، يَجْمَعُونَ لَهُ وَقَائِدَهُمُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضَرَّارٍ أَبُو جَوَيْرِيَةَ بِنْتُ الْحَارِثِ زَوْجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَيْهِمْ ، حَتَّى لَقِيَهُمْ عَلَى مَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ : الْمَرِيسِيُّعِ مِنْ نَاحِيَةِ قُدَيْدٍ إِلَى السَّاحِلِ فَتَرَا حَمَّ النَّاسِ ، وَاقْتَتَلُوا ، فَهَزَمَ اللَّهُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقَتَلَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضَرَّارٍ أَبُو جَوَيْرِيَةَ ، وَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ ، وَنَقَلَ اللَّهُ رَسُولُهُ ﷺ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصَابَ مِنْهُمْ سَبِيًّا كَثِيرًا ، قَسَمَهُ فِي الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ فِيمَا أَصَابَ يُؤْمِنُذِرُ مِنَ النِّسَاءِ جَوَيْرِيَةَ بِنْتُ أَبِي ضَرَّارٍ سَيِّدَةُ نِسَاءِ قَوْمِهَا .

٤٨٤ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عَوْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : كَتَبْتُ إِلَى نَافِعٍ أَسْأَلُهُ عَنِ الدِّعَاءِ قَبْلَ الْقِتَالِ ، قَالَ : فَكُتِبَ إِلَيَّ : إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ أَغَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَهُمْ غَارُونَ ، وَأَنْعَمَتْهُمْ تُشْقَى عَلَى الْمَاءِ ، فَقَتَلَ مَقَاتِلَتَهُمْ ، وَسَبَى

٤٨٢ - للمعجم الكبير (١٠١ / ٢) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٢ / ٦) : رواه الطبراني في الأوسط الكبير ، وإسناده الكبير حسن .
المريسيع : اسم ماء من ناحية قُدَيْدٍ إِلَى السَّاحِلِ .

٤٨٣ - المعجم الكبير (٦٠ / ٢٤) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٢ / ٦) : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، إسناده الكبير حسن .
نَقَلَ الْقَائِدَ الْجَنْدِ : أَعْطَاهُمْ مَاغْنَوْا .

٤٨٤ - البخاري (١٧٠ / ٥) ٤٩ - كتاب العتق - ١٢ - باب من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع وجامع وفدى وسبي الذرية .

ومسلم (١٣٥٦ / ٣) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام ، من غير تقدم الإعلام بالإغارة .

الدعاء قبل القتال : أراد بالدعاء : الإنذار ، وأن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم .

سَبَّيْهُمْ وَأَصَابَ يَوْمُئِذٍ جُؤَيْرِيَّةٌ . وَحَدَّثَنِي هَذَا الْحَدِيثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ .

قال النووي في شرح مسلم :

وفي هذا الحديث : جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم الدعوة من غير إنذار بالإغارة ، وفي هذه المسألة ثلاثة مذاهب حكاهما المازري والقاضي ، أحدها : يجب الإنذار مطلقاً ، قاله مالك وغيره ، وهذا ضعيف . والثاني : لا يجب مطلقاً ، وهذا أضعف منه أو باطل . والثالث : يجب إن لم تبلغهم الدعوة ، ولا يجب إن بلغتهم ، لكن يستحب ، وهذا هو الصحيح ، وبه قال نافع مولى ابن عمر والحسن البصري والثوري والليث والشافعي وأبو ثور وابن المنذر والجمهور . قال ابن المنذر : وهو قول أكثر أهل العلم ، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة على معناه .

١ - وفي هذه الغزوة حدثت حادثة الإفك :

٤٨٥ - * روى الطبراني عن محمد بن إسحاق قال : كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي الْمِصْلَقِ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ سِتٍ وَفِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعَائِشَةَ مَعَهُ ، أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ فَخَرَجَ سَهْمُهَا . وَفِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ قَالَ فِيهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَرَاءَتَهَا .

قَالَ الْبُخَارِيُّ ^(١) : وَهِيَ غَزْوَةُ الْمُرَيْسِعِ ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَذَلِكَ سَنَةُ سِتٍ ، وَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ زَائِدٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ : كَانَ حَدِيثُ الْإِفْكِ فِي غَزْوَةِ الْمُرَيْسِعِ .

٤٨٦ - * روى البخاري ومسلم عن الزُّهْرِيِّ : أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ

= غَارُونُ : الْغَزَّةُ : الْغَفْلَةُ ، وَرَجُلٌ غَارَ ، وَقَوْمٌ غَارُونَ ،
مَبِيهٌ : سَبِيْتُ الْعَدُوِّ سَبِيًّا : إِذَا أَسْرَتْهُ ، وَاسْتَوْلَيْتَ عَلَيْهِ .
جُؤَيْرِيَّةٌ : تَصْغِيرُ جَارِيَةٍ ، هِيَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهِيَ جُؤَيْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ .

٤٨٥ - المعجم الكبير (٢٣ / ١٦٢) .

وقال الميمني في مجمع الزوائد (٦ / ١٤٢) : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

(١) البخاري (٧ / ٤٢٨) ٦٤ - كتاب المغازي ٣٢ - باب غزوة بني المصطلق .

٤٨٦ - البخاري (٧ / ٤٣١) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٤ - باب حديث الإفك .

وَعَلَّقَمَةُ بْنُ وَقَاصٍ وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَثْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ . حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا . فَبَرَّأَهَا اللَّهُ مِمَّا قَالُوا . وَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنْ حَدِيثِهَا . وَبَعْضُهُمْ كَانَ أَوْعَى لِحَدِيثِهَا مِنْ بَعْضٍ . وَأَثْبَتَ اقْتِصَاصاً . وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْحَدِيثَ . الَّذِي حَدَّثَنِي . وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضاً . ذَكَرُوا ؛ أَنَّ عَائِشَةَ ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا ، أَفْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ . فَأَيُّتَهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا ، خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ .

قَالَتْ عَائِشَةُ : فَأَفْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا . فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي . فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ . فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي ، وَأُنْزَلُ فِيهِ ، مَسِيرَنَا . حَتَّى إِذَا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوِهِ ، وَقَفَلَ ، وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ . فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ . فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ . فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ . فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدِي مِنْ جَزَعِ ظَفَّارٍ قَدْ انْقَطَعَ . فَارْجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ . وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي فَحَمَلُوا هَوْدَجِي ، فَارْحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ . وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنِّي فِيهِ .

قَالَتْ : وَكَانَتْ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِيفَا . لَمْ يَهْبَلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ . إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعَلَقَةَ مِنَ الطَّعَامِ . فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهُودَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ . وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةً

= وأيضاً البخاري (٨ / ٤٥٢) ٦٥ - كتاب التفسير - ٦ - باب لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانه هذا جتان عظيم .

ومسلم (٤ / ٢١٢٩) ٤٩ - كتاب التوبة - ١٠ - باب في حديث الإفك وقبول توبة الغاذف .

الإفك : الكذب ، وأراد به : قذف عائشة رضي الله عنها .

أوعى : أحفظ .

آذن : أي أعلم ، يعني : نادى بالرحيل .

جزع ظفار : الجزع هنا : الحجر الباني المعروف ، وإضافته إلى أظفار : تخصيص له ، وفي الين موضع يقال له : ظفار ، والرواية في الحديث « أظفار - وظفار » .

لم يهبلن : أي لم يكثر لهن من السمن فيثقلن ، والمهبل : الكثير اللحم ، الثَّقِيلُ الحركة من السمن ، وقد روي « لم يهبلن » .

= العَلَقَةُ : بضم العين : البَلْغَةُ من الطعام قذر ما يسك الرُمَقُ ، تريد : القليل .

السِّنُّ قَبَعُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا . وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَ الْجَيْشُ . فَجِئْتُ مَنْارِلَهُمْ وَلَيْسَ
بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ . فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ . وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي
فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ . فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ . وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ
الْمُعْطَلِ السَّلْمِيِّ ، ثُمَّ الذُّكَّوَانِيُّ ، قَدْ عَرَسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَادَّلَجَ . فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي .
فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ . فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَانِي . وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يَضْرِبَ
الْحِجَابَ عَلَيَّ . فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي . فَخَمَرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي . وَوَاللَّهِ ! مَا
يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ . حَتَّى أَتَانَا رَاحِلَتُهُ فَوَطِئَ عَلَيَّ يَدَيْهَا
فَرَكِبْتُهَا . فَأَنْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ . حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ . بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُوْغَرِينَ فِي نَحْرِ
الظَّهِيرَةِ . فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي . وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ . عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سُلُولٍ .
فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ . فَاشْتَكَيْتُ ، حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ، شَهْرًا . وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ
الْإِفْكِ . وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ . وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجْعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي . إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَسْأَلُ ثُمَّ يَقُولُ

= دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ : أَي لَيْسَ بِهَا أَحَدٌ ، لَأَمِنْ يَدْعُو ، وَلَا مِنْ يَرُدُّ جَوَابًا .

عرس فادَّلج : التمريس : نزول آخر الليل نزلة الاستراحة ، والإدلاج - بالتشديد - : سير آخر الليل .

عرس من وراء الجيش : قال الحافظ في الفتح : قال أبو زيد : التمريس . النزول في السفر في أي وقت كان . وقال
غيره : أصله : النزول من آخر الليل في السفر للراحة .

ووقع في حديث ابن عمر : بيان سبب تأخر صفوان ، وكان صفوان سأل النبي ﷺ : أَنْ يجعله على الساقة ،
فكان إذا رحل الناس قام يصلي ، ثم اتبعهم ، فمن سقط له شيء أتاه به . وفي حديث أبي هريرة وكان صفوان
يتخلف عن الناس ، فيصيب القدح والجراب والإداوة وفي مرسل مقاتل بن حيان فيحمله فيقدم به فيعرفه أصحابه «
وكذا في مرسل سعيد بن جبيرة نحوه .

الاسترجاع : هو قول القائل : (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

بجلبابي : الجلباب : ما يغطي به الإنسان من ثوب أو إزار .

موغرين : الوغرة : شدة الحر ، ومنه يقال : وغر صدره يوغر : إذا اغتاط وحمي ، وأوغره غيره ، فيكون قوله :
موغرين ، أي : داخلين في شدة الحر .

نحر الظهيرة : الظهيرة : شدة الحر ، ونحرها : أولها ، ونحر كل شيء : أوله .

كبير الإفك : الكبير - بكسر الكاف وضمها هاهنا - معظم الإفك .

يفيضون : الإفاضة في الحديث : التحدث به والخوض فيه بين الناس .

يريبني : رآبني الشيء يريبني : شككت فيه ، ولا يكون ريباً إلا في شكٍ مع تهمة .

« كَيْفَ تَيْكُم ؟ » فَذَاكَ يَرِيْبِي .

وَلَا أَشْعَرُ بِالْشَّرِّ . حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَ مَا تَقَهْتُ وَخَرَجْتُ مَعِيَ أُمُّ مِسْطَحٍ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ . وَهُوَ مَتَرُزْنَا . وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا إِلَى اللَّيْلِ . وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنْفَ قَرِيباً مِنْ بَيْوتِنَا . وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي التَّنَزُّهِ . وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنْفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بَيْوتِنَا . فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ ، وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رَهْمٍ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ . وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ ، حَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ . وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أَثَاثَةَ بْنِ عَبَادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ . فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رَهْمٍ قَبْلَ بَيْتِي . حِينَ فَرَعْنَا مِنْ شَأْنِنَا . فَعَثَرْتُ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا . فَقَالَتْ : تَعَسَ مِسْطَحُ . فَقُلْتُ لَهَا : بئْسَ مَا قُلْتَ . أُنَسِّبُ رَجُلًا قَدْ شَهِدَ بَدْرًا . قَالَتْ : أَيُّ هُنْتَاهُ ! أَوْ لَمْ تَسْمِعِي مَا قَالَ ؟ قُلْتُ : وَمَاذَا قَالَ ؟ قَالَتْ : فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ . فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي . فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ « كَيْفَ تَيْكُم ؟ » قُلْتُ : أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَتِيَ أَبَوَيَّ ؟ قَالَتْ : وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيِّقَنَّ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا . فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لَأُمِّي : يَا أُمَّتَاهُ ! مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ ؟ فَقَالَتْ : يَا بَنِيَّةُ ! هَوْنِي عَلَيْكَ . فَوَاللَّهِ ! لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةً قَطُّ وَضِئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا ، وَلَهَا ضَرَائِرُ ، إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا . قَالَتْ قُلْتُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ

تَيْكُم : بِالنِّسَاءِ الْمَكْسُورَةِ ، وَهِيَ إِشَارَةٌ لِلْمَوْنِثِ مِثْلُ ذَاكَ لِلذِّكْرِ .

وَاسْتَدَلَّتْ عَائِشَةُ بِهَذِهِ الْحَالَةِ عَلَى أَنَّهَا اسْتَشْعَرَتْ مِنْهُ بَعْضُ جَفَاءٍ ، وَلَكِنَّهَا لَمَّا لَمْ تَكُنْ تَسْأَلُنِي السَّبَبَ وَلَمْ تَبَالِغْ فِي التَّنْقِيبِ عَنْ ذَلِكَ حَتَّى عَرَفْتَهُ .

الْمَنَاصِعُ : الْمَوَاضِعُ الْحَالِيَةُ تَقْضِي فِيهَا الْحَاجَةَ مِنَ الْغَائِطِ وَالْبَوْلِ ، وَأَصْلُهُ : مَكَانٌ فَسِيحٌ خَارِجُ الْبُيُوتِ ، وَاحِدُهَا : مَنَصْعٌ .

الْكُنْفُ : جَمْعُ كَنْيَفٍ . وَهُوَ السَّاتِرُ ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا : الْمَكَانُ الْمَتَّخَذُ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ .

مِرْطُهَا : الْمِرْطُ : كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ أَوْ خَزٍّ يُؤْتَرُّ بِهِ ، وَجَمْعُهُ مِرْوَطٌ .

تَعَسَ : الْإِنْسَانُ : إِذَا عَثَرَ ، وَيُقَالُ فِي الدُّعَاءِ عَلَى الْإِنْسَانِ : تَعَسَ فُلَانٌ ، أَيْ : سَقَطَ لَوَجْهِهِ .

هُنْتَاهُ : يُقَالُ : امْرَأَةٌ هُنْتَاهُ ، أَيْ : بِلَهَاءٍ ، كَأَنَّهَا مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْبَلَاءِ وَقِلَّةِ الْمَعْرِفَةِ بِكَائِدِ النَّاسِ وَفَسَادِهِمْ .

وَضِئَةُ : الْوَضَاءَةُ : الْحَسَنُ ، وَوَضِئَةٌ : فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى : فَاعِلَةٌ .

قُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ : قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ قَوْلُهُ : فَقُلْتُ : سُبْحَانَ اللَّهِ اسْتِغْنَاءً بِاللَّهِ مَتَعَجِّبَةً مِنْ وَقُوعِ مِثْلِ ذَلِكَ فِي حَقِّهَا مَعَ بَرَاءَتِهَا الْحَقِيقَةِ عِنْدَهَا .

بِهَذَا ؟ قَالَتْ ، فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ . ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي . وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبِثَ الْوَحْيَ . يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ . قَالَتْ : فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هُمْ أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا . وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : لِمَ يُضَيِّقُ اللَّهُ عَلَيْكَ . وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ . وَإِنْ تَسْأَلُ الْجَارِيَةَ تَصُدِّقُكَ . قَالَتْ قَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ « أَيُّ بَرِيرَةَ ! هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيْبُكَ مِنْ عَائِشَةَ ؟ » قَالَتْ لَهَ بَرِيرَةَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا ، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةُ حَدِيثَةِ السَّنِّ ، تَنَامُ عَنْ عَجَبِينَ أَهْلِهَا ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ . قَالَتْ : فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ . فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ، ابْنِ سَلُولٍ . قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ :

= فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة .. : قال الحافظ : ظاهره : أن السؤال وقع بعد ما علمت بالقصة ، لأنها عقيبت بكاءها تلك الليلة بهذا ، ثم عقيبت هذا بالخطبة . ورواية هشام بن عروة تشعر بأن السؤال والخطبة وقعا قبل أن تعلم عائشة بالأمر ، فإن في رواية هشام عن أبيه عن عائشة لما ذكر من شأني الذي ذكر ، وما علمت به ، قام رسول الله ﷺ « فذكر قصة الخطبة الآتية ، ويمكن الجمع بأن الفاء في قولها (فدعا) عاطفة على شيء محذوف ، تقديره : وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك قد سمع ما قيل ، فدعا عليا . استلبث الوحي : قال الحافظ في الفتح : قوله استلبث الوحي بالرفع : أي طال لبث نزوله ، وبالنصب : أي استبطأ النبي ﷺ نزول الوحي .

هم أهلك : قال الحافظ في الفتح : « هم أهلك » أي العفيفة الثلاثة بك ، ويحتمل أن يكون قال ذلك متبرئاً من المشورة ، ووكّل الأمر إلى رأي النبي ﷺ ، ثم لم يكتف بذلك ، حتى أخبر بما عنده ، فقال (ولا نعلم إلا خيراً) وإطلاق (الأهل) على الزوجة شائع ، قال ابن التين أطلق عليها أهلاً ، وذكرها بصيغة الجمع ، حيث قال : (هم أهلك) إشارة إلى تعميم الأزواج بالوصف المذكور . ١ . هـ ، ويحتمل أن يكون جمع لإرادة تعظيمها .

قال الكرمانى حول قول علي : (لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير) : وإنما قال علي رضي الله عنه ذلك : تسهلاً للأمر على رسول الله ﷺ ، وإزالة لما هو متلبس به ، تخفيفاً لما شاهده فيه ، لا عداوة لها ، حاشاهم عن ذلك .

إن رأيت : ما رأيت فيها مما تسألون عنه شيئاً أصلاً ، وأما من غيره : ففيها ما ذكرت من غلبة النوم لصغر سنها . ورتوبة بدنها ، قاله الحافظ في (الفتح) .

أغمصة : الغمص : العيب .

الداجن : الشاة التي تألف البيت وتقيم به ، يقال : دجن بالمكان إذا أقام به .

فاستعذر : يقال : من يعمدني من فلان ، أي : من يقوم بعذري إن كلفتني على سوء صنيعه ، فلا يلومني ، واستعذر : =

« يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ! مَنْ يَعْذِرْنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي .
 فَوَاللَّهِ ! مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا . وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا
 خَيْرًا . وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِيَ » فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ : أَنَا
 أَعْذِرُكَ مِنْهُ . يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرْبًا عُنَقَهُ . وَإِنْ كَانَ مِنْ إِيَّائِنَا
 الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا أَمْرَكَ قَالَتْ : فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ ، وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ ، وَكَانَ رَجُلًا
 صَالِحًا . وَلَكِنْ اجْتَهَلْتُهُ الْحَمِيَّةُ . فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ : كَذَبْتَ . لَعَمْرُ اللَّهِ ! لَا تَقْتُلْهُ وَلَا
 تَقْدِرْ عَلَى قَتْلِهِ . فَقَامَ أَسِيدُ بْنُ حَضِيرٍ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ
 عَبَادَةَ : كَذَبْتَ . لَعَمْرُ اللَّهِ ! لَنَقْتُلَنَّ . فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تَجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ . فَتَارَ الْحَيَّانِ
 الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ . حَتَّى هُمَا أَنْ يَقْتَتِلُوا . وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ . فَلَمْ يَزَلْ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ . قَالَتْ : وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يَرْقَأُ لِي
 دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ . وَأَبُو بَا
 يُظَنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي ، وَأَنَا أَبْكِي ، اسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ
 مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا . فَجَلَسَتْ تَبْكِي . قَالَتْ : فَبَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ
 ﷺ . فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ : وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ . وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا

= استعمل من ذلك ، أي قال : من يعذرنني ؟ فقال له سعد بن معاذ : أنا أعذرك ، أي أقوم بعذرك .

وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً : أي كامل الإصلاح .

قال الحافظ في الفتح حول قول أسيد لسعد بن عبادة فإنك منافق تجادل عن المنافقين :

أطلق أسيد ذلك مبالغة في زجره عن القول الذي قاله . وأراد بقوله : (فإنك منافق) أي : تصنع صنيع المنافقين .
 وفسره بقوله (تجادل عن المنافقين) وقابل قول سعد بن معاذ (كذبت لا تقتله) بقوله هو (كذبت لنقتلنه) وقال
 المازري : إطلاق أسيد لم يرد به نفاق الكفر . وإنما أراد : أنه كان يظهر المودة لقومه الأوس . ثم ظهر منه في هذه القصة
 ضد ذلك . فأشبه حال المنافق ، لأن حقيقة النفاق : إظهار شيء وإخفاء غيره . ولعل هذا هو السبب في ترك إنكار
 النبي ﷺ .

اجتَهَلْتُهُ الْحَمِيَّةُ : الاجتهال : افتعال من الجهل ، أي : حملته الحمية ، وهي الأنفة والغضب على الجهل ، واجتَهَلْتُهُ :
 افْتَعَلْتُهُ مِنَ الْجَهْلِ .

يُخَفِّضُهُمْ : يُفَوِّنُ عَلَيْهِمْ وَيُسَكِّنُهُمْ .

فأصبح عندي أبوي : قال الحافظ في « الفتح » : أي ، أنها جاءا إلى المكان الذي كنت به من بيتها ، لا أنها رجعت
 من عندهم إلى بيتها ، ووقع في رواية محمد بن ثور عن معمر « وأنا في بيت أبيي » .
 فَالِقٌ : فَاعِلٌ ، مَنْ فَلَقَ الشَّيْءَ : إِذَا شَقَّه .

يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ . قَالَتْ : فَتَشْهَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ : « أَمَا بَعْدُ . يَا عَائِشَةُ ! فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا . فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً فَسَيَبْرَأُكَ اللَّهُ . وَإِنْ كُنْتَ أَلَمْتَ بِذَنْبٍ . فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ . فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ » قَالَتْ : فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ ، قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً . فَقُلْتُ لِأَبِي : أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ ! مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَقُلْتُ لِأُمِّي : أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . فَقَالَتْ : وَاللَّهِ ! مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَقُلْتُ ، وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السَّنِّ ، لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ : إِنِّي ، وَاللَّهِ ! لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي نَفُوسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ . فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ ، وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ ، لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ . وَلَكِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ ، وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ ، لَتُصَدِّقُونَنِي . وَإِنِّي ، وَاللَّهِ ! مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ : فَصَبَّرَ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ .

قَالَتْ : ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي . قَالَتْ وَأَنَا ، وَاللَّهِ ! حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ . وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بَرَاءَتِي . وَلَكِنْ ، وَاللَّهِ ! مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ

= أَلَمْتُ : الإلَام : المقاربة ، وهو من اللم : صغار الذنوب وقيل : اللم : مقارنة : المعصية من غير إيقاع فعل . قال في اللسان : الإلَام في اللغة ، يوجب أنك تأتي في الوقت . ولا تقيم على الشيء . فهذا معنى اللم قال أبو منصور : ويدل على صواب قوله قول العرب : أَلَمْتُ بفلان إلماً ، وما تزورنا إلماً . قال أبو عبيد : معناه : في الأحيان ، على غير مواظبة .

(وإن كنت أَلَمْتُ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ) : قال الداودي : أمرها بالاعتراف ، ولم يندبها إلى الكتان ، للفرق بين أزواج النبي ﷺ وغيرهن . فيجب على أزواجه الاعتراف بما يقع منهن ، ولا يكتفنه إياه ، لأنه لا يحل لني إمساك من يقع منها ذلك . بخلاف نساء الناس ، فإنهن يندبن إلى السر . وتعبه عياض بأنه ليس في الحديث ما يدل على ذلك ، ولا فيه أنه أمرها بالاعتراف ، وإنها أمرها أن تستغفر الله ، وتتوب إليه ، أي فيما بينها وبين ربه . فليس صريحاً في الأمر لها بأن تعترف عند الناس بذلك ، قال الحافظ : وسياق جواب عائشة يشعر بما قال الداودي ، ولكن المعترف عنده ليس على إطلاقه ، فليتأمل . ويؤيد ما قال عياض : أن في رواية ابن حاطب ، قالت « فقال لي أبي : إن كنت صنعت شيئاً ، فاستغفري الله ، وإلا فأخبري رسول الله ﷺ بعذرك » .

قَلَصَ : قلص الدمع : انقطع جريانه .

= لا أقرأ كثيراً من القرآن : قالت هذا ، توطئة لعذرها ، لكونها لم تستحضر اسم يعقوب عليه السلام .

يَتْلُو . وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي بِأَمْرِ يَتْلُو . وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا . قَالَتْ : فَوَاللَّهِ : مَا زِلْتُ أَرْجُو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسُهُ ، وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ . فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبَرَحَاءِ عِنْدَ الْوُحْيِ . حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجَمَانِ مِنَ الْعَرَقِ ، فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ ، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ . قَالَتْ : فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهَوَّ يَضْحَكُ ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ : « أُبَشِّرِي يَا عَائِشَةُ ! أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكَ » فَقَالَتْ لِي أُمِّي : قُومِي إِلَيْهِ . فَقُلْتُ : وَاللَّهِ ! لَا أَقُومُ إِلَيْهِ . وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ . هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي . قَالَتْ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي . جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ﴿ ١١ ﴾ عَشْرَ آيَاتٍ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي . قَالَتْ : فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَاتِهِ مِنْهُ وَفَقَرِهِ : وَاللَّهِ ! لَا أَنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئاً أَبَداً . بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي . وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى ﴿ ٢٢ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ .

= مَا زِلْتُ : أَيِ مَا تَبَرَّجَ مِنْ مَكَانِهِ ، يُقَالُ : رَأَى بَرَجَ : إِذَا بَرَجَ وَزَالَ ، وَقُلْنَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي النَّفْيِ . الْبَرَحَاءُ : الشَّدَّةُ .

(١١) النور : ١١ .

(٢٢) النور : ٢٢ .

الْجَمَانُ : جَعَجَانَةٌ : وَهِيَ الدُّرَّةُ ، وَقِيلَ : هِيَ خَزَزَةٌ تَعْمَلُ مِنَ الْفُضَّةِ مِثْلَ الدُّرَّةِ . سُرِّيَ عَنْهُ : أَيِ كُشِفَ عَنْهُ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ﴾ الْعَشْرَ الْآيَاتِ :

قَالَ الْحَافِظُ فِي « الْفَتْحِ » : آخِرُ الْعَشْرِ قَوْلُهُ ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ لَكِنْ وَقَعَ فِي رِوَايَةِ عَطَاءِ الْخِرَاسَانِيِّ عَنِ الزَّهْرِيِّ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ - إِلَى قَوْلِهِ - أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وَعَدَدَ الْآيِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ : ثَلَاثَ عَشْرَةِ آيَةٍ فَلَعَلَّ فِي قَوْلِهَا : الْعَشْرَ الْآيَاتِ ، مَجَازاً بِطَرِيقِ الْإِفَاءِ الْكُسْرِ .

وَفِي رِوَايَةِ الْحَكَمِ بْنِ عَيْنَةَ مَرْسُلاً عِنْدَ الطَّبْرِيِّ « لَمَّا خَاضَ النَّاسُ فِي أَمْرِ عَائِشَةَ » فَذَكَرَ الْحَدِيثَ مُخْتَصِراً ، وَفِي آخِرِهِ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ خَمْسَ عَشْرَةِ آيَةٍ مِنْ سُورَةِ النَّوْرِ - حَتَّى بَلَغَ - ﴿ الْحَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ [النور : ٢٦] وَهَذَا مِنْهُ تَجَوُّزٌ . فَعَدَدَ الْآيِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ سِتَّ عَشْرَةٍ وَفِي مَرْسَلٍ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عِنْدَ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ وَالْحَاكِمِ فِي الْإِكْلِيلِ : فَزَلَّ ثَمَانِي عَشْرَ آيَةٍ مَتَوَالِيَةً كَذَبَتْ مِنْ قِذْفِ عَائِشَةَ « إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا - إِلَى قَوْلِهِ - رِزْقٌ كَرِيمٌ » وَفِيهِ مَا فِيهِ أَيْضاً . وَتَحْرِيرُ الْعِدَّةِ : سِتُّ عَشْرَةِ آيَةٍ .

وَلَا يَأْتَلِي يَأْتَلِي : يَفْتَعِلُ ، مِنَ الْإِيْتَةِ : وَهِيَ الْقِسْمُ ، يُقَالُ : آلَى وَائْتَلَى وَتَأَلَّى .

=

قَالَ حَبَّانُ بْنُ مُوسَى : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ : هَذِهِ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ .
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَاللَّهِ ! إِنِّي لِأَجِبُ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي . فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحِ النَّفَقَةِ الَّتِي
كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهَا . وَقَالَ : لَا أَنْزِعْهَا مِنْهُ أَبَدًا .

قَالَتْ عَائِشَةُ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ أَمْرِي :
« مَا عَلِمْتُ ؟ أَوْ مَا رَأَيْتِ ؟ » فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي . وَاللَّهِ !
مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا .

قَالَتْ عَائِشَةُ : وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ . فَقَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ .
وَطَلَفَتْ أُخْتَهَا حَمْنَةَ بِنْتَ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا . فَهَلَكَتْ فِيْنْ هَلَكَ .
قَالَ الزُّهْرِيُّ : فَهَذَا مَا انْتَهَى إِلَيْنَا مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ .

ومن رواياته ^(١) : قَالَتْ عَائِشَةُ : وَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ مَا قِيلَ لِيَقُولَ : سُبْحَانَ
اللَّهِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَشَفْتُ مِنْ كَتَفِ أَنْثَى قَطُّ ، قَالَتْ : ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ .

ومنها ^(٢) : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خُطْبِيٍّ فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ : « أَمَا بَعْدُ فَأَشِيرُوا عَلَيَّ فِي
أَنَاسِ أَبْنَاءِ أَهْلِي ، وَأَيُّمِ اللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي مِنْ سُوءٍ قَطُّ ، وَأَتَّبِعُهُمْ بَيْنَ اللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ

= أَخْبِي سَمْعِي : حَيْثُ سَمِعِي وَبَصْرِي : إِذَا مَنَعْتَهَا مِنْ أَنْ تُنْزِعَ إِلَيْهَا مَا يَدْرِكُهَا .
تُسَامِينِي : الْمُسَامَاةُ : مُفَاعَلَةٌ مِنَ السُّمُوِّ وَالْعُلُوِّ : أَيُّ أَنَا تَطْلُبُ مِنَ السُّمُوِّ وَالْعُلُوِّ مِثْلَ الَّذِي أُطْلَبُ .
فَقَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ : أَيُّ مَنَعَهَا بِالْعَدَلَةِ ، وَمُجَانَبَةِ مَا لَا يَحِلُّ .
طَلَفَتْ : يَكْسِرُ الْفَاءَ ، وَحِكْيٌ فَتَحَهَا أَيُّ : جَعَلَتْ أَوْ شَرَعَتْ .
تُحَارِبُ لَهَا : أَيُّ : تَجَادَلُ لَهَا وَتَتَعَصَّبُ ، وَحِكْيٌ مَا قَالَ أَهْلُ الْإِفْكَ أَيُّ : لَتَنْخَفُضَ مَنْزِلَةُ عَائِشَةَ ، وَتَعْلُوَ مَنْزِلَةُ
أُخْتِهَا زَيْنَبَ .

(١) البخاري مطولاً (٧ / ٤٣٥) ، ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٤ - باب حديث الإفك .
ومسلم في نفس الموضع السابق (٤ / ٢١٣٨) .

كَتَفَ : الْكَتْفُ : الْجَانِبُ ، وَالْمُرَادُ : مَا كَشَفْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا سَتَرْتُهُ مِنْ نَفْسِهَا ، إِشَارَةً إِلَى التَّعَفُّفِ .
(٢) البخاري (٨ / ٤٨٧) ، ٦٥ - كتاب التفسير - ١١ - باب ﴿ إِنَّ الَّذِي يَحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ .
إِلَى قَوْلِهِ - وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ - .

= أَبْنَاءُ أَهْلِي : التَّائِبِينَ عَلَى وَجْهِينَ : فَتَأْيِينَ الْحَيِّ : ذِكْرُهُ بِالْقَبِيحِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ : أَبْنَاءُ أَهْلِي : أَيُّ ذَكَرْتُهُمْ بِسُوءِهِ . وَالثَّانِي

من سوء قطُّ ولا دخلَ بيتي قطُّ إلا وأنا حاضرٌ ، ولا غبتُ في سفرٍ إلا غاب معي . .
فقام سعدُ بن معاذ بنحوه * وفيه : فلما كان مساء ذلك اليوم خرجتُ لبعض حاجتي ومعِي
أُمُ مِسْطَحٍ ، فَعَثَرْتُ ، وقالتُ : تَعَسَ مِسْطَحٌ ، فقلتُ لها : أي أُمُ أُنْسَبِينَ ابْنِكَ ؟ فسَكَتَتْ ،
ثم عثرتُ الثانيةَ فقالتُ : تَعَسَ مِسْطَحٌ ، فقلتُ لها : أي أُمُ أُنْسَبِينَ ابْنِكَ ؟ فسَكَتَتْ ، ثم
عثرتُ الثالثةَ فقالتُ : تَعَسَ مِسْطَحٌ ، فانتَهَرْتُها ، فقالتُ : والله ما أسبهُ إلا فيكِ ، فقلتُ :
في أي شأني ؟ فبقرتُ لي الحديثَ فقلتُ : وقد كان هذا ؟ قالتُ : نعم والله فرجعتُ إلى
بيتي كأن الذي خرجتُ له لا أجدُ منه قليلاً ولا كثيراً ووعِكتُ * وفيه : وبكى فسمع أبو
بكرٍ صوتي وهو فوق البيتِ يقرأ فتزل فقال لأُمي : ما شأنها ؟ فقالتُ : بلغها الذي ذَكَرَ
من شأنها ، ففاضتُ عيناهُ ، وقال : أقسمتُ عليكِ يا بنيةُ إلا رجعتِ إلى بيتكِ فرجعتُ ،
ولقد جاء رسولُ اللهِ ﷺ بي ، فسألَ عني خادمي ، فقالتُ : لا والله ما علمتُ عليها عيباً
إلا أنها كانتُ ترقُدُ حتى تدخلَ الشاةُ فتأكلُ خبزها أو عجينها ، وانتهرها بعضُ أصحابه
فقال : اصدقي رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم حتى أسقطوا لها به ، فقالتُ : سبحانَ اللهِ
والله ما علمتُ عليها إلا ما يعلمُ الصائغُ على تبرِ الذهبِ الأحمر * وفيه فأصبحَ أبواي عندي
فلم يزلَا حتى دخلَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم بنحوه * وفيه : والتستُ اسمَ يعقوبَ فلم
أقدِرُ عليه إلا أبا يوسفَ * وفيه : أبشري يا عائشةُ فقد أنزلَ اللهُ براءتك ، قالتُ : وكنتُ
أشدَّ ما كنتُ غضباً ، فقال لي أبواي : قومي إليه فقلتُ : لا والله لا أقومُ إليه ولا أحدهُ ولا

= تأييدُ الميت : وهو مدحه بعد موته .

لَبِقَرْتُ : البقرُ : الفتح والتوسعة والشقُّ ، والمعنى : ففتحتُ لي الحديثَ وكشفتُهُ وأُوضَحْتُهُ .

وَأَيَّمُ اللهُ : من ألفاظِ القسم ، وفيها لغات كثيرة .

وَأُسْقَطُوا لها به : أُسْقَطُوا به : أي : قالوا لها السَّقَطُ من القول ، وهو الرديء ، يريد : أنهم سبُّوها ، وقوله « به » أي
بسبب هذا المعنى : وهو الذي سكتت عنه من أمر عائشة رضي الله عنها . فيكون المعنى : سبُّوها بهذا السبب . وقد
رُويَ هذا اللفظ على غير ما قلناه ، والصحيح المحفوظ : إفا هو ما ذكرناه . والله أعلم .

والله ما علمتُ عليها إلا ما يعلمُ الصائغُ على قبرِ الذهبِ الأحمر

قال الحافظ : أي كما لا يعلمُ الصائغُ من الذهبِ الأحمر إلا الخلوص من العيب ، فكذلك أنا : لا أعلمُ منها إلا الخلوص
من العيب .

وفي رواية ابن أبي حاطب عن علقمة « فقالت الجارية الحيشية : والله لعائشة أطيب من الذهب ولئن كانت صنعت
ما قال الناس ، ليخبرنك الله . قالت : فعجب الناس من فقهاها .

أحمدًا ولكن الله الذي أنزل براءتي لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه .

ومنها ^(١) : قال الزهري : قال لي الوليد بن عبد الملك : أبْلَغَكَ أن علياً كان فين قَذَفَ عائشة ؟ قلتُ : لا ، ولكن قد أخبرني رجلان من قومك أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث أن عائشة قالت لها : كان عليٌّ مسلماً في شأنها .

ومنها ^(٢) : أنه لم يسمَّ من أهل الإفك إلا ابنُ أبيي ، وحسانٌ ومسطيحٌ وحننةٌ وأن عائشة كانت تكره أن يسبَّ عندها حسانٌ وتقول : إنه الذي قال :

فإنَّ أبي ووالسدي وعرضي لعرض محمدٍ منكم وقساء

ومنها ^(٣) : قال مسروق : دخلتُ على عائشة وعندها حسانٌ بنُ ثابتٍ يُنشدُها شعراً يُشَبِّبُ بأبيات له ، فقال : حصانٌ رزانٌ مائِزٌ بريبةٍ * وتُصبحُ غرثي من لحومِ الغوفيل فقالت له عائشة : لكنك لستَ كذلك ، قال مسروق : فقلتُ : لِمَ تأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالى : ﴿ والذي تولى كبره منهم له عذابٌ عظيمٌ ﴾ ^(٤) فقالت : فأبي عذاب أشدُّ من العمى ؟ إنه كان يُنافِخُ أو يُهاجي عن رسولِ الله ﷺ .

(١) البخاري (٧ / ٤٣٥) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٤ - باب حديث الإفك .

كان علي مسلماً في شأنها : بكسر اللام ، كذا رواه القاسبي ، من التسليم وترك الكلام في إنكاره ، وفتحها المحوي من الخوض فيه . رواه ابن أبي شيبة ، وعليه يدل فصول الحديث في غير من السلامة موضع ، وهو رضي الله عنه منزه أن يقول ما قال أهل الإفك . كما نص عليه في الحديث ، ولكن أشار بفراقها ، وشدد على بريرة في أمرها ، قتاله الزركشي .

(٢) مسلم (٤ / ١٢٣٧) ٤٩ - كتاب التوبة - ١٠ - باب في حديث الإفك ، وقبول توبة القاذف .

(٣) البخاري (٧ / ٤٣٦) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٤ - باب حديث الإفك .

ومسلم (٤ / ١٩٣٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٤ - باب فضائل حسان بن ثابت ، رضي الله عنه .
حصانٌ رزانٌ : امرأة حصان : بَيِّنَةُ الحصانة ، أي غفيرة حيية ، وامرأة رزانٌ : ثقيلة ثابتة ، تَرْمِي : ترمى وتُقَذَفُ .

بريبةٌ : أي بأمر يريبُ الناسَ ، كالزنا ونحوه .

غرثي : أي : جائعة ، والمذكر : غرثان .

الغفول : جمع غافلة ، والمراد بها : الغفلة المحمودة ، وهي مالا يقدر في دين أو مروءة .

ينافخ : المنافحة : المناضلة والمخاضة .

(٤) النور : ١١ .

وللبخاري^(١) عن أم رومان : يئنا أنا قاعدة وعائشة إذ ولجت امرأة من الأنصار فقالت : فعل الله بفلان وفعل بفلان ، فقالت أم رومان : وما ذاك ؟ قالت : ابني فمين حدث الحديث ، قالت : وما ذاك ؟ قالت : كذا وكذا ، قالت عائشة : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : نعم ، قالت : وأبو بكر ؟ قالت : نعم ، فخرت مغشياً عليها ، فما أفاقت إلا عليها حمى بنافض ، فطرخت عليها ثيابها فغطيتها ، فجاء رسول الله ﷺ فقال « ما شأن هذه » قلت : يا رسول الله ، أخذتها الحمى بنافض ، قال : « فلعل في حديث تحدث به ؟ » قالت : نعم ، فقعدت عائشة فقالت : والله لئن حلفت لا تصدقوني ، ولئن قلت لا تعذروني ، مثلي ومثلكم كيعقوب وبنيه ، والله المستعان على ما تصفون ، بنحوه .

فوائد من حديث الإفك

قال محقق الجامع : قال العلماء : في هذا الحديث من الفوائد :

جواز الحديث عن جماعة ملفقا مجلأ . وفيه مشروعية القرعة حتى بين النساء ، وفي المسافرة بهن ، والسفر بالنساء حتى في الغزو . وجواز حكاية ما وقع للمرء من الفضل ولو كان فيه مدح ناس وذم ناس إذا تضمن ذلك إزالة توهم النقص عن الحايي إذا كان بريئاً عند قصد نصح من يبلغه ذلك لئلا يقع فيما وقع فيه من سق ، وأن الاعتناء بالسلامة من وقوع الغير في الإثم أولى من تركه يقع في الإثم ، وتحصيل الأجر للموقوف فيه ، وفيه استعمال التوطئة فيما يحتاج إليه من الكلام ، وأن المودج يقوم مقام البيت في حجب المرأة وجواز ركوب المرأة المودج على ظهر البعير ، ولو كان ذلك مما يشق عليه حيث يكون مطيقاً لذلك . وفيه خدمة الأجانب للمرأة من وراء الحجاب ، وجواز تستر المرأة بالشئ المنفصل عن البدن ، وتوجه المرأة لقضاء حاجتها وحدها وبغير إذن خاص من زوجها ، بل اعتاداً على الإذن العام المستند إلى العرف العام ، وجواز تحلي المرأة في السفر بالقلادة ونحوها ، وصيانة المال ولو قل للنهي عن إضاعة المال ، فإن عقد عائشة لم يكن من ذهب ولا

(١) البخاري (٧ / ٤٣٦) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٤ - باب حديث الإفك .

حمى بنافض : أي برعدة شديدة كأنها تقضتها أي : حركتها .

جواهر ، وفيه شؤم الحرص على المال لأنها لو لم تظل في التفتيش لرجعت بسرعة . فلما زاد على قدر الحاجة أثر ما جرى . وتوقف رحيل الجند على إذن الأمير ، والاسترجاع عند المصيبة ، وتغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي ، وإغاثة الملهوف ، وعون المنقطع ، وإنقاذ الضائع ، وإكرام ذوي القدر وإيثارهم بالركوب ، وتحشم المشقة لأجل ذلك ، وحسن الأدب مع الأجانب خصوصاً النساء ، ولا سيما في الخلوة ، والمشي أمام المرأة ليستقر خاطرها وتأمين مما يتوهم من نظره لما عساه ينكشف منها في حركة المشي ، وفيه ملاطفة الزوجة وحسن معاشرتها ، والتقصير من ذلك عند إشاعة ما يقتضي النقص وإن لم يتحقق ، وفائدة ذلك أن تتفطن لتغيير الحال فتعتذر أو تعترف ، وأنه لا ينبغي لأهل المريض أن يعلموه بما يؤدي باطنه لئلا يزيد ذلك في مرضه ، وفيه السؤال عن المريض والإشارة إلى مراتب المهجران بالكلام والملاطفة ، وفيه أن المرأة إذا خرجت لحاجة تستصحب من يؤنسها أو يخدمها ممن يؤمن عليها ، وفيه ذب المسلم عن المسلم خصوصاً من كان من أهل الفضل ، وردع من يؤذيهم ولو كان منهم بسبيل ، وبيان مزيد فضيلة أهل بدر . وفيه البحث عن الأمر القبيح إذا أشيع ، وتعريف صحته وفساده بالتنقيب على من قيل منه ، واستصحاب حال من اتهم بسوء إذا كان قبل ذلك معروفاً بالخير إذا لم يظهر عنه بالبحث ما يخالف ذلك ، وفيه فضيلة قوية لأم مسطح لأنها لم تحاب ولدها في وقوعه في حق عائشة ، بل تعمدت سبه على ذلك ، وفيه مشروعية التسبيح عند سماع ما يعتقد السامع أنه كذب ، وفيه توقف خروج المرأة من بيتها على إذن زوجها ولو كانت إلى أبيها ، وفيه البحث عن الأمر المقول من يدل عليه المقول فيه ، والتوقف في خبر الواحد ولو كان صادقاً ، وطلب الارتقاء من مرتبة الظن إلى مرتبة اليقين ، وأن خبر الواحد إذا جاء شيئاً بعد شيء أفاد القطع ، لقول عائشة : لأستيقن الخبر من قبلها ، وأن ذلك لا يتوقف على عدد معين ، وفيه استشارة المرء أهل بطانته ممن يلوذ به بقرابة وغيرها ، وتخصيص من جربت صحة رأيه منهم بذلك ولو كان غيره أقرب ، والبحث عن حال من اتهم بشيء ، وحكاية ذلك للكشف عن أمره ، ولا يُعد ذلك غيبة ، وفيه استعمال « لنعلم إلا خيراً » في التزكية ، وأن ذلك كافٍ في حق من سبقت عدالته من يطلع على خفي أمره ، وفيه التثبت في الشهادة ، وفطنة الإمام عند الحادث المهم ، والاستنصار بالأخصاء على الأجانب ، وتوطئة العذر لمن يراد إيقاع العقاب

به أو العتاب له ، واستشارة الأعلى لمن هو دونه ، وأن من استفسر عن حال شخص فأراد بيان ما فيه من عيب فليقدم ذكر عذره في ذلك إن كان يعلم ، كما قالت بريرة في عائشة حيث عابتها بالنوم عن العجين فقدمت قبل ذلك أنها جارية حديثة السن ، وفيه أن النبي ﷺ كان لا يحكم لنفسه إلا بعد نزول الوحي ، لأنه ﷺ لم يجزم في القصة بشيء قبل نزول الوحي ، وأن الحمية لله ورسوله لا تدم ، وفيه فضائل جمة لعائشة ولأبويها ولصفوان ولعلي ابن أبي طالب وأسامة وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير ، وفيه أن التعصب لأهل الباطل يخرج عن اسم الصلاح ، وجواز سب من يتعرض للباطل ، ونسبته إلى ما يسوؤه وإن لم يكن ذلك في الحقيقة فيه ، وإطلاق الكذب على الخطأ ، والقسم بلفظ (لعمر الله) وفيه النذب إلى قطع الخصومة وتسكين ثائرة الفتنة ، وسد ذريعة ذلك . واحتمال أخف الضررين بزوال أغلظها ، وفضل احتمال الأذى ، وفيه مباعدة من خالف الرسول ولو كان قريباً حمياً ، وفيه أن من أذى النبي ﷺ بقول أو فعل يقتل ، لأن سعد بن معاذ أطلق ذلك ولم ينكره النبي ﷺ ، وفيه مساعدة من نزلت فيه بلية بالتوجع والبكاء والحزن ، وفيه تثبت أبي بكر الصديق في الأمور لأنه لم ينقل عنه في هذه القصة مع تماذي الحال فيها شهراً كلمة فما فوقها ، وفيه ابتداء الكلام في الأمر المهم بالتشهد والحمد والثناء وقول : (أما بعد) ، وتوقيف من نُقل عنه ذنب على ما قيل فيه بعد البحث عنه ، وأن قول : (كذا وكذا) يكتفى بها عن الأحوال كما يكتفى بها عن الأعداد ولا تختص بالأعداد ، وفيه مشروعية التوبة ، وأنها تقبل من المعترف المقلع الخالص ، وأن مجرد الاعتراف لا يجزئ فيها ، وأن الاعتراف بما لم يقع لا يجوز ولو عرف أنه يصدق في ذلك ، ولا يؤاخذ على ما يترتب على اعترافه ، بل عليه أن يقول الحق أو يسكت ، وأن الصبر تحمد عاقبته ويغبط صاحبه ، وفيه تقديم الكبير في الكلام ، وتوقف من اشتبه عليه الأمر في الكلام ، وفيه تبشير من تجددت له نعمة ، أو اندفعت عنه نقمة ، وفيه الضحك والفرح والاستبشار عند ذلك ، ومعدرة من انزعج عند وقوع الشدة لصغر سن ونحوه وإدلال المرأة على زوجها وأبويها ، وتدريج من وقع في مصيبة فزالت عنه لئلا يهجم على قلبه الفرح من أول وهلة فيهلكه ، وفيه أن الشدة إذا اشتدت أعقبها الفرج ، وفضل من يفوض الأمر لربه ، وأن من قوي على ذلك خف عنه الهم والغم ، وفيه الحث على الإنفاق في سبيل الخير خصوصاً في صلة الرحم ، ووقوع المغفرة

لمن أحسن إلى من أساء إليه أو صفح عنه ، وأن من حلف أن لا يفعل شيئاً من الخير استحب له الحنث ، وجواز الاستشهاد بأي القرآن في النوازل ، والتأسي بما وقع للأكابر من الأنبياء وغيرهم ، وفيه التسبيح عند التعجب واستعظام الأمر ، وذم الغيبة وذم سماعها ، وزجر من يتعاطاها لا سيما إن تضمنت تهمة المؤمن بما لم يقع منه ، وذم إشاعة الفاحشة وتحريم الشك في براءة عائشة رضي الله عنها .

وقال الزخشي : لم يقع في القرآن من التغليظ في معصية ما وقع في قصة الإفك بأوجز عبارة وأشبعها ، لاشتاله على الوعيد الشديد ، والعقاب البليغ ، والزجر العنيف ، واستعظام القول في ذلك ، واستشناعه بطرق مختلفة ، وأساليب متقنة ، كل واحد منها كاف في بابه ، بل ما وقع من وعيد عبدة الأوثان ، إلا بما هو دون ذلك ، وما ذاك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله ﷺ وتطهير من هو منه بسبيل . أ هـ .

تحقيق حول وجود سعد بن معاذ في قصة الإفك :

وحول ورود ذكر سعد بن معاذ في حادثة الإفك قال ابن حجر في الفتح :

قوله (فقام سعد بن معاذ الأنصاري) كذا هنا وفي رواية معمر وأكثر أصحاب الزهري ، ووقع في رواية صالح بن كيسان « فقام سعد أخو بني عبد الأشهل » وفي رواية فليح « فقام سعد » ولم ينسبه ، وقد تعين أنه سعد بن معاذ لما وقع في رواية الباب وغيره . وأما قول شيخ شيوخنا القطب الحلبي : وقع في نسخة سمعنا « فقام سعد بن معاذ » وفي موضع آخر « فقام سعد أخو بني عبد الأشهل » فيحتمل أن يكون آخر غير سعد بن معاذ ، فإن في بني عبد الأشهل جماعة من الصحابة يسمى كل منهم سعداً ، منهم سعد بن زيد الأشهلي شهد بدرًا وكان على سيايا قريظة الذين يبيعوا بنجد ، وله ذكر في عدة أخبار منها في خطبة النبي ﷺ في مرض وفاته ، قال فيحتمل أن يكون هو المتكلم في قصة الإفك . قلت : وحمله على ذلك ما حكاه عياض وغيره من الإشكال في ذكر سعد بن معاذ في هذه القصة ، والذي جوزه مردود بالتصريح بسعد بن معاذ في هذه الرواية الثالثة ، فأذكر كلام عياض وما تيسر من الجواب عنه ، قال عياض : في ذكر سعد بن معاذ في هذا الحديث

إشكال لم يتكلم الناس عليه ونبهنا عليه بعض شيوخنا ، وذلك أن الإفك كان في المريسيع وكانت سنة ست فيما ذكر ابن إسحاق ؛ وسعد بن معاذ مات من الرمية التي رميها بالخنديق فدعا الله فأبقاه حتى حكم في بني قريظة ثم انفجر جرحه فمات منها ، وكان ذلك سنة أربع عند الجميع إلا ما زعم الواقدي أن ذلك كان سنة خمس ، قال : وعلى كل تقدير فلا يصح ذكر سعد بن معاذ في هذه القصة ، والأشبه أنه غيره ، ولهذا لم يذكره ابن إسحاق في روايته ، وجعل المراجعة أولا وثانيا بين أسيد بن حضير وبين سعد بن عباد ، قال : وقال لي بعض شيوخنا : يصح أن يكون سعد موجوداً في المريسيع بناء على الاختلاف في تاريخ غزوة المريسيع ، وقد حكى البخاري عن موسى بن عقبة أنها كانت سنة أربع ، وكذلك الخندق كانت سنة أربع ، فيصح أن تكون المريسيع قبلها لأن ابن إسحاق جزم بأن المريسيع كانت في شعبان وأن الخندق كانت في شوال ، فإن كنا من سنة واحدة استقام أن تكون المريسيع قبل الخندق فلا يمتنع أن يشهدها سعد بن معاذ انتهى .

وقد قدمنا في المغازي أن الصحيح في النقل عن موسى بن عقبة أن المريسيع كانت سنة خمس وأن الذي نقله عنه البخاري من أنها سنة أربع سبق قلم ، نعم والراجح أن الخندق أيضاً كانت في سنة خمس خلافا لابن إسحاق فيصح الجواب المذكور . ومن جزم بأن المريسيع سنة خمس الطبري ، لكن يعكر على هذا شيء لم يتعرضوا له أصلاً ، وذلك أن ابن عمر ذكر أنه كان معهم في غزوة بني المصطلق وهو المريسيع كما تقدم من حديثه في المغازي ، وثبت في الصحيحين أيضاً أنه عرض في يوم أحد فلم يحزه النبي ﷺ وعرض في الخندق فأجازه ، فإذا كان أول مشاهدته الخندق وقد ثبت أنه شهد المريسيع لزم أن تكون المريسيع بعد الخندق فيعود الإشكال ، ويمكن الجواب بأنه لا يلزم من كون ابن عمر كان معهم في غزوة بني المصطلق أن يكون أجيز في القتال ، فقد يكون صحب أباه ولم يباشر القتال كما ثبت عن جابر أنه كان يمنح الماء لأصحابه يوم بدر وهو لم يشهد بدرا باتفاق . وقد سلك البيهقي في أصل الإشكال جواباً آخر بناء على أن الخندق قبل المريسيع فقال : يجوز أن يكون جرح سعد بن معاذ لم ينفجر عقب الفراغ من بني قريظة بل تأخر زماناً ثم انفجر بعد ذلك وتكون مراجعته في قصة الإفك في أثناء ذلك ، ولعله لم يشهد غزوة المريسيع

٤٨٩ - * روى البزار والطبراني في الأوسط عن عائشة قالت : لما رميت به بما رميت به ، أزدت أن ألقى نفسي في قليب .

٢ - وفي هذه الغزوة قامت فتنة بين المهاجرين والأنصار :

٤٩٠ - * روى البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه قال : غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا . وكان من المهاجرين رجل لعاب ، فكسع أنصاريًا ، فغضب الأنصاري غضباً شديداً حتى تداعوا ، وقال الأنصاري يا للأنصار ، وقال المهاجري : يا للمهاجرين ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ما بال دَعَوَى أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ ؟ » ثم قال : « ما شأنهم ؟ » فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري قال فقال النبي ﷺ : « دَعَوْهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ » وقال عبد الله بن أبي بن سلول : أقد تداعوا علينا ؟ لئن رجعنا إلى المدينة لِيُخْرِجَنَّ الْأَعْزُ مِنْهَا الْأَذْلَ ، فقال عمر : ألا تقتل يابني الله هذا الخبيث ؟ لعبد الله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه » .

وفي رواية ^(١) : فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله : لا تنفليت حتى تقر أنك الذليل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز . ففعل

٤٩١ - * روى البخاري ومسلم عن زيد بن أرقم : خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في

٤٨٩ - البزار كشف الأستار (٣ / ٢٤١) ، كتاب علامات النبوة ، باب مناقب عائشة زوج رسول الله ﷺ .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٤٠) : رواه الطبراني في الأوسط والبزار ، ورجاله ثقات . قليب : بئر ، يذكر ويؤنث جمعه قلب وأقلبة .

أقول : قد تكون فكرت بالانتحار قبل أن يبلغها تحريمه لشدة ما رميت به على نفسها .

٤٩٠ - البخاري (٦ / ٥٤٦) ٦١ - كتاب المناقب - ٨ - باب ما ينهى من دعوى الجاهلية .

ومسلم نحوه (٤ / ١٩٩٨) ٤٥ - كتاب البر والصلة والآداب - ١٦ - باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً .

(١) الترمذي (٥ / ٤١٨) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٦٤ - باب « ومن سورة المنافقين » ، وقال : هذا حديث

حسن صحيح .

٤٩١ - البخاري (٨ / ٦٤٧) ٦٥ - كتاب تفسير القرآن - ٣ - باب ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم - إلى قوله - قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ .

ومسلم (٤ / ٢١٤٠) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - حديث (١) .

سَفَرُ أَصَابَ النَّاسَ فِيهِ شِدَّةٌ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي لَأَصْحَابِهِ . لَا تُتَفَقَّحُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِهِ ، وَقَالَ : لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَسَأَلَهُ فَاجْتَهَدَ بَيْنَهُمَا فَعَمِلَ ، قَالُوا : كَذَبَ زَيْدُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِمَّا قَالُوا شِدَّةٌ ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَصْدِيقِي فِي : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ ^(١) فَدَعَاهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ فَلَوْوْا رُءُوسَهُمْ ، وَقَوْلُهُ : ﴿ خُشِبَ مَسْنَدُهُ ﴾ ^(٢) قَالَ : كَانُوا رَجَالًا أَجَلُ شَيْءٍ .

وفي رواية ^(٣) : غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ مَعَنَا أَنَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ ، فَكُنَّا نَبْتَدِرُ الْمَاءَ ، وَكَانَ الْأَعْرَابُ يَسْبِقُونَا إِلَيْهِ ، فَسَبَقَ أَعْرَابِيٌّ أَصْحَابَهُ فَمَلَأَ الْحَوْضَ وَيَجْعَلُ حَوْلَهُ حِجَارَةً ، وَيَجْعَلُ النَّطْعَ عَلَيْهِ ، حَتَّى يَجِيءَ أَصْحَابَهُ ، قَالَ : فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَعْرَابِيًّا فَأَرْخَى زِمَامَ نَاقَتِهِ لِتَشْرَبَ فَأَبَى أَنْ يَدَعَهُ ، فَاَنْتَزَعَ قَبَاضَ الْمَاءِ فَرَفَعَ الْأَعْرَابِيَّ خَشَبَتَهُ فَضَرَبَ بِهَا رَأْسَ الْأَنْصَارِيِّ فَشَجَّهُ ، فَأَتَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَأْسَ الْمُنَافِقِينَ فَأَخْبَرَهُ ، فَغَضِبَ ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ثُمَّ قَالَ : لَا تُتَفَقَّحُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِهِ ، يَعْنِي الْأَعْرَابَ ، وَكَانُوا يَحْضُرُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ الطَّعَامِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : إِذَا انْفَضُوا مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدٍ فَأَتُوا مُحَمَّدًا بِالطَّعَامِ فَلْيَأْكُلْ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : لئن رَجَعْتُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ . قَالَ زَيْدٌ : وَأَنَا رِذْفُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي ، فَأَخْبَرْتُ عَمِّي ، فَاَنْطَلَقَ فَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

= (١) الْمُنَافِقُونَ : ١ .

(٢) الْمُنَافِقُونَ : ٤ .

(٣) الترمذي (٥ / ٤١٥) ٤٨ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآن - ٦٤ - بَابُ « وَمَنْ سَوَّرَ الْمُنَافِقِينَ » ، وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ

حَسَنٌ صَحِيحٌ .

نَبْتَدِرُ : نَتَسَابَقُ وَنَسْرِعُ إِلَيْهِ .

النَّطْعُ : بَسَاطٌ مِنَ الْجِلْدِ .

قَبَاضُ الْمَاءِ : مَا يَقْبِضُ بِهِ الْمَاءَ وَيَمْسِكُ مِنَ الْحِجَارَةِ وَغَيْرِهَا . وَالْمَعْنَى أَنَّ الرَّجُلَ الْأَنْصَارِيَّ الَّذِي أَرْخَى زِمَامَ نَاقَتِهِ لِتَشْرَبَ الْمَاءَ مِنَ الْحَوْضِ نَزَعَ الْحِجَارَةَ الَّتِي جَعَلَهَا الْأَعْرَابِيُّ حَوْلَ الْحَوْضِ لِيَمْسِكَ بِهِ الْمَاءَ .

شَجَّهُ : شَجَّأَ : شَقَّ جِلْدَ رَأْسِهِ أَوْ وَجْهِهِ .

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَحَلَفَ وَجَّهَدَ ، فَصَدَّقَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَذَّبَنِي ، فَجَاءَ عَمِّي إِلَيَّ ، فَقَالَ : مَا أَرَدْتَ إِلَّا أَنْ مَقْتَلَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَذَّبَكَ الْمُسْلِمُونَ ، قَالَ : فَوَقَعَ عَلَيَّ مِنْ الْهَمِّ مَا لَمْ يَقَعْ عَلَى أَحَدٍ ، قَالَ : فَبَيْنَا أَنَا أُسِيرُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ قَدْ خَفَقْتُ بِرَأْسِي مِنَ الْهَمِّ ، إِذْ أَتَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَرَّكَ أُذُنِي ، وَضَحِكَ فِي وَجْهِي ، فَمَا كَانَ يَسْرُنِي أَنْ لِي بِهَا الْخُلْدُ فِي الدُّنْيَا ، ثُمَّ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَحِقَنِي ، فَقَالَ : مَا قَالَ لَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قُلْتُ : مَا قَالَ شَيْئاً إِلَّا أَنَّهُ عَرَّكَ أُذُنِي ، وَضَحِكَ فِي وَجْهِي ، فَقَالَ : أَبْشُرْ ثُمَّ لَحِقَنِي عَمْرٌ ، فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ قَوْلِي لِأَبِي بَكْرٍ ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُورَةَ الْمُنَافِقِينَ .

وفي رواية ^(١) : أَنْ ذَلِكَ فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ .

* * *

== عَرَّكَ : الْجِلْدُ عَرَّكَ : دَلَّكَ .

(١) الترمذي في نفس الموضع السابق (٥ / ٤١٨) . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

فصل : في غزوة فَرَازَة

٤٩٢ - * روى مسلم عن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ قَالَ : غَزَوْنَا فَرَازَةَ وَعَلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ أُمَرُؤُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَاءِ سَاعَةً أَمَرَنَا أَبُو بَكْرٍ فَعَرَّسْنَا ، ثُمَّ شَنُّوا الْغَارَةَ فَوَرَدَ الْمَاءَ فَقَتَلَ مِنْ قَتَلَ عَلَيْهِ وَسَبَا ، وَأَنْظَرُ إِلَى عُنُقِ مِنَ النَّاسِ فِيهِمُ الذَّرَارِيُّ ، فَخَشِيتُ أَنْ يَسْبِقُونِي إِلَى الْجَبَلِ ، فَرَمَيْتُ بِسَهْمٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَبَلِ ، فَلَمَّا رَأَوْا السَّهْمَ وَقَفُوا ، فَجِئْتُ بِهِمْ أَسْوَفَهُمْ ، وَفِيهِمْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي فَرَازَةَ عَلَيْهَا قِشْعٌ مِنْ أَدَمٍ (قَالَ : الْقِشْعُ النَّطْعُ) ، مَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا مِنْ أَحْسَنِ الْعَرَبِ ، فَسَقَّتُهُمْ حَتَّى أَتَيْتُ بِهِمْ أَبَا بَكْرٍ فَنَقَلَنِي أَبُو بَكْرٍ ابْنَتَهَا ، فَقَدَمْنَا الْمَدِينَةَ وَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا ، فَلَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السُّوقِ فَقَالَ : « يَا سَلَمَةُ هَبْ لِي الْمَرْأَةَ » فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْجَبْتَنِي وَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا ، ثُمَّ لَقِيَنِي مِنَ الْغَدِ فِي السُّوقِ ، فَقَالَ لِي : « يَا سَلَمَةُ هَبْ لِي الْمَرْأَةَ لِلَّهِ أَبُوكَ » فَقُلْتُ : هِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَوَاللَّهِ مَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا ، فَبَعَثَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ فَقَدَيْتُ بِهَا نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا أُسْرُوا بِمَكَّةَ .

قال النووي : فيه جواز المفاداة وجواز فداء الرجال بالنساء الكافرات ، وفيه جواز التفريق بين الأم ولدها البالغ ، ولا خلاف في جوازه عندنا ، وفيه جواز استيهاب الإمام أهل جيشه بعض ما غنوه ليفادي به مسلماً أو يصرفه في مصالح المسلمين أو يتألف به من في تألفه مصلحة كما فعل ﷺ هنا وفي غنائم حنين وفيه جواز قول الإنسان للآخر الله أبوك والله درك .

وسبب هذه الغزوة أنه كان بطن فَرَازَة يريد اغتيال النبي ﷺ فبعث رسول الله ﷺ أبا بكر فأغار عليهم وقتل وأسر وسبي ، وكان من شياطينهم أم قَرْفَة التي جهزت ثلاثين فارساً من أهل بيتها لاغتيال رسول الله ﷺ فقتلوا وسبيت ابنتها ، (راجع الرحيق المختوم)

٤٩٢ - مسلم (٣ / ١٣٧٥) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ١٤ - باب التنفيل وفداء المسلمين بالأسارى .

شَنُّ الْغَارَةِ : الْغَارَةُ : النَّهْبُ ، وَشَنُّهَا : تَفْرِيقُهَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ .

عُنُقُ : مِنَ النَّاسِ : أَيِ جَمَاعَةِ (الْمَرْأَةُ : هِيَ أُمُّ قَرْفَةَ وَاسْمُهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رِبِيعَةَ بْنِ بَدْرٍ) .

قِشْعٌ : الْقِشْعُ : الْجِلْدُ الْيَاسَ ، وَجَمْعُ قِشْعٍ ، عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ، لِأَنَّهُ وَاحِدٌ قِشْعٌ قَشْعَةٌ ، مِثْلُ بَذْرَةٍ وَبَذَرٍ .

النَّطْعُ : نَفْسُ الْقِشْعِ .

فصل : في سرية كُرْزِ بنِ جابرِ الفهريّ إلى العَرَنِيّين

قال ابن كثير في البداية والنهاية :

قال الواقدي : في شوال سنة ست كانت سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنين الذين قتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا النعم ، فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم كرز بن جابر في عشرين فارساً فردوهم .

٤٩٣ - * روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه حديثهم أن ناساً من عكّل وعرينة قَدِمُوا المدينة على النبي ﷺ وتكلموا بالإسلام ، فقالوا : يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف ، واستَوْخَمُوا المدينة . فأمرهم رسول الله ﷺ بَذَوْدٍ ورَاعٍ ، وأمرهم أن يَخْرُجُوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها . فانطلقوا ، حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم ، وقتلوا راعي النبي ﷺ ، واستاقوا الذوة . فبلغ النبي ﷺ ، فبعث الطلب في آثارهم ، فأمر بهم فستروا أعينهم وقطعوا أيديهم ، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم .

وفي رواية للبخاري^(١) : فأقَى النبي ﷺ الصريح ، فبعث الطلب في آثارهم ، فما ترجل النهار حتى أتى بهم ، فأمر بسامير ، فأحيت فكحلهم وقطع أيديهم وأرجلهم وما حسنتهم ثم ألقوا في الحرة يستسقون ، فما سقوا حتى ماتوا .

وفي رواية^(٢) عن أنس قال : فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه عطشاً حتى ماتوا .

٤٩٣ - البخاري (٧ / ٤٥٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٦ - باب قصة عكل وعرينة .

ومسلم (٣ / ١٢٩٧) ٢٨ - كتاب القسامة - ٢ - باب حكم الحارين والمرتدين .

استوخموا : أي لم توافقهم وكرهوها لسقم أصابهم وفي سيرة ابن هشام : أنهم طجلوا ، أي : أصابهم وجع الطحال .

فتبروا أعينهم : ستر : أي : كحلها بسامير محمية .

الحرة : هي أرض ذات حجارة سود معروفة بالمدينة .

(١) البخاري (١٢ / ١١١) ٨٦ - كتاب الحدود - ١٧ - باب لم يسق المرتدون الحاربون حتى ماتوا .

ترجل : ارتفع .

وما حسنتهم : ختم العرق : قطعه وكواه لئلا يسيل دمه .

(٢) البخاري (١٠ / ١٤١) ٨٦ - كتاب الطب - ٥ - باب الدواء بالبان الإبل .

وأبو داود واللفظ له (٤ / ١٣١) ، كتاب الحدود ، باب ما جاء في المحاربة .

قال أبو قلابة ^(١) : فهؤلاء قتلوا وسرقوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله ﷺ .
وفي صحيح مسلم ^(٢) إنما سمل النبي ﷺ أعين أولئك ؛ لأنهم سملوا أعين الرعاء .

* * *

= يكدم : كدماً : أحدث فيه أثراً بغيره ونحوه .

(١) أخرجه البخاري (١ / ٢٢٥) ، ٤ - كتاب الوضوء - ٦٦ - باب أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها . ومرابضها .

(٢) مسلم (٣ / ١٢٩٨) ٢٨ - كتاب القسامة - ٢ - باب حكم الحاربين والمرتدين .

فصل : في صلح الحديبية

١ - النصوص :

٤٩٤ - * روى البخاري عن السَّوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمِرْوَانَ - يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صاحبه - قالوا : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَمَنَ الْحَدِيثِيَّةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالنَّمِيمِ فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً ، فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ » فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتْرَةِ الْحَيْشِ ، فَاَنْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ ، وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يَهْبِطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكْتَ بِهِ رَاحِلَتُهُ ، فَقَالَ النَّاسُ : حَلْ حَلْ . فَأَلْحَتْ . فَقَالُوا خَلَّاتِ الْقَصَوَاءَ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَا خَلَّاتِ الْقَصَوَاءَ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخَلْقٍ ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ » ثُمَّ قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أُعْطِيتُهُمْ إِيَّاهَا » ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَّيْتُ . قَالَ : فَعَدَلَنَاهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحَدِيثِيَّةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلٍ الْمَاءِ يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا ، فَلَمْ يَلْبَثْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ ، وَشَكَّيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعَطَشُ ، فَاَنْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ،

٤٩٤ - البخاري (٥ / ٣٢٩) ٥٤ - كتاب الشروط - ١٥ - باب الشروط في الجهاد ، والمصالحة مع أهل الحرب ، وكتابة الشروط .

قَتْرَةُ الْحَيْشِ : هُوَ الْغَبَارُ السَّاطِعُ مِنْهُ ، وَلَا تَكُونُ الْقَتْرَةُ إِلَّا مَعَ سَوَادٍ فِي اللَّوْنِ .

نَذِيرٌ : النَّذِيرُ : الَّذِي يَعْلَمُ الْقَوْمَ بِالْأَمْرِ الْحَادِثِ .

بِالثَّنِيَّةِ : الثَّنِيَّةُ : الطَّرِيقُ الْمُرْتَفِعُ فِي الْجَبَلِ .

حَلْ حَلْ : زَجَرُ لِلنَّاقَةِ ، وَ « حَوْبٌ » زَجَرُ لِلْجَمَلِ .

فَالْحَتْ : أَلَحَّ الْبَعِيرُ : إِذَا حَزَنَ ، وَقِيلَ : إِنْما يُقَالُ ذَلِكَ لِلْجَمَلِ ، فَأَمَّا النَّاقَةُ فإِنَّمَا يُقَالُ لَهَا : خَلَّاتِ .

الْقَصَوَاءُ : الْقَصَوَاءُ : اسْمُ نَاقَةٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، وَلَمْ تَكُنْ قَصَوَاءً ، أَيْ مَشْقُوقَةً الْأُذُنِ ، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا لِقَبْلِهَا .

حَابِسُ الْفِيلِ : الْفِيلُ : هُوَ فِيلُ أَبْرَهَةَ الَّذِي جَاءَ يَقْصِدُ الْبَيْتَ لِيُخْرِبَهُ ، فَحَبَسَ اللَّهُ الْفِيلَ ، فَلَمْ يَتَقَدَّمْ إِلَى مَكَّةَ ، وَرَدَّ رَأْسَهُ رَاجِعًا مِنْ حَيْثُ جَاءَ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ كَأَنَّ قَالَ : ﴿ طَمِئًا أَبَائِيلَ ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴾ وَالْقِصَّةُ مشهورة .

خُطَّةٌ : الْخُطَّةُ : الْحَالُ وَالْقَضِيَّةُ وَالطَّرِيقَةُ .

حُرْمَاتُ اللَّهِ : جَمْعُ حَرَمَةٍ ، يُرِيدُ بِهَا : حُرْمَةُ الْحَرَمِ ، وَحَرَمَةُ الْإِحْرَامِ ، وَحَرَمَةُ الشَّهْرِ الْحَرَامِ .

يَتَبَرَّضُ : التَّبَرُّضُ : أَخَذَ الشَّيْءَ قَلِيلًا قَلِيلًا ، وَهُوَ أَيْضًا التَّبَلُّغُ بِالشَّيْءِ الْقَلِيلِ .

ثَمَدٌ : الثَّمَدُ : الْمَاءُ الْقَلِيلُ الَّذِي لَا مَادَّةَ لَهُ .

ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالرأي حتى صدروا عنه . فبينما هم كذلك ، إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة - وكانوا غيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل يثامة - فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية ، ومعهم العود المطافيل ، وهم مقاتلون وصادوك عن البيت . فقال رسول الله ﷺ : « إنا لم نجئ لقتال أحد ، ولكننا جئنا مغتربين ، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرّت بهم ، فإن شاءوا ماذنهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس ، فإن أظهروا فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلا فقد جموا . وإن هم أبوا فالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ، ولينفذن الله أمره » فقال بديل : سأبلغهم ما تقول . قال فانطلق حتى أتى قريشاً قال : إنا جئناكم من هذا الرجل ، وسيمناه يقول قولاً ، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن نخبرونا عنه بشيء . وقال ذوو الرأي منهم : هات ما سمعته يقول : قال : سمعته يقول كذا وكذا . فحدثهم بما قال النبي ﷺ . فقال عمرو بن مسعود فقال : أي قوم ، ألسنتم بالوالد ؟ قالوا بلى . قال : أولست بالولد ؟ قالوا : بلى . قال : فهل تتهمونني ؟ قالوا : لا . قال : ألسنتم تعلمون أنني استنفرت أهل عكاظ ، فلما بلّحوا علي

= يجيش : جاشت البئر بالماء : إذا ارتفعت وفاضت ، وجاشت القدر : إذا غلت .

بالري : الرّي : ضد العطش .

صدروا : الصّدْر : الرجوع بعد الورد .

غيبة نصح : يقال : فلان غيبة نصح فلان : إذا كان موضع سرّه وثقته في ذلك .

أعداد مياه : الماء العدّ : الكثير الذي لا انقطاع لمادته ، كماء العيون ، وجمعه : أعداد .

العود : جمع عائد : وهي الناقة إذا وضعت إلى أن يقوى ولدها .

المطافيل : جمع مطفيل ، وهي الناقة معها فصيلها ، فاستعار ذلك للناس ، أراد به النساء والصبيان .

نهكتهم الحرب : يقول : نهكته الحرب تنهكه ، أي : أضرت به وأثرت فيه ، من نهك الحمى ، وهو ألمها وضررها .

ماذنتهم : ماذنت القوم ، أي : جعلت بينك وبينهم مدة .

جموا : استراحوا ، والجمام : الراحة بعد التعب .

سالفتي : السالفة : صفحة العنق ، وانفرادها كناية عن الموت ، لأنها لا تنفرد عما يليها إلا بالموت .

استنفرت القوم : دعوتهم إلى قتال العدو .

بلّحوا : أصل التبليح : الإعياء والفتور ، والمراد : امتناعهم من إجابته وتقاعدهم به ، وفيه لغة أخرى (بلّحوا)

بالتخفيف .

جِئْتُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي ؟ قالوا : بلى . قال : فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي أَتِيهِ . قالوا أَتَيْتِهِ . فَأَتَاهُ ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ ، فقال النبي ﷺ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبَدِيل . فقال عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ : أَيُّ مُحَمَّدٍ ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَسَاحَ أَهْلِهِ قَبْلَكَ ؟ وَإِنْ تَكُنِ الْآخَرَى ، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَرَى وُجُوهًا ، وَإِنِّي لَأَرَى أَشْوَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدْعَوْكَ . فقال له أبو بكر : امْصُصْ بَطْنِ اللَّاتِ ، أَلَحْنُ نَفَرٌ عَنْهُ وَنَدْعُهُ ؟ فقال : مَنْ ذَا ؟ قالوا : أَبُو بَكْرٍ . قال : أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لِأَجْبُثُكَ . قال : وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَكَلِمًا تَكَلَّمَ كَلِمَةً أَخَذَ بِلَحْيَتِهِ ، وَالْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمَغْفَرُ ، فَكَلِمًا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ وَقَالَ لَهُ : أَخْرُ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ . فقال : أَيُّ عُذْرٍ ، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي عُذْرَتِكَ ؟ وَكَانَ الْمَغِيرَةُ صَحْبًا قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ . فقال النبي ﷺ : « أَمَّا الْإِسْلَامُ فَأَقْبَلُ وَأَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ » ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ . قال : فَوَاللَّهِ مَا تَنْخَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَخَامَةً إِلَّا وَقَعْتُ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلِكُ بِهَا وَجْهَةٌ وَجِلْدُهُ ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإِذَا تَوَضَّأُوا كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ ، وَإِذَا تَكَلَّمُوا

= قد قُلِدَتْ : تقليد البدن : هو أن يجعل في رقبها شيء كالقلائد من لحاء الشجر ، أو غيره ، ليعلم أنها هذبي .
اجتساح : الإيقاع المكروه بالإنسان ، ومنه الجائحة ، والاجتساح والاستئصال متقاربان في مبالغة الأذى .
أشوايا : الأشوايا والأوباش والأوشاب : سواء ، وهم الأخلاط من الناس والزراع .
خطئة : يقال : خطئة رشد ، وخطئة في ، والرشد : خلاف القبي والضلال ، والمراد : أنه قد طلب منكم طريقاً واضحاً في الهدى والاستقامة .

خلِيقاً : يقال : فلان خَلِيقٌ بكذا ، أي : جدير ، لا يبعد ذلك من خَلْقِهِ .
امصص بطن اللات : صم كانوا يعبدونه والعبادة شتم يدور على ألسنتهم .
فاجر : أصل الفجور : الميل عن الحق والتكذيب به ، وكل انبعاث في شر فهو فجور .
لولا ية : اليد : النعمة ، وما يمتن الإنسان به على غيره .
المغفر : ما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد .
عُذْرٌ : معدول عن غادر ، وهو بناء للمبالغة .
نخامة : النخامة البصقة من أقصى الحلق .

خَفَضُوا أَصَوَاتَهُمْ عِنْدَهُ ، وَمَا يُحَدِّثُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيماً لَهُ . فَرَجَعَ عُرْوَةً إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ :
 أَيُّ قَوْمٍ ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَقَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ ، وَوَقَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكَيْسَرَى وَالنَّجَاشِيِّ ، وَاللَّهِ إِنْ
 رَأَيْتُ مَلِيكاً قَطُّ يَعْظُمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعْظَمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّداً ، وَاللَّهِ إِنْ يَتَنَحَّمُ
 نَخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَةٌ وَجِلْدُهُ ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإِذَا
 تَوَضَّأُوا كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ ، وَإِذَا تَكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصَوَاتَهُمْ عِنْدَهُ ، وَمَا يُحَدِّثُونَ إِلَيْهِ
 النَّظَرَ تَعْظِيماً لَهُ . وَإِنَّهُ قَدْ عَرَّضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَأَقْبِلُوهَا . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ :
 دَعُونِي آتِيهِ فَقَالُوا : آتِيهِ . فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هَذَا
 فُلَانٌ ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعْظَمُونَ الْبُذْنَ ، فَأَبْعَثُوهَا لَهُ » فَبِعِثَتْ لَهُ ، وَاسْتَقْبَلَتْهُ النَّاسُ
 يَلْبُثُونَ . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدَّوْا عَنِ الْبَيْتِ . فَلَمَّا
 رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ : رَأَيْتُ الْبُذْنَ قَدْ قُلِدَتْ وَأُشْعِرْتُ ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدَّوْا عَنِ الْبَيْتِ .
 فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ : مِكْرَزُ بْنُ خَفْصٍ فَقَالَ : دَعُونِي آتِيهِ . فَقَالُوا : آتِيهِ فَلَمَّا أَشْرَفَ
 عَلَيْهِمْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « هَذَا مِكْرَزٌ ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ » فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَبَيْنَا
 هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو . قَالَ مَعْمَرٌ : فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ
 سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « قَدْ سَهَّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ » قَالَ مَعْمَرٌ : قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي
 حَدِيثِهِ : فَجَاءَ سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ : هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَاباً . فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ
 الْكَاتِبَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » ، فَقَالَ سَهِيلٌ : أَمَّا « الرَّحْمَنُ »
 فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هِيَ ، وَلَكِنْ اكْتُبْ : بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ :
 وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : اكْتُبْ : « بِاسْمِكَ
 اللَّهُمَّ » . ثُمَّ قَالَ : « هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » فَقَالَ سَهِيلٌ : وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ
 أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ ، وَلَكِنْ اكْتُبْ « مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ » ،

= يُحَدِّثُونَ : أَحَدَدْتُ إِلَيْهِ النَّظَرَ : إِذَا مَلَأَتْ عَيْنُكَ مِنْهُ وَلَمْ تَهَبْ ، وَلَا اسْتَحْيَيْتَ مِنْهُ .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ : سُبْي : الْحَلِيسُ بْنُ عُلْقَمَةَ أَوْ ابْنَ زُبَّانٍ .

الْبُذْنُ : الْإِبِلُ الَّتِي تُهْدَى إِلَى الْبَيْتِ فِي حِجٍّ أَوْ عَمْرَةٍ .

هَذَا مِكْرَزٌ ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ : كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ بَنِي بَكْرِ غِيلَةً .

قَاضِي : فَاعِلٌ ، مِنَ الْقَضَاءِ ، وَهُوَ إِحْكَامُ الْأَمْرِ وَإِمْضَاؤُهُ ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : « قَضَى » فِي الْفَلَةِ عَلَى وَجْهِهِ ، مُرْجِعُهَا
 إِلَى انْقِطَاعِ الشَّيْءِ وَتَمَامِهِ .

فقال النبي ﷺ : « والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني ، اكتُبْ محمد بن عبد الله » قال الزهري : وذلك لقوله : « لا يسألونني خطّة يعظمون فيها حرّمات الله إلّا أعطيتهم إياها » فقال له النبي ﷺ : « على أن تخلّوا بيننا وبين البيت فنطوف به » فقال سهيل : والله لا تتحدّث العرب أنا أخذنا ضفطة ، ولكن ذلك من العام المقبل ، فكتّبت ، فقال سهيل : وعلى أنه لا يأتيك منّا رجل - وإن كان على دينك - إلا ردّدتّه إلينا . قال المسلمون : سبحان الله ، كيف يردّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً ؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده ، وقد خرج من أسفل مكة حتّى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : هذا يا محمد أوّل من أقاضيك عليه أن تردّه إليّ . فقال النبي ﷺ : « إنا لم نقض الكتاب بعد » قال : فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبداً . قال النبي ﷺ : « فأجزه لي » قال : ما أنا بمجيزه لك ، قال : بلى فافعل ، قال : ما أنا بفاعل . قال مكرز : بل قد أجزناه لك . قال أبو جندل : أيّ معشتر المسلمين ، أزد إلى المشركين وقد جيئت مسلماً ؟ ألا ترون ما قد لقيت ؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله . قال : فقال عمر بن الخطاب : فأتيت نبي الله ﷺ فقلت : ألسنت نبي الله حقاً ؟ قال : « بلى » قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : « بلى » قلت : فلم نُعطي الدّنية في ديننا إذا ؟ قال : « إني رسول الله ولست أعصيه ، وهو ناصري » قلت : أوليس كنت تحدّثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : « بلى » فأخبرتُك أنا نأتيه العام ؟ قال قلت : لا . قال : « فإنك آتيه ومطوف به » . قال : فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر ، أليس هذا نبي الله حقاً ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم نُعطي الدّنية في ديننا إذا ؟ قال : أيها الرجل إنه لرسول الله ﷺ ، وليس يعصي ربّه ، وهو ناصره ، فاستمسك بغرزي فوالله إنه على الحق . قلت : أليس كان

= منقطة : الضنطة : القهر والضيق .

يرسف : رسف المقيّد في قيده : إذا مشى فيه .

فأجزه لي : يجوز أن يكون بالزاي والراء ، فأما بالزاي : فعناه من الإجازة ، أي : اجعله جائزاً غير ممنوع ، ولا محرم أو غيره ، وأطلقه ، وإن كان بالراء المهملة : فعناه من الإجارة : الحماية والحفظ ، وكلاهما صالح في هذا الموضع .

الدّنية : القضية التي لا يرضى بها ولا تُرد .

بغرضه : الغرض : الكور للناقة ، كالركاب لسرج الفرس ، إلا أنه من جلد ، فإذا كان من حديد أو خشب : فهو ركاب . =

يُحَدِّثُنَا أَنَا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ ؟ قَالَ : بَلَى ، أَفَأَخْبِرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ ؟ قُلْتُ : لَا . قَالَ : فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوَّفٌ بِهِ . قَالَ الزُّهْرِيُّ : قَالَ عُمَرُ : فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا . قَالَ : فَلَمَّا قَرَعَ مِنْ قَضِيَةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ : « قُومُوا فَأَنْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا » قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ ، حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ ؟ أَخْرَجُ ، ثُمَّ لَا تَكَلِّمُ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بِذَنِّكَ ، وَتَدْعُو حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ . فَخَرَجَ فَلَمْ يَكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ : نَحَرَ بِذَنِّهِ ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ . فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَتَنَحَرُوا ، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا ، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا . ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ﴾ - حَتَّى بَلَغَ - ﴿ بَعْضُ الْكَوَافِرِ ﴾ ^(١) فَطَلَّقَ عَمْرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ فِي الشَّرْكِ ، فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ وَالْأُخْرَى صَفْوَانَ بْنَ أُمِيَّةَ ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ فَقَالُوا : الْعَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا ، فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ ، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَّغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ ، فَتَزَلُّوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمَرِهِمْ ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانُ جَيِّدًا ، فَاسْتَلَّهُ الْآخَرُ فَقَالَ : أَجَلُ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ ثُمَّ جَرَّبْتُ بِهِ ثُمَّ جَرَّبْتُ . فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ : أُرْنِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَأَمَكَّنَهُ مِنْهُ ، فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ ، وَفَرَّ الْآخَرُ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَتَعَدُّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَاهُ : « لَقَدْ رَأَى هَذَا دُعْرًا » فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : قَتَلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ . فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَى اللَّهِ ذِمَّتَكَ قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « وَيَلُ أُمُّهُ مِسْعَرٌ حَرَبٌ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ » فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سَيْفَ الْبَحْرِ . قَالَ : وَبَيْنَقَلْتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سَهِيلٍ فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ ، فَجَعَلَ لَا

= فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا : تَقَرَّبْتُ إِلَى اللَّهِ قُرْبَاتٍ حَتَّى يَغْفِرَ لِي فَعَلِي .

(١) الْمُتَحَنَّةُ : ١٠ .

وَيَلُ أُمُّهُ مِسْعَرٌ حَرَبٌ : مِسْعَرُ الْحَرْبِ : مُوقِدُهَا ، يُقَالُ : سَعَرْتُ النَّارَ وَأَسَعَرْتُهَا : إِذَا أَوْقَدْتُهَا ، وَالْمِسْعَرُ : الْخَشَبُ الَّذِي تَوْقِدُ بِهِ النَّارَ ، وَقَوْلُهُ : « وَيَلُ أُمُّهُ » كَلِمَةٌ يَتَعَجَّبُ بِهَا .

= سَيْفُ الْبَحْرِ : جَانِبُهُ وَسَاحِلُهُ . قَالَ الْبَخَارِيُّ : مَعْرَةٌ : الْغُرَّةُ : الْجَرْبُ .

يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عَصَابَةٌ ، فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرِ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ إِلَّا اغْتَرَضُوا لَهَا . فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ . فَأَرْسَلْتُ قُرَيْشَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُنَاسِئُهُ اللَّهُ وَالرَّحِمَ لِمَا أَرْسَلَ مِنْ أَتَاءٍ فَهُوَ آمِنٌ فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ الْحِمْيَةَ حِمْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ ^(١) وَكَانَتْ حِمْيَتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَقْرَأُوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ ، وَلَمْ يَقْرَأُوا بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ .

وَقَالَ عَقِيلٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ : « قَالَ عُرْوَةُ : فَأَخْبَرْتَنِي عَائِشَةُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَمْتَحِنُهُمْ . وَبَلَّغْنَا أَنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرُدُّوا إِلَى الْمُشْرِكِينَ مَا أَنْفَقُوا عَلَى مَنْ هَاجَرَ مِنْ أَرْوَاجِهِمْ ، وَحَكَّمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ لَا يُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ ، أَنْ عَمَرَ طَلَّقَ امْرَأَتَيْنِ - قُرْبِيَّةَ بِنْتِ أَبِي أُمَيَّةَ . وَابْنَةَ جَزْوَلِ الْخَزَاعِيِّ فَتَزَوَّجَ قُرْبِيَّةَ مَعَاوِيَةَ وَتَزَوَّجَ الْآخَرَى أَبُو جَهْمٍ . فَلَمَّا أَبَى الْكُفَّارُ أَنْ يَقْرَأُوا بِأَدَاءِ مَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَرْوَاجِهِمْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ قَاتَكُمْ فَيَسْأَلْكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَلَايَتُهُمْ ﴾ ^(٢) وَالْقَبْ مَا يُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَنْ هَاجَرَ امْرَأَتَهُ مِنْ الْكُفَّارِ ، فَأَمَرَ أَنْ يُعْطَى مَنْ ذَهَبَ لَهُ زَوْجٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَا أَنْفَقَ مِنْ صَدَاقِ نِسَاءِ الْكُفَّارِ اللَّائِي هَاجَرْنَ ، وَمَا نَعَلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ ارْتَدَّتْ بَعْدَ إِيْمَانِهَا . وَبَلَّغْنَا أَنَّ أَبَا بَصِيرٍ بْنُ أَسِيدِ الثَّقَفِيِّ قَدِيمٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مُؤْمِنًا مُهَاجِرًا فِي الْمَدِينَةِ ، فَكَتَبَ الْأَخْنَسُ بْنُ شُرَيْقٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُهُ أَبَا بَصِيرٍ » فَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ ^(٤) أَيْضًا عَنِ الْمِسْوَرِ وَمُرْوَانَ : « أَنَّهُمْ اصْطَلَحُوا عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَشْرَ سَنِينَ ، يَأْمَنُ فِيهِنَّ النَّاسُ ، وَعَلَى أَنْ يَبِينَا عُيْبَةً مَكْفُوفَةً وَأَنَّهُ لَا إِسْلَالَ وَلَا إِغْلَالَ » .

= تَرَدُّلُوا : اتَّخَذُوا .

وَحِمْيَةُ الْقَوْمِ : مَنَعَتُهُمْ حَايَةً . وَأَحْمِيَةُ الْحَمَى : جَعَلَتْهُ حِمًى لَا يَدْخُلُ . وَأَحْيَتْ الرَّجُلَ : إِذَا أَغْضَبَتْهُ إِجْمَاءً .

(١) الْفَتْحَ : ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ .

(٢) الْبُخَارِيُّ فِي نَفْسِ الْمَوْضِعِ السَّابِقِ (٢٣٣ / ٥) .

بِعَصَمِ الْكُوفَرِ : الْعِصْمَ : جَمْعُ عِصْمَةٍ ، وَهُوَ مَا يَتَمَسَّكُ بِهِ ، وَالْكُوفَرُ : جَمْعُ كَافِرَةٍ ، وَأَرَادَ بِعَصَمِهَا : عَقْدَ نِكَاحِهَا .

(٣) الْمُنْتَحَنَةُ : ١١ .

(٤) أَبُو دَاوُدَ (٨٦ / ٣) ، كِتَابُ الْجِهَادِ ، بَابُ فِي صَلَاحِ الْعَدُوِّ .

عُيْبَةٌ مَكْفُوفَةٌ : أَوَّلُ الْعُيْبَةِ : مَا يَجْعَلُ فِيهِ الثِّيَابُ ، وَ (مَكْفُوفَةٌ) : أَيُّ مُشْدُودَةٍ مَمْنُوعَةٍ ، وَالْمُرَادُ أَنَّ بَيْنَهُمْ أَمْرًا

وذكر رزين في رواية زيادة في حديث البخاري بعد قوله : اكتب : باسمك اللهم « قال : وفي رواية قال رسول الله ﷺ : « اكتب الشرط بيننا وبينهم : بسم الله الرحمن الرحيم .. » وذكر مثل ما تقدم . وزاد بعد قوله : « كيف يُردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ » قال : وفي رواية زيادة « فكيف نكتب هذا ؟ قال : رسول الله ﷺ : « نعم ، من ذهب منّا إليهم أبعدَهُ الله ، ومن جاءنا منهم وردُّناه : سيجعلُ الله له قرْجاً » وزاد بعد قوله : « وقد كان عذَّب عذاباً شديداً في الله » قال : « فقال عمرُ بنُ الخطاب : فأمكنْتُ يده من السيف ليضرب به أباه ، فُضِّنْ به ، وعلم بذلك رسولُ الله ﷺ ، فقال لي : يا عمر ، لعلَّه أن يقوم في الله مقاماً يحمدُه عليه . »

قال في الفتح :

قال المحب الطبري : الحديبية : قرية قريبة من مكة أكثرها في الحرم ، ووقع في رواية ابن إسحاق في المغازي عن الزهري « خرج عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً » ووقع عند ابن سعد « أنه ﷺ خرج يوم الاثنين لهلل ذي القعدة » ، زاد سفيان عن الزهري في الرواية الآتية في المغازي وكذا في رواية أحمد عن عبد الرزاق « في بضع عشرة مائة ، فلما أتى ذا الحليفة قلَّد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمره ، وبعث عينا له من خزاعة » وروى عبد العزيز الإمامي عن الزهري في هذا الحديث عند ابن أبي شيبة « خرج ﷺ في ألف وثمانمائة ، وبعث عينا له من خزاعة يدعى ناجية يأتيه بخبر قریش » كذا ساه ناجية ، والمعروف أن ناجية اسم الذي بعث معه الهدى كما صرح به ابن إسحق وغيره ، وأما الذي بعثه عينا لخبر قریش فاسمه بُسر بن سفيان كذا ساه ابن إسحق ، وهو بضم الموحدة وسكون المهملة على الصحيح ، وسأذكر الخلاف في عدد أهل الحديبية في المغازي إن شاء الله تعالى . قوله : (حتى إذا كانوا ببعض الطريق) اختصر المصنف صدر هذا الحديث

= مطوياً في صدور سلبية ، وهو إشارة إلى ترك المؤاخاة بما تقدم بينهم من أسباب الحرب .
لا إسلال ولا إغلal : الإسلال : من السَّلَّة ، وهي السرقة ، والإغلal : الخيانة ، يقال : أغلَّ الرجل إغلالاً : إذا خان ، وغل من الغنبة غلولا ، وقال بعضهم : إن الإسلال من سلَّ السيوف في الحرب ، والإغلal : لبس الدروع ، وليس بمريض .

مقاماً يحمدُه عليه : هذا القول من النبي ﷺ في حق سهيل بن عمرو : إشارة إلى ما كان عند وفاة النبي ﷺ ، وارتداد الناس بمكة ، فقام خطيباً وعظهم ، وثبَّتهم على الإسلام ، فكان هذا هو المقام الذي يحمدُه عليه .

الطويل مع أنه لم يسقه بطوله إلا في هذا الموضع ، وبقيته عنده في المغازي من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري قال : « ونبأني معمر عن الزهري : وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينه فقال : إن قريشاً جمعوا جمعوا وقد جمعوا لك الأحابيش ، وهم مقاتلون وصادوك عن البيت ومانعوك . فقال : « أشيروا أيها الناس علي ، أترون أن أميل إلى عياليهم وذرياري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ، فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عيناً من المشركين ، وإلا تركناهم محروبين » قال أبو بكر : يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد ، فتوجه له ، فن صدنا عنه قاتلناه . قال : « امضوا على اسم الله » إلى ههنا ساق البخاري في المغازي من هذا الوجه ، وزاد أحمد عن عبد الرزاق وسأقه ابن حبان من طريقه قال : « قال معمر قال الزهري : وكان أبو هريرة يقول : ما رأيت أحداً قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ اهـ » وهذا القدر حذفه البخاري لإرساله لأن الزهري لم يسمع من أبي هريرة ، وفي رواية أحمد المذكورة « حتى إذا كانوا بغدير الأشطاط قريباً من عسفان اهـ » وغدير بفتح الغين المعجمة والأشطاط بشين معجمة وطاءين مهملتين جمع شط وهو جانب الوادي كذا جزم به صاحب « المشرق » ، ووقع في بعض نسخ أبي ذر بالطاء المعجمة فيها ، وفي رواية أحمد أيضاً : « أترون أن نيل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانواهم فنصيبهم فإن قعدوا قعدوا موتورين محروبين ، وإن يميثوا تكن عنقا قطعها الله » ونحوه لابن إسحاق في روايته في المغازي عن الزهري ، والمراد أنه ﷺ استشار أصحابه هل يخالف الذين نصروا قريشاً إلى مواضعهم فيسي أهلهم ، فإن جاءوا إلى نصرهم اشتغلوا بهم وانفرد هو وأصحابه بقريش ، وذلك المراد بقوله « تكن عنقا قطعها الله » فأشار عليه أبو بكر الصديق بترك القتال والاستمرار على ما خرج له من العمرة حتى يكون بدء القتال منهم فرجع إلى رأيه . وزاد أحمد في روايته « فقال أبو بكر : الله ورسوله أعلم . يا نبي الله ، إنما جئنا معترين إلخ » والأحابيش بالحاء المهملة والموحدة وآخره معجمة واحدها أحبوش بضمين . وهم بنو الهون ابن خزيمه بن مدركة وبنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وبنو المصطلق من خزاعة ، كانوا تحالفوا مع قريش قبل تحت جبل يقال له الحبشي أسفل مكة ، وقيل سموا بذلك لتحبشهم أي تجمعهم والتحبش التجمع والحباشه الجماعة .

وقوله (وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية) وفي رواية ابن إسحاق « فقال ﷺ : من يخرجنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ » قال : فحدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم أن رجلاً من أسلم قال : أنا يا رسول الله ، فسلك بهم طريقاً وعراً فأخرجوا منها بعد أن شق عليهم ، وأفضوا إلى أرض سهلة ، فقال لهم : استغفروا الله ، ففعلوا . فقال : والذي نفسي بيده إنها للحِطّة التي عرضت على بني إسرائيل فامتنعوا ، قال ابن إسحاق عن الزهري في حديثه « فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض في طريق تخرجه على ثنية المزارع مهبط الحديدية أ هـ .

قوله (وما ذاك لها بخلق) أي بعادة ، قال ابن بطال وغيره : في هذا الفصل جواز الاستتار عن طلائع المشركين ومفاجأتهم بالجيش طلباً لغيرتهم ، وجواز السفر وحده للحاجة وجواز التنكيب عن الطريق السهلة إلى الوعرة للمصلحة . وجواز الحكم على الشيء بما عرف من عادته وإن جاز أن يطرأ عليه غيره ، فإذا وقع من شخص هفوة لا يعهد منه مثلها لا ينسب إليها ويرد على من نسب إليها ، ومعذرة من نسب إليها ممن لا يعرف صورة حاله ، لأن خلاء القصواء لولا خارق العادة لكان ما ظنه الصحابة صحيحاً ولم يعاتبهم النبي ﷺ على ذلك لعذرهم في ظنهم ، قال : وفيه جواز التصرف في ملك الغير بالمصلحة بغير إذنه الصريح إذا كان سبق منه ما يدل على الرضا بذلك ، لأنهم قالوا حَلْ حَلْ فزجروها بغير إذن ، ولم يعاتبهم عليه .

وفي المغازي من حديث البراء بن عازب في قصة الحديدية « أنه ﷺ جلس على البئر ثم دعا بإناء فمضض ودعا الله ثم صبه فيها ثم قال : « دعوها ساعة ثم إنهم ارتووا بعد ذلك » ويمكن الجمع بأن يكون الأمران معاً وقعاً . وقد روى الواقدي من طريق أوس بن خولي « أنه ﷺ توضأ في الدلو ثم أفرغه فيها وانتزع السهم فوضعه فيها » وهكذا ذكر أبو الأسود في روايته عن عروة : أنه ﷺ تمضمض في دلو وصبه في البئر ونزع سهما من كنانته فألقاه فيها ودعا ففارت « وهذه القصة غير القصة الآتية في المغازي أيضاً من حديث جابر قال « عطش الناس بالحديبية وبين يدي رسول الله ﷺ ركوة فتوضأ منها فوضع يده فيها . فجعل الماء يفور من بين أصابعه » الحديث ، وكأن ذلك كان قبل قصة البئر والله أعلم . وفي

هذا الفصل معجزات ظاهرة ، وفيه بركة سلاحه وما ينسب إليه . وقد وقع نبع الماء من بين أصابعه في عدة مواطن غير هذه ، سيأتي في أول غزوة الحديبية حديث زيد بن خالد « أنهم أصابهم مطر بالحديبية » الحديث ، وكان ذلك وقع بعد القصتين المذكورتين والله أعلم .

زاد ابن إسحاق في روايته « وكانت خزاعة غيبة ^(١) رسول الله ﷺ مسلها ومشرکہا لا يخفون عليه شيئاً كان بمكة » ووقع عند الواقدي (أن بُدِيلاً قال للنبي ﷺ : لقد غزوت ولا سلاح معك ، فقال : « لم نجئ لقتال » فتكلم أبو بكر ، فقال له بديل : أنا لا أتهم ولا قومي أهد » وكان الأصل في موالة خزاعة للنبي ﷺ أن بني هاشم في الجاهلية كانوا تحالفوا مع خزاعة فاستروا على ذلك في الإسلام . وفيه جواز استنصاح بعض المعاهدين وأهل الذمة إذا دلت القرائن على نصحتهم وشهدت التجربة بإيثارهم أهل الإسلام على غيرهم ولو كانوا من أهل دينهم ، ويستفاد منه جواز استنصاح بعض ملوك العدو استظهاراً على غيرهم ، ولا يعد ذلك من موالة الكفار ولا موادة أعداء الله بل من قبيل استخدامهم وتقليل شوكة جمعهم وإنكاء بعضهم ببعض ، ولا يلزم من ذلك جواز الاستعانة بالمشرکين على الإطلاق .

قوله (قائم على رأس النبي ﷺ بالسيف) فيه جواز القيام على رأس الأمير بالسيف بقصد الحراسة ونحوها من ترهيب العدو ، ولا يعارضه النهي عن القيام على رأس الجالس لأن محله ما إذا كان على وجه العظمة والكبر .

وقد اختلف العلماء في المدة التي تجوز المهادنة فيها مع المشرکين : فقليل : لا تجاوز عشر سنين على ما في هذا الحديث وهو قول الشافعي والجمهور . وقيل تجوز الزيادة ، وقيل لا تجاوز أربع سنين ، وقيل ثلاثاً ، وقيل سنتين ، والأول هو الراجح والله أعلم .

قال الخطابي : تأول العلماء ما وقع في قصة أبي جندل على وجهين : أحدهما : أن الله قد أباح التقيّة للمسلم إذا خاف الهلاك ، ورخص له أن يتكلم بالكفر مع إضرار الإيمان إن لم يمكنه الثورية ، فلم يكن رده إليهم إسلاماً لأبي جندل إلى الهلاك مع وجوده السبيل إلى

(١) غيبة : عيبة الرجل : خاصته ، والمقصود هنا أن خزاعة كان هوأها مع رسول الله ﷺ ، فهي خاصته بسبب ذلك .

الخلاص من الموت بالتقية . والوجه الثاني : إنه إنما رده إلى أبيه ، والغالب أن أباه لا يبلغ به الهلاك ، وإن عذبه أو سجنه فله مندوحة بالتقية أيضاً ، وأما ما يخاف عليه من الفتنة فإن ذلك امتحان من الله يبتلي به صبر عباده المؤمنين . واختلف العلماء هل يجوز الصلح مع المشركين على أن يرد إليهم من جاء مسلماً من عندهم إلى بلاد المسلمين أم لا ؟ فقيل : نعم على ما دلت عليه قصة أبي جندل وأبي بصير ، وقيل لا ، وأن الذي وقع في القصة منسوخ ، وأن ناسخه حديث « أنا بريء من مسلم بين مشركين » وهو قول الحنفية . وعند الشافعية تفصيل بين العاقل والمجنون والصبي فلا يردان . وقال بعض الشافعية : ضابط جواز الرد أن يكون المسلم بحيث لا تحب عليه الهجرة من دار الحرب والله أعلم ..

قال الزهري : فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم من فتح الحديبية ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، ولما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس ، كلم بعضهم بعضاً والتقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة ولم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً في تلك المدة إلا دخل فيه ، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر . يعني من صناديد قريش ، ومما ظهر من مصلحة الصلح المذكور غير ما ذكره الزهري أنه كان مقدمة بين يدي الفتح الأعظم الذي دخل الناس عقبيه في دين الله أفواجاً ، وكانت الهدنة مفتاحاً لذلك . ولما كانت قصة الحديبية مقدمة للفتح سميت فتحاً كما سيأتي في المغازي ، فإن الفتح في اللغة فتح المغلق ، والصلح كان مغلقاً حتى فتحه الله ، وكان من أسباب فتحه صد المسلمين عن البيت ، وكان في الصورة الظاهرة ضيقاً للمسلمين وفي الصورة الباطنة عزاً لهم . فإن الناس لأجل الأمن الذي وقع بينهم اختلط بعضهم ببعض من غير نكير ، وأسمع المسلمون المشركين القرآن ، وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين ، وكانوا قبل ذلك لا يتكلمون عندهم بذلك إلا خفية ، وظهر من كان يخفي إسلامه فذل المشركون من حيث أرادوا العزة وأفهموا^(١) من حيث أرادوا الغلبة .

قوله (حتى اجتمعت منهم عصابة) أي جماعة ولا واحد لها من لفظها ، وهي تطلق على الأربعين فما دونها . وهذا الحديث يدل على أنها تطلق على أكثر من ذلك ، ففي رواية ابن

(١) أفهموا : أي : ألقوا حَجَرًا ، والفهم : الحجر يملأ الكف .

إسحاق أنهم بلغوا نحواً من سبعين نفساً ، وفي رواية أبي المليح : بلغوا أربعين أو سبعين . وجزم عروة في المغازي بأنهم بلغوا سبعين ، وزعم السهيلي أنهم بلغوا ثلاثاً رجل ، وزاد عروة « فلحقوا بأبي بصير وكرهوا أن يقدموا المدينة في مدة الهدنة خشية أن يعادوا إلى المشركين » وسمى الواقدي منهم الوليد بن الوليد بن المغيرة . وفي رواية موسى بن عقبة عن الزهري « فكتب رسول الله ﷺ إلى أبي بصير يستقدمه وأصحابه إلى المدينة بطلب قريش ، فقدم كتابه وأبو بصير يموت ، فمات وكتاب رسول الله ﷺ في يده ، فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجداً . قال : وقدم أبو جندل ومن معه إلى المدينة فلم يزل بها إلى أن خرج إلى الشام مجاهداً فاستشهد في خلافة عمر ، قال : فعلم الذين كانوا أشاروا بأن لا يسلم أبا جندل إلى أبيه أن طاعة رسول الله ﷺ خير مما كرهوا ، وفي قصة أبي بصير من الفوائد جواز قتل المشرك المعتدي غيلة ، ولا يعد ما وقع من أبي بصير غدرًا لأنه لم يكن في جملة من دخل في المعاهدة التي بين النبي ﷺ وبين قريش . لأنه إذ ذاك كان محبوساً بمكة ، لكنه لما خشي أن المشرك يعيده إلى المشركين درأ عن نفسه بقتله ، ودافع عن دينه بذلك ، ولم ينكر النبي قوله ذلك . وفيه أن من فعل مثل فعل أبي بصير لم يكن عليه قود ولا دية ، وقد وقع عند ابن إسحاق « أن سهيل بن عمرو لما بلغه قتل العامري طالب بديته لأنه من رهطه ، فقال له أبو سفيان : ليس على محمد مطالبة بذلك لأنه وفي بما عليه وأسلمه لرسولكم ، ولم يقتله بأمره . ولا على آل أبي بصير أيضاً شيء لأنه ليس على دينهم » . وفيه أنه كان لا يرد على المشركين من جاء منهم إلا بطلب منهم ، لأنهم لما طلبوا أبا بصير أول مرة أسلمه لهم ، ولما حضر إليه ثانياً لم يرسله لهم ، بل لو أرسلوا إليه وهو عنده لأرسله ، فلما خشي أبو بصير من ذلك نجا بنفسه . وفيه أن شرط الرد أن يكون الذي حضر من دار الشرك باقياً في بلد الإمام . ولا يتناول من لم يكن تحت يد الإمام ولا متحيزاً إليه . واستنبط منه بعض المتأخرين أن بعض ملوك المسلمين مثلاً لو هادن بعض ملوك الشرك ففزاهم ملك آخر من المسلمين فقتلهم وغنم أموالهم جاز له ذلك ، لأن عهد الذي هادتهم لم يتناول من لم يهادتهم ، ولا يخفى أن محل ذلك ما إذا لم يكن هناك قرينة تعميم .

وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم أشياء تتعلق بالمناسك : منها أن تقليد الهدي

وسوقه سنة للحاج والمعتمر فرضاً كان أو سنة ، وأن الإشعار سنة لا مثله ، وأن الحلق أفضل من التقصير ، وأنه نسك في حق المعتمر محصوراً كان أو غير محصور ، وأن المحصر ينحر هديه حيث أحصر ولو لم يصل إلى الحرم ، ويقاتل من صده عن البيت ، وأن الأولى في حقه ترك المقاتلة إذا وجد إلى المسألة طريقاً ، وغير ذلك مما تقدم بسط أكثره في كتاب الحج وفيه أشياء تتعلق بالجهاد : منها جواز سبي ذراري الكفار إذا انفردوا عن المقاتلة ولو كان قبل القتال . وفيه الاستتار عن طلائع المشركين ، ومفاجأتهم بالجيش لطلب غرتهم ، وجواز التنكب عن الطريق السهل إلى الطريق الوعر لدفع المفسدة وتحصيل المصلحة ، واستحباب تقديم الطلائع والعيون بين يدي الجيش ، والأخذ بالحزم في أمر العدو لئلا ينالوا غرة المسلمين ، وجواز الخداع في الحرب ، والتعريض بذلك من النبي ﷺ وإن كان من خصائصه أنه منهي عن خائنة الأعين - وفي الحديث أيضاً فضل الاستشارة لاستخراج وجه الرأي واستطابة قلوب الأتباع ، وجواز بعض المسامحة في أمر الدين ، وإحتمال الضيم فيه ما لم يكن قادحاً في أصله إذا تعين ذلك طريقاً للسلامة في الحال والصلاح في المآل ، سواء كان ذلك في حال ضعف المسلمين أو قوتهم ، وأن التابع لا يليق به الاعتراض على المتبوع بمجرد ما يظهر في الحال بل عليه التسليم لأن المتبوع أعرف بمآل الأمور غالباً بكثرة التجربة ، ولا سيما مع من هو مؤيد بالوحي . وفيه جواز الاعتماد على خبر الكافر إذا قامت القرينة على صدقه ، قاله الخطابي مستدلاً بأن الخزاعي الذي بعثه النبي ﷺ عينا له ليأتيه بخبر قريش كان حينئذ كافراً ، قال : وإنما اختاره لذلك مع كفره ليكون أمكن له في الدخول فيهم والاختلاط بهم والاطلاع على أسرارهم ، قال : ويستفاد من ذلك جواز قبول قول الطبيب الكافر . قلت : ويحتمل أن يكون الخزاعي المذكور كان قد أسلم ولم يشهر إسلامه حينئذ ، فليس ما قاله دليلاً على ما ادعاه ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب أ. هـ الفتح .

٤٩٥ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن ثمانين رجلاً من أهل مكة ، هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين - يريدون غرة رسول الله ﷺ وأصحابه فأخذهم سلياً ، فاستحياهم ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ

٤٩٥ - مسلم (٣ / ١٤٤٢) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٤٦ - باب في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾ . الآية . استحياهم : استبقاهم ولم يقتلهم .

وَأَيْدِيكُمْ عَنْهُمْ بَبْطُنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴿١﴾ .

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ (٢) ، أَنَّ ثَمَانِينَ هَبَطُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ ، عِنْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ ، يُرِيدُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ ، فَأَخَذُوا أَخْذًا ، فَأَعْتَقَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ ... الآية .

٤٩٦ - * وروى مسلم عن سلمة بن الأكوع قال : قَدِمْنَا الْحُدَيْبِيَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَنَحْنُ أَرْبَعٌ عَشْرَةٌ مِائَةً وَعَلَيْهَا خُمْسُونَ شَاةً لَا تُرْوِيهَا . قَالَ : فَقَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَبَا الرُّكْبَةِ . فِيمَا دَعَا وَإِمًا بَسَقَ فِيهَا . قَالَ : فَجَاشَتْ . فَسَقَيْنَا وَاسْتَقَيْنَا . قَالَ : ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَانَا لِلْبَيْعَةِ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ . قَالَ : فَبَايَعْتُهُ أَوَّلَ النَّاسِ . ثُمَّ بَايَعَ وَبَايَعَ . حَتَّى إِذَا كَانَ فِي وَسْطِ مِنَ النَّاسِ قَالَ : « بَايِعْ . يَا سَلَمَةُ ! » قَالَ : قُلْتُ : قَدْ بَايَعْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فِي أَوَّلِ النَّاسِ . قَالَ : « وَأَيْضًا » قَالَ : وَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَزَلًا (يَعْنِي لَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ) . قَالَ : فَأَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَجَفَةً أَوْ دَرَقَةً . ثُمَّ بَايَعَ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ النَّاسِ ، قَالَ : « أَلَا تَبَايَعُنِي ؟ يَا سَلَمَةُ ! » قَالَ : قُلْتُ : قَدْ بَايَعْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ وَفِي أَوْسَطِ النَّاسِ . قَالَ : « وَأَيْضًا » قَالَ : فَبَايَعْتُهُ الثَّلَاثَةَ . ثُمَّ قَالَ لِي : « يَا سَلَمَةُ أَيْنَ حَجَفَتُكَ أَوْ دَرَقَتُكَ الَّتِي أُعْطَيْتُكَ ؟ » قَالَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! لَقِينِي عَمِي غَامِرٌ عَزَلًا . فَأَعْطَيْتُهُ إِثَاهَا قَالَ : فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ : « إِنَّكَ كَالَّذِي

(١) الفتح : ٢٤ .

(٢) الترمذي (٣٨٦ / ٥) ٤٨ - كتاب تفسير سيرة القرآن - ٤٩ - باب « ومن سورة الفتح » . وقال : هذا حديث

حسن صحيح .

٤٩٦ - مسلم (٣ / ١٤٣٣) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٤٥ - باب غزوة ذي قرد وغيرها .

عليها خمسون شاة لا ترويها : يعني ويثرها ضعيفة لا تروي خمسين شاة .

حبنا الركبة : الحب ما حول البئر . والركبة البئر . والمشهور في اللغة ركبة ، بغير هاء ، ووقع هنا الركبة بالهاء وهي لغة حكاها الأصمعي وغيره .

وإما بسق : هكذا هو في النسخ : بسق . وهي صحيحة . يقال : بزق وبسق وبسق . ثلاث لغات بمعنى . والسین قليلة الاستعمال .

فجاشت : أي ارتفعت وفاضت . يقال : جاش الشيء بمشي جيشانا ، إذا ارتفع .

عزلا : ضبطوه بوجهين : أحدهما فتح العين مع كسر الزاي . والثاني ضمها . وقد فسره في الكتاب بالذي لا سلاح معه . ويقال أيضا : أعزل ، وهو الأشهر استعمالا .

حجفة أودرقة : هما شبيهتان بالترس .

قَالَ الْأَوَّلُ : اللَّهُمَّ أَبْغِنِي حَبِيباً هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي « ثُمَّ إِنَّ الْمُشْرِكِينَ رَأَسَلُونَا الصَّلَاحَ حَتَّى مَشَى بَعْضُنَا فِي بَعْضٍ وَاصْطَلَحْنَا . قَالَ : وَكُنْتُ تَبِيعاً لَطَلْحَةَ بْنِ عُثَيْدِ اللَّهِ . أَشْقَى فَرَسَةً ، وَأَحْسَهُ ، وَأَخْدَمَهُ . وَآكَلُ مِنْ طَعَامِهِ . وَتَرَكْتُ أَهْلِي وَمَالِي ، مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ . قَالَ : فَلَمَّا اصْطَلَحْنَا نَحْنُ وَأَهْلُ مَكَّةَ ، وَاخْتَلَطَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ، أَتَيْتُ شَجَرَةً فَكَسَحْتُ شَوْكَهَا . فَاضْطَجَعْتُ فِي أَصْلِهَا . قَالَ فَاتَّانِي أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ . فَجَعَلُوا يَقْعُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَأَبْغَضْتُهُمْ . فَتَحَوَّلْتُ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى . وَعَلَّقُوا سِلَاحَهُمْ . وَاضْطَجَعُوا . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَى مُنَادٍ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي : يَا لِلْمُهَاجِرِينَ ! قَتِلَ ابْنُ زَنْبِرٍ قَالَ : فَاخْتَرَطْتُ سَيْفِي . ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَى أَوْلِيَاكَ الْأَرْبَعَةِ وَهُمْ رُقُودٌ . فَأَخَذْتُ سِلَاحَهُمْ . فَجَعَلْتُهُ ضِعْفًا فِي يَدِي . قَالَ : ثُمَّ قُلْتُ : وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ! لَا يَرْفَعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَأْسَهُ إِلَّا ضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ . قَالَ : ثُمَّ جِئْتُ بِهِمْ أَسُوقَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : قَالَ : وَجَاءَ عَمِّي عَامِرٌ بِرَجُلٍ مِنَ الْعَبَلَاتِ - يُقَالُ لَهُ مِكْرَزٌ - يَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . عَلَى فَرَسٍ مُجَفَّفٍ . فِي سَبْعِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ :

= إنك كالذي قال الأول : الذي صفة المحدث . أي أنك كالقول الذي قاله الأول . فالأول ، بالرفع ، فاعل . والمراد به ، هنا ، المتقدم بالزمان . يعني أن شأنك هذا مع عمك يشبه فحوى القول الذي قاله الرجل المتقدم زمانه . أبغني : أي أعطني . راسلونا : هكذا هو في أكثر النسخ : راسلونا ، من المراسلة . أي أرسلنا إليهم وأرسلوا إلينا في أمر الصلح . مشى بعضنا في بعض : في هنا بمعنى إلى . أي مشى بعضنا إلى بعض . وربما كانت بمعنى مع . فيكون مشى بعضنا مع بعضنا . كنت تبيعاً لطلحة : أي خادماً أتبعه . وأحسه : أي أحك ظهره بالحسنة لأزيل عنه الغبار ونحوه . فكسحت شوكها : أي كنت ما تحتها من الشوك . فاخترطت سيفي : أي سللته . شددت : حملت وكررت . طيفاً : الضفت الحزمة . يريد أنه أخذ سلاحهم وجمع بعضه إلى بعض حتى جعله في يده حزمة . قال في المصباح الأصل في الضفت أن يكون له قضبان يجمعها أصل واحد ، ثم كثر حتى استعمل فيما يجمع . الذي فيه عيناه : يريد رأسه . العبلات : قال الجوهري في الصحاح : القبلات من قريش ، وهم أمية الصغرى والنسبة إليهم عيلي . تردّه إلى الواحد . مجفف : أي عليه تجفاف وهو ثوب كالجلّ يلبسه الفرس ليقيه السلاح . وجمعه تجافيف . =

« دَعَوْهُمْ . يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الْفُجُورِ وَثَنَاهُ » فَقَعَا عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۖ (١) الْآيَةُ كُلُّهَا .

قَالَ : ثُمَّ خَرَجْنَا رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ . فَتَزَلْنَا مَنَزِلًا . بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَنِي لِحْيَانَ جَبَلٌ . وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ فَاسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَنْ رَقِيَ هَذَا الْجَبَلَ اللَّيْلَةَ . كَأَنَّهُ طَلِيعَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ، قَالَ سَلَمَةُ : فَرَقَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا . ثُمَّ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ . فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِظَهْرِهِ مَعَ رَبَاحِ غُلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَأَنَا مَعَهُ . وَخَرَجْتُ مَعَهُ بِفَرَسِ طَلْحَةَ . أُنْدِيهِ مَعَ الظَّهْرِ . فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَزَارِيُّ قَدْ أَغَارَ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَاسْتَأْفَقَهُ أَجْمَعَ . وَقَتَلَ زَاعِيَةً .

وهذه القصة الطويلة ، سنذكر قسماً منها في الفصل اللاحق وقسماً في غزوة خيبر من السنة السابعة .

٤٩٧ - * روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : رَجَعْنَا مِنَ الْعَامِ الْقَبِيلِ ، فَمَا اجْتَمَعَ مِنَّا اثْنَانِ عَلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي بَاتَيْنَا تَحْتَهَا ، كَانَتْ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ فَسَأَلْنَا نَافِعًا : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بَاتِعَهُمْ ؟ عَلَى الْمَوْتِ ؟ قَالَ : لَا . بَلْ بَاتِعَهُمْ عَلَى الصَّبْرِ .

قال في الفتح : وبيان الحكمة في ذلك وهو أن لا يحصل بها افتتان لما وقع تحتها من الخير ، فلو بقيت لما أمن تعظيم بعض الجهال لها حتى ربما أفضى بهم إلى اعتقاد أن لها قوة نفع أوضر كما نراه الآن مشاهداً فيما هو دونها ، وإلى ذلك أشار ابن عمر بقوله « كانت رحمة من الله » أي كان خفاؤها عليهم بعد ذلك رحمة من الله تعالى . ويحتمل أن يكون معنى

= يكن لهم بدء الفجور وثناه : البدء هو الابتداء . وأما ثناه فمعناه عودة ثانية . قال في النهاية : أي أوله وآخره والثني الأمر يعاد مرتين .

وهم المشركون : هذه اللفظة ضبطوها بوجهين ذكرهما القاضي وغيره . أحدهما وهم المشركون على الابتداء والخبر . والثاني وهم المشركون ، أي هو النبي ﷺ وأصحابه وخافوا غائلتهم . يقال : همني الأمر وأهمني . وقيل : همني : أذابني . وأهمني : أغني . وقيل : معناه هم أمر المشركين النبي خوف أن يبيتوهم لقرهم منهم . بظهوره : الظاهر الإبل تُعدُّ للركوب وحمل الأثقال .

(١) الفتح : ٢٤ .

٤٩٧ - البخاري (١١٧ / ٦) ٥٦ - كتاب الجهاد - ١٠ - باب البيعة في الحرب أن لا يفروا ، وقال بعضهم : على الموت .

قوله رحمة من الله أي كانت الشجرة موضع رحمة الله ومحل رضوانه لنزول الرضا عن المؤمنين عندها .

٤٩٨ - * روى البخاري ومسلم عن يزيد بن أبي عبيد قال : قُلْتُ لِسَلَمَةَ : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بَايَعْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ ؟ قَالَ : عَلَى الْمَوْتِ .

وفي رواية ^(١) قَالَ : بَايَعْنَا النَّبِيَّ ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فَقَالَ لِي : « يَا سَلَمَةُ : أَلَا تُبَايِعُ ؟ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ بَايَعْتُ فِي الْأَوَّلِ ، قَالَ : « وَفِي الثَّانِي » .

وفي أخرى ^(٢) قَالَ : بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، ثُمَّ عَدَلْتُ إِلَى طِيلٍ شَجَرَةٍ ، فَلَمَّا خَفَّ النَّاسُ قَالَ : « يَا ابْنَ الْأَكُوْعِ : أَلَا تُبَايِعُ » قَالَ : قُلْتُ : قَدْ بَايَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : « وَأَيْضاً » فَبَايَعْتُهُ الثَّانِيَةَ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا مُسْلِمٍ ، عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تُبَايِعُونَ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : عَلَى الْمَوْتِ .

٤٩٩ - * روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ : إِنَّ النَّاسَ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، تَفَرَّقُوا فِي ظِلَالِ الشَّجَرِ ، فَإِذَا النَّاسُ ، مُخَدِّقُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، أَنْظِرْ مَا شَأْنَ النَّاسِ قَدْ أَحَدَقُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَوَجَدَهُمْ يُبَايِعُونَ ، فَبَايَعَ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عُمَرَ ، فَخَرَجَ فَبَايَعَ .

٥٠٠ - * روى البخاري عن نافع - مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ - رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : إِنَّ النَّاسَ يَتَحَدَّثُونَ

٤٩٨ - البخاري (٧ / ٤٤٩) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٥ - باب غزوة الحديبية ، وقول الله تعالى [١٨ الفتح] : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ .

ومسلم (٣ / ١٤٨٦) ٣٣ - كتاب الإمامة - ١٨ - باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال ، وبيانبيعة الرضوان تحت الشجرة .

(١) البخاري (٢ / ١٩٩) ٩٣ - كتاب الأحكام - ٤٤ - باب من بايع مرتين .

(٢) البخاري (٦ / ١١٧) ٥٦ - كتاب الجهاد - ١١٠ - باب البيعة في الحرب أن لا يفروا .

٤٩٩ - البخاري (٧ / ٤٥٦) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٥ - باب غزوة الحديبية ، وقول الله تعالى ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ .

أحدق : أحاط .

الشان : الحال والأمر .

٥٠٠ - البخاري (٧ / ٤٥٥) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٥ - باب غزوة الحديبية .

أَنَّ ابْنَ عُمَرَ أَسْلَمَ قَبْلَ عُمَرَ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، وَلَكِنْ عُمَرُ عَامَ الْحَدِيثِ أَرْسَلَ عَبْدَ اللَّهِ إِلَى فَرَسٍ لَهُ عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَأْتِي بِهِ لِيُقَاتِلَ عَلَيْهِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ الشَّجَرَةِ ، وَعُمَرُ لَا يَذْهَبُ بِذَلِكَ ، فَبَايَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْفَرَسِ ، فَجَاءَ بِهِ إِلَى عُمَرَ وَعُمَرُ يَسْتَلِيمُ لِلْقِتَالِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُبَايِعُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، قَالَ : فَأَنْطَلَقَ فَذَهَبَ مَعَهُ حَتَّى بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيهِ الَّتِي يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ أَسْلَمَ قَبْلَ عُمَرَ .

٥٠١ - * روى مسلم عن أبي الزبير أنه سَمِعَ جَابِرًا يُسْأَلُ : كَمْ كَانُوا يَوْمَ الْحَدِيثِ ؟ قَالَ : كُنَّا أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً ، فَبَايَعْنَاهُ ، وَعُمَرُ أَخَذَ يَدَهُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، وَهِيَ سَمَرَةٌ ، فَبَايَعْنَاهُ ، غَيْرَ جَدِّ بْنِ قَيْسٍ الْأَنْصَارِيِّ اخْتِبَاءً تَحْتَ بَطْنٍ بَعِيرِهِ .

زَادَ فِي رِوَايَةٍ (١) : وَقَالَ : بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لَا تَفِرَّ ، وَلَمْ تُبَايَعْ عَلَى الْمَوْتِ .

(قال العلماء) : هذه الرواية تجمع المعاني كلها وتبين مقصود كل الروايات فالبيعة على أن لانفِرَ معناه الصبر حتى نظفر بعدونا أو نقتل ، وهو معنى البيعة على الموت ، أي نصبر وإن آل منا ذلك إلى الموت لا أن الموت مقصود في نفسه وكذا البيعة على الجهاد أي والصبر فيه ، والله أعلم .

٥٠٢ - * وروى مسلم عن أبي الزبير أنه سمع جابرًا يُسْأَلُ : هَلْ بَايَعَ النَّبِيُّ ﷺ بِذِي الْحَلِيفَةِ ؟ فَقَالَ : لَا ، وَلَكِنْ صَلَّى بِهَا ، وَلَمْ يُبَايَعْ عِنْدَ شَجَرَةٍ ، إِلَّا الشَّجَرَةَ الَّتِي بِالْحَدِيثِ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : وَأَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ : أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : دَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى بئرِ الْحَدِيثِ .

٥٠٣ - * روى البخاري ومسلم عن طارق بن عبد الرحمن قال : انطَلَقْتُ حَاجًّا ، فَمَرَرْتُ

= استلّام المحارب : إذا لبس لأمنه ، وهي الدرع وآلة الحرب .

٥٠١ - مسلم (٣ / ١٤٨٣) ٣٣ - كتاب الإمامة - ١٨ - باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال ، وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة .

(١) مسلم (٣ / ١٤٨٣) ٣٣ - كتاب الإمامة - ١٨ - باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال .

٥٠٢ - مسلم (٣ / ١٤٨٣) ٣٣ - كتاب الإمامة - ١٨ - باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال .

٥٠٣ - البخاري (٧ / ٤٤٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٥ - باب غزوة الحديبية .

بِقَوْمٍ يَصْلُونَ ، قُلْتُ : مَا هَذَا الْمَسْجِدُ ؟ قَالُوا : هَذِهِ الشَّجَرَةُ حَيْثُ بَاتَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ ، فَأَتَيْتُ سَعِيدَ بْنِ الْمُسَيَّبِ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ سَعِيدٌ حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ بَاتَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، قَالَ : فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ نَسِينَاهَا ، فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَيْهَا ، فَقَالَ سَعِيدٌ : إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَمْ يَعْلَمُوهَا وَعَلِمَتْموها أَنْتُمْ ؟ فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ ! .

وفي رواية ^(١) قال : ذُكِرْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ الشَّجَرَةَ فَضَحِكُ فَقَالَ : أَخْبَرَنِي أَبِي ، وَكَانَ شَهِدَهَا .

وفي رواية ^(٢) عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ الشَّجَرَةَ ثُمَّ أُتِيْتُهَا بَعْدَ فَلَمْ أَعْرِفُهَا .

٥٠٤ - * رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ ، كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، قَالَ : فَبَاتَعَ النَّاسُ ، قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ عُثْمَانَ فِي حَاجَةِ اللَّهِ وَحَاجَةِ رَسُولِهِ » فَضَرَبَ

٥٠٧ - * روى الطبراني عن عبد الله بن السائب أن النبي ﷺ عام الحديبية حين أخبره عثمان أن سهيلاً أرسلته إليه قومه فصالحوه على أن يرجع عنهم هذا العام ويخلوها قابلاً ثلاثاً فقال النبي ﷺ : « سهيل سهل عليكم الأمر » .

٥٠٨ - * روى البخاري عن البراء رضي الله عنه قال : لما اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتاب كتبوا : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، قالوا : لا نقر لك بهذا ، لو نعم أنك رسول الله ما متعنأك شيئاً ، ولكن أنت محمد بن عبد الله . فقال : « أنا رسول الله ، وأنا محمد بن عبد الله » ثم قال لعلي : « امح رسول الله » قال علي : لا والله لا أحوك أبداً . فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب - وليس يحسن يكتب - فكتب : هذا ما قاضى محمد ابن عبد الله ، لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القرب ، وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه ، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً إذا أراد أن يقيم بها . فلما دخلها ومضى الأجل أتوا علياً فقالوا : قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل . فخرج النبي ﷺ ، فتبعته ابنة حمزة تنادي : يا عم يا عم ، فتناولها علي فأخذ بيدها وقال لفاطمة عليها السلام : دونك ابنة عمك حمليها . فاختصم فيها علي وزيد وجعفر : قال علي : أنا أخذتها وهي بنت عمي . وقال جعفر : ابنة عمي وخالتها تحتي . وقال زيد : ابنة أخي . ففضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال : « الخالة بمنزلة الأم » وقال لعلي : « أنت مني وأنا منك » وقال : جعفر : « أشبهت خلقي وخلقي » وقال لزيد : « أنت أخونا ومولانا » وقال علي : ألا تزوج بنت حمزة ؟ قال : « إنها ابنة أخي من الرضاة » .

قال في الفتح حول « فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب ... فكتب » :

قوله (فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب ، فكتب . هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله) تقدم هذا الحديث في الصلح عن عبيد الله بن موسى بهذا الإسناد وليست

٥٠٧ - أورده الهيتمي في جمع الزوائد (٦ / ١٤٦) ، وقال : رواه الطبراني ، وفيه مؤمل بن وهب الخزومي ، تفرد عنه ابنه عبد الله ، وقد وثق ، وبقي رجاله رجال الصحيح .

٥٠٨ - البخاري (٧ / ٤٩٩) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٣ - باب عمرة القضاء . قاضاهم : مشتقة من القضاء ، والمراد هنا : إحكام الأمر وإمضاؤه .

فيه هذه اللفظة « ليس يحسن يكتب » ولهذا أنكر بعض المتأخرين على أبي مسعود نسبتها إلى تخريج البخاري وقال : ليس في البخاري هذه اللفظة ولا في مسلم ، وهو كما قال عن مسلم فإنه أخرجه من طريق زكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق بلفظ « فأراه مكانها فحاشا وكتب : ابن عبد الله » انتهى وقد عرفت ثبوتها في البخاري في مظنة الحديث ، وكذلك أخرجها النسائي عن أحمد بن سليمان عن عبيد الله بن موسى مثل ما هنا سواء ، وكذا أخرجها أحمد عن حجين بن المثنى عن إسرائيل ولفظه (فأخذ الكتاب - وليس يحسن أن يكتب - فكتب مكان رسول الله ﷺ : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله) وقد تمسك بظاهر هذه الرواية أبو الوليد الباجي فادعى أن النبي ﷺ كتب بيده بعد أن لم يكن يحسن يكتب . فشنع عليه علماء الأندلس في زمانه ورموه بالزندقة ، وأن الذي قاله مخالف القرآن حتى قال قائلهم :

برئت ممن شرى دنيا بآخرة وقال إن رسول الله قد كتب

فجمعهم الأمير فاستظهر الباجي عليهم بما لديه من المعرفة وقال للأمير : هذا لا ينافي القرآن ، بل يؤخذ من مفهوم القرآن لأنه قيد النفي بما قبل ورود القرآن فقال ﷺ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ﷻ وبعد أن تحققت أميته وتقررت بذلك معجزته وأمن الارتياح في ذلك لا مانع من أن يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليم فتكون معجزة أخرى . وذكر ابن دحية أن جماعة من العلماء وافقوا الباجي في ذلك ، منهم شيخه أبو ذر الهروي وأبو الفتح النيسابوري وآخرون من علماء إفريقية وغيرها ، واحتج بعضهم لذلك بما أخرجه ابن أبي شيبة وعمر بن شبة من طريق مجاهد عن عون بن عبد الله قال : « ما مات رسول الله ﷺ حتى كتب وقرأ » قال مجاهد : فذكرته للشعبي فقال : صدق قد سمعت من يذكر ذلك . ومن طريق يونس بن ميسرة عن أبي كبشة السلولي عن سهل ابن الحنظلية « أن النبي ﷺ أمر معاوية أن يكتب للأقرع وعيينة ، فقال عيينة : أتراني أذهب بصحيفة المتلمس ؟ فأخذ رسول الله ﷺ الصحيفة فنظر فيها فقال : « قد كتب لك بما أمر لك » قال يونس فنرى أن رسول الله ﷺ كتب بعد ما أنزل عليه . قال عياض : وردت آثار تدل على معرفة حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لكتابه « ضع القلم على

أذنك فإنه أذكر لك « وقوله لمعاوية « ألق الدواة وحرف القلم وأقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم » وقوله « لا يمد بسم الله » قال : وهذا وإن لم يثبت أنه كتب فلا يبعد أن يرزق علم وضع الكتابة ، فإنه أوتي علم كل شيء . وأجاب الجمهور بضعف هذه الأحاديث . وعن قصة الحديبية بأن القصة واحدة والكتاب فيها علي وقد صرح في حديث المسور بأن عليا هو الذي كتب ، فيحمل على أن النكتة في قوله ﴿ فأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب ﴾ لبيان أن قوله ﴿ أرني إياها ﴾ أنه ما احتاج إلى أن يريه موضع الكلمة التي امتنع علي من محوها إلا لكونه كان لا يحسن الكتابة ، وعلى أن قوله بعد ذلك ﴿ فكتب ﴾ فيه حذف تقديره فحاشا فأعادها لعل فكتب . وبهذا جزم ابن التين وأطلق كتب بمعنى أمر بالكتابة ، وهو كثير كقوله : كتب إلى قيصر وكتب إلى كسرى ، وعلى تقدير حمله على ظاهره فلا يلزم من كتابة اسمه الشريف في ذلك اليوم وهو لا يحسن الكتابة أن يصير عالماً بالكتابة ويخرج عن كونه أمياً ، فإن كثيراً من لا يحسن الكتابة يعرف تصور بعض الكلمات ويحسن وضعها بيده وخصوصاً الأسماء ولا يخرج بذلك عن كونه أمياً ككثير من الملوك . ويحتمل أن يكون جرت يده بالكتابة حينئذ وهو لا يحسنها فخرج المكتوب على وفق المراد فيكون معجزة أخرى في ذلك الوقت خاصة ، ولا يخرج بذلك عن كونه أمياً . وبهذا أجاب أبو جعفر السمناني أحد أئمة الأصول من الأشاعرة وتبعه ابن الجوزي وتعقب ذلك السهيلي وغيره بأن هذا وإن كان ممكناً ويكون آية أخرى لكنه يناقض كونه أمياً لا يكتب ، وهي الآية التي قامت بها الحجة وأفحم الجاحد وانحسبت الشبهة فلو جاز أن يصير يكتب بعد ذلك لعادت الشبهة ، وقال المعاند : كان يحسن يكتب لكنه كان يكتُم ذلك ، قال السهيلي : والمعجزات يستحيل أن يدفع بعضها بعضاً ، والحق أن معنى قوله ﴿ فكتب ﴾ أي أمر عليا أن يكتب انتهى . وفي دعوى أن كتابة اسمه الشريف فقط على هذه الصورة تستلزم مناقضة المعجزة وتثبت كونه غير أمي نظر كبير ، والله أعلم . أ هـ من الفتح

٥٠٩ - * روى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : لما صالَحَ

٥٠٩ - البخاري (٢٠٣ / ٥) ٥٣ - كتاب الصلح - ٦ - باب كيف يكتب « هذا ما صالَحَ فلان بن فلان فلان بن فلان » وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه .

= ومسلم (١٤١٠ / ٢) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٣٤ - باب صلح الحديبية في الحديبية .

رسول الله ﷺ أهل الحديبية كتب علي بن أبي طالب رضوان الله عليه بينهم كتاباً ، فكتب « محمد رسول الله » فقال المشركون : لا تكتب محمد رسول الله ، لو كنت رسولا لم تقابلك . فقال لعلي : « أمحه » فقال علي : ما أنا بالذي أمحه ، فمحا رسول الله ﷺ بيده ، وصالحهم على أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيام ، ولا يدخلوها إلا بجلبان السلاح ، فسألوه : ما جلبان السلاح ؟ فقال : « القراب بما فيه » .

٥١٠ - * روى البخاري عن عروة أنه سمع مروان والمصور يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ قال : « لما كاتب سهيل بن عمرو يؤمذ ، كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي ﷺ : أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ، وخليت بيننا وبينه ، فكرة المؤمنين ذلك ، وامتنعوا منه ، وأبى سهيل إلا ذلك ، فكانت النبي ﷺ على ذلك ، فردّ يؤمذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو ، ولم يأت أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة وإن كان مسلماً ، وجاء المؤمنين مهاجرات ، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ يؤمذ وهي عاتق ، فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم ، فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن ﴿ إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنعوهن الله أعلم بإيانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار لا هن حل لهن ولا هم يحلون لهن ﴾ (١) .

- قال عروة : فأخبرتني عائشة : أن رسول الله ﷺ كان يمتحنهن بهذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنعوهن الله أعلم بإيانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار لا هن حل لهن ولا هم يحلون لهن وآتوهن ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتوهن أجورهن ولا تسيكوا بعهن

= جلبان : السلاح القراب بما فيه ، وقيل القراب : الفمذ ، والجلبان شبه الجراب من الأدم ، يوضع فيه السيف مغموداً ، ويطرح فيه الراكب سوطه وأداته ، ويعلقه من آخره الرجل وواسطته ، وقد روي بضم الجيم واللام وتشديد الباء ، وهو أوعية السلاح .

٥١٠ - البخاري (٢١٢ / ٥) ٥٤ - كتاب الشروط - ١ - باب ما يجوز من الشروط في الإسلام ، والأحكام ، والمبايعات .

امتنعوا : كرهوا .

(١) الممتحنة : ١٠ .

الْكُوفَرِ وَأَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ أَلْوَا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابِلْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبَهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ قَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَفْزُرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ .

قال عروة : قالت عائشة : فمن أقر بهذا الشرطِ منهم ، قالَ لها رسولُ الله ﷺ : قد بايعتُك كلاماً يكلمها به ، والله ما مسَّتْ يدهُ يدُ امرأةٍ قطُّ في المبايعة ، ما بايعهنَّ إلا بقوله .

٥١١ * - روى الحاكم عن عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحديبية في أصل الشجرة التي قال تعالى في القرآن وكان غصن من أغصان تلك الشجرة على ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فرفعتُه عن ظهره ، وعلي بن أبي طالب وسهيل بن عمرو جالسان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعملي : « اكتب » فذكر من الحديث أسطراً مخرجة في الكتائب من ذكر سهيل بن عمرو : قال عبد الله بن مغفل : فبينما نحن كذلك ، إذ خرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح فتأروا في وجوهنا فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأخذ الله بأبصارهم فقمنا إليهم ، فأخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « هل جئتم في عهدٍ أحدٍ ؟ أو هل جعل لكم أحد أماناً » فقالوا : اللهم لا . فخلّى سبيلهم فأنزل الله عز وجل ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (٢) .

(١) للمتحنة : ١٠ - ١٢ .

٥١١ - المستدرك (٢ / ٤٦١) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ؛ إذ لا يبعد سماع ثابت من عبد الله بن مغفل ، وقد اتفقا على إخراج حديث معاوية بن قرة ، وعلى حديث حميد بن هلال عنه ، وثابت أسن منها جميعاً وقد أقره الذهبي .

فار : هاج وانتشر .

(٢) الفتح : ٢٤ .

٥١٢ - * روى البخاري ومسلم عن أبي وائل قال : قام سهل بن حنيف يوم صفين ، فقال : أيها الناس ، اتهموا أنفسكم لقد كنّا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ، ولو نرى قتالاً لقاتلنا . وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين فجاء عمر بن الخطاب ، فأتى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، ألسنا على حقّ وهم على باطل ؟ قال : « بلى » قال : أليس قتلنا في الجنة وقتلهم في النار ؟ قال : « بلى » قال : ففيم نعطى الدنية في ديننا ، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال : « يا ابن الخطاب ، إنني رسول الله ، ولن يضيعني الله أبداً » قال : فانطلق عمر فلم يصبر متغيظاً ، فأتى أبا بكر ، فقال : « يا أبا بكر ، ألسنا على حقّ وهم على باطل ؟ قال : بلى ، قال : أليس قتلنا في الجنة وقتلهم في النار ؟ قال : بلى ، قال : فعلام نعطى الدنية ، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ » فقال : « يا ابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً وقال : فنزل القرآن على رسول الله ﷺ بالفتح ، فأرسل إلى عمر ، فأقرأه ، إياه ، فقال : يا رسول الله ، أوفتح هو ؟ قال : « نعم » فطابت نفسه ورجع .

وفي رواية (١) : فنزلت سورة الفتح ، فقرأها رسول الله ﷺ على عمر .

وفي أخرى (٢) أنه سمع سهل بن حنيف يقول : يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم ، لقد رأيتموني يوم أبي جندل ، ولو أستطيع أن أزد أمر رسول الله ﷺ لرددته ، وما وضعنا سيوفنا على عواتقنا إلى أمر يقطعنا إلا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه ، غير هذا الأمر . قال : وقال أبو وائل : شهدت صفين وبُست صفين .

٥١٢ - البخاري (٦ / ٢٨١) ٥٨ - كتاب الجزية والموادعة - ١٨ - باب حدثنا عبدان .

ومسلم واللفظ له (٢ / ١٤١١) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٢٤ - باب صلح الحديبية في الحديبية .
الدنية : القضية التي لا يرضى بها ولا تراد .

(١) البخاري في نفس الموضع السابق .

(٢) البخاري في نفس الموضع السابق ، وأيضاً في : (١٣ / ٢٨٢) ٩٦ - كتاب الاعتصام بالسنة والكتاب - ٧ - باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس .

ومسلم في الموضع السابق .

إلى أمر يقطعنا : الأمر الفطيع : الشنيع الشديد ، وقوله « يقطعنا » أي : يوقعنا في أمر فظيع شديد علينا .

زاد في رواية ^(١) : ما نَسَدُ منه خَصْماً إلا تَفَجَّرَ علينا خُصْمٌ ، ما ندري كيف نَأْتِي له ؟
وفي أخرى ^(٢) : لما قَدِمَ سَهْلُ بْنُ حَنْيَفٍ من صِفِّينَ أَتَيْنَاهُ نَسْتَحْبِرُهُ فَقَالَ : ائْتِمُوا
الرَّأْيَ ... وذكر نحوه .

وفي أخرى ^(٣) : أَتَيْتُ أَبَا وَائِلٍ أَسْأَلُهُ ؟ فَقَالَ : كُنَّا بِصِفِّينَ ، فَقَالَ رَجُلٌ : أَلَمْ تَر إِلَى
الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ : نَعَمْ ، فَقَالَ سَهْلُ بْنُ حَنْيَفٍ : أَتَيْتُمَا أَنْفُسَكُمْ ...
وذكر الحديث .

٥١٣ - * روى أحمد عن أبي سَعِيدٍ الْحَدَرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لما كَانَ يَوْمَ الْحَدِيثِيَّةِ ، قَالَ :
« لَا تَوْقِدُوا نَاراً بَلِيلٌ » فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ ، قَالَ : « أَوْقِدُوا وَاصْطَبِعُوا فَإِنَّهُ لَا يُدْرِكُ
قَوْمٌ بَعْدَكُمْ صَاعَكُمْ وَلَا مَدَّكُمْ » .

٥١٤ - * روى البخاري عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ
مُعْتَمِراً ، فَحَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ ، فَنَحَرَ هَدْيِيَّةً ، وَخَلَقَ رَأْسَهُ بِالْحَدِيثِيَّةِ ،

(١) البخاري (٧ / ٤٥٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٥ - باب غزوة الحديثية .

خَصْماً : الحُصْمُ : الطرف ، وَخُصِمَ كُلُّ شَيْءٍ : طَرَفَهُ ، وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ : (مَا نَسَدُ خَصْماً إِلَّا تَفَجَّرَ عَلَيْنَا خُصْمٌ) : الإخبار عن
انتشار الأمر وشدة ، وأنه لا يَنْتَهِي إِصْلَاحُهُ وتلافيه ، لأنه بخلاف ما كانوا عليه من الاتفاق ، ولذلك قال : (إِنْ
أُسْهِلَ) أي رأينا في عاقبة السلوك فيه سهولة ، كأنه ركب السُّهْلَ في طريقه ، ولم يَزِرْ فيه مكروها .

(٢) البخاري في نفس الموضع السابق .

(٣) البخاري (٨ / ٥٨٧) ٦٥ - كتاب التفسير - ٥ - باب « إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ » .

اتَّهَمُوا أَنْفُسَكُمْ : يعني : لا تَنْكُرُوا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ قَبُولَهُ التَّحْكِيمَ وَاتَّهَمُوا رَأْيَكُمْ .

٥١٣ - أحمد في مسنده (٢ / ٢٦) .

وقال الميثقي في مجمع الزوائد (٦ / ١٤٥) : رواه أحمد ، ورجاله ثقات .

لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم : أي لا يدرك أحد أجر صاعكم ولا مدكم .

والصاع والبد : من الكايل .

تعليق : الظاهر أن رسول الله ﷺ منعه من إيقاد النار في اليوم الأول من أجل مصلحة عسكرية أمنية ، وسأحه
لهم في اليوم الثاني لعله كان رخصة بسبب برد أو لأنه أحكم الجانب الأمني أو عرف أنه لا خطر عليهم من إيقاد
النار .

٥١٤ - البخاري (٥ / ٣٠٥) ٥٣ - كتاب الصلح - ٧ - باب الصلح مع المشركين .

وأيضاً البخاري (٧ / ٤٩٩) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٣ - باب عمرة القضاء .

وَقَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يَغْتَمِرَ الْعَامَ الْمَقْبِلَ ، وَلَا يَخْمِلَ سِلَاحاً عَلَيْهِمْ إِلَّا سَيْوِفاً ، وَلَا يَقِيمَ بِهَا إِلَّا مَا أَحَبُّوا ، فَأَعْتَمَرَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ ، فَدَخَلَهَا كَمَا كَانَ صَالِحُهُمْ ، فَلَمَّا أَنْ أَقَامَ بِهَا ثَلَاثاً ، أَمَرُوهُ أَنْ يَخْرُجَ ، فَخَرَجَ .

قال في الفتح تعليقا على قول البخاري : (باب النحر قبل الخلق في الحصر) :

ذكر فيه حديث المسور « أن رسول الله ﷺ نحر قبل أن يخلق وأمر أصحابه بذلك » وهذا طرف من الحديث الطويل الذي أخرجه المصنف في الشروط من الوجه المذكور هنا ، ولفظه في أواخر الحديث (فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا) فذكر بقية الحديث وفيه قول أم سلمة للنبي ﷺ (اخرج ، ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك ، فخرج فنحر بدنه ودعا حالقه فحلقه) وعرف بهذا أن المصنف أورد القدر المذكور هنا بالمعنى ، وأشار بقوله في الترجمة « في الحصر » إلى أن هذا الترتيب يختص بحال من أحصر ، وقد تقدم أنه لا يجب في حال الاختيار في (باب إذا رمى بعد ما أمسى أو حلق قبل أن يذبح » ولم يتعرض المصنف لما يجب على من حلق قبل أن ينحر ، وقد روى ابن أبي شيبه من طريق الأعشى عن إبراهيم عن علقمة قال : عليه دم . قال إبراهيم : وحدثني سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله . ثم أورد المصنف حديث ابن عمر الماضي قبل بباب مختصراً وفيه (فنحر بدنه وحلق رأسه) ، وقد أورده البيهقي من طريق أبي بدر شجاع بن الوليد - وهو الذي أخرجه البخاري من طريقه بإسناده المذكور - ولفظه (أن عبد الله بن عبد الله وسالم بن عبد الله كلما عبد الله ابن عمر ليالي نزل الحجاج بابن الزبير وقالوا : لا يضرك أن لا تحج العام ، إنا نخاف أن يحال بينك وبين البيت . فقال : خرجنا فذكر مثل سياق البخاري وزاد في آخره (ثم رجع) ، وكذا ساقه الإسماعيلي من طريق أبي بدر إلا أنه لم يذكر القصة التي في أوله ، وساقه من طريق أخرى عن أبي بدر أيضاً فقال فيها عن ابن عمر أنه قال (إن حيل بيني وبين البيت فعلت كما فعل رسول الله ﷺ وأنا معه ، فأهل بالعمرة) الحديث . قال ابن التيمي : ذهب مالك إلى أنه لا هدي على الحصر ، والحجة عليه هذا الحديث لأنه نقل فيه حكم وسبب ، فالسبب الحصر والحكم النحر ، فافتضى الظاهر تعلق الحكم بذلك السبب . والله أعلم .

٥١٥ - * روى أبو داود والترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : خَرَجَ عَبْدَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ - قَبْلَ الصُّلْحِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَوَالِيَهُمْ فَقَالُوا : يَا مُحَمَّد ، وَاللَّهِ مَا خَرَجُوا إِلَيْكَ رَغْبَةً فِي دِينِكَ ، وَإِنَّا خَرَجُوا هَرَبًا مِنَ الرِّقِّ ، فَقَالَ نَاسٌ : صَدَقُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ رَدَّهُمْ إِلَيْهِمْ ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ : « مَا أَرَأَيْكُمْ تَنْتَهُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَنْ يَضْرِبُ رِقَابَكُمْ عَلَى هَذَا » وَأَبَى أَنْ يَرُدَّهُمْ ، وَقَالَ : « هُمْ عَتَقَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

قال في الفتح الرباني : إنما تغير وجه رسول الله ﷺ لكونها لم يوافقا الطواب ، ويستفاد من ذلك أن من ادعى الإسلام يقبل منه مطلقا كما يدل على ذلك القرآن والسنة ، وأنه لا يجوز البحث عن الدوافع التي دفعته إلى الإسلام سواء أسلم مخلصاً أو متعوداً أو طامعاً ، وقد جاء عند أبي داود بدل قوله فتغير وجه رسول الله ﷺ (قال فغضب رسول الله ﷺ وقال : ما أراكم تنتهون يا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم من يضرب رقابكم على هذا ، وأبى أن يردهم وقال هم عتقاء الله عز وجل) قال الخطابي . هذا أصل في أن من خرج من دار الكفر مسلماً وليس لأحد عليه يد قدرة فإنه حر ، وإنما يعتبر أمره بوقت الخروج منها إلى دار الإسلام .

٥١٦ - * روى البخاري ومسلم عن عمرو بن دينار قال : سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ : « أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ » وَكُنَّا أَلْفًا وَأَرْبَعِينَ وَلَوْ كُنْتُ أَبْصُرُ الْيَوْمَ ، لَأَرَيْتُكُمْ مَكَانَ الشَّجَرَةِ .

٥١٥ - أبو داود (٦٥ / ٣) كتاب الجهاد ، باب في عبيد المشركين يلحقون بالمسلمين فيسلمون .

والترمذي نحوه (٦٣٤ / ٥) - ٥٠ - كتاب المناقب - ٢٠ - باب مناقب علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث ربيعة عن علي .

والحاكم نحوه في المستدرک (١٢٥ / ٢) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي . على هذا : أي ما ذكر من التمسك أو الحكم بالرد .

٥١٦ - البخاري (٤٤٣ / ٧) - ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٥ - باب غزوة الحديبية .

ومسلم نحوه (١٤٨٤ / ٣) - ٢٣ - كتاب الإمارة - ١٨ - باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال ، وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة .

لو كنت أبصر : يدل قوله على أن كلامه هذا كان حين عي ، والمعروف أن جابراً أن عي آخر حياته .

٥١٧ - * روى مسلم عن أم مبشر الأنصارية رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة : « لا يدخل النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحد . الذين يأتونها تحتها » قالت : بلى يا رسول الله ، فانتهرها فقالت حفصة : « وإن منكم إلا واردها » (١) فقال النبي ﷺ : قد قال الله تعالى : « ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً » (٢) .

قال النووي : قوله : « لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد » . الخ قال العلماء : معناه : لا يدخلها أحد منهم قطعاً : كما صرح به في غير هذا الحديث ، وإنما قال : « إن شاء الله » للتبرك ، لا للشك ، وأما قول حفصة « بلى » وانتهاز النبي ﷺ لها ، فقالت : (وإن منكم إلا واردها) فقال عليه الصلاة والسلام : وقد قال : « ثم ننجي الذين اتقوا » « ففيه دليل للمناظرة والاعتراض ، والجواب على وجه الاسترشاد ، وهو مقصود حفصة ، لا أنها أرادت رد مقالته ﷺ . والصحيح : أن المراد بالورود في الآية : المرور على الصراط ، وهو جسر منصوب على جهنم ، فيقع فيها أهلها ، وينجو الآخرون . أ . هـ

٥١٨ - * روى الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مَنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، إِلَّا صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ » .

٥١٩ - * روى مالك والبخاري عن أسلم مولى عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كَانَ يَسِيرُ فِي بَعْضِ أَصْفَارِهِ ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسِيرُ مَعَهُ لَيْلًا فَسَأَلَهُ عُمَرُ عَنْ شَيْءٍ فَلَمْ يُجِبْهُ ،

٥١٧ - مسلم (٤ / ١٩٤٢) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٧ - باب من فضائل أصحاب الشجرة ، أهل بيعة الرضوان ، رضي الله عنهم .

أصحاب الشجرة : هم الصحابة الذين بايعوا رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان في الحديبية ، وكانت الشجرة سمر . جثياً : جمع جاث : وهو الذي يقعد على ركبتيه .

(١) مريم : ٧١ .

(٢) مريم : ٧٢ .

٥١٨ - الترمذي (٥ / ٦٩٦) ٥٠ - كتاب المناقب - ٥٩ - باب حدثنا عمود بن غيلان ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، وهو كما قال .

٥١٩ - الموطأ (١ / ٢٠٣) ١٥ - كتاب القرآن - ٤ - باب ما جاء في القرآن .

والبخاري (٧ / ٤٥٢) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٥ - باب غزوة الحديبية .

=

ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَقَالَ عُمَرُ : تَكَلَّمْتَ أَمَّاكَ عُمَرُ ، نَزَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَاتٍ ، كُلُّ ذَلِكَ لَا يُجِيبُكَ ، قَالَ عُمَرُ : فَحَرَّكَتُ بَعِيرِي ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ أَمَامَ النَّاسِ ، وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزِلَ فِي قُرْآنٍ ، فَمَا نَشِيتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِخًا يَصْرُخُ بِي ، قَالَ : فَقُلْتُ : لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِي قُرْآنٍ ، قَالَ : فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : « لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ هَذِهِ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ ، لَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ، ثُمَّ قَرَأْ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ ^(١) » .

وَأُخْرِجَةُ التِّرْمِذِيُّ ^(٢) عَنْ أُسْلَمَ ، قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ... الْحَدِيثُ .

٥٢٠ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ قَالَ : الْحَدِيثِيَّةُ . قَالَ أَصْحَابُهُ : هَنِئًا مَرِيئًا ، فَمَا لَنَا ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ ^(٣) قَالَ شُعْبَةُ : فَقَدِمْتُ الْكُوفَةَ ، فَحَدَّثْتُ بِهَذَا كُلَّهُ عَنْ قَتَادَةَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَذَكَرْتُ لَهُ ، فَقَالَ : أَمَا ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ ﴾ فَقَنْ أَنَسٍ ، وَأَمَّا « هَنِئًا مَرِيئًا » فَقَنْ عِكْرِمَةَ .

وَأُخْرِجَةُ مُسْلِمٌ ^(٤) عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴿ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ قَوْزًا عَظِيمًا ﴾ ^(٥) مَرْجِعَةً مِنَ الْحَدِيثِيَّةِ - وَهُمْ يُخَالِطُهُمُ الْحَزَنُ وَالْكَأَبُ وَقَدْ نَحَرَ الْهُدْيَ بِالْحَدِيثِيَّةِ ، فَقَالَ : « لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ

= نَزَرْتُ : فَلَنَا : إِذَا لَحِثَ عَلَيْهِ فِي السُّؤَالِ .

لَهَا نَشِيتُ : أَيِ : مَا لَيْتُ .

(١) الْفَتْحُ : ١ .

(٢) التِّرْمِذِيُّ (٥ / ٣٨٥) ٤٨ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ - ٤٩ - بَابُ « وَمِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ » وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ

صَحِيحٌ غَرِيبٌ ، وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنْ مَالِكٍ مَرْسَلًا .

٥٢٠ - الْبُخَارِيُّ (٧ / ٤٥٠) ٦٤ - كِتَابُ الْمَغَازِي - ٣٥ - بَابُ غَزْوَةِ الْحَدِيثِيَّةِ .

(٣) الْفَتْحُ : ٥ .

(٤) مُسْلِمٌ (٣ / ١٤١٣) ٣٢ - كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيرِ - ٢٤ - بَابُ صَلَاحِ الْحَدِيثِيَّةِ فِي الْحَدِيثِيَّةِ .

الْهُدْيُ : مَا يُهْدِيهِ الْحَاجُّ أَوِ الْمُعْتَرِ إِلَى الْبَيْتِ مِنَ النَّعْمِ لِيُنَحِرَهُ بِالْحَرَمِ .

(٥) الْفَتْحُ : ١ - ٥ .

الدنيا جميعاً .

وأخرجه الترمذي ^(١) عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ مرجعة من الحديبية ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عَلَى الْأَرْضِ » ثُمَّ قَرَأَهَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا : هَنِيئاً مَرِيئاً يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكَ مَاذَا يَفْعَلُ بِكَ ، فَمَاذَا يَفْعَلُ بِنَا ؟ فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ حَتَّى بَلَغَ - : ﴿ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ .

٥٢١ * روى الحاكم عن المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ومروان بن الحكم قالوا : أُنْزِلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فِي شَأْنِ الْحَدِيبِيَّةِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا .

٥٢٢ * روى الحاكم عن مُجَمِّعِ بْنِ جَارِيَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَكَانَ أَحَدَ الْقُرَّاءِ الَّذِينَ قَرَأُوا الْقُرْآنَ قَالَ : شَهِدْنَا الْحَدِيبِيَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا انْصَرَفْنَا عَنْهَا إِذِ النَّاسُ يَهْزُونَ بِالْأَبْعَارِ ، فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : مَالِ النَّاسِ ؟ قَالُوا : أُوحِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَخَرَجْنَا مَعَ النَّاسِ نُوجِفُ فَوَجَدْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَاقِفاً عَلَى رَاحِلَتِهِ عِنْدَ كِرَاعِ الْغَمِيمِ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ قَرَأَ عَلَيْهِمْ ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ﴾ فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفْتَحَ هُوَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّهُ لَفَتَحَ » فَقَسَمْتُ خَيْبَرَ عَلَى أَهْلِ الْحَدِيبِيَّةِ ، فَقَسَمْتُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى ثَلَاثَةِ عَشَرَ سَهْماً وَكَانَ الْجَيْشُ أَلْفًا وَخَمْسَ مِائَةٍ فِيهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ فَارِسٍ ، فَأَعْطَى الْفَارِسَ سَهْمَيْنِ وَأَعْطَى الرَّاجِلَ سَهْماً .

(١) الترمذي (٢٨٦ / ٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٤٩ - باب « ومن سورة الفتح » ، وقال : هذا حديث

حسن صحيح .

٥٢١ - المستدرك (٤٥٩ / ٢) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

٥٢٢ - المستدرك (١٣١ / ٢) ، وقال : هذا حديث كبير صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي : صحيح .

نوجف : نسرع .

كراع الغميم : مكان بين مكة والمدينة .

٢ - في الصلح : بُنوده وحِكمته :

قال في الرحيق المختوم ذاكرا بنود الصلح :

١ - الرسول - ﷺ - يرجع من عامه ، فلا يدخل مكة ، وإذا كان العام القابل دخلها المسلمون فأقاموا بها ثلاثاً ، معهم سلاح الراكب ، السيوف في القرب ، ولا تتعرض لهم بأي نوع من أنواع التعرض .

٢ - وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين ، يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض .

٣ - من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، وتعتبر القبيلة التي تنضم إلى أي الفريقين جزءاً من ذلك الفريق ، فأى عدوان تتعرض له أي من هذه القبائل يعتبر عدواناً على ذلك الفريق .

٤ - من أقر محمداً من قريش من غير إذن وليه - أي هارباً منهم - رده عليهم ، ومن جاء قريشاً من مع محمد - أي هارباً منه - لم يرد عليه .

وقد علّق صاحب الرحيق المختوم على هذه البنود وهذا بعض كلامه :

هذه هي هدنة الحديبية ، ومن سبّر أغوار بنودها مع خلفياتها لا يشك أنها فتح عظيم للمسلمين ، فقريش لم تكن تعترف بالمسلمين أي اعتراف ، بل كانت تهدف استئصال شأفتهم ، وتنتظر أن تشهد يوماً ما نهايتهم ، وكانت تحاول بأقصى قوتها الحيلولة بين الدعوة الإسلامية ، وبين الناس ، بصفتها ممثلة الزعامة الدينية والصدارة الدنيوية في جزيرة العرب ، ومجرد الجنوح إلى الصلح اعتراف بقوة المسلمين ، وأن قريشاً لا تقدر على مقاومتهم ، ثم البند الثالث يدل بفحواه على أن قريشاً نسيت صدارتها الدنيوية وزعامتها الدينية ، وأنها لا تهمها الآن إلا نفسها ، أما سائر الناس وبقية جزيرة العرب فلو دخلت في الإسلام بأجمعها ، فلا يهم ذلك قريشاً ، ولا تتدخل في ذلك بأي نوع من أنواع التدخل . أليس هذا فشلاً ذريعاً بالنسبة إلى قريش ؟ وفتحاً مبيناً بالنسبة إلى المسلمين ؟ ، وقد كسب المسلمون لأجل هذه الحرية نجاحاً كبيراً في الدعوة ، فبينما كان عدد المسلمين لا يزيد

على ثلاثة آلاف قبل الهدنة صار عدد الجيش الإسلامي في سنتين عند فتح مكة عشرة آلاف .

أما البند الثاني فهو جزء ثان لهذا الفتح المبين ، فالمسلمون لم يكونوا بادئين بالحروب ، وإنما بدأتها قريش ، يقول الله تعالى ﴿ وهم بدءوكم أول مرة ﴾ ^(١) .

أما البند الأول فهو حد لصد قريش عن المسجد الحرام ، فهو أيضاً فشل لقريش ، وليس فيه ما يشفي سوى أنها نجحت في الصد لذلك العام الواحد فقط .

أعطت قريش هذه الخلال الثلاث للمسلمين ، وحصلت بإزائها خلة واحدة فقط ، وهي ما في البند الرابع ، ولكن تلك الخلة تافهة جداً ، ليس فيها شيء يضر بالمسلمين ، فمعلوم أن المسلم ما دام مسلماً لا يفر عن الله ورسوله ، وعن مدينة الإسلام ، ولا يفر إلا إذا ارتد عن الإسلام ظاهراً أو باطناً ، فإذا ارتد فلا حاجة إليه للمسلمين وانفصاله من المجتمع الإسلامي خير من بقاءه فيه . أ هـ .

قال ابن القيم بمناسبة ذكره لبعض حكم الحديبية :

فمنها : أنها كانت مقدمة بين يدي الفتح الأعظم الذي أعز الله به رسوله وجنده ، ودخل الناس به في دين الله أفواجا ، فكانت هذه الهدنة باباً له . ومفتاحاً . ومؤذناً بين يديه ، وهذه عادة الله سبحانه في الأمور العظام التي يقضيها قدراً وشرعاً ، أن يوطئ لها بين يديها مقدمات وتوطئات ، تؤذن بها ، وتدل عليها .

ومنها : أن هذه الهدنة كانت من أعظم الفتوح ، فإن الناس آمن بعضهم بعضاً ، واختلط المسلمون بالكفار ، وبادؤوهم بالدعوة ، وأسمعهم القرآن وناظروهم على الإسلام مهرة آمنين وظهر من كان مختفياً بالإسلام ودخل في مدة الهدنة من شاء الله أن يدخل ولهذا سماه الله فتحاً مبيناً . أ هـ .

٣ - فقهيات

قال ابن القيم بمناسبة ذكره لبعض الفوائد الفقهية المستخرجة من حادثة الحديبية :

(١) التوبة : ١٣ .

ومنها : استحبابُ مُغَايَظَةِ أعداءِ اللَّهِ ، فإنَّ النَّبِيَّ ﷺ أهدى في جُمْلَةِ هديه جِلاً لأيِّ جهلٍ في أنْفِه بَرَّةٌ مِنْ فَضِيَّةٍ يَغِيظُ بهِ المُشْرِكِينَ . وقد قال تعالى في صفةِ النَّبِيِّ ﷺ وأصحابه : ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ ^(١) ، وقال عزَّ وجل : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٢) .

ومنها : أن أميرَ الجيشِ ينبغي له أن يبعثَ العيونَ أمامه نحوَ العدو .

ومنها : أن الاستعانةَ بِالْمُشْرِكِ المأمونِ في الجهادِ جائزةٌ عند الحاجة ، لأن عينه الخِزَاعِيَّ كَانَ كَافِراً إِذْ ذَاكَ ، وفيه من المصلحة أنه أقربُ إلى اختلاطه بالعدوِّ ، وأخذِه أخبارهم .

ومنها : استحبابُ مشورةِ الإمامِ رعيتهِ وجيشه ، استخراجاً لوجهِ الرأي ، واستطابةِ لنفوسهم ، وأمناً لعتبهم ، وتعرفاً لمصلحةٍ يختصُّ بعلمها بعضهم دونَ بعض ، وامتنالاً لأمرِ الربِّ في قوله تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ ^(٣) ، وقد مدَّح سبحانه وتعالى عباده بقوله : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ ^(٤) .

ومنها : جوازُ سبيِ المُشْرِكِينَ إِذَا انْفَرَدُوا عَنْ رِجَالِهِمْ قَبْلَ مَقَاتِلَةِ الرِّجَالِ .

ومنها : أن تسميةَ ما يَلْبَسُه الرَّجُلُ مِنْ مَرَاكِبِهِ ونحوها سُنَّةٌ .

ومنها : جوازُ الحَلْفِ ، بل استحبابُه على الخبرِ الديني الذي يريد تأكيدُه ، وقد حَقِظَ عن النَّبِيِّ ﷺ الحلفُ في أكثرِ مَنْ تَمَانَيْنَ موضعاً وأمره الله تعالى بِالْحَلْفِ على تصديق ما أخبر به في ثلاثة مواضع : في (سورة يونس) ، و (سبأ) ، و (التغابن) .

ومنها : أن المُشْرِكِينَ ، وأهلَ البدعِ والفجورِ ، والبَغَاةِ ، والظُّلْمَةِ ، إِذَا طَلَبُوا أَمراً

(١) الفتح : ٢٩ .

(٢) التوبة : ١٢٠ .

(٣) آل عمران : ١٥٩ .

(٤) الشورى : ٣٨ .

يَعْظُمُونَ فِيهِ حُرْمَةً مِنْ حُرْمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى . أَجِيبُوا إِلَيْهِ وَأَعْطُوهُ ، وَأَعِينُوا عَلَيْهِ ، وَإِنْ مَنَعُوا غَيْرَهُ ، فَيُعَاوِنُونَ عَلَى مَا فِيهِ تَعْظِيمُ حُرْمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، لَا عَلَى كُفْرِهِمْ وَبَغْيِهِمْ ، وَيُمْنَعُونَ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ ، فَكُلُّ مَنْ التَّمَسَّ الْمَعَاوَنَةَ عَلَى مَحَبُوبِ اللَّهِ تَعَالَى مُرْضٍ لَهُ ، أَجِيبَ إِلَى ذَلِكَ كَائِنًا مَنْ كَانَ ، مَا لَمْ يَتَرْتَّبْ عَلَى إِعَانَتِهِ عَلَى ذَلِكَ الْمَحَبُوبِ مَبْغُوضٌ لِلَّهِ أَعْظَمُ مِنْهُ ، وَهَذَا مِنْ أَدَقِّ الْمَوَاضِعِ وَأَصْعَبِهَا . وَأَشَقَّهَا عَلَى النَّفُوسِ .

ومنها : جَوَازُ ابْتِدَاءِ الْإِمَامِ بِطَلَبِ صَلَاحِ الْعَدُوِّ إِذَا رَأَى الْمَصْلَحَةَ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ . وَلَا يَتَوَقَّفُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَكُونَ ابْتِدَاءُ الطَّلَبِ مِنْهُمْ .

ومنها : اسْتِحْبَابُ التَّفَاوُلِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الطَّيِّرَةِ الْمَكْرُوهَةِ . لِقَوْلِهِ لَمَّا جَاءَ سَهِيلُ : « سَهْلٌ أَمْرُكُمْ » .

ومنها : أَنَّ مَصَالِحَ الْمُشْرِكِينَ بِبَعْضِ مَا فِيهِ ضِيْمٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ جَائِزَةٌ لِلْمَصْلَحَةِ الرَّاجِحَةِ ، وَدَفْعُ مَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ ، فَفِيهِ دَفْعُ أَعْلَى الْمَفْسِدَتَيْنِ بِاحْتِمَالِ أَدْنَاهُمَا .

ومنها : جَوَازُ صَلَاحِ الْكُفَّارِ عَلَى رَدِّ مَنْ جَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَلَا يُرَدُّ مَنْ ذَهَبَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ . هَذَا فِي غَيْرِ النِّسَاءِ . وَأَمَّا النِّسَاءُ . فَلَا يَجُوزُ اشْتِرَاطُ رَدِّهِنَّ إِلَى الْكُفَّارِ . وَهَذَا مَوْضِعُ النِّسْخِ خَاصَّةً فِي هَذَا الْعَقْدِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى دَعْوَى النِّسْخِ فِي غَيْرِهِ بِغَيْرِ مُوجِبٍ .

ومنها : أَنَّ رَدَّ مَنْ جَاءَ مِنَ الْكُفَّارِ إِلَى الْإِمَامِ لَا يَتَنَاوَلُ مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ مُسْلِمًا إِلَى غَيْرِ بَلَدٍ الْإِمَامِ . وَأَنَّهُ إِذَا جَاءَ إِلَى بَلَدِ الْإِمَامِ . لَا يَجِبُ عَلَيْهِ رَدُّهُ بِدُونِ الطَّلَبِ . فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَرُدَّ أَبَا بَصِيرٍ حِينَ جَاءَهُ . وَلَا أَكْرَهَهُ عَلَى الرَّجُوعِ . وَلَكِنْ لَمَّا جَاءُوا فِي طَلَبِهِ . مَكَّنَهُمْ مِنْ أَخْذِهِ وَلَمْ يَكْرَهُهُ عَلَى الرَّجُوعِ .

ومنها : أَنَّ الْمَعَاهِدِينَ إِذَا تَسَلَّمُوهُ وَتَمَكَّنُوا مِنْهُ فَقَتَلَ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يَضْمَنْهُ بِدِيَّةٍ وَلَا قَوْدٍ . وَلَمْ يَضْمَنْهُ الْإِمَامُ . بَلْ يَكُونُ حَكْمُهُ فِي ذَلِكَ حَكْمُ قَتْلِهِ لَهُمْ فِي دِيَارِهِمْ حَيْثُ لَا حَكْمَ لِلْإِمَامِ عَلَيْهِمْ . فَإِنَّ أَبَا بَصِيرٍ قَتَلَ أَحَدَ الرَّجُلَيْنِ الْمَعَاهِدَيْنِ بِذِي الْحُلَيْفَةِ . وَهِيَ مِنْ حَكْمِ الْمَدِينَةِ . وَلَكِنْ كَانَ قَدْ تَسَلَّمُوهُ .

ومنها : أن المعاهدين إذا عاهدوا الإمام . فخرجت منهم طائفة ، فحاربتهم ، وغَنِمَتْ أموالهم . ولم يَتَحَيَّرُوا إلى الإمام . لم يجب على الإمام دفعهم عنهم . ومنعهم منهم . وسواء دخلوا في عقد الإمام وعهده ودينه . أو لم يدخلوا . والعهد الذي كان بين النبي ﷺ وبين المشركين ، لم يكن عهداً بين أبي بصير وأصحابه وبينهم ، وعلى هذا فإذا كان بين بعض ملوك المسلمين وبعض أهل الذمة من النصارى وغيرهم عهد ، جاز للملك آخر من ملوك المسلمين أن يَغْزَوْهُمْ ، ويغنم أموالهم إذا لم يكن بينه وبينهم عهد . كما أفتى به شيخ الإسلام في نصارى مَلْطِيَّةَ وسببهم ، مستدلاً بقصة أبي بصير مع المشركين . اهـ .

ومن الأحكام الفقهية كذلك المستنبطة من حادثة الحديبية ما ذكره الدكتور البوطي بقوله :

(الاستعانة بغير المسلمين فيما دون القتال) ، قلنا أن النبي ﷺ أرسل بسر بن سفيان عيناً إلى قريش ليأتيه بأخبارهم ، وبسر بن سفيان كان مشركاً من قبيلة خزاعة . وفي هذا تأكيد لما كنا قد ذكرناه سابقاً من أن أمر الاستعانة بغير المسلم يتبع الظرف وحالة الشخص الذي يستعان به . فإن كان ممن يطبأن إليه ولا تخشى منه بادرة غدر أو خديعة ، جازت وإلا فلا . وعلى كل فإن النبي ﷺ ، في كل الحالات ، إنما استعان بغير المسلمين بما دون القتال ، كإرساله عيناً على الأعداء أو استعارة أسلحة منهم وما شابه ذلك . والذي يبدو أن الاستعانة بغير المسلمين في القضايا السلمية أشبه بالجواز منها في أعمال القتال والحرب .

(التبرك بأثار النبي ﷺ) ، قلنا ، إن عروة بن مسعود ، جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه ، قال : فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده . وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، ما يُحدِّثون النظر إليه تعظيماً له .

إنها لصورة بارزة حية ، وأوضحها عروة بن مسعود لمدى محبة أصحاب رسول الله ﷺ له . وإن فيها لدلالات هامة يجب أن يقف عليها كل مسلم .

إنها تدل أولاً على أنه لا إيمان برسول الله ﷺ بدون محبة له ، وليست المحبة له معنى

عقلانياً مجرداً ، وإنما هي الأثر الذي يستحوذ على القلب فيطبع صاحبه بمثل الطابع الذي وصف به عروة بن مسعود أصحاب رسول الله ﷺ .

وهي تدل ثانياً ، على أن التبرك بآثار رسول الله ﷺ أمر مندوب إليه ومشروع . ولقد وردت أحاديث صحيحة ثابتة عن تبرك الصحابة رضي الله عنهم بشعر النبي ﷺ ، وعرقه ووضوئه ، وبصاقه ، والقدرح الذي كان يشرب فيه . أ هـ .

تعليقات على قصة الحديبية :

١ - من أول ما يطالعك في قصة الحديبية إحكام التدبير ، أولاً : في الشعار الذي رفع . وثانياً : في الطريق الذي سلك . وثالثاً : في الحوار الذي تم والمفاوضات التي جرت والحجج التي قيلت . ورابعاً : في أخذ البيعة على عدم الفرار أو الموت . وخامساً : في ضبط النفس عن القتال مع وجود أسبابه . وسادساً : في الاحتياطات الأمنية التي اتخذت . وسابعاً : في الجو الذي أحيطت به المفاوضات . وثامناً : في بنود الصلح .

٢ - هناك صورتان متكاملتان في هذه القصة : فمن أجل الثأر لعثمان عندما أشيع نبأ قتله أخذت البيعة على الموت ، ومن أجل مجموعة من المؤمنين والمؤمنات المستضعفين في مكة صرف الله المسلمين عن القتال ﷻ ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم مَعْرَةٌ بغير علم ﴿ (١) 》 .

ومن هاتين الصورتين ندرك كم للمسلم من قيمة عند الله وعند إخوانه ، فلا تفريط فيه بل حرص عليه ، بل قد يتخذ قرار حرب من أجله ، وهذا يعطينا عبراً كثيرة ، أبسطها : أن نعرف للمسلم حرمة ، وأن نعرف له قيمته فلا نُضيِّعه بل نحاول القيام بحقوقه كاملة .

٣ - في هذه القصة موقف لم يستطع أصحاب رسول الله ﷺ إدراك أبعاده ، وهذا يعطينا درساً في العمل الإسلامي : أن نستشرف دائماً أبعاد معركتنا ، وأن نتفهم الآراء المطروحة أمامنا ، وأن نتأني في الحكم على تصرفات القادة الذين يكرمهم الله عز وجل بتحمل المسؤولية ، فكثيراً ما نُصدِرُ أحكاماً مستعجلة ، ظاهرها الصواب وباطنها الخطأ .

٤ - ومن أعظم دروس الحديبية أنَّ على القائد أن يمتلك القدرة على الحرب والسلام ، وكثيراً ما يحدث أنَّ القائد يستطيع السيطرة في الحرب فإذا ما أراد السلام ظهرت أمامه عقبات ، فالتحمسون ، والمتشددون ، وبالنسبة لغير الصحابة المزايدون ، وههنا تحدث أزمات ومأس إنَّ علينا أن ندرك أنه ليس الهدف هو الحرب أو السلم ، إنما الهدف أن يتقدّم هذا الدين ، فحيثما رأت القيادات الرشيدة والشورى المبصرة أنَّ المصلحة في شيء فههنا محطُّ الرِّحال ، ولا يصلح أحد للقيادة إذا لم يكن قادراً على قرّاري السلم والحرب بأن واحد ، ولقد كان رسول الله ﷺ هو النموذج الأرقى في هذا وفي غيره .

٥ - وفي قصة الحديبية تجدد المستوى الرفيع من الأدب والانضباط اللذين وصل إليهما أصحاب رسول الله ﷺ بفضل تربيته : فعثمان لا يطوف بالبيت على حبّه لذلك ما دام رسول الله ﷺ لم يَطْفُ ، والصحابة كانوا كالسكارى عند توقيع الصلح وتأخير العمرة ، ولكن لم يقولوا هُجْراً ولم يخرجوا عن انضباط . ومن مظاهر ما ذكرناه ههنا ما أشار إليه الشيخ الغزالي في كتابه فقه السيرة : (ومن السكينة التي تنزلت على المسلمين أنَّ رسل قريش كانت تغدو على رسول الله ﷺ وتروح ، فلا يعترضها أحد ، أمّا رسل المسلمين إلى قريش فقد تعرّضت للهلاك ، كاد خِرَاشُ بن أمية الحَزَاعيُّ يُقتل ، لولا أن أنقذه الأحابيش ، فرجع وقد عُقر جَمَلُهُ وكان النبي عليه الصلاة والسلام أرسله ليبلغ أهل مكة حقيقة حجّيه ، وأنّه يريد العبادة لا الحرب .. والرسول لا تقتل ، يئد أن غليان قريش أفقدها الوعي .

وصل

هجوم عبد الرحمن الفزاري على المدينة المنورة

سمى ابن هشام هذا الهجوم بغزوة ذي قرد .

وكان ذلك مقفله عليه الصلاة والسلام من الحديبية كما ذكر سلمة بن الأكوع في رواية مسلم - وقد ذكرنا قسما من رواية سلمة من قبل وأخرنا بعضها إلى هنا ، والسطور الأوائل مذكورة هنا وهناك لربط ما له علاقة بهذه الغزوة بسياقها الذي مر معنا من قبل .

٥٢٣ - * روى مسلم عن سلمة بن الأكوع قال : فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله ﷺ فاستاقه أجمع وقتل راعيه قال فقلت : يا رباح ! خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة بن عبيد الله . وأخبر رسول الله ﷺ أن المشركين قد أغاروا على سرجه . قال : ثم قمت على أكمة فاستقبلت المدينة . فناديت ثلاثاً : يا صباحاه ! ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل . وأرتجز . أقول :

أَنَا ابْنُ الْأَكُوعِ وَالْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضْعِ

فَأَلْحَقَ رَجُلًا مِنْهُمْ . فَأَصَكُ سَهْمًا فِي رَحْلِهِ حَتَّى خَلَصَ نَصْلُ السَّهْمِ إِلَى كَتِفِهِ . قَالَ قُلْتُ :

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكُوعِ وَالْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضْعِ

قَالَ ! فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ أُرْمِيهِمْ وَأَعْقِرُ بِهِمْ . فَإِذَا رَجَعَ إِلَى فَارِسٍ أَتَيْتُ شَجَرَةً فَجَلَسْتُ فِي أَصْلِهَا ، ثُمَّ رَمَيْتُهُ فَعَقَرْتُ بِهِ . حَتَّى إِذَا تَضَاقَقَ الْجَبَلُ فَدَخَلُوا فِي تَضَاقِقِهِ ، عَلَوْتُ الْجَبَلَ ،

٥٢٣ - مسلم مطولا (٣ / ١٤٢٣) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٤٥ - باب غزوة ذي قرد وغيرها .

عبد الرحمن الفزاري : هو عبد الرحمن بن عيينة الفزاري وقيل عيينة بن حصن أبوه .

فأصك سهما في رحله : أي أضرب .

أرميهم وأعقريهم : أي أرميهم بالنبل وأعقر خيلهم . وأصل المقر ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف . ثم اتسع حتى

استعمل في القتل كما وقع هنا . وحتى صار يقال : عقرت البعير أي نحرته .

حتى إذا تضايق الجبل فدخلوا في تضايقه : التضايق ضد الاتساع . أي تدانى . فدخلوا في تضايقه أي الحل المتضايق =

فَجَعَلْتُ أَرْدَبَهُمْ بِالْحِجَارَةِ . قَالَ : فَمَا زِلْتُ كَذَلِكَ أَتَّبِعُهُمْ حَتَّى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ بَعِيرٍ مِنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا خَلَفْتُهُ وَرَاءَ ظَهْرِي . وَخَلَوْا بَيْنِي وَبَيْنَهُ . ثُمَّ أَتَّبَعْتُهُمْ أَرْمِيهِمْ ، حَتَّى أَلْقَوْا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً وَثَلَاثِينَ رُمْحًا يَسْتَخِفُّونَ ، وَلَا يَطْرَحُونَ شَيْئًا إِلَّا جَعَلْتُ عَلَيْهِ أَرَامًا مِنَ الْحِجَارَةِ ، يَعْرِفُهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ . حَتَّى أَتَوْا مَتَضَايِقًا مِنْ ثَنِيَّةٍ . فَإِذَا هُمْ قَدْ أَتَاهُمْ فَلَانُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ فَجَلَسُوا يَتَضَحَّوْنَ (يَعْنِي يَتَغَدَّوْنَ) . وَجَلَسْتُ عَلَى رَأْسِ قَرْنٍ . قَالَ الْفَزَارِيُّ : مَا هَذَا الَّذِي أَرَى ؟ قَالُوا : لَقِينَا ، مِنْ هَذَا ، الْبَرْحِ . وَاللَّهِ ! مَا فَارَقْنَا مِنْذُ غَلَسَ يَرْمِينَا ، حَتَّى انْتَزَعَ كُلُّ شَيْءٍ فِي أَيْدِينَا . قَالَ : فَلْيَقِمْ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْكُمْ ، أَرْبَعَةً . قَالَ : فَصَعِدَ إِلَيَّ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ فِي الْجَبَلِ . قَالَ : فَلِمَا أُمَكِّنُونِي مِنَ الْكَلَامِ قَالَ قُلْتُ : هَلْ تَعْرِفُونِي ؟ قَالُوا : لَا . وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ قُلْتُ : أَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ . وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ ! لَا أَطْلُبُ رَجُلًا مِنْكُمْ إِلَّا أَدْرَكْتُهُ . وَلَا يَطْلُبُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ

= منه بحيث استتروا به عنه ، فصار لا يبيلهم ما يرميهم به من السهام .

فجعلت أردبهم بالحجارة : يعني لما امتنع علي رميهم بالسهام عدلت عن ذلك إلى رميهم من أعلى الجبل بالحجارة التي تسقطهم وتبورهم . يقال : ردى الفرس راكبه إذا أسقطه وهوره .

حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ : من ، هنا زائدة . أتى بها لتأكيد العموم . وإنما سميت زائدة لأن الكلام يستقيم بدونها فيصح أن يقال : ما خلق الله بعيراً . ومن ، في قوله : من ظهر ، بيانية . والمعنى أنه ما زال بهم إلى أن استخلص منهم كل بعير أخذوه من إبل رسول الله ﷺ .

إلا خلفته وراء ظهري : خلفته أي تركته . يريد أنه جعل في حوزته وحال بينهم وبينه .

ثم اتبعتهم : هكذا هو في أكثر النسخ : اتبعهم . وفي نسخة : أتبعهم ، همزة القطع . وهي أشبه بالكلام وأجود موقعاً فيه . وذلك أن تبع المجرد وأتبع بمعنى مشى خلفه على الإطلاق وأما أتبع الرباعي فمعناه لحق به بعد أن سبقه ومنه قوله تعالى ﴿ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ﴾ أي لحقهم مع جنوده بعد أن سبقوه . وتمييزه هنا بـم للفيدة للتراخي يشعر أنه بعد أن استخلص منهم جميع الإبل توقف عن اتباعهم ولعل ذلك ريثاً جمع الإبل وأقامها على طريق يأمن عليها فيه . والمعنى على هذا الوجه : وبعد أن توقفت عن اتباعهم حتى سبقوني ، تبعهم حتى لحقت بهم .

يستخفون : أي يطلبون يالقاتها الخفة ليكونوا أقدر على الفرار .

أراماً من الحجارة : الأرام هي الأعلام . وهي حجارة تجمع وتنصب في المفازة ليهتدى بها . واحدها إرم كعنب وأعقاب .

حتى أتوا متضايقاً من ثنية : الثنية العقبة والطريق في الجبل . أي حتى أتوا طريقاً في الجبل ضيقة .

على رأس قرن : هو كل جبل صغير منقطع عن الجبل الكبير .

البرح : أي الشدة .

غلس : الغلس : ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح .

فَيَذَرُكُنِي قَالَ أَحَدُهُمْ : أَنَا أَظُن . قَالَ : فَرَجَعُوا . فَمَا بَرِخْتُ مَكَانِي حَتَّى رَأَيْتُ فَوَارِسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَ . قَالَ : فَإِذَا أُولَهُمُ الْأَخْرَمُ الْأَسَدِيُّ . عَلَى إِثْرِهِ أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ . وَعَلَى إِثْرِهِ الْمُقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيُّ . قَالَ : فَأَخَذْتُ بِعِنَانِ الْأَخْرَمِ . قَالَ : فَوَلُّوا مُدِيرِينَ . قُلْتُ : يَا أَخْرَمُ ! احْذَرْهُمْ . لَا يَقْتَطِعُوكَ حَتَّى يَلْحَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ . قَالَ : يَا سَلَمَةَ ! إِنْ كُنْتَ تَوْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ ، فَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ . قَالَ : فَحَلَيْتُهُ ، فَالْتَقَى هُوَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ . قَالَ : فَعَقَرَ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ فَرَسَهُ . وَطَعَنَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ . وَتَحَوَّلَ عَلَى فَرَسِهِ .

وَلَحِقَ أَبُو قَتَادَةَ ، فَارِسُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ . فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ . فَوَالَّذِي كَرَّمَ وَجَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ ! لَتَبِعْتُهُمْ أَعْدُو عَلَى رِجْلِي . حَتَّى مَا أَرَى وَرَائِي ، مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَا غُبَارِهِمْ ، شَيْئاً . حَتَّى يَغْدِلُوا قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى شُعْبٍ فِيهِ مَاءٌ . يَقَالُ لَهُ ذَا قَرْدٍ . لِيَشْرَبُوا مِنْهُ وَهُمْ عَطَاشٌ . قَالَ : فَتَنَظَرُوا إِلَيَّ أَعْدُو وَرَاءَهُمْ . فَحَلَيْتُهُمْ عَنْهُ (يَعْنِي أَجْلَيْتُهُمْ عَنْهُ) فَمَا ذَاقُوا مِنْهُ قَطْرَةً . قَالَ : وَبَخَّرَجُونِ فَيَشْتَدُونَ فِي ثَنِيَّةٍ . قَالَ : فَأَعْدُو فَأَلْحَقَ رَجُلًا مِنْهُمْ . فَأَصَكُّهُ بِسَهْمٍ فِي نَفْصِ كَتِفِهِ . قَالَ قُلْتُ : خَذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ . وَالْيَوْمَ يَوْمَ الرُّضْعِ . قَالَ : يَا ثَكْلَتُهُ أُمُّهُ ! أَكْوَعُهُ بِكَرَّةٍ . قَالَ قُلْتُ : نَعَمْ . يَا عَدُوْ نَفْسِهِ ! أَكْوَعُكَ بِكَرَّةٍ . قَالَ : وَأَرَدُوا فَرَسَيْنِ عَلَى ثَنِيَّةٍ . قَالَ : فَجِئْتُ بِهِمَا أَسْوَقَهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

= قال أحداهم : أنا أظن : يعني : صدقت .

يتخللون الشجر : أي يدخلون من خلالها ، أي بينها .

ذا قرد : هكذا هو في أكثر النسخ المعتبرة : ذا قرد ، وفي بعضها : ذو قرد ، وهو الوجه .

فحللتهم عنه : أي طردتهم عنه . وقد فسرها في الحديث بقوله : يعني أجليتهم عنه . قال القاضي : كذا روايتنا فيه هنا غير مهموز . قال وأصله الهمز ، فسهله . وقد جاء مهموزاً بعد هذا في الحديث .

نفص : هو العظم الرقيق على طرف الكتف . سمي بذلك لكثرة تحركه . وهو الناعض أيضاً .

قال : يا ثكلته أمه ! أكوعه بكرة : معنى ثكلته أمه ، فقدته أمه ، وقوله : أكوعه ، هو برفع العين ، أي أنت الأكوع الذي كنت بكرة هذا النهار ؟ ولهذا قال : نعم . وبكرة منصوب غير منون . قال أهل العربية : يقال أتيت بكرة ، بالثنوين ، إذا أردت لقيت به باكراً في يوم غير معين . قالوا : وإن أردت بكرة يوم بعينه ، قلت أتيت بكرة ، غير مصروف لأنها من الظروف المتكئة .

وأردوا : قال القاضي : رواية الجمهور بالدال المهملة ورواه بعضهم بالمعجمة . قال : وكلاهما متقارب المعنى . فبالمعجمة معناه خلّفوها . والرذّي الضعيف من كل شيء . وبالمهملة معناه أهلكوها وأتعبوها حتى أسقطوها وتركوها ومنه التردية . وأردت الفرس الفارس أسقطته . لحقني عامر : أي عمه وقد استشهد في خير .

ﷺ . قَالَ : وَلَحِقَنِي غَايِرُ بَسْطِيحَةٍ فِيهَا مَذْقَةٌ مِنْ لَبَنٍ وَسَطِيحَةٍ فِيهَا مَاءٌ . فَتَوَضَّأْتُ وَشَرَبْتُ . ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي حَلَّاهُمْ . غَنَةً . فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَخَذَ تِلْكَ الْإِبِلَ وَكُلَّ شَيْءٍ اسْتَنْقَذْتُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَكُلَّ رُمْحٍ وَبُرْدَةٍ وَإِذَا بَلَالٌ نَحَرَ نَاقَةَ مِنَ الْإِبِلِ الَّذِي اسْتَنْقَذْتُ مِنَ الْقَوْمِ إِذَا هُوَ يَشْوِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ كِبِدِهَا وَسَنَامِهَا . قَالَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! خَلَّنِي فَأَنْتَخِبْ مِنْ الْقَوْمِ مِائَةَ رَجُلٍ ، فَأَتْبِعِ الْقَوْمَ فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ مُخَبِّرٌ إِلَّا قَتَلْتُهُ قَالَ : فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فِي ضَوْءِ النَّارِ . فَقَالَ : « يَا سَلَمَةُ ! أَتَرَاكَ كُنْتَ فَاعِلًا ؟ » قُلْتُ : نَعَمْ . وَالَّذِي أَكْرَمَكَ ! فَقَالَ : « إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَقْرَوْنَ فِي أَرْضِ عَطْفَانَ » قَالَ : فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ عَطْفَانَ فَقَالَ : نَحَرَ لَهُمْ فَلَانَ جَزُورًا ، فَلَمَّا كَشَفُوا جِلْدَهَا رَأَوْا غُبَارًا . فَقَالُوا : أَتَاكُمْ الْقَوْمُ ، فَخَرَجُوا هَارِبِينَ . فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كَانَ خَيْرُ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ . وَخَيْرُ رَجَالِنَا سَلَمَةُ » قَالَ : ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَهْمَيْنِ : سَهْمُ الْفَارِسِ وَسَهْمُ الرَّاجِلِ . فَجَمَعَهُمَا لِي جَمِيعًا . ثُمَّ أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَآهُ عَلَى الْغَضَبَاءِ رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ . قَالَ : فَبَيْنَمَا لَحْنُ نَسِيرٍ . قَالَ : وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يُسْبِقُ شَدًّا ، قَالَ : فَجَعَلَ يَقُولُ : أَلَا مُسَابِقٌ إِلَى الْمَدِينَةِ ؟ هَلْ مِنْ مُسَابِقٍ ؟ فَجَعَلَ يُعِيدُ ذَلِكَ . قَالَ : فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَهُ قُلْتُ : أَمَا تُكْرِمُ كَرِييَا ، وَلَا تَهَابُ شَرِيفًا ؟ قَالَ : لَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . قَالَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! يَا بَأَبِي وَأُمِّي ! ذَرْنِي فَلَأُسَابِقَ الرَّجُلَ . قَالَ : « إِنَّ

= بسطيحة فيها مذقة من لبن : السطيحة إناء من جلود سطح بعضها على بعض . والمذقة قليل من لبن ممزوج بماء .

حللهم : كذا هو في أكثر النسخ : حللهم . وفي بعضها حللتهم . وقد سبق بيانه قريباً .

من الإبل الذي : كذا في أكثر النسخ : الذي . وفي بعضها : التي . وهو أوجه . لأن الإبل مؤنثة ، وكذا أسماء الجوع من غير آدميين . والأول صحيح أيضاً . وأعاد الضير إلى الغنية ، لا إلى لفظ الإبل .

نواجذه : أي أنيابه .

ليقرؤن : أي يضافون ، والقرى الضيافة .

جزورا : الجزور : البعير ذكراً كان أو أنثى .

الغضباء : هو لقب ناقة النبي ﷺ . والغضباء مشقوقة الأذن ، ولم تكن ناقته ﷺ كذلك وإنما هو لقب لزمها .

= شداً : أي عدواً على الرجلين .

شِئْتَ» قَالَ . قُلْتُ : اذْهَبْ إِلَيْكَ . وَثْنَيْتُ رِجْلِي فَظَفَرْتُ فَعَدَوْتُ . قَالَ : قَرَبْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ أَسْتَبْقِي نَفْسِي . ثُمَّ عَدَوْتُ فِي إِثَرِهِ . قَرَبْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ . ثُمَّ رَفَعْتُ حَتَّى الْحَقَّةَ .

قَالَ : فَأَصْكُهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ . قَالَ قُلْتُ : قَدْ سُبِقْتَ وَاللَّهِ ! قَالَ : أَنَا أَظُنُّ . قَالَ : فَسَبَقْتُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ .

وللحديث تمة متعلقة بخبر سنذكرها في أحداث السنة السابعة .

* * *

= قَطَفَرْتُ : أي وثبت وقفرت .

فربطت عليه شرفاً أو شرفين أستبقي نفسي : معنى ربطت حبست نفسي عن الجري الشديد ، والشرف ما ارتفع من الأرض . وقوله : أستبقي نفسي ، أي لئلا يقطعني البهر .

رفعت حتى الحقة : أي أسرع . قوله : حتى الحقة . حتى ، هنا ، للتعليل بمعنى كي . وألحق منصوب بأن مضمرة بعدها .

أظن : أي أظن ذلك ، حذف مفعوله للعلم به .

فصل في : مكاتبتة عليه الصلاة والسلام الملوك والأمراء

قال المباركفوري :

في أواخر السنة السادسة حين رجع رسول الله ﷺ من الحديبية كتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام .

ولما أراد أن يكتب إلى هؤلاء الملوك قيل له : إنهم لا يقبلون إلا وعليه خاتم ، فاتخذ النبي ﷺ خاتماً من فضة ، نقشه : محمد رسول الله ، وكان هذا النقش ثلاثة أسطر : محمد سطر ، رسول سطر ، والله سطر ، هكذا : الله رسول محمد .

واختار من أصحابه رسلاً لهم معرفة وخبرة ، وأرسلهم إلى الملوك ، وقد جزم العلّامة المنصور فوري أن النبي ﷺ أرسل هؤلاء الرسل غرة المحرم سنة سبع من الهجرة قبل الخروج إلى خيبر بأيام .

أقول : الذي يبدو لي أنّ المكاتبة بدأت في أواخر السنة السادسة واستمرت بعد ذلك فنها ما وقع في السنة السادسة ومنها ما وقع بعدها ، ويصعب تحديد الزمن لكلّ مراسلة ، وأصل المراسلة ثابت في الصحيحين وغيرهما ، أمّا نصوص هذه الرسائل فبعضها موجود في الصحيحين وغيرهما من كتب السنّة وبعضها موجود في كتب السير وهناك مراسلات لا شكّ فيها كرسالته عليه الصلاة والسلام إلى المَقَوْس لكنّ تفصيلاتها موجودة في كتب السيرة ، ومن أجود ما استوعب هذا الموضوع من المحقّقين قديماً ابن القيم رحمه الله ، ومَن استوعبه حديثاً المباركفوري في الرحيق المختوم مستفيداً من تحقيقات المحدثين ونحن سننقل من التحقيقين لتكمل صورة الحركة في السنة السادسة .

ذكر ابن القيم رسائله عليه الصلاة والسلام إلى هرقل ، والكتاب معروف محفوظ حتى الآن ، وإلى كسرى وقد أشار إليه البخاري ومسلم ، وإلى النجاشي وهو غير الأوّل الذي توفي في حياته عليه الصلاة والسلام وصلى عليه صلاة الغائب ، وقد أشار إلى هذه الرسالة مسلم ، وإلى المَقَوْس عظيم مصر والإسكندرية ، وإلى المنذر بن ساوى عظيم البحرين ، وإلى ابني الجَلُنْدِي عظيمي عُمان ، وإلى هُوْدَةَ بن علي عظيم اليمامة ، وإلى الحارث بن أبي شمر

الغساني عظيم دمشق . قال المباركفوري :

وبهذه الكتب كان النبي ﷺ قد أبلغ دعوته إلى أكثر ملوك الأرض . فمنهم من آمن به ومنهم من كفر . ولكن شغل فكر هؤلاء الكافرين ، وعرف لديهم باسمه ودينه .

وقد عثر على أكثر من رسالة من رسائله عليه الصلاة والسلام وألفت في ذلك كتب ، وهذا جهد مشكور مأجور إن شاء الله تعالى ، ونحن هنا نذكر ما ورد في أصول كتابنا على شرطنا :

٥٢٤ - * روى مسلم عن أنس أن نبي الله ﷺ كتبَ إلى كسرى ، وإلى قيصر ، وإلى النجاشي ، وإلى كل جبار ، يدعُوم إلى الله تعالى ، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ .

٥٢٥ - * روى البخاري عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي ، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فقرأه ، فحسب أن القائل هو محمد بن عبد الله بن عباس . قال البخاري :

من قریش ، فدخلنا على هرقل ، فأجلسنا بين يديه ، فقال : أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو سفيان : فقلت : أنا ، فأجلسوني بين يديه ، وأجلسوا أصحابي خلفي ، ثم دعا بترجمانه ، فقال : قل لهم : إني سائل هذا عن الرجل الذي يزعم أنه نبي ، فإن كذبتني فكذبوه ، قال أبو سفيان : وإيهم الله ، لولا أن يؤثروا علي الكذب لكذبت ، ثم قال لترجمانه ، سألته : كيف حسبه فيكم ؟ قال : قلت : هو فينا ذو حسب ، قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟ قال قلت : لا ، قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا ، قال أيتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم ؟ قال : قلت : لا بل ضعفاؤهم ، قال : يزيدون أو ينقصون ؟ قلت : لا ، بل يزيدون ، قال : هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطاً له ؟ قال : قلت : لا ، قال : فهل قاتلتموه ؟ قال قلت نعم ، قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قال : قلت : تكون الحرب بيننا وبينه سجالاً ، يصيب منا ونصيب منه ، قال : فهل يغير ؟ قال : قلت : لا ، ونحن منه في هذه المدة ، لا ندري ما هو صانع فيها ؟ - قال : والله ما أمكنني من كلمة أذيل فيها شيئاً غير هذه - قال : فهل قال هذا القول أحد قبلك ؟ قلت : لا ، ثم قال لترجمانه : قل له : إني سألتك عن حسبه فيكم ، فزعمت أنه فيكم ذو حسب ، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها ، وسألتك : هل كان في آبائه ملك ؟ فزعمت أن لا ، فقلت : لو كان من آبائه ملك ، قلت : رجل يطلب ملك آبائه ، وسألتك عن أتباعه : أضعفاؤهم ، أم أشرافهم ؟ فقلت : بل ضعفاؤهم ، وهم أتباع الرسل ، وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، فزعمت : أدري لا ، فعدت أنه لا يكذب لئلا الكذب على الناس ، ثم يذهب

فزعت : أنكم قاتلتموه ، فتكون الحرب بينكم وبينه سجالاً ، ينال منكم وتنالون منه ، وكذلك الرسل تبتلى ، ثم تكون لها العاقبة ، وسألتك : هل يغدير ؟ فزعت : أنه لا يغدير ، وكذلك الرسل لا تغدير ، وسألتك : هل قال أحد هذا القول قبله ؟ فزعت : أن لا ، فقلت : لو كان قال هذا القول أحد قبله ، قلت : رجل أئتم بقول قيل قبله ، قال : ثم قال : هم يأمركم ؟ قال : قلت : يأمرنا بالصلاة ، والزكاة ، والصلة ، والعفاف ، قال : إن يك ما تقول حقاً ، فإنه نبي ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، ولم أك أظنه منكم ، ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأخبت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، وليلفن ملكه ما تحت قدمي ، ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ ، فقرأه ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ، إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من أتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسليم يوتيك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون ﴿١﴾ .

فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده ، وكثر اللغط ، وأمر بنا فأخرجنا ، قال : فقلت لأصحابي حين خرجنا : لقد أمر أمر ابن أبي كبشة ، إنه ليخافه

= القدر : ضد الوفاء ، وهو تقض العهد .

صلة الأرحام : كل ما أمر الله به أن يوصل إلى الأقارب ، من أنواع البر والإحسان .

العفة والعفاف : الكف غملاً لا يحل لك .

الأريسيين : اختلفوا في المراد بهم على أقوال : أصحابها وأشهرها أنهم الأكارون ، أي الفلاحون والزارعون ، ومعناه :

إن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك .

اللفظ : اختلاف الأصوات ، واختلاطها ، والمندّر من القول .

لقد أمر أمر ابن أبي كبشة : أي : كبر شأنه وعظم واتسع ، وكان المشركون ينسبون النبي ﷺ إلى أبي كبشة ، لأن

أبا كبشة الخزاعي ، واسمه وجر ، كان خالف قريشاً في عبادة الأوثان ، وعبد الشعري العبور ، وهو النجم

المعروف في نجوم السماء فلما خالفهم النبي ﷺ في عبادة الأصنام شبهوه به ، وقيل : كان جد جد النبي ﷺ لأنه ،

أرادوا : أنه نزع إليه في الشبه .

(١) آل عمران : ٦٤ .

مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ ، فَازَلْتُ مُوقِنًا بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ سَيُظْهِرُ ، حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ .

قال الزهري : فدعا هِرَقْلُ عظماءَ الروم ، فجمعهم في دارٍ له ، فقال : يا معشر الروم ، هل لكم في الفلاح والرُّشدِ آخرَ الأبد ، وأن يثبت لكم مُلككم ؟ قال : فحاصوا حَيَصَةَ حُمُرِ الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غَلِقَتْ ، فقال : عَلَيَّ بِهِمْ ، فدعا بهم ، فقال : إني إنما اختبرتُ شِدَّتكم على دينكم ، فقد رأيت منكم الذي أحببتُ ، فسجدوا له ورضوا عنه .

وللبخاري في رواية ^(١) أخرى نحو حديث معمر ، وفيه : قال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ، ولا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آبائكم ، ويأمرنا بالصلاة ، والصدق ، والعفاف ، والصلة . وقال في الجواب أيضاً إعادة هذا الحديث . وفي أخرى ^(٢) : والله فازلْتُ ذليلاً مستيقناً بأن أمره سيظهر ، حتى أدخل الله قلبي الإسلام وأنا كاره .

وقال في رواية ^(٣) : وكان ابنُ الناطور - صاحبُ إيلياء وهرقل - سَقَفًا على نصارى الشام يُعَدِّثُ : أن هرقل حين قَدِمَ إيلياء أَصْبَحَ يوماً خبيثَ النفس ، فقال بعض بطارقته : قد استنكرنا هيئتَكَ ، قال ابن الناطور : وكان هرقل حزناً ، ينظر في النجوم ، فقال لهم حين سألوه : إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم مَلِكًا الحِثَّانِ قد ظهر ، فن يَخْتَتِنُ من هذه الأمة ؟ قالوا : ليس يَخْتَتِنُ إلا اليهود ، فلا يَهْمُنُكَ شأنهم ، واكتب إلى مدائن مُلْكِكَ فيقتلوا مَنْ فيهم من اليهود ، فبينما هم على أمرهم أتى هرقلُ برجل أرسل به مَلِكُ غَسَّانٍ يُخْبِرُ عن خبر رسول الله ﷺ ، فلما استخبره هرقلُ ، قال : اذهبوا ،

= بني الأصفر : بنو الأصفر : هم الروم ، سمو بذلك لما يعرض لألوانهم في الغالب من الصفرة .
حاصوا حَيَصَةَ : أي : نفروا نفرةً ، وجالوا جَوْلَةً ، وهو من الحَيْص : المهرب ، والملجأ ، والليل من جهة إلى أخرى .
الحزاء والحازي : الذي يحزر الأشياء ويقدرها بظنه ، ويقال لحارص النخل : الحازي ، تقول منه : حَزَوْتُ الشيء أحزوه وأحزبه ، لغتان ، ويقال للذي ينظر في النجوم : حزاء ، من قيل هذا ، لأنه ينظر في النجوم وأحكامها بظنه وتقديره ، وربما أصاب .

(١) البخاري (١ / ٣٢) - ١ - كتاب بدء الوحي - ٦ - باب حدثنا أبو اليان

(٢) البخاري (٦ / ١١١) - ٥٦ - كتاب الجهاد - ١٠٢ - باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة .

(٣) البخاري (١ / ٣٢) - ١ - كتاب بدء الوحي - ٦ - باب حدثنا أبو اليان

فانظروا : أَمْخُتَتَيْنِ هو أم لا ؟ فنظروا إليه ، فحدّثوه أنه مَخْتَتِن ، وسأله عن العرب ؟ فقال : هم يَخْتَتِنُونَ ، فقال هرقل : هذا مَلِكُ هذه الأمة قد ظهر ، ثم كتب هرقلُ إلى صاحب له برومية - وكان نظيره في العلم - وسار هرقل إلى - حُص ، فلم يَرِمْ حِمَصَ حتى أتاه كتابُ من صاحبه ، يوافق رأيَ هرقل على خروج النبي ﷺ ، وأنه نبي ، فأذن هرقلُ لعظماء الروم في دَسَكِرَةٍ له بمص ثم أمر بأبوابها فغَلَقَتْ ، ثم اطلَّع فقال : يا معشر الرُّوم ، هل لكم في الفلاح والرشد ، وأن يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ ، فتبايعوا هذا النبي ؟ فحاصوا حَيْصَةَ حُمُرِ الوحش إلى الأبواب ، فوجدوها قد غَلَقَتْ ... ثم ذكر نحو ما في حديث معمرٍ إلى آخر هذا الفصل - ثم قال : فكان ذلك آخرَ شأن هرقل .

تعليقا على ما ذكره ابن سعد في طبقاته أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتما لمراسلة الملوك عندما أبلغ أن الملوك لا يقبلون رسالة غير مختومة . قال البوطي :

دل عمل رسول الله ﷺ هذا على مشروعية اتخاذ الخاتم ، وكان خاتمه ﷺ من فضة ، كما دل على مشروعية نقش اسم صاحبه عليه . وقد استدل كثير من العلماء بذلك على استحباب وضع خاتم من فضة في الأصبع التي كان ﷺ يضع خاتمه فيها ، وهي أصبع الخنصر .

أقول : وهذا أصل في مراعاة البروتوكول العالمي .

* * *

= فلم يَرِمْ : رام يرمي : إذا زال من مكانه ، ولم يرم من مكانه ، أي : لم يبرح .
الدُّسَكِرَة : واحدة الدساكر ، وهي القصور .

فوائد عامة من أحداث السنة السادسة

١ - حسن التعامل مع النفس البشرية شرط النجاح في العمل السياسي أو العسكري أو التربوي أو التعليمي أو الإداري أو الإعلامي ، بل غمُّ ذلك على كل شيء في الحياة البشرية فن لا يحسن التعامل مع النفس البشرية ساقط حكماً في القيادة . والذين يحسنون التعامل مع النفس البشرية نوعان : فنوع يتعامل معها من خلال أهوائها وغرائزها وشهواتها وهؤلاء هم الأخسّ من القادة ، ونوع يحسن التعامل معها من خلال معرفتها وإدراك جوانب الخير فيها والارتقاء بهذه الجوانب ، ومحمد ﷺ من بين هؤلاء هو المثل الأعلى ، فهو أكثر خلق الله إدراكاً للنفس ومعرفة بها ، وهو أكثر خلق الله معرفة بالتعامل مع النفوس في أي موطن ، وبذلك نجح في إيصال دعوته إلى القلوب ونجح في الانتقال بالأنفس من طور إلى طور على مستوى الأفراد وعلى مستوى الأمة ، وهذا شيء تلحظه في الصغيرة والكبيرة من تصرفاته ، ولقد مرّت معنا في أحداث هذه السنة أكثر من حادثة تعتبر نموذجاً على ما ذكرناه ، فحادثة ثُمَامَةَ بْنِ أُنَالٍ واستخراج الإيمان منه ، وحادثة إثارة الإبل في وجه سيد الأحابيش تعتبران نموذجين كاملين على ما ذكرناه ، ففي حادثة ثُمَامَةَ تجد طريقة من التعامل مع عدوٍّ شديد العداوة وتتحضّر عن إيمان وحبّ ، ومع أنّه عليه الصلاة والسلام في الظاهر لم يدّعه ولم يناقشه ، وحادثة إثارة البدن في وجه سيّد الأحابيش نقلت الأحابيش كلّهم من الضديّة إلى المعية دون أن يجري أيّ حوار ، إنك عندما تتأمّل حياته عليه الصلاة والسلام تجد من أبرز معانيها القدرة العليا على التعامل مع النفس البشرية ومن ثمّ نجح رسول الله ﷺ النجاح الذي لم يعرفه غيره إلا لما ، ولا غرابة فن جملة مهمّاته عليه الصلاة والسلام كما حدّدها القرآن :

﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ وكيف يستطيع تزكية من لا يعرف النفس البشرية ويحسن التعامل معها ، انظر كيف تعامل مع فتنة المنافقين يوم قال قائل يا للأنصار وقال الآخر ياللمهاجرين ، وكيف أنّه أنهى هذه الفتنة الكبيرة من خلال الحركة السريعة المباشرة المتقنة قَصَرَفَ الأذهان عمّا حدث .

إنّ حسن التعامل مع النفس البشرية يقتضي من صاحبه أن يتصرّف مع كل نفس بما

يناسب وضعها وبما يحقق مردوداً على الجماعة وبما ترتقي به هذه النفس وأن يتصرف القائد مع كل الناس التصرف المناسب للمقام بما يلائم الحال وبما تتقبله النفوس وبما يحقق مردوداً للأمة وبما يقرب من الهدف القريب والبعيد دنيا وأخرى فهذا شيء فوق الطاقة ، ولا أعرف أحداً في تاريخ هذا العالم وصل في هذا كله إلى بعض ما وصل فيه محمد رسول الله ﷺ وذلك من توفيق الله .

٢ - القادة قسمان : قسم لا يستشير وهذا مآله إلى الدمار أو التدمير ، وقسم يستشير وهؤلاء نوعان : نوع يستفيد من الشورى ، ونوع تضيعه الشورى ، فالذي يستفيد من الشورى هو الذي يستطيع أن يدرك بسرعة الرأي الصحيح فيأخذ به ويرجحه من أين أتى هذا الرأي ، أما النوع الآخر فهؤلاء تتجاذبهم الآراء ذات البين وذات الشال ، وكثيراً ما يفرطون وكثيراً ما تذهب أوقاتهم سدى وكثيراً ما يتبنون الرأي الأضعف . أما رسول الله ﷺ فلقد كان أكثر الناس استشارة - هذا مع أنه يوحى إليه - وفي الوقت نفسه كان أكثر خلق الله إدراكاً لسلامة الرأي ، وأكثر خلق الله مسارعة للأخذ بالرأي الراجح ولعل موقفه من رأى أم سلمة يوم الحديبية يمثل هذا الجانب الذي ذكرناه ، ولكنه ليس موقفاً يتياً ، فوقفه من رأى الحباب بن المنذر يوم بدر ، وموقفه من اقتراح سلمان يوم الخندق كل ذلك نماذج على ما ذكرناه .

٣ - يكثر الكلام في عصرنا على الاستراتيجية والتكتيك ، والمراد بالاستراتيجية الموقف الأحكم في قضية ما على ضوء النظرة الشاملة والبعيدة المدى ، والمراد بالتكتيك الحركة الآتية التي تناسب المقام ، والقائد الناجح هو الذي يدرك الموقف الاستراتيجي الأجود ويتحرك حركة آتية مناسبة على ضوء ذلك ومن فاته إدراك الموقف الاستراتيجي الأحكم أو التكتيك المناسب الأسلم في موقف ما خسر أو فشل ، وكثيراً ما يسقط قادة في التكتيك ، أو في الاستراتيجية ، وبعض القادة تطريهم النجاحات الجزئية فيسقطون في النهاية لتفضيلهم ما هو تكتيكي على ما هو استراتيجي ، ومحمد ﷺ - من بين القادة - كان أعظم الخلق على الإطلاق في الرؤية الشاملة البعيدة المدى وكان أعظم خلق الله في الإدارة الناجحة والحركة الصحيحة في كل موقف ، وصلح الحديبية والتحرك قبله وبعده يعطيك نموذجاً على ذلك ، فلقد مهد

لهذا الصلح وتجنّب الصدام المباشر مع خالد وغيره قبله وتنازل لقريش حتى أرضاها فيما ظاهره ضعف وباطنه قوّة ، وبما أنهى قريشاً من الناحية الاستراتيجية وأعطاه مركز القيادة إلى الأبد ، ذلك بعض مظاهر الكمال في شخصيته عليه الصلاة والسلام وكيف لا يكون كذلك وهو رسول الله ﷺ الخاتم .

٤ - نلاحظ أنّ رسول الله ﷺ قد أمضى صلح الحديبية على كره من أصحابه فهل هذا دليل لمن يقول بعدم إلزاميّة الشورى ؟ والذي نقوله في هذا المقام ما يلي :

لقد استشار رسول الله ﷺ أصحابه في الطريق في تثبيت الأحاييش فلما أشار أبو بكر عليه بألا يفعل ترك ذلك ، فهناك طرح الأمر على الشورى ونزل على رأي مستشاره الأوّل ، لكن نلاحظ أنّه في صلح الحديبية فاض وأمضى الأمر ولم يطرح المسألة على الشورى أصلاً فما السبب في ذلك ؟ الأمر يدور عندنا على ثلاثة محامل :

المحمل الأوّل : أنّ ذلك كان بوحى وعندئذ فلا محلّ للشورى . وفي النصوص ما يشير إلى هذا من مثل (إني عبد الله لن أعصيه) . وقد تكون المسألة من باب الفهم عن الله دون وحي ، ويشير إلى مثل هذا فهمه عليه الصلاة والسلام لبروك ناقتة وأنّه حبسها حابس الفيل ، وتعليقه على ذلك أنّه لن تدعوه قريش إلى أمر تعظم فيه حرّمات الله إلا فعل .

المحمل الثاني : أنّه أراد رسول الله ﷺ أن يفهم الأمتة أنّ هناك حالات ينبغي أن يعطى الإمام فيها فرصة البتّ في الأمور ، وعلى هذا فعلى الأمتة أن تستخرج من مجموع أفعاله وأقواله عليه الصلاة والسلام صلاحيّات الإمام ، ومتى تُلزِمُه الشورى ومتى لا تلزمه ، إنّ التفاوض مع العدو له أحكامه ، فإن يُظهر القائد التردد ، أو أن يظهر في كل لحظة أنّه بحاجة إلى استشارة خاصة والقائد هو رسول الله الذي يدعوهم إلى الإيمان بنبوته ، كل ذلك له وزنه في فهم هذه الحادثة .

المحمل الثالث : أنّ الأمتة الإسلاميّة وقتذاك في طور التأسيس والصحابة كلّهم في حجر التربية ونحن نرى أنّه ما دامت الجماعات الإسلاميّة في طور التأسيس ، والأفراد في حجر

التربية ؛ فالشورى وقتذاك معمة لا ملزمة كما ذكرنا ذلك في كتابنا : (دروس في العمل الإسلامي) وبعد هذا تقول :

لا أرى أخطر على حاضر الإسلام ومستقبله من الفكرة التي تقول بعدم إلزامية الشورى دون تفصيل ، بل إنني أقول : إن المسلمين لم يؤثروا خلال تاريخهم إلا من هذه الفكرة ، فبسبب هذه الفكرة انتقلت الأمة الإسلامية من خلافة راشدة إلى ملك عضوض ، ومن توزيع عادل للأموال إلى تبيد للثروات في غير ما حق ، ومن أنظمة تُرضي الله ورسوله والمؤمنين إلى أنظمة يلعنها الله ورسوله والمؤمنون . إنه لابد من تقعيد لتنفيذ أمر الله ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ ^(١) وأمرهم شورى بينهم ﴾ ^(٢) سواء لمرحلة ما قبل الحكم أو للحكم ، وعلى ضوء ما يتفق عليه أهل الإسلام يكون السير .

إن هذا وحده هو الذي يسع عصرنا ، ويسع العاملين للإسلام ، نجد عشرة من الناس يلتقون على أمير ، وشوراهم لأمرهم غير ملزمة ، وآراء هؤلاء الأمراء متناقضة ، فكيف يتحد المسلمون ؟ وإذا اتحد المسلمون فهل يتحدون على مبادئ وقواعد ؟ أو يتحدون على شخص ؟ وإذا اتحدوا على شخص وليس بيده سلطة تنفيذية فهل آراؤه وحدها تسعهم إذا كانت الشورى غير ملزمة ؟ وإذا وصل الإسلاميون إلى الحكم فهل الأمر يناط بشخص بلا قيد ولا شرط ؟ أو أن الأمر يحتاج إلى ضوابط وقواعد ؟ إن الذين يقولون بعدم إلزامية الشورى يضعون الأمة الإسلامية - وهي الآن في أخطر مرحلة - في إطار قدرات الأفراد وأمرجتهم ؟ فأى سير للإسلام والمسلمين في عصرنا المعقد إذا ما سير على مثل هذا الاجتهاد ؟ ! .

تري هل يصل واحد من الناس الآن إلى مثل فضل معاوية بن أبي سفيان وهو صحابي ؟ ومع ذلك جعل ابنه يزيد خليفة للمسلمين ، من الذي يضمن مادامت الشورى غير ملزمة أن يتصرف أمير مثل هذه التصرفات ؟ ويا مسلمون اسمعوا وأطيعوا .

٥ - عندما يتهاون فريقان فهناك ثلاث صور :

(١) آل عمران : ١٥٩ .

(٢) الشورى : ٣٨ .

الصورة الأولى : أن يكون لكل من الفريقين دعوة ورسالة .

الصورة الثانية : أن يكون لأحد الفريقين دعوة ورسالة وفكرة .

الصورة الثالثة : ألا يكون لكل من الفريقين دعوة ورسالة .

في الصورة الأولى : الفكر الأقوى هو الذي سينتصر إذا أُتيح له دعاء متحمسون أقوياء ، وفي الصورة الثانية أصحاب الدعوة هم الراجحون إذا عملوا ، وفي الصورة الثالثة : يتساوى الربح والخسارة عند الطرفين إذا تعادلوا باليقظة والسهر . من هنا نقول : إنَّ يوم الحديبية كان ربما كَلَّه ؛ لأنَّه كان هدنة بين أصحاب دعوة ورسالة وبين ناس ورثوا معاني وألفوها ، ولذلك فإنَّ الصف الإسلامي كان يتنامى على حساب الصف الآخر ومن هنا نرى أنَّ أعداد المسلمين تضاعفت مرَّات بعد صلح الحديبية ، وكل ذلك كان على حساب الصف الآخر ، وهذه قضية ندر من يفتن لها ، بل الغفلة عنها كانت عاملا من عوامل انحسار الإسلام في عصرنا ، فلقد وَجِدَتْ على الأرض الإسلامية دعوات باطلة ، في وقت خبت فيه روح الدعوة عند المسلمين وسكت المسلمون على هذه الدعوات وهادنتها حكومات فكان أن سجَّلت كثير من هذه الدعوات انتصاراتٍ على الأرض الإسلاميَّة وقد ورثنا نحن ذلك والله المستعان .

أمَّا رسول الله ﷺ فذلك شأن آخر بآبي هو وأمي .

٦ - من وجهة النظر السياسيَّة كان صلح الحديبية اعترافا من مكة بدولة المدينة ، واعترافاً من قريش بسلطان رسول الله ﷺ ، وقد أتبع رسول الله ﷺ هذا الأمر مباشرة إرساله الرسائل للملوك والأمراء فحقق بهذا أكثر من هدف : دعا هؤلاء إلى الله وهذا هو الهدف الأكبر ، أشعر من لم يشعر من هؤلاء بوجوده ، ليفكروا بتحديد موقف من الدين الجديد والدولة الناشئة ، وضع أساساً للحركة السياسية والعسكرية المقبلتين في حياته أو بعد وفاته عليه الصلاة والسلام ، أخرج الدعوة من إطارها العربي إلى إطارها العالمي .

٧ - ليس هناك من واجب على الحاكم يعدل واجب توفير الأمن للمواطن على عرضه وماله وحياته ، ومن عرف جزيرة العرب في الجاهليَّة وطبيعة بداوتها وقسوة الحياة فيها

أدرك أنّ فكرة الأمن المعروفة تكاد تكون معدومة ، ولكن انظر إلى الدولة التي أقامها رسول الله ﷺ كيف أنّها استطاعت أن تحقّق أكبر قدر ممكن من الأمن بأقصر فترة متصورة فأصبحت حوادث القتل داخل المجتمع الإسلامي قليلة ، والمعاهدون محيين ماداموا لا يخلون بعهدهم ثمّ إن أي خطر خارجي كان يرد عليه بسرعة وأي إخلال داخلي بالأمن كان يعامل بحزم وكان لا يسكت على غدر ، وفي أحداث هذه السنة نجد حادثتين بارزتين تعتبران نموذجاً على بعض ما ذكرناه ، معاملته عليه الصلاة والسلام للعزنيين الذين قتلوا راعيهم وسملوا عينيه وسلبوا الأموال ، واسترجاع ما أخذته بنو قزارة في هجومها على سرح المدينة . لقد كان المجتمع المدني يتوسّع كثيراً ؛ لأنّ الهجرة كانت مفروضة على كلّ من أسلم ، ومع ذلك فكّم هي حوادث الإخلال بالأمن التي حدثت داخل هذا المجتمع ؟ إنّها لقليلة جداً وذلك كلّه أثر من آثار السياسة النبوية التي قللت دوافع الجريمة ووسعت حوافز الفضيلة واجتبع فيها حزم القانون وعدالة القضاء ، وحزم الحاكم وهدى النبوة .

* * *

تقويم الموقف في نهاية السنة السادسة

بالصلح بين رسول الله ﷺ وبين قريش لم يعد هناك رأس يتجمّع حوله المشركون جميعاً وبذلك ماتت إلى الأبد فكرة أن تتجمّع الجزيرة العربية ضد رسول الله ﷺ ، وهكذا أصبح رسول الله ﷺ أمام وضع يعطيه فرصاً في الحرب وفي السلم ، في الدعوة داخل الجزيرة العربية وخارجها ، ولم يكن الأمر يحتاج إلى تفكير كثير لاستثمار هذا الوضع فالوحي يتنزل ويسدد ويرشد ، ورسول الله ﷺ هو القائد ولقد تحرك رسول الله ﷺ سلماً وحرباً ، وكان من آثار ذلك العجب الكبير :

خلال فترة وجيزة كسبت الدعوة أضعافاً مضاعفة ، فقد خرج رسول الله ﷺ يوم الحديبية بألف وخمسمائة بينما انطلق إلى مكة عام الفتح بعشرة آلاف ، وفي السنة السابعة أنهى الكيان السياسي لليهود إنهاءً تاماً في جزيرة العرب . ليست هناك لحظة تمر إلا بعمل هادف .

فإلى أحداث السنة السابعة .

* * *

السَّنة السَّابِعَةُ لِلْهَجْرَةِ

أهم أحداث هذه السنة في سطور

* في المحرم وصفر من السنة السابعة تُمَّتْ غزوتنا خيبر ووادي القرى ، فسقطت بذلك آخر معاقل يهود في الجزيرة العربية بعد أن استسلم يهود تيماء ودخلوا في صلح مع رسول الله ﷺ .

* وفي هذه السنة قدم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من مهاجري الحبشة وبعض الأشعرين الذين كانوا معه وكان ذلك على إثر فتح خيبر كما تزوج رسول الله ﷺ من صفية بنت حيي رضي الله عنها ، وعلى إثر خيبر حاولت اليهودية زينب بنت الحارث أن تسبّه ﷺ ولكن الله عصمه .

* وفي صفر سنة سبع للهجرة أرسل رسول الله ﷺ أبان بن سعيد بن العاص في سرية إلى نجد لإرهاب أعرابها فلا يفكرون في غزو المدينة وهو يصارع اليهود في خيبر ووادي القرى .

* وفي شهر ربيع الأول غزا رسول الله ﷺ نجدا ولقي جمعا من غطفان فتوافقوا ولم يكن بينهم قتال ، وهي الغزوة التي لَفَّ بها بعض الصحابة على أرجلهم الخرق عندما تقبت فاختلفت بغزوة ذات الرقاع التي كانت سنة أربع ، فلنسم هذه غزوة الرقاع وتلك غزوة ذات الرقاع .

* وفي صفر أو ربيع الأول أرسل رسول الله ﷺ سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني المُلَوَّح بقرية .

* وفي جمادى الأولى لسنة سبع أسلم باذان عامل كسرى على الين بعد أن قتل شيرويه ابن كسرى أباه وأخبر بذلك رسول الله ﷺ رسولي باذان في اليوم التالي فكانت معجزة أسلم بسببها باذان ومن معه من أهل فارس في الين .

* وفي هذه السنة أرسل رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى حِمْيَر وراء وادي القرى في خمسمائة رجل فشنّ زيد الغارة على جَذَام التي سلبت دحية بن خليفة الكلبي رسول رسول

الله ﷺ إلى هرقل فقتل فيهم زيد قتلا ذريعا

* ومن سرايا هذا العام :

- سرية عمر بن الخطاب إلى ثربة في شعبان سنة ٧ هـ . ومعه ثلاثون رجلا كانوا يسيرون الليل ويستخفون في النهار ، وأتى الخبر إلى هوازن فهربوا ، وجاء عمر إلى محالهم فلم يلق أحدا فانصرف راجعا إلى المدينة .

- سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى بني مرة بناحية فدك في شعبان سنة ٧ هـ في ثلاثين رجلا . خرج إليهم واستاق الشاء والنعم ، ثم رجع فأدركه الطلب عند الليل ، فرموا بالنبل حتى فني نبل بشير وأصحابه ، فقتلوا جميعاً إلا بشير فإنه ارتث إلى فدك ، فأقام عند يهود ، حتى برأت جراحه ، فرجع إلى المدينة .

- سرية غالب بن عبد الله الليثي في رمضان سنة ٧ هـ إلى بني عوال ، وبني عبد بن ثعلبة بالميفعة ، وقيل إلى الحرقات من جهينة في مائة وثلاثين رجلا ، فهجموا عليهم جميعاً ، وقتلوا من أشرف لهم ، واستاقوا نعا وشاء ، وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد نيك بن مرادس بعد أن قال : لا إله إلا الله . فقال النبي ﷺ « هلاً شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب ؟ » .

- سرية عبد الله بن رواحة إلى خيبر في شوال سنة ٧ هـ في ثلاثين راكبا . وذلك أن أسير أو بشير بن زارم كان يجمع غطفان لغزو المسلمين ، فأخرجوا أسيرا في ثلاثين من أصحابه ، وأطمعوه أن الرسول ﷺ يستعمله على خيبر ، فلما كانوا بقرقرة ثبار وقع بين الفريقين سوء ظن أفضى إلى قتل أسير وأصحابه الثلاثين .

- سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى يمن وجبار (بالفتح ، أرض لغطفان وقيل لفزارة وعذرة) في شوال سنة ٧ هـ في ثلاثمائة من المسلمين ، للقاء جمع كبير تجمعوا للإغارة على أطراف المدينة ، فساروا الليل وكنوا النهار ، فلما بلغهم مسير بشير هربوا ، وأصاب بشير نعا كثيرة ، وأسر رجلين ، فقدم بهما إلى المدينة ، إلى رسول الله ﷺ فأسلما .

- سرية أبي حذرد الأسلمي إلى الغابة ، ذكرها ابن القيم في سرايا السنة السابعة قبل عمرة

القضاء ، وملخصها أن رجلاً من جُثَم بن معاوية أقبل في عدد كبير إلى الغابة ، يريد أن يجمع قيساً على محاربة المسلمين . فبعث رسول الله ﷺ أباً حدرد مع رجلين فاختر أبو حدرد خطة حربية حكيمة ، وهزم العدو هزيمة منكراً ، واستاق الكثير من الإبل والغنم .

* ولما أهلّ هلال ذي القعدة خرج رسول الله ﷺ لعمرة القضاء في ألفين من أصحابه سوى النساء والصبيان ، وقد خرج معه كل من شهد الحديبية إلا من استشهد ، وفي هذه العمرة تزوج رسول الله ﷺ بمهونة بنت الحارث العامرية رضي الله عنها .

* وفي ذي الحجة من سنة سبع أرسل رسول الله ﷺ ابن أبي العوجاء في سرية قوامها خمسون رجلاً إلى بني سُلَيم ليدعوهم إلى الإسلام فقالوا : لا حاجة لنا إلى ما دعوتنا ثم قاتلوا قتالاً شديداً جرح فيه ابن أبي العوجاء وأسر رجلان من العدو .

* ومن أحداث هذه السنة رده عليه الصلاة والسلام ابنته زينب على زوجها أبي العاص ابن الربيع بعدما أسلم .

وكعادتنا في هذا القسم نذكر فيه ما هو ألصق بما اصطلاح على تسميته بالسيرة النبوية ونركز على ما ورد فيه قرآن أو ما ورد له ذكر في أصول هذا الكتاب أو ما اشتهر من أحداث السيرة بحيث لا يلقى بالكتاب ألا يعرج عليه ، ولقد أشير في القرآن إلى غزوة خيبر وعمرة القضاء وإلى حادثة أسامة فنحن عاقدون لهذه ثلاثة فصول ، وقد ذكرت في أصولنا غزوة الرقاع وقدم جعفر وسرية أبان بن سعيد ونحن عاقدون لكل منها فصلاً على تسلسل وقوعها :

فصل : : في سرية أبان بن سعيد إلى خيبر .

فصل : في غزوة خيبر .

فصل : في غزوة الرقاع .

فصل : في سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوّح .

فصل : في عمرة القضاء .

ولنلق قبل البدء نظرة كليّة على أحداث هذه السنة :

بعد صلح الحديبية أمن الرسول ﷺ أمنا مباشرا من قريش ومن دخل معها في هذا الصلح ، وأمن بالتالي من أن تجتمع عليه الجزيرة العربية كلّها مرّة ثانية ، ولم يعد هناك ما يمكن أن يشكّل تهديدا مباشرا للدولة إلا جهة واحدة وهي جهة الشمال ، ففي هذه الجهة أربع تجمعات لليهود في خيبر ووادي القرى وفدك وتيما ، وهذه التجمعات متّصلة اتّصالاً مباشراً بعدد من القبائل العربيّة أهمّها غطفان ، فلو أنّها اتّحدت لشكلت خطرا أمّا من عدا هؤلاء وإلى دائرة واسعة حول المدينة المنورة فلا خطر فهناك قبائل متفرقة لا تُفكّر إلا في السلب والنهب وكانت سياسة الرسول مع هذه القبائل تقوم على إشعارها بالحركة المستمرة من خلال البعوث والسرايا ، وهذه البعوث والسرايا كانت تحقق هدفين : إشعار هؤلاء بالإسلام ليفكّروا ، وتثبيتهم حتّى لا يهاجموا ، وتحركات رسول الله ﷺ وصلت في هذا العام إلى الطائف (تربة) وإلى نجد (غزوة الرقاع) ، أمّا خيبر ووادي القرى وفدك وتيما فقد قرر السيطرة عليها وكانت خطّته ألا يعطيها فرصة التجمّع مع غطفان وقد نجح في إنهاء خيبر ولم تستطع غطفان أن تفعل شيئا ثمّ ذابت بعد ذلك في الإسلام .

وهكذا أصبحت دائرة أمن المدينة ممتدة غربا حتّى الساحل وجنوبا حتّى الطائف وشمالاً حتّى حدود الشام وشرقا حتّى حدود نجد ، وأمّا الدائرة التي تلي هذا فقد اخترقتها الدعوة الإسلاميّة السامية بواسطة الرسائل والدعاة فأصبح قسم كبير من الخليج مسلما وقسم كبير من اليمن مسلما ، وبقيت جهات كثيرة تفكر وتنتظر ، وكلّ يوم يأتي كان يديها من الإسلام والطاعة والانتقياد ، وجاءت ضربة خيبر فأزالت الكثير من التردد ، ثم جاء فتح مكة في السنة الثامنة منه فكانت الضربة النهائية .

* * *

فصل : في سرية أبان بن سعيد إلى خيبر

٥٢٧ - * روى البخاري وأبو داود عن عنبسة بن سعيد أن أبا هريرة رضي الله عنه أتي النبي ﷺ فسأله ، قال له بعض بني سعيد بن العاص : لا تُعطيه ، فقال أبو هريرة : هذا قاتلُ ابنِ قوِقل ، فقال : واعجباً لو برّ تدلّى من قدوم الضأن .

وفي رواية (١) : « أن أبان بن سعيد أقبلَ إلى النبي ﷺ فسلمَ عليه ، فقال أبو هريرة : يا رسولَ الله ، هذا قاتلُ ابنِ قوِقل . وقال أبان لأبي هريرة : واعجباً لك وبرز تدأداً من قدوم ضأن ، ينمى عليّ امرءاً أكرمه الله بيدي ، ومنعه أن يهينني بيده .

قال البخاري (٢) ويذكر عن الزبيدي عن الزهري قال : أخبرني عنبسة بن سعيد أنه سمع أبا هريرة يخبر سعيد بن العاص قال: بعث رسولُ الله ﷺ أبانَ على سرية من المدينة قبلَ نجد ، قال أبو هريرة : فقدم أبانُ وأصحابه على النبي ﷺ بخير بعدما افتتحها وإن حُرِّمَ خيلهم لليف . قال أبو هريرة : قلت يا رسول الله ، لا تقسم لهم . قال أبان : وأنت بهذا ياوثر تحذر من رأس ضأن . فقال النبي ﷺ : « يا أبانُ اجلس » فلم يقسم لهم .

قال في الفتح : وأما أبان فهو ابن سعيد بن العاص بن أمية ، وهو عم سعيد بن العاص الذي حدثه أبو هريرة ، وكان إسلام أبان بعد غزوة الحديبية ، وقد ذكرنا أولاً في قصة

٥٢٧ - البخاري (٧ / ٤٩١) - ٦٤ - كتاب المغازي - ٢٨ - باب غزوة خيبر .

وأبو داود (٣ / ٧٣) كتاب الجهاد - باب فحين جاء بعد الغنجة لاسهم له .

هذه رواية البخاري وأبي داود ، إلا أن أبا داود قال في الروايتين : « قدوم ضال » .

لو برّ تدلّى من قدوم ضال : تدلّى : تعلّق من فوق إلى أسفل ، والقدوم : ما تقدّم من الشاة ، وهو رأسها ، وقائمة الرجل : خلاف آخرته ، وإنما أراد احتقاره ، وصغر قدره عنده ، وأنه مثل الوثر الذي يتدلّى من رأس الضأن ، يعني : الشاة ، في قلة المنفعة والمبالاة .

(١) البخاري (٧ / ٤٩١) .

في الرواية الأخرى « تدأداً » إن كانت صحيحة ، فنرى : أنها من الديداء : وهو أشدّ غدو البعير ، يقال : دأداً وتدأداً دأداةً وديداءً .

وقال الخطابي : (الوبر) : جمع وبرة ، وهي دويبة في مقدار الشثور أو نحوه .

(٢) البخاري (٧ / ٤٩١) .

قوله : « وأنت بهذا » كلام فيه اختصار وإضمار ، معناه : وأنت للتكلم بهذه الكلمة .

و « ضال » باللام : جبل أو موضع فيما يقال ، يريد بهذا الكلام : تصغير شأنه ، وتوهين أمره .

الحديبية في الشروط وغيرها أن أبان هذا أجار عثمان بن عفان في الحديبية حتى دخل مكة وبلغ رسالة رسول الله ﷺ ، وتقدم في هذه الغزوة أن غزوة خيبر كانت عقب الرجوع من الحديبية ، فيشعر ذلك بأن أبان أسلم عقب الحديبية حتى أمكن أن يبعثه النبي ﷺ في سرية ، وقد ذكر الهيثم بن علي في الأخبار سبب إسلام أبان ، فروى من طريق سعيد بن العاص قال : قتل أبي يوم بدر ، فرباني عمي أبان ، وكان شديداً على النبي ﷺ يسبه إذا ذكر ، فخرج إلى الشام فرجع فلم يسبه ، فسئل عن ذلك ، فذكر أنه لقي راهباً فأخبره بصفته ونعته ، فوقع في قلبه تصديقه ، فلم يلبث أن خرج إلى المدينة فأسلم ، فإن كان هذا ثابتاً احتمل أن يكون خروج أبان إلى الشام كان قبل الحديبية .

قليل وقع في إحدى الطريقتين ما يدخل في قسم المقلوب ، فإن في رواية ابن عيينة أن أبا هريرة السائل أن يقسم له ، وأن أبان هو الذي أشار بمنعه . وفي رواية الزبيدي أن أبان هو الذي سأل ، وأن أبا هريرة هو الذي أشار بمنعه ، وقد رجح الذهلي رواية الزبيدي . ويؤيد ذلك وقوع التصريح في روايته بقول النبي ﷺ يا أبان اجلس . ولم يقسم لهم ، ويحتمل أن يجمع بينهما بأن يكون كل من أبان وأبي هريرة أشار أن لا يقسم للآخر ، ويدل عليه أن أبا هريرة احتج على أبان بأنه قاتل ابن قوطل ، وأبان احتج على أبي هريرة بأنه ليس ممن له في الحرب يد يستحق بها النفل ، فلا يكون فيه قلب ، وقد سلمت رواية السعيد من هذا الاختلاف ، فإنه لم يتعرض في حديثه لسؤال القسمة أصلاً . والله أعلم . ا . هـ فتح .

فائدة : الذي يبدو لي أن هذه السريّة كانت للفت الأنظار عن غزوة خيبر ، وتثبيت بعض القبائل التي يحتمل أن تمتد خيبر ، فقد ورد في ابن هشام عن ابن إسحاق :

فبلغني أن غطفان لما سمعت بمثزل رسول الله ﷺ من خيبر جمعوا له ، ثم خرجوا ليظَاهروا يهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلة - مرحلة - سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حساً ، وظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ، فأقاموا في أهلهم وأموالهم ، وخلّوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر .

فصل : في غزوة خيبر ووادي القرى

تقديم :

- في شمال المدينة المنورة وفي الطريق إلى الشام تقع خيبر وفدك ووادي القرى وتيماء وهي مناطق خصبة وتتشابه هذه المناطق الأربعة بصلات واسعة مع بدو المنطقة غطفان .
- ولو أن الرسول ﷺ سيطر على هذه المنطقة لترتب على ذلك أن تتوسع دائرة نفوذ الدولة ويصبح الطريق إلى الشام مفتوحاً ويقوى اقتصاد الدولة الناشئة ويسقط السلطان السياسي لمركز من مراكز التجمع ، وينتهي احتمال من احتمالات خطر التألب .

- ولكنّ الخصوم أقوياء والحصون كثيرة فهناك ثمانية حصون رئيسية في منطقة خيبر وحدها ومع ذلك فقد سيطر رسول الله ﷺ على خيبر وفدك ووادي القرى وتيماء وأنهى أيّ تطّلع عند القبائل للإمداد فدخلت في سلطانه بعد ذلك . وكانت خسائره في هذا كلّ على أعلى تقدير ثلاثة وعشرين شهيداً ، وكانت وسائله في ذلك إحكام الخطّة والسريّة والمفاجأة ، فلقد ثبت القبائل فلا تمّدّ خيبر من خلال عمليّات بسيطة أشعر بها هذه القبائل أنّها مستهدفة وأنّ غزوة متّجهة إليها فقطع بذلك الإمداد وفاجأ خيبر دون أن يعطيها فرصة فلمّا انتهت انتهى كلّ شيء تقريباً ، وخيبر هذه سمّها منطقة أو مقاطعة أو بلداً ، لكنّها في كل الأحوال تتألف من مجموعة حصون وقلاع .

قال المباركفوري :

وكانت خيبر منقسمة إلى شطرين ، شطر فيها خمسة حصون :

١ - حصن ناعم .

٢ - حصن الصعب بن معاذ .

٣ - حصن قلعة الزبير .

٤ - حصن أبي .

٥ - حصن النزار .

والحصون الثلاثة الأولى تقع في منطقة يقال لها النطاة ، وأما الحصنان الآخران فيقعان في منطقة تسمى بالشق .

أما الشطر الثاني ، ويعرف بالكتيبة . ففيه ثلاثة حصون فقط :

١ - حصن القموص (كان حصن بني أبي الحقيق من بني النضير) .

٢ - حصن الوطيج .

٣ - حصن السّلام .

وفي خيبر حصون وقلاع غير هذه الثانية ، إلا أنها كانت صغيرة لا تبلغ إلى درجة هذه القلاع في مناعتها وقوتها . أ هـ .

وقد افتتح رسول الله ﷺ هذه المنطقة كلها مع وادي القرى بأبسط جهد وأقلّ خسارة . قال المباركفوري :

وجملة من استشهد من المسلمين في معارك خيبر ستة عشر رجلا ، أربعة من قريش وواحد من أشجع ، وواحد من أسلم ، وواحد من أهل خيبر ، والباقيون من الأنصار .

ويقال : إن شهداء المسلمين في المعارك ١٨ رجلا وذكر العلامة المباركفوري ١٩ رجلاً ثم قال : إني وجدت بعد التفحص ٢٣ اسما ، واحد منها في الطبري فقط ، وواحد عند الواقدي فقط ، وواحد مات لأجل أكل الشاة المسمومة وواحد اختلفوا هل قتل في بدر أو خيبر ، والصحيح أنه قتل في بدر .

أما قتلى اليهود فمدهم ثلاثة وتسعون قتيلا . أ هـ .

وفي ذلك درس للذين يقودون العمل الإسلامي أن يعرفوا كيف يحققون أعظم الأهداف من أقرب طريق وهاك خريطة تعينك على الرؤية البصيرة للحركة العسكرية بما فيها التحرك نحو خيبر ووادي القرى تقلا عن السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي .

٥٢٨ - * روى مسلم عن سلمة بن الأكوع بعد أن تحدث عن مطاردته لعبد الرحمن الفزاري قال : فَوَاللَّهِ ! مَا لَيْشْنَا إِلَّا ثَلَاثَ لَيَالٍ حَتَّى خَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : فَجَعَلَ عَمِي عَامِرٌ يَرْتَجِرُ بِالْقَوْمِ :

تَاللَّهِ ! لَوْ لَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا فَجَبَّتِ الْأَقْدَامُ إِنْ لَاقَيْنَا
وَأَنْزَلُنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَنْ هَذَا ؟ » قَالَ : أَنَا عَامِرٌ . قَالَ : « غَفَرَ لَكَ رَبُّكَ » قَالَ : وَمَا اسْتَغْفَرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ يَخْصُهُ إِلَّا اسْتُشْهِدَ . قَالَ : فَنَادَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَهُوَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ! لَوْ لَا مَا مَنَعْتَنَا بِعَامِرٍ . قَالَ : فَلَمَّا قَدِمْنَا خَيْبَرَ قَالَ : خَرَجَ مَلِكُهُمْ مَرْحَبًا يَخْطِرُ بِسَيْفِهِ وَيَقُولُ :

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرَ أَنِّي مَرْحَبٌ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُجْرِبٌ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

قَالَ : وَبَرَزَ لَهُ عَمِي عَامِرٌ ، فَقَالَ :

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرَ أَنِّي عَامِرٌ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُعَامِرٌ
قَالَ : فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ . فَوَقَعَ سَيْفُ مَرْحَبٍ فِي ثَرَسِ عَامِرٍ . وَذَهَبَ عَامِرٌ يَسْفُلُ لَهُ .
فَرَجَعَ سَيْفُهُ عَلَى نَفْسِهِ . فَقَطَعَ أَكْحَلَهُ . فَكَانَتْ فِيهَا نَفْسُهُ .

٥٢٨ - مسلم (٣ / ١٤٤٠) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٤٥ - باب غزوة ذي قرد وغيرها .

فجعل عمي : هكذا قال : هنا : عمي . وقد سبق في حديث أبي الطاهر عن ابن وهب أنه قال : أخي . فلمعله كان أخاه من الرضاعة ، وكان عمه من النسب .

يخطر بسيفه : أي يرفعه مرة ويضعه أخرى . ومثله : خطر البعير بذنبه يخطر ، إذا رفعه مرة ووضعه أخرى .
شاكى السلاح : أي تام السلاح : يقال : شاكى السلاح ، وشاك السلاح ، وشاك في السلاح ، من الشوكة وهي القوة .
والشوكة أيضاً السلاح . ومنه قوله تعالى ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ .
بطل مجرب : أي مجرب بالشجاعة وقهر الفرسان ، والبطل الشجاع ، يقال بطل الرجل يبطل وبطولة إذا صار شجاعاً .

يسفل له : أي يضربه من أسفله .

قَالَ سَلَمَةُ : فَخَرَجْتُ فَإِذَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُونَ : بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ . قَتَلَ نَفْسَهُ . قَالَ : فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ ؟ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَنْ قَالَ ذَلِكَ ؟ » قَالَ قُلْتُ : نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِكَ . قَالَ : « كَذَبَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ ، بَلْ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ » . ثُمَّ أُرْسِلَنِي إِلَى عَلِيٍّ ، وَهُوَ أَرْمَدُ . فَقَالَ : « لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أَوْ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » قَالَ : فَأَتَيْتُ عَلِيًّا فَجِئْتُ بِهِ أَقْوَدَهُ ، وَهُوَ أَرْمَدُ . حَتَّى أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . فَبَسَقَ فِي عَيْنَيْهِ قَبْرًا وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ . وَخَرَجَ مَرْحَبًا فَقَالَ :

قَدْ عَلِمْتَ خَيْرَ أُنِي مَرْحَبٌ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُجَرَّبٌ
إِذَا الْحَرْوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فَقَالَ عَلِيٌّ :

أَنَا الَّذِي سَمَّنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ كَلَيْثُ غَابَاتِ كَرِيهِ الْمَنْظَرِ
أَوْفِيهِمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السُّدْرَةِ .
قَالَ : فَضَرَبَ رَأْسَ مَرْحَبٍ فَقَتَلَهُ . ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ .

قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات :

اختلفوا في قاتل مرحب ف قيل علي بن أبي طالب ، وقال ابن عبد البر في كتابه مختصر السيرة قال محمد بن إسحاق : إن محمد بن مسلمة هو الذي قتل مرحبا اليهودي بخير ، قال وخالفه غيره فقال بل قتله علي بن أبي طالب (قال ابن عبد البر) هذا هو الصحيح عندنا . ثم روى ذلك بإسناده عن بريدة وسلمة بن الأكوع ، (قال الشافعي) في المختصر : نفل النبي

كذب من قال : كذب ، هنا بمعنى أخطأ .

وهو أرمد : قال أهل اللغة : يقال رمد الإنسان يرمد رمدا فهو زمد وأرمد . إذا هاجت عينه . أنا الذي سميني أُمِّي حيدرة : حيدرة اسم للأسد . وكان علي رضي الله عنه قد سمي أسداً في أول ولادته . وكان مرحب قد رأى في المنام أن أسدا يقتله . فذكره علي رضي الله عنه بذلك ليخيفه ويضعف نفسه . وسمي الأسد حيدرة لفظه . والحادر الغليظ القوي . ومراده : أنا الأسد في جراته وإقدامه وقوته . أوفيههم بالصاع كيل السندرة : معناه أقتل الأعداء قتلا واسعا ذريعا . والسندرة مكيال واسع . وقيل : هي العجلة . أي أقتلهم عاجلا . وقيل : مأخوذ من السندرة : وهي شجرة الصنوبر يعمل منها النبل والقسي .

ﷺ يوم خيبر محمد بن مسلمة سلب مرحبا ذكره في أول باب جامع السير ، وهذا تصريح منه بأن قاتله محمد بن مسلمة ، (وقال ابن الأثير) الصحيح الذي عليه أكثر أهل السير والحديث أن عليا هو قاتله ، قال المصنف رحمه الله : قلت : وفي صحيح مسلم بإسناده عن مسلمة بن الأكوع التصريح بأن عليا هو الذي قتله انتهى ما ذكره النووي في التهذيب . أ هـ .

٥٢٩ - * روى البخاري عن سويد بن النعمان رضي الله عنه أنه خرج مع النبي ﷺ عام خيبر حتى إذا كنا بالصُّهباء - وهي أدنى خيبر - صلى العصر ، ثم دعا بالأزواد ، فلم يُؤْت إلا بالسويق ، فأمر به ، فثَرِي فأكل وأكلنا ، ثم قام إلى المغرب ، فمض مضضنا ، ثم صلى ولم يتوضأ .

٥٣٠ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أتى خيبر ليلاً ، وَكَانَ إِذَا أَتَى قَوْمًا يَلِيلُ لَمْ يَقْرُبْهُمْ حَتَّى يُصْبِحَ ، فلما أصبح خَرَجَتِ الْيَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ ، مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ » .

٥٣١ - * روى الإمام أحمد عن أبي طلحة قال : صَبَحَ نَبِي اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ وَقَدْ أَخَذُوا مَسَاحِيَهُمْ وَغَدَوْا إِلَى حُرُوثِهِمْ فَلَمَّا رَأَوْا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ الْجَيْشُ نَكَصُوا مُدْبِرِينَ . فَقَالَ نَبِي اللَّهِ ﷺ :
٥٢٩ - البخاري (٤٦٣ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٨ - باب : غزوة خيبر .
والنسائي (١٠٨ / ١) كتاب الطهارة - المضضة من السويق ، والموطأ (٢٦ / ١) .
لفرى : من ثرى : القرية تثريه بلها . وصَبَ عليه ماء ثم لَتَه أي دَقَه وسحقه .
٥٣٠ - البخاري (٤٦٧ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٨ - باب غزوة خيبر .
ومسلم (١٤٢٧ / ٢) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٤٣ - باب غزوة خيبر .
الخميس : الجيش الكبير .
٥٣١ - أحمد (٢٨ / ٤) .

وأورده الهيثمي في جمع الزوائد (١٤٩ / ٦) وقال : رواه أحمد والطبراني بأسانيد ، ورجال أحمد رجال الصحيح .
السعاة : المجرقة من الحديد ، والمكتل كالزنبيل يسع خمسة عشر صاعاً .
نكص : أحجم ورجع .
والحديث يدل على أن المفاجأة كانت كاملة .

ﷺ : « الله أكبر الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » .

٥٣٢ - * روى البخاري عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال : كنا محاصري خيبر ، فرمى إنسان بجراب فيه شحم ، فنزوت لأخذه ، فالتفت ، فإذا النبي ﷺ ، فاستحييت .

ولمسلم ^(١) قال : أصبت جراباً من شحم يوم خيبر ، قال : فالتزمته ، فقلت ، لا أعطي اليوم أحداً من هذا شيئاً ، فالتفت ، فإذا رسول الله ﷺ متبساً .

وفي رواية أبي داود والنسائي ^(٢) قال : ذلني جراب من شحم عمرو يوم خيبر ، فأتيت فالتزمته ، قال : ثم قلت ... وذكر رواية مسلم - وقال : يتبسم إلي .

٥٣٣ - * روى الإمام أحمد عن أبي اليسر كعب بن عمرو قال : والله إنا لنع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية ، إذ أقبلت غم لرجل من يهود تريد حصنهم ، ونحن محاصروهم ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رجل يطعمنا من هذه الغنم » قلت : أنا يا رسول الله ، قال : « فافعل » : فخرجت اشتد مثل الظليم ، فلما نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مولياً ، قال : « اللهم أمتعنا به » قال فأذرت الغنم وقد دخلت أوائلها الحصن ، فأخذت شاتين من أخراها فاحتضنتهما تحت يدي ، ثم أقبلت بهما أشد ، كأنه ليس معي شيء حتى ألقىتهما عند رسول الله ﷺ فذبحوهما وأكلوهما ، فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلاكاً ، فكان إذا حدث بهذا الحديث بكى ، ثم يقول : أمتعوا بي لعمرى كنت آخرهم .

٥٣٢ - البخاري (٧ / ٤٨١) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٨ - باب : غزوة خيبر .

فنزوت : النزو : الوثوب على الشيء .

(١) مسلم (٣ / ١٣٩٣) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٢٥ - باب جواز الأكل من طعام الغنية في دار الحرب .

(٢) أبو داود (٢ / ٦٥) كتاب الجهاد - باب في إباحة الطعام في أرض العدو .

والنسائي (٧ / ٢٢٦) كتاب الضحايا باب ذبائح اليهود .

٥٣٣ - أحمد (٣ / ٤٢٧) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٤٩) .

الظلم : ذكر النعام .

توفي أبو اليسر بالمدينة سنة خمس وخمسين وقد زاد على المائة .

٥٣٤ - * روى البخاري عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر ، فسرنا ليلاً ، فقال رجل من القوم لعامر يا عامر ألا تسبعنا من هنيئاتك ؟ وكان عامر رجلاً شاعراً ، فنزل يحدو بالقوم ، يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأغفر فداء لك ما اتقينا وثبت الأقدام إن لاقينا
والقين سكينه علينا إنا إذا صبح بنا أيننا
وبالصباح عولوا علينا

فقال رسول الله ﷺ : « من هذا السائق ؟ » قالوا : عامر بن الأكوع ، قال : « يرحمه الله » قال رجل من القوم : وجبت يا نبي الله ! لولا أمتعتنا به ! قال : فأتينا خيبر ، فحاصرناهم ، حتى أصابتنا مخمصة شديدة ، ثم إن الله تعالى فتحها عليهم ، فلما أمسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم أوقدوا نيراناً كثيرة ، فقال النبي ﷺ : « ما هذه النيران ؟ على أي شيء توقدون ؟ » قالوا : على لحم ، قال : « على أي لحم ؟ » قالوا : لحم حمير الإنسية فقال النبي ﷺ : « أهريقوها واكسروها » فقال رجل : يا رسول الله ، أوهريقها ونفسلها ؟ قال : « أو ذاك » فلما تصاف القوم كان سيف عامر فيه قصراً ، فتناول به ساق يهودي ليضربه ، ويرجع ذباب سيفه ، فأصاب عين ركة عامر فمات منه ، فلما قفلوا ، قال سلمة : رأيت رسول الله ﷺ وهو أخذ بيدي قال :

٥٣٤ - البخاري (٧ / ٤٦٢) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٨ - باب غزوة خيبر . ومسلم (٢ / ١٤٢٧) ٢٢ - كتاب الجهاد والسير - ٤٣ - باب غزوة خيبر .

هنيئاتك : هنيئاتك وهنيئاتك ، يعني : الأشياء التي تظهر منه مما يستغرب ويستظرف ويستحسن ويستهوى ونحو ذلك .

وجبت : قوله : وجبت ، أي وجبت الرحمة والمغفرة التي ترحم بها عليه ، يعني : أنه باستغفاره له وجبت له المغفرة ، وأنه يقتل شهيداً .

مخمصة : المخمصة : المجاعة .

ذباب : السيف : طرقة الذي يضرب به .

قفلوا : قفل المسافر : إذا رجع من سفره .

=

« مَالِك ؟ » قُلْتُ لَهُ : فَذَلِكَ أَبِي وَأُمِّي ، زَعَمُوا أَنَّ عَامِرًا حَبِطَ عَمَلُهُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كَذَبَ مَنْ قَالَهُ ، إِنَّ لَهُ لَأَجْرَيْنِ » وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ « إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ ، قُلْ عَرَبِي مَشَى بِهَا مِثْلَهُ » وَفِي رَوَايَةٍ : « نَشَأَ بِهَا » .

ولم يقل مسلم : « نشأ بها » .

ولمسلم ^(١) قَالَ سَلَمَةُ : لَمَّا كَانَ يَوْمَ خَيْبَرَ قَاتَلَ أَخِي قِتَالًا شَدِيدًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَارْتَدَّ عَلَيْهِ سَيْفُهُ فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ - وَشَكُّوا فِيهِ - رَجُلٌ مَاتَ فِي سِلَاحِهِ وَشَكُّوا فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ سَلَمَةُ : فَقَقِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ خَيْبَرَ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتُذَنُّ لِي أَنْ أُزَجَرَ بِكَ ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : أَعْلَمْ مَا تَقُولُ ، فَقُلْتُ :

وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْتُنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : صَدَقْتَ .

فَأَنْزِلُنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثُبَّتِ الْأَقْدَامُ إِنْ لَا قَيْنَا
وَالْمُشْرِكُونَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا

فَلَمَّا قُضِيَ رَجَزِي ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ قَالَ هَذَا ؟ » قُلْتُ : قَالَهُ أَخِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَرْحَمُهُ اللَّهُ » قَالَ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ نَاسًا لِيَهَابُونَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ، يَقُولُونَ : رَجُلٌ مَاتَ بِسِلَاحِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كَذَبُوا ، مَاتَ جَاهِدًا مُجَاهِدًا » .

قال ابن شهاب : ثم سألت ابناً لسلمة بن الأكوع ؟ فحدثني عن أبيه مثل ذلك ، غير أنه قال - حين قلت : إِنْ نَاسًا يَهَابُونَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كَذَبُوا ، مَاتَ

⁼ حَبِطَ : عمله ، أي : بطل ، وضاع أجره .

(١) مسلم (٣ / ١٤٢٩) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٤٢ - باب غزوة خيبر .

وقاله أخي : لعله أخوه من الرضاة وعمه من النسب .

جَاهِدًا : المُجَاهِدُ : المبالغ في الأمر الذي ينتهي إلى آخر ما يجِدُ ، والمجاهد : الغازي في سبيل الله تعالى .

يهابون الصلاة عليه : يعني الترحم .

جاهداً مجاهداً ، فله أجره مرتين ، وأشار بإصبعيه .

وأخرجه أبو داود ^(١) مُخْتَصَرًا قَالَ : لما كانَ يومَ خيبرَ قَاتَلَ أَخِي قِتَالًا شَدِيدًا ، فارتدَّ عَلَيْهِ سِيفُهُ فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ - وَشَكُّوا فِيهِ : رَجُلٌ مَاتَ بِسِلَاحِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَاتَ جَاهِدًا مُجَاهِدًا » .

قال ابن شهاب : ثم سألتُ ابنًا لسلمة بن الأكوع . وذكر باقي الحديث إلى آخره .

وأخرجه النسائي ^(٢) مثل رواية مسلم المفردة بطولها ، وزاد : وأشار بإصبعيه .

٥٣٥ - * روى البخاري عن يزيد بن أبي عبيد قَالَ : رَأَيْتُ أَثَرَ ضَرْبَةٍ فِي سَاقِ سَلْمَةَ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا مُسْلِمٍ ، مَا هَذِهِ الضَّرْبَةُ فَقَالَ : : هَذِهِ ضَرْبَةٌ أَصَابَتْهَا يَوْمَ خَيْبَرَ ، فَقَالَ النَّاسُ : أَصِيبَ سَلْمَةُ ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَتَفَثْتُ فِيهِ ثَلَاثَ تَفَثَاتٍ ، فَمَا اشْتَكَيْتُ حَتَّى السَّاعَةِ .

٥٣٦ - * روى الحاكم عن الأسود بن سريع رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ سَرِيَّةَ يَوْمَ خَيْبَرَ فَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ فَأَمْضَى بِهِمُ الْقَتْلُ إِلَى الذَّرِيَّةِ فَلَمَّا جَاءُوا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « مَا حَمَلَكُمْ عَلَى قَتْلِ الذَّرِيَّةِ » فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كَانُوا أَوْلَادَ الْمُشْرِكِينَ قَالَ : « وَهَلْ خِيَارُكُمْ إِلَّا أَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ نَسَمَةٍ تَوْلَدَ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ ، حَتَّى يُعَرَّبَ عَنْهَا لِسَانُهَا » .

٣٥٧ - * روى الإمام أحمد عن بُرَيْدَةَ قَالَ : حَاضَرُنَا خَيْبَرَ ، فَأَخَذَ اللَّوَاءُ أَبُو بَكْرٍ ، فَأَنْصَرَفَ وَلَمْ يَفْتَحْ لَهُ ، ثُمَّ أَخَذَهُ مِنَ الْقَدِ عُمَرُ ، فَخَرَجَ فَرَجَعَ وَلَمْ يَفْتَحْ لَهُ ، وَأَصَابَ النَّاسَ يَوْمَئِذٍ شِدَّةٌ وَجْهٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنِّي دَافِعُ اللَّوَاءَ غَدًا إِلَى رَجُلٍ يُحِبُّهُ اللَّهُ » .

(١) أبو داود (٢٠ / ٢) كتاب الجهاد ، باب في الرجل يموت بسلاحه .

(٢) النسائي (٣٠ / ٦) كتاب الجهاد ، باب من قاتل في سبيل الله فارتد عليه سيفه فقتله .

٥٣٥ - البخاري (٤٧٥ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٨ - باب غزوة خيبر .

وأبو داود (١٢ / ٢) كتاب الجهاد ، باب كيف الرقي ؟

٥٣٦ - الحاكم (١٢٣ / ٢) وسكت عنه ، وأقره الذهبي وقال : تابعه يونس عن الحسن حدثنا الأسود بهذا .

٥٣٧ - أحمد (٣٥٣ / ٥) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٠ / ٦) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

وَرَسُولُهُ وَيَحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ ، لَا يَرْجِعُ حَتَّى يُفْتَحَ لَهُ « فَبِتْنَا طَيِّبَةً أَنْفُسَنَا أَنْ
الْفَتْحَ غَدًا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّى الْغَدَاةَ ، ثُمَّ قَامَ قَائِلًا ، فَدَعَا بِاللَّوَاءِ وَالنَّاسِ
عَلَى مَصَافِهِمْ ، فَدَعَا عَلِيًّا وَهُوَ أَرْمَدُ ، فَتَقَلَّ فِي عَيْنَيْهِ ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ اللَّوَاءَ ، وَفُتِحَ لَهُ قَالَ
بَرِيدَةٌ . وَأَنَا فِيمَنْ تَطَاوَلَ لَهَا .

٥٣٨ - * روى الطبراني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : خَرَجَ عَلَيْنَا عَلَى بَنِي أَبِي
طَالِبٍ فِي الْحَرِّ الشَّدِيدِ وَعَلَيْهِ ثِيَابُ الشِّتَاءِ وَخَرَجَ عَلَيْنَا فِي الشِّتَاءِ وَعَلَيْهِ ثِيَابُ الصَّيْفِ ثُمَّ
دَعَا بِمَا نَشُدُّ بِهِ ثُمَّ مَسَحَ الْعَرَقَ عَنْ جَبْهَتِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ ، فَقُلْتُ لَأَبِي : يَا أَبَتَاهُ ، أَمَا
رَأَيْتَ مَا صَنَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ خَرَجَ عَلَيْنَا فِي الشِّتَاءِ عَلَيْهِ ثِيَابُ الصَّيْفِ ، وَخَرَجَ عَلَيْنَا فِي
الصَّيْفِ وَعَلَيْهِ ثِيَابُ الشِّتَاءِ فَقَالَ أَبُو لَيْلَى : مَا فَطِنْتُ ، فَأَخَذَ بِيَدِ ابْنِهِ ، فَأَتَى عَلِيًّا فَقَالَ لَهُ
الَّذِي صَنَعَ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بَعَثَنِي وَأَنَا أَرْمَدُ ،
فَبَزَقَ فِي عَيْنَيْ ، ثُمَّ قَالَ : افْتَحَ عَيْنَيْكَ ، فَفَتَحْتُهَا فَمَا اشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّاعَةِ ، وَدَعَا لِي
فَقَالَ : « اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُ الْحَرَّ وَالْبُرْدَ » فَمَا وَجَدْتُ حَرًّا وَلَا بَرْدًا حَتَّى يَوْمِي هَذَا .

وفي رواية أخرى عنده عن سويد بن غفلة قال : لقينا علياً وعليه ثوبان في الشتاء
فقلنا لا تغتر بأرضنا هذه فإن أرضنا هذه مقرّة ليست مثل أرضك . قال : فيأتي كنت
مقروراً ، فلما بعثني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى خيبر قلت إنني أرمد فتقل في
عيني فما وجدت حراً ولا برداً ولا رمدت عيناى .

٥٣٩ - * روى أحمد عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ أَخَذَ الرِّايَةَ فَهَزَّهَا ثُمَّ قَالَ :
« مَنْ : يَأْخُذْهَا بِحَقِّهَا ؟ » فَبَاءَ فُلَانٌ فَقَالَ : أَنَا قَالَ : « أَمِطُ » ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ :
« أَمِطُ » ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ لَأُعْطِيَنَّهَا رَجُلًا لَا يَفِرُّ ،
هَآكَ يَا عَلِيُّ » فَأَنْطَلَقَ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَيْبَرَ وَفَذَكَ وَجَاءَ بِعَجْوَتَيْهَا وَقَدِيدَيْهَا .

٥٣٨ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٢ / ٩) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

عليه ثوبان : أي عليه ثياب خفيفة .

مقرّة : أي باردة .

٥٣٩ - أحمد (١٦ / ٣) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥١ / ٦) وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

أعط : كلمة زجر بمعنى : تنح .

٥٤٠ - * روى البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يَحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فَقِيلَ: هُوَ يَارَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ قَالَ: «فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ» فَأَتَاهِي بِهِ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَارَسُولَ اللَّهِ أَقَاتِلْهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ قَالَ: «أَنْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ».

٥٤١ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يَوْمَ خَيْبَرَ: «لأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ» قَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَا أُحْبِبْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، قَالَ: فَتَسَاوَرْتُ لَهَا رَجَاءً أَنْ أُدْعَى لَهَا، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، وَقَالَ: «أَمْشِ وَلَا تَلْتَفِتْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ»، قَالَ: فَتَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئًا، ثُمَّ وَقَفَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ، فَصَرَخَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَى مَاذَا أَقَاتِلُ النَّاسَ؟ قَالَ: «قَاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ».

٥٤٠ - البخاري (٤٧٦ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٨ - باب: غزوة خيبر، وكذا في (١٤٤ / ٦) ٥٦ - كتاب الجهاد -

١٤٣ - باب: فضل من أسلم على يديه رجل.

ومسلم (٤ / ١٨٧٢) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤ - باب: من فضائل علي بن أبي طالب.

يدوكون: بات القوم يدوكون دوكا: إذا وقعوا في أخلاط ودوران وخاضوا في أمر.

فَقَدْ: في الأمر: إذا مضى فيه.

وعلى رِسْلِكَ: أي: على حالتك وهيئتك.

٥٤١ - مسلم (٤ / ١٨٧١) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤ - باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

تَسَاوَرْتُ لَهَا: أي: تَوَرَّطُ وَاِتَزَعَجْتُ وَتَطَلَّعْتُ، وَالسُّورَةُ: الثَّوْرَةُ وَالْحَرَكَةُ بِحَدَّةٍ، يُقَالُ: سَارَ الرَّجُلُ يَسُورُ، وَهُوَ سَوَّارٌ، إِذَا ثَارَ وَزَالَ عَنْهُ السَّكُونُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ، هَذَا أَصْلُهُ، ثُمَّ قَدْ يَكُونُ عَنْ غَضَبٍ أَوْ عَنْ شَيْءٍ يُتَّبِعُهُ نَفْسُهُ، فَيُرِيدُ أَنْ يَقِفَ عَلَيْهِ.

٥٤٢ - * روى الطبراني عن أم سلمة وكانت في غزوة خيبر قالت : سمعتُ وقعَ السيفِ في أسنانِ مُرحبٍ .

٥٤٣ - * روى النسائي عن أنس أن النبي ﷺ غزا خيبر فصلينا عندها الغداة بغلسٍ ، فركب النبي ﷺ وركب أبو طلحة ، وأنا رديفُ أبي طلحة ، فأخذني الله صلى الله عليه وسلم في رُقاقٍ خيبر وإن رُكبتُ لَتَمَسُّ فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وإني لأرى بياضَ فخذِ نبي الله صلى الله عليه وسلم . فلما دخل القرية قال : « الله أكبر خربتُ خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساء صباح المنذرين » قالها ثلاث مرات . وخرج القوم إلى أعمالهم . قال عبد العزيز : فقالوا : محمدٌ والحيس وأصبناها عنوة ، فجمع السبي ، فجاء دحية فقال : يا رسول الله أعطني جارية من السبي فقال : « اذهب فخذ جارية » فأخذ صفية بنتَ حَيٍّ فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنتَ حَيٍّ سيدة قريظة والنضير ما تصلح إلا لك قال : « ادعوه بها » فجاء بها ، فلما نظر إليها ﷺ قال : « خذُ جارية من السبي غيرها » وأنَّ نبيَّ الله ﷺ أعتقها وتزوجها .

٥٤٤ - * روى الطبراني عن ابن شهاب في تسمية من استشهد يوم خيبر مع رسول الله ﷺ من الأنصار ثم بني خازنة : محمود بن مسلمة فذكروا أنَّ رسول الله ﷺ قالَ لِمَحْمَدَ بْنِ مَسْلَمَةَ : « أخوك له أجر شهيدين » ومن بني زريق : مسعود بن سعد بن قيس .

٥٤٥ - * روى أبو داود عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ غزا خيبر ، فأصبناها عنوة ، فجمع السبي .

٥٤٢ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٢ / ٦) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

٥٤٣ - النسائي (١٢١ / ٦) مطولاً - كتاب النكاح ، باب البناء في السفر . وكذا في (١ / ٢٧١) كتاب المواقيت - باب التغليس في السفر .

ومسلم (١٤٣٦ / ٣) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٤٣ - باب : غزوة خيبر .

عنوة : فتحت البلدة عنوة أي قهراً بغير صلح .

السبي : سبي عدوه سبياً وسبأ : أسره . السبي : المأسور .

٥٤٤ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٥ / ٦) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

٥٤٥ - أبو داود (١٥٩ / ٣) كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب ما جاء من حكم أرض خيبر .

العنوة : القسر . السبي : الأسارى . ويطلق على النساء والصبيان خاصة .

٥٤٦ - * روى مسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : حَدَّثَنِي عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمَ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالُوا : فُلَانٌ شَهِيدٌ ، فُلَانٌ شَهِيدٌ ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ فَقَالُوا : فُلَانٌ شَهِيدٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كَلَّا ، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا - أَوْ عَبَاءَةٍ - » . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، أَذْهَبُ فَنَادِي فِي النَّاسِ : إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ » - قَالَ : فَخَرَجْتُ ، فَنَادَيْتُ : أَلَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ .

٥٤٧ - * روى أبو داود عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه : أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ تُوْفِيَ يَوْمَ خَيْبَرَ ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ » فَتَغَيَّرَتْ وَجْهُ النَّاسِ لِذَلِكَ ، فَقَالَ : « إِنَّ صَاحِبَكُمْ غَلَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » فَتَشَنَّا مَتَاعَهُ ، فَوَجَدْنَا خَرْزًا مِنْ خَرْزِ يَهُودَ ، لَا يَسَاوِي دِرْهَمَيْنِ .

فائدة : اعتذر النبي ﷺ من الصلاة عليه وسمح لهم أن يصلوا عليه زجراً للناس عن فعله .

٥٤٨ - * روى الترمذي عن عمير ، مَوْلَى أَبِي الْلَحْمِ قَالَ : شَهِدْتُ خَيْبَرَ مَعَ سَادَتِي ، فَكَلَّمُونِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَكَلَمُوهُ أَنِي مَمْلُوكٌ قَالَ : فَأَمَرَنِي فَقُلْتُ سَيْفًا ، فَإِذَا أَنَا أُجْرُهُ ، فَأَمَرَ لِي بِشَيْءٍ مِنْ خُرْتِي الْمَتَاعِ ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِ رُقِيَّةَ كُنْتُ أُرْقِي بِهَا الْجَانِينَ ، فَأَمَرَنِي يَطْرَحُ بَعْضُهَا ، وَحَبْسُ بَعْضِهَا .

والعمل على هذا عند بعض أهل العلم لا يسهم للمملوك ولكن يرضخ له بشيء وهو قول الثوري والشافعي وأحمد وإسحاق .

٥٤٦ - مسلم (١ / ١٠٧) - ١ - كتاب الإيمان - ٤٨ - باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون . غلَّها : سرقها وأخفاها .

٥٤٧ - أبو داود (٢ / ٦٨) - كتاب الجهاد ، باب في تعظيم الغلول . غلَّ : خان في اللغْمِ أو في مال الدولة .

٥٤٨ - الترمذي (٤ / ١٢٧) - كتاب السير - باب هل يسهم للعبد وأبو داود (٣ / ١٥٠) (إلا أن رواية أبي داود انتهت بقوله : المتاع . والحاكم (١ / ٢٢٧) وسكت عنه وأقره الذهبي . خُرْتِي : المتاع : أثاث البيت .

٥٤٩ - * روى أبو داود عن ابن عمر، أن النبي ﷺ قاتل أهل خيبر فغلب على النخل والأرض، وألجأهم إلى قصرهم، فصالحوه على أن لرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء والحلقة، ولهم ما حلت ركايبهم، على أن لا يكتبوا ولا يغيبوا شيئاً، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد، فغلبوا مسكاً لحياً بن أخطب، وقد كان قتل قبل خيبر، كان احتله معه يوم بني النضير حين أجليت النضير، فيها حليتهم، قال: فقال النبي ﷺ لسعيته: «أين مسك حياً بن أخطب؟» قال: أذهبت الحروب والنفقات، فوجدوا المسك، فقتل ابن الحقيق وسب نساءهم وذرائعهم، وأراد أن يجلّيهم، فقالوا: يا محمد، دعنا نعمل في هذه الأرض ولنا الشطر ما بدا لك، ولكم الشطر، وكان رسول الله ﷺ يعطي كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً من تمر وعشرين وسقاً من شعير.

وفي أخرى لأبي داود ^(١) قال: إن عمر قال: أيها الناس، إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أن يخرجهم إذا شاء، فمن كان له مال فليتحق به، فإني مخرج يهود فأخرجهم.

٥٥٠ - * روى البخاري عن نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما فدع أهل خيبر عبد الله بن عمر، قام عمر خطيباً، فقال: إن رسول الله ﷺ عامل يهود خيبر على أموالهم، وقال: «نقركم ما أقرم الله» وإن عبد الله بن عمر: خرج إلى ماله هناك، فعدي عليه من الليل، ففدعت يداه ورجلاه، وليس له هناك عدو غيرهم، هم عدونا

٥٤٩ - أبو داود (١٥٧ / ٣) كتاب الخراج والإمارة والفيء - باب ما جاء في حكم أرض خيبر.

الصفراء والبيضاء: الصفراء: الذهب، والبيضاء: الفضة.

الحلقة: قيل المراد بها السلاح، وقيل المراد بها الدروع؛ لأنها في حلق سلسلة.

مسك: المسك الجلد، والمراد به هنا: ذخيرة من صامت وخلي كانت لحياً بن أخطب وكانت يدعى مسك الجمل، ذكروا: أنها قومت عشرة آلاف دينار، وكانت لا ترف امرأة إلا استعير لها ذلك الحلي، قيل: إنها كانت في مسك جمل ثم في مسك ثور ثم في مسك حتمل.

(١) أبو داود (١٥٨ / ٣) كتاب الخراج والإمارة والفيء - باب ما جاء في حكم أرض خيبر.

٥٥٠ - البخاري (٣٢٧ / ٥) ٥٤ - كتاب الشروط - ١٤ - باب إذا اشترط في المزارعة «إذا شئت أخرجك».

فدع: رجل أددع: بين الفدع، وهو المفعج الرسخ من اليد أو الرجل، فيكون متقلب الكف أو القدم إلى ما يلي الإبهام، وذلك الموضع هو الفدعة.

فعدى عليه: عدى عليه، أي: ظلم، والعدوان: الظلم المجاوز للحد.

وَتَهْمَنَّا ، وَقَدْ رَأَيْتُ إِجْلَاءَهُمْ ، فَلَمَّا أَجْمَعَ عُمَرُ عَلَى ذَلِكَ ، أَتَاهُ أَحَدُ بَنِي أَبِي الْحَقِيقِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أُنْخَرِجْنَا وَقَدْ أَقْرَبْنَا مُحَمَّدًا ﷺ وَعَامَلْنَا عَلَى الْأَمْوَالِ ، وَشَرَطَ ذَلِكَ لَنَا فَقَالَ عُمَرُ : أَظَنَنْتَ أَنِّي نَسِيتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « كَيْفَ بِكَ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْ خَيْبَرَ ، تَعْدُو بِكَ قُلُوصَكَ لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ ؟ » فَقَالَ : كَانَ ذَلِكَ هَزِيلَةً مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ ، فَقَالَ : كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ فَأَجْلَاهُمْ عُمَرُ ، وَأَعْطَاهُمْ قِيَمَةَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الثَّمَرِ : مَالًا وَإِبِلًا ، وعروضاً من أَقْتَابٍ ، وَحِبَالٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ .

٥٥١ - * روى أبو داود عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قيل له : هل كنتم تَخْمَسُونَ - يعني الطعام - في عهد رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فقال أَصَبْنَا طَعَاماً يَوْمَ خَيْبَرَ ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَجِيءُ ، فَيَأْخُذُ مِنْهُ مِقْدَارَ مَا يَكْفِيهِ ثُمَّ يَنْصَرِفُ .

٥٥٢ - * روى أبو داود عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ قَالَ : رَابَطْنَا مَدِينَةَ قَيْشَرِينَ مَعَ شُرَحْبِيلَ بْنِ السُّطْرِ ، فَلَمَّا فَتَحَهَا أَصَابَ فِيهَا غَنَمًا وَبَقَرًا ، فَقَسَمَ فِينَا طَائِفَةٌ مِنْهَا ، وَجَعَلَ بَقِيَّتُهَا فِي الْمَغْنَمِ ، فَلَقِيتُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ ، فَحَدَّثْتُهُ فَقَالَ مُعَاذٌ : غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ ، فَأَصَبْنَا فِيهَا غَنَمًا ، فَقَسَمَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَائِفَةً ، وَجَعَلَ بَقِيَّتُهَا فِي الْمَغْنَمِ .

٥٥٣ - * روى الترمذي عن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ : قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي

= هَزِيلَةٌ : تصغير : هَزَلَةٌ ، وهو المرة الواحدة من الهزل ضد الجد .

أَجْلَاءَهُم : الإِجْلَاءُ : الإِخْرَاجُ مِنَ الْوَطَنِ كُزُّهَا .

قُلُوصَكَ : الْقُلُوصُ : النَّاقَةُ الشَّابَّةُ ، وَقِيلَ : الْقُوَّةُ عَلَى السَّيْرِ ، وَلَا يُسَمَّى الذَّكَرُ قُلُوصًا .

أَقْتَابٌ : جَمْعُ قَتَبٍ وَهُوَ الرَّحْلُ الصَّغِيرُ عَلَى قَدَرِ سِنَامِ الْبَعِيرِ .

٥٥١ - أبو داود (٦٦ / ٣) كتاب الجهاد - باب في النهي عن النهي إذا كان في الطعام قلة في أرض العدو .

وأخرجه الحاكم (١٢٦ / ٢) وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ، فقد احتج به محمد وعبد الله ابني أبي

الجالد جميعاً ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي على تصحيحه .

التخسيس : أي يرفع الخمس لأصحاب الخمس المعينين ويقسم الباقي على المقاتلين .

٥٥٢ - أبو داود (٦٧ / ٣) كتاب الجهاد - باب في بيع الطعام إذا فضل عن الناس في أرض العدو .

طائفة : أراد بالطائفة : قدر الحاجة للطعام ، وترك الباقي .

قسم فِينَا : قسمه بينهم على قدر السهام ، لكن ضرورة حاجتهم إلى الطعام والعلف أباحت لهم ذلك .

٥٥٣ - الترمذي (١٢٨ / ٤) كتاب السير - باب ما جاء في أهل الذمة يغزون مع المسلمين هل يسهم لهم . وقال : هذا

حديث حسن صحيح غريب .

نَقَرِ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ خَيْبَرَ ، فَأَسْهُمَ لَنَا مَعَ الَّذِينَ افْتَتَحُوهَا .

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ ^(١) قَالَ : قَدِمْنَا فَوَافَقَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، حِينَ افْتَتَحُوا خَيْبَرَ ، فَأَسْهُمَ لَنَا - أَوْ قَالَ : فَأَعْطَانَا مِنْهَا - وَمَا قَسَمَ لِأَحَدٍ غَابَ عَنْ فَتْحِ خَيْبَرَ مِنْهَا شَيْئاً ، إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ مَعَهُ ، إِلَّا أَصْحَابَ سَفِينَتِنَا : جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَأَسْهُمَ لَهُمْ مَعَهُمْ .

والعمل على هذا عند بعض أهل العلم . قال الأوزاعي ، من لحق بالمسلمين قبل أن يسهم للجيش أسهم له .

٥٥٤ - * روى أبو داود عن سهل بن أبي حثمة قال : قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ نِصْفَيْنِ : نِصْفًا لِنَوَائِبِهِ وَحَاجَتِهِ وَنِصْفًا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، قَسَمَهَا بَيْنَهُمْ عَلَى ثَمَانِيَةِ عَشْرَ سَهْمًا .

قال ابن الأثير .

(لِنَوَائِبِهِ) النَوَائِبُ : جَمْعُ نَائِبَةٍ ، وَهِيَ مَا يَنْوِبُ الْإِنْسَانَ ، أَيْ يَنْزِلُ بِهِ مِنَ الْمِهْمَاتِ وَالْحَوَائِجِ ، وَالظَّاهِرُ مِنْ أَمْرِ خَيْبَرَ : أَنَّهَا فَتَحَتْ عَنُودَ ، إِذَا كَانَتْ عَنُودَ فَهِيَ مَغْنُومَةٌ ، وَحَصَّةُ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْغَنِيَةِ خَمْسُ الْخَمْسِ فَكَيْفَ جَعَلَ نَصِيبَهُ مِنْهَا النِّصْفَ حَتَّى يَصْرِفَهُ فِي حَوَائِجِهِ وَمِهْمَاتِهِ ؟ وَوَجْهَ ذَلِكَ عِنْدَ مَنْ تَتَّبَعَ الْأَخْبَارَ الْمَرْوِيَةَ فِي فَتْحِ خَيْبَرَ وَاضِحٌ .

٥٥٥ - * روى مسلم عن ابن عمر . قال : أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ بِشَطْرِ مَا يَخْرُجُ مِنْ تَمَرٍ أَوْ زَرْعٍ . فَكَانَ يُعْطِي أَزْوَاجَهُ كُلَّ سَنَةٍ مِائَةَ وَسْقٍ : ثَمَانِينَ وَسْقًا مِنْ تَمَرٍ ، وَعَشْرِينَ وَسْقًا مِنْ شَعِيرٍ . فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ قَسَمَ خَيْبَرَ . خَيْرَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنْ يُقْطَعَ لَهُنَّ الْأَرْضُ وَالْمَاءُ ، أَوْ يَضْمَنَ لَهُنَّ الْأَوْسَاقُ كُلَّ عَامٍ فَاخْتَلَفْنَ . فَمِنْهُنَّ مَنْ اخْتَارَ الْأَرْضَ وَالْمَاءَ . وَمِنْهُنَّ مَنْ اخْتَارَ الْأَوْسَاقَ كُلَّ عَامٍ . فَكَانَتْ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ مِنْ اخْتَارَتَا الْأَرْضَ وَالْمَاءَ .

وَفِي رِوَايَةِ ^(٢) أَبِي دَاوُدَ قَالَ : لَمَّا : افْتَتِحَتْ خَيْبَرُ سَأَلَتْ يَهُودُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : أَنْ يُقَرَّمْ

(١) أبو داود (٣ / ٧٣) كتاب الجهاد - باب فيمن جاء بعد الغنبة لاسهم له .

٥٥٤ - أبو داود (٣ / ١٥٩) كتاب الخراج والإمارة والفيء - باب ما جاء في حكم أرض خيبر - وإسناده قوي .

٥٥٥ - مسلم (٣ / ١١٨٦) ٢٢ - كتاب المساقاة - ١ - باب للمساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزروع .

الأوساق : جمع وسق ، وهي ستون صاعاً

(٢) أبو داود (٣ / ١٥٨) كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب ما جاء في حكم أرض خيبر .

عَلَى النِّصْفِ مِمَّا خَرَجَ مِنْهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أُقْرِكُمْ فِيهَا عَلَى ذَلِكَ مَا شِئْنَا » فَكَانُوا عَلَى ذَلِكَ ، وَكَانَ التَّمْرُ يُقْسَمُ عَلَى السُّهُمَانِ مِنْ نِصْفِ خَيْبَرٍ ، وَيَأْخُذُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحُمْسَ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَطْعَمَ كُلَّ امْرَأَةٍ مِنْ أَزْوَاجِهِ مِنَ الْحُمْسِ مِائَةَ وَسْقٍ تَمْرًا وَعَشْرِينَ وَسْقًا شَعِيرًا ، فَلَمَّا أَرَادَ عُمَرُ إِخْرَاجَ الْيَهُودِ ، أَرْسَلَ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ لَهُنَّ : مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ أَقْسَمَ لَهَا نَخْلًا بَحْرُصَهَا مِائَةَ وَسْقٍ ، فَيَكُونَ لَهَا أَصْلُهَا وَأَرْضُهَا وَمَاؤُهَا ، وَمِنْ الزَّرْعِ مَزْرَعَةٌ خَرَصَ عَشْرِينَ وَسْقًا فَعَلْنَا ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ نَعْزِلَ الَّذِي لَهَا فِي الْحُمْسِ كَمَا هُوَ ، فَعَلْنَا .

وذلك : أنَّ خيبر كانت لها قرى . وضياع خارجة عنها ، مثل : الوطيحة ، والكثيبيّة ، والشق . والنطاة ، والسلالم ، فكان بعضها مغنوماً ، وهو ما غلب عليه رسول الله ﷺ والناس . وسبيل ذلك القسمة ، وكان بعضها فيئاً لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب . وذلك خاص لرسول الله ﷺ ، يضعه حيث شاء ، فنظروا إلى مبلغ ذلك كله ، فكان نصفه بقدر ما يخص النبي ﷺ من الفيء ، وسهمه من الغنيمة ، فجعل النصف لهُ ، والنصف للغنائم ، وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ ابْنُ شَهَابٍ ، قَالَ : « إِنْ خَيْبَرَ كَانَ بَعْضُهَا عَنُودَ وَبَعْضُهَا صِلْحًا » .

٥٥٦ هـ . « رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ بَشِيرِ بْنِ يَسَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ خَيْبَرَ قَسَمَهَا عَلَى سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ سَهْمًا ، جَمَعَ كُلُّ سَهْمٍ مِائَةَ سَهْمٍ ، فَعَزَلَ نِصْفَهَا لِأَنْوَائِهِ وَمَا يَنْزِلُ بِهِ : مِنَ الْوَطِيحَةِ وَالْكَثْيَبَةِ ، وَمَا أُحِيزَ مَعَهَا ، وَعَزَلَ النِّصْفَ الْآخَرَ ، فَقَسَمَهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ : الشَّقَّ وَالنَّطَاةَ ، وَمَا أُحِيزَ مَعَهَا ، وَكَانَ سَهْمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهَا أُحِيزَ مَعَهَا .

= استدل بهذا الحديث ، على جواز المساقاة والمزارعة مجتمعتين ، وجواز كل واحدة منها منفردة ، وهو قول أحمد وابن أبي ليلى وأبي يوسف ومحمد وفقهاء الحديث . قال النووي : وهذا هو الظاهر المختار لحديث خيبر ، ولا يقبل دعوى كون المزارعة في خيبر ، إما جازت تبعاً للمساقاة ، بل جازت مستقلة ولأن المعنى المجوز للمساقاة موجود في المزارعة قياساً على القراض ، فإنه جائز بالإجماع ، وهو كالمزارعة في كل شيء ، ولأن المسلمين في جميع الأمصار والأعصار ، مسترون على العمل بالمزارعة .

٥٥٦ هـ . أبو داود (٣ / ١٥٩) كتاب الخراج والإمارة والفيء - باب ما جاء في حكم أرض خيبر .

والوطيح : بفتح الواو وكسر الطاء - حصن من حصون خيبر هو أمنعها وأحصنها وآخرها فتحاً .

والكثيبيّة : بضم الكاف ، على صورة مصغرة ، وقيل : بفتحها ، وهي إحدى قرى خيبر .

والشق : بفتح الشين أو كسرها . والكسر أعرف وأشهر - حصن من حصون خيبر .

والنطاة : بفتح النون والطاء وآخره تاء تأنيث - حصن بخيبر ، أو عين تسقي بعض نخيل قراها .

وفي رواية (١) : أَنَّهُ سَمِعَ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالُوا فَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ - قَالَ : فَكَانَ النِّصْفُ سِيَّامَ الْمُسْلِمِينَ ، وَسَمَّاهُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَعَزَلَ النِّصْفَ لِلْمُسْلِمِينَ لَمَّا يَنْتَوِبُهُ مِنَ الْأُمُورِ وَالنَّوَائِبِ .

وفي أخرى (٢) عَنْ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : لَمَّا ظَهَرَ عَلَى خَيْبَرَ ، قَسَمَهَا عَلَى سِتَّةِ وَثَلَاثِينَ سَهْمًا ، جَمَعَ كُلَّ سَهْمٍ مِائَةَ سَهْمٍ ، فَكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلِلْمُسْلِمِينَ النِّصْفُ مِنْ ذَلِكَ ، وَعَزَلَ النِّصْفَ الْبَاقِيَ لِمَنْ نَزَلَ بِهِ مِنَ الْوُفُودِ وَالْأُمُورِ وَنَوَائِبِ النَّاسِ .

وفي رواية (٣) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَيْبَرَ ، قَسَمَهَا سِتَّةَ وَثَلَاثِينَ سَهْمًا جَمَعَ ، فَعَزَلَ لِلْمُسْلِمِينَ الشُّطْرَ : ثَمَانِيَةَ عَشْرَ سَهْمًا ، يَجْمَعُ كُلَّ سَهْمٍ مِائَةَ النَّبِيِّ ﷺ مَعَهُمْ ، لَهُ سَهْمٌ كَسَمَهُمْ أَحَدُهُمْ ، وَعَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَمَانِيَةَ عَشْرَ سَهْمًا ، وَهِيَ الشُّطْرُ لِنَوَائِبِهِ وَمَا يَنْزِلُ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَكَانَ ذَلِكَ : الْوُطَيْحُ ، وَالْكُتَيْبَةُ ، وَالسَّلَامُ وَتَوَابِعُهَا فَلَمَّا صَارَتِ الْأَمْوَالُ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ ، لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَمَّالٌ يَكْفُونَهُمْ عَمَلُهَا ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْيَهُودَ ، فَعَامَلَهُمْ .

قال ابن حجر : قوله (بشطر ما يخرج منها) هذا الحديث هو عمدة من أجاز المزارعة والمخابرة لتقرير النبي ﷺ لذلك واستمراره على عهد أبي بكر إلى أن أجلاهم عمر كما سيأتي بعد أبواب . واستدل به على جواز المساقاة في النخل والكرم وجميع الشجر الذي من شأنه أن يثمر بجزء معلوم يجعل للعامل من الثمرة ، وبه قال الجمهور . وخصه الشافعي في الجديد بالنخل والكرم ، وألحق المقل (٤) بالنخل لشبهه به . وخصه داود بالنخل ، وقال أبو حنيفة وزفر : لا يجوز بحال لأنها إجارة بثمرة معدومة أو مجهولة ، وأجاب من جوزه بأنه عقد على عمل في المال ببعض نمائه فهو كالمضاربة ، لأن المضارب يعمل في المال بجزء من نمائه وهو معدوم ومجهول ، وقد صح عقد الإجارة مع أن المنافع معدومة فكذلك هنا . وأيضاً فالقياس في

(١) أبو داود (٣ / ١٥٩) كتاب الخراج والإمارة والفيء - باب ما جاء في حكم أرض خيبر .

(٢) أبو داود (٣ / ١٥٩) الموضع السابق .

(٣) أبو داود (٣ / ١٦٠) كتاب الخراج والإمارة والفيء - باب ما جاء في حكم أرض خيبر بإسناد صحيح ، وفي الرواية الأولى والأخيرة إرسال .

(٤) المقل : نوع من الشجر يشبه النخل وله ثمر أو هو صمغ شجرة .

إبطال نص أو إجماع مردود . وأجاب بعضهم عن قصة خير بأنها فتحت صلحاً ، وأقروا على أن الأرض ملكهم بشرط أن يعطوا نصف الثرة ، فكان ذلك يؤخذ بحق الجزية فلا يدل على جواز المساواة . وتعقب بأن معظم خير فتح عنوة كما سيأتي في المغازي ، وبأن كثيراً منها قسم بين الغافين كما سيأتي . وبأن عمر أجلاهم منها . فلو كانت الأرض ملكهم ما أجلاهم عنها . واستدل من أجازه في جميع الثمر بأن في بعض طرق حديث الباب « بشرط ما يخرج منها من نخل وشجر » وفي رواية حماد بن سلمة عن عبيد الله بن عمر في حديث الباب « على أن لهم الشطر من كل زرع ونخل وشجر » وهو عند البيهقي من هذا الوجه ، واستدل بقوله على شطر ما يخرج منها لجواز المساواة بجزء معلوم لا مجهول ، واستدل به على جواز إخراج البذر من العامل أو المالك لعدم تقييده في الحديث بشيء من ذلك ، واحتج من منع بأن العامل حينئذ كأنه باع البذر من صاحب الأرض بمجهول من الطعام نسيئة وهو لا يجوز ، وأجاب من أجازه بأنه مستثنى من النهي عن بيع الطعام بالطعام نسيئة جمعاً بين الحديثين وهو أولى من إلغاء أحدهما . قوله (فكان يعطي أزواجه مائة وسق : ثمانون وسق تمر وعشرون وسق شعير) كذا للأكثر بالرفع على القطع ، والتقدير : منها ثمانون ومنها عشرون . وللكشهي « ثمانين وعشرين » على البدل ، وإنما كان عمر يعطين ذلك لأنه ﷺ قال : « ما تركت بعد نفقة نسائي فهو صدقة » وسيأتي في بابه .

٥٥٧ - * روى النسائي عن عبد الله بن الزبير أنه كان يقول : صَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ خَيْبَرَ لِلزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ أَرْبَعَةَ أَصْهُم : سَهْمًا لِلزُّبَيْرِ وَسَهْمًا لَذِي الْقُرْبَى لصفية بنت عبد المطلب أم الزُّبَيْرِ وَسَهْمَيْنِ لِلْفَرَسِ .

٥٥٨ - * روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قَسَمَ لِمَائَتِي فَرَسَ يَوْمَ خَيْبَرَ سَهْمَيْنِ سَهْمَيْنِ .

٥٥٩ - * روى الطبراني عن زينب امرأة عبد الله الثقفية أن النبي ﷺ أعطاهما بخيبر خمسين وسقاً تمرًا وعشرين وسقاً شعيراً بالمدينة .

٥٥٧ - النسائي (٦ / ٢٢٨) كتاب الخيل ، باب سهران الخيل . بإسناد حسن .

٥٥٨ - الحاكم (٢ / ١٢٨) وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه بهذا اللفظ ، وقد احتج البخاري بيهقي بن أيوب وكثير الخزومي .

٥٥٩ - الطبراني (٢٤ / ٢٨٧) في مسند زينب امرأة عبد الله بن مسعود الثقفية .

٥٦٠ - * روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نهى رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم يوم خيبر عن بيع المغنم حتى تقسم .

٥٦١ - * روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية ، وعن النساء الحبالى أن يوطئن حتى يضعن ما في بطونهن ، وعن كل ذي ناب من السباع ، وعن بيع الخمس حتى يقسم .

٥٦٢ - * روى البخاري عن أسلم مولى عمر رضي الله عنه أنه سمع عمر يقول : أما والذي نفسي بيده ، لولا أن أترك آخر الناس بئاناً ، ليس لهم شيء ، ما فتحت علي قرية إلا قسمتها ، كما قسم النبي ﷺ خيبر ، ولكنني أتركها خزانة لهم يقتسمونها .

وفي رواية أخرى ^(١) : قال عمر : لولا آخر المسلمين ، ما فتحت عليهم قرية إلا قسمتها كما قسم النبي ﷺ خيبر .

٥٦٣ - * روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : ما شبعنا حتى فتحنا خيبر .

٥٦٤ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما فتحت خيبر ، قلنا : الآن نشبع من التمر .

٥٦٠ - المستدرك (٢ / ١٣٧) وقال : وقد روي بعض هذا المتن بإسناد صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي .

٥٦١ - المستدرك (٢ / ١٣٧) وصححه الذهبي .

النساء الحبالى : المقصود اللواتي وقعن في السي ، فبعد القسمة لا يوطئن حتى يضعن حملهن .

٥٦٢ - البخاري (٧ / ٤٩٠) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٨ - باب غزوة خيبر ، وأحمد في مسنده (١ / ٤٠) .

بئاناً : بئاناً : واحداً : أي شيئاً واحداً ، مثل قوله : باجاً واحداً ، ومعنى الحديث : أنه قال : لولا أن أترك آخر الناس - وهم يجيئون بعده - شيئاً واحداً متساويين في الفقر - وليس لهم شيء ، لكنك كلما فتحت على المسلمين قرية قسمتها ، كما قسم رسول الله ﷺ خيبر ، وذلك : أنه قسمها على الغنائم ، فصار لكل واحد منهم حصّة مفردة من أرض خيبر ، يتصرف فيها . فقال عمر : لو قسمتها كقسمة خيبر ، جاء آخر الناس وليس لهم حصّة في البلاد المفتوحة ، فيكون بئاناً واحداً ، ليس لهم شيء ، فلذلك جعل عمر البلاد في أيدي المسلمين يتولونها لبيت المال ، ولم يقسم على الغنائم إلا الغنائم وحدها دون البلاد .

(١) البخاري (٧ / ٤٩٠) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٨ - باب غزوة خيبر .

٥٦٣ - البخاري (٧ / ٤٩٥) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٨ - باب غزوة خيبر .

٥٦٤ - البخاري (٧ / ٤٩٥) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٨ - باب غزوة خيبر .

٥٦٥ - * روى مالك عن سعيد بن المسيب رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال لليهود خيبر - يوم افتتح خيبر - أقركم فيها ما أقركم الله عز وجل على أن الثمر يئتنا وبينكم قال : فكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة فيخرس بينه وبينهم ، ثم يقول : إن شئتم فلكم ، وإن شئتم فلي ، فكانوا يأخذونه .

٥٦٦ - * روى مالك عن سليمان بن يسار : أن رسول الله ﷺ كان يبعث عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إلى خيبر ، فيخرس بينه وبين يهود خيبر قال : فجمعوا له خلياً من حلي نسائهم ، فقالوا : هذا لك ، وخفف عنا وتجاوز في القسم ، فقال عبد الله بن رواحة : يا معشر اليهود والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلي ، وما ذلك بحامي علي أن أحيف عليكم ، فأما ما عرضتم من الرشوة فإنها سحت ، وإننا لا نأكلها ، فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض

٥٦٧ - * روى مسلم عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال : أصابتنا مجاعة ليالي خيبر ، فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحمر الأهلية ، فانتحرناها . فلما غلّت بها القُدور نادى منادي رسول الله ﷺ : أن أكفثوا القُدور ، ولا تأكلوا من لحم الحمر شيئاً فقال ناس : إنما نهى عنها رسول الله ﷺ لأنها لم تخمس ، وقال آخرون : نهى عنها ألبتة .

وفي رواية النسائي ^(١) قال : أصبنا يوم خيبر حمراً خارجاً من القرية ، فطبخناها ،

٥٦٥ - مالك (٢ / ٧٠٢) ٣٢ - كتاب القسامة - ١ - باب ما جاء في المساقاة بإسناد صحيح ، وهو مرسل .

فيخرس : خرس الرطب : حزر ما فيه تخميناً وتقديراً .

٥٦٦ - مالك (٢ / ٧٠٢) ٣٢ - كتاب القسامة - ١ - باب ما جاء في المساقاة . وهو حديث حسن .

يخرس : خرس النخل : حزر ما عليه من الرطب والتمر ، ومن العنب زبيباً .

خيف : الخيف : الظلم .

الرشوة : الرطيل .

سحت : السحت : الحرام .

٥٦٧ - مسلم (٣ / ١٥٣٩) ٣٤ - كتاب الصيد والذبائح - ٥ - باب تحريم أكل لحم الحمر الانسية .

والبخاري (٧ / ٤٨١) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٨ - باب غزوة خيبر .

أكفثوا القُدور : كفأت القُدُر : إذا قلبتها وكتبناها ، وكذلك أكفأناها .

تخمس : الخمس : ما يجب إخراجه من الغنية ، وتخميس الغنية أخذ خمسها .

ألبتة : تجوز هجر الألف وبدونه .

(١) النسائي (٧ / ٢٠٢) كتاب الصيد والذبائح ، باب تحريم أكل لحوم الحمر الأهلية .

فنادى مُنادي النبي ﷺ : إن رسول الله ﷺ قد حرم لحوم الحُمُر ، فأَكْفُوا القُدُورَ بما فيها ، فأَكْفَانَاها .

٥٦٨ - * روى الحاكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه رضي الله عنه قال : شهدت فتح خيبر مع رسول الله ﷺ وآله وسلم فلما أنهزم القوم وقعنا في رحالهم فأخذ الناس ما وجدوا من جزر قال زيد : وهي المواشي فلم يكن بأسرع من أن فارت القدور فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ وآله وسلم أمر بالقدور فأكفئت ثم قسم بيننا فجعل لكل عشرة شاة .

٥٦٩ - * روى الطبراني عن الشعبي قال : لما أتى رسول الله ﷺ فتح خيبر قيل له : قد قدِم جعفر من عند النجاشي ، فقال النبي ﷺ : « لا أدري بأيهما أنا أشدُّ فرحاً بقُدوم جعفر أو فتح خيبر » فاتاه فقبل ما بين عينيه فقط .

٥٧٠ - * عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت : قال لي النبي ﷺ : « للناس هجرة ، ولكم هجرتان » .

٥٧١ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر ، ففتح الله علينا فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً غنما المتاع والطعام والثياب ، ثم أنطلقنا إلى الوادي - يعني : وادي القرى - ومع رسول الله ﷺ عبد له ، وهبة له رجل من جذام يدعى رفاع بن زيد ، من بني الضبيث ، فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحلته ، فرمى بسهم ، فكان فيه حنّة ، فقلنا : هنيئاً له الشهادة يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : « كلا ، والذي نفس محمد بيده ، إن الشملة لتلتهب عليه ناراً ، أخذها

٥٦٨ - المستدرک (٢ / ١٣٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .
الجزء : ما يصلح أن يذبح من الشياه .

٥٦٩ - أورده الهيئتي في مجمع الزوائد (١ / ٢٧٢) وقال : رواه الطبراني مرسلًا ، ورجاله رجال الصحيح .

٥٧٠ - الحاكم في المستدرک : وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

٥٧١ - مسلم (١ / ١٠٨) - كتاب الإيمان - ٤٨ - باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا للمؤمنين
والبخاري (٧ / ٤٨٧) كتاب المغازي - ٢٨ - باب غزوة خيبر .

الشملة : إزار يتشح به .

بغراك : الشراك : ستر من سيور النمل التي على وجهها .

مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ ، لَمْ تُصَبِّهَا الْمَقَاسِمُ » قَالَ : فَفَزَعَ النَّاسُ ، فَجَاءَ رَجُلٌ بِشَرَاكِ ، أَوْ شَرَائِكَيْنِ ، فَقَالَ : أَصَبْتُهُ يَوْمَ خَيْبَرَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ ، أَوْ شَرَائِكٌ مِنْ نَارٍ » .

وفي رواية (١) نحوه ، وفيه : وَمَعَهُ عَبْدٌ يَقَالُ لَهُ : مِدْعَمٌ ، أَهْدَاهُ لَهُ أَحَدُ بَنِي الضَّبَابِ ، إِذْ جَاءَهُ سَهْمٌ عَائِرٌ .

٥٧٢ - * روى الإمام أحمد عن عقبه بن سُوَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : قَفَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ خَيْبَرَ فَلَمَّا بَدَأَ لَهُ أَحَدٌ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « اللَّهُ أَكْبَرُ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنَحْبُهُ » .

٥٧٣ - * روى أبو داود عن العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : نَزَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ - وَمَعَهُ مَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ - وَكَانَ صَاحِبُ خَيْبَرَ رَجُلًا مَارِدًا مُنْكَرًا ، فَأَقْبَلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَلَمْ أَنْ تَذُبُّوا حُمْرَنَا ، وَتَأْكُلُوا ثَمَرَنَا ، وَتَضْرِبُوا نِسَاءَنَا ؟ فَقَضَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ : « يَا ابْنَ عَوْفٍ ، أَرْكَبُ فَرَسَكَ ، ثُمَّ نَادِ الْأَئِمَّةَ الْجَنَّةَ لَا تَحِلَّ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ وَأَنْ اجْتَمَعُوا لِلصَّلَاةِ » قَالَ : فَاجْتَمَعُوا ، ثُمَّ صَلَّى بِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَامَ فَقَالَ : « أَيْحَسِبَ أَحَدُكُمْ - مُتَّكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ - قَدْ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُحَرِّمْ شَيْئًا إِلَّا مَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ ؟ أَلَا وَإِنِّي وَاللَّهِ ، قَدْ وَعَظْتُ وَأَمَرْتُ وَنَهَيْتُ عَنْ أَشْيَاءَ ، إِنَّهَا لَمَثَلُ الْقُرْآنِ أَوْ أَكْثَرُ ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَحِلَّ لَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا بَيْوتَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا بِإِذْنٍ ، وَلَا ضَرْبَ نِسَائِهِمْ ، وَلَا أَكْلَ ثِمَارِهِمْ ، إِذَا أَعْطَوْكُمْ الَّذِي عَلَيْهِمْ » .

* * *

(١) البخاري (٧ / ٤٨٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٨ - باب غزوة خيبر .

سهم عائير : إذا لم يُدْرَ من أين جاء .

٥٧٢ - أحمد في مسنده (٢ / ٤٤٣) وعقبه ذكره ابن أبي حاتم ، وقال : روى عنه عبد العزيز ولم يجرحه وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٥٥) وقال : وروى عنه الزهري عند أحمد ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح . قال ابن حجر عن عقبه : مجهول ، وصحّح ابن عبد البر حديثه .

٥٧٣ - أبو داود (٣ / ١٧٠) كتاب الخراج - باب في تمشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات . وفي سنده لين ، لكن لبعضه شاهد بسند صحيح .

أريكته : السرير في الحجلة . والحجلة سائر كالقبة .

مارداً : المارد من الرجال : العاقبي الشديد .

فقهيات

من تعليقات الدكتور البوطي على غزوة خيبر هذه المسائل :

(جواز الإغارة على من بلغتهم الدعوة الإسلامية وحقيقتها ، بدون إنذار مسبق أو دعوة مجدة) ، وهو مذهب الشافعية وجمهور الفقهاء ، فذلك ما فعله رسول الله ﷺ في إغارته على خيبر . وأما بلوغ الدعوة وتفهم الإسلام فهما صحيحاً على وجهه فهو شرط بالاتفاق .

(جواز إشراك غير المقاتلين في الغنمة من حضر مكان القتال) ، وذلك بعد استئذان أصحاب الحق فيها . فقد أشرك النبي ﷺ جعفر بن أبي طالب ومن معه في الغنائم ، بإذن من الصحابة . حينما عادوا من الحبشة واليمن .

واعلم أن رواية البخاري في هذا خالية عن التقييد باستئذان المسلمين ، ولكن زاد البيهقي في روايته أن النبي ﷺ قبل أن يقسم لهم كلم المسلمين فأشركهم ، وزيادة العدل مقبولة والذي زاد من قيمة القيد الذي رواه البيهقي أن النبي ﷺ لم يسهم لأبان بن سعيد ، وقد كان أرسله على سرية قبل نجد فعاد منها إلى خيبر بعد انتهاء القتال ، وقال له ﷺ : اقسم لنا يا رسول الله . فلم يقسم له ، وإنما يجمع بين الخبرين بحمل الأول منها على إذن الجماعة في القسمة . والثاني على عدمه .

ولعلك تسأل : فما مصير حكم الغنائم هذا ، مع ما تطورت إليه اليوم حالة الحروب والجند وسياسة عطاءاتهم ومرتباتهم ؟ .

والجواب : أنك قد علمت مما سبق أن الأموال غير المنقولة من الغنائم لا توزع بين المحاربين عند مالك وأبي حنيفة على نحو ما مر بيانه إلا إذا دعت المصلحة أو الضرورة . أما الأموال المنقولة منها فيجب أن توزع على الغانمين بنفس الطريقة التي كان يسلكها رسول الله ﷺ مع ملاحظة ما تطورت إليه وسائل القتال وطرائقه في تفاوت درجات المقاتلين .

ولا مانع من أن توزع عليهم حصصهم على شكل علاوات أو مرتبات متلاحقة إنما المهم أن الدولة لا يجوز لها أن تستملك شيئاً من هذه الأموال لنفسها .

أقول : لا بد من التفريق بين ما إذا كان الجيش نظامياً يأخذ الفرد فيه مرتباً من

الدولة فهذا حكمه حكم الأجير فليس ههنا إلزام على الدولة أن تدفع له سهمه من أربعة أخماس الغنية .

وقال : (مشروعية تقبيل القادم والتزامه) . وهو مما لا نعلم فيه خلافاً معتداً به إذا كان قادماً من سفر أو طال العهد به ، واستدل العلماء في ذلك بتقبيل رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب بين عينيه والتزامه إياه عند قدومه من الحبشة . والحديث رواه أبو داود بسند صحيح . وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله ﷺ في بيتي فأتاه فقرع الباب . فقام إليه النبي ﷺ يجر ثوبه . فاعتنقه وقبله ويشكل عليه في الظاهر ما رواه الترمذي أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله . الرجل منا يلقي أخاه أو صديقه أينحني له ؟ قال : لا . قال : أفيلتزمه ويقبله ؟ قال : لا . قال فيأخذ بيده ويصافحه ؟ قال : نعم .

وجواب الإشكال أن سؤال الرجل في هذا الحديث عن اللقاءات العادية المتكررة بين الرجل وصاحبه . والتقبيل أو الالتزام أمر غير مرغوب فيه في مثل هذه الحال . أما ما فعله رسول الله ﷺ من ذلك بالنسبة لجعفر وزيد فإنما كان ذلك - كما قد علمت على أثر قدوم من سفر - فالحالتان مختلفتان .

* * *

وصل : قصة الحجاج بن علاط

أسلم سرا ولم يعلم بإسلامه أهل مكة :

٥٧٤ - * روى الإمام أحمد عن أنس قال : لما افتتح رسول الله ﷺ خيبر قال الحجاج بن علاط : يا رسول الله إن لي بمكة مالا وإن لي بها أهلا وإنني أريد أن آتيهم فأنا في حل إن أنا نلت منك أو قلت شيئا ؟ فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء فأتى امرأته حين قدِم فقال اجعي لي ما كان عندك ، فإني أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه ، فإنهم قد استبيحوا وأصبحت أموالهم ، قال : وفشا ذلك بمكة وأتقمت المسلمون وأظهر المشركون فرحا وشرورا قال : وبَلَغَ الخبر العباس بن عبد المطلب فقير ، وجعل لا يستطيع أن يقوم قال معمر : فأخبرني عثمان الجزري عن مِقسم قال : فأخذ ابنا له يقال له قثم فاستلقى قوضعه على صدره وهو يقول :

حَبِّي قَثْمُ شَبِيهَهُ ذِي الْأَنْفِ الْأَشْمُ
نَبِيٌّ ذِي النِّعَمِ ، بَرغمٌ مِنْ رَغْمٍ

قال ثابت عن الحجاج عن أنس ثم أرسل غلاما إلى الحجاج بن علاط فقال : وبِكَ ما جئت به وماذا تقول فما وعد الله عز وجل خير مما جئت به ، قال الحجاج بن علاط : لغلامه : اقرأ على أبي الفضل السلام وقل له فليخل لي في بعض بيوتيه لآتيه فإن الخبر على ما يسره فجاء غلامه فلما بلغ باب الدار قال : أبشر أبا الفضل فوثب العباس فرحا حتى قبل بين عينيه فأخبره ما قال الحجاج فأعتقه قال : ثم جاء الحجاج فأخبره أن رسول الله ﷺ قد افتتح خيبر وغنم أموالهم وجرت سهام الله عز وجل في أموالهم واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حيي ، فاتخذها لنفسه وخبرها أن يعتقها وتكون زوجته أو تلحق بأهلها ، فأختارت أن يعتقها وتكون زوجته ، ولكني جئت لِمَالٍ كان لي ههنا أردت أن أجمعه فأذهب به ، فاستأذنت رسول الله ﷺ فأذن لي أن أقول ما شئت ، فأخف عني ثلاثا ثم

٥٧٤ - أحمد في مسنده (٣ / ١٢٨) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٥٤) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري

والطبراني ورجال الصريح .

غفر الرجل عقرأ بقي مكانه لم يتقدم ولم يتأخر لفرغ أصابه كأنه مقطوع الرجل .

اذْكُرْ مَا بَدَأَ لَكَ . قَالَ فَجَمَعَتِ امْرَأَتُهُ مَا كَانَ عِنْدَهَا مِنْ حُلِيِّ أَوْ مَتَاعٍ فَدَفَعَتْهُ إِلَيْهِ ثُمَّ اسْتَمَرَ بِهِ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثِ أَتَى الْعَبَّاسُ امْرَأَةَ الْحَجَّاجِ فَقَالَ : مَا فَعَلَ زَوْجُكَ فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَقَالَتْ : لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ يَا أَبَا الْفَضْلِ ، لَقَدْ شَقَّ عَلَيْنَا الَّذِي بَلَغَكَ ، قَالَ أَجَلُ لَا يُخْزِينِي اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَّا مَا أَحْبَبْنَا ، فَتَحَّ اللَّهُ خَيْبَرَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَجَرَتْ فِيهَا سِهَامُ اللَّهِ وَاصْطَفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَفِيَّةَ بِنْتَ حِمْيَرَ لِنَفْسِهِ ، فَإِنْ كَانَ لَكَ حَاجَةٌ فِي زَوْجِكَ فَالْحَقِي بِهِ ، قَالَتْ : أَطْنُكَ وَاللَّهِ صَادِقًا . قَالَ : فَإِنِّي صَادِقٌ ، وَالْأَمْرُ عَلَى مَا أَخْبَرْتُكَ فَذَهَبَ حَتَّى أَتَى مَجَالِسَ قُرَيْشٍ وَهُمْ يَقُولُونَ إِذَا مَرَّ بِهِمْ : لَا يُصِيبُكَ إِلَّا خَيْرٌ يَا أَبَا الْفَضْلِ . قَالَ : لَمْ يُصِْبَنِي إِلَّا خَيْرٌ بِحَمْدِ اللَّهِ قَدْ أَخْبَرَنِي الْحَجَّاجُ بْنُ عَلَاطٍ أَنَّ خَيْبَرَ فَتَحَهَا اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَجَرَتْ فِيهَا سِهَامُ اللَّهِ ، وَاصْطَفَى صَفِيَّةَ لِنَفْسِهِ ، وَقَدْ سَأَلَنِي أَنْ أَخْفِيَ عَنْهُ ثَلَاثًا وَإِنَّمَا جَاءَ لِيَأْخُذَ مَالَهُ وَمَا كَانَ لَهُ مِنْ شَيْءٍ هَا هُنَا ثُمَّ يَذْهَبُ قَالَ : فَرَدَّ اللَّهُ الْكَأْبَةَ الَّتِي كَانَتْ بِالْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ وَمَنْ كَانَ دَخَلَ بَيْتَهُ مُكْتَتِبًا حَتَّى أَتَوْا الْعَبَّاسَ ، فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ ، فَسَرَّ الْمُسْلِمُونَ وَرَدَّ اللَّهُ يَغْنِي مَا كَانَ مِنْ كَأْبَةٍ أَوْ غَيْظٍ أَوْ حُزْنٍ عَلَى الْمُشْرِكِينَ .

* * *

فصل : في غزوة الرقاع

٥٧٥ - * روى مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ ، بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ ، فَتَقَبَّتُ أَقْدَامُنَا ، فَتَقَبَّتُ قَدَمَايَ ، وَسَقَطْتُ أَظْفَارِي ، فَكُنَّا نُلْفُ عَلَى أَرْجُلِنَا الْحِرْقَ ، فَسُمِّيَتْ : غَزْوَةُ ذَاتِ الرَّقَاعِ ، لِمَا كُنَّا نَعَصَّبُ عَلَى أَرْجُلِنَا مِنَ الْحِرْقِ . قَالَ : وَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا الْحَدِيثِ ، ثُمَّ كَرِهَ ذَلِكَ ، قَالَ : مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بَأَنْ أَذْكَرَهُ ؟ كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْئاً مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ .

قال أبو أسامة : وزادني غيرَ بريدٍ : والله يجزي به .

قال البخاري : ^(١) وَهِيَ غَزْوَةُ مُحَارِبٍ خَصَفَةَ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ ، مِنْ غَطَفَانَ ، فَنَزَلَ نَخْلًا ، وَهِيَ بَعْدَ خَيْبَرَ ، لِأَنَّ أَبَا مُوسَى جَاءَ بَعْدَ خَيْبَرَ .

٥٧٦ - * روى البخاري عن أبي هريرة : صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ نَجْدٍ صَلَاةَ الْخَوْفِ ، وَإِنَّمَا جَاءَ أَبُو هُرَيْرَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَيَّامَ خَيْبَرَ .

مرت معنا غزوة ذات الرقاع وهي غير غزوة الرقاع هذه وأشرنا إلى اختلاف الرواة في هذا الشأن فليلاحظ القارئ ذلك .

٥٧٥ - مسلم (٣ / ١٤٤٩) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٥٠ - باب : غزوة ذات الرقاع .

والبخاري (٧ / ٤١٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣١ - باب : غزوة ذات الرقاع .

نعتقبه : اعتقَابُ الْمَرْكُوبِ : هو أَنْ يَرْكَبَهُ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ .

تقب : البعير ، بالكسر : إِذَا رَمَتْ أَخْفَافَهُ ، والمراد به : تَقَرَّحَتْ .

(١) البخاري (٧ / ٤١٦) في الموضع السابق .

٥٧٦ - البخاري (٧ / ٤٢٦) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣١ - باب غزوة ذات الرقاع .

فصل : في سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوخ

٥٧٧ - * روى الطبراني عن جندب بن عبد الله الجهني قال : بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبي ، كلب عوف بن ليث في سرية كنت فيهم ، فأمره أن يشن الغارة على بني الملوخ بالكديد قال : فخرجنا حتى إذا كنا بقديد لقينا الحارث بن برصاء الليث فأخذناه قال : إنما جئت لأسلم ، إنما خرجت أريد رسول الله ﷺ . قال : قلنا إن تكن مسلماً فلن يضرك رباط ليلة ، وإن تكن غير ذلك فسئوئنا منك ، فأوثقناه رباطاً ، ثم خلّفنا عليه رويلاً لنا أسود كان معنا فقلنا له : إن نازعك فاحتر رأسه ، ثم أتينا الكديد مع مغرب الشمس وكنا في ناحية من الوادي وبعثنا أصحابي ربيعة لهم إلى تل مشرف على الحاضر قال : فأسندت فيه حتى إذا كنت على ظهره ونظرت إلى القوم انبطحت ، فوالله إني لعليه أنظر إذ خرج رجل من خبائه فقال لامرأته : والله إني لأرى سواداً ما رأيته في أول النهار ، فانظري في أوعيتك لا يكون الكلاب اجترت بعضها . فنظرت قالت : فوالله ما أقيدت من أوعيتي شيئاً . قال : أعطيني قوسي . فأعطته قوساً وسهمين معها قال : فرمى بسهم فوالله ما أخطأ جنبي قال : فانتزعته وثبت ، قال : ثم رمى بالآخر فوضعه في منكبها فانتزعته وثبت ، فقال لامرأته : لو كانت زائلة لقد تحرك بعد لقد خالطه سهايا فإذا أنت أصبحت فابتغيها فخذيهما لا تضيعهما الكلاب . قال : ثم دخل حتى إذا راحت رائحة الناس من إبلهم وغنهم قد احتلبوا وغبطوا واطمأنوا شئنا عليهم الغارة فقتلنا واستقنا الغنم ، ثم وجهناها وخرج صريخ القوم في قومهم ، فجاءهم الدهم فجاءوا في طلبنا حتى مررنا بابن البرصاء

٥٧٧ - المعجم الكبير (٢ / ١٧٨) بلفظه .

وأحد في مسنده (٢ / ٤٦٧) .

الربيعة : الطليعة .

الحاضر : الجماعة النازلون على الماء .

أسندت : ارتقيت .

زائلة : أي لو كان ممن يزول .

شئنا عليهم الغارة : مزقنا عليهم الخيل المغيرة .

صريخ القوم : مستغيثهم .

الدهم : الجماعة الكثيرة .

فانطلقنا به معنا وبصاحبنا الذي خلفناه قال : فأدركنا القوم حتى نظرنا إليهم ما بيننا وبينهم إلا الوادي على ناحيته موجهين ومن ناحية الأخرى في طلبنا إذ جاء الله به من حيث شاء ما رأينا قبل ذلك مطرا ما يقدر أحد على أن يجيزه ، لقد رأيتهم وقوفاً ينظرون إلينا ونحن نأخذوها ما يقدر رجل منهم أن يصل إلينا حتى إذا عرجناها ما أنسى قول راجز من المسلمين وهو يأخذوها في أعقابها :

أبى أبـو القـاسـم أن تـعـرّـي في خـطـلـ نـبـأـتـه مـغـلـوبـ
صـفـر أـعـالـيـه كـلـون المـذـهـبـ

سرية غالب الليثي إلى الحرقات من جهينة

وهي معروفة ببعث أسامة بن زيد :

٥٧٨ - * روى البخاري عن أبي ظبيان قال : سمعت أسامة بن زيد يقول : بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة ، فصبّحنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشيناه ، قال : لا إله إلا الله ، فكف الأنصاري فطعنته برمح ، حتى قتلتها ، فلما قدمنا ، بلغ النبي ﷺ ، فقال : « يا أسامة ، أقتلتها بعد ما قال : لا إله إلا الله ؟ » قلت : كان متعوذاً ، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم .

وفي رواية ^(١) قال : بعثنا رسول الله ﷺ في سرية ، فصبّحنا الحرقات من جهينة ،

٥٧٨ - البخاري (٥١٧ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٥ - باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة .

الحرقة : بطن من جهينة .

غشيناه : أدركناه ولحقناه ، كأنهم أتوه من فوقه .

متعوذاً : المتعوذ الملتجئ خوفاً من القتل . وفي مسلم معتصماً .

حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم : أي تمنى أن يكون ذلك الوقت أول دخوله في الإسلام ، لأن الإسلام يجب ما قبله .

(١) مسلم (١ / ١٦) ١ - كتاب الإيمان - ٤١ - باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال : لا إله إلا الله .

فَأَذْرَكْتُ رَجُلًا ، فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . فَطَعَنَتْهُ ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . وَقَتَلْتَهُ ؟ » قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّلَاحِ ، قَالَ : « أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ ، حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا ، أَمْ لَا ؟ » فَمَا زَالَ يَكْرِّرُهَا عَلَيَّ ، حَتَّى تَمْنَيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ ، قَالَ : فَقَالَ سَعْدُ : وَأَنَا وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُ مُسْلِمًا حَتَّى يَقْتُلَهُ ذُو الْبَطْنَيْنِ - يَعْنِي : أَسَامَةَ - قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً ، وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ (١) .

فَقَالَ سَعْدُ : قَدْ قَاتَلْنَا حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً ، وَأَنْتَ وَأَصْحَابُكَ تُرِيدُونَ أَنْ تَقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةً .

قال ابن الأثير :

قُلْتُ : هَذَا سَعْدُ الْمَذْكُورُ فِي الْحَدِيثِ هُوَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ ، وَسَبَبَ هَذَا الْقَوْلِ مِنْ سَعْدٍ ، أَنَّ أَسَامَةَ لَمَّا سَمِعَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَقَاتِلْ مُسْلِمًا ، وَلَا شَهِدَ شَيْئًا مِنَ الْفِتَنِ الْحَادِثَةِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ ، وَكَذَلِكَ سَعْدٌ اعْتَزَلَ عَنِ الْفِتَنِ ، فَلَمْ يَشْهَدْ مِنْهَا شَيْئًا ، وَقَالَ : إِنِّي لَا أَقْتُلُ إِلَّا مَنْ يَقْتُلُهُ أَسَامَةُ ، وَلَيْسَ لِقَوْلِهِ هَذَا فِي الْحَدِيثِ مَدْخَلٌ ، وَلَا لَهُ بِهِ تَعَلُّقٌ .

قال في الفتح : وهذه السرية يقال لها سرية غالب بن عبد الله الليثي ، وكانت في رمضان سنة سبع فيما ذكره ابن سعد عن شيخه ، وكذا ذكره ابن إسحاق في المغازي (حدثني شيخ من أسلم عن رجال من قومه قالوا : بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبي ثم الليثي إلى أرض بني مرة وبها مرداس بن نهيك حليف لهم من بني الحُرَّة فقتله أسامة) فهذا يبين السبب في قول أسامة (بعثنا إلى الحرقات من جهينة) والذي يظهر أن قصة الذي قتل ثم مات فدفن ولفظته الأرض غير قصة أسامة ، لأن أسامة عاش بعد ذلك دهرًا طويلا ، وترجم البخاري في المغازي (بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة) فجري الداودي في شرحه على ظاهره فقال فيه (تأمير من لم يبلغ) وتعقب من وجهين : أحدهما أنه ليس فيه تصريح بأن أسامة كان الأمير إذ يحتمل أن يكون جعل

الترجمة باسمه لكونه وقعت له تلك الواقعة لا لكونه كان الأمير ، والثاني أنها إن كانت سنة سبع أو ثمان فما كان أسامة يومئذ إلا بالغا لأنهم ذكروا أنه كان له لما مات النبي ﷺ ثمانية عشر عاماً .

قوله (أقتلته بعد ما قال) في رواية الكشيبي (بعد أن قال) قال ابن التين : في هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعظة حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد ، وقال القرطبي : في تكريره ذلك والإعراض عن قبول العذر زجر شديد عن الإقدام على مثل ذلك . وقال الخطابي : لعل أسامة تأول قوله تعالى ﴿ فَمَنْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ ^(١) ولذلك عذره النبي ﷺ فلم يلزمه دية ولا غيرها . قلت : كأنه حمل نفي النفع على عمومه دنيا وأخرى ، وليس ذلك المراد ، والفرق بين المقامين أنه في مثل تلك الحالة ينفعه نفعاً مقيداً بأن يجب الكف عنه حتى يختبر أمره هل قال ذلك خالصاً من قلبه أو خشية من القتل ، وهذا بخلاف ما لو هجم عليه الموت ووصل خروج الروح إلى الغرغرة وانكشف الغطاء فإنه إذا قالها لم تنفعه بالنسبة لحكم الآخرة وهو المراد من الآية ، وأما كونه لم يلزمه دية ولا كفارة فتوقف فيه الداودي وقال : لعله سكت عنه لعلم السامع أو كان ذلك قبل نزول آية الدية والكفارة ، وقال القرطبي : لا يلزم من السكوت عنه عدم الوقوع ، لكن فيه بعد لأن العادة جرت بعدم السكوت عن مثل ذلك إن وقع ، قال : فيحتمل أنه لم يجب عليه شيء لأنه كان مأذوناً له في أصل القتل فلا يضمن ما أتلف من نفس ولأمال كالحاتن والطبيب ، أو لأن المقتول كان من العدو ولم يكن له ولي من المسلمين يستحق ديته ، قال : وهذا يتمشى على بعض الآراء ، أو لأن أسامة أقر بذلك ولم تقم بذلك بينة فلم تلزم العاقلة الدية وفيه نظر . قال ابن بطال : كانت هذه القصة سبب حلف أسامة أن لا يقاتل مسلماً بعد ذلك ، ومن ثم تخلف عن علي في الجمل وصفين قلت : وكذا وقع في رواية الأعمش المذكورة أن سعد بن أبي وقاص كان يقول : لأقاتل مسلماً حتى يقاتله أسامة . واستدل به النووي على رد الفرع الذي ذكره الرافعي فيمن رأى كافراً أسلم فأكرم إكراماً كثيراً ، فقال : ليتني كنت كافراً فأسلمت لأكرم ، فقال الرافعي : يكفر بذلك ، ورده

(١) غافر : ٨٥ .

النووي بأنه لا يكفر لأنه جازم الإسلام في الحال والاستقبال وإنما تمنى ذلك في الحال الماضي
مقيّدا له بالإيمان ليتم له الإكرام واستدلّ بقصة أسامة ثم قال : ويمكن الفرق . اهـ .

* * *

فصل : في عمرة القضاء

٥٧٩ - * روى البخاري عن البراء رضي الله عنه قال : اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة ، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة ، حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام . فلما كتبوا الكتاب كتبوا : هذا ماقاضى عليه محمد رسول الله ﷺ ، فقالوا : لا تقر بها ، فلو نعم أنك رسول الله مامنعناك ، لكن أنت محمد بن عبد الله . قال : « أنا رسول الله ، وأنا محمد ابن عبد الله » ثم قال لعلي : « أمح رسول الله » قال : لا والله لا أمحوك أبداً ، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب فكتب : هذا ماقاضى عليه محمد بن عبد الله ، لا يدخل مكة سلاح إلا في القرب ، وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه ، وأن لا يمنع أحداً من أصحابه أراد أن يقيم بها . فلما دخلها ومضى الأجل أتوا علياً فقالوا : قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل . فخرج النبي ﷺ ، فتبعته ابنة حمزة - ياعم ، ياعم - فتناولها علي فأخذ بيدها وقال لفاطمة : دونك ابنة عمك احملها . فاختصم فيها علي وزيد وجعفر . فقال علي : أنا أحق بها وهي ابنة عمي وخالتها تحتي . وقال زيد : ابنة أخي . فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال : « الحالة بمنزلة الأم » وقال لعلي : « أنت مني وأنا منك » وقال لجعفر : « أشبهت خلقي وخلقي » وقال لزيد : « أنت أخونا ومولانا » .

وفي رواية (١) قال : لما صالح رسول الله ﷺ أهل الحديبية : كتب علي بينهم كتاباً ، فكتب : محمد رسول الله . فقال المشركون : لا تكتب : محمد رسول الله ، لو كنت رسولا لم تقابلك . فقال لعلي : « أمحه » فقال علي : ما أنا بالذي أحياه . فمحا رسول الله ﷺ بيده ، وصالحهم على أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيام ، وأن لا يدخلوها إلا بجلبان السلاح ، فسألوه : ما جلبان السلاح ؟ فقال : « القرب بما فيه » .

٥٧٩ - البخاري (٥ / ٣٠٣) ٥٣ - كتاب الصلح - ٦ - باب كيف يكتب : « هذا ماصالح فلان بن فلان فلان ابن فلان » . وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه .

(١) البخاري (٥ / ٣٠٣) ٥٣ - كتاب الصلح - ٦ - باب كيف يكتب : « هذا ماصالح فلان بن فلان فلان بن فلان » . وسلم نحوه (٣ / ١٤٠٩) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٤٣ - باب صلح الحديبية في الحديبية .

جلبان السلاح : جلبان أيضاً ، يقال للقرب وما فيه : جلبان .

القرب : قرب السيف : ما يوضع فيه بغيره ، شبيه بالجرب ، وأرادوا في صلحهم أن يستروا السلاح ولا يظهره . =

وفي رواية ^(١) قال : صالح النبي ﷺ المشركين يوم الحديبية على ثلاثة أشياء : على أن من أتاه من المشركين ردّه إليهم ، ومن أتاهم من المسلمين لم يرّده ، وعلى أن يدخلها من قابل ، ويقيم بها ثلاثة أيام ، ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح - السيف والقوس ونحوه - فجاء أبو جندل يحجل في قيوده ، فردّه إليهم .

- وفي أخرى ^(٢) : أن النبي ﷺ لما أراد أن يعتمر أرسل إلى أهل مكة يستأذنهم ليدخل مكة ، فاشتروطا عليه : أن لا يقيم بها إلا ثلاث ليالٍ ، ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح ، ولا يدعوا منهم أحداً ، قال : فأخذ يكتب الشرط بينهم علي بن أبي طالب ، فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فقالوا : لو علمنا أنك رسول الله ، لم نغنىك ، ولتأبغناك . ولكن اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ، فقال : « أنا والله محمد بن عبد الله ، وأنا والله رسول الله » قال : وكان لا يكتب قال ، فقال لعلي : « امح رسول الله » فقال علي : والله لأمحاه أبداً ، قال : « فأرنيه » . قال : فأراه إياه ، فحاه رسول الله ﷺ بيده ، فلما دخل ومضت الأيام أتوا علياً ، فقالوا : مَرُّ صاحبك فليتحل ، فذكر ذلك علي لرسول الله ﷺ ، فقال : « نعم » . فازتحل .

وفي أخرى ^(٣) : ثم قال لعلي : « امح رسول الله » قال : لا ، والله لأمحوك أبداً ، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ... الحديث . وفيه ذكر بنت حمزة ، والأخذ لها ، والخصومة فيها .

قال في الفتح : قوله (ثم قال لعلي : امح رسول الله) أي امح هذه الكلمة المكتوبة من

= وقال الأزهري : القرباب : غمد السيف ، والجلبان : شبه الجراب من الأدم يوضع فيه السيف مغموذاً ، وي طرح فيه الراكب سوطه وأداته ، ويعلقه في آخره الرُّحل ، أو واسطته ، وكان اشتقاقه من الجلبية ، وهي الجلد التي تجعل على القتب ، وهي كالغشاء للقرباب ، وكذلك الجلد التي تغطى بها التبة تسمى جلباناً ، وقال ابن قتيبة « جلبان » ، بضم الجيم واللام وتشديد الباء ، قال : ولا أراه سمي بذلك إلا لجفائه ، ولذلك قيل للمرأة الغليظة الجافية : جلبانة وفي بعض الروايات « ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح : السيف ، والقوس ونحوهما » يريد : ما كان مغمداً يحتاج في إظهاره إلى معاناة ، لا بالرماح والقنا ، لأنها أسلحة مظهرية يمكن تعجيل الأذى بها ، قال الهروي : والقول ما قال الأزهري .

(١) البخاري (٣٠٤ / ٥) ٥٢ - كتاب الصلح - ٧ - باب الصلح مع المشركين .

(٢) البخاري (٢٨٢ / ٦) ٥٨ - كتاب الجزية والموادعة - ١٩ - باب المصالحة على ثلاثة أيام أو وقت معلوم .

(٣) البخاري (٣٠٣ / ٥) ٥٣ - كتاب الصلح - ٦ - باب كيف يكتب « هذا ماصالح فلان بن فلان فلان بن فلان » .

الكتاب ، فقال : لا والله لأعحوك أبداً ، وللنسائي من طريق علقمة بن قيس عن علي قال : (كنت كاتب النبي ﷺ يوم الحديبية فكتبت : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، فقال سهيل : لو علمنا أنه رسول الله ماقاتلناه ، أعها فقلت : هو والله رسول الله ﷺ وإن رغم أنفك ، لا والله لأعحوها) وكان عليا فهم أن أمره له بذلك ليس متحتا ، فلذلك امتنع من امتثاله . ووقع في رواية يوسف بعد (فقال لعلي : امح رسول الله ، فقال : لا والله لأعحاه أبدا . قال . فأرنيه ، فأراه إياه فحبا النبي ﷺ بيده) ونحوه في رواية زكريا عند مسلم وفي حديث علي عند النسائي وزاد (وقال : أما إن لك مثلها ، وستأتيها وأنت مضطر) يشير ﷺ إلى ما وقع لعلي يوم الحكين فكان كذلك .

قوله (فخرج النبي ﷺ) في رواية يوسف (فذكر ذلك علي فقال : نعم فارتحل) وفي مغازي أبي الأسود عن عروة (فلما كان اليوم الرابع جاءه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى فقالا : نشدك الله والعهد إلا ماخرجت من أرضنا ، فرد عليه سعد بن عبادة ، فأسكنه النبي ﷺ وأذن بالرحيل) . وأخرج الحاكم في (المستدرک) من حديث ميمونة في هذه القصة (فأتاه حويطب بن عبد العزى) وكأنه كان دخل في أوائل النهار فلم يكمل الثلاث إلا في مثل ذلك الوقت من النهار الرابع الذي دخل فيه بالتلفيق ، وكان مجيئهم في أول النهار قرب مجيء ذلك الوقت . ويؤخذ منه أن الحالة في الحضانة مقدمة على العمة لأن صفية بنت عبد المطلب كانت موجودة حينئذ ، وإذا قدمت على العمة مع كونها أقرب العصبات من النساء فهي مقدمة على غيرها ، ويؤخذ منه تقديم أقارب الأم على أقارب الأب . وعن أحمد رواية أن العمة مقدمة في الحضانة على الحالة ، وأجيب عن هذه القصة بأن العمة لم تطلب . فإن قيل : والحالة لم تطلب ، قيل : قد طلب لها زوجها ، فكما أن للقريب المحضون أن يمنع الحاضنة إذا تزوجت فللزوجة أيضا أن يمنعها من أخذه ، فإذا وقع الرضا سقط الحرج . وفيه من الفوائد أيضا تعظيم صلة الرحم بحيث تقع الخاصة بين الكبار في التوصل إليها وأن الحاكم بين دليل الحكم للخصم ، وأن الخصم يدلي بحجته ، وأن الحاضنة إذا تزوجت بقريب المحضونة لا تسقط حضانتها إذا كانت المحضونة أنثى أخذا بظاهر هذا الحديث قاله أحمد ، وعنه لافرق بين الأنثى والذكر ، ولا يشترط كونه محرما لكن يشترط أن

يكون فيه مأمونا ، وأن الصغيرة لاتشتهى ، ولاتسقط إلا إذا تزوجت بأجنبي ، والمعروف عن الشافعية والمالكية اشتراط كون الزوج جَدًّا للمحزون ، وأجابوا عن هذه القصة بأن العمة لم تطلب وأن الزوج رضي بإقامتها عنده ، وكل من طلبت حضانتها لها كانت متزوجة فرجح جانب جعفر بكونه تزوج الخالة .

٥٨٠ - * روى أبو داود عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ أقام في عُمَرَةِ الْقَضَاءِ ثلاثاً .

٥٨١ - * روى الطبراني عن ابن شهاب قال : لما اعتمر رسول الله ﷺ عُمَرَةَ الْقَضَاءِ أَمَرَ أَصْحَابَهُ ، فَقَالَ « اكْشِفُوا عَنِ الْمَنَائِبِ واسْعُوا فِي الطَّوَافِ » لِيَرَى الْمُشْرِكِينَ جَلَدَتْهُمْ وَقَوَّتُهُمْ ، وَكَانَ يَكِيدُهُمْ بِكُلِّ مَا اسْتَطَاعَ فَأَنكَفَأَ أَهْلَ مَكَّةَ : وَالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ يَنْظُرُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ ، وَغَبَدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ يَرْجُزُ تَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُتَوَشِّحًا بِالسَّيْفِ يَقُولُ :

خَلُّوا فِكْلُ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ	خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ
كَمَا صَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ	فَالْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ	ضَرْباً يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ

وَبَعَثَ رَجَالاً مِنْ أَشْرَافِ الْمُشْرِكِينَ كَرَاهِيَةً أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غِيْظاً وَحَنَقاً وَنَفَاسَةً وَحَسْداً خَرَجُوا إِلَى نَوَاحِي مَكَّةَ فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُسْكَةً وَأَقَامَ ثَلَاثاً .

٥٨٢ - * روى البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ

٥٨٠ - أبو داود (٢ / ٢٠٦) ، كتاب للناسك ، باب المقام في العمرة . ومعناه في الصحيحين .

٥٨١ - أورده الميثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٤٦) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح . وهو مرسل .
الهام : جمع هامة ، وهي الرأس .

مقيله : مَقْرُهُ .

حَنَقاً : غِيْظاً .

٥٨٢ - البخاري (٧ / ٥٠٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٢ - باب عمرة القضاء .

يَقُولُ : لَمَّا اغْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَتْرَانَهُ مِنْ غُلَامَانِ الْمُشْرِكِينَ وَمِنْهُمْ أَنْ يُودُّوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . »

٥٨٣ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : اعتمر رسول الله ﷺ أربعَ عُمَرٍ كُلُّهُنَّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، إِلَّا الَّتِي كَانَتْ مَعَ حَجَّتِهِ : عَمْرَةً مِنَ الْحَدِيبِيَّةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، وَعَمْرَةً مِنَ الْعَامِ الْمَقْبَلِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، وَعَمْرَةً مِنَ الْجِعْرَانَةِ حَيْثُ قَسَمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، وَعَمْرَةً مَعَ حَجَّتِهِ .

وفي رواية أبي داود زيادة في لفظه ^(١) قال : والثانية : حِينَ تَوَاطَوْا عَلَى عُمَرَةٍ قَابِلٍ ، وقال في الرابعة : الَّتِي قَرَنَ مَعَ حَجَّتِهِ .

تعليقات على عمرة القضاء :

قال الدكتور البوطي :

هذه العمرة تعتبر تصديقاً إلهياً لما وعد به النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه من دخولهم مكة وطوافهم بالبيت . وقد رأيت كيف سأل عمر رسول الله ﷺ أثناء صلح الحديبية : أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ فأجابته : « بلى ، أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا ؟ » قال : لا . قال : « فإنك آتية ومطوف به » .

فهذا هو مصداق وعده رسول الله ﷺ . وقد نبه الله عز وجل عباده إلى هذا التصديق في قوله ﷻ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً ﷻ ^(٢) .

٥٨٣ - البخاري (٧ / ٤٣٩) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٥ - باب غزوة الحديبية .

ومسلم (٢ / ٩١٦) ١٥ - كتاب الحج - ٣٥ - باب بيان عدد عَمَرِ النَّبِيِّ ﷺ .

(١) أبو داود (٢ / ٢٠٦) ، كتاب المناسك ، باب العمرة .

عمرة قَابِلٍ : قال قتيبة : يعني : عمرة القضاء في ذِي الْقَعْدَةِ .

(٢) الفتح : ٢٧ .

وقال : ذهب بعض الفقهاء إلى جواز عقد النكاح حالة الإحرام بحج أو عمرة ، اعتماداً على الرواية التي نقلت أنه ﷺ ، عقد على ميونة أثناء إحرامه .

والذي عليه جماهير الفقهاء أنه لا يجوز للمحرم أن يعقد نكاحاً لا لنفسه ولا وكالة عن غيره مطلقاً . وذهبت الحنفية إلى أنه يحرم للمحرم أن يتولى عقد النكاح لغيره ممن لم يكن محرماً .

هذا وقد اعتر رسول الله ﷺ أربع عورات وحج حجة واحدة . أ.هـ

أقول :

كانت عمرة القضاء مقدّمة لفتح مكّة فهي نفسها كانت من قريش استسلاماً وهي أشعرت قريشاً ومن معها بقوة المسلمين ، والأهم من هذا أنها أسقطت أكبر حجج قريش لو أراد رسول الله ﷺ غزوها وهي حماية بيت الله الحرام ، لقد كان بالإمكان أن تدّعي أن محمداً ﷺ عدو للبيت الحرام ولأهله وأنه لا يحترمه ولا يقده بل يريد إنهائه وإبطال مناسكه ، ومن خلال ذلك كان بإمكانها أن تحشد ، ولكن بهذه العمرة انتهت هذه الحجج كلّها ؛ ولذلك فإن فتح مكّة فيما بعد لم يرافقه أي تحشّد خارجي بجانب قريش .

نظرة على أحداث السنة السابعة

أي أفق ذلك الأفق الذي نطلّ عليه ونحن نقرأ سيرة رسول الله ﷺ ، حيث الكفاءة من جهة والتأييد الإلهي أولاً وأخيراً من جهة ثانية ، لم يكن بين رسول الله ﷺ ويهود خيبر عهد ولا عقد ، وكان المتوقع أن يثأروا لإخوانهم بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع ، كما كان من المتوقع أن يلعبوا دورهم في التأليب على رسول الله ﷺ وقد رأينا في أحداث السنة السادسة أنّ بني سعد راسلوا يهود خيبر للعمل المشترك على أن يعطيهم اليهود قمر خيبر ، ولكن سرّية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقتذاك أجهضت الفكرة ، وإذن لابدّ من عمل ضدّ خيبر ، ولكن رسول الله ﷺ أجل ذلك عاماً كاملاً حتّى وادع قريشاً وبذلك أسقط في أيدي أهل خيبر أن يجتمعوا حول قريش أو أن تأتيهم نصرّة من قبلها وقبل أن يصل إلى ديارهم أرسل سرّية إلى غطفان فحال بينها وبين إمداد خيبر ، وأسقط في أيدي اليهود أن يأتيهم مدد من هذا الجانب ، ومن قبل غزا بني سعد وأفقدتهم قوتهم التي يمكن أن يتحرّكوا بها نحو خيبر وبهذا كلّ لم يعد أمام خيبر إلا التسليم ، والتسليم وليس الاستئصال هو هدف رسول الله ﷺ الاستراتيجي إلا إذا كانت هناك أسباب تتطلب غير ذلك كما حدث في أوّل قيام الدولة ، ومن خلال هذه النظرة البعيدة المدى وصل في النهاية فعلاً إلى أن سلّمت له العرب جميعاً ، وجاءته وفودها من كل حدب وصوب ، وهكذا وبأقلّ الخسائر وخذ الجزيرة العربية تحت سلطانه بالهبة والرعب وبالتربية والحب وبال دعوة والعلم ولن نستبق الأحداث ، فأحداث السنة الثامنة كانت هي القنطرة لهذا كلّ ، وذلك بعد أن أزال سلطان قريش السياسي وسلطان اليهود السياسي فلم يبق أمامه شيء .

تظهر لك في أحداث هذه السنة وغيرها حوادث تدلّك على التأديب المستمر الذي كان رسول الله ﷺ يرتقي به بأصحابه ، كحادثة قتل أسامة لمن أسلم تحت السيف . هذه الحوادث تدلّك على ملاحقة رسول الله ﷺ أخطاء النفس البشرية حتّى خلصت لله زاكية مزرّكة .

السَّنة الثَّامِنَةُ لِلْهِجْرَةِ

أحداث السنة الثامنة في سطور

ذكر ابن كثير في أحداث هذه السنة إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة ، فنقل عن الواقدي أنهم قَدِمُوا لهلال صفر سنة ثمان ، وسرية شجاع بن وهب الأسدي إلى هوازن ، وسرية كعب بن عمير إلى قضاة ، ثم ذكر غزوة مؤتة ، وفصل في رسائل رسول الله ﷺ وهنا مع أنه ذكر أن هذه الرسائل كانت في أواخر سنة ست ، والراجح ذلك أو أنها في بداية سنة سبع ، ثم ذكر سرية ذات السلاسل ، وذكر سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر ، مع أن الراجح أنها كانت قبل صلح الحديبية ، لذلك أوردناها في سنة ست ، ثم ذكر غزوة الفتح ، ثم ذكر بعث خالد بن الوليد إلى بني جَذِيمَةَ ، ثم بعثه لهدم العُزَّى ، ثم ذكر غزوة هوازن ويوم حُنين ، ثم سرية أُوطاس ، وحصار الطائف ، ثم مرجعه منها وقسمه الغنائم ، ثم عمرته عليه الصلاة والسلام من الجُعْرَانَةِ ، ثم ذكر عودته إلى المدينة المنورة ، ومقدم كعب بن زهير وإسلامه ، وذكر فيها هدم الكعبة البانية وهي سرية ذي الحَلِصَةِ .

ومن كلام ابن كثير وهو يختم الكلام عن هذه السنة :

قال الواقدي : وفي هذه السنة بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جَنْفَرٍ وعمرو ابني الجُلَنْدِيِّ من الأزد ، وأخذت الجزية من محوس بلدهما ومن حولها من الأعراب ، قال : وفيها تزوج رسول الله ﷺ فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابي في ذي القعدة فاستعادت منه عليه السلام ففارقها . وقيل بل خيَّرها فاخترت الدنيا ففارقها . قال : وفي ذي الحجة منها ولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية القبطية وكانت قابلتها فيه سلمى مولاة رسول الله ﷺ فخرجت إلى أبي رافع فأخبرته ، فذهب فبشر به رسول الله ﷺ ، فأعطاه مملوكا ودفعه رسول الله ﷺ إلى أم برة بنت المنذر بن أسيد بن خدّاش بن عامر بن غُثَم بن عديّ بن النجار ، وزوجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن مبدول ، قال الواقدي : وفيها كان هدم سَوَاع الذي كانت تعبد هذيل ، هدمه عمرو بن العاص رضي الله عنه ، وفيها هدم مائة بالمشلل ، وكانت الأنصار أوسها وخزرجها يعظمونه ، هدمه سعد بن

زيد الأشهلي رضي الله عنه ا . ه .

وقد تتبّع المباركفوري أحداث هذه السنة من زاد المعاد ، ورحمة للعالمين ، وتلقيح فهم أهل الأثر وكتب الحديث الشريف وبعض شروحها وابن هشام ومختصر سيرة الرسول فأعطانا خلاصة ذكرها متفرقة في سياقات مختلفة وها نحن تقدّمها تارة بلفظه وتارة باختصار .

* في صفر أرسل رسول الله ﷺ سرية غالب بن عبد الله إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك في مائتي رجل ، فأصابوا من العدو نعباً ، وقتلوا منهم قتلى .

* وفي ربيع الأول كانت سرية ذات أطلاح إلى بني قضاة فقد حشدت بنو قضاة جمعاً كبيراً للإغارة على المسلمين ، فبعث إليهم رسول الله ﷺ كعب بن عمير الأنصاري في خمسة عشر رجلاً ، فلقوا العدو ، فدعاهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل حتى استشهدوا كلهم إلا رجلاً واحداً ، فقد أُرثت^(١) من بين القتلى .

* وفي ربيع الأول كانت سرية ذات عرق إلى بني هوازن (وهي أشبه أن تكون سرية استطلاع) فقد كانت بنو هوازن أمدت الأعداء مرة بعد أخرى فأرسل إليهم شجاع بن وهب الأسدي في خمسة وعشرين رجلاً ، فاستاقوا نعباً من العدو ولم يلقوا كيداً .

* وفي جمادى الأولى سنة - ٨ - للهجرة حدثت معركة مؤتة وكان سببها قتل شرحبيل ابن عمرو الغساني لرسول الله ﷺ الحارث بن عمرو الأزدي ، فأرسل له رسول الله ﷺ جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل ، وكانت هذه المعركة هي المقدمة والتهديد لفتح بلاد الشام .

* وفي جمادى الآخرة أرسل رسول الله ﷺ سرية على رأسها عمرو بن العاص وكان قوامها ثلاثمائة مقاتل ، وقد أمره رسول الله ﷺ أن يجنّد في طريقه من يستطيع تجنيده من القبائل التي يمرّ بها ، وكان هدفها فصل التلاحم بين بعض القبائل العربية والرومان ، وقطع الطريق على غزو القبائل المتاخمة للشام للمدينة المنورة ، وهذه السرية تسمى سرية

(١) أُرثت فلان : ضرب في الحرب فأُثِنَ وحُل وبه رَقَق ثم مات .

ذات السلاسل وقد أمدّ الرسول ﷺ عمرو بن العاص بمائتين على رأسهم أبو عبيدة بن الجراح ، وقد سيطرت هذه السرايا على المناطق الشمالية للجزيرة العربية وأخضعتها .

* وفي شعبان سنة - ٨ - أرسل رسول الله ﷺ أبا قتادة في خمسة عشر رجلا في عملية خاطفة إلى بني غطفان في نجد الذين كانوا يتحشّدون لرسول الله ﷺ في خضرة فقتل وسبا وغنم فأجهض بهذه العملية فكرة التحشّد .

* وفي رمضان سنة - ٨ - تم فتح مكة بعد أن غدرت قريش بحلفاء رسول الله ﷺ من بني خزاعة .

* ومن مكة بعد فتحها أرسل رسول الله ﷺ عددا من السرايا :

١ - سرية خالد بن الوليد إلى العزى لخمس بقين من شهر رمضان سنة - ٨ - للهجرة ليهدمها ، وكانت بنخلة ، وكانت لقريش وجميع بني كنانة ، وهي أعظم أضرابهم . وكان سدنتها بني شيبان ، فخرج إليها خالد في ثلاثين فارساً حتى انتهى إليها ، فهدمها . ولما رجع سأله رسول الله ﷺ : « وهل رأيت شيئا ؟ » قال : لا ، قال : « فإنك لم تهدمها فارجع إليها فاهدمها » فرجع خالد متغيظاً قد جرد سيفه ، فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء ناشرة الرأس ،^(١) فجعل السادن يصيح بها ، فضر بها خالد فجزلها باثنتين ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال : « نعم ، تلك العزى ، وقد أيسر أن تعبد في بلادكم أبدا » .

٢ - ثم بعث عمرو بن العاص في نفس الشهر إلى سَوَاع ليهدمه ، وهو صنم هُذَيْل ، على ثلاثة أميال من مكة ، فلما انتهى إليه عمرو قال له السادن : ماتريد ؟ قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أهدمه ، قال : لا تقدر على ذلك ، قال : لم ؟ قال : تمنع . قال : حتى الآن أنت على الباطل ؟ ويحك ، فهل يسمع أو يبصر ؟ ثم دنا فكسره ، وأمر أصحابه فهدموا بيت خزائنه ، فلم يجدوا فيه شيئا . ثم قال للسادن : كيف رأيت ؟ قال : أسلمت لله .

(١) امرأة عريانة سوداء ناشرة الرأس : الظاهر أنها شيطانة .

٣ - وفي نفس الشهر بعث سعد بن زيد الأشهلي في عشرين فارساً إلى مناة وكانت بالمشلل عند قديد للأوس والخزرج وغسان وغيرهم ، فلما انتهى سعد إليها قال له سادنها : ماتريد ؟ قال : هدم مناة ، قال : أنت وذاك ، فأقبل إليها سعد ، وخرجت امرأة غريانة سوداء ثائرة الرأس ، تدعو بالويل ، وتضرب صدرها ، فقال لها السادن : مناة دونك بعض عصاتك . فضر بها سعد فقتلها ، وأقبل إلى الصنم فهدمه وكسره ، ولم يجدوا في خزانته شيئاً .

٤ - ولما رجع خالد بن الوليد من هدم العزى بعثه رسول الله ﷺ في شوال من نفس السنة - ٨ هـ - إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام لامقاتلاً . فخرج في ثلاثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار وبني سليم ، فانتهم إليهم فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يحسنوا أن يجيبوا . فقال خالد : « ما أنا بقاتل ، أنا » فهدم خالد بقوله بأسه هـ^(١) ، مدفوناً

* وبعد عودة رسول الله ﷺ إلى المدينة وفد عليه كعب بن زهير ، وقد كانت عودة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة ليست بـقِيْنٍ من ذي القعدة ويعودته دخلت الدعوة الإسلامية في طَور جديد ، طور الدخول في دين الله أفواجا ، فبدأت الوفود تتّرى إلى المدينة المنورة داخلة في الإسلام ، مقدّمة الطاعة والولاء لرسول الله ﷺ . ا هـ .

وإذ لم يكن السرد التاريخي هدفا لنا في هذا الكتاب إلا بالقدر الذي يلقي أضواء على الفهم العام للسيرة النبوية ، فسنكتفي بأن نعقد فصولا للأحداث التي يعتبر التفصيل فيها هدفا من أهداف هذا القسم .

كانت سياسة الرسول ﷺ ألا يسكت على اعتداء ، فهناك فارق كبير بين الاعتداء الشخصي وبين الاعتداء على الدولة ، لقد تحمّل رسول الله ﷺ من الاعتداء على شخصه ما تنوء به الجبال وكلّ ذلك في الله وبالله ، وما من عاقل إلا ويعلم أنّ رسول الله ﷺ لم تكن تصرفاته أثرا عن هوى ، ولكنها الحكمة التي تضع الأمور مواضعها ، والسكوت على الاعتداء على الدولة يفقدها هيبتها ويزيد طمع الطامعين بها ويؤلّب عليها أعداءها ، كما أنّ من سياسة رسول الله ﷺ ألا ينتظر الاعتداء حتّى يقع ؛ لأنّ درهم وقاية خير من قنطار علاج ، بل هو عليه الصلاة والسلام كان يفجأ المعتدي قبل استكمال أدوات اعتدائه ، ولقد كانت هذه المعاني وراء أهم أحداث السنة الثامنة .

* * *

فصل : في إسلام خالد وعمر وعثمان بن طلحة

أسلم هؤلاء الثلاثة قبل الفتح بإجماع ، وهناك روايات تذكر أنهم أسلموا مع بعضهم ، وعامة أهل السير يقولون : إنهم أسلموا في السنة الثامنة ، وكلّ منهم له دور ما في الأحداث من قبل ومن بعد على تفاوت في ذلك ، وليس لنا ما نقوله هنا أو ننقله فستأتي تراجهم فيما بعد ولكن نحبّ أن نذكر تعليقا بسيطا على إسلامهم لأنّ له دلالات هامّة ! فههنا ثلاث شخصيات كلّ منها له طابع مميّز :

أمّا عمرو فبعيد النظر يزن الأمور بميزان الأرباح والخسائر وهو ذو عقل استراتيجي درّاك لمّاح وأمّا خالد فشجاع مقدام مقاتل حرّ النفس .

وأمّا عثمان فن آل بيت يتألّهون ، أليست لهم حجابة الكعبة ، فعندما يأتي هؤلاء جميعا إلى محمد ﷺ مسلمين فإنّك تدرك تغيّر الميزان وتدرك أنّ تغيّرات كبيرة قد طرأت على النفسيّات كلّها ، وأنّ من لم يزل بعيدا عن الإسلام إنّما تحكمه عقد نفسيّة أو تمنعه قوة الاستمرار عن الانتقال إلى الوضع الجديد .

* * *

فصل : في سرية شجاع بن وهب

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية رواية الواقدي عن سرية شجاع بن وهب في أربعة

عشر حلا السجود من ههنا إلى ههنا . أنشأه عام فأمم أم حاطة . الأربعة في الطلب

فصل : في غزوة مؤتة من أرض الشام

قال ابن حجر في الفتح : قال ابن إسحق : هي بالقرب من البلقاء ، وقال غيره هي على مرحلتين من بيت المقدس . ويقال : إن السبب فيها أن شَرْحِبِيلَ بن عمرو الغساني - وهو من أمراء قيصر على الشام - قتل رسولا أرسله النبي ﷺ إلى صاحب بُصْري ، واسم الرسول الحارث بن عير ، فجهز إليهم النبي ﷺ عسكرا في ثلاثة آلاف . وفي (مغازي أبي الأسود) عن عروة : بعث رسول الله ﷺ الجيش إلى مؤتة في جمادى من سنة ثمان وكذا قال ابن إسحاق وموسى بن عقبة وغيرهما من أهل المغازي لا يختلفون في ذلك ، إلا ما ذكر خليفة في تاريخه أنها كانت سنة سبع . أ.هـ

٥٨٥ - * روى الطبراني عن عروة بن الزبير قال : بعث النبي ﷺ بغنا إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، فقال لهم : « إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس » فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج وهم ثلاثة آلاف فلما حصر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم . فلما ودع عبد الله بن رواحة مع من ودع بكى ، فقيل له : ما يبكيك يا ابن رواحة فقال : والله ما بي حُب الدنيا وصباته ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار وإن منكم إلا وادها كان على ربك حتما مقضيا ﴿ ١ ﴾ فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود فقال لهم المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين فقال عبد الله بن رواحة :

لكني أسأل الرحمن مغفرة	وضربة ذات قرع تقذف الزبدا
أو طعنة يدي حران مجهزة	بحربة تنفذ الأخشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدتي	أرشدة الله من غار وقد رشدا

٥٨٥ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٥٧) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات إلى عروة . ١ هـ وهو مرسل .

(١) مريم : ٧١ .

ذات قرع : ذات سعة .

الزبد : رغوۃ الدم .

ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ تَهَيَّؤُوا لِلْخُرُوجِ فَأَتَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُودِّعُهُ فَقَالَ :

يُثَبِّتُ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ تَثْبِيتُ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نَصَرُوا
إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً فِرَاسَةً خَالَفَتْهُمْ فِي الَّذِي نَظَرُوا
أَنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يُحَرِّمُ نَوَافِلَهُ وَالْوَجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أُرْزَى بِهِ الْقَدَرُ

ثُمَّ خَرَجَ الْقَوْمُ وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُشَيِّعُهُمْ حَتَّى إِذَا وَدَّعَهُمْ وَأَنْصَرَفَ عَنْهُمْ قَالَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ :

خَلَفَ السَّلَامُ عَلَى امْرِئٍ وَدَّعْتُهُ فِي النَّخْلِ خَيْرٌ مُشَيِّعٍ وَخَلِيلٍ
ثُمَّ مَضَوْا حَتَّى نَزَلُوا مَعَانَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ فَبَلَّغَهُمْ أَنَّ هِرْقُلَ فِي مَابٍ مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ
فِي مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ وَقَدْ اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ الْمُسْتَعْرِبَةُ مِنْ لَحْمٍ وَجَذَامٍ وَبَلْقَيْنٍ وَبُهْرَاءٍ وَبَلَى فِي
مِائَةِ أَلْفٍ ، عَلَيْهِمْ رَجُلٌ يَلِي أَخَذَ رَايَتَهُمْ يَقُولُ لَهُ مَالِكُ بْنُ زَافِلَةَ قَلْبًا بَلَغَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ
قَامُوا بِمَعَانَ لَيْلَتَيْنِ ، يَنْظُرُونَ فِي أَمْرِهِمْ ، وَقَالُوا : نَكْتُبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنُخْبِرُهُ بِعَدَدِ
عَدُوِّنَا ، فَأَمَّا أَنْ يَدْنَا وَإِمَّا أَنْ يَأْمُرَنَا بِأَمْرِهِ فَنَمْضِي لَهُ فَشَجَّعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ النَّاسَ .
وَقَالَ : يَا قَوْمَ وَاللَّهِ إِنَّ الَّذِي تَكْرَهُونَ لِلَّذِي خَرَجْتُمْ لَهُ تَطْلُبُونَ الشَّهَادَةَ وَمَا تَقَاتِلُ النَّاسَ
بَعْدَهُ وَلَا قُوَّةَ وَلَا كَثْرَةَ إِنَّمَا تَقَاتِلُهُمْ بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ ، فَأَنْطَلِقُوا ، فَإِنَّمَا هِيَ
إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ إِمَّا ظُهُورٌ وَإِمَّا شَهَادَةٌ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، أَنَّهُ
حَدَّثَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ : كُنْتُ يَتِيمًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ فِي حِجْرِهِ فَخَرَجَ فِي سَفَرِهِ
تِلْكَ مُرْدَفِي عَلَى حَقِيبَةٍ رَاحِلَتِهِ وَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَسِيرُ لَيْلَةً إِذْ سَمِعْتُهُ يَتَمَثَّلُ بَيْتُهُ هَذَا :

إِذَا أُدِيتَنِي وَحَمَلْتَ رَحْلِي مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحِجَاءِ ^(١)

فَلَمَّا سَمِعْتُهُ مِنْهُ بِكَيْتٍ فَخَفَقَنِي بِالْدَّرَّةِ ، وَقَالَ : مَا عَلَيْكَ يَا لَكْعَ أَنْ يَرْزُقَنِي اللَّهُ الشَّهَادَةَ

= أُرْزَى : أَدْخَلَ عَلَيْهِ عَيْبًا .

حَقِيبَةُ الرَّحْلِ : هِيَ الزِّيَادَةُ الَّتِي تَجْعَلُ فِي مُؤَخَّرَةِ الْقَتَبِ ، وَالْوَعَاءُ الَّذِي يَجْمَعُ فِيهِ الرَّجُلُ زَادَهُ .
وَالْقَتَبُ : هُوَ الرَّحْلُ الصَّغِيرُ عَلَى قَدَرِ سَنَامِ الْبَعِيرِ .

(١) أَقُولُ فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ : أَرْبَعَةُ أَبْيَاتٍ بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ يَتَوَقَّعُ فِيهَا الشَّهَادَةُ .

وترجع بين شُعْبَتَيْ الرَّحْلِ ومضى الناسُ حتى إذا كانوا بَتُخُومِ الْبَلْقَاءِ لَقِيَتْهُمْ جُمُوعٌ هَزَلَتْ من الروم والعربِ بقريةٍ من قَرَى الْبَلْقَاءِ يُقَالُ لها : مَابٌ ، ثم دنا العدو واغاز المسلمون إلى قريةٍ يقال لها : مَوْتَةٌ ، فالتقى الناسُ عندها وتعبوا المسلمون فجعلوا على مَيْمَنَتِهِمْ رجلاً من بني عذرةٍ يقال له : قُطْبَةُ بْنُ قَتَادَةَ ، وعلى مَيْسَرَتِهِمْ رجلاً من الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ عِبَادَةُ بْنُ مَالِكٍ ، ثُمَّ التَقَى النَّاسُ وَاقْتَتَلُوا فَقَاتَلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بَرَايَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى شَاطَ فِي رِمَاحِ الْقَوْمِ ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى إِذَا أَلْجَمَهُ الْقِتَالُ اقْتَحَمَ عَنْ فَرَسٍ لَهُ شَقْرَاءَ فَعَقَرَهَا فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ ، وَكَانَ جَعْفَرُ أَوَّلَ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَقَرَ فِي الْإِسْلَامِ .

٥٨٦ - * روى الطبراني عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال : حَدَّثَنِي أَبِي الَّذِي أَرْضَعَنِي ، وَكَانَ أَحَدَ بَنِي مَرْثَةَ بْنِ عَوْفٍ ، وَكَانَ فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ غَزْوَةً مَوْتَةٌ قَالَ : وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حِينَ اقْتَحَمَ عَنْ فَرَسٍ لَهُ شَقْرَاءَ ثُمَّ عَقَرَهَا ، ثُمَّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ ، فَلَمَّا قُتِلَ جَعْفَرٌ أَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الرَّايَةَ ثُمَّ تَقَدَّمَ بِهَا وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ فَجَعَلَ يَسْتَنْزِلُ نَفْسَهُ وَتَرَدَّدَ بَعْضُ التَّرَدُّدِ ثُمَّ قَالَ :

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسِي لَتَنْزِلَنِي	طَائِعَةً أَوْ لَتُكْرِهَنِي
مَا لِي أَرَاكَ تَكْرِهِينَ الْجَنَّةَ	إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرَّثَّةَ
لَطَالَمَا قَدْ كُنْتُ مُطْمَئِنَّةً	هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَنَّةِ

= شعبي الرجل : طرفاه المقدم والمؤخر .

تعباً المسلمون : يقال : عَبَأْتُ الْجَيْشَ عَبَاءً ، وَعَبَأْتُهُمْ تَعْبَةً وَتَعْبِيئاً ، وَقَدْ يُتْرَكُ الْمَعْرُ فَيُقَالُ : غَبِيَتْهُمْ تَعْبِيئَةً : أي

رَبَّيْتُهُمْ فِي مَوَاضِعِهِمْ وَهَيَّأْتُهُمْ لِلْحَرْبِ .

شاط الرجل : إذا سال دمه وهلك .

ألجمه القتال : أحاط به .

عقر فرسه : ضرب قوائمها بالسيف . ويحتمل أنه قتلها والهدف من كلا التفسيرين ألا يستفيد منها العدو ، وحتى

لا تاروده نفسه على الحرب عليها .

٥٨٦ - أوردته الميمني في جمع الزوائد (٦ / ١٥٩) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

أجلب : صاح .

الرثّة : صوت فيه ترجيع شبيه بالبكاء .

نطفة : الماء القليل .

= شنة : السقاء البالي . أي فيوشك أن تهراق النطفة أو ينغرق السقاء . ضرب ذلك مثلاً لنفسه في جسده .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ :

يَا نَفْسُ إِنَّ لَا تُقْتَلِي تَمَوِّي هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَّيْتَ
وَمَا تَمَنَيْتِ فَقَدْ لَقِيتِ إِنَّ تَفْعَلِي فِعْلَهَا هُوَ سَدِيدٌ

ثُمَّ نَزَلَ ، فَلَمَّا نَزَلَ أَتَاهُ ابْنُ عَمٍّ لَهُ بِعَظْمٍ مِنْ لَحْمٍ فَقَالَ : اشدُّدْ بِهَذَا صَلْبِكَ فَإِنَّكَ قَدْ لَقِيتَ فِي أَيَّامِكَ هَذِهِ مَا قَدْ لَقِيتَ ، فَأَخَذَهُ مِنْ يَدِهِ ، فَانْتَهَسَ مِنْهُ نَهْشَةً ، ثُمَّ سَبَّحَ الْحَطْمَةَ فِي نَاحِيَةِ النَّاسِ فَقَالَ : وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ أَلْقَاهُ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَتَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَأَخَذَ الرَّايَةَ ثَابِتُ بْنُ أَقْرَمَ أَحَدَ بَنِي الْعَجْلَانِ وَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اضْطَلِحُوا عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ قَالُوا : أَنْتَ ، قَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ، فَاضْطَلَحَ النَّاسُ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَلَمَّا أَخَذَ الرَّايَةَ دَافَعَ الْقَوْمَ ، ثُمَّ انْخَارَ حَتَّى انْصَرَفَ فَلَمَّا أُصِيبُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرُ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قَتَلَ شَهِيداً » ثُمَّ صَمَتَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وَجُوهُ الْأَنْصَارِ ، وَظَنُّوا أَنَّهُ كَانَ فِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ رَوَاحَةَ بَعْضُ مَا يَكْرَهُونَهُ قَالَ : « ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ بِهَا ، حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً ، ثُمَّ قَالَ : « لَقَدْ رَفَعُوا إِلَيَّ فِي الْجَنَّةِ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ عَلَى سُرُرٍ مِنْ ذَهَبٍ فَرَأَيْتُ فِي سَرِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ ازْوِجَاراً عَنْ سَرِيرِي صَاحِبِيهِ ، فَقُلْتُ : بِمِ هَذَا فَقِيلَ لِي : مَضَيَا وَتَرَدَّدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ بَعْضَ التَّرَدُّدِ وَمَضَى » .

٥٨٧ - * روى أحمد عن أبي قتادة الأنصاريِّ فَارِسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قال : بعث رسول الله ﷺ جَيْشَ الْأَمْوَاءِ ، فَقَالَ : « عَلَيْكُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرُ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيُّ » فَوُتِبَ جَعْفَرُ فَقَالَ : يَا أَبَايَ أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كُنْتُ أَرْهَبُ ، أَنْ تَسْتَعْمِلَ عَلَيَّ زَيْدًا ، قَالَ : « امْضِ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَيُّ ذَلِكَ خَيْرٌ » . فَاذْطَلَقُوا فَلَبِثُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

= نَهَسَ : أَخَذَ مِنْهُ بِفَمِهِ يَسِيراً .

الْحَطْمَةُ : زَحَامُ النَّاسِ وَحَطَمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا .

٥٨٧ - أحمد في مسنده (٣٠٠ / ٥) .

قال الميثقي في جمع الزوائد (١٥٦ / ٦) : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح غير خالد بن شبيب ، وهو ثقة .

أرهب : بمعنى أخاف ، والمراد : ما كنت أتوقع .

صَعِدَ الْمِنْبَرَ وَأَمَرَ أَنْ يُنَادَى الصَّلَاةُ جَامِعَةً ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نَابَ خَيْرًا - أَوْ بَاتَ خَيْرًا أَوْ نَابَ خَيْرًا » شَكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ - أَيُّ الرَّايِ - « أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ جَيْشِكُمْ هَذَا الْغَازِي ؟ إِنَّهُمْ انْطَلَقُوا فَلَقُوا الْعَدُوَّ ، فَأُصِيبَ زَيْدٌ شَهِيدًا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ - فَاسْتَغْفِرْ لَهُ - النَّاسُ . ثُمَّ أَخَذَ اللَّوَاءَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَشَدَّ عَلَى الْقَوْمِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا ، أَشْهَدُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ ثُمَّ أَخَذَ اللَّوَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأَثْبَتَ قَدَمَيْهِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ . ثُمَّ أَخَذَ اللَّوَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَمْرَاءِ هُوَ أَمَرَ نَفْسَهُ « ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْبَعَهُ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِكَ فَانْصُرْهُ » فَمِنْ يَوْمَئِذٍ سُمِّيَ خَالِدٌ سَيْفَ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ : « انْفِرُوا فَأَمِدُّوا إِخْوَانَكُمْ وَلَا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ » . قَالَ : فَتَفَرَّ النَّاسُ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ مُشَاةً وَرُكْبَانًا .

وفي رواية للطبراني ^(١) عن ابن شهاب قَالَ : ثُمَّ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا إِلَى مُوتَةَ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُهُمْ ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرُ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ أَمِيرُهُمْ فَأَنْطَلَقُوا حَتَّى لَقُوا ابْنَ أَبِي سَبْرَةَ الْغَسَّانِي بِمُوتَةَ ، وَبِهَا جَمُوعٌ مِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ وَالرُّومِ ، وَبِهَا تَنَوَّخَ وَبَهَرَاءُ فَأَغْلَقَ ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ دُونَ الْمُسْلِمِينَ الْحِصْنَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ خَرَجُوا فَالْتَقَوْا عَلَى زَرْعٍ أَخْضَرَ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَأَخَذَ اللَّوَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، فَقُتِلَ ، ثُمَّ أَخَذَهُ جَعْفَرُ ، فَقُتِلَ ، ثُمَّ أَخَذَهُ ابْنُ رَوَاحَةَ فَقُتِلَ ثُمَّ اصْطَلَحَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ أَمْرٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَهَزَمَ اللَّهُ الْعَدُوَّ وَأَظْهَرَ الْمُسْلِمِينَ وَبَعَثَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جُمَادَى الْأُولَى .

٥٨٨ - * روى أحمد والطبراني عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَيْشًا، اسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَإِنْ قُتِلَ زَيْدٌ أَوْ اسْتُشْهِدَ فَأَمِيرُكُمْ جَعْفَرُ، فَإِنْ قُتِلَ أَوْ اسْتُشْهِدَ فَأَمِيرُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرُ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ

(١) أورده المهيبي في مجمع الزوائد (٦ / ١٦٠) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات . وهو مرسل .

٥٨٨ - أحمد في مسنده (١ / ٢٠٤) .

قال المهيبي في مجمع الزوائد (٦ / ١٥٦) : رواه أحمد والطبراني ، ورجلها رجال الصحيح .

خالد بن الوليد ففتح الله عليه وأتى خبرهم النبي ﷺ ، فخرج إلى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : « إن إخوانكم لقوا العدو ، وإن زيدا أخذ الراية فقاتل ، حتى قتل أو استشهد ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب ، فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة ، فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ، ففتح الله عليه » ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيتهم ، ثم أتاهم فقال : « لا تبكوا على أخي بعد اليوم ، ادعوا لي بني أخي » قال فجاء بني كنانة أفرخ قال : « ادعوا لي الحلاق » فجاء بالحلاق ، فخلق رؤوسنا ثم قال : « أما محمد فشبه عمنا أبي طالب ، وأما عبد الله فشبه خلقي وخلقي » ثم أخذ بيدي فأشالهما فقال : « اللهم اخلف جعفر في أهله وبارك لعبد الله في صفقة يمينه » قالها ثلاث مرات ، قال : فجاءت أمنا فذكرت يمتنا فقال : « العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة » .

قال ابن حجر بمناسبة إشارته إلى هذه الرواية :

وذكر ابن إسحاق بإسناد حسن وهو عند أبي داود من طريقه عن رجل من بني مرة قال : والله لكأني أنظر إلى جعفر بن أبي طالب حين اقتحم عن فرس له شقراء فعفرها ، ثم تقدم فقاتل حتى قتل . قال ابن إسحاق وحدثني محمد بن جعفر عن عروة قال : ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فالتوى بها بعض الالتواء ثم تقدم على فرسه ثم نزل فقاتل حتى قتل ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم الأنصاري فقال : اصطلحوا على رجل ، فقالوا : أنت لها ، قال : لا ، فاصطلحوا على خالد بن الوليد وروى الطبراني من حديث أبي اليسر الأنصاري قال : « أنا دفعت الراية إلى ثابت بن أقرم لما أصيب عبد الله بن رواحة ، فدفعها إلى خالد بن الوليد وقال له : أنت أعلم بالقتال مني » .

٥٨٩ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « أخذ الراية زيد ، فأصيب ، ثم أخذها جعفر ، فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن

= فأشالهما : فرفعها .

٥٨٩ - البخاري (٦ / ١٦) - ٥٦ - كتاب الجهاد - ٧ - باب تمني الشهادة .

=

رَوَاحَةً ، فَأُصِيبَ - وإن عَيَّنِي رسولُ اللَّهِ ﷺ لتَذْرِفَانِ - « ثم أخذها خالدُ بنُ الوليد من غير إمرة ، ففُتِحَ له . »

وفي رواية ^(١) قال خطبَ النبي ﷺ ، فقال : « أَخَذَ الرَايَةَ زَيْدٌ ، فَأُصِيبَ ... وذكر نحوه ، وقال في آخره : « وما يَسْرُنَا أَنَّهُمْ عِنْدَنَا » قال أيوب : أو قال : « ما يَسْرُهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدَنَا » وعيناه تَذْرِفَانِ .

وفي أخرى : ^(٢) أن النبي ﷺ نَعَى زَيْدًا وجعفرًا وابنَ رَوَاحَةَ للناس ، قبل أن يَأْتِيَهُمْ خَبْرُهُمْ ، فقال : أَخَذَ الرَايَةَ زَيْدٌ ... فذكرهم ، وقال في آخره : « حتى أَخَذَ الرَايَةَ سَيْفٌ من سيوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ » .

٥٩٠ - * روى البخاري عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : أَمَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ، فَقَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ » قال عبدُ اللَّهِ فَكُنْتُ فِيهِمْ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ ، فَالْتَمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَوَجَدْنَاهُ فِي الْقَتْلِ ، وَوَجَدْنَا مَا فِي جَسَدِهِ بَضْعًا وَتَسْعِينَ مِنْ طَعْنَةٍ وَرُمِيَّةٍ .

وفي أخرى ^(٣) : أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى جَعْفَرٍ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ قَتِيلٌ ، فَقَدَدْتُ بِهِ خَمْسِينَ ، بَيْنَ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ ، لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ فِي دُبُرِهِ - يعني في ظهره - .

٥٩١ - * روى البخاري عن قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ : سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ يَقُولُ : لَقَدْ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ ، فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ .

= لتَذْرِفَانِ : ذرفت العين : سال دمعا .

(١) البخاري (١٦ / ٦) ٥٦ - كتاب الجهاد - ٧ - باب غني الشهادة .

(٢) البخاري (٥١٢ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٤ - باب غزوة مؤتة من أرض الشام .

٥٩٠ - البخاري (٥١٠ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٤ - باب غزوة مؤتة من أرض الشام .

(٣) البخاري (٥١٠ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٤ - باب غزوة مؤتة من الشام .

٥٩١ - البخاري (٥١٥ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٤ - باب غزوة مؤتة من أرض الشام .

الصفحة : السيف العريض .

٥٩٢ - * روى الطبراني عن جابر بن عبد الله قال : تبارز عقيل بن أبي طالب رجلاً يوم مؤتة فقتله فنفله رسول الله ﷺ خاتمه وسلبته .

٥٩٣ - * روى الحاكم عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت : لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحزن .

٥٩٤ - * روى الطبراني عن ابن عباس قال : بينما رسول الله ﷺ جالس وأسماء بنت عميس قريبة منه رد السلام ثم قال : « يا أسماء هذا جعفر بن أبي طالب مع جبريل وميكائيل صلى الله عليهما مرؤا فسلموا علينا ، فرددت عليهم السلام وأخبرني أنه لقي المشركين يوم كذا وكذا ، فأصبت في جسدي من مقاديمي ثلاثاً وسبعين بين طعنة وضربة ، ثم أخذت اللواء بيدي اليمنى ، فقطعت ، ثم أخذته باليسار فقطعت ، فعوضني الله من يدي جناحين أطير بهما مع جبريل وميكائيل في الجنة أنزل بهما حيث شئت وأكل من ثمارها ماشئت » فقالت أسماء : هنيئاً لجعفر ما رزقه الله من الخير ، ولكنني أخاف أن لا يصدقني الناس ، فاصعد المنبر فأخبر الناس يارسول الله فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس إن جعفر بن أبي طالب مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه يطير بهما في الجنة حيث شاء ، فسلم علي فأخبر كيف كان أمرهم حين لقي المشركين ، فاستبان للناس بعد ذلك ، أن جعفر لقيهم ، فسمي جعفر الطيار في الجنة ذا جناحين ، يطير بهما ، حيث شاء مخضوبة قوادمه بالدماء » .

٥٩٥ - * روى أبو داود عن عوف بن مالك الأشجعي ، قال : خرجت مع زيد بن

٥٩٢ - مجمع الزوائد (٥ / ٣٣١) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل وهو حسن الحديث وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات .

وقد أسلم عقيل قبل الحديبية ، وهاجر سنة ثمان ، وشهد مؤتة : (تهذيب التهذيب) .

٥٩٣ - المستدرک (٣ / ٢٠٩) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

٥٩٤ - أورده المهيبي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٧٢) ، وقال : رواه الطبراني بإسنادين ، وأحدهما حسن .

٥٩٥ - أبو داود (٣ / ٧١) ، كتاب الجهاد ، باب في الإمام يمنع القاتل السلب إن رأى ، والفرس والسلاح من السلب . =

حارثة في غزوة مؤتة فراقني مددي من أهل اليمن ليس معه غير سيفه ، فنحر رجل من المسلمين جزوراً ، فسأله المددي طائفة من جلده ، فأعطاه إياه ، فاتخذته كهيئة الدُرْقِ ، ومضينا فلقينا جوع الروم وفيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهب وسلاح مذهب فجعل الرومي يُغري بالمسلمين ، ففعد له المددي خلفاً صخرة ، فرببه الرومي ففَرَّقَ فرسه ، فخرّ ، وعلاه فقتله وحاز فرسه وسلاحه ، فلما فتح الله عز وجل للمسلمين بعث إليه خالد بن الوليد فأخذ من السلب ، قال عوف : فأتيته فقلت : يا خالد ، أما علمت أن رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل ؟ قال : بلى ، ولكنني استكثرته ، قلت : لتردّنه عليه أو لأعرفنكها عند رسول الله ﷺ فأبى أن يردّه عليه ، قال عوف : فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ فقصصت عليه قصة المددي وما فعل خالد ، فقال رسول الله ﷺ « يا خالد ، ما حملك على ما صنعت » ؟ قال : يا رسول الله استكثرته ، فقال رسول الله ﷺ : « يا خالد ردّه عليه مأخذت منه » قال عوف : فقلت له دونك يا خالد ألم أف لك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « وما ذلك » ؟ فأخبرته ، قال : فغضب رسول الله ﷺ فقال : « يا خالد لا تردّه عليه ، ها أنتم تاركون لي أمرائي ؟ لكم صِفْوة أمرهم وعليهم كدرة » .

وفي رواية مسلم ^(١) قال : خرّجت مع من خرّج مع زيد بن حارثة في غزوة مؤتة ، وراقني مددي من اليمن .. وساق الحديث عن النبي ﷺ بنحوه هكذا قال مسلم ، ولم يذكر لفظة ، ويعني بنحوه : الرواية التي تجيء له بعد هذه ، فإنه ذكرها في كتابه قبل هذه ، قال : غير أنه قال في الحديث : قال عوف : فقلت : يا خالد ، أما علمت أن رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل ؟ قال : بلى ، ولكنني استكثرته .

المددي

= مددي : أي رجل من المدد الذين جاءوا يمدون جيش مؤتة .

لأعرفنكها : أي : لأجازينك بها ، حتى تعرف صنيعك هذا .

دونك ، أي : خذ ، كأنه وافقه على ما وعده .

صِفْوة الشيء - بكسر الصاد - : خالصه وما صفا منه ، إذا أثبت الماء كسرت الصاد ، وإذا حذفها فتحت ، فقلت :

صِفْوة الشيء .

(١) مسلم (٣ / ١٣٧٢) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ١٢ - باب استحقاق القاتل سلب القتيل .

وَلَهُ فِي رِوَايَةٍ ^(١) قَالَ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ : قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حِمِيرٍ رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ ، فَأَرَادَ سَلْبَهُ ، فَصَنَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ لِيَخَالِدٍ : « مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلْبَهُ ؟ » قَالَ : اسْتَكْثَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « ادْفَعْهُ إِلَيْهِ » فَرَّ خَالِدٌ بِعَوْفٍ فَجَرَّ بِرِدَائِهِ ، ثُمَّ قَالَ : هَلْ أَنْجَزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَغْضِبَ ، فَقَالَ : « لَا تُعْطِيهِ يَا خَالِدُ لَا تُعْطِيهِ يَا خَالِدُ ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أَمْرًا ؟ إِنَّا مِثْلُكُمْ وَمِثْلُهُمْ : كَثَلُ رَجُلٍ اسْتُرْعِيَ إِبِلًا أَوْ غَنَمًا فَرَعَاهَا ، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقْيَهَا ، فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا ، فَشَرَعَتْ فِيهِ ، فَشَرِبَتْ صَفْوَةً وَتَرَكَتْ كَدْرَهُ فَصَفْوُهُ لَكُمْ ، وَكَدْرُهُ عَلَيْهِمْ » .

* * *

(١) مسلم في نفس الموضع السابق (١٢٧٣ / ٣) .

ثَمَعَيْنَ : تَحَيَّنَتْ وَقْتَ الشَّيْءِ : إِذَا انْتَظَرْتَهُ وَتَرَقَّبْتَهُ ، وَهُوَ طَلَبُ الْحَيِّنِ .

فَصَفْوُهُ لَكُمْ ، وَكَدْرُهُ عَلَيْهِمْ أَي : لَا تَتَّقِلُوا عَلَى أَمْرَائِكُمْ فَكَمَا عَلَيْهِمْ وَاجِبَاتُ لَهُمْ حَقُوقٌ يَجِبُ مَرَاعَاتُهَا وَمِنْهَا احْتِرَامُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ .

فصل : في غزوة ذات السلاسل

قَالَ الْبُخَارِيُّ : وَهِيَ غَزْوَةُ لَخْمٍ وَجُدَامٍ ، قَالَه إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ . وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : عَنْ يَزِيدَ عَنْ غُرَّةَ : هِيَ بِلَادُ بَلِيٍّ وَعُدْرَةَ وَبَنِي الْقَيْنِ فِي نُسْخَةٍ : بَنِي الْعَنْبَرِ .

٥٩٦ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي عَثْمَانَ النَّهْدِيِّ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ عَمْرُوَ ابْنَ الْعَاصِ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ ، قَالَ : فَأَتَيْتُهُ ، فَقُلْتُ : أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : « عَائِشَةُ » قُلْتُ : مِنْ الرِّجَالِ ؟ قَالَ : « أَبُوهَا » قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : « عَمْرٌ » فَقَعَدُ رِجَالًا ، فَسَكَتُ ، مَخَافَةً أَنْ يُجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ .

قال ابن حجر : وذكر ابن سعد أنها وراء وادي القرى وبينها وبين المدينة عشرة أيام ، قال : وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان من الهجرة . وأما القبائل التي ذكرها فالثلاثة بطون من قضاة ، أما بَلِيٍّ فبفتح الموحدة وكسر اللام الخفيفة بعدها ياء النسب : قبيلة كبيرة ينسبون إلى بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، أما عُدْرَةَ فبضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة : قبيلة كبيرة ينسبون إلى عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن ليث بن سويد بن أسلم بضم اللام ابن الحاف بن قضاة ، وأما بنو الْقَيْنِ فقبيلة كبيرة أيضا ينسبون إلى القين ابن جسر ، ويقال كان له عبد يسمى القين حضنه فنسب إليه ، وكان اسمه النعمان ابن جسر ابن شَيْعٍ الله بكسر المعجمة وسكون التحتانية بعدها عين مهملة ابن أسد بن وبرة ابن ثعلب ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة ، وهم ابن التين فقال : بنو القين قبيلة من بني تميم ، وذكر ابن سعد أن جمعا من قضاة تجمعوا وأرادوا أن يدنوا من أطراف المدينة ، فدعا النبي ﷺ عمرو بن العاص فعقد له لواء أبيض وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ، ثم أمده بأبي عبيدة بن الجراح في مائتين ، وأمره أن يلحق بعمر و أن لا يختلفا

٥٩٦ - البخاري (٨ / ٧٤) ٦٤ - كتاب المغازي - ٧٤ - باب غزوة ذات السلاسل .

ومسلم (٤ / ١٨٥٦) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - (١) باب من فضائل أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه .

ذات السلاسل : هو ماء لبني جُدَامٍ بناحية الشام .

قيل : سُمِّيَتْ ذات السلاسل : لأنَّ المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا .

وقيل : لأنَّ بها ماء يقال له السلسل .

فأراد أبو عبيدة أن يؤم بهم فمنعه عمرو وقال : إنما قدمت عليّ مددا وأنا الأمير ، فأطاع له أبو عبيدة فصلى بهم عمرو ، وتقدم في التيم أنه (احتلم في ليلة باردة فلم يغتسل وتيم وصلى بهم) الحديث . وسار عمرو حتى وطئ بلاد بلي وعذرة ، وكذا ذكر موسى بن عقبة نحو هذه القصة ، وذكر ابن إسحاق أن أم عمرو بن العاص كانت من بلي فبعث النبي ﷺ عمرا يستنفر الناس إلى الإسلام ويستألفهم بذلك ، وروى إسحاق بن راهويه والحاكم من حديث بريدة أن عمرو بن العاص أمرهم في تلك الغزوة أن لا يوقدوا نارا ، فأنكر ذلك عمر ، فقال أبو بكر : دعه فإن رسول الله ﷺ لم يبعثه علينا إلا لعله بالحرب ، فسكت عنه . فهذا السبب أصح إسنادا من الذي ذكره ابن إسحاق ، لكن لا يمنع الجمع . وروى ابن حبان من طريق قيس بن أبي حازم عن عمرو بن العاص (أن رسول الله ﷺ بعثه في ذات السلاسل ، فسأله أصحابه أن يوقدوا نارا فمنعهم ، فكلوا أبا بكر فكله في ذلك فقال : لا يوقد أحد منهم نارا إلا قذفته فيها قال فلقوا العدو فهزمهم ، فأرادوا أن يتبعوهم فمنعهم ، فلما انصرفواذكروا ذلك للنبي ﷺ فسأله فقال : كرهت أن أذن لهم أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قتلهم ، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد . فحمد أمره . فقال : يا رسول الله من أحب الناس إليك ؟ الحديث . فاشتغل هذا السياق على فوائد زوائد ، ويجمع بينه وبين حديث بريدة بأن أبا بكر سأله فلم يجبه فسلم له أمره ، وألحوا على أبي بكر حتى يسأله فسأله فلم يجبه .

قوله (فأتيته) في رواية معلى بن منصور المذكورة (قدمت من جيش ذات السلاسل ، فأتيت النبي ﷺ) وعند البيهقي من طريق علي بن عاصم عن خالد الحذاء في هذه القصة قال عمرو : فحدثت نفسي أنه لم يبعثني على قوم فيهم أبو بكر وعمر إلا للزلة لي عنده ، فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت : يا رسول الله من أحب الناس إليك (الحديث . قوله (فعد رجالا) في رواية علي بن عاصم قال قلت في نفسي لأعود لمثلها أسأل عن هذا وفي الحديث جواز تأمير الفضول على الفاضل إذا امتاز الفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية ومزية أبي بكر على الرجال وبنته عائشة على النساء ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في المناقب ، ومنقبة لعمر بن العاص لتأثيره على جيش فيهم أبو بكر وعمر وإن كان ذلك لا يقتضي

أفضليته عليهم لكن يقتضي أن له فضلا في الجملة . وقد روينا في (فوائد أبي بكر بن أبي الهيثم) من حديث رافع الطائي قال (بعث النبي ﷺ جيشا واستعمل عليهم عمرو بن العاص وفيهم أبو بكر) قال : وهي الغزوة التي يفتخر بها أهل الشام ^(١) . وروى أحمد والبخاري في الأدب وصححه أبو عوانة وابن حبان والحاكم من طريق علي بن رباح عن عمرو بن العاص قال (بعث إلي النبي يأمرني أن آخذ ثيابي وسلاحي فقال : « ياعمرو ، إني أريد أن أبعثك على جيش فيغنك الله ويسلمك » قلت : إني لم أسلم رغبة في المال . قال : « نعم المال الصالح لمرء الصالح » وهذا فيه إشعار بأن بعثه عقب إسلامه .

* * *

(١) قوله : (وهي الغزوة التي يفتخر بها أهل الشام) : أي : زمن معاوية حين وقعت الفتنة .

فصل : في فتح مكة

تقديم :

تقوم - فيما يبدو لي - استراتيجية العمل عند رسول الله ﷺ حتى فتح مكة على نقطتين رئيسيتين :

أولاً : تجميع كل المسلمين في المدينة المنورة ، وبهذا كان المجتمع الإسلامي في تنام مستمر .

ثانياً : الحركة السياسية والدعوية والعسكرية المستمرة نحو الخارج ، وبهذا جعل المجتمع الإسلامي دائم التعبئة كامل الحشد قادراً على الهجوم ، متركزة قواه وهي دائماً على أعلى مستوى قتالي .

وكانت القوى المعادية تحيط بالرسول ﷺ من كل جانب ، وكان هناك طابور خامس داخل المدينة ، هذه القوى الخارجية تتمثل بأربع ، كل منها تشكل خطراً مباشراً ، القبائل النجدية وقبائل الشمال وعلى رأسهم غطفان وقريش ومن يتلاحم معها واليهود وكانت الجزيرة العربية تشكل البعد الاستراتيجي لهذه القوى ، ولقد حاول الرسول ﷺ ما استطاع ألا يجعل هذه القوى تتضافر ضده من خلال المعاهدات أو الحركة الخاطفة والدقيقة .

وكانت سياسته مع القبائل ألا يعطيها فرصة التحشد والتجمع وأن يفاجئها قبل أن تفاجئه وقد استطاع تثبيتها بشكل مستمر سواء كانت شمالية أو نجدية شرقية . وأما سياسته مع قريش فكانت الاستهداف الدائم والتعرض الدائم ، وكان أن انجلت هذه السياسة عن صلح الحديبية . وكانت سياسته مع اليهود المعاهدات والوفاء بها حتى يغدروا ، فمن غدر أنهاء ، وسكت عن يهود خيبر وأبقاهم محاربين حتى تفرغ لهم بعد صلح الحديبية فأنهى كياناتهم السياسي ، حتى إذا تقضت قريش عهدها بتواطئها مع بكر ضد بني خزاعة أحلافه عليه الصلاة والسلام ، استطاع أن ينهي سلطان قريش السياسي والديني ، وإذا به عليه الصلاة والسلام فجأة أمام قطف ثمرات سياسته الحكيمة فلقد كانت كل القوى المباشرة قد استسلمت فلم يبقَ لبعدها الاستراتيجي إلا أن يستسلم ، وهكذا جاءت الجزيرة العربية أفواجا مؤيدة ومبايعة .

﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴿^(١) .

لقد سيطر الرسول ﷺ استراتيجيا على الجزيرة العربية منذ أنهى خيبر وفتح مكة . إنَّ أحدًا في تاريخ هذا العالم لا يعدل عمدا ﷺ في أنه حقق ماحقق ووضع الأساس راسخا إلى الأبد دون أن يرتكب خطأ سياسياً أو استراتيجياً أو تكتيكياً واحداً ، إنه التوفيق الإلهي ، وإنها الرسالة والنبوة .

إنَّ القبائل في الجزيرة العربية كانت تشكّل خطراً عندما كان لها رأس يمكن أن تتجمع حوله ، أو عندما يوجد مركز تنطلق منه ، وقد فاتها ذلك بانتهاه خيبر وفتح مكة ، واجتمعت الدعوة مع القوة فجعلتها تفكر في السير على الطريق المستقيم .

وقد استثر رسول الله ﷺ الفتح أيما استثار ، فأرسل البعوث والسرايا الكثيرة ، وبلغه أنَّ القبائل المحيطة بالطائف وأهل الطائف يحشدون له فسارع إليهم ، وكانت معركة حنين ، ولما انهزم أهلها تابعهم ، فكان من آثار ذلك معركة أوطاس ثم توجه رسول الله ﷺ إلى الطائف عاصمة الحجاز الثالثة بعد مكة والمدينة ، ولو أنها فتحت له لأصبح الحجاز كله صافيا له داخلا دخولا مباشرا في دولته ، ولكن ذلك تأخر إلى السنة التاسعة كما سنرى .

كانت رحلة الفتح مليئة بالأحداث ، فقد استمرت أكثر من سبعين يوماً ، فقد خرج رسول الله ﷺ من المدينة في ١٠ رمضان سنة ٨ هـ ، ورجع إليها لست ليالٍ بقيت من ذي القعدة على قول .

ومن أهم أحداثها : فتح مكة ، وغزوة حنين ، ومعركة أوطاس ، وحصار الطائف ، وإرساله عليه الصلاة والسلام السرايا والبعوث ، فن مكة أرسل سرايا على حسب تتبعات المباركفوري .

* * *

٥٩٧ - * روى أحمد والطبراني عن ذي الجَوْشَنِ الضَّبَّابِي ، قال : أتيتُ النَّبِيَّ ﷺ بعد أن فَرَّغَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ بَابِنِ قَرَسٍ لِي يُقَالَ لَهَا : الْقَرْخَاءُ : فَقُلْتُ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي قَدْ جِئْتُكَ بِابْنِ الْقَرْخَاءِ لَتَتَّخِذَهُ قَالَ : « لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ ، وَإِنْ أَرَدْتُ أَقْبِضُكَ بِهَا الْمُخْتَارَةَ مِنْ دُرُوعِ بَدْرٍ فَعَلْتُ ؟ » قَالَ : مَا كُنْتُ لِأَقْبِضَهُ الْيَوْمَ بَغْرَةً ، قَالَ : « لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ » ثُمَّ قَالَ : « يَا ذَا الْجَوْشَنِ أَلَا تُسَلِّمُ فَتَكُونُ مِنْ أَوَّلِ أَهْلِ هَذَا الْأَمْرِ ؟ » فَقُلْتُ : لَا قَالَ : « لَمْ » قُلْتُ : إِنِّي رَأَيْتُ قَوْمَكَ وَلِعُمَا بِكَ قَالَ : « فَكَيْفَ بَلَغَكَ عَنْ مَصَارِعِهِمْ يَبْدُرُ ؟ » قُلْتُ : قَدْ بَلَغَنِي ، قَالَ : « فَأَنْتَ يَهْدِي لَكَ ؟ » قُلْتُ : إِنْ تَغْلِبُ عَلَى الْكَعْبَةِ وَتَقْطُنْهَا . قَالَ : « لَعَلَّكَ إِنْ عِشْتَ تَرَى ذَلِكَ » ثُمَّ قَالَ : « يَا بِلَالُ خُذْ حَقِيْبَةَ الرَّجُلِ فَرُوْذَهُ مِنَ الْعَجْوَةِ » . فَلَمَّا أَذْبُرْتُ قَالَ : « أَمَّا إِنَّهُ مِنْ خَيْرِ فُرْسَانِ بَنِي عَامِرٍ » قَالَ : فَوَاللَّهِ إِنِّي بِأَهْلِي بِالْغَوْرِ ، إِذْ أَقْبَلْتُ رَاكِبٌ ، فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ النَّاسُ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ قَدْ غَلَبَ مُحَمَّدٌ عَلَى الْكَعْبَةِ وَقَطَنَهَا . فَقُلْتُ : هَبْلَتْنِي أُمِّي وَلَوْ أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ ثُمَّ أَسْأَلُهُ الْحِيْرَةَ لَأَقْطَعْنِيهَا .

وَفِي رِوَايَةٍ ^(١) فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « مَا يَمْنَعُكَ مِنْ ذَلِكَ ؟ » قَالَ : رَأَيْتُ قَوْمَكَ قَدْ كَذَّبُواكَ وَأَخْرَجُوكَ وَقَاتَلُوكَ فَأَنْظُرْ مَا تَصْنَعُ فَإِنْ ظَهَرْتَ عَلَيْهِمْ آمَنْتُ بِكَ وَاتَّبَعْتُكَ ، وَإِنْ ظَهَرُوا عَلَيْكَ لَمْ أَتَّبِعْكَ - وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِهِ .

ذَكَرْنَا هَذَا الْحَدِيثَ هُنَا لِلْإِشْعَارِ بِأَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ نَهَايَةَ الصَّرَاحِ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلِ مَكَّةَ لِيَتَّخِذُوا قَرَارَهُمُ النَّهَائِي .

٥٩٧ - أحمد في مسنده (٦٧ / ٤) .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٢ / ٦) : رواه عبد الله بن أحمد وأبوهُ ولم يَسْقِ المتن ، والطبراني ، ورجالهما رجال الصحيح .

الْفَرَّةُ : تأتي الفرة بمعنى الأمة أو العبد والمراد هنا الفرس كما ذكر ابن الأثير في النهاية . قال : يريد أنه ما كان ليقبض به فرساً فكيف يقبض به ما هو دونه وهو الدرع .

أُمِّي : بمعنى آن والتقدير أما أن أن تهتدي بهذا .

العجوة : ضرب من أجود التمر بالمدينة .

هبلتني أُمِّي : أي فقدتني .

(١) أحمد في مسنده (٦٨ / ٤) .

٥٩٨ - * روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ لَرَأْدُكَ إِلَى مَتَاعٍ ﴾ ^(١) قَالَ : إِلَى مَكَّةَ .

٥٩٩ - * روى البزار عن أبي هريرة أن قائد خزاعة قال :

اللهم إني نَاشِدٌ مُحَمِّدًا حِلْفَ أَيْنَا وَأَيْبِهِ الْأَثَلَدَا
فَانْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا

٦٠٠ - * روى أبو يعلى عن عائشة قالت : لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَضِبَ فِيمَا كَانَ مِنْ شَأْنِ بَنِي كَعْبٍ غَضَبًا لَمْ أَرَهُ غَضِبَهُ مُنْذُ زَمَانٍ ، وَقَالَ : « لَا نَصْرَ لِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَنْصُرْ بَنِي كَعْبٍ » قَالَتْ : وَقَالَ لِي : « قُولِي لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ يَتَجَهَّزَا لِهَذَا الْغَزْوِ » قَالَ : فَجَاءَا إِلَى عَائِشَةَ ، فَقَالَا : أَيْنَ يَرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ : فَقَالَتْ : لَقَدْ رَأَيْتُهُ غَضِبَ فِيمَا كَانَ مِنْ شَأْنِ بَنِي كَعْبٍ غَضَبًا لَمْ أَرَهُ غَضِبَهُ مُنْذُ زَمَانٍ مِنَ الدَّهْرِ .

٦٠١ - * روى البخاري ومسلم عن عبيد الله بن أبي رافع قال : سَمِعْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه يَقُولُ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرُ وَالْقِدَادَةُ فَقَالَ : « انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ

٥٩٨ - البخاري (٥٠٩ / ٧) ٦٥ - كتاب التفسير - ٢ - باب ﴿ إِنْ الَّذِي لَمْ يَرْضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ﴾ الآية .

﴿ لَرَأْدُكَ إِلَى مَتَاعٍ ﴾ : أَي : لِرَاجِعِكَ إِلَى مَكَّةَ ، كَذَا جَاءَ فِي التفسير فِي الْبُخَارِيِّ .

(١) القصص : ٨٥ .

٥٩٩ - البزار : كشف الأستار (٢ / ٣٤٢) ، كتاب الهجرة والمغازي ، باب غزوة الفتح .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٦٢) : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو ، وحديثه حسن .

٦٠٠ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٦١) ، وقال : رواه أبو يعلى عن حزام بن هشام بن حبيش عن أبيه عنها ، وقد وثقها ابن حبان ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

وقال صاحب المرحم والتعديل : حزام بن هشام بن حبيش : شيخ عمه الصدق . وسكت عن أبيه .

بنو كعب : خزاعة حلفاء النبي ﷺ ، والأصل أن بني كعب هم أكبر بطون خزاعة فأطلق اسمهم على بني خزاعة جميعاً .

٦٠١ - البخاري (٥١٩ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٦ - باب غزوة الفتح ، وما بحث به حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي ﷺ .

ومسلم (٤ / ١٩٤١) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٦ - باب من فضائل أهل بدر ، رضي الله عنهم ، وقصة حاطب بن أبي بلتعة .

خاخٍ، فإنَّ بها طَعيْنَةً معها كتاب فخذوا منها» قال فانطلقنا تَعَادَى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالطَّعِينَةِ، قلنا لها: أخرجي الكتاب، قالت: مامعي كتاب. فقلنا: لتُخْرِجَنَّ الكتابَ أو لنُلْقِيَنَّ الشَّيْبَ. قال فأخرجته من عِصَاهَا، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة - إلى ناس بمكة من المشركين - يُخْبِرُهُم ببعض أمر رسول الله ﷺ: فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطبُ ما هذا؟» قال: يا رسول الله، لا تعجلُ عليَّ، إني كنتُ امرءاً مُلصَقاً في قريش - يقول: كنتُ حليفاً - ولم أكن من أنفسِها، وكان من معك من المهاجرين من لهم بها قِراياتٌ يَحْمُونَ أهلَهم وأموالَهم، فأُخْبِيتُ إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن ألتجئَ عندهم يداً يَحْمُونَ قِرايتي، ولم أفعلْ ارتداداً عن ديني ولا رِضاً بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه قد صدَّقكم» فقال عمر: يا رسول الله، دَعْنِي أَضْرِبُ عَنْقَ هذا المنافق. فقال: «إنه قد شَهِدَ بَدراً، وما يُدْرِيكَ لعلَّ اللهَ أَطَّلَعَ على من شَهِدَ بَدراً قال: اعملوا ما شِئْتُمْ فقد غفرتُ لكم» فأنزلَ الله السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ إلى قوله ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (١).

كان حاطب كتب كتاباً إلى قريش يخبرهم بسير رسول الله ﷺ والمسلمين إليهم وأرسله مع جارية إلى مكة، وكان حاطب من المهاجرين ومن شهد بَدراً.

وفي رواية أبي عبد الرحمن السُّلَمي (٢) عن عليٍّ قال: بعثني رسول الله ﷺ وأباً مَرْثَدٍ - وَالزُّبَيْرَ - وَكُلُّنَا فَارِسٌ ثم ساقه بمعناه ولم يذكر نزول الآية.

= خاخ: مكان بين مكة والمدينة، بقرب المدينة.

الطَّعِينَةُ: في الأصل: المرأة سادمت في المزدج، ثم جُعِلَت المرأة إذا سافرت طعينة، ثم نقل إلى المرأة نفسها، سافرت أو أقامت، وطلعت يَطْلَعُن: إذا سافر.

عِصَاهَا: العِصَا: جمع عُصَا أو عَقِيصَة، وهي الضفيرة من الشَّعْرِ إذا لَوِيَتْ وجُعِلَت مثل الرُّمَانَةِ، أو لم تَلَو، والمعنى: أخرجت الكتاب من ضفائرها المعقوصة.

مُلصَقاً: المُلصَق: هو الرجل المقيم في الحَي، وليس منهم بنسب.

(١) المتحفة: ١.

(٢) البخاري (٢ / ٣٠٤) - ٦٤ - كتاب المغازي - ٩ - باب فضل من شهد بَدراً.

وفي رواية نحوه ^(١) ، وفيه : قال فأدركناها تسير على جمل لها حيث قال لنا رسول الله ﷺ قال قلنا : أين الكتاب الذي معك ؟ قالت : ما معي كتاب فأئخذنا بها فابتغينا في رحلها ، فما وجدنا شيئا . قال صاحبائي : مانزى كتابا . قال قلت : لقد علمت ما كذب رسول الله ﷺ ، والذي يحلف به لنخرجن الكتاب أو لأجردنك . قال : فلما رأيت الجد مني أهوت بيدها إلى حنجرتها - وهي محتجرة بكساء - فأخرجت الكتاب . قال فانطلقنا به إلى رسول الله ﷺ وذكر الحديث .

قال في الفتح :

قوله (بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد) كذا في رواية عبيد الله بن أبي رافع ، وفي رواية أبي عبد الرحمن السلمي عن علي كما تقدم في فضل من شهد بدرًا « بعثني وأبا مرثد الغنوي والزبير بن العوام ، فيحتمل أن يكون الثلاثة كانوا معه ، فذكر أحد الراويين عنه ما لم يذكره الآخر ولم يذكر ابن إسحاق مع علي والزبير أحدا ، وساق الخبر بالتثنية . قال « فخرجنا حتى أدركها فاستنزلاها الخ » فالذي يظهر أنه كان مع كل منهما آخر تبعها له .

قوله (إني كنت امرأ ملصقا في قريش) أي حليفا ، وقد فسره بقوله « كنت حليفا ولم أكن من أنفسها » وعند ابن إسحاق « وليس في القوم من أصل ولا عشيرة » وعند أحمد « وكنت غريبا » قال السهيلي : كان حاطب حليفا لعبد الله بن حميد بن زهير بن أسد بن عبد العزى ، واسم أبي بلتعة عمرو ، وقيل كان حليفا لقريش . قوله (يحمون بها قرابتي) في رواية ابن إسحاق « وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل ، فصانعتهم عليه » وسيأتي تكملة شرح هذا الحديث في سورة الممتحنة ، وذكر بعض أهل المغازي وهو في « تفسير يحيى بن سلام » أن لفظ الكتاب « أما بعد يامعشر قريش فإن رسول الله ﷺ جاءكم بجيش كالليل ، يسير

= ومسلم (٤ / ١٩٤٢) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٦ - باب من فضل أهل بدر ، رضي الله عنهم ، وقصة حاطب بن أبي بلتعة .

(١) البخاري (١١ / ٤٦) ٧٩ - كتاب الاستئذان - ٢٢ - باب من نظر في كتاب من يُحذَرُ على المسلمين ليستبين أمره . ابتغينا : الابتغاء : الطلب .

حنجرة : احتجز الرجل : شد إزاره على وسطه ، والحنجرة : موضع الشد .

كالسيل ، فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده . فانظروا لأنفسكم والسلام » كذا حكاه السهيلي . وروى الواقدي بسند له مرسل أن حاطبا كتب إلى سهيل بن عمرو وصفوان ابن أمية وعكرمة « أن رسول الله ﷺ أذن في الناس بالغزو ، ولأراه يريد غيركم ، وقد أحببت أن يكون لي عندكم يد » .

٦٠٢ - * روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ غزا غزوة الفتح في رمضان .

قال الزهري : وسبغت سعيته بن المسيب يقول مثل ذلك .

٦٠٣ - * روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ خرج في رمضان من المدينة ، ومعه عشرة آلاف ، وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة ، فسار هو ومن معه من المسلمين إلى مكة ، يصوم ويصومون ، حتى بلغ الكديد - وهو ماء بين عسفان وقديد - أفطر وأفطروا .

إلا أن لفظ البخاري أتم وأطول ، وهو هذا .

٦٠٤ - * روى الطبراني عن ابن عباس قال : ثم مضى رسول الله ﷺ ، واستعمل على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين الغفاري ، وخرج لعشر مضين من رمضان فصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه حتى إذا كان بالكديد - ماء بين عسفان وأمع - أفطروا ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ، وألف من مزينة وسلمي وفي كل القبائل عدة وسلاح وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار لم يتخلف منهم أحد

٦٠٢ - البخاري (٨ / ٣) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٨ - باب غزوة الفتح في رمضان .

٦٠٣ - البخاري في نفس الموضع السابق .

ومسلم نحوها (٢ / ٧٨٤) ١٢ - كتاب الصيام - ١٥ - باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية إذا كان سفره مرحلتين فأكثر .

٦٠٤ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٦٤) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح . والزيادة التي بين الأقواس من سيرة ابن هشام (٤ / ١٧) .

في عشرة آلاف من المسلمين وألف من مزينة وسلمي : الألف ضمن العشرة آلاف ، وليس المراد أنها زائدة عليها . =

فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّ الظُّهْرَانِ وَقَدْ عَمِيَتِ الْأَخْبَارُ عَلَى قَرِيشٍ، فَلَمْ يَأْتِيهِمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَبَرٌ وَلَمْ يَذَرُوا مَا هُوَ قَاعِلٌ، وَخَرَجَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَبَدِيلُ بْنُ وَرْقَاءَ يَتَحَسَّسُونَ، وَيَنْظُرُونَ، هَلْ يَجِدُونَ خَبَرًا، أَوْ يَسْمَعُونَ بِهِ وَقَدْ كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْجُحْفَةِ وَقَدْ كَانَ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَدْ لَقِيَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ بِنَيْقِ الْعَقَابِ، وَالتَّمَا الدُّخُولَ عَلَيْهِ فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ فِيهَا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْنُ عَمِّكَ، وَابْنُ عَمَّتِكَ وَصَهْرُكَ. قَالَ: «لَا حَاجَةَ لِي بِهِمَا، أَمَّا ابْنُ عَمِّي فَهَتَكَ عِرْضِي بِمَكَّةَ، وَأَمَّا ابْنُ عَمَّتِي وَصَهْرِي فَهُوَ الَّذِي قَالَ لِي بِمَكَّةَ مَا قَالَ» فَلَمَّا خَرَجَ الْخَبَرُ إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ وَمَعَ أَبِي سَفْيَانَ بُنَيَّ لَهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لِيَأْذَنَ لِي أَوْ لَأَخْذَنَ بِيَدِ بُنَيَّ هَذَا، ثُمَّ لَنَذْهَبَنَّ بِالْأَرْضِ حَتَّى نَمُوتَ عَطَشًا وَجُوعًا. فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: رَفَقَ لَهُمَا، ثُمَّ أَذِنَ لَهُمَا، فَدَخَلَا فَاسْلَمَا، فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَرِّ الظُّهْرَانِ قَالَ الْعَبَّاسُ: وَاصْبَاحَ قَرِيشٍ، وَاللَّهِ لَأَنْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ عَنْوَةً قَبْلَ أَنْ يَسْتَأْمِنُوهُ إِنَّهُ لَهْلَاكُ قَرِيشٍ آخِرَ الدَّهْرِ. قَالَ: فَجَلَسْتُ عَلَى بَعْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَيْضَاءِ، فَخَرَجْتُ عَلَيْهَا حَتَّى جِئْتُ الْأَرَاكَ. فَقُلْتُ: لَعَلِّي أَلْقَى بَعْضَ الْحَطَّابَةِ أَوْ صَاحِبَ لَبَنٍ أَوْ ذَا حَاجَةٍ، يَأْتِي مَكَّةَ فَيُخْبِرُهُمْ بِكَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَسْتَأْمِنُوهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا عَنْوَةً. قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَسِيرُ عَلَيْهَا وَأَلْتَسُّ مَا خَرَجْتُ لَهُ إِذْ سَمِعْتُ كَلَامَ أَبِي سَفْيَانَ وَبَدِيلِ بْنِ وَرْقَاءَ وَهَذَا يَتَرَاجَعَانِ، وَأَبُو سَفْيَانَ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ نِيرَانًا وَلَا عَسْكَرًا قَالَ: يَقُولُ بَدِيلُ: هَذِهِ وَاللَّهِ نِيرَانُ خِرَازَةِ حَمَشَتِهَا الْحَرْبُ، قَالَ يَقُولُ أَبُو سَفْيَانَ: خِرَازَةُ وَاللَّهِ أَذْلُ وَالْأَمُّ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانًا وَعَسْكَرَهَا. قَالَ: فَعَرَفْتُ صَوْتَهُ فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَنْظَلَةَ فَعَرِفْتُ صَوْتِي فَقَالَ: أَبُو الْفَضْلِ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: مَا لَكَ فِذَاكَ أَبِي وَأُمِّي؟ فَقُلْتُ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سَفْيَانَ، هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ، وَاصْبَاحَ قَرِيشٍ وَاللَّهِ، قَالَ: فَمَا الْحِيلَةُ فِذَاكَ أَبِي وَأُمِّي؟ قَالَ: قُلْتُ: لَنْ ظَفِرَ بِكَ لِيَصْرِبَنَّ عُنُقُكَ، فَارْكَبْ مَعِيَ هَذِهِ الْبَعْلَةَ حَتَّى آتِي بِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَأْمِنَ لَكَ، قَالَ: فَارْكَبْ خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِبَاهُ وَحَرَكْتُ بِهِ، فَكَلَّمَا

مَرَرْتُ بِنَارٍ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ فَإِذَا رَأَوْا بَغْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا : عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ ، حَتَّى مَرَرْتُ بِنَارِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ وَقَامَ إِلَيَّ فَلَمَّا رَأَى أَبُو سَفْيَانَ عَلَى عَجْزِ الْبَغْلَةِ قَالَ : أَبُو سَفْيَانَ عَدُوُّ اللَّهِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَكَّنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ . ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَكَضَتُ الْبَغْلَةُ ، فَسَبَقْتُهُ بِمَا تَسْبِقُ الدَّابَّةُ الرَّجُلَ الْبَطِيءَ فَاقْتَحَمْتُ عَنِ الْبَغْلَةِ ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَدَخَلَ عَمْرُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا أَبُو سَفْيَانَ قَدْ أَمَكَّنَ اللَّهُ مِنْهُ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ فَدَعْنِي ، فَلَا ضَرْبَ عُنُقِهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَجْرْتُهُ ، ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ لَا يَنَاجِيهِ اللَّيْلَةُ رَجُلٌ دُونِي . قَالَ : فَلَمَّا أَكْثَرَ عَمْرٌ فِي شَأْنِهِ ، قُلْتُ : مَهْلًا يَا عَمْرُ ، أَمَّا وَاللَّهِ أَنْ لَوْ كَانَ مِنْ رِجَالِ بَنِي عَدِيٍّ بَنِي كَعْبٍ مَا قُلْتُ هَذَا ، وَلَكِنَّكَ عَرَفْتَ أَنَّهُ مِنْ رِجَالِ بَنِي عَبْدٍ مَنَافٍ . فَقَالَ : مَهْلًا يَا عَبَّاسُ ، وَاللَّهِ لِإِسْلَامِكَ يَوْمَ أَسَلَمْتُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ أَبِي لَوْ أَسَلَمَ ، وَمَا بِي إِلَّا أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلَامَكَ كَانَ أَحَبُّ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسَلَمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اذْهَبْ بِهِ إِلَى رَحْلِكَ يَا عَبَّاسُ فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَائْتِنِي بِهِ » فَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي ، فَبَاتَ عِنْدِي فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « وَيْحَكَ يَا أَبَا سَفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ » قَالَ : بَأْيٍ أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَكْرَمَكَ وَأَحْلَمَكَ وَأَوْصَلَكَ ، لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى عَنِّي شَيْئًا قَالَ : « وَيْحَكَ يَا أَبَا سَفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ » قَالَ : بَأْيٍ أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ ، هَذِهِ وَاللَّهِ كَانَ فِي النَّفْسِ مِنْهَا شَيْءٌ حَتَّى الْآنَ ، قَالَ الْعَبَّاسُ : وَيْحَكَ يَا أَبَا سَفْيَانَ . أَسْلَمَ وَاشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عُنُقُكَ ، قَالَ : فَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ وَأَسْلَمَ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سَفْيَانَ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا قَالَ : « نَعَمْ ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ أَعْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ » فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْصَرِفَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا عَبَّاسُ احْسِبْهُ بِالْوَادِي عِنْدَ حُطَمِ الْجَبَلِ حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللَّهِ فَيَرَاهَا » قَالَ : فَخَرَجْتُ بِهِ

حَتَّى حَبَسَتْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي حَيْثُ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أُحْبِسَهُ . قَالَ : وَمَرَّتْ بِهِ الْقَبَائِلُ عَلَى رَايَاتِهَا ، فَكَلَّمَا مَرَّتْ قَبِيلَةً قَالَ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا عَبَّاسُ فَأَقُولُ : بَنُو سُلَيْمٍ . فَيَقُولُ : مَالِي وَلَيْسَلِيمُ ، قَالَ : ثُمَّ تَمَرَّ الْقَبِيلَةُ ، فَيَقُولُ : مَنْ هَؤُلَاءِ فَأَقُولُ : مَزِينَةُ ، فَيَقُولُ : مَالِي وَلَمَزِينَةُ حَتَّى نَفَدَتِ الْقَبَائِلُ يَعْني جَاوَزَتْ ، لَأَتَمُرَّ قَبِيلَةً إِلَّا قَالَ : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ فَأَقُولُ : بَنُو قُلَاحٍ . فَيَقُولُ : مَالِي وَلِبْنِي قُلَاحٍ حَتَّى مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْخَضِرَاءِ (أَيِ فِي كَتِيبَةِ خَضِرَاءَ) وَالْأَنْصَارَ لَا يَرَى مِنْهُمْ سِوَى الْحَدَقِ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا عَبَّاسُ ؟ قُلْتُ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . قَالَ : مَا لِأَحَدٍ هَؤُلَاءِ قَبْلَ وَلَا طَاقَةَ ، وَاللَّهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ ، لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ الْغَدَاةَ عَظِيمًا . قُلْتُ : يَا أَبَا سُفْيَانَ إِنَّهَا النُّبُوءَةُ . قَالَ : فَتَمَّ إِذَا ، قُلْتُ : التَّجَى إِلَى قَوْمِكَ ، قَالَ : فَخَرَجَ حَتَّى جَاءَهُمْ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا قُرَيْشُ هَذَا مُحَمَّدٌ قَدْ جَاءَكُمْ بِمَا لَا قَبْلَ لَكُمْ بِهِ فَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ امْرَأَتُهُ هِنْدُ بِنْتُ عَتَبَةَ ، فَأَخَذَتْ بِشَارِبِهِ فَقَالَتْ : اقْتُلُوا الْحَمِيَّةَ (الدِّيمَ) الْأَخْمَسَ قَبْسَ طَلِيعَةَ قَوْمٍ . قَالَ : وَيُحْكَمُ لَا تَعْرُوكُمْ هَذِهِ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ بِمَا لَا قَبْلَ لَكُمْ بِهِ ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ قَالُوا : وَيُحْكَمُ وَمَا تُغْنِي عَنْكَ دَارُكَ قَالَ : وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى دُورِهِمْ وَإِلَى الْمَسْجِدِ .

٦٠٥ - * روى البزار عن أنس قال : لما قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ ، كَانَ قَيْسُ (أَيِ : ابْنِ سَعْدٍ) فِي مَقْدَمَتِهِ ، فَكَلَّمَ سَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَصْرِفَهُ عَنِ الْمَوْضِعِ الَّذِي هُوَ فِيهِ مَخَافَةَ أَنْ يُقَدِّمَ عَلَى شَيْءٍ فَصَرَفَهُ عَنْ ذَلِكَ .

٦٠٦ - * روى البخاري عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

= الحميت : رَقِ السِّن . فِي النِّهَايَةِ : « الْحَمِيَّةُ الْأَخْمَسُ » قَالَتْهَا فِي مَعْرِضِ الْقَدَمِ .

الدِّيمُ : الْكَثِيرُ الْوَدَكِ ، وَالْوَدَكُ : دَسَمُ اللَّحْمِ .

الأخمس : الشَّدِيدُ اللَّحْمِ .

لا قَبْلَ : أَيِ : لَا طَاقَةَ .

٦٠٥ - البزار فِي كَشْفِ الْأَسْتَارِ (٢ / ٣٤٢) ، كِتَابُ الْمُهْجَةِ وَالْمَغَازِي ، بَابُ غَزْوَةِ الْفَتْحِ .

قَالَ الْمِثْقِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (٦ / ١٧٥) : رَوَاهُ الْبَزَارُ ، وَرَجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ .

= ٦٠٦ - الْبُخَارِيُّ (٨ / ٥) ٦٤ - كِتَابُ الْمَغَازِي ٤٨ - بَابُ أَيْنَ رَكَزَ النَّبِيُّ ﷺ الرَّايَةَ يَوْمَ الْفَتْحِ ؟

ﷺ عَامَ الْفَتْحِ ، قَبْلَ ذَلِكَ قُرَيْشًا ، خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ ، يَلْتَمِسُونَ الْحَبَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلُوا يَسِيرُونَ ، حَتَّى أَتَوْا مَرَّ الظُّهْرَانِ ، فَإِذَا هُمُ بِنِيرَانٍ ، كَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرْفَةَ ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : مَا هَذِهِ ؟ لَكَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرْفَةَ ، فَقَالَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ : نِيرَانُ بَنِي عَمْرِو ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : عَمَرُوا أَقْلًا مِنْ ذَلِكَ ، فَرَأَاهُمْ نَاسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَذْرَكُوهُمْ فَأَخَذُوهُمْ ، فَأَتَوْا بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ ، فَلَمَّا سَارَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ : « أَحْبِسْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ ، حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ » ، فَحَبَسَهُ الْعَبَّاسُ ، فَجَعَلَتِ الْقَبَائِلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، تَمُرُّ كَتِيبَةً كَتِيبَةً عَلَى أَبِي سُفْيَانَ ، فَرَّتْ كَتِيبَةٌ ، فَقَالَ : يَا عَبَّاسُ ، مَنْ هَذِهِ ؟ فَقَالَ : هَذِهِ غِفَارٌ ، قَالَ : مَالِي وَلِغِفَارٍ ، ثُمَّ مَرَّتْ جُهَيْنَةُ ، وَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ مَرَّتْ سَعْدُ بْنُ هَذِيمٍ ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ وَمَرَّتْ سَلِيمٌ ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ، حَتَّى أَقْبَلَتْ كَتِيبَةٌ لَمْ يَرِ مِثْلُهَا ، قَالَ : مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ الْأَنْصَارُ ، عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَعَهُ الرَّايَةُ . فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : يَا أَبَا سُفْيَانَ الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ ، الْيَوْمَ تَسْتَحِلُّ الْكَعْبَةَ . فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : يَا عَبَّاسُ ، حَبْنَا يَوْمَ الذَّمَّارِ ، ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةٌ ، وَهِيَ أَقْلُ الْكَتَائِبِ ، فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ ، وَرَايَةُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَامِ ، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَبِي سُفْيَانَ ، قَالَ : أَلَمْ تَقُلْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ؟ قَالَ : « مَا قَالَ » قَالَ : قَالَ كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ : « كَذَبَ سَعْدُ ، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يَعْظُمُ اللَّهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ ، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ » قَالَ : وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تُرَكِّزَ رَايَتُهُ بِالْحُجُونِ ، قَالَ عَرْوَةُ : وَأَخْبَرَنِي نَافِعُ بْنُ جُبَيْرٍ بْنُ مُطْعِمٍ قَالَ : سَمِعْتُ الْعَبَّاسَ يَقُولُ لِلزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَامِ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، هَاهُنَا أَمَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تُرَكِّزَ الرَّايَةَ ؟ « قَالَ : نَعَمْ » ، قَالَ : وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ أَنْ

= خَطْمُ الْجَبَلِ : أَنْفُهُ ، وَهُوَ شَيْءٌ يَخْرُجُ مِنْهُ يَضِيقُ بِهِ الطَّرِيقُ .

كَتِيبَةٌ : الْكَتِيبَةُ : وَاحِدَةُ الْكَتَائِبِ ، وَهِيَ الْعَسَاكِرُ لِلرَّيَّةِ .

الْمَلْحَمَةُ : الْحَرْبُ وَالْقِتَالُ الَّذِي لَا يَخْلُصُ مِنْهُ .

الذَّمَّارُ : مَا لَزِمَكَ حِفْظُهُ ، يُقَالُ : فَلَانٌ حَامِي الذَّمَّارِ : يَحْمِي مَا يَجِبُ عَلَيْهِ حِفْظُهُ . وَالرَّادُ بِهِ هُنَا الدِّفَاعُ عَنْ

الْأَرْوَاحِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ .

كَذَبَ سَعْدُ : أَيُّ أَخْطَأَ .

بِالْحُجُونِ : الْحُجُونُ : أَحَدُ جِبَلِي مَكَّةَ مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ وَالشَّامِ .

=

يَدْخُلُ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ مِنْ كَدَاءَ ، وَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ كُدَى ، فَقَتَلَ مِنْ خَيْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ رَجُلَانِ : حَبِيشُ بْنُ الْأَشْعَرِ ، وَكَرْزُ بْنُ جَابِرِ الْفَهْرِيِّ .

قال الحافظ في الفتح : قوله : وأمر رسول الله ﷺ يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء ، أي : بالمد ، ودخل النبي ﷺ من كدى ، أي : بالقصر ، قال الحافظ : وهذا مخالف للأحاديث الصحيحة الآتية أن خالداً دخل من أسفل مكة ، والنبي ﷺ من أعلاها ، وكذا جزم ابن إسحاق أن خالداً دخل من أسفل مكة ، ودخل النبي ﷺ من أعلاها ، وضربت له هناك قبة ، وقد ساق ذلك موسى بن عقبة سياقاً واضحاً ، فقال : وبعث رسول الله ﷺ الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم ، وأمره أن يدخل من كداء من أعلى مكة ، وأمره أن يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه ، وبعث خالد بن الوليد في قبائل قضاة وسليم وغيره وأمره أن يدخل من أسفل مكة ، وأن يغرز رايته عند أدنى البيوت ، وبعث سعد بن عبادَةَ في كتيبة الأنصار في مقدمة رسول الله ﷺ وأمرهم أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم . أ هـ .

وقال في الفتح : قوله (فبلغ ذلك قريشا) ظاهره أنهم بلغهم مسيره قبل خروج أبي سفيان وحكيم بن حزام ، والذي عند ابن إسحاق وعند ابن عائد من مغازي عروة : ثم خرجوا وقادوا الخيول حتى نزلوا بمر الظهران ولم تعلم بهم قريش . وكذا في رواية أبي سلمة عند ابن أبي شيبَةَ أن النبي ﷺ أمر بالطرق فحبست ، ثم خرج ، فَعَمَّ على أهل مكة الأمر ، فقال أبو سفيان لحكيم بن حزام : هل لك أن تركب إلى أمر لعلنا أن نلقى خبراً ؟ فقال له بديل بن ورقاء : وأنا معكم ، قالوا : وأنت إن شئت فركبوا . وفي رواية ابن عائد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : لم يغز رسول الله ﷺ قريشا حتى بعث إليهم ضمرة بن خيرهم بين إحدى ثلاث : أن يودوا قتيلاً خزاعة ^(١) ، وبين أن يبرأوا من حلف بكر ، أو ينبذ إليهم على سواء . فأتاهم ضمرة فخيرهم ، فقال قرظة بن عمرو : لانودي ولانبرأ ، ولكننا ننبد إليه على سواء . فانصرف ضمرة بذلك . فأرسلت قريش أبا سفيان يسأل رسول الله

= من كَدَاءَ : كَدَاءَ بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ : ثَنِيَّةٌ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ ، بِمَا يَلِي الْمَقْبَرَةَ ، وَكُدَى - بِالضَّمِّ وَالْقَصْرِ - ثَنِيَّةٌ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ .

(١) قوله : أن يودوا قتيلاً خزاعة : أي : يدفعوا ديتهم ، وخزاعة : حلفاء النبي ﷺ ، وقد قتلته بكر حليفة قريش .

ﷺ في تجديد العهد وكذلك أخرجه مسدد من مرسل محمد بن عباد بن جعفر ، فأنكره الواقدي وزعم أن أبا سفيان إنما توجه مبادرا قبل أن يبلغ المسلمين الخبر ، والله أعلم . وفي مرسل عكرمة عند ابن أبي شيبة ونحوه في مغازي عروة عند ابن إسحاق وابن عائد « فخافت قريش ، فانطلق أبو سفيان إلى المدينة فقال لأبي بكر : جدد لنا الحلف ، قال : ليس الأمر إليّ . ثم أتى عمر فأغلظ له عمر . ثم أتى فاطمة فقالت له : ليس الأمر إليّ . فأتي عليّا فقال : ليس الأمر إليّ . فقال : ما رأيت كاليوم رجلاً أضل - أي من أبي سفيان - أنت كبير الناس ، فجدد الحلف . قال : فضرب إحدى يديه على الأخرى وقال : قد أجرت بين الناس . ورجع إلى مكة فقالوا له : ما جئتنا بحرب فنحذر ، ولا يصلح فنأمن » لفظ عكرمة وفي رواية عروة « فقالوا له : لعب بك علي وإن إخفار جوارك لهم عليهم » فيحتل أن يكون قوله « بلغ قريش » أي غلب على ظنهم ذلك لأن مبلغا بلغهم ذلك حقيقة .

وقوله (نيران عرفة) إشارة إلى ما جرت به عادتهم من إيقاد النيران الكثيرة ليلة عرفة ، وعند ابن سعد أن النبي ﷺ أمر أصحابه في تلك الليلة فأوقدوا عشرة آلاف نار .

قوله (فقال بديل بن ورقاء : هذه نيران بني عمرو) يعني خزاعة ، وعمرو يعني ابن لحي (فقال أبو سفيان : عمرو أقل من ذلك) ومثل هذا في مرسل أبي سلمة ، وفي مغازي عروة عند ابن عائد عكس ذلك وأنهم لما رأوا الفساطيط وسمعوا صهيل الخيل فراعهم ذلك فقالوا : هؤلاء بنو كعب - يعني خزاعة ، وكعب أكبر بطون خزاعة - جاشت بهم الحرب . فقال بديل : هؤلاء أكثر من بني كعب ما بلغ تأليبها هذا . قالوا : فانتجعت هوازن أرضنا ، والله مانعرف هذا ، أنه هذا المثل صاح الناس . قوله (فرأهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم) في رواية ابن عائد « وكان رسول الله ﷺ بعث بين يديه خيلا تقبض العميون ، وخزاعة على الطريق لا يتركون أحدا يمضي ، فلما دخل أبو سفيان وأصحابه عسكر المسلمين أخذتهم الخيل تحت الليل » وفي مرسل أبي سلمة (وكان حرس رسول الله ﷺ نفرا من الأنصار ، وكان عمر بن الخطاب عليهم تلك الليلة فجاءوا بهم إليه فقالوا : جئناك بنفر أخذناهم من أهل مكة ، فقال عمر : والله لو جئتموني بأبي سفيان مازدتم ، قالوا قد أتيناك بأبي سفيان) وعند ابن إسحاق (أن العباس خرج ليلا فلقي أبا سفيان وبديلا ، فحمل أبا

سفيان معه على البغلة ورجع صاحبه) ويمكن الجمع بأن الحرس لما أخذوهم استنقذ العباس أبا سفيان . وفي رواية ابن إسحاق (فلما نزل رسول الله ﷺ مر الظهران قال العباس : والله لأن دخل رسول الله ﷺ مكة غنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش ، قال : فجلست على بغلة رسول الله ﷺ حتى جئت الأراك ^(١) فقلت : لعلني أجد بعض الخطابة أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم ، إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء ، قال : فعرفت صوته فقلت : يا أبا حنظلة ، فعرف صوتي فقال : أبا الفضل ؟ قلت : نعم . قال : قال : ما الحيلة ؟ قلت : فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك ، قال : فركب خلفي ورجع صاحبه) . وهذا مخالف للرواية السابقة أنهم أخذوهم ، ولكن عند ابن عائذ (فدخل بديل وحكيم على رسول الله ﷺ فأسلما) فيحمل قوله (ورجع صاحبه) أي بعد أن أسلما . واستمر أبو سفيان عند العباس لأمر رسول الله ﷺ له أن يجسه حتى يرى العساكر . ويحتمل أن يكونا رجعا لما التقى العباس بأبي سفيان فأخذهما العسكر أيضا . وفي مغازي موسى ابن عقبة ما يؤيد ذلك ، وفيه (فلقى العباس فأجارهم وأدخلهم إلى رسول الله ﷺ ، فأسلم بديل وحكيم ، وتأخر أبو سفيان بإسلامه حتى أصبح) ويجمع بين ما عند ابن إسحاق ومرسل أبي سلمة بأن الحرس أخذوهم ، فلما رأوا أبا سفيان مع العباس تركوه معه . وفي رواية عكرمة (فذهب به العباس إلى رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ في قبة له فقال : « يا أبا سفيان أسلم تسلم » قال : كيف أصنع باللات والعزى ؟ قال فسمعه عمر فقال : لو كنت خارجا من القبة ما قلتها أبدا ، فأسلم أبو سفيان ، فذهب به العباس إلى منزله ، فلما أصبح ورأى مبادرة الناس إلى الصلاة أسلم » . قوله (احبس أبا سفيان) في رواية موسى بن عقبة أن العباس قال لرسول الله ﷺ لا آمن أن يرجع أبو سفيان فيكفر ، فاحبسه حتى تراه جنود الله ، ففعل ، فقال أبو سفيان : أغدرا يا بني هاشم ؟ قال العباس . لا ولكن لي إليك حاجة فتصبح فتتنظر جنود الله للمشركين وما أعد الله للمشركين ، فحبسه بالمضيّق دون الأراك حتى أصبحوا . قوله (عند خطم الجبل) في رواية النسفي والقاسبي بفتح الخاء المعجمة وسكون المهملة وبالجم والموحدة أي أنف الجبل ، وهي رواية ابن إسحاق

(١) حتى جئت الأراك : هي منطقة قرب مكة يكثر فيها شجر الأراك الذي يتخذ منه السواك .

وغيره من أهل المغازي ، وفي رواية الأكثر بفتح المهملة من اللفظة الأولى وبالحاء المعجمة وسكون التحتانية (أي عند حَطْمِ الخيل) أي ازدحامها ، وإنما حبسه هناك لكونه مضيقا ليرى الجميع ولا يفوته رؤية أحد منهم .

هناك ثلاثة أقوال فبين دفعت إليه الراية التي نزع من سعد . والذي يظهر في الجمع أن عليا أرسل بنزعها ، وأن يدخل بها ، ثم خشي تغير خاطر سعد فأمر بدفعها لابنه قيس ، ثم إن سعدا خشي أن يقع من ابنه شيء ينكره النبي ﷺ فسأل النبي ﷺ أن يأخذها منه فحينئذ أخذها الزبير . وهذه القصة الأخيرة قد ذكرها البزار من حديث أنس بإسناد على شرط البخاري ولفظه « كان قيس في مقدمة النبي ﷺ لما قدم مكة ، فكلم سعد النبي ﷺ أن يصرفه عن الموضع الذي فيه مخافة أن يقدم على شيء ، فصرفه عن ذلك » .

وعند البيهقي بإسناد حسن من حديث ابن عمر قال : لما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمير ، فتبسم إلى أبي بكر فقال : يا أبا بكر كيف قال حسان ؟ فأنشده قوله :

عَدِمْتُ بُنْيِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تَبْيُرُ النَّقْعَ ^(١) مَوْعِدَهَا كَدَاءُ ^(٢)
يَنَازِعْنَ الْأَسِنَّةَ مُسَرَّجَاتٍ يَلْطُمُهُنَّ ^(٣) بِالْخُمُرِ ^(٤) النَّسَاءُ

فقال (ادخلوها من حيث قال حسان) . وذكر ابن إسحاق أن أصحاب خالد لقوا ناسا من قريش ، منهم سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية كانوا تجمعوا بالحنْدَمَةِ بالحاء المعجمة والنون مكان أسفل مكة ليقاتلوا المسلمين ، فناوشهم شيئا من القتال ، فقتل من خيل خالد سَلَمَةُ بْنُ الْمَيْلَاءِ الْجُهَنِي ، وقتل من المشركين اثنا عشر رجلا أو ثلاثة عشر وانهمزوا ، وفي ذلك يقول حِجَاسُ بْنُ قَيْسٍ بْنِ خَالِدِ الْبَكْرِيِّ - قال ابن هشام : ويقال هي للمرعاش الهذلي - يخاطب امرأته حين لامته على الفرار من المسلمين :

(١) النَّقْعُ : الفبار .

(٢) كَدَاءُ : بوزن سحاب ، ثنية بأعلى مكة .

(٣) يَلْطُمُهُنَّ : تضرب النساء وجوه الخيل لتردهن .

(٤) الْخُمُرُ : جمع خمار وهو ماتغطي به المرأة رأسها ووجهها . أي إن النساء كن يضربن وجوه الخيل بخمرهن يوم الفتح .

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فر صفوان وفر عكرمه
واستقبلتنا بالسيوف المسلمه يقطعن كل ساعد وجممه
ضربا فلا يسمع إلا غغمه لم تنطقي في اللوم أدنى كلمه

وعند موسى بن عقبة : واندفع خالد بن الوليد حتى دخل من أسفل مكة ، وقد تجمع بها بنو بكر وبنو الحارث بن عبد مناة وناس من هذيل ومن الأحابيش الذين استنصرت بهم قريش ، فقاتلوا خالدا ، فقاتلهم ، فانهزموا وقتل من بني بكر نحو عشرين رجلا ومن هذيل ثلاثة أو أربعة ، حتى انتهى بهم القتل إلى الحزورة إلى باب المسجد حتى دخلوا في الدور ، وارتفعت طائفة منهم على الجبال ، وصاح أبو سفيان : من أغلق بابه وكف يده فهو آمن ، قال : ونظر رسول الله ﷺ إلى البارقة فقال : « ما هذا وقد نهيت عن القتال ؟ » فقالوا : نظن أن خالدا قوتل وبدئ بالقتال فلم يكن له بد من أن يقاتل . ثم قال : وقال رسول الله ﷺ بعد أن اطمان لخالد بن الوليد : « لم قاتلت وقد نهيتك عن القتال ؟ » فقال : هم بدءونا بالقتال ووضعوا فينا السلاح ، وقد كفت يدي ما استطعت . فقال : « قضاء الله خير » وذكر ابن سعد أن عدة من أصيب من الكفار أربعة وعشرون رجلا ، ومن هذيل خاصة أربعة ، وقيل مجموع من قتل منهم ثلاثة عشر رجلا . وروى الطبراني من حديث ابن عباس قال خطب رسول الله ﷺ فقال : « إن الله حرم مكة » الحديث ، فقيل له : هذا خالد بن الوليد يقتل ، فقال : « قم يا فلان فقل له فليرفع القتل » فأتاه الرجل فقال : إن نبي الله يقول لك اقتل من قدرت عليه ، فقتل سبعين ثم اعتذر الرجل إليه ، فسكت « قال : وقد كان رسول الله ﷺ أمر أمراءه أن لا يقتلوا إلا من قاتلهم ، غير أنه أهدر دم نفر سبعمائة . وقد جمعت أسماهم من مفرقات الأخبار وهم : عبد العزى بن خطل ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وعكرمة بن أبي جهل ، والحويرث بن نقيد بنون وقاف مصغراً ، ومقيس بن صبابه بهملة مضمومة وموحدتين الأولى خفيفة ، وهبار بن الأسود . وقينتان كانتا لابن خطل كانتا تغنيان بهجو النبي ، وسارة مولاة بني المطلب وهي التي وجد معها كتاب حاطب . فأما ابن أبي سرح فكان أسلم ثم ارتد ثم شفع فيه عثمان يوم الفتح إلى النبي ﷺ فحقن دمه وقبل إسلامه . وأما عكرمة ففر إلى اليمن

فتبعته امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام فرجع معها بأمان من رسول الله ﷺ . وأما الحويرث فكان شديد الأذى لرسول الله ﷺ بمكة فقتله عليّ يوم الفتح . وأما مقيس بن صَبَّابة فكان أسلم ثم عدا على رجل من الأنصار فقتله ، وكان الأنصاري قتل أخاه هشاما خطأ ، فجاء مقيس فأخذ الدية ثم قتل الأنصاري ثم ارتد ، فقتله نُميلة بن عبد الله يوم الفتح . وأما هَبَّار فكان شديد الأذى للمسلمين وعرض لزينب بنت رسول الله ﷺ لما هاجرت فنخس^(١) بعيرها فأسقطت ، ولم يزل ذلك المرض بها حتى ماتت ، فلما كان يوم الفتح بعد أن أهدر النبي ﷺ دمه أعلن بالإسلام فقبل منه فعفا عنه . وأما القينتان فاسمهما فِرْتَنِي وقرينة ، فاستؤمن لإحداها فأسلمت وقتلت الأخرى . وأما سارة فأسلمت وعاشت إلى خلافة عمر . وقال الحميدي : بل قتلت . وذكر أبو معشر فبين أهدر دمه الحارث بن طلائع الخزاعي قتله علي . وذكر غير ابن إسحاق أن فرتني هي التي أسلمت وأن قرينة قتلت وذكر الحاكم أيضا من أهدر دمه كعب بن زهير وقصته مشهورة ، وقد جاء بعد ذلك وأسلم ومدح . ووحشي بن حرب وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان وقد أسلمت . وأرنب مولاة ابن خطل أيضا قتلت فيما ذكر ابن إسحاق فكلت العدة ثمانية رجال وست نسوة ويحتمل أن تكون أرنب . وأم سعد هما القينتان اختلف في اسمها أو باعتبار الكنية واللقب .

وعند موسى بن عقبة في المغازي - وهي أصبح ، اصنف في ذلك عند الجماعة - مانصه « أن أبا سفيان وحكيم بن حزام قالا : يا رسول الله كنت حقيقا أن تجعل عدتك وكيدك بهوازن ، فإنهم أبعد رحما وأشد عداوة ، فقال : « إني لأرجو أن يجمعها الله لي : فتح مكة وإعزاز الإسلام بها ، وهزيمة هوازن وغنية أموالهم » . فقال أبو سفيان وحكيم : فادع الناس بالأمان ، أرايت إن اعتزلت قريش فكفت أيديها آمنون هم ؟ قال : « من كف يده وأغلق داره فهو آمن » قالوا : فابعثنا نؤذن بذلك فيهم : قال : « انطلقوا ، فن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل دار حكيم فهو آمن » ودار أبي سفيان بأعلى مكة ودار حكيم بأسفلها . فلما توجهوا قال العباس : يا رسول الله إني لأؤمن أبا سفيان أن يرتد ، فردّه حتى تريه جنود الله . قال : « أفعل » فذكر القصة ، وفي ذلك تصريح بعموم التأمين ، فكان

(١) نَخَسَ الدابة : طعن مؤخرها أو جنبها بالمتغاس لتشتط .

هذا أمانا منه لكل من لم يقاتل من أهل مكة ، فمن ثم قال الشافعي : كانت مكة مأمونة ولم يكن فتحها عنوة ، والأمان كالصلح . وأما الذين تعرضوا للقتال أو الذين استثنوا من الأمان وأمر أن يقتلوا ولو تعلقوا بأستار الكعبة فلا يستلزم ذلك أنها فتحت عنوة . ويمكن الجمع بين حديث أبي هريرة في أمره عليه السلام بالقتال وبين حديث الباب في تأمينه عليه السلام لهم بأن يكون التأمين علق بشرط وهو ترك قريش المجاهرة بالقتال ، فلما تفرقوا إلى دورهم ورضوا بالتأمين المذكور لم يستلزم أن أوباشهم الذين لم يقبلوا ذلك وقاتلوا خالد بن الوليد ومن معه فقاتلهم حتى قتلهم وهزمهم أن تكون البلد فتحت عنوة ، لأن العبرة بالأصول لا بالاتباع وبالأكثر لا بالأقل ، ولا خلاف مع ذلك أنه لم يجر فيها قسم غنية ولا سبي من أهلها ممن باشر القتال أحد ، وهو ما يؤيد قول من قال لم يكن فتحها عنوة . وعند أبي داود بإسناد حسن « عن جابر أنه سئل : هل غنم يوم الفتح شيئا ؟ قال : لا » وجنحت طائفة - منهم الماوردي - إلى أن بعضها فتح عنوة لما وقع من قصة خالد بن الوليد المذكورة ، وقرر ذلك الحاكم في « الإكلیل » . والحق أن صورة فتحها كان عنوة ومعاملة أهلها معاملة من دخلت بأمان ، ومنع جمع منهم السهيلي ترتب عدم قسمتها وجواز بيع دورها وإجارتها على أنها فتحت صلحا ، أما أولا فلأن الإمام محير في قسمة الأرض بين الغنائين إذا انتزعت من الكفار وبين إبقائها وقفا على المسلمين ، ولا يلزم من ذلك منع بيع الدور وإجارتها . وأما ثانيا فقال بعضهم : لا تدخل الأرض في حكم الأموال ، لأن من مضى كانوا إذا غلبوا على الكفار لم يغنوا الأموال ، فتنزل النار فتأكلها وتصير الأرض عموما لهم كما قال الله تعالى ﴿ ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ﴾ ^(١) الآية . وقال ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها ﴾ ^(٢) الآية . والمسألة مشهورة فلا نطيل بها هنا . اهـ .

٦٠٧ - * روى مسلم عن عبد الله بن رباح عن أبي هريرة قال : وَقَدْتُ وفوداً إلى

(١) المائدة ٢١ .

(٢) الأعراف ١٣٧ .

مُعَاوِيَةَ - وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ - فَكَانَ يَصْنَعُ بَعْضُنا لِبَعْضٍ الطَّعَامَ فَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ مِمَّا يَكْثُرُ أَنْ يَدْعُونَا إِلَى رَحْلِهِ ، فَقُلْتُ : أَلَا أَصْنَعُ طَعَاماً فَأَدْعُوهُمْ إِلَى رَحْلِي ؟ فَأَمَرْتُ بِطَعَامٍ يُصْنَعُ ، ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا هُرَيْرَةَ مِنَ الْعَثِيِّ ، فَقُلْتُ : الدَّعْوَةُ عِنْدِي اللَّيْلَةَ ، فَقَالَ : سَبَقْتَنِي ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، فَدَعَوْتُهُمْ ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : أَلَا أَعْلِمُكُمْ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِكُمْ يَأْمَعُشَرُ الْأَنْصَارِ ؟ ... ثُمَّ ذَكَرَ فَتَحَ مَكَّةَ ، فَقَالَ : أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ ، فَبَعَثَ الزَّيَّيرَ عَلَى إِحْدَى الْمَجَنَّبَتَيْنِ بَعَثَ خَالِدًا عَلَى الْمَجَنَّبَةِ الْأُخْرَى ، وَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى الْحَسْرِ ، فَأَخَذُوا بَطْنَ الْوَادِي وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي كَتِيبَةٍ ، قَالَ : فَنَظَرَ قَرَأَنِي ، فَقَالَ : « أَبُو هُرَيْرَةَ ؟ » قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : « لَا يَأْتِينِي إِلَّا أَنْصَارِي » زَادَ غَيْرَ شَيْئَانِ - (أَيِ الرَّاوي) - فَقَالَ : « اهْتِفْ لِي بِالْأَنْصَارِ » قَالَ : فَأَطَاعُوا بِهِ ، وَوَبَّشْتُ قُرَيْشَ أَوْبَاشاً لَهَا وَاتَّبَاعاً - فَقَالُوا : تُقَدِّمُ هَؤُلَاءِ ، فَإِنْ كَانَ لَهُمْ شَيْءٌ كُنَّا مَعَهُمْ ، وَإِنْ أُصِيبُوا أَعْطَيْنَا الَّذِي سَأَلْنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تَرَوْنَ إِلَى أَوْبَاشٍ قُرَيْشٍ وَاتَّبَاعِهِمْ ؟ » ثُمَّ قَالَ بِيَدَيْهِ - إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى - ثُمَّ قَالَ : « حَتَّى تُوَافِقُونِي بِالصَّفَا » قَالَ : فَأَنْطَلَقْنَا ، فَمَا شَاءَ أَحَدٌ مِنَّا أَنْ يَقْتُلَ أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ ، وَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ يُوَجِّهُ إِلَيْنَا شَيْئاً ، قَالَ : فَجَاءَ أَبُو سَفْيَانَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أُبَيِّحَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ ، لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ ، ثُمَّ قَالَ : « مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ » فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَمَّا الرَّجُلُ فَأَذْرَكْنَاهُ رَغْبَةً فِي قُرَيْتِهِ ، وَرَافَقَهُ بِعَشِيرَتِهِ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَجَاءَ الْوَحْيُ - وَكَانَ إِذَا جَاءَ الْوَحْيُ لَا يَخْفَى عَلَيْنَا ، فَإِذَا جَاءَ فَلَيْسَ أَحَدٌ يَرْفَعُ طَرْفَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَنْقُضِيَ الْوَحْيُ - فَلَمَّا انْقَضَى الْوَحْيُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَأْمَعُشَرُ الْأَنْصَارِ » قَالُوا : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « قُلْتُمْ : أَمَّا الرَّجُلُ فَأَذْرَكْنَاهُ رَغْبَةً فِي قُرَيْتِهِ ؟ » قَالُوا : قَدْ كَانَ ذَلِكَ ، قَالَ :

= الْمَجَنَّبَتَيْنِ : الْمَجَنَّبَةُ : جَانِبُ الْمَسْكِرِ ، وَلَهُ مَجَنَّبَتَانِ : مَبْنَةُ وَمِيسِرَةٌ .

عَنِ الْحَسْرِ : جَمْعُ حَاسِرٍ ، وَهُوَ الَّذِي لَا دِرْعَ عَلَيْهِ وَلَا مَغْفَرَ .

أَطَاعُوا بِهِ : أَحَاطُوا بِهِ ، وَإِنَّمَا خَصَّهُمْ لِقَاتِهِ بِهِمْ وَرَفَعُوا لِمَرَاتِبِهِمْ وَإِظْهَارًا لَجَلَالَتِهِمْ وَخُصُوصِيَّتِهِمْ .

وَوَبَّشْتُ أَوْبَاشًا لَهَا : الْأَوْبَاشُ : الْجَمْعُ مِنْ قِبَائِلِ شَتَّى ، وَالتَّوْبِيشُ : الْجَمْعُ ، أَيِ : جَمَعْتُ لَهَا جَمْعًا مِنْ أَقْوَامٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي

الْأَنْسَابِ وَالْأَمَاكِنِ .

أُبَيِّحَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ : أَيِ : اسْتُصِلَتْ وَأَهْلِكَتْ ، وَخَضْرَاؤُهَا : سُودَاهَا وَمَعْظَمُهَا ، وَالْعَرَبُ تُعَبِّرُ بِالْخَضْرَاءِ عَنْ

السُّودِ ، وَبِالسُّودِ عَنْ الْكَثْرَةِ .

« كلا ، إني عبدُ الله ورسولُهُ ، هَاجَرْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ ، وَالْحَيَا مَحْيَاكُمْ ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ » فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَبْكُونَ ، وَيَقُولُونَ : وَاللَّهِ مَا قُلْنَا الَّذِي قُلْنَا إِلَّا الضَّنَّ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانَكُمْ ، وَيَعْذِرَانِيَكُمْ » قَالَ : فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَى دَارِ أَبِي سُفْيَانَ ، وَأَغْلَقَ النَّاسُ أَبْوَابَهُمْ ، قَالَ : وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَقْبَلَ إِلَى الْحَجَرِ فَاسْتَلَمَهُ ، ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ . قَالَ : فَأَتَى عَلَى صَنْمٍ إِلَى جَانِبِ الْبَيْتِ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ : قَالَ : وَفِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْسٌ ، وَهُوَ آخِذٌ بِسِيَةِ الْقَوْسِ ، فَلَمَّا أَتَى عَلَى الصَّنَمِ جَعَلَ يَطْعَنُ فِي عَيْنِهِ ، وَيَقُولُ : « جَاءَ الْحَقُّ ، وَزَهَقَ الْبَاطِلُ » فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ طَوَافِهِ أَتَى الصَّفَا ، فَعَلَا عَلَيْهِ حَتَّى تَنْظُرَ إِلَى الْبَيْتِ ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ ، فَجَعَلَ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيَدْعُو مَا شَاءَ أَنْ يَدْعُو . .

وفي رواية ^(١) بهذا الحديث ، وَزَادَ فِي الْحَدِيثِ : ثُمَّ قَالَ يَبْدِيهِ ، إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى : « أَحْصِدُوهُمْ حَصْدًا » وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ : قَالُوا : قُلْنَا : ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « فَمَا اسْمِي إِذَا ؟ كَلَّا ، إني عبدُ الله ورسولُهُ » .

وفي أُخْرَى ^(٢) قَالَ : وَفَدْنَا إِلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، وَفِينَا أَبُو هُرَيْرَةَ ، فَكَانَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا يَصْنَعُ طَعَامًا يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ ، فَكَانَتْ نَوْبَتِي ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، الْيَوْمَ نَوْبِي ، فَبَجَاؤُوا إِلَى النَّزْلِ ، وَلَمْ يُدْرِكْ طَعَامُنَا ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، لَوْ حَدَّثْتَنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يُدْرِكَ طَعَامُنَا ؟ فَقَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ ، فَجَعَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَى الْمَجَنَّبَةِ الْيُمْنَى . وَجَعَلَ الزُّبَيْرُ عَلَى الْمَجَنَّبَةِ الْيُسْرَى وَجَعَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَلَى الْبَيَازَةِ

= هاجرت إلى الله وإليكم : أي هاجرت إلى الله تعالى وإلى دياركم لاستيطانها فلا أتركها ولا أرجع عن هجري الواقعة لله تعالى .

الضَّنُّ : البخل والشُّحُّ ، ضَنَنْتُ أَضْنُ ، وَضَنَنْتُ أَضْنُ .

فاستلمه : استلام الحجر الأسود : لمسه باليد .

سيّة القوس : مخففاً : طرفها إلى موضع الوتر .

زَهَقَ الْبَاطِلُ : أي اضمحلَّ وذهب ضالماً .

(١) مسلم (٣ / ١٤٠٧) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٣١ - باب فتح مكة .

(٢) مسلم في نفس الموضع السابق .

البيازة : الرُّجَالَة ، سموا بذلك لطفة حركتهم وأنهم ليس معهم ما يثقلهم .

=

وَبَطْنِ الْوَادِي ، فَقَالَ : « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، ادْعُ لِي الْأَنْصَارَ » فَدَعَوْهُمْ ، فَجَاؤُوا يُهْرَوِلُونَ ، فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، هَلْ تَرَوْنَ أُوبَاشَ قُرَيْشٍ ؟ » قَالُوا : نَعَمْ قَالَ : « انظُرُوا إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ غَدًا : أَنْ تَحْصُدُوهُمْ حَصْدًا » وَأَخْفَى يَدَهُ ، وَوَضَعَ يَمِينَهُ عَلَى شِمَالِهِ - وَقَالَ : « مَوْعِدُكُمْ الصُّفَا » ، قَالَ : فَمَا أَشْرَفَ يَوْمَئِذٍ لَهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَنْامُوهُ ، قَالَ : وَصَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصُّفَا وَجَاءَتِ الْأَنْصَارُ ، فَأُطَافُوا بِالصُّفَا ، فَجَاءَ أَبُو سَفْيَانَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أُبَيِّدْتُ خَضِرَاءَ قُرَيْشٍ ، لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ ، قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ أَلْقَى السَّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ » فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ : أَمَّا الرَّجُلُ ، فَقَدْ أَخَذْتُهُ رَأْفَةً بِعَشِيرَتِهِ ، وَرَغْبَةً فِي قُرَيْشِهِ ، وَنَزَلَ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « قُلْتُمْ : أَمَّا الرَّجُلُ : فَقَدْ أَخَذْتُهُ رَأْفَةً بِعَشِيرَتِهِ ، وَرَغْبَةً فِي قُرَيْشِهِ ؟ أَلَا فَمَا اسْمِي إِذَا ؟ ! - ثَلَاثَ مَرَاتٍ - أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، هَاجَرْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ ، فَالْحَيَا عُيَاكُمْ ، وَالْمَاتُ مِمَّا تَكُم » قَالُوا : وَاللَّهِ ، مَا قُلْنَا إِلَّا ضِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، قَالَ : « فَإِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَصْدَقَانِيكُمْ وَيَعْذِرَانِيكُمْ » .

وفي رواية أبي داود ^(١) عن عبد الله بن رباح الأنصاري عن أبي هريرة قال : إن رسول الله ﷺ لما دخل مكة سرح الزبير بن العوام ، وأبا عبيدة بن الجراح ، وخالد بن الوليد على الخيل ، وقال : « يا أبا هريرة ، اهْتِفْ بِالْأَنْصَارِ » قَالَ : « أَسْلَكُوا هَذَا الطَّرِيقَ ، فَلَا يُشْرِقَنَّ لَكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَنْتُمُوهُ » فَتَنَادَى مُنَادٌ : لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ دَخَلَ دَارًا فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَلْقَى السَّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ » وَعَمَدَ صَنَادِيدُ قُرَيْشٍ فَدَخَلُوا الْكَعْبَةَ ، فَغَصُّ بِهِمْ ، وَطَافَ النَّبِيُّ ﷺ وَصَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ ، ثُمَّ أَخَذَ بِجَنْبَتِي الْبَابِ ، فَخَرَجُوا ، فَتَبَايَعُوا النَّبِيَّ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ .

= اخمصوهم : الحصد : كناية عن الاستئصال والمبالغة في القتل .

أخفى : قال الحميدي : أخفى بيده : أشار بمخافتها ، وصفاً للحصد والقتل .

أناموه : أي قتلوه ، ومنه سمي السيف نتيماً ، أي : مهلكاً .

(١) أبو داود (٢ / ١٦٢) ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب ما جاء في خبر مكة .

٦٠٨ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مَعْقِلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ عَلَى نَاقَتِهِ - يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ قَالَ : فَقَرَأَ ابْنُ مَعْقِلٍ وَرَجَعَ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : لَوْلَا النَّاسُ لَأَخَذْتُ لَكُمْ بِذَلِكَ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ مَعْقِلٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ .

وفي رواية أبي داود ^(١) قال : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ - وهو على ناقة - يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفَتْحِ ، وهو يَرْجِعُ .

٦٠٩ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَامَ الْفَتْحِ مِنْ كَذَاءِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَعْلَى مَكَّةَ .

وَفِي رِوَايَةٍ ^(٢) : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا جَاءَ إِلَى مَكَّةَ دَخَلَهَا مِنْ أَعْلَاهَا ، وَخَرَجَ مِنْ أَسْفَلِهَا .

٦٠٨ - البخاري بنحوه (١٢ / ٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٨ - باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ؟ .
ومسلم بلفظه (١ / ٥٤٧) ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - ٣٥ - باب ذكر قراءة النبي ﷺ سورة الفتح يوم فتح مكة .

الترجييع : هو تقارب ضروب الحركات في القراءة ، وأصله : التردد ، وترجييع الصوت : ترديده في الحلق ، وقد جاء تفسيره في حديث عبد الله بن مغل في كتاب التوحيد من صحيح البخاري « أ أ أ » همزة مفتوحة بعدها ألف ساكنة ثم همزة أخرى ، كذا ضبطه الحافظ وغيره ، وقال العلامة علي القاري : الأظهر أنها ثلاث ألفات ممدودات . ثم قالوا : يحتمل أمرين . أحدهما : أن ذلك حدث من هز الناقة .

والآخر : أنه أشيع المد في موضعه ، فحدث ذلك ، قال الحافظ : وهذا الثاني أشبه بالسياق ، فإن في بعض طرقه « لولا أن يجتمع الناس ، لقرأت لكم بذلك » اللحن « أي : النغم ، وقد ثبت الترجيع في غير هذا الموضع ، فأخرج الترمذي في « الشئائل » والنسائي وابن ماجه وأبو داود واللفظ له من حديث أم هانئ « كنت أسمع صوت النبي ﷺ وهو يقرأ . وأنا نائمة على فراشي - يرجع القرآن » ، وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جرة ، معنى الترجيع : تحسين التلاوة ، لا ترجيع الغناء ، لأن القراءة بترجييع الغناء ، تنافي الخشوع الذي هو مقصود التلاوة .

(١) أبو داود (٢ / ٧٤) ، كتاب الصلاة ، باب استحباب الترتيل في القراءة .

٦٠٩ - البخاري (٨ / ١٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٩ - باب دخول النبي ﷺ من أعلى مكة .
ومسلم نحوه (٢ / ٩١٨) ١٥ - كتاب الحج - ٣٧ - باب استحباب دخول مكة من الثنية العليا والخروج منها من الثنية السفلى .

(٢) البخاري بنحوه (٣ / ٤٣٧) ٢٥ - كتاب الحج - ٤١ - باب من أين يخرج من مكة ؟ .
ومسلم بلفظه (٢ / ٩١٨) ١٥ - كتاب الحج - ٣٧ - باب استحباب دخول مكة من الثنية العليا والخروج منها من الثنية السفلى .

زَادَ فِي رِوَايَةٍ ^(١) : قَالَ هِشَامُ (أَيِ ابْنِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ) : فَكَانَ أَبِي يَدْخُلُ مِنْهَا كِلَيْهِمَا ، وَكَانَ أَكْثَرُ مَا يَدْخُلُ مِنْ كَدَاءٍ .

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ ^(٢) : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ مِنْ كَدَاءٍ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ ، وَدَخَلَ فِي الْعُمْرَةِ مِنْ كُدَى ، قَالَ : وَكَانَ عُرْوَةُ يَدْخُلُ مِنْهَا جَمِيعاً ، وَكَانَ أَكْثَرُ مَا كَانَ يَدْخُلُ مِنْ كُدَى ، وَكَانَ أَقْرَبَهُمَا إِلَى مَنْزِلِهِ .

٦١٠ - * رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ بَغْيَرٍ إِحْرَامٍ . وَفِي رِوَايَةِ قَتِيبَةَ . قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ .

وَزَادَ النَّسَائِيُّ فِي أُخْرَى ^(٣) : أَرَخَى طَرَفَهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ .

قَوْلُهُ : (وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ) فِيهِ جَوَازُ لِبَسِ الثِّيَابِ السُّودِ وَفِي الرِّوَايَةِ (الْآخَرَى خَطَبَ النَّاسَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ) فِيهِ جَوَازُ لِبَاسِ الْأَسْوَدِ فِي الْخُطْبَةِ وَإِنْ كَانَ الْأَبْيَضَ أَفْضَلَ مِنْهُ ، كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ « خَيْرُ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضُ » ^(٤) . وَأَمَّا لِبَاسُ الْخُطْبَاءِ السُّودِ فِي حَالِ الْخُطْبَةِ فَجَائِزٌ وَلَكِنْ الْأَفْضَلُ الْبَيَاضُ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَإِنَّمَا لِبَسُ الْعِمَامَةِ السُّودِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانًا لِلْجَوَازِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اهـ (شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ) .

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ^(٥) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ وَعَلَى رَأْسِهِ الْمِغْفَرُ .

(١) مُسْلِمٌ فِي نَفْسِ الْمَوْضِعِ السَّابِقِ (٢ / ٩١٩) .

(٢) أَبُو دَاوُدَ (٢ / ١٧٤) ، كِتَابُ الْمَنَاسِكِ ، بَابُ دُخُولِ مَكَّةَ .

٦١٠ - مُسْلِمٌ (٢ / ٩١٠) ١٥ - كِتَابُ الْحَجِّ - ٨٤ - بَابُ جَوَازِ دُخُولِ مَكَّةَ بِغَيْرِ إِحْرَامٍ .

(٣) النَّسَائِيُّ (٨ / ٢١١) ، كِتَابُ الزَّيْنَةِ ، بَابُ إِرخَاءِ طَرَفِ الْعِمَامَةِ بَيْنَ الْكَتِفَيْنِ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةٍ (١ / ٤٧٣) ٦ - كِتَابُ الْجَنَائِزِ - ١٢ - بَابُ مَا جَاءَ فِيهِ يَسْتَحِبُّ مِنَ الْكُفَنِ .

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ نَحْوَهُ (٥ / ١١٧) ٤٤ - كِتَابُ الْأَدَبِ - ٤٦ - بَابُ مَا جَاءَ فِي لِبَسِ الْبَيَاضِ . وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

(٥) الْبُخَارِيُّ (١٠ / ٢٧٥) ٧٧ - كِتَابُ اللَّبَاسِ - ١٧ - بَابُ الْمِغْفَرِ .

وَمُسْلِمٌ (٢ / ٩١٠) ١٥ - كِتَابُ الْحَجِّ - ٨٤ - بَابُ جَوَازِ دُخُولِ مَكَّةَ بِغَيْرِ إِحْرَامٍ .

٦١١ - * روى الطبراني عن عبد الله بن عمرو قال : لما فُتِحَتْ مَكَّةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « كُفُّوا السِّلَاحَ إِلَّا خِرَازِعَةً عَنْ بَنِي بَكْرٍ » فَأَذِنَ لَهُمْ حَتَّى صَلَّى الْعَصْرَ ثُمَّ قَالَ : « كُفُّوا السِّلَاحَ » فَلَقِيَ رَجُلًا مِنْ خِرَازِعَةِ رَجُلًا مِنْ بَنِي بَكْرٍ مِنْ غَدٍ بِالْمَزْدَلِفَةِ ، فَقَتَلَهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَامَ خَطِيبًا فَقَالَ ، وَرَأَيْتُهُ وَهُوَ مُسْنِدٌ ظَهْرُهُ إِلَى الْكَعْبَةِ : « إِنَّ أَعْدَى النَّاسِ عَلَى اللَّهِ مَنْ قَتَلَ فِي الْحَرَمِ ، أَوْ قَتَلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ أَوْ قَتَلَ بِذُحُولِ الْجَاهِلِيَّةِ » فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنَّ فَلَانًا ابْنِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا دَعْوَةَ فِي الْإِسْلَامِ ذَهَبَ أَمْرُ الْجَاهِلِيَّةِ ، الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ ، وَلِلْعَاهِرِ الْأَثْلَبُ » قَالُوا : وَمَا الْأَثْلَبُ ؟ قَالَ « الْحَجَرُ » وَقَالَ : « لَا صَلَاةَ بَعْدَ الْعِدَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَلَا صَلَاةَ بَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرِبَ الشَّمْسُ » قَالَ : « وَلَا تُنْكِحُ الْمَرْأَةَ عَلَى عَمَّتِهَا وَلَا عَلَى خَالَتِهَا » .

٦١٢ - * روى أبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ خطب يوم الفتح بمكة فكبر ثلاثاً ، ثم قال : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ صَدَقَ وَعْدُهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ : أَلَا إِنَّ كُلَّ مَأْتَرَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تُذَكَّرُ وَتُدْعَى مِنْ دَمٍ ، أَوْ مَالٍ تَحْتَ قَدَمِي ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ سِقَايَةِ الْحَاجِّ ، وَسِدَانَةِ الْبَيْتِ » ثُمَّ قَالَ : « أَلَا إِنَّ دِيَةَ الْخَطَا شِبْهُ الْعَمْدِ - مَا كَانَ بِالسُّوْطِ وَالْعَصَا - : مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ ، مِنْهَا أَرْبَعُونَ فِي بَطُونِهَا وَأَوْلَادُهَا » .

= قوله (وعلى رأسه المغفر) : بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء ، وهو المنسوج من الدرع على قدر رأسه . ولا تعارض بينه وبين حديث : (وعليه عمامة سوداء) إذ يحتمل أن تكون العمامة فوق المغفر أو العكس أو كان أول دخوله على رأسه للمغفر ثم أزاله وليس العمامة بعد ذلك أ . هـ . وقاله السُّنْدِي .

٦١١ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٧٧) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .
فَحُولُ : جمع ذُحُلٍ ، والدُّخُلُ الحقد والعداوة ، يقال : طلب بذحله : أي طلب بثأره .
دَعْوَةٌ : في النسب بالكسر وهو أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته وقد كانوا يفعلونه . فنهى عنه وجعل الولد للفراش .

٦١٢ - أبو داود (٤ / ١٨٥) ، كتاب الديات ، باب في الخطأ شبه العمد .
والنسائي بعضه (٨ / ٤٠) ، كتاب القسامة ، باب كم دية شبه العمد ؟
مَأْتَرَةُ الْمَأْتَرَةِ : واحدة المأثر المروية عن القريب ، وهي مكارم أخلاقها ، التي يحدث بها عنها .
سِقَايَةُ الْحَاجِّ : ما كانوا يسقونه الحجيج من الزبيب المنبؤ في الماء .
سِدَانَةُ الْبَيْتِ : خِدْمَتُهُ ، والبيت : بيت الله الحرام .

- وفي أخرى لأبي داود ^(١) ، قال : « عَقْلُ شِبْهِ الْعَمْدِ مَغْلَظَةٌ مِثْلُ عَقْلِ الْعَمْدِ ، وَلَا يُقْتَلُ صَاحِبُهُ » .

زاد في رواية ^(٢) « وذلك أن يُنْزَوَ الشيطانُ بين الناس ، فتكون دماء في عَمِيٍّ في غير ضَغِينَةٍ ، ولأَحْمَلِ سِلَاحٍ » .

٦١٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما فتح الله على رسوله ﷺ مكة ، قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، فإِنهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي ، وَإِنهَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، وَإِنهَا لَنْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي فَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهَا ، وَلَا يُخْتَلَى شَوْكُهَا ، وَلَا تَحِلُّ سَاقِطَتُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ . وَمَنْ قَتَلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ : إِمَّا أَنْ يُفْدَى ، وَإِمَّا أَنْ يُقَيَّدَ » فقال العباس : إلا الإذخِرَ ، فإننا نجعله لقبورنا ويوتينا . فقال رسول الله ﷺ : « إِلَّا الإذخِرَ » فقام أبو شاة - رجلٌ من أهل

(١) أبو داود (٤ / ١٩٠) ، كتاب الديات ، باب ديات الأعضاء .

العقل : الدية ، وأصلها : أن القاتل كان إذا قتل قتيلاً جمع الدية من الإبل فمَقَّلَهَا بقتل أولياء المقتول لِيَقْبَلُوهَا منه ، فَسَمِيَتْ ، الدية عقلاً ، وأصل الدية : الإبل ، ثم قَوِّمَتْ بعد ذلك بالذهب والورق وغيرهما . والعاقلة : هم العصبة والأرقاب من قبل الأب ، الذين يطعون دية قاتل الخطأ .

(٢) أبو داود (٤ / ١٩٠) ، كتاب الديات ، باب ديات الأعضاء .

يَقَوُّو : النَّزْوُ : الْوُثُوبُ .

عَمِيٍّ : أي : جهالة . والمراد به : الخطأ . والمعنى : أن يتراعى القوم فيوجد بينهم قَتِيلٌ لَا يُدْرَى مَنْ قَتَلَهُ ، وَيَعْمَى أَمْرُهُ فَلَا يَتَبَيَّنُ ، ففيه الدية . ضَغِينَةٍ : الضَّغِينَةُ : الْحَقْدُ .

٦١٣ - البخاري (٥ / ٨٧) ٤٥ - كتاب اللقطة - ٧ - باب كيف تعرف لقطة أهل مكة ؟

ومسلم (٢ / ٩٨٨) ١٥ - كتاب الحج - ٨٢ - باب تحريم مكة وصيدها وخلوها وشرها ولقطةها ، إلا لمنشد ، على الدوام .

وَلَا يُخْتَلَى : الْخَلَا : الْعُشْبُ ، واختلاؤه : قطعه .

سَاقِطَتُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ : الساقطة : هي اللقطة ، وهو الشيء الذي يلقى على الأرض لاصحاب له يُعْرِفُ ، وقوله : « لَا تَحِلُّ إِلَّا لِمُنْشِدٍ » يعني : لمعرف ، وهو من نشدت الضالة : إذا طلبتها ، فأنت ناشد ، وأنشدتها : إذا عَرَفْتَهَا ، فأنت منشد ، واللقطة في جميع البلاد لا تحل إلا لمن أنشدها سنة ، ثم يتلکها بعد السنة ، بشرط الضمان لاصحابه إذا وجده ، فأما مكة ، فإن في لقطة وجهين ، أحدهما : أنها كسائر البلاد ، والثاني : لا تحل ، لقوله ﷺ : « لَا تَحِلُّ لِقَطَّتِهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ » والمراد به : منشد على الدوام ، وإلا فأنت نائدة لتخصيص مكة بالإنشاد ؟ .

اليمن - فقال : اكتبوا لي يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : « أَكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ » . قلتُ للأوزاعي : ما قوله اكتبوا لي يا رسول الله ؟ قال : هذه الخطبة التي سمعها من رسول الله ﷺ .

قال في الفتح : واستدل مجديتي ابن عباس وأبي هريرة المذكورين في هذا الباب على أن لقطة مكة لا تلتقط للتليك بل للتعريف خاصة ، وهو قول الجمهور ، وإنما اختصت بذلك عندهم لإمكان إيصالها إلى ربها ، لأنها إن كانت للمكي فظاهر ، وإن كانت للآفاقي فلا يخلو أفق غالباً من وارد إليها ، فإذا عرفها واجدها في كل عام سهل التوصل إلى معرفة صاحبها ، قاله ابن بطال . وقال أكثر المالكية وبعض الشافعية : هي كغيرها من البلاد ، وإنما تختص مكة بالمبالغة في التعريف لأن الحاج يرجع إلى بلده وقد لا يعود فاحتاج الملتقط بها إلى 'بالغة في التعريف . واحتج ابن المنير لمذهبه بظاهر الاستثناء ، لأنه نفى الحل واستثنى نشد فدل على أن الحل ثابت للمنشد لأن الاستثناء من النفي إثبات ، قال : ويلزم على هذا أن مكة وغيرها سواء ، والقياس يقتضي تخصيصها . والجواب أن التخصيص إذا وافق الغالب لم يكن له مفهوم ، والغالب أن لقطة مكة يئأس ملتقطها من صاحبها وصاحبها من وجدائها لتفرق الخلق إلى الآفاق البعيدة ، فربما داخل الملتقط الطمع في تملكها من أول وهلة فلا يعرفها فنهى الشارع عن ذلك وأمر أن لا يأخذها إلا من عرفها ، وفارقت في ذلك لقطة العسكر ببلاد الحرب بعد تفرقهم فإنها لا تعرف في غيرهم باتفاق ، بخلاف لقطة مكة فيشرع تعريفها لإمكان عود أهل أفق صاحب اللقطة إلى مكة فيحصل متوصل إلى معرفة صاحبها وقال إسحاق بن راهويه : قوله « إلا لمنشد » أي لمن سمع ناشداً يقول : من رأى لي كذا ؟ فحينئذ يجوز لواحد اللقطة أن يعرفها ليردها على صاحبها ، وهو أضييق من قول الجمهور لأنه قيده بحالة للمعرف دون حالة ، وقيل : المراد بالمنشد الطالب حكاه أبو عبيد ، وتعقبه بأنه لا يجوز في اللغة تسمية الطالب منشداً . قلت : ويكفي في رد ذلك قوله في حديث ابن عباس : « لا يلتقط لقطتها إلا معرف » والحديث يفسر بعضه بعضاً ، وكأن هذا

= بخير النظرين : خيرا النظرين : أوفق الأمرين له ، فلما أن يدوا ، أي : يعطوا الدية ، وهي العقل ، وإما أن يُقَادَ ، أي : يُقْتَلَ قصاصاً ، فأمر الأمرين اختار وليّ الدم كان له ، وهو مذهب الشافعي ، وقال أبو حنيفة : من وجب له القصاص لم يجز له تركه وأخذ الدية .

هو النكتة في تصدير البخاري الباب بمحدث ابن عباس ، وأما اللغة فقد أثبت الحربي جواز تسمية الطالب منشدا وحكاه عياض أيضا واستدل به على أن لقطة عرفة والمدينة النبوية كسائر البلاد لاختصاص مكة بذلك ، وحكى الماوردي في « الحاوي » وجهها في عرفة أنها تلتحق بمكة لأنها تجمع الحاج كمكة ولم يرجح شيئا ، وليس الوجه المذكور في « الروضة » ولأصلها ، واستدل به على جواز تعريف الضالة في المسجد الحرام بخلاف غيره من المساجد ، وهو أصح الوجهين عند الشافعية . والله أعلم . ١. هـ.

قال النووي : قوله ﷺ (اكتبوا لأبي شاه) هذا تصريح بجواز كتابة العلم غير القرآن ومثله حديث علي رضي الله عنه ما عنده إلا ما في هذه الصحيفة ومثله حديث أبي هريرة : كان عبد الله بن عمرو يكتب ولا يكتب وجاءت أحاديث بالنهي عن كتابة غير القرآن فمن السلف من منع كتابة العلم وقال جمهور السلف بجوازه ثم أجمعت الأمة بعدم على استحبابه ، وأجابوا عن أحاديث النهي بجوابين : أحدهما : أنها منسوخة وكان النهي في أول الأمر قبل اشتهاار القرآن لكل أحد ، فنهى عن كتابة غيره خوفا من اختلاطه واشتباهه ، فلما اشتهر وأمنت تلك المفسدة أذن فيه . والثاني : أن النهي تنزيه لمن وثق بحفظه وخيف اتكاله على الكتابة والإذن لمن لم يوثق بحفظه ، والله أعلم . أ. هـ.

٦١٤ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة ، فقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ غُبَيْةَ الجاهلية ، وتَعَاطَمَهَا بِأَبَائِهَا ، فالناس رجلان : برّ تقي كريم على الله عز وجل ، وفاجر شقي هين على الله عز وجل والناس كلهم بنو آدم ، وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾ إلى ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

٦١٥ - * وعن عبد الله بن زريق قال : قال عليّ للعبّاس : قلّ للنبي يعطيك الحزّانة

٦١٤ - الترمذي (٢٨٩ / ٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٥٠ - باب « من سورة الحجرات » . وإسناده حسن .

غُبَيْة : العُبيّة : بضم العين وكسرهما ، وتشديد الباء والياء ، مأخوذ من العبء : الثقل .

(١) الحجرات ١٣ .

٦١٥ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ، وقال : رواه أبو يعلى وهو مرسل ، عبد الله بن زريق لم يدرك القصة . =

فَسَأَلَهُ الْعَبَّاسُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « أُعْطِيَكُمْ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا يَرْزُقُكُمْ وَلَا تَرْزُقُونَهَا فَأَعْطَاهُمْ السَّقَايَةَ » .

وفي رواية ^(١) عن عبد الله بن أبي رَزِيرٍ عَنْ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ : سَلْ لَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْحِجَابَةَ ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ : « أُعْطِيَكُمْ السَّقَايَةَ تَرْزُقُكُمْ وَلَا تَرْزُقُونَهَا » وَقُلْتُ لِلْعَبَّاسِ : سَلْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْتَعْمِلَكَ عَلَى الصَّدَقَاتِ فَقَالَ : « مَا كُنْتُ لِأَسْتَعْمِلَكَ عَلَى غُسَالَةِ ذُنُوبِ النَّاسِ » .

٦١٦ - * روى النسائي وابن ماجه عن جابر بن عبد الله أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَلِوَاؤُهُ أَبْيَضٌ .

٦١٧ - * روى البخاري عن عبد الله بن عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَ يَوْمَ الْفَتْحِ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، مُرِدِّفًا أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، وَمَعَهُ بِلَالٌ ، وَمَعَهُ عَثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ مِنَ الْحَبَشَةِ ، حَتَّى أَنَاخَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ بِمِفْتَاحِ الْبَيْتِ فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَمَعَهُ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَبِلَالٌ وَعَثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ ، فَمَكَثَ فِيهِ نَهَارًا طَوِيلًا ثُمَّ خَرَجَ - فَاسْتَبَقَ النَّاسُ ، فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو أَوَّلَ مَنْ دَخَلَ ، فَوَجَدَ بِلَالًا وَرَاءَ الْبَابِ قَائِمًا ، فَسَأَلَهُ : أَتَيْنَ صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ ؟ فَأَشَارَ لَهُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَنَسِيتُ أَنْ أَسْأَلَ : كَمْ صَلَّى سَجْدَةً ؟ » .

قال في الفتح : وعند ابن إسحاق بإسناد حسن عن صفية بنت شيبة قالت : « لما نزل رسول الله ﷺ وأطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به ، فلما قضى طوافه دعا عثمان ابن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتح له فدخلها ، ثم وقف على باب الكعبة فخطب »

= الخزانة : السدانة والحجابة .

الرؤم : المصيبة .

(١) أورده المهيمن في جمع الزوائد وقال : رواه البزار ، ورجاله ثقات .

٦١٦ - النسائي (٥٩ / ٢٠٠) ، كتاب المناسك ، باب دخول مكة باللواء . ولكن دون قوله : « يوم الفتح » .

وابن ماجه (٢ / ٩٤١) ٢٤ - كتاب الجهاد . ٢٠ - باب الرايات والألوية .

٦١٧ - البخاري (٨ / ١٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٩ - باب دخول النبي ﷺ من أعلى مكة .

الحجبة : جمع حاجب ، وهو سادن البيت .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أنه ﷺ قام على باب الكعبة ، فذكر الحديث ، وفيه : ثم قال « يامعشر قريش ، ماترون أفي فاعل فيكم ؟ » قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » ثم جلس فقام عليّ فقال : اجمع لنا الحجابة والسقاية ، فذكره . وروى ابن عائد من مرسل عبد الرحمن بن سابط أن النبي ﷺ دفع مفتاح الكعبة إلى عثمان فقال : « خذها خالدة مخلدة ، إني لم أدفعها إليكم ولكن الله دفعها إليكم ، ولا ينزعها منكم إلا ظالم » ومن طريق ابن جريج أن عليا قال للنبي ﷺ : اجمع لنا الحجابة والسقاية ، فنزلت : ﴿ إِنْ أَنْتُمْ لَا تَرْضَوْنَ لِي الشَّيْبَةَ فَابْنُ آدَمَ لَا يَرْضَى لِي الشَّيْبَةَ فَخُذُوا أَمْثَلَكُمْ فَخَذُوا مِنْكُمْ شَيْبَةً فَأَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَثَّاقِ الْيَمَنِيُّ مِنْكُمْ وَلَا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ » (١) فدعا عثمان فقال : « خذوها يا بني شيبه خالدة تالدة ، لا ينزعها منكم إلا ظالم » ومن طريق علي بن أبي طلحة أن النبي ﷺ قال : « يا بني شيبه ، كلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف » وروى الفاكهي من طريق محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن النبي ﷺ لما ناول عثمان المفتاح قال له : « غيبه » قال الزهري : فلذلك يغيب المفتاح . ومن حديث ابن عمر أن بني أبي طلحة كانوا يقولون : لا يفتح الكعبة إلا هم ، فتناول النبي ﷺ المفتاح ففتحها بيده . اهـ .

٦١٨ - * روي البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ مِنْ كَدَاءٍ ، مِنَ الثَّنِيَّةِ الْعُلْيَا الَّتِي عِنْدَ الْبَطْحَاءِ ، وَخَرَجَ مِنَ الثَّنِيَّةِ السُّفْلَى . وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ وَلِسَلَمَ (٢) : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَخْرُجُ مِنْ طَرِيقِ الشَّجَرَةِ ، وَيَدْخُلُ مِنْ طَرِيقِ الْمَعْرَسِ .

زاد البخاري (٣) : وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ يُصَلِّي فِي مَسْجِدِ الشَّجَرَةِ ، فَإِذَا رَجَعَ صَلَّى بِذِي الْحَلِيفَةِ بَيْطُنِ الْوَادِي ، وَبَاتَ حَتَّى يُصْبِحَ .

= (١) النساء : ٥٨ .

٦١٨ - البخاري (٢ / ٤٣٦) ٢٥ - كتاب الحج - ٤٠ - باب من أين يدخل مكة ؟ .
الثنية : موضع مرتفع من الأرض .

كداء : بفتح الكاف ممدوداً : من أعلى مكة ، وبضها مقصوراً : من أسفلها .

(٢) البخاري (٣ / ٣٩١) ٢٥ - كتاب الحج - ١٥ - باب خروج النبي ﷺ على طريق الشجرة .

ولسلم (٢ / ٩١٨) ١٥ - كتاب الحج - ٣٧ - باب استحباب دخول مكة من الثنية العليا والخروج منها من الثنية السفلى .

(٣) البخاري في نفس الموضع السابق .

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ ^(١) : وَإِذَا دَخَلَ مَكَّةَ دَخَلَ مِنَ الثَّنِيَةِ الْعُلْيَا الَّتِي بِالْبَطْحَاءِ وَيَخْرُجُ مِنَ الثَّنِيَةِ السُّفْلَى .

قال النووي : قيل إنما فعل النبي ﷺ هذه المخالفة في طريقه داخلا وخارجا تفاؤلا بتغير الحال إلى أكمل منه كما فعل في العيد ، وليشهد له الطريقان وليتبرك به أهلها ومذهبنا أنه يستحب دخول مكة من الثنية العليا والخروج منها من السفلى لهذا الحديث ولا فرق بين أن تكون هذه الثنية على طريقه كالمدني والشامي أو لا تكون كاليني فيستحب لليني وغيره أن يستدير ويدخل مكة من الثنية العليا وقال بعض أصحابنا : إنما فعلها النبي ﷺ لأنها كانت على طريقه ولا يستحب لمن ليست على طريقه كاليني وهذا ضعيف والصواب الأول وهكذا يستحب له أن يخرج من بلده من طريق ويرجع من أخرى لهذا الحديث .

٦١٩ - * روى الطبراني عن الزُّهْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعِثَانَ يَوْمَ الْفَتْحِ : « أَتَيْتَنِي بِمِفْتَاحِ الْكَعْبَةِ » فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَنْتَظِرُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجَمَانِ مِنَ الْعَرَقِ ، وَيَقُولُ : « مَا يَحْبِسُهُ ؟ » فَسَعَى إِلَيْهِ رَجُلٌ ، وَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ الَّتِي عِنْدَهَا الْمِفْتَاحَ - حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ أُمُّ عِثَانَ - تَقُولُ : إِنْ أَخَذَهُ مِنْكُمْ لَمْ يُعْطِيكُمْوهُ أَبَدًا فَلَمْ يَزَلْ بِهَا عِثَانٌ ، حَتَّى أَغْطَتْهُ الْمِفْتَاحَ فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَفَتَحَ الْبَابَ ، ثُمَّ دَخَلَ الْبَيْتَ ، ثُمَّ خَرَجَ وَالنَّاسُ مَعَهُ فَجَلَسَ عِنْدَ السَّقَايَةِ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ كُنَّا أَوْثِينَا النَّبُوَّةَ ، وَأَعْطَيْنَا السَّقَايَةَ ، وَأَعْطَيْنَا الْحِجَابَةَ مَا قَوْمٌ بِأَعْظَمَ نَصِيبًا مِمَّا فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ كَرِيَةً مَقَالَتَهُ ، ثُمَّ دَعَا عِثَانَ بْنَ طَلْحَةَ فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْمِفْتَاحَ وَقَالَ : « غَيَّبُوهُ » قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ : فَحَدَّثْتُ بِهِ ابْنَ عُيَيْنَةَ فَقَالَ : أَخْبَرَنِي ابْنُ جَرِيرٍ أَحْسَبُهُ قَالَ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَعَلِّي يَوْمَئِذٍ حِينَ كَلَّمَهُ فِي الْمِفْتَاحِ : « إِنَّمَا أُعْطِيَكُمْ مَا تُرْزَوُونَ وَلَمْ أُعْطِيكُمْ مَا تُرْزَوُونَ » يَقُولُ أُعْطِيَكُمْ السَّقَايَةَ لِأَنَّكُمْ تُغْرَمُونَ فِيهَا وَلَمْ أُعْطِيَكُمْ التَّيْتِ أَيُّ إِنَّهُمْ يَأْخُذُونَ مِنْ هَدْيَيْتِهِ ، هَذَا قَوْلُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ .

(١) مسلم في الموضع السابق .

٦١٩ - أورده المصنف في مجمع الزوائد (٦ / ١٧٦) ، وقال : رواه الطبراني مرسلًا ، ورجاله رجال الصحيح .
تُرْزَوُونَ : تصابون . أعطيتكم ما تُرْزَوُونَ لَمَّا تَرْزَوُونَ : أعطيتكم ما هو نقص لكم ولا ينقصني .

٦٢٠ - * وروى الطبراني عن ابن عباس قال : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ وَعَلَى الْكَعْبَةِ ثَلَاثَةٌ وَسِتُونَ صَنًا وَقَدْ شَدَّ لَهُمْ إِبْلِيسُ أَقْدَامَهُمْ بِالرُّصَاصِ ، فَجَاءَ وَمَعَهُ قَضِيَّةٌ فَجَعَلَ يَهْوِي بِهِ إِلَى كُلِّ صَنَمٍ مِنْهَا فَيَخِرُّ لَوَجْهِهِ وَيَقُولُ : « جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » حَتَّى مَرَّ عَلَيْهَا كُلِّهَا .

وفي رواية البخاري ومسلم ^(١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ ، وَحَوَّلَ الْكَعْبَةَ سِتُونَ وَثَلَاثًا نُصِبَ ، فَجَعَلَ يَطْعَنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ ، وَيَقُولُ : « جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيهِ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ » .

قال ابن حجر : قوله (يعود في يده ويقول : جاء الحق) في حديث أبي هريرة عند مسلم (يطعن في عينيه بسيّة القوس) وفي حديث ابن عمر عند الفاكهي وصححه ابن حبان (فيسقط الصنم ولا يسه) ، وللفاكهي والطبراني من حديث ابن عباس (فلم يبق وثن استقبله إلا سقط على قفاه ، مع أنها كانت ثابتة بالأرض ، وقد شد لهم إبليس أقدامها بالرصاص) وفعل النبي ﷺ ذلك لإذلال الأصنام وعابديها ، ولإظهار أنها لا تنفع ولا تضر ، ولا تدفع عن نفسها شيئاً . ا.هـ .

٦٢١ - * روى أحمد وأبو داود عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ أَمَرَ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَمَنَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِالْبَطْحَاءِ ، أَنْ يَأْتِيَ الْكَعْبَةَ فَيَنْحَوَّ كُلَّ صُورَةٍ فِيهَا ، فَلَمْ يَدْخُلْهَا النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى مَحِيتَ كُلُّ صُورَةٍ فِيهَا .

قال في بذل المجهود : والظاهر أن ما أمره ﷺ عمر بن الخطاب كان مختصاً بما نقش من

٦٢٠ - للمعجم الكبير (١٠ / ٣٣٩) .

والبزار مختصراً : كشف الأستار (٢ / ٢٤٥) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٧٦) : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات ، ورواه البزار باختصار .

(١) البخاري (٨ / ١٥) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٨ - باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ؟ .

ومسلم (٣ / ١٤٠٨) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٣٢ - باب إزالة الأصنام من حول الكعبة .

نُصِبَ : النُصْبُ : بضم الصاد وسكونها : الصنم ، وجمعها أنصاب .

٦٢١ - أحمد في مسنده (٣ / ٢٣٥) .

وأبو داود (٤ / ٧٤) ، كتاب اللباس ، باب في الصور . وإسناده حسن .

الصور على الجدران ، فأمره بمحوها ، وأما الأصنام وذو الأجرام منها فبقيت فيها حتى دخل رسول الله ﷺ الكعبة فأزالها بنفسه كما ثبت أن رسول الله ﷺ دخلها وفيها ثلاثمائة وستون نصبا ، فيطعن فيها ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل » .

٦٢٢ - * روى أبو داود عن وهب بن منبه قال : سألت جابرًا : هل غنموا يوم الفتح شيئاً ؟ قال : لا .

٦٢٣ - * روى الطبراني عن سعيد بن يربوع وكان يسمى الصرم أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة : « أربعة لا أومنهم في حل ولا حرم : الحويرث بن نفيل ، ومقيس ابن صبابه ، وهلال بن خطل ، وعبد الله بن أبي سرح » فأما حويرث فقتله علي رضي الله عنه ، وأما مقيس بن صبابه فقتله ابن عم له بلحاء ، وأما هلال بن خطل فقتله الزبير ، وأما عبد الله بن سعيد بن أبي سرح فاستأمن له عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان أخاه من الرضاعة . وقينتين كانتا لمقيس تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ قتلت إحداهما وأفلتت الأخرى فأسلمت .

وفي رواية للحاكم ^(١) عن سعد بن أبي وقاص قال : لما كان يوم فتح مكة آمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس إلا أربعة نفر ، وامرأتين ، وقال : « أقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة : عكرمة بن أبي جهل ، وعبد الله بن خطل ، ومقيس بن صبابه ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح » .

* وفي رواية لأبي داود ^(٢) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : لما كان يوم فتح مكة آمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر ، وامرأتين ، وسماهم ، وابن أبي سرح . فذكر الحديث ، قال : وأما ابن أبي سرح ، فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان ، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة ، جاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ ، فقال : يابني الله ، بايع

٦٢٢ - أبو داود (١٦٣ / ٢) ، كتاب الحراج والإمارة والفيء ، باب ما جاء في خبر مكة . وإسناده حسن .

٦٢٣ - المعجم الكبير (٦٦ / ٦) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٣ / ٦) : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

(١) المستدرک (٥٤ / ٢) ، وسكت عنه . وأقره الذهبي .

(٢) أبو داود (٥٩ / ٢) ، كتاب الجهاد ، باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام .

عبد الله ، فَرَقَعَ رَأْسَهُ ، فَتَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا ، كُلُّ ذَلِكَ يَأْتِي ، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : « أَمَّا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَأَيْتُ كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلَهُ ؟ » قَالُوا : مَا نَذْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ ، أَلَا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ ؟ قَالَ : « إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ » .

قال أبو داود : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ أَخَا عُثْمَانَ مِنَ الرُّضَاعَةِ .

وفي رواية للنسائي ^(١) قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَّا أَرْبَعَةً ، وَامْرَأَتَيْنِ ، وَقَالَ : « أَقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ : عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطَلٍ ، وَمِقْيَسُ بْنُ صَبَابَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي السَّرْحِ » فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطَلٍ ، فَأَدْرَكَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، فَاسْتَبَقَ إِلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ حَرْيْثٍ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ، فَسَبَقَ سَعِيدٌ عَمَّارًا - وَكَانَ أَشَبَّ الرَّجُلَيْنِ - فَقَتَلَهُ . وَأَمَّا مِقْيَسُ بْنُ صَبَابَةَ ، فَأَذْرَكَهُ النَّاسُ فِي السُّوقِ فَقَتَلُوهُ ، وَأَمَّا عِكْرِمَةُ فَرَكِبَ الْبَحْرَ ، فَأَصَابَتْهُمُ عَاصِفٌ ، فَقَالَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ : أَخْلِصُوا ، فَإِنْ أَهْتَكُم لَا تَغْنِي عَنْكُمُ شَيْئًا هَاهُنَا ، فَقَالَ عِكْرِمَةُ : وَاللَّهِ ، لَئِنْ لَمْ يُنَجِّنِي مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا الْإِخْلَاصُ ، لَا يُنَجِّنِي فِي الْبَرِّ غَيْرُهُ ، اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَهْدًا إِنْ أَنْتَ عَاقَبْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِي مُحَمَّدًا ﷺ حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ ، فَلَأَجِدَنَّهُ عَفْوًا كَرِيمًا . فَجَاءَ فَأَسْلَمَ . وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي السَّرْحِ ، فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى آخِرِهِ مِثْلَ أَبِي دَاوُدَ .

٦٢٤ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَعَلَى رَأْسِهِ الْمَغْفَرُ ، فَلَمَّا نَزَعَهُ جَاءَ رَجُلٌ ، فَقَالَ : ابْنُ خَطَلٍ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ

= رشيد : رجل رشيد ، أي : لبيب عاقل ، له فطنة .

خائنة الأعين : كناية عن الرمز والإشارة ، كأنها مما تخونه العين ، أي : تسرقه ، لأنها كالسرقة من الحاضرين .

(١) النسائي (١٠٥ / ٧) ، كتاب تحريم الدم ، باب الحكم في المرتد . وهو حديث حسن .

عاصف : ريح عاصف ، أي : شديد المهبوب .

٦٢٤ - البخاري (١٥ / ٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٨ - باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ؟

ومسلم (٢ / ٩٨٩) ١٥ - كتاب الحج - ٨٤ - باب جواز دخول مكة بغير إحرام .

الكعبة ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اقْتُلُوهُ » .

وفي الموطأ^(١) : وَلَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فِيما نَرَى يُؤْمِنُ - وَاللهُ أَعْلَمُ - مُحَرِّمًا .

وقال أبو داود^(٢) : اسمُ ابنِ خَطَلٍ : عَبْدُ اللهِ ، وَكَانَ أَبُو بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيُّ قَتَلَهُ .

٦٢٥ - * روى البخاري ومسلم عن أمِّ هانئ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أختِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالت : ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ ، فَوَجَدْتُهُ يُغْتَسِلُ ، وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ بِثَوْبٍ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : « مَنْ هَذِهِ ؟ » فَقُلْتُ : أَنَا أمُّ هانئ بنتُ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ : « مَرْحَبًا بِأُمِّ هانئ » فَلَمَّا قَرَعَ مِنْ غُسْلِهِ ، قَامَ فَصَلَّى ثِنثِي رَكَعَاتٍ مُلْتَحِفًا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، زَعَمَ ابْنُ أُمِّي عَلِيٌّ : أَنَّهُ قَاتَلَ رَجُلًا قَدْ أَجَرْتَهُ - فَلَانَ ابْنَ هُبَيْرَةَ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتَ يَا أُمَّ هانئ » ، قَالَتْ أُمُّ هانئ : وَذَلِكَ ضَحَى .

وفي رواية الترمذي^(٣) : أَنَّ أُمَّ هانئ قَالَتْ : أَجَرْتُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْمَائِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « قَدْ آمَنَّا مَنْ آمَنْتَ » .

وفي رواية أبي داود^(٤) : أَنَّهَا أَجَارَتْ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْفَتْحِ ، فَأَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ ، فَذَكَرَتْ لَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ : « قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتَ ، وَآمَنَّا مَنْ آمَنْتَ » .

قال الحافظ في الفتح : قال ابن المنذر : أجمع أهل العلم على جواز أمان المرأة إلا شيئاً ذكره عبد الملك بن الماجشون صاحب مالك لا أحفظ ذلك عن غيره قال : إن أمر الأمان إلى الإمام ، وتأول ماورد مما يخالف ذلك على قضايا خاصة .

= (١) مالك في الموطأ (١ / ٤٢٣) ٢٠ - كتاب الحج - ٨١ - باب جامع الحج .

(٢) أبو داود (٣ / ٥٩) ، كتاب الجهاد ، باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام .

٦٢٥ - البخاري (١ / ٤٦٩) ٨ - كتاب الصلاة - ٤ - باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفاً به .

ومسلم (١ / ٤٩٦) ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - ١٣ - باب استحباب صلاة الضحى .

أجرنا : أجزت الرجل : منعت من يريده بسوء ، وأمنته شره وأذاه .

(٣) الترمذي (٤ / ١٤٢) ٢٢ - كتاب السير - ٢٦ - باب ما جاء في أمان العبد والمرأة .

(٤) أبو داود (٣ / ٨٤) ، كتاب الجهاد ، باب في أمان المرأة .

٦٢٦ - * روى أحمد عن مطيع بن الأسود ، وكان اسمه العاصي فسماه رسول الله ﷺ مطيعاً قال : سمعت رسول الله ﷺ حين أمر بقتل هؤلاء الرهط بمكة يقول : « لا تغزى مكة بعد هذا العام أبداً » .

وفي رواية ^(١) : (يوم فتح مكة) ، « ولا يقتل رجل من قريش بعد العام صبراً أبداً » هذا الحديث محمول على ألا تغزى مكة على الكفر ، وهو من معجزاته عليه الصلاة والسلام ، فقد ارتدت العرب بعد وفاته إلا قليلاً ، وكان ممن لم يرتد مكة .

٦٢٧ - * روى النسائي عن يعلی بن أمية رضي الله عنه قال : جئت رسول الله ﷺ بأبي أمية يوم الفتح ، فقلت : يا رسول الله ، بايع أبي على الهجرة ، فقال رسول الله ﷺ : « أبايعه على الجهاد ، وقد انقطعت الهجرة » .

٦٢٨ - * روى الحاكم عن أنس ، قال : جاء أبو بكر رضي الله عنه يوم فتح مكة بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناها » .

٦٢٩ - * روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال يوم الفتح : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا » .

٦٢٦ - أحمد في مسنده (٤١٢ / ٣) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد ، ورجاله ثقات .

(١) أحمد في مسنده (٤١٢ / ٣) .

٦٢٧ - النسائي (١٤١ / ٧) ، كتاب البيعة ، باب البيعة على الجهاد .

وأبو داود بمعناه (٣ / ٣) كتاب الجهاد ، باب في الهجرة ، هل انقطعت ؟ وللحديث شواهد تحسنه .

٦٢٨ - المستدرک (٢٤٤ / ٣) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وقال الذهبي : على شرط البخاري .

٦٢٩ - البخاري (٣ / ٦) ٥٦ - كتاب الجهاد - ٣١ - باب فضل الجهاد والسير .

ومسلم (٩٨٦ / ٢) ١٥ - كتاب الحج - ٨٢ - باب تحريم مكة وصيدا وخلاها وشجرها ولقطاها ، إلا لمنشد على الدوام . =

٦٣٠ - * روى الطبراني عن ابن عباس قال : شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ أَوْ حَنْينَ أَلْفَ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ .

٦٣١ - * وروى الطبراني عَنِ الْعَدَاءِ بْنِ خَالِدٍ بْنِ هُوَذَةَ قَالَ : قَاتَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَنْصُرْنَا اللَّهُ وَلَمْ يَظْهِرْنَا .

* * *

= الهجرة : مفارقة الوطن إلى جهة أخرى بنية المقام فيها ، وكان المهاجر في الشريعة : من فارق أهله ووطنه متوجهاً إلى النبي ﷺ رغبة في الإسلام .

جهاد : الجهاد : محاربة الكفار .

نية : النية : إخلاص الجهاد لله تعالى ، يعني أنه لم يبق بعد الفتح هجرة ، إما الإخلاص في الجهاد وقتال الكفار

استنفرتم فانفروا : الاستنفار : الاستنجاؤ والاستنصار ، أي : إذا طلب منكم النصرة فأجيبوه . أو انفروا خارجين إلى نصرتيه .

٦٣٠ - المعجم الكبير (١١ / ٣٧١) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٧٧) : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح غير زايد النحوي وعبد الله بن أحمد بن حنبل ، وكلاهما ثقة .

٦٣١ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٨٦) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

دروس من فتح مكة

قال الدكتور السباعي :

* أما فتح مكة ، ففيها من الدروس والعظات ماتضيق عن شرحه هذه الصفحات القلائل ، ففيها نجد طبيعة الرسول ﷺ الداعية الذي لا يجد الحق على مقاوميه إلى نفسه سبيلاً ، فقد منّ عليهم بعد كفاح استمر بينه وبينهم إحدى وعشرين سنة لم يتركوا فيها طريقاً للقضاء عليه وعلى أتباعه وعلى دعوته إلا سلكوها ، فلما تم له النصر عليهم ، وفتح عاصمة وثبيتهم ، لم يزد على أن استغفر لهم ، وأطلق لهم حريتهم ، وما يفعل مثل هذا في التاريخ ولكن ما يفعله رسول كريم لم يرد بدعوته ملكاً ولا سيطرة ، وإنما أراد له الله أن يكون هادياً وفاتحاً للقلوب والعقول ، ولهذا دخل مكة خاشعاً شاكراً لله ، لا بهزواً كما يفعل عظماء الفاتحين .

* وفيما فعله الرسول ﷺ مع أهل مكة حكمة أخرى ، فقد علم الله أن العرب سيكونون حملة رسالته إلى العالم ، فأبقى على حياة أهل مكة وهم زعماء العرب ليدخلوا في دين الله ، ولينطلقوا بعد ذلك إلى حمل رسالة الهدى والنور إلى الشعوب ، يبذلون من أرواحهم وراحتهم ونفوسهم ما أنقذ تلك الشعوب من عمائتها ، وأخرجها من الظلمات إلى النور .

- ومما نذكره من دروسها ودروس معاركه الحربية ﷺ ، هي العبرة البالغة بما انتهت إليه دعوة الله من نصر في أمد لا يتصوره العقل ، وهذا من أكبر الأدلة على أن محمداً رسول الله ﷺ ، وعلى أن الإسلام دعوة الله التي تكفل بنصرها ونصر دعائها والمؤمنين بها والحاملين للوائها والله لا يتخلى عن دعوته وهي حق ورحمة ونور ، والله هو الحق وهو الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء ، والله نور السماوات والأرض ، فمن يستطيع أن يطفئ نور الله ! . وكيف يرضى للباطل أن ينتصر النصر الأخير على الحق ، وللمجىة والقسوة والفساد أن تكون لها الغلبة النهائية على الرحمة والصلاح .

ولقد أصاب رسول الله ﷺ والمسلمين جراح في معركة أحد وحنين ، ولا بد في الدعوة من ابتلاء وجراح وضحايا ۞ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ۞ اه بتصرف .

فصل : في سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة

٦٣٢ - * روى البخاري عن عبد الله بن عمر قال : بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صبأنا . فجعل خالد يقتل منهم ويأسر . ودفع إلى كل رجلٍ منا أسيرَه . حتى إذا كان يومَ أمر خالد أن يقتل كل رجلٍ منا أسيرَه ، فقلت : والله لأقتل أسيري ، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيرَه . حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه ، فرفع النبي ﷺ يديه فقال : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد » مرتين .

قال ابن حجر :

قوله : (باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة) بفتح الجيم وكسر المعجمة ثم تحتانية ساكنة ، أي ابن عامر بن عبد مناة بن كنانة . وهم الكرماني فظن أنه من بني جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف قبيلة من عبد قيس ، وهذا البعث كان عقب فتح مكة في شوال قبل الخروج إلى حنين عند جميع أهل المغازي ، وكانوا بأسفل مكة من ناحية يلملم ، قال ابن سعد : بعث النبي ﷺ إليهم خالد بن الوليد في ثلاثمائة وخمسين من المهاجرين والأنصار داعياً إلى الإسلام لا مقاتلاً .

قوله (فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا) هذا من ابن عمر راوي الحديث يدل على أنه فهم أنهم أرادوا الإسلام حقيقة . ويؤيده فهمه أن قريشاً كانوا يقولون لكل من أسلم صبأ حتى اشتهرت هذه اللفظة وصاروا يطلقونها في مقام الذم ، ومن ثم لما أسلم ثمانية بن أثال وقدم مكة معتبراً قالوا له : صبأت ؟ قال : لا بل أسلمت . فلما اشتهرت هذه اللفظة بينهم في موضع أسلمت استعمالها هؤلاء ، وأما خالد فحمل هذه اللفظة على ظاهرها لأن قولهم صبأنا أي خرجنا من دين إلى دين ، ولم يكتف خالد بذلك حتى يصرحوا بالإسلام . وقال الخطابي : يحتمل أن يكون خالد نقم عليهم العدول عن لفظ

٦٣٢ - البخاري (٨ / ٥٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٥٨ - باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة .

صبأنا : صبأ : إذا خرج من دين إلى دين غيره .

الإسلام لأنه فهم عنهم أن ذلك وقع منهم على سبيل الأنفة ولم ينقادوا إلى الدين فقتلهم متأولا قوهم .

قوله (فجعل خالد يقتل منهم ويأسر) في كلام ابن سعد أنه أمرهم أن يستأسروا فاستأسروا فكتف بعضهم بعضا ، وفرقهم في أصحابه ، فيجمع بأنهم أعطوا بأيديهم بعد المحاربة .

قوله (فقلت والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره) ، وعند ابن سعد « فأما بنو سليم فقتلوا من كان في أيديهم ، وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أسراهم » وفيه جواز الحلف على نفي فعل الغير إذا وثق بطواعيته . قوله (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد) قال الخطابي : أنكر عليه العجلة وترك التثبت في أمرهم قبل أن يعلم المراد من قوهم صبا . قوله (مرتين) زاد ابن عساكر عن عبد الرزاق « أو ثلاثة » أخرجه الإسماعيلي ، وفي رواية الباقرين « ثلاث مرات » وزاد الباقر في روايته « ثم دعا رسول الله ﷺ عليا فقال : « اخرج إلى هؤلاء القوم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك » فخرج حتى جاءهم ومعه مال فلم يبق لهم أحد إلا وداه » وذكر ابن هشام في زياداته أنه انفلت منهم رجل فأتى النبي ﷺ بالخبر ، فقال : « هل أنكر عليه أحد ؟ » فوصف له صفة ابن عمر وسالم مولى أبي حذيفة . وذكر ابن إسحاق من حديث ابن أبي حذرد الأسلمي قال : « كنت في خيل خالد فقال لي فتى من بني جذيمة قد جمعت يدها في عنقه برمة : يافتي هل أنت آخذ بهذه الرمة فقائدي إلى هؤلاء النسوة ؟ فقلت : نعم ، فقدته بها فقال : اسلمي حبيش ، قبل نفاذ العيش .

أريتك إن طالبتكم فوجدتكم بجليه أو أدركتكم بالخوانوق

الآيات ، قال فقالت له امرأة منهن : وأنت نجيت عشرا ، وتسعا ووترا ، وثمانيا تترى . قال : ثم ضربت عنق الفتى ، فأكبت عليه فزالته تقبله حتى ماتت » وقد روى النسائي والبيهقي في « الدلائل » بإسناد صحيح من حديث ابن عباس نحو هذه القصة وقال فيها « فقال إني لست منهم ، إني عشقت امرأة منهم فدعوني أنظر إليها نظرة - قال فيه - فضربوا عنقه ، فجاءت المرأة فوقعت عليه فشهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت ، فذكروا

ذلك للنبي ﷺ فقال : « أما كان فيكم رجل رحيم » ؟ وأخرجه البيهقي من طريق ابن عاصم عن أبيه نحو هذه القصة وقال في آخرها « فأنحدرت إليه من هودجها فحننت عليه حتى ماتت » .

تعليق :

رغم أن خالداً رضي الله عنه قد أخطأ في قتل ناس لم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا ، فإن النبي ﷺ لم يشتد عليه وأصلح خطأه بالتعويض عن القتل والأموال . وفي هذا درس لنا أن الذي يعمل معرض للخطأ فعلينا أن نتفرق به وعلى الأقل ألا نحمّله إثم ما جرى بسبب خطئه مادام محلاً للاجتهاد وقد أنيط به أن يجتهد .

* * *

فصل : في غزوة حنين

قال ابن حجر في الفتح :

قال أهل المغازي : خرج النبي ﷺ إلى حنين لست خلت من شوال : وقيل لليلتين بقيتا من رمضان . وجمع بعضهم بأنه بدأ بالخروج في أواخر رمضان وسار سادس شوال ؛ وكان وصوله إليها في عاشره ، وكان السبب في ذلك أن مالك بن عوف النصري جمع القبائل من هوازن ووافقه على ذلك الثقفيون ، وقصدوا محاربة المسلمين ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخرج إليهم . قال عمر بن شبة في « كتاب مكة » : حدثنا الخزامي يعني إبراهيم بن المنذر حدثنا ابن وهب عن ابن أبي الزناد عن أبيه عن عروة أنه كتب إلى الوليد : أما بعد : فإنك تكتب إليّ تسألني عن قصة الفتح ، فذكر له وقتها ، فأقام عامئذ بمكة نصف شهر ، ولم يزد على ذلك حتى أتاه أن هوازن وثقيفا قد نزلوا حنينا يريدون قتال رسول الله ﷺ وكانوا قد جمعوا إليه ورؤسهم مالك بن عوف .

٦٣٣ - * روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، استعار من صفوان بن أمية أدرعاً وسلاحاً في غزوة حنين فقال : يا رسول الله أعارية مؤداة ؟ قال : « عارية مؤداة » .

٦٣٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ حين أراد حنينا : « منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة ، حيث تقاسموا على الكفر » .

وفي رواية^(١) « منزلنا إن شاء الله إذا فتح الله الحنيف ، حيث تقاسموا على الكفر » .

٦٣٣ - المستدرک (٢ / ٤٧) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

٦٣٤ - البخاري (٨ / ١٤) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٨ - باب أين ركب النبي ﷺ الراية يوم الفتح .

ومسلم (٢ / ٩٥٢) ١٥ - كتاب الحج - ٥٩ - باب استحباب النزول بالحصب يوم النفر .

(١) البخاري (٨ / ١٤) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٨ - باب أين ركب النبي ﷺ الراية يوم الفتح .

قال رسول الله ﷺ حين أراد حنينا : أي في غزوة الفتح ؛ لأن غزوة حنين عقب غزوة الفتح .

بخيف : الحنيف : ما انحدر عن غلط الجبل ، وارتفع عن مسيل الماء . .

حيث تقاسموا : يعني قريشا .

على الكفر : أي لما تحالفت قريش ألا يبايعوا بني هاشم ولا يناكحهم ولا يؤوم وحصروهم في الشعب .

٦٣٥ - * روى أبو داود عن سهل بن الحنظلية رضي الله عنه قال : إنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين ، فأطعنوا السير ، حتى كانت عشية ، فحضرت الصلاة عند رسول الله ﷺ ، فجاء رجل فارس فقال : يا رسول الله ، إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت على جبل كذا وكذا ، فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشأهم اجتمعوا إلى حنين ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله تعالى » ثم قال : « من يحرسنا الليلة ؟ » قال أنس بن أبي مرثد الغنوي : أنا يا رسول الله ، قال : « فأركب » ، فركب فرساً له ، فجاء إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ « استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ، ولا نغرن من قبلك الليلة » ، فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاة ، فركع ركعتين ، ثم قال : « هل أحسستم فارسكم ؟ » قال : قالوا : يا رسول الله ، ما أحسسناه ، فتوب بالصلاة ، فجعل رسول الله ﷺ يصلي وهو يلتفت إلى الشعب ، حتى إذا قضى صلاته وسلم قال : « أبشروا فقد جاءكم فارسكم » فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر في الشعب ، فإذا هو قد جاء ، حتى على رسول الله ﷺ ، وسلم فقال : إني انطلقت ، حتى كنت في أعلى هذا الشعب ، مرني رسول الله ﷺ ، فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما ، فنظرت ، فلم أر فقال له رسول الله ﷺ : « هل نزلت الليلة ؟ » قال : لا ، إلا مصلياً ، أو حاجة ، فقال له رسول الله ﷺ : « قد أوجببت ، فلا عليك أن لا تعمل » .^١

٦٣٦ - * روى مسلم عن أنس بن مالك قال : افتتحنا مكة ، ثم إنا غزونا حنيناً ،

- أبو داود (٩ / ٣) ، كتاب الجهاد ، باب في فضل الحرس في سبيل الله تعالى .

ياسناد حسنه الحافظ في الفتح .

عن بكرة أبيهم : يقال : جاء القوم على بكرة أبيهم : إذا جاؤوا بأسرهم ولم يتخلف منهم أحد .

ونعمهم : والنعم في الأصل : الإبل ، وقد تقع على البقر والغنم .

هل نزلت الليلة ؟ : أي : من ظهر حضانك .

قد أوجببت : يقال : أوجب فلان : إذا فعل فعلاً وجبت له به الجنة أو النار ، والمراد به هاهنا الجنة .

٦٣٦ - مسلم (٢ / ٧٣٦) ١٢ - كتاب الزكاة - ٤٦ - باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إسلامه .

قد بلغنا ستة آلاف : قال القاضي : هذا وهم من الراوي عن أنس . والصحيح ما جاء في رواية أخرى أنهم عشرة آلاف =

قَالَ : فَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ بِأَحْسَنِ صُفُوفٍ رَأَيْتُ ، قَالَ فَصُفِّتِ الْخَيْلُ ، ثُمَّ صُفِّتِ الْقَاتِلَةُ ، ثُمَّ صُفِّتِ النِّسَاءُ مِنْ وَرَاءَ ذَلِكَ ، ثُمَّ صُفِّتِ الْغَنَمُ ، ثُمَّ صُفِّتِ النَّعَمُ ، قَالَ : وَنَحْنُ بَشَرٌ كَثِيرٌ قَدْ بَلَّغْنَا سِتَّةَ آلَافٍ ، وَعَلَى مُجَنَّبَةٍ خَيْلُنَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، قَالَ : فَجَعَلْتُ خَيْلُنَا تَلْوِي خَلْفَ ظُهُورِنَا ، فَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ انْكَشَفَتْ خَيْلُنَا ، وَفَرَّتِ الْأَعْرَابُ ، وَمَنْ نَعْلَمُ مِنَ النَّاسِ ، قَالَ : فَنَادَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا لِّلْمُهَاجِرِينَ ، يَا لِّلْمُهَاجِرِينَ » ثُمَّ قَالَ : « يَا لِّلْأَنْصَارِ ، يَا لِّلْأَنْصَارِ » . قَالَ : قَالَ أَنَسٌ : هَذَا حَدِيثٌ عَمِيَّةٌ - قَالَ : قُلْنَا : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : وَائِمُ اللَّهِ ، مَا أَتَيْنَاهُمْ حَتَّى هَزَمَهُمُ اللَّهُ . قَالَ : فَقَبَضْنَا ذَلِكَ الْمَالَ ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا إِلَى الطَّائِفِ ، فَحَاصَرْنَا هُمْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى مَكَّةَ ، فَتَزَلْنَا ، قَالَ : فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِيهِ الرَّجُلَ الْمِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ .

٦٣٧ - * روى أحمد وأبو يعلى عن جابر بن عبد الله قال: لما استقبلتنا وادي حنين قال:

= ومع الطلقاء : لأن المشهور في كتب المغازي أن المسلمين كانوا يومئذ اثني عشر ألفا : عشرة آلاف شهدوا الفتح وألفان من أهل مكة ، ومن انضاف إليهم .

تلوي : تعطف وترجع .

عمية : قال النووي في شرح مسلم : هذه اللفظة ضبطوها في صحيح مسلم على أوجه .

أحدهما : عمية ، بكسر العين والميم وتشديد الميم والياء ، قال القاضي : كذا روينا هذا الحرف عن عامة شيوخنا ، قال : وفسره بالشدة .

والثاني : عمية ، كذلك إلا أنه بضم العين .

والثالث : عمية ، بفتح العين وكسر الميم المشددة وتخفيف الياء ، وبمعناها هاء السكت ، أي : حدثني به عمي ، قال القاضي على هذا الوجه معناه عندي : جماعي ، أي : هذا حديثهم ، قال صاحب العين : الهم هنا : الجماعة ، وأنشد عليه ابن دريد في (الجمهرة) :

أفنيث عما وجبرت عما .

قال القاضي : وهذا أشبه بالحديث ، والوجه الرابع : كذلك إلا أنه بتشديد الياء ، وهو الذي ذكره الحميدي صاحب الجمع بين الصحيحين ، وفسره بعمومي ، أي : هذا حديث فضل أعمامي ، أو هذا الحديث الذي حدثني به أعمامي ، كأنه حدث بأول الحديث عن مشاهدة ، ثم لعله لم يضبط هذا الموضع لتفرق الناس ، فحدثه به من شاهده من أعمامه أو جماعته الذين شاهدوه .

وايم الله : هذا من جملة ألفاظ القسم ومعناه فيما يقوله النحويون : أنه جمع بين ، وأصله : أين ، ثم حذفت النون في القسم تخفيفاً لكثرة الاستعمال ، وفيه لغات كثيرة تذكر في كتب النحو .

٦٣٧ - أحمد في مسنده (٣ / ٢٧٦) .

والبزار مختصراً في كشف الأستار (٢ / ٢٥١) ، كتاب الهجرة والمغازي ، باب غزوة الفتح .

= وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٧٩) ، وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ، ورواه البزار مختصراً ، وفيه ابن إسحق .

أُنْحَدِرْنَا فِي وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ تِهَامَةَ أَجُوفَ حَطُوطٍ ، إِنَّمَا نُنْحَدِرُ فِيهِ أَنْحِدَاراً قَالَ : وَفِي عَمَايَةِ الصُّبْحِ وَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ كَمَنُوتُوا لَنَا فِي شَعَابِهِ وَفِي أَجْنَابِهِ وَمَضَائِقِهِ قَدْ أَجْمَعُوا وَتَهَيَّأُوا وَأَعْدُوا قَالَ : قَوْلَ اللَّهِ مَا زَاغَتْ عَيْنَا وَنَحْنُ مُنْحَطُّونَ إِلَّا الْكَتَائِبُ قَدْ شَدَّتْ عَلَيْنَا شِدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ وَأَنْهَزَمَ النَّاسُ رَاجِعِينَ فَأَنْشَبُوا لَا يُلَوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، وَأَنْحَازَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ الْيَمِينِ ، ثُمَّ قَالَ : « إِلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّ إِلَيَّ ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ » قَالَ : فَلَاشِيءَ احْتَمَلَتِ الْإِبِلُ ، بَعْضُهَا بَعْضاً ، فَاَنْطَلَقَ النَّاسُ ، إِلَّا أَنَّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَهْطاً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَأَهْلٍ بَيْنَهُ غَيْرَ كَثِيرٍ ، وَفِيمَنْ ثَبَّتَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَمِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَابْنُهُ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَأَبُو سَفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ ، وَرَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ وَأَيُّمَنُ بْنُ عَبِيدٍ وَهُوَ ابْنُ أُمِّ أَيُّمَنَ وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ . قَالَ وَرَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرٌ فِي يَدِهِ زَايَةٌ لَهُ سَوْدَاءُ ، فِي رَأْسِهِ رُمُحٌ طَوِيلٌ لَهُ أَمَامَ النَّاسِ وَهَوَازِنُ خَلْفَهُ ، فِيمَا أَذْرَكَ طَعَنَ بِرُمُحِهِ ، فِيمَا قَاتَهُ النَّاسُ رَفَعَهُ لِمَنْ وَرَاءَهُ ، فَاتَّبَعُوهُ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَابِرٍ عَنْ أَبِيهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : بَيْنَمَا ذَلِكَ الرَّجُلُ مِنْ هَوَازِنَ صَاحِبُ الرَّايَةِ عَلَى جَمَلِهِ ذَلِكَ يَصْنَعُ مَا يَصْنَعُ ، إِذْ هَوَى لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُرِيدَانِهِ ، قَالَ : فَيَأْتِيهِ عَلِيٌّ مِنْ خَلْفِهِ فَيَضْرِبُ عِرْقَ بَيْتِهِ الْجَمَلَ فَيُوقِعُ عَلَى عَجْزِهِ ، وَتَوَلَّى الْأَنْصَارِيُّ عَلَى الرَّجُلِ فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً أَطْلَقَ قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ فَأَنْجَعَتْ عَنْ رِجْلِهِ وَاجْتَلَدَ النَّاسُ قَوْلَ اللَّهِ مَا رَجَعَتْ رَاجِعَةً النَّاسُ مِنْ هَزِيمَتِهِمْ حَتَّى وَجَدُوا الْأَسَارِيَّ مُكْتَتِفِينَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَزَادَ أَبُو يَعْلَى : وَصَرَخَ حِينَ كَانَتْ الْهَزِيمَةُ كَلْدَةً وَكَانَ أَخَا صَفْوَانَ ابْنَ أُمَيَّةَ يَوْمئِذٍ مُشْرِكاً فِي الْمَدَّةِ

= وقد صرح بالسباع في رواية أبي يعلى ، وبقية رجال أحد رجال الصحيح .

أجوف : متسع .

حطوط : منحدر .

عماية الصبح : ظلامه قبل أن يتبين .

كنوا : استخفوا متربصين .

الشمروا : انفضوا وانهمزوا .

فلاشيء حملت الإبل ، بعضها على بعض : أي أن الإبل لم تتركب وأنها كانت متراحة .

أطلق قدمه : قطعها .

انجعت : سقط صريعاً .

التي ضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَلَا بَطَلَ السَّحَرُ الْيَوْمَ . فَقَالَ لَهُ صَفْوَان : اسْكُتْ فَضَّ اللَّهُ فَآكَ قَوْلَهُ لِأَن يَرْبِّي رَجُلٌ مِنْ قَرَيْشٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرْبِّي رَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ .

٦٣٨ - * روى مسلم عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَوَازِنَ ، فَبَيْنَا نَحْنُ نَتَضَحَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ ، فَأَنَاسَهُ ، ثُمَّ انْتَزَعَ طَلْقًا مِنْ حَقْبِهِ ، فَقَفِيَ بِهِ الْجَمَلَ ثُمَّ تَقَدَّمَ يَتَغَدَّى مَعَ الْقَوْمِ ، وَجَعَلَ يَنْظُرُ ، وَفِينَا ضَعْفَةٌ ، وَرِقَّةٌ مِنَ الظَّهْرِ ، وَبَغِضْنَا مِشَاةً ، إِذْ خَرَجَ يَشْتَدُّ ، فَأَتَى جَمَلَهُ فَأَطْلَقَ قَيْدَهُ ، ثُمَّ أَنَاخَهُ ، وَقَعَدَ عَلَيْهِ ، فَأَثَارَهُ ، فَاشْتَدَّ بِهِ الْجَمَلُ ، فَاتَّبَعَهُ رَجُلٌ عَلَى نَاقَةٍ وَرُقَاءَ ، قَالَ سَلَمَةُ : وَخَرَجْتُ أَشْتَدُّ ، فَكُنْتُ عِنْدَ وَرِكِ النَّاقَةِ ، ثُمَّ تَقَدَّمْتُ حَتَّى كُنْتُ عِنْدَ وَرِكِ الْجَمَلِ ، ثُمَّ تَقَدَّمْتُ حَتَّى أَخَذْتُ بِخِطَامِ الْجَمَلِ ، فَأَنْخُتُهُ ، فَلَمَّا وَضَعَ رُكْبَتَهُ فِي الْأَرْضِ اخْتَرَطْتُ سَيْفِي ، فَضَرَبْتُ رَأْسَ الرَّجُلِ فَنَدَرَ ، ثُمَّ جِئْتُ بِالْجَمَلِ أَقْوَدَهُ عَلَيْهِ رَحْلُهُ وَسِلَاحُهُ ، فَاسْتَقْبَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسُ مَعَهُ ، فَقَالَ : « مَنْ قَتَلَ الرَّجُلَ ؟ » قَالُوا : ابْنُ الْأَكُوْعِ ، قَالَ : « لَهْ سَلْبُهُ أَجْمَعُ » .

وفي رِوَايَةٍ ^(١) قَالَ : أَتَى النَّبِيَّ ﷺ عَيْنٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَهُوَ فِي سَفَرٍ ، فَجَلَسَ عِنْدَ أَصْحَابِهِ يَتَحَدَّثُ ، ثُمَّ انْفَتَلَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَطْلَبُوهُ وَاقْتُلُوهُ » فَقَتَلْتُهُ ، فَنَفَلَنِي سَلْبَتَهُ .

= فَعَنَ اللَّهُ فَآكَ : أَسْقَطَ أَسْنَانَكَ .

يَرْبِّي : يَسُودُنِي .

٦٣٨ - مسلم (٣ / ١٣٧٤) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ١٣ - باب استحقاق القاتل سلب القتيل .

نَتَضَحَّى : أَي : نَتَغَدَّى وَقْتُ الضَّحَى .

طَلْقًا : الطَّلَقُ : قَيْدٌ يَتَّخِذُ مِنَ الْجُلُودِ .

مِنْ حَقْبِهِ : الْحَقْبُ : حَبْلٌ يَشُدُّ عَلَى بَطْنِ الْبَعِيرِ مِمَّا يَلِي مُؤَخَّرَهُ .

وَرِقَّةٌ مِنَ الظَّهْرِ : الظَّهْرُ : الْمَرْكُوبُ ، وَالرَّقَّةُ فِي حَالِ الضَّعْفِ .

وَرُقَاءُ : نَاقَةٌ وَرُقَاءُ : ذَاتُ لَوْنٍ أَسْمَرَ ، وَالْوُرُقَّةُ : السَّمَرَةُ .

أَشْتَدُّ : أَعْدُو بِشِدَّةٍ .

فَنَدَرَ : نَدَرَ رَأْسَهُ ، أَي : طَارَ عَنْ يَدَيْهِ .

(١) البخاري (٦ / ١٦٨) ٥٦ - كتاب الجهاد - ٧٣ - باب الحربي إذا دخل دار الإسلام بغير أمان .

٦٣٩ - * روى مسلم عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : غزونا مع رسول الله ﷺ حَنِيناً فَلَمَّا وَاجَهُنَا الْعَدُوَّ تَقَدَّمْتُ ، فَأَعْلُو ثِيْبَةً ، فَاسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ مِنَ الْعَدُوِّ ، فَأَرْمِيَهُ بِهِمْ ، فَتَوَارَى عَنِّي ، فَمَا دَرَيْتُ مَا صَنَعَ وَنَظَرْتُ إِلَى الْقَوْمِ ، فَإِذَا هُمْ قَدْ طَلَعُوا مِنْ ثِيْبَةٍ أُخْرَى ، فَالْتَقَوْا هُمْ وَصَحَابَةُ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقُلِيَ صَحَابَةُ النَّبِيِّ ﷺ ، وَأَرْجِعْ مُنْهَزِماً وَعَلَيَّ بُرْدَتَانِ ، مُتَرِّزٍ يَأْخُذَاهُمَا ، مُرْتَدٍ بِالْأُخْرَى ، فَاسْتَطَلَقَ إِزَارِي ، فَجَمَعْتُهُمَا جَمِيعاً ، وَمَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُنْهَزِماً ، وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ الشَّهْبَاءُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَقَدْ رَأَى ابْنُ الْأَكُوْعِ فَرَعَاً » فَلَمَّا غَشَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ عَنِ الْبَغْلَةِ ، ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تَرَابٍ مِنَ الْأَرْضِ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وَجُوهَهُمْ ، فَقَالَ : « شَاهَتِ الْوُجُوهُ » فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُمْ إِنْسَاناً إِلَّا مَلَأَ عَيْنَيْهِ تَرَاباً بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ ، قَوْلُوا مُدْبِرِينَ ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ .

٦٤٠ - * روي البزار عن بُرَيْدَةَ قَالَ : تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حَنِينٍ فَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ زَيْدٌ وَهُوَ أَخِيذٌ بَعْنَانٍ بَغْلَةً رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الشَّهْبَاءُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَيْحَكَ أَدْعُ النَّاسَ » فَتَنَادَى زَيْدٌ يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُوكُمْ ، فَلَمْ يَجِبْ أَحَدٌ فَقَالَ : « ادْعُ الْأَنْصَارَ » فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُوكُمْ ، فَلَمْ يَجِبْ أَحَدٌ فَقَالَ : « وَيْحَكَ خُصَّ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ » . فَتَنَادَى : يَا مَعْشَرَ

٦٣٩ - مسلم (٣ / ١٤٠٢) - ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٢٨ - باب في غزوة حنين .

منهزماً : قال العلماء : قوله منهزماً ، حال من ابن الأكوع ، كما صرح أولاً بانهزامه ، ولم يرد أن النبي ﷺ انهزم ، وقد قالت الصحابة كلهم رضي الله عنهم : أنه ﷺ ما انهزم . ولم ينقل أحد قط أنه انهزم ﷺ في موطن من المواطن . وقد نقلوا إجماع المسلمين على أنه لا يجوز أن يعتقد انهزامه ﷺ ولا يجوز ذلك عليه .

فاستطلق إزاري : أي انحل لاستعجالي .

فلما غشوا رسول الله ﷺ : أي أتوه من كل جانب .

شاهت الوجوه : أي قبحت .

٦٤٠ - البزار : كشف الأستار (٢ / ٣٤٧) ، كتاب الهجرة والمغازي ، باب غزوة الفتح ، .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٨١) : رواه البزار ، ورجاله ثقات . أقول : يروي ابن إسحاق عن العباس ابن عبد المطلب أنه هو الداعي للمنهزمين بأمر النبي ﷺ وأنه صرخ بالأنصار ، يا أصحاب السِّمَةِ . وروى مسلم مثله عن العباس .

كما ذكر أنه رجع من الأنصار مائة هم الذين خاضوا المعركة مع الذين ثبتوا معه وانتصروا .

والظاهر أن في رواية البزار فجوة يملؤها ما ذكره ابن إسحاق ومسلم عن العباس .

الأوس والخزرج هذا رسول الله ﷺ يدعوكم ، فلم يَجِئْ أَحَدٌ فَقَالَ : « وَيْحَكَ خُصَّ المهاجرين ، فَإِنَّ لِي فِي أَغْنَائِهِمْ بَيْعَةً » قَالَ فَحَدَّثَنِي بِرِيْدَةٍ أَنَّهُ أَقْبَلَ مِنْهُمْ أَلْفَ قَدْ طَرَحُوا الْجُفُونَ حَتَّى أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَمَشَوْا قَدَمًا حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ .

٦٤١ - * روى الطبراني عن الحارث بن بديل قال : شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حَنْيْنٍ فانهزم أصحابه أجمعون إلا العباس بن عبد المطلب وأبا سفيان بن الحارث ، قرمى رسول الله ﷺ وجوهنا بقُبْضَةٍ من الأرض ، فانهزمنا فما يُخَيِّلُ إِلَيَّ أَنْ شَجَرَةً وَلَا حَجْرًا إِلَّا وَهُوَ فِي آثارنا .

٦٤٢ - * روى البخاري عن أبي إسحاق أنه سَمِعَ البراء - وسأله رجلٌ من قيس : أفررتُم عن رسول الله ﷺ يَوْمَ حَنْيْنٍ ؟ - فقال : لكن رسول الله ﷺ لم يَفِرْ ، كانت هوازنُ رُماةً وإنَّا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكْبَبْنَا عَلَى الْغَنَائِمِ ، فاستقبلنا بالسهم . ولقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ على بغلته البيضاء ، وإنَّ أبا سفيان بن الحارث أَخَذَ بِزِمَامِهَا وَهُوَ يَقُولُ : « أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ » قال إسرائيلُ وزهير : نزل النبي ﷺ عن بغلته .

٦٤٣ - * روى الحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : التَقَى يَوْمَ حَنْيْنٍ أَهْلُ مَكَّةَ وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ واشتدَّ الْقِتَالُ فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ فَتَدَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ الْأَنْصَارَ ، فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ » فَقَالُوا : إِلَيْكَ وَاللَّهِ جِئْنَا فَتَنَكُّسُوا رُؤُوسَهُمْ ثُمَّ قَاتَلُوا حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ .

٦٤٤ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ

٦٤١ - المعجم الكبير (٣ / ٢٦٧) .

وقال الهيثمي في جمع الزوائد (٦ / ١٨١) : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

٦٤٢ - البخاري (٨ / ٢٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ٥٤ - باب قول الله تعالى ﴿ وَيَوْمَ حَنْيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرَتْكُمْ قُلُوبُ تَفَنُّ عَنْكُمْ شَيْئًا ﴾ - إلى قوله - ﴿ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

٦٤٣ - المستدرک (٣ / ٤٨) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

٦٤٤ - الترمذي (٤ / ٢٠٠) ٢٤ - كتاب الجهاد - ١٥ - باب ما جاء في الثبات عند القتال .

وقال : هذا حديث حسن غريب من حديث عبيد الله ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وحسن إسناده الحافظ في (الفتح) وقال : وهذا أكثر ما وقفت عليه من عدد من ثبت يوم أحد ، قال : وروى أحمد والحاكم من حديث =

حنين ، وإن الفئتين لموليتان - يعني : المهاجرين والأنصار - وما مع رسول الله ﷺ مائة رجل .

٦٤٥ - * روى أبو داود عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : لما لقي النبي ﷺ المشركين يوم حنين ، فأنكشفوا ، نزل عن بغلته فترجل .

٦٤٦ - * روى مسلم عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين ، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ ، فلم نفارقه ، ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له قروة بن نفثة الجذامي . فلما التقى المسلمون والكفار ، ولّى المسلمون مدبرين ، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار ، قال عباس : وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « أي عباس ، ناد أصحاب السمرة » فقال عباس - وكان رجلاً صيماً - فقلت بأعلى صوتي : أين أصحاب السمرة ؟ قال : فوالله ، لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها ، فقالوا : يالبيك ، يالبيك ، قال : فاقتتلوا والكفار ، والدعوة في الأنصار ، يقولون : يامعشر الأنصار ، يامعشر الأنصار ، قال : ثم قصرت الدعوة على بني الحارث ابن الخزرج فقالوا : يا بني الحارث بن الخزرج ! يا بني الحارث بن الخزرج ! فنظر النبي ﷺ وهو على بغلته كالتطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله ﷺ : « هذا حين حمي الوطيس » قال : ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات ، فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال : « انهزموا ورب محمد »

= عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه ، قال : كنت مع النبي ﷺ يوم حنين ، فولى عنه الناس ، وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار ، فكنا على أقدامنا ولم نولهم الدبر ، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ، قال : وهذا لا يخالف حديث ابن عمر ، فإنه نفى أن يكونوا مائة ، وابن مسعود أثبت أنهم كانوا ثمانين .

٦٤٥ - أبو داود (٥٠ / ٣) كتاب الجهاد ، باب في الرجل يترجل عند اللقاء . وإسناده حسن .

٦٤٦ - مسلم (١٣٩٨ / ٣) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٢٨ - باب في غزوة حنين .

أصحاب السمرة : السمره التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان يوم الحديبية .

صيتاً : رجل صيت زفيح الصوت عاليه .

حمي الوطيس : اشتد الحرب والأمر ، قال الخطابي : هذه الكلمة لم تسمع قبل أن يقولها النبي ﷺ من العرب ، وهي مما اقتضبه وأنشأه ، والوطيس في اللغة : التثور .

حدهم كليلاً : حد كليل : لا يقطع ، وطرف كليل : لا يحقق النظر .

قَالَ : فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ ، فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى ، قَالَ : فَوَاللَّهِ ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصِيَّاتِهِ ، فَمَارِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا ، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا .

فَوَاللَّهِ ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصِيَّاتِهِ ، فَمَارِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا ، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا .

وَفِي رِوَايَةٍ نَحْوُهُ ^(١) ، غَيَّرَ أَنَّهُ قَالَ : فَرَوْهُ بَنُ نَعَامَةَ الْجَذَامِيِّ . وَقَالَ : « أَنْهَزِمُوا وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ، أَنْهَزِمُوا وَرَبُّ الْكَعْبَةِ » وَزَادَ فِي الْحَدِيثِ : حَتَّى هَزَمَهُمُ اللَّهُ ، قَالَ : وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَرْكُضُ خَلْفَهُمْ عَلَى بَغْلَتِهِ .

قال النووي : حنين وإد بين مكة والطائف وراء عرفات بينه وبين مكة بضعة عشر ميلًا وهو مصروف كما جاء به القرآن العزيز .

وقال : قال العلماء : وركوبه ﷺ البغلة في موطن الحرب وعند اشتداد البأس هو النهاية في الشجاعة والثبات .

ولأنه أيضا يكون معتمداً ، يرجع المسلمون إليه وتطمئن قلوبهم به وبمكانه . وإنما فعل هذا عمداً ، وإلا فقد كانت له ﷺ أفراس معروفة وما ذكره في هذا الحديث من شجاعته ﷺ تقدمه يركض بغلته إلى جمع المشركين وقد فر الناس عنه . وفي الرواية الأخرى أنه نزل إلى الأرض حين غشوه وهذه مبالغة في الثبات والشجاعة والصبر . وقيل فعل ذلك مواساة لمن كان نازلاً على الأرض من المسلمين وقد أخبرت الصحابة رضي الله تعالى عنهم بشجاعته ﷺ في جميع المواطن . وفي صحيح مسلم قال : إن الشجاع منا الذي يحاذي به وإنهم كانوا يتقون به أ.هـ .

٦٤٧ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذرائعهم ومع النبي ﷺ عشرة آلاف ومن الطلقاء ، فأدبروا عنه حتى بقي وحده ، فنادى يومئذ يداءين لم يخلط بينها : التفت عن يمينه

(١) أخرجه مسلم (٣ / ١٣٩٨) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٢٨ - باب في غزوة حنين .

٦٤٧ - البخاري (٨ / ٥٣) ٦٤ - كتاب المغازي - ٥٦ - باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان .

ومسلم (٢ / ٧٣٣) ١٢ - كتاب الزكاة - ٤٦ - باب إعطاء المولفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه .

الطلاق : جمع طليق . وهو الذي خلى ، وأطلق سبيله ، وهم أهل مكة الذين أسلموا بعد الفتح .

فقال : « يامعشر الأنصار » قالوا : لبيك يا رسول الله ، أبشر نحن معك . ثم التفت عن يساره فقال : « يامعشر الأنصار » قالوا لبيك يا رسول الله ، أبشر نحن معك . وهو على بغلة بيضاء ، فنزل فقال : « أنا عبد الله ورسوله » فانهزم المشركون ، فأصاب يومئذ غنائم كثيرة ، فقسم في المهاجرين والطلقاء ولم يعط الأنصار شيئا ، فقالت الأنصار : إذا كانت شديدة فنحن ندعى ، ويعطى الغنمة غيرنا . فبلغ ذلك ، فجمعهم في قبة فقال : « يامعشر الأنصار ، ما حديث بلغني عنكم ؟ » فسكتوا . فقال : « يامعشر الأنصار ، ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا ، وتذهبون برسول الله ﷺ تحوزونه إلى بيوتكم ؟ » قالوا : بلى . فقال النبي ﷺ : « لو سلك الناس وادياً : وسلكت الأنصار شعباً ، لأخذت شعب الأنصار » وقال هشام : قلت يا أبا حمزة ، وأنت شاهد ذلك ؟ قال : وأين أغيب عنه ؟ .

٦٤٨ - * روى الحاكم عن عياض بن الحارث الأنصاري : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتى هوازن في اثني عشر ألفاً ، فقتل من أهل الطائف يوم حنين مثل من قتل يوم بدر ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفاً من حصي ، فرمى بها وجوهنا ، فانهزمنا .

٦٤٩ - * وروى الحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء والصبيان والإبل والغنم فصفوهم صفوفاً ليكثروا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالتقى المسلمون والمشركون ، فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أنا عبد الله ورسوله » . وقال : « يامعشر الأنصار أنا عبد الله ورسوله » فهزم الله المشركين ولم يطعن برمح ولم يضرب بسيف فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ : « من قتل كافراً فله سلبه » فقتل أبو قتادة يومئذ عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم ، فقال أبو قتادة : يا رسول الله ضربت رجلاً على حبل العاتق

٦٤٨ - المستدرك (٢ / ١٢١) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

أقول : عياض بن الحارث الأنصاري راوي هذه الرواية يقال له : الثقفى ، وقد تأخر إسلامه ، وظاهر كلامه أنه كان في صف المشركين يوم حنين .

٦٤٩ - المستدرك (٢ / ١٣٠) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

وَعَلَيْهِ دِرْعٌ لَهُ فَأُعْجِلْتُ عَنْهُ أَنْ أَخْذَ سَلْبَهُ ، فَنَظَرْتُ مِنْهُ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ رَجُلٌ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَخَذْتُهَا فَأَرْضِيْ مِنْهَا فَأَعْطَيْتُهَا . فَسَكَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ،
وَكَانَ لَا يُسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ أَوْ سَكَتَ فَقَالَ عُمَرُ : لَا وَاللَّهِ لَا يُفِيءُ اللَّهُ عَلَى أَسَدٍ مِنْ أَسَدِيهِ
وَيُعْطِيكَهَا ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

٦٥٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه قال : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ غَامَ حَنْينَ ، فَلَمَّا التَقَيْنَا كَانَتْ لِلْمُسْلِمِينَ جَوْلَةٌ ، قَالَ : فَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ
عَلَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَاسْتَدْرْتُ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَيْتُهُ مِنْ وَرَائِهِ ، فَضَرَبْتُهُ عَلَى حَبْلِ عَاتِقِهِ ،
وَأَقْبَلَ عَلَيَّ ، فَضَمَّنِي ضَمَّةً وَجَدْتُ مِنْهَا رِيحَ الْمَوْتِ ، ثُمَّ أَدْرَكَنِي الْمَوْتُ فَأَرْسَلَنِي ، فَلَحِقْتُ عُمَرَ
ابْنَ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ : مَا لِلنَّاسِ ؟ فَقُلْتُ : أَمْرُ اللَّهِ ، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ رَجَعُوا ، وَجَلَسَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ » قال : فَقُمْتُ فَقُلْتُ : مَنْ
يَشْهَدُ لِي ؟ ثُمَّ جَلَسْتُ ، ثُمَّ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ : فَقُمْتُ فَقُلْتُ : مَنْ يَشْهَدُ لِي ؟ ثُمَّ
جَلَسْتُ ، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ الثَّالِثَةَ ، فَقُمْتُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا لَكَ يَا أَبَا قَتَادَةَ ؟ »
فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : صَدَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، سَلَبَ ذَلِكَ الْقَتِيلِ
عِنْدِي ، فَأَرْضِيْ مِنْ حَقِّهِ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ : لَاهَا اللَّهُ إِذَا ، لَا يَعْمِدُ إِلَى أَسَدٍ مِنْ أَسَدِ
اللَّهِ يُقَاتِلُ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَيُعْطِيكَ سَلْبَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « صَدَقَ ، فَأَعْطَاهُ
إِيَّاهُ » فَأَعْطَانِي ، فَبِعْتُ الدَّرْعَ ، فَابْتَعْتُ بِهِ مَخْرَفًا فِي بَنِي سَلَمَةَ ، فَإِنَّهُ لِأَوَّلِ مَالٍ تَأْتَلْتُهُ فِي
الإِسْلَامِ .

٦٥٠ - البخاري (٨ / ٢٥) ٦٤ - كتاب المغازي - ٥٤ - باب قول الله تعالى : [٢٥ : التوبة] ﴿ وَيَوْمَ حَنْينَ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ

كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ﴾ - إلى قوله - ﴿ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

ومسلم (٣ / ١٣٧٠) ٢٢ - كتاب الجهاد والسير - ١٢ - باب استحقاق القاتل سلب القاتل .

حبيل عاتقه : حبيل العاتق : عَصْبُهُ ، والعاتق : موضع الرداء من المنكب .

لاها الله إذا : قال الخطابي رحمه الله : هكذا جاء الحديث : « لَاهَا اللَّهُ إِذَا » والصواب (لَاهَا اللَّهُ ذَا) بغير ألف قبل

الذال ، ومعناه في كلامهم : (لا والله لا يكون ذا) يعملون الماء مكان الواو .

مخرفاً : المخرف : بفتح الميم البستان الذي تُخْرِفُ ثماره ، أي : تُجَنَّتِي وَتَقَطَّفُ ، وأراد به هاهنا : حائط نخل ، والمخرف

بكسر الميم : الظرف الذي تُجَنِّي فيه الثمار ، والمخرف ، يشبه أن يكون جمع خرفة - بالضم - وهو ما يُجَنَّتِي من الفواكه ،

وأراد به أيضاً البستان ، فسبى الشجر باسم ثمره .

تأثلته : تأثلت المال ، أي : اكتسبته وجمعه وأخرفته .

وفي رواية ^(١) قال : لما كان يوم حنين نظرتُ إلى رجلٍ من المسلمين يُقاتِلُ رجلاً من المشركين ، وآخر من المشركين يَحْتِلُهُ مِنْ ورائه ليقْتُلَهُ ، فَأَسْرَعْتُ إلى الذي يَحْتِلُهُ ، فَرَفَعَ يَدَهُ لِيَضْرِبَنِي ، وَأَضْرَبَ يَدَهُ ، فَقَطَعْتُهَا ، ثُمَّ أَخَذَنِي فَضَمَّنِي ضَمًّا شَدِيداً حَتَّى تَخَوَّفْتُ ثُمَّ تَرَكَ فَتَحَلَّلَ ، وَدَفَعْتُهُ ثُمَّ قَتَلْتُهُ ، وَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ وَانْهَزَمَتْ مَعَهُمْ ، فَإِذَا بِعَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي النَّاسِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا شَأْنُ النَّاسِ ؟ فَقَالَ : أَمَرَ اللَّهُ ، ثُمَّ تَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَقَامَ بَيِّنَةً عَلَى قَتِيلٍ قَتَلَهُ فَلَهُ سَلْبَةٌ » فَقُمْتُ لِأَتُمِيسَ بَيِّنَةً عَلَى قَتِيلِي ، فَلَمْ أَرِ أَحَدًا يَشْهَدُ لِي ، فَجَلَسْتُ ، ثُمَّ بَدَأَ لِي فَذَكَرْتُ أَمْرَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ : سِلَاحُ هَذَا الْقَتِيلِ الَّذِي يَذْكُرُ عِنْدِي ، فَأَرَضِيهِ مِنِّي ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : كَلَّا ، لَا يُعْطِيهِ أَصْبِيغٌ مِنْ قَرِيشٍ ، وَيَدْعُ أَسَدًا مِنْ أَسَدِ اللَّهِ يُقَاتِلُ عَنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، قَالَ : فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأَذَاهُ إِلَيَّ ، فَاشْتَرَيْتُ مِنْهُ خِرَافًا ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا لِي تَأَثُّلَتُهُ فِي الْإِسْلَامِ .

٦٥١ - * روى البزار عن أنسٍ أن رسولَ الله ﷺ قالَ يومَ حنينٍ : « جَزَوْهُمْ جَزَاءً » وأومأَ بيده إلى الخلق .

٦٥٢ - * روى الطبراني عن يزيد بن عامر السَّوَّائِي أنه قال : عِنْدَ انْكَشَافَةِ انْكَشَفَهَا

(١) البخاري في الموضع السابق .

تَحْتِلُهُ : الختلُ : للكر والخذاع .

أصبيغ : قال القاضي : اختلف رواة كتاب مسلم في هذا الحرف على وجهين : أحدهما رواية السمرقندي : أصبيغ ، بالصاد المهملة والغين المعجمة . والثاني رواية سائر الرواة : أضيغ . بالضاد المعجمة والعين المهملة . فعلى الثاني هو تصغير ضيغ على غير قياس . كأنه لما وصف أبا قتادة بأنه أسد ، صغر هذا بالإضافة إليه . وشبهه بالصبيغ ، لضعف افتراسها وماتوصف به من العجز والحق . وأما على الوجه الأول ، فوصفه به لتغير لونه . وقيل : حقره وذمه بسواد لونه . وقيل : معناه أنه صاحب لون غير محمود ، وقيل : وصفه بالمهانة والضعف . قال الخطابي : الأصبيغ نوع من الطير . قال : ويجوز أنه شبهه بنبات ضعيف يقال له الصبيغا ، أول ما يطلع في الأرض يكون مما يلي الشمس منه أصف .

٦٥١ - البزار : كشف الأستار (٢ / ٣٤٩)

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٨١) : رواه البزار ، ورجاله ثقات .

جزؤهم : اذبحوهم وقطعوهم .

٦٥٢ - المعجم الكبير (٢٢ / ٢٣٧) .

الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَتَبِعَتْهُمْ الْكُفَّارُ ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْضَةً مِنَ الْأَرْضِ ، فَرَمَى بِهَا وُجُوهَهُمْ ، وَقَالَ « أَرْجِعُوا شَاهَتِ الْوُجُوهُ » فَمَا مِنَّا مِنْ أَحَدٍ يَلْقَى أَخَاهُ إِلَّا وَهُوَ يَشْكُو الْقَدَى وَيَمْسَحُ عَيْنَيْهِ .

٦٥٣ - * روى الطبراني عن يزيد بن عامر السوائي وكان شهيداً حنيناً مع المشركين ثم أسلم قال : سأله عن الرعب الذي ألقاه الله في قلوبهم يوم حنين ، كيف كان ؟ فأخذ حصاة ، فرمى بها طسناً فطن قال : كنا نجد في أجوافنا مثل هذا .

٦٥٤ - * روى الطبراني عن عمرو بن دينار قال : لا أعلمه إلا عن جابر أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين : « الْآنَ حَمِيَ الْوُطَيْسُ » ثم قال : « هُزِمُوا وَرَبُّ الْكَعْبَةِ » .

٦٥٥ - * روى الحاكم عن العباس بن عبد المطلب قال : شهدت مع رسول الله ﷺ عليه وآله وسلم يوم حنين فلقد رأيته وما معه إلا أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وهو أخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم وهو راكبها وأبو سفيان لا يألو أن يسرع نحو المشركين .

٦٥٦ - * روى الطبراني عن زيد بن أرقم قال : أنهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم حنين فقال :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

٦٥٧ - * روى البخاري ومسلم عن أبي إسحاق السبيعي قال : جاء رجل إلى البراء ، فقال

= وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٨٢) : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

٦٥٣ - المعجم الكبير (٢٢ / ٢٢٧) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٨٣) : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

٦٥٤ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٨٢) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

٦٥٥ - المستدرک (٣ / ٢٥٥) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

لا يألو : لا يتقصر .

٦٥٦ - المعجم الكبير (٥ / ١٩٠) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٨٢) : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

٦٥٧ - البخاري (٨ / ٢٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٥٤ - باب قول الله تعالى [٢٥ : التوبة] : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ

كثرتكم فلم تلقن عنكم شيئاً ﴾ - إلى قوله - ﴿ غفور رحيم ﴾ .

أَكنْتُمْ وَلَيْسَتْ يَوْمَ حَنْينَ ، يَا أَبَا عَمَّارَةَ ؟ فقال : أَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ مَاوَلَى ، وَلَكِنَّهُ انْطَلَقَ أَخْفَاءً مِنَ النَّاسِ وَحَسَرَ إِلَى هَذِهِ الْحَيِّ مِنْ هَوَازِنَ ، وَهُمْ قَوْمٌ رَمَاةٌ ، فَرَمَوْهُمْ بِرَشْقٍ مِنْ نَبْلِ ، كَأَنَّهَا رَجُلٌ مِنْ جَرَادٍ ، فَانْكَشَفُوا ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَبُو سَفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ يَقُودُ بَغْلَتَهُ ، فَانْزَلَ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ ، وَهُوَ يَقُولُ :

أَنَا النَّبِيُّ لَا كُذِبْتُ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

« اللَّهُمَّ نَزَّلْ نَصْرَكَ » - زاد أبو خيثمة : ثم صفهم - قال البراء : كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا أَحْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ ، وَإِنْ الشَّجَاعُ الَّذِي يُحَاذِي بِهِ - يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ .

ومسلم قال : ^(١) قال رجل للبراء : يَا أَبَا عَمَّارَةَ ، قَرُرْتُمْ يَوْمَ حَنْينَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، مَاوَلَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَلَكِنَّهُ خَرَجَ شَبَّانَ أَصْحَابِهِ وَأَخْفَاءُ هُمْ حَسَرًا ، لَيْسَ عَلَيْهِمْ سِلَاحٌ - أَوْ كَثِيرٌ سِلَاحٌ - فَلَقُوا قَوْمًا رَمَاةً ، لَا يَكَادُ يَسْقُطُ لَهُمْ سَهْمٌ - جَمْعُ هَوَازِينَ وَبَنِي نَصْرٍ - فَرَشَقُوا رَشْقًا ، مَا يَكَادُونَ يَخْطِئُونَ ، فَأَقْبَلُوا هُنَاكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ ، وَأَبُو سَفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَقُودُ بِهِ ، فَانْزَلَ وَاسْتَنْصَرَ وَقَالَ :

أَنَا النَّبِيُّ لَا كُذِبْتُ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

ثُمَّ صَفَّهُمْ .

وفي رواية نحوه ^(٢) ، وفيه : وَإِنَّا لَمَّا حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ انْكَشَفُوا ، فَأَكْبَبْنَا عَلَى الْغَنَائِمِ ،

= ومسلم واللفظ له (٣ / ١٤٠١) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٢٨ - باب في غزوة حنين .

أَخْفَاءُ : الْأَخْفَاءُ : جَمْعُ خَفِيفٍ : وَهُمْ الْمُسْرِعُونَ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَا يَمُوقُّهُمْ .

حَسَرَ : الْحَسَرُ ، جَمْعُ حَاسِرٍ ، وَهُوَ مَنْ لَا دَرَعَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ .

يَرَشِقُ : رَشَقَ يَرَشِقُ رَشْقًا : يَفْتَحُ الرِّاءَ - إِذَا رَمَى ، وَبَكَسَ الرِّاءَ ، وَهُوَ الْأَسْمُ مِنَ الرَّمِيِّ ، وَهُوَ الْمُرَادُ فِي الْحَدِيثِ ،

يَقَالُ : إِذَا رَمَى الْقَوْمُ بِأَسْرِهِمْ فِي جِهَةٍ وَاحِدَةٍ : زَمِينًا رَشْقًا .

رَجُلٌ : الرَّجُلُ مِنَ الْجَرَادِ : الْقِطْعَةُ الْكَبِيرَةُ مِنْهُ .

انْكَشَفُوا : أَيُ : انْهَزَمُوا ، وَمِنْهُ رَجُلٌ أَكْشَفُ : وَهُوَ الَّذِي لَا تُرْسَ مَعَهُ .

أَحْمَرُ الْبَأْسِ : الْبَأْسُ : الشَّدَّةُ وَالْحَوَافُ ، وَمَعْنَى (أَحْمَرُ الْبَأْسِ) اشْتَدَّ الْحَرْبُ ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : مَوْتُ أَحْمَرٌ ، لِلْقَتْلِ .

تَرَعَّانَ : تَرَعَّانَ الْقَوْمُ : أَوَّلُهُمْ .

نَتَّقِي بِهِ : أَيُ : نَتَّخِذُهُ جُنَّةً نُدْفَعُ بِهِ الْأَذَى .

(١) مسلم (٣ / ١٤٠٠) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٢٨ - باب في غزوة حنين .

(٢) مسلم في نفس الموضع السابق .

فاستقبلنا بالسهم ، ولقد رأيت النبي ﷺ على بغلته البيضاء ، وإن أبا سفيان بن الحارث أخذ بزمامها ، وهو - أي النبي ﷺ - يقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وفي رواية لها وللترمذي ^(١) قال : قال له رجل : أفررتُم عن رسول الله ﷺ يا أبا عمار ؟ قال : لا والله ، ما ولى رسول الله ﷺ ، ولكن ولى سرعان الناس ؟ تلقَّتهم هوازن بالنبل ، ورسول الله ﷺ على بغلته ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أخذ بلجامها ، ورسول الله ﷺ يقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

قال في الفتح : قوله (أما أنا فأشهد على النبي ﷺ أنه لم يول) تضمن جواب البراء إثبات الفرار لهم ، لكن لاعلى طريق التعميم ، وأراد أن إطلاق السائل يشمل الجميع حتى النبي ﷺ لظاهر الرواية الثانية ، ويمكن الجمع بين الثانية والثالثة بحمل المعية على ما قبل الهزيمة فبادر إلى استثنائه ثم أوضح ذلك ، وختم حديثه بأنه لم يكن أحد يومئذ أشد منه ﷺ . قال النووي : هذا الجواب من بديع الأدب ، لأن تقدير الكلام فررتُم كلكم ، فدخل فيهم النبي ﷺ ، فقال البراء : لا والله ما فر رسول الله ﷺ ، ولكن جرى كيت وكيت ، فأوضح أن فرار من فر لم يكن على نية الاستمرار في الفرار ، وإنما انكشفوا من وقع السهم .

وأما نسبته إلى عبد المطلب دون أبيه عبد الله فكانها لشهرة عبد المطلب بين الناس لما رزق من نباهة الذكر وطول العمر ، بخلاف عبد الله فإنه مات شاباً ، ولهذا كان كثير من العرب يدعونه ابن عبد المطلب ، كما قال ضمام بن ثعلبة لما قدم : أيكم ابن عبد المطلب ؟
١. لأنه كان اشتهر بين الناس أنه يخرج من ذرية عبد المطلب رجل يدعو إلى الله

يعرفه ، وقد اشتهر ذلك بينهم ، وذكره سيف بن ذي يزن قديما لعبد المطلب قبل أن يتزوج عبد الله أمّة وأراد النبي ﷺ تنبيه أصحابه بأنه لا بد من ظهوره وأن العاقبة له لتقوى قلوبهم إذا عرفوا أنه ثابت غير منهزم ، وأما قوله « لا كذب » ففيه إشارة إلى أن صفة النبوة يستحيل معها الكذب ، فكأنه قال : أنا النبي ، والنبي لا يكذب ، فلست بكاذب فيما أقول حتى أنهزم ، وأنا متيقن بأن الذي وعدني الله به من النصر حق ، فلا يجوز عليّ الفرار . وقيل : معنى قوله « لا كذب » أي أنا النبي حقا لا كذب في ذلك .

وفي الحديث من الفوائد حسن الأدب في الخطاب ، والإرشاد إلى حسن السؤال بحسن الجواب . وضم الإعجاب . وفيه جواز الانتساب إلى الآباء ولو ماتوا في الجاهلية ، والنهي عن ذلك محمول على ما هو خارج الحرب . ومثله الرخصة في الخيلاء في الحرب دون غيرها . وجواز التعرض إلى الهلاك في سبيل الله . ولا يقال كان النبي ﷺ متيقنا للنصر لوعده الله تعالى له بذلك وهو حق ، لأن أبا سفيان بن الحارث قد ثبت معه أخذًا بلجام بغلته وليس هو في اليقين مثل النبي ﷺ . وقد استشهد في تلك الحالة أمّين بن أمّ أمّين . وفيه ركوب البغلة إشارة إلى مزيد الثبات ، لأن ركوب الفحولة مظنة الاستعداد للفرار والتولي ، وإذا كان رأس الجيش قد وطن نفسه على عدم الفرار وأخذ بأسباب ذلك كان ذلك أدعى لأتباعه على الثبات . وفيه شهرة الرئيس نفسه في الحرب مبالغة في الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو أ . هـ

قال النووي : ومعنى قوله ﷺ أنا النبي لا كذب أي أنا النبي حقا فلا أفر ولا أزول وفي هذا دليل على جواز قول الإنسان في الحرب أنا فلان وأنا ابن فلان ومثله قول سلمة أنا ابن الأكوخ وقول علي رضي الله عنه : أنا الذي سمتني أمي حيدرة ، وأشباه ذلك . وقد صرح بجوازه علماء السلف ، وفيه حديث صحيح قالوا : وإنما يكره قول ذلك على وجه الافتخار ؛ كفعل الجاهلية . والله أعلم أ . هـ

٦٥٨ - * روى الحاكم عن جابر رضي الله عنه قال : نَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، يَوْمَ حَنْثِ الْأَنْصَارِ فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ » فَأَجَابُوهُ لَبَّيْكَ بِأَيُّنَا أَنْتَ وَأَمْنًا

يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : « أَقْبِلُوا بُوجُوهَكُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ، يُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ » فَأَقْبَلُوا وَلَهُمْ حَنِينٌ ، حَتَّى أَخَذُوا بِهِ كَبْكَبَةٌ تَحَاكُ مَنَاكِبَهُمْ يُقَاتِلُونَ حَتَّى هَزَمَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ .

٦٥٩ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أَنَّ أُمَّ سَلِيمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا فَكَانَ مَعَهَا ، فَرَأَاهَا أَبُو طَلْحَةَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ أُمُّ سَلِيمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ . فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا هَذَا الْخِنْجَرُ ؟ » قَالَتْ : اتَّخَذْتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَقْتُلُ مَنْ يُعَدُّنَا مِنَ الطُّلُقَاءِ أَنْهَزَمُوا بِكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا أُمَّ سَلِيمٍ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ » .

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ ^(١) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ - يَعْنِي يَوْمَ حُنَيْنٍ - : « مَنْ قَتَلَ كَافِرًا فَلَهُ سَلْبَةٌ » فَقَتَلَ أَبُو طَلْحَةَ يَوْمَئِذٍ عَشْرِينَ رَجُلًا ، وَأَخَذَ أَسْلَابَهُمْ ، وَلَقِيَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سَلِيمٍ وَمَعَهَا خِنْجَرٌ ، فَقَالَ : يَا أُمَّ سَلِيمٍ ، مَا هَذَا مَعَكَ ؟ قَالَتْ : أَرَدْتُ وَاللَّهِ إِنْ دَنَا مِنِّي

وجوههم فامتلأت أعينهم تراباً ، قال : « أَيْنَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ؟ » قلتُ : هم أولاء ، قال : « اهْتِفْ بِهِمْ » فَهْتَفْتُ بِهِمْ فَجَاءُوا وَسَيِّوْفُهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ كَأَنَّهَا الشُّهُبُ ، وَوَلَّى الْمُشْرِكُونَ أَذْبَارَهُمْ .

٦٦١ - * روى النسائي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : أخذ رسول الله ﷺ يوم حنين وبرة من جنب بغير . فقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِي مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ قَدَرٌ هَذِهِ ، إِلَّا الْخُمْسُ وَالْخُمْسُ مُرَدُّودٌ عَلَيْكُمْ » .

٦٦٢ - * روى البخاري عن جبير بن مطعم رضي الله عنه : أَنَّهُ نَيْنَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَمَعَهُ النَّاسُ ، مَقْفَلَةٌ مِنْ حَنِينٍ ، فَعَلَقَتِ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطُرُّوا إِلَى سَمَرَةٍ ، فَخَطَفَتْ رِذَاءَهُ ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : « أَعْطُونِي رِذَائِي ، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاءِ نَعْمًا لَقَسَمْتُه ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا » .

٦٦٣ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال : لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حَنِينٍ قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمَوْلَفَةِ قُلُوبَهُمْ ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا ، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا ، إِذْ لَمْ يُصِيبْهُمْ مِمَّا أَصَابَ النَّاسَ ، فَخَطَبَهُمْ ، فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي ؟ وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلْفَكُمُ اللَّهُ بِي ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي » . كُلُّمَا قَالَ شَيْئًا ، قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ ، قَالَ : « مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ » . قَالَ : كُلُّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ ، قَالَ : « لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ : جُئْتَنَا كَذًا وَكَذَا ، أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ » .

٦٦١ - النسائي (١٢١ / ٧) ، كتاب قسم الفيء - وإسناده حسن .

٦٦٢ - البخاري (٢٥ / ٦) ٥٦ - كتاب الجهاد - ٢٤ - باب الشجاعة في الحرب والجهن .

مقفلة : أي : مَرْجَمَةٌ مِنَ الْغَزْوِ ، وَالْقُقُولُ : الرَّجُوعُ مِنَ السَّفَرِ .

خطفت : الخطف : الأخذ بسرعة .

العضاء : كلُّ شَجَرٍ ذِي شَوْكٍ كَالطَّلْحِ وَالسَّيْرِ .

٦٦٣ - البخاري (٤٧ / ٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ٥٦ - باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان .

ومسلم نحوه (٢ / ٧٣٨) ١٢ - كتاب الزكاة - ٤٦ - باب إعطاء المولفة قلوبهم على الإسلام وتصير من قوي إيمانه .

وجدوا : تَأَثَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ .

عالة : العالة : الفقراء .

إِلَى رَحَالِكُمْ ؟ لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكَتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا ، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ ، وَالنَّاسُ دِثَارٌ ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْخَوْضِ .

وذكر في رواية ^(١) : فقال : « أما إنكم لو شئتم أن تقولوا : جئنا طريداً فأويناك ، وشريداً فنصرناك ، وكذا وكذا » .

٦٦٤ - * روى مسلم عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال : أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية ، وعيينة بن حصي ، والأقرع بن حابس ، كل إنسان منهم مائة من الإبل ، وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك ، فقال عباس بن مرداس :

أَتَجْعَلُ نَهْيِي وَنَهْيَ الْعَبِيدِ	بِدَيْنِ عَيْنَيْنِ وَالْأَقْرَعِ ؟
فَمَا كَانَ بَدُورٌ وَلَا حَابِسٌ	يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرٍ مِنْهُمَا	وَمَنْ تَخْفِضُ الْيَوْمَ لَا يَرْقِعُ

قال : فأتم له رسول الله ﷺ مائة .

٦٦٥ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لما كان يوم حنين أثر النبي ﷺ أناساً في القسمة : فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل . وأعطى عيينة مثل ذلك . وأعطى أناساً من أشراف العرب فأثرهم يومئذ في القسمة . قال رجل :

= الشعار : الثوب الذي يلي الجسد .

الدثار : الثوب الذي يكون فوقه ، يعني : أن الأنصار خاصته الذين يلونه ، والناس بعدهم .

(١) أحمد في مسنده (٣ / ٥٧ ، ٧٦ ، ٨٩) عن أبي سعيد الخدري .

٦٦٤ - مسلم (٢ / ٧٣٨) ١٢ - كتاب الزكاة - ٤٦ - باب إعطاء المؤلفات قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه .

القبيل : بضم العين وفتح الباء الموحدة : اسم فرس العباس بن مرداس السلمي .

٦٦٥ - البخاري (٦ / ٢٥١) ٥٧ - كتاب فرض الخمس - ١٩ - باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفات قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه .

ومسلم نحوه (٢ / ٧٣٩) ١٢ - كتاب الزكاة - ٤٦ - باب إعطاء المؤلفات قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه .

والله إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجهه الله . فقلت والله لأخبرن النبي ﷺ .
فأتيته فأخبرته . فقال : « فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؟ رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى .
قد أودى بأكثر من هذا فصبر » .

٦٦٦ - * روى أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من
تلك العطايا في قریش وقبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحي من
الأنصار في أنفسهم حتى كثرت فيهم القالة ، حتى قال قائلهم لقي رسول الله ﷺ قومه ،
فدخل عليه سعد بن عباد فقال : يا رسول الله إن هذا الحي قد وجدوا عليك في أنفسهم لما
صنعت في هذا الفداء الذي أصبت ، قست في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل
العرب ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيء قال : « فأين أنت من ذلك يا سعد »
قال : يا رسول الله ما أنا إلا امرؤ من قومي وما أنا . قال : « فاجع لي قومك في
هذه الحظيرة » قال : فخرج سعد فجمع الناس في تلك الحظيرة قال : فجاء رجال من
المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردهم ، فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال : قد اجتمع
لك هذا الحي من الأنصار قال فاتاهم رسول الله ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له
أهل ثم قال : « يامعشر الأنصار ما قاله بلغني عنكم وجدة وجدتموها في
أنفسكم ؟ ألم أتم ضللا فهداكم الله ، وغالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف بين
قلوبكم ؟ » قالوا : بل الله ورسوله آمن وأفضل . قال : « ألا تجيبوني يامعشر
الأنصار ؟ » قالوا : وبماذا نجيبك يا رسول الله ورسوله المن والفضل ؟ قال : « أما والله
لو شئتم لقلتم فلصدقتم وصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك
وطريدا فأويناك وعائلا فأغيناك أو جدتم في أنفسكم يامعشر الأنصار في لعاعة
من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ أفلا ترضون يامعشر

٦٦٦ - أحمد في مسنده (٣ / ٧٦) .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٢٩) : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق ، وقد مرَّح
بالسماع .

لقاعة : نبت نام في أول ما ينبت يعني أن الدنيا كالنبات الأخضر قليل البقاء .

الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله ﷺ في رجالكم ؟
 فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنتُ أمراً من الأنصار ، ولو سلك الناس
 شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار . اللهم ارحم الأنصار وأبناء
 الأنصار وأبناء أبناء الأنصار قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا : رضينا
 برسول الله ﷺ قسماً وحطاً ، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقنا .

وفي رواية ^(١) عن أبي سعيد أيضاً قال : قال رجل من الأنصار لأصحابه : أما والله لقد
 كنتُ أحدثكم أنه لو قد استقامت الأمور قد أثر عليكم ، قال : فردوا عليه ردّاً عَنِيفاً ،
 قال : فبلغ ذلك رسول الله ﷺ قال فجاءهم فقال لهم أشياء لا أحفظها ، قالوا : بلى
 يا رسول الله قال : « فكنتم لا تركبون الخيل » . قال : فكلمنا قال لهم شيئاً قالوا : بلى
 يا رسول الله ، قال : قلماً رآهم لا يردون عليه شيئاً . قلتُ : فذكر نحوه وقال في آخره :
 « الأنصار كرشى وأهل بيتي وعيبتني التي أويت إليها فاعفوا عن مسيئتهم واقبلوا من
 محسنهم » . قال أبو سعيد : قلت لمعاوية : أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أننا سترى بعده
 أثره ، قال معاوية : فما أمركم ؟ قلت : أمرنا أن نصير . قال : فاصبروا إذا .

أقول : تعليقاً على قول سعد بن عباد :

(ماأنا إلا امرؤ من قومي) : إن على القادة الذين يسوسون الشعوب والأقوام أن
 يعرفوا نفسيات هذه الشعوب وهذه الأقوام وأن يسوسوها على ضوء هذه المعرفة فأحياناً
 يكون لكل قوم أو شعب أو قرية أو بلد خصيصة تجعلهم في بعض الحالات يقفون موقفاً
 موحداً أمام قضية ما ، فلا بد من ملاحظة ذلك قبل وقوعه وحسن معالجته بعد وقوعه
 فإذا كان مثل سعد بن عباد يقول : (ماأنا إلا امرؤ من قومي) فما بال من دونه ، وفي
 كلمة سعد - إذ يعلن اتحاد موقفه مع موقف قومه في قضية يرى قومه فيها يقولون مايعتقد

(١) أحمد في مسنده (٣ / ٨٩) . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٥٩) : رواه أحمد وأبو يعلى .

فكنتم لا تركبون الخيل : ذلك بأنه لم يكن عند الأنصار كثرة خيل في الجاهلية ، ثم رزقهم الله الكثير على عهد النبي
 ﷺ .

كرشى وعيبت : أراد أنهم بطائنه وموضع سره وأمانته والذين يعتد عليهم في أموره ، واستعمار الكرش : لأن الحجر
 يجمع علفه في كرشه ، واستعمار العيبة : لأن الرجل يضع ثيابه في عيبته .

أنه اجتهد في محله وعدم إنكار الرسول ﷺ - ما يشير إلى نصره الإنسان قومه بالطريق المشروع فيما يراه الإنسان حقاً لاحتج فيه .

٦٦٧ - * روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه : أن أناساً من الأنصار قالوا يوم حنين حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء ، فطفق رسول الله ﷺ يعطي رجلاً من قريش المائة من الإبل ، فقالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ ، يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ؟ قال أنس بن مالك : فحدث ذلك رسول الله ﷺ من قولهم ، فأرسل إلى الأنصار ، فجمعهم في قبّة من أدم ، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ ، فقال : « ما حديث بلغني عنكم ؟ » فقال له فقهاء الأنصار : أما ذوو رأينا يا رسول الله ، فلم يقولوا شيئاً ، وأما أناس منّا حديثاً أسنّاهم ، قالوا : يغفر الله لرسوله ، يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ، فقال رسول الله ﷺ : « فإني أعطي رجلاً حديثي عهد بكفر أتألفهم ، أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وترجعون إلى رجالكم برسول الله ؟ فوالله لما تنقلبون به خير ممّا ينقلبون به » قالوا : بلى يا رسول الله ، قد رضينا ، قال : « فإنكم ستجدون بعدي أثره شديدة ، فاصبروا حتّى تلقوا الله ورسوله فإني على الخوض » قالوا : سنصبر .

وفي رواية (١) : قال أنس : فلم نصبر .

وفي رواية : (٢) قال : جمع رسول الله ﷺ الأنصار ، فقال : « أفياكم أحد من غيركم ؟ » فقالوا : لا ، إلا ابن أخت لنا ، فقال رسول الله ﷺ : « إن ابن أخت القوم

٦٦٧ - البخاري (٦ / ٢٥١) ٥٧ - كتاب فرض الخمس - ١٩ - باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفه قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه .

ومسلم واللفظ له (٢ / ٧٣٣) ١٢ - كتاب الزكاة - ٤٦ - باب إعطاء المؤلفه قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه .

(١) البخاري (٦ / ٢٥١) ٥٧ - كتاب فرض الخمس - ١٩ - باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفه قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه .

(٢) البخاري في نفس الموضع السابق .

ومسلم (٢ / ٧٣٣) ١٢ - كتاب الزكاة - ٤٦ - باب إعطاء المؤلفه قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه .

منهم» فقال : « إِنَّ قَرِيشًا حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَمَصِيبَةٍ ، وَإِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أُجَبِّرَهُمْ وَأَتَأَلَّفَهُمْ ، أَمَّا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى بُيُوتِكُمْ ؟ لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا ، وَسَلَكَ الْأَنْصَارُ شِعْبًا ، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ » .

وفي رواية للنسائي ^(١) بإسناد حسن : فإنه قال : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ أَتَتْهُ وَفْدٌ هَوَازِنٌ ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّا أَصْلُ وَعْشِيرَةٍ ، وَقَدْ نَزَلَ بَنَّا مِنْ الْبَلَاءِ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ ، فَأَمْنُنْ عَلَيْنَا ، مَنْ اللَّهُ عَلَيْكَ ، فَقَالَ : « اخْتَارُوا مِنْ أَمْوَالِكُمْ أَوْ مِنْ نِسَائِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ » ، فَقَالُوا : قَدْ خَيْرْتَنَا بَيْنَ أَحْسَابِنَا وَأَمْوَالِنَا ، بَلْ نَخْتَارُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبْنِي عَبْدُ الْمَطْلَبِ فَهُوَ لَكُمْ ، فَإِذَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ ، فَقُومُوا فَقُولُوا : إِنَّا نَسْتَعِينُ بِرَسُولِ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ - أَوِ الْمُسْلِمِينَ - فِي نِسَائِنَا وَأَمْوَالِنَا » فَلَمَّا صَلَّوْا الظُّهْرَ ، قَامُوا فَقَالُوا ذَلِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَمَا كَانَ لِي وَلِبْنِي عَبْدُ الْمَطْلَبِ فَهُوَ لَكُمْ » فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ : وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ : أَمَّا أَنَا وَبَنُو تَمِيمٍ فَلَا ، وَقَالَ عَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ : أَمَّا أَنَا وَبَنُو فِرَازَةَ فَلَا ، وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ : أَمَّا أَنَا وَبَنُو سَلَمٍ فَلَا ، فَقَامَتِ بَنُو سَلَمٍ : فَقَالُوا : كَذَبْتَ ، مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، رُدُّوا عَلَيْهِمْ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ ، فَمَنْ تَمَسَّكَ مِنْ هَذَا الْفِيءِ بِشَيْءٍ فَلَهُ سِتُّ فَرَائِضَ مِنْ أَوَّلِ شَيْءٍ يُفِيئُهُ اللَّهُ عَلَيْنَا » وَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ ، وَرَكِبَ النَّاسُ : أَقْسَمُ عَلَيْنَا فَيُنْتَنَا ، فَأَلْجَوْهُ إِلَى شَجَرَةٍ ، فَخَطِيفَتْ رِدَاءَهُ ، فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي ، فَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لَكُمْ شَجَرًا تِهَامَةً نَعَمًا قَسَمْتُهُ عَلَيْكُمْ ثُمَّ لَمْ تَلْقُونِي بِخِيَلًا ، وَلَا جِبَانًا ، وَلَا كَذُوبًا » ثُمَّ أَتَى بَعِيرًا ، فَأَخَذَ مِنْ سَنَامِهِ وَبَرَةً بَيْنَ أَصْبَعَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « هَا ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْفِيءِ شَيْءٌ وَلَا هَذِهِ ، إِلَّا خُمْسٌ » ، وَالْخُمْسُ مُرَدُّهُ عَلَيْكُمْ » فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يَكْبِتُهُ مِنْ شَعْرِ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخَذْتُ هَذِهِ لِأُصْلِحَ بِهَا بَرْدَمَةَ بَعِيرٍ لِي ، فَقَالَ : « أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبْنِي عَبْدُ الْمَطْلَبِ فَهُوَ

(١) النسائي (٦ / ٢٦٢) ، كتاب الهبة ، باب هبة المشاع .

لك « فقال : أَوِ بَلَّغْتُ هذه ؟ فلا أَرَبَ لي فيها ، فنبذها ، وقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَدُّوا الْحِيَاظَ وَالْمَخِيطَ ، فَإِنَّ الْغُلُولَ يَكُونُ عَلَى أَهْلِهِ عَارًا وَشَنَارًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

٦٦٨ - * روى الطبراني عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ وَفَدَ هَوَازِنَ لَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْجُعْرَانَةِ وَقَدْ أَسْلَمُوا قَالُوا : إِنَّا أَصْلٌ وَعَشِيرَةٌ ، وَقَدْ أَصَابَنَا مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخَفْ عَلَيْكَ ، فَاثْنُنْ عَلَيْنَا مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ ، وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ يُقَالُ لَهُ زَهَيْرٌ وَيَكْنَى أَبُو صَرْدٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ نِسَاؤُنَا عَمَّاتُكَ وَخَالَاتُكَ وَخَوَاضِنُكَ اللَّاتِي كَفَلْنَكَ ، وَلَوْ أَنَّا لَحِقْنَا الْحَارِثَ بْنَ أَبِي شَيْمٍ وَالنُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ ، ثُمَّ نَزَلْنَا مِنْهُ مِثْلَ الَّذِي أَنْزَلْتَ بَنَاءً لَرَجَوْنَا عَطْفَهُ وَعَائِدَتَهُ عَلَيْنَا ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْمَكْفُولِينَ ، ثُمَّ أَنْشَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شِعْرًا ، قَالَه وَذَكَرَ فِيهِ قَرَابَتَهُ وَمَا كَفَلُوا مِنْهُ فَقَالَ :

أَمُنُّنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي كَرَمِ	فَإِنَّكَ الْمَرْءُ نَرْجُوهُ وَنَنْتَظِرُ
أَمُنُّنْ عَلَى بَيْضَةٍ قَدْ عَاقَهَا قَدَرٌ	مُفَرَّقٌ شَبْلُهَا فِي دَهْرِهَا غَيْرُ
أَبَقْتُ لَنَا الدَّهْرَ هَتَافًا عَلَى حَزَنِ	عَلَى قَلْبِهِمُ الْغَمَاءُ وَالْغَمَرُ
إِنْ لَمْ تَدَارِكْهُمْو نَعْمَاءُ تَنْشُرْهَا	يَا أَرْجَحَ النَّاسِ حِلْمًا حِينَ يُخْتَبَرُ
أَمُنُّنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا	إِذْ فُوكَ تَمْلُؤُهُ مِنْ مَخْضِهَا دَرُرُ
إِذْ كُنْتَ طِفْلًا صَغِيرًا كُنْتَ تَرْضَعُهَا	وَإِذْ يَزِينُكَ مَا تَأْتِي وَمَا تَذُرُ
لَا تَجْعَلْنَا كَمَنْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ	وَاسْتَبَقَ مِنَّا فَإِنَّا مَعَشَرُ زُهْرُ

٦٦٨ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٨٧) ، وقال : رواه الطبراني ، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ، ولكنه ثقة ، وبقية رجاله ثقات .

أقول : وقد صرح ابن إسحاق بالسماع عند ابن هشام في سيرته ، وللحديث شواهد .
 إنا أصل وعشيرة : يشيرون بذلك إلى أنه كان مسترضعاً فيهم ، ولذلك فإنه تربطه بهم رابطة قرابة .
 لحقنا به : يعني أننا أرضعناه فصرنا له لاحقين بسبب ذلك ويشهد له لذلك رواية ابن هشام (ملحقنا) .
 الحارث بن أبي شمر : ملك الشام من العرب .
 النعمان بن المنذر : ملك العراق من العرب .
 البَيْضَةُ : الأصل والعشيرة . ويقال يستبيح بيضتهم : أي مجتمهم وموضع سلطانهم ومستقر دعوتهم .
 غَيْرُ : تغير الحال وانتقالها عن الصلاح إلى الفساد .
 شالت نعامته : إذا ماتوا وتفرقوا كأنهم لم يبق منهم إلا بقية ، والنعام : الجماعة .

قال فذكر الحديث .

وفي رواية لأحمد^(١) عن عبد الله بن عمرو قال : شهدت رسول الله ﷺ وجاءته وفود هوازن فقالوا : يا محمد إنا أصل وعشيرة فمن علينا من الله عليك ، فإنه قد نزل بنا من البلاء ما لا يخفى عليك فقال : « اختاروا بين نسائكم وأموالكم وأبنائكم » قالوا : خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ؟ نختار أبناءنا فقال : « أما ما كان لي ولبي عبد المطلب فهو لكم ، فإذا صليت الظهر فقولوا إنا نستشفع برسول الله ﷺ والمؤمنين وبالمؤمنين على رسول الله ﷺ في نسائنا وأبنائنا » قال : ففعلوا . فقال رسول الله ﷺ : « أما ما كان لي ولبي عبد المطلب فهو لكم » وقال المهاجرون : ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ وقالت الأنصار مثل ذلك وقال عتيبة بن بدر أما ما كان لي ولبي فزارة فلا . وقال الأقرع ابن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا وقال عباس بن مرداس : أما أنا وبنو سليم فلا فقالت الحيان : كذبت بل هو لرسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس ردوا عليهم نسائهم وأبنائهم ، فمن تمسك بشيء من الفياء فله علينا ست فرائض من أول شيء يفيئه الله علينا » ثم ركب راحلته ، وتعلق به الناس يقولون : اقيم علينا فيئنا بيننا ، حتى الجؤوه إلى سيرة فخطفت رداءه ، فقال : « يا أيها الناس ردوا علي ردائي ، فوالله لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعم لقسمته بينكم ، ثم لا تلقوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذوباً » ثم دنا من بعيره فأخذ وبرة من سنامه فجعلها بين أصبعيه السبابة والوسطى ، ثم رفعها فقال : « يا أيها الناس ليس لي من هذا الفياء ولا هذه إلا الخمس والخمس

(١) أحمد في مسنده (٢ / ١٨٤) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٨٧) : رواه أحمد ، ورجال أحمد إسناده ثقات .

فقال الحيان : الظاهر أنها بنو فزارة وبنو تميم . وستأتي في رواية أخرى أن بني سليم قالوا مثل قولهم فقد أنكرت الأحياء الثلاثة على زعمائهم .

من تمسك بفياء : في الكلام إضمار ، وتقديره : من أصاب شيئاً من هذا الفياء فأمسكه ثم رده .

ست فرائض : الفرائض ، جمع فريضة ، يريد به : البعير المأخوذ في الزكاة ، وسُمي بسبب ذلك فريضة ، لأنه الواجب على رب المال ، ثم سمي البعير فريضة في غير الزكاة .

يفيئه الله علينا : أراد : بما يفيئه الله علينا : الخمس الذي جعله الله له من الفياء خاصة دون الناس ، فإنه يعطي كل من أخذ منه شيئاً عوضه من ذلك .

مردودة عليكم ، فردوا الخياطَ والمخيطَ » (أي ردوا الخيط والإبرة ، وما خيط بها) « فإن الغُلُولَ يكونُ على أهلِهِ يومَ القيامةِ عاراً وناراً وشِئاراً » فقام رجلٌ معه كَبَةٌ من شعر ، فقال : إني أخذتُ هذه أصلحَ بها بَرْدَةً بعيرٍ لي ذَبَرَ قال : « أمّا ما كان لي ولبني عبدِ المطلبِ فهو لك » فقال الرجلُ : يا رسولَ اللهِ أمّا إذ بلغتَ ما أرى فلا أَرَبَ لي بها ، ونَبَذَها .

٦٦٩ - * روى البخاري عن المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ومروان بن الحكم : أن رسولَ اللهِ ﷺ قال حينَ جاءَهُ وفدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ فسألوه أن يرُدَّ إليهم أموالهم وسَبِيَهُم ، فقال لهم رسولُ اللهِ ﷺ : « أحبُّ الحديثِ إليَّ أَصْدَقُهُ فاختاروا إحدى الطائفتين : إمّا السَّبْيَ وإمّا المالَ ، وقد كنتُ استأْنَيْتُ بِهِمْ » - وقد كان رسولُ اللهِ ﷺ انتظرهم بضعَ عشرةَ ليلةً حينَ قفلَ من الطائف - فلما تبَيَّنَ لهم أن رسولَ اللهِ ﷺ غيَّرَ رَأْيَهُ رَادَّ إليهم إلا إحدى الطائفتينِ قالوا : فإنّا نختارُ سَبْيَنَا ، فقام رسولُ اللهِ ﷺ في المسلمينِ فأثنى على اللهِ بما هوَ أهْلُهُ ثم قال : « أمّا بعدُ فإنَّ إخوانكم هؤلاء قد جاءونا تائبينَ ، وإني قد رأيتُ أن أُرَدَّ إليهم سَبْيَهُمْ ، مَنْ أَحَبَّ أن يُطَيَّبَ فليُفْعَلْ ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أن يكونَ على حَظِّهِ حتى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ من أَوَّلِ ما يُفِيءُ اللهُ علينا فليُفْعَلْ » فقال الناسُ : قد طيَّبنا ذلك يا رسولَ اللهِ ﷺ ، فقال لهم رسولُ اللهِ ﷺ : « إنا لأندري مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ في ذلكِ مَنْ لَمْ يَأْذَنْ ، فارجعوا حتى يَرْفَعَ إلينا عَرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ » فَرَجَعَ الناسُ . فكلهم عَرَفَاؤُهُمْ ثُمَّ رَجَعُوا إلى رسولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ قد طَيَّبُوا فَأَذْنُوا . فهذا الذي بلغنا عن سَبْيِ هَوَازِنَ .

قال في الفتح : قوله (قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين) ساق الزهري هذه القصة من هذا الوجه مختصرة ، وقد ساقها موسى بن عقبة في المغازي مطولة ولفظه : (ثم انصرف

= الخياط : الخيط ، والمخيط : الإبرة .

الغُلُول : الخيانة في الغنية قبل إخراج الخس والقسمة .

الشِئَار : العيب والعار .

٦٦٩ - البخاري (٦ / ٢٣٦) ٥٧ - كتاب فرض الخس - ١٥ - باب ومن الدليل على أن الخس لنوائب المسلمين ما سأل هوازن النبي ﷺ برضاة فيه ، فتحلل من المسلمين .

رسول الله ﷺ من الطائف في شوال إلى الجعرانة وبها السبي يعني سبي هوازن ، وقدم عليه وفد هوازن مسلمين فيهم تسعة نفر من أشرافهم فأسلموا وبايعوا ، ثم كلموه فقالوا : يا رسول الله إن فين أصبتم الأمهات والأخوات والعلمات والخالات وهن مخازي الأقبام ، فقال : « سأطلب لكم ، وقد وقعت المقاسم فأبي الأمرين أحب إليكم : ألسبي أم المال ؟ » قالوا : خيرتنا يا رسول الله بين الحسب والمال ، فالحسب أحب إلينا ، ولا نتكلم في شاة ولا بغير . فقال : « أما الذي لبني هاشم فهو لكم ، وسوف أكلم لكم المسلمين ، فكلموهم وأظهروا إسلامكم » فلما صلى رسول الله ﷺ الهاجرة قاموا فتكلم خطبائهم فأبلغوا ورغبوا إلى المسلمين في رد سبيهم ، ثم قام رسول الله ﷺ حين فرغوا فشفع لهم وحض المسلمين عليه وقال : « قد رددت الذي لبني هاشم عليهم » فاستفيد من هذه القصة عدد الوفد وغير ذلك مما لا يخفى . وقد أغفل محمد بن سعد لما ذكر الوفود وفد هوازن هؤلاء مع أنه لم يجمع أحد في الوفود أكثر مما جمع ، ومن سمي من وفد هوازن زهير بن صرد كما سيأتي ، وأبو مروان . ويقال أبو ثروان أوله مثلثة بدل الميم ويقال بموحدة وقاف - وهو عم النبي ﷺ من الرضاة ، ذكره ابن سعد . ومعنى استأنيت : استنظرت ، أي أخرت قسم السبي لتحضروا فأبطأتم ، وكان ترك السبي بغير قسمة وتوجه إلى الطائف فحاصرها كما سيأتي ، ثم رجع عنها إلى الجعرانة ثم قسم الغنائم هناك ، فجاءه وفد هوازن بعد ذلك ، فبين لهم أنه أخر القسم ليحضروا فأبطؤا ، وقوله (بضع عشرة ليلة) فيه بيان مدة التأخير . أ.هـ.

٦٧٠ - * روى أبو داود عن أبي غالب نافع رحمه الله قال : قلت لأنس : يا أبا حمزة ، غزوت مع رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، غزوت معه حنيناً ، فخرج المشركون ، فحملوا علينا ، حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا ، وفي القوم رجل يحمل علينا ، فيدقنا ويخطمنا فهزمهم الله ، وجعل يجاء بهم فيبايعونه على الإسلام ، فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ : إن علي نذراً إن جاء الله بالرجل الذي كان منذ اليوم يخطمنا لأضربن عنقه ،

= استأنيت : أي : تأنيت وتوقفت وانتظرت .

٦٧٠ - أبو داود مطولاً (٣ / ٢٠٨) ، كتاب الجنائز ، باب أين يقوم الإمام من الميت إذا صلى عليه . وهو حديث صحيح . أومضت : الإيماض : الإشارة ، من أومض البرق : إذا لمع ، وهو كما سبق في خاتمة الأعين .

فسكت رسول الله ﷺ ، وجيء بالرجل ، فلما رأى رسول الله ﷺ ، قال : يا رسول الله
تُبْتُ إلى الله ، فأُمسِكَ رسول الله ﷺ لا يبايعه لِيَفِي الآخر بنذيره ، قال : فجعل الرجل
يتصدى لرسول الله ﷺ ليأمره بقتله ، وجعل يهاب رسول الله ﷺ أن يقتله ، فلما رأى
رسول الله ﷺ أنه لا يصنع شيئاً بآيعة ، فقال الرجل : يا رسول الله ، نَذْري ، فقال : « إني
لم أُمسكُ عنه منذُ اليوم إلا لتُوفِي بنذرك » ، فقال : يا رسول الله ، ألا أؤمضتُ إليّ ؟
فقال النبي ﷺ : « إنه ليس لنبي أن يُومضَ » .

* * *

فصل : في غزوة أوطاس

٦٧١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : لما فرغ النبي ﷺ من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس ، فلقى ذريد بن الصمة ، فقتل ذريد ، وهزم الله أصحابه ، فقال أبو موسى : وبعثنى مع أبي عامر ، فرمي أبو عامر في ركبته ، رماه جشمي بسهم ، فأثبته في ركبته ، فأنتهت إليه ، فقلت : يا عم ، من رماك ؟ فأشار إلى أبي موسى فقال : ذاك قاتلي الذي رماني ، فقصدت له فلحقت ، فلما رأيته ، فأتبعته وجعلت أقول له : ألا تستحي ؟ ألا تثبت ؟ فكف ، فاختلنا ضربتين بالسيف ، فقتلته ، ثم قلت لأبي عامر : قتل الله صاحبك ، قال : فانزع هذا السهم ، فنزعته ، فنزا منه الماء ، قال : يا ابن أخي ، أفرئ النبي ﷺ السلام ، وقل له : استغفر لي . واستخلفني أبو عامر على الناس ، فمكث يسيراً ثم مات ، فرجعت ، فدخلت على النبي ﷺ في بيته على سرير مرمول وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبه ، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر ، وقال : قل له : استغفر لي ، فدعا نيا ، فتوضاً ، ثم رفع يديه ، وقال : « اللهم اغفر لعبيد ، أبي عامر ورأيت تيباض إبطيه ، ثم قال : « اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس » فقلت : ولي فاستغفر فقال : « اللهم اغفر لعبيد الله بن قيس ذنبه ، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً » قال أبو بردة : إحداهما لأبي عامر ، والأخرى لأبي موسى .

٦٧١ - البخاري (٨ / ٤١) ٦٤ - كتاب المغازي - ٥٥ - باب غزاة أوطاس .

ومسلم بنحوه (٤ / ١٩٤٣) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٨ - باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين ، رضي الله عنهما .

فأثبته : أي : حبسه بالطعنة التي طعنها ، أو الرمية .

فلما نزا منه الماء ، أي : وثب ، يعني : خرج الماء من جرحه .

على سرير مرمول : قد نسج وجهه بالسعف ، يقال : أرملت النسيج أرملة : إذا باعدت بين الأشياء المنسوج بها ، فهو مرمول ، ورماله : مانسج في وجهه من ذلك ، ويقال : رملته لغة في أرملته .

، ورملته : شدد للكثرة ، والرمال - بكسر الراء - بمعنى مرمول ، وهو جمع رمل ، كقوله تعالى : ﴿ هذا خلق الله ﴾ أي ، مخلوقه .

وَفِي لَفْظِ مُسْلِمٍ^(١) وَرِمَاءُ رَجُلٍ مِنْ بَنِي جُشَمَ وَفِيهِ : فَلَمَّا رَأَى وَلِيَّ عُنْيٍ ذَاهِبًا ، فَلَحِقَتْهُ ، فَجَعَلَتْ أَقُولَ لَهُ : أَلَا تَسْتَحْيِي ؟ أَلَسْتَ عَرِيًّا ؟ أَلَا تَتُبْتُ ؟ وَفِيهِ : انْطَلِقْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ ، وَقُلْ لَهُ : يَقُولُ لَكَ : اسْتَغْفِرْ لِي .

قال ابن حجر : (غزوة أوطاس) قال عياض : هو واد في دار هوازن ، وهو موضع حرب حنين انتهى . وهذا الذي قاله ذهب إليه بعض أهل السير ، والراجح أن وادي أوطاس غير وادي حنين ، ويوضح ذلك ما ذكر ابن إسحاق أن الوقعة كانت في وادي حنين ، وأن هوازن لما انهزموا صارت طائفة منهم إلى الطائف وطائفة إلى بجيلة وطائفة إلى أوطاس ، فأرسل النبي ﷺ عسكرياً مقدمهم أبو عامر الأشعري إلى من مضى إلى أوطاس كما يدل عليه حديث الباب ، ثم توجه هو وعساكره إلى الطائف .

وروى البزار في مسند أنس يأسناد حسن ما يشعر بأن قاتل دريد بن الصمة هو الزبير ابن العوام ولفظه (لما انهزم المشركون انحاز دريد بن الصمة في ستائة نفس على أكمة فرأوا كتيبة ، فقال حلوم لي ، فحلوم فقال : هذه قضاة ولا بأس عليكم ، ثم رأوا كتيبة مثل ذلك ، فقال : هذه سليم ، ثم رأوا فارساً وحده فقال : حلوه لي ، فقالوا معتجراً بعمامة سوداء ، فقال : هذا الزبير بن العوام وهو قاتلكم ومخرجكم من مكانكم هذا ، قال فالتفت الزبير فرأهم فقال : علام هؤلاء هنا ؟ فمضى إليهم ، وتبعه جماعة فقتلوا منهم ثلاثمائة ، فحز رأس دريد بن الصمة فجعله بين يديه) ويحتمل أن يكون ابن الدغنة كان في جماعة الزبير فباشر قتله فنسب إلى الزبير مجازاً ، وكان دريد من الشعراء الفرسان المشهورين في الجاهلية ، ويقال إنه كان لما قتل ابن عشرين - ويقال ابن ستين - ومائة سنة .

وعند ابن عائد والطبراني في (الأوسط) من وجه آخر عن أبي موسى الأشعري بإسناد حسن (لما هزم الله المشركين يوم حنين بعث رسول الله ﷺ على خيل الطلب أبا عامر الأشعري وأنا معه فقتل ابن دريد أبا عامر ، فعدلت إليه فقتلته وأخذت اللواء) الحديث .

* * *

(١) مسلم (٤ / ١٩٤٣) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٨ - باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين

رضي الله عنهما .

فصل : في غزوة الطائف

قَالَ الْبُخَارِيُّ : فِي شَوَّالِ سَنَةِ ثَمَانٍ ، قَالَهُ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ .

٦٧٢ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف فلم يَنْلُ منهم شيئاً ، قال : « إِنَّا قَافِلُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » فَثَقُلَ عليهم ، وقالوا : نذهب ولا نفتحهُ ، وقال مرة : « نَقْفُلُ » ، فقال : « أُغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ » فَغَدَّوْا ، فَأَصَابَهُمْ جِرَاحٌ ، فَقَالَ : « إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ » فَأَعْجَبَهُمْ ، فَضَحَكَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ سَفِيَانُ مَرَّةً : فَتَبَسُّمٌ .

وفي رواية نحوه ^(١) ، وفيه فقالوا : لا نبرحُ أو نفتحها . وفيه فقَاتَلُوهم قِتَالًا شَدِيدًا ، وَكَثُرَ فِيهِمُ الْجِرَاحَاتُ الحديث .

قال ابن حجر في الفتح : في مرسل ابن الزبير عند ابن أبي شيبة قال (لما حاصر النبي ﷺ الطائف قال أصحابه : يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف فادع الله عليهم ، فقال : « اللهم اهد ثقيفا ») وذكر أهل المغازي أن النبي ﷺ لما استعصى عليه الحصن وكانوا قد أعدوا فيه ما يكفيهم لحصار سنة ورموا على المسلمين سكك الحديد المحيطة ورموهم بالنبل فأصابوا قوما ، فاستشار نوفل بن معاوية الديلي فقال : هم ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لم يضرك ، فرحل عنهم وذكر أنس في حديثه عند مسلم أن مدة حصارهم كانت أربعين يوما ، وعند أهل السير اختلاف قيل عشرين يوما وقيل بضع عشرة وقيل ثمانية عشر وقيل خمسة عشر . قوله (إنا قافلون) أي راجعون إلى المدينة . قوله (فثقل عليهم) بين سبب ذلك بقولهم (نذهب ولا نفتحها) وحاصل الخبر أنهم لما أخبرهم بالرجوع بغير فتح لم يعجبهم ، فلما رأى ذلك أمرهم بالقتال فلم يفتح لهم فأصيبوا بالجراح لأنهم رموا عليهم من أعلى السور فكانوا ينالون منهم بسهامهم ولا تصل السهام إلى من على السور ، فلما

٦٧٢ - البخاري (٨ / ٤٤) ٦٤ - كتاب المغازي ٥٦ - باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان .

ومسلم نحوه (٣ / ١٤٠٢) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٢٩ - باب غزوة الطائف .

(١) البخاري (١٠ / ٥٠٣) ٧٨ - كتاب الأدب - ٦٨ - باب التيسم والضحك .

رأوا ذلك تبين لهم تصويب الرجوع ، فلما أعاد عليهم القول بالرجوع أعجبهم حينئذ ، ولهذا قال : فضحك « وقوله (وقال سفيان مرة : فتبسم) هو ترديد من الراوي .

وقد ذكر ابن هشام أن عدد من استشهد في حصار الطائف اثنا عشر رجلاً .

* * *

فصل : في إسلام كعب بن زهير

٦٧٣ - * روى الطبراني عن محمد بن إسحاق قال : لما قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ مُنْصَرَفَهُ مِنَ الطَّائِفِ ، كَتَبَ بَجَيْرُ بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ أَبِي سُلَمَى إِلَى أَخِيهِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ بْنِ أَبِي سُلَمَى ، يُخْبِرُهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَتَلَ رَجُلًا بِكَةِ مِمَّنْ كَانُوا يَهْجُوهُ وَيُؤْذِيهِ ، وَأَنَّهُ بَقِيَ مِنْ شَعْرَاءِ قُرَيْشِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَهَبِيرَةَ بْنِ أَبِي وَهَبٍ قَدْ هَرَبُوا فِي كُلِّ وَجْهِ ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ فَمِرَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّهُ لَا يَقْتُلُ أَحَدًا جَاءَهُ تَائِبًا وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَنْجِ وَلَا نَجَاةَ لَكَ . وَقَدْ كَانَ كَعْبٌ قَالَ أُتِيَائًا نَالَ فِيهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا بَلَغَ كَعْبًا الْكِتَابَ ضَاقَتْ بِهِ الْأَرْضُ وَأَشْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَأَرْجَفَ بِهِ مَنْ كَانَ حَاضِرَهُ مِنْ عَدَوِّهِ ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ مِنْ شَيْءٍ بُدَا ، قَالَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَمْدَحُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ خَوْفَهُ وَإِرْجَافَ الْوَشَاةِ بِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَنَزَلَ عَلَى رَجُلٍ كَانَتْ تَيْنَةٌ وَبَيْنَهُ مَعْرِفَةٌ مِنْ جُهَيْنَةَ - كَمَا ذَكَرَ لِي فَقَدَا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ ، فَصَلَّى مَعَ النَّاسِ ثُمَّ أَشَارَ لَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُمَّ إِلَيْهِ ، فَاسْتَأْمَنَهُ فَذَكَرَ لِي أَنَّهُ قَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَعْرِفُهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ كَعْبَ بْنَ زُهَيْرٍ جَاءَ لِيَسْتَأْمِنَ مِنْكَ تَائِبًا مُسْلِمًا فَهَلْ أَنْتَ قَابِلٌ مِنْهُ إِنْ أَنَا جِئْتُكَ بِهِ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نَعَمْ » فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَا كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ قَالَ : وَتَبَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي وَعَدَّوْ اللَّهِ أَضْرِبُ عَنْقَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « دَعْنِي عَنْكَ فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ تَائِبًا نَازِعًا » فَغَضِبَ عَلَى هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ لِمَا صَنَعَ بِهِ صَاحِبِهِمْ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا بِخَيْرٍ فَقَالَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي قَالَهَا حِينَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . (وَذَكَرَ أُبَيَّاتًا : سَرَدَ بِرَوَايَةِ الْحَاكِمِ) . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ قَالَ : فَلَمَّا قَالَ : (السُّودُ التَّنَائِيلُ) وَإِنَّمَا أَرَادَ مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لِمَا كَانَ صَاحِبِهِمْ

٦٧٣ - أورده الميمني في جمع الزوائد (٩ / ٢٩٢) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله إلى ابن إسحاق ثقات .
أقول : فالحديث منقطع لكن له شواهد ، ومن شواهد ما أخرجه الحاكم بأسانيد صحيح بعضها وسكت عنها الذهبي .
= سنذكرها فيما بعد إن شاء الله .

صَنَعَ ، وَخَصَّ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَدْحَتِهِ ، غَضِبَتْ عَلَيْهِ الْأَنْصَارُ فَتَبَعُوا أَنْ أُسْلِمَ أَخَذَ يَمْدَحُ الْأَنْصَارَ وَيَذْكُرُ بِلَاءَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَوْضِعَهُمْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ :

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ	فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ
وَرُثُوا الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ	إِنْ الْخِيَارُ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ
الْمُكْرِهِينَ السُّمَهْرِيِّ بَلَّاذُرْجِ	كَسَوَالِفِ الْهِنْدِيِّ غَيْرِ قِصَارِ
وَالنَّاطِرِينَ بِأَعْيُنٍ مُخْمَرَةٍ	كَالْجُمُرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الْإِبْصَارِ
يَتَطَهَّرُونَ يَرُونَهُ نُسْكَاءَ لَهُمْ	بِدِمَاءٍ مَنْ عَلَقُوا مِنَ الْكُفَّارِ
دَرَبُوا كَمَا دَرَبَتْ بَيْطُنَ خَفِيَّةٍ	غُلْبُ الرِّقَابِ مِنَ الْأَسْوَدِ ضَوَارِي

روايات الحاكم :

٦٧٤ - * روى الحاكم عن موسى بن عقبة قال : أنشد النبي صلى الله عليه وآله وسلم
كعب بن زهير (بَأَنْتُ سَعَادُ) فِي مَسْجِدِهِ بِالْمَدِينَةِ فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلَهُ :

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ	وَصَارِمٌ مِنْ سَيْفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ
فِي فِتْنَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ	يَبْطُنُ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَوْا زُورُوا

أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِكُمُ إِلَى الْخَلْقِ لِيَسْمَعُوا مِنْهُ قَالَ : وَقَدْ كَانَ

= المِقْنَبُ : الجماعة من الخيل . يريد به القوم على ظهور جيادهم .
السُّمَهْرِيُّ : الرمح .

وسوالف الهندي : يريد حواشي السيوف ؛ وقد يراد به الرماح أيضاً لأنها قد تنسب إلى الهند .

دَرَبُوا : تمودوا .

وخَفِيَّةٌ : اسم مأسدة .

وَعُلْبُ الرِّقَابِ : غلاظ الأعناق .

وضواري : متعودات الصيد والافتراس .

٦٧٤ - المستدرک (٣ / ٥٨٢) ، وقال : هذا حديث له أسانيد قد جمعها إبراهيم بن المنذر الحزامي ، فأما حديث محمد بن قُليح عن موسى بن عقبة ، وحديث الحجاج بن ذي الرقبة ، فإنها صحيحة .

بُجَيْرُ بْنُ زُهَيْرٍ كَتَبَ إِلَى أَخِيهِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ يُخَوِّفُهُ وَيَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَقَالَ فِيهَا أُبَيَاتًا :

مَنْ مَبْلَغَ كَعْبًا فَهَلْ لَكَ فِي الْيَوْمِ	تَلُومٌ عَلَيْهَا بِاطِيلًا وَهِيَ أَحْزَمُ
إِلَى اللَّهِ لَا الْعَزَى وَلَا اللَّاتِ وَحْدَهُ	فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النِّجَاءُ وَتَسْلَمُ
لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُو وَلَيْسَ بِمُقِلِّتِ	مِنَ النَّارِ إِلَّا طَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِمُ
فَدَيْنُ زُهَيْرٍ وَهُوَ لَا شَيْءَ بَاطِلٌ	وَدَيْنُ أَبِي سُلَيْمٍ عَلَيَّ مُحَرَّمُ

٦٧٥ - * روى الحاكم عن عبد الرحمن بن كعب بن زهير قال : خَرَجَ كَعْبٌ وَبُجَيْرُ ابْنَا زُهَيْرٍ ، حَتَّى أَتَيَا أَبْرَقَ الْعُزَافَ فَقَالَ بِجَيْرٍ لِكَعْبٍ : أَثْبِتْ فِي عَجَلِ هَذَا الْمَكَانِ حَتَّى آتِيَ هَذَا الرَّجُلَ يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَسْتَعِ مَا يَقُولُ ، فَثَبَّتَ كَعْبٌ ، وَخَرَجَ بِجَيْرٍ فَجَاءَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَ فَبَلَغَ ذَلِكَ كَعْبًا فَقَالَ :

أَلَا أُبَلِّغَا عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً	عَلَى أَيِّ شَيْءٍ وَئِبَ غَيْرِكَ ذَلِكََا
عَلَى خَلْقٍ لَمْ تُلَفْ أُمًّا وَلَا أَبَا	عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَخَا لَكَ
سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَاسٍ رَوِيَةٍ	وَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَا

فلما بلغت الأبيات رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، أَهْدَرَ دَمَةً فَقَالَ : « مَنْ لَقِيَ كَعْبًا فَلْيَقْتُلْهُ » فَكَتَبَ بِذَلِكَ بِجَيْرٍ إِلَى أَخِيهِ يَذْكُرُ لَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَهْدَرَ دَمَةً وَيَقُولُ لَهُ : النَّجَا وَمَا أَرَاكَ تَقُولُ . ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ : أَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا قَبْلَ ذَلِكَ ، فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَأَسْلِمْ وَأَقْبِلْ . فَأَسْلَمَ كَعْبٌ ، وَقَالَ الْقَصِيدَةَ الَّتِي يَمْدَحُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ بِبَابِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَصْحَابِهِ مَكَانَ الْمَائِدَةِ مِنَ الْقَوْمِ ، مُتَحَلِّقُونَ مَعَهُ حَلَقَةً دُونَ حَلَقَةٍ يَلْتَفِتُ إِلَى هَؤُلَاءِ مَرَّةً

فَيَحْدِثُهُمْ وَإِلَى هَؤُلَاءِ مَرَّةً فَيَحْدِثُهُمْ قَالَ كَعْبٌ : فَأَنْخَتُ رَاحِلَتِي بِيَابِ الْمَسْجِدِ فَعَرَفْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالصَّفَةِ ، فَتَخَطَّيْتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَيْهِ فَأَسْلَمْتُ فَقُلْتُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ الْأَمَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « وَمَنْ أَنْتَ ؟ » قُلْتُ : أَنَا كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ ، قَالَ : « أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ » ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ : « كَيْفَ قَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ » فَأَنْشَدَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأْسِ رَوِيَةٍ وَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُورُ مِنْهَا وَعَلَّكَ

قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا قُلْتُ هَكَذَا قَالَ : « وَكَيْفَ قُلْتُ ؟ » قَالَ : إِنَّمَا قُلْتُ :

سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأْسِ رَوِيَةٍ وَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « مَأْمُونٌ وَاللَّهِ » ثُمَّ أَنْشَدَهُ الْقَصِيدَةَ كُلَّهَا حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا وَأَمْلَاهَا عَلَى الْحَجَّاجِ بْنِ ذِي الرَّقِيْبَةِ حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا ، وَهِيَ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ :

١ - بَأَنْتُ سَعَادٌ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولٌ مَتَيْمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفِدَ مَكْبُولٌ
٢ - وَمَا سَعَادٌ غَدَاةَ الْبَيْتِ إِذْ رَحَلُوا إِلَّا أَعْنُ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولٌ
٣ - تَجَلَّوْا عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهُ مَتْنَهْلٌ بِالرَّاحِ مَغْلُولٌ
٤ - شَجَتْ بِذِي شَبْرٍ مِنْ مَاءٍ مُحْنِيَةٍ صَافٍ بِأَبْطَحٍ أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولٌ

= (١) بَأَنْتُ : فَارَقْتُ فِرَاقًا بَعِيدًا . وَسَعَادٌ : اسْمُ امْرَأَةٍ . وَقِيلَ (كَأَنَّهُ فِي الزَّرْقَانِي) : هِيَ امْرَأَتُهُ وَبَنَتْ لَهُ ، خَصَهَا بِالذِّكْرِ لَطُولِ غَيْبَتِهِ عَنْهَا ، لِمُرُوبِهِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ . وَمَتَبُولٌ : أَسْقَمَهُ الْحُبُّ وَأَضْنَاهُ . وَمَتَيْمٌ : ذَلِيلٌ مُسْتَعْبِدٌ . وَلَمْ يُفِدَ : لَمْ يَخْلُصْ مِنَ الْأَسْرِ .

(٢) الْأَعْنُ : (هُنَا) : الظَّبْيُ الصَّغِيرُ الَّذِي فِي صَوْتِهِ غَنَّةٌ ، وَهِيَ صَوْتُ يَخْرُجُ مِنَ الْحَيَاشِيمِ ، وَغَضِيضُ الطَّرْفِ : فَاتَرَهُ . وَمَكْحُولٌ : مِنَ الْكَحَلِ وَهُوَ سَوَادٌ يَعْلُو جَفُونِ الْعَيْنِ مِنْ غَيْرِ اكْتِحَالٍ .

(٣) تَجَلَّوْا : تَصَقَّلُوا وَتَكَشَّفُوا . وَالْعَوَارِضُ : جَمْعُ عَارِضٍ أَوْ عَارِضَةٍ ، وَهِيَ الْأَسْنَانُ كُلُّهَا ، أَوْ الضَّوَاهِكُ خَاصَّةً ، أَوْ هِيَ مِنَ الْأَنْيَابِ . وَالظَّلْمُ : مَاءُ الْأَسْنَانِ وَبَرِيقُهَا ، أَوْ رَقَّتْهَا وَبَيَاضُهَا . وَالْمَنْهَلُ : الْمَسْقَى ، مِنْ أَهْلِهِ ، إِذَا سَقَاهُ النَّهْلُ وَهُوَ الشَّرْبُ الْأَوَّلُ . وَالرَّاحُ : الْحَرُّ . وَمَغْلُولٌ : مِنَ الْعَلَلِ وَهُوَ الشَّرْبُ الثَّانِي .

(٤) شَجَتْ : مَزَجَتْ حَتَّى انْكَسَرَتْ سَوْرَتُهَا وَذَوَّشَتْ : مَاءٌ شَدِيدُ الْبَرْدِ . وَالْمُحْنِيَةُ : مُنْعَطِفُ الْوَادِي وَخَصَّهُ لِأَنَّ مَاءَهُ أَصْفَى وَأَبْرَدَ . وَالْأَبْطَحُ : الْمَسِيلُ الْوَاسِعُ الَّذِي فِيهِ دَقَاقُ الْحَصَى ، وَمَاءُ الْأَبْطَحِ عِنْدَهُمْ مَعْرُوفٌ بِصَفَائِهِ . وَأَضْحَى :

- ٥ - تَنْفِي الرِّيحِ الْقَدَى عَنْهُ وَأَفْرَطُهُ
 ٦ - فَيَالَهَا خَلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ
 ٧ - لَكُنْهَا خَلَّةً قَدْ سَيْطَ مِنْ دَمِهَا
 ٨ - فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالِ تَكُونُ بِهَا
 ٩ - وَمَا تَمَسَّكَ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمَتْ
 ١٠ - فَلَا يَغُرُّنَكَ مَا مَنَنْتَ وَمَا وَعَدْتَ
 ١١ - كَانَتْ مُوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مِثْلًا
 ١٢ - أَرْجُو وَأُمِّلُ أَنْ تَدْنُو مُوَدَّتُهَا
 ١٣ - أُمْسَتْ سَعَادُ بِأَرْضٍ لَا يُبْلَغُهَا
 ١٤ - وَلَنْ يُبْلَغُهَا إِلَّا عَذَافِرَةٌ
 ١٥ - مِنْ كُلِّ نَضَاحَةِ الذَّفَرِيِّ إِذَا عَرِقَتْ
- مِنْ صَوْبٍ غَادِيَةٍ بِيضٍ يَعَالِيلُ
 بِوَعْدِهَا أُولَوْ أَنَّ النَّصْحَ مَقْبُولُ
 فَجُعَ وَوُلِعَ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلُ
 كَمَا تَلَوْنُ فِي أَثَوَابِهَا الْغُولُ
 إِلَّا كَمَا يُمَسِّكُ الْمَاءُ الْغَرَايِلُ
 إِنَّ الْأُمْلَى وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ
 وَمَا مُوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ
 وَمَا إِخَالُ لَدِينَا مِنْكَ تَنْوِيلُ
 إِلَّا الْعَتَاقُ النَّجِيبَاتِ الْمَرَايِلُ
 لَهَا عَلَى الْأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ
 عُرْضَتُهَا طَامَسُ الْأَعْلَامِ مَجْهُولُ

= أخذ في وقت الضحى قبل أن يشتد حر الشمس . والمشمول : الذي ضربته ريح الشمال حتى برد ، وهي أشد تبريداً للماء من غيرها .

(٥) القدي : ما يقع في الماء من تبن أو عود أو غيره مما يشوبه ويكدره . وأفرطه : سبق إليه وملأه . والصوب : المطر . والغادية : السحابة تَطْرُقُ غَدُوةً ، ويروى « سارية » وهي السحابة تأتي ليلاً . واليعاليل : الحباب الذي يملو وجه الماء . وقيل المراد بالبيض اليعاليل : الجبال الشديدة البياض ينحدر عليها ماء المطر ، ثم يسيل إلى الأباطيح .

(٧) سيط : أي خلط بلحمها ودمها هذه الصفات المذكورة في البيت .

والفجع : الإصابة بالمكروه كالحجر ونحوه . والولع والولعان : الكذب . والإخلاف : خلف الوعد .
 (٨) الغول : ساحرة الجن ، في زعمهم . يزعمون أن الغول ترى في الفلاة بألوان شتى ، فتأخذ جانباً عن الطريق ، فيتبعها من يراها ، فيضل عن الطريق فيهلك .

(٩) ولا تمسك : يشبه تمسكها بالعهد بامساك الغراييل للماء ، مبالغة في النقض والنكث وعدم الوفاء بالعهد ، لأن الماء بمجرد وضعه في الغربال يسقط منه .

(١١) عُرْقُوب : رجل اشتهر عند العرب بإخلاف الوعد ، فضرب به المثل في الخلف .

(١٢) التنويل : العطاء ، والمراد به (هنا) : الوصل .

(١٣) العتاق : الكرام ؛ الواحد : عتيق والنجيبات : جمع نجيبة ، وهي القوية الخفيفة . المراسيل : السريعة .

(١٤) العذافرة : الناقة الصلبة العظيمة . والأين : الإعياء والتعب . والإرقال : والتبغيل : ضربان من السير السريع : يقول : لا يبلغ تلك الأرض إلا ناقة عظيمة قوية على السير .

(١٥) النضاحة : الكثيرة رشح العرق . والذفري : النقرة التي خلف أذن الناقة ، وهي أول ما يعرق منها . وعرضتها : همتها . وطامس الأعلام : الدارس المتغير من العلامات التي تكون في الطريق ليهتدى بها .

- ١٦ - ترمي النجاة بعيني مفرد لَهِي
 ١٧ - حُرْفَ أخوها أبوها من مَهَجَنَةٍ
 ١٨ - يَمْشِي القَرَادُ عليها ثم يَزْلِقُهُ
 ١٩ - عَيْرَانَةٌ قَذِفَتْ بالنَّحْضِ عن عَرْضِ
 ٢٠ - كَانَهَا فَاتَ عَيْنِيهَا وَمَذْبَحُهَا
 ٢١ - تُمَرُ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خَصَلٍ
 ٢٢ - قَنْوَاءٌ فِي حُرَّتِيهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا
 ٢٣ - تَخْدِي عَلَى يَسَرَاتٍ وَهِيَ لَاحِقَةٌ
- إِذَا تَوَقَّدَتِ الْحِزَانُ وَالْمِيلُ
 وَعَمَّهَا خَالَهَا قُدُوءٌ شِثْلِيلُ
 مِنْهَا لَبَانٌ وَأَقْرَابُ زَهَالِيلُ
 مِرْقَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزُّورِ مَفْتُولُ
 مِنْ خَطْمِهَا وَمِنْ اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيلُ
 فِي غَارِزٍ لَمْ تَخَوْنَهُ الْأَحَالِيلُ
 عَثَقَ مَبِينٌ فِي الْحَدِيدِ تَسْهِيلُ
 ذَوَابِلُ مَسْهَنُ الْأَرْضِ تَحْلِيلُ

== (١٦) اللَهْيُ : الأبيض ، والحِزَانُ : الأمكنة الغليظة الصلبة تكثر فيها الحصباء ، وهي جمع حَزِيرٍ . والمِيلُ (بالكسر) :

جمع (ميلاء) بالفتح ، وهي العقدة الضخمة من الرمل .

(١٧) الحُرْفُ : (في الأصل) : القطعة الخارجة من الجبل ، شبه الناقة بها في القوة والصلابة والحرف (أيضاً) الناقة

الضامرة . وأخوها أبوها والمهجنة : الكريمة الأبوين من الإبل ، والقوداء : الطويلة الظهر والعنق . وهي من صفات الإبل التي تمدح بها . والشليل : الخفيفة السريعة .

(١٨) يزلقه : من الانزلاق ، أي يسقطه . ومنها : أي عنها . واللبنان (بالفتح) : الصدر وقيل : وسطه . والأقرب بالفتح الخواصر . والزهاليل : اللبس ، جمع زهلول .

(١٩) العيرانة : الناقة المشبهة عير الوحش في سرعته ونشاطه وصلابته ، وهذا مما يستحسن في أوصاف الإبل . والنحض : اللحم وعن : بمعنى من . وعُرْضُ (بضم فسكون) : جانب . والمراد هنا العموم . يريد أنها رميت باللحم من كل جانب من جوانبها . والمرق : يريد المرفقين . والزور : الصدر ، وقيل : وسطه . وبنات الزور : ما يتصل به مما حوله من الأضلاع وغيرها .

(٢٠) الخطم : الأنف وما حوله . واللحيان : العظمان اللذان تنبت عليهما الأسنان السفلى من الإنسان وغيره . والبرطيل : حجر مستطيل . والقاب المقدار .

(٢١) عسيب النخل : جريده الذي لم ينبت عليه الخوص ، فإن نبت عليه سمي سفا ، وإذا خصل : يريد ذيلاً له لفائف من الشعر . وفي غارز : أي على ضرع . ولم تخونه : لم تنقصه والأحاليل : مخارج اللبن ، جمع إحليل (بالكسر) .

(٢٢) القنواء : المحدودة الأنف .

والحرقان : الأذنان .

والعتق : الكرم .

والمبين : الظاهر .

وتسهيل : سهولة ولين ، لاختونة ولاحزونة وتجاوبة في خديها : سهولة وليونة .

(٢٣) تخدي : تسرع واليسرات : القوائم الخفاف . وهي لاحقة : أي والحال أنها لاحقة بالنوق السابقة عليها ، أو بالديار

البعيدة عنها . والذوابل : جمع ذابل ، وهي الرمح الصلب اليابس شبه قوائها بها في الصلابة والشدة . ومَسْهَنٌ : أي

مس تلك اليسرات للأرض أو وقعن عليها . وتحليل : أي قليل لم يبالغ فيه ، يريد أن هذه الناقة سريعة في السير =

- ٢٤ - سُحِرَ الْعَجَايِبُ يَتَرَكْنَ الْحَصَى زِيَاً
 ٢٥ - كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعِيهَا وَقَدْ عَرِقَتْ
 ٢٦ - يَوْمًا يَظِلُّ بِهِ الْحِزْبَاءُ مُصْطَخِدًا
 ٢٧ - وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيَهُمْ وَقَدْ جَعَلَتْ
 ٢٨ - شَدَّ النَّهَارِ ذِرَاعًا عَيْطِلٍ نَصَفَ
 ٢٩ - نَوَاحٍ رَخْوَةَ الضُّبْعَيْنِ لَيْسَ لَهَا
 ٣٠ - تَسْعَى الْغَوَاةَ جَنَابِيهَا وَقَوْلُهُمْ
 ٣١ - فَقُلْتُ خَلُّوا سَبِيلِي لِأَبَالِكُمْ
 ٣٢ - كُلِّ ابْنِ أَنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ
 ٣٣ - نَبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي
- لَمْ يَقِيهِنَّ رُءُوسَ الْأَكْمِ تَنْعِيْلُ
 وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ
 كَأَنَّ ضَاحِيَةَ الشَّمْسِ مَمْلُوكُ
 وَزُقَ الْجَنَادِبُ يُزَكُّضْنَ الْحَصَا قِيلُوا
 قَامَتْ فَجَاوِيهَا نُكْدٌ مَثَاكِيلُ
 لَمَّا نَعَى بِكُرْهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ
 إِنَّكَ يَا بِنَّ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولُ
 فَكَلَّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ
 يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَذْبَاءَ مَحْمُولُ
 وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ

- = بقواؤها . سريعة الرفع عن الأرض . كأنها لاتمسها إلا تحلة القسم ، فهي في غاية الإسراع في سيرها .
 (٢٤) العجايب : الأعصاب المتصلة بالخافر ؛ وقيل اللحمة المتصلة بالعصب المنحدر من ركة البعير إلى الفرس ، يشبه عصبها أو لحم قوائمها بالرماح السرلوقته وصلابته . وزيا : متفرقا . والأكم : هي الأراضي المرتفعة . والتنعيل : شد النعل على ظفر الدابة ليقبها الحجارة .
 (٢٥) الأوب (بالفتح) : سرعة القلب والرجوع . وعرقت : أي وقت عرقها لالتعب ولا لإعياء ، لما تقدم من وصفها بالقوة والصلابة ، بل لشدة الحر . وتلفع : اشتمل والتحف . والقور (بضم القاف) . جمع قارة ، وهي الجبل الصغير . والعساquil : السراب يصف سرعة ذراعي ناقته في وقت الهجرة وانتشار السراب فوق صفار الجبال .
 (٢٦) الحرباء (بالكسر) : ضرب من العطاء ، يستقبل الشمس حيثما دارت ، ويتلون بألوان الأمكنة التي يحل فيها . ومصطخدا : محترقا بحر الشمس . وضاحيه : مابرز للشمس منه ومملول : موضوع في الملة ، وهي الرماد الحار .
 (٢٧) المحادي : السائق للإبل . والورق : جمع أوراق أوورقاء ، وهو الأخضر الذي يضرب إلى السواد ؛ وقيل : الورقة : لون يشبه لون الرماد . والجنادب : جمع جندب : ضرب من الجراد . ويركضن الحصى : يحركنه بأرجلهم لقصد النزول ، بسبب الإعياء عن الطيران ، من شدة الحر . وقيلوا : أمر من قال يقليل قيلولة ، وهي الاستراحة في وقت شدة الحر .
 (٢٨) شد النهار : وقت ارتفاعه ، وهو مبالغة في شدة الحر . والعيطل : الطويلة . والنصف : المتوسطة في السن ، والنكد : جمع نكداء ، وهي التي لايعيش لها ولد . والمثاكيل : جمع مثكال بالكسر ، وهي الكثيرة الشكل .
 (٢٩) النواحة : الكثيرة النوح على ميتها . ورخوة الضبعين : مسترخية العضدين . والبكر بالكسر : أول الأولاد . والناعون : المحزون بالموت ، النادبون له ، والمعقول (هنا) : العقل .
 (٣٠) الغواة : الفسدون ، جمع غاي . جنابها : حوايلها ، تثنية جناب (بفتح الجيم) ومقتول : أي متوعد بالقتل ، لأن النبي ﷺ كان قد أهدر دمه .
 (٣٢) نبئت : أخبرت . ويروى : (أنبئت) . وأوعدني : تهددني بالقتل . ومأمول : مرجو ومطموع فيه .
 = (٣٣) نبئت : أخبرت . ويروى : (أنبئت) . وأوعدني : تهددني بالقتل . ومأمول : مرجو ومطموع فيه .

- ٣٤ - فقد أَثَبَّتَ رَسولُ اللَّهِ مَعْتَدِرًا
 ٣٥ - مَهْلًا هَذَا الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً الـ
 ٣٦ - لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوَشَاةِ وَلَمْ
 ٣٧ - لَقَدْ أَقُومُ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ
 ٣٨ - لَظِلٌّ يَرْعَدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ
 ٣٩ - حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أَنَا زَعِي
 ٤٠ - فَلَهُمْ أَخَوْفٌ عِنْدِي إِذَا أَكَلَمَهُ
 ٤١ - مِنْ ضَيْغَمٍ بِضَرَاءِ الْأَرْضِ مُخَدَّرَةٌ
 ٤٢ - يَغْدُو فَيُلْحِمُ ضِرْغَامِينَ عَيْشَهُمَا
- وَالْعَذْرُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَقْبُولُ
 قُرْآنٍ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ
 أَذْنِبَ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقْوَابِ
 أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الْفِيلُ
 مِنَ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَنْوِيلُ
 فِي كَفِّ ذِي نَقَاتٍ قِيلَ لَهُ الْقِيلُ
 وَقِيلَ إِنَّكَ مُنْسُوبٌ وَمَسْئُولُ
 فِي بَطْنِ عَثْرَ غَيْلٍ دُونَهُ غَيْلُ
 لَحْمٍ مِنَ النَّاسِ مَعْفُورٍ خَرَادِيلُ

= (٣٥) هَذَا : زَادَكَ هَدَى ، أَوْ هَذَاكَ اللَّهُ لِلصَّفْحِ وَالْعَفْوِ عَنِّي ، فَيَكُونُ عَلَى هَذَا دَاعِيَا لِنَفْسِهِ . وَالنَّافِلَةُ : الزِّيَادَةُ ، وَسَمِيَ الْقُرْآنَ نَافِلَةً لِأَنَّهُ عَطِيَّةٌ زَائِدَةٌ عَلَى النَّبِوةِ .

(٣٧) لَقَدْ أَقُومُ : مَعْنَاهُ : وَاللَّهُ لَقَدْ أَقُومُ مَقَامًا ، فَهُوَ جَوَابُ قِسْمٍ مَحْذُوفٍ .
 (٣٨) يَرْعَدُ : تَأْخُذُهُ الرَّعْدَةُ ، وَيَصِحُّ بِنَاؤُهُ لِلْمَفْعُولِ . وَالتَّنْوِيلُ : التَّأْمِينُ . وَالْمَعْنَى : لَصَارَ الْفِيلُ يَضْطَرِبُ وَيَتَحَرَّكُ مِنَ الْفَزَعِ ، وَإِنَّمَا خَصَّهُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَرَادَ التَّعْظِيمَ وَالتَّهْوِيلَ ، وَالْفِيلُ أَعْظَمُ الدَّوَابِّ جَسَدًا وَشَأْنًا . إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنَ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَأْمِينٌ يَسْكُنُ بِهِ رَوْعُهُ ، وَتَثَبَّتْ بِهِ نَفْسُهُ .
 (٣٩) حَتَّى وَضَعْتُ : أَيِ فَوْضَعْتُ وَلَا أَنَا زَعِي : أَيِ حَالِ كَوْنِي طَائِعًا لَهُ ، رَاضِيًا بِحُكْمِهِ فِي ، غَيْرِ مَنَازَعٍ لَهُ وَلَا خِتَالٍ . وَالنَّقَاتُ (بِفَتْحٍ فَكْسَرٍ) جَمْعُ نَقْمَةٍ ، وَالْمُرَادُ بِصَاحِبِ النَّقَاتِ : النَّبِيُّ ﷺ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَنْتَقِمُ مِنَ الْكُفَّارِ ، فَكَانَ شَدِيدَ السُّطُوَةِ وَالْإِغْلَاطِ فِيهِمْ . وَقِيلَهُ : قَوْلُهُ . وَالْمُرَادُ أَنْ قَوْلَهُ مَعْتَدٍ بِهِ لِكُونِهِ نَافِلًا مَاضِيًا . يُشِيرُ بِالْبَيْتِ إِلَى حَالِهِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَدَّمَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ ، وَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ يَسْتَأْمِنُهُ .

(٤٠) أَخَوْفٌ : أَشَدُّ إِخَافَةٍ وَإِرْهَابًا . وَمُنْسُوبٌ : أَيِ إِلَى أُمُورٍ صَدَرَتْ مِنْكَ .
 (٤١) ضَيْغَمٌ : أَسَدٌ . وَضَرَاءُ الْأَرْضِ : الْأَرْضُ الَّتِي فِيهَا شَجَرٌ .
 وَالْمُخَدَّرُ : غَابَةُ الْأَسَدِ . وَعَثْرٌ : اسْمُ مَكَانٍ مَشْهُورٍ بِكَثْرَةِ السَّبَاعِ .
 وَالْفِيلُ : الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمُلْتَفُّ .
 وَغَيْلٌ دُونَهُ غَيْلٌ : أَيِ أَجَةٍ تَقْرِبُهَا أَجَةٌ أُخْرَى ، فَتَكُونُ أَسَدَهَا أَشَدَّ تَوْحُشًا ، وَأَقْوَى ضَرَاوَةً . يَرِيدُ أَنْ الرَّسُولَ ﷺ أَكْثَرُ هَيْبَةٍ مِنَ الْأَسَدِ فِي عَثْرِ أَجَامِهَا .
 (٤٢) يَغْدُو : يَخْرُجُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ يَتَطَلَّبُ صَيْدًا لِشَبْلِيهِ .
 أَيِ يَطْعَمُ . وَيُلْحِمُ : يَطْعَمُهَا اللَّحْمَ .
 وَالضَّرْغَامُ : الْأَسَدُ وَيَرِيدُ بِالضَّرْغَامِينَ شَبْلِيهِ .
 وَمَعْفُورٌ : مَلَقَى فِي الْعَفْرِ ، وَهُوَ التَّرَابُ . وَوَصَفَهُ بِذَلِكَ لِكَثْرَتِهِ وَعَدَمِ اكْتِرَائِهِ بِهِ لَشَبْعِهِ . وَخَرَادِيلُ : قَطْعُ صِغَارٍ .
 يَصِفُ هَذَا الْأَسَدَ بِكَثْرَةِ الْإِفْتِرَاسِ ، وَعَظْمِ الْإِصْطِيَادِ .

- ٤٣ - إذا يُساورُ قرنًا لا يَجِلُّ له
 ٤٤ - منه تَظَلَّ سِباعُ الجَوْنافرةِ
 ٤٥ - ولا يزالُ بواديه أخو ثِقَّةِ
 ٤٦ - إن الرسولَ لَنُورٍ يُسْتَضَاءُ به
 ٤٧ - في عُصْبَةٍ من قريشٍ قال قائلُهُم
 ٤٨ - زالوا فإزال أنكاسٌ ولا كُشْفُ
- أن يترك القرن إلا وهو مفلول
 ولا تمشي بواديه الأراجيل
 مضرج البز والدرسان مأكول
 مهنت من سيوف الله مسلول
 يبتطن مكة لما أسلموا زولوا
 عند اللقاء ولا ميل معازيل

= (٤٣) يساور : يواثق .

- والقرن : المقاوم في الشجاعة . وفي ذكر القرن إشارة في القوة إلى أن هذا الأسد لا يساور ضعيفاً ولا جباناً وإنما يساور مقاومه في الشجاعة ومساويه .
 والمفلول : المكسور المهزوم .
 (٤٤) الجو : اسم موضع ، أو هو ما تنسج من الأودية ، أو ما بين السماء والأرض .
 ونافرة : بعيدة ، ويروى : (ضامرة) والضامر : الذي يسك جريته بفيه ولا يجتر . ويروى : (ضامرة) أي جيباعاً لعدم قدرتها على الاصطياد .
 والأراجيل : الجماعات من الرجال ، وهو جمع أرجال ، وأرجال : جمع رجل ، ورجل : اسم جمع لأرجل ، يصف هذا الأسد بالقوة ، حتى خافته السباع والناس .
 (٤٥) أخو ثقة : الشجاع الوثاق بشجاعته .
 ومضرج : مخضب بالدماء .
 والبز : السلاح .
 والدرسان (بضم الدال) : أخلاق الثياب .
 الواحد دريس . ومأكول : أي طعام لذلك الأسد . يريد أنه لا يمر بوادي هذا الأسد شجاع إلا أكله وطرح ثيابه التي مزقها ، فلا يولع إلا بالشجعان ، ولا يلتفت لغيرهم .
 (٤٦) يستضاء به : يهتدى به إلى الحق .
 والمهنت : السيف المطبوع في الهند ، وسيوف الهند قديماً أحسن السيوف .
 ومن سيوف الله : أي من سيوف عظمها الله بنيل الظفر والانتقام .
 والمسلول : المخرج من غده .
 (٤٧) العصبة : الجماعة .
 ويروى : « في فتية » جمع فتى ، وهو السخي الكريم .
 وزولوا : فعل أمر من زال التامة ، أي تحولوا وانتقلوا من مكة إلى المدينة .
 (٤٨) الأنكاس : جمع نكس (بالكسر) وهو الرجل الضعيف . والكشف (بضم فسكون وحرك للشعر) : جمع أكشف ، هو الذي لا ترس معه ، أو هم الشجعان الذين لا ينكشفون في الحرب ، أي لا يهزمون .
 والميل : جمع أميل ، وهو الذي لا سيف له ، أو هو الذي لا يحسن الركوب ، فيميل عن السرج .
 والمعازيل : الذين لا سلاح معهم ، واحد معزال (بكسر الميم) .

- ٤٩ - شَمَّ العَرَانِينَ أَبْطَالَ لَبُوسِهِمْ
 ٥٠ - بِيضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شَكَّتْ لَهَا حَلَقُ
 ٥١ - لَيْسُوا مَفَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمْ
 ٥٢ - يَمْشُونَ مَشْيَ الْجَمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ
 ٥٣ - لَا يَقَعُ الطُّعْنُ إِلَّا فِي غُورِهِمْ
 من نَسَجَ دَاوُدَ فِي الْمَيْجَا سَرَابِيلَ
 كَأَنَّهَُا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولُ
 قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا إِذَا نِيلُوا
 ضَرْبُ إِذَا عَرَّةُ السُّودِ التَّنَائِيلُ
 وَمَالَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ

* * *

- = (٤٩) شَمَّ : جمع أَشَمَ ، وهو الذي في قصة أَنفَه عُلُو ، مع استواء أعلاه .
 والعَرَانِينَ : جمع عَرْنِينَ ، وهو الأنف . وصفهم بهذا الوصف إما على الحقيقة لأن ارتفاع الأنف من الصفات الحمودة في خلق الإنسان ، وإما على المجاز ، يريد ارتفاع أقدارهم ، وعلو شأنهم .
 واللبوس : ما يلبس من السلاح .
 ونسج داود : أي منسوجه ، وهو الدروع .
 والمجيجا (بالقصر هنا) : الحرب .
 والسرابيل : جمع سربال ، وهو القميص أو الدرع . ووصفها بأنها من نسج داود دليل على مناعتها .
 (٥٠) بِيضٌ : مجلوة صافية مصقولة ، لأن الحديد إذا استعمل لم يركبه الصدأ .
 والسوابغ : الطوال السوابل ، ويلزم من طول الدروع قوة لابسها ، إذ حملها مع طولها يدل على القوة والشدة .
 وشكت : أدخل بعضها في بعض .
 ويروى : (سكت) بمعنى ضيقت .
 والقفعاء : ضرب من الحسك ، وهو نبات له شوك ينسبط على وجه الأرض ، تشبه به حلقات الدروع .
 ومجدول : محكم الصنعة .
 (٥١) مَفَارِيحَ : كثيرو الفرح .
 ونالوا : أصابوا .
 ومجازيع : كثيرو الجزع .
 (٥٢) الزهر : البيض . يصفهم بامتداد القامة ، وعظم الخلق ، والرفق في المشي ، وبياض البشرة ، وذلك دليل على الوقار والسؤود .
 ويعصمهم : ينجيهم .
 وعرد : فر وأعرض عن قرنه وهرب عنه .
 والتنايبيل : جمع تنبال ، وهو القصير .
 (٥٣) وقوع الطعن في محورهم : دليل على أنهم لا ينهزمون حتى يقع الطعن في ظهورهم .
 وحياض الموت : موارد الختف ، يريد بها ساحات القتال .
 وتهليل : تأخر .

فوائد عامة من أحداث السنة الثامنة

١ - قبل فتح مكة كانت الدولة الإسلامية هي المدينة المنورة فقط ، هذه الدولة لها نفوذ حيث وجد إسلام ، ولها عيون حيث وجد إسلام ، تربطها مع بعض القبائل شيء من المعاهدات ، وكان المطلوب من كل مسلم غير عاجز أو غير مكلف بمهمة تقتضي مقامه حيث هو أن يهاجر إلى المدينة المنورة ويفتح مكة تغيرت الصورة ، فالدولة الإسلامية توسعت حدودها ، وستصل هذه الحدود إلى حيث يخضع الناس لأمر مسلم ولأحكام الإسلام ومن خلال هذا ستأخذ الدولة أبعادها ، وكان رمز ذلك كله أن يدفع الناس الزكاة لمن يوليهم رسول الله ﷺ عليها ، فمنطقة أميرها مقر من رسول الله ﷺ وتدفع الزكاة لمن ولاء رسول الله ﷺ هي جزء من الدولة الإسلامية وسرى في أحداث السنة التاسعة أن هذه القضية كانت من أهم ماركز عليه رسول الله ﷺ بعد الفتح .

٢ - كانت الحركة العسكرية قبل الفتح هي السبيل الوحيد لإيصال الدعوة ، وتجربتنا الرجيع وبئر معونة أثبتتا ذلك . أما بعد الفتح فقد تغيرت المعالم إذ أصبح بالإمكان الدعوة من غير حركة عسكرية ولذلك نجد بعوث الدعوة ووفود المستجيبين أو السائلين والتأثير على الناس وجمع الزكوات أو الجزية أو الخراج أو مااتفق عليه بصلح ، كل هذه المعاني أصبحت تشكل مظاهر الحركة بعد الفتح .

٣ - من مفاتيح الفهم لحركة السنة الثامنة فما بعد أنها أصبحت تستهدف الأوثان والأصنام بشكل مباشر كان تهديم وثن يكلف كثيراً ، ولكن بعد تطهير مكة من الأوثان والأنصاب أصبح استئصال الوثنية سهلاً .

لذلك نجد في أحداث السنة الثامنة والتاسعة والعاشر التركيز على تهديم هذه الأصنام حيث كانت ولم يتوف رسول الله ﷺ إلا وقد زالت الوثنية من أرض العرب من خلال عدد من الإجراءات التي قام بها رسول الله ﷺ .

٤ - قلة من القادة الذين يستطيعون إدراك طاقات الرجال والاستفادة منها وتدريبها وتنيتها وصقلها ، والناجحون هم الذين يضعون الرجل المناسب في المكان المناسب ، وفي

الدعوات التي تقوم على أساس عقديّ أو فكري يعتبر الزمن عاملاً من عوامل التقسيم ، ونَدَر من يستطيع التقدّم بمجرد الدخول في الدعوة ، ولاشك أنّ الاحتياط ضروري ، ولكنّ هناك حالات لامبَر فيها للاحتياط إذا دلت ظواهر قاطعة على النضج والصدق ، والوحي في حياة رسول الله ﷺ والأمارات وفراسة رسول الله ﷺ الصادقة كل ذلك لا يَمَرّ معه كذب الكاذبين ، وبالتالي فبالإمكان أن يستفاد من صدق الصادقين مباشرة والملاحظ أنّه لم يَمَرّ على إسلام خالد وعمر بن العاص إلا فترة قريبة حتى بدأ رسول الله ﷺ يكلفها بمهامّ ويؤمّرهما على من هم أقدم إسلاماً منهما ، وفي ذلك درس للحركة الإسلامية .

٥ - من أحداث السنة الثامنة أنّ بعض عبّدان الطائف فرّوا إلى رسول الله ﷺ فحرّروهم ، ثمّ لم يرجعهم إلى العبوديّة حتّى بعد إسلام سادتهم ولقد دفع كل واحد من هؤلاء إلى رجل يطعمه ويؤويه ويعلمه ، وفي هذه الحادثة درس من أعظم دروس السيرة النبويّة : من ذلك أنّ نقل العبيد إلى الحرّيّة يقتضي إجراءات مناسبة حتّى لا يضيع هؤلاء ومن هذه الدروس وهي أهمّها نقل التكاليف العامّة إلى تكاليف خاصّة ، وهذه من أوائل مهامّ القيادات والأمرء .

فهما كانت الجماعات راقية ، والمجتمعات متكاتفه عارفة بواجباتها فإنّ إمكانيّة ضياع الحقوق والتكاليف العامّة مالم تتحوّل هذه التكاليف العامّة إلى تكليف محدّد لشخص محدّد ، ومن هنا أوجدت المؤسسات والوظائف والجهات المختصّة ، وهذا المعنى نجده بارزاً في حياة رسول الله ﷺ ، فما من تكليف عام إلا وينقله إلى تكليف شخصي ، فههنا عبيد أسلموا فحرّروهم وكلّف بكل واحد منهم من يقوم بأوْدِهِ ، وهذا دأبه عليه الصلاة والسلام في الواجبات العامّة من جهاد إلى تعليم إلى ضيافة إلى غير ذلك من مهام .

السَّنةُ التَّاسِعَةُ لِلْهَجْرَةِ

أحداث السنة التاسعة في سطور

تتميز مرحلة ما بعد الفتح بأنها مرحلة إقبال على الإسلام ، دخل الناس فيها أفواجا فهي من ناحية استمرار لما قبلها في الدعوة والتربية والعلم والقتال ، ومن ناحية أخرى فقد تميزت بكثرة الوفود وبيعوث الدعوة وبيعوث جمع الزكاة وتوزيعها وكثيرا ما يختلف كتاب السير حول وفد أو جامع زكاة متى قدم الأول ، ومتى أرسل الثاني ، ولا يترتب في الغالب على ذلك عمل وقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية الأحداث المشهورة في سنة تسع ، كغزوة تبوك ، وهدم مسجد الضرار . وذكر بمناسبة أن السنة التاسعة هي سنة الوفود ما تيسر له جمعه عن الوفود ، فذكر وفودا وفدت قبل سنة تسع ، ووفودا جاءت سنة تسع . وتتبع في الرحيق المختوم مذكره كتاب السير من أسماء المصدقين الذين أرسلهم رسول الله ﷺ لجمع الزكوات وتوزيعها . كما ذكر أهم أحداث السنة التاسعة ، وعقد للوفود بابا تحدث فيه عن أهمها . ونحن هنا نقدم لك ثبنا بأسماء المصدقين كما أوردها ، وخلاصة بأحداث هذه السنة أحيانا بعبارة وأحيانا باستخلاص من سياقاته ، ثم نقدم لك ثبنا بأسماء الوفود التي وفدت على رسول الله ﷺ في السنة التاسعة أخذا من ابن كثير ، وكل ذلك بين يدي الفصول التي نعقدها لبعض أحداث هذا العام :

- قائمة بأسماء المصدقين إلى القبائل :

- (١) عيينة بن حصن إلى بني تميم .
- (٢) يزيد بن الحَصين إلى أسلم وغِفَار .
- (٣) عبّاد بن بشر الأشْهَلِي إلى سُلَيم ومَرْزِينة .
- (٤) رافع بن مَكِيث إلى جُهَيْنَة .
- (٥) عمرو بن العاص إلى بني قَرَارَة .
- (٦) الضحّاك بن سفيان إلى بني كِلَاب .

- (٧) بشير بن سفيان إلى بني كعب .
 (٨) ابن اللَّتَيْبَةِ الْأَزْدِيَّ إلى بني ذبيان .
 (٩) المهاجر بن أبي أمية إلى صنعاء (وخرج عليه الأسود العنسي وهو بها) .
 (١٠) زياد بن لبيد إلى حضر موت .
 (١١) عدي بن حاتم إلى طيء وبني أسد .
 (١٢) مالك بن نؤيرة إلى بني حنظلة .
 (١٣) الزبرقان بن بدر إلى بني سعد . (إلى قسم منهم) .
 (١٤) قيس بن عاصم إلى بني سعد (إلى قسم آخر منهم) .
 (١٥) العلاء بن الحضرمي إلى البحرين .
 (١٦) علي بن أبي طالب إلى نجران (لجمع الصدقة والجزية كليهما) .

* * *

من أهم أحداث السنة التاسعة

* سرية عيينة بن حصن الفزاري - في المحرم سنة ٩ هـ إلى بني تميم ، في خمسين فارساً ، لم يكن فيهم مهاجري ولا أنصاري . وسببها أن بني تميم كانوا قد أغروا القبائل ، ومنعوم عن أداء ما يستحق عليهم .

وخرج عيينة بن حصن يسير الليل ويكن النهار حتى هجم عليهم في الصحراء فولى القوم مدبرين ، وأخذ منهم أحد عشر رجلاً وإحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبياً ، وساقهم إلى المدينة ، فأنزلوا في دار رملة بنت الحارث . وقَدِمَ فيهم عشرة من رؤسائهم ، ثم أسلموا فأجازهم رسول الله ﷺ ، فأحسن جوائزهم ، ورد عليهم نساءهم وأبناءهم .

* سرية قُطَيْبَةَ بْنِ عَامِرٍ إِلَى حِيٍّ مِنْ خَثْعَمَ بِنَاحِيَةِ تَبَالَةَ ، بِالْقَرَبِ مِنْ تُرَيْبَةَ ، فِي صَفَرِ

سنة ٩ هـ خرج قطبة في عشرين رجلاً على عشرة أبرة يعتقبونها ، فشن الغارة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثر الجرحى في الفريقين جميعاً ، وَقَتِلَ قطبة مع من قُتِلَ ، وساق المسلمون النعم والنساء والشاة إلى المدينة .

✽ سرية الضحاك بن سفيان الكلبي إلى بني كلاب في ربيع الأول سنة ٩ هـ بعث هذه السرية إلى بني كلاب لدعوتهم إلى الإسلام ، فأبوا وقاتلوا فهزمهم المسلمون وقتلوا منهم رجلاً .

✽ سرية علقمة بن مجزز المدلجي إلى سواحل جدة في شهر ربيع الآخر سنة ٩ هـ في ثلاثمائة . بعثهم إلى رجال من الحبشة كانوا قد اجتمعوا بالقرب من سواحل جدة للقيام بأعمال القرصنة ضد أهل مكة ، فحاض علقمة البحر حتى انتهى إلى جزيرة ، فلما سمعوا بمسير المسلمين إليهم هربوا .

✽ سرية علي بن أبي طالب إلى صنم لطبيء يقال له الفلّس - ليهدمه - في شهر ربيع الأول سنة ٩ هـ . بعثه رسول الله ﷺ في خمسين ومائة على مائة بعير وخمسين فرساً ، ومعه راية سوداء ولواء أبيض ، فشنوا الغارة على محلة حاتم مع الفجر ، فهدموه وغنوا . ا هـ من الرحيق .

✽ وفي رجب من سنة ٩ هـ حدثت غزوة تبوك ، وسببها أن رسول الله ﷺ بلغه أن قيصر يعدّ العدة لحرب المسلمين ، وقد جاء المسلمون إلى تبوك على حدود الشام ولم يأت الروم للحرب ، فكان ذلك إثباتاً لقوة الإسلام على حدود الدولة البيزنطية ومحوراً لأثر التراجع الذي تراجع به المسلمون يوم مؤتة . وكانت هذه الغزوة فتحاً كبيراً في مجموع ما انبثق عنها ، فلقد كانت تبوك في هذه الغزوة قاعدة عمليات لرسول الله ﷺ تخض عنها عهود وموادعات وسيطرة واستسلام . وقد ذكر ابن إسحاق عجيء صاحب أيلة وصلحه مع رسول الله ﷺ وإعطائه الجزية ، وعجيء أهل جَرْبَاءَ وأذْرَجَ ومصالحتهم وإعطائهم الجزية ، وبعث خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة وأسرهم ومصالحته على دفع الجزية ، وفي تبوك جاء رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ فرأى من الآيات ولم يكن هرقل متحمساً للصراع مع رسول الله

ﷺ فكانت غزوة تبوك فتحا أشعرت عرب الشام أن رسول الله ﷺ هو سيد الموقف .

* وفي هذه السنة ألى رسول الله ﷺ من أزواجه شهرا .

* وفي هذه السنة وقعت عدة وقائع لها أهمية :

- بعد قدوم رسول الله ﷺ من تبوك وقع اللعان بين عويمر العجلاني وامراته .
- رجعت المرأة الغامدية التي جاءت فاعترفت على نفسها بالفاحشة رجعت بعد ما فطمت ابنها .
- توفي النجاشي أصحمة ، ملك الحبشة . وصلى عليه رسول الله ﷺ صلاة الغائب .
- توفيت أم كلثوم بنت النبي ﷺ ، فحزن عليها حزنا شديداً وقال لعثمان : لو كانت عندي لثالثة لزوجتكها .

- مات رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول بعد مرجع رسول الله ﷺ من تبوك ، فاستغفر له رسول الله ﷺ ، وصلى عليه بعد أن حاول عمر منعه عن الصلاة عليه ، وقد نزل القرآن بعد ذلك بموافقة عمر .

* هدم رسول الله ﷺ مسجد الضرار عند عودته من غزوة تبوك .

* وفي ذي القعدة أو ذي الحجة من السنة التاسعة بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميراً على الحج ليقم بالمسلمين المناسك ، ثم نزلت أوائل سورة براءة التي منعت حجّ المشركين ، وبعث أبو بكر رضي الله عنه رجالا ينادون في الناس ألا يحجّ بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .

* في هذا العام تتابعت الوفود على رسول الله ﷺ ، ولقد بلغ عدد الوفود التي جاءت إلى رسول الله ﷺ سبعين وفدا . وكان حظ هذه السنة من هذه الوفود الحظ الأوفر ، ولم تمض هذه السنة حتّى سيطر الإسلام على الجزيرة العربية كلها تقريبا وهي ماهي مساحة ، وأهلها أكثر خلق الله استعصاء على الانقياد والوحدة ، حتّى إنّه لم يسيطر على جزيرة العرب ولم يوحّدّها أحد قبل محمد ﷺ ، وهاك قائمة ببعض وفود السنة التاسعة :

وفد بني أَسَدٍ - وفد بني عَبَسَ - وفد بني فَرَازَةَ - وفد بني مُرَّة - وفد بني ثُعَلْبَةَ - وفد بني مُحَارِبٍ - وفد بني كِلَابٍ - وفد بني رُؤَاسٍ من كِلَابٍ - وفد بني عَقِيلٍ بن كَعْبٍ - وفد بني قُشَيْرٍ بن كَعْبٍ - وفد بني الْبَكَّاءِ - وفد كِنَانَةَ - وفد أَشْجَعٍ - وفد بَاهِلَةَ - وفد بني سُلَيْمٍ - وفد بني هِلَالٍ بن عامرٍ - وفد بني بَكْرٍ بن وائِلٍ - وفد بني تَغْلِبٍ - وفد ثَقِيفٍ - وفد تُجَيْبٍ - وفد خَوْلَانَ - وفد جَعْفَى - وفد الْأَزْدِ - وفد كِنْدَةَ - وفد الصَّدِيفِ - وفد خُشَيْنٍ - وفد بني سَعْدٍ - وفد بني حَنِيفَةَ - وفد هَمْدَانَ - وفد بَلِيٍّ - وفد عُدْرَةَ - وفد عبد القيس .

تكاد السنوات الأخيرة في حياة رسول الله ﷺ تكون متشابهة : السنة التاسعة والعاشره وجزء من الحادية عشر سنة الوفاة ، فلازالت السرايا تجول ، وحدث في السنة التاسعة غزوة تبوك وهي آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ بنفسه ، ومع السرايا هناك بعوث الدعوة ، وهناك الوفود ، وهناك جمع الصدقات وتوزيعها ، وصَهَرُ الناس وتربيتهم قائم على قدم وساق ، وقد تَوَجَّحَ هذا الصَّهْرُ بِحِجَّةِ الوداع في السنة العاشرة .

فصل : في غزوة تبوك

٦٧٦ - * روى الحاكم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إحدى وعشرين غزوة ، وشهدت معه تسع عشرة غزوة ، وكان آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تبوك .

٦٧٧ - * روى الترمذي عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنهما قال : جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار في كفه حين جهز جيش العسرة ، فينشرها في حجره . قال عبد الرحمن : فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره ، ويقول : « ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم » مرتين .

٦٧٨ - * روى البزار عن ابن عباس قال : قيل لعمر بن الخطاب : حدثنا عن شأن العسرة فقال عمر : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك في قبط شديد ، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستقطع ، حتى إن كان أحدنا يذهب يلتمس الحلاء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته تنقطع ، وحتى إن الرجل لينخر بعيه فيعصر فرقة فيشربه ويضعه على بطنه ، فقال أبو بكر الصديق : يا رسول الله ، إن الله عودك في الدعاء خيراً ، فادع فقال النبي ﷺ « أحب ذلك ياباً بكر » قال : نعم . قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء ، فأظلت ثم سكبت ، فملؤوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر ، فلم نجد لها جاوزت عن العسكر .

٦٧٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنه قال : أرسلني

٦٧٦ - المستدرك (٣ / ٥٦٦) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

٦٧٧ - الترمذي (٥ / ٦٢٦) ٥٠ - كتاب المناقب - ١٩ - باب في مناقب عثمان بن عفان ، رضي الله عنه . وإسناده حسن .

٦٧٨ - كشف الأستار (٢ / ٣٥٤) .

وقال الميثقي في جمع الزوائد (٦ / ١٩٤) : رواه البزار والطبراني في الأوسط ، ورجال البزار ثقات .

الفرث : هوما في الكرش من سرجين .

٦٧٩ - البخاري (٨ / ١١٠) ٦٤ - كتاب المغازي - ٧٨ - باب غزوة تبوك ، وهي غزوة العسرة .

ومسلم واللفظ له (٣ / ١٢٦٩) ٢٧ - كتاب الأيمان - ٣ - باب ندب من حلف بيميناً ، فرأى غيرها خيراً منها ، أن =

أَصْحَابِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَسْأَلُهُ لِمَ الْحَمْلَانِ ، إِذْ هُم مَعَهُ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ ، وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُوكَ ، فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنْ أَصْحَابِي أُرْسَلُونِي إِلَيْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَا أَحْمِلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ » وَوَأَفَقَّتْهُ وَهُوَ غَضْبَانٌ ، وَلَا أَشْعُرُ ، فَارْجَعْتُ حَزِينًا مِنْ مَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَ مِنْ مَخَافَةِ أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ عَلَيَّ ، فَارْجَعْتُ إِلَى أَصْحَابِي ، فَأَخْبَرْتُهُمُ الَّذِي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَلَمْ أَلْبِثُ إِلَّا سَوِيعةً إِذْ سَمِعْتُ بِلَالًا يَنَادِي : أَيُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ؟ فَأَجَبْتُهُ ، فَقَالَ : أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِدَعْوِكَ ، فَلَمَّا أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « خُذْ هَذَيْنِ الْقَرِينَيْنِ ، وَهَذَيْنِ الْقَرِينَيْنِ وَهَذَيْنِ الْقَرِينَيْنِ - لِسِتَّةِ أُبْعُرَةٍ ابْتِغَاءَهُنَّ حِينَئِذٍ مِنْ سَعْدٍ - فَاذْهَبْ بِهِنَّ إِلَى أَصْحَابِكَ ، فَقُلْ : إِنَّ اللَّهَ - أَوْ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - يَحْمِلُكُمْ عَلَى هَؤُلَاءِ ، فَارْكَبُوهُنَّ » قَالَ أَبُو مُوسَى : فَاذْهَبْتُ إِلَى أَصْحَابِي بِهِنَّ ، فَقُلْتُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَحْمِلُكُمْ عَلَى هَؤُلَاءِ ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ ، لَا أَدْعُكُمْ حَتَّى يَنْطَلِقَ مَعِيَ بَعْضُكُمْ إِلَى مَنْ سَمِعَ مَقَالََةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، حِينَ سَأَلْتُهُ لَكُمْ ، وَمَنْعَهُ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ ، ثُمَّ إِعْطَاهُ إِثْيَاءً بَعْدَ ذَلِكَ ، لَا تَتَطَنُّوا أَنِّي حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا لَمْ يَقُلْهُ ، فَقَالُوا لِي : وَاللَّهِ إِنَّكَ عِنْدَنَا لَمُصَدِّقٌ ، وَلَنَفْعَلَنَّ مَا أَحْبَبْتَ ، فَاذْهَبْ أَبُو مُوسَى يَنْفِرْ مِنْهُمْ ، حَتَّى أَتُوا الَّذِينَ سَمِعُوا قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَنْعَهُ إِثْيَاءَهُمْ ، ثُمَّ إِعْطَاهُمْ بَعْدُ ، فَحَدَّثُوهُمْ بِمَا حَدَّثْتُهُمْ بِهِ أَبُو مُوسَى سَوَاءً .

قال ابن حجر في الفتح : فإن غزوة تبوك كانت في شهر رجب من سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف ، وعند ابن عائد من حديث ابن عباس أنها كانت بعد الطائف بستة أشهر ، وليس مخالفاً لقول من قال في رجب إذا حذفنا الكسور ؟ لأنه ﷺ قد دخل المدينة من رجوعه من الطائف في ذي الحجة . وتبوك مكان معروف هو نصف طريق المدينة إلى دمشق ، ويقال بين المدينة وبينه أربع عشرة مرحلة .

وكان السبب فيما ذكره ابن سعد وشيخه وغيره قالوا : بلغ المسامين من الأنباط الذين

يأتي الذي هو خير ، ويكفر عن يمينه .

العمَلان : الجبل ، حملته على الدابة ، أحمله خيلاً وخيلاً ، وذلك أنه جاء يطلب منه شيئاً يركبون عليه .
القرينين : القرين الجبل يُقَرَّنُ بجمل آخر ، فكلاهما قرينان .

يقدّمون بالزيت من الشام إلى المدينة أن الروم جمعت جموعاً ، وأجلبت معهم لحم وجذام وغيرهم من مَنَصَرَةِ العرب ، وجاءت مقدمتهم إلى البلقاء ، فندب النبي ﷺ الناس إلى الخروج ، وأعلمهم بجهة غزوهم كما سيأتي في الكلام على حديث كعب بن مالك . وروى الطبراني من حديث عمران بن حصين قال : (كانت نصارى العرب كتبت إلى هِرَقْلَ : أن هذا الرجل الذي خرج يدّعي النبوة هلك وأصابتهم سِنُونُ فهلكت أموالهم ، فبعث رجلاً من عظمائهم يقال له قباد وجهز معه أربعين ألفاً ، فبلغ النبي ﷺ ذلك ولم يكن للناس قوة ، وكان عثمان قد جهز عيراً إلى الشام فقال : يا رسول الله هذه مائتا بعير بأقتائها وأحلاسها ، ومائتا أوقية ، قال فسمعتة يقول : « لا يضر عثمان ما عمل بعدها » وأخرجه الترمذي والحاكم من حديث عبد الرحمن بن حيان نحوه ، وذكر أبو سعيد في « شرف المصطفى » والبيهقي في « الدلائل » من طريق شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم (أن اليهود قالوا : يا أبا القاسم إن كنت صادقاً فالحق بالشام فإنها أرض المحشر وأرض الأنبياء ، فغزا تبوك لا يريد إلا الشام ، فلما بلغ تبوك أنزل الله تعالى الآيات من سورة بني إسرائيل ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْزِفُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ﴾ ^(١) الآية ، انتهى ، وإسناده حسن مع كونه مرسلًا . أ.هـ

٦٨٠ - « روى أبو داود عن وإثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : نادى رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فخرجت إلى أهلي ، فأقبلت وقد خرج أول صحابة رسول الله ﷺ - فطفت في المدينة أنادي : ألا من يحمل رجلاً له سهمه ، فنادى شيخ من الأنصار ، قال : لنا سهمه على أن نحمله عقبته ، وطعامه معنا ؟ قلت : نعم ، قال : فسر على بركة الله ، قال : فخرجت مع خير صاحب ، حتى أقام الله علينا ، فأصابني قلائص ، فسقتهن حتى أتيته ، فخرج فقعد على حقيبة من حقائب إليه ، ثم قال : سقهن مدبرات ، ثم قال :

(١) الإسراء : ٧٦ .

٦٨٠ - أبو داود (٢ / ٥٥) ، كتاب الجهاد ، باب في الرجل يكره دابته على النصف أو السهم . بسند حسنه بعضهم .

عقبته : حلت فلاناً عقبته : إذا أركبته وقتاً ، وأنزلته وقتاً ، فهو يعقب غيره في الركوب ، أي يجيء بعده .

قلائص : القلائص : جمع قلوص ، وهي الناقة .

سَفَهْنِ مُقْبِلَاتٍ ، فَقَالَ : مَا أَرَى فَلَا يُصَكَّ إِلَّا كِرَامًا ، قَالَ : إِنَّمَا هِيَ غَنِيمَتُكَ الَّتِي شَرِطْتَ لَكَ ، قَالَ : خُذْ فَلَا يُصَكَّ يَا ابْنَ أَخِي ، فَعَبَّرَ سَهْمَكَ أَرَدْنَا .

٦٨١ - * روى الحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما سار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى تبوك جعل لا يزال يتخلف الرجل فيقولون: يا رسول الله تخلف فلان. فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «دعوه، إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه» حتى قيل: يا رسول الله تخلف أبو ذر وأبطأ به بغيره. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «دعوه إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه». فتلوم أبو ذر رضي الله عنه على بغيره فأبطأ عليه، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه، فجعله على ظهره، فخرج يتبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماشياً، ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض منازلهم، ونظر ناظر من المسلمين، فقال: يا رسول الله، هذا رجل يمشي على الطريق. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كن أبا ذر» فلما تأملت القوم قالوا: يا رسول الله هو والله أبو ذر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويُبعث وحده» ف ضرب الدهر من ضربته وسير أبو ذر إلى الرَبَذَةِ، فلما حضرة الموت، أوصى امرأته وعلامة إذا ميت فاعسلاني وكفّناني ثم احملاني فضعاني على قارعة الطريق فأول ركب يمرّون بكم فقولوا هذا أبو ذر، فلما مات فعلوا به كذلك، فاطلّع ركب فما علموا به حتى كادت ركائبهم تطأ سريرة فإذا ابن مسعود في رهط من أهل الكوفة، فقالوا ماهذا؟ فقيل جنازة أبي ذر فاستهل ابن مسعود رضي الله عنه يبكي، فقال: صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويُبعث وحده، فنزل قوليه بنفسه حتى أجنّه، فلما قديموا المدينة ذكر لعثمان قول عبد الله وما ولي منه.

٦٨١ - المستدرک (٣ / ٥٠) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي : فيه إرسال .

تَلَوْمٌ فِي الْأَمْرِ : تَمَكَّثَ .

أَجَنَّهُ : سَتَرَهُ وَدَفَنَهُ .

الرَبَذَةُ : قرية قرب المدينة .

٦٨٢ - *روى البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في غزوة تبوك ، فقال : يا رسول الله ، تخلفني في النساء والصبيان ؟ فقال : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، غير أنه لا نبي بعدي ؟ » .

وفي رواية مثله ^(١) ، ولم يقل فيه : « غير أنه لا نبي بعدي » .
ولمسلم ^(٢) : أن رسول الله ﷺ قال لعلي : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي » .

قال ابن المسيب : فأُخْبِتُ أن أضافه بها سعداً . فلقيت سعداً فحدثتني بما حدثني عامر . فقال : أنا سبعة . فقلت : أنت سبعة ؟ فوضع إصبعه على أذنيه فقال : نعم . وإلا فاستكتنا .

وفي رواية الترمذي مختصراً ^(٣) : أنه قال لعلي : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » .

٦٨٣ - *روى البخاري ومسلم عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك ، فأتينا وادي القرى على حديقة لامرأة ، فقال رسول الله ﷺ : « اخرجوها » فخرصناها ، وخرصها رسول الله ﷺ عشرة أوسق ، وقال : « أخصيها ، حتى نرجع إليك إن شاء الله » وانطلقنا حتى قدمنا تبوك ، فقال رسول الله ﷺ : « ستهب عليكم الليلة ريح شديدة ، فلا يقم فيها أحد منكم ، فمن كان

٦٨١ - البخاري (٨ / ١١٢) ٦٤ - كتاب المغازي - ٧٨ - باب غزوة تبوك .

ومسلم واللفظ له (٤ / ١٨٧٠) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤ - باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(١) مسلم (٤ / ١٨٧١) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤ - باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) مسلم في نفس الموضع السابق (٤ / ١٨٧٠) . استكتنا : أي : ضمتنا .

(٣) الترمذي (٥ / ٦٤١) ٥٠ - كتاب المناقب - باب (٢١) .

٦٨٣ - البخاري (٣ / ٢٤٣) ٢٤ - كتاب الزكاة - ٥٤ - باب خوص التمر .

ومسلم واللفظ له (٤ / ١٧٨٥) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٣ - باب في معجزات النبي ﷺ .

له بعير فليشدَّ عقاله « فهبَّتْ ريح شديدة ، فقام رجل ، فحملته الريح حتى ألقتْهُ بِجَبَلِي طيء وَجَاءَ رَسُولُ ابْنِ الْعَلَمَاءِ صَاحِبِ أُيْلَةٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بكتاب ، وأهدى له بَغْلَةً بِيضَاء ، فكتب إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأهدى له بُرْدًا ، ثم أقبلنا حتى قَدِمْنَا وادي القري ، فسأل رسولُ اللَّهِ ﷺ المرأة عن حديثها : « كم بلغ ثمرها » ؟ فقالت : عشرة أَوْسُق ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إني مُسْرِعٌ ، فمن شاء منكم فليسرُعْ معي ، ومن شاء فليَمْكُثْ » فخرجنا حتى أشرفنا على المدينة ، فقال : « هذه طابئة ، وهذا أُحُدٌ ، وهو جبل يحبنا ونحبه » ثم قال : « إِنَّ خَيْرَ دَوْرٍ الْأَنْصَارِ : دَارُ بَنِي النَّجَارِ ، ثُمَّ دَارُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، ثُمَّ دَارُ بَنِي عَبْدِ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ ، ثُمَّ دَارُ بَنِي سَاعِدَةَ ، وَفِي كُلِّ دَوْرٍ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ » فَلَحِقْنَا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ، فقال أَبُو أُسَيْدٍ : أَلَمْ تَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَيْرَ دَوْرٍ الْأَنْصَارِ ، فَجَعَلْنَا آخِرًا ، فأدرك سعدُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، خَيْرَتِ دَوْرَ الْأَنْصَارِ ، فجعلتنا آخِرًا ؟ فقال : « أَوَ لَيْسَ بِحَسْبِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْخِيَارِ ؟ » .

٦٨٤ - *روى البخاري ومسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالْحِجْرِ قَالَ : « لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا

وادي القري : هو واد بين المدينة والشام وهو بين تباء وخيبر ، من أعمال المدينة ، سَمِيَ وادي القري ؛ لِأَنَّهُ فِي الْوَادِي مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ قَرْيٌ مَنْظُومَةٌ . لَكِنَّمَا الْآنَ خَرَابٌ . وَمِيَاهُهَا جَارِيَةٌ تَنْدَقُّ ضَائِعَةٌ لَا يَنْتَفِعُ بِهَا أَحَدٌ . فَتَحَهَا النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ فَتْحِ خَيْبَرَ سَنَةِ سَبْعٍ .

اخْرُصُوا : خَرَصَ النَّخْلُ : حَزَرَ مَقْدَارَ ثَمَرِهَا .

أَوْسُقٌ : هُوَ جَمْعُ وَسْقٍ . قَالَ فِي النِّهَايَةِ : الْوَسْقُ : سِتُونَ صَاعًا ، وَهُوَ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَعِشْرُونَ رَطْلًا عِنْدَ أَهْلِ الْحِجَازِ وَأَرْبَعُمِائَةٍ وَثَمَانُونَ رَطْلًا عِنْدَ أَهْلِ الْعِرَاقِ . أَيِ مِائِمَادِلٍ ١٥٠ كِفِّ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ ، وَمِائِمَادِلٍ ٢٢٥ كِفِّ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ .

بِجَبَلِي طيء : هُمَا مَشْهُورَانِ . يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا : أَجَأٌ . وَالْآخَرُ سَلْسَى . وَطَيْءٌ عَلَى وَزْنِ سَيْدٍ ، وَهُوَ أَبُو قَبِيلَةٍ .

طابئة : اسْمُ الْمَدِينَةِ ، سَمَّاها بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَكَذَلِكَ « طَبِيَّةٌ » وَهِيَ مِنَ الطَّيِّبِ .

فائدة : فِي الرَّجُلِ الَّذِي حَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ بِجَبَلِي طَيْءٍ : إِنْ هَذَا الرَّجُلُ أَهْدَتْهُ طَيْءٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ .

٦٨٤ - البخاري (٨ / ١٢٥) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨٠ - باب نزول النبي ﷺ بِالْحِجْرِ .

ومسلم نحوه (٤ / ٢٢٨٥) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق - ١ - باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بِأَكْيَنَ .

أَصَابَهُمْ ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ » ثُمَّ قَنَعَ رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ ، حَتَّى أَجَازَ الْوَادِي .
 وَفِي أُخْرَى لِلْبُخَارِيِّ ^(١) : أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِ الْحِجْرِ : « لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ
 الْمَعْدِيِّينَ ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ » .
 وَفِي أُخْرَى لِمُسْلِمٍ ^(٢) : أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِ الْحِجْرِ : « لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ
 الْمَعْدِيِّينَ . . . » ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَهُ .

٦٨٥ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : إِنَّ النَّاسَ
 نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْحِجْرِ - أَرْضٍ ثَمُودَ - فَاسْتَقَوْا مِنْ آبَارِهَا ، وَعَجَنُوا بِهِ
 الْعَجِينَ ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَهْرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا وَيَعْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ
 يَسْتَقُوا مِنَ الْبُئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ .

وَلِلْبُخَارِيِّ ^(٣) : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، لَمَّا نَزَلَ الْحِجَرَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَهُمْ : أَنْ لَا
 يَشْرَبُوا مِنْ بَيَارِهَا ، وَلَا يَسْتَقُوا مِنْهَا ، فَقَالُوا : قَدْ عَجَنَّا مِنْهَا وَاسْتَقَيْنَا ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ
 أَنْ يَطْرَحُوا ذَلِكَ الْعَجِينَ ، وَيَهْرِيقُوا ذَلِكَ الْمَاءَ .

٦٨٦ * رَوَى أَحْمَدُ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا نَزَلَ الْحِجَرَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ،
 قَامَ يَخْطُبُ النَّاسَ ، فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! لَا تَسْأَلُوا نَبِيَّكُمْ عَنِ الْآيَاتِ ، أَوْ لَا
 تَسْأَلُوا نَبِيَّكُمْ الْآيَاتِ ، فَإِنْ قَوْمٌ صَالِحٌ سَأَلُوا نَبِيَّهِمْ أَنْ يَبْعَثَ لَهُمْ آيَةً ، فَبَعَثَ اللَّهُ
 تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُمُ النَّاقَةَ ، فَكَانَتْ تَرِدُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ ، فَتَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْمَ وَرُدِّهَا ،

(١) الْبُخَارِيُّ (٨ / ١٢٥) ٦٤ - كِتَابُ الْمَغَازِي - ٨٠ - بَابُ نَزُولِ النَّبِيِّ ﷺ الْحِجَرَ .

(٢) مُسْلِمٌ (٤ / ٢٢٨٥) ٥٣ - كِتَابُ الزَّهْدِ وَالرَّقَائِقِ - ١ - بَابُ لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ : [لَا أَنْ
 تَكُونُوا بَاكِينَ .

٦٨٥ - الْبُخَارِيُّ (٦ / ٣٧٨) ٦٠ - كِتَابُ الْأَنْبِيَاءِ - ١٧ - بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى [٧٣ : الْأَعْرَافِ] : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ
 شُعَيْبًا ﴾ وَقَوْلُهُ [٨٠ : الْحَجَرِ] : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ ﴾ .

وَمُسْلِمٌ وَاللَّفْظُ لَهُ (٤ / ٢٢٨٦) ٥٣ - كِتَابُ الزَّهْدِ وَالرَّقَائِقِ - ١ - بَابُ لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، إِلَّا أَنْ
 (٣) الْبُخَارِيُّ (٦ / ٣٧٨) ٦٠ - كِتَابُ الْأَنْبِيَاءِ - ١٧ - بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى [٧٣ : الْأَعْرَافِ] : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾
 وَقَوْلُهُ [٨٠ : الْحَجَرِ] : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ ﴾ .

٦٨٦ - كَشَفُ الْأَسْتَارِ (٢ / ٣٥٦) وَمُسْنَدُ أَحْمَدَ (١ / ٢٩٦) نَحْوَهُ .

وَتَصُدُّرَ مِنْ هَذَا الْفَجِّ ، فَعَتُّوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ، فَعَقَرُوا النَّاقَةَ ، فَقِيلَ لَهُمْ : تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، أَوْ قِيلَ لَهُمْ : إِنْ الْعَذَابَ يَأْتِيكُمْ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ جَاءَتْهُمْ الصَّيْحَةُ ، فَأَهْلَكَ اللَّهُ مَنْ كَانَ تَحْتَ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلًا كَانَ فِي خَزْمِ اللَّهِ ، فَفَنَعَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ « قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : « أَبُو رِغَالٍ » قِيلَ : وَمَنْ أَبُو رِغَالٍ ؟ قَالَ : « جَدُّ ثَقِيفٍ » .

٦٨٧ - * رَوَى الْحَاكِمُ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، فَقَالَ لِي : « إِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ » قَالَ : قُلْتُ : أَجَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « أَمَّا رَأْسُ الْأَمْرِ فَالْإِسْلَامُ وَأَمَّا عَمُودُهُ فَالصَّلَاةُ ، وَأَمَّا ذِرْوَةُ سَنَامِهِ فَالْجِهَادُ » .

٦٨٨ - * رَوَى أَحْمَدُ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ : لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَ مُنَادِيًا ، فَنَادَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ آخِذَ الْعَقَبَةِ ، فَلَا يَأْخُذْهَا أَحَدٌ ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُودُهُ حَذِيفَةُ وَيَسُوقُ بِهِ عِمَارٌ إِذْ أَقْبَلَ رَهْطٌ مُتَلَثِّمُونَ عَلَى الرَّوَاحِلِ ، حَتَّى غَشَوْا عِمَارًا وَهُوَ يَسُوقُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَقْبَلَ عِمَارٌ يَضْرِبُ وَجْهَ الرَّوَاحِلِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَذِيفَةَ . « قَدْ قَدْ » حَتَّى هَبَطَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا هَبَطَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ ، وَرَجَعَ عِمَارٌ فَقَالَ : « يَا عِمَارُ هَلْ عَرَفْتَ الْقَوْمَ » فَقَالَ : قَدْ عَرَفْتُ غَمَامَةَ الرَّوَاحِلِ ، وَالْقَوْمَ مُتَلَثِّمُونَ . قَالَ : « هَلْ تَدْرِي مَا أَرَادُوا » ؟ قَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : « أَرَادُوا أَنْ يَنْفِرُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَطْرَحُوهُ » قَالَ : فَسَابَّ عِمَارٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا مِنْ

= قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٦ / ٦) : رواه الطبراني في الأوسط والبخاري وأحمد بنحوه ، ورجال أحمد رجال الصحيح

عموا : عَتَا عَتُوً وَجَتِيًا : استكبروا وجاوز الحد . فهو عَاتٍ .
لمعروا : أي : نغروا .

٦٨٧ - المستدرک (٧٦ / ٢) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره زوائد الذهبي .

٦٨٨ - أحمد في مسنده (٤٥٣ / ٥) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٥ / ٦) : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .
قد أقد : حسبي حسبي .

ينفروا برسول الله : أرادوا أن ينفروا ناقة رسول الله ﷺ ليقع عنها .

أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ كَمْ تَعْلَمُ كَانَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ فَقَالَ : أَرْبَعَةَ عَشَرَ . فَقَالَ : إِنْ كُنْتُ فِيهِمْ فَقَدْ كَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ ، فَقَدْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ قَالُوا : وَاللَّهِ مَا سَمِعْنَا مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَمَا عَلِمْنَا مَا أَرَادَ الْقَوْمُ . فَقَالَ عَمَّارٌ : أَشْهَدُ أَنَّ الْاِثْنَيْ عَشَرَ الْبَاقِينَ حَرَبَ اللَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ . قَالَ الْوَلِيدُ : وَذَكَرَ أَبُو الطَّفَيْلِ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلنَّاسِ ، ذَكِّرْ لَهْ أَنْ فِي الْمَاءِ قِلَّةٌ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنَادِيًا فَنَادَى : « أَنْ لَا يَرِدَ الْمَاءَ أَحَدٌ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » فَوَرَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ رَهْطًا قَدْ وَرَدَوْهُ قَبْلَهُ فَلَعَنَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ .

٦٨٩ - * روى أحمد والبخاري عن حذيفة قال : خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَبَلَغَهُ أَنَّ فِي الْمَاءِ قِلَّةٌ فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى فِي النَّاسِ : « أَنْ لَا يَسْبِقَنِي فِي الْمَاءِ أَحَدٌ » فَأَتَى الْمَاءَ وَقَدِ سَبَقَهُ قَوْمٌ فَلَعَنَهُمْ .

٦٩٠ - * روى الطبراني عن حمزة بن عمرو الأسلمي قال : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ وَكُنْتُ عَلَى خِدْمَتِهِ ذَلِكَ السَّفَرُ ، فَتَنَظَّرْتُ إِلَى نَحْيِ السَّمْنِ قَدْ قُلَّ مَا فِيهِ ، وَهَيَّأْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا فَوَضَعْتُ النَّحْيَ فِي الشَّمْسِ وَنِمْتُ ، فَاسْتَبْهَتُ بِجَرِيرِ النَّحْيِ ، فَقُمْتُ فَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ بِيَدَيَّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَرَأَيْتُ : « لَوْ تَرَكْتَهُ لَسَالَ وَادِيًا سَمْنًا » .

٦٩١ - * روى البخاري ومسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ ، وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ

= لا يرد الماء أحد قبل رسول الله ﷺ : لِيَبَارَكَ فِيهِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِجَهُ النَّاسُ ، وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِ أَنْ يَدْعُو فِي الشَّيْءِ الْقَلِيلِ فَيَكْثُرُهُ اللَّهُ .

٦٨٩ - أحمد في مسنده (٣٩١ / ٥) .

البخاري نحوه : كشف الأستار (٢ / ٣٥٧) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٩٥) : رواه أحمد والبخاري بنحوه ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

٦٩٠ - المعجم الكبير (٣ / ١٦٠) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٩١) .

رواه الطبراني من طريقين ، إحداهما في علامات النبوة ، ورجالها وثقوا .

النيضي ، بالكسر : الزق ، أو ما كان للسنن خاصة .

٦٩١ - البخاري (٨ / ١١٣) ٦٤ - كتاب المفازي - ٧٩ - باب حديث كعب بن مالك ، وقول الله عز وجل : [١٨ :

التوبة] : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا ﴾ .

=

عنه من تبييه حين عمي قال : سمعت كعب بن مالك رضي الله عنه يحدث بحديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك . قال كعب بن مالك : لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك ، غير أنني قد تخلفت في غزوة بدر ، ولم يمتأب أحداً تخلف عنه ، إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون غير قریش حتى جمع الله تعالى بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد . ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين توافقنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كنت بذر أذكر في الناس منها . وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ ، في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى غيرها حتى كانت تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً ، واستقبل عدواً كثيراً ، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجههم الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ ، يريد بذلك الديوان ، قال كعب : فقل رجل يريد أن يتغيب إلا يظن أن ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحى من الله ، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فأنا إليها أصغر فتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، وطيقت أغدو لكي أتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض شيئاً ، وأقول في نفسي : أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك

= ومسلم واللفظ له (٤ / ٢١٢٠) ٤٩ - كتاب التوبة - ٩ - باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه .

غير : العير : الإبل والحير تحمل الميرة والتجارة ، ونحو ذلك .

توافقنا : التوافق : تفاعل من الميثاق ، وهو العهد والحلف .

راحتين : الراحلة : الجمل والناقة الفويان على الأسفار والأحمال ، وإهاء فيه للبالغة ، كداهية ، وراوية ، وقيل :

إنما سُميت راحلة ، لأنها ترحل ، أي : تحمل ، فهي فاعلة بمعنى مفعولة ، كقوله تعالى ﴿ في عيشة راضية ﴾

[الحاقة : ٢١] أي : مرضية .

ورى عن الشيء : إذا أخفاه وذكر غيره .

مفازاً : المفاز والمفازة البرية العفر، سُميت بذلك تفاقولاً بالنور والنجاة ، وقيل : بل هو من قولهم : فَوَزَ : إذا مات .

فجلا : جلا الشيء : إذا كشفه ، أي : أظهر للناس مقصده .

بوجههم : جهتهم التي يستقبلونها ومقصدهم .

يَتَمَادَى بِي حَتَّى اسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَادِيًا وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ . وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جِهَازِي شَيْئًا . ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتَمَادَى بِي حَتَّى أُسْرِعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ . فَهَمَمْتُ أَنْ أُرْتَحِلَ فَأَذَرِكَهُمْ . فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ ، ثُمَّ لَمْ يَقْدِرْ ذَلِكَ لِي ، فَطَفِئْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْزَنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أَسْوَةً ، إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوسًا عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ ، أَوْ رَجُلًا مِّنْ عَذَرِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الضُّعَفَاءِ ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ : « مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ؟ » فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ ، وَالنَّظَرُ فِي عِطْفِيهِ . فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : بِئْسَ مَا قُلْتَ ! وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأَى رَجُلًا مُبِيضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كُنْ أَبَا حَيْثِمَةَ » فَإِذَا هُوَ أَبُو حَيْثِمَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ ، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ : فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَنِي ، فَطَفِئْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ : بِهِ أَخْرَجَ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا ؟ وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي ، فَلَمَّا قِيلَ لِي : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُو مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ ، وَصَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا ، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ

أَصْنَعُ : أُمِيلُ .

اسْتَمَرَّ الْجِدُّ : أَيِ تَتَابَعَ الاجْتِهَادُ فِي السَّيْرِ .

يَتَمَادَى : التَّجَادَى : التَّطَاوُلُ وَالتَّأَخُّرُ .

تَفَارَطَ الْغَزْوُ : تَقَدَّمَ وَتَبَاعَدَ : أَيِ . بَعْدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْمَسَافَةِ .

طَفِئْتُ : مَثَلُ جَفَلْتُ .

أَسْوَةٌ : الْأَسْوَةُ - بِكسْرِ الهمزة وضمة - : الْقُدْوَةُ .

مَغْمُوسًا : الْمَغْمُوسُ : الْمَغِيبُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ بِالْعَيْبِ .

وَالنَّظَرُ فِي عِطْفِيهِ : يُقَالُ : فَلَانٌ يَنْظُرُ فِي عِطْفِيهِ إِذَا كَانَ مُعْجَبًا بِنَفْسِهِ .

يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ : زَالَ بِهِ السَّرَابُ يَزُولُ : إِذَا ظَهَرَ شَخْصٌ خَيَالًا فِيهِ .

لَمَزَهُ : اللَّمَزَ : الْعَيْبَ .

قَافِلًا : الْقَافِلُ : الرَّاجِعُ مِنْ سَفَرِهِ إِلَى وَطَنِهِ .

بَنِي : الْبَنِيُّ : أَشَدُّ الْحُزْنِ ، كَأَنَّهُ مِنْ شِدَّتِهِ يَبْنُو صَاحِبَهُ أَيِ يَظْهَرُهُ .

رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ فَطَفِقُوا يَتَعَذَّرُونَ إِلَيْهِ وَيَخْلَفُونَ لَهُ ، وَكَانُوا بَضْعًا وَثَمَانِينَ رَجُلًا . فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ . وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَعْفَرَ لَهُمْ . وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى جِئْتُ . فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّ تَبَسُّمَ الْمَغْضَبِ ثُمَّ قَالَ : « تَعَالَ » فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لِي : « مَا خَلَّفَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتِغْتَ ظَهْرَكَ ؟ » قَالَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعَذْرِ . لَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا ، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذَبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِّطَكَ عَلَيَّ ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَقَبَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي عَذْرٌ ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أُيَسِّرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ » . وَسَارَ رَجَالٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَاتَّبَعُونِي . فَقَالُوا لِي : وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنُبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا ، لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ بِهِ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ فَقَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبَكَ اسْتَغْفَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَكَ . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤْتِبُونَنِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَكْذَبَ نَفْسِي ، قَالَ : ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ : هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِيَ مِنْ أَحَدٍ ؟ قَالُوا : نَعَمْ لَقِيَهِ مَعَكَ رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ ، قَالَ قُلْتُ : مَنْ هُمَا ؟ قَالُوا ، مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعُمَرِيُّ ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ ؟ قَالَ : فَذَكَرُوا

أَظَلَّ : الإِطْلَالُ : الدُّنُو ، وَأَظْلَكَ فَلَانٌ : أَي دَنَا مِنْكَ ، كَأَنَّهُ أَلْقَى عَلَيْكَ ظِلَّهُ .

زَاخَ عَنِ الْأَمْرِ : زَالَ وَذَهَبَ .

فَأَجَمْتُ : أَجَمْتُ عَلَى الشَّيْءِ : إِذَا عَزِمْتُ عَلَى فَعْلِهِ .

الْمُخَلَّفُونَ : جَمْعُ مُخَلَّفٍ ، وَهُمْ الْمُتَأَخَّرُونَ عَنِ الْغَزْوِ ، خَلَّفَهُمْ أَصْحَابُهُمْ بَعْدَهُمْ فَتَخَلَّفُوا .

بَضْعَةٌ : الْبَضْعُ : مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى السَّعَةِ مِنَ الْعَدَدِ .

وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ : وَكَلَّمَ الشَّيْءَ إِلَيْكَ : أَي رَدَّدْتَهُ إِلَيْكَ ، وَجَعَلْتَهُ إِلَيْكَ . وَالْمُرَادُ بِهِ : أَنَّهُ صَرَفَ بَوَاطِنَهُمْ إِلَى عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى .

ظَهْرَكَ : الظُّهْرُ هُنَا : عِبَارَةٌ عَمَّا يُرَكَّبُ .

لَيُوشِكَنَّ : أَوْشَكَ يَوْشِكُ : إِذَا أَسْرَعَ .

تَجِدُ : تَجِدُ مِنَ الْمَوْجِدَةِ : الْغَضَبِ .

يُؤْتِبُونَنِي : التَّائِبِينَ : الْمَلَامَةَ وَالتَّوْبِيخَ .

لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسُوءَ . قَالَ : فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي . قَالَ :
وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ ، قَالَ : فَاجْتَنَبْنَا
النَّاسَ . وَقَالَ : تَغَيَّرُوا لَنَا - حَتَّى تَنْكَرْتُ لِي فِي نَفْسِي الْأَرْضُ ، فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي
أَعْرِفُ ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خُمُسِينَ لَيْلَةً ، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكْنَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ ،
وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ ، فَكُنْتُ أَخْرَجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا
يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ ، وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَأَقُولُ فِي
نَفْسِي : هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بَرْدَ السَّلَامِ أَمْ لَا ؟ ثُمَّ أَصْلِي قَرِيبًا مِنْهُ وَأَسَارِقُهُ النَّظَرَ ، فَإِذَا
أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ ، وَإِذَا التَّمْتُ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي ، حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ
مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ
النَّاسِ إِلَيَّ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ قَوْلًا مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ
هَلْ تَعْلَمُنِي أَحَبُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ﷺ ؟ فَسَكَتَ ، فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ فَسَكَتَ : فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ
فَقَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَقَاضَتْ عَيْنَايَ ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ ، فَبَيَّنَّا أَنَا أُمُشِي
فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبْطِيٌّ مِنْ نَبْطِ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ :
مَنْ يَذُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ؟ قَالَ : فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ حَتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ
كِتَابًا مِنْ مَلِكِ عَسَانَ ، وَكُنْتُ كَاتِبًا . فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ
قَدْ خَفَاكَ ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بَدَارَ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ ، فَالْحَقُّ بِنَا نَوَاسِكَ ، قَالَ : فَقُلْتُ حِينَ
قَرَأْتُهَا : وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنَوُّرَ فَسَجَرْتُهَا بِهَا ، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ
مِنَ الْخُمُسِينَ وَاسْتَلْبَثْتُ الْوَحْيَ ، إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَأْتِينِي ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ

تَسَوَّرْتُ الجدار : إذا ارتفعت فوقه وعلوته .

= فاستكانا : الاستكانة : الخضوع .

نبطي : واحد من قوم الأعاجم وهو الفلاح .

الطعام : القمح .

مضيعة : المضيعة : مقفلة من الضياع : الأطراح والهوان ، كذا أصله ، فلما كانت عين الكلمة ياءً ، وهي مكسورة ،

نقلت حركتها إلى الفاء وسكنت الياء ، فصارت بوزن مغيثة ، والتقدير فيها سواء ، لأنها من ضاع وعاش .

نوايسك : اللواصة : المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق ونحو ذلك .

فتيممت : التيمم : القصد .

استلثت : استغفل ، من لبث : إذا أقام وأبطأ .

ﷺ يَا مُرَّكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ فَقُلْتُ : أَطْلَقُهَا ، أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ اعْتَزِلْهَا فَلَا تَقْرَبْنَهَا ، قَالَ : فَأُرْسَلُ إِلَى صَاحِبِي بِمِثْلِ ذَلِكَ . قَالَ : فَقُلْتُ لَامْرَأَتِي : الْحَقِّي بِأَهْلِكَ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، قَالَ : فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هِلَالَ بْنِ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ ؟ قَالَ : « لَا ، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكَ » فَقَالَتْ : إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ مِنْ حَرَكَةٍ إِلَى شَيْءٍ ، وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا . قَالَ : فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي : لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ ، فَقَدْ أَذِنَ لَامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ ؟ قَالَ : فَقُلْتُ : لَا اسْتَأْذِنَ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَمَا يُذِرْنِي مَاذَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتَهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ ! فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ ، فَكَمَلْتُ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَيْ عَنْ كَلَامِنَا .

قَالَ : ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ نَيْتٍ مِنْ بَيْتِنَا ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَّا ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْقَى عَلَى سُلْعٍ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَبْشِرْ ، قَالَ : فَخَرَرْتُ سَاجِدًا ، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ قَرَجٌ . قَالَ : فَأَذَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَذَهَبَ النَّاسُ يَبْتَشِرُونَنَا ، فَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبِي مَبْشُرُونَ ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا وَسَعَى سَاعِدٍ مِنْ أَسْلَمَ قَيْلِي وَأَوْقَى الْجَبَلِ ، فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يَبْتَشِرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبِي فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ ، وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا فَأَنْطَلَقْتُ أَتَأْتِمُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَلَقَانِي النَّاسُ قَوْجًا قَوْجًا يَهْتَفُونَني بِالتَّوْبَةِ وَيَقُولُونَ :

= رَحْبَةً : الرُّحْبُ : السَّعَةُ .

أَوْقَى : عَلَى الشَّيْءِ : إِذَا أَشْرَفَ عَلَيْهِ .

سُلْعٌ : جَبَلٌ فِي أَرْضِ الْمَدِينَةِ .

رَكَضَ : الرُّكُضُ : ضَرْبُ الرَّاكِبِ الْفَرَسِ بِرِجْلَيْهِ لِيُسْرِعَ فِي الْغَدْوِ .

أَذَّنَ : أَعْلَمَ .

أَتَأْتِمُّ : بِمَعْنَى : أَتَيْتُمْ : أَيِ أَقْصَدَ .

قَوْجًا : الْفَوْجُ : الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ .

لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ ، حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحَوْلَهُ النَّاسُ ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَهْرُولُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَأَنِي ، وَاللَّهِ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ ، قَالَ : فَكَانَ كَعَبٍّ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ . قَالَ كَعَبٌ : فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ ، وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ وَيَقُولُ : « أَبَشِّرْ بِخَيْرٍ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدْتِكَ أُمُّكَ » فَقُلْتُ : أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ؟ قَالَ : « لَا ، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ وَجْهُهُ قِطْعَةً قَمَرٍ ، قَالَ : وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ ، قَالَ : فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخِلَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أُمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهَوَّ خَيْرٌ لَكَ » قَالَ فَقُلْتُ : فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بَخِيرَ . قَالَ : وَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصَّدَقِ ، وَإِنْ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيَ ، قَالَ : قَوْلَ اللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَنْ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا أُبْلَانِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ، وَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا بَقِيَ ، قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ ١ حَتَّى بَلَغَ : ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَوْفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ حَتَّى بَلَغَ : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ ٢ (١) قَالَ كَعَبٌ : وَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذِبْتُهُ ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ سَيَخْلِفُونِ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيُغَرَضُوا عَنْهُمْ

= يَبْرُقُ : يَبْرُقُ وَجْهُهُ : إِذَا لَمَعَ وَظَهَرَ عَلَيْهِ أَمَارَاتُ السُّرُورِ وَالْفَرَحِ .

أَنْخِلَ مِنْ مَالِي : أَيِ أَخْرَجَ مِنْ جَمِيعِهِ ، كَمَا يَخْلَعُ الْإِنْسَانُ قَمِيصَهُ .

سَاعَةُ الْعُسْرَةِ : نُبَيِّ جَيْشُ تَبُوكَ جَيْشُ الْعُسْرَةِ ، لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَذَبَ النَّاسَ إِلَى الْغَزْوِ فِي شِدَّةِ الْحَرْ ، فَعَسَرَ

عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ وَقْتُ إِدْرَاكِ النَّارِ .

(١) التَّوْبَةُ : ١١٧ - ١١٩ .

فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١﴾ .

قال كعب : كُنَّا خُلَفَا أَيْهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَلَفُوا لَهُ ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا ﴾ وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ مِنَّا خُلَفَا تَخَلَّفْنَا عَنِ الْغَزْوِ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِزْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَنْ خَلْفٍ لَهُ وَاعْتِذَارٍ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ .

وفي رواية (٢) : وَهِيَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ كَلَامِي وَكَلَامِ صَاحِبِي ، وَلَمْ يَنْهَ عَنْ كَلَامِ أَحَدٍ مِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ غَيْرِنَا ، فَاجْتَنَبَ النَّاسُ كَلَامَنَا ، فَلَبِثْتُ كَذَلِكَ ، حَتَّى طَالَ عَلَيَّ الْأَمْرُ وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَهْمَ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمُوتَ ، فَلَا يُصَلِّيَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ أَوْ يَمُوتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأَكُونَ مِنَ النَّاسِ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ ، فَلَا يَكَلِّمُنِي أَحَدٌ مِنْهُمْ ، وَلَا يُصَلِّيَ عَلَيَّ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَوْبَتَنَا عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ ، حِينَ بَقِيَ الثَّلَاثُ الْآخِرُ مِنَ اللَّيْلِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مُحْسِنَةً فِي شَأْنِي مَعْنِيَةً فِي أَمْرِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا أُمَّ سَلَمَةَ ، تَيْبَ عَلَى كَعْبٍ » ، قَالَتْ : أَفَلَا أُرْسِلَ إِلَيْهِ فَأُبَشِّرُهُ ؟ قَالَ : « إِذَا يَحْطِمْكُمْ النَّاسُ ، فَيَمْنَعُونَكُمْ النَّوْمَ سَائِرَ اللَّيْلِ » حَتَّى إِذَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْفَجْرِ ، آذَنَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا .

وفي رواية (٣) : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ الْخَيْسِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الْخَيْسِ .

= رَجَسٌ : الرَّجْسُ : النَّجَسُ .

(١) التَّوْبَةُ : ٩٥ - ٩٦ .

إِزْجَاءٌ : الْإِزْجَاءُ : التَّأْخِيرُ .

(٢) البخاري (٨ / ٣٤٢) ٦٥ - كتاب التفسير - ١٨ - باب ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿ إِنَّ اللَّهَ

هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴾ .

يَحْطِمْكُمْ النَّاسُ : أَيِ يَطْوُونَكُمْ وَيَزْدَحِمُونَ عَلَيْكُمْ ، وَأَصْلُ الْحَطْمِ : الْكَسْرُ .

(٣) البخاري (٦ / ١١٣) ٥٦ - كتاب الجهاد - ١٠٣ - باب من أَرَادَ غَزْوَةَ فُورَى بِغَيْرِهَا ، وَمَنْ أَحَبَّ الْخُرُوجَ يَوْمَ الْخَيْسِ .

وفي رواية ^(١) : طَرَفَ من هذا الحديث ، وفيها زيادة معنى : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كان لا يقدِّم من سَفَرٍ إلا نهاراً في الضُّحَى ، فإذا قَدِمَ بدأ بالمسجد فصلّى فيه ركعتين ، ثم جلس فيه .

قال محقق الجامع : في هذا الحديث فوائد كثيرة ، منها : إباحة الغنيمة لهذه الأمة ، إذ قال : يريدون غيراً لقريش ، وفضيلة أهل بدر والعقبة ، والمبايعة مع الإمام ، وجواز الحلف من غير استحلاف ، وتورية المقصد إذا دعت إليه ضرورة ، والتأسف على مافات من الخير ، وبقية التأسف عليه ، ورد الغيبة ، وهجران أهل البدعة ، وأن للإمام أن يؤدب بعض أصحابه بإمساك الكلام عنه ، واستحباب صلاة القادم ، ودخوله المسجد أولاً ، وتوجه الناس إليه عند قدومه ، والحكم بالظاهر وقبول المعاذير ، واستحباب البكاء على نفسه ، وأن مسارقة النظر في الصلاة لا تبطلها ، وفضيلة الصدق ، وأن السلام ورده كلام ، وجواز دخول بستان صديقه بغير إذنه ، وأن الكتابة لا يقع بها الطلاق ما لم ينوه . وإيثار طاعة الله ورسوله على مودة القريب ، وخدمة المرأة لزوجها ، والاحتياط بمجانبة ما يخاف منه الوقوع في منهي عنه ، إذ إن كعباً لم يستأذن في خدمة امرأته لذلك ، وجواز إحراق ورقة فيها ذكر الله تعالى إذا كان لمصلحة ، واستحباب التبشير عند تجدد النعمة واندفاع الكربة ، واجتماع الناس عند الإمام في الأمور المهمة ، وسروره بما ينسر أصحابه ، والتصدق بشيء عند ارتفاع الحزن ، والنهي عن التصديق بكل المال عند خوف عدم الصبر ، وإجازة التبشير بخلة ، وتخصيص اليقين بالنية ، وجواز العارية ومصافحة القادم ، والقيام له ، واستحباب سجدة الشكر ، والتزام مداومة الخير الذي انتفع به .

فائدة : قال الدكتور السباعي :

وفي غزوة تبوك أو العسرة آيات بينات على ما يفعله الإيمان الصادق في نفوس المؤمنين من إثارة عزائمهم للقتال واندفاع أيديهم في بذل المال ومن استعدادهم الحر والعناء والتعب

(١) مسلم (١ / ٤٩٦) ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - ١٢ - باب استحباب الركعتين في المسجد لمن قدم من سفر أول قدومه .

الشديد في سبيل الله ومرضاته ، ولذلك لما تخلف ثلاثة من المؤمنين الصادقين في إيمانهم عن هذه الغزوة من غير عذر ، أمر الرسول ﷺ بمقاطعتهم ، فامتنع أزواجهم وأبائهم عن مكالتهم فضلاً عن جمهور المسلمين . وقد ربط بعضهم نفسه بعمد المسجد ، واحتبس آخر نفسه في البيت ، حتى تاب الله عليهم بعد أن أخذ المسلمون درساً بليغاً فيمن يتخلف عن أداء الواجب لغير عذر ، ويؤثر الراحة على التعب ، والظل الظليل على حر الشمس وشدها .

* * *

فصل : في أسر أكيدر دومة الجندل

٦٩٢ - * روى أبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة فأخذه ، فأتوه به ، فحقن له دمه وصالحه على الجزية .

* * *

وصل : إسلام عروة بن مسعود

٦٩٣ - * روى الطبراني عن عروة يعني ابن الزبير قال : لما أنشأ الناس الحج سنة تسع ، قدم عروة بن مسعود على رسول الله ﷺ مسلماً فاستأذن رسول الله ﷺ أن يرجع إلى قومه ، فقال رسول الله ﷺ : « إني أخاف أن يقتلوك » قال لو وجدوني نائماً ما أيقظوني . فأذن له رسول الله ﷺ . فرجع إلى قومه مسلماً . فرجع عشاء فجاء ثقيف يحيونه ، فدعاهم إلى الإسلام فاتهموه وأغضبوه وأسمعوه فقتلوه . فقال رسول الله ﷺ : « مثل عروة مثل صاحب ياسين دعا قومه إلى الله فقتلوه » .

* * *

٦٩٢ - أبو داود (١٦٦ / ٣) ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب في أخذ الجزية . إسناده حسن .
دومة الجندل : بفتح الدال وضما : موضع .

أكيدر : هو صاحبها ، وهو أكيدر بن عبد الملك .

حقن : حقنت دمه : إذا منعت من قتله ، والحقن : الجمع .

في ابن هشام : أكيدر دومة : رجل من كندة كان ملكاً عليها وكان نصرانياً . ١ هـ .
ويقال : إنه من غسان .

وأكيدر هو أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل - بفتح الدال وضما - وهي على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول ﷺ ، وهي قرى وحصن بين الشام والمدينة قرب جبلي طيء ، كان ينزلها بنو كنانة من كلب ، وبينها وبين وادي القرى أربع ليال إلى تيماء .

٦٩٣ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٢٨٦) ، وقال : رواه الطبراني ، وروي عن الزهري نحوه ، وكلاهما مرسل ، وإسنادهما حسن .

فصل : في الحج سنة تسع

٦٩٤ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر، وأمره أن ينادي بهؤلاء الكلمات ، ثم أتبعه عليا ، فبينما أبو بكر في بعض الطريق ، إذ سمع رغاء ناقه رسول الله ﷺ القصواء ، فخرج أبو بكر فرعا فظن أنه رسول الله ﷺ ، فإذا هو علي ، فدفع إليه كتاب رسول الله ﷺ ، وأمر عليا أن ينادي بهؤلاء الكلمات فأنطلقا ، فحجا ، فقام علي أيام التشريق فنادى : ذمة الله ورسوله بريئة من كل مشرك ، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ، ولا يحجن بعد العام مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا مؤمن ، وكان علي ينادي ، فإذا عي قام أبو بكر ، فنادى بها .

٦٩٥ - * وروى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بعث النبي ﷺ بـ (براءة) مع أبي بكر ، ثم دعا فقال : « لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي » .
فدعا عليا ، فأعطاه إياه .

٦٩٦ - * روى الحاكم عن أبي هريرة قال : كنت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أهل مكة براءة . فقيل : ما كنتم تنادون فقال : كنا ننادي أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد فأجله ومدة عهده إلى أربعة أشهر ، فإذا مضت الأربعة الأشهر فإن الله بريء من المشركين ورسوله ، ولا يحج مشرك . فكنت أناادي حتى صحت صوتي .

* * *

٦٩٤ - الترمذي (٥ / ٢٧٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ١٠ - باب « ومن سورة التوبة » . وإسناده حسن .

الرغاء : صوت البعير .

القصواء : بالمد : لقب ناقه رسول الله ﷺ ، ولم تكن قصواء ، فإن القصواء : هي المشقوقة الأذن من النوق .
ذمة الله : الذمة : العهد والأمان .
ساح : في الأرض : إذا ذهب منها حيث أراد .

٥٩٥ - الترمذي في نفس الموضع السابق ، وقال : هذا حديث حسن غريب .

٦٩٦ - المستدرک (٤ / ١٧٩) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

صحت الصوت : إذا نبح .

فصل : في تهديم ذي الخَلَصَةِ

٦٩٧ - * روى البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : كَانَ بُيْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُقَالُ لَهُ : ذُو الْخَلَصَةِ ، وَالْكَعْبَةُ الْيَانِيَّةُ ، وَالْكَعْبَةُ الشَّامِيَّةُ ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : « أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ ؟ » فَتَفَرَّتْ فِي مَائَةِ وَخَمْسِينَ رَاكِبًا ، فَكَسَرْنَاهُ ، وَقَتَلْنَا مَنْ وَجَدْنَا عِنْدَهُ ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَأَخْبَرْتُهُ ، فَدَعَا لَنَا وَلِأَحْمَسَ .

وفي رواية^(١) عن جرير قال لي رسول الله ﷺ : « أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ ؟ » فقلت : بلى . فانطلقتُ في خمسين ومائة فارس من أحْمَسَ ، وكانوا أصحابَ خيل وكنتُ لَا أُثَبِتُ عَلَى الْخَيْلِ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَضَرَبَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ يَدِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ : « اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا » قَالَ : فَمَا وَقَعْتُ عَنْ فَرَسٍ بَعْدُ . قَالَ : وَكَانَ ذُو الْخَلَصَةِ بَيْتًا بِالْبَلَدِ لِحُثْمٍ وَبَجِيلَةٍ فِيهِ نَصَبٌ تَعَبَدَ ، يُقَالُ لَهُ الْكَعْبَةُ . قَالَ : فَأَتَاهَا فَحَرَّقَهَا بِالنَّارِ وَكَسَرَهَا . قَالَ : وَلَمَّا قَدِمَ جَرِيرٌ الْيَمَنَ كَانَ بِهَا رَجُلٌ يَسْتَقْسِمُ بِالْأَزْلَامِ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَاهُنَا ، فَإِنْ قَدَّرَ عَلَيْكَ ضَرْبَ عُنُقِكَ . قَالَ : فَبَيْنَا هُوَ يَضْرِبُ بِهَا إِذْ وَقَفَ عَلَيْهِ جَرِيرٌ فَقَالَ : لَتَكْسِرَنَّهَا وَلَتَشْهَدَنَّ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَوْ لِأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ . قَالَ : فَكَسَرَهَا وَشَهِدَ . ثُمَّ بَعَثَ جَرِيرٌ رَجُلًا مِنْ أَحْمَسَ يُكْنَى أَبَا أَرْطَاةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَبْشُرُهُ بِذَلِكَ . فَلَمَّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا جِئْتُ حَتَّى تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا جَمْلٌ أَجْرَبَ ، قَالَ فَبَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خَيْلِ أَحْمَسَ وَرَجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ .

٦٩٧ - البخاري (٨ / ٧٠) - ٦٤ - كتاب المغازي - ٦٢ - باب غزوة ذي الخَلَصَةِ .

ومسلم (٤ / ١٩٢٥) - ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٩ - باب من فضائل جرير بن عبد الله ، رضي الله تعالى عنه .

(١) البخاري (٨ / ٧٠) - ٦٤ - كتاب المغازي - ٦٢ - باب غزوة ذي الخَلَصَةِ .

ومسلم بعضه (٤ / ١٩٢٥) - ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٩ - باب من فضائل جرير بن عبد الله ، رضي الله تعالى عنه .

ذِي الْخَلَصَةِ : الْخَلَصَةُ : قِيلَ : كَانَ اسْمُ صَنْمٍ لِدُوسٍ ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ ، وَقِيلَ ذُو الْخَلَصَةِ : هُوَ الْبَيْتُ الَّذِي كَانَ لِحُثْمٍ بِالْبَلَدِ ، يَحْجُونَ إِلَيْهِ تَشْبِيهَا بِبَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ .

يَسْتَقْسِمُ بِالْأَزْلَامِ : الْأَزْلَامُ : الْقِدَاحُ ، كَانُوا يَتَفَاءَلُونَ بِهَا عِنْدَمَا يَمْرُضُ لَهُمْ مِنَ الْحَاجَاتِ ، كَالسُّفَرِ وَالزَّوْجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَكَانَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا : أَفْعَلْ ، لَا تَفْعَلْ ، فَمَا خَرَجَ لَهُ مِنْهَا كَانَ يَتَّبِعُهُ : إِمَّا أَمْرٌ وَإِمَّا نَهْيٌ ، وَالِاسْتِقْسَامُ : طَلَبُ مَا قَسَمَ لَهُمْ مِمَّا هُوَ مُتَعَيِّبٌ عَنْهُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَصَلَحٍ وَفَسَادٍ .

جَمْلٌ أَجْرَبُ : شَبَّهَ مَا بِهَا مِنْ أَثَارِ النَّارِ وَالْإِحْرَاقِ بِالْجَمْلِ الْأَجْرَبِ .

قال ابن حجر في الفتح :

وقد وقع ذكر ذي الخَلَصَةِ في حديث أبي هريرة عند الشيخين في كتاب الفتن مرفوعا « لا تقوم الساعة حتى تضطرب ألياتُ نساءِ دُوسٍ حولَ ذي الخَلَصَةِ وكان صنا تعبده دوس في الجاهلية . والذي يظهر لي أنه غير المراد في حديث الباب ، وإن كان السهيلي يشير إلى اتحادها ؛ لأن دُوسا قبيلة أبي هريرة وهم ينتسبون إلى دوس بن عَدْثَان بضم المهملة وبعد الدال الساكنة مثلثة ابن عبد الله بن زهران ، ينتهي نسبهم إلى الأزد ، فبينهم وبين خثعم تباين في النسب والبلد . وذكر ابن دُحْيَةَ أن ذا الخَلَصَةِ المراد في حديث أبي هريرة كان عمرو بن لُحَيٍّ قد نصبه أسفل مكة ، وكانوا يلبسونه القلائد ويجعلون عليه بيض النعام ويدبحون عنده ، وأما الذي لُخِثِم فكانوا قد بنوا بيتا يضاهاون به الكعبة فظهر الافتراق وقوي التعدد . والله أعلم . قوله (والكعبة اليانية والكعبة الشامية) كذا فيه ، قيل وهو غلط والصواب اليانية فقط ، سموها بذلك مضاهاة للكعبة ، والكعبة البيت الحرام بالنسبة لمن يكون جهة الين شامية فسموا التي بمكة شامية والتي عندهم يمانية تفريقا بينهما . والذي يظهر لي أن الذي في الرواية صواب وأنها كان يقال لها اليانية باعتبار كونها بالين والشامية باعتبار أنهم جعلوا بابها مقابل الشام .

وقال تعليقا على أن من كان مع جرير كانوا مائة وخمسين :

وجدت في « كتاب الصحابة لابن السكن » أنهم كانوا أكثر من ذلك ، فذكر عن قيس ابن غربة الأحسي أنه وفد في خمسمائة ، قال : وقدم جرير في قومه وقدم الحجاج بن ذي الأعين في مائتين ، قال : وضم إلينا ثلاثمائة من الأنصار وغيرهم ، فغزونا بني خثعم . فكان المائة والخمسين هم قوم جرير وتكلم المائتين أتباعهم وكأن الرواية التي فيها سبعمائة من كان من رهط جرير وقيس بن غربة لأن الخمسين كانوا من قبيلة واحدة ، وغربة بفتح المعجمة والراء المهملة بعدها موحدة ضبطه الأكثر .

وقوله « يَسْتَقْسِمُ » أي يستخرج غيب ما يريد فعله من خير أو شر ، وقد حرم الله ذلك بقوله تعالى ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ﴾ ^(١) وحكى أبو الفرج الأصبهاني أنهم كانوا

يستقسمون عند ذي الخلصة ، وأن أمراً القيس لما خرج يطلب بثأر أبيه استقسم عنده فخرج له ما يكره ، فشب الصم ورماه بالحجارة وأنشد :

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا لم تنه عن قتل العُداة زورا

قال : فلم يستقسم عنده أحد بعد حتى جاء الإسلام . قلت : وحديث الباب يدل على أنهم استمروا يستقسمون عنده حتى نهاهم الإسلام ، وكأن الذي استقسم عنده بعد ذلك لم يبلغه التحريم أو لم يكن أسلم حتى زجره جرير .

وقوله (ألا تريحي) هو بتخفيف اللام طلب يتضمن الأمر ، وخص جريرا بذلك لأنها كانت في بلاد قومه وكان هو من أشرفهم ، والمراد بالراحة راحة القلب ، وما كان شيء أتعب لقلب النبي ﷺ من بقاء ما يشرك به من دون الله تعالى . وروى الحاكم في « الإكليل » من حديث البراء بن عازب قال : قدم على النبي ﷺ مائة رجل من بني بَجِيلَة وبني قَشِير مع جرير بن عبد الله ، فسأله عن بني خثعم فأخبره أنهم أبوا أن يجيبوا إلى الإسلام ، فاستعمله على عامة من كان معه ، وندب معه ثلاثمائة من الأنصار ، وأمره أن يسير إلى خثعم ، فيدعوهم ثلاثة أيام . فإن أجابوا إلى الإسلام قبل منهم وهدم صنهم ذا الخلصة ، وإلا وضع فيهم السيف .

قوله (فدعا لنا ولأَحْمَسَ) بمهمله وزن أحر وهم إخوة بَجِيلَة بفتح الموحدة وكسر الجيم رهط جرير ، ينتسبون إلى أَحْمَسَ بن الغوث بن أنمار ، وبَجِيلَة امرأة نسبت إليها القبيلة المشهورة ، ومدار نسبهم أيضا على أنمار . وفي العرب قبيلة أخرى يقال لها : أَحْمَسُ ليست مرادة هنا ينتسبون إلى أَحْمَسَ بن ضُبَيْعَة بن رَبِيعَة بن نزار . ووقع في الرواية التي بعد هذه « فبارك في خيل أَحْمَسَ ورجالها خمس مَرَّاتٍ » أي دعا لهم بالبركة . ووقع عند الإسماعيلي من رواية ابن شهاب عن إسماعيل بن أبي خالد « فدعا لأَحْمَسَ بالبركة » .

وفي الحديث : مشروعية إزالة ما يَفْتَتِنُ به الناس من بناء وغيره سواء كان إنسانا أو حيوانا أو جمادا ، وفيه استئالة نفوس القوم بتأخير من هو منهم ، والاستئالة بالدعاء والثناء والبشارة في الفتوح ، وفضل ركوب الخيل في الحرب ، وقبول خبر الواحد ، والمبالغة في

نكاية العدو ، ومناقب جرير ولقومه ، وبركة يد النبي ﷺ ودعائه ، وأنه كان يدعو وترا
وقد يجاوز الثلاث . وفيه تخصيص لعموم قول أنس (كان إذا دعا دعا ثلاثا) فيحمل على
الغالب ، وكأنّ الزيادة لمعنى اقتضى ذلك ، وهو ظاهر في أحسن ما اعتدوه من دحض الكفر
ونصر الإسلام ولأسبًا مع القوم الذين هم منهم .

* * *

تقويم الموقف في نهاية السنة التاسعة

* إذا سلم شعب لإنسان بأن يجبي منه مالا ولم يجد له خياراً في ذلك فقد سلم له بالسلطة ، ومن هنا كان إرسال المصدقين هذا العام وجبايتهم المال هو في الحقيقة رمزاً للتسليم لسلطان رسول الله ﷺ واعترافاً بالدولة الإسلامية ، لذلك ارتبطت الردة بهذا الموضوع وارتبط منع مال الزكاة بعدم الاعتراف بالحكم فقال قائل المرتدين :

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيما لعباد الله ما لأبي بكر
أخلفه بكر إذا قام بعده وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

* جمع المال من مكان وتوزيعه في نفس ذلك المكان فيه معان كبيرة ، فيه إشعار للفقراء والمستضعفين والمساكين ببركة الخضوع لسلطان الإسلام ، وفي ذلك ربط مُحْكَم لهؤلاء بالدولة الإسلامية وإظهار المانعين بأنهم أعداء لشعبهم الفقير وهكذا يؤخذ الاعتراف بالدولة عن طريق ليس لأحد فيه خيار آخر ، وتلك من مظاهر الفطرية الإسلامية التي تصل إلى أعظم الأشياء من أقرب طريق .

* إقبال الوفود بهذه الكثرة وبهذا التسليم هو أثر عن مجموعة أمور كلها تدل على إحكام العمل بتوفيق الله ، فحرارة إيمان الدعاة ، وعمليات التعرض ، والانتصارات المتلاحقة ، والمعجزات اليومية والسياسة الحكيمة ، وحسن التعامل مع النفس البشرية ، وإشعار الناس أن أرباحهم في الإسلام أكبر من خسائرهم كل ذلك أدى دوره في أن تصبح الجزيرة العربية واعدة ومسلمة مسلمة .

* الهبة العسكرية كانت عاملاً حاسماً ، ومناطحة الرومان مرة بعد مرة أشعرت الجميع أنهم أمام سلطان لا يقهر ، وكان ذلك هو الأساس للتحرك اللاحق بعد وفاة رسول الله ﷺ في الصدام مع الدولتين العظيمين وقتذاك .

* إن نجاح الصادقين يغري الكاذبين والطامحين بسلوك طريقهم ، وطرح دعاوى يزعمون أنها تشابه الحقائق التي يدعو إليها الأنبياء . ومن هنا نبئت نابتة دعاوى النبوة على أثر الانتصارات الكاسحة . ومن هنا تأتي دعاوى الأسود العنسي ومسيلمة وطلحة وسجاح . . .

* كما أن فتح مكة كان من الناحية الاستراتيجية فتحاً للجزيرة العربية كلها ، فإن الإعلان في حجّ هذا العام ألا يحجّ بعد العام مشرك ، وألا يطوف به غريبان كان من الناحية الاستراتيجية إنهاء للشرك في جزيرة العرب .

* الملاحظ أن الوفود قبل الفتح كانت فردية في الغالب أمّا بعد الفتح فقد كانت جماعية .

* بعد سير طويل لم يبق فيه لأحد حجة أصبح الحساب عسيرا ، فما لم يكن يحاسب عليه الصف لم يعد يتحمّل من الصف ولم يعد يتساهل فيه ، فيوم أحد انفصل ثلث الجيش ولم يحاسب رسول الله ﷺ أحداً ولم يعاقبه ، ولكنه ههنا حاسب وعاقب كما فعل بكعب وزميليه ، ذلك أنه لم يعد لأحد حجة ، فالمعجزات كثيرة ، والقيادة على مستوى ليس له مثيل ، ونجاحاتها متلاحقة وآفاقها أرقى من كل أفق ، ومن ههنا نأخذ درساً وهو أن الصف الإسلامي عندما يكون مريضاً أو ضعيفاً لا ينبغي أن يتشدد بالحساب وإنما عليه في هذه الحالة أن يعالج أزمة الثقة وأن يحسن التخطيط والانتقال من الطور الأدنى إلى ما هو أعلى .

* من خلال غزوة تبوك ونزول سورة براءة فيها ندرك أن الجهاد هو المحك ، فهو المحك لإيمان الأشخاص ، وهو المحك لنضج الصف ، وهو المحك للحالة التي وصلت إليها الأمة .

* بغزوة تبوك نقل رسول الله ﷺ الصراع من داخل الجزيرة العربية إلى خارجها ، وهي السياسة التي سيتابعها أبو بكر وعمر وعثمان حتى حدوث الفتنة . وهذه السياسة تحقّق أكثر من هدف بأن واحد : شغلّ الناس بالعدوّ الخارجيّ ، وفي الوقت نفسه تربية الصف وإنضاجه وتفتيح آفاقه من خلال الجهاد ، فهناك رسالة لشعب يجب أن يؤدّيها .

* توطّد في السنة التاسعة سلطان الدولة الإسلامية وتأكّد ، وأصبحت سيطرة رسول الله ﷺ على الجزيرة العربية كاملة ، وليس له من عدوّ إلا مطارداً . وبعد أن كان المسلمون أفراداً في بحار شرك أصبح المشركون جزراً صغيرة في بحار الإسلام ، وهم محكومون بحكمه ، مطاردون مستهدفون ممنوعون من الحج إلا بالإسلام ، مجبرون على الإسلام ودفع الزكاة . وكلّ ذلك كان مقدمة لحج رسول الله ﷺ في العام العاشر ليجتمع بأكبر قدر من الناس في جزيرة العرب فيعلمهم ويربيهم ويصهرهم .

السَّنَتَانِ الْعَاشِرَةُ وَالْحَادِيَةُ عَشْرَةُ

أحداث هاتين السنتين في سطور

قلنا إنّ مرحلة ما بعد الفتح تكاد تكون واحدة متشابهة ومتشابهة : بعوث ووفود مع أحداث بارزة في كلّ من السنوات الثلاث التي أعقبت الفتح ، فالمعلّم البارز في السنة التاسعة هو غزوة تبوك ، والمعلم البارز في السنة العاشرة هو حجة الوداع ، والمعلّم البارز في السنة الحادية عشرة هو وفاته عليه الصلاة والسلام بأبي هو وأمّي - لذلك جعلنا الحديث عن السنة العاشرة والحادية عشرة موصولاً ؛ لأنّ العام العاشر للهجرة كان عام الترتيب لتسليم اللواء إلى من سيحملون راية الإسلام بعده عليه الصلاة والسلام .

* * *

وقد ذكر ابن كثير في أحداث السنة العاشرة بعض بعوث رسول الله ﷺ إلى اليمن : بعث خالد بن ولي بن أبي طالب وأبي موسى ومعاذ بن جبل ، كما ذكر حجّته وبعض التهديدات التي قدّمت لوفاته عليه الصلاة والسلام ، وذكر في أحداث السنة الحادية عشر وفاته وما صاحب ذلك من ترتيباته عليه الصلاة والسلام للحاضر والمستقبل .

وإذن ففسي سنة عشر :

* تتابعت الوفود على رسول الله ﷺ ، وتابعت عليه الصلاة والسلام إرسال البعثات للدعوة إلى الله وتعليم الناس ، وخاصة إلى اليمن .

* وحجّ رسول الله ﷺ في هذا العام حجة الوداع التي تسمى كذلك بحجة البلاغ وحجة الإسلام ، وكانت أكبر ظاهرة في تاريخ جزيرة العرب ، وأعظم تجمع للساميين وأكبر عملية صهر بالإسلام جماعية ، وأروع عملية تعليم تتم من خلال الاختلاط والتوجيه والتعليم .

* وكانت كثير من تصرفاته عليه الصلاة والسلام في هذا العام تدل على أنّه مودّع ، فقد اعتكف في رمضان هذا العام عشرين يوماً وكان من عادته أن يعتكف عشرة فقط ، ولقد دارسه جبريل القرآن في رمضان هذا مرتين ، وكان من عادته أن يدارسه إياه مرة واحدة .

وفي سنة إحدى عشرة :

* بعد العودة من الحج أخذ رسول الله ﷺ يرتب لما بعد وفاته ، ومن ذلك إعداده جيش أسامة بن زيد لغزو الروم وقد كان ذلك في صفر ، ومرض رسول الله ﷺ وهذا الجيش يتجمع حول المدينة ، وقد جعل مرض رسول الله ﷺ الناس يترقبون بالانطلاق نحو الهدف ، حتى إذا توفي رسول الله ﷺ كان هذا الجيش جاهزا للحركة وكانت حركته عنوانا على أن الدولة الإسلامية مستمرة .

* وفي اليوم التاسع والعشرين من صفر سنة ١١ هـ بدأ المرض برسول الله ﷺ ، واستمر المرض حتى حدثت الوفاة حين اشتد الضحى من يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ وله عليه الصلاة والسلام ثلاث وستون سنة وأربعة أيام على أرجح الأقوال ، وصلى الناس عليه أرسالاً ولا يؤمهم أحد ، وذفن في بيت عائشة رضي الله عنها الذي توفي فيه وصلى عليه أولا عشيرته ، ثم المهاجرون ، ثم الأنصار ، وصلى عليه النساء بعد الرجال ، ثم صلى عليه الصبيان ، ومضى في ذلك يوم الثلاثاء كاملا حتى دخلت ليلة الأربعاء فواروه فيها التراب بأبي هو وأمي .

ونحن ههنا عاقدون عدة فصول :

فصل : في غاذج من بعوث السنة العاشرة والحادية عشرة .

فصل : في غاذج من وفود هاتين السنتين .

فصل : في حجة الوداع .

فصل : في حادثة الوفاة .

ثم نقوم الوضع عند وفاة رسول الله ﷺ .

وستكلم في الباب السادس عن أصحابه وخلفائه وأزواجه وآل بيته ، وكيف أن الإسلام امتد واشتد ونا وترعرع وملأ الخافقين ببركة المؤسس وقوة التأسيس .

* * *

فصل : في نماذج من البعوث

١ - بعث خالد وعلي إلى اليمن قبل حجة الوداع :

٦٩٨ - * روى البخاري عن أبي إسحاق السبيعي قال : سَمِعْتُ الْبَرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى الْيَمَنِ . قَالَ : ثُمَّ بَعَثَ عَلِيًّا بَعْدَ ذَلِكَ مَكَانَهُ فَقَالَ : مَرَأَصْحَابَ خَالِدٍ : مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ أَنْ يُعَقَّبَ مَعَكَ فَلْيُعَقَّبْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُقْبَلْ ، فَكُنْتُ فِيمَنْ عَقَّبَ مَعَهُ ، قَالَ : فَغَنِمْتُ أَوَاقِي دَوَاتٍ عَدَدَ .

٦٦٩ - * روى البخاري عن بُرَيْدَةَ قَالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا إِلَى خَالِدٍ لِيَقْبِضَ الْخَمْسَ ؛ وَكُنْتُ أَبْغِضُ عَلِيًّا وَقَدْ أَغْتَسَلْتُ ، فَقُلْتُ لَخَالِدٍ : أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا ؟ فَلَمَّا قَدَمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : « يَا بُرَيْدَةُ أَتُبْغِضُ عَلِيًّا ؟ » فَقُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : « لَا تُبْغِضْهُ ، فَإِنَّ لَهُ فِي الْخَمْسِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ » .

قال ابن حجر في الفتح :

قوله (فإن له في الخمس أكثر من ذلك) في رواية عبد الجليل « فوالذي نفس محمد بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة » وزاد « قال : فما كان أحد من الناس أحب إلي من علي » وأخرج أحمد هذا الحديث من طريق أجليح الكندي عن عبد الله بن بُرَيْدَةَ بطوله وزاد في آخره « لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي ، وأخرجه أحمد أيضاً والنسائي من طريق سعيد بن عبيدة عن عبد الله بن بريدة مختصراً وفي آخره « فإذا النبي ﷺ قد أحمر وجهه يقول : من كنت وليه فعلي وليه » وأخرجه الحاكم من هذا الوجه مطولاً وفيه قصة الجارية نحو رواية عبد الجليل ، وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً ، قال أبو ذر الهروي : إنما أبغض الصحابي علياً لأنه رآه أخذ من المغنم ، فظن أنه غل ، فلما أعلمه

٦٩٨ - البخاري (٨ / ٦٥) ٦٤ - كتاب المغازي - ٦١ - بعث علي بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع .

أن يعقب : إذا غزا الإنسان ، ثم ثنى من سنته مرة أخرى ، قيل : قد عَقِبَ ، ويقال : تعقبت خير من غزوة .
٦٩٩ - البخاري (٨ / ٦٦) ٦٤ - كتاب المغازي - ٦١ - بعث علي بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع .

النبي ﷺ أنه أخذ أقل من حقه أحبه وهو تأويل حسن ، لكن يبعده صدر الحديث الذي أخرجه أحمد فلعل سبب البغض كان لمعنى آخر وزال بنهي النبي ﷺ لهم عن بغضه . وقد استشكل وقوع عليّ على الجارية بغير استبراء ، وكذلك قسمته لنفسه ، فأما الأول فمحمول على أنها كانت بكرأ غير بالغ ورأى أن مثلها لا يستبرأ كما صار إليه غيره من الصحابة ، ويجوز أن تكون حاضت عقب صيرورتها له ثم طهرت بعد يوم وليلة ثم وقع عليها وليس ما يدفعه ، وأما القسمة فجائزة في مثل ذلك من هو شريك فيما يقسمه كالإمام إذا قسم بين الرعية وهو منهم ، فكذلك من نصبه الإمام قام مقامه . وقد أجاب الخطابي بالثاني ، وأجاب عن الأول لاحتمال أن تكون عذراء أو دون البلوغ أو أداه اجتهاده أن لا استبراء فيها ، ويؤخذ من الحديث جواز التسري على بنت رسول الله ﷺ بخلاف التزويج عليها لما وقع في حديث المسور في كتاب النكاح . أ.هـ .

٧٠٠ - * روى الترمذي عن البراء أن النبي ﷺ بعث جيشين وأمر عليّ أحدهما علي بن أبي طالب وعليّ الآخر خالد بن الوليد فقال : « إذا كان القتال فعليّ » قال : فافتتح عليّ حصناً فأخذ منه جارية ، فكتب معي خالد بن الوليد إلى النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم يثني به ، فقدمت عليّ النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم فقرأ الكتاب فتغير لونه ثم قال : « ما ترى في رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ؟ » قال : قلت : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله وإنما أنا رسول ، فسكت .

٢ - بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن :

٧٠١ - * روى البخاري عن أبي بردة : قال : بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن ، قال : وبعث كل واحد منهما على مخلص ، قال : « واليمن مخلصان » ثم قال : « يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا » . فانطلق كل واحد منهما إلى عمله ،

٧٠٠ - الترمذي (٤ / ٢٠٧) ٢٤ - كتاب الجهاد - ٢٦ - باب ما جاء من يستعمل على الحرب ، وقال : هذا حديث حسن غريب . وهو كما قال .

٧٠١ - البخاري (٨ / ٦٠) ٦٤ - كتاب المغازي - ٦٠ - باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع .
المخلاف : في اليمن : كالمثاق ، ولكل خلاف في اليمن : اسم يعرف به . وهو كالديرية أو المحافظة في الاصطلاح الحديث أتم هذا : أي : أي شيء هذا ؟ فحذف ألف (ما) تخفيفاً .

وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا سَارَ فِي أَرْضِهِ كَانَ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَخَذَتْ بِهِ عَهْدًا ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَسَارَ مُعَاذٌ فِي أَرْضِهِ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَبِي مُوسَى ، فَجَاءَ يَسِيرٌ عَلَى بَعْلَتِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ ، وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ وَقَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ ، وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ قَدْ جَمِعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ : يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ : أَيْمٌ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ ، قَالَ : لَا أَنْزِلُ حَتَّى يَقْتُلَ ، قَالَ : إِنَّمَا جِيءَ بِهِ لِذَلِكَ ، فَاَنْزِلْ ، قَالَ : مَا أَنْزِلُ حَتَّى يَقْتُلَ ، فَأَمَرَ بِهِ فُقْتُلَ ، ثُمَّ نَزَلَ ، فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، كَيْفَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قَالَ : أَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقًا ، قَالَ : فَكَيْفَ تَقْرَأُ أَنْتَ يَا مُعَاذٌ ؟ قَالَ : أَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ ، فَأَقُومُ وَقَدْ فَضِيتُ جُزْئِي مِنَ النَّوْمِ ، فَأَقْرَأُ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي ، فَأُحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أُحْتَسِبُ قَوْمَتِي .

٧٠٢ - * روى البخاري ومسلم . عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه قال : بعث النبي ﷺ جدّه أبا موسى ومُعَاذًا إِلَى الْبَيْنِ فَقَالَ : « يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفِرَا وَتَطَاوَعَا » فَقَالَ أَبُو مُوسَى : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنْ أَرْضَنَا بِهَا شَرَابٌ مِنَ الشَّعِيرِ : الْمِزْرُ ، وَشَرَابٌ مِنَ الْعَسَلِ : الْبِتْعُ . فَقَالَ : « كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ » فَانْطَلَقَا . فَقَالَ مُعَاذٌ لِأَبِي مُوسَى : كَيْفَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قَالَ : قَائِمًا وَقَاعِدًا وَعَلَى رَاحِلَتِي ، وَأَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقًا . قَالَ : أَمَا أَنَا فَاْنَامُ وَأَقُومُ ، فَأُحْتَسِبُ نَوْمَتِي ، كَمَا أُحْتَسِبُ قَوْمَتِي . وَضَرَبَ قُسْطَاطًا فَجَعَلَ يَتَزَاوَرَانِ ، فَزَارَ مُعَاذٌ أَبَا مُوسَى ، فِإِذَا رَجُلٌ مُوثِقٌ . فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقَالَ أَبُو مُوسَى : يَهُودِيٌّ أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ . فَقَالَ مُعَاذٌ : لِأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ .

٧٠٣ - * روى الحاكم عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : كَانَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ شَابًّا خَلِيًّا مِنْ أَفْضَلِ شَبَابِ قَوْمِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ يُمْسِكُ شَيْئًا ، فَلَمْ يَزَلْ يُدَانُ حَتَّى أُغْرِقَ مَالُهُ ، كُلُّهُ فِي الدِّينِ فَآتَى النَّبِيَّ ﷺ غَرْمَاوُهُ ، فَلَوْ تَزَكُوا أَحَدًا مِنْ أَجْلِ أَحَدٍ لَتَرَكُوا مُعَاذًا مِنْ أَجْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَبَاعَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

= أَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقًا : أَقْرَأُهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ ، وَوَقْتًا بَعْدَ وَقْتٍ ، مِنْ فَوْاقِ النَّاقَةِ ، وَهُوَ أَنْ تَحْلِبَ ، ثُمَّ تَتْرَكَ سَاعَةً حَتَّى تَدْرَ ، ثُمَّ تَحْلِبَ .

٧٠٢ - البخاري (٨ / ٦٢) ٦٤ - كتاب المغازي - ٦٠ - باب بعث أبي موسى ومُعَاذٍ إِلَى الْبَيْنِ قَبْلَ حِجَّةِ الْوَدَاعِ .
ومسلم نحوه (٣ / ١٥٨٦) ٣٦ - كتاب الأشربة - ٧ - باب بيان أن كل مسكر خمر ، وأن كل خمر حرام .

٧٠٣ - المستدرک (٣ / ٢٧٢) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره الذهبي . *

مَالَهُ ، حَتَّى قَامَ مُعَاذٌ بِغَيْرِ شَيْءٍ .

وذلك سر إرسال معاذ إلى الين ، وقد أرسله النبي ﷺ إلى الين لعل الله 'يرزقه بدل ماله رزقاً حسناً .

٧٠٤ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى الين : « إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فإن هم أطاعوا بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة . فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم . فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب » .

وفي رواية لمسلم^(١) عن ابن عباس عن معاذ بن جبل ، قال : بعثني رسول الله ﷺ ، فقال : « إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله . . . وذكر الحديث بنحوه فيكون حينئذ من مسند معاذ .

٧٠٥ - * روى البخاري عن عمرو بن ميثم عن رجيمه الله أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى الين ، فقرأ معاذ في صلاة الصبح سورة النساء ، فلما قال ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾^(٢) قال رجل خلفه : قرأت عَيْنُ أم إبراهيم .

٧٠٦ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى قال : أقبلت إلى النبي ﷺ ومعى رجلان

٧٠٤ - البخاري (٨ / ٦٤) - كتاب المغازي - ٦٠ - باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى الين قبل حجة الوداع .

ومسلم (١ / ٥١) - كتاب الإيمان - ٧ - باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام .
فإياك وكرائم أموالهم : اجتنب كرائم الأموال ، وهي خيائرها ونفائسها ، وما يكره على أصحابها ويعز عليهم ، جمع كريمة ، فلا تأخذ في الصدقة ، واخذ الوسط ، لا العالي ولا النازل الرديء .

(١) مسلم (١ / ٥٠) - كتاب الإيمان - ٧ - باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام .

٧٠٥ - البخاري (٨ / ٦٥) - كتاب المغازي - ٦٠ - باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى الين قبل حجة الوداع .

(٢) النساء : ١٢٥ .

٧٠٦ - البخاري (١٢ / ٢٦٨) - كتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتلهم - ٢ - باب حكم المرتد والمرتدة واستنابتهن . =

مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ ، أَحَدَهُمَا عَنْ يَمِينِي ، وَالْآخَرَ عَنْ يَسَارِي ، فَكِلَاهُمَا سَأَلَ الْعَمَلَ ، وَالنَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْذِنُكَ ، فَقَالَ : « مَا تَقُولُ يَا أَبَا مُوسَى - أَوْ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ - ؟ » قَالَ : فَقُلْتُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، مَا أَطْلَعَانِي عَلَى مَا فِي أَنْفُسِهِمَا ، وَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُمَا يَطْلُبَانِ الْعَمَلَ ، قَالَ : وَكَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى سِوَاكِهِ تَحْتَ شَفْتَيْهِ وَقَدْ قَلَصْتُ ، فَقَالَ : « لَنْ - أَوْ لَا - نَسْتَعْمِلَ عَلَى عَمَلِنَا مِنْ أَرَادَهُ ، وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ يَا أَبَا مُوسَى - أَوْ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ - » فَبَعَثَهُ عَلَى الْيَمَنِ ، ثُمَّ اتَّبَعَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ . ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّةَ الْيَهُودِيِّ الَّذِي أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ ، وَزَادَ فِيهِ : قَالَ : لِأَجْلِلسَ حَتَّى يُقْتَلَ ، قَضَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ « ثُمَّ قَوْلُهُمَا فِي قِيَامِ اللَّيْلِ ، وَلَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ الْأَشْرِيَّةِ .

٧٠٧ - * روى الحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . قال : لَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَاسْتَخْلَفُوا أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ ، فَاسْتَعْمَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَمْرَ عَلَى الْمَوْسِمِ ، فَلَقِيَ مُعَاذًا بِمَكَّةَ ، وَمَعَهُ رَقِيقٌ ، فَقَالَ : مَا هَؤُلَاءِ ؟ فَقَالَ : هَؤُلَاءِ أَهْدُوا إِلَيَّ ، وَهَؤُلَاءِ لَأَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : إِنِّي أَرَى لَكَ أَنْ تَأْتِيَ بِهِمْ أَبَا بَكْرٍ . قَالَ : فَلَقِيَهُ مِنَ الْعَدِ . فَقَالَ : يَا بَنَ الْخَطَّابِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي الْبَارِحَةَ وَأَنَا أَنْزُو إِلَى النَّارِ ، وَأَنْتَ أَخِذْ بِحُجْرَتِي وَمَا أَرَانِي إِلَّا مُطْبِعَكَ ، قَالَ : فَأَتَيْتُ بِهِمْ أَبَا بَكْرٍ ، فَقَالَ : هَؤُلَاءِ أَهْدُوا لِي وَهَؤُلَاءِ لَكَ . قَالَ : فَإِنَّا قَدْ سَلَّمْنَا هَدِيَّتَكَ . فَخَرَجَ مُعَاذٌ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِذَا هُمْ يُصَلُّونَ خَلْفَهُ ، فَقَالَ مُعَاذٌ : لِمَنْ تُصَلُّونَ . قَالُوا : لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . فَقَالَ : فَأَنْتُمْ لَهُ فَأَعْتَقْتَهُمْ .

٣ - بَعَثَ أَبِي عُبَيْدَةَ إِلَى الْيَمَنِ :

٧٠٨ - * روى الحاكم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ

= وسلم (٣ / ١٤٥٦) ٢٢ - كتاب الإمارة ٢ - باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها .
قَلَمْتُ : انضمت وانزوت .

٧٠٧ - للمستدرك (٢ / ٢٧٢) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

أَنْزَوْ : أَيْبُ . بِحُجْرَتِي : الْحِجْرَةُ : بِالضَّمِّ مَعْقِدُ الْإِزَارِ مِنَ السَّرَاوِيلِ .

٧٠٨ - للمستدرك (٣ / ٢٦٧) ، وقال : قد اتفق الشيخان على إخراج هذا الحديث مختصراً في الصحيحين من حديث الثوري وشعبة عن أبي إسحاق عن صلة بن زفر عن حذيفة ، وقد خالفها إسرائيل فقال : عن صلة بن زفر عن عبد الله وسباق الحديث أم ما عند الثوري وشعبة ، فأخرجته ؛ لأنه على شرطيهما . صحيح . . وأقره الذهبي .

صَاحِبًا نَجْرَانٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ :
لَا تَفْعَلْ قَوْلَ اللَّهِ لَنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَعَنَّا لَا تَفْلِحْ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا . فَقَالَا : بَلْ نُعْطِيكَ مَا
سَأَلْتَ وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ . قَالَ : فَاسْتَشْرَفَ لَهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ : « قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ » فَلَمَّا قَفَى ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ » .

وروى ^(١) عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا : ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يَعْلَمُ الْقُرْآنَ ، فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ ، فَأَرْسَلَهُ مَعَهُمْ ،
وَقَالَ : « هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ » .

٧٠٩ - * روى البخاري ومسلم عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَالَ : « إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا ، وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيْتُمَا الْأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ » .

ولمسلم ^(٢) : أَنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالُوا : ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا
يُعَلِّمُنَا السُّنَّةَ وَالْإِسْلَامَ ، قَالَ : فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَقَالَ : « هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ » .

٧١٠ - * روى البخاري ومسلم عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : جَاءَ أَهْلُ
نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ابْعَثْ إِلَيْنَا رَجُلًا أَمِينًا ، فَقَالَ : « لَا ابْعَثَنَّ
إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ حَقَّ أَمِينٍ » فَاسْتَشْرَفَ لَهَا النَّاسُ ، قَالَ فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ .
وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ ^(٣) قَالَ : جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَا : ابْعَثْ مَعَنَا

(١) الحاكم في نفس الموضع السابق ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بذكر القرآن . وأقره الذهبي .

٧٠٩ - البخاري (٩٢ / ٧) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٢١ - باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه .

ومسلم (٤ / ١٨٨١) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٧ - باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح ، رضي الله عنه .

(٢) مسلم في الموضع السابق .

٧١٠ - البخاري (٩٣ / ٧) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٢١ - باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح ، رضي الله عنه .

ومسلم واللفظ له في الموضع السابق .

(٣) الترمذي (٥ / ٦٦٧) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٣ - باب مناقب معاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبي ، وأبي عبيدة

ابن الجراح رضي الله عنهم . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

السيد : مقدمُ القوم وكبيرهم
والعاقب : هو الذي يخلفه ويكون من بعده .

أَمِينَكَ ، قَالَ : « فَإِنِّي سَأُبْعَثُ مَعَكُمْ . . . وَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

قَالَ : وَكَانَ أَبُو إِسْحَاقَ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْ صِلَةَ بْنِ زُفَيْرٍ وَهُوَ الرَّاوي عَنْ
حَدِيثِهِ قَالَ : سَمِعْتُهُ مِنْهُ سِتِينَ سَنَةً .

فصل : في نماذج من الوفود

١ - وفد بني تميم :

٧١١ - * روى البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال : جاء نفر من بني تميم إلى النبي ﷺ فقال : « يا بني تميم أبشروا » فقالوا : بَشَرْتَنَا فَأَعْطِنَا . فتنغير وجهه . فجاءه أهل اليمن ، فقال : « يا أهل اليمن اقبلوا البشرى إذ لم يتقبلها بنو تميم » قالوا : قبلنا .

قال في الفتح :

قوله (فتنغير وجهه) إما للأسف عليهم كيف آثروا الدنيا ، وإما لكونه لم يحضره ما يعطيهم فيتألفهم له ، أو لكل منهما . قوله (فجاءه أهل اليمن) هم الأشعريون قوم أبي موسى ، وقد أورد البخاري حديث عمران هذا وفيه ما يستأنس به لذلك . ثم ظهر لي أن المراد بأهل اليمن هنا نافع بن زيد الحميري مع وفد معه من أهل حمير ، وقد ذكرت مستند ذلك في « باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن » وأن هذا هو السر في عطف أهل اليمن على الأشعريين مع أن الأشعريين من جملة أهل اليمن ، لما كان زمان قدوم الطائفتين مختلفا ولكل منهما قصة غير قصة الآخرين وقع العطف .

٢ - قدوم الأشعريين وأهل اليمن :

قال البخاري ^(١) : وقال أبو موسى عن النبي ﷺ : « هم مني وأنا منهم » .

٧١٢ - * وروى أحمد والطبراني عن فيروز قال : إِنَّهُمْ أَسْلَمُوا وَكَانَ فِيمَنْ أَسْلَمَ ، فَبَعَثُوا وَفَدَّاهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَبَيْعَتِهِمْ وَإِسْلَامِهِمْ ، فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَقَالُوا :

٧١١ - البخاري (٦ / ٢٨٦) ٥٩ - كتاب بدء الخلق - ١ - باب ما جاء في قوله تعالى [٢٧ : الروم] وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه .

(١) ذكره البخاري معلقاً (٨ / ٩٦) ٦٤ - كتاب المغازي - ٧٤ - باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن .

٧١٢ - أحمد في مسنده (٤ / ٣٣٢) .

والطبراني نحوه في المعجم الكبير (١٨ / ٣٣١) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٤٠٦) : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبيد الله بن فيروز ، وهو ثقة .

يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحْنُ مَنْ قَدْ عَرَفْتَ ، وَجِئْنَا مِنْ حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ وَأَسْلَمْنَا ، فَمَنْ وَلِيُّنَا قَالَ :
« اللَّهُ وَرَسُولُهُ » قَالُوا : حَسْبُنَا رَضِينَا .

٧١٣ - * روى البخاري عن أبي مسعود أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « الْإِيمَانُ هَاهُنَا - وأشار بيده إلى اليمن - وَالْجَفَاءُ وَغِلْظُ الْقُلُوبِ فِي الْفِدَائِينَ عِنْدَ أَصُولِ أَذْنَابِ الْإِبْلِ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ رُبِيعَةً وَمُضَرَ » .

٧١٤ - * وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرْقُ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا . الْإِيمَانُ يَمَانٌ ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ . وَالْفَخْرُ وَالْخِيَلَاءُ فِي أَصْحَابِ الْإِبْلِ ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ » .

٧١٥ - * وروى البخاري عن أبي هريرة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « الْإِيمَانُ يَمَانٌ ، وَالْفِتْنَةُ هَاهُنَا ؛ هَاهُنَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ .

٧١٦ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ أَوْعَفَّ قُلُوبًا وَأَرْقُ أَفْئِدَةً . الْفَقَهُ يَمَانٌ ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ » .

قال في الفتح : قوله : (الْإِيمَانُ هَاهُنَا وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْيَمَنِ) أي إلى جهة اليمن ، وهذا يدل على أنه أراد أهل البلد لا من ينسب إلى اليمن ولو كان من غير أهلها .

وقال : قوله : « أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ » ترد قول من قال : إن المراد بقوله « الْإِيمَانُ يَمَانٌ » الأنصار وغير ذلك .

٣ - وفد عَبْدِ الْقَيْسِ :

٧١٧ - * روى البخاري ومسلم عن ابن عباس ، قال : إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ

٧١٣ - البخاري (٨ / ١٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ٧٤ - باب قدوم الأثمريين وأهل اليمن .

٧١٤ - البخاري في نفس الموضع السابق .

٧١٥ - البخاري في نفس الموضع السابق (٨ / ١٩) .

٧١٦ - البخاري في نفس الموضع السابق .

٧١٧ - البخاري (١ / ١٢٩) ٢ - كتاب الإيمان - ٤٠ - باب أداء الخمس من الإيمان .

وأيضاً (١ / ١٨٢) ٣ - كتاب العلم - ٢٥ - باب تحريض النبي ﷺ وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان . . . =

ﷺ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَنْ الْوَفْدُ ؟ - أَوْ - مَنْ الْقَوْمُ ؟ » قَالُوا : رَبِيعَةٌ . قَالَ : « مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ - أَوْ بِالْوَفْدِ - غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى » . قَالَ : فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شَقِيَّةٍ بَعِيدَةٍ . وَإِنَّ بَيْنَنَا هَذَا الْحَيَّ مِنْ كُفَّارٍ مُضَرٍّ . وَإِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي شَهْرِ الْحَرَامِ . فَمَرْنَا بِأَمْرِ فَصْلٍ ، نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا ، نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ . قَالَ : فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ . وَنَهَاَهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ . قَالَ : أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحَدَّةٍ . وَقَالَ : « هَلْ تَذَرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ ؟ » قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . وَإِقَامُ الصَّلَاةِ . وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ . وَصَوْمُ رَمَضَانَ . وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمْسًا مِنَ الْمَغْنَمِ » وَنَهَاَهُمْ عَنِ الدُّبَاءِ وَالْحَنْتَمِ وَالْمَرْقَةِ . قَالَ شُعْبَةُ : وَرَبَّمَا قَالَ : النَّقِيرُ . قَالَ شُعْبَةُ : وَرَبَّمَا قَالَ : الْمُقْقِيرُ . وَقَالَ : « احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوا بِهِ مَنْ وَرَائَكُمْ » . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ فِي رَوَاتِيهِ : « مَنْ وَرَاءَكُمْ » وَلَيْسَ فِي رَوَاتِيهِ الْمُقْقِيرُ .

وزاد مسلم في رواية عن ابن عباس (١) : وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْأَشْجِ أَشَجَّ عَبْدِ الْقَيْسِ : « إِنَّ فِيكَ خِصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ : الْحِلْمُ وَالْأَنَاءَةُ » .

قال في الفتح : والذي تبين لنا أنه كان لعبد القيس وفادتان : إحداها قبل الفتح ، ولهذا قالوا للنبي ﷺ « بيننا وبينك كفار مضر » وكان ذلك قديماً إما في سنة خمس أو

= وسلم واللفظ له (١ / ٤٧) ١ - كتاب الإيمان - ٦ - باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين . غير غزاليا ولا الندامي : أي أنه لم يكن منكم تأخر عن الإسلام ولا عناد ولا أصابكم أضرار ولا سبأ ولا ما أشبه ذلك مما تستحيون بسببه أو تذلون أو تهانون أو تندمون . الدُّبَاءُ : هو القرع اليابس ، أي الوعاء منه . الحَنْتَمُ : الواحدة حنطة . وقد اختلف فيه . فأصح الأقوال وأقواها أنها جرار خضر . النقير : جذع ينقر وسطه .

المُقْقِرُ : هو المَرْقَةُ ، وهو المطلي بالقار وهو الزفت . وقيل : الزفت نوع من القار . والصحيح الأول . وأما معنى النهي عن هذه الأربع فهو أنه نهى عن الانتباز فيها ، وهو أن يجعل في الماء حبات من تمر أو زبيب أو نحوها ليحلو ويشرب وإنما خصت هذه بالنهي لأنه يسرع إليها الإسكار فيها . فيصير حراماً نجساً .

أقول : وقد علق التحريم فيما بعد على الإسكار ونسيخ ماسوى ذلك .

(١) مسلم (١ / ٤٨) ١ - كتاب الإيمان - ٦ - باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين . الحلم : العقل .

الأناة : التثبت وترك العجلة .

قبلها ، وكانت قريتهم بالبحرين أول قرية أقيمت فيها الجمعة بعد المدينة ، وكان عدد الوفود الأول ثلاثة عشر رجلاً ، وفيها سألوا عن الإيمان وعن الأشربة ، وكان فيهم الأشج وقال له النبي ﷺ « إِنَّ فِيكَ خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة » كما أخرج ذلك مسلم من حديث أبي سعيد .

وقال : وفي حديث هود بن عبد الله بن سعد العصري أنه سمع جَدَّهُ مَزِيدَةَ العصري قال - بينما النبي ﷺ يحدث أصحابه إذ قال لهم : « سيطلع عليكم من ههنا رَكْبٌ هم خير أهل المشرق » فقام عمر فتوجه نحوهم فلقي ثلاثة عشر راكباً فبشرهم بقول النبي ﷺ ، ثم مشى معهم حتى أتوا النبي ﷺ ، فرموا بأنفسهم عن ركائبهم فأخذوا يده فقبلوها ، وتأخر الأشج في الركاب حتى أناخها وجع متاعهم ثم جاء يمشي ، فقال النبي ﷺ : « إن فيك خصلتين . . . » الحديث أخرجه البيهقي ، وأخرجه البخاري في « الأدب المفرد » مطولاً من وجه آخر عن رجل من وفد عبد القيس لم يسمه . ثانيتهما كانت في سنة الوفود ، وكان عددهم حينئذ أربعين رجلاً كما في حديث أبي حنيفة الصناحي الذي أخرجه ابن منده ، وكان فيهم الجارود العبدي ، وقد ذكر ابن إسحاق قصته وأنه كان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه . ويؤيد التعدد ما أخرجه ابن حبان من وجه آخر أن النبي ﷺ قال لهم « مالي أرى ألوانكم تغيرت » ففيه إشعار بأنه كان رآهم قبل التغير . أ.هـ .

٤ - وفد طيئ :

٧١٨ - * روى البخاري عن عدي بن حاتم قال : أتينا عمرَ في وفدٍ ، فجعلَ يدعو رجلاً رجلاً ويستبهم . فقلتُ : أما تعرفني يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلى ، أسلمتَ إذ كفرُوا ، وأقبلتَ إذ أدبرُوا ، ووفيتَ إذ غدروا ، وعرفتَ إذ أنكروا . فقال عدي : فلا أبالي إذا .
قال في الفتح : قوله (فقال عدي : فلا أبالي إذا) أي إذا كنت تعرف قدري فلا أبالي إذا قدمت علي غيري .

وأخرج مسلم ^(١) من وجه آخر عن عدي بن حاتم قال : أتيت عمر فقال : إن أول صدقة بيضت وجه رسول الله ﷺ ووجوه أصحابه صدقة طيء ، جئت بها إلى النبي ﷺ .

٥ - وفد بني حنيفة :

٧١٩ - * روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قَدِمَ مُسَيْلَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ : إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ . وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ بْنُ شَمَّاسٍ - وَفِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِطْعَةٌ جَرِيدٍ - حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلَةَ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ : « لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أُعْطَيْتُكَهَا ، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ ، وَلَنْ أُدْبِرْتَ لِيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ . وَإِنِّي لَأُرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا رَأَيْتُ ، وَهَذَا ثَابِتٌ يُجَيِّبُكَ عَنِّي . ثُمَّ انصرفت عنه » .

٧٢٠ - * روى البخاري عن ابن عباس ، قال : سألت عن قول رسول الله ﷺ : « إِنَّكَ أَرَى الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا أُرِيتُ » فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سَوَارِينَ مِنْ ذَهَبٍ ، فَأَهْنَيْ شَأْنَهَا فَأَوْحَى إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ أَنْفُخَهَا فَنَخْتُهَا فِطَارًا ، فَأَوَّلَتْهَا كِذَابَتَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي : أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيُّ ، وَالْآخَرُ مُسَيْلَةُ » .

٧٢١ - * وروى البخاري عن أبي رجاء العطاردي قال : كُنَّا نَعْبُدُ الْحَجَرَ ، فَإِذَا وَجَدْنَا حَجَرًا هُوَ أَخْيَرُ مِنْهُ أَلْقَيْنَاهُ وَأَخَذْنَا الْآخَرَ ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ حَجَرًا جَمَعْنَا جُثُوءَ مِنْ تَرَابٍ ، ثُمَّ جِئْنَا بِالشَّاةِ فَحَلَبْنَاهُ ، ثُمَّ طَفْنَا بِهِ . فَإِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَجَبٍ قُلْنَا : مُنْصَلِّ الْأُسْنَةَ ، فَلَا نَدْعُ رَحًا فِيهِ حَدِيدَةً ، وَلَا سَهًا فِيهِ حَدِيدَةً إِلَّا نَزَعْنَاهُ وَأَلْقَيْنَاهُ شَهْرَ رَجَبٍ .

وروى أيضًا عنه قال ^(٢) : كُنْتُ يَوْمَ بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ غُلَامًا أَرعى الْإِبِلَ عَلَى أَهْلِي ،

(١) مسلم (٤ / ١٩٥٢) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤٧ - باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة ونعيم ودوس وطيء .

٧١٩ - البخاري (٨ / ٨٩) ٦٤ - كتاب المغازي - ٧٠ - باب وفد بني حنيفة ، وحديث ثمامة بن أثال .

٧٢٠ : البخاري في نفس الموضع السابق .

٧٢١ - البخاري في نفس الموضع السابق (٨ / ٩٠) .

(٢) البخاري في نفس الموضع السابق .

فلما سمعنا بخروجه فرؤنا إلى النار ، إلى مسيلة الكذاب .

قال في الفتح : قوله (كنت يوم بعث النبي ﷺ غلاما أرمى الإبل على أهلي ، فلما سمعنا بخروجه فررنا إلى النار ، إلى مسيلة الكذاب) الذي يظهر أن مراده بقوله « بعث » أي اشتهر أمره عندهم ، ومراده بخروجه أي ظهوره على قومه من قريش بفتح مكة ، وليس

المراد بأخراجه من مكة لأنه لا يخلو عن كونه من مكة إلى مكة ، فباطل ، والله تعالى أعلم بالصواب .

وفد ثعلبة	وفد بني البكاء	وفد الحارث بن كعب
وفد محارب	وفد كنانة	وفد همدان
وفد سعد بن بكر	وفد سليم	وفد سعد العشيرة
وفد كلاب	وفد هلال بن عامر	وفد عنس
وفد رؤاس بن كلاب	وفد عامر بن صعصعة	وفد الداريين
وفد عقيل بن كعب	وفد ثقيف	وفد الرهاويين حي من مذحج
وفد شيبان	وفود ربيعة : عبد القيس	وفد غامد
وفد طيء	وفد بكر بن وائل	وفد النخع
وفد سعد هذيم	وفد تغلب	وفد بجيلة
وفد بلي	وفد حنيفة	وفد خثعم
وفد بهراء	وفد أزد عمان	وفد الأشعريين
وفد عذرة	وفد غافق	وفد حضر موت

إنَّ قصص الوفود وأخبارها وكيفية تعامل رسول الله ﷺ معها من الأهمية بالمكان الكبير وكتاب السير أشبعوها بحثاً وتحقيقاً غير أنَّ كتابنا هذا قد التزم شروطاً لا يسعنا أن نذكر معها كل تحقيقات كتاب السير .

ولكننا نلفت النظر إلى أن تعامل رسول الله ﷺ مع الوفود هو من أعظم المظاهر لسياسات رسول الله ﷺ ودقته في الترتيب والتنظيم ومعرفة النفس البشرية وحسن التعامل معها إلى غير ذلك مما يدخل في دوائر التعليم والتربية والتثقيف وبعد النظر وجمع القلوب على الغاية وربط أفراد بأعيانهم بالمركز بحيث تبقى في كل الظروف والأحوال مرتكزات قوية للإسلام إلى غير ذلك من مظاهر العظمة التي تُعطي للعاملين في كل الحقول نفسياً واجتماعياً واقتصادياً وإدارياً وسياسياً وعسكرياً تُعطي لكل عامل في جانب من هذه الجوانب دروساً تكفيه وتغنيه .

ونلفت النظر إلى أهمية أن يتتبع القارئ أخبار هذه الوفود في كتب السير والمغازي .

* * *

فصل : في حجة الوداع

٧٢٢ - * روى الترمذي عن قتادة قال : سألت أنساً رضي الله عنه : كم حج رسول الله ﷺ ؟ قال : حج حجة واحدة ، واعتَمَرَ أربع عَمَرٍ : عَمْرَةً في ذي القعدة ، وعَمْرَةً الحديبية ، وعَمْرَةً مع حجته ، وعَمْرَةً الجمرانة ، إذ قَسَمَ غَنِيمةَ حنين .

وفي رواية البخاري ومسلم ^(١) : أن رسول الله ﷺ اعتَمَرَ أربع عَمَرٍ ، كُلُّها في ذي القعدة ، إلا التي مع حجته : عمرة من الحديبية - أو زمن الحديبية - في ذي القعدة ، وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة ، وعمرة من جمرانة ، حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة ، وعمرة في حجته .

٧٢٣ - * روى البخاري عن زيد بن أرقم : أن النبي ﷺ غَزَا تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً ، وإِنَّهُ حَجَّ بَعْدَ مَا هَاجَرَ حَجَّةً وَاحِدَةً لَمْ يَحُجَّ بَعْدَهَا : حَجَّةَ الْوَدَاعِ . قال أبو إسحاق : وبمكة أخرى .

قال ابن حجر في الفتح :

قوله (قال أبو إسحاق ^(٢) : وبمكة أخرى) هو موصول بالإسناد المذكور ، وغرض أبي إسحاق أن لقوله « بعد ما هاجر » مفهوماً ، وأنه قبل أن يهاجر كان قد حج ، ولكن اقتصره على قوله أخرى قد يوم أنه لم يحج قبل الهجرة إلا واحدة ، وليس كذلك بل حج قبل أن يهاجر مرارا ، بل الذي لأرتاب فيه أنه لم يترك الحج وهو بمكة قط ، لأن قريشاً في الجاهلية لم يكونوا يتركون الحج ، وإنما يتأخر منهم عنه من لم يكن بمكة أو عاقه ضعف ، وإذا كانوا وهم على غير دين يحرمون على إقامة الحج ويرونه من مفاخرهم التي

٧٢٢ - الترمذي (١٧٠ / ٢) - كتاب الحج - ٦ - باب ما جاء : كم حج النبي ﷺ ؟ . وقد قلنا رواية الترمذي على رواية البخاري ومسلم ؛ لأنها أصرح في موضوع الباب .

(١) البخاري (٦٠٠ / ٣) - ٢٦ - كتاب العمرة - ٣ - باب كم اعتمر النبي ﷺ ؟ .

ومسلم (٩١٦ / ٢) - ١٥ - كتاب الحج - ٣٥ - باب بيان عدد عَمَرِ النبي ﷺ وزمانه .

٧٢٣ : البخاري (١٠٧ / ٨) - ٦٤ - كتاب المغازي - ٧٧ - باب حجة الوداع .

(٢) أقول : قد يكون معنى قول أبي إسحاق : (وبمكة أخرى) أي : وبمكة حججا أخرى ، فآخرى تكون صفة

لمفرد وجمع .

امتازوا بها على غيرهم من العرب فكيف يظن بالنبي ﷺ أنه يتركه ؟ وقد ثبت من حديث جبير بن مطعم أنه رآه في الجاهلية واقفا بعرفة ، وأن ذلك من توفيق الله له ، وثبت دعاؤه قبائل العرب إلى الإسلام بنى ثلاث سنين متوالية كما بينته في الهجرة إلى المدينة . أ هـ .

٧٢٤ - * روى مسلم عن جابر : أن رسول الله ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لم يَحُجَّ ، ثُمَّ أُذِنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ ، أن رسول الله ﷺ حَاجٌّ ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرَ كَثِيرًا ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتُمَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ ، فَقَوْلَدَتِ أَسَاءَ بِنْتَ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، كَيْفَ أَصْنَعُ ؟ قَالَ : « اغْتَسِلِي وَاسْتُغْفِرِي بِسُوبٍ وَأَحْرَمِي » فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ ، حَتَّى اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ ، نَظَرْتُ إِلَى مَدَى بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ ، فَأَهْلٌ بِالتَّوْحِيدِ : « لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنُّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكُ ، لَا شَرِيكَ لَكَ » وَأَهْلٌ النَّاسِ هَذَا الَّذِي يَهْلُونَ بِهِ ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا مِنْهُ ، وَلَزِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَلْبِيئَتَهُ - قَالَ جَابِرٌ : لَسْنَا نَنْوِي إِلَّا الْحُجَّ ، لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ - حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ ، فَرَمَلَ ثَلَاثًا ، وَمَشَى أَسْعًا ، ثُمَّ تَقَدَّمَ ، فَجَاهَدَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : « وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِهِ مَقَامًا » (١)

فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ ، فَكَانَ أَبِي يَقُولُ (أَيُّ وَالِدِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ) - وَلَا أَعْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - كَانَ يَقْرَأُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وَ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا

٧٢٤ - مسلم (٢ / ٨٨٦) ١٥ - كتاب الحج - ١٩ - باب حجة النبي ﷺ .

واستغفري : استغفار الحائض : هو أن تشد فرجها بخرقعة عريضة توثق طرفيها في شيء آخر قد شدته على وسطها ، ليمتنع الدم أن يجري ويقطر .

الأسع : هو المشي السريع .

الكافرون ﴿ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ ^(١) أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ ، فَبَدَأُ بِالصَّفَا ، فَرَقِيَّ عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ، فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ ، وَقَالَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ / وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ » ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ - قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ ، حَتَّى إِذَا انْصَبَتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى حَتَّى إِذَا صَعِدَتْهَا مَشَى ، حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ ، فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرَ طَوَافِهِ عَلَا عَلَى الْمَرْوَةِ فَقَالَ : « لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسْقِ الْهَدْيَ وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحِلِّ ، وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً » فَقَامَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ جُعْشَمٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلِغَامِنَا هَذَا ، أَمْ لَا أَبْدِي ؟ فَشَبَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَى وَقَالَ : « دَخَلْتَ الْعُمْرَةَ فِي الْحَجِّ - مَرَّتَيْنِ - لَا ، بَلْ لَا أَبْدِي أَبْدِي » وَقَدِمَ عَلَيَّ مِنَ الْيَمَنِ بَيْدُنُ النَّبِيِّ ﷺ ، فَوَجَدَ فَاطِمَةَ مِمَّنْ حَلَّ ، وَلَبَسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا ، وَاسْتَحَلَّتْ ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ : إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا ، قَالَ : فَكَانَ عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ بِالْعِرَاقِ : فَذَهَبَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُحَرَّشًا عَلَى فَاطِمَةَ الَّذِي صَنَعَتْ ، مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا ذَكَرْتُ عَنْهُ ، فَأَخْبَرْتُهُ : أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا فَقَالَ : « صَدَقْتُ ، صَدَقْتُ ، مَاذَا قُلْتَ حِينَ قَرَضْتُ الْحَجَّ ؟ » قَالَ : قُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَهْلٌ بِمَا أَهْلٌ بِهِ رَسُولُكَ ، قَالَ : « فَإِنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ فَلَا تَحِلَّ » قَالَ : فَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْيِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلَيَّ مِنَ الْيَمَنِ وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِائَةً ، قَالَ : فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَقَصَّروا ، إِلَّا النَّبِيَّ ﷺ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ التَّروِيَةِ تَوَجَّهُوا إِلَى مِنَى فَأَهْلَوْا بِالْحَجِّ ، وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجَرَ ، ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ ، وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ شَعَرٍ تُضْرَبُ لَهُ بِنَمِرَةٍ ، فَسَارَ

(١) البقرة : ١٥٨ .

صَبِيغًا : ثَوْبٌ صَبِيغٌ ، أَي : مَنْصُوبٌ ، قَعِيلٌ بِمَعْنَى : مَفْعُولٌ .

مُحَرَّشًا : التَّحْرِيشُ : الْإِغْرَاءُ ، وَوَصَفٌ مَا يَوْجِبُ عِقَابَ الْمَقُولِ عَنْهُ وَتَوْبِيخُهُ .

الجاهلية ، فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة ، فوجد القبّة قد ضربت له بنمرة ، فنزل بها ، حتى إذا زاعت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له ، فأق بطن الوادي ، فخطب الناس ، وقال : « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدِ ، فَقَتَلْتُهُ هَذِيلًا . وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، وَأَوَّلُ رَبَا أَضَعُ رَبَانًا ، رَبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوْطِئَنَّ فَرْشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُوهُنَّ ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بِهِ ، إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ ، كِتَابَ اللَّهِ ، وَأَنْتُمْ تَسْأَلُونَ عَنِّي ، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟ » . قالوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَيْتَ وَنَصَحْتَ ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّابَةَ ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيُنْكِتُهَا إِلَى النَّاسِ : « اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ » ثلاث مرات ، ثُمَّ أَذَنَ بِلَالٍ ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا ، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَقَى الْمَوْقِفَ ، فَجَعَلَ بَطْنُ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءَ إِلَى الصَّخْرَاتِ ، وَجَعَلَ حَبْلَ الْمَشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَاسْتَقْبَلَ الْقَبِيلَةَ ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا حَتَّى غَابَ الْقُرْصُ ، وَارْدَفَ أَسَامَةُ خَلْفَهُ ، وَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَقَدْ شَنَقَ

= دم ابن ربعة بن الحارث : أصابه حجر في حرب كانت بين بني سعد وبني ليث بن بكر .

بكلمة الله : كلمة الله : هي قوله تعالى : ﴿ فَمَا سَأَلْتُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَعْرِيفٍ يُحْسِنُ ﴾ [البقرة : ٢٢٩] .

لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهون : معناه : أن لا يأذن لأحد من الرجال أن يتحدث إليهن ، وكان الحديث من الرجال إلى النساء من عادات العرب ، لا يرون ذلك عيباً ، ولا يقدرونه ريباً ، إلى أن نزلت آية الحجاب ، وليس المراد بوطء الفراش : نفس الزنا ، لأن ذلك محرم على الوجوه كلها ، فلا معنى لاشتراط الكراهة فيه ، ولو كان ذلك كذلك لم يكن الضرب فيه ضرباً غير مبرح ، إنما كان فيه الحد ، والضرب المبرح : هو الضرب الشديد .

ينكثها : نكث : إصبعه : أمالها إلى الناس ، يريد بذلك : أن يشهد الله عليهم .

الصخرات : هي صخرات مفترشات في أسفل جبل الرحمة ، وهو الجبل الذي بوسط أرض عرفات .

الحبال : التل اللطيف من الرمل الضخم .

شَنَقَ زِمَامَ نَاقَتِهِ : إذا جمعة إليه ، كفأ لها عن السرعة في المشي .

لِلْقَصْوَاءِ الزَّمَامِ حَتَّى إِنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ ، وَيَقُولُ بِيَدِهِ الْبَنَى : « أَيُّهَا النَّاسُ ، السَّكِينَةُ ، السَّكِينَةُ » كُلُّهَا أَتَى جَبَلًا مِنَ الْجِبَالِ أَرْخَى لَهَا قَلِيلًا حَتَّى تَصْعَدَ ، حَتَّى أَتَى الْمُرْدَلِفَةَ ، فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ ، وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا ، ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ ، فَصَلَّى الْفَجْرَ حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ، وَكَبَّرَهُ ، وَهَلَّلَهُ ، وَوَحَّدَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَشْفَرَ جَدًّا ، فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، وَأَرْدَفَ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ ، وَكَانَ رَجُلًا حَسَنَ الشَّعْرِ أَيْضًا وَسِيمًا ، فَلَمَّا دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّتْ بِهِ طَعْنُ يَجْرِينَ ، فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَ ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ ، فَحَوَّلَ الْفَضْلُ وَجْهَهُ إِلَى الشَّقِّ الْآخِرِ يَنْظُرُ ، فَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الشَّقِّ الْآخِرِ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ ، يَضْرِبُ وَجْهَهُ مِنَ الشَّقِّ الْآخِرِ يَنْظُرُ ، حَتَّى أَتَى بَطْنُ مَحْسَرٍ ، فَحَزَّكَ قَلِيلًا ، ثُمَّ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى ، حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا ، حَصَى الْحَذْفِ ، رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمُنْحَرِ ، فَتَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بِيَدِهِ ، ثُمَّ أُعْطِيَ عَلِيًّا فَتَحَرَ مَا غَبَرَ ، وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِهِ ، ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِيَضْعَةٍ فَجَعَلَتْ فِي قِدْرِ ، فَطَبَخَتْ ، فَأَكَلَا مِنْ لَحْمِهَا ، وَشَرَبَا مِنْ مَرَقِهَا ، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ ، فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهَرَ ، فَأَتَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَمَ ، فَقَالَ : « انْزِعُوا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمْ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ » فَتَنَاوَلُوهُ دُلُوءًا فَشَرِبَ مِنْهُ .

= مَوْرِكَ الرَّحْلِ : مَا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْلِ ، يَضَعُ الرَّكَّابُ رَحْلَهُ عَلَيْهِ ، يُقَالُ : ذَرَكْتُ وَوَزَكْتُ ، مُخَفَّفًا وَمُثَقَّلًا .

وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا : السُّبُّحَةُ : الصَّلَاةُ ، وَقِيلَ : هِيَ النَّافِلَةُ مِنَ الصَّلَاةِ ، أَيْ : لَمْ يَصَلِّ بَيْنَهُمَا سُنَّةً .

وَسِيمًا : رَجُلٌ وَسِيمٌ : لَهُ مَنَظَرٌ جَمِيلٌ .

طَعْنٌ : جَمْعُ طَعْنَةٍ ، وَهِيَ الْمَرَأَةُ فِي الْمُهْودِجِ ، وَالْمُهْودِجُ أَيْضًا يُسَمَّى : طَعْنِيَّةً .

حَزَّكَ : سَنَةٌ مِنْ سَنَنِ السَّيْرِ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، يَسْرِعُ الْمَاشِي وَيَحْرِكُ الرَّكَّابَ قَدْرَ رَمِيَةِ حَجَرٍ .

الْجَمْرَةُ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ : هِيَ الْجَمْرَةُ الْكُبْرَى وَهِيَ جَمْرَةُ الْعَقَبَةِ .

حَصَى الْحَذْفِ : حَصَى صَغَارٍ بِحَيْثُ يُمْكِنُ أَنْ يُرْمَى بِإِصْبَعَيْنِ .

مَا غَبَرَ : الْغَابِرُ الْبَاقِي .

الْبِيَضْعَةُ : الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ .

انْزِعُوا : انْزِعُوا : الْاسْتِقَاءُ .

وفي رواية : بنحو هذا ، وزاد ^(١) ، وكانت العربُ يدفعُ بهم أبو سَيَّارةَ على حِمَارٍ عُرِيٍّ ، فلما أجاز رسولُ الله ﷺ من المزدلفةِ بالمسعرِ الحرام لم تشكْ قُرَيْشٌ أَنَّهُ سَيَقْتَصِرُ عليه ، ويكونُ منزلهُ ثمَّ ، فأجاز ولم يعْرِضْ له ، حتَّى أتى عَرَقاتَ فنَزَلَ .

وفي أخرى ^(٢) : أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « نَحَرْتُ هَاهُنَا ، وَمِنَى كُلُّهَا مَنَحَرٌ ، فَأَنَحَرُوا فِي رَحَالِكُمْ ، وَوَقَفْتُ هَاهُنَا ، وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ ، وَوَقَفْتُ هَاهُنَا ، وَجَمَعْتُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ » .

ولأبي داود ^(٣) عند قوله : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ قال : فَقَرَأَ فِيهَا : بالتوحيد و﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ وقال فيه : قَالَ عَلِيٌّ بِالْكُوفَةِ : قال أبي : هذا الحَرْفُ لم يذكره جابرٌ ، يعني : فَذَهَبْتُ مُحَرَّشًا . . . وذكر قصة فاطمة .

وأخرج النسائي من الحديث أطرافاً متفرقة في كتابه ^(٤) ، وقد ذكرناها . قال محمد : أتينا جابرًا فسألناه عن حجةِ النبي ﷺ ؟ فقال : إِنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « لو اسْتَقْبَلْتُ من أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسْقِ الْهَدْيَ ، وجعلتها عُمْرَةً ، فمن لم يكن معه هَدْيٌ فَلْيُحِلِّ ، وَلْيُجْعَلْهَا عُمْرَةً » وَقَدِمَ عَلِيٌّ مِنَ الْبَيْنِ بِهَدْيٍ ، وساق رسولُ الله ﷺ من المدينة هَدْيًا ، وإذا فاطمةٌ قد لبستُ ثياباً صَبِيغًا واكتحلتُ ، قال عليٌّ : فانطلقتُ مُحَرَّشًا أَسْتَفْتِي رسولَ الله ﷺ ، فقلتُ : يا رسولَ الله ، إِنَّ فاطمةً قد لبستُ ثياباً صَبِيغًا واكتحلتُ ، وقالت : أَمْرِي أَبِي ، قال : « صَدَقْتَ صَدَقْتَ ، أَنَا أَمْرُهَا » .

وله في موضوع آخر قال : إِنَّ رسولَ الله ﷺ مَكَثَ بِالْمَدِينَةِ تِسْعَ حَجَجٍ ، ثم أَدْنَى فِي النَّاسِ ، أَنَّ رسولَ الله ﷺ حَاجٌّ هَذَا الْعَامَ ، فَنَزَلَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتِمَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَيَفْعَلَ كَمَا فَعَلَ ، فَخَرَجَ رسولُ الله ﷺ لِحُمْسِ بَقِيَّةٍ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ،

(١) مسلم (٢ / ٨٩٢) ١٥ - كتاب الحج - ١٩ - باب حجة النبي ﷺ .

(٢) مسلم (٢ / ٨٩٣) ١٥ - كتاب الحج - ٢٠ - باب ما جاء أن عرفة كلها موقف .

جَمْعٌ : مزدلفة .

(٣) أبو داود (٢ / ١٨٧) ، كتاب المناسك ، باب صفة حجة النبي ﷺ .

(٤) انظر النسائي (٥ / ١٤٧) وما بعدها ، كتاب المناسك .

وخرَجْنَا مَعَهُ ، قال جابر : ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ينزل عليه القرآن ، وهو يعرف تأويله ، وما عمل به من شيء عملنا به ، فخرَجْنَا لا ننوي إلا الحج .

وله في موضع آخر قال : إِنَّ عَلِيًّا قَدِيمٌ مِنَ الْبَيْنِ بِهَدْيٍ ، وساق رسول الله ﷺ من المدينة هدياً ، فقال لعلي : « بِمَ أَهْلَلْتَ » ؟ قال : قلت : اللَّهُمَّ إِنِّي أَهْلَلْتُ بِمَا أَهَلُّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ، وَمَعِيَ الْهَدْيُ ، قال : « فَلَا تَحِلُّ إِذَا » .

وله في موضع آخر : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَتَى ذَا الْحُلَيْفَةِ صَلَّى وَهُوَ صَامِتٌ ، حَتَّى أَتَى الْبَيْدَاءَ .

وفي موضع آخر : قال : أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ ، ثُمَّ أُذِّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ يُرِيدُ أَنْ يَأْتِيَ رَاكِباً أَوْ رَاجِلاً إِلَّا قَدِيمٌ ، فَتَدَارَكَ النَّاسَ لِيُخْرِجُوا مَعَهُ ، حَتَّى حَازَى ذَا الْحُلَيْفَةَ ، وَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « اغْتَسَلِي وَاسْتَغْفِرِي بِثَوْبٍ ثُمَّ أَهْلِي ، فَفَعَلْتَ » .
وفي موضع آخر قال : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَاقَ هَدِيّاً فِي حَجَّتِهِ .

وفي موضع آخر قال : قَدِيمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَاسْتَلَمَ الْحَجَرَ ، ثُمَّ مَضَى عَنْ بَيْنِهِ ، فَرَمَلَ ثَلَاثاً وَمَشَى أَرْبَعاً ، ثُمَّ أَقَى الْمَقَامَ ، فَقَالَ : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، وَالْمَقَامُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ ، ثُمَّ أَتَى الْبَيْتَ بَعْدَ الرُّكْعَتَيْنِ فَاسْتَلَمَ الْحَجَرَ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّفا .

وفي موضع آخر : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ وَهُوَ يُرِيدُ الصَّفا ، وَهُوَ يَقُولُ : نَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ ، ثُمَّ قرأ ﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ .

وفي موضع آخر : قال : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَقِيَ عَلَى الصَّفا ، حَتَّى إِذَا نَظَرَ إِلَى الْبَيْتِ كَبَّرَ .

وفي موضع آخر : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى الصَّفا يَكْبُرُ وَيَقُولُ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » يَصْنَعُ

ذلك ثلاث مرّات ويدعو ، ويصنع على المروة مثل ذلك .

وفي موضع آخر : قال : طَافَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بالبيت سبعا : رمَلَ منها ثلاثا ، ومشى أربعاً ، ثم قامَ عند المقام ، فَصَلَّى ركعتين ، وقرأ : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ وَرَفَعَ صَوْتَهُ لِيَسْمَعَ النَّاسُ : ثم انصرفَ فاستلم ، ثُمَّ ذَهَبَ ، فقال : « نَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ » فبدأ بالصفا ، رَقِيَ عليه حتى بَدَأَ له البيتُ ، وقال ثلاث مراتٍ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » . وَكَبَّرَ اللَّهُ وَحَمِيدَهُ ثُمَّ دَعَا بِمَا قَدَّرَ لَهُ ، ثُمَّ نَزَلَ مَاشِياً حَتَّى تَصَوَّبَتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْمَسِيلِ ، فَسَعَى حَتَّى صَعِدَتْ قَدَمَاهُ ، ثُمَّ مَشَى حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ ، فَصَعِدَ فِيهَا ، حَتَّى بَدَأَ لَهُ الْبَيْتُ : فقال : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » . قال : ثلاث مرّاتٍ ، ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ وَسَبَّحَهُ وَحَمِيدَهُ ، ودعا بما شاء ، فَعَلَ هَذَا حَتَّى فَرَغَ مِنَ الطَّوَافِ .

وفي موضع آخر : قال : سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى عِرْفَةَ ، وَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةٍ ، حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقُصْوَاءِ فَرَجَلَتْ لَهُ ، حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَى بَطْنِ الْوَادِي خَطَبَ النَّاسَ ، ثُمَّ أَدْنَى ، ثُمَّ أَقَامَ ، فَصَلَّى الظُّهْرَ ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئاً .

وفي موضع آخر : أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « عَرَفْتُ كُلَّهَا مَوْقِفٌ » .

وفي موضع آخر قال : « الْمَزْدَلِفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ » .

وفي موضع آخر : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَفَعَ مِنَ الْمَزْدَلِفَةِ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، فَأَرْدَفَ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ ، حَتَّى أَتَى مُحَسَّرًا ، حَرَكَ قَلِيلًا ، ثُمَّ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَسْطَى الَّتِي تُخْرِجُكَ عَلَى الْجَمْرِ الْكَبِيرِ ، حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَّاتٍ ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا ، بِثَلْثِ حَصَى الْحَذَفِ ، وَرَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي .

وزاد في طرفٍ آخر : ثُمَّ انصرفَ إِلَى الْمُنْحَرِ فَنَحَرَ .

وفي موضع آخر : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَحَرَ بَعْضَ بُذْنِهِ بِيَدِهِ ، وَنَحَرَ بَعْضَهُ غَيْرَهُ .

٧٢٥ - * روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : أنطلق رسول الله ﷺ من المدينة بعدما ترجل وأذهن ولبس إزاره ورداءه هو وأصحابه ، فلم يمه عن شيء من الأردية والأزير تلبس ، إلا المزعفرة التي تزدع على الجلد . فأصبح بذى الحليفة ركب راحلته حتى استوى على البيداء أهل هو وأصحابه ، وقلد بدنته ، وذلك لخمس بقين من ذي القعدة ، فقدم مكة لأربع ليال خلون من ذي الحجة ، فطاف بالبيت ، وسعى بين الصفا والمروة ، ولم يحل من أجل بدنه ، لأنه قلدها . ثم نزل بأعلى مكة عند الحجون ، وهو مهل بالحج ، ولم يقرب الكعبة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة . وأمر أصحابه أن يطوفوا بالبيت ، وبين الصفا والمروة ، ثم يقصروا من رؤوسهم ثم يحلوا ، وذلك لمن لم يكن معه بدنة قلدها ، ومن كانت معه امرأته فهي له خلال ، والطيب والثياب .

٧٢٦ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ دخل مكة نهاراً .

٧٢٧ - * وروى الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : وقف رسول الله ﷺ بعرفة ، فقال : « هذه عرفة ، وهذا هو الموقف ، وعرفة كلها موقف » ثم أقاض حين غربت الشمس ، وأردف أسامة بن زيد ، وجعل يشير بيده على هينته والناس يضربون يميناً وشمالاً يلتفت إليهم ، ويقول : « يا أيها الناس ، عليكم السكينة » ثم أتى جعاً فصلّى بهم الصلاتين جميعاً ، فلما أصبح أتى قرح ، فوقف عليه ، وقال : « هذا قرح ، وهو الموقف ، وجع كلها موقف » ، ثم أقاض حتى انتهى إلى وادي محسر ، فقرع ناقته ، فحبت حتى جاوز الوادي ، فوقف وأردف الفضل ، ثم أتى الجمرة فرماها ، ثم أتى المنحر ،

٧٢٥ - البخاري (٢ / ٤٠٥) - ٢٥ - كتاب الحج - ٢٣ - باب ما يلبس المحرم من الثياب والأزير .

ترجل : الترجيل : تسريح الشعر .

تزدع : ثوب زديع ، أي صبيغ ، وقد زدعت بالزعران ، والمراد : الذي يؤثر صبغة في الجسد ، فيصبغة من لونه .

٧٢٦ - الترمذي (٢ / ٢٠١) - ٧ - كتاب الحج - ٢١ - باب ما جاء في دخول النبي ﷺ مكة نهاراً ، وسنده صحيح .

٧٢٧ - الترمذي (٢ / ٢٢٣) - ٧ - كتاب الحج - ٥٤ - باب ما جاء أن عرفة كلها موقف . وقال : حديث علي حديث حسن صحيح .

جئع : مزدلفة .

الصلاتين جميعاً : المغرب والعشاء .

قرح : موقف الإمام بمزدلفة .

فقال : « هذا المنحَر ، وَمِنِّي كُلُّهَا مَنَحَرٌ » واستفتته جارية شابة من خثعم ، قالت : إنَّ أبي شيخ كبير ، قد أدركته فريضة الله في الحج ، أفيجزئ أن أحج عنه ؟ قال : « حُجِّي عَنْ أَبِيكَ » قال : ولوى عُنُقَ الْفَضْلِ ، فقال العباس : يا رسول الله ، لِمَ لَوَيْتَ عُنُقَ ابْنِ عَمِكَ ؟ قال : « رَأَيْتُ شَابًا وَشَابَةً ، فلم آمَنِ الشَّيْطَانُ عليهما » ثم أتاه رجل ، فقال : يا رسول الله ، إني أفضت قبل أن أحلق ؟ قال : « احلق أو قصّر ولا حرج » قال : وجاء آخر فقال : يا رسول الله ، إني ذبحت قبل أن أرمي ؟ قال : « ارم ولا حرج » قال : ثم أتى البيت فطاف به ، ثم أتى زمزم ، فقال : « يا بني عبد المطلب ، لولا أن يغلبكم الناس عليه لنزعتُ » .

٧٢٨ - * روى البخاري عن ابن عمر كان يبعث يهديه من جمع من آخر الليل ، حتى يدخل به منحَر النبي ﷺ مع حُجَّاج ، فيهم الحرُّ والمملوك .

٧٢٩ - * روى أبو داود عن رافع بن عمرو المزني رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ يخطبُ الناسَ بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء ، وعليَّ يعبر عنه ، والناس بين قائم وقاعيد .

٧٣٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ من القَدِ يوم النحر - وهو بمنى - : « نحن نازلون غدًا بخيف بني كنانة ، حيث تقاسموا على الكفر » - يعني بذلك : المحصب - وذلك أن قريشاً وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب أو بني المطلب (وهو صحيح) - أن لا يُنْأَكُحُوهم ، ولا يُبَايَعُوهم ، حتى يُسَلِّمُوا إليهم النبي ﷺ .

= لنزعت : لاستقيمت معكم ، ولكنه خشي أن يستن به الناس فيغلبوا بني عبد المطلب على هذا الشرف .

٧٢٨ - البخاري (٣ / ٥٥٢) ٢٥ - كتاب الحج - ١١٦ - باب النحر في منحَر النبي ﷺ بمنى .

٧٢٩ - أبو داود (٢ / ١٩٨) ، كتاب المناسك ، باب أي وقت يخطب يوم النحر . وإسناده قوي .

٧٣٠ - البخاري (٣ / ٤٥٢) ٢٥ - كتاب الحج - ٤٥ - باب نزول النبي ﷺ مكة .

ومسلم نحوه (٢ / ٩٥٢) ١٥ - كتاب الحج - ٥٩ - باب استحباب النزول بالمحصب يوم النفر ، والصلاة به .

حيث تقاسموا على الكفر : يعني حصار الشعب .

وفي رواية ^(١) : أنه قال - حين أراد قدوم مكة - : « مَنْزِلُنَا غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ : بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ . » . الحديث .

٧٣١ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن النبي ﷺ صَلَّى الظُّهْرَ والعَصْرَ والمغربَ والعشاءَ ، ثم رَقَدَ رُقْدَةً بِالْمَحْصَبِ ، ثم رَكِبَ إِلَى الْبَيْتِ فطَافَ بِهِ .

٧٣٢ - * روى الحاكم عن عبد الرحمن بن أبي بكر : أن النبي ﷺ صَلَّى الله عليه وآله وسلم قَالَ لَهُ : « أَرَدِفْ أُخْتُكَ عَائِشَةَ فَأَعْمِرْهُمَا مِنَ التَّنْعِيمِ فَإِذَا هَبَطَتِ الْأَكْمَةُ فَمُرْهَا فَلْتَحْرِمْ فَإِنَّهَا عُمُرَةٌ مُتَقَبِّلَةٌ » .

٧٣٣ - * روى الترمذي عن أبي سريحة أو يزيد بن أرقم : شكَّ شُعْبَةُ - عن النبي ﷺ - قال : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاةً فَعَلِيَّ مَوْلَاةٌ » . .

٧٣٤ - * روى الطبراني والحاكم عن زيد بن أرقم قال : لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ، ونزل غدِير خُم ، أمر بدوحات ففُتَّتْ ، ثم قام فقال : « كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ فَأَجَبْتُ ، إِنِّي تَارِكُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخِرِ ، كِتَابُ اللَّهِ وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي ، فَاَنْظُرُوا كَيْفَ تَخْلِفُونِي فِيهِمَا ؟ فَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ » ثم قال : « إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ ، وَأَنَا وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ » ثم أخذ بيد علي فقال : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاةً فَهَذَا مَوْلَاةٌ ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَاَلَاةُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ » فقلت لزيد : أنت سمعته من رسول الله ﷺ ؟ فقال : ما كان في الدوحات أحد إلا قد رآه بعيني وسمعه بأذنيه .

(١) البخاري (٤٥٢ / ٣) ٢٥ - كتاب الحج - ٤٥ - باب نزول النبي ﷺ مكة .

٧٣١ - البخاري (٥٩٠ / ٣) ٢٥ - كتاب الحج - ١٤٤ - باب طواف الوداع .

٧٣٢ - المستدرک (٤٧٧ / ٣) . وقوى إسناده الذهبي .

٧٣٣ - الترمذي (٦٣٣ / ٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٢٠ - باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

٧٣٤ - الطبراني في المعجم الكبير (١٦٦ / ٥) .

والحاكم مطولاً في المستدرک (١٠٩ / ٣) . وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله .

وسكت عنه الذهبي . وهو صحيح .

أقول : هذا هو الحديث المشهور بحديث غدير خُتم - وهو مكان بين مكة والمدينة - الذي بنى عليه الشيعة مذهبهم الباطل في أن الخلافة في علي وذريته بما لا يحتمله نص الحديث ، وقد كان ذلك مرجعه عليه الصلاة والسلام من الحج. وقوله عليه الصلاة والسلام « من كنت مولاه فعليّ مولاه » ثابت في نصوص كثيرة حتى ذهب السيوطي إلى تواتره .

٧٣٥ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر كان إذا صدر من الحج والعمرة أنّاخَ بالبطحاء التي بذى الحليفة التي كان يُنِخُ بها رسولُ الله ﷺ .

وفي أخرى للبخاري ^(١) : أن رسولَ الله ﷺ كان إذا خرج إلى مكة صلى في مسجد الشجرة ، وإذا رجع صلى بذى الحليفة ببطن الوادي وبات بها .

* * *

٧٣٥ - البخاري مطولاً (٣ / ٥٩٢) ٢٥ - كتاب الحج - ١٤٨ - باب النزول بذى طوى قبل أن يدخل مكة ، والنزول بالبطحاء التي بذى الحليفة إذا رجع من مكة .

ومسلم (٢ / ٩٨١) ١٥ - كتاب الحج - ٧٧ - باب التعريس بذى الحليفة ، والصلاة بها إذا صدر من الحج أو العمرة .

الصدر : رجوع المسافر من مقصده .

(١) البخاري (٣ / ٣٩١) ٢٥ - كتاب الحج - ١٥ - باب خروج النبي ﷺ على طريق الشجرة .

فصل : في وفاته عليه الصلاة والسلام

٧٣٦ - * روى الدارمي عن عطاء قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصَابَةَ بِي فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ » .

٧٣٧ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ ، وَتُوفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ .

وَفِي أُخْرَى قَالَ ^(١) : أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ ، فَمَكَثَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِالهِجْرَةِ ، فَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَمَكَثَ بِهَا عَشْرَ سِنِينَ ، ثُمَّ تُوْفِيَ ﷺ .

٧٣٨ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوْفِيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ .

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : وَأُخْبِرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ بِمِثْلِهِ .

٧٣٩ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ : تُوْفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ ، وَتُوْفِيَ أَبُو بَكْرٍ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ ، وَتُوْفِيَ عُمَرُ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ .

٧٤٠ - * روى الدارمي عن العباس رضي الله تعالى عنه : لِأَعْلَمَنْ مَا بَقَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِينَا . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُهُمْ قَدْ آذَوْكَ وَأَذَاكَ غَبَارَهُمْ ، فَلَوْ اتَّخَذْتَ عَرِيشًا تَكَلِّمُهُمْ مِنْهُ ، فَقَالَ : « أَزَالُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ يَطُؤُونَ عَقْبِي وَيَنَازِعُونِي رِدَائِي ، حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ

٧٣٦ - الدارمي (١ / ٤٠) ، المقدمة ، باب في وفاة النبي ﷺ . وهو حديث حسن لشواهده .

٧٣٧ - البخاري (٧ / ٢٢٧) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار . ٤٥ - باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

ومسلم (٤ / ١٨٢٦) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٣٢ - باب كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة .

(١) البخاري (٧ / ١٦٢) ٦٣ - كتاب فضائل الأنصار - ٢٨ - باب مبعث النبي ﷺ .

ومسلم نحوه (٤ / ١٨٢٦) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٣٣ - باب كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة .

٧٣٨ - البخاري (٨ / ١٥٠) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨٥ - باب وفاة النبي ﷺ .

ومسلم نحوه (٤ / ١٨٢٦) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٣٣ - باب كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة .

٧٣٩ - مسلم في نفس الموضع السابق .

٧٤٠ - الدارمي (١ / ٣٥) ، المقدمة ، باب في وفاة النبي ﷺ . ورجاله رجال الصحيح .

هُوَ الَّذِي يُرِيحُنِي مِنْهُمْ » قَالَ : فَعَلِمْتُ أَنَّ بَقَاءَهُ فِيْنَا قَلِيلٌ .

٧٤١ - * روى أحمد عن معاذ بن جبل قال : لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه ومُعَاذَ رَاكِبٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْشِي تَحْتَ رَاحِلَتِهِ . فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ : « يَا مُعَاذُ إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا ، أَوْ لَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا أَوْ قَبْرِي » فَبَكَى مُعَاذٌ جَشَعًا لِفِرَاقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ التَفَتَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ : « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا » .

٧٤٢ - * روى الطبراني والبخاري عن العباس بن عبد المطلب قال : رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ الْأَرْضَ تَنْزَعُ إِلَى السَّمَاءِ بِأَشْطَانٍ شِدَادٍ ، فَقَصَصْتُ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « ذَلِكَ وَفَاةُ ابْنِ أَخِيكَ » .

٧٤٣ - * روى أبو داود عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجرب بن حنبل قالوا : أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ ، وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ ﷻ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أُحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ ﷻ فَسَلَّمْنَا ، وَقُلْنَا : أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ ، وَعَائِدِينَ ، وَمُقْتَبِسِينَ ، فَقَالَ الْعِرْبَاضُ : صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا . فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعَيْونُ ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَأَنَّ هَذِهِ

٧٤١ - أحمد في مسنده (٢٣٥ / ٥) بإسنادين .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢ / ٩) ، رواه أحمد بإسنادين ، ورجال الإسنادين رجال الصحيح غير راشد بن سعد وعاصم بن حيد ، وهما ثقاتان .

٧٤٢ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢ / ٩) ، وقال : رواه البخاري والطبراني ، ورجالهما ثقات .
تَنْزَعُ : النزع : الجذب والقلع .

أَشْطَانٌ : جمع شطن ، والشطن : الحبل ، وقيل هو الطويل منه .

٧٤٣ - أبو داود (٢٠٠ / ٤) ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة ، وإسناده صحيح .

والترمذي نحوه (٤٤ / ٥) ٤٢ - كتاب العلم - ١٦ - باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع . وقال : هذا حديث حسن صحيح . ولكنه لم يذكر الصلاة ، وفي آخره تقديم وتأخير .

قال ابن الأثير شارحاً غريب الحديث :

مُقْتَبِسِينَ : الاقتباس في الأصل : أخذ القُبْس من النار ، وأراد به : الأخذ من العلم والأدب .

ذَرَفَتْ : العينُ تَذْرِفُ : إذا دُمعت .

وَجِلَتْ : وَجَلَ الْقَلْبُ يَوْجَلُ : إذا خافَ وفزع . والْوَجَلُ : الفزع .

مَوْعِظَةٌ مَوْدَعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: «أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّعْيِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّدِينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

٧٤٤ - * روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كَانَ عُمَرُ يَدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاحِ بَدْرٍ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا، وَلَنَا أَهْبَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ عَلِمْتُمْ، فَدَعَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ، إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ^(١) فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَمَرْنَا نَحْمَدُ اللَّهَ وَنُسْتَغْفِرُهُ، إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا،

تعهد: عهد إليه بكذا يعهد: إذا أوصى إليه.

الراشدين: الراشد: اسم فاعل من رَشِدَ يَرْشُدُ، وَرَشَدَ يَرْشُدُ رَشْدًا، وهو خلاف الغي، وأرشدته أنا: إذا هديته.

المهديين: المهدي: الذي قد هداه الله إلى الحق، هداة يَهْدِيهِ فهو مهديٌّ، والله هاديه.

وإنَّ عَبْدًا حَبَشِيًّا: أي: أطلعُ صاحبَ الأمر، واسمع له، وإن كان عبدًا حبشيًّا، فحذف «كان» وهي مرادة.

وعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ: النواجِذُ: الأضرار التي بعد الناب، جمع ناجذ، وهذا مثل في شدة الاستسكان بالأمر، لأنَّ العَضَّ بالنَّاجِذِ عَضٌّ بمعظم الأسنان التي قبلها والتي بعدها.

المهدي: يفتح الهاء وسكون الدال: الطريقة والسيرة.

محدثات الأمور: ما لم يكن معروفًا في كتاب ولا سنة وإجماع.

بدعة: الابتداع: إذا كان من الله وَحْدَهُ فهو إخراج الشيء من العدم إلى الوجود، وهو تكوين الأشياء بعد أن لم تكن، وليس ذلك إلا إلى الله تعالى، فأما الابتداع من المخلوقين، فإن كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله، فهو في حيز الذم والإنكار، وإن كان واقعاً تحت عموم ما نذَّبَ الله إليه، وحضَّ عليه أو رسوله، فهو في حيز المدح، وإن لم يكن مشالةً موجوداً، كنوع من الجود والسخاء، وفعل المعروف، فهذا فعل من الأعمال المحمودة لم يكن الفاعل قد سبق إليه، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما وَزَرَ الشَّرعُ به، لأنَّ رسولَ الله ﷺ، قد جعل له في ذلك ثواباً فقال: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً، كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا» وقال في ضده: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا» (أخرجه مسلم ٧٠٥ / ٢) وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله، ويعضد ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلاة التراويح: نَعُمْتُ البدعة هذه، لما كانت من أفعال الخير، ودخلت في حيز المدح، سَمَّاهَا بدعةً ومَدَحَهَا، وهي - وإن كان النبي ﷺ قد صلاها - إلا أنه تركها، ولم يحافظ عليها، ولا جمع الناس عليها، فحافظت عمر عليها، وجمعه الناس لها، ونذَّبهم إليها، بدعةً، لكنها بدعةٌ محمودةٌ مدحوةٌ. قاله ابن الأثير.

٧٤٤ - البخاري (٨ / ٧٣٤) ٦٥ - كتاب التفسير - ٤ - باب قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

(١) النصر: ١.

وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ ، فَلَمْ يَقُلْ شَيْئاً ، فَقَالَ لِي : أَكْذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ :
فَمَا تَقُولُ ؟ قُلْتُ : هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمُ لَهُ ، قَالَ : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ
وَالْفَتْحُ ﴾ وَذَلِكَ غَلَامَةٌ أَجَلِكَ ﴿ قَسْبَحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾ ^(١) فَقَالَ
عُمَرُ : مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ .

وفي رواية ^(٢) أَنَّ عُمَرَ كَانَ يُذْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : إِنَّ لَنَا
أَبْنَاءً مِثْلَهُ ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ تَعْلَمُ ، فَسَأَلَ عُمَرُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ إِذَا
جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ قَالَ : أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمُ إِثْبَاتاً ، قَالَ : مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا
مَا تَعْلَمُ .

وَفِي أُخْرَى ^(٣) : أَنَّ عُمَرَ سَأَلَهُمْ عَنْ قَوْلِهِ : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ قَالُوا : فَتَحُ
الْمَدَائِنِ وَالْقُصُورِ ، قَالَ : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، مَا تَقُولُ ؟ قَالَ : أَجَلٌ أَوْ مِثْلُ ضَرْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ ،
نُعِيَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ .

٧٤٥ - * روى الطبراني عن أم سلمة قالت : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ يُكْثِرُ أَنْ
يَقُولَ : « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ » قَالَ : إِنِّي أُمِرْتُ فَقَرَأُ
﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ .

٧٤٦ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَابَعَ الْوَحْيَ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ ، حَتَّى تَوَفَّاهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ الْوَحْيُ ، ثُمَّ تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ بَعْدُ .

قال ابن حجر:

قوله (إن الله تابع على رسوله ﷺ قبل وفاته) كذا للأكثر : وفي رواية أبي ذر « إن

(١) النصر : ٢ .

(٢) الترمذي (٤٥٠ / ٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٩١ - باب « ومن سورة النصر » .

(٣) البخاري (٧٣٤ / ٨) ٦٥ - كتاب التفسير - ٤ - باب قوله : ﴿ قَسْبَحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾ .

٧٤٥ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٣ / ٩) ، وقال : رواه الطبراني في الصغير ، ورجاله رجال الصحيح .

٧٤٦ - البخاري (٣ / ٩) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن - ١٠ - باب كيف نزل الوحي ؟ وأول ما نزل .

ومسلم نحوه (٢٣١٢ / ٤) ٥٤ - كتاب التفسير .

الله تابع على رسوله الوحي قبل وفاته « أي أكثر إنزاله قرب وفاته ﷺ ، والسري في ذلك أن الوفود بعد فتح مكة كثروا وكثر سؤالهم عن الأحكام فكثرت النزول بسبب ذلك . ووقع لي سبب تحديث أنس بذلك من رواية الدراوردي عن الإمامي عن الزهري « سألت أنس ابن مالك : هل فتر الوحي عن النبي ﷺ قبل أن يموت ؟ قال : أكثر ما كان وأجبه » أورده ابن يونس في « تاريخ مصر » في ترجمة محمد بن سعيد بن أبي مريم . قوله (حتى توفاه أكثر ما كان الوحي) أي الزمان الذي وقعت فيه وفاته كان نزول الوحي فيه أكثر من غيره من الأزمنة قوله (ثم توفي رسول الله ﷺ بعد) فيه إظهار ماتضمنته الغاية في قوله « حتى توفاه الله » ، وهذا الذي وقع أخيراً على خلاف ما وقع أولاً ، فإن الوحي في أول البعثة فتر فترة ثم كثرت ، وفي أثناء النزول بمكة لم ينزل من السور الطوال إلا القليل ، ثم بعد الهجرة نزلت السور الطوال المشتملة على غالب الأحكام ، إلا أنه كان الزمن الأخير من الحياة النبوية أكثر الأزمنة نزولاً بالسبب المتقدم .

٧٤٧ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ وَلَا يَرَانِي ، ثُمَّ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ » فَأُولُوهُ عَلَى أَنَّهُ نَعَى نَفْسَهُ إِلَيْهِمْ ، وَعَرَفَهُمْ مَا يَحْدُثُ لَهُمْ بَعْدَهُ مِنْ تَمَنِّي لِقَائِهِ عِنْدَ فَقْدِهِمْ مَا كَانُوا يُشَاهِدُونَ مِنْ بَرَكَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قال النووي : وتقدير الكلام يأتي على أحدكم يوم لأن يراني فيه لحظة لا يراني بعدها أحب إليه من أهله وماله جميعاً . ومقصود الحديث حثهم على ملازمة مجلسه الكريم ومشاهدته حضراً وسفراً للتأدب بأدابه وتعلم الشرائع وحفظها ليبلفوها ، وإعلامهم أنهم سيندمون على ما فرطوا فيه من الزيادة من مشاهدته وملازمته . ومنه قول عمر رضي الله عنه ألهاني عنه الصفق بالأسواق أ.هـ .

٧٤٨ - * روى البخاري عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : لما ثقل رسول الله ﷺ واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي ، فأذن له ، فخرج وهو بين الرجلين

٧٤٧ - مسلم (٤ / ١٨٣٦) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٣٩ - باب فضل النظر إليه ﷺ وقفيه .

٧٤٨ - البخاري (٨ / ١٤١) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨٣ - باب مرض النبي ﷺ ووفاته .

تَخَطُّ رَجُلَاهُ فِي الْأَرْضِ ، بَيْنَ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَبَيْنَ رَجُلٍ آخَرَ . قَالَ عَبِيدُ اللَّهِ فَأَخْبَرْتُ عَبْدَ اللَّهِ بِالَّذِي قَالَتْ عَائِشَةُ ، فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ : هَلْ تَدْرِي مِنَ الرَّجُلِ الْآخَرِ الَّذِي لَمْ تُسَمِّ عَائِشَةُ ؟ قَالَ ، قُلْتُ : لَا ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : هُوَ عَلِيٌّ . وَكَانَتْ عَائِشَةُ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ تَحَدَّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا دَخَلَ بَيْتِي وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعٌ قَالَ : « هَرِّيقُوا عَلِيًّا مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِتْهُنَّ ، لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ » فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مَخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُ عَلَيْهِ مِنْ تَكِ الْقَرَبِ حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ أَنْ قَدْ فَعَلْتَنَّ . قَالَتْ : ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ فَصَلَّى بِهِمْ وَخَطَبَهُمْ .

وفي رواية ^(١) : قَالَتْ : أَوَّلُ مَا اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ ، فَاسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمْرُضَ فِي بَيْتِي ، فَأَذِنَ لَهُ . . . الْحَدِيثُ .

٧٤٩ - * رَوَى الدَّارِمِيُّ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : رَجَعَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ جَنَازَةٍ مِنَ الْبَقِيعِ فَوَجَدَنِي ، وَأَنَا أَجِدُ صُدَاعًا ، وَأَنَا أَقُولُ : وَرَأْسَاهُ . قَالَ : « بَلْ أَنَا يَا عَائِشَةُ وَرَأْسَاهُ » قَالَ : « وَمَا صَرُّكَ لَوْ مِتُّ قَبْلِي فَغَسَّلتُكَ وَكَفَّنْتُكَ وَصَلَّيْتُ عَلَيْكَ وَدَفَنْتُكَ » فَقُلْتُ : لَكَأَنِّي بِكَ وَاللَّهِ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ ، لَرَجَعْتَ إِلَى بَيْتِي فَعَرَّسْتَ فِيهِ بَعْضَ نِسَائِكَ . قَالَتْ : فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ بَدَأَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ .

٧٥٠ - * رَوَى أَحْمَدُ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ قَالَتْ : أَوَّلُ مَا اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي

= أَوْكِتْهُنَّ : الْأَوْكِتَةُ : الْأُرْبُطَةُ .

الْمَخْضَبُ : وَعَاءٌ كَبِيرٌ تَفْسِلُ فِيهِ الثِّيَابُ وَيُسَمَّى الْعَامَّةُ فِي بِلَادِنَا الْيَوْمَ طَبَقًا .

(١) البخاري بنحوه (٦ / ٢١٠) ٥٧ - كتاب فرض الحس - ٤ - باب ماجاء في بيوت أزواج النبي ﷺ ، وما نُسِبَ مِنْ الْبُيُوتِ إِلَيْهِنَّ .

مسلم واللفظ له (١ / ٣١٢) ٤ - كتاب الصلاة - ٢١ - باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس .

اشتكى : مرض .

٧٤٩ - الدارمي (١ / ٣٧) ، المقدمة ، باب في وفاة النبي ﷺ .

وابن ماجه بعضه (١ / ٤٧٠) ٦ - كتاب الجنائز - ٩ - باب ماجاء في غسل الرجل امرأته وغسل المرأة زوجها .

وعلق الحق لابن ماجه بقوله في الزوائد : رجاله ثقات ، ورواه البخاري من وجه آخر مختصراً .

٧٥٠ - أحمد في مسنده (٦ / ٤٣٨) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٢) ، رواه أحمد ، رجاله ثقات .

=

بَيْتٍ مُّيْمُونَةٍ فَاشْتَدَّ مَرَضُهُ حَتَّى أُغْمِيَ عَلَيْهِ ، فَتَشَاوَرَ نِسَاؤُهُ فِي لَدِّهِ فَلَدُّوهُ ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : « مَا هَذَا ؟ » فَقُلْنَا : هَذَا فَعَلُ نِسَاءٍ جُنُنٍ مِنْ هَهُنَا ، وَأَشَارَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ . وَكَانَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ فِيهِنَّ ، قَالُوا : كُنَّا نَتَّهِمُ بِكَ ذَاتَ الْجَنْبِ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « إِنَّ ذَلِكَ لَدَاءٌ مَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيَقْذِفَنِي بِهِ ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ لَا يُلْدُ إِلَّا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » يَعْنِي الْعَبَّاسَ : قَالَتْ لَقَدْ التَّدْتُ مَيْمُونَةً يَوْمَئِذٍ وَإِنَّهَا لَصَائِمَةٌ لِعَزِيمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وذكر رزين ^(١) عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ عَقَدَ لِي لَوَاءً فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، وَبَرَزْتُ بِالنَّاسِ فَلَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَتَيْتُهُ يَوْمًا ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيَّ وَيَرْفَعُهَا ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو لِي ، فَلَمَّا بَوَّعَ لِأَبِي بَكْرٍ ، كَانَ أَوَّلَ مَا صَنَعَ ، أَمَرَ بِإِنْفَازِ تِلْكَ الرَّايَةِ الَّتِي كَانَ عَقَدَهَا لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ سَأَلَنِي فِي عَمَرٍ : أَنْ أُتْرَكَ لَهُ ، فَفَعَلْتُ .

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ ^(٢) قَالَ : لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَبَطْتُ ، وَهَبَطَ النَّاسُ الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَدْ أَضْمِتَ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ يَدَيْهِ عَلَيَّ وَيَرْفَعُهَا ، فَأَعْرَفْتُ أَنَّهُ يَدْعُو لِي .

٧٥١ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ : أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَتْ : بَلَى . ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : « أَصَلَّى النَّاسُ ؟ » قُلْنَا : لَا ، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ . قَالَ : « ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ » قَالَتْ : فَفَعَلْنَا . فَاعْتَسَلَ فَذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ ﷺ :

= اللدود : بالفتح : من الأدوية ما يسقاه المريض في أحد شقي الفم .

(١) أوردها ابن الأثير في جامع الأصول (١٠ / ٢٦) ، وقال : هذه الرواية ذكرها رزين .

برزت بالناس : البروز : الخروج .

(٢) الترمذي (٥ / ٦٧٧) - ٥٠ - كتاب المناقب - ٤١ - باب مناقب أسامة بن زيد ، رضي الله عنه . وقال : هذا

حديث حسن غريب .

٧٥١ - البخاري (٢ / ١٧٢) - ١٠ - كتاب الأذان - ٥١ - باب إنما جعل الإمام ليؤتم به .

ومسلم (١ / ٢١١) - ٤ - كتاب الصلاة - ٢١ - باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس .

« أَصَلَّى النَّاسُ ؟ » قلنا : لا ، هم يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قال : « ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْخَضَبِ » قالت : فَقَعِدْ فَاغْتَسَلْ ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَتَوَوَّءَ فَأَغْمِيَ عَلَيْهِ . ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ : « أَصَلَّى النَّاسُ ؟ » قلنا : لا ، هم يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فقال : « ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْخَضَبِ » فَقَعِدْ فَاغْتَسَلْ ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَتَوَوَّءَ فَأَغْمِيَ عَلَيْهِ . ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ : « أَصَلَّى النَّاسُ » فَقُلْنَا : لا ، هم يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . والناسُ عُكُوفٌ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَصَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ - فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ . فقال أبو بكرٍ - وكان رجلاً رَقِيقاً - يَاعِمرُ صَلِّ بِالنَّاسِ ، فقال له عمرُ : أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ . فصلَّى أبو بكرٍ تلكَ الأيامَ . ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِيفَةً ، فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ - أَحَدُهُمَا الْعَبَّاسُ - لَصَلَاةِ الظُّهْرِ ، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنْ لَا يَتَأَخَّرَ ، قَالَ : « أَجْلِسْ أَيْ إِلَى جَنْبِهِ » فَأَجْلَسَاهُ إِلَى جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَ فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي وَهُوَ يَأْتُمُّ بِصَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَالنَّاسُ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ وَالنَّبِيُّ ﷺ قَاعِدٌ ، قَالَ عَبِيدُ اللَّهِ : فَدَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ لَهُ : أَلَا أَعْرِضُ عَلَيْكَ مَا حَدَّثْتَنِي عَائِشَةُ عَنْ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ ؟ قَالَ : هَاتِ . فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَدِيثَهَا . فَا أَنْكَرَ مِنْهُ شَيْئاً ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ : أَسَمَّتُ لَكَ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ مَعَ الْعَبَّاسِ ؟ قُلْتُ : لا . قال : هو علي .

٧٥٢ - * روى مالك والبخاري عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ : « مَرُّوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ » قَالَتْ عَائِشَةُ : قُلْتُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يَسْمَعْ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ ، فَرُعِمَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ . فَقَالَتْ عَائِشَةُ : فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ قُولِي لَهُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يَسْمَعْ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ فَرُعِمَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ . فَفَعَلْتُ حَفْصَةَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَهْ ، إِنَّكَ لَأَتْنُنَّ صَوَاحِبَ يَوْسَفَ ، مَرُّوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ : مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكَ خَيْراً .

٧٥٢ - مالك في الموطأ (١ / ١٧٠) ٩ - كتاب قصر الصلاة في السفر - ٢٤ - باب جامع الصلاة .
والبخاري (٢ / ١٦٤) ١٠ - كتاب الأذان - ٤٦ - باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة .

٧٥٢ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة : قالت : لقد راجعتُ رسولَ الله ﷺ في ذلك ، وما حَمَلَنِي عَلَى كَثْرَةِ مَرَاجَعَتِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِي قَلْبِي أَنْ يُحِبَّ النَّاسُ بَعْدَهُ رَجُلًا قام مقامه أبداً ، ولا كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ لَنْ يَقُومَ أَحَدٌ مقامه إِلَّا تَشَاءَمَ النَّاسُ بِهِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَعْدِلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَبِي بَكْرٍ .

٧٥٤ - * روى أبو داود عن عبد الله بن زَمْعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا اسْتَعِزَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ - وَأَنَا عِنْدَهُ فِي تَفَرٍّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ - دَعَاهُ بِلَالٌ إِلَى الصَّلَاةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَرُّوا مَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ » فخرج عبد الله بن زَمْعَةَ ، فَإِذَا عُمَرُ فِي النَّاسِ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ غَائِبًا ، فَقُلْتُ : يَا عُمَرُ ، قُمْ فَصَلِّ ، فَتَقَدَّمَ فَكَبَّرَ ، فَلَمَّا سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ صَوْتَهُ - وَكَانَ عُمَرُ رَجُلًا مَجْهَرًا - قَالَ : « فَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ ؟ يَا أَبَى اللَّهِ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ ، يَا أَبَى اللَّهِ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ » ، فَبَعَثَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَجَاءَ بَعْدَ أَنْ صَلَّى عُمَرُ تِلْكَ الصَّلَاةَ ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ .

زَادَ فِي رِوَايَةٍ ^(١) قَالَ : لَمَّا سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ صَوْتَ عُمَرَ قَالَ ابْنُ زَمْعَةَ : خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَطْلَعَ رَأْسَهُ مِنْ حُجْرَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « لَا ، لَا ، لَا ، لَا ، لِيُصَلَّ بِالنَّاسِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ » قَالَ ذَلِكَ مُغَضَّبًا .

٧٥٣ - البخاري (١٤٠ / ٨) - ٦٤ - كتاب المغازي - ٨٣ - باب مرض النبي ﷺ ووفاته .

ومسلم (٣١٣ / ١) - ٤ - كتاب الصلاة - ٢١ - باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرها من يصلي بالناس .

٧٥٤ - أبو داود (٢١٥ / ٤) ، كتاب السنة ، باب في استخلاف أبي بكر رضي الله عنه . وهو حديث حسن . استعزَّ : بالمريض : إذا غلب على نفسه من شدة المرض ، وأصله من العِزَّة ، وهي الغلبة والاستيلاء على الشيء . مَجْهَرًا : رجل مَجْهَر ، أي : صاحِبُ جَهْرٍ ورفع لصوته ، يقال : جهر الرجل صوته وأجهر : إذا عرف بالجهر ، فهو جاهر ومَجْهَر .

يَأْبَى اللَّهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ : فيه نوع دلالة على خلافة أبي بكر رضي الله عنه . لأن هذا القول يُعلم منه : أن المراد به ليس نفي جواز الصلاة خلف عمر ، كيف وهي جائزة خلف غيره من أحاد المسلمين من هو دون عمر ؟ وإنما أراد به الإمامة التي هي الخلافة والنيابة عن النبي ﷺ ، فلذلك قال فيه :

« يَا أَبَى اللَّهِ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ » . وعلى أنه يجوز أن يكون أراد بهذا القول : أن الله يَأْبَى والمسلمون أن يتقدم في الصلاة أحد على جماعة فيهم أبو بكر ، حيث هو أكبرهم قدراً ومنزلةً وعلماً .

(١) أبو داود (٢١٥ / ٤) ، كتاب السنة ، باب في استخلاف أبي بكر رضي الله عنه .

٧٥٥ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ الْأَنْصَارَ كَرِشِي وَعَيْبَتِي ، وَإِنَّ النَّاسَ سَيَكْثُرُونَ وَيَقْلُونَ ، فَأَقْبِلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ » .

وفي رواية للبخاري ^(١) قال : مرُّ أبو بكرٍ والعبَّاس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يَتَكَيَّفُونَ ، فَقَالَ : مَا يَبْكِيكُمْ ؟ قَالُوا : ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَّا ، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ ، قَالَ : فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةً بُرْدٌ ، قَالَ : فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ - وَلَمْ يَصْعُدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ - فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَوْصِيَكُمْ بِالْأَنْصَارِ ، فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي ، وَقَدْ قَضُوا الَّذِي عَلَيْهِمْ ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ ، فَأَقْبِلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ » .

٧٥٦ - * روى مسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كشف رسول الله ﷺ السَّتَارَةَ ، وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مَبَشِّرَاتِ النَّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ ، أَوْ تَرَى لَهُ ، أَلَا وَإِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا ، فَأَمَّا الرُّكُوعُ : فَعَظَّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عِزَّ وَجَلَّ ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ ، فَقَمِينٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ » .

٧٥٥ - البخاري (١٢١ / ٧) ٦٢ - كتاب مناقب الأنصار - ١١ - باب قول النبي ﷺ : « اقبلوا من عسنتهم ، وتجاوزوا عن مسيئتهم » .

ومسلم واللفظ له (١٩٤٩ / ٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤٣ - باب من فضائل الأنصار ، رضي الله تعالى عنهم .

كرشي وعيبيتي : أراد بقوله : الأنصار كرشي وعيبيتي ، أي : موضع برِّي وأمانتي ، فاستعمار الكرشي والعبيبة ، لأن المجترَّ يجمع غلَّفه في كرشه ، والرجل يضع ثيابه في عيبيته ، قال الهروي : قال أبو عبيد : يقال : عليه كرش من الناس ، أي : جماعة ، كأنه أراد : جماعتي وصحابتي الذين بهم أثق ، وعليهم أعتد .

يقنون : يعني الأنصار .

(١) البخاري (١٢٠ / ٧) ٥٣ - كتاب مناقب الأنصار - ١١ - باب قول النبي ﷺ : « اقبلوا من عسنتهم ، وتجاوزوا عن مسيئتهم » .

٧٥٦ - مسلم (٣٤٨ / ١) ٤ - كتاب الصلاة - ٤١ - باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود .
فقين : قن : جدير وخليق .

وفي رواية ^(١) : كَشَفَ السُّتْرَ ، وَرَأَسُهُ مَعْصُوبٌ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ ؟ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النَّبُوءَةِ إِلَّا الرُّؤْيَا ، يَرَاهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ ، أَوْ تُرَى لَهُ . . . » ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَهُ .

٧٥٧ - * رَوَى الْبَزَارُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ : لَمَّا حَضَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْوَفَاةَ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَوْصِنَا ، قَالَ : « أَوْصِيكُمْ بِالسَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ ، وَبِأَبْنَائِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَبِأَبْنَائِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَبِأَبْنَائِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ ، إِنْ لَا تَفْعَلُوا ، لَا يَقْبَلُ مِنْكُمْ صَرْفٌ ، وَلَا عَدْلٌ » .

٧٥٨ - * رَوَى الْبَزَارُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ مُتَوَكِّئًا عَلَى أَسَافَةٍ مُرْتَدِيًا بِثَوْبٍ قُطِنٍ فَصَلَّى بِالنَّاسِ .

٧٥٩ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ وَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ . فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ » . قَالَ : فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ ، فَقَعَجْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ يُخَيَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ السَّخِيرُ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ أَمَنَ النَّاسَ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أَخَوَةُ الْإِسْلَامِ وَمُودَتُهُ . لَا يُبْقِينَ فِي الْمَسْجِدِ بَابَ إِلَّا سَدًّا ، إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ » .

وعند الترمذي ^(٢) : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ : « إِنَّ عَبْدًا خَيْرُهُ اللَّهُ

(١) مسلم (١ / ٢٤٨) ٤ - كتاب الصلاة - ٤١ - باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود .

٧٥٧ - البزار كشف الأستار (٣ / ٢٩٢) جمع الزوائد (١٠ / ١٧) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والبزار إلا أنه قال : أوصيكم بالسابقين الأولين ، وبأبنائهم من بعدهم ، ثلاث مرات . ورجاله ثقات .
صرف : التوبة أو النافلة .
عدل : الفدية أو الفريضة .

٧٥٨ - أورده الهيثمي في جمع الزوائد (٢ / ٤٩) ، وقال : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح .

٧٥٩ - البخاري (٧ / ١٢) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٢ - باب قول النبي ﷺ : « سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر » .
ومسلم نحوه (٤ / ١٨٥٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١ - باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٢) الترمذي (٥ / ٦٠٨) ٥٠ - كتاب المناقب - ١٥ - باب حدثنا محمد بن عبد الملك . وقال : هذا حديث حسن صحيح . =

بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَدَيْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا . قَالَ : فَعَجَبْنَا ، فَقَالَ النَّاسُ : انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ ، يُخْبِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيْرَ اللَّهِ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ ، فَدَيْنَاكَ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا ، قَالَ : فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ الْخَيْرُ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمُنَا بِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مِنْ أَمَنَ النَّاسَ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامُ ، لَا تَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ خُوَّةٌ إِلَّا خُوَّةَ أَبِي بَكْرٍ » .

وَفِي رَوَايَةِ مُسْلِمٍ ^(١) : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَقَالَ : « عَبْدٌ خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةُ الدُّنْيَا ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ » فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَبَكَى ، فَقَالَ : فَدَيْنَاكَ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا ، قَالَ : فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْخَيْرُ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمُنَا بِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مِنْ أَمَنَ النَّاسَ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا ، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامُ ، لَا تَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ خُوَّةٌ إِلَّا خُوَّةَ أَبِي بَكْرٍ » .

قال النووي : وفيه فضيلة وخصيصة ظاهرة لأبي بكر رضي الله عنه . وفيه أن المساجد تصان عن تطرق الناس إليها في خوقات ونحوها إلا من أبوابها إلا الحاجة مهمة .

٧٦٠ - * روى مسلم عن جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ : « إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا ، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا . أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ ، أَلَا فَلَاتَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ ، إِنِّي أَنهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ » .

= زهرة الدنيا : رينتها ومتاعها ، وما هو محبوب إلى النفوس من موجوداتها .

(١) مسلم (٤ / ١٨٥٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١ - باب من فضائل أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه .

الخوَّة : منفذ يكون بين منزلين يجعل عليه باب .

٧٦٠ - مسلم (١ / ٣٧٧) ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - ٣ - باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، واتخاذ الصور فيها ، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد .

وفي رواية ^(١) عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أبو بكرٍ صَاحِبِي وَمُؤْنِسِي فِي الْغَارِ . سُدُّوا كُلَّ خَوْخَةٍ فِي الْمَسْجِدِ غَيْرَ خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ » .

٧٦١ - * روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما حَضَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْبَيْتِ رِجَالٌ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « هَلُمُّوا أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ » فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ غَلَبَهُ الْوَجَعُ ، وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ ، حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ . فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَاخْتَصَمُوا ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : قَرَّبُوا يَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالْإِخْتِلَافَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَوْمُوا » قَالَ غَيْبَهُ اللَّهُ : فَكَانَ يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّ الرُّزِيَّةَ كُلَّ الرُّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ لِإِخْتِلَافِهِمْ وَلَغَطِهِمْ .

وفي رواية قال ^(٢) : « قَوْمُوا عَنِّي ، فَلَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ » فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَهُوَ يَقُولُ : إِنَّ الرُّزِيَّةَ كُلَّ الرُّزِيَّةِ : مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ كِتَابِهِ .

وفي أخرى قال ^(٣) : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : يَوْمَ الْخَمِيسِ ! وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ ! ثُمَّ بَكَى حَتَّى بَلَ دَمْعَةُ الْحَصَى . فَقُلْتُ : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ! وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ ؟ قَالَ : اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعٌ . فَقَالَ : « أَتُؤْنِسُنِي أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدِي » فَتَنَازَعُوا وَمَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيِّ تَنَازُعٍ . وَقَالُوا : مَا شَأْنُهُ ؟ أَهَجَرَ ؟ اسْتَفْهِمُوهُ . قَالَ : « دَعُونِي . فَأَلْذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ . أَوْصِيَكُمْ بِثَلَاثٍ : أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ . وَأَجِزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُمْ أَجِيزُهُمْ » . قَالَ : وَسَكَتَ عَنِ الثَّالِثَةِ . أَوْ قَالَهَا فَأَنْسِيَتْهَا .

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٤٢) ، وقال : رواه عبد الله في زياداته على المسند ورجاله ثقات . اللَّفْظُ : الضَّجَّةُ وَاجْتِلَافُ الْأَصْوَاتِ .

٧٦١ - البخاري (٨ / ١٣٢) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨٣ - باب مرض النبي ﷺ ووفاته .

ومسلم (٣ / ١٢٥٩) ٢٥ - كتاب الوصية - ٥ - باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه .

(٢) البخاري (١ / ٢٠٨) ٣ - كتاب العلم - ٣٩ - باب كتابة العلم .

الرُّزِيَّةُ : المصيبة التي تنزل بالإنسان من الشدائد .

(٣) البخاري (٨ / ١٣٢) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨٣ - باب مرض النبي ﷺ ووفاته .

ومسلم (٣ / ١٢٥٧) ٢٥ - كتاب الوصية - ٥ - باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه .

٧٦٢ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي ﷺ الذي توفي فيه ، حتى إذا كان يوم الاثنين - وهم صفوف في الصلاة - كشف النبي ﷺ ستر الحجر ، فنظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ، ثم تبسم يضحك ، فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي ﷺ . فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف ، وظن أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة ، فأشار إلينا النبي ﷺ أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر ، فتوفي من يومه .

وفي رواية (١) لها عن أنس : قال : لم يخرج رسول الله ﷺ ثلاثاً فأقيمت الصلاة ، فذهب أبو بكر يتقدم ، فقال رسول الله ﷺ بالحجاب ، فرفعه فلما وضع وجه النبي ﷺ ، ما نظرنا منظرًا كان أعجب إلينا من وجه رسول الله ﷺ حين وضع لنا ، فأومأ النبي ﷺ بيده إلى أبي بكر أن يتقدم ، وأرخى النبي ﷺ الحجاب ، فلم يقدر عليه حتى مات .

٧٦٣ - * روى أحمد وابن ماجه عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يقول في مريضه الذي توفي فيه : « الصلاة وما ملكت أيمانكم » فمآزال يقولها حتى ما يفيض بها لسانه .

أهجر : أخرج بالفتح نطق المريض بما لم يفهم .

أجيزوا الوفد : الوفد : الذين يقصدون الملوك في طلب حوائجهم ويأتونهم في مهماتهم ، وإجازتهم : إعطاؤهم الجائزة ، وهي ما يعطون من العطاء والصلة .

٧٦٢ - البخاري (٢ / ١٦٤) ١٠ - كتاب الأذان - ٤٦ - باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة .

ومسلم (١ / ٣١٥) ٤ - كتاب الصلاة - ٢١ - باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرها من يصلي بالناس .

(١) البخاري في الموضع السابق .

ومسلم نحوها في الموضع السابق .

٧٦٣ - أحمد في مسنده (٦ / ٣١١) .

وابن ماجه (١ / ٥١٩) ٦ - كتاب الجنائز - ٦٤ - باب ماجاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ .

وقال المعلق على ابن ماجه : في الزوائد : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

قال السندي : قوله (الصلاة) : أي الزموا واهتموا بشأنها ولا تغفلوا عنها (وما ملكت أيمانكم) من الأموال أي أدوا زكاتها ولا تساعوا فيها وهذا هو الموافق لقران الصلاة ، فإن المتعارف في عرف القرآن والشرع قرانها ويحتمل أن يكون وصية بالمعبد والإساء أي أدوا حقوقهم وحسن ملكتهم ، فإن المتبادر من لفظ ما ملكت الأيمان في عرف القرآن هم المعبد والإماء ، قوله (حتى ما يفيض بها لسانه) أي ما يجري ولا يسيل هذه الكلمة لسانه من فاض

٧٦٤ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه : « ياعائشة ، ما أزال أجِدُ أَلَمَ الطعام الذي أَكَلْتُ بخير ، وهذا أَوَانٌ وَجَدْتُ انقطاعَ أُنْهَرِي من ذلك السَّمِّ » .

٧٦٥ - * روى أحمد عن أم سلمة قالت : والذي أخلف به إن كان علي لأقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ : قالت : عَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَدَاةً بَعْدَ غَدَاةٍ يَقُولُ : « جَاءَ عَلِيٌّ » مِرَارًا ، قَالَتْ : وَأَظْنُهُ كَانَ بَعَثَهُ فِي حَاجَةٍ : قَالَتْ : فَجَاءَ بَعْدَ فَظَنَنْتُ أَنْ لَهُ إِلَيْهِ حَاجَةٌ فَخَرَجْنَا مِنَ الْبَيْتِ فَقَعَدْنَا عِنْدَ الْبَيْتِ ، وَكُنْتُ مِنْ أَذْنَاهُمْ إِلَى الْبَابِ فَأَكْبَّ عَلَيْهِ عَلِيٌّ فَجَعَلَ يَسَارُهُ وَيُنَاجِيهِ ثُمَّ قَبِضَ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ ، وَكَانَ أَقْرَبَ النَّاسِ بِهِ عَهْدًا .

٧٦٦ - * روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند النبي ﷺ في وجهه الذي تُوفِّيَ فيه ، فقال الناس : يا أبا الحسن ، كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئاً .

٧٦٧ - * روى ابن ماجه عن عائشة قالت : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ : « وَدِدْتُ أَنْ عِنْدِي بَعْضُ أَصْحَابِي » قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَدْعُو لَكَ أَبَا بَكْرٍ فَسَكَتَ قُلْنَا أَلَا

= الماء إذا سال وجري حتى لم يقدر على الإفصاح بهذه الكلمة .

٧٦٤ - البخاري (٨ / ١٣١) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨٣ - باب مرض النبي ﷺ ووفاته .
أنهري : الأهر : عرق متصل بالقلب اتصالاً مباشراً .

٧٦٥ - أحمد في مسنده (٦ / ٢٠٠) .

والطبراني مختصراً في المعجم الكبير (٢٣ / ٢٧٥) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١١٢) : رواه أحمد وأبو يعلى ، إلا أنه قال فيه : كان رسول الله ﷺ يوم .

قبض في بيت عائشة ، والطبراني باختصار ورجالهم رجال الصحيح غير أم موسى ، وهي ثقة .

والذي أحلف به : تعني الله عز وجل ، وغرضها بذلك أن ماستذكره حصل يقيناً بغير شك .

فأكب عليه علي : أي مال برأسه عليه ولازمه .

فجعل يساره ويناجيه : أي يحدثه سراً .

أقرب الناس به عهداً : تعني علياً رضي الله عنه .

٧٦٦ - البخاري (٨ / ١٤٢) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨٣ - باب مرض النبي ﷺ ووفاته .

٧٦٧ - ابن ماجه (١ / ٤٢) في المقدمة - ١١ - باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ .

وقال المعلق على ابن ماجه : في الزوائد : إسناده صحيح ، ورجاله ثقات .

نَدْعُو لَكَ عَمَرَ؟ فَسَكَتَ، قُلْنَا: أَلَا نَدْعُو لَكَ عُثْمَانَ؟ قَالَ «نَعَمْ» فَجَاءَ فَخَلَا بِهِ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْلُمُهُ وَوَجْهَ عُثْمَانَ يَتَغَيَّرُ قَالَ قَيْسٌ: فَحَدَّثَنِي أَبُو سَهْلَةَ مَوْلَى عُثْمَانَ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ قَالَ يَوْمَ الدَّارِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَهْدَ إِلَيَّ عَهْدًا فَأَنَا صَائِرٌ إِلَيْهِ، وَقَالَ عَلِيٌّ فِي حَدِيثِهِ: وَأَنَا صَابِرٌ عَلَيْهِ قَالَ قَيْسٌ: فَكَانُوا يَرَوْنَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ.

أقول: الظاهر أن قول علي إنما كان بعد ما أخبره الرسول ﷺ عما يجري عليه وهذا يفيد أن النبي ﷺ استدعاه وأسر إليه بما يجري عليه كما أخبر عثمان.

٧٦٨ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ الْكَرْبُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَكَرْبُ أَبْتَاهُ! فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَيَّ أَيْبُكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ» فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبْتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبْتَاهُ، جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَاوَاهُ، يَا أَبْتَاهُ، إِلَى جَبْرِيلَ نَنْعَاهُ. فَلَمَّا ذُفِنَ قَالَتْ: يَا أُنْسُ، كَيْفَ طَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْتَوُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ؟

وفي رواية النسائي^(١): أَنَّ فَاطِمَةَ بَكَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ مَاتَ، فَقَالَتْ: يَا أَبْتَاهُ، مِنْ رَبِّهِ مَا أَدْنَاهُ؟ يَا أَبْتَاهُ، إِلَى جَبْرِيلَ نَنْعَاهُ، يَا أَبْتَاهُ، جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَاوَاهُ؟

٧٦٩ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ. فَمَسَسْتُهُ بِيَدِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَجَلُ إِنِّي أُوْعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ» قَالَ فَقُلْتُ: ذَلِكَ، أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَجَلُ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَآئِنُ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ، إِلَّا حَطَّ اللَّهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحْطُ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا».

٧٦٨ - البخاري (١٤٩ / ٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨٣ - باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

(١) النسائي (١٣ / ٤)، كتاب الجنائز، باب في البكاء على الميت.

٧٦٩ - البخاري (١١١ / ١٠) ٧٥ - كتاب المرضى - ٣٠ - باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.

ومسلم واللفظ له (١٩٩١ / ٤) ٤٥ - كتاب البر والصلة والآداب - ١٤ - باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض

وحزن أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها.

إنك لتوعك وعكاً شديداً: الوعك: قيل هو الحمى، قيل: ألمها ومغشها، وقد وعك الرجل يوعك فهو موعوك.

٧٧٠ - * وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت الوجع على أحدٍ أشدَّ منه على رسول الله ﷺ .

٧٧١ - * وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَعُوذُ بِغُضِّ أَهْلِهِ ، يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ، وَيَقُولُ : « اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ ، أَذْهِبِ الْبَاسَ ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي ، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا » .

وفي رواية (١) : فَلَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَثَقُلَ أَخَذَتْ بِيَدِهِ ، لِأُصْنَعُ بِهِ نَحْوَ مَا كَانَ يَصْنَعُ ، فَانْتَزَعَ يَدَهُ مِنْ يَدِي ، ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، وَاجْعَلْنِي مَعَ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى » قَالَتْ : فَذَهَبَتْ أَنْظُرُ : فَإِذَا هُوَ قَدْ قَضَى .

وفي رواية (٢) : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَرْقِي ، يَقُولُ : « امْسَحِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ ، بِيَدِكَ الشِّفَاءُ ، لَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا أَنْتَ » .

٧٧٢ - * روى مالك والبخاري عن عائشة رضي الله عنها : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمَعُودَاتِ وَيَنْفُثُ ، قَالَتْ : فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ ، وَأُمْسَحُ عَلَيْهِ يَمِينِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا .

٧٧٠ - البخاري (١٠ / ١١٠) - ٧٥ - كتاب المرضى - ٢ - باب شدة المرض .

ومسلم نحوه (٤ / ١٩٩٠) - ٤٥ - كتاب البر والصلة والآداب - ١٤ - باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض وحزن أو نحو ذلك ، حتى الشوكة يشاكها .

٧٧١ - البخاري (١٠ / ٢٠٦) - ٧٦ - كتاب الطب - ٣٨ - باب رقية النبي ﷺ .

ومسلم نحوه (٤ / ١٧٢٢) - ٣٩ - كتاب السلام - ١٩ - باب استحباب رقية المريض .

(١) البخاري (١٠ / ٢٠٦) .

ومسلم (٤ / ١٧٢٢) .

الرفيق الأعلى : أراد : الملائكة ومحاورتهم ومرافقتهم .

(٢) البخاري في نفس الموضع السابق .

٧٧٢ - مالك في الموطأ (٢ / ٩٤٢) - ٥٠ - كتاب العين - ٤ - باب التعوذ والرقية من المرض .

والبخاري (٩ / ٦٢) - ٦٦ - كتاب فضائل القرآن - ١٤ - باب فضائل المعوذات .

ومسلم (٤ / ١٧٢٣) - ٣٩ - كتاب السلام - ٢٠ - باب رقية المريض بالمعوذات والنفث .

يَنْفُثُ : النَّفَثُ : أقل ما يبرز من الإنسان .

٧٧٣ - * وروى البخاري ومسلم عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول : « إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ، ثم يحيا - أو يخير » فلما اشتكى وحضرة القبض ورأسه على فخذه عائشة ، غشي عليه ، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال : « اللهم في الرفيق الأعلى » فقلت : إذا لا يختارنا ، فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح .

٧٧٤ - * وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة » وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بحة شديدة ، فسمعه يقول : « مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » فعلمت أنه خير .

٧٧٥ - * روى الحاكم عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أنه تلا قول الله عز وجل : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ ^(١) ، ثم قال : حدثني عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : لقد رأيت رسول الله ﷺ وهو بالموء ، وعنده قدح فيه ماء ، وهو يدخل يده في القدح ، ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول : « اللهم أعني على سكرات الموت » .

٧٧٦ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه ، يقول : « أين أنا غدا » - يريد يوم عائشة - فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء ، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها ، قالت عائشة : فات في اليوم

٧٧٣ - البخاري (٨ / ١٣٦) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨٣ - باب مرض النبي ﷺ ووفاته .

ومسلم (٤ / ١٨٩٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٣ - باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها .

شخص بصره : شخص البصر : ارتفاع الأجفان إلى فوق وتحديد النظر .

٧٧٤ - البخاري (٨ / ٢٥٥) ٦٥ - كتاب التفسير - ١٣ - باب : ﴿ أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين ﴾ .

ومسلم (٤ / ١٨٩٣) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٣ - باب في فضل عائشة ، رضي الله تعالى عنها .

٧٧٥ - المستدرک (٢ / ٤٦٥) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

(١) ق : ١٩ .

٧٧٦ - البخاري (٨ / ١٤٤) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨٣ - باب مرض النبي ﷺ ووفاته .

الذي كان يدور عليّ فيه في بيتي ، فقبضه الله عز وجل وإنّ رأسه لبيّن تحري وسحري ،
وخالط ريقه ريقى ، ثم قالت : دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ، ومعه سواك يستنّ به ،
فنظر إليه رسول الله ﷺ ، فقلت له : أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن . فأعطانيه ،
فقبضته ، ثم مضغته ، فأعطيته رسول الله ﷺ فاستنّ به وهو مستند إلى صدري .

وعنها في رواية ^(١) : توفي النبي ﷺ في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري . وكانت
إحدانا تَعَوِّدُهُ بدعاء إذا مَرِضَ ، فذهبتُ أَعَوِّدُهُ ، فرفع رأسه إلى السماء ، وقال : « في
الرفيق الأعلى » ومرَّ عبد الرحمن بن أبي بكرٍ في يده جريدة رطبة ، فنظر إليه النبي
ﷺ ، فَظَنَنْتُ أَنْ له بها حاجة ، فأخذتها فوضعتُ رأسها ونفضتها ، فدفعتها إليه ، فاستنّ بها
كأحسن ما كان مُسْتَنّاً ، ثم ناولنيها ، فسقطتُ يده - أو سقطت من يده - فجمع الله بين
ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا ، وأول يوم من الآخرة .

وفي أخرى نحوه ، إلا أنّه قال ^(٢) : قالت : دخل عبد الرحمن بسواك ، فَضَعَفَ النبي
ﷺ عنه فأخذته ، فمضغته ، ثم سَنَنْتُهُ به .

وفي رواية ^(٣) : دخل عليّ عبد الرحمن ويده السواك وأنا مُسْنِدَةٌ رسول الله ﷺ ،
فرايته ينظر إليه ، وعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السَّوَاكَ ، فقلتُ : آخذهُ لك ؟ فأشار برأسه : « أن
نعم » فتناولته ، فاشتدَّ عليه ، قلتُ : أليّنه لك ؟ فأشار برأسه : « أن نعم » فليّنته ، فأمرته
وبين يديه رَكُوءٌ ، أو عُلْبَةٌ يشك عمر - فيها ماءٌ ، فجعل يدخل يديه في الماء ، فيمسح بها
وجهه ، يقول : « لا إله إلا الله ، إنّ للموت سكراتٍ » ثم نَصَبَ يده ، فجعل يقول :
« في الرفيق الأعلى » حتى قبض ﷺ ، ومالت يده .

سَحَرُ : السَّحَرُ : الرُّقَّةُ ، وأرادت : أنه مات عندها في حضنها .

يَسْتَنُّ : الاستنّان : التَّسْوُوكُ بالسواك .

(١) البخاري (٨ / ١٤٤) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨٣ - باب مرض النبي ﷺ ووفاته .

جريدة : الأصل أن الجريدة هي سَفَفَةٌ من سَفَفِ النخل ، والمراد بها هنا : قطعة من السففة تستعمل كالسواك .

(٢) البخاري (٦ / ٢١٠) ٥٧ - كتاب فرض الحس - ٤ - باب ماجاء في بيوت أزواج النبي ﷺ ، وما تُسَبِّ من البيوت إليهن .

(٣) البخاري (٨ / ١٤٤) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨٣ - باب مرض النبي ﷺ ، ووفاته .

رَكُوءٌ : وعاء من جلد .
والعلبة : وعاء من جلد يجلب منه .

وفي أخرى^(١) : قالت : مات رسول الله ﷺ وإنه لبين حاقنتي وذاقنتي ، فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي ﷺ .

٧٧٧ - * روى الترمذي وابن ماجه عن أنس قال : لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء ، وما نفضنا عن النبي صلى الله عليه وسلم الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا .

تعليق :

قوله : (وما نفضنا عن النبي ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا) : فيه رد على من ادعى أن حال الصحابة ورفيقهم الروحي وغيره لا يفسر بوجود رسول الله ﷺ على رأسهم ، وهو قول انتشر في هذا العصر . ويكفي في رده قوله جل جلاله في حق رسول الله ﷺ : ﴿ ويزكيهم ﴾^(٢) كما أن في هذا الحديث ما يدل على أن الرقي القلبي منوط بالاجتماع مع أهل الحق والارتباط الروحي فيهم ومن ههنا نؤكد على الانتساب للعلماء العاملين والربانيين المخلصين ، ونؤكد على الأخذ منهم ومجالسة الصالحين من عباد الله .

٧٧٨ - * روى الحاكم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : لما توفي رسول الله

(١) البخاري في نفس الموضع السابق .

حاقنتي وذاقنتي : الحاقنة : ماسفل من البطن ، والذاقنة : طرف الحلقوم الناتئ ، وقيل ، الحاقنة : المظمن من الترقوة والحلق ، والذاقنة : نقرة الذقن .

٧٧٧ - الترمذي (٥ / ٥٨٨) ٥٠ - كتاب المناقب - ١ - باب في فضل النبي ﷺ . وقال : هذا حديث غريب صحيح .

وابن ماجه واللفظ له (١ / ٥٢٢) ٦ - كتاب الجنائز - ٦٥ - باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ .

والحاكم نحوه مختصراً في المستدرک (٣ / ٥٧) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وأقره

الذهبي . وهو حديث حسن .

قال السدي :

قوله أضاء منها : أي من المدينة .

وما نفضنا : أي ماخلصنا من دفنه .

أنكرنا قلوبنا : أي ماوجدناها على الحالة السابقة . ومعلوم أن البيت يصير مظلماً إذا أبعد عنه السراج .

(٢) البقرة : ١٢٩ . والجمعة : ٢ .

٧٧٨ - المستدرک (٣ / ٥٧) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

صلى الله عليه وآله وسلم ، عَزَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ يَسْمَعُونَ الْحِسَّ وَلَا يَرَوْنَ الشَّخْصَ ، فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، إِنَّ فِي اللَّهِ غَزَاءً مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ ، وَخَلْفًا مِنْ كُلِّ فَائِتٍ ، فَبِاللَّهِ فَتَقُوا ، وَإِيَّاهُ فَارْجُوا ، فَإِنَّا لِلْمَحْرُومِ مِنْ حَرَمِ الثَّوَابِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

٧٧٩ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قَالَ أَبُو بَكْرٍ - بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - لِعُمَرَ : انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزُورُهَا . فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ ، فَقَالَا لَهَا : مَا يُبْكِيكِ ؟ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ فَقَالَتْ : مَا أُبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ ، وَلَكِنْ أُبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ ، فَهِيَجَتْهَا عَلَى الْبُكَاءِ ، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا .

قال النووي :

فيه زيارة الصالحين ، وزيارة الصالح لمن هو دونه ، وزيارة الإنسان لمن كان صديقه يزوره ولأهل ود صديقه ، وزيارة جماعة من الرجال للمرأة الصالحة وسامع كلامها ، واستصحاب العالم والكبير صاحباً له في الزيارة والعيادة ونحوها ، والبكاء حزناً على فراق الصالحين والأصحاب ، وإن كانوا قد انتقلوا إلى أفضل مما كانوا عليه . والله أعلم . أ.هـ .

٧٨٠ - * روى البخاري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن رحمه الله قال : قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي حَدِيثِهَا : أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى فَرَسِهِ مِنْ مَسْكِنِهِ بِالسُّنْحِ حَتَّى نَزَلَ ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَلَمْ يُكَلِّمِ النَّاسَ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَنِيمَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ مُسْجَى بِبُرْدِ حَبْرَةٍ ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ ، ثُمَّ بَكَى ، فَقَالَ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ ، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ ، فَقَدْ مَتَّهَا . قَالَ أَبُو سَلَمَةَ : فَأَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكَلِّمُ النَّاسَ ، فَقَالَ : اجْلِسْ ، فَأَبَى ، فَقَالَ : اجْلِسْ ، فَأَبَى ، فَقَشَّهَذَا أَبُو

٧٧٩ - مسلم (٤ / ١٩٠٧) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٨ - باب من فضائل أم أيمن ، رضي الله عنها .
٧٨٠ - البخاري (٢ / ١١٣) ٢٣ - كتاب الجنائز - ٢ - باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه .

بَكَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ إِلَيْهِ النَّاسُ ، وَتَرَكُوا عَمَرَ ، فَقَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ إِلَى ﴿ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١) فَوَاللَّهِ ، لَكَانَ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْآيَةَ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَتَلَّهَا مِنْهُ النَّاسُ ، فَمَا بَشَّرَ إِلَّا يَتْلُوهَا .

٧٨١ - * روى الحاكم عن عمر بن الخطاب ، قال : لَمَّا تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ عَفِرتُ حَتَّى خَرَرْتُ إِلَى الْأَرْضِ ، وَأَيُّقَنْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ .

٧٨٢ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ ، وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ قَالَ إِسْمَاعِيلُ : - تَعْنِي بِالْعَالِيَةِ - فَقَامَ عَمْرُ يَقُولُ : وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قَالَتْ : وَقَالَ عَمْرُ : وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ ، وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ . فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ ، فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَبَّلَهُ فَقَالَ : بِأَبِي أَنْتَ طَيِّبٌ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ : لَا يَذِيقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَيْنِ أَبَدًا ، ثُمَّ خَرَجَ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْخَالِفُ ، عَلَى رِسْلِكَ فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عَمْرُ ، فَحَمِدَ اللَّهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ : أَلَا مَنْ كَانَ يَعْْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، وَقَالَ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (٢) وَقَالَ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَلْقَلْبُتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَمَسَّ اللَّهَ فَرَسًا ﴾ .

(١) آل عمران : ١٤٤ .

٧٨١ - المستدرک (٢ / ٢٩٥) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة . وأقره الذهبي . لما تلاها : أي آية : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ .

عَفِرتُ : عقر الرجل غُفْرًا : بقي مكانه لم يتقدم أو يتأخر ، لفرع أصابه ، كأنه مقطوع الرجل .

٧٨٢ - البخاري (٧ / ١٩) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٥ - باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً » .

فَتَفَجَّ : التَّشَيَّبُ : تَرَدَّدَ صوت الباكي في صدره من غير انتحاب .

سقيفة : صَفَّةٌ لها سقف والمراد بها هنا الحُل الذي يجتمع فيه أهل دائرة ما ، للسهر والسر والمداولة ، ويسمى أمثاله في بعض البلاد العربية - الديوانية - .

(٢) الزمر : ٣٠ .

يَضُرُّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَعْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١﴾ .

قال : فَتَشَجَّ النَّاسُ يَبْكُونَ . قال : واجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ ، فَقَالُوا : مِنَّا أَمِيرٌ ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَأَبُو عَبِيدَةَ ابْنُ الْجُرَّاحِ ، فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ ، فَأَسْكَنَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ : مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنِّي قَدْ هَيَّأْتُ كَلَاماً قَدْ أَعْجَبَنِي ، خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْلُغَهُ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ ، فَتَكَلَّمَ أَيْلَافُ النَّاسِ ، فَقَالَ فِي كَلَامِهِ : نَحْنُ الْأَمْرَاءُ ، وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ ، فَقَالَ حُبَابُ بْنُ الْنَذِيرِ ، لَا وَاللَّهِ ، لَا تَفْعَلْ ، مِنَّا أَمِيرٌ ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : لَا ، وَلَكِنَّا الْأَمْرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَاراً ، وَأَعَزُّهُمْ أَحْسَاباً - فَبَايَعُوا عُمَرَ ، أَوْ أَبَا عَبِيدَةَ ، فَقَالَ عُمَرُ : بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا ، وَأَحْبَبُنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ ، فَقَالَ قَائِلٌ : قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ، فَقَالَ عُمَرُ : قَتَلَهُ اللَّهُ .

٧٨٣ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد ، إلا شَطَرَ شَعِيرٍ فِي رَفْءِ لِي ، فَأَكَلْتُ مِنْهُ ، حَتَّى طَالَ عَلِيٌّ فَكَلَّتُهُ ، فَفَنِي .

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ (٢) ، قَالَتْ : تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَنَا شَطَرٌ مِنْ شَعِيرٍ ،

(١) آل عمران : ١٤٤ .

قتلتم سعد بن عبادَةَ : أي بالازدحام على البيعة وطئتم سعد بن عبادَةَ رضي الله عنه وكان مريضاً أتى به في فراشه حتى كدتم تقتلونه .

قتله الله : يعني عمر رضي الله عنه الدعاء عليه ، لأن سعداً يريد بطلبه الخلافة فـ طريق كلمة المسلمين الذين لا يجتمعون إلا على رجل من قريش فهو مخطئ خطأ عظيماً في رأيه ، يستحق معه الدعاء عليه .

قال العمري : ليس المراد من قول عمر : اقتلوه حقيقة القتل بل المراد الإعراض عنه وخذلانه ، وهو دعاء عليه لعدم نصرته للحق ومخالفته للجباة ، لأنه تخلف عن البيعة وخرج من المدينة ولم ينصرف إليها إلى أن مات بالشام .

٧٨٣ - البخاري (٦ / ٢٠٩) ٥٧ - كتاب فرض الحس - ٣ - باب نفقة نساء النبي ﷺ بعد وفاته .

ومسلم (٤ / ٢٢٨٢) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق - حديث ٢٧ .

شطر شعير : قال في الفتح : الشطر البعض ويطلق على النصف ويقال : أرادت نصف وسق ، وفسره بعضهم شيئاً من شعير .

(٢) الترمذي (٤ / ٦٤٣) ٢٨ - كتاب صفة القيامة - ٣١ - باب حدثنا هناد . قال : هذا حديث صحيح .

فَأَكَلْنَا مِنْهُ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ قُلْتُ لِلْجَارِيَةِ : كَلِمَةٍ فَكَالَتْهُ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ فَنِي ، قَالَتْ : فَلَوْ كُنَّا تَرَكْنَاهُ لَأَكَلْنَا مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ .

٧٨٤ - * روى الحاكم عن أبي بريدة قال : أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ كِسَاءً مَبْلُودًا وَإِرَارًا غَلِيظًا ، فَقَالَتْ : قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَيْنِ .

٧٨٥ - * روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما أرادوا غَسْلَ النَّبِيِّ ﷺ ، قالوا : وَاللَّهِ لَا نَدْرِي ، أَنْجَرَدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ ثِيَابِهِ ، كَمَا نَجَرَدُ مَوْتَانَا ، أَمْ نَغْسِلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ ؟ فَمَا اخْتَلَفُوا أَلْقَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمُ النَّوْمَ ، حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَذَقْنَهُ فِي صَدْرِهِ ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ - لَا يَذَرُونَ مَنْ هُوَ - : أَنْ اغْسِلُوا النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ ، فَقَامُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فغسلوه وعليه قميصه ، يَصْبُونَ الْمَاءَ فَوْقَ الْقَمِيصِ ، وَيَذُلُّوْنَهُ بِالْقَمِيصِ دُونَ أَيْدِيهِمْ ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ : لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا غَسَلَهُ إِلَّا نِسَاؤُهُ .

٧٨٦ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَفَّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثَوَابٍ بَيْضٍ سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسَفٍ ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ .

وفي رواية ^(١) : قَالَتْ : أُدْرِجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حُلَّةٍ يَمْنِيَّةٍ ، كَانَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ نَزَعَتْ عَنْهُ ، وَكَفَّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثَوَابٍ سَحُولِيَّةٍ يَمَانِيَّةٍ لَيْسَ فِيهَا عِمَامَةٌ ، وَلَا قَمِيصٌ ، فَرَفَعَ عَبْدُ اللَّهِ الْحُلَّةَ ، فَقَالَ : أَكَفَّنُ فِيهَا ، ثُمَّ قَالَ : لَمْ يَكْفُنْ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَكَفَّنُ فِيهَا ، قَالَ : فَتَصَدَّقْ بِهَا .

وفي أخرى نحوه ^(٢) ، وَزَادَ : أَمَّا الْحُلَّةُ ، فَإِنَّمَا شَبَّهَ عَلَى النَّاسِ فِيهَا ، إِنَّهَا اشْتَرَيْتُ لِيَكْفُنَ

٧٨٤ - المستدرک (٢ / ٦٠٨) ، وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يَخْرُجْ . وَأَقْرَهُ الذَّهَبِيُّ .

٧٨٥ - أَبُو دَاوُدَ (٣ / ١٩٦) ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابُ فِي سِتْرِ الْمَيِّتِ عِنْدَ غَسْلِهِ . وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ .

٧٨٦ - الْبُخَارِيُّ (٣ / ١٣٥) ٢٣ - كِتَابُ الْجَنَائِزِ - ١٨ - بَابُ الثِّيَابِ الْبَيْضِ لِلْكَفْنِ .

وَمُسْلِمٌ مَطْوُولًا وَاللَّفْظُ لَهُ (٢ / ٦٤٩) ١١ - كِتَابُ الْجَنَائِزِ - ١٣ - بَابُ فِي كَفْنِ الْمَيِّتِ .

سَحُولِيَّةٌ : سَحُولٌ : قَرِيَّةٌ بِالْيَمَنِ تَنْسَبُ إِلَيْهَا الثِّيَابُ . الْكُرْسَفُ : الْقُطْنُ .

(١) مُسْلِمٌ (٢ / ٦٥٠) ١١ - كِتَابُ الْجَنَائِزِ - ١٣ - بَابُ فِي كَفْنِ الْمَيِّتِ .

(٢) مُسْلِمٌ فِي نَفْسِ الْمَوْضِعِ السَّابِقِ .

فيها ، ففُتِرَتِ الحَلَّةُ ، وكَفَّنَ في ثلاثة أثوابٍ بيضٍ سَحُولِيَّةٍ فأخذها عبدُ الله بنُ أبي بكرٍ ، فقال : لأحسِنَها حتى أَكفَّنَ فيها نفسي ، ثم قال : لو رَضِيَها اللهُ عزَّ وجلَّ لنبيِّه ﷺ لكفَّنَه فيها ، فباعها وتصدَّقَ بِمِئْثَرِهَا .

وفي أخرى لها ^(١) : أن رسولَ الله ﷺ - حين تُوُفِّي - سَجَّي بِبُرْدٍ حَبْرَةٍ .

وفي رواية الترمذي ^(٢) : فذكروا لعائشة قولهم ، في ثوبين وبُرْدٍ حَبْرَةٍ ، فقالت : قد أَتَيْ بِالْبُرْدِ وَلَكِنَّهُمْ رَدُّوهُ ، ولم يكفَّنوه فيه .

٧٨٧ - * روى أبو داود عن عامر بن شراحيل الشَّعْبِيِّ رحمه الله قال : غَسَلَ رسولَ الله ﷺ عليّ ، والفضلُ ، وأسامةُ بن زيد ، وهم أدخلوه في قبره ، قال : وحدتني مَرْحَبٌ - أو ابنُ أبي مَرْحَبٍ - أنهم أدخلوا عبدَ الرحمن بنَ عَوْفٍ ، فلما فرغ عليّ ، قال : إنما يلي الرجلَ أهله .

وفي رواية عن الشعبي عن أبي مَرْحَبٍ ^(٣) : أن عبدَ الرحمن بنَ عَوْفٍ نزل في قبر النبي ﷺ ، قال : كأني أنظرُ إليهم أربعة .

وفي رواية ذكرها رَزِينٌ قال : غَسَلَ رسولَ الله ﷺ عليّ ، والفضلُ ومعهما العباسُ ، وأسامةُ بن زيد ، وهم أدخلوه قبره ، وكان معهم في الغُسلِ ابنُ عَوْفٍ ورجلٌ من الأنصار ، فلما فرغوا قال عليّ : إنما يلي الرجلَ أهله ، قال عبدُ الرحمن : كأني أنظرُ إلى الذين نزلوا في قبر رسولِ الله ﷺ أربعة ، أحدهم : أنصاري .

٧٨٨ - * وروى مالكٌ رحمه الله أنه بلغه : أن رسولَ الله ﷺ تُوُفِّيَ يومَ

(١) البخاري (١٠ / ٢٦٧) ٧٧ - كتاب اللباس - ١٨ - باب البرود والخبر والشملة .

ومسلم نحوه (٢ / ٦٥١) ١١ - كتاب الجنائز - ١٤ - باب تسجية الميت .

(٢) الترمذي (٣ / ٣١٢) ٨ - كتاب الجنائز - ٢٠ - باب ما جاء في كفن النبي ﷺ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

٧٨٧ - أبو داود (٣ / ٢١٣) ، كتاب الجنائز ، باب كم يدخل القبر .

(٣) أبو داود (٣ / ٢١٣) ، كتاب الجنائز ، باب كم يدخل القبر . وهو مرسل صحيح .

٧٨٨ - مالك في الموطأ (١ / ٣٣١) ١٦ - كتاب الجنائز - ١٠ - باب ما جاء في دفن الميت . وهو صحيح لغيره .

قال ابن عبد البر : لأعله يروى على هذا النسق بوجه من الوجوه غير بلاغ مالك هذا ، ولكنه صحيح من وجوه

مختلفة وأحاديث شتى .

الاثنين ، ودُفِنَ يوم الثلاثاء ، وصلى الناس عليه أفذاذاً ، لا يؤمُّهم أحدٌ . فقال ناس : يُدْفَن عند المنبر ، وقال آخرون : بالبقيع ، فجاء أبو بكر الصديق ، فقال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « ما دُفِنَ نبيٌّ قطُّ إلا في مكانه الذي تُوفِّي فيه » فَخَفِرَ له فيه . فلما كان عند غُسلِهِ أرادوا نزعَ قَبِيصِهِ ، فسمِعُوا صوتاً يقول : لا تُنزعوا القميصَ ، فلم يُنزعَ القميصُ ، وغُسلَ وهو عليه ﷺ .

٧٨٩ - * روى الترمذي عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما قالا : لَمَّا قَبِضَ رسول الله ﷺ ، واختلفوا في دفنه ، فقال أبو بكر : سمعتُ من رسول الله ﷺ شيئاً ما نسيته قال : « ما قَبِضَ الله نبيّاً إلا في الموضع الذي يُحِبُّ أن يُدْفَن فيه » ادفنوه في موضع فراشه .

٧٩٠ - * روى مالك عن عروة بن الزبير قال : كان بالمدينة رجلان : أحدهما يُلَحِدُ ، والآخر يَشُقُّ ، فقالوا : أيُّها جاء أولُ عَمِلٍ عَمَلُهُ ، فجاء الذي يُلَحِدُ ، فَلَحَدَ له .

٧٩١ - * روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال في مرضه الذي هلك فيه : اَلْحَدُوا لي لَحْداً ، وَاَنْصُبُوا عَلَيَّ اللَّبْنَ نَصْبا ، كما صَنَعَ برسول الله ﷺ .

٧٩٢ - * روى الترمذي والنسائي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : جَعَلَ تحت رسول الله ﷺ حين دُفِنَ قطيفة حمراء .

= أفذاذاً : الأَفْذاذُ : جمع فَدٌ ، وهو المنفرد .

٧٨٩ - الترمذي (٣ / ٣٢٩) - ٨ - كتاب الجنائز - ٣٣ - باب حدثنا أبو كريب . وهو حديث حسن لغيره .

٧٩٠ - مالك في الموطأ (١ / ٢٣١) - ١٦ - كتاب الجنائز - ١٠ - باب ماجاء في دفن الميت . وإسناده صحيح ، ولكنه مرسل . وابن ماجه نحوه موصولاً عن أنس بن مالك (١ / ٤٩٦) - ٦ - كتاب الجنائز - ٤٠ - باب ماجاء في الشق . قال المعلق على ابن ماجه : في الزوائد : في إسناده مبارك بن فضالة ، وثقه الجمهور ، وصرح بالتحديث ، فزال تهمة تدليسه وباقي رجال الإسناد ثقات ، فالإسناد صحيح .

٧٩١ - مسلم (٢ / ٦٦٥) - ١١ - كتاب الجنائز - ٢٩ - باب في اللحد ونصب اللبن على الميت .

٧٩٢ - الترمذي (٣ / ٣٥٦) - ٨ - كتاب الجنائز - ٥٥ - باب ماجاء في الثوب الواحد يُلقَى تحت الميت في القبر .

وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وقد روي عن ابن عباس كراهة ذلك .

والنسائي واللفظ له (٤ / ٨١) ، كتاب الجنائز ، باب وضع الثوب في اللحد .

٧٩٣ - * روى البخاري عن أبي بكر بن عيَّاش عن سفيان الثَّار : أنه حدَّثه أنه رأى قبر رسولِ الله ﷺ مُسْتَنًا .

٧٩٤ - * روى الحاكم عن عُرْوَةَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَلَّى عَلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ ، وَذَفِنَ لَيْلًا إِلَى جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي حُجْرَةٍ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

٧٩٥ - * روى الحاكم عن علي رضي الله عنه قَالَ : غَسَّلتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَيِّتِ ، فَلَمْ أَرْ شَيْئًا ، وَكَانَ طَيِّبًا حَيًّا وَمَيِّتًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

٧٩٦ - * روى الدارمي عن سعيد بن عبد العزيز قَالَ : لَمَّا كَانَ أَيَّامُ الْحَرَّةِ لَمْ يُؤْذَنْ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثًا وَلَمْ يَقُمْ . وَلَمْ يَبْرَحْ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ مِنَ الْمَسْجِدِ . وَكَانَ لَا يَعْرِفُ وَقْتَ الصَّلَاةِ إِلَّا بِمَهْمَةٍ يَسْمَعُهَا مِنْ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَذَكَرَ مَعْنَاهُ .

* * *

٧٩٣ - البخاري (٢ / ٢٥٥) ٢٣ - كتاب الجنائز - ٦٩ - باب ماجاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما .

مُسْتَنًا : تسنم القبر ضد تسطيحه ، والسَّنَم : المرتفع ، وكل شيء علا شيئاً فقد تَسَنَّمه ، ومنه سنام الجمل .

٧٩٤ - المستدرك (٣ / ٦٥) . وصححه الذهبي .

٧٩٥ - المستدرك (٣ / ٥٩) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

٧٩٦ - الدارمي (١ / ٤٤) ، في المقدمة ، باب ما أكرم الله تعالى نبيه ﷺ بعد موته . وسنده صحيح .

يوم الحرَّة : هو اليوم الذي استبيحت فيه المدينة المنورة زمن يزيد بن أبي سفيان .

مهمة : ترديد الصوت في الصدر .

نظرة عامة على أحداث السنتين العاشرة والحادية عشرة

١ - وصلت الأمة في هاتين السنتين إلى مرحلة النضج وكان ذلك يقتضي لمسات أخيرة ، وكانت من علامة النضج أن ترك رسول الله ﷺ للأمة بعده أن تسير من خلال شوراها ، ومن أهم المسات التي احتاجتها مرحلة الإنضاج إشارته إلى الرجل المؤهل بعده ، وإزالة كل ما يمكن أن يستند إليه المفرضون ، وإيجاد التطلع نحو العمل الخارجي من خلال بعث أسامة .

٢ - وسّع عليه الصلاة والسلام في هاتين السنتين دائرة التلقي المباشر منه من خلال استقباله الوفود ومن خلال رحلة الحج ، فأوجد قاعدة عريضة تحمل دعوته وقد تلقت عنه مباشرة ، وكان لذلك أكبر الأثر في أن تبقى رحي الإسلام دائرة وإلى الأبد .

٣ - عندما تنجح الدعوات الصادقة يتوضّع على هامشها دعوات كاذبة ، ولقد بدأت دعاوى النبوة تظهر في أخريات حياته عليه الصلاة والسلام ، فظهر مسيامة الكذاب في اليمامة ، والأسود العنسي في الين في السنة العاشرة ، وقد أمّ ذلك رسول الله ﷺ ، ومن قبل كان رسول الله ﷺ يركّز على الين ، ولذلك فقد كفاه أهل الين في النهاية هذا الخبيث أمّا الخبيث الآخر فجاءته جند الله بعد وفاته عليه الصلاة والسلام وأنته ، وهناك متنبّان آخران طليحة الأسدي وسجاح ، وكلاهما مات على الإسلام بعد ذلك ، ولكن بعد أن استطاع الجيل الذي ربّاه رسول الله ﷺ أن يقهر الردّة وأهلها .

٤ - ويقدر ما أعطى رسول الله ﷺ للإسلام حيويّة في القلوب بفضل الله ، فقد كان هناك تيار معاكس - هو تيار الردّة - ينتظر الفرصة للظهور . وما أن توفي رسول الله ﷺ حتّى ظهر هذا التيار على أشدّه ، جامعاً كل أولئك الذين لم يدخل الإسلام إلى قلوبهم والذين قطعت هيبة رسول الله ﷺ نياط قلوبهم ، فأسلوا لأنّه لم يكن أمامهم إلا أن يسلموا . فبدأ صراع جديد بين التيارين ، تيار الإيمان الصادق وتيار الجهل المالحق ، وتغلّب تيار الإيمان . وهذا وحده كاف للدلالة على أنّ قوّة التأسيس كانت أكبر من كلّ قوّة أخرى ، وذلك توفيق الله أولاً وأخيراً ، وفيه يظهر ما أكرم الله به رسوله ﷺ من خيرات وبركات .

٥ - في غزوات بدر وأحد والخندق وخيبر والفتح وحنين أنهى رسول الله ﷺ كل تخوف عند أصحابه ضد الجاهلية العربية أو ضد أي وجود على الأرض العربية . وفي غزوة تبوك أوجد عليه الصلاة والسلام الجرأة عند أصحابه على اقتحام غمرات الصراع مع الدول الكبرى فكان أن حمل الراية الأصحاب بعده فأثروا الردة بسرعة ، ودخلوا في صراع مباشر ضد الدولتين العظميين وقتذاك فارس والروم .

٦ - ولم يتوف رسول الله ﷺ إلا وقد أوجد سوابق حركية في كل جانب من الجوانب التي تتطلبها الحركة الإسلامية :
دعويًا ، وتربويًا ، وثقافيًا ، وتعليميًا ، وجهاديًا . لقد كانت السوابق على منتهى الجلال ، فسجلت أرفع التضحيات وأعلى أنواع القدوة ، ولذلك كانت الحركة عند الجيل الذي رآه رسول الله ﷺ في أعصابه ودمه ، ولذلك ذاب جيل الصحابة في هذا العالم وأعطى هذا الإسلام دفعة الحياة إلى قيام الساعة ، لقد جدّد جيل الصحابة عملية السيطرة على الجزيرة العربية ثم انساح في البلاد انسياحاً حقق غرضين بأن واحد :

لم يعط فرصة للثأر الجاهلي أن يظهر ، ولم يعط فرصة لخصم خارجي أن يتدبر أمره .

ومع هذا وهذا كانت حركة الصهر تستمر للعناصر الإسلامية الجديدة من خلال حركية الدعوة والقدوة والتعليم والجهاد ، وكانت العملية من الضخامة بحيث أفلت منها بعض الأمور التي كانت عاملاً من عوامل الفتنة الكبرى ولكن يشفع لذلك عظم التوجّه وضخامة الإنجاز . كانت العيون متوجّهة كلّها نحو معركة الإسلام ، فأُتِيَ الصف من داخله ، ولكن حيوية الانطلاق كانت أكبر من كل شيء فلم تعصف الفتنة بالإسلام ولكن أخرت مسيرته .

٧ - إن حدوث الردة على هذه الضخامة بعده ، ثم ضخامة الفتنة بعد ذلك في زمن عثمان رضي الله عنه دليلان على تفرد قيادته عليه الصلاة والسلام ، فالردة بعد وفاته تشير إلى أنّ هيئته عليه الصلاة والسلام استحوذت على القلوب فأمكنها ، والفتنة بعده تشير إلى أنّ سياسته عليه الصلاة والسلام هي أرق السياسات ، فهنا كانت عظمة السائسين بعده فالأمر ليس كما كان في زمنه عليه الصلاة والسلام ، ثم انتقلت الخلافة الراشدة بعده إلى ملك

عضوض ومع ذلك بقي المسرى العام محفوظاً .

٨ - انظر ماذا حدث أثناء نبوته ، وماذا فتح الله على يد المسلمين بعده إلى يومنا هذا ، دعويّاً وسياسيّاً وعسكريّاً واقتصاديّاً واجتماعيّاً وإداريّاً وتشريعيّاً وغير ذلك ، نجد شيئاً هائلاً تعرف من خلاله أنّ الأمر ربّاني ، وتعرف أنّه ليس كرسول الله ﷺ في مجموع ما أعطاه الله عز وجل .

إنّ القيادة الناجحة هي التي تعرف أهدافها فتسير نحو تحقيق الأهداف سيراً متلاحقاً متكاملأً وتصل إلى الهدف ، وإذا كانت الأهداف بعيدة فهي تستطيع أن تعطي الراية لغيرها ليستروا بها . وهذا يقتضي في الإطار الأضيق : تخطيطاً وتدريباً ومتابعة وتنفيذاً ودفعاً نحو الأمام . فإذا ما كان الهدف مادياً كان لذلك وسائله ، فإذا كان الهدف يحتاج إلى تربية فالأمر أوسع ، فإذا كان الهدف يشمل الدنيا والآخرة فالأمل أكبر من ذلك بكثير .

حاول أن تتذكّر ملامح التخطيط في حياة رسول الله ﷺ ، ثمّ ملامح التدريب ، ثمّ ملامح المتابعة ، ثمّ ملامح التنفيذ ، ثمّ ملامح الدفع نحو الأمام .

ثمّ انظر إلى الجانب التعليمي والتربوي . ثمّ انظر إلى ما يعتبره الناس انتصاراً سياسيّاً مجرداً ثمّ انتصاراً عسكريّاً مجرداً ثمّ وثمّ . . .

وانظر قوة البناء وكثرة المتردّين عليه والمتربّصين به ، وكيف استعصى هذا البناء عليهم واعرف لجبل البناء فضلهم ، وإنا بعد الباين الرابع والخامس سنتحدث عن جبل البناء الذين رباهم رسول الله ﷺ وذلك في الباب الذي نتحدث فيه عن دوائر شرف حول الرسول ﷺ .

* * *

الموضوع	الصفحة
السنة الثالثة للهجرة	٥٢٣
هذه السنة في شطور	٥٢٥
غزوة بجران	٥٢٦
سرية زيد بن حارثة إلى القرّة	٥٢٦
فصل : في قتل كعب بن الأشرف	٥٣٠
دروس من قتل كعب بن الأشرف	٥٣٦
فصل : في غزوة أحد	٥٣٩
عرض عام	٥٤٠
موقف الرسول الباسل إزاء عمل التطويق	٥٤٦
تبدد المسلمين في الموقف	٥٤٧
احتدام القتال حول رسول الله ﷺ	٥٤٧
تضاعف ضغط المشركين	٥٤٨

الرسول ﷺ يواصل المعركة وينقذ الموقف	٥٤٩
آخر هجوم قام به المشركون	٥٤٩
التثبت من موقف المشركين	٥٥٠
١ - بين ידי الالتحام	٥٥٣
٢ - الالتحام	٥٦٠
٣ - بعد المعركة	٥٨٣
٤ - عبّر أحد وبعض دروسها	٥٩١
٥ - فقهيات	٥٩٧
فصل : في غزوة حمراء الأسد	٦٠٠
هوامش على غزوة أحد	٦٠٣
تقدير الموقف في نهاية السنة الثالثة	٦٠٥

٦٠٧	السنة الرابعة للهجرة
٦٠٩	السنة الرابعة في سطور
٦١٣	فصل : في سرية أبي سلمة لبني أسد
٦١٤	فصل : في سرية عبد الله بن أنيس لخالد بن سفيان الهذلي
٦١٦	فصل : في بعث الرجيع
٦٢٣	فصل : في مأساة بئر معونة
٦٣٣	فصل : في إجلاء بني النضير
٦٤٤	فصل : في غزوتي الرد
٦٤٤	١ - غزوة بني لحيان
٦٤٤	٢ - غزوة ذات الرقاع
٦٥٠	تعليقات
٦٥٢	فصل : في غزوة بدر الآخرة
٦٥٣	دروس بدر الآخرة
٦٥٥	فوائد عامة من أحداث السنة الرابعة
٦٥٧	تقويم الموقف في نهاية السنة الرابعة
٦٥٩	السنة الخامسة للهجرة :
٦٦١	السنة الخامسة في سطور
٦٦٤	فصل : في غزوة دومة الجندل
٦٦٦	فصل : في غزوتي الأحزاب وقريظة
٦٦٦	١ - من تحقیقات كتاب السير
٦٧١	٢ - روايات في غزوة الأحزاب
٦٧٥	فوائد
٦٧٨	روايات في يوم الخندق
٦٨٢	فقه هذه الروايات
٦٨٧	هزيمة الله عز وجل للأحزاب

٦٩٩	فوائد من غزوتي الأحزاب وقريظة
٧٠٥	فصل : في قتل أبي رافع
٧٠٩	فصل : في زواجه عليه الصلاة والسلام بزينب بنت جحش
٧١٠	جوانب من كمال شخصيته عليه السلام
٧١٢	فوائد عامة من أحداث السنة الخامسة
٧١٤	تقويم الموقف في نهاية السنة الخامسة
٧١٧	السنة السادسة للهجرة
٧١٩	أحداث السنة السادسة في سطور
٧٢٠	أهم أحداث هذه السنة في سطور
٧٣٥	فصل : في غزوة نجد وإسلام ثمامة بن أثال
٧٣٦	فصل : في غزوة المريسيع
٧٣٧	١ - وفي هذه الغزوة حدثت حادثة الإفك
٧٣٨	فوائد من حديث الإفك
٧٤١	تحقيق حول وجود سعد بن معاذ في قصة الإفك
٧٤٤	٢ - وفي هذه الغزوة قامت فتنة بين المهاجرين والأنصار
٧٤٧	فصل : في غزوة فزارة
٧٤٨	فصل : في سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنيين
٧٥٠	فصل : في صلح الحديبية
٧٥٠	١ - النصوص
٧٨٣	٢ - في الصلح : بنوده وحكمه
٧٨٤	٣ - فقهيات
٧٨٨	تعليقات على قصة الحديبية
٧٩٠	وصل : هجوم عبد الرحمن الفرازي على المدينة المنورة
٧٩٥	فصل : في مكاتبة عليه الصلاة والسلام الملوك والأمراء

- ٨٠١ فوائد عامة من أحداث السنة السادسة
- ٨٠٦ تقويم الموقف في نهاية السنة السادسة
- ٨٠٧ السنة السابعة للهجرة

٨٠٩ أبحاث هذه الفترة ف. ح. م. ع.



فصل : في غزوة حنين	٩١٩
فصل : في غزوة أوطاس	٩٤٧
فصل : في غزوة الطائف	٩٤٩
فصل : في إسلام كعب بن زهير	٩٥١
فوائد عامة من أحداث السنة الثامنة	٩٦١
السنة التاسعة للهجرة	٩٦٣
أحداث السنة التاسعة في سطور	٩٦٥
قائمة بأسماء المصدقين إلى القبائل	٩٦٥
من أهم أحداث السنة التاسعة	٩٦٦
فصل : في غزوة تبوك	٩٧٠
فصل : في أسر أكيدر دومة الجندل	٩٨٨
وصل : إسلام عروة بن مسعود	٩٨٨
فصل : في الحج سنة تسع	٩٨٩
فصل : في تهديم ذي الخليفة	٩٩٠
تقويم الموقف في نهاية السنة التاسعة	٩٩٤
السنستان العاشرة والحادية عشرة	٩٩٧
أحداث هاتين السنتين في سطور	٩٩٩
فصل : في نماذج من البعث	١٠٠١
١ - بعث خالد وعلي إلى اليمن قبل حجة الوداع	١٠٠١
٢ - بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن	١٠٠٢
٣ - بعث أبي عبيدة إلى اليمن	١٠٠٥
فصل : في نماذج من الوفود	١٠٠٨
١ - وفد بني تميم	١٠٠٨
٢ - قدوم الأشعريين وأهل اليمن	١٠٠٨

- ٣ - وفد عبد القيس ١٠٠٩
- ٤ - وفد طيء ١٠١١
- ٥ - وفد بني حنيفة ١٠١٢
- فائدة : في أسماء اثنين وسبعين وفدا ١٠١٣
- فصل : في حجة الوداع ١٠١٥
- فصل : في وفاته عليه الصلاة والسلام ١٠٢٧
- نظرة عامة على أحداث السنتين العاشرة والحادية عشرة ١٠٥٤

رقم الايداع : ٢٨٧٢ / ٨٩
الترقيم الدولي : ٤ - ٢٤ - ١٤٧١ - ٩٧٧

سَعِيدُ حَوّٰى

الْأَسْبَغُ فِي السِّيَرِ

وَفَقْهَهَا

المجلد الثالث

القسم الأول

السيرة النبوية

دار السَّيِّدِ الْأَمْرِ

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة
للمنشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

١٢٠ شارع الأزهر _ ص. ب. ١٦١ الغورية
ت: ٩٣٢٨٢٠ _ ٢٧٤١٥٧٨ فاكس ٢٧٤١٧٥٠

الطبعة الثالثة

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

الباب الرابع
في
الصفات والخصائص والشِّمائل

تقديم

ألف في موضوع هذا الباب الكثيرون ، بل كُتب في كل جانب فيه كتب ، ونحن في هذا الباب سنتخير أمهات ما ورد فيه ، معتمدين على أن تفصيلات كثيرة سترد في هذا الكتاب ؛ حيث الموضوع الأكثر لصوقاً بالنص . والسيرة النبوية هي المظهر التطبيقي لنصوص الكتاب والسنة ، تحوي كل شيء ، فما من موضوع حيائي يخطر بالبال إلا وتستطيع استخراج نصوص تتحدث عنه ، وأي موضع تريد أن تكتب فيه بحثاً تستطيع أن تستخرج له من مجموع النصوص الكثير ، الموزع في سياقات متعددة ، ولذلك استطاع الباحثون أن يتوسعوا في كل موضوع طرقوه ، أما ونحن نريد عرض السنة النبوية باختصار فلا يسعنا إلا أن نلحق كل نص في الموضوع الذي هو أكثر لصوقاً به وهذا الذي سنفعله في هذا الباب إن شاء الله .

إنك لو أردت أن تستخرج صفات رسول الله ﷺ ، وخصائصه ، من الكتاب والسنة ، فإنك ستجد نصوصاً كثيرة تستخرج منها خصيصة أو صفة ، وهذا ليس الهدف الوحيد لنا في هذا الكتاب ، فنم تركنا الاستقصاء ، ولكن ما تركناه هنا سيأتي معنا في سياقات أخرى .

ومن تأمل صفاته ، وخصائصه ، وشأله عليه الصلاة والسلام لم يشك أنه رسول الله ﷺ . وقد توسعنا في هذا الموضوع في كتابنا (الرسول ﷺ) في باب الصفات ، وكيف أن صفاته وحدها تدل على أنه رسول الله ﷺ حقاً ؛ فلقد رزقه الله عز وجل الكالات الجسمية ، والنفسية ، والخلقية ، والسلوكية ؛ فكان محمداً ﷺ أي المتصف بصفة الممودية في الأرض والسماء .

فمحمّد اسم مفعول مشتق من الفعل المضعف (حمّد) ، فن حيث نظرت إليه وجدته محمداً في الدنيا ، والآخرة ، في العقل أو في القيادة ، في السياسة أو في الحرب ، في الدين أو في الدنيا ، في العزلة أو في المخالطة ، في المعاملة أو في المفاصلة ، في المجادلة أو المحاولة ، في الإدارة أو التأديب .

إنّ الكمال مجسّداً ، وليس الكمال المتوهّم ، بل الكمال الحقيقي في كل شيء ، فعواطفه
 كالات كاملات ، وتصرفاته كالات كاملات ، وبيانه كال كامل ، وهو كذلك زوج وأب ،
 وقائد وقاضٍ ، ومعلّم ومؤدّب ومبلّغ وحكيم :

فسيّاه فوق مكانة الإمكان	مهما أشاد الواصفون بوصفه
يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف	وعلى تفنّن واصفيه بوصفه

* * *

أولاً : نصوص قرآنية في بعض الخصائص والشمائل النبوية

١ - منزلة رسول الله ﷺ عند الله سبحانه :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ (٢) .

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَخْرُودًا ﴾ (٣) .

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَمْرٌ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٤) .

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَينصرك الله نصراً عزيزاً ﴾ (٥) .

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٦) .

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ (٧) .

٢ - شهادة الله لرسوله ﷺ :

﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (٨) .

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (٩) .

(٢) الضحى : ١ - ٥ .

(٤) الإسراء : ١ .

(٦) الأنفال : ٣٣ .

(٨) الكوثر : ١ .

(١) الأحزاب : ٥٦ .

(٣) الإسراء : ٧٨ .

(٥) الفتح : ١ - ٢ .

(٧) النساء : ٧٩ .

(٩) النساء : ١٦٦ .

﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ يَعْلَمُ الْمَلَائِكَةُ يُشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ (١)

﴿ يَسْ * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢)

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (٣)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً ﴾ (٤)

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٥)

٣ - أخذ الميثاق على النبيين بالإيمان بمحمد ﷺ :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٦)

ولهذا قال علي بن أبي طالب ، وابن عباس رضي الله عنهم : ما بعث الله نبياً من الأنبياء - من لدن نوح - إلا أخذ ميثاقه ، ليؤمنن بمحمد ﷺ - لينصرنه - إن خرج وهم أحياء . ذكره الطبري في تفسيره .

٤ - عالمية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ (٧)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٨)

(١) الفتح : ٢٨ .

(٢) يس : ١ - ٤ .

(٣) الأحزاب : ٤٠ .

(٤) الأحزاب : ٤٥ - ٤٧ .

(٥) المائدة : ١٥ ، ١٦ ، وفسر بعضهم (النور) في الآية بأنه (محمد) ﷺ .

(٦) آل عمران : ٨١ .

(٧) سبأ : ٢٨ .

(٨) الأنبياء : ١٠٧ .

٥ - حتمية الإيمان برسول الله ﷺ وما يلزم ذلك وعاقبة المعاندين :

﴿ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يُوْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ﴾ (١) .

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) .

﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ﴾ (٣) .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ (٤) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (٥) .

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٦) .

﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ (٧) .

﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا ﴾ (٨) .

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٩) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ إِذَا يَبْتَغُونَ اللَّهَ يَدَ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ تَكَثَّرَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْقَاتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١٠) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَذِلَّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تَوَمِّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ... ﴾ (١١) .

(١) الأعراف : ١٥٨ .

(٢) الحديد : ٧ .

(٣) النساء : ١٣٦ .

(٤) النساء : ٨٠ .

(٥) آل عمران : ٣١ .

(٦) الصف : ١٠ ، ١١ .

(٧) آل عمران : ٣٢ .

(٨) الحجرات : ١٥ .

(٩) آل عمران : ١٢٢ .

(١٠) النساء : ١٤ .

(١١) الفتح : ١٠ .

٦ - إخلاصه ﷺ في عبادته لربه :

﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهِ اتَّخِذْ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) .

﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) .

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣) .

٧ - امتنان الله عز وجل على الأمة ببعثه رسول الله ﷺ :

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٤) .

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٥) .

﴿ يَسْتَوُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمَنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٦) .

٨ - رحمة الرسول ﷺ بالأمة :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٧) .

﴿ النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ (٨) .

(١) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٢) آل عمران : ١٦٤ .

(٣) الحجرات : ١٧ .

(٤) الأحزاب : ٦ .

(١) الأنعام : ١٤ .

(٢) الزمر : ١١ ، ١٢ .

(٣) الجمعة : ٢ .

(٤) التوبة : ١٢٨ .

٩ - الأمر بتبليغ الدعوة وتكفل الله برعايته ﷺ :

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (١) .

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنَكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ (٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ ﴾ (٣) .

﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (٤) .

﴿ قَاصِدُغْ بِمَا تَوَمَّرَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (٥) .

١٠ - أدب المسلم مع رسول الله ﷺ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٦) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَاجَيْتُمْ الرَّسُولَ فِقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاتِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * أَلَشَّفَعْتُمْ أَنْ تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاتِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٧) .

﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَرْوَاحَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ (٨) .

(١) الأَنْفَال : ٦٤ .

(٢) الطُّور : ٤٨ .

(٣) الْحَجَرَات : ٢ - ٥ .

(٤) الْأَحْزَاب : ٥٣ .

(١) الْمَائِدَةُ : ٦٧ .

(٢) الْمَائِدَةُ : ٤١ .

(٣) الْحَجَر : ٩٤ ، ٩٥ .

(٤) الْمَجَادِلَةُ : ١٢ ، ١٣ .

﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذٍ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .

١١ - شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم على الأمة يوم القيامة :

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٢) .

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ (٣) .

١٢ - معرفة أهل الكتاب برسول الله ﷺ :

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعاً سَجْدًا يَتَكَفَّوْنَ فَضلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (٤) .

﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ... ﴾ (٥) .

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ... ﴾ (٦) .

(١) النحل : ٨٩ .

(٢) الفتح : ٢٩ .

(٣) الأعراف : ١٥٧ .

(٤) النور : ٦٣ .

(٥) الحج : ٧٨ .

(٦) البقرة : ٨٩ .

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ۚ يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) .

١٣ - رد القرآن على بعض افتراءات خصوم الإسلام :

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ ^(٢) .

﴿ فَلَا أَقِيمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا يَقُولُ كَافِرٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣) .

﴿ فَذَكَّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ ^(٤) .

﴿ نَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(٥) .

﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ ^(٦) .

﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ^(٧) .

* * *

(٢) النجم : ٣ - ١٨ .

(٤) الطور : ٢٩ .

(٦) يس : ٦٩ .

(١) البقرة : ١٤٦ .

(٣) الحاقة : ٣٨ - ٤٣ .

(٥) القلم : ١ - ٤ .

(٧) التوبة : ٦١ .

ثانياً : نصوص حديثية في الخصائص والشمائل النبوية

٧٩٧ - * روى البخاري ومسلم عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن أنس بن مالك : أنه سَمِعَهُ يَقُولُ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ وَلَيْسَ بِالْأَبْيَضِ الْأَمْهَقِ وَلَا بِالْأَدَمِ . وَلَا بِالْجُعْدِ الْقَطَطِ وَلَا بِالسَّبِطِ . بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً . فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ . وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةً . وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلَحْيَتِهِ عَشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ .

أقول : مرّ معنا أنه عليه الصلاة والسلام توفي وهو في الثالثة والستين ، فكلمة أنس ههنا أنه توفي على رأس ستين يمثل علمه وليس هو واقع الحال ، وكذلك لبثه في مكة بعد النبوة عشر سنين ، فمن المعلوم أنه بقي في مكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة .

٧٩٨ - * روى البزار عن أبي هريرة أنه وَصَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فقال : كَانَ رَجُلًا رُبْعَةً وَهَوَّ إِلَى الطُّوْلِ أَقْرَبُ ، شَدِيدَ الْبَيَاضِ ، أَسْوَدَ اللَّحْيَةِ ، حَسَنَ الشَّعْرِ ، أَهْدَبَ أَشْفَارِ الْعَيْنَيْنِ ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ ، يَطَأُ بِقَدَمِهِ جَمِيعًا ، لَيْسَ لَهُ أَخْمَصٌ ، يَقْبِلُ جَمِيعًا ، وَيُدْبِرُ جَمِيعًا ، لَمْ أَرْ مِثْلَهُ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ .

٧٩٩ - * روى أحمد والبزار عن عائشة أنها تمثلت بهذا البيت وأبو بكر رضي الله عنه

يقضي :

-
- ٧٩٧ - البخاري (١ / ٥٦٤) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٢ - باب صفة النبي ﷺ .
ومسلم واللفظ له (٤ / ١٨٢٤) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٣١ - باب في صفة النبي ﷺ ومبعثه ، وسنه .
ليس بالطويل البائن : أي المفرط الطول . أي هو بين زائد الطول والقصر .
الأمهق : الكريه البياض كلون الحص . يريد أنه كان نير البياض .
الآدم : الشديد السمرة .
القطط : الشديد الجمودة .
٧٩٨ - كشف الأستار (٣ / ١٢٢) .
قال الميمني في مجمع الزوائد (٨ / ٢٨٠) : رواه البزار ، ورجاله وثقوا .
رُبْعَةً : الوسيط القائمة . أشفار العينين : أي طويل شعر العينين . ليس له أخمص : الأخص من القدم : الموضع الذي لا يلمس بالأرض عند الوطء .
٧٩٩ - أحمد في مسنده (١ / ٧) .
والبزار نحوه : كشف الأستار (٣ / ١٢٤) . وقال : إسناده حسن .

وأبيضُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ربيعُ اليتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ذَاكَ وَاللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

٨٠٠ - * روى أحمد عن يزيد الفارسي قال : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ
زَمَنَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَكَانَ يَزِيدُ يَكْتُبُ الْمَصَاحِفَ قَالَ : فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : « إِنَّ
الشَّيْطَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِي فَمَنْ رَأَانِي فِي النَّوْمِ فَقَدْ رَأَانِي » فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ
تَنْعَمَ لَنَا هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي رَأَيْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ رَأَيْتُ رَجُلًا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ جِسْمُهُ ، وَلِحْمُهُ أَشْمَرُ
إِلَى الْبَيَاضِ ، حَسَنَ الْمَضْحَكِ أَكْهَلَ الْغَيْنَيْنِ ، جَمِيلَ ذَوَائِرِ الْوَجْهِ قَدْ مَلَأَتْ لَحْيَتَهُ مِنْ هَذِهِ
إِلَى هَذِهِ حَتَّى كَادَتْ تَمْلَأُ نَحْرَهُ . قَالَ عَوْفٌ : لَا أَذْرِي مَا كَانَ مَعَ هَذَا مِنَ النُّعَمِ فَقَالَ
ابْنُ عَبَّاسٍ : لَوْ رَأَيْتَهُ فِي الْيَقَظَةِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ تَنْعَمَهُ فَوْقَ هَذَا .

٨٠١ - * روى الحاكم عن علي رضي الله عنه قال : لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل ولا
بالقصير ، شَتْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ ، ضَخْمُ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ ، مُشْرَبٌ حُمْرَةً ، ضَخْمُ الْكَرَادِيصِ
طَوِيلٌ الْمَشْرَبَةِ إِذَا مَشَى تَكْفَأُ تَكْفُؤًا ، كَأَنَّمَا يَمْشِي يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ ، لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ
مِثْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

٨٠٢ - * روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَلِيعَ

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٧٢) : رواه أحمد والبخاري ، ورجاله ثقات .

٨٠٠ - أحمد في مسنده (١ / ٣٦١) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٧٢) : رواه أحمد ، ورجاله رجال ثقات .

٨٠١ - المستدرک (٢ / ٦٠٦) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه الألفاظ .

شَتْنُ الْكَفَّيْنِ : الغليظ الأصابع من الكفَّيْنِ والقَدَمَيْنِ .

الكراديس : جمع كُرْدُوسٍ ، وهو كل عظمين التقيا في مفصلٍ ، نحو المنكبين والركبتين والوركين .

طويل المشربة : الشعر النابت على وسط الصدر نازلا إلى آخر البطن .

كأنما ينحط من صَبَبٍ : كأنه ينحدر من موضع عال .

٨٠٢ - مسلم (٤ / ١٨٢٠) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٣٧ - باب في صفة من النبي ﷺ ، وعينه ، وعقبه .

ضليع الغم : عظميه .

الشكلة في العين : حرة تكون في البياض ، والشيلة : حرة في سوادها .

منهوس العقبين : خفيف لهما ، وأصله : أن النُّهْسَ - بالسین المهملة - أخذ اللحم بأطراف الأسنان - وبالشين

المعجمة - أخذه بالأضراس .

الفم ، أشكل العينين ، منهوس العقبين .

٨٠٣ - * روى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا ، وَأَحْسَنَ خُلُقًا ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ ، وَلَا بِالْقَصِيرِ ،
وفي رواية ^(١) قَالَ : كَانَ مَرْبُوعًا ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ ، لَهُ شَعْرٌ يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ ،
رَأَيْتُهُ فِي خُلَّةٍ حَمْرَاءَ ، لَمْ أَرْ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ .

قال البخاري ^(٢) : وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِي عَنْ مَالِكِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ : إِنَّ جُمَّتَهُ لَتَضْرِبُ قَرِيبًا مِنْ مَنْكِبَيْهِ . قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : سَمِعْتُهُ يُحَدِّثُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ ، مَا حَدَّثَ بِهِ قَطُّ إِلَّا ضَجَكَ .

٨٠٤ - * روى الترمذي عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب قال : كَانَ عَلِيٌّ إِذَا وَصَفَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْمَمِطِ ، وَلَا بِالْقَصِيرِ الْمَتَرَدِّ ، وَكَانَ رُبْعَةً مِنَ الْقَوْمِ ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْجَعْدِ الْقَطِيطِ وَلَا بِالسَّبِطِ كَانَ جَعْدًا رَجُلًا ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ وَلَا بِالْمُكَلَّثَمِ ، وَكَانَ فِي الْوَجْهِ تَذْوِيرٌ أَيْضٌ مُشْرَبٌ ، أَدْعَجَ الْعَيْنَيْنِ ، أَهْدَبَ

٨٠٣ - البخاري (٦ / ٥٦٤) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٣ - باب صفة النبي ﷺ .

ومسلم (٤ / ١٨١٩) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٣٥ - باب صفة النبي ﷺ .

الجُمَّة : الشعر الواصل إلى المنكبين .

قيل في الجمع بين لبسه الأحمر ونبيه عنه : أن الخُلَّةَ هذه كانت غخططة ولم تكن خالصة الاحمرار .

(١) البخاري (٦ / ٥٦٥) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٣ - باب صفة النبي ﷺ .

(٢) البخاري (١٠ / ٣٥٦) ٧٧ - كتاب اللباس - ٦٨ - باب الجعد .

٨٠٤ - الترمذي (٥ / ٥٩٩) ٥٠ - كتاب المناقب ، ٨ - باب ماجاء في صفة النبي ﷺ . وقال : هذا حديث حسن غريب ، ليس بإسناده بمتصل .

المَمِطُ : بتشديد الميم وبالفعين المعجمة : هو الرجل البائن الطول ، والحَدَثُونَ يقولونه بتشديد الغين .

الْمَتَرَدِّدُ - الذي تردّد بعض خلقه على بعض ، فهو مجتمِع .

رجل رُبْعَةٌ : معتدل القامة ، بين الطويل والقصير .

شعر قَطِيطٌ : شديد الجمودة شعر سَبِطٌ : سائل ليس فيه شيء من الجمودة .

شعر رَجِيلٌ : إذا لم يكن شديد الجمودة ، ولا شديد السبوطية ، بل بينهما .

المَطَهَّمُ : الفاحش البتّن ، وقيل : المنتفخ الوجه الذي فيه جهامة ، وقيل : هو النحيف الجسم الدقيقّة ، وقيل :

الطَّهْمَةُ في اللون : أن تجاوز السمرة إلى السواد ، ووجه مطهم إذا كان كذلك .

المُكَلَّثَمُ : المستدير الوجه ، ولا يكون إلا مع كثرة اللحم .

الأشْفَارِ ، جَلِيلَ الْمَشَاشِ وَالْكَتْدِ ، أَجْرَدَ ذُو مَشْرَبَةٍ ، شُنَّ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ ، إِذَا مَشَى تَقَلَّعَ كَأَنَّمَا يَمْشِي فِي صَبَبٍ ، وَإِذَا التَّقَتِ التَّقَتَ مَعًا ، يَبِينُ كَيْفِيهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، أَجْوَدَ النَّاسِ صَدْرًا ، وَأَصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً ، وَالْيَنَّهُمْ عَرِيكَةً ، وَأَكْزَمَهُمْ عِشْرَةً ، مَنْ رَأَاهُ بِدِيهَةِ هَابَةٍ ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ ، يَقُولُ نَاعَتَهُ لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وللترمذي في رواية أخرى ^(١) عن عليٍّ قال : لم يكن النبي ﷺ بالطويل ولا بالقصير ، شُنَّ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ ، ضَخَمَ الرَّأْسَ ، ضَخَمَ الْكَرَادِيْسَ ، طَوِيلُ الْمَشْرَبَةِ ، إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ تَكَفُّوًا كَأَنَّمَا انْخَطَّ مِنْ صَبَبٍ ، لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٨٠٥ - * روى الحاكم عن جابر بن سَمَرَةَ قال : رأيت خاتم النبوة على ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل بيضة الحمام .

= الذعج في العين : شدة سوادها .
أهدب : الذي شعر أجفانه كثير مستطيل .
أشفار العين : منابت الشعر المحيط بالعين .
جليل المشاش : عظم رؤوس العظام : كالركبتين والمرفقين والمنكبين ونحو ذلك ، والمشاش : جمع مشاشة ، وهي رؤوس العظام اللينة التي يمكن مضغها .
الكتد : الكاهل .
المشربة : الشعر النابت على وسط الصدر نازلاً إلى آخر البطن .
الشَّنَّ الكف : الغليظ الكف ، وهو مدح في الرجل لأنه أشد .
تقلع في مشيه : كأنه يقلع رجله من وُحْلٍ وهي مشية تتغنى بها العرب لما فيها من سكينه ووقار .
اللهجة : اللسان .
فلان ليئن العريكة : سلس القيادة ، لين المقادة .

(١) الترمذي (٥ / ٥٩٨) ٥٠ - كتاب المناقب - ٨ - باب ما جاء في صفة النبي ﷺ . وقال هذا حديث حسن صحيح .
الكراديس : كل عظمين التقيا في مفصل : فهو كردوس ، والجمع الكراديس . نحو الركبتين والمنكبين والوركين .
تَكَفَّأَ تَكَفُّوًا : التَكَفُّوُ : الميل في المشي إلى قُدَامٍ ، كما تتكفأ السفينة في جريها ، والأصل فيه الممز ، فترك ، فيقال : تَكَفَّأَ .

كأنما انحط من صَبَبٍ : قريب من التَكَفُّوُ ، أي : كأنه ينحدر من موضع عال ، وفي رواية أبي داود (صوب) قال الخطابي : إذا فتحت الصاد كان اسماً لما يُصَبُّ على الإنسان من ماء ونحوه ، كالظهور والعنق والقطور ، ومن رواه بالضم : فعلى أنه جمع الصَّبَبِ ، وهو ما انحدر من الأرض ؛ قال : وقد جاء في أكثر من الروايات (كأنما يمشي في صَبَبٍ) قال : وهو المحفوظ .

٨٠٥ - المستدرک (٢ / ٦٠٦) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

٨٠٦ - * روى مسلم عن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ ، وأكلت معه خُبْزاً ولحماً - أو قال : ثريداً - قال فقلتُ له : أَسْتَغْفِرُكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَلَكَ ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ ^(١) قال : ثُمَّ ذُرْتُ خَلْفَهُ ، فَتَنَظَّرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، عِنْدَ نَاحِيَةِ كَتِفِهِ الْيُسْرَى جُمْعاً ، عَلَيْهِ خِيْلَانٌ ، كَأَمْثَالِ الثَّالِيلِ .

٨٠٧ - * روى الإمام أحمد عن أبي زيد عمرو بن أخطب قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يَا أَبَا زَيْدٍ ادْنُ مِنِّي وَامْسَحْ ظَهْرِي » وَكَشَفَ ظَهْرَهُ ، فَسَحَتُ ظَهْرَهُ وَجَعَلْتُ الْخَاتَمَ بَيْنَ أَصْبَعِي قَالَ : فَغَمَزْتُهَا قَالَ فَقِيلَ : وَمَا الْخَاتَمُ ؟ قَالَ : شَعْرٌ مَجْتَمِعٌ عَلَى كَتِفِهِ .

٨٠٨ - * روى الترمذي والحاكم عن جابر بن سبرة رضي الله عنه قال : كَانَ فِي سَاقِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَمَوشَةٌ ، وَكَانَ لَا يَضْحَكُ إِلَّا تَبَسُّمًا ، وَكَانَتْ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ قُلْتُ : أَكْحَلُ الْعَيْنَيْنِ ، وَلَيْسَ بِأَكْحَلٍ ، ﷺ .

٨٠٦ - مسلم (٤ / ١٨٢٣) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٣٠ - باب إثبات خاتم النبوة ، وصفته ، وعمله من جسده ﷺ .
فأغصن الكتف : طرف العظم العريض ، الذي في أعلى طرفه .

جُمْعاً : قال الحميدي : لعله عن جُمُعِ الكَفِّ . وهو أن يجمع الرجل أصابعه ويعطفها إلى باطن الكف .
الخيْلَان : جمع خال ، هو الشامة .
الثَّالِيل : جمع ثولول . وهي حببيبات تعلو الجسد .

قال القاضي : وهذه الروايات متقاربة متفقة على أنها شاخص في جسده قدر بيضة الحمام . وهو نحو بيضة الحجلة وزر الحجلة . وأما رواية جمع الكف فظاهرها المخالفة . فتؤول على وفق الروايات الكثيرة ويكون معناه على هيئة جمع الكف لكنه أصغر منه في قدر بيضة الحمام . (النووي على مسلم) .

(١) محمد : ١٩ .

٨٠٧ - أحمد في مسنده (٥ / ٢٤١) .

والستدرك (٢ / ٦٠٦) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

وقال الميثمي في جمع الزوائد (٨ / ٢٨١) : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ، وأحد أسانيد رجاله رجال الصحيح .

٨٠٨ - الترمذي (٥ / ٦٠٢) ٥٠ - كتاب المناقب - ١٢ - بساب في صفة النبي ﷺ . وقال : حديث حسن صحيح غريب ، وهو كما قال .

والستدرك (٢ / ٦٠٦) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي إلا أنه قال : وفيه حجاج وهو لَين الحديث .

وَجَلَّ أَحْمَقُ السَّاقِينَ : ذَقِيقُهَا ، وكذلك : حَشَشَ السَّاقِينَ .

الكحل في العينين : سواد يكون في مغارز الأجفان خلقة .

٨٠٩ - * روى الطبراني عن شداد قال : أتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأخذتُ بيده فإذا هي أليّن من الحرير وأبرّد من الثلج .

٨١٠ - * روى مسلم عن الجريري عن أبي الطفيل قال : قلت له : أُرأيت رسولَ الله ﷺ ؟ قال : نعم ، كان أبيضَ مليحَ الوجه .

وفي رواية قال^(١) : رأيتُ رسولَ الله ﷺ ، وما على وجه الأرض رجلٌ رآه غيري ، قال : فقلتُ له : فكيف رأيته ؟ قال : كان أبيضَ مليحاً مقصداً .

وفي رواية أبي داود مثله ، وقال^(٢) : كان أبيضَ مليحاً ، إذا مشى كأنه يهوي في صُوب .

٨١١ - * روى الدارمي والحاكم عن جابر بن سَمرة قال : رأيت رسولَ الله ﷺ في ليلة إضحيان وعليه حلّة حمراء ، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر . قال : فلهو كان أحسنَ في عيني من القمر .

٨١٢ - * روى البخاري عن أبي إسحاق قال : سئل البراء : أكان وجهُ النبي ﷺ مثل السيف ؟ قال : لا ، بل مثل القمر .

٨٠٩ - المعجم الكبير (٧ / ٢٧٢) . وقال الميحي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٨٢) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجال الكبير رجال الصحيح غير موسى بن أيوب النصيبي ، وهو ثقة .

وقال الحافظ في الإصابة (٤ / ٣٢٤) : إسناده على شرط الصحيح .

٨١٠ - مسلم (٤ / ١٨٢٠) ٤٢ - كتاب الفضائل - ٢٨ - باب كان النبي ﷺ أبيض ، مليح الوجه .

أبو الطفيل : هو عامر بن وائلة ، آخر الصحابة وفاة على الإطلاق .

(١) مسلم (٤ / ١٨٢٠) ٤٢ - كتاب الفضائل - ٢٨ - باب كان النبي ﷺ أبيض ، مليح الوجه .

المقصد : الذي ليس بجسم ولا قصير ، وقيل : هو من الرجال نحو الرُّبعة .

(٢) أبو داود (٤ / ٢٦٧) كتاب الأدب ، باب في هذي الرجل .

يهوي : ينزل ويتدلى ، وتلك مشية القوي من الرجال ، يقال : هوى الشيء هوي هويّاً - بفتح الهاء - إذا نزل من

فوق إلى أسفل ، وهو هوي هويّاً - بضم الهاء - إذا صعد .

٨١١ - الدارمي (١ / ٣٠) في المقدمة ، باب في حسن النبي ﷺ .

والمستدرك (٤ / ١٨٦) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

إضحيان : يقال : ليلة إضحيان ، وإضحيانة ، أي : مضية مقمرة .

٨١٢ - البخاري (٦ / ٥٦٥) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٣ - باب صفة النبي ﷺ .

٨١٣ - * روى الطبراني عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن تيسير قال : قلت للرَّبِيعِ بنتِ معوذ بنِ عفراء : صِفِي لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : لَوْ رَأَيْتَهُ قُلْتُ : الشَّمْسُ طَالِعَةٌ .

٨١٤ - * روى الحاكم عن كعب بن مالك يقول : لما سَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قال : وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم إِذَا سَرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ ، وَكَانَ يُعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ .

٨١٥ - * روى الحاكم عن عبد الله بن محمد بن عقيل قال : قَدِمَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ الْمَدِينَةَ وَعَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَالْيَهَاءُ فَبَعَثَ إِلَيْهِ عُمَرُ وَقَالَ لِلرَّسُولِ : سَأَلْتُ هَلْ خَضَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فَبَأْنِي رَأَيْتُ شَعْرًا مِنْ شَعْرِهِ قَدْ لَوْنُ فَقَالَ أَنَسُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم كَانَ قَدْ مَتَعَ بِالسَّوَادِ وَلَوْ عَدَدْتُ مَا أَقْبَلَ عَلَيَّ مِنْ شَيْبِهِ فِي رَأْسِهِ وَلَحْيَتِهِ مَا كُنْتُ أَزِيدُهُنَّ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةِ شَيْبَةٍ ، وَإِنَّمَا هَذَا الَّذِي لَوْنُ مِنَ الطَّيِّبِ الَّذِي كَانَ يُطَيِّبُ شَعْرَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم .

٨١٦ - * روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ شَيْطَ مُقَدِّمَ رَأْسِهِ وَلَحْيَتِهِ ، وَكَانَ إِذَا اذْهَنَ لَمْ يَتَبَيَّنْ ، وَإِذَا شَعِثَ رَأْسُهُ تَبَيَّنَ ، وَكَانَ كَثِيرَ شَعْرِ اللَّحْيَةِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : وَجْهُهُ مِثْلُ السَّيْفِ ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ كَانَ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَكَانَ مُسْتَدِيرًا ، وَرَأَيْتُ الْحَاقِمَ عِنْدَ كَتِفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ ، يُشَبِّهُ جَسَدَهُ .

وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ ^(١) قَالَ : سَأَلَ جَابِرُ بْنُ سَمْرَةَ عَنْ شَيْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَالَ : كَانَ إِذَا ذَهَنَ رَأْسُهُ لَمْ يَزِرْ مِنْهُ ، وَإِذَا لَمْ يَذْهَنْ رُئِيَ مِنْهُ .

٨١٧ - * روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : كُنْتُ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَفَرِّقَ رَأْسَ

٨١٣ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٨٠) ، وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله وثقوا .

٨١٤ - المستدرک (٢ / ٦٠٥) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين . وأقره الذهبي .

٨١٥ - المستدرک (٢ / ٦٠٧) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

٨١٦ - مسلم (٤ / ١٨٢٣) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٢٩ - باب شيبه ﷺ .

الْفَقَطُ : الشَّيْبُ . والمعروف أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قد شابَت بعضُ شعراته .

(١) النسائي (٨ / ١٥٠) ، كتاب الزينة ، باب الدهن .

٨١٧ - أبو داود (٤ / ٨٢) ، كتاب الترجل ، باب ما جاء في الفرق . وإسناده صحيح .

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، صَدَعْتُ الْفَرْقَ مِنْ يَافُوخِهِ ، وَأُرْسِلُ نَاصِيَتَهُ تَيْنَ عَيْنَيْهِ .

٨١٨ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كان أهل الكتاب يَسْدِلُونَ أشعارهم ، وكان المشركون يَفْرُقُونَ رُؤُوسَهُمْ ، وكان رسول الله ﷺ يُحِبُّ موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر به ، فَسَدَلَ رسول الله ﷺ ناصيته ، ثم فرق بعد .

٨١٩ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : رأيت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالْحَلَّاقَ يَخْلُقُهُ ، وَأَطَافَ بِهِ أَصْحَابُهُ ، فَمَا يَرِيدُونَ أَنْ تَقَعَ شَعْرَةٌ إِلَّا فِي يَدِ رَجُلٍ .

٨٢٠ - * روى البخاري عن محمد بن سيرين رحمه الله قال : قُلْتُ لِعَبِيدَةَ : عِنْدَنَا مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَصَبْنَاهُ مِنْ قِبَلِ أَنْسٍ - أَوْ مِنْ قِبَلِ أَهْلِ أَنْسٍ - فَقَالَ : لِأَنْ يَكُونَ عِنْدِي شَعْرَةٌ مِنْهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

٨٢١ - * روى البخاري عن حريز بن عثمان رحمه الله قال : إِنَّهُ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ بُشَيْرٍ صَاحِبَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : أَرَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ شَيْخًا ؟ قَالَ : كَانَ فِي عُنُقَيْهِ شَعْرَتَا بَيْضٍ .

= اليافوخ : وسط الرأس .

الفرق : الفصل بين الشيتين . والفرق : هو الخط الذي يظهر بين شعر الرأس إذا قسم قسمين .

الصدع : الشق

٨١٨ - البخاري (٦ / ٥٦٦) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٣ - باب صفة النبي ﷺ .

ومسلم واللفظ له (٤ / ١٨١٨) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٢٤ - باب في سدل النبي ﷺ شعره ، وفرقه .

سدل الشعر : إرساله . يَفْرُقُونَ : مفرق الرأس : وسطه ، وفرق الشعر : جعله فرقتين .

الناصية : شعر مقدم الرأس .

٨١٩ - مسلم (٤ / ١٨١٢) ٤٣ - كتاب الفضائل - ١٩ - باب قرب النبي ﷺ من الناس ، وتركهم به .

٨٢٠ - البخاري (١ / ٢٧٢) ١٤ - كتاب الوضوء - ٣٣ - باب الماء الذي يَغْسَلُ بِهِ شعر الإنسان .

لعبيدة : هو عبدة بن عمرو السلمي تابعي كبير .

٨٢١ - البخاري (٦ / ٥٦٤) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٣ - باب صفة النبي ﷺ .

وفي رواية مسلم (٤ / ١٨٢٢) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٢٩ - باب شبيهه ﷺ .

قوله : ماشاه الله ببعضاء : أي كان شبيهه حلواً جليلاً على قلته .

في رأسه ثبذ من شيب : شيء يسير ، هو مفتوح الأول ، ساكن الباء .

عنقفته : المنفقة : الشعر الذي في الشفة السفلى . وقيل : الشعر الذي بينها وبين الذن وأصل المنفقة حفة الشيء وقلته .

وفي رواية عند مسلم ^(١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه : سئل عن شيب رسول الله ﷺ ؟ فقال : ما شأنه الله بيضاء .

وفي رواية له قال : يُكره أن يَتَيْفَ الرجلُ الشعرة البيضاء من رأسه أو لحيته قال : ولم يختضب رسول الله ﷺ ، إنما كان البياض في عنقه ، وفي الصدغين ، وفي الرأس بُنْدًا .

٨٢٢ - * روى البخاري ومسلم عن قتادة رحمه الله قال : سألت أنساً رضي الله عنه عن شعر رسول الله ﷺ ؟ فقال : شعر بين شعرين ، لا رجل ولا جعد قط ، كان بين أذنيه وعاتقه .

وفي رواية قال ^(٢) : كان شعراً رجلاً ، ليس بالسبط ولا الجعد ، بين أذنيه وعاتقه .

وفي رواية قال ^(٣) : كان يضرب شعره منكبيه .

وفي أخرى ^(٤) : إلى أنصاف أذنيه .

وفي رواية أبي داود ^(٥) : كان شعر رسول الله ﷺ إلى شحمة أذنيه . وفي رواية إلى أنصاف أذنيه .

وفي أخرى ^(٦) : له شعر يبلغ شحمة أذنيه .

(١) مسلم (٤ / ١٨٢١) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٢٩ - باب شيبه ﷺ .

٨٢٢ - البخاري (١٠ / ٣٥٦) ٧٧ - كتاب اللباس - ٦٨ - باب الجعد .

ومسلم (٤ / ١٨١٩) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٢٦ - باب صفة النبي ﷺ .

رجلا : هو الذي بين الجمودة والسبوطه ، قاله الأصمعي وغيره .

ولا بالسبط : قال ابن الأثير : السبط من الشعر المنبسط المسترسل .

ليس بالجعد : قال في المقاييس : الحميم والعين والبدال أصل واحد . وهو تقبض في الشيء . يقال : شعر جعد وهو

خلاف السبط .

(٢) مسلم (٤ / ١٨١٩) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٢٦ - باب صفة شعر النبي ﷺ .

(٣) البخاري (١٠ / ٣٥٦) ٧٧ - كتاب اللباس - ٦٨ - باب الجعد .

ومسلم واللفظ وله (٤ / ١٨١٩) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٢٦ - باب صفة شعر النبي ﷺ .

(٤) مسلم في نفس الموضع السابق .

(٥) أبو داود (٤ / ٨١) كتاب الترجل . باب ماجاء في الشعر .

(٦) أبو داود في نفس الموضع السابق .

٨٢٣ - * روى أبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أنه كان يصنعُ لحيتَه بالصفرة حتى تَمْتَلِئَ ثيابه من الصفرة ، فقليل له : لِمَ تَصْنَعُ بالصفرة ؟ فقال : إني رأيتُ رسولَ الله ﷺ يصنعُ بها ، ولم يكن شيء أحبَّ إليه منها ، وقد كان يصنعُ بها ثيابه كلها ، حتى عيَّامته .

ولأبي داود أيضاً ^(١) : أن النبي ﷺ كان يلبسُ النعالَ السَّبْتِيَّةَ ، ويصفرُ لحيتَه بالورس والزَّغْفَران ، وكان ابن عمر يفعل ذلك .

٨٢٤ - * روى أبو داود عن أبي رُمثة رضي الله عنه قال : انطلقتُ مع أبي نحو رسولِ الله ﷺ ، فإذا هو ذو وَفْرَةٍ ، بها رَدْعُ حِجَاءٍ ، وعليه بُرْدَانُ أخضران .

زاد في رواية ^(٢) : فقال له أبي : أرني هذا الذي يظهرُك ، فإني رجل طيب ، قال : « الله الطيب ، بل أنت رجل رفيق ، طيبها الذي خلقها » .

وفي رواية قال ^(٣) : أتيت النبي ﷺ أنا وأبي ، فقال لرجل - أو لأبيه - « من هذا » قال : ابني . قال : « لا تحني عليه » وكان قد لَطَخَ لحيتَه بالحناء .

وفي رواية النسائي ^(٤) ، قال : أتيت أنا وأبي النبي ﷺ ، وكان قد لَطَخَ لحيتَه بالحناء .

٨٢٣ - أبو داود (٤ / ٥٢) ، كتاب اللباس ، باب في المصبوغ بالصفرة .

والنسائي نحوه (٨ / ١٤٠) ، كتاب الزينة ، باب الحضاب بالصفرة . وإسناده حسن .

(١) أبو داود (٤ / ٨٦) ، كتاب الترجل ، باب ماجاء في الحضاب بالصفرة .
السبتية : جلود يقر مدبوغة بالقرظ ، سميت سبتية : لأن شعرها قد سبت عنها وحلق ، وقيل : لأنها انسبت بالدباغ ، أي : لانت .

الورس : نبت أصفر يصنع به .

٨٢٤ - أبو داود (٤ / ٨٦) ، كتاب الترجل ، باب في الحضاب .

الوفرة : شعر الرأس إذا كان إلى شحمة الأذن .

الردع : أثر الصبغ على الجسم وغيره .

(٢) أبو داود (٤ / ٨٦) ، كتاب الترجل ، باب في الحضاب .

(٣) أبو داود في نفس الموضع السابق .

لا تحني عليه : لا تحمل مسؤولية جنايتك . فحرف لانا فية .

(٤) النسائي (٨ / ١٤٠) ، كتاب الزينة ، باب الحضاب بالصفرة .

وفي رواية ^(١) : ورأيتَه قد لَطَخَ لحيته بالصفرة .

وأخرج النسائي أيضاً : حديث سؤاله عنه .

٨٢٥ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أزهر اللون ، كأن عرقه اللؤلؤ ، إذا مشى تكفأ ، ومما مسبت ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ ، ولا شمت مسكة ولا غنبرة أطيب من رائحة النبي ﷺ .

وفي أخرى قال ^(٢) : ما شمت غنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح النبي ﷺ ، ولا مسبت شيئاً قط ديباجاً ولا حريراً ألين من رسول الله ﷺ .

وفي رواية البخاري قال ^(٣) : ما مسبت حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ﷺ ، ولا شمت ريحاً قط - أو عرقاً قط - أطيب من ريح - أو عرق - النبي ﷺ .

وفي رواية الترمذي قال ^(٤) : خدمت رسول الله ﷺ عشرين سنة ، فما قال لي : أف قط ، وما قال لشيء صنعت : لم صنعت ؟ ولا لشيء تركته : لم تركته ؟ وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً ، ولا مسبت خراً قط ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ ، ولا شمت مسكاً قط ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ .

٨٢٦ - * روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى ، ثم خرج إلى أهله ، وخرجت معه ، فاستقبله ولدان ، فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً ، قال : وأما أنا فمسح خدي ، وجذت لبيده برداً أو ريحاً ، كأننا

(١) النسائي في نفس الموضع السابق .

٨٢٥ - مسلم (٤ / ١٨١٥) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٢١ - باب طيب رائحة النبي ﷺ ، وابن مه ، والتبرك بمسحه ، والبخاري نحوه مختصراً (٦ / ٥٦٦) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٣ - باب صفة النبي ﷺ .

(٢) مسلم (٤ / ١٨١٤) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٢١ - باب طيب رائحة النبي ﷺ ، وابن مه ، والتبرك بمسحه .

(٣) البخاري (٦ / ٥٦٦) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٣ - باب صفة النبي ﷺ .

(٤) الترمذي (٤ / ٣٦٨) ٣٨ - كتاب البر والصلة - ٢١ - باب ما جاء في خلق النبي ﷺ . وقال : حديث حسن صحيح .

٨٢٦ - مسلم في نفس الموضع السابق (٤ / ١٨١٤) .

صلاة الأولى : صلاة الظهر .

جذوة العطار : هي التي يُمد فيها الطيب ويدخره .

أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤَنَةِ عَطَّارٍ .

وفي مسحه صلى الله عليه وسلم الصبيان بيان حسن خُلُقِه ورحمته بالأطفال وملاطفتهم ، وفي الحديث بيان طيب رائحته ، وهذا مما أكرمه الله به ، وكان ذلك صفته دون أن يس طيباً صلى الله عليه وسلم ، ومع هذا فكان يستعمل الطيب في كثير من الأوقات مبالغة في طيب رائحته لملاقاة الوحي والملائكة ومجالسة المسلمين .

٨٢٧ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن أمَّ سُلَيْمٍ كَانَتْ تَبْسُطُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَظْعاً ، فَيَقِيلُ عِنْدَهَا عَلَى ذَلِكَ النَّظْعِ ، قَالَ : فَإِذَا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ أَخَذَتْ مِنْ عَرَقِهِ وَشَعْرِهِ ، فَجَمَعَتْهُ فِي قَارُورَةٍ ، ثُمَّ جَعَلَتْهُ فِي سَكٍّ وَهُوَ نَائِمٌ ، قَالَ : فَلَمَّا خَضَرَ أَنَسُ ابْنَ مَالِكٍ الْوَفَاةَ أَوْصَى إِلَى أَنْ يُجْعَلَ فِي خَنْوَطِهِ مِنْ ذَلِكَ السَّكِّ ، قَالَ : فَجَعَلَ فِي خَنْوَطِهِ .

وَلِمُسْلِمٍ قَالَ ^(١) : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سَلِيمٍ ، فَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا ، وَلَيْسَتْ فِيهِ ، فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَامَ عَلَى فِرَاشِهَا ، فَأَتَيْتُ ، فَقِيلَ لَهَا : هَذَا النَّبِيُّ ﷺ نَائِمٌ فِي بَيْتِكَ عَلَى فِرَاشِكَ . قَالَ : فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرِقَ ، وَاسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَى قِطْعَةٍ أُدِيمَ عَلَى الْفِرَاشِ ، فَفَتَحْتُ عَتِيدَتَهَا ، فَجَعَلْتُ تُنَشِّفُ ذَلِكَ الْعَرَقَ ، فَتَعَصَّرَ فِي قَوَارِيرِهَا ، فَفَرَعَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ : « مَا تَصْنَعِينَ يَا أُمَّ سَلِيمٍ ؟ » فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نُرْجُو بَرَكَتَهُ لِصَبِيَانَا ، قَالَ : « أَصَبْتَ » .

وَلِمُسْلِمٍ أَيْضاً قَالَ ^(٢) : دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ عُنْدَنَا ، فَعَرِقَ وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ ، فَجَعَلْتُ تُسَلِّتُ الْعَرَقَ فِيهَا ، فَاسْتَيْقِظَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ : « أُمَّ سَلِيمٍ ، مَا هَذَا

٨٢٧ - البخاري (١١ / ٧٠) ٧٩ - كتاب الاستئذان - ٤١ - باب من زار قوماً فقال عندهم .

النَّظْعُ : سَاطٍ مِنَ الْجِلْدِ وَالْجَمْعُ أَنْطَاعٌ وَنُظُوعٌ وَأَنْطَعٌ .

قَالَ الْإِنْسَانُ يَقِيلُ : إِذَا سَكَنَ وَأَقَامَ عِنْدَ الْغَائِلَةِ ، وَهِيَ شِدَّةُ الْحَرِّ وَسَطُ النَّهَارِ .

السَّكُّ : شَيْءٌ يَتَطَيَّبُ بِهِ .

الْخَنْوُطُ : مَا تُطَيَّبُ بِهِ أَكْفَانُ الْمَيِّتِ خَاصَةً .

(١) مسلم (٤ / ١٨١٥) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٢٢ - باب طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به .

عتيد المرأة : الإناء الذي تترك فيه ما يعز عليها من متاعها .

(٢) مسلم في نفس الموضع السابق .

سَلَّتِ الدَّمَ عَنِ الْجَرْحِ ، وَالْعَرَقَ عَنِ الْجَسَمِ : مَسَحَهُ بِيَدِهِ وَجَمَعَهُ .

الَّذِي تَصْنَعِينَ ؟ » قَالَتْ : هَذَا عَرَقُكَ نَجَعْلُهُ فِي طَيْبِنَا وَهُوَ أَطْيَبُ الطَّيْبِ .
وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ هَذَا عَنْ أَنَسٍ عَنْ أُمِّ سَلِيمٍ نَحْوَهُ .

وفي رواية النسائي ^(١) : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اضْطَجَعَ عَلَى نَطْعٍ فَعَرِقَ فَقَامَتْ أُمُّ سَلِيمٍ إِلَى عَرَقِهِ ، فَتَشَقَّقَتْهُ ، فَجَعَلَتْهُ فِي قَارُورَةٍ ، فَرَأَاهَا النَّبِيُّ ﷺ ، قَالَ : « مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ يَا أُمُّ سَلِيمٍ ؟ » قَالَتْ : أَجْعَلُ عَرَقَكَ فِي طَيْبِي ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٨٢٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أشدَّ حياءَ مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خَدْرِهَا ، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ .

٨٢٩ - * روى الترمذي عن عبد الله بن الحارث بن جزءٍ رضي الله عنه قال : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وفي رواية قال ^(٢) : مَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا تَبَسُّمًا .

٨٣٠ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاخِشًا وَلَا مَتَفَحِّشًا ، وَكَانَ يَقُولُ : « إِنْ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا » .

(١) النسائي (٢١٨ / ٨) كتاب الزينة ، باب ما جاء في الأنطاع .

٨٢٨ - البخاري (١٠ / ٥١٢) ٧٨ - كتاب الأدب - ٧٢ باب من لم يواجه الناس بالعتاب .

ومسلم (٤ / ١٨٠٩) ٤٢ - كتاب الفضائل - ١٦ - باب كثرة حيائه ﷺ .

العذراء في خديها : العذراء : البكر ، وهي أبدأ توصف بالحياء ، وخدر العروس : موضعها الذي تَصَانُ فيه عن الأعين .

خدرها : الخدر ستر - يجعل للبكر في جنب البيت .

عرفناه في وجهه : أي لا يتكلم به لحيائه ، بل يتغير وجهه . فنفهم نحن كراهته .

٨٢٩ - الترمذي (٥ / ٦٠١) ٥٠ - كتاب المناقب - ١٠ - في بشاشة النبي ﷺ . وقال هذا حديث حسن غريب .

(٢) الترمذي في الموضع السابق . وقال : حسن صحيح .

٨٣٠ - البخاري (٦ / ٥٦٦) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٢ - باب صفة النبي ﷺ .

ومسلم (٤ / ١٨١٠) ٤٣ - كتاب الفضائل - ١٦ - باب كثرة حيائه ﷺ .

فاخشا : الفاحش : ذُو الْفَحْشِ فِي كَلَامِهِ .

مَتَفَحِّشًا : وَالتَّفَحُّشُ الَّذِي يَتَكَلَّفُ ذَلِكَ وَيَتَعَبَّدُهُ .

٨٣١ - * روى الحاكم عن سعيد بن هشام أنه دخل مع حكيم بن أفلح على عائشة رضي الله عنها فسألهما فقال : يا أم المؤمنين انبشيني عن خَلْقِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قالت : أليس تقرأ القرآن ؟ قال : بلى . قالت : فإن خَلَقَ نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن .

٨٣٢ - * روى أحمد والبخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ » .

٨٣٣ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِي غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ ، فَأَذْرَكَ أَعْرَابِي ، فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً ، نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ ، مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مَرُّ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ ، قَالَتْفَتْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ .

وفي رواية نحوه ، وفيه ^(١) : حَتَّى انشَقَّ الْبُرَّةُ ، وَحَتَّى يَبْقِيَ حَاشِيَتُهُ فِي عُنُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

٨٣٤ - * روى الطبراني عن عبد الله بن سلام قال : إِنَّ اللَّهَ لَمَّا أَرَادَ هُدَى زَيْدٍ بِنِ سَعْنَةَ

٨٣١ - المستدرک (٢ / ٦١٣) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

٨٣٢ - أحمد في مسنده (٢ / ٣٨١) والبخاري : كشف الأستار (٣ / ١٥٧) .

قال الميثقي في مجمع الزوائد (٩ / ١٥) : رواه أحمد ، ورجاله صحيح ، ورواه البخاري إلا أنه

قال : « لَأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » ، ورجاله كذلك غير محمد بن رزق الله الكلوداني ، وهو ثقة .

أقول : وللحديث أكثر من رواية متقاربة فلذلك تعددت شواهده .

٨٣٣ - البخاري (١٠ / ٥٠٣) ٧٨ - كتاب الأدب - ٦٨ - باب التبسم والضحك .

ومسلم (٢ / ٧٣٠) ١٢ - كتاب الزكاة - ٤٤ - باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة .

(١) مسلم في الموضع السابق .

٨٣٤ - للمعجم الكبير (٥ / ٢٢٢) .

قال الميثقي في مجمع الزوائد (٢ / ٢٤٠) : رواه الطبراني . ورجاله ثقات .

وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة (٢ / ٦٠٧) : رجال الإسناد موثقون .

حافظ : بستان . هيبالي : الحميان : كيس يجعل فيه النفقة ويشد على الوسط .

قال زيد بن سَعْنَةَ : ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه ، يسبق جِلْمُه جهله ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا حِلْمًا ، فكنت ألطف له لأن أخالطه ، فأعرف حلمه من جهله . قال زيد بن سَعْنَةَ : فخرج رسول الله ﷺ يوما من الحَجْرَات ومعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأتاه رجل على راحلته كالبدوي ، فقال : يا رسول الله إن بُضْرَى قرية بني فلان قد أسلموا ، ودخلوا في الإسلام ، وكنت حدثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق زغداً ، وقد أصابتهم سنةٌ وشدة وقحوظ من الغيث ، فأنا أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمَعاً كما دخلوا فيه طمَعاً ، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تُعينهم به فعلت ، فنظر إلى رجل جانبه أراه علياً رضي الله عنه ، فقال : يا رسول الله ما بقيَ منه شيء ، فقال زيد بن سَعْنَةَ : فدنوت إليه فقلت : يا محمد هل لك أن تبيغني تمرأ معلوماً من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا ؟ فقال : « لا يا يَهُودِيٌّ ، وَلَكِنِّي أَبِيعُكَ تَمْرأ معلوماً إلى أَجَلٍ كَذَا وَكَذَا ، وَلَا تُسَمِّي حَائِطَ بَنِي فَلَانٍ » قلت : بلى ، فباعتني فأطلقت هِمَّتَانِي ، فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا ، فأعطاه الرجل ، فقال : « اغْدُ عَلَيْهِمْ فَأَعْنُهُمْ بِهَا » فقال زيد بن سَعْنَةَ : فلما كان مَجَلِ الأجل بيومين أو ثلاث ، أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه ، ونظرت إليه بوجه غليظ ، فقلت له : ألا تقضيني يا محمد حقي ؟ فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب لَمَطَلٌ ، ولقد كان لي بمخالطكم علم ؟ ونظرت إلى عمر وإذا عيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ، ثم رماني ببصره ، فقال : يا غَدُوُّ الله أقول لرسول الله ﷺ ما أسمع ، وتصنع به ما أرى ، فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر قوته لضربت بسيفي رأسك ، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتَوَدَّةٍ ، ثم قال : « يَا عُمَرُ أَنَا وَهَوَّ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَيْ غَيْرِ هَذَا ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التَّبَاعَةِ ، اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ وَأَعْطِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعاً مِنْ تَمْرِ مَكَانَ مَا رُعْتَهُ » قال زيد : فذهب بي عمر رضي الله عنه ، فأعطاني حقي ، وزاد عشرين صاعاً من تمر ، فقلت : ما هذه الزيادة يا عمر ؟ فقال : أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكانَ ما رُعْتُكَ . قلت : وتعرفني يا عمر ؟ قال : لا ، من أنت ؟ قلت : أنا زيد بن سَعْنَةَ ، قال : الحَبْرُ ؟ قلت : الخبر . قال : فما دعاك أن فعلت برسول الله ﷺ ما فعلت وقلت له ما قلت ؟ قلت : يا عمر لم

تكن من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه ، يسبق حلمه جهله ، ولا يزيده الجهل عليه إلا حلاً ، فقد أخبرتها ، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وأشهدك أن شطر مالي - وإني أكثرها مالا - صدقة على أمة محمد ، فقال عمر رضي الله عنه : أو على بعضهم فإنك لا تسعهم ، قلت : أو على بعضهم ، فرجع عمر وزيد إلى رسول الله ﷺ ، فقال زيد : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ! ، وآمن به وصدقه وبإيمه وشهد معه مشاهد كثيرة ، ثم توفّي زيد في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر ، رَحِمَ الله زيداً .

٨٣٥ - * روى الحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعود المريض وَيَتَّبِعُ الْجَنَائِزَ وَيَجِيبُ دَعْوَةَ الْمَلُوكِ وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ ، وَلَقَدْ كَانَ يَوْمَ خَيْبَرَ وَيَوْمَ قَرِظَةَ عَلَى حِمَارٍ خِطَامُهُ خَبْلٌ مِنْ لَيْفٍ وَتَحْتَهُ إِكَافٌ مِنْ لَيْفٍ .

٨٣٦ - * روى الطبراني عن أبي غالب قال : قلت لأبي أمامة : حَدَّثْنَا حَدِيثاً سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : كَانَ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ وَيَكْثُرُ الذِّكْرُ وَيَقْصُرُ الْخُطْبَةُ وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ ، وَلَا يَأْتِفُ ، وَلَا يَسْتَكْبِرُ أَنْ يَذْهَبَ مَعَ الْمَسْكِينِ وَالضَّعِيفِ حَتَّى يَقْرَعَ مِنْ حَاجَتِهِ .

وفي رواية للنسائي بإسناد حسن عن عبد الله بن أبي أوفى^(١) : يكثر الذكر ويُقِلُّ اللغو ... ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة .

٨٣٧ - * روى الطبراني عن أبي موسى قال : كان رسول الله ﷺ يركب الحمار ويلبس الصوف ويعتقل الشاة ويأتي مراعاة الضيف .

٨٣٥ - المستدرک (٢ / ٤٦٦) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

الإكاف : البرْدَعَةُ ، والبرْدَعَةُ : ما يوضع على الحمار أو البغل ليركب عليها كالسرج للفرس ، والبرْدَعَةُ جمعها برادع .

٨٣٦ - المعجم الكبير (٨ / ٢٤٥) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٠) : رواه الطبراني ، وإسناده حسن .

(١) النسائي (٣ / ١٠٩) ، كتاب الجمعة ، باب ما يستحب من تقصير الخطبة .

٨٣٧ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٠) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

يعتقل الشاة : عُقِلَ الشاة : أن يَضَعَ رجلها بين ساقه ويُخِذَهُ ثُمَّ يَحْلُبُهَا .

٨٣٨ - * روى البخاري عن أنس قال : كَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ الْمَدِينَةِ لِتَأْخُذَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَتَنْطَلِقَ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ .

وقد اشتمل هذا الحديث على أنواع من المبالغة في التواضع لذكر المرأة دون الرجل ، والأمة دون الحرّة ، وحيث عم بلفظ الإماء أي أمة كانت ، وبقوله في الرواية الأخرى ^(١) : « فما ينزع يده من يدها حتّى تذهب به حيث شاءت » أي من الأمكنة ، والتعبير باليد إشارة إلى غاية التصرف حتّى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست مساعدته في تلك الحالة لساعدها على ذلك ، وهذا من مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر صلى الله عليه وسلم .

٨٣٩ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن امرأة كان في عقلها شيء ، فقالت : يا رسول الله ، إن لي إليك حاجة ، فقال : « يا أمّ فلان أنظري أيّ السكك شئت ، حتى أقضيّ لك حاجتك » فخلا معها في بعض الطرقي ، حتى فرغت من حاجتها .

وفي رواية أخرى لأبي داود قال ^(٢) : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، إن لي إليك حاجة ، فقال لها : « يا أمّ فلان ، اجلسي في أيّ نواحي السكك شئت حتى أجلس إليك » قال : فجلست ، فجلس النبي ﷺ إليها ، حتى قضت حاجتها .

٨٤٠ - * روى أبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا التَّعَمَّ أذُنَ النَّبِيِّ ﷺ فَيَنْعَحِي رَأْسَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَنْحِي رَأْسَهُ ، وَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا

يأتي مراعاة الضيف : يؤدي ما يلزم من رعاية للضيف .
٨٣٨ - البخاري (١٠ / ٤٨٩) ٧٨ - كتاب الأدب - ٦١ - باب الكبر .

(١) أحمد في مسنده (٣ / ٢١٦) .

٨٣٩ - مسلم (٤ / ١٨١٣) ٤٣ - كتاب الفضائل - ١٩ - باب قرب النبي ﷺ من الناس ، وتركهم به .

(٢) أبو داود (٤ / ٢٥٧) كتاب الأدب - باب في الجلوس في الطرقات .

٨٤٠ - أبو داود (٤ / ٢٥٢) كتاب الأدب - باب في حسن العشرة .

التعقم أذنه : وضع فمه عند أذن رسول الله ﷺ بناحيه .

أَخَذَ بِيَدِهِ فَتَرَكَ يَدَهُ ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَدْعُ يَدَهُ .

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ قَالَ ^(١) : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ لَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدَيْهِ ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ الَّذِي يَنْزِعُ ، وَلَا يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِهِ ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُهُ ، وَلَمْ يَرَّ مَقْدَمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ .

٨٤١ - * رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ جَاءَ خَدَمَ الْمَدِينَةِ بِأَيْدِيهِمْ فِيهَا الْمَاءُ ، فَمَا يُؤْتَى بِإِنَاءٍ إِلَّا غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا فَرَبَّمَا جَاؤُوهُ فِي الْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ فَيَغْمِسُ يَدَهُ فِيهَا .

قال النووي : بيان بروزه صلى الله عليه وسلم للناس وقربه منهم ليصل أهل الحقوق إلى حقوقهم ويرشد مسترشدهم ليشاهدوا أفعاله وحركاته فيقتدى بها ، وهكذا ينبغي لولاة الأمور ، وفيها صبره صلى الله عليه وسلم على المشقة في نفسه لمصلحة المسلمين وإجابته من سأله حاجة أو تبريكاً بمس يده وإدخالها في الماء كما ذكروا ، وفيه التبرك بآثار الصالحين وبيان ما كانت الصحابة عليه من التبرك بآثاره صلى الله عليه وسلم وتبركهم بإدخال يده الكريمة في الآنية .

٨٤٢ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدٍ النَّخَعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ ؟ قَالَتْ : كَانَ يَكُونُ فِي مَهْنَةِ أَهْلِهِ - تعني خدمة أهله - فَإِذَا خَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ .

٨٤٣ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ

(١) الترمذي (٤ / ٦٥٤) ٣٨ - كتاب صفة القيامة - ٤٦ - باب حدثنا سُوَيْدُ بْنُ نَصْرٍ . وهو حديث حسن .

٨٤١ - مسلم (٤ / ١٨١٢) ٤٣ - كتاب الفضائل - ١٩ - باب قرب النبي ﷺ من الناس ، وتبركهم به .

٨٤٢ - البخاري (٢ / ١٦٢) ١٠ - كتاب الأذان - ٤٤ - باب من كان في حاجة أهله فأقمت الصلاة فخرج .
المهنة : الصنعة ، والمراد : شغل أهله وحوائجهم .

٨٤٣ - البخاري (١ / ٣٠) ١ - كتاب بدء الوحي - ٥ - باب (٦) .

وأيضاً البخاري (٦ / ٥٦٥) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٣ - باب صفة النبي ﷺ .

ومسلم (٤ / ١٨٠٣) ٤٣ - كتاب الفضائل - ١٢ - باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة . =

في كل ليلة من رمضان ، فيدارسة القرآن ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ .

وفي رواية نحوه قال ^(١) : وَكَانَ جَبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، حَتَّى يَنْسَلِخَ ، يَمْرُضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ الْقُرْآنَ .

في هذا الحديث فوائد ، منها : بيان عظم جوده صلى الله عليه وسلم . ومنها : استحباب إكثار الجود في رمضان . ومنها : زيادة الجود والخير عند ملاقاته الصالحين وعقب فراقهم للتأثر بلقائهم ومنها : استحباب مدراسة القرآن . (شرح صحيح مسلم للنووي ١٥ / ٦٩) .

٨٤٤ - * روى الدارمي عن جابر قال : مَا سِئَلَ النَّبِيُّ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئاً قَطُّ فَقَالَ لَا .

قال أبو محمد : قال ابن عيينة : إذا لم يكن عنده وعد .

٨٤٥ - * روى الطبراني عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يَلْتَفِتُ إذا مشى ، وكان ربما تعلق رداؤه بالشجرة أو الشيء فلا يلتفت حتى يرفعه ؛ لأنهم كانوا يمزحون ويضحكون ، وكانوا قد آمنوا التفاته صلى الله عليه وسلم .

٨٤٦ - * روى الترمذي عن أبي هريرة قال : ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ في مشيته ، كأنما الأرض تطوى له ، إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكثرت .

٨٤٧ - * روى الحاكم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وتلا قول لقمان لابنه :

الريح المرسله : المراد كالريح في إصراعها وعموها .

(١) البخاري (٩ / ٤٣) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن - ٧ - باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ .

٨٤٤ - الدارمي (١ / ٣٤) ، في المقدمة ، باب في سخاء النبي ﷺ .

وسلم (٤ / ١٨٠٥) ٤٣ - كتاب الفضائل - ١٤ - باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال : لا . ولم يذكر مسلم قول ابن عيينة .

٨٤٥ - أورده الهيتمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٢) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وإسناده حسن .

فلا يلتفت : عدم التفاته : لأنه ﷺ قد جرت عادته ألا يلتفت إليهم حتى لا يجرهم ويحجلهم إذا كانوا يمازحون أو يتضاحكون .

٨٤٦ - الترمذي (٥ / ٦٠٤) ٥٠ - كتاب المناقب - ١٢ - باب في صفة النبي ﷺ . وهو حديث حسن لغيره .

٨٤٧ - المستدرک (٢ / ٤١١) ، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

﴿واقصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ . قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَرَجَ مَشَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ وَخَلُّوا ظَهْرَهُ لِلْمَلَائِكَةِ .

٨٤٨ - * روى أحمد والبخاري عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا مشى مشى مُجْتَمِعاً ليس فيه كسل .

٨٤٩ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيْنُ فِي تَنْعَلِهِ وَتَرْجُلِهِ وَطَهْوَرِهِ وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ .

وَفِي رِوَايَةٍ ^(١) : كَانَ يُحِبُّ التَّيْمَنَ مَا اسْتَطَاعَ .

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ ^(٢) : كَانَ يُحِبُّ التَّيْمَنَ فِي طَهْوَرِهِ إِذَا تَطَهَّرَ وَفِي تَرْجُلِهِ إِذَا تَرَجَّلَ ، وَفِي انْتَعَالِهِ إِذَا انْتَعَلَ .

وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ ^(٣) : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ التَّيْمَنَ يَأْخُذُ بِيَمِينِهِ وَيُعْطِي بِيَمِينِهِ ، وَيُحِبُّ التَّيْمَنَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ .

٨٥٠ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : خَدَمَتِ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سَنِينَ ، فَمَا قَالَ لِي أَفْ قَطُّ ، وَلَا : لِمَ صَنَعْتَ ؟ وَلَا : أَلَا صَنَعْتَ ؟ .

٨٤٨ - أحمد في مسنده (١ / ٢٢٨) .

والبخاري بنحوه : كشف الأستار (٣ / ١٢٤) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٨١) : رواه أحمد والبخاري وزاد : « لم يلتفت ، يعرف في مشيه أنه غير كسل ولا وهن ، ورجال أحد رجال الصحيح إلا أن التابعي غير مسمى ، وقد ساء البخاري ، وهو عكرمة ، وهو من رجال الصحيح أيضاً .

٨٤٩ - البخاري (١ / ٣٦٩) ٤ - كتاب الوضوء - ٣١ - باب التين في الوضوء والفعل .

ومسلم (١ / ٢٢٦) ٢ - كتاب الطهارة - ١٩ - باب التين في الطهور وغيره .

التين : الابتداء : في الأفعال باليمين ، مثل أن يلبس نعله اليمنى قبل اليسرى .

التنعل : لبس النعل .

الترجل : تريح الشعر .

(١) البخاري (١ / ٥٢٣) ٨ - كتاب الصلاة - ٤٧ - باب التين في دخول المسجد وغيره .

(٢) الترمذي (٢ / ٥٠٦) ، كتاب الصلاة ، باب ما يستحب من التين في الطهور . قال : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) النسائي (٨ / ١٢٣) ، كتاب الزينة ، باب التيامن في الترجل .

٨٥٠ - البخاري (١٠ / ٤٥٦) ٧٨ - كتاب الأدب - ٣٩ - باب حسن الخلق والسقاء وما يكره من البخل .

وفي رواية قال ^(١) : لما قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المدينة أخذ أبو طلحة بيدي ، فانطلق بي إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : يا رسولَ الله ، إن أنساً غلامٌ كَيْسٌ . قَلْبُكَ مَعَكَ ، قَالَ : فخدمته في السفر والحضر ، والله ما قال لي لشيءٍ صنعة : لِمَ صَنَعْتَ هذا هكذا ؟ ولا لشيءٍ لم أصنعه : لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هذا هكذا ؟ .

وفي أخرى ^(٢) : قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المدينة ليس له خادم ، فأخذ أبو طلحة بيدي ، فانطلق بي إلى رسول الله ﷺ ... ثم ذكره .

ولسلم قال ^(٣) : خدمت رسول الله ﷺ تسع سنين ، فما أعلمه قال لي قط : لِمَ فعلت كذا وكذا ؟ ولا عاب علي شيئاً قط .

وفي أخرى له ^(٤) : كان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ من أحسن الناس خلقاً ، فأرسلني يوماً لحاجة ، فقلت : والله لا أذهب ، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ ، فخرجت حتى أمرت على صبيان ، وهم يلعبون في السوق ، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي ، قال : فنظرت إليه وهو يضحك ، فقال : « يا أنيس ، أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ ؟ » قال : قلت : نعم ، أنا أذهب يا رسول الله . قال أنس : والله لقد خَدَمْتُهُ تسع سنين ما عَلِمْتُهُ قال لشيءٍ صنعة : لِمَ فَعَلْتُ كذا وكذا ؟ أو لشيءٍ تركته : هَلَّا فَعَلْتُ كذا وكذا .

٨٥١ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها : ما خَيَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بين أمرين إلا أخذَ أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ بها .

= ومسلم نحوه (٤ / ١٨٠٤) ٤٣ - كتاب الفضائل - ١٢ - باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً .

(١) البخاري (١٢ / ٢٥٣) ٨٧ - كتاب الديات - ٢٧ - باب من استعان عبداً أو صبيّاً .

ومسلم (٤ / ١٨٠٤) ٤٣ - كتاب الفضائل - ١٢ - باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً .

(٢) البخاري (٥ / ٣٩٥) ٥٥ - كتاب الوصايا - ٢٥ - باب استخدام اليتيم في السفر والحضر إذا كان صلاحاً له .

(٣) مسلم (٤ / ١٨٠٥) ٤٣ - كتاب الفضائل - ١٢ - باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً .

(٤) مسلم في نفس الموضع السابق .

٨٥١ - البخاري (٦ / ٥٦٦) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٣ - باب صفة النبي ﷺ .

ومسلم (٤ / ١٨١٣) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٢٠ - باب مباحثته ﷺ للأثم ، واختياره من المباح أسهله ، وانتقامه

لله عند انتهاك حرمانه .

قال النووي : قولها (ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه) فيه استحباب الأخذ بالأيسر والأرفق ما لم يكن حراماً أو مكروهاً . قال القاضي : ويحتمل أن يكون تخييره صلى الله عليه وسلم هنا من الله تعالى فيخيره فيما فيه عقوبتان ، أو فيما بينه وبين الكفار من القتال وأخذ الجزية ، أو في حق أمته في المجاهدة في العبادة أو الاقتصار ، وكان يختار الأيسر في كل هذا ، قال وأما قولها ما لم يكن إثماً فيتصور إذا خيره الكفار والمناقفون فأما إن كان التخيير من الله تعالى أو من المسلمين فيكون الاستثناء منقطعاً . قولها (وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله) وفي رواية ما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله تعالى . معنى نيل منه أصيب بأذى من قول أو فعل . وانتهاك حرمة الله تعالى هو ارتكاب ما حرّمه . قولها (إلا أن تنتهك حرمة الله) استثناء معناه لكن إذا انتهكت حرمة الله انتصر له تعالى وانتقم ممن ارتكب ذلك . في هذا الحديث الحث على العفو والحلم واحتمال الأذى والانتصار لدين الله ممن فعل محرماً أو نحوه . وفيه أنه يستحب للأئمة والقضاة وسائر ولاة الأمور التخلّص بهذا الخلق الكريم فلا ينتقم لنفسه ولا يهمل حق الله تعالى وقد أجمع العلماء على أن القاضي لا يقضي لنفسه ولا لمن لا يجوز شهادته له .

٨٥٢ - * روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ، ولا امرأة ، ولا خادماً ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه ، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل .

٨٥٣ - * روى الطبراني عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إني لأمرح ولا أقول إلا حقاً » قالوا : إنك تداعبنّا يا رسول الله ، قال : « إني لا أقول إلا حقاً » .

٨٥٤ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ

٨٥٢ - مسلم (٤ / ١٨١٤) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٢٠ - باب مباحته ﷺ للأثام ، واختياره من المباح أسهله ، وانتقامه لله عند انتهاك حرمانه .

٨٥٣ - أورده المهيبي في جمع الزوائد (١٧ / ٩) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وإسناده حسن .

٨٥٤ - البخاري (١٠ / ٥٨٢) ٧٨ - كتاب الأدب - ١١٢ - باب الكنية للصبي وقيل أن يولد للرجل .

أحسن الناس خلقاً ، وكان لي أخ يقال له أبو عمير - قال أحسبه فطياً - وكان إذا جاء قال : « يا أبا عمير ، ما فعل النُّعَيْر ؟ » نُفِّرَ كان يلعبُ به ، فربما حَضَرَ الصلاة وهو في بُيْتِنَا ، فيأمر بالبساطِ الذي تحته فيُكَنَسُ وينضح ، ثم يقوم وتقوم خلفه فيصلي بنا .

وعند أبي داود قال ^(١) : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يدخل علينا ولي أخ صغير يُكْنَى أبا عمير ، وكان له نُفَّرٌ يلعبُ به ، فأت ، فدخلَ عليه النبي ﷺ ذات يوم ، قرأه حزيناً ، فَقَالَ : « مَا شَأْنُهُ ؟ » قَالُوا : مات نُفَّرُهُ ، فَقَالَ : « يا أبا عمير ، ما فعل النُّعَيْر ؟ » . وللمتذني قال ^(٢) : إِنَّ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ليخَالِطُنَا ، حتَّى إن كان ليقولُ لأخ لي صغير : « يا أبا عمير ، ما فعل النُّعَيْر ؟ » .

٨٥٥ - * روى أحمد عن عبد الله بن الحارث قال : كان رسول الله ﷺ يَصِفُ عبد الله وعبيد الله وكثيراً من بني العباس ، ثم يقول : « من سبق إليّ فله كذا وكذا » قال : فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم .

٨٥٦ - * روى الطبراني عن خوات بن جبير قال : نزلنا مع رسول الله ﷺ مرَّ الظهران قال : فخرجت من خبيائي فإذا أنا بنسوة يتحدثن ، فأعجبني ، فرجعت فاستخرجت عيبي ، فاستخرجت منها خُلَّةً فلبستها وجئت فجلست معهن ، وخرج رسول الله

= ومسلم (١٦٩٢ / ٢) ٣٨ - كتاب الآداب - ٥ - باب استحباب تخنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يمينه ، وجواز تسميته يوم ولادته .

النُّعَيْر : تصغير النُّفَر ، وهو طائر صغير كالصُفُور ، والجمع نُفَران ، مثل : ضُرَّة وصدردان .
النضح : الرش .

(١) أبو داود (٢٩٣ / ٤) ، كتاب الأدب ، باب ما جاء في الرجل يتكنى وليس له ولد .

(٢) الترمذي (٣٥٧ / ٤) ٢٨ - كتاب البر والصلة - ٥٧ - باب ما جاء في المزاج . قال : هذا حديث حسن صحيح .
٨٥٥ - أحمد في مسنده (٢١٤ / ١) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧ / ١) : رواه أحمد ، وإسناده حسن .

٨٥٦ - المعجم الكبير (٢٠٣ / ٤) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٠١ / ١) : رواه الطبراني من طريقين ، رجال أحدهما رجال الصحيح غير الجراح ابن غلد ، وهو ثقة .

مر الظهران : مكان بقرب مكة .

الميبة : ما يجعل فيه الثياب .

ﷺ من قبله فقال : « أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا يُجْلِسُكَ مَعَهُنَّ ؟ » فلما رأيت رسول الله ﷺ هَيْئَتَهُ واختلطت قلت : يا رسول الله جل لي شَرْدَ ، فأنا أبتغي له قيدا فمضى وأتبعته ، فألقى إلي رداءه ودخل الأراك كأني أنظر إلى بياض متنه في خضرة الأراك ، ففوض حاجته وتوضأ ، فأقبل والماء يسيل من لحيته على صدره أو قال يقطر من لحيته على صدره فقال : « أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا فَعَلَ شِرَادُ جَمَلِكَ ؟ » ثم ارتحلنا فجعل لا يلحقني في المسير إلا قال : « السَّلَامُ عَلَيْكَ أبا عَبْدِ اللَّهِ مَا فَعَلَ شِرَادُ ذَلِكَ الْجَمَلِ ؟ » فلما رأيت ذلك تعجلت إلى المدينة ، واجتنبت المسجد والمجالسة إلى النبي ﷺ ، فلما طال ذلك تحينت ساعة خلوة المسجد ، فأتيت المسجد فقممت أصلي ، وخرج رسول الله ﷺ من بعض حجره فجأة فصلى ركعتين خفيفتين وطولت رجاء أن يذهب ويدعني فقال : « طَوَّلُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا شِئْتُ أَنْ تُطَوِّلَ فَلَسْتُ قَائِمًا حَتَّى تَنْصَرِفَ » فقلت في نفسي : والله لأعتذرني إلى رسول الله ﷺ ولأبرئ صدره . فلما قال : « السَّلَامُ عَلَيْكَ أبا عَبْدِ اللَّهِ مَا فَعَلَ شِرَادُ ذَلِكَ الْجَمَلِ » فقلت : والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلم فقال : « رَحِمَكَ اللَّهُ » ثلاثا ثم لم يَعدْ لشيء مما كان .

٨٥٧ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان فزَعُ بالمدينة فاستعار النبي ﷺ فرسا من أبي طلحة ، يقال له : المندوب فركب ، فلما رجع ، قال : « مَا رَأَيْنَا مِنْ شَيْءٍ ، وَإِنْ وَجَدْنَاهُ لَبَحْرًا » .

وفي رواية قال ^(١) : كان رسول الله ﷺ أحسنَ الناس ، وكان أجودَ الناس ، وكان أشجعَ الناس ، ولقد فزَعُ أهلُ المدينة ذاتَ ليلةٍ ، فانطلق ناسٌ مِنْ قِبَلِ الصَّوْتِ ، فتلقاهم

الأراك : شجر يتخذ منه السواك .

ما فعل شِرَادَ جَمَلِكَ : أراد به يَزَادَ نفسه حتى حَمَلَتْهُ عَلَى غَالِطَةِ النِّسَاءِ .

٨٥٧ - البخاري (٥ / ٢٤٠) ٥١ - كتاب الهبة - ٣٣ - باب من استعار من الناس الفرس .

ومسلم (٤ / ١٨٠٣) ٤٣ - كتاب الفضائل - ١١ - باب في شجاعة النبي ﷺ وتقدمه للحرب .

(١) البخاري (٦ / ٩٥) ٥٦ - كتاب الجهاد - ٨٢ - باب الجمال وتعليق السيف بالعنق .

ومسلم (٤ / ١٨٠٢) ٤٣ - كتاب الفضائل - ١١ - باب في شجاعة النبي ﷺ ، وتقدمه للحرب .

ولقد ابتبراً الحبر : استبرأ الشيء : كَشَفَهُ وَحَقَّقَ أمره .

لم تَرَأَوْا : أي رَوْعًا مستقرًا ، أو رَوْعًا يضرركم .

رسول الله ﷺ راجعاً ، وقد سَبَقَهُم إلى الصوت - وفي رواية : وقد استبرأ الخبر - وهو على فرس لأبي طلحة عزي ، في عُنُقِهِ السَّيْفُ ، وهو يقول : « لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا » ، قال : « وَجَدْنَاهُ بَحْرًا - أَوْ إِنَّهُ لِبَحْرٍ - » قال : وَكَانَ فَرَسًا يُبْطَأُ .

وفي أخرى مختصراً قال ^(١) : استقبلهم النبي ﷺ على فرس عزي ، ما عليه سَرَجٌ ، في عُنُقِهِ سَيْفٌ .

وللبخاري ^(٢) : أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَزَعُوا مَرَّةً ، فَرَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ كَانَ يَقْطِفُ - أَوْ كَانَ فِيهِ قَطَافٌ - فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ : « وَجَدْنَا فَرَسَكُمْ هَذَا بَحْرًا » فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يُجَارَى .

وله في أخرى قال ^(٣) : فَرَعَ النَّاسُ ، فَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ بَطِيئًا ، ثُمَّ خَرَجَ يَرْكُضُ وَحْدَهُ ، فَرَكِبَ النَّاسُ يَرْكُضُونَ خَلْفَهُ فَقَالَ : « لَمْ تُرَاعُوا ، إِنَّهُ لِبَحْرٍ » فَمَا سَبَقَ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ .

وللترمذي قال ^(٤) : رَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ يُقَالُ لَهُ : مَنْدُوبٌ ، فَقَالَ : « مَا كَانَ مِنْ قَزَعٍ ، وَإِنْ وَجَدْنَاهُ لِبَحْرًا » .

قال النووي : وفيه فوائد ، منها : بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم من شدة عجلته في الخروج إلى العدو قبل الناس كلهم ، بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس . وفيه : بيان عظيم بركته ومعجزته في انقلاب الفرس سريعاً بعد أن كان يبطأ ، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم وجدناه بَحْرًا أي واسع الجري . وفيه جواز سبق الإنسان وحده في كشف أخبار العدو ما لم يتحقق الهلاك وفيه جواز العارية ، وجواز الغزو على الفرس المستعار

(١) البخاري (٦ / ٧٠) ٥٦ - كتاب الجهاد - ٥٤ - باب ركوب الفرس العزي .

(٢) البخاري (٦ / ٧٠) ٥٦ - كتاب الجهاد - ٥٥ - باب الفرس القلوف .

قَطَفَ الْفَرَسُ فِي مَشْيِهِ : إِذَا ضَيَّقَ خَطْوَهُ ، وَأَسْرَعَ مَشْيَهُ .

فَرَسٌ بَحْرٌ : إِذَا كَانَ وَاسِعَ الْجَرِيِّ .

(٣) البخاري (٦ / ١٢٣) ٥٦ - كتاب الجهاد - ١١٧ - باب السَّيْفِ وَالرُّكُضِ فِي الْفَزَعِ .

(٤) الترمذي (٤ / ١٩٨) ٢٤ - كتاب الجهاد - ١٤ - باب ما جاء في الخروج عند الفزع . قال : هذا حديث حسن صحيح .

لذلك . وفيه استحباب تقلد السيف في العنق ، واستحباب تبشير الناس بعدم الخوف إذا ذهب . ووقع في هذا الحديث تسمية هذا الفرس مندوباً ، قال القاضي . وقد كان في أفراس النبي ﷺ مندوب فلعله صار إليه بعد أبي طلحة هذا كلام القاضي . قلت : ويحتمل أنها فرسان اتفقا في الاسم .

٨٥٨ - * روى أحمد عن علي يعني ابن أبي طالب قال : لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو . وكان من أشد الناس يومئذ بأساً .

٨٥٩ - * روى البزار عن جابر قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَاهُ الْوَحْيُ أَوْ وَعَظَ ، قَلَّتْ : تَذِيرُ قَوْمٍ أَتَاهُمُ الْعَذَابُ ، فَإِذَا ذَهَبَ عَنْهُ ذَلِكَ رَأَيْتَ أَطْلَقَ النَّاسَ وَجْهًا وَكَثُرَهُمْ ضَحِكًا وَأَحْسَنَهُمْ بَشْرًا .

٨٦٠ - * روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : كَانَ كَلَامُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَلَامًا فَضْلًا ، يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ .

٨٦١ - * روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعِيدُ الْكَلِمَةَ ثَلَاثًا ، لِيَتَعَقَلَ عَنْهُ .

٨٦٢ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأُحْصَاهُ .

٨٥٨ - أحمد في مسنده (١ / ٨٦) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٢) : رواه أحمد والطبراني في الأوسط . والحديث حسن .

٨٥٩ - كشف الأستار (٣ / ١٦٠) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٧) : رواه البزار ، وإسناده حسن .

٨٦٠ - أبو داود (٤ / ٢٦١) ، كتاب الأدب ، باب الهدي في الكلام . وإسناده حسن .

٨٦١ - الترمذي (٥ / ٦٠٠) ٥٠ - كتاب المناقب - ٩ - باب في كلام النبي ﷺ . وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب . وهو كما قال .

٨٦٢ - البخاري (٦ / ٥٦٧) ٦١ - كتاب المناقب ٢٢ - باب صفة النبي ﷺ .

ومسلم (٤ / ٢٢٩٨) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق - ١٦ - باب التثبت في الحديث ، وحكم كتابة العلم .

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ عُرْوَةَ أَنهَا قَالَتْ (١) : أَلَا يُعْجِبُكَ أَبُو قُلَانٍ ؟ جَاءَ فَجَلَسَ جَانِبَ حُجْرَتِي يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُسَمِّيَنِي ذَلِكَ ، وَكَنتُ أَسْتَبِحُ ، فَقَامَ قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ سُبْحَتِي ، وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَمَا نَحْنُ كَمَا نَحْنُ .

وَلَسْلَمْ قَالَ ^(٢) : كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ ، وَيَقُولُ : اَسْمِعِي يَا رَبَّةَ الْحُجْرَةِ ، اَسْمِعِي يَا رَبَّةَ الْحُجْرَةِ - وَعَائِشَةُ تُصَلِّي - فَلَمَّا قَضَتْ صَلَاتَهَا ، قَالَتْ لِعَمْرُو : أَلَا تَسْمَعُ إِلَى هَذَا وَمَقَالَتِهِ أَنَا ؟ إِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَحْصَاهُ .

٨٦٣ - * روى ابن خزيمة عن المغيرة بن شعبه ، قال : صلى النبي ﷺ حتى انتفخت قدماه ، فقيل له : تكلف هذا يا رسول الله وقد غفر لك ؟ قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً » .

قال ابن خزيمة : في هذا دلالة على أن الشكر لله عز وجل قد يكون بالعمل له لأن الشكر كله لله ، وقد يكون باللسان ، قال الله : ﴿ اعْمَلُوا آل دَاوُدَ شُكْرًا ﴾ ^(٣) فأمرهم جلّ وعلا أن يعملوا له شكراً فالشكر قد يكون بالقول والعمل جميعاً ، لا على ما يتوهم العامة أن الشكر إنما يكون باللسان فقط .

٨٦٤ - * روى أحمد عن معاذة قالت : سألت امرأة عائشة وأنا شاهدة عن وصل صيَّام رسول الله ﷺ فقالت لها : أتعْمَلِينَ كَعْمَلِهِ ؟ فإنه قد كان غُفْرَ لَهُ ما تقدم من ذَنْبِهِ وما تأخر ، وكان عَمَلُهُ نَافِلَةً لَهُ .

۸۶۵ - * روى الطبراني عن نافع بن خالد الخزازي قال : حدثني أبي أن رسول الله

(۱) البخاري (۶ / ۵۶۷) ۶۱ - كتاب المناقب - ۲۳ - باب صفة النبي ﷺ .

أَمْسَحُ : أَتَنَفَّلُ بِالصَّلَاةِ .

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٦٨) . ٥٢ - كتاب الزهد والرقائق - ١٦ - باب التثبت في الحديث ، وحكم كتابة العلم .

٨٦٣ - ابن خزيمة في صحيحه (٢ / ٢٠١) . وإسناده صحيح .

(۳) سبأ : ۱۳ .

۸۶۴ - أحمد فی مسنده (۶ / ۲۵۰) .

وقال الميثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٣٦٥) : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح ، وفي الصحيح بعضه .

أَتَعْمَلِينَ كَعَمَلِهِ ؟ : العَمَلُ : إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعِينَ اللَّحَاقَ بِهِ .

٨٦٥ - المعجم الكبير (٤ / ١٩٣) .

ﷺ : كان إذا صلى والناس ينظرون صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود .

٨٦٦ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه ناراً ، إنما هو التمر والماء ، إلا أن نؤتي باللحم . وفي رواية ، قالت : ما شيع آل محمد من خبز البر ثلاثاً ، حتى مضى لسبيله . وفي أخرى ، قالت : ما شيع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام ثلاث ليالٍ تبعاً حتى قبض . وفي أخرى : ما شيع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ . وفي أخرى ، قالت : ما أكل آل محمد أكلتين في يوم واحد إلا وإحدهما تمر . وفي أخرى : كانت تقول لعروة : والله يا ابن أخي ، إن كنا لننظر إلى الهلال ، ثم الهلال ، ثم الهلال - ثلاثة أهلة في شهرين - وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار ، قال : قلت : يا خالة ، فما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار ، وكانت لهم منائح ، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها ، فيسقيناه . وفي أخرى قالت : توفي رسول الله ﷺ حين شيع الناس من الأسودين : التمر والماء . وفي رواية ما شيعنا من الأسودين .

ولمسلم أيضاً أنها قالت ^(١) : لقد مات رسول الله ﷺ ، وما شيع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين .

وللترمذي ^(٢) عن مسروق ، قال : دخلت على عائشة ، فدعت لي بطعام وقالت : ما

= وقال الهيثمي في جمع الزوائد (٢ / ٢٧٧) : رواه الطبراني في الكبير ، ونافع ذكره ابن حبان في الثقات ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

٨٦٦ - البخاري (١١ / ٢٨٢) - ٨١ - كتاب الرقاق - ١٧ - باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه .

ومسلم نحوه (٤ / ٢٢٨٢) - ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق - حديث (٢٦) .

والروايات الأخرى في نفس الموضع من الصحيحين .

اللحم : كذا بالتصغير إشارة إلى قلته .

منائح : المنائح : جمع متبعة ، وهي الناقة يغيرها صاحبها إنساناً ليشرب لبنها ويعيدها .

الأسودان : السوداء : من صفات التمر ، لأن الغالب على أنواع تمر المدينة السوداء . فأما الماء فليس بأسود ، وإنما جعل أسود حيث قرن بالتمر ، فقلب أحدهما على الآخر فسمي به ، وهذا من عادة العرب ، يفعلونه بالشعير يصطحبان ، فيغلبون اسم الأشهر ، كقولهم : القمران ، للشمس والقمر .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٨٢) - ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق - حديث (٢٩) .

(٢) الترمذي (٤ / ٥٧٩) - ٢٧ - كتاب الزهد - ٣ - باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله . وقال : هذا حديث

حسن صحيح .

أَشْبَعُ مِنْ طَعَامٍ فَأَشَاءُ أَنْ أَبْكِيَ إِلَّا بَكَيْتُ ، قَالَ : قُلْتُ : لِمَ ؟ قَالَتْ : أَذْكُرُ الْحَالَ الَّتِي فَارَقَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدُّنْيَا ، وَاللَّهُ مَا شَبَعَ مِنْ خَبِرٍ وَلَحْمٍ مَرَّتَيْنِ فِي يَوْمٍ .

٨٦٧ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَا شَبَعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ طَعَامٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، حَتَّى قُبِضَ .

وَفِي رِوَايَةٍ ^(١) ، قَالَ أَبُو حَازِمٍ : رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ مِرَاراً ، يَقُولُ : وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ ، مَا شَبَعَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تِسَاعاً مِنْ خَبِرٍ حِنْطِيَّةٍ ، حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا .

٨٦٨ - * رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعَ يَقُولُ : مَا كَانَ يُفْضَلُ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ خَبِرُ الشَّعِيرِ .

٨٦٩ - * رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبْسُتُ اللَّيَالِيَ الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِياً وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً ، كَانَ أَكْثَرُ خَبَزِهِمْ خَبِرَ الشَّعِيرِ .

٨٧٠ - * رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ النُّعْمَانَ يَخْطُبُ قَالَ : ذَكَرَ عَمَرَ مَا أَصَابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا . فَقَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَظِلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي ، مَا يَجِدُ دَقْلاً يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ .

٨٧١ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ ؛ أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ : وَاللَّهِ ! يَا ابْنَ أَخْتِي ! إِنْ كُنَّا لَنَنْتَظِرُ إِلَى الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ . ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ . وَمَا أَوْقَدَ

٨٦٧ - الْبُخَارِيُّ (٩ / ٥١٧) ٧٠ - كِتَابُ الْأَطْعِمَةِ - ١ - بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ الْآيَةَ .

وَمُسْلِمٌ نَحْوَهُ (٤ / ٢٢٨٤) ٥٣ - كِتَابُ الزَّهْدِ وَالرَّقَائِقِ - حَدِيثُ (٣٣) .

(١) مُسْلِمٌ فِي الْمَوْضِعِ السَّابِقِ .

٨٦٨ - التِّرْمِذِيُّ (٤ / ٥٨٠) ٣٧ - كِتَابُ الزَّهْدِ - ٣٨ - بَابُ مَا جَاءَ فِي مَعِيشَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَهْلِهِ ، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ .

٨٦٩ - التِّرْمِذِيُّ فِي نَفْسِ الْمَوْضِعِ السَّابِقِ ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ .

٨٧٠ - مُسْلِمٌ (٤ / ٢٣٨٥) ٥٣ - كِتَابُ الزَّهْدِ وَالرَّقَائِقِ - حَدِيثُ (٣٦) .

الدَّقْلُ : رَدِيءُ التَّرِّ .

٨٧١ - الْبُخَارِيُّ (١١ / ٢٨٣) ٨١ - كِتَابُ الرَّقَائِقِ - ١٧ - بَابُ كَيْفَ كَانَ عَيْشُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَتَحْلِيمُهُمْ عَنِ الدُّنْيَا .

وَمُسْلِمٌ وَالْفَلْفَلُ لَهُ (٤ / ٢٢٨٣) ٥٣ - كِتَابُ الزَّهْدِ وَالرَّقَائِقِ - حَدِيثُ (٢٨) .

فِي أُبَيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ . قَالَ قُلْتُ : يَا خَالَةُ ! فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ ؟ قَالَتْ :
الْأَسْوَدَانِ الثَّمَرُ وَالْمَاءُ . إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيزَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ . وَكَانَتْ لَهُمْ
مَنَائِحُ . فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهَا ، فَيَسْقِيْنَاهُ .

٨٧٢ - * روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما
أَصْبَحَ لَالٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا صَاعٌ وَلَا أَمْسَى ، وَإِنَّهُمْ لَتَسْعَةُ آيَاتٍ .
وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ بَلْفَظٍ ^(١) : مَا أَصْبَحَ عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ صَاعٌ حَبٌّ وَلَا صَاعٌ غَرٌّ ، وَإِنْ لَمْ
يَوْمُئِذٍ تَسْعُ نَسْوَةٌ .

٨٧٣ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : إِنَّ الرَّجُلَ كَانَ
يَجْعَلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ النَّخْلَاتِ مِنْ أَرْضِهِ حَتَّى فَتَحَتْ عَلَيْهِ قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ ، فَجَعَلَ ، بَعْدَ
ذَلِكَ ، يَرُدُّ عَلَيْهِ مَا كَانَ أَعْطَاهُ .

٨٧٤ - * روى ابن خزيمة عن عائشة : قَالَتْ : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَتَى بِطَعَامٍ
لَيْسَ مَعَهُ لَحْمٌ . فَقَالَ : « أَلَمْ أَرْ لَكُمْ بُرْمَةً ؟ » قُلْتُ : بَلَى . ذَاكَ لَحْمٌ تُصَدِّقُ بِهِ عَلَى بَرِيرَةَ .
فَقَالَ : « هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ وَهُوَ مِنْهَا هَدِيَّةٌ » .

٨٧٥ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ : تُؤَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدِرْعُهُ

= مَنَائِحُ : الْمَنِيحَةُ الشَّاةُ أَوْ النَّاقَةُ يَعْطِيهَا صَاحِبُهَا رَجُلًا يَشْرَبُ لِبَنِيهَا ثُمَّ يَرُدُّهَا ثُمَّ كَثُرَ اسْتِعَالُهَا حَتَّى أُطْلِقَ عَلَى كُلِّ
عَطَاءٍ .

٨٧٢ - البخاري (١٤٠ / ٥) ٤٨ - كتاب الرهن - ١ - باب في الرهن في الحضر .

(١) ابن ماجه (١٣٨٩ / ٢) ٣٧ - كتاب الزهد - ١٠ - باب معيشة آل محمد ﷺ .

قال محقق ابن ماجه : في الزوائد : هذا إسناد صحيح ، رجاله ثقات .

٨٧٣ - البخاري (٢٣٧ / ٦) ٥٧ - كتاب فرض الخس - ١٢ - باب كيف قسم النبي ﷺ قريظة والنضير ، وما أعطى من
ذلك من نوائبه .

ومسلم واللفظ له (١٣٩٢ / ٣) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٢٤ - باب رد المهاجرين إلى الأنصار من الشجر
والنثر حين استغنوا عنها بالفتوح .

٨٧٤ - ابن خزيمة في صحيحه (١٠١ / ٤) ، وهو حديث صحيح .

بُرْمَةٌ : قِدْرٌ ، أَيْ : رَأَيْتُمْ تَطْبَخُونَ غَيْرَ هَذَا الطَّعَامِ .

٨٧٥ - البخاري (٩٩ / ٦) ٥٦ - كتاب الجهاد - ٨٩ - باب ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب .

مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير .

٨٧٦ - * روى أحمد وابن ماجه عن عائشة قالت : كَانَ ضِجَاعُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَدَمًا خَشُوعًا لَيْفًا .

٨٧٧ - * روى أحمد والبخاري عن أبي هريرة قال : جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنَظَّرَ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ ، فَقَالَ جِبْرِيلُ : إِنَّ هَذَا الْمَلَكُ مَا نَزَلَ مِنْذُ يَوْمِ خَلْقِ قَبْلِ السَّاعَةِ فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ أُرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ قَالَ : أَقَمَلَكَا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ أَوْ عَبْدًا رَسُولًا ؟ قَالَ جِبْرِيلُ : تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ . قَالَ : « بَلْ عَبْدًا رَسُولًا »

٨٧٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ ، وَيَقُولُونَ : هَلَا وَضِعَتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ ؟ قَالَ : فَأَنَا اللَّبَنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ »
وقد رواه صالح أيضاً عن أبي سعيد الخدري .
ولمسلم بنحوه إلى قوله ^(١) : « فَكُنْتُ أَنَا اللَّبَنَةُ » .

وفي أخرى له ^(٢) « مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهَا وَأَجْمَلَهَا وَأَكْمَلَهَا ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ وَيَعْجَبُهُمُ الْبُنْيَانُ ، فَيَقُولُونَ : أَلَا وَضَعْتَ هَاهُنَا لَبَنَةً فَيَتِمُّ بُنْيَانُكَ ؟ »

٨٧٦ - أحمد في مسنده (٦ / ٢٠٧ ، ٢١٢) .

وابن ماجه واللفظ له (٢ / ١٣٩٠) ٣٧ - كتاب الزهد - ١١ - باب ضجاع آل محمد ﷺ . وإسناده صحيح .

٨٧٧ - أحمد في مسنده (٢ / ٢٣١) .

كشف الأستار (٣ / ١٥٥) .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٩) : رواه أحمد والبخاري وأبو يعلى ، ورجال الأولين رجال الصحيح .

٨٧٨ - البخاري (٦ / ٥٥٨) ٦١ - كتاب المناقب - ١٨ - باب خاتم النبيين ﷺ .

ومسلم واللفظ له (٤ / ١٧٩١) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٧ - كتاب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين .

(١) مسلم في الوضع السابق .

(٢) مسلم في نفس الوضع السابق .

فَقَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ : فَكُنْتُ أَنَا اللَّبَنَةُ .

٨٧٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ : يَا قَوْمُ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعِينِي ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعَرِيَانِ فَالنَّجَاءُ ، فَأَطَاعَةُ طَائِفَةٍ مِنْ قَوْمِهِ فَأَذْجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَّوْا ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَنَحَهُمْ . فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ » .

٨٨٠ - * روى البخاري ومسلم عن جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا ، فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا ، وَهُوَ يَذْهَبُهُنَّ عَنْهَا ، وَأَنَا أَخَذْتُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ ، وَأَنْتُمْ تَقْلُتُونَ مِنْ يَدَيَّ » .

قال النووي في شرحه على مسلم : ومقصود الحديث أنه صلى الله عليه وسلم شبه تساقط الجاهلين والخالفين بمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة ، وحرصهم على الوقوع في ذلك ، مع منعه إِيَّاهُمْ وقبضه على مواضع المنع منهم ، بتساقط الفراش في نار الدنيا لهواه وضعف تمييزه وكلاهما حريص على هلاك نفسه ، ساعٍ في ذلك لجهله .

٨٧٩ - البخاري (١٣ / ٢٥٠) ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - ٢ - باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ .

ومسلم (٤ / ١٧٨٨) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٦ - باب شفقة النبي ﷺ على أمته .

النذير العريان : الذي لا ثوب عليه ، وخص العريان ، لأنه أُنْثِنَ في العين ، وأصل هذا : أن الرجل منهم كان إذا أُنْذِرَ قوته ، وجاء من بلد بعيد أنسلخ من ثيابه ، ليكون أُنْثِنَ للعين .

فالنَّجَاءُ : أي اطلبوا الخلاص ، وأنجوا أنفسكم وخلصوها .

فأَذْجُوا : إذا خَفَّفَ - من أدْلَجَ يَدْلُجُ - كان بمعنى : سار الليل كله ، وإذا ثَقُلَ - من أدْلَجَ يَدْلُجُ - كان إذا سار آخر الليل .

فاجتناحهم : استأصلهم ، وهومن الجائحة التي تهلك الأشياء .

٨٨٠ - البخاري (١١ / ٣١٦) ٨١ - كتاب الرقاق - ٢٦ - باب الانتهاء عن المعاصي .

ومسلم واللفظ له (٤ / ١٧٩٠) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٦ - باب شفقة النبي ﷺ على أمته .

الجنادب : جمع جندب ، وهو طائر كالجراد ، يَصِيرُ في الحرِّ .

تَقْلُتُونَ : التفتت والانفلات : التخلص من اليد .

٨٨١ - * روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلاً ، قال : فاضربوا له مثلاً . فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبةً وبعث داعياً ، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة . فقالوا : أولوها له يفقهها ، فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ ، فمن أطاع محمد ﷺ فقد أطاع الله ، ومن عصى محمد ﷺ فقد عصى الله ، ومحمد فرق بين الناس .

قَالَ الْبُخَارِيُّ : تَابَعَهُ قُتَيْبَةُ عَنِ اللَّيْثِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَ : (خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) لَمْ يَزِدْ .

قَالَ الْحَمِيدِيُّ ^(١) : وَذَكَرَ أَبُو مَسْعُودٍ أَوْلَهُ : فَقَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ : « إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ جِبْرِيلَ عِنْدَ رَأْسِي وَمِيكَائِيلَ عِنْدَ رِجْلِي يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : اضْرِبْ لَهُ مَثَلًا » .

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ هَذِهِ الَّتِي أَخْرَجَ أَوْلَاهَا أَبُو مَسْعُودٍ وَأَتَمَّهَا التِّرْمِذِيُّ ^(٢) : « فَقَالَ : اسْمِعْ ، سَمِعْتُ أَدْنُكَ ، وَاعْقِلْ عَقْلَ قَلْبِكَ : إِنَّا مَثَلُكَ وَمَثَلُ أُمَّتِكَ كَمَثَلِ مَلِكٍ اتَّخَذَ دَارًا ، ثُمَّ بَنَى فِيهَا بَيْتًا ، ثُمَّ جَعَلَ فِيهَا مَائِدَةً ، ثُمَّ بَعَثَ رَسُولًا يَدْعُو النَّاسَ إِلَى طَعَامِهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَجَابَ الرَّسُولَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَهُ ، فَاللَّهُ : هُوَ الْمَلِكُ ، وَالدَّارُ : الْإِسْلَامُ ، وَالْبَيْتُ : الْجَنَّةُ ، وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ رَسُولٌ ، فَمَنْ أَجَابَكَ دَخَلَ الْإِسْلَامَ ، وَمَنْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ أَكَلَ مِنْهَا فِيهَا » .

٨٨١ - البخاري (١٣ / ٢٤٩) ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - ٢ - باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ .

(١) ذكره ابن الأثير في جامع الأصول (٩ / ٤٠١) .

(٢) الترمذي (٥ / ١٤٥) ٤٥ - كتاب الأمثال - ١ - باب ما جاء في مثل الله لعباده . وله شاهد بسند جيد عند الطهاني .

٨٨٢ - * روى الترمذي عن أبي عثمان النهدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى البطحاء ، ومعه ابن مسعود فأقعده وخط عليه خطاً ، ثم قال : « لا تَبْرَحَنَّ فَإِنَّهُ سَيَنْتَهِي إِلَيْكَ رِجَالٌ ، فَلَا تُكَلِّمُهُمْ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَكَلِّمُوكَ » فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أراد ، ثم جعلوا ينتهون إلى الخط لا يجاوزونه ثم يصُدُّون إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان من آخر الليل جاء إلي فتوسد فخيدي ، وكان إذا نام نفخ في النوم نفخاً . فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم متوسد فخيدي راقداً إذ أتاني رجال كأنهم الجمال عليهم ثياب بيض ، الله أعلم ما بهم من الجمال ، حتى قعد طائفة منهم عند رأسه وطائفة منهم عند رجليه ، فقالوا بينهم : ما رأينا عبداً أوتيَ مثل ما أوتيَ هذا النبي صلى الله عليه وسلم عيناه لتنامان وإن قلبه ليقظان . ضربوا له مثلاً . سيد بنى قصراً ثم جعل مأذبة فدعا الناس إلى طعامه وشرابه ثم ارتفعوا واستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فقال : « أتدري من هؤلاء » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « الملائكة » . قال : وهل تدري ما المثل الذي صَرَّبوه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « الرحمن بنى الجنة فدعا إليها عباده فمن أجابه دخل جنته ، ومن لم يجِبْ عاقبه وعذَّبَه » .

٨٨٣ - * روى البزار عن أبي هريرة قال : خيار ولدِ آدم خمسة : نوح ، وإبراهيم ، وعيسى ، وموسى ، ومحمد ﷺ ، وخيرهم محمد ﷺ وصلى الله عليهم أجمعين وسلم .

٨٨٤ - * روى الطبراني عن الحسين بن علي قال : أحبُّونا بحب الإسلام ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تَرْفَعُونِي فَوْقَ حَقِّي ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اتَّخَذَنِي عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَنِي رَسُولًا » .

٨٨٥ - * روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

٨٨٢ - الترمذي (١٤٥ / ٥) ٤٥ - كتاب الأمثال - ١ - باب ما جاء في مثل الله بعباده . وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح .

والدارمي واللفظ له (٧ / ١) ، في المقدمة ، باب صفة النبي ﷺ في الكتب قبل بيعته .

٨٨٣ - كشف الأستار (٣ / ١١٤) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٥٤) : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح .

٨٨٤ - المعجم الكبير (٣ / ١٢٨) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢١) : رواه الطبراني ، وإسناده حسن .

٨٨٥ - مسلم (٤ / ٢١٦٧) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - ١٦ - باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة =

« مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ » قَالُوا : وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « وَإِيَّايَ ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ » .

٨٨٦ - * روى أحمد عن عروة بن الزبير قَالَ : حَدَّثَنِي جَارُ خَدِيجَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ لَخَدِيجَةَ : « أَيُّ خَدِيجَةٍ وَاللَّهِ لَا أَعْبُدُ اللَّاتِ وَالْعُزَّى وَاللَّهِ لَا أَعْبُدُ أَبَدًا » قَالَ : فَتَقُولُ خَدِيجَةُ خَلَّ اللَّاتُ خَلَّ الْعُزَّى قَالَ - يَعْنِي الرَّاوي - كَانَتْ صَنَمُهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ ثُمَّ يَضْجَعُونَ .

٨٨٧ - * روى الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُحَرِّسُ حَتَّى تَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ^(١) فَأَخْرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ مِنَ الْقُبَّةِ فَقَالَ لَهُمْ : « أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرَفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ » .

٨٨٨ - * روى الترمذي عن أبي هريرة قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً مُهْدَاةً » .

= الناس ، وأن مع كل إنسان قريناً .

القرين : المصاحب ، وكل إنسان فإن معه قريناً من الملائكة ، وقريناً من الشياطين ، فقرينه من الملائكة يأمره بالخير وَيُحِثُّهُ عَلَيْهِ ، وقرينه من الشياطين يأمره بالشر ويحثه عليه ، وفقنا الله لاتِّبَاعِ قَرِينِ الْخَيْرِ وَمُخَالَفَةِ قَرِينِ الشَّرِّ .

قال النووي في شرحه على مسلم :

(فَأَسْلَمَ) برفع الميم وفتحها . وهما روايتان مشهورتان . فمن رفع قال : معناه أسلم أنا من شره وفتنته . ومن فتح قال إن القرين أسلم ، من الإسلام ، وصار مؤمناً لا يأمرني إلا بخير . واختلفوا في الأرجح منها . فقال الخطابي : الصحيح المختار الرفع . ورجح القاضي عياض الفتح ، وهو المختار ، لقوله ﷺ : فلا يأمرني إلا بخير .

واختلفوا على رواية الفتح . قيل : أسلم بمعنى استسلم وانقاد . وقد جاء هكذا في غير صحيح مسلم : فاستسلم . وقيل : معناه صار مسلماً مؤمناً . وهذا هو الظاهر .

قال القاضي : وأعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه . وفي هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه . فأعلمنا بأنه معنا ، لنحتزم منه بحسب الإمكان .

٨٨٦ - أحمد في مسنده (٤ / ٢٢٢) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٢٥) : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

٨٨٧ - المستدرک (٢ / ٣١٣) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

(١) للمائدة : ٦٧ .

٨٨٨ - كشف الأستار (٣ / ١١٤) .

٨٨٩ - * روى الطبراني عن ابن عباس قال : إن الله فضل محمداً على أهل السماء وعلى أهل الأرض فقال رجل : يا أبا عباس وبما فضله على أهل السماء والأرض ؟ قال إن الله عز وجل يقول لأهل السماء : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلَذِكَ تَجْزِيهِ جَهَنَّمُ كَذَلِكَ تَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١) وقال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ^(٢) فقيل له : يا أبا عباس فما فضله على الأنبياء ؟ قال : إن الله عز وجل قال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ ^(٣) وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ ^(٤) فأرسله الله إلى الإنس والجن .

٨٩٠ - * روى الطبراني عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّا أَنَا مَبْلَغٌ ، وَاللَّهُ يَهْدِي » .

٨٩١ - * روى البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ^(٥) قَالَ فِي التَّوْرَةِ : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ ، أَنْتَ عَهْدِي وَرَسُولِي ، سَتِيتُكَ الْمُتَوَكِّلَ ، لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَابٍ بِالْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ ، لَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يَقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءُ بِأَنْ يَقُولُوا :

= وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٧ / ٨) : رواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط ، ورجال البزار رجال الصحيح .

٨٨٩ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٤ / ٨) وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح غير الحكم بن أبان ، وهو ثقة ، ورواه أبو يعلى باختصار كثير .

(١) الأنبياء : ٢٩ .

(٢) الفتح : ١ ، ٢ .

(٣) إبراهيم : ٤ .

(٤) سبأ : ٢٨ .

٨٩٠ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٣ / ٨) ، وقال : رواه الطبراني بإسنادين ، أحدهما حسن .

٨٩١ - البخاري (٥٨٥ / ٨) ٦٥ - كتاب التفسير - ٣ - باب « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا » .

الملة العوجاء : الملة غير المستقيمة ، وفي ذلك إشارة إلى ما غيرته الآباء من ملة إبراهيم وإسماعيل عليها السلام .

(٥) الأحزاب : ٤٥ .

لا إله إلا الله ، فيفتح بها أعينا عمياً ، وأذناً صمّاً ، وقلوباً غلفاً .

٨٩٢ - * روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أُعْطِيَتْ خُمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي : كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَيِّبَةً وَطَهُورًا وَمَسْجِدًا ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ صَلَّى حَيْثُ كَانَ ، وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ بَيْنَ يَدَيَّ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ » .

وفي رواية (١) : « أُعْطِيَتْ خُمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً » .

٨٩٣ - * روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي ، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي » .

٨٩٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ ، وَبَيَّنَّا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أُتِيْتُ بِمِفَاتِيحِ خِزَائِنِ الْأَرْضِ ، فَوُضِعَتْ فِي يَدَيَّ » قال أبو هريرة : وقد ذهب رسول الله ﷺ وأنتم

٨٩٢ - البخاري (١ / ٤٣٦) ٧ - كتاب التيمم - ١ - باب حدثنا عبد الله بن يوسف .

ومسلم واللفظ له (١ / ٣٧٠) ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - حديث (٢) .

أحمر وأسود : أراد بالأسود والآخر : جميع العالم ، فالأسود : معروف ، وهم الحبش والزنج وغيرهم ، والآخر : هو الأبيض ، والعرب تسمي الأبيض أحمر .

الطهور : بفتح الطاء : ما يتطهر به من الماء والتراب .

(١) البخاري في الموضع السابق .

٨٩٣ - البخاري تعليقا (٦ / ٩٨) ٥٦ - كتاب الجهاد - ٨٨ - باب ما قيل في الرماح .

الصغار : الذل والهوان .

٨٩٤ - البخاري (٦ / ١٢٨) ٥٦ - كتاب الجهاد - ١٢٢ - باب قول النبي ﷺ : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » .

والبخاري أيضاً (١٢ / ٤٠١) ٩١ - كتاب التعبير - ٢٢ - باب المفاتيح في اليد .

ومسلم (١ / ٣٧١) ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - حديث (٦) .

تَنْتَقِلُونَهَا . قَالَ الْبُخَارِيُّ : وَبَلَغَنِي أَنَّ جَوَامِعَ الْكَلِمِ : أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَجْمَعُ لَهُ الْأُمُورَ الْكَثِيرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُكْتَبُ فِي الْكُتُبِ قَبْلَهُ فِي الْأَمْرِ الْوَاحِدِ وَالْأَمْرَيْنِ أَوْغُو ذَلِكَ .

وَلِلْبُخَارِيِّ قَالَ ^(١) : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَبَيَّنَّنَا أَنَا نَائِمٌ الْبَارِحَةَ ، إِذْ أُوتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ، حَتَّى وُضِعَتْ فِي يَدَيَّ » قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنْتُمْ تَنْتَقِلُونَهَا .

وَفِي رِوَايَةٍ ^(٢) - تَلَعَّثُونَهَا ، أَوْ تَرَعَّثُونَهَا ، أَوْ كَلِمَةً تَشْبِيهًا - وَفِي سُخْطَةٍ : تَلْعَبُونَ بِهَا .

وَلِسَلَّمَ ^(٣) : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « فَضَّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بَسْتُ : أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأَحْلَتُ لِي الْغَنَائِمُ ، وَجَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ طَهُورًا وَمَسْجِدًا ، وَأَرْسَلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً ، وَخَتَمْتُ بِي النَّبِيُّونَ » .

وَلَهُ فِي أُخْرَى قَالَ ^(٤) : « نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ » .

وَلَهُ فِي أُخْرَى قَالَ ^(٥) : « نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ عَلَى الْعَدُوِّ ، وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ،

جَوَامِعَ الْكَلِمِ : أَرَادَ بِهِ الْقُرْآنَ ، جَمَعَ اللَّهُ بِلُطْفِهِ فِي الْأَلْفَاظِ الْيَسِيرَةِ مِنْهُ مَعَانِي كَثِيرَةً ، وَكَذَلِكَ أَلْفَاظُهُ ﷺ كَانَتْ قَلِيلَةً الْأَلْفَاظِ ، كَثِيرَةً الْمَعَانِي .

نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ : الرُّعْبُ : الْفَزَعُ وَالْخَوْفُ ، وَذَلِكَ : أَنَّ أَعْدَاءَ النَّبِيِّ ﷺ كَانُوا قَدْ أَوْقَعَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، فَإِذَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مَسِيرَةُ شَهْرٍ هَابَوْهُ وَفَزَعُوا مِنْهُ ، فَلَا يَقْدَمُونَ عَلَى لِقَائِهِ .
وَقَوْلُهُ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ الْأَرْضِ : أَرَادَ بِهِ مَا سَهَّلَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ وَلَأَمَّنَهُ مِنْ اسْتِخْرَاجِ الْمَعْنَمَاتِ ، وَافْتِتَاحِ الْبِلَادِ الْمُتَعَذَّرَاتِ ، وَمَنْ كَانَ فِي يَدِهِ مَفَاتِيحُ شَيْءٍ سَهَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْوُصُولَ إِلَيْهِ .
تَنْتَقِلُونَهَا : الْإِنْتِثَالُ : نَثْرُ الشَّيْءِ ، يُقَالُ : نَثَلْتُ كِسَانِي إِذَا اسْتَخْرَجْتُ مَا فِيهَا جَمِيعَهُ وَنَثَرْتَهُ ، وَالْمُرَادُ : أَنَّكُمْ تَأْخُذُونَهَا جَمِيعًا .

(١) الْبُخَارِيُّ (١٢ / ٣٩٠) ٩١ - كِتَابُ التَّعْبِيرِ - ١١ - بَابُ رُؤْيَا اللَّيْلِ .

وَمَفَاتِيحُ الْكَلِمِ : الْمَفَاتِيحُ : كُلُّ مَا يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى اسْتِخْرَاجِ الْمَغْلَقَاتِ الَّتِي يَتَعَذَّرُ الْوُصُولُ إِلَيْهَا ، فَأَخْبَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ أُوتِيَ مَفَاتِيحَ الْكَلِمِ ، وَهُوَ مَا سَهَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى غَوَامِضِ الْمَعَانِي ، وَبِدَائِعِ الْحِكْمِ الَّتِي أُغْلِقَتْ عَلَى غَيْرِهِ وَتَعَذَّرَتْ .

(٢) الْبُخَارِيُّ (١٣ / ٢٤٧) ٩٦ - كِتَابُ الْإِعْتَصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ - ١ - بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : « بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ » .

تَرَعَّثُونَهَا : الرُّعْثُ : الرُّضْعُ ، رَغَثَ الْجَذِيءُ أُمَّهُ : أَيِ رَضَعَهَا ، وَأَرَعَّثَتْ النُّجْجَةَ وَلَدَهَا : أَرْضَعَتْهُ .

(٣) مُسْلِمٌ (١ / ٣٧١) ٥ - كِتَابُ الْمَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ - حَدِيثُ (٥) .

(٤) مُسْلِمٌ فِي الْمَوْضِعِ السَّابِقِ . (٥) مُسْلِمٌ فِي نَفْسِ الْمَوْضِعِ السَّابِقِ .

وَيُنَا أَنَا نَائِمٌ أُوتِيَتْ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ، فَوُضِعَتْ فِي يَدَيَّ .

٨٩٥ - * روى الطبراني عن معاوية بن حبيدة القشيري قال : أتيت النبي ﷺ فَلَمَّا دَفَعْتُ إِلَيْهِ قَال : « أَمَّا إِنِّي قَدْ سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُغْنِيَنِي بِالسَّنَةِ تُحْفِيَكُمْ ، وَبِالرُّعْبِ يَجْعَلُهُ فِي قُلُوبِكُمْ » فَقَالَ بِيَدَيْهِ جَمِيعاً : أَمَّا إِنِّي قَدْ خَلَفْتُ هَكَذَا وَهَكَذَا أَنْ لَا أُؤْمِنَ بِكَ وَلَا أَتَّبِعُكَ فَصَارَتِ السَّنَةُ تُحْفِيَنِي وَمَا زَالَ الرُّعْبُ يُجْعَلُ فِي قَلْبِي حَتَّى قُمْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ .

٨٩٦ - * روى البزار عن أبي هريرة أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « فَضَّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بَسْتُ لَمْ يُعْطِهِنَّ أَحَدٌ كَانَ قَبْلِي : غَفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنِّي ذَنْبِي وَمَا تَأَخَّرَ ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي ، وَجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الْأُمَمِ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً ، وَأُعْطِيتُ الْكَوْثَرُ ، وَنَصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنَّ صَاحِبَكُمْ لَصَاحِبُ لَوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، تَحْتَهُ آدَمُ مِنْ دُونِهِ » .

٨٩٧ - * روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَبْدِي لَوَاءَ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ - آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ - إِلَّا تَحْتَ لَوَائِي ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تُنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ » .

قوله : (سيد ولد آدم) قال ﷺ في هذا الحديث : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ » وقال في ذِكْرِ يونس عليه السلام : « لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ : أَنَا خَيْرُ مَنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى » وقال : « لَا تَفْضَلُونِي عَلَى يُونُسَ » ووجه الجمع بينهما : أَنَّ قَوْلَهُ : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ » إِنَّمَا هُوَ إِخْبَارٌ عَمَّا أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْفَضْلِ وَالسُّؤْدَدِ ، وَتَحَدَّثَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عِنْدَهُ ، وَإِعْلَامٌ لِأُمَّتِهِ بِذَلِكَ ، لِيَكُونَ إِيمَانُهُمْ بِهِ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ

٨٩٥ - أوردته الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٦٥) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وإسناده حسن .

يفني : ينصفي .

السنة : الجذب .

فقال بيديه : أشار . والفائل معاوية .

تحفيكم : تتأصلكم .

٨٩٦ - كشف الاستار (٣ / ١٤٧) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٦٩) : رواه البزار ، وإسناده جيد .

٨٩٧ - الترمذي (٥ / ٥٨٧) ٥٠ - كتاب المناقب - ١ - باب في فضل النبي ﷺ . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

أراد بقوله : « لا ينبغي لعبدٍ » أو لأحد ، غير نفسه ، أو أن يكون عاماً فيه وفي غيره من الناس ، فيكون هذا على سبيل المضم وإظهار التواضع لربه ، يقول : لا ينبغي لي أن أقول : أنا خير منه ، لأن الفضيلة التي تلتها كرامة من الله وخصوصية منه ، لم أنلها من قبل نفسي ، ولا بلغتُها بقوتي ، فليس لي أن أفخر بها ، وإنما يجب علي أن أشكر عليها ربي ، وإنما خصّ يونس بالذكر لما قصه الله علينا من شأنه ، وما كان من قلة صبره على أذى قومه ، فخرج مغاضباً ، ولم يصبر كما صبر أولو العزم من الرسل .

٨٩٨ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا سيّد ولدِ آدمَ يومَ القيامة ، وأولُ مَنْ يَنْشَقُّ عنه القبر ، وأولُ شافع وأولُ مُشَفِّع » .

وفي رواية للترمذي قال (٢) : « أنا أولُ من تَنْشَقُّ عنه الأرض فأُكْسَى الحِلَّةَ من حُلَلِ الجنة ، ثم أقوم عن يمين العرش ، فليس أحدٌ من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري » .

قال النووي : قال العلماء : وقوله صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم » لم يقله فخراً بل صرح بنفي الفخر في غير مسلم في الحديث المشهور : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » وإنما قاله لوجهين : أحدهما : امتثال قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (٢) والثاني أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه ويؤثروا صلى الله عليه وسلم بما تقتضي مرتبته كما أمرهم الله تعالى . وهذا الحديث دليل لتفضيله صلى الله عليه وسلم على الخلق كلهم لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة . وهو صلى الله عليه وسلم أفضل الآدميين وغيرهم . وأما الحديث الآخر : « لا تفضلوا بين الأنبياء » فجوابه من خمسة أوجه : أحدها : أنه صلى الله عليه وسلم قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم ، فلما علم أخبر به . والثاني : قاله أدباً وتواضعاً . والثالث : أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدّي إلى تنقيص المفضول . والرابع : إنما نهى عن تفضيل يؤدّي إلى الخصومة

٨٩٨ - مسلم (٤ / ١٧٨٢) ٤٣ - كتاب الفضائل - ١ - باب فضل نسب النبي ﷺ .

(١) الترمذي (٥ / ٥٨٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ١ - باب في فضل النبي ﷺ .

(٢) الضحى : ١١ .

ونعمة . كما هو المشهور في سبب الحديث . والخامس : أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة فلا تفضل فيه ، وإنما انتفاضل بالخصائص وفضائل أخرى . ولا بد من اعتقاد التفضيل فقد قل الله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ^(١) قوله صلى الله عليه وسلم . وأول شافع وأول مشفع « إنما ذكر الثاني لأنه قد يشفع اثنان فيشفع الثاني منها قبل الأول والله أعلم . اهـ .

٨٩٩ - * روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أول الناس خروجا إذا بُعِثُوا ، وأنا خطيبهم إذا قُودُوا ، وأنا مبشّرهم إذا بُسُوا ، لواء الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ، ولا فخر » .

٩٠٠ - * روى أحمد عن عبد الله يعني ابن مسعود قال : أوتي نبيكم ﷺ كل شيء إلا مفاتيح الغيب الخمس في إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير .^٢

٩٠١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « هل ترون قبلي ها هنا ؟ فوالله ما يخفي عليّ خشوعكم ولا ركوعكم وإني لأراكم من وراء ظهري » .

(١) البقرة : ٢٥٣ .

٨٩٩ - * ترمذي (٥ / ٥٨٥) - كتاب المناقب - ١ - باب فضل النبي ﷺ . وقال : هذا حديث حسن غريب . وهو كما قل

٩٠٠ - * أحمد في مسنده (١ / ٤٤٥) .

وقال لميتي في معجم الزوائد (٨ / ٣٦٣) : رواه أحمد وأبو يعلى ، ورجلها رجال الصحيح .

(٣) نقول : ٣٤

٩٠١ - * السحري (١ / ٥١٤) - ٨ - كتاب الصلاة - ٤٠ - باب عظة الإمام الناس في إتمام الصلاة ، وذكر القبلة .

ومسلم (١ / ٣١٩) - ٤ - كتاب الصلاة - ٢٤ - باب الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها .

قل لسوي في شرحه على مسلم :

وقال العلماء : معناه أن الله تعالى خلق له ﷺ إدراكا في قفاه يبصر به من ورائه . وقد انخرقت له العادة بأكثر من هذا . وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع ، بل ورد الشرع بظاهره ، فوجب القول به . قال أحمد بن حنبل وجمهور العلماء : هذه الرؤيا رؤية بالعين حقيقة . وفيه الأمر بإحسان الصلاة والخشوع ، وإتمام الركوع والسجود ، وجوار الخلف لله تعالى من غير ضرر ، ولكن المستحب تركه إلا لحاجة كتأكيد أمر وتفخيمه والمبالغة في تحقيقه =

٩٠٢ - * روى أحمد عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « أُوتيتُ بمقاليد الدنيا على فرس أبلق عليه قطيفة من سندس » .

٩٠٣ - * روى البخاري ومسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ خرج يوماً ، فصلّى على أهل أحدٍ صلاته على الميت ، ثم انصرف إلى المنبر ، فقال « إني قرطٌ لكم ، وأنا شهيدٌ عليكم ، وإني والله لأنظرُ إلى حوضي الآن وإني أُعطيْتُ مفاتيح خزائن الأرض - أو مفاتيح الأرض - وإني والله ما أخاف عليكم أن تُشركوا بعدي ، ولكن أخافُ عليكم أن تنافسوا فيها » .

وفي رواية قال ^(١) : صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَتْلَى أَحَدٍ بَعْدَ ثَمَانِ سَنِينَ ، كَالْمَوْدَعِ لِلأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ ، ثُمَّ طَلَعَ عَلَى الْمَنْبَرِ ، فَقَالَ : « إني بين أيديكم قرطٌ وأنا عليكم شهيد ، وإنّ مَوَعِدَتَكُمْ الْحَوْضُ ، وإني لأنظرُ إليه من مقامي هذا ، وإني لستُ أخشى عليكم أن تُشركوا ، ولكنني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها » قال : فكانت آخرَ نَظَرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وفي أخرى ^(٢) : « إني قرطكم على الحوض ، وإنّ عَرْضَهُ كما بين أَيْلَةٍ إِلَى الْجُحْفَةِ - وفيها - ولكنني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها ، وَتَقْتُلُوا فَتَهْلِكُوا ، كَاهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ » .

== وتمكينه من النفوس ، وعلى هذا يحمل ما جاء من الأحاديث من الخلف .

وقوله ﷺ : « إني لأراكم من بعدي » أي من ورائي كما في الروايات الباقية . قال القاضي عياض : وحله بعضهم على بعد الوفاة وهو بعيد عن سياق الحديث . شرح مسلم للنووي .

٩٠٢ - أحمد في مسنده (٢ / ٣٢٨) .

وقال الميثمي في جمع الزوائد (٩ / ٢٠) : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

فرس أبلق : فيه سواد وبياض .

٩٠٣ - البخاري (٢ / ٢٠٩) ٢٣ - كتاب الجنائز - ٧٢ - باب الصلاة على الشهيد .

مسند (٤١ / ١٧٩٥) ٤٣ - كتاب الجنائز ٩ - ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٢ - ٤١٣ - ٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٥ - ٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣١ - ٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٤ - ٤٣٥ - ٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٤٦ - ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٥ - ٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨ - ٤٦٩ - ٤٧٠ - ٤٧١ - ٤٧٢ - ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٥ - ٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٨٢ - ٤٨٣ - ٤٨٤ - ٤٨٥ - ٤٨٦ - ٤٨٧ - ٤٨٨ - ٤٨٩ - ٤٩٠ - ٤٩١ - ٤٩٢ - ٤٩٣ - ٤٩٤ - ٤٩٥ - ٤٩٦ - ٤٩٧ - ٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥٠٠ - ٥٠١ - ٥٠٢ - ٥٠٣ - ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥٠٨ - ٥٠٩ - ٥١٠ - ٥١١ - ٥١٢ - ٥١٣ - ٥١٤ - ٥١٥ - ٥١٦ - ٥١٧ - ٥١٨ - ٥١٩ - ٥٢٠ - ٥٢١ - ٥٢٢ - ٥٢٣ - ٥٢٤ - ٥٢٥ - ٥٢٦ - ٥٢٧ - ٥٢٨ - ٥٢٩ - ٥٣٠ - ٥٣١ - ٥٣٢ - ٥٣٣ - ٥٣٤ - ٥٣٥ - ٥٣٦ - ٥٣٧ - ٥٣٨ - ٥٣٩ - ٥٤٠ - ٥٤١ - ٥٤٢ - ٥٤٣ - ٥٤٤ - ٥٤٥ - ٥٤٦ - ٥٤٧ - ٥٤٨ - ٥٤٩ - ٥٥٠ - ٥٥١ - ٥٥٢ - ٥٥٣ - ٥٥٤ - ٥٥٥ - ٥٥٦ - ٥٥٧ - ٥٥٨ - ٥٥٩ - ٥٦٠ - ٥٦١ - ٥٦٢ - ٥٦٣ - ٥٦٤ - ٥٦٥ - ٥٦٦ - ٥٦٧ - ٥٦٨ - ٥٦٩ - ٥٧٠ - ٥٧١ - ٥٧٢ - ٥٧٣ - ٥٧٤ - ٥٧٥ - ٥٧٦ - ٥٧٧ - ٥٧٨ - ٥٧٩ - ٥٨٠ - ٥٨١ - ٥٨٢ - ٥٨٣ - ٥٨٤ - ٥٨٥ - ٥٨٦ - ٥٨٧ - ٥٨٨ - ٥٨٩ - ٥٩٠ - ٥٩١ - ٥٩٢ - ٥٩٣ - ٥٩٤ - ٥٩٥ - ٥٩٦ - ٥٩٧ - ٥٩٨ - ٥٩٩ - ٦٠٠ - ٦٠١ - ٦٠٢ - ٦٠٣ - ٦٠٤ - ٦٠٥ - ٦٠٦ - ٦٠٧ - ٦٠٨ - ٦٠٩ - ٦١٠ - ٦١١ - ٦١٢ - ٦١٣ - ٦١٤ - ٦١٥ - ٦١٦ - ٦١٧ - ٦١٨ - ٦١٩ - ٦٢٠ - ٦٢١ - ٦٢٢ - ٦٢٣ - ٦٢٤ - ٦٢٥ - ٦٢٦ - ٦٢٧ - ٦٢٨ - ٦٢٩ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٢ - ٦٣٣ - ٦٣٤ - ٦٣٥ - ٦٣٦ - ٦٣٧ - ٦٣٨ - ٦٣٩ - ٦٤٠ - ٦٤١ - ٦٤٢ - ٦٤٣ - ٦٤٤ - ٦٤٥ - ٦٤٦ - ٦٤٧ - ٦٤٨ - ٦٤٩ - ٦٥٠ - ٦٥١ - ٦٥٢ - ٦٥٣ - ٦٥٤ - ٦٥٥ - ٦٥٦ - ٦٥٧ - ٦٥٨ - ٦٥٩ - ٦٦٠ - ٦٦١ - ٦٦٢ - ٦٦٣ - ٦٦٤ - ٦٦٥ - ٦٦٦ - ٦٦٧ - ٦٦٨ - ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١ - ٦٧٢ - ٦٧٣ - ٦٧٤ - ٦٧٥ - ٦٧٦ - ٦٧٧ - ٦٧٨ - ٦٧٩ - ٦٨٠ - ٦٨١ - ٦٨٢ - ٦٨٣ - ٦٨٤ - ٦٨٥ - ٦٨٦ - ٦٨٧ - ٦٨٨ - ٦٨٩ - ٦٩٠ - ٦٩١ - ٦٩٢ - ٦٩٣ - ٦٩٤ - ٦٩٥ - ٦٩٦ - ٦٩٧ - ٦٩٨ - ٦٩٩ - ٧٠٠ - ٧٠١ - ٧٠٢ - ٧٠٣ - ٧٠٤ - ٧٠٥ - ٧٠٦ - ٧٠٧ - ٧٠٨ - ٧٠٩ - ٧١٠ - ٧١١ - ٧١٢ - ٧١٣ - ٧١٤ - ٧١٥ - ٧١٦ - ٧١٧ - ٧١٨ - ٧١٩ - ٧٢٠ - ٧٢١ - ٧٢٢ - ٧٢٣ - ٧٢٤ - ٧٢٥ - ٧٢٦ - ٧٢٧ - ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٧٣٠ - ٧٣١ - ٧٣٢ - ٧٣٣ - ٧٣٤ - ٧٣٥ - ٧٣٦ - ٧٣٧ - ٧٣٨ - ٧٣٩ - ٧٤٠ - ٧٤١ - ٧٤٢ - ٧٤٣ - ٧٤٤ - ٧٤٥ - ٧٤٦ - ٧٤٧ - ٧٤٨ - ٧٤٩ - ٧٥٠ - ٧٥١ - ٧٥٢ - ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٧٥٥ - ٧٥٦ - ٧٥٧ - ٧٥٨ - ٧٥٩ - ٧٦٠ - ٧٦١ - ٧٦٢ - ٧٦٣ - ٧٦٤ - ٧٦٥ - ٧٦٦ - ٧٦٧ - ٧٦٨ - ٧٦٩ - ٧٧٠ - ٧٧١ - ٧٧٢ - ٧٧٣ - ٧٧٤ - ٧٧٥ - ٧٧٦ - ٧٧٧ - ٧٧٨ - ٧٧٩ - ٧٨٠ - ٧٨١ - ٧٨٢ - ٧٨٣ - ٧٨٤ - ٧٨٥ - ٧٨٦ - ٧٨٧ - ٧٨٨ - ٧٨٩ - ٧٩٠ - ٧٩١ - ٧٩٢ - ٧٩٣ - ٧٩٤ - ٧٩٥ - ٧٩٦ - ٧٩٧ - ٧٩٨ - ٧٩٩ - ٨٠٠ - ٨٠١ - ٨٠٢ - ٨٠٣ - ٨٠٤ - ٨٠٥ - ٨٠٦ - ٨٠٧ - ٨٠٨ - ٨٠٩ - ٨١٠ - ٨١١ - ٨١٢ - ٨١٣ - ٨١٤ - ٨١٥ - ٨١٦ - ٨١٧ - ٨١٨ - ٨١٩ - ٨٢٠ - ٨٢١ - ٨٢٢ - ٨٢٣ - ٨٢٤ - ٨٢٥ - ٨٢٦ - ٨٢٧ - ٨٢٨ - ٨٢٩ - ٨٣٠ - ٨٣١ - ٨٣٢ - ٨٣٣ - ٨٣٤ - ٨٣٥ - ٨٣٦ - ٨٣٧ - ٨٣٨ - ٨٣٩ - ٨٤٠ - ٨٤١ - ٨٤٢ - ٨٤٣ - ٨٤٤ - ٨٤٥ - ٨٤٦ - ٨٤٧ - ٨٤٨ - ٨٤٩ - ٨٥٠ - ٨٥١ - ٨٥٢ - ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦ - ٨٥٧ - ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٠ - ٨٦١ - ٨٦٢ - ٨٦٣ - ٨٦٤ - ٨٦٥ - ٨٦٦ - ٨٦٧ - ٨٦٨ - ٨٦٩ - ٨٧٠ - ٨٧١ - ٨٧٢ - ٨٧٣ - ٨٧٤ - ٨٧٥ - ٨٧٦ - ٨٧٧ - ٨٧٨ - ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨١ - ٨٨٢ - ٨٨٣ - ٨٨٤ - ٨٨٥ - ٨٨٦ - ٨٨٧ - ٨٨٨ - ٨٨٩ - ٨٩٠ - ٨٩١ - ٨٩٢ - ٨٩٣ - ٨٩٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦ - ٨٩٧ - ٨٩٨ - ٨٩٩ - ٩٠٠ - ٩٠١ - ٩٠٢ - ٩٠٣ - ٩٠٤ - ٩٠٥ - ٩٠٦ - ٩٠٧ - ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ٩١١ - ٩١٢ - ٩١٣ - ٩١٤ - ٩١٥ - ٩١٦ - ٩١٧ - ٩١٨ - ٩١٩ - ٩٢٠ - ٩٢١ - ٩٢٢ - ٩٢٣ - ٩٢٤ - ٩٢٥ - ٩٢٦ - ٩٢٧ - ٩٢٨ - ٩٢٩ - ٩٣٠ - ٩٣١ - ٩٣٢ - ٩٣٣ - ٩٣٤ - ٩٣٥ - ٩٣٦ - ٩٣٧ - ٩٣٨ - ٩٣٩ - ٩٤٠ - ٩٤١ - ٩٤٢ - ٩٤٣ - ٩٤٤ - ٩٤٥ - ٩٤٦ - ٩٤٧ - ٩٤٨ - ٩٤٩ - ٩٥٠ - ٩٥١ - ٩٥٢ - ٩٥٣ - ٩٥٤ - ٩٥٥ - ٩٥٦ - ٩٥٧ - ٩٥٨ - ٩٥٩ - ٩٦٠ - ٩٦١ - ٩٦٢ - ٩٦٣ - ٩٦٤ - ٩٦٥ - ٩٦٦ - ٩٦٧ - ٩٦٨ - ٩٦٩ - ٩٧٠ - ٩٧١ - ٩٧٢ - ٩٧٣ - ٩٧٤ - ٩٧٥ - ٩٧٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨ - ٩٧٩ - ٩٨٠ - ٩٨١ - ٩٨٢ - ٩٨٣ - ٩٨٤ - ٩٨٥ - ٩٨٦ - ٩٨٧ - ٩٨٨ - ٩٨٩ - ٩٩٠ - ٩٩١ - ٩٩٢ - ٩٩٣ - ٩٩٤ - ٩٩٥ - ٩٩٦ - ٩٩٧ - ٩٩٨ - ٩٩٩ - ١٠٠٠ - ١٠٠١ - ١٠٠٢ - ١٠٠٣ - ١٠٠٤ - ١٠٠٥ - ١٠٠٦ - ١٠٠٧ - ١٠٠٨ - ١٠٠٩ - ١٠١٠ - ١٠١١ - ١٠١٢ - ١٠١٣ - ١٠١٤ - ١٠١٥ - ١٠١٦ - ١٠١٧ - ١٠١٨ - ١٠١٩ - ١٠٢٠ - ١٠٢١ - ١٠٢٢ - ١٠٢٣ - ١٠٢٤ - ١٠٢٥ - ١٠٢٦ - ١٠٢٧ - ١٠٢٨ - ١٠٢٩ - ١٠٣٠ - ١٠٣١ - ١٠٣٢ - ١٠٣٣ - ١٠٣٤ - ١٠٣٥ - ١٠٣٦ - ١٠٣٧ - ١٠٣٨ - ١٠٣٩ - ١٠٤٠ - ١٠٤١ - ١٠٤٢ - ١٠٤٣ - ١٠٤٤ - ١٠٤٥ - ١٠٤٦ - ١٠٤٧ - ١٠٤٨ - ١٠٤٩ - ١٠٥٠ - ١٠٥١ - ١٠٥٢ - ١٠٥٣ - ١٠٥٤ - ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - ١٠٥٧ - ١٠٥٨ - ١٠٥٩ - ١٠٦٠ - ١٠٦١ - ١٠٦٢ - ١٠٦٣ - ١٠٦٤ - ١٠٦٥ - ١٠٦٦ - ١٠٦٧ - ١٠٦٨ - ١٠٦٩ - ١٠٧٠ - ١٠٧١ - ١٠٧٢ - ١٠٧٣ - ١٠٧٤ - ١٠٧٥ - ١٠٧٦ - ١٠٧٧ - ١٠٧٨ - ١٠٧٩ - ١٠٨٠ - ١٠٨١ - ١٠٨٢ - ١٠٨٣ - ١٠٨٤ - ١٠٨٥ - ١٠٨٦ - ١٠٨٧ - ١٠٨٨ - ١٠٨٩ - ١٠٩٠ - ١٠٩١ - ١٠٩٢ - ١٠٩٣ - ١٠٩٤ - ١٠٩٥ - ١٠٩٦ - ١٠٩٧ - ١٠٩٨ - ١٠٩٩ - ١١٠٠ - ١١٠١ - ١١٠٢ - ١١٠٣ - ١١٠٤ - ١١٠٥ - ١١٠٦ - ١١٠٧ - ١١٠٨ - ١١٠٩ - ١١١٠ - ١١١١ - ١١١٢ - ١١١٣ - ١١١٤ - ١١١٥ - ١١١٦ - ١١١٧ - ١١١٨ - ١١١٩ - ١١٢٠ - ١١٢١ - ١١٢٢ - ١١٢٣ - ١١٢٤ - ١١٢٥ - ١١٢٦ - ١١٢٧ - ١١٢٨ - ١١٢٩ - ١١٣٠ - ١١٣١ - ١١٣٢ - ١١٣٣ - ١١٣٤ - ١١٣٥ - ١١٣٦ - ١١٣٧ - ١١٣٨ - ١١٣٩ - ١١٤٠ - ١١٤١ - ١١٤٢ - ١١٤٣ - ١١٤٤ - ١١٤٥ - ١١٤٦ - ١١٤٧ - ١١٤٨ - ١١٤٩ - ١١٥٠ - ١١٥١ - ١١٥٢ - ١١٥٣ - ١١٥٤ - ١١٥٥ - ١١٥٦ - ١١٥٧ - ١١٥٨ - ١١٥٩ - ١١٦٠ - ١١٦١ - ١١٦٢ - ١١٦٣ - ١١٦٤ - ١١٦٥ - ١١٦٦ - ١١٦٧ - ١١٦٨ - ١١٦٩ - ١١٧٠ - ١١٧١ - ١١٧٢ - ١١٧٣ - ١١٧٤ - ١١٧٥ - ١١٧٦ - ١١٧٧ - ١١٧٨ - ١١٧٩ - ١١٨٠ - ١١٨١ - ١١٨٢ - ١١٨٣ - ١١٨٤ - ١١٨٥ - ١١٨٦ - ١١٨٧ - ١١٨٨ - ١١٨٩ - ١١٩٠ - ١١٩١ - ١١٩٢ - ١١٩٣ - ١١٩٤ - ١١٩٥ - ١١٩٦ - ١١٩٧ - ١١٩٨ - ١١٩٩ - ١٢٠٠ - ١٢٠١ - ١٢٠٢ - ١٢٠٣ - ١٢٠٤ - ١٢٠٥ - ١٢٠٦ - ١٢٠٧ - ١٢٠٨ - ١٢٠٩ - ١٢١٠ - ١٢١١ - ١٢١٢ - ١٢١٣ - ١٢١٤ - ١٢١٥ - ١٢١٦ - ١٢١٧ - ١٢١٨ - ١٢١٩ - ١٢٢٠ - ١٢٢١ - ١٢٢٢ - ١٢٢٣ - ١٢٢٤ - ١٢٢٥ - ١٢٢٦ - ١٢٢٧ - ١٢٢٨ - ١٢٢٩ - ١٢٣٠ - ١٢٣١ - ١٢٣٢ - ١٢٣٣ - ١٢٣٤ - ١٢٣٥ - ١٢٣٦ - ١٢٣٧ - ١٢٣٨ - ١٢٣٩ - ١٢٤٠ - ١٢٤١ - ١٢٤٢ - ١٢٤٣ - ١٢٤٤ - ١٢٤٥ - ١٢٤٦ - ١٢٤٧ - ١٢٤٨ - ١٢٤٩ - ١٢٥٠ - ١٢٥١ - ١٢٥٢ - ١٢٥٣ - ١٢٥٤ - ١٢٥٥ - ١٢٥٦ - ١٢٥٧ - ١٢٥٨ - ١٢٥٩ - ١٢٦٠ - ١٢٦١ - ١٢٦٢ - ١٢٦٣ - ١٢٦٤ - ١٢٦٥ - ١٢٦٦ - ١٢٦٧ - ١٢٦٨ - ١٢٦٩ - ١٢٧٠ - ١٢٧١ - ١٢٧٢ - ١٢٧٣ - ١٢٧٤ - ١٢٧٥ - ١٢٧٦ - ١٢٧٧ - ١٢٧٨ - ١٢٧٩ - ١٢٨٠ - ١٢٨١ - ١٢٨٢ - ١٢٨٣ - ١٢٨٤ - ١٢٨٥ - ١٢٨٦ - ١٢٨٧ - ١٢٨٨ - ١٢٨٩ - ١٢٩٠ - ١٢٩١ - ١٢٩٢ - ١٢٩٣ - ١٢٩٤ - ١٢٩٥ - ١٢٩٦ - ١٢٩٧ - ١٢٩٨ - ١٢٩٩ - ١٣٠٠ - ١٣٠١ - ١٣٠٢ - ١٣٠٣ - ١٣٠٤ - ١٣٠٥ - ١٣٠٦ - ١٣٠٧ - ١٣٠٨ - ١٣٠٩ - ١٣١٠ - ١٣١١ - ١٣١٢ - ١٣١٣ - ١٣١٤ - ١٣١٥ - ١٣١٦ - ١٣١٧ - ١٣١٨ - ١٣١٩ - ١٣٢٠ - ١٣٢١ - ١٣٢٢ - ١٣٢٣ - ١٣٢٤ - ١٣٢٥ - ١٣٢٦ - ١٣٢٧ - ١٣٢٨ - ١٣٢٩ - ١٣٣٠ - ١٣٣١ - ١٣٣٢ - ١٣٣٣ - ١٣٣٤ - ١٣٣٥ - ١٣٣٦ - ١٣٣٧ - ١٣٣٨ - ١٣٣٩ - ١٣٤٠ - ١٣٤١ - ١٣٤٢ - ١٣٤٣ - ١٣٤٤ - ١٣٤٥ - ١٣٤٦ - ١٣٤٧ - ١٣٤٨ - ١٣٤٩ - ١٣٥٠ - ١٣٥١ - ١٣٥٢ - ١٣٥٣ - ١٣٥٤ - ١٣٥٥ -

قال عقبه : فكانت آخر ما رأيتُ رسول الله ﷺ على المنبر .

٩٠٤ - * روى البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يخرج قوم من النار بشفاعه محمد ﷺ فيدخلون الجنة ، يُسمَوْنَ الجَنَمِيِّينَ » .

٩٠٥ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك : قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُونَ لِذَلِكَ (وَقَالَ ابْنُ عَبِيدٍ : فَيَلْهَمُونَ لَذَلِكَ) فَيَقُولُونَ : لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا ! قَالَ فَيَأْتُونَ آدَمَ ﷺ فَيَقُولُونَ : أَنْتَ آدَمُ أَبُو الْخَلْقِ . خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ . وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ . اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا . فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ . فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ . فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا . وَلَكِنْ أَتُّوْا نُوحًا . أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ . قَالَ فَيَأْتُونَ نُوحًا ﷺ . فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ . فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا . وَلَكِنْ أَتُّوْا إِبْرَاهِيمَ ﷺ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللَّهُ خَلِيلًا . فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ . وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا ، وَلَكِنْ أَتُّوْا مُوسَى ﷺ . الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَةَ . قَالَ فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ . وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا . وَلَكِنْ أَتُّوْا عِيسَى ﷺ رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ . فَيَأْتُونَ عِيسَى ﷺ رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ . فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ . وَلَكِنْ أَتُّوْا مُحَمَّدًا ﷺ . عَبْدًا قَدْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ . قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَيَأْتُونِي . فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذِنُ لِي . فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا . فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ . فَيَقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ! ارْفَعْ رَأْسَكَ .

فَأَقْعُ سَاجِدًا . فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي ثُمَّ يُقَالُ : ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ !
 قُلْ تَسْمَعُ . سَلْ تُعْطَهُ . اشفَعْ تُشَفَّعْ . فَأَرْفَعُ رَأْسِي . فَأُحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدِ
 يُعَلِّمْنِيهِ . ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأُخْرِجُهُم مِّنَ النَّارِ ، وَأُدْخِلُهُم الْجَنَّةَ . (قَالَ فَلَا
 أَذْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ قَالَ) فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ! مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ
 الْقُرْآنُ أَيُّ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ » (قَالَ ابْنُ عَبَّيْدٍ فِي رِوَايَتِهِ : قَالَ قَتَادَةُ : أَيُّ وَجَبَ عَلَيْهِ
 الْخُلُودُ) .

وفي رواية ^(١) عن أنس بن مالك ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ :
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً . ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ
 قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً . ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ
 قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً » .

زَاد ابْنُ مَيْهَالٍ فِي رِوَايَتِهِ : قَالَ يَزِيدُ : فَلَقِيتُ شُعْبَةَ فَحَدَّثْتُهُ بِالْحَدِيثِ . فَقَالَ شُعْبَةُ :
 حَدَّثَنَا بِهِ قَتَادَةُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْحَدِيثِ إِلَّا أَنَّ شُعْبَةَ جَعَلَ ، مَكَانَ
 الذَّرَّةِ ، ذَرَّةً . قَالَ يَزِيدُ : صَحَّفَ فِيهَا أَبُو بَسْطَامٍ .

٩٠٦ - * روى الترمذي عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
 « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » .

٩٠٧ - * روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : « أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ ،
 وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَتْهُمْ إِمَاتَةً ، حَتَّى إِذَا
 كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرُ ضَبَائِرَ فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ قِيلَ :

(١) مسلم (١ / ١٨٢) - ١ - كتاب الإيمان - ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

٩٠٦ - الترمذي (٤ / ٦٢٥) - ٣٨ - كتاب صفة القيامة - ١١ - باب منه .

وقال : هذا حديث حسن .

وأبو داود عن أنس (٤ / ٢٣٦) كتاب السنة - باب في الشفاعة . وأحمد في مسنده عن أنس (٣ / ٢١٢) .

٩٠٧ - مسلم (١ / ١٧٣) - ١ - كتاب الإيمان - ٨٢ - باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار .

ضباير : جماعات متفرقة .

يا أهل الجنة أفيضوا عليهم ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ تَكُونُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ » قال رجل من القوم : كَأَن رَسولَ اللَّهِ ﷺ قد كان بالبادية .

٩٠٨ - * روى مسلم عن أبي هريرة : قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ . فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ . وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِّأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَهِيَ نَائِلَةٌ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا » .

٩٠٩ - * روى أحمد وابن حبان عن كعب بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمِّي عَلَى تَلٍّ ، وَيَكْسُونِي رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى خُلَّةَ خَضْرَاءَ ، ثُمَّ يُؤَذِّنُ لِي فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ ، فَذَاكَ الْمَقَامُ الْحَمْدُ » .

٩١٠ - * روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا ، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَقَدُوا ، وَأَنَا مَبْشَرُهُمْ إِذَا أَيْسُوا ، لَوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمئِذٍ بِيَدِي ، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ » .

٩١١ - * روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ : « عَرِضْتُ عَلَى الْأَمَمِ ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيَّ مَعَهُ الرَّجُلُ وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ . وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأَفْقَ ، فَارْجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي ، فَقِيلَ : هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ ، ثُمَّ قِيلَ لِي : انْظُرْ ، فَارَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأَفْقَ ، فَقِيلَ لِي : انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا ، فَارَأَيْتُ سَوَادًا

خَمِيل : الخميل ، ما حمله السيل من الغناء والطين .

٩٠٨ - مسلم (١ / ١٨٩) - كتاب الإيمان - ٨٦ - باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأُمَّته .

٩٠٩ - أحمد في مسنده (٢ / ٤٥٦) .

وابن حبان : موارد الظبان (٦٣٩ / ٤١) - كتاب البعث - ٦ - باب في بعث النبي ﷺ وأُمَّته .

والمستدرک (٢ / ٣٦٣) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

٩١٠ - الترمذي (٥ / ٥٨٥) - ٥٠ - كتاب المناقب - ١ - باب في فضل النبي ﷺ وقال : هذا حديث حسن غريب .

٩١١ - البخاري (١٠ / ٢١١) - ٧٦ - كتاب الطب - ٤٢ - باب من لم يرق .

ومسلم (١ / ١٩٩) - ١ - كتاب الإيمان - ٩٤ - باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب . .

كثيراً سد الأفق ، فقيل : هؤلاء أمّتك ، ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب . فتفرق الناس ولم يبيّن لهم .

٩١٢ - * روى أحمد عن العرياض بن سارية : قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إني عند الله مكتوب خاتم النبيين وإن آدم لَنُجْدِلَ في طينته ، وسأخبركم بأول ذلك : دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني أنه خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام .

فدعوة إبراهيم عليه السلام ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ... ﴾ ^(١) وبشارة عيسى عليه السلام ﴿ وَمَبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ... ﴾ ^(٢) صلى الله عليه وآله وسلم .

وروى الترمذي ^(٣) عن المطلب بن أبي وداعة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق ، فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم فرقتين ، فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً ، وخيرهم نفساً .

٩١٣ - * روى مسلم عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم .

٩١٤ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بُعِثْتُ من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً . حتى كنت من القرن الذي كنت منه » .

٩١٢ - أحمد في مسنده (٤ / ١٢٧) .

وابن حبان : موارد الظمان (٥١٢) والمستدرک (٢ / ٦٠٠) وقال : صحيح الإسناد .

(٢) البقرة : ٦ .

(١) البقرة : ١٢٩ .

(٣) الترمذي (٥ / ٥٨٤) ٥٠ - كتاب المناقب - ١ - باب في فضل النبي ﷺ . وقال : هذا حديث حسن .

٩١٣ - مسلم (٤ / ١٧٨٢) ٤٢ - كتاب الفضائل - ١ - باب فضل نسب النبي ﷺ . وتسليم الحجر عليه قبل النبوة .

٩١٤ - البخاري (٦ / ٥٦٦) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٣ - باب صفة النبي ﷺ .

٩١٥ - * روى مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله عز وجل إذا أراد رحمة أمة من عباده ، قبضَ نبيها قبلها ، فجعله لها قرطاً ، وسلفاً بين يديها ، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ، ونبيها حي ، فأهلكها وهو ينظر ، فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره » .

بل جعل حياته صلى الله عليه وسلم كلها خيراً ورحمة لأمته ، وقد جعلنا هذا الحديث في باب الخصائص لأنه خص بأنه كان رحمة لأمته .

كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال ^(١) : قال رسول الله ﷺ : « حياتي خير لكم ، تحدثون ويحدث لكم . ووفاتي خير لكم ، تُعرض عليّ أعمالكم ، فما رأيت من خير حدثت الله عليه ، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم » .

٩١٦ - * روى البزار والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة » .

٩١٧ - * روى مسلم عن معاوية رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال : « ما أجلسكم ؟ » قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا لدينه ومن علينا بك ... الحديث ، وفي آخره « إن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة » .

إنما جعلنا هذا الحديث في باب الخصائص للإشعار بما أكرم الله به من اتبع نبيه .

٩١٨ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد

٩١٥ - مسلم (٤ / ١٧٩٢) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٨ - إذا أراد الله تعالى رحمة أمة قبض نبيها قبلها .

(١) البزار : كشف الأستار (١ / ٢٩٧) كتاب الجنائز - باب ما يحصل لأمته منه في حياته وبعد وفاته .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٤) : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح .

٩١٦ - البزار : كشف الأستار (٣ / ١١٤) كتاب علامات النبوة - باب بعثته ﷺ .

والمستدرک (١ / ٣٥) وقال : هذا حديث صحيح على شرطهما ، وأقره الذهبي .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٥٧) : رواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط ، ورجاله رجال البزار رجال الصحيح .

٩١٧ - مسلم (٤ / ٢٠٧٥) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - ١١ - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ، وعلى الذكر .

٩١٨ - مسلم (١ / ١٥٧) ١ - كتاب الإيمان - ٧٥ - باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال .

رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ ، وَقَرِيشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ ... » الْحَدِيثُ . وَفِيهِ « وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ... فَحَانَتْ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ ، قَالَ قَائِلٌ : يَا مُحَمَّدُ هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَالتَفْتُ إِلَيْهِ . فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ » .

٩١٩ - * رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « أُتِيتُ بِدَابَّةٍ فَوْقَ الْحَمَارِ وَدُونَ بَغْلٍ ... » الْحَدِيثُ وَفِيهِ : « ثُمَّ دَخَلْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، فَجُمِعَ لِي الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَقَدَمَنِي جَبْرِيلُ حَتَّى أَمَمْتُهُمْ ... » .

٩٢٠ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ، فَتُعْجَلُ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وَقَالَ ﷺ - كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ^(١) « ... النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ ، فَإِذَا ذَهَبَتْ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تَوَعَّدُ ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي ، فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوْعَدُونَ ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي ، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوْعَدُونَ » .

وَقَالَ ﷺ - كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ ^(٢) : « ... أَلَمْ تَعِدْنِي أَنْ لَا تُعَذِّبَهُمْ وَأَنَا فِيهِمْ ؟ أَلَمْ تَعِدْنِي أَنْ لَا تُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ؟ » .

٩٢١ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : إِنْ نَاسًا قَالُوا

٩١٩ - النَّسَائِيُّ (١ / ٢٢١) كِتَابُ الصَّلَاةِ - بَابُ فَرْضِ الصَّلَاةِ .

٩٢٠ - الْبُخَارِيُّ (١٣ / ٤٤٧) ٩٧ - كِتَابُ التَّوْحِيدِ - ٣١ - بَابُ فِي الْمَشْيَةِ وَالْإِرَادَةِ .

وَمُسْلِمٌ وَالنَّفْظُ لَهُ (١ / ١٨٩) ١ - كِتَابُ الْإِيمَانِ - ٨٦ - بَابُ اخْتِبَاءِ النَّبِيِّ ﷺ دَعْوَةَ الشَّفَاعَةِ لِأُمَّتِهِ .

(١) مُسْلِمٌ (٤ / ١٩٦) ٤٤ - كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ - ٥١ - بَابُ بَيَانِ أَنَّ بَقَاءَ النَّبِيِّ ﷺ أَمَانٌ لِأَصْحَابِهِ ، وَبَقَاءُ أَصْحَابِهِ أَمَانٌ لِلْأُمَّةِ .

(٢) أَبُو دَاوُدَ (١ / ٣١٠) كِتَابُ الصَّلَاةِ - بَابُ مَنْ قَالَ يَرْكِعُ رَكَعَتَيْنِ .

٩٢١ - الْبُخَارِيُّ (١٣ / ٤١٩) ٩٧ - كِتَابُ التَّوْحِيدِ - ٢٤ - بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَجْهَ يَوْمَئِذٍ نَاضِرٌ إِلَى رِبِّهَا نَازِرٌ ﴾ .

لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ! هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ .. الحديث وفيه « ويُضربُ الصَّراطُ بين ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ ، فأكونُ أنا وأمتي أولَ من يجيزُ ... » .

ولفظ البخاري : « فأكونُ أولَ من يجيزُ من الرسل بأمتِهِ » .

٩٢٢ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما مِن الأنبياء من نبي إلا قد أُعطيَ من الآياتِ ما مثله آمنَ عليه البشرُ ، وإنما كانَ الذي أُوتيتُ وحياً ، أوحى الله إليَّ ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابِعاً يومَ القيامةِ » .

٩٢٣ - * روى أحمد عن حذيفة رضي الله عنه قال : غاب عنا رسولُ الله ﷺ يوماً ، فلم يخرجْ حتى ظننا أنه لن يخرجْ ، فلما خرجَ سجدةً سجدةً فظننا أن نفسَهُ قد قبضَتْ منها ، فلما رفعَ رأسَهُ قال : « إن ربي تبارك وتعالى استشارني في أمتي ماذا أفعلُ بهم ؟ فقلت : ما شئتَ أي ربِّ ، هم خلقُك وعبادُك ، فاستشارني الثانيةً ، فقلت له كذلك . فقال : لا أحزنُكَ - وفي مجمع الزوائد - : لا نخزيك - في أمتك يا محمدُ ، وبشّرني أن أولَ من يدخلُ الجنةَ من أمتي سبعون ألفاً . مع كل ألف سبعون ألفاً ليسَ عليهم حساب ، ثم أُرسلَ إليَّ فقال : ادعُ تَجِبْ وسلِّ تَعْطَ ، فقلت لرسولِهِ : أو معطيُّ ربي سؤلي ؟ فقال : ما أُرسلني إليك إلا ليعطيكَ ، ولقد أعطاني ربي عز وجلَ ولا فخرَ ، وغفرَ لي ما تقدم من ذنبي وما تأخرَ وأنا أمشي حياً صحيحاً ، وأعطاني أن لا تجوعَ أمتي ، ولا تُغَلَبَ ، وأعطاني الكوثرَ فهو نهرٌ من الجنةِ يسيلُ في حوضي ، وأعطاني العِزَّ والنصرَ ، والرعبُ يسعى بين يديَّ أمتي شهراً . وأعطاني أني أولُ الأنبياء أدخلُ الجنةَ ، وطيبَ لي ولأمتي الغنيمَةُ ،

= ومسلم واللفظ له (١ / ١٦٤) ١ - كتاب الإيمان - ٨١ - باب معرفة طريق الرؤية .

٩٢٢ - البخاري (١٣ / ٢٤٧) ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - ١ - باب قول النبي ﷺ : « بُعثتُ بمِوامعِ الكلم » .

ومسلم واللفظ له (١ / ١٣٤) ١ - كتاب الإيمان - ٧٠ - باب وجوب الإيمان برسالة نبينا ﷺ

٩٢٣ - أحمد في مسنده (٥ / ٣٩٣) بسند حسن .

مجمع الزوائد (٢ / ٢٨٧) وقال : رواه أحمد ، وفيه ابن لهيعة ، وفيه كلام .

وأحلّ لنا كثيراً مما شددَ على من قبلنا ، ولم يجعلْ علينا من حَرَجٍ .

٩٢٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أتى بطعامٍ سألَ عنه : « أَهْدِيَّةٌ أَمْ صَدَقَةٌ ؟ » فإن قيل : صدقة ، قال لأصحابه : « كُلُوا » ولم يأكلْ ، وإن قيل : هديَّة ، ضربَ بيده ﷺ فأكلَ معهم .

٩٢٥ - * روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى بياكورةِ الثَّبرِ وضعها على عَيْنَيْهِ ثُمَّ على شَفَتَيْهِ ، ثُمَّ يُعْطِيهِ مَنْ يَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الصَّبِيَّانِ .

٩٢٦ - * روى أحمد عن أبي واقد أن النبي ﷺ : كان أخفَّ الناسِ صلاةً على الناسِ ، وأطولَ الناسِ صلاةً لنفسِهِ ﷺ .

٩٢٧ - * روى أبو داود عن عبد الله بن بشرٍ : كان النبي ﷺ إذا أتى بسابِ قسومٍ لم يَسْتَقْبِلِ البابَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ ، ولكنْ مِنْ رُكْنِهِ الْأَيْمَنِ أَوِ الْأَيْسَرِ ، ويقولُ : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ » .

٩٢٨ - * روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان أحبَّ الشَّرابِ إلى رسول الله ﷺ الحَلْوُ البَارِدُ .

٩٢٩ - * روى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها : أن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أَبْغَضَ الْخَلْقِ إِلَيْهِ الْكَذِبُ .

٩٢٤ - البخاري (٥ / ٢٠٣) ٥١ - كتابُ الهبة - ٧ - باب قبول الهدية .

ومسلم (٢ / ٧٥٦) ١٣ - كتاب الزكاة - ٥٣ - باب قبول النبي ﷺ للهدية ورده الصدقة .

٩٢٥ - المعجم الكبير (١١ / ١١٦) . وجمع الزوائد (٥ / ٣٩) .

٩٢٦ - أحمد في مسنده (٥ / ٢١٨) وهو صحيح . جمع الزوائد (٢ / ٧٠) .

٩٢٧ - أبو داود واللفظ له (٤ / ٣٤٨) كتاب الأدب - باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان . وهو صحيح .

٩٢٨ - الترمذي (٤ / ٣٠٧) ٢٧ - كتاب الأشربة - ٢١ - باب ما جاء أي الشراب كان أحب إلى رسول الله ﷺ .

أحمد في مسنده (٦ / ٣٨ ، ٤٠) وهو صحيح .

٩٢٩ - جمع الزوائد (١ / ١٤٢) .

وقال رواه البزار وأحمد بنحوه .

٩٣٠ - * روى أبو داود عن أبي موسى رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال : « بَشُّرُوا وَلَا تُنْفَرُوا ، وَيَسِّرُوا وَلَا تَعْسِرُوا » .

٩٣١ - * روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا بلغه عن الرجل شيء لم يقل : ما بال فلان يقول ؟ ولكن يقول : « ما بال أقوام يقولون كذا وكذا » .

٩٣٢ - * روى مسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم : إذا أنزل عليه الوحي كُرب لذلك وتزبد وجهه .

٩٣٣ - * روى البخاري ومسلم عن كعب بن مالك رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سُر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر .

٩٣٤ - * روى ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أرحم الناس بالصبيان والعيال .

٩٣٥ - * روى البخاري عن أنس رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يرد الطيب .

٩٣٦ - * روى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه .

٩٣٧ - * روى البخاري ومسلم عن المغيرة رضي الله عنه قال : إن كان النبي ﷺ ليَقُومَ -

٩٣٠ - أبو داود (٤ / ٢٦٠) كتاب الأدب - باب في كراهية المراء ، وهو صحيح .

٩٣١ - أبو داود (٤ / ٢٥٠) كتاب الأدب - باب في حسن العشرة . وهو صحيح .

٩٣٢ - مسلم (٤ / ١٨١٧) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٢٣ - باب عرق النبي ﷺ في البرد .

٩٣٣ - البخاري (٦ / ٥٦٥) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٣ - باب صفة النبي ﷺ .

ومسلم (٤ / ٢١٢٧) ٤٩ - كتاب التوبة - ٩ - باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبه .

٩٣٤ - ابن عساكر ، وهو صحيح .

٩٣٥ - البخاري (٥ / ٢٠٩) ٥١ - كتاب الحبة - ٩ - باب ما لا يرد من الهدية .

٩٣٦ - الترمذي (٤ / ٢٢٥) ٣٥ - كتاب اللباس - ١٢ - باب في سدل العمامة بين الكتفين وقال : حسن غريب .

٩٣٧ - البخاري (٢ / ١٤) ١١ - كتاب التهجد - ٦ - باب قيام النبي ﷺ الليل .

أو ليُصَلِّي - حتى تَرمَ قدماءه - أو ساقاه - فيقال له ، فيقول : « أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ » .

٩٣٨ - * روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه : أن النبي ﷺ كان يجلسُ على الأرض ، ويأكلُ على الأرض ؛ ويعتقلُ الشاةَ ؛ ويُجيبُ دعوةَ المملوكِ على خبزِ الشعيرِ .

= ومسلم (٤ - ٢١٧٢) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين - ١٨ - باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة .

٩٣٨ - المعجم الكبير (١٢ / ٦٧) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٢٠) : رواه الطبراني وإسناده حسن .

الباب الخامس

في
مُعْجَزَاتِ الرَّسُولِ ﷺ

بين يدي هذا الباب

رَبَّ الله عز وجلّ على بعثة الرسل أشياء كثيرة من وجوب الإيمان بهم ووجوب طاعتهم ونصرتهم كما رَبَّ على ذلك النجاة في الدنيا والأخرى ، ولأهمية هذه المعاني جعل الله عز وجلّ مع الرسل من الآيات ما تقوم به الحجّة على الخلق وذلك من كمال فضله ورحمته جلّ جلاله .

إنّ كالات الرسل عليهم الصلاة والسلام كافية للإيمان بهم ، ومع ذلك فقد أعطاهم ربّهم معجزات تقطع حجج الخصوم وتستدعي الإيمان من عشاق الحق وأهل الإنصاف وخاصة الناس وعامتهم . ولم يعط رسول من الرسل عليهم الصلاة والسلام ما أعطيه رسولنا من مستدعيات الإيمان ؛ لأنّه بعث لكلّ الناس وإلى آخر الناس ، ولذلك كانت أعلام نبوّته لا تنهاى ، ودلائل بعثته لا تحصى ، وكلّ من إنسان استدعى الإيمان منه معنى لطيفاً أو صفة أو خارقة أو نبوءة أو لفظة غير متوقعة ، ولذلك فقد كتب في دلائل نبوّته وأعلام رسالته الكثير ولازال ، ولا يطمع أحد في استقصائها ؛ لأنّ كلّ يوم جديد يأتي بجديد .

* * *

وقد ذكر صاحب الرسالة المستطرفة تسعة وعشرين كتاباً مؤلّفة في الدلائل وأعلام النبوة . وأشهرها كتاب دلائل النبوة لأبي نعيم الحافظ ، ولأبي بكر البيهقي ، وكتاب أعلام النبوة لأبي داود السجستاني ، ودلائل الإعجاز لأبي عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفراييني ، وكتب السيرة للزهرى ، والواقدي ، ومنها الروض الأنف للسهيلى .

وقد حاول الشيخ يوسف النبهاني في كتابه (حجّة الله على العالمين) أن يجمع الكثير وقد أفلح ، ولكنّ هذا الكثير نفسه قليل بالنسبة لما كتب ويمكن أن يكتب ، فصفاته الجسميّة صلى الله عليه وسلم وأخلاقه الشخصيّة وسيرة حياته قبل البعثة وبعدها ، وهديه في كلّ صغيرة وكبيرة ، والقرآن الذي أنزل عليه ، والسنة التي كلّت وأكلت ، ومعجزات كثيرة في كلّ ، ونبوءات كثيرة في كلّ ، وإعجاز القرآن وحده ، وما في هذا الإعجاز من ملامح ، فكلّ دليل على الإعجاز معجزة ، وانطباق البشارات التي بشر بها رسل سابقون عليه ، كلّ ذلك من أعلام نبوّته ودلائل بعثته وكلّ من معجزة تأتي في سياق غزوة ، وكلّ من معجزة تأتي

في سياق توجيهه ، وكم من نبوءة تأتي في معرض إنذار .

كلّ ذلك نقوله للإشعار بأن ما سنذكره في هذا الباب بعض من كل ، هو البعض الأكثر لصوقاً بمضمون هذا الباب .

* * *

وبمناسبة الكلام عن المعجزات والنبوءات ودلائل النبوءة وأعلام الرسالة ، أقول :

إنّ هناك دلائل وأعلاماً تظهر بالمقارنة ، وهناك دلائل تظهر من خلال دراسة البيئة ، وهناك دلائل تظهر من خلال خروجها عن مبدأ الاحتمالات ، فلو أنّك درست معاني الكتاب والسنة فإنّك تعرف استحالة انبثاقها عن البيئة العريية ، ولو أنّك درست تصرفات رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجدتها بالنسبة لعصرها خارقة حتّى ولو كانت لا تخرج عن عالم الأسباب ، نقول هذا كذلك للإشعار بأنّ ما سنذكره في هذا الباب لن ندخل فيه إلا ما كان من الخارقة للعادة مطلقاً ، أو من باب النبوءة الواضحة في الإخبار عن مستقبل وبمثل هذا تقوم الحجّة على كلّ إنسان .

* * *

وسنرى أن كثيراً من المعجزات والنبوءات سترد في سياقات أخرى من هذا القسم ، أو من هذا الكتاب وقد مرّ معنا الكثير من المعجزات فيما مضى ، والمعروف أن المعجزات الرئيسية الكبرى لرسولنا عليه الصلاة والسلام هي القرآن ، فهو معجزة مشتملة على معجزات كثيرة ، وقد ذكرنا ذلك في الباب الثاني عند ظاهرة الوحي ، ومن أكبر المعجزات معجزة انشقاق القمر ، ومعجزة الإسراء والمعراج ، وقد مرّنا معنا من قبل ، وقد ذكرنا في الباب الأول أنواعاً من الخارقات ، وذكرنا كذلك أنواعاً من المعجزات بمناسبة من المناسبات فيما مضى . وههنا سنذكر أمّهات من المعجزات سواء كانت خارقات أو نبوءات ، وواحدة من ذلك كلّها كافية للدلالة على رسالته عليه الصلاة والسلام فكيف إذا اجتمع هذا كلّها مع الخصائص ومع البشارات ومع الثرات والتمكين ؟ ! .

* * *

٩٣٩ - * روى البخاري عن الجعدي ، قال : مرَّ بنا أنسٌ في مسجد بني رفاعَةَ ، فسَمِعْتُهُ يَقُولُ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا مَرَّ بِجَنَابَاتٍ أُمِّ سَلِيمٍ دَخَلَ عَلَيْهَا فَسَلَّمَ عَلَيْهَا ، ثُمَّ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عَرُوساً بَزَيْنَبَ ، فَقَالَتْ لِي أُمُّ سَلِيمٍ : لَوْ أَهْدَيْنَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَدِيَّةً ؟ فَقُلْتُ لَهَا : أَفْعَلِي ، فَعَمَدْتُ إِلَى تَمَرٍ وَسَبْنٍ وَأَقِطٍ ، فَاتَّخَذْتُ حَيْسَةً فِي بُرْمَةٍ ، فَأَرْسَلْتُ بِهَا مَعِيَ إِلَيْهِ ، فَانْطَلَقْتُ بِهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ لِي : « ضَعْهَا » ثُمَّ أَمَرَنِي ، فَقَالَ : « ادْعُ لِي رَجُلًا » سَتَاهُمْ « وَادْعُ لِي مَنْ لَقِيتَ » قَالَ : فَفَعَلْتُ الَّذِي أَمَرَنِي ، فَارْجَعْتُ ، فَإِذَا الْبَيْتُ غَاصَ بِأَهْلِهِ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَيْسَةِ ، وَتَكَلَّمَ بِمَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ جَعَلَ يَدْعُو عَشْرَةَ عَشْرَةَ ، يَأْكُلُونَ مِنْهُ ، وَيَقُولُ لَهُمْ : « اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ، وَلْيَأْكُلْ كُلُّ رَجُلٍ مِمَّا يَلِيهِ » حَتَّى تَصَدَّعُوا كُلُّهُمْ عَنْهَا ، فَخَرَجَ مِنْهُمْ مَنْ خَرَجَ ، وَبَقِيَ نَفَرٌ يَتَحَدَّثُونَ ، قَالَ : وَجَعَلْتُ أَعْتَمُ ، ثُمَّ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ نَحْوَ الْحُجَرَاتِ ، وَخَرَجْتُ فِي إِثَرِهِ ، فَقُلْتُ : إِنَّهُمْ قَدْ ذَهَبُوا ، فَارْجَعْ فَدَخَلَ الْبَيْتُ وَأَرَخَى السُّرَّ ، وَإِنِّي لَفِي الْحُجْرَةِ ، وَهُوَ يَقُولُ : هُوَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرِينَ إِنَاءَهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ ﷺ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ ، وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۖ (١) .

ولسلم (٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ . قَالَ : تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ بِأَهْلِهِ . قَالَ : فَصَنَعَتْ أُمِّي أُمُّ سَلِيمٍ حَيْسًا فَجَعَلْتُهُ فِي تَوْرٍ . فَقَالَتْ : يَا أَنَسُ ! اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَقُلْتُ : بَعَثْتُ بِهَذَا إِلَيْكَ أُمِّي . وَهِيَ تُقَرِّئُكَ السَّلَامَ . وَتَقُولُ : إِنَّ هَذَا لَكَ مِنَّا قَلِيلٌ ،

٩٣٩ - البخاري (١ / ٢٢٦) ٦٧ - كتاب النكاح - ٦٤ - باب الهدية للعروس .

بجَنَابَاتٍ : جَنَابَاتُ الْإِنْسَانِ : نَوَاحِيهِ .

عَرُوسًا : الْعَرُوسُ : يُطْلَقُ عَلَى الرَّجُلِ وَعَلَى الْمَرْأَةِ أَيَّامَ دُخُولِ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِ . التَّوْرُ : إِنَاءٌ يَشْرَبُ فِيهِ ، جَمْعُ أَنْوَارٍ .

أَقِطٌ : الْأَقِطُ . لَبَنٌ مُحَفَّفٌ بِأَبْسٍ صَلْبٍ . حَيْسَةٌ : الْحَيْسَةُ : خَلْطٌ مِنْ تَمْرٍ وَسَبْنٍ وَأَقِطٍ .

بُرْمَةٌ : الْبُرْمَةُ : الْقَدَرُ

تَصَدَّعُوا : أَيِ : تَفَرَّقُوا

(١) الْأَحْزَابُ : ٥٣ .

(٢) مسلم (٢ / ١٠٥١) ١٦ - كتاب النكاح - ١٥ - باب زواج زينب بنت جحش ، ونسوزل الحجاب ، وإثبات وليمة العرس .

يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : فَذَهَبْتُ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَقُلْتُ : إِنَّ أُمِّي تُقْرَأُكَ السَّلَامَ وَتَقُولُ : إِنَّ هَذَا لَكَ مِنَّا قَلِيلٌ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَقَالَ : « ضَعُهُ » ثُمَّ قَالَ : « أَذْهَبُ فَادْعُ لِي فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا وَمَنْ لَقِيتُ . » وَسَمِيَّ رَجُلًا . قَالَ : فَدَعَوْتُ مَنْ سَمِيَّ وَمَنْ لَقِيتُ . قَالَ : قُلْتُ لَأَنْسِي : عَدَدَ كَمْ كَانُوا ؟ قَالَ : زُهَاءُ ثَلَاثِيئَةٍ .

وَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا أَنْسُ ! هَاتِ التَّوْرَ » قَالَ : فَدَخَلُوا حَتَّى امْتَلَأَتِ الصُّفَّةُ وَالْحِجْرَةُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لِيَتَخَلَّقُوا عَشْرَةَ عَشْرَةَ وَلِيَأْكُلُوا كُلُّ إِنْسَانٍ مِمَّا يَلِيهِ » قَالَ : فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا . قَالَ : فَخَرَجْتُ طَائِفَةٌ وَدَخَلْتُ طَائِفَةٌ حَتَّى أَكَلُوا كُلُّهُمْ . فَقَالَ لِي « يَا أَنْسُ ! ارْفَعْ » قَالَ : فَرَفَعْتُ . فَمَا أَذِرِي حِينَ وَضَعْتُ كَانَ أَكْثَرُ أَمْ حِينَ رَفَعْتُ . قَالَ : وَجَلَسَ طَوَائِفُ مِنْهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ ، وَزَوْجَتُهُ مَوْلِيَّةٌ وَجِهَةٌ إِلَى الْحَائِطِ . فَثَقَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَى نِسَائِهِ . ثُمَّ رَجَعَ . فَلَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ رَجَعَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ ثَقَلُوا عَلَيْهِ . قَالَ : فَابْتَدَرُوا الْبَابَ فَخَرَجُوا كُلُّهُمْ . وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَرْخَى السُّتْرَ وَدَخَلَ . وَأَنَا جَالِسٌ فِي الْحِجْرَةِ . فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى خَرَجَ عَلَيَّ . وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ . فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَرَأَهُنَّ عَلَى النَّاسِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاءَهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ ﷺ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ .

قَالَ الْجَعْفَرُ : قَالَ أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ : أَنَا أَخَذْتُ النَّاسَ عَهْدًا بِهَذِهِ الْآيَاتِ . وَحَجَبَنَ نِسَاءَ النَّبِيِّ ﷺ .

ويستفاد من هذا الحديث : أنه يجوز في الدعوة أن يأذن المرسل في ناس معينين

== زُهَاءُ : يقال : القوم زُهَاءُ مِائَةٍ ، أي : قدر مائة .

لِيَتَخَلَّقُوا : التَّخَلَّقُوا : أَنْ يَصِيرَ الْقَوْمُ خَلْقَةً مُجْتَمِعَةً .

أَوَّلَهُم : الْوَلِيَّةُ : طَعَامُ الْفَرَسِ .

فَتَقَرَّرِي : تَقَرَّرِي : مِثْلُ اسْتَقَرَّرِي ، أَيْ : تَنَبَّحَ شَيْئًا فَشَيْئًا .

إِنَاءَهُ : الْإِنَاءُ مَقْصُورٌ : النُّجْجُ .

وفي مبهمين ، لقوله : « من لقيت ، من أردت » وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لتكثير الطعام . قاله النووي .

٩٤٠ - * روى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أخطأني العشاء ذات ليلة مع النبي صلى الله عليه وسلم وأخطأني أن يدعوني أحد من أصحابنا فصليت العشاء ثم أردت أن أنام فلم أقدر ، ثم أردت أن أصلي فلم أقدر ، فإذا رجل عند حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته فإذا هو النبي صلى الله عليه وسلم يصلي ، فصلي ، ثم استند إلى السارية التي كان يصلي إليها فقال : « من هذا ؟ أبو هريرة ! » قلت : نعم . قال : « أخطأك العشاء معنا الليلة » قلت : نعم . قال : « أنطلق إلى المنزل ، فقل هلموا الطعام الذي عندكم » فأعطوني صحفة فيها عصيدة بتمر ، فأتيت بها النبي ﷺ فوضعتها بين يديه ، فقال : « ادع أهل المسجد » فقلت في نفسي : الويل لي مما أرى من قلة الطعام ، والويل لي من المعصية ، فأتى الرجل وهونائم فأوقظته ، وأقول : أجب ، وأتى الرجل وهو يصلي فأقول : أجب ، حتى اجتمعوا عند النبي ﷺ ، فوضع أصابعه فيها وغمز نواحيها ، وقال : « كلوا بسم الله » فأكلوا حتى شبعوا ، وأكلت حتى شبعْتُ . قال : « خذها يا أبا هريرة فارددها إلى آل محمد فما في آل محمد طعام يأكله ذو كبد غير هذه ، أهداها إلينا رجل من الأنصار » فأخذت الصحفة فرفعتها فإذا هي كهيئتها حين وضعتها إلا أن فيها آثار أصابع النبي صلى الله عليه وسلم .

٩٤١ - * روى الطبراني عن أبي هريرة قال : قال لي رسول الله ﷺ : « اجتمع لي أصحابك » فجعلت أتبعهم في المسجد رجلاً رجلاً أوقفهم ، فأتينا باب النبي ﷺ فدخلنا ، فوضعت بين أيدينا صحفة صنيع قدر مدئي شعير ، فقال لنا « كلوا بسم الله » قال

٩٤٠ - أورده الميثقي في جمع الزوائد (٨ / ٣٠٨) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات .

عصيدة : دقيق يُلْت باليمن ويُطبخ .

غمز نواحيها : ضغط عليها بإصبعه .

٩٤١ - أورده الميثقي في جمع الزوائد (٨ / ٣٠٨) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات .

صنيع : الطعام يدعى إليه .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ وَضَعَتِ الصَّحْفَةَ : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا فِي آلِ مُحَمَّدٍ شَيْءٌ غَيْرَ مَا تَرَوْنَهُ » فَأَكَلْنَا حَتَّى شَبِعْنَا وَفِيهَا مِنْهُ بَقِيَّةٌ ، وَكُنَّا مَا بَيْنَ السَّبْعِينَ إِلَى الثَّانِينَ فَقُلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ : مِثْلُ إِيشَ كَانَتْ حِينَ فَرَعْتُمْ مِنْهَا ؟ فَقَالَ : مِثْلُهَا حِينَ وَضَعْتَ إِلَّا أَنْ فِيهَا أَثَرُ الْأَصَابِعِ .

٩٤٢ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لَأُمِّ سَلِيمٍ : قَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضَعِيفًا ، أَعْرِفُ فِيهِ الْجُوعَ ، فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ ؟ فَقَالَتْ : نَعَمْ ، فَأَخْرَجْتُ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ ، ثُمَّ أَخَذْتُ خِمَارًا لَهَا ، فَلَفَّتُ الْخُبْزَ بَبِغْضِهِ ، ثُمَّ دَسْتُهُ تَحْتَ ثَوْبِي ، وَرَدَدْتَنِي بِيَعْضِهِ ، ثُمَّ أُرْسَلْتَنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : قَدْ هَبْتُ بِهِ ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ ، وَمَعَهُ النَّاسُ ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أُرْسَلْتُ أَبُو طَلْحَةَ ؟ » قَالَ : فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَقَالَ : « أَلِطْعَامُ ؟ » فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ : « قُومُوا » قَالَ : فَاَنْطَلَقَ وَأَنْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، حَتَّى جِئْتُُ أَبَا طَلْحَةَ ، فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ : يَا أُمُّ سَلِيمٍ ، قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نَطْعِمُهُمْ ، فَقَالَتْ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : فَاَنْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ ، حَتَّى دَخَلَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هَلُمِّي مَا عِنْدَكَ يَا أُمُّ سَلِيمٍ » فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَفَقْتُ ، وَعَصَرْتُ عَلَيْهِ أُمُّ سَلِيمٍ عَكَّةً لَهَا ، فَأَذَمَّتْهُ ، ثُمَّ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ، ثُمَّ قَالَ : « ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ » فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا ، ثُمَّ قَالَ : « ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ » فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، ثُمَّ خَرَجُوا ، ثُمَّ قَالَ : « ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ » حَتَّى أَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا ، وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ رَجُلًا أَوْ ثَمَانُونَ .

= إِيْشَ : أَيُّ شَيْءٍ .

٩٤٢ - الْبُخَارِيُّ (٥٨٦ / ٦) ٦١ - كِتَابُ الْمَنَاقِبِ - ٢٥ - بَابُ عَلَامَاتِ النَّبِوَةِ فِي الْإِسْلَامِ .

وَمُسْلِمٌ (١٦١٢ / ٣) ٣٦ - كِتَابُ الْأَشْرِيَةِ - ٢٠ - بَابُ جَوَازِ اسْتِتْبَاعِهِ غَيْرِهِ إِلَى دَارٍ مِنْ يَثْقُ بِرِضَاهُ بِذَلِكَ .

الْعَكَّةُ : الْوَعَاءُ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الشُّنْثُ .

فَأَذَمَّتْهُ : أَيُّ خَلَطَتْهُ بِالْخَبِيزِ ، وَجَعَلَتْهُ لَهُ أَدْمًا .

وللبخاري نحوه عن أنس ^(١) : أن أم سليم - أمة - عَمَدَت إلى مُدٍ من شعير جَشْتَه وجعلت منه خطيفةً وَعَصَرَت عكة عندها ، ثم بَعَثَتني إلى النبي ﷺ فَأَتَيْتُهُ - وهو في أصحابه - فَدَعَوْتُهُ . قال : « وَمَنْ مَعِي » فَجِئْتُ فَقُلْتُ : إنه يقولُ وَمَنْ مَعِي . فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو طَلْحَةَ قال : يا رسولَ الله ، إنا هُوَ شَيْءٌ صَنَعْتُهُ أُمُّ سَلِيمٍ فَدَخَلَ ، فَجِئْتُ بِهِ وقال : « أَدْخِلْ عَلَيَّ عَشْرَةَ » فَأَدْخَلُوا فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا . ثم قال : « أَدْخِلْ عَلَيَّ عَشْرَةَ » فَدَخَلُوا فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا . ثم قال : « أَدْخِلْ عَلَيَّ عَشْرَةَ » . حتى عَدَّ أَرْبَعِينَ . ثم أَكَلَ النبي ﷺ ، ثم قام . فَجَعَلْتُ أَنْظُرَ هل تَقْصُ منها شيء ؟ .

ولسالم قال ^(٢) : بعثني أَبُو طَلْحَةَ إلى رسولِ الله ﷺ لأَدْعُوهُ ، وقد جعل طعاماً . قال : فَأَقْبَلْتُ ورسولُ الله ﷺ مع الناس ، فنظَرَ إليَّ ، فاستحييتُ فَقُلْتُ : أَجِبْ أَبَا طَلْحَةَ ، فقال للناسِ : « قوموا » فقال أَبُو طَلْحَةَ : يا رسولَ الله إنا صَنَعْتُ لَكَ شَيْئاً ، قال فمسها رسولُ الله ﷺ ، ودعا فيها بالبركة ، ثم قال : « أَدْخِلْ نَفْراً من أصحابي عَشْرَةَ » وقال : « كلوا » وأخرج لهم شَيْئاً من بين أصابعه ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، فَخَرَجُوا ، فقال : « أَدْخِلْ عَشْرَةَ » فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، فإِذَا يُدْخِلُ عَشْرَةَ . وَيُخْرِجُ عَشْرَةَ ، حتى لم يَبْقَ منهم أَحَدٌ إلا دخل فأكل ، حتى شَبِعَ ، ثم هَيَّأَهَا ، فإذا هِيَ مِثْلُهَا حين أَكَلُوا منها .

وفي أخرى نحوه ، وفي آخره ^(٣) : ثم أَخَذَ ما بقي ، فَجَمَعَهُ ثم دعا فيه بالبركة ، قال : فعادَ كما كان ، فقال : « دُونَكُمْ هَذَا » .

وفي أخرى بهذه القصة ، وفيه ^(٤) : فقام أَبُو طَلْحَةَ على الباب ، حتى أَقْبَلَ رسولُ الله ﷺ ، فقال له : يا رسولَ الله ، إنا كانَ شيءٌ يسير ، قال : « هَلُمَّ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ فِيهِ الْبَرَكَةَ » .

(١) البخاري (٥٧٤ / ٩) - كتاب الأَطْعِمَةِ - ٤٨ - باب مَنْ أَدْخَلَ الصُّيْفَانَ عَشْرَةَ عَشْرَةَ .

جَشْتُهُ : أي : طحنته طحناً قليلاً لتطبخه .

الخطيفة : أن يؤخذ قليل لبن ويذرُ عليه دقيق ، ثم يطبخ ، فيلققه الناس .

(٢) مسلم (١٦١٢ / ٣) - كتاب الأَشْرِيَةِ - ٣٠ - باب جَوَازِ اسْتِتْبَاعِهِ غَيْرِهِ إِلَى دَارٍ مِنْ يَثْقُ بِرِضَاهُ بِذَلِكَ .

(٣) مسلم في نفس الموضع السابق (١٦١٢ / ٣) .

(٤) مسلم في الموضع السابق .

وفي أخرى بنحو هذا ، وفيه ^(١) : ثم أكل رسول الله ﷺ وأكل أهل البيت ، وأفضلوا ما أبلغوا جيرانهم .

وفي أخرى قال ^(٢) : رأى أبو طلحة رسول الله ﷺ مضطجعا في المسجد ، يتقلب ظهره لبطن وساق الحديث ، وقال فيه : ثم أكل رسول الله ﷺ وأبو طلحة ، وأم سليم ، وأنس ، وفضلت فضلة فأهديناه لجيراننا .

٩٤٣ - * روى الطبراني عن جابر بن عبد الله قال : صنعت أُمي طعاما ، وقالت : اذهب إلى رسول الله ﷺ فادعه فجئت النبي ﷺ فسارزته فقلت : إن أُمي قد صنعت شيئا ، فقال لأصحابه : « قُومُوا » فقام معه خمسون رجلا ، فجلس على الباب فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أُدْخِلْ عَشْرَةَ عَشْرَةَ » فأكلوا حتى شبعوا وَفَضَلَ نَحْوُ مَا كَانَ .

٩٤٤ - * روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : لما خَفِرَ الخندقُ رأيتُ برسول الله ﷺ خَمَصًا ، فانكفأتُ إلى امرأتي ، فقلت لها : هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟ فإني رأيتُ برسول الله ﷺ خَمَصًا شديداً ، فأخرجت لي جراباً فيه صاع من شعير ، ولنا بهيمة داجنٌ ، قال : فذبحتُها ، وطحنتُ ، وفرغتُ إلى فراغي ، فقطعتُها في بُرْمَتِها ، ثم وُلّيتُ إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : لا تفضخني برسول الله ﷺ وَمَنْ مَعَهُ ، فَجِئْتُهُ فسارزته ، فقلت : يا رسول الله ، إنا قد ذبحنا بهيمة لنا ، وطحنتُ صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت في نفر معك ، فصاح النبي ﷺ ، وقال : « يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ ، إِنْ

= هَلْتُمْ : هاته .

(١) مسلم في نفس الموضع السابق (١٦١٤ / ٣) .

(٢) مسلم في نفس الموضع السابق (١٦١٤ / ٤) .

٩٤٣ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٠٨ / ٨) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله وثقوا . سارزته : ناجيته برأ .

٩٤٤ - البخاري (٣٩٦ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٩ - باب غزوة الخندق ، وهي الأحزاب .

ومسلم (١٦١٠ / ٣) ٣٦ - كتاب الأشربة - ٢٠ - باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يشق برضاه بذلك .

الحصص والخبيص : الضامر البطن . البهيمة : تصغير البهمة ، وهي ولد الضأن ، ويقع على المذكور منها والمؤنث .

الداجن : الشاة التي تألف البيت وتربى فيه .

=

جابرًا قد صنع لكم سوراً فحَيَّهْلا بكم» وقال رسول الله ﷺ : « لا تُنْزِلَنَّ بُرْمَتَكُمْ ، ولا تَخْبِزَنَّ عَجِينَتَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ » فَجِئْتُ ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ ، حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي ، فَقَالَتْ : بِكَ ، وَبِكَ ، فَقُلْتُ : قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتَ لِي ، فَأَخْرَجْتُ لَهُ عَجِينَتًا فَبَصَقَ فِيهَا وَبَارَكَ ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا ، فَبَصَقَ فِيهَا وَبَارَكَ ، ثُمَّ قَالَ : « ادْعِي خَازِنَةَ فَلْتَخْبِزْ مَعَكَ ، وَأَقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ ، وَلا تُنْزِلُوهَا » وَهِيَ أَلْفٌ ، فَأَقْسِمُ بِاللَّهِ لَأَكْلُوا حَتَّى تَرْكُوهُ وَانْحَرِفُوا ، وَإِنْ بُرْمَتُنَا لَتَغِطُّ كَأْسِي ، وَإِنْ عَجِينَتُنَا لَتُخْبِزُ كَأْسِي .

٩٤٥ - * روى الترمذي عن سَمَرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ تَتَدَاوَلُ فِي قَصْعَةٍ عَنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى اللَّيْلِ ، يَقُومُ عَشْرَةٌ ، وَيَقْعُدُ عَشْرَةٌ ، قُلْنَا : فَمَا كَانَتْ تُمَدُّ ؟ قَالَ : مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَعْجَبُ ؟ مَا كَانَتْ تُمَدُّ إِلَّا مِنْ هَاهُنَا ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ .

٩٤٦ - * روى أحمد عن علي رضي الله عنه قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أو دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب فيهم زَهْطٌ كُلُّهُمْ يَأْكُلُ الْجَذْعَةَ وَيَشْرَبُ الْفَرْقَ ، قَالَ : فَصَنَعَ لَهُمْ مِدًّا مِنْ طَعَامٍ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا . قَالَ وَبَقِيَ الطَّعَامُ كَمَا هُوَ كَأَنَّهُ لَمْ

== السور : لفظة فارسية ، معناها : الولبة والطعام الذي يدعى إليه ، قال الأزهري : في هذا أن النبي ﷺ قد تكلم بالفارسية .

خيهلا : كلمتان جعلتا كلمة واحدة ، ومعناها : تعالوا وعجلوا .
بك وبك : أي ذمته ودعت عليه ، وقيل معناه : بك تلحق الفضيحة وبك يتعلق الذم ، وقيل معناه : جرى هذا برأيك وسوء نظرك وتسببك .

اقدحي : قَدَحْتُ الْقِدْرَ : إذا غرفت ما فيها ، والقديح : اللرق ، فعيل بمعنى مفعول ، والمقدحة : المغرفة .
لَتَغِطُّ : غَطَّتِ الْقِدْرُ نَغِطٌ : وغطيها : صوتها .

٩٤٥ - الترمذي (٥ / ٥٩٢) ٥٠ - كتاب المناقب - ٥ - باب في آيات إنبات نبوة النبي ﷺ ، وما قد خصه الله عز وجل به وقال : هذا حديث حسن صحيح .

٩٤٦ - أحمد في مسنده (١ / ١٥٩) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٣٠٢) : رواه أحمد ، ورجاله ثقات .

زَهْطٌ : الرهط : ما بين الثلاثة إلى التسعة من الرجال .

الْجَذْعَةُ : يقال لولد الشاة في السنة الثانية ، وللبق وذوات الحافر في الثالثة ، وللإبل في الخامسة جَذْعٌ . ويطلق الجَذْعُ عند فقهاء الحنفية ويريدون به ولد الشاة إذا زاد على ستة أشهر .
الْفَرْقُ : بالسكون يساوي مائة وعشرين رطلاً ، وبالفتح نصف صاع .

يس ، ثم دعا يَغْمِرُ فشربوا حتى رَوُّوا ، وبقي الشراب كأنه لم يَمَسْ أو لم يُشْرَبْ ، فقال : « يا بني عبد المطلب إني بُعِثْتُ لَكُمْ خَاصَّةً وإلى الناس بعامية ، وقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم ، فأياكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ؟ » قال : فلم يَقُمْ إليه أحدٌ قال : ففمِتْ إليه ، وكنتُ أصفرُ القوم ، قال : فقال : « اجلس » قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه فيقول : « اجلس » حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي .

٩٤٧ - * روى البزار عن عليٍّ قال : لما نَزَلَتْ : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ^(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا علي ! اصنع رجل شاةٍ بصاعٍ من طعام ، واجمع لي بني هاشم » وهم يومئذ أربعون رجلاً أو أربعون غير رجل . قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطعام ، فوضعه بينهم ، فأكلوا حتى شَبِعُوا ، وإن منهم لَمَن يأكل الجَذعة يادامها ، ثم تناول القدح ، فشربوا حتى تروُّوا - يعني من اللبن - فقال بعضهم : ما رأينا كالسحر - يروُن أنه أبو لهب الذي قاله - فقال : « يا علي اصنع رجل شاةٍ بصاعٍ من طعام ، وأعد قعباً من لبن » قال : ففعلتُ ، فأكلوا كما أكلوا في اليوم الأول ، وشربوا كما شربوا في المرة الأولى وقَضَل كما فضل في المرة الأولى ، فقال : ما رأينا كاليوم في السحر ، فقال : « يا علي اصنع رجل شاةٍ بصاعٍ من طعام ، وأعد قعباً من لبن » ففعلت . فقال : « يا علي اجمع لي بني هاشم » فجمعتهم ، فأكلوا وشربوا فبَدَرَهُم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أَيُّكُمْ يقضي عني ذِئْبِي » قال : فَسَكَتَ وسَكَتَ القوم ، فأعاد رسول الله ﷺ المنطق فقلتُ : أنا يا رسول الله ، فقال : « أنت يا علي ، أنت يا علي » .

القَعْبُ : العددُ الكثيرُ من الناس .

٩٤٧ - كشف الأستار (١٣٧ / ٣) .

وقال الميمني في جمع الزوائد (٨ / ٣٠٣) : رواه البزار واللفظ له ، وأحمد باختصار ، والطبراني في

الأوسط باختصار ، ورجال أحمد وأحد إسنادي البزار رجال الصحيح ، غير شريك ، وهو ثقة .

قعباً : القعب : القدح الضخم الجافي .

(١) الشعراء : ٢١٤ .

٩٤٨ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أن رجلاً أتى النبي ﷺ يستطعمه ، فأطعمته شطر وسق شعير ، فمأزال الرجل يأكل منه وامرأته وضيئها حتى كآلة ، فأتى النبي ﷺ ، فقال : « لو لم تكله لأكلتم منه ، ولقام لكم » .

٩٤٩ - * روى الطبراني عن وائلة بن الأسقع يقول : كنت من أصحاب الصفة ، فشكى أصحابي الجوع ، فقالوا : يا وائلة اذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستطعم لنا ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله إن أصحابي يشكون الجوع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عائشة هل عندك من شيء ؟ » قالت : يا رسول الله ما عندي إلا فتات خبز ، قال : « هاتيه » فجاءت بجراب ، فدعا رسول الله بصفحة فأفرغ الخبز في الصفحة ، ثم جعل يصلح الثريد بيديه وهو يربو ، حتى امتلأت الصفحة ، فقال : « يا وائلة اذهب فجيء بعشرة من أصحابك وأنت عاشرهم » فذهبت فجئت بعشرة من أصحابي وأنا عاشرهم ، فقال : « اجلسوا خذوا بسم الله ، خذوا من حوالئها ، ولا تأخذوا من أعلاها فإن البركة تنحدر من أعلاها » فأكلوا حتى شبعوا ، ثم قاموا وفي الصفحة مثل ما كان فيها ، ثم جعل يصلحها بيده وهي تربو حتى امتلأت ، فقال « يا وائلة اذهب فجيء بعشرة من أصحابك » فجئت بعشرة ، فقال : « اجلسوا » فجلسوا ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم قاموا ، ثم قال : « اذهب فجيء بعشرة من أصحابك » فذهبت فجئت بعشرة ، ففعلوا مثل ذلك ، فقال : « هل بقي أحد ؟ » قلت : نعم عشرة ، قال : « اذهب فجيء بهم » فذهبت فجئت بهم ، فقال : « اجلسوا » فجلسوا فأكلوا حتى شبعوا ، ثم قاموا وبقي في الصفحة مثل ما كان . ثم قال : « يا وائلة اذهب بهذا إلى عائشة » .

٩٤٨ - مسلم (٤ / ١٧٨٤) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٣ - باب في معجزات النبي ﷺ .

شطر : كل شيء : نصفه .

الوسق : ستون صاعاً .

لقام لكم : أي لم يفن أبداً .

٩٤٩ - المعجم الكبير (٢٢ / ٨٦) .

وقال الميثمي في جمع الزوائد (٨ / ٣٠٥) : رواه الطبراني بإسنادين ، وإسناده حسن .

٩٥٠ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنها
 قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ ؟ »
 فَإِذَا مَعَ رَجُلٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ ، أَوْ نَحْوَهُ ، فَمَجَن ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْعَانٌ طَوِيلٌ بَغَمٌ
 يَسُوقُهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « يَبِيعُ ، أَمْ عَطِيَّةٌ ؟ » أَوْ قَالَ : « أَمْ هِبَةٌ ؟ » قَالَ : لَا بَلْ
 يَبِيعُ . فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً ، فَصَنَعَتْ ، وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِسَوَادِ الْبَطْنِ أَنْ يُشَوَّى ، وَأَيْمُ اللَّهِ مَا
 فِي الثَّلَاثِينَ وَالْمِائَةِ إِلَّا وَقَدْ خَزَّ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ خَزَّةٌ مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا ، إِنْ كَانَ شَاهِدًا أَعْطَاهُ ،
 وَإِنْ كَانَ غَائِبًا خَبَأَ لَهُ ، فَجَعَلَ مِنْهَا قَصْعَتَيْنِ ، فَأَكَلُوا أَجْعُونَ ، وَشَبِعْنَا ، فَفَضَلَتْ
 الْقَصْعَتَانِ ، فَحَمَلْنَاهُ عَلَى الْبَعِيرِ .

وفي رواية (١) : فَفَضَّلَ فِي الْقَصْعَتَيْنِ ، فَحَمَلْتُهُ عَلَى الْبَعِيرِ - أَوْ كَمَا قَالَ .

٩٥١ - * روى البزار عن أبي حنيس الغفاري : أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تِهَامَةَ ، حَتَّى إِذْ كُنَّا بَعْضُنَا جَاءَهُ أَصْحَابُهُ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! جَهَدْنَا
 الْجُوعَ فَأَذَنْ لَنَا فِي الظُّهْرِ نَأْكُلَهُ ، قَالَ : « نَعَمْ » فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ! مَاذَا صَنَعْتَ ؟ أَمَرْتَ النَّاسَ أَنْ
 يَنْحَرُوا الظُّهْرَ ، فَعَلَى مَا يَرْكَبُونَ ؟ قَالَ : « فَمَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟ » قَالَ : أَرَى أَنْ
 تَأْمُرَهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِفَضْلِ أَزْوَاجِهِمْ فَتَجْمَعَهُ فِي تَوْرٍ ، ثُمَّ تَدْعُو اللَّهَ لَهُمْ ، فَأَمُرَهُمْ فَجَعَلُوا فَضْلَ

٩٥٠ - البخاري (٥ / ٢٣٠) ٥١ - كتاب الهبة - ٢٨ - باب قبول الهدية من المشركين .

ومسلم (٣ / ١٦٢٧) ٣٦ - كتاب الأشربة - ٣٢ - باب إكرام الضيف وفضل إيثاره .

مضعان : الرأس - بالنون :- إذا كان منتفش الشعر ثائر الرأس .

سواد البطن : الكبد .

(١) مسلم (٣ / ١٦٢٧) ٣٦ - كتاب الأشربة - ٣٢ - باب إكرام الضيف وفضل إيثاره .

٩٥١ - كشف الأستار (٣ / ١٢٨) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٠٣) : رَوَاهُ الْبَزَارُ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَزَادَ فَقَالَ :

مَاتَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ قَالَ أَرَى أَنْ تَأْمُرَهُمْ وَأَنْتَ أَفْضَلُ زَايَا وَزَادَ أَيْضًا ، وَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَنَزَلُوا مَعَهُ وَشَرِبُوا مِنْ

الْمَاءِ هُمْ وَالْكَرَاعُ ثُمَّ خَطَبَهُمْ فِي ثَلَاثَةِ نَفَرٍ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَرَجَالَهُ ثَقَاتٌ .

الظفر : هنا الإبل التي تتركب في السفر (هي اسم جمع وجعلها هنا مفرداً) .

تور : إناء يشرب فيه ، والجمع أتوار .

الكراع : الخيل .

أزوادهم في تور، ثم دعا لهم، ثم قال: «إيتوا بأوعيتكم» فلا كل إنسان منهم وعاءه، ثم أذن بالرحيل، فلما جاوزوا مطيروا، فنزل ونزلوا معه، فشربوا من ماء السماء، فجاء ثلاثة نفر فجلس اثنان مع النبي صلى الله عليه وسلم وذهب الآخر معرضاً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة، أما واحد فاستحيا من الله فاستحيا الله منه وأما الآخر فأقبل تائباً فتأب الله عليه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه».

٩٥٢ - * روى البخاري ومسلم عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فأصابنا جبهة، حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرينا، فأمرنا نبي الله ﷺ، فجمعنا مزادنا، فبسطنا له نطعاً، فاجتمع زاد القوم على النطع، قال: فتطاولت لأحرزكم كم هو؟ فحرزته كربيضة العنز، ونحن أربع عشرة مائة، قال: فأكلنا حتى شبعنا جميعاً، ثم حشونا جربنا، فقال نبي الله ﷺ: «فهل من وضوء؟» قال: فجاء رجل يداووه له، فيها نطفة، فأقرعها في قدر، فتوضأنا كلنا، ندغفقه دغفقه، أربع عشرة مائة، قال: ثم جاء بعد ذلك ثمانية، فقالوا: هل من طهور؟ فقال رسول الله ﷺ: «فرغ الوضوء».

وهذا لفظ البخاري: قال سلمة: خفت أزواد الناس وأملقوا، فأتوا النبي ﷺ في نحر إبلهم، فأذن لهم، فلقيهم عمر فأخبروه فقال: ما بقاؤكم بعد إبلكم، فدخل عمر على

٩٥٢ - البخاري (١٢٩ / ٦) ٥٦ - كتاب الجهاد - ١٢٣ - باب حمل الزاد في الغزو .

ومسلم (٣ / ١٢٥٤) ٣١ - كتاب اللقطة - ٥ - باب استحباب خلط الأزواد إذا قلت، والمواساة فيها .

ومسلم أيضاً عن أبي هريرة (١ / ٥٦) ١ - كتاب الإيمان ١٠ - باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً .

مزادنا: وفي رواية أزوادنا، وفي بعضها تراودنا، والمزاد جمع مزود كمنبر: وهو الوعاء الذي يحمل فيه الزاد . وهو ما يتزوده المسافر لسفره من الطعام، والتراود معناه ما تزودناه .

النطفة: الماء القليل، ومنه سبي ماء الرجل: نطفة .

ندغفقه: دغفقت الماء دغفقه: إذا صببته صبا كثيراً .

الإملاق: الافتقار، والمراد: أنهم احتاجوا إلى الزاد .

النبي ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا بَقَاؤُهُمْ بَعْدَ إِبْلَاهِهِمْ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نَادِ فِي النَّاسِ يَأْتُونَ بِفَضْلِ أَرْوَاحِهِمْ » فَدَعَا وَبَرَكَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ دَعَاهُمْ بِأَوْعِيَّتِهِمْ ، فَاحْتَشَى النَّاسُ حَتَّى فَرَّغُوا ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ » .

قال النووي في شرحه على مسلم : وقولهم :

(لو أذنت لنا) هذا من أحسن آداب خطاب الكبار والسؤال منهم فيقال : لو فعلت كذا أو أمرت بكذا لو أذنت في كذا وأشرت بكذا ، ومعناه لكان خيراً أو لكان صواباً ورأياً متيناً أو مصلحة ظاهرة وما أشبه هذا ، فهذا - أجل من قولهم للكبير : افعل كذا بصيغة الأمر وفيه أنه لا ينبغي لأهل العسكر من الغزاة أن يضيعوا دوابهم التي يستعينون بها في القتال بغير إذن الإمام ، ولا يأذن لهم إلا إذا رأى مصلحة أو خاف مفسدة ظاهرة والله أعلم اهـ .

٩٥٣ - * روى أحمد عن النعمان بن مقرن قال : قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَرْبَعَاءٍ مِنْ مَزِينَةٍ ، فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَمْرِهِ ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا طَعَامَ تَزْوَدَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَعَمْرُ : « زَوَّدَهُمْ » فَقَالَ : مَا عِنْدِي إِلَّا فَاضِلَةٌ مِنْ تَمْرٍ ، وَمَا أَرَاهَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئاً : فَقَالَ : « أَنْطَلِقُوا فزودهم » فأنطلق بنا إلى عليّة له ، فإذا فيها تمر مثل البكر الأورق ، فقال : خذوا فأخذ القوم حاجتهم . قال : وَكُنْتُ أَنَا فِي آخِرِ الْقَوْمِ ، قَالَ : فَالْتَفْتُ وَمَا أَفْقَدْتُ مَوْضِعَ تَمْرَةٍ ، وَقَدْ احْتَمَلَ مِنْهُ أَرْبَعَاءُ رَجُلٍ .

٩٥٤ - * روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَمَرَاتٍ ،

٩٥٣ - أحمد في مسنده (٤٤٥ / ٥) .

وقال المهيبي في جمع الزوائد (٣٠٤ / ٨) : رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

مزينة : قبيلة من قبائل العرب .

عليّة : الغرفة في الطابق الثاني من الدار وما فوقه والجمع علالي .

البكر : الفقي من الإبل .

الأوراق : من الإبل : ما في لونه يياض إلى سواد .

٩٥٤ - الترمذي (٦٨٥ / ٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٤٧ - باب مناقب أبي هريرة رضي الله عنه . وهو حديث حسن .

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ فِيهِنَّ بِالْبَرَكَةِ فَضَمَنَ ثُمَّ دَعَا لِي فِيهِنَّ بِالْبَرَكَةِ ، فَقَالَ : « خُذْهُنَّ وَاجْعَلْهُنَّ فِي مِرْوَدِكَ هَذَا أَوْ فِي هَذَا الْمِرْوَدِ كُلَّمَا أَرَدْتَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا فَأَدْخِلْ فِيهِ يَدَكَ فَخُذْهُ وَلَا تَنْثُرْهُ نَثْرًا » فَقَدْ حَمَلْتُ مِنْ ذَلِكَ التَّمْرِ كَذَا وَكَذَا مِنْ وَسْقٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَكُنَّا نَأْكُلُ مِنْهُ وَنَطْعِمُ ، وَكَانَ لَا يَفَارِقُ حَقْوِي حَتَّى كَانَ يَوْمُ قَتْلِ عُثْمَانَ فَإِنَّهُ انْقَطَعَ .

وزاد رزين : من حقوي ، فسقط فحزنت عليه حزناً شديداً .

٩٥٥ - * روى البخاري ؛ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : أن أباه تُوْفِيَ وترك ثلاثين وسقاً لرجلٍ من اليهود ، فاستنظرة جابر ، فأبى أن ينظرة ، فكلم جابر رسول الله ﷺ ليشفع له إليه ، فجاءه رسول الله ﷺ ، فكلم اليهودي ليأخذ تمر نخله بالذي له ، فأبى ، فدخل رسول الله ﷺ النخل ، فمشى فيها ، ثم قال لجابر : « جُدْ لَهُ ، فَأَوْفِ الذي له » فجده بعد مارجع رسول الله ﷺ ، فأوفاه ثلاثين وسقاً ، وفضلت له سبعة عشر وسقاً ، فجاء جابر رسول الله ﷺ ليخبره بالذي كان ، فوجده يصلي العصر ، فلما انصرف أخبره بالفضل ، فقال « أَخْبِرْ ذَلِكَ ابْنَ الْخَطَّابِ » فذهب جابر إلى عمر فأخبره ، فقال له عمر : لقد علمت حين مشى فيها رسول الله ﷺ لِيُبَارَكُنْ فيها .

وفي رواية أخرى قال ^(١) : تُوْفِيَ أَبِي وَعَلِيهِ دَيْنٌ ، فعرضتُ على غَرَمَائِهِ أَنْ يَأْخُذُوا التمر بما عَلَيْهِ ، فَأَبَوْا ، وَلَمْ يَرَوْا أَنَّ فِيهِ وَقَاءً ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : « إِذَا جَدَدْتَهُ فَوَضَعْتَهُ فِي الْمِرْبَدِ أَذْنَتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » فجاء ومعه أبو بكر وعمر ، فجلس عليه ودعا بالبركة ، ثم قال : « ادْعُ غَرَمَاءَكَ فَأَوْفِهِمْ » فما تركتُ أحداً له على أبي

= المزود : كنير ، وهو الوعاء الذي يحمل فيه الزاد .

الحقو : مشد الإزار ، وسمي الإزار نفسه حقوا لذلك .

٩٥٥ - البخاري (٥ / ٦٠) ٤٢ - كتاب الاستقراض - ٩ - باب إذا قاص أو جازفه في الدين تمراً بقر أو غيره .

فاستنظره : الاستنظار : طلب التأخير إلى وقت آخر ، وأنظرتَه : أخرته .

الجنداد : قطع ثمر النخل ، وهو الصرام .

(١) البخاري (٥ / ٣١٠) ٥٣ - كتاب الصلح - ١٣ - باب الصلح بين الغرماء وأصحاب الميراث ، والمجازفة في ذلك .

المربد : موضع التمر الذي يجمع فيه .

دَيْنَ الْأَقْصِيَّةِ ، وَقَضَلَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ وَسْقًا : سَبْعَةَ عَجُوةَ ، وَسِتَّةَ لَوْنٍ - أَوْ سِتَّةَ عَجُوةَ وَسَبْعَةَ لَوْنٍ - فَوَافَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَغْرِبَ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ ، فَضَحَكَ ، فَقَالَ : « أَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرٌ فَأَخْبَرَهُمَا » فَقَالَا : لَقَدْ عَلِمْنَا إِذْ صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا صَنَعَ أَنْ سَيَكُونُ ذَلِكَ .

وقال في رواية ^(١) : « صلاة العصر » وفي رواية ^(٢) : « صلاة الظهر » .

وفي أخرى قال ^(٣) : تَوَقَّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ ، فَاسْتَعْنْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ عَلَى غَرَمَائِهِ أَنْ يَضَعُوا مِنْ دَيْنِهِ ، فَطَلَبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ ، فَلَمْ يَفْعَلُوا ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : « اذْهَبْ ، فَصَنَّفْتُ تَمْرَكَ أَصْنَافًا : الْعَجُوةَ عَلَى حِدَةٍ ، وَعَذَقْتُ ابْنَ زَيْدٍ عَلَى حِدَةٍ ، ثُمَّ أَرْسَلْتُ إِلَيَّْ » فَفَعَلْتُ ، ثُمَّ أَرْسَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَجَلَسَ عَلَى أَعْلَاهُ - أَوْ فِي وَسْطِهِ - ثُمَّ قَالَ : كَيْلٌ لِلْقَوْمِ ، فَكَيْلَتْهُمْ ، حَتَّى أَوْفَيْتَهُمُ الَّذِي لَهُمْ ، وَبَقِيَ نَرِي كَأَنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ شَيْءٌ .

وفي رواية ^(٤) : فَمَا زَالَ يَكِيلُ لَهُمْ حَتَّى أَذَاهُ .

وفي أخرى نحوه ، وفيه زيادة ، قال جابر رضي الله عنه ^(٥) : أُصِيبَ عَبْدُ اللَّهِ وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا ، فَطَلَبْتُ إِلَى أَصْحَابِ الدَّيْنِ أَنْ يَضَعُوا بَعْضًا مِنْ دَيْنِهِ فَأَتَوْا ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَاسْتَشْفَعْتُ بِهِ فَأَتَوْا . فَقَالَ : « صَنَّفْتُ تَمْرَكَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْهُ عَلَى حِدَتِهِ : عَذَقْتُ ابْنَ زَيْدٍ عَلَى حِدَةٍ ، وَاللَّيْنَ عَلَى حِدَةٍ ، وَالْعَجُوةَ عَلَى حِدَةٍ ، ثُمَّ أَحْضَرْتُهُمْ حَتَّى أَتَيْتُكَ » فَفَعَلْتُ . ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَعَدَ عَلَيْهِ ، وَكَالَ لِكُلِّ رَجُلٍ حَتَّى اسْتَوْفَى ، وَبَقِيَ التَّمْرُ كَمَا هُوَ كَأَنَّهُ لَمْ

(١) البخاري معلقاً في نفس الموضع السابق .

(٢) البخاري معلقاً في نفس الموضع السابق .

(٣) البخاري (٤ / ٣٤٤) - ٣٤ - كتاب البيوع - ٥١ - باب الكيل على البائع والمُعطي .

على حدة : منفرداً ، يعني كل جنس وحده .

عَذَقَ زَيْدٌ : نوع من التمر بالمدينة معروف ، وكذلك اللَّيْنَةُ وَالْعَجُوةُ ، وَقِيلَ : اللَّيْنَةُ ، وَاللُّونُ : وَاحِدُ الْأَلْوَانِ ، وَهُوَ عِنْدَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ : كُلُّ تَمْرٍ لَيْسَ بِعَجُوةٍ ، وَقِيلَ : اللَّيْنَةُ : جَمِيعُ النَّخْلِ مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ ، وَالْأَوَّلُ أَشْبَهُ .

(٤) البخاري (٤ / ٣٤٤) - ٣٤ - كتاب البيوع - ٥١ - باب الكيل على البائع والمُعطي .

(٥) البخاري (٥ / ٦٧) - ٤٣ - كتاب الاستقراض - ١٨ - باب الشفاعة في وضع الدين .

يُؤَمِّسُ وَغَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى نَاضِحٍ لَنَا ، فَأَزْحَفَ الْجَمْلُ فَتَخَلَّفَ عَلَى فَوْكَزَةِ النَّبِيِّ ﷺ .

وفي أخرى ^(١) : أَنَّ أَبَاهُ اسْتَشْهَدَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ سِتَّ بَنَاتٍ وَتَرَكَ عَلَيْهِ دِينَارًا ، فَلَمَّا خَضِرَ جِذَازُ النَّخْلِ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ وَالِدِي اسْتَشْهَدَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ عَلَيْهِ ذَنْبًا كَثِيرًا ، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ الْغُرَمَاءُ ، قَالَ : « اذْهَبْ فَيَبِيدِرْ كُلَّ تَمْرٍ عَلَى نَاحِيَةٍ » فَفَعَلْتُ ، ثُمَّ دَعَوْتُهُ ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ أَغْرَوْا بِي تِلْكَ السَّاعَةَ ، فَلَمَّا رَأَى مَا يَصْنَعُونَ طَافَ حَوْلَ أَعْظَمِهَا تَبِيدِرًا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : « ادْعُ أَصْحَابَكَ » فَازَالَ يَكِيلُ لَهُمْ حَتَّى أَدَّى اللَّهُ أَمَانَةَ وَالِدِي ، وَأَنَا وَاللَّهُ رَاضٍ أَنْ يُؤَدِّيَ اللَّهُ أَمَانَةَ وَالِدِي وَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَخَوَاتِي تَمْرَةً ، فَسَلَّمَ وَاللَّهُ الْبَيَادِرُ كُلُّهَا حَتَّى أَنِي أَنْظُرُ إِلَى الْبَيَدِرِ الَّذِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ تَمْرَةً وَاحِدَةً .

وفي أخرى ^(٢) : أَنَّ أَبَاهُ تُوِّفِيَ وَعَلَيْهِ ذَيْنِ ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ : إِنَّ أَبِي تَرَكَ عَلَيْهِ دِينَارًا ، وَلَيْسَ عِنْدِي إِلَّا مَا يُخْرِجُ نَخْلَهُ ، وَلَا يَبْلُغُ مَا يَخْرِجُ سَنِينَ مَا عَلَيْهِ ، فَاَنْطَلِقُ مَعِيَ لِكَيْلَا يُفْجِشَ عَلَيَّ الْغُرَمَاءُ ، فَشَى حَوْلَ تَبِيدِرٍ مِنْ بِيَادِرِ التَّمْرِ ، فَدَعَا ، ثُمَّ أَخَّرَ ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : « انْزِعُوهُ فَأَوْفَاهُمْ الَّذِي لَهُمْ ، وَبَقِيَ مِثْلُ مَا أُعْطَاهُمْ » .

وفي أخرى ^(٣) : أَنَّ أَبَاهُ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا ، فَاسْتَدَّ الْغُرَمَاءُ فِي حَقِّهِمْ ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمْتُهُ ، فَسَأَلَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا تَمْرَ حَائِطِي ، وَيَحْلُلُوا أَبِي ، فَأَبَوْا ، فَلَمْ يُعْطِهِمْ وَلَمْ يَكْسِرْهُ لَهُمْ ، وَلَكِنْ قَالَ : « سَأَعُدُّوْا عَلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » ، فَقَدَا عَلَيْنَا حِينَ أَصْبَحَ ، فَطَافَ فِي النَّخْلِ ، فَدَعَا فِي ثَمَرِهِ بِالْبَرَكَةِ ، فَجَدَدَتْهَا ، فَقَضَيْتُهُمْ حَقُّوْقَهُمْ ، وَبَقِيَ لَنَا مِنْ ثَمَرِهَا

(٢) البخاري (٥ / ٤١٣) ٥٥ - كتاب الوصايا - ٣٦ - باب قضاء الوصي ديون الميت بغير محضر من الورثة .

البيئرة : جمع الثمرة في البيدر ، وهو المكان الذي تجمع فيه قبل نقلها إلى البيوت ، وكذلك موضع الغلات يسمى تبديرًا .

أغريت : فلاناً بفلان : إذا حملته على قصده ، والمراد : أنهم لجؤا في مطالبتي الخوا والسبب : طمعهم أن يساعده النبي ﷺ في القضاء والدائن يهودي ، وقد فعل اليهود مثل هذا يوم مكتبة سلمان الفارسي .

(٤) البخاري (٦ / ٥٨٧) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٥ - باب علامات النبوة في الإسلام .

(٣) البخاري (٥ / ٢٢٤) ٥١ - كتاب الهبة - ٢١ - باب إذا وهب ديناً على رجل .

بقية ، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو جالس فأخبرته بذلك ، فقال رسول الله ﷺ لعمر وهو جالس : « اسْمَعْ يَا عُمَرُ » فقال عمر : أَلَا يَكُونُ قَدْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ؟ وَاللَّهِ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ .

وفي رواية أبي داود ^(١) : أَنَّ أَبَاهُ تُوْفِي وَتَرَكَ عَلَيْهِ ثَلَاثِينَ وَسْقًا لِرَجُلٍ مِنْ يَهُودٍ ، فَاسْتَنْظَرَهُ جَابِرٌ فَأَبَى ، فَكَلَّمَ جَابِرٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ إِلَيْهِ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَلَّمَ الْيَهُودِيَّ لِيَأْخُذَ ثَمَرَ غُلَّةٍ بِالَّذِي لَهُ عَلَيْهِ ، فَأَبَى عَلَيْهِ ، وَكَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُنْظِرَهُ ، فَأَبَى ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ .

وللنسائي في رواية قال ^(٢) : كَانَ لِيَهُودِيٍّ عَلَى أَبِي ثَمَرٌ ، فَقَتَلَ يَوْمَ أَحَدٍ ، وَتَرَكَ حَدِيقَتَيْنِ ، وَتَمَرُ الْيَهُودِيِّ يَسْتَوْعِبُ مَا فِي الْحَدِيقَتَيْنِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « هَلْ لَكَ أَنْ تَأْخُذَ الْعَامَ نِصْفَهُ ، وَتُؤَخَّرَ نِصْفَهُ ؟ » فَأَبَى الْيَهُودِيُّ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « هَلْ لَكَ أَنْ تَأْخُذَ الْجِدَادَ ؟ » فَأَذْنِي ، فَأَذْنَتْهُ ، فَجَاءَ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ ، فَجَعَلَ يُجَدُّ وَيُكَالُ مِنْ أَسْفَلِ النَّخْلِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِالْبَرَكَةِ ، حَتَّى وَفَيْنَاهُ جَمِيعَ حَقِّهِ مِنْ أَصْغَرِ الْحَدِيقَتَيْنِ ، فَمَا يَحْسِبُ عَمَّارٌ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُمْ بِرُطَبٍ وَمَاءٍ ، فَأَكَلُوا وَشَرَبُوا ثُمَّ قَالَ : « هَذَا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تَسْأَلُونَ عَنْهُ » .

قال ابن حجر : وأصناف تمر المدينة كثيرة جداً ، فقد ذكر الشيخ أبو محمد الجويني في « الفروق » أنه كان بالمدينة فبلغه أنهم عدوا عند أميرها صنوف التمر الأسود خاصة فزادت على الستين . قال : والتمر الأحمر أكثر من الأسود عندهم .

٩٥٦ - * روى أحمد والدارمي عن جابر بن عبد الله قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين ليقاتلهم فقال أبي عبد الله : يا جابر لا عليك أن تكون في نظاري

(١) أبو داود (١١٩ / ٣) كتاب الوصايا - باب في الرجل يموت وعليه دين وله وفاء يُسْتَنْظَرُ غَرْمَاؤُهُ وَيُرْفَقُ بِالْوَارِثِ .

(٢) النسائي (٢٤٦ / ٦) كتاب الوصايا - باب قضاء الدين قبل الميراث .

٩٥٦ - أحمد في مسنده (٣ / ٣٩٧ ، ٣٩٨) . وإسناده حسن .

والدارمي واللفظ له (١ / ٢٢) في المقدمة . باب ما أكرم به النبي ﷺ في بركة طعامه .

أهل المدينة ، حتى تعلم إلى ما يصير أمرنا ، فإني والله لولا أني أترك بنات لي بعدي لأحببت أن تقتل بين يدي . قال : فبينما أنا في الناظرين إذ جاءت عمتي بأبي وخالي لتدفنهما في مقابرنا فلحق رجل ينادي : إن النبي صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تردوا القتلى فتدفنوها في مضجعها حيث قتلت ، فرددناها فدفناها في مضجعها حيث قتلت فبينما أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ جاءني رجل فقال : يا جابر بن عبد الله ، لقد أثار أباك عمال معاوية ، فبدأ فخرج طائفة منهم ، فانطلقت إليه فوجدته على النحو الذي دفنته ، لم يتغير إلا ما لم يدع القتل قال : فواريته . وترك أبي عليه ذئناً من التمر ، فاشتد عليّ بعض غرماؤه في التقاضي ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله إن أبي أصيب يوم كذا وكذا ، وإنه ترك عليه ذئناً من التمر ، وإنه قد اشتد عليّ بعض غرماؤه في الطلب ، فأحب أن تعينني عليه لعله أن ينظرني طائفة من غره إلى هذا الصرام المقبل ، قال : « نعم آتيك إن شاء الله قريباً من وسط النهار » ، قال : فجاء ومعه حواريوه ، قال : فجلسوا في الظلّ وسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأذن ، ثم دخل علينا قال : وقد قلت لامرأتي : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء اليوم وسط النهار فلا يرتك ، ولا تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ولا تكلميه ففرشت فراشاً ووسادة فوضع رأسه فنام . فقلت لِمَولى لي : اذبح هذه العناق - وهى ذاجن سمينة - فالوحا والعجل ، افرغ منها قبل أن يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معك ، فلم نزل فيها حتى فرغنا منها وهو نائم . فقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يستيقظ يدعوا بطهوره ، وأنا أخاف إذا فرغ أن يقوم - أي أن يذهب - فلا يفرغ من طهوره حتى يوضع العناق بين يديه . فلما استيقظ قال : « يا جابر إيتني بطهور » قال : نعم ، فلم يفرغ من وضوئه حتى وضعت العناق بين يديه . قال : فنظر إليّ فقال : « كأنك قد علمت حبنا للحم . ادع أبا بكر » ثم دعا حواريه ، قال : فجاء بالطعام فوضع . قال : فوضع يده وقال : « بسم الله كلوا » ، فأكلوا حتى شبعوا ، وفضل منها لحم كثير . وقال : [الراوي

= أثار أباك : أي قلب الأرض عن أبيك .
الصرام المقبل : أي وقت اجتناء التمر من العام الآتي .
فالوحا : أي فالإسراع في ذلك ، ثم أكد ذلك بقول (والعجل) .

جابر] والله إن مجلس بني سامة لينظرون إليهم : هو (أي النبي ﷺ) أحب إليهم من أعينهم ما يقربونه مخافة أن يؤذوه . ثم قام وقام أصحابه فخرجوا بين يديه ، وكان يقول : « خلّوا ظهري للملائكة » قال : فاتبعتهن حتى بلغت أسكفة الباب ، فأخرجت امرأتي صدرها وكانت ستيرة ، فقالت : يارسول الله صلّ عليّ وعلى زوجي . قال « صلى الله عليك وعلى زوجك » ثم قال : ادعوا لي فلاناً ، للغريم الذي اشتد عليّ في الطلب ، فقال : « أنسي جابراً طائفة من دينك الذي على أبيه إلى هذا الصّرام المقبل » قال ما أنا بفاعل . قال : واعتل وقال : إنما هو مال يتامى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أين جابر ؟ » قال : قلت : أنا ذا يا رسول الله . قال : « كل له من العجوة فإن الله تعالى سوف يوفّيه » فرفع رأسه إلى السماء فإذا الشمس قد دلت . قال : « الصلاة يا أبا بكر » قال : فاندفعوا إلى المسجد . فقلت لغريمي : قرب أو عيتك ، فكلمت له من العجوة فوفّاه الله ، وفضل لنا من التمر كذا وكذا ، قال : فجئت أسعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده كأني شرارة ، فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى ، فقلت له : يا رسول الله إني قد كلمت لغريمي ثمرة فوفّاه الله ، وفضل لنا من التمر كذا وكذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أين عمر بن الخطاب ؟ » قال : فجاء يهزول قال : « سل جابر بن عبد الله عن غريمه وقرمه » قال : ما أنا بسائله . قد علمت أن الله سوف يوفّيه إذ أخبرت أن الله سوف يوفّيه . فردّد عليه وردّد عليه هذه الكلمة ثلاث مرات ، كل ذلك يقول : ما أنا بسائله . وكان لا يراجع بعد المرة الثالثة فقال : ما فعل غريمك وقرمك ؟ قال : قلت : وفّاه الله وفضل لنا من التمر كذا وكذا

= خلّوا ظهري للملائكة : أي سيرا أمامي . وهذه من تواضعه ﷺ .

أسكفة الباب : عتبة .

- قوله (فقالت : يا رسول الله صلّ عليّ وعلى زوجي) : الصلاة : الدعاء والاستغفار وفيه جواز كلام المرأة للرجال عند الحاجة وبشرط العفة .

أنسي : أنسى .

كأني شرارة : أي من السرعة والفرح .

قوله : ما أنا بسائله : رفض عمر رضي الله عنه السؤال بسبب تصديقه بمعجزة النبي ﷺ . وأمر النبي ﷺ لعمر بالسؤال بسبب سروره لمباركة الله في تمر جابر .

فرجعتُ إلى امرأتي . فقلت : ألم أكن نَهَيْتُكَ أَنْ تكلمي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي ؟ فقالت : تظن أن الله تعالى يُورِدُ نَبِيَّةً في بيتي ثم يخرج ولا أسأله الصلاة عليّ وعلى زوجي .

٩٥٧ - * روى البخاري عن البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : تَعَدُّونَ أَنْتُمْ الْفَتْحَ فَتَحَ مَكَّةَ ، وَقَدْ كَانَ فَتَحَ مَكَّةَ فَتَحًا ، وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً - وَالْحُدَيْبِيَّةَ بَثْرَ - فَتَرَحُّنَاهَا ، فَلَمْ تَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَأَتَاهَا ، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِهَا ، ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ ، فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ مَضَضَ وَدَعَا ، ثُمَّ صَبَّ فِيهَا ، فَتَرَكْنَاهَا غَيْرَ بَعِيدٍ ، ثُمَّ إِنَّمَا أَصْدَرْتَنَا مَا شِئْنَا نَحْنُ وَرِكَابُنَا .

وَفِي رِوَايَةٍ نَحْوُهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ ^(١) : « أَتُؤْنِي بَدَلِي مِنْ مَائِهَا » فَأَتَيْتُ بِهِ فَبَصَقَ فَدَعَا ، ثُمَّ قَالَ : « دَعَوْهَا سَاعَةً » قَالَ : فَأَرَوْا أَنْفُسَهُمْ وَرِكَابَهُمْ حَتَّى ارْتَحَلُوا .

قال ابن حجر :

قوله (ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان) يعني قوله تعالى ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ ^(٢) وهذا موضع وقع فيه اختلاف قديم ، والتحقيق أنه يختلف ذلك باختلاف المراد من الآيات ، فقوله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ المراد بالفتح هنا الحديبية لأنها كانت مبدأ الفتح المبين على المسلمين ، لما ترتب على الصلح الذي وقع منه الأمن ورفع الحرب وتمكن من يخشى الدخول في الإسلام والوصول إلى المدينة من ذلك كما وقع لخالد بن الوليد وعمر بن العاص وغيرها : ثم تبعت الأسباب بعضها بعضاً إلى أن كمل الفتح . وقد ذكر ابن إسحاق في المغازي عن الزهري قال : لم يكن في الإسلام فتح قبل فتح الحديبية أعظم منه إنما كان الكفر حيث القتال ^(٣) فلما أمن الناس كلهم كمل بعضهم بعضاً وتفاوضوا في

٩٥٧ - البخاري (٧ / ٤٤١) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٥ - باب غزوة الحديبية .

غير بعيد : أي فترة يسيرة .

(١) البخاري في نفس الموضع .

(٢) الفتح : ١ .

(٣) أقول : إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت المدينة ووضعت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضاً والتفوا =

الحديث والمنازعة ولم يكلم أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلا بادر إلى الدخول فيه ، فلقد دخل في تلك السنتين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر . اهـ .

٩٥٨ - * روى ابن خزيمة عن جابر بن عبد الله : سَافَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَا فِي الْقَوْمِ طَهُورٌ ؟ » قَالَ : فَجَاءَ رَجُلٌ بِفَضْلِ مَاءٍ فِي إِدَاوَةٍ . قَالَ : فَصَبَّهُ فِي قَدَحٍ فَتَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . قَالَ : ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ أَتَوْا بِقِيَّةِ الطَّهْورِ . فَقَالَ - (أَحَدُهُمْ) - تَمَسَّحُوا بِهِ ، فَسَمِعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَقَالَ : « عَلَى رُسُلِكُمْ » فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ فِي الْقَدَحِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ ، ثُمَّ قَالَ : « أُسْبِغُوا الطَّهْورَ » فَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : وَالَّذِي أَذْهَبَ بَصْرِي - قَالَ : وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ بَصْرَةُ - لَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَرْفَعْ يَدَهُ حَتَّى تَوَضَّؤُوا أَجْمَعُونَ قَالَ عَبِيدَةُ ، قَالَ الْأَسْوَدُ ، حَسِبْتُهُ قَالَ : كُنَّا مَائَتَيْنِ أَوْ زِيَادَةً .

٩٥٩ - * روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا نَعُدُّ الْآيَاتِ بَرَكَةً ، وَأَنْتُمْ تَعْدُونَهَا تَخْوِيفًا ، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ ، فَقَالَ الْمَاءُ ، فَقَالَ : « اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ » فَجَاؤُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ ، ثُمَّ قَالَ : « حَيٌّ عَلَى الطَّهْورِ الْمُبَارَكِ ، وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى » فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَقَدْ كُنَّا نَسْتَعِ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ .

وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ قَالَ ^(١) : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ : فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً ، فَأَتَى بِتَوْرٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَتَفَجَّرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، وَيَقُولُ : « حَيٌّ عَلَى الطَّهْورِ ، وَالْبَرَكَةُ

= فتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه .

٩٥٨ - صحيح ابن خزيمة (١ / ٥٧) كتاب الوضوء - باب إباحة الوضوء من فضل وضوء المتوضئ وإسناده صحيح .

٩٥٩ - البخاري (٦ / ٥٨٧) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٥ - باب علامات النبوة في الإسلام .

وأتم تعدونها تخويفاً : إشارة إلى أن المخاطبين بعد وفاة رسول الله ﷺ أخذوا ينظرون إلى الآيات بخوف وذلك أخذاً من قوله تعالى : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتيناهم ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً ﴾ (الإسراء : ٥٩) .

وإنما تغيرت النظرة بين الجليل والجميل ؛ لأن الصحابة كانوا آمنين بوجود رسول الله ﷺ بينهم .

(١) النسائي (١ / ٦٠) كتاب الطهارة - باب الوضوء من الإناء .

مِنْ اللَّهِ تَعَالَى .

قال الأعمش : فحدثني سالم بن أبي الجعد قال : قلت لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : ألف وخمسة .

٩٦٠ - * روى ابن ماجه عن ابن عباس قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! لَقَدْ جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ قَوْمٍ مَا يَتَزَوَّدُ لَهُمْ رَاعٌ ، وَلَا يَخْطُرُ لَهُمْ فَعْلٌ فَصَعِدَ الْمُنْبَرُ ، فَحَمِدَ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ أَسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيئًا طَبَقًا مَرِيئًا غَدَقًا عَاجِلًا غَيْرَ رَائِي » ثُمَّ نَزَلَ فَمَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ مِنْ وَجْهِهِ مِنَ الْوَجْهِ إِلَّا قَالُوا قَدْ أَحْيَيْنَا .

٩٦١ - * روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : ربما ذَكَرْتُ قولَ الشاعر - وأنا أنظرُ إلى وجه رسول الله ﷺ ، فما ينزلُ حتى يجيشَ كلُّ ميزاب :

وَأَيْبُضُ يُسْتَسْقَى الْغَيْمُ بِوَجْهِهِ يُنَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ

وهو قول أبي طالب .

٩٦٠ - ابن ماجه (١ / ٤٠٤) ٢٥ - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها - ١٥٤ - باب ما جاء في الدعاء في الاستسقاء . وقال البوصيري في الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات .
ما يتزود لهم راع : يعنى من الجذب والفقر ، فلا يخرج لهم راع .
ولا يخطر لهم فعلٌ : المراد بيان ضعف الفعل الذي هو أقوى من الأنثى وهي من خطر البعير بذنبه إذا رفعه مرة بعد مرة .
قال السندي :

« قوله (مريئاً) بالهمز بمعنى محمود العاقبة (مريئاً) بضم الميم وفتحها مع كسر الراء والياء التحتانية من الريع وهو الزيادة . قوله طبقاً أي مائلاً إلى الأرض مغطياً . يقال غيث طبق أي عام واسع قوله عاجلاً في الحال . غير رائي أي بطيء متأخر . يقال راث يريث بالثلثلة إذا أبطأ . أ هـ .

٩٦١ - البخاري معلقاً (٢ / ٤٩٤) ١٥ - كتاب الاستسقاء - ٢ - باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا تحطوا . قال الحافظ في « الفتح » : قوله : (وقال عمر بن حنظلة) ، أي : ابن عبد الله بن عمر ، وسالم شيخه وهو عمه ، وعمر يختلف في الاحتجاج به ، وكذلك عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار المذكور في الطريق الموصولة فاعتضدت إحدى الطريقتين بالأخرى ، وهو من أمثلة إحدى قسمي الصحيح ، كما تقرر في علوم الحديث ، وطريق عمر بن حنظلة المعلقة وصلها أحمد وابن ماجه والإسماعيلي من رواية أبي عقيل عبد الله بن عقيل الثقفي عنه . قال السندي : قوله حتى يجيش : في القاموس جاش البحر يجيش إذا علا ، والعين إذا فاضت ، والوادي إذا جرى ، وقال السيوطي : يجيم وشين معجمة أي يتدفق ويجري بالماء وقوله شمال اليتامى : الفيات يقال : فلان يُنَالُ قومه أي غياث لهم يقوم بأمرهم .

٩٦٢ - * روى مالك عن أبي الطَّفِيلِ غَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ ؛ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ أَخْبَرَهُ ، أَنَّهُمْ خَرَجُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، غَامَ تَبُوكَ . فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ ، وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ . قَالَ : فَأَخَّرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا . ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا ، ثُمَّ دَخَلَ . ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا . ثُمَّ قَالَ : « إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، عَيْنَ تَبُوكَ . وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يَضْحَى النَّهَارُ . فَمَنْ جَاءَهَا فَلَا يَمَسُّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا . حَتَّى آتِيَ » فَجِئْنَاهَا ، وَقَدْ سَبَقْنَا إِلَيْهَا رَجُلَانِ . وَالْعَيْنُ تَبَضُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ . فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هَلْ مَسِسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا ؟ » فَقَالَا : نَعَمْ . فَسَبَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ . ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعَيْنِ ، قَلِيلًا قَلِيلًا . حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ ثُمَّ غَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فِيهِ وَجْهَةٌ وَيَدَيْهِ . ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا . فَجَرَّتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ كَثِيرٍ . فَاسْتَقَى النَّاسُ . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَوْشِكُ ، يَا مُعَاذُ ، إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ ، أَنْ تَرَى مَا هُنَا قَدْ مَلَأَ جَنَانًا » .

٩٦٣ - * روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحَدِيثِيَّةِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ زَكْوَةٌ ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ - وَفِي رِوَايَةٍ ^(١) : جَهَشَ النَّاسُ نَحْوَهُ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا لَكُمْ ؟ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ بِهِ وَلَا نَشْرَبُ ، إِلَّا مَا فِي زَكْوَتِكَ ، قَالَ : فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فِي الزَّكْوَةِ ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعَيُونِ ، قَالَ : فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا ، قَالَ : فَقُلْتُ لَجَابِرٍ : كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكُنَّا ، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً .

هَذَا حَدِيثُ الْبُخَارِيِّ ، وَهُوَ أَثَمٌ ، وَلَمْ يُخَرِّجْ مُسْلِمٌ مِنْهُ إِلَّا قَوْلَهُ ^(٢) : لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكُنَّا ، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً .

٩٦٢ - الموطأ (١ / ١٤٣) ٩ - كتاب قصر الصلاة في السفر - ١ - باب الجمع بين الصلاتين في الحضر والسفر .

٩٦٣ - البخاري (٧ / ٤٤١) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٥ - باب غزوة الحديبية .

الجهش : أن يفرغ الإنسان إلى الإنسان ؛ وهو مع ذلك يريد أن يبكي كالصبي يفرغ إلى أمه .

(١) البخاري (٦ / ٥٨١) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٥ - باب علامات النبوة في الإسلام .

(٢) مسلم (٣ / ١٤٨٤) ٣٣ - كتاب الإمارة - ١٨ - باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال .

وَلَهُ أَيْضاً فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ ، قَالَ ^(١) : قُلْتُ لَجَابِرٍ : كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : أَلْفًا وَأَرْبَعًا ، لَمْ يَزِدْ .

وَلِلْبُخَارِيِّ أَنَّ جَابِرًا قَالَ ^(٢) : قَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ حَضَرَتِ الْعَصْرَ ، وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ غَيْرُ فَضْلِهِ ، فَجُعِلَ فِي إِنَاءٍ ، فَأَتَانِي النَّبِيُّ ﷺ بِهِ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ ، وَفَرَّجَ أَصَابِعَهُ ، ثُمَّ قَالَ : « حَيَّ عَلَى أَهْلِ الْوُضُوءِ ، وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ » فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَتَفَجَّرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ وَشَرَبُوا ، فَجَعَلْتُ لَا آلُو مَا جَعَلْتُ فِي بَطْنِي مِنْهُ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ بَرَكَةٌ ، قُلْتُ لَجَابِرٍ : كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : أَلْفًا وَأَرْبَعًا .

قَالَ الْبُخَارِيُّ : وَقَالَ حُصَيْنٌ وَعَمْرُو بْنُ مُرَّةٍ عَنْ سَالِمٍ عَنْ جَابِرٍ : خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً .

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ ^(٣) مِنْ رِوَايَةِ حُصَيْنٍ وَعَمْرُو بْنِ مُرَّةٍ بِالْإِسْنَادِ .

وَلِلْبُخَارِيِّ ^(٤) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ الْمُسَيْبِ : أَنَّ قَتَادَةَ قَالَ لَهُ : لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ كَانَ يَقُولُ : كَانُوا أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً فَقَالَ لِي سَعِيدٌ : حَدَّثَنِي جَابِرٌ : كَانُوا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً ، الَّذِينَ بَايَعُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ .

قَالَ الْبُخَارِيُّ تَابِعَهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ قُرَّةَ عَنْ قَتَادَةَ ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ : عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ ابْنَ الْمُسَيْبِ قَالَ : نَسِيَ جَابِرٌ ، كَانُوا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً وَلَمْ يَقُلْ : حَدَّثَنِي جَابِرٌ .

٩٦٤ - * رَوَى أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسِيرٍ فَأَتَيْنَا عَلَى رَكْبَتَيْ دِمْنَةٍ - أَيْ قَلِيلَةِ الْمَاءِ - قَالَ : فَزِلَ فِيهَا سِتَّةٌ أَنَا سَادِسُهُمْ

(١) مُسْلِمٌ فِي نَفْسِ الْمَوْضِعِ السَّابِقِ .

(٢) الْبُخَارِيُّ (١٠ / ١٠١) ٧٤ - كِتَابُ الْأَثَرِ - ٣١ - بَابُ شُرْبِ الْبَرَكَةِ . وَالْمَاءُ الْمُبَارَكُ .

(٣) مُسْلِمٌ (٣ / ١٤٨٤) ٣٣ - كِتَابُ الْإِمَارَةِ - ١٨ - بَابُ اسْتِحْبَابِ مِبَايَعَةِ الْإِمَامِ الْجَيْشِ عِنْدَ إِرَادَةِ الْقِتَالِ .

(٤) الْبُخَارِيُّ (٧ / ٤٤٣) ٦٤ - كِتَابُ الْمَغَازِي - ٣٥ - بَابُ غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ .

٩٦٤ - أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٤ / ٢٨٢) وَالْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ (٢ / ٣٦) .

وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (٨ / ٣٠٠) : رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ ، وَرَجَّلَاهُمَا رِجَالُ الصَّحِيحِ .

رَكْبَتَانِ : الرُّكْبَتَانِ : الْبُئْرُ لَمْ تَطْوُ ، وَلَمْ تَطْوُ : أَيْ لَمْ تُدْفَنْ بِالْحِجَارَةِ .

دِمْنَةٌ : الدِّمْنَةُ فِي الْأَصْلِ خَشَّاشُ الْأَرْضِ إِذَا اجْتَمَعَ ، وَهَذِهِ بُئْرٌ مَهْجُورَةٌ .

ماحة . قال : فأدليت إلينا دلو قال : ورسول الله ﷺ على شفة الركي . قال : فجعلنا فيها نصفها أو قريب ثلثيها فرفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال البراء : فجئت بإنائي هل أجد شيئاً أجعله في خلقي ؟ فما وجدت ، فرفعت الدلو إلى رسول الله ﷺ فغمس يده فيها ، فقال : ما شاء الله أن يقول : فأعادت إلينا الدلو بما فيها . قال : فقد رأيت آخرنا أخرج بقوة خشية الغرق . قال : ثم ساحت - يعني جرت نهراً - .

٩٦٥ - * روى الحاكم عن عبد الله بن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب : حدثنا عن شأن ساعة العسرة فقال عمر : خرجنا إلى تبوك في قَيْظٍ شديد ، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش ، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ، حتى إن الرجل لينحز بعيره فيعصر قرته فيشربه ، ويجعل ما بقي على كبده فقال أبو بكر الصديق : يا رسول الله إن الله قد عودك في الدعاء خيراً ، فادع له . فقال : « أتحب ذلك ؟ » قال : نعم ، فرفع يديه فلم يرجعها حتى قالت السماء فأظلمت ثم سكبت فلاوا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر ، فلم نجد ما جازت العسكر .

٩٦٦ - * روى البخاري ومسلم عن عمران بن حصين قال : كنا في سفر مع النبي ﷺ ، وإننا أشرينا حتى إذا كنا في آخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة أخلى عند المسافرين منها ، فما أيقظنا إلا حر الشمس ، وكان أول من استيقظ فلان ثم فلان ثم فلان - يسميهم أبو رجاء فنسي عوف - ثم عمر بن الخطاب الرابع ، وكان النبي ﷺ إذا نام لم يوقظ حتى يكون هو يستيقظ لأننا لا ندري ما يحدث له في نومه . فلما استيقظ عمر ورأى ما أصاب الناس - وكان رجلاً جليداً - فكبر ورفع صوته بالتكبير ، فزال يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ بصوته النبي ﷺ ، فلما استيقظ شكوا إليه الذي أصابهم ، قال : « لا ضير

ماحة : من الخج وهي جمع مائح ، وهو الذي ينزل إلى البئر ويملا الدلو .

وذلك إذا قل ماؤها ليسي من يحتاج من القوم .

٩٦٥ - المستدرک (١ / ١٥٩) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

٩٦٦ - البخاري (١ / ٤٤٧) - كتاب التيمم - ٦ - باب الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه من الماء .

ومسلم نحوه (١ / ٤٧٦) - ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - ٥٥ - باب قضاء الصلاة الفاتنة واستحباب تمجيل قضائها .

جليداً : الجليد : الجلد القوي في نفسه وجسه .

- أو لا يَضِيرُ - ارْتَحِلُوا « فارتحلوا ، فسارَ غيرَ بعيدٍ ، ثم نزلَ فدعا بالوضوء فتوضأ ، ونُودِيَ بالصلاة فصلَّى بالناسِ ، فلما انقَتَلَ مِنْ صلاتِهِ إذا هُوَ بِرَجُلٍ مُعْتَزِلٍ لم يُصَلِّ مع القومِ ، قال : « ما مَنَعَكَ يا فلانُ أَنْ تُصَلِّيَ مع القومِ ؟ » قال : أصابَتْني جَنَابَةٌ ولا ماءَ . قال : « عليك بالصَّعيدِ . فإنه يَكْفِيكَ » ثم سارَ النبي ﷺ فاشتكى إليه الناسُ من العطشِ ، فنزلَ فدعا فلاناً - كان يسميه أبو رجاءٍ نسيه أبو عَوفٍ - ودعا علياً فقال : « اذْهَبَا فابْتَغِيَا الماءَ » فانطلقا فتلقيا امرأةً بين مَرادَتَيْنِ - أو سَطِيحَتَيْنِ - من ماءٍ على بَعِيرٍ لها فقالا لها : أينَ الماءُ ؟ قالتُ : عَهْدِي بالماءِ أمسَ هَذِهِ السَّاعَةِ ، وَنَفَرْنَا خُلُوفاً . قالَا لها : انْطَلِقِي إِذَا . قالت : إلى أينَ ؟ قالَا : إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ . قالتِ الذي يُقالُ له الصَّابِيُ . قالَا : هو الذي تَعْنِينَ ، فأنْطَلِقِي . فجاءَ بها إلى النبي ﷺ وَحَدَّثَاهُ الْحَدِيثَ . قال : فاستَنْزَلُوها عن بَعِيرِها ، ودعا النبي ﷺ بِإِنَاءٍ ففَرَّغَ فِيهِ مِنْ أَفْوَهِ الْمَرادَتَيْنِ - أو السَّطِيحَتَيْنِ - وَأَوْكَا أَفْوَاهَها وَأَطْلَقَ الْعَرالِيَّ ونُودِيَ فِي النَّاسِ : اسْقُوا واسْتَقُوا . فسَقَى مَنْ شاءَ واستَقَى مَنْ شاءَ ، وكانَ آخِرَ ذاكَ أَنْ أُعْطِيَ الَّذِي أَصَابَتْهُ الْجَنابَةُ إِناءً مِنْ ماءٍ . قال : اذْهَبْ فَأَفْرِغْهُ عَلَيْكَ . وَهِيَ قائِمَةٌ تَنْظُرُ إلى ما يُفْعَلُ بِها . وإِيمُ اللَّهِ لَقَدْ أُفْلِحَ عَنْها وَإِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْنَا أَنها أَشَدُّ مِلَّةً مِنْها حينَ ابْتَدَأَ فِيها . فقال النبي ﷺ : « اجْمَعُوا لها » فَجَمَعُوا لها - مِنْ عَجْوَةٍ وَدَقِيقَةٍ وَسَوِيقَةٍ حَتَّى جَمَعُوا لها طَعاماً ، فَجَعَلُوها فِي ثَوْبٍ وَحَمَلُوها عَلَى بَعِيرِها وَوَضَعُوا الثَّوبَ بَيْنَ يَدَيْها ، قال لها : « تَعَلَّمِينَ مَارِزُنَّا مِنْ مالِكِ شَيْئاً ، وَلَكِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَسْقانا » فَأَتَتْ أَهْلَها وَقَدِ احْتَبَسَتْ عَنْهُمْ . قالوا : ما حَبَسَكَ يا فلانةُ ؟ قالتُ : الْعَجَبُ ، لَقِيَنِي رَجُلانِ فَذَهَبَا بِي إلى هَذَا الَّذِي يُقالُ لَهُ الصَّابِيُ ، ففَعَلَ كذا وكذا ، فواللَّهِ إِنَّهُ لَأَسْحَرَ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ وَهَذِهِ - وقالتِ بِأَصْبَعَيْها الوُسْطَى والسَّبَّابَةَ فَرَفَعَتْها إلى

= الضَّيْرُ وَالضَّرَرُ : المَضَرَةُ ، ولا يَضِيرُ : لا يَضُرُّ ، إلا أَنَّهُ تَفَعَّلَ مِنَ الضَّيْرِ .

الصَّعيد : وَجْهُ الْأَرْضِ ، وَقِيلَ : التُّرابُ خاصَّةً

النَّفَر : جَماعَةُ الْقَوْمِ .

الْخُلُوف : الغَيْبُ عَنْ الْحَيِّ ، وَالْمَعْنَى : أَنَّ الرِّجالَ قَدْ خَرَجُوا مِنَ الْحَيِّ ، وَأَقامَ النِّساءُ .

الصَّابِي : الَّذِي خَرَجَ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ آخَرَ . وَكانَ الْمُشْرِكُونَ يُسَمُّونَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ : الصَّابِيَّ ، لِمَفارِقَتِهِ دِينَهُمْ .

الْإِيكاءُ : الشَّدُّ وَالرِّبْطُ ، الْوَكاءُ : ما يَشْدُ بِهِ رَأْسَ الْقَرْبَةِ وَغَيرِها مِنْ خِيطٍ وَنَحْوِهِ .

الْعَرالِي : أَفْوَاهُ الْمَرادَةِ السَّفلى ، واحداً : غَزْلاءُ . ما زَرَأَتْ : أَيِ ما أَخَذَنا ولا نَقَصَنا . =

السماء تعني السماء والأرض - أو إنه لرسول الله حقاً . فكان المسلمون بعد ذلك يُغيرون على مَنْ حَوْلَهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا يُصِيبُونَ الضَّرْمَ الَّذِي هِيَ مِنْهُ . فَقَالَتْ يَوْمًا لِقَوْمِهَا : مَا أَرَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يَدْعُونَكَ عَدَاً ، فَهَلْ لَكُمْ فِي الْإِسْلَامِ ؟ فَأَطَاعُوهَا ، فَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ .

٩٦٧ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ ، فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوُضُوءَ ، فَلَمْ يَجِدُوهُ ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِوُضُوءٍ ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ يَدَهُ ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّعُوا مِنْهُ ، قَالَ : فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ ، حَتَّى تَوَضَّعُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ .

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ ^(١) : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا بِمَاءٍ ، فَأَتَى بِقَدَحٍ رَخْرَاحٍ ، فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَتَوَضَّعُونَ ، فَحَزَرْتُ مَا بَيْنَ السَّيْنِ إِلَى الثَّانِيْنَ ، قَالَ : فَجَعَلْتُ أَنْظُرَ إِلَى الْمَاءِ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ .

وَلِلْبُخَارِيِّ قَالَ ^(٢) : حَضَرَتِ الصَّلَاةُ ، فَقَامَ مَنْ كَانَ قَرِيبَ الدَّارِ مِنَ الْمَسْجِدِ يَتَوَضَّعُ ، وَبَقِيَ قَوْمٌ ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِخْضَبٍ مِنْ حِجَارَةٍ فِيهِ مَاءٌ ، فَوَضَعَ كَفَّهُ فَصَفَّرَ الْمِخْضَبَ أَنْ يُسْطَ فِيهِ كَفَّهُ ، فَضَمَّ أَصَابِعَهُ فَوَضَعَهَا فِي الْخَضْبِ ، فَتَوَضَّعَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ، قُلْتُ : كَمْ كَانُوا ؟ قَالَ : ثَمَانُونَ رَجُلًا .

وَلَهُ فِي أُخْرَى قَالَ ^(٣) : خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَعْضِ مَخَارِجِهِ ، وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَانْطَلَقُوا يَسِيرُونَ ، فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ ، فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً يَتَوَضَّعُونَ ، فَانْطَلَقَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ

= الضَّرْمُ : طَائِفَةٌ مِنَ الْقَوْمِ يَتَوَضَّعُونَ بِأَيْدِيهِمْ نَاحِيَةً مِنَ الْمَاءِ مُنْفَرِدِينَ .

٩٦٧ - البخاري (١ / ٢٧١) ٤ - كتاب الوضوء - ٣٢ - باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة .

ومسلم (٤ / ١٧٨٣) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٣ - باب في معجزات النبي ﷺ .

(١) البخاري بنحوه (١ / ٣٠٤) ٤ - كتاب الوضوء - ٤٦ - الوضوء من الشَّوْرِ

ومسلم واللفظ له (٤ / ١٧٨٣) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٣ - باب في معجزات النبي ﷺ .

رَخْرَاح : الْإِنَاءُ الْوَاسِعُ الْقَصِيرُ الْجِدَارُ .

(٢) البخاري (١ / ٥٨١) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٥ - باب علامات النبوة في الإسلام .

الْمِخْضَبُ : إِنَاءٌ وَاسِعٌ يَفْسِلُ النَّاسَ فِيهِ ثِيَابُهُمْ وَيَسْتَعْمَلُ لِمَا سِوَى ذَلِكَ .

(٣) البخاري في نفس الموضع السابق .

فَجَاءَ بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ يَسِيرٍ ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ مَدَّ أَصَابِعَهُ الْأَرْبَعَ عَلَى الْقَدَحِ ، ثُمَّ قَالَ : « قُومُوا فَتَوَضُّؤُوا » ، فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ حَتَّى بَلَغُوا فِيهَا يُرِيدُونَ مِنَ الْوُضُوءِ ، وَكَانُوا سَبْعِينَ ، أَوْ نَحْوَهُ .

وَلَهُمَا فِي رِوَايَةٍ قَالَ ^(١) : أَنِّي النَّبِيُّ ﷺ يَأْنَاءَ وَهُوَ بِالزُّورَاءِ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ .

قَالَ قَتَادَةُ : قُلْتُ لِأَنْسٍ : كَمْ كُنْتُمْ ؟ قَالَ : ثَلَاثًا ثَلَاثَةً ، أَوْ زُهَاءَ ثَلَاثًا ثَلَاثَةً .

وَمُسْلِمٌ ^(٢) : أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ وَأَصْحَابَهُ بِالزُّورَاءِ - قَالَ : وَالزُّورَاءُ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ السُّوقِ وَالْمَسْجِدِ فِيمَا ثَمَّهُ - دَعَا بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ ، فَوَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ فَجَعَلَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، فَتَوَضَّأَ جَمِيعُ أَصْحَابِهِ ، قَالَ : كَمْ كَانُوا يَا أَبَا حَمْرَةَ ؟ قَالَ : كَانُوا زُهَاءَ الثَّلَاثَةِ .

وَالنَّسَائِيُّ قَالَ ^(٣) : طَلَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَضُوءًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مَاءٌ ؟ » فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الْمَاءِ ، وَيَقُولُ : « تَوَضُّؤُوا بِسْمِ اللَّهِ » فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، حَتَّى تَوَضُّؤُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ . قَالَ ثَابِتٌ : قُلْتُ لِأَنْسٍ : كَمْ تَرَاهُمْ ؟ قَالَ : نَحْوًا مِنْ سَبْعِينَ .

٩٦٨ - * رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ ، قَالَ : خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ ، قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِينَا أَبَا الْيَسْرِ ، صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ . مَعَهُ ضِمَامَةٌ مِنْ صَخْفٍ وَعَلَى أَبِي الْيَسْرِ بُرْدَةٌ وَمَعَاوِرِي . وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدَةٌ وَمَعَاوِرِي . فَقَالَ لَهُ أَبِي : يَا عَمُّ ! إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِكَ

(١) البخاري في نفس الموضع السابق (٦ / ٥٨٠) .

ومسلم ٤ (١٧٨٣ / ٤٣) - كتاب الفضائل - ٢ - باب في معجزات النبي ﷺ .

زُهَاءٌ : كَذَا : قَدَّرَ كَذَا وَمَا يَقَارِبُهُ .

(٢) مسلم نفس الموضع السابق .

(٣) النسائي (١ / ٦١) كتاب الطهارة - باب التسمية عند الوضوء .

٩٧٨ - مسلم (٤ / ٢٣٠١) ٥٢ - كتاب الزهد والرقائق - ١٨ - باب حديث جابر الطويل ، وقصة أبي اليسر .

ضِمَامَةٌ : الإضامَةُ مِنَ الْكُتُبِ : الرِّزْمَةُ الْمُجْتَمِعَةُ مِنْهَا ، وَالَّذِي جَاءَ فِي مُسْلِمٍ ضِمَامَةٌ بِغَيْرِ أَلْفٍ .

المَعَاوِرِيُّ : ثَوْبٌ يَنْسَبُ إِلَى مَعَاوِرٍ ، وَهُوَ مَوْضِعٌ بِالْبَلَدِ .

سَفْعَةً مِنْ غَضَبٍ . قَالَ : أَجَلَ كَانَ لِي عَلَى فَلَانِ بْنِ فَلَانٍ الْحَرَامِيِّ مَالٌ . فَأَتَيْتُ أَهْلَهُ فَسَلَّمْتُ . فَقُلْتُ : ثُمَّ هُوَ ؟ قَالُوا : لَا . فَخَرَجَ عَلَيَّ ابْنُ لَهْ جَفَرٍ . فَقُلْتُ لَهُ : أَيْنَ أَبُوكَ ؟ قَالَ : سَمِعَ صَوْتَكَ فَدَخَلَ أَرِيكَةَ أُمِّي . فَقُلْتُ : اخْرُجْ إِلَيَّ . فَقَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ أَنْتَ . فَخَرَجَ . فَقُلْتُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ اخْتَبَأْتَ مِنِّي ؟ قَالَ : أَنَا وَاللَّهِ ! أَحَدْتُكَ . ثُمَّ لَا أَكْذِبُكَ . خَشِيتُ ، وَاللَّهِ ! أَنْ أَحَدْتُكَ فَأَكْذِبَكَ . وَأَنْ أَعِدَكَ فَأُخْلِفَكَ . وَكُنْتُ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَكُنْتُ ، وَاللَّهِ ! مُعْسِراً . قَالَ : قُلْتُ : اللَّهُ ! قَالَ : اللَّهُ ! قُلْتُ : اللَّهُ ! قَالَ : اللَّهُ . قُلْتُ : اللَّهُ ! قَالَ : اللَّهُ . قَالَ فَاتَى بِصَحِيفَتِهِ فَمَحَاَهَا بِيَدِهِ . فَقَالَ : إِنْ وَجَدْتَ قَضَاءً فَأَقْضِي . وَإِلَّا أَنْتَ فِي حِلٍّ . فَأَشْهَدُ بَصَرِ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ (وَوَضَعَ إصْبَعِيهِ عَلَى عَيْنَيْهِ) وَسَمِعَ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ ، وَوَعَاةَ قَلْبِي هَذَا (وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِرِ قَلْبِهِ) رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ : « مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً ، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ ، أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ » .

قَالَ فَقُلْتُ لَهُ أَنَا : يَا عَمَّ ! لَوْ أَنَّكَ أَخَذْتَ بُرْدَةَ غَلَامِكَ وَأَعْطَيْتَهُ مَعَافِرِيكَ ، وَأَخَذْتَ مَعَافِرِيَّ وَأَعْطَيْتَهُ بُرْدَتَكَ ، فَكَانَتْ عَلَيْكَ حَلَّةٌ وَعَلَيْهِ حَلَّةٌ . فَمَسَحَ رَأْسِي وَقَالَ : اللَّهُمَّ ! بَارِكْ فِيهِ . يَا ابْنَ أَخِي ! بَصَرُ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ ، وَسَمِعُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ ، وَوَعَاةَ قَلْبِي هَذَا (وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِرِ قَلْبِهِ) رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ : « أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ . وَالْيَسْؤُومَ مِمَّا تَلْبَسُونَ » . وَكَانَ أَنْ أُعْطِيَتْهُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ حَسَنَاتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

ثُمَّ مَضَيْنَا حَتَّى أَتَيْنَا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فِي مَسْجِدِهِ ، وَهُوَ يُصَلِّي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ،

= السَفْعَةُ : تَغْيِيرُ اللَّوْنِ مِنَ الْغَضَبِ ، وَأَصْلُهُ مِنَ سَفَعَتِ النَّارُ : إِذَا غَيَّرَتْ لَوْنَهُ .

الحَرَامِيُّ : نِسْبَةٌ إِلَى بَنِي حَرَامٍ .

غَلَامٌ جَفَرٌ : أَيُّ مُشْتَدِّ قُوَى .

أَرِيكَةٌ : الْأَرِيكَةُ : السَّرِيرُ الْمُنْضُدُّ عَلَيْهِ فَرَشٌ ، وَدُونُهُ سِتْرٌ ، وَقِيلَ : كُلُّ مَا اتَّكَيْتُ عَلَيْهِ .

قُلْتُ اللَّهُ : أَتَحْلِفُ بِاللَّهِ .

قَالَ اللَّهُ : أَحْلِفُ بِاللَّهِ .

نِياطُ الْقَلْبِ : هُوَ الْعِرْقُ الْمَلْقُ بِالْقَلْبِ .

الْحَلَّةُ : ثَوْبَانِ مِنْ جَنْسٍ وَاحِدٍ .

مُسْتَمِلاً بِهِ . فَتَخَطَّيْتُ الْقَوْمَ حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ . فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ !
 أَتُصَلِّي فِي تَوْبٍ وَاحِدٍ وَرَدَاؤُكَ إِلَيَّ جُنُبَكَ ؟ قَالَ : فَقَالَ يَدِي فِي صَدْرِي هَكَذَا . وَفَرَّقَ
 بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَقَوَّسَهَا : أَرَدْتُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ الْأَحْمَقُ مِثْلَكَ ، فَيَرَانِي كَيْفَ أَصْنَعُ ، فَيَصْنَعُ
 مِثْلَهُ .

أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَسْجِدِنَا هَذَا . وَفِي يَدِي عَرْجُونُ ابْنِ طَابٍ ، قَرَأْتُ فِي قِبْلَةِ
 الْمَسْجِدِ نَخَامَةً فَحَكَهَا بِالْعَرْجُونِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ : « أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ
 عَنْهُ ؟ » قَالَ فَخَشَعْنَا . ثُمَّ قَالَ : « أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ ؟ » قَالَ فَخَشَعْنَا . ثُمَّ
 قَالَ : « أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ ؟ » قُلْنَا : لَا أَيُّنَا ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : « فَإِنْ
 أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَبْلَ وَجْهِهِ فَلَا يَبْصُقَنَّ قَبْلَ
 وَجْهِهِ . وَلَا عَنْ يَمِينِهِ . وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ، تَحْتَ رِجْلِهِ الْيُسْرَى . فَإِنْ عَجَلَتْ
 بِهِ بَادِرَةٌ فَلْيَقْلُ بِتَوْبِهِ هَكَذَا » ثُمَّ طَوَى تَوْبَةً بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ : « أَرُونِي عَبِيراً »
 فَقَامَ فَقِي مِنَ الْحَيِّ يَشْتَدُّ إِلَى أَهْلِهِ . فَجَاءَ بِخَلْقٍ فِي رَاحَتِهِ . فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 فَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِ الْعَرْجُونِ . ثُمَّ لَطَخَ بِهِ عَلَى أَثَرِ النُّخَامَةِ .

فَقَالَ جَابِرٌ : فَمِنْ هُنَاكَ جَعَلْتُمُ الْخَلْقَ فِي مَسَاجِدِكُمْ .

= مُسْتَمِلاً بِهِ : مُتَلَفًا .

العرجون : العود الذي يكون فيه شاربخ عذق الرطب .

عرجون ابن طاب : نوع من رطب المدينة .

النخامة : البرقة التي تخرج من أقصى الحلق من مخرج الحياء المعجمة .

فَخَشَعْنَا : الْفَزَعُ وَالْخَوْفُ ، هَكَذَا رَوَيْنَا هَذِهِ اللَّفْظَةَ فِي كِتَابِ مُسْلِمٍ وَفِي كِتَابِ الْحَيْدِيِّ بِالْجَمِّ ، وَقَدْ ذَكَرَهَا الْحَافِظُ

أَبُو مُوسَى الْأَصْفَهَانِي فِي كِتَابِهِ فِي « تَمَةِ الْغُرَبِيِّينَ » بِالْحَاءِ الْمَعْجَمَةِ مِنَ الْخُشُوعِ ، وَهُوَ الْاسْتِكَانَةُ وَالْخُضُوعُ .

فَإِنْ عَجَلَتْ بِهِ بَادِرَةٌ : أَيِ غَلَبَتْهُ نَخَامَةٌ أَوْ بَصَاقٌ .

فَلْيَقْلُ : فَلْيَفْعَلْ .

أَرُونِي : أَعْطُونِي .

العبير : طيب مخلوط ، وقيل : العبير عند العرب : الزعفران .

يَشْتَدُّ : الْإِشْتِدَادُ : الْقُدُورُ .

الخلوق : طيب له لون أحمر أو أصفر .

سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بَوَاطٍ . وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرِو الْجُهَنِيِّ وَكَانَ النَّاصِحُ يَتَقَبَّهُ مِنَّا الْخُمْسَةُ وَالسَّبْعَةُ . فِدَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاصِحٍ لَهُ فَأَتَاخَهُ فَرَكِبَهُ . ثُمَّ بَعَثَهُ فَتَلَدَّنَ عَلَيْهِ بَعْضُ التَّلَدُّنِ . فَقَالَ لَهُ : شَأْ لَعْنِكَ اللَّهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بَعِيرَهُ ؟ » قَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : « أَنْزِلْ عَنْهُ . فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ . لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ ، لَا تَوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءً ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ » .

سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَتْ عَشِيَشِيَّةً وَدَنَوْنَا مَاءً مِنْ مِيَاهِ الْعَرَبِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ رَجُلٌ يَتَقَدَّمُنَا فَيَمْدُرُ الْحَوْضَ فَيَشْرَبُ وَيَسْقِينَا ؟ » قَالَ جَابِرٌ : فَقُمْتُ فَقُلْتُ : هَذَا رَجُلٌ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَيُّ رَجُلٍ مَعَ جَابِرٍ ؟ » فَقَامَ جَبَّارُ بْنُ صَخْرِ . فَأَنْطَلَقْنَا إِلَى الْبُئْرِ . فَتَزَعْنَا فِي الْحَوْضِ سَجْلًا أَوْ سَجْلَيْنِ . ثُمَّ مَدَرْنَاهُ . ثُمَّ نَزَعْنَا فِيهِ حَتَّى أَفْهَقْنَاهُ . فَكَانَ أَوَّلَ طَالِعِ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَقَالَ : « أَتَأَذْنَانِ ؟ » قُلْنَا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَأُشْرِعَ نَاقَتَهُ فَشَرِبَتْ شَنْقَ لَهَا فَشَجَّتْ فَبَالَتْ . ثُمَّ

= يَتَقَبَّهُ : التمتع ركوب الرفقة على بعير ، واحداً بعد واحد ، أي يركب هذا عقب هذا والعقبه : هي تلك الفعلة .
فتلدن : تلدن البعير : إذا توقف في المشي وتمكث على راكبه .
شأ . لعنك الله : كلمة زجر للبعير .
عشيشية : تصغير عشية على غير قياس .
مدرت الحوض : لطحته بالطين تصلحه به وتسد ثقبه .
السجل : الدلو العظيمة .
نوعت الدلو : جذبتها واستقيت بها الماء من البئر .
أفهمت الحوض : ملأته .
أشرع ناقته : إذا أوردتها الماء .
شئق لبعيره : جذب زمامه إليه بعد أن كان أرحاه .

فشجت : أي قطعت الشرب ، ومنه شجعت المفازة : قطعتها بالسير هذا الذي فسره الحميدي في شرح كتابه « الجمع بين الصحيحين » والذي رواه الخطابي في غريبه قال : « فأشرع ناقته فشربت ، وشئق لها فشجت وبالت » ، وقال : معناه : تفاقمت ، وفترقت ما بين رجلها لتبول ، والذي جاء في كتاب مسلم « فشجت » كما رواه الحميدي بتشديد الجيم ، والله أعلم .

عَدَلَ بِهَا فَأَنَاحَهَا . ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحَوْضِ فَتَوَضَّأَ مِنْهُ ثُمَّ قُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ مِنْهُ
مَتَوَضِّئًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . فَذَهَبَ جَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ يَقْضِي حَاجَتَهُ . فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
لِيَصَلِّيَ . وَكَانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ ذَهَبْتُ أَنْ أُخَالِفَ بَيْنَ طَرَفَيْهَا فَلَمْ تَبْلُغْ لِي وَكَانَتْ لَهَا ذَبَابٌ
فَنَكَّسْتُهَا ثُمَّ خَالَفتُ بَيْنَ طَرَفَيْهَا . ثُمَّ تَوَاقَصْتُ عَلَيْهَا . ثُمَّ جِئْتُ حَتَّى قُمْتُ عَنْ يَسَارِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَذَارَنِي حَتَّى أَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ ، ثُمَّ جَاءَ جَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ
فَتَوَضَّأَ . ثُمَّ جَاءَ فَقَامَ عَنْ يَسَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدَيْنَا جَمِيعًا فَدَفَعَنَا
حَتَّى أَقَامَنَا خَلْفَهُ . فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْمُقُنِي وَأَنَا لَا أَشْعُرُ . ثُمَّ قَطِئْتُ بِهِ . فَقَالَ
هَكَذَا ، يَبْنِيهِ . يَعْني شِدَّةَ وَسْطِكَ . فَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ « يَا جَابِرُ ! » قُلْتُ :
لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : « إِذَا كَانَ وَاسِعًا فَخَالِفْ بَيْنَ طَرَفَيْهِ . وَإِذَا كَانَ ضَيِّقًا
فَاشْدُدْهُ عَلَى حِقْوِكَ » .

سَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ قُوْتُ كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا ، فِي كُلِّ يَوْمٍ ، ثَمَرَةٌ . فَكَانَ يَمْنَعُهَا
ثُمَّ يَصْرِفُهَا فِي ثَوْبِهِ وَكُنَّا نَخْتَبِطُ بِقِسِينَا وَنَأْكُلُ حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا فَأَقْسِمُ أَخْطِئُهَا رَجُلٌ
مِنَّا يَوْمًا . فَأَنْطَلَقْنَا بِهِ نَنْعَشُهُ . فَشَهِدْنَا أَنَّهُ لَمْ يُعْطِهَا . فَأَعْطَيْهَا فَقَامَ فَأَخَذَهَا .

سَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْتِيحَ . فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ
فَاتَّبَعْتُهُ بِأَدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ فَتَنَظَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَرِ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ . فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِي
الْوَادِي فَأَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيَّ إِحْدَاهُمَا فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا . فَقَالَ : « أَنْقَادِي
عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ » فَأَنْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمُخْشَوْشِ ، الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ . حَتَّى أَتَى

= ذباب : الذباب : كل ما يتعلق من الشيء فيتحرك ، والدُّبَابَةُ : حركة الشيء المعلق .

تَوَاقَصْتُ عَلَيْهَا : أَسَكْتُهَا بِعُنْقِي ، وَهُوَ أَنْ يَحْنِي عَلَيْهَا رِقْبَتَهُ .

نَخْتَبِطُ : الْإِخْتِبَاطُ : ضَرْبُ الشَّجَرِ بِالْعَصَا لِيَتَنَاقِشَ وَرَقُهَا .

قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا : تَجَرَّحَتْ مِنْ أَكْلِ الْخَبِطِ .

أَخْطِئُهَا : يَعْنِي أَنَّهُمْ غَفَلُوا عَنْ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، فَلَمْ يَعْطَوْهُ الثَّمَرَةَ الَّتِي تَخْصُهُ نِسَابًا .

نَنْعَشُهُ : نَشْدُدُ لَهُ ، كَأَنَّهُ قَدْ عَثَرَ فَنَنْعَشُ ، فَقَامَ فَأَخَذَهَا لَمَّا أُعْطِيهَا .

الْأَفْتِيحُ : الْوَاسِعُ .

= الْبَعِيرُ الْمُخْشَوْشُ : الَّذِي قَدْ جَعَلَ فِي أَنْفِهِ الْخَشَاشَ ، وَهُوَ عَوِيدٌ يَجْعَلُ فِي أَنْفِهِ لِيَكُونَ أَسْرَعَ لَاتِقْيَاةٍ .

الشَّجَرَةَ الْآخَرَى . فَأَخَذَ بَعْضُ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ : « أَتُقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ » فَأَنْشَدَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا ، لَأَمْ بَيْنَهُمَا (يَعْنِي جَمَعَهُمَا) فَقَالَ : « التَّيْمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ » فَالْتَأَمَّا . قَالَ جَابِرٌ : فَخَرَجْتُ أُخْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحْسِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقُرْبِي فَيَتْبَعِدَ (وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عِيَادٍ : فَيَتْبَعِدَ) فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي . فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلًا . وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدْ افْتَرَقَتَا كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ . فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَفَ وَقَفَةً . فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا (وَأَشَارَ أَبُو إِسْمَاعِيلَ بِرَأْسِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا) ثُمَّ أَقْبَلَ . فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قَالَ : « يَا جَابِرُ ! هَلْ رَأَيْتَ مَقَامِي ؟ » قُلْتُ : نَعَمْ . يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ « فَأَنْطَلِقُوا إِلَى الشَّجَرَتَيْنِ فَاقْطَعُوا مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا . فَأَقْبِلُ بِهِمَا . حَتَّى إِذَا قُمْتَ مَقَامِي فَأَرْسِلْ غُصْنًا عَنْ يَمِينِكَ وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِكَ » .

قَالَ جَابِرٌ : فَقُمْتُ فَأَخَذْتُ حَجْرًا فَكَسَرْتُهُ وَحَسَرْتُهُ فَأَنْذَلْتُ لِي . فَأَتَيْتُ الشَّجَرَتَيْنِ فَقَطَعْتُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا . ثُمَّ أَقْبَلْتُ أَجْرُهُمَا حَتَّى مَقَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُرْسِلْتُ غُصْنًا عَنْ يَمِينِي وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِي . ثُمَّ لَحَقْتُهُ فَقُلْتُ : قَدْ فَعَلْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَعَمَّ ذَاكَ ؟ قَالَ : « إِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يَعْذَبَانِ . فَأَحْبَبْتُ ، بِشَفَاعَتِي ، أَنْ يُرْفَعَ عَنْهُمَا ، مَا دَامَ الْغُصْنَانِ رَطْبَيْنِ » .

قَالَ : فَأَتَيْتُمَا الْعَسْكَرَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « يَا جَابِرُ ! نَادِ بِوَضُوءٍ » فَقُلْتُ : أَلَا وَضُوءٌ ؟ أَلَا وَضُوءٌ ؟ أَلَا وَضُوءٌ ؟ قَالَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَا وَجَدْتُ فِي الرُّكْبِ مِنْ قَطْرَةٍ . وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُبْرِدُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَاءَ ، فِي أَشْجَابٍ لَهُ ؛ عَلَى حِمَارَةٍ

= المنصف : موضع النصف بين الشيئين .

الإحضار : القدو والنسي ، ورويداً : على مهل .

فأنذلق : صار له حد يقطع به ، وذلق كل شيء : حذوه ، وأذلقت الشيء : إذا حددته .

حترته : قطعته ، وهو من حترت الشعر : إذا أزلته من موضعه ، وحسرت الذراع : إذا كسفتها ، فكأنه كشف نواحي الحجر بالتقطيع ، لتنفلق له شظية من شظاياها يقطع بها غصن الشجر .

الأشجاب : جمع شجْب ، وهو ما أخلق من الأسقية وبلي .

حمارة : الحمارة : ثلاثة أعواد يشد بعض أطرافها إلى بعض ، ويخالف بين أرجلها ، ويملأ عليها السقاء ليبرد الماء . =

من جريد . قَالَ فَقَالَ لِي : « انْطَلِقْ إِلَى فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ الْأَنْصَارِيِّ ، فَاَنْظُرْ هَلْ فِي أَشْجَابِهِ مِنْ شَيْءٍ ؟ » قَالَ : فَاَنْطَلَقْتُ إِلَيْهِ فَتَنْظَرْتُ فِيهَا فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا قَطْرَةً فِي غَزْلَاءٍ شَجَبٍ مِنْهَا ، لَوْ أَنِّي أَفْرِغُهُ لَشَرِبْتُهُ يَابِسَةً . فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنِّي لَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا قَطْرَةً فِي غَزْلَاءٍ شَجَبٍ مِنْهَا . لَوْ أَنِّي أَفْرِغُهُ لَشَرِبْتُهُ يَابِسَةً . قَالَ : « أَذْهَبُ فَأَتِيَنِي بِهِ » فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ لَا أَذْرِي مَا هُوَ وَيَغْمِزُهُ بِيَدَيْهِ . ثُمَّ أَعْطَانِيهِ فَقَالَ : « يَا جَابِرُ ! نَادِ بِجَفْنَةٍ » فَقُلْتُ : يَا جَفْنَةُ الرُّكْبِ ! فَأَتَيْتُ بِهَا تَحْمَلُ . فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ فِي الْجَفْنَةِ هَكَذَا . فَبَسَطَهَا وَفَرَّقَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ . ثُمَّ وَضَعَهَا فِي قَعْرِ الْجَفْنَةِ . وَقَالَ : « خُذْ . يَا جَابِرُ ! فَصَبَّ عَلَيَّ . وَقُلْ : بِاسْمِ اللَّهِ » فَصَبَّتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ : بِاسْمِ اللَّهِ . قَرَأْتُ الْمَاءَ يَفُورُ بَيْنَ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . ثُمَّ قَارَتِ الْجَفْنَةُ وَذَارَتْ حَتَّى امْتَلَأَتْ فَقَالَ : « يَا جَابِرُ ! نَادِ مَنْ كَانَ لَهُ حَاجَةٌ بِمَاءٍ » قَالَ فَأَتَى النَّاسُ فَاسْتَقَوْا حَتَّى رَوُّوا . قَالَ فَقُلْتُ : هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ لَهُ حَاجَةٌ ؟ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الْجَفْنَةِ وَهِيَ مَلَأَى .

وشكا الناس إلى رسول الله ﷺ الجوع . فَقَالَ : « عَسَى اللَّهُ أَنْ يُطْعِمَكُمْ » فَأَتَيْنَا سَيْفَ الْبَحْرِ فَرَزَخَ الْبَحْرُ زُخْرَةً . فَأَلْقَى دَابَّةً . فَأَوْرَيْنَا عَلَى شِقِّهَا النَّارَ . فَاطْبَخْنَا وَاشْتَوَيْنَا ، وَأَكَلْنَا حَتَّى شَبِعْنَا قَالَ جَابِرُ : فَدَخَلْتُ أَنَا وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ ، حَتَّى عَدَّ خَمْسَةً ، فِي حِجَاجِ عَيْنِهَا . مَا يَرَانَا أَحَدٌ . حَتَّى خَرَجْنَا . فَأَخَذْنَا ضِلْعاً مِنْ أَضْلَاعِهِ فَقَوَّسْنَاهُ . ثُمَّ دَعَوْنَا بِأَعْظَمِ

= الغزلام : أحد غزالي المزااة ، وهو فما الذي يخرج منه الماء .

لشربه يابسه : معناه أنه قليل جداً . فلقلته ، مع شدة يبس باقي الشجب ، وهو السقاء ، لو أفرغته لاشتفه اليابس منه ولم ينزل منه شيء .

ويغمزه بيديه : أي يعصره .

ياجفنة الركب : أي يا صاحب جفنة الركب . فحذف المضاف للعلم بأنه المراد ، وأن الجفنة لا تُشادى . ومعناه يا صاحب جفنة الركب التي تشبههم أحضرها . أي من كان عنده جفنة بهذه الصفة ، فليحضرها .

سيف البحر : ساحله وجانبه .

البحر يزخر : إذا هاج وارتفعت أمواجه .

أورينا : أوقدنا النار .

= حجاج العين : العظيم المستدير حولها ، الذي مجموع العين فيه .

رَجُلٍ فِي الرُّكْبِ ، وَأَعْظَمَ جَمَلٍ فِي الرُّكْبِ ، وَأَعْظَمَ كِفْلٍ فِي الرُّكْبِ ، فَدَخَلَ تَحْتَهُ مَا يُطَاطَى رَأْسُهُ .

٩٦٩ - * روى الطبراني عن أبي غالب عن أبي أمامة قال : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى قَوْمِي فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِمْ وَأَنَا طَائِرٌ ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِمْ وَهُمْ يَأْكُلُونَ دِهْنًا ، فَقُلْتُ : إِنَّمَا جِئْتُ أَنْهَأَكُمْ عَنْ هَذَا ، فَوَضَعْتُ رَأْسِي فَقَمْتُ وَأَنَا مَغْلُوبٌ فَأَتَانِي آتٍ فِي مَنَامِي يَأْنَاءَ فِيهِ شَرَابٌ ، فَقَالَ : خُذْ هَذَا وَاشْرَبْ ثُمَّ كَظَنِي بَطْنِي فَشَبَعْتُ ثُمَّ رَوَيْتُ ، فَسَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ أَتَأْكُمُ رَجُلٌ مِنْ سِرَاةِ قَوْمِكُمْ فَلَمْ تَنْجِعُوهُ بِالْمَذْيِقَةِ ، فَأَتَوْنِي بِمَذْيِقَتِهِمْ ، فَقُلْتُ : لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا إِنْ اللَّهُ أَطْعَمَنِي وَسَقَانِي فَأَرَيْتُهُمْ بَطْنِي فَأَسْلَمُوا عَنْ آخِرِهِمْ .

٩٧٠ - * روى البخاري عن عائشة قالت : لَقَدْ تَوَفَّيَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَا فِي رَقِيٍّ مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِيرٍ إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَقَا لِي فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ فَكَلَّتْهُ فَقَفَنِي .

٩٧١ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ أُمَّ مَالِكٍ كَانَتْ تُهْدِي لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي عَكَّةَ لَهَا سَنًا ، فَيَأْتِيهَا بَنُوهَا ، فَيَسْأَلُونَ الْأُذْمَ ، وَلَيْسَ عَنْدهُمْ شَيْءٌ ، فَتَعْمِدُ إِلَى الَّذِي كَانَتْ تُهْدِي فِيهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَتَجِدُ فِيهِ سَنًا ، فَمَا زَالَ يَقِيمُ لَهَا أَدَمَ بَيْتَيْهَا حَتَّى عَصَرَتْهُ ، فَأَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : « عَصَرْتَيْهَا » قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ : « لَوْ تَرَكَتَيْهَا مَا زَالَ قَائِمًا » .

= الركب : جمع راكب ، والمراد به : الرفقة كُلُّهُمْ .

الكفل : الكساء الذي يحويه راكب البعير على سنامه لئلا يسقط .

٩٦٩ - المعجم الكبير (٨ / ٢٣٥) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٨٧) : رواه الطبراني بإسنادين ، وإسناد الأول حسن ، فيها أبو غالب ، وقد وثق .

٩٧٠ - البخاري (١١ / ٢٧٤) ٨١ - كتاب الرقاق - ١٦ - باب فضل الفقر .

٩٧١ - مسلم (٤ / ١٧٨٤) ٤٢ - كتاب الفضائل - ١ - باب فضل نسب النبي ﷺ ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة .

الملكة : أنية السمن .

الأذم : ما يؤكل مع الخبز أي شيء كان .

٩٧٢ - * روى الطبراني عن قيس بن النعمان السكوني قال : انطلق رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر مستخفيان من قريش ، فمروا براع ، فقال له رسول الله ﷺ : « هل من شاة ضَرَبَهَا الْفَحْلُ ؟ » قال : لا ، ولكن ههنا شاة قد خلفها الجهد ، قال : « اتنتي بها » فأتاه بها ففسح ضَرَعَهَا ودعا بالبركة ، فحلب فَسَقَى أبا بكر ، ثم حَلَبَ فسقى الراعي ، ثم حلب فشرب ، فقال له : تالله ما رأيتُ مثلك ، من أنت ؟ قال : « إن أخبرتك تَكْتُم عَلَيَّ ؟ » قال : نعم ، قال : « أنا محمدٌ رسولُ الله » قال : أنت الذي تزعم قريش أنك صابئ ؟ قال : « إنهم يقولون ذلك » ، قال : فإني أشهد إنك رسول الله ، وإنه لا يقدر على ما فعلت إلا رسول ، ثم قال له : اتبعك ، فقال له النبي ﷺ : « أما اليوم فلا ، ولكن إذا سمعت أنا قد ظهرنا فأتنا » فأق النبي ﷺ بعد ما ظهر بالمدينة .

٩٧٣ - * روى البخاري أن أبا هريرة كان يقول : الله الذي لا إله إلا هو ، إن كنت لأَعْتَدُ بكبدي على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأَشُدُّ الحَجَرَ على بطني من الجوع . ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يَخْرُجُونَ منه ، فرأى أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا لِيُشَبِّعَنِي ، فرأى فلم يفعل ، ثم مرَّ بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رأيته وعرف ما في نفسي وما في وجهي ، ، ثم قال « يا أبا هريرة » قلت : لبيك رسول الله ، قال : « الحق » ومضى . فتبعتُه ، فدخل فاستأذن فأذن لي ، فدخل فوجد لبناً في قَدَحٍ فقال : « من أين هذا اللبن ؟ » قالوا أهداة لك فلان - أو فلانة - قال : « أبا هريرة » قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : « الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي » قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد ، إذا أتته صدقة بعث إليهم ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها ، فسألت ذلك ، فقلت : وما هذا اللبن في أهل الصفة ؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها ، فإذا جاءوا

٩٧٢ - المعجم الكبير (١٨ / ٣٤٣) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٣١٣) : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة : وسنده صحيح .

٩٧٣ - البخاري (١١ / ٢٨١) ٨١ - كتاب الرقاق - ١٧ - باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه ، وتخليهم عن الدنيا .

أمرني فكنت أنا أعطيه ، وما عسى أن يبلّغني من هذا اللبن ، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ، فأنيتهم فدعوتهم ، فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم ، وأخذوا مجالسهم من البيت . قال : « يا أبا هريرة » قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : « خذ فأعطهم » فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يرد علي القدح فأعطيته الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يرد علي القدح ، فيشرب حتى يروى ، ثم يرد علي القدح ، حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روي القوم كلهم ، فأخذ القدح فوضعه على يده ، فنظر إلي فتبسم فقال : « يا أبا هريرة » قلت : لبيك يا رسول الله . قال : « بقيت أنا وأنت » قلت : صدقت يا رسول الله ، قال : « أقعد فاشرب » فقعدت فشربت ، فقال : « اشرب » فشربت ، فما زال يقول : « اشرب » حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ، ما أجد له مسلكاً . قال : « فأرني » فأعطيت القدح ، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة .

٩٧٤ - * روى الحاكم عن هشام بن حبيب بن خويلد صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة ، وأبو بكر رضي الله عنه ، ومولى أبي بكر عامر بن قهيرة ، ودليلهما الليثي عبد الله بن أريقط ، مروا على خيمتي أم مغبدة الخزاعية ، وكانت امرأة برة جلدة تحبني بفناء الخيمة ، ثم تسقي وتطعم ، فسألوها لحماً وقرأ ليشترى منها ، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك ، وكان

٩٧٤ - المستدرك (١ / ٢) ، وقال :

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ويستدل على صحته وصدق رواته بدلائل : فمنها : نزول المصطفى ﷺ بالخيرتين متواتراً في أخبار صحيحة ذوات عدد ومنها : أن الذين ساقوا الحديث على وجهه أهل الخيرتين من الأعراب الذين لا يهتمون بوضع الحديث ، والزيادة والنقصان ، وقد أخذوه لفظاً بعد لفظ عن أبي معبد وأم معبد . ومنها : أن له أسانيد ، كالأخذ باليد أخذ الولد عن أبيه والأب عن جده ، لا إرسال ولا وهن في الرواية ومنها : أن الحر بن الصباح النخعي أخذ عن أبي معبد ، كما أخذه ولده عنه ، فأما الإسناد الذي رويناه بسياقة الحديث عن الكعبيين فإنه إسناد صحيح عال للعرب الأعرابية ، وقد علونا في حديث الحر بن الصباح . وأقره الذهبي .

برزة : متجاهرة كهلة جليلة تبرز للقوم مجلسون إليها ويتحدثون وهي عفيفة .

تحتني : أحتي : جلس على إلبته وضم فخذه وساقه إلى بطنه بذراعيه ليشتد ، واحتني بالثوب أداره على ساقه وظهره وهو جالس كما سبق .

بفناء الخيمة : يعني أمام خيمتها .

القوم مُرْمِلِينَ مُسْنِتِينَ ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى شاة في كِسْرِ الخِيَمَةِ ، فقال : « ما هذه الشاة يا أُمَّ مَعْبِدٍ ؟ » قالت : شاة خَلَفَهَا الجَهْدُ عن الغنم . قال : « هل بها من لبن ؟ » قالت : هي أجهد من ذلك : قال : « أتأذنين لي أن أحلبها ؟ » قالت : بأبي أنت وأمي . إن رأيت بها حَلْباً فاحلبها فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمسح بيده ضَرْعَهَا ، وسمى الله تعالى ، ودعا لها في شاتها فَتَفَاجَتْ عليه وَدَرَّتْ فاجْتَرَّتْ ، فدعا ياناء يُرْبِضُ الرُّهْطَ فحلب فيه نَجًّا حَتَّى علا لَبَنُها البهاء ، ثم سقاها حتى رَوَيْتْ ، وسقى أصحابه حتى رَوَوْا ، وشرب آخرهم حتى أراضوا ، ثم حلب فيه الثانية على هَدَاةٍ حتى ملأ الإناءَ ثم غادره عندها ، ثم بايَعَهَا وارتحلوا عنها فما لَبِثَتْ حتى جاءها زوجها أبو مَعْبِدٍ ، لَيْسَ يَقْوَى أَغْزَرًا عِجَافًا يَتَسَاوَكُنْ هزالاً ، مخننٌ قليل ، فلما رأى أبو مَعْبِدٍ اللبنَ أعجبه ، قال : من أين لك هذا يا أم مَعْبِدٍ ، والشاء عازبٌ حَائِلٌ ، ولا حَلُوبٌ في البيت ؟ قالت : لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا . قال : صِفِيهِ لي يا أم مَعْبِدٍ . قالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضاعة ، أَثْلَجَ الوجه ، حَسَنَ الخَلْقِ ، لَمْ تَعِبْهُ ثُجْلَةٌ ، ولم تُزْرِيه صَعْلَةٌ ، وسم قَسِيمٌ ، في عينيه دَعَجٌ ، وفي أشفاره وَطَفٌ ، وفي صوته صَهْلٌ ، وفي

- = مرملين : يقال فلان رمل : إذا نفذ زاده وافتقر .
 مُسْنِتِينَ : أسنت القوم : أصابتهم سنة مجدية .
 كسر الخيمة : الكسر : جانب البيت . أو الناحية من كل شيء . والجمع أكسار وكسور .
 إن رأيت بها حَلْباً : أي وجدت بها لبناً .
 فَتَفَاجَتْ عليه : أي باعدت رجليها للحليب .
 يُرْبِضُ الرُّهْطَ : : أربض لشراب القوم : أرواهم حتى أثقلهم ، فربضوا وناموا ممتدئين على الأرض .
 نَجًّا : نَجَّ الماءُ مُجِوْجاً : سال وانصب فهو نَجَّاج . والماء ونحوه نَجَّجاً أساله فهو منجوج .
 هَدَاةً : الهداة : الرفق والآناء .
 أراضوا : أراض فلان : شرب عللاً بعد نهل .
 يتساوكن : تساوك : سار سيراً ضعيفاً . والمشية هزلت حتى تمايلت في مشيها من الضعف .
 عازب : العازب : البعيد .
 حائل : حالت الناقة تحولاً حَوُولاً وحِيَالاً ، أي ضربها الفحل فلم تعمل .
 ثُجْلَةٌ : ثُجْلًا : عظم بطنه واسترخى ، فهو أَثْجَلٌ وهي ثُجْلَاءُ والجمع ثُجُلٌ .
 صَعْلَةٌ : الصعلة : الدقة والنحول والخفة في البدن .
 قسيم : القسامة : الحسن والجمال .
 دَعَجٌ : دَعَجَتِ العينُ دَعَجاً ودَعَجَةً : شدة سواد العين في شدة بياضها مع سعتها . وهو أَدْعَجٌ وهي دَعَجَاءُ .
 أَشْفَارُهُ : الأشفار : الشُّفْرُ حُرُفُ الجفن الذي ينبت عليه الشعر وهو الهدب .
 وَطَفٌ : وَطِفٌ - يُوْطَفُ . فهو أُوْطَفٌ : كثرة شعر حاجبيه وأهدابه مع استرخاء وطول .
 صَهْلٌ : حِدَّةٌ وَصَلَابَةٌ . من سهيل الخيل وهو صوتها . ويروى بالحاء .

عنقه سَطَعَ ، وفي لحيته كَثَاثَةً ، أَرْجُ أَقْرَنُ ، إِنَّ صَمَتَ فعليه الوقار ، وإن تكلم سماه وعلاه
 البهاء ، أجل الناس وأباه من بعيد ، وأحسنه وأجله من قريب ، حلو للَنَظِيقِ ، فضلاً لا
 نَزْرَ ولا هَذَرَ كَانَ مَنَظِيقَهُ خِرَزَاتٍ نَظْمٍ يَتَحَدَّرْنَ ، رُبْعَةً لَا تَشْنُوهُ مِنْ طُولٍ ، وَلَا تَقْتَحِمُهُ
 عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ ، غُصْنٌ بَيْنَ غُصْنَيْنِ ، فَهُوَ أَنْضَرُ الثَّلَاثَةِ مَنَظَرًا ، وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا لَهُ رُقَقَاءُ
 يَحْمُونَ بِهِ ، إِنَّ قَالَ سَمِعُوا لِقَوْلِهِ وَإِنْ أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ ، مَخْفُودَةٌ مَخْشُودٌ ، لَا عَابِسٌ وَلَا
 مُفَنَّدٌ . قَالَ أَبُو مَعْبُدٍ : هَذَا وَاللَّهِ صَاحِبُ قَرِيشٍ الَّذِي ذَكَرَ لَنَا مِنْ أَمْرِهِ مَا ذَكَرَ ، وَلَقَدْ
 هَمَّتْ أَنْ أَصْحَبَهُ ، وَلَأَقْلَعَنَّ إِنْ وَجَدْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا وَأَصْبَحَ صَوْتُ بَمَكَةَ عَالِيًا يَسْمَعُونَ
 الصَّوْتَ وَلَا يَدْرُونَ مَنْ صَاحِبُهُ : وَهُوَ يَقُولُ :

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ	رَفِيقَيْنِ حَلًّا خَيْمَتِي أُمِّ مَعْبُودٍ
هَذَا نَزَلَهَا بِالْهَدَى وَاهْتَدَتْ بِهِ	فَقَدْ فَازَ مِنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ
فَيَا لِقَضِيٍّ مَا زَوَى اللَّهُ عَنْكُمْ	بِهِ مِنْ فِعَالٍ لَا تَجَازِي وَسُودِدَ
لَيْتَنِي أَبَا بَكْرٍ سَمَادَةٌ جَدِّهِ	بَصَحْبَتِهِ مَنْ يُسْعِدِ اللَّهَ يُسْعِدِ
وَلَيْتَنِي بَنِي كَعْبٍ مَقَامَ فَتَاتِهِمْ	وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدٍ
سَلُوا أَخْتَكُمْ عَنْ شَاتِيهَا وَإِنَائِيهَا	فَإِنْكُمْ إِنْ تَسْأَلُوا الشَّاةَ تَشْهَدِ
دَعَاهَا بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبْتُ	عَلَيْهِ صَرِيحَاةُ الشَّاةِ مَزِيدٍ
فَغَادِرُهُ رَهْنًا لَدَيْهَا لِحَالِبٍ	يَرْدُدُهَا فِي مَصْدَرٍ بَعْدَ مُؤَرِّدٍ

سَطَعَ : سَطَعَ فِي الْعِنَقِ : ارْتِفَاعٌ وَطُولُ الْعِنَقِ .

أَرْجُ : أَرْجُ الْحَوَاجِبِ : الرَّجَجُ : تَقَوُّسٌ فِي الْحَاجِبِ مَعَ طُولٍ فِي طَرَفِهِ وَامْتِدَادٌ .

أَقْرَنُ : أَيُّ مَقْرُونِ الْحَاجِبِينَ . فَهُوَ أَقْرَنُ وَهِيَ قَرْنَاءُ .

لَا نَزْرَ : النَّزْرُ قَلِيلُ الْخَيْرِ .

وَلَا هَذَرَ : الْهَذَرُ : الْهَذْيَانُ .

لَا تَشْنُوهُ مِنْ طُولٍ : أَيُّ لَا يُبْغِضُ لِفَرْطِ طَوْلِهِ . وَيُقَالُ : شَيْئُهُ أَشْنُوهُ شَنْنًا وَشَنَانًا . وَالشَّانِيَةُ الْمُبْغِضَةُ .

يَحْمُونَ بِهِ : يَحِيطُونَ بِهِ .

مَخْفُودٌ : الْمَخْفُودُ : الَّذِي يَخْدُمُهُ أَصْحَابُهُ وَيَعْظُمُونَهُ وَيَسْرِعُونَ فِي طَاعَتِهِ . وَالْحَقْدُ وَالْحَقْدَةُ الْحَدُّ وَالْأَعْوَانُ .

مُفَنَّدٌ : أَيُّ أَنَّ أَصْحَابَهُ يَخْدُمُونَهُ وَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ .

لَا مُفَنَّدٌ : لَيْسَ بِكَذَّابٍ وَلَا ضَعِيفٍ الرَّأْيِ .

فلما سمع حسان الهاتف بذلك شَبَّبَ يجاوبُ الهاتف فقال :

لقد خاب قوم زال عنهم نبههم	وقدسَ مَنْ يَشْرِي إليهم وَيَغْتَدِي
تَرَحَّلَ عن قوم فَضَلْتُ عقولهم	وحلَّ على قوم بنورٍ مُجَدِّدٍ
هَدَاهُمْ به بعد الضلالة ربهم	فأرشدَهُمْ ، مَنْ يَتَّبِعِ الحقَّ يَرْشُدِ
وهل يستوي ضلَّال قوم تَسَفَّهُوا	عمى وهُدَاةً يَهْتَدُونَ بِمَهْتَدِ
وقد نزلت منه على أهل يثرب	ركابٌ هَدَى حَلَّتْ عليهم بأَسْعَدِ
نبيٌّ يرى مالا يرى الناسُ حوله	ويتلَو كتاب الله في كل مشهَدِ
وإن قال في يوم مقالة غائب	فَتَصْدِيقُهَا في اليوم أوفى ضحَى الغَدِ

٩٧٥ - * روى الطبراني عن أم معبدٍ أنها قالت : بَعَثْتُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم بشاةٍ داجِنٍ ، فَرَدَّهَا وقال : « ابْغِي شاةً لَا تَحْلِبُ » .

٩٧٦ - * روى الطبراني عن سعد مولى أبي بكر قال : كنا مع رسول الله ﷺ أراه قال في سفر ، فنزلنا منزلاً ، فقال لي : « يَا سَعْدُ اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْعَنَزِ فَاحْلِبْهَا » وعهدي بذلك المكان وما فيه عنز ، فأتيته فإذا عنز حافل فحلبتها ، قال : لا أدري كم من مرة ، ثم وكلت بها إنساناً وشغلت بالرحلة ، فذهبت العنزة ، فاستبطأني رسول الله ﷺ ، فقال : « أَيُّ سَعْدُ » قلت : يا رسول الله إن الرحلة شغلتننا ، فذهبت العنز فقال : « إِنَّ الْعَنَزَ ذَهَبَ بِهَا رَبُّهَا » .

٩٧٧ - * روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كَانَ جَذْعٌ يَقُومُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا وُضِعَ لَهُ الْمُنْبَرُ سَمِعْنَا لِلْجَذْعِ مِثْلَ أَصْوَاتِ الْعِشَارِ ، حَتَّى نَزَلَ

٩٧٥ - أوردته الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢١٣) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح ، غير حزام بن هشام ابن حبيش وأبيه ، وكلاهما ثقة .

٩٧٦ - المعجم الكبير (٦ / ٥٥) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢١٣) : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

٩٧٧ - البخاري (٢ / ٣٩٧) ١١ - كتاب الجمعة - ٢٦ - باب الخطبة على المنبر .
العشار : جمع عُشراء ، وهي الناقة الحامل التي أقي عليها عشرة أشهر من حملها .

رسول الله ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ .

وفي رواية : قال ^(١) : كَانَ الْمَسْجِدُ مُسْتَقْوفاً عَلَى جُدُوعٍ مِنْ نَخْلٍ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِدْعٍ مِنْهَا ... وَذَكَرَ نَحْوَهُ .

وفي رواية ^(٢) : أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا أُجْعَلُ لَكَ شَيْئاً تَقْعُدُ عَلَيْهِ ؟ فَإِنَّ لِي غُلَاماً نَجَاراً ، قَالَ : إِنْ شِئْتُ . فَعَمِلْتُ لَهُ الْمِنْبَرَ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ الَّذِي صُنِعَ ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عَنْهَا ، حَتَّى كَادَتْ أَنْ تَنْشَقَّ .

وفي أخرى ^(٣) : فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاخَ الصَّبِيِّ - فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَخَذَهَا فَضَمَّهَا إِلَيْهِ ، فَجَعَلَتْ تَتْنُ أَنْيْنَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّتُ ، حَتَّى اسْتَقَرَّتْ قَالَ : بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ .

وفي رواية النسائي قال ^(٤) : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَسْتَنِدُ إِلَى جِدْعِ نَخْلَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ ، فَلَمَّا صُنِعَ الْمِنْبَرُ وَاسْتَوَى عَلَيْهِ اضْطَرَبَتْ تِلْكَ السَّارِيَّةُ كَحَيْنِ النَّاقَةِ ، حَتَّى سَمِعَهَا أَهْلُ الْمَسْجِدِ ، حَتَّى نَزَلَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاعْتَنَقَهَا فَسَكَتَتْ .

٩٧٨ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ إِلَى جِدْعٍ ، فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ فَحَنَّ الْجِدْعُ ، فَأَتَاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ .

وفي رواية الترمذي ^(٥) : فَأَتَاهُ فَأَلْتَزَمَهُ ، فَسَكَنَ .

٩٧٩ - * رَوَى ابْنُ خَزِيمَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ

(١) البخاري (٦ / ٦٠٢) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٥ - باب علامات النبوة في الإسلام .

(٢) البخاري (٤ / ٣١٩) ٢٤ - كتاب البيوع - ٣٢ - باب النُّجَار .

(٣) البخاري (٦ / ٦٠١) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٥ - باب علامات النبوة في الإسلام .

(٤) النسائي (٢ / ١٠٢) كتاب الجمعة - باب مقام الإمام في الخطبة .

٩٧٨ - البخاري (٦ / ٦٠١) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٥ - باب علامات النبوة في الإسلام .

(٥) الترمذي (٢ / ٣٧٩) كتاب الجمعة - ١٠ - باب ما جاء في الخطبة على المنبر .

٩٧٩ - صحيح ابن خزيمة (٣ / ١٤٠) - وإسناده حسن .

يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَيُسَبِّحُ ظَهْرَهُ إِلَى جِذْعِ مَنْصُوبٍ فِي الْمَسْجِدِ ، فَيَخْطُبُ قَبْجَاءَ رُومِي فَقَالَ :
 « أَلَا تَصْنَعُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ وَكَأَنَّكَ قَائِمٌ ؟ فَصَنَعُ لَهُ مِنْبَرًا ، لَهُ دَرَجَتَانِ ، وَيَقْعُدُ عَلَى الثَّالِثَةِ ،
 فَلَمَّا قَعَدَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ خَارَ الْجِذْعُ خَوْارَ الثَّوْرِ ؛ حَتَّى ارْتَجَّ الْمَسْجِدُ
 بِخَوَارِهِ حُزْنًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 مِنَ الْمِنْبَرِ فَأَلْتَزَمَهُ وَهُوَ يَخُورُ ، فَلَمَّا أَلْتَزَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَكَتَ ، ثُمَّ قَالَ :
 « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ أَلْتَزِمْهُ مَسَاوَالَ هَكَذَا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ حُزْنًا عَلَى
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَفِنَ يَعْنِي
 الْجِذْعَ .

وَفِي خَبَرِ جَابِرٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ هَذَا بَكَى لِمَا فَقَدَ مِنَ
 الذِّكْرِ » .

٩٨٠ - * رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعِ
 الْمَسْجِدِ فَلَمَّا صَنَعَ الْمِنْبَرُ حَنَّ الْجِذْعُ إِلَيْهِ فَاغْتَنَقَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَكَنَ .

قَالَ التِّرْمِذِيُّ : وَفِي الْبَابِ عَنْ أَنَسٍ ، وَجَابِرٍ ، وَسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ، وَأَبِي بَنْ كَعْبٍ ، وَابْنِ
 عَبَّاسٍ ، وَأُمِّ سَلَمَةَ .

قَالَ أَحْمَدُ شَاكِرٌ : أَحَادِيثُ أَنَسٍ وَجَابِرٍ وَسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَوَاهَا الْبُخَارِيُّ ، وَحَدِيثُ أَبِي بَنْ
 كَعْبٍ أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي زِيَادَتِهِ عَلَى الْمُسْنَدِ ، وَحَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأُمِّ
 سَلَمَةَ أَخْرَجَهُمَا الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ . وَأَفَادَهُ الشَّارِحُ . وَقَدْ رَوَى أَحَادِيثُ حَنِينِ الْجِذْعِ أَيْضًا
 أَبُو نَعِيمٍ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ (ص ١٤٢ - ١٤٣) بِأَسَانِيدِهِ عَنْ جَابِرٍ ، وَعَنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ وَعَنْ
 سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ ، وَعَنْ عَائِشَةَ .

وَفِي الْبَابِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ ، وَصَحَّ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِالسَّنَةِ أَنَّ حَدِيثَ حَنِينِ الْجِذْعِ مِنَ
 الْأَحَادِيثِ الْمُتَوَاتِرَةِ ، لَوُرُودِهِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْ طَرُقٍ كَثِيرَةٍ تَفِيدُ الْقَطْعَ بِوُقُوعِ

ذلك . وانظر شرح الزرقاني على المواهب اللدنية طبعة بولاق (ج ٥ ص ١٥٨ - ١٦٧) .

وقال الحافظ في الفتح : حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما مستفيضاً يفيد القطع عند من يطلع على طرق ذلك عند أئمة الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك .

أقول : وقد أخرج حديث الجذع الدارمي عن جابر وابن عباس وأبي بن كعب والحسن .

٩٨١ - * روى البزار والطبراني عن ابن عمر قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، فأقبل أغرابي ، فلما ذنا قال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أين تريد ؟ » قال : إلى أهلي . قال : « هل لك في خير ؟ » قال : ما هو ؟ قال : « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله » . قال : من شاهد على ما تقول ؟ قال : « هذه الشجرة » فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تحض الأرض خذاً حتى قامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثاً ، فشهدت أنه كما قال ، ثم رجعت إلى منبتها ورجع الأغرابي إلى قومه فقال : إن يتبعوني أتبعك بهم وإلا رجعت إليك فكنت معك .

٩٨٢ - * روى الدارمي عن ابن عباس قال : أتى رجل من بني عامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أريك آية ؟ » قال : بلى قال : « فاذهب ، فادع تلك النخلة » ، فدعاها فجاءت تنقر بين يديه ، قال : قل لها : ترجع . قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرجعي » فرجعت حتى عادت إلى مكانها . فقال : يا بني عامر ما رأيت رجلاً كالليوم أسخر منه .

٩٨١ - كشف الأستار (٢ / ١٣٢) . والمعجم الكبير (١٢ / ٤٣٢) .

وقال الميثقي في جمع الزوائد (٨ / ٢٩٢) : ورواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح ، ورواه أبو يعلى أيضاً والبزار .

٩٨٢ - الدارمي (١ / ١٣) في المقدمة ، باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجره والبهايم والجن . وأورده الميثقي نحوه في جمع الزوائد (٩ / ١٠) ، وقال : رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن الحجاج الشامي ، وهو ثقة .

٩٨٣ - * روى الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ ، فَخَرَجْنَا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا ، فَمَا اسْتَقْبَلَهُ جَبَلٌ وَلَا شَجَرٌ إِلَّا وَهَوَ يَقُولُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

٩٨٤ - * روى أحمد والطبراني عن يعلى بن مرة قال : رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أشياء ما رآها أحد من قبلي ، كنت معه في طريق مكة فرأى امرأة معها ابن لها به لثمة ما رأيت لما أشد منه . فقالت : يا رسول الله ابني هذا كما ترى ، قال : إن شئت دعوت له « فدعاه ثم مضى ، فرأى عليه بعير ماذ جرائه يرغبو ، فقال : « عَلَيَّ بِصَاحِبِ هَذَا » فجاء فقال : « هذا يقول تَنَجَّتُ عَنْهُمْ وَاسْتَعْمَلُونِي حَتَّى إِذَا كَبُرَتْ أَرَادُوا أَنْ يَنْحَرُونِي » ثم مضى فرأى شجرتين متفرقتين فقال لي : « اذهب فَمُرَّهْمَا فَلْتَجْتَمِعَا » فاجتمعتا فقفى حاجته وقال : « اذهب فقل لهما يتفرقا » ثم مضى ، فلما انصرف مر على الصبي وهو يلعب مع الصبيان ، وقد هيات أمه ستة أكبش فأهدت له كبشين . وقالت : ما عاد إليه شيء من اللحم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من شيء إلا يعلم أني رسول الله إلا كَفَرَةً أَوْ فَسَقَةً الْجَنِّ وَالْإِنْسِ » .

٩٨٥ - * روى الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنتُ

٩٨٣ - الترمذي (٥٩٣ / ٥) - ٥٠ - كتاب المناقب - ٦ - باب حدثنا عباد بن يعقوب الكوفي .

والدارمي (١٢ / ١) في المقدمة ، باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر به والبهائم والجن .

٩٨٤ - أحمد بنحوه في مسنده (١٧٠ / ٤) . والمجم الكبير واللفظ له (٢٢٢ / ٢٢) .

والحاكم بنحوه في المستدرک (٣٧١ / ١) عن يعلى بن مرة عن أبيه . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم

يخرجاه بهذه السياقة .

قال في الفتح الربيعي :

هذه الطرق التي جاءت هنا بعضها صحيح وبعضها حسن ويؤيد بعضها بعضاً .

انعم : المس والجنون .

جرائه : الجران : باطن العنق من البعير وغيره .

٩٨٥ - الترمذي (٥٩٠ / ٥) - ٤٩ - كتاب الدعوات - ١٢ - باب في دعاء المريض .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وابن حبان : موارد الظهآن (٥٤٥) - ٣٦ - كتاب المناقب - ٥ - باب في فضل علي رضي الله عنه .

شاكياً ، فَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَجْلِي قَدْ حَضَرَ فَأَرْخُنِي ، وَإِنْ كَانَ مُتَأَخِّراً ، فَارْفَعْنِي ، وَإِنْ كَانَ بَلَاءٌ فَصَبِّرْنِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كَيْفَ قُلْتَ ؟ » قال : فَأَعَادَ عَلَيْهِ مَا قَالَ : فَضْرَبَهُ بِرِجْلِهِ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ عَاقِبْهُ ، أَوَاشِفْهُ » - شك شعبة - فما اشتكيتُ وجمعي بعدُ .

٩٨٦ - * روى أبو يعلى عن عليٍّ قال : ما رَمِدْتُ ولا صَدِغْتُ منذُ مَسَحَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وَجْهِي وتَمَلَّ في عَيْنِي يَوْمَ خَيْبَرَ حِينَ أُعْطِيتُ الرَّايَةَ .

٩٨٧ - * روى الطبراني عن أبيض بن حمَّال أنه كان بوجهه حزازة (يَغْنِي الْقَوْبَاءَ) فالتقمتُ أنفه ، فدعاهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ فمسحَ على وجهه فلم يَمَسِ ذلك اليوم وفيه أثر .

٩٨٨ - * روى البخاري ومسلم عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال : ذهبتُ بي خَالَتِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعَ ، فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَاتِ ، ثُمَّ تَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وُضُوئِهِ ، ثُمَّ قَتَّ خَلْفَ ظَهْرِهِ ، فَتَنَظَّرْتُ إِلَى خَاتَمِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ مِثْلَ زُرِّ الْحَجَلَةِ .

وقال الجُعَيد ^(١) : رَأَيْتُ السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ ابْنَ أَرْبَعٍ وَتَسْعِينَ جُلْدًا مَعْتَدَلًا ، فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُ مَا مُتَّعْتُ بِهِ سَمْعِي وَبَصَرِي إِلَّا بِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

٩٨٩ - * روى الطبراني عَنْ عَطَاءِ مَوْلَى السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ : رَأَيْتُ مَوْلَايَ السَّائِبَ

٩٨٦ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٢٢) ، وقال : رواه أبو يعلى وأحمد باختصار ، ورجالها رجال الصحيح غير أم موسى ، وحديثها مستقيم .

٩٨٧ - المعجم الكبير (١ / ٢٧٩) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٤١٢) : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات ، وثقهم ابن حبان .

٩٨٨ - البخاري (١ / ٢٩٦) ٤ - كتاب الوضوء - ٤٠ - باب استعمال فضل وضوء الناس .

ومسلم (٤ / ١٨٢٣) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٣٠ - باب إثبات خاتم النبوة ، وصفته ، وعمله من جسده ﷺ .

زُرِّ الْحَجَلَةِ : المراد بالحجلة واحدة الحجال ، وهي بيت كالقبة لها أزرار كبار وعَرَى .

(١) البخاري (٦ / ٥٦٠) ٦١ - كتاب المناقب ٢١ - باب حدثنا إسحاق بن إبراهيم .

٩٨٩ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٤٠٩) ، وقال : رواه الطبراني في الثلاثة ، ورجال الصغير والأوسط ثقات .

ابن يزيد لحيته بيضاء ، ورأسه أسود . فقلت : يا مولاي ما لرأسك لا يبيض ؟ فقال : لا يبيض رأسي أبداً ؛ وذلك أن رسول الله ﷺ مضى وأنا غلام ألعب مع الغلمان فسلم وأنا فيهم ، فرددت عليه السلام من بين الغلمان ، فدعاني فقال لي : « ما اسمك ؟ » فقلت : السائب بن يزيد ابن أخت النمر فوضع يده على رأسي ، وقال : « بارك الله فيك » فلا يبيض موضع يد رسول الله ﷺ أبداً .

وللطبراني في رواية قال ^(١) : كان وسط رأس السائب أسود ، وبقية رأسه وحيته أبيض ، فقلت له : يا سيدي والله ما رأيت مثل رأسك هذا قط ، هذا أبيض وهذا أسود ، قال : أولاً أخبرك يا بني ؟ قلت : بلى ، قال : إني كنت مع صبيان نلعب ، فمري رسول الله ﷺ ، فعرضت له فسلمت عليه ، فقال : « وعلىك ، من أنت ؟ » فقلت : أنا السائب بن يزيد أخو النمر بن قاسط ، فسح رسول الله ﷺ رأسي وقال : « بَارَكَ اللهُ فِيكَ » قال : فوالله لا يبيض أبداً ، أو قال : لا يزال هكذا أبداً .

٩٩٠ - * روى أحمد عن أبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري قال : استسقى رسول الله ﷺ ماءً فأثبته بقدح فيه ماء ، فكانت فيه شجرة فأخذتها ، فقال : « اللهم جملة » قال : فرأيتُهُ وهو ابن أربع وتسعين ليس في لحيته شجرة بيضاء .

٩٩١ - * روى الترمذي عن أبي زيد بن أخطب قال : مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجهي ودعا لي ، قال غزرة : إنه عاش مائة وعشرين سنة وليس في رأسه إلا شعرات بيض .

٩٩٢ - * روى أحمد عن أبي القلاء بن عمير قال : كنت عند قتادة بن ملحان حين

(١) المعجم الكبير (٧ / ١٦٠) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٤٠٩) : رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح غير عطاء مولى السائب ، وهو ثقة .

٩٩٠ - أحمد في مسنده (٥ / ٢٤٠) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٧٨) : رواه أحمد والطبراني إلا أنه قال ستون سنة ، وإسناده حسن .

٩٩١ - الترمذي (٥ / ٥٩٤) ٥٠ - كتاب المناقب - ٦ - باب حدثنا عباد بن يعقوب الكوفي . وإسناده صحيح .

٩٩٢ - أحمد في مسنده (٥ / ٢٨ ، ٨١) .

حضر ، فر رجل في أقصى الدار ، قال : فأبصرته في وجه قتادة قال : وكنت إذا رأيته كَأَن على وجهه الدهان قال : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مسح على وجهه .

٩٩٣ - * روى الطبراني عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَسْرِ قال : وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يده على رأسي فقال : « يعيش هذا الغلام قرناً » فعاش مائة سنة وكان في وجهه ثُلُول فقال : « لا يموت حتى يذهب الثُلُول مِنْ وَجْهِهِ » فلم يمت حتى ذهب الثُلُول من وجهه .

٩٩٤ - * روى أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : بَيْنَا أَعْرَابِي فِي بَعْضِ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ فِي غَمٍّ لَهُ عَدَا عَلَيْهِ الذُّئْبُ فَأَخَذَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ فَأَدْرَكَهُ الْأَعْرَابِي فَاسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ وَهَجَّجَهُ ، فَعَانَدَهُ الذُّئْبُ يَمْشِي ، ثُمَّ أَقْعَى مُسْتَذْفِراً بِذَنْبِهِ يَخَاطِبُهُ ، فَقَالَ : أَخَذْتَ رِزْقاً رَزَقْنِيهِ اللَّهُ قَالَ : وَاعْجَباً مِنْ ذَنْبٍ مُقْعٍ مُسْتَذْفِرٍ بِذَنْبِهِ يَخَاطِبُنِي . فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَتْرَكَ أَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ : وَمَا أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّخْلَتَيْنِ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ ، يَحْدُثُ النَّاسُ عَنْ نَبَأٍ مَا قَدْ سَبَقَ وَمَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ : فَتَعَقَّ الْأَعْرَابِي بِغَنَمِهِ حَتَّى أَجْلَاهَا إِلَى بَعْضِ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ مَشَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى ضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ ، فَلَمَّا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ قَالَ : « أَيْنَ الْأَعْرَابِي صَاحِبَ الْغَنَمِ ؟ » فَقَامَ الْأَعْرَابِي فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « حَدَّثَ النَّاسُ بِمَا سَمِعْتَ وَمَا رَأَيْتَ » فَحَدَّثَ الْأَعْرَابِي النَّاسَ بِمَا رَأَى مِنَ الذُّئْبِ وَسَمِعَ مِنْهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ : « صَدَقَ ، آيَاتٌ تَكُونُ قَبْلَ السَّاعَةِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُخْرِجَ أَحَدُكُمْ مِنْ أَهْلِهِ فَيُخْبِرُهُ نَعْلُهُ وَسُوطُهُ وَعَصَاهُ بِمَا أُحْدِثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ » .

= وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٩ / ٩) : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .
٩٩٣ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٠٤ / ٩) ، وقال : رواه الطبراني والبخاري باختصار الثُلُول إلا أنه قال : قال رسول الله ﷺ « ليدركن قرناً » ، ورجال أحد إسنادي البخاري رجال الصحيح غير الحسن بن أيوب الحضرمي وهو ثقة .
٩٩٤ - أحمد في مسنده (٨٨ / ٣) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩١ / ٨) : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .
وهججه : هججه بالسبع : صاح ، وبالجمل : زجره .
أقعى : جلس على استه مفترشاً رجله ناصباً يديه .

وفي رواية قال ^(١) : بينما رَجُلٌ من أَسْلَمَ في غُنيمةٍ لَهُ يَهْشُ عَلَيْهَا في بَيْداءِ ذِي الْحَلِيفَةِ ، إِذْ عَدَا عَلَيْهِ ذَنْبٌ ، فَاثْتَرَعَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ فَجَهَّاهُ الرَّجُلُ فَرَمَاهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى اسْتَنْقَذَ مِنْهُ شَاتَهُ فَذَكَرَ نَحْوَهُ .

وفي رواية عن أبي هريرة ^(٢) قال : جاء ذَنْبٌ إلى راعي الغنم ، فأخذ منها شاةً ، فطلبه الراعي حتى انتزعها منه ، قال : فصعد الذئب على تل فأقنعى واستندفر ، فقال : عمدتَ إلى رزقِ رزقيهِ الله عز وجل انتزعتهُ مِنِّي ، فقال الرجل : تالله إن رأيتُ كالْيَوْمِ ذَنْباً يتكلم قال الذئب بأعجبٍ من هذا : رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وبما هو كائن بعدكم ، كان الرجل يهودياً ، فجاء الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وخبره فصدقه النبي ﷺ ثم قال النبي ﷺ : « إنها أمارَةٌ من أماراتِ بين يدي الساعة ، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدّثه نعلاه وسوطُهُ ما أحدث أهلُه بعده » .

٩٩٥ - * روى أحمد عن أنس بن مالك قال : كان أهل بيت من الأنصار ، لهم جمل يستنون عليه وأن الجمل استصعب عليهم ، فنعهم ظهراً ، وإن الأنصار جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنه كان لنا جمل نستني عليه وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره ، وقد عطش الزرع والنخل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « قوموا » فقاموا ، فدخل الحائط والجمل في ناحيته ، فشى النبي ﷺ نَحْوَهُ . فقالت الأنصار : يا رسول الله إنه قد صار مثل الكلب الكلب ، وإننا نخافُ عليك صَوْلَتَهُ . فقال :

(١) أحمد في مسنده (٨٩ / ٣) .

غَنِيمةٌ : غنم قليل .

بيداء ذِي الحليفة : مكان مشهور وهو ميقات أهل المدينة ومن وراءهم ، على بُدٍ أميال قليلة من المدينة .

(٢) أحمد في مسنده (٣٠٦ / ٢) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٢ / ٨) : رواه أحمد ، ورجاله ثقات .

استزفر : الزفير : إخراج النفس .

٩٩٥ - أحمد في مسنده (١٥٨ / ٣) .

وكشف الأستار (١٥١ / ٣) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤ / ٩) : رواه أحمد والبخاري ، ورجاله رجال الصحيح غير حفص ابن أخي أنس ،

وهو ثقة .

يستنون : يستقون .

« لَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ بَأْسٌ » فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجداً بين يديه ، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذلّ ما كانت قط حتى أدخله في العمل ، فقال له أصحابه : يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ، ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك ، فقال : « لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها . والذي نفسي بيده لو كان من قدمه إلى مفريق رأسه قرحة تنبجس بالفئح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه » .

٩٩٦ - * روى أبو داود عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال : أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم ، فأسرّ إلي حديثاً ، لا أحدث به أحداً من الناس ، وكان أحبّ ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفاً أو حائشاً نخل ، قال : فدخل حائطاً لرجل من الأنصار ، فإذا جمل ، فلما رأى النبي ﷺ حنّ ، وذرفت عيناه ، فأتاه رسول الله ﷺ ، فسحّ ذفرته ، فسكت ، فقال : « من رب هذا الجمل ؟ لمن هذا الجمل » فجاء فتى من الأنصار ، فقال : لي يا رسول الله ، فقال : « أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها ، فإنه شكّا إليّ : أنك تجيعة وتدئبه » .

٩٩٧ - * روى الحاكم عن سفيانة قال : ركبْتُ البحر في سفينة فأنكسرت ، فركبت لوحاً منها فطرحني في أجمة فيها أسد فلم يرعني إلا به ، فقلت : يا أبا الحارث أنا مؤلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطاً رأسه وغز بمنكبه شقي ، فما زال يغمزني ويهديني إلى الطريق حتى وضعني على الطريق ، فلما وضعني همهم فظننت أنه يؤدعني .

٩٩٦ - أبو داود (٢٣ / ٣) كتاب الجهاد - باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم وإسناده صحيح .

هدفاً : الهدف : ما ارتفع من بناء ونحوه ، ومنه هدف الرامي .

حائش : النخل : نخلات مجتمعة .

حائطاً : الحائط : البستان .

ذفرته : ذفري البعير : هي الموضع الذي يترق من قفاه ، ويجعل فيه القطران ، وما ذفران .

تدئبه : تنميه بكثرة ما تستعمله .

٩٩٧ - المستدرک (٦٠٦ / ٣) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

٩٩٨ - * روى أحمد والبخاري عن عائشة قالت : كَانَ لَالَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحُشٌّ ، فَإِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعِبَ وَاشْتَدَّ وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ ، فَإِذَا أَحَسَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَيْضَ فَلَمْ يَتَرَمَّرْ مَا دَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْبَيْتِ كَرَاهِيَةً أَنْ يُؤْذِيَهُ .

٩٩٩ - * روى أحمد والطبراني عن حنظلة بن حذيم قال : وَقَدْتُ مَعَ جَدِي حِذِيمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي بَنِينَ ذَوِي لَحَى وَغَيْرَهُمْ وَهَذَا أَصْغَرُهُمْ فَأَدْنَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَسَحَ رَأْسِي وَقَالَ : « بَارِكْ اللَّهُ فِيكَ » قَالَ الذِّيَال : فَلَقَدْ رَأَيْتُ حَنْظَلَةَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْوَارِمِ وَجْهَهُ أَوْ الشَّاةِ الْوَارِمِ صَرَعَهَا فَيَقُولُ : بِسْمِ اللَّهِ عَلَى مَوْضِعِ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَمْسَحُهُ فَيَذْهَبُ الْوَرَمُ .

١٠٠٠ - * روى الطبراني في الأوسط عن جابر : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ الشَّمْسَ فَتَأَخَّرَتْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ .

وعند الطبراني حديث أسماء بنت عميس بهذا المعنى بمناسبة نومه في حجر علي حتى غابت الشمس لكن فيه مجهولة .

١٠٠١ - * روى الحاكم عن أنس قال : كَانَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَعَبَّادُ بْنُ بَشْرٍ عِنْدَ النَّبِيِّ

٩٩٨ - أحمد في مسنده (١١٢ / ٦) .

والبخاري بنحوه : كشف الأستار (١٥٠ / ٢) ؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢ / ٩) : رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري والطبراني في الأوسط ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

وحش : الوحش في الأصل حيوان البر ، ولعل المراد هنا الهر .
لم يترمم : لم يتحرك .

٩٩٩ - أحمد مطولاً في مسنده (٦٨ / ٥) .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٠٨ / ٩) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه ، وأحمد في حديث طويل ، ورجال أحمد ثقات .

١٠٠٠ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٦ / ٨) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وإسناده حسن .

١٠٠١ - المستدرک (٢٨٨ / ٣) ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة ظلماء حَنَدَسِي ، فلما انصرفا أضاءت عصا أحدهما ، فشيا في ضوءها ، فلما افترقا أضاءت عصا الآخر .

١٠٠٢ - * روى الطبراني عن قتادة بن النعمان قال : خرجت ليلة من الليالي مظلمة ، فقلت : لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدتُ معه الصلاة وأنستَه بنفسي ، ففعلتُ ، فلما دخلت المسجد بَرَقَتِ السماء فرآني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا قتادة ما هاج عليك ؟ » قلت : أردتُ بأبي وأمي أن أُؤنسك ، قال : « خذ هذا العُرْجُون فتحصِّن به ، فإنك إذا خرجت أضاء لك عِشراً أمامك وعِشراً خلفك » . ثم قال لي : « إذا دخلت بيتك رأيت مثلاً الحجر الأخضر » فضربتُه حتى خرج من بيتي .

١٠٠٣ - * روى البخاري عن أنس رضي الله عنه . قَالَ : كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ ، وَقَرَأَ الْبَقْرَةَ ، وَآلَ عِمْرَانَ . فَكَانَ يَكْتَسِبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ . فَقَادَ نَصْرَانِيًّا . فَكَانَ يَقُولُ : مَا يَذَرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا مَا كَتَبْتُ لَهُ . فَأَمَاتَهُ اللَّهُ ، فَدَفَنُوهُ ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ . فَقَالُوا : هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا . فَأَلْقَوْهُ . فَحَفَرُوا لَهُ ، فَأَعْمَقُوا . فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ . فَقَالُوا : هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ . نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ . فَأَلْقَوْهُ . فَحَفَرُوا لَهُ ، وَأَعْمَقُوا لَهُ فِي الْأَرْضِ ، مَا اسْتَطَاعُوا . فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ . فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ ، فَأَلْقَوْهُ .

وفي رواية قال ^(١) : كَانَ مِنَّا رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّجَارِ . قَدْ قَرَأَ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ . وَكَانَ

= حَنَدَس : أي : شديد الظلمة .

١٠٠٢ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٣١٨) وقال : رواه الطبراني وأحمد في حديث طويل ، والبخاري أيضاً ، ورجال أحمد الذي تقدم في الصلاة رجال الصحيح .

عُرْجُون : العذوق الذي يغوجُ ويُقَطِّعُ منه الشاربخ فيبقى على النخل يابساً .

والشاربخ : جع شجراخ ، والشارخ : الغصن .

١٠٠٣ - البخاري (٦ / ٦٢٤) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٥ - باب علامات النبوة في الإسلام .

لَفَظَتْهُ : الأرض ، أي : ألْقَتْهُ من بطنها إلى ظهرها .

فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ : أي ليس بإخراجه من عمل الناس وإنما من الله تعالى .

(١) مسلم (٤ / ٣١٢٥) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - حديث (١٤) .

=

يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنْطَلَقَ هَارِباً حَتَّى لَحِقَ بِأَهْلِ الْكِتَابِ . قَالَ فَرَفَعُوا . قَالُوا : هَذَا قَدْ كَانَ يَكْتُبُ لِمُحَمَّدٍ . فَأَعْجَبُوا بِهِ . فَمَا لَبِثَ أَنْ قَصَمَ اللَّهُ عُنُقَهُ فِيهِمْ . فَحَفَرُوا لَهُ فَوَارُوهُ . فَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا . ثُمَّ عَادُوا فَحَفَرُوا لَهُ . فَوَارُوهُ . فَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا . فَتَرَكَوهُ مَنبُوداً .

١٠٠٤ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ النَّبْتِ ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابُ لَهُ جُلُوسٌ ، وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالْأَمْسِ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جَزُورِ بَنِي فَلَانٍ ، فَيَأْخُذَهُ فَيُضَعُّهُ فِي كَتِفِي مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ ؟ فَأَنْبَغَتْ أَشَقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، قَالَ : فَاسْتَضَحُّكُوا ، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ ، وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ ، حَتَّى أَنْطَلِقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ فَجَاءَتْ - وَهِيَ جَوِيرِيَّةٌ - فَطَرَحْتُهُ عَنْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ رَفَعَ صَوْتَهُ ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ - وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا ، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا - ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ » ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمْ الضَّحِكُ ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ ، ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ ، وَعَبْتَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةَ ابْنِ رَبِيعَةَ ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عَتْبَةَ ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ » وَذَكَرَ السَّابِعَ - وَلَمْ

= قَعَمَ : الله عنته ، أي : دَقَّهَا .

نَبَذَتْهُ : المَنبُودُ : المُلْقَى الرَّمِيَّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، وَنَبَذَتْهُ أَنَا : أَلْقَيْتُهُ .

١٠٠٤ - البخاري (١ / ٣٤٩) ٤ - كتاب الوضوء - ٦٩ - باب إِذَا أَلْقَى عَلَى ظَهْرِ الْمُصَلِّي قَدْرًا أَوْ جِيفَةً لَمْ تَقْسُدْ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ .

ومسلم (٣ / ١٤١٨) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٣٩ - باب مَا لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ .

السَّلَا : الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الْوَلَدُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَقِيلَ : هُوَ الْكَرِشُ .

الْجَزُورُ : الْبَعِيرُ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى ، إِلَّا أَنَّ اللَّفْظَةَ مُؤَنَّثَةٌ .

فَأَنْبَغَتْ أَشَقَى الْقَوْمِ : هُوَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ .

وَيَمِيلُ بَعْضُهُمْ : أَيِ يَنْثَنِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنَ الْمَرْحِ وَالْبَطْرِ .

الْمَنَعَةُ : الْقُوَّةُ وَالشَّدَّةُ الَّتِي يَمْتَنِعُ بِهَا الْإِنْسَانُ عَلَى مَنْ يَرِيدُهُ بِأَذَى أَوْ غَيْرِ .

=

أَحْفَظَةُ - قَوْلَ الَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ ، لَقَدْ رَأَيْتَ الَّذِينَ سَمَى صَرَعَى يَوْمَ بَدْرٍ ، ثُمَّ سَحَبُوا إِلَى الْقَلْبِيبِ ، قَلْبِيبٌ بَدْرٌ .

وفي رواية ^(١) : فَأَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرَعَى ، قَدْ غَيَّرَتْهُمُ الشَّمْسُ ، وَكَانَ يَوْمًا حَارًّا .

وفي رواية ^(٢) : ذَكَرَ السَّائِعَ ، وَهُوَ عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ . وَفِيهَا : فَيَعْمِدُ إِلَى قَرْيَتِهَا وَدَمَهَا وَسَلَاهَا ، فَيَجِيءُ بِهِ ، ثُمَّ يُمَهِّلُهُ حَتَّى إِذَا سَجَدَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ .

قال ابن حجر : (فائدة) : رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ ابْنُ إِسْحَقَ فِي الْمَغَازِي قَالَ : حَدَّثَنِي الْأَجْلَحُ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ فَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ ، وَزَادَ فِي آخِرِهِ قِصَّةَ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَوَّالِهِ إِيَّاهُ عَنِ الْقِصَّةِ ، وَضَرَبَ أَبِي الْبَخْتَرِيُّ أَبَا جَهْلٍ وَشَجَّهَ إِيَّاهُ ، وَالْقِصَّةُ مَشْهُورَةٌ فِي السِّيَرَةِ ، وَأَخْرَجَهَا الْبَزَارُ مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَقَ وَأَشَارَ إِلَى تَفَرُّدِ الْأَجْلَحِ بِهَا عَنْ أَبِي إِسْحَقَ ، وَفِي الْحَدِيثِ تَعْظِيمُ الدَّعَاءِ بِمَكَّةَ عِنْدَ الْكُفَّارِ ، وَمَا أَزْدَادَتْ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا تَعْظِيمًا . وَفِيهِ مَعْرِفَةُ الْكُفَّارِ بِصَدَقَةِ ﷺ لَخَوْفِهِمْ مِنْ دَعَائِهِ ، وَلَكِنْ حَمَلَهُمُ الْحَسَدُ عَلَى تَرْكِ الْإِتْقَانِ لَهُ ، وَفِيهِ حَمْلُهُ ﷺ عَنْ آذَاهُ ، فَفِي رِوَايَةِ الطِّيَالِسِيِّ عَنْ شُعْبَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ قَالَ : لَمْ أَرَهُ دَعَا عَلَيْهِمْ إِلَّا يَوْمَئِذٍ . وَإِنَّمَا اسْتَحَقُّوا الدَّعَاءَ حِينَئِذٍ لَمَّا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ مِنْ الْإِسْتِخْفَافِ بِهِ حَالِ عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ الدَّعَاءِ ثَلَاثًا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْعِلْمِ اسْتِحْبَابُ السَّلَامِ ثَلَاثًا وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَفِيهِ جَوَازُ الدَّعَاءِ عَلَى الظَّالِمِ ، لَكِنْ قَالَ بَعْضُهُمْ : مَحَلُّهُ مَا إِذَا كَانَ كَافِرًا ، فَأَمَّا الْمُسْلِمُ فَيَسْتَحِبُّ الْإِسْتِغْفَارَ لَهُ وَالدَّعَاءَ بِالتَّوْبَةِ ، وَلَوْ قِيلَ : لَا دَلَالَةَ فِيهِ عَلَى الدَّعَاءِ عَلَى الْكَافِرِ لَمَّا كَانَ بَعِيدًا لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ أَطْلَعَ ﷺ عَلَى أَنَّ الْمَذْكُورِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ، وَالْأَوَّلَى أَنْ يَدْعَى لِكُلِّ حَيٍّ بِالْهُدَايَةِ . وَفِيهِ قُوَّةُ نَفْسِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ مِنْ صَفَرِهَا ، لَشَرَفِهَا فِي قَوْمِهَا وَنَفْسِهَا ، لَكُونِهَا صَرَحَتْ بِشَتْمِهِمْ وَهُمْ رُءُوسُ قَرِيشٍ ، فَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهَا .

= الْقَلْبِيبُ : الْبَيْتُ الَّتِي هِيَ غَيْرُ مَطْوِيَةٍ .

الْقَرْشُ : مَا يَكُونُ فِي الْكَرْشِ .

(١) الْبُخَارِيُّ (٢٩٣ / ٧) ٦٤ - كِتَابُ الْمَغَازِي - ٧ - بَابُ دَعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى كُفَّارِ قَرِيشٍ .

وَمُسْلِمٌ (١٤٢٠ / ٣) ٣٢ - كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيرِ - ٣٩ - بَابُ مَا لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ .

(٢) الْبُخَارِيُّ (٥٩٤ / ١) ٨ - كِتَابُ الصَّلَاةِ - ١٠٩ - بَابُ الْمَرْأَةِ تَطْرَحُ عَنِ الْمَصَلِيِّ شَيْئًا مِنَ الْأَذَى .

وفيه أن المباشرة أكد من السبب والإعانة لقوله في عقبة « أشقى القوم » مع أنه كان فيهم أبو جهل وهو أشد منه كفراً وأذى للنبي ﷺ لكن الشقاء هنا بالنسبة إلى هذه القصة لأنهم اشتركوا في الأمر والرضا وانفرد عقبة بالمباشرة فكان أشقاهم ، ولهذا قتلوا في الحرب وقتل هو صبراً . واستدل به على أن من حدث له في صلاته ما يمنع انعقادها ابتداءً لا تبطل صلاته ولو تمادى ، وعلى هذا ينزل كلام المصنف ، فلو كانت نجاسة فأزالها في الحال ولا أثر لها صحت اتفاقاً . واستدل به على طهارة فرث ما يؤكل لحمه ، وعلى أن إزالة النجاسة ليست بفرض وهو ضعيف ، وحمله على ما سبق أولى . وتعقب الأول بأن الفرث لم يفرد بل كان مع الدم كما في رواية إسرائيل ، والدم نجس اتفاقاً . وأجيب بأن الفرث والدم كانا داخل السلى وجلدة السلى الظاهرة طاهرة فكان كحمل القارورة المرصصة . وتعقب بأنها ذبيحة وثني فجميع أجزائها نجسة لأنها ميتة ، وأجيب بأن ذلك كان قبل التعبد بتحريم ذبائحهم ، وتعقب بأنه يحتاج إلى تاريخ ولا يكفي فيه الاحتمال . وقال النووي : الجواب المرضي أنه ﷺ لم يعلم ما وضع على ظهره ، فاستتر في سجوده استصحاباً لأصل الطهارة . وتعقب بأنه يشكل على قولنا بوجوب الإعادة في مثل هذه الصورة . وأجاب بأن الإعادة إنما تجب في الفريضة ، فإن ثبت أنها فريضة فالوقت موسع فلعله أعاد . وتعقب بأنه لو أعاد لنقل ولم ينقل ، وبأن الله تعالى لا يقره على التادي في صلاة فاسدة . وقد تقدم أنه خلع نعليه وهو في الصلاة لأن جبريل أخبره أن فيها قدراً ، ويدل على أنه علم بما ألقى على ظهره أن فاطمة ذهبت به قبل أن يرفع رأسه ، وعقب هو صلاته بالدعاء عليهم . والله أعلم . ا هـ .

١٠٠٥ - * روى الحاكم عن أبي هريرة : مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ وَلَا مُؤْمِنَةٌ إِلَّا وَهَوَ يَحْبِبُنِي . قَالَ : قُلْتُ : وَمَا عَلِمَكَ بِذَلِكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟ قَالَ : إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمَّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْتِي وَإِنِّي دَعَوْتُهَا ذَاتَ يَوْمٍ فَأَسْمَعَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا أَكْرَهَ فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَدْعُو أُمَّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْتِي عَلَيَّ وَإِنِّي دَعَوْتُهَا فَأَسْمَعَنِي فِيكَ مَا أَكْرَهَ ، فادْعُ اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ

يَهْدِي أُمُّ أَبِي هُرَيْرَةَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَرَجَعَتْ إِلَى أُمِّي أَبَشْرَهَا بِدَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا كُنْتُ عَلَى الْبَابِ إِذِ الْبَابُ مُغْلَقٌ ، فَدَقَقْتُ الْبَابَ ، فَسَمِعْتُ حِسِّي ، فَلَبِستُ ثِيَابَهَا وَعَجَلْتُ عَنْ خَمَارِهَا ، وَقَالَتْ : ارْفُئِي يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَفَتَحَتْ لِي الْبَابَ . فَلَمَّا دَخَلْتُ ، قَالَتْ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ كَمَا كُنْتُ أَبْكِي مِنَ الْحُزَنِ ، وَجَعَلْتُ أَقُولُ : أَثِيرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ ، وَهَدَى اللَّهُ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَقُلْتُ : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحِبَّنِي وَأُمِّي إِلَى عِبَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَحِبَّهُمْ إِلَيْنَا قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبِيدَكَ هَذَا وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَحَبِّبْهُمَا إِلَيْهِمَا » فَمَا عَلَى الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ وَلَا مُؤْمِنَةٌ إِلَّا وَهُوَ يُحِبُّنِي وَأُحِبُّهُ .

١٠٠٦ - * روى الطبراني عن ضمرة بن ثعلبة أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ادعُ الله لي بالشهادة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم إني أحرّم دم ابن ثعلبة على المشركين والكفار » قال : فكنت أحمل في عظم القوم فيترأى لي النبي صلى الله عليه وسلم خلفهم ، فقالوا : يا ابن ثعلبة لتغرز وتحمل على القوم ، فقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم يترأى لي خلفهم فأحمل عليهم حتى أقف عنده ، ثم يترأى لي عند أصحابي فأحمل حتى أكون مع أصحابي ، قال فَعَمَّرَ زماناً من دهره .

١٠٠٧ - * روى البخاري ومسلم عن خديفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا ، فَمَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَ بِهِ ، حَفِظَهُ مِنْ حَفِظِهِ ، وَنَسِيَهُ مِنْ نَسِيهِ ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ

= عَجَلْتُ عَنْ خَمَارِهَا : لَمْ تَنْظُرْ رَأْسَهَا .

١٠٠٦ - المعجم الكبير (٨ / ٣٦١) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٧١) : رواه الطبراني ، وإسناده حسن .

١٠٠٧ - البخاري (١١ / ٤٩٤) ٨٢ - كتاب القدر - ٤ - باب « وكان أمر الله قدراً مقدوراً » .

ومسلم (٤ / ٢٢١٧) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة - ٦ - باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة .

وأبو داود (٤ / ٩٤) كتاب الفتن والملاحم - باب ذكر الفتن ودلائلها .

مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيَهُ ، فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّحْلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ، ثُمَّ إِذَا رَأَاهُ عَرَفَهُ .

هذا الحديث وما بعده فيه إخبارات عن المغيبات ووقعت كلها كما أخبر رسول الله ﷺ .

قال في عون المعبود :

وفيه كمال علمه صلى الله عليه وسلم بما يكون وكال علم حذيفة واهتمامه بذلك واجتنابه من الآفات والفتن وقد استدلل بهذا الحديث بعض أهل البدع والأهواء على إثبات الغيب لرسول الله ﷺ وهذا جهل من هؤلاء لأن علم الغيب مختص بالله تعالى ، وما وقع منه على لسان رسول الله ﷺ فمن الله بوحى والشاهد لهذا قوله تعالى ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ ^(١) أي ليكون معجزة له ، فكل ما ورد عنه ﷺ من الأنبياء المنبئة عن الغيوب ليس هو إلا من إعلام الله له به إعلاماً على ثبوت نبوته ودليلاً على صدق رسالته صلى الله عليه وسلم قال علي القاري في شرح الفقه الأكبر : إن الأنبياء لم يعلموا المغيبات من الأشياء إلا ما أعلمهم الله أحياناً ، وذكر الحنفية تصريحاً بالتكفير باعتقاد أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب ؛ لمعارضة قوله تعالى ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ^(٢) كذا في المسامرة وقال بعض الأعلام في إبطال الباطل من ضروريات الدين إن علم الغيب مخصوص بالله تعالى ، والنصوص في ذلك كثيرة ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر﴾ ^(٣) الآية ﴿وإن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث﴾ ^(٤) الآية . فلا يصح لغير الله تعالى أن يقال له إنه يعلم الغيب ، ولهذا لما قيل عند رسول الله ﷺ في الرجز : « وفيما نبي يعلم ما في غد ، أنكر على قائله وقال : « دع هذا وقل غير هذا » . وبالجمل لا يجوز أن يقال لأحد إنه يعلم الغيب نعم الإخبار بالغيب بتعليم الله تعالى جائز وطريق هذا التعليم إما الوحي أو الإلهام

(١) الجن : ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) النمل : ٦٥ .

(٣) الأنعام : ٥٩ .

(٤) لقمان : ٣٤ .

عند من يجعله طريقاً إلى علم الغيب انتهى . وفي البحر الرائق : لو تزوج بشهادة الله ورسوله لا ينعقد النكاح ويكفر لاعتقاده أن النبي ﷺ يعلم الغيب انتهى قال الميزي في الأطراف : وأخرجه البخاري في القدر وأخرجه مسلم وأبو داود في الفتن انتهى . اهـ عون المعبود .

١٠٠٨ - * روى النسائي عن ابن سَكِينَةَ - رجلٍ من المحرّرين - عن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ قال : لما أمر النبي ﷺ بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر ، فقام رسول الله ﷺ ، وأخذ المعول ، ووضع رداءه ناحية الخندق ، وقال : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(١) فندر ثلث الحجر ، وسلمان الفارسي قائم ينظر ، فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقة ، ثم ضرب الثانية ، وقال : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ فندر الثلث الآخر ، فبرقت برقة ، فراها سلمان ، ثم ضرب الثالثة ، وقال : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ فندر الثلث الباقي ، وخرج رسول الله ﷺ ، فأخذ رداءه وجلس ، قال سلمان : يا رسول الله ، رأيتك حين ضربت ، ما تضرب ضربة إلا كانت معها برقة قال له رسول الله ﷺ : « يا سلمان رأيت ذلك ؟ » فقال : إي والذي بعثك بالحق يا رسول الله ، قال : « فيأتي حين ضربت الضربة الأولى : رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ، ومدائن كثيرة ، حتى رأيتها بعيني » فقال له من حضرة من أصحابه : يا رسول الله ، ادع الله أن يفتحها علينا ، ويغنمنا ديارهم ويخرب بأيدينا بلادهم ، فدعا رسول الله ﷺ بذلك : « ثم ضربت الضربة الثانية ، فرفعت لي مدائن قيصر وما حولها ، حتى رأيتها بعيني » قالوا : يا رسول الله ، ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ديارهم ويخرب بأيدينا بلادهم ، فدعا

١٠٠٨ - النسائي (٦ / ٤٣) كتاب الجهاد - باب غزوة الترك والحبشة .

ورواه الطبراني في الكبير والأوسط من حديث ابن مسعود وله شاهد عند الطبراني من حديث معاوية وبعضها

يشهد لبعض فهو حديث حسن .

لَدَر : سقط .

(١) الأنعام : ١١٥ .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بذلك « ثُمَّ صَرَبْتُ الثَّالِثَةَ فَرَفِغْتُ لِي مَدَائِنُ الْحَبْشَةِ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْقَرَى ، حَتَّى رَأَيْتُهَا بَعِيْنِي » قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ : « دَعُوا الْحَبْشَةَ مَاوَدَعُوكُمْ ، وَاتْرَكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ » .

١٠٠٩ - * روى البزار عن جابر بن سمرّة قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَتَخْرُجَنَّ الظُّلُمَةُ مِنَ الْمَدِينَةِ حَتَّى تَدْخُلَ الْحَيْرَةَ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ » .

١٠١٠ - * روى البخاري ومسلم عن جابر بن سمرّة رضي الله عنه قال : قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ : لَتَنْفَقَنَّ كُنُوزُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .

وفي رواية لمسلم ^(١) : « قد مات كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ ... » .

قال ابن حجر : قال الخطابي : معناه فلا قيصر بعده يملك مثل ما يملك ، وذلك أنه كان بالشام وبها بيت المقدس الذي لا يتم للنصارى نسل إلا به ، ولا يملك على الروم أحد إلا كان قد دخله إما سراً وإما جهراً ، فانجلى عنه قيصر واستفتحت خزائنه ولم يخلفه أحد من القياصرة في تلك البلاد بعده ، ووقع في الرواية التي في « باب الحرب خدعة » من

= قال المناوي : (دعوا الحبشة) أي اتركوا الحبشة والترك ماداموا تاركين لكم ، وذلك لأن بلاد الحبشة وَصْرَةٌ ، وبين المسلمين وبينهم مفاوز وقفار وبجار ، فلم يكلف المسلمين بدخول ديارهم لكثرة التعب ، أما الترك فبأسهم شديداً وبلادهم باردة والعرب وهم جند الإسلام كانوا من البلاد الحارة فلم يكلفهم دخول بلادهم ، وأما إذا دخلوا بلاد الإسلام والعياذ بالله فلا يباح ترك القتال كما يدل عليه ما ودعوكم .

١٠٠٩ - كشف الأستار (٣ / ١٤٣) .

والمعجم الكبير (٢ / ٢١٥) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٩١) : رواه الطبراني والبزار ، ورجال البزار رجال الصحيح غير أحمد بن يحيى الأودي ، وهو ثقة .

١٠١٠ - البخاري (٦ / ٢١٩) ٥٧ - كتاب فرض الخمس - ٨ - باب قول النبي ﷺ : « أَجِلْتُ لَكُمْ الْفَنَاءَ » .

ومسلم (٤ / ٢٢٣٦) ٥٢ - كتاب الفتن وأثرها الساعة - ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيمتني أن يكون مكان الميت من البلاد .

(١) مسلم في الموضع السابق .

كتاب الجهاد « هلك كسرى ثم لا يكون كسرى بعده ، وليهلكن قيصر » قيل : والحكمة فيه أنه قال ذلك لما هلك كسرى بن هرمز كما سيأتي في حديث أبي بكر في كتاب الأحكام قال : « بلغ النبي ﷺ أن أهل فارس ملكوا عليهم امرأة » الحديث ، وكان ذلك لما مات شيرويه بن كسرى فأمروا عليهم بنته بوران . وأما قيصر فعاش إلى زمن عرسنة عشرين على الصحيح ، وقيل مات في زمن النبي ﷺ والذي حارب المسلمين بالشام ولده وكان يلقب أيضاً قيصر . وعلى كل تقدير فالمراد من الحديث وقع لا محالة لأنها لم تبقى مملكتها على الوجه الذي كان في زمن النبي ﷺ كما قرره . ١ هـ . فتح .

أقول : بل كسرى وقيصر للجنس ، ولقد أنهى المسلمون حكم الأكاسرة ثم لم يعد ، وكان يزدجرد آخر الأكاسرة قتل في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه ، وأنهى محمد الفاتح حكم القياصرة في القسطنطينية ثم لم يعد .

١٠١١ - * روى مسلم عن نافع بن عتبة بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ ، قَالَ : فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَوْمٌ مِنَ قَبْلِ الْمَغْرِبِ عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ ، فَوَاقَوْهُ عِنْدَ أَكْمَةٍ ، فَإِنَّهُمْ لَقِيَامَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ ، قَالَ : فَقَالَتْ لِي نَفْسِي : أَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ لَا يَغْتَالُونَهُ ، قَالَ : ثُمَّ قُلْتُ : لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ ، فَأَتَيْتُهُمْ ، فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ، قَالَ : فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعُدُّهُنَّ فِي يَدَيَّ ، قَالَ : « تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ ، فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ثُمَّ فَارِسَ ، فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ . ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ ، فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ . ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَالَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ » قَالَ نَافِعٌ : يَا جَابِرُ - هُوَ جَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ - لَا نَرَى الدَّجَالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ .

١٠١١ - مسلم (٤ / ٢٢٢٥) ٥٢ - كتاب الفتن وأثرها الساعة - ١٢ - باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال .

أكمة : الأكمة : الرابية ، والموضع المرتفع من الأرض .

يفتالونه : الاغتيال : أن يقتل بفتنة .

النجي : المناجي وهو المسارر .

تفتحون جزيرة العرب : فتحت جزيرة العرب في عهد النبي ﷺ ثم فتحت في عهد أبي بكر رضي الله عنه بعد وقوع الردة .

١٠١٢ - * روى البخاري عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : بيئنا أنا عند النبي ﷺ ، إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال : « يا عدي ، هل رأيت الحيرة ؟ » قلت : لم أرها ، وقد أثبتت عندها ، قال : « فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف أحداً إلا الله تعالى » قلت فيما بيئي وبين نفسي : فأين دعار طيء الذين قد سعروا البلاد ؟ « ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى » قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : « كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملاء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه ، فلا يجد أحداً يقبله منه ، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له ، فيقولن : ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول : بلى . فيقولن : ألم أعطيك مالا ، وأفضل عليك ؟ فيقول : بلى فينظر عن يمينه ، فلا يرى إلا جهنم ، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم » قال عدي : سمعت النبي ﷺ يقول : « اتقوا النار ولو بشق تمر ، فمن لم يجد شق تمر فبكلمة طيبة » قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنت فبين افتتح كنوز كسرى ابن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترؤن ما قال النبي أبو القاسم ﷺ : « يخرج ملاء كفه ... » .

قال في الفتح : قوله (الحيرة) بكسر المهملة وسكون التحتانية وفتح الراء كانت بلد ملوك العرب الذين تحت حكم آل فارس ، وكان ملكهم يومئذ إياس بن قبيصة الطائي وليها من تحت يد كسرى بعد قتل النعمان بن المنذر ، ولهذا قال عدي بن حاتم « فأين دعار طيء » ووقع في رواية لأحمد من طريق الشعبي عند عدي بن حاتم « قلت يا رسول الله فأين مقاتب طيء ورجالها » ومقاتب بالقاف جمع مقتب وهو العسكر ويطلق على

١٠١٢ - البخاري (٦ / ٦١٠) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٥ - باب علامات النبوة في الإسلام .

الظعينة : المرأة ما دامت في الهودج ، هذا هو الأصل ، ثم سميت به المرأة ظعينة وإن لم تكن في هودج ولا مسافرة .

الفرسان . قوله (حتى تطوف بالكعبة) زاد أحد من طريق أخرى عن عدي « في غير جواز أحد » . قوله (فأين دعارطيء) الدعار جمع داعر وهو بمهملتين وهو الشاطر الخبيث المفسد ، وأصله عود داعر إذا كان كثير الدخان قال الجواليقي : والعمامة تقوله بالذال المعجمة فكأنهم ذهبوا به إلى معنى الفزع والمعروف الأول . والمراد قطاع الطريق . وطبيء قبيلة مشهورة ، منها عدي بن حاتم المذكور ، وبلادهم ما بين العراق والحجاز ، وكانوا يقطعون الطريق على من مر عليهم بغير جواز ، ولذلك تعجب عدي كيف تمر المرأة عليهم وهي غير خائفة . قوله (قد سعروا البلاد) أي أوقدوا نار الفتنة ، أي ملؤا الأرض شراً وفساداً ، وهو مستعار من استعار النار وهو توقدها . قوله (كنوز كسرى) وهو علم على من ملك الفرس ، لكن كانت المقالة في زمن كسرى بن هرمز (اسمه ابرويز) ولذلك استفهم عدي بن حاتم عنه ، وإنما قال ذلك لعظمة كسرى في نفسه إذ ذاك . قوله (فلا يجد أحداً يقبله منه) أي لعدم الفقراء في ذلك الزمان ، وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام ، ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى ما وقع في زمن عمر بن عبد العزيز وبذلك جزم البيهقي وأخرج في « الدلائل » من طريق يعقوب بن سفيان بسنده إلى عمر بن أسيد ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال « إنما ولي عمر بن عبد العزيز ثلاثين شهراً ، ألا والله ما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء ، فما يبرح حتى يرجع بماله يتذكر من يضعه فيه فلا يجده ، قد أغنى عمر الناس » قال البيهقي : فيه تصديق ما روينا في حديث عدي بن حاتم انتهى . ولا شك في رجحان هذا الاحتمال على الأول لقوله في الحديث « ولئن طالت بك حياة » قوله (بشق تمرة) بكسر المعجمة أي نصفها ، وفي رواية المستطلي « بشقة تمرة » وكذا اختلفوا في قوله بعده « فن لم يجد شق تمرة » قال المستطلي « شقة » . قوله (ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي ﷺ) هو مقول عدي بن حاتم ، وقوله « يخرج ملء كفه - أي من المال - فلا يجد من يقبله » رواية أحمد المذكورة « والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة ؛ لأن النبي ﷺ قد قالها » وقد وقع ذلك كما قال النبي ﷺ وآمن به عدي . واستدل به بعضهم على جواز سفر المرأة وحدها في الحج الواجب وبالله التوفيق . اهـ الفتح .

١٠١٣ - * روى الطبراني عن عدي بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : « تَمَثَّلْتُ لِي الْحَيَرَةُ كَأَنْيَابِ الْكِلَابِ ، وَإِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَهَا » فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَبْ لِي بِنْتُ بَقِيلَةَ فَقَالَ : « هِيَ لَكَ . فَأَعْطُوهُ إِيَّاهَا » فَجَاءَ أَخُوهَا فَقَالَ : تَبِعُهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ قَالَ : فَاحْتَكِمْ مَا شِئْتَ . قَالَ : بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ، قَالَ : قَدْ أَخَذْتُهَا بِأَلْفٍ ، قَالُوا : لَوْ قُلْتَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا . قَالَ : وَهَلْ عَدَدَةُ أَكْبَرَ مِنْ أَلْفٍ .

١٠١٤ - * روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ : أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ ؟ » قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : نقول كما أمرنا الله عز وجل ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ تَتَنَافَسُونَ ، ثُمَّ تَتَخَاسِدُونَ ، ثُمَّ تَتَدَابِرُونَ ، أَوْ تَتَبَاغَضُونَ ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضُهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ » .

١٠١٥ - * روى البخاري ومسلم عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ يَدْخُلُ عَلَى أُمَّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عِبَادَةِ بِنِ الصَّامِتِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأُطْعِمَتْهُ وَجَعَلَتْ تَقْلِي رَأْسَهُ ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ ، قَالَتْ فَقُلْتُ : وَمَا يَضْحَكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عَرِضُوا عَلَيَّ غُرَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الْأَسِرَّةِ - أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى

١٠١٣ - المعجم الكبير (١٧ / ٨١) .

وقال الميثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٢١٢) : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

١٠١٤ - مسلم (٤ / ٢٢٧٤) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق - حديث (٧) .

فقول كما أمرنا الله : معناه نحمده ونشكره ، ونسأله المزيد من فضله .

تتنافسون ثم تتعاسدون ثم تتدابرون ... الخ : قال العلماء : التنافس إلى الشيء المسابقة إليه وكراهة أخذ غيرك إياه ، وهو أول درجات الحسد ، وأما الحسد فهو تمنّي زوال النعمة عن صاحبها . والتدابير التقاطع . وقد يبقى مع التدابير شيء من المودة أو لا يكون مودة ولا بغض . وأما التباغض فهو بعد هذا . ولهذا رتب في الحديث . ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض : أي ضعفائهم فتجعلون بعضهم أمراء على بعض .

١٠١٥ - البخاري (٦ / ١٠) ٥٦ - كتاب الجهاد - ٣ - باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء .

ومسلم (٣ / ١٥١٨) ٢٣ - كتاب الإمارة - ٤٩ - باب فضل الغزو في البحر .

ثَبَجُ الْبَحْرِ : وسطه ، وثبج كل شيء : وسطه .

الأسيرة « شك إسحاق - قالت فقلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، فدعا لها رسول الله ﷺ . ثم وضع رأسه ، ثم استيقظ وهو يضحك . فقلت : وما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : « ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله » - كما قال في الأول - قالت فقلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : « أنت من الأولين » فركبت البحر في زمن معاوية بن أبي سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت .

وفي رواية عن أنس عن خالته أم حرام بنت ملحان قالت ^(١) : نام النبي ﷺ يوماً قريباً مني ، ثم استيقظ يتبسم ، فقلت : ما أضحكك ؟ قال : « أناس من أمتي عرضوا علي ، يركبون هذا البحر الأخضر ، كالملوك على الأسيرة » قالت : ادع الله أن يجعلني منهم ، فدعا لها ... ثم ذكر نحوه بمعناه .

وفي أخرى ^(٢) : ما يضحكك يا رسول الله - بأبي أنت وأمي ؟ - قال : « أريت قوماً من أمتي » . وفيه : « يركبون ظهر البحر » - وفيه - « فإنك منهم » وفيه : فتزوجها عبادة بن الصامت بعد ، فغزا في البحر ، فحملها معه ، فلما أن جاءت قربت لها بغلة فركبتها ، فصرعتها ، فاندقت عنقها .

وفي أخرى قال ^(٣) : أتى رسول الله ﷺ ابنة ملحان خالة أنس ، فوضع رأسه عندها - وعنده البخاري : فأتتها عندها - ثم ضحك ، فقالت : لم تضحك يا رسول الله ؟ فقال : « ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله ، مثلهم مثل الملوك على

= مثل الملوك على الأسيرة : قيل : هو صفة لهم في الآخرة ، إذا دخلوا الجنة . والأصح أنه صفة لهم في الدنيا . أي يركبون مراكب الملوك لسعة حالهم واستقامة أمرهم وكثرة عددهم .

(١) البخاري (١٨ / ٦) ٥٦ - كتاب الجهاد - ٨ - باب فضل من يُضْرَع في سبيل الله فمات فهو منهم .

ومسلم بنحوه (٤ / ١٥١٩) ٣٣ - كتاب الإمارة - ٤٩ - باب فضل الغزو في البحر .

(٢) مسلم في نفس الموضع السابق .

(٣) البخاري (٦ / ٧٦) ٥٦ - كتاب الجهاد - ٦٣ - باب غزو المرأة في البحر .

البحر الأخضر : قال الحافظ في الفتح : قال الكيرماني : هي صفة لازمة للبحر لا محصنة . أنتهى . ويحتمل أن تكون محصنة لأن البحر يطلق على الملح والعذب ، فجاء لفظ الأخضر لتخصيص الملح بالمراد . قال : والماء في الأصل =

الأسيرة» : فقالت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : « اللهم اجعلها منهم » ثم عاد فضحك ، فقالت له مثل - أو مم - ذلك ، فقال لها مثل ذلك فقالت : ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : « أنت من الأولين ، ولست من الآخرين » قال : قال أنس : فتزوجت عبادة بن الصامت ، فركبت البحر مع بنت قرظ ، فلما قفلت ركبته دأبتها ، فوقعت بها ، فسقطت عنها فانت .

فوائد حول قصة أم حرام بنت ملحان :

* حول دخوله صلى الله عليه وسلم على (أم حرام بنت ملحان) قال النووي :

اتفق العلماء على أنها كانت محرماً له ﷺ ، واختلفوا في كيفية ذلك : فقال ابن عبد البر وغيره : كانت إحدى خالاته من الرضاعة . وقال آخرون : بل كانت خالة أبيه لجدته . لأن عبد المطلب كانت أمه من بني النجار .

* قوله (في زمن معاوية) قال القاضي : قال أكثر أهل السير والأخبار : إن ذلك كان في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه . وإن فيها ركبت أم حرام وزوجها إلى قبرس فصرعت عن دأبتها هناك . فتوفيت ودفنت هناك . وعلى هذا يكون قوله : في زمان

= لا لون له : وإنما تنعكس الخضرة من انعكاس الهواء وسائر مقابلاته إليه . وقال غيره : إن الذي يقابله السماء . وقد أطلقوا عليها الخضراء لحديث « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء » والعرب تطلق الأخضر على كل لون ليس بأبيض ولا أحمر . قال الشاعر :

وأنتَ الأخضر من يمرّني أخضر الجلسدة من نسل العرب

يعني أنه ليس بالأحمر كالمعجم .

بنت قرظ : هي زوج معاوية ، واسمها فاختة ، وقيل : كنود ، وأبوها قرظ ، هو ابن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف وهي قرشية نوفلية .

وقصت بها دأبتها : أي : دقت عنقها ، يقال : وقصت عنقه ، فهي موقوفة . قال الحميدي : كذا في هذه الرواية بالواو ، وكذا فسر ، ولعله على المسأل ، وقال : ومنهم من رواه (رقصت) بالراء ، أي : أسرعت وزادت في المشي ، وإنما وقع الخلاف لقوله : (فوقعت بها دأبتها ، فسقطت) فظاهره : أن الوقص قبل السقوط ، وإنما الوقص من السقوط وبعده ، لا قبله ، قال : وقال الهروي في تفسير الحديث الذي فيه (فرك فرساً ، فجعل يتوقص به) أي ينزو ويثب ، فجعل النزو والوثوب توقصاً ، لادقاً للعنق ، فعلى هذا يحتمل ما في الرواية الأولى ، والذي ذكره الهروي صحيح ، فإن الوقص في اللغة : هو وثوب الدابة ونزوها ، يقال : مر فلان توقص به دابته ، أي : تثب به وثباً متقارب الخطو .

معاوية - معناه في زمان غزوه في البحر ، لا في أيام خلافته .

* هناك خلاف حول موضع قبر بنت ملحان وهذا تحقيق صاحب الفتح في ذلك :

والحاصل أن البغلة الشهباء قربت إليها لتركبها فشرعت لتركب فسقطت فاندقت عنقها فماتت ، وظاهر رواية الليث أن وقعها كانت بساحل الشام لما خرجت من البحر بعد رجوعهم من غزاة قبرس ، لكن أخرج ابن أبي عاصم في كتاب الجهاد عن هشام بن عمار بن يحيى بن حمزة بالسند الماضي لقصة أم حرام في « باب ما قيل في قتال الروم » وفيه « وعبادة نازل بساحل حمص » قال هشام بن عمار رأيت قبرها بساحل حمص ، وجزم جماعة بأن قبرها بجزيرة قبرس ، فقال ابن حبان بعد أن أخرج الحديث من طريق الليث بن سعد بسنده : « قبر أم حرام بجزيرة في بحر الروم يقال لها قبرس ، بين بلاد المسلمين وبينها ثلاثة أيام » وجزم ابن عبد البر بأنها حين خرجت من البحر إلى جزيرة قبرس قربت إليها دابتها فصرعها . وأخرج الطبري من طريق الواقدي أن معاوية صالحهم بعد فتحها على سبعة آلاف دينار في كل سنة ، فلما أرادوا الخروج منها قربت لأم حرام دابة لتركبها فسقطت فماتت فقبرها هناك يستسقون به ويقولون قبر المرأة الصالحة ، ثم وقفت على شيء يزول به الإشكال من أصله وهو ما أخرجه عبد الرزاق بسنده ... وذكر ابن حجر الحديث وفيه قال عطاء : فرأيتها في غزاة غزاها المنذر بن الزبير إلى أرض الروم فماتت بأرض الروم » وهذا إسناد على شرط الصحيح اهـ .

١٠١٦ - * روى مسلم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم ستفتحون أرضاً يُذكر فيها القيراط » وفي رواية (١) « ستفتحون مصرَ ، وهي أرض يسمى فيها القيراط - فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإن هم ذمّة ورجياً » .

١٠١٦ - مسلم (٤ / ١٩٧٠) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٥٦ - باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر .
القيراط : قال العلماء : القيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرها . وكان أهل مصر يكثر من استعماله والتكلم به .

(١) مسلم (٤ / ١٩٧٠) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٥٦ - باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر .
ذمّة : الذمّة هي الحرمة والحق . وهي هنا بمعنى الذمام .

وفي أخرى ^(١) « فإذا فتحتموها فأحسِنوا إلى أهلها ، فإن لهم ذِمَّةً وَرَجاً - أو قال : « ذِمَّةً وَصِهْرًا - فإذا رأيتَ رجلين يختصمان فيها في موضع لَبَنَةٍ فأخرج منها » قال : فرأيتَ عبدَ الرحمن بن شُرَحبيل بن حَسَنَة وأخاه ربيعة يختصمان في موضع لَبَنَةٍ ، فخرجت منها .

١٠١٧ - * روى أحمد عن أبي قَبِيلٍ قال : كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص وسئل أيُّ المدينتين تُفتح أولاً القسطنطينية أو رومية ؟ فدعا عبدُ الله بصندوق له خَلَقٌ قال : فأخرج منه كتاباً ، قال : فقال عبد الله : بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ أيُّ المدينتين تُفتح أولاً القسطنطينية أو رومية ؟ فقال رسول الله ﷺ : « مدينة هِرَقْل تُفتح أولاً » يعني قسطنطينية .

١٠١٨ - * روى أحمد والبخاري عن بشير الخثعمي أنه سمع النبي ﷺ يقول : « لَتَقْتَحَنَّ القسطنطينية . فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش » قال : فدعاني مَسْلَمَةُ بن عبد الملك فسألني فحدثته ففرا القسطنطينية .

أقول : قد كتب الله لحمد الفاتح هذا الفضل بعد النبي ﷺ بثمانية قرون ونصف القرن .

١٠١٩ - * روى الطبراني عن يزيد بن معاوية العامري أنه سمع عبد الله بن مسعود

(١) مسلم في نفس الموضع السابق .

ورحما : الرحم لكون هاجر أم إسماعيل منهم .

وصهراً : الصهر لكون مارية أم إبراهيم منهم ، ويمكن أن تكون الرحم والصهر بسبب كلٍّ مِنْ هاجر ومارية .

١٠١٧ - أحمد في مسنده (١٧٦ / ٢) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٩ / ٦) : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل ، وهو ثقة .

أقول : وقال عنه الحافظ في التقریب : صدوق بهم .

١٠١٨ - أحمد في مسنده (٣٣٥ / ٤) .

كشف الأستار (٢٥٨ / ٢) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٨ / ٦) : رواه أحمد والبخاري والطبراني ، ورجاله ثقات .

١٠١٩ - المعجم الكبير (٢٧٧ / ٩) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٢ / ٧) : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

يقول : كيف أنتم إذا رأيتم قوماً أو أتاكم قومٌ لَطَخُ الوجوه ؟ ! .

١٠٢٠ - * روى أحمد عن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يوشك أن يبلأ الله عز وجل أيديكم من العَجَمِ ثم يكونون أسداً لا يفرون فيقتلون مقاتلتكم ويأكلون قِيَتكم » .

١٠٢١ - * روى أحمد وأبو داود عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا » فقال قائل : ومن قَلْبِي نحن يَوْمئذٍ ؟ قال : « بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غَشَاءٌ كَغَشَاءِ السَّيْلِ ، وَلْيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ ، وَلْيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ » فقال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : « حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ » .

قال في عون المعبود :

والمعنى كما يدعو أكلة الطعام بعضهم بعضاً (إلى قصعتها) الضير للأكلة أي التي يتناولون منها بلا مانع ولا منازع فيأكلونها عفواً صفواً كذلك يأخذون ما في أيديكم بلا تعب ينالهم أو ضرر يلحقهم أو بأس يمنعهم ، قاله القاري قال في الجمع أي يقرب أن فرق الكفر وأمم الضلالة أن تداعي عليكم أي يدعو بعضهم بعضاً إلى الاجتماع لقتالكم وكسر شوكتكم ليغلبوا على ما ملكتموها من الديار ، كما أن الفئة الأكلة يدعو بعضهم بعضاً إلى قصعتها التي يتناولونها من غير مانع فيأكلونها صفواً عن غير تعب انتهى .

١٠٢٢ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ كَانَ عَلَى

١٠٢٠ - أحمد في مسنده (١١ / ٥) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٣١٠) : رواه أحمد والبزار والطبراني ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

١٠٢١ - أحمد في مسنده (٥ / ٢٧٨) .

وأبو داود (٤ / ١١١) كتاب الملاحم - باب في تداعي الأمم على الإسلام . وهو حديث حسن .

تداعي : التداعي : التتابع ، أي : يدعو بعضها بعضاً فتجيب .

الأكلة : جمع أكل . غَشَاءٌ : الغطاء : هو ما يلقيه السيل .

١٠٢٢ - مسلم (٤ / ١٨٨٠) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٦ - باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما .

حِرَاءَ ، هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَثَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ ، فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « اهدأ ، فما عليك إلا نبيٌّ ، أو صديق ، أو شهيد » .

وفي رواية ^(١) : أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء . فتحرَّك ، فقال رسول الله ﷺ : « اسكن حِرَاءَ ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ ، أو صَدِيقٌ ، أو شهيدٌ » وَعَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعَثَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَطَلْحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ ، وسعد بن أبي وقاص .

فائدة : سعد بن أبي وقاص مات على فراشه فهو صديق .

١٠٢٣ - * روى الترمذي عن أبي عبد الرحمن السلمي ، قال : لما حَصَرَ عَثَانُ رضي الله عنه أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ فَوْقَ دَارِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَذْكُرُكُمْ بِاللَّهِ ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ حِرَاءَ حِينَ انْتَفَضَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اثْبُتْ حِرَاءَ ، فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أو صَدِيقٌ أو شهيدٌ ؟ » قَالُوا : نعم ، قَالَ : أَذْكُرُكُمْ بِاللَّهِ ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي جَيْشِ الْعُسرة : « مَنْ يُنْفِقْ نَفَقَةً مُتَقَبِّلَةً » - وَالنَّاسُ مُجْهَدُونَ مُعْسِرُونَ - فَجَهَزْتُ ذَلِكَ الْجَيْشَ ؟ قَالُوا : نعم .

ثم قال : أَذْكُرُكُمْ بِاللَّهِ ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ بَرَّ رُومَةَ ، لَمْ يَكُنْ يَشْرَبُ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا بِثَمَنِ فَاثْبَتَهَا فَجَعَلْتُهَا لِلْفَقِيرِ وَابْنِ السَّبِيلِ ؟ قَالُوا اللَّهُمَّ نَعَمْ ، وَأَشْيَاءَ عَدَّهَا .

وفي رواية البخاري ^(٢) : أن عثان رضي الله عنه حيث حُوصِرَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ : أَنَشُدُّكُمْ اللَّهَ ، وَلَا أَنشُدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ

(١) مسلم في نفس الموضع السابق .

١٠٢٣ - الترمذي (٥ / ٦٢٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ١٩ - باب في مناقب عثان رضي الله عنه .

جَهْدٌ : الرجل فهو مجهد : إذا وجد مشقة ، وهو من الجهد ، وجهد الناس : إذا قحطوا ، فهم مجهدون ، فأما أَجْهَدُ فهو مُجْهَدٌ ، فإنما يكون على تقدير أنه وقع في الجهد ، وهو المشقة ، وكذلك مجهد - بالكسر - أي : إنه ذو جهد ومشقة ، أو هو من أَجْهَدَ دابته : إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها ، ورجل مجهد ومجهد : إذا كان ذا دابة ضعيفة ، فاستعاره للحال في قلة المال ونحوه .

وابن السبيل : السبيل : الطريق ، وابن السبيل : هو المسافر ، كأنه للزومه السفر والطريق نسب إليها .

(٢) البخاري (٥ / ٤٠٦) ٥٥ - كتاب الوصايا - ٣٣ - باب إذا وقف أرضاً أو بئراً أو اشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين .

حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ « فحَفَرْتُهَا ؟ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ » فَجَهَّزْتُهُ ؟ قَالَ : فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ . وَقَالَ عُمَرُ فِي وَقْفِهِ : لَا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَنَا أَنْ يَأْكُلَ ، وَقَدْ يَلِيهِ الْوَاقِفُ وَغَيْرُهُ ، فَهُوَ وَاسِعٌ لِكُلِّ .

١٠٢٤ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَعِدَ أَحَدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ ، فَرَجَفَ بِهِمْ ، فَقَالَ : « أَثْبِتْ أَحَدُ فَإِنَّ عَلَيْكَ نَبِيًّا وَصِدِّيقًا وَشَهِيدَانِ » .

وفي رواية (٢) : « أَثْبِتْ حَرَاءَ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ .

١٠٢٥ - * روى أحمد عن عبد الله بن حوالة قال : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ دُؤْمَةٍ ، وَعِنْدَهُ كَاتِبٌ لَهُ يَلِي عَلَيْهِ ، فَقَالَ : « أَلَا أَكْتُبُكَ يَا ابْنَ حَوَالَةَ ؟ » قُلْتُ : لَا أَدْرِي مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ فَأَعْرَضَ عَنِّي . وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ مَرَّةً فِي الْأَوَّلَى : « نَكْتُبُكَ يَا ابْنَ حَوَالَةَ ؟ » قُلْتُ : لَا أَدْرِي فِيمَ يَارَسُولَ اللَّهِ ؟ فَأَعْرَضَ عَنِّي ، فَأَكْبَ عَلَيَّ كَاتِبُهُ يَلِي عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَنْكُتُكَ يَا ابْنَ حَوَالَةَ ؟ » قُلْتُ : مَا أَدْرِي مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ ؟ فَأَعْرَضَ عَنِّي ، فَأَكْبَ عَلَيَّ كَاتِبُهُ يَلِي عَلَيْهِ ، قَالَ : فَانْظُرْتُ فَإِذَا فِي الْكِتَابِ عُمَرُ ، فَقُلْتُ : إِنْ عَمِرَ لَا يَكْتُبُ إِلَّا فِي خَيْرٍ ، ثُمَّ قَالَ : « أَنْكُتُكَ يَا ابْنَ حَوَالَةَ ؟ » قُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ : « يَا ابْنَ حَوَالَةَ كَيْفَ تَفْعَلُ فِي فِتْنَةٍ تَخْرُجُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ كَأَنَّهَا صَيَّاصِي بَقَرٍ ؟ » قُلْتُ : لَا أَدْرِي مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ . قَالَ : « وَكَيْفَ تَفْعَلُ فِي أُخْرَى تَخْرُجُ بَعْدَهَا كَأَنَّ

١٠٢٤ - البخاري (٧ / ٢٢) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٥ - باب قول النبي ﷺ : « لَوْ كُنْتُ مَتَخَذًا خَلِيلًا » .

(١) الترمذي (٥ / ٦٥١) عن سعيد بن زيد - ٥٠ - كتاب المناقب - ٢٨ - باب مناقب سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه .

وفي الباب عن سهل بن سعد عند الموصلي بإسناد صحيح . وعن سعيد بن زيد عند ابن ماجه وأدخل فيه عبد الرحمن بن عوف ونفسه ، وعن بُرَيْدَةَ عند أحمد برجال الصحيح مقتصرًا على أبي بكر وعمر وعثمان .

١٠٢٥ - أحمد في مسنده (٤ / ١٠٩) .

وقال الميثني في جمع الزوائد (٩ / ٨٨) : رواه أحمد والطبراني بنحوه ، ورجالها رجال الصحيح .

ظِلُّ دُؤْمَةٍ : دُؤْمَةٌ : نوع من الشجر .

صَيَّاصِي : المراد بالصيافي هنا القرون .

الأولى فيها انتفاجة أرنب ؟ « قلت : لا أدري ما خار الله لي ورسوله قال : « اتَّبِعُوا هذا » قال : ورجل مُقَفَّ حَيْثُذ . قال : فانطلقت فسمعت وأخذت بمنكبيه ، فأقبلت بوجهه إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : هذا . قال : « نعم » قال : وإذا هو عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وفي رواية ^(١) : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ مِنْ أَسْفَارِهِ فَنَزَلَ النَّاسُ مَنَزِلًا وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ظِلِّ دَوْمَةٍ فَرَأَيْتُ مُقْبِلًا مِنْ حَاجَةِ لِي وَلَيْسَ غَيْرِي وَغَيْرُ كَاتِبِهِ وَقَالَ فِيهِ : فَإِذَا فِي صَدْرِ الْكِتَابِ أَبُو بَكْرٍ . وَعَمَرَ وَقَالَ فِيهِ : أَصْنَعْ مَاذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « عَلَيْكَ بِالشَّامِ » وَقَالَ فِيهِ : فَلَا أُدْرِي كَيْفَ قَالَ فِي الْآخِرَةِ ؟ وَلَأَنْ أَكُونَ عَلِمْتُ كَيْفَ قَالَ فِي الْآخِرَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا .

أقول : في الحديث إشارة إلى « أنه سيحصل خلاف وفتنة يكون عثمان بن عفان رضي الله عنه على الحق ومعارضوه على الباطل . وإشارة إلى أن الشام ستكون في معزل عن هذه الفتنة فمن أراد السلامة فليلحق بها ، وهذا ما وقع فعلاً فإن أحداً من الشام لم يخرج على عثمان .

١٠٢٦ - * روى الطبراني عن أبي سعيد الخدري قال : وقف رسول الله ﷺ بالأسواف ، وبلال معه ، فذُلِّي رجليه في البئر ، وكشف عَنْ فَخْذَيْهِ ، فجاء أبو بكر يستأذن ، فقال : « يَا بَلَالُ أَئِذْنُ لَهُ وَبَشْرُهُ بِالْجَنَّةِ » فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ ودلِّي رجليه في البئر ، وكشف عن فخذيه ، ثم جاء عمر يستأذن . فقال : « أَئِذْنُ لَهُ يَا بَلَالُ وَبَشْرُهُ بِالْجَنَّةِ » فدخل فجلس عن يسار رسول الله ﷺ ودلِّي رجليه في البئر وكشف عن فخذيه ، ثم جاء عثمان يستأذن ، فقال : « أَئِذْنُ لَهُ يَا بَلَالُ وَبَشْرُهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلَوَى

= الانتفاجة : أي وثبة .

(١) أحمد في مسنده (٣٢ / ٥) .

١٠٢٦ - أوردته الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٧ / ١) وقال: رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني علي بن سعيد ، وهو حسن الحديث .
الأسواف : موضع بالمدينة .

تصيبه « فدخل عثمان فجلس قباله رسول الله ﷺ ودلى رجله في البئر وكشف عن فخذه .

١٠٢٧ - * روى أحمد والطبراني عن ابن عمر قال : رأى النبي ﷺ على عمر ثوباً أبيض . فقال : « أجديت ثوبك أم غسيل ؟ » فقال : فلا أدري ما رد عليه . فقال النبي ﷺ : « ألبس جديداً وعش حميداً ومُتْ شهيداً ويرزقك الله قرّة عين في الدنيا والآخرة » .

وزاد الطبراني بعد قوله : « يرزقك الله قرّة عين في الدنيا والآخرة » قال : وإياك يا رسول الله .

١٠٢٨ - * روى أحمد والبخاري عن أبي رافع : أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب : « إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر » قال : أنا يا رسول الله ؟ قال : « نعم » قال : أنا ؟ قال : « نعم » قال : فأنا أشقاهم يا رسول الله ؟ قال : « لا ولكن إذا كان ذلك فاردّها إلى ماؤها » .

١٠٢٩ - * روى الطبراني عن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه قال : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَبْرِ حَمْرَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَجَعَلُوا يَجْرُونَ النِّمْرَةَ عَلَى وَجْهِهِ فَتَنَكَّشَفَ قَدَمَاهُ وَيَجْرُونَهَا عَلَى قَدَمَيْهِ فَيَتَنَكَّشَفُ وَجْهُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اجْعَلُوهَا عَلَى وَجْهِهِ ، وَاجْعَلُوا عَلَى قَدَمَيْهِ مِنْ هَذَا الشَّجَرِ » قَالَ : فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ ، فَإِذَا أَصْحَابُهُ يَبْكُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَخْرُجُونَ إِلَى الْأُرْيَافِ فَيَصِيبُونَ مِنْهَا مَطْعَماً وَمَلْبَساً وَمَرْكَباً » أَوْ قَالَ : « مَرَاجِبٌ فَيَكْتُبُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ :

١٠٢٧ - أحمد في مسنده (٨٩ / ٢) .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٣ / ٩) وقال : رواه أحمد والطبراني ، ورجالها رجال الصحيح .

١٠٢٨ - أحمد في مسنده (٣٩٣ / ٦) .

كشف الاستار (٩٣ / ٤) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٣٤ / ٧) : رواه أحمد والبخاري ، ورجالها ثقات .

١٠٢٩ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٠١ / ٣) ، وقال : رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن .

الغرة : بفتح النون وكسر الميم : وهي بردة من صوف تلبسها الأعراب .

هَلُمَّ إِلَيْنَا ، فَإِنَّكُمْ بِأَرْضِ حِجَازٍ جَدُوبَةٍ ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ .

١٠٣٠ - * روى البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه : قال : قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هَلْ لَكُمْ مِنْ أُنْمَاطٍ ؟ » قلتُ : وأنى يكون لنا الأُنْمَاطُ ؟ قال : « أَمَا وَإِنَّهَا سَتَكُونُ لَكُمْ الأُنْمَاطُ » - فأنا أقول لها - يعني امرأته - أخري عَنَّا أُنْمَاطِكِ ، فتقول : ألم يقل رسولُ اللَّهِ ﷺ : إنها سَتَكُونُ لَكُمْ الأُنْمَاطُ فَأَدْعَهَا .

وفي رواية النسائي قال ^(١) : قال رسول الله ﷺ : « هل تزوجت ؟ » قلتُ : نعم ، قال : « أَتَخَذْتُمْ أُنْمَاطًا » . وذكر الحديث إلى قوله : « ستكون » .

١٠٣١ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما فَتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شاةٌ فيها سَمٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اجْعَمُوا لِي مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنَ الْيَهُودِ » فَجَمِعُوا لَهُ ، فَقَالَ لَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْهُ ؟ » قالوا : نعم يَا أبا القاسم ، فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَبُوكُمْ ؟ » قالوا : أبونا فُلَانٌ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كَذَبْتُمْ ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ » فقالوا : صَدَقْتَ وَبَرَزْتَ ، فَقَالَ : « هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ ؟ » فقالوا : نَعَمْ يَا أبا القاسم ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي آيِنَا ، فَقَالَ لَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَهْلُ النَّارِ ؟ » فقالوا : نكون فيها يَسِيرًا ، ثُمَّ تَخَلَّفُونَا فِيهَا ، فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اخْسَؤُوا فِيهَا ، وَاللَّهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا » ثُمَّ قَالَ لَهُمُ : « هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ ؟ » قالوا : نعم فقال : « هل جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سَمًا ؟ » فقالوا : نعم . فقال : « مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ ؟ » قالوا : أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ مِنْكَ ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ .

١٠٣٠ - البخاري (٦ / ٦٢٩) - كتاب المناقب - ٢٥ - باب علامات النبوة في الإسلام .

ومسلم (٣ / ١٦٥٠) - ٣٧ - كتاب اللباس والزينة - ٧ - باب جواز اتخاذ الأُنْمَاطِ .

أُنْمَاطُ : الأُنْمَاطُ جمع نَمَطٍ ، وهو من البُسْطِ معروف .

(١) النسائي (٦ / ١٣٦) كتاب النكاح - باب الأُنْمَاطِ .

١٠٣١ - البخاري (١٠ / ٢٤٤) - ٧٦ - كتاب الطب - ٥٥ - باب ما يذكر في سَمِ النَّبِيِّ ﷺ .

اخْسَؤُوا : خَسَّتْ الْكَلْبُ : إِذَا طَرَدَتْهُ وَأَبْعَدَتْهُ .

١٠٣٢ - * روى أبو داود عن عاصم بن كليب عن أبيه عن رجل من الأنصار قال :
 خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة ، فرأيت رسول الله ﷺ وهو على القبر يوصي الحافر :
 « أوسع من قبل رجلتيه ، أوسع من قبل رأسه » فلما رجع استقبله داعي امرأة ،
 فجاء ، وجيء بالطعام ، فوضع يده ثم وضع القوم فأكلوا ، فنظر أبائنا رسول الله ﷺ
 يُلوك لُقمة في فيه ، ثم قال : « أَجِدْ لَحْمَ شَاةٍ أُخِذَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ أَهْلِهَا » فأرسلت المرأة
 قالت : يا رسول الله ، إني أرسلت إلى البقيع يشتري لي شاة ، فلم أجِدْ ، فأرسلت إلى جار
 لي قد اشترى شاة أن أرسل إليَّ بها بئنها فلم يوجد ، فأرسلت إلى امرأته فأرسلت إليَّ بها ،
 فقال رسول الله ﷺ : « أَطْعِمِيهِ الْأَسَارَى » .

١٠٣٣ - * روى أحمد عن حذيفة أن نبي الله ﷺ قال : « فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ
 وَدَجَالُونَ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ مِنْهُمْ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » .

١٠٣٤ - * روى الطبراني عن النعمان بن بشير قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :
 « إِنْ بَيَّنَّ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَّابِينَ » .

١٠٣٢ - أبو داود (٣ / ٢٤٤) كتاب البيوع - باب في اجتناب الشبهات ، وإسناده صحيح .

يلوك : لاك اللقمة في فيه يلوكها : إذا مضغها .

قال في عون المعبود : (أرسلت إلي بها) أي بالشاة فظهر أن شراءها غير صحيح لأن إذن الزوجة ورضاها غير صحيح وهو يقارب بيع الفضولي المتوقف على إجازة صاحبه وعلى كل فالشبهة قوية والمباشرة غير مرضية .
 الأسارى : جمع أسير ، والغالب أنه فقير . وقال الضبي : وهم كفار ، وذلك أنه لما لم يوجد صاحب الشاة ليستحلوا منه وكان الطعام في صدد الفساد ، إذ الشرع لا يجيز إتلاف المال ولم يكن بد من طعام هؤلاء فأسمر بإطعامهم . أهـ .

١٠٣٣ - أحمد في مسنده (٥ / ٣٩٦) .

كشف الأستار (٤ / ١٣٢) .

والمعجم الكبير (٣ / ١٧٠) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢٣٤) : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط والبخاري ، ورجال البزار رجال الصحيح .

١٠٣٤ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢٣٥) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح غير جندل بن والي ، وهو ثقة .

١٠٣٥ - * روى أبو داود عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأُتْمَةَ الْمُضْلِينَ ، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي ، لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قِبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قِبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ » .

أقول : وضع السيف في عهد عثمان رضي الله عنه ولم يرفع بعد ذلك .

١٠٣٦ - * روى أحمد عن عبد الله بن عمر أنه كان عنده رجل من أهل الكوفة فجعل يُحَدِّثُهُ عَنْ الْمُخْتَارِ . فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : إِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُ فَلَا بَأْسَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنْ بَيَّنَّ يَدَيِ السَّاعَةِ ثَلَاثِينَ دَجَّالًا كَذَّابًا » .

وللطبراني في رواية قال ^(١) : « بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ الدَّجَالُ ، وَبَيْنَ يَدَيِ الدَّجَالِ كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ أَوْ أَكْثَرُ » قلنا : ما آيتهم ؟ قال : « أَنْ يَأْتُوَكُمْ بِسُنَّةٍ لَمْ تَكُونُوا عَلَيْهَا يُغَيِّرُونَ بِهَا سُنَّتَكُمْ وَدِينَكُمْ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَاجْتَنِبُوهُمْ وَعَادُوهُمْ » .

والروايات الصحيحة في هذا المعنى كثيرة .

أقول : إن المختار بن أبي عبيد آل أمره إلى ادعاء أنه يوحى إليه ، وادعى ادعاءات كثيرة كاذبة ولذلك أجمع العلماء على أنه كذاب ثقيف الذي ورد ذكره في النصوص .

١٠٣٧ - * روى الطبراني عن أبي إسحق قال : قلت لعبد الله بن عمر : إن المختار يزعم أنه يوحى إليه . قال : صدق . وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم .

١٠٣٥ - أبو داود مطولاً (٤ / ٩٧) كتاب الفتن والملاحم .. باب ذكر الفتن ودلائلها .

١٠٣٦ - أحمد في مسنده (٢ / ١١٨) .

(١) أورده الميثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢٣٣) ونسبه للطبراني .

١٠٣٧ - أورده الميثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢٣٣) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

١٠٣٨ - * روى الطبراني عن أبي نوفل بن أبي عقرب العرنجي قال : صلب الحجاج ابن الزبير على عقبة المدينة ليري ذلك قريشاً ، فلما أن تفرقوا جعلوا يَمرون فلا يقفون عليه حتى مر عليه عبد الله بن عمر ، فوقف عليه فقال : السلام عليك أبا حبيب (قالها ثلاث مرّات) لقد كنت نهيتك عن ذا (قالها ثلاث مرّات) لقد كنت صواماً قواماً ، تصلّ الرّحيم . فبلغ الحجاج موقف عبد الله بن عمر فبعث إليه ، فاستنزله فرمى به في قبور اليهود ، وبعث إلى أسماء بنت أبي بكر أن تأتيه وقد ذهب بصرها ، فأبّت ، فأرسل إليها لتجيبن أو لأبعثن إليك من يسحبك بقرونيك ، قالت : والله لا آتيك حتى ترسل إلي من يسحبني بقروني ، فأتاه رسوله فأخبره ، فقال له : يا غلام ناولني سبتيتي فنأوله نعليه ، فقام وهو يتوقّد ، حتى أتاها ، فقال : كيف رأيت الله صنع بعدو الله ؟ قالت : رأيتك أفسدت عليه دنياه ، وأفسدت عليك آخرتك ، وأمّا ما كنت تغيّره بذات النطاقين ، أجل لقد كان لي نطاقان : نطاق أعطني به طعام رسول الله ﷺ من النمل ونطاق آخر لأبد للنساء منه ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن في ثقيف مبيراً وكذاباً ، فأما الكذاب فقد رأيتاه ، وأمّا المبير فأنّت ذاك » قال : فخرج .

١٠٣٩ - * روى أبو يعلى عن أبي الجلاس قال : سمعت علياً يقول لعبد الله السبي

-
- ١٠٣٨ - أورده الميشتي في مجمع الزوائد (٢٥٦ / ٧) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .
 عقبة المدينة : الظاهر من قوله عقبة المدينة أن المراد بذلك العقبة التي يخرج منها الناس من مكة إلى المدينة : لأن ابن الزبير صلب في مكة .
 والعقبة : المرتقى الصعب من الجبال .
 فبعث إليه : أي إلى عبد الله بن الزبير .
 سبتيتي : الحذاء .
 النطاق : شقة من ملابس النساء .
 المبير : المهلك .
 الكذاب : هو المتنبي المختار بن أبي عبيد الثقفي .
- ١٠٣٩ - أورده الميشتي في مجمع الزوائد (٣٣٣ / ٧) وقال : رواه أبو يعلى ، ورجاله ثقات .
 عبد الله السبي : هو عبد الله بن سبأ ، ويلقب بابن السوداء ، يهودي تظاهر بالإسلام ، وغلا في علي بن أبي طالب ، وهو من طلائع الباطنية الغلاة في الأمة الإسلامية .
 ولعل الميشتي وثق رجاله لمعرفته بوجود شواهد ومتاهمات ، وإلا فقد ذكر ابن حجر أن أبا الجلاس مجهول ، والمشهور عند العام والخاص من المسلمين عن عبد الله السبي هذا أن دوره في الفتنة كان كبيراً .

وَيْلَكَ ، وَاللَّهِ مَا أَفْضَى إِلَيَّ بِشْيءٍ كَتَمْتَهُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ ، وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ : « إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ثَلَاثِينَ كَذَابًا وَإِنَّكَ لِأَحَدِهِمْ » .

١٠٤٠ - * روى البخاري ومسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : إِنَّ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ ، وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ بْنِ شَمَّاسٍ ، وَفِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدٍ ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : « لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أُعْطَيْتُكَهَا ، وَلَنْ تَعُدُّوا أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ ، وَلَئِنْ أَذْبُرْتَ لِيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ ، وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا رَأَيْتُ ، وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي » ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَسَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : إِنَّكَ أَرَى الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا أُرِيتُ فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سَوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ، فَأَهْمَنِي شَأْنُهُمَا ، فَأَوْحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ : أَنْ أَنْفُخَهُمَا فَنَفْخَتُهُمَا ، فَطَارَا ، فَأَوَّلْتُهُمَا ، كَذَابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي ، أَحَدُهُمَا : الْعَنْسِيُّ ، وَالْآخَرُ : مُسَيْلِمَةُ » .

وفي رَوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ ، قَالَ (١) : بَلَّغْنَا أَنَّ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَتَزَلَّ فِي دَارِ بِنْتِ الْحَارِثِ ، وَكَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ كُرَيْزٍ ، وَهِيَ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ غَامِرٍ ، فَأَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ بْنِ شَمَّاسٍ ، وَهُوَ الَّذِي يَقَالُ لَهُ : خَطِيبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَفِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَضِيبٌ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَكَلِمَهُ ، فَقَالَ لَهُ مُسَيْلِمَةُ : إِنَّ شَيْئًا خَلَيْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْأَمْرِ ، ثُمَّ جَعَلْتَهُ لَنَا بَعْدَكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَوْ سَأَلْتَنِي هَذَا الْقَضِيبَ مَا أُعْطَيْتُكَهُ ، وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا أُرِيتُ ، وَهَذَا ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ وَسَيَجِيبُكَ عَنِّي » فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ عبيد الله : سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا أُرِيتُ ، فَقَالَ

١٠٤٠ - البخاري (٨ / ٨٩) ٦٤ - كتاب المغازي - ٧٠ - باب وفد بني حنيفة ، وحديث ثمامة بن أثال .

ومسلم (٤ / ١٧٨٠) ٤٢ - كتاب الرؤيا - ١٤ - باب رؤيا النبي ﷺ .

(١) البخاري (٨ / ٩١) ٦٤ - كتاب المغازي - ٧١ - باب قصة الأسود العنسي .

ابن عباس : ذَكَرَ لي - وفي رواية : أَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ ... وذكر الحديث - وفي آخره : أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيُّ الَّذِي قَتَلَهُ فَيَرُوزُ بِاللَّيْنِ ، وَالْآخَرُ : مَسِيلَةُ .

وفي رواية : قال عبيد الله ^(١) : سألتُ عبد الله بن عباس عن رؤيا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التي ذكر ، فقال ابن عباس ذَكَرَ لي أن رسول الله ﷺ قال : « بينا أنا نائمٌ أُرِيتُ أَنَّهُ وُضِعَ في يدي سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ ، فَقَطَعْتُهُمَا وَكَرِهْتُهُمَا ، فَأَذِنَ لي ، فَنفَخْتُهُمَا ، فَطَارَا ، فَأُولَتْهُمَا كَذَابَيْنِ يَخْرُجَانِ » فقال عبيد الله : أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيُّ الَّذِي قَتَلَهُ فَيَرُوزُ بِاللَّيْنِ ، وَالْآخَرُ : مَسِيلَةُ الْكَذَّابِ .

قال ابن حجر : قوله (قدم مسيلة الكذاب على عهد النبي ﷺ) أي المدينة ، ومسيلة مصغر بكسر اللام ابن ثامة بن كبير بموحدة ابن حبيب بن الحارث من بني حنيفة . قال ابن إسحاق : ادعى النبوة سنة عشر ، وزعم وثبة في « كتاب الردة » أن مسيلة لقب واسمه ثامة ، وفيه نظر لأن كنيته أبو ثامة ، فإن كان محفوظاً فيكون من توافقت كنيته واسمه ، وسياق القصة يخالف ما ذكره ابن إسحاق أنه قدم مع وفد قومه ، وأنهم تركوه في رحالهم يحفظها لهم ، وذكروه لرسول الله ﷺ وأخذوا منه جائزته ، وأنه قال لهم : إنه ليس بشركم وأن مسيلة لها ادعى أنه أشرك في النبوة مع رسول الله ﷺ احتج بهذه المقالة ، وهذا مع شذوذه ضعيف السند لانقطاعه ، وأمر مسيلة كان عند قومه أكثر من ذلك ، فقد كان يقال له : رحمان اليامة لعظم قدره فيهم ، وكيف يلتئم هذا الخبر الضعيف مع قوله في هذا الحديث الصحيح أن النبي ﷺ اجتمع به وخاطبه وصرح له بحضرة قومه أنه لو سأله القطعة الجريدة ما أعطاه ، ويحتمل أن يكون مسيلة قدم مرتين ، الأولى : كان تابعاً ، وكان رئيس بني حنيفة غيره ؛ ولهذا أقام في حفظ رحالهم ، ومرة متبوعاً وفيها خاطبه النبي ﷺ ، أو القصة واحدة وكانت إقامته في رحالهم باختياره أنفة منه واستكباراً أن يحضر مجلس النبي ﷺ ، وعامله النبي ﷺ معاملة الكرم على عادته في الاستئلاف ، فقال لقومه : إنه ليس

(١) البخاري في نفس الموضع السابق .

قطعة من جريد : أي قطعة من عود النخل .

بشركم أي بمكان ، لكونه كان يحفظ رحالهم ، وأراد استئلافه بالإحسان بالقول والفعل ، فلما لم يُفد في مسيلة توجه بنفسه إليهم ليقم عليهم الحجة ويعذر إليه بالإنذار والعلم عند الله تعالى ، ويستفاد من هذه القصة أن الإمام يأتي بنفسه إلى من قدم يريد لقاءه من الكفار إذا تعين ذلك طريقاً لمصلحة المسلمين . قوله (إن جعل لي محمد الأمر من بعده) أي الخلافة ، وسقط لفظ « الأمر » هنا عند الأكثر وهو مقدر ، وقد ثبتت في رواية ابن السكن وثبتت أيضاً في الرواية المتقدمة في علامات النبوة . قوله (وقدمها في بشر كثير) ذكر الواقدي أن عدد من كان مع مسيلة من قومه سبعة عشر نفساً ، فيحتمل تعدد القدوم كما تقدم . قوله (ولن تعدوا أمر الله) كذا للأكثر ، ول بعضهم لن تُعد بالجزم وهو لغة ، أي الجزم بلن ، والمراد بأمر الله حكمه . وقوله (ولئن أدبرت) أي خالفت الحق ، وقوله (ليعقرنك) بالقاف أي يهلكك . قوله (وهذا ثابت بن قيس يبيحك عني) أي لأنه كان خطيب الأنصار ، وكان النبي ﷺ قد أعطي جوامع الكلم فاكتمى بما قاله لمسيلة وأعلمه أنه إن كان يريد الإسهاب في الخطاب فهذا الخطيب يقوم عني في ذلك ، ويؤخذ منه استعانة الإمام بأهل البلاغة في جواب أهل العناد ونحو ذلك . اهـ .

١٠٤١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبرَ ، فقال لرجل من يدعى بالإسلام : « هذا من أهل النار » فَلَمَّا حَضَرْنَا الْقِتَالَ : قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالاً شَدِيداً ، فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ ، فَقِيلَ : يا رسول الله ، الرجل الذي قُتِلَ له أنف : إنه من أهل النار ، فإنه قاتل اليوم قِتَالاً شَدِيداً ، وقد مات ؟ فقال النبي ﷺ : « إلى النار » فكاد بعض المسلمين أن يرتابَ ، فبينما هم على ذلك ، إذ قيل : إنه لم يَمُتْ ، ولكنَّ به جراحاً شديداً ، فلما كان من الليل لم يصبر على الجرح ، فقتل نفسه ، فأخبر النبي ﷺ ، فقال : « الله أكبر ، أشهد أنني عبدُ الله ورسوله » ثم أمر بلالاً فنَادَى في الناس : « إنه لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمة ، وإن الله يُؤَيِّدُ هذا الدين بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ » .

١٠٤١ - البخاري (٧ / ٤٧١) ٦٤ - كتاب المغازي - ٢٨ - باب غزوة خيبر .

ومسلم واللفظ له (١ / ١٠٥) ١ - كتاب الإيمان - ٤٧ - باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه .

وفي رواية عن عبيد الله بن كعب قال ^(١) : أخبرني من شهد مع النبي ﷺ خيبر ... الحديث .

١٠٤٢ - * روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون ، فاقْتَتَلُوا ، فلما مال النبي ﷺ إلى عسكره ، وَمَالَ الآخَرُونَ إلى عسكرهم ، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رَجُلٌ لَا يَدْعُ لَهُمْ شَاذَةً وَلَا فَاذَةً إِلَّا اتَّبَعَهَا ، يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ - فَقِيلَ مَا أَجْزَأُ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فَلَانٌ ، فقال رسول الله ﷺ : « أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ » - وفي رواية : فقالوا : أَيْنَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، إِنْ كَانَ هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ ؟ - فقال رجلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَنَا صَاحِبُهُ ، قال : فخرج معه ، كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ ، وَإِذَا أُسْرِخَ أُسْرِخَ مَعَهُ ، قال : فَجَرِحَ الرَّجُلُ جَرْحاً شَدِيداً فَاسْتَعَجَلَ الْمَوْتَ ، فَوَضَعَ سَيْفَهُ بِالْأَرْضِ ، وَذُبَابَةٌ بَيْنَ تَدْيِيهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فخرج الرَّجُلُ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، قال : وما ذاك ؟ قال : الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ أَنفَأَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ : أَنَا لَكُمْ بِهِ ، فخرجتُ في طلبه ، ثُمَّ جَرِحَ جَرْحاً شَدِيداً ، فَاسْتَعَجَلَ الْمَوْتَ ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الْأَرْضِ وَذُبَابَةٌ بَيْنَ تَدْيِيهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فَمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » .

(١) البخاري في نفس الموضع السابق .

١٠٤٢ - البخاري (٧ / ٤٧١) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٨ - باب غزوة خيبر .

ومسلم (١ / ١٠٦) ١ - كتاب الإيمان - ٤٧ - باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه .

شاذة : الشاذة : التي انفردت من الجماعة ، وكذلك (الفاذة) وأصله في الغنم ، ثم نقل إلى كل من قارق جماعة وانفرد عنها .

أجزاء : أجزيت في الحرب وغيرها : إذا فعلت فعلاً ظهر أثره وقُمتَ فيه مقاماً لم يقمه غيرك .

ذبابه : ذباب السيف : طرف رأسه .

تحمّل : عليه ، أي : اتكأ على السيف ، جعله حاملاً له ، وأصله من تكلف الأمر على مشقة .

نصل سيفه : نصل السيف : حديدته ، وقد جملة هاهنا طرفه الأعلى الذي يدخل في المقبض .

وفي رواية نحوه بمعناه ، وفي آخره ^(١) : من قوله عليه السلام : « وإنما الأعمال بالخواتيم ، أو بخواتيمها » .

١٠٤٣ - * روى الطبراني عن محمد بن جعفر بن الزبير قال : جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد مَصَابِ أهل بدر من قريش في الحجر بيسير ، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ، ويُلَقُونَ منه غَتّاً ، إذ هم بمكة وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى أصحاب بدر ، قال : فذكروا أصحاب القليب بمصائبهم ، فقال صفوان : والله إنني في العيش خيرٌ بعدهم ، وقال عمير بن وهب : صدقت والله لولا دَيْنٌ عليّ ليس عندي قضاؤه ، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي ، لركبتُ إلى محمد حتى أقتله ، فإن لي فيهم علة ، ابني عندهم أسير في أيديهم ، فاغتنها صفوان فقال : عليّ دَيْنُكَ أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما يَقُوا لا يسعهم شيء نعجز عنهم ، قال عمير : اكْتُم عليّ شأني وشأنك ، قال : أَفْعَلْ ، قال : ثم أمر عمير بسيفه فَشَجَذَ وَسَمَّ ، ثم انطلق إلى المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب بالمدينة في نفر من المسلمين يتذاكرون يوم بدر ، وما أكرمهم الله به وما أراهم من عدوهم إذ نظر إلى عمير بن وهب قد أناخ بباب المسجد متوشح السيف ، فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر ، هذا الذي حَرَّشَ بيننا وَحَزَّرَنَا للقوم يوم بدر ، ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله . هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشح السيف ، قال : « فَأَدْخِلْهُ » فأقبل عمر حتى أخذ بمِئْزَرِ سيفه في عنقه فلبسه بها ، وقال عمر لرجال ممن كان معه من الأنصار : أَدْخِلُوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده

(١) البخاري (١١ / ٣٣٠) ٨١ - كتاب الرقاق - ٣٣ - باب الأعمال بالخواتيم ، وما يخاف منها .

وأيضاً (١١ / ٤٩٩) ٨٢ - كتاب القدر - ٥ - باب العمل بالخواتيم .

١٠٤٣ - المعجم الكبير (١٧ / ٥٨) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٨٤) : رواه الطبراني مرسلاً ، وإسناده جيد .

الحِجْر : ما كان من الكعبة ولم يدخل في بنائها من الجهة الشمالية وهو معروف ويسمى الحطيم .

حَزَّرَنَا : قَدَّرَ عددنا تخميناً .

متوشحاً : متقلداً .

لبسه بها : أخذ بتلبيبه وجزّه مما في موضع اللبّ من الثياب ، ويعرف بالطوق والجمع : تلبيب .

أقول : صفوان بن أمية بن خلف ابن عم عمير بن وهب بن خلف . وقد أسلم صفوان بعد ذلك وحسن إسلامه .

واحدروا هذا الكلبَ عليه ، فإنه غيرُ مأْمون ، ثم دخل به على رسول الله ﷺ وعمر آخذ بحمالة سيفه ، فقال : « أُرْسِلْهُ يا عمر ، أَدْنُ يا عَمِيرُ » فدنا ، فقال : انعموا صباحاً ، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ، فقال رسول الله ﷺ : « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، السلام تحية أهل الجنة » فقال أما والله يا محمد إن كنتَ لحديث عهد بها ، قال : « فما جاء بك ؟ » قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا إليه ، قال : « فما بال السيف في عنقك ؟ » قال : قبجها الله من سيوف ، فهل أغنت شيئاً ؟ قال : « اصْدُقْنِي ما الذي جئتُ له ؟ » قال : ما جئتُ إلا لهذا ، قال : « بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحِجْر فتذاكرتُما أصحاب القليب من قريش ، فقلت : لولا ذَيْنَّ عليٍّ وعيالي لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل صفوان لك بِدَيْنِكَ وعيالك على أن تقتلني ، والله حائلٌ بينك وبين ذلك » قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أنبأك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق ، ثم شهد شهادة الحق ، فقال رسول الله ﷺ : « فَفَهُوا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ وَأَقْرُؤُوا الْقُرْآنَ وَأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيرَهُ » ثم قال : يا رسول الله إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله شديدة الأذى على من كان على دين الله ، وإني أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم ، فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة ، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب قال لقريش : أبشروا بواقعة تأتاكم الآن تُنسيكم وَقْعَةَ بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قَدِمَ راكب فأخبره عن إسلامه ، فخلف أن لا يكلمه أبداً ، ولا ينفعه بنفع أبداً ، فلما قَدِمَ عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من يخالفه أذىً شديداً ، فأسلم على يديه ناسٌ كثير .

وللطبراني في رواية عن عروة بن الزبير نحوه مُرْسَلاً ، قال ^(١) فيه : فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٨٦) ، وقال : إسناده حسن .

هَذَاهُ الله ، وقال عمر بن الخطاب : لَخَيْرٌ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ حِينَ اطَّلَعَ وَهُوَ الْيَوْمَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَعْضِ نَبِيِّ .

١٠٤٤ - * روى الحاكم عن عائشة قالت : لما جَاءَتْ أَهْلُ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ أُسَارِهِمْ بَعَثَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي فِدَاءِ أَبِي الْعَاصِ وَبَعَثَتْ فِيهِ بِقِلَادَةٍ كَانَتْ خَدِيجَةُ أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى أَبِي الْعَاصِ حِينَ بَنَى عَلَيْهَا . فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَقَّ لَهَا رَقَّةً شَدِيدَةً ، وَقَالَ : « إِنَّ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أُسِيرَهَا ، وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا فَأَفْعَلُوا » قَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَدُّوا عَلَيْهِ الَّذِي لَهَا . قَالَ : وَقَالَ الْعَبَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ مُسْلِمًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِسْلَامِكَ فَإِنْ يَكُنْ كَمَا تَقُولُ فَاللَّهُ يَجْزِيكَ فَأَقْدِ نَفْسَكَ وَابْنِي أَخَوَيْكَ : نُوْفَلَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَعَقِيلَ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَخَلِيفَكَ عُبَيْدَةَ بْنَ عَمْرِو بْنِ جَحْذَمٍ أَخَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ » فَقَالَ : مَا ذَاكَ عِنْدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « فَأَيْنَ الْمَالُ الَّذِي دَفَنْتَ أَنْتَ وَأُمُّ الْفَضْلِ ؟ فَقُلْتَ لَهَا إِنْ أَصِيبَتْ فَهَذَا الْمَالُ لِبَنِي الْفَضْلِ وَعَبْدِ اللَّهِ وَقَتْمٍ » فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ مَا عَلِمَهُ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرِ أُمِّ الْفَضْلِ فَاحْسِبْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَصِيبْتُمْ مِنِّي عِشْرِينَ أُوقِيَّةً مِنْ مَالٍ كَانَتْ مَعِيَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « أَفْعَلْ » . فَقَدَى الْعَبَّاسُ نَفْسَهُ وَابْنِي أَخَوَيْهِ وَخَلِيفَهُ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَآلَهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(١) فَأَعْطَانِي مَكَانَ الْعِشْرِينَ الْأُوقِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ عِشْرِينَ عَبْدًا كُلَّهُمْ فِي يَدِهِ مَالٌ يَضْرِبُ بِهِ مَعَ مَا أُرْجُو مِنْ مَغْفِرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

١٠٤٥ - * روى الطبراني عن أنس بن مالك قال : نَعَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ مَوْتَةٍ عَلَى

١٠٤٤ - المستدرک (٣ / ٢٢٤) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

يضرب به : يتاجر به .

(١) الأنفال : ٧٠ .

١٠٤٥ - أورده المهيبي في جمع الزوائد (١ / ٢٤٩) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

المنبر، قَالَ : « ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٍ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ » .

الشاهد في الحديث : أنه بلغهم ذلك إذ علمه عن طريق الوحي وأخبر به فور وقوعه ولم يصل الخبر عن طريق الناس إلا بعد أسابيع ، فهو دليل على الوحي . لا يكذب به إلا كافر مكابر .

١٤٠٦ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ ، فَلَمَّا كَانَ قُرْبَ الْمَدِينَةِ هَاجَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ تَكَادُ أَنْ تَدْفِنَ الرَّائِبَ ، فَرَزَعَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « بُعِثْتُ هَذِهِ الرِّيحُ لَمَوْتِ مُنَافِقٍ » فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَإِذَا مُنَافِقٌ عَظِيمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، قَدْ مَاتَ .

١٠٤٧ - * روى البزار عن ابن عباس قال : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ أَظْلَتْنَا سَحَابَةٌ وَنَحْنُ نَطْمَعُ فِيهَا ، فَقَالَ : « إِنَّ الْمَلَكَ الَّذِي يَسُوقُهَا أَوْ يَسُوقُ هَذِهِ السَّحَابَةَ دَخَلَ عَلَيَّ فَسَلَّمَ عَلَيَّ فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يَسُوقُهَا إِلَى وَادِي كَذَا » .

١٠٤٨ - * روى أحمد عن عمر بن الخطاب قال : وُلِدَ لِأَخِي أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ غُلَامٌ فَسَمَّاهُ الْوَلِيدَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « سَمِئْتُمُوهُ بِاسْمِ فَرَاعِنَتِكُمْ ، لِيَكُونَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ الْوَلِيدُ لَهُوَ شَرُّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ » .

لعل في ذلك إشارة إلى الوليد بن يزيد وقد أشيعت عنه إشاعات كثيرة وقد اتهمه بنو أمية أنفسهم بالكفر وقتلوه أخيراً ، والله أعلم بشأنه .

١٠٤٩ - * روى الطبراني عن (جُبَيْرِ بْنِ نَفِيرٍ) قَالَ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَزَّاحٍ قَدِيمًا لَهُ

١٠٤٦ - مسلم (٢١٤٥ / ٤) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - حديث (١٥) .

١٠٤٧ - كشف الأستار (١٤٢ / ٣) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨٩ / ٨) : رواه البزار ، ورجاله ثقات .

١٠٤٨ - أحمد في مسنده (١٨ / ١) .

مجمع الزوائد (٢١٣ / ٧) وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

١٠٤٩ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٢ / ٦) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات الدهاقين : الدهقان : رئيس القرية أو رئيس الإقليم ، ومن ، ومن له مال وعقار ، يجمع على : دهاقنة ودهاقين .

صُحْبَةً يَقُولُ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « يُوشِكُ أَنْ يُؤْمَرَ عَلَيْهِمُ الرُّوَيْجِلُ فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ قَوْمٌ مُحَلَّقَةٌ أَقْفِيَّتُهُمْ بِيَضٍّ قَمَصُهُمْ فَكَانَ إِذَا أَمَرَهُمْ بِشَيْءٍ حَضَرُوا » فَشَاءَ رَبُّكَ أَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ وَزَّاحٍ مَلَّكَ بَعْضَ الْمَدَنِيِّينَ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ قَوْمٌ مِنَ الدَّهَاقِينِ مُحَلَّقَةٌ أَقْفِيَّتُهُمْ بِيَضٍّ قَمَصُهُمْ فَكَانَ إِذَا أَمَرَهُمْ بِشَيْءٍ حَضَرُوا ، فَيَقُولُ : صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ .

أقول : لعل ظهور ما ورد في هذا الحديث في عصرنا أكثر منه في عصر مضى وإن كانت بوادر ما ذكره الحديث قد ظهرت مبكرة .

١٠٥٠ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ ، لَا يَذْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ ، وَلَا يَذْرِي الْمَقْتُولُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ » .

وفي رواية ^(١) فقيل : كيف يكون ذلك ؟ قَالَ : « الْهَرْجُ ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ » .

١٠٥١ - * روى أبو يعلى عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يَظْهَرُ مَعْدِنٌ فِي أَرْضِ بَنِي سُلَيْمٍ يُقَالُ لَهُ فِرْعَوْنٌ ، وَفِرْعَانٌ . وَذَلِكَ بِلِسَانِ أَبِي جَهْمٍ قَرِيبٌ مِنَ السَّوءِ - يُخْرِجُ إِلَيْهِ شَرَارَ النَّاسِ أَوْ يُحْشِرُ إِلَيْهِ شَرَارَ النَّاسِ » .

أقول : لعل في ذلك إشارة إلى ما ظهر من معادن في أنحاء من الجزيرة العربية وأعطى الامتياز فيها لبعض الشركات الأجنبية .

* * *

١٠٥٠ - مسلم (٤ / ٢٢٣١) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة - ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيمتني أن يكون مكان الميت من البلاء .

الهرج : القتل .

(١) مسلم في نفس الموضع السابق .

١٠٥١ - أوردته المهيبي في مجمع الزوائد (٢ / ٧٨) وقال : رواه أبو يعلى ورجاله ثقات .

الباب السادس
دوار شرف
حوال الرسول ﷺ

تقديم

بُعث رسول الله ﷺ إلى الإنس والجن ، وفي ذلك شرف للفريقين إذ استحقوا الخطاب من الله والتكليف ، وكان رسول الله ﷺ من العرب ، وكان العرب هم المخاطبين الأول برسالته ، فكان ذلك شرفاً وتشريفاً لهم ، وكان هاشمياً قرشياً وكان ذلك شرفاً للقبيلة والعشيرة ، واستجاب له من استجاب بمن شاهده وراه فحاز هؤلاء أعظم شرف بعد النبوة وهو شرف الصحبة الذي لا يعدله بعد شرف النبوة شرف ، وهؤلاء الأصحاب منهم المهاجرون ومنهم الأنصار ولكل شرفه وفضله ، وبعض الأصحاب كان له مزيد شرف لزيادة وصف كمن اجتمعت له الصحبة والقربة ، أو من اجتمعت له الصحبة والزوجية ، كأزواجه عليه الصلاة والسلام ، أو من اجتمعت له الصحبة والبنوة ، فهذه كلها دوائر من الشرف بعضها أرق من بعض ولا شرف عند الله لمن كفر برسول الله ﷺ .

ونحن سندخل في هذا الباب فصولاً شتى يجمعها أنها دوائر أحاطت برسول الله ﷺ بعض هذه الفصول قصير وبعضها طويل وبعضها متداخل مع بعض ، ولكنها جميعاً لا بد منها لدارس سيرته وسنته عليه الصلاة والسلام ، وبعض من مواد هذه الباب يعتبر ألصق بآبواب أخرى ؛ ولذلك فإننا سنذكره حيث الأجل ، وسنحاول ما استطعنا الاختصار ، ونسأل الله عز وجل الحفظ والتوفيق .

فصل فی فضل اُسّہ

من المعلوم من الدين بالضرورة أنَّ بعثته عليه الصلاة والسلام كانت إلى الإنس والجن ،
فالثقلان مكلفان برسالته إلى يوم القيامة ، ومن ههنا فالعالمون كلهم أمته ، لكنَّ العلماء
يفرِّقون بين أمة الدعوة وأمة الاستجابة ، فالإنس والجن عموماً هم أمة الدعوة ، والذين
استجابوا منهم فأمنوا وأسماوا هم أمة الاستجابة ، وقد وردت في فضل أمة الاستجابة نصوص

.....

يوميهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر كليهما ، فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور .

١٠٥٤ - * روى البخاري عن ابن عمر رفعه : « إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين العصر إلى غروب الشمس . أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انقصف النهار ، ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً ، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً ، ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين ، فقال أهل الكتابين أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين ، وأعطينا قيراطاً قيراطاً ونحن كنا أكثر عملاً قال الله تعالى : هل ظلمتكم من أجركم من شيء ؟ قالوا : لا . قال فهو فضلي أوتيته من شاء » .

وفي رواية (١) : « مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أجراً ، فقال : من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط ؟ فعملت اليهود ، ثم قال : من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط ؟ فعملت النصارى ، ثم قال : من يعمل لي من العصر إلى تغيب الشمس على قيراطين ؟ فأنتم هم ، فغضبت اليهود والنصارى فقالوا : مالنا أكثر عملاً وأقل عطاء ؟ قال : هل نقصتكم من حقكم ؟ قالوا : لا . قال : فذلك فضلي أوتيته من شاء » .

وفي أخرى (٢) : « قال إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس ، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عملاً فقال : من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ » بنحوه .

دللت هذه النصوص على أن هذه الأمة أفضل الأمم وأكرمها ، والمراد بها من تابع محمداً

١٠٥٤ - البخاري (٢ / ٢٨) ٩ - كتاب مواقيت الصلاة - ١٧ - باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب .

(١) البخاري (٤ / ٤٤٥) ٢٧ - كتاب الإجارة - ٨ - باب الإجارة إلى نصف النهار .

(٢) البخاري (٦ / ٤٩٥) ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء - ٥٠ - باب ما ذكر عن بني إسرائيل .

والترمذي (٥ / ١٥٣) (٤٥) كتاب الأمثال - ٧ - باب ما جاء في مثل ابن آدم وأجله وأمله .

١٢٢٥

مؤلفه وأمنه، والمادة بالأمه الأخوة، من: تابع الأنساء اللند: أسلمها البعء بالقاهرة ههنا

[REDACTED]

يفهم من الحديث أَنَّ الفضل منوط بالعلم والحلم ، فمن لم يعطه الله علماً ولا حلاً فلا فضل له .

نسأل الله العلم والحلم ونسأله أن يوفقنا لتحقيق ذلك .

١٠٥٦ - * روى الترمذي عن أنس رفعه : « مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ » .

قد يفهم فاهم أَنَّ الخيرية في هذه الأمة مقصورة على الأجيال الأولى فجاء هذا الحديث ليصحح هذا الوهم . نعم : للأجيال الأولى فضل لا تلحقهم به أجيال أخرى .

١٠٥٧ - * روى البخاري ومسلم عن المغيرة رفعه : « لَا يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ » .

١٠٥٨ - * روى الترمذي عن معاوية بن قُرَّة عن أبيه رفعه : « إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ ، لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ » .

١٠٥٩ - * روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص رفعه : « لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ

١٠٥٦ - الترمذي (٥ / ١٥٢) ٤٥ - كتاب الأمثال ٦ - باب حدثنا قتيبة .

قال في الفتح : هو حديث حسن له طرق قد يرتقي بها إلى درجة الصحة .

١٠٥٧ - البخاري (٦ / ٦٣٢) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٨ - باب .

مسلم (٣ / ١٥٢٣) ٣٢ - كتاب الإمامة - ٥٢ - باب قوله صلى الله عليه وسلم « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ » .

١٠٥٨ - الترمذي (٤ / ٤٨٥) ٣٤ - كتاب الفتن - ٢٧ - باب ما جاء في الشام وقال : هذا حديث حسن صحيح .

١٠٥٩ - مسلم (٣ / ١٥٢٥) ٣٢ - كتاب الإمامة - ٥٢ - باب قوله صلى الله عليه وسلم « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ » .

أهل الغرب : قال علي بن المديني : المراد بأهل الغرب : العرب . والمراد بالغرب ، الدلو الكبير لاختصاصهم بها غالباً ، وقال آخرون : المراد به الغرب من الأرض ، وقال معاذ : هم بالشام : وجاء حديث آخر : هم ببيت المقدس ، وقيل هم أهل الشام وما وراء ذلك ، قال القاضي : وقيل المراد بأهل الغرب ، أهل الشدة والجلد . وغرب كل شيء حده . قاله النووي .

أقول : ظاهر الحديث أَنَّ المراد به ما كان غربي المدينة ويدخل في ذلك أجزاء من إفريقيا بالضرورة ومنها إفريقيا العربية والمغرب العربي الكبير جزء منها .

ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة» .

تدل هذه الأحاديث أن الحق مستمر في هذه الأمة وخاصة في بعض أقطارها ، وقد جعل الله الشام ميزاناً يعرف به مقدار الخيرية في هذه الأمة ، ومن تأمل حال فلسطين والأردن ولبنان وسورية حين تأليف هذا الكتاب عرف سوء الحال ، وهذا يقتضي من أهل الخير في الشام أن يبذلوا مزيد جهد فجهادهم في الشام له انعكاساته على الأرض كلها .

١٠٦٠ - * روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ أقبل ذات يوم من العالية ، حتى إذا مرَّ بمسجد بني معاوية ، دخل فركع فيه ركعتين وصلَّينا معه ، ودعا ربَّه طويلاً ، ثم انصرف إلينا فقال : « سألتُ ربي ثلاثاً فأعطاني ثنتين ومنَّني واحدة ، سألتُ ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها ، وسألتُه أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها ، وسألتُه أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنَّعنيها » .

وللترمذي ^(١) عن خباب بن الأرت : « سألتُه أن لا يهلك أمتي بسنة فأعطانيها ، وسألتُه أن لا يسلطَ عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها ، وسألتُه أن لا يذيقَ بعضهم بأسَ بعضٍ فمنَّعنيها » .

هذه الأمة مبتلاة ببعضها وموعودة بعدم الاستئصال غرقاً أو باجتياح كوني أو عالمي ، وهذا لا ينافي أن يفرق بعض أجزائها أو تنزل ببعضها جوائح أو يسلطَ على بعضها الكفار فيغلبوهم أو يستأصلوهم فالمنفي هو الاستئصال ، وهذا التاريخ شاهد وذلك معجزة الرسول ﷺ .

١٠٦١ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك . قال : مرَّ بجنازة فأتني عليها

١٠٦٠ - مسلم (٤ / ٢٢١٦) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة - ٥ - باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض .

أن لا يسلطَ عليهم عدواً من غيرهم : أي يستأصلوهم ، أو المراد دوام التسليط .

(١) الترمذي (٤ / ٤٧٢) ٣٤ - كتاب الفتن - ١٤ - باب ما جاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثاً في أمته وقال : هذا حديث

حسن غريب صحيح .

١٠٦١ - البخاري (٣ / ٢٢٨) ٢٣ - كتاب الجنائز - ٨٥ - باب ثناء الناس على الميت .

ومسلم (٢ / ٦٥٥) ١١ - كتاب الجنائز - ٢٠ - باب فيمن يُثنى عليه خير أو شر من الموت .

خَيْرًا . فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : « وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ » وَمَرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثِنِيَ عَلَيْهَا ^(١) شَرًّا . فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : « وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ » . قَالَ عَمْرٌ : فِدَى لَكَ أَبِي وَأُمِّي ! مَرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثِنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا فَقُلْتُ : وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ . وَمَرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثِنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا فَقُلْتُ : وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ . وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ . أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ . أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ . أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ » .

١٠٦٢ - * روى البخاري عن عمر رفعه : « أيما مسلم شهد له أربعة نفرٍ بخيرٍ أدخله الله الجنة » فقلنا وثلاثة ؟ قال : « وثلاثة » فقلنا واثنان فقال : « واثنان » ثم لم نسأله عن الواحد .

قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ ^(٢) فهذه الأمة أكرمها الله عز وجل بأن جعلها شهيدة على الأمم قبلها وعلى الأمم المعاصرة لها .

وقوله تعالى : ﴿ وَسَطًا ﴾ أي خياراً عدولاً ، وذلك يدل على أن الشهيد من هذه الأمة هو من اجتمع له الخيرية والعدالة ، فلا عبرة لشهادة غير الخيار العدول ، وعلى هذا يحمل الحديثان اللذان مرّا ، فمن شهد له عدلان بالخيرية فتلك علامة على أنه من أهل الجنة ، ويُستأنس بذلك لفقه الحركة أنه من زكاه عضوان استحق أن ينال صفة العضوية .

١٠٦٣ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « أَضَلُّ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْجَمْعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا ، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَكَانَ

(١) فأثني عليها خيراً ، فأثني عليه شراً : هكذا هو في بعض الأصول : خيراً وشرّاً بالنصب . وهو منصوب بإسقاط

الجار . أي فأثني بخير وبشر . وفي بعضها مرفوع . ومعنى الإثناء هو الوصف ، يستعمل في الخير والشر . والاسم

والثناء . قال في المصباح : يقال أثنت عليه خيراً وبخير ، وأثنت عليه شراً وبشر . لأنه بمعنى وصفته .

١٠٦٢ - البخاري مطولاً (٣ / ٢٢٩) ٢٣ - كتاب الجنائز - ٨٥ - باب ثناء الناس على الميت .

والترمذي (٣ / ٣٦٥) ٨ - كتاب الجنائز - ٦٣ - باب ما جاء في الثناء الحسن على الميت .

والنسائي مطولاً (٤ / ٥١) كتاب الجنائز - باب الثناء .

(٢) البقرة : ١٤٣ .

١٠٦٣ - مسلم (٢ / ٥٨٦) ٧ - كتاب الجمعة - ٦ - باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة .

والنسائي (٣ / ٨٧) كتاب الجمعة ، باب إيجاب الجمعة .

لنصارى يوم الأحد ، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت والأحد ، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ، نحن الآخرون من أهل الدنيا ، والأولون يوم القيامة ، المقضي لهم قبل الخلائق .

١٠٦٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فاليهود غداً والنصارى بعد غد » .

١٠٦٥ - * روى البخاري ومسلم عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ لما نزلت ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ إلى قوله ﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾ قال : أنزلت عليه هذه وهو في سفر ، فقال : « أتدرون أي يوم ذلك ؟ » فقالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « ذلك يوم يقول الله لأدم ابعث بعث النار فقال : يا رب وما بعث النار ؟ قال : تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة ؟ » قال : فأنشأ المسلمون يبكون ، فقال رسول الله ﷺ : « قاربوا وسددوا فإنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية » قال : « فيؤخذ العدة من الجاهلية فإن تمت وإلا كملت من المنافقين وما مثلكم والأمة إلا كمثل الرقمة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير » ثم قال : « إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة » فكبروا ثم قال : « إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة » فكبروا ثم قال :

١٠٦٤ - البخاري (٢ / ٣٥٤) ١١ - كتاب الجمعة - ١ - باب فرض الجمعة .

مسلم (٢ / ٥٨٦) ٧ - كتاب الجمعة - ٦ - باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة .

١٠٦٥ - البخاري مختصراً (١١ / ٢٨٨) ٨١ - كتاب الرقاق - ٤٦ - باب قوله عز وجل ﴿ إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ .
مسلم مختصراً (١ / ٢٠١) ١ - كتاب الإيمان - ٩٦ - باب قوله « يقول الله لأدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين » .

الترمذي (٥ / ٣٢٢) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٢٢ - باب ومن سورة الحج .

قاربوا وسددوا : المقاربة في الفعل : القصد والعدل ، والسداد : الصواب من القول والفعل أي : اطلبوا القصد والصواب ، واتركوا الغلو والإفراط .

الرقمة : النقطة التي تكون في باطن عضدي الحمار ، وهما رققتان في عضديه .

« إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ » فَكَثَرُوا ، قَالَ : لَا أَذْرِي قَالَ الثَّلَاثِينَ أَمْ لَا ؟

وفي رواية عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَتَفَاوَتْ بَيْنَ أَصْحَابِهِ فِي السَّيْرِ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَهُ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ جَثُّوا الْمَاطِيَّ وَعَرَفُوا أَنَّهُ عِنْدَ قَوْلٍ يَقُولُهُ ، فَقَالَ : « هَلْ تَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ ذَلِكَ ؟ » قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : « ذَاكَ يَوْمٌ يُنَادِي اللَّهُ فِيهِ آدَمَ فَيُنَادِيهِ رَبُّهُ فَيَقُولُ : يَا آدَمُ ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ فَيَقُولُ : يَا رَبُّ ؟ وَمَا بَعْثُ النَّارِ ، فَيَقُولُ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ » فَيُنَسِّ الْقَوْمَ حَتَّى مَا أُبْدُوا بِضَاحِكَةٍ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الَّذِي بِأَصْحَابِهِ ، قَالَ : « اْعْمَلُوا وَأُبَشِّرُوا قَوْلَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَمَعَ خَلِيقَتَيْنِ مَا كَانَتْ مَعَ شَيْءٍ إِلَّا كَثَرَتْهُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَمَنْ مَاتَ مِنْ بَنِي آدَمَ وَبَنِي إِبْلِيسَ » قَالَ : فَسَرَى عَنْ الْقَوْمِ بَعْضُ الَّذِي يَجِدُونَ ، فَقَالَ : « اْعْمَلُوا وَأُبَشِّرُوا قَوْلَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ أَوْ كَالرُّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ » .

١٠٦٦ - * روى أحمد والترمذي عن أبي أمامة رفعه : « وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حسابَ عليهم ولا عذاب ، مع كلِّ ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثياته » .

١٠٦٧ - * روى أحمد والترمذي عن بُرَيْدَةَ : قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَهْلُ الْجَنَّةِ

أُبدوا بضاحكة : يقال : ما أبدى القوم بضاحكة ، أي : ما تبسّوا حتى تبدو منهم السنن الضاحكة فإن من تبسم بدت أسنانه ، ويقال في المبالغة : ضحك حتى بدت نواجذه .

كثرتاه : تقول : كثرته فكثرتة : إذا غلبته بالكثرة ، وكنت أكثر منه .

فسري : سري عن الحزين والمغموم ونحوهما : إذا كشف عنه ما به وزال

١٠٦٦ - أحمد في المسند (٥ / ٣٦٨) .

والترمذي (٤ / ٦٢٦) ٣٨ - كتاب صفة القيامة - ١٢ - باب [منه] . وقال : حديث حسن غريب .

حثيات : الحثيات جمع حثية - وهي الغرفة بالكف ، ويقال : حثا يحثو ويحثي .

١٠٦٧ - أحمد في المسند (٥ / ٢٤٧) .

عشرون ومائة صفٍ ، ثمانون منها من هذه الأمة ، وأربعون من سائر الأمم » .

١٠٦٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رفعه : « يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر » فقام عكاشة بن محصن الأسدي ، فرفع نيرة عليه فقال : يا رسول الله اذع الله أن يجعلني منهم ، قال : « اللهم اجعله منهم » ثم قام رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله اذع الله أن يجعلني منهم ، قال : « سبقتك عكاشة » .

١٠٦٩ - * روى مسلم عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول : هذا فكأكك من النار » .

ذكر كثرة يأجوج ومأجوج في سياق أنه يذهب من كل ألف تسعائة وتسعة وتسعون إلى النار يفيد أن يأجوج ومأجوج كثيرون بالنسبة لأهل الأرض وأنهم مع كثرتهم كفرون ولو أننا تأملنا شعوب الأرض التي لازالت كافرة والتي تشكل أكثرية مطلقة بالنسبة لأهل الأرض فإننا نجد شعوب الكتلتين الشرقية والغربية وبعض شعوب شرقي آسيا ومنهم الشعب الصيني فهل يدخل هؤلاء جميعاً في هذه التسمية ؟

ذهب بعض علماء نجد أن الشعوب الآرية كلها يمكن أن تدخل في هذه التسمية

= والترمذي (٦٨٣ / ٤) ٣٩ - كتاب صفة الجنة - ١٣ - باب ما جاء في صفة أهل الجنة . وقال حديث حسن .

وابن ماجه (١٤٣٤ / ٢) ٣٧ - كتاب الزهد - ٢٤ - باب صفة أمة محمد ﷺ .

والمستدرک (٨٢ / ١) .

١٠٦٨ - البخاري (٤٠٦ / ١١) ٨١ - كتاب الرقاق - ٥٠ - باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب .

مسلم (١٩٧ / ١) ١ - كتاب الإيمان - ٩٤ - باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب .

زمرة : الزمرة : الطائفة من الناس والجماعة منهم .

نمرة : النمرة ، جمعها : أنمار وهي ثوب مخطط أو منقط بسواد .

سبقتك بها عكاشة : قيل لم يدع له كما دعا لعكاشة حتى يغلق هذا الباب فلربما طلب منه ثالث أو رابع أو عاشر لا

يستحق ذلك فيقع في الحرج والله أعلم ولم يقل له لست منهم أدباً .

١٠٦٩ - مسلم (٢١١٩ / ٤) ٤٩ - كتاب التوبة - ٨ - باب قبول توبة القاتل وإن كثرت قتلته .

والغريبيون عامة من الشعوب الآرية ، وذهب بعضهم إلى أن يأجوج ومأجوج هم سكان ما وراء جبال تركستان ، وعلى هذا فإنه يدخل في ذلك التتار والمغول والصينيون ، ولعل المتأمل لا يستبعد بعد ما ذكر الحديث أن يكون يأجوج ومأجوج هم كل هؤلاء تناسلوا من أصل واحد ، وفي الإسلام متسع لكل الشعوب ، ومن أسلم نجا .

١٠٧٠ - * روى أحمد والترمذي عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ مِنْ أُمِّي مَنْ يَشْفَعُ لِلْفِئَامِ مِنَ النَّاسِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْعُصْبَةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلرَّجُلِ حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ » .

١٠٧١ - * روى الترمذي عن عبد الله بن أبي الجعداء قال : قال رسول الله ﷺ : « يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمِّي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ » قُلْنَا : سِوَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « نَعَمْ سِوَايَ » .

١٠٧٢ - * روى مسلم عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ رَحْمَةً أُمَّةً مِنْ عِبَادِهِ ، قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَ أَنْ يَفْجَعَهَا لَهَا قَرْطاً وَسَلْفاً بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبَهَا وَنَبِيَّهَا حَيًّا فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ ، فَأَقْرَبَ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ » .

١٠٧٣ - * روى البزار عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « أَنَا حَظَكُمُ مِنْ

١٠٧٠ - أحمد في المسند (٣ / ٦٣) .

والترمذي (٤ / ٦٢٧) ٣٨ - كتاب صفة القيامة - ١٢ - باب منه . وقال : هذا حديث حسن .

الفئام : الجماعة الكبيرة من الناس .

العصبة : الجماعة من الناس .

١٠٧١ - الترمذي (٤ / ٦٢٦) ٣٨ - كتاب صفة القيامة - ١٢ - باب منه . وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

١٠٧٢ - مسلم (٤ / ١٧٩٢) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٨ - باب إذا أراد الله تعالى رحمة أمة قبض نبيها قبلها .

قبض نبيها : أي توفاه .

الفرط والسلف : المتقدم وكل عمل صالح قدمه يستحق سلفاً .

١٠٧٣ - البزار : كشف الأستار (٣ / ٣٢١) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٦٨) . وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير أبي حبيبة الطائي ، وقد صحح له الترمذي حديثاً ، وذكره ابن حبان في الثقات .

الأنبياء وأنتم حَظَي من الأمم» .

١٠٧٤ - * روى أبو داود والحاكم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » .

رأس كل مائة سنة : أولها . يجدد لها دينها : قال المناوي : أي يبين السنّة من البدعة ويكثر العلم وينصر أهله ، ويكسر أهل البدعة ويذلهم . قال ابن كثير : والظاهر أنه يعم جملة من العلماء من كل طائفة وكل صنف من مفسر ومحدث وفقه ونحوي ولغوي وغيرهم . أقول : فليس شرطاً أن يكون المجدد واحداً ولكن قد يكون ، وشاهد الحال أنه ما انقطع المجددون من هذه الأمة بدليل بقاء الإسلام وعلومه وتجدد حيويته والعلماء مختلفون في تعيين المجددين في كل عصر ولا حرج في ذلك ، ولأهل الفضل فضلهم ، على أن معرفتنا بالمجدد مهمة من حيث إن ذلك يعطي لكلامه وزناً خاصاً .

والذي جعل العلماء يحتفلون أن يكون المجدد واحداً أو أكثر هو كلمة (من) في الحديث فهي تحتل الواحد والجمع .

* * *

١٠٧٤ - أبو داود (٤ / ١٠٩) كتاب الملاحم ، باب ما يذكر في قرن المائة . وهو حديث صحيح .
والستدرك (٤ / ٥٢٢)

فصل فى فضل العرب وقريش
وبعض القبائل

جلّ الله أن يكون في أفعاله عبث فهو الحكيم ، وكلّ ما يصدر منه فهو على غاية الحكمة ، فإن يختار الله رسوله محمداً ﷺ من العرب ثمّ من قريش ثمّ من بني عبد مناف ثمّ من بني هاشم فكلّ ذلك لحكم يعلمها جلّ جلاله وأن يختار لرسوله ﷺ مكة ثمّ المدينة فذلك لحكم لا يحيط بها إلا هو ، وقد ورد الكتاب بقوله تعالى :

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ ^(١) ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ ^(٢) أي لشرف لك ولقومك قريش خاصة والعرب عامة ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ^(٣) ﴿ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ ^(٤) ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٥) .

وقد وردت نصوص السنّة في فضل العرب وخصّت بعض النصوص قريشاً وما تفرّع عنها بالذكر ، وذكرت نصوص أخرى قبائل من العرب كما ذكرت أهل أوطان بأعيانها .

١٠٧٥ - * روى مسلم عن واثلة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم » .

١٠٧٦ - * روى الترمذي عن العباس قلت : يا رسول الله إن قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسّاتهم بينهم فجعلوا مثلك كمثّل نخلة في كبوة من الأرض فقال ﷺ : « إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم : من خير فريقهم ، وخير الفريقين ، ثمّ تخير القبائل فجعلني في خير قبيلة ، ثمّ تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً » .

(١) الأنعام : ١٢٤ .

(٢) الزخرف : ٤٤ .

(٣) الزخرف : ٣ .

(٤) الأنعام : ٩٢ .

(٥) آل عمران : ٩٦ .

١٠٧٥ - مسلم (١٧٨٢ / ٤) ٤٣ - كتاب الفضائل - ١ - باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة .

والترمذي (٥ / ٥٨٣) ٥٠ - كتاب المناقب - ١ - باب في فضل النبي ﷺ .

١٠٧٦ - الترمذي (٥ / ٥٨٤) ٥٠ - كتاب المناقب - ١ - في فضل النبي ﷺ وقال : هذا حديث حسن .

الكبوة : المنخفض الذي يتجمع فيه الغبار وما يشبهه : أي إن قريشاً جعلتك عظيماً من أسرة ليست كذلك .

١٠٧٧ - * روى أحمد والترمذي عن سلمان : قال رسول الله ﷺ : « لا تبغضني فتفارق دينك » قلت : يا رسول الله كيف أبغضك وبك هداني الله ، قال : « تبغض العرب فتبغضني » .

١٠٧٨ - * روى أحمد والترمذي عن سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « من أراد هوان قريش أهانة الله » .

١٠٧٩ - * روى الترمذي عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم أذقت أول قريش نكالا فأذق آخرهم نوالا » .

١٠٨٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « نساء قريش خير نساء ركب الإبل ، أحناء على طفل في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده » ويقول أبو هريرة في أثر ذلك : ولم تترك مريم ابنة عمران بعيراً قط ، ولو علمت أنها ركبت بعيراً ما فضلت عليها أحداً .

١٠٨١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الناس

١٠٧٧ - أحمد في المسند (٥ / ٤٤٠) .

والترمذي (٥ / ٧٣٣) ٥٠ - كتاب المناقب - ٧٠ - باب مناقب في فضل العرب . وقال : هذا حديث حسن غريب .

١٠٧٨ - أحمد في المسند (١ / ١٧١) .

والترمذي (٥ / ٧١٤) ٥٠ - كتاب المناقب - ٦٦ - باب في فضل الأنصار وقريش ، وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه .

١٠٧٩ - الترمذي (٥ / ٧١٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٦٦ - باب في فضل الأنصار وقريش ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

نكالا : النكال : المشقة والعذاب ، نوالا : النوال : العطاء .

١٠٨٠ - البخاري (٦ / ٤٧٢) ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء - ٤٦ - باب قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّكِ عَلَىٰ إِحْسَانٍ ﴾ إلى قوله ﴿ لَمَّا يَأْتِيَنَّكَ السَّاعَةُ ﴾ .

ومسلم (٤ / ١٩٥٩) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤٩ - باب من فضائل نساء قريش . أحناء : أعطفه وأشفقه .

أرعاه على زوج : المراجعة والحفظ والرفق به .

في ذات يده : فيما يملك .

١٠٨١ - البخاري (٦ / ٥٢٥ ، ٥٢٦) ٦١ - كتاب المناقب - ١ - قول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ =

تبع لقريش في هذا الشأن ، مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم ، والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا تجدون من خير الناس أشد الناس كراهية لهذا الشأن حتى يقع فيه .

١٠٨٢ - * روى البخاري ومسلم عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان » .

١٠٨٣ - * روى البخاري عن معاوية أنه بلغه وهو عندة في وفد من قريش - أن عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث أنه سيكون ملك من قحطان ، فغضب معاوية ، فقام فأتى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد فإنه بلغني أن رجالاً منكم يتحدثون أحاديث ليست في كتاب الله ، ولا تؤثر عن رسول الله ﷺ ، فأولئك جهالكم ، فإياكم والأمانى التي تضل أهلها ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن هذا الأمر في قريش ، لا يعاديه أحد إلا كبه الله على وجهه ، ما أقاموا الدين » .

قال ابن حجر : قوله (من قحطان) هو جماع الين ، وفي إنكار معاوية ذلك نظر لأن الحديث الذي استدل به مقيد بإقامة الدين فيحتمل أن يكون خروج القحطاني إذا لم تقم قريش أمر الدين وقد وجد ذلك ، فإن الخلافة لم تنزل في قريش والناس في طاعتهم إلى أن استخفوا بأمر الدين فضعف أمرهم وتلاشى إلى أن لم يبق لهم من الخلافة سوى اسمها المجرد في بعض الأقطار دون أكثرها . اهـ .

أقول : ليس شرطاً أن يكون الذي يسوق الناس بعصاه هو الإمام الأعظم بل قد يكون سلطاناً من السلاطين ، فصلاح الدين مثلاً ساق الناس بعصاه وأصوله كردية ، والنسابة العرب مجمعون على أن الأكراد عرب قحطانيون ، والله أعلم .

= وجعلناهم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم .

ومسلم (٣ / ١٤٥١) ٣٣ - كتاب الإمارة - ١ - باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش .

١٠٨٢ - البخاري (٦ / ٥٣٣) ٦١ - كتاب المناقب - ٢ - باب مناقب قريش .

ومسلم (٣ / ١٤٥٢) ٣٣ - كتاب الإمارة - ١ - باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش .

١٠٨٣ - البخاري (٦ / ٥٣٣) ٦١ - كتاب المناقب - ٢ - باب مناقب قريش .

١٠٨٤ - * روى أحمد والترمذي عن عمرو بن العاص ، قال رجلٌ عنده : لتنتهين قريشٌ أو ليُجعلنَّ اللهَ هذا الأمرَ في جمهورٍ من العربِ غيرهم . فقال عمرو بنُ العاصِ : كذبت سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « قريشٌ ولأمةُ الناسِ في الخير والشر إلى يوم القيامة » .

١٠٨٥ - * روى أحمد عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن للقرشيِّ مثلي قوة الرجل من غير قريشٍ » قال الزهري غنى بذلك نُبْلَ الرَّأْيِ .

١٠٨٦ - * روى مسلم عن جابر بن سبرة قال : قال رسول الله ﷺ « لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليهم الأمة » فسمعتُ كلاماً من النبي ﷺ لم أفهمه ، فقلت لأبي ما يقول ؟ قال : كلهم من قريش .

١٠٨٧ - * روى أحمد والترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الملوك في قريش ، والقضاء في الأنصار ، والأذان في الحبشة ، والأمانة في الأزد » وزاد أحمد : « والسرعة في الين » .

١٠٨٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « قريشٌ والأنصارُ وجهينةٌ ومزينةٌ وأسلمٌ وأشجعٌ وغفارٌ مواليٌّ ليسَ لهم مولى دونَ الله ورسوله » .

١٨٠٤ - أحمد في مسنده (٢٠٢ / ٤) .
 والترمذي (٥٠٣ / ٤) ٣٤ - كتاب الفتن - ٤٩ - باب ما جاء أن الخلفاء من قريش إلى أن تقوم الساعة .
 ١٠٨٥ - أحمد في مسنده (٨٣ ، ٨١ / ٤) بسند صحيح .
 ١٠٨٦ - مسلم (١٤٥٣ / ٣) ٣٣ - كتاب الإمارة - ١ - باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش .
 وأبو داود (١٠٦ / ٤) كتاب المهدي .
 ١٠٨٧ - أحمد في مسنده (٣٦٤ / ٢)
 والترمذي (٧٢٧ / ٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٧٢ - باب في فضل الين .
 ١٠٨٨ - البخاري (٥٣٣ / ٦) ٦١ - كتاب المناقب - ٢ - باب مناقب قريش .
 ومسلم (١٩٥٤ / ٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤٧ - باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيء .

١٠٨٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي بَكْرَةَ قال : قال رسول الله ﷺ : « أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ جَهَنَّمُ وَمَزِينَةُ وَأَسْلَمُ وَغِفَارٌ خَيْرًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ وَبَنِي أَسَدٍ وَمِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَطَفَانَ وَمِنْ بَنِي عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ » فقال رجل : خَابُوا وَخَسِرُوا ، فقال : « هُمْ خَيْرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ وَمِنْ بَنِي أَسَدٍ وَمِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَطَفَانَ وَمِنْ بَنِي عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ » .

خَابُوا وَخَسِرُوا : قال في الفتح : وقد ظهر مصداق ذلك عقب وفاة رسول الله ﷺ فارتد هؤلاء مع طلحة بن خويلد وارتد بنو تميم مع سجاح .

١٠٩٠ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن أبي بكرَةَ عن أبيه : أن الأقرع بن حابس قال للنبي ﷺ : إنما بايعك سُرَّاقُ الْحَجِيجِ مِنْ أَسْلَمَ وَغِفَارٍ وَمَزِينَةَ - وَأَحْسِبِهِ وَجَهَنَّمَ ، ابن أبي يعقوب شك - قال النبي ﷺ : « أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ أَسْلَمُ وَغِفَارٌ وَمَزِينَةُ وَأَحْسِبُهُ وَجَهَنَّمَ خَيْرًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ وَبَنِي عَامِرٍ وَأَسَدٍ وَغَطَفَانَ خَابُوا وَخَسِرُوا ؟ » قال : نعم . قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمْ لِأَخِيرُ مِنْهُمْ » .

١٠٩١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أَسْلَمُ سَأَلَهَا اللَّهَ ، وَغِفَارٌ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا ، أَمَا إِنِّي لَمْ أَقْلُهَا وَلَكِنَّ اللَّهَ قَالَهَا » .

١٠٩٢ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أنه قال : لا أزال أحب بني تميم بعد

١٠٨٩ - البخاري (٥٤٢ / ٦) ٦١ - كتاب المناقب - ١ - باب ذكر أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع .
ومسلم (١٩٥٦ / ٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤٧ - باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطية .

١٠٩٠ - البخاري (٥٤٢ / ٦) ٦١ - كتاب المناقب - ٦ - باب ذكر أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع .
ومسلم (١٩٥٦ / ٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤٧ - باب من فضائل غفار ... والأقرع بن حابس : أحد رؤساء بني تميم وقد أسلم وشهد مع رسول الله حنيناً .

١٠٩١ - البخاري (٥٤٢ / ٦) ٦١ - كتاب المناقب - ٦ - باب ذكر أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع .
ومسلم (١٩٥٢ / ٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤٦ - باب دعاء النبي ﷺ لغفار وأسلم .
١٠٩٢ - البخاري (١٧٠ / ٥) ٤٩ - كتاب العتق - ١٣ - باب من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع وجامع وفدى وسي الذرية .

ومسلم (١٩٥٧ / ٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤٧ - باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة ودوس وطية .

ثلاث سمعتها من النبي ﷺ يقولها فيهم ، سمعته يقول : « هُمْ أَشَدُّ أُمْتِي عَلَى الدُّجَالِ » وجاءت صَدَقَاتُهُمْ فقال صلى الله عليه وسلم : « هَذِهِ صَدَقَاتُ قَوْمِنَا » وكانت سَبِيَّةً مِنْهُمْ عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَعْتَقْتُهَا فَإِنَّهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ » .

١٠٩٣ * روى مسلم عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « غَلِظُ الْقُلُوبِ وَالْجَفَاءُ فِي الْمَشْرِقِ ، وَالْإِيمَانُ فِي أَهْلِ الْحِجَازِ » .

١٠٩٤ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أَتَسَامُ أَهْلَ الْيَمَنِ هُمْ أَرْقَى أَفْئِدَةً وَأَلْيَنَ قُلُوبًا ، الْإِيمَانُ يَبَانُ ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ وَرَأْسُ الْكُفْرِ قَبْلُ الْمَشْرِقِ ، وَالْفَخْرُ وَالْحَيْلَاءُ فِي أَصْحَابِ الْإِبِلِ ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ » .

١٠٩٥ * روى البخاري ومسلم عن أبي مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « الْإِيمَانُ هَهُنَا وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْيَمَنِ ، وَالْقِسْوَةُ وَغِلْظُ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ عِنْدَ أَصُولِ أَذْنَابِ الْإِبِلِ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةٍ وَمَضَرَ » .

قال النووي : وقوله صلى الله عليه وسلم (في الفدادين) فزعم أبو عمرو الشيباني أنه بتخفيف الدال وهو جمع فداد بتشديد الدال وهو عبارة عن البقر التي يحرث عليها حكاها عنه أبو عبيد وأتكره عليه وعلى هذا المراد بذلك أصحابها فحذف المضاف والصواب في الفدادين بتشديد الدال جمع فداد بدالين أولاهما مشددة ، وهذا قول أهل الحديث والأصمعي وجمهور أهل اللغة ، وهو من الفديد وهو الصوت الشديد فهم الذين تعلو أصواتهم في إبلهم وخيلهم وحروثهم ونحو ذلك . وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى هم المكثرون من الإبل الذين يملك

= السبية : المرأة التي تسي من قومها ، وتتخذ أمة .

١٠٩٣ - مسلم (١ / ٧٣) ١ - كتاب الإيمان - ٢١ - باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه .

١٠٩٤ - البخاري (٨ / ٩٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ٧٤ - باب قدوم الأشعرين وأهل اليمن .

ومسلم (١ / ٧٣) ١ - كتاب الإيمان - ٢١ - باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه .

١٠٩٥ - البخاري (٨ / ٩٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ٧٤ - باب قدوم الأشعرين وأهل اليمن .

ومسلم (١ / ٧٣) ١ - كتاب الإيمان - ٢١ - باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه .

الفدادين : بتشديد الدال جمع فداد بدالين أولاهما مشددة ، وهو من الفديد ، وهو الصوت الشديد ، فهم الذين تعلو أصواتهم في إبلهم وخيلهم وحروثهم .

أحدهم المائتين منها إلى الألف . وقوله إن القسوة في الفدادين عند أصول أذنان الإبل معناه الذين لهم جَلَبَةٌ وصياح عند سوقهم لها . وقوله ﷺ « حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر » قوله ربيعة ومضر بدل من الفدادين ، وأما قرنا الشيطان فجانبها رأسه ، وقيل هما جمعاه اللذان يفرهما بإضلال الناس ، وقيل شيعتاه من الكفار والمراد بذلك اختصاص المشرق بمزيد من تسلط الشيطان ومن الكفر . اهـ .

١٠٩٦ - * روى الترمذي عن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ نظر قَبَلَ الْيَمِينِ فقال : « اللهم أُقْبِلْ بقلوبهم ، وبارك لنا في صاعنا ومَدَّنَا » .

١٠٩٧ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرف أصوات رُفَقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حين يدخلون بالليل ، وأعرف مَنَازِلَهُمْ من أصواتهم بِالْقُرْآنِ بالليل ، وإن كنت لم أر مَنَازِلَهُمْ حين نَزَلُوا بالنهار ، ومنهم حَكِيمٌ إذا لقي الخيل أو قال العدو ، قال لهم : إن أصحابي يَأْمُرُونَكُمْ أن تنظروهم » .

قال الحافظ في الفتح : قوله (قال لهم إن أصحابي يأْمُرُونَكُمْ أن تنظروهم) أي تنتظروهم من الانتظار ومعناه أنه لفرط شجاعته كان لا يفر من العدو بل يواجههم ويقول لهم إذا أرادوا الانصراف مثلاً : انتظروا الفرسان حتى يأتوكم ، ليثبتهم على القتال . هذا بالنسبة إلى الشق الثاني وهو قوله (أو قال العدو) ، وأما على الشق الأول وهو قوله (إذا لقي الخيل) فيحتمل : أن يريد بها خيل المسلمين ، ويشير بذلك إلى أن أصحابه كانوا رَجَالَةً فكان هو يأمر الفرسان أن ينتظروهم ليسيروا إلى العدو جميعاً ، وهذا أشبه بالصواب . قال ابن التين : معنى كلامه أن أصحابه يحبون القتال في سبيل الله ولا يبالون بما يصيبهم .

١٠٩٦ - الترمذي (٧٢٦ / ٥٠) - كتاب المناقب - ٧٢ - باب في فضل اليمين ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب

لا نعرفه من حديث زيد بن ثابت إلا من حديث عمران القطان .

١٠٩٧ - البخاري (٤٨٥٧) - ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٨ - باب غزوة خيبر

ومسلم (٤ / ١١٤٤) - ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٩ - باب من فضائل الأشعريين رضي الله عنهم .

حكيم : قيل اسم علم لرجل وقيل صفة من الحكمة .

١٠٩٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ :
« إن الأشعريين إذا أُرْمِلُوا في الغزو ، أو قُلَّ طعامُ عيالهم بالمدينة جَمَعُوا ما كانَ
عندهم في ثوبٍ واحدٍ ، ثم اقْتَسَمُوهُ بينهم في إناءٍ واحدٍ بالسَّوِيَّةِ ، فهم مِنِّي وأنا
مِنْهُمْ » .

١٠٩٩ - * روى أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « نِعَمَ القَوْمُ الأَرْدُ ،
طَيِّبَةُ أفواههم ، بَرَّةٌ أَيْمَانهم ، نَقِيَّةٌ قُلُوبهم » .

١١٠٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : جاء الطُّفَيْلُ بنُ عَمْرٍو الدُّوسِيُّ إلى
النبي ﷺ فقال : إنَّ دوساً قد هَلَكْتُ ، عَصَتْ وَأَبَتْ ، فادْعُ اللهَ عَلَيْهِمْ ، فَظَنَّ النَّاسُ أَنه
يدعو عليهم فقال : « اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْساً وَأُتَيْتِ بِهِمْ » .

١١٠١ - * روى الترمذي عن جابر أن الصحابة قالوا : يا رسول الله أَخْرَقْتَنَا نَبَالَ ثَقِيفٍ
فادْعُ اللهَ عَلَيْهِمْ فقال : « اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفاً » .

١١٠٢ - * روى البزار عن ابن مسعود ، قال : شَهِدْتُ النَّبِيَّ ﷺ يدعو لهذا الحيِّ من
النَّخَعِ أو قال يُثْنِي عليهم حتى تمنيت أني رجل منهم .

١١٠٣ - * روى أحمد عن طارق بن شهاب قال : قدم وفدٌ بَجِيلَةَ على النبي ﷺ ،

١٠٩٨ - البخاري (١٢٨ / ٥) ٤٧ - كتاب الشركة - ١ - باب الشركة في الطعام والنَّهْد والعروض .

ومسلم (١٩٤٤ / ٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٩ - باب من فضائل الأشعريين رضي الله عنهم .
أرمل القوم : إذا نفذ زادهم .

١٠٩٩ - أحمد في مسنده (٣٥١ / ٢) ، بإسناد حسن .

١١٠٠ - البخاري (١٠١ / ٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ٧٥ - باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي .

ومسلم (١٩٥٧ / ٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤٧ - باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وقيم
ودوس وطيء .

١١٠١ - الترمذي (٧٢٩ / ٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٧٤ - باب مناقب بني ثقيف وبني حنيفة وقال : هذا حديث حسن
صحيح غريب .

١١٠٢ - البزار : كشف الأستار (٣ / ٣١٤)

وأورده الميثقي في جمع الزوائد (١٠ / ٥١) وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني ، ورجال أحمد ثقات .

١١٠٣ - أحمد في مسنده (٤ / ٣١٥)

فقال : « اكتبوا البَجَلِيَّينَ وابدءوا بالأَحْمَسِيِّينَ » .

وفي رواية ^(١) : قَدِيمٌ وَفَدُ أَحْمَسَ وَوَفَدُ قَيْسٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : « ابدءوا بالأَحْمَسِيِّينَ قَبْلَ الْقَيْسِيِّينَ » ثُمَّ دَعَا لِأَحْمَسَ : « اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي أَحْمَسَ وَخِيْلَهَا وَرَجَالِهَا » سَبْعَ مَرَّاتٍ .

١١٠٤ - * رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ غَالِبِ بْنِ أَبِجَرَ قَالَ : ذَكَرْتُ قَيْسَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : « رَحِمَ اللَّهُ قَيْسًا » قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : تَرْحَمُ عَلَى قَيْسٍ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، إِنَّهُ كَانَ عَلَى دِينِ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ ، يَا قَيْسُ حَيٌّ يَمَنًا ، يَا يَمَنُ حَيٌّ قَيْسًا ، إِنَّ قَيْسًا فُرسَانُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَيْسَ لِهَذَا الدِّينِ نَاصِرٌ غَيْرُ قَيْسٍ ، إِنَّمَا قَيْسٌ بِيضَةٌ فغَلَقْتُ عَنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ ، إِنَّ قَيْسًا ضَرَاءُ اللَّهِ ، يَعْنِي أَسَدُ اللَّهِ » .

١١٠٥ - * رَوَى أَبُو يَعْلَى وَالبَزَارُ عَنْ عَمْرِأَنِ النَّبِيِّ ﷺ ذَكَرَ عَنَزَةَ ذاتَ يَوْمٍ ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا عَنَزَةُ ؟ فَأَشَارَ بِيَدِهِ لِحَوْ الْمَشْرِقِ ، فَقَالَ : « حَيٌّ مِنْ هَهْنَا مَبْغِيٌّ عَلَيْهِمْ مَنْصُورُونَ » .

١١٠٦ - * رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا إِلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَسَبَّوْهُ وَضَرَبُوْهُ ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ أَنَّ أَهْلَ عَمَّانَ أَتَيْتَ مَا سَبُّوكَ وَلَا ضَرَبُوكَ » .

(١) أحمد (٣١٥ / ٤) والطبراني (٢٨٧ / ٨) وأورد الروايتين الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٨ / ١٠) وقال : رواه كله أحمد ، وروى الطبراني بعضه إلا أنه قال : « ابدؤا بالأحمسيين قبل القيسييين » ورجاله رجال الصحيح .
١١٠٤ - أورد الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٩ / ١٠) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله ثقات .
١١٠٥ - البزار : كشف الاستار (٣١٣ / ٣) .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٥١ / ١٠) وقال : رواه أبو يعلى في الكبير والبزار بنحوه باختصار عنه ، والطبراني في الأوسط وأحمد إلا أنه قال : عن العصفان بن حنظلة أن أباه وفد على عمر ، ولم يذكر حنظلة ، وأحد إسنادي أبي يعلى رجاله ثقات كلهم .
١١٠٦ - مسلم (١٩٧١ / ٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٥٧ - باب فضل أهل عمان .

١١٠٧ - * روى أحمد وأبو يعلى عن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعلم أرضا يقال لها عَمَانٌ يَنْضِجُ بناحيتها البحرُ ، لو أتاهم رسولِي مَا رَمَوْه بِسَهْمٍ وَلَا حَجَرٍ » .

* *

١١٠٧ - أحمد في مسنده (١ / ٤٤) .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٥٢) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، غير لمارة بن زياد وهو ثقة ورواه أبو يعلى كذلك .

فصل فی آل بیٹہ

من دوائر الشرف العظمى حول الرسول ﷺ دائرة أهل بيته فهي الدائرة الأشد لصوقاً به عليه الصلاة والسلام ، ولذلك كان الكلام عنها ألصق بسيرته ، وسرى أنه يدخل في هذه الدائرة : أزواجه وأبناؤه وبناته وأحفاده ، كما يدخل في ذلك أقاربه الأذنون .

وكل كلمة مرت معنا في الفصل السابق في فضل العرب أو قريش أو من أدلى بسبب إلى رسول الله ﷺ ، فأهل بيته وعشيرته الأقربون يدخلون فيها من باب أولى . ومع ذلك فقد وردت نصوص تدل على خصوصية الأقربين : قال تعالى ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ^(١) ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ^(٢) فسرهما بعضهم إلا أن تودوا قرابتي ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ^(٣) .

١١٠٨ - * روى الترمذي والحاكم عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ وَأَحِبُّوا فِيَّ بِحَبِّ اللَّهِ ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحَبِّي » .

١١٠٩ - * روى مسلم عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله ﷺ : « أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوْشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ ، وَأَنَا تَارِكٌ فَيْكُمْ ثَقَلَيْنِ ، أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ » فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : « وَأَهْلُ بَيْتِي أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي » فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده ، قال : ومن هم ؟ قال : هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس ، قال : كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال : نعم . وفي رواية : فقلنا : من أهل بيته ؟ نساؤه ؟ قال لا وإيم الله ، إن

(١) الشعراء : ٢١٤ .

(٢) الشورى : ٢٣ .

(٣) الأحزاب : ٣٣ .

١١٠٨ - الترمذي (٥ / ٦٦٤) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٢ - باب في مناقب أهل بيت النبي ﷺ وقال : هذا حديث حسن غريب ، إنما نعرفه من هذا الوجه .

والمستدرک (٣ / ١٥٠) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

١١٠٩ - مسلم (٤ / ١٨٧٣) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤ - باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ، ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها .

١١١٠ - * روى الطبراني عن جابر أنه سمع عمر يقول للناس حين تزوج بنت علي : ألا تهنوني ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب ، إلا سببي ونسبي » .

من هذه النصوص وأمثالها نعلم أنه قد خص آل بيت رسول الله ﷺ - أيًا ما أطلق عليه هذا الاسم - بأحكام ، ومن ذلك أنه وجب لهم في أعناق المسلمين الاحترام ، ويتأكد هذا الاحترام كلما ضاقت الدائرة ، فإذا وصلت إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فهنا قطب دائرة المحبة والاحترام . وذلك أنه ولد لرسول الله ﷺ من خديجة أربع بنات وذكران كلهم توفوا في عهد رسول الله ﷺ إلا فاطمة فقد تأخرت عنه ، وجاء له من مارية القبطية رضي الله عنها ابنه إبراهيم ، وقد توفي صغيراً ، لقد توفي أبناءه الذكور وهم صغار ولم تنجب بنتاه أم كلثوم ورقية ، ولقد أحببت زينب رضي الله عنها لكن ذريتها لم تستر ، وفاطمة وحدها هي التي أحببت وبقي عقبها فاستمرت ذرية الرسول ﷺ في أبناء علي رضي الله عنه ، ولهذا وغيره مما سراه قلنا : إن هذه الدائرة تخصّ بمزيد الاحترام .

والنصوص التي مرّت معنا تدلّ على وجوب محبة آل بيت رسول الله ﷺ وأنهم مظنة الهدى والهداية ، وأنهم محلّ عناية رسول الله ﷺ في الآخرة هم ومن اتّصل بهم ، والملاحظ أن رواية مسلم أخرجت من كلمة آل البيت أزواجه عليه الصلاة والسلام وأدخلت دائرة محدّدة في هذه ، الكلمة ، والأمر بجملته يحتاج إلى تفصيل :

فقد توضع حول هذا الموضوع خلافات كثيرة بين أهل السنة والجماعة من جهة وبين بعض الفرق التي انشقت عن جسم الأمة الإسلامية من جهة أخرى فمن غالٍ إلى حاقّد ، وكلّ ذلك يترك آثاره على مسيرة الإسلام والمسلمين ، كما أنه بسبب من الجهل أو العصبية يدخل الكثيرون في دائرة الضلال أو الفسوق أو الكفر لموقف من آل بيت رسول الله ﷺ ، ونحن ذاكرون في هذا الفصل ما يرتاح له قلب المسلم وعقله إن شاء الله تعالى وما هو محل

١١١٠ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٧٢) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ورجالها رجال الصحيح غير الحسن بن سهل وهو ثقة .

* * *

تطلق كلمة آل البيت على معنى أعم ومعنى عام ومعنى خاص ومعنى أخص فهي بمعناها الأعم يدخل فيها كل مؤمن ومؤمنة ، وهي بمعناها العام يدخل فيها أزواجه وبناته وأحفاده وأقاربه الأذنون ، وهي بمعناها الخاص يدخل فيها من حرمت عليه الصدقة على خلاف بين الفقهاء في ذلك ، ورواية مسلم المذكورة تذكر إحدى وجهات النظر ، وهي بمعناها الأخص يدخل فيها علي فاطمة وأبناؤهما وذرية الحسن والحسين خاصة .

فلكلمة آل البيت إذن معان متعددة باعتبار المقامات ، فهي ترد على أكثر من معنى ، والسياق هو الذي يعطيها مدلولها الأعم أو الأخص ، فهي ترد ويراد بها جميع المؤمنين ولو كانوا عصاة ، لأن كل مؤمن بينه وبين الرسول ﷺ رحم فאלله عز وجل يقول :

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ ^(١) أي وهو أبوهم ، وعلى هذا حمل بعض العلماء كلمة آل البيت إذا وردت في الدعاء فقولنا : (اللهم صلّ على سيدنا محمد وآله) يراد بالآل هنا كل المؤمنين على رأي هؤلاء ، وفي مقام الزكاة يراد بالآل بنو هاشم وبنو عبد المطلب عند الشافعية ، وبنو هاشم فقط عند المالكية والحنابلة . وآل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وآل الحارث عند الحنفية ، وعلى هذا الخلاف حمل كل من المذاهب كلمة آل البيت حيث وردت في بحث الزكاة في أنها لا تجوز لمحمد وآل بيته ، وقد وردت نصوص تدخل في أهل بيته أزواجه عليه الصلاة والسلام خاصة وأنّ قوله جل جلاله ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ^(٢) قد جاء في سياق الخطاب لأزواجه عليه الصلاة والسلام .

١١١١ - * روى ابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ

(١) الأحزاب : ٦ .

(٢) الأحزاب : ٣٣ .

١١١١ - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره فما عزا إليه ابن كثير في تفسيره (٣ / ٤٨٣) . وإسناد هذه الرواية حسن . والباهلة : أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء ، فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا .

عَنْكُمْ الرَّجُسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ۖ . قال : نزلت في نساء النبي ﷺ . ثم قال عكرمة : من شاء باهلتَهُ ، أنها نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة .

وعلق ابن كثير على قول عكرمة ، فقال : فإن كان المراد أنهم كنُّ سببَ النزول دون غيرهن ، فصحيح ، وإن أريد أنهم المراد فقط دون غيرهن ، ففي هذا نظر ، فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك .

كما جاءت نصوص تخص علياً وفاطمة والحسن والحسين بالذكر :

١١١٢ - * روى أحمد والترمذي عن أم سلمة أَنَّ النبي ﷺ جَلَلَ على الحسن والحسين وعلي وفاطمة ثم قال : « هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَحَامَتِي فَأُذِيبُ عَنْهُمْ الرَّجُسَ وَطَهِّرُهُمْ تَطْهِيراً » قالت أم سلمة : وأنا منهم يا رسول الله ؟ قال : « إنك إلى خير » .

وهذا الحديث يدل على أن الآية أعم من أن تكون في أزواج رسول الله ﷺ فقط .

١١١٣ - * روى الترمذي عن سعد بن أبي وقاص قال : لما نزلت هذه الآية : هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَحَامَتِي فَأُذِيبُ عَنْهُمْ الرَّجُسَ وَطَهِّرُهُمْ تَطْهِيراً ، فقال : « اللهم هَؤُلَاءِ أَهْلِي » .

فهذان نصان يذكran آل البيت بالمعنى الأخص .

١١١٤ - * روى أحمد والطبراني عن عائشة قالت : أهديت لرسول الله ﷺ قِلَادَةً من جَزَعٍ مَلْمَعَةٍ بالذهب ، ونسأوه مجتمعات في بيت كلهن ، وأمامة بنت أبي العاص

١١١٢ - أحمد في مسنده (٦ / ٣٠٤) .

والترمذي (٥ / ٦٩١) ٥٠ - كتاب المناقب - ٦١ - باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ .

جلل : غطى وكسا .

حامتي : الحامة : القرابة القريبة وخاصة الإنسان .

١١١٣ - الترمذي (٥ / ٢٢٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٤ - باب « ومن سورة آل عمران » . وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح .

١١١٤ - أحمد في مسنده (٦ / ١٠١ ، ٢٦١) .

قال في مجمع الزوائد (٩ / ٢٥٤) : رواه الطبراني واللفظ له وأحمد باختصار وأبو يعلى وإسناد أحمد وأبي يعلى حسن .

الجزع : ضرب من العقيق يعرف بخطوط متوازية مستديرة مختلفة الألوان .

ابن الربيع جارية تلعب في جانب البيت بالتراب ، فقال رسول الله ﷺ : « كيف ترين هذه ؟ » فنظرنا إليها فقلنا : يا رسول الله ، ما رأينا أحسن من هذه قط ، ولا أعجب ، فقال : « أُرَدُّنَهَا إِلَيَّ » فلما أخذها قال : « والله لأضعنها في رقبة أحب أهل البيت إليَّ » قالت عائشة : فأظلمت عليّ الأرض بيني وبينه خشية أن يضعها في رقبة غيري منهن ، ولا أراهن إلا أصابهن مثل الذي أصابني ، ووجنا جميعاً سكوت ، فأقبل بها حتى وضعها في رقبة أمانة بنت أبي العاص فسُري عنا .

دلّ هذا الحديث على أنّ أحفاده من غير فاطمة من أهل بيته ، فن باب أولى أبنائه وبناته ، ولذلك سنعقد (وصلاً) ههنا عن أبنائه وبناته وأحفاده ، وقد مر معنا حديث مسلم الذي ذكر فيه زيد بن أرقم وجهة نظره التي تذكر آل عقيل وآل جعفر وآل عباس ، لكن هناك نصوصاً تدخل غيرهم معهم في حرمة الصدقة .

١١١٥ - * روى مسلم عن المطّلب بن ربيعة بن الحارث أنه قال : اجتمع ربيعة بن الحارث والعبّاس بن عبد المطّلب . فقالا : والله ! لو بعثنا هذين العَلامَين (قالَا لي وَلِلْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ) إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَاهُ ، فَأَمَرَهُمَا عَلَى هَذِهِ الصَّدَقَاتِ ، فَأَدَيَا مَا يُؤَدِّي النَّاسُ ، وَأَصَابَا مِمَّا يُصِيبُ النَّاسُ ! قَالَ : فَبَيَّنْتُمَا هُمَا فِي ذَلِكَ جَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا . فَذَكَرَا لَهُ ذَلِكَ . فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : لَا تَفْعَلَا . قَوْلَاهُ ! مَا هُوَ بِفَاعِلٍ . فَأَنْتَحَاهُ ربيعة بن الحارث فقال : والله ! مَا تَصْنَعُ هَذَا إِلَّا نَفَاسَةً مِنْكَ عَلَيْنَا . قَوْلَاهُ ! لَقَدْ نِلْتَ صِهْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَا نَفْسَنَاهُ عَلَيْكَ . قَالَ عَلِيُّ : أَرْسَلُوهُمَا . فَأَنْطَلَقَا . وَأَضْطَجَعَ عَلِيٌّ . قَالَ : فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الظُّهْرَ سَبَقْنَاهُ إِلَى الْحَجَرَةِ . فَقَمْنَا عِنْدَهَا . حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِأَذَانِنَا . ثُمَّ قَالَ : « أَخْرَجَا مَا تُصَرَّانِ » ثُمَّ

١١١٥ - مسلم (٢ / ٧٥٢) ١٢ - كتاب الزكاة - ٥١ - باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة .

وأبو داود (٣ / ١٤٧) كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذي القربى .

والنسائي (٥ / ١٠٥) كتاب الزكاة ، باب استعمال آل النبي ﷺ على الصدقة .

فأنتحاه : عرض له .

النَّفَاسَةُ : البخل والمعنى : أي إلا بخلًا منك علينا .

تُصَرَّانِ : ما تُخَيَّمانِه في صدوركما من الكلام .

دَخَلَ وَدَخَلْنَا عَلَيْهِ . وَهُوَ يَوْمِيذٍ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ . قَالَ : فَتَوَاكَلْنَا الْكَلَامَ ، ثُمَّ تَكَلَّمْ أَحَدُنَا فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَنْتَ أَبْرُّ النَّاسِ وَأَوْصَلُ النَّاسِ . وَقَدْ بَلَّغْنَا النِّكَاحَ . فَجِئْنَا لِنُؤْمِرَنا عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ . فَنُؤْذِي إِلَيْكَ كَمَا يُؤْذِي النَّاسُ ، وَنُصِيبُ كَمَا يُصِيبُونَ قَالَ : فَسَكَتَ طَوِيلًا حَتَّى أَرَدْنَا أَنْ نُكَلِّمَهُ . قَالَ : وَجَعَلْتُ زَيْنَبَ تُلْمِعُ عَلَيْنَا مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ أَنْ لَا تَكَلِّمَاهُ . قَالَ : ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَنْبَغِي لِآلِ مُحَمَّدٍ . إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ . ادْعُوا لِي مَحْمِيَّةً » (وَكَانَ عَلَى الْخُمْسِ) « وَنُؤْفَلُ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » قَالَ : فَجَاءَاهُ . فَقَالَ لِمَحْمِيَّةٍ : « أَنْكِحْ هَذَا الْغُلَامَ ابْنَتَكَ » (لِلْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ) فَأَنْكَحَهُ . وَقَالَ لِنُؤْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ : « أَنْكِحْ هَذَا الْغُلَامَ ابْنَتَكَ » (لِي) فَأَنْكَحَنِي . وَقَالَ لِمَحْمِيَّةٍ : « أَصْدِيقُ عَنْهُمَا مِنَ الْخُمْسِ كَذَا وَكَذَا » قَالَ الزُّهْرِيُّ : وَلَمْ يَسْمَهُ لِي .

وكل ذلك دعانا إلى أن نعقد (وصلا) عن بعض من يدخل في آل بيته في الدائرة الأوسع . وعلى هذا فسنعقد في هذا الفصل عدة وصول :

وصلا عن أزواجه ، ووصلا عن أبناؤه وبناته وأحفاده ومنهم الحسن والحسين ، ووصلا عن بعض أقاربه ممن يدخلون في دائرة آل البيت بالمعنى الخاص .

وقد كان من حق الحسن أن نذكره أثناء الكلام عن الخلفاء الراشدين لكننا قدمناه ههنا ، وكان من حق علي رضي الله عنه أن نضعه ههنا فذكرناه مع الخلفاء الراشدين وتقديم الكلام ههنا عن سنذكرهم اضطررنا إليه سياق الكتاب . وهذا عذرنا لمن ينتقدنا لِمَ لَمْ نقدم الكلام عن أبي بكر وعمر وهما أفضل الأمة بعد رسولها عليه الصلاة والسلام ، ونحب أن ننبه أن من نذكرهم هنا اجتمع لهم فضلان : فضل الصحبة إذا توافرت شروطها ، وفضل

تُلْمِعُ : تُشِيرُ .

أوساخ الناس : تنبيه على العلة في تحريمها ومعنى أوساخ الناس أنها تطهير لأموالهم ونفوسهم .

مَحْمِيَّةٌ : هو ابن جَزْءَ بن عبد يغوث الزبيدي حليف بني سهم من قريش كان قديم الإسلام وهاجر إلى الحبشة وكان عامل رسول الله ﷺ على الأخماس .

وكان على الخمس : يتولى أمر خمس الغنية الذي من مصارفه ذوو القربى .

أَصْدِيقُ الْمَرْأَةِ : سَمِيَ لَهَا مِداقًا .

القراية ، وهناك استطرادات يضطرنا إليها السياق سنتحدث عنها بمناسبتها .

١١١٦ - * روى أحمد عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله ﷺ : « إني تارك فيكم خليفتين : كتاب الله عز وجل ، ممدود ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض » .

١١١٧ - * روى الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لا يَبْقُضُنَا أهل البيت أحدٌ إلا أدخله الله النار » .

١١١٨ - * روى الحاكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : لَقِيتُ كعبَ بنَ عَجْرَةَ فقال : ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قلت : بلى فاهديها إلي قال : سألتنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلنا : يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت ؟ قال : « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ » وقد روى هذا الحديث بإسناده وألفاظه حرفاً بعد حرف الإمام محمد بن إسماعيل البخاري عن موسى بن إسماعيل في الجامع الصحيح ، وإنما خرجته ليعلم المستفيد أن أهل البيت والآل جميعاً هم ، وأبو فروة هو عروة بن الحارث الهمداني من أوثق التابعين بالكوفة .

١١١٩ - * روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن أبا بكرٍ قال : اِرْقُبُوا محمداً ﷺ في أهل بيته .

١١٢٠ - * روى الطبراني عن محمد بن علي بن الحسين أن النبي ﷺ بايع الحسن والحسين

١١١٦ - أحمد في مسنده (٥ / ١٨٢) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٦٢) : رواه أحمد وإسناده جيد .

١١١٧ - المستدرک (٣ / ١٥٠) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي .

١١١٨ - المستدرک (٣ / ١٤٨) .

١١١٩ - البخاري (٧ / ٧٨) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ١٢ - باب مناقب قراية رسول الله ﷺ .

١١٢٠ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٤٠) وقال : رواه الطبراني ، وهو مرسل ، ورجاله ثقات .

وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وهم صفار ولم يثقلوا ولم يثقلوا ، ولم يبايع صغيراً إلا منّا .

١١٢٩ - * روى أبو يعلى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « خيركم خيركم لأهلي من بعدي » قال أبو خيثمة : الناس يقولون لأهله وقال هذا لأهلي .

* * *

= يثقلوا : يثقل وجهه : إذا نبت لحية .

١١٢٩ - أورده الميمني في جمع الزوائد (٩ / ١٧٤) وقال : رواه أبو يعلى ورجاله ثقات .

الوصيل الأول
في
أزواجه عليه الصلوة والسلام

توطئة :

الحديث عن أزواجه جزء مهم من الحديث عن سيرته عليه الصلاة والسلام ، فلا ينفصل الكلام عن أزواجه عن الكلام عنه ، ثم إن أزواجه عليه الصلاة والسلام هن القدوة للمرأة المسلمة . والنساء يشكّلن حيّزاً كبيراً من المجتمع الإنساني ، وإن كانت الأسرة تشكّل دائرة مهمّة من دوائر المجتمع فمن المهم أن يتعرّف الإنسان على رسول الله ﷺ في أسرته . وهذا الوصل والوصل الذي بعده يعطينا صورة عن الرسول ﷺ في أسرته ويعطينا صورة عن أكمل أسرة في تاريخ الوجود ، وسنذكر بين يدي نصوص هذا (الوصل) مقدّمتين :

مقدّمة عامّة ، ومقدّمة عن التفضيل بين أزواجه وكان الكال في البحث يقتضي أن تذكر مع ترجمة كل من زوجاته عليه الصلاة والسلام مجموع رواياتها عنه عليه الصلاة والسلام فهي المقصود الأعظم من الترجمة ، وبذلك تظهر الصورة الحقيقيّة عن حياة الرسول ﷺ الزوجيّة ، لكنّ هذا سيؤثّر على أبحاث هذا الكتاب الأخرى لأنّ مرويات الزوجات ذات موضوعات متعدّدة ، وهذا يقتضي أن نذكرها عند موضوعاتها في هذا الكتاب ، ومن قبل قلنا إنّ هذا الكتاب بكلّ أقسامه مع تفسير القرآن هو السيرة كلّها ، فليعتبر القارئ إذن أنّ الحديث موصول عنه وعن زوجاته في بقيّة أقسام الكتاب ، ومن هنا فإنّ قارئ هذا البحث عن زوجاته سيجد فراغات كثيرة وقصوراً كبيراً ، إلا أن ذلك من مقتضيات طريقتنا في عرض السنّة في هذا الكتاب ، وفي الأصل فإنّ جامعي السنّة يتحدثون عادة عمّا يسمى بال مناقب ، وهذا البحث يكاد يكون أشبه بذلك .

* * *

المقدمة الأولى

لهة عامة عن أزواجه وسراريه عليه السلام

قال المباركفوري :

معلوم أن النبي ﷺ كان ممتازاً عن أمته بجلّ التزوج بأكثر من أربع زوجات لأغراض كثيرة ، فكان عدد من عقد عليهن ثلاث عشرة امرأة ، منهن تسع مات عنهن ، واثنان توفيتا في حياته ، إحداهما خديجة ، والأخرى أم المساكين زينب بنت خزيمة . واثنان لم يدخل بهما . وهما هي أسماؤهن وشيء عنهن .

١ - خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .

٢ - سودة بنت زمعة ، تزوجها رسول الله ﷺ في شوال سنة عشر من النبوة ، بعد وفاة خديجة بأيام ، وكانت قبله عند ابن عم لها يقال له السكران بن عمرو مات عنها .

٣ - عائشة بنت أبي بكر الصديق ، تزوجها في شوال سنة إحدى عشرة من النبوة ، بعد زواجه بسودة بسنة ، وقبل الهجرة بستين وخمسة أشهر ، تزوجها وهي بنت ست سنين ، وبنى بها في شوال بعد بدر - على ما قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات - ، وكانت بكرة ، ولم يتزوج بكرة غيرها ، وكانت أحب الخلق إليه ، وأفقه نساء الأمة ، وأعلمهن على الإطلاق .

٤ - حفصة بنت عمر بن الخطاب ، تأيمت من زوجها خنيس بن حذافة السهمي بين بدر وأحد . فتزوجها رسول الله ﷺ سنة ٣ هـ .

٥ - زينب بنت خزيمة من بني هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت تسمى أم المساكين ، لرحمتها إياهم ورقتها عليهم ، كانت تحت عبد الله بن جحش ، فاستشهد في أحد ، فتزوجها رسول الله ﷺ سنة ٤ هـ . ماتت بعد الزواج بشهرين أو ثلاثة أشهر .

٦ - أم سلمة هند بنت أبي أمية ، كانت تحت أبي سلمة ، مات عنها في جمادى الآخرة سنة ٤ هـ فتزوجها رسول الله ﷺ في شوال من السنة نفسها .

٧ - زينب بنت جَحْش بن رِيَاب من بني أسد بن خزيمه ، وهي بنت عمه رسول الله ﷺ ، وكانت تحت زيد بن حارثة - الذي كان يعتبر ابناً للنبي ﷺ - فطلقها زيد . فأنزل الله تعالى يخاطب رسول الله ﷺ ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا ﴾ ^(١) وفيها نزلت من سورة الأحزاب آيات فصلت قضية التبني . تزوجها رسول الله ﷺ في ذي القعدة سنة خمس من الهجرة .

٨ - جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق من خزاعة ، كانت في سبي بني المصطلق في سهم ثابت بن قيس بن شماس فكاتبها ، فقصى رسول الله ﷺ كتابتها ، وتزوجها في شعبان سنة ٦ هـ .

٩ - أم حبيبة رَمْلَة بنت أبي سفيان ، كانت تحت عبيد الله بن جحش ، وهاجرت معه إلى الحبشة ، فارتد عبيد الله وتنصر وتوفي هناك ، وثبتت أم حبيبة على دينها وهجرتها ، فلما بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري بكتابه إلى النجاشي في المحرم سنة ٧ هـ . خطب عليه أم حبيبة فزوجها إياه وبعث بها مع شُرْحُبِيل بن حَسَنَة .

١٠ - صفية بنت حَيَّي بن أخطب من بني إسرائيل ، كانت من سبي خيبر ، فاصطفأها رسول الله ﷺ لنفسه ، فأعتقها وتزوجها بعد فتح خيبر سنة ٧ هـ .

١١ - ميونة بنت الحارث أخت أم الفضل لبابة بنت الحارث ، تزوجها في ذي القعدة سنة ٧ هـ ، في عمرة القضاء بعد أن حلَّ منها على الصحيح .

فهؤلاء إحدى عشرة سيدة تزوج بهن الرسول ﷺ ، وبني بهن وتوفيت منهن اثنتان - خديجة بنت خويلد وزينب أم المساكين - في حياته ، وتوفي هو عن التسع البواقي .

وأما الاثنتان اللتان لم يبن بهما فواحدة من بني كلاب ، وأخرى من كِنْدَة وهي المعروفة بالجوينة . وهناك خلافات لا حاجة إلى بسطها .

وأما السراري فالمعروف أنه تسرى باثنتين إحداها مارية القبطية . أهداها له المَقْوِس

فأولدها ابنه إبراهيم الذي توفي صغيراً بالمدينة في حياته ﷺ ، في ٢٨ / أو ٢٩ من شهر شوال سنة ١٠ هـ وفق ٢٧ يناير سنة ٦٣٢ م . والسرية الثانية هي ریحانة بنت زيد النّضرية أو القُرظية ، كانت من سبايا قريظة فاصطفأها لنفسه ، وقيل بل هي من أزواجه ﷺ ، أعتقها فتزوجها والقول الأول رجحه ابن القيم ، وزاد أبو عبيدة اثنتين أخريين ، جميلة أصابها في بعض السبي ، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش . اهـ .

* * *

المقدمة الثانية : في التفضيل

قال الشيخ عبد السلام اللقاني :

وأما تفضيل الزوجات الشريفات ، فأفضلهنّ : خديجة ، وعائشة ، وفي أفضلهن خلاف ، صحح ابن العباد تفضيل خديجة وفاطمة ، فتكون أفضل من عائشة ولما سئل السبكي عن ذلك قال : الذي نختاره وندينّ الله به ، أن فاطمة بنت سيدنا محمد ﷺ أفضل ثم أمها خديجة ثم عائشة .

واختار السبكي أن مريم أفضل من خديجة ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : « خير نساء العالمين مريم بنت عمران ، ثم خديجة بنت خويلد ، ثم فاطمة بنت محمد ﷺ ، ثم آسية بنت مراحم امرأة فرعون » ^(١) وللأختلاف في نبوتها .

أقول : التفضيل لفاطمة على خديجة من حيثية كونها جزءاً من رسول الله ﷺ والتفضيل لخديجة على فاطمة من حيثية ما قامت به .

قال الشيخ اللقاني :

وقال شيخ الإسلام في شرح البخاري : الذي أختاره الآن أن الأفضلية محمولة على أحوال ، فعائشة أفضلهن من حيث العلم ، وخديجة من حيث تقدمها وإعانتها له صلى الله

(١) رواه أحمد في مسنده (١ / ٣٢٢) عن ابن عباس .

عليه وسلم في المهمات ، وفاطمة من حيث القرابة ، ومريم من حيث الاختلاف في نبوتها ، وذكرها في القرآن مع الأنبياء ، وآسية امرأة فرعون من هذه الحيشة ، ولكن لم تذكر مع الأنبياء ، وعلى ذلك تنزيل الأخبار الواردة في أفضليتهن ، وهذا جيد إن قلنا : إن التفضيل بالأحوال وكثرة الحصال الجميلة ، وأما إن قلنا : إنه باعتبار كثرة الثواب ، فالأقرب الوقف كما هو قول الأشعري .

وفي كلام البرهان الحلبي أن زينب بنت جحش تلي عائشة رضوان الله تعالى عليهما ، ولم يقف أستاذنا على نص في باقيهن ، ولا في مفاضلة بعض أبنائه الذكور على بعض ، ولا في المفاضلة بينهم وبين البنات الشريقات ، سوى ما شرف الله به الذكور على الإناث مطلقاً ، ولا بينهن سوى فاطمة ، بأنها أفضل بناته الكريكات ، ولا بين باقي البنات سوى فاطمة مع الزوجات الطاهرات ، وإن جرت علة فاطمة بالبعضية في الجميع ، فالوقف أسلم ، والله أعلم . اهـ .

وهذه سيرة مختصرة للزوجات الطاهرات .

١ - خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

يقول الذهبي في سير أعلام النبلاء :

خديجة أم المؤمنين وسيدة نساء العالمين في زمانها ، أم القاسم ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، القرشية الأسديّة ، أم أولاد رسول الله ﷺ وأول من آمن به وصدقه قبل كل أحد ، وثبتت جأشة ، ومضت به إلى ابن عمها ورقة .

ومناقبها جمّة ، وهي ممّ كملت من النساء . كانت عاقلة جليلة دينة مصونة كريمة ، من أهل الجنة ، وكان النبي ﷺ يثني عليها ، ويفضّلها على سائر أمّهات المؤمنين ويبالغ في تعظيمها ، بحيث إن عائشة كانت تقول : ما غرت من امرأة ما غرت من خديجة ، من كثرة ذكر النبي ﷺ لها .

ومن كرامتها عليه صلى الله عليه وسلم أنّها لم يتزوج امرأة قبلها ، وجاء منها عدة أولاد ، ولم يتزوج عليها قطّ ، ولا تسرى عليها قطّ ، ولا تسرى إلى أن قضت نحبها ، فوجد لفقدها ، فإنّها كانت نعم القرين وكانت تنفق عليه من مالها ، ويتجرّ هو صلى الله عليه وسلم لها .

قال الزبير بن بكار : كانت خديجة تدعى في الجاهليّة الطاهرة ، وأمّها هي فاطمة بنت زائدة العامريّة .

كانت خديجة أوّلًا تحت أبي هالة بن زُرارة التيمي ، ثمّ خلف عليها بعده عتيق بن عابد ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ثمّ بعده النبي ﷺ ، فبنى بها وله خمس وعشرون ، وكانت أسنّ منه بخمس عشرة سنة . عن عائشة : أنّ خديجة توفيت قبل أن تفرض الصلاة ، وقيل : توفيت في رمضان ودفنت بالحجون (هو جبل بأعلى مكّة عنده مدافن أهلها) عن خمس وستين سنة .

قال الواقدي : خرجوا من شعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين فتوفي أبو طالب ، وقبله خديجة بشهر وخمسة أيّام ، وقال الحاكم : ماتت بعد أبي طالب بثلاثة أيّام .

قال ابن إسحاق : تتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلاك أبي طالب وخديجة ، وكانت خديجة وزيرة صدق وهي أقرب إلى قصي من النبي ﷺ برجل ^(١) ، وكانت متولة ، فعرضت على النبي ﷺ أن يخرج في مالها إلى الشام فخرج مع مولاها ميسرة ، فلما قدم باعت خديجة ما جاء به فأضعف ، فرغبت فيه ^(٢) ، فعرضت نفسها عليه فتزوجها ، وأصدقها عشرين بكرة .

فأولادها منه : (القاسم ، والطيب ، والطاهر ، ماتوا رضعاً ، ورقية ، وزينب ، وأم كلثوم ، وفاطمة) .

قال الشيخ عز الدين بن الأثير : خديجة أول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين .

وقال الزهري ، وقتادة ، وموسى بن عقبة ، وابن إسحاق ، والواقدي ، وسعيد بن يحيى : أول من آمن بالله ورسوله خديجة ، وأبو بكر ، وعلي رضي الله عنهم .

قال الواقدي : توفيت في رمضان ودفنت بالحجون .

وقال قتادة : ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكذا قال عروة اه كلام الذهبي .

وهذه نصوص تتحدث عنها :

١١٢٢ - * روى البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خَيْرُ نَسَائِهَا : مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَخَيْرُ نَسَائِهَا : خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ » .

قال أبو كريب : وأشار وكيع إلى السماء والأرض .

(١) يعني كان قصي جدها الثالث وجد النبي ﷺ الرابع .

(٢) لما رأت فيه من أمانة وبركة وما حدث به ميسرة عن خصاله الحميدة .

١١٢٢ - البخاري (٤٧٠ / ٧) - ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء - ٤٥ - باب عز وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين .

ومسلم (١٨٨٦ / ٤) - ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٢ - باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها .

١١٢٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى جبريل عليه السلام النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، هذه خديجة قد أتت ، معها إناء فيه إدام - أو طعام ، أو شراب - فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ، ومني وبشرها ببیت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب .

١١٢٤ - * روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عباس قال : خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط فقال : « أتدرون ما هذا ؟ » فقالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله ﷺ : « أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة ابنة محمد ، ومريم ابنة عمران ، وآسية ابنة مزاحم امرأة فرعون » .

١١٢٥ - * روى الطبراني عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ سئل عن خديجة أنها ماتت قبل أن تنزل الفرائض والأحكام ، قال : « أبصرتها على نهر من أنهار الجنة في بيت من قصب لا لغو فيه ولا نصب » وسئل عن أبي طالب هل نفقته ؟ قال : « أخرجته من جهنم إلى ضحضاح منها » .

١١٢٣ - البخاري (١٢٣ / ٧) ٦٢ - كتاب مناقب الأنصار - ٢٠ - باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها .

ومسلم (٤ / ١٨٨٦) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٢ - باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها .

قد أتتك : معناه توجهت إليك .

فإذا هي أتتك : أي وصلتك .

فاقرأ عليها السلام : أي سلم عليها .

بيت في الجنة من قصب : قال جمهور العلماء : المراد بالقصب قصب اللؤلؤ الجوف كالقصر المنيف ، وقيل قصر من

ذهب منظوم بالجوهري .

صغيب : الصخب الصوت المختلط المرتفع .

نصب : النصب المشقة والتعب .

١١٢٤ - أحمد في مسنده (١ / ٢١٦) والطبراني في الكبير (١١ / ٣٣٦) .

والحاکم (٣ / ١٦٠) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٢٣) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم رجال الصحيح .

١١٢٥ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٢٣) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ، ورجالها رجال

الصحيح غير مجالد بن سعيد وقد وثق ، وخاصة في أحاديث جابر .

الضحضاح : القريب القمر .

١١٢٦ - * روى أحمد والترمذي والحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ : مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَأَسِيَّةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ » .

١١٢٧ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ قَطُّ ، وَمَا رَأَيْتُهَا ، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْثُرُ ذِكْرُهَا ، وَرَبًّا ذَبَحَ الشَّاةَ ، ثُمَّ يَقْطَعُهَا أَغْضَاءً ، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ ، فَرَبَّمَا قُلْتُ لَهُ : كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ ، فَيَقُولُ : « إِنَّهَا كَانَتْ ، وَكَانَتْ ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ » .

وفي رواية قالت^(١) : وَتَزَوَّجَنِي بَعْدَهَا بِثَلَاثِ سِنِينَ ، وَأَمَرَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ - أَوْ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنْ يَبْشُرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ .

قال في رواية^(٢) : وَأَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُبْشِرَهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ ، وَإِنْ كَانَ لَيَنْذِيحُ الشَّاةَ ، فَيَهْدِي فِي خَلَائِلِهَا مِنْهَا مَا يَسْمَعُونَ .

وفي أخرى^(٣) : وَكَانَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ يَقُولُ : « أَرْسَلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ » قَالَتْ : فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا ، فَقُلْتُ : خَدِيجَةُ ؟ فَقَالَ : « إِنِّي رَزَقْتُ حُبَّهَا » .

١١٢٦ - أحمد في مسنده (٣ / ١٣٥) .

والترمذي (٥ / ٧٠٢) ٥٠ - كتاب المناقب - ٦٢ - باب فضل خديجة رضي الله عنها . وقال : هذا حديث صحيح .

والحاكم (٣ / ١٥٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ ، وأقره الذهبي .
١١٢٧ - البخاري (٧ / ١٣٣) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٢٠ - باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها .
ومسلم (٤ / ١٨٨٨) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٢ - باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها .

(١) البخاري في الموضع السابق .

(٢) البخاري في نفس الموضع السابق .

ومسلم في الموضع السابق .

خلالها : الخلائل : جمع خليلة ، وهي الصديقة ، والخليل : الصديق .

(٣) مسلم في نفس الموضع السابق .

وفي أخرى قالت ^(١) : استأذنت هالة بنت خويلد - أخت خديجة - على رسول الله ﷺ ، فعرفت استئذان خديجة ، فارتاع لذك ، فقال : « اللهم هالة بنت خويلد » فقبرت ، فقلت : ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدين ، هلك في الدهر ، قد أبدلك الله خيراً منها .

ولسلم : قالت ^(٢) : ماغرت للنبي ﷺ على امرأة من نساءه ، ماغرت على خديجة ، لكثرة ذكره إياها ، وما رأيته قط ، وقالت : لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة حتى ماتت .

وفي رواية الترمذي قالت ^(٣) : ماغرت على أحد من أزواج النبي ﷺ ماغرت على خديجة ، وماي أن أكون أذكرتها ، وما ذاك إلا لكثرة ذكر رسول الله ﷺ لها ، وإن كان ليذبح الشاة ، فيتبع بها صدائق خديجة ، فيهديها لهن .

وفي أخرى قالت ^(٤) : ما حسدت أحدا ما حسدت خديجة ، وما تزوجني رسول الله ﷺ إلا بعد ما ماتت ، وذلك أن رسول الله ﷺ بشرها ببيت في الجنة من قصب - يعني : من قصب اللؤلؤ - لا صخب فيه ولا نصب .

١١٢٨ - * روى البخاري ومسلم عن إسماعيل بن أبي خالد قال : قلت لعبد الله بن أبي أوفى : أكان رسول الله ﷺ بشر خديجة ببيت في الجنة ؟ قال : نعم ، بشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب .

(١) البخاري (١٢٤ / ٧) في الموضع السابق .

ومسلم (١٨٨٩ / ٤) في الموضع السابق .

فعرف استئذان خديجة : أي صفة استئذان خديجة لشبه صوتها بصوت أختها ، فنذكر خديجة بذلك .
فارتاع : ارتاع : افتعل من الروع ، وهو الفزع ، كأنه طار له لما سمع صوت أخت خديجة .
حمراء الشدين : معناه عجوز كبيرة جداً . حتى قد سقطت أسنانها من الكبر ولم يبق لشديها بياض شيء من الأسنان ، إنما بقي فيها حمرة لثانها .

(٢) مسلم في نفس الموضع السابق .

(٣) الترمذي (٧٠٢ / ٥) - ٥٠ - كتاب المناقب - ٦٢ - باب فضائل خديجة رضي الله عنها .

١١٢٨ - البخاري (١٢٣ / ٧) - ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٢٠ - باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله تعالى عنها .

ومسلم (١٨٨٨ / ٤) - ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٢ - باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها .

قال في الفتح : وعند الطبراني في « الأوسط » من حديث فاطمة قالت : قلت يا رسول الله أين أُمِّي خديجة ؟ قال : « في بيت من قصب » قلت أمن هذا القصب ؟ قال : « لا ، من القصب المنظوم بالدر واللؤلؤ والياقوت » قال السهيلي : النكته في قوله : « من قصب » ولم يقل من لؤلؤ . أن في لفظ القصب مناسبة لكونها أحزرت قَصَبَ السُّبُق بمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها ، ولذا وقعت هذه المناسبة في جميع ألفاظ هذا الحديث انتهى . وفي القصب مناسبة أخرى من جهة استواء أكثر أنابيبه ، وكذا كان لخديجة من الاستواء ما ليس لغيرها ، إذ كانت حريصة على رضا بكل ممكن ، ولم يصدر منها ما يفضيه قط كما وقع لغيرها . وأما قوله « بيت » فقال أبو بكر الإسكافي في « فوائد الأخبار » : المراد به بيت زائد على ما أعد الله لها من ثواب عملها ، ولهذا قال « لا نصب فيه » : أي لم تتعب بسببه . قال السهيلي : لذكر البيت معنى لطيف لأنها ربة بيت قبل المبعث ثم صارت ربة بيت في الإسلام منفردة به ، فلم يكن على وجه الأرض في أول يوم بعث النبي ﷺ بيت إسلام إلا بيتها ، وهي فضيلة ماشاركها فيها أيضاً غيرها . قال : وجزاء الفعل يذكر غالباً بلفظه وإن كان أشرف منه ، فلهذا جاء في الحديث بلفظ البيت دون لفظ القصر انتهى . وفي ذكر البيت معنى آخر : لأن مرجع أهل بيت النبي ﷺ إليها ، لما ثبت في تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ قالت أم سلمة « لما نزلت دعا النبي ﷺ فاطمة وعلياً والحسن والحسين فجعلهم بكساء فقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي » الحديث أخرجه الترمذي وغيره ، ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة ، لأن الحسنين من فاطمة وفاطمة بنتها ، وعلي نشأ في بيت خديجة وهو صغير ثم تزوج بنتها بعدها ، فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها . وقوله (لا صخب فيه ولا نصب) الصخب بفتح المهملة والمعجمة بعدها موحدة : الصياح والمنازعة برفع الصوت ، والنصب بفتح النون والمهملة بعدها موحدة التعب . وأغرب الداودي فقال : الصخب العيب ، والنصب العوج . وهو تفسير لا تساعد عليه اللغة . وقال السهيلي : مناسبة نفى هاتين الصفتين - أعني المنازعة والتعب - أنه ﷺ لما دعا إلى الإسلام أجابت خديجة طوعاً فلم تحوجه إلى رفع صوت ولا منازعة ولا تعب في ذلك ، بل أزالته عنه كل نصب ، وأنسته من كل وحشة ، وهونت عليه كل عسير ، فناسب أن يكون منزلها الذي

يبشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعالها .

١١٢٩ - * روى الطبراني عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يكثر ذكر خديجة ، فقالت : ما أكثر ما تكثر من ذكر خديجة ، وقد أخلف الله تعالى لك من عجوز حمراء الشدقين ، وقد هلك في دهر ، فغضب رسول الله ﷺ غضباً ما رأيتُهُ غضب مثله قط ، وقال : « إن الله رزقها مني مالم يرزق أحداً منكن » قلت : يا رسول الله اغف عني ، والله لا أسمعني أذكر خديجة بعد هذا اليوم بشيء تكرهه .

وفي رواية^(١) : كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكن يسأم من ثناء عليها والاستغفار ، قال : « ورزقت مني الولد إذ حرمتني مني » فغدا علي بها وراح شهراً .

١١٣٠ - * روى أحمد عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة اثني فأحسن الثناء . قالت : فغيرت يوماً فقلت : ما أكثر ما تذكر حمراء الشدقين قد أبدلك الله خيراً منها . قال : « أبدلي الله خيراً منها ؟ قد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبتني الناس ، وواستني بما لها إذ حرمتني الناس ، ورزقني الله أولادها وحرمني أولاد الناس » .

١١٣١ - * روى الطبراني عن الزهري قال : لم يتزوج رسول الله ﷺ على خديجة حتى ماتت .

١١٣٢ - * روى الطبراني عن عبد الله بن عبيد الله بن عمير قال : لما توفيت خديجة اشتد ذلك على رسول الله ﷺ حتى تزوج عائشة .

* * *

١١٢٩ - المعجم الكبير (١١ / ٢٣) وقال الهيثمي (٢٢٤ / ٩) : رواه الطبراني وأسانيده حسنة .

(١) المعجم الكبير (٢٣ - ١٣) .

فغدا على بها وراح شهراً : أي كررها على مدة شهر .

١١٣٠ - أحمد في مسنده (١١٨ / ٦) وقال الهيثمي (٢٢ / ٩) : رواه أحمد وإسناده حسن .

١١٣١ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٠ / ٩) : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

١١٣٢ - رواه الطبراني مرسلأ ، ورجاله رجال الصحيح .

٢ - سَوْدَةُ أم المؤمنين رضي الله عنها

يقول الذهبي في سير أعلام النبلاء :

سودة أم المؤمنين بنت زمعة بن قيس القرشية العامرية وهي أول من تزوج بها النبي ﷺ بعد خديجة ، وانفردت به نحواً من ثلاث سنين أو أكثر حتى دخل بعائشة .

وكانت سيّدة جليلة نبيلة ضخمة ، وكانت أولاً عند السكران بن عمرو ، أخي سهيل بن عمرو العامري وهي التي وهبت يومها لعائشة ، رعاية لقلب رسول الله ﷺ وكانت قد فركت رضي الله عنها - أي قلّ ميلها إلى الرجال - .

لها أحاديث ، وخرّج لها البخاري ، حدّث عنها ابن عباس ، ويحيى بن عبد الله الأنصاري توفيت في آخر خلافة عمر بالمدينة .

قال ابن سعد : أسلمت سودة وزوجها ، فهاجرا إلى الحبشة .

قال الأعمش عن إبراهيم ، قالت سودة : يا رسول الله صلّيت خلفك البارحة فركعت بي ، حتّى أمسكت بأنفي مخافة أن يقطر الدم ، فضحك ، وكانت تضحكه الأحيان بالشيء .

وقالت عائشة : استأذنت سودة ليلة المزدلفة أن تدفع قبل حطمة ^(١) الناس - وكانت امرأة ثبطة - أي ثقيلة - فأذن لها .

قال ابن سعد : إنّ عمر بعث إلى سودة بغرارة دراهم ، فقالت : ما هذه ؟ قالوا : دراهم ، قالت : في الغرارة مثل التمر ، يا جارية : بلّغيني القنّع ^(٢) ، ففرّقتها .

يروى لسودة خمسة أحاديث ، منها في الصحيحين حديث واحد عند البخاري . اهـ كلام الذهبي .

حجّت مع رسول الله ﷺ حجة الوداع ثم لم تحج بعد ذلك لقوله عليه السلام

(١) الحطمة : الزحمة ، أي قبل أن يزدحم الناس ويحطم بعضهم بعضاً .

(٢) القنّع : الطبق .

لأزواجه : (هذه ثم ظهور الحصر) والحصر جمع حصير وهو ما يفرش بالبيت . أي : الزمن
بيوتكن بعد هذه الحجة .

وهذه بعض نصوص في أصول الكتاب عنها :

١١٣٣ - * روى الطبراني عن سهل بن حنيف قال : ثم تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة ، وكانت قبله تحت السكران بن عمرو أخي بني عامر بن لؤي .

١١٣٤ - * روى الطبراني عن عائشة قالت : تزوج النبي ﷺ سودة بنت زمعة فجاء أخوها من الحج عبد بن زمعة فجعل يحثو على رأسه التراب ، فلما أسلم قال : إني لسفيه يوم أحثو على رأسي التراب أن تزوج النبي ﷺ سودة .

١١٣٥ - * روى مسلم عن عائشة قالت : ما رأيت امرأة أحب إليّ أن أكون في مسلاخها من سودة بنت زمعة . من امرأة فيها حدة . قالت : فلما كبرت جعلت يومها من رسول الله ﷺ لعائشة . قالت : يا رسول الله ! قد جعلت يومي منك لعائشة . فكان رسول الله ﷺ يقسم لعائشة يومين : يومها ، ويوم سودة .

١١٣٦ - * روى البخاري عن عائشة قالت : خرجت سودة - بعدما ضرب الحجاب - لحاجتها ، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها ، فرأها عمر بن الخطاب فقال : يا سودة ، أما والله ما تخفين علينا ، فانظري كيف تخرجين . قالت : فانكفأت راجعة ، ورسول الله ﷺ في بيتي ، وإنه ليتعشى في يده عرق ، فدخلت فقالت : يا رسول الله ، إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا ، قالت : فأوحى الله إليّ ، ثم رفع عنه

١١٣٣ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٤٦) : رواه الطبراني ، فيه القاسم بن عبد الله بن مهدي ، وهو ضعيف وقد وثق ، وبقية رجاله ثقات .

١١٣٤ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٤٦) : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١١٣٥ - مسلم (٢ / ١٠٨٥) ١٧ - كتاب الرضاع - ١٤ - باب جواز هبتها نوبتها لضرها .

مسلاخها : السلاخ هو الجلد . ومعناه أن أكون أنا هي .

من امرأة : قال القاضي : من هنا للبيان واستفتاح الكلام .

حدة : لم ترد عائشة عيب سودة بذلك . بل وصفها بقوة النفس وجودة القرينة ، وهي الحدة .

١١٣٦ - البخاري (٨ / ٥٢٨) ٦٥ - كتاب التفسير - ٨ - باب لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين =

وإنَّ العرقَ في يده ما وضعه فقال : « إنه قد أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ » .

١١٣٧ - * روى أبو داود والترمذي عن عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ : مَاتَتْ فُلَانَةٌ - لِبَعْضِ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَجَدَ ، فَقِيلَ لَهُ : أَتَسْجُدُ هَذِهِ السَّاعَةَ ؟ فَقَالَ : أَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا رَأَيْتُمْ آيَةً فَاسْجُدُوا ؟ » فَأَيُّ آيَةٍ أَعْظَمُ مِنْ ذَهَابِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ؟ .

* * *

إنَّاهُ ﴿ - إِلَى قَوْلِهِ ﴿ إِنْ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ .

العرق : العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم .

١١٣٧ - أبو داود (١ / ٣١١) كتاب الصلاة ، باب السجود عند الآيات .

والترمذي (٥ / ٧٠٧) ٥٠ - كتاب المناقب - ٦٤ - باب فضل أزواج النبي ﷺ . وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

٣ - عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

يقول الذهبي في سير أعلام النبلاء :

عائشة بنت الإمام الصديق الأكبر ، خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، بن كعب بن لؤي ، القرشيّة التيميّة المكيّة ، النبويّة ، أم المؤمنين ، زوجة النبي ﷺ ، أفقه نساء الأئمة على الإطلاق ، وأمّها أمّ رومان بنت عامر بن عويمر ، بن عبد شمس ، هاجر بعائشة أبواها ، وتزوجها نبي الله قبل مهاجره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهراً ، وقيل : بعامين ، ودخل بها في شوال سنة اثنتين ، بعد منصرفه عليه الصلاة والسلام من غزوة بدر ، وهي ابنة تسع .

روت عنه علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، وعن أبيها ، وعن عمر وفاطمة وسعد ، وحزرة ابن عمرو الأسلمي وجذامة بنت وهب أخت عكاشة بن محصن الأسدي لأمه وهي صحابيّة لها سابقة وهجرة .

وكانت عائشة امرأة بيضاء جميلة ، ومن ثمّ يقال لها : الحمراء ، ولم يتزوج النبي ﷺ بكرةً غيرها ، ولا أحبّ امرأة حبّها ، ولا أعلم في أمة محمد ﷺ بل ولا النساء مطلقاً امرأة أعلم منها ، وذهب بعض العلماء إلى أنّها أفضل من أبيها ، وهذا مردود ، وقد جعل الله لكلّ شيء قدراً ، بل نشهد أنّها زوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة فهل فوق ذلك مفخرة ، وإن كان للصديقة خديجة شأواً لا يلحق ، وأنا واقف في أيّتهما أفضل نعم جزمت بأفضليّة خديجة عليها لأموال ليس هذا موضعها .

وكان تزويجه ﷺ بها إثر وفاة خديجة ، فتزوج بها وبسودة في وقت واحد ثمّ دخل بسودة فتفرّد بها ثلاثة أعوام حتّى بنى بعائشة في شوال بعد وقعة بدر ، فما تزوج بكرةً سواها وأحبها حباً شديداً كان يتظاهر به .

وحبه عليه السلام لعائشة كان أمراً مستفيضاً ، ألا تراهم كيف كانوا يتحرّون بهداياهم .ومها تقرباً إلى مرضاته .

وعن علي رضي الله عنه أنه ذكر عائشة ، فقال : خليفة رسول الله ﷺ ^(١) ، وهذا يقوله أمير المؤمنين في حق عائشة مع ما وقع بينهما ، فرضي الله عنهما ، ولا ريب أن عائشة ندمت كليّة على مسيرها إلى البصرة وحضورها يوم الجمل ، وما ظنّت أن الأمر يبلغ ما بلغ ، فعن عمارة بن عمير ، عن سمع عائشة إذا قرأت ﴿ وَقرْنِ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ ^(٢) بكت حتّى تبّلّ خمارها .

قال أبو إسحاق ، عن مصعب بن سعد ، قال : فرض عمر لأمهات المؤمنين عشرة آلاف ، وزاد عائشة ألفين ، وقال : إنها حبيبة رسول الله ﷺ .

عن الشعبي أن عائشة قالت : رويت للبيد نحواً من ألف بيت ، وكان الشعبي يذكرها ، فيتعجب من فقهها وعلمها ، ثم يقول : ما ظنكم بأدب النبوة .

قال عطاء بن أبي رباح : كانت عائشة أفقه الناس وأحسن الناس رأياً في العامة .

قال حفص بن غياث : حدثنا إسماعيل ، عن أبي إسحاق ، قال : قال مسروق : لولا بعض الأمر لأقت المناحة على أم المؤمنين ، يعني عائشة . ويريد بقوله : بعض الأمر : خروجها إلى حرب الجمل .

وعن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : قدم رجل فسأله أبي : كيف كان وجدّ الناس على عائشة ؟ فقال : كان فيهم وكان ، قال : أما إنه لا يحزن عليها إلا من كانت أمّه .

عن صالح بن كيسان وغيره : أن عائشة جعلت تقول : إن عثمان قتلَ مظلوماً ، وأنا أدعوكم إلى الطلب بدمه ، وإعادة الأمر شورى .

وقد سقت وقعة الجمل ملخصة في مناقب علي ، وإن علياً وقف على خيأ عائشة يلوّمها على مسيرها . فقالت : يا ابن أبي طالب ، ملكت فأسجج ^(٣) . فجهّزها إلى المدينة ، وأعطاهَا اثني عشر ألفاً . فرضي الله عنه وعنهما .

(١) قال الذهبي : هذا حديث حسن ومصعب صالح لا بأس به .

(٢) الأحزاب : ٣٣ .

(٣) ملكت فأسجج : أي قدرت فسهل وأحسن العفو .

عن عروة بن الزبير : أنَّ معاوية بعث مرة إلى عائشة بمئة ألف درهم ، فوالله ما أمستُ حتى فرقتها . فقالت لها مولاتها : لو اشتريت لنا منها بدرهم لحماً ؟ فقالت : ألا قلت لي .

عن عطاء : أنَّ معاوية بعث إلى عائشة بقلادة بمئة ألف ، فقسمتها بين أمهات المؤمنين .

عن عائشة : أنها تصدقت بسبعين ألفاً ؛ وإنها لترقع جانب درعها رضي الله عنها .

قال محمد بن عامر : حدثنا ابن جريج ، عن نافع ، قال : شهدت أبا هريرة صلى على عائشة بالقيع ، وكان خليفة مروان على المدينة ، وقد اعتمر تلك الأيام .

قال عروة بن الزبير : دُفنت عائشة ليلاً ، قال هشام بن عروة ، وأحمد بن حنبل ، وشباب ، وغيرهم : تُوفيت سنة سبع وخمسين . وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى ، والواقدي ، وغيرهما : سنة ثمان وخمسين .

عن قيس ، قال : إن عائشة كانت تُحدث نفسها أن تُدفن في بيتها ، فقالت : إني أحدثت بعد رسول الله ﷺ حدثاً ، ادفنوني مع أزواجي . فدُفنت بالقيع رضي الله عنها . قال الذهبي : تعني بالحدث : مسيرها يوم الجمل ، فإنها ندمت ندامة كئيبة ، وتابت من ذلك : على أنها ما فعلت ذلك إلا متأولة قاصدة للخير ، كما اجتهد طلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وجماعة من الكبار ، رضي الله عن الجميع .

ومدة عمرها ، ثلاث وستون سنة وأشهر .

ومسند عائشة يبلغ ألفين ومئتين وعشرة أحاديث . اتفق لها البخاري ومسلم على مئة وأربعة وسبعين حديثاً ، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين وانفرد مسلم بتسعة وستين .

وعائشة من وُلد في الإسلام ، وهي أصغر من فاطمة بثنائي سنين .

وكانت تقول : لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين .

وذكرت أنها لحقت بكة سائس الفيل شيخاً أعمى يستعطي أهذه الذهبي بتصرف .

وقد ذكر الذهبي حوالي (١٨٥) اسماً ممن رَوُوا عنها حديث رسول الله ﷺ فرضي الله

عنها وأرضها ولعن من أبغضها وشأنها .

ومن أهم أحداث حياتها في حياة رسول الله ﷺ :

١ - حادثة الإفك .

٢ - حادثة ضياع عقدها وما ترتب عليه من نزول آية التيمم .

٣ - حادثة التخيير بين البقاء والطلاق .

٤ - وفاة الرسول ﷺ في بيتها .

ومن أهم أحداث جاءت بعد رسول الله ﷺ خروجها مطالبة بدم عثمان رضي الله عنه وما ترتب عليه من موقعة الجمل التي تعتبر من أعظم المآسي في تاريخ المسلمين ، وقد كان رسول الله ﷺ حذرهما من ذلك وقد ندمت بعد ذلك ندماً شديداً .

وقد مرت معنا حادثة الإفك في أحداث السنة الخامسة وحادثة الوفاة في أحداث السنة الحادية عشر ، وستر معنا حادثة التيمم عند بحث التيمم وسنذكر هنا بعض روايات التخيير وبعض روايات لها صلة بموقعة الجمل وهي من معجزاته ﷺ .

وهذه بعضُ نصوصٍ في أصول هذا الكتاب عنها رضي الله عنها :

١١٣٨ - * روى أحد عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، قالا : لَمَّا هَلَكَتْ خَدِيجَةُ جَاءَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ امْرَأَةً عُثْمَانَ بْنِ مَطْعُونٍ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَزَوِّجُ قَالَ : « مَنْ » قَالَتْ : إِنَّ شِئْتَ بِكَرًا وَإِنْ شِئْتَ نَيْبًا قَالَ : « فَمَنْ الْبُكَرُ » قَالَتْ : بِنْتُ أَحَبِّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْكَ غَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قَالَ : « وَمَنْ الثَّيِّبُ » قَالَتْ : سَوْدَةُ ابْنَةُ زَمْعَةَ قَدْ آمَنَتْ بِكَ وَاتَّبَعَتْكَ عَلَى مَا تَقُولُ قَالَ : « أَذْهَبِي فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ » فَأَتَتْ أُمَّ

١١٣٨ - رواه أحد في مسنده (٦ / ٢١٠) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٢٥) : رواه أحمد ، بعضه صرح فيه بالأئصال عن عائشة ، وأكثره مرسل ، فيه محمد بن عمرو بن علقمة وثقه غير واحد ، وبقية رجاله رجال الصحيح .
زمعة : هو زمعة بن قيس العامري القرشي .

رُومَانٌ فَقَالَتْ : يَا أُمَّ رُومَانِ مَاذَا أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيْكُم مِّنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ ؟ قَالَتْ : وَمَا ذَلِكَ ؟
 قَالَتْ : أُرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخْطَبُ عَلَيْهِ عَائِشَةُ قَالَتْ : انتظري أبَا بَكْرٍ حَتَّى يَأْتِي ،
 فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَتْ : يَا أَبَا بَكْرٍ مَاذَا أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ ؟ قَالَ : وَمَا
 ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : أُرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخْطَبُ عَائِشَةَ . قَالَ : وَهَلْ تَصْلُحُ لَهُ إِنَّمَا هِيَ ابْنَةُ
 أَخِيهِ فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْتُ لَهُ قَالَ : « ارْجِعِي فَقُولِي لَهُ أَنَا أَخُوكَ وَأَنْتَ
 أَخِي فِي الْإِسْلَامِ وَابْتَئِكَ تَصْلُحُ لِي » فَرَجَعْتُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ انتظري وَخَرَجَ
 قَالَتْ أُمُّ رُومَانِ : إِنَّ مَطْعِمَ بَنِ عَدِي كَانَ قَدْ ذَكَرَهَا عَلَى ابْنِهِ فَوَاللَّهِ مَا وَعَدَ وَعْدًا قَطْ
 فَأَخْلَفَهُ لِأَبِي بَكْرٍ . فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى مَطْعِمِ بْنِ عَدِي وَعِنْدَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ الْفَقَى ، فَقَالَتْ :
 يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ لَعَلَّكَ مُصِيبٌ صَاحِبُنَا مَدْخَلُهُ فِي دِينِكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ إِنْ تَزَوَّجَ إِلَيْكَ ،
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمَطْعِمِ بْنِ عَدِي : أَقُولُ هَذِهِ تَقُولُ ؟ قَالَ : إِنَّمَا تَقُولُ ذَلِكَ . فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَقَدْ
 أَذْهَبَ اللَّهُ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مِنْ عِدَّتِهِ الَّتِي وَعَدَ ، فَقَالَ لِحَوْلَةَ : ادْعِي لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
 فَدَعَتْهُ ، فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ ، وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ ، ثُمَّ خَرَجَتْ فَدَخَلَتْ
 عَلَى سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ فَقَالَتْ : مَاذَا أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ ؟ قَالَتْ : وَمَاذَا
 قَالَتْ : أُرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخْطَبُكَ عَلَيْهِ قَالَتْ : وَدِدْتُ ، أَدْخُلِي عَلَى أَبِي فَأَذْكُرِي ذَلِكَ
 لَهُ ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ أَذْرَكَهُ السَّنُّ قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ الْحَجِّ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَحِينَهُ بِتَحِيَّةِ
 الْجَاهِلِيَّةِ فَقَالَ : مَنْ هَذِهِ فَقَالَتْ : حَوْلَةُ ابْنَةِ حَكِيمٍ ، قَالَ : فَمَا شَأْنُكَ ؟ قَالَتْ : أُرْسَلَنِي
 مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَخْطَبُ عَلَيْهِ سَوْدَةُ ، فَقَالَ : كُفُّوا كَرِيمَ . فَمَاذَا تَقُولُ صَاحِبُكَ ؟ قَالَتْ :
 تُحِبُّ ذَلِكَ . قَالَ : ادْعِي لِي فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ فَجَاءَ أَخُوها عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ
 مِنَ الْحَجِّ فَجَعَلَ يَخْثِي عَلَى رَأْسِهِ التُّرَابَ : فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ : لَعْمَرِي إِنْ لَسْتِ يَوْمَ
 أُخْثِي فِي رَأْسِي التُّرَابَ أَنْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَوْدَةَ ابْنَةَ زَمْعَةَ . قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقَدِمْنَا
 الْمَدِينَةَ ، فَتَزَلْنَا فِي بَيْتِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ بِالسُّنْحِ قَالَتْ : فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ بَيْنَنَا
 فَجَاءَتْ بِي أُمِّي وَأَنَا فِي أَرْجُوحةٍ تَرَجَّحَ بِي بَيْنَ عَذَقَيْنِ فَأَنْزَلَتْنِي مِنَ الْأَرْجُوحةِ وَلِي جَمِيمَةَ
 فَفَرَّقَتْهَا وَمَسَحَتْ وَجْهِي بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ ثُمَّ أَقْبَلَتْ تَقْوِذْنِي حَتَّى وَقَفْتُ عِنْدَ الْبَابِ ، وَإِنِّي
 لَأَنْهَجُ حَتَّى سَكَنَ مِنْ نَفْسِي ، ثُمَّ دَخَلْتُ بِي فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ عَلَى

سَرِيرٍ فِي بَيْتِنَا ، وَعِنْدَهُ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَاحْتَبَسْتَنِي فِي حَجْرَةٍ ، ثُمَّ قَالَتْ : هَؤُلَاءِ أَهْلُكَ فَبَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهِمْ ، وَبَارَكَ لَهُمْ فِيكَ فَوَثَّبَ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَخَرَجُوا ، وَبَنَى بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِنَا ، مَا نَحَرْتُ عَلَيَّ جَزُورٌ وَلَا ذُبَحْتُ عَلَيَّ شَاةٌ ، حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيْنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بِحَفْنَةٍ كَانَ يُرْسِلُ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَارَ إِلَى نِسَائِهِ ، وَأَنَا يُؤْمِنُ ابْنَةُ سَعْدِ بْنِ سَعْدٍ .

١١٣٩ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أُرِيْتُكَ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ ، جَاءَنِي بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ ، فَيَقُولُ : هَذِهِ امْرَأَتُكَ ، فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكَ ، فَإِذَا أَنْتِ هِيَ ، فَأَقُولُ : إِنَّ يَكُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمِضُهِ » .

وفي رواية ^(١) : أَنَّ جَبْرِيلَ جَاءَ بِصُورَتَيْهَا فِي خِرْقَةٍ حَرِيرٍ خَضْرَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

قال النووي :

(إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمِضُهُ) قَالَ الْقَاضِي : إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الرُّؤْيَا قَبْلَ النُّبُوَّةِ ، وَقَبْلَ تَخْلِيصِ أَحْلَامِهِ ﷺ مِنَ الْأَصْفَاثِ . فَمَعْنَاهَا : إِنْ كَانَتْ رُؤْيَا حَقٍّ . وَإِنْ كَانَتْ بَعْدَ النُّبُوَّةِ فَلَهَا ثَلَاثُ مَعَانٍ : أَحَدُهَا أَنْ الْمُرَادَ إِنْ تَكُنَ الرُّؤْيَا عَلَى وَجْهِهَا وَظَاهَرُهَا لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَعْبِيرٍ وَتَفْسِيرٍ ، فَسَيُمِضُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَيُنْجِزُهُ . فَالشَّكُّ عَائِدٌ إِلَى أَنَّهَا رُؤْيَا عَلَى ظَاهَرِهَا أَمْ تَحْتَاجُ إِلَى تَعْبِيرٍ وَصَرْفٍ عَنْ ظَاهَرِهَا .

الثاني : أَنْ الْمُرَادَ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الزَّوْجَةُ فِي الدُّنْيَا يُمِضُهَا اللَّهُ ، فَالشَّكُّ فِي أَنَّهَا زَوْجَتُهُ فِي الدُّنْيَا أَمْ فِي الْجَنَّةِ .

١١٣٩ - البخاري (٧ / ٢٢٣) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٤٤ - باب تزويج النبي ﷺ عائشة ، وقدموها المدينة ، وبنائه بها .

ومسلم (٤ / ١٨٨٩) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٢ - باب فضل عائشة رضي الله تعالى عنها .
(١) الترمذي (٥ / ٧٠٤) ٥٠ - كتاب المناقب - ٦٣ - باب فضل عائشة رضي الله عنها وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن عمرو بن علقمة .

الثالث : أنه لم يشك ، ولكن أخبر على التحقيق وأتى بصورة الشك . كما قال : أأنت أم سالم ؟ وهو نوع من البديع عند أهل البلاغة يسمونه تجاهل العارف . وسماه بعضهم مزج الشك باليقين . اهـ النووي على مسلم .

قال في الفتح : قوله (جاءني بك الملك) وقع في رواية أبي أسامة « إذا رجل يملك » فكان الملك تمثل له حينئذ رجلاً . ووقع في رواية ابن حبان من طريق أخرى عن عائشة « جاءني جبريل إلى رسول الله ﷺ » وقوله (في سرقة من حرير) السرقة بفتح المهملة والراء والقاف هي القطعة ، ووقع في رواية ابن حبان « في خرقعة حرير » وقال الداودي : السرقة الثوب ، فإن أراد تفسيره هنا فصحيح ، وإلا فالسرقة أعم . وأغرب المهلب فقال : السرقة كالكلبة أو كالبرقع . وعند الآجري من وجه آخر عن عائشة « لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حين أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجني » ويجمع بين هذا وبين ما قبله بأن المراد أن صورتها كانت في الخرقعة والخرقة في راحته ، ويحتمل أن يكون نزل بالكيفيتين لقولها في نفس الخبر « نزل مرتين » وقوله (فكشف عن وجهك الثوب) في رواية أبي أسامة « فأكشفها » فعبّر بلفظ المضارع استحضاراً لصورة الحال . قال ابن المنير : يحتمل أن يكون رأى منها ما يجوز للخاطب أن يراه ، ويكون الضير في « أكشفها » للسرقة أي أكشفها عن الوجه ، وكأنه حمله على ذلك أن رؤيا الأنبياء وحي ، وأن عصمتهم في المنام كاليقظة ، وقال أيضاً : في الاحتجاج بهذا الحديث للترجمة نظر ، لأن عائشة كانت إذ ذاك في سن الطفولة فلا عورة فيها البتة ، ولكن يستأنس به في الجملة في أن النظر إلى المرأة قبل العقد فيه مصلحة ترجع إلى العقد . اهـ .

١١٤٠ - * روى البخاري عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ خطب عائشة إلى أبي بكر ، فقال له أبو بكر ، إنما أنا أخوك ، فقال : « أنت أخي في دين الله وكتابه ، وهي لي حلال » .

قال في الفتح : وقال ابن بطال : يجوز تزويج الصغيرة بالكبير إجماعاً ولو كانت في

المهد ، لكن لا يُمكن منها حتى تصلح للوطء ، فرمز بهذا إلى أن لا فائدة للترجمة لأنه أمر مجمع عليه . قال : ويؤخذ من الحديث أن الأب يزوج البكر الصغيرة بغير استئذانها . قلت : كأنه أخذ ذلك من عدم ذكره ، وليس بواضح الدلالة ، بل يحتمل أن يكون ذلك قبل ورود الأمر باستئذان البكر وهو الظاهر ، فإن القصة وقعت بمكة قبل الهجرة . وقول أبي بكر « إنما أنا أخوك » حصر مخصوص بالنسبة إلى تحريم نكاح بنت الأخ ، وقوله ﷺ في الجواب « أنت أخي في دين الله وكتابه » إشارة إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ونحو ذلك ، وقوله « وهي حلال لي » معناه وهي مع كونها بنت أخي يحل لي نكاحها لأن الأخوة المانعة من ذلك أخوة النسب والرضاع لا أخوة الدين .

١١٤١ - * روى الحاكم عن عائشة : مَا تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَاهُ جَبْرِيلُ بِصُورَتِي وَقَالَ هَذِهِ زَوْجَتُكَ ، وَتَزَوَّجَنِي وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ عَلَى خَوْفٍ فَلَمَّا تَزَوَّجَنِي أَلْقَى اللَّهُ عَلَيَّ حَيَاءً وَأَنَا صَغِيرَةٌ .

١١٤٢ - * روى الطبراني عن عائشة قَالَتْ : قَدِمْنَا مُهَاجِرِينَ فَسَلَكْنَا فِي ثِيَابٍ صَعْبَةٍ فَتَفَرَّ جَمَلٌ كُنْتُ عَلَيْهِ نَفُورًا مُتَكَرِّراً ، فَوَاللَّهِ مَا أُنْسَى قَوْلَ أُمِّي يَا عَرِيسَةَ فَرَكِبَ بِي رَأْسَهُ ، فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ وَاللَّهِ مَا أَرَاهُ : أَلْقَى خِطَامَهُ ، فَأَلْقَيْتُهُ ، فَقَامَ يَسْتَدِيرُ كَأَنَّا إِنْسَانٌ قَائِمٌ تَحْتَهُ يَمْسُكُهُ .

١١٤٣ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ، فَتَزَوَّجَنِي فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ ، فَوَعِدْتُ ،

١١٤١ - المستدرك (١ / ٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

الْعُفُوفُ : جلد يشق كهيئة الإزار تلبسه الحيض والصبيان .

١١٤٢ - المعجم الكبير (٢٣ / ١٨٣)

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٢٢٨) : رواه الطبراني ، وإسناده حسن .

١١٤٣ - البخاري (٧ / ٢٢٣) ٦٢ - كتاب مناقب الأنصار - ٤٤ - باب تزويج النبي ﷺ عائشة ... إلخ .

مسلم (٢ / ١٠٢٨) ١٦ - كتاب النكاح - ١٠ - باب تزويج الأب البكر الصغيرة .

فَتَمَرَّقَ شَعْرِي ، فَوَقَى جُمَيْمَةً ، فَأَتَتْنِي أُمِّي - أُمُّ رُومَانَ - وَإِنِّي لَفِي أَرْجُوحَةٍ ، وَمَعِيَ صَوَاحِبٌ لِي فَصَرَحَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا لَا أَذْرِي مَا تُرِيدُ بِي ؟ فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْفَقْتَنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ ، وَإِنِّي لَا نَهَجُ ، حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفْسِي ، ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئاً مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي ، ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ ، فَقُلْنَ : عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ ، وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ ، فَاسْأَلْتَنِي إِلَيْهِنَّ ، فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي ، فَلَمْ يَرْعُنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَحَى ، فَاسْأَلْتَنِي إِلَيْهِ ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ .

وَفِي رِوَايَةٍ ^(١) نَحْوُهُ ، إِلَّا أَنْ فِيهِ : فَأَخَذَتْ بِيَدِي ، فَأَوْفَقْتَنِي عَلَى الْبَابِ ، فَقُلْتُ : هَهُ ، هَهُ ، حَتَّى ذَهَبَ نَفْسِي وَفِيهِ : فَعَسَلَنَ رَأْسِي ، وَأَصْلَحْتَنِي ، فَلَمْ يَرْعُنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَاسْأَلْتَنِي إِلَيْهِ .

وَفِي أُخْرَى ^(٢) : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ ، وَأَدْخَلَتْ عَلَيْهِ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ ، وَمَكَثَتْ عِنْدَهُ تِسْعاً .

وَفِي أُخْرَى ^(٣) عَنْ عُرْوَةَ قَالَ : تُوفِّيتُ خَدِيجَةَ قَبْلَ مَخْرَجِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ ، فَلَبِثْتُ سَتْنَيْنِ - أَوْ قَرِيباً مِنْ ذَلِكَ - وَنَكَحَ عَائِشَةَ وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ ، وَبَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ .

وَلِمُسْلِمٍ ^(٤) عَنْ عَائِشَةَ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِنْتُ سَبْعِ سِنِينَ وَزَفَّتْ إِلَيْهِ وَهِيَ

= تَمَرَّقَ : الشعر ، وامْتَرَقَ : سقط وانتشر من مرض أو علة تعرض له .
وَقَى : إذا كثر .

جُمَيْمَةٌ : تصغير جُمَّة وهي الشعر النازل إلى الأذنين ونحوهما ، أي صار إلى هذا الحد بعد أن كان قد ذهب بالمرض .

على خير طائر : على أفضل حظ .

لم يرْعُنِي : لم يقبضني .

(١) مسلم في نفس الموضع السابق .

هَهُ هَهُ حكاية تتابع النفس من التهيج ، وقيل : أرادت حكاية صوت البكاء .

(٢) البخاري (١٩٠ / ٩) ٦٧ - كتاب النكاح - ٢٨ - باب إنكاح الرجل ولده الصغار .

(٣) البخاري (٢٢٤ / ٧) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٤٤ - باب تزويج النبي ﷺ عائشة ... إلخ .

(٤) مسلم (١٠٣٩ / ٢) ١٦ - كتاب النكاح - ١٠ - باب تزويج الأب البكر الصغيرة .

بُنْتُ تِسْعَ سِنِينَ ، وَلَعَبْتُهَا مَعَهَا ، وَمَاتَ عَنْهَا وَهِيَ بِنْتُ ثَمَانِي عَشْرَةَ .

وَفِي أُخْرَى ^(١) : تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ ، وَبَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعَ ، وَمَاتَ عَنْهَا وَهِيَ بِنْتُ ثَمَانِي عَشْرَةَ .

قال في الفتح : « تزوجني وأنا بنت ست سنين » أي عقد عليّ . وقولها « فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج » أي لما قدمت هي وأما وأختها أسماء بنت أبي بكر كما سألينه ، وأما أبوها فقدم قبل ذلك مع النبي ﷺ . قوله (فتزق شعري) بالزاي أي تقطع وللكتشيهي « فتمرق » بالراء أي انتشف . قوله (فوفي) أي كثر ، وفي الكلام حذف تقديره ثم فصلت من الوعك فتربى شعري فكثرت ، وقولها « جمية » بالجميم مصغرة الجمة بالضم وهي مجتمع شعر الناصية ، ويقال للشعر إذا سقط على المنكبين جمّة ، وإذا كان إلى شحمة الأذنين وفرة . وقولها « في أرجوحة » بضم أوله معرفة وهي التي تلعب بها الصبيان ، وقوله « أنهج » أي أنفّس عالياً ، وقولها « على خير طائر » أي على خير حظ ونصيب ، وقولها « فلم يرغني » : بضم الراء وسكون العين أي لم يفرغني شيء إلا دخوله عليّ ، وكنت بذلك عن المفاجأة بالدخول على غير عالم بذلك فإنه يفرغ غالباً ، اهـ .

١١٤٤ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ لِي صَوَّاحِبٌ يَلْعَبُ مَعِي ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ يَنْقِمِعَنَ مِنْهُ فَيَسْرِبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبُنَّ مَعِي .

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ ^(٢) : كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ ، فَرُبَّمَا دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي الْجَوَّارِي ، فَإِذَا دَخَلَ خَرَجَنَ ، وَإِذَا خَرَجَ دَخَلَنَ .

وَلَمْ يَكُنْ فِي أُخْرَى ^(٣) : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدِيمٌ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ - أَوْ خَيْبَرَ وَفِي سَهْوَتِهَا

(١) مسلم في نفس موضع الرواية السابقة .

١١٤٤ - البخاري (١٠ / ٥٢٦) ٧٨ - كتاب الأدب - ٨١ - باب الانبساط إلى الناس .

ومسلم (٤ / ١٨٩٠) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٣ - باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها .

ألعاب بالبنات : البنات : اللعب المصنوعة - على هيئة البنات .

(٢) ، (٣) أبو داود (٤ / ٢٨٣) كتاب الأدب ، باب في اللعب بالبنات .

سَهْوَتِهَا : السهوة : صفة صغيرة ، كالخدع .

سِتْرٌ، فَهَبَّتْ رِيحٌ، فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السُّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُغَبٍ، فَقَالَ: « مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ » قَالَتْ: بَنَاتِي، وَرَأَى بَيْنَهُنَّ قَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ، فَقَالَ: « مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسُطْهِنَّ؟ » قَالَتْ: قَرَسٌ، قَالَ: « وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟ » قَالَتْ: جَنَاحَانِ، قَالَ: « قَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟ » قَالَتْ: أَمَّا سَبِعْتُ أَنْ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خِيَلًا لَهَا أَجْنِحَةٌ؟ قَالَتْ: فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ.

قال النووي: قوله (عن عائشة أنها كانت تلعب بالبنيات عند رسول الله ﷺ) قال القاضي: فيه جواز اللعب بهن. قال: وهن مخصوصات من الصور المنهي عنها لهذا الحديث ولما فيه من تدريب النساء في صغرهن لأمر أنفسهن وبيوتهن وأولادهن. قال: وقد أجاز العلماء بيعهن وشراءهن، وروي عن مالك كراهة شرائهن، وهذا محمول على كراهة الاكتساب بها وتزويجهن ذوي المروآت عن تولي بيع ذلك لا كراهة اللعب. قال: ومذهب جمهور العلماء جواز اللعب بهن وقالت طائفة: هو منسوخ بالنهي عن الصور هذا كلام القاضي. قولها (كانت تأتيني صواحي فكن ينقمعن من رسول الله ﷺ فكان يسرهن إلي) معنى ينقمعن يتغيبن حياء منه وهيبة وقد يدخلن في بيت ونحوه وهو قريب من الأول يسرهن بتشديد الراء أي يرسلهن وهذا من لطفه صلى الله عليه وسلم وحسن معاشرته.

١١٤٥ - * روى أبو داود والنسائي عن عائشة رضي الله عنها قال: ما رأيت صانعا طعاما مثل صفية، صنعت لرسول الله ﷺ طعاما فبعثت به، فأخذني أفكلك فكسرت الإناء، فقلت يا رسول الله، ما كفارة ما صنعت؟ قال: « إناء مثل إناء، وطعام مثل طعام ».

١١٤٦ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

١١٤٥ - أبو داود (٢ / ٢٩٧) كتاب البيوع، باب فيمن أفسد شيئا يفرم مثله.

والنسائي (٧ / ٧١) كتاب عشرة النساء، باب الغيرة. وإسناده حسن، حسنه الحافظ في الفتح.

أفكلك: شدة الرعدة من البرد.

١١٤٦ - البخاري (٩ / ٣٢٠) ٦٧ - كتاب النكاح - ١٠٧ - باب الغيرة.

عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصُحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ ، فَضَرَبَتْ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي يَتِيئَتِهَا يَدَ الْخَادِمِ ، فَسَقَطَتِ الصُّحْفَةُ ، فَاثْقَلَتْ ، فَجَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَقَّ الصُّحْفَةَ ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصُّحْفَةِ وَيَقُولُ : « غَارَتْ أُمُّكُمْ ، غَارَتْ أُمُّكُمْ » ثُمَّ حَسَنَ الْخَادِمُ ، حَتَّى أَتَى بِصُحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ التِّي هُوَ فِي يَتِيئَتِهَا ، فَدَفَعَ الصُّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى التِّي كَسَرَتْ صُحْفَتَهَا ، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي يَتِيئَتِهَا التِّي كَسَرَ فِيهِ .

وفي رواية النسائي ^(١) أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ أَتَتْ بِطَعَامٍ فِي صُحْفَةٍ لَهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ، فَجَاءَتْ عَائِشَةُ مُتَزَرَّةً بِكِسَاءٍ ، وَمَعَهَا فِهْرٌ ، فَفَلَقَتْ بِهِ الصُّحْفَةَ ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ فَلَقَتِي الصُّحْفَةِ ، وَيَقُولُ : « كُلُّوا ، غَارَتْ أُمُّكُمْ » - مرتين - ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صُحْفَةَ عَائِشَةَ ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَى أُمَّ سَلَمَةَ ، وَأَعْطَى صُحْفَةَ أُمَّ سَلَمَةَ عَائِشَةَ .

١١٤٧ - * روى البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ . قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ فطارت القرعة عَلَى عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ فَخَرَجَتَا مَعَهُ جَمِيعاً ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ بِاللَّيْلِ سَارَ مَعَ عَائِشَةَ يَتَحَدَّثُ مَعَهَا . فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ : أَلَا تَرَكَيْنِ بَعِيرِي وَأَرْكَبُ بَعِيرِكَ ، فَتَنْظُرِينَ وَأَنْظُرُ ؟ قَالَتْ : بَلَى . فَزَكَيْتُ عَائِشَةَ عَلَى بَعِيرِ حَفْصَةَ . وَزَكَيْتُ حَفْصَةَ عَلَى بَعِيرِ عَائِشَةَ . فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَمَلِ عَائِشَةَ ، وَعَلَيْهِ حَفْصَةَ ، فَسَلَّمَ ثُمَّ سَارَ مَعَهَا . حَتَّى نَزَلُوا . فَافْتَقَدَتْهُ عَائِشَةُ فَغَارَتْ . فَلَمَّا نَزَلُوا جَعَلَتْ تَجْعَلُ رِجْلَهَا بَيْنَ الإِذْخِرِ وَتَقُولُ : يَا رَبِّ ! سَلِّطْ عَلَيَّ عَقْرَباً أَوْ حَيَّةً تَلْدَغُنِي . رَسُولُكَ وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ لَهُ شَيْئاً .

= بصحفة : الصفحة كالتصمة

(١) النسائي (٧ / ٧٠) كتاب عشرة النساء ، باب الغيرة .

الفهر : بكسر الفاء ، وسكون الهاء : الحجر قد رما يندق به الجوز أو ما يملأ الكف ، ويؤنث ، والجمع : أنهار

وفهور .

١١٤٧ - البخاري (٩ / ٣١٠) ٦٧ - كتاب النكاح - ٩٧ - باب القرعة بين النساء إذا أراد سفرأ .

ومسلم (٤ / ١٨٩٤) ٤٤ . كتاب فضائل الصحابة - ١٣ - باب في فضل عائشة رضي الله عنها .

فطارت القرعة : يقال : طار سهم فلان ، أي : خرج نصيبه ، وتعين اسمه من بين الأسماء .

الإذخر : نبت معروف توجد فيه المولم غالباً في البرية .

قال الحافظ في الفتح (رسولك) بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هو رسولك ، وإنما تتعرض لحفصة لأنها هي التي أجابتها طائفة فعادت على نفسها باللوم .

وقال في الفتح أيضاً : قوله (إذا أراد سفرأ) مفهومه اختصاص القرعة بحالة السفر وليس على عومه بل لتعين القرعة من يسافر بها ، وتجري القرعة أيضاً فيما إذا أراد أن يقسم بين زوجاته فلا يبدأ بأيهن شاء بل يقرع بينهما فيبدأ بالتي تخرج لها القرعة ، إلا أن يرضين بشيء فيجوز بلا قرعة . قوله (أقرع بين نسائه) زاد ابن سعد من وجه آخر عن القاسم عن عائشة « فكان إذا خرج سهم غيري عرف فيه الكراهية » واستدل به على مشروعية القرعة في القسمة بين الشركاء وغير ذلك كما تقدم في أواخر الشهادات ، والمشهور عن الحنفية والمالكية عدم اعتبار القرعة ، قال عياض : هو مشهور عن مالك وأصحابه لأنه من باب الخطر والقباز ، وحكي عن الحنفية أجازتها اهـ ، وقد قالوا به في مسألة الباب ، واحتج من منع من المالكية بأن بعض النسوة قد تكون أنفع في السفر من غيرها فلو خرجت القرعة للتي لا نفع بها في السفر لأضر بحال الرجل ، وكذا بالعكس قد يكون بعض النساء أقوم ببيت الرجل من الأخرى ، وقال القرطبي : ينبغي أن يختلف ذلك باختلاف أحوال النساء ، وتختص مشروعية القرعة بما إذا اتفقت أحوالهن لئلا تخرج واحدة معه فيكون ترجيحاً بغير مرجح اهـ . وفيه مراعاة للمذهب مع الأمن من رد الحديث أصلاً لحمله على التخصيص ، فكأنه خصص العموم بالمعنى قال الداودي : يحتمل أن تكون المسائرة في ليلة عائشة ولذلك غلبت عليها الغيرة فدعت على نفسها بالموت ، وتعقب بأنه يلزم أنه يوجب القسم في المسائرة ، وليس كذلك إذ لو كان لما كان يخص عائشة بالمسائرة دون حفصة حتى تحتاج حفصة تبجيل على عائشة ، ولا يتجه القسم في حالة السير إلا إذا كانت الخلوة لا تحصل إلا فيه بأن يركب معها في الهودج وعند النزول يجتمع الكل في الخيمة فيكون حينئذ عماد القسم السير ، أما المسائرة فلا ، وهذا كله مبني على أن القسم كان واجباً على النبي ﷺ وهو الذي يدل عليه معظم الأخبار ، ويؤيد القول بالقرعة أنهم اتفقوا على أن مدة السفر لا يحاسب بها المقيمة بل يبتدئ إذا رجع بالقسم فيما يستقبل ، فلو سافر من شاء بغير قرعة فقدم بعضهم في القسم للزم منه إذا رجع أن يوفي من تخلف حقها ، وقد نقل ابن المنذر الإجماع على أن ذلك لا يجب ، فظهر أن للقرعة فائدة وهي أن لا يؤثر بعضهم بالتشهبي لما يترتب على

ذلك من ترك العدل بينهم ، وقد قال الشافعي في القديم : لو كان المسافر يقسم لمن خلف لما كان للقرعة معنى بل معناها أن تصير هذه الأيام لمن خرج سهمها خالصة انتهى ، ولا يخفى أن محل الإطلاق في ترك القضاء في السفر مادام اسم السفر موجوداً ، فلو سافر إلى بلدة فأقام بها زماناً طويلاً ثم سافر راجعاً فعليه قضاء مدة الإقامة ، وفي مدة الرجوع خلاف عند الشافعية ، والمعنى في سقوط القضاء أن التي سافرت وفازت بالصحة لحقها من تعب السفر ومشقة ما يقابل ذلك والمقمة عكسها في الأمرين معاً اهـ من الفتح .

وفي الحديث جواز الحيلة التي لا تفوت مقصد الشريعة .

١١٤٨ - * روى أحمد وأبو يعلى والطبراني عن عائشة قالت : أهدى لرسول الله ﷺ قلادة من جَزَعِ مَلَمَعَةٍ بالذهب ونِسَاوُهُ مُجْتَمِعَاتٍ في بَيْتِ كُلِّهِنَّ ، وأَمَامَةً بِنْتُ أَبِي العَاصِ ابنِ الرِّبِيعِ جَارِيَةً تَلْعَبُ في جَانِبِ الْبَيْتِ بِالتُّرَابِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كَيْفَ تَرَيْنَ هَذِهِ ؟ » فَنَظَرْنَا إِلَيْهَا ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا رَأَيْنَا أَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ قَطُّ وَلَا أَعْجَبَ فَقَالَ : « أَرَدْتُهَا إِلَيَّ » فَلَمَّا أَخَذَهَا قَالَ : « وَاللَّهِ لَأَضَعَنَّهَا في رَقَبَةِ أَحَبِّ أَهْلِ الْبَيْتِ إِلَيَّ » قَالَتْ عَائِشَةُ : فَأَظْلَمْتُ عَلَى الْأَرْضِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خِشْيَةً أَنْ يَضَعَهَا في رَقَبَةِ غَيْرِي مِنْهُمْ وَلَا أَرَاهُنَّ إِلَّا أَصَاتِهِنَّ مِثْلُ الَّذِي أَصَاتَنِي وَوَجَعْنَا جَمِيعاً سَكُوتاً ، فَأَقْبَلَ بِهَا حَتَّى وَضَعَهَا فِي رَقَبَةِ أَمَامَةٍ بِنْتُ أَبِي العَاصِ فَسَرِّي غِنًا .

١١٤٩ - * روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا ، قَالَتْ : فَغَرْتُ عَلَيْهِ ، فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ ، فَقَالَ : « مَا لَكَ يَا عَائِشَةُ ، أَغَرْتُ ؟ » فَقُلْتُ : وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَقْدُ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ ؟ » قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » قُلْتُ : وَمَعَ

١١٤٨ - أحمد في مسنده (١ / ١٠١ ، ٢٦١) .

وقال الميثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٥٤) : رواه الطبراني واللفظ له وأحد باختصار وأبو يعلى ، وإسناد أحمد وأبي يعلى حسن .

١١٤٩ - مسلم (٤ / ٢١٦٨) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - ١٦ - باب تحريش الشيطان ، وبه سرياه لفتنة الناس ، وأن مع كل إنسان قريباً .

قد جاءك شيطانك : أي فأوقع عليك أي قد ذهبت إلى بعض أزواجي فأنت لذلك متحيرة مفتشة عني .

كُلُّ إِنْسَانٍ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » قُلْتُ : وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ » .

قال النووي في شرح مسلم : فأسلم : يرفع الميم وفتحها ، وهما روايتان مشهورتان ، فمن رفع قال : معناه : أسلم أنا من شره وفتنته ، ومن فتح قال : إن القرين أسلم من الإسلام ، وصار مؤمناً لا يأمرني إلا بخير ، واختلفوا في الأرجح منها ، فقال الخطابي : الصحيح المختار الرفع ، ورجح القاضي عياض الفتح ، وهو المختار لقوله : فلا يأمرني إلا بخير ، قال النووي : قال القاضي عياض : واعلم أن الأمة مجتعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه ، وفي هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته ، وإغوائه ، فأعلمنا بأنه معنا لنحترز منه بحسب الإمكان . هـ

١١٥٠ - * روى الطبراني عن مسروق أنه قيل له : هل كانت عائشة تحسن الفرائض قال : والذي نفسي بيده لقد رأيت مَشِيخَةَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ يَسْأَلُونَهَا عَنِ الْفَرَائِضِ .

١١٥١ - * روى الطبراني عن الزُّهْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « لَوْ جُمِعَ عِلْمُ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِيهِنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ عِلْمُ عَائِشَةَ أَكْثَرَ مِنْ عِلْمِهِنَّ » .

١١٥٢ - * روى الترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَ قَطٍّ ، فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا .

١١٥٣ - * روى أحمد والبخاري عن عروة قال : قُلْتُ لِعَائِشَةَ إِنِّي أَفْكَرُ فِي أَمْرِكِ

١١٥٠ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٢ / ٩) وقال : رواه الطبراني ، وإسناده حسن .

١١٥١ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٣ / ٩) وقال : رواه الطبراني مرسلًا ورجاله ثقات .

١١٥٢ - الترمذي (٧٠٥ / ٥) - ٥٠ - كتاب المناقب - ٦٢ - باب فضل عائشة رضي الله عنه .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

١١٥٣ - أحمد في مسنده (٦٧ / ٦) .

والبخاري : كشف الاستار (٢٤٠ / ٣) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٢ / ٩) : رواه البخاري واللفظ له ، وأحمد بنحوه إلا أنه قال : قالت : وكنت أعالجها له فن ثم ، والطبراني في الأوسط والكبير ، وفيه عبد الله بن معاوية الزبيري قال أبو حاتم : مستقيم الحديث وفيه ضعف ، وبقي رجال أحمد والطبراني في الكبير ثقات .

فَأَعْجَبُ . أَجِدُكَ مِنْ أَفْقِهِ النَّاسِ فَقُلْتُ مَا يَمْنَعُهَا ؟ زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وابنة أبي بكر وأجدك عالمةً بأيام العرب وأنسابها وأشعارها ؟ فَقُلْتُ : وَمَا يَمْنَعُهَا ؟ وَأَبُوهَا عَلَامَةٌ قُرَيْشٍ ؟ وَلَكِنْ أَعْجَبَ أَنِّي أَجِدُكَ عَالِمَةً بِالطَّبِّ فَمِنْ أَيْنَ ؟ فَأَخَذْتُ يَدَيْ وَقَالَتْ : يَا غَرِيبةَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَثُرَتْ أَسْقَامُهُ فَكَانَتْ أَطِبَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ يَبْعَثُونَ لَهُ فَتَعْلَمُ ذَلِكَ .

١١٥٤ - * روى الطبراني عن معاوية قال : والله ما رأيت خطيباً قط أبلغ ولا أفصح ولا أفطن من عائشة .

وفي رواية (١) : ما رأيت أحداً كان أفصح من عائشة رضي الله عنها .

١١٥٥ - * روى الطبراني عن عروة قال : ما رأيت امرأة أعلم بطب ولا يفقه ولا يشعر من عائشة .

١١٥٦ - * روى الحاكم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكر فاطمة رضي الله عنها : فتكلمت أنا ، فقال : « أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة » قلت : بلى والله . قال : « فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة » .

١١٥٧ - * روى الحاكم عن عبد الله بن زياد الأسدي قال : سمعت عمارة بن ياسر يخلف بالله إنها زوجته صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا والآخرة .

١١٥٨ - * روى الطبراني عن عائشة قالت : خلالاً في سنع لم تكن في أحد من النساء إلا ما أتى الله مريم بنت عمران والله ما أقول هذا فخرأ على أحد من صواحيبي ، فقال لها

١١٥٤ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٢٤٣) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .
(١) في الموضع السابق .

١١٥٥ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٤٢) وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن .

١١٥٦ - المستدرک (٤ / ١٠) وقال : الحديث صحيح ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

١١٥٧ - المستدرک (٤ / ٦) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

١١٥٨ - المعجم الكبير (٢٣ / ٢١) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٤١) : رواه الطبراني ، ورجاله أحد أسانيد الطبراني رجال الصحيح .

عبد الله بن صفوان : وَمَا هُنَّ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَتْ : نَزَلَ الْمَلَكُ بِصُورَتِي ، وَتَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِسَبْعِ سِنِينَ ، وَأَهْدَيْتَ إِلَيْهِ لِسَبْعِ سِنِينَ ، وَتَزَوَّجَنِي بِكُرًا ، وَلَمْ يَشْرِكْهُ فِي أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ، وَكَانَ الْوَحْيُ يَأْتِيهِ وَأَنَا وَهُوَ فِي لِحَافٍ وَاحِدٍ ، وَكُنْتُ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ وَبُنْتُ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَقَدْ نَزَلَ فِي آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَقَدْ كَادَتْ الْأُمَّةُ تَهْلِكُ فِيَّ ، وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ وَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنْ نِسَائِهِ غَيْرِي ، وَقَبِضَ فِي يَدِي لَمْ يَلِهِ أَحَدٌ غَيْرِي وَ الْمَلَكُ .

١١٥٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا : « يَا عَائِشُ ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ » قَالَتْ : فَقُلْتُ : وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، قَالَتْ : - وَهُوَ يَرَى مَا لَا أَرَى - تُرِيدُ : رَسُولَ اللَّهِ ﷺ .

وفي رواية (١) للنسائي قَالَتْ : أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا مَعَهُ ، فَقُمْتُ فَأَجَفْتُ الْبَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، فَلَمَّا رَفَعَهُ عَنْهُ قَالَ لِي : « يَا عَائِشَةُ إِنَّ جِبْرِيلَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ » .

قال ابن حجر : وقال ابن بطال عن المذهب : سلام الرجال على النساء والنساء على الرجال جائز إذا أمنت الفتنة ؛ وفرق المالكية بين الشابة والعجوز سدا للذريعة ، ومنع منه ربيعة مطلقاً . وقال الكوفيون : لا يشرع للنساء ابتداء السلام على الرجال لأنهن ممنعن من الأذان والإقامة والجهر بالقراءة ، قالوا : ويستثنى المحرم فيجوز لها السلام على محرمها . وقال المتولي : إن كان للرجل زوجة أو محرم أو أمة فكالرجل مع الرجل ، وإن كانت

١١٥٩ - البخاري (١٠٦ / ٧) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٠ - باب فضل عائشة .

ومسلم (٤ / ١٨٩٦) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٣ - باب فضل عائشة .

يعالish : دليل لجواز الترخيم ، ويجوز فتح الشين وضمتها .

يرى ما لا أرى : تريد أنه يرى جبريل ويسمع كلامه وهي لا تراه .

(١) النسائي (٧ / ٦٩) كتاب عشرة النساء ، باب حب الرجل بعض نسائه أكثر من بعض .

أجفت الباب : إذا أغلقته .

رفعه عنه : تقول : رفعه عني : إذا أراحني ، وإذا كان الإنسان في ضيق فنفست عنه ، قلت : رفعت عنه .

أجنبية نُظِرَ : إن كانت جميلة يخاف الافتتان بها لم يشرع السلام لا ابتداء ولا جواباً ، فلو ابتدأ أحدهما كره للآخر الرد ، وإن كانت عجوزاً لا يفتتن بها جاز . وحاصل الفرق بين هذا وبين المالكية التفصيل في الشابة بين الجمال وعدمه . فإن الجمال مظنة الافتتان ، بخلاف مطلق الشابة ، فلو اجتمع في المجلس رجال ونساء جاز السلام من الجانبين عند أمن الفتنة . اهـ .

١١٦٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال : « كَمُلْ من الرجال كثيرٌ ، ولم يَكْمُلْ من النساء إلا مريم بنتُ عمرانَ ، وآسية امرأةُ فرعونَ . وفضلُ عائشة على النساء كفضلِ الثريد على سائرِ الطعام » .

وفي رواية النسائي^(١) عن أبي موسى وعائشة رضي الله عنهما قالوا : قال النبي ﷺ : « فضلُ عائشة على النساء كفضلِ الثريد على سائرِ الطعام » .

١١٦١ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنِّي لَا أَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ غَنِي رَاضِيَةً ، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي » قَالَتْ : فَقُلْتُ : وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : « أَمَّا إِذَا كُنْتُ غَنِي رَاضِيَةً فَإِنَّكَ تَقُولِينَ : لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ ، وَإِذَا كُنْتُ غَضَبِي ، قُلْتُ : لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ » قَالَتْ : قُلْتُ : أَجَلُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ .

وفي رواية^(٢) : « إِنِّي لَا أَعْرِفُ غَضَبِي مِنْ رِضَاكِ ... » وَذَكَرَ بِمَعْنَاهُ .

١١٦٢ - * روى البخاري ومسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه : أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل ، فأتيته فقلت : أي الناس أحب إليك ؟ قال : « عائشة »

١١٦٠ - البخاري (١٠٦ / ٧) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٠ - باب فضل عائشة رضي الله عنها .

ومسلم (٤ / ١٨٨٦) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٢ - باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها .

(١) النسائي (٦٨ / ٧) كتاب عشرة النساء ، باب - حب الرجل بعض نساءه أكثر من بعض .

١١٦١ - البخاري (٢٢٥ / ٩) ٦٧ - كتاب النكاح - ١٠٨ - باب غيرة النساء ووجدهن .

ومسلم (٤ / ١٨٩٠) ٧٨ - كتاب فضائل الصحابة - ١٣ - باب في فضل عائشة .

(٢) البخاري (١٠ / ٤٩٧) ٧٨ - كتاب الأدب - باب ما يجوز من المجران لمن عصى .

١١٦٢ - البخاري (١٨ / ٧) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٥ - باب قول النبي ﷺ « لو كنت متخذاً خليلاً » . =

فقلت : من الرجال ؟ قال : « أبوها » قلت : ثم من ؟ قال : « عمر بن الخطاب » فعده رجالاً .

إن سؤال عمرو بن العاص هذا يدل على أن كل من كان يحيط برسول الله ﷺ يستشعر أنه أحب إلى رسول الله ﷺ وهذا أدب عظيم ينبغي أن يتخلق به ورث الأنبياء .

١١٦٣ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : إن الناس كانوا يتحرون هداياهم يوم عائشة يبتغون بها - أو يبتغون بذلك - مرضاة رسول الله ﷺ .

١١٦٤ - * روى البخاري عن عائشة قالت : إن نساء رسول الله ﷺ كن حزبين ، فحزب فيه : عائشة وحفصة وصفيّة وسودة ، والحزب الآخر : أم سلمة وسائر أزواج النبي ﷺ ، وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة ، فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ أخرها ، حتى إذا كان رسول الله ﷺ في بيت عائشة بعث صاحب الهدية بها إلى رسول الله ﷺ في بيت عائشة . فكلّم حزب أم سلمة ، فقلن لها : كلّمي رسول الله ﷺ يكلّم الناس ، فيقول : من أراد أن يهدي إلى رسول الله ﷺ هدية فليهد بها حيث كان من بيوت نساءه ، فكلّمته أم سلمة بما قلن ، فلم يقل لها شيئا ، فسألنها ، فقالت : ما قال لي شيئا ، فقلن لها : فكلّميه ، قالت : فكلّمته حين دار إليها أيضا ، فلم يقل لها شيئا ، فسألنها فقالت : ما قال لي شيئا ، فقلن لها ، كلّميه حتى يكلّمك ، فدار إليها فكلّمته ، فقال لها : « لا تؤذيني في عائشة ، فإن الوحي لم يأتي وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة » قالت . فقلت : أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله ، ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فأرسلنها إلى رسول الله ﷺ تقول : إن نساءك ينشدنك العدل في بنت أبي بكر ، فكلّمته ، فقال : « يا بنية ، ألا تحبين ما

= ومسلم (٤ / ١٨٥٦) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١ - باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

١١٦٣ - البخاري (٥ / ٢٠٣) ٥١ - كتاب الهبة - ٧ - باب قبول الهدية .

ومسلم (٤ / ١٨٩١) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٣ - باب في فضل عائشة .

١١٦٤ - البخاري (٥ / ٢٠٥) ٥١ - كتاب الهبة - ٨ - باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نساءه دون بعض .

ينشدنك : أي يسألنك .

العدل في ابنة أبي بكر : معناه يسألنك التسوية بينهن في حبة القلب . في ثوب امرأة : أي في لحاف امرأة .

أُحِبُّهُ ؟ » فَقَالَتْ : بَلَى ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ ، فَأَخْبَرْتُهُمْ ، فَقُلْنَا : ارْجِعِي إِلَيْهِ فَأَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ ، فَأَرْسَلْنَا زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ ، فَأَتَتْهُ فَأَغْلَطَتْ ، وَقَالَتْ : إِنَّ نِسَاءَكَ يَتَشَدَّنَّكَ اللَّهُ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ أَبِي قُحَافَةَ ، فَرَفَعْتُ صَوْتَهَا ، حَتَّى تَنَاولَتْ عَائِشَةَ ، وَهِيَ قَاعِدَةٌ ، فَسَبَّهَا ، حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيَنْظُرُ إِلَى عَائِشَةَ : هَلْ تَكَلَّمُ ؟ قَالَ : فَتَكَلَّمْتُ عَائِشَةَ تَرَدُّ عَلَى زَيْنَبَ ، حَتَّى اسْكَنْتُهَا ، قَالَ : فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عَائِشَةَ ، فَقَالَ : « إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ » .

وَفِي أُخْرَى قَالَ : كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّونَ بِهَذَا يَوْمَ عَائِشَةَ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ ، فَقُلْنَا يَا أُمُّ سَلَمَةَ ، وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّونَ بِهَذَا يَوْمَ عَائِشَةَ ، وَإِنَّا نُرِيدُ الْخَيْرَ ، كَمَا تُرِيدُهُ عَائِشَةُ ، فَمَرِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يَهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ ، أَوْ حَيْثُ دَارَ ، قَالَتْ : فَذَكَرْتُ ذَلِكَ أُمِّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ . قَالَتْ : فَأَعْرَضَ عَنِّي ، قَالَتْ : فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ ، فَأَعْرَضَ عَنِّي ، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ذَكَرْتُ ذَلِكَ فَقَالَ : « يَا أُمُّ سَلَمَةَ : لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافٍ امْرَأَةٍ مِنْكُمْ غَيْرَهَا » .

وَفِي أُخْرَى (٢) قَالَتْ : أُرْسِلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَاسْتَأْذَنْتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِيَ فِي مِرْطِي ، فَأَذِنَ لَهَا ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أَزْوَاجَكَ أُرْسَلُنِي يَسْأَلُنَاكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ ، وَأَنَا سَاكِتَةٌ ، قَالَتْ : فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَيُّ بَنِيَّةٍ ، أَلَسْتَ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ ؟ » فَقَالَتْ : بَلَى ، قَالَ : « فَأَحِبِّي هَذِهِ » قَالَتْ : فَقَامَتْ فَاطِمَةُ حِينَ سَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَرَجَعْتُ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَخْبَرْتُهُنَّ بِالَّذِي قَالَتْ ، وَبِالَّذِي قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْنَا لَهَا : مَا تَرَاكِ أَغْنَيْتِ عَنَّا مِنْ شَيْءٍ ، فَأَرْجِعِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُولِي لَهُ : إِنَّ أَزْوَاجَكَ

(١) البخاري (١٠٧ / ٧) - ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٠ - باب فضل عائشة .

يتحرون : التحري : القصد والاعتقاد للشيء ، والاجتهاد في تحصيل الأمر المطلوب .

(٢) ومسلم (١٨٩١ / ٤) - ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٣ - باب في فضل عائشة .

مِرْطِي : المِرْط : الكساء من الخَز والصُّوف يُتَغَطَّى بِهِ .

يَنْشُدُنَاكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ : وَاللَّهِ لَا أَكَلِمَةَ فِيهَا أَبَدًا ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَأَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِيْنِي مِنْهُمْ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَمْ أَرِ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ ، وَأَتَّقَى اللَّهَ ، وَأَصْدَقَ حَدِيثًا ، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً ، وَأَشَدَّ ابْتِدَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَا عَدَا سُورَةَ مَنْ حَدَّثَ كَانَتْ فِيهَا ، تُشْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةُ ، قَالَتْ : فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ عَائِشَةَ فِي مِرْطِهَا عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا وَهِيَ بِهَا ، فَأَذِنَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلُنَاكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ ، قَالَتْ : ثُمَّ وَقَعْتُ بِي ، فَاسْتَطَالَتْ عَلَيَّ ، وَأَنَا أَرْقُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَرْقُبُ طَرْفَهُ ، هَلْ يَأْذَنُ لِي فِيهَا ؟ قَالَتْ : فَلَمْ تَبْرَحْ زَيْنَبَ حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يَكْزُرُهُ أَنْ أَنْتَصِرَ ، قَالَتْ : فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشُبْهَا حِينَ أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا - وَفِي رِوَايَةٍ : لَمْ أَنْشُبْهَا أَنْ أُخْنِتُهَا غَلَبَةً - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَتَبَسَّمَ : « إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ » .

قال ابن حجر : وفي هذا الحديث منقبة عظيمة لعائشة ، وقد استدل به على فضل عائشة على خديجة وليس ذلك بلامرئ : أحدهما احتمال أن لا يكون أراد إدخال خديجة في هذا ، وأن المراد بقوله « منكن » المخاطبة وهي أم سلمة ومن أرسلها أو من كان موجوداً حينئذ من النساء ، والثاني على تقدير إرادة الدخول فلا يلزم من ثبوت خصوصية شيء من الفضائل ثبوت الفضل المطلق كحديث « أقرؤكم أبي وأفرضكم زيد » ونحو ذلك ، ومما يسأل عنه الحكمة في اختصاص عائشة بذلك ، فقليل لمكان أبيها ، وأنه لم يكن يفارق النبي ﷺ في

= تساميحي : المسامة : المناظرة والمناصبة ، وهو مفاعلة من السُّبُو ، وهو العلو .

سورة من حدة : السورة : الوثوب والثوران ، الحدة : الحدة في الإنسان .

الفَيْئَةُ : الرجوع عن الشيء الذي يكون قد لابس الإنسان .

وقعت به : إذا وقعت في عرضه وشتته ، من الوقعة في الناس .

لم أنشُبها : أي : لم ألبسها ولم أمهلها .

أنحيت عليها : أي قصدتها : بالمعارضة .

أخننتها : قعتها وقهرتها .

أغلب أحواله ، فسرى سره لابنته مع ما كان لها من مزيد حبه ﷺ . وقيل إنها كانت تبالغ في تنظيف ثيابها التي تنام فيها مع النبي ﷺ ، والعلم عند الله تعالى . قال السبكي الكبير : الذي ندين الله به أن فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة : والخلاف شهير ولكن الحق أحق أن يتبع . وقال ابن تيمية : جهات الفضل بين خديجة وعائشة متقاربة . وكأنه رأى التوقف . وقال ابن القيم : إن أريد بالفضل كثرة الثواب عند الله فذاك أمر لا يطُكع عليه ، فإن عمل القلوب أفضل من عمل الجوارح ، وإن أريد كثرة العلم فعائشة لا محالة ؛ وإن أريد شرف الأصل ففاطمة لا محالة ، وهي فضيلة لا يشاركها فيها غير أخواتها ، وإن أريد شرف السيادة فقد ثبت النص لفاطمة وحدها . قلت : امتازت فاطمة عن أخواتها بأنهن متن في حياة النبي ﷺ ، وأما ما امتازت به عائشة من فضل العلم فإن لخديجة ما يقابله وهي أنها أول من أجاب إلى الإسلام ودعا إليه وأعان على ثبوته بالنفس والمال والتوجه التام ؛ فلها مثل أجر من جاء بعدها ، ولا يقدر قدر ذلك إلا الله . وقيل انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة ، وبقي الخلاف بين عائشة وخديجة . (فرع) : ذكر الرافي أن أزواج النبي ﷺ أفضل نساء هذه الأمة ، فإن استثنيت فاطمة لكونها بضعة فأخواتها شاركنها . وقد أخرج الطحاوي والحاكم بسند جيد عن عائشة أن النبي ﷺ قال في زينب ابنته لما أوديت عند خروجها من مكة : « هي أفضل بناقي ، أصيبت في » وقد وقع في حديث خطبة عثمان حفصة زيادة في مسند أبي يعلى « تزوج عثمان خيراً من حفصة ، وتزوج حفصة خير من عثمان » ويحتمل أن يقدر من (أفضل بناقي) وأن يقال كان ذلك

التين : فيه أن الزوج لا يلزمه التسوية في النفقة بل يفضل من شاء بعد أن يقوم للأخرى بما يلزمه لها ، قال : ويمكن أن لا يكون فيها دليل لاحتمال أن يكون من خصائصه ، كما قيل أن القسّم لم يكن واجباً عليه وإنما كان يتبرع به .

١١٦٥ - * روى أبو يعلى والبخاري عن عائشة قالت : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا

١١٦٥ - البخاري : كشف الأستار (٣ / ٢٤٠) .

وأورده المهيبي في مجمع الزوائد (١ / ٢٤١) وقال : رواه أبو يعلى والبخاري باختصار ، وفيه مجالد وهو حسن الحديث ، وبقي رجاله رجال الصحيح .

أُبْكِي ، فَقَالَ : « مَا يُبْكِيكِ ؟ » قُلْتُ : سَبَّحَنِي فَاطِمَةُ فَقَالَ : « يَا فَاطِمَةُ سَبَّحْتَ عَائِشَةَ ؟ » قَالَتْ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « أَلَيْسَ تُحِبِّينَ مَنْ أَحَبُّ ؟ » قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : « فَإِنِّي أَحِبُّ عَائِشَةَ فَأَحْبِبِيهَا » قَالَتْ فَاطِمَةُ : لَا أَقُولُ لِعَائِشَةَ شَيْئاً يُؤْذِيهَا أَبَدًا .

١١٦٦ - * روى الطبراني عن عامر الشعبي قال : قال رجل : كُلُّ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَائِشَةَ ، قُلْتُ لَهُ : أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ خَالَفْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هِيَ كَانَتْ أَحَبَّ إِلَيَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

١١٦٧ - * روى الطبراني في الأوسط عن عمرو بن الحارث بن المصطلق قال : بَعَثَ زِيَادُ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَالٍ ، وَفَضَّلَ عَائِشَةَ ، فَجَعَلَ الرَّسُولُ يَعْتَذِرُ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ ، فَقَالَتْ : يَعْتَذِرُ إِلَيْنَا زِيَادٌ ! فَقَدْ كَانَ يُفَضِّلُهَا مَنْ كَانَ أَعْظَمَ عَلَيْنَا تَفْضِيلًا مِنْ زِيَادٍ ، رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

١١٦٨ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلَتْ وَادِيًا فِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أُكِلَ مِنْهَا ، وَوَجَدْتَ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا ؛ فِي أَيِّهَا كُنْتَ تُرْتَعُ بِعَيْرِكَ ؟ قَالَ : « فِي الَّتِي لَمْ يُرْتَعُ مِنْهَا » يَعْنِي : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكَرًّا غَيْرَهَا .

قال في الفتح : وفي هذا الحديث مشروعية ضرب المثل وتشبيه شيء موصوف بصفة بمثله مسلوب الصفة . وفيه بلاغة عائشة وحسن تأتيها في الأمور ، ومعنى قوله ﷺ « فِي الَّتِي لَمْ يَرْتَعُ مِنْهَا » أي أوتر ذلك في الاختيار على غيره . فلا يرد على ذلك كون الواقع منه أن الذي تزوج من الثيبات أكثر ، ويحتمل أن تكون عائشة كُنْتُ بذلك عن المحبة بل عن أدق من ذلك ا . هـ .

١١٦٦ - أورده المهيبي في مجمع الزوائد (٢٤٣ / ٩) وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

١١٦٧ - أورده المهيبي في مجمع الزوائد (٢٤٢ / ٩) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

١١٦٨ - البخاري (١٢٠ / ٩) ٦٧ - كتاب النكاح - ٩ - باب نكاح الأبكار .

الرتع : الاتساع في الخشب ، ورتع البعير ، وأرتعه صاحبه : أرسله في الرعى ، واختاره له .

١١٦٩ - * روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله : كل صواحي لهن كنن ، قال : « فأكنتني بابنك عبد الله بن الزبير » فكانت تكني : بأم عبد الله .

١١٧٠ - * روى أبو داود عن النعمان بن بشير رضي الله عنها قال : استأذن أبو بكر رحمة الله عليه على النبي ﷺ فسمع صوت عائشة عالياً ، فلما دخل تناولها ليتطمئنها ، وقال : ألا أراك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ ، فجعل النبي ﷺ يحجزه ، وخرج أبو بكر مغضباً ، فقال النبي ﷺ حين خرج أبو بكر : « كيف رأيته أنتقدتك من الرجل ؟ » قال : فكث أبو بكر أياماً ، ثم استأذن على رسول الله ﷺ فوجدهما قد اصطلحا ، فقال لهما : أدخلاني في سلبكما كما أدخلتاني في حربكما فقال النبي ﷺ : « قد فعلنا قد فعلنا » .

قال عبد الحق الدهلوي : اللطم : ضرب الخد بالكف وهو منهى عنه ، ولعل هذا كان قبل النهي أو وقع ذلك منه لغلبة الغضب أو أراد ولم يلطم .

قلت : قوله : أنتقدتك من الرجل ولم يقل من أبيك ، وإبعاده ﷺ أبا بكر عن عائشة تطيباً وبمازحة كل ذلك داخل في المزاح .

١١٧١ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة ، وكان النبي ﷺ يقسم لعائشة يومها ويوم سودة .

١١٧٢ - * روى مسلم عن عائشة قالت : ما رأيت امرأة أحب إلي أن أكون في

١١٦٩ - أبو داود (٤ / ٢٩٣) كتاب الأدب ، باب في المرأة تكني . وإسناده قوي .

١١٧٠ - أبو داود (٤ / ٣٠٠) كتاب الأدب ، باب ما جاء في المزاح . وإسناده حسن .

حجزه : حجزته عن كذا ، أي : حلت بينه وبينه ، ومنعته عنه .

أنتقدتك : الإنقاذ : التخلص .

سلبكما : السلم : الصلح ، وهو ضد الحرب .

١١٧١ - البخاري (٩ / ٣١٢) ٦٧ - كتاب النكاح - ٩٨ - باب المرأة تهب يومها من زوجها لضرتها ، وكيف يقسم ذلك .

١١٧٢ - مسلم (٢ / ١٠٨٥) ١٢ - كتاب الرضاع - ١٤ - باب جواز هبتها نوبتها لضرتها . =

مِسْلَاخُهَا : مِنْ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ ، مِنْ امْرَأَةٍ فِيهَا حَدَّةٌ ، قَالَتْ : فَلَمَّا كَبُرْتُ جَعَلْتُ يَوْمَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِعَائِشَةَ . قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ جَعَلْتُ يَوْمِي مِنْكَ لِعَائِشَةَ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْسِمُ لِعَائِشَةَ يَوْمَيْنِ : يَوْمَهَا وَيَوْمَ سَوْدَةَ ، زَادَ فِي رَوَايَةٍ : قَالَتْ : وَكَانَتْ أَوَّلَ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا مِنْ بَعْدِي .

وقول عائشة فيها حدة : وردت من قبل في وصف سودة وفسرناها على ظاهرها ، ولكن النووي فسرنا تفسيراً آخر وذلك من زيادة أدبه فقال : لم تُرِدْ عائشة عيب سودة بذلك ، بل وصفتها بقوة النفس وجودة القرينة وهي الحدة هنا .

قال ابن حجر : قوله (إن سودة بنت زمعة) هي زوج النبي ﷺ ، وكان تزوجها وهو بمكة بعد موت خديجة ودخل عليها بها وهاجرت معه . ووقع لاسلم من طريق شريك عن عائشة : « قال رسول الله ﷺ : ما كنت أرى امرأة تنم حلاً بعدى » ومعناه عقيد

فتواردت هذه الروايات على أنها خشيت الطلاق فوهبت ؛ وأخرج ابن سعد بسند رجاله ثقات من رواية القاسم بن أبي يزة مرسلًا « أن النبي ﷺ طلقها طليقة رجعية فقعدت له على طريقه فقالت : والذي بعثك بالحق مالي في الرجال حاجة ، ولكن أحب أن أبعث مع نسائك يوم القيامة ، فأشددك بالذي أنزل عليك الكتاب هل طلقيني لموجدة وجدتها علي ؟ قال : لا . قالت : فأشددك لما راجعتني ، فراجعها . قالت : فإني قد جعلت يومي وليلي لعائشة حبة رسول الله ﷺ » . قوله (وكان النبي ﷺ يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة) في رواية جرير عن هشام عند مسلم « فكان يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة . اهـ فتح الباري .

١١٧٣ - * روى أحمد وابن ماجه عن عائشة قالت : سابقني رسول الله ﷺ فسبقته .

١١٧٤ - * روى البخاري عن عروة قال : كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أحب البشر إلى عائشة بعد النبي ﷺ وأبي بكر ، وكان أبر الناس بها ، وكانت لا تمسك شيئاً مما جاءها من رزق الله تصدقت ، فقال ابن الزبير : ينبغي أن يؤخذ على يديها ، فقالت : أيؤخذ على يدي ؟! علي نذر إن كلمته ، فاستشفع إليها برجال من قريش ، وبأحوال رسول الله ﷺ خاصة ، فامتنعت ، فقال له الزهريون أحوال النبي ﷺ - منهم عبد الرحمن ابن الأسود بن عبد يغوث والمسيور بن مخرمة - : إذا استأذننا فافتحم الحجاب ، ففعل ، فأرسل إليها بعشر رقاب فأعتقتهم ، ثم لم تزل تعتقهم حتى بلغت أربعين ، فقالت : وددت أني جعلت حين خلقت عملاً أعمله ، فأفرغ منه . وفي رواية طرف منه ، قال عروة : ذهب عبد الله بن الزبير مع أناس من بني زهرة إلى عائشة ، وكانت أرق شيء عليهم لقربتهم من رسول الله ﷺ .

١١٧٣ - أحمد في مسنده (١٢٩ / ٦) .

وابن ماجه (١ - ٦٣٦) ٩ - كتاب النكاح - ٥٠ - باب حسن المعاشرة .
وقال في الزوائد : إسناده صحيح على شرط البخاري ، وعزاه المزي في الأطراف للنسائي ، وليس هو في رواية ابن السني .

١١٧٤ - البخاري (٦ / ٥٣٣) ٦١ - كتاب المناقب - ٢ - باب مناقب قريش .
يؤخذ على يديها : أخذت على يد فلان : إذا منعت من التصرف في نفسه وماله .
فاقتحم الحجاب : أدخله مشرعاً من غير إذن .

١١٧٥ - * روى البخاري عن عوف بن مالك بن الطفيل رحمه الله - وهو ابن أخي عائشة زوج النبي ﷺ لأمها - أن عائشة حدثت : أن عبد الله بن الزبير قال - في بيع أو

٥١١ -

فقيل : أو كان يدخل عليك إلا وعليك ثيابك ، فأصبحت فزعة ، فأمرت باثني عشر ألف درهم فجعلتها في سبيل الله . كذا في سير أعلام النبلاء .

١١٧٦ - * روى البخاري عن القاسم بن محمد : أن عائشة اشتكت ، فجاء ابن عباس ، فقال : يا أم المؤمنين ، تقدمين على فرط صدق ، على رسول الله ﷺ ، وعلى أبي بكر .

١١٧٧ - * روى البخاري عن ابن أبي مليكة رحمه الله قال : استأذن ابن عباس على عائشة فقبل موته وهي مغلوبة قالت : أخشى أن يثني علي ، فقيل : ابن عم رسول الله ﷺ ، ومن وجوه المسلمين قالت : ائذنوا له ، فقال : كيف تجدينك ؟ قالت : بخير ، إن اتقيت قال : فأنت بخير إن شاء الله تعالى ، زوجة رسول الله ﷺ ، ولم ينكح بكراً غيرك ، ونزل عذرك من السماء . ودخل ابن الزبير خلافة ، فقالت : دخل ابن عباس فأثني علي ، وددت أني كنت نسياً منسياً .

قال أهل العلم : ينبغي أن يجمع العبد بين الخوف والرجاء ، ويغلب الخوف حال الصحة والرجاء عند الاحتضار ، ففعل ابن عباس من الفقه .

وفي الحديث جواز عيادة المريضة غير المحرم بشرط الحجاب ، وكان الصحابة يدخلون على أمهات المؤمنين وبينهم ستار صفيق .

١١٧٨ - * روى الحاكم عن ابن أبي مليكة قال : جاء ابن عباس يستأذن على عائشة رضي الله عنها في أن تأذن فقال لها بنو أخيها : ائذني له فإنه من خير ولديك قالت : دعوني

١١٧٦ - البخاري (١٠٦ / ٧) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٠ - باب فضل عائشة .

أن عائشة اشتكت : مرضت وذلك مرض الموت .

تقدمين : بفتح الدال (على فرط) : بفتح الفاء والراء بعدها مهملة وهو التقدم من كل شيء .

قال ابن التين : فيه أنه قطع لها بدخول الجنة إذ لا يقول ذلك إلا بتوقيف .

على رسول الله : بدل بتكرير العامل .

١١٧٧ - البخاري (٨٢ / ٨) ٦٥ - كتاب التفسير - ٨ باب ﴿ إذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ... ﴾ .

مغلوبة : أي غلبها المرض فلم تعد كما كانت في صحتها .

نسياً منسياً : أي شيئاً حقيراً ، متروكاً مطروحاً لا يلتفت إليه . خلافة : بعده .

١١٧٨ - المستدرک (٨ / ٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : صحيح .

مِنْ تَرْكِتِهِ ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهَا حَتَّى أَذْنَتْ لَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّمَا سُمِّيَتْ
أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ لِتَسْعَدِي ، وَإِنَّهُ لَأَسْمُكَ قَبْلَ أَنْ تُوَلِّيَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنْ أَحَبِّ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ إِلَّا طَيِّبًا ، وَمَا يَنْشُكُ
وَيَتَيْنُ أَنْ تَلْقِي الْأَحِبَّةَ إِلَّا أَنْ تَفَارِقَ الرُّوحَ الْجَسَدَ ، وَلَقَدْ سَقَطَتْ قِلَادَتُكَ لَيْلَةَ الْأَنْوَاءِ فَجَعَلَ
اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ خَيْرَ فِي ذَلِكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى آيَةَ التَّيْمِمِ وَنَزَلَتْ فِيكَ آيَاتُ مِنَ
الْقُرْآنِ ، فَلَيْسَ مَسْجِدٌ مِنْ مَسَاجِدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا يَتْلَى فِيهِ عِذْرُكَ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ
فَقَالَتْ : دَعْنِي مِنْ تَرْكِتِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ فَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نَسِيًا مَنُوسًا .

وأما حادثة التخيير فقد كان سببها طلب أزواجه منه التوسعة الدنيوية عليهن ، وقد
ورد في بعض رواياتها صلتها بالآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي
مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ ﴾ ^(١) والظاهر أنَّ ذلك الطلب وحادثة التحريم كانتا في وقت واحد ،
وتتعدد الروايات حول سبب نزول آية التحريم ، ولا مانع من تعدد سبب النزول .

قال الشيخ شعيب الأرنؤوط : أخرج البخاري ^(٢) في التفسير عن عائشة بلفظ : كان
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يشرب عسلاً عند زينب ابنة جحش ، ويكث عندها ، فواطأت أنا وحفصة
عن أيتنا دخل عليها ، فلتقل له : أكلت مَغَافِيرَ ، إني أجِدُ منك ريح مَغَافِيرَ قال : « لا
ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب ابنة جحش ، فلن أعود له ، وقد حلفت لا تخبري
بذلك أحداً » .

والمغافير : صمغ شبيه بالناطف ينضحه العرفط (نوع من الشجر) ، فيوضع في ثوب ،
ثم ينضح بالماء فيشرب ، وله ريح منكرة .

وتمت سبب آخر في نزول الآية ، فقد أخرج سعيد بن منصور بإسناد صحيح فيما قاله
الحافظ إلي مسروق قال : حلف رسول الله ﷺ لحفصة لا يقرب أُمَّتَهُ ، وقال : علي حرام ،
فنزلت الكفارة ليمينه ، وأميز أن لا يحرم ما أحل الله له ، وأخرج الضياء المقدسي في

(١) التحريم : ١ .

(٢) البخاري (٨ / ٦٥٦) ٦٥ - كتاب التفسير - ٦٦ - سورة التحريم

« المختارة » من مسند الهيثم بن كليب ، ثم من طريق جرير بن حازم ، عن أيوب عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ لحفصة : « لا تخبري أحداً أن أم إبراهيم عليّ حرام » قال : فلم يقربها حتى أخبرت عائشة ، فأنزل الله ﷻ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ﴿ ١ ﴾ وأخرج الطبراني في عشرة النساء ، وابن مردويه من طريق أبي بكر بن عبد الرحمن ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : دخل رسول الله ﷺ بمارية بيت حفصة ، فجاءت ، فوجدتها معه ، فقالت : يا رسول الله في بيتي تفعل هذا معي دون نسائك فذكر نحوه ، وللطبراني من طريق الضحاك ، عن ابن عباس قال : دخلت حفصة بيتها ، فوجدته يطمأ بمارية ، فعاتبته فذكر غوه . قال الحافظ : وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً ، فيحتمل أن تكون الآية نزلت في السبين معاً . وقد روى النسائي من طريق حماد ، عن ثابت ، عن أنس هذه القصة مختصرة أن النبي ﷺ كانت له أمة يطؤها ، فلم تزل به حفصة وعائشة حتى حرماها ، فأنزل الله تعالى ﷻ يا أيها النبي لم تعمر ما أحل الله لك ﴿ ٢ ﴾ الآية . اهـ .

وحادثة التخيير علم من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام ، فإن يطلب منه أزواجه عليه الصلاة والسلام التوسعة الدنيوية وهو قادر عليها ، ويأبى عليه الصلاة والسلام إلا أن يعيش هو وأهله حياة التقشف والشطف ، ويتأصلهن على ذلك بأمر الله :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِي كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْحَسَنَاتِ مَنَكُنَّ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (٣) .

١١٧٩ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : إن أبا بكرٍ جاء يستأذن على رسول الله ﷺ ، فوجد الناس يبابه جلوساً ، لم يؤذن لهم فأذن له فدخل ، ثم أقبل عمر ، فاستأذن فأذن له ، فوجد رسول الله ﷺ جالساً حوله نساءؤه ، (قبل الأمر

(١) التحريم : ٢ .

(٢) التحريم : ١ .

(٣) الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩ .

١١٧٩ - مسلم (٢ / ١١٠٤) ١٨ - كتاب الطلاق - ٤ - باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية . =

(بالحجاب) وَاجِباً سَاكِتاً ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : لَا قَوْلُنْ شَيْئاً أَضْحِكُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ رَأَيْتُ بِنْتَ خَارِجَةَ تَسْأَلُنِي النَّفَقَةَ ، فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَوَجَّاتُ عَنْقَهَا ؟ فَضَحِكَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ : « هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلُنِي النَّفَقَةَ » فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ
يَجَأُ عَنْقَهَا ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عَنْقَهَا ، كِلَاهُمَا يَقُولُ : تَسْأَلَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا
لَيْسَ عِنْدَهُ ؟ فَقُلْنَا : وَاللَّهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَبَدًا شَيْئاً لَيْسَ عِنْدَهُ ، قَالَ : ثُمَّ اغْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا
أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ ، ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ ﴾ - حَتَّى بَلَغَ -
﴿ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ^(١) قَالَ : قَبِدَا بِعَائِشَةَ ، فَقَالَ : « يَا عَائِشَةُ ، إِنِّي
أُرِيدُ أَنْ أُعْرِضَ عَلَيْكَ أَمْرًا أَحَبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكَ »
قَالَتْ : وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ ، قَالَتْ : أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَشِيرُ
أَبَوَيَّ ؟ بَلَى اخْتَارَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالذَّارِ الْآخِرَةُ ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي
قُلْتُ ، قَالَ : « لَا تَسْأَلُنِي امْرَأَةً مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعْتَنًا وَلَا
مُتَعْتَنًا ، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيسِّرًا » .

١١٨٠ - * روى البخاري ومسلم عن ابن عباس . قَالَ : لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا أَنْ أُسْأَلَ عُمَرَ
عَنِ الْمَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ
قُلُوبُكُمَا ﴾ ^(٢) حَتَّى حَجَّ عُمَرُ وَحَجَّجْتُ مَعَهُ . فَلَمَّا كُنَّا بَبْعُضِ الطَّرِيقِ عَدَلَ عُمَرُ وَعَدَلْتُ

= الواجب : المطرق الساكت ، كأنه مفكر .

وَجَأً : ضرب ، وتأتي بمعنى داسه برجله ونحو ذلك .

مُعْتَنًا : مشدداً على الناس وملزماً إياهم ما يصعب عليه .

مُتَعْتَنًا : طالباً زلتهم ، وأصل العنت : المشقة .

قالت عائشة : وأسألك أن لا تخبر امرأة من نساءك بالذي قلت : قالت ذلك طمعاً أن يصفوها الرسول ﷺ .

لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها : يدل ذلك على أن من طلب منه أن يكتم شيئاً ليس من الواجب أو المصلحة
كأنه فله أن لا يقبل الاستكتمان .

(١) الأحزاب : ٢٧ ، ٢٨ .

١١٨٠ - البخاري (٩ / ٢٧٨) ٦٧ - كتاب النكاح - ٨٣ - باب موعظة الرجل ابنته لخال زوجها .

ومسلم (٢ / ١١١١) ١٨ - كتاب الطلاق ٥ - باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن وقوله تعالى ﴿ وَإِنْ تظاهرا
عليه ﴾ .

(٢) التحريم : ٤ .

=

مَعَهُ بِالْإِدَاوَةِ . فَتَبَرَّرَ ثُمَّ أَتَانِي فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ . فَتَوَضَّأَ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ !
 مِنَ الْمَرَاتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا ۖ إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ
 صَفَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ قَالَ عَمْرٌ : وَاعْجَبَا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ! (قَالَ الزُّهْرِيُّ : كَرِهَ وَاللَّهُ
 مَسْأَلَهُ عَنْهُ وَلَمْ يَكْتُمْهُ) قَالَ : هِيَ حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ . ثُمَّ أَخَذَ يَسُوقُ الْحَدِيثَ . قَالَ : كُنَّا
 مَعُشَرَ قُرَيْشٍ ، قَوْمًا نَغْلِبُ النِّسَاءَ . فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَجَدْنَا قَوْمًا تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ . فَطَفِقَ
 نِسَاؤُنَا يَتَعَلَّمْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ . قَالَ : وَكَانَ مَنَزِلِي فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ ، بِالْعَوَالِي .
 فَتَغَضَّبْتُ يَوْمًا عَلَى امْرَأَتِي فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعُنِي فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي . فَقَالَتْ : مَا تُنْكِرُ أَنْ
 أُرَاجِعَكَ ؟ فَوَاللَّهِ ! إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لَيُرَاجِعُنَهُ . وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ .
 فَأَنْطَلَقْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ . فَقُلْتُ : أُرَاجِعِينَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَالَتْ : نَعَمْ . فَقُلْتُ :
 أَتَهْجُرُهُ إِحْدَاكُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ . قُلْتُ : قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْكُمْ
 وَخَسِرَ . أَفَتَأْمَنُ إِحْدَاكُنَّ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا لِيُغْضِبَ رَسُولَهُ ﷺ . فَإِذَا هِيَ قَدْ هَلَكْتُ .
 لَا تُرَاجِعِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَلَا تَسْأَلِيهِ شَيْئًا . وَسَلِّبْنِي مَا بَدَا لَكَ وَلَا يَغُرَّنَكَ أَنْ كَانَتْ
 جَارَتُكَ هِيَ أَوْسَمُ وَأَحَبُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكَ (يَرِيدُ عَائِشَةَ) . قَالَ : وَكَانَ لِي جَارٌ
 مِنَ الْأَنْصَارِ فَكُنَّا تَتَنَاقَشُ النَّزُولَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَيَأْتِيَنِي
 بِخَبَرِ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ وَآتِيَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَكُنَّا نَتَحَدَّثُ ، أَنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ الْخَيْلَ لَتَغْزُونَا . فَنَزَلَ
 صَاحِبِي ثُمَّ أَتَانِي عِشَاءً فَضْرَبَ بَابِي ثُمَّ نَادَانِي فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ . فَقَالَ : حَدَّثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ .
 قُلْتُ : مَاذَا ؟ أَجَاءَتْ غَسَّانُ ؟ قَالَ : لَا . بَلْ أَغْظَمَ مِنْ ذَلِكَ وَأَطْوَلُ . طَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ
 نِسَاءَهُ . فَقُلْتُ : قَدْ خَابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ . قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ هَذَا كَائِنًا . حَتَّى إِذَا صَلَّيْتُ

صَفَتْ قُلُوبُكُمَا : مَالَتْ . . .

العوالي : جمع عالية ، وهي أماكن بأعلى أراضي المدينة .

تراجع : مراجعة الكلام مرادته برجع جوابه ، أي إعادته .

جارئك : الجارة هاهنا : المرأة ، أراد بها عائشة رضي الله عنها .

ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ : أي لا تفعل مثلها إن فعلت ذلك ، فهي أحب

إلى رسول الله ﷺ .

غسان : الأشهر ترك صرف غسان .

تنعل الخيل : أي يجعلون لحيولهم نعالاً لغزونا ، يعني يتهيأون لقتالنا .

الصُّبْحِ شَدَّدْتُ عَلَى ثِيَابِي . ثُمَّ نَزَلْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ وَهِيَ تَبْكِي فَقُلْتُ : أَطْلَقْكُنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَالَتْ : لَا أُدْرِي هَاهُوَذَا مُعْتَزِلٌ فِي هَذِهِ الْمَشْرُبَةِ . فَأَتَيْتُ غَلَامًا لَهُ أَسْوَدٌ . فَقُلْتُ : اسْتَأْذِنْ لِعَمَرَ . فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ . فَقَالَ : قَدْ ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ . فَأَنْطَلَقْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْمِنْبَرِ فَجَلَسْتُ . فَإِذَا عِنْدَهُ رَهْطٌ جُلُوسٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ فَجَلَسْتُ قَلِيلًا . ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ ثُمَّ أَتَيْتُ الْغَلَامَ فَقُلْتُ : اسْتَأْذِنْ لِعَمَرَ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ فَقَالَ : قَدْ ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ . قَوْلَيْتُ مُدْبِرًا . فَإِذَا الْغَلَامُ يَدْعُونِي . فَقَالَ : ادْخُلْ فَقَدْ أَذِنَ لَكَ فَدَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ مُتَكِيٌّ عَلَى رَمْلٍ حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ فَقُلْتُ : أَطْلَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ نِسَاءَكَ ؟ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ : « لَا » فَقُلْتُ : اللَّهُ أَكْبَرُ ! لَوْ رَأَيْتُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، قَوْمًا نَغْلِبُ النِّسَاءَ فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَجَدْنَا قَوْمًا تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَتَعَلَّمْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ فَتَغَضُّبْتُ عَلَى امْرَأَتِي يَوْمًا فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعُنِي فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي فَقَالَتْ : مَا تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ ؟ فَوَاللَّهِ إِنْ أُرَاجَ النَّبِيُّ ﷺ لِيرَاجِعَنِي وَتَهْجُرَهُ إِحْدَاهُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ . فَقُلْتُ : قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَخَسِرَ أَفْتَأَمَنْ إِحْدَاهُنَّ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا لِيَغْضَبَ رَسُولُهُ ﷺ فَإِذَا هِيَ قَدْ هَلَكَتْ ؟ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَدْ دَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ : لَا يَغْرُوكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتِكَ هِيَ أَوْسَمُ مِنْكَ وَأَحَبُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكَ فَتَبَسَّمَ أُخْرَى فَقُلْتُ اسْتَأْنِسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : « نَعَمْ » فَجَلَسْتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فِي الْبَيْتِ فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَزِدُّ الْبَصَرَ ، إِلَّا أَهْبًا ثَلَاثَةً . فَقُلْتُ : ادْعُ اللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَوْسَعَ عَلَيَّ أَمْتِكَ فَقَدْ وَسَّعَ عَلَيَّ فَارِسَ وَالرُّومَ . وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ . فَاسْتَوَيْ جَالِسًا ثُمَّ قَالَ : « أَفِي شَكِّ أَنْتَ ؟ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ! أَوْلَيْكَ قَوْمٌ عَجَلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ

المُفْرِيَّةُ : بضم الراء وفتحها : الغرفة .

غلبني ما أجِدُ : ما أشعر من الحزن والغضب .

رمالٌ حَصِيرٌ : يقال : رَمَلْتُ الحَصِيرَ : إِذَا ضَفَرْتَهُ وَنَسَجْتَهُ ، والمراد : أنه لم يكن على السرير وطاءً سوى الحَصِيرِ .

استأنس يا رسول الله : الظاهر من إجابته ﷺ أن الاستئناس هنا ، هو الاستئذان في الأنس والمحادثة ، ويدل

عليه قوله : فجلست .

الأهْبُ والأَهْبُ : جمع إهاب وهو الجلد .

من شدة موجدته : أي غضبه وحزنه .

الدُّنْيَا « فَقُلْتُ : اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ . وَكَانَ أَقْسَمَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْهِمْ شَهْرًا مِنْ شِدَّةِ مُوجِدَتِهِ عَلَيْهِمْ حَتَّى عَاتَبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

قَالَ الزُّهْرِيُّ : فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ عَنْ عَائِشَةَ . قَالَتْ : لَمَّا مَضَى تِسْعَ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً ، دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . بَدَأَ بِي فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لَا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا وَإِنَّكَ دَخَلْتَ مِنْ تِسْعَ وَعِشْرِينَ أَغْدُهُنَّ . فَقَالَ : « إِنَّ الشَّهْرَ تِسْعَ وَعِشْرُونَ » ثُمَّ قَالَ : « يَا عَائِشَةُ إِنِّي ذَاكِرٌ لَكَ أَمْرًا فَلَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكَ » ثُمَّ قَرَأَ عَلَيَّ الْآيَةَ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ : قَدْ عَلِمَ وَاللَّهِ أَنَّ أَبَوَيْ لَمْ يَكُونَا لِأَمْرَانِي بِفِرَاقِهِ . قَالَتْ فَقُلْتُ : أَوْ فِي هَذَا اسْتَأْمِرُ أَبَوَيْ ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ .

قَالَ مَعْمَرٌ : فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ : لَا تُخْبِرُ نِسَاءَكَ أَنِّي اخْتَرْتُكَ . فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَنِي مُبَلِّغًا وَلَمْ يُرْسِلْنِي مَتَمِّنًا » .

قَالَ قَتَادَةُ : صَغَتْ قُلُوبُكُمَا : مَالَتْ قُلُوبُكُمَا .

وفي رواية (١) لمسلم عن عبد الله بن عباسٍ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ : لَمَّا اغْتَزَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ قَالَ : دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا النَّاسُ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى وَيَقُولُونَ : طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَنَّ بِالْحِجَابِ . فَقَالَ عُمَرُ فَقُلْتُ : لَا غُلَمَنُ ذَلِكَ الْيَوْمَ . قَالَ : فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ : يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ ! أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكَ أَنْ تُؤْذِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَالَتْ : مَا لِي وَمَالِكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟ عَلَيْكَ بِعَيْتِكَ . قَالَ : فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ فَقُلْتُ لَهَا : يَا حَفْصَةُ ! أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكَ أَنْ تُؤْذِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يُحِبُّكَ وَلَوْلَا أَنَا لَطَلَّقَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

(١) مسلم (٢ / ١١٠٥) ١٨ - كتاب الطلاق - ٥ - باب في الإيلاء واعتزال النساء وتغييرهن ، وقوله تعالى ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ ﴾ .

ينكثون بالحصى : أي يضربون به الأرض ، كفعل المهموم المفكر .

عليك بعيبك : المراد عليك بوعظ بنتك حفصة . قال أهل اللغة : العيبة ، في كلام العرب ، وعاء يحمل الإنسان فيها أفضل ثيابه ونفيس متاعه . فشبهت ابنته بها .

فَبَكَتْ أَشَدَّ الْبُكَاءِ . فَقُلْتُ لَهَا : أَيْنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَتْ : هُوَ فِي خِزَانَتِهِ فِي الْمَشْرَبَةِ . فَدَخَلْتُ فَإِذَا أَنَا بِرَبَاحٍ غَلامٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَاعِدًا عَلَى أُسْكُفَةِ الْمَشْرَبَةِ مُدَلِّ رِجْلَيْهِ عَلَى تَقِيرٍ مِنْ خَشَبٍ . وَهُوَ جَذَعٌ يَرْقَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَيَتَحَدَّرُ فَنَادَيْتُ : يَا رَبَّاحُ ! اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَظَرَ رَبَّاحٌ إِلَى الْغُرْفَةِ ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ثُمَّ قُلْتُ : يَا رَبَّاحُ ! اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَظَرَ رَبَّاحٌ إِلَى الْغُرْفَةِ ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا . ثُمَّ رَفَعْتُ صَوْتِي فَقُلْتُ : يَا رَبَّاحُ ! اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ظَنَّ أَنِّي جِئْتُ مِنْ أَجْلِ حَفْصَةَ . وَاللَّهِ لَئِنْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِضَرْبِ عُنُقِهَا لِأَضْرِبَنَّ عُنُقَهَا وَرَفَعْتُ صَوْتِي . فَأَوْمَأَ إِلَيَّ أَنْ ارْقُ . فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ فَجَلَسْتُ . فَأَذْنَى عَلَيْهِ إِزَارَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ . فَتَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ . وَمِثْلُهَا قَرِظًا فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ وَإِذَا أَفِيقٌ مُعَلَّقٌ . قَالَ : فَايْتَدَرْتُ عَيْنَايَ . قَالَ : « مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟ ! » قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا لِي لَا أَبْكِي ؟ وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ . وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى وَذَاكَ قَيْصَرٌ وَكِسْرَى فِي الثَّمَارِ وَالْأَنْهَارِ . وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَفْوَتُهُ . وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ . فَقَالَ : « يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةَ وَلَهُمُ الدُّنْيَا ؟ »

خزانتها : الخزانة مكان الخزن ، كالحزن . وما يخزن فيه يسمى خزينة .

المشربة : قال في المصباح : بفتح الميم والراء ، الموضع الذي يشرب منه الناس . وبضم الراء وفتحها ، الغرفة .

أسكفة : هي عتبة الباب السفلى .

مدل رجليه : أي مرسلها .

تقير : أي على شيء من خشب تقر وسطه حتى يكون كالدرجة . قال النووي : هذا هو الصحيح الموجود في جميع النسخ . وذكر القاضي أنه بالقاء ، بدل النون ، وهو فقير بمعنى مفقور ، مأخوذ من فصار الظهر ، وهو جذع فيه درج .

أن ارقه : أي أشار إليّ رباح بالصعود إلى المشربة بواسطة ذلك الجذع المنقور كالسلم . فـ (أن) تفسيرية .

وارقه : أمر من الرقي . والهاء في آخره للسكت . وفي الكلام حذف . تقديره فرقيت فدخلت .

قرظاً : القرظ ورق السلم يدينغ به .

أفيق : هو الجلد الذي لم يتم دباغه . وجمه أفق . كأديم وأدم . وقد أفق أديمه يافقه .

فايبتدرت عيناى : أي لم أتمكن أن بكيت حتى سالت دموعي .

قُلْتُ : بَلَى . قَالَ : وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ حِينَ دَخَلْتُ وَأَنَا أَرَى فِي وَجْهِهِ الْغَضَبَ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ ؟ فَإِنْ كُنْتُ طَلَقْتَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَكَ وَمَلَائِكَتَهُ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ ، وَأَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَكَ . وَقَلَّمَا تَكَلَّمْتُ ، وَأَحْمَدُ اللَّهُ ، بِكَلَامٍ إِلَّا رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ يُصَدِّقُ قَوْلِي الَّذِي أَقُولُ . وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ آيَةُ التَّخْيِيرِ ﴿ وَإِنْ تَطَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ . عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ ﴿ (١) وَكَانَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ وَحَفْصَةُ تَطَاهَرَانِ عَلَى سَائِرِ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَطَلَقْتَهُنَّ ؟ قَالَ : « لَا » . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنِّي دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَالْمُسْلِمُونَ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى يَقُولُونَ : طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ . أَفَأَنْزَلُ فَأُخْبِرُهُمْ أَنَّكَ لَمْ تُطَلِّقَهُنَّ ؟ قَالَ : « نَعَمْ . إِنْ شِئْتَ » فَلَمْ أَزَلْ أُحَدِّثُهُ حَتَّى تَحَسَّرَ الْغَضَبُ عَنْ وَجْهِهِ وَحَتَّى كَثُرَ فَضْحِكُهُ . وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ تَغَرًّا . ثُمَّ نَزَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَنَزَلَتْ . فَتَنَزَلْتُ أَتَشَبِّهُ بِالْجَذْعِ وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّمَا يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا يَمْسُهُ بِيَدِهِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّمَا كُنْتُ فِي الْعَرْفَةِ ثَمَنَةً وَعِشْرِينَ . قَالَ : « إِنَّ الشَّهْرَ يَكُونُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ » فَقُمْتُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَتَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي : لَمْ يُطَلِّقْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (٢) فَكُنْتُ أَنَا اسْتَنْبَطْتُ ذَلِكَ الْأَمْرَ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آيَةَ التَّخْيِيرِ .

(١) التحريم : ٤ ، ٥ .

(٢) النساء : ٨٣ .

تحمير الغضب : أي زال وانكشف .

كثير : أي أبدي أسنانه تيسبًا . ويقال أيضًا في الغضب . قال ابن السكيت : كثير وبسم وابتم وافتر ، كله بمعنى

واحد . فإن زاد قيل : فهقه وزهق وكركر .

أتشبهت : أي مستسكًا بذلك الجذع ، الذي هو كالسلم للغرفة .

يستنبطونه : قال الزخشي في الكشف : أي الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم . والنَّبْطُ الماء يخرج

من البئر أول ما تحفر . وإنباطه واستنباطه إخراجه واستخراجه . فاستمير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من

المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم .

وفي رواية للبخاري ومسلم^(١) عن عبد الله بن عباس قال : مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له حتى خرج حاجاً فخرجت معه . فلما رجع ، فكنا ببعض الطريق ، عدل إلى الأراك لحاجة له . فوقف له حتى فرغ ثم سرت معه فقلت : يا أمير المؤمنين ! من اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ من أزواجه ؟ فقال : تلك حفصة وعائشة . قال فقلت له : والله ! إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبة لك . قال : فلا تفعل ، ما ظننت أن عندي من علم فسألني عنه . فإن كنت أعلمه أخبرتك . قال : وقال عمر : والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله تعالى فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم . قال : فبينما أنا في أمر أتمره ، إذ قالت لي امرأتي : لو صنعت كذا وكذا ! فقلت لها : ومالك أنت ولما ههنا ؟ وما تكلفك في أمر أريده ؟ فقالت لي : عجباً لك ، يا ابن الخطاب ! ما تريد أن تراجع أنت ، وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان . قال عمر : فآخذ رداي ثم أخرج مكاني . حتى أدخل على حفصة فقلت لها : يا بنية ! إنك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان ؟ فقالت حفصة : والله ! إنا لتراجعنه . فقلت : تعلمين أنني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله . يا بنية ! لا يعزئك هذه التي قد أعجبها حسنهما وحب رسول الله ﷺ إياها . ثم خرجت حتى أدخل على أم سلمة لقرأتي منها فكلمتها فقالت لي أم سلمة : عجباً لك يا ابن الخطاب ! قد دخلت في كل

(١) البخاري (٨ / ٦٥٧) - كتاب التفسير - ٢ - باب « تبغى مرضاة أزواجك » .

ومسلم (٢ / ١١٠٨) - ١٨ - كتاب الطلاق - ٥ - باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن ، وقوله تعالى ﴿ وإن تظاهرا عليه ﴾ .

الأراك : جاء في المعجم ، للملايلي : الأراك في وصف القدماء ، شجرة طويلة خضراء ناعمة كثيرة الورق والأغصان ، خوار العود . يستاك بفروعها ، أي تنظف بها الأسنان . وهو طيب النكهة ، له حمل كحمل عناقيد العنب .

ويعد اليوم من فضيلة الزيتونيات . عدل إلى الأراك لحاجة : عدل عن الطريق الملوكة الجادة ، منتهيا إلى شجر الأراك لحاجة له ، كناية عن التبرز .

أتمره : معناه أشاور فيه نفسي وأفكر . ومعنى بينا وبيننا ، أي بين أوقات التاري .

تراجع : مراجعة الكلام مرادته برجع جوابه ، أي إعادته .

شَيْءٍ حَتَّى تَبْتَغِي أَنْ تَدْخُلَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَزْوَاجِهِ ! قَالَ : فَأَخَذْتَنِي أَخْذًا كَسَرْتَنِي عَنْ بَعْضِ مَا كُنْتُ أَجِدُ . فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهَا وَكَانَ لِي صَاحِبٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِذَا غِبْتُ أَتَانِي بِالْخَبَرِ وَإِذَا غَابَ كُنْتُ أَنَا آتِيهِ بِالْخَبَرِ . وَنَحْنُ حِينَئِذٍ تَتَخَوَّفُ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ غَسَّانَ ذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسِيرَ إِلَيْنَا . فَقَدْ امْتَلَأْتُ صُدُورُنَا مِنْهُ . فَأَتَى صَاحِبِي الْأَنْصَارِيَّ يَدُقُّ الْبَابَ . وَقَالَ : افْتَحْ . افْتَحْ . فَقُلْتُ : جَاءَ الْغَسَّانِيُّ ؟ فَقَالَ : أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ . اعْتَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَزْوَاجَهُ . فَقُلْتُ : رَغِمَ أَنْفُ حَفْصَةَ وَعَائِشَةَ . ثُمَّ أَخَذْتُ يَدِي فَأَخْرَجْتُ حَتَّى جِئْتُ . فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَشْرَبَةٍ لَهُ يَرْتَقِي إِلَيْهَا بِعَجَلَةٍ . وَغُلَامٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْوَدُ عَلَى رَأْسِ الدَّرَجَةِ . فَقُلْتُ : هَذَا عَمْرٌ . فَأَذِنَ لِي . قَالَ عَمْرٌ : فَقَصَصْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَذَا الْحَدِيثَ . فَلَمَّا بَلَغْتُ حَدِيثَ أُمِّ سَلَمَةَ تَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . وَإِنَّهُ لَعَلَى حَصِيرٍ مَا يَبِينُهُ وَبَيِّنُهُ شَيْءٌ . وَتَحْتَ رَأْسِهِ وَسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ حَشُوهَا لَيْفٌ ، وَإِنَّ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَرْظًا مَضْبُورًا . وَعِنْدَ رَأْسِهِ أَهْبَاءٌ مُعَلَّقَةٌ . فَرَأَيْتُ أَثَرَ الْحَصِيرِ فِي جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَبَكَيْتُ . فَقَالَ : « مَا يُبْكِيكَ ؟ » فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّ كَثْرَتِي وَقِصْرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ . وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لِهَمَّا الدُّنْيَا وَلَكَ الْآخِرَةُ ؟ » .

قال محقق الجامع : وفي الحديث من الفوائد : سؤال العالم عن بعض أمور أهله وإن كان عليه فيه غضاضة إذا كان في ذلك سنة تنقل ومسألة تحفظ . وفيه توقيف العالم ومهابته عن

غسان : الأشهر ترك صرف غسان .

رغم أنف حفصة وعائشة : هو بفتح الغين وكسرها . والمصدر فيه بثلاث الراء . أي لصق بالرغام ، وهو التراب . هذا هو الأصل . ثم استعمل في كل من عجز عن الانتصاف ، وفي الذل والانتقاد كرها .

الدَّرَجَةُ : ما نسيه اليوم درجاً وسلاً

بمعجلة : قال النووي : وقع في بعض النسخ : بمعجلها . وفي بعضها : بمعجلتها . وفي بعضها : بمعجلة . وكله صحيح والأخيرة أجود . قال ابن قتيبة وغيره : هي درجة من النخل . كما قال في الرواية السابقة : جذع .

من آدم : هو جلد مدبوغ . جمع آدم .

مضبوراً : وقع في بعض الأصول : مضبوراً ، بالضاد المعجمة . وفي بعضها بالمهملة . وكلاهما صحيح ، أي مجموعاً . أهيا معلقة : بفتح الهمزة والماء ، وبضها . لغتان مشهورتان . جمع إهاب . وهو الجلد قبل الدباغ ، على قول الأكثرين . وقيل : الجلد مطلقاً .

استفسار ما يخشى من تغييره عند ذكره . وترقب خلوات العالم ليسأل عما لعله لو سئل عنه بحضرة الناس أنكره على السائل وفيه أن شدة الوطأة على النساء مذموم ، لأن النبي ﷺ أخذ بسيرة الأنصار في نسائهم وترك سيرة قومه . وفيه تأديب الرجل ابنته وقربته بالقول لأجل إصلاحها لزوجها . وفيه سياق القصة على وجهها وإن لم يسأل عن ذلك ، إذا كان في ذلك مصلحة من زيادة شرح وبيان ، لاسيما إذا كان العالم يعلم أن الطالب يؤثر ذلك ، وفيها البحث في العلم في الطرق والخلوات وفي حال القعود والمشى ، وفيه ذكر العالم ما يقع من نفسه وأهله بما يترتب عليه فائدة دينية وإن كان في ذلك حكاية ما يستهجن ، وجواز ذكر العمل الصالح لسياق الحديث على وجهه ، وبيان ذكر وقت التحمل وفيه الصبر على الزوجات والإغضاء عن خطايهن والصفح عما يقع منهن من ذلك في حق المرء دون ما يكون من حق الله تعالى . وفيه جواز اتخاذ الحاكم عند الخلوة بواباً يمنع من يدخل إليه بغير إذنه . وفيه أن للإمام أن يحتجب عن بطانته وخاصة عند الأمر يطوقه من جهة أهله حتى يذهب غيظه ويخرج إلى الناس وهو منبسط إليهم ، فإن الكبير إذا احتجب لم يحسن الدخول إليه بغير إذن ولو كان الذي يريد أن يدخل جليل القدر ، عظيم المنزلة عنده وفيه أن المرء إذا رأى صاحبه مهموماً استحب له أن يحدثه بما يزيل همّه ويطيب نفسه ، لقول عمر : لأقولن شيئاً يضحك النبي ﷺ ويستحب أن يكون ذلك بعد استئذان الكبير في ذلك . كما فعل عمر ، وفيه التجميل بالشوب والعمامة عند لقاء الأكابر ، وفيه التناوب في مجلس العالم إذا لم تيسر المواظبة على حضوره لشاغل شرعي من أمر ديني أو دنيوي ، وفيه أن الأخبار التي تشاع ولو كثر ناقلوها إن لم يكن مرجعها إلى أمر حسي من مشاهدة أو سماع لا تستلزم الصدق ، فإن جزم الأنصاري في روايته بوقوع التطليق ، وكذا جزم الناس الذين رأهم عند المنبر بذلك ، محمول على أنهم شاع بينهم ذلك من شخص بناء على التوهم الذي توهمه من اعتزال النبي ﷺ فظن لكونه لم تجر عاداته بذلك أنه طلقهن فأشاع أنه طلقهن ، فشاع ذلك فتحدث الناس به ، وفيه أن الغضب والحزن يحمل الرجل الوقور على ترك التأني المألوف منه ، لقول عمر : ثم غلبني ما أجد ثلاث مرات ، وفيه كراهة سخط النعمة واحتقار ما أنعم الله به ولو قليلاً ، والاستغفار من وقوع ذلك ، وطلب الاستغفار من أهل الفضل ، وإيثار القناعة ، وعدم الالتفات إلى ما خص به الغير من أمور الدنيا

١١٨١ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ الْعَسَلَ وَالْحُلُوءَ ، وَكَانَ إِذَا انْصَرَفَ مِنَ الْعَصْرِ دَخَلَ عَلَى نِسَائِهِ فَيَدْنُو مِنْ إِحْدَاهُنَّ ، فَيَدْخُلُ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ ، فَاحْتَبَسَ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَحْتَبِسُ ، فَعِزَّتْ فَسَأَلَتْ عَنْ ذَلِكَ ؟ فَقِيلَ لِي : أَهْدَتْ لَهَا أَمْرَأَةً مِنْ قَوْمِهَا عَكَّةً مِنْ عَسَلٍ فَسَقَتِ النَّبِيَّ ﷺ مِنْهُ شَرْبَةً ، فَقُلْتُ : أَمَا وَاللَّهِ لَنَحْتَالَنَّ لَهُ ، فَقُلْتُ لِسُودَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ : إِنَّهُ سَيَدْنُو مِنْكَ ، فَإِذَا دَنَا مِنْكَ فَقُولِي لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكَلْتَ مَغَافِيرَ ؟ فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكَ : لَا ، فَقُولِي لَهُ : مَا هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي أَجِدُ ؟ - زَادَ فِي رِوَايَةٍ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ أَنْ يُوجَدَ مِنْهُ الرِّيحُ - فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكَ : سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةً عَسَلٍ ، فَقُولِي لَهُ : جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعَرْفُطَ ، وَسَأَقُولُ ذَلِكَ ، وَقُولِي أَنْتِ يَا صَفِيَّةُ مِثْلَ ذَلِكَ ، قَالَتْ : تَقُولُ سُودَةُ : قَوْلَ اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَامَ عَلَى الْبَابِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَبَادِيَهُ بِمَا أَمَرْتَنِي فَرَقًا مِنْكَ ، دَنَا مِنْهَا قَالَتْ لَهُ سُودَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ ؟ قَالَ : « لَا » قَالَتْ : فَمَا هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي أَجِدُ مِنْكَ ؟ قَالَ : « سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةً عَسَلٍ » فَقَالَتْ : جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعَرْفُطَ ، فَلَمَّا دَارَ إِلَيَّ ، قُلْتُ لَهُ نَحْوَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا دَارَ إِلَيَّ صَفِيَّةُ ، قَالَتْ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا دَارَ إِلَيَّ حَفْصَةُ ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا أَسْقِيكَ مِنْهُ ؟ قَالَ : « لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ » قَالَتْ : تَقُولُ سُودَةُ : وَاللَّهِ لَقَدْ حَرَمْنَاهُ ، قُلْتُ لَهَا : اسْكُتِي .

وفي رواية (١) قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ، فَيَشْرَبُ عَنْدهَا عَسَلًا ، قَالَتْ : فَتَوَاطَأْتُ أَنَا وَحَفْصَةَ ، أَنْ أُيْتِنَا مَا دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ،

١١٨١ - البخاري (٩ / ٣٧٤) ٦٨ - كتاب الطلاق - ٨ - باب لم تحرم ما أحل الله لك .

ومسلم (٢ / ١١٠١) ١٨ - كتاب الطلاق - ٣ - باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق .

عَكَّة : العكَّة . الطرف الذي يكون فيه العسل .

مغافير : المغافير بالفاء والياء : شيء ينضج العرفط ، خلو كالناطف وله ريح كريهة .

جرست العرفط : جرست النحل العرفط : إذا أكلته ، ومنه قيل للنحل : جواريس ، والعرفط : جمع عرفطة ،

وهو شجر من الغضاه زهرته مدرجة ، والمغاض : كل شجر يغطى وله شوك كالطلح والسمر والسلم ونحو ذلك .

فرقا : الفرق : الفرغ والخوف .

(١) البخاري في نفس الموضع السابق .

فَلْتَقُلْ لَهُ : إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ ، أَكَلْتِ مَغَافِيرَ ؟ فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهَا ، فَقَالَتْ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ : بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ ، وَلَنْ أَعُودَ لَهُ ، فَتَنَزَّلَ ۞ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۞ ^(١) ۞ إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ ۞ ^(٢) : لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ ۞ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا ۞ ^(٣) لِقَوْلِهِ : بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا وَلَنْ أَعُودَ لَهُ ، وَقَدْ خَلَفْتُ ، فَلَا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا .

قال محقق الجامع : وهذه الرواية من طريق عبيد بن عمير عن عائشة ، في « الصحيحين » أيضاً من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، وفيه أن شرب العسل كان عند حفصة بنت عمر ، قال الحافظ : وأخرج ابن مردويه من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس أن شرب العسل كان عند سودة ، وأن عائشة وحفصة هما اللتان تواطأتا على وفق ما في رواية عبيد بن عمير ، وإن اختلفا في صاحبة العسل وطريق الجمع بين هذا الاختلاف الحمل على التعدد ، فلا يمنع تعدد السبب للأمر الواحد ، فإن جنح إلى الترجيح ، فرواية عبيد بن عمير أثبت لموافقة ابن عباس لها ، على أن المتظاهرتين حفصة وعائشة على ما تقدم في التفسير ، وفي الطلاق من جزم عمر بذلك ، فلو كانت حفصة صاحبة العسل لم تقرن في التظاهر بعائشة ، لكن يمكن تعدد القصة في شرب العسل وتحريمه ، واختصاص النزول بالقصة التي فيها أن عائشة وحفصة هما المتظاهرتان ، ويمكن أن تكون القصة التي وقع فيها شرب العسل عند حفصة كانت سابقة ، ويؤيد هذا الحمل أنه لم يقع في طريق هشام بن عروة التي فيها : أن شرب العسل كان عند حفصة تعرض للآية ، ولا يذكر سبب النزول والراجح أيضاً أن صاحبة العسل زينب لا سودة ، لأن طريق عبيد بن عمير أثبت من طريق ابن أبي مليكة بكثير ، ولا جائز أن تتحد بطريق هشام بن عروة ، لأن فيها أن سودة كانت ممن وافق عائشة على قولها : أجد ريح مغافير ، ويرجح أيضاً ما ثبت عن عائشة أن نساء النبي كن حزبين ، أنا وسودة وحفصة وصفية في حزب ، وزينب بنت جحش وأم سلمة والباقيات في حزب ، فهذا يرجح أن زينب هي صاحبة العسل ، ولهذا

(١) التحريم : ١ .

(٢) التحريم : ٤ .

(٣) التحريم : ٣ .

غارت منها لكونها من غير حزبها والله أعلم . اهـ .

قال صاحب عون المعبود : لَمْ تُحَرِّمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ : من شرب العسل أو مارية القبطية . قال ابن كثير والصحيح أنه كان في تحريم العسل . وقال الخطابي : الأكثر على أن الآية نزلت في تحريم مارية حين حرّمها على نفسه ، ورجّحه في فتح الباري بأحاديث عند سعيد بن منصور والضياء في المختارة والطبراني في عشرة النساء وابن مردويه والنسائي ولفظه عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تنزل به حفصة وعائشة رضي الله عنها حتّى حرّمها فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لَمْ يُحَرِّمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ قال القسطلاني : ولكن قال الخطابي في معالم السنن : في الحديث دليل على أن يمين النبي ﷺ إنما وقعت في تحريم العسل لا في تحريم أم ولده مارية القبطية كما زعمه بعض الناس . قال الحازن : قال العلماء : إنها في قصّة العسل لا في قصّة مارية القبطية المروية في غير الصحيحين ولم تأت قصّة مارية من طريق صحيح اهـ عون المعبود .

أقول : يلاحظ أن الخطابي قد رجح أن التحريم كان بسبب حادثة العسل ولا مانع أن تكون الآيات قد نزلت مرتين بسبب هاتين الحادثتين والمرة الثانية كانت مذكورة بأن النص نفسه ينطبق على الحادثة الجديدة .

قال في الفتح :

قوله (وكان إذا انصرف من العصر) كذا للأكثر ، خالفهم حماد بن سلمة عن هشام بن عروة فقال « الفجر » أخرجه عبد بن حميد في تفسيره عن أبي النعمان عن حماد ، ويساعده رواية يزيد بن رومان عن ابن عباس ففيها « وكان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح جلس في مصلاه وجلس الناس حوله حتى تطلع الشمس ، ثم يدخل على نسائه امرأة امرأة يسلم عليهن ويدعو لهن ، فإذا كان يوم إحداهن كان عندها » الحديث أخرجه ابن مردويه ، ويمكن الجمع بأن الذي كان يقع في أول النهار سلاماً ودعاء محضاً ، والذي في آخره معه جلوس واستئناس ومحادثة ، لكن المحفوظ في حديث عائشة ذكر العصر ورواية حماد بن سلمة شاذة . قوله (دخل على نسائه) في رواية أبي أسامة أجاز إلى نسائه أي مشى ،

ويجيء بمعنى قطع المسافة ، ومنه فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ، أي أول من يقطع مسافة الصراط . قوله (فيدنو منهن) أي فيقبل ويباشر من غير جماع كما في الرواية الأخرى . قوله (فاحتبس) أي أقام ، زاد أبو أسامة « عندها » . قوله (فسألتُ عن ذلك) ووقع في حديث ابن عباس بيان ذلك ولفظه « فأنكرت عائشة احتباسه عند حفصة فقالت : لجويرية حبشية عندها يقال لها خضراء : إذا دخل على حفصة فادخلي عليها فانظري ما يصنع » . قوله (فقلت لسودة بنت زمعة إنه سيدنو منك) في رواية أبي أسامة « فذكرت ذلك لسودة وقلت لها : إنه إذا دخل عليك سيدنو منك » وفي رواية حماد بن سامة « إذا دخل على إحداكن فلتأخذ بأنفها ، فإذا قال : ماشأنك ؟ فقولي : ريح المغافير » قوله (والله لقد حرمناه) بتخفيف الراء أي منعناه . قوله (قلت لها اسكتي) كأنها خشيت أن يفشو ذلك فيظهر من كيدها الحفصة . وفي الحديث من الفوائد ما جبل النساء عليه من الغيرة ، وأن الغيرة تعذر فيما يقع منها من الاحتيال فيما يدفع عنها ترفعُ ضررتها عليها بأي وجه كان ، وترجم عليه المصنف في كتاب ترك الحيل « ما يكره من احتيال المرأة من الزوج والضرائر » وفيه الأخذ بالحزم من الأمور وترك ما يشتبه الأمر فيه من المباح خشية من الوقوع في المحذور . وفيه ما يشهد بعلو مرتبة عائشة عند النبي ﷺ حتى كانت ضررتها تهاها وتطيعها في كل شيء تأمرها به حتى في مثل هذا الأمر مع الزوج الذي هو أرفع الناس قدراً . وفيه إشارة إلى ورع سودة لما ظهر منها من التندم على ما فعلت لأنها وافقت أولاً على دفع ترفع حفصة عليهن بمزيد الجلوس عندها بسبب العسل ، ورأت أن التوصل إلى بلوغ المراد من ذلك لحسم مادة شرب العسل الذي هو سبب الإقامة . لكن أنكرت بعد ذلك أنه يترتب عليه منع النبي ﷺ من أمر كان يشتهييه وهو شرب العسل مع ما تقدم من اعتراف عائشة الأمرة بذلك في صدر الحديث ، فأخذت سودة تتعجب مما وقع منهن في ذلك ، ولم تجسر على التصريح بالإنكار ، ولا راجعت عائشة بعد ذلك لما قالت لها « اسكتي » بل أطاعتها وسكتت لما تقدم من اعتذارها في أنها كانت تهاها وإنما كانت تهاها لما تعلم من مزيد حب النبي ﷺ لها أكثر منهن ، فخشيت إذا خالفتها أن تغضبها ، وإذا أغضبتها لا تأمن أن تغير عليها خاطر النبي ﷺ ولا تحتل ذلك ، فهذا معنى خوفها منها . وفيه أن عماد القسم الليل ، وأن النهار يجوز الاجتماع فيه بالجميع لكن بشرط أن لا تقع

الجماعة إلا مع التي هو في نوبتها كما تقدم تقريره . وفيه استعمال الكنايات فيما يستحيا من ذكره لقوله في الحديث « فيدنو منهم » والمراد فيقبل ونحو ذلك ، ويحقق ذلك قول عائشة لسودة « إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك ، فقولي له إني أجد كذا » وهذا إنما يتحقق بقرب النهم من الأنف ، ولا سيما إذا لم تكن الرائحة طافحة ، بل المقام يقتضي أن الرائحة لم تكن طافحة لأنها لو كانت بحيث يدركها النبي ﷺ ولأنكر عليها عدم وجودها منه ، فلما أقر على ذلك دل على ما قررناه أنها لو قدر وجودها لكانت خفية وإذا كانت خفية لم تدرك بمجرد المجالسة والحادثة من غير قرب النهم من الأنف ، والله أعلم . اهـ ابن حجر .

١١٨٢ - * روى ابن ماجه عن عائشة قالت : أقسم رسول الله ﷺ أن لا يدخل علي نسائي شهراً فمكثت تسعة وعشرين يوماً ، حتى إذا كان مساء ثلاثين دخل علي ، فقلت : إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً فقال : « الشهر كذا » ، يرسل أصابعه فيه ثلاث مرار والشهر كذا ، وأرسل أصابعه كلها وأمسك أصبعاً واحداً في الثالثة .

١١٨٣ - * روى النسائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها ، فلم تزل به عائشة وحفصة ، حتى حرّمها على نفسه ، فأنزل الله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ... ﴾ (١) .

قال محقق الجامع : ذكر ابن كثير في تفسيره عن عمر قال : قال النبي ﷺ لحفصة : « لا تخبري أحداً ، وإن أم إبراهيم علي حرام » فقالت : أتحرم ما أحل الله لك ؟ قال : فوالله لا أقربها » قال : فلم يقربها حتى أخبرت عائشة ، قال : فأنزل الله تعالى ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ (٢) وهذا إسناد صحيح ، ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة ، وقد اختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه « المستخرج » . اهـ .

١١٨٢ - ابن ماجه (١ / ٦٦٤) ١٠ - كتاب الطلاق - ٢٤ - باب الإيلاء .

قال في الزوائد : إسناده حسن لأن عبد الرحمن بن أبي الرجال مختلف فيه . قال في التبريد : صدوق ربما أخطأ .

١١٨٣ - النسائي (٧ / ٧١) كتاب عشرة النساء ، باب الغيرة .

يطؤها : يجامعها .

(١) التحريم : ١ .

(٢) التحريم : ٢ .

١١٨٤ - * روى أبو يعلى عن أم سلمة قالت : إن النبي ﷺ كان يدخل على أزواجه كل غداة فيسلم عليهن ، فكانت منهن امرأة عندها غسل ، فكان إذا دخل عندها أحضرت له منه شيئاً فيمكث عندها ، وإن عائشة وحفصة وجدتا من ذلك . فلما دخل عليها قالتا : يا رسول الله إنا نجد منك ريح مغافير . فترك ذلك العسل .

١١٨٥ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة قالت : خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه فلم يعددنا عليها شيئاً .

أقول : إن حادثة التخيير من أعلام نبوته ﷺ بل هي أعظم رد على أعدائه ، فالرسول عليه الصلاة والسلام مهمته الارتقاء بالنفس البشرية ابتداءً من أهل بيته إلى أن يعم الخير كل الناس ، ومن أعظم أنواع الارتقاء أن يتمحض الإنسان للآخرة فتكون تطلعاته وأعماله أخروية فلما أراد أزواجه أن ينزلن عن هذا الأفق الرفيع كان المهجران ثم التخيير بين البقاء والطلاق ، وأن تختير الجميع بمن في ذلك عائشة وحفصة فذلك يدل على أن الأمر رباني أولاً وأخيراً ، وإلا فمن يقف هذا الموقف لولا الثقة المطلقة بالله ولولا أنه منفذ لأمر الله .

قد يقال إن التوسع في المباح جائز ، وإنما طلبت أمراً جائزاً ، فنجيب أن من الكمال لمن يلي أمور الناس أن يعيش كأدنامهم في الرزق حتى لا ينسأهم في ضولة السلطان ، وكذلك فعل الخلفاء الراشدون لما ولّوا الخلافة ، وكذلك فعل الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ، ولكن ليس ذلك من الواجبات ، وكثيراً ما يفسد أمور الناس أنهم يطالبون أمراءهم بالاخشيان متناسين الزمان والمكان والاستعداد ، في كثير من الأحيان يكون توسع الأمراء جائزاً فهذا الذي لا نرى فيه حرجاً ولكن الكمال هو الأول .

١١٨٤ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أبو يعلى وفيه موسى بن يعقوب الزمعي ، وثقه ابن معين وغيره ، وضعفه ابن المديني ، وبقي رجاله ثقات .

١١٨٥ - البخاري (٩ / ٣٦٧) ٦٨ - كتاب الطلاق ٥ - باب من خير أزواجه .

مسلم (٢ / ١١٠٤) ١٨ - كتاب الطلاق ٤ - باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية .
فلم يعددنا عليها شيئاً : فلم يعتبره طلاقاً

وأما حادثة الجمل فستعرض لها أثناء الكلام عن الإمام علي رضي عنه وهذه بعض روايات في شأنها مما له صلة بعائشة رضي الله عنها :

١١٨٦ - * روى أحمد والبخاري عن قيس بن أبي حازم : أن عائشة لما نزلت على الحوآب سمعت نباح الكلاب فقالت : ما أظنني إلا راجعة سمعت رسول الله ﷺ يقول لنا : « أَيْتَكُنَّ يَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوَّابِ » فقال لها الزبير : ترجعين عني الله أن يصلح بك بين الناس .

وفي رواية لأحمد ^(١) قال : لما أقبلت عائشة ، فلما بلغت مائة بني عامر ليلا ، نبح الكلاب فقالت : أي ماء هذا ؟ قالوا : ماء الحوآب . قالت : ما أظنني إلا راجعة . قال بعض من كان معها : بل تقدمين فيراك المسلمون ، فيصلح الله ذات بينهم ، قالت : إن رسول الله ﷺ قال ذات يوم : « كيف يا حذاقن تنبح عليها كلاب الحوآب » .

١١٨٧ - * روى البخاري عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : لنسائه : « لَيْتَ شِعْرِي أَتَيْتَكُنَّ صَاحِبَةَ الْجَمَلِ الْأَدْبَبِ ، تَخْرُجُ فَيَنْبَحُهَا كِلَابُ حَوَّابٍ يُقْتَلُ عَنْ يَمِينِهَا وَغَنُ يَسَارِهَا قَتْلَى كَثِيرٌ ثُمَّ تَنْجُو بَعْدَ مَا كَادَتْ » .

١١٨٦ - أحمد في مسنده (٩٧ / ٦) وابن حبان : موارد الظمان (١٨٣١) .

البخاري : كشف الأستار (٩٤ / ٤) ، والحاكم (١٢٠ / ٣) وصححه ووافقه الذهبي .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٣٤ / ٧) ، وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري ورجال أحمد رجال الصحيح .
وأورده الحافظ في الفتح (٤٥ / ١٣) وقال : أخرج هذا أحمد وأبو يعلى والبخاري ، وصححه ابن حبان والحاكم وسنده على شرط الصحيح ، وقال الحافظ ابن كثير في البداية (٢١٢ / ٦) بعد أن ذكره من طريق الإمام أحمد : وهذا إسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجه .

والحوآب : من مياه العرب على طريق البصرة ، قاله أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكندراني فيما نقله عنه ياقوت في معجم البلدان ، وقال أبو عبيد البكري في معجم ما استمعتم : ماء قريب من البصرة على طريق مكة إليها سمي بالحوآب بنت كلب بن وبرة القضاعية .

(١) أحمد في مسنده (٥٢ / ٦) .

١١٨٧ - البخاري : كشف الأستار (٩٤ / ٤) .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٣٤ / ٧) وقال : رواه البخاري ، ورجاله ثقات .
الجمل الأدب : الأدب وهو الكثير وبر الوجه .

١١٨٨ - * روى البخاري أن عمار بن ياسر قال على المنبر : (إني أعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة) يعني عائشة رضي الله عنها . قال ذلك قبيلَ موقعة الجملِ بعد خروج عائشة على عليّ رضي الله عنه .

أقول : إنّ هذه النصوص التي ذكرناها التي تذكر أنّ عماراً تقتله الفئة الباغية والنصوص الواردة في ذمّ الخوارج كلّ ذلك يدلّ على أنّ الحقّ والصواب كان بجانب علي رضي الله عنه وإنّا يشفع للمواقف الأخرى النيّات والاجتهاد ، وذلك ينفع من صحّت نيّته وتحقّق إخلاصه وعائشة رضي الله عنها كانت من هؤلاء يقيناً ، ولعلّ كلام عمار في ذلك وهو من أشدّ الناس على الخارجين على علي رضي الله عنه يدلّ على أنّ هناك إجماعاً على ذلك .

* * *

٤ - حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء :

السُّرُّ الرُّفِيعُ ، بنتُ أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب . تزوّجها النبي ﷺ بعد انقضاء عدتها من خنيس بن حذافة السهمي ، أحد المهاجرين ، في سنة ثلاث من الهجرة .

قالت عائشة : هي التي كانت تُساميني من أزواج النبي ﷺ .

وروي أنَّ مولدها كان قبل المبعث بخمس سنين . فعلى هذا يكون دخول النبي ﷺ بها ولها نحو من عشرين سنة .

رَوَتْ عنه عدة أحاديث . روى عنها : أخوها ابنُ عمر ، وهي أَسْنُ منه بستِ سنين ؛ وحارثةُ بنُ وهب ، وشثيرُ بنُ شكل ، والمطلبُ بنُ أبي ذاعة ، وعبدُ الله بنُ صفوان الجحَفي ، وطائفة . توفيت حفصة سنة إحدى وأربعين عام الجماعة .

ومسندُها في كتاب بقي بن مخلد ستون حديثاً . اتفق لها الشيخان على أربعة أحاديث . وانفرد مسلم بستة أحاديث .

ويُروى عن عمر : أن حفصة ولدت إذ قریشُ تبني البيت وقيل : بنى بها رسولُ الله ﷺ في شعبان سنة ثلاث . اهـ .

١١٨٩ - * روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : إنَّ عمر حين تأيَّمت حفصة من خنيس بن حذافة السهمي - وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قد شهد بدرًا ، تُوفي بالمدينة - قال عمر : فلقيت عثمان بن عفان فعرضتُ عليه حفصة ، فقلت : إنَّ شئتَ أنكحُتك حفصة ابنةَ عمر ، فقال : سأنظر في أمري ، فلبثتُ ليالي ، ثم لقيتني ، فقال : قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا ، قال عمر : فلقيت أبا بكر الصديق ، فقلت : إنَّ شئتَ أنكحُتك حفصة ابنةَ عمر ، فصمتَ أبو بكرٍ ، فلم يرجعْ إليَّ شيئاً ، فكنتُ أوجد

١١٨٩ - البخاري (٩ / ١٧٥) ٦٧ - كتاب النكاح - ٢٣ - باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير .

تأيَّمت المرأة : مات زوجها أو فارقها ، وقيل : الأيم التي لا زوج لها تزوجت أو لم تزوج ، والرجل أيضاً : أيم .

عَلَيْهِ مِنِّي عَلَى عَثْمَانَ ، فَلَبِثْتُ لِيَالِي ، ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأَنكَحَتْهَا إِيسَاهُ ، فَلَقَيْتَنِي أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلِيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلِيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئاً ، قَالَ : فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلِيَّ إِلَّا أَنَّنِي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا ، فَلَمْ أَكُنْ لَأَقْشِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَوْ تَزَكَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَقَبِلْتُهَا .

قال في الفتح : قوله (باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير) أورد عرض البنت في الحديث الأول ، وعرض الأخت في الحديث الثاني . قوله (حين تأميت) بهمة مفتوحة وتحتانية ثقيلة أي صارت أيما ، وهي التي يموت عنها زوجها أو تبين منه وتنقضي عدتها ، وأكثر ما تطلق على من مات زوجها . وقال ابن بطال : العرب تطلق على كل امرأة لا زوج لها وكل رجل لا امرأة له أيما ، زاد في « المشرق » وإن كان بكرا . قوله (من خنيس) بقاء معجمة ونون وسين مهملة مصغر . قوله (ابن حذافة) وهو أخو عبد الله بن حذافة الذي تقدم ذكره في المغازي . ومن الرواة من فتح أول خنيس وكسر ثانيه ، والأول هو المشهور بالتصغير ، وعند معمر كالأول ولكن بقاء مهملة وموحدة وشين معجمة . وقوله (وكان من أصحاب النبي ﷺ) زاد في رواية معمر كما سيأتي بعد أبواب « من أهل بدر » . قوله (فتوفي بالمدينة) قالوا مات بعد غزوة أحد من جراحة أصابته بها ، وقيل بل بعد بدر ولعله أولى ، فإنهم قالوا إن النبي ﷺ تزوجها بعد خمسة وعشرين شهراً من الهجرة ، وفي رواية بعد ثلاثين شهراً ، وفي رواية بعد عشرين شهراً ، وكانت أحد بعد الهجرة بأكثر من ثلاثين شهراً ، ولكنه يصح على قول من قال بعد ثلاثين على إلغاء الكسر ، وجزم ابن سعد بأنه مات عقب قدوم النبي ﷺ من بدر الأخرى وبه جزم ابن سيد الناس ، وهو قول ابن عبد البر أنه شهد أحداً ومات من جراحة بها ، وكانت حفصة أسن من أخيها عبد الله فإنها ولدت قبل البعثة بخمس سنين وعبد الله ولد بعد البعثة بثلاث أو أربع . قوله (أتيت عثمان فعرضت عليه حفصة ؟ فقال : سأنظر في أمري ، إلى أن قال قد بدا لي أن لا أتزوج) هذا هو الصحيح ، ووقع في رواية ربعي بن حراش عن عثمان عند الطبري وصححه هو والحاكم « أن عثمان خطب إلى عمر بنته فرده ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فلما راح إليه عمر قال : يا عمر ألا أدلك على ختن خير من عثمان ، وأدل عثمان

على ختن خير منك ؟ قال : نعم يا نبي الله قال : تزوجني بنتك وأزوج عثمان بنتي « قال الحافظ الضياء : إسناده لا بأس به ، لكن في الصحيح أن عمر عرض على عثمان حفصة فرد عليه « قد بدا لي أن لا أتزوج » . قلت : أخرج ابن سعد من مرسل الحسن نحو حديث ربي ، ومن مرسل سعيد بن المسيب أتم منه ، وزاد في آخره « فخير الله لها جميعاً » . ويحتمل في الجمع بينهما أن يكون عثمان خطب أولاً إلى عمر فرده كما في رواية ربي ، وسبب رده يحتمل أن يكون من جهتها وهي أنها لم ترغب في التزوج عن قرب من وفاة زوجها ، ويحتمل غير ذلك من الأسباب التي لا غضاضة فيها على عثمان في رد عمر له ، ثم لما ارتفع السبب بادر عمر فعرضها على عثمان رعاية لحاطره كما في حديث الباب ، ولعل عثمان بلغه ما بلغ أبا بكر من ذكر النبي ﷺ لها فصنع كما صنع من ترك إفشاء ذلك ، ورد على عمر بجميل . ووقع في رواية ابن سعد « فقال عثمان : مالي في النساء من حاجة » وذكر ابن سعد عن الواقدي بسند له « أن عمر عرض حفصة على عثمان حين توفيت رقية بنت رسول الله ﷺ وعثمان يومئذ يريد أم كلثوم بنت النبي ﷺ . قلت : وهذا مما يؤيد أن موت خنيس كان بعد بدر فإن رقية ماتت ليالي بدر وتخلف عثمان عن بدر لتمريرها . وقد أخرج إسحاق في مسنده وابن سعد من مرسل سعيد بن المسيب قال « تأييت حفصة من زوجها وتأيم عثمان من رقية ، فمر عمر بعثمان وهو حزين فقال : هل لك في حفصة ؟ فقد انقضت عدتها من فلان » واستشكل أيضاً بأنه لو كان مات بعد أحد للزم أن لا تنقضي عدتها إلا في سنة أربع ، وأجيب باحتمال أن تكون وضعت عقب وفاته ولو سقطاً فحلت . قوله (وكنت أوجد عليه) أي أشد موجدة أي غضباً على أبي بكر من غضبي على عثمان ، وذلك لأمرين : أحدهما ما كان بينهما من أكيد المودة ، ولأن النبي ﷺ كان أخى بينهما ، وأما عثمان فلعله كان تقدم من عمر رده فلم يعتب عليه حيث لم يجبه لما سبق منه في حقه ، والثاني لكون عثمان أجابه أولاً ثم اعتذر له ثانياً ، ولكون أبي بكر لم يعد عليه جواباً . ووقع في رواية ابن سعد « فغضب على أبي بكر وقال فيها : كنت أشد غضباً حين سكت مني على عثمان » . وقوله (ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها) وفيه فضل كتمان السر فإذا أظهره صاحبه ارتفع الحرج عن سمعه . وفيه عتاب الرجل لأخيه وعته عليه واعتذاره إليه وقد جبلت الطبائع البشرية على ذلك ، ويحتمل أن يكون سبب كتمان أبي بكر ذلك أنه

خشي أن يبدو لرسول الله ﷺ أن لا يتزوجها فيقع في قلب عمر انكسار ، ولعل اطلاع أبي بكر على أن النبي قصد خطبة حفصة كان باخباره له ﷺ إما على سبيل الاستشارة وإما لأنه كان لا يكتف عن شئ مما يريد حتى ولا ما في العادة عليه غضاضة وهو كون ابنته عائشة عنده ، ولم يمنعه ذلك من إطلاعه على ما يريد لوثوقه بإيثاره إياه على نفسه ، ولهذا اطلع أبو بكر على ذلك قبل اطلاع عمر الذي يقع الكلام معه في الخطبة . ويؤخذ منه أن الصغير لا ينبغي له أن يخطب امرأة أراد الكبير أن يتزوجها ولو لم تقع الخطبة فضلا عن الركون . وفيه الرخصة في تزويج من عرض النبي ﷺ بخطبتها أو أراد أن يتزوجها لقول الصديق : لو تركها لقبلتها . وفيه عرض الإنسان بنته وغيرها من موليته على من يعتقد خيره وصلاحه لما فيه من النفع العائد على المعروضة عليه ، وأنه لا استحياء في ذلك . وفيه أنه لا بأس بعرضها عليه ولو كان متزوجاً لأن أبا بكر كان حينئذ متزوجاً . وفيه أن من حلف لا يفشي سر فلان فأفشى فلان سر نفسه ثم تحدث به الحالف لا يحنث لأن صاحب السر هو الذي أفشاه فلم يكن الإفشاء من قبل الحالف ، وهذا بخلاف ما لو حدث واحد آخر بشيء واستحلفه ليكتبه فلقية رجل فذكر له أن صاحب الحديث حدثه بمثل ما حدثه به فأظهر التعجب وقال ما ظننت أنه حدث بذلك غري فإن هذا يحنث ، لأن تحليفه وقع على أن يكتف عنه حدثه وقد أفشاه . وفيه أن الأب يخطب إليه بنته الثيب كما يخطب إليه البكر ولا تخطب إلى نفسها كذا قال ابن بطال ، وقوله لا تخطب إلى نفسها ليس في الخبر ما يدل عليه . قال وفيه أنه يزوج بنته الثيب من غير أن يستأمرها إذا علم أنها لا تكره ذلك وكان الخاطب كفواً لها ، وليس في الحديث تصريح بالنفي المذكور إلا أنه يؤخذ من غيره ، وقد ترجم له النسائي « إنكاح الرجل بنته الكبيرة » فإن أراد بالرضا لم يخالف القواعد ، وإن أراد بالإجبار فقد يمنع ، والله أعلم ، اهـ .

١١٩٠ - * روى أبو داود والنسائي عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَلَّقَ حَفْصَةَ ، ثُمَّ أَرْجَعَهَا .

١١٩٠ - أبو داود (٢ / ٢٨٥) كتاب الطلاق ، باب في المراجعة .
والنسائي (٦ / ٢١٣) كتاب الطلاق ، باب الرجعة .
وإسناده صحيح .

قال صاحب عون المعبود : قال الشيخ الدهلوي في المدارج : أن النبي ﷺ طلق حفصة طليقة واحدة فلما بلغ هذا الخبر عمر رضي الله عنه فاهتم له فأوحى إلى النبي ﷺ : راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وهي زوجتك في الجنة . كذا في إنجاح الحاجة . قال المنذري : وأخرجه النسائي وابن ماجه .

١١٩١ - * روى الطبراني عن ابن عمر قال : دخل عمر على حفصة ، وهي تبكي ، فقال : ما يبكيك لعل رسول الله ﷺ طلقك ، إن النبي ﷺ طلقك وراجعك من أجلي ، والله لئن كان طلقك لا كلمتك كلمة أبداً .

١١٩٢ - * روى الطبراني والحاكم عن قيس بن يزيد أن رسول الله ﷺ طلق حفصة تطليقة ، فأتاها خالاهما عثمان وقدامة ابنا مظعون فقالت : والله ما طلقني عن شيع ، فجاء النبي ﷺ فدخل فتجلبتت فقال النبي ﷺ : « أتاني جبريل عليه السلام فقال : راجع حفصة فإنها صوامة قوامة ، وإنها زوجتك في الجنة » .

١١٩٣ - * روى الطبراني عن مالك بن أنس قال : توفيت حفصة عام فتحت إفريقية ، وماتت ومروان على المدينة .

١١٩١ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٤ / ٩) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

١١٩٢ - المستدرک (١٥ / ٤) وسكت عليه هو والذهبي .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٤ / ٩) ، وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

تجلبتت : لبست جلبابها . المرأة إذا طلقت طليقة رجعية لا يجب عليها أن تستتر عن زوجها بل من الأدب أن تتزين له لكن حفصة لم تفعل ذلك تحقيقاً لأمر شرعي ، وإنما لنواح نفسية لحظتها والله أعلم .

١١٩٣ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٥ / ٩) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

٥ - زينب بنت خزيمة أم المؤمنين رضي الله عنها

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء :

بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله الهلالية ، وتدعى أيضاً : أم المساكين ، لكثرة معروفها أيضاً .

قُتِلَ زوجها عبد الله بن جحش يوم أُحُد ، فتزوجها رسول الله ﷺ ؛ ولكن لم تمكثُ عنده إلا شهرين ، أو أكثر ، وتوفيت رضي الله عنها .

وهي أخت أم المؤمنين ميمونة لأمها . اهـ .

أقول : ليس في أصول هذا الكتاب كلام عنها سوى بعض روايات عند الحاكم لا تخرج عما ذكره الذهبي .

* * *

٦ - أمّ سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها

يقول الذهبي في سير أعلام النبلاء :

السيدة المتحجبة الطاهرة ، هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ابن يقظة بن مرة ، المخزومية ، بنت عم خالد بن الوليد ، سيف الله ، وبنت عم أبي جهل ابن هشام .

من المهاجرات الأول . كانت قبل النبي ﷺ عند أخيه من الرضاعة : أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، الرجل الصالح .

دخل بها النبي ﷺ في سنة أربع من الهجرة . وكانت من أجل النساء وأشرفهن نسباً . وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين . عُمِّرتُ حتى بلغها مقتل الحسين ، الشهيد ، فَوَجَمَتْ لذلك ، وَغَشِيَّ عليها ، وَحَزَنْتُ عليه كثيراً . لم تلبث بعده إلا يسيراً ، وانتقلت إلى الله .

ولها أولاد صحابيون : عمر ، وسلمة ، وزينب . ولها جملة أحاديث .

روى عنها : سعيد بن المسيّب ، وشقيق بن سلمة ، والأسود بن يزيد ، والشّعبي ، وأبو صالح السمان ، ومجاهد ، ونافع بن جبير بن مطعم ، ونافع مولاها ، ونافع مولى ابن عمر ، وعطاء بن أبي رباح ، وشهر بن حوشب ، وابن أبي مليكة ، وخلق كثير .

عاشت نحواً من تسعين سنة . وأبوها : هو زاذ الراكب ، أحد الأجواد - قيل : اسمه - حذيفة وقد وهم من سماها رملة ؛ تلك أم حبيبة . وكانت تعد من فقهاء الصحابات .

قال مصعب الزبيري : هي أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة فشهد أبو سلمة بدران ، وولدت له عمر ، وسلمة ، وزينب ، ودرة ، وبعضهم أرخ موتها في سنة تسع وخمسين ، فوهم أيضاً والظاهر أيضاً وفاتها سنة إحدى وستين رضي الله عنها ، وقد تزوجها النبي ﷺ حين حلت في شوال سنة أربع ويبلغ مسندها ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثاً .

وَاتَّفَقَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ لَهَا عَلَى ثَلَاثَةِ عَشَرَ ، وَانْفَرَدَ الْبُخَارِيُّ بِثَلَاثَةِ ، وَمُسْلِمٌ بِثَلَاثَةِ عَشَرَ .
أَهـ . من السير .

وقال الذهبي في التلخيص :

قال الزهري : وَمَنْ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِكَفَّةٍ مِنْ هَجْرَةِ الْحَبَشَةِ الْأُولَى ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَبُو سَلَمَةَ وَزَوْجَتُهُ أُمُّ سَلَمَةَ .

١١٩٤ - * رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، يَغْزَوُ الرِّجَالُ ، وَلَا تَغْزَوُ النِّسَاءُ ، وَإِنَّا لَنَا نَصُفُ الْمِيرَاثِ ؟ ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ^(١) .
قَالَ مُجَاهِدٌ ، فَأَنْزَلَ فِيهَا : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ ^(٢) .
وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ أَوَّلَ ظَعِينَةٍ قَدِمَتْ الْمَدِينَةَ مَهَاجِرَةً .

١١٩٥ - * رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ أَتَاهَا فَلَفَّ رِدَاءَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى أَسْكَنِةِ الْبَابِ وَاتَّكَأَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : « هَلْ لَكَ يَا أُمُّ سَلَمَةَ » قَالَتْ : إِنِّي امْرَأَةٌ شَدِيدَةُ الْغَيْرَةِ وَأَخَافُ أَنْ يَبْدُوَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنِّي مَا يَكْرَهُ ، فَأَنْصَرَفَ ، ثُمَّ عَادَ فَقَالَ : « هَلْ لَكَ يَا أُمُّ سَلَمَةَ إِنْ كَانَ بِكَ الزِّيَادَةُ فِي صَدَاقِكَ زِدْنَا » فَعَادَتْ لِقَوْلِهَا فَقَالَتْ أُمُّ عَبْدِ : يَا أُمُّ سَلَمَةَ تَدْرِينَ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ نِسَاءُ قُرَيْشٍ ؟ يَقُولْنَ إِنَّ أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّمَا رَزَتْ مُحَمَّدًا لِأَنَّهَا شَابَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَحْدَثَ مِنْهُ سِنًا وَأَكْثَرَ مِنْهُ مَالًا . قَالَتْ : فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَتَرَوُجَهَا .

١١٩٤ - والتِّرْمِذِيُّ (٥ / ٢٢٧) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٥ - باب ومن سورة النساء . وقال : هذا حديث مرسل .

وأحمد في مسنده (٦ / ٣٢٢) .

والحاكم (٢ / ٣٠٥) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين إن كان سمع مجاهد من أم سلمة .

وأقره الذهبي .

الظَّعِينَةُ : المرأة ، وهي في الأصل : ما دامت في الهودج ، ثم صارت تطلق على المرأة وإن لم تكن في هودج .

(٢) الأحزاب : ٣٥ .

(١) النساء : ٣٢ .

١١٩٥ - أورده الميثقي في جمع الزوائد (٩ / ٢٤٥) وقال : رواه الطبراني ورجال رجال الصحيح .

الأسْكَنَةُ : هي الخشية التي يوطأ عليها .

١١٩٦ - * روى الحاكم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أصابت أحدكم مصيبة، فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك أحسب مصيبتني فأجرني فيها» وكنت إذا أردت أن أقول: وأبدلني بها خيراً منها قلت: ومن خير من أبي سلمة فلم أزل حتى قلتها. فلما انقضت عديتها خطبها أبو بكر فردته، وخطبها عمر فردته، فبعث إليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليخطبها فقالت: مرحباً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبرسوله أقرئ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم السّلام وأخبره أنني امرأة مصيبة غيري، وإنه ليس أحد من أوليائي شاهد، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أما قولك إنني مصيبة فإن الله سيكفيك صبيانك وأما قولك إنني غيري، فسأدعو الله أن يذهب غيرتك. وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهد ولا غائب إلا سيَرْضاني» فقالت لابنها: قم يا عمر فزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم فزوجها إياه، وقال لها: «لا أُنقصك ممّا أعطيت أختك فلانة جرتين ورحاتين ووسادة من آدم حشوها ليف» فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم يأتيها وهي ترضع زينب، فكانت إذا جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذتها فوضعتها في حجرها ترضعها، قالت: فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم حيناً كريماً فيرجع، ففطن لها عمار بن ياسر وكان أختاً لها من الرضاعة، فأزاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم أن يأتيها ذات يوم فجاء عمار فدخل عليها فانتشط زينب من حجرها، وقال دعي هذه المقبوحة المشقوقة التي قد أذيت بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم، فدخل يقلب بصره في البيت ويقول: «أين زنا ب؟ مالي لا أرى زنا ب؟» فقالت: جاء عمار فذهب بها، فبني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم بأهله، وقال: «إن شئت أن أسبع لك سبعاً للنساء».

١١٩٧ - * روى ابن سعد عن أم سلمة أنها قالت لأبي سلمة: بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها، وهو من أهل الجنة، ثم لم تزوج، إلا جمع الله بينها في الجنة، فتعال أعاهدك ألا

١١٩٦ - المستدرک (٤ / ١٦) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

١١٩٧ - الطبقات الكبرى (٨ / ٨٨) ورجاله ثقات .

تَزَوِّجَ بَعْدِي وَلَا أُتَزَوِّجَ بَعْدَكَ . قَالَ : أَتُطِيعِينِي ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ : إِذَا مِتُّ تَزَوِّجِي ،
 اللَّهُمَّ ارْزُقْ أُمَّ سَلَمَةَ بَعْدِي رَجُلًا خَيْرًا مِنِّي لَا يَحْزَنُهَا وَلَا يُؤْذِيهَا ، فَلَمَّا مَاتَ ، قُلْتُ : مَنْ
 خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ ؟ فَمَا لَبِثْتُ ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَامَ عَلَى الْبَابِ فَذَكَرَ الْخِطْبَةَ إِلَى
 ابْنِ أَخِيهَا ، أَوْ ابْنِهَا ، فَقَالَتْ : أَرِدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ أَوْ أَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ بَعِيَالِي ، ثُمَّ جَاءَ الْغَدُ
 فَخُطِبَ ، وَفِيهِ : ثُمَّ جَاءَ الْغَدُ ، فَذَكَرَ الْخِطْبَةَ ، فَقُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَتْ لَوْلِيَّهَا : إِنْ عَادَ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَزَوِّجِي ، فَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَزَوَّجَهَا .

* * *

٧ - زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء :

زينب بنت جحش بن رباب ، ، وابنة عمّة رسول الله ﷺ .

أمها : أمية بنت عبد المطلب بن هشام . وهي أخت حنّة ، وأبي أحمد . من المهاجرات الأولى .

كانت عند زيد ، مولى النبي ﷺ . وهي التي يقول الله فيها : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ۖ ﴾ ^(١) .

فزوّجها الله تعالى نبيه بنص كتابه ، بلا ولي ولا شاهد . فكانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين ، وتقول : زوّجكنّ أهاليكنّ ، وزوّجني الله من فوق عرشه .

وكانت من سادة النساء ، ديناً وورعاً وجوداً ومعروفاً ، رضي الله عنها وحديثها في الكتب الستة . روى عنها : ابن أخيها محمد بن عبد الله بن جحش ، وأم المؤمنين أم حبيبة ، وزينب بنت أبي سلمة ، وأرسل عنها القاسم بن محمد .

توفيت في سنة عشرين ، وصلى عليها عمر .

عن ابن عمر قال : لما ماتت بنت جحش أمر عمر منادياً : ألا يخرج معها إلا ذو محرم . فقالت بنت عُميس : يا أمير المؤمنين ، ألا أريك شيئاً رأيت الحبشة تصنع بنسائهم ؟ فجعلت نعشا وغشته ثوباً . فقال : ما أحسن هذا وأستره ؛ فأمر منادياً ، فنادى : أن اخرجوا على أمكم .

وروي عن عائشة قالت : كانت زينب بنت جحش تساميني في المنزلة عند رسول الله ﷺ ؛ ما رأيت امرأة خيراً في الدين من زينب ، أتقى الله ، وأصدق حديثاً ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشدّ ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به ، وتقرب به إلى الله

(١) الأحزاب : ٣٧ .

تعالى ما عدا سورة من حدة كانت فيها تسرع منها الفئدة .

وعن الأعرج ، قال : أطعم رسول الله زينب بنت جحش بخير مئة وسق .

ويروى عن عمرة ، عن عائشة ، قالت : يرحم الله زينب ، لقد نالت في الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف ، إن الله زوجَهَا ، ونطقَ به القرآن . وإن رسول الله ﷺ قال لنا : « أسرعكنَّ في لحوقاً أطولكنَّ باعاً » فبشرها بسرعة لحقوها به ، وهي زوجته في الجنة .

وكانت صنّاع اليد ، فكانت تدبّع ، وتخرّز ، وتصدّق .

وقيل : إن النبي ﷺ تزوّج بزَيْنَب في ذي القعدة سنة خمس ، وهي يومئذ بنت خمس وعشرين سنة . وكانت صالحة ، صوّامة ، قوّامة ، بارّة ، ويقال لها : أم المساكين .

ولزَيْنَب أحد عشر حديثاً ، اتفقا لها على حديثين . اهـ . من السير .

١١٩٨ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « اتَّقِ اللَّهَ ، وَأْمِسْكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ » قَالَ أَنَسُ : لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَاتِباً شَيْئاً لَكُنْتُمْ هَذِهِ ، قَالَ : فَكَانَتْ تَنْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، تَقُولُ : زَوَّجَكُنْ أَهَالِيكَ ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ .

وفي رواية ^(١) قال : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ .

وفي رواية ^(٢) قال : لما نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ، جَاءَ زَيْدٌ يَشْكُو ، فَهَمَّ بِطَلَاقِهَا ، فَاسْتَأْمَرَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أْمِسْكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ، وَاتَّقِ اللَّهَ » .

وفي أخرى له ^(٣) قَالَ : لما نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ

١١٩٨ - البخاري (١٣ / ٤٠٣) ٩٧ - كتاب التوحيد - ٢٢ - باب « وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم » .

(١) البخاري (١٣ / ٤٠٤) في نفس الموضع السابق .

(٢) الترمذي (٥ / ٣٥٤) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٣٤ - باب ومن سورة الأحزاب .

(٣) الترمذي في نفس الموضع السابق .

مِنْهَا وَطَرَأَ زَوْجُنَاكُمَا ۖ قَالَ : فَكَانَتْ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ : زَوَّجَكُنْ أَهْلُوكُنْ ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ .

وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ ^(١) قَالَ : كَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ تَفْخَرُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ ، تَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْكَحَنِي مِنَ السَّمَاءِ ، وَفِيهَا نَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ .

قال محقق الجامع : قال الحافظ في الفتح : وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدي فساقها سياقاً واضحاً حسناً ، ولفظه ، بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش وكانت أمها أمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجه زيد بن حارثة ، فكرهت ذلك ، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ فزوجها إياه ، ثم أعلم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بعد أنها من أزواجه فكان يستحي أن يأمر بطلاقها ، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس . فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجه وأن يتقي الله ، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا : تزوج امرأة ابنه ، وكان قد تبني زيدا ، وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال : جاء زيد بن حارثة فقال : يا رسول الله إن زينب اشتد علي لسانها ، وأنا أريد أن أطلقها ، فقال له : « اتق الله وأمسك عليك زوجك » قال : والنبي صلى الله عليه وسلم يحب أن يطلقها ويخشى قالة الناس .

قال الحافظ : ووردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها ، والذي أورده هو المعتقد .

والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته ، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك قول الناس : تزوج امرأة ابنه ، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا يبلغ في الإبطال منه ، وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابناً ووقوع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم . اهـ .

(١) النسائي (٦ / ٨٠) كتاب النكاح ، باب صلاة المرأة إذا خطبت واستخارتها .

١١٩٩ - * روى البخاري ومسلم عن أنس ؛ قَالَ : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ . وَحَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ . فَقَالَ : « مَا هَذَا ؟ » قَالُوا : لِزَيْنَبَ تُصَلِّي . فَإِذَا كَسَلَتْ أَوْ فَتَرَتْ أُمْسَكَتْ بِهِ . فَقَالَ « حُلُّوهُ . لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَةً . فَإِذَا كَسِلَ أَوْ فَتَرَ قَعَدَ » . وَفِي حَدِيثٍ زُهَيْرٍ « فَلْيَقْعُدْ » .

١٢٠٠ - * روى أبو يعلى عن أنس قَالَ : بَنَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَذَكَرَ حَدِيثَ الْوَلِيَّةِ إِلَى أَنْ قَالَ : وَإِنْ زَيْنَبَ لَجَالِسَةٌ فِي جَنْبِ الْبَيْتِ ، قَالَ : وَكَانَتْ الْمَرْأَةُ قَدْ أُعْطِيَتْ جَمَالًا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَدِيدَ الْحَيَاءِ .. فَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

١٢٠١ - * روى الطبراني عن الهيثم بن عدي قَالَ : أَوَّلُ مَنْ هَلَكَ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ هَلَكَتْ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ ، وَآخِرُ مَنْ هَلَكَتْ أُمُّ سَلَمَةَ زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَسِتِّينَ .

١٢٠٢ - * روى الطبراني عن الزهري قَالَ : تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ ابْنِ رَبَابٍ بْنِ خَزِيمَةَ وَأُمُّهَا أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : وَهِيَ أَوَّلُ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ تُوُفِّيَتْ .

١٢٠٣ - * روى الحاكم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِأَزْوَاجِهِ : « أَسْرَعُكُمْ لِحُقُوقِ بَيْ أَطْوَلُكُمْ يَدًا » قَالَتْ عَائِشَةُ : فَكُنَّا إِذَا اجْتَمَعْنَا فِي بَيْتٍ إِخْدَانًا بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَمُدُّ أَيْدِينَا فِي الْجِدَارِ

١١٩٩ - البخاري (٣ / ٢٦) ١٩ - كتاب التهجد - ١٨ - باب ما يكره من التشديد في العبادة .
ومسلم (١ / ٥٤٢) ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - ٣١ - باب أمر من نكس في صلاته أو استعجم عليه القرآن
والذكر بأن يرقد حتى يذهب عنه ذلك .
ساريتين : أسطوانتين من أسطوانات المسجد .

فترت : كسلت عن القيام .

١٢٠٠ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٤٧) وقال : رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح .

١٢٠١ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٤٥) وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .
هلك : أي مات .

١٢٠٢ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٤٧) وقال : رواه الطبراني مرسلًا ، ورجاله ثقات .

١٢٠٣ - المستدرک (٤ / ٢٥) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

تَتَطَاوَلُ فَلَمْ نَزَلْ نَفْعَلْ ذَلِكَ حَتَّى تُوَفِّيتُ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ امْرَأَةً قَصِيرَةً ، وَلَمْ تَكُنْ أَطْوَلَنَا فَعَرَفْنَا حِينَئِذٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا أَرَادَ بَطُولَ الْيَدِ الصَّدَقَةَ قَالَ : وَكَانَتْ زَيْنَبُ امْرَأَةً صَنَاعَةً الْيَدِ فَكَانَتْ تَدْبِغُ وَتُخَرِّزُ وَتَصَدِّقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

١٢٠٤ - * روى أبو يعلى عن أبي بَرَزَةَ قَالَ : كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ تِسْعُ نِسَوَةٍ فَقَالَ يَوْمًا : « خَيْرُكُنَّ أَطْوَلُكُنَّ يَدًا » فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ تَضَعُ يَدَهَا عَلَى الْجِدَارِ فَقَالَ : « لَسْتُ أَغْنِي هَذَا وَلَكِنْ أَصْنَعُكُمْ يَدَيْنِ » .

١٢٠٥ - * روى البزار عن عبد الرحمن بن أبزى أَنَّ عُمَرَ كَبَّرَ عَلَى زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ أَرْبَعًا ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ يُدْخِلُ هَذِهِ قَبْرَهَا ؟ فَقُلْنَا : مَنْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا فِي حَيَاتِهَا ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « أَشْرَعُكُمْ بِي لِحُوقًا أَطْوَلُكُمْ يَدًا » فَكُنْ يَتَطَاوَلْنَ بِأَيْدِيهِنَّ وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ صَنَاعًا تَعِينُ بِمَا تَصْنَعُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

١٢٠٦ - * روى الطبراني عن ابنِ المنكدرِ قَالَ : تُوَفِّيتُ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ سَنَةَ عَشْرِينَ .

١٢٠٧ - * روى الطبراني عن الشعبي أَنَّهُ صَلَّى مَعَ عُمَرَ عَلَى زَيْنَبَ وَكَانَتْ أَوَّلَ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَوْتًا ، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ يُدْخِلَهَا قَبْرَهَا ، فَأُرْسِلَ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ : مَنْ يُدْخِلُهَا قَبْرَهَا ؟ فَقُلْنَا : مَنْ كَانَ يَرَاهَا فِي حَيَاتِهَا فَلْيَدْخُلْهَا قَبْرَهَا .

١٢٠٨ - * روى البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ بَعْضَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ قُلْنَا لِلنَّبِيِّ

= مخروخ : خرز الجلد والمحو : خاطه .

١٢٠٤ - أورده الهيثمي في جمع الزوائد (٢٤٨ / ٩) وقال : رواه أبو يعلى ، وإسناده حسن .

١٢٠٥ - البزار : كشف الأستار (٢٤٣ / ٣) .

وأورده الهيثمي في جمع الزوائد (٢٤٨ / ٩) وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

١٢٠٦ - أورده الهيثمي في جمع الزوائد (٢٤٨ / ٩) وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

١٢٠٧ - أورده الهيثمي في جمع الزوائد (٢٤٨ / ٩) وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

١٢٠٨ - البخاري (٢٨٥ / ٣) ٢٤ - كتاب الزكاة - باب ١١ - حدثنا موسى بن إسماعيل .

ﷺ : أَيْنَا أَسْرَعَ بِكَ لِحَوْقًا ؟ قَالَ : « أَطُولُكُنَّ يَدًا » فَأَخَذُوا قَصَبَةً يَذْرَعُونَهَا ، فَكَانَتْ سَوْدَةً أَطُولُهُنَّ يَدًا ، فَعَلِمْنَا بَعْدُ أَنَّهَا كَانَتْ طُولَ يَدِهَا الصَّدَقَةِ ، وَكَانَتْ أَسْرَعَنَا لِحَوْقًا بِهِ ، وَكَانَتْ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ .

وفي رواية لمسلم ^(١) قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَسْرَعُكُنَّ لِحَاقًا بِي أَطُولُكُنَّ يَدًا » قَالَتْ : فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ ، أَيُّهُنَّ أَطُولُ يَدًا ، قَالَتْ : فَكَانَتْ أَطُولُنَا يَدًا زَيْنَبُ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ .

قال النووي : (فكانت أطولنا يدًا زينب) معنى الحديث أَنَّهُنَّ ظَنْنَ أَنَّ المَرَادَ بطول اليد طول اليد الحقيقية ، وهي الجارحة فكُنَّ يَذْرَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بِقَصَبَةٍ ، فكانت سودة أطولهن جارحة ، وكانت زينب أطولهن يدا في الصدقة وفعل الخير فانت زينب أولهن فعلموا أَنَّ المَرَادَ طول اليد في الصدقة والجود .

قال في الفتح : وروى ابن سعد من طريق برزة بنت رافع قالت : لما خرج العطاء أرسل عمر إلى زينب بنت جحش بالذي لها ، فتمجبت وسترته بثوب وأمرت بتفرقه ، إلى أن كشف الثوب فوجدت تحته خمسة وثمانين درهماً ثم قالت : اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا ، فماتت فكانت أول أزواج النبي ﷺ لحوقاً به . وروى ابن أبي خيثمة من طريق القاسم بن معن قال : كانت زينب أول نساء النبي ﷺ لحوقاً به وفي الحديث علم من أعلام النبوة ظاهر ، وفيه جواز إطلاق اللفظ المشترك بين الحقيقة والمجاز بغير قرينة وهو لفظ « أطولكن » إذا لم يكن محذور . قال الزين بن المنير : لما كان السؤال عن آجال مقدرة لا تعلم إلا بالوحي أجاهاً بلفظ غير صريح وأحاله على ما لا يتبين إلا بآخر ، وساغ ذلك لكونه ليس من الأحكام التكليفية . وفيه أن من حمل الكلام على ظاهره وحقيقته لم يَلَمْ وإن كان مراد المتكلم مجازه ، لأن نسوة النبي ﷺ حملن طول اليد على الحقيقة فلم ينكر عليهن . وأما ما رواه الطبراني في الأوسط من طريق يزيد بن الأصم عن ميمونة أن النبي ﷺ قال لهن : ليس ذلك أعني إنما أعني أصنعكن يداً ، فهو ضعيف جداً ، ولو كان ثابتاً لم

(١) مسلم (٤ / ١٩٠٧) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٧ - باب من فضائل زينب أم المؤمنين .

١٣٣٧

يحتج بعد النبي ﷺ إلى ذرع أيديهم كما تقدم في رواية عمرة عن عائشة . وقال المهلب :
في الحديث دلالة على أن الحكم للمعاني لا للألفاظ لأن النسوة فهمن من طول اليد الجارحة ،
وإنما المراد بالطول كثرة الصدقة . وما قاله لا يمكن اطراده في جميع الأحوال . والله أعلم
اهـ .

* * *

٨ - جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء :

جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية .

سُبِيَتْ يوم غزوة المريسيع في السنة الخامسة وكان اسمها : بَرَّة ، ففُتِرَ وكانت من أجل النساء . أتت النبيَّ تَطْلُبُ منه إعانةً في فكاك نفسها ، فقال : « أو خير من ذلك ؟ أتزوجك » فأسلت ، وتزوج بها ؛ وأطلق لها الأسارى من قومها .

وكان أبوها سيداً مطاعاً .

حدث عنها : ابن عباس ، وعبيد بن السبّاق ، وكريب ، ومجاهد ، وأبو أيوب يحيى بن مالك الأزدي ، وآخرون وقد قدم أبوها الحارث على النبي ﷺ ، فأسلم .

وعن جويرية ، قالت : تزوجني رسول الله ﷺ ، وأنا بنت عشرين سنة .

توفيت أم المؤمنين جويرية في سنة خمسين . وقيل توفيت سنة ست وخمسين ، رضي الله عنها .

جاء لها سبعة أحاديث : منها عند البخاري حديث ، وعند مسلم حديثان . اهـ .

١٢٠٩ - * روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت جويرية اسمها برة ، فحول رسول الله ﷺ اسمها جويرية ، وكان يكره أن يقال : خرج من عند برة .

١٢١٠ - * روى الحاكم عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضرب على جويرية الحجاب وكان يقسم لها كما يقسم لیسائه .

١٢٠٩ - مسلم (٣ / ١٦٨٧) ٢٨ - كتاب الآداب - ٣ - باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن ، وتغيير اسم برة إلى زينب وجويرية ونحوها .

١٢١٠ - المستدرک (٤ / ٢٨) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

١٢١١ - * روى أحمد وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : وَقَعْتُ جَوِيرِيَّةَ بِنْتِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُصْطَلِقِ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ - أَوْ ابْنِ عَمِّ لَهُ - فَكَاتَبْتُ عَلَى نَفْسِهَا ، وَكَانَتْ امْرَأَةً مَلَاةً ، تَأْخُذُهَا الْعَيْنُ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فَجَاءَتْ تُسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي كِتَابَتِهَا ، فَلَمَّا قَامَتْ عَلَى الْبَابِ فَرَأَيْتُهَا كَرِهْتُ مَكَانَهَا ، وَعَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَيَرَى مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي رَأَيْتُ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَا جَوِيرِيَّةُ بِنْتِ الْحَارِثِ ، وَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أُمْرِي مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ ، وَإِنِّي وَقَعْتُ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ ، وَإِنِّي كَاتَبْتُ عَلَى نَفْسِي ، فَجِئْتُكَ أَسْأَلُكَ فِي كِتَابَتِي ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَهَلْ لَكَ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ؟ » قَالَتْ : وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أُوْدِي عَنْكَ كِتَابَتُكَ وَأَتَزَوَّجُكَ » قَالَتْ : قَدْ فَعَلْتُ ، فَتَسَامَعَ تَعْنِي النَّاسُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَزَوَّجَ جَوِيرِيَّةَ فَأَرْسَلُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ السَّبْيِ فَأَعْتَقُوهُمْ وَقَالُوا : أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَا رَأَيْنَا امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا ، أَعْتَقَ فِي سَبِيهَا مِائَةَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ .

قال صاحب عون المعبود : قال الشامي : نظرهما صلى الله عليه وسلم حتى عرف حسنهما لأنها كانت أمة ولو كانت حرة ما ملأ عينه منها لأنه لا يكره النظر إلى الإماء أو لأن مراده نكاحها (قالت) نعم يا رسول الله (قد فعلت) زاد الواقدي فأرسل إلى ثابت بن قيس فطلبها منه فقال ثابت : هي لك يا رسول الله بأبي وأمي فأدى ﷺ ما كان عليها من كتابتها وأعتقها وتزوجها . (مائة أهل بيت) بالإضافة أي مائة طائفة كل واحدة منهن أهل بيت ، ولم تقل مائة هم أهل بيت لإيهام أنهم مائة نفس كلهم أهل بيت وليس مراداً وقد روي أنهم كانوا أكثر من سبعمائة قاله الزرقاني وفي أسد الغابة ولما تزوجها رسول الله ﷺ حججها وقسم لها وكان اسمها برة فسمها رسول الله ﷺ جويرية . رواه شعبه ومُسْعَرُ وابْنِ

١٢١١ - أحمد في مسنده (٦ / ٢٧٧) .

وأبو داود (٤ / ٢٢) كتاب العتق ، باب - في بيع المكاتب إذا نسخت الكتابة .

ملاحة : الملاحة : بمعنى المليحة ، وهذا البناء للبالغ في الملاحة .

كتابتها : المكاتبه : أن يشتري العبد نفسه من مولاه ليؤدي ثمنه إليه من كسبه .

عبيثة عن محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة عن كريب مولى ابن عباس عن ابن عباس انتهى قال المنذري وفيه محمد بن إسحاق بن يسار انتهى قلت وقد صرح بالتحديث في رواية يونس بن بكير عنه وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده (قال أبو داود هذا) الحديث (حجة في أن الولي هو يزوج) ولو (نفسه) المرأة التي هو وليها لأن النبي ﷺ كان سلطاناً ولا ولي لها والسلطان ولي من لا ولي له أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه وصححه أبو عوانة وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وأيضاً كان صلى الله عليه وسلم مولى العتاقة لها ومولى العتاقة ولي المعتقة لكونه عصبه له فلما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان ولياً لها وقد زوجها نفسه الكريمة فقد ثبت أن الولي يزوج نفسه وموضع الاستدلال هو قوله صلى الله عليه وسلم « وأتزوجك » فإن قلت قد روى ابن سعد في مرسل أبي قلابة قال سبي جويرية يعني وتزوجها فجاء أبوها فقال : إن ابنتي لا يسبي مثلها فخل سبيلها فقال « رأيت إن خيرتها أليس قد أحسنت » قال بلى فأتاها أبوها فقال : إن هذا الرجل قد خيرك فلا تفضحينا قالت : فإني أختار الله ورسوله ، وسنده صحيح كذا في الإصابة وشرح المواهب ففيه أن أباه كان حاضراً وقت التزويج . قلت : أبوها وإن أسلم لكن لم يثبت إسلامه قبل هذا التزويج ، فكانت كمن لا ولي لها بل يعلم مما ذكره الحافظ في الإصابة في ترجمة الحارث بن أبي ضرار أبي جويرية أن إسلامه بعد هذا التزويج والله أعلم وقال ابن هشام ويقال اشتراها رسول الله ﷺ من ثابت بن قيس واعتقها وأصدقها أربع مائة درهم . ا. هـ

١٢١٢ - * روى الطبراني عن مجاهد قال : قالت جويرية للنبي ﷺ : إن أزواجك يفخرن علي ويقلن : لم يتزوجك النبي ﷺ قال : « أو لم أعظم صداقك ، ألم أعق أربعين من قومك » .

١٢١٣ - * روى الطبراني عن الشعبي قال : كانت جويرية ملك رسول الله ﷺ فأعتقها وجعل عتقها صداقها ، وأعتق كل أسير من بني المصطلق .

١٢١٢ - أوردته الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٥٠) وقال : رواه الطبراني مرسلًا ، ورجاله رجال الصحيح .

١٢١٣ - أوردته الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٥٠) وقال : رواه الطبراني مرسلًا ، ورجاله رجال الصحيح .

١٢١٤ - * روى الطبراني عن الزهري قال : سَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جُويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار بن الحارث بن عابد بن مالك بن المصطلق من خِزاعة ، واسم المصطلق خزيمة يَوْمَ وَقَعَ بَنِي المصطلق .

* * *

٩ - أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء :

السيدة المحجة : رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي .

مسندها خمسة وستون حديثاً . واتفق لها البخاري ومسلم على حديثين ، وتفرد مسلم بحديثين .

وهي من بنات عم الرسول ﷺ ، ليس في أزواجه من هي أقرب نسباً إليه منها ، ولا في نسائه من هي أكثر صداقاً منها ، ولا من تزوج بها وهي نائية الدار أبعد منها .

عقد له ﷺ عليها بالحبشة ، وأصدقها عنه صاحب الحبشة أربع مئة دينار ، وجهرها بأشياء .

حدث عنها ، أخوها : الخليفة معاوية ، وعنيسة ، وابن أخيها عبد الله بن عتبة بن أبي سفيان ، وعروة بن الزبير ، وأبو صالح السمان ، وصفية بنت شيبة ، وزينب بنت أبي سلمة ، وشخير بن شكل ، وأبو المليح عامر الهذلي . وآخرون .

وقد تمت دمشق زائرة أخاها . ويقال : قبرها بدمشق . وهذا لا شيء ، بل قبرها بالمدينة . وإنما التي بمقبرة باب الصغير : أم سلمة أسماء بنت يزيد الأنصارية .

قال ابن سعد : ولد أبو سفيان : حنظلة ، المقتول يوم بدر ، وأم حبيبة ، توفي عنها زوجها الذي هاجر بها إلى الحبشة : عبيد الله بن جحش بن رياح الأسدي ، متداً متنصراً . عقدها عليها للنبي بالحبشة سنة ست ، وكان الولي عثمان بن عفان . كذا قال .

وعن عثمان الأخنسي : أن أم حبيبة ولدت حبيبة بمكة ، قبل هجرة الحبشة .

وعن أبي جعفر الباقر : بعث رسول الله ﷺ عمر بن أمية إلى النجاشي يخطب عليه

أم حبيبة ، فأصدقها من عنده أربع مئة دينار وقد كان لأم حبيبة حرمة وجلالة ، ولا سيما في دولة أخيها ؛ ولكانها منها قيل له : خال المؤمنين . اهـ .

١٢١٥ - * روى أبو داود عن أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها من حديثها : أنها كانت تحت عبيد الله بن جحش ، فمات بأرض الحبشة ، فزوجه النجاشي النبي ﷺ ، وأمهرها عنه أربعة آلاف ، وبعث بها إلى رسول الله ﷺ مع شرحبيل بن حسنة .

وفي رواية^(١) : أن النجاشي زوج أم حبيبة بنت أبي سفيان من رسول الله ﷺ على صداق أربعة آلاف درهم ، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ ، فقبل .

وفي رواية النسائي^(٢) : أن رسول الله ﷺ تزوجها وهي بأرض الحبشة ، وزوجها النجاشي ، وأمهرها أربعة آلاف ، وجهرها من عنده ، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة ، ولم يبعث إليها رسول الله ﷺ بشيء ، وكان مهر نسائه أربعة مائة درهم .

قال في عون المعبود :

فزوجه النجاشي : النجاشي لقب ملك الحبشة ، واسم الذي آمن أصحمة ، وقد يعد في الصحابة ، والأولى أن لا يعد لأنه لم يدرك الصحبة قال القاري : قال الخطابي معنى قوله : زوجه النجاشي رسول الله ﷺ ، أي ساعد إليها المهر ، فأضيف عقد النكاح إليه لوجود سببه منه وهو المهر ، وقد روى أصحاب السير أن الذي عقد عليها خالد بن سعيد بن العاص وهو ابن عم أبي سفيان (وأمهرها عنه) أي أصدقها النجاشي عن النبي ﷺ . وفي المواهب : وأم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب وقيل اسمها هند . والأول أصح . وأمها صفية بنت أبي العاص فكانت تحت عبيد الله بن جحش وهاجر بها إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية ثم تنصرت وارتدت عن الإسلام ومات هناك وثبتت أم حبيبة على الإسلام ، واختلف في وقت نكاح رسول الله ﷺ إياها وفي موضع العقد ، فقيل : إنه عقد

١٢١٥ - أبو داود (٢ / ٢٣٥) كتاب النكاح ، باب الصداق .

(١) أبو داود في نفس الموضع السابق .

(٢) النسائي (٦ / ١١١) كتاب النكاح ، باب القسط في الصدقة وإسناده صحيح .

مهرت : المرأة وأمهرتها : إذا جعلت لها مهراً وسقت إليها مهرها .

عليها بأرض الحبشة سنة ست ، فروي أنه صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ليخطبها عليه فزوّجها إياه وأصدقها عنه أربع مائة دينار وبعث بها إليه مع شرحبيل بن حسنة . وقيل : إنّ عقد النكاح كان بالمدينة بعد رجوعها من أرض الحبشة ، والمشهور الأول . اهـ .

* * *

١٠ - صفيّة أم المؤمنين رضي الله عنها

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء :

صفيّة بنت حيٍّ بن أخطب بن سعية ، من سبط اللاوي بن نبيّ الله إسرائيل بن إسحاق ابن إبراهيم ، عليهم السلام . ثم من ذرية رسول الله هارون عليه السلام . تزوّجها قبل إسلامها : سلام بن أبي الحقيق ، ثم خلفَ عليها كِنانة بن أبي الحقيق ، وكانا من شعراء اليهود ، فقتل كِنانة يوم خيبر عنها ، وسُبيت ، وصارت في سهم دحية الكلبي ؛ فقيل للنبي ﷺ عنها ؛ وأنها لا تنبغي أن تكون إلا لك . فأخذها من دحية ، وعوّضه عنها سبعة أرؤس ثم إن النبي ﷺ لما طهرت ، تزوّجها ، وجعل عتقها صدقها . حدث عنها : علي بن الحسين ، وإسحاق بن عبد الله بن الحارث ، وكِنانة مولاها ، وآخرون .

وكانت شريفة عاقلة ، ذات حسَب ، وجمالٍ ، ودينٍ . رضي الله عنها .

قال أبو عمر بن عبد البرّ : روينا أنّ جاريةً لصفيّة أتت عمر بن الخطاب ، فقالت : إنّ صفيّة تحب السبت ، وتصل اليهود . فبعث عمر يسألها . فقالت : أما السبت ، فلم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة ؛ وأما اليهود ، فإنّ لي فيهم رجلاً ، فأنا أصلها ، ثم قالت للجارية : ما حملك على ما صنعت ؟ قالت : الشيطان . قالت : فاذهي فأنت حرة .

قال الحسن بن موسى الأشيب : حدثنا زهير : حدثنا كِنانة ، قال : كنت أقود بصفيّة لترّد عن عثمان ، فلقيها الأشرّ ، فضرب وجهه بغلته حتى مالت ؛ فقالت : ذروني ، لا يفضّحني هذا ! ثم وضعت خشباً من منزلها إلى منزل عثمان ، تنقل عليه الماء والطعام ^(١) .

وكانت صفيّة ذات حلم ووقار ، وقبرها بالتقيع وقد أوصت بثلاثها لأخ لها يهودي ، وكان ثلاثين ألفاً .

ورّد لها من الحديث عشرة أحاديث ، منها واحد متفق عليه . اهـ .

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨ / ١٢٨) ورجاله ثقات .

١٣١٦ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه أقبل هو وأبو طلحة مع النبي ﷺ ، ومع النبي ﷺ صفية يزديها على راحلته . فلما كان ببعض الطريق عثرت الدابة فصرع النبي ﷺ والمرأة ، وإن أبا طلحة قال أحسب قال : اقتحم عن بعيره فأنى رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله ، جعلني الله فداءك ، هل أصابك من شيء ؟ قال : « لا ، ولكن عليك المرأة » فألقى أبو طلحة ثوبه على وجهه فقصد قصدها ، فألقى ثوبه عليها ، فقامت المرأة ، فشدد لها على راحلتيها فركبا ، فساروا ، حتى إذا كانوا بظهر المدينة - أو قال : أشرفوا على المدينة - قال النبي ﷺ : « آيئون ، تائبون ، عابدون لربنا حامدون » فلم يزل يقولها حتى دخل المدينة .

١٣١٧ - * روى الترمذي عن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت : دخل علي رسول الله ﷺ ، وقد بلغني عن حفصة وعائشة كلام ، فذكرت ذلك له ، فقال : « ألا قلت : كيف تكونان خيراً مني ، وزوجي محمد ، وأبي هارون ، وعمي موسى ؟ » وكان الذي بلغها أنهم قالوا : نحن أكرم على رسول الله ﷺ منها ، وقالوا : نحن أزواج النبي ﷺ ، وبنات عمه .

وفي أخرى ^(١) : قد دخل عليها النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم وهي تبكي ، فقال : « ما يبكيك ؟ » فقالت : قالت لي حفصة : إني بنت يهودي ، فقال النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم : « إنك لابنة نبي ، وإن عمك لنبى ، وإنك لتحت نبى ، ففيم تفخر عليك ؟ ثم قال : « اتقي الله يا حفصة » .

١٣١٨ - * روى أحمد عن جابر بن عبد الله قال : لما دخلت صفية بنت حيي رضي الله

١٣١٦ - البخاري (٦ / ١٩٢) ٥٦ - كتاب الجهاد - ١١٧ - باب ما يقول إذا رجع من الغزو .

فصرع : صرع الراكب : إذا وقع عن ظهر مركوبه .

اقتحم : أي أسرع على النجدة .

آيئون : أب الرجل : إذا رجع من سفره .

١٣١٧ - الترمذي (٥ / ٧٠٨) ٥٠ - كتاب الناقب - ٦٤ - باب فضل أزواج النبي ﷺ .

(١) الترمذي في نفس الموضع السابق . وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

١٣١٨ - أحمد في مسنده (٢ / ٢٣٣) .

وأورده الميمني في جمع الزوائد (٩ / ٣٥١) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

عَنْهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسُطِطَ لَهُ ، حَضَرَ نَاسٌ وَحَضَرَتْ مَعَهُمْ لِيَكُونَ لِي فِيهَا قَسَمٌ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « قَوْمُوا عَنْ أَمِّكُمْ » فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعِشَاءِ حَضَرْنَا ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْنَا فِي طَرَفٍ رِذَائِهِ نَحْوُ مِنْ مُدٍّ وَنُصْفٍ مِنْ تَمْرِ عَجْوَةٍ فَقَالَ : « كُلُّوا مِنْ وَلِيمَةِ أَمِّكُمْ » .

١٢١٩ - * روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت صفيّة من الصّفيّ .

١٢٢٠ - * روى أبو داود عن عامر الشعبي رحمه الله قال : كان لرسول الله ﷺ سَهْمٌ يُدْعَى : الصّفيّ ، إِنْ شَاءَ عَبْدٌ ، أَوْ أَمَةٌ ، أَوْ قَرَسًا ، يَخْتَارُهُ قَبْلَ الْخُمْسِ .

١٢٢١ - * روى أبو داود عن ابن عثون رحمه الله قال : سألتُ مُحَمَّدًا وَهُوَ ابْنُ سِيرِينَ - عَنْ سَهْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالصّفيّ ؟ قَالَ : كَانَ يُضْرَبُ لَهُ بِهِمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ لَمْ يَشْهَدْ ، وَالصّفيّ : يُؤْخَذُ لَهُ رَأْسٌ مِنَ الْخُمْسِ ، قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ .

قال صاحب فتح الودود : (رأس) عبدٌ أو أمة أو فرس كما في الحديث السابق ، (من الخمس) ظاهره أنّ الصفي يكون من الخمس وظاهر ما سبق أنّه من تمام الغنيمة قبل الخمس ، إلا أن يقال معنى قبل الخمس قبل أن يقسم الخمس فيرجع إلى هذا الحديث .

١٢٢٢ - * روى الطبراني عن وَحْشِيِّ بْنِ حَرْبٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ صَفِيَّةَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : « مَا تَقُولُونَ فِي هَذِهِ الْجَارِيَةِ ؟ » قَالُوا : نَقُولُ إِنَّكَ أَوْلَى النَّاسِ بِهَا وَأَحَقُّهُمْ . قَالَ : « فَإِنِّي أَعْتَقْتُهَا وَاسْتَنْكَحْتُهَا وَجَعَلْتُ عِتْقَهَا مَهْرَهَا » فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ الْوَلِيمَةُ . قَالَ : « الْوَلِيمَةُ حَقٌّ وَالثَّانِيَةُ مَعْرُوفٌ وَالثَّلَاثَةُ فَخْرٌ وَحَرَجٌ » .

١٢١٩ - أبو داود (٢ / ١٥٢) كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب ما جاء في سهم الصفي .
والحاكم (٣ - ٥٩) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .
الصّفيّ : ما كان يصطفيه رئيس الجيش من الغنائم لنفسه ، يأخذه خارجاً عن القسمة ، وهو الصفيّة أيضاً ، والجمع : الصّفايا .

١٢٢٠ - أبو داود في نفس الموضع السابق ، وإسناده صحيح .

١٢٢١ - أبو داود في نفس الموضع السابق ، ورجاله ثقات ، لكنه مرسل .

١٢٢٢ - المعجم الكبير (٢٢ / ١٣٦) .

١٢٢٣ - * عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال لأبي طلحة : « التمس لي غلاماً من غلمانكم يخدمني حتى أخرج إلى خيبر » فخرج بي أبو طلحة مريضاً وأنا غلاماً راهقاً الحلم ، فكننتُ أخدم رسول الله ﷺ إذا نزل ، فكننتُ أسمعته كثيراً يقول : « اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والبخل والجبن ، وضلع الدين ، وغلبة الرجال » ثم قدمنا خيبر ، فلما فتح الله عليه الحصن ذكر له جال صفية بنت حيي بن أخطب - وقد قتل زوجها ، وكانت عروساً - فاصطفاه رسول الله ﷺ لنفسه ، فخرج بها حتى بلغنا سدّ الصُّهباء حلّت ، فبنى بها ، ثم صنعَ حيساً في نطع صغير ، ثم قال رسول الله ﷺ : « أذن من حولك » فكانت تلك وليمة رسول الله ﷺ على صفية . ثم خرجنا إلى المدينة قال : فرأيت رسول الله ﷺ يحوي لها وراءه بعباءة ، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته ، فتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب ، فيرنا حتى إذا أشرقنا على المدينة نظر إلى أحد فقال : « هذا جبل يحبنا ونحبه » ثم نظر إلى المدينة فقال : « اللهم إني أحرم ما بين لابتيها بمثل ما حرم إبراهيم مكة ، اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم » .

وفي رواية له ^(١) عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ صلى الصبح بغلس ، ثم ركب فقال : « الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » فخرجوا يسعون في السكك ويقولون : محمد والخميس - قال : والخميس الجيش - فظهر عليهم رسول الله ﷺ ، فقتل المقاتلة وسبي الدُراري ، فصارت صفية لِدِخِيَةِ الكلبِي ، وصارت لرسول الله ﷺ ، ثم تزوجها ، وجعل صداقها عتقها . فقال عبد العزيز لشابت : يا أبا محمد ، أنت سألت أنساً ما أمهرها ؟ قال : أمهرها نفسها فتبسم .

= وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٥١) وقال : رواه الطبراني ، ورجاله وثقهم ابن حبان .

١٢٢٣ - البخاري (٦ / ٨٦) ٥٦ - كتاب الجهاد - ٧٤ - باب من غزا بصي للخدمة .

الخمس : هو الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن وقد يعمل عوض الأقط الدقيق .

نطع : الجمع : أنطاع : وهو البساط من الجلد .

يحوي : الخويّة : كساء يعمل حول ستام البعير ليركب عليه ، وكذلك إن عمل على كَفَلِه ليردف الراكب وراء أحداً يركب عليه ليتكن من الركوب .

(١) البخاري (٢ / ٤٣٨) ١٢ - كتاب الخوف - ٦ - باب التكبير والغلس بالصبح .

قال السندي : وجعل عتقها صداقها : قيل يجوز ذلك لكل من يريد أن يفعل كذلك ، وقيل بل هو مخصوص به إذ يجوز له النكاح بلا مهر وليس لغيره ذلك .

١٢٢٤ - * روى مسلم عن أنس : كُنْتُ رِذْفَ أَبِي طَلْحَةَ يَوْمَ خَيْبَرَ ، وَقَدِمِي تَمَسُّ قَدَمَ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : فَأَتَيْنَاهُمْ حِينَ بَرَزَتِ الشَّمْسُ ، وَقَدْ أَخْرَجُوا مَوَاشِيَهُمْ ، وَخَرَجُوا بِقُوسِهِمْ وَمَكَائِلِهِمْ وَمُرُورِهِمْ ، فَقَالُوا : مُحَمَّدٌ وَالْحَيُّسُ ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « خَرَبَتْ خَيْبَرُ ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ » قَالَ : وَهَزَمَهُمُ اللَّهُ ، وَوَقَعَتْ فِي سَهْمٍ دِخْيَةٍ جَارِيَةٍ جَمِيلَةٍ ، فَاشْتَرَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعَةِ أَرُوسٍ ، ثُمَّ دَفَعَهَا إِلَى أُمِّ سَلِيمٍ تُصَنِّعُهَا لَهُ وَتُهَيِّئُهَا ، قَالَ : وَأَحْسَبُهُ قَالَ : وَتَعْتَدُ فِي بَيْتِهَا ، وَهِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَبِي ، قَالَ : وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلِيَمَتَهَا التَّمْرَ وَالْأَقِطَ وَالسَّنَّ ، فَحَصَّتِ الْأَرْضُ أَقَاحِيصَ ، وَجِيءَ بِالْأَنْطَاعِ ، فَوُضِعَتْ فِيهَا ، وَجِيءَ بِالْأَقِطِ وَالسَّنِّ ، فَشَبَّعَ النَّاسُ ، قَالَ : وَقَالَ النَّاسُ : لَا نَذَرِي : أَتَزَوَّجُهَا ، أَمْ اتَّخَذَهَا أُمُّ وَلَدٍ ؟ فَقَالُوا : إِنْ حَبَبَهَا فَهِيَ امْرَأَتُهُ ، وَإِنْ لَمْ يَحْبِبْهَا فَهِيَ أُمُّ وَلَدٍ ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرْكَبَ حَبَبَهَا ، فَقَعَدَتْ عَلَى عَجْزِ الْبَعِيرِ ، فَعَرَفُوا أَنَّهُ قَدْ تَزَوَّجَهَا ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدَقَعْنَا ، قَالَ : فَعَثَرَتِ النَّاقَةُ الْعَضْبَاءُ ، وَنَذَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَذَرْتُ ، فَقَامَ فَسْتَرَهَا ، وَقَدْ أَشْرَفَتِ النِّسَاءُ ، فَقُلْنَ : أُبْعَدَ اللَّهُ الْيَهُودِيَّةَ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا أَبَا حَمَزَةَ ، أَوْفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ لَقَدْ وَقَعَ ، قَالَ أَنَسُ : وَشَهِدْتُ وَلِيَمَةَ زَيْنَبَ ، فَأَشْبَعَ النَّاسَ خُبْرًا وَلَحْنًا ، وَكَانَ يَبْعَثُنِي فَأَدْعُو النَّاسَ ، فَلَمَّا فَرَّغَ قَامَ وَتَبِعْتُهُ ، فَتَخَلَّفَ رَجُلَانِ اسْتَأْنَسَ بِهِمَا الْحَدِيثُ لَمْ يَخْرُجَا ، فَجَعَلَ يَمُرُّ عَلَى نِسَائِهِ ، فَيَسْلُمُ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ : « سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، كَيْفَ أَنْتُمْ يَا أَهْلَ

١٢٢٤ - مسلم (٢ / ١٠٤٥) ١٦ - كتاب النكاح - ١٤ - باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها .

برزغت الشمس : طلعت .

مكائيلهم : جمع مكئيل ، وهو الزنبيل .

مُرُودهم : جمع مَرٍّ وهي المساحي أي المجارف من حديد ، قيل المرور الجبال التي يصعدون بها إلى النخل .

فُحِصَّتِ الْأَرْضُ : كُشِفَتْ ، وَجَعَلَ فِيهَا مَوْضِعَ ، وَمِنْهُ تَفْخِصُ الْقِطَاةِ .

دفع : أسرع في سيره .

العضباء : اسم ناقة رسول الله ﷺ ، ولم تكن عضباء ، فإن العَضْبَ شَقُّ أذن الناقة ، ولم تكن مشقوقة الأذن .

نذر : من ظهر الدابة : إذا سقط عنها بعتة .

الْبَيْتِ ؟ » فَيَقُولُونَ : بِخَيْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ ؟ فَيَقُولُ : « بِخَيْرٍ » فَلَمَّا قَرَعَ رَجَعَ ، وَرَجَعَتْ مَعَهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْبَابَ إِذَا هُوَ بِالرَّجُلَيْنِ قَدْ اسْتَأْنَسَ بِهِمَا الْحَدِيثُ ، فَلَمَّا رَأَيَاهُ قَدْ رَجَعَ قَامَا فَخَرَجَا ، فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي ، أَنَا أَخْبَرْتُهُ ، أَمْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ بِأَنَّهَا قَدْ خَرَجَا ؟ فَارْجَعَ وَرَجَعَتْ مَعَهُ ، فَلَمَّا وَضَعَ رَجُلُهُ فِي أَسْكُفَةِ الْبَابِ أَرْخَى الْحِجَابَ يَبْنِي وَيُنْهَ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ... ﴾ الْآيَةَ ^(١) .

وَفِي أُخْرَى لَهُ ^(٢) قَالَ : صَارَتْ صَفِيَّةٌ لَدَحِيَّةً فِي مَقْسَمِهِ ، وَجَعَلُوا يَمْدَحُونَهَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَيَقُولُونَ : مَا رَأَيْنَا فِي السَّنِيِّ مِثْلَهَا ، قَالَ : فَبِعِثْ إِلَى دَحِيَّةَ ، فَأَعْطَاهُهَا مَا أَرَادَ ، ثُمَّ دَفَعَهَا إِلَى أُمِّي ، فَقَالَ : « أَصْلَحِيهَا » قَالَ : ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ خَيْبَرَ ، حَتَّى إِذَا جَعَلَهَا فِي ظَهْرِهِ نَزَلَ ، ثُمَّ ضَرَبَ عَلَيْهَا الْقُبَّةَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلٌ زَادِ فَلْيَأْتِنَا بِهِ » قَالَ : فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِفَضْلِ التَّمْرِ وَفَضْلِ السَّوِيقِ ، حَتَّى جَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ سَوَادًا حَيْسًا ، فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ ذَلِكَ الْحَيْسِ ، وَيَشْرَبُونَ مِنْ حِيَاضٍ إِلَى جَنْبِهِمْ مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ ، قَالَ : فَقَالَ أَنَسٌ : فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيمَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهَا ، قَالَ : فَأَنْطَلَقْنَا حَتَّى إِذَا رَأَيْنَا جُدْرَ الْمَدِينَةِ هَشِشْنَا إِلَيْهَا ، فَرَفَعْنَا مَطِيئَنَا ، وَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَطِيئَتَهُ ، قَالَ : وَصَفِيَّةُ خَلْفَهُ قَدْ أَرْدَفَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : فَعَثَرَتْ مَطِيئَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَصَرَغَ وَصُرِعَتْ ، قَالَ : فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَلَا إِلَيْهَا ، حَتَّى قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَتَرَهَا ، قَالَ : فَأَتَيْنَاهُ ، فَقَالَ : « لَمْ نُضَرْ » قَالَ : فَدَخَلْنَا الْمَدِينَةَ ، فَخَرَجَ جَوَارِي نِسَائِهِ يَتَرَاءَيْنَهَا وَيَسْتَمْتَنَ بَصَرُهَا .

١٢٢٥ - * رَوَى الْحَاكِمُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صِلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِصَفِيَّةَ بَاتَ أَبُو أَيُّوبَ عَلَى بَابِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أَصْبَحَ

(١) الأحزاب : ٥٣ .

(٢) مسلم في نفس الموضع السابق (٢ / ١٠٤٧) .

رفعنا مطيئنا : جعلنا إبلنا تبالغ في السير .

هششنا للأمر : فرحنا به وسررنا برويته .

فصرع : صرع الرجل عن ظهر الدابة : إذا سقط عنها .

١٢٢٥ - المستدرک (٤ / ٢٨) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَبَّرَ ، وَمَعَ أَبِي أَيُّوبَ السَّيْفِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَتْ جَارِيَّةً حَدِيثَةَ عَهْدٍ بِعُرسٍ ، وَكُنْتُ قَتَلْتُ أَبَاهَا وَأَخَاهَا وَزَوْجَهَا فَلَمْ أَمْنَهَا عَلَيْكَ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ لَهُ خَيْرًا .

١٢٢٦ - * روى الطبراني عن ابنِ عمرَ قالَ : كَانَ بَعِثَنِي صَفِيَّةُ خُضْرَةَ ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ : « مَا هَذِهِ الْخُضْرَةُ بَعِثَنِيكَ ؟ » قَالَتْ قُلْتُ لَزَوْجِي : إِنِّي رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ ، كَأَنَّ قَمَرًا وَقَعَ فِي حِجْرِي . فَلَطَمَنِي وَقَالَ : أَتُرِيدِينَ مَلِكًا يَشْرِبُ قَالَتْ : وَمَا كَانَ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَتَلَ أَبِي وَزَوْجِي فَمَارَالَ يَعْتَذِرُ إِلَيَّ وَقَالَ : « يَا صَفِيَّةُ إِنَّ أَبَاكَ أَلَبَّ عَلَى الْعَرَبِ ، وَفَعَلَ . وَفَعَلَ » حَتَّى ذَهَبَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِي .

* * *

١١ - ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء :

بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن
صفصة ، الهلالية .

زوج النبي ﷺ ، وأخت أم الفضل زوجة العباس ، وخالة خالد بن الوليد ، وخالة ابن
عباس .

تزوجها أولاً مسعود بن عمرو الثقفي قبيل الإسلام ، ففارقها . وتزوجها أبو رهم بن
عبد العزى ، فمات . فتزوج بها النبي ﷺ في وقت فراغه من عمرة القضاء سنة سبع في ذي
القعدة . وبنى بها بترف - أظنه المكان المعروف بأبي غروة - .

وكانت من سادات النساء . روت عدة أحاديث .

حدث عنها ابن عباس ، وابن أختها الآخر : عبد الله بن شداد بن الهاد ، وعبيد بن
السباق ، وعبد الرحمن بن السائب الهلالي وابن أختها الرابع : يزيد بن الأصم ، وكريب
مولى ابن عباس ، ومولاها سليمان بن يسار ، وأخوه : عطاء بن يسار ، وآخرون .

وقال خليفة : توفيت سنة إحدى وخمسين . رضي الله عنها .

روى لها سبعة أحاديث في « الصحيحين » ، وانفرد لها البخاري بحديث . ومسلم
بخمسة . وجميع ما روت ثلاثة عشر حديثاً . اهـ .

١٢٢٧ - * روى الطبراني عن ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : « الأخوات المؤمنات
ميمونة زوج النبي ﷺ ، وأم الفضل امرأة العباس ، وأسما بنت عميس امرأة
جعفر ، وامرأة حمزة وهي أختهن لأمهن » .

١٢٢٧ - المعجم الكبير (١١ / ٤١٥) .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢ / ٣٦٠) وقال : رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح .

١٢٢٨ - * روى الحاكم عن ابن عباسٍ قَالَ : كَانَ اسْمُ خَالَتِي مَيْمُونَةَ بَرَّةَ فَسَمَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَيْمُونَةَ .

١٢٢٩ - * روى الحاكم عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثًا ، فَأَتَاهُ حُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ انْقَضَى أَجْلُكَ فَاخْرُجْ عَنَّا قَالَ : « وَمَا عَلَيْكُمْ لَوْ تَرَكَتُمُونِي فَأَعْرَسْتُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ، فَصَنَعْتُ لَكُمْ طَعَامًا ، فَحَضَرْتُمُوهُ » قَالُوا : لَا حَاجَةَ لَنَا فِي طَعَامِكَ ، فَاخْرُجْ عَنَّا فَخَرَجَ بِمَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَتَّى أَعْرَسَ بِهَا بِسَرَفٍ .

١٢٣٠ - * روى الطبراني عن أنس بن مالك : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ بِسَرَفٍ .

١٢٣١ - * روى الحاكم عن يزيد بن الأصمِ ابْنِ أُخْتِ مَيْمُونَةَ قَالَ : تَلَقَّيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ مُقْبِلَةٌ مِنْ مَكَّةَ أَنَا وَابْنُ لَطْلَحَةَ بْنِ عَبِيدِ اللَّهِ وَهُوَ ابْنُ أُخْتِهَا وَقَدْ كُنَّا وَقَعْنَا فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ ، فَأَصَبْنَا مِنْهُ ، فَبَلَّغَهَا ذَلِكَ فَأَقْبَلَتْ عَلَيَّ ابْنُ أُخْتِهَا تَلُومُهُ وَتَعَذُّلُهُ ، وَأَقْبَلْتُ عَلَيَّ فَوَعَّظْتَنِي مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ، ثُمَّ قَالَتْ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَاقَلَكَ حَتَّى جَعَلَكَ فِي أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ ، ذَهَبَتْ وَاللَّهِ مَيْمُونَةُ وَرَمِيَ بِرَسَنِكَ عَلَى غَارِبِكَ ، أَمَا إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَتْقَانَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَوْصَلَنَا لِلرَّحِمِ .

قال الذهبي في التلخيص :

فيه دليل على أنَّ ميمونة ماتت قبل عائشة فبطل قول من قال ماتت سنة إحدى وستين ، اهـ .

١٢٢٨ - الحاكم (٤ / ٣٠) وقال : صحيح وأقره الذهبي .

١٢٢٩ - المستدرک (٤ / ٣١) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

سوف : موضع قريب من مكة .

١٢٣٠ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٢٤٩) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

١٢٣١ - المستدرک (٤ / ٣٢) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

١٢٣٢ - * روى أحمد عن أبي رافع قال : كُنْتُ فِي بَعْثٍ مَرَّةً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « اذْهَبْ فَأَتِنِي بِمِئْمُونَةٍ » فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي فِي الْبَعْثِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَلَيْسَ تُحِبُّ مَا أَحِبُّ » فَقُلْتُ : بَلَى . قَالَ : « فَادْهَبْ فَأَتِنِي بِهَا » فَذَهَبْتُ فَجِئْتُ بِهَا .

قال في الفتح الرباني :

وتوفيت ميمونة في الموضع الذي بنى فيه رسول الله ﷺ باتفاق ودفنت في موضع قبره وذلك سنة إحدى وخمسين على الصحيح كما في التقريب . اهـ .

١٢٣٣ - * روى الطبراني عن يزيد بن الأصم قال : رَأَيْتُ مِئْمُونَةَ تَخْلُقُ رَأْسَهَا بِعُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لِيَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ فَقَالَ : أَرَاهَا تَبْتَذِلُ .

١٢٣٤ - * روى أبو يعلى عن يزيد بن الأصم قال : ثَقُلْتُ مِئْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ بِكَ وَلَيْسَ عِنْدَهَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي أَخِيهَا . فَقَالَتْ : أَخْرِجُونِي مِنْ مَكَّةَ ، فَإِنِّي لَا أَمُوتُ بِهَا ؛ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَنِي أَنِّي لَا أَمُوتُ بِمَكَّةَ . قَالَ : فَحَمَلُوهَا حَتَّى أَتَوْا بِهَا سَرِفَ إِلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي بَنَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَهَا فِي مَوْضِعِ الْفَيْئَةِ قَالَ : فَمَاتَتْ ، فَلَمَّا وَضَعْنَاهُ فِي لَحْدِهَا أَخَذْتُ رِدَائِي فَوَضَعْتُهُ تَحْتَ خَدِّهَا فِي اللَّحْدِ ، فَأَخَذَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَرَمَى بِهِ .

١٢٣٥ - * روى البخاري ومسلم عن عطاء قال : حَضَرْنَا مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ جَنَازَةَ مِئْمُونَةَ

١٢٣٢ - أحمد في مسنده (١ / ٣٩١) .

وأورده الميمني في مجمع الزوائد (١ / ٢٤٩) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير الحسن بن علي بن رافع وهو ثقة .

١٢٣٣ - أورده الميمني في مجمع الزوائد (١ / ٢٤٩) وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح غير عقبة بن وهب وهو ثقة .

فقلت ليزيد : سأله عن سبب ذلك .

تبتذل : تبعد عن الزينة .

١٢٣٤ - أورده الميمني في مجمع الزوائد (١ / ٢٤٩) وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .

١٢٣٥ - البخاري (١ / ١١٢) ٦٧ - كتاب النكاح - ٤ - باب كثرة النساء .

ومسلم (٢ / ١٠٨٦) ١٧ - كتاب الرضاع - ١٤ - باب جواز هبتها نوبتها لضرتها .

زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ بِسَرَفٍ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : هَذِهِ زَوْجَةُ النَّبِيِّ ﷺ فَإِذَا رَفَعْتُمْ نَعْشَهَا فَلَا تَزْعُرُوهَا وَلَا تَزْلُزِلُوهَا وَارْفُقُوا فَإِنَّهُ كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ تِسْعَ كَنَانٍ يَقْسِمُ لثَانٍ وَلَا يَقْسِمُ لَوَاحِدَةٍ .

فَكَانَ يَقْسِمُ لثَانٍ : مَنْ جَلَسَتْهُنَّ مَيُونَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا . أَيِ فَيَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفُوا فَضْلَهَا وَتُرَاعَوْهُ .

١٢٣٦ - * رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ مَيُونِ بْنِ مَهْرَانَ قَالَ : أَتَيْتُ صَفِيَّةَ بِنْتَ شَيْبَةَ امْرَأَةً كَبِيرَةً فَقُلْتُ لَهَا : أَتَزَوِّجُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَيُونَةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ ؟ قَالَتْ : لَا ، وَلَقَدْ تَزَوَّجَهَا وَهِيَ حَلَالَانِ .

* * *

هَؤُلَاءِ هُنَّ أَزْوَاجُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللَّاتِي بَنَى عَلَيْهِنَّ وَدَخَلَ فِيهِنَّ وَثَبَتْ لَهُنَّ أَسْمَاءُ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فَعَلِيهِنَّ رِضْوَانُ اللَّهِ .

* * *

١٢٣٦ - المعجم الكبير (٢٤ - ٢٢٤) .
وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٤ / ٢٦٨) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجال الكبير رجال الصحيح .

عطف : فيمن عقد عليهنّ ولم يدخل بهنّ

والمشهور أنّ هناك ثنتين عقد عليهما رسول الله ﷺ ولم يدخل بهما :

إحداها من بني كلاب وأخرى من كِنْدَة وهي المعروفة بالجوونية ، وقيل إن الكلاية والجوونية واحدة ، وبعضهم يرى أنّ العقود عليهنّ بلا دخول أكثر من ذلك ، وجميع هؤلاء لم تثبت لهنّ التسمية بأُمَّهات المؤمنين وليس لهنّ حقوق الأزواج .

ونحن هنا سنذكر بعض الروايات الواردة في أصولنا عن ذلك بما يتوافر فيه شرطنا ، كما سنذكر بعض الروايات التي لها علاقة بسراريه والواهبات أنفسهنّ له عليه الصلاة والسلام ، وكلّ ذلك تحت عنوان عطف على وصل .

* * *

عطف على وصل

١٢٣٧ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : إن ابنة الجون لما أدخلت على رسول الله ﷺ ودنا منها قالت : أعوذ بالله منك ، فقال : « لقد عذت بعظيم ، الحق بأهلك » .

وفي رواية النسائي ^(١) : أن الكلابية لما دخلت على النبي ﷺ ... الحديث .

قال السندي : قوله (الحق بأهلك) نعلم منه أن الطلاق لا يتوقف على التصريح بل يقع بالكناية .

قال في الفتح : والصحيح أن اسمها أمية بنت النعمان بن شراحيل كما في حديث أبي أسيد ، وقال مرة : أمية بنت شراحيل فنسبت لجدها ، وقيل اسمها أسماء ، وروى ابن سعد عن الواقدي عن ابن أخي الزهري عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : « تزوج النبي ﷺ الكلابية » فذكر مثل حديث الباب ، وقوله الكلابية غلط وإنما هي الكندية ، فكأنما الكلمة تصحفت . نعم للكلابية قصة أخرى ذكرها ابن سعد أيضاً بهذا السند إلى الزهري وقال : اسمها فاطمة بنت الضحاك بن سفيان ، فاستعاذت منه فطلقها ، فكانت تلقط البعير وتقول : أنا الشقية . قال وتوفيت سنة ستين . ومن طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « أن الكندية لما وقع التخيير اختارت قومها ففارقها ، فكانت تقول : أنا الشقية » . ومن طريق سعيد بن أبي هند أنها استعادت منه فأعادها . ومن طريق الكلبي اسمها العالية بنت طبيان بن عمرو ، وحكى ابن سعد أيضاً أن اسمها عمرة بنت يزيد بن عبيد ، وقيل بنت يزيد بن الجون . وأشار ابن سعد إلى أنها واحدة اختلف في اسمها ، والصحيح أن التي استعادت منه هي الجونية . وروى ابن سعد من طريق سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى قال : لم تستعد منه امرأة غيرها . قلت : وهو الذي يغلب على الظن ، لأن ذلك وقع للمستعينة بالخدعة المذكورة فيبعد أن تخدع أخرى بعدها بمثل ما خدعت به بعد شيوع

١٢٣٧ - البخاري (١ / ٣٥٦) ٦٨ - كتاب الطلاق - ٣ - باب من طلق ، وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق ؟ .

(١) النسائي (٦ / ١٥٠) كتاب الطلاق ، باب مواجهة الرجل المرأة بالطلاق .

الخبر بذلك . قال ابن عبد البر : أجمعوا على أن النبي ﷺ تزوج الجونية . واختلفوا في سبب فراقه فقال قتادة : لما دخل عليها دعاها فقالت : تعال أنت . فطلقها . وقيل كان بها وضح^(١) كالعامرية قال : وزعم بعضهم أنها قالت أعوذ بالله منك فتال : « قد عدت بمعاذ وقد أعاذك الله مني » فطلقها . قال : وهذا باطل إنما قال له هذا امرأة من بني العنبر وكانت جميلة فخاف نساؤه أن تغلبهن عليه فقلن لها إنه يعجبه أن يقال له نعوذ بالله منك ففعلت ، فطلقها . كذا قال ، وما أدري لم حكم ببطلان ذلك مع كثرة الروايات الواردة فيه وثبوته في حديث عائشة في صحيح البخاري . اهـ فتح الباري .

١٢٣٨ - * روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنهما قال : ذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ امْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ ، فَأَمَرَ أَبَا أُسَيْدٍ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهَا ، فَأُرْسِلَ فَقَدِمَتْ ، فَتَزَلَّتْ فِي أَجْمِ بَنِي سَاعِدَةَ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جَاءَهَا ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مُنْكَسَةً رَأْسَهَا ، فَلَمَّا كَلَّمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، قَالَ : « قَدْ أَعَذْتُكَ مِنِّي » فَقَالُوا لَهَا : أَتَذَرِينَ مَنْ هَذَا ؟ قَالَتْ : لَا ، قَالُوا : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ، جَاءَكَ لِيُخْطِبَكَ ، قَالَتْ : أَنَا كُنْتُ أَشْقَى مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ سَهْلٌ : فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ حَتَّى جَلَسَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، ثُمَّ قَالَ : « اسْقِنَا » - لِسَهْلٍ - قَالَ : فَأَخْرَجَتْ لَهُمْ هَذَا الْقَدَحَ ، فَأَسْقَيْتُهُمْ فِيهِ ، قَالَ أَبُو حَازِمٍ : فَأَخْرَجَ لَنَا سَهْلٌ ذَلِكَ الْقَدَحَ فَشَرَبْنَا فِيهِ ، ثُمَّ اسْتَوْهَبَهُ بَعْدَ ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَوَهَبَهُ لَهُ .

١٢٣٩ - * روى البخاري عن أبي أُسَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، حَتَّى انْطَلَقْنَا إِلَى حَائِطٍ يُقَالُ لَهُ : الشُّوْطُ ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى حَائِطَيْنِ جَلَسْنَا بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ

(١) الوضع : البياض وقد يكنى به عن البرص .

١٢٣٨ - البخاري (١٠ / ٩٨) - ٧٤ - كتاب الأثرية - ٣٠ - باب الشرب من قدح النبي ﷺ وأنيته .

ومسلم (٣ / ١٥٩١) - ٣٦ - كتاب الأثرية - ٩ - باب إباحة النبيذ الذي لم يشدد ولم يصر مسكراً .

الأجم : واحد الآجام ، وهي الحصون . أنا كنت أشقى من ذلك ، ليس أفعل التفضيل هنا على بابيه وإنما مرادها إثبات الشقاء لها لما فاتها من التزوج برسول الله ﷺ .

١٢٣٩ - البخاري (٩ / ٣٥٦) - ٦٨ - كتاب الطلاق - باب من طلق ، وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق ؟ .

= إلى حائط يقال له الشوط : بفتح المعجمة وسكون الواو بعدها مهملة وقيل معجمة ، وهو بستان في المدينة معروف .

ﷺ « اجلسوا هاهنا » ودخل ، وقد أتى بالجونية فأنزلت في بيت في نخل ، في بيت أميمة بنت النعمان بن شراحيل ومعهما دابتهما حاضنة لها ، فلما دخل عليها النبي ﷺ قال : « هبي نفسك لي » قالت : وهل تهب الملكة نفسها للسوقة ؟ قال : فأهوى بيده يضع يده عليها لتسكن ، فقالت : أعوذ بالله منك ، فقال : « قد عذت بعماد » ثم خرج عنا فقال : « يا أبا أسيد اكسها رازقيين ، وألحقها بأهلها » .

وفي رواية ^(١) عن أبي أسيد ، وعن سهل بن سعد قالا : تزوج النبي ﷺ أميمة بنت شراحيل ، فلما أدخلت عليه بسط يده إليها ، فكأنها كرهت ذلك ، فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقيين .

قال صاحب الفتح : (حتى انتهينا إلى حاطين جلسنا بينهما ، فقال النبي ﷺ : اجلسوا ههنا ودخل) أي إلى الحائط . وفي رواية لابن سعد عن أبي أسيد قال « تزوج رسول الله ﷺ امرأة من بني الجون فأمرني أن آتيه بها فأتيتها بها فأنزلتها بالشوط من وراء ذباب في أطم ، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته ، فخرج يمشي ونحن معه . وذباب بضم المعجمة وموحدتين مخففاً جبل معروف بالمدينة ، والأطم الحصون هو الأجم أيضاً والجمع أطام وأجام كعناق وأعناق ، وفي رواية لابن سعد أن النعمان بن الجون الكندي أتى النبي ﷺ مساماً فقال : ألا أزوجك أجل أيم في العرب ؟ فتزوجها وبعت معه أبا أسيد الساعدي ، قال أبو أسيد : فأنزلها في بني ساعدة فدخل عليها نساء الحي فرحين بها وخرجن فذكرن من جمالها . قوله (فأنزلت في بيت في نخل في بيت أميمة بنت النعمان بن شراحيل) هو بالتثنية في الكل ، وأميمة بالرفع إما بدلاً عن الجونية وإما عطف بيان ، وظن بعض الشراح أنه بالإضافة فقال في الكلام على الرواية التي بعدها : تزوج رسول الله ﷺ أميمة بنت شراحيل ولعل التي نزلت في بيتها بنت أخيها ، وهو مردود فإن مخرج الطريقين واحد ، وإنما جاء الوهم من إعادة لفظ « في بيت » وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة في

= السوقة : من الناس : العامة والزراع .

رازقيين : الثياب الرازقية : ثياب من كتان .

(١) البخاري في نفس الموضع السابق .

مسنده عن أبي نعيم شيخ البخاري فيه فقال « في بيت في النخل أمية إلخ » وجزم هشام بن الكلبي بأنها أسماء بنت النعمان بن شراحيل بن الأسود بن الجون الكندية ، وكذا جزم بتسميتها أسماء محمد بن إسحاق ومحمد بن حبيب وغيرهما ، فلعل اسمها أسماء ولقبها أمية . ووقع في المغازي رواية يونس بن بكير عن ابن إسحق « أسماء بنت كعب الجونية » فلعل في نسبها من اسمه كعب نسبها إليه ، وقيل هي أسماء بنت الأسود بن الحارث بن النعمان . قوله (ومعها دايثها حاضنة لها) الداية بالتحتانية الطئر الموضع وهي معربة ، ولم أقف على تسمية هذه الحاضنة . قوله (هي نفسك لي إلخ) السوق بضم السين المهملة يقال للواحد من الرعية والجمع ، قيل لهم ذلك لأن الملك يسوقهم فيساقون إليه ويصرفهم على مراده ، وأما أهل السوق فالواحد منهم سوقي . قال ابن المنير : هذا من بقية ما كان فيها من الجاهلية ، والسوق عندهم من ليس بملك كائناً من كان ، فكأنها استبعدت أن يتزوج الملكة من ليس بملك ، وكان ﷺ قد خير أن يكون ملكاً نبياً فاختار أن يكون عبداً نبياً تواضعاً منه ﷺ لربه ، ولم يؤاخذها النبي ﷺ بكلامها معذرة لها لقرب عهدها بجاهليتها ، وقال غيره يحتل أنها لم تعرفه ﷺ فخاطبته بذلك ، وسياق القصة من مجموع طرقها يأبى هذا الاحتمال ، نعم سيأتي في أواخر الأثرية من طريق أبي حازم عن سهل بن سعد قال « ذكر للنبي ﷺ امرأة من العرب ، فأمر أبا أسيد الساعدي أن يرسل إليها فقدمت ، فنزلت في أجمل بني ساعدة ، فخرج النبي ﷺ حتى جاء بها فدخل عليها فإذا امرأة منكسة رأسها ، فلما كلمها قالت : أعوذ بالله منك ، قال : لقد أعدتكم مني » فقالوا لها أتدريين من هذا ؟ هذا رسول الله ﷺ جاء ليخطبك ، قالت : كنت أنا أشقى من ذلك . فإن كانت القصة واحدة فلا يكون قوله في حديث الباب ألحقها بأهلها ولا قوله في حديث عائشة الحقي بأهلك تطليقاً ، ويتعين أنها لم تعرفه . وإن كانت القصة متعددة ولا مانع من ذلك فلعل هذه المرأة هي الكلالية التي وقع فيها الاضطراب . وقد ذكر ابن سعد بسند فيه العزمي الضعيف عن ابن عمر قال « كان في نساء النبي ﷺ سنا بنت سفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب ، قال : وكان النبي ﷺ بعث أبا أسيد الساعدي يخطب عليه امرأة من بني عامر يقال لها عمرة بنت يزيد بن عبيد بن رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر ، قال ابن سعد : اختلف علينا اسم الكلالية فقليل فاطمة بنت الضحاك بن سفيان وقيل عمرة بنت يزيد بن عبيد

وقيل سنا بنت سفيان بن عوف وقيل العالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف ، فقال بعضهم هي واحدة اختلف في اسمها ، وقال بعضهم بل كن جمعاً ولكن لكل واحدة منهن قصة غير قصة صاحبتهما » . ثم ترجم الجونية فقال : أسماء بنت النعمان . ثم أخرج من طريق عبد الواحد بن أبي عون قال « قدم النعمان بن أبي الجون الكندي على رسول الله ﷺ مسلماً فقال : يا رسول الله ألا أزوجك أجمل أيم في العرب ، كانت تحت ابن عم لها فتوفي وقد رغبت فيك ؟ قال : نعم . قال : فابعث من يحملها لك . فبعث معه أبا أسيد الساعدي . قال أبو أسيد فأقمت ثلاثة أيام ثم تحملت معي في محفة فأقبلت بها حتى قدمت المدينة فأنزلتها في بني ساعدة ، ووجهت إلى رسول الله ﷺ وهو في بني عمرو بن عوف فأخبرته » الحديث . قال ابن أبي عون : وكان ذلك في ربيع الأول سنة تسع . ثم أخرج من طريق أخرى عن عمر بن الحكم عن أبي أسيد قال « بعثني رسول الله ﷺ إلى الجونية فحملتها حتى نزلت بها في أطم بني ساعدة ، ثم جئت رسول الله ﷺ فأخبرته ، فخرج يمشي على رجله حتى جاءها » الحديث . ومن طريق سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي قال : اسم الجونية أسماء بنت النعمان بن أبي الجون ، قيل لها استعيزي منه فإنه أحظى لك عنده ، وخذعت لما روي من جملها ، وذكر لرسول الله ﷺ من حملها على ما قالت فقال : « إنهن صواحب يوسف وكيدهن » فهذه تنزل قصتها على حديث أبي حازم عن سهل بن سعد ، وأما القصة التي في حديث الباب من رواية عائشة فيمكن أن تنزل على هذه أيضاً فإنه ليس فيها إلا الاستعاذة ، والقصة التي في حديث أبي أسيد فيها أشياء مغايرة لهذه القصة ، فيقوى التعدد ، ويقوى أن التي في حديث أبي أسيد اسمها أمية والتي في حديث سهل اسمها أسماء والله أعلم . وأممية كان قد عقد عليها ثم فارقها وهذه لم يعقد عليها بل جاء ليخطبها فقط . قوله (فأهوى بيده) أي أمالها إليها . ووقع في رواية ابن سعد ، فأهوى إليها ليقبلها ، وكان إذا اختلى النساء أقعى وقبل « وفي رواية لابن سعد « فدخل عليها داخل من النساء وكانت من أجمل النساء فقالت : إنك من الملوك فإن كنت تريد أن تحظي عند رسول الله ﷺ فإذا جاءك فاستعيزي منه » ووقع عنده عن هشام بن محمد عن عبد الرحمن بن الغسيل بإسناد حديث الباب « أن عائشة وحفصة دخلتا عليها أول ما قدمت فشطتاها وخضبتاها ، وقالت لها إحداها : إن النبي ﷺ يعجبه من المرأة إذا دخل عليها أن تقول أعوذ بالله

منك » . قوله (فقال : قد عذت بمعاذ) هو بفتح الميم ما يستعاذ به ، أو اسم مكان العوذ ، والتنوين فيه للتعظيم . وفي رواية ابن سعد « فقال بكه على وجهه وقال : عذت معاذاً . ثلاث مرات » وفي أخرى له « فقال أمن عائد الله » قوله (ثم خرج علينا فقال : « يا أبا أسيد اكسها رازقيين » براء ثم زاي ثم قاف بالثنية صفة موصوف محذوف العلم به ، والرازقية ثياب من كتان بيض طوال قاله أبو عبيدة . وقال غيره : يكون في داخل بياضها زرقعة ، والرازقي الصفيق . قال ابن التين : متعها بذلك إما وجوباً وإما تفضلاً . قلت : سيأتي حكم المتعة في كتاب النفقات قوله (وألحقها بأهلها) قال ابن بطال : ليس في هذا أنه واجهها بالطلاق . وتعقبه ابن المنير بأن ذلك ثبت في حديث عائشة أول أحاديث الباب ، فيحمل على أنه قال لها الحقي بأهلك ، ثم لما خرج إلى أبي أسيد قال له ألحقها بأهلها ، فلا منافاة ، فالأول قصد به الطلاق والثاني أراد به حقيقة اللفظ وهو أن يعيدها إلى أهلها ، لأن أبا أسيد هو الذي كان أحضرها كما ذكرناه . ووقع في رواية لابن سعد عن أبي أسيد قال « فأمرني فرددتها إلى قومها » وفي أخرى له « فلما وصلت بها تصاحبوا وقالوا : إنك لغير مباركة ، فما دهاك ؟ قالت : خُذْتُ . قال فتوفيت في خلافة عثمان » . قال « وحدثني هشام بن محمد عن أبي خيثمة زهير بن معاوية أنها ماتت كنداً » ثم روى بسند فيه الكلبي « أن المهاجر بن أبي أمية تزوجها ، فأراد عمر معاقبتها فقالت : ماضرب عليّ الحجاب ، ولا سميت أم المؤمنين . فكف عنها » وعن الواقدي : سمعت من يقول إن عكرمة بن أبي جهل خلف عليها ، قال : وليس ذلك بثبت . ولعل ابن بطال أراد أنه لم يواجهها بلفظ الطلاق . وقد أخرج ابن سعد من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن الوليد بن عبد الملك كتب إليه يسأله ، فكتب إليه : ماتزوج النبي ﷺ كندية إلا أخت بني الجون فلكها . فلما قدمت المدينة نظر إليها فطلقها ولم يبن بها . فقوله فطلقها يحتمل أن يكون باللفظ المذكور قبل ويحتمل أن يكون واجهها بلفظ الطلاق ، ولعل هذا هو السر في إيراد الترجمة بلفظ الاستفهام دون بت الحكم . واعترض بعضهم بأنه لم يتزوجها إذ لم يجر ذكر صورة العقد ، وامتنعت أن تهب له نفسها فكيف يطلقها ؟ والجواب أنه ﷺ كان له أن يزوج من نفسه بغير إذن المرأة وبغير إذن وليها ، فكان مجرد إرساله إليها وإحضارها ورغبته فيها كافية في ذلك ، ويكون قوله « هبي لي نفسك » تطيباً لحاظها واستئالة لقلبها ، ويؤيده قوله في

رواية لابن سعد « أنه اتفق مع أبيها على مقدار صداقها ، وأن أباهما قال له : إنها رغبت فيك وخطبت إليك » اهـ .

١٢٤٠ - * روى البخاري عن ثابت البناني رحمه الله قال : كنتُ عند أنسٍ وعنده ابنة له ، قال أنس : جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تعرضُ عليه نفسها ، قالت : يا رسول الله ، ألك بي حاجة ؟ فقالت بنت أنس : ما أقلُ خيائها ! واسوأناه ، واسوأناه ، قال : هي خيرٌ منك ، زعيتُ في النبي ﷺ ، فغرضتُ عليه نفسها .

قال في الفتح : (قوله) (وعنده ابنة له) لم أقف على اسمها وأظنها أمينة بالتصغير . قوله (جاءت امرأة) لم أقف على تعيينها ، وأشبه من رأيت بقصتها من تقدم ذكر اسمهن في الواهبات لبلى بنت قيس بن الخطيم ، ويظهر لي أن صاحبة هذه القصة غير التي في حديث سهل . قوله (واسوأناه) أصل السوءة - وهي بفتح المهملة وسكون الواو بعدها همزة - الفعلة القبيحة . وتطلق على الفرج ، والراد هنا الأول . والألف للندبة والهاء للسكت . ثم ذكر المصنف حديث سهل بن سعد في قصة الواهة مطولاً ، وسيأتي شرحه بعد ستة عشر باباً ، وفي الحديثين جواز عرض المرأة نفسها على الرجل وتعريفه رغبتها فيه وأن لا غضاضة عليها في ذلك . وأن الذي تعرض المرأة نفسها عليه بالاختيار لكن لا ينبغي أن يصرح لها بالرد بل يكفي السكوت . وقال المهلب : فيه أن على الرجل أن لا ينكحها إلا إذا وجد في نفسه رغبة فيها ، ولذلك صعد النظر فيها وصوبه . كما سيرد انتهى . وليس في القصة دلالة لما ذكره . قال : وفيه جواز سكوت العالم ومن سئل حاجة إذا لم يرد الإسعاف ، وأن ذلك ألبين في صرف السائل وأدب من الرد بالقول . اهـ فتح الباري .

١٢٤١ - * روى الطبراني عن ابن عباس قال لم يكن عند النبي ﷺ امرأة وهبت نفسها له .

١٣٤٠ - البخاري (١ / ١٧٤) ٦٧ - كتاب النكاح - ٢٢ - باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح .

١٢٤١ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٣٥٢) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٢٤٢ - * روى البخاري ومسلم عن عروة عن عائشة رضي الله عنها : كَانَتْ خَوْلَةً بِنْتُ حَكِيمٍ مِنَ اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : أَمَا تَسْتَحْيِي الْمَرْأَةَ أَنْ تَهَبَ نَفْسَهَا لِلرَّجُلِ ؟ فَلَمَّا نَزَلَتْ ﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾ ^(١) قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا أَرَى رَبِّكَ إِلَّا يَسَارِعُ فِي هَؤُلَاءِ .

وَفِي أُخْرَى ^(٢) ، قَالَتْ : كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَذَكَرَ نَحْوَهُ .

وَفِي أُخْرَى ^(٣) ، قَالَتْ : إِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْتَأْذِنُ فِي يَوْمِ الْمَرْأَةِ مِنَّا ، بَعْدَ أَنْ أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْيِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَفَيْتَ مِنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ ^(٤) فَقُلْتُ لَهَا : مَا كُنْتَ تَقُولِينَ ؟ قَالَتْ : كُنْتُ أَقُولُ لَهُ : إِنْ كَانَ ذَاكَ إِلَيَّ ، فَأَنِّي لَا أُرِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ أُؤَيِّرَ عَلَيْكَ أَحَدًا .

قال السندي : قوله : أما تستحي المرأة قالته تقبيحاً لهذا الفعل وتنفيراً للنساء عنه لثلاث تهب النساء أنفسهن له ﷺ فيكثرن عنده ، قال القرطبي : وسبب ذلك لقوة الغيرة ، وإلا فقد علمت أن الله تعالى أباح له هذا خاصة وأن النساء معذورات ومشكورات في ذلك لعظيم بركته ﷺ وأي منزلة أشرف من القرب لاسيما مخالطة اللحوم ومشابكة الأعضاء قوله : فقلت إن ربك إلخ كناية عن ترك ذلك التنفير والتقبيح لما رأت من مسارعة الله تعالى في مرضاة النبي ﷺ أي كنت أنفر النساء عن ذلك فلما رأيت الله عز وجل أنه يسارع في مرضاة النبي ﷺ تركت ذلك لما فيه من الإخلال بمرضاته ﷺ ، وقال النووي : معنى يسارع في هؤلك يخفف عنك ويوسع عليك في الأمور ولهذا خير ، وقيل : قولها

١٢٤٢ - البخاري (١ / ١٦٤) ٦٧ - كتاب النكاح - ٢٩ - باب هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد .

ومسلم (٢ / ١٠٨٥) ١٧ - كتاب الرضاع - ١٤ - باب جواز هبتها نوبتها لغيرها .

(١) الأحزاب : ٥١ .

ترجي : الإرجاء : التأخير .

(٢) البخاري (٨ / ٥٢٤) ٦٥ - كتاب التفسير - ٧ - باب « ترجي من تشاء منهن ... » .

ومسلم (٢ / ١٠٨٥) ١٧ - كتاب الرضاع - ١٤ - باب جواز هبتها نوبتها .

(٣) البخاري في نفس الموضع السابق .

(٤) الأحزاب : ٥١ .

المذكور أبرزته للغيرة والدلال وإلا فإضافة الهوى إلى النبي ﷺ غير مناسبة فإنه ﷺ منزّه عن الهوى لقوله تعالى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ ^(١) وهو ممن ينهى النفس عن الهوى . ولو قالت في مرضاتك كان أولى وقد يقال المذموم هو الهوى الخالي عن الهدى لقوله : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾ ^(٢) والله أعلم فتأمل .

قال النووي : هذا من خصائص رسول الله ﷺ . وهو زواج من وهبت نفسها له بلا مهر ، قال الله تعالى : ﴿ خَالِصَةً لِّكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٣) واختلف العلماء في هذه الآية ، وهي قوله : (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ) فقيل : ناسخة لقوله تعالى : ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ﴾ ^(٤) ومبيحة له أن يتزوج ما يشاء . وقيل : بل نسخت تلك الآية بالسنة ، قال زيد بن أرقم : تزوج رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية ميمونة ، ومليكة ، وصفية ، وجويرية ، وقالت عائشة رضي الله عنها : ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء . وقيل عكس هذا ، وأن قوله تعالى : ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ ﴾ ناسخة لقوله ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ ﴾ والأول : أصح . قال أصحابنا : الأصح : أنه صلى الله عليه وسلم ما توفي حتى أبيح له النساء مع أزواجه .

قال في الفتح : قوله (كنت أغار) كذا وقع بالغيث المعجمة من الغيرة . ووقع عند الإسماعيلي من طريق محمد بن بشر عن هشام بن عروة بلفظ « كانت تعير اللاتي وهبن أنفسهن » بعين مهملة وتشديد . قوله (وهبن أنفسهن) هذا ظاهر في أن الواهبة أكثر من واحدة ، ويأتي في النكاح حديث سهل بن سعد « أن امرأة قالت : يا رسول الله ، إني وهبت نفسي لك » الحديث ، وفيه قصة الرجل الذي طلبها قال « التمس ولو خائفاً من حديد » ومن حديث أنس « أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت له : إن لي ابنة - فذكرت من جمالها - فأثرتك بها . فقال : وقد قبلتها » فلم تزل تذكر حتى قالت : لم تصدع قط . فقال : « لا حاجة لي في ابنتك » وأخرجه أحمد أيضاً ، وهذه امرأة أخرى بلا شك . وعند ابن أبي حاتم من حديث عائشة : التي وهبت نفسها للنبي ﷺ هي خولة بنت حكيم ،

(٢) القصص : ٥٠ .

(٤) الأحزاب : ٥٢ .

(١) النجم : ٢ .

(٣) الأحزاب : ٥٠ .

وسياقي الكلام عليه في كتاب النكاح ، فإن البخاري أشار إليه معلقاً . ومن طريق الشعبي قال : من الواهبات أم شريك . وأخرجه النسائي من طريق عروة . وعند أبي عبيدة معمر ابن المثنى أن من الواهبات فاطمة بنت شريح . وقيل إن ليلى بنت الخطيم من وهبت نفسها له . ومنهن زينب بنت خزيمه ، جاء عن الشعبي وليس بثابت . وخولة بنت حكيم وهو في الصحيح . ومن طريق قتادة عن ابن عباس قال : التي وهبت نفسها للنبي ﷺ هي ميمونة بنت الحارث ، وهذا منقطع . وأورده من وجه آخر مرسل وإسناده ضعيف . ويعارضه حديث سأك عن عكرمة عن ابن عباس « لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له » أخرجه الطبري وإسناده حسن ، والمراد أنه لم يدخل بواحدة من وهبت نفسها له وإن كان مباحاً له لأنه راجع إلى إرادته لقوله تعالى ﴿ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَنْتَكِحَ مِنْ تَحْتِهَا ﴾ وقد بينت عائشة في هذا الحديث سبب نزول قوله تعالى ﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾ وأشارت إلى قوله تعالى ﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ﴾ وقوله تعالى ﴿ قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم ﴾ وروى ابن مردويه من حديث ابن عمر ومن حديث ابن عباس أيضاً قال : فرض عليهم أن لا نكاح إلا بولي وشاهدين . وقوله (ما أرى ريك إلا يارع في هواك) أي ما أرى الله إلا موجداً لما تريد بلا تأخير ، منزلاً لما تحب وتختار . وقوله ﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾ أي تؤخرهن بغير قسم ، وهذا قول الجمهور ، وأخرجه الطبري عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأبي رزين وغيرهم ، وأخرج الطبري أيضاً عن الشعبي في قوله ﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾ قال : كن نساء وهبن أنفسهن للنبي ﷺ ، فدخل ببعضهن وأرجأ بعضهن لم ينكحهن ، وهذا شاذ ، والحفوظ أنه لم يدخل بأحد من الواهبات كما تقدم وقيل المراد بقوله ﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ أنه كان هم بطلاق بعضهن ، فقلن له : لا تطلقنا واقسم لنا ما شئت ، فكان يقسم مستويا ، وهن اللاتي آواهن ، ويقسم للباقي ما شاء وهن اللاتي أرجأهن . فحاصل ما نقل في تأويل ﴿ تَرْجِي ﴾ أقوال : أحدها : تطلق وتقسك ، ثانيها : تعتزل من شئت منهن بغير طلاق وتقس لغيرها ، ثالثها : تقبل من شئت من الواهبات وترد من شئت . وحديث الباب يؤيد هذا والذي قبله ، واللفظ محتمل للأقوال الثلاثة . وظاهر ما حكته عائشة من استئذانه أنه لم يرج أحداً منهن ، بمعنى أنه لم يعتزل ، وهو قول الزهري

« ما أعلم أنه أرجأ أحداً من نسائه » أخرجه ابن أبي حاتم ، وعن قتادة أطلق له أن يقسم كيف شاء فلم يقسم إلا بالسوية . قوله (يستأذن المرأة في اليوم) أي الذي يكون فيه نوبتها إذا أراد أن يتوجه إلى الأخرى . تكميل : اختلف في المنفي في قوله تعالى في الآية التي تلي هذه الآية وهي قوله ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ﴾ هل المراد بعد الأوصاف المذكورة فكان يحل له صنف دون صنف ؟ أو بعد النساء الموجودات عند التخيير ؟ على قولين ، وإلى الأول ذهب أبي بن كعب ومن وافقه أخرجه عبد الله بن أحمد في زيادات المسند ، وإلى الثاني ذهب ابن عباس ومن وافقه وأن ذلك وقع مجازاة لهن على اختيارهن إياه ، نعم الواقع أنه ﷺ لم يتجدد له تزوج امرأة بعد القصة المذكورة ، لكن ذلك لا يرفع الخلاف . وقد روى الترمذي والنسائي عن عائشة « مامات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء » وأخرج ابن أبي حاتم عن أم سلمة رضي الله عنها مثله . اهـ .

١٢٤٣ - * روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، جئتُ أهب نفسي لك ، فنظر إليها رسول الله ﷺ ، فصعد النظر فيها وصوبه ، ثم طأطأ رسول الله ﷺ رأسه ، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست ، فقام رجل من أصحابه ، فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها ، فقال : « فهل عندك من شيء ؟ » فقال : لا والله يا رسول الله ، فقال : « اذهب إلى أهلِكَ فأنظر : هل تجد شيئاً ؟ » فذهب ، ثم رجع ، فقال : لا والله ، ما وجدت شيئاً ، فقال رسول الله ﷺ : « انظر ولو خاتماً من حديد » فذهب ، ثم رجع فقال : لا والله يا رسول الله ، ولا خاتماً من حديد ، ولكن هذا إزارى - قال سهل : ماله رداء - فلها نصفه ، فقال رسول الله ﷺ : « ما تصنع يا زارك ؟ إن لبسته لم يكن عليها منه شيء ، وإن لبسته لم يكن عليك منه شيء » فجلس

١٢٤٣ - البخاري (٨ / ٥٢٤) ٦٥ - كتاب التفسير - ٧ - باب « ترجي من تشاء منهم وتؤوي إليك من تشاء »

ومسلم (٢ / ١٠٤٠) ١٦ - كتاب النكاح - ١٣ - باب الصداق و » .

فصعد النظر : تصعيد النظر : أن تنظر إلى أعلى الشيء ، وتصويبه : أن تنظر إلى أسفله .

ولو خاتم : هكذا هو في النسخ : خاتم من حديد . وفي بعض النسخ خاتماً . وهذا واضح . والأول صحيح أيضاً .

أي ولو حضر خاتم من حديد .

الرجلَ حَتَّى إِذَا طَالَ مَجْلِسُهُ قَامَ ، فَرَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُوَلِّيًا ، فَأَمَرَ بِهِ فَدُعِيَ ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ : « مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ؟ » قَالَ : مَعِيَ سُورَةُ كَذَا ، وَسُورَةُ كَذَا - عَدَّدَهَا - قَالَ : « تَقْرَؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ ؟ » قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : « أَذْهَبُ ، فَقَدْ مَلَكَتْكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ » .

وفي حديث زائدة ^(١) : « انْطَلِقُ فَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا ، فَعَلِمَهَا مِنَ الْقُرْآنِ » .

وفي حديث فضيل بن سليمان ^(٢) : فَخَفَضَ فِيهَا الْبَصَرَ وَرَفَعَهُ ، فَلَمْ يَرُدهَا ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ : زَوَّجْنِيهَا ، وَفِيهِ : وَلَكِنْ أَشَقُّ بُرْدَتِي هَذِهِ ، فَأَعْطِيهَا النِّصْفَ ، وَآخِذُ النِّصْفَ ، قَالَ : « هَلْ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ ؟ » قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : « أَذْهَبُ فَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ » .

وفي رواية ابن المديني ^(٣) قَالَ : إِنِّي لَفِي الْقَوْمِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، إِذْ قَامَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّمَا قَدْ وَهَبْتُ نَفْسَهَا لَكَ ، فَرَفِئَهَا رَأْيِكَ ، فَلَمْ يُجِبْهَا شَيْئًا ، ثُمَّ قَامَتْ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّمَا قَدْ وَهَبْتُ نَفْسَهَا لَكَ ، فَرَفِئَهَا رَأْيِكَ ، فَلَمْ يُجِبْهَا شَيْئًا ، ثُمَّ قَامَتِ الثَّالِثَةُ فَقَالَتْ : إِنَّمَا قَدْ وَهَبْتُ نَفْسَهَا لَكَ ، فَرَفِئَهَا رَأْيِكَ فَقَامَ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُكْحِنُهَا .

وفي أخرى مختصراً ^(٤) : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ « تَزَوَّجْ وَلَوْ بِخَاتَمٍ مِنْ حَدِيدٍ » .

١٢٤٤ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً كان يُتَهَمُ بِأَمِّ وَلَدٍ

= ملكتها : هكذا هو في معظم النسخ ، وكذا نقلها القاضي عن رواية الأكثرين : ملكتها . وفي بعض النسخ : ملكتها .

(١) مسلم في نفس الموضع السابق .

(٢) البخاري (١٨٨ / ٩) ٦٧ - كتاب النكاح - ٣٧ - باب إذا سئل ، وهو الخاطب .

(٣) البخاري (٢٠٥ / ٩) ٦٧ - كتاب النكاح - ١٠ - باب التزويج - القرآن وبغير صداق .

(٤) البخاري (٢١٦ / ٩) ٦٧ - كتاب النكاح - ١٠ - باب المهر - ١٠ - وخاتم من حديد .

ومسلم مطولاً (١٠٤١ / ٢) ١٦ - كتاب - ١٦ - باب - ١٠ - وجواز كونه تعلم قرآن وخاتم حديد .

١٢٤٥ - مسلم (٢١٣٩ / ٤) ٤٩ - كتاب التوبة - ١ - باب برأ - روى عن النبي ﷺ من الريبة .

رسول الله ﷺ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيٍّ : « اذْهَبْ فَاصْرُبْ عُنُقَهُ » فَأَتَاهُ فَإِذَا هُوَ فِي رَكْبٍ يَتَبَرَّدُ فِيهَا ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : اخْرُجْ ، فَنَاولَهُ يَدَهُ ، فَأَخْرَجَهُ فَإِذَا هُوَ مَجْبُوبٌ لَيْسَ لَهُ ذَكَرٌ ، فَكَفَّ عَلِيٌّ عَنْهُ ، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّهُ لِمَجْبُوبٌ . مَالَهُ ذَكَرٌ .

قال النووي : قيل : لعله كان منافقاً ومستحقاً للقتل بطريق آخر ، وجعل هذا محرماً لقتله بنفاقه وغيره لا بالزنا ، وكف عنه علي رضي الله عنه اعتماداً على أن القتل بالزنا ، وقد علم انتفاء الزنا .

١٢٤٥ - * روى أحمد والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نُهِِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَصْنَافِ النِّسَاءِ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ الْمُهَاجِرَاتِ قَالَ : ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَغْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ ^(١) فَأَحَلَّ اللَّهُ فِتْيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴿ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ ^(٢) وَحَرَّمَ كُلَّ ذَاتِ دِينٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(٣) وَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٤) وَحَرَّمَ مَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ أَصْنَافِ النِّسَاءِ .

١٢٤٦ - * روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : يَا ابْنَ أَخْتِي ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَفْضُلُ بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْقَسَمِ مِنْ مَكْثِهِ عِنْدَنَا ، وَكَانَ قَلَّ يَوْمٌ إِلَّا وَهُوَ

= ري : الركية : البئر .

١٢٤٥ - أحمد في مسنده (١ / ٣١٨) .

والترمذي (٥ / ٣٥٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٣٤ - باب « ومن سورة الأحزاب » . وقال : هذا حديث

حسن .

(٢) الأحزاب : ٥٠ .

(١) الأحزاب : ٥٢ .

حبط عمله : أي بطل .

(٤) الأحزاب : ٥٠ .

(٣) المائدة : ٦ .

١٢٤٦ - أبو داود (٢ / ٢٤٣) كتاب النكاح ، باب في القسم بين النساء .

يَطُوفُ عَلَيْنَا جَمِيعاً ، فَيَدْنُو مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَسِيسٍ ، حَتَّى يَبْلُغَ الَّتِي هُوَ يَوْمُهَا ، فَيَبِيتُ عِنْدَهَا ، وَلَقَدْ قَالَتْ سُودَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ حِينَ أَسْنَتْ وَفَرِقَتْ أَنَّ يُفَارِقَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، يَوْمِي لِعَائِشَةَ ، فَقَبِلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا ، قَالَتْ : تَقُولُ : فِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَجَلَّ فِي أَشْبَاهِهَا ۖ وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَطْلِهَا نُشُوزاً ۖ (١) .

قال في عون المعبود : من غير مسيس : وفي رواية من غير وقاع ، وهو المراد هنا . (فرقت) : أي خافت . (يا رسول الله يومي لعائشة) : أي نوبتي ووقت بيتوتي لعائشة . والحديث فيه دليل على أنه يجوز للرجل الدخول على من لم يكن في يومها من نسائه والتأنيس لها واللمس والتقبيل ، وفيه بيان حسن خلقه ﷺ وأنه كان خير الناس لأهله .

وفيه دليل على جواز هبة المرأة نوبتها لضرتها ويعتبر رضى الزوج لأن له حقاً في الزوجة فليس لها أن تسقط حقه إلا برضائه .

١٢٤٧ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ ، فَأَيُّتَهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ ، وَكَانَ يُقْسِمُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمَهَا وَلَيْلَتُهَا ، غَيْرَ أَنَّ سُودَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا وَلَيْلَتُهَا لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ، تَبْتَغِي بِذَلِكَ رِضَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

قال في عون المعبود : القرعة : بحال السفر وليس على عموه بل لتعين القرعة من يسافر بها . واستدل الحديث على مشروعية القرعة بين الشركاء في القسمة وغير ذلك ، والمشهور عن الحنفية والمالكية عدم اعتبار القرعة . قال القاضي عياض : هو مشهور عن مالك وأصحابه لأنها من باب الحظر والغمار - وهو الرهان - وحكي عن الحنفية إجازتها . اهـ .

١٢٤٨ - * روى مسلم عن أبي سلمة قال : سَأَلْتُ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ كَمْ كَانَ صَدَاقُ

= نشوز المرأة : بُغْضُهَا زَوْجَهَا ، واستعصاؤها عليه ، نشوز الزوج : ضربها وجفاؤها .

(١) النساء : ١٢٨ .

١٢٤٧ - البخاري (٥ / ٢١٨) ٥١ - كتاب الهبة - ١٥ - باب هبة المرأة لغير زوجها

١٢٤٨ - مسلم (٢ / ١٠٤٢) ١٦ - كتاب النكاح - ١٣ - باب الصداق

أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَتْ : كَانَ صَدَاقُهُ لِأَزْوَاجِهِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَوْقِيَّةً ، وَنَشَأَ قَالَتْ : أَتَذِيرِي مَا النَّشْءُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : لَا . قَالَتْ : نِصْفُ أَوْقِيَّةٍ فَتِلْكَ خَمْسَاةٌ دَرَاهِمَ ، فَهَذَا صَدَاقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَزْوَاجِهِ .

١٢٤٩ - * روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْسِمُ فَيَعْدِلُ ، وَيَقُولُ : « اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أُمْلِكُ ، فَلَا تَلْمُنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أُمْلِكُ » - يَعْنِي الْقَلْبَ .

قال في عون المعبود : يقسم فيعدل : أي فيسوي بين نسائه في البيتوتة ، واستدل به من قال إن القسم كان واجباً عليه وذهب البعض إلى أنه لا يجب عليه واستدلوا بقوله تعالى ﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ... ﴾ الآية ^(١) وذلك من خصائصه . (فيما أملك) أي فيما أقدر عليه (فلا تلمني) أي فلا تعاتبني ولا تؤاخذني (فيما تملك ولا أملك) أي عن زيادة المحبة وميل القلب فإنك مقلب القلوب (يعني القلب) هذا تفسير من المؤلف لقوله ما تملك ولا أملك وقال الترمذي يعني به الحب والمودة كذلك فسره أهل العلم . والحديث يدل على أن المحبة وميل القلب أمر غير مقدور للعبد بل هو من الله تعالى ، ويدل له قوله تعالى ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ آتَفَ بَيْنَهُمْ ﴾ - بعد قوله ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ ^(٢) وبه فسروا ﴿ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ ^(٣) .

١٢٥٠ - * روى أبو يعلى والطبراني عن أم سلمة قالت : قال لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ في حَجَّةِ الْوَدَّاعِ : « هِيَ هَذِهِ الْحَجَّةُ ثُمَّ الْجُلُوسُ عَلَى ظَهْرِ الْحُصْرِ فِي الْبَيْتِ » .

= فتلك خمسمائة درهم : أي مجموع المهر .

١٢٤٩ - أبو داود (٢ / ٢٤٢) كتاب النكاح ، باب في القسم بين النساء .

والترمذي (٣ / ٤٣٧) ٩ - كتاب النكاح - ٤٢ - باب ما جاء في التسوية بين الزوجين .

والنسائي (٧ / ٦٤) كتاب عشرة النساء ، باب ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض .

(١) الأحزاب : ٥١ .

(٢) الأنفال : ٢٤ .

١٢٥٠ - المعجم الكبير (٢٣ / ٣١٢) .

وأورده المهيبي في جمع الزوائد (٢ / ٢١٤) وقال : رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير بنحوه ، ورجال أبي يعلى

ثقات .

- ١٢٥١ - * روى الطبراني عن أنس قال : أُوْلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ على أمّ سلمة بتمر وسمن .
- ١٢٥٢ - * روى أبو يعلى عن عائشة : أن النبي ﷺ أُوْلِمَ على بعض نسائه بِمُدَّيْنٍ من شَعِير .

* * *

١٢٥١ - أوردته الهيئتي في مجمع الزوائد وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .

١٢٥٢ - أوردته الهيئتي في مجمع الزوائد وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .

الوصل الثاني
في
بناته وأبنائه وأحفاده
عليه الصلاة والسلام

كل أبناء رسول الله ﷺ وبناته من زوجته خديجة رضي الله عنها ما عدا إبراهيم عليه السلام فإنه من مارية القبطية ، سرّيته رضي الله عنها ، وكل أبنائه الذكور توفّوا في حياته عليه الصلاة والسلام ، وقد توفّيت رقية وأم كلثوم وزينب من بناته عليه الصلاة والسلام في حياته ولم تنجب منهنّ إلا زينب فقد جاءتها بنت هي أمّامة رضي الله عنها لكنّها توفّيت ولم تعقب ، ومن تأخّرت وفاة فاطمة الزهراء بنته عليه الصلاة والسلام إلى ما بعد وفاته بقليل وقد أنجبت الحسن والحسين وغيرهما ممّا سئى ، لكنّ استمرار الذريّة كان في الحسن والحسين فاستبرّت ذريته عليه الصلاة والسلام في عقب فاطمة رضي الله عنها وستحدّث في هذا الوصل عن أبنائه وبناته ﷺ : رقية فأُمّ كلثوم فزينب ففاطمة ثم ولداها : الحسن والحسين .

* * *

أبناؤه عليه الصلاة والسلام

١٢٥٣ - * روى عن الطبراني الأسود بن سريع قال : لما مات عثمان بن مظعون أشفق المسلمون عليه فلما مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ قال : « الْحَقُّ بِسَلَفِنَا الصَّالِحِ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ » .

١٢٥٤ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَلِدَ لِي غُلَامٌ ، فَسَمَيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ » ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أُمِّ سَيْفٍ - امْرَأَةٍ قَيْنٍ ، يَقَالُ لَهُ : أَبُو سَيْفٍ - فَأَنْطَلَقَ يَأْتِيهِ : وَاتَّبَعْتُهُ ، فَأَنْتَهَيْتُنَا إِلَى أَبِي سَيْفٍ - وَهُوَ يَنْفُخُ بِكَبِيرِهِ ، قَدْ امْتَلَأَ الْبَيْتُ دُخَانًا - فَأَسْرَعْتُ الْمَشْيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا سَيْفٍ ، أُمْسِكْ ، جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ فَأُمْسَكَ ، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِالصَّبِيِّ ، فَضَمَّهُ إِلَيْهِ ، وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ، فَقَالَ أَنَسٌ : لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَهُوَ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ - بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « تَذْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ ، وَلَا تَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا ، وَاللَّهِ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ » .

١٢٥٥ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ ، فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ ، وَإِنَّهُ لَيَدَّخُنْ ، وَكَانَ ظُهُرُهُ قَيْنًا ، فَيَأْخُذُهُ فَيَقْبَلُهُ ، ثُمَّ يَرْجِعُ ، قَالَ عَمْرُو : فَلَمَّا تَوَفَّيْ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي ، وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثُّدِيِّ ، وَإِنَّ لَهُ لَظُئْرَيْنِ تَكْمَلَانِ رِضَاعَةً فِي الْجَنَّةِ » .

١٢٥٣ - المعجم الكبير (١ / ٢٨٦) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٠٢) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٢٥٤ - مسلم (٤ / ١٨٠٧) ٤٣ - كتاب الفضائل - ١٥ - باب : رحمة ﷺ بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك .

يكيد بنفسه : أي يحود بها . ومعناه : وهي في النزاع . القَيْن : الصائغ ، وأراد به الحداد .

١٢٥٥ - مسلم (٤ / ١٨٠٨) ٤٣ - كتاب الفضائل - ١٥ - باب : رحمة ﷺ بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك .

الظئر : المرضعة ويسمى زوجها ظئراً لرضيعها ، فالظئر تطلق على الذكر والأنثى .

عوالي المدينة : هي القرى التي عند المدينة .

مات في الثدي : معناه مات وهو في سن رضاع الثدي . أو في حال تغذيته بلبن الثدي .

تكملان رضاعه : أي يتبانه سنتين .

ليدخن : ادخن النار . دخنت .

١٢٥٦ - * روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : لما مات إبراهيم عليه السلام قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ لَهُ مَرْضِعاً فِي الْجَنَّةِ » .

قال في الفتح : وقع في رواية الإسماعيلي « إِنَّ لَهُ مَرْضِعاً تُرَضِّعُهُ فِي الْجَنَّةِ » والمعنى تكمل إرضاعه لأنه لما مات ابن ستة عشر شهراً أو ثمانية عشر شهراً على اختلاف الروايتين ، وقيل إنما عاش سبعين يوماً .

١٢٥٧ - * روى الطبراني عن ابن أبي أوفى وقيل له : هَلْ رَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : نَعَمْ مَاتَ وَهُوَ صَغِيرٌ أَشَبَّهُ النَّاسَ بِهِ ﷺ .

١٢٥٨ - * روى ابن ماجه عن أسماء بنت يزيد قالت : لَمَّا تَوَفَّيَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ بَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ الْمُعْزِيُّ (إِمَّا أَبُو بَكْرٍ وَإِمَّا عُمَرُ) أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ عَظَّمَ اللَّهَ حَقَّهُ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلَا تَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ ، لَوْلَا أَنَّهُ وَعْدٌ صَادِقٌ وَمَوْعُودٌ جَامِعٌ وَأَنَّ الْآخِرَ تَابِعٌ لِلأَوَّلِ ، لَوَجَدْنَا عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمُ ، أَفْضَلَ مِمَّا وَجَدْنَا وَإِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ » .

١٢٥٩ - * روى البخاري عن إسماعيل بن أبي خَالِدٍ قَالَ : قُلْتُ لِابْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : رَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ النَّبِيِّ ﷺ ؟ قَالَ : مَاتَ صَغِيراً ، وَلَوْ قُضِيَ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيٌّ عَاشَ ابْنُهُ ، وَلَكِنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ .

قال في الفتح : قوله (ولو قضي أن يكون بعد محمد نبي عاش ابنه) إبراهيم (ولكن لا نبي بعده) هكذا جزم به عبد الله بن أبي أوفى . ومثل هذا لا يقال بالرأي ، وقد توارد عليه جماعة : فأخرج ابن ماجه من حديث ابن عباس قال : لما مات إبراهيم بن النبي ﷺ

١٢٥٦ - البخاري (١٠ / ٥٧٧) ٧٨ - كتاب الأدب - ١٠٩ - باب من سمي بأسماء الأنبياء .

١٢٥٧ - أورده المهيبي في مجمع الزوائد (٩ / ١٦٢) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبيد بن جناد الحلبي وهو ثقة .

١٢٥٨ - ابن ماجه (١ - ٥٠٦ ، ٥٠٧) ٦ - كتاب الجنائز - ٥٢ - باب ما جاء في البكاء على الميت . وقال البوصيري في الزوائد : إسناده حسن .

حقه : الذي هو النهي عن البكاء والأمر بالصبر . لولا أنه : أي أن الموت جامع للخلائق كلها .

١٢٥٩ - البخاري (١٠ / ٥٧٧) ٧٨ - كتاب الأدب - ١٠٩ - باب من سمي بأسماء الأنبياء .

وقال : إن له مرضعاً في الجنة ، لو عاش لكان صديقاً نبياً ، ولأعتقتُ أخواله القبط ، وروى أحمد وابن منده من طريق السدي : سألت أنساً كم بلغ إبراهيم ؟ قال : كان قد ملأ المهد ، ولو بقي لكان نبياً ، ولكن لم يكن ليبقى ، لأن نبيكم آخر الأنبياء ، ولفظ أحمد لو عاش إبراهيم بن النبي ﷺ لكان صديقاً ولم يذكر القصة . فهذه أحاديثٌ صحيحةٌ عن هؤلاء الصحابة أنهم أطلقوا ذلك ، فلا أدري ما الذي حمل النووي في ترجمة إبراهيم المذكور من كتاب تهذيب الأسماء واللغات على استنكار ذلك ومبالغته حيث قال : هو باطل ، وجسارة في الكلام على المغيبات ، ومجازفة وهجوم على عظيم من الزلل . ويحتل أن يكون استحضر ذلك عن الصحابة المذكورين ، فرواه عن غيرهم ممن تأخر عنهم فقال ذلك ، وقد استنكر قبله ابن عبد البر في « الاستيعاب » الحديث المذكور فقال هذا لا أدري ما هو ، وقد ولد نوح من ليس بنبي ، وكما يلد غير النبي نبياً فكذا يجوز عكسه ، حتى نسب قائله إلى المجازفة والخوض في الأمور المغيبة بغير علم إلى غير ذلك ، مع أن الذي نقل عن الصحابة المذكورين إنما أتوا فيه بقضية شرطية . اهـ .

١٢٦٠ - * روى أحمد عن السُّدِّي قال : سألت أنسَ بنَ مَالِكٍ قُلْتُ صَلَّى رسول الله ﷺ على ابنه إبراهيم ؟ قال : لا أدري رحمة الله على إبراهيم لو عاش لكانَ صديقاً نبياً .

* * *

بناته عليه الصلاة والسلام

١ - رُقِيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

يقول الذهبي في سير أعلام النبلاء : قال ابن سعد : تزوجها عُثْبَةُ بْنُ أَبِي هُبَيْرٍ قبل النبوة كذا قال ، وصوابه : قبل الهجرة .

فلما أُنزِلَتْ ﴿ تَبَّتْ يُدَا أَبِي هُبَيْرٍ ﴾ ^(١) ، قال أبوه : رأسي من رأسيك حرام ، إن لم تطلق بنته . ففارقها قبل الدخول .

وأسلمت مع أمها - خديجة - وأخواتها . ثم تزوجها عُثْمَانُ ، وولدت من عُثْمَانَ عَبْدَ اللَّهِ ، وبه كان يُكنى ، وبلغ ست سنين ، فنقره ديك في وجهه ، فطمير وجهه ، فات (طمر وجهه : ورم وانتفخ .) .

قال ابن سعد : هاجرت معه إلى الحبشة ، الهجرتين جميعاً ، ثم هاجرت إلى المدينة بعد عثمان ، ومرضت قبيل بدر ، فخلف النبي ﷺ عليها عثمان ؛ فتوفيت ، والمسلمون ببدر . اهـ .

قال الذهبي في التلخيص : ذكرها عروة في تسمية الذين خرجوا المرة الأولى إلى هجرة الحبشة مع زوجها عثمان . وقيل كانت أصغر من أختها زينب بثلاث سنين وولدت لعثمان عبد الله ، مات صغيراً .

١٢٦١ - * روى الطبراني عن الزهري قال : توفيت رُقِيَّةُ يَوْمَ جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ببشرى بدر .

* * *

(١) المسد : ١ .

١٢٦١ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢١٧) وقال : رواه الطبراني وهو مرسل ورجاله ثقات .

٢ - زينب بنت رسول الله ﷺ

وأكبر أخواتها من المهاجرات السيدات .

يقول الذهبي في سير أعلام النبلاء : تزوجها في حياة أمها ابنُ خالتها أبو العاص : فولدت له : أمانة التي تزوج بها عليُّ بنُ أبي طالب بعد فاطمة ، وولدت له : عليُّ بن أبي العاص الذي يُقال : إنَّ رسول الله ﷺ أُرْدِفَهُ يوم الفتح ، وأظنه مات صبياً .

وذكر ابنُ سعد : أن أبا العاص تزوّج بزَيْنَب قبل النبوة . وهذا بعيد .

أسلمت زينبُ ، وهاجرتُ قبل إسلام زوجها بست سنين . ا هـ .

وقال الذهبي في تلخيصه للمستدرک : (هي أكبرهن) قاله الزهري فقيل ولدت سنة ثلاثين من مولده - أي مولد النبي عليه الصلاة والسلام وماتت سنة ثمان للهجرة . ا هـ .

وقال الذهبي في السير : قال الشَّعْبِي : أسلمت زينبُ ، وهاجرتُ ، ثم أسلم زوجها بعد ذلك وما فرق بينهما .

وكذا قال قتادة ، وقال : ثم أنزلتُ « براءة » بعد . فإذا أسلمت امرأة قبل زوجها ؛ فلا سبيل له عليها ، إلا بخُطْبَةٍ .

وقال ابنُ إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ رد ابنته إلى أبي العاص بعد سنين بنكاحها الأول ولم يحدث صدقاً .

وعن محمد بن إبراهيم التيمي ، قال : خرج أبو العاص إلى الشام في غير لقريش ؛ فانتدب لها زيد في سبعين ومئة راكب ؛ فلقوا العير في سنة ست ، فأخذوها ، وأسروا أناساً ، منهم أبو العاص ، فدخل على زينب سحراً ، فأجارته ، ثم سألت أباهما ، أن يرده عليه متاعه ففعل ، وأمرها ألا يقربها ما دام مشركاً ، فرجع إلى مكة ، فأدّى إلى كل ذي حق حقه ، ثم رجع مسلماً مهاجراً في المحرم سنة سبع ، فردَّ عليه زينبُ بذاك النكاح الأول ، وتوفيَّت في أول سنة ثمان . ا هـ .

١٢٦٢ - * روى البخاري ومسلم عن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها قالت : دخل علينا رسول الله ﷺ حين توفيت ابنته فقال : « اغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك إن رأيتهن ذلك بماء وسدر ، واجعلن في الآخرة كافوراً أو شيئاً من كافور ، فإذا فرغتن فأذنيني » فلما فرغنا آذناه ، فأعطانا حقوة فقال : « أشعرنها إياه » تعني إزاره .

روى البزار^(١) عن أبي هريرة : بعث رسول الله ﷺ سرية ، وكنت فيهم ، فقال : « إن لقيتم هبار بن الأسود ، ونافع بن عبد عمرو ، فأحرقوها » ، وكانا نخساً بزنب بنت رسول الله حين خرجت ، فلم تزل ضبنة حتى ماتت .
ثم قال : « إن لقيتموها ، فاقتلوهما ؛ فإنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بعذاب الله » .

١٢٦٣ - * روى الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت لما بعث أهل مكة في فداء أسارهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فداء أبي العاص بقلادة وكانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رق لها رقة شديدة ، وقال : « إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها وتردوا عليها الذي لها » .

١٢٦٢ - البخاري (١٢٥ / ٣) ٢٣ - كتاب الجنائز - ٨ - باب غسل الميت ووضوئه بالماء والسدر ومسلم (٦٤٦ / ٢) ١١ - كتاب الجنائز - ١٣ - باب في غسل الميت .

الحقو : الإزار ، وسمي الإزار حقواً ، لأنه يشد على الحقو ، وقوله : « أشعرها إياه » يريد : اجعلنه شعاراً لها ، وهو الثوب الذي يلي جسدها ، فالشعار الثوب الذي يلي الجسد ، والدثار فوق الشعار ، وعنه قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه للأنصار : « أنتم شعار والناس دثار » .

(١) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢ / ٢٤٧) وعزاه إلى البزار وقال محققه وإسناده قوي .
هبار بن الأسود : أسلم ، ففي سنن سعيد بن منصور عن ابن عيينة ، عن ابن نجيح .. فلم تعبه السرية ، وأصابه الإسلام فهاجر ، فذكر قصة إسلامه .

ضبنة : الضبنة هي التي أصابها مرض مزمن .

١٢٦٣ - المستدرک (٤ / ٤٥) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

١٢٦٤ - * روى الطبراني عن عروة بن الزبير أن رجلاً أقبل بزينب بنت رسول الله ﷺ فلحقه رجلان من قریش فقاتلوه حتى غلباه عليها ، فدفعها فوقعت على صخرة فاشققت وأهريقته دماً ، فذهبوا بها إلى أبي سفيان ، فجاءته نساء بني هاشم فدفعها إليهن ، ثم جاءت بعد ذلك مهاجرة فلم تزل وجعة حتى ماتت من ذلك الوجع ، فكانوا يرون أنها شهيدة .

١٢٦٥ - * روى الطبراني عن ابن جريج قال : قال لي غير واحد كانت زينب بنت رسول الله ﷺ أكبر بنات رسول الله ﷺ .

١٢٦٦ - * روى الطبراني عن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة خرجت ابنته زينب من مكة مع كنانة أو ابن كنانة ، فخرجوا في طلبها فأدركها هبار بن الأسود ، فلم يزل يطعن بغيرها برمحه حتى صرعها ، وألقت ما في بطنها فتحمّلت واشتجر فيها بنو هاشم ، وبنو أمية ، فقال بنو أمية : نحن أحقّ بها ، وكانت تحت ابن عمهم أبي العاص ، وكانت عند هند بنت عتبة بن ربيعة ، وكانت تقول هذا في سبب أبيك . فقال رسول الله ﷺ : لزيد بن حارثة : « ألا تنطلق فتجيء بزينب » قال : بلى يا رسول الله . قال : « فخذ خاتمي فأعطها إياه » فانطلق زيد فلم يزل يتلطف

١٢٦٤ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٦ / ٩) وقال : رواه الطبراني وهو مرسل ورجاله رجال الصحيح .

١٢٦٥ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٢ / ٩) وقال : رواه الطبراني ورجاله إلى ابن جريج رجال الصحيح .

١٢٦٦ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٢ / ٩ ، ٢١٣) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط . بعضه ، ورواه البزار (٢٤٢ / ٣ ، ٢٤٣) ورجاله رجال الصحيح .

كنانة : هو ابن الربيع أخو أبي العاص . كذا في ابن هشام .

(قوله : فقال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة ألا تنطلق فتجيء بزينب) : كان زيد وقتذاك لازال له حكم الابن فلم يبلغ التبني إلا بعد زمن من هذه الحادثة فهو أخ لزيب وقتذاك ، وعلى كل حال فهجرة المضطهد به لها أحكام مستثناة من اشتراط المحرم ، لكن الضرورات تقدر بقدرها .

(قوله : قال لها اركبي بين يدي) : هي كانت أخته وقتذاك ، وقد جرت العادة أن يكون للأكرم صدر الدابة ، فهو أراد أن يعطيها صدر الدابة لإجلالها لأنها بنت رسول الله ﷺ لكن أدبها وحياءها منعها من ذلك .

(قوله : هي خير بناقي أصيبت في) : لا ينفي أن تكون فاطمة أفضل منها ، بل زينب أفضل بناته من حشية الابتلاء ، لكن علي بن الحسين خشي أن يفهم ما فهم أنها أفضل من فاطمة فاعتبر ذلك انتقاصاً فأحب أن يزيل الوم .

فَلَقِيَ رَاعِيًا فَقَالَ : لِمَنْ تُرْعَى ؟ فَقَالَ : لِأَبِي الْعَاصِ . فَقَالَ لِمَنْ هَذِهِ الْغَنَمُ فَقَالَ لَزَيْنَبَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَسَارَ مَعَهُ شَيْئًا ، ثُمَّ قَالَ هَلْ لَكَ أَنْ أُعْطِيكَ شَيْئًا تُعْطِيهَا إِيَّاهُ ، وَلَا تَذْكُرُهُ لِأَحَدٍ قَالَ : نَعَمْ . فَأَعْطَاهُ الْخَاتَمَ فَعَرَفَتْهُ فَقَالَتْ ، مَنْ أُعْطَاكَ هَذَا ؟ قَالَ رَجُلٌ قَالَتْ : فَأَيْنَ تَرْكُنتَهُ ؟ قَالَ : بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا فَسَكَتَتْ حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ خَرَجَتْ إِلَيْهِ فَلَمَّا جَاءَتْهُ قَالَ لَهَا ارْكَبِي بَيْنَ يَدَيَّ عَلَى بَعِيرِهِ ، قَالَتْ : لَا وَلَكِنْ ارْكَبُ أَنْتِ بَيْنَ يَدَيَّ فَرَكِبَتْ وَرَأَتْهُ حَتَّى إِذَا أَتَتْ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « هِيَ خَيْرُ بَنَاتِي أُصِيبَتْ فِيَّ » فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ فَأَنْطَلَقَ إِلَى عُرْوَةَ فَقَالَ : مَا حَدِيثُ بَلْغَنِي عَنْكَ أَنْكَ تُحَدِّثُهُ تَنْتَقِصُ حَقَّ فَاطِمَةَ ، فَقَالَ عُرْوَةُ وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ لِي مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَأَنْتِ أَنْتَقِصُ فَاطِمَةَ حَقًّا لَهَا ، وَأَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ إِنْ لِي لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَبَدًا .

١٢٦٧ - * روى الحاكم عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرسل إليها أبو العاص بن الربيع أن خذي لي أماناً من أبيك ، فخرجت فأطلعت رأسها من باب حُجْرَتِهَا والنبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصُّبْحِ يُصَلِّي بِالنَّاسِ ، فَقَالَتْ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَإِنِّي قَدْ أَجْرْتُ أَبَا الْعَاصِ ، فَلَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا عِلْمَ لِي بِهِذَا حَتَّى سَمِعْتُمُوهُ أَلَا وَإِنَّهُ يُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَذْنَاهُمْ » .

١٢٦٨ - * روى الحاكم عن أنس قال : رأيتُ على زينب بنت رسول الله ﷺ بُرْدَةً سِيْرَاءَ

من حرير .

١٢٦٩ * روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : قَدِمَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَلِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ أَهْدَاهَا لَهُ فِيهَا خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ ، فِيهِ فَصٌّ حَبَشِيٌّ ، قَالَتْ : فَأَخَذَهُ

١٢٦٧ - المستدرك (٤ / ٤٥) وسكت عنه الذهبي ، وقد حسنه بعضهم لشواهده .

١٢٦٨ - المستدرك (٤ / ٤٦) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

السرياء : نوع من البرود فيه خطوط صغيرة ، أو يخالطه حرير .

١٢٦٩ - أبو داود (٤ - ٩٢ ، ٩٣) كتاب الخاتم ، باب ما جاء في الذهب للنساء وإسناده حسن .

رسول الله ﷺ بمُودٍ مُعْرِضاً عَنْهُ ، أَوْ بِيَعُضِ أَصَابِعِهِ ، ثُمَّ دَعَا أُمَامَةَ ابْنَةَ أَبِي الْعَاصِ ابْنَةَ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ ، فَقَالَ : « تَحَلِّي بِهَذِهِ يَا بَنِيَّةُ » .

* * *

٣ - أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ

البُضْعَةُ الرَّابِعَةُ النُّبُوَّةُ .

الذهبي في سير أعلام النبلاء : يُقال ، تزوجها عَتِيبَةُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ ، ثم فارقها .
 وأسلمت ، وهاجرتُ بعد النبي ﷺ ؛ فلما تُوِّفِتْ أُخْتُهَا رَقِيَّةُ تَزَوَّجَ بِهَا عُثْمَانُ - وهي
 بِكَرٍّ - في ربيع الأول سنة ثلاث ، فلم تَلِدْ لَهُ .
 وتُوِّفِتْ في شعبان سنة تسع . فقال النبي ﷺ : « لَوْ كُنَّ عَشْرًا لَزَوَّجْتُهُنَّ عُثْمَانُ »
 حكاها ابنُ سعد . اهـ .

١٢٧٠ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : شهدنا بنتاً للنبي
 ﷺ قال : ورسول الله ﷺ جالس على القبر ، قال : فرأيتُ عَيْنَيْهِ تَدُمَّعَانِ ، قال : فقال :
 « هل منكم رجلٌ لم يقارف الليلة » فقال أبو طلحة : أنا ، قال : فانزلُ ، قال : فَنَزَلَ فِي
 قَبْرِهَا .

* * *

١٢٧٠ - البخاري (٣ / ١٥١) ٢٣ - كتاب الجنائز - ٢٢ - باب قول النبي ﷺ يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان
 النوح من سنته .
 وأخرجه الحاكم في المستدرک من طريق حماد بن سلمة عن ثابت ، عن أنس فساها رقية ، والصواب أنها أم كلثوم ،
 وقد وهم حماد في تسميتها فقط .
 وقوله : لم يقارق : أي لم يجامع أهله تلك الليلة .

٤ - فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء عنها : سيدة نساء العالمين في زمانها البضعة النبوية ، والجهة المصطفوية ، أم أبيها (كانت كنية لفاطمة رضي الله عنها) ، بنت سيد الخلق رسول الله ﷺ أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية ، وأم الحسنين .

مولدها قبل المبعث بقليل . وتزوجها الإمام علي بن أبي طالب في ذي القعدة ، أو قبيلة ، ومن سنة اثنتين بعد وقعة بدر .

وقال ابن عبد البر : دخل بها بعد وقعة أحد . فولدت له الحسن والحسين ، ومحمدا ، وأم كلثوم ، وزينب .

وروت عن أبيها ؛ وروى عنها ابنها الحسين ، وعائشة ، وأم سلمة ، وأنس بن مالك وغيرهم ؛ وروايتها في الكتب الستة .

وقد كان النبي ﷺ يحبها ويكرمها ويسر إليها ؛ ومناقبتها غزيرة ؛ وكانت صابرة دينة خيرة صينة قانعة شاكرة لله ؛ وقد غضب لها النبي ﷺ لما بلغه أن أبا الحسن هم بما رآه سائفاً من خطبة بنت أبي جهل ، فترك علي الخطبة رعاية لها ، فما تزوج عليها ولا تسرى فلما توفيت تزوج وتسرى رضي الله عنها .

ولما توفي النبي ﷺ حزنت عليه ، وبكته ، وقالت : يا أبتاه ! إلى جبريل ننعاها ! يا أبتاه ! أجاب رباً دعاه ! يا أبتاه ! جنة الفردوس مأواه !

وقالت بعد دفنه : يا أنس ، كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله ﷺ (١) .

وقد قال لها في مرضه : إني مقبوض في مرضي هذا فبكت ؛ وأخبرها أنها أول أهله

(١) البخاري (٨ / ١٤٩) - ٦٤ - كتاب المغازي - ٨٣ - باب مرض النبي ﷺ ووفاته .

لُحوقاً به ، وأنها سيدة نساء هذه الأمة فضحكت ، وَكَتَمْتُ ذَلِكَ ؛ فلما تُوْفِيَ ﷺ ، سألتها عائشة ؛ فحدثتها بما أُسِرَ إليها (١) .

وقالت عائشة رضي الله عنها : جاءت فاطمة تمشي ما تُخطي مشيتها مشية رسول الله ﷺ . فقام إليها وقال : « مرحباً بابنتي » (٢) .

ولما توفي أبوها تعلقت أمالها بيراثه ، وجاءت تطلب ذلك من أبي بكر الصديق . فحدثها أنه سمع من النبي ﷺ يقول : « لا نُورث ، ما تركنا صدقة » فوجدت عليه ، ثم تملت - أي تناسلت وتشاغلته - (٣) .

روى إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، قال : لما مرضت فاطمة أتى أبو بكر فاستأذن ، فقال علي : يا فاطمة ، هذا أبو بكر يستأذن عليك . فقالت : أتحب أن أذن له قال : نعم .

قال الذهبي : علمت السنة رضي الله عنها ، فلم تأذن في بيت زوجها إلا بأمره ، قال : فأذنت له ، فدخل عليها يترضاها ، وقال : والله ما تركت الدار والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاء مرضات الله ورسوله ومرضاةكم أهل البيت . قال : ثم ترضاها حتى رزيت (٤) .

توفيت بعد النبي ﷺ بخمسة أشهر ، أو نحوها ؛ وعاشت أربعاً أو خمساً وعشرين سنة . وأكثر ما قيل : إنها عاشت تسعاً وعشرين سنة ؛ والأول أصح . وكانت أصغر من زينب ، زوجة أبي العاص بن الربيع ؛ ومن رقية ؛ زوجة عثمان بن عفان ؛ وقد انقطع نسب النبي ﷺ إلا من قبل فاطمة ؛ لأن أمامة بنت زينب ، التي كان النبي ﷺ يحملها في صلاته

(١) البخاري (٨ / ١٣٥) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨٣ - باب مرض النبي ﷺ ووفاته .

(٢) البخاري (٦ / ٦٢٧) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٥ - باب علامات النبوة في الإسلام .

ومسلم (٤ / ١٩٠٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٥ - باب فضائل فاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام .

(٣) البخاري (٦ / ١١٧) ٥٧ - كتاب فرض الجس - ١ - باب فرض الجس .

ومسلم (٣ / ١٣٨٠) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ١٦ - باب قول النبي ﷺ : « لا نورث ما تركناه فهو صدقة » .

(٤) ابن سعد في الطبقات بإسناد صحيح لكنه مرسل .

تزوجت بعلي بن أبي طالب ، ثم من بعده بالمغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي ، وله رؤية ، فجاءها منه أولاد .

قال الزبير بن بكار : انقضى عقب زينب .

وصح أن النبي ﷺ جلل فاطمة وزوجها وابنيها بكساء ، وقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي ، اللهم فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » (١) .

وعن أبي هريرة : نظر النبي ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين ، فقال : « أنا حرب لمن حاربكم ، سلم لمن سالمكم » (٢) .

وعن أبي سعيد : قال رسول الله ﷺ : « لا يبعثنا أهل البيت - أحد ، إلا أدخله الله النار » (٣) .

وعن ابن عباس مرفوعاً : « أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة » (٤) .

وكان لها من البنات : أم كلثوم ، زوجة عمر بن الخطاب ؛ وزينب ، زوجة عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب .

وعن عائشة ، قالت : عاشت فاطمة بعد النبي ﷺ ستة أشهر ، ودُفنت ليلاً .

وقال سعيد بن عفير : ماتت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة ؛ وهي بنت سبع وعشرين سنة أو نحوها ، ودُفنت ليلاً .

وروى يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : مكثت فاطمة بعد النبي ﷺ ستة أشهر وهي تدوب .

(١) الترمذي (٥ / ٦٩٩) ٥٠ - كتاب المناقب - ٦١ - باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ . وأحد في مسنده (٦ / ٣٠٤) والحاكم (٢ / ٤١٦) .

(٢) أحد في مسنده (٢ / ٤٤٢) والحاكم (٣ / ١٤٩) .

ورواه الحاكم أيضاً من حديث زيد بن أرقم وكذلك الترمذي (٥ / ٦٩٩) ٥٠ - كتاب المناقب - ٦١ - باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ .

(٣) أخرجه الحاكم وصححه وأقره الذهبي .

(٤) أحد في مسنده (١ / ٣١٦ ، ٢٩٣) .

وما ينسب إلى فاطمة ولا يصح :

مَاذَا عَلَى مَنْ شَمَّ تَرْبَةَ أَحْمَدَ أَلَا يَشْمُ مَدَى الزَّمَانِ غَوَالِيَا
صُبَّتْ عَلَى مَصَائِبَ لَوْ أَنَّهَا صُبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ عُذُنَ لِيَالِيَا

ولها في مسند بقي ثمانية عشر حديثاً ، منها حديث واحد متفق عليه .

وعن أبي جعفر الباقر : أنها توفيت بنت ثمان وعشرين سنة . ولدت وقريش تبنى الكعبة . قال : وغسلها علي .

وذكر المسبحي : أن فاطمة تزوج بها علي بعد عرس عائشة بأربعة أشهر ونصف ، ولفاطمة يومئذ خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف .

قتيبة بن سعيد : حدثنا محمد بن موسى : عن عون بن محمد بن علي عن أمه أم جعفر . وعن عمارة بن مهاجر ، عن أم جعفر : أن فاطمة قالت لأسماء بنت عميس : إني أستقبح ما يصنع بالنساء ، يطرح على المرأة الثوب ، فيصفها أي وهي على نعشها .

قالت : يا ابنة رسول الله ، ألا أريك شيئاً رأيته بالحشة ؟ فدعت بجرائد رطبة فحنّتها ثم طرحت عليها ثوباً .

فقالت فاطمة : ما أحسن هذا وأجله ! إذا ميت فغسليني أنت وعلي ، ولا يدخلن أحد علي .

فلما توفيت ، جاءت عائشة لتدخل ، فقالت أسماء : لا تدخل . فشكت إلى أبي بكر . فجاء ، فوقف على الباب ، فكلّم أسماء . فقالت : هي أمرتني . قال : فاصنعي ما أمرتك ، ثم انصرف .

قال ابن عبد البر : هي أول من غطي نعشها في الإسلام على تلك الصفة . ١ هـ .

١٢٧١ * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : دعا النبي ﷺ فاطمة عليها

١٢٧١ = البخاري (٨ / ١٣٥) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨٣ - باب مرض النبي ﷺ ووفاته .

السلام في شكواه الذي قبض فيه ، فسارها بشيء فبكّت ، ثم دعاها فسارها بشيء فضحكّت ، فسالنا عن ذلك ؟ فقالت : سارني النبي ﷺ أنه يقبض في وجهه الذي توفي فيه فبكيت ، ثم سارني فأخبرني أبي أول أهله يتبعه فضحكّت .

وفي رواية ، قال (١) : كن أزواج النبي ﷺ عنده لم يغادر منهن واحدة فأقبلت فاطمة تمشي ، ما تخطو مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً فلما رآها رحب بها ، فقال : « مرحباً بابنتي » ثم أجلسها عن يمينه - أو عن شماله - ثم سارها ، فبكّت بكاءً شديداً ، فلما رأى جزعها سارها الثانية ، فضحكّت ، فقلت لها : خصك رسول الله ﷺ من بين نساؤه بالسرار ، ثم أنت تبكين ؟ فلما قام رسول الله ﷺ سألتها : ما قال لك رسول الله ﷺ ؟ قالت : ما كنت أفشي على رسول الله ﷺ سره ، قالت : فلما توفي رسول الله ﷺ قلت : عزمت عليك بمالي عليك من الحق ، لما حدثتني ما قال لك رسول الله ﷺ ، قالت : أما الآن فنعم ، أما حين سارني في المرة الأولى ، فأخبرني أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة ، وأنه عارضه الآن مرتين ، وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب ، فأتقي الله وأصبري ، فإنه نعم السلف أنا لك ، قالت : فبكيت بكائي الذي رأيت ، فلما رأى جزعي سارني الثانية ، فقال : يا فاطمة ، أما ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين - أو سيّدة نساء هذه الأمة - ؟ قالت : فضحكّت ضحكي الذي رأيت .

وفي أخرى (٢) عن عائشة قالت : اجتمع نساء النبي ﷺ . فلم يغادر منهن امرأة . فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ . فقال : « مرحباً بابنتي »

= (١) مسلم (١٩٠٥ ، ١٩٠٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٥ - باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام .
السرار : السارة أي حديث السر .

عزمت عليك : أي أقمت .

(٢) مسلم (٤ / ١٩٠٥ ، ١٩٠٦) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٥ - باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام .

لم يغادر : أي لم يترك .

فَاجْلَسَتْهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ . ثُمَّ إِنَّهُ أَسْرَ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ فَاطِمَةُ . ثُمَّ إِنَّهُ سَارَهَا فَضَحِكَتْ أَيْضًا . فَقُلْتُ لَهَا : مَا يُبْكِيكَ ؟ فَقَالَتْ : مَا كُنْتُ لِأَفْشِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَقُلْتُ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ . فَقُلْتُ لَهَا حِينَ بَكَتْ : أَخْصَكِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِحَدِيثِهِ دُونَنَا ثُمَّ تَبْكِينَ ؟ وَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ فَقَالَتْ : مَا كُنْتُ لِأَفْشِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . حَتَّى إِذَا قُبِضَ سَأَلْتُهَا فَقَالَتْ : إِنَّهُ كَانَ حَدَّثَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً . وَإِنَّهُ عَارِضُهُ بِهِ فِي الْعَامِ مَرَّتَيْنِ ؛ وَلَا أَرَانِي إِلَّا قَدْ حَضَرَ أَجْلِي ؛ وَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِي لِحَقْوَا بِي ؛ وَنِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكَ فَبَكَيتُ لِذَلِكَ . ثُمَّ إِنَّهُ سَارَنِي فَقَالَ : « أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ » ؟ فَضَحِكَتُ لِذَلِكَ .

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ ^(١) قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَبَّهُ سُبْحًا وَذَلَا وَهَدِيًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فِي قِيَامِهَا وَقُعُودِهَا - مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَتْ : وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَامَ إِلَيْهَا ، فَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ ، إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ مِنْ مَجْلِسِهَا ، فَقَبَّلَتْهُ وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا ، فَلَمَّا مَرِضَ النَّبِيُّ ﷺ ، دَخَلَتْ فَاطِمَةُ فَأَكْبَتْ عَلَيْهِ ، فَقَبَّلَتْهُ ، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا ، فَبَكَتْ ، ثُمَّ أَكْبَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا فَضَحِكَتْ ، فَقُلْتُ : إِنْ كُنْتُ لَأُظَنُّ أَنْ هَذِهِ مِنْ أَغْفَلِ نِسَائِنَا ، فَإِذَا هِيَ مِنَ النِّسَاءِ ، فَلَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ لَهَا : أَرَأَيْتِ حِينَ أَكْبَيْتِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَرَفَعْتَ رَأْسَكَ فَبَكَيتِ ثُمَّ أَكْبَيْتِ عَلَيْهِ ، فَرَفَعْتَ رَأْسَكَ فَضَحِكَتِ : مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : إِنِّي إِذَا لَبَدْرَةٌ ، أَخْبَرَنِي أَنَّهُ مَيِّتٌ مِنْ وَجَعِهِ هَذَا فَبَكَيتُ ، ثُمَّ أَخْبَرَنِي : أَنِّي أُسْرِعُ أَهْلِي لِحَقْوَا بِهِ ، فَذَلِكَ حِينَ ضَحِكَتُ .

قال في الفتح : قوله (دعا النبي ﷺ فاطمة في شكواه الذي قبض فيه فسارها بشيء) وفي أول هذا الحديث من رواية مسروق عن عائشة كما مضت في علامات النبوة : أقبلت

= (١) الترمذي (٥ / ٧٠٠) ٥٠ - كتاب المناقب - ٦١ - باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ . وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

يعارضه القرآن : أي يدارسه في كل عام مرة واحدة بجميع القرآن الذي نزل .
نعم السلف : للماضون ، أي نعم ما تقدم لك مني ، لأن السلف : ما تقدم من الآباء والأجداد .
للبيرة : البئر : الذي يفضي السر ، ويظهر ما يستعنه .

فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية النبي ﷺ فقال النبي ﷺ : مرحباً ببنتي ، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثم سارها ، ولأبي داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت : ما رأيت أحداً أشبه سمتاً وهدياً ودلاً برسول الله ﷺ بقيامها وقعودها من فاطمة ، وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها وقبلها وأجلسها في مجلسه ؛ وكان إذا دخل عليها فعلت ذلك . فلما مرض دخلت عليه فأكبت عليه تقبله ، واتفقت الروايتان على أن الذي سارها به أولاً فبكت هو إعلامه إياها بأنه ميت من مرضه ذلك ، واختلفا فيما سارها به ثانياً فضحكت ، ففي رواية عروة أنه إخبار إياها بأنها أول أهله لحوقاً به ، وفي رواية مسروق أنه إخباره إياها بأنها سيدة نساء أهل الجنة ، وجعل كونها أول أهله لحوقاً به مضموماً إلى الأول وهو الراجح ، فإن حديث مسروق يشتمل على زيادات ليست في حديث عروة وهو من الثقات الضابطين ، فما زاده مسروق قول عائشة : فقلت ما رأيت كالיום فرحاً أقرب من حزن ، فسألته عن ذلك فقالت : ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ ، حتى توفي النبي ﷺ فسألته فقالت : أسر إلي أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة ، وأنه عارضني العام مرتين ، ولا أراه إلا حضراً أجلي ، وإنك أول أهل بيتي لحوقاً بي ، وقولها : كأن مشيتها ، هو بكسر الميم لأن المراد الهيئة ، وقولها « ما رأيت كالיום فرحاً » التقدير ما رأيت كفرح اليوم فرحاً أو ما رأيت فرحاً كفرح رأيت اليوم ، وقولها « حتى توفي » متعلق بحذوف تقديره : فلم تقل لي شيئاً حتى توفي ، وقد طوى عروة هذا كله فقال في روايته بعد قوله : فضحكت : فسألناها عن ذلك فقالت سارني أنه يقبض في وجهه الذي توفي فيه : الحديث .

وفي رواية عائشة بنت طلحة من الزيادة : أن عائشة لما رأت بكاءها وضحكها قالت إن كنت لأظن أن هذه المرأة أعقل النساء ، فإذا هي من النساء ، ويؤيده الجزم في رواية عروة بأنه ميت من وجعه ذلك ، بخلاف رواية مسروق ففيها أنه ظن ذلك بطريق الاستنباط مما ذكره من معارضة القرآن ، وقد يقال : لا منافاة بين الخبرين إلا بالزيادة ، ولا يمتنع أن يكون إخباره بأنها أول أهله لحوقاً به سبباً لبكائها أو ضحكها معاً باعتبارين ، فذكر كل من الروايين ما لم يذكره الآخر . وقد روى النسائي

من طريق أبي سلمة عن عائشة في سبب البكاء أنه ميت ، وفي سبب الضحك الأمرين الآخرين ولابن سعد من رواية أبي سلمة عنها أن سبب البكاء موته ، وسبب الضحك أنها سيدة النساء . وفي رواية عائشة بنت طلحة عنها أن سبب البكاء موته ، وسبب الضحك لحاقها به . وعند الطبري من وجه آخر عن عائشة أنه قال لفاطمة : إن جبريل أخبرني أنه ليس امرأة من نساء المسلمين أعظم ذرية منك فلا تكوني أدنى امرأة منهن صبراً . وفي الحديث إخباره ﷺ بما سيقع فوقه كما قال ، فإنهم اتفقوا على أن فاطمة عليها السلام كانت أول من مات من أهل بيت النبي ﷺ بعده حتى من أزواجه .

١٢٧٢ * روى الترمذي عن جميع بن عمير التيمي رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : دَخَلْتُ مَعَ عَمِّي عَلَى عَائِشَةَ ، فَسَأَلْتُ أَيُّ النَّاسِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ قَالَتْ : فَاطِمَةُ ، قِيلَ : مِمَّنِ الرِّجَالِ ؟ قَالَتْ : زَوْجَهَا ، إِنْ كَانَ مَا عَلِمْتُ صَوَاماً قَوَاماً .

١٢٧٣ * روى أبو يعلى عن أنس أن النبي ﷺ أعطى علياً وفاطمة غلاماً وقال أحسنا إليه فأني رأيته يصلي .

١٢٧٤ * روى البزار والطبراني عن ابن عباس أن علياً تزوج فاطمة من رسول الله ﷺ ببَئِنٍ من حديد .

١٢٧٥ * روى الترمذي عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : إن علياً ذكر بنت أبي جهل ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فقال : « إنا فاطمة بضعة مني يؤذيها ما آذاها ، ويُنصَبني ما أنصبها » .

١٢٧٢ - الترمذي (٥ / ٧٠١) ٥٠ - كتاب المناقب ٦١ - باب فضل فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وقال : هذا حديث حسن غريب .

١٢٧٣ - رواه أبو يعلى ورجاله ثقات .

١٢٧٤ - البزار : كشف الأستار (٢ / ١٦٢) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٤ / ٢٨٣) . وقال : رواه البزار والطبراني ورجال الطبراني رجال الصحيح .

البَئِن : الدرع القصيرة .

١٢٧٥ - الترمذي (٥ / ٦٩٠) ٥٠ - كتاب المناقب ٦١ - باب فضل فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

١٢٧٦ * روى الحاكم عن سويد بن غفلة ، قال : خطب عليّ بنت أبي جهل إلى عمها الحارث بن هشام ، فاستشار النبي ﷺ ، فقال : « أَعَنْ حَسْبُهَا تَسْأَلُنِي » ؟ قال عليّ : قد أعلم ما حَسْبُهَا . ولكن أتاؤني بها ؟ فقال : « لا ، فاطمة مضغة مني ، ولا أحسب إلا أنها تحزن أو تجزع » قال : لا آتي شيئا تكرهه .

١٢٧٧ * - روى الطبراني عن علي أيضاً : قلت لأمي فاطمة بنت أسد بن هاشم : اكفي فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء والذهب في الحاجة وتكفيك خدمة الداخل الطحن والمعجن .

١٢٧٨ * - روى الحاكم عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم / قال : جاءت ابنة هيرة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي يديها فتخ من ذهب أو خواتيم من ذهب فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضرب بيديها ، فأنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فشكت إليها ما صنع بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال ثوبان فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فاطمة ، وأنا معه ، وقد أخذت من عنقها سلسلة من ذهب ، فقالت : هذه أهداها إليّ أبو حسن والسلسلة في يديها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا فاطمة أيسرك أن تقول الناس فاطمة بنت محمد ، وفي يدك سلسلة من نار » ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقعد ، فعمدت فاطمة إلى السلسلة ، فاشتريت بها غلاماً فأعتقته ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار » .

قال الشيخ شعيب محقق السير : أخرجه أحمد من طريق همام والنسائي من طريق هشام كلاهما عن يحيى بن أبي كثير ، قال : حدثني زيد بن سلام عن جده أبي سلام عن أبي

١٢٧٦ - المستدرک (٢ / ١٥٩) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة وصححه الذهبي وقال : مرسل قوي .

١٢٧٧ - رواه الطبراني وقال الميمني : ورجال الرواية الثانية - أي هذه الرواية رجال الصحيح .

١٢٧٨ - المستدرک (٢ / ١٥٢) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ؛ وسكت عنه الذهبي .
فتخ : جمع فتخة : خاتم كبير يكون في اليد والرجل .

أسماء الرحي . وهذا سند رجاله ثقات إلا أنه قد أُعلِّ بالانقطاع ، فقل نقل ابن القيم في « تهذيب السنن » ٦ / ١٢٦ عن ابن القطان قوله : وعلمته أن الناس قالوا : إن رواية يحيى ابن أبي كثير ، عن زيد بن سلام منقطعة ، على أن يحيى قال : حدثني زيد بن سلام ، وقد قيل : إنه دلس ذلك ، ولعله كان أجازه زيد بن سلام ، فجعل يقول : حدثنا زيد . وهذا النوع من التدليس بيّنه الحافظ ابن حجر في « طبقات المدلسين » فقال : ويلتحق بالتدليس ما يقع من بعض المحدثين من التعبير بالتحديث أو الإخبار عن الإجازة موهاً السماع ، ولا يكون سمع من ذلك الشيخ شيئاً . وقال المؤلف في « ميزانه » في ترجمة يحيى بن أبي كثير : وروايته عن زيد بن سلام منقطعة ، لأنها من كتاب وقعت له . ومع كل ما تقدم ، فقد صحح الحديث الحاكم ، ووافقه الذهبي ، وصححه أيضاً الحافظ المنذري في « الترغيب والترهيب » ١ / ٥٥٧ في باب الترهيب من منع الزكاة .

وما ذهب إليه الشيخ ناصر الدين الألباني بالاستناد إلى هذا الحديث وغيره مما أورده في « آداب الزفاف » من تحريم تحلي النساء بالذهب المحلق ، وإباحة غير المحلق لهن ، فقد خالف بذلك إجماع المسلمين سلفاً وخلفاً على إباحة تحلي النساء بالذهب محلقاً وغير محلق كالطوق والخاتم والسوار ، والخلخال والقلائد ، وقد نقل الإجماع غير واحد من العلماء المحققين كالجصاص الرازي في « أحكام القرآن » ٤ / ٤٧٧ والقرطبي في « تفسيره » ١٦ / ٧١ ، والنووي في « المجموع » ٤ / ٤٤٢ و ٦ / ٤٠ ، والحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١٠ / ٣١٧ - ولا يتسع هذا التعليق لبيان وهاء رأيه هذا الذي انفرد به ، والشبهات التي أثارها حول هذه المسألة ، ونحيل القارئ الكريم على كتاب « إباحة التحلي بالذهب المحلق للنساء » للشيخ الفاضل إسماعيل بن محمد الأنصاري ! فقد تكفل بالرد عليه ، وتوهين ما استند إليه من الأحاديث التي يظن أنها تدل على مدعاه ، ونقل عن العلماء أن المراد منها - على فرض صحتها - وغير ما ذهب إليه ، وأورد نصوصاً من الكتاب والسنة الصحيحة تدل على صحة ما ذهب إليه جماهير السلف والخلف من العلماء ، وقد أجاد في كل ذلك وأفاد ، فجزاه الله عنا خير الجزاء .

١٢٧٩ * روى الحاكم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال وهو في مرضه الذي توفي فيه ؟ يا فاطمة ألا ترخين أن تكوني سيّدة نساء العالمين وسيّدة نساء هذه الأمّة ، وسيّدة نساء المؤمنين . هذا إسناد صحيح ولم يخرجاه هكذا .

كذا في المستدرک ، قال الذهبي صحيح .

١٢٨٠ * روى الحاكم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت إذا دخلت عليه رحّب بها ، وقام إليها فأخذ بيدها فقبلها وأجلسها في مجلسه . هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

١٢٨١ * روى الحاكم عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إننا فاطمة شجنة مني يبسطني ما يبسطها ويقبضني ما يقبضها .

١٢٨٢ * روى الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « فاطمة سيّدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران » .

١٢٨٣ * روى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتت فاطمة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسأله خادماً ، فقال لها : « الذي جئت تطلبين أحب إليك أم خير منه » قال : فحسبت أنها سألت علياً قال : قولي اللهم ربّ السماوات وربّ

١٢٧٩ - المستدرک (١٥٦ / ٣) وقال : هذا إسناد صحيح ولم يخرجاه هكذا ، وقال الذهبي : صحيح .

١٢٨٠ - المستدرک (١٥٤ / ٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

١٢٨١ - المستدرک (١٥٤ / ٣) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

الشجنة : الشجّة : الشجرة من كل شيء .

١٢٨٢ - المستدرک (١٥٤ / ٣) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه إنما تفرد مسلم بإخراج حديث أبي موسى

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « خير نساء العالمين أربع » .

وقال الذهبي : صحيح .

١٢٨٣ - المستدرک (١٥٧ / ٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

العرش العظيم رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ مُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ .

١٢٨٤ - * روى الحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ بِنْتُ إِيمَانَ ، وَآسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ » .

١٢٨٥ - * روى الحاكم عن ابن عباس قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ « أَفْضَلُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَمَرْيَمُ بِنْتُ إِيمَانَ ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مَرْحَمٍ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ » .

١٢٨٦ - * روى الحاكم عن علي رضي الله عنه قال : جَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي خَمِيلٍ وَقِرْبَةٍ وَوَسَادَةٍ ، مِنْ أَدَمٍ حَشَوْهَا لُبَنًا .

١٢٨٧ - * روى الحاكم عن عائشة رضي الله عنها : أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا ذُكِرَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَصْدَقَ لَهْجَةٍ مِنْهَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ الَّذِي وَلَدَهَا .

١٢٨٨ - * روى الحاكم عن حذيفة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « نَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ ، فَاسْتَأْذَنَ اللَّهُ أَنْ يُسَلَّمَ عَلَيَّ لَمْ يَنْزِلْ قَبْلَهَا ، فَبَشَّرَنِي أَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ » .

١٢٨٤ - المستدرک (٢ / ١٥٨) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ فإن قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ » يسوي بين نساء الدنيا . وأقره الذهبي .

١٢٨٥ - المستدرک (٢ / ٥٩٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذا اللفظ وقال الذهبي : صحيح .
خميل : الخليل : القטיפه .

١٢٨٦ - المستدرک (٢ / ١٨٥) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي : صحيح .

١٢٨٧ - المستدرک (٣ / ١٦١) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

١٢٨٨ - المستدرک (٣ / ١٥١) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي : صحيح .

١٢٨٩ - * روى أحمد عن النعمان بن بشير قال : استأذن أبو بكر على رسول الله ﷺ فسمع صوت عائشة عالياً وهي تقول : والله لقد عرفت أن علياً وفاطمة أحب إليك مني ومن أبي مرتين أو ثلاثاً ، فاستأذن أبو بكر فأهوى إليها ، فقال : يا بنت فلانة لا أسمعك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ .

١٢٩٠ - * روى الطبراني عن ابن عباس قال دخل رسول الله ﷺ على علي وفاطمة ، وهما يضحكان ، فلما رآها النبي ﷺ سكتا فقال لهما النبي ﷺ « ما لكما كنتما تضحكان ، فلما رأيتماني سكتما » فبادرت فاطمة فقالت : بأبي أنت يا رسول الله قال هذا : أنا أحب إلى رسول الله ﷺ منك ، فقلت : بل أنا أحب إلى رسول الله ﷺ منك فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « يا بنية لك رقة الولد وعلي أعز علي منك » .

١٢٩١ - * روى الطبراني عن أسماء بنت عميس قالت : لما أهديت فاطمة إلى علي بن أبي طالب لم نجد في بيتي إلا زملاً مبسوطاً ووسادة خشوها ليف وجرّة وكوزاً فأرسل رسول الله ﷺ : « لا تحدثن حديثاً » أو قال : « لا تقربن أهلَكَ حتى آتيك » فجاء النبي ﷺ فقال : « أنتم أخِي » فقالت أم أيمن وهي أم أسامة بن زيد وكانت حبشية ، وكانت امرأة صالحة : يا رسول الله هذا أخوك وزوجته ابنتك : وكان النبي ﷺ أخى بين أصحابه وأخى بين علي ونفسه ، قال : « إن ذلك يكون يا أم أيمن » قالت : فدعا النبي ﷺ بإناء فيه ماء ثم قال : ما شاء الله أن يقول ، ثم مسح صدر علي ووجهه ، ثم دعا فاطمة ، فقامت إليه فاطمة تعتر في مِرطها من الحياء فنضح

١٢٨٩ - أحمد في مسنده : (٢٧٥ / ٤) وأورده الهيثمي في الجمع (٢٠١ / ٩) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

١٢٩٠ - أورده الهيثمي (٢٠٢ / ٩) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

بأبي أنت : أي أفديك بأبي ، وهو أبوها .

١٢٩١ - المعجم الكبير (١٣٧ / ٢٤) وأورده الهيثمي (٢١٩ / ٩ ، ٢١٠) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

زملاً : رمال الحصى ، الرمال : ما رمل أي نسج ، والمراد أنه كالحرير قد نسج وجهه بالسعف ولم يكن على الحرير وطاء سوى الحصى .

فنضح عليها : أي رش .

مِرطها : كساء من قطن أو صوف أو كتان ، وتتلفع به المرأة .

عَلَيْهَا مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا : مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ قَالَ لَهَا : « أَمَا إِنِّي لَمْ أَلِكْ أَنْ أَنْكَحْتُكَ أَحَبَّ أَهْلِي إِلَيَّ » ثُمَّ رَأَى سَوَادًا مِنْ وَرَاءِ السُّتْرِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ ، فَقَالَ : « مِنْ هَذَا » قَالَتْ أَسْمَاءُ قَالَ : « أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمَيْسٍ » قَالَتْ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : « جِئْتُ كَرَامَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ » : قَالَتْ نَعَمْ إِنَّ الْفَتَاةَ لَيْلَةَ يُبْنَى بِهَا لَابُدُّ لَهَا مِنْ امْرَأَةٍ تَكُونُ قَرِيبًا مِنْهَا إِنْ عَرَضَتْ لَهَا حَاجَةٌ أَفْضَتْ ذَلِكَ إِلَيْهَا قَالَتْ : فَدَعَا لِي بِدُعَاءٍ إِنَّهُ لَا وَتَقُو عَمَلِي عِنْدِي ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ « ذُونُكَ أَهْلَكَ » ثُمَّ خَرَجَ قَوْلِي ، فَمَا زَالَ يَدْعُو لَهُمَا حَتَّى تَوَارَى فِي حُجْرِهِ .

١٩٨٢ - * روى الطبراني والبخاري عن بريدة قال : قَالَ نَفَرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عِنْدَكَ فَاطِمَةُ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « مَا حَاجَةٌ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتُ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « مَرْحَبًا وَأَهْلًا » لَمْ يَزِدْ عَلَيْهَا فَخَرَجَ عَلِيٌّ بِنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَى أَوْلَاكَ الرَّهْطِ مِنَ الْأَنْصَارِ يَنْتَظِرُونَهُ فَقَالُوا : مَا وَرَاءَكَ قَالَ : مَا أَذْرِي غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ لِي مَرْحَبًا وَأَهْلًا . قَالُوا يَكْفِيكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِحْدَاهُمَا أَعْطَاكَ الْأَهْلَ وَالْمَرْحَبَ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ مَا زَوَّجَهُ قَالَ : « يَا عَلِيُّ إِنَّهُ لَابُدُّ لِلْعُرُوسِ مِنْ وَلِيمَةٍ » قَالَ سَعْدٌ : عِنْدِي كُنُشٌ وَجَمَعَ لَهُ مِنَ الْأَنْصَارِ أَصُوعًا مِنْ ذُرَّةٍ ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْبِنَاءِ قَالَ : « لَا تُحْدِثُ شَيْئًا حَتَّى تَلْقَانِي » فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهُ ثُمَّ أَفْرَعَهُ عَلِيٌّ فَقَالَ « اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِمَا وَبَارِكْ لَهُمَا فِي بَنَائِهِمَا » .

١٢٩٣ - * روى الطبراني عن حجر بن عنبس وكان قد أكلَ الدَّمَّ في الجاهلية ، وشهدَ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْجَمَلَ وَصَفَيْنِ فَقَالَ : خَطَبَ أَبُو بَكْرٍ وَعَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « هِيَ لَكَ يَا عَلِيُّ » .

١٢٩٢ - المعجم الكبير (٢٠ / ٢) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٩ / ١) : رواه الطبراني والبخاري بنحوه إلا أنه قال : قال نفر من الأنصار لعلِّي رضي الله عنه لو خطبت فاطمة ... وقال في آخره : « اللهم بارك فيها وبارك لها في شبلها » . ورجالها رجال الصحيح غير عبد الكريم بن سليط ووثقة ابن حبان .
أصوعا : جمع صاع ، الذي يكال به ويؤنث وهو أربع حفنات يكفي الرجل وهو أربعة أمداد كل مد رطل وثلاث ، والرطل قال الداودي معياره الذي لا يختلف أربع حفنات يكفي الرجل الذي ليس بعظيم الكفين ولا صغيرها إذ ليس كل مكان فيه صاع النبي ﷺ .

١٢٩٣ - المعجم الكبير (٣٤ / ٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٤ / ١) : رواه الطبراني ورجالها ثقات .

١٢٩٤ - * روى البخاري عن المور بن مخرمة رضي الله عنه قال : إن علياً خطب بنت أبي جهل فسمعت بذلك فاطمة ، فأتت رسول الله ﷺ ، فقالت : يزعم قومك أنك لا تغضب لبنتك وهذا علي ناكح بنت أبي جهل ، فقام رسول الله ﷺ ، فسمعه حين تشهد يقول : « أما بعد ، أنكحت أبا العاص بن الربيع ، فحدثني وصدقني وإن فاطمة بضعة مني ، وإني أكره أن يسووها - وفي رواية : أن يفتنوها - والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد » فترك علي الخطبة .

وفي رواية ^(١) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر : « إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب ، فلا أذن لهم ، ثم لا أذن لهم ، ثم لا أذن لهم ، إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي ، وينكح ابنتهم ، فإنما ابنتي بضعة مني ، يريني ما رآها ، ويؤذي ما آذاها » .

قال صاحب عون المعبود : (لا أذن لهم ثم لا أذن لهم) كرر ذلك تأكيداً ، وفيه إشارة إلى تأييده مدة النكح وكأنه أراد منع المجاز لاحتال أن يحمل النفي على مدة بعينها فقال : ثم لا أذن أي ولو مضت المدة المفروضة تقديراً لا أذن بعدها كذلك أبداً .

(يريني ما رآها) قال إبراهيم الحربي : الريب : ما رابك من شيء خفت عقباه . ويؤخذ من هذا الحديث أن فاطمة لو رضيت بذلك لم يمنع علي من التزويج بها أو غيرها .

١٢٩٤ - البخاري (٧ / ٨٥) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ١٦ - باب ذكر أصحاب النبي ﷺ منهم أبو العاص بن الربيع .

(١) مسلم (٤ / ١١٠٢) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٥ - باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام .

البضعة : القطعة من اللحم .

يريني : أي : يسوؤني ما يسوؤها ، تقول : رابني هذا الأمر يريني : إذا رأيت منه ما تكرهه ، وهذيل تقول : أرابني .

فحدثني وصدقني : هذا المشار إليه بالوعد والوفاء : هو أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ ، كان أسيراً في غزوة بدر ، ففتنت زينب فداءه من مكة ، ففر رسول الله ﷺ في الذي تفتته قلادة كانت خرجت معها لما دخلت عليه ، كانت خديجة ، فرق لها رسول الله ﷺ رقعة شديدة واستطلق أسيرها من المسلمين ، واستوهم الفداء فوهبه ، فردّه إليها ، وشرط على أبي العاص أن يفتن زينب إليه إذا وصل إلى مكة ، ففعل .

قال في الفتح : قوله (إن علياً خطب بنت أبي جهل) اسمها جويرية كما سيأتي ، ويقال العوراء ويقال جميلة ، وكان عليٌّ قد أخذ بعموم الجواز ، فلما أنكر النبي ﷺ أعرض عليٌّ عن الخطبة ، فيقال تزوجها عتاب بن أسيد ، وإنما خطب النبي ﷺ ليشيع الحكم المذكور بين الناس ويأخذوا به إما على سبيل الإيجاب وإما على سبيل الأولوية . وغفل الشريف المرتضى عن هذه النكتة ، فزعم أن هذا الحديث موضوع لأنه من رواية المسور وكان فيه انحراف عن علي ، وجاء من رواية ابن الزبير وهو أشد في ذلك ، ورد كلامه بإطباق أصحاب الصحيح على تخريجه ، وسيأتي بسط ما يتعلق بذلك في كتاب النكاح إن شاء الله تعالى . قوله (وهذا علي ناكح بنت أبي جهل) أطلقت عليه اسم ناكح مجازاً باعتبار ما كان قصد يفعل ، واختلف في اسم ابنة أبي جهل فروى الحاكم في « الإكليل » جويرية وهو الأشهر ، وفي بعض الطرق اسمها العوراء أخرجه ابن طاهر في « المهات » ، وقيل اسمها الحيفاء ذكره ابن جرير الطبري ، وقيل جرمة حكاة السهلي ، وقيل اسمها جميلة ذكره شيخنا ابن الملقن في شرحه ؛ وكان لأبي جهل بنت تسمى صفية تزوجها سهل بن عمرو سماها ابن السكيت وغيره وقال هي الحيفاء المذكورة . قوله (حدثني فصدقني) لعله كان شرط على نفسه أن لا يتزوج على زينب ، وكذلك علي ، فإن لم يكن كذلك فهو محمول على أن علياً نسي ذلك الشرط فلذلك أقدم على الخطبة ، أو لم يقع عليه شرط إذ لم يصرح بالشرط لكن كان ينبغي له أن يراعي هذا القدر فلذلك وقعت المعاتبة ، وكان النبي ﷺ قل أن يواجه أحداً بما يعاب به ، ولعله إنما جهر بمعاتبة علي مبالغة في رضا فاطمة عليها السلام ، وكانت هذه الواقعة بعد فتح مكة ، ولم يكن حينئذ تأخر من بنات النبي ﷺ غيرها ، وكانت أصيبت بعد أمها بإخوتها فكان إدخال الغيرة عليها مما يزيد حزنها .

١٢٩٥ - * روى الطبراني عن عائشة قالت : مَا رَأَيْتُ أَفْضَلَ مِنْ فَاطِمَةَ غَيْرِ أَبِيهَا قَالَتْ : وَكَانَ بَيْنَهُمَا شَيْءٌ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ سَلْهَا فَإِنَّهَا لَا تَكْذِبُ .

١٢٩٥ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠١ / ٩) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى ، إلا أنها قالت : ما رأيت أحداً قط أضدق من فاطمة ، ورجالها رجال الصحيح .
وكان بينهما شيء : حدث بين عائشة وفاطمة .

١٢٩٦ - * روى النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خطبَ أبو بكرٍ وعمرُ فاطمة ، فقالَ رسولُ الله ﷺ : « إنها صَغيرةٌ » فخطبها عليٌّ ، فزَوَّجها منه » .

١٢٩٧ - * روى الترمذي عن بريدة رضي الله عنه قال : كان أحبُّ النساءِ إلى رسولِ الله ﷺ فاطمةُ ، ومن الرجالِ عليٌّ .

قال إبراهيم النخعي : يعني : من أهل بيته .

* * *

١٢٩٦ - النسائي (٦٢ / ٦) كتاب النكاح ، باب تزوج المرأة مثلها في السن ، وإسناده حسن
فخطبها علي : أي عقب ذلك بلا مهلة كما تدلّ عليه الفاء ، فعلم أنه لاحظ الصغر بالنسبة إليهما وما بقي ذلك
بالنظر إلى علي فزَوَّجها منه ، ففيه أن الموافقة في السن أو المقاربة مرعية لكونها أقرب إلى المؤالفة ، نعم قد يترك
ذاك لما هو أعلى منه كما في تزوج عائشة رضي الله عنها ، والله تعالى أعلم .
١٢٩٧ - الترمذي (٦٩٨ / ٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٦١ - باب فضل فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم .

عطف : فيما ورد بفاطمة وزوجها وابنيهما مشتركاً

١٢٩٨ - * روى أبو يعلى عن أم سلمة قالت جاءت فاطمة بنت النبي ﷺ إلى رسول الله ﷺ متوركة الحسن والحسين ، في يدها برمة للحسن فيها سخين حتى أتت بها النبي ﷺ فلما وضعها قدامه قال : « أين أبو حسن » قالت : في البيت فدعاه فجلس النبي ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين يأكلون . قالت أم سلمة وما سامني النبي ﷺ ؛ وما أكل طعاماً وأنا عنده إلا سامنيه قبل ذلك اليوم ، تعني سامني دعائي إليه . فلما فرغ التفأ عليهم بشوبه ثم قال : « اللهم عاد من عاداهم ووال من والاهم » .

١٢٩٩ - * روى أحمد عن أبي هريرة قال : نظر رسول الله ﷺ إلى عليّ وابنيه وفاطمة وقال : « أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم » .

١٣٠٠ - * روى الطبراني عن علي أنه دخل على النبي ﷺ وقد بسط شملة ؛ فجلس عليها هو وعليّ وفاطمة والحسن والحسين ، ثم أخذ النبي ﷺ بجامعه فعمد عليهم ثم قال : « اللهم ارض عنهم كما أنا عنهم راضٍ » .

١٣٠١ - * روى الطبراني عن يعلى بن مرة قال كنا مع النبي ﷺ ثم قال رسول الله ﷺ : « حسين مني وأنا منه ، أحب الله من أحبّه ، والحسن والحسين سبطان من الأُسَباط » .

١٢٩٨ - أورده الميثقي في مجمع الزوائد (١٦٦ / ٩) وقال : رواه أبو يعلى وإسناده جيد .

متوركة : حاملة على وركها .

برمة : قدر .

سخين : طعام حار يتخذ من دقيق وسمن وقيل دقيق وثر ، أغلظ من الحساء وأرق من العصيدة .

١٢٩٩ - أحمد في مسنده (٤٤٢ / ٢) والمستدرک (١٤٩ / ٣) وقال : حديث حسن وأقره الذهبي .

١٣٠٠ - أورده الميثقي في مجمع الزوائد (١٦٩ / ٩) وقال : رواه الطبراني في الأوسط رجاله رجال الصحيح غير عبيد بن

طفيل وهو ثقة كنيته أبو سيدان .

الشملة : كساء يتغطى به ويتلف فيه .

١٣٠١ - أورده الميثقي في مجمع الزوائد (١٨١ / ٩) وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن .

١٣٠٢ - * روى الترمذي عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَلَ عَلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَعَلَى وَفَاطِمَةَ كِسَاءً ، ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي ، أَذْهَبْ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً » فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : وَأَنَا مَعَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ » .

١٣٠٣ - * روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ كان يمر باب فاطمة إذا خرج إلى الصلاة حين نزلت هذه الآية ، قريباً من ستة أشهر ، يقول : الصلاة أهل البيت ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ .

١٣٠٤ - * روى مسلم عن عائشة : خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مَرَحَلٌ ، مِنْ شَعْرِ أَسْوَدَ . فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ . ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا . ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ . ثُمَّ قَالَ : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » .

١٣٠٥ - * روى الترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : « لما أنزلت هذه الآية ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ ... ﴾ الآية دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : « اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي » .

١٣٠٦ - * روى الترمذي عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ : سَأَلْتُنِي أُمِّي مَتَى عَهْدُكَ : تَغْنِي بِالنَّبِيِّ

١٣٠٢ - الترمذي (٥ / ٦٩٩) ٥٠ - كتاب المناقب - ٦١ - باب في فضل فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم .

الرجس : التجس ، وكل ما يستقذر ، وقيل : هو الإثم .

١٣٠٣ - الترمذي (٥ / ٣٥٢) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٣٤ - باب « ومن سورة الأحزاب » وقال : هذا حديث حسن غريب .

١٣٠٤ - مسلم (٤ / ١٢٨٢) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٩ - باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ .

مرط مرحل : المرط كساء . جمه مروط . المرحل هو الموشى المنقوش عليه صور رجال الإبل وقال الجوهري : هو إزار خز فيه غلم .

الرجس : قيل هو الشك . وقيل العذاب . وقيل الإثم ، قال الأزهري : الرجس اسم لكل مستقذر من عمل .

١٣٠٥ - الترمذي (٥ / ٢٢٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٤ - باب « ومن سورة آل عمران » وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح .

١٣٠٦ - الترمذي (٥ / ٦٦٠) ٥٠ - كتاب المناقب - ٦١ - باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام

وقال : هذا حديث حسن غريب .

ﷺ ، فَقُلْتُ : مَالِي بِهِ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا ، فَتَأَلَّتْ مِنِّي ، فَقُلْتُ لَهَا : دَعِينِي آتِي النَّبِيَّ ﷺ فَأُصَلِّيَ مَعَهُ الْمَغْرِبَ ، وَأَسْأَلَهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي وَلَكَ ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ فَصَلَّى حَتَّى صَلَّى الْعِشَاءَ ثُمَّ انْقَلَبَ فَنَبَّيْتُهِ ، فَسَمِعَ صَوْتِي ، فَقَالَ : « مَنْ هَذَا ؟ حَذِيفَةُ ؟ » قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : « مَا حَاجَتُكَ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَلَأُمِّكَ » قَالَ : « إِنَّ هَذَا مَلَكٌ لَمْ يَنْزِلِ الْأَرْضَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلَّمَ عَلَيَّ وَيُبَشِّرَنِي بِأَنْ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ » .

١٣٠٧ - * روى البزار والطبراني عن علي قال : لما وَلِدَ الْحَسَنُ سَمَّيْتُهُ حَرْبًا وَكُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَكْتَنِي بِأَبِي حَرْبَ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَنَكُهُ فَقَالَ : « مَا سَمَّيْتُمْ ابْنِي » فَقُلْنَا حَرْبًا فَقَالَ : « هُوَ الْحَسَنُ » ثُمَّ وَلِدَ الْحُسَيْنَ فَسَمَّيْتُهُ حَرْبًا فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ فَحَنَكُهُ فَقَالَ : « مَا سَمَّيْتُمْ ابْنِي » فَقُلْنَا حَرْبًا فَقَالَ : « هُوَ الْحُسَيْنُ » .

١٣٠٨ - * روى أحمد وأبو يعلى عن أبي سعيد الخدري قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَفَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَائِهِمْ ، إِلَّا مَا كَانَ لِمَرْثَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ » .

١٣٠٩ - * روى مسلم عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَقَدْ قُدْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنَ بِغُلَّتِهِ الشَّهْبَاءَ ، حَتَّى أُدْخِلْتُهُمْ حُجْرَةَ النَّبِيِّ ﷺ ، هَذَا قُدَامَةٌ ، وَهَذَا خَلْفَةٌ .

١٣١٠ - * روى الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ بِيَدِ

١٣٠٧ - البزار : كشف الأستار (٢ / ٤١٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٥٢) : رواه البزار والطبراني بنحوه بأسانيد ، ورجال أحدهما رجال الصحيح .

١٣٠٨ - أحمد في مسنده (٣ / ٦٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٠١) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح .

١٣٠٩ - مسلم (٤ / ١٨٨٣) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٨ - باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما .

١٣١٠ - الترمذي (٥ / ٦٤١) ٥٠ - كتاب المناقب ، باب : ٢١ .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

حسن وحسين ، وقال : « من أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هَٰذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ مَعِيَ فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وذكر رزين بعد قوله : « وأُمُّهُمَا » : « ومَاتَ مُتَّبِعًا لِسُنَّتِي غَيْرَ مُبْتَدِعٍ ، كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ » .

١٣١١ - * روى النسائي والترمذي وأبو داود عن بريدة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يَخْطُبُنَا ، فجاء الحسن والحسين عليهما السلام ، وعليهما قميصان أحمران يمشيان وَيَعْتَرَانِ ، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر ، فحملهما ، ووضعهما بين يديه ، ثم قال : « صدق الله ﷻ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۖ نَظَرْتُ إِلَى هَٰذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْتَرَانِ ، فلم أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا » .

ولم يذكر أبو داود : ووضعهما بين يديه . وقال في آخره : « رأيت هذين فلم أَصْبِرُ » ثم أخذ في الخطبة . ولم يذكر النسائي : ووضعهما بين يديه ، أيضاً .

١٣١٢ - * روى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء فكان يصلي فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره وإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما وضعا رفيقا ، فإذا عاد عادا فلما صلى جعل واحدا هاهنا وواحدا هاهنا فجئت فقلت يا رسول الله ألا أذهب بهما إلى أمهما قال : « لا » فبرقت برقة فقال : « الحقا بأمكما » فإزالا يمشيان في ضوئها حتى دخلا .

١٣١٣ - * روى ابن ماجه دن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من أَحَبَّ

١٣١١ - النسائي (١٠٨ / ٣) كتاب الجمعة باب نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة وقطع كلامه ورجوعه إليه يوم الجمعة .

والترمذي (٦٥٨ / ٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣١ - باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

وأبو داود (٢٩٠ / ١) كتاب الصلاة ، باب الإمام يقطع الخطبة لأمر يحدث .

١٣١٢ - المستدرک (١٦٧ / ٣) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

١٣١٣ - ابن ماجه (٥١ / ١) المقدمة ١١ - باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ (فضل الحسن والحسين ابني علي بن أبي

طالب رضي الله عنهم) ، قال البوصيري في الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات .

الحسن والحسين فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني »

١٣١٤ - * روى الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه بالنبي ﷺ ما كان أسفل من ذلك .

١٣١٥ - * روى النسائي والحاكم عن عبد الله بن شداد رحمه الله عن أبيه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسناً - أو حسيناً - فتقدم النبي ﷺ فوضعه ، ثم كبر للصلاة فصلّى ، فسجد بين ظهراني صلاة سجدة أطالها ، قال أبي : فرفعت رأسي ، فإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد ، فرجعت إلى سجودي ، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة ، قال الناس : يا رسول الله ، إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطالها ، حتى ظننا أنه قد حدث أمر ، أو أنه يوحى إليك ، قال : « كل ذلك لم يكن ، ولكن ابني ارتحلني ، فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته » .

قال الذهبي : أين الفقيه المتنطع عن هذا الفعل .

١٣١٦ - * روى البخاري ومسلم عن البراء قال : رأيت النبي ﷺ والحسن على عاتقه يقول : « اللهم إني أحبه فأحبه » . وفي رواية الترمذي ^(١) : أنه أبصر حسناً وحسيناً فقال : « اللهم إني أحبهما فأحبهما » .

١٣١٧ - * روى البزار عن سعد - يعني ابن أبي وقاص - قال دخلت على رسول الله ﷺ

١٣١٤ - الترمذي (٥ / ٦٦٠) - ٥٠ - كتاب المناقب - ٣١ - باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

١٣١٥ - النسائي (٢ / ٢٢٩) كتاب الافتتاح - أبواب التطبيق - باب هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة والحاكم (٢ / ١٦٦) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، ظهرا في القوم والأمر ، أي وسطه وفيها بينه .

١٣١٦ - البخاري (٧ / ٩٤) - ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ١٢ - باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما . ومسلم (٤ / ١٨٨٢) - ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٨ - باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما . (١) الترمذي (٥ / ٦٦١) - ٥٠ - كتاب المناقب - ٣١ - باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

١٣١٧ - البزار : كشف الأستار (٣ / ٢٢٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٨١) رواه البزار رجاله رجال الصحيح .

والحسن والحسين يلعبان على بطنه ، فقلت يا رسول الله أتحبهما فقال : « وَمَا لِي لَا أَحِبُّهُمَا وَهُمَا رِيحَانَتَايَ » .

١٣١٨ - * روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعموذ الحسن والحسين يقول : « أَعِزُّكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَةٍ » ثم يقول : هكذا كان يعموذ إبراهيمُ ابنه إسماعيلَ وإسحاقَ .

١٣١٩ - * روى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه الحسن والحسين : هذا على عاتقه وهذا على عاتقه وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى إلينا فقال له رجل يا رسول الله إنك تحبهما فقال : « نعم من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني » .

١٣٢٠ - * روى أحمد وابن ماجه عن يعلى بن مرة قال : جاء الحسن والحسين يسعيان إلى رسول الله ﷺ فضمها إليه ، وقال : « إِنَّ الْوَلَدَ مَبْخُلَةٌ مَجْبَنَةٌ » .

١٣٢١ - * روى الطبراني عن البراء بن عازب قال كان رسول الله ﷺ يصلي فجاء الحسن والحسين أو أحدهما فركب على ظهره فكان إذا رفع رأسه قال بيده فأمسكه أو أمسكها قال : « نعم المطية مطيتكما » .

١٣٢٢ - * روى الترمذي عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : طرقت النبي ﷺ ذات ليلة في بعض الحاجة ، فخرج النبي ﷺ وهو مشتمل على شيء ، لا أدري ما هو ؟ فلما فرغت من حاجتي قلت : ما هذا الذي أنت مشتمل عليه ؟ فكشفه ، فإذا حسن وحسين على

١٣١٨ - المستدرک (٢ / ١٦٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

١٣١٩ - المستدرک (٢ / ١٦٦) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

١٣٢٠ - أحد في مسنده (٤ / ١٧٢) وابن ماجه (٢ / ١٢٠٩) ٣٣ - كتاب الأدب - ٢ - باب بر الوالد والإحسان إلى البنات . قال البوصيري في الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات .

١٣٢١ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٨٢) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

١٣٢٢ - الترمذي (٥ / ٦٥٦) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣١ - باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام . وقال : هذا حديث حسن غريب .

الطروق : إتيان المنزل ليلاً .

وركيه ، فقال : « هذان ابناي وابنا ابنتي ، اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » .

١٣٢٣ - * روى الطبراني عن بريدة قال : عن رسول الله ﷺ : عن الحسن والحسين .

قال الحافظ ابن كثير في تاريخه :

تزوج علي فاطمة رضي الله عنها في صفر سنة اثنتين ، فولدت له الحسن والحسين ، ويقال محسن ، وولدت له أم كلثوم وزينب ، وقد تزوج عمر بن الخطاب في أيام ولايته بأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب من فاطمة وأكرمها إكراما زائداً ؛ أصدقها أربعين ألف درهم لأجل نسبها إلى رسول الله ﷺ فولدت له زيد بن عمر بن الخطاب ، وقد كان عبد الله بن جعفر تزوج بأختها زينب بنت علي وماتت عنده ، وتوفيت فاطمة بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر على أشهر الأقوال ، وهذا الثابت عن عائشة في الصحيح ، وقاله الزهري أيضاً : وأبو جعفر الباقر . ١ هـ

١٣٢٤ - * روى الطبراني عن عائشة قالت : توفيت فاطمة بعد وفاة رسول الله ﷺ بستة أشهر ودفنها على بن أبي طالب ليلاً .

١٣٢٥ - * روى الطبراني عن يزيد بن الأصم قال : خرجت مع الحسن وجارية تحت شيئاً من حناء عن أطافره فجاءته إضبارة من كتب فقال : يا جارية هاقي الخضب فصب فيه ماء وألقى الكتب في الماء يفتح منها شيئاً ولم ينظر إليه فقلت : يا أبا محمد من هذه الكتب ؟ قال من أهل العراق ، من قوم لا يرجعون إلى حق ولا يقصرون عن باطل أما إني لست أخشاهم علم ، نفسي ولكني أخشاهم على ذلك ، وأشار إلى الحسين .

١٣٢٣ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢ / ٥٩) وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

١٣٢٤ - المعجم الكبير (٢٣ / ٢٩٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢١١) رواه الطبراني بأسانيد ورجاله أحدها رجال الصحيح .

١٣٢٥ - المعجم الكبير : (٣ / ٧٠) .

مجمع الزوائد : (٦ / ٢٤٢) وقال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح ، غير عبد الله بن الحكم بن أبي زياد ، وهو

ثقة . وقال ابن حجر عنه : صدوق .

الخضب : الوعاء .

إضبارة : حزمة .

أحفاده عليه الصلاة والسلام

١ - الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء عنه : الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ، الإمام السيد ، ريحانة رسول الله ﷺ وسبطه ، سيد شباب أهل الجنة ، أبو محمد القرشي الهاشمي المدني الشهيد .

مولده في شعبان سنة ثلاث من الهجرة . وقيل : في نصف رمضانها ، وعق عنه جدّه بكبش .

وحفظ عن جدّه أحاديث ، وعن أبيه ، وأمه .

حدّث عنه : ابنه الحسن بن الحسن ، وسويد بن غفلة ، وأبو الحوراء السعدي ، والشعبي ، وهبيرة بن يريم ، وأصمغ بن نباتة ، والمسيب بن نجبة .

وكان يشبه جدّه رسول الله ﷺ .

وقد كان هذا الإمام سيّداً ، وسيّاً ، جيلاً ، عاقلاً ، رزيناً ، جواداً ، ممدّحاً ، خيراً ، ديناً ، ورعاً ، متحشّماً ، كبير الشأن . وكان منكاحاً ، مطلقاً ، تزوّج نحواً من سبعين امرأة ، وقلما كان يفارقه أربع ضرائر .

عن جعفر الصادق ؛ أن علياً قال : يا أهل الكوفة لا تزوّجوا الحسن ، فإنه مطلق ، فقال رجل : والله لنزوّجنّه ، فما رضي أمسك ، وما كره طلق .

قال ابن سيرين : تزوّج الحسن امرأة ، فأرسل إليها بمئة جارية ، مع كل جارية ألف درهم ، وكان يعطي الرجل الواحد مئة ألف . وقيل : إنه حج خمس عشرة مرة ، وحجّ كثيراً منها ماشياً من المدينة إلى مكة ، ونجائبه تقاد معه .

زهير بن معاوية : حدّثنا عبّيد الله بن الوليد ، حدّثنا عبد الله بن عبيد بن عمير : قال ابن عباس : ما ندمت على شيء فاتني في شبابي إلا أني لم أحجّ ماشياً ، ولقد حج الحسن بن عليّ خمساً وعشرين حجة ماشياً ، وإن النجائب لتقادّ معه . ولقد قاسم الله ماله ثلاث

مرات ، حتى إنه يعطي الحفّ ويمسك النعل .

روى نَحْواً منه مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا خَلَادُ بْنُ عَيَّيدٍ ، عَنْ ابْنِ جُدْعَانَ ؛ لَكِنْ قَالَ : خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً .

روى مَغِيرَةُ بْنُ مِقْسَمٍ ، عَنْ أُمِّ مُوسَى ، كَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَرَأَ الْكَهْفَ .

قال سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : سَمِعَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَجُلًا إِلَى جَنْبِهِ يَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، فَانصرفت ، فَبِعْتُ بِهَا إِلَيْهِ .

رجاء : عَنْ الْحَسَنِ ، أَنَّهُ كَانَ مُبَادِرًا إِلَى نُصْرَةِ عُثْمَانَ ، كَثِيرَ الذُّبِّ عَنْهُ ، بَقِيَ فِي الْخِلَافَةِ بَعْدَ أَبِيهِ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ .

إِسْرَائِيلُ : عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ حَارِثَةَ ، عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ خُطِبَ ، وَقَالَ : إِنْ الْحَسَنَ قَدْ جَمَعَ مَالًا ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَقْسِمَهُ بَيْنَكُمْ ، فَحُضِرَ النَّاسُ . فَقَامَ الْحَسَنُ ، فَقَالَ : إِنَّمَا جَمَعْتُهُ لِلْفُقَرَاءِ . فَقَامَ نِصْفُ النَّاسِ

الْقَاسِمُ بْنُ الْفَضْلِ الْحُدَّاقِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو هَارُونَ قَالَ : انْطَلَقْنَا حَاجًّا ، فَدَخَلْنَا الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلْنَا عَلَى الْحَسَنِ ، فَحَدَّثَنَا بِمَسِيرِنَا وَحَالِنَا ، فَلَمَّا خَرَجْنَا ، بَعَثَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مَنَا بِأَرْبَعِ مِائَةٍ ، فَارْجَعْنَا ، فَأَخْبَرْنَاهُ بِمَسَارِنَا ، فَقَالَ : لَا تَرُدُّوْا عَلَيَّ مَعْرُوفِي ، فَلَوْ كُنْتُ عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الْحَالِ ، كَانَ هَذَا لَكُمْ يَسِيرًا ، أَمَا إِنِّي مَرْؤُودٌكُمْ : إِنَّ اللَّهَ يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ بِعِبَادِهِ يَوْمَ عَرْفَةَ .

قال المدائني : أَحْصَى الْحَسَنُ تَسْعِينَ امْرَأَةً .

جعفر بن محمد ، عَنْ أَبِيهِ ؛ قَالَ عَلِيٌّ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ لَا تَزَوِّجُوا الْحَسَنَ ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ مُطْلَاقٌ ، قَدْ خَشِيتُ أَنْ يُورِثَنَا عِدَاوَةً فِي الْقَبَائِلِ .

شريك : عَنْ عَاصِمٍ ، عَنْ أَبِي رَزِينٍ ، قَالَ : خُطِبْنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَوْمَ جُمُعَةٍ ، فَقَرَأَ سُورَةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَى النَّبْرِ حَقَّ خَتْمِهَا .

منصور بن زاذان ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ ، قَالَ : كَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ لَا يَدْعُو أَحَدًا إِلَى

الطعام ، يقول : هو أهون من أن يدعى إليه أحد .

(كان يرى الطعام أهون من أن يخلف عليه ، أي كان لا يحلف على من شبع من طعام أن يزيد) .

قال المبرّد : قيل للحسن بن عليّ : إنّ أبا ذر يقول : الفقر أحبُّ إليّ من الغنى ، والسقم أحبُّ إليّ من الصحة - فقال : رحم الله أبا ذر . أما أنا فأقول : من اتكّل على حسن اختيار الله له ، لم يتَمَنَّ شيئاً . وهذا حدُّ الوقوف على الرضى بما تصرف به القضاء .

عن الحرمازي : خطب الحسن بن علي بالكوفة ، فقال : إنّ الحِلْمَ زينة ، والوقار مروءة ، والعجلة سَفَه ، والسفه ضعف ، ومجالسة أهل الدناءة شَيْن ومخالطة الفسّاق ريبة .

زهير : عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن الأصمّ : قلتُ للحسن : إنّ الشيعة تزعم أنّ عليّاً مبعوثٌ قبل يوم القيامة ، قال : كذبوا والله ، ما هؤلاء بالشيعة ، لو علمنا أنه مبعوثٌ ما زوّجنا نساءه ، ولا اقتسمنا ماله .

قال جرير بن حازم : قُتل عليّ ، فبايع أهل الكوفة الحسن ، وأحبوه أشدّ من حبّ أبيه .

وقال الكلبي : بُويع الحسن ، فولّيتها سبعة أشهر وأحد عشر يوماً ، ثم سلّم الأمر إلى معاوية .

وقال عوّان بن الحكم : سار الحسن حتى نزل المدائن ، وبعث قيس بن سعد (بن عبادة) على المقدمات وهم اثنا عشر ألفاً ، فوقع الصائح : قُتِلَ قَيْس ، فانتَهَبَ الناسُ سَرَادِقَ الحسن ، ووثب عليه رجلٌ من الخوارج ، فطعنه بالخنجر ، فوثبَ الناسُ على ذلك ، فقتلوه ، فكتب الحسن إلى معاوية في الصلح .

ابن سعد : حدثنا محمد بن عبيد ، عن مجالد ، عن الشعبي ، وعن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه : أنّ أهل العراق لما بايعوا الحسن ، قالوا له : سيّر إلى هؤلاء الذين عصوا الله ورسوله وارتكبوا العظائم ، فسار إلى أهل الشام ، وأقبل معاوية حتى نزل جسر

منبج ، فبينما الحسن بالمدائن ، إذ نادى مناد في عسكره : ألا إن قيس بن سعد قد قتل ، فشد الناس على حجرة الحسن ، فنهبوا حتى انتهت بسطه ، وأخذوا رداءه ، وطعنه رجل من بني أسد في ظهره بخنجر مسموم في أليته ، فتحول ، ونزل قصر كسرى الأبيض ، وقال : عليكم لعنة الله من أهل قرية ، وقد علمت أن لا خير فيكم ، قتلتم أبي بالأمس ، واليوم تفعلون بي هذا . ثم كاتب معاوية في الصلح على أن يسلم له ثلاث خصال : يسلم له بيت المال فيقضي منه دينه ومواعيده ويتحمل منه هو وآله ، ولا يسب على وهو يسمع ، وأن يحمل إليه خراج فسا ودرابجرد كل سنة إلى المدينة ، فأجابه معاوية ، وأعطاه ما سأل .

ويقال : بل أرسل عبد الله بن الحارث بن نوفل إلى معاوية حتى أخذ له ما سأل ، فكتب إليه الحسن : أن أقبل ، فأقبل من جسر منبج إلى مسكن في خمسة أيام ، فسلم إليه الحسن الأمر ، وباعه حتى قدما الكوفة . ووفى معاوية للحسن ببيت المال ، وكان فيه يومئذ سبعة آلاف درهم ؛ فاحتلها الحسن ، وتجهز هو وأهل بيته إلى المدينة ، وكف معاوية عن سب علي والحسن يسمع ؛ وأجرى معاوية على الحسن كل سنة ألف ألف درهم ، وعاش الحسن بعد ذلك عشر سنين .

وأخبرنا عبد الله بن بكر ، حدثنا حاتم بن أبي صغيرة ، عن عمرو بن دينار ، أن معاوية كان يعلم أن الحسن أكره الناس للفتنة ، فلما توفي علي بعث إلى الحسن ، فأصلح ما بينه وبينه سرا ، وأعطاه معاوية عهداً إن حدث به حدث والحسن حي ليستمينه وليستخلفنه ، وليجعلن الأمر إليه ، فلما توثق منه الحسن ، قال ابن جعفر : والله إني لجالس عند الحسن ، إذ أخذت لأقوم ، فجذب بشوبي ، وقال : يا هناء يا هذا اجلس ! فجلست ، فقال : إني قد رأيت رأياً ، وإني أحب أن تتابعني عليه ! قلت : ما هو ؟ قال : قد رأيت أن أعمد إلى المدينة ، فأنزها ، وأخلّي بين معاوية وبين هذا الحديث ، فقد طالت الفتنة ، وسفكت الدماء ، وقطعت الأرحام والسبل ، وعطلت الفروج (أي ترك الناس الزواج فأصبحت الفروج لا تلد) .

قال ابن جعفر : جزاك الله خيراً عن أمة محمد ، فأنا معك . فقال : ادع لي الحسين ! فأتاه ، فقال : أي أخي ! قد رأيت كيت وكيت فقال : أعيدك بالله أن تكذب علياً ،

وَتَصَدَّقْ معاوية . فقال الحسنُ : والله ما أردتُ أمراً قط إلا خالفتني ، والله لقد همتُ أن أقذفك في بيت ، فأطينه عليك ، حتى أقضيَ أمري . فلما رأى الحسينُ غضبه ، قال : أنت أكبرُ ولد عليٍّ ، وأنت خليفته ، وأمرنا لأمرك تبع . فقام الحسنُ ، فقال : أيُّها الناس ! إني كنتُ أكره الناسَ لأول هذا الأمر ، وأنا أصلحتُ آخره ، إلى أن قال : إنَّ اللهَ قد ولاك يا معاويةَ هذا الحديثَ خير يعلمه عندك ، أو لشراً يعلمه فيك ﴿ وَإِنْ أَذْرِي لَعَلَّةٌ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ ^(١) ثم نزل

(قول الحسين : أعيدك بالله أن تكذبَ علياً وتصدِّقَ معاوية ، أي إنك إن سلمت لمعاوية جعلت والدك كاذباً في دعواه أنه على الحق وجعلت معاوية صادقاً في دعواه أنه على الحق) .

قال أبو جعفر الباقر : كان الحسنُ والحسينُ لا يريان أُمّهاتِ المؤمنين . فقال ابنُ عباس : إنَّ رؤيتهن حلالٌ لهما .
قال الذهبي : الحلُّ متيقنٌ .

ابن عون ، عن محمد : قال الحسنُ : الطعامُ أدقُّ (أهون) من أن يُقسمَ عليه
وقال قُرَّةٌ : أكلتُ في بيتِ ابنِ سيرين ، فلما رفعتُ يدي ، قال : قال الحسنُ بنُ علي :
إن الطعامَ أهونُ من أن يُقسمَ عليه .

روى جعفر بنُ محمد ، عن أبيه : أنَّ الحسنَ والحسينَ كانا يقبلان جوائزَ معاوية .

أبو نعيم : حدثنا مسافر الجصاص ، عن رَزِيقِ بنِ سُوَّار ، قال : كان بين الحسن ومروان كلامٌ ، فأغلظ مروان له ، وحسنٌ ساكت ، فامتخط مروانُ بينه ، فقال الحسنُ : ويحك ! أما علمتَ أنَّ اليمينَ للوجه والشمال للفرج ؟ أفُ لك ! فسكتَ مروان .

وعن محمد بن إبراهيم التيمي : أنَّ عُمَرَ ألحق الحسن والحسين بفريضةِ أبيهما مع أهلِ بدير لقرابتهما برسول الله ﷺ .

شيبان : عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مُضَرَّب : سَمِعَ الحَسَنَ يَقُولُ : وَاللَّهِ لَا أَبَايَعُكُمْ إِلَّا عَلَى مَا أَقُولُ لَكُمْ .

قالوا : ما هو ؟ قال : تُسَالِمُونَ مِنْ سَالَمْتُ ، وَتُحَارِبُونَ مِنْ حَارَبْتُ .

ابن أبي شيبة : حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ ، عَنْ حُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ : أَنَّ الْحَسَنَ دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ : أَيُّ مُعَاوِيَةَ لِأَجِيرِنَاكَ بِجَائِزَةٍ لَمْ أَجْزِهَا أَحَدًا ، فَأَجَازَهُ بِأَرْبَعِ مِائَةِ أَلْفٍ ، أَوْ أَرْبَعِ مِائَةِ أَلْفِ أَلْفٍ ، فَقَبِلَهَا ^(١) .

ومن « الاستيعاب » لأبي عمر ، قال : سَارَ الْحَسَنُ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، وَسَارَ مُعَاوِيَةُ إِلَيْهِ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا تَغْلِبُ طَائِفَةُ الْأُخْرَى حَتَّى تَذْهَبَ أَكْثَرُهَا ، فَبَعَثَ إِلَى مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ يَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَيْكَ بِشَرْطٍ أَنْ لَا تَطْلُبَ أَحَدًا بِشَيْءٍ كَانَ فِي أَيَّامِ أَبِي ، فَأَجَابَهُ ، وَكَادَ يَطِيرُ فَرَحًا ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : أَمَّا عَشْرَةُ أَنْفُسٍ ، فَلَا ، فَرَاغَهُ الْحَسَنُ فِيهِمْ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنِّي قَدْ آلَيْتُ مَتَى ظَفِرْتُ بِقَيْسِ ابْنِ سَعْدٍ أَنْ أَقْطَعَ لِسَانَهُ وَيَدَهُ . فَقَالَ : لَا أَبَايَعُكَ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ بِرَقٍّ أَبْيَضٍ ، وَقَالَ : اكْتُبْ مَا شِئْتَ فِيهِ وَأَنَا أَلْتَزِمُهُ ، فَاصْطَلَحَا عَلَى ذَلِكَ . وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ الْحَسَنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَالْتَزَمَ ذَلِكَ كُلَّهُ مُعَاوِيَةُ . فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : إِنَّهُ قَدْ انْقَلَبَ حَدَثُهُمْ ، وَانْكَسَرَتْ شَوْكَتُهُمْ . قَالَ : أَمَّا عَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ عَلِيًّا أَرْبَعِينَ أَلْفًا عَلَى الْمَوْتِ ، فَوَاللَّهِ لَا يُقْتَلُونَ حَتَّى يَقْتُلَ أَعْدَاؤُهُمْ مِنَّا ، وَمَا وَاللَّهِ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ بَعْدَ ذَلِكَ .

قال أبو عمر : وَسَلَّمَ فِي نِصْفِ جَادَى الْأَوَّلِ الْأَمْرَ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ ^(٢) .

ابن عُثَيْمٍ : عَنْ ابْنِ عَوْنٍ ، عَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : دَخَلْنَا عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ نَعُوذُهُ ، فَقَالَ لِصَاحِبِي : يَا فَلَانُ سَلْنِي . ثُمَّ قَامَ مِنْ عِنْدِنَا ، فَدَخَلَ كَنِيفًا ، ثُمَّ خَرَجَ ، فَقَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ قَدْ لَفِظْتُ طَائِفَةً مِنْ كِبْدِي قَلْبَتَهَا بَعُودَ ، وَإِنِّي قَدْ سَقَيْتُ السُّمَّ مَرَارًا ، فَلَمْ أَسْقِ مِثْلَ هَذَا ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَتَيْتُهُ وَهُوَ يَسُوقُ (أَيُّ وَهُوَ فِي النَّزْعِ) ، فَجَاءَ الْحَسَنُ ،

(١) إِسْنَادُهُ حَسَنٌ .

(٢) أَيُّ بَعْدَ الْبَيْعَةِ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِثَلَاثِينَ سَنَةً وَشَهْرَيْنِ ، وَهَذَا تَصَدِيقُ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : « الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَضُوضًا » .

فقال : أي أخي أنبئي من سقاك ؟ قال : لِمَ ! لتقتله ؟ قال : نَعَمْ . قال : ما أنا مَحْدُثُكَ شيئاً ، إنَّ يكنُ صاحبي الذي أظن ، فاللهُ أشدُّ نِقْمَةً ، وإلا فوالله لا يُقتلُ بي بريء .

ابن عَيَّينة : عن رَقَبَةَ بن مَصْقَلَةَ . لما احتَضِرَ الحسنُ بنُ علي ، قال : أخرجوا فراشي إلى الصحن ؛ فأخرجوه ، فقال : اللهم إني أحتسبُ نفسي عندك ، فإنها أعزُّ الأنفس علي .

أبو عَوَّانة : عن حصين ، عن أبي حازم ، قال : لما حَضَرَ الحسن ، قال للحسين : ادفني عند أبي - يعني النبي ﷺ إلا أن تخافوا الدماء ، فادفني في مقابر المسلمين ، فلما قُبِضَ ، تسَلَّحَ الحسينُ ، وجمع مواليه ، فقال له أبو هريرة : أنشدك الله ووصية أخيك ، فإنَّ القومَ لن يدعوكَ حتى يكون بينكم دماء ، فدفعته بالبقيع ، فقال أبو هريرة : رأيتم لو جيءَ بابن موسى ليدفن مع أبيه ، فَمَنعَ ، أكانوا قد ظلموه ؟ فقالوا : نعم . قال : فهذا ابنُ نبيِّ الله ﷺ قد جيءَ ليدفنَ مع أبيه .

قال جَوَيرِية بن أسماء : لما أخرجوا جنَّارة الحسن ، حَمَلَ مروانُ سريره ، فقال الحسين : تَحْمِلُ سريره ! أما والله لقد كُنْتُ تُجرِّعه الغيظ . قال : كنتُ أفعل ذلك بمن يُوَازِنُ حِلْمَهُ الجبال .

ابن إسحاق : حدثني مُساوِرُ السعديُّ ، قال : رأيتُ أبا هريرة قائماً على مسجد رسول الله ﷺ يوم مات الحسن ؛ يبكي ، ويتنادي بأعلى صوته : يا أيها الناس ! مات اليومَ حِبُّ رسول الله ﷺ ، فابكوا .

قال جعفرُ الصادق : عاش الحسنُ سبعةً وأربعين سنة .

وزوينا من وجوه : أنَّ الحسنَ لما احتَضِرَ ، قال للحسين : يا أخي : إنَّ أباك لما قُبِضَ رسولُ الله ﷺ ، استشرَفَ لهذا الأمر ، فصَرَفَهُ اللهُ عنه ، فلما احتَضِرَ أبو بكرٍ ، تشرَّفَ أيضاً لها ، فصَرَفَتْ عنه إلى عمر . فلما احتَضِرَ عمر ، جعلها شورى ، أبي أحدهم ، فلم يشك أنها لا تعدوه ، فصَرَفَتْ عنه إلى عثمان ، فلما قَتِلَ عثمان ، بويع ، ثم نوزِعَ حتى جَرَّدَ السيفَ وطلبها ، فما صفا له شيء منها ، وإني والله ما أرى أن يجمعَ اللهُ فينا - أهلَ البيتِ - النُّبُوَّةَ والخلافةَ ؛ فلا أعرفن ما استخفَّكَ سَفْهَاءُ أهل الكوفة ، فأخرجوك . وقد كنتُ طلبتُ إلى

عائشة أن أدفن في حجرتها ؛ فقالت : نعم . وإني لا أدري لعل ذلك كان منها حياة ، فإذا ما مت ، فاطلب ذلك إليها ، وما أظن القوم إلا سينعونك ، فإن فعلوا ، فادهقني في البقيع . فلما ماتت قالت عائشة : نعم وكرامة . فبلغ ذلك مروان ، فقال : كذب وكذبت . والله لا يدفن هناك أبداً ؛ منعوا عثمان من دفنه في المقبرة ، ويريدون دفن حسان في بيت عائشة ؛ فلبس الحسين ومن معه السلاح ، واستلأم مروان أيضاً في الحديد ، ثم قام في إطفاء الفتنة أبو هريرة .

فبنو الحسن هم : الحسن ، وزيد ، وطلحة ، والقاسم ، وأبو بكر ، وعبد الله ، فقتلوا بكرلاء مع عمهم الشهيد . وعمر ، وعبد الرحمن ، والحسين ، ومحمد ، ويعقوب ، وإسماعيل ، فهؤلاء الذكور من أولاد السيد الحسن . ولم يعقب منهم سوى الرجلين الأولين ؛ الحسن وزيد . فلحسن خمسة أولاد أعقبوا ، ولزيد ابن وهو الحسن بن زيد ، فلا عقب له إلا منه ، ولي إمرة المدينة ، وهو والد الست نفيسة . والقاسم ، وإسماعيل ، وعبد الله ، وإبراهيم ، وزيد ، وإسحاق ، وعلي رضي الله عنهم . اهـ من السير .

١٣٢٦ - * روى أبو داود والترمذي عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال : رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي ، حين ولدته فاطمة بالصلاة .

وفي سنده عاصم بن عبد الله ، وهو ضعيف ، لكن يشهد له حديث ابن عباس عند البيهقي في الشعب ، فيتقوى به ، ولذا صححه الترمذي .

قال ابن القيم : وسر التأذين - والله أعلم - أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام ، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا ، كما يلحق كلمة التوحيد عند خروجه منها ،

استلأم : لبس أئمة .

١٣٢٦ - أبو داود (٤ / ٢٢٨) كتاب الأدب باب في الصبي يولد فيؤذن في أذنه .
والترمذي (٤ / ٩٧) ٢٠ - كتاب الأضاحي - ١٧ - باب الأذان في أذن المولود . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثره به وإن لم يشعر ، مع ما في ذلك من فائدة أخرى وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان ، وهو كان يرصده حتى يولد ، فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها فيسمع شيطانه ما يصفعه ويغيظه أول أوقات تعلقه به ، وفيه معنى آخر ، وهو أن تكون دعوته إلى الله وإلى دينه الإسلام ، وإلى عبادته سابقة على دعوة الشيطان كما كانت فطرة الله التي فطر الناس عليها سابقة على تغيير الشيطان لها ونقله عنها ، ولغير ذلك من الحكم .

١٣٢٧ - * روى أحمد عن أبي رافع ، قال : لما ولدت فاطمة حسناً ، قالت : يا رسول الله ! ألا أعقُّ عن ابني بدمٍ ؟ قال : « لا ، ولكن احلقي رأسه ، وتصدّقي بوزن شعيره فضّة على المساكين » ففعلتُ .

١٣٢٨ - * روى أحمد عن معاوية قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ يمصُّ لسانه أو قال شفته يعني الحسن بن علي وإنه لن يعذب لسان أو شفتان مصّها رسولُ الله ﷺ .

١٣٢٩ - * روى البخاري عن أبي هريرة الدؤسي رضي الله عنه قال : خرّج النبي ﷺ في طائفة النهار لا يكلمني ولا أكلمه ، حتى أتى سوق بني قينقاع ، فجلس بفناء فاطمة فقال : « أثمّ لكع ، أثمّ لكع ؟ » فحبسته شيئاً ، فظننت أنها تلبسه سخاباً أو تفسله ، فجاء يشتد حتى عانقه وقبله وقال : « اللهم أحبه وأحب من يحبه » قال سفيان قال عبيد الله أخبرني أنه رأى نافع بن جبير أوتر بركة .

١٣٢٧ - أحمد في مسنده (٦ / ٣١٠) وقال الميثقي في مجمع الزوائد (٤ / ٥٧) : أخرجه أحمد وهو حديث حسن .

١٣٢٨ - أحمد في مسنده (٤ / ١٣) وقال الميثقي في مجمع الزوائد (٩ / ١٧٧) : أخرجه أحمد وإسناده صحيح .

١٣٢٩ - البخاري (٤ / ٣٣٩) ٣٤ - كتاب البيوع ٤٩ - باب ما ذكر في الأسواق .

طائفة من النهار : قطعة منه .

خباء : أي بيتها .

لكع : المراد هنا الصغير يقال للصغير : لكع ، فإن أطلق على الكبير ، أريد به الصغير العلم .

سخاباً : جمعه سخب . وهو قلادة من القرقل والمسك والعود ونحوها من أخلاط الطيب . يعمل على هيئة السبحة ويجعل قلادة للصبيان والجواري . وقيل : هو خيط فيه خرز . سمي سخاباً لصوت خرزه عند حركته . من السخب ، وهو اختلاط الأصوات .

وفي رواية ^(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنَ النَّهَارِ . لَا يَكْلُمُنِي وَلَا أَكْلُمُهُ . حَتَّى جَاءَ سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ . ثُمَّ انْصَرَفَ ؛ حَتَّى أَتَى خِيبَةَ فَاطِمَةَ فَقَالَ : « أَتُمْ لَكَعُ ؟ أَتُمْ لَكَعُ » يَعْنِي حَسَنًا . فَظَنْنَا أَنَّهُ إِنَّمَا تَحِيَّسُهُ أُمُّهُ لِأَن تَفْسَلَهُ وَتَلْبَسَهُ سِخَابًا . فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ يَسْعَى . حَتَّى اغْتَنَّقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَتَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَحِبُّهُ . فَأَحِبَّهُ وَأَحْبِبْ مَنْ يَحِبُّهُ » .

١٣٣٠ - * روى الحاكم عن عروة بن الزبير عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل حسناً وضمه إليه وجعل يشمه ، وعنده رجل من الأنصار ، فقال الأنصاري : إن لي ابناً قد بلغ ما قبلته قط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أرايت إن كان الله نزع الرحمة من قلبك فما ذنبي » .

١٣٣١ - * روى أبو يعلى عن علي بن أبي طالب قال : خطبت إلى النبي ﷺ ابنته فاطمة ، قال فباع علي رضي الله عنه درعاً له وبعض ما باع من متاعه فبلغ أربعمائة وثمانين درهماً . وأمر النبي ﷺ أن يجعل ثلثيه في الطيب وثلثاً في الثياب ، ومج في جرة من ماء فأمرهم أن يغسلوا به . قال : وأمرها أن لا تسبقه برضاع ولديها قال فسبقته برضاع الحسين وأما الحسن فإنه ﷺ وضع في فيه شيئاً لا ندري ما هو فكان أعلم الرجلين .

١٣٣٢ - * روى البخاري عن الحسن البصري رحمه الله قال : سمعت أبا بكر يقول : سمعت رسول الله ﷺ والحسن إلى جنبه ، وهو ينظر إلى الناس مرة ، وإليه مرة ، ويقول : « ابني هذا سيّد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين » .

وفي رواية الترمذي ^(٢) قال : صعد النبي ﷺ المنبر ، فقال : « إن ابني هذا سيّد ،

(١) مسلم (٤ / ١٨٨٢) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٨ - باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما .

١٣٣٠ - المستدرک (٢ / ١٧٠) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

١٣٣١ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٧٥) وقال : رواه أبو يعلى ورجاله ثقات .

١٣٣٢ - البخاري (٧ / ٩٤) ٩٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٢ - باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما .

(٢) الترمذي (٥ / ٦٥٨) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣١ - باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام . وقال : هذا حديث

يُصْلِحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ فُتْنَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ .

وفي رواية أبي (١) داود قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ للحسنِ بنِ عليٍّ : « إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُصْلِحَ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فُتْنَيْنِ مِنْ أُمَّتِي » .

وفي رواية : « وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فُتْنَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَظِيمَتَيْنِ » .

١٣٣٣ - * روى الترمذي عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال : رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وكان الحسنُ بنُ عليٍّ يُشبهه .

١٣٣٤ - * روى البخاري عن عقبة بن الحارث رضي الله عنه قال : صَلَّى أَبُو بَكْرٍ الْعَصْرَ ، ثُمَّ خَرَجَ يَمْشِي وَمَعَهُ عَلِيٌّ ، فَرَأَى الْحَسَنَ يَلْعَبُ مَعَ الصَّبِيَّانِ فَحَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ ، وَقَالَ : يَا بَنِي ، شَبِيهٌ بِالنَّبِيِّ ، لَيْسَ شَيْئاً بَعْلَى ، وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ .

١٣٣٥ - * روى أحمد والترمذي عن أبي الحوراء السعدي : قال قلت للحسن بن علي ما تذكر من رسول الله ﷺ قال : أذكر أني أخذتُ تمرَ من تمر الصدقة فألقيتها في في فانزعها رسولُ اللَّهِ ﷺ بلعاً فألقاها في التمر فقال له رجل ما عليك لو أكل هذه التمرة قال : « إِنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ » قال وكان يقول : « دَعُ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ فَإِنَّ الصَّدَقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيْبَةٌ » قال وكان يعلمنا هذا الدعاء : « اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ وَبَارِكْ لِي فِي مَا أُعْطِيتَ وَقِنِي شَرَّ مَا قُضِيََتْ إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مِنْ وَالَيْتَ » ربما قال : « تَبَارَكَتْ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ » .

١٣٣٦ - * روى الطبراني عن أبي جميلة أن الحسن بن علي حين قَتَلَ عَلِيًّا اسْتَخْلَفَ بَيْنَنَا

(١) أبو داود (٢١٦ / ٤) كتاب السنة ، باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة .

١٣٣٣ - الترمذي (٦٥٩ / ٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣١ - باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

١٣٣٤ - البخاري (٩٥ / ٧) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٢ - باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما . ١٣٣٥ - أحمد في مسنده (٢٠٠ / ١) .

والترمذي (٦٦٨ / ٤) ٢٨ - كتاب صفة القيامة - ٦٠ - باب ...

١٣٣٦ - المعجم الكبير (٩٢ / ٢) وقال الميثقي في مجمع الزوائد (١٧٢ / ٩) : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

هو يصلي بالناس إذ وثب إليه رجل فطعمته بخنجر في وركه فتمرض منها أشهراً ثم قام على المنبر يخطب فقال : يا أهل العراق اتقوا الله فينا ، فإننا أمراؤكم وضيئفانكم ، ونحن أهل البيت الذين قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ فما زال يومئذ يتكلم حتى ما تَرى في المسجد إلا باكياً .

ذكر الذهبي ^(١) في السير عن هؤدة : عن عوف ، عن محمد ، قال : لما ورد معاوية الكوفة واجتمع عليه الناس ، قال له عمرو بن العاص : إن الحسن مرتفع في الأنفس لقرابته من رسول الله ﷺ ، وإنه حديث السنن عي ، فره فليخطب ، فإنه سيعتق ، فيسقط من أنفس الناس ، فأبى فلم يزلوا به حتى أمره ، فقام على المنبر دون معاوية : فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : لو ابتغيت بين جاتلق وجاترس (أي المشرق والمغرب) رجلاً جدّه نبياً غيّر وغير أخيه لم تجدوه ، وإنا قد أعطينا معاوية بيعة ، ورأينا أن حقن الدماء خير ﴿ وَمَا أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ ، وأشار بيده إلى معاوية . فغضب معاوية ، فخطب بعده خطبة عيئة فاحشة ، ثم نزل . وقال : ما أردت بقولك : فتنة لكم ومتاع ؟ قال : أردت بها ما أراد الله بها .

١٣٣٧ - * روى الحاكم عن جبير بن نفير قال : قلت للحسن : إن الناس يقولون : إنك تريد الخلافة . فقال : قد كانت جماعهم العرب في يدي ، يسألون من سالت ، ويحاربون من حاربت ، تركتها ابتغاء وجه الله تعالى وحقني دماء أمة محمد ﷺ ، ثم أبتزها بأتياس الحجاز ؟ .

١٣٣٨ - * روى البزار عن رجاء بن ربيعة قال كنت جالساً بالمدينة في مسجد الرسول ﷺ في حلقة فيها أبو سعيد وعبد الله بن عمرو ، فرأى الحسن بن علي فسلم فرد عليه القوم وسكت عبد الله بن عمرو ، ثم اتبعه فقال : وعليك السلام ورحمة الله . ثم قال : هذا أحب

سير أعلام النبلاء (٣ / ٢٧٢) وإسناده صحيح .

١٣٣٧ - المستدرک (٣ / ١٧٠) وقال : هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

١٣٣٨ - كشف الأستار (٣ / ٢٢٨) .

وقال المهيبي في مجمع الزوائد (١ / ١٧٧) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير هاشم بن البريد وهو ثقة .

أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَى أَهْلِ السَّمَاءِ . وَاللَّهِ مَا كَلَّمْتُهُ مِنْذُ لَيَالٍ صِفَيْنِ . فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : أَلَا تَنْطَلِقُ إِلَيْهِ فْتَعْتَذِرُ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَقَامَ فَدَخَلَ أَبُو سَعِيدٍ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو فَدَخَلَ ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو : حَدَّثْنَا بِالَّذِي حَدَّثْتَنَا بِهِ حَيْثُ مَرَّ الْحَسَنُ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، أَنَا أَحَدْتُكُمْ أَنَّهُ أَحَبُّ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَى أَهْلِ السَّمَاءِ . قَالَ : فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ : إِذْ عَلِمْتَ أَنِّي أَحَبُّ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَى أَهْلِ السَّمَاءِ فَلَمْ قَاتِلْتَنِي أَوْ كَثُرَتْ يَوْمَ صِفَيْنَ ؟ قَالَ : أَمَا إِنِّي وَاللَّهِ مَا كَثُرْتُ سَوَادًا وَلَا ضُرِبْتُ مَعَهُمْ بِسَيْفٍ وَلَكِنِّي حَضَرْتُ مَعَ أَبِي أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا . قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا طَاعَةَ لَخُلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ؟ قَالَ : بَلَى وَلَكِنِّي كُنْتُ أُسْرِدُ الصَّوْمَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَشَكَانِي أَبِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ ، قَالَ « صُمْ وَأَفْطِرْ وَصَلِّ وَنَمْ ، فَإِنِّي أَنَا أَصْلِي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأَفْطِرُ قَالَ لِي : يَا عَبْدَ اللَّهِ أَطْعَ أَبَاكَ » فَخَرَجَ يَوْمَ صِفَيْنَ وَخَرَجْتُ مَعَهُ .

١٣٣٩ - * رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنِ الْمَقْبَرِيِّ قَالَ : كُنَّا مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَلَمْ فَرِّدْ عَلَيْهِ الْقَوْمَ وَمَعْنَى أَبُو هُرَيْرَةَ لَا يَعْلَمُ ، فَقِيلَ ، لَهُ : هَذَا حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَسْلُمُ فَلَحِقَهُ فَقَالَ : وَعَلَيْكَ يَا سَيِّدِي فَقِيلَ لَهُ : تَقُولُ : يَا سَيِّدِي ؟ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِنَّهُ سَيِّدٌ .

١٣٤٠ - * رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ : خَطَبَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَاتَمَ الْأَوْصِيَاءِ وَوَصِيَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَمِينَ الصِّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ ثُمَّ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ فَارَقَكُمْ رَجُلٌ مَا سَبَقَهُ الْأَوَّلُونَ وَلَا يَدْرِكُهُ الْآخِرُونَ ، لَقَدْ كَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْطِيهِ الرَّايَةَ فَيَقَاتِلُ جَبْرِيلَ عَنْ يَمِينِهِ وَمِيكَائِيلَ عَنْ يَسَارِهِ فَمَا يَرْجِعُ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، لَقَدْ قَبَضَهُ اللَّهُ فِي اللَّيْلِ الَّتِي قَبِضَ فِيهَا وَصِيَّ

١٣٣٩ - أوردته الميمني في مجمع الزوائد (٩ / ١٧٨) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٣٤٠ - أوردته الميمني في مجمع الزوائد (٩ / ١٤٦) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار إلا أنه قال ليلة سيع وعشرين من رمضان . وأبو يعلى باختصار والبراز بنحوه إلا أنه قال : ويعطيه الراية فإذا حُمِ الوغى فقاتل جبريل عن يمينه . وقال : وكانت إحدى وعشرين من رمضان . ورواه أحمد باختصار كثير وإسناده أحد وبعض طرق البراز والطبراني في الكبير جتان .

موسى ، وعُرجَ بروحه في الليلة التي عُرجَ فيها بروح عيسى بن مريم وفي الليلة التي أنزلَ الله عزَّ وجلَّ فيها الفرقان ، والله ما تركَ ذهباً ولا فضةً وما في بيت ماله إلا سبعمائة وخمسون درهماً فضلتُ من عطائه أرادَ أنْ يشتريَ بها خادماً لأُم كلثوم ، ثم قال : من عَرَفَنِي فقد عَرَفَنِي ، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بنُ محمد ﷺ ثم تلا هذه الآية قولَ يوسف : ﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ ثم أخذَ في كتابِ الله ، ثم قال : أنا ابنُ البشير ، أنا ابنُ التَّذِيرِ ، وأنا ابنُ النَّبِيِّ ، أنا ابنُ الدَّاعِي إلى الله بإذنه ، وأنا ابنُ السَّراجِ المنير ، وأنا ابنُ الذي أُرسلَ رحمةً للعالمين ، وأنا من أهل البيت الذين أذهبَ الله عنهم الرجسَ وطهرهم تطهيراً ، وأنا من أهل البيت الذين افترضَ الله عزَّ وجلَّ مودتهم وولايتهم فقالَ فيما أنزلَ على محمد ﷺ ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ وفي رواية وفيها قُتلَ يوشعُ بنُ نونٍ قَتَى موسى .

١٣٤١ - * روى أحمد والطبراني عن عمير بن إسحاق ، قال : رأيتُ أبا هريرة لقي الحسن بنَ عليٍّ فقال له : اكشفْ عن بطنك حيثُ رأيتَ رسولَ الله ﷺ يقبلُ منه فكشفَ عن بطنه فقبله ، فقبلَ سَرَّتَهُ .

١٣٤٢ - * روى البخاري عن الحسن البصري رحمه الله قال : اسْتَقْبَلَ وَاللهِ الحسنُ بنُ عليٍّ مُعَاوِيَةَ بِكُتَاتِبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ ، فقال عَمُرُو بنُ العاصِ مُعَاوِيَةَ : إني لأرى كُتَاتِبَ لَا تُؤَلِّي حَقِّي تَقْتُلُ أَقْرَانَهَا ، فقال له معاوية - وكانَ اللهُ خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ - : أي عمرو : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَ هَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ ، وهؤلاء هَؤُلَاءِ ، مَنْ لِي بِأُمُورِ النَّاسِ ؟ مَنْ لِي بِنِسَائِهِمْ ؟ مَنْ لِي بِضَيْعَتِهِمْ ؟ فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ : عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ ، وَعَبْدَ

١٣٤١ - أحمد في مسنده (٢ / ٤٢٧) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٧٧) .

وقال : رواه أحمد والطبراني إلا أنه قال : فكشف عن بطنه فقبله وفي رواية سرتة ، ورجالها رجال الصحيح غير عمير بن إسحاق وهو ثقة .

١٣٤٢ - البخاري (٥ / ٣٠٦ ، ٣٠٧) ٥٢ - كتاب الصلح - ٩ - باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما : « ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين » .

بِكُتَاتِبٍ : الكُتَاتِبُ : جمعُ كُتَيْبَةٍ ، وهي القطعةُ المقتطعة من الجيش .

أَقْرَانَهَا : الأقران : جمع قرن - بكسر القاف - وهو المثل والنظير في الحرب .

بِضَيْعَتِهِمْ : ضَيْعَةُ الرَّجُلِ : ما يكونُ مَعَاشَهُ مِنْ صِنَاعَةٍ وَغَيْرِهَا مِنْ غَلَّةٍ وَتِجَارَةٍ وَنَحْوِهَا .

الله بن عامر ، فقال : اذهبيا إلى هذا الرجلِ فاعرضا عليه ، وقولا له ، واطلبا إليه ، فأتياه ، فدخلا عليه ، وتكلما ، وقالا له ، وطلبا إليه ، فقال لهم الحسن بن علي : إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال ، وإن هذه الأمة قد عاثت في دِمَائِها ، قالوا : فإنه يعرضُ عليك كذا وكذا ، ويطلبُ إليك ويسألك ؟ قال : فمن لي بهذا ؟ قالوا : نحن لك به ، فما سألها شيئا إلا قالوا : نحنُ لك به ، فصالحه فقال الحسن : لقد سمعتُ أبا بكره يقول : رأيتُ رسولَ الله ﷺ على المنبرِ والحسن بنُ عليٍّ إلى جنبِهِ ، وهو يقبلُ على الناسِ مرّةً وعليه أخرى ، ويقول : « إنَّ ابني هذا سيّد ، ولعلَّ الله أن يُصلِحَ به بيّنَ فِئتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ من المسلمين » .

تصويبات :

١ - لا شك أن الحسن رضي الله عنه هو الخليفة الراشد الخامس وتنازله عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه وهو الأحقّ منه بالخلافة يرشدنا إلى أنه يجوز لوليّ الأمر أن يتنازل عن إمرته إذا وجد أن في ذلك مصلحة للمسلمين ، وهكذا قدّمت لنا الخلافة الراشدة نموذجين ، نموذجاً على الاستمرار بالتمسك بالحقّ وعدم الرضوخ لمطالب الثائرين كما فعل عثمان رضي الله عنه ، ونموذجاً على التنازل حقناً لدماء المسلمين ، وكلّ ذلك سنّة لخليفة راشد .

٢ - لقد كان الحسن رضي الله عنه على رأس الأمر وعنده كتائب كأمثال الجبال ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ﴾ فلم يكن تنازله لمعاوية رضي الله عنه عن تقيّة ولكن كان عن قناعة وروية ومصلحة وهذا حجّة على الشيعة في أكثر من مقام ، وبالنسبة للمستقبل فإنه يفتح للشيعة الباب أن يخضعوا لأي خليفة فضلاً عن خليفة يختاره المسلمون .

* * *

٢ - الحسين الشهيد بن علي رضي الله عنهما

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء :

الإمام الشريف الكامل ، سبط رسول الله ﷺ ، ورِيحَاتُهُ من الدنيا ، ومحبوبُهُ . أبو عبد الله الحسين بن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف ابن قصي القرشي الهاشمي .

حدث عن جدّه ، وأبويه ، وصهره عمر ، وطائفة .

حدث عنه : ولداه عليّ وفاطمة ، وعبيد بن حنّين ، وهمام الفرزدق ، وعكرمة ، والشعبي ، وطلحة العقيلي ، وابن أخيه زيد بن الحسن ، وحفيده محمد بن علي الباقر ، ولم يدركه ، وبنته سكينة ، وآخرون .

قال الزبير : مولده في خامس شعبان سنة أربع من الهجرة .

قال جعفر الصادق : بين الحسن والحسين في الحمل طهر واحد .

حماد بن زيد : حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن عبيد بن حنّين ، عن الحسين ، قال : صعدت المنبر إلى عمر ، فقلت : انزل عن منبر أبي ، واذهب إلى منبر أبيك . فقال : إن أبي لم يكن له منبر ، فأقعدني معه ، فلما نزل ، قال : أي بني من علمك هذا ؟ قلت : ما علمنيه أحد . قال : أي بني ! وهل أنبت على رؤوسنا الشعر إلا الله ثم أنتم ، ووضع يده على رأسه ، وقال : أي بني ! لو جعلت تأتينا وتغشانا . إسناده صحيح .

روى جعفر بن محمد ، عن أبيه : أن عمر جعل للحسين مثل عطاء عليّ ، خمسة آلاف .

حماد بن زيد : عن مغمّر ، عن الزهري : أن عمر كسا أبناء الصحابة : ولم يكن في ذلك ما يصلح للحسن والحسين ؛ فبعث إليّ الين ، فأتي بكسوة لها ، فقال : الآن طابت نفسي .

يونس بن أبي إسحاق : عن العيزار بن حرّيث ، قال : بينا عمرو بن العاص في ظل الكعبة ، إذ رأى الحسين ، فقال هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم .

وعن سعيد بن عمرو؛ أن الحسن قال للحسين : وددت أن لي بعضَ شِدَّةٍ قلبك ، فيقولُ الحسينُ : وأنا وددتُ أن لي بعضَ ما بَسِطَ من لسانك .

عن أبي المُهَزَّم ، قال : كنا في جنازة ، فأقبل أبو هريرة ينفضُ بثوبه التُّرابَ عن قدم الحسين .

بلغنا أنَّ الحسين لم يَعِجِبْهُ ما عمل أخوه الحسنُ من تسليم الخلافةِ إلى معاويةَ ، بل كانَ رَأْيَهُ القِتالَ ، ولكنه كظم ، وأطاع أخاه ، وباع . وكان يَقْبَلُ جوائزَ معاويةَ ، ومعاوية يرى له ، ويَحْتَرِمُهُ ، وَيُجِلُّهُ ، فلما أَبْغَضَ معاويةَ ما فعلَ بعد وفاة السيِّدِ الحسنِ من العهد بالخلافةِ إلى ولده يزيد ، تألَّم الحسينُ ، وَحَقَّ لَهُ ، وامتنع هو وابنُ أبي بكرٍ وابنُ الزُّبيرِ من المبايعة ، حتى قهرهم معاويةَ ، وأخذ يبيعهم مكرهين ، وَغَلَبُوا ، وَعَجَزُوا عن سُلْطَانِ الوقتِ . فلما ماتَ معاويةَ ، تَسَلَّمَ الخلافةَ يزيدُ ، وباعه أَكْثَرُ الناسِ ، ولم يُبَايِعْ له ابنُ الزُّبيرِ ولا الحسينُ ، وَأَنْفَوْا من ذلك ، ورأى كُلُّ واحدٍ منها الأَمْرَ لنفسه ، وسارا في الليل من المدينة .

قالوا : ولما خَضَرَ معاويةَ ، دعا يزيد ، فأوصاه ، وقال : انظر حُسَيْنًا ، فإنه أحبُّ الناسِ إلى الناسِ ، فَصِلْ رَحِمَهُ ، وارفقْ به ، فإن يكُ منه شيءٌ ، فسيكفيك اللهُ بمن قتل أباه ، وخذل أخاه .

ومات معاوية في نصف رجب ، وباع الناسُ يزيدَ ، فكتب إلى والي المدينة الوليد بن عُتْبَةَ بنِ أبي سفيان : أن ادعُ الناسَ وباعِهم ، وابدأ بالوجوه ، وارفقْ بالحسين ، فبعثَ إلى الحسين وابن الزُّبيرِ في الليل ، ودعاهما إلى بيعة يزيد ، فقالا : نُصْبِحُ وننظرُ فيما يعمل الناسُ . ووثبا ، فخرجا . وقد كان الوليدُ أغْلَظَ للحسين ، فشتِه حسينٌ ، وأخذ بعمامته ، فنزعها ، فقال الوليدُ : إن هِجْنَا هذا إلا أَسَدًا . فقال له مروان أو غيره : اقْتُلْهُ . قال : إنَّ ذاكَ لدم مصون .

وخرج الحسينُ وابنُ الزُّبيرِ لوقتِهما إلى مكة ، ونزل الحسينُ بمكة دارَ العباس ، ولزم

عبدُ الله الحِجر ، ولبس المعافري^(١) وجعل يُحرّض على بني أمية ، وكان يغدو ويروح إلى الحسين ، ويُشير عليه أن يقدم العراق ، ويقول : هم شيعتكم . وكان ابنُ عباس ينهاه .

وقال له عبدُ الله بن مطيع : فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، مَتَّعْنَا بِنَفْسِكَ وَلَا تَسِرْ ، فوالله لئن قَتَلْت لِنَتَّخِذُونَا خَوَلًا وَعَبِيدًا .

ولقيهما عبدُ الله بن عمر ، وعبدُ الله بن عِيَّاش بن أَبِي ربيعة منصرفين من العمرة ، فقال لهما : أَذْكُرَا اللَّهَ إِلَّا رَجَعْتُمَا ، فدخلتُمَا في صالح ما يدخل فيه الناسُ وتَنْظُرَان ، فإن اجتمع عليه الناسُ لم تشدَّا ، وإن افترق عليه كان الذي تُريدان .

وقال ابنُ عمر للحسين : لا تخرج ، فإنَّ رسولَ الله ﷺ خَيْرٌ بين الدنيا والآخرة ، فاختار الآخرة ، وإنك بضعة منه ولا تنالها ، ثم اعتنقه ، وبكى ، وودَّعه . فكان ابنُ عمر يقول : غلبنا بخروجه ، ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة ، ورأى من الفتنة وخذلان الناس لهم ما كان ينبغي له أن لا يتحرك .

وقال له ابنُ عباس : أين تريد يا ابنَ فاطمة ؟ قال : العراق وشيعتي .

قال : إني كارهٌ لوجهك هذا ، تخرجُ إلى قومٍ قتلوا أباك ...

إلى أن قال : وقال له أبو سعيد : اتق الله ، والزم بيتك .

وكلمه جابر ، وأبو واقد الليثي . وقال ابنُ المسيب : لو أنه لم يخرج لكان خيراً له .

قال : وكتبتُ إليه عمرةً تُعظَّم ما يريد أن يصنع ، وتُخبره أنه إنما يساقُ إلى مصرعه ، وتقول : حدثتني عائشةُ أنها سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يَقْتُلُ حُسَيْنٌ بِأَرْضِ بَابِلٍ » فلما قرأ كتابها ، قال : فلا بُدَّ إذاً من مصرعي .

وكتبَ إليه عبدُ الله بن جعفر يُحذِّره ويُناشده الله . فكتبَ إليه : إني رأيتُ رؤيا ، رأيتُ فيها رسولَ الله ﷺ ، وأمرني بأمرٍ أنا ماضٍ له

(١) المعافري : بُرْدٌ يَمِي .

وأبى الحسين على كل من أشار عليه إلا المسير إلى العراق .

وقال له ابن عباس : إني لأظنك ستقتل غداً بين نساءك وبناتك كما قتل عثمان ، وإني لأخاف أن تكون الذي يقاد به عثمان ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

قال : أبا العباس ! إنك شيخ قد كبرت .

فقال : لولا أن يزرى بي وبك ، لنشبت يدي في رأسك ، ولو أعلم أنك تقيم ، إذا لفعلت ، ثم بكى ، وقال : أقررت عين ابن الزبير . ثم قال بعد لابن الزبير : قد أتى ما أحبيت ؛ أبو عبد الله يخرج إلى العراق ، ويتركك والحجاز :

يَسْأَلُكَ مِنْ قُبْرَةِ ^(١) بِمَعْمَرٍ خَلَا لَسْكَ الْبَرَّ فَبِيضِي وَاصْفِرِي
وَتَقْرِي مَا شِئْتَ أَنْ تَنْقَرِي

وقال أبو بكر بن عياش : كتب الأحنف إلى الحسين : ﴿ فاصبر إن وعد الله حق ولا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ ^(٢) .

عوانة بن الحكم : عن لبطة بن الفرزدق ، عن أبيه قال : لقيت الحسين ، فقلت : القلوب معك ، والسيوف مع بني أمية .

ابن عيينة : عن لبطة ، عن أبيه قال : لقيني الحسين وهو خارج من مكة في جماعة عليهم يلامق الديباج ؛ فقال : ما وراءك ؟ قال : وكان في لسانه ثقل من برسام ^(٣) عَرَضَ له . وقيل : كان مع الحسين وجماعته اثنان وثلاثون فرساً .

وروى ابن سعد بأسانيده : قالوا : وأخذ الحسين طريق المذئيب ، حتى نزل قصر أبي مقاتل ، فخفق خفقة ، ثم استرجع ، وقال : رأيت كأن فارساً يسايرنا ، ويقول : القوم يسرون ، والمنايا تسري إليهم . ثم نزل كربلاء ، فسار إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص

(١) القنبرة : طير يشبه الحرة .

(٢) الروم : ٦٠ .

(٣) البرسام : التهاب في الغشاء بالرئة .

كاللكره . إلى أن قال : وَقَتِلَ أَصْحَابُهُ حَوْلَهُ ، وَكَانُوا خَمْسِينَ ، وَتَحَوَّلَ إِلَيْهِ مِنْ أَوْلَئِكَ عَشْرُونَ ، وَبَقِيَ عَامَّةُ نَهَارِهِ لَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ أَحَدٌ ، وَأَحَاطَتْ بِهِ الرَّجَالَةُ ، وَكَانَ يَشْدُو عَلَيْهِمْ ، فَيَهْزِمُهُمْ ، وَهُمْ يَكْرَهُونَ الْإِقْدَامَ عَلَيْهِ ، فَصَرَخَ بِهِمْ شَيْئًا ! ثَكَلْتُمْ أُمَهَاتَكُمْ ، مَاذَا تَنْتَظِرُونَ بِهِ ؟ وَطَعَنَهُ سَنَانُ بْنُ أَنَسٍ النَّخْعِي فِي تَرْقُوْتِهِ ، ثُمَّ طَعَنَهُ فِي صَدْرِهِ فَخَرَّ وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ خَوْلِي الْأَصْبَحِي لَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

ذكر ابن سعد بأسانيد له قالوا : قَدَّمَ الْحُسَيْنُ مُسَلِّمًا [بن عقيل] ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى هَانِيءِ بْنِ عُرْوَةَ ، وَيَكْتُبَ إِلَيْهِ بِخَبَرِ النَّاسِ ، فَقَدِمَ الْكُوفَةَ مُسْتَخْفِيًا ، وَأَتَتْهُ الشَّيْعَةُ ، فَأَخَذَ بَيْعَتَهُمْ ، وَكُتِبَ إِلَى الْحُسَيْنِ : بِأَيْعَنِي إِلَى الْآنَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفًا ، فَعَجَّلَ ؛ فَلَيْسَ دُونَ الْكُوفَةِ مَانِعٌ ، فَأَعْذُ السَّيْرَ حَتَّى أَنْتَهِيَ إِلَى زِبَالَةِ ، فَجَاءَتْ رُسُلُ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَيْهِ بِدِيَوَانٍ فِيهِ أَسْمَاءُ مِثْلَةِ أَلْفٍ ، وَكَانَ عَلَى الْكُوفَةِ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ ، فَخَافَ يَزِيدُ أَنْ لَا يَقْدُمَ النُّعْمَانُ عَلَى الْحُسَيْنِ . فَكُتِبَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ وَهُوَ عَلَى الْبَصْرَةِ . فَضُمَّ إِلَيْهِ الْكُوفَةُ ، وَقَالَ لَهُ : إِنْ كَانَ لَكَ جَنَاحَانِ ، فَطِيرٌ إِلَى الْكُوفَةِ ! فَبَادَرَ مُتَعَمِّمًا مَتَنَكِرًا ، وَمَرَّ فِي السُّوقِ ، فَلَمَّا رَأَى السَّفْلَةَ ، اشْتَدَّ بَيْنَ يَدَيْهِ : يَظُنُّونَهُ الْحُسَيْنَ ، وَصَاحُوا : يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ! الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرَانَاكَ ، وَقَبَّلُوا يَدَهُ وَرَجَلَهُ ؛ فَقَالَ : مَا أَشَدُّ مَا فَسَدَ هَؤُلَاءِ . ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، وَصَعِدَ الْمَنْبَرَ ، وَكَشَفَ لثَامَهُ ، وَظَفَرَ بِرَسُولِ الْحُسَيْنِ - وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَقَطَرٍ - فَقَتَلَهُ . وَقَدِمَ مَعَ عُبَيْدِ اللَّهِ ؛ شَرِيكُ بْنُ الْأَعْوَرِ - شَيْعِي - ؛ فَنَزَلَ عَلَى هَانِيءِ بْنِ عُرْوَةَ ، فَمَرَضَ ، فَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ يَعُودُهُ ، فَهَيَّؤُوا لِعُبَيْدِ اللَّهِ ثَلَاثِينَ رَجُلًا لِيُغْتَالُوهُ ، فَلَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ . وَفَهِمَ عُبَيْدُ اللَّهِ ، فَوَثَبَ وَخَرَجَ ، فَمَثَلَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ هَانِيءٍ ، فَبَعَثَ إِلَى هَانِيءٍ - وَهُوَ شَيْخٌ - فَقَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تُجِيرَ عَدُوِّي ؟ قَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، جَاءَ حَقٌّ هُوَ أَحَقُّ مِنْ حَقِّكَ ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ عُبَيْدُ اللَّهِ بِالْقَنْزَةِ حَتَّى غَرَزَ رَأْسَهُ بِالْحَائِطِ .

وَبَلَغَ الْخَبْرَ مُسَلِّمًا ، فَخَرَجَ فِي نَحْوِ الْأَرْبَعِ مِائَةٍ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْقَصْرِ إِلَّا فِي نَحْوِ السِّتِينَ ، وَغَرِبَتِ الشَّمْسُ ، فَاقْتَتَلُوا ، وَكَثُرَ عَلَيْهِمْ أَصْحَابُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَجَاءَ اللَّيْلُ ، فَهَرَبَ مُسَلِّمٌ ، فَاسْتَجَارَ بِامْرَأَةٍ مِنْ كِنْدَةَ ، ثُمَّ جِيءَ بِهِ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَقَتَلَهُ ؛ فَقَالَ : دَعْنِي أَوْصَ . قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ لِعَمْرِ بْنِ سَعْدٍ : يَا هَذَا ! إِنْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ ، وَلَيْسَ هُنَا قَرَشِي غَيْرِكَ ، وَهَذَا

الحسين قد أظلك ، فأرسلُ إليه لينصرف ، فإنَّ القومَ قد غرَّوه ، وكذبوه ، وعليَّ دينٌ فاقضه عني ، ووارِ جُثَّتِي ، ففعل ذلك . وبعث رجلاً على ناقيةٍ إلى الحسين ، فلقيه عليَّ أربع مراحل ، فقال له ابنه عليُّ الأكبر : ارجع يا أبه ، فإنهم أهلُ العراقِ وغدرهم وقلةُ وفائهم . فقالت بنو عقيل : ليس بحين رجوع ، وحرَّضوه ، فقال حسينٌ لأصحابه : قد ترون ما أتانا ، وما أرى القومَ إلا سيخذلوننا ، فمن أحبَّ أن يرجع ، فليرجع ، فانصرف عنه قومٌ .

وأما عبيد الله فجمع المقاتلة ، وبذلَ لهم المال ، وجهزَ عُمَرَ بنَ سعدٍ في أربعة آلاف ، فأبى ، وكره قتالَ الحسين ، فقال : لئن لم تَسِرْ إليه لأعزلَنَّك ، ولأهديمَّ دارك ، وأضرب عنقك . وكانَ الحسينُ في خمسين رجلاً ، منهم تسعةَ عشرَ من أهل بيته . وقال الحسينُ : يا هؤلاء ! دعونا أرجع من حيثُ جئنا ، قالوا : لا . وبلغَ ذلكَ عبيدَ الله ، فهمَّ أن يُخلِّي عنه ، وقال : والله ما عرضَ لشيءٍ من علي ، وما أرايَ إلا مَخْلٍ سبيلَه يذهبُ حيثُ يشاء ، فقال شُبْر : إن فعلتَ ، وفاتك الرجلُ ، لا تستقيها أبداً فكتب إلى عمر :

الآنَ حَيْثُ تَعَلَّقْتَهُ حَبَالَنَا يَرْجُو النِّجَاةَ وَلَاتِ حِينَ مَنَاصِ

فناهضه ، وقال لِشُبْر : يَرِ فَإِنْ قَاتَلَ عَمْرَ ، وَإِلَّا فاقْتُلْهُ ، وَأَنْتَ عَلَى النَّاسِ . وضبط عبيدُ الله الجسرَ ، فنع من يجوزُه لما بلغه أنَّ ناساً يتسلَّلون إلى الحسين .

قال : فركبَ العسكرَ ، وحسينُ جالسٌ ، فرأهم مَقْبِلِينَ ، فقال لأخيه عبَّاس : القَهُم فسلهم : ما لهم ؟ فسألهم ، قالوا : أتانا كتابُ الأميرِ يأمرُنا أن نعرضَ عليك النزولَ على حكمه ، أو نُنَاجِزَكَ . قال : انصرفوا عنا العشيَّةَ حتى ننظرَ الليلةَ ، فانصرفوا .

وجمع حسينُ أصحابه ليلةَ عاشوراء ، فحَمِدَ الله ، وقال : إني لا أحسبُ القومَ إلا مُقاتِلوكم غداً ، وقد أذنتُ لكم جميعاً ، فَأَنْتُمْ فِي حُلٍّ مِنِّي ، وهذا الليلُ قد غَشِيَكُمْ ، فمن كانت له قوةٌ ، فليضُمَّ إليه رجلاً من أهل بيتي ، وتفرَّقوا في سوادكم ، فإنهم إنما يطلبونني ، فإذا رأوني ، لَهَوْا عن طلبكم . فقال أهلُ بيته : لا أبقانا الله بعدك ، والله لا نُفَارِقُكَ . وقال أصحابه كذلك .

الثوري : عن أبي الجحَّاف ، عن أبيه : أن رجلاً قال للحسين : إنَّ عليَّ ديناً . قال : لا

يُقاتلُ معي من عليه دين .

رجع الحديث إلى الأول :

فلما أصبحوا ، قال الحسين : اللهم أنتَ ثقتي في كل كرب ، ورجائي في كل شدة ، وأنتَ فيما نزل بي ثقةً ، وأنتَ وليُّ كلِّ نعمة ، وصاحبُ كلِّ حسنة . وقال لعمر وجنديه : لا تعجلوا ، والله ما أتيتكم حتى أتتني كتبُ أمثالكم بأنَّ السُّنةَ قد أميتت ، والنفاق قد نجم ، والحدود قد عطلت : فاقدمُ لعلَّ اللهَ يصلح بك الأمة . فأُتيتُ : فإذُ كرهتم ذلك ، فأنا راجع ، فارجعوا إلى أنفسكم : هل يصلحُ لكم قتلي ، أو يحلُّ دمي ؟ أَلستُ ابنُ بنتِ نبيكم وابنِ ابنِ عمه ؟ أو ليس حمزةُ والعباسُ وجعفرُ عمومي ؟ ألم يبلغكم قولُ رسولِ الله ﷺ فيَّ وفي أخي : « هذان سيِّدا شبابِ أهلِ الجنة » ؟ فقال شمر : هو يعبدُ الله على حرف إن كان يدري ما يقول ، فقال عمر : لو كان أمرك إلَيَّ ، لأُجبت . وقال الحسين : يا عمر ! ليكوننَّ لما ترى يومَ يسوؤك . اللهم إنَّ أهلَ العراقِ غُرُوني ، وخذعوني ، وصنعوا بأخي ما صنعوا . اللهم شتتْ عليهم أمرهم ، وأحصيهم عدداً .

فكان أول من قاتل مولى لعبيد الله بن زياد ، فبرز له عبدُ الله بن تميم الكلبي ، فقتله ، والحسينُ جالسٌ عليه جُبَّةٌ خزٌّ دكناء ، والنبلُ يقع حوله ، ف وقعت نبلَةٌ في وليدٍ له ابن ثلاث سنين ، فلبسَ لأُمَّتَهُ ، وقاتل حوله أصحابه حتى قُتلوا جميعاً ، وحمل ولدهُ عليُّ الأكبر يرتجز :

أَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ نَحْنُ وَبَيْتُ اللَّهِ أَوْلَىٰ بِالنَّبِيِّ

فجاءته طعنة . وعطش حسينُ فجاء رجلٌ بماء ، فتناوله ، فرماه حصين بن تميم بسهم ، فوقع في فيه ، فجعل يتلقَّى الدم بيده ويممُّ الله . وتوجَّه نحو المَسْنَةِ يريد الفرات ، فحالوا بينه وبين الماء ، ورماه رجلٌ بسهم ، فأثبتته في حنكه ، وبقي عائمٌ يومه لا يقدمُ عليه أحد ، حتى أحاطت به الرُّجَالَةُ ، وهو رابطُ الجأش ، يُقاتل قتالَ الفارسِ الشجاع ، إن كان ليشدُّ عليهم فيتكشفون عنه انكشافَ المعزى شدَّ فيها الأسدُ ، حتى صاح بهم شمر : ثكلتكم أمهاتكم ! ماذا تنتظرون به ؟ فاتهمي إليه زرعةَ التَّيْمِي ، فضربَ كتفه ، وضربه

الحسين على عاتقه ، فصرعه ، وبرز سنان النخعي ، فطعنه في ترقوته وفي صدره ، فخرّ ، ثم نزل ليحترّ رأسه ، ونزل خولي الأصبحي ، فاحترّ رأسه ، وأقى به عبدة الله بن زياد ، فلم يعطه شيئاً .

قال : ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون جراحة ، وقتل من جيش عمر بن سعد ثمانية وثمانون نفساً .

قال : ولم يفلت من أهل بيت الحسين سوى ولده علي الأصغر ، فالحسينية من ذريته ، كان مريضاً ، وحسن بن حسن بن علي وله ذرية ، وأخوه عمرو ، ولا عقب له ، والقاسم ابن عبد الله بن جعفر ، ومحمد بن عقيل ، فقدم بهم وبزينب وفاطمة بنتي علي ، وفاطمة وسكينة بنتي الحسين ، وزوجته الرّباب الكلبيّة والدة سكينة ، وأم محمد بنت الحسن بن علي ، وعبيد وإماء لهم .

قال : وأخذ ثقل الحسين ، وأخذ رجل حليّ فاطمة بنت الحسين ، وبكى : فقالت : لم تبكي ؟ فقال : أأسلم بنت رسول الله ﷺ ، ولا أبكي ؟ قالت : فدعه ، قال : أخاف أن يأخذه غيري .

وأقبل عمر بن سعد ، فقال : ما رجع رجل إلى أهله بشرّ مما رجعت به ، أظعت ابن زياد ، وعصيت الله ، وقطعت الرحم . وورد البشير على يزيد : فلما أخبره ، دمعت عيناه ، وقال : كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين . وقالت سكينة : يا يزيد ؛ أبنات رسول الله سبايا ؟ قال : يا بنت أخي هو والله عليّ أشدّ منه عليك ، أقسمت ولو أن بين ابن زياد وبين حسين قرابة ما أقدم عليه ، ولكن فرقت بينه وبينه سميّة ، فرحم الله حسيناً ، عجل عليه ابن زياد ، أما والله لو كنت صاحبه ، ثم لم أقدر على دفع القتل عنه إلا بنقص بعض عمري ، لأحببت أن أدفعه عنه ، ولوددت أن أتيت به سلباً .

ثم أقبل على عليّ بن الحسين ، فقال : أبوك قطع رحمي ، ونازعني سلطاني . فقام رجل ، فقال : إنّ سيّءهم لنا حلال . قال عليّ : كذبت إلا أن تخرج من ملتنا . فأطرق يزيد ، وأمر بالنساء ، فأدخلن على نساءه ، وأمر نساء آل أبي سفيان ، فأقمن المأتم على الحسين ثلاثة أيام ، إلى أن قال : وبكت أمّ كلثوم بنت عبد الله بن عامر ، فقال يزيد وهو

زوجها : حق لها أن تُعُولَ على كبير قریش وسيدها .

أحمد بن حنّاب المصيصي : حدّثنا خالد بن يزيد القسري ، حدّثنا عمّار الدهني : قلتُ لأبي جعفر الباقر : حدّثني بقتل الحسين . فقال : مات معاوية ، فأرسل الوليد بن عتبة والي مكة إلى الحسين ليبياع ، فقال : أخرني ، ورفق به ، فأخره ، فخرج إلى المدينة ، فأتاه رسلُ أهل الكوفة ، وعليها النعمان بن بشير ، فبعث الحسين ابن عمّه مسلم بن عقيل : أنْ سِرْ ، فانظر ما كتبوا به ، فأخذ مسلم دليلين وسار ، فعطشوا في البرية ، فمات أحدهما . وكتب مسلم إلى الحسين يستعفيه ، فكتب إليه : امض إلى الكوفة ، ولم يُعفه ، فقدمها ، فنزل على عَوْسَجَةٍ ^(١) فدبّ إليه أهل الكوفة ، فبايعه اثنا عشر ألفاً ، فقام عبیدُ الله بن مسلم ؛ فقال للنعمان : إنك لضعيف ! قال : لأنْ أكونَ ضعيفاً أحبُّ إليّ من أنْ أكونَ قوياً في معصية الله ، وما كنتُ لأهتك سترأ ستره الله . وكتب بقوله إلى يزيد ، وكان يزيدُ ساخطاً علي عبید الله بن زياد ، فكتب إليه برضاه عنه ، وأنه ولاه الكوفة مضافاً إلى البصرة ، وكتب إليه أن يقتل مسلماً ، فأسرع عبیدُ الله في وجوه أهل البصرة إلى الكوفة متلثماً ، فلا يمرُّ بمجلس ، فيسلمُ عليهم إلا قالوا : وعليك السلام يا ابن رسول الله ، يظنونونه الحسين . فنزل القصر ؛ ثم دعا مولی له ، فأعطاه ثلاثة آلاف درهم ، وقال : اذهبْ حتى تسألَ عن الذي يبياع أهل الكوفة ؛ فقل : أنا غريبٌ ، جئتُ بهذا المال يتقوى به ، فخرج ، وتلطّف حتى دخل على شيخٍ يلي البيعة ، فأدخله على مسلم ، وأعطاه الدراهم وبايعه ، ورجع ، فأخبر عبیدُ الله .

وتحوّل مسلم إلى دار هانيء بن عروة المرادي ، فقال عبیدُ الله : ما بال هانيء لم يأتنا ؟ فخرج إليه محمد بن الأشعث وغيره ، فقالوا : إنّ الأمير قد ذكرك فركبَ معهم ، وأتاه وعنده شريح القاضي ، فقال عبیدُ الله : « أتتكَ بِخائِنِ رجُلَه » ميت أو هالك ؟ فلما سلّم ، قال : يا هانيء أين مسلم ؟ قال : ما أدري ؛ فخرج إليه صاحبُ الدراهم ، فلما رآه ، قطع به ، وقال : أيّها الأمير ! والله ما دعوتَه إلى منزلي ، ولكنه جاء ، فرمى نفسه عليّ . قال :

(١) الموسجة : شجر من شجر الشوك له ثمر مدور كأنه خرز العقيق .

انتني به . قال : والله لو كان تحت قدمي ، ما رفعتها عنه ، فضربه بعضاً ، فشجّه ، فأهوى هانيء إلى سيف شرطي يستلّه ، ففنه . وقال : قد حلّ دمك ، وسجنه ، فطار الخبر إلى مذحج ، (قبيلة هانيء) فإذا على باب القصر جلبّة ، وبلغ مسلماً الخبر ، فنادى بشعاره ، فاجتمع إليه أربعون ألفاً ، فعباّهم ، وقصد القصر ، فبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة ، فجمعهم عنده ، وأمرهم ، فأشرفوا من القصر على عشائهم ، فجعلوا يكلمونهم ، فجعلوا يتسلّلون حتى بقي مسلم في خمس مئة ، وقد كان كتب إلى الحسين ليسرع ، فلما دخل الليل ، ذهب أولئك ، حتى بقي مسلم وحده يتردّد في الطرق ، فأقْبى بيتاً ! فخرجت إليه امرأة ، فقال : اسقني ، فسقته . ثم دخلت ، ومكثت ما شاء الله ، ثم خرجت ، فإذا به على الباب ، فقالت : يا هذا ، إنّ مجلسك مجلس ريبة ، فقم ؛ فقال : أنا مسلم بن عقيل ، فهل عندك مأوى ؟ قالت : نعم فأدخلته ، وكان ابنها مولى محمد بن الأشعث ، فانطلق إلى مولاه فأعلمه ، فبعث عبيد الله الشرط إلى مسلم ؛ فخرج ، وسل سيفه ، وقاتل ، فأعطاه ابن الأشعث أماناً ، فسلم نفسه ، فجاء به إلى عبيد الله ، ف ضرب عنقه وألقاه إلى الناس ، وقتل هائئاً .

قال : وأقبل حسين على كتاب مسلم ، حتى إذا كان على ساعة من القادسيّة ، لقيه رجل ؛ فقال للحسين : ارجع ، لم أدع لك ورائي خيراً ، فهم أن يرجع . فقال إخوة مسلم : والله لا نرجع حتى نأخذ بالثأر ، أو نقتل ؛ فقال : لا خير في الحياة بعدكم . وسار . فلقيته خيل عبيد الله ، فعدل إلى كربلاء ، وأسند ظهره إلى قصياً حتى لا يقاتل إلا من وجه واحد ، وكان معه خمسة وأربعون فارساً ونحو من مئة راجل .

وجاء عمر بن سعد بن أبي وقاص - وقد ولاه عبيد الله بن زياد على العسكر - وطلب من عبيد الله أن يعفيه من ذلك ، فأبى ، فقال الحسين : اختاروا واحدة من ثلاث ؛ إما أن تدعوني فألحق بالثغور ؛ وإما أن أذهب إلى يزيد ، أو أردد إلى المدينة . فقبل عمر ذلك ، وكتب به إلى عبيد الله ، فكتب إليه : لا ولا كرامة حتى يضع يده في يدي . فقال الحسين : لا والله ! وقاتل ، فقتل أصحابه ، منهم بضعة عشر شاباً من أهل بيته .

قال : ويحيى سهم ، فيقع بابن له صغير ، فجعل يمسح الدّم عنه ، ويقول : اللهم احكم

بيننا وبين قومنا ، دَعَوْنَا لِنَصْرُونَا ، ثُمَّ يَقْتُلُونَنَا . ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ . قَتَلَهُ رَجُلٌ مَذْحِجِيٌّ ، وَحَزَّ رَأْسَهُ ، وَمَضَى بِهِ إِلَى عَبِيدِ اللَّهِ ، فَقَالَ :

أَوْقِرْ رِكَابِي فَضَّةً وَذَهَبًا فَقَدْ قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحَجَّبَ
قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أَمَّا وَأَبَا

قال الجماعة : مات يوم عاشوراء سنة إحدى وستين ، زاد بعضهم يوم السبت وقيل : يوم الجمعة ، وقيل : يوم الاثنين .

ومولده في شعبان سنة أربع من الهجرة .

عبد الحميد بن بهرام ، وآخر ثقة ، عن شهر بن حوشب ، قال : كنتُ عند أم سلمة زوج النبي ﷺ حين أتاها قتلُ الحسين ، فقالت : قد فعلوها ؟ ! ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً ، ووقعت مَغْشِيَةٌ عليها ، فقمنا .

وحدثني ريثاً : أنَّ الرأسَ مكثَ في خزائن السلاح حتى ولي سليمانُ فبعثَ ، فجاء به ، وقد بقي عظماً أبيضَ ، فجعله في سَقَطٍ ، وطَيَّبه ، وكفَّنه ودفنه في مقابر المسلمين . فلما دخلت المسوِّدة ^(١) سألوها عن موضع الرأس فنبشوه ، وأخذوه ، فالله أعلم ما صُنِعَ به .

وذكر باقي الحكاية وهي قوية الإسناد .

ومن قُتل مع الحسين إخوته الأربعة : جعفرُ ، وعتيقُ ، ومحمد ^(٢) ، والعبَّاسُ الأكبر . وابنه الكبير عليٌّ ، وابنه عبدُ الله ، وكان ابنه عليٌّ زينُ العابدين مريضاً ، فسَلِمَ . وكان يزيدُ يكرمه ويرعاه .

وقُتِلَ مع الحسين ، ابنُ أخيه القاسمُ بنُ الحسن ، وعبدُ الله وعبدُ الرحمن ابنا مُسلم بن عقيل بن أبي طالب ، ومحمدٌ وعونُ ابنا عبدِ الله بن جعفر بن أبي طالب .

(١) المسوِّدة : العباسيون .

(٢) غير محمد بن الحنفية .

فأولاد الحسين هم : عليُّ الأكبر الذي قُتِلَ مع أبيه ، وعليُّ زين العابدين ، وذُرِّيَّتُه عدد كثير ، وجعفرُ ، وعبد الله ولم يُعقبا .

فولد لزين العابدين الحسن والحسين ماتا صغيرين ، ومحمد الباقر ، وعبد الله ، وزيد ، وعمر ، وعليُّ ، ومحمد الأوسط ولم يُعقب ، وعبد الرحمن ، وحسين الصغير ، والقاسم ولم يُعقب . ١ هـ من السير .

١٣٤٣ - * روى أحمد عن ربيعة بن شيبان أبي الحوراء قال : قلت للحسين بن علي عليها السلام : ما تعقل عن رسول الله ﷺ ؟ قال صعدت عرفة فأخذت ثمرة فسلكتها في في قال : فقال النبي ﷺ : « ألقها فإننا لا تحِلُّ لنا الصدقة » .

١٣٤٤ - * روى ابن ماجه عن يعلی بن مرة أنهم خرجوا مع النبي ﷺ إلى طعماء دُعوا له . فإذا حسين يلعب في السكة . قال : فتقدم النبي ﷺ أمام القوم ، وبسط يديه . فجعل الغلام يفر ههنا وههنا ، ويضاحكه النبي ﷺ حتى أخذه ، فجعل إحدى يديه تحت ذقنه ، والأخرى في فأس رأسه^(١) . فقبله . وقال : « حسين مني ، وأنا من حسين . أحب الله من أحب حسيناً . حسين سبط من الأسباط » .

١٣٤٥ - * روى الطبراني عن أبي رجاء العطاردي قال : لا تسبوا علياً ولا أحداً من أهل البيت فإن جارا لنا من بلهجم قال : ألم تروا إلى هذا الفاسق الحسين بن علي قتله الله . فرماه الله بكوكبين في عينيه فطمس الله بصره .

١٣٤٦ - * روى الطبراني عن منذر الثوري قال : كنا إذا ذكرنا حسيناً ومن قُتِلَ معه

١٣٤٣ - أحمد في مسنده (١ / ٢٠١) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣ / ٩٠) : رواه أحمد ورجاله ثقات .

١٣٤٤ - ابن ماجه (١ / ٥١) المقدمة - ١١ - باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ (فضل الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم) .

(١) فأس رأسه : قال في الإفصاح : الفأس حرف القمحة المشرف على القفا . والقمحة حذوة هي الناشئة فوق القفا ، بين الذؤاية والقفا . قد انحدرت على الهامة . إذا استلقى الرجل أصابت الأرض من رأسه .

١٣٤٥ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٦٦) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح . بلهجم : اسم قبيلة .

١٣٤٦ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٩٨) وقال : رواه الطبراني بإسنادين ورجل أحدهما رجال الصحيح .

قال محمد بن الحنفية قُتل معه سبعة عشر كلهم ارتكض في رحم فاطمة رضي الله عنها وعنهم .

١٣٤٧ - * روى الطبراني عن الليث يعني ابن سعد قال أبا الحسين بن علي أن يستأير فقاتلوه فقتلوه وقتلوا ابنه وأصحابه الذين قاتلوا معه بمكان يقال له : الطَّفُ ، وانطلق بعلي بن حسين وفاطمة بنت حسين وسكينة بنت حسين إلى عبيد الله بن زياد وعلي يومئذ غلام قد بلغ فبعث بهم إلى يزيد بن معاوية فأمر بسكينة فجعلها خلف سريره لئلا ترى رأس أبيها وذوي قرابتها ، وعلي بن حسين في غل فوضع رأسه فضرب على ثنيتي الحسين فقال :

فَلَقَّ هَامًا مِّن رِّجَالِ أَحِبَّةِ إِلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعْقًا وَأَظْلَمًا

فقال علي بن حسين : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ فثقل على يزيد أن يمثل بيبي شعير وتلا علي بن الحسين آية من كتاب الله عز وجل ، فقال يزيد : بل بما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ، فقال علي أما والله لو رأنا رسول الله ﷺ مغلولين لأحب أن يخلصنا من الغل . فقال : صدقت ، فخلوهم من الغل ، فقال : ولو وقفنا بين يدي رسول الله ﷺ على بعد لأحب أن يقربنا . قال : صدقت ، فقرّبوهم . فجعلت فاطمة وسكينة يتطاولان لتريا رأس أبيهما ، وجعل يزيد يتطاول في مجلسه ليستر رأسه ، ثم أمر بهم فجهزوا وأصلح إليهم وأخرجوا إلى المدينة .

١٣٤٨ - * روى الطبراني عن الليث بن سعد قال : توفي معاوية في رجب لأربع ليال خلون منه ، واستخلف يزيد سنة ستين وفي سنة إحدى وستين قتل الحسين بن علي وأصحابه رضي الله عنهم لعشر ليال خلون من المحرم يوم عاشوراء . وقُتل العباس بن علي بن أبي طالب وأمه أم البنين عامرية ، وجعفر بن علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن علي

١٣٤٧ - أوردته الهيثبي في جمع الزوائد (١ / ١٩٥) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٣٤٨ - أوردته الهيثبي في جمع الزوائد (١ / ١٩٧) وقال : رواه الطبراني ، ورجاله إلى قائله رجال الصحيح .

ابن أبي طالب ، وعثمان بن علي بن أبي طالب ، وأبو بكر بن علي بن أبي طالب وأمه ليلي بنت مسعود نَهْشَلِيَّة ؛ وعلي بن الحسين بن أبي طالب الأكبر وأمه ليلي ثَقَفِيَّة وعبد الله بن الحسين وأمه الرِّبَابُ بنت مَرْيَ كَلْبِيَّة ، وأبو بكر بن الحسين لأم ولد ، والقاسم بن الحسين لأم ولد ، وعون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ، وجعفر بن عقيل بن أبي طالب ، ومسلم بن عقيل بن أبي طالب وسليمان مولى الحسين ، وقَتِيلَ الحسين وهو ابنُ ثمانٍ وخمسين سنة رضي الله عنهم .

١٣٤٩ - * روى الطبراني عن دؤيد الجعفي عن أبيه قال : لما قتل الحسين انتهبت جزور من عسكره فلما طبخت إذا هي دم .

١٣٥٠ - * روى الطبراني عن عمرو بن بعة قال : أولُ ذلٌ دخل على العرب قتلُ الحسين بن علي وادعاء زياد .

١٣٥١ - * روى الطبراني عن ابن عباس قال استأذني حسين في الخروج ، فقال (أي ابن عباس) لولا أن يُزْرِي ذلك بي أو بك لشبكتُ يدي في رأسك ، فكان الذي ردَّ عليَّ أن قال : لأنَّ أقتلَ بمكانٍ كذا وكذا أحبُّ إليَّ من أن يستحلَّ بي حرَمُ الله ورسوله قال : فذلك الذي سَلَّى بنفسي عنه .

١٣٥٢ - * روى البزار والطبراني عن الشعبي قال : إنما أرادَ الحسين بنُ علي أن يخرجَ إلى أرضٍ أراد أن يلتقى ابنَ عمر فسأل عنه فقيل له : إنه في أرضٍ له ، فأتاه ليودِّعَه ، فقال له : إني أريد العراق . فقال : لا تفعلْ فإنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « خَيْرُتُ بَيْنَ أَنْ أَكُونَ مُلْكًا نَبِيًّا أَوْ نَبِيًّا عَبْدًا فَقِيلَ لِي : تواضع ، فاخترتُ أن أَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا » وإنك

١٣٤٩ - أورده المهيبي في جمع الزوائد (١٩٦ / ١) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٣٥٠ - أورده المهيبي في جمع الزوائد (١٩٦ / ١) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

ادعاء زياد : أي ادعاء زياد بن أبيه لأبي سفيان .

١٣٥١ - أورده المهيبي في جمع الزوائد (١٩٢ / ١) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

١٣٥٢ - كشف الأستار (٣ / ٢٢٢) وقال المهيبي في جمع الزوائد (١٩٢ / ١) رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجال البزار ثقات .

بَضْعَةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا تَخْرُجَ قَالَ : فَأَبَى فَوَدَّعَهُ وَقَالَ أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهَ مِنْ مَقْتُولٍ .

١٣٥٣ - * روى الطبراني عن الزبير بن بكار قال : ولدَ الحسينُ خمسَ ليالٍ خلونَ من شعبانَ سنةٍ أربعٍ منَ الهجرةِ ، وقُتِلَ يومَ الجمعةِ يومَ عاشوراءَ سنةَ إحدى وستينَ ، قتله سنانُ ابنُ أبي أنسٍ ، وأجهزَ عليه خولي بن يزيدَ الأصبَحيُّ مِن حَمِيرٍ ، وحز رأسه وأتى به عبيدُ الله بن زيادٍ فقال سنان :

أَوْقِرْ رُكَابِي فَضَّةً وَذَهَباً أَنَا قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحْجِبَا
قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أُمًّا وَأَبَا

١٣٥٤ - * روى الطبراني عن الشعبي قال رأيتُ في النومُ كأن رجالاً من السماء نَزَلُوا معهم حِرَابٌ يَتَتَبِعُونَ قَتْلَةَ الْحُسَيْنِ فَمَا لَبِثْتُ أَنْ نَزَلَ الْخِتَارُ فَقَتَلَهُمْ .

١٣٥٥ - * روى الطبراني عن أم سلمة قالت : كان رسول الله ﷺ جالساً ذاتَ يومٍ في بيتي قال : لا يدخلُ عليَّ أحدٌ فانتظرتُ فدخلَ الحسينُ فسمعتُ نشيجَ رسولِ الله ﷺ يبكي فاطلمتُ فإذا حسينٌ في حجره والنبي ﷺ يمسحُ جبينه وهو يبكي ، فقلتُ : واللَّهِ ما علمتُ حينَ دخلَ . فقالَ : « إن جبريلَ عليه السلامُ كان معنا في البيتِ قالَ أَفْتَحْهُ ؟ قلتُ : أما في الدنيا فنعم » . قال : إن أمتك ستقتلُ هذا بأرضٍ يُقالُ لها : كَرْبَلَاءُ فتناولَ جبريلُ من تربتها فأراها النبي ﷺ فلما أحيطَ بحسينٍ حينَ قتلَ قالَ : ما سمَّ هذه الأرضَ ؟ قالوا : كَرْبَلَاءُ . فقالَ : صدقَ اللهُ ورسولُهُ كَرْبٌ وَبَلَاءٌ ، وفي روايةٍ صدقَ رسولُ اللهِ ﷺ أرضُ كربٍ وبلاءٍ .

١٣٥٦ - * روى الطبراني عن الزهري قالَ : قال لي عبد الملك : أيُّ واحد أنت إن أعلمتني أيُّ علامةٍ كانت يومَ قتلِ الحسينِ . فقال قلتُ : لم ترفعُ حصاةً بيتِ المقدسِ إلا

١٣٥٣ - أورده المهيبي في مجمع الزوائد (٩ / ١١٤) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٣٥٤ - أورده المهيبي في مجمع الزوائد (٩ / ١١٦) وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن .

١٣٥٥ - أورده المهيبي في مجمع الزوائد (٩ / ١٨٩) وقال : رواه الطبراني بأسانيد ورجاله أحدها ثقات .

النشيج : صوت معه توجع وبكاء .

١٣٥٦ - أورده المهيبي في مجمع الزوائد (٩ / ١١٦) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

وَجَدَ تَحْتَهَا دَمَ عَبِيْطٍ ، فَقَالَ لِي عَبْدِ الْمَلِكِ : إِنِّي وَإِيَاكَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ لِقَرِينَانِ .

١٣٥٧ - * رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنِ الزَّهْرِيِّ قَالَ مَا رُفِعَ بِالشَّامِ حَجَرٌ يَوْمَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَّا عَنْ دَمٍ .

١٣٥٨ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي نُعْمٍ الْبَجَلِيُّ الْكُوفِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : كُنْتُ شَاهِدًا لِابْنِ عُمَرَ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ دَمِ الْبَعُوضِ ؟ فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَقَالَ : انظُرُوا إِلَى هَذَا ، يَسْأَلُنِي عَنْ دَمِ الْبَعُوضِ ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « هُمَا رِيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا ! » .

وَفِي رِوَايَةٍ ^(١) : أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ عَنْ دَمِ الْبَعُوضِ يُصِيبُ الثُّوبَ ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : انظُرُوا إِلَى هَذَا يَسْأَلُ عَنْ دَمِ الْبَعُوضِ وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ هُمَا رِيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا » .

١٣٥٩ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْتُ عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ ، فَجَعَلَ فِي طَسْتٍ ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ ، وَقَالَ فِي حُسْنِهِ شَيْئًا ، فَقَالَ أَنَسُ : كَانَ أَشْبَهُهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ مَخْضُوبًا بِالْوُثْمَةِ .

وَفِي رِوَايَةٍ ^(٢) قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ زِيَادٍ ، فَجِيءَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ بِقَضِيبٍ

= دم عبیط : سائل طري .

١٣٥٧ - أوردته الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١١٦) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

١٣٥٨ - البخاري (١٠ / ٤٢٦) ٧٨ - كتاب الأدب - ١٨ - باب رحمة الولد وتقبيله ومعاقبته .

(١) الترمذي (٥ / ٦٥٧) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣١ - باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام وقال : هذا حديث

صحيح .

البعوض : جمع بعوضة ، وهو صفار البق .

الريحان والريحانة : السعادة والرحمة والزخانة ، ويسمى الولد ريحاناً وريحانةً لذلك .

١٣٥٩ - البخاري (٧ / ٩٤) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٢ - باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما

النكت : بالقضيب : أن يضرب الأرض بطرفه ليؤثر فيها .

الوُثْمَةُ : شيء أسود يصيب به الشعر .

(٢) الترمذي (٥ / ٦٥٩) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣١ - باب مناقب الحسن والحسين عليهما وقال : هذا حديث حسن

صحيح غريب .

في أنفه ، ويقول : ما رأيت مثل هذا حسناً ، فقلت : أما إنّه كان من أشبههم برسول الله ﷺ .

١٣٦٠ - * روى الترمذي عن عمارة بن عمير رحمه الله قال : لما جيء برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه نُصِدَتْ في المسجد في الرحبة ، فانتَهيتُ إليهم وهم يقولون : قد جاءت ، قد جاءت ، فإذا حيّة قد جاءت تُخلّل الرؤوس ، حتى دخلتُ في منخري عبيد الله بن زياد ، فكُنْتُ هَنِيئَةً ، ثم خرجتُ فذهبتُ حتى تَغَيَّبْتُ ، ثم قالوا : قد جاءت ، قد جاءت ، فقَعَلْتُ ذلك مرتين أو ثلاثاً .

١٣٦١ - * روى الترمذي وابن ماجه عن يعلّى بن مرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « حُسَيْنٌ مِنِّي ، وأنا من حُسَيْنٍ ، أحبُّ الله من أحبِّ حُسَيْنًا ، حسينٌ سِبْطٌ من الأسباط » .

١٣٦٢ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لم يكن أحدٌ أشبه برسول الله ﷺ من الحسين بن علي .
وفي رواية ^(١) : من الحسن .

١٣٦٠ - الترمذي (٥ / ٦٦٠) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣١ - باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

نُصِدَتْ المتاع : جعلتُ بعضه فوق بعض مرتباً .

١٣٦١ - الترمذي (٥ / ٦٥٨) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣١ - باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام . وقال : هذا حديث حسن .

وابن ماجه (١ / ٥١) المقدمة ١١ - باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ . (فضل الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب) .

السبط : ولد الولد ، وأسباط بني إسرائيل : هم أولاد يعقوب عليه السلام ، وهم فيهم كالثبائل في العرب ، وقد جعل النبي ﷺ حسيناً رضي الله عنه واحداً من أولاد الأنبياء ، يعني أنه من جملة الأسباط الذين هم أولاد يعقوب عليه السلام .

١٣٦٢ - البخاري (٧ / ٩٥) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٢ - باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما .
(١) الترمذي (٥ / ٦٥٩) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣١ - باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

١٣٦٣ - * روى الطبراني عن أبي قَبِيل قال : لَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ كَسْفَةً حَتَّى بَدَتْ الْكَوَاكِبُ نِصْفَ النَّهَارِ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا هِيَ .

١٣٦٤ - * روى البزار والطبراني عن أنس قال : لَمَّا أُتِيَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ جَعَلَ يَنْكُتُ بِالْقَضِيبِ ثَنَائِيَهُ يَقُولُ : لَقَدْ كَانَ (أَحْسَبُهُ قَالَ) جَمِيلاً ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَأَسْوَأُكَ إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَلْتَمُ حَيْثُ يَقَعُ قَضِيبُكَ ، قَالَ : فَانْقَبِضْ .

١٣٦٥ - * روى الطبراني عن محمد بن الضحاك بن عثمان الحزامي قال : كَانَ جَسَدُ الْحُسَيْنِ شَبَةً جَسَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

١٣٦٦ - * روى الطبراني عن ابن عباس قال : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَرَجَ مَا بَيْنَ فَخْذِي الْحُسَيْنِ وَقَبْلِ زَيْبَتِهِ .

١٣٦٧ - * روى أحمد عن عائشة أو أم سلمة أن النبي ﷺ قال لإحدهما : « لَقَدْ دَخَلَ عَلَيَّ الْبَيْتَ مَلَكٌ فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَيَّ قَبْلَهَا ، قَالَ : إِنَّ ابْنَكَ هَذَا حَسِينٌ مُقْتُولٌ وَإِنْ شِئْتَ أَرَيْتُكَ مِنْ تُرْبَةِ الْأَرْضِ الَّتِي يَقْتُلُ بِهَا » قَالَ : فَأَخْرَجَ تَرْبَةً حُمْرَاءَ .

١٣٦٨ - * روى أحمد والبزار والطبراني عن الحضرمي أنه سار مع علي رضي الله عنه وكان صاحب مطهرته ، فلما حاذى نينوي وهو منطلق إلى صفين فنادى علي اصبر أبا عبد الله ، اصبر أبا عبد الله بشطّ الفرات . قلتُ : وما ذاك ؟ قال : دخلتُ على النبي ﷺ

١٣٦٣ - أوردته الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٩٧) وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن . أنها هي : أي يوم القيامة .

١٣٦٤ - كشف الاستار (٣ / ٢٣٣) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٩٥) رواه البزار والطبراني بأسانيد ورجاله وثقوا .

١٣٦٥ - أوردته الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٨٥) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٣٦٦ - أحمد في مسنده (٦ / ٢٩٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

١٣٦٧ - كشف الاستار (٣ / ٢٣١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٨٧) : رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني ورجاله ثقات .

١٣٦٨ - أوردته الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٨٧) وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير الربيع بن سعد وقيل ابن سعيد وهو ثقة .

ذات يوم وإذا عيناه تَذْرِفَان ، قلت : يا نبي الله أغضبك أحد ما شأن عينيك تفيضان ؟ قال : « بل قام من عندي جبريل عليه السلام قيل فحدثني أن الحسين يقتل بِشَطْرِ الْفَرَاتِ : قَالَ فَقَالَ : هل لك أن أُشَمِّكَ من تربته ؟ قلت : نعم . قال : فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها ، فلم أملكُ عيني أن فاضتا » .

١٣٦٩ - * روى أبو يعلى عن جابر قال : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن علي فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولهُ .

١٣٧٠ - * روى الطبراني عن أسلم النُقَري قال : دخلتُ على الحَجَّاجِ فدخل سنان بن أبي أنسٍ قاتلُ الحسين فإذا شيخٌ آدمٌ فيه خنا ، طويلُ الأنفِ ، في وجهه بَرَشٌ ، فأوقف بحيالِ الحَجَّاجِ ، فنظرَ إليه الحَجَّاجُ فقالَ : أنتَ قتلتَ الحسينَ ؟ قال : نعم ، قال : وكيف صنعتَ به ؟ قال : دعمته بالرمح وهبته بالسيف هباً فقال له الحَجَّاجُ : أما إنكما لن تجتمعا في دار .

١٣٧١ - * روى الطبراني عن أم سلمة قالت : سمعتُ الجنَّ تنوحُ على الحسين بن علي .

١٣٧٢ - * روى الطبراني عن الأعمش قال : خري رجلٌ على قبر الحسين فأصابَ أهلَ ذلكَ البيتِ خبلٌ وجنونٌ وجذامٌ وبرَصٌ وفقر .

١٣٧٣ - * روى الطبراني والبرز عن عمارة بن يحيى بن خالد بن عُرْفُطَةَ قال : كنّا عندَ خالد بن عُرْفُطَةَ يومَ قتلِ الحسين بن علي رضي الله عنهما فقال لنا خالد : هذا ما سمعتُ من رسولِ الله ﷺ إنكم ستبتلون في أهل بيتي من بعدي .

١٣٧٠ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٩٤) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

الهرب : القطع ، وهبَر اللحم : قطعه قطعاً كبيراً .

١٣٧١ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٩٩) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

١٣٧٢ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٩٧) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

١٣٧٣ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٩٤) وقال : رواه الطبراني والبرز ورجاله الطبراني رجال الصحيح غير عمارة ، وعمارة وثقه ابن حبان .

١٣٧٤ - * روى أحمد والطبراني عن ابن عباس قال : رأيتُ النبي ﷺ في المنام بنصفِ النهار أشعثَ أغبرَ معه قارورةٌ فيها دمٌ يلتقطه أو يتَّبِعُ فيها شيئاً فقلتُ : ما هذا ؟ قال : « دمُ الحسينِ وأصحابه » فلم أزلُ أتتبعُه منذُ اليوم .

١٣٧٥ - * روى الطبراني عن أبي الطفيل قال : استأذنَ مَلِكُ القَطْرِ أن يسلمَ على النبي ﷺ في بيتِ أمِّ سلمة ، فقال : « لا يدخلَ علينا أحدٌ » فجاء الحسينُ بنُ علي رضي الله عنهما فدخل ، فقالت أم سلمة : هو الحسين فقال النبي ﷺ : « دعيه » فجعل يعلو رقبته النبي ﷺ ويبعثُ به والمَلِكُ ينظر ، فقال المَلِكُ : أتجبه يا محمد ؟ قال : « أي والله إني لأجبه » قال . أما إن أمتك ستقتله ، وإن شئتَ أريتكَ المكان ، فقال بيده فتناولَ كَفّاً من ترابٍ فأخذتُ أمُّ سلمةُ الترابَ فصرَّته في خمارها فكانوا يرونَ أن ذلك الترابَ من كربلاء .

١٣٧٦ - * روى الطبراني عن علي قال : لَيَقْتُلَنَّ الحسينُ ، وإني لأعرفُ التربةَ التي يقتلُ فيها قريباً منَ النهرينِ .

١٣٧٧ - * روى الطبراني عن عبد المَلِكِ بنِ عير قال : دخلتُ على عبيدِ الله بنِ زيادٍ وإذا رأسُ الحسينِ قدامةٌ على تُرسٍ ، فوالله ما لبثتُ إلا قليلاً حتى دخلتُ على المختارِ فإذا رأسُ عبيدِ الله بنِ زيادٍ على ترسٍ ، فوالله ما لبثتُ إلا قليلاً حتى دخلتُ على مصعبِ بنِ الزبيرِ وإذا رأسُ المختارِ على ترسٍ ، فوالله ما لبثتُ إلا قليلاً حتى دخلتُ على عبيدِ الله وإذا رأسُ مصعبِ بنِ الزبيرِ على ترسٍ .

١٣٧٨ - * روى الطبراني عن ابن أبي ليلى قال : قال حسين : حين أحسُّ بالقتل :

١٣٧٤ - أحمد في مسنده (٢٤٢ / ١) وقال الميثقي في جمع الزوائد (١٩٤ / ١) : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح .

١٣٧٥ - أورده الميثقي في جمع الزوائد (١٩٠ / ١) وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن .

١٣٧٦ - أورده الميثقي في جمع الزوائد (١٩٠ / ١) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٣٧٧ - أورده الميثقي في جمع الزوائد (١٩٦ / ١) وقال : رواه الطبراني وأبو يعلى بنحوه ورجال الطبراني ثقات .

١٣٧٨ - أورده الميثقي في جمع الزوائد (١٩٣ / ١) وقال : رواه الطبراني ورجاله إلى قائله ثقات .

اثتوني ثوباً لا يرغب فيه أحد أجعله تحت ثيابي لا أجزؤ ف قيل له : تَبَّان ؟ فقال : لا ، ذاك لباس من صُرِبْتُ عليه الذلَّةُ ، فأخذ ثوباً فخرقه فجعله تحت ثيابه . فلما أن قتل جَرَدوه .

١٣٧٩ - * روى الطبراني عن إبراهيم النخعي قال : لو كنتُ فبين قتل الحسين ثم غفر لي ثم أدخلت الجنة استحييتُ أن أمرُ على النبي ﷺ فينظر في وجهي .

تصويبات :

١ - إذا لم يكن الحسين رضي الله عنه من أئمة الهدى الذين يقتدى بهم ، فإن هم أئمة الهدى ؟ وعلى هذا فتصرفات الحسين محل القدوة ومن تصرفاته نأخذ :

أنه يجوز الخروج على الحاكم إذا وصل إلى الحكم عن غير طريق شرعي ، كما يجوز الخروج عليه إذا اختلف فيه شرط من شروط الإمامة على أن الجواز شيء والوجوب شيء آخر ، وإذا كان هذا جائزاً لمثل الحسين في فضله فإن على غيره أن يعقد موازنات كثيرة قبل أن يقرر الخروج .

٢ - إن خروج الحسين رضي الله عنه علامة على الخيرية في هذه الأمة فهو يثقل صحتها ورقابتها ، ولقد أسقط بفعله عن الأمة إثماً كبيراً ، تصوّر أن تصبح الخلافة ملكاً عضواً ولا يتحرك أحد من المسلمين ، لقد تحرك الحسين رضي الله عنه ضد أيلولة الخلافة إلى الملك العضوض فأعطى الأمة درساً ، صحيح أن الملك استمر وقتل الحسين ، لكن استشهاده ، وضع الأساس لإنهاء ملك بني أمية ، ومع أن الملك العضوض استمر بعد بني أمية لكن الدرس الذي أعطاه الحسين للأمة باقٍ ، ألا تسمح لأحد أن يصل إلى حكم المسلمين إلا بالطريق الشرعي ، وإلا فالثورات والاضطرابات لا تنتهي .

* * *

= التَّبَّان : سرّوَال صغير يستر المورة المغلطة فقط ويكثر لبسه الملاحون .
١٣٧٩ - أورده الهيثبي في مجمع الزوائد (١ / ١٩٥) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

الوصيل الثالث

في

بعض أقاربه الأذنين ممن يدخل في لفظة أهل البيت

بالمعنى العام

مقدمة

الجد الرابع لرسول الله ﷺ هو قصي ، فهو عليه الصلاة والسلام محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، وولد لقصي أربعة ذكور وامرأتان ، اشتهر من الذكور عبد مناف وعبد الدار ، وجاء لعبد مناف أربعة نفر : هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل وهم أركان حلف الفضول ابتداء ، ثم انسحب من حلف الفضول آل عبد شمس ونوفل ، وبقي بنو هاشم وبنو المطلب ، ومن ثم استمرت نصرة هذين الفرعين لبعضهما ، ومن ههنا حرم بعضهم الزكاة على بني هاشم وبني المطلب ، فأبناءؤهم وبناتهم هم آل البيت بالمعنى العام على هذا الرأي .

وولد لهاشم أربعة نفر وخمس نسوة : عبد المطلب وأسد وأبو صفى ، ونضلة والشقاء وخالدة وضعيفة ورقية ، وحية .

وولد لعبد المطلب عشرة نفر وست نسوة : العباس وحمة وعبد الله وأبو طالب والزبير والحارث وحجلا والمقوم وضرار وأبو لهب ، وصفية وأم حكيم البيضاء وعاتكة وأميمة وأروى وبيرة .

وقد أسلم من أعمامه حمزة رضي الله عنه لكنه استشهد مبكراً ولم يرزق ذكراً ، والعباس وقد أنجب ، ولذلك فقد دخل آل العباس فيمن تحرم عليهم الصدقة ، وأسلم من أولاد عمه أبي طالب : علي وعقيل وجعفر ، وقد أنجبوا ، فمن ثم أدخل بعضهم هؤلاء الثلاثة فيمن تحرم عليهم الصدقة .

وعلى هذا فالآل بالمعنى العام على رأي هؤلاء هم آل العباس وآل عقيل وآل جعفر وآل علي رضي الله عنهم مع خصوصية آل علي ، ونحن سنترجم في هذا الوصل لبعض من كان هاشمياً أو مطلبياً فضلاً عن بعض من يدخلون في الدائرة الأضيق .

مبتدئين بحمزة والعباس رضي الله عنهم وصفية من أعمامه وعماته ، ثم بجعفر وعقيل ابني عمه أبي طالب ، وبعض أبناء عمه ، ثم تذكر اثنين من أحفاد أعمامه ، مع ملاحظة أننا سنؤخر ذكر الإمام علي لنستوفي الكلام عنه مع إخوانه الخلفاء الراشدين .

أسلم من أعمامه : حمزة والعبّاس . وقد استشهد حمزة رضي الله عنه .

وأسلم من عمّاته : صفية بيقين وأروى وعاتكة وأمّية على قول .

وأسلم من أولاد عمّه أبي طالب : عليّ وجعفر وعقيل ، وقد استشهد اثنان منها عليّ وجعفر . وأسلمت من بنات أبي طالب : أم هانئ .

وأسلم من أولاد عمّه أبي لهب : درّة ابنته .

وأسلم من أولاد عمّه الزبير : ضباعة زوجة المقداد بن الأسود ، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب وقد استشهد في قتال مع الروم .

وأسلم من أولاد عمّه الحارث بن عبد المطلب : نوفل بن الحارث ، وأسلم معه ابنه الحارث ابن نوفل ، وكذلك أبو سفيان بن الحارث وابنه جعفر ، وكذلك عبيدة بن الحارث الذي استشهد يوم بدر ، وكذلك ربيعة بن الحارث وعبد الله بن الحارث ، ولربيعة ابن اسمه عبد المطلب بن ربيعة له صحبة .

وقد أسلم من أولاد عمّه العبّاس ، قثم ، وقد استشهد بمرقند ، ومعبّد بن عباس وكثير ابن العبّاس وهو تابعي ، وتّمام ابن عبّاس والفضل وعبد الله وعبيد الله ، وممن له صحبة من أبناء جعفر بن أبي طالب عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .

والملاحظ أنّ كثيراً من أقاربه الأذنين من أعمامه وأبناء أعمامه قد استشهدوا .

ونحن سنترجم هنا لعمّه حمزة والعبّاس وعمته صفية .

وسنترجم من أبناء عمومته : جعفر وعقيل وأم هانئ ودرّة وعبد الله بن عبّاس وعبيد الله بن عباس .

وسنترجم من أحفاد أعمامه عبد الله بن جعفر .

* * *

١ - من أعمامه وعمّاته عليه الصلاة والسلام

حمزة بن عبد المطلب

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء : حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب .

الإمام البطل الضّرغام أسد الله أبو عَمارة ، وأبو يعلى القرشي الهاشمي المكي ثم المدني البدري الشهيد ، عم رسول الله ﷺ ، وأخوه من الرضاعة .

استشهد يوم أحد ، قتله وحشي .

ووجدوا حمزة قد بقر بطنه ، واحتمل وحشي كَبِدَهُ إلى هند في نذر نذرتة حين قتل أباه يوم بدر . فدفن في نَمرة كانت عليه ، إذا رُقعت إلى رأسه ، بدت قدماءه ، فغطوا قدميه بشيء من الشجر . أ هـ .

وقال الحاكم في المستدرك : حمزة بن عبد المطلب كانت له كنيستان أبو يعلى وأبو عَمارة لابنيه يعلى ، وعَمارة ، أسلم حمزة في السنة السادسة من النبوة ، وكان أسن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأربع سنين ، وقتل يوم السبت في المغزى بأحد لسبع خلون من شوال سنة ثلاث من الهجرة (١) .

١٣٨٠ - * روى الطبراني والحاكم عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله » .

١٣٨١ - * روى الطبراني عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق حليف

(١) المستدرك (٣ / ١٩٢) .

١٣٨٠ - أورده الميمني في مجمع الزوائد (٩ / ٢٦٨) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه ضعف .

والمستدرك (٣ / ١٩٥) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي : صحيح والصفار لا يدرى من هو .

وللتحديث شاهد يقوى به فهو حديث حسن بإذن الله تعالى .

١٣٨١ - أورده الميمني في مجمع الزوائد (٩ / ٢٦٧) وقال : رواه الطبراني مرسلاً ورجاله ثقات . وأخرج نحوه ابن إسحاق عن رجل من أسلم .

بني زهرة : أن أبا جهل اعترض لرسول الله ﷺ بالصفاء فأذاه ، وكان حمزة رضي الله عنه صاحب قنص وصيد ، وكان يومئذ في قنصه ، فلما رجع قالت له امرأته وكانت قد رأت ما صنع أبو جهل برسول الله ﷺ : يا أبا عمار لو رأيت ما صنع - تعني أبا جهل - بابن أخيك فغضب حمزة ومضى كما هو قبل أن يدخل بيته ، وهو معلق قوسه في عنقه حتى دخل المسجد فوجد أبا جهل في مجلس من مجالس قريش فلم يكلمه حتى علا رأسه بقوسه فشجه فقام رجال من قريش إلى حمزة يسكنونه عنه فقال حمزة : ديني دين محمد أشهد أنه رسول الله فوالله لا أثنى عن ذلك فامنعوني من ذلك إن كنتم صادقين . فلما أسلم حمزة عز به رسول الله ﷺ والمسلمون ، وثبت لهم بعض أمرهم وهاب قريش وعلموا أن حمزة رضي الله عنه سينعه .

١٣٨٢ - * روى الطبراني عن ابن شهاب في تسمية من شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ حمزة بن عبد المطلب بن عبد مناف .

١٣٨٣ - * روى الحاكم عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : قال لي أمية بن خلف ، وأنا بينه وبين ابنه علي ، أخذ بأيديهما : يا عبد الإله من الرجل منكم المعلم بريشة نعام في صدره ؟ قال : قلت : ذاك حمزة بن عبد المطلب ، قال : ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل .

١٣٨٤ - * روى الحاكم عن علي قال : قال لي رسول الله ، ﷺ : « ناد حمزة فقلت : من هو صاحب الجمل الأحمر ؟ فقال حمزة : هو عتبة بن ربيع . فبارز يومئذ حمزة عتبة فقتله .

١٣٨٥ - * روى أحمد والحاكم عن أنس قال : لما كان يوم أحد وقف رسول الله ، ﷺ ، على حمزة وقد جديع ومثل به ، فقال : « لولا أن تجد صفيّة في نفسها ، لتركته حتى

١٣٨٢ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٦٧) وقال : رواه الطبراني مرسلاً ورجاله ثقات .

١٣٨٣ - المستدرك (٢ / ١١٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي وقال : أخرجه ابن خزيمة .

١٣٨٤ - المستدرك (٢ / ١٩٤) مطولاً وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

١٣٨٥ - أحمد في مستدركه (٢ / ١٢٨) والمستدرك (١ / ٢٦٥) وسكت عنه الذهبي .

يَحْشَرُهُ اللَّهُ مِنْ بَطُونِ السَّبَاعِ وَالطَّيْرِ». وَكُفِّنَ فِي نَمِرَةٍ إِذَا خُمِرَ رَأْسُهُ ، بَدَتْ رِجْلَاهُ ، وَإِذَا خُمِرَتْ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ . وَلَمْ يُصَلَّ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الشَّهَدَاءِ ، وَقَالَ : « أَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ » وَكَانَ يَجْمَعُ الثَّلَاثَةَ فِي قَبْرِ ، وَالْاِثْنَيْنِ فَيَسْأَلُ : « أَيُّهُمَا أَكْثَرُ قِرَآنًا » فَيَقْدِمُهُ فِي اللَّحْدِ وَكَفَنَ الرَّجُلَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ فِي ثَوْبٍ .

١٣٨٦ - * رَوَى أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ عَنْ ابْنِ عَرَبٍ قَالَ : سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَ الْأَنْصَارِ يَبْكِينَ عَلَى هَلَاكِهِنَّ فَقَالَ : « لَكُنْ حِمَزَةً لَا بَوَاكِيَ لَهَا » فَجِئْنَ ، فَبَكَيْنَ عَلَى حِمَزَةٍ عِنْدَهُ . إِلَى أَنْ قَالَ : « مَرُّوهنَّ لَا يَبْكِينَ عَلَى هَالِكٍ بَعْدَ الْيَوْمِ » .

وقد ذكرنا رواية وحشي عن قتله حمزة في غزوة أحد .

١٣٨٧ - * رَوَى أَحْمَدُ عَنْ عُرْوَةَ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَوْمَ أَحَدٍ أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ تَسْعَى حَتَّى إِذَا كَادَتْ أَنْ تَشْرَفَ عَلَى الْقَتْلِ قَالَ فَكَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تَرَاهُمْ فَقَالَ : « الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةُ » ، قَالَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَتَوَسَّمتُ أَنَّهَا أُمِّي صَفِيَّةٌ قَالَ فَخَرَجَتْ أَسْعَى إِلَيْهَا فَأَدْرَكْتُهَا قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى الْقَتْلِ قَالَ : فَلَدَمْتُ فِي صَدْرِي وَكَانَتْ امْرَأَةً جَلْدَةً قَالَتْ : إِلَيْكَ لَا أَرْضَ لَكَ قَالَ : فَقُلْتُ : إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَزَمَ عَلَيْكَ قَالَ ، فَوَقَفْتُ وَأَخْرَجْتُ ثَوْبَيْنِ مَعَهَا ، فَقَالَتْ : هَذَانِ ثَوْبَانِ جِئْتُ بِهِمَا لِأَخِي حِمَزَةٍ فَقَدْ بَلَغَنِي مَقْتَلُهُ فَكَفَنُوهُ فِيهَا قَالَ : فَجِئْنَا بِالثَّوْبَيْنِ لِنَكْفِنَ فِيهِمَا حِمَزَةً فَإِذَا إِلَى جَنْبِهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَتِيلٌ قَدْ فَعَلَ بِهِ كَمَا فَعَلَ بِحِمَزَةٍ قَالَ فَوَجَدْنَا غَضَاضَةً وَحِيَاءً أَنْ نَكْفِنَ حِمَزَةً فِي ثَوْبَيْنِ وَالْأَنْصَارِي لَا كَفْنَ لَهُ فَقُلْنَا لِحِمَزَةِ ثَوْبٍ وَلِلْأَنْصَارِيِّ ثَوْبٍ فَقَدَرْنَاهُمَا فَكَانَ أَحَدُهُمَا أَكْبَرَ مِنَ الْآخَرِ فَأَقْرَعْنَا بَيْنَهُمَا فَكَفَنَّا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي الثَّوْبِ الَّذِي صَارَ لَهُ .

غرة : كُلُّ شَمْلَةٍ غَضْطَةٍ مِنْ مَآزِرِ الْأَعْرَابِ فَهِيَ غَرَّةٌ ، كَأَنَّمَا أَخَذْتَ مِنْ لَوْنِ النَّارِ لَمَّا فِيهَا مِنَ السَّوَادِ وَالْبَيَاضِ .

١٣٨٦ - أَحَدٌ فِي مُسْنَدِهِ (٢ / ٤٠ ، ٨٤ ، ٩٢) وَالمُسْتَدْرَكُ (٢ / ١٩٤) وَقَالَ : صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يَخْرُجَاهُ وَوَأَفْقَهُ الذَّهَبِيُّ .

١٣٨٧ - أَحَدٌ فِي مُسْنَدِهِ (١ / ١٦٥) ، وَرَوَاهُ غَيْرُهُ وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ .

١٣٨٨ - * روى أحمد عن جابر بن عبد الله قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ إذا ذكر أصحابُ أحدٍ : « أما والله لوددتُ أني غودرت مع أصحابِ فَحْصِ الجبلِ » .

* * *

العباس بن عبد المطلب

عم رسول الله ﷺ

قال الذهبي في ترجمته : قيل : إنه أسلم قبل الهجرة ، وكنم إسلامه ، وخرج مع قومه إلى بدر فأُسر يومئذ ، فادّعى أنه مُسلم . فאלله أعلم .

وليس هو في عداد الطُّلقاء ؛ فإنه كان قدّم إلى النبي ﷺ قبل الفتح ؛ ألا تراه أجاز أبا سُفيان بن حرب .

وله عدّة أحاديث ، منها خمسة وثلاثون في مُسند بقيّ وفي (البخاري ومسلم) حديث ، وفي (البخاري) حديث ، وفي (مسلم) ثلاثة أحاديث .

وقدم الشام مع عُمر .

فعن أسلم مولي عمر : أن عُمر لما دنا من الشام تنحّى ومعه غلامه ، فعمد إلى مركب غلامه فركبه ، وعليه قرّو مقلوب ، وحوّل غلامه على رَحْل نفسه .

وإنّ العباس لبين يديه على فرس عتيق ، وكان رجلاً جميلاً فجعلت البطارقة يُسلمون عليه ، فيشيرُ : لستُ به : وإنه ذاك .

قال الكلبي : كان العباس شريفاً ، مهيباً ، عاقلاً ، جميلاً ، أبيض بضاً ، له ضفّيرتان .

وُلد قبل عام الفيل بثلاث سنين .

١٣٨٨ - أحمد في مسنده (٣ / ٢٧٥) وإسناده قوى .

غودرت : قُتلت .

أصحاب فحص الجبل : أي شهداء أحد .

كان من أطول الرجال ، وأحسنهم صورة ، وأبهام ، وأجهرهم صوتاً مع الحلم الوافر والسؤدد . قال الزبير بن بكار : كان للعباس ثوبٌ لعاري بني هاشم ، وحفنة لجائعهم ، ومنظرة ^(١) لجاهلهم وكان يمنع الجار ، ويبذل المال ، ويُعطي في النوائب .

ونديمه في الجاهلية أبو سفيان بن حرب .

قال ابن سعد : الطبقة الثانية من المهاجرين والأنصار من لم يشهد بدرًا : فبدأ بالعباس ، قال : وأمه ثَيْلَة بنت جَنَاب بن كَلِيب . وسرد نسبها إلى ربيعة بن نزار بن معدٍ .

وعن ابن عباس : وُلد أبي قبل أصحاب الفيل بثلاث سنين .

وبنوه : الفضل - وهو أكبرهم - وعبدُ الله البحر ، وعبيد الله ، وقثمٌ ولم يَعْقِب - وعبدُ الرحمن - توفي بالشام ولم يَعْقِب - ومعبد - استشهد بإفريقية - وأم حبيب : وأمهم : أمُ الفضل لبابة الهلالية ، وفيها يقول ابنُ يزيد الهلالي :

مَا وَلَدَتْ نَجِيَّةً مِنْ فَحْلٍ * بِحَبْلِ نَعْلُمُةٍ أَوْ سَهْلٍ
كَسَيْتُهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّ الْفَضْلِ * أَكْرِمُ بِهَا مِنْ كَهْلَةٍ وَكَهْلٍ

قال الكلبي : ما رأينا وُلد أم قط أبعَدُ قُبُوراً من بني العباس .

ومن أولاد العباس : كثير - وكان فقيهاً - وقثمٌ - وكان من أشدَّ قريش - وأميمة ؛ وأمهم أمُ ولد . والحارثُ بنُ العباس ، وأمّه حُجَيْلَة بنت جُنْدَب التميمية . فعَدَّتْهم عشرة .

ابنُ أبي الزناد ، عن أبيه ، عن الثقة قال : كان العباسُ إذا مرَّ بِعَمْرٍ أَوْ بِعِشَانَ ، وهما راكبان ، نَزَلَا حَتَّى يَجَاوِزَها إِجْلَالاً لِعَمِّ رَسُولِ اللَّهِ .

الضُّحَاكُ بن عثمان الخِزَامِي قال : كان يَكُونُ لِلْعَبَّاسِ الْحَاجَةُ إِلَى غِلْمَانِهِ وَهُمْ بِالْغَابَةِ ، فَيَقِفُ عَلَى سَلْعٍ ، وَذَلِكَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ ، فَيُنَادِيهِمْ فَيَسْمِعُهُمْ . وَالْغَابَةُ نَحْوُ مِنْ تِسْعَةِ أَمْيَالٍ .

(١) أي سجن للجاهل منهم .

وقال : كان تمام الشكل ، جهوري الصوت جداً ، وهو الذي أمره النبي ﷺ أن يهتف
يوم حنين : يا أصحاب الشجرة .

قال القاضي أبو محمد بن زبر : حدثنا إسماعيل القاضي ، أخبرنا نصر بن علي : أخبرنا
الأصمعي ، قال : كان للعباس راع يرعى له على مسيرة ثلاثة أميال ، فإذا أراد منه شيئاً
صاح به ، فأسمعه حاجته .

ليث : حدثني مجاهد ، عن علي بن عبد الله ، قال : أعتق العباس عند موته سبعين
مملوكاً .

وقال : لم يزل العباس مُشفقاً على النبي ﷺ ، مُحباً له ، صابراً على الأذى ، ولما يسلم
بعد ، بحيث إنه ليلة العقبة عرف ، وقام مع ابن أخيه في الليل ، وتوثق له من السبعين ،
ثم خرج إلى بدر مع قومه مكرها ، فأسر ؛ فأبدي لهم أنه كان أسلم ، ثم رجع إلى مكة . فما
أدري لماذا أقام بها ^(١) .

ثم لا ذكر له يوم أحد ، ولا يوم الخندق ، ولا خرج مع أبي سفيان ، ولا قالت له
قريش في ذلك شيئاً ، فيما علمت .

ثم جاء إلى النبي ﷺ مهاجراً قبيل فتح مكة ؛ فلم يتحرر لنا قدومه .

وثبت أن العباس كان يوم حنين ، وقت الهزيمة ، أخذاً بلجام بغلة النبي ﷺ ، وثبت
معه حتى نزل النصر .

وقال خليفة ، وغيره : بل مات سنة أربع وثلاثين ، وقال المدائني : سنة ثلاث
وثلاثين .

وقد اعتنى الحفاظ بجميع فضائل العباس رعاية للخلفاء .

وبكل حال ، لو كان نبينا ﷺ من يورث لما ورثه أحد ، بعد بنته وزوجاته ، إلا
العباس .

(١) أقول : الظاهر أنه أقام بها ليرسل بالأخبار للنبي ﷺ .

وقد صار الملكُ في ذُرِّيَةِ العباس .

وإذا اقتصرنا من مناقب عم رسول الله ﷺ على هذه النبذة ، فلنذكر وفاته : كانت في سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة ، وله ست وثمانون سنة : ولم يبلغ أحد هذه السن من أولاده ، ولا أولادهم ، ولا ذُرِّيَتِهِ الخلفاء .

عن غلة بن أبي غلة ، عن أبيه ، قال : لما مات العباسُ بعثتُ بنو هاشم من يؤذن أهل العوالي : رحم الله من شهد العباسَ بنَ عبد المطلب . فَحَشَدَ الناسُ .

فلما أتى به إلى موضع الجنائز ، تضايق ، فقدّموا به إلى البقيع . فما رأيتُ مثلَ ذلك الخروج قط ، وما يَقْدِرُ أحدٌ يَدنو إلى سريره . وازدحموا عند اللحد ، فبعث عثمان الشرطة يضربون الناسَ عن بني هاشم ، حتى خلص بنو هاشم ، فنزلوا في حفرتِهِ .

ورأيتُ على سريره بُردَ حَبْرَةٍ قد تقطع من زحامهم .

وفي مستدرك الحاكم ^(١) ، عن محمد بن عقبة ، عن كريب ، عن ابن عباس : كان رسولُ الله ﷺ يُجَلُّ العباسَ إجلال والده .

عن عائشة ، قالت : ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ يُجَلُّ أحدًا ما يُجَلُّ العباسُ أو يُكْرَم العباس ^(٢) .

ورد أن عمر عمّد إلى ميزابٍ للعباس على ممر الناس ، فقلعه . فقال له : أشهد أن رسول الله ﷺ هو الذي وضعه في مكانه . فأقسم عمرُ لتصعدن على ظهري ، ولتضعنّه موضعه ^(٣) .

عن سعد : كنا مع النبي ﷺ في نقيع الخيل ، فأقبل العباسُ ، فقال النبي ﷺ : « هذا العباسُ عمُّ نبيِّكم ، أجودُ قريشٍ كفاً ، وأوصلُها لها » رواه عِدَّةٌ عنه ^(٤) .

(١) المستدرك (٣ / ٢٢٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

(٢) قال الذهبي : إسناده صالح .

(٣) أخرجه أحمد (١ / ٢١٠) ، وسنده حسن .

(٤) المستدرك (٣ / ٣٢٩) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي لشواهد =

عن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قُحِطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب ، فقال : اللهم إنا كنا نتوسلُ إليك بنبينا فتسقيننا ، وإنا نتوسلُ إليك بعمّ نبيّنا ، فاسقنا . قال : فيسقون^(١) .

قال الحافظُ في « الفتح » وقد بيّن الزبيرُ بن بَكَار في « الأنساب » صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة ، والوقت الذي وقع فيه ذلك ، فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر ، قال : اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ، ولم يكشف إلا بتوبة ، قد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ، ونواصينا إليك بالتوبة ، فاسقنا الغيث ، فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخضبت الأرض وعاش الناس . وكان ذلك عام الرمادة سنة ثمان عشرة .

عن ابن عباس ، أن رجلاً من الأنصار وقع في أبٍ للعباس كان في الجاهلية ، فلطمه العباس ، فجاء قومه ، فقالوا : والله لنلطمنّه كما لطمه ، فلبسوا السلاح . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ؛ فصعد المنبر ، فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ ، أَيُّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ ؟ » قالوا : أنت . قال : « فَإِنَّ الْعَبَّاسَ ، مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ ، لَا تَسُبُّوا أَمْوَاتَنَا فَتَوُدُّوا أَحْيَاءَنَا » فجاء القومُ فقالوا : نعوذُ بالله من غضبك يا رسول الله ﷺ^(٢) .

عن حميد بن هلال قال : بعث العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ بال ثمانين ألفاً من البحرين ، فنثرتُ على حصير ، فجاء النبي ﷺ ، فوقف ، وجاء الناس ؛ فما كان يومئذ عددٌ ولا وزن ، ما كان إلا قبضاً . فجاء العباسُ بخميصة عليه ، فأخذ ، فذهب يقوم ، فلم يستطع ، فرفع رأسه إلى رسول الله ﷺ فقال : ارفع عليّ . فتبسم رسول الله ﷺ حتى خرج ضاحكاً - أو نابه - فقال : أعد في المال طائفة ، وقم بما تطيق . ففعل . قال : فجعل العباس يقول - وهو منطلق - أما إحدى اللتين وعدنا الله ، فقد أنجزها - يعني قوله :

= النقيع : بالنون والقاف ، وهو على عشرين فرسخاً من المدينة وقدره ميل في ثمانية أميال هاشمية ، حماء رسول الله ﷺ لحيل المسلمين ترعى فيه والفرسخ ثلاثة أميال ، أو اثني عشر ألف ذراع ، أو عشر آلاف ذراع .

(١) البخاري (٢ / ٤٩٤) ١٥ - كتاب الاستسقاء - ٣ - باب سؤال الناس الإمام إذا قحطوا .

(٢) أحمد في مسنده (١ / ٣٠٠) وسنده حسن .

﴿ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ﴾ ^(١) (ونزلت الآية بعد غزوة بدر) فهذا خير مما أُخِذَ مِنِّي . ولا أدري ما يُصْنَعُ فِي الْمَغْفِرَةِ ^(٢) .

عن أبي هريرة ، قال : بعث رسول الله ﷺ عمر على الصدقة ساعياً ، فنع ابن جميل ، وخالد ، والعباس . فقال رسول الله : « ما ينقيم ابن جميل إلا أن كان فقيراً فأغناه الله ! وأما خالد ، فإنكم تظلمون خالداً ، إنه قد احتبس أدراعه وأعتاده في سبيل الله ؛ وأما العباس ، فهي علي ومثلها » . ثم قال : « أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه » ^(٣) .

المطلب بن ربيعة ، قال : قال رسول الله ﷺ « ما بال رجال يؤذونني في العباس ، وإن عم الرجل صنو أبيه ، من آذى العباس فقد آذاني » ^(٤) . هـ .

١٣٨٩ - * روى الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعمر في العباس : « إِنََّّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيه » وكان عمر كلمه في صدقة .

١٣٩٠ - * روى الترمذي عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب : أن العباس بن عبد المطلب دخل على رسول الله ﷺ مغضباً وأنا عنده ، فقال : « مَا

(١) الأنفال : ٧٠ .

(٢) أخرجه ابن سعد ، ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعاً ، وأخرجه بنحوه الحاكم من طريق سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى الأشعري . وصححه ، ووافقه الذهبي .
الحيصة : ثوب أسود أو أحمر له أعلام .

(٣) البخاري (٣ / ٢٣١) ٢٤ - كتاب الزكاة - ٤٩ - باب قول الله تعالى : ﴿ وَلِي الرِّقَابِ وَالْفَارِغِينَ ﴾ وفي سبيل الله .
ومسلم (٢ / ٦٧٦ ، ٦٧٧) ١٢ - كتاب الزكاة - ٣ - باب في تقديم الزكاة ومنعها واللفظ له .

احتبس : وقف .

(٤) أخرجه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح مع أن يزيد بن أبي زياد ضعيف ، لكن في الباب ما يعضده ويقويه .

الصنو : المثل ، يقال لكل غلطين طلعتا في منبت واحد : هما صنوان .

١٣٨٩ - الترمذي (٥ / ٦٥٣) ٥٠ - كتاب المناقب - ٢٩ - باب مناقب العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

١٣٩٠ - الترمذي (٥ / ٦٥٢) ٥٠ - كتاب المناقب - ٢٩ - باب مناقب العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وقال : هذا حديث حسن صحيح

أَغْضَبَكَ ؟ » قَالَ يَارَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا وَلِقْرِيشَ ، إِذَا تَلَقَّوْا بَيْنَهُمْ تَلَقَّوْا بِوَجْهِهِ مُبَشِّرَةً ، وَإِذَا لَقَّوْنَا لَقَّوْنَا بِغَيْرِ ذَلِكَ قَالَ : فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْهَهُ ، ثُمَّ قَالَ « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الْإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّكُمْ اللَّهُ وَلِرَسُولِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ آذَى عَمِّي فَقَدْ آذَانِي فَإِنَّا عَمُّ الرَّجُلِ صِنُؤُ أَبِيهِ » .

١٣٩١ - * روى الطبراني عن أبي رزين قال : قيل للعباس : أيما أكبر أنت أم النبي ﷺ فقال : هذا أكبر مني ، وأنا ولدت قبله وكان العباس أسن من النبي ﷺ ولد قبل الفيل بثلاث سنين .

١٣٩٢ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ للعباس « إذا كان غداة الاثنين فائتني أنت ولديك ، حتى أدعوك لك بدعوة ينفعك الله بها وولديك » قال : فغدا وغدونا معه ، وألبسنا كساءً ، ثم قال : « اللهم اغفر للعباس وولده ، مغفرة ظاهرة وباطنة ، لا تغادر ذنباً ، اللهم احفظه في ولده » .

١٣٩٣ - * روى الطبراني عن أبي أسيد الساعدي قال : قال رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب « لا تبرح منزلتك وبنوك غداً حتى آتيكم فإن لي فيكم حاجة » فانتظروه حتى بعد ما أضحى فدخل عليهم فقال « السلام عليكم » قالوا : عليكم السلام ورحمة الله وبركاته قال « كيف أصبحتم » قالوا نحمد الله قال « تقاربوا بزحف بعضكم إلى بعض » حتى إذا أمكنوه اشتل عليهم بملاءته ، ثم قال : « يارب هذا عمي وصنو أبي ، وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملائتي هذه » فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت : آمين آمين آمين .

= وجوه مبشرة : سمعة بابية .

١٣٩١ - أورده الهيثمي في جمع الزوائد (٢٧٠ / ٩) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

١٣٩٢ - الترمذي (٦٥٣ / ٥) - ٥٠ - كتاب المناقب - ٢٩ - باب مناقب العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وقال : هذا حديث حسن غريب .

١٣٩٣ - أورده الهيثمي في جمع الزوائد (٢٧٠ / ٩) وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن . الأسكفة : هي الخشبة التي يوطأ عليها أو العتبة .

١٣٩٤ - * روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « العباس مني وأنا منه » .

١٣٩٥ - * روى الحاكم عن جابر قال : كان العباس بالمدينة فطلبت الأنصار ثوباً يلبسونه فلم يجدوا قيصاً يصلح عليه إلا قيص عبد الله بن أبي فكسوه إياه قال جابر : وكان العباس أسير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر وإنما أخرج كرهاً ، فحمل إلى المدينة فكساه عبد الله بن أبي قيصه ، فلذلك كفنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قيصه مكافأة لما فعل بالعباس .

١٣٩٦ - * روى الحاكم عن عقبة بن عبد الغافر قال : دخل عبد الله بن العباس على معاوية بن أبي سفيان وقد تحلقت عنده بطون قريش فسأله معاوية عن آبائهم إلى أن قال : فما تقول في أبيك العباس بن عبد المطلب ؟ فقال رحم الله أبا الفضل كان والله عم نبي الله ، وقرّة عين رسول الله ، سيد الأعمام والأخدان جد الأجداد وأباؤه الأجواد وأجداده الأنجاد ، له علم بالأمور ، قد زانه حلم ، وقد علاه فهم ، كان يكسب حباله كل مهنة ، ويكسب لرأيه كل مخالف رعديد ، تلاشت الأخدان عند ذكر فضيلته ، وتباعدت الأنساب عند ذكر عشيرته ، صاحب البيت والسقاية والنسب والقرابة ولم لا يكون كذلك ؟ وكيف لا يكون كذلك ؟ ومدبر سياسته أكرم من دبر وأفهم من نشأ من قريش وركب .

١٣٩٧ - * روى أحمد عن ابن عباس قال : لما قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر خاتم العباس علياً في أشياء تركها رسول الله ﷺ فقال أبو بكر شيء تركه رسول الله ﷺ فلم يحركه فلا أحركه فلما استخلف عمر اختصا إليه فقال : شيء لم يحركه أبو بكر فلست أحركه فلما استخلف عثمان اختصا إليه فأسكت عثمان ونكس رأسه قال ابن عباس فحسبت

١٣٩٤ - المستدرك (٣ / ٣٢٩) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

وقال الذهبي : صحيح على شرط مسلم .

١٣٩٥ - أحمد في مسنده ورجاله ثقات .

١٣٩٦ - المستدرك (٣ / ٣٢٥) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

١٣٩٧ - المستدرك (٣ / ٣٢٠) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

أن يأخذه فضربتُ بينَ كتفي العباس ، فقلت : ياأبت أقسمتُ عليكِ إلا سلمته إلى عليّ
قال : فسلمه له .

* * *

صَفِيَّةُ عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

قال الذهبي : بنتُ عبدِ المطلب ، الهاشمية . وهي شقيقةُ حمزة . وأمُّ حواريِّ النبي ﷺ
الزبير . وأمُّها من بني زهرة .

تزوجها الحارث ، أخو أبي سفيان بن حرب ؛ فتوفي عنها .
وتزوجها العوامُّ أخو سيدة النساء خديجة بنتِ خويلد ، فولدت له : الزبير والسائب ،
وعبد الكعبة .

والصحيح : أنه ما أسلم من عمات النبي ﷺ سواها .
ولقد وَجَدَتْ على مَصْرَع أخيها حمزة ، وصبرت ، واحتسبت .
وهي من المهاجراتِ الأول ، وما أعلم هل أسلمت مع حمزة أخيها ، أو مع الزبير
ولدها ؟

وقد كانت يوم الخندق في حصن حسان بن ثابت . قالت : وكان حسان معنا في
الذرية . فرَّ بالحِصنِ يهوديٌّ ، فجعل يُطيفُ بالحِصنِ والمسلمون في نُحُورِ عدوِّهم .
ثم ساقَت الحديث ، وأنها نزلت ، وقتلت اليهوديَّ بعمود .

فروى هشام ، عن أبيه ، عنها ، قالت : أنا أولُ امرأةٍ قُتِلت رجلاً : كان حسانَ معنا ،
فرَّ بنا يهوديٌّ ، فجعل يُطيفُ بالحِصنِ ؛ فقلت لحسان : إن هذا لا آمنه أنْ يَدُلَّ على
عورتنا ؛ فقم فاقتله .

قال : يَغْفِرُ اللَّهُ لك ! لقد عرُفْتُ ما أنا بصاحب هذا ، فاحْجَزْتُ ، وأخذتُ عموداً ،

ونزلتُ ، فضربتُهُ ، حتى قتلته (١) .

تُوفيت صَفِيَّةٌ في سنة عشرينَ ، ودُفنت بالبقيع . ولما بضع وسبعون سنة .

عن عائشة : قالت : لما نزلت : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ قام النبي ﷺ ، فقال : « يا فاطمة بنت محمد ، يا صَفِيَّةُ بنت عبدِ المطلب ، يا بني عبد المطلب ، لا أملكُ لكم من الله شيئاً ؛ سلوني من مالي ما شئتم » (٢) .

وهي القائلة تَنْذِب رسولَ الله ﷺ :

عَيْنُ جُودِي بِسَدْمَةٍ وَسَهْوِدِ وَأُنْدِي خَيْرَ هَالِكٍ مَفْقُودِ
وَأُنْدِي الْمُصْطَفَى بِحُزْنٍ شَدِيدِ خَالَطَ الْقَلْبَ فَهُوَ كَالْمَعْنُودِ
كِدْتُ أَقْضِي الْحَيَاةَ لَأُتَاهُ قَدَرٌ خُطٌّ فِي كِتَابٍ مَجِيدِ
فَلَقَدْ كَانَ بِالْعِبَادِ رَوْوفاً وَلَهُمْ رَحْمَةٌ ، وَخَيْرَ رَشِيدِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيًّا وَمَيِّتاً وَجَزَاءُ الْجَنَانِ يَوْمَ الْحُلُودِ
فهذا مما أورد لصفية ، فالله أعلم بصحته . أ هـ .

* * *

تعليقات

١ - نلاحظ من خلال النظر في سيرة حمزة والعباس وصفية كيف أن الشجاعة سمة في آل بيت رسول الله ﷺ ، نرى ذلك في مواقف حمزة يوم بدر وأحد ويوم أعلن إسلامه ، ونرى ذلك في موقف العباس يوم حنين وموقف صفية يوم أحد ، وقتلها الكافر يوم الخندق .

٢ - أنك تلاحظ سعة الأفق ونبيل الرأي والإقدام حيث درست حال آل بيت رسول الله ﷺ ، كل واحد منهم أمة .

(١) المستدرك (٥١ / ٤) وصححه وتعقبه الذهبي بقوله : عروة لم يدرك صفية وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٣٤) وقال : رواه الطبراني ورجاله إلى عروة رجال الصحيح لكنه مرسل .

(٢) مسلم (١ / ١٩٢) ١ - كتاب الإيمان - ٨٩ - باب في قوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ .

٢ - بعضُ أبناء وبنات أعمامه عليه الصلاة والسلام

جعفر بن أبي طالب

قال الذهبي : السيد الشهيد ، الكبير الشأن ، علم المجاهدين ، أبو عبد الله ، ابن عم رسول الله ، عليه السلام ، عبْدُ مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَي الهاشمي ، أخو عليّ بن أبي طالب ، وهو أَسْنُ من عليّ بعشر سنين .

هاجر المهجرتين ، وهاجر من الحبشة إلى المدينة ، فوافى المسلمين وهم على خَيْبَرِ إثرَ أخذها ، فأقام بالمدينة شهراً ، ثم أمره رسولُ الله ، ﷺ ، على جيش غزوة مؤتة بناحية الكَرْك ، فاستشهد . وقد سُرَّ رسولُ الله ، ﷺ ، كثيراً بقدومه ، وحزنَ والله لوفاته .
(ويقال : عاش بضعاً وثلاثين سنة) .

روى شيئاً يسيراً . وروى عنه ابن مسعود ، وعمرو بن العاص ، وأمّ سلمة ، وابنه عبد الله .

قال الشعبي : تزوّج عليّ أسماء بنت عيسى ، فتفاخر ابنها محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر . فقال كلُّ منهما : أبي خير من أبيك . فقال علي (زوجها الثالث) : يا أسماء أفضي بينهما . فقالت : ما رأيتُ شاباً كان خيراً من جعفر ، ولا كهلاً خيراً من أبي بكر . فقال عليّ : ما تركتِ لنا شيئاً ، ولو قلتِ غيرَ هذا لمقتكِ فقالت : والله إن ثلاثة أنتَ أحسُّهم لخير .

عن عبد الله بن جعفر قال : ما سألتُ علياً شيئاً بحق جعفر إلا أعطانيه .

قال شباب : عليّ ، وجعفر ، وعَقِيل ، أمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف .

قال الواقدي : هاجر جعفر إلى الحبشة بزوجه أسماء بنت عُميس ، فولدت هناك عبد الله ، وعوناً ، ومحمداً .

وقال ابن إسحاق : أسلم جعفر بعد أحدٍ وثلاثين نفساً ا . هـ .

١٣٩٨ - * عن ابن مسعود قال بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر وعبد الله بن عرفطة وعثمان بن مظعون وأبو موسى فأتوا النجاشي ، وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد يهدية فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالوا له : إن نفرا من بني عننا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا ، قال : فأين هم ؟ قال هم في أرضك فابعث إليهم ، فبعث إليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه ، فسلم ولم يسجدا ، فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟ قال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل ، قال : وماذا ؟ قال : إن الله عز وجل بعث إلينا رسوله ﷺ وأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل وأمرنا بالصلاة والزكاة قال عمرو بن العاص : فإنهم يخالفونك في عيسى بن مريم ، قال : ما تقولون في عيسى بن مريم وأمه ؟ قالوا : تقول كما قال الله عز وجل : هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسه بشر ولم يفرضها ولد . قال : فرفع عوداً من الأرض ، ثم قال : يامعشر الحبشة والتقيسين والرهبان والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يسوي هذا مرحباكم وبين جئتم من عنده أشهد أنه رسول الله فإنه الذي نجد في الإنجيل وأنه الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم ، انزلوا حيث شئتم والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه وأمر يهدية الآخرين فردت إليهما ، ثم تعجل عبد بن مسعود حتى أدرك بداراً وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم استغفر له حين بلغه موته .

١٣٩٩ - * روى الحاكم عن جابر رضي الله عنه قال : لما قدم رسول الله ﷺ من خيبر ، قدم جعفر رضي الله عنه من الحبشة ، تلقاه رسول الله ﷺ فقبل جبهته ثم قال : « وألله ما أدري بأيهما أنا أفرح : بفتح خيبر ، أم بقدوم جعفر » .

وفي رواية محمد بن ربيعة ، عن أجليح : فقَبِل ما بين عينيه ، وضمه واعتنقه .

١٣٩٨ - أحمد في مسنده (١ / ٤٦١) وإسناده قوي .

١٣٩٩ - المستدرک (٣ / ٢١١) وقال : هذا حديث صحيح ، إنما ظهر بثقل هذا الإسناد الصحيح مرسلأ . وقال الذهبي : وهو الصواب .

١٤٠٠ - * روى الإمام أحمد عن أبي قتادة الأنصاري فارس رسول الله ﷺ قال : بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء فقال « عليكم زيد بن حارثة ، فإن أصيب زيد فجعفر ابن أبي طالب ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة الأنصاري » فوثب جعفر فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كنت أرهب أن تستعمل علي زيدا قال « امضه فإنك لا تدري أي ذلك خير » فانطلقوا فلبثوا ما شاء الله ، ثم إن رسول الله ﷺ صعد المنبر وأمر أن ينادى الصلاة جامعة فقال رسول الله ﷺ : « باب خير أو بات خير أو ثاب خير » - شك عبد الرحمن - ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي إنهم انطلقوا فلقوا العدو فأصيب زيد شهيدا فاستغفروا له « فاستغفر له الناس » ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب فشد على القوم حتى قتل شهيدا أشهد له بالشهادة فاستغفروا له ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فأثبت قدميه حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء هو أمر نفسه « ثم رفع رسول الله ﷺ إصبعيه فقال : « اللهم هو سيف من سيوفك فانصره » فن يومئذ سمي خالد سيف الله ثم قال « انفروا فأمدوا إخوانكم ولا يتخلفن أحد » قال فنفر الناس في حر شديد مشاة وركبانا .

١٤٠١ - * روى أبو داود عن يحيى بن عباد حدثني أبي الذي أرضعني وهو أحد بني مرة ابن عوف ، وكان في الغزاة غزاة مؤتة ، قال : والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء فعفرها ، ثم قاتل القوم حتى قتل .

١٤٠٢ - * روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : أمر رسول الله ﷺ ، في غزوة مؤتة زيد بن حارثة ، فقال رسول الله ﷺ : « إن قُتل زيد فجعفر ، وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة . قال عبد الله : كنت فيهم في تلك الغزوة ، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى ، ووجدنا ما في جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية » .

١٤٠٠ - أحمد في مسنده (٥ / ٣٠٠) وإسناده صحيح .

١٤٠١ - أبو داود (٢ / ٢٩) كتاب الجهاد ، باب في الدابة تعرقب في الحرب . وإسناده قوي .

١٤٠٢ - البخاري (٧ / ٥١٠) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٤ - باب غزوة مؤتة من أرض الشام .

١٤٠٣ - * روى البخاري عن نافع أن ابنَ عمر أخبره أنه وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل . فعددت به خمسين بينَ طعنة وضربة ليس منها شيء في ذنبه - يعني ظهره » .

١٤٠٤ - * روى الحاكم عن عبد الله بن جعفر قال : لما نعي جعفر قال النبي ﷺ : « اصنعوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَاماً ، فقد آتاهم أمرٌ يشغلهم » .

وفي رواية أحمد : لما جاء نعي جعفر حين قتل . وفيها « أو آتاهم ما شغلهم » .

١٤٠٥ - * روى الحاكم عن عائشة قالت : لما أتى نعي جعفر ، عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحزن .

١٤٠٦ - * روى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مرَّ بي جعفرُ الليلة في ملأ من الملائكة وهو مُخَضَّبُ الجناحين بالدم أبيضُ الفؤاد » .

١٤٠٧ - * روى البخاري عن الشعبي : كان ابنُ عمر إذا سَلِمَ علي عبد الله بن جعفر قال : السلام عليك يا ابنَ ذي الجناحين .

١٤٠٨ - * روى الطبراني عن ابن عباس بينما رسول الله ﷺ جالسٌ وأسماء بنتُ عميسَ قريبةٌ منه ردَّ السلام ثم قال : « يا أسماء هذا جعفرُ بنُ أبي طالبٍ مع جبريلَ وميكائيلَ صلى الله عليهما مرّوا فسلموا علينا فرددتُ عليهمُ السلامَ ، وأخبرني أنه لقيَ المشركينَ يومَ كذا وكذا فأصبتُ في جسدي من مقاديمي ثلاثاً وسبعينَ بينَ طعنة وضربة ، ثم أخذتُ اللوآءَ بيدي اليمنى فقطعتُ ، ثم أخذته باليسار فقطعتُ فعوضني الله من يدي جناحين أطيرُ بهما مع جبريلَ وميكائيلَ في الجنة أنزلَ بهما

١٤٠٣ - البخاري (٥١٠ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٤ - باب غزوة مؤتة من أرض الشام .

١٤٠٤ - المستدرک (٣٧٢ / ١) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي : صحيح . وأحمد في مسنده (٢٧٠ / ٦) .

١٤٠٥ - المستدرک (٢٠٩ / ٣) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

١٤٠٦ - المستدرک (٢١٢ / ٣) وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

١٤٠٧ - البخاري (٧٥ / ٧) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ١٠ - باب مناقب جعفر بن أبي طالب الهاشمي رضي الله عنه .

١٤٠٨ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٢ / ٩) وقال : رواه الطبراني بإسنادين وأحدهما حسن .

حيث شئتُ وأكلُ من ثمارها ما شئتُ » فقالتُ أسماءُ : هنيئاً لجعفر ما رزقه الله من الخير ، ولكنني أخاف أن لا يصدقني الناس فاصعد المنبر فأخبر الناس بإرسال الله : فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أيها الناسُ إنّ جعفر بن أبي طالب مع جبريل ومكائيل له جناحان عوّضه الله من يديه يطيرُ بهما في الجنة حيث شاء فسلم عليّ فأخبر كيف كان أمرهم حين لقيَ المشركين فاستبان للناس بعد ذلك أن جعفر لقيهم فسمي جعفر الطيار في الجنة ذا جناحين يطيرُ بهما حيث شاء مخضوبةً قوادمه بالدماء » .

١٤٠٩ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : رأيتُ جعفرًا يطيرُ في الجنة مع الملائكة » .

١٤١٠ - * روى الترمذي عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لجعفر بن أبي طالب : « أشبهتَ خلقي وخلقي » .

١٤١١ - * روى البخاري عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : إن الناس كانوا يقولون أكثر أبو هريرة ، وإنني كنتُ ألزم رسول الله ﷺ ، بشبع بطني حتى لا أكلُ الحُمير ، ولا ألبسُ الحبير ، ولا يخدمني فلان ولا فلانة . وكنتُ ألصقُ بطني بالحصباء من الجوع ، وإن كنتُ لأستقري الرجل الآية هي معي كي ينقلب بي فيطعمني . وكان أخير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب ، كان ينقلبُ بنا فيطعمنا ما كان في بيته ، حتى إن كان ليخرج إلينا العُكَّة التي ليس فيها شيء فيشقها فنلحق ما فيها .

١٤٠٩ - الترمذي (٥ / ٦٥٤) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٠ - باب مناقب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وقال : هذا حديث غريب .

١٤١٠ - الترمذي (٥ / ٦٥٤) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٠ - باب مناقب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

١٤١١ - البخاري (٧ / ٧٥) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ١٠ - باب مناقب جعفر بن أبي طالب الهاشمي رضي الله عنه .
الحبير من البَرَد : ما كان موشىً مخططاً .
والعُكَّة : بضم المهملة وتشديد الكاف : ظرف السمن .

١٤١٢ - * روى الترمذي عن أبي هريرة قال : ما احتذى النعال ولا رَكِبَ المَطَايَا بعد رسول الله ﷺ ، أفضل من جعفر بن أبي طالب يعني في الجود والكرم .

* * *

عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبِ الْهَاشِمِيِّ

قال الذهبي : هو أكبر إخوته وأخرم موتاً ، وهو جد عبد الله بن محمد بن عقيل المحدث ، وله أولاد : مسلم ويزيد ، وبه كان يكنى ، وسعيد ، وجعفر ، وأبو سعيد الأحول ، ومحمد ، وعبد الرحمن ، وعبد الله .

شهد بدرًا مشركاً ، وأخرج إليها مكرهاً ، فأسر ، ولم يكن له مال ، ففداه عمه العباس . وزوي أن عقيلًا قال للنبي ، ﷺ يوم أُسِرَ : مَنْ قَتَلْتَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ ؟ قال : قَتَلْتُ أَبَا جَهْلٍ . قال : الآن صفا لك الوادي . (أي قتل ألد أعدائك . والوادي : مكة) .

قال ابن سعد : خرج عقيل مهاجراً في أول سنة ثمان ، وشهد مؤتة ، ثم رجع فتمرض مدة ، فلم يسمع له بذكر في فتح مكة ولا حنين ولا الطائف . وقد أطعمه رسول الله ﷺ بخير مئة وأربعين وسقاً كل سنة .

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل أن جدّه أصاب يوم مؤتة خاتماً فيه تماثيل فنقله أباه .

عن زيد بن أسلم قال : جاء عقيل بمخيط ، فقال لامرأته : خيطي بهذا ثيابك . فسمع المنادي : ألا لا يغفلن رجل إبرة فما فوقها ، فقال عقيل لها : ما أرى إبرتك إلا قد فانتك . عن عطاء ، رأيت عقيل بن أبي طالب شيخاً كبيراً يقلُّ القرب^(١) قالوا : توفي زمن معاوية .

١٤١٢ - الترمذي (٥ / ٦٥٤) - ٥٠ - كتاب المناقب - ٢٠ - باب مناقب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وقال : هذا

حديث حسن صحيح غريب .

الاحتذاء : لبس الخذاء ، وهو النعل .

المطايا : جمع مطية ، وهي ما يركب من الإبل ، أي : يركب مطاها وهو ظهرها .

القرب : الدلو العظيم .

(١) يقلُّ : يحمل .

وكان أَسَنُّ من أخيه عليّ بعشرين سنة ؛ ومن أخيه جعفر الطيّار بعشر سنين .
 هاجر في مدة الهدنة ، وشهد غزوة مؤتة وله جملة أحاديث .
 روى عنه ابنه محمد ، وحفيده عبدُ الله بن محمد بن عقيل ، وموسى بن طلحة ، وعطاء ،
 والحسن ، وأبو صالح السمان .
 وعمر بعد أخيه الإمام عليّ . ثم وفد على معاوية ، وكان بساماً ، مزاحاً ، علامة
 بالنسب وأيام العرب ا . هـ .
 ١٤١٣ - * روى الحاكم عن أبي إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعقيل
 ابن أبي طالب : « يَا أَبَا يَزِيدِ إِنِّي أُحِبُّكَ حُبِّينِ حُبًّا لِقَرَابَتِكَ مِنِّي ، وَحُبًّا لِمَا كُنْتُ
 أَعْلَمُ مِنْ حُبِّ عَمِّي إِيَّاكَ » .

* * *

أم هانئ

قال الذهبي : السيدة الفاضلة أم هانئ بنت عم النبي ﷺ ، أبي طالب عبد مناف بن
 عبد المطلب بن هاشم . الهاشمية المكية .
 أخت : عليّ ، وجعفر .
 اسمها : فاختة . وقيل : هند تأخر إسلامها .
 دخل النبي ﷺ إلى منزلها يوم الفتح ، فصلّى عندها ثمان ركعات ضحى^(١) .
 روت أحاديث .

حدث عنها : حفيدها جعدة ، ومولاهما أبو صالح باذام ، وكريب مولى ابن عباس ،

= وقال الحافظ في الإصابة : روى في تاريخ البخاري . بسند صحيح أنه مات في خلافة يزيد قبل الحرة .
 ١٤١٣ - المستدرك (٣ / ٥٧٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٣٧٣) رواه الطبراني مرسلاً ورجاله ثقات .
 (١) البخاري (٨ / ١٩) ٦٤ كتاب المغازي - ٥٠ - باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح .

وعبدُ الرحمن بنُ أبي ليلى ، ومجاهد بن جبر ، وعطاء بن أبي رباح ، وعروة بن الزبير ؛ وآخرون .

كانت تحت هُبيرة بن عمرو بن عائذ المخزومي ، فهربَ يومَ الفتح إلى نجران . أولدها : عمرو بن هُبيرة ، وجعدة ، وهانئاً ، ويوسف .
وأسلمت يومَ الفتح .

قال ابنُ إسحاق : لما بلغ هُبيرة إسلامها ، قال أبياتاً منها .

وَعَاذِلَةَ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي وَتُعَذِّلُنِي بِاللَّيْلِ ضَلَّ ضَلَالُهَا
وَتَزَعَّمُ أَنِّي إِنِ اطْعَمْتُ عَشِيرَتِي سَأُوذِي وَهَلْ يُؤْذِينِي إِلَّا زَوَالُهَا
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ تَابَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ وَقَطَعْتُ الْأَرْحَامَ مِنْكَ جِالُهَا
فَكُونِي عَلَى سَحِيْقٍ بِهَضْبَةٍ مَلْمُؤَةٍ غَبْرَاءَ تَيْسٍ بِلَالُهَا ^(١)
قال الذهبي : لم يذكر أحد أن هبيرة أسلم .
وعاشت أم هانئ إلى ما بعد سنة خمسين .

قال الدغولي : كان ابنها جعدة بن هُبيرة ، قد ولاه علي بن أبي طالب خراسان ، وهو ابنُ أخته .

وقيل : إن أم هانئ لما بانَتْ عن هبيرة بإسلامها ، خطبها رسولُ الله ﷺ ، فقالت : إني امرأةٌ مُصْبِيَّةٌ ^(٢) . فسكتَ عنها .

بلغ مُسندُها : ستة وأربعين حديثاً . لها من ذلك حديث واحد أخرجاه ا . هـ .

١٤١٤ - * روى البخاري ومسلم عن أم هانئ رضي الله عنه أخت علي بن أبي طالب

(١) السحيق : البعيد ، والهضبة : الكدية العالية ، والملمة : المستديرة ، والغبراء التي علاها الغبار ، ويس : يابسة .

يس بلاها : يابسة خضرتها وماؤها .

(٢) مصبية : أي ذات أولاد .

١٤١٤ - البخاري (١ / ٤٦٩) ٢٨ - كتاب الصلاة - ٤ - باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحقاً به . =

رضي الله عنهما ، قالت : ذهبتُ إلى رسولِ الله ﷺ عام الفتح ، فوجدته يُغتسلُ ، وفاطمةُ ابنته تسترُه بثوب ، فسَلَّمْتُ عليه ، فقال : « مَنْ هذه » ؟ فقلتُ : أنا أمُّ هانيء بنت أبي طالب ، فقال : « مَرحباً بأمِّ هانيء » فلما فرغ من غُسلِهِ ، قام فصَلَّى ثُماني ركعات مُلتحفاً في ثوب واحد ، فلما انصرفت قلتُ : يا رسول الله ، زعم ابنُ أُمِّي عليّ : أنه قاتلَ رجلاً قد أجزته - فلان ابنُ هُبَيْرَة - فقالَ رسولُ الله ﷺ : « قد أجزنا مَنْ أجزتِ يأمُّ هانيء » ، قالت أم هانيء : وذلك ضحى .

قال الحافظ في الفتح : قال ابن المنذر : أجمع أهل العلم على جواز أمان المرأة ، إلا شيئاً ذكره عبد الملك بن الماجشون صاحب مالك لا أحفظ ذلك عن غيره قال : إن أمر الأمان إلى الإمام ، وتأول ما ورد مما يخالف ذلك على قضايا خاصة .

١٤١٥ - * روى الطبراني عن أمِّ هانيء بنت أبي طالب قالت : خطبني رسولُ الله ﷺ فقلتُ : ما يبى عنك رغبة يا رسولَ الله ولكن لا أحبُّ أن أتزوجَ وبنيَّ صغارَ فقال رسولُ الله ﷺ « خيرُ نساءٍ ركنَ الإبلِ نساءُ قريشِ أحشاءُ على طفلٍ في صغره وأرعاه على بعلٍ في ذاتِ يده » .

١٤١٦ - * وروى الطبراني عن عبد الرحمن بن أبي رافع أن أمِّ هانيء بنت أبي طالب خرجتُ متبرحةً قد بدا قرطهاها ، فقال لها عمرُ بن الخطاب : اعلمي فإنَّ عمداً لا يغني عنك شيئاً ، فجاءتُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته به : فقال رسولُ الله ﷺ « ما بال أقوام يزعمون أنَّ شفاعتي لا تنالُ أهلَ بيتي ، وإن شفاعتي تنالُ حياحكم » وحياحكم قبيلتان .

* * *

= وسلم (١ / ٤٩٨) ٦ - كتاب صلاة المسافرين - ١٣ - باب استحباب صلاة الضحى .

أجزنا : أجزت الرجل : منعت من يريد به سوء وأمنته شره وأذاه .

١٤١٥ - المعجم الكبير (٢٤ / ٤٣٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤ / ٢٧١) رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات .

١٤١٦ - المعجم الكبير (٢٤ / ٤٣٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٥٧) رواه الطبراني ، وهو مرسل ورجاله ثقات .

عبد الله بن عباس البحر

قال الذهبي : حبر الأمة ، وفقية العصر ، وإمام التفسير ، أبو العباس عبد الله ، ابن عم رسول الله ﷺ العباس بن عبد المطلب شيبه بن هاشم ، واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القرشي الهاشمي المكي الأمير رضي الله عنه .

مولده يشعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين .

صحاب النبي ﷺ نحواً من ثلاثين شهراً ، وحدث عنه بجملة صالحة ، وعن عمر ، وعلي ، ومعاذ ، وأبيه ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي سفيان صخر بن حرب ، وأبي ذر ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت وخلق .

وقرأ علي أبي ، وزيد .

قرأ عليه مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وطائفة .

روى عنه : ابنه علي ، وابن أخيه عبد الله بن معبد ، ومواليه : عكرمة ، ومقسم ، وكريب ، وأبو معبد نافذ ، وأنس بن مالك ، وأبو الطفيل ، وأبو أمامة بن سهل ، وأخوه كثير بن العباس ، وعروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله ، وطاووس ، وأبو الشعثاء جابر ، وعلي بن الحسين ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد بن جبر ، والقاسم بن محمد ، وأبو صالح السمان ، وأبو رجاء العطاردي ، وأبو العالية ، وعبيد بن عمير ، وابنه عبد الله ، وعطاء بن يسار ، وإبراهيم بن عبد الله بن معبد ، وأزبدة التيمي صاحب التفسير ، وأبو صالح باذام ، وطلیق بن قيس الخنفي ، وعطاء بن أبي رباح ، والشعبي ، والحسن ، وابن سيرين ، ومحمد بن كعب القرظي ، وشهر بن حوشب ، وابن أبي مليكة ، وعمرو بن دينار ، وعبيد الله بن أبي يزيد ، وأبو جمرة نصر بن عمران الضبعي ، والضحاك بن مزاحم ، وأبو الزبير المكي ، وبكر بن عبد الله المزني ، وحبيب بن أبي ثابت ، وسعيد بن أبي الحسن ، وإسماعيل السدي ، وخلق سوام .

وفي « التهذيب » : من الرواة عنه مئتان سوى ثلاثة أنفس .

وأُمُّه ؛ هي أُمُّ الفضل لُبَّابة بنتُ الحارث بن حَزْن بن بُجير الهلاليَّة من هلال بن عامر .
 وله جماعة أولاد ؛ أكبرهم العباس ، وبه كان يُكنى ، وعليُّ أبو الخلفاء ، وهو أصغرهم ،
 والفضلُ ، ومحمد ، وعبيد الله ، ولُبَّابة ، وأسما .
 وكان وسيّاً ، جميلاً ، مديد القامة ، مهيباً ، كاملَ العقل ، ذكيّ النفس ، من رجال
 الكمال .

وأولاده ؛ الفضلُ ، ومحمدُ ، وعبيد الله ، ماتوا ولا عقب لهم . ولُبَّابة ولها أولاد وعقبٌ
 من زوجها عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وبنته الأخرى أسماء وكانت عند ابن
 عمِّها عبد الله بن عبيد الله بن العباس ، فولدت له حسناً ، وحسيناً .

انتقل ابنُ عباس مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح ، وقد أسلم قبل ذلك ، فإنَّه صح
 عنه أنه قال : كنتُ أنا وأُمِّي مِنَ المُستضعفين ؛ أنا من الولدان ، وأُمِّي من النساء ^(١) إشارة
 لقوله تعالى : ﴿ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ﴾ ^(٢) .

قال الزُّبير بن بَكَار : توفي رسولُ الله ﷺ ولا ابنَ عباس ثلاثَ عشرة سنة .

قال أبو سعيد بن يونس : غزا ابنُ عباس إفريقيَّةَ مَعَ ابنِ أبي سَرح ؛ وروى عنه من
 أهل مصر خمسة عشر نفساً .

قال أبو عبد الله بن مندة : أُمُّه هي أُمُّ الفضل أختُ أُمِّ المؤمنين مَيْمُونَة ، وَلِد قبل الهجرة
 بستين .

وكان أبيضَ ، طويلاً ، مُشرباً صَفرة (شقرة) جسيماً ، وسيّاً ، صبيح الوجه ، وله
 وَفرةٌ ، يَغْضِبُ بالحناء ، دعا له النبي ﷺ بالحكمة .

قلتُ : وهو ابنُ خالَةِ خالد بن الوليد المخزومي .

(١) البخاري (٨ / ٢٥٥) ٦٥ - كتاب التفسير - ١٤ - باب قوله ﴿ وما لكم لا تفقاتلون في سبيل الله ﴾ إلى
 ﴿ الظالم أهلها .. ﴾ .

(٢) النساء : ٩٨ .

سعيد بن سالم ، حدثنا ابنُ جُرَيْج قال : كُنَّا جُلُوساً مع عطاء في المسجد الحرام ، فتذاكرنا ابنَ عَبَّاسٍ ؛ فقال عطاءُ : ما رأيتُ القمرَ ليلةَ أربعَ عشرةَ إلا ذكرتُ وجهَ ابنِ عباس .

إبراهيم بن الحكم بن أبان ؛ عن أبيه ، عن عكرمة ، قال : كان ابنُ عَبَّاسٍ إذا مرَّ في الطريق ، قُلْنَ النساءُ على الحيطان : أَمَرَ الْمِسْكُ ، أم مرَّ ابنُ عَبَّاسٍ ؟ .
عن ابنِ عَبَّاسٍ : أنَّ رسولَ الله ﷺ دعا له أنْ يزيده اللهَ فهماً ، وعلماً .
وعن ابنِ عَبَّاسٍ : دعا لي رسولُ الله ﷺ بالحكمة مرتين .

ابن طاووس ، عن أبيه ، عن ابنِ عباس : قال لي معاويةُ : أنتَ على مِلةِ عليٍّ ؟ قلتُ : ولا على مِلةِ عُمَانَ ، أنا على مِلةِ رسولِ الله ﷺ .

وعن طاووس قال : ما رأيتُ أحداً أشدَّ تعظيماً لحُرُماتِ الله من ابنِ عَبَّاسٍ .
عن ابنِ عَبَّاسٍ ، قال : إِنْ كُنْتُ لأَسْأَلُ عن الأمرِ الواحدِ ثلاثينَ من أصحابِ النبي ﷺ . (إسناده صحيح) .

عن سعيد بن جُبَيْر ، قال : قال عُمَرُ لابنِ عَبَّاسٍ : لقد علمتُ علماً ما غلنائه .
عن ابنِ عباسٍ ، قال : دعاني عُمَرُ مع الأكبر ، ويقولُ لي : لا تتكلمُ حتى يتكلموا ، ثم يسألني ، ثم يَقْبَلُ عليهم ، فيقول : ما منعكم أنْ تَأْتُونِي بِمِثْلِ ما يَأْتِينِي بِهِ هَذَا الْغُلَامُ الَّذِي لَمْ تَسْتَوْشَوْا رَأْسَهُ (١) .

موسى بن عُبَيْدة ، عن يعقوب بن زيد ، قال : كان عُمَرُ يستشير ابنَ عَبَّاسٍ في الأمرِ إذا أَهَمَّهُ ، ويقول : غُصْ غَوَاصَ .

وعن مُجَالِد ، عن الشَّعْبِيِّ قال : قال ابنُ عَبَّاسٍ : قال لي أبي : يا بُنَيَّ ! إِنْ عُمَرُ يُدْنِيكَ ، فاحفظ عني ثلاثاً : لا تُفْشِنَ لَهُ سِراً ، ولا تَفْتَابِنَ عِنْدَهُ أَحداً ، ولا يُجَرِّبَنَّ عَلَيْكَ كَذِباً .

(١) شُؤْنُ الرَّأْسِ : عظامه والشَّعْبُ التي تجمع بين قبائل الرُّأْسِ ، وهي أربعة أشُؤْن .

عن عبد الله بن مسعود ، قال : لو أدرك ابن عباس أسناناً ما عَشِرُهُ مِنَّا أحد .
وفي رواية « ما عَشِرُهُ » ^(١) .

الأعمش ، حدثونا أنَّ عبد الله قال : ولنعم ترجمان القرآن ابن عباس . أخرجه الحاكم
وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي .
الأعمش : عن إبراهيم ، قال : قال عبد الله : لو أنَّ هذا الغلام أدرك ما أدركنا ، ما
تعلَّقنا معه بشيء .

وعن عكرمة : سمعت معاوية يقول لي : مولاك والله أفقه من مات ومن عاش .
ويُروى عن عائشة قالت : أعلم من بقي بالحج ابن عباس .

عرو بن دينار : أنَّ أهل المدينة كلُّموا ابن عباس أن يحاجَّ بهم . فدخل على عثمان ،
فأمره ، فحجَّ ، ثم رجع فوجد عثمان قد قُتل ؛ فقال لعلي : إنَّ أنت قُمتَ بهذا الأمر الآن ،
ألزمتك الناس دَمَ عثمان إلى يوم القيامة .

وعن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، أنه قال لعلي لما قال : سِرَ فقد وليتُك
الشامَ ، فقال : ما هذا برأيي ، ولكنَّ اكتبْ إلى معاوية ، فمَنَّهُ ، وعِدُّهُ ، قال : لا كان هذا
أبدأ .

ابن جريج ، عن طاووس قال : ما رأيت أروع من ابن عمر ، ولا أعلم من ابن
عباس .

وقال مجاهد : ما رأيت أحداً قطُّ مثل ابن عباس . لقد مات يوم مات وإنه لحبَّر هذه
الأمَّة .

الأعمش ، عن مجاهد ، قال : كان ابن عباس يُسمى البَحْرَ لكثرة علمه .

(١) المستدرک (٣ / ٥٣٧) وإسناده صحيح

ما عَشِرُهُ مِنَّا أحد : أي ما بلغ عَشْرُهُ في العلم .

ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد قال : ما سمعتُ فتياً أحسنَ من فتيا ابن عباس إلا أن يقول قائل : قال رسول الله ﷺ .

وعن طاووس ، قال : أدركتُ نحواً من خمس مئة من الصحابة ، إذا ذكروا ابن عباس ، فخالفوه ، فلم يزل يقرّرهم حتى ينتهوا إلى قوله .

قال يزيد بن الأصم : خرج معاوية حاجاً معه ابن عباس ، فكان لمعاوية موكب ، ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم .

الأعمش : حدثنا أبو وائل قال : خطبنا ابن عباس ، وهو أمير علي الموسم ، فافتتح سورة النور ، فجعل يقرأ ، ويُفسّر ، فجعلتُ أقول : ما رأيتُ ولا سمعتُ كلام رجلٍ مثل هذا ، لو سمعته فارس ، والروم ، والترك ، لأسلمتُ .

وروى عاصم بن بهدلة ، عن أبي وائل مثله .

روى جوير ، عن الضحاك ، قال : ما رأيتُ بيتاً أكثر خُبراً ولحاً من بيت ابن عباس .

سليم بن أخضر ، عن سليمان التيمي ، قال : أنبأني من أرسله الحكم بن أيوب إلى الحسن ، فسأله : من أول من جمع الناس في هذا المسجد يوم عرفة ؟ فقال : إن أول من جمع ابن عباس .

وعن مسروق قال : كنتُ إذا رأيتُ ابن عباس ، قلتُ : أجملُ الناس . فإذا نطق ، قلتُ : أفصحُ الناس . فإذا تحدّث ، قلتُ : أعلمُ الناس .

قال القاسم بن محمد : ما رأيتُ في مجلس ابن عباس باطلاً قط .

قال سفيان بن عيينة : لم يدرك مثل ابن عباس في زمانه ، ولا مثل الشعبي في زمانه ، ولا مثل الثوري في زمانه .

أبو عامر الخزاز : عن ابن أبي مليكة : صحبتُ ابن عباس من مكة إلى المدينة ، فكان يصلي ركعتين ، فإذا نزل ، قام شطر الليل ، ويترتل القرآن حرفاً حرفاً ، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب .

مُعْتَمِر بن سُلَيْمَانَ : عَنْ شُعَيْبِ بْنِ دُرَيْمٍ ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَسْفَلَ مِنْ عَيْنَيْهِ مِثْلُ الشَّرَاكِ الْبَالِي مِنَ الْبُكَاءِ .

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ وَغَيْرِهِ : أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَقَامَ بَعْدَ وَقْعَةِ الْجَمَلِ بِالْبَصْرَةِ خَمْسِينَ لَيْلَةً ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَاسْتَخْلَفَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَلَى الْبَصْرَةِ ، وَوَجَّهَ الْأَشْترَ عَلَى مُقَدَّمَتِهِ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَلَحَقَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : مَنْ اسْتَخْلَفَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْبَصْرَةِ ؟ قَالَ : ابْنُ عَمِّهِ . قَالَ : فَفِيمَ قَتَلْنَا الشَّيْخَ أَمْسَ بِالْمَدِينَةِ ؟ قَالَ : فَلَمْ يَزَلْ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى الْبَصْرَةِ حَتَّى سَارَ إِلَى صَفِّينَ ، فَاسْتَخْلَفَ أَبَا الْأَسْوَدَ بِالْبَصْرَةِ عَلَى الصَّلَاةِ ، وَزِيَادًا عَلَى بَيْتِ الْمَالِ .

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ : وَقَدْ كَانَ عَلِيٌّ لَمَّا يُوَيِّعُ ، قَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ : اذْهَبْ عَلَى إِثْرَةِ الشَّامِ . فَقَالَ : كَلَّا ، أَقُلُّ مَا يَصْنَعُ بِي مُعَاوِيَةُ إِنَّهُ لَمْ يَقْتُلْنِي الْحَبْسَ ، وَلَكِنْ اسْتَغْمَلَهُ ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ عِزْلَةً بَعْدَ ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ . وَكَذَلِكَ أَشَارَ عَلَى عَلِيٍّ أَنْ لَا يُؤَلِّيَ أَبَا مُوسَى يَوْمَ الْحَكَمِ . وَقَالَ : وَلَيْ ، أَوْ قَوْلَ الْأَحْنَفِ ، فَأَرَادَ عَلِيٌّ ذَلِكَ ، فَغَلَبُوهُ عَلَى رَأْيِهِ .

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي تَسْمِيَةِ أَمْرَاءِ عَلِيٍّ يَوْمَ صَفِّينَ : فَكَانَ عَلَى الْمَيْسَرَةِ ابْنُ عَبَّاسٍ ، ثُمَّ رَدَّ بَعْدَ إِلَى وَلايَةِ الْبَصْرَةِ .

وَمَا قَالَ حَسَنٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا بَلَّغْنَا :

إِذَا مَا ابْنُ عَبَّاسٍ بَدَّلَكَ وَجْهَهُ رَأَيْتَ لَهُ فِي كُلِّ أَقْوَالِهِ فَضْلاً
إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالاً لِقَائِهِ بِمَنْتَظِمَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهُمَا فَضْلاً
كَفَى وَشَفَى مَا فِي النُّفُوسِ فَلَمْ يَدَعْ لَذِي أَرْبٍ فِي الْقَوْلِ جِدّاً وَلَا هَزْلاً
سَمَّوَتْ إِلَى الْعَلِيَّاءِ بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ قِيلَتْ ذَرَاهَا لَا دَنِيّاً وَلَا وَغْلاً
خَلَقْتَ خَلِيفاً لِلْمُرُوءَةِ وَالنُّبُوَّةِ بَلِيجاً ، وَلَمْ تُخَلِّقْ كَهَاماً وَلَا خَبْلاً

رَوَى الْعُثُبِيُّ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : لَمَّا سَارَ الْحُسَيْنُ إِلَى الْكُوفَةِ ، اجْتَمَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ ، بِمَكَّةَ ، فَضَرَبَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى جَيْبِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَتَمَثَّلَ :

يَا لَكَ مِنْ قُنْبَرَةٍ بِمُعْمِرٍ خَلَا لَكَ الْجَوْ فَبِضِي وَاصْفِرِي

وَتَقْرِي مَا شِئْتَ أَنْ تَنْقَرِي

خلا لك والله يا ابن الزبير الحجاز ، وذهب الحسين . فقال ابن الزبير : والله ما ترون إلا أنكم أحق بهذا الأمر من سائر الناس . فقال : إنما يرى من كان في شك ، ونحن فعلى يقين . لكن أخبرني عن نفسك : لم زعمت أنك أحق بهذا الأمر من سائر العرب ؟ فقال ابن الزبير : لشرفي عليهم . قال : أيما أشرف ، أنت أم من شرفت به ؟ قال : الذي شرفت به زادني شرفاً . قال : وعلت أصواتها حتى اعترض بينهما رجال من قريش ، فسكتوها .

وعن عكرمة ، قال : كان ابن عباس في العلم بحرأ ينشئ له الأمر من الأمور ، وكان النبي ﷺ قال : « اللهم ألهمة الحكمة وعلمة التأويل » فلما عمي ، أتاه ناس من أهل الطائف ومعهم علم من علمه - أو قال كُتِبَ من كتبه - فجعلوا يستقروونه ، وجعل يقدم ويؤخر ، فلما رأى ذلك ، قال : إني قد تلّمت من مصيبي هذه ، فن كان عنده علم من علمي ، فليقرأ علي ، فإن إقراري له كقراءتي عليه . قال : فقرأوا عليه .

تلّمت : تحيرت ، والأصل ولّمت كما قيل في وجاه تجاه .

أبو عوانة : عن أبي الجويرية ، قال : رأيت إزار ابن عباس إلى نصف ساقه أو فوق ذلك ، وعليه قطيفة رومية وهو يصلي .

رشدين بن كريب : عن أبيه ، قال : رأيت ابن عباس يغتم بعمامة سوداء ، فيرخي شبراً بين كتفيه ومن بين يديه .

ابن جريج ، عن عثمان بن أبي سليمان ، أن ابن عباس كان يتخذ الرداء بألف .

أبو نعيم : حدثنا سلمة بن شابور ؛ قال رجل لعطية : ما أضيق كمك قال : كذا كان كم ابن عباس ، وابن عمر .

مالك بن دينار ، عن عكرمة : كان ابن عباس يلبس الخنز ، ويكره المصمت ^(١) .

(١) المصمت : هو الذي جميعه إبريسم لا يخالطه قطن ولا غيره والإبريسم : أحسن الحرير .

١٤١٧ - * روى الطبراني عن ابن عباس قال : حدثني أم الفضل بنت الحارث (أي أمه) قالت : بينا أنا مارة والنبي صلى الله عليه وسلم في الحجر فقال : « يا أم الفضل » قلت : لبيك يا رسول الله . قال : « إنك حاملٌ بغلام » قلت : كيف وقد تحالفت قریش لا يولدون النساء ؟ قال : « هو ما أقولُ لك ، فإذا وضعتيه فائتيني به » قالت : فلما وضعتُه أتيتُ به النبي صلى الله عليه وسلم ، فسماهُ عبدَ الله ، وألباهَ بريقه . قال : « اذهبي به فلتجِدنه كَيْساً » قال : قالت : فأتيتُ العباسَ فأخبرتهُ ، فتبسّم ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان رجلاً جميلاً مديد القامة ، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قام إليه فقبل ما بينَ عينيه ، وأقعده عن يمينه ، ثم قال : « هذا عمي فمن شاء فليباه بعمه » فقال العباسُ : بعض القول يا رسول الله قال : « ولم لا أقول ؟ وأنت عمي وبقيةُ آبائي والعم والد » .

١٤١٨ - * روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : ضمّني رسولُ الله ﷺ إلى صدره ، وقال : « اللهم علّمهُ الكتابَ » وفي رواية « الحكمة » .

وفي رواية ^(١) : أن النبي ﷺ أتى الخلاءَ ، فوضعتُ له وضوءاً ، فلما خرج قال : « من وضع هذا ؟ » فأخبر ، قال : « اللهم فقّههُ في الدين » .

وعند مسلم ^(٢) : « اللهم فقّههُ » قال الحميدي : وحكى أبو مسعود قال : « اللهم فقّههُ في الدين وعَلّمهُ التأويلَ » .

وفي رواية الترمذي ^(٣) قال : ضمّني رسولُ الله ﷺ وقال : « اللهم علّمهُ الحكمة » .

١٤١٧ - أورده المهيبي في مجمع الزوائد (١ / ٢٧٥) وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن .
ألباه : أي صب ريقه في فيه .

١٤١٨ - البخاري (١٠٠ / ٧) - ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٤ - باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما .

(١) البخاري (١ / ٢٤٤) - ٤ - كتاب الوضوء - ١٠ - باب وضع الماء عند الخلاء .

(٢) مسلم (٤ / ١٩٣٧) - ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٠ - باب فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

(٣) الترمذي (٥ / ٦٨٠) - ٥٠ - كتاب المناقب - ٤٣ - باب مناقب عبد الله بن عباس رضي الله عنه وقال : هذا

حديث حسن صحيح .

وفي أخرى ^(١) قال : دعا لي رسول الله ﷺ أن يؤتيني الحكمة مرتين .

وفي أخرى ^(٢) قال : إنه رأى جبريل مرتين ، ودعا له النبي ﷺ مرتين .

١٤١٩ - * روى أحمد والطبراني عن ابن عباس قال : كنت مع أبي عند النبي ﷺ ، وكان كالمعرض عن أبي ، فخرجنا من عنده ، فقال : ألم تر ابن عمك كالمعرض عني ؟ فقلت : إنه كان عنده رجل يتناجيه . قال : أو كان عنده أحد ؟ قلت : نعم . فرجع إليه ، فقال : يا رسول الله ، هل كان عندك أحد ؟ فقال لي : « هل رأيته يا عبد الله ؟ » قال : قلت نعم . قال : « ذاك جبريل ، فهو الذي شغلني عنك » .

١٤٢٠ - * روى الطبراني عن موسى بن ميسرة أن العباس بعث ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ في حاجة ، فوجده عنده رجلاً ، فرجع ، ولم يكلمه . فلقي العباس رسول الله ﷺ بعد ذلك ، فقال : أرسلت إليك ابني ، فوجده عندك رجلاً ، فلم يستطع أن يكلمه . فقال : « يا عم تدري من ذاك الرجل » ؟ قال : لا . قال : « ذاك جبريل لقيني ، لن يموت ابنك حتى يذهب بصره ، ويؤتى علماً » .

١٤٢١ - * روى الحاكم عن عبد الله بن عباس عن أبيه قال أمرني العباس رضي الله عنه قال : بت بآل رسول الله ﷺ وآله وسلم ليلة فانطلقت إلى المسجد فصرخ لي رسول الله ﷺ عليه وآله وسلم العشاء الآخرة ، حتى لم يبق في المسجد أحد غيره قال : ثم مر بي فقال : « من هذا ؟ » فقلت : عبد الله . قال : « فه ؟ » قلت : أمرني أبي أن أبيت بكم الليلة قال : « فالحق » فلما دخل قال : « افرشوا لعبد الله » قال : فأبيت بوسادة من مسوح قال : وتقدم إلي العباس أن لا تنام حتى تحفظ صلاته قال : فقدم رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم فنام حتى سمعت غطيطة قال : ثم استوى على فراشه فرفع رأسه إلى السماء

(١) الموضع السابق نفسه وقال : هذا حديث مرسل .

(٢) الموضع السابق نفسه وقال : هذا حديث حسن غريب .

١٤١٩ - أحمد في مسنده (١ / ٢٩٤) ورجاله ثقات . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٧٦) وقال : رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجالهما رجال الصحيح .

١٤٢٠ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٧٧) وقال رواه الطبراني بأسانيد ورجاله ثقات .

١٤٢١ - المستدرک (٣ / ٥٢٥) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

فقال : « سبحان الملك القدوس » ثلاث مرات ، ثم تلا هذه الآية من آخر سورة آل عمران حتى ختمها ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ثم قام فبال ثم استن بسواكه ثم توضأ ثم دخل مصلاه فصلى ركعتين ليستا بقصيرتين ولا طويلتين قال فصلى ثم أوتر فلما قضى صلاته سمعته يقول : « اللهم اجعل في بصري نوراً واجعل في سمعي نوراً ، واجعل في لساني نوراً ، واجعل في قلبي نوراً ، واجعل عن يميني نوراً ، واجعل عن شمالي نوراً ، واجعل أمامي نوراً ، واجعل من خلفي نوراً ، واجعل من فوقني نوراً ، واجعل من أسفل مني نوراً ، واجعل لي يومَ لقائك نوراً ، وأعظم لي نوراً » .

١٤٢٢ - * روى البخاري عن ابن عباس قال ضمني النبي ﷺ إلى صدره ودعا لي بالحكمة .

١٤٢٣ - * روى أحمد وأحمد والحاكم عن عبد الله ، قال : بتُّ في بيت خالتي مَيْمُونَةَ ، فوضعتُ للنبي ﷺ غَسْلاً ، فقال : « مَنْ وَضَعَ هَذَا ؟ » قالوا : عبدُ الله . فقال : « اللَّهُمَّ علِّمه التأويلَ وفقهه في الدين » .

١٤٢٤ - * روى البخاري ومسلم عن ابن عباس قال : أقبلتُ راكباً على أتانٍ ، وأنا يومئذ قد ناهزتُ الاحتلامَ ، ورسولُ الله ﷺ يصلي بالناسِ بمنى .

وفي رواية ^(١) عن ابن عباس قال : أقبلتُ راكباً على أتانٍ ، وأنا يومئذ قد ناهزتُ الاحتلامَ ، ورسولُ الله ﷺ يصلي بالناسِ بمنى ، فمرت بين يدي بعض الصفِّ ، فنزلتُ ، فأرسلتُ الأتانَ ترتع ، ودخلتُ في الصف ، فلم ينكر ذلك على أحد .

١٤٢٢ - البخاري (١٠٠ / ٧) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٤ - باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما .
١٤٢٣ - أحمد في مستدركه (١ / ٢٢٨ ، ٢٣٥) . والمستدرك (٢ / ٥٣٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

١٤٢٤ - البخاري (١٧١ / ٣) ٢ - كتاب العلم - ١٨ - باب متى يصح سماع الصغير .
ومسلم (١ / ٣٦١) ٤ - كتاب الصلاة - ٤٧ - باب ستره المصلي ، واللفظ له .
والأثنان : أنثى الحمار .

(١) البخاري (١ / ٧٥١) ٨ - كتاب الصلاة - ٩٠ - باب ستر الإمام ستره من خلفه . قوله وناهزت الاحتلام : أي فاربته . وكان ذلك في حجة الوداع .

١٤٢٥ - * روى الحاكم والطبراني عن ابن عباس قال : توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن خمس عشرة سنة . وقد ختنت .

١٤٢٦ - * روى البخاري عن سعيد بن جبير ، قال : سئل ابن عباس : مثل من أنت حين قبض النبي ﷺ ؟ قال : أنا يومئذ مختون قال : وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك .

قال الحافظ في (الفتح) : المحفوظ الصحيح أنه ولد بالشعب وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ، فيكون له عند الوفاة النبوية ثلاث عشرة سنة ، وبذلك قطع أهل السير وصححه ابن عبد البر ، وأورده بسند صحيح عن ابن عباس أنه قال : ولدت وبنو هاشم في الشعب ، وهذا لا ينافي قوله : « ناهزت الاحتلام » ولا قوله : وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك ، لاحتمال أن يكون أدرك ، فختن قبل الوفاة النبوية وبعد حجة الوداع ، وأما قوله « وأنا ابن عشر » فحمول على إلغاء الكسر ، ورواية أحمد « وأنا ابن خمس عشرة » يمكن ردها إلى رواية ثلاث عشرة بأن يكون ابن ثلاث عشرة وشيء ، وولد في أثناء السنة ، فجير الكسرين ، بأن يكون ولد مثلاً في شوال ، فله من السنة الأولى ثلاثة أشهر ، فأطلق عليها سنة ، وقبض النبي ﷺ في ربيع ، فله من السنة الأخيرة ثلاثة أخرى ، وأكمل بينهما ثلاث عشرة ، فمن قال : « ثلاث عشرة » ألقى الكسرين ، ومن قال « خمس عشرة » جبرهما ، والله أعلم .

١٤٢٧ - * روى الحاكم والطبراني عن ابن عباس قال : لما توفي رسول الله ﷺ ، قلت لرجل من الأنصار : هلم نسأل أصحاب رسول الله ﷺ ، فإنهم اليوم كثير ؛ فقال : وأعجباً

١٤٢٥ - المستدرك (٢ / ٥٢٤) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وهو أولى من سائر الاختلاف في سنه ، وأقره الذهبي .

والمعجم الكبير (١٠ / ٢٨٩) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٨٥) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

١٤٢٦ - البخاري (١١ / ٨٨) ٧٩ - كتاب الاستئذان - ٥١ - باب الختان بعد الكبر وتنف الإبط .

١٤٢٧ - المستدرك (١ / ١٠٦ ، ١٠٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري وهو أصل في طلب الحديث وتوقير الحديث وأقره الذهبي .

والمعجم الكبير (١٠ / ٢٩٩ ، ٣٠٠) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٧٧) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

لك يا ابن عباس! أترى الناس يحتاجون إليك ، وفي الناس من أصحاب النبي عليه السلام من ترى ؟ فتركت ذلك ، وأقبلت على المسألة ، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل ، فأتيه وهو قائل ^(١) ، فأتوسد ردائي على بابه ، فتسفي الريح علي التراب ، فيخرج ، فيرايني ، فيقول : يا ابن عم رسول الله ! ألا أرسلت إلى فأتيك ؟ فأقول : أنا أحق أن أتيك ، فأسألك . قال : فبقي الرجل حتى رأي وقد اجتمع الناس علي ، فقال : هذا الفتى أعقل مني .

١٤٢٨ - * روى البخاري عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكان بعضهم وجد في نفسه ، فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه من حيث علمت . فدعا ذات يوم فأدخله معهم ، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليربهم . قال : ما تقولون في قول الله تعالى : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ ؟ فقال بعضهم : أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم ، فلم يقل شيئاً . فقال لي : أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت لا ، قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له ، قال : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ وذلك علامة أجلك ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾ . فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول .

١٤٢٩ - * روى أبو داود عن عكرمة أن علياً كرم الله وجهه أحرق ناساً ارتدوا عن الإسلام فبلغ ذلك ابن عباس ، فقال : لم أكن لأحرقهم بالنار ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تعذبوا بعذاب الله » وكنت قاتلهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من بدل دينه فاقتلوه » فبلغ ذلك علياً عليه السلام ، فقال : ويح ابن عباس .

(١) قائل : نائم وسط النهار .

١٤٢٨ - البخاري (٨ / ٧٣٤) ٦٥ - كتاب التفسير - ٤ - باب قوله : ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾ من تفسير سورة (١١٠) .

١٤٢٩ - أبو داود (٤ / ١٢٦) كتاب الحدود ، باب الحكم فيمن ارتد .

قال الخطابي : قوله : « ويح ابن عباس » : لفظة لفظ الدعاء عليه ، ومعناه المدح له ، والإعجاب بقوله ، وهذا كقول الرسول ﷺ في أبي بصير : « ويل أمه مسعر حرب » .

١٤٣٠ - * روى الحاكم عن أبي وائل قال : حججت أنا وصاحب لي وابن عباس على الحج فجعل يقرأ سورة النور ويفسرها فقال صاحبي ياسبحان الله ماذا يخرج من رأس هذا الرجل لو سمعت هذا الترك لأسلمت .

١٤٣١ - * روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا دعا الأشياخ من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، دعاني معهم ، فدعانا ذات يوم أودات ليلة فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : في ليلة القدر ما قد علمتم فالتسوها في العشر الأواخر ففي أي الوتر ترونها ؟ فقال بعضهم : تاسعه ، وقال بعضهم سابعه وخامسه وثالثه ، فقال : مالك يا ابن عباس لا تتكلم ؟ قلت : إن شئت تكلمت ؟ قال : ما دعوتك إلا لتكلم فقال : أقول برأي ؟ فقال : عن رأيك أسألك . فقلت : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إن الله تبارك وتعالى أكثر ذكر السبع ، فقال السماوات سبع ، والأرضون سبع ، وقال : ﴿ إِنَّا شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعَنْبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَخَلًّا وَحَدائقَ غَلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۚ فَالْحَدَائِقُ مُلْتَفَّةٌ وَكُلُّ مُلْتَفٍّ حَدِيقَةٌ ، وَالْأَبُّ مَا أَنْبَتِ الْأَرْضُ مَا لَا يَأْكُلُ النَّاسُ . فقال عمر (رضي الله عنه) أعجزتم أن تقولوا مثل ما قال هذا الغلام الذي لم تستو شؤون رأسه ؟ ثم قال : إني كنت نهيتك أن تكلم فإذا دعوتك معهم فتكلم .

وفي رواية ^(١) عن ابن عباس ، قال : قدم على عمر رجل ، فجعل عمر يسأله عن الناس ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا . فقلت (أي ابن عباس) : والله ما أحب أن يسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة . قال : فزبرني عمر ، ثم قال : مه فانطلقت إلى منزلي مكتئباً حزيناً ، فقلت : قد كنت نزلت من هذا بمنزلة ، ولا

١٤٣٠ - المستدرک (٣ / ٥٣٧) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

١٤٣١ - المستدرک (٣ / ٥٣٩) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

شؤون رأسه : عظامه والشعب التي تجمع بين قبائل الرأس وهي أربعة أشون .

(١) سير أعلام النبلاء (٣ / ٢٤٨) وقال محققه : رجاله ثقات وأخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (١١ / ٢١٧)

حديث (٢٠٣٦٨) .

زبرني عمر : زجرني وانتهرني .

مه : كفف .

أراني إلا قد سقطت من نفسه ، فاضطجعتُ على فراشي ، حتّى عادني نسوة أهلي وما بي وجع ، فبينما أنا على ذلك ، قيل لي : أجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فخرجتُ ، فإذا هو قائم على الباب ينتظرني ، فأخذ بيدي ، ثم خلا بي ، فقال ، ما الذي كرهت مما قال الرجلُ آنفاً ؟ قلتُ : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إن كنتُ أسأتُ ، فإني أستغفر الله ، وأتوبُ إليه ، وأنزلُ حيثُ أحببتُ . قال : لتُخبرني . قلتُ : متى ما يسارعوا هذه المسارعة يَحْتَقُوا ^(١) ، ومتى ما يَحْتَقُوا يَحْتَصِمُوا ، ومتى ما اختصموا يَخْتَلَفُوا ، ومتى ما يَخْتَلَفُوا يَمُتُّلُوا . قال : لله أبوك . لقد كنتُ أكتُمها الناس حتى جئتُ بها .

أقول : ينبغي أن يكون مع التلاوة والحفظ لكتاب الله تعالى التأدب والتخلق على أيدي العلماء والمربين حتى لا يورث العلمُ الغرورَ إن خلا من الأدب والخلق ، كما ينبغي أن يرافق الحفظُ الفهمُ والالتزامُ والعملُ والأخذُ بفهم الراسخين في العلم وبذلك ينتفي ما تخوف منه ابن عباس .

١٤٣٢ - * روى الحاكم عن عبد الله بن عباس قال : يا ابن شَدَّاد ألا تعجبُ ، جاءني الغلامُ وقد أخذت مضجعي للقيولة ، فقال هذا رجل بالباب يستأذن قال : فقلت : ما جاء به هذه الساعة إلا حاجة ، ائذن له . قال فدخل فقال : ألا تخبرني عن ذاك الرجل ؟ قلت : أي رجل . قال : علي بن أبي طالب . قلتُ عن أي شأنه ؟ قال : متى يبعث ؟ قلتُ : سبحان الله يبعثُ إذا بُعثَ مَنْ في القبور . قال : فقال : ألا أراك تقول كما يقول هؤلاء الحقاء ؟ فقلت : أخرجوا عني هذا ، فلا يدخلن علي هذا أو لأضربنه .

١٤٣٣ - * روى الحاكم عن أبي الطُّفَيْل قال : إنه رأى معاوية رضي الله عنه يطوف بالكعبة وعن يساره عبدُ الله بن عباس وأنا أتلوها في ظهورها أسمع كلامها ، فطفق معاوية يستلم ركني الحجر ^(٢) فيقولُ له ابنُ عباس : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم

(١) يَحْتَقُوا : أي : يَحْتَصِمُوا ، ويقول كل واحد منهم : الحق في يدي .

١٤٣٢ - المستدرک (٢ / ٥٤٠) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، وأقره الذهبي .

١٤٣٣ - المستدرک (٢ / ٥٤٢) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

(٢) ركني الحجر : الركن الشامي والركن العراقي للكعبة .

يَكُنْ يَسْتَلِمُ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ ، فَيَقُولُ مَعَاوِيَةَ : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا مَهْجُورًا فَطَفِقَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَا يَذَرُهُ كَلِمًا وَضَعَ يَدَهُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الرُّكْنَيْنِ إِلَّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ .

١٤٣٤ - * رَوَى الْحَاكِمُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَلِيلٍ الْعِجْلِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثٍ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ مِمَّا كُنْتُ أَفْتِي النَّاسَ فِي الصَّرْفِ .

أَقُولُ : الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الرِّبَا نَوْعَانِ : رِبَا النِّسِيئَةِ ، وَرِبَا الْفَضْلِ ؛ وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَا يَرَى أَنَّ فِي الْفَضْلِ رِبَاً ، وَأَنَّ الرِّبَا فِي النِّسِيئَةِ فَقَطْ ، ثُمَّ رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ وَتَابَ مِنْهُ .

قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي سِيرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ : قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي تَرْجُمَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ : هُوَ الْقَائِلُ مَا رَوَى عَنْهُ مِنْ وَجْهِه :

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نُورَهَا فَفِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهَا نُورٌ
قَلْبِي ذِكْرٌ وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفِي فِي صَارِمٍ كَالسَّيْفِ مَأْتُورٌ
قَالَ سَالِمُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ : عَنْ أَبِي كَلْثُومٍ ، أَنَّ ابْنَ الْخَنْفِيَّةِ لَمَّا ذُفِنَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، قَالَ :
الْيَوْمَ مَاتَ رَبَّنَا فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ .

وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ ، فَقَالَ : عَنْ « مَنذَرِ الثَّوْرِيِّ » بِدَلِّ « أَبِي كَلْثُومٍ » .

قَالَ حُسَيْنُ بْنُ وَاقِدِ الْمُرُوزِيِّ : حَدَّثَنَا أَبُو الزُّبَيْرِ قَالَ : لَمَّا مَاتَ ابْنُ عَبَّاسٍ جَاءَ طَائِفٌ أَبْيَضٌ ، فَدَخَلَ فِي أَكْفَانِهِ .

حُمَادُ بْنُ سَلَمَةَ : عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ ، عَنْ بُجَيْرِ بْنِ أَبِي عَبِيدٍ ، قَالَ : مَاتَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِالطَّائِفِ ، فَلَمَّا خَرَجُوا يَنْعَشُهُ ، جَاءَ طَيْرٌ عَظِيمٌ أَبْيَضٌ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ حَتَّى خَالَطَ أَكْفَانَهُ ، ثُمَّ لَمْ يَرَوْهُ ، فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ عَلِمَهُ .

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ فِي كِتَابِ « الْإِحْكَامِ » : جَمَعَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنُ يَعْقُوبَ بْنَ

١٤٣٤ - الْمُسْتَدْرَكُ (٣ / ٥٤٢) وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ ، وَأَقْرَهُ الذَّهَبِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أَجْلِ مَنَاقِبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ رَجَعَ عَنْ فَتَوَى لَمْ يُنْقَمْ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْهَا .

المأمونَ أحدَ أئمة الإسلام فتاوى ابن عباس في عشرين كتاباً .

عن سعيد ^(١) ؛ قال : مات ابن عباس بالطائف ، فجاء طائر لم يَرَ على خِلْقَتِهِ ، فدخلَ نعشه ، ثم لم يَرَ خَارِجاً منه ، فلَمَّا دَفِنَ ، تَلَيْتَ هذه الآية على شَفِيرِ القَبْرِ لا يُدْرَى من تلاها ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾ ^(٢) .

رواه بسامُ الصيرفي ، عن عبد الله بن يامين سَمَّى الطائرَ غُرُوقاً .

وروى قُرَاتُ بْنُ السَّائِبِ ، عن مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ : شهدتُ جِنَازَةَ ابنِ عَبَّاسٍ ... بنحوٍ من حديث سالم الأفطس .

فهذه قضية متواترة .

قال عليُّ بْنُ الْمَدِينِي : تَوَفَّى ابنُ عَبَّاسٍ سنة ثمان أو سبع وستين ، وقال الواقدي : والهيثم ، وأبو نعيم : سنة ثمان . وقيل : عاشَ إحدى وسبعين سنة .

ومُسْنَدُهُ ألف وست مئة وستون حديثاً . وله من ذلك في « الصحيحين » خمسة وسبعون . وتفرد البخاريُّ له بمئة وعشرين حديثاً ، وتفرد مسلمٌ بتسعة أحاديث .

* * *

عَبِيدُ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ

قال الذهبي : ابنُ عبدِ المطلبِ الهاشمي ، ابنُ عمِّ رسولِ الله ﷺ ، وأخو عبدِ الله وكثير ، والفضل ، وقثم ، ومعبد ، وقثم .

وُلِدَ في حَيَاةِ النبي ﷺ . وقيل : له رؤية .

وله حديث عن النبي ﷺ في سنن النسائي : حُكِمَ أَنَّهُ مُرْسَلٌ .

وكان أميراً ، شريفاً ، جَوَاداً ، مُمَدِّحاً .

(١) المستدرك (٣ / ٥٤٢ ، ٥٤٤) . ومجمع الزوائد (٩ / ٢٨٥) وقال الهيثمي : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٢) الفجر : ٢٧ .

ذكره محمد بن سعد في الطبقة الخامسة من الصحابة فقال : كان أصغر من عبد الله بسنة واحدة ؛ ثم قال : سمع من النبي ﷺ . وكان رجلاً تاجراً مات بالمدينة .

فذكر الواقدي : أنه بقي إلى دولة يزيد بن معاوية .

قلتُ : هو شقيق عبد الله . ولي إمرة الين لابن عمه عليّ ، وحجّ بالناس ، وقد ذبح بسرّ ابن أربطة ولديه عدواناً وظلماً ، تولّمت أمهما عليها ، وهرب عبيد الله .

قيل : إن عبيد الله وصل مرة رجلاً بمئة ألف .

قال الفسوي : مات زمن معاوية ، وقال خليفة وغيره : مات سنة ثمان وخسين .

وأما أبو عبيد وأبو حسان الزياتي ، فقالا : مات سنة سبع وثمانين . أ هـ .

* * *

قُثم بن العباس الهاشمي

قال الذهبي في السير : ابن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي . ابن عم النبي ﷺ ، وأخو الفضل وعبد الله وعبيد الله وكثير .

وأُمّه هي أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية ، وكانت ثمانية امرأة أسلمت ، أسلمت بعد خديجة . قاله الكلبي .

لقثم صحبة ، وقد أوقفه النبي ﷺ خلفه ^(١) .

وكان أخا الحسين بن عليّ من الرضاعة ^(٢) .

وكان يشبه بالنبي ﷺ ، وهو قليل الرواية .

وعن ابن عباس قال : كان آخر من خرج من لحد رسول الله ﷺ قثم .

(١) البخاري في التاريخ (١٩٤ / ٧) وأحمد في مسنده (٢٠٥ / ١) .

(٢) أحمد في مسنده (٣٢٩ / ٦) بسند حسن .

ولما استخلف علي بن أبي طالب ، استعمل قثم على مكة ، فما زالَ عليها حتى قُتِلَ علي .
قاله خليفة بن خياط .

وقال الزبير بن بكار : استعمله علي على المدينة . وقيل : إنه لم يُعقب .

قال ابن سعد : غزا قثم خراسانَ وعليها سعيد بن عثمان بن عفان ، فقال له : أضربْ لك بألفِ سهم ؟ فقال : لا بل خمس ، ثم أعطى الناسَ حقوقهم ؛ ثم أعطني بعد ما شئت ، وكان قثم رضي الله عنه سيداً ، ورعاً ، فاضلاً .

قال الزبير : سار قثم أيام معاوية مع سعيد بن عثمان إلى سمرقند ، فاستشهد بها .
قلت : لا شيء له في الكتب الستة .

وقد ذكره أبو عبد الله الحاكم في « تاريخ نيسابور » ، فقال : كان شبيهة النبي ﷺ وآخر الناس به عهداً . وحديث أم الفضل ناطقٌ بذلك بأسانيد كثيرة .

قال : فأما وفاة قثم ، وموضع قبره ، فختلفَ فيه ، فقليل : إنه تُوْفِّيَ بسمرقند ، وبها قبره ، وقيل : إنه تُوْفِّيَ بمرؤ . قال الحاكم : والصحيح أن قبره بسمرقند . أ هـ .

* * *

مَعْبَدُ بْنُ الْعَبَّاسِ

من صِغار ولد العباس ، وهو من أم الفضل . له أولاد ؛ عبد الله ، وعباس ، وميمونة .
وأُمُّهم أم جميل عامرية . وله بقية وذرية كثيرة .

* * *

كثير بن العباس

أُمُّه أم ولد . تابعي يروي عن أبيه وغيره .
وكان فقيهاً ، جليلاً ، صالحاً ، ثقةً ، له عقب . قاله ابن سعد .

* * *

تَمَامُ بْنُ الْعَبَّاسِ

من أم ولد ، وهو شقيق كثير .

قال ابن سعد : كان تَمَامٌ من أشد أهل زمانه بطشاً .

وله أولاد ، وأولاد أولاد ، فانقرضوا وآخرهم يحيى بن جعفر بن تمام مات زمن المنصور ، وورثه أعمام المنصور ، فأطلقوا الميراث كله لعبد الصمد بن علي .

* * *

الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ

هو الفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، ابن عم رسول الله ﷺ ، ويكنى أبا محمد أو أبا عبد الله ، وكان أسن ولد العباس ، وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ ، وغزا مع رسول الله ﷺ مكة وحنيناً ، وثبت يومئذ مع رسول الله ﷺ حين ولي الناس ، وشهد معه حجة الوداع ، وأردفه رسول الله ﷺ ، وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ زوجه وأمه عنه ، وفي بعض حديثه في حجة الوداع لما حجب وجهه عن الخثعمية : « رأيت شاباً وشابة ، فلم آمن عليهما الشيطان » ، وكان فين غسل النبي ﷺ ، وولي دفنه . مات في طاعون عَمَوَاسَ سنة ثمان عشرة من الهجرة في خلافة عمر بن الخطاب ، ولم يترك ولداً إلا أم كلثوم تزوجها الحسن بن علي ، ثم فارقتها ، فتزوجها أبو موسى الأشعري .

* * *

رَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ

قال الذهبي في السير : ابن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ، أبو أروى .

وله من الولد : محمد ، وعبد الله ، والحارث ، والعباس ، وأميمة ، وعبد شمس ، وعبد المطلب ، وأروى الكبرى ، وهند ، وأروى ، وأدم . وأدم : هو المسترضع له في

هذيل ، فقتله بنو ليث بن بكر في حربٍ كانت بينهم . وكان صغيراً يحبُّو أمام البيوت ، فأصابه حجرٌ قتله ، فقال النبي ﷺ : « وأولُ دمٍ أضعه دمُ ابنِ ربيعةَ بنِ الحارثِ » .

ويروى أن قال فيه : « آدم ، رأى في الكتاب دم ابن ربيعة ، فزاد ألفاً ، والظاهر أنه لصغره ما حفظ اسمه . وقيل : كان اسمه تمام بن ربيعة » .

قالوا : وكان ربيعة أسنُّ من عمه العباس بسنتين . ونوبةٌ بدرٍ كان ربيعة غائباً بالشام .

قال ابنُ سعد : فلما خرج العباس ونوفلٌ إلى رسول الله ﷺ ، مهاجرين أيام الخندق ، شيعهما ربيعةٌ إلى الأبواء ، ثم أراد الرجوع ، فقالا له : أين ترجع ؟ إلى دار الشرك تُقاتلون رسول الله ﷺ ، وتكذبونه ، وقد عزَّ وكثف أصحابه ، ارجع . فسار معهما حتى قدِموا جميعاً مسلمين . وأطعم رسولُ الله ﷺ ربيعةَ بخير مئة وسقٍ كُلِّ سنة ، وشهد معه الفتحَ وخيئناً ، وابتنى داراً بالمدينة ، وتوفي في خلافة عمر .

وكان ربيعةً شريكاً لعثمان في التجارة . وقد جاء في حديث جابر الذي في المناسك ، « وإنَّ أولَ دمٍ أضع دم ابن ربيعةَ بنِ الحارثِ » أراد الذي يستحق ربيعة به الدية من أجل ولده . وقيل : إنه توفي سنة ثلاث عشرة ، وأمه هي غزيرة بنت قيس بن طريف .

* * *

عبد الله بن الحارث

قال الذهبي : ابن عبد المطلب الهاشمي . أخو ربيعة ونوفل . وكان اسمه عبد شمس فغيَّر . فَرَوُوا أنه هاجر قبيلَ الفتح ، فسماه النبي ﷺ ، عبدَ الله . وخرج مع النبي ﷺ في بعض مغازيه ، فمات بالصفراء فكفَّنَه في قبضه - يعني قيصرَ النبي ﷺ .

وقد قيل إنه قال فيه : هو سعيدٌ أدركته السعادة . كذا أورد ابن سعد هذا بلا إسناد . ولا نسلَ لهذا .

عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ

قال الذهبي في السير : ابن المطلب بن عبد مناف بن قُصَيِّ الْقُرَشِيِّ الْمَطْلَبِيِّ . وأمه من ثقيف .

وكان أحد السابقين الأولين . وهو أَسْنُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بعشر سنين . هاجر هو وأخوه الطُّفَيْلُ وَحُصَيْنٌ . وكان رُبْعَةً مِنَ الرِّجَالِ ، مَلِيحاً ، كَبِيرَ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وهو الذي بارزَ رَأْسَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ ، فَأَثْبَتَ كُلُّهُمَا الْآخَرُ . وشدَّ عليَّ وَحْمَةً عَلَى عَتَبَةٍ ، ففقتلاه ، واحتلَّ عُبَيْدَةً وَبِهِ رَمَقٌ . ثم توفي بالصفراء ^(١) ، قال في العشر الأخير من رمضان ، سنة اثنتين رضي الله عنه .

وقد كان النبي ، ﷺ ، أمره على ستين راكباً من المهاجرين ، وعقد له لواء . فكان أولَ لواءٍ عَقِدَ فِي الْإِسْلَامِ . فالتقى قريشاً وعليهم أبو سفيان عند ثنيةِ المرأة ، وكان ذاك أولَ قتالٍ جرى في الإسلام . قاله ابن إسحاق . أ هـ .

* * *

نوفل بن الحارث

قال الذهبي في السير : ابن عم رسول الله ، ﷺ ، الحارث بن عبد المطلب الهاشمي ، وأبو الحارث أخو أبي سفيان بن الحارث .

كان نوفل أَسْنُ مِنْ عمه العباس . حضر بدرًا مع المشركين ، فَأُسرَ ، ففداه عمه العباس ، ثم أسلم ، وهاجر عام الخندق .

وقيل : أخى النبي ﷺ بينه وبين العباس ، وقد كانا شريكين في الجاهلية متصافيين .

(١) الصفراء : قرية كثيرة النخل والمزارع ، وماؤها عيون . وهي فوق ينبع مما يلي المدينة وماؤها يجري إلى ينبع .

وقد قيل في رثاء عبيدة بن الحارث :

لَقَدْ ضَمِنَ الصَّفْرَاءُ مَجْدًا وَسُودَّداً وَجَلَّلاً أَصِيلاً وَافِرَ اللَّبِّ وَالْعَقْلِ
عَبِيدَةً فَبَاكِئِهِ لِأَصْيَافٍ غُرْبَةٍ وَأَرْمَلَةٍ تَهْوِي لِأَشْقَتِ كَالْجُنْدِ

شهد نوفل بيعة الرضوان ، وأعان رسول الله ﷺ يوم حُنين بثلاثة آلاف رمح ، وثبتَ معه يومئذ ، وما علمتُ له رواية ولا ذكراً بأكثر مما أوردت .

قيل : مات سنة عشرين ، وقيل مات سنة خمس عشرة . وكان أَسَنُّ بني هاشم في زمانه . أ هـ .

* * *

سعيد بن الحارث

قال الذهبي : ابن عبد المطلب . ابن عم رسول الله ﷺ . له حديث واحد وقد ضَعَفَ هذا الحديث .

* * *

أبو سفيان بن الحارث

قال الذهبي في السير : هو ابن عم النبي ﷺ المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي . أخو نوفل وربيعة .

تلقى النبي ﷺ في الطريق قبل أن يدخل مكة مسلماً ، فانزعج النبي ﷺ وأعرض عنه ، لأنه بدت منه أمورٌ في أذية النبي ﷺ فتدلل للنبي ﷺ حتى رقى له . ثم حَسَنَ إسلامه ، ولزم هو والعباسُ رسولَ الله يوم حنين إذ فرَّ الناس ، وأخذ بلجام البغلة ، وثبتَ معه .

وقد روى عنه ولده عبد الملك أنَّ النبي ﷺ قال : « يا بني هاشم إياكم والصدقة » وكان أخا النبي ﷺ من الرضاعة ، أرضعتها حليمة .

سمَّاه هشام بن الكلبي ، والزيبر : مغيرة . وقال طائفة : اسمه كنيته ، وإغا المغيرة أخوهم .

وقيل : كان الذين يُشَبَّهون بالنبي ﷺ جعفر ، والحسن بن علي ، وقثم ابن العباس ،

وأبو سفيان بن الحارث .

وكان أبو سفيان من الشعراء ، وفيه يقول حسان :

أَلَا أُلْبِغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي مُعْلَقَلَةً ، فَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ
هَجَوْتَ عَمْدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ^(١)

قيل : إن أبا سفيان حج ، فحلقه الحلاق ، فقطع ثُولاً في رأسه ، فرض منه ومات بعد قدومه بالمدينة ، وصلى عليه عمر . ويقال : مات بعد أخيه نوفل ابن الحارث بأربعة أشهر .

قال أبو إسحاق السبيعي : لما احتضر أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قال : لا تبكوا علي ، فإني لم أنتطف^(٢) بخطيئة منذ أسمت .

قال ابن إسحاق : ولأبي سفيان يرثي النبي ﷺ :

أَرَقَّتْ فَبَاتَ لَيْلِي لَا يَزُولُ وَلَيْلَ أَخِي الْمُصِيبَةِ فِيهِ طُولُ
وَأَسْتَعِدِّنِي الْبُكَاءَ وَذَاكَ فِيمَا أَصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ قَلِيلُ
فَقَدْ عَظُمْتُ مُصِيبَتُنَا وَجَلْتُ عَشِيَّةَ قِيلَ قَدْ قُبِضَ الرَّسُولُ
فَقَدْ نَا الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ فِينَا يَرْوَحُ بِهِ وَيَقْدُو جِبْرِيلُ
وَذَاكَ أَحَقُّ مَا سَأَلْتُ عَلَيْهِ نَفْسُ الْخَلْقِ أَوْ كَادَتْ تَسِيلُ
نَبِيٍّ كَانَ يَجْلُو الشُّكَّ عَنَّا بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَمَا يَقُولُ
وَيَهْدِينَا فَلَا نَخْشِي ضَلَالاً عَلَيْنَا ، وَالرَّسُولُ لَنَا دَلِيلُ
فَلَمْ تَرْمِلْنَاهُ فِي النَّاسِ حَيًّا وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْمَوْتِ عَدِيلُ
أَفَاطِمُ إِنْ جَزَعْتَ فَذَاكَ عَذْرُ وَإِنْ لَمْ تَجْزَعِي فَهُوَ السَّيْلُ
فَعُودِي بِالْعَزَاءِ فَإِنَّ فِيهِ ثَوَابَ اللَّهِ وَالْفَضْلُ الْجَزِيلُ

(١) البيتان من قصيدة طويلة لحسان بن ثابت ، قالها يوم فتح مكة ، مطلعها :

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلاً خلاء

(٢) لم أنتطف : لم أتلطخ .

وَقُولِي فِي أَيِّكَ وَلَا تَمَلِّي وَهَلْ يَجْزِي بِفَضْلِ أَيِّكَ قِيلَ
فَقَبْرُ أَيِّكَ سَيِّدُ كُلِّ قَبْرِ وَفِيهِ سَيِّدُ النَّاسِ الرَّسُولُ
وقد انقرض نسل أبي سفيان . قاله ابن سعد .

حماد بن سلمة : عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب أن أبا سفيان بن الحارث كان
يُصلي في الصيف نصف النهار حتى تَكْرهُ الصلاة ، ثم يُصلي من الظهر إلى العصر .
عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال رسول الله ﷺ : « أَبُو سَفِيَانَ بْنِ الْحَارِثِ سَيِّدُ فَتَيَانِ
أَهْلِ الْجَنَّةِ » ^(١) فحجَّ ، فحلَّقه الحلاق ، وفي رأسه ثُلُولٌ فقطعه فمات . فيروثه شهيداً .
ويقال مات سنة عشرين بالمدينة . ا هـ .

١٤٣٥ - * روى البزار عن عائشة أن رسول الله ﷺ مر به أبو سفيان بن الحارث
فقال : « يَا عَائِشَةُ هَلُمِّي حَتَّى أَرِيكَ ابْنَ عَمِّكَ الَّذِي هَجَانِي » .

١٤٣٦ - * روى الطبراني عن أبي حبة البدرى قال : كان رسول الله ﷺ يوم حنين لا
ينظر في ناحية إلا رأى أبا سفيان بن الحارث يقاتل فقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ أَبَا
سَفِيَانَ خَيْرُ أَهْلِي أَوْ مِنْ خَيْرِ أَهْلِي » .

دُرَّةُ بِنْتُ أَبِي لُهَبْ

قال الذهبي في السير : بنتُ عمِّ رسول الله ﷺ أبي لُهَبْ بن عبد المطلب الهاشمية . من
المهاجرات .

لها حديثٌ واحد ، في « المسند » من رواية ابن عمها الحارث بن نوفل .

(١) ذكره الذهبي ورجاله ثقات لكنه مرسل كما قال الحافظ في الإصابة وأخرجه الحاتم وسكت عنه وكذلك الذهبي .

١٤٣٥ - رواه البزار عن شيخه عبد الرحمن بن شيبه قال أبو حاتم . حديثه صحيح وبقيته رجاله ثقات .

هجاني : دمتي . وكان ذلك قبل الإسلام .

١٤٣٦ - المعجم الكبير (٢٢ / ٢٢٧) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٧٤) رواه الطبراني في الكبير والأوسط وإسناده

حسن .

وقيل : تزوّج بها دحيّة الكلبي

* * *

ضُبَاعَة بنت الزُّبَيْر بن عبد المطلب

قال الذهبي في السير : بنتُ عمِّ رسول الله ﷺ الزُّبَيْر بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مَنَاف ، الهاشميّة .

من المهاجرات .

وكانت تحت المقداد بن الأسود ، فولدت له : عبد الله ، وكريمة ، لها أحاديثُ يسيرة عن النبي ﷺ .

وحدّث عنها من القدماء : ابنُ عباس ، وجابر .

وقُتِل ولدها عبد الله بن المقداد يومَ الجَلِّ مع أمِّ المؤمنين عائشة .

عن عائشة ، قالت : دخل النبي ﷺ على ضُبَاعَة بنت الزُّبَيْر ، فقالت : إني أريد الحجَّ ، وأنا شاكيةٌ ، فقال النبي ﷺ : « حُجِّي واشترطي أن مَحَلِّي حيث حَبَسْتَنِي » (١) .

بقيت ضُبَاعَة إلى بعد عام أربعين ، فيما أرى ، رضي الله عنها . ا هـ .

* * *

عبدُ الله بن الزُّبَيْر بن عبد المطلب

قال الذهبي : الهاشمي ، ابنُ عمِّ رسول الله ﷺ

وأُمّه عاتِكة بنتُ أبي وهب الخزوميّة ، من مُسَلِّمة الفُتَح .

(١) مسلم (٢ / ٨٦٨) - ١٥ - كتاب الحج - باب جواز اشتراط الحرم التحلل بعذر المرض وغيره .
وعلي حيث حبستني : هو خطاب الله عز وجل معناه : جواز اشتراط الحرم التحلل من الإحرام بعذر المرض ونحوه .

لا نعلم له رواية . كان موصوفاً بالشجاعة والفروسية .

ولما توفي رسول الله ﷺ ، كان لهذا نحو من ثلاثين سنة . أهـ .

* * *

٣ - من أحفاد أعمامه ﷺ

عبد الله بن جعفر -

قال الذهبي : ابن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم . السيد العالم ، جعفر القرشي الهاشمي ، الحبشي المولد ، المدني الدار ، الجواد ابن الجواد ذي الجناحين .

له صحبة ورواية ، عداؤه في صفار الصحابة .

استشهد أبوه يوم مؤتة فكفله النبي ﷺ ، ونشأ في حجره .

وروى أيضاً عن عمه علي ، وعن أمه أسماء بنت عميس .

وهو آخر من رأى النبي ﷺ وصحبه من بني هاشم .

وله وفادة على معاوية ، وعلى عبد الملك . وكان كبير الشأن كريماً ، جواداً ، يصلح للإمامة .

عن علي بن أبي حملة ، قال : وقد عبد الله بن جعفر على يزيد ، فأمر له بألفي ألف .

وما ذاك بكثير ، جائزة ملك الدنيا لمن هو أولى بالخلافة منه .

قال مصعب الزبيري : هاجر جعفر إلى الحبشة ؛ فولدت له أسماء ؛ عبد الله ، وعوناً ومحمداً .

ابن جعفر : أن النبي ﷺ أتاهم بعد ما أخبرهم بقتل جعفر بعد ثلاثة ، فقال : « لا تبكوا أخي بعد اليوم » ثم قال : « اتوفوني ببني أخي » ، فجاء بنا كأننا أفرخ ، فقال : « أدعوني الحلاق » فأمره ، فخلق رؤوسنا ، ثم قال : « أما محمد ؛ فشبهه عمنا أبي طالب ، وأما عبد الله ؛ فشبهه خلقي وخلقي » ثم أخذ بيدي ، فأشالها . ثم قال :

« اللهم اخلف جعفرًا في أهله ، وبارك لعبد الله في صفقته » قال : فجاءت أمنا ، فذكرت يمتنا . فقال : « العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة » (١) .

عن أبان بن تغلب ، قال : ذكر لنا أن عبد الله بن جعفر قدم على معاوية ، وكانت له منه وفادة في كل سنة ، يعطيه ألف ألف درهم ، ويقضي له مئة حاجة .

قيل : إن أعرابياً قصد مروان ، فقال : ما عندنا شيء ، فعليك بعبد الله بن جعفر ، فأثنى الأعرابي عبد الله ، فأنشأ يقول :

أَبُو جَعْفَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبَوَّةٍ صَلَاتُهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ طَهُورٌ
أَبَا جَعْفَرٍ ضَنَّ الْأَمِيرُ بِإِلَهِهِ وَأَنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ أَمِيرٌ
أَبَا جَعْفَرٍ يَا بْنَ الشَّهِيدِ الَّذِي لَهُ جَنَاحَانِ فِي أَعْلَى الْجَنَانِ يَطِيرُ
أَبَا جَعْفَرٍ مَا مِثْلُكَ الْيَوْمَ أُرْتَجَى فَلَا تَتْرُكْنِي بِالْفَلَاةِ أَدُورُ

فقال : يا أعرابي سار الثقل (١) فعليك بالراحلة بما عليها ، وإياك أن تُخدع عن السيف ، فإني أخذته بألف دينار .

ويروى أن شاعراً جاء إلى عبد الله بن جعفر ، فأنشده :

رَأَيْتُ أَبَا جَعْفَرٍ فِي الْمَنَامِ كَسَانِي مِنَ الْخَزْرِ دُرَاعَهُ
شَكُوتٌ إِلَى صَاحِبِي أَمْرَهَا فَقَالَ سَتَوْتِي بِهَا السَّاعَةَ
سَيَكْسُو كَهَا الْمَاجِدُ الْجَعْفَرِيُّ وَمَنْ كَفُّهُ الدَّهْرُ نَفَاعَهُ
وَمَنْ قَالَ لِلْجُودِ لَا تَغْدِي فَقَالَ لَهُ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ

فقال عبد الله لفلان : أعطه جبتي الخز . ثم قال له : ويحك كيف لم تَرَجُبْنِي الوشي ؟ اشتريتها بثلاث مئة دينار منسوجة بالذهب . فقال : أنام ، فلعلني أراها . فضحك عبد الله ، وقال : ادفعوها إليه .

(١) أحمد في مسنده (١ / ٢٠٤) وسنده قوي .

(٢) سار الثقل : اعتذر بغياب ماله .

قال أبو عبيدة : كان على قريش وأسد وكنانة يوم صفين عبد الله بن جعفر .

حماد بن زيد : أخبرنا هشام ، عن محمد ، قال : مرَّ عثمانُ بسبخة فقال : لمن هذه ؟ فقيل : اشتراها عبد الله بن جعفر بستين ألفاً ، فقال : ما يسرني أنها لي بنعل . فجزأها عبد الله ثمانية أجزاء ؛ وألقى فيها العمال . ثم قال عثمانُ لعليّ : ألا تأخذُ على يدَي ابن أخيك ، وتَجَرُّ عليه ؟ اشترى سبخة ^(١) بستين ألفاً . قال : فأقبلت . فركبَ عثمان يوماً ، فرأها ، فبعثَ إليه ، فقال : ولّني جزءين منها . قال : أما والله دون أن ترسل إلى من سَفَهْتَنِي عندهم ، فيطلبونَ إليّ ذلك ، فلا أفعل . ثم أرسل إليه أني قد فعلت . قال : والله لا أنقصك جزءين من مئة ألفٍ وعشرين ألفاً . قال : قد أخذتها .

وعن العمري : أن ابن جعفر أسلف الزبير ألف ألف ، فلما توفّي الزبير ، قال ابن الزبير لابن جعفر : إني وجدتُ في كتب الزبير أن له عليك ألف ألف . قال هو صادق . ثم لقيه بعد ، فقال : يا أبا جعفر ، وهمتُ ؛ المالُ لك عليه . قال : فهو له . قال : لا أريد ذلك .

قال محقق السير : وتماه عند ابن عساكر : قال : فاختر ، إن شئت ، فهو له ، وإن كرهت ذلك ، فلك فيه نظيرة ما شئت ، فإن لم ترد ذلك ، فبعتني من ماله ما شئت ، فقال : أبيعك ، ولكن أقوم ، فقوم الأموال ، ثم أتاه ، فقال : أحب أن لا يحضرنِي وإياك أحد ، فقال عبد الله يحضرنا الحسن والحسين ، فيشهدان لك ، فقال : ما أحب أن يحضرنا أحد ، قال : انطلق ، فضى معه ، فأعطاه خراباً وسباحاً لا عمارة له وقومه عليه ، حتى إذا فرغ ، قال عبد الله لغلامه : ألق لي في هذا الموضع مصلى ، فألقى له في أغلظ موضع من تلك المواضع مصلى ، فصلى ركعتين ، وسجد فأطال السجود يدعو ، فلما قضى ما أراد من الدعاء ، قال لغلامه : احفر في موضع سجودي ، فحفر ، فإذا عين قد أنبسطها ، فقال له ابن الزبير : أقلني ، فقال : أما دعائي وإجابة الله إياي ، فلا أقبلك ، فصار ما أخذ منه أعمر بما في يدي ابن الزبير .

عن الأصمعي : أن امرأة أتت بدجاجة مسبوطة ^(٢) ، فقالت لابن جعفر : بأي أنت !

(١) السبخة : أرض ذات نرّ وملح .

(٢) دجاجة مسبوطة : ذبحت وتنف ريشها .

هذه الدجاجة كانت مثل بنتي ^(١) ، فآليت أن لا أدفنها إلا في أكرم موضع أقدر عليه ؛ ولا والله ما في الأرض أكرم من بطنك . قال : خذوها منها ، واحملوها إليها ، فذكر أنواعاً من العطاء ، حتى قالت : بأبي أنت ! إن الله لا يحب المسرفين .

هشام ، عن ابن سيرين : أن رجلاً جلب سكرًا إلى المدينة ، فكسده ، فبلغ عبد الله بن جعفر ، فأمر قهرمانه ^(٢) أن يشتريه ، وأن ينهيه الناس .

ذكر الزبير بن بكار ، أن عبيد الله بن أبي مليكة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : دخل ابن أبي عمار وهو يومئذ فقيه أهل الحجاز على نحاس ، فعرض عليه جارية ، فعلق بها ، وأخذه أمر عظيم ، ولم يكن معه مقدار ثمنها ، فمشى إليه عطاء ، وطاووس ، ومجاهد ، يعذّلونه . وبلغ خبره عبد الله ، فاشتراها بأربعين ألفاً ، وزينها ، وحلّاها ، ثم طلب ابن أبي عمار ، فقال : ما فعل حبك فلانة ؟ قال : هي التي هام قلبي بذكرها ، والنفس مشغولة بها ، فقال : يا جارية ، أخرجيها ، فأخرجتها ترقل في الحلي والحلل . فقال : شأئك بها ، بارك الله لك فيها . فقال : لقد تفضلت بشيء ما يتفضل به إلا الله . فلما ولى بها ، قال : يا غلام احمل معه مئة ألف درهم . فقال : لكن والله وعدنا نعيم الآخرة ، فقد عجلت نعيم الدنيا .

ولعبد الله بن جعفر أخبار في الجود والبذل .

وكان وافر الحشمة ، كثير التّنعيم ، ومن يستع الغناء ^(٣) .

قال الواقدي ومصعب الزبيري : مات في سنة ثمانين .

وقال المدائني : توفي سنة أربع أو خمس وثمانين .

١٤٣٧ - * روي البخاري ومسلم عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال لـ ابن

(١) كانت مثل بنتي : أي أحبها مثلها .

(٢) القهرمان : هو الوكيل عن السيد في تدبير أموره .

(٣) أي الغناء المباح .

١٤٣٧ - البخاري (٦ / ١٩١) ٥٦ - كتاب الجهاد - ١٩٦ - باب استقبال الفزاة .

الزبير: أَتَذْكُرْ إِذْ تَلَقَّيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَأَبْنُ عَبَّاسٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَحَمَلْنَا وَتَرَكَكَ.

وفي أخرى لمسلم^(١) قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تَلَقَّى بِصَبَّيَانِ أَهْلَ بَيْتِهِ، قَالَ: وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَسَبَقَ بِي إِلَيْهِ، فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنِي فَاطِمَةَ، فَأَرَدَنِي خَلْفَهُ، قَالَ: فَأَدْخَلْنَا الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ عَلَى دَابَّةٍ.

وفي أخرى^(٢): كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تَلَقَّى بَنِيَّ، فَتَلَقَّى بِي وَبِالْحَسَنِ أَوْ بِالْحُسَيْنِ قَالَ: فَحَمَلْنَا أَحَدَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْآخَرَ خَلْفَهُ، حَتَّى دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ.

قوله (قال نعم فحملنا وتركك) ظاهره أن القائل (فحملنا) هو عبد الله بن جعفر وأن المتروك هو ابن الزبير، وأخرجه مسلم من طريق أبي أسامة وابن علية كلاهما عن حبيب ابن الشهيد بهذا الإسناد مقلوباً ولفظه (قال عبد الله بن جعفر لابن الزبير) جعل المستفهم عبد الله بن جعفر والقائل (فحملنا) عبد الله بن الزبير، والذي في البخاري أصح، ويؤيده ما تقدم في الحج عن ابن عباس قال (لما قدم رسول الله ﷺ مكة استقبله أغيلة من بني عبد المطلب فحمل واحد بين يديه وآخر خلفه) فإن ابن جعفر من بني عبد المطلب بخلاف ابن الزبير وإن كان عبد المطلب جد أبيه لكنه جده لأمه. وأخرج أحمد والنسائي من طريق خالد بن سارة عن عبد الله بن جعفر أن النبي ﷺ حمله خلفه وحمل قثم بن عباس بين يديه، وقد حكى ابن التين عن الداودي أنه قال: في هذا الحديث من القوائد حفظ اليتيم، يشير إلى أن جعفر بن أبي طالب كان مات فعطف النبي ﷺ على ولده عبد الله فحمله بين يديه، وهو كما قال. وأغرب ابن التين فقال: إن في الحديث النص بأنه ﷺ حمل ابن عباس وابن الزبير ولم يحمل ابن جعفر، قال: ولعل الداودي ظن أن قوله (فحملنا وتركك) من كلام ابن جعفر وليس كذلك، كذا قال، والذي قاله الداودي هو الظاهر من سياق البخاري، فما أدري كيف قال ابن التين إنه نص في خلافه، وقد نبه عياض على أن الذي وقع في البخاري هو الصواب، قال: وتأويل رواية مسلم أن يجعل الضير في «حملنا» لابن جعفر فيكون المتروك ابن الزبير، قال ووقع على الصواب

(١، ٢) مسلم (٤ / ١٨٨٥) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١١ - باب فضائل عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما.

أيضاً عند ابن أبي شيبة وابن أبي خيثمة وغيرها . قلت : وقد روى أحمدُ الحديثَ عن ابن عليّة فبين سببَ الوهم ولفظه مثل مسلم ، لكن زاد بعد قوله « قال نعم : قال فحملنا » قال أحمد « وحدّثنا به مرة أخرى فقال فيه : قال نعم فحملنا » يعني وأسقط « قال » التي بعد نعم . قلت : وبإثباتها توافق رواية البخاري وبجذفها تخالفها والله أعلم أ هـ .

أقول : كان من عادة النبي ﷺ إذا عاد إلى المدينة وخرج الأولاد يستقبلونه أن يحمل معه واحداً أو اثنين .

١٤٣٨ - * روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان إذا سلّم على عبد الله ابن جعفر قال : السلام عليك يا ابن ذي الجناحين .

١٤٣٩ - * روى أحمد عن عبد الله بن جعفر قال : لقد رأيتني وقثم وعبيدُ الله ابني عباس ونحن صبيان نلعبُ إذ مر رسولُ الله ﷺ فقال : « ارفعوا هذا إليّ » فحملني أُمّاه ، وقال لِقَثم « ارفعوا هذا إليّ » فحمله ورائه وكان عبيدُ الله أحبَّ إلى عباس فما استحيا من عمه أن حمل قثم وتركه . قال : ثم مسح على رأسي ثلاثاً ، كلما مسح قال : « اللهم اخلف جعفرأ في ولده » قال : قلت لعبد الله : ما فعل قثم ؟ قال : استشهد . قلت : الله ورسوله أعلم بالخير قال : أجل .

١٤٤٠ - * روى أبو يعلى والطبراني عن عمرو بن حريث قال : مرَّ النبي ﷺ بعبدِ الله ابن جعفر وهو يلعبُ بالتراب ، فقال : « اللهم بَارِكْ له في تِجَارَتِهِ » .

١٤٤١ - * روى أبو داود وأحمد والحاكم عن عبد الله بن جعفر ، قال : أردفني رسولُ الله ﷺ ذات يومَ خلفه ، فأسرَّ إليّ حديثاً لا أحدثُ به أحداً ، فدخل حائطاً ، فإذا جَمَلٌ ، فلما

١٤٣٨ - البخاري (٧ / ٧٥) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ١٠ - باب مناقب جعفر بن أبي طالب الهاشمي رضي الله عنه .

١٤٣٩ - أحمد في مسنده (١ / ٢٠٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٨٦) : رواه أحمد ورجاله ثقات .

١٤٤٠ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٨٦) وقال : رواه أبو يعلى والطبراني ورجاله ثقات .

١٤٤١ - أبو داود (٣ / ٢٣) كتاب الجهاد ، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم

وأحمد في مسنده (١ / ٢٠٤ ، ٢٠٥) .

المستدرک (٢ / ٩٩) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، أقره الذهبي .

رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ ، وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ ، فَاتَّاهَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَحَّ ذَفْرَاهُ ^(١) فَسَكَتَ ، فَقَالَ : « مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ ؟ » فَجَاءَ فَقَى مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ : لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : « أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا ؟ فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تَجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ » .

* * *

عبد المطلب بن ربيعة

قال الذهبي في السير : ابن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ، والد محمد ، له صحبة وحديث يرويه عنه عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي ^(٢) ، وروى عن عليٍّ حديثاً آخر .

قال مُصْعَبُ الزُّبَيْرِيُّ : أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا سَفْيَانَ بْنَ الْحَارِثِ أَنْ يُزَوِّجَ بَنْتَهُ بِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ رَبِيعَةَ ، ففعل . سكن الشام في أيام عمر .

وقال شباب : تُوَفِّي عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فِي دَوْلَةِ يَزِيدَ .

وقال الطبراني : توفي سنة إحدى وستين .

قال الذهبي : له بدمشق دارٌ كبيرة والله أعلم .

١٤٤٢ - * روى مسلم وأبو داود عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث رضي الله عنه قال : اجتمع ربيعة بن الحارث ، والعباس بن عبد المطلب ، فقالا : والله لو بَعَثْنَا هَذَيْنِ

(١) ذَفْرَاهُ : الذفري من جميع الحيوانات هو العظم الشاخص خلف الأذن .

(٢) أخرجه مسلم (١٠٧٢) في الزكاة - باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة .

وأبو داود (١٢٨٥) في الخراج - باب في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذي القربى .

وابن سعد (٤ / ٥٨ ، ٥٩) من طريق الزهري عن عبد الله بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب عن المطلب بن ربيعة ، أن النبي ﷺ قال : « إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس » .

١٤٤٣ - مسلم (٢ / ٧٥٢) ١٢ - كتاب الزكاة - ٥١ - باب ترك استعمال آل النبي ﷺ على الصدقة وأبو داود (١٤٢ / ٢)

كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذي القربى .

الغلامين - قال لي ، وللفضل بن العباس - إلى رسول الله ﷺ ، فكلماه ، فأمرهما على هذه الصدقات ، فأديا ما يؤدي الناس ، وأصابا مما يصيب الناس ؟ قال : فبينما هما في ذلك جاء علي بن أبي طالب ، فوقف عليهما ، فذكرا له ذلك ، فقال علي : لا تفعلوا ، فوالله ما هو بفاعل ، فانتحاه ربيعة بن الحارث ، فقال : والله ما تصنع هذا إلا نفاسة منك علينا ، فوالله لقد نلت صهر رسول الله ﷺ ، فما نفسانا عليك ، فقال علي : أرسلوهما ، فانطلقا ، واضطجع علي ، قال : فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر سبقناه إلى الحجرة ، فقمنا عندها ، حتى جاء ، فأخذ بأذاننا ، ثم قال : « أخرجنا ما تضرران » ثم دخل ودخلنا معه ، وهو يومئذ عند زينب بنت جحش ، قال : فتواكلنا الكلام ، ثم تكلم أحدنا ، فقال : يا رسول الله ، أنت أبر الناس ، وأوصل الناس ، وقد بلغنا النكاح فجئنا لتؤمرنا على بعض هذه الصدقات فنؤدي إليك كما يؤدي الناس ، ونصيب كما يصيبون ، قال : فسكت طويلاً ، حتى أردنا أن نكلمه ، قال : وجعلت زينب تلمع إلينا من وراء الحجاب أن لا تكلمها ، قال ثم قال : « إن هذه الصدقة لا تنبغي لآل محمد ، إنما هي أوساخ الناس ، ادعوا لي محمية » - وكان على الخمس - « ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب » قال : فجاءه : فقال لمحبة : « أنكح هذا الغلام ابنتك » للفضل بن العباس فأنكحه ، وقال لنوفل بن الحارث : « أنكح هذا الغلام ابنتك » فأنكحني ، وقال لمحبة : « أصدق عنها من الخمس كذا وكذا » قال الزهري : ولم يتمه لي .

وفي رواية نحوه ^(١) ، وفيه قال : فألقى علي رداءه ثم اضطجع عليه ، وقال : أنا أبو

فانتحاه : أي : عرض له .

النفاسة : البخل ، أي : بخلا منك علينا .

ما تضرران ؟ أي : ما جمعنا في صدورنا وعزمنا على إظهاره : وكل شيء جمعته ، فقد صرته .

فتواكلنا الكلام : التواكل : أن يكل كل واحد أمره إلى صاحبه ، ويكل فيه عليه ، يريد أن يبتدئ صاحبه بالكلام دونه .

(١) مسلم (٢ / ٧٥٤) ١٢ - كتاب الزكاة - ٥١ - باب ترك استعمال آل النبي ﷺ على الصدقة .

حَسَنَ الْقَرْمُ وَاللَّهُ لَا أَرِيمُ مَكَانِي حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْكَ ابْنَاكَمَا يَخْوَرُ مَا بَعَثْنَا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ : ثُمَّ قَالَ لَنَا : « إِنْ هَذِهِ الصَّدَقَاتُ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ ، وَإِنَّمَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِأَلِ مُحَمَّدٍ » وَقَالَ أَيْضاً : ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ادْعُوا لِي مَحْمِيةَ بَنِ جَزْءٍ » وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْأَخْمَاسِ .

واختصره النسائي ^(١) قال : إِنْ رِبْعَةَ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ رِبْعَةَ وَلِلْفَضْلِ ابْنِ الْعَبَّاسِ : ائْتِنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقُولَا : اسْتَعْمَلْنَا عَلَى الصَّدَقَاتِ ، فَأَتَى عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَنَحْنُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَقَالَ : إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يَسْتَعْمَلُ أَحَدًا مِنْكُمْ عَلَى الصَّدَقَةِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ : فَاَنْطَلَقْتُ أَنَا وَالْفَضْلُ حَتَّى أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ لَنَا : « إِنْ هَذِهِ الصَّدَقَةُ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ ، وَإِنَّمَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِأَلِ مُحَمَّدٍ » .

قال النووي في شرح مسلم : قوله « تُصَرَّرَانِ » هكذا هو معظم الأصول في بلادنا ، وهو الذي ذكره الهروي والمازري وغيرهما من أهل الضبط « تُصَرَّرَانِ » بضم التاء وفتح الصاد المهملة وكسر الراء وبعدها راء أخرى ، ومعناه : ما تجمعانه في صدوركما من الكلام ، وكل شيء جعلته فقد صررته ، ووقع في بعض النسخ « تسرران » بالسين ، من السر ، أي : ما تقولانه لي سراً ، وذكر القاضي عياض فيه أربع روايات ، هاتان اثنتان ، والثالثة « تُصَدَّرَانِ » بإسكان الصاد وبعدها دال مهملة ، ومعناها : ماذا ترفعان إليّ ؟ قال : وهذه رواية السمرقندي ، الرابعة « تُصَوَّرَانِ » بفتح الصاد وبواو مكسورة ، قال : وهكذا ضبطه الحميدي ، قال القاضي : وروايتنا عن أكثر شيوخنا بالسين ، واستبعد رواية السدال ، والصحيح : ما قدمناه عن معظم نسخ بلادنا ، ورجحه أيضاً صاحب المطالع ، فقال : الأصوب « تصرران » بالصاد والراءين .

قال النووي في شرح مسلم : بلغنا النكاح : أي الحِلْمُ ، كقوله تعالى ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا

الْقَرْمُ : السَّيِّدُ ، قَالَ الْخَطَّابِيُّ : وَأَكْثَرُ الرِّوَايَاتِ « الْقَوْمُ » بِالْوَاوِ ، وَلَا مَعْنَى لَهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ « الْقَرْمُ » بِالرَّاءِ ، يَرِيدُ بِهِ : الْمَقْدَمُ فِي الرَّأْيِ وَالْمَعْرِفَةِ بِالْأُمُورِ وَالتَّجَارِبِ .

لَا أَرِيمُ : تَقُولُ : لَا أَرِيمُ عَنْ هَذَا الْمَكَانِ ، أَيْ : لَا أَتْرُكُ .

يَخْوَرُ مَا بَعَثْنَا بِهِ : أَيْ بِجَوَابِ مَا تَقُولَانِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَصْلُ الْخَوَرِ : الرَّجُوعُ .

(١) النسائي (١٠٥ / ٥) كتاب الزكاة ، باب استعمال آل النبي ﷺ عَلَى الصَّدَقَةِ .

النكاح ﴿^(١) قال النووي في شرح مسلم : « إن هذه الصدقة لا تحل لآل محمد » دليل على أنها كانت محرمة سواء كانت بسبب العمل أو سبب الفقر والمسكنة ، وغيرها من الأسباب الثمانية ، وهذا هو الصحيح عند أصحابنا ، وجوز بعض أصحابنا لبني هاشم ولبنى المطلب : العمل عليها بسهم العامل ، لأنه إجارة ، وهذا ضعيف ، أو باطل ، وهذا الحديث صريح في رده ، وقوله : « إنما هي أوساخ الناس » تنبيه على العلة في تحريمها على بني هاشم وبني المطلب ، وأنه لكرامتهم وتنزيهمهم من الأوساخ . ومعنى « أوساخ الناس » أنها تطهير لأموالهم ونفوسهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ ^(٢) فهي كغسالة الأوساخ .

قال النووي في شرح مسلم : وقوله : « أنا أبو الحسن القرم » وهو بتنوين « حسن » وأما القرم : فيفتح القاف وبالراء الساكنة ، مرفوع ، وهو السيد ، وأصله : فحل الإبل ، وقال الخطابي معناه : المقدم في المعرفة بالأمور والرأي ، كالفحل ، هذا أصح الأوجه في ضبطه ، وهو المعروف في نسخ بلادنا ، والثاني : حكاه القاضي « أبو الحسن القوم » بالواو ، بإضافة « حسن » إلى « القوم » ومعناه : عالم القوم وذو رأيهم ، والثالث حكاه القاضي أيضاً « أبو حسن » بالتنوين ، و « القوم » بالواو ، مرفوع ، أي : أنا من علمت رأيي ، أيها القوم ، وهذا ضعيف ، لأن حرف النداء لا يحذف في نداء القوم ونحوه .

قال النووي في شرح مسلم : « وهو رجل من بني أسد » كذا وقع ، والمحفوظ : أنه من بني زييد لا من بني أسد .

قال النووي في شرح مسلم « أصدق عنهما من الخمس » يحتمل أن يريد : من سهم ذوي القربى ، ويحتمل أن يريد : من سهم النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس .

* * *

(١) النساء : ٦ .

(٢) التوبة : ١٠٢ .

تصويبات وتوصيات

هذه نماذج على دائرة من دوائر الشرف التي أحاطت برسول الله ﷺ وهي دائرة آل بيته ، وقد رأيت من خلال سيرهم صراحة ووضوحاً ، فيإذا آمن أحدكم أعطى الإيمان حقّه وإلا كان شديداً فيما يعتقد ، وقد رأيت في كلّ مامر اجتماع السمّت والهدى ونبل الرأي والاستيعاب وحسن الخلق والقيام بالحقوق والواجبات ، والشفاعة بالخير ، والجرأة على إنكار المنكر وعلى قول الحق ، فلا عجب بعد ذلك أن نرى دائماً على منابر الهدى والتجريد أو في ميادين الإصلاح والإنكار رجلاً من آل بيت رسول الله ﷺ ، كما أنّه لا عجب أن نرى المحاولات التي لا تنقطع من آل بيت رسول الله ﷺ لإقامة حكم إسلامي راشد ، وما أكثر ما أقاموا دولا على هدى ورشاد .

أمّا الذين ادّعوا التشيع وانحرفوا عن هديهم بانحرافهم عن الكتاب والسنة فهؤلاء ليسوا من آل البيت في شيء ، وعلى كل الأحوال فسادبنا مع آل بيت رسول الله ﷺ الاحترام والتوقير والإجلال والمناصحة بالحق وإخلاص النصيحة .

* * *

فصل
في
أصحابه
عليه الصلاة والسلام

الحديث عن أصحابه عليه الصلاة والسلام لا ينفصل عن الحديث عنه ، ولذلك فقد رأينا أن نعقد هذا الفصل وأن نذكر وصولاً متعدّدة فيه ، واخترنا أن تكون هذه الوصول متكاملة ، يجتمع فيها جلاء الصورة ، وتصحيح العقيدة ، وتعميق القدوة ، وتوضيح جوانب من الهداية ، واخترنا أن ندخل في هذا الفصل ما هو أشدّ لصوقاً بأبحاث السيرة فمن فاته حديث فليبحث عنه في بقية أقسام الكتاب حيث الموضوع الأشدّ لصوقاً به .

لقد حمل أصحابه الإسلام في حياته وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام ، وكان أزواجه هم نافذته على مجتمع النساء ، وقدم آل بيته أعظم التضيّعات في حياته ، وشاركوا في حل الراية بعد ذلك وقدم بعضهم حياته ثمناً لتصحيح أوضاع - وقد مر معنا شيء من ذلك - ولقد كان خلفاء الراشدون استمراراً له عليه الصلاة والسلام في جانب الإمامة والسلطان ، وكان أصحابه استمراراً له في باب الدعوة والقدوة ، وهذا يقتضي كلاماً عنهم ، فإذا دخل بعضهم في دائرة آل البيت وخصصناه بكلام فيما مرّ فلا بد من حديث آخر عن آخرين ، فالكلام عن أصحابه عليه الصلاة والسلام بشكل عام جزء من الكلام عن سيرته :

* فهم يمثلون الجانب الثاني في السيرة فإذا كان رسول الله ﷺ هو القائد فهم الجنود ، وهم من هذه الحيثية يمثلون القدوة لمن ابتلاه الله بالجنديّة وهم الأكثرية من هذه الأمة .

* ولأنّ الحديث عنهم في حياته عليه الصلاة والسلام جزء من الحديث عن سيرته فالحديث عن الكلّ يشكّل السيرة النبويّة .

* ولأنهم بعد وفاته عليه الصلاة والسلام يشكلون القدوة العليا للأمة الإسلاميّة ، فالله عز وجل يقول : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾^(١) .

نفهم من هذه الآية أنّ السابقين من المهاجرين والأنصار قدوة الخلق في الحق .

* ولأنّ مذهب الصحابي عند بعضهم يعتبر حجة شرعيّة على خلاف بين العلماء في حدود

(١) التوبة : ١٠٠ .

هذه الحجية ، وبعض أقوال الصحابة لها حكم الأحاديث المرفوعة ، ولذلك كان الحديث عنهم له أهمية خاصة .

* ثم إن الله عز وجل ورسوله عليه الصلاة والسلام جعلوا للصحة فضلاً لا يلحقه فضل ، وجعلوا لجيل الصحابة شأواً لا يلحقه شأو ، إلا ما كان للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، فكان لابد من إبراز هذا الفضل من خلال القصص والتعليل .

* ولقد خالف ناس في الصحابة وفرقوا بينهم ، ولقد اختلف الصحابة أنفسهم اختلافات فقهية واختلافات سياسية وعسكرية ، فأين هذا من قضية القدوة ، وما تعليل ذلك وما تحليله وما تأثيره على حاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها .

كل ذلك جعلنا نذكر هذا الفصل في قسم السيرة ، وهناك شيء آخر :

* يذكر الإنجيل الحالي على لسان المسيح عليه السلام كيفية التعرف على الأنبياء الكذبة فيقول : (من ثمارهم تعرفونهم) . فثار النبي الكاذب تعرف عليه ، وكذلك ثمار النبي الصادق تعرف عليه والله عز وجل يقول : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا كِدًّا ﴾ (١) .

ولقد كانت ثمار محمد رسول الله ﷺ من الطيب والكمال والنضج بحيث تكفي وحدها شهادة على أنه رسول الله ، ومن ثماره عليه الصلاة والسلام أصحابه ، وقد ضرب الله لهم مثلاً في التوراة ومثلاً في الإنجيل : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجْدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ﴾ (٢) فهم كثيرو العبادة لله وتلك ثمرة من ثمرات النبوة ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوَاقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ (٣) فهذا مثلهم في الإنجيل ، جيل يقوى وينتشر ، وهام عليهم رضوان الله بدأوا ضعافاً ، ثم قووا ثم انساحوا في البلاد ناشرين دين الله فعمهم الخير هذا العالم . هذه الثمار الطيبة لابد من الحديث عنها ، وهذا الأريج العطر لابد من نشره .

(١) الأعراف : ٥٨ .

(٢) الفتح : ٢٩ .

وقد وردت نصوص كثيرة في بعضهم كما وردت روايات كثيرة في شأنهم . ونحن في هذا الفصل سننقل من الروايات ماله علاقة مباشرة في موضوع كتابنا وما هو ألصق بقسم السيرة ، كما أننا سنترجم لنماذج منهم فقط ، إذ الإحاطة مستحيلة وتخرج هذا الكتاب عن مضمونه .

وخير أصحابه الخلفاء الراشدون الأربعة ، وإذا كان لهم وضع خاص ولتصرفاتهم وزنها التشريعي فسنخصهم بفصل مستقل ، وهكذا فإننا سنعقد في هذا الفصل ثلاثة وصول :

الوصل الأول : فيما ورد في فضل الصحابة .

الوصل الثاني : في الخلفاء الراشدين .

الوصل الثالث : في نماذج من الأصحاب .

* * *

الوصل الأول

فيما ورد في فضل الصَّحابة أو في بعضهم
إجمالاً وتفصيلاً

تمهيد :

قدم الإمام النووي لكتاب فضائل الصحابة فقال :

قال الإمام أبو عبد الله المازري : اختلف الناس في تفضيل بعض الصحابة على بعض ، فقالت طائفة : لا نفاضل بل نمسك عن ذلك ، وقال الجمهور : بالتفضيل ، ثم اختلفوا فقال أهل السنة : أفضلهم أبو بكر الصديق ، وقال الخطابية : أفضلهم عمر بن الخطاب ، وقالت الراوندية : أفضلهم العباس ، وقالت الشيعة : عليٌّ ، واتفق أهل السنة على أن أفضلهم : أبو بكر ثم عمر قال جمهورهم : ثم عثمان ثم عليٌّ ، وقال بعض أهل السنة من أهل الكوفة بتقديم عليٍّ على عثمان ، والصحيح المشهور تقديم عثمان .

قال أبو منصور البغدادي : أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة على الترتيب المذكور ، ثم تمام العشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أحد ، ثم بيعة الرضوان ومن له مزية أهل العقبتين من الأنصار ، وكذلك السابقون الأولون وهم من صلى إلى القبلتين في قول ابن المسيب وطائفة ، وفي قول الشعبي : أهل بيعة الرضوان ، وفي قول عطاء ومحمد بن كعب : أهل بدر .

قال القاضي عياض : وذهبت طائفة منهم ابن عبد البر إلى أن من توفّي من الصحابة في حياة النبي ﷺ أفضل من بقي بعده ، وهذا الإطلاق غير مرضي ولا مقبول .

واختلف العلماء في أن التفضيل المذكور قطعي أم لا ؟ وهل هو في الظاهر والباطن أم في الظاهر خاصة ؟ ومن قال بالقطع : أبو الحسن الأشعري قال : وهم في الفضل على ترتيبهم في الإمامة ، ومن قال بأنه اجتهادي ظني أبو بكر الباقلاني ، وذكر ابن الباقلاني اختلاف العلماء في أن التفضيل هل هو في الظاهر أم في الباطن جميعاً ، وكذلك اختلفوا في عائشة وخديجة أيتهما أفضل ؟ وفي عائشة وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين ، وأما عثمان رضي الله عنه فخلافته صحيحة بالإجماع وقتل مظلوماً وَقَتْلَتَهُ فسقة ، لأن موجبات القتل مضبوطة ولم يجر منه رضي الله عنه ما يقتضيه ، ولم يشارك في قتله أحد من أصحابه ، وإنما قتله هيج ورعاع من غوغاء القبائل وسفلة الأطراف والأرذال تحزبوا

وقصدوه من مصر ، فمجزت الصحابة الحاضرون عن دفعهم فحصره حتى قتلوه رضي الله عنه ، وأما علي رضي الله عنه فخلافته صحيحة بالإجماع وكان هو الخليفة في وقته لا خلافة لغيره وأما معاوية رضي الله عنه فهو من العدول الفضلاء والصحابة النجباء رضي الله عنه .

وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها ، وكلهم عدول رضي الله عنهم ومتأولون في حروبهم وغيرها ، ولم يُخرج شيء من ذلك أحداً منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدم في مسائل من الدماء وغيرها ، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم ، وإعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشبهة فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام :

قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف ، وأن مخالفه باغ فوجب عليهم نصرته ، وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده .

وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه .

وقسم ثالث اشتهت عليهم القضية وتخبروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم ، لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك ، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين وأن الحق معه لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه ، فكلهم معذورون رضي الله عنهم ، ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكال عدالتهم رضي الله عنهم أجمعين . ا . هـ .

١٤٤٣ - * روى البخاري ومسلم عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

١٤٤٣ - البخاري (٣ / ٧) ٦٢ - كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ - ١ - باب فضائل أصحاب النبي ﷺ
ومسلم (٤ / ١٩٦٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٥٢ - باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم . =

« خَيْرُ أُمِّي قَرْنِي ، ثم الذين يَلُونَهُمْ ، ثم الذين يَلُونَهُمْ » - قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قَرْنِهِ : قرنين أو ثلاثة ؟ - « ثم إِنَّ بَعْدَهُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوقُونَ ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ » .

زاد في رواية ^(١) : « ويحلفون ولا يُسْتَحْلَفُونَ » .

وللترمذي ^(٢) أيضاً قال : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثم الذين يَلُونَهُمْ ، ثم الذين يَلُونَهُمْ ، ثم يأتي من بعدهم قوم يَتَسَمَّنُونَ ، وَيُحِبُّونَ السَّمَنَ ، يُعْطُونَ الشهادة قبل أن يُسْأَلُواها » .

وفي رواية أبي داود ^(٣) قال : « خَيْرُ أُمِّي الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثَتْ فِيهِمْ ، ثم الذين يَلُونَهُمْ ، ثم الذين يَلُونَهُمْ » - والله أعلم : أذكر الثالث ، أم لا ؟ - « ثم يظهر قوم يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوقُونَ ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ ، وَيَفْشُو فِيهِمُ السَّمَنُ » .

١٤٤٤ - * روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ^(٤) قال : هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مكة إلى المدينة .

١٤٤٥ - * روى مسلم عن عتبة بن غزوان رضي الله عنه قال : لقد رأيته سابع سبعة

= القرن : قد ذكر ، وأراد به أصحابه عليهم السلام .

ويظهر فيهم السَّمَنُ : يحتمل أنه أراد : أنهم يُحِبُّونَ التَّوَسُّعَ في المآكل والمشارب ، وهي أسباب السَّمَنِ ، وقيل : المعنى : أنهم يريدون الاستكثار من الأموال ، ويدعون ما ليس لهم من الشرف ، ويفخرون بما ليس فيهم من الخير ، كأنه استعار السَّمَنَ إلى الأحوال عن السَّمَنِ في الأبدان . فشا : الشيء يفشو : إذا ظهر وانتشر .

(١) لمسلم في نفس الموضع السابق .

(٢) الترمذي (٤ / ٥٠٠) ٣٤ - كتاب الفتن - ٤٥ - باب ما جاء في القرن الثالث .

(٣) أبو داود (٤ / ٢١٤) كتاب السنة ، باب في فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٤٤٤ - الحاكم (٢ / ٢٩٤) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٤) آل عمران : ١١٠ .

١٤٤٥ - مسلم (٤ / ٢٢٧٩) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق ، حديث : ١٥ .

مع رسول الله ﷺ ، ما طَعَامُنَا إِلَّا وَرَقَ الْخُبْلَةِ ، حَتَّى قَرَحَتْ أَشْدَأُّنَا .

١٤٤٦ - * روى البخاري عن قيس بن أبي حازم رحمه الله قال : كان عطاء البذرَيْن خمسة آلاف ، خمسة آلاف ، وقال عمر : لأفضلنهم على من بعدهم .

١٤٤٧ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ فَيَقُولُونَ : فَيَكُمُ مِنْ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَيَقُولُونَ لَهُمْ : نَعَمْ ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ ، فَيَقَالُ : فَيَكُمُ مِنْ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ فَيَقَالُ : فَيَكُمُ مِنْ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ فَيَفْتَحُ لَهُمْ » .

وفي رواية ^(١) بنحوه وزاد : « ثُمَّ يَكُونُ الْبَعْثُ الرَّابِعُ فَيَقَالُ : انظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ فِيهِمْ أَحَدًا رَأَى مَنْ رَأَى أَحَدًا رَأَى أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ ؟ فَيُوجَدُ الرَّجُلُ فَيَفْتَحُ لَهُمْ بِهِ » .

١٤٤٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء فسيه خالد ، فقال النبي ﷺ : « لَا تَسْبُوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي ، فَإِنْ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ » .

١٤٤٩ - * روى مسلم عن عروة قال : قالت لي عائشة : يَا ابْنَ أَخِي أَمَرُوا أَنْ

= الخُبْلَةُ : شجر السَّهَر ، وقيل : هو ثمرة تشبه اللُّوبيا .

قَرَحَتْ أَشْدَأُّنَا ، أي : طلعت فيها القُرُوجُ كَالْجِرَاحِ وَغَوَّهَا .

١٤٤٦ - البخاري (٢٢٣ / ٧) - كتاب المغازي - باب : ١٢ .

١٤٤٧ - البخاري (٣ / ٧) - كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ - ١ - باب فضائل أصحاب النبي ﷺ .

ومسلم (٤ / ١٩٦٢) - ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٥٢ - باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم .

(١) لمسلم في نفس الموضع السابق .

١٤٤٨ - البخاري (٢١ / ٧) - ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٥ - باب قول النبي « لو كنت متخذاً خليلاً » .

ومسلم (٤ / ١٩٦٧) - ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٥٤ - باب تحريم سب الصحابة .

١٤٤٩ - مسلم (٢٣١٧ / ٤) - ٥٤ - كتاب التفسير ، حديث : ١٥ .

يستغفروا لأصحاب رسول الله ﷺ فسبواهم .

١٤٥٠ - * روى مسلم عن أبي موسى قال : صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . ثُمَّ قُلْنَا : لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَ الْعِشَاءِ ! قَالَ : فَجَلَسْنَا . فَخَرَجَ عَلَيْنَا . فَقَالَ : « مَا زِلْتُمْ هَهُنَا ؟ » قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ . ثُمَّ قُلْنَا : نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَ الْعِشَاءِ . قَالَ : « أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ » قَالَ : فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ . فَقَالَ : « النَّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ . فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تَوَعَدُ . وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي . فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوْعَدُونَ . وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي . فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوْعَدُونَ » .

١٤٥١ - * روى أحمد وأبو داود عن رياح بن الحارث ، قال : كنت قاعداً عند فلان في مسجد الكوفة وعنده أهل الكوفة ، فجاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، فرحب به وحياء وأقعده عند رجله على السرير ، فجاء رجل من أهل الكوفة يقال له قيس بن علقمة فاستقبله فسبَّ وسبَّ ، فقال سعيد : من يسبُّ هذا الرجل ؟ قال : يسبُّ علياً ، قال : ألا أرى أصحاب رسول الله ﷺ يُسَبُّونَ عندك ثم لا تنكر ولا تغير ، وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول وإني لأغني أن أقول عليه ما لم يقل فيسألني عنه غداً إذا لقيتَه : « أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير ابن العوام في الجنة ، وسعد بن مالك في الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة » ولو شئت لسميت العاشر ، قال : فقالوا : من هو ؟ فسكت ، قال : فقالوا : من هو ؟ فقال : هو سعيد بن زيد ، ثم قال : لَمْ شَهِدْ رَجُلًا مِنْهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَغْتَبِرُ فِيهِ وَجْهَهُ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عَمْرَةً وَلَوْ عَمَّرَ عُمَرُ نُوْحَ .

وفي رواية (١) فعَدَّ هَؤُلَاءِ التَّسْعَةَ وسكت عن العاشر ، فقال القوم : نُنْشِدُكَ اللَّهَ يَا أَبَا

١٤٥٠ - مسلم (٤ / ١٩٦١) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٥١ - باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه

١٤٥١ - أحمد في مسنده (١ / ١٨٧) .

وأبو داود (٤ / ٢١٢) كتاب السنة ، باب في الخلفاء .

(١) للترمذي (٥ / ٦٤٨) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٦ - باب مناقب عبد الرحمن بن عوف .

الأعور، مَنْ العاشر؟ قال : نشدتموني بالله ، أبو الأعور في الجنة .

١٤٥٢ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى أنه توضأ في بيته ثم خرج فقال ، لألزمَنَّ النبي ﷺ ولأكونن معه يومي هذا ، فجاء المسجد فسأل عنه ، فقالوا خرج وجه ههنا ، قال : فخرجتُ على أثره أسألُ عنه حتى دخلَ بئرَ أريسٍ ، فجلستُ عندَ البابِ وبأئها من جريد ، حتى قضى ﷺ حاجته ، وتوضأ فقامتُ إليه ، فإذا هو قد جلسَ على بئرِ أريسٍ وتوسطَ قُفَّها ، وكشفَ عن ساقيه ودَلَّاهما في البئرِ ، فسلمتُ عليه ثم انصرفتُ فجلستُ عند الباب ، فقلتُ : لأكوننَّ بوابَ النبي ﷺ اليوم ، فجاء أبو بكر فدفعَ البابَ فقلتُ : مَنْ هذا ؟ فقال أبو بكر ، فقلتُ على رسلك ، ثم ذهبتُ فقلتُ : يا رسولَ الله هذا أبو بكر يستأذنُ ، فقال « ائذنْ له وبشِّره بالجنة » فأقبلتُ حتى قلتُ لأبي بكرٍ ادخلُ والنبي ﷺ يبشرك بالجنة ، فدخلَ فجلسَ عن يمينِ النبي ﷺ معه في القَفِّ ودلَّى رجله في البئرِ كما صنعَ ﷺ وكشفَ عن ساقيه ، ثم رجعتُ فجلستُ وقد تركتُ أخي يتوضأ ويلحِقني ، فقلتُ : إن يردِ الله بفلانٍ - يعني أخاه - خيراً يأتِ به ، فإذا إنسانٌ يحركُ البابَ فقلتُ : من هذا ؟ قال : عمرٌ ، فقلتُ : على رسلك ، ثم جئتُ ﷺ فسلمتُ عليه ، وقلتُ : هذا عمرٌ يستأذنُ ، فقال : « ائذنْ له وبشِّره بالجنة » فجئتُ عمرَ فقلتُ ادخلُ ويبشرك بالجنة ، فدخلَ عمرٌ فجلسَ معه ﷺ في القَفِّ عن يساره ودلَّى رجله في البئرِ ، ثم رجعتُ فجلستُ ، فقلتُ : إن يردِ الله بفلانٍ خيراً - يعني أخاه - يأتِ به ، فجاء إنسانٌ فحركَ البابَ ، فقلتُ : من هذا ؟ فقال عثمانُ ، فقلتُ : على رسلك ، وجئتُ النبي ﷺ فأخبرته ، فقال : « ائذنْ له وبشِّره بالجنة مع بلوى تصيبه » فجئتُ فقلتُ : ادخلُ ويبشرك النبي ﷺ

١٤٥٢ - البخاري (٢١ / ٧) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٥ - باب قول النبي ﷺ « لو كنت متخذاً خليلاً » .

ومسلم (٤ / ١٨٦٨) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢ - باب من فضائل عثمان بن عفان .

وجهه : المشهور بتشديد الجيم وضبطه بعضهم بإسكانها ، وحكى القاضي الوجهين ونقل الأول عن الجمهور ورجح الثاني لوجود خرج أي قصد هذه الجهة .

جريد : جمع جريدة وهي سَفَقُ النخل .

قُفَّها : القَفُّ : ما ارتفع من متن الأرض . وهنا جدار مبني مرتفع حول البئر كالدُّكَّة يتكئ الجالس عليه من الجلوس .

على رسلك : على هينتك وتأنيك .

ﷺ بالجنة مع بلوى تصيبك ، فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاههم من الشق الآخر . قال ابن المسيب فأولت ذلك قبورهم اجتمع ههنا وانفرد عثمان عنهم .

وفي رواية (١) : وقلت لأكونن اليوم بواب النبي ﷺ ولم يأمرني .

وفي أخرى (٢) : أنه ﷺ دخل حائطاً وأمرني بحفظ باب الحائط بنحوه وفيه أن عثمان قال حين بشره : اللهم صبراً ، والله المستعان . وفيه أن كل واحد منهم قال حين بشره : الحمد لله ، وأنه ﷺ لما دخل عثمان غطى ركبتيه .

من فوائد الحديث :

* في الحديث بيان فضل هؤلاء الثلاثة وأنهم من أهل الجنة .

* جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا أمنت عليه فتنة الإعجاب .

* وفيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ لإخباره بقصة عثمان والبلوى التي سوف تصيبه وأن الثلاثة سيوتون على الإيمان والهدى .

١٤٥٣ - * روى مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد » .

وفي رواية (٣) : وسعد بن أبي وقاص .

١٤٥٤ - * روى البخاري عن أنس أن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم الجبل ، فقال : « اسكن أحد - أراه ضربه برجله - فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان » .

(١) البخاري (١٣ / ٤٨) ٩٢ - كتاب الفتن - ١٧ - باب الفتنة التي كوج البحر .

(٢) مسلم (٤ / ١٨٦٨) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣ - باب من فضائل عثمان بن عفان .

١٤٥٣ - مسلم (٤ / ١٨٨٠) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٦ - باب من فضائل طلحة والزبير .

(٣) لمسلم في نفس الموضع السابق .

١٤٥٤ - البخاري (٧ / ٥٣) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٧ - باب مناقب عثمان بن عفان .

١٤٥٥ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعتُ النبي ﷺ يقول : « استقرئوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وأبي ، ومعاذ بن جبل » .

١٤٥٦ - * روى الترمذي عن يزيد بن عَمِيْرَةَ قَالَ : لَمَّا حَضَرَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ الْمَوْتَ قِيلَ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَوْصِنَا ، قَالَ : أَجْلِسُونِي ، فَقَالَ : إِنَّ الْعِلْمَ وَالْإِيَانَ مَكَانَهُمَا ، مَنْ ابْتَغَاهُمَا وَجَدَهُمَا ، يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَالتَّمَسُّوا الْعِلْمَ عِنْدَ أَرْبَعَةِ رَهْطٍ ، عِنْدَ عَوِيْمِرَ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، وَعِنْدَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ، وَعِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَعِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ الَّذِي كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّهُ عَاشِرُ عَشْرَةٍ فِي الْجَنَّةِ » .

١٤٥٧ - * روى الترمذي عن خَيْثَمَةَ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ : أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ ييسر لي جليساً صالحاً ، فيسر لي أبا هريرة فجلست إليه ، فقلت له : إني سألت الله أن ييسر لي جليساً صالحاً فَوَفَّقْتَ لي ، فقال لي : ممن أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة جئت أَلْتَمَسَ الْحَيْرَ وَأَطْلُبُهُ ، قال : أليس فيكم سعد بن مالك حجاب الدعوة ، وابن مسعود صاحب طهور النبي ﷺ وبغلته وحذيفة صاحب رسول الله ﷺ وعمار الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ﷺ ، وسلمان صاحب الكتابين ؟ قال قتادة : والكتابان الإنجيل والقرآن .

١٤٥٨ - * روى الترمذي عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « اقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي مِنْ أَصْحَابِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَاهْتَدُوا بِهَذِي عَمَّار ، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ » .

١٤٥٥ - البخاري (١٢٥ / ٧) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ١٤ - باب مناقب معاذ بن جبل .

ومسلم (١٩١٣ / ٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ٢٢ - باب من فضائل عبد الله بن مسعود .

١٤٥٦ - الترمذي (٦٧١ / ٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٧ - باب مناقب عبد الله بن سلام ، وقال : هذا حديث صحيح غريب .

١٤٥٧ - الترمذي (٦٧٤ / ٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٨ - باب مناقب عبد الله بن مسعود ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

١٤٥٨ - الترمذي (٦٧٢ / ٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٨ - باب مناقب عبد الله بن مسعود ، وقال : هذا حديث حسن غريب .

١٤٥٩ - * روى البخاري ومسلم عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيتني أدخلت الجنة فإذا أنا بالرمضاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشفة ، فقلت : من هذا ؟ فقال : هذا بلال ، ورأيت قصراً بفنائيه جارية فقلت : لمن هذا ؟ فقال لعمر : فأردت أن أدخله فأنظر إليه ، فذكرت غيرتك » فقال عمر : بأبي وأمي يا رسول الله . أعليك أغار ؟ .

١٤٦٠ - * روى الترمذي عن أسامة قال : كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ جاء علي والعباس يستأذنان فقالا : يا أسامة استأذن لنا على النبي ﷺ ، فقلت : يا رسول الله علي والعباس يستأذنان ، قال : « أتدري ما جاء بهما ؟ » قلت : لا ، قال : « لكن أدري » فأذن لهما ، فدخلوا ، فقالا : يا رسول الله إنا جئناك نسألك أي أهلك أحب إليك ؟ قال « فاطمة بنت محمد » قالوا : ما جئناك نسألك عن أهلك ، قال : « أحب أهلي إلي من أنعم الله عليه وأنعمت عليه ، أسامة بن زيد » قالوا : ثم من ؟ قال : « ثم علي بن أبي طالب » فقال العباس : يا رسول الله جعلت عمك آخرهم ؟ قال : « إن علياً سبقك بالهجرة » .

١٤٦١ - * روى البخاري عن ابن عمر قال : كنا زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لأنفاضل بينهم .

١٤٦٢ - * روى الترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « نعم الرجل أبو بكر ، نعم الرجل عمر ، نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح ، نعم الرجل أسيد بن خضير ، نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس ، نعم الرجل معاذ بن جبل ، نعم الرجل عمرو بن الجوح » .

١٤٥٩ - البخاري (٧ / ٤٠) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٦ - باب مناقب عمر بن الخطاب . ومسلم (٤ / ١٨٦٢) ، ١٨٦٣ (٤٤) - كتاب فضائل الصحابة - ٢ - باب من فضائل عمر .
خفيفة : الصوت ليس بالعالي . وقيل : يسكون الشين : الصوت ، وتحريرا : الحركة .
١٤٦٠ - الترمذي (٥ / ٦٧٨) ٥٠ - كتاب المناقب - ٤١ - باب مناقب أسامة بن زيد ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

١٤٦١ - البخاري (٧ / ٥٤) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٧ - باب مناقب عثمان بن عفان .
١٤٦٢ - الترمذي (٥ / ٦٦٦ ، ٦٦٧) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٣ - باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي عبيدة بن الجراح ، وقال هذا حديث حسن غريب .

١٤٦٣ - * روى البخاري عن عمار قال : رأيت النبي ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر .

١٤٦٤ - * روى مسلم عن عائذ بن عمرو : أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا : والله ما أخذتُ سيوفُ الله من عنقِ عدو الله مأخذها ، فقال أبو بكر : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ ، فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فقال : يا أبا بكر « لعلك أغضبتهم ، لأن كنتَ أغضبتهم لقد أغضبت ربك » فاتاهم أبو بكر فقال : يا إخوتاه أغضبتكم ؟ قالوا : لا . يغفر الله لك يا أخي .

١٤٦٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى . قال : كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ . وَهُوَ نَازِلٌ بِالْجِعْرَانَةِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَمَعَهُ بِلَالٌ ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا أَعْرَابِيًّا . فَقَالَ : أَلَا تُنَجِّزُ لِي يَا مُحَمَّدُ ! مَا وَعَدْتَنِي ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أُبَشِّرُ » . فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ : أَكْثَرْتَ عَلَيَّ مِنْ أُبَشِّرَ . فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي مُوسَى وَبِلَالٍ ، كَهَيْئَةِ الْغُضْبَانِ . فَقَالَ : « إِنَّ هَذَا قَدْ رَدَّ الْبُشْرَى . فَأَقْبَلَا أَنْتُمَا » فَقَالَا : قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ فِيهِ ، وَمَجَّ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ : « أَشْرَبْنَا مِنْهُ ، وَأَفْرَعْنَا عَلَى وَجْهِكُمَا وَنَحْوَرَكُمَا . وَأُبَشِّرَا » فَأَخَذَا الْقَدَحَ . فَفَعَلَا مَا أَمَرَهُمَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَتَادَتْهُمَا أُمُّ سَلَمَةَ مِنْ وَرَاءِ السُّرِّ : أَفْضِلَا لَأُمِّكُمَا مِمَّا فِي إِنْائِكُمَا ، فَأَفْضَلَا لَهَا مِنْهُ طَائِفَةً .

١٤٦٦ - * روى البخاري عن أنس أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما ، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله .

١٤٦٣ - البخاري (١٨ / ٧) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٥ - باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً » .

١٤٦٤ - مسلم (١٩٤٧ / ٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤٢ - باب من فضائل سلمان وصهيب وبلال .

١٤٦٥ - البخاري (٤٦ / ٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ٥٦ - باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان . ومسلم (١٩٤٣ / ٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٨ - باب ومن فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين .

١٤٦٦ - البخاري (٥٥٧ / ١) ٨ - كتاب الصلاة ، باب : ٧٦ .

وفي رواية (١) : كان أسيد بن حضير وعباد بن بشر عند النبي ﷺ فخرجا في ليلة مظلمة . بنحوه .

١٤٦٧ - * روى البخاري عن سعد بن عبيدة قال : جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان ، فذكر عن محاسن عمله ، قال : لعل ذلك يسوؤك ؟ قال : نعم . قال : فأرغم الله بأنفك . ثم سأله عن علي ، فذكر محاسن عمله قال : هو ذاك ، بيته أوسط بيوت النبي ﷺ . ثم قال : لعل ذلك يسوؤك ؟ قال : أجل . قال : فأرغم الله بأنفك ، انطلق فاجهد على جهديك .

أقول : يبدو أن الرجل من الخوارج وكانوا يسبون عثمان وعلياً .

١٤٦٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح ثم أقبل على الناس فقال : « بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضر بها ، فقالت : إنا لم نخلق لهذا ، إنما خلقنا للحرث » فقال الناس : سبحان الله ، بقرة تكلم ؟ فقال : « فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر » وماها ثم « وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلب حتى كأنه استنقذها منه ، فقال له الذئب : هذا استنقذتها مني ، فمن لها يوم السبع ، يوم لا راعي لها غيري ؟ » فقال الناس : سبحان الله ، ذئب يتكلم ، قال : « فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر » وماها ثم .

قوله : (قال الذئب من لها يوم السبع يوم لا راع لها غيري) ذكر النووي عدداً من الأقوال في تفسيرها ثم قال : والأصح أنها عند الفتن حين تركها الناس هلاً لا راعي لها نهبةً للسباع ، فجعل السبع لها راعياً أي منفرداً بها وتكون بضم الباء ، والله أعلم أ هـ .

(١) البخاري (٧ / ١٢٥) ٦٢ - كتاب مناقب الأنصار - ١٢ - باب منقبة أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنها .

١٤٦٧ - البخاري (٧ / ٧٠) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٩ - باب مناقب علي بن أبي طالب .

١٤٦٨ - البخاري (٦ / ٥١٢) ٦٠ - كتاب الأنبياء ، باب : ٥٤ .

ومسلم (٤ / ١٨٥٧) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١ - باب من فضائل أبي بكر . ماها ثم : أي وماها غائبان .

أقول : هذا من تأديبه عليه الصلاة والسلام المسلم على قبوله فكرة الخارقة إذا تعلقته
مشيئة الله بها ، والعبرة في هذه الأمور لصدق النقلة وعدالتهم وضبطهم فإذا جاءت الخارقة
عن أمثال هؤلاء وصح السند واتصل وليس فيه علة قاذحة فالأصل هو التسليم ، وهذا هو
الموقف السليم من الكرامات والمعونات ثم من الخوارق ، مع ملاحظة أن الخارقة إذا وقعت
فإنها تحتاج إلى تعليل شرعي ، فالخوارق التي تظهر على يد الدجال هي من باب الاستدراج
والامتحان .

١٤٦٩ - * روى البخاري عن محمد بن الحنفية قال قلت لأبي : أيُّ الناس خيرٌ بعد النبي
ﷺ ؟ قال : أبو بكر ، قلت : ثم من ؟ قال : ثم عمرٌ ، وخشيتُ أن يقول عثمانُ ، قلت :
ثم أنت ؟ قال : ما أنا إلا رجلٌ من المسلمين .

١٤٧٠ - * روى الطبراني عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « السَّبَّاقُ أربعةٌ : أنا
سابقُ العربِ ، وصهيبُ سابقُ الرومِ ، وسلمانُ سابقُ الفرسِ ، وبلالٌ سابقُ
الحبشةِ » .

١٤٧١ - * روى ابن ماجه والحاكم عن ابن مسعود قال : كان أولُ من أظهر إسلامه
سبعة رسولُ الله ﷺ ، وأبو بكرٍ وعمار وأمه سمية وصهيبُ وبلالٌ والمقدادُ ، فأما رسول الله
ﷺ فنعمه الله بعمه أبي طالب ، وأما أبو بكر فنعمه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم
المشركون والبسوم أدرأع الحديدِ وصهروهم في الشمس ، فما منهم من أحدٍ إلا وقد واتاهم على
ما أرادوا إلا بلالاً فإنه هانتُ عليه نفسه في الله وهانَ على قومه ، فأخذوه وأعطوه الولدانَ ،
فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة ويقولُ أحدٌ أحدٌ .

١٤٦٩ - البخاري (٢٠ / ٧) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٥ - باب قول النبي ﷺ « لو كنت متخذاً خليلاً » .
١٤٧٠ - أورده الهيتمي في جمع الزوائد (٣٠٥ / ٩) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، غير عمارة بن زاذان
وهو ثقة ، وفيه خلاف .

١٤٧١ - ابن ماجه (٥٣ / ١) المقدمة - ١١ - باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ، فضل سلمان وأبي ذر والمقداد .
وقال في الزوائد : إسناده ثقات .

والحاكم (٢٨٤ / ٣) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

١٤٧٢ - * روى البزار والطبراني عن ابن عمر قال : كُنَّا نَقُولُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يَعْنِي فِي الْخِلَافَةِ .

١٤٧٣ - * روى الطبراني عن حَذِيفَةَ قَالَ : قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَخْلَفَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ ثُمَّ قَبِضَ أَبُو بَكْرٍ فَاسْتَخْلَفَ اللَّهُ عُمَرَ ثُمَّ قَبِضَ عُمَرُ فَاسْتَخْلَفَ اللَّهُ عُمَانَ .

أَقُول : كلمة حذيفة هذه تشير - وهو العارف ببواطن الكثير من الأمور - أن الخلافة في هؤلاء الثلاثة إرادة ربانية ماضية ، وكلمته تتضمن أنها إرادة رضا .

١٤٧٤ - * روى أبو داود والترمذي عن أبي بكرة رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ : « مَنْ رَأَى اللَّيْلَةَ رُؤْيَا ؟ » فَقَالَ رَجُلٌ : أَنَا ، رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَانًا أُنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ ، فَوُزِنَتْ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ ، فَرَجَحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ ، فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ ، وَوُزِنَ عُمَرُ بِعُمَانَ ، فَرَجَحَ عُمَرُ ، ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ ، قَالَ : فَرَأَيْنَا الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ .

١٤٧٥ - * روى الحاكم عن أنس بن مالك قال : بعثنى بنو المصطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : سل لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى من ندفع صدقاتنا بعذك ؟ قال : فسألته فقال : « إلي أبي بكر » فأتيتهم فأخبرتهم فقالوا : ارجع إليه فسله فإن حدث بأبي بكر حدث فإلي من ؟ فأتيته فسألته فقال : « إلي عمر » فأتيتهم فأخبرتهم فقالوا : ارجع إليه فسله فإن حدث بعمر حدث فإلي من ؟ فأتيته فسألته فقال : « إلي عثمان » فأتيتهم فأخبرتهم فقالوا : ارجع إليه فسله فإن حدث بعثمان حدث فإلي من ؟

١٤٧٢ - البزار : كشف الأستار (٢ / ٢٢٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥ / ١٧٧) : رواه البزار والطبراني ورجال البزار رجال الصحيح .

١٤٧٣ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٥ / ١٧٩) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .

١٤٧٤ - أبو داود (٤ / ٢٠٨) كتاب السنة ، باب في الخلفاء .

والترمذي (٤ / ٥٤٠) ٣٥ - كتاب الرؤيا - ١٠ - باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ للميزان والدلو . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

١٤٧٥ - المستدرک (٢ / ٧٧) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

فأتيته فسألته ، فقال : « إن حدث بعثان حدثاً فبتاً لكم الدهر تبا » .

١٤٧٦ - * روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم ، كما ترون النجم الطالع في أفق السماء ، وإن أبا بكر وعمر منهم ، وأنعمًا » .

١٤٧٧ - * روى أبو داود عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل من أهل عليين ليُشرف على أهل الجنة ، فتضيء الجنة لوجهه ، كأنه كوكبٌ ذريٌّ » قال - وهكذا جاء في الحديث « ذريٌّ » مرفوع الدال لا يهمز - « وإن أبا بكر وعمر لِمَنهُم ، وأنعمًا » .

١٤٧٨ - * روى الطبراني عن ابن مسعود أن سعيد بن زيد قال : يا أبا عبد الرحمن قبض رسول الله ﷺ فأين هو ؟ قال : في الجنة ، قال : توفي أبو بكر فأين هو ؟ قال : ذاك الأواء عند كل خير يبتغي ، قال : توفي عمر فأين هو ؟ قال : إذا ذكر الصالحون فحيَّلاً بعمَّر .

١٤٧٩ - * روى ابن ماجه والحاكم عن ابن أبي مليكة قال : سمعت ابن عباس يقول : لما وضع عمر على سريرته اُكتنفت الناس يدعون ويصلون أو قال : يثنون ويصلون عليه قبل أن يرفع وأنا فيهم ، فلم يرعني إلا رجل قد زحمني وأخذ بمنكبي فالتفت فإذا عليُّ ابن أبي طالب ، فترحم علي عمر ثم قال : ما خلفت أحداً أحب إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله

= فتبا لكم الدهر تبا : أي هلاكاً لكم طول الدهر هلاكاً .

١٤٧٦ - الترمذي (٦٠٧ / ٥) - ٥٠ - كتاب المناقب - ١٤ - باب مناقب أبي بكر ، وقال : هذا حديث حسن روى من غير وجه عن عطية عن أبي سعيد .

١٤٧٧ - أبو داود (٢٤ / ٤) كتاب الحروف والقراءات .

الكوكب الذري : هو الكبير المضيء ، كأنه نسيب إلى الدر ، تشبيهاً بها .

١٤٧٨ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن .

١٤٧٩ - ابن ماجه (٣٧ / ١) المقدمة - ١١ - باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ (فضل أبي بكر الصديق) .

وللمستدرک (٦٨ / ٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

على سريرته : أي بعد وفاته .

اُكتنفته الناس : أحاطوا به .

مِنْكَ ، وَإِيمَ اللَّهِ إِنَّ كُنْتُ لَأُظَنُّ لِيَجْعَلَنَّكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَعَ صَاحِبَيْكَ : وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ أَكْثَرُ أَنْ أَسْمَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَكُنْتُ أَظَنُّ لِيَجْعَلَنَّكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ .

١٤٨٠ - * روى أحمد عن عبد خير قال : قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه على المنبر فذكر رسول الله ﷺ فقال : قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاسْتَخْلَفَ أَبُو بَكْرٍ فَعَمِلَ بِعَمَلِهِ وَسَارَ بِسِيرَتِهِ حَتَّى قَبِضَهُ عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ اسْتَخْلَفَ عُمَرُ فَعَمِلَ بِعَمَلِهَا وَسَارَ بِسِيرَتِهَا حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ .

١٤٨١ - * روى أحمد والطبراني عن علي قال : سبق رسول الله ﷺ وصلى أبو بكر وثلاث عمر ، ثم خبطتنا فتنه أو أصابتنا فتنة يعفوا الله عن يشاء ، رواه أحمد ، وقال ثم خبطتنا فتنة ، يريد أن يتواضع بذلك .

١٤٨٢ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « بينا أنا نائمٌ رأيتني على قلبٍ عليها دَلْوٌ ، فنزعتُ منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابنُ أبي قحافة ، فنزعَ منها دُثُوباً أو دُثُوبَيْنِ ، وفي نَزْعِهِ ضَعْفٌ ، والله يغفرُ له ، ثم استَحَالَتْ غُرْباً ، فأخذها عمرُ بنُ الخطاب ، فلم أرَ عُثْقَرِيّاً من الناس يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ بنِ الخطاب حتى ضربَ الناسُ بَعَطَيْنِ » .

١٤٨٠ - رواه الإمام أحمد في مسنده ، ورجاله ثقات .

١٤٨١ - أحمد في مسنده (١ / ١١٢) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات .

١٤٨٢ - البخاري (١٢ / ٤١٤) ٩١ - كتاب التيمير - ٢٩ - باب نزع الذنوب والذنوبين من البئر بضعف .

ومسلم (٤ / ١٨٦٠) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢ - باب من فضائل عمر .

القليب : البئر إذا لم تكن مطوية .

نَزَعْتُ : الدَّلَوُ مِنَ البئر : إذا جذبتها واستقيت الماء بها .

الدُّثُوبُ : يفتح الدال : الدلو العظيمة .

الغُرْبُ : الدلو العظيمة .

العُبْقَرِيُّ : الرجل القوي الشديد ، وفلان عُبْقَرِيٌّ القوم ، أي : سيِّدٌهم وكبيرهم .

القطن : الموضع الذي تُنَاخ فيه الإبل إذا رَوَيْتُ ، يقال : عطنت الإبل ، فهي عاطنة ، وعواطن : إذا شربت

فبركت عند الحوض لتعاد إلى الشرب مرة أخرى ، وأعطنتها أنا ، والمراد بقوله : « حتى ضرب الناسُ بعطن » حتى

رَوَوْا وَأَزَوَوْا إِبِلَهُمْ ، فأبركوها وضربوا لها عطناً .

وللبخاري ^(١) : أن رسول الله ﷺ قال : « بينا أنا نائم رأيتُ أني على حوضي أسقي الناس ، فأتاني أبو بكر فأخذ الدلو من يدي ليريني ، فنزع ذنوبين ، وفي نزع ضعة ، والله يغفر له ، فأقى ابن الخطاب ، فأخذه منه ، فلم يزل ينزع حتى تولى الناس والحوض يتفجر » .

وفي أخرى لمسلم ^(٢) : قال : « بينا أنا نائم أريت أني أنزع على حوضي أسقي الناس ، فجاءني أبو بكر ، فأخذ الدلو من يدي ليريني ، فنزع دلوين ، وفي نزع ضعة ، والله يغفر له ، فجاء ابن الخطاب فأخذ منه ، فلم أر نزع رجل قط أقوى حتى تولى الناس والحوض ملآن يتفجر » .

١٤٨٣ - * روى الطبراني عن عائشة قالت قبض رسول الله ﷺ فارتدت العرب واشترب النفاق فنزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها قالت فما اختلفوا في تقطية الاطار أبي بحطها وستائها ، ثم ذكرت عمر بن الخطاب فقالت : كان والله أحوذياً نسيج وحده قد أعد للأموال أقرانها .

قال الرياشي يقال للرجل البارع الذي لا يشبه به أحد نسيج وحده .

١٤٨٤ - * روى الحاكم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : مشيت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى امرأة فذبحت لنا شاة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ليدخلن رجل من أهل الجنة » فدخل أبو بكر رضي الله عنه . ثم قال : « ليدخلن رجل من أهل الجنة » فدخل عمر رضي الله عنه ثم قال : « ليدخلن رجل من أهل الجنة اللهم إن شئت فاجعله علياً » قال : فدخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(١) البخاري (١٢ / ٤١٥) ٩١ - كتاب التعبير - ٣٠ - باب الاستراحة في المنام .

(٢) مسلم (٤ / ١٨٦١) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢ - باب من فضائل عمر .

١٤٨٣ - أورده الهيثمي في الجمع (٩ / ٥٠) وقال : رواه الطبراني في الصغير والأوسط من طرق ورجال أحدهما ثقات .

هاضها : هاض العظم هيضاً : كسره بعد ما كاد ينجر .

أحوذياً : المشتري في الأمور القاهر لها لا يشد عليه منها شيء . والسريع في كل ما أخذ فيه . والعالم بالأمر .

نسيج وحده : وحده بكر الدال ونسيج وحده إحدى ثلاث كلمات استثنيتها العرب لا تنصب فيها وحده .

١٤٨٤ - المستدرک (٣ / ١٣٦) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

١٤٨٥ - * روى أحمد والبخاري والطبراني عن علي قال : يا رسول الله من تَوَمَّرَ بعدك ؟ قال : « إن تَوَمَّروا أباً بكرٍ تجددوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة وإن تَوَمَّروا عمر تجددوه قوياً أميناً لا تأخذه في الله لومة لائم . وإن تَوَمَّروا علياً ولا أراكم فاعلين تجددوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الطريق المستقيم » .

قوله : « ولا أراكم فاعلين » أي أن تَوَمَّروا علياً بعد عمر ، وليس ذلك مطعناً في تأمير عثمان ، بل هو إشارة إلى أن الأمر يكون أكثر استقامة ، وقد تبين سر الحديث فيما بعد إذ حدثت الفتنة الكبرى في زمن عثمان والتي لا زال المسلمون يعانون من آثارها .

* * *

عطف : في المهاجرين والأنصار

١٤٨٦ - * روى أحمد والطبراني والحاكم عن جرير قال : قال النبي ﷺ : « الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَالطُّلُقَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْعَتَقَاءُ مِنْ ثَقِيفٍ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » .

١٤٨٧ - * روى البخاري عن غيلان بن جرير قال قلت لأنس : رأيت اسم الأنصار كنتم تسمون به أم سماك الله تعالى ؟ قال : بل سمانا الله . وكنا ندخل على أنس فيحدثنا بمناقب الأنصار ومشاهدهم ، ويَقْبَلُ عليّ أو على رجلٍ من الأزد فيقول : فعل قومك يوم كذا وكذا وكذا وكذا .

(فعل قومك يوم كذا وكذا وكذا) أي يجلي ما كان من مآثرهم في المغازي ونصر

١٤٨٥ - أورده الهيثبي في مجمع الزوائد (٥ / ١٧٦) وقال : رواه أحمد والبخاري والطبراني في الأوسط ورجال البزار ثقات .

١٤٨٦ - أحمد في مسنده (٤ / ٣٦٣) والطبراني (٢ / ٣٠٩ ، ٣٦٣) وقال الهيثبي في مجمع الزوائد (١٠ / ١٥) : رواه أحمد والطبراني وأحد أسانيد الطبراني رجاله رجال الصحيح وقد جوده رضي الله عنه فإنه رواه عن الأعشى عن موسى ابن عبد الله بن يزيد عن عبد الرحمن بن هلال العبسي عن جرير عن علي الصواب وقد وقع في السند عن موسى بن عبد الله بن هلال العبسي عن جرير والله أعلم ورواه الحاكم (٤ / ٨٠ - ٨١) وصححه ووافقه الذهبي .

١٤٨٧ - البخاري (٧ / ١١٠) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ١ - باب مناقب الأنصار .

الإسلام وقومك هم الأنصار - الأوس والخزرج - .

والأوس ينسبون إلى أوس بن حارثة ، والخزرج ينسبون إلى الخزرج بن حارثة ، وهما ابنا قيلة وهو اسم أمهم ، وأبوهم هو حارثة بن عمرو بن عامر الذي يجتمع إليه أنساب الأزد .

١٤٨٨ - * روى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله ﷺ : « الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق ، فمن أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله » .

١٤٨٩ - * روى البخاري ومسلم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « آية الإيمان حب الأنصار ، وآية المنافق بغض الأنصار » .

١٤٩٠ - * روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال : رأى النبي ﷺ النساء والصبيان مقبلين - قال : حسبت أنه قال من عرس - فقام النبي ﷺ ممثلاً فقال : « اللهم أنتم من أحب الناس إلي » قالها ثلاث مرار يعني الأنصار .

١٤٩١ - * روى البخاري ومسلم عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم اغفر للأنصار ، ولأبناء الأنصار ، ولأبناء أبناء الأنصار » زاد الترمذي (١) : « ولنساء الأنصار » .

ولمسلم (٢) عن أنس : « ولوالى الأنصار » .

١٤٨٨ - البخاري (١١٣ / ٧) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٤ - باب حب الأنصار من الإيمان .
ومسلم (١ / ٨٥) ١ - كتاب الإيمان وعلاصاته - ٣٣ - باب الدليل على أن حب الأنصار وعلى رضي الله عنهم من الإيمان .

١٤٨٩ - البخاري ومسلم في الموضعين السابقين .

فقام ممثلاً : أي انتصب قائماً .

١٤٩٠ - البخاري (١١٣ / ٧) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٥ - باب قول النبي ﷺ للأنصار أنتم أحب الناس إلي .

ومسلم (٤ / ١٩٤٨) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤٣ - باب من فضائل الأنصار .

١٤٩١ - البخاري (٨ / ٦٥٠) ٦٥ - كتاب التفسير - ٦٣ - سورة المنافقين ٦ - باب قوله : ﴿ هم الذي يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾ .

ومسلم (٤ / ١٩٤٨) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤٣ - باب من فضائل الأنصار .

(١) الترمذي (٥ / ٧١٣) ٥٠ - كتاب المناقب - ٦٦ - باب في فضل الأنصار وقریش ، وقال : هذا حديث صحيح .

(٢) مسلم في نفس الموضع السابق .

١٤٩٢ - * روى البخاري ومسلم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « أوصيكم بالأنصار فإنهم كَرِشِي وَعَيْبَتِي ، قد قَضَوْا الذي عليهم وبقي الذي لهم ، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن سيئهم » .

١٤٩٣ - * روى البخاري عن زيد بن أرقم قال : قالت الأنصار يانبي الله : لكل نبي أتباع وإنا قد اتبعناك فادع الله أن يجعل أتباعنا منا . فدعا به .

١٤٩٤ - * روى البخاري عن أنس قال : دعا النبي ﷺ الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين ، فقالوا : لا ، إلا أن تَقْطَعَ لإخواننا من المهاجرين مثلها . قال : « إما لا فاصبروا حتى تلقوني ، فإنه سَيُصِيبُكُمْ بعدي أثره » .

وفي رواية ^(١) : « حتى تلقوني على الحوض » .

١٤٩٥ - * روى البخاري عن قتادة قال : ما نعلم حيّاً من أحياء العرب أكثر شهيداً أغر يوم القيامة من الأنصار . قال قتادة : وحدثنا أنس بن مالك أنه قتل منهم يوم أُحُد سبعون ، ويوم بُرْمَعُونَ سبعون ، ويوم اليمامة سبعون . قال : وكان بُرْمَعُونَ على عهد رسول الله ﷺ ويوم اليمامة على عهد أبي بكر يوم مُسَيْلَمَةَ الكَذَّاب .

١٤٩٦ - * روى البخاري عن أبي أُسَيْدٍ رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « خير دُور الأنصار بنو النجار ، ثم بنو عبد الأشهل ، ثم بنو الحارث بن الخزرج ، ثم بنو

١٤٩٢ - البخاري (٧ / ١٢١) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ١١ - باب قول النبي ﷺ « اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن سيئهم » .

ومسلم (٤ / ١٩٤٩) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤٣ - باب من فضائل الأنصار .
كرشي وعييتي : أي خاصتي وموضع سري .

١٤٩٣ - البخاري (٧ / ١١٤) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٦ - باب أتباع الأنصار .

١٤٩٤ - البخاري (٧ / ١١٧) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٨ - باب قول النبي ﷺ للأنصار « اصبروا حتى تلقوني على الحوض » .

(١) للبخاري في نفس الموضع السابق .

١٤٩٥ - البخاري (٧ / ٣٧٤) ٦٤ - كتاب المغازي - ٢٦ - باب من قتل من المسلمين يوم أُحُد .

١٤٩٦ - البخاري (٧ / ١١٥) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٧ - باب فضل دور الأنصار .

ساعدة ، وفي كلِّ دورِ الأنصار خير» فقال سعد : ما أرى النبي ﷺ إلا قد فضَّلَ علينا ، فقيل : قد فضَّلَكُم على كثير . وقال عبدُ الصمد : حدَّثنا شُعبةٌ حدَّثنا قتادةٌ سمعت أنسًا قال أبو أسيدٍ عن النبي ﷺ بهذا وقال (سعدُ بن عبادة) .

١٤٩٧ - * روى البخاري عن أبي حميدٍ عن النبي ﷺ قال : « إن خيرَ دورِ الأنصار دارُ بني النجار ، ثم عبدُ الأشهل ، ثم دارُ بني الحارث ، ثم بني ساعدة ، وفي كلِّ دورِ الأنصار خيرٌ » فلحقنا سعد بن عبادة ، فقال أبا أسيدٍ : ألم تر أن نبيَّ الله ﷺ خيرَ الأنصارَ فجعلنا أخيراً ؟ فأدركَ سعدُ النبي ﷺ فقال : يارسولَ الله خيرَ دورِ الأنصارَ فجعلنا أخيراً ، فقال : « أو ليسَ بحسبِكُم أن تكونوا منَ الخيار ؟ » .

قال ابن حجر :

وهذا يعارض رواية مسلم : فإن فيها أن سعداً رجع عن إرادة مخاطبة النبي ﷺ في ذلك لما قال له ابن أخيه ، ويمكن الجمع بأنه رجع حينئذ عن قصد رسول الله ﷺ لذلك خاصة ثم إنه لما لقي رسول الله ﷺ في وقت آخر ذكر له ذلك ، أو الذي رجع عنه أنه أراد أن يورده مورد الإنكار والذي صدر منه ورد مورد المعاتبه المتلطفة ولهذا قال له ابن أخيه في الأول « أترد على رسول الله أمره » . قوله : « من الخيار » أي الأفاضل لأنهم بالنسبة إلى من دونهم أفضل ، وكان المفاضلة بينهم وقعت بحسب السبق إلى الإسلام ، وبحسب مساعيهم في إعلاء كلمة الله ، ونحو ذلك اهـ .

١٤٩٨ - * روى ابن ماجه عن أنس أن النبي ﷺ مرَّ ببعضِ المدينة ، فإذا هو بجوارٍ يضربن بدقهنَّ ويتغنَّين ويقلن :

نحن جوار من بني النجار يا حنذا محمد من جـار
فقال ﷺ : « الله يعلم إني لأحبكن » .

١٤٩٧ - البخاري في نفس الموضع السابق .

١٤٩٨ - ابن ماجه (١ / ٦١٢) ٩ - كتاب النكاح - ٢١ - باب الفناء والدف .

قال في الزوائد : إسناده صحيح وزجاله ثقات .

١٤٩٩ - * روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
« أَلَا إِنَّ عَيْبَتِي الَّتِي آوَى إِلَيْهَا : أَهْلُ بَيْتِي ، وَإِنْ كَرِهِي الْأَنْصَارُ فَاعْفُوا عَنْهُمْ » .

١٥٠٠ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال أبو القاسم ﷺ : « لَوْ أَنَّ الْأَنْصَارَ سَلَكَوا وَادِيًا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ فِي وَادِي الْأَنْصَارِ ، وَلَوْ لَا الْمِجْرَةَ لَكُنْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ » فقال أبو هريرة : مَا ظَلَمَ ، بِأَبِي وَأُمِّي ، آوَيْتُهُ وَنَصَرْتُهُ ، أَوْ كَلِمَةً أُخْرَى .

١٥٠١ - * روى أحمد عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك - وكان أبوه أحد الثلاثة الذين تيب عليهم - عن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه واستغفر للشهداء الذين قُتلوا بأحدٍ ثم قال : « إِنَّكُمْ يَامَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ تَزِيدُونَهُ وَإِنَّ الْأَنْصَارَ لَا يَزِيدُونَهُ وَإِنَّ الْأَنْصَارَ عَيْبَتِي الَّتِي آوَيْتُ إِلَيْهَا أَكْرَمُوا كَرِيمَهُمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مَسِيئَتِهِمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ » .

١٥٠٢ - * روى الطبراني عن أنس بن مالك قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال :
« أَلَا إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ تَرْكَةً وَصَنِيعَةً وَإِنْ تَرَكْتِي وَصَنِيعَتِي الْأَنْصَارُ فَاحْفَظُونِي فِيهِمْ » .

١٥٠٣ - * روى أحمد عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : « لَا يَبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » .

١٤٩٩ - الترمذي (٥ / ٧١٤) ٥ - كتاب المناقب - ٦٦ - باب في فضل الأنصار وقريش وقال : هذا حديث حسن .
١٥٠٠ - البخاري (٧ / ١١٢) ٦٢ - كتاب مناقب الأنصار - ٢ - باب قول النبي ﷺ « لَوْ لَا الْمِجْرَةَ لَكُنْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ » .

١٥٠١ - أحمد في مسنده (٥ / ٢٢٤)

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٢٥) : رجاله رجال الصحيح .

١٥٠٢ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٣٢) : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده جيد .

١٥٠٣ - أحمد في مسنده (٣ / ٤٥ ، ٩٣) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٢٩) : رواه أحمد بأسانيد ورجال أكثرها رجال الصحيح .

١٥٠٤ - * روى أحمد والبخاري والطبراني عن محمد ومحمود ابني جابر بن عبد الله قالا :
خرجنا يوم دخل حسن بن دلجة المدينة بعد الحرة بعام ، فدخل المدينة حتى ظهر المنبر
ففزع الناس فخرجنا بجابر في الحرة وقد ذهب بصره فنكبه الحجر فقال : أخاف الله من
أخاف رسول الله ﷺ فقالها مرتين أو ثلاثاً قبل أن نسأله فقلنا : يا ابتاه ومن أخاف رسول
الله ﷺ . فقال : أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أخاف الأنصار فقد أخاف
ما بين هذين » وفي رواية ووضعه يديه على جنبه .

١٥٠٥ - * روى أحمد والبخاري والطبراني عن أنس بن مالك قال : شق على الأنصار
النواضح ، فاجتمعوا عند النبي ﷺ يسألونه أن يكرري لهم نهراً سحاً ، فقال لهم رسول الله
ﷺ : « مرحباً بالأنصار ، مرحباً بالأنصار ، مرحباً بالأنصار ، لا تسألوني اليوم
شيئاً إلا أعطيتكموه ، ولا أسأل الله لكم شيئاً إلا أعطانيه » فقال بعضهم لبعض :
اغتنموها وسلوه المغفرة ، قالوا ، يا رسول الله ادع لنا بالمغفرة فقال : « اللهم اغفر للأنصار
ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار » وفي رواية : « ولأزواج الأنصار » .

١٥٠٦ - * روى البخاري والطبراني عن ابن عباس قال : عاد رسول الله ﷺ رجلاً من
الأنصار ، فلما دنا من منزله سمعه يتكلم في الداخل فلما استأذن عليه دخل فلم ير أحداً فقال
له رسول الله ﷺ : « سمعتك تكلم غيرك » فقال : يا رسول الله لقد دخلت الداخل اعتماً

١٥٠٤ - أحمد في مسنده (٣ / ٢٩٣) والبخاري : كشف الأستار (٢ / ٣٠٤) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٢٧) رواه الطبراني في الأوسط والبخاري ، وقال : من أخاف الأنصار ، ورجال
الأنصار رجال الصحيح غير طالب بن حبيب وهو ثقة ، وأحد بنحوه إلا أنه قال : من أخاف أهل المدينة ، ورجال
أحمد رجال الصحيح .

نكبه الحجر : أصابه وأدماه .

١٥٠٥ - أحمد (٣ / ١٣٩)

والبخاري (٣ / ٣٠٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٤٠) : رواه أحمد والبخاري بنحوه وقال : مرحباً بالأنصار
ثلاثاً ، والطبراني في الأوسط والصغير والكبير بنحوه ، وأحد أسانيد أحمد ورجالهم رجال الصحيح .
النواضح : إبل السقي .

يكرري لهم نهراً سحاً : أن يدعو الله لهم فيرزقهم نهراً غزيراً .

١٥٠٦ - البخاري : كشف الأستار (٣ / ٣٠٧) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٤١) : رواه البخاري والطبراني في الكبير
والأوسط وأسانيد حسنة .

من كلام الناس مما بي من الحمى فدخل علي رجل ما رأيت رجلاً بعدك أكرم مجلساً ولا أحسن حديثاً منه ، قال : « ذاك جبريل وإن منكم لرجالاً لو أن أحدهم أقسم على الله لأبره » .

١٥٠٧ - * روى البخاري عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قالت الأنصار يانبي الله ، لكل نبي أتباع ، وإننا قد أتبعناك ، فاذع الله أن يجعل أتباعنا منا ، فدعا به .

وفي رواية ^(١) : فقال النبي ﷺ : « اللهم اجعل أتباعهم منهم » .

قال عمرو بن مرة : فتميت ذلك إلى ابن أبي ليلى ، فقال : قد زعم ذلك زيد .

١٥٠٨ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها أن الطفيل بن عمرو الدوسي أتى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، هل لك في حصن حصين ومنعة ؟ (قال : حصن كان لدوس في الجاهلية) ، فأبى ذلك النبي ﷺ ، الذي دخر الله للأنصار ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، هاجر إليه الطفيل بن عمرو ، وهاجر معه رجل من قومه ، فاجتروا المدينة ، فمرض فجزع جزعاً شديداً ، فأخذ مشاقص ، فقطع بها براحمة ، فشخت يده حتى مات ، فرآه الطفيل بن عمرو في منامه في هيئة حسنة ، ورآه مغطياً يديه ، فقال له : ما صنع بك ربك ؟ فقال : غفر لي بهجرتي إلى نبيي ، فقال : مالي أراك مغطياً يديك ؟ قال : قيل لي : لن نصلح منك ما أفسدت ، فقصها الطفيل على رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم وليد يديه فاغفر » .

١٥٠٧ - البخاري (٧ / ١١٤) ٦٢ - كتاب مناقب الأنصار - ٦ - باب أتباع الأنصار .

أن يجعل أتباعنا منا : أن يكون لمواليهم ومن انتسب إليهم شرفهم وفضلهم .

نيت : نيت الحديث أفيه : إذا نقلته وحدثت به .

زعم : تأتي بلفظة أهل الحجاز بمعنى قال ولا يراه بها الطعن .

(١) البخاري في نفس الموضع السابق .

١٥٠٨ - مسلم (١ / ١٠٨) ١ - كتاب الإيمان - ٤٩ - باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر .

فاجتروا : الاجتواء : أن تستوخم المكان ولا يوافقك .

مشاقص : جمع مشقص ، وهو سهم له نصل عريض ، وقيل : طويل .

براحمه : البراجم : المقعد التي تكون في ظاهر الأصابع ، وهي رؤوس السلاميات .

شخت : تشخب : سالت ، بالخاء المعجمة .

قال النووي : في الحديث حجة لقاعدة عظيمة لأهل السنة أن من قتل نفسه أو ارتكب معصية غيرها ومات من غير توبة فليس بكافر ولا يقطع له بالنار بل هو في حكم المشيئة .
(هل لك في حصن حصين ومنعة) : أي ألا تهاجر إلى الين ديار قبيلتي دوس فنحملك من قومك . وكان الطفيل سيد دوس .

١٥٠٩ - * روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : خرج النبي ﷺ وعليه ملحفة متعطفاً بها على منكبيه ، وعليه عصابة دماء ، حتى جلس على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد ، أيها الناس ، فإن الناس يكثرُونَ ، وتَقِلُّ الأنصارُ ، حتى يكونوا كالملح في الطعام ، فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ أَمْرًا يَضُرُّ فِيهِ أَحَدًا أَوْ يَنْفَعُهُ ، فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، ويتجاوز عن مسيئتهم » .

وفي رواية ^(١) مثله ، وفيه : بلحفة وقد عصب رأسه بعصابة دماء ... وذكره ، وقال : « فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ شَيْئًا يَضُرُّ فِيهِ قَوْمًا ، وَيَنْفَعُ فِيهِ آخَرِينَ ، فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، ويتجاوز عن مسيئتهم » فكان آخر مجلسٍ جلس فيه النبي ﷺ .

١٥١٠ - * روى الترمذي عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ :
« لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار » .

وفي رواية ^(٢) عن النبي ﷺ : « لو سلك الناس وادياً أو شعباً لكنت مع الأنصار » .

١٥١١ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك . قال : خَرَجْتُ مَعَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ

١٥٠٩ - البخاري (٧ / ١٢١) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ١١ - باب قول النبي ﷺ « اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم » .

دماء : الدُّنَّة من الألوان : ما يضرب إلى السواد ، أراد : عصابة سوداء ، وقيل : أراد أنها قد اغبر لونها من التسخ .

(١) البخاري (٢ / ٤٠٤) ١١ - كتاب الجمعة - ٢٩ - باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد .

١٥١٠ - الترمذي (٥ / ٧١٢) ٥٠ - كتاب المناقب - ٦٦ - باب في فضل الأنصار وقريش .

(٢) الترمذي في نفس الموضع السابق وقال : هذا حديث حسن .

١٥١١ - البخاري (٦ / ٨٣) ٥٦ - كتاب الجهاد - ٧١ - باب فضل الخدمة في الغزو .

ومسلم (٤ / ١٩٥١) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤٥ - باب في حسن صحبة الأنصار .

الله البجلي في سفر. فَكَانَ يَخْدُمُنِي . فَقُلْتُ لَه : لَا تَفْعَلْ . فَقَالَ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ
الْأَنْصَارَ تَصْنَعُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا ، أَلَيْتُ أَنْ لَا أَصْحَبَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا خَدَمْتُهُ .

* * *

عطف : في أصحاب الصفة

١٥١٢ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ
الْصُّفَّةِ ، مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ ، إِمَّا إِزَارٌ ، وَإِمَّا كِسَاءٌ ، قَدْ رَبَطُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ ، فَهِيَ مَا
يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الْكَعْبَيْنِ ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ ، كَرَاهِيَةً أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ .

١٥١٣ - * روى الترمذي عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا
صَلَّى يَخِيرُ رَجُلًا مِنْ قَامَتِهِمْ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الْخِصَاصَةِ ، وَهُمْ أَصْحَابُ الصُّفَّةِ ، حَتَّى يَقُولَ
الْأَعْرَابُ : مَجَانِنٌ - أَوْ مَجَانُونٌ - فَإِذَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : « لَوْ
تَعْلَمُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ لَأَحْبَبْتُمْ أَنْ تَزْدَادُوا فَاقَةً وَحَاجَةً » . قَالَ فَضَالَةُ : وَأَنَا يَوْمَئِذٍ
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

١٥١٤ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إِنَّهُ أَصَابَهُمْ جُوعٌ ، فَأَعْطَاهُمْ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَمْرَةً تَمْرَةً .

* * *

فضائل الصحابة - ٤٥ - باب في حسن صفة الأنصار .

١٥١٢ - البخاري (١ / ٥٣٦) ٨ - كتاب الصلاة - ٥٨ - باب نوم الرجال في المسجد .

١٥١٣ - الترمذي (٤ / ٥٨٣) ٣٧ - كتاب الزهد - ٣٩ - باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ وقال : هذا حديث

صحيح .

الخصاصة : الحاجة والفقر إلى الشيء .

مَجَانُونٌ : المجنون ؛ جمعه جمع الصحة : مَجْنُونُونَ ، وجمع التكسير : مَجَانِينُ ، فَأَمَّا مَجَانُونٌ فَشَاذٌ .

١٥١٤ - الترمذي (٤ / ٦٤٦) ٢٨ - كتاب صفة القيامة - باب : ٢

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

الوصيل الثاني
في
خُلفائِهِ الرَّاشِدِينَ

المقدمة

الكلام عن خلفائه الراشدين عليه الصلاة والسلام كالكلام عنه من أكثر من حيثية :

أولاً : لأنهم يعتبرون امتداداً له عليه الصلاة والسلام .

ثانياً : لأننا مأمورون أن تقتدي بسنتهم وهداهم ، ومن ثم يأخذ الحديث عن يعتبرون خلفاء راشدين مسرى معيناً ، فكل ما فعله خليفة راشد يعتبر سابقة دستورية لهذه الأمة تستطيع أن تقتدي بها ، أما الحكماء الذين لم تسلم لهم الأمة أنهم خلفاء راشدون فأفعالهم وأقوالهم تخضع للبحث ، فإن كانوا من الصحابة دخلت أفعالهم وأقوالهم في حيز فعل الصحابي وقوله ، ما لم تكن نصوص الكتاب والسنة واضحة في هذا القول وفي هذا الفعل ، ومن سواهم تخضع أقوالهم وأفعالهم لتحصيل أئمة الاجتهاد والفتوى ، فما أجازوه منها جاز وما حرّموه منها حرم ، على أنهم إن كانوا مسلمين مؤمنين فلا أقوالهم وأفعالهم الجائزتين حكم الإلزام بالنسبة لمن ولّاهم الله عليهم إذا توافرت شروط معينة .

وعلى هذا فما لم تكن خلافة راشدة فالحكم الحقيقي للمجتهد ولأهل الفتوى ومن ههنا فسّر ابن عباس ﴿ وأولي الأمر منكم ﴾ في قوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ^(١) بأنهم العلماء الفقهاء .

والسنة النبوية تشير إلى بعض من يعتبرون خلفاء راشدين ففي حديث سفينة الحسن الصحيح : « الخلافة بعدي ثلاثون ثم تكون ملكاً عاصاً » ^(٢) وعلى هذا فالخلفاء الراشدون المعنيون بهذا الحديث هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن الذي دامت خلافته ستة أشهر رضي الله عن الجميع .

* * *

(١) النساء : ٥٩ .

(٢) رواه أحمد في مسنده (٥ / ٢٢٠ ، ٢٢١) .

وأبو داود (٤ / ٢١١) كتاب السنة ، باب في الخلفاء .

والترمذي (٤ / ٥٠٢) ٣٤ - كتاب الفتن - ٤٨ - باب ما جاء في الخلافة . وقال : هذا حديث حسن .

وقد اعتبر أهل العلم عمر بن عبد العزيز خليفة راشداً يقتدى به وليس من الصحابة بل هو تابعي ، ولذلك فلن نذكره ههنا ، وسيأتي كلام عنه في كتاب (الوجيز في التاريخ الإسلامي) إن شاء الله تعالى وهناك أمراء وسلاطين وخلفاء قاربوا أن يكونوا خلفاء راشدين ، والسنة الصحيحة تشير إلى أنّ الخلافة الراشدة ستعود مرة أخرى ، ونسأل الله أن يجعلنا من يحيونها ويمهدون لذلك .

* * *

ولقد قام بعض الصحابة بأكثر من محاولة لإعادة الخلافة الراشدة ، منها محاولة الحسين رضي الله عنه ، ومنها محاولة عبد الله بن الزبير ، ومنها محاولة عبد الله بن حنظلة وقد انتهت المحاولات كلها بآس كبيرة ضخمة ، فقد استشهد الحسين واستشهد ابن الزبير واستشهد ابن حنظلة وانتهكت حرمتا مكة والمدينة .

والحققون من العلماء يعتبرون عبد الله بن الزبير هو الخليفة الشرعي في مرحلة من حياته ، ولذلك فستحدث ههنا عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الله بن الزبير ، أما الحسن والحسين فقد مرّ حديث عنها في فصل سابق .

* * *

ومن كلام علماء أهل السنة والجماعة في الصحابة :

وخيرهم من ولي الخلافة وأمرهم في الفضل كالخليفة

أي وخير الصحابة من ولي الخلافة منهم ، والمقصود بذلك الخلفاء الراشدون الأربعة لأنّ تمة العشرة أفضل من غيرهم من الصحابة ، وترتيب الفضل بين الأربعة كترتيبهم في خلافتهم .

قال الشيخ الباجوري رحمه الله في شرحه لهذا البيت : والنفر هم الخلفاء الأربعة ، فلقد تولاهما أبو بكر الصديق رضي الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام ، وتولاهما عمر رضي الله عنه عشرة سنين وستة أشهر وثمانية أيام ، وتولاهما عثمان رضي الله عنه إحدى عشرة سنة

وأحد عشر شهراً وتسعة أيام ، وتولاها علي رضي الله عنه وكُرم وجهه أربع سنين وتسعة أشهر وسبعة أيام ، فالجموع تسعة وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة أيام ، وبأيام الحسن بن علي رضي الله عنهما تكل المدة التي قدرها النبي ﷺ ، كذا حرره السيوطي .

وأمرهم في الفضل كالخلافة : أي وشأن الخلفاء الأربعة في ترتيبهم في الفضل - بمعنى كثرة الثواب - على حسب ترتيبهم في الخلافة عند أهل السنة ، فأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم .

وقد قال السعد : على هذا وجدنا السلف والخلف ، وقال أبو منصور البغدادي من أكابر أئمة الشافعية : أجمع أهل السنة والجماعة على أن أفضل الصحابة أبو بكر فعمرو فعثمان فعلي ، فبقية العشرة المبشرة بالجنة ، فأهل بدر ، فباقي أهل أحد ، فباقي أهل بيعة الرضوان ، فباقي الصحابة رضي الله عنهم ، والظاهر أنه لو لم يكن لهم دليل على ذلك لما حكموا به . ا . هـ .

أبو بكر الصديق رضي الله عنه ^(١)

اسم أبي بكر رضي الله عنه ونسبه :

هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي ، كان يسمى في الجاهلية عبد الكعبة ، وقيل عبد اللات ، وقيل عبد العزى ، وقد سمّاه رسول الله ﷺ عبد الله . وكان يلقب بالعتيق لأن رسول الله ﷺ بشره بأن الله تعالى أعتقه من النار ، ولقب بالصديق لسبقه ومبادرته إلى تصديق رسول الله ﷺ في كل ما يقول ولا سيما صبيحة الإسراء .

مولده رضي الله عنه :

ولد أبو بكر رضي الله عنه في مكة بعد الفيل بعامين . ونشأ في مكة وشب فيها وكان محبوباً بين أقرانه ، أثيراً لديهم منذ نعومة أظفاره .

صفاته وسجاياه :

كان أبو بكر رضي الله عنه في الجاهلية من سراة قريش وأشرافها وأهل مشورتها وكانت تساق إليه الديات والمغارم التي يقوم بها من يتقرب بها إلى العشيرة ، لم يشرب الخمر التي كانت فاشية في الجاهلية ، وكان عالماً بأنساب العرب وأخبارها ، وكان تاجراً مرموقاً .

وهو رضي الله عنه أول من أسلم من الرجال ، وتحشّم من أجل ذلك المشقّات والأهوال ، وجنّد نفسه لخدمة دين الله عزّ وجلّ والدعوة إليه ، فأسلم على يديه خلق كثير ، منهم كبار الصحابة : عثمان بن عفان ، والزبير بن العوّام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم .

كان رضي الله عنه أحبّ أصحاب رسول الله ﷺ إلى رسول الله ، فقد كان رفيق صباه وصاحبه عندما اصطفاه الله للرسالة ، وبقي معه كظله لا ينفك عنه .

عرف أبو بكر رضي الله عنه بالشجاعة والإقدام والحزم في الخطوب ، شهد المشاهد كلّها

(١) شارك في تحضير مقدمة هذه الترجمة أحد الإخوة فجزاه الله خيراً .

مع رسول الله ﷺ وكان من النفر الذين ثبتوا يوم أحد وحنين فلم يمينوا ولم يفرّوا ، كان رضي الله عنه كريماً جواداً أنفق ماله كلّهُ في سبيل الله ، الزهد دثاره والتواضع شعاره ، وعرف بغزارة العلم وسعة الأفق وسداد الحجّة ، وصدق الفراسة ، ودقّة الفهم .

مبايعته بالخلافة :

انتقل الرسول ﷺ إلى جوار ربّه ولم يوص لأحد بالخلافة ، بل ترك الأمر شورى بين المسلمين يختارون من يرونه أهلاً لهذه المسؤولية الجسيمة ، وعلى أثر وفاته ﷺ اجتمع نفر من الأنصار في سقيفة بني ساعدة في المدينة ، وأرادوا أن يبايعوا سعد بن عبادَةَ سيد الخزرج خليفة للمسلمين فقد كره المسلمون أن يعيشوا دون إمام يجتمع عليه أمرهم ويستقيم به شأنهم ، وجرت مشادة بين نفر من الأنصار والمهاجرين حول هذا الأمر ، وحضر أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقام خطيباً في الحاضرين وبين بالحجّة والدليل أنّ هذا الأمر ، لا يستقيم إلاّ في قريش نظراً لمكانتها وشرفها ، وعرض الصديق على المسلمين في السقيفة أن يبايعوا عمر ابن الخطّاب ، أو أبا عبيدة بن الجراح . فقام عمر رضي الله عنه وبايع أبا بكر بالخلافة لسابقته وفضله فهو خير من طلعت عليه الشمس بعد النبيّين ، وثاني اثنين إذ هما في الغار ، وبأذل ماله في سبيل الله ، وأحبّ الصحابة إلى رسول الله ، وقد أمره أن يصلي بالناس أثناء مرضه ﷺ ، وبايع الأنصار أبا بكر كائناً دعاهم من السماء داع وغرب الخلاف مع غروب شمس ذلك اليوم ، وسمّيت هذه البيعة بالبيعة الخاصة وكانت البيعة العامة في المسجد في اليوم التالي ، وقد اتفق الصحابة رضي الله عنهم على بيعة الصديق .

أعماله رضي الله عنه أثناء فترة خلافته :

كانت خلافة أبي بكر رضي الله عنه حافلة بعظائم الأمور وجلائل الأعمال ، وقد كتب له القدر أن يتولّى أمور المسلمين استجابة لتبعات إيمانه ومسؤوليات دينه ليواجه أحداثاً جساماً ، وأموراً عظيماً :

أولاً : إنفاذ جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه لقتال الروم :

كان الرسول ﷺ قد جهّز جيشاً تحت إمرة أسامة بن زيد رضي الله عنهما وجهته الشام

لقتال الروم ، وعندما توفي الرسول ﷺ كان هذا الجيش يعسكر على بعد ثلاثة أميال من المدينة يتهيأ للسير ، وأرجأت وفاة الرسول ﷺ زحفه ، وتباينت الآراء واختلفت وجهات النظر بشأنه .

فقد رأى فريق من الصحابة فيهم عمر بن الخطاب أن إنفاذ جيش أسامة ينطوي على مخاطرة رهيبة ومغامرة عجيبة ، لأن المدينة المنورة عاصمة الإسلام مهددة بغزو المرتدين فالمسلمون يحتاجون لهذا الجيش في قمع الردة واستئصال شأفة المرتدين ، فقد ارتد كثير من العرب بعد وفاة الرسول ﷺ وخالطت الردة كل مكان تقريباً سوى مكة والمدينة والطائف وجوازي - وهي مدينة قرب الهفوف الآن في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية - وغدا الخطر الماحق يهدد مستقبل الدعوة الإسلامية ومصيرها وكان أسامة بن زيد قائد الجيش من أنصار هذا الرأي ومؤيديه .

ورأى الخليفة رضي الله عنه إنفاذ هذا الجيش ، لأن خروجه في ذلك الوقت من أكبر المصالح وقال رضي الله عنه : (والله لا أحلّ عقدة عقدها رسول الله ﷺ ، ولو أن الطير تخطفنا ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأنفذت جيش أسامة) .

فقد رأى الصديق ببصيرته النفاذة ، وفراسته الصادقة ، وعقله الراجح أن المصلحة كل المصلحة في بعث جيش أسامة ، لما في ذلك من إظهار قوة المسلمين ومنعتهم ، فقد عادت كثير من القبائل التي مر بها هذا الجيش وهو في طريقه إلى الشام إلى صوابها ورشدها ، وقالت : لو كانت المدينة تعاني من الضعف والوهن والخلاف لما أرسل هذا الجيش لقتال الروم ، لقد ثبت هذا الجيش كثيراً من القبائل التي كانت فتنة الردة توشك أن تتسلل إليها ، وأظهر قوة المسلمين العسكرية في هذا الوقت العصيب ، وعاد جيش أسامة من غزوته تلك سالماً غانماً منصوراً ، وقد رأى أبو بكر رضي الله عنه أن قضية بعث جيش أسامة ليست مما يعرض للشورى بعد أن أعطى الرسول أمره والشورى لا تكون فيما ورد فيه الأمر من رسول الله ﷺ فقال : ما كنت لأرد قضاء قضاء رسول الله ﷺ .

وقد رأى بعض المسلمين أن يكون على الجيش قائد غير أسامة لأنه كان صغير السن ، غض الإهاب ، قليل الخبرة ، ضئيل التجربة وفي الجيش سادات الصحابة وأجلاؤهم ، ولكن

أبا بكر رضي الله عنه أبى أشدّ الإباء أن يخلع رجلاً ولّاه الرسول وهو حي فقال : أيوليه الرسول وتأمري بعزله .

ثانياً : قتال المرتدين :

وقد استشرت الردة بعد وفاة الرسول ﷺ ونجم النفاق ، وأشرأبت اليهودية والنصرانية وانشقّت الأرض عن أنبياء كذبة ، وحاقدين موتورين متربّصين سحروا أعين الناس واسترهبوهم وقادوهم ببراعة الإفك المبين .

فقد وقف طليحة الأسدي يعلن نبوة كاذبة وآزره كثير من قبائل أسد وغطفان وطيء وعبس وذبيان وامتدّ سعار الردة إلى بني عامر ، وهوازن ، وتأجّجت نار الردة وأوارها في بني تميم إذ جاءت لهم سجاح تعلن نبوتها الكاذبة ، ونجم مسيلمة الكذاب في اليمامة وأصبح المسلمون يواجهون جيوشاً جرّارة كثيرة العدد والعُدّة ، قوامها عشرات الآلاف من المقاتلين ، وسرت عدوى الردة إلى البحرين وعمّان ومهّرة اليمن وغدا الإسلام في خطر داهم .

وثبت أهل مكّة والمدينة والطائف على إسلامهم ولم تؤثر فيهم تلك الفتنة العمياء التي رفعت رأسها في شبه جزيرة العرب .

لقد دفعت العصبية العمياء ، وشهوة الاستعلاء بعض القبائل العربية إلى انتحال النبوة فتنّبوا رجال قبل وفاة النبي ﷺ وبعدها .

قتال مسيلمة الكذاب : (معركة اليمامة في شهر ربيع الأول سنة ١٢ هـ) :

لقد كان مسيلمة الكذاب أشدّ المرتدين خطراً ، وقد انضمّ إليه الرّحال بن عَنفُوّة بن نهشل وهو من أكبر من أضل أهل اليمامة ، فقد كان وفد إلى النبي ﷺ وقرأ سورة البقرة ، وجاء زمن الردة إلى أبي بكر فبعثه إلى أهل اليمامة يدعّوهم إلى الله ويثبتهم على الإسلام فارتدّ مع مسيلمة وشهد له بالنبوة ، ومما تجدر الإشارة إليه أنّ مسيلمة الكذاب قد اتصل بسجاح التميمية التي ادعت النبوة وتزوّجها فانضمّت بأتباعها إليه . وقد زعم مسيلمة أنّه نبي مرسل وأنّه أشرك مع النبي ﷺ وأرسل إلى النبي يطلب منه أن يشركه في النبوة فكتب إليه الرسول ﷺ : من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، سلام على من أتبع الهدى أمّا

بعد فإنَّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده

وبعد وفاة الرسول ﷺ أشخص الصديق رضي الله عنه عكرمة بن أبي جهل لقتال مسيلة وقفى على آثاره بشرحبيل بن حسنة فعمَّجَل عكرمة بقاء مسيلة قبل مجيء شرحبيل فنكب ، فأرسل الصديق خالد بن الوليد على رأس جيش رده لعكرمة على مقدّمته شرحبيل ابن حسنة ، فلما سمع مسيلة بقدوم خالد حشد أهل اليمامة ، ودار قتال ضار لم يعهد له مثل ، وصبر الصحابة وصابروا وأعملوا السيوف في رقاب المرتدين يحصدونهم حصداً ، حتّى ألجأهم إلى حديقة الموت وانقضّ البراء بن مالك على الباب كالصاعقة بعد أن احتمله الصحابة بالرمح فوق الجحف - أي التروس - وألقوه من فوق سورها وفتح الباب ، وحلّت بالمرتدين قاصمة الظهور ، وخرّ مسيلة صريعاً يخور كما يخور الثور بعد أن طعنه وحشي بالحربة ، وعلاه سِمَاك بن خرّشة بالسيف ففلق رأسه . ويروى أن الذي قتله عبد الله بن زيد بن عاصم ، وقتل في المعركة عشرة آلاف من المرتدين ، وقضى نحبه من المسلمين خمسمائة فيهم عدد كبير من سادات الصحابة وأعيان الناس ، فمن سادات الصحابة الذين شرفهم الله بالشهادة : ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي ﷺ وحامل لواء الأنصار ، وضربة بن أبي وهب وولده عبد الرحمن ، وهب وزيد بن الخطّاب حامل لواء المهاجرين ، وأبو دجانة سِمَاك بن خرّشة الذي علا مسيلة بالسيف بعد أن رماه وحشي بالحربة ، وشجاع بن وهب والطفيل بن عمرو بن طريف ، وعباد بن بشر بن وقش الأنصاري ، وسالم مولى أبي حذيفة .

وهكذا قضى المسلمون على فتنة عاصفة مدمرة رفعت رأسها في شبه جزيرة العرب .

قتال طليحة الأسدي :

ارتدّ طليحة الأسدي في حياة النبي ﷺ وتابعه بنو أسد وطيء وخلق كثير ، فلما مات رسول الله ﷺ قام بمؤازرته عيينة بن حصن بن بدر ، وقد سيّر الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد لقتال طليحة وانضمّ إليه مائة وخمسون فارساً من طيء وجديلة بعد أن رجعوا إلى رشد ووصابهم بعد إقناع عدي بن حاتم لهم بذلك ، والتقى خالد بطليحة في مكان يقال له بَرَآخَة ودارت الدائرة على طليحة للتثبيء الكذاب وأشياعه فأخذوا وقتلوا

تقتيلاً ، وأسر عيينة بن حصن وكان رداءً لطليحة في سبعمائة من بني قَزَّارة واقتيد إلى المدينة يدها مغلولتان إلى عنقه فاستتابه الصديق وعفا عنه وحسن إسلامه ، وأما طليحة فقد هرب بامرأته إلى الشام ونزل على بني كلب ، ولكنّه رجع إلى الإسلام بعد ذلك ، واعتمر أيام الصديق واستحيا أن يواجهه .

اجتمعت فلول المنهزمين يوم بُزَاخة إلى امرأة من سيّدات العرب يقال لها أم زَمِيل كانت مضرب المثل لكثرة أولادها وعزّة قبيلتها وشايعها أخلاط من بني سُلَيْم وطِيء وهَوَازِن وأسد فاستفحل أمرها ، فسار إليهم خالد بن الوليد وقتلهم واستمرّ القتل في أتباع أم زمل وعقر جملها وقتلت .

ارتداد أهل البحرين وعودتهم إلى الإسلام :

ارتدّ أهل البحرين على أدبارهم بعد وفاة ملكهم المنذر بن ساوي ، ولم يبق في البحرين بلدة على الإسلام سوى قرية يقال لها جواثا ، وأحاط الحُطَم بن ضَبِيعَة ومن حطّب في حيلة من بني بكر بالمسلمين وحاصروهم ، فأرسل الصديق العلاء بن الحضرمي لقتل المرتدين ، وكان العلاء من سادات الصحابة العلماء العبّاد محاب الدعوة ، ولما دنا من البحرين انضمّ إليه ثُمَامَة بن أُنَـال في محفل كبير ، ونزل العلاء بالقرب من جيوش المرتدين ، ولما كان الليل آنس منهم غرة وعلم عن طريق عيونه أنّ القوم سكارى فباغتهم وأعمل السيف في رقابهم واستولى على جميع أموالهم ومخاضيلهم وأثقالهم وقتل الحُطَم بن ضبيعة زعيم المرتدين وعادت البحرين إلى حوزة الإسلام من جديد ، وكلمة البحرين كانت تطلق قديماً على قطر والكويت وجزر البحرين والمنطقة الشرقية من السعودية في عصرنا .

ردة أهل عمان ومهرة اليمن :

ارتدّ أهل عمان ومهرة اليمن على أدبارهم وخلعوا ربقة الإسلام من أعناقهم ، فقد نجم في عُمان لقيط بن مالك الأزدي - ذو التاج - فادّعى النبوة ، وتابعه الجهلة من أهل عُمان ، فدانت له عُمان وألجأ عمال الخليفة إلى أطرافها .

أرسل الصديق رضي الله عنه أميرين هما حذيفة بن مِحْصَن الجُمَيْرِي ، وعُزْفجة الباريقي

من الأزد ولحق بها عكرمة بن أبي جهل بأمر من الصديق ، والتقى المسلمون بالمرتدين ، وكان قتال شديد ضار ، وابتلي المسلمون وكادوا أن يولّوا مدبرين لولا أن الله منّ عليهم بالمدد في الساعة الحاسمة من بني ناجية وعبد القيس فكان النصر المبين ، وفرّ المرتدون لا يلوون على شيء ، وقتل منهم عشرة آلاف مقاتل ، وغنم المسلمون الذراري والأموال .

ومضى المسلمون نحو مهرة الين بقيادة عكرمة وكان فيها أميران المصباح الحاربي وشخريت ، وقد دبّت بينهما عقارب العداوة والشحناء فاستال عكرمة شخريتا فانضمّ إليه وأصرّ المصباح على عناده وطغيانه مغترّاً بكثرة عدده وعدده ، فهزمه المسلمون شرّ هزيمة وقتل خلق كثير من قومه وغنم المسلمون أموالهم .

لقد كانت فتنة الردة ضخمة ، وكان أبو بكر لها بالمرصاد ، قطع دابرها ، وطهر الأرض من أرجاسها وأدناسها ، ووطّد دعائم الدولة الإسلامية وواجهها بالحزم والعزم والثبات ، وقد عقد الألوية لأحد عشر قائداً في وقت واحد :

١ - خالد بن الوليد ووجهته طليحة بن خويلد فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة في البطاح .

٢ - عكرمة بن أبي جهل وأمره بمسيمة .

٣ - المهاجر بن أبي أمية : الين .

٤ - عمرو بن العاص ووجهته قضاة ووديعة والحارث .

٥ - سعيد بن العاص ووجهته مشارف الشام .

٦ - حذيفة بن محصن الغلفائي وأمره بأهل دثّا.بعمان .

٧ - عرفة بن هرة ووجهته مهرة الين .

٨ - ثرجبيل بن حسنة ، بعثه الصديق في إثر عكرمة لقتال مسيمة الكذاب ، وأمره باللاحق بعمرو بن العاص عند الفراغ من قتال مسيمة .

٩ - طرفة بن حاجر ووجهته بنو سليم ومن معهم من هوازن .

١٠ - سويد بن مقرن ووجهته تهامة الين .

١١ - العلاء بن الحضرمي ووجهته تهامة البحرين .

وعادت هذه الجيوش ظافرة منصوره ، بعد أن هزمت المرتدين وأخضعتهم ، ومما تجدر الإشارة إليه أنّ هؤلاء المرتدين قد أقرّوا بالصلاة وامتنعوا عن أداء الزكاة ومنهم من امتنع عن دفعها إلى الصديق رضي الله عنه محتجاً بالآية الكريمة :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ (١) .

وقالوا لن ندفع زكّاتنا إلّا لمن صلاته سكن لنا .

وقد رأى فريق من الصحابة أن يذر الصديق المرتدين وما هم عليه من الامتناع عن دفع الزكاة ويتألفهم حتّى يتعمّق الإيمان في قلوبهم ثمّ هم يزكّون بعد ذلك ، ولكنّ الصديق رضي الله عنه أبى أشدّ الإباء وقال : والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدّونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعه . إنّ الزكاة حقّ المال والله لأقاتلنّ من فرق بين الصلاة والزكاة .

ثالثاً : الفتوح :

وجّه الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد بعد الفراغ من اليمامة إلى العراق ، وأن يدعو أهلها إلى الله عز وجل فإن أبوا أخذ منهم الجزية فإن امتنعوا عن ذلك قاتلهم ، وشرع الصديق رضي الله عنه في تجهيز السرايا والبعوث والجيوش إمداداً لخالد رضي الله عنه .

سار خالد رضي الله عنه حتّى نزل ببعض قرى السواد (باتقيا وباروسا) فصالحه أهلها ، ثمّ نزل الحيرة فصالح أهلها على الجزية ثمّ مضى خالد إلى الأبله وهي من أمنع حصون فارس وأشدها شوكة وكانت معركة ذات السلاسل ، فهزم المسلمون الفرس شر هزيمة واستخوذوا على

(١) التوبة : ١٠٣ .

أمتعتهم وأسلحتهم فبلغت وقر ألف بعير ، وقتل هرمز قائد الفرس فيها ، وسميت هذه الغزوة ذات السلاسل لكثرة من سلسل بها من فرسان فارس كيلا يفرّوا ، وهزم خالد الفرس في وقعة المذار في صفر في السنة الثانية عشرة للهجرة وأعمل السيف في رقابهم وغنم الأموال وسبي الذراري ، ثم كانت وقعة الوجبة ووقعة أليس في صفر في السنة نفسها وقد دارت فيها الدائرة على الفرس ومن شايعهم من بكر بن وائل من نصارى العرب ، وقد قتل المسلمون في وقعة أليس وحدها من الفرس ما يربو على سبعين ألفاً ، واستحوذ المسلمون على الحيرة وصالح خالد أهلها على الجزية كما تقدّم .

ثم ركب إلى الأنبار وفتحها وصالح أهلها ، وسميت هذه الغزوة ذات العيون لكثرة ما فقه المسلمون فيها من عيون الفرس لما رشقوهم بالنبال ، ولما استقلّ خالد بالأنبار استناب عليها الزبرقان بن بدر وقصد عين التمر وبها يومئذ مهرا بن بهرام في جمع عظيم من العرب ، وحولهم من الأعراب طوائف من النمر وتغلب وإياد عليهم عقّة بن أبي عقّة ، فأسر خالد عقّة فانهزم جيشه وهرب مهرا بن بهرام ، وضرب خالد عنق عقّة ومن أسر معه وغنم الحصن وقتل من فيه وسبي الذراري ونقل الأموال .

ولما فرغ خالد من عين التمر قصد إلى دومة الجندل ، فلما سمع أهلها بمسيرة خالد إليهم ، بعثوا إلى أحزابهم من بهراء وتنوخ والضجاعم والتقى بهم خالد فهزمهم ، وقتل منهم خلقاً كثيراً واقتحم الحصن وقتل من فيه من المقاتلة وغنم أموالهم وسبي ذراريهم .

ثم سار خالد ومن معه إلى الفراض - وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة - ، فأقام هناك شهر رمضان مفطراً لشغله بالأعداء ، ولما علم الروم بقرب خالد من بلادهم جمعوا جموعاً كثيرة واستمدوا تغلب وإياد والتمر ، وعبروا نهر الفرات لمناجزة المسلمين فهزم الله جموع الروم وقتل منهم في هذه المعركة مائة ألف وقفل المسلمون منصورين غانمين .

فتوح الشام في خلافة أبي بكر رضي الله عنه :

جمع الصديق رضي الله عنه الناس لغزو الشام ، وعقد اللواء لأربعة من الأمراء هم :

١ - أبو عبيدة بن الجراح ووجهته حمص ، ومركز القيادة الجابية ، في حوران .

٢ - يزيد بن أبي سفيان ، وجعل وجهته دمشق .

٣ - عمرو بن العاص ، وجعل وجهته فلسطين .

٤ - شرحبيل بن حسنة ووجهته وادي الأردن .

وأمر الصديق كل أمير أن يسلك طريقاً غير طريق الآخر لما في ذلك من المصالح . وجعل الصديق رضي الله عنه يمدّم بالجيش ، وأمرهم أن يعاون بعضهم بعضاً وأن يكونوا جميعاً تحت إمرة أبي عبيدة ، وخرج عمرو بن العاص حتى نزل العرما من أرض الشام . ونزل يزيد بن أبي سفيان اللقاء . ونزل شرحبيل بن حسنة بالأردن ونزل أبو عبيدة بالحجازية .

وقعة اليرموك :

لما توجهت جيوش المسلمين نحو الشام أفزع ذلك الروم ، وخافوا خوفاً شديداً وكتبوا إلى هرقل يعلمونه بالأمر ، فأمر هرقل بخروج الجيوش الرومية ليكون في مقابلة كل أمير من المسلمين جيش عرمرم جرّار ، فكتب الأمراء إلى الصديق يعلمونه بما وقع من الأمر ، فكتب إليهم أن يجتمعوا ويكونوا جنداً واحداً للقاء جنود الروم ، وكتب الصديق إلى خالد بن الوليد أن يستنيب على العراق وأن يقفل بمن جاء معه إلى العراق من اليمامة والحجاز إلى الشام لمساعدة المسلمين وأن يكون الأمير عليهم ، فاستناب خالد المثني بن حارثة على العراق وسار في تسعة آلاف وخمسمائة يجتاب البراري والقفار ، ترفعه نجاد ، وتحطّه وهاد حتى وصل في خمسة أيّام فخرج على الروم من ناحية تدمر ، فصالحه أهلها ، وخرج من شرقي دمشق ، وسار حتى وصل إلى قناة بصرى فوجد الصحابة يحاربون أهلها ، فصالحه صاحبها وسلّمها لخالد فكانت أوّل مدينة فتحت من الشام .

وقد نزلت الروم في الواقصة فيما بين دير أيّوب واليرموك ، ونزل المسلمون من وراء النهر من الجانب الآخر وأذرعات (درعاً) خلفهم ليصل إليهم المدد من المدينة ، وتكامل جيش الروم أربعين ومائتي ألف ، وتكامل جيش المسلمين ستة وثلاثين ألفاً إلى الأربعين ، وكانت الروم تحت إمرة باهان وهو قائد أرمني عرف فيه هرقل الشجاعة والإقدام ، ورتّب

خالد الجيش في كراديس وجعل آبا عبيدة في القلب ، وعمر بن العاص على المينة ، ويزيد ابن أبي سفيان على الميسرة ، ودارت رحى حرب ضروس ، وأبلى المسلمون بلاءً حسناً ، وهُزِمَ الروم هزيمة منكرة ، وهوى من الروم مائة وعشرون ألفاً في وادي اليرموك ، وشاركت النساء المسلمات في المعركة لصد هجمات الروم بعد أن اضطر المسلمون إلى التقهقر عدّة مرات ، وكنّ يعدن المنهزمين من المسلمين إلى حومة الوغى يلقين في قلوبهنّ الشجاعة والحمة .

وكان نصر المسلمين في اليرموك مؤزراً مبيناً ، وبينما كان المسلمون يقاتلون الروم جاء البريد من الحجاز ، فدفع إلى خالد وفيه وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، واستخلاف عمر الفاروق رضي الله عنه واستنابة أبي عبيدة على الجيوش في اليرموك ، فكتب خالد الأمر لثلاث يحصل وهن وضعف في نفوس المسلمين ، وقد عزى خالد المسلمين بوفاة الصديق وسلّم قيادة الجيش لأبي عبيدة بن الجراح وغداً جندياً يقاتل تحت إمرته حرصاً على وحدة المسلمين وقوتهم حتّى يستمروا في مسيرتهم الجهادية المظفّرة المباركة . وشرع أبو عبيدة رضي الله عنه في جمع الغنية وتخميمها ، وبعث بالفتح والخمس إلى الحجاز وسار نحو دمشق حتّى نزل مرج الصفر ، فأقام أبو عبيدة حتّى جاءه كتاب الفاروق يأمره بفتحها .

ومّا تجدد الإشارة إليه أنّ معركة حامية الوطيس دارت بين المسلمين والفرس في العراق بعد رحيل خالد إلى الشام ، فقد اغتتم الفرس غيبة خالد فبعثوا إلى نائبه المثني بن حارثة جيشاً عرمرماً نحواً من عشرة آلاف مقاتل عليهم هرمز بن جاذويه ، فسار المثني إلى بابل والتقى بالفرس بمكان عند العراق الأول ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فأرسل الفرس فيلاً ليفرق خيل المسلمين ، فحمل عليه المثني فقتله واستمرّ القتل في الفرس ، ودارت عليهم الدائرة ، وفروا حتّى انتهوا إلى المدائن ، وغنم المسلمون منهم مالا عظيماً . وقد أوصى الصديق وهو على فراش المرض عمر بن الخطاب أن يندب الناس لقتال أهل العراق مع المثني وأن يرّد أصحاب خالد إلى العراق بعد فتح الشام لأنهم أعلم بحربه .

قال ابن كثير في البداية والنهاية : كانت وفاة الصديق رضي الله عنه في يوم الإثنين عشية ، وقيل بعد المغرب ودفن من ليلته وذلك لثمان بقين من جادى الآخرة سنة ثلاث

عشرة بعد مرض خمسة عشر يوماً ، وكان عمر بن الخطاب يصلي عنه فيها بالمسلمين ، وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب ، وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان ، وقرأ على المسلمين فأقرأوا به وسمعوا له وأطاعوا ، فكانت خلافة الصديق سنتين وثلاثة أشهر ، وكان عمره يوم توفي ثلاثاً وستين سنة ، للسن الذي توفي فيه رسول الله ﷺ ، وقد جمع الله بينهما في التربة ، كما جمع بينهما في الحياة ، فرضي الله عنه وأرضاه . اهـ .

وقد ترجم ابن حجر في الإصابة ترجمة مختصرة وما قاله في ترجمته :

صحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة وسبق إلى الإيمان به واستمر معه طول إقامته بمكة ، ورافقه في الهجرة وفي الغار وفي المشاهد كلها إلى أن مات ، وكانت الراية معه يوم تبوك ، وحج في الناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنة تسع ، واستقر خليفة في الأرض بعده ولقبه المسلمون خليفة رسول الله ، وقد أسلم أبوه ، وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروى عنه عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عمر وابن عمرو وابن عباس وحذيفة وزيد بن ثابت وعقبة بن عامر ومعاقل بن يسار وأنس وأبو هريرة وأبو أمامة وأبو برة وأبو موسى وابنتاه عائشة وأسما وغيرهم من الصحابة . وروى عنه من كبار التابعين الصنابحي ومرة بن شراحيل الطبيب وواسط البجلي وقيس بن أبي حازم وسويد بن غفلة وآخرون .

وفي المعرفة لابن منده : كان أبيض نحيفاً خفيف العارضين معروق الوجه ناتيء الجبهة يخضب بالحناء والكتم .

وقال ابن إسحاق : كان أنسب العرب ، وقال البجلي : كان أعلم قريش بأنسابها ، وقال ابن إسحاق في السيرة الكبرى : كان أبو بكر رجلاً مؤلفاً لقومه محبباً سهلاً وكان أنسب قريش لقريش وأعلمهم بما كان منها من خير أو شر ، وكان تاجراً ذا خلق ومعروف وكانوا يألفونه لعلمه وتجاربه وحسن مجالسته فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به فأسلم على يديه عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ...

وأخرج أبو داود في الزهد بسند صحيح عن هشام بن عروة أخبرني أبي قال : أسلم أبو بكر وله أربعون ألف درهم قال عروة وأخبرتني عائشة أنه مات وما ترك ديناراً ولا

درهماً . وقال يعقوب بن سفيان في تاريخه حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا هشام عن أبيه أسلم أبو بكر وله أربعون ألفاً فأنفقها في سبيل الله وأعتق سبعة كلهم يعذب في الله أعتق بلالاً وعامر بن قُهيرة وزَيْبِرَه والنهدية وابنتها وجارية بني المؤمل وأم عُبَيْس .

ومناقب أبي بكر رضي الله عنه كثيرة جداً ، وقد أفردته جماعة بالتصنيف وترجمته في تاريخ ابن عساكر قدر مجلد ، ومن أعظم مناقبه قول الله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴾ ^(١) فإن المراد بصاحبه أبو بكر بلا نزاع .

وثبت في الصحيحين من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي بكر وهما في الغار : « ما ظنك باثنين الله ثالثهما » والأحاديث في كونه كان معه في الغار كثيرة شهيرة ولم يشركه في هذه المنقبة غيره ، وعند أحمد من طريق شهر بن حوشب عن أبي تميم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي بكر وعمر : « لو اجتمعنا في مشورة ماخلفتكما » وأخرج الطبراني من طريق الوضين بن عطاء عن قتادة بن نسي عن عبد الرحمن بن تميم عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أراد أن يرسل معاذاً إلى اليمن استشار فقال : كل برأيه فقال : إن الله يكره فوق سائه أن يخطأ أبو بكر ، وعند أبي يعلى من طريق أبي صالح الحلي عن علي قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر ولأبي بكر : مع أحداً جبرائيل ومع الآخر ميكائيل وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ، وفي الصحيح عن عمرو بن العاص قلت : يا رسول الله أي الناس أحب إليك ؟ قال : « عائشة » قلت من الرجال ؟ قال : « أبوها » قلت : ثم من ؟ فذكر رجالاً ، وأخرج الترمذي والبخاري والبغوي والبيهقي عن أبي سعيد الأشج عن عقبة بن خالد عن شعبة الجريري عن أبي نصر عن أبي سعيد الخدري قال : قال أبو بكر في السقيفة ألسنت أول من أسلم ؟ ألسنت أحق بهذا الأمر ؟ ألسنت كذا ألسنت كذا ؟ رجاله ثقات .

وأخرج البخاري بسند جيد عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن عبد الله بن جعفر

قال : ولينا أبو بكر - فخير خليفة أرحم بنا وأحناء علينا وقال إبراهيم النخعي : كان يسمى الأواه لرأفته .

ومن أعظم مناقب أبي بكر أن ابن الدغنة سيد القارة لما رد إليه جواره بمكة وصفه بنظير ما وصفت به خديجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما بعث فتواردا فيها على نعت واحد من غير أن يتواطأ على ذلك وهذا غاية في مدحه لأن صفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم منذ نشأ كانت أكمل الصفات . ا . هـ .

١٥١٥ - * روى الطبراني عن عروة بن الزبير قال : أبو بكر الصديق اسمه عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن لؤي ، شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ ، وأم أبي بكر أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ، وأم أم الخير دلاف وهي أمة بنت عبيد ابن الناقذ الخزاعي ، وجدة أبي بكر أم أبي قحافة أمينة بنت عبد العزى بن حريش بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب .

١٥١٦ - * روى الطبراني عن الليث بن سعد قال : إنما سمي أبو بكر عتيقاً لعتاقه وجهه وكان اسمه عبد الله بن عثمان .

١٥١٧ - * روى الطبراني عن أبي حفص عمرو بن علي أنه كان يقول : كان أبو بكر معروق الوجه ، وإنما سمي عتيقاً لعتاقه وجهه وكان اسمه عبد الله بن عثمان ، وقد روي أن رسول الله ﷺ سمّاه عتيقاً من النار .

١٥١٥ - المعجم الكبير (١ / ٥١) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٤٠) وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن . وفي الفتح (٧ / ٩) سلمى بنت صخر بن مالك بن عامر إلخ وأما أن إسناده حسن فلا لأن ابن لميعة ضعيف في رواية غير العبادلة عنه وهذه الرواية ليست من رواية العبادلة عنه وهم عبد الله بن المبارك وعبد الله بن وهب وعبد الله بن يزيد المقرئ فالسند ضعيف . ويستكرر هذا الإسناد كثيراً .

١٥١٦ - المعجم الكبير (١ / ٥٢) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٤١) : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٥١٧ - المعجم الكبير (١ / ٥٣) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٤١) : رواه الطبراني وإسناده جيد حسن . لعتاقه وجهه : لجماله .

١٥١٨ - * روى الطبراني عن حكيم بن سعد قال : سمعت علياً يخلف : الله أنزل اسم أبي بكرٍ من السماء الصديق .

١٥١٩ - * روى البزار والطبراني عن عبد الله بن الزبير أن النبي ﷺ نظرَ إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال : « هذا عتيقُ الله من النار » فمن يومئذ سمي عتيقاً ، وكان قبل ذلك اسمه عبد الله بن عثمان .

١٥٢٠ - * روى أحمد والترمذي عن زَيْد بن أَرْقَمَ رضي الله عنه قال : أولُ من أسلمَ علي . قال عمرُ بنُ مَرَّة : فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ ، فَأَنْكَرَهُ ، وَقَالَ : أولُ من أسلمَ أبو بكرٍ الصديق .

ولا وجه للإنكار ، فإن أبا بكر أول من أسلم من الرجال ، وإن علياً أول من أسلم من الصبيان .

١٥٢١ - * روى الطبراني عن معاوية قال : دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلِيٍّ أَبِي بَكْرٍ الصَّديقِ فَرَأَيْتُ أَشْمَاءَ قَائِمَةً عَلَى رَأْسِهِ يَبْضَاءُ ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ أُبَيضَ حَيْفًا ، فَحَمَلَنِي وَأَبِي عَلِيٍّ فَرَسَيْنِ ، ثُمَّ عَرَضْنَا عَلَيْهِ وَأَجَازَنَا .

١٥٢٢ - * روى الطبراني عن رافع بن عمرو قال : مرَّ بي أصحابُ رسولِ الله ﷺ في غزويٍّ أو حَجٍّ فَنَأَمَلْتُهُمْ فَلَمْ أَرِ مِنْهُمْ أَحْسَنَ هَيْئَةٍ مِنْ أَبِي بَكْرٍ قَدْ جَلَّلَ عَلَيْهِ كِسَاءٌ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ .

١٥١٨ - المعجم الكبير (١ / ٥٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٤١) : رواه الطبراني ورجاله ثقات ، وقال في الفتح (٩ / ٧) : رجاله ثقات .

١٥١٩ - روى البزار : كشف الأستار (٣ / ١٦٢) ، والمعجم الكبير (١ / ٥٣) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٤٠) : رواه البزار والطبراني بنحوه ورجاله ثقات .

١٥٢٠ - أحمد في مسنده (٤ / ٣٦٨) .

والترمذي (٥ / ٦٤٢) ٥٠ - كتاب المناقب باب : ٢١ وقال : هذا حديث حسن صحيح .

١٥٢١ - المعجم الكبير (١ / ٥٧) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٤٢) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

١٥٢٢ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٤٢) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٥٢٣ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وليس في أصحابه أَشْمَطُ غيرَ أبي بكر فغلفها بالحناء والكتم ،

١٥٢٤ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : لَمْ أُغَيِّلْ أَبُوي قَطُّ إِلَّا وَهِيَ يَدِينَانِ الدِّينَ ، ولم يَرَّ علينا يومٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفِي النَّهَارِ ، بَكْرَةً وَعَشِيَّةً ، فلما ابْتَلَى المسلمون ، خرج أبو بكر مهاجراً نحوَ أرضِ الحبشة ، حتى إذا بلغَ بَرَكَ الغِمَادِ ، لَقِيَ ابنُ الدُّغْنَةِ - وهو سيدُ القارة - فقالَ : أينَ تريدُ يا أبا بكرٍ ؟ فقال أبو بكرٍ : أخرجني قومي ، فأريدُ أَنْ أَسِيحَ في الأرضِ وأَعْبُدَ ربي ، فقال ابنُ الدُّغْنَةِ : فإنْ مِثْلَكَ يا أبا بكرٍ لَا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ ، إِنَّكَ تَكْسِبُ المَعدومَ ، وَتَصِلُ الرِّحْمَ ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ ، وَتَقْرِي الضَّيفَ ، وَتُعِينُ على نَوَائِبِ الحقِّ ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ ، ارْجِعْ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ ببلدِكَ ، فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ معه ابنُ الدُّغْنَةِ ، فطاف ابنُ الدُّغْنَةِ عَشِيَّةً في أَشْرَافِ كِفَارِ قريشٍ ، فقال لهم : إنْ أبا بكرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلَهُ وَلَا يُخْرَجُ ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ المَعدومَ ، وَيَصِلُ الرِّحْمَ ، وَيَحْمِلُ الكَلَّ ، وَيَقْرِي الضَّيفَ ، وَيُعِينُ على نَوَائِبِ الحقِّ ؟ فلم تَكْذِبْ قريشٌ بجوارِ ابنِ الدُّغْنَةِ - وقالوا لابنِ الدُّغْنَةِ : مَرَّ أبا بكرٍ فَلْيُعْبُدْ رَبَّهُ في دارِهِ ، فَلْيَصِلْ فِيهَا ،

١٥٢٣ - البخاري (٧ / ٢٥٦) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٤٥ - باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

أشمت : رجل أشمط : قد شاب بعض شعره .

غلفها : أي خضبها ، والمراد اللحية وإن لم يقع لها ذكر .

الكتم : نبت يَحْتَضِبُ به غلوطاً مع غيره .

١٥٢٤ - البخاري (٧ / ٢٣٠ وما بعدها) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٤٥ - باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

الدِّين : الطاعة .

بَرَكَ الغِمَاد : بفتح الباء وكسر الغين ، ويروي بعضها : اسم موضع جنوب مكة ، بينه وبين مكة خمسُ ليالٍ مما يلي ساحل البحر ، وقيل : هو بلد يمان .

القارة : بتخفيف الراء : قبيلة ، سُمِّيَ أبومُ بذلك حيث قال :

دَعَوْنَا قَارَةً ، لَا تَنْفِرُونَا فَتَجِفُّ مِثْلَ مِثْلٍ - إِنْجَفَالِ الظلم

تَكْسِبُ المَعدوم : يصف إحسانه وكرمه وعموم فضله ، يقال : كَسَبْتُ مَالاً ، وَكَسَبْتُ فُلَاناً مَالاً ، وَكَسَبْتُهُ مَالاً ، الكَلَّ : ما يثقل حمله ، من صلات الأرحام ، والقيام بالعميال ، وقَرَى الأضياف ، ونحو ذلك ، ولهذا قرن هذه الأشياء بقوله : تَكْسِبُ المَعدوم .

نَوَائِبِ الحق : النوائب : ما ينوب الإنسان من المفارم ، وقضاء الحقوق لمن يقصده ويؤمله .

فَأَنَا لَكَ جَارٌ : أي : حامٍ وناصرٌ ومُذَافِعٌ .

وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذنا بذلك ، ولا يستعلن به ، فإننا نخشى أن يفتن نساءنا وأبنائنا ، فقال ذلك ابن الدُّعْنَةِ لأبي بكر ، فلبث أبو بكر بذلك يعبدُ ربَّه في داره ، ولا يستعلنُ بصلاته ، ولا يقرأ في غير داره ، ثم بدا لأبي بكر ، فابتنى مسجداً بفناء داره ، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن ، فيتقذفُ عليه نساءُ المشركين وأبنائهم وهم يعجبون منه ، وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً ، لا يملكُ عينيه إذا قرأ القرآن ؛ فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين ، فأرسلوا إلى ابن الدُّعْنَةِ ، فقدمَ عليهم ، فقالوا : إنا كنَّا أجزنا أبا بكر بجوارك على أن يعبدَ ربَّه في داره ، فقد جاوزَ ذلك ، فابتنى مسجداً بفناء داره ، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبنائنا ، فأنهه ؛ فإن أحبَّ أن يقتصر على أن يعبدَ ربَّه في داره فَعَلْ ، وإن أبي إلا أن يعلنَ بذلك ، فسأله أن يرُدَّ إليك ذِمَّتكَ ، فإننا قد كرهنا أن نُخْفِرَكَ ، ولَسْنَا مُقَرِّرينَ لأبي بكر الاستعلانَ ، قالت عائشة : فأتى ابن الدُّعْنَةِ إلى أبي بكر ، فقال : قد عَلِمْتُ الذي عاقَدْتُ لك عليه ، فيما أن تقتصر على ذلك ، وإما أن ترجعَ إليَّ ذِمَّتِي ، فإني لا أحبُّ أن تسمعَ العربُ أني قد أخفرتُ ذِمَّتِي في رجلٍ عَقَدْتُ له ، فقال له أبو بكر : فإني أردُّ إليك جِوَارَكَ وأرضي بجوار الله - والنبي ﷺ يومئذ بمكة - فقال النبي ﷺ للمسلمين : « إني أريت دارَ هِجْرَتِكُم ذاتَ نخْلٍ ، بين لابتَيْنِ » - وهما الحِزَّتَانِ فهاجرَ مَنْ هاجرَ قِبَلَ المدينة ، ورجعَ عامَّةٌ مَنْ كان بأرض الحبشة إلى المدينة ، وتجهَّزَ أبو بكر قِبَلَ المدينة ، فقال رسولُ الله ﷺ : « على رِسْلِكَ ، فإني أرجو أن يؤدَّنَ لي » فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبي أنت ؟ قال : « نعم » فحبس أبو بكر نفسه على رسولِ الله ﷺ ليصحبه ، وعَلَفَ راحِلَتَيْنِ كانتا عنده مِنْ وَرَقِ السَّمر - وهو الحَبَطُ - أربعة أشهر .

= تقذف : الناس عليه ، أي : ازدحوا .

الذمة : العهد والأمان .

أخفرت الرجل : إذا نقضت عهده .

الشيخ من الأرض : الموضع الذي لا يكاد يُنبت لُلوحته ، وقلبا يوافق إلا للنخيل ، وأرض سبخة : أي ذات ملح

ونز .

اللاية : الحرة ، والحرة : الأرض ذات الحجارة السود .

على رِسْلِكَ : بكسر الراء : على هَيْئَتِكَ .

الراحلة : البعير القويُّ على الأحوال والسير .

=

قال ابن شهاب ^(١) : قال عروة : قالت عائشة : فبينما نحن يوماً جلوساً في بيت أبي بكرٍ في نحرِ الظَّهيرة ، قال قائل لأبي بكر : هذا رسولُ الله ﷺ - مُتَقَنِّعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها - فقال أبو بكر : فِدَاءَ له أبي وأُمِّي ، واللهِ ما جاءَ به في هذه الساعة إلا أمرٌ ، قالت : فجاء رسولُ الله ﷺ فاستأذن ، فأذن له ، فدخل ، فقال النبيُّ ﷺ لأبي بكر : « أخرج مَنْ عِندَكَ » فقال أبو بكر : إنما هم أهلُك - بأبي أنتَ يا رسولَ الله - قال : « فإني قد أُذِنَ لي في الخروج » قال أبو بكر : الصحابة ، بأبي أنتَ يا رسولَ الله ، فقال رسولُ الله ﷺ : « نعم » قال أبو بكر : فخرجَ إليهم ، يا رسولَ الله - احبوا هاتين ، فقال رسولُ

ورضيتهما - حتى يتعق بها عامر بن فهيرة بفلس ، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث ، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدليل - وهو من بني عبد بن عدي - هادياً خريئاً - والخريئ : الماهر بالهداية - قد غمس جلفاً في آل العاص بن وائل السهمي ، وهو على دين كفار قريش ، فأمناه ، فدفعنا إليه راحلتيهما ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحتيهما ، فأتاهما صبح ثلاث ، فارتحلا وانطلق معهما ابن فهيرة ، والدليل ، فأخذ بهم طريق السواحل .

وفي رواية : طريق الساحل .

قال ابن شهاب تعليقا : وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي - وهو ابن أخي سراقَةَ ابن جُعشم - أن أباه أخبره : أنه سمع سراقَةَ بن جُعشم يقول : جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما من قتله أو أسره ، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج ، إذ أقبل رجل منهم ، حتى قام علينا ونحن جلوس ، فقال : يا سراقَةَ ، إني قد رأيت أنفاً أسودة بالساحل ، أراها محمداً وأصحابه ، قال سراقَةَ : فعرفت أنهم هم ، فقلت له : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا ، ثم لبثت في المجلس ساعة ، ثم قمت فدخلت ، فأمرت جاريتي أن تخرج بفربي وهي من وراء أكمة ، فتجسها علي ، وأخذت رُمحي فخرجت به من ظهر البيت ، فخططت بزجه الأرض ، وخفضت عاليه ، حتى أتيت فرسي فركبتها ، فرفعتها تقرب بي ، حتى دنوت منهم ، ففترت بي فرسي ، فخررت عنها ، فقامت فأهويت بيدي إلى كنانتي فاستخرجت

= الرضيع : اللبن المروض ، وهو الذي جعل فيه الرضفة ، وهي الحجارة المحاة .

نعم الراعي بالغنم : دعاها لترجع إليه .

بفلس : الفلس : ظلام آخر الليل .

غمس : فلان جلفاً في آل فلان ، أي : أخذ بنصيب من عقدهم وحلفهم ، والجلف : التحالف .

أسودة : جمع سواد ، وهو الشخص .

الأكمة : الرابية المرتفعة عن الأرض من جميع جوانبها .

قرب : الفرس يقرب تقريباً : إذا غداً غداً دون الإسراع ، وله تقريبان أدنى وأعلى .

الكنانة : كالخريطة المستطيلة من جلود تجعل فيها السهام ، وهي الجمبة .

منها الأزلام ، فاستقسمتُ بها : أضُرُّهم ، أم لا ؟ فخرج الذي أكره ، فركبت فرسي - وعصيتُ الأزلام - تُقَرَّبُ بي ، حتى إذا سمعتُ قراءةَ رسولِ الله ﷺ وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يُكثِرُ الالتفات : ساخَتُ يَدَا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها ، ثم زجرتها فَنَهَضَتْ ، فلم تكد تُخْرِجُ يديها ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يَدَيْهَا عَثَانٌ ساطع في السماء مثل الدخان ، فاستقسمتُ بالأزلام ، فخرج الذي أكره ، فناديتُهم بالأمانِ ، فوقفوا ، فركبت فرسي حتى جئتُهم ، ووقع في نفسي - حين لقيتُ مالقيتُ مِنَ الحبسِ عنهم - أن سَيَظْهَرُ أمر رسولِ الله ﷺ ، فقلت له : إِنَّ قَوْمَكَ قد جعلوا فيكَ الدَّيَّةَ - وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم - وعَرَضْتُ عليهم الزادة والمتاع ، فلم يرزائي شيئاً ، ولم يسألاني - إلا أن قال : « أخف عنا ما استطعت » فسألته أن يكتبَ لي كتابَ أَمْنٍ ، فأمر عامر بن قُهَيْرَةَ ، فكتب لي في رُقْعَةٍ من آدم ، ثم مضى رسولُ الله ﷺ .

قال ابن شهاب ^(١) : فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين تجاراً قافلين من الشام ، فكسا الزبيرُ رسول الله ﷺ وأبا بكر ثيابَ بياض ، وسمع المسلمون بالمدينة فخرج رسول الله ﷺ من مكة ، فكانوا يَغْدُونَ كل غداة إلى الحرة فينتظرونه ، حتى يردُّهم حَرُّ الظَّهيرة ، فاتقلبوا يوماً بعدما أطلأوا انتظارهم ، فلما أوَّأوا إلى

= الأزلام : القداح ، واحدها : زَلَم ، وزَلَم - بفتح الزاي وضمة ، وفتح اللام فيها - والقِدْحُ : السهم الذي لا تُصَلُّ له ولا ريش ، وكان لهم في الجاهلية هذه الأزلام ، مكتوب عليها الأمر والنهي ، وكان الرجل منهم يَضُمُّها في كنانته أو في وعائه ، ثم يُخْرِجُ منها عند عزيمته على أمر ما اتفق له من غير قصد ، فإن خرج الأمر مضى على عزيمه ، وإن خرج الناهي انصرف .
الاستقسام : أصل الاستقسام : طلب ما قسم الله له من الأقسام ، « والقَسَم » : النصب المغيب عنه عند طلبه ، وذلك محمود إذا طلب من جهته سبحانه ، وكان أهل الجاهلية يطلبون ما غيب عنهم من ذلك من جهة الأزلام ، فما ذلَّتْهم عليه فعلوه .

ساخت : قوائم الدابة في الأرض : غاصت فيها .

عشان : العشان : الغبار ، وأصله الدخان .

الساطع : المرتفع في الجو منتشراً .

ما رزأت فلاناً شيئاً : أي : ما أصبت منه شيئاً ، والمراد أنها لم يأخذها منه شيئاً .

(١) رواه البخاري تعليقاً (٢ / ٢٣٩) .

قافلين : القافل : الراجع من سفره .

بيوتهم أوفى رجُلٌ من يهود على أطعم من أطامهم لأمرٍ ينظر إليه ، فَبَصَرَ برسول الله ﷺ وأصحابه مَبْيُضِينَ ، يزولُ بهم السراب ، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته : يامعشر العرب ، هذا جدُّكم الذي تنتظرون ، قال : فثار المسلمون إلى السلاح ، فَتَلَقَّوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة ، فعَدَلَ بهم ذات اليمين ، حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف بقباء وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول . فقام أبو بكر للناس ، وجلس رسول الله ﷺ صامتاً ، فَطَفِقَ مَنْ جاء من الأنصار من لم يَرِ رسول الله ﷺ يُحْيِي أبا بكر ، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ ، فأقبل أبو بكر حتى ظللَ عليه بردائه فعرفَ الناسُ رسولَ الله ﷺ عند ذلك . فَلَبِثَ رسولُ الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضعةَ عشرةَ ليلةً ، وأُسِّنَ المسجدَ الذي أُسِّنَ على التقوى ، وصَلَّى فيه رسولُ الله ﷺ ، ثم ركبَ راحِلَتَهُ ، فسارَ يمشي مَعَ الناسِ ، حتى بَرَكَتْ عند مسجدِ الرسول ﷺ بالمدينة ، وهو يُصَلِّي فيه يومئذ رجالٌ من المسلمين ، وكان مُرِيداً للتمر ، لِسَهْلٍ وَسَهْلٍ - غلامين يتيمين في حَجَرٍ أَسْعَدَ بنِ زُرارة ، فقال رسولُ الله ﷺ حينَ بَرَكَتْ راحِلَتُهُ : « هذا إن شاء الله المنزلُ » ثم دعا رسولُ الله ﷺ الغلامين ، فساومهما بالمُرِيد ليتخذهُ مسجداً ، فقالا : بل نَهَبَهُ لك يا رسولَ الله ، فأبى رسولُ الله ﷺ أن يقبلَهُ منهما هِبَةً حتى ابتاعهُ منها ثم بناء مسجداً وطفق رسولُ الله ﷺ ينقل معهم اللَّبَنَ في بنيانهِ ، ويقول وهو ينقل اللَّبَنَ :

هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالُ خَيْرُ هَذَا أَبْرُ رُبُّنَا وَأَطْهَرُ

يقول :

= أوفى : أشرف وأطلع .

أطامهم : الأَطْمُ : بَنَاءٌ مرتفع .

مَبْيُضِينَ : بكسر الياء ، ذوو ثياب بيض .

يزول بهم : زال بهم السراب ، أي : ظهرت حركتهم فيه للعين .

جدُّكم : بفتح الجيم ، أي حظكم وصاحب دولتكم الذي تتوقعون .

المريد : البعير الذي يوضع فيه التمر .

الحمال : بكسر الحاء : من الحمل والذي يحمل من خير هو التمر ، ولعله عني : أن هذا في الآخرة أفضل من ذلك

ثواباً وأحسن عاقبة .

اللهمَّ إِنَّ الأَجَرَ أَجْرُ الآخِرَةِ فَارْحَمِ الأَنْصَارَ والمُهَاجِرَةَ
فَتَمَثَّلَ بِشُعْرِ رَجُلٍ مِنَ المُهَاجِرِينَ ، لَمْ يَسْمَ لِي .

قال ابن شهاب : ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثّل ببيت تامّ غير هذه
الآيات .

قال ابن حجر عن المعلق الأول :

قوله (قال ابن شهاب) هو موصول بإسناد حديث عائشة ، وقد أفرده البيهقي في
« الدلائل » وقبله الحاكم في « الإكليل » من طريق ابن إسحق « حدثني محمد بن مسلم هو
الزهري به » وكذلك أورده الإسماعيلي منفرداً من طريق معمر والمعاوي في الجليس من
طريق صالح بن كيسان كلاهما عن الزهري .

وقال عن المعلق الثاني :

قوله (قال ابن شهاب : فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في
ركب) هو متصل إلى ابن شهاب بالإسناد المذكور أولاً ، وقد أفرده الحاكم من وجه آخر عن
يحيى بن بكير بالإسناد المذكور ، ولم يستخرجه الإسماعيلي أصلاً وصورته مرسل ، لكنه
وصله الحاكم أيضاً من طريق معمر عن الزهري قال « أخبرني عروة أنه سمع الزبير » به ،
وأفاد أن قوله « وسمع المسلمون إلخ » من بقية الحديث المذكور . وأخرجه موسى بن عقبة
عن ابن شهاب به وأتم منه وزاد « قال : ويقال لما دنا من المدينة كان طلحة قدم من
الشام ، فخرج عائداً إلى مكة إما متلقياً وإما معترفاً ، ومعه ثياب أهداها لأبي بكر من ثياب
الشام ، فلما لقيه أعطاه فلبس منها هو وأبو بكر » انتهى ، وهذا إن كان محفوظاً احتمل أن
يكون كل من طلحة والزبير أهدى لها من الثياب . والذي في السير هو الثاني ، ومال
الدمياطي إلى ترجيحه على عادته في ترجيح ما في السير على ما في الصحيح ، والأولى الجمع
بينهما وإلا فما في الصحيح أصح ، لأن الرواية التي فيها طلحة من طريق ابن لهيعة عن أبي
الأسود عن عروة ، والتي في الصحيح من طريق عقيل عن الزهري عن عروة . ثم وجدت
عند ابن أبي شيبة من طريق هشام بن عروة عن أبيه نحو رواية أبي الأسود ، وعند ابن

عائذ في المغازي من حديث ابن عباس « خرج عمر والزبير وطلحة وعثمان وعياش بن أبي ربيعة نحو المدينة ، فتوجه عثمان وطلحة إلى الشام » فتعين تصحيح القولين . ا . هـ .

١٥٢٥ - * روى البخاري عن أبي هريرة قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « من أنفقَ زوجينِ من شيءٍ من الأشياءِ في سبيلِ الله دُعيَ من أبواب - يعني الجنة - ياعبدَ الله هذا خيرٌ . فمن كان من أهلِ الصَّلَاةِ دُعيَ من بابِ الصَّلَاةِ ، ومن كان من أهلِ الجهادِ دُعيَ من بابِ الجهادِ ، ومن كان من أهلِ الصدقةِ دُعيَ من بابِ الصدقةِ ، ومن كان من أهلِ الصَّيَامِ دُعيَ من بابِ الصَّيَامِ وبابِ الرِّيَّانِ » . فقال أبو بكرٍ : ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبوابِ من ضرورة . وقال : هل يدعى منها كلها أحدٌ يا رسولَ الله ؟ قال : « نعم ، وأرجو أن تكونَ منهم يا أبا بكر » .

١٥٢٦ - * روى البخاري ومسلم والترمذي عن أبي سعيد : أن النبي ﷺ جلس على المنبر فقال : « إن عبدًا خيَّرَهُ الله بين أن يؤتِيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده ، فاختارَ ما عنده » فقال أبو بكر : فدينك يا رسولَ الله بآبائنا وأمهاتنا ، قال : فمعجبنا ، فقال الناسُ : انظروا إلى هذا الشيخ يخبر النبي ﷺ عن عبد خيَّرَهُ الله بين أن يؤتِيه زهرة الحياة الدنيا وبين ما عنده الله ، وهو يقولُ : فدينك بآبائنا وأمهاتنا ، فكان صلى الله عليه وسلم هو الخيَّرُ ، وأبو بكر أعلمنا به ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إن من آمنَ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذًا خليلاً لا تتخذتُ أبا بكرٍ ، ولكن أخوةَ الإسلام ، لا تبقيَن في المسجدِ خوذةً إلا خوذةُ أبي بكر » .

١٥٢٧ - * روى مسلم عن عائشة قالتُ : لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتِي ، قَالَ :

١٥٢٥ - البخاري (٧ / ١١) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٥ - باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذًا خليلاً » .
زوجين : صنفين من ماله في سبيل الله .

١٥٢٦ - البخاري (٧ / ١٢) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٣ - باب قول النبي ﷺ سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر .
ومسلم (٤ / ١٨٥٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤٤ - باب من فضائل أبي بكر .
والترمذي (٥ / ٦٠٨) ٥٠ - كتاب المناقب - ١٥ - باب .

الخوذة : النافذة في الجدار .

١٥٢٧ - مسلم (١ / ٣١٣) ٤ - كتاب الصلاة - ٢١ - باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض أو سفر وغيرها من يصلي بالناس .

« مَرُّوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » قَالَتْ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ .
إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ لَا يَمْلِكُ دَمْعُهُ . فَلَوْ أَمَرْتُ غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ ! قَالَتْ : وَاللَّهِ ! مَا بِي إِلَّا كَرَاهِيَةٌ
أَنْ يَتَشَاءَ النَّاسُ بِأَوَّلِ مَنْ يَقُومُ فِي مَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قَالَتْ فَرَأَجَعْتُهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ
ثَلَاثًا . فَقَالَ : « لِيُصَلِّ بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرٍ . فَإِنَّكَ صَوَاحِبُ يُوسُفَ » .

١٥٢٨ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة قالت : لَقَدْ رَأَجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي
ذَلِكَ . وَمَا حَمَلَنِي عَلَى كَثْرَةِ مُرَاجَعَتِي إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِي قَلْبِي أَنْ يُحِبَّ النَّاسُ بَعْدَهُ رَجُلًا
قَامَ مَقَامَهُ أَبَدًا . وَإِلَّا أَنِّي كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ لَنْ يَقُومَ مَقَامَهُ أَحَدٌ إِلَّا تَشَاءَ النَّاسُ بِهِ . فَأَرَدْتُ
أَنْ يُعَدِّلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَبِي بَكْرٍ .

١٥٢٩ - * روى البزار عن أبي هريرة قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ
الْقِيَامَةِ دُعِيَ الْإِنْسَانُ بِأَكْثَرِ عَمَلِهِ فَإِنْ كَانَتْ الصَّلَاةُ أَفْضَلَ دُعِيَ بِهَا وَإِنْ كَانَ
صِيَامُهُ دُعِيَ بِهِ ، وَإِنْ كَانَ الْجِهَادُ دُعِيَ بِهِ ، ثُمَّ يَأْتِي بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يُقَالُ
لَهُ الرَّيَّانُ يُدْعَى مِنْهُ الصَّائِمُونَ » قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ أَحَدٌ يُدْعَى
بِعَمَلَيْنِ قَالَ : « نَعَمْ أَنْتَ » .

١٥٣٠ - * روى الحاكم عن عمر رضي الله عنه قَالَ : كَانَ أَبُو بَكْرٍ سَيِّدَنَا وَخَيْرَنَا وَأَحَبَّنَا
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

١٥٣١ - * روى عبد الله بن أحمد عن ابن عباس قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَبُو
بَكْرٍ صَاحِبِي وَمُؤْنِسِي فِي الْغَارِ سُدُّوا كُلَّ خَوْخَةٍ ، فِي الْمَسْجِدِ غَيْرَ خَوْخَةٍ أَبِي
بَكْرٍ » .

١٥٢٨ - البخاري (٨ / ١٤٠) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨٣ - باب مرض النبي ﷺ ووفاته . ومسلم في نفس الموضع السابق .

١٥٢٩ - البزار : كشف الأستار (٤ / ١٧٣) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : (١٠ / ٣٩٨) : رواه البزار ، وإسناده

حسن .

١٥٣٠ - المستدرک (٣ / ٦٦) وقال : صحيح على شرطها ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

١٥٣١ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٤٢) وقال : رواه عبد الله ورجاله ثقات .

١٥٣٢ - * روى أحمد والطبراني عن ربيعة الأسلمي قال : كُنْتُ أُخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَأَعْطَانِي أَرْضًا ، وَأَعْطَى أَبَا بَكْرٍ أَرْضًا ، وَجَاءَتِ الدُّنْيَا فَاخْتَلَفْنَا فِي عَذْقِ نَخْلَةٍ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : هِيَ فِي حَدِّي ، وَقُلْتُ أَنَا : هِيَ فِي حَدِّي ، فَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي بَكْرٍ كَلَامٌ : فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ كَلِمَةً كَرِهْتُهَا وَنَدِمَ فَقَالَ لِي : يَا رَبِيعَةُ رُدِّي عَلَيَّ مِثْلَهَا حَتَّى تَكُونَ قِصَاصًا ، فَقُلْتُ : لَا أَفْعَلُ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَأَسْتَعْدِينَ عَلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ وَرَقَصَ الْأَرْضَ ، فَاَنْطَلَقَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَانْطَلَقْتُ أَتْلُوهُ فَجَاءَ أَنَسٌ مِنْ أَسْلَمَ فَقَالُوا : يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ ، فِي أَيِّ شَيْءٍ يَسْتَعْدِي عَلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الَّذِي قَالَ لَكَ مَا قَالَ ؟ قُلْتُ : أَتَدْرُونَ مَنْ هَذَا ؟ هَذَا أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ ، وَهُوَ ثَانِي اثْنَيْنِ وَهُوَ ذُو شَيْبَةٍ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِيَّاكُمْ لَا يَلْتَفِتُ فَيَرَاكُمْ تَنْصُرُونِي عَلَيْهِ فَيَغْضَبُ فَيَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَيَغْضَبُ لَغَضْبِهِ فَيَغْضَبُ اللَّهُ لَغَضْبِهِمَا فَتَهْلِكُ رَبِيعَةُ قَالُوا : فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ قَالَ : ارْجِعُوا ، فَاَنْطَلَقَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَبِعْتُهُ وَخَدِي وَجَعَلْتُ أَتْلُوهُ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ كَمَا كَانَ ، فَرَفَعَ إِلَيَّ رَأْسَهُ فَقَالَ : « يَا رَبِيعَةُ مَا لَكَ وَلِلصَّدِيقِ ؟ » قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ كَذَا ، كَانَ كَذَا ، قَالَ لِي كَلِمَةً كَرِهْتُهَا فَقَالَ لِي قُلْ كَمَا قُلْتُ حَتَّى يَكُونَ قِصَاصًا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَجَلٌ فَلَا تَرُدَّنَّ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ قُلْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ » فَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ وَهُوَ يَبْكِي .

١٥٣٣ - * روى البخاري عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ ، حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ » فَسَلَّمَ ، وَقَالَ : إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ ، فَأُسْرِعْتُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ نَدِمْتُ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي ، فَأَبَى عَلَيَّ ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ ، فَقَالَ : « يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ

١٥٣٢ - أحمد في مسنده (٥٨ / ٤) .

والمعجم الكبير (٥٨ / ٥) وقال الميمني في مجمع الزوائد (٤٥ / ٩) : رواه الطبراني وأحمد بنحوه في حديث طويل وفيه

مبارك بن فضالة وحديثه حسن ، وبقية رجاله ثقات .

عذق نخلة : العذق : النخلة بحملها .

والعذق : المرجون بما فيه من الشاربخ والجمع عذاق .

١٥٣٣ - البخاري (١٨ / ٧) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٥ - باب قول النبي ﷺ « لو كنت متخذاً خليلاً » .

غامر : أي : خاصم .

أسرعت إليه : آذيته بالقول .

يَا أَبَا بَكْرٍ» - ثلاثاً - ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ : أَنْتُمْ أَبُو بَكْرٍ ؟ قَالُوا : لَا ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَجَعَلَ وَجْهَ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمُ - مَرَّتَيْنِ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ اللَّهُ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ ، فَقُلْتُمْ : كَذَبْتَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : صَدَقَ ، وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي ؟ » - مَرَّتَيْنِ - فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا .

وفي أُخْرَى قَالَ : كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مُحَاوَرَةٌ ، فَأَغْضَبَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ ، فَانصَرَفَ عُمَرَ مُغْضَبًا ، فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، حَتَّى أَغْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : وَنَحْنُ عِنْدَهُ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَمَّا صَاحِبُكُمْ هَذَا فَقَدْ غَامَرَ » قَالَ : وَنَدِمَ عُمَرُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، فَأَقْبَلَ حَتَّى سَلَّمَ ، وَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَصَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْحَبَرَ ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : وَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنَا كُنْتُ أَظْلَمُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي ؟ هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي ؟ إِنْ قُلْتُ : يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ، فَقُلْتُمْ : كَذَبْتَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : صَدَقْتَ » .

١٥٣٤ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان لأبي بكرٍ غُلامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْحَرَاجَ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ ، فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ الْغُلامُ : أَتَدْرِي مَا هَذَا ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : كُنْتُ تُكْهِنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ : وَمَا أَحْسِنُ الْكِهَانَةَ ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ ، فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ .

== التَّعَرُّ : تَغْيِيرُ اللَّوْنِ مِنَ الْغَضَبِ .

(١) البخاري (٨ / ٣٠٣) ٦٥ - كتاب التفسير - ٣ - باب ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ .

١٥٣٤ - البخاري (٧ / ١٤٩) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٢٦ - باب أيام الجاهلية .

يُخْرِجُ لَهُ الْحَرَاجَ : أَيِ يَأْتِيهِ بِمَا يَكْسِبُهُ وَهُوَ مَا يَقْرَرُهُ السَّيِّدُ عَلَى عَبْدِهِ مِنْ مَالٍ يَحْضَرُهُ لَهُ مِنْ كَسْبِهِ .
تُكْهِنْتُ : التَّكْهُنُ : فِعْلُ الْكَاهِنِ ، وَهُوَ إِخْبَارُهُ لِمَنْ يَسْأَلُهُ عَمَّا يَسْأَلُهُ عَنْهُ مِنَ اللَّغِيَّاتِ .

١٥٣٥ - * روى الحاكم عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه ، أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، لما بعث الجيوش نحو الشام يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشريحيل بن حسنة مني معهم حتى بلغ ثنية الوداع ، فقالوا : يا خليفة رسول الله تمشي ونحن رُكبان ؟

١٥٣٦ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوماً : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ » قال أبو بكر الصديق : أنا ، قال : « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ » قال أبو بكر : أنا ، قال : « فمَنْ أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ » قال أبو بكر : أنا ، قال : « فمن عاد منكم اليوم مريضاً ؟ » قال أبو بكر : أنا ، قال رسول الله ﷺ : « ما اجتمعن في رجل إلا دخل الجنة » .

١٥٣٧ - * روى أبو يعلى عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « ما نفقنا مال أحدٍ ما نفقنا مال أبي بكرٍ » .

١٥٣٨ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما لأحدٍ عندنا يدٌ إلا وقد كافأناه ، ما خلا أبا بكرٍ ، فإن له عندنا يداً يكافئها الله به يوم القيامة ، وما نفقني مال أحدٍ قط ما نفقني مال أبي بكرٍ ، ولو كنت متخذاً خليلاً من الناس لاتخذت أبا بكرٍ خليلاً ، ألا وإن صاحبكم خليل الله » .

(لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكرٍ خليلاً) قد ذكرنا معنى الخلّة وأنها من المودة ، وقيل : هو من تخللها القلب ، أي دخولها فيه ، والمقصود من الحديث : أن الخلّة تلزم فضل مراعاة للخليل ، وقيام بحقه ، واشتغال القلب بأمره ، فأخبر ﷺ أنه ليس عنده فضل مع خلّة الحق للخلق ، لاشتغال قلبه بمحبة الله سبحانه ، فلا يحتل ميلاً إلى غيره .

١٥٣٥ - المستدرک (٨٠ / ٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : مرسل .

١٥٣٦ - مسلم (٤ / ١٨٥٧) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ١ - باب من فضائل أبي بكر الصديق .

١٥٣٧ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٥١) وقال : رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح ، غير إسحاق بن إسرائيل وهو ثقة مأمون .

١٥٣٨ - الترمذي (٥ / ٦٠٩) ٥٠ - كتاب المناقب ، باب : ١٥ ، وهو حسن بشواهد .

١٥٣٩ - * روى أبو داود والترمذي عن عُمَرُ بنِ الحَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا ، فَقُلْتُ : الْيَوْمَ أَسْبَقُ أَبَا بَكْرٍ - إِنْ سَبِقْتُهُ - يَوْمًا ، قَالَ : فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟ » قُلْتُ : مِثْلُهُ ، وَاتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ ، فَقَالَ : « يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟ » قَالَ : أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، قُلْتُ : لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا .

١٥٤٠ - * روى الطبراني عن عروة قال : أعتق أبو بكرٍ سبعةً ممن كان يعذب في الله منهم : بلال وعامر بن فهيرة .

١٥٤١ - * روى البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : أتت امرأة رسول الله ﷺ فأمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ ، قَالَتْ : أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ ؟ - كَأَنَّهُا تَقُولُ : الْمَوْتَ - قَالَ : « إِنْ لَمْ تَجِدِيْنِي فَأَتِي أَبَا بَكْرٍ » .

قال الحافظ في « الفتح » : وفي الحديث أن مواعيد النبي ﷺ كان على من يتولى الخلافة بعده تنجيها .

١٥٤٢ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ لَقَدْ أُعْطِيتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا » وَقَالَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَمِيعًا . فَقَبِضَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ أَنْ تَجِيءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ . فَقَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بَعْدَهُ . فَأَمَرَ مُتَادِيًا فَنَادَى : مَنْ كَانَتْ لَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عِدَّةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأْتِ . فَقَمْتُ فَقُلْتُ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ « لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ أُعْطِيتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا » فَحَثَى أَبُو بَكْرٍ مَرَّةً . ثُمَّ قَالَ لِي : عُدَّهَا . فَعَدَدْتُهَا فَإِذَا هِيَ خَمْسُمِائَةٍ . فَقَالَ : خُذْ مِثْلَهَا .

١٥٣٩ - أبو داود (١٢٩ / ٢) كتاب الزكاة ، باب في الرخصة في ذلك .
والترمذي (٦١٤ / ٥) - ٥٠ - كتاب المناقب - ١٦ - باب في مناقب أبي بكر وعمر . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

١٥٤٠ - أورده المهيبي في جمع الزوائد (٥٠ / ٩) وقال : رواه الطبراني ورجاله إلى عروة رجال الصحيح وهو مرسل .
١٥٤١ - البخاري (١٧ / ٧) - ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٥ - باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً » .
ومسلم (١٨٥٦ / ٤) - ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١ - باب من فضائل أبي بكر الصديق .
١٥٤٢ - مسلم (١٨٠٧ / ٤) - ٤٣ - كتاب الفضائل - ١٤ - باب مسائل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال : لا ، وكثرة عطائه .

١٥٤٣ - * روى أحمد والطبراني عن أبي سعيد الخدري قال : لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار فقال : يامعشر المهاجرين إن رسول الله ﷺ كان إذا بعث رجلاً منكم قرنه برجل منا فنحن نرى أن يلي هذا الأمر رجلان رجل منا ورجل منكم . فقام زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين ، وكنا أنصار رسول الله ﷺ فنحن أنصار من يقوم مقامه فقال أبو بكر : جزاكم الله خيراً من حي يامعشر الأنصار وثبت قائلكم . والله لو قلتم غير ذلك ما صالحناكم .

١٥٤٤ - * روى الطبراني عن سالم بن عبيد وكان من أصحاب الصفة قال : أغمى على رسول الله ﷺ في مرضه فأفاق فقال : « حضرت الصلاة ؟ » قلنا : نعم قال : « مروا بلالاً فليؤذن ومروا أبا بكر فليصل بالناس » فقالت عائشة رضي الله عنها : إن أبي رجل أسيف فلو أمرت غيره فليصل بالناس . ثم أغمى عليه فأفاق فقال : « هل حضرت الصلاة ؟ » قلت : نعم . قال : « مروا بلالاً فليؤذن ومروا أبا بكر فليصل بالناس » فقالت عائشة رضي الله عنها : إن أبي رجل أسيف فلو أمرت غيره فليصل بالناس . ثم أغمى عليه فأفاق فقال : « أقيمت الصلاة ؟ » قلنا : نعم . قال : « اتنوني بإنسان أعتمد عليه » فجاءه بريدة وإنسان آخر فاعتمد عليها فأتى المسجد فدخله وأبو بكر رضي الله عنه يصلي بالناس فذهب أبو بكر يتنحى فتنعه رسول الله ﷺ وأجلس إلى جنب أبي بكر حتى قرع من صلاته . فقبض رسول الله ﷺ فقال عمر : لا أسمع أحداً يقول مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بالسيف ؛ فأخذ أبو بكر هذراعي فاعتمد علي وقام يمشي حتى جئنا فقال : أوسعوا فأوسعوا له ، فأكب عليه ومسه قال : إنك ميت وإنهم ميتون ، قالوا : يا صاحب رسول الله ﷺ مات رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم . فعلوا أنه كما قال . قالوا : يا صاحب رسول الله ﷺ أنصلي على رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، يدخل قوم فيكبرون ويدعون ويصلون ثم ينصرفون ، ويجيء آخرون حتى يفرغوا . قالوا : يا صاحب رسول الله ﷺ

١٥٤٣ - أحمد في مسنده (١٨٦ / ٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٣ / ٥) وقال : رواه الطبراني وأحمد ورجاله رجال الصحيح .

١٥٤٤ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٢ / ٥) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات . أسيف : أي سريع البكاء والحزن ، وقيل هو الرقيق .

أَيُدفنُ رسولُ اللَّهِ ﷺ؟ قال: نعم. قالوا: وأين يدفن؟ قال: حيثُ قبضَ، فإنَّ اللهَ تباركَ وتعالى لم يقبضْهُ إلا في بقعةٍ طيبةٍ. فعملوا أنه كما قال. ثم قام فقال: عندكم صاحبكم، فأمرهم يغسلونه، ثم خرج واجتمع المهاجرون يتشاورون، فقالوا: انطلقوا إلى إخواننا من الأنصار فإنَّ لهم في هذا الأمر نصيباً، فانطلقوا. فقال رجل من الأنصار: منَّا أميرٌ ومنكم أميرٌ، فأخذَ عمرُ بيدِ أبي بكرٍ رضي الله عنهما فقال: أخبروني من له هذه الثلاث: ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾ من هما؟ ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن﴾ من صاحبه؟ ﴿إن الله معنا﴾ فأخذ بيدَ أبي بكرٍ رضي الله عنه ف ضربَ عليها وقال للناس: بايعوه. فبايعوه بيعةً حسنةً جميلةً.

١٥٤٥ - * روى أحمد عن بُرَيْدة قال: مرضَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: «مروا أبا بكرٍ يصلي بالناس» فقالت عائشة: يا رسولَ اللَّهِ إنَّ أبي رجلٌ رقيقٌ، فقال: «مروا أبا بكرٍ يصلي فإنَّكنَّ صواحباتِ يوسفَ» فأَمَّ أبو بكرٍ الناسَ والنبي ﷺ حي.

١٥٤٦ - * روى الحاكم عن عبدِ اللَّهِ قال: مَا رَأَى المسلمونَ حسناً فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَى المُسْلِمُونَ سَيِّئاً فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ، وَقَدْ رَأَى الصحابةَ جَمِيعاً أَنَّهُ يَسْتَخْلِفُوا أبا بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١٥٤٧ - * روى الحاكم عن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: وَلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ فَكَانَ خَيْرَ خَلِيفَةِ اللَّهِ وَأَرْحَمَهُ بِنَا وَأَحْنَاهُ عَلَيْنَا.

١٥٤٨ - * روى الطبراني عن عائشة قالت: تَذَاكَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ ميلادهما عندي وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ أَكْبَرَ من أبي بكرٍ، فتوفي رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو ابن ثلاثٍ وستين، لستين ونصف التي عاش بعد رسولِ اللَّهِ ﷺ، يعني أبا بكرٍ.

١٥٤٥ - أحمد في مسنده (٥ / ٣٦١) ورجاله رجال الصحيح.

١٥٤٦ - المستدرک (٣ / ٧٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

١٥٤٧ - المستدرک (٣ / ٧٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

١٥٤٨ - المعجم الكبير (١ / ٥٨)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٦٠) وقال: رواه الطبراني بإسناده حسن.

أقول : المراد من النص أن أبا بكر توفي في السن نفسه الذي توفي فيه رسول الله ﷺ .

١٥٤٩ - * روى الطبراني عن سعيد بن المسيب قال : تُوِيَ أبو بكر الصديق وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وولي سنتين ، ودُفِنَ ليلاً وصلى عليه عمرُ .

١٥٥٠ - * روى الطبراني عن عائشة قالتُ : تُوِيَ أبو بكر ليلة الثلاثاء ودُفِنَ ليلاً .

١٥٥١ - * روى الطبراني عن الهيثم بن عمران قال : سمعت جدي يقول : توفي أبو بكر الصديق وبه طرف من السل وولي سنتين ونصفاً .

١٥٥٢ - * روى الطبراني عن يحيى بن بكير قال : استُخْلِفَ أبو بكر في اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ وتوفي في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة .

١٥٥٣ - * روى الطبراني عن الحسن بن علي قال : لما احتضر أبو بكر قال : يا عائشة انظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها والجفنة التي كنا نصطبج فيها والقطيفة التي كنا نلبسها ، فإننا كنا ننتفع بذلك حين كنا نلي أمر المسلمين فإذا مت فاردديه إلى عمر فلما مات أبو بكر أرسلت به إلى عمر فقال عمر : رضي الله عنك يا أبا بكر لقد أتبعته من جاء بعدك .

* * *

١٥٤٩ - المعجم الكبير (٥٩ / ١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٠ / ٩) رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٥٥٠ - المعجم الكبير (٦١ / ١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٠ / ٩) رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٥٥١ - المعجم الكبير (٦١ / ١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٠ / ٩) رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٥٥٢ - المعجم الكبير (٦١ / ١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٠ / ٩) رواه الطبراني ورجاله ثقات إلا أنه قال : عن الزبير بن بكار .

١٥٥٣ - المعجم الكبير (٦٠ / ١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢١ / ٥) رواه الطبراني ورجاله ثقات .

تعليقات

* نستطيع أن نقول : إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان امتداداً لشخصية رسول الله ﷺ ، يظهر ذلك في أنه تابع عملية الجهاد على الأرض العربية وخارجها وتلك التي وضع رسول الله ﷺ أسسها العملية ونزل القرآن أمراً بها ، ومن خلال الرؤية الشاملة لمواقف الصحابة رضوان الله عليهم نجد أنه لولا أبو بكر لما سارت الأمور بالشكل الذي سارت فيه ، ومن ثم فإن الفتوحات الإسلامية والانطلاقة التي حدثت في عهد عمر رضي الله عنه ومن جاء بعده ، كل ذلك في صحيفة أبي بكر ، وهي وهو في صحيفة رسول الله ﷺ ، ومن ههنا نقول : إنه لا أفضل من أبي بكر ولا أثقل منه في ميزان الإسلام بعد رسول الله ﷺ .

* * *

* وإذا كان رسول الله ﷺ هو المؤسس فإن المجدد الأول لهذا الدين هو أبو بكر ، فالردة كانت شاملة تقريباً ، ولقد كادت أن تعصف بكل شيء ، فالمستقبل السياسي للإسلام أصبح في خطر ، وأحكام الإسلام أصبحت في خطر ، وكادت دولة الإسلام أن تنتهي ، ولولا مواقف أبي بكر لم تعد الأمور إلى نصابها ، ولم يبق الإسلام من جديد ، فكان بحق المجدد الأول للإسلام ، لكنه تجديد ليس له مثل ولا عدل ، فغيره من المجددين جاءوا والإسلام في الأرض مكين وتجربته ممتدة ، أما تجديده هو فكان في مرحلة عاصفة ونبت الإسلام غض .

* ومع الفهم السديد للإسلام ومع هذا العزم والحزم فقد امتلك أبو بكر قوة المبادرة التي قذفت بالمسلمين إلى عوالم جديدة ، فلما تسلم الراية عمر رضي الله عنه كانت تقاطع الانطلاق محددة فسار بها بحزم وعزم ومبادرات مكافئة ، ولكن لأبي بكر فضيلة السبق وشق الطريق ، فمن يدعي بعد ذلك أن هناك أثقل من أبي بكر في الميزان ؟

* ويرى بعض الباحثين أن موقف أبي بكر من بعث أسامة وموقفه من المرتدين دليل على أن الشورى في حق أمير المؤمنين عملية لا ملزمة بدليل أن أبا بكر خالف الناس في ذلك والأمر عندنا أن في هاتين القضيتين نصوصاً ، وحيثما كانت النصوص فلا محل للشورى ، فالرسول ﷺ توفي وهو يوصي بإنفاذ جيش أسامة والرسول ﷺ يقول : « أمرت

أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ... » ولذلك فإنني لا أرى في هاتين الحادثتين دليلاً على عدم إلزامية الشورى والذي أراه لعصرنا أن المسلمين على شروطهم فحيثما تعاقدوا على حدود للشورى فإنها تلزم المتعاقدين .

* * *

* ولقد سنّ أبو بكر سنناً ، واجتهد اجتهادات ، ولقد خالفه بعد ذلك في بعض اجتهاداته عمر وغيره ، ومن ههنا نقول : إنّ كل تصرفات الخلفاء الراشدين هي من باب السوابق الدستورية لهذه الأمة ، وهذه الأمة تستطيع أن تبني على أيّ سنة من سننهم إذا رأت في ذلك مصلحة وكان ذلك من خلال الشورى .

* * *

* ومن أهم ميزات أبي بكر رضي الله عنه حسن اختياره للرجال وإعطائهم الفرص لإطلاق طاقاتهم ومعرفته بنفسية رعيته يظهر ذلك من قوله عمر : « رحم الله أبا بكر فلقد كان أعرف مني بالرجال ، ومن إطلاقه العنان لخالد في التصرفات ومن تحريكه العرب إلى فتح الشام والعراق مباشرة بعد ما أنهى ، ولسولا ذلك لأهلك العرب بعضهم بعضاً .

* * *

عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١)

ميلاده ووفاته :

ولد عمر بن الخطاب بمكة قبل حرب الفجار بنحو أربع سنوات على ما يرويه الطبري . ونشأ نشأة عالية كريمة ، فكان فصيحاً بليغاً جريئاً في الحق . وهو من الرهط الذين انتهى إليهم الشرف في الجاهلية ، وكانت إليه السفارة في قريش . أسلم في السنة الخامسة للبعثة وأعز الله به الإسلام ، كان إسلامه فتحاً ، وكانت هجرته نصراً ، وكانت إمرته رحمة ، وقضى نحبه شهيداً بعد أن طبعه أبو لؤلؤة المجوسي لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين رضي الله عنه .

بيعته في الخلافة :

بويع عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ثلاث عشرة للهجرة بعد وفاة الصديق رضي الله عنه ، واستمرت خلافته حتى سنة ثلاث وعشرين ، فكانت خلافته عشرين عاماً عدل ورحمة وبر وجهاد .

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب حرصاً منه على وحدة المسلمين ، وجمع شملهم ، وقطعاً لدابر الخلاف بينهم ، وقد وقع اختيار الصديق على عمر رضي الله عنه لأنه أهل لتحمل أعباء الخلافة والاضطلاع بمسؤولياتها ، فعمر رجل شديد في غير عنف ، ولين في غير ضعف ، وكان الصديق رضي الله عنه في مرضه الأخير يستشير الصحابة في عمر فيثنون عليه خيراً ويشهدون له بالفضل ويقرون له بالجليل ، وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه هو الذي كتب عهد الصديق إلى عمر بالخلافة ، فلما قرىء العهد على المسلمين أقرّوا به وسمعوا له وأطاعوا .

سيرته قبل الخلافة :

وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه حياته بعد أن أيلم علي نصرته الإسلام والذود عن

(١) شارك في إعداد مقدمة هذه الترجمة أحد الأخوة فجزاه الله خيراً..

حياضه ، فقد صاحب الرسول ﷺ فأحسن صحبته وبالع في نصرته ، كان من أشد الناس على الكفر وأهله ، وشهد الغزوات مع رسول الله ﷺ ، فكان مع النبي ﷺ في بدر وأحد والخندق وبيعة الرضوان وخيبر والفتح وغيرها ، كان يشير على الرسول بالأمر فينزل الوحي موافقاً لما أشار به ، وكان الصديق رضي الله عنه يستشير في معضلات الأمور ، ومشكل القضايا ، وكان الساعد الأيمن للصديق في حرب المرتدين ، وهو صاحب الفضل في حل الصديق على جمع القرآن الكريم وتدوينه .

سيرته أثناء الخلافة :

كانت حياة الفاروق رضي الله عنه حافلة بجلال الأعمال ، فقد قوّض الله على يديه أعظم إمبراطوريتين في ذلك العصر : الروم وفارس . وتمت في عهده فتوحات واسعة ، تسير جيوشه مكلّلة بأكاليل النصر والظفر ، لا تنكس لها راية ، ولا يطوى لها لواء ، ناشرة عقيدة التوحيد أينما ألقت عصا التسيار ، حاملة مبادئ الخير والعدل والرحمة إلى كل الأقطار والأمصار ، أهم هذه الفتوحات فتوح الشام ، وهذه أهم معاركها في عهد عمر : .

١ - فتح دمشق :

آلت قيادة الجيش بعد وفاة الصديق إلى أبي عبيدة بن الجراح بعد عزل خالد رضي الله عنه من قبل الفاروق ، وارتحل أبو عبيدة من اليرموك فنزل بالجيش على مرج الصفر وهو عازم على حصار دمشق فقد نُمي إليه أن هرقل قد تحصّن في حصص ، وأنّ جموعاً كبيرة من الروم قد اجتمعت بفحل من أرض فلسطين ، وقد كتب أبو عبيدة إلى الفاروق يستشيره ماذا يصنع ؟ فأشار إليه أن يبدأ بفتح دمشق فإنّها حصن الروم وبيت مملكتهم ، وأن يشغل أهل فحل بخيل تكون تلقاءهم فإن فتح الله عليه دمشق سار إلى فحل ، فإن فتحها الله له سار وخالد إلى حصص وترك عمرو بن العاص وشرجيل على الأردن وفلسطين . وكان أبو عبيدة قائداً أريباً نجيباً فقد بعث جيشاً ليكون بين دمشق وفلسطين ، وأرسل جيشاً آخر يكون بين دمشق وحصص ليقطع عن دمشق كل مدد يأتيها من قبل الروم .

ومضى أبو عبيدة لحصار دمشق معه كبار قادته ، فنزل خالد بن الوليد على الباب

شُرقي ، ونزل أبو عبيدة على باب الجابية الكبير ، ونزل يزيد بن أبي سفيان على باب الجابية الصغير ، وشرحيل بن حسنة على بقية أبواب البلد وحاصروا دمشق حصاراً شديداً ، فأبلس أهلها وضعفوا ، وقوي المسلمون واشتد حصارهم ، وأنس خالد من الروم غيرة فقد ولد لبطريقهم - وهو القائد عند الروم تعادل اليوم رتبة جنرال - ولد فأكلوا وشربوا وناموا عن مواقعهم ، فنهز خالد وأصحابه فقطعوا الخندق سباحة يقرب في أعناقهم ونصبوا السلام وأثبتوا أعاليها بالشرفات وصعدوا فيها ، فلما استولوا على السور رفعوا أصواتهم بالتكبير وانحدروا إلى البوابين فصرعهم وفتحوا الباب عنوة ، ودخل الجيش من الباب الشرقي وشرع يقتل كل من وجد من أصحاب هذا الباب ، وسأل أهل دمشق أمراء المسلمين على بقية الأبواب الصلح فأجابهم دون أن يعلموا ما صنع خالد ، واستقر أمر دمشق على الصلح .

٢ - فتح الأردن :

فتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة ، وبعث أبو عبيدة خالداً فغلب على البقاع وصالحه أهل بعلبك على أنصاف منازلهم وكنائسهم ووضع الخراج .

٣ - وقعة فحل :

خلف أبو عبيدة يزيد بن أبي سفيان في خيله في دمشق وسار إلى فحل وهي بلدة بالغور وعلى مقدمة الجيش خالد بن الوليد ، وعلى ميمنته أبو عبيدة ، وعمرو بن العاص على الميسرة ، ولما علم أهل فحل بخروج المسلمين إليهم انحازوا إلى بيسان ، وأرسلوا المياه على الأراضي تفصل بينهم وبين المسلمين فكانت مكيدة عظيمة ، وظن الروم أن المسلمين على غرة فركبوا إليهم وهجموا عليهم ، وكان المسلمون على أهبة الاستعداد ، فقاموا إليهم وأعملوا السيوف في رقابهم ، ففر الروم لا يلوون على شيء ، وغرقوا في الوحل الذي كادوا به المسلمين ، وقتل منهم ما يقارب الثمانين ألفاً وغنوا منهم مالا جزيلاً ، ومضى أبو عبيدة وخالد نحو حصن عملاً بوصية الخليفة الفاروق . واستخلف أبو عبيدة على الأردن شرحبيل ابن حسنة ، فسار شرحبيل ومعه عمرو بن العاص فحاصر بيسان فخرجوا إليه فقتل منهم خلقاً كثيراً ، ثم صالحه أهلها فضرب عليهم الجزية والخراج على أراضيهم .

فتوح العراق :

لما كان الصديق في مرضه الأخير أوصى عمر بن الخطاب أن يندب الناس لقتال أهل العراق ومناجزتهم ، ومن أحرص من ابن الخطاب على تنفيذ وصية الصديق ؟ فلما مات الصديق رضي الله عنه طفق عمر يبحث الناس على قتال أهل العراق ، ويرغبهم في الأجر والثواب ، فكان أبو عبيد بن مسعود الثقفي أول من لبى ، وتتابع الناس في الإجابة ، وأمر الفاروق أبا عبيد على الجميع وأشخصه إلى العراق ومعه سبعة آلاف رجل ، وكتب الفاروق إلى أبي عبيدة أن يرسل من كان بالعراق ممن قدم مع خالد إلى أرض العراق ، فجهز عشرة آلاف مقاتل ولوا وجوههم شطر العراق .

١ - وقعة الجسر :

تدامرت الفرس بينهم بعد الهزيمة التي حاقت بهم أمام الجيش الإسلامي بقيادة أبي عبيد ، فأرسل رُسُوم جيشاً جرّاراً بقيادة ذا الحجاب - يهمن جاذويه - فوصلوا إلى المسلمين وبينهم النهر ، فطلبوا من المسلمين أن يعبروا النهر فأجابهم أبو عبيد ، ودار قتال شديد وبدأت خيول المسلمين تفرّ من الفيلة التي جاءت بها الفرس وعليها الجلاجل ، فاحتوشها المسلمون وقتلوها سوى فيل أبيض عظيم حل عليه أبو عبيد فقطع ذلومه ، فهاج الفيل وتخبّط أبا عبيد برجليه فصرعه وصرع سبعة من الأمراء الذين نصّ عليهم أبو عبيد ، فوهن المسلمون وولّوا مدبرين وقتل منهم خلق كثير .

٢ - وقعة البويب :

التقى المسلمون بقيادة المشق بن حارثة مع الجيش الفارسي الذي يقوده مهران بمكان يقال له (البويب) قريب من الكوفة وبينهما الفرات ، فعبرت الفرس إلى المسلمين واقتتلوا اقتتالاً شديداً ، فَصَرَعَ مهران وهرب الفرس وركب المسلمون أكتافهم وذلت لهذه الواقعة رقاب الفرس وقتل منهم وغرق ما يقارب مائة ألف ، وكانت هذه الواقعة بالعراق نظير اليرموك بالشام .

وانتظم شمل الفرس ، واجتمع أمرهم على يزدهرد الذي أقاموه من بيت الملك ، ونبذ

أهل الذمة في العراق المواليين التي أخذها المسلمون الفاتحون عليهم ، ونكثوا عهودهم وأدوا المسلمين وأخرجوا عمال الخليفة من بين أظهرهم ، فعزم الفاروق رضي الله عنه على غزو العراق بنفسه ، ولكنَّ عبد الرحمن بن عوف ثناه عن ذلك ، واستصوب الصحابة رأي ابن عوف ، وأشار عليه أن يؤمّر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه على الناس لقتال الفرس فاستجاد الفاروق رأيه وأمر سعدا على العراق . وسار سعد إلى العراق فلما بلغ العذيب اعترض المسلمين جيشٌ للفرس مع شيرزاد أراذويه فهزمه المسلمون وغنموا أموالهم وأمتعتهم وفرح المسلمون وتفاءلوا .

٣ - غزوة القادسية :

أمر الفاروق سعد بن أبي وقاص أن يقصد القادسية فيم سعد وجهه شطرها وكانت القادسية باب العراق ، فالتقي برستم في جيش لجب يربو على مائة وعشرين ألفاً ، وكان المسلمون يتراوح عددهم بين سبعة آلاف وثمانية آلاف مقاتل .

أرسل سعد رضي الله عنه طائفة من أصحابه إلى كسرى (يزدرج) يدعونه إلى الله تعالى فاستأذنوا فأذن لهم ، وكان كسرى متكبراً ، فضلاً عن أنه لم يستوعب الموقف الجديد ، فرد رسل سعد على تساؤلات يزدرج ودعوه إلى الإسلام فإن أبي فالجزية فإن امتنع فالسيف الذي يفصل بينهم وبينه ، فاستشاط غضباً وورم أنفه ، وقال لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم لاشيء لكم عندي ، وقابل وفد آخر من المسلمين رستم قائد الجيش الفارسي ، وقالوا له ما قالوا لكسرى ، فأعجب رستم بقوة حجّتهم وسديد إجابتهم وأيقن أن المسلمين سيملكون سرير ملكه .

وتواجه الفريقان واقتتلوا قتالاً شديداً دام أياماً ، ثم هزم الله الفرس ، وقتل رستم وعدد كبير من جنده وهرب الباقون ، وغنم المسلمون أموالاً كثيرة ، ثم طاردهم سعد إلى جَلُولاء أوقع بهم وأسر إحدى بنات كسرى وعدداً كبيراً من الفرس ، وكتب سعد إلى الفاروق يبشره بالفتح المبين ، فقرأ الفاروق هذه البشارة على الناس من فوق المنبر ، وقد ردت القادسية كثيراً من أهل العراق إلى صوابهم ، فقد كانت بلاد العراق التي فتحها خالد نكثت العهود والذمم والمواثيق التي أعطوها خالداً ، ثم آب الجميع إلى رشدكم بعد النصر المؤزر الذي

أحرزه المسلمون في القادسيّة ، وكانوا قد زعموا أنّ الفرس قسروهم على تقض العهود وأخذوا منهم الخراج ، فصدّقهم المسلمون تألفاً لقلوبهم .

٤ - فتح المدائن :

ثمّ توغّل سعد في بلاد العراق واستولى على المدائن ، وغنم المسلمون منها غنائم كثيرة ، من بينها بساط كسرى ، ولأذ يزدرجرد بالفرار يجرّ أذيال الخيبة ، حاملاً معه أمواله وما خفّ حمله من المتاع : وقصة ذلك أن سعداً أخبر أن كسرى يزدرجرد عازم على أخذ الأموال والأمتعة من المدائن إلى حلوان وإن لم تدركه قبل ثلاث فوات عليك وتفاطر الأمر ، فعند ذلك خطب سعد المسلمين على شاطئ دجلة وحثهم على إخلاص النيات لله والاعتصام به تعالى ، وندب الناس إلى العبور للقاء الفرس وانتدب عاصم بن عمرو وقريب من ستائة ليجوزوا النهر لحماية ثغرة المحاذية من الناحية الأخرى ، فقبل عاصم وفقاً عيون خيول الفرس التي جاءت لقتالهم بالرماح ، واستطاعوا أن ينفوا الفرس عن الجانب الآخر ، وعبر المسلمون النهر بقيادة سعد لم يتخلف منهم أحد دون أن يمسه سوء ، واستحوذ المسلمون على ما في المدائن أجمع ، وكان في جملة ذلك تاج كسرى وهو مكلّل بالجواهر النفيسة التي تحير الأبصار ومنطقته وسيفه وسواره وقبأؤه وبساط إيوانه ، وقد استوهب سعد المسلمين أربعة أخماس البساط ولَبَسَ كسرى من المسلمين وأرسله إلى عمر والمسلمين بالمدينة لينظروا إليه ويتعجبوا منه ، فلما نظر عمر إلى ذلك قال : إنّ قوماً أدّوا هذا لأمناء ، فقال له علي كرم الله وجهه : إنّك عفت فعقوا ولو رتعت لرتعوا ، وألبس عمر سراقه بن مالك سوارى كسرى لأن الرسول ﷺ قال لسراقه وقد نظر إلى ذراعيه : « كَأَنِّي بِكَ وَقَدْ أَلْبَسْتَ سِوَارِي كِسْرَى » .

٥ - وقعة جلولاء :

لما نكل يزدرجرد من المدائن هارباً لا يلوي على شيء ، اجتمع إليه في أثناء الطريق جند وأعوان وخلق كثير وشايعة من الفرس جمع غفير ، وأمر كسرى عليهم مهران الرازي وسار إلى حلوان ، فأقام الجمع الذي جمعه في جلولاء واحتفروا حولها خندقاً سحيقاً ، فأرسل سعد بأمر الخليفة جيشاً كثيفاً يقارب اثني عشر ألفاً من سادات المسلمين ووجوه المهاجرين والأنصار بقيادة ابن أخيه هاشم بن عتبة ، وجعل على مقدّمة الجيش القعقاع بن عمرو ،

فحاصروهم المسلمون وحمي القتال واشتدّ النزال وحمل القعقاع في جماعة من الفرسان الشجعان على الفرس فملك باب الخندق وكان الظلام أرخى سدوله ففرّ المجوس وهربوا كل مهرب ، فأخذهم المسلمون من كلّ وجه ، وقعدوا لهم كلّ مرصد ، فقتل منهم في ذلك الموقف مائة ألف حتّى جللوا وجه الأرض بالقتلى ، فسُميت جلولا ، وولّى مهران قائد الجيش الأدبار فأدركه القعقاع بن عمرو فقتله ، وأسر المسلمون سبايا كثيرة وأموالاً وفيرة قريباً ممّا غنوا من المدائن قبلها .

٦ - فتح حلوان :

لما علم كسرى بقتل قائده مهران الرازي وهزيمة جيشه ، فرّ من حلوان إلى الري ، واستناب على حلوان أميراً يقال له خسروشوم ، فتقدّم إليه القعقاع بن عمرو وهزمه هزيمة منكرة ودخل حلوان ففتحها وأقام بها وضرب الجزية على من حولها من الكور والأقاليم عندما أبوا الدخول في الإسلام .

٧ - فتح تكريت والموصل :

اجتمع أهل الموصل بتكريت على رجل من الكفرة يقال له الأنطاق ، فأمر الفاروق بقتالهم ، فنهد المسلمون لحربهم بقيادة عبد الله بن المعتم في خمسة آلاف مقاتل ، فسار عبد الله حتّى نزل بتكريت على الأنطاق وهزم أهلها وقتل منهم خلقاً كثيراً ولم يسلم من سيوف المسلمين إلّا من أعلن إسلامه ودخل في دين الله ، ثمّ سار المسلمون بقيادة ربعي بن الأفكل إلى الموصل سريعاً فاستسلم أهلها وأجابوا إلى الصلح فضربت عليهم الجزية .

ثمّ فتحت ماسبذان ووقرقيسيا والجزيرة والأهواز ورامهرمز والسوس وتُسْتَر ونهاوند وخراسان وأصبهان وأذربيجان والرّي والباب وتوّج وفسا وداربجر وكرمان وسجستان ومكران ، وبذلك سقطت مملكة فارس بيد المسلمين نهائياً .

وفي عهد عمر تمّ فتح بلاد الشام جميعها ، وتمّ فتح مصر وكل ذلك في مدة لا تزيد عن عشر سنوات ، وفتحت فارس كلها ووقف المسلمون من جهة الشرق على نهر السند ونهر جيحون .

وهذا ملخص لما حدث في كل سنة من سني حكمه عليه رضوان الله نأخذه من البداية والنهاية :

قال ابن كثير : ما وقع سنة ثلاث عشرة من الحوادث :

فيها ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة منها ، فولي قضاء المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، واستناب على الشام أبا عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري ، وعزل عنها خالد بن الوليد الخزومي ، وأبقاه على شوري الحرب ، وفيها فتحت بصرى صلحاً وهي أول مدينة فتحت من الشام ، وفيها فتحت دمشق في قول سيف وغيره كما قدمنا ، واستناب فيها يزيد بن أبي سفيان فهو أول من وليها من أمراء المسلمين رضي الله عنهم ، وفيها كانت وقعة فحل من أرض الغور وقتل بها جماعة من الصحابة وغيرهم . وفيها كانت وقعة جسر أبي عبيد فقتل فيها أربعة آلاف من المسلمين منهم أميرهم أبو عبيد بن مسعود الثقفي ، وهو والد صفية امرأة عبد الله بن عمر وكانت امرأة سالحة رحمها الله ، ووالد المختار بن أبي عبيد كذاب ثقيف وقد كان نائباً على العراق في بعض وقعات العراق كما سيأتي ، وفيها توفي المثنى بن حارثة في قول ابن إسحاق ، وقد كان نائباً على العراق استخلفه خالد بن الوليد حين سار إلى الشام ، وقد شهد مواقف مشهورة وله أيام مذكورة ولا سيما يوم البويب بعد جسر أبي عبيد قتل فيه من الفرس وغرق بالفرات قريب من مائة ألف ، الذي عليه الجمهور أنه بقي إلى سنة أربع عشرة كما سيأتي بيانه ، وفيها حج بالناس عمر بن الخطاب على قول بعضهم وقيل بل حج عبد الرحمن ابن عوف ، وفيها استنفر عمر قبائل العرب لغزو العراق والشام فأقبلوا من كل النواحي فرمى بهم الشام والعراق ، وفيها كانت وقعة أجنادين في قول ابن إسحاق يوم السبت لثلاث من جمادى الأولى منها ، وكذا عند الواقدي فيما بين الرملة وبين جسرين ، على الروم القيقلان وأمير المسلمين عمرو بن العاص ، وهو في عشرين ألفاً في قول فقتل القيقلان وانهزمت الروم وقتل منهم خلق كثير .

سنة أربع عشرة من الهجرة :

استهلت هذه السنة والخليفة عمر بن الخطاب يحث الناس ويحرضهم على جهاد أهل العراق ، وذلك لما بلغه من قتل أبي عبيد يوم الجسر ، وانتظام شمل الفرس ، واجتماع أمرهم على يزدجرد الذي أقاموه من بيت الملك ، ونقض أهل الذمة بالعراق عهودهم ، ونبذهم المواثيق التي كانت عليهم ، وأذوا المسلمين وأخرجوا العمال من بين أظهرهم . وقد كتب عمر إلى من هنالك من الجيش أن يتبرزوا من بين أظهرهم إلى أطراف البلاد . قال ابن جرير رحمه الله : وركب عمر رضي الله عنه في أول يوم من الحرم هذه السنة في الجيوش من المدينة فنزل على ماء يقال له صِرَار - اسم موضع - ، فمسكر به عازماً على غزو العراق بنفسه واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب ، واستصحب معه عثمان بن عفان وسادات الصحابة .

ثم عقد مجلساً لاستشارة الصحابة فيما عزم عليه ، ونودي أن الصلاة جامعة ، وقد أرسل إلى علي فقدم من المدينة ، ثم استشارهم فكلهم وافقوه على الذهاب إلى العراق ، إلا عبد الرحمن بن عوف فإنه قال له : إني أخشى إن كسرت أن تضعف المسلمون في سائر أقطار الأرض ، وإني أرى أن تبعث رجلاً وترجع أنت إلى المدينة ، فارتاح عمر والناس عند ذلك واستصوبوا رأي ابن عوف . فقال عمر : فن ترى أن نبعث إلى العراق ؟ فقال : قد وجدته . قال : ومن هو ؟ قال : الأسد في برائه سعد بن مالك الزهري - ابن أبي وقاص - فاستجاد قوله وأرسل إلى سعد فأمره على العراق .

ثم سار سعد إلى العراق ، ورجع عمر بمن معه من المسلمين إلى المدينة ، ولما انتهى سعد إلى نهر زرود ، ولم يبق بينه وبين أن يجتمع بالثنى بن حارثة إلا اليسير ، وكل منها مشتاق إلى صاحبه ، انتقض جرح المثنى بن حارثة الذي كان جرحه يوم الجسر فمات رحمه الله ورضي الله عنه ، واستخلف على الجيش بشير بن الحصاصية ، ولما بلغ سعداً موته ترحم عليه وتزوج زوجته سلمى ، ولما وصل سعد إلى محلة الجيوش انتهت إليه رياستها وإمرتها ، ولم يبق بالعراق أمير من سادات العرب إلا تحت أمره ، وأمدّه عمر بأمداد آخر حتى اجتمع معه يوم القادسية ثلاثون ألفاً ، وقيل ستة وثلاثون . وقال عمر : والله لأرmeen ملوك العجم

ببلوك العرب ، وكتب إلى سعد أن يجعل الأمراء على القبائل ، والعرفاء على كل عشرة عريقاً على الجيوش ، وأن يواعدهم إلى القادسية ، ففعل ذلك سعد ، عزّف العرفاء ، وأمر على القبائل ، وولى على الطلائع ، والمقدمات ، والمجنّبات والساقات ، والرّجّالة ، والركبان ، كما أمر أمير المؤمنين عمر .

قال ابن جرير والواقدي : في سنة أربع عشرة جمع عمر بن الخطاب الناس على أبي بن كعب في التراويح وذلك في شهر رمضان منها ، وكتب إلى سائر الأمصار يأمرهم بالاجتماع في قيام شهر رمضان قال ابن جرير : وفيها بعث عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان إلى البصرة وأمره أن ينزل فيها بمن معه من المسلمين ، وقطع مادة أهل فارس عن الذين بالمدائن ونواحيها منهم في قول المدائني .

ثم دخلت سنة خمس عشرة :

قال ابن جرير قال بعضهم : فيها مضّر سعد بن أبي وقاص الكوفة دلّهم عليها ابن بكيلة قال لسعد أدلك على أرض ارتفعت عن البق وانحدرت عن الفلاة ؟ فدلهم على موضع الكوفة اليوم ، قال : وفيها - في سنة خمس عشرة - كانت وقعة مرج الروم ، وذلك لما انصرف أبو عبيدة وخالد من وقعه فحل قاصدين إلى حصص حسب ما أمر به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما تقدم في رواية سيف بن عمر ، فسارا حتى نزلا على ذي الكلاع ، فبعث هرقل بطريقاً يقال له تودرا في جيش معه فنزل بمرج دمشق وغيرها ، وقد هجم الشتاء فبدأ أبو عبيدة بمرج الروم ، وجاء أمير آخر من الروم يقال له شنس وعسكر معه كثيف ، فنازله أبو عبيدة فاشتغلوا به عن تودرا ، فسار تودرا نحو دمشق لينازلها وينتزعها من يزيد بن أبي سفيان ، فاتبعه خالد بن الوليد وبرز إليه يزيد بن أبي سفيان من دمشق ، فاقتتلوا وجاء خالد وهم في المعركة فجعل يقتلهم من ورائهم ويزيد يفصل - أي : يفتك - فيهم من أمامهم ، حتى أناموهم ولم يفلت منهم إلا الشارد ، وقتل خالد تودرا وأخذوا من الروم أموالاً عظيمة فاقتسامها ورجع يزيد إلى دمشق ، وانصرف خالد إلى أبي عبيدة فوجده قد واقع شنس بمرج الروم فقاتلهم فيه مقاتلة عظيمة حتى أنتنت الأرض من زهمهم ، وقتل أبو عبيدة شنس وركبوا أكتافهم إلى حصص فنزل عليها يحاصرها .

ثم دخلت سنة ست عشرة :

استهلت هذه السنة وسعد بن أبي وقاص منازل مدينة نهر شير ، وهي إحدى مدينتي كسرى مما يلي دجلة من الغرب ، وكان قدوم سعد إليها في ذي الحجة من سنة خمس عشرة ، واستهلت هذه السنة وهو نازل عندها . وقد بعث السرايا والخيول في كل وجه ، فلم يجدوا واحداً من الجند ، بل جمعوا من الفلاحين مائة ألف فحبسوا حتى كتب إلى عمر ما يفعل بهم ، فكتب إليه عمر : إن من كان من الفلاحين لم يعن عليكم وهو مقيم ببلده فهو أمانيه ، ومن هرب فأدركتموه فشانكم به . فأطلقهم سعد بعد ما دعاهم إلى الإسلام فأبوا إلا الجزية . ولم يبق من غربي دجلة إلى أرض العرب أحد من الفلاحين إلا تحت الجزية والخراج .

قال الواقدي : وفي ربيع الأول من هذه السنة - أعني سنة ست عشرة - كتب عمر بن الخطاب التاريخ ، وهو أول من كتبه . قلت : قد ذكرنا سببه في سيرة عمر ، وذلك أنه رفع إلى عمر صك مكتوب لرجل على آخر بدين يحل عليه في شعبان ، فقال : أي شعبان ؟ أمن هذه السنة أم التي قبلها ، أم التي بعدها ؟ ثم جمع الناس فقال : ضعوا للناس شيئاً يعرفون فيه حلول ديونهم . فيقال : إنهم أراد بعضهم أن يؤرخوا كما تؤرخ الفرس بملوكهم ، كلما هلك ملك أرخوا من تاريخ ولاية الذي بعده ، فكروها ذلك . ومنهم من قال : أرخوا بتاريخ الروم من زمان إسكندر فكروها ذلك ، ولطوله أيضاً . وقال قائلون : أرخوا من مولد رسول الله ﷺ ، وقال آخرون من مبعثه عليه السلام ، وأشار علي بن أبي طالب وآخرون أن يؤرخ من هجرته من مكة إلى المدينة لظهوره لكل أحد فإنه أظهر من المولد والمبعث . فاستحسن ذلك عمر والصحابة ، فأمر عمر أن يؤرخ من هجرة رسول الله ﷺ وأرخوا من أول تلك السنة من محرمها .

ثم دخلت سنة سبع عشرة :

في المحرم منها انتقل سعد بن أبي وقاص من المدائن إلى الكوفة ، وذلك أن الصحابة استوخوا المدائن ، وتغيرت ألوانهم ، وضعفت أبدانهم ، لكثرة ذبابها وغبارها ، فكتب سعد إلى عمر في ذلك ، فكتب عمر : إن العرب لا تصلح إلا حيث يوافق إبلها . فبعث سعد حذيفة وسلمان بن زياد يرتادان للمسلمين منزلاً مناسباً يصلح لإقامتهم . فمرا على أرض

الكوفة وهي حصباء في رملة حمراء ، فأعجبتها ووجد هنالك ديرات ثلاث دير حرقة بنت النعمان ، ودير أم عمرو ، ودير سلسلة ، وبين ذلك خصاص خلال هذه الكوفة ، فنزلا فصليا هنالك ، ثم كتبوا إلى سعد بالخبر ، فأمر سعد باختطاط الكوفة ، وسار إليها في أول هذه السنة في محرمها ، فكان أول بناء وضع فيها المسجد ، وأمر سعد رجلاً رامياً شديداً الرمي ، فرمى من المسجد إلى الأربع جهات فحيث سقط سهمه بنى الناس منازلهم ، وعمر قصراً تلقاء محراب المسجد للإمارة وبيت المال ، فكان أول ما بنوا المنازل بالقصب ، فاحترقت في أثناء السنة ، فبنوها باللبن عن أمر عمر ، بشرط أن لا يسرفوا ولا يجاوزوا الحد ، وبعث سعد إلى الأمراء والقبائل فقدموا عليه ، فأنزلهم الكوفة ، وأمر سعد أبا هياج الموكل بإنزال الناس فيها بأن يعمروا ويدعوا للطريق المنهج وسع أربعين ذراعاً - أي نحو عشرين متراً - ولما دون ذلك ثلاثين وعشرين ذراعاً ، وللأزقة سبعة أذرع . وبني لسعد قصر قريب من السوق ، فكانت غوغاء الناس تمنع سعداً من الحديث ، فكان يغلق بابه ويقول : سكن الصويت ، فلما بلغت هذه الكلمة عمر بن الخطاب بعث محمد بن مسلمة ، فأمره إذا انتهى إلى الكوفة أن يقدح زناده ويجمع خطباً ويحرق باب القصر ثم يرجع من فورهِ . فلما انتهى إلى الكوفة فعل ما أمره به عمر ، وأمر سعداً أن لا يغلق بابه عن الناس ، ولا يجعل على بابه أحداً يمنع الناس عنه ، فامثل ذلك سعد وعرض على محمد بن مسلمة شيئاً من المال فامتنع من قبوله ، ورجع إلى المدينة ، واستمر سعد بعد ذلك في الكوفة ثلاث سنين ونصف ، حتى عزله عنها عمر ، من غير عجز ولا خيانة .

وذكر ابن جرير أن عمر بن الخطاب عقد الألوية والرايات الكبيرة في بلاد خراسان والعراق لغزو فارس والتوسع في بلادهم كما أشار عليه بذلك الأحنف بن قيس ، فحصل بسبب ذلك فتوحات كثيرة في السنة المستقبلية بعدها .

ثم دخلت سنة ثمانى عشرة :

قال ابن إسحاق ، وأبو معشر : كان في هذه السنة طاعون عمّواس وعام الرمادة ، فتفانى فيها الناس . قلت : كان في عام الرمادة جدد عم أرض الحجاز ، وجاع الناس جوعاً شديداً ، وسميت عام الرمادة لأن الأرض اسودت من قلة المطر حتى عاد لونها شبيهاً

بالرماد . وقيل : لأنها تسفي الريح تراباً كالرماد ، ويمكن أن تكون سميت لكل منها والله أعلم ، وقد أجدهت الناس في هذه السنة بأرض الحجاز ، وجفلت الأحياء إلى المدينة ولم يبق عند أحد منهم زاد فلجأوا إلى أمير المؤمنين فأنفق فيهم من حواصل بيت المال مما فيه من الأطعمة والأموال حتى أنفده ، وألزم نفسه أن لا يأكل سمناً ولا سميناً حتى يكشف ما بالناس ، فكان في زمن الخصب يث له الخبز باللبن والسن ، ثم كان عام الرمادة يث له بالزيت والخل ، وكان يستمرىء الزيت . وكان لا يشيع مع ذلك ، فاسود لون عمر رضي الله عنه وتغير جسمه حتى كاد يخشى عليه من الضعف ، واستمر هذا الحال في الناس تسعة أشهر ، ثم تحول الحال إلى الخصب والدعة وانشر الناس عن المدينة إلى أماكنهم .

قال الشافعي : بلغني أن رجلاً من العرب قال لعمر حين ترحلت الأحياء عن المدينة : لقد انجلت عنك ولإنك لابن حرة . أي واسيت الناس وأنصفتهم وأحسنيت إليهم .

قال الواقدي وغيره : وفي هذه السنة في ذي الحجة منها حول عمر المقام - وكان ملصقاً بجدار الكعبة - فأخره إلى حيث هو الآن لئلا يشوش المصلون عنده على الطائفين . قلت : قد ذكرت أسانيد ذلك في سيرة عمر والله الحمد والمنة . قال : وفيها استقضى عمر شريحاً على الكوفة ، وكعب بن سور على البصرة قال : وفيها حج عمر بالناس وكانت نوابه فيها الذين تقدم ذكرهم في السنة الماضية ، وفيها فتحت الرقة والرُّها وحرَّان على يدي عياض بن غنم . قال : وفتحت رأس عين الوردية على يدي بن سعد بن أبي وقاص . وقال غيره خلاف ذلك . وقال شيخنا الحافظ الذهبي في تاريخه : وفيها - يعني هذه السنة - افتتح أبو موسى الأشعري الرها وشمشاط عنوة ، وفي أوائلها وجه أبو عبيدة عياض بن غنم إلى الجزيرة فوافق أبا موسى فافتتحا حران ونصيبين وطائفة من الجزيرة عنوة ، وقيل صلحاً . وفيها سار عياض إلى الموصل فافتتحها وما حولها عنوة . وفيها بنى سعد جامع الكوفة . وقال الواقدي : وفيها كان طاعون عمّواس فات فيه خمسة وعشرون ألفاً . قلت : هذا الطاعون منسوب إلى بلدة صغيرة يقال لها عمّواس - وهي بين القدس والرملة - لأنها كان أول ما نجم الداء بها ، ثم انتشر في الشام فنسب إليها ، فإننا لله وإنا إليه راجعون . قال الواقدي توفي في عام طاعون عمّواس من المسلمين بالشام خمسة وعشرون ألفاً . وقال غيره : ثلاثون ألفاً .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين :

وكانت وقعة نهاوند وهي وقعة عظيمة جداً لها شأن رفيع ونبأ عجيب ، وكان المسلمون يسمونها فتح الفتوح .

وفي هذه السنة افتتح المسلمون أيضاً بعد نهاوند مدينة جَيّ - وهي مدينة أصبهان - بعد قتال كثير وأمور طويلة ، فصالحوا المسلمين وكتب لهم عبد الله بن عبد الله كتاب أمان وصلاح وفر منهم ثلاثون نفرأ إلى كرمان لم يصالحوا المسلمين . وقيل : إن الذي فتح أصبهان هو النعمان بن مقرن وأنه قتل بها ، ووقع أمير الجوس وهو ذو الحاجبين عن فرسه فانشق بطنه ومات وانهمز أصحابه . والصحيح أن الذي فتح أصبهان عبد الله بن عبد الله بن عتبان - الذي كان نائب الكوفة - وفيها افتتح أبو موسى قم وقاشان ، وافتتح سهيل بن عدي مدينة كرمان .

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين :

وفيها كانت فتوحات كثيرة منها فتح همدان ثانية ثم الري وما بعدها ثم أذربيجان .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وفيها وفاة عمر بن الخطاب :

قال الواقدي وأبو معشر : فيها كان فتح اصطخر وهمدان . وقال سيف : كان فتحها بعد فتح تَوَجّ الآخرة . ثم ذكر أن الذي افتتح تَوَجّ مجاشع بن مسعود ، بعد ما قتل من الفرس مقتلة عظيمة وغنم منهم غنائم جمة ، ثم ضرب الجزية على أهلها ، وعقد لهم الذمة ، ثم بعث بالفتح وخمس الغنائم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقال ابن جرير : وفي هذه السنة حج عمر بأزواج النبي ﷺ ، وهي آخر حجة حجها رضي الله عنه . قال : وفي هذه السنة كانت وفاته . ا هـ من البداية والنهاية .

وقال ابن كثير في ترجمته وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قُرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

القرشي ، أبو حفص العدوي : الملقب بالفاروق ، قيل لقبه بذلك أهل الكتاب . وأمه حنّثة بنت هشام أخت أبي جهل بن هشام . أسلم عمر وعمره سبع وعشرون سنة ، وشهد بدرأً وأحدأً والمشاهد كلها مع النبي ﷺ ، وخرج في عدة سرايا ، وكان أميراً على بعضها ، وهو أول من دعي أمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ ، وجمع الناس على التراويح ، وأول من عسّ بالمدينة ، وحمل الدرة وأدب بها ، وجلد في الخمر ثمانين ، وفتح الفتوح ، ومصر الأمصار ، وجند الأجناد . ووضع الخراج ، ودون الدواوين ، وعرض الأعطية ، واستقضى القضاة ، وكوّر الكوّر ، مثل السواد والأهواز والجلال وفارس وغيرها ، وفتح الشام كله ، والجزيرة والموصل وميافارقين ، وآمد ، ومات وعساكره على بلاد الرّي . فتح من الشام : اليرموك وبُصرى ودمشق والأردن ، وبيسان ، وطبرية ، والجابية ، وفلسطين ، والرملة ، وعسقلان ، وغزة ، والسواحل ، والقدس ، وفتح مصر ، وإسكندرية ، وطرابلس الغرب ، وبرقة ، ومن مدن الشام : بعلبك وحمص وقنسرين وحلب وإنطاكية وفتح الجزيرة وحران والرّها والرّقة ونصيبين ورأس عين وشمشاط وعين وردة وديار بكر وديار ربيعة وبلاد الموصل وأرمينية جميعها . وبالعراق : القادسية والحيرة ونهر سيز وساباط ، ومدائن كسرى وكورة الفرات ودجلة والأهلة والبصرة والأهواز وفارس ونهاوند وهَمَذان والرّي وقُوس - وهو صقع كبير من خراسان وبلاد الجبل - وخراسان وإصطخر وأصبهان والسوس ومرو ونيسابور وجرجان وأذربيجان وغير ذلك ، وقطعت جيوشه النهر مراراً .

وكان متواضعاً في الله ، خشن العيش ، خشن المطعم ، شديداً في ذات الله ، يرقع الثوب بالأديم ، ويحمل القرية على كتفيه ، مع عظم هيئته ، ويركب الحمار عرباً ، والبعير مخطوماً بالليف ، وكان قليل الضحك لا يمازح أحداً ، وكان نقش خاتمه : كفى بالموت واعظاً ياعمر .

ولما فرغ من الحج سنة ثلاث وعشرين ونزل بالأبطح دعا الله عز وجل وشكا إليه أنه قد كبرت سنه وضعفت قوته ، وانتشرت رعيته ، وخاف من التقصير ، وسأل الله أن يقبضه إليه ، وأن ين عليه بالشهادة في بلد النبي ﷺ ، كما ثبت عنه في الصحيح أنه كان يقول : اللهم إني أسالك شهادة في سبيلك ، وموتاً في بلد رسولك ، فاستجاب له الله هذا الدعاء ،

وجمع له بين هذين الأمرين الشهادة في المدينة النبوية وهذا عزيز جداً ، ولكن الله لطيف بما يشاء تبارك وتعالى ، فاتفق له أن ضربه أبو لؤلؤة فيروز المجوسي الأصل ، الرومي الدار ، وهو قائم يصلي في المحراب ، صلاة الصبح من يوم الأربعاء ، لأربع بقين من ذي الحجة من هذه السنة بخنجر ذات طرفين ، فضربه ثلاث ضربات ، وقيل ست ضربات ، إحداهن تحت سترته قطعت الصَّفَاق - وهو ما بين الجلد والمصران أو جلد البطن كله - فخر من قامته ، واستخلف عبد الرحمن بن عوف ، ورجع العليج بخنجره لا يمر بأحد إلا ضربه ، حتى ضرب ثلاثة عشر رجلاً مات منهم ستة ، فألقى عليه عبد الله بن عوف بُرْئُساً - وهو ثوب له رأس ملتصق به - فانتحر نفسه لعنه الله ، وحمل عمر إلى منزله والدم يسيل من جرحه - وذلك قبل طلوع الشمس - فجعل يفيق ثم يغمى عليه ، ثم يذكرونه بالصلاة فيفيق ويقول : نعم ، ولاحظ في الإسلام لمن تركها ، ثم صلى في الوقت ، ثم سأل عن قتله من هو ؟ فقالوا له : هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة . فقال : الحمد لله الذي لم يجعل منيقي على يدي رجل يدعي الإيمان ولم يسجد لله سجدة . ثم قال : قبحه الله ، لقد كنا أمرنا به معروفاً - وكان المغيرة قد ضرب عليه في كل يوم درهمين ثم سأل من عمر أن يزيد في خراجة فإنه نجار تقاش حداد فزاد في خراجة إلى مائة في كل شهر - وقال له : لقد بلغني أنك تحسن أن تعمل رجا تدور بالهواء فقال أبو لؤلؤة : أما والله لأعملن لك رجا يتحدث عنها الناس في المشارق والمغارب - وكان هذا يوم الثلاثاء عشية - وطعنه صبيحة الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة . وأوصى عمر أن يكون الأمر شوري بعده في ستة ممن توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، وهم عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، ولم يذكر سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي فيهم ، لكونه من قبيلته ، خشية أن يراعى في الإمارة بسببه ، وأوصى من يستخلف بعده بالناس خيراً على طبقاتهم ومراتبهم ، ومات رضي الله عنه بعد ثلاث ، ودفن في يوم الأحد مستهل المحرم من سنة أربع وعشرين ، بالحجرة النبوية ، إلى جانب الصديق ، عن إذن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في ذلك ، وفي ذلك اليوم حكم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه .

صفته رضي الله عنه :

كان رجلاً طَوَّالاً أصلع أعسر أيسر - أي يعمل بيديه جميعاً - أحور العينين ، آدم اللون ، وقيل كان أبيض شديد البياض تعلوه حمرة .

قال النووي في التهذيب : وإنما صار في لونه سمرة في عام الرمادة لأنه أكثر أكل الزيت وترك السمن للغلاء الذي وقع بالناس .

أشنب الأسنان ، وكان يصفر لحيته ، ويرجل رأسه بالخناء .

واختلف في مقدار سنه يوم مات رضي الله عنه على أقوال عدتها - عشرة : وروى ابن جرير عن أسلم مولى عمر أنه قال : توفي وهو ابن ستين سنة . قال الواقدي : وهذا أثبت الأقاويل عندنا .

قلت : فجملة أولاده رضي الله عنه وأرضاه ثلاثة عشر ولداً ، وهم زيد الأكبر ، وزيد الأصغر ، وعاصم ، وعبد الله ، وعبد الرحمن الأكبر ، وعبد الرحمن الأوسط ، قال الزبير بن بكار وهو أبو شحمة ، وعبد الرحمن الأصغر ، وعبيد الله ، وعياض ، وحفصة ، ورقية ، وزينب ، وفاطمة ، رضي الله عنهم . ومجموع نسائه اللاقي تزوجهن في الجاهلية والإسلام من طلقهن أو مات عنهن سبع ، وهن جميلة بنت عاصم بن ثابت بن الأثلح ، وزينب بنت مظعون ، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، وقرينة بنت أبي أمية ، ومليكة بنت جرول ، وأم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ، وأم كلثوم أخرى وهي مليكة بنت جرول . وكانت له أمتان له منها أولاد ، وهما فكيهة وهية ، وقد اختلف في هية هذه فقال بعضهم : كانت أم ولد ، وقال بعضهم : كان أصلها من الين وتزوجها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فالله أعلم . اهـ من البداية والنهاية .

١٥٥٤ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ : بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ » ، قَالَ :

١٥٥٤ - الترمذي (٦١٧ / ٥) - ٥٠ - كتاب المناقب - ١٨ - باب في مناقب عمر بن الخطاب ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، وإسناده حسن وله شواهد .

وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ .

١٥٥٥ - * روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود قال : قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، أَوْ بِأَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ » فَجَعَلَ اللَّهُ دَعْوَةَ رَسُولِهِ ﷺ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَبْنَى عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ ، وَهَدَمَ بِهِ الْأَوْتَانَ .

١٥٥٦ - * روى الطبراني عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ ضَرَبَ صَدْرَ عُمَرَ بِيَدِهِ حِينَ أَسْلَمَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ وَهُوَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ أَخْرِجْ مَا فِي صَدْرِ عُمَرَ مِنْ غِلٍّ وَأَبْدِلْهُ إِيْمَانًا » يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ .

١٥٥٧ - * روى الطبراني عن ابن عباس قال : أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالْإِسْلَامِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ .

١٥٥٨ - * روى البخاري عن عبد الله بن عمر قال : لما أَسْلَمَ عُمَرُ اجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَ دَارِهِ ، وَقَالُوا صَبَأَ عُمَرُ ، وَأَنَا غُلَامٌ فَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِي ، فَجَاءَ رَجُلٌ عَلَيْهِ قَبَاءٌ دِيْبَاجٍ ، فَقَالَ : قَدْ صَبَأَ عُمَرُ فَمَا ذَاكَ فَأَنَا لَهُ جَارٌ فَرَأَيْتَ النَّاسَ تَصْدَعُوا عَنْهُ ، فَقُلْتُ مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ .

١٥٥٩ - * روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ .

١٥٦٠ - * روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود قال : رَكِبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَرَسًا فَارْكُضَةً فَانْكَشَفَ فَخْذَهُ ، فَرَأَى أَهْلَ نَجْرَانَ عَلَى فَخْذِهِ شَامَةً سَوْدَاءَ قَالُوا : هَذَا الَّذِي نَجَدُ فِي كِتَابِنَا أَنَّهُ يُخْرِجُنَا مِنْ أَرْضِنَا .

١٥٥٥ - أوردته الهيثمي في مجمع الزوائد (٦١ / ٩) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط بنحوه وقال : أيد الإسلام ، ورجال الكبير رجال الصحيح غير مجالد بن سعيد وقد وثق .

١٥٥٦ - أوردته الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٥ / ٩) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .

١٥٥٧ - أوردته الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٣ / ٩) وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن .

١٥٥٨ - البخاري (١٧٧ / ٧) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٣٥ - باب إسلام عمر بن الخطاب .

١٥٥٩ - البخاري (في نفس الموضع السابق) .

١٥٦٠ - المعجم الكبير (٦٦ / ١) وأوردته الهيثمي في مجمع الزوائد (٦١ / ٩) وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن .

١٥٦١ - * روى الطبراني عن زر بن حبیش قال : كُنْتُ بِالْمَدِينَةِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ أُعْتِرَ أُيُسْرَ ضَخْمٌ إِذَا أَشْرَفَ عَلَى النَّاسِ كَأَنَّهُ عَلَى دَابَّةٍ ، فَإِذَا هُوَ عَمَرُ .

١٥٦٢ - * روى الطبراني عن سعيد بن المسيب قال : كَانَ عُمَرُ أَصْلَحَ شَدِيدِ الصَّلَعِ .

١٥٦٣ - * روى الطبراني عن عبد الله بن هلال قال : رَأَيْتُ عُمَرَ رَجُلًا ضَخْمًا كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ سَدُوسٍ .

١٥٦٤ - * روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود قال : لَوْ أَنَّ عِلْمَ عَمْرٍ وَضَعَ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ وَوَضَعَ عِلْمُ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَ عِلْمُهُ بَعْلَهُمْ قَالَ وَكَيْفَ : قَالَ الْأَعْمَشُ : فَأَنْكَرْتُ ذَلِكَ فَأَتَيْتُ إِبْرَاهِيمَ فَذَكَرْتُهُ لَهُ فَقَالَ : وَمَا أَنْكَرْتَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ اللَّهُ لَقَدْ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ : إِنِّي لَأُحْسِبُ تِسْعَةَ أَغْشَارِ الْعِلْمِ ذَهَبَ يَوْمَ ذَهَبَ عَمْرُ .

١٥٦٥ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُوتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ ، فَشَرِبْتُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ مِنْ أَظْفَارِي ، ثُمَّ أُعْطِيتُ فَضْلِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ » قَالُوا : فَمَا أَوْلَتْهُ يَارَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « الْعِلْمُ » .

قال محقق الجامع : المراد بالعلم هنا : العلم بسياسة الناس بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، واختص عمر بذلك لطول مدته واتفاق الناس على طاعته .

١٥٦٦ - * روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا ، فَسَمِعْنَا لَغَطًا وَصَوْتَ صَبِيَانٍ ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَإِذَا حَبَشِيَّةٌ تَزْفِنُ ، وَالصَّبِيَانُ

١٥٦١ - المعجم الكبير (٦٧ / ١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦١ / ٩) : وإسناده حسن .

١٥٦٢ - المعجم الكبير (٦٥ / ١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦١ / ٩) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

١٥٦٣ - المعجم الكبير (٦٧ / ١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦١ / ٩) : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٥٦٤ - أوردته الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٩ / ٩) وقال : رواه الطبراني بأسانيد ، ورجاله هذا رجال الصحيح غير أسد بن موسى وهو ثقة .

١٥٦٥ - البخاري (١٨٠ / ٣) كتاب العلم - ٢٢ - باب فضل العلم .

ومسلم (١٨٥٩ / ٤) كتاب فضائل الصحابة - ٢ - باب من فضائل عمر .

١٥٦٦ - الترمذي (٦٢١ / ٥) - ٥٠ - كتاب المناقب - ١٨ - باب في مناقب عمر بن الخطاب .

اللفظ : الأصوات المختلفة والضجة . الزفن : الرقص ، ورجل زفان : رقاص .

حَوْلَهَا ، فَقَالَ : « يَا عَائِشَةُ ، تَعَالِي فَأَنْظُرِي » فَجِئْتُ فَوَضَعْتُ لَحْيِي عَلَى مَنْكَبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا مَا بَيْنَ الْمَنْكَبِ إِلَى رَأْسِهِ ، فَقَالَ لِي : « أَمَا شَبِيعُ ؟ أَمَا شَبِيعُ ؟ » قَالَتْ : فَجَعَلْتُ أَقُولُ : لَا ، لِأَنْظُرَ مَنْزِلَتِي عِنْدَهُ ، إِذْ طَلَعَ عُمَرُ ، قَالَتْ : فَأَرْقُضُ النَّاسَ عَنْهَا ، قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ قَدْ قَرُّوا مِنْ عُمَرَ » قَالَتْ : فَارْجَعْتُ .

١٥٦٧ - * روى الطبراني عن الحسن بن عثمان بن أبي العاص تزوج امرأة من نساء عمر ابن الخطاب فقال : والله ما نكحناها حين نكحناها رغبة في مال ولا ولد ولكن أحببت أن تخبرني عن ليل عمر رضي الله عنه فسألها كيف كانت صلاة عمر بالليل ؟ قالت : كان يصلي العتمة ثم يأمر أن نضع عند رأسه ثوراً من ماء نغطيه ويتعار من الليل فيضع يده في الماء ، فيمسح وجهه ، ويدنيه ثم يذكر الله ما شاء أن يذكر ثم يتعار مراراً حتى يأتي على الساعة التي يقوم فيها لصلاته .

١٥٦٨ - * روى أحمد عن قيس بن أبي حازم قال : رأيت عمر وبه عسيب نخل وهو يجلس الناس يقول : اسمعوا لقول خليفة رسول الله ﷺ فجاء مولى لأبي بكر يقال له شديد بصحيفة فقرأها على الناس فقال يقول أبو بكر : اسمعوا وأطيعوا لمن في هذه الصحيفة فوالله ما ألوتكم . قال قيس : فرأيت عمر رضي الله عنه بعد ذلك على المنبر .

١٥٦٩ - * روى مالك عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب قال لرجل : ما اسمك ؟

= ارفض : القوم : أي تفرقوا .

١٥٦٧ أوردته الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٧٣) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

قور : الثور : إناء يشرب فيه .

يتعار : التعار : السهر والتقلب على الفراش ليلاً مع كلام .

١٥٦٨ - أحمد في مسنده (١ / ٣٧) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥ / ١٨٤) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

ما ألوتكم : ما قصرت في الحيرة لكم .

١٥٦٩ - الموطأ (٢ / ١٧٣) ٥٤ - كتاب الاستئذان - ٩ - باب ما يكره من الأسماء .

قال ابن عبد البر : منقطع ، وصله أبو القاسم بن بشران في فوائده من طريق موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر .

قَالَ : جَمْرَةٌ ، قَالَ : ابْنُ مَنْ ؟ قَالَ : ابْنُ شِهَابٍ ، قَالَ : مِمَّنْ ؟ قَالَ : مِنْ الْحَرَقَةِ ، قَالَ : أَيْنَ مَسْكَنُكَ ؟ قَالَ : بِجَمْرَةِ النَّارِ ؟ قَالَ : بِأَيِّهَا ؟ قَالَ : بِذَاتِ لَطْيٍ ؟ قَالَ عُمَرُ : أَذْرِكُ أَهْلَكَ فَقَدْ احْتَرَقُوا ، فَكَانَ كَمَا قَالَ عُمَرُ .

١٥٧٠ - * روى الترمذي عن بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ جَاءَتْ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ ، فَقَالَتْ : إِنِّي كُنْتُ نَذَرْتُ إِنْ رَزَقَ اللَّهُ سَالِيًا أَنْ أَضْرِبَ بَيْنَ يَدَيْكَ بِالْذُّفِّ وَأَتَغَنَّى ، فَقَالَ لَهَا : « إِنْ كُنْتُ نَذَرْتُ فَأَضْرِبِي ، وَإِلَّا فَلَا » فَقَالَتْ : نَذَرْتُ ، وَجَعَلْتُ تَضْرِبُ فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَهِيَ تَضْرِبُ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلِيٌّ وَهِيَ تَضْرِبُ ثُمَّ دَخَلَ عُمَانٌ وَهِيَ تَضْرِبُ ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ ، فَأَلْقَتِ الذُّفَّ تَحْتَ إِسْتِهَا وَقَعَدَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَخَافُ مِنْكَ يَا عُمَرُ إِنِّي كُنْتُ جَالِسًا وَهِيَ تَضْرِبُ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَهِيَ تَضْرِبُ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلِيٌّ وَهِيَ تَضْرِبُ ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَانٌ وَهِيَ تَضْرِبُ ، فَلَمَّا دَخَلْتَ أَنْتَ يَا عُمَرُ أَلْقَتِ الذُّفَّ » .

١٥٧١ - * روى الطبراني عن أسلم مولي عمر قال : دعا عمرُ بنُ الخطابِ عليَّ بنَ أبي طالبٍ فسأره ثم قامَ عليٌّ فجاءَ الصُّفَّةَ فوجدَ العباسَ وعقيلًا والحسينَ فشاوَرهم في تزويجِ عمرَ أمِّ كلثومَ ، فغضبَ عقيلٌ وقال : يا عليُّ ما تزيدك الأيامُ والشهورُ والسُّنُونُ إِلَّا الْعَمَى فِي أَمْرِكَ ؟ وَاللَّهِ لَنْ فَعَلْتُ لِيَكُونَنَّ وَلِيَكُونَنَّ لِأَشْيَاءَ عَدَدُهَا ، وَمَضَى يَجْرُثُوبُهُ . فَقَالَ عَلِيٌّ لِلْعَبَّاسِ : وَاللَّهِ مَا ذَلِكَ مِنْهُ نَصِيحَةٌ وَلَكِنْ دِرَّةٌ عَمْرٍ أخرجته إلى ما ترى . أَمَّا وَاللَّهِ مَا ذَاكَ رَغْبَةً فِيكَ يَا عَقِيلُ ، وَلَكِنْ أَخْبِرْنِي عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ . مَنْ قَطَعَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا سَبَبِي وَنَسَبِي » فَضَحَكَ عَمْرٌ وَقَالَ : وَيْحَ عَقِيلُ سَفِيهِ أَحَقُّ .

١٥٧٢ - * روى البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : استأذنَ عمرُ ابنُ الخطابِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَكْلُمُنَّهُ وَيَسْتَكْثِرُنَّهُ ، عَالِيَةً

١٥٧٠ - الترمذي (٦٢٠ / ٥) - ٥٠ - كتاب المناقب - ١٨ - باب في مناقب عمر ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

١٥٧١ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧١ / ٤) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

أخرجته : هنا بمعنى خوفته .

١٥٧٢ - البخاري (٤١ / ٢) - ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٦ - باب مناقب عمر بن الخطاب .

ومسلم (١٨٦٣ / ٤) - ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢ - باب من فضائل عمر .

أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر بن الخطاب قن فبادرن الحجاب ، فأذن له رسول الله ﷺ ، فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك ؛ فقال : أضحك الله سنك يا رسول الله ، فقال النبي ﷺ : « عجبت من هؤلاء اللاتي كنّ عندي ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب » قال عمر : فأنت أحق أن يهجن يا رسول الله . ثم قال عمر : ياعدوات أنفسهن ، أنهنني ولا تهين رسول الله ﷺ ؟ فقلن : نعم ، أنت أظف وأغلظ من رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : « إيه يا ابن الخطاب ، والذي نفسي بيده ، ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فجاك » .

(أضحك الله سنك) : قال الحافظ في « الفتح » ، لم يرد به الدعاء بكثرة الضحك ، بل لازمه وهو السرور ، أو نفى ضد لازمه وهو الحزن .

(والمراد بالفظاظة والغلظة هنا الشدة عند عمر التي يقابلها اللين عند رسول الله ﷺ) .

١٥٧٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بيننا أنا نائم رأيت الناس يعرضون وعليهم قمص ، فمنها ما يبلغ الثدي ، ومنها ما يبلغ دون ذلك ، وعرض عليّ ابن الخطاب وعليه قميص اجتره » قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟ قال « الدين » .

١٥٧٤ - * روى البزار عن ابن عباس قال : لما فتحت المدائن أقبل الناس على الدنيا وأقبلت على عمر . فكان عامة حديثه عن عمر .

١٥٧٥ - * روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قديم غينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس بن حصن وكان من النفر

١٥٧٣ - البخاري (٤٣ / ٧) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٦ - باب مناقب عمر .

ومسلم (٤ / ١٨٥٩) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢ - من فضائل عمر .

١٥٧٤ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦١ / ١) وقال : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح .

١٥٧٥ - البخاري (١٢ / ٢٥٠) ٩٦ - كتاب الاعتصام - ٢ - باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ وقول الله تعالى ﴿ واجعلنا للمتقين إماما ﴾ .

الذين يُدْثِنُهُمْ عَمْرٌ ، وكان القُرَاءُ أصحابَ مَجْلِسِ عَمْرٍ وَمَشُورَتِهِ ، كَهَوْلًا كانوا أو شُبَّانًا . فقال عيينة لابن أخيه : يا ابن أخِي ، هل لك وَجْهٌ عند هذا الأمير ، فَتَسْتَأْذِنَ لي عليه ؟ قال : سأستأذنُ لك عليه ، قال ابن عباس : فاستأذنَ لِعَيِّنَةَ ، فلما دخل قال : يا ابن الخطَّابِ ، والله ما تُعْطِينَا الْجُزْلَ ، وما تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ ، فغضبَ عَمْرٌ حتى هَمَّ بأن يَقَعَ به ، فقال الحُرُّ : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١) .

وإن هذا من الجاهلين ، فوالله ما جاوزها عَمْرٌ رضي الله عنه حين تلاها عليه وكان وقفاً عند كتاب الله تعالى .

١٥٧٦ - * روى البخاري عن زيد بن أسلم عن أبيه قال عَمْرٌ رضي الله عنه : لولا آخر المسلمين ما فتحتُ قريّةً إلا قسمتها بين أهلها كما قسم النبي ﷺ خيبر .

أقول : لا يعتبر هذا القول من عَمْرٍ إلغاءاً لاجتهاده السابق ، فإن الأمر يحتمل أن عَمْرٌ شعر بأن ما وقفه على المسلمين كافي لتحقيق ما أَرَادَهُ من توسعة على حاضر الأمة ومستقبلها ، فقرر أنه منذ العام اللاحق أن يغير سنته في الأراضي المفتوحة ولعله أراد أن يبين أن هذه القضية للاجتهاد فيها محل ، ولذلك نرى أن أئمة المذاهب الأربعة لم يكونوا على رأي واحد في هذه القضية .

١٥٧٧ - * روى البخاري ومسلم عن جَابِرٍ ، عن النبي ﷺ قَالَ : « دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا دَارًا أَوْ قَصْرًا . فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ . فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ . فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ » فَبَكَى عَمْرٌ وَقَالَ : أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ ! أَوْ عَلَيْكَ يَغَارُ ؟ .

= ما تعطينا الجزل : العطاء الجزل : الكثير .

(١) الأعراف : ١٩٩ .

١٥٧٦ - البخاري (٦ / ٢٢٤) ٥٧ - كتاب فرض الخس - ٩ - باب الغنية لمن شهد الواقعة .

١٥٧٧ - البخاري (٧ / ٤٠) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٦ - باب مناقب عَمْرٍ بن الخطَّاب .

ومسلم (٤ / ١٨٦٢) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٧ - باب من فضائل عَمْرٍ بن الخطَّاب .

١٥٧٨ - * روى أحمد عن عائشة قالت : كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَبِي فَأَضَعُ ثَوْبِي ، وَأَقُولُ : إِنَّا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي فَلَمَّا دَفِنَ عَمَرُ مَعَهُمْ قَوْلَهُ مَا دَخَلْتُهُ إِلَّا وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَى ثِيَابِي حَيَاءً مِنْ عَمَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

١٥٧٩ - * روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَصَابَ أَرْضاً بَخِيرَ ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضاً بَخِيرَ لَمْ أَصِبْ مَالاً قَطُّ أَنَفْسٌ عِنْدِي مِنْهُ ، فَمَا تَأْمُرُ بِهِ ؟ قَالَ : « إِنْ شِئْتَ حَبَسْتُ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا » قَالَ : فَتَصَدَّقَ بِهَا عَمْرٌ أَنَّهُ لَا بَيْعَ وَلَا يَوْهَبَ وَلَا يُورَثَ . وَتَصَدَّقَ بِهَا فِي الْفُقَرَاءِ وَفِي الْقُرْبَى وَفِي الرِّقَابِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالضَّيْفِ ، وَلَا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ ، وَيُطْعِمَ غَيْرَ مُمْتَوِّلٍ . قَالَ فَحَدَّثْتُ بِهِ ابْنَ سِيرِينَ فَقَالَ : « غَيْرَ مُمْتَوِّلٍ مَالاً » .

وعن عمرو^(١) بن دينار قال في صدقة عمر : لَيْسَ عَلَى الْوَلِيِّ جُنَاحٌ أَنْ يَأْكُلَ وَيُؤْكَلَ صَدِيقاً لَهُ غَيْرَ مُمْتَوِّلٍ فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ هُوَ يَلِي صَدَقَةَ عَمْرٍ وَيُهْدِي لِنَاسٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ .

وفي الحديث مِنَ الْفَقْهِ أَنْ مَنْ وَقَفَ شَيْئاً عَلَى صَنْفٍ مِنَ النَّاسِ وَلَدَهُ مِنْهُمْ دَخَلَ فِيهِ .

١٥٨٠ - * روى الحاكم عن طبارق بن شهاب قال : خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى الشَّامِ وَمَعَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فَأَتَوْا عَلَى مَخَاضَةٍ وَعَمَرٌ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ ، فَتَنَزَّلَ عَنْهَا وَخَلَعَ خُفَّيْهِ ، فَوَضَعَهَا عَلَى عَاتِقِهِ ، وَأَخَذَ بِرِزَامِ نَاقَتِهِ ، فَخَاضَ بِهَا الْمَخَاضَةَ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا تَخْلَعُ خُفَّيْكَ وَتَضَعُهُمَا عَلَى عَاتِقِكَ ، وَتَأْخُذُ بِرِزَامِ نَاقَتِكَ ،

١٥٧٨ - أورده الميخى في جمع الزوائد (٢٧ / ٩) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

١٥٧٩ - البخاري (٢٥٤ / ٥) ٥٤ - كتاب الشروط - ١٦ - باب الشروط في الوقف .

ومسلم (١٢٥٥ / ٣) ٢٥ - كتاب الوصية - ٤ - باب الوقف .

متائل : تأمل فلان : أخر مالا ليستثمه .

(١) البخاري (٤٩١ / ٤) ٤٠ - كتاب الوكالة - ١٢ - باب الوكالة في الوقف ونفقته وأن يطعم صديقاً له ويأكل بالمعروف .

١٥٨٠ - المستدرک (٦٢ / ١) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

وَتَخَوُّضُ بِهَا الْمَخَاضَةَ مَا يَسْرُنِي أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ اسْتَشْرَفُوكَ ، فَقَالَ عُمَرُ أَوْهَ لَوْ يَقُولُ ذَا غَيْرِكَ أَبَا عُبَيْدَةَ جَعَلْتَهُ نَكَالًا لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّا كُنَّا أَذْلُ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّ بَغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ .

١٥٨١ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال عمر : وافقت الله في ثلاث - أو وافقني ربي في ثلاث - قلت : يا رسول الله ، لو اتخذت مقام إبراهيم مصلًى . وقلت : يا رسول الله ، يدخل عليك البر والفاجر ، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ، فأنزل الله آية الحجاب . قال : وبلغني معاينة النبي ﷺ بعض نساءه ، فدخلت عليهن قلت : إن انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله خيراً منكن ، حتى أتيت إحدى نساءه قالت : يا عمر ، أما في رسول الله ﷺ ما يعطى نساءه حتى تعظهن أنت ؟ فأنزل الله ﷻ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات ﴿^(١) الآية .

وفي رواية ^(٢) لابن عمر قال : قال عمر : وافقت ربي في ثلاث : في مقام إبراهيم ، وفي الحجاب ، وفي أسارى بدر .

١٥٨٢ - * روى الطبراني عن عمر بن ربيعة أن عمر بن الخطاب أرسل إلى كعب الأحبار فقال : يا كعب كيف تجد نعيي ؟ قال : أجده نعتك قرن من حديد قال : وما قرن من حديد ؟ قال أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم قال : ثم مه قال : ثم يكون من بعدك خليفة تقتله فئة ظالمة . ثم قال : مه : قال : ثم يكون البلاء .

١٥٨٣ - * روى الطبراني عن ابن مسعود قال : ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر .

١٥٨١ - البخاري (٨ / ١٦٨) ٦٥ - كتاب التفسير - ٩ - باب قوله : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى ﴾ .

(١) التحريم : ٥ .

(٢) مسلم (٤ / ١٨٦٥) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢ - باب من فضائل عمر .

١٥٨٢ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٦٥) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٥٨٣ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٦٧) وقال رواه الطبراني وإسناده حسن .

السكينة : الوقاء والسكون ، وقيل : الرحمة ، وقيل : أثر إلقاء الملك .

١٥٨٤ - * روى الطبراني عن علي قال : إذا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ فحيَّلاً بعمر ، ما كنا نُبْعِدُ أصحابَ محمد ﷺ أن السكينة تنطبق على لسانِ عمر .

١٥٨٥ - * روى الحاكم عن أبي ذر رضي الله عنه قال : مررتُ على عمر فقال عمر : نعم الفتى . قال . فتبعتُ أبو ذر فقال : يا فتى استغفر لي ، فقال : يا أبا ذر استغفر لك وأنتَ صاحبُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : استغفر لي ، قال : لا أو تخبرني فقال : إنك مررتَ على عمر رضي الله عنه فقال : نعم الفتى وإني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إن الله جعلَ الحقَّ على لسانِ عمر وقلبه » .

١٥٨٦ - * روى البخاري عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري قال : قال لي عبدُ الله بنُ عمر : هل تدري ما قال أبي لأبيك ؟ قلتُ : لا ، قال : فإنَّ أبي قال لأبيك : يا أبا موسى ، هل يَسْرُكُ إسلامنا معَ رسولِ الله ﷺ ، وهجرتنا معه ، وجهادنا معه ، وعملنا كله معه بَرَدَ لنا ، وأنَّ كلَّ عملٍ عملنا بعده : نجونا منه كفافاً ، رأساً برأس ؟ فقال أبوكَ لأبي : لا والله ، قد جاهدنا بعدَ رسولِ الله ﷺ ، وصَلَّينا ، وصُمْنا ، وعَمَلنا خيراً كثيراً ، وأسَلَمَ على أيدينا بشرَ كثيرٍ ، وإنَّا لنرجو ذاك ، قال أبي : لكي أنا ، والذي نفسُ عمر بيده لوددتُ أن ذلك بَرَدَ لنا ، وأنَّ كلَّ شيءٍ عملناه بعده نجونا منه كفافاً رأساً برأسٍ ، فقلتُ : إنَّ أباك والله كان خيراً من أبي .

١٥٨٧ - * روى مالك عن سعيد بن المسيب : أن عمر بن الخطاب اختصم إليه مسلمٌ ويهوديٌ . فرأى عمر أنَّ الحقَّ لليهوديِّ فقصى له . فقال له اليهوديُّ : والله لقد قضيتَ بالحقِّ . فضربةَ عمر بن الخطاب بالدرة . ثم قال : وما يدريك ؟ فقال له اليهوديُّ : إننا نجدُ أنه ليسَ قاضٍ يقضي بالحقِّ ، إلَّا كانَ عن يمينه ملكٌ وعن شماله ملكٌ يسدّدانه

١٥٨٤ - أورده المهيبي في جمع الزوائد (٦٧ / ٩) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وإسناده حسن .

١٥٨٥ - المستدرک (٨٧ / ٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة . وقال الذهبي : على شرط مسلم .

١٥٨٦ - البخاري (٢٥٤ / ٧) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٤٥ - باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة . بَرَدَ لنا : سلم لنا أجره .

١٥٨٧ - الموطأ (٧١٩ / ٢) ٣٦ - كتاب الأقضية - ١ - باب الترغيب في القضاء بالحق .

وَيُوفِّقَانِهِ لِلْحَقِّ . مَا دَامَ مَعَ الْحَقِّ . فَإِذَا تَرَكَ الْحَقَّ . عَرَجَا وَتَرَكَاهُ .

١٥٨٨ - * روى مالك عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : رأيتُ عمر وهو يومئذ أمير المؤمنين ، وقد وقع بين كتفَيْهِ بِرَقَاعٌ ثَلَاثٌ ، لَبَّدَ بَعْضُهَا بَعْضًا .

١٥٨٩ - * روى الطبراني عن ابن شهاب قال قال عمر بن عبد العزيز لأبي بكر بن سليمان ابن أبي حَظْمَةَ : من أول من كتب من عند أمير المؤمنين ؟ فقال : أخبرني الشَّفاءُ بنتُ عبدِ الله وكانت من المهاجراتِ الأولِ أَنَّ لبيدَ بنَ ربيعةَ وعديَّ بنَ حاتمٍ قدما المدينةَ فأتيا المسجدَ فوجدا عمرو بنَ العاصِ فقالا : يا ابنَ العاصِ استأذنْ لنا على أميرِ المؤمنينَ . فقال : أنما والله أصبنا اسمه فهو الأميرُ ونحن المؤمنون . فدخل عمرُ على عمرو فقال : السلامُ عليك يا أمير المؤمنين ، فقال عمرُ : ما هذا ؟ فقال : أنت الأميرُ ونحن المؤمنون ، فجرى الكتاب من يومئذ .

١٥٩٠ - * روى الطبراني عن عبدِ الله قالَ : إِذَا ذَكَرَ الصَّالِحُونَ فَحِيلًا بِعَمْرٍ . إِنَّ إِسْلَامَ عَمَرَ كَانَ نَصْرًا وَإِنَّ إِمَارَتَهُ كَانَتْ فَتْحًا ، وَإِئِمُّ اللَّهِ مَا أَعْلَمَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدًا إِلَّا وَجَدَ فَقَدْ عَمَرَ ، حَتَّى الْعِصَاةُ ، وَإِئِمُّ اللَّهِ إِنِّي لَأُحْسِبُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَلَكًا يُسَدِّدُهُ ، وَإِئِمُّ اللَّهِ إِنِّي لَأُحْسِبُ الشَّيْطَانَ يَفْرُقُ مِنْهُ أَنْ يُحَدِّثَ فِي الْإِسْلَامِ حَدَثًا فِيرَدَّ عَلَيْهِ عُمَرُ ، وَإِئِمُّ اللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ كُلُّبًا يُحِبُّ عَمَرَ لَأُحْبَبْتُهُ . وفي روايةٍ : لقد أَحْبَبْتُ عَمَرَ حَتَّى لَقَدْ خِفتُ اللَّهَ ، وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ خَادِمًا لِعَمَرَ حَتَّى أَمُوتَ .

وفي روايةٍ : لَوْ أَنَّ عَمَرَ أَحَبَّ كُلُّبًا كَانَ أَحَبَّ الْكِلَابِ إِلَيَّ ، وفي روايةٍ : لَقَدْ خَشِيتُ اللَّهَ فِي حُبِّي عَمَرَ .

١٥٩١ - * روى الطبراني عن زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قال : أتى عبدُ الله بن مسعود رجلاً وأنا

١٥٨٨ - الموطأ (٢ / ٩١٨) ٤٨ - كتاب اللباس - ٨ - باب ما جاء في لبس الثياب . وإسناده صحيح .

١٥٨٩ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٦١) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

١٥٩٠ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٧٨) وقال : رواه الطبراني من طرق وفي بعضها عاصم بن أبي النجود وهو

حسن الحديث ، وبقية رجالها رجال الصحيح وبعضها منقطع الإسناد ، ورجالها ثقات .

يُفْرَقُ : يخاف .

١٥٩١ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٧٧) وقال : رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدهما رجال الصحيح .

عنده فقالا : يا أبا عبد الرحمن كيف تقرأ هذه الآية ؟ فقراها عليه عبد الله ، فقال الرجل : إن أبا حكيم أقرأنيها كذا وكذا ، وقرأ الآخر فقال : من أقرأكم فقال : عمر . فقال عبد الله : أقرأ كما أقرأك عمر ، ثم بكى عبد الله حتى رأيت دموعه تحدر في الحصى ، ثم قال : إن عمر كان حصننا حصينا على الإسلام يدخل الناس فيه ولا يخرجون منه ، وإن الحصن أصبح قد أسلم فالتاس يخرجون منه ولا يدخلون ، وزاد في رواية ، قال عبد الله : ما أظن أهل بيت من المسلمين لم يدخل عليه حزن يوم أصيب عمر إلا أهل بيت سوء إن عمر كان أعلمنا بالله وأقرأنا لكتاب الله وأفقهنا في دين الله ، فوالله فهي أبين من طريق السليحين . وفي رواية : وكان يعني عمر إذا سلك طريقاً وجدها سهلاً فإذا ذكر الصالحون فحبها بعمر كان فضل ما بين الزيادة والنقصان والله لو ددت أني أخدم مثله حتى أموت .

١٥٩٢ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناسٌ محدثون ، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر » زاد زكريا بن أبي زائدة عن سعد عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : « لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجالٌ يكلّمون من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمرو » .

وفي رواية مسلم ^(١) عن عائشة ، عن النبي ﷺ : « أنه كان يقول : « قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون . فإن يكن في أمتي منهم أحد ، فإن عمر بن الخطاب منهم » .

قال ابن وهب : تفسير محدثون ملهمون .

١٥٩٢ - البخاري (٤٢ / ٧) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٦ - باب مناقب عمر بن الخطاب .

(١) مسلم (٤ / ١٨٦٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢ - باب من فضائل عمر .

محدثون : أراد بقوله : محدثون أقوالاً يصيبون إذا ظنوا وحسبوا فكانهم قد حدثوه بما قالوا ، وقد جاء في الحديث تفسيره « أنهم ملهمون » واللهم : الذي يلقي في نفسه الشيء ، فيخير به حساً وظناً وفساداً ، وهو نوع يختص الله به من يشاء من عباده الذين اصطفى ، مثل عمر رضي الله عنه .

١٥٩٣ - * روى الحاكم عن حذيفة رضي الله عنه قال : كَانَ الْإِسْلَامُ فِي زَمَانِ عُمَرَ كَالرَّجُلِ الْمُقْبِلِ لَا يَزْدَادُ إِلَّا قُرْبًا ، فَلَمَّا قُتِلَ عُمَرُ كَانَ كَالرَّجُلِ الْمَذْبُورِ لَا يَزْدَادُ إِلَّا بُعْدًا .

١٥٩٤ - * روى مالك عن سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : لَمَّا صَدَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنْ مَنَى أَنَاخَ بِالْأَبْطَحِ ، ثُمَّ كَوَّمَ كَوْمَةً مِنْ بَطْحَاءَ ، ثُمَّ طَرَحَ عَلَيْهَا رِدَاءَهُ ، ثُمَّ اسْتَلْقَى ، وَمَدَّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ كَبِّرْتَ سِنِّي وَصَغَفْتَ قُوَّتِي ، وَانْتَشَرْتَ رِعْيَتِي ، فَأَقْبَضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مُضِيعٍ وَلَا مُفَرِّطٍ ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فِي عَقَبِ ذِي الْحِجَّةِ ، فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، قَدْ سُنْتُ لَكُمْ السُّنَنَ ، وَفَرَضْتُ لَكُمْ الْفَرَائِضَ ، وَتَرَكْتُكُمْ عَلَى الْوَاضِحَةِ ، لَيْلَهَا كَنَهَارُهَا ، وَضَرَبَ بِأُخْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ، وَقَالَ : إِلَّا أَنْ تَضِلُّوا بِالنَّاسِ يَمِينًا وَشِمَالًا ، ثُمَّ قَالَ : إِيَّاكُمْ أَنْ تَهْلِكُوا عَنْ آيَةِ الرَّجْمِ ، أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ : لَا نَجِدُ حَدِيثَيْنِ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، فَقَدْ رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَجَمْنَا ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْلَا أَنْ يَقُولَ النَّاسُ : زَادَ ابْنُ الْخَطَّابِ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَكَتَبْتُهَا (الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ) فَإِنَّا قَدْ قَرَأْنَاهَا .

قال ابن المسيب : فما انسلخ ذو الحجة حتى قُتِلَ عُمَرُ . رحمه الله .

قال مالك : قوله :: (الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ) يعني : الثَّيِّبُ وَالثَّيِّبَةُ .

١٥٩٥ - * روى مسلم عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : خَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَذَكَرَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ ، وَذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ دِيكَمَا تَقْرَبَانِي ثَلَاثَ تَقَرَّاتٍ ، وَإِنِّي لَا أَرَاهُ إِلَّا لِحُضُورِ أَجَلِي ، وَإِنْ أَقْوَامًا يَأْمُرُونِي أَنْ أُسْتَخْلَفَ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِيُضِيعَ دِينَهُ وَلَا خِلَافَتَهُ ، وَلَا الَّذِي بَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ ، فَإِنْ عَجَلَ بِي أَمْرٌ فَالْخِلَافَةُ شُورَى بَيْنَ هَؤُلَاءِ

١٥٩٢ - المستدرک (٣ / ٨٤) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

١٥٩٤ - الموطأ (٢ / ٨٢٤) ٤١ - كتاب الحدود - ١ - باب ما جاء في الرجم وإسناده صحيح .

قوله : لولا أن يقول الناس : زاد ابن الخطاب في كتاب الله لكتبتها (الشيخ والشيخة فارجوها البتة) : مراد عمر رضي الله عنه : المبالغة والحث على العمل بالرجم ، لأن معنى الآية باق وإن نسخ لفظها ، إذ لا يسع مثل عمر رضي الله عنه مع مزيد فقهه تجويز كتبها مع نسخ لفظها .

قوله : (فَإِنَّا قَدْ قَرَأْنَاهَا) : ثم نسخ لفظها وبقي حكمها ، بدليل أنه ﷺ رجم ورجم الصحابة بعده ولم ينكر عليهم أحد .

(الشيب والثيبية) : أي الحصن والحصنة وإن كانا شابين .

١٥٩٥ - مسلم (١ / ٣٩٦) ٥ - كتاب مواضع الصلاة - ١٧ - باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو نحوهما .

السَّيِّئَةِ الَّذِينَ تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ ، وَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَقْوَامًا يَطْعَنُونَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، أَنَا ضَرَبْتُهُمْ بِيَدِي هَذِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ ، فَأُولَئِكَ أَعْدَاءُ اللَّهِ الْكَفَرَةُ الضَّلَالُ ، ثُمَّ إِنِّي لَا أَدْعُ بَعْدِي شَيْئًا أَهَمُّ عِنْدِي مِنَ الْكَلَالَةِ ، مَا رَاجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا رَاجَعْتُهُ فِي الْكَلَالَةِ ، وَمَا أَغْلَظَ لِي فِي شَيْءٍ مَا أَغْلَظَ لِي فِيهِ ، حَتَّى طَعَنَ بِإصْبَعِهِ فِي صَدْرِي ، فَقَالَ : « يَا عُمَرُ ، أَلَا تَكُفِّكَ آيَةُ الصَّيْفِ ، الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النَّسَاءِ ؟ » وَإِنِّي إِنْ أَعِشْ أَقْضِ فِيهَا بَقِيَّةَ بَقِيَّةٍ بِهَا مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَمَنْ لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ عَلَى أَمْرَاءِ الْأَمْصَارِ ، وَإِنِّي إِنَّمَا بَعَثْتُهُمْ عَلَيْهِمْ لِيَعْدِلُوا عَلَيْهِمْ وَلِيَعْلَمُوا النَّاسَ دِينَهُمْ ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِمْ ﷺ وَيَقْسِمُوا فِيهِمْ فِيهِمْ ، وَيَرْفَعُوا إِلَيَّ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِهِمْ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ لَا أَرَاهُمَا إِلَّا خَبِيثَتَيْنِ : هَذَا الْبَصَلُ وَالثُّومُ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا وَجَدَ رِيحَهَا مِنَ الرَّجُلِ فِي الْمَسْجِدِ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ إِلَى الْبَقِيعِ ، فَمَنْ أَكَلَهَا فَلْيَمِئْتِهَا طَبْحًا .

وفي حديث جَوَازِيَةِ ^(١) : فَمَا كَانَتْ إِلَّا جُمُعَةٌ أُخْرَى حَتَّى طَعَنَ عُمَرُ ، قَالَ : فَأَذِنَ لِلْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَذِنَ لِلْأَنْصَارِ ، ثُمَّ أَذِنَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ أَذِنَ لِأَهْلِ الشَّامِ ، ثُمَّ أَذِنَ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَكُنَّا آخِرَ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ ، قَالَ : فَإِذَا هُوَ قَدْ عَصَبَ جُرْحَهُ بِبُرْدٍ أَسْوَدَ ، وَالدَّمُ يَسِيلُ عَلَيْهِ ، قَالَ : فَقُلْنَا : أَوْصِنَا وَلَمْ يَسْأَلْهُ الْوَصِيَّةَ أَحَدٌ غَيْرَنَا ، قَالَ : أَوْصِيكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا مَا اتَّبَعْتُمُوهُ ، قَالَ : وَأَوْصِيكُمْ بِالْمُهَاجِرِينَ ، فَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ وَيَقْلُونَ ، وَأَوْصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ ، فَإِنَّهُمْ شِعْبُ الْإِسْلَامِ الَّذِي لَجَأُ إِلَيْهِ ، وَأَوْصِيكُمْ بِالْأَعْرَابِ ، فَإِنَّهُمْ أَصْلُكُمْ وَمَادَّتُكُمْ - وفي رواية : فَإِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَعَدُوُّ عَدُوِّكُمْ - وَأَوْصِيكُمْ بِأَهْلِ الذِّمَّةِ ، فَإِنَّهُمْ ذِمَّةُ نَبِيِّكُمْ ، وَرَزَقَ عِيَالَكُمْ ، قَوْمُوا عَنِّي .

المقصود بآية الصَّيْفِ : أنزل الله تعالى في الكَلَالَةِ آيتين ، إحداها : التي في أول سورة النساء ، وكان نزولها في الشتاء ، والثانية : التي في آخر سورة النساء وكان نزولها في

(١) أخرجه البخاري ، وفيها زيادات للحميدي .

الكَلَالَةُ : في الميراث : أن لا يرث الميت ولد ولا والد ويرثه أقاربه .

فِيْنَهُمْ : الفيء : ما يحصل للمسلمين من أموال الكفار عن غير حرب وقتال .

الصيف ، فَسَمِيَتْ آيَةُ الصَّيْفِ .

وأما الستة الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض فهم : عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم ، ولم يدخل عمر رضي الله عنه معهم سعيد بن زيد لأنه من أقاربه ، فتورع عن إدخاله ، كما تورع عن إدخال ابنه عبد الله رضي الله عنهم .

قوله : (تأكلون شجرتين لا أراها إلا خبيثتين : هذا البصل والثوم) :

قال النووي في شرح مسلم : قال العلماء : ويلحق بالبصل والثوم والكراث ، كل ما له رائحة كريهة ، من المأكولات وغيرها ، وقال النووي : قال القاضي : ويلحق به من أكل فجلاً وكان يتجشأ ، قال : وقال ابن المرباط : ويلحق به من بخر في فيه ، أو به جرح له رائحة . قال القاضي : وقاس العلماء على هذا مجامع الصلاة غير المسجد ، كصلى العيد والجنائز ونحوها من مجامع العبادات ، وكذا مجامع العلم والذكر والولائم ونحوها ، ولا يلحق بها الأسواق ونحوها .

١٥٩٦ - * روى الطبراني عن ابن عمر قال لما طُعِنَ عمر أرسلوا إلى طبيبٍ فجاء رجل من الأنصار فسقاه لبناً فخرج اللبن من الطعنة التي تحت السرة فقال له الطبيب : اعهد عهدك فلا أراك تسمي ، فقال : صدقتني .

١٥٩٧ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : وَضِعَ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ عَلَى سَرِيرِهِ . فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ يَدْعُونَ وَيُثْنُونَ وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ . قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ . وَأَنَا فِيهِمْ . قَالَ : فَلَمْ يَزْعِنِي إِلَّا بِرَجُلٍ قَدْ أَخَذَ بِمَنْكَبِي مِنْ وَرَائِي . فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ

١٥٩٦ - أورده المهيبي في مجمع الزوائد (١ / ٧٨) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

١٥٩٧ - البخاري (٧ / ٤١) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٦ - باب مناقب عمر بن الخطاب .

ومسلم (٤ / ١٨٥٨) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢ - باب من فضائل عمر .

فَتَكَنَّفَهُ : تَكَنَّفْتُ فَلَانًا : إِذَا أَحْطَطْتُ بِهِ وَصَرْتُ حَوْلَهُ .

لَمْ يَزْعِنِي : إِلَّا وَفَلَانٍ قَائِمٌ : أَي لَمْ أَشْعُرْ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ لَفْظِهِ ، وَالزُّوْعُ : الْفَرْعُ ، فَكَأَنَّهُ فَاجَأَهُ بَغْتَةً مِنْ غَيْرِ مُوَعِدٍ وَلَا مَعْرِفَةٍ ، فَرَاغَهُ ذَلِكَ وَأَفْزَعَهُ .

علي . فترحم علي عمر وقال : ما خلفت أحدا أحب إلي ، أن ألقى الله بمثل عملي ، منك . وإني والله ! إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبك . وذلك أني كنت أكثر أسمع رسول الله ﷺ يقول : « جئت أنا وأبو بكر وعمر . ودخلت أنا وأبو بكر وعمر . وخرجت أنا وأبو بكر وعمر » . فإن كنت لأرجو ، أو لأظن ، أن يجعلك الله معهما .

١٥٩٨ - * روى البخاري عن حفصة وأسلم رضي الله عنهما أن عمر قال : اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ .

١٥٩٩ - * روى البخاري عن المسور بن مخرمة قال : لما طعن عمر جعل يألّم ، فقال له ابن عباس - وكأنه يجزعه - : يا أمير المؤمنين ، ولئن كان ذلك ، لقد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنّت صحبتته ، ثم فارقتّه وهو عنك راض ، ثم صحبت أبا بكر فأحسنّت صحبتته ، ثم فارقتّه وهو عنك راض ، ثم صحبت أصحابهم فأحسنّت صحبتهم ، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون . قال : أما ما ذكرت من صحبت رسول الله ﷺ ورضاه فإنما ذلك من الله تعالى من به علي ، وأما ما ذكرت من صحبت أبي بكر ورضاه فإنما ذلك من الله جلّ ذكره من به علي ، وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك . والله لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه .

١٦٠٠ - * روى مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : دخلت على حفصة فقالت : أعلمت أن أباك غير مستخلف ؟ قلت : ما كان ليفعل ، قالت : إنه فاعل ، قال : فحلفت أن أكلّمه في ذلك فسكت حتى غدوت ولم أكلّمه قال : فكنت كإنّا أخيل بيبي

١٥٩٨ - البخاري (٤ / ١٠٠) ٢٩ - كتاب فضائل المدينة ، باب : ١٢ .

١٥٩٩ - البخاري (٧ / ٤٣) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٦ - باب مناقب عمر بن الخطاب .

جزعت الرجل : أي نسّته إلى الجزع ، ويجوز أن يكون : أذهبت عنه الجزع بما تسليه .

جزعي : أي خوفي بسبب ما حملت من عبء الخلافة .

طلاع الأرض : ملؤها : كأنه قد ملأها حتى تطلع ، وتسيل .

١٦٠٠ - مسلم (٣ / ١٤٥٥) ٢٢ - كتاب الإمارة - ٢ - باب الاستخلاف .

جَبَلًا حَتَّى رَجَعْتُ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ، فَسَأَلَنِي عَنْ حَالِ النَّاسِ ، وَأَنَا أَخْبِرُهُ ، قَالَ : ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : إِنِّي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ مَقَالََةً ، فَالَيْتُ أَنْ أَقُولَهَا لَكَ : زَعَمُوا أَنَّكَ غَيْرُ مُسْتَخْلَفٍ ، وَإِنَّهُ لَوْ كَانَ لَكَ رَاعِي إِبِلٍ ، أَوْ رَاعِي غَنَمٍ ، ثُمَّ جَاءَكَ وَتَرَكَهَا رَأَيْتَ أَنْ قَدْ ضَيَّعَ ، فَرِعَايَةُ النَّاسِ أَشَدُّ ؟ قَالَ : فَوَاقِفُهُ قَوْلِي ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ سَاعَةً ، ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَيَّ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَحْفَظُ دِينَهُ ، وَإِنِّي لَنْ لَا أَسْتَخْلَفُ ، فَإِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَسْتَخْلَفْ ، وَإِنْ أَسْتَخْلَفُ فَإِنْ أَبَا بَكْرٍ قَدْ اسْتَخْلَفَ ، قَالَ : فَوَاللَّهِ ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ ذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَعْدِلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدًا ، وَأَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَخْلَفٍ .

وفي رواية^(١) بِمَعْنَاهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قِيلَ لِعَمْرٍو أَلَا تَسْتَخْلَفُ ؟ قَالَ : إِنْ أَسْتَخْلَفْتُ فَقَدْ اسْتَخْلَفْتُ مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي أَبُو بَكْرٍ ، وَإِنْ أَتْرَكَ فَقَدْ تَرَكَ مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْنَا عَلَيْهِ فَقَالَ : رَاغِبٌ وَرَاهِبٌ ، وَدَدْتُ أَنْيْ نَجُوتَ مِنْهَا كَفَافًا لَائِي وَلَا عَلِي ، لَا أَتَحْمِلُهَا حَيًّا وَمَيِّتًا .

(رَاغِبٌ وَرَاهِبٌ) (الرَّاغِبُ : الطَّالِبُ ، وَالرَّاهِبُ : الْخَائِفُ ، وَالْمُرَادُ : أَنْكُمْ فِي قَوْلِكُمْ لِي هَذَا الْقَوْلُ ، إِمَّا رَاغِبٌ فِيمَا عِنْدِي ، أَوْ رَاهِبٌ مِنِّي ، وَقِيلَ : أَرَادَ : أَنَّنِي رَاغِبٌ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَرَاهِبٌ مِنْ عِقَابِهِ ، فَلَا تَعْوِيلَ عِنْدِي عَلَى مَا قُلْتُمْ لِي مِنَ الْوَصْفِ وَالْإِطْرَاءِ .

١٦٠١ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ : « رَأَيْتُ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِأَيَّامِ الْمَدِينَةِ وَوَقَفَ عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ قَالَ : كَيْفَ فَعَلْتُمَا ؟ أَتَخَافَانِ أَنْ تَكُونَا حَمَلْتُمَا الْأَرْضَ مَا لَا تَطِيقُ ؟ قَالَا : حَمَلْنَاهَا أَمْرًا هِيَ لَهُ مُطِيقَةٌ ، مَا فِيهَا كَبِيرٌ فَضَّلَ . قَالَ : انْظُرَا أَنْ تَكُونَا حَمَلْتُمَا الْأَرْضَ مَا لَا تَطِيقُ . قَالَا : لَا . فَقَالَ عَمْرٌو : لَنْ سَلَّمَنِي اللَّهُ لِأَدْعُنَّ أَرَامِلَ أَهْلِ الْعِرَاقِ لَا يَحْتَجُّنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا . قَالَ فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا رَابِعَةٌ حَتَّى أُصِيبَ . قَالَ : إِنِّي لِقَائِمٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ

(١) البخاري (١٣ / ٢٠٥) ٩٣ - كتاب الأحكام - ٥١ - باب الاستخلاف .

١٦٠١ - البخاري (٧ / ٥٩) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٨ - باب قصة البيعة .

أَرَامِلُ : جَمْعُ أَرْمَلَةٍ ، وَهِيَ الَّتِي مَاتَ زَوْجُهَا ، وَالرَّجُلُ إِذَا مَاتَ امْرَأَتُهُ : أَرْمَلٌ ، وَقِيلَ : أَرَادَ بِالْأَرَامِلِ : الْمَسَاكِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ .

عبّاسٍ غداةً أصيب - وكان إذا مرَّ بينَ الصّفينِ قال : استَوُوا ، حتّى إذا لم يَرِ فيهم خللاً تقدّم فكبّر ، وربما قرأ سورةَ يوسفَ أو النحلَ أو نحو ذلكَ في الرُّكعةِ الأولى حتّى يجتمعَ الناس - فما هو إلا أن كبّرَ فسمعتُهُ يقول : قَتَلَنِي - أو أَكَلَنِي - الكلبُ ، حينَ طعَنَه ، فطارَ العِلجُ بسكّينِ ذاتِ طرفينِ ، لا يَمُرُّ على أحدٍ يَمِيناً ولا شمالاً إلا طعَنَه ، حتّى طعَنَ ثلاثَةَ عشرَ رجلاً ماتَ منهم سبعة . فلما رأى ذلكَ رجلٌ منَ المسلمينَ طرَحَ عليه بُرنساً ، فلما ظنَّ العِلجُ أنه مأخوذٌ نحرَ نفسه . وتناولَ عمرُ يدَ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ فقَدَّمَه ، فن يلى عمرَ فقد رأى الذي أَرى ، وأما نواحي المسجدِ فإنهم لا يدرونَ غيرَ أنهم قد فَقَدُوا صوتَ عمرَ وهم يقولون : سُبْحَانَ اللَّهِ . فصلّى بهم عبدُ الرحمنِ صلاةً خفيفةً ، فلما انصرفوا قال : يا ابنَ عبّاس ، انظرْ مَنْ قَتَلَنِي . فجالَ ساعةً ، ثمَّ جاء فقال : غلامٌ المَغِيرَةِ . قال : الصَّنَع ؟ قال : نعم . قال : قَاتَلَهُ اللَّهُ ، لقد أَمَرْتُ بِهِ مَعْرُوفاً ، الحمدُ لله الذي لم يَجْعَلْ مِيتَتِي بيدِ رجلٍ يدّعي الإسلامَ ، قد كنتَ أَنْتَ وأبوكَ تَحِبَّانِ أنْ تكثرَ العلوجُ بالمدينةِ ، وكان العبّاسُ أَكْثَرَهُمْ رَقِيقاً . فقال : إن شئتَ فعلتُ - أي إن شئتَ قَتَلْنَا . قال : كذبتَ ، بعدَ ما تكلموا بلسانكم ، وصلُّوا قبلتكم ، وحجُّوا حجَّكم ؟ فاحتمِلْ إلى بيتِهِ ، فانطلقنا معه ، وكأنَّ الناسَ لم تُصِيبْهُمْ مُصِيبَةٌ قبلَ يومئذٍ : فقائل يقول : لا بأسَ ، وقائل يقول : أخاف عليه . فَأَتَيْتُ بَنِييَ فشرَبَهُ ، فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ . ثمَّ أَتَى بِلَبَنٍ فشرَبَهُ ، فخرَجَ مِنْ جُرْحِهِ ، فعملوا أَنَّهُ مَيِّتٌ ، فدَخَلْنَا عَلَيْهِ ، وجاءَ الناسُ فجعلوا يُثْنُونَ عليه . وجاءَ رجلٌ شابٌّ فقال : أَبِشْرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِشَرَى اللَّهِ لك ، من صحبةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقَدِمَ في الإسلامِ ما قد علمتَ ، ثم وليتَ قَعْدَلتَ ، ثم شهادة . قال : وَدِدْتُ أَنْ ذَلِكَ كِفَافَةٌ لِي عَلِيٍّ وَلَا لِي . فلما أدبَرَ إذا إِزَارُهُ يَمَسُّ الْأَرْضَ ، قال : رُدُّوا عَلِيٍّ الْغَلَامَ . قال : يا ابنَ أَخِي ، ارْفَعْ ثَوْبَكَ ، فإنه أَبْقَى لثَوْبِكَ وَأَتَقَى لِرَبِّكَ . يا عبدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍ ، انظرْ ما عَلِيٌّ مِنَ الدِّينِ . فحَسَبُوهُ فوجدوه سِتَّةً وَثَمَانِينَ أَلْفاً أَوْ نَحْوَهُ . قال : إِنْ وَفَى لَهٗ مَالٌ آلِ عَمْرٍ فَأَدِّهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، وإِلَّا فَسَلْ فِي بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ ، فإن لم

= العِلج : المَجْمِيُّ في ذلك الوقت .

بُرْنَساً البُرْنَس : هو كل ثوب رأسه منه .

رَقِيقاً : الرقيق : اسم لجميع العبيد والإماء .

فَأَتَيْتُ بَنِييَ فشرَبَهُ : المراد بالنبيذ : قمرات نبذت في ماء ، أي نقتت فيه ، كانوا يصنعون ذلك لاستعذاب الماء .

كفافاً : يقال : خرجتُ من هذا الأمر كفافاً ، أي : لاتي ولا علي .

=

أدخلوه ، فأدخل ، فوضع هنالك مع صاحبيه . فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط ، فقال عبد الرحمن : اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منك . فقال الزبير : قد جعلتُ أمري إلى علي . فقال طلحة : قد جعلتُ أمري إلى عثمان ، وقال سعد : قد جعلتُ أمري إلى عبد الرحمن بن عوف . فقال عبد الرحمن : أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه ، والله عليه والإسلام لينظران أفضلهم في نفسه ؟ فأسكت الشيخان . فقال عبد الرحمن : أفتجعلونه إليّ والله عليّ أن لا ألو عن أفضلكم ؟ قالوا : نعم . فأخذ بيد أحدهما فقال : لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت ، فالله عليك لئن أمرتكَ لتعدلن ، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن . ثم خلا بالآخر فقال مثل ذلك . فلما أخذ الميثاق قال : ارفع يدك يا عثمان ، فبايعة ، فتابع له علي ، وولج أهل الدار فبايعوه .

قوله : (كذبت) : قال الحافظ : هو على ما ألف من شدة عمر في الدين ، لأنه فهم من ابن عباس من قوله : إن شئت فعلنا ، أي قتلناهم ، فأجابه بذلك ، وأهل الحجاز يقولون : كذبت في موضع أخطأت ، وإنما قال له بعد أن صلوا ، لعلمه أن المسلم لا يحل قتله ، ولعل ابن عباس إنما أراد قتل من لم يسلم منهم .

قوله : (يا عبد الله انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه) :

قال الحافظ : في حديث جابر : ثم قال : يا عبد الله أقسمت عليك بحق الله وحق عمر إذا مت فدفنتني أن لا تغسل رأسك حتى تبيع من ربيع آل عمر بثمانين ألفاً فتضعها في بيت مال المسلمين ، فسأله عبد الرحمن بن عوف ، فقال : أنفقتها في حجج حججتها ، وفي نوائب كانت تنوبني ، وعرف بهذا جهة دين عمر .

قال الحافظ في الفتح : وفي قصة عمر هذه من الفوائد ، شفقتة على المسلمين ونصيحتة لهم ، وإقامة السنة فيهم ، وشدة خوفه من ربه ، واهتمامه بأمر الدين أكثر من اهتمامه بأمر نفسه ، وأن النهي عن المدح في الوجه مخصوص بما إذا كان غلو مفرط أو كذب ظاهر ، ومن ثم لم ينه عمر الشاب عن مدحه له مع كونه أمره بتشمير إزاره ، والوصية بأداء الدين .

والاعتناء بالدفن عند أهل الخير ، والمشورة في نصب الإمام ، وتقديم الأفضل ، وأن الإمامة تنعقد بالبيعة ، وغير ذلك مما هو ظاهر بالتأمل ، والله الموفق ، وقال ابن بطال : فيه دليل على جواز تولية المفضل على الأفضل منه ، لأن ذلك لو لم يجز لم يجعل الأمر شورى إلى ستة أنفس مع علمه أن بعضهم أفضل من بعض ، قال : ويدل على ذلك أيضاً قول أبي بكر : قد رضيت لكم أحد الرجلين : عمر وأبي عبيدة ، مع علمه بأنه أفضل منهما ، وقد استشكل جعل عمر الخلافة في ستة ، وكل ذلك إلى اجتهدهم ، ولم يصنع ما صنع أبو بكر في اجتهداه فيه ، لأنه إن كان لا يرى جواز ولاية المفضل على الفاضل ، فصنيعه يدل على أن من عدا الستة كان عنده مفضولاً بالنسبة إليهم ، وإذا عرف ذلك فلم يخف عليه أفضلية بعض الستة على بعض وإن كان يرى جواز ولاية المفضل على الفاضل ، فمن ولاء منهم أو غيرهم كان ممكناً ، والجواب عن الأول يدخل فيه الجواب الثاني ، وهو أنه إذا تعارض عنده صنيع النبي ﷺ حيث لم يصرح باستخلاف شخص بعينه ، وصنيع أبي بكر حيث صرح فتلك طريق تجمع التنصيص وعدم التعيين ، وإن شئت قل : تجمع الاستخلاف وترك تعيين الخليفة ، وقد أشار بذلك إلى قوله : لا أتقلدها حياً وميتاً ، لأن الذي يقع من يستخلف بهذه الكيفية إنما ينسب إليه بطريق الإجمال ، لا بطريق التفصيل ، فعينهم وممكنهم من المشاورة في ذلك ، والمناظرة فيه لتقع ولاية من يتولى بعده عن اتفاق من معظم الموجودين حينئذ ببلده التي هي دار الهجرة ، وبها معظم الصحابة ، وكل من كان ساكناً مع غيرهم في بلد غيرها ، كان تبعاً لهم فيما يتفقون عليه . ا هـ .

١٦٠٢ - * روى الطبراني عن عبد الله بن عمر قال : لما طعن أبو لؤلؤة عمر طعنة طعنيتين ، فظن عمر أن له ذنباً في الناس لا يعلمه ، فدعا ابن عباس وكان يحبه ، ويذنيه ويسمع منه ، فقال : أحب أن تعلم عن ملاء من الناس كان هذا فخرج ابن عباس فكان لا يمر بملاء من الناس إلا وهم يبتكون ، فرجع إلى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ما مَررت على ملاء إلا رأيتهم يبتكون كأنهم فقدوا اليوم أبكار أولادهم فقال : من قتلني ؟ فقال : أبو لؤلؤة المجوسي عبد المغيرة بن شعبة ، قال ابن عباس : فرأيت البشر في وجهه فقال : الحمد

بِهِ الَّذِي لَمْ يَبْتَغِ أَحَدٌ بِحَاجَتِي يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَمَا إِنِّي قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ أَنْ تَجْلَبُوا إِلَيْنَا مِنَ الْعُلُوجِ أَحَدًا فَتَقْصِيئُمُونِي ، ثُمَّ قَالَ : ادْعُوا إِلَى إِخْوَانِي قَالُوا : وَمَنْ ؟ قَالَ : عُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسُعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِي . فَلَمَّا جَاءُوا قُلْتُ هَؤُلَاءِ قَدْ حَضَرُوا قَالَ : نَعَمْ ، نَظَرْتُ فِي أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَوَجَدْتُكُمْ أَهْلًا لِلْسُّنَّةِ رُؤُوسَ النَّاسِ وَقَادَتِهِمْ ، وَلَا يَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا فِيكُمْ مَا اسْتَقَمْتُمْ يَسْتَقِمُ أَمْرُ النَّاسِ وَإِنْ يَكُنْ اخْتِلَافٌ يَكُنْ فِيكُمْ ، فَلَمَّا سَمِعْتُهُ ذَكَرَ الْاِخْتِلَافَ وَالشَّقَاقَ ، وَإِنْ يَكُنْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ كَائِنٌ ، لِأَنَّهُ قَلِمًا قَالَ شَيْئًا إِلَّا رَأَيْتُهُ ، ثُمَّ نَزَفَ الدَّمَ فَهَمَسُوا بَيْنَهُمْ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يَبَايَعُوا رَجُلًا مِنْهُمْ فَقُلْتُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَيٌّ بَعْدُ ، وَلَا يَكُونُ خَلِيفَتَانِ يَنْظُرُ أَحَدُهُمَا إِلَى الْآخَرِ ، فَقَالَ : احْمِلُونِي فَعَمَلْنَا . فَقَالَ : تَشَاوَرُوا ثَلَاثًا وَيُصَلِّي بِالنَّاسِ صَهْبًا قَالُوا : مَنْ نَشَاوَرِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : شَاوَرُوا الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ وَسِرَّةَ مَنْ هُنَا مِنَ الْأَجْنَادِ ، ثُمَّ دَعَا بِشَرْبَةٍ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبَ ، فَخَرَجَ بَيَاضَ اللَّبَنِ مِنَ الْجُرْحَيْنِ فَعَرَفَ أَنَّهُ الْمَوْتُ فَقَالَ : الْآنَ لَوْ أَنَّ لِي الدُّنْيَا كُلُّهَا لَأَفْتَدَيْتُ بِهَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَطْلَعِ ، وَمَا ذَاكَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَنْ أَكُونَ رَأَيْتُ إِلَّا خَيْرًا . فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَإِنْ قُلْتُ فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا أَلَيْسَ قَدْ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُعِزَّ اللَّهُ بِكَ الدِّينَ وَالْمُسْلِمِينَ إِذْ تَخَافُونَ بِكَّةَ ، فَلَمَّا أَسْلَمْتُ كَانَ إِسْلَامُكَ عِزًّا وَظَهَرَ بِكَ الْإِسْلَامُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ ، وَهَاجَرْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَكَانَتْ هِجْرَتُكَ فَتْحًا ثُمَّ لَمْ تَغِبْ عَنْ مَشْهَدِ شَهَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ يَوْمِ كَذَا وَيَوْمِ كَذَا ، ثُمَّ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ فَوَازَرْتَ الْخَلِيفَةَ بَعْدَهُ عَلَى مِنْهَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَرَبْتَ بَيْنَ أَقْبَلِ عَلَى مَنْ أَدْبَرَ حَتَّى دَخَلَ النَّاسُ فِي الْإِسْلَامِ طَوْعًا وَكَرْهًا ، ثُمَّ قُبِضَ الْخَلِيفَةُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ ، ثُمَّ وَلَّيْتَ بِخَيْرٍ مَا وَلَّى النَّاسُ مَضَرَ اللَّهُ بِكَ الْأَنْصَارَ وَجَبَى بِكَ الْأَمْوَالَ ، وَنَفَى بِكَ الْعَدُوَّ ، وَأَدْخَلَ اللَّهُ بِكَ عَلَى كُلِّ أَهْلٍ بَيْتٍ مِنْ تَوْسِعَتِهِمْ فِي دِينِهِمْ وَتَوْسِعَتِهِمْ فِي أَرْزَاقِهِمْ ثُمَّ خَتَمَ لَكَ بِالشَّهَادَةِ فَهْنِيئًا لَكَ : فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنْ الْمَغْرُورَ مَنْ تَغْرُونَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَتَشْهَدُ لِي بِإِعْتِدَالِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ ، أَلْصَقَ خَدِّي بِالْأَرْضِ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍ . فَوَضَعْتُهُ مِنْ فُخْذِي عَلَى

= العُلُوجُ : جَمْعُ عَلُوجٍ : وَهُوَ كُلُّ شَدِيدٍ غَلِيظٍ مِنَ الرِّجَالِ وَكَانَتْ تَطْلُقُ عَلَى كَفَّارِ الْعَجَمِ .

غَمْرَةٌ : غَرَّ الرَّجُلُ غَرَارَةً وَغَمْرَةً : جَهَلَ الْأُمُورَ وَغَفَلَ عَنْهَا .

سَاقِي فَقَالَ : أَلَصِقُ خَدِّي بِالْأَرْضِ فَتَرَكَ لِحْيَتَهُ وَخَدَّهُ ، حَتَّى وَقَعَ بِالْأَرْضِ فَقَالَ : وَيْلَكَ وَوَيْلَ أُمَّكَ يَا عَمْرُؤُ إِنَّ لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَكَ يَا عَمْرُؤُ . ثُمَّ قَبِضَ رَحِمَهُ اللَّهُ : فَلَمَّا قَبِضَ أُرْسِلُوا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَقَالَ : لَا آتِيَكُمْ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا مَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ مُشَاوَرَةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَسِرَةِ مَنْ هُنَا مِنَ الْأَجْنَادِ قَالَ الْحَسَنُ ، وَذَكَرَ لَهُ فَعَلَ عَمْرٌو عِنْدَ مَوْتِهِ وَخَشْيَتِهِ مِنْ رَبِّهِ فَقَالَ : هَكَذَا الْمُؤْمِنُ جَمَعَ إِحْسَانًا وَشَفَقَةً ، وَالْمُنَافِقُ جَمَعَ إِسَاءَةً وَغِرَةً ، وَاللَّهُ مَا وَجَدْتُ فِيهَا مَضَى وَلَا فِيهَا بَقِيَ عَبْدًا أَرَادَ إِحْسَانًا إِلَّا أَزْدَادَ مَخَافَةً وَشَفَقَةً مِنْهُ ، وَلَا وَجَدْتُ فِيهَا مَضَى وَلَا فِيهَا بَقِيَ عَبْدًا أَرَادَ إِسَاءَةً إِلَّا أَزْدَادَ غِرَّةً .

١٦٠٣ - * روى البخاري عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا لَمَّا سَقَطَ عَلَيْهِمُ الْحَائِطُ فِي زَمَانِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخَذُوا فِي بِنَائِهِ ، فَبَدَتْ لَهُمْ قَدَمٌ ، فَفَزَعُوا ، وَظَنُّوا أَنَّهَا قَدَمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَمَا وَجَدُوا أَحَدًا يَعْلَمُ ذَلِكَ ، حَتَّى قَالَ لَهُمْ عُرْوَةُ : لَا وَاللَّهِ ، مَا هِيَ قَدَمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَمَا هِيَ إِلَّا قَدَمُ عَمْرٍو .

قال الحافظ في الفتح : والسبب في ذلك ما رواه أبو بكر الآجري من طريق شعيب بن إسحاق عن هشام بن عروة قال : أخبرني أبي قال : كان الناس يصلون إلى القبر ، فأمر به عمر بن عبد العزيز فرفع حتى لا يصلي إليه أحد ، فلما هدم بدت قدم بساق وركبة ، ففزع عمر بن عبد العزيز ، فأثاه عروة فقال : هذا ساق عمر وركبته ، فسري عن عمر بن عبد العزيز ، وروى الآجري من طريق مالك بن المغول عن رجاء بن حيوة قال : كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز وكان قد اشترى حجر أزواج النبي ﷺ : أن يهدمها ووسع بها المسجد ، ففزع عمر في ناحية المسجد ثم أمر بهدمها ، فما رأيته باكية أكثر من يومئذ ، ثم بناه كما أراد ، فلما أن بني البيت على القبر ، وهدم البيت الأول ظهرت القبور الثلاثة ، وكان الرمل الذي عليها قد انهار ، ففزع عمر بن عبد العزيز ، وأراد أن يقوم فيسويها بنفسه ، فقلت له : أصلحك الله ، إنك إن قتت قام الناس معك ، فلو أمرت رجلاً أن يصلحها ، ورجوت أن يأمرني بذلك ، فقال : يامزاحم - يعني مولاه - : قم فأصلحها .

- ١٦٠٤ - * روى الطبراني عن المسور بن مخرمة قال : وَلِيَ عُمَرُ عَشْرَ سِنِينَ ثُمَّ تُوُفِّيَ .
- ١٦٠٥ - * روى الطبراني عن الليث بن سعد قال : قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ مَضْدَرَ الْحَاجِّ وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ .
- ١٦٠٦ - * روى الطبراني عن ابن شهاب قال : مَاتَ عُمَرُ وَهُوَ عَلَى رَأْسِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ .
- ١٦٠٧ - * روى الطبراني عن سالم بن عبد الله أن عُمَرَ قُبِضَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ .
- ١٦٠٨ - * روى الطبراني عن ابن عمر قال : مَاتَ عُمَرُ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَقَالَ : أَشْرَعَ إِلَيَّ الشَّيْبُ مِنْ قَبْلِ أَخَوَالِي بَنِي الْغَيْرَةِ .
- ١٦٠٩ - * روى الطبراني عن قتادة قال قُتِلَ عُمَرُ وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى وَسِتِّينَ .
- ١٦١٠ - * روى الطبراني عن ابن عباس أن عُمَرَ بن الخطَّابِ مَاتَ وَهُوَ ابْنُ سِتِّ وَسِتِّينَ سَنَةً .
- وقد ذكرنا الروايات المتعددة في تقدير عُمرِ عُمَرَ يوم وفاته للإشعار بأن الأمر فيه خلاف .

١٦١١ - * روى أحمد بن ابن عباس قال : أَنَا أَوَّلَ مَنْ أَتَى عُمَرَ حِينَ طَعَنَ فَقَالَ : احْفَظْ عَنِي ثَلَاثًا ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا يَدْرِكَنِي النَّاسُ : أَمَا أَنَا فَلَمْ أَقْضِ فِي الْكَلَالَةِ قَضَاءً ، وَلَمْ أُسْتَخْلَفْ عَلَى النَّاسِ خَلِيفَةً وَكُلُّ مَمْلُوكٍ لِي عَتِيقٌ .

* * *

- ١٦٠٤ - المعجم الكبير (٦٨ / ١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٨ / ٩) : رواه الطبراني وإسناده حسن .
- ١٦٠٥ - المعجم الكبير (٧٠ / ١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩ / ٩) : رواه الطبراني ورجاله ثقات .
- ١٦٠٦ - المعجم الكبير (٦٩ / ١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٨ / ٩) : رواه الطبراني ورجاله ثقات .
- ١٦٠٧ - المعجم الكبير (٦٩ / ١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٨ / ٩) : رواه الطبراني ورجاله ثقات .
- ١٦٠٨ - المعجم الكبير (٦٩ / ١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩ / ٩) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .
- ١٦٠٩ - المعجم الكبير (٦٩ / ١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٨ / ٩) : رواه الطبراني وإسناده حسن .
- ١٦١٠ - المعجم الكبير (٦٨ / ١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٨ / ٩) : رواه الطبراني ورجاله ثقات .
- ١٦١١ - أحمد في مسنده (٤٦ / ١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٧ / ٤) : رواه أحمد ورجاله ثقات .

تعليقات

لم يزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الأمير الأنموذج عند أهل الدنيا وأهل الآخرة ، فلقد انطبعت هذه الحقيقة في الأذهان حتى غدت بديهية ، فما يكاد يكون حديث عن تصرفات نموذجية لأمير إلا وتقفز مباشرة إلى الأذهان صورة عمر رضي الله عنه .

لقد كان جسمه كاملاً بين الأجسام وهو شيء مهم في الإمرة النموذجية ، كما أن له سابقته وفضله في المجتمع الذي قاده ، وساسه ، وذلك محل إجماع ، وكذلك هذه شيء مهم في الإمرة النموذجية .

وكان على غاية من الجدّة في حياته الخاصة والعامة ، وهذا شرط الإمرة النموذجية لأنه بذلك تستر هيبة الأمير وتنمى .

وكان لا يميز أهله ولا نفسه عن العامة بشيء ، وبذلك أبعد نفسه عن أي مظنة تهمة ، وهذا مهم في شخصية الأمير النموذجي .

وكان أرحم الناس بالعامة وأرفقهم بهم وأكثرهم لهم رعاية ، فلا يضيع أحد في سلطانه ، ويستشعر كل فرد بحنانه ، وهذا شرط في الأمير النموذجي .

وكان يترك اجتهاده لاجتهاد غيره إذا أحس أن الأمر سيدخل بعض الناس في زوايا حادة كما فعل في أراضي السواد إذ أخرّ تنفيذ اجتهاده حتى انتهت المعارضة ، وهذا شرط في الأمير النموذجي . مع ملاحظة أن اجتهاد عمر ألا تقسم الأراضي المفتوحة على الفاتحين وأن تبقى وقفاً على جميع المسلمين إلى قيام الساعة . كان اجتهاداً وافقه عليه أكثر الصحابة ، واستدل له عمر بنصوص قرآنية وكان هذا وحده هو الذي يسع حاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها ، وكان فيه البركة ولا زلنا نرى بركة تصرفه حتى أننا في عصرنا نعتبر فعله حجة للإسلام على المذاهب التي تتحدث عن خطورة تركيز رؤوس الأموال بأيدي قليلة . ومع قوة هذا الاجتهاد ووقوف أكثر الصحابة معه فقد جد عمر هذه القضية لأن بعض الصحابة كانت له شبهة ، فخشي أن يؤثر تنفيذ اجتهاده على وحدة الصف فجمد القضية ومن ها هنا ندرك أن الحزم عند عمر هو والحكمة توأمان .

وكان يعرف أقدار الناس ويعرف لأهل الفضل فضلهم ولأهل السبق سبقهم وهذا شرط لاستقرار أي نظام .

وكان مستشرفاً استشرافاً كاملاً لساحة المعركة التي يخوضها ولوازمها واحتياجاتها ، وهذا شرط من شروط نجاح الأمير في أي معركة .

وكان يحسن اختيار الرجال للمهمّات المنوطة بهم ، وهذا شرط لنجاحات الأمير أي أمير .
وكان كل فرد حوله يحس أنه أكمل منه في خصوصياته ، فالعبادة والعلم وحسن التدبير وسداد الرأي كل ذلك كان متفوقاً فيه على من حوله ، وهذا شرط في نجاحات الأمير ، فتي أحس من حول الأمير بتفوقهم عليه هان عليهم وذلك مقدمة الفشل .
وكان قوي المبادرة ، كثير المشاورة ، درّاكاً للفكرة الصائبة ، وتلك شروط في نجاحات الأمير .

وكان يؤدي لكل ذي حق حقه ويعرق لكل ذي فضل فضله ، ولذلك أعطاه الجميع حقوقه كاملة ، وكما كان لا يتساهل في حقوقه كان يعرف الحدود التي يحاسب بها الأمير على حقوقه .

ومهما قيل فيه فهو قليل : لقد أتعب أبو بكر من جاء بعده كما قال عمر ، ولقد أتعب أبو بكر وعمر من جاء بعدهما إلى قيام الساعة ، فمن الذي يستطيع ما استطاعاً ، ولكن من تبيأ له ما تبيأ لهما ؟

لقد تبيأ لهما أن أصحاب رسول الله ﷺ هم جنودهما ، ومن كان هؤلاء جنده وحاشيته وبطانته فإنه قد توافر له ما لا يتوافر لأحد بعده ، ولعل هذا أحد الأسباب الرئيسية لانتقاض الأمر في عهد عثمان وعلي رضي الله عنهما ، فلقد أصبح أكثر جيل الصحابة الذين ربّاهم رسول الله ﷺ بشكل مباشر في عداد الشهداء .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الباب الرابع : في الصفات والخصائص والشمائل	١٠٦٥
تقديم	١٠٦٧
أولاً : نصوص قرآنية في بعض الخصائص والشمائل النبوية	١٠٦٩
ثانياً : نصوص حديثية في الخصائص والشمائل النبوية	١٠٧٦
الباب الخامس : في معجزات الرسول ﷺ	١١٢٩
بين يدي هذا الباب	١١٣١
المعجزات	١١٣٣
الباب السادس : دوائر شرف حول الرسول ﷺ	١٢١٧
تقديم	١٢١٩
فصل : في فضل أمته	١٢٢١
فصل : في فضل العرب وقريش وبعض القبائل	١٢٣٥
فصل : في آل بيته	١٢٤٧
الوصل الأول : في أزواجه عليه الصلاة والسلام	١٢٥٧
توطئة	١٢٥٩
المقدمة الأولى : لمحة عامة عن أزواجه وسراريه عليه	
السلام	١٢٦٠
المقدمة الثانية : في التفضيل	١٢٦٢
١ - خديجة بنت خويلد رضي الله عنها	١٢٦٤
٢ - سودة أم المؤمنين رضي الله عنها	١٢٧١
٣ - عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها	١٢٧٤
٤ - حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها	١٣٢١
٥ - زينب بنت خزيمة أم المؤمنين رضي الله عنها	١٣٢٦

- ٦ - أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها ١٣٢٧
- ٧ - زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها ١٣٣١
- ٨ - جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها ١٣٣٨
- ٩ - أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها ١٣٤٢
- ١٠ - صفية أم المؤمنين رضي الله عنها ١٣٤٥
- ١١ - ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها ١٣٥٢
- عطف : فين عقد عليهن ولم يدخل بهن ١٣٥٦
- عطف على وصل ١٣٥٧
- الوصل الثاني : في بناته وأبنائه وأحفاده عليه الصلاة والسلام ١٣٧٣
- أبنائه عليه الصلاة والسلام ١٣٧٦
- بناته عليه الصلاة والسلام ١٣٧٩
- ١ - رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ ١٣٧٩
- ٢ - زينب بنت رسول الله ﷺ ١٣٨٠
- ٣ - أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ١٣٨٥
- ٤ - فاطمة بنت رسول الله ﷺ ١٣٨٦
- عطف : فيما ورد بفاطمة وزوجها وابنيهما مشتركًا ١٤٠٣
- أحفاده عليه الصلاة والسلام ١٤١٠
- ١ - الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنها ١٤١٠
- ٢ - الحسين الشهيد بن علي رضي الله عنها ١٤٢٥
- الوصل الثالث : في بعض أقاربه الأذنين ممن يدخل في لفظة أهل البيت بالمعنى العام ١٤٤٧
- مقدمة ١٤٤٩
- ١ - من أعمامه وعماته عليه الصلاة والسلام ١٤٥١
- حمزة بن عبد المطلب ١٤٥١
- العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ ١٤٥٤

١٤٦٢	صفية عمّة رسول الله ﷺ
١٤٦٤	٢ - بعض أبناء وبنات أعمامه عليه الصلاة والسلام
١٤٦٤	جعفر بن أبي طالب
١٤٦٩	عقيل بن أبي طالب الهاشمي
١٤٧٠	أم هانئ
١٤٧٣	عبد الله بن عباس البحر
١٤٨٨	عبيد الله بن العباس
١٤٨٩	قثم بن العباس الهاشمي
١٤٩٠	معبد بن العباس
١٤٩١	تمام بن العباس
١٤٩١	الفضل بن العباس
١٤٩١	ربيعة بن الحارث
١٤٩٢	عبد الله بن الحارث
١٤٩٣	عبيدة بن الحارث
١٤٩٣	نوفل بن الحارث
١٤٩٤	سعيد بن الحارث
١٤٩٤	أبو سفيان بن الحارث
١٤٩٦	درة بنت أبي لهب
١٤٩٧	ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب
١٤٩٧	عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب
١٤٩٨	٣ - من أحفاد أعمامه ﷺ
١٤٩٨	عبد الله بن جعفر
١٥٠٤	عبد المطلب بن ربيعة
١٥٠٨	تصويبات وتوصيات
١٥٠٩	فصل: في أصحابه عليه الصلاة والسلام

الوصل الأول : فيما ورد في فضل الصحابة أو في بعضهم إجمالاً	
أو تفصيلاً	١٥١٥
تمهيد	١٥١٧
عطف : في المهاجرين والأنصار	١٥٣٣
عطف : في أصحاب الصفة	١٥٤١
الوصل الثاني : في خلفائه الراشدين	١٥٤٣
المقدمة	١٥٤٥
أبو بكر الصديق رضي الله عنه	١٥٤٨
اسم أبي بكر رضي الله عنه ونسبه	١٥٤٨
مولده رضي الله عنه	١٥٤٨
صفاته وسجاياه	١٥٤٨
مبايعته بالخلافة	١٥٤٩
أعماله رضي الله عنه أثناء فترة خلافته	١٥٤٩
أولاً : إنقاذ جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه لقتال الروم	١٥٤٩
ثانياً : قتال المرتدين	١٥٥١
قتال مسيلة الكذاب	١٥٥١
قتال طليحة الأسدي	١٥٥٢
ارتداد أهل البحرين وعودتهم إلى الإسلام	١٥٥٣
ردة أهل عمان ومهرة اليمن	١٥٥٣
ثالثاً : الفتوح	١٥٥٥
فتوح الشام في خلافة أبي بكر رضي الله عنه	١٥٥٦
وقعة اليرموك	١٥٥٧
تعليقات	١٥٧٩
عمر بن الخطاب رضي الله عنه	١٥٨١
ميلاده ووفاته	١٥٨١

١٥٨١	بيعته في الخلافة
١٥٨١	سيرته قبل الخلافة
١٥٨٢	سيرته أثناء الخلافة
١٥٨٢	فتوح الشام
١٥٨٢	١ - فتح دمشق
١٥٨٣	٢ - فتح الأردن
١٥٨٣	٣ - وقعة فجل
١٥٨٤	فتوح العراق
١٥٨٤	١ - وقعة الجسر
١٥٨٤	٢ - وقعة البويب
١٥٨٥	٣ - غزوة القادسية
١٥٨٦	٤ - فتح المدائن
١٥٨٦	٥ - وقعة جلولاء
١٥٨٧	٦ - فتح حلوان
١٥٨٧	٧ - فتح تكريت والموصل
١٥٨٨	ما وقع سنة ثلاث عشرة من الحوادث
١٥٨٩	سنة أربع عشرة من الهجرة
١٥٩٠	سنة خمس عشرة
١٥٩١	سنة ست عشرة
١٥٩١	سنة سبع عشرة
١٥٩٢	سنة ثماني عشرة
١٥٩٤	سنة إحدى وعشرين
١٥٩٤	سنة ثنتين وعشرين
١٥٩٤	سنة ثلاث وعشرين وفيها وفاة عمر بن الخطاب
١٥٩٧	صفته رضي الله عنه
١٦٢١	تعليقات

رقم الايداع : ٢٨٧٢ / ٨٩
الترقيم الدولى : ٤ - ٢٤ - ١٤٧١ - ٩٧٧

سَعِيدُ حَوّٰى

الْأَسْبَغُ فِي السُّنَنِ

وَفَفْهَمَهَا

المجلد الرابع

القسم الأول

السيرة النبوية

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة
للمنشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

١٢٠ شارع الأزهر - ص. ب. ١٦١ القوية
ت: ٩٣٢٨٢٠ - ٢٧٤١٥٧٨ فاكس: ٢٧٤١٧٥٠

الطبعة الثالثة

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال ابن حجر في ترجمته : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي أمير المؤمنين أبو عبد الله وأبو عمرو ، وأمه أروى بنت كُريز بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس ، أسلمت ، وأُمها البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ولد بعد الفيل بست سنين على الصحيح . وكان ربعة حسن الوجه رقيق البشرة عظيم اللحية بعيد ما بين المنكبين .

أسلم قديماً قال ابن إسحاق : كان أبو بكر مؤلفاً لقومه فجعل يدعو إلى الإسلام من يثق به فأسلم على يده فيما بلغني الزبير وطلحة وعثمان وزَوْجَةُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابنته رقية وماتت عنده أيام بدر ، فزوجه بعدها أختها أم كلثوم فلذلك كان يلقب ذا النورين . وجاء من أوجه متواترة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشره بالجنة وعده من أهل الجنة وشهد له بالشهادة .

وجاء من طرق كثيرة شهيرة صحيحة عن عثمان لما أن حصروه انتشد الصحابة في أشياء منها تجهيزه جيش العسرة ، ومنها مبايعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنه تحت الشجرة لما أرسله إلى مكة ، ومنها شراؤه بئر رومة وغير ذلك .

وروى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر ، روى عنه أولاده : عمر وأبان وسعيد وابن عمه مروان بن الحكم بن أبي العاص ، ومن الصحابة : ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وابن الزبير وزيد بن ثابت وعمران بن حصين وأبو هريرة وغيرهم ، ومن التابعين : الأنصف وعبد الرحمن بن أبي ضمرة وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وسعيد بن المسيب وأبو وائل وأبو عبد الرحمن السلمي ومحمد بن الحنفية وآخرون .

وهو أول من هاجر إلى الحبشة ومعه زوجته رقية وتخلف عن بدر لتمريرها ، فكتب له النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسهمه وأجره وتخلف عن بيعته الرضوان لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان بعثه إلى مكة فأشيع أنهم قتلوه فكان ذلك سبب البيعة فضرب إحدى

يديه على الأخرى وقال : هذه عن عثمان وقال ابن مسعود : لما بويغ بايعنا خيرنا ولم نأل .
وقال علي : كان عثمان أوصلنا للرحم وكذا قالت عائشة لما بلغها قتله : قتلوه وإنه لأوصلهم
للرحم وأتقاهم للرب .

وقال ابن المبارك في الزهد أنبأنا الزبير بن عبد الله أن جدته أخبرته وكانت خادماً
لعثمان وقالت : كان عثمان لا يوقظ نائماً من أهله إلا أن يحده يقظاناً فيدعوه فينأوله
وضوءه . وكان يصوم الدهر .

وكان سبب قتله أن أمراء الأمصار كانوا من أقاربه ، كان بالشام كلها معاوية وبالبصرة
سعيد بن العاص وبمصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح وبخراسان عبد الله بن عامر ، وكان
من حج منهم يشكون من أميره ، وكان عثمان لين العريكة كثير الإحسان والحلم وكان يستبدل
ببعض أمرائه فيرضيهم ثم يعيده بعد ، إلى أن رحل أهل مصر يشكون من ابن أبي سرح
فعزله وكتب لهم كتاباً بتولية محمد بن أبي بكر الصديق فرضوا بذلك فلما كانوا في أثناء
الطريق رأوا راكباً على راحلة فاستخبروه فأخبرهم أنه من عند عثمان باستقرار ابن أبي سرح
ومعاقبة جماعة من أعيانهم فأخذوا الكتاب ورجعوا وواجهوه به فحلف أنه ما كتب ولا أذن
فقالوا سلماً كاتبك فخشي عليه منهم القتل وكان كاتبه مروان بن الحكم وهو ابن عمه فغضبوا
وحصروه في داره واجتمع جماعة يحمونه منهم فكان ينهاتهم عن القتال إلى أن تسوروا عليه من
دار إلى دار فدخلوا عليه فقتلوه فعظم ذلك على أهل الخير من الصحابة وغيرهم وانفتح باب
الفتنة فكان ما كان وبالله المستعان .

وروى البخاري في قصة قتل عمر أنه عهد إلى ستة وأمرهم أن يختاروا رجلاً فجعلوا
الاختيار إلى عبد الرحمن بن عوف فاختر عثمان فبايعوه ويقال كان ذلك يوم السبت غرة
المحرم سنة أربع وعشرين ، وقال ابن إسحاق : قتل على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر
شهاً واثنين وعشرين يوماً من خلافته فيكون ذلك في ثاني وعشرين ذي الحجة سنة خمس
وثلاثين وقال غيره : قتل لسبع عشرة وقيل : لثان عشرة رواه أحمد عن إسحاق بن الطباع
عن أبي معشر ، وقال الزبير بن بكار : بويغ يوم الإثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة
ثلاث وعشرين وقتل يوم الجمعة لثان عشرة خلت من ذي الحجة بعد العصر ودفن ليلة

السبت بين المغرب والعشاء في حَشَّ كوكب كان عثمان اشتراه فوسع به البقيع . وقتل وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وأشهر على الصحيح المشهور وقيل دون ذلك . وزعم أبو محمد ابن حزم أنه لم يبلغ الثمانين . ا هـ .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية : هو عثمان بن عفان ، ذو النورين ، وصاحب المهجرتين ، وزوج الابنتين ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وأحد الثلاثة الذين خلصت لهم الخلافة من الستة ، ثم تعينت فيه بإجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ، فكان ثالث الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، المأمور باتباعهم والافتداء بهم .

أسلم عثمان رضي الله عنه قديماً على أبي بكر الصديق وهاجر إلى الحبشة أول الناس ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ، ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة ، فلما كانت وقعة بدر اشتغل بتمريض ابنة رسول الله ﷺ ، وأقام بسببها في المدينة ، وضرب له رسول الله ﷺ بسهمه منها وأجره فيها ، فهو معدود فيمن شهداها . فلما توفيت زوجته رسول الله ﷺ بأختها أم كلثوم فتوفيت أيضاً في صحبته ، وقال رسول الله ﷺ : « لو كان عندنا أخرى لزوجناها بعثمان » وشهد أحداً وفر يومئذ فيمن تولى ، وقد نصّ الله على العفو عنهم ، وشهد الخندق والحديبية ، وباع عنه رسول الله ﷺ يومئذ بإحدى يديه ، وشهد خيبر وعمره القضاء ، وحضر الفتح وهوازن والطائف وغزوة تبوك ، وجهز جيش العسرة . وتقدم عن عبد الرحمن بن خباب أنه جهزهم يومئذ بثلاثمائة بعير بأقتنائها وأحلاسها ، وعن عبد الرحمن بن سمرة أنه جاء يومئذ بألف دينار فصبتها في حجر رسول الله ﷺ فقال : صلى الله عليه وسلم « ما ضر عثمان ما فعل بعد هذا اليوم مرتين » وحج مع رسول الله ﷺ حجة الوداع ، وتوفي وهو عنه راض ، وصحب أبا بكر فأحسن صحبته ، وتوفي وهو عنه راض ، وصحب عمر فأحسن صحبته وتوفي وهو عنه راض . ونص عليه في أهل الشورى الستة فكان خيرهم .

كان رضي الله عنه حسن الوجه ، دقيق البشرة ، كبير اللحية ، معتدل القامة ، عظيم

الكراديس^(١) ، بعيد ما بين المنكبين ، كثير شعر الرأس ، حسن الشعر ، فيه سمرة ، وقيل كان في وجهه شيء من آثار الجدري ، رضي الله عنه . وعن الزهرني : كان حسن الوجه والشعر ، مربوعاً ، أصلع ، أرواح الرجلين^(٢) يخضب بالصفرة ، وكان فد شد أسنانه بالذهب ، وقد كسى ذراعيه الشعر .

وقال سيف عن خليفة بن زفر ومجالد قالا : استخلف عثمان لثلاث خلون من المحرم سنة ثلاث وعشرين فخرج فصلى بالناس العصر ، وزاد الناس - يعني في أعطياتهم - مائة ، ووفد أهل الأمصار ، وهو أول من صنع ذلك .

وقصة استخلافه : أنه في أول يوم من سنة أربع وعشرين دفن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذلك يوم الأحد في قول وبعد ثلاث أيام بويع أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضي الله عنه .

كان عمر رضي الله عنه قد جعل الأمر بعده شورى بين ستة نفر وهم عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم . وتخرج أن يجعلها لواحد من هؤلاء على التعيين ، وقال : لا أتحمل أمرهم حياً وميتاً ، وإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خير هؤلاء ، كما جمعكم على خيركم بعد نبيكم ﷺ ، ومن تمام ورعه لم يذكر في الشورى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل لأنه ابن عمه خشي أن يراعى فيولى لكونه ابن عمه ، فلذلك تركه - ولعله خشي أن يفتح باباً بأن يجعل الخلافة وراثية في بني عدى - . وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، بل جاء في رواية المدائني عن شيوخه أنه استثناه من بينهم ، وقال : لست مدخله فيهم ، وقال لأهل الشورى يحضركم عبد الله - يعني ابنه - وليس إليه من الأمر شيء - يعني بل يحضر الشورى ويشير بالنصح ولا يولى شيئاً - وأوصى أن يصلي بالناس صهيب بن سنان الرومي ثلاثة أيام حتى تنقضي الشورى ، وأن يجتمع أهل الشورى ويوكل بهم أناس حتى ينبرم الأمر ، ووكل بهم خمسين رجلاً من

(١) الكراديس : جمع كرادوس : وهو كل عظم نام ضخم ، وكل عظيم التقيا في مفصل نحو المنكبين والركبتين والوركين .

(٢) أرواح الرجلين : أي في رجله اتساع دون الفتحج ، والفتحج : الانفراج .

المسلمين وجعل عليهم مستحشاً أبا طلحة الأنصاري ، والمقداد بن الأسود الكندي ، وقد قال عمر بن الخطاب : ما أظن الناس يعدلون بعثمان وعلي أحد ، إنها كنا يكتبان الوحي بين يدي رسول الله ﷺ بما ينزل به جبريل عليه .

والمقصود أن القوم خلصوا من الناس في بيت يتشاورون في أمرهم ، فكثرت القول ، وعلت الأصوات وقال أبو طلحة : إني كنت أظن أن تدافعوها ولم أكن أظن أن تنافسوها ثم صار الأمر بعد حضور طلحة إلى أن فوض ثلاثة منهم ما لهم في ذلك إلى ثلاثة ، ففوض الزبير ما يستحقه من الإمارة إلى علي ، وفوض سعد ماله في ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف ، وترك طلحة حقه إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فقال عبد الرحمن لعلي وعثمان : أيكما يبرأ من هذا الأمر فنفوض الأمر إليه والله عليه والإسلام ليولين أفضل الرجلين الباقيين فأسكت الشيخان علي وعثمان ، فقال عبد الرحمن : إني أترك حقي من ذلك والله علي والإسلام أن أجتهد فأولي أولاً بالحق ، فقالا : نعم ! ثم خاطب كل واحد منهما بما فيه من الفضل ، وأخذ عليه العهد والميثاق لئن ولاه ليعدلين ولئن ولي عليه ليسمن وليطيعن ، فقال كل منهما : نعم ثم تفرقوا ، ويروى أن أهل الشورى جعلوا الأمر إلى عبد الرحمن يجتهد للمسلمين في أفضلهم ليوليه ، فيذكر أنه سأل من يمكنه سؤاله من أهل الشورى وغيرهم فلا يشير إلا بعثمان بن عفان ، حتى أنه قال لعلي : أرأيت إن لم أولك بمن تشير به علي ؟ قال : عثمان . وقال لعثمان : أرأيت إن لم أولك بمن تشير به ؟ قال : بعلي بن أبي طالب . والظاهر أن هذا كان قبل أن ينحصر الأمر في ثلاثة ، وينخلع عبد الرحمن منها لينظر الأفضل والله عليه والإسلام ليجتهدن في أفضل الرجلين فيوليه . ثم نهض عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يستشير الناس فيها ويجمع رأي المسلمين برأي رؤوس الناس وقوادهم جميعاً وأشتاتاً ، مثنى وفرداً ، ومجتمعين ، سراً وجهراً ، حتى خلص إلى النساء المخدرات في حجابهن ، وحتى سأل الولدان في المكاتب ، وحتى سأل من يرّ من الركبان والأعراب إلى المدينة ، في مدة ثلاثة أيام بلياليها ، فلم يجد اثنين يختلفان في تقديم عثمان بن عفان ، إلا ما ينقل عن عمار والمقداد أنها أشارا بعلي بن أبي طالب ، ثم بايعا مع الناس على ما سنذكره ، فسعى في ذلك عبد الرحمن ثلاثة أيام بلياليها لا يغتض بكثير نوم إلا صلاة ودعاء واستخارة ، وسوأل من ذوي الرأي عنهم ، فلم يجد أحداً يعدل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فلما كانت الليلة يسفر

صباحها عن اليوم الرابع من موت عمر بن الخطاب جاء إلى منزل ابن اخته المشور بن مخزومة فقال : أنائم يامسور ؟ والله لم أغمض بكثير نوم منذ ثلاث ، اذهب فادع إلي علياً وعثمان قال المسور : فقلت بأبيها أبداً ؟ فقال بأبيها شئت ، قال : فذهبت إلى علي فقلت أجب خالي ، فقال : أمرك أن تدعو معي أحداً ؟ قلت : نعم ! قال : من ؟ قلت : عثمان ابن عفان ، قال : بأينا بدأ ؟ قلت : لم يأمرني بذلك ، بل قال ادعوا لي أيها شئت أولاً ، فجئت إليك قال : فخرج معي فلما مررنا بدار عثمان بن عفان جلس علي حتى دخلت فوجدته يوتر مع الفجر ، فقال لي كما قال لي علي سواء ، ثم خرج فدخلت بها على خالي وهو قائم يصلي ، فلما انصرف أقبل على علي وعثمان فقال : إني قد سألت الناس عنكما فلم أجد أحداً يعدل بكما أحداً ، ثم أخذ العهد على كل منهما أيضاً لأن ولاءه ليعملن ، ولئن ولي عليه ليسمعن وليطيعن ، ثم خرج بها إلى المسجد وقد لبس عبد الرحمن العمامة التي عممه رسول الله ﷺ ، وتقلد سيفاً ، وبعث إلى وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ، ونودي في الناس عامة الصلاة جامعة ، فامتلاً المسجد حتى غص بالناس ، وتراص الناس وتراصوا حتى لم يبق لعثمان موضع يجلس إلا في أخريات الناس - وكان رجلاً حياً رضي الله عنه - ثم صعد عبد الرحمن بن عوف منبر رسول الله ﷺ ، فوقف وقوفاً طويلاً ، ودعا دعاء طويلاً ، لم يسمعه الناس ثم تكلم فقال : أيها الناس ، إني سألتكم سرّاً وجهراً بأمانيتكم فلم أجدم تعدلون بأحد هذين الرجلين إما علي وإما عثمان ، فقم إليّ يا علي ، فقام إليه فوقف تحت المنبر فأخذ عبد الرحمن بيده فقال : هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفعل أبي بكر وعمر ؟ قال : اللهم لا ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي ، قال فأرسل يده وقال : قم إلي يا عثمان ، فأخذ بيده فقال : هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفعل أبي بكر وعمر ؟ قال : اللهم نعم قال : فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان فقال اللهم اسمع واشهد ، اللهم اسمع واشهد ، اللهم إني قد خلعت ما في رقبتي من ذلك في رقة عثمان . قال وازدحم الناس يبائعون عثمان حتى غشوه تحت المنبر ، قال فقعد عبد الرحمن مقعد النبي ﷺ ، وأجلس عثمان تحته على الدرجة الثانية ، وجاء إليه الناس يبائعونه ، وباعه علي بن أبي طالب أولاً .

فولي الخلافة بعده ففتح الله على يديه كثيراً من الأقاليم والأمصار ، وتوسعت المملكة الإسلامية ، وامتدت الدولة الحمديدية ، وبلغت الرسالة المصطفوية في مشارق الأرض ومغاربها ، وظهر للناس مصداق قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ ^(١) وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ^(٢).

وقد كان رضي الله عنه حسن الشكل ، مليح الوجه كريم الأخلاق ، ذا حياء كثير ، وكرم غزير ، يؤثر أهله وأقاربه في الله ، تأليفاً لقلوبهم من متاع الحياة الدنيا الفاني ، لعله يرغبهم في إيثار ما يبقى على ما يفنى ، كما كان النبي ﷺ يعطي أقواماً ويدع آخرين ، يعطي أقواماً خشية أن يكبههم الله على وجوههم في النار ، ويكل آخرين إلى ما جعل الله في قلوبهم من الهدى والإيمان ، وقد تعنت عليه بسبب هذه الخصلة أقوام ، كما تعنت بعض الخوارج على رسول الله ﷺ في الإيثار .

أقول : إن استعانة أمير المؤمنين ببعض أقاربه قد يكون فيه مصالح منها الضبط ومنها قوة الولاء ومنها الجرأة على المصارحة بواقع الحال ، ولكن الناس ألفوا سنة عمر الذي كان يستبعد أن يولي أحداً من أقاربه فلم يسلم بعضهم لعثمان بهذا الاجتهاد ، وهو على كل الأحوال اجتهد خليفة راشد يشكل سابقة من سوابق الحكم في الأمة الإسلامية ، وعلى أمراء المؤمنين أن يجاهدوا أنفسهم فلا يميلوا مع الهوى ويتخيروا من سنن الخلفاء الراشدين ما هو الأنسب للصالح العام .

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل عثمان رضي الله عنه :

قال البخاري في التاريخ : ثنا موسى بن إسماعيل ثنا مبارك بن فضالة قال : سمعت الحسن يقول : أدركت عثمان على ما تقموا عليه ، قلّ ما يأتي على الناس يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيراً ، يقال لهم : يامعشر المسلمين اغدوا على أعطيائكم ، فيأخذونها وافرة ، ثم

(١) النور : ٥٥ .

(٢) التوبة : ٣٣ .

يقال لهم : اغدوا على أرزاقكم فيأخذونها وافرة ، ثم يقال لهم اغدوا على السمن والعسل ، الأعطيات جارية ، والأرزاق دارة ، والعدو متقى وذات البين حسن ، والخير كثير ، وما من مؤمن يخاف مؤمناً ، ومن لقيه فهو أخوه - بمعنى أن الإخاء وافر بين المسلمين - قال الحسن : فلو أنهم صبروا لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق والخير الكثير ، بل قالوا : لا والله ما نصابرها : فوالله ما وردوا - أي ما حققوا الدنيا وخيرها - وما سلموا ، والأخرى كان السيف مغمداً عن أهل الإسلام فسلّوه على أنفسهم ، فوالله ما زال مسلولاً إلى يوم الناس هذا ، وإم الله إني لأراه سيفاً مسلولاً إلى يوم القيامة .

وقد روي هذا من غير وجه أنه صلى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عند الحجر الأسود أيام الحج ، وقد كان هذا من دأبه رضي الله عنه . ولهذا روينا عن ابن عمر أنه قال في قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آذَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ ^(١) قال : هو عثمان بن عفان . وقال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ^(٢) قال : هو عثمان . وقال حسان :

ضَحَوْا بِأَشْمَطَ عَنَوَانَ السَّجُودِ بِهِ يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وَقِرْآنَا

وقال سفيان بن عيينة : ثنا إسرائيل بن موسى سمعت الحسن يقول قال عثمان : لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا ، وإني لأكره أن يأتي عليّ يوم لا أنظر في المصحف ، وما مات عثمان حتى خرق مصحفه من كثرة ما يديم النظر فيه . وقال أنس ومحمد بن سيرين : قالت امرأة عثمان يوم الدار : اقتلوه أو دعوه ، فوالله لقد كان يحيي الليل بالقرآن في ركعة ، وقال غير واحد : إنه رضي الله عنه كان لا يوقظ أحداً من أهله إذا قام من الليل ليعينه على وضوئه ، إلا أن يجده يقظان ، وكان يصوم الدهر ، وكان يعاتب فيقال : لو أيقظت بعض الخدم ؟ فيقول : لا الليل لهم يستريحون فيه . وكان إذا اغتسل لا يرفع المززر عنه ، وهو في بيت مغلق عليه ، ولا يرفع صلبه جيداً من شدة حيائه رضي الله عنه .

(١) الزمر : ٩ .

(٢) النحل : ٧٦ .

ومن مناقبه الكبار وحسناته العظيمة أنه جمع الناس على قراءة واحدة ، وكتب المصحف على العرضة الأخيرة ، التي درسها جبريل على رسول الله ﷺ في آخر سني حياته ، وكان سبب ذلك أن حذيفة بن اليمان كان في بعض الغزوات ، وقد اجتمع فيها خلق من أهل الشام ، ممن يقرأ على قراءة المقداد بن الأسود وأبي الدرداء ، وجماعة من أهل العراق ، ممن يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود وأبي موسى ، وجعل من لا يعلم بِتَوَعَّانِ القراءة على سبعة أحرف ، يفضل قراءته على قراءة غيره ، وربما خطأ الآخر أو كفره ، فأدى ذلك إلى اختلاف شديد ، وانتشار في الكلام السيء بين الناس ، فركب حذيفة إلى عثمان فقال : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها باختلاف اليهود والنصارى في كتبهم . وذكر له ما شاهد من اختلاف الناس في القراءة ، فعند ذلك جمع عثمان الصحابة وشاورهم في ذلك ، ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد ، وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به ، دون ما سواه ، لما رأى في ذلك من مصلحة كف المنازعة ، ودفع الاختلاف ، فاستدعى بالمصحف التي كان الصديق أمر زيد بن ثابت بجمعها ، فكانت عند الصديق أيام حياته ، ثم كانت عند عمر ، فلما توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين ، فاستدعى بها عثمان وأمر زيد بن ثابت الأنصاري أن يكتب وأن يمل عليه سعيد بن العاص الأموي ، بحضرة عبد الله بن الزبير الأسدي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام الخزومي ، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغة قريش ، فكتب لأهل الشام مصحفاً ، ولأهل مصر آخر ، وبعث إلى البصرة مصحفاً وإلى الكوفة بآخر ، وأرسل إلى مكة مصحفاً وإلى اليمن مثله ، وأقر بالمدينة مصحفاً . ويقال لهذه المصاحف الأئمة ، وليست كلها بخط عثمان ، بل ولا واحد منها ، وإنما هي بخط زيد بن ثابت ، وإنما يقال لها المصاحف العثمانية نسبة إلى أمره وزمانه ، وإمارته ، كما يقال دينار هرقلي ، أي ضرب في زمانه ودولته .

قال أبو عمر بن عبد البر : دفنوا عثمان رضي الله عنه بحش كوكب - وكان قد اشتراه وزاده في البقيع - ولقد أحسن بعض السلف إذ يقول وقد سئل عن عثمان : هو أمير البرة ، وقتيل الفجرة ، مخذول من خذله ، منصور من نصره .

وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي في آخر ترجمة عثمان وفضائله - بعد حكايته هذا الكلام : الذين قتلوه أو ألبوا عليه قتلوا إلى عفو الله ورحمته ، والذين خذلوه خذلوا وتنقص عيشهم ، وكان الملك بعده في نائبه معاوية وبنيه ، ثم في وزيره مروان وثمانية من ذريته ، استطالوا حياته وملّوه مع فضله وسوابقه ، فتلّك عليهم من هو من بني عمه بضعا وثمانين سنة ، فالحكم لله العلي الكبير . وهذا لفظه بحروفه .

ذكر زوجاته وبنيه وبناته رضي الله عنهم :

تزوج برقية بنت رسول الله ﷺ فولد له منها عبد الله ، وبه كان يكنى ، بعد ما كان يكنى في الجاهلية بأبي عمرو ، ثم لما توفيت تزوج بأختها أم كلثوم ، ثم توفيت فتزوج بفاخته بنت غزوان بن جابر ، فولد له منها عبيد الله الأصغر ، وتزوج بأم عمرو بنت جندب بن عمرو الأزدي ، فولدت له عمراً ، وخالداً ، وأباناً ، وعمر ، ومريم ، وتزوج بفاطمة بنت الوليد بن عبد شمس الخزومية ، فولدت له الوليد وسعيداً . وتزوج أم البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية ، فولدت له عبد الملك ، ويقال وعتبة ، وتزوج رملة بنت شيبه بن ربيعة ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي فولدت له عائشة وأم أبان وأم عمرو ، بنات عثمان ، وتزوج نائلة بنت الفرافصة بن الأخوص بن عمرو بن ثعلبة بن حصن بن ضمضم بن عدي بن حيان بن كليب ، فولدت له مريم ، ويقال وعنبسة . وقتل رضي الله عنه وعنده أربع : نائلة ، ورملة ، وأم البنين ، وفاخنة . ويقال إنه طلق أم البنين وهو محصوراً هـ . ابن كثير .

وما قاله ابن كثير وهو يؤرّخ لسني عهد عثمان رضي الله عنه : قال ابن جرير : وفي هذه السنة - أعني سنة أربع وعشرين - غزا الوليد بن عقبة أذربيجان وأرمينية حين منع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أهل الإسلام في أيام عمر بن الخطاب ، وهذا في رواية أبي مخنف ، وأما في رواية غيره فإن ذلك كان في سنة ست وعشرين ، ثم ذكر ابن جرير ههنا هذه الوقعة وملخصها : أن الوليد بن عقبة سار بجيش الكوفة نحو أذربيجان وأرمينية ، حين تقضوا العهد فوطىء بلادهم وأغار بأراضي تلك الناحية فغنم وسبى وأخذ أموالاً جزيلة فلما أيقنوا بالهلكة صالحهم أهلها على ما كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان ثمانمائة ألف درهم

في كل سنة فقبض منهم جزية سنة ثم رجع سالماً غانماً إلى الكوفة ، فر بالموصل وجاءه كتاب عثمان وهو بها يأمره أن يد أهل الشام على حرب أهل الروم . قال ابن جرير : وفي هذه السنة جاشت الروم حتى خاف أهل الشام وبعثوا إلى عثمان رضي الله عنه يستمدونه فكتب إلى الوليد بن عقبة . أن إذا جاءك كتابي هذا فابعث رجلاً أميناً كريماً شجاعاً في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إلى إخوانكم بالشام ، فقام الوليد بن عقبة في الناس خطيباً حين وصل إليه كتاب عثمان فأخبرهم بما أمره به أمير المؤمنين وندب الناس وحثهم على الجهاد ومعاونة معاوية وأهل الشام ، وأمر سلمان بن ربيعة على الناس الذين يخرجون إلى الشام فانتدب في ثلاثة أيام ثمانية آلاف فبعثهم إلى الشام وعلى جند المسلمين حبيب بن مسلم الفهري ، فلما اجتمع الجيشان شنوا الغارات على بلاد الروم فغنوا وسبوا شيئاً كثيراً وفتحوا حصوناً كثيرة ولله الحمد .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين :

وفيهما نقض أهل الإسكندرية العهد ، وذلك أن ملك الروم بعث إليهم معويل الخصي في مراكب من البحر فطمعوا في النصرة ونقضوا ذمتهم ، فغزاهم عمرو بن العاص في ربيع الأول ، فافتتح الأرض عنوة وافتتح المدينة صلحاً .

وفيهما وجه عمرو بن العاص عبد الله بن سعد بن أبي سرح لغزو بلاد المغرب ، واستأذنه ابن أبي سرح في غزو إفريقية فأذن له .

ثم دخلت سنة ست وعشرين :

وفيهما افتتح عثمان بن أبي العاص سابور صلحاً على ثلاثة آلاف ألف وثلثمائة ألف .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين :

أمر عثمان عبد الله بن سعد بن أبي سرح أن يغزو بلاد إفريقية فإذا افتتحها الله عليه فله خمس الخمس من الغنية نفلًا - فسار إليها في عشرة آلاف فافتتحها سهلها وجبلها ، وقتل خلقاً كثيراً من أهلها ، ثم اجتمعوا على الطاعة والإسلام ، وحسن إسلامهم ، وأخذ عبد الله ابن سعد خمس الخمس من الغنية وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان ، وقسم أربعة أخماس الغنية

بين الجيش ، فأصاب الفارس ثلاث آلاف دينار والراجل ألف دينار .

غزوة الأندلس :

لما افتتحت إفريقية بعث عثمان إلى عبد الله بن نافع بن عبد قيس وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين من فورهما إلى الأندلس فأتياها من قبل البحر ، وكتب عثمان إلى الذين خرجوا إليها يقول : إن القسطنطينية إنما تفتح من قبل البحر ، وأنتم إذا فتحت الأندلس فأنتم شركاء لمن يفتح قسطنطينية في الأجر آخر الزمان والسلام ، قال فساروا إليها فافتتحوها والله الحمد والمنة .

أقول : وكان فتح الأندلس فيما بعد عثمان في زمن بني أمية ، ولكن الأمر بالفتح كان في زمن عثمان ، وكلام عثمان يدل على ما يسمى في اصطلاحات عصرنا ببعيد النظر الاستراتيجي ، إذا يدل كلامه على أنه كان دراكاً لما يترتب على كل خطوة في الفتح من آفاق جديدة .

وقعة جرجير والبربر مع المسلمين :

لما قصد المسلمون وهم عشرون ألفاً إفريقية ، وعليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وفي جيشه عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير صمد إليهم ملك البربر جرجير في عشرين ومائة ألف ، وقيل في مائتي ألف ، فلما تراءى الجمعان أمر جيشه فأحاطوا بالمسلمين هالة ، فوقف المسلمون في موقف لم ير أشنع منه ولا أخوف عليهم منه ، قال عبد الله بن الزبير . فنظرت إلى الملك جرجير من وراء الصفوف وهو راكب على برذون ، وجاريتان تظللانه بريش الطواويس ، فذهبت إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح فسألته أن يبعث معي من يحمي ظهري وأقصد الملك ، فجهز معي جماعة من الشجعان ، قال فأمر بهم فحموا ظهري وذهبت حتى خرقت الصفوف إليه - وهم يظنون أنني في رسالة إلى الملك - فلما اقتربت منه أحس مني الشرف ففر على برذوته ، فلحقته فطعنته برمي ، وذففت عليه بسيفي ، وأخذت رأسه فنصبته على رأس الرمح وكبرت ، فلما رأى ذلك البربر فرقوا وفروا كفرار القطا ، واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فغنموا غنائم جمة وأموالاً كثيرة ، وسبياً عظيماً ، وذلك ببلد يقال

له سبيللة - على يومين من القيروان - فكان هذا أول موقف اشتهر فيه أمر عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وعن أبيه وأصحابها أجمعين .

قال الواقدي : وفي هذه السنة افتتحت اصطخر ثانية على يدي عثمان بن أبي العاص ، وفيها غزا معاوية قنسرين ، وفيها حج بالناس عثمان بن عفان . قال ابن جرير قال بعضهم وفي هذه السنة غزا معاوية قبرص .

فتح قبرص :

ذكر ابن جرير فتح قبرص تبعاً للواقدي وكان فتحها على يدي معاوية بن أبي سفيان ، ركب إليهم في جيش كثيف من المسلمين ومعه عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت ملحان التي تقدم حديثها في ذلك حين نام رسول الله ﷺ في بيتها ثم استيقظ يضحك فقالت : ما أضحكك يا رسول الله فقال : « ناس من أمتي عرضوا عليّ يركبون ثبج هذا البحر مثل الملوك علي الأسرة » . فقالت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال : « أنت منهم » ثم نام فاستيقظ وهو يضحك فقال مثل ذلك فقالت : ادع الله أن يجعلني منهم فقال : « أنت من الأولين » فكانت في هذه الغزوة وماتت بها وكانت الثانية عبارة عن غزوة قسطنطينية بعد هذا .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين :

وفي هذه السنة افتتح عبد الله بن عامر فارس في قول الواقدي وأبي معشر زعم سيف أنه كان قبل هذه السنة فالله أعلم .

وفيها وسع عثمان بن عفان مسجد النبي ﷺ ، وبناه بالقضة - وهي الكلس - كان يؤتى به من بطن نخل والحجارة المنقوشة ، وجعل عمده حجارة مرصعة ، وسقفه بالساج ^(١) وجعل طوله ستين ومائة ذراع ، وعرضه خمسين ومائة ذراع ، وجعل أبوابه ستة ، على ما كانت عليه في زمان عمر بن الخطاب ، ابتداءً ببناءه في ربيع الأول منها .

(١) الساج : نوع من الشجر .

ثم دخلت سنة ثلاثين من الهجرة النبوية :

فيها افتتح سعيد بن العاص طبرستان في قول الواقدي وأبي معشر والمدائني ، وقال : هو أول من غزاها .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين :

ففيها كانت غزوة الصواري ، وغزوة الأساودة في البحر فيما ذكره الواقدي وقال أبو معشر : كانت غزوة الصواري سنة أربع وثلاثين .

وملخص ذلك فيما ذكره الواقدي وسيف وغيرهما أن الشام كان قد جمعها لمعاوية بن أبي سفيان لسنتين مضتا من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقد أحرزه غاية الحفظ وحى حوزته ، ومع هذا له في كل سنة غزوة في بلاد الروم في زمن الصيف ، - ولهذا يسمون هذه الغزوة الصائفة - فيقتلون خلقاً ، ويأسرون آخرين ، ويفتحون حصوناً ويغننون أموالاً ويرعبون الأعداء ، فلما أصاب عبد الله بن سعد بن أبي سرح من أصاب من الفرنج والبربر ، ببلاد إفريقية والأندلس ، حميت الروم واجتمعت على قسطنطين بن هرقل ، وساروا إلى المسلمين في جمع لم ير مثله منذ كان الإسلام ، خرجوا في خمسمائة مركب ، وقصدوا عبد الله بن أبي سرح في أصحابه من المسلمين الذين ببلاد المغرب ، فلما تراءى الجمعان بات الروم يقسسون^(١) ويصلبون ، وبات المسلمون يقرؤون ويصلون ، فلما أصبحوا صف عبد الله بن سعد أصحابه صفوفاً في المراكب ، وأمرهم بذكر الله وتلاوة القرآن ، قال بعض من حضر ذلك : فأقبلوا إلينا في أمر لم ير مثله من كثرة المراكب ، وعقدوا صواريخها ، وكانت الريح لهم وعلينا ، فأرسينا ثم سكنت الريح عنا ، فقلنا لهم : إن شئتم خرجنا نحن وأقم إلى البر فمات الأعجل منا ومنكم ، قال : فنخروا نخرة رجل واحد وقالوا : الماء الماء ، قال : فدنونا منهم وربطنا سفننا بسفنهم ، ثم اجتلدنا وإياهم بالسيوف ، يثب الرجال على الرجال بالسيوف والخناجر ، وضربت الأمواج في عيون تلك السفن حتى ألجأتها إلى الساحل وألقت الأمواج جثث الرجال إلى الساحل حتى صارت مثل الجبل

(١) يقسسون : أي يلفظون ويرفعون أصواتهم .

العظيم ، وغلب الدم على لون الماء ، وصبر المسلمون يومئذ صبراً لم يعهد مثله قط ، وقتل منهم بشر كثير ، ومن الروم أضعاف ذلك ، ثم أنزل الله نصره على المسلمين فهرب قسطنطين وجيشه - وقد قتلوا جداً - وبه جراحات شديدة مكينة مكث حيناً يداوى منها بعد ذلك ، وأقام عبد الله بن سعد بذات الصواري أياماً ، ثم رجع مؤيداً منصوراً مظفراً .

وفي هذه السنة فتح ابن عامر فتوحات كثيرة ، فن ذلك ما فتح عَنوة ، ومن ذلك ما فتح صلحاً ، فكان في جملة ما صالح عليه بعض المدائن وهي مرو على ألفي ألف ومائتي ألف ، وقيل على ستة آلاف ألف ومائتي ألف .

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين :

وفيها غزا معاوية بلاد الروم حتى بلغ المضيق - مضيق القسطنطينية - ومعه زوجته عاتكة ، وفيها استعمل سعيد بن العاص سلمان بن ربيعة على جيش وأمره أن يغزو الباب ، وكتب إلى عبد الرحمن بن ربيعة نائب تلك الناحية بمساعدته ، فسار حتى بلغ بَلَنْجَر^(١) فحصرها ونصبت عليها المجانيق والعرادات . ثم إن أهل بلنجر خرجوا إليهم وعاونهم الترك فاقتتلوا قتالاً شديداً - وكانت الترك تهاب قتال المسلمين ، ويظنون أنهم لا يموتون - حتى اجتروا عليهم بعد ذلك ، فلما كان هذا اليوم التقوا معهم فاقتتلوا ، فقتل يومئذ عبد الرحمن ابن ربيعة - وكان يقال له ذو النون - وانهزم المسلمون فافترقوا فرقتين ، ففرقة ذهبت إلى بلاد الخزر ، وفرقة سلكوا ناحية جيلان وجرجان ، وفي هؤلاء أبو هريرة وسلمان الفارسي . وأخذت الترك جسد عبد الرحمن بن ربيعة - وكان من سادات المسلمين وشجعانهم - فدفنوه في بلادهم فهم يستسقون عنده إلى اليوم ، وفيها فتح ابن عامر مرو الروذ والطالقان والفارياب والجوزجان وطخارستان .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين :

وفيها غزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح إفريقية ثانية ، حين نقض أهلها العهد .

(١) بَلَنْجَر : هي بلد بالخزر خلف باب الأبواب .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين :

قال الواقدي فيما رواه عن عبد الله بن محمد عن أبيه قال : لما كانت سنة أربع وثلاثين أكثر الناس بالمقالة على عثمان بن عفان ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ففيها مقتل عثمان :

إن قال قائل كيف وقع قتل عثمان رضي الله عنه بالمدينة وفيها جماعة من كبار الصحابة رضي الله عنهم ؟ فجوابه من وجوه (أحدها) أن كثيراً منهم بل أكثرهم أو كلهم لم يكن يظن أنه يبلغ الأمر إلى قتله ، فإن أولئك الأحزاب لم يكونوا يحاولون قتله عيناً ، بل طلبوا منه أحد أمور ثلاثة إما أن يعزل نفسه ، أو يسلم إليهم مروان بن الحكم ، أو يقتلوه ، فكانوا يرجون أن يسلم إلى الناس مروان ، أو أن يعزل نفسه ويستريح من هذه الضائقة الشديدة . وأما القتل فما كان يظن أحد أنه يقع ، ولا أن هؤلاء يجترؤون عليه إلى ما هذا حده ، حتى وقع ما وقع والله أعلم . (الثاني) أن الصحابة مانعوا دونه أشد الممانعة ، ولكن لما وقع التضييق الشديد ، عزم عثمان على الناس أن يكفوا أيديهم ويغمدوا أسلحتهم ففعلوا ، فتكن أولئك مما أرادوا ، ومع هذا ما ظن أحد من الناس أنه يقتل بالكلية (الثالث) أن هؤلاء الخوارج لما اغتبنوا غيبة كثير من أهل المدينة في أيام الحج ، ولم تقدم الجيوش من الآفاق للنصرة ، بل لما اقترب بجيئهم ، انتهزوا فرصتهم ، قبحهم الله ، وصنعوا ما صنعوا من الأمر العظيم (الرابع) أن هؤلاء الخوارج كانوا قريباً من ألفي مقاتل من الأبطال ، وربما لم يكن في أهل المدينة هذه العدة من المقاتلة ، لأن الناس كانوا في الثغور وفي الأقاليم في كل جهة ، ومع هذا كان كثير من الصحابة اعتزل هذه الفتنة ولزموا بيوتهم ، ومن كان يحضر منهم المسجد لا يجيء إلا ومعه السيف ، ويضعه على حبوته إذا احتجى ، والخوارج محدقون بدار عثمان رضي الله عنه ، وربما لو أرادوا صرفهم عن الدار لما أمكنهم ذلك ، ولكن كبار الصحابة قد بعثوا أولادهم إلى الدار يحاجفون عن عثمان رضي الله عنه ، لكي تقدم الجيوش من الأمصار لنصرته ، فما فجيء الناس إلا وقد ظفر أولئك بالدار من خارجها ، وأحرقوا بابها ، وتسوروا عليه حتى قتلوه ، وأما ما يذكره بعض الناس من أن بعض الصحابة أسلمه ورضي بقتله ، فهذا لا يصح عن أحد من الصحابة أنه رضي بقتل عثمان

رضي الله عنه ، بل كلهم كرهه ، ومقتته ، وسب من فعله ، ولكن بعضهم كان يود لو خلع نفسه من الأمر كعمار بن ياسر ، ومحمد بن أبي بكر ، وعمرو بن الحمق وغيرهم .

وقد أطال ابن كثير في البداية والنهاية الكلام عن مقتل عثمان وذكر الروايات الكثيرة في ذلك ، وها نحن ننقل مختارات من كلامه . قال رحمه الله :

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ففيها مقتل عثمان :

وكان السبب في ذلك أن عمرو بن العاص حين عزله عثمان عن مصر ولى عليها عبد الله ابن سعد بن أبي سرح . وكان سبب ذلك أن الخوارج من المصريين كانوا محصورين من عمرو ابن العاص ، مقهورين معه ، لا يستطيعون أن يتكلموا بسوء في خليفة ولا أمير ، فما زالوا حتى شكوه إلى عثمان لينزعه عنهم ويولي عليهم من هو ألين منه . فلم يزل ذلك دأبهم حتى عزل عمراً عن الحرب وتركه على الصلاة ، وولى على الحرب والخراج عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ثم سعوا فيما بينهما بالنية فوقع بينهما : حتى كان بينهما كلام قبيح . فأرسل عثمان فجمع لابن أبي سرح جميع عمالة مصر ، خراجها [وحررها] وصلاتها ، وبعث إلى عمرو يقول له : لاخير لك في المقام عند من يكرهك ، فأقدم إلي ، فانتقل عمرو بن العاص إلى المدينة وفي نفسه من عثمان أمر عظيم وشر كبير فكله فيما كان من أمره بنفس ، وتقاولا في ذلك ، وافتخر عمرو بن العاص بأبيه على عثمان ، وأنه كان أعز منه . فقال له عثمان : دع هذا فإنه من أمر الجاهلية . وجعل عمرو بن العاص يؤلب الناس على عثمان ، وكان بمصر جماعة ييغضون عثمان ويتكلمون فيه بكلام قبيح على ما قدمنا ، وينقمون عليه في عزله جماعة من عليه الصحابة وتوليته من دونهم ، أو من لا يصلح عندهم للولاية وكره أهل مصر عبد الله ابن سعد بن أبي سرح ، بعد عمرو بن العاص ، واشتغل عبد الله بن سعد عنهم بقتال أهل المغرب ، وفتح بلاد البربر والأندلس وإفريقية . ونشأ بمصر طائفة من أبناء الصحابة يؤلبون الناس على حربه والإنكار عليه ، وكان عظم ذلك مسنداً إلى محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن أبي حذيفة ، حتى استنفروا نحواً من ستائه راكب يذهبون إلى المدينة في صفة معترين في شهر رجب ، لينكروا على عثمان فساروا إليها تحت أربع رفاق ، وأمر الجميع إلى عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وعبد الرحمن بن عديس العلوي ، وكنانة بن بشر

التجبي ، وسودان بن حمران الكوفي . وأقبل معهم محمد بن أبي بكر ، وأقام بمصر محمد بن أبي حذيفة يؤلب الناس ويدافع عن هؤلاء . وكتب عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى عثمان يعلمه بقدوم هؤلاء القوم إلى المدينة منكربين عليه في صفة معتمرين ، فلما اقتربوا من المدينة أمر عثمان علي بن أبي طالب أن يخرج إليهم ليردهم إلى بلادهم قبل أن يدخلوا المدينة .

فانطلق علي بن أبي طالب إليهم وهم بالجحفة ، وكانوا يعظمونه ويبالغون في أمره ، فردهم وأنهبهم وشتهم ، فرجعوا على أنفسهم بالملامة ، وقالوا : هذا الذي تحاربون الأمير بسببه وتحتجون عليه به . ويقال إنه ناظرهم في عثمان ، وسألهم ماذا ينقمون عليه ، فذكروا أشياء منها أنه حمى الحمى ، وأنه حرق المصاحف ، وأنه أتم الصلاة وأنه ولى الأحداث الولايات وترك الصحابة الأكابر وأعطى بني أمية أكثر من الناس فأجاب علي عن ذلك : أما الحمى فإنما حماه لإبل الصدقة لتسمن ، ولم يحمه لإبله ولا لغنمه وقد حماه عمر من قبله ، وأما المصاحف فإنما حرق ما وقع فيه اختلاف ، وأبقى لهم المتفق عليه ، كما ثبت في العريضة الأخيرة ، وأما إتمامه الصلاة بمكة ، فإنه كان قد تأهل بها ونوى الإقامة فأتمها ، وأما توليته الأحداث فلم يول إلا رجلاً سوياً عدلاً ، وقد ولى رسول الله ﷺ عتّاب بن أسيد على مكة وهو ابن عشرين سنة ، وولى أسامة بن زيد بن حارثة . وطعن الناس في إمارته فقال إنه لخليق بالإمارة وأما إيثاره قومه بني أمية فقد كان رسول الله ﷺ يؤثر قريشاً على الناس ، ويقال : إنهم عتبوا عليه في عمار ومحمد بن أبي بكر ، فذكر عثمان عذره في ذلك ، وأنه أقام فيها ما كان يجب عليهما . وعتبوا عليه في إيوائه الحكم بن أبي العاص ، وقد نفاه رسول الله ﷺ إلى الطائف ، فذكر أن رسول الله ﷺ كان قد نفاه إلى الطائف ثم رده ، ثم نفاه إليها ، قال فقد نفاه رسول الله ﷺ ثم رده ، وروي أن عثمان خطب الناس بهذا كله بمحضر من الصحابة ، وجعل يستشهد بهم فيشهدون له فيما فيه شهادة له . ويروى أنهم بعثوا طائفة منهم فشهدوا خطبة عثمان هذه ، فلما تمهدت الأعذار وانزاحت عللهم ولم يبق لهم شبهة ، أشار جماعة من الصحابة على عثمان بتأديبهم فصصح عنهم ، رضي الله عنه . وردّهم إلى قومهم فرجعوا خائبين من حيث أتوا ، ولم ينالوا شيئاً مما كانوا أملوا وراموا ، ورجع علي إلى عثمان ، فأخبره برجوعهم عنه ، وسأعهم منه ، وأشار على عثمان أن يخطب الناس خطبة

يعتذر إليهم فيها مما كان وقع من الأثرة لبعض أقاربه ، ويشهدهم عليه بأنه قد تاب من ذلك ، وأناب إلى الاستمرار على ما كان عليه من سيرة الشيخين قبله ، وأنه لا يجيد عنها ، كما كان الأمر أولاً في مدة ست سنين الأول ، فاستمع عثمان هذه النصيحة ، وقابلها بالسمع والطاعة ، ولما كان يوم الجمعة وخطب الناس ، رفع يديه في أثناء الخطبة ، وقال : اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك ، اللهم إني أول تائب مما كان مني ، وأرسل عينيه بالبكاء فبكى المسلمون أجمعون ، وحصل للناس رقة شديدة على إمامهم ، وأشهد عثمان الناس على نفسه بذلك ، وأنه قد لزم ما كان عليه الشيخان ، أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وأنه قد سبل بابه لمن أراد الدخول عليه ، لا يمنع أحد من ذلك ، ونزل فصلى بالناس ثم دخل منزله وجعل من أراد الدخول على أمير المؤمنين لحاجة أو مسألة أو سؤال ، لا يمنع أحد من ذلك مدة .

ثم ذكر ابن كثير : أن مروان بن الحكم لم يرق له أن يظهر عثمان بهذا الضعف ، وأنه - أي مروان - تصرف تصرفات أغضبت علياً رضي الله عنه لدرجة أنه قرّر ألا يتدخل مرة أخرى ، ولما تسامعت أحزاب الفتنة بذلك ادّعوا دعوى وعادوا إلى المدينة .

ذكر مجيء الأحزاب إلى عثمان للمرة الثانية في مصر :

وذلك أن أهل الأمصار لما بلغهم خبر مروان ، وغضب علي على عثمان بسببه ، ووجدوا الأمر على ما كان عليه لم يتغير ولم يسلك سيرة صاحبيه ، تكتأب أهل مصر وأهل الكوفة وأهل البصرة وتراسلوا ، وزورت كتب على لسان الصحابة الذين بالمدينة ، وعلى لسان علي وطلحة والزبير ، يدعون الناس إلى قتال عثمان ونصر الدين ، وأنه أكبر الجهاد اليوم . وذكر سيف بن عمر التميمي عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان ، وقاله غيرهم أيضاً ، قالوا : لما كان في شوال سنة خمس وثلاثين ، خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء ، المقلل لهم يقول ستائة ، والمكثر يقول : ألف . على الرفاق عبد الرحمن بن عديس البلوي ، وكنانة بن بشر الليثي ، وسودان بن حمران السكوني ، وقتيرة الكوفي وعلى القوم جميعاً الغافقي بن حرب العكي ، وخرجوا فيما يظهرون للناس حجاجاً ، ومعهم ابن السوداء - وكان أصله ذمياً فأظهر الإسلام وأحدث بدعاً قولية وفعلية ، قبحه الله - وخرج

أهل الكوفة في عدتهم في أربع رفاق أيضاً ، وأمرؤهم : زيد بن صوحان ، والأشتر النخعي ، وزباد بن النصر الحارثي ، وعبد الله بن الأصب ، وعلى الجميع عمرو بن الأصب . وخرج أهل البصرة في عدتهم أيضاً في أربع رايات مع حكيم بن جبلة العبدي ، وبشر بن شريح بن ضبيعة القيسي ، وذريح بن عباد العبدي ، وعليهم كلهم حرقوص بن زهير السعدي ، وأهل مصر مصرون على ولاية علي بن أبي طالب ، وأهل الكوفة عازمون على تأمير الزبير ، وأهل البصرة مصممون على تولية طلحة . لا تشك كل فرقة أن أمرها سيم ، فسار كل طائفة من بلدهم حتى توافوا حول المدينة ، كما تواعدوا في كتبهم ، شهر شوال فنزل طائفة منهم بذي خشب ، وطائفة بالأعوص ، والجمهور بذي المروة ، وهم على وجل من أهل المدينة ، فبعثوا قصاداً وعيوناً بين أيديهم ليخبروا الناس أنهم إنما جاؤوا للحج لا غيره ، وليستعنفوا هذا الوالي من بعض عماله ، ما جئنا إلا لذلك ، واستأذنوا للدخول ، فكل الناس أبى دخولهم ونهى عنه . فتجاسروا واقتربوا من المدينة ، وجاءت طائفة من المصريين إلى علي وهو في عسكر عند أحجار الزيت ، عليه حلة أقواف ^(١) ، معتم بشقيقة حمراء يمانية ، متقلداً السيف وليس عليه قميص وقد أرسل ابنه الحسن إلى عثمان فين اجتمع إليه ، فسلم عليه المصريون فصاح بهم وطردهم ، وقال : لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة وذو خشب ملعونون على لسان محمد ﷺ ، فارجموا لا صبحكم الله ، قالوا : نعم ! وانصرفوا من عنده على ذلك ، وأتى البصريون طلحة وهو في جماعة أخرى إلى جنب علي - وقد أرسل ابنه إلى عثمان - فسلموا عليه فصاح بهم وطردهم وقال لهم كما قال علي لأهل مصر ، وكذلك كان رد الزبير على أهل الكوفة . فرجع كل فريق منهم إلى قومهم ، وأظهروا للناس أنهم راجعون إلى بلدانهم ، وساروا أياماً راجعين ، ثم كروا عائدين إلى المدينة ، فما كان غير قليل حتى سمع أهل المدينة التكبير ، وإذا القوم قد زحفوا على المدينة وأحاطوا بها ، وجمهورهم عند دار عثمان بن عفان ، وقالوا للناس : من كف يده فهو آمن ، فكف الناس ولزموا بيوتهم ، وأقام الناس على ذلك أياماً . هذا كله ولا يدري الناس ما القوم صانعون ولا على ما هم عازمون ، وفي كل ذلك وأمير المؤمنين عثمان بن عفان يخرج من داره فيصلي بالناس ،

(١) حلة أقواف : أي ذات وبر أو شعر .

فيصلي وراءه أهل المدينة وأولئك الآخرون ، وذهب الصحابة إلى هؤلاء يؤنبونهم ويعذلونهم على رجوعهم ، حتى قال علي لأهل مصر: ما ردم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم فقالوا : وجدنا مع بريد كتاباً بقتلنا . وكذلك قال البصريون لطلحة ، والكوفيون للزبير . وقال أهل كل مصر : إنما جئنا لننصر أصحابنا . فقال لهم الصحابة : كيف علمتم بذلك من أصحابكم ، وقد افترقتم وصار بينكم مراحل ؟ إنما هذا أمر اتفقتم عليه ، فقالوا : ضعه على ما أردتم ، لا حاجة لنا في هذا الرجل ، ليعتزلنا ونحن نعتزله - يعنون أنه إن نزل عن الخلافة تركوه آمناً - وكان المصريون فيما ذكر ، لما رجعوا إلى بلادهم وجدوا في الطريق بريداً يسير ، فأخذوه ففتشوه ، فإذا معه في إداوة كتاباً على لسان عثمان فيه الأمر بقتل طائفة منهم ، وبصلب آخرين ، وبقطع أيدي آخرين منهم وأرجلهم ، وكان على الكتاب طابع بخاتم عثمان ، والبريد أحد غلمان عثمان وعلى جملة ، فلما رجعوا جاءوا بالكتاب وداروا به على الناس ، فكلّم الناس أمير المؤمنين في ذلك ، فقال : بينة علي بذلك وإلا فوالله لا كتبت ولا أملت ، ولا دريت بشيء من ذلك ، والخاتم قد يزور على الخاتم ، فصدقه الصادقون في ذلك ، وكذبه الكاذبون . ويقال : إن أهل مصر كانوا قد سألوا من عثمان أن يعزل عنهم ابن أبي سرح ، ويولي محمد بن أبي بكر ، فأجابهم إلى ذلك ، فلما وجدوا ذلك البريد ومعه الكتاب بقتل محمد بن أبي بكر ، وآخرين معه فرجعوا وقد حنقوا عليه حنقاً شديداً ، وطافوا بالكتاب على الناس ، فدخل ذلك في أذهان كثير من الناس .

واستمر عثمان يصلي بالناس في تلك الأيام كلها ، وهم أحقر في عينيه من التراب ، فلما كان في بعض الجمععات وقام على المنبر ، وفي يده العصا التي كان يعتمد عليها رسول الله ﷺ في خطبته ، وكذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من بعده ، فقام إليه رجل من أولئك فسبه ونال منه ، وأنزله عن المنبر ، فطعم الناس فيه من يومئذ .

ذكر حصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان :

لما وقع ما وقع يوم الجمعة ، وشج أمير المؤمنين عثمان ، وهو في رأس المنبر ، وسقط مغشياً عليه ، واحتل إلى داره وتفاقم الأمر ، وطمع فيه أولئك الأجلاف الأخلاط من الناس ، وألجأوه إلى داره وضيقوا عليه ، وأحاطوا بها محاصرين له ، ولزم كثير من الصحابة

بيوتهم ، وسار إليه جماعة من أبناء الصحابة ، عن أمر آبائهم ، منهم الحسن والحسين ، وعبد الله بن الزبير - وكان أمير الدار - وعبد الله بن عمرو ، وصاروا يحاجون عنه ، ويناضلون دونه أن يصل إليه أحد منهم ، وأسلمه بعض الناس رجاء أن يجيب أولئك إلى واحدة مما سألوا ، فإنهم كانوا قد طلبوا منه إما أن يعزل نفسه ، أو يسلم إليهم مروان بن الحكم ، ولم يقع في خلد أحد أن القتل كان في نفس الخارجين . وانقطع عثمان عن المسجد فكان لا يخرج إلا قليلاً في أوائل الأمر ، ثم انقطع بالكلية في آخره ، وكان يصلي بالناس في هذه الأيام الغافقي بن حرب . وقد استمر الحصر أكثر من شهر ، وقيل أربعين يوماً ، حتى كان آخر ذلك أن قتل شهيداً رضي الله عنه .

كان الحصار مستمراً من أواخر ذي القعدة إلى يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة . فلما كان قبل ذلك بيوم ، قال عثمان للذين عنده في الدار من المهاجرين والأنصار - وكانوا قريباً من سبعمائة ، فيهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين ومروان وأبو هريرة ، وخلق من مواليه ، ولو تركهم لمنعوه فقال لهم : أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده وأن ينطلق إلى منزله ، وعنده من أعيان الصحابة وأبنائهم جم غفير ، وقال لرفيقه : من أغمد سيفه فهو حر . فبرد القتال من داخل ، وحمي من خارج ، واشتد الأمر ، وكان سبب ذلك أن عثمان رأى في المنام رؤيا دلت على اقتراب أجله فاستسلم لأمر الله رجاء موعوده ، وشوقاً إلى رسول الله ﷺ ، وليكون خير ابني آدم حيث قال حين أراد أخوه قتله : ﴿ إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين ﴾^(١) وروي أن آخر من خرج من عند عثمان من الدار ، بعد أن عزم عليهم في الخروج ، الحسن ابن علي وقد خرج ، وكان أمير الحرب على أهل الدار عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم .

ولما رأى عثمان ذلك عزم على الناس لينصرفوا إلى بيوتهم ، فانصرفوا كما تقدم ، فلم يبق عنده أحد سوى أهله ، فدخلوا عليه من الباب ، ومن الجدران وفزع عثمان إلى الصلاة واقتتح سورة طه ، وكان سريع القراءة - فقرأها والناس في غلبة عظيمة ، قد احترق الباب والسقيفة التي عنده ، وخافوا أن يصل الحريق إلى بيت المال ، ثم فرغ عثمان من صلاته

(١) المائدة : ٢٩ .

وجلس وبين يديه المصحف ، وجعل يتلو هذه الآية : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ ^(١) فكان أول من دخل عليه رجل يقال له الموت الأسود فخنقه خنقاً شديداً حتى غشي عليه ، وجعلت نفسه تتردد في حلقه ، فتركه وهو يظن أنه قد قتله ، ودخل ابن أبي بكر فسك بلحيته ثم ندم وخرج ، ثم دخل عليه آخر معه سيف فضربه به فاتقاه بيده فقطعها ، فقيل : إنه أبانها وقيل : بل قطعها ولم يبينها ، إلا أن عثمان قال : والله إنها أول يد كتبت المفصل ، فكان أول قطرة دم منها سقطت على هذه الآية ﴿ فسيكفيكم الله وهو السميع العليم ﴾ ثم جاء آخر شاهراً سيفه فاستقبلته نائلة بنت الفرافصة لتمنعه منه ، وأخذت السيف فانترعه منها فقطع أصابعها . ثم إنه تقدم إليه فوضع السيف في بطنه فتحامل عليه ، رضي الله عن عثمان . اهـ من البداية والنهاية .

١٦١٢ - * روى أحمد عن الحسن وذكر عثمان وشيئة حَيَّاهُ قَالَ إِنْ كَانَ لِيَكُونُ فِي الْبَيْتِ وَالْبَابِ عَلَيْهِ مُغْلَقٌ فَمَا يَضَعُ عَنْهُ الثَّوبَ لِيَفِيضَ عَلَيْهِ الْمَاءُ يَمْنَعَهُ الْحَيَاءُ أَنْ يَقِيمَ صَلْبَهُ .

١٦١٣ - * روى مسلم عن سعيد بن العاص رضي الله عنه أن عائشة زوج النبي ﷺ وعثمان حدثاه أن أبا بكر الصديق استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه ، لابس مِرْطَ عائشة ، فأذن لأبي بكرٍ وهو كذلك ، فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ ثُمَّ انْصَرَفَ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرَ ، فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ ثُمَّ انْصَرَفَ ، قَالَ عُثْمَانُ : ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ ، فَجَلَسَ وَقَالَ لِعَائِشَةَ : « أَجْمِعِي عَلَيَّ ثِيَابَكَ » قَالَ : فَقَضَيْتُ إِلَيْهِ حَاجَتِي ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا لِي لَمْ أَرَكَ فَرِغْتَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما كَمَا فَرِغْتَ لِعُمَانَ ؟ فَقَالَ : « إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيٌّ ، وَإِنِّي خَشِيتُ

(١) آل عمران : ١٧٢ .

١٦١٢ - أحمد في مسنده (١ / ٧٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٨٢) رواه أحمد ورجاله ثقات .

١٦١٣ - مسلم (٤ / ١٨٦٦) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣ - باب من فضائل عثمان .

المرط : الكساء من الخز والصوف يُؤْتَرَرُ بِهِ .

فرغت : نجىء فلان : أي تأهبت له متحولاً من حال إلى حال ، يقال : فرغ من نومه : إذا استيقظ ، فانتقل من حال النوم إلى حال اليقظة .

إِنْ أَذْنَتْ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ : أَنْ لَا يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ .

١٦١٤ - * روى أحمد والطبراني وأبو يعلى عن حفصة بنت عمر قالت : : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَوَضَعَ ثُوبَهُ بَيْنَ فَخْذَيْهِ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى هَيْئَتِهِ ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ يَسْتَأْذِنُ فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى هَيْئَتِهِ وَجَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَأَذِنَ لَهُمْ وَجَاءَ عَلِيٌّ فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى هَيْئَتِهِ ، ثُمَّ جَاءَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَانَ ، فَاسْتَأْذَنَ فَتَجَلَّلَ ثُوبَهُ فَأَذِنَ لَهُ فَتَحَدَّثُوا سَاعَةً ثُمَّ خَرَجُوا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ وَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِكَ وَأَنْتَ عَلَى هَيْئَتِكَ لَمْ تَحْرُكْ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَثْمَانُ تَخَلَّلْتُ ثُوبَكَ . قَالَ « أَلَا أَسْتَحْيِي مِمَّنْ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ » .

١٦١٥ - * روى الطبراني عن عبد الرحمن بن عثمان القرشي أن رسول الله ﷺ دخل على ابنته وهي تغسل رأس عثمان فقال : « يَا بُنَيَّةُ أَحْسِنِي إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَشْبَهُ أَصْحَابِي بِي خَلْقًا » .

١٦١٦ - * روى الطبراني عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال : رَأَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ عَلَيْهِ إِزَارٌ عَدَنِي غَلِيظٌ ، ثَمَنُهُ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمٍ ، أَوْ خُمُسَةٌ ، وَرِيْطَةٌ كُوفِيَّةٌ مَشْقُوعَةٌ ، ضَرْبُ اللَّحْمِ طَوِيلُ اللَّحْيَةِ حَسَنُ الْوَجْهِ .

١٦١٧ - * روى الترمذي والنسائي عن عثمان : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قَدِمَ

١٦١٤ - أحمد في مسنده (٧٤ / ١) والمعجم الكبير (٢٣ / ٢٠٥) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨١ / ٩) : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط وأبو يعلى باختصار كثير وإسناده حسن .

١٦١٥ - المعجم الكبير (٧٦ / ١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨١ / ٩) : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٦١٦ - المعجم الكبير (٧٥ / ١) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٠ / ٩) رواه الطبراني وإسناده حسن .
الرَّيْطَةُ : اللِّعَاءُ ، الثَّوْبُ اللَّيِّنُ الرَّقِيقُ .

مَشْقُوعَةٌ : مَصْبُوعَةٌ بِالْمِغْرَةِ وَالْمِغْرَةُ مَسْحُوقٌ آخَرُ .

ضَرْبُ اللَّحْمِ : خَفِيفُ اللَّحْمِ مَمْشُوقٌ مُسْتَدَقٌ .

١٦١٧ - الترمذي (٦٢٧ / ٥) - كتاب المناقب - ١٨ - باب في مناقب عثمان بن عفان . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

والنسائي (٢٣٥ / ٦) كتاب الأحباس ، باب وقف المساجد .

المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة ، فقال : « مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ ، فيجعل فيها دَلْوَةً مَعَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بخير له منها في الجنة ؟ فاشترى منها من صُلْبِ مَالِي .

وفي الحديث جواز انتفاع الواقف بوقفه العام .

١٦١٨ - * روى الطبراني عن الحسن بن علي قال : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ مُتَعَلِّقًا بِالْعَرْشِ وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ أَخِذًا بِحَقْوِي النَّبِيَّ ﷺ وَرَأَيْتُ عُمَرَ أَخِذًا بِحَقْوِي أَبِي بَكْرٍ وَرَأَيْتُ عُثْمَانَ أَخِذًا بِحَقْوِي عُمَرَ وَرَأَيْتُ الدَّمَ يَنْصَبُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ . فحدث الحسن بهذا ، وعنده قوم من الشيعة ، فقالوا : وَمَا رَأَيْتَ عَلِيًّا . فقال الحسن : مَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَرَاهُ أَخِذًا بِحَقْوِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ عَلِيٍّ ، ولكنها رؤيا رأيتها . فقال أبو مسعود : إِنَّكُمْ لَتُحَدِّثُونَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ فِي رُؤْيَا رَأَاهَا ، وَقَدْ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَأَصَابَ النَّاسَ جَهْدٌ حَتَّى رَأَيْتُ الْكَأَبَ فِي وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ وَالْفَرْحَ فِي وُجُوهِ الْمُنَافِقِينَ . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « وَاللَّهِ لَا تَغِيبُ الشَّمْسُ حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِرُزْقٍ » فَعَلِمَ عُثْمَانُ أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيَصْنَعَانِ ، فَاشْتَرَى عُثْمَانُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ رَاحِلَةً بِمَا عَلَيْهَا مِنَ الطَّعَامِ ، فَوَجَّهَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْهَا بِتِسْعَةٍ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ : « مَا هَذَا » قَالُوا : أَهْدَى إِلَيْكَ عُثْمَانُ . قَالَ : فَعَرَفَ الْفَرْحَ فِي وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَأَبَ فِي وُجُوهِ الْمُنَافِقِينَ ، فَارَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رُؤْيَا بَيَاضُ إِبْطِيهِ يَدْعُو لِعُثْمَانَ دُعَاءَ مَا سَمِعْتُهُ دَعَا لِأَحَدٍ قَبْلَهُ : « اللَّهُمَّ أَغْطِ عُثْمَانَ اللَّهُمَّ أَفْعَلْ لِعُثْمَانَ » .

١٦١٩ - * روى البزار عن عائشة قالت : دَخَلَ عَلِيٌّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَرَأَى لَحْمًا ، فَقَالَ : « مَنْ بَعَثَ هَذَا ؟ » قُلْتُ : عُثْمَانُ . قَالَتْ : فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَافِعًا يَدَيْهِ يَدْعُو لِعُثْمَانَ .

١٦١٨ - أورده المهيبي في جمع الزوائد (٩٥ / ٩) وقال : زَوَاةُ الطَّبْرَانِيِّ فِي الْأَوْسَطِ وَالْكَبِيرِ بَاخْتِصَارٍ ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ .
الحق : معقد الإزار ، ويسمى به الإزار للمجاورة ، ويقال أيضاً أخذ بحق فلان إذا استجار به .
١٦١٩ - البزار : كشف الأستار (١٧٧ / ٢) ، وقال المهيبي في جمع الزوائد (٨٥ / ٩) : رواه البزار وإسناده حسن .

١٦٢٠ - * روى الطبراني عن ابن عمر قال : كنت مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل إلى النبي ﷺ فصافحه ، فلم ينزع النبي ﷺ يده من يد الرجل حتى انتزع الرجل يده ثم قال له : يا رسول الله جاء عثمان قال : « امرؤ من أهل الجنة » .

١٦٢١ - * روى عبد الله بن أحمد عن أم موسى قالت : كان عثمان من أجمل الناس .

١٦٢٢ - * روى الطبراني عن أم عياش قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما زوجت عثمان أم كلثوم إلا بوحي من السماء » .

١٦٢٣ - * روى الطبراني عن أم موسى قالت : ولدت رقية لعثمان غلاماً فسماه رسول الله ﷺ عبد الله وكني عثمان بأبي عبد الله .

١٦٢٤ - * روى الترمذي عن عبد الرحمن بن سبرة : قال : جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار في كفه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره ، فرأته ﷺ يقلبها في حجره ويقول : « ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين » .

١٦٢٥ - * روى البخاري عن عبد الرحمن أن المسور بن مخرمة أخبره : أن الرهط الذين ولاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا ، فقال لهم عبد الرحمن : لست بالذي أنافسكم على هذا الأمر ، ولكنكم إن شئتم اخترت لكم منكم ، فاجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن ، فلما ولوا عبد الرحمن أمرهم فقال الناس على عبد الرحمن ، حتى ما أرى أحداً من الناس يتبع أولئك الرهط ولا يبطأ عقبه ، ومال الناس على عبد الرحمن يشاورونه تلك الليالي ، حتى إذا كانت الليلة

١٦٢٠ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٧ / ٩) : رواه الطبراني في الأوسط والكبير وإسناده حسن .

١٦٢١ - رواه عبد الله في زياداته على المسند (٧٢ / ١) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٠ / ١) .

وقال : رواه عبد الله ورجاله رجال الصحيح غير أم موسى وهي ثقة .

١٦٢٢ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٢ / ٩) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط وإسناده حسن . لما تقدمه من الشواهد .

١٦٢٣ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٣ / ٩) : رواه الطبراني بإسناد الذي قبله .

١٦٢٤ - الترمذي (٦٢٦ / ٥) - ٥٠ - كتاب المناقب - ١٩ - باب مناقب عثمان .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

١٦٢٥ - البخاري (١٩٢ / ١٢) - ٩٣ - كتاب الأحكام - ٤٣ - باب كيف يبايع الإمام الناس . =

التي أصبحنا منها فبايعنا عثمان - قال المسور - طرقتني عبد الرحمن بعثه هَجْع من الليل ، فضربت الباب حتى استيقظت فقال : أَرَأَيْكَ نَائِماً ، فوالله ما اكتحلت هذه الثلاث بكثير نَوْم . انطلق فادع الزبير وسعداً ، فدعوتهما له . فشاورها ، ثم دعاني فقال : ادع لي علياً ، فدعوتهُ ، فَنَاجَاهُ حَتَّى ابْهَارَ اللَّيْلَ . ثُمَّ قَامَ عَلِيٌّ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ عَلَى طَمْعٍ ، وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَخْشَى مِنْ عَلِيٍّ شَيْئاً . ثُمَّ قَالَ : ادع لي عثمان ، فدعوتهُ ، فَنَاجَاهُ حَتَّى فَرَقَ بَيْنَهُمَا الْمُؤَذِّنُ بِالصَّبْحِ . فَلَمَّا صَلَّى لِلنَّاسِ الصَّبْحَ وَاجْتَمَعَ أَوْلَاكَ الرَّهْطُ عِنْدَ الْمَنْبَرِ ، فَأُرْسِلَ إِلَى مَنْ كَانَ حَاضِراً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَأُرْسِلَ إِلَى أَمْرَاءِ الْأَجْنَادِ - وَكَانُوا وَافِقُوا تِلْكَ الْحِجَّةَ مَعَ عَمَرَ - فَلَمَّا اجْتَمَعُوا تَشَهُدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ يَا عَلِيُّ إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي أَمْرِ النَّاسِ فَلَمْ أَرَهُمْ يَغْدُلُونَ بَعْثَانِ ، فَلَا تَجْعَلَنَّ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلاً ، فَقَالَ : أَبَايَعُكَ عَلَى سَنَةِ اللَّهِ وَسَنَةِ رَسُولِهِ وَالْخَلِيفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ : فبايعة عبد الرحمن وبايعة الناس : المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون .

١٦٢٦ - * روى الحاكم عن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ : « تَهْجُمُونَ عَلَى رَجُلٍ مُعْتَجِرٍ بِبُرْدَةٍ يَبَايِعُ النَّاسَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » فَهَجَمْتُ عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مُعْتَجِرٌ بِبُرْدٍ حَبَرَةٍ يَبَايِعُ النَّاسَ .

١٦٢٧ - * روى الطبراني عن الحسن قال : أَذْرَكْتُ عُثْمَانَ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ قَدْ أَرَهَقْتُ الْحِلْمَ فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَخْطُبُ وَشَهِدْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَا تَنْقُمُونَ عَلَيَّ ؟ قَالَ : وَمَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَهُمْ يُقْسِمُونَ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اغْدُوا عَلَيَّ أُعْطِيَاكُمْ ، فَيَتَّقِدُونَ فَيَأْخُذُونَهَا وَافِرَةً ، ثُمَّ يَقَالُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اغْدُوا عَلَيَّ كَسَوْتُمْ فَيَجَاءُ بِالْحُلَلِ فَتَقْسَمُ بَيْنَهُمْ . قَالَ الْحَسَنُ : وَالْعَدُوُّ مُتَّقِي ، وَالْعَطِيَّاتُ ذَارَّةٌ ، وَذَاتُ الْبَيِّنِ حَسَنٌ ، وَالْخَيْرُ كَثِيرٌ ، مَا عَلَى الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ يَخَافُ مُؤْمِناً ، مَنْ لَقِيَ مِنَ الْأَحْيَاءِ فَهُوَ أَخُوهُ وَمَوَدَّتُهُ وَنَصْرَتُهُ ، وَالْفِتْنَةُ إِنْ سَلَّ عَلَيْهِ سَيْفٌ .

= هَجْع : مَضَى هَجْعَ مِنَ اللَّيْلِ ، أَيْ طَائِفَةٌ مِنْهُ .

ابْهَارُ : اللَّيْلُ : إِذَا مَضَى نَصْفُهُ . وَبِهَرَةٍ كُلُّ شَيْءٍ : وَسَطُهُ ، وَقِيلَ : مَعْظَمُهُ ، وَالْبَهْرُ : الضَّوءُ .

١٦٢٦ - المستدرك (٣ / ١٨) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

معتجر : اعتجر فلان بالعمامة . لفها على رأسه ورد طرفها على وجهه .

١٦٢٧ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٩٣) وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن .

١٦٢٨ - * روى أحمد والطبراني عن عبد الله بن حوالة قال : أَتَيْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ دَوْمَةٍ وَعِنْدَهُ كَاتِبٌ يَمْلِي عَلَيْهِ فَقَالَ : « أَلَا نَكْتُبُكَ يَا ابْنَ حَوَالَةَ » قُلْتُ : لَا أَدْرِي مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ . فَأَعْرَضَ عَنِّي وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ مَرَّةً فَأَكْبَّ يَمْلِي عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : « أَلَا نَكْتُبُكَ يَا ابْنَ حَوَالَةَ » قُلْتُ : مَا أَدْرِي مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ . فَأَعْرَضَ عَنِّي وَأَكْبَّ عَلَى كَاتِبِهِ يَمْلِي عَلَيْهِ قَالَ : فَتَنَظَرْتُ فَيَاذَا فِي الْكِتَابِ عُمَرُ ، فَعَرَفْتُ أَنَّ عُمَرَ لَا يَكْتُبُ إِلَّا فِي خَيْرٍ ثُمَّ قَالَ : « أَنْكْتُبُكَ يَا ابْنَ حَوَالَةَ » قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ « ابْنَ حَوَالَةَ ، كَيْفَ تَفْعَلُ فِي فِتْنٍ تَخْرُجُ مِنْ أَطْرَافِ الْأَرْضِ كَأَنَّهَا صَيَّاصِي بَقَرٍ ؟ » قُلْتُ : لَا أَدْرِي مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ . قَالَ : « اتَّبِعُوا هَذَا » وَرَجُلٌ مُقَفٍّ حِينِيذٍ ، فَاَنْطَلَقْتُ فَسَعَيْتُ فَأَخَذْتُ بِنَكَبِهِ ، فَأَقْبَلْتُ بِوَجْهِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ هَذَا ؟ قَالَ : « نَعَمْ » فَيَاذَا هُوَ عَثَانُ بْنُ عَفَانَ .

١٦٢٩ - * روى الحاكم عن أبي حبيبة أَنَّهُ دَخَلَ الدَّارَ وَعَثَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَحْضُورٌ فِيهَا وَإِنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَسْتَأْذِنُ عَثَانَ فِي الْكَلَامِ فَأَذِنَ لَهُ . فَقَامَ فَحَمَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « سَتَلْقَوْنَ بُعْدِي فِتْنَةً وَاخْتِلَافًا ، أَوْ قَالَ : اخْتِلَافًا وَفِتْنَةً » فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بِمِ تَأْمُرُنَا ؟ قَالَ : « عَلَيْكُمْ بِالْأَمِيرِ وَأَصْحَابِهِ » وَهُوَ يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى عَثَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

١٦٣٠ - * روى أحمد عن أبي عون الأنصاري أَنَّ عَثَانَ بْنَ عَفَانَ قَالَ لِابْنِ مَسْعُودٍ هَلْ أَنْتَ مِنْتَهُ عَمَّا بَلَغَنِي عَنْكَ ؟ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْعُذْرِ فَقَالَ عَثَانُ : وَيْحَكَ إِنِّي قَدْ حَفِظْتُ

١٦٢٨ - أحمد في مسنده (٤ / ١٠٩) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٨٨) : رواه أحمد والطبراني ورجاهما رجال الصحيح .

الدَّوْمَةُ : شجرة عظيمة ، وقيل شجرة المفل .

صَيَّاصِي بَقَرٍ : أي قرونها ، واحداً صيصة . شُبُهَ الْفِتْنَةُ بِهَا لشدتها وصعوبة الأمر فيها ، وكل شيء امتنع به وتحصن به فهو صيصة .

رَجُلٌ مُقَفٍّ : أي مَوَلٍ ذاهب .

١٦٢٩ - المستدرك (٤ / ٤٣٣) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

١٦٣٠ - أحمد في مسنده (١ / ٦٦) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٧) وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات . =

وسمعتُ وليس كما سمعتُ ، إنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إِنَّهُ سَيُقْتَلُ أَمِيرٌ وَيَنْتَزِي مَنْتَزٍ »
وإني أنا المقتول وليس عمر إنما قَتَلَ عمر واحدٌ وإنه يُجْتَمَعُ عليّ .

١٦٣١ - * روى الحاكم عن مرة بن كعب قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يَذْكُرُ فِتْنَةَ فَقَرَّبَهَا ، فَرُّ بِهِ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ فِي ثَوْبٍ فَقَالَ : « هَذَا يَوْمُئِذٍ عَلَى الْهَدَى »
فَقَمْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ عَثَانُ بْنُ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَقْبَلْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهِهِ فَقُلْتُ هُوَ هَذَا . قَالَ :
« نَعَمْ » .

١٦٣٢ - * وروى الحاكم عن عائشة رضي الله عنها : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم
قَالَ : « ادْعُوا لِي - أَوْ - لَيْتَ عِنْدِي رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِي » قَالَتْ : قُلْتُ أَبُو بَكْرٍ ؟
قَالَ : « لَا » قُلْتُ : عُمَرُ . قَالَ : « لَا » قُلْتُ ابْنَ عَمِّكَ عَلِيٍّ . قَالَ : « لَا » قُلْتُ فَعِثْمَانَ .
قَالَ : « نَعَمْ » قَالَتْ : فَبِجَاءِ عِثْمَانَ فَقَالَ : « قَوْمِي » قَالَ فَجَعَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم
يَسِيرُ إِلَى عِثْمَانَ وَلَوْنُ عِثْمَانَ يَتَغَيَّرُ . قَالَ : فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الدَّارِ قُلْنَا : أَلَا تَقَاتِلُ ؟ قَالَ :
لَا . إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَهْدٌ إِلَيَّ أَمْرًا فَأَنَا صَابِرٌ نَفْسِي عَلَيْهِ .

١٦٣٣ - * روى أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني عن شقيق قال : لَقِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ
عَوْفٍ الْوَلِيدَ بْنَ عَقْبَةَ فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ مَا لِي أَرَاكَ قَدْ جَفَوْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِثْمَانَ قَالَ : أَبْلَغَهُ
عَنِّي أَنِّي لَمْ أَفِرْ يَوْمَ عَيْنَيْنِ - قَالَ عَاصِمٌ يَوْمَ أَحُدَ - وَلَمْ أَخْلَفْ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ أَتْرِكْ سُنَّةَ عُمَرَ
قَالَ : فَاَنْطَلِقْ فَخَبِّرْ بِذَلِكَ عِثْمَانَ قَالَ : فَقَالَ أَمَّا قَوْلُهُ إِنِّي لَمْ أَفِرْ يَوْمَ عَيْنَيْنِ فَكَيْفَ يُعَيِّرُنِي
بِذَنْبٍ قَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّقْيِ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ
الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ وَأَمَّا قَوْلُهُ : إِنِّي أَخْلَفْتُ يَوْمَ بَدْرٍ فَإِنِّي
كُنْتُ أَمْرَضُ رَقِيَّةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى مَاتَتْ وَقَدْ ضَرَبَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَهْمٍ وَمَنْ
ضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَهْمٍ فَقَدْ شَهِدَ وَأَمَّا قَوْلُهُ : إِنِّي لَمْ أَتْرِكْ سُنَّةَ عُمَرَ فَإِنِّي لَا أَطِيقُهَا أَنَا

= ينتز منتر: الانتزاء ، والتنزى : تسرع الإنسان إلى الشر .

١٦٣١ - المستدرک (١٠٢ / ٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

١٦٣٢ - المستدرک (١٩ / ٣) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

١٦٣٣ - أحمد في مسنده (١ - ٧٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٣ / ٩) : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني باختصار

والبزار بطوله بنحوه ، وفيه عاصم بن هذيلة وهو حسن الحديث وبقي رجاله ثقات .

ولا هو قَائِمٌ فَحَدَّثَهُ بِذَلِكَ .

١٦٣٤ - * روى البزار عن سعيد بن المسيب قال : رَفَعَ عُمَانُ صَوْتَهُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَوْفٍ فَقَالَ لَهُ : لَأَيِّ شَيْءٍ تَرَفَعُ صَوْتُكَ عَلَيَّ وَقَدْ شَهِدْتُ بِدُرٍّ وَلَمْ تَشْهَدْ وَبَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ تَبَايِعْ وَفَرَرْتُ يَوْمَ أُحُدٍ وَلَمْ أَفِرْ فَقَالَ لَهُ عُمَانُ : أَمَا قَوْلُكَ أَنَّكَ شَهِدْتَ بِدُرٍّ وَلَمْ أَشْهَدْ فَإِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَلَفَنِي عَلَى ابْنَتِهِ وَضَرَبَ لِي بِسَهْمٍ وَأَعْطَانِي أَجْرِي وَأَمَا قَوْلُكَ بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ أَبَايِعْ فَإِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنِي إِلَى أَنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ عَلِمْتُ ذَلِكَ فَلَمَّا احْتَبَسْتُ ضَرَبَ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ فَقَالَ هَذِهِ لِعُمَانَ بْنِ عُفَانَ فَشَمَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَيْرَ مَنْ يَمِينِي وَأَمَّا قَوْلُكَ فَرَرْتُ يَوْمَ أُحُدٍ وَلَمْ أَفِرْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ : ﴿ إِنْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ فَلِمَ تُعَيِّرُونِي بِذَنْبٍ قَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ .

أقول : هاتان الروايتان مهمتان في تعليل مجريات الأمور زمن عثمان رضي الله عنه ، فعبد الرحمن بن عوف هو الذي قدّم عثمان وبايعه على سنة أبي بكر وعمر ، وتراه في هاتين الروايتين وهو غائب ناقد ، مما يشير إلى أن كبار الصحابة لم يكونوا مرتاحين لسياسة عثمان وهذا الذي أعطى الفتنة وأهلها الفرصة أن يشوشوا ، وفي ذلك درس للأمرء أن يلحظوا آراء كبار الناس فيهم ، وأن يعدّلوا سياستهم على ضوء الصالح منها .

مع ملاحظة أن ما فعله عثمان لا يخرج عن كونه مباحاً ، ولكن ألفوا سياسية عمر التي تأخذ في العزائم وتبتعد عن الرخص فلم يعودوا يرضون بسياسة أقل من ذلك ، وهذا تصديق لما توقعه عليٌّ أن سياسة عمر ستتعيب كل من سيأتي بعده .

١٦٣٥ - * روى النسائي عن الأحنف بن قيس قال خَرَجْنَا حُجَّاجًا فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَغُنْ نُرِيدُ الْحَجَّ ، فَبَيْنَا نَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا نَضَعُ رِحَالَنَا إِذْ أَتَانَا آتٌ ، فَقَالَ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ وَفَزَعُوا فَأَنْطَلَقْنَا ، فَإِذَا النَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَى نَفَرٍ فِي وَسْطِ الْمَسْجِدِ وَإِذَا

١٦٣٤ - البزار : كشف الأستار (٢ / ١٧٨) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٨٤) : رواه البزار وإسناده حسن .

١٦٣٥ - النسائي (٦ / ٢٢٤) كتاب الأحباس ، باب وقف المساجد .

علي والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص ، فإننا كذلك إذ جاء عثمان بن عفان عليه ملاءة صفراء قد قنع بها رأسه فقال : أهنا علي ، أهنا طلحة ، أهنا الزبير ، أهنا سعد ، قالوا : نعم . قال : فإنني أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « من يبتاع مريد بني فلان غفر الله له » فابتعته بعشرين ألفاً أو بخمسة وعشرين ألفاً فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : « اجعلها في مسجدي وأجره لك » قالوا : اللهم نعم . قال : فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « من يبتاع بئر رومة غفر الله له » فابتعته بكذا وكذا فأتيت رسول الله ﷺ فقلت قد ابتعتها بكذا وكذا قال : « اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك » قالوا : اللهم نعم . قال : فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ نظر في وجه القوم فقال : « من جهز هؤلاء غفر الله له » يعني جيش العسرة ، فجهزتهم حتى ما يفقدون عقلاً ولا خطاماً قالوا : اللهم نعم . قال : اللهم أشهد اللهم أشهد .

١٦٣٦ - * روى الترمذي عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف رضي الله عنه : أن عثمان بن عفان أشرف يوم الدار ، فقال : أنشدكم بالله ، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « لا يحل دم امرئ مسلم إلا يأخذه ثلاث : زناً بعد إحصان ، أو كفر بعد إسلام ، أو قتل نفس بغير حق ، فيقتل به ؟ » فوالله ما زلت في جاهلية ولا في إسلام ، ولا ارتددت منذ بايعت رسول الله ﷺ ولا قتلت النفس التي حرم الله ، فم تقتلونني ؟

وفي رواية النسائي ^(١) عن أبي أمامة بن سهل ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة قال : كنّا مع عثمان وهو محصور ، وكُنّا إذا دخلنا مدخلاً نسمع كلام من بالبلاط ، فدخل عثمان يوماً ،

= الملاءة : الإزار يرتدى به ، ويتشج به .

المريد : موقف الإبل .

أنشدكم : أي أسألكم وأقسم عليكم .

١٦٣٦ - الترمذي (٤ / ٤٦٠) ٣٤ - كتاب الفتن - ١ - باب ما جاء لا يحل دم امرئ مسلم إلا يأخذه ثلاث .

وقال : هذا حديث حسن .

البلاط : ضرب من الحجارة تفرش به الأرض ثم سي المكان بلاطاً اتساعاً .

(١) النسائي (٧ / ٩٢) كتاب تحريم الدم ، باب ذكر ما يحل به دم المسلم .

ثم خرج فقال : اللهم إنهم ليتواعدوني بالقتل ، قلنا : يكفيهم الله ، قال : ولم يقتلوني ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول : ... وذكر الحديث بنحوه .

١٦٣٧ - * روى البخاري عن عبيد الله بن عدي بن الحيار أخبره : أن المشور بن مخزومة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا : ما يمنحك أن تكلم عثمان لأخيه الوليد فقد أكثر الناس فيه ؟ فقصدت لعثمان حتى خرج إلى الصلاة ، قلت : إن لي إليك حاجة ، وهي نصيحة لك . قال : يا أيها المرء منك . - قال معمر : أراه قال : أعوذ بالله منك . فانصرفت فرجعت إليهما ، إذ جاء رسول عثمان ؛ فأتيته ، فقال : ما نصيحتك ؟ فقلت : إن الله سبحانه بعث محمداً ﷺ بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، وكنت ممن استجاب لله ولرسوله ﷺ ، فهاجرت الهجرتين ، وصحبت رسول الله ﷺ ورأيت هديته . وقد أكثر الناس في شأن الوليد . قال : أدركت رسول الله ﷺ ؟ قلت : لا ، ولكن خلص إلي من علمه ما يخلص إلى العذراء في سترها . قال : أمّا بعد فإن الله بعث محمداً ﷺ بالحق ، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله ، وآمنت بما بعث به وهاجرت الهجرتين - كما قلت - وصحبت رسول الله ﷺ وبايعته ، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله . ثم أبو بكر مثله ، ثم عمر مثله ، ثم استخلفت ، أفليس لي من الحق مثل الذي لهم ؟ قلت : بلى قال : فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم ؟ أمّا ما ذكرت من شأن الوليد فسنأخذ فيه بالحق إن شاء الله . ثم دعا علياً فأمره أن يجلد ، فجلده ثمانين .

قوله : فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم ؟ كأنهم كانوا يتكلمون في سبب تأخيره في إقامة الحد عليه ، قال الحافظ في « الفتح » وإنما أخر إقامة الحد عليه ليكشف عن حال من شهد عليه بذلك ، فلما وضع الأمر بإقامة الحد عليه .

١٦٣٧ - روى البخاري (٧ / ٥٣) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٧ - باب مناقب عثمان بن عفان .

الهجرة : فراق الرجل وطنه إلى بلد آخر فراراً بدينه من الكفر ، والهجرتان : هما : الهجرة الأولى ، وهي هجرة المسلمين في صدر الإسلام إلى الحبشة ، فراراً من أذى قريش ، وهجرة ثانية ، هي هجرة النبي ﷺ والمسلمين قبله ومعه وبعده إلى المدينة ، فكان عثمان رضي الله عنه من هاجر الهجرتين .
الهدى : السمت والطريقة والسيرة .
العذراء : البكر الخدرة التي لم تتزوج بعد .

قوله : فجلده ثمانين : قال الحافظ في « الفتح » في رواية معمر : فجلد الوليد أربعين جلدة ، وهذه الرواية أصح من رواية يونس ، والوهم فيه من الراوي عن شبيب بن سعيد ، ويرجح رواية معمر ما أخرجه مسلم من طريق أبي ساسان قال : شهدت عثمان أتي بالوليد وقد صلى الصبح ركعتين ، ثم قال : أزيدكم فشهد رجلان أحدهما حمران يعني مولى عثمان أنه قد شرب الخمر ، فقال عثمان : يا علي قم فاجلده ، فقال علي : قم يا حسن فاجلده ، فقال الحسن : ولّ حارها من تولى قارها ، فكأنه وجد عليه فقال : يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده . فجلده وعلي يعد حتى بلغ أربعين ، فقال : أمسك ، ثم قال : جلد النبي ﷺ أربعين ، وأبو بكر أربعين ، وعمر ثمانين ، وكل سنة ، وهذا أحب إلي . والمعنى وجلد أربعين أحب إلي من الثمانين .

١٦٣٨ - * روى الترمذي عن ثَمَامَةَ بْنِ حَزْنٍ الْقَشِيرِيِّ قَالَ : شَهِدْتُ الدَّارَ حِينَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ ، فَقَالَ : ائْتُونِي بِصَاحِبَيْكُمْ الَّذِينَ أَلْبَاكُمُ عَلَيَّ قَالَ : فَجِيءَ بِهِمَا فَكَانَهُمَا جَمَلَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا جِمَارَانِ . قَالَ : فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ ، فَقَالَ : أَنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ وَالْإِسْلَامِ : هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ يُسْتَعَذَّبُ غَيْرَ بئرِ رُومَةَ فَقَالَ : « مَنْ يَشْتَرِي بِئرَ رُومَةَ فَيَجْعَلَ دَلْوَهُ مَعَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ » فَاشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلُبِ مَالِي ؟ فَأَنْتُمْ الْيَوْمَ تَمْنَعُونِي أَنْ أَشْرَبَ مِنْهَا حَتَّى أَشْرَبَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ . قَالُوا : اللَّهُمَّ . نَعَمْ قَالَ : أَنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ وَالْإِسْلَامِ : هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْمَسْجِدَ ضَاقَ بِأَهْلِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ يَشْتَرِي بَقِعةً آلِ فُلَانٍ فَيَزِيدُهَا فِي الْمَسْجِدِ بِخَيْرٍ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ ؟ » فَاشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلُبِ مَالِي فَأَنْتُمْ الْيَوْمَ تَمْنَعُونِي أَنْ أَصَلِّيَ فِيهَا رُكْعَتَيْنِ قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ ، قَالَ : أَنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ وَالْإِسْلَامِ ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنِّي جَهَّزْتُ جَيْشَ الْعُسْرةِ مِنْ مَالِي ؟ قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ ، ثُمَّ قَالَ : أَنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ وَالْإِسْلَامِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

١٦٣٨ - الترمذي (٦٢٧ / ٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ١٩ - باب في مناقب عثمان بن عفان ، وقال : هذا حديث حسن .

وإسناده ضعيف وله شواهد بعمناه .

ألبئت : عليه الناس : أي : جمعهم عليه ، وحملتهم على قصده ، وصار القوم على فلان ألبأ واحداً ، أي : اجتمعوا

عليه يقصدونه .

استعذب الماء : أي : وجد غدياً ، وهو الماء الشروب الحلو الطيب .

كَانَ عَلَى ثَبِيرِ مَكَّةَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَنَا فَتَحَرَّكَ الْجَبَلُ حَتَّى تَسَاقَطَتْ حِجَارَتُهُ بِالْحَضِيضِ ، قَالَ : فَرَكْضَةُ بَرِّجْلِهِ وَقَالَ : « اسْكُنْ ثَبِيرٌ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصَدِيقٌ وَشَهِيدَانِ ؟ » قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، شَهِدُوا لِي وَرَبُّ الْكَعْبَةِ أَنِّي شَهِيدٌ ثَلَاثًا .

١٦٣٩ - * روى البخاري عن عثمان بن عبد الله بن موهب رحمه الله قال : جاء رجل من أهل مصر وحج البيت ، فرأى قوماً جلوساً فقال : من هؤلاء القوم ؟ فقالوا : هؤلاء قریش . قال : فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبد الله بن عمر . قال : يا ابن عمر إني سألك عن شيء فحدثني عنه : هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد ؟ قال : نعم . فقال : تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد ؟ قال : نعم . قال الرجل : هل تعلم أنه تغيب عن بيعته الرضوان فلم يشهد ؟ قال : نعم . قال : الله أكبر . قال ابن عمر : تعال أتيين لك . أما فِرَارَةُ يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وعفّر له . وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحت بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة ، فقال له رسول الله ﷺ : « إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ » وأما تغيبه عن بيعته الرضوان فلو كان أحد أعز بطن مكة من عثمان لبعثه مكانه ، فبعث رسول الله ﷺ عثمان ، وكانت بيعته الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى : « هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ » فضرب بها على يده فقال : « هَذِهِ لِعُثْمَانَ » فقال له ابن عمر : اذهب بها الآن معك .

١٦٤٠ - * روى أحمد عن المغيرة بن شعبه أنه دخل على عثمان وهو محصور فقال : إِنَّكَ إِمَامُ الْعَامَةِ وَقَدْ نَزَلَ بِكَ مَا تَرَى ، وَأَنَا أَعْرِضُ عَلَيْكَ خِيَالًا ثَلَاثًا فَاخْتَرِ إِحْدَاهُنَّ : إِمَّا أَنْ تَخْرُجَ فَتَقَاتِلَهُمْ فَإِنَّ مَعَكَ عَدَدًا وَقُوَّةً وَأَنْتَ عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ، وَإِمَّا أَنْ تَخْرُقَ لَكَ بَابًا سِوَى الْبَابِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ فَتَقْعِدَ عَلَى رَوَاحِلِكَ فَتَلْحَقَ بِمَكَّةَ ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَسْتَحِيلُوكَ وَأَنْتَ بِهَا ، وَإِمَّا أَنْ تَلْحَقَ بِالشَّامِ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الشَّامِ وَفِيهِمْ مَعَاوِيَةُ ، فَقَالَ عُثْمَانُ : أَمَا أَنْ

= الحضيض : ضد الأوج ، وهو أسفل كل عال ، كما أن الأوج : أعلاه .

١٦٣٩ - البخاري (٧ / ٥٤) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٧ - باب مناقب عثمان بن عفان .

١٦٤٠ - أحمد في مسنده (١ / ٦٧) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٩) : رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن محمد ابن عبد الملك بن مروان لم أجده له سماعاً من المغيرة ، ولهذا الحديث طرق في فضل مكة في الحج .

أَخْرَجَ فَأَقَاتِلَهُمْ فَلَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ خَلَفَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي أُمَّتِهِ بِسَفْكَ الدِّمَاءِ . وَأَمَّا أَنْ أَخْرَجَ إِلَى مَكَّةَ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَسْتَحِلُّوا بِهَا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « يُلْحِدُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ يَكُونُ عَلَيْهِ نِصْفُ عَذَابِ الْعَالَمِ » ، فَلَنْ أَكُونَ أَنَا إِسَاءَةً وَأَمَّا أَنْ الْحَقَّ بِالشَّامِ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الشَّامِ وَفِيهِمْ مَعَاوِيَةَ فَلَنْ أَفَارِقَ ذَا رَهْجَتِي وَمَعَاوِيَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ .

١٦٤١ - * روى الطبراني عن النعمان بن بشيرٍ قَالَ مَاتَ رَجُلٌ مِنَّا يَقَالُ لَهُ زَيْدُ بْنُ خَارِجَةَ فَسَجَّيْنَاهُ بِثَوْبٍ وَقُمْتُ أَصَلِّي إِذْ سَبَعْتُ ضَوْضَاءً ، فَانْصَرَفْتُ فَإِذَا أَنَا بِهِ يَتَحَرَّكُ فَقَالَ : أَجْلَدُ الْقَوْمِ أَوْسَطَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ عَمْرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْقَوِيُّ فِي أَمْرِهِ الْقَوِيُّ فِي أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْعَفِيفُ الْمُتَعَفِّفُ الَّذِي يَغْفُو عَنْ ذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ ، خَلَّتْ لَيْلَتَانِ وَبَقِيَتْ أَرْبَعٌ وَاخْتَلَفَ النَّاسُ وَلَا نِظَامَ لَهُمْ . يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَقْبِلُوا عَلَى إِمَامِكُمْ وَاسْتَمِعُوا وَأَطِيعُوا هَذَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَابْنُ رَوَاحَةَ ثُمَّ قَالَ وَمَا فَعَلَ خَارِجَةُ ؟ يَعْنِي أَبَاهُ (وَكَانَ قَدْ اسْتَشْهَدَ فِي أَحَدٍ) ثُمَّ قَالَ أَخَذْتُ بِرَأْسِ ظُلْمًا ثُمَّ هَذَا الصَّوْتُ .

١٦٤٢ - * روى البزار عن أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى أَبِي أَسِيدٍ ، قَالَ : بَلَغَ عُثْمَانُ ، أَنَّ وَفْدَ أَهْلِ مِصْرَ ، قَدِ اقْبَلُوا ، فَتَلَقَّاهُمْ فِي قَرْيَةٍ لَهُ ، خَارِجًا مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَكَرِهَ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَيْهِ ، أَوْ كَمَا قَالَ ، فَلَمَّا عَلِمُوا بِكَانِهِ ، أَقْبَلُوا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا : ادْعُ لَنَا بِالصُّحُفِ ، فَدَعَى ، يَعْنِي بِهِ فَقَالَ . افْتَحَ ، فَقَرَأَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ ^(١) فَقَالُوا : أَحْمَى اللَّهُ أَذِنَ لَكَ بِهِ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُ . فَقَالَ : امْضِ ، نَزَلْتُ فِي كَذَا وَكَذَا ، وَأَمَّا الْحِمَى ، فَإِنَّ عَمَرَ حَمَى الْحِمَى لِإِبِلِ الصَّدَقَةِ ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ ، فَعَلْتُ الَّذِي فَعَلْتُ ، وَمَا زِدْتُ عَلَى مَا زَادَ ،

١٦٤١ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢٣٠) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

سجيناها : غطيناه .

زَيْدُ بْنُ خَارِجَةَ : هو ابن أبي زهير الأنصاري ، صحابي بدري ، توفي في خلافة عثمان ، وهو الذي تكلم بعد موته .

١٦٤٢ - البزار : كشف الأستار (٤ / ٨٩) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٨) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير أبي سعيد مولى أبي أسيد وهو

ثقة .

ماء البحر : أي ماء ملحا كماء البحر .

(١) يونس : ٥٩ .

قال : وَلَا أَرَاهُ إِلَّا قَالَ : وَأَنَا يَوْمئِذٍ ابْنُ كَذَا سَنَةٍ ، قَالَ : ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنْ أَشْيَاءَ ، جَعَلَ يَقُولُ : أَمْضِيهِ ، نَزَلْتُ فِي كَذَا وَكَذَا ، ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنْ أَشْيَاءَ ، عَرَفَهَا ، لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ فِيهَا مَخْرَجٌ ، فَقَالَ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، ثُمَّ قَالَ ، مَا تَرِيدُونَ ؟ قَالُوا : نُرِيدُ أَنْ لَا يَأْخُذَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ الْعَطَاءَ ، فَإِنَّ هَذَا الْمَالَ ، لِلَّذِي قَاتَلَ عَلَيْهِ ، وَلِهَذِهِ الشُّيُوخُ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ قَالَ : فَرَضِي وَرَضُوا ، قَالَ : وَأَخَذُوا عَلَيْهِ ، قَالَ : وَكَتَبُوا عَلَيْهِ كِتَابًا ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَشَقُّوا عَصًا ، وَلَا يُفَارِقُوا جَمَاعَةً ، قَالَ : فَرَضِي وَرَضُوا ، فَأَقْبَلُوا مَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ وَفْدًا هُمْ خَيْرٌ مِنْ هَذَا الْوَفْدِ ، أَلَا مَنْ كَانَ لَهُ زَرْعٌ ، فَلْيَلْحَقْ بِزَرْعِهِ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ ضَرْعٌ ، فَلْيَحْتَلِبْهُ ، أَلَا إِنَّهُ لَا مَالَ لَكُمْ عِنْدَنَا ، إِنَّا هَذَا الْمَالَ ، لِمَنْ قَاتَلَ عَلَيْهِ ، وَلِهَذِهِ الشُّيُوخُ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ . قَالَ : فَغَضِبَ النَّاسُ ، وَقَالُوا : هَذَا مَكْرُ بَنِي أُمِيَّةَ ، وَرَجَعَ الْوَفْدُ ، رَاضُونَ ، فَلَمَّا كَانَ بِيْعُضَ الطَّرِيقِ ، إِذْ رَاكِبٌ ، يَتَعَرَّضُ لَهُمْ ، ثُمَّ يَفَارِقُهُمْ وَيَعُودُ إِلَيْهِمْ ، وَيُسَبِّهُمُ ، فَأَخَذُوهُ ، فَقَالُوا : مَا شَأْنُكَ ؟ إِنَّ لَكَ لَشَأْنًا ، قَالَ : أَنَا رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى عَامِلِهِ بِمَصْرَ ، فَفَتَشَوْهُ ، فَإِذَا مَعَهُ كِتَابٌ ، عَلَى لِسَانِ عُثْمَانَ ، عَلَيْهِ خَاتَمٌ ، أَنْ يَصْلُبَهُمْ ، أَوْ يَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ ، أَوْ يَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ ، قَالَ : فَارْجِعُوا وَقَالُوا : قَدْ نَقَضَ الْعَهْدَ ، وَأَحْلَى اللَّهُ دَمَهُ ، فَقَدِمُوا الْمَدِينَةَ ، فَأَتَوْا عَلِيًّا ، فَقَالُوا : أَلَمْ تَرَ ؟ إِلَى عَدُوِّ اللَّهِ ، كَتَبَ فِينَا بِكَذَا وَكَذَا ، قُمْ مَعَنَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَقُومُ مَعَكُمْ ، قَالُوا : فَلَمْ كَتَبْتَ إِلَيْنَا ، قَالَ : وَاللَّهِ مَا كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ كِتَابًا قَطُّ ، فَتَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ : أَلِهَذَا تَقَاتِلُونَ أَمْ لِهَذَا تَغْضَبُونَ ؟ وَخَرَجَ عَلِيٌّ ، فَتَنَزَلَ قَرْيَةً خَارِجًا مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَأَتَوْا عُثْمَانَ ، فَقَالُوا : كَتَبْتَ فِينَا بِكَذَا وَكَذَا ، قَالَ : إِنَّا هُمَا اثْنَتَانِ ، أَنْ تُقِيمُوا شَاهِدَيْنِ ، أَوْ يَمِينَ بِاللَّهِ مَا كَتَبْتُ ، وَلَا أُمْلَيْتُ ، وَلَا عَلِمْتُ ، وَقَدْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ يَكْتُبُ عَلَى لِسَانِ الرَّجُلِ ، وَقَدْ يَنْقُشُ الْخَاتِمَ عَلَى الْخَاتِمِ ، قَالَ : فَحَضَرُوهُ ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَمَا أُمْنِعَ أَحَدًا رَدَّ عَلَيْهِ . إِلَّا أَنْ يَرُدَّ رَجُلٌ فِي نَفْسِهِ ، فَقَالَ ، أَنُشِدْتُكُمْ بِاللَّهِ ، أَعَلِمْتُ أَنِّي اشْتَرَيْتُ رُومَةَ مِنْ مَالِي ، أَسْتَعْذِبُ بِهَا ، فَجَعَلْتُ رِشَائِي فِيهَا كِرْشَاءَ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؟ قِيلَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَعَلَامَ تَمْنَعُونِي أَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا ، حَتَّى أَفْطِرَ عَلَى مَاءِ الْبَحْرِ ؟ قَالَ : نَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ ، عَلِمْتُمْ أَنِّي اشْتَرَيْتُ كَذَا وَكَذَا ، مِنْ مَالِي ، فَرِذْنَةُ فِي الْمَسْجِدِ ، قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَهَلْ عَلِمْتُمْ أَنَّ أَحَدًا مَنَعَ فِيهِ الصَّلَاةَ قَبْلِي ، ثُمَّ ذَكَرَ أَشْيَاءَ ،

قال له رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قال : وأراه ذَكَرَ كِتَابَتَهُ الْمَفْصَلُ بِيَدِهِ ، قال فَفَشَا النِّهْيُ ، وقيل : مَهْلًا عن أمير المؤمنين .

١٦٤٣ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ فِتْنَةً ، فَقَالَ : « يُقْتَلُ فِيهَا هَذَا مَظْلُومًا » لعثمان .

١٦٤٤ - * روى أحمد والطبراني عن قتادة أَنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِينَ أَوْ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً .

١٦٤٥ - * روى الطبراني عن الزبير بن بكار قال : قتل عثمان بن عفان يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين بعد العصر وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وكان يومه صائمًا .

١٦٤٦ - * روى عبد الله بن أحمد وأبو يعلى عن مسلم أبي سعيد مولى عثمان بن عفان : أن عثمان بن عفان أعتق عشرين عبداً مملوكاً ، ودعا بسرًا ويل فشدّها عليه ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام ، وقال : إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام وأبا بكر وعمر فقالوا لي اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فقتل وهو بين يديه .

١٦٤٧ - * روى الطبراني عن يزيد بن أبي حبيب : أن عامة الركب الذين ساروا إلى عثمان جئوا .

يحتمل النص أن من سار إلى عثمان كان في حالة جنونية من السفه ، لأن المعروف أن

١٦٤٣ - الترمذي (٦٣٠ / ٥) - ٥٠ - كتاب المناقب - ١٩ - باب في مناقب عثمان بن عفان .

وقال : هذا حدث حسن غريب .

١٦٤٤ - أحمد في مسنده (٧٤ / ١) .

والمعجم الكبير (٧٨ / ١) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٩ / ٩) : رواه أحمد والطبراني ورجاله إلى قتادة ثقات . إلا أن قتادة لم يدرك عثمان .

١٦٤٥ - المعجم الكبير (٧٧ / ١) .

١٦٤٦ - عبد الله في زياداته على المسند (٧٢ / ١) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٦ / ٩) : رواه عبد الله وأبو يعلى في الكبير ورجلها ثقات .

١٦٤٧ - المعجم الكبير (٨٨ / ١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٤ / ٩) : رواه الطبراني وإسناده حسن .

بعض الذين ساروا إلى عثمان ولوحقوا فيما بعد قتلوا وهم في حالة عادية من العقل .

١٦٤٨ - * روى الحاكم عن عمير بن سعيد قال أراد علي أن يسير إلى الشام إلى صيفين ، واجتمعت النخع حتى دخلوا على الأشتر بيته فقال : هل في البيت إلا نخعي قالوا : لا . قال : إن هذه الأمة عمدت إلى خير أهلها فقتلوه ، يعني عثمان ، وأنا قاتلنا أهل البصرة بيعة تأولنا عنه وإنكم ، تسرون إلى قوم ليس لنا عليهم بيعة . فليتنظر كل امرئ أين يضع سيفه .

١٦٤٩ - * روى الحاكم عن قيس بن عباد قال : سبغت علياً رضي الله عنه يوم الجمل يقول : اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان ، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان ، وأنكرت نفسي ، وجأوني للبيعة فقلت : والله إني لأستحيي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ألا أستحيي ممن تستحي منه الملائكة » وإني لأستحيي من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد ، فأنصرفوا ، فلما دفن رجع الناس فسألوني البيعة ، فقلت اللهم إني مشفق مما أقدم عليه ، ثم جاءت عزيمة فبايعت فلقد قالوا يا أمير المؤمنين فكأننا صدع قلبي وقلت : اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى .

١٦٥٠ - * روى الطبراني عن عبد الله بن سلام أنه قال حين هاج الناس في أمر عثمان : أيها الناس لا تقتلوا هذا الشيخ ، واستعصبوه فإنه لن تقتل أمة نبيها فيصلح أمرهم حتى يهراق دماء سبعين ألفاً منهم ، ولن تقتل أمة خليفتها فيصلح أمرهم حتى يهراق دماء أربعين ألفاً منهم ، فلم ينظروا فيما قال ، وقتلوه فجلس لعلي في الطريق فقال : أين تريد ؟ فقال : أريد أرض العراق . قال : لا تأت العراق وعليك بمنبر رسول الله ﷺ ، فوثب به (أي عليه) أناس من أصحاب علي وهموا به ، فقال علي : دعوه فإنه من أهل

١٦٤٨ - المستدرک (١٠٧ / ٣) وقال : هذا حديث وإن لم يكن له سند ، فإنه معقد صحيح الإسناد في هذا الموضع ، وقال الذهبي : صحيح على شرط مسلم .

١٦٤٩ - المستدرک (٩٥ / ٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

١٦٥٠ - قال المهيبي في مجمع الزوائد (٩٢ / ٩) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

الْبَيْتِ . فَلَمَّا قُتِلَ عَلِيٌّ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْقِلٍ : لَهُذِهِ رَأْسُ الْأَرْبَعِينَ وَسَيَكُونُ عَلَى رَأْسِهَا صَلَاحٌ وَلَنْ تَقْتُلَ أُمَّةٌ نَبِيَّهَا إِلَّا قُتِلَ بِهِ سَبْعُونَ أَلْفًا ، وَلَنْ تَقْتُلَ أُمَّةٌ خَلِيفَتَهَا إِلَّا قُتِلَ بِهِ أَرْبَعُونَ أَلْفًا .

١٦٥١ - * روى الطبراني عن مالك بن أنس : قَالَ قُتِلَ عُثْمَانُ فَأَقَامَ مَطْرُوحًا عَلَى كُنَاسَةِ بَنِي فَلَانٍ ثَلَاثًا ، وَأَتَاهُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْهُمْ جَدِّي مَالِكُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ وَخُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَعَائِشَةُ بِنْتُ عُثْمَانَ مَعَهُمْ مُصْبِحًا فِي حَقٍّ ، فَحَمَلُوهُ عَلَى بَابٍ وَإِنَّ رَأْسَهُ تَقُولُ عَلَى الْبَابِ طُقُ ، طُقُ ، حَتَّى أَتَوْا بِهِ الْبَقِيعَ فَاخْتَلَفُوا فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ فَصَلَّى عَلَيْهِ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ أَوْ خُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى - شَكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ - ثُمَّ أَرَادُوا دَفْنَهُ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مَازِينَ ، فَقَالَ : لَنْ دَفَنْتُمُوهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ لِأَخْبَرِ النَّاسَ عَدَا ، فَحَمَلُوهُ حَتَّى أَتَوْا بِهِ حَشٍّ كَوَكَبٍ ، فَلَمَّا دَلُّوهُ فِي قَبْرِهِ صَاخَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ عُثْمَانَ فَقَالَ لَهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ : اسْكَبِي قَوْلَ اللَّهِ لَيْنٌ عُدَّتِ لِأَضْرِبَنَّ الَّذِي فِيهِ عَيْنُكَ ، فَلَمَّا دَفَنُوهُ وَسَوَّوْا عَلَيْهِ التُّرَابَ قَالَ لَهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ : صَبِيحِي مَا بَدَأَ لَكَ ، أَنْ تَصَبِيحِي قَالَ مَالِكُ : وَكَانَ عُثْمَانُ قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّ بِحَشٍّ كَوَكَبٍ فَيَقُولُ : لِيُدْفَنَنَّ هَاهُنَا رَجُلٌ صَالِحٌ .

١٦٥٢ - * روى الطبراني عن أبي الأسود الدَّيْلِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يَقُولُ : لِأَنَّ أُخِيرَ مِنَ السَّمَاءِ فَأَنْتَقِطَعَ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ شَرَكْتُ فِي دَمِ عُثْمَانَ .

١٦٥٣ - * روى الطبراني عن جبير بن نفير قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ مَعْسُكُونَ مَعَ مَعَاوِيَةَ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ ، فَقَامَ مَرَّةً بَنُ كَعْبٍ الْبَهْزِيُّ فَقَالَ : أَنَا وَاللَّهِ لَوْلَا شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا قُمْتُ هَذَا الْمَقَامَ . فَلَمَّا سَمِعَ مَعَاوِيَةَ ذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَجْلَسَ النَّاسَ قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جُلُوسٌ إِذْ مَرَّ بِنَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ مَتَرَجِلًا مَعْنَقًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

١٦٥١ - المعجم الكبير (١ / ٧٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٩٥) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح . مصباح في حق : أي في وعاء من زجاج .

حَشٍّ كَوَكَبٍ : بستان بظاهر المدينة خارج البقيع . وكوكب اسم رجل .

١٦٥٢ - المعجم الكبير (١ / ٨٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٩٢) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

١٦٥٣ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٨٩) : رواه الطبراني ورجاله وثقوا . معنقا : مسرعاً .

« لتخرجنَّ فتنَةً من تحتِ رجليَّ أو من تحتِ قدَمي هذا ، ومن اتبعه يومئذٍ على الهدى » فقامتُ حتى أخذتُ بمنكبيَّ عثانَ حتَّى بينتهُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقلتُ : هذا ؟ قال : « نعم هذا ، ومن اتبعه يومئذٍ على الهدى » فقام عبدُ اللهِ بنُ حوالة الأزديُّ من عندِ المنبر فقال : إنك لصاحبُ هذا . قال : نعم . قال : أما واللهِ إني حاضرٌ ذلكَ المجلسَ ، ولو كنتُ أعلمُ أنَّ لي في الجيشِ مُصدّقاً لكنتُ أولَ من تكلم به .

أقول : في هذه الرواية صورة عن الأمور التي كانت تثبتُ المطالبين بدمِ عثان فتجعلهم قلباً واحداً ، كما أن أمثال هذه الروايات - مما سير معنا غودج عنها - هي التي جعلت بعض المؤمنين يحق علي في الخلافة لا يتحمسون للخروج والقتال معه ، ومن ههنا نفهم أن القتال بين الطرفين كانت له مسوغاته عند كل واحد منهم .

١٦٥٤ - * روى البخاري عن يزيد بن أبي عبيد رضي الله عنه قال : لما قُتِلَ عثانُ خرج سلمةُ بنُ الأكوعِ إلى الرَبْذَةِ ، وتزوج هناك امرأةً ، وولدت له أولاداً ، فلم يزل بها ، حتى قبل أن يموتَ بليالٍ نزلَ المدينة ، فماتَ بها .

١٦٥٥ - * روى البخاري ومسلم عن يزيد بن عبيد : أن سلمةً دخل على الحجاج ، فقال : يا ابن الأكوع ، ارتدذتَ على عقبيكَ ، تعزبتَ ؟ قال : لا ، ولكن رسول الله ﷺ أذن لي في البدو .

وفي رواية ^(١) النسائي إلى قوله : عقبيكَ قال : وذكر كلمة معناها « وبديتُ » وذكر باقيه .

قال ابن الأثير : (تعزبتَ) تعزب : بَعَدَ ، تقول : عزب الشيءُ يعزُب ، ويعزِبُ : إذا بَعَدَ ، والمراد : بَعَدَتَ عن الجماعات والجمعات بالتزامك سَكَنِي البادية ، هكذا شرحه الحميدي في كتابه ، وقال الأزهري : تعزب الرجل - بالراء المهملة - إذا عاد إلى الأعراب بعد الهجرة ،

١٦٥٤ - البخاري (١٣ / ٤٠) ٩٢ - كتاب الفتن - ١٤ - باب التعرب في الفتنة .

١٦٥٥ - البخاري في نفس الموضع السابق .

ومسلم (٣ / ١٤٨٦) ٣٣ - كتاب الإمارة ١٩ - باب تحريم رجوع المهاجر إلى استيطان وطنه .

(١) النسائي (٧ / ١٥١) كتاب البيعة ، باب المرتد أعرابياً بعد الهجرة .

وأقام بالبادية ، والذي جاء في كتاب مسلم الذي قرأناه : تعرّبت - بالراء المهملة - .

(وبديت) البدؤ : الخروج إلى البادية تقول : بدوتُ أبدؤ ، وقد جاء في هذا الحديث « بديت » بالياء ، ولعلّه سهوٌ من الراوي ، أو الكاتب ، والأصل ما ذكرناه . اهـ كلام ابن الأثير .

أقول : في هذا الحديث إشارة إلى أن سلامة رأى الفتنة بدأت بمقتل عثمان فاعتزل الناس .

١٦٥٦ - * روى الطبراني عن حميد بن هلال قال : لما هاجت الفتنة قال عمران بن حصين لحجير بن الربيع العدويّ : اذهبْ إلى قومك فأنهم عن الفتنة قال : إني لمغموزٌ فيهم وما أطاع قال : فأبلغهم غني وانهم عنها . قال وسمعتُ عمرانَ يقسمُ بالله لأنْ أكونَ عبداً حبشياً أسود في أعزّ حصّات في رأس جبلٍ أرعاهنّ حتى يدركني أجلي أحبُّ إليّ أنْ أرمي أحدَ الصفيينَ بسهمٍ أخطأتُ أم أصبتُ .

١٦٥٧ - * روى الطبراني عن زهّد الجرمي قال : خطبنا ابنُ عباسٍ فقال : لو أن الناسَ لم يطلبوا بدم عثمانٍ لرجعوا بالحجارة من السماء .

١٦٥٨ - * روى الطبراني عن طليق بن خشاف يقول : وفدنا إلى المدينة لننظر فيم قتل عثمان ؟ فلما قدمنا مر منا بعض إلى علي وبعض إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما وبعض إلى أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، فانطلقت حتى أتيت عائشة فسألت عليها فردت السلام ، فقالت : ومن الرجل ؟ قلت : من أهل البصرة ، فقالت : من أي أهل البصرة ؟ قلت : من بكر بن وائل ، قالت : من أي بكر بن وائل ؟ قلت : من بني قيس بن ثعلبة ، قالت : أمن أهل فلان ؟ فقلت لها : يألم المؤمنين فيم قتل عثمان أمير المؤمنين رضي الله

١٦٥٦ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

أعزّ حصّات : حصبات : جمع حصبة وهي العنزة العجفاء كالحجارة .

١٦٥٧ - المعجم الكبير (١ / ٨٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٩٧) رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجال الكبير

رجال الصحيح .

١٦٥٨ - المعجم الكبير (١ / ٨٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٩٧) ورجاله رجال الصحيح غير طليق وهو ثقة .

عنه ؟ قالت : قتل والله مظلوماً ، لعن الله قتلته أقاد الله ابن أبي بكر به وساق الله إلى أعين بني تميم هواناً في بيته واهراق الله دماء بني بديل على ضلالة وساق الله إلى الأشرسها من سهامه ، فوالله ما من القوم رجل إلا أصابته دعوتها .

١٦٥٩ - * روى الطبراني عن عدي بن حاتم قال : قال رجل لما قتل عثمان : لا ينتطح فيها عنزان : قلت : بلى وتنفقاً فيها عيون كثيرة .

١٦٦٠ - * روى الطبراني عن عبد الملك بن عمير أن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام استأذن على الحجاج بن يوسف ، فأذن له ، فدخل وسلم وأمر رجلين مما يلي السريز أن يوسعا له فأوسعا له فجلس فقال له الحجاج : لله أبوك ، أتعلم حديثاً حدثه أبوك عبد الملك ابن مروان عن جدك عبد الله بن سلام قال : فأبي حديث رحمة الله ؟ فرب حديث ، قال : حديث المصريين حين حَضَرُوا عثمان . قال : قد علمت ذلك الحديث أقبل عبد الله بن سلام وعثمان محصوراً فانطلق فدخل عليه فوسعوا له ، حتى دخل فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . فقال : وعليك السلام ، ماجاء بك يا عبد الله بن سلام ؟ قال : جئت لأثبت حتى أستشهد أو يفتح الله لك ، ولا أرى هؤلاء القوم إلا قاتليك فإن يقتلوك فذاك خير لك وشر لهم . فقال عثمان : أسألك بالذي لي عليك من الحق لما خرجت إليهم ، خير يسوقه الله بك وشر يدفعه بك الله . فسمع وأطاع فخرج عليهم فلما رأوه اجتمعوا وظنوا أنه قد جاءهم ببعض ما يسرون به ، فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن الله عز وجل بعث محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً يبشر بالجنة من أطاعه وينذر بالنار من عصاه وأظهر من أتبعه على الدين كله ولو كره المشركون ، ثم اختار له المساكن فاختر له المدينة فجعلها دار الهجرة وجعلها دار الإيمان ، فوالله ما زالت الملائكة حاقين بالمدينة منذ قدمها رسول الله ﷺ إلى اليوم ، وما زال سيف الله مغموداً عنكم منذ قدمها رسول الله ﷺ إلى اليوم ثم قال : إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق فمن اهتدى فإنما يهتدي بهدى الله ومن ضل فإنما

= ابن أبي بكر : هو أخوها محمد وكان هو والآخر من المشاركين في قتل عثمان .

١٦٥٩ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٥) : رواه الطبراني وإسناده حسن .

لا ينتطح فيها عنزان : أي لن يختلف الناس بسبب ذلك .

١٦٦٠ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٩٢) : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

=

يُضِلُّ بَعْدَ الْبَيَانِ وَالْحُجَّةِ ، وَإِنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ نَبِيًّا فَمَا مَضَى إِلَّا قَتَلَ بِهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَقَاتِلَ كُلِّهِمْ يَقْتُلُ بِهِ ، وَلَا قَتَلَ خَلِيفَةً قَطُّ إِلَّا قَتَلَ بِهِ خَمْسَةَ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ مَقَاتِلَ ، كُلُّهُمْ يَقْتُلُ بِهِ ، فَلَا تَعَجَّلُوا عَلَى هَذَا الشَّيْخِ بِقَتْلِ ، فَوَاللَّهِ لَا يَقْتُلُهُ رَجُلٌ مِنْكُمْ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَذْهَبُ مَقْطُوعَةً مَشْلُوكَةً ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لَوْلِيٍّ عَلَى وَالِدٍ حَقٌّ إِلَّا وَهَذَا الشَّيْخُ عَلَيْكُمْ مِثْلُهُ قَالَ فَقَامُوا فَقَالُوا : كَذَبْتَ الْيَهُودَ كَذَبْتَ الْيَهُودَ فَقَالَ : كَذَبْتُمْ وَاللَّهِ وَأَنْتُمْ أَثْمُونَ مَا أَنَا يَهُودِي وَإِنِّي لِأَحَدِ الْمُسْلِمِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ بِذَلِكَ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ ^(١) وَقَدْ أَنْزَلَ آيَةَ الْآخَرَى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ ^(٢) قَالَ : فَقَامُوا فَدَخَلُوا عَلَى عَثْمَانَ فَذَبَحُوهُ كَمَا يَذْبَحُ الْخُلَّانُ قَالَ شُعَيْبٌ : فَقُلْتُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمِيرٍ : مَا الْخُلَّانُ ؟ قَالَ : الْحُلْ . قَالَ : وَقَدْ قَالَ عَثْمَانُ لكَثِيرِ بَنِي الصُّلَاطِ : يَا كَثِيرُ أَنَا وَاللَّهِ مَقْتُولٌ غَدًا . قَالَ : بَلْ يَعْلِي اللَّهُ كَعْبَكَ وَيَكْبِتُ عَدُوَّكَ . قَالَ : ثُمَّ أَعَادَهَا الثَّلَاثَةَ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ . قَالَ : عَمَّ تَقُولُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَالَ لِي : « يَا عَثْمَانُ أَنْتَ عِنْدَنَا غَدًا وَأَنْتَ مَقْتُولٌ غَدًا » فَأَنَا وَاللَّهِ مَقْتُولٌ قَالَ : فَقَتَلْتُمْ فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ إِلَى الْقَوْمِ قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقُوا فَقَالَ : يَا أَهْلَ مِصْرَ يَا قَتْلَةَ عَثْمَانَ قَتَلْتُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَّا وَاللَّهِ لَا يَزَالُ عَهْدُ مَنْكُوثٍ وَدَمٌ مَسْفُوحٌ وَمَالٌ مَقْسُومٌ لَا سَقِيمَ .

١٦٦١ - * رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : لَمَّا ضَرَبَ الرَّجُلُ يَدَ عَثْمَانَ قَالَ : إِنَّهَا لِأَوَّلُ يَدٍ خَطَّتِ الْمَفْصَلَ .

١٦٦٢ - * رَوَى أَحْمَدُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجَسْرِيِّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ وَعِنْدَهَا حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ فَقَالَتْ لِي : هَذِهِ حَفْصَةُ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَيْهَا فَقَالَتْ : أَنْشُدْكَ اللَّهَ

= الْخُلَّانُ : أَوِ الْحُلَامُ : الْجَدِي أَوِ الْحَمَلُ وَالْمَقْصُودُ أَنْ دَمَهُ أَبْطَلَ كَمَا يَبْطُلُ دَمُ الْخُلَّانِ .

(١) الرعد : ٤٣ .

(٢) الأحقاف : ١٠ .

١٦٦١ - المعجم الكبير (١ / ٨٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٩٤) : رواه الطبراني وإسناده حسن .

١٦٦٢ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٩٠) : رواه أحمد كله .

أَنْ تُصَدِّقَنِي بِكَذِبٍ أَوْ تَكْذِبَنِي بِصَدَقٍ ، تعلمين أني كنتُ أنا وأنتِ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ فأغني عليه فقلتُ لكِ : أترينه قد قُبِضَ ؟ قلتُ : لا أدري . ثم أفاقَ قال : « افتحوا له الباب » ثم أغني عليه ، فقلتُ لكِ : أترينه قد قُبِضَ ؟ لا أدري . ثم أفاقَ قال « افتحوا له الباب » فقلتُ لكِ : أبي أو أبوكِ ؟ قلتُ : لا أدري . ففتحنَا له البابَ فإذا عثمانُ ابنُ عفانَ فلما رآه النبي ﷺ قال : « ادنُه » فأكبُّ عليه فسأره بشيءٍ لا أدري أنا وأنتِ ما هو ، ثم رفعَ رأسه فقال : « أفهمتَ ما قلتُ لكِ ؟ » قال : نعم . قال : « ادنُه » فأكبُّ عليه أخرى مثلها فسأره بشيءٍ لا ندري ما هو ثم رفعَ رأسه فقال : « أفهمتَ ما قلتُ لكِ ؟ » قال : نعم قال : « ادنُه » فأكبُّ عليه إكباباً شديداً فسأره بشيءٍ ثم رفعَ رأسه فقال : « فهمتَ ما قلتُ لكِ ؟ » قال : سمعته أذناي ووعاه قلبي . فقال له : « اخرج » قال : فقالت حفصةُ : اللهم نعم ، أو قالت : اللهم صدق .

وفي رواية ^(١) للطبراني في الأوسط بنحوه وزاد : فقال : « يا عثمان عسى أن يقمصَكَ اللهُ قُميصاً فإن أَرادَكَ المنافقونَ على خَلْعِهِ فلا تخلعه » ثلاثَ مراتٍ فقالَ لها النعمانُ ابنُ بشيرٍ : يأمُ المؤمنينَ أين كنتِ عن هذا الحديثِ ؟ فقالتُ : نسيتهُ وربَّ الكعبةِ حتى قُتِلَ الرجلُ .

وفي رواية عند الطبراني ^(٢) أيضاً : فما فجأني إلا وعثمانُ جاثٍ على ركبتيهِ قائلاً أظلماً وعدواناً يا رسولَ اللهِ ؟ فحسبتُ أنه أخبره بقتله .

* * *

(١) عزاهما الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٠ / ١) إلى الطبراني وقال : أحد إسنادي الطبراني حسن .

تعليقات

هؤلاء الذين ثاروا على عثمان أرادوا أن يتعجلوا انتهاء أمره فإذا حدث : كانت الأمة الإسلامية بخير وكانت في توسع مستمر وكانت الخيرات تنصب عليها من كل مكان ، فانتقلت من هذه الحال فوقفت الفتوحات وأصبح بأس الأمة فيما بينها شديداً ، تعجلوا أمر عثمان لأنه قرب أقرباءه فال الأمر نتيجة لاستعجالهم إلى أن استقر في بني أمية وانتهت الخلافة الراشدة وجاء الملك العضوض ، هذه عاقبة فعل أهل الشؤم هؤلاء .

إن عثمان خليفة راشد يقتدى به وأفعاله تشكل سوابق دستورية في هذه الأمة ، فكما أن عمر سن لمن بعده التحرج عن تقريب الأقربين ، فإن عثمان سن لمن بعده تقريب الأقربين إذا كانوا أهل كفاءة ، ومن تتبع سير ولاية عثمان لا يشك في كفاءتهم الإدارية ، وكل ما أنكر على عثمان لا يخرج عن دائرة المباح فكيف ترتكب من أجل ذلك هذه الجريمة الكبرى قتل عثمان رضي الله عنه ؟

ومع إيماننا أن كل ما فعله عثمان هو محل القدوة وأنه قتل مظلوماً ، ومع براءتنا إلى الله من دمه فإنه قد يكون من المناسب أن نأخذ درساً مما حدث : إن عثمان خليفة راشد وهو أفضل خلق الله أثناء خلافته وله من القدم والسابقة الكثير الكبير ، ثم هو الخليفة الشرعي للمسلمين وقتذاك بإجماع ، ومع ذلك فقد حدث عليه تمرد وقامت فتنة انتهت بقتله عليه رضوان الله ، وهذا يعطينا درساً هو أن الشرعية النظامية وحدها ليست كافية لاستقرار الحكم ، هذا مع أن هذه الشرعية كان يرافقها رخاء عريض .

هذا كله يجعلنا أمام قضية تحتاج إلى تحليل : لماذا انتقض الأمر على عثمان رضي الله عنه ؟

لقد انتقض الأمر على عثمان رضي الله عنه لأسباب كثيرة أجملها بما يلي :

بظهور الورع الجاهل ، وتفتح الحاقدين على طرق للتأمر ، وطموح الطامعين ، والعفوية في التعامل مع المرحلة ، وعدم مراعاة الرأي العام ونفسية المحكومين ، أذكر ذلك ليأخذ المسلمون دروسها فيعرفوا أن الحكم هو الحكم ، وأن الصلاح والسبق والقدم والوفاء كل ذلك إذا لم يرافقه قيام بشأن الحكم فإن الحكم يتعرض للتصدع والأمة تتعرض للهلاك ، وهذا

شرح مختصر لأسباب الفتنة في اجتهادي :

١ - ظهور الورع الجاهل :

الورع في الشريعة طيب وهو أن يترك الإنسان ما لا بأس به مخافة مما فيه بأس ، وهو في الأصل ترفع عن المباحات في الله والله ، والورع شيء شخصي يصح للإنسان أن يطالب به نفسه ، ولكن لا يصح أن يطالب به الآخرين ، ومن أخطر أنواع الورع : الورع الجاهل الذي يجعل المباح حراماً أو مفروضاً ، وهذا الذي وقع فيه أصحاب الفتنة ، ومن قبلهم وقع فيه أصحاب السامري ، لقد أتى السامري قومه من فكرة الورع الجاهل هذه فقال لقوم موسى : إن هذا الذهب الذي أخذتموه من قوم فرعون ما كان يجوز لكم أن تأخذوه فهاأنو لنصنع به عجلأ ، جاءهم من فكرة الورع مستغلاً جهلهم بأن ما فعله موسى مباح ، لأن هذا مال حربيين ، وهؤلاء أصحاب الفتنة أتوا إلى أفعال مباحة فعلها عثمان رضي الله عنه وكان من قبله يتحرّج من أمثالها فجعلوا المباح حراماً ، فاستغلوا الورع الجاهل عند أصناف من الناس فكانت الفتنة والنأساة .

٢ - تأمر الحاقدين :

لقد دخل في الإسلام منافقون موتورون اجتمع لهم من الحقد والذكاء والدهاء ما استطاعوا أن يستوعبوا الساحة النفسية للمجتمع الإسلامي وقتذاك ، وأن يدركوا نقاط الضعف التي يستطيعون من خلالها أن يوجدوا الفتنة ، ووجدوا في المجتمع آذاناً صاغية تصغي لهم فكان من آثار ذلك ما كان .

٣ - طموح الطامحين :

وجد في الجيل الثاني من أبناء الصحابة من يعتبر نفسه جديراً بالحكم والإدارة ، ووجد أمثال هؤلاء أن الطريق أمامهم مغلق ، وفي العادة أنه متى وجد الطامحون الذين لا يجدون لطموحهم متنفساً ، فإنهم يدخلون في كل عملية تغيير ، ومعالجة أمر هؤلاء في غاية الأهمية .

٤ - العفوية :

أصبح في المجتمع الإسلامي مستجدات كثيرة نتيجة لتوسع رقعة الأرض الإسلامية ونتيجة

لقللة جيل الصحابة بالنسبة لمجموع من دخل في الإسلام من جديد ، ونتيجة لتفريق الصحابة في الأمصار ، وكانت هذه المستجدات تحتاج إلى مبادرات تكافئها وإجراءات تتناسب معها ، ولم يكن التركيب النفسي للمسلمين يسمع بهذه المبادرات ، ولذلك بقيت العفوية هي التي تحكم الوضع الجديد مما أتاح للمتأمرين فرص الانقضاض .

هـ - عدم مراعاة الرأي العام السائد :

لقد كانت سياسة أبي بكر وعمر تقوم على الحذر والبعد عن أي مظنة تهمة ، وألف المسلمون هذه السياسة حتى اعتبروها بديهية ، وكان جزء من هذه السياسة عدم تقريب الأقارب وعدم استعالمهم على الولايات ، فلما جاء عثمان كان الرأي العام السائد وقتذاك أن هذه الأمور يجب أن تراعى ، فلما أحس الناس أن بني أمية قد أصبحت الأمور بيدهم وموقفهم من الإسلام قريب لم ينس بعد ، ورأى الناس أن الذين ضحوا وبذلوا وجاهدوا وسبقوا ليس لهم من الأمر شيء ، دخلوا في دائرة التذمر أو اللامبالاة ، ومتى وجد التذمر عند بعض الناس واللامبالاة عند الآخرين فالانفجار حاصل ، وقد كان .

* * *

هذه المعاني كلها توصلنا إلى الدرس التالي :

إن الشرعية الدستورية وحدها ليست كافية لاستقرار الحكم إذا لم يرافقها تلاحم في الصف الأول وحرص عند هذا الصف على النظام ، وإذا لم يرافقها قوة مبادرة تسبق المشكلة أو تحلها سريعاً وإذا لم يرافقها رؤية واضحة للواقع وحسن تعامل معه ، ومع هذا كله لا بد من استشراف للتركيب النفسي للأمة وحسن تأت لتوجيه الوجهة الصالحة وجعله متفاعلاً مع النظام .

ولا نريد بهذا الكلام أن نوجه تقدراً لعثمان فقد كان يسير بسياسة يستقبلها الصديقون بالتسليم وكان يتعامل مع الناس ويعاملهم بروح الصديقين ، ولكن المجتمع الإسلامي طرأت عليه طوارئ ومستجدات تجعلنا نحاول أخذ العبرة ، ونبرأ إلى الله عز وجل من كل من يظن سوءاً بعثمان أو ينتقصه .

* * *

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قال ابن حجر في الإصابة : علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الحسن .. أول الناس إسلاماً في قول كثير من أهل العلم ، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح فربي في حجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يفارقه وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك ، فقال له بسبب تأخير له بالمدينة ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، وزوجه ابنته فاطمة وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد ولما آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه قال له : أنت أخي ، ومناقبه كثيرة حتى قال الإمام أحمد : لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي . وقال غيره : وكان سبب ذلك بغض بني أمية له ، فكان كل من كان عنده علم من شيء من مناقبه من الصحابة يثبته وكلما أرادوا إخماده وهددوا من حدث بمناقبه لا يزداد إلا انتشاراً وقد ولد له الرافضة مناقب موضوعة هو غني عنها وتتبع النسائي ما خص به من دون الصحابة فجمع من ذلك شيئاً كثيراً بأسانيد أكثرها جيد .

يروى عن النبي ﷺ كثيراً ، وروى عنه من الصحابة : ولده الحسن والحسين وابن مسعود وأبو موسى وابن عباس وأبو رافع وابن عمر وأبو سعيد وصهيب وزيد بن أرقم وجابر وأبو أمامة وأبو جحيفة والبراء بن عازب وأبو الطفيل وآخرون ، ومن التابعين من المخضرمين أو من له رؤية : عبد الله بن شداد بن الهاد وطارق بن شهاب وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الله بن الحارث بن نوفل ومسعود بن الحكم ومروان بن الحكم وآخرون ، ومن بقية التابعين عدد كثير من أجلهم أولاده محمد وعمر والعباس وكان قد اشتهر بالفروسية والشجاعة والإقدام .

وكان أحد الشورى الذين نص عليهم عمر فعرضها عليه عبد الرحمن بن عوف وشرط عليه شروطاً امتنع من بعضها ، فعدل عنه إلى عثمان فقبلها ، فولاه وسلم علي وبايع عثمان ولم يزل بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم متصدياً لنصر العلم والفتيا ، فلما قتل عثمان بايعه الناس ثم كان من قيام جماعة من الصحابة منهم طلحة والزبير وعائشة في طلب دم عثمان ، فكان من وقعة الجمل ما اشتهر ثم قام معاوية في أهل الشام وكان أميرها لعثمان ولعمر من

قبله فدعا إلى الطلب بدم عثمان فكان من وقعة صفين ما كان . وكان رأي علي أنهم يدخلون في الطاعة ثم يقوم ولي دم عثمان فيدعي به عنده ثم يعمل معه ما يوجبه حكم الشريعة المطهرة وكان من خالفه يقول له : تتبعهم واقتلهم فيرى أن القصاص بغير دعوى ولا إقامة بينة لا يتجه وكل من الفريقين مجتهد . وكان من الصحابة فريق لم يدخلوا في شيء من القتال . وظهر بقتل عمار أن الصواب كان مع علي واتفق على ذلك أهل السنة بعد اختلاف كان في القديم ، والله الحمد .

وقال يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب كان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن وقال سعيد بن جبير : كان ابن عباس يقول : إذا جاءنا الثبت عن علي لم نعدل به . وقال وهب بن عبد الله بن أبي الطفيل : كان علي يقول : سلوني سلوني وسلوني عن كتاب الله تعالى فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار .

وأخرج الترمذي - وأصله في مسلم - عن علي قال : لقد عهد إلي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يحببك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق وأخرج الترمذي بإسناد قوي عن عمران ابن حصين في قصة قال فيها : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما تريدون من علي ؟ إن علياً مني وأنا من علي وهو ولي كل مؤمن بعدي » وفي مسند أحمد بسند جيد عن علي قال قيل : يا رسول الله من تؤمر بعدك ؟ قال : « إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة وإن تؤمروا عمر تجدوه قوياً أميناً لا يخاف في الله لومة لائم ، وإن تؤمروا علياً وما أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الطريق المستقيم » وكان قتل علي في ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف شهر لأنه بويع بعد قتل عثمان في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وكانت وقعة الجمل في جمادى سنة ست وثلاثين ووقعة صفين في سنة سبع وثلاثين ووقعة النهروان مع الخوارج في سنة ثمان وثلاثين ثم أقام سنتين يحرض على قتال البغاة فلم يتهياً لك إلى أن مات اهـ كلام الحافظ .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية في ترجمة الإمام علي رضي الله عنه : أبو الحسن والحسين ، ويكنى بأبي تراب ، وأبي القسم الهاشمي ، ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته

فاطمة الزهراء . وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، ويقال إنها أول هاشمية ولدت هاشمياً . وكان له من الإخوة طالب ، وعقيل ، وجعفر ، وكانوا أكبر منه ، بين كل واحد منهم وبين الآخر عشرين ، وله أختان ، أم هانئ وجمانة ، وكلهم من فاطمة بنت أسد ، وقد أسلمت وهاجرت ، كان علي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى ، وكان ممن توفي ورسول الله ﷺ راض عنهم وكان رابع الخلفاء الراشدين وكان رجلاً آدم شديد الأدمة أشكل العينين ^(١) عظيمها ، ذو بطن ، أصلع ، وهو إلى القصر أقرب ، وكان عظيم اللحية ، قد ملأت صدره ومنكبيه ، أبيضها ، وكان كثير شعر الصدر والكتفين ، حسن الوجه ، ضحوك السن ، خفيف المشي على الأرض ، أسلم علي قديماً ، ويقال إنه أول من أسلم ، والصحيح أنه أول من أسلم من الغلمان ، كما أن خديجة أول من أسلمت من النساء ، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالى ، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار ، وكان سبب إسلام علي صغيراً أنه كان في كفالة رسول الله ﷺ ، لأنه كان قد أصابته سنة مجاعة فأخذه من أبيه ، فكان عنده ، فلما بعثه الله بالحق آمنه خديجة وأهل البيت ومن جملتهم علي .

وقد شهد علي بداراً وكانت له اليد البيضاء فيها ، بارز يومئذ فغلبَ وظهر ، وفيه وفي عمه حمزة وابن عمه عبيدة بن الحارث وخصومهم الثلاثة - عتبة وشيبة والوليد بن عتبة - نزل قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا خِطْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ ^(٢) الآية . وقال الحكم وغيره عن مقسم عن ابن عباس قال : دفع النبي ﷺ الراية يوم بدر إلى علي وهو ابن عشرين سنة ، وشهد عليّ أحداً وكان على المينة ومعه الراية بعد مصعب بن عمير ، وعلى المسيرة المنذر بن عمرو الأنصاري ، وحمزة بن عبد المطلب على القلب ، وعلى الرجالة الزبير بن العوام ، وقيل المقداد بن الأسود ، وقد قاتل علي يوم أحد قتالاً شديداً ، وقتل خلقاً كثيراً من المشركين ، وغسل عن وجه النبي ﷺ الدم الذي كان أصابه من الجراح حين شج في وجهه وكسرت رباعيته وشهد يوم الخندق فقتل يومئذ فارس العرب ، وأحد شجعانهم المشاهير ، عمرو بن

(١) أشكل العينين : في بياضها شيء من حمرة ، وهو محمود محبوب .

(٢) الحج : ١٩ .

عبد ودة العامري ، وشهد الحديبية وبيعة الرضوان ، وشهد خيبر وكانت له بها مواقف هائلة ، ومشاهد طائلة ، وشهد علي عمرة القضاء وفيها قال له النبي ﷺ : « أنت مني ، وأنا منك » . وشهد الفتح وحنينا والطائف ، وقاتل في هذه المشاهد قتالاً كثيراً ، واعتبر من الجفراة مع رسول الله ﷺ ، ولما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك واستخلفه على المدينة ، قال له : يا رسول الله أنخلفني مع النساء والصبيان ؟ فقال : « ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي » . وبعثه رسول الله ﷺ أميراً وحاكماً على اليمن ، ومعه خالد بن الوليد ، ثم وافى رسول الله ﷺ عام حجة الوداع إلى مكة ، وساق معه هدياً كإهلال النبي ﷺ فأشركه في هديه ، واستر على إحرامه .

ولما مرض رسول الله ﷺ قال له العباس : سل رسول الله ﷺ فين الأمر بعده ؟ فقال : والله لا أسأله ، فإنه إن منعناها لا يعطيناها الناس بعده أبداً ، والأحاديث الصحيحة دالة على أن رسول الله ﷺ لم يوص إليه ولا إلى غيره بالخلافة ، بل لوح بذكر الصديق ، وأشار إشارة مفهمة ظاهرة جداً إليه . ثم لما مات رسول الله ﷺ كان علي من جملة من غسله وكفنه وولي دفنه .

ولما بويع الصديق يوم السقيفة كان علي من جملة من بايع بالمسجد وكان بين يدي الصديق كغيره من أمراء الصحابة يرى طاعته فرضاً عليه ، وأحب الأشياء إليه ، ولما توفيت فاطمة بعد ستة أشهر - وكانت قد تغضبت بعض الشيء على أبي بكر بسبب الميراث الذي فاتها من أبيها عليه الصلاة والسلام ، ولم تكن اطلعت على النص المختص بالأنبياء وأنهم لا يورثون ، فلما بلغها سألت أبا بكر أن يكون زوجها ناظراً على هذه الصدقة ، فأبى ذلك عليها ، فبقي في نفسها شيء كما قدمنا ، واحتاج علي أن يداريها بعض المداواة - فلما توفيت جدد البيعة مع الصديق رضي الله عنهما ، فلما توفي أبو بكر وقام عمر في الخلافة بوصية أبي بكر بذلك ، كان علي من جملة من بايعه ، وكان معه يشاروه في الأمور ، ويقال إنه استقضاه في أيام خلافته ، وقدم معه من جملة سادات أمراء الصحابة إلى الشام ، وشهد خطبته بالجباية ، فلما طعن عمر وجعل الأمر شورى في ستة أحدهم علي ، ثم خلاص منهم بعثان وعلي كما قدمنا ، فقدم عثمان على علي ، فسمع وأطاع ، فلما قتل عثمان يوم الجمعة لثمان

عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين على المشهور عدل الناس إلى علي فبايعوه قبل أن يدفن عثمان ، وقيل بعد دفنه وقد امتنع علي من إجابتهم إلى قبول الإمارة حتى تكرر قولهم له وفر منهم إلى حائط بني عمرو بن مبدول ، وأغلق بابه فجاء الناس فطرقوا الباب وولجوا عليه ، وجأؤوا معهم بطلحة والزبير ، فقالوا له : إن هذا الأمر لا يمكن بقاؤه بلا أمير ، ولم يزالوا به حتى أجاب .

وذكر سيف بن عمر عن جماعة من شيوخه قالوا : بقيت المدينة خمسة أيام بعد مقتل عثمان وأميرها العافقي بن حرب ، يلتسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر . والمصريون يلحون على علي وهو يهرب منهم إلى الحيطان ، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه ، والبصريون يطلبون طلحة فلا يجيبهم ، فقالوا فيما بينهم لا نولي أحداً من هؤلاء الثلاثة ، فضوا إلى سعد ابن أبي وقاص فقالوا : إنك من أهل الشورى فلم يقبل منهم ، ثم راحوا إلى ابن عمر فأبى عليهم ، فحاروا في أمرهم ، ثم قالوا : إن نحن رجعنا إلى أمصارنا بقتل عثمان من غير إمرة اختلف الناس في أمرهم ولم نسلم ، فرجعوا إلى علي فألحوا عليه ، وأخذ الأشر بيده فبايعه وبايعه الناس ، وأهل الكوفة يقولون : أول من بايعه النخعي وذلك يوم الخميس الرابع والعشرون من ذي الحجة ، وذلك بعد مراجعة الناس لهم في ذلك ، وكلهم يقول : لا يصلح لها إلا علي ، فلما كان يوم الجمعة وصعد على المنبر بايعه من لم يبايعه بالأمس ، وكان أول من بايعه طلحة بيده الشلاء ، فقال قائل : إنا لله وإنا إليه راجعون ^(١) ، ثم الزبير ، ثم قال الزبير : إنا بايعت علياً واللج ^(٢) على عنقي والسلام ، ثم راح إلى مكة فأقام أربعة أشهر ، وكانت هذه البيعة يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة ا هـ . ابن كثير .

قال ابن حجر : أخرج عمر بن شبة في كتاب أخبار البصرة من طريق المغيرة عن إبراهيم عن علقمة قال : قال الأشر : رأيت طلحة والزبير يبايعا غير مكرهين .

وأخرج من طريق أبي نضرة ، قال : كان طلحة يقول إنه بايع وهو مكره .

ومن طريق ابن شهاب قال : ... ثم أرسل - أي علي - إلى طلحة والزبير فبايعاه ا هـ .

(١) وكأنه تشاءم من هذه البيعة ، وأن الخلافة لن تستقر لعلي .

(٢) اللج : هو السيف بلغة طيء ، وقيل هو اسم سمي به السيف .

من فتح الباري .

وقال ابن كثير : وكان على الكوفة أبو موسى الأشعري على الصلاة ، وعلى الحرب القعقاع ابن عمرو ، وعلى الخراج جابر بن فلان المزني ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر ، وعلى مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وقد تغلب عليه محمد بن أبي حذيفة ، وعلى الشام معاوية ابن أبي سفيان ، ونوابه على حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وعلى قنسرين حبيب ابن مسلمة ، وعلى الأردن أبو الأعور ، وعلى فلسطين حكيم بن علقمة ، وعلى أذربيجان الأشعث بن قيس ، وعلى قرقيسيا جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى حلوان عتيبة بن النهاس ، وعلى قيسارية مالك بن حبيب ، وعلى هذان حبيش . هذا ما ذكره ابن جرير من نواب عثمان الذين توفي وهم نواب الأمصار ، وكان على بيت المال عقبة بن عمرو ، وعلى قضاء المدينة زيد بن ثابت ، ولما قتل عثمان بن عفان خرج النعمان بن بشير ومعه قبيص عثمان مضخ بدمه ، ومعه أصابع نائلة التي أصيبت حين حاجفت عنه بيدها ، فقطعت مع بعض الكف فورد به على معاوية بالشام ، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس ، وعلق الأصابع في كم القميص ، وندب الناس إلى الأخذ بهذا الثأر والدم وصاحبه ، فتباكى الناس حول المنبر ، وجعل القميص يرفع تارة ويوضع تارة ، والناس يتباكون حوله سنة ، ويحث بعضهم بعضاً على الأخذ بثأره ، واعتزل أكثر الناس النساء في هذا العام ، وقام في الناس معاوية وجماعة من الصحابة معه يحرضون الناس على المطالبة بدم عثمان ، ممن قتله من أولئك الخوارج : منهم عبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء ، وأبو أمامة ، وعمرو بن عنبسة وغيرهم من الصحابة ، ومن التابعين : شريك بن حباشة ، وأبو مسلم الحولاني ، وعبد الرحمن ابن غنم ، وغيرهم من التابعين . ولما استقر أمر تبعة علي دخل عليه طلحة والزبير ورؤوس الصحابة رضي الله عنهم ، وطلبوا منه إقامة الحدود ، والأخذ بدم عثمان : فاعتذر إليهم بأن هؤلاء مدد وأعوان ، وأنه لا يمكنه ذلك يومه هذا ، فطلب منه الزبير أن يوليه إمرة الكوفة ليأتيه بالجنود ، وطلب منه طلحة أن يوليه إمرة البصرة ، ليأتيه منها بالجنود ليقوى بهم على شوكة هؤلاء الخوارج وجهلة الأعراب الذين كانوا معهم في قتل عثمان رضي الله عنه ، فقال لهما : مهلاً عليّ ، حتى أنظر في هذا الأمر . ودخل عليه المغيرة بن شعبه على إثر ذلك

فقال له : إني أرى أن تقرر عمالك على البلاد ، فإذا أتتكَ طاعتهم استبدلت بعد ذلك بمن شئت وتركت من شئت ، ثم جاءه من الغد فقال له : إني أرى أن تعزلهم لتعلم من يطيعك ممن يعصيك ، فعرض ذلك عليّ على ابن عباس فقال : لقد نصحك بالأمس وغشك اليوم ، فبلغ ذلك المغيرة فقال : نعم نصحته فلما لم يقبل غششته ثم خرج المغيرة فلحق بمكة ، ولحقه جماعة منهم طلحة والزبير : وكانوا قد استأذنوا علياً في الاعتار فأذن لهم ، ثم إن ابن عباس أشار على علي باستمرار نوابه في البلاد ، إلى أن يتمكن الأمر ، وأن يقر معاوية خصوصاً على الشام وقال له : إني أخشى إن عزلته عنها أن يطلبك بدم عثمان ولا آمن طلحة والزبير أن يتكلموا عليك بسبب ذلك ، فقال علي : إني أرى هذا ولكن اذهب أنت إلى الشام فقد وليتكها ، فقال ابن عباس لعلي : إني أخشى من معاوية أن يقتلني بعثمان ، أو يجسني لقرايتي منك ولكن اكتب معي إلى معاوية فئنّه وعيّه ، فقال علي : والله إن هذا مالا يكون أبداً ، فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين الحرب خدعة كما قال رسول الله ﷺ ، فوالله لأن أضعني لأوردنهم بعد صدّهم ونهى ابن عباس علياً فيما أشار عليه أن يقبل من هؤلاء الذين يحسّنون إليه الرحيل إلى العراق ، ومفارقة المدينة ، فأبى عليه ذلك كله ، وطاوع أمر أولئك الأمراء من أولئك الخوارج من أهل الأمصار .

وهذا موجز لما حدث في سني عهده رضي الله عنه :

ثم دخلت سنة ست وثلاثين من الهجرة :

استهلت هذه السنة وقد تولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الخلافة ، وولى على الأمصار نواباً ، فولى عبيد الله بن عباس على اليمن ، وولى سمرة بن جندب على البصرة ، وعمارة بن شهاب على الكوفة ، وقيس بن سعد بن عباد على مصر ، وعلى الشام سهل بن حنيف بدل معاوية ، فسار حتى بلغ تبوك فتلقته خيل معاوية ، فقالوا : من أنت ؟ فقال : أمير ، قالوا : على أي شيء ؟ قال : على الشام ، فقالوا : إن كان عثمان بعثك فحيّاه بك ، وإن كان غيره فارجع . فقال : أو ما سمعتم الذي كان ؟ قالوا : بلى ، فرجع إلى علي . وأما قيس بن سعد فاختلف عليه أهل مصر فبايع له الجمهور ، وقالت طائفة : لا نبايع حتى تقتل قتلة عثمان ، وكذلك أهل البصرة ، وأما عمارة بن شهاب المبعوث أميراً على

الكوفة فصد عنها طلحة بن خويلد غضباً لعثمان ، فرجع إلى علي فأخبره ، وانتشرت الفتنة وتفاقم الأمر ، واختلفت الكلمة ، وكتب أبو موسى إلى علي بطاعة أهل الكوفة ومبايعتهم إلا القليل منهم ، وبعث علي إلى معاوية كتباً كثيرة فلم يرد عليه جوابها ، وتكرر ذلك مراراً إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر ، ثم بعث معاوية طوماراً^(١) مع رجل فدخل به على علي فقال : ما وراءك ؟ قال جئتكم من عند قوم لا يريدون إلا القود كلهم موتور ، تركت سبعين ألف شيخ يبيكون تحت قميص عثمان ، وهو على منبر دمشق ، فقال علي : اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان ، ثم خرج رسول معاوية من بين يدي علي فهم به أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان يريدون قتله ، فأفلت إلا بعد جهد ، وعزم علي رضي الله عنه على قتال أهل الشام ، وكتب إلى قيس بن سعد بمصر يستنفر الناس لقتالهم ، وإلى أبي موسى بالكوفة : وبعث إلى عثمان بن حنيف بذلك ، وخطب الناس فحثهم على ذلك ، وعزم على التجهز ، وخرج من المدينة ، واستخلف عليها قثم بن العباس ، وهو عازم أن يقاتل بن أطاعه من عصاه وخرج عن أمره ولم يبايعه مع الناس ، وجاء إليه ابنه الحسن بن علي فقال : يا أباي دع هذا فإن فيه سفك دماء المسلمين ، ووقوع الاختلاف بينهم ، فلم يقبل منه ذلك ، بل صمم على القتال ، ورتب الجيش ، فدفع اللواء إلى محمد بن الحنفية ، وجعل ابن العباس على المينة ، وعمر بن أبي سلمة على الميسرة ، وقيل جعل على الميسرة عمرو بن سفيان بن عبد الأسد ، وجعل على مقدمته أبا ليلى بن عمرو بن الجراح ابن أخي أبي عبيدة ، واستخلف على المدينة قثم بن العباس ولم يبق شيء إلا أن يخرج من المدينة قاصداً إلى الشام ، حتى جاءه ما شغله عن ذلك كله .

أقول : وهو خروج عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم عليه مطالبين بقتل قتلة عثمان ، ومسيرهم إلى البصرة ، وما جرى هنالك من وقائع مما ألبأ علياً رضي الله عنه إلى المسير إلى البصرة ، وكانت موقعة الجمل التي انتهت بانتصار علي رضي الله عنه .

وقال ابن كثير : بعد أن ذكر مجريات الأمور حتى نهاية المعركة وأقام علي بظاهر البصرة ثلاثاً صلى على القتلى من الفريقين ، وخص قريشاً بصلاة من بينهم ، ثم جمع ما

(١) طوماراً : جمعها طوامير ، وهي الصحيفة .

وجد لأصحاب عائشة في المعسكر وأمر به أن يحمل إلى مسجد البصرة . فمن عرف شيئاً هو لأهلهم فليأخذه ، إلا سلاحاً كان في الخزائن عليه سمة السلطان ، وكان مجموع من قتل يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف ، خمسة من هؤلاء وخمسة من هؤلاء ، رحمهم الله ورضي عن الصحابة منهم وقد سأل بعض أصحاب عليّ علياً أن يقسم فيهم أموال أصحاب طلحة والزبير ، فأبى عليهم ، فطعن فيه السبائية وقالوا : كيف يحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا أموالهم ؟ فبلغ ذلك علياً فقال : أيكم يحب أن تصير أم المؤمنين في سهمه ؟ فسكت القوم ، ولهذا لما دخل البصرة فض في أصحابه أموال بيت المال ، فنال كل رجل منهم خمسمائة ، وقال : لكم مثلها من الشام ، فتكلم فيه السبائية أيضاً ونالوا منه من وراء وراء .

أقول : ثم إن علياً رضي الله عنه نهد إلى أهل الشام فالتقوا في أواخر السنة السادسة والثلاثين وكان قتال ودخلت سنة سبع وثلاثين والقتال مستمر .

وقال ابن كثير : استهلكت هذه السنة وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه متواقف هو ومعاقبة بن أبي سفيان رضي الله عنه ، كل منهما في جنوده بكان يقال له صفين بالقرب من الفرات شرقي بلاد الشام ، وقد اقتتلوا في مدة شهر ذي الحجة كل يوم ، وفي بعض الأيام ربما اقتتلوا مرتين ، وجرت بينهم حروب يطول ذكرها ، والمقصود أنه لما دخل شهر المحرم تحاجز القوم رجاء أن يقع بينهم مهادنة وموادعة يؤول أمرها إلى الصلح بين الناس وحقن دمائهم .

أقول : ولكن القتال استمر بعد ذلك فترة طويلة حتى إذا تضايق أهل الشام رفعوا المصاحف وتم الاتفاق على التحكيم ، وكان قد قتل خلال ذلك عمار بن ياسر فعرف أن الحق بجانب علي رضي الله عنه ، وقد ذكر ابن كثير مختصراً لهذه الأيام فقال :

وجرت بينهم أمور طويلة ، ورغب أكثر الناس من العراقيين وأهل الشام بكمالهم إلى المصالحة والمسالمة مدة لعله يتفق أمر يكون فيه حقن لدماء المسلمين ، فإن الناس تفانوا في هذه المدة ، ولا سيما في هذه الثلاثة الأيام المتأخرة التي آخر أمرها ليلة الجمعة وهي ليلة الهريس . كل من الجيشين فيه من الشجاعة والصبر مالم يوجود في الدنيا مثله ، ولهذا لم

يفر أحد عن أحد ، بل صبروا حتى قتل من الفريقين فيما ذكره غير واحد سبعون ألفاً .
 خمسة وأربعون ألفاً من أهل الشام ، وخمسة وعشرون ألفاً من أهل العراق . قاله غير واحد
 منهم ابن سيرين وسيف وغيره ، وزاد أبو الحسن بن البراء - وكان في أهل العراق - خمسة
 وعشرون بدرية ، قال : وكان بينهم في هذه المدة تسعون زحفاً واختلفاً في مدة المقام بصفين
 فقال سيف : سبعة أشهر أو تسعة أشهر . وقال أبو الحسن بن البراء مائة وعشرة أيام .
 قلت : ومقتضى كلام أبي مخنف أنه كان من مستهل ذي الحجة في يوم الجمعة لثلاث عشرة
 خلت من صفر وذلك سبعة وسبعون يوماً فالله أعلم ، وقال الزهري : بلغني أنه كان يدفن
 في القبر الواحد خمسون نفساً . هذا كله ملخص من كلام ابن جرير وابن الجوزي في
 المنتظم .

ثم تراوض الفريقان بعد مكاتبات ومراجعات يطول ذكرها على التحكيم ، وهو أن يحكم
 كل واحد من الأمرين - علي ومعاوية - رجلاً من جهته . ثم يتفق الحكمان على ما فيه
 مصلحة للمسلمين . فوكل معاوية عمرو بن العاص ، وأراد علي أن يوكل عبد الله بن عباس -
 وليته فعل - ولكنه منعه القراء وقالوا : لا نرضى إلا بأبي موسى الأشعري .

ثم أخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين اليهود والمواثيق أنها أمانان على أنفسهما
 وأهلها ، والأمة لها أنصار على الذي يتقاضيان عليه ، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين
 كليهما عهد الله وميثاقه أنها على ما في هذه الصحيفة ، وأجلا القضاء إلى رمضان وإن أحبا
 أن يوخرا ذلك على تراض منهما ، وكتب في يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة
 سبع وثلاثين ، على أن يوافق علي ومعاوية موضع الحكين بدومة الجندل في رمضان ، ومع
 كل واحد من الحكين أربعمئة من أصحابه ، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل
 بأذرح .

وتفرق الناس إلى بلادهم من صفين ، وخرج معاوية إلى دمشق بأصحابه ، ورجع علي
 إلى الكوفة على طريق هيت فلما دخل الكوفة سمع رجلاً يقول : ذهب علي ورجع في غير
 شيء فقال علي : للذين فارقتهم خير من هؤلاء وأنشأ يقول :

أخوك الذي إن أخرجتك ملّة من الدهر لم يبرح لبّك راحماً

وليس أخوك بالذي إن تشعبت عليك أمورٌ ظلّ يلحاك لائماً

ثم مضى فجعل يذكر الله حتى دخل قصر الإمارة من الكوفة . ولما كان قد قارب دخول الكوفة اعتزل من جيشه قريب من - اثني عشر ألفاً - وهم الخوارج ، وأبوا أن يساكنوه في بلده ، ونزلوا بمكان يقال له : حُرّوراء وأنكروا عليه أشياء فيما يزعمون أنه ارتكبها ، فبعث إليهم علي رضي الله عنه عبد الله بن عباس فناظرهم فرجع أكثرهم وبقي بقيتهم ، فقاتلهم علي بن أبي طالب وأصحابه .

أقول : ولم ينبثق عن التحكيم شيء وزادت شرّة الخوارج فقاتلهم الإمام علي وقتلهم والراجح أن ذلك كان في السنة الثامنة والثلاثين . وفي هذه السنة خرجت مصر من يد أمير المؤمنين علي وأصبحت في يد معاوية وانتقض على الإمام علي أمره .

قال ابن كثير : قال الشعبي : لما قتل علي أهل النهر خالفه قوم كثير ، وانتقضت أطرافه وخالفه بنو ناجية ، وقدم ابن الحضرمي إلى البصرة ، وانتقض أهل الجبال ، وطمع أهل الحراج في كسره وأخرجوا سهل بن حنيف من فارس - وكان عاملاً عليها - فأشار عليه ابن عباس بزياد بن أبيه أن يوليه إياها فولاه إياها فسار إليها في السنة الآتية في جمع كثير ، فوطئهم حتى أدوا الحراج .

قال ابن جرير وغيره : وحج بالناس في هذه السنة قثم بن العباس ، نائب علي على مكة ، وأخوه عبيد الله بن عباس نائب الين ، وأخوها عبد الله نائب البصرة ، وأخوهم تمام ابن عباس نائب المدينة ، وعلى خراسان خالد بن قرّة اليربوعي وقيل ابن أبزى ، وأما مصر فقد استقرت بيد معاوية فاستتاب عليها عمرو بن العاص .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين :

فيها جهز معاوية بن أبي سفيان جيوشاً كثيرة ففرقها في أطراف معاملات علي بن أبي طالب ، وذلك أن معاوية رأى بعد أن ولاه عمرو بن العاص بعد اتفائه مع أبي موسى على عزل علي ، أن ولايته وقعت الموقع ، فهو الذي يجب طاعته فيما يعتقده ، ولأن جيوش علي من أهل العراق لا تطيعه في كثير من الأمر ولا يأترون بأمره ، فلا يحصل بمباشرة المقصود

من الإمارة والحالة هذه ، فهو يزعم أنه أولى منه إذ كان الأمر كذلك .

أقول : ثم دخلت سنة أربعين وقد بقي الحبل فيها مضطرباً والإمام علي يحاول للملة الأمر وكاد أن يصل إلى هدنة مع معاوية ثم استشهد رحمه الله في هذه السنة .

قال ابن كثير : قال جرير : وفي هذه السنة جرت بين علي ومعاوية المهادنة بعد مكاتبات يطول ذكرها على وضع الحرب بينهما ، وأن يكون ملك العراق لعلي وللمعاوية الشام ، ولا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزوة . ثم ذكر عن زياد عن ابن إسحاق ما هذا مضمونه أن معاوية كتب إلى علي أما بعد فإن الأمة قد قتل بعضها بعضاً يعني فلك العراق ولي الشام ، فأقر بذلك علي رضي الله عنه ، وأمسك كل واحد منهما عن قتال الآخر ، وبعث الجيوش إلى بلاده ، واستقر الأمر على ذلك .

ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب :

كان أمير المؤمنين رضي الله عنه قد تنفصت عليه الأمور ، واضطرب عليه جيشه ، وخالفه أهل العراق ، ونكلوا عن القيام معه ، واستفحل أمر أهل الشام ، وصالوا وجالوا يميناً وشمالاً ، زاعمين أن الإمرة لمعاوية بمقتضى حكم الحكيم في خلعهما علياً وتولية عمرو بن العاص معاوية عند خلو الإمرة عن أحد ، وقد كان أهل الشام بعد التحكيم يسمون معاوية الأمير ، وكلما ازداد أهل الشام قوة ضعف جأش أهل العراق ، هذا وأميرهم علي بن أبي طالب خير أهل الأرض في ذلك الزمان ، أعبدهم وأزهدهم ، وأعلمهم وأخشاهم الله عز وجل ، ومع هذا كله خذلوه وتخلوا عنه حتى كره الحياة وتقى الموت ، وذلك لكثرة الفتن وظهور الحن ، فكان يكثر أن يقول : ما يحبس أشقاها ؟ أي ما ينتظر ؟ ماله لا يقتل ؟ ثم يقول : والله لتخضبنَّ هذه ويشير إلى لحيته من هذه ويشير إلى هامته .

صفة مقتله رضي الله عنه :

ذكر ابن جرير وغير واحد من علماء التاريخ والسير وأيام الناس : أن ثلاثة من الخوارج وهم عبد الرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجم الحُميري ثم الكِندي حليف بني حنيفة من كندة المصري ، وكان أسمر حسن الوجه أبلج شعره مع شحمة أذنيه وفي وجهه أثر

السجود . والبرك بن عبد الله التيمي وعمرو بن بكر التيمي أيضاً . اجتمعوا فتذاكروا قتل علي إخوانهم من أهل النهروان فترحوا عليهم وقالوا : ماذا نصنع بالبقاء بعدهم ؟ كانوا لا يخافون في الله لومة لائم ، فلو شربنا أنفسنا فأتينا أئمة الضلال فقتلناهم فأرحنا منهم البلاد وأخذنا منهم ثأر إخواننا ؟ فقال ابن ملجم : أما أنا فأكفيكم علي بن أبي طالب . وقال البرك : وأنا أكفيكم معاوية . وقال عمرو بن بكر : وأنا أكفيكم عمرو بن العاص . فتعاهدوا وتواثقوا أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه فأخذوا أسيافهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة من رمضان أن يبيت كل واحد منهم صاحبه في بلده الذي هو فيه فأما ابن ملجم فسار إلى الكوفة فدخلها وكنم أمره حتى عن أصحابه من الخوارج الذين هم بها ، فبينما هو جالس في قوم من بني الرباب يتذكرون قتلاهم يوم النهروان إذ أقبلت امرأة منهم يقال لها قطام بنت الشجنة ، قد قتل علي يوم النهروان أباه وأخاه ، وكانت فائقة الجمال مشهورة به ، وكانت قد انقطعت في المسجد الجامع تتعبد فيه ، فلما رآها ابن ملجم سلبت عقله ونسي حاجته التي جاء لها ، وخطبها إلى نفسها فاشترطت عليه ثلاثة آلاف درهم وخادماً وقينة ؛ وأن يقتل لها علي بن أبي طالب . قال : فهو لك ، والله ما جاء بي إلى هذه البلدة إلا قتل علي ، فتزوجها ودخل بها ، ثم شرعت تعرضه على ذلك وندبت له رجلاً من قومها ، من تيم الرباب يقال له وردان ، ليكون معه رداءً ، واستألت عبد الرحمن بن ملجم رجلاً آخر يقال له شبيب بن نجدة الأشجعي الحروري .

ودخل شهر رمضان فواعدهم ابن ملجم ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت ، وقال : هذه الليلة التي واعدت أصحابي فيها أن يثأروا بمعاوية وعمرو بن العاص فجاء هؤلاء الثلاثة - وهم ابن ملجم ، ووردان ، وشبيب - وهم مشتملون على سيوفهم فجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي ، فلما خرج جعل ينهض الناس من النوم إلى الصلاة ، ويقول : الصلاة الصلاة فثار إليه شبيب بالسيف فضربه به فوق في الطاق ، فضربه ابن ملجم بالسيف على قرنه فسال دمه على لحيته رضي الله عنه ، ولما ضربه ابن ملجم قال : لا حكم الا لله ليس لك يا علي ولا لأصحابك ، وجعل يتلو قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاءاً

مرضات الله والله روؤف بالعباد ﴿^(١) ونادى علي : عليك به ، وهرب وردان فأدركه رجل من حضرموت فقتله ، وذهب شبيب فنجنا بنفسه وفات الناس ، ومسك ابن ملجم وقدم علي جعدة بن هبيرة بن أبي وهب فصلى بالناس صلاة الفجر ، وحل علي إلى منزله ، وحمل إليه عبد الرحمن بن ملجم فأوقف بين يديه وهو مكتوف - قبحه الله - فقال له : أي عدو الله ألم أحسن إليك ؟ قال : بلى . قال : فما حملك على هذا ؟ قال : شحذته أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه ، فقال له علي : لا أراك إلا مقتولاً به ، ولا أراك إلا من شر خلق الله ، ثم قال : إن مت فاقتلوه وإن عشت فأنا أعلم كيف أصنع به ، فقال جندب ابن عبد الله : يا أمير المؤمنين إن مت نبأيع الحسن ؟ فقال : لا آمرم ولا أنهاكم ، أنتم أبصر . ولما احتضر علي جعل يكثر من قول لا إله إلا الله ، لا يتلفظ بغيرها . وقد قيل إن آخر ما تكلم به ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ ^(٢) . وقد أوصى ولديه الحسن والحسين بتقوى الله والصلاة والزكاة وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه في الدين والتثبت في الأمر ، والتعاهد للقرآن ، وحسن الجوار ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واجتناب الفواحش ، ووصاها بأخيها محمد بن الحنفية ووصاه بما وصاها به ، وأن يعظمها ولا يقطع أمراً دونها وكتب ذلك كله في كتاب وصيته رضي الله عنه وأرضاه .

وقد غسله ابنه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلى عليه الحسن فكبر عليه تسع تكبيرات . وقال الإمام أحمد بسنده عن أبي يحيى قال : لما ضرب ابن ملجم علياً قال لهم : افعلوا به كما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل برجل أراد قتله فقال : « اقتلوه ثم حرّقه » .

وروى ابن جرير قال : حدثني الحارث ثنا ابن سعد عن محمد بن عمر قال : ضرب علي يوم الجمعة فكث يوم الجمعة ويوم السبت وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة .

ولما مات علي ولي غسله ودفنه أهله ، وصلى عليه ابنه الحسن وكبر أربعاً ، وقيل أكثر

(١) البقرة : ٢٠٧ .

(٢) الزلزلة : ٧ ، ٨ .

من ذلك . ودفن علي بدار الخلافة بالكوفة وقيل تجاه الجامع من القبلة في حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة ، بجذاء باب الوراقين وقيل بظاهر الكوفة ، وقيل بالكناسة ، وقيل دفن بالبرية . وقال شريك القاضي وأبو نعيم الفضل بن دكين : نقله الحسن بن علي بعد صلحه مع معاوية من الكوفة فدفنه بالمدينة بالبقيع إلى جانب فاطمة بنت رسول الله ﷺ . وقال عيسى بن دآب : بل لما تحملوا به حملوه في صندوق على بعير ، فلما مروا به ببلاد طيء أضلوا ذلك البعير فأخذته طيء تحسب فيه مالاً ، فلما وجدوا بالصندوق ميتاً دفنوه في بلادهم فلا يعرف قبره إلى الآن ، والمشهور أن قبره إلى الآن بالكوفة كما ذكر عبد الملك ابن عمران أن خالد بن عبد الله القسري - نائب بني أمية في زمان هشام - لما هدم دوراً لبنينها وجد قبراً فيه شيخ أبيض الرأس واللحية فإذا هو علي ، فأراد أن يحرقه بالنار فقليل له : أيها الأمير إن بني أمية لا يريدون منك هذا كله ، فلفه في قباطي ودفنه هناك . قالوا : فلا يقدر أحد أن يسكن تلك الدار التي هو فيها إلا ارتحل منها . رواه ابن عساكر . اهـ ابن كثير .

وقال الطبراني : علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك يكنى أبا الحسن شهيد بذراً ، قال وحدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي قال : بلغني بنو هاشم أن أبا طالب اسمه عبد مناف بن عبد المطلب ، وعبد المطلب اسمه شيبه بن هاشم ، وهاشم اسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي ، وقصي اسمه زيد ، وقال الزبير بن بكار : أم علي بن أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، ويقال إنها أول هاشمية ولدت لهاشمي ، وقد أسلمت وهاجرت إلى رسول الله ﷺ بالمدينة وماتت ودفنها رسول الله ﷺ وأمها فاطمة بنت هرم بن رواحة بن حجر بن عبد معيص بن عامر بن لؤي (١) .

١٦٦٣ - * روى الحاكم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : إن أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(١) رواها الطبراني في المعجم الكبير (١ / ٩٢) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٠٠) : وهو صحيح .

١٦٦٣ - المستدرک (٢ / ١٣٦) وقال هذا حديث صحيح الإسناد وأقره الذهبي .

قال الحاكم : وإنما الخلاف في هذا الحرف أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان أول الرجال البالغين إسلاماً ، وعلي بن أبي طالب تقدم إسلامه قبل البلوغ .

١٦٦٤ - * روى الطبراني عن الشعبي قال رأيتُ علياً على المنبر أبيض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه ، زاد يحيى بن سعيد في حديثه : على رأسه زُغبيات .

١٦٦٥ - * روى الطبراني عن شعبة قال : سألت أبا إسحاق : أنت أكبر من الشعبي ؟ قال : الشعبيُّ أكبر مني بسنة أو سنتين . قال : ورأى أبو إسحاق علياً وكان يصفه لنا : عظيم البطن أجلس ، قال شعبة وكان أبو إسحاق أكبر من أبي البخري ولم يدرك أبو البخري علياً ولم يره .

١٦٦٦ - * روى الطبراني عن أبي رجاء العطاردي قال : رأيتُ علياً سمناً أصلع الشعر كأن بجانبه إهاب شاة .

١٦٦٧ - * روى الطبراني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : خرج علينا علي بن أبي طالب في الحر الشديد وعليه ثياب الشتاء ، وخرج علينا في الشتاء وعليه ثياب الصيف ، ثم دعا بما نشد به ثم مسح العرق عن جبهته ثم رجع إلى بيته فقلت لأبي : يا أبتاه أما رأيت ما صنع أمير المؤمنين ، خرج علينا في الشتاء عليه ثياب الصيف وخرج علينا في الصيف وعليه ثياب الشتاء فقال أبو ليلى : ما فطنت . فأخذ بيد ابنه فأتى علياً فقال له الذي صنع . فقال له علي : إن رسول الله ﷺ كان بعثني وأنا أرمد فبرق في عيني ، ثم قال : « افتح عينيك » ففتحتها فما اشتكيتها حتى الساعة ودعا لي فقال : « اللهم أذهب عنه الحر والبرد » فما وجدتُ حرّاً ولا برداً حتى يومي هذا .

١٦٦٤ - المعجم الكبير (١ / ٩٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٠١) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

١٦٦٥ - المعجم الكبير (١ / ٩٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٠٠) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .
أجلع : الجلعج : ذهاب الشعر من مقدم الرأس ، يقال هو أجلعج وهي جلعاء .

١٦٦٦ - المعجم الكبير (١ / ٩٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٠٠) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .
سمناً : حسن الهيئة .

١٦٦٧ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

١٦٦٨ - * روى النسائي عن بريدة رضي الله عنه عن أبيه قال : خطبَ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فاطمة ، فقال رسول الله ﷺ : « إنها صغيرة » فخطبها علي ، فزوجها منه .

١٦٦٩ - * روى الطبراني عن سلمان قال : أول هذه الأمة وروداً على نبيها ﷺ أولها إسلاماً علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

١٦٧٠ - * روى البزار والطبراني عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال لعلي : « أمّا ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه نبي بعدي » .
وفي رواية الطبراني « أنت مني بمنزلة هارون » .

١٦٧١ - * روى الطبراني عن علي قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك » .

١٦٧٢ - * روى الترمذي عن أم عطية رضي الله عنها قالت : بعث النبي ﷺ جيشاً فيهم علي ، قالت : فسمعت رسول الله ﷺ يقول وهو رافع يديه : « اللهم لا تُميتني حتى تُريني علياً » .

١٦٧٣ - * روى البزار عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ لعلي : « يا علي من فارقتك فارق الله ، ومن فارقك ياعلي فارقني » .

١٦٧٤ - * روى الطبراني عن ابن عباس أن علياً كان يقول في حياة رسول الله ﷺ إن

١٦٦٨ - النسائي (٦ / ٦٢) كتاب النكاح ، باب تزوج المرأة مثلها في السن ، وإسناده حسن .

١٦٦٩ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٠٢) : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٦٧٠ - البزار : كشف الأستار (٣ / ١٨٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٠٩) .

رواه البزار والطبراني ، ورجال البزار رجال الصحيح غير أبي بلج الكبير وهو ثقة .

١٦٧١ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٠٣) : رواه الطبراني وإسناده حسن .

١٦٧٢ - الترمذي (٥ / ٦٤٣) ٥٠ - كتاب المناقب - ٢١ - مناقب علي بن أبي طالب ، وقال : هذا حديث حسن غريب .

١٦٧٣ - البزار : كشف الأستار (٢ / ٢٠١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٢٥) : رواه البزار ورجاله ثقات .

١٦٧٤ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

الله عز وجل يقول : ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قَتَلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ والله لا ننتقل على أعقابنا بعد إذ هدانا الله تعالى . والله لمن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت . والله إني لأخوه ووليه وابن عمه ووارثه فمن أحق به مني .

١٦٧٥ - * روى البخاري ومسلم عن محمد بن شهاب الزهري رحمه الله أن علي بن الحسين ابن علي حدثهم : أنهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية مقتل الحسين بن علي لقيه المسور ، فقال له : هل لك إلي حاجة تأمرني بها ؟ قال فقلت له : لا ، فقال : هل أنت معطي سيف رسول الله ﷺ ، فأني أخاف أن يغلبك القوم عليه ؟ وإني والله ، لأن أعطينيه لا يخلص إليه أبداً ، حتى تبلغ نفسي ، إن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل على فاطمة ، فسمعت رسول الله ﷺ يخطب الناس في ذلك على منبره هذا - وأنا يومئذ محتلم - فقال : « إن فاطمة مني ، وأنا أتخوف أن تفتن في دينها » قال : ثم ذكر صبراً له من بني عبد شمس ، فأثنى عليه في مصاهرته إياه فأحسن ، قال : « حدثني فصدة قتي ، ووعدني فأوفي لي ، وإني لست أحرم حلالاً ، ولا أجعل حراماً ، ولكن والله ، لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله مكاناً واحداً أبداً » .

وفي رواية ^(١) علي بن الحسين : أن المسور بن مخرمة قال : إن علياً خطب بنت أبي جهل ، وعنده فاطمة بنت النبي ﷺ ، فسمعت بذلك فاطمة فأتت رسول الله ﷺ ، فقالت : يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك ، وهذا علي ناكحاً ابنة أبي جهل ، فقام رسول الله ﷺ ، فسمعه حين تشهد يقول : « أما بعد ، فأني أنكحت أبا العاص بن الربيع ، فحدثني فصدة قتي ، وإن فاطمة بضعة مني ، وأنا أكره أن يسوؤوها » - وفي رواية أن يفتنوها - « والله ، لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله عند رجل واحد أبداً » . فترك علي الخطبة .

١٦٧٥ - البخاري (٧ / ٨٥) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ١٦ - باب ذكر أصحاب النبي ﷺ منهم أبو العاص بن الربيع .
ومسلم (٤ / ١٩٠٣) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٥ - باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ .
للبخاري ومسلم في الموضعين السابقين .

وفي أخرى ^(١) قال : سمعت النبي ﷺ يقول وهو على المنبر : « إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي فِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، فَلَا أَدْنُ لَهُمْ ، ثُمَّ لَا أَدْنُ ، إِلَّا أَنْ يَرِيدَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي ، وَيُنْكِحَ ابْنَتَهُمْ ، فَإِنَّمَا هِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي ، يَرِيئُنِي مَا رَأَاهَا ، وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا » .

وفي رواية ^(٢) مختصراً : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي ، فَمَنْ أَغْضَبَهَا فَقَدْ أَغْضَبَنِي » .

وفي أخرى ^(٣) : « إِنْ فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي ، يُؤْذِينِي مَا آذَاهَا » .

١٦٧٦ - * روى أحمد والبخاري والطبراني عن عبد الله بن الرقيم الكِنَانِي قال : خرجنا إلى المدينة زمنَ الجمل فلقينا سعد بنَ مالكٍ بها فقال : أمر رسولُ الله ﷺ بسدِّ الأبوابِ الشارعةِ في المسجد وترك بابَ علي . وزاد الطبراني في الأوسط : قالوا : يا رسول الله سددت أبوابنا كلها إلا بابَ علي ، قال : « ما أنا سددتُ أبوابكم ولكنَّ الله سَدَّهَا » .

أقول : لامنفاة بين هذا الحديث وبين سد الخوخت إلا خوخة أبي بكر فالخوخة في الاصطلاح غير الباب ، وهناك احتمال أن يكون الأمر بسد خوخت الناس من غير بيت آل رسول الله ﷺ غير خوخة أبي بكر .

١٦٧٧ - * روى أحمد وأبو يعلى عن ابن عمر قال كنا نقول في زمن رسول الله ﷺ : رسول الله ﷺ خيرُ الناس ثم أبو بكر ثم عمر ولقد أوتي ابن أبي طالب ثلاثَ خصالٍ لأنَّ

(١) البخاري (٣٢٧ / ٩) ٦٧ - كتاب النكاح - ١٩ - باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف .

ومسلم (١٩٠٢ / ٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٥ - باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ .

(٢) البخاري (١٠٥ / ٧) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٩ - باب مناقب فاطمة .

(٣) مسلم (١٩٠٢ / ٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٥ - باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ .

١٦٧٦ - أحمد في مسنده (١٧٥ / ١) ، البزار : كشف الأستار (١١٥ / ٣) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٤ / ٩) : رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط وإسناده أحمد حسن .

١٦٧٧ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٠ / ٩) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ، ورجالها رجال الصحيح .

الترمذي (٦٣٩ / ٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٢١ - باب مناقب علي بن أبي طالب .

وقال : هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من حديث الأجلح ، وقد رواه غير ابن فضيل عن الأجلح .

يكون لي واحدةٌ منهن أحبُّ إلي من حمر النعم : زوجه رسولُ الله ﷺ ابنته وولدتُ له ، وسدَّ الأبواب إلا بابه في المسجد ، وأعطاه الراية يومَ خيبر .

١٦٧٨ - * روى الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : دعا رسولُ الله ﷺ علياً يوم الطائف فانتجّاه ، فقال الناسُ : لقد طال نجواه مع ابن عمّه ، فقال رسولُ الله ﷺ : « ما انتجيتّه ، ولكنَّ الله انتجّاه » .

١٦٧٩ - * روى الطبراني عن شراحيل بن مرة قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لعلي : « أُبَشِّرُ يَا عَلِيُّ حَيَاتَكَ مَعِيَ وَمَوْتَكَ مَعِيَ » .

١٦٨٠ - * روى الطبراني عن أبي إسحاق قال : خرجتُ مع أبي إلى الجمعة وأنا غلامٌ فلما خرجَ علي فصعد المنبرَ قال لي أبي : قم أي عمرو فانظرُ إلى أمير المؤمنين . فقمْتُ فإذا هو قائمٌ على المنبر فإذا هو أبيض اللحية والرأس ، عليه إزار ورداء ليس عليه قميصٌ قال فما رأيتهُ جالساً على المنبر حتى نزل عنه قلتُ لأبي إسحاق : هل قنت ؟ قال : لا ، وفي رواية لم أراه خضِبَ لِحِيَّتَهُ ضَخْمَ الرَّأْسِ .

١٦٨١ - * روى الطبراني عن أبي الطُّفَيْل قال : جاء النبي ﷺ وعليُّ رضي الله عنه نائمٌ في الترابِ فقال : « إِنَّ أَحَقَّ أَسْمَائِكَ أَبُو تَرَابٍ ، أَنْتَ أَبُو تَرَابٍ » .

١٦٨٢ - * روى أحمد والبخاري عن عمار بن ياسرٍ أن النبي ﷺ كنَى علياً رضي الله عنه بأبي تَرَابٍ فكانت من أحبِّ كُناه إليه .

١٦٧٨ - الترمذي (٦٣٩ / ٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٢١ - باب مناقب علي بن أبي طالب . وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الأجلح وقد رواه غير ابن فضيل عن الأجلح .

١٦٧٩ - المعجم الكبير (٢٠٨ / ٧) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٢ / ٩) : رواه الطبراني وإسناده حسن . حياتك معي وموتك معي : أي أنت معي في الدنيا والآخرة .

١٦٨٠ - المعجم الكبير (٩٣ / ١) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٠ / ٩) : رواه الطبراني بأسانيد ورجاله رجال الصحيح .

لما رأيتهُ جلس على المنبر حتى نزل عنه : يعني كانت خطبة الجمعة قصيرة .

١٦٨١ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠١ / ٩) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ورجاله رجال الصحيح .

١٦٨٢ - البخاري : كشف الاستار (١٩٩ / ٢) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠١ / ٩) : رواه البخاري ورواه أحمد وغيره ورجاله أحسن ثقات .

١٦٨٣ - * روى الترمذي عن حُبُشِيِّ بن جنادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « عليٌّ مِنِّي ، وأنا من عليٍّ ، ولا يؤدِّي عني إلا أنا أو عليٌّ » .

١٦٨٤ - * روى الطبراني عن ذُوَيْبِ أَنَّ النبي ﷺ لما حَضَرَ قالت صفيّة : يا رسول الله لكل امرأة من نسائك أهلٌ تلجأ إليهم وإنك أجليت أهلي ، فإن حدثَ حدثٌ فإلى من ؟ قال : « إلى علي بن أبي طالب » .

١٦٨٥ - * روى الطبراني عن أم سلمة قالت : أشهد أني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ وَمَنْ أَبْغَضَ عَلِيًّا فَقَدْ أَبْغَضَنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ » .

١٦٨٦ - * روى أحمد والبخاري والطبراني عن عمرو بن شاس الأسلمي وكان من أصحابِ الحديبية قال : خرجتُ مع عليٍّ رضي الله عنه إلى الينِ فجفاني في سفري ذلك ، حتى وجدتُ في نفسي عليه ، فلما قدمتُ المدينة أظهرتُ شكايته في المسجد حتى سمع بذلك رسولُ الله ﷺ فدخلتُ المسجد ذاتَ غداةٍ ، ورسولُ الله ﷺ جالسٌ في ناسٍ من أصحابه فلما رأيَ أَبَدَلِي عينيهِ (يقولُ حدِّدْ إِلَيَّ النظرَ) حتى إذا جلستُ قال : « يا عمرو والله لقد أذيتني » قلتُ : أعود بالله من أذاك يا رسولَ الله قال : « بلى من آذَى عليًّا فقد آذاني » .

١٦٨٧ - * روى البخاري عن سعد بن أبي وقاصٍ أَنَّ رسولَ الله ﷺ أخذ بيدَ عليٍّ فقال : « ألسْتُ أولى بالمؤمنينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ؟ من كنتَ وليه فعليٌّ وليه » .

١٦٨٨ - * روى عبد الله بن أحمد والبخاري عن زَيْدِ بْنِ يَتِيمٍ : قال نشدَ عليٌّ رضي الله

١٦٨٣ - الترمذي (٥ / ٦٣٦) ٥٠ - كتاب المناقب - ٢١ - باب مناقب علي بن أبي طالب .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

١٦٨٤ - المعجم الكبير (٤ / ٢٣٠) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١١٢) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

١٦٨٥ - المعجم الكبير (٣ / ٣٨٠) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٣ / ١٣٢) رواه الطبراني وإسناده حسن .

١٦٨٦ - أحمد (٣ / ٤٨٣) ، والبخاري : كشف الأستار (٢ / ٢٠٠) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٢٩) وقال : رواه

أحمد والطبراني باختصار والبخاري أخصر منه ورجاله أحمد ثقات .

١٦٨٧ - البخاري : كشف الأستار (٣ / ١٨٧) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٠٧) : رواه البخاري ورجاله ثقات .

١٦٨٨ - عبد الله بن أحمد في زياداته على المسند (١ / ١١٨) ، والبخاري : كشف الأستار (٣ / ١٩٠) وقال الهيثمي في مجمع =

عنه الناس في الرحبة من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خُم لما قام : قال فقَام من قبل سعيد ستة ومن قبل زيد سبعة فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خُم لعلي : « أليس أنا أولى بالمؤمنين ؟ » قالوا : بلى قال : « اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » .

١٦٨٩ - * روى أحمد عن علي : أن رسول الله ﷺ قال يوم غدیر خُم : « من كنت مولاه فعلي مولاه » قال : وزاد الراوي بعد وال من والاه وعاد من عاداه .

١٦٩٠ - * روى عبد الله بن أحمد وأبو يعلى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : شهدت علياً في الرحبة يناشد الناس : أنشد الله من سمع رسول الله ﷺ يقول في يوم غدیر خُم : « من كنت مولاه فعلي مولاه » لما قام فشهد . قال عبد الرحمن فقَام اثنا عشر بدرياً كأني أنظر إلى أحدهم عليه سراويل . فقالوا : نشهد أنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خُم : « ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمهاتهم » قلنا : بلى يا رسول الله قال : « فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » .

١٦٩١ - * روى الطبراني عن زيد بن أرقم قال : نشد علي الناس : أنشد الله رجلاً سمع النبي ﷺ يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » فقَام اثنا عشر بدرياً فشهدوا بذلك . وكنتُ حينئذٍ فذهب بصري .

١٦٩٢ - * روى البزار عن عمرو بن ذي مر وسعيد بن وهب وعن زهير بن يثيع :

= الزوائد (١٠٧ / ٩) : رواه عبد الله والبزار وإسنادهما حسن .

١٦٨٩ - رواه عبد الله بن أحمد في زياداته على المسند (١٥٢ / ١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٧ / ٩) : رواه أحمد ورواته ثقات .

١٦٩٠ - أحمد في مسنده (١١٩ / ١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٥ / ٩) وقال : رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا وعبد الله بن أحمد .

١٦٩١ - المعجم الكبير (١٧٥ / ٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٦ / ٩) : رواه الطبراني في الكبير ، والأوسط خالياً من ذهاب البصر والكتان ودعاء علي وفي رواية عنده « وكان علي دعا على من كتم » ورجاله الأوسط ثقات .

١٦٩٢ - البزار : كشف الأستار (١٩١ / ٣) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٥ / ٩) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة .

قالوا : سمعنا علياً يقول : نَشَدْتُ اللَّهَ رَجُلًا سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ يَوْمَ غَدِيرِ خَمٍّ لَمَّا قَامَ ، فَقَامَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَشَهِدُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ » قالوا بلى يا رسولَ الله ، قال : فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ فَقَالَ : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاَهُ فَهَذَا مَوْلَاَهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَأَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ وَأُبْغِضْ مَنْ يُبْغِضُهُ وَأَنْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ » .

١٦٩٣ - * روى أحمد عن سعيد بن وهب قال : نَشَدَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّاسَ فَقَامَ خَمْسَةٌ أَوْ سِتَّةٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَشَهِدُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاَهُ » .

١٦٩٤ - * روى أحمد عن أبي الطفيل قال : جَعَلَ عَلِيٌّ النَّاسَ فِي الرَّحْبَةِ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : أَنْشُدُوا بِاللَّهِ كُلَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ يَوْمَ غَدِيرِ خَمٍّ مَا قَالَ لَمَّا قَامَ فَقَامَ إِلَيْهِ ثَلَاثُونَ مِنَ النَّاسِ ، قَالَ أَبُو نَعِيمٍ : فَقَامَ نَاسٌ كَثِيرٌ فَشَهِدُوا حِينَ أَخَذَ بِيَدِهِ فَقَالَ : « أَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ » قالوا : بلى يا رسولَ الله قال : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاَهُ فَهَذَا مَوْلَاَهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ » قال فخرجت كأن في نفسي شيئاً فلقيت زيد بن أرقم فقلت له : إني سمعت علياً يقول كذا وكذا قال : فما تنكر قد سمعت رسولَ الله ﷺ يقول ذلك .

١٦٩٥ - * روى أحمد عن رباح بن الحارث قال : جَاءَ رَهْطٌ إِلَى عَلِيٍّ بِالرَّحْبَةِ قَالُوا السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا مَوْلَانَا ، فَقَالَ : كَيْفَ أَكُونُ مَوْلَاكُمْ وَأَنْتُمْ قَوْمُ عَرَبٍ ، قَالُوا سَمِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ غَدِيرِ خَمٍّ يَقُولُ : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاَهُ فَهَذَا مَوْلَاَهُ » قال رباح فلما مضوا تبعتهم فقلت : من هؤلاء ؟ قالوا : نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري .

وفي رواية للطبراني قالوا : سمعنا رسولَ الله ﷺ يقول : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاَهُ فَعَلِيٌّ

١٦٩٣ - أحمد في مسنده (٢٦٦ / ٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٤ / ٩) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

١٦٩٤ - أحمد في مسنده (٢٧٠ / ٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٤ / ٩) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة .

١٦٩٥ - أحمد في مسنده (٤١٩ / ٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رواه أحمد والطبراني ورجاله أحمد ثقات .

مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ » وهذا أبو أيوب بيننا فحسر أبو أيوب العمامة عن وجهه ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَقَلِيَّ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ » .

أقول : بنى الشيعة على حديث غدير خم مذهبهم كله في أن الخلافة محصورة في علي وذريته ، ونحن أكثرنا من روايات غدير خم ليعرف أن أهل السنة لم ينكروا الحديث ولكنهم لم يبنوا عليه ما بنى الشيعة ، وأنت ترى من الروايات صحة ما ذهب إليه أهل السنة في فهم الحديث ، ولا شك أن قضية الخلافة قضية حساسة جداً ، ولا شك أنه إذا تساوى اثنان في كل شيء وكان أحدهما من آل بيت رسول الله ﷺ فإن كل مسلم يرى بفطرته أن يقدم من كان من آل بيت رسول الله ﷺ .

١٦٩٦ - * روى الطبراني عن صهيب مولى العباس قال : أرسلني العباس إلى عثمان أدعوه فأتيناه فإذا هو يغدي الناس ، فدعوته فأتاه فقال : أفلح الوجه أبا الفضل قال : ووجهك أمير المؤمنين . قال : ما زدت على أن أتاني رسولك وأنا أغدي الناس فغديتهم ثم أتيتك فقال العباس : أذكرك الله في علي فإنه ابن عمك وأخوك في دينك وصاحبك مع نبيك ﷺ وصهرك ، وأنه قد بلغني أنك تريد أن تقوم بعلي وأصحابه فاعفني من ذلك يا أمير المؤمنين . فقال عثمان : إن أول ما أجيبك أي قد شفعتك في علي إن علياً لو شاء ما كان أحد دونه ولكنه أبي إلا رأيته . ثم بعث إلى علي فقال : أذكرك الله في ابن عمك وابن عمتك وأخيك في دينك وصاحبك مع رسول الله ﷺ وولي بيعتك فقال : والله لو أمرني أن أخرج عن داري لخرجت .

أقول : الظاهر أن شيئاً ما وقع بين عثمان وعلي رضي الله عنهما ، وأراد عثمان أن يعاقب علياً ، فتشفع العباس لعلي ونصح في الوقت نفسه علياً ، فكان جواب الاثنين ما يقتضيه مقامهما .

ومن هنا نأخذ درساً أنه مهما علت الرتبة فقد يقع شيء ما بين أصحاب ذلك ، وعلي

أهل الفضل أن يتدخلوا فيشفعوا .

١٦٩٧ - * روى أبو يعلى عن أبي سعيد الخدري قال : كنا عند بيت النبي ﷺ في نفر من المهاجرين والأنصار ، فقال : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ ؟ » قالوا : بلى قال : « الموفون المطيبون إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْحَفِيَّ التَّيَّيَّ » قال ومرّ علي بن أبي طالب فقال : « الحقُّ مع ذا الحقُّ مع ذا » .

١٦٩٨ - * روى أبو يعلى والبخاري عن علي قال : أتاني عبدُ الله بن سلام وقد وضعت قدمي في الغُرْز فقال لي : لا تقدّم العراق ، فإني أخشى أن يصيبك بها دُبابُ السيف . قال علي : وإيم الله لقد أخبرني به رسولُ الله ﷺ . قال أبو الأسود : فما رأيتُ كالْيَوْمِ قَطُّ محارباً يخبر بذأ عن نفسه .

١٦٩٩ - * روى أحمد عن أبي سعيد قال : كنا جلوساً ننتظر رسول الله ﷺ فخرج علينا من بعض بيوت نساءه قال فقمنا معه فانقطعت نعلهُ فتخلّفت عليها عليٌ يخصفها ، ومضى رسولُ الله ﷺ ومضينا معه . ثم قام ينتظره وقنا معه فقال : « إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ هَذَا الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ » فاستشرّفنا وفيما أبو بكر وعمر فقال : « لا ، وَلَكِنَّهُ خَاصِفُ النَّعْلِ » قال : فجئنا نبشّره : فكأنه قد سمعه .

١٧٠٠ - * روى البخاري عن شفيق بن عبد الله قال : دخل أبو موسى وأبو مسعود على

١٦٩٧ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أبو يعلى ورجاله ثقات .

المطيبون : المطهرون .

الحفّي : المبالغ في الإكرام . والعالم يتعلم باستقصاء .

١٦٩٨ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٢٨) : رواه أبو يعلى والبخاري بنحوه ، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح غير إسحاق بن أبي إسرائيل وهو ثقة مأمون .

الغُرْز : أي الركاب . والغُرْز يكون للإبل .

دُبابُ السيف : طرفه الذي يضرب به .

بذاعين نفسه : بخضوعها وإقرارها . يقال أذعن وذعن .

١٦٩٩ - أحمد في مسنده (٢ / ٨٢) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة .

١٧٠٠ - البخاري (١٣ / ٥٣) ٩٢ - كتاب الفتن ، باب : ١٨٠ .

عمارٍ حيث أتى الكوفة ليستنفر الناس ، فقالا : ما رأينا منك أمراً منذ أسلمت أكرة عندنا من إشراعيك في هذا الأمر ؟ فقال : ما رأيت منك أمراً منذ أسلمت أكرة عندي من إبطائكما عن هذا الأمر ، قال : ثم كساهما حلة .

وفي أخرى قال : كنت جالساً مع أبي موسى وأبي مسعود وعمار ، فقال أبو مسعود : ما من أصحابك من أحدٍ إلا لو شئت لقلت فيه ، غيرك ، وما رأيت منك شيئاً منذ صحبت رسول الله ﷺ أعيب عندي من استشراعيك في هذا ؟ فقال عمار : يا أبا مسعود ، وما رأيت منك ولا من صاحبك هذا شيئاً منذ صحبت رسول الله ﷺ أعيب عندي من إبطائكما في هذا الأمر ، فقال أبو مسعود - وكان موسراً - : يا غلام ! هاتِ حلتين ، فأعطي إحداها أبا موسى ، والأخرى عماراً ، وقال : روحا فيها إلى الجمعة .

١٧٠١ - * روى البخاري عن أبي مريم عبد الله بن زياد الأسدي قال : لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة بعث عليّ عمار بن ياسر وحسن بن عليّ فقدمنا علينا الكوفة فصدنا المنبر ، فكان الحسن بن عليّ فوق المنبر في أعلاه وقام عمار أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه ، فسمعت عماراً يقول : إن عائشة قد سارت إلى البصرة ، والله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة ، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليتعلم إياه تطيعون أم هي ؟

وفي أخرى ^(١) له عن أبي وائل : قام عمار على منبر الكوفة فذكر عائشة وذكر مسيرها وقال : إنها زوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة ، ولكنها مما ابتليت .

١٧٠٢ - * روى البخاري عن أبي بكر رضي الله عنه قال : لقد نفعتني الله بكلمة أيام الجمل ، لما بلغ النبي ﷺ أن فارساً ملكوا ابنة كسرى قال : « لن يفليح قومٌ ولّوا أمرهم امرأة » .

١٧٠٣ - * روى الترمذي عن أبي بكرة قال : عصمني الله عز وجل بشيء سمعته من

١٧٠١ - البخاري (١٣ / ٥٢) ٩٢ - كتاب الفتن باب : ١٨ .

(١) البخاري في نفس الموضع السابق .

١٧٠٢ - البخاري في نفس الموضع السابق .

١٧٠٣ - الترمذي (٤ / ٥٢٧) ٣٤ - كتاب الفتن ، باب : ٧٥ .

رسول الله ﷺ : لَمَّا هَلَكَ كِشْرَى قَالَ : « مَنْ اسْتَخْلَفُوا ؟ » قَالُوا : ابْنَتْهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أُمِرَهُمْ امْرَأَةٌ » فَلَمَّا قَدِمَتْ عَائِشَةُ - يَعْنِي : الْبَصْرَةَ - ذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَعَصَمَنِي اللَّهُ بِهِ .

١٧٠٤ - * روى الطبراني عن جُزَيِّ بْنِ سَرَّةَ قَالَ : لَمَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ انْطَلَقْتُ حَتَّى أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَأَتَيْتُ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ وَهِيَ مِنْ بَنِي هَلَالٍ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهَا فَقَالَتْ مَنْ الرَّجُلُ ؟ قُلْتُ : مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ . قَالَتْ : مَنْ أَيْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ؟ قُلْتُ : مَنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ . قَالَتْ : مَنْ أَيْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ؟ قُلْتُ : مَنْ بَنِي عَامِرٍ . قَالَتْ : مَرْحَبًا ، قَرِيبًا عَلَى قَرَبٍ وَرَحْبًا عَلَى رَحْبٍ . فَجِئْتُ مَا جَاءَ بِكَ ؟ قُلْتُ : كَانَ بَيْنَ عَلِيٍّ وَطَلْحَةَ الَّذِي كَانَ ، فَأَقْبَلْتُ فَبَايَعْتُ عَلِيًّا . قَالَتْ : فَالْحَقُّ بِهِ فَوَاللَّهِ مَا ضَلُّ وَلَا ضَلُّ بِهِ حَتَّى قَالَتْهَا ثَلَاثًا .

١٧٠٥ - * روى الحاكم عن قيس بن عباد قال : دخلتُ أنا والأشترُ على علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم الجمل ، فقلْتُ : هَلْ عَهْدُ إِلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَهْدًا دُونَ الْعَامَةِ ؟ فَقَالَ : لَا إِلَّا هَذَا . وَأَخْرَجَ مِنْ قِرَابِ سَيْفِهِ فَإِذَا فِيهَا : الْمُؤْمِنُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ ، وَهُمْ يَدُ عَلَى مَنْ سَوَاهُمْ ، لَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ بَكَافِرٍ وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ .

١٧٠٦ - * روى الحاكم عن يزيد بن ضُبَيْعَةَ الْعَبْسِيِّ قَالَ : نَادَى مُنَادِي عَمَارٍ يَوْمَ الْجَمَلِ وَقَدْ وَلَّى النَّاسُ : أَلَا لَا يُذَافُ عَلَى جَرِيحٍ ، وَلَا يَقْتُلُ مَوْلٌ وَمَنْ أَلْقَى السَّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ . فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْنَا .

١٧٠٤ - المعجم الكبير (٢٤ / ١) وقال الميثقي في جمع الزوائد (١ / ١٢٥) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير جُزَيِّ بْنِ سَرَّةَ وهو ثقة .

١٧٠٥ - المستدرک (٢ / ١٤١) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وواقعه الذهبي .

١٧٠٦ - المستدرک (٢ / ١٥٥) وبكت عنه وصححه الذهبي .

نادى منادي عمار... في ابن كثير : ونادى منادي علي : إنه لا يتبع مدبر ولا يذفُّ على جريح ولا يدخلوا الدور .

الناس : جيش طلحة والزبير .

يُذَافُ على جريح : يجهز عليه .

أقول : ومن هذا النص وأمثاله أخذ العلماء أحكام قتال الخوارج والبغاة وهي كلها مما سنه علي رضي الله عنه ، وأما قوله فشق ذلك على الناس فعناه : أن الناس كانوا يطمعون بأن يفعلوا بمن قاتلوه أكثر مما فعلوا ، وأن يسبوا وأن يأسروا . فلما جاءهم أمر علي حال بينهم وبين هذه الرغبات .

١٧٠٧ - * روى الحاكم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : شهدت صيفين فكانوا لا يُجهزون على جريح ولا يقتلون مولياً ولا يسلبون قتيلاً .

١٧٠٨ - * روى البزار عن شقيق قال : قيل لعلي ألا تستخلف ؟ قال : ما استخلف رسول الله ﷺ فاستخلف عليكم ، وإن يُرد الله تبارك وتعالى بالناس خيراً فسيجمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم .

١٧٠٩ - * روى أبو يعلى عن عبد الله بن سبيع : قال : قيل لعلي ألا تسخلف ؟ قال : لا ، ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله ﷺ .

١٧١٠ - * روى الطبراني عن أبي بكر بن أبي شيبة قال : قتل علي سنة أربعين ، وكانت خلافته خمس سنين وستة أشهر .

١٧١١ - * روى الطبراني عن يحيى بن بكير قال : قتل علي بن أبي طالب يوم الجمعة يوم سبْعَ عَشْرَةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سنة أربعين .

١٧١٢ - * روى الطبراني عن محمد بن علي بن الحسين قال : توفي علي وهو ابن ثمان وخمسين .

١٧٠٧ - المستدرک (٢ / ١٥٥) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

١٧٠٨ - قال الهيثبي في المجمع : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن أبي الحارث وهو ثقة .

١٧٠٩ - قال الهيثبي في مجمع الزوائد (٥ / ١٩٧) : رواه أبو يعلى ورجاله ثقات .

١٧١٠ - المعجم الكبير (١ / ١٠٦) ، وقال الهيثبي في مجمع الزوائد (٩ / ١٤٦) : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٧١١ - المعجم الكبير (١ / ٩٥) ، وقال الهيثبي في مجمع الزوائد (٩ / ١٤٥) : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٧١٢ - المعجم الكبير (١ / ٩٦) ، وقال الهيثبي في مجمع الزوائد (٩ / ١٤٥) : رواه رجال الصحيح .

١٧١٣ - * روى أحمد عن أبي عبد الله الجَدِّي قال : دخلتُ عليَّ أمّ سلمة فقالت لي :
أَيُسَبُّ رسولُ اللَّهِ ﷺ فيكم ؟! قلت : معاذَ اللَّهِ ، أو سبحانَ اللَّهِ أو كلمة نحوها ، قالت :
سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّنِي » .

١٧١٤ - * روى عبد الله بن أحمد عن عاصم بن بهدلة قال : قلت للحسن بن علي :
الشيعة يزعمون أن علياً يرجع . قال : كَذِب ، أولئك الكذّابون ، لو علمنا ذلك ما تزوج
نساءؤه ولا قسمنا ميراثه .

قوله : (الشيعة يزعمون أن علياً يرجع) : الذي زعم ذلك عبد الله بن سبأ من غلاتهم .

١٧١٥ - * روى الترمذي عن ابن عمر : لما آخى النبي ﷺ بين أصحابه جاء عليٌّ تدمع
عيناه ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد ، فسمعتُه ﷺ
يقول : « أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » .

١٧١٦ - * روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن معاوية قال له : ما
يمنعك أن تسب أبا تراب ؟ فقال : أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسولُ اللَّهِ ﷺ فلن أسبّه ،
لأن تكون لي واحدة منهن أحبُّ إليَّ من حمر النعم ، سمعتُه ﷺ يقولُ له وخلفه في بعض
مغازيه ، فقال له علي : يا رسولَ اللَّهِ خَلَفْتَنِي مع النساء والصبيان ، فقال له ﷺ : « أَمَا
تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي » وسمعتُه يَقُولُ
يومَ خيبر : « لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » فَتَطَاوَلْنَا
لَهَا ، فقال : « ادْعُوا لِي عَلِيًّا » فَأَتَى بِهِ أُرْمَدَ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ ودفع الرايةَ إِلَيْهِ ، ففتحَ اللَّهُ
عليه . ولما نزلتْ هذه الآية : ﴿ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ ^(١) دعا رسولُ اللَّهِ ﷺ علياً

١٧١٣ - أحمد في مسنده (٢٢٣ / ٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٠ / ٩) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي
عبد الله الجَدِّي وهو ثقة .

١٧١٤ - قال الهيثمي في الجمع : رواه عبد الله بن أحمد وإسناده جيد .

١٧١٥ - الترمذي (٦٣٦ / ٥) ٥٠ - كتاب المناقب ، باب ٢١ ، وقال : هذا حديث حسن غريب .

١٧١٦ - مسلم (١٨٧١ / ٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤ - باب من فضائل علي بن أبي طالب .

آل، عمران : ٦١ .

وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : « اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي » .

١٧١٧ - * روى النسائي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كَانَ لِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَاعَةٌ آتِيهِ فِيهَا فَإِذَا أَتَيْتُهُ اسْتَأْذَنْتُ إِنْ وَجَدْتُهُ يُصَلِّي فَتَتَحَنَّنَ دَخَلْتُ وَإِنْ وَجَدْتُهُ قَارِعًا أَذِنَ لِي .

وفي رواية (١) : كَانَ لِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَدْخَلَانِ مَدْخَلٌ بِاللَّيْلِ وَمَدْخَلٌ بِالنَّهَارِ فَكُنْتُ إِذَا دَخَلْتُ بِاللَّيْلِ تَتَحَنَّنَ لِي .

١٧١٨ - * روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بعث النبي ﷺ براءة مع أبي بكر ، ثم دعاه فقال : « لَا يَتَّبِعِي لِأَحَدٍ أَنْ يَبْلُغَ هَذَا إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي » فدعا علياً ، فأعطاه إياها .

١٧١٩ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر ، وأمره أن ينادي بهؤلاء الكلمات ، ثم أتبعه علياً ، فبينما أبو بكر ببعض الطريق ، إذ سمع رُغَاءَ ناقة رسول الله ﷺ القِصْوَاء ، فخرج أبو بكر فَرِعَاءً فظن أنه رسول الله ﷺ ، فإذا هو علي ، فدفع إليه كتاب رسول الله ﷺ ، وأمر علياً أن ينادي بهؤلاء الكلمات فانطلقا ، فحجَّا ، فقام علي أيام التشريق ينادي : ذِمَّةُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ بِرِيَّةٌ مِنْ كُلِّ مُشْرِكٍ ، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ، وَلَا يَخْجَنَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ ، وَلَا يَطُوفَنَّ بَعْدَ الْيَوْمِ عُرْيَانٌ ، وَلَا يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، قال : فكان علي ينادي بهؤلاء الكلمات ، فإذا

١٧١٧ - النسائي (٢ / ١٢) كتاب السهو ، باب التَّحَنُّنِ فِي الصَّلَاةِ .

(١) النسائي في نفس الموضع السابق .

١٧١٨ - الترمذي (٥ / ٢٧٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ١٠ - باب ومن سورة التوبة ، وقال : هذا حديث حسن غريب من حديث أنس بن مالك .

١٧١٩ - الترمذي (٥ / ٢٧٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ١٠ - باب ومن سورة التوبة . وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن عباس .

الرُّغَاءُ : صوت البعير .

القِصْوَاء : بالمد : لقب ناقة رسول الله ﷺ ، ولم تكن قصواء ، فإن القِصْوَاء : هي المشقوقة الأذن من النوق .

ذِمَّةُ اللَّهِ : الذِّمَّةُ : العهد والأمان .

ساح : في الأرض : إذا ذهب منها حيث أراد .

عبي قام أبو بكر ، فنادى بها .

١٧٢٠ - * روى أبو يعلى عن أبي بكر بن خالد بن عَرْفُطَة أنه أتى سعد بن مالك بن أبي وقاص فقال : بلغني أنكم تعرضون عن سب علي بالكوفة فهل سببته ؟ قال : معاذ الله ، والذي نفس سعد بيده لقد سمعتُ من رسول الله ﷺ يقول في علي شيئاً لو وُضع المنشأ على مفريقي ما سببته أبداً .

١٧٢١ - * روى الطبراني عن قيس بن عباد قال : شهدتُ علياً يومَ الجمل يقول لابنه حسن : يا حسنُ وِدِدْتُ أُنِي مَتُّ مِنْذُ عَشْرِينَ سَنَةً .

١٧٢٢ - * روى البخاري عن محمد بن علي رحمه الله أن حَرْمَلَةَ - مولى أسامة - أخبره قال : أرسلني أسامة إلى عليٍّ ليعطيني ، وقال : إنه سَيَسْأَلُكَ الآنَ ، فيقول : ما خَلَفَ صاحبُكَ ؟ فقل له : يَقُولُ لَكَ : لو كنت في شِدْقِ الأسدِ لأحببتُ أن أكونَ معكَ فيه ، ولكنَّ هذا أمرٌ لم أرهُ ، فلم يعطيني شيئاً ، فذهبتُ إلى حسنٍ وحُسَيْنِ وابنِ جعفر ، فأوقروا لي راحِلتي .

١٧٢٣ - * روى الطبراني عن أبي سنان الدُّؤَلِي أنه عاد علياً في شكوى اشتكاها ، فقال له : لقد تخوفنا عليك في شكواك هذه فقال : لكني والله ما تخوفتُ على نفسي منه لِأَنِّي سمعتُ الصادق المصدوق ﷺ يقول : « إِنَّكَ سَتَضْرِبُ ضَرْبَةً هُنَا وَضَرْبَةً هَاهُنَا » وأشار إلى صَدْغِهِ « فَيَسِيلُ دَمُهَا حَتَّى تَخْضَبَ لِحْيَتُكَ ، وَيَكُونُ صَاحِبُهَا أَشَقَّاهَا كَمَا كَانَ عَاقِرُ النَّاقَةِ أَشَقَى ثَمُودَ » .

١٧٢٠ - مجمع الزوائد (١٢٠ / ٩) . وقال : رواه أبو يعلى وإسناده حسن .

١٧٢١ - المعجم الكبير (١١٤ / ١) .

مجمع الزوائد (١٥٠ / ٩) . وقال : رواه الطبراني وإسناده جيد .

١٧٢٢ - البخاري (٦١ / ٣) ٩٢ - كتاب الفتن - ٢٠ - باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي « إن ابني هذا لسيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين » .

فأوقروا لي راحلتي : الوقر : الحمل والثقل ، والراحلة : البعير القوي على الأسفار والأعمال .

١٧٢٣ - المعجم الكبير (١٠٦ / ١) .

مجمع الزوائد (١٢٧ / ٩) . وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن .

١٧٢٤ - * روى الطبراني عن طلحة بن مضرّ أن علياً انتهى إلى طلحة بن عبيد الله وقد مات ، فنزل عن دابته وأجلسه فجعل يسحّ الغبار عن وجهه ولحيته وهو يترحم عليه وهو يقول : ليتني ميت قبل هذا اليوم بعشرين سنة .

١٧٢٥ - * روى الطبراني عن ابن سيرين قال : لما قيل لسعد بن أبي وقاص ألا تقاتل إنك من أهل الشورى وأنت أحقّ بهذا الأمر من غيرك قال : لا أقاتل حتى يأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان يعرف المؤمن من الكافر ، فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد .

١٧٢٦ - * روى البزار عن زيد بن وهب قال : بينا نحن حول حذيفة إذ قال : كيف أنتم وقد خرج أهل بيت نبيكم ﷺ فرقتين يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف ؟ فقلنا : يا أبا عبد الله وإن ذلك لكائن فقال بعض أصحابه يا أبا عبد الله فكيف نصنع إن أدركنا ذلك الزمان ؟ قال : انظروا الفرقة التي تدعو إلى أمر علي فالزموها ، فإنها على الهدى .

١٧٢٧ - * روى أحمد والبزار عن أبي رافع أن النبي ﷺ قال لعلي : « إِنَّهُ سَيَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَائِشَةَ أُمُّرٌ » قال : أنا يارسول الله ؟ قال : « نَعَمْ » قال : أنا من بين أصحابي ؟ قال : « نَعَمْ » قال : أنا أشقاهم يارسول الله ؟ قال : « لا ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَأَرْدُهَا إِلَى مَأْمَنِهَا » .

١٧٢٨ - * روى أحمد وأبو يعلى والبزار عن قيس بن أبي حازم : أن عائشة لما نزلت على الحوَّاب سمعت نباح الكلاب ، فقالت : ما أظنني إلا راجعة ، سمعت رسول الله ﷺ يقول لنا « أَيْتَكُنَّ تَنْبَحَ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوَّابِ ؟ » فقال لها الزبير : لا ترجعي عسى الله أن يصلح بك بين الناس .

١٧٢٤ - مجمع الزوائد (٩ / ١٥٠) . وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن .

١٧٢٥ - للمعجم الكبير (١ / ١٤٤) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٩٩) . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

١٧٢٦ - البزار : كشف الأستار (٤ / ٩٧) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢٣٦) : رواه البزار ورجاله ثقات .

١٧٢٧ - أحمد في مسنده (٦ / ٣٩٣) ، والبزار : كشف الأستار (٤ / ٩٣) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢٣٤) :

رواه أحمد والبزار والطبراني ورجاله ثقات .

١٧٢٨ - أحمد في مسنده (٦ / ٩٧) ، والبزار : كشف الأستار (٤ / ٩٤) ، وقال الهيثمي . في مجمع الزوائد (٧ / ٢٣٤) :

رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح .

١٧٢٩ - * روى البزار عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ لنسائه : « ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأذيب ، تخرج فتنبحها كلاب حوَّابٍ ، يقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثيراً ، ثم تنجو بعد ما كادت » .

١٧٣٠ - * روى الطبراني عن ابن عمر قال : لم أجدي آسى على شيء إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية مع علي .

أقول : بعد أن قتل عمار الذي وردت النصوص مبينة أنه تقتله الفئة الباغية ، تبين للمتريدين أن علياً كان على حق وأن القتال معه كان واجباً ، ولذا عبّر ابن عمر عن تخلفه بأنه يأسى بسبب هذا التخلف ، وما ذلك إلا أنه ترك واجباً وهو نصرة الإمام الحق على الخارجين عليه بغير حق كما أفق بذلك الفقهاء .

١٧٣١ - * روى أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لرجلين يختصمان في رأس عمار : يقول كل واحد منهما أنا قتلتها ، فقال عبد الله : ليطب به أحداً نفساً لصاحبه ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تَقْتُلُ الْفِتَّةَ الْبَاغِيَّةَ » فقال معاوية : فما بالك معنا ؟ قال : إن أبي شكاني إلى النبي ﷺ ، فقال : « أَطِيعُ أَبَاكَ مَا دَامَ حَيًّا وَلَا تَعْصِهِ » فأنا معكم ولست أقاتل .

١٧٣٢ - * روي البخاري ومسلم عن الأحنف بن قيس قال : خرجت وأنا أريد هذا الرجل ، فلقيني أبو بكر فقال : أين تريد يا أحنف ؟ قلت : أريد نصر ابن عم رسول الله ﷺ . فقال : يا أحنف ارجع فإني سمعته ﷺ يقول : « إِذَا تَوَاجَعَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيفَيْهِمَا ، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ » فقلت أوقيل : يا رسول الله ، هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : « إِنَّهُ كَانَ قَدْ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ » .

١٧٢٩ - البزار : كشف الأستار (٤ / ٩٤) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢ / ٢٣٤) : رواه البزار ورجاله ثقات . الأذيب : الكثير وبر الوجه .

١٧٣٠ - قال الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني في الكبير بأسانيد ، وأحدها رجاله رجال الصحيح .

١٧٣١ - أحمد في مسنده (٢ / ١٦٤) .

١٧٣٢ - البخاري (١٣ / ٣١) ٩٢ - كتاب الفتن - ١٠ - باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما . ومسلم (٤ / ٢٢١٣) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة - ٤ - باب إذا تواجها المسلمان بسيفيهما .

أقول : إن القتال مع علي كان حقاً وصواباً ومن قتل معه فهو شهيد وله أجران ، ولكن أبا بكرة حمل حديثاً ورد في غير الحالة قاتل فيها علي على حالة قتال الباغين وهو فهم منه رضي الله عنه ولكنه فهم في غير محله . ومن هذه الرواية ندرك أن عقبات متعددة واجهت علياً رضي الله عنه في معركته مع الآخرين منها أمثال هذه الفتاوى التي هي أثر عن ورع أكثر منها أثر عن فتوى تصيب محلها .

* * *

تعليقات

ورث الإمام علي رضي الله عنه الحكم ، والفتنة قائمة فلم يستطع السيطرة الكاملة على دفعة الأمور رغم العلم والحزم والشجاعة والبطولة والفضل وذلك في رأيي يرجع إلى أمور :

١ - عدم مراعاة المستجدات التي طرأت على النفسية الإسلامية وعلى المجتمع الإسلامي ، فلقد تلبست النفسية المسلمة في الدنيا فكان لابد أن تتأسس من خلال دين ودنيا ، ولم يكن أبو الحسن عنده استعداد لذلك .

٢ - عدم استعمال الدهاء اعتماداً على صولة الحق وحده في مخاطبة المسلمين ، بينما حدث وضع جديد يخالف الوضع الذي كان عليه الحال في حياة رسول الله ﷺ ، فالرسول ﷺ كان وراءه المجتمع الإسلامي كله ، والحرب كانت مع الكافرين ، فالخدعة كانت تنصب عليهم لكن ههنا مجتمع انقسم على نفسه ، فههنا كان لابد للدهاء أن يعمل عمله .

٣ - اختلط حق بخطأ في مواقف كل الأطراف ولذلك كان من الصعب جداً أن يتخلى كل طرف عن قناعاته ، فالمطالبة بدم عثمان كانت لا تحتل عند أصحابها جدلاً ، وكون علي هو الخليفة الشرعي وهو الأحق بالخلافة كانت لا تحتل جدلاً ، وفي جو كهذا كان لابد من سلب دعاوى الشرعية من الخصوم ، ولم يكن أبو الحسن في وضع يسمح له بذلك .

٤ - كان التآمر جديداً على الأمة الإسلامية وكانت التصورات تحول دون التدبير المكافئ لهذا التآمر . لذلك استطاع التآمر أن يعمل عمله دون أن يستطيع أحد السيطرة عليه .

٥ - كان اعتماد أبي الحسن على رأيه وعزمه أكثر من اعتماده على من حوله ، وكان الرجال الذين هم على مستوى المرحلة أقل من المطلوب ، ولذلك كانت التعبئة النفسية أقل من اللازم ، وكانت الأمور تنتقص واحداً بعد واحد .

٦ - وأهم من هذا كله أنّ الحماس المتأجج للصراع ضدّ الكافرين لم يكن هو نفسه عند أهل الحق في الصراع ضد المسلمين ، وكان المفروض أن يكون رصيد الإمام هم أصحاب رسول الله ﷺ ، ولكن الكثيرين من هؤلاء تهبوا سفك الدم المسلم .

٧ - ومع ذلك فأبو الحسن هو الخليفة الراشد القدوة المهدي وقد سن لنا سنناً ، سنّ لنا كيف نتعامل مع البغاة ، وسن لنا القتال من أجل الوحدة الإسلامية وإذا كانت هذه الوحدة لا تتم إلا بفناء المسلمين فقد سنّ لنا التسليم بتعدد الأقطار والحكام ، ولقد كان عليه الرضوان امتداداً لعصر النبوة في تفكيره وتصرفاته ولكن الناس تغيروا ، وما نحب أن تتغير ، ولكن لابد أن نأخذ العبرة فنعامل مع الزمان والمكان على حسب ما تجيزه الفتوى وتقتضيه المصلحة .

إن هذه الفتن الهائلة التي حدثت بين علي من جهة وطلحة والزبير وعائشة من جهة أخرى وبين علي من جهة وبين معاوية من جهة أخرى ، كان فيها علي على الحق والصواب وكان الآخرون متأولين وكانوا مخطئين ، ولكن ثقتهم بصواب ما ذهبوا إليه كانت كبيرة جداً ، لذلك استرخصوا دماءهم في سبيلها ، فلقد كانوا مقتنعين أنّ عثمان قد قتل ظلماً وأن قتله يجب أن يحاسبوا وأن علياً لم يحاسبهم بل أصبحوا جزءاً من جنده ، فكانوا يرون أن علياً ظالم بحايته لهؤلاء الناس ، وكان علي رضي الله عنه يعتبر نفسه وهو على حق في ذلك الخليفة الراشد وأن من يطيعه ومن بايعه وأخلص له هو الذي تتمثل به جماعة المسلمين ، ولو أنه حاسب هؤلاء لفرط عقد جماعة المسلمين فتأول في ألا يبدأ في محاسبتهم ، وهو الأعم بالأحكام وصاحب الترجيح في كل قضية خلافية بحكم أنه إمام ، وهكذا حدث الصراع المفجع وكل من الأطراف لا يشك أنه على حق وهم خير الخلق بشهادة النصوص ، فلذلك فنحن نعتقد أن المخلصين من كان مع علي على حق وصواب وهم مأجورون مرتين ، وأن المخلصين من كان ضده مخطئون في اجتهادهم ولهم أجر واحد ، وفي هؤلاء وهؤلاء من نكل أمرهم إلى

١٧١٢

الله عز وجل ممن لم تكن لهم نية صادقة أو كان عندهم مطامح شخصية أو عندهم سوء نية أو
لم يكونوا مخلصين في إسلامهم وهكذا .

* * *

عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

قال ابن حجر في ترجمته : عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدي ، أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق .. ولد عام الهجرة وحفظ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو صغير ، وحدث عنه بجملة من الحديث وعن أبيه وعن أبي بكر وعمر وعثمان وخالته عائشة وسفيان بن أبي زهير وغيرهم ، وهو أحد العبادلة وأحد الشجعان من الصحابة وأحد من ولي الخلافة منهم ، يكنى أبا بكر ثم قيل له أبو خبيب بولد ، روى عنه أخوه عروة وإبناه عامر وعباد وابن أخيه محمد بن عروة وأبو ذبيان خليفة بن كعب وعبيدة بن عمرو السلماني وعطاء وطاوس وعمرو بن دينار ووهب بن كيسان وابن أبي مليكة وسماك بن حرب وأبو الزبير وثابت البناني وآخرون ، وبويع بالخلافة سنة أربع وستين عقب موت يزيد بن معاوية ولم يتخلف عنه إلا بعض أهل الشام ، وهو أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة وحنكه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسماه باسم جده وكناه بكنيته .

وقال الزبير بن بكار : حدثني عمي قال : سمعت أصحابنا يقولون : ولد سنة الهجرة وأناه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اليوم الذي ولد فيه يمشي وكانت أسماء مع أبيها بالسُّنْح فأتى به فحنكه قال الزبير : والثبت عندنا أنه ولد بقُبا ، وإنما سكن أبوه السُّنْح لما تزوج مليكة بنت خارجة بن زيد .

ووقع في الصحيح من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة قالت : فخرجت وأنا ممت ، فأتيت المدينة ونزلت بقباء فولدته بقباء ، ثم أتيت به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوضعت في حجره ، ثم دعا بتمر فضعها ثم تفل في فيه ، فكان أول شيء دخل في جوفه ريق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم حنكه بالتمر ثم دعا وبرك عليه ، وكان أول مولود ولد في الإسلام .

وقد وقع في بعض طرق الحديث أن عبد الله بن الزبير جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليبايعه وهو ابن سبع سنين أو ثمان كما أخرجه ابن منده ، أمره بذلك الزبير فتبسم

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين رآه وبأيعه وكان أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة ، وكانت يهود تقول قد أخذناهم فلا يولد لهم بالمدينة ولد فكبر الصحابة حين ولد .

وفي الرسالة للشافعي أن عبد الله بن الزبير كان له عند موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم تسع سنين وقد حفظ عنه . وقال الدينوري في المجالسة [بسنده] قال عبد الله بن الزبير : هاجرت وأنا في بطن أمي . وأخرج الزبير من طريق مسلم بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلم في غلصة من قرش ترعرعوا عبد الله ابن جعفر وعبد الله بن الزبير وعمرو بن أبي سلمة فقبل لو بايعتهم فتصيبهم بركتك ويكون لهم ذكر فأتي بهم إليه فكأنهم تكلموا^(١) فاقتحم عبد الله بن الزبير أولهم فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : إنه ابن أبيه ، ومن طريق عبد الله بن مصعب كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد جمع أبناء المهاجرين والأنصار الذين ولدوا في الإسلام حتى ترعرعوا فوقفوا بين يديه فبايعهم وجلس لهم فجمع منهم ابن الزبير وأخرج البخاري في ترجمة عبد الله بن معاوية عن عاصم بن الزبير أنه روى عن هشام بن عروة عن أبيه أن الزبير قال لابنه عبد الله : أنت أشبه الناس بأبي بكر وأخرج أبو يعلى والبيهقي في الدلائل من طريق هنيذ بن القاسم سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه أنه ألقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يحتجم فلما فرغ قال : يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحد فلما برز عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمد إلى الدم فشربه . فلما رجع قال : يا عبد الله ما صنعت بالدم ؟ قال : جعلته في أخفى مكان علمت أنه يخفى على الناس قال : لعلك شربته : قال : نعم قال : ولم شربت الدم ؟ الويل للناس منك ، وويل لك من الناس . قال أبو موسى قال أبو عاصم : فكانوا يرون أن القوة التي به من ذلك الدم وله شاهد من طريق كيسان مولى ابن الزبير عن سلمان الفارسي رويناه في جزء الغطريف ، وزاد في آخره لا تمسك النار إلا تحلة القسم . وأخرج عن أسماء بنت أبي بكر في معجم البغوي وفي البخاري عن ابن عباس أنه وصف ابن الزبير فقال : عفيف الإسلام قارئ القرآن أبوه حوارى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمه بنت الصديق وجدته

(١) أي أحجموا وتأخروا .

صفية عمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعمه أبيه خديجة بنت خويلد وقال ابن أبي خيثمة : حدثنا أحمد بن يونس حدثنا الرنحي بن خالد عن عمرو بن دينار قال : ما رأيت مصلياً أحسن صلاة من ابن الزبير . وأخرج أبو نعيم بسند صحيح عن مجاهد : كان ابن الزبير إذا قام للصلاة كأنه عمود وقال ابن سعد حدثنا روح حدثنا حسين الشهيد عن ابن أبي ملكية كان ابن الزبير يواصل سبعة أيام ثم يصبح اليوم الثامن وهو أليشنا ^(١) وأخرج البغوي من طريق ميمون بن مهران رأيت ابن الزبير واصل من الجمعة إلى الجمعة وأخرج ابن أبي الدنيا من طريق ليث عن مجاهد ما كان باب من العبادة إلا تكلف ابن الزبير ، ولقد جاء سيل بالبيت فرأيت ابن الزبير يطوف سياحة وشهد ابن الزبير اليرموك مع أبيه الزبير وشهد فتح إفريقية ، وكان البشير بالفتح إلى عثمان ، ذكره الزبير وابن عائد واقتصر الزبير قصة الفتح وأن الفتح كان على يده وشهد الدار ، وكان يقاتل عن عثمان ، ثم شهد الجمل مع عائشة ، وكان على الرجالة . قال الزبير : حدثني يحيى بن معين عن هشام بن يوسف عن معمر أخبرني هشام بن عروة قال : أخذ عبد الله بن الزبير من وسط القتلى يوم الجمل وفيه بضع وأربعون جراحة فأعطت عائشة البشير الذي بشرها بأنه لم يمت عشرة آلاف ، ثم اعتزل ابن الزبير حروب علي و معاوية ثم بايع لمعاوية فلما أراد أن يبايع ليزيد امتنع وتحول إلى مكة وعاد بالحرم . فأرسل إليه يزيد سليمان أن يبايع له فأبى ، ولقب نفسه عائذ الله ، فلما كانت وقعة الحرة وفتك أهل الشام بأهل المدينة ثم تحولوا إلى مكة فقاتلوا ابن الزبير ، واحترقت الكعبة أيام ذلك الحصار ففجعهم الخبر بموت يزيد بن معاوية ، فتوادعوا ، ورجع أهل الشام وبايع الناس عبد الله بن الزبير بالخلافة وأرسل إلى أهل الأمصار يبايعهم إلا بعض أهل الشام فسار مروان فغلب على بقية الشام ثم علي مصر ثم مات ، فقام عبد الملك بن مروان فغلب على العراق وقتل مصعب بن الزبير ثم جهز الحجاج إلى ابن الزبير فقاتله إلى أن قتل ابن الزبير في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وهذا هو المحفوظ وهو قول الجمهور . اهـ .

ولقد سرد الحاكم عدداً من الروايات تشرح دقائق في حياة ابن الزبير ، وها نحن ننقل

(١) أليشنا : أي أشدنا وأجلدنا .

بعضها كتبت لترجمة ابن حجر وكجزء من ترجمة أكثر منها روايات حديثية :

روى الحاكم ^(١) عن هشام بن عروة عن أبيه قال : عا ابن الزبير نفسه من الديوان حين قتل عثمان رضي الله عنهما .

بمعنى أنه لم يعد يأخذ شيئاً من بيت مال المسلمين لإيمانه أن أمر بيت المال قد انتقض فتورع عن أن يأخذ شيئاً .

روى الحاكم ^(٢) عن عمر بن قيس قال : كان لابن الزبير مائة غلام يتكلم كل غلام منهم بلغة أخرى فكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته . وكنت إذا نظرت إليه في أمر دنياه قلت : هذا رجل لم يرد الله طرفه عين وإذا نظرت إليه في أمر آخرته قلت هذا رجل لم يرد الدنيا طرفه عين .

* روى الحاكم ^(٣) عن ابن أبي مليكة قال : كان ابن الزبير يواصل سبعة أيام فيصبح يوم الثامن وهو أليثنا .

أقول : صيام الوصال مكروه عند الفقهاء لغير رسول الله ﷺ ، وتأولوا ما فعله عبد الله بن الزبير على أنه كان يفعله رياضة .

روى الحاكم ^(٤) عن هشام بن عروة عن أبيه قال : لما مات معاوية رضي الله عنه تشاقل عبد الله بن الزبير عن طاعة يزيد بن معاوية وأظهر شتمه ، فبلغ ذلك يزيد فأرسل أن يؤقى به ، فقيل لابن الزبير : يصنع لك أغلالاً من ذهب فتسدل عليها الثوب وتبرقسه والصلح أجل فقال : لا أبر الله قسمه ثم قال :

ولا أليّن لغير الحق أنملة حتى يلين الماضع الحجر

ثم قال : والله لضربة بسيف في عز أحب إلي من ضربة بسوط في ذل . ثم دعا إلى

(١) المستدرك (٣ / ٥٤٩) .

(٢) المستدرك (٣ / ٥٤٩) .

(٣) المستدرك (٢ / ٥٤٩) .

(٤) المستدرك (٣ / ٥٥٠) .

نفسه وأظهر الخلاف ليزيد بن معاوية فوجه إليه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المري في جيش أهل الشام وأمره بقتال أهل المدينة ، فإذا فرغ من ذلك سار إلى مكة ، وقال : فدخل مسلم بن عقبة المدينة وهرب منه يومئذ بقايا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعبث فيها وأسرف في القتل ، ثم خرج منها ، فلما كان في بعض الطريق إلى مكة مات واستخلف حصين بن ثَمِير الكِنْدِي وقال له : يا برذعة الحمار احذر خدائع قريش ولا تعاملهم إلا بالنفاق ثم القطف ، فضى حصين حتى ورد مكة فقاتل بها ابن الزبير أياماً .

روى الحاكم ^(٣) عن عروة بن الزبير قال : أرسل ابن الزبير إلى الحصين بن نمير يدعوه إلى البراز فقال الحصين : لا يمنعني من لقائك جبن ، ولست أدري لمن يكون الظفر ، فإن كان لك كنت قد ضيعت من ورائي ، وإن كان لي كنت قد أخطأت التدبير وضرب ابن الزبير فسقطاً في المسجد فكان فيه نساء يسقين الجرحى ويدأوينهم ويطعمن الجائع فقال حصين : ما يزال يخرج علينا من ذلك الفسقاط أسد كأننا يخرج من عرينه فمن يكفينيه ؟ فقال رجل من أهل الشام : أنا ، فلما جن عليه الليل وضع شمعة في طرف رحه ثم ضرب فرسه ثم طعن الفسقاط فالتهب ناراً والكعبة يومئذ مؤزرة في الطنافس ، فطارت الريح باللهب على الكعبة حتى احترقت واحترق فيها يومئذ قرنا الكبش الذي فُدي به ...

ذكرت الرواية أن المفدي هنا إسحاق وهذا خلاف الصحيح ، ولذلك لم تثبت كلمة إسحاق حتى لا يتوهم متوهم أن لهذا الرواية قيمة في كتب أهل العلم .

قال محمد بن عمر : ومات يزيد بن معاوية فهرب حصين بن نمير ، فلما مات بن معاوية دعا مروان بن الحكم إلى نفسه فأجابه أهل حص وأهل الأردن وفلسطين ، فوجه إليه ابن الزبير الضحاك بن قيس الفهري في مائة ألف فالتقوا بمرج راهط ومروان يومئذ في خمسة آلاف من بني أمية ومواليهم وأتباعهم من أهل الشام فقال مروان لمولى له : احمل على أي الطرفين شئت . فقال : كيف نحمل على هؤلاء مع كثرتهم ؟ فقال : هم بين مكروه ومستأجر ، احمل عليهم لا أم لك فيكفيك الطعان الناجع الجيد وهم يكفونك بأنفسهم ، إنما هؤلاء عبيد الدينار والدرهم ، فحمل عليهم فهزمهم وأقبل الضحاك بن قيس وانصدع الجيش .

(٣) المستدرک (٣ / ٥٥٠) .

قال : ثم مات مروان فدعا عبد الملك إلى نفسه وقام فأجابه أهل الشام فخطب على المنبر وقال : من لابن الزبير ؟ فقال الحجاج : أنا يا أمير المؤمنين فأسكتته ثم عاد فأسكتته ثم عاد فأسكتته ثم عاد فقال : أنا له يا أمير المؤمنين فإني رأيت في النوم كأني انتزعت جنة فلبستها فعقد له ووجهه في الجيش إلى مكة حرسها الله تعالى حتى ورد لها على ابن الزبير ، فقاتله بها فقال ابن الزبير لأهل مكة : احفظوا هذين الجبلين فإنكم لن تزالوا بخير أعزة ما لم يظهروا عليهما قال : فلم يلبثوا أن ظهر الحجاج ومن معه في المسجد ، فلما كان الغداة التي قُتل فيها ابن الزبير دخل ابن الزبير على أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وهي يؤمئذ بنت مائة سنة لم يسقط لها سن ولم يفسد لها بصر ولا سمع فقالت لابنها يا عبد الله ما فعلت في حريك ؟ قال : بلغوا مكان كذا وكذا قال وضحك ابن الزبير وقال : إن في الموت لراحة فقالت : يا بني لعلك تمنيت لي ، ما أحب أن أموت حتى يأتي على أحد طرفيك إما أن تظفر فتقر بذلك عيني وإما أن تقتل فأحتسبك . قال : ثم ودعها فقالت له : يا بني إياك أن تعطي خصلة من دينك مخافة القتل ؟ وخرج عنها فدخل المسجد وقد جعل مصراعين على الحجر الأسود يتقي أن يصاب بالمنجنيق وأتى ابن الزبير آت وهو جالس عند زمزم فقال له : ألا نفتح لك الكعبة فتصعد فيها ، فنظر إليه عبد الله ثم قال له : من كل شيء تحفظ أخاك إلا من أجله وهل للكعبة حرمة ليست لهذا المكان ؟ والله لو وجدوكم معلقين بأستار الكعبة لقتلوكم فقليل له : ألا تكلمهم في الصلح فقال : أوحين صلح هذا ؟ والله لو وجدوكم في جوفها لذبحوكم جميعاً ثم أنشأ يقول .

ولست بمتاع الحياة بسببة ولا مرتق من خشية الموت سلماً

ثم أقبل على آل الزبير يعظهم ليكون أحدكم سيفه كما يكن وجهه لا ينكس سيفه فيدفع عن نفسه بيده كأنه امرأة والله ما لقيت زحفاً قط إلا في الرعيل الأول ، ولا ألت جرحاً قط إلا ألم الدواء قال : فبينما هم كذلك إذ دخل عليهم ومعه سبعون فأول من لقيه الأسود فضربه بسيفه حتى أطن رجله فقال له الأسود : آه يا ابن الزانية فقال له ابن الزبير : اخسأ يا ابن حام أسماء زانية ؟ أي أم عبد الله بن الزبير وحاشاها ثم أخرجهم من المسجد ، فانصرف فإذا يقوم قد دخلوا من باب بني سهم فقال : من هؤلاء ؟ فقليل : أهل الأردن

فحمل عليهم وهو يقول :

لا عهد لي بغارة مثل السيلِ لا ينجلي غبارها حتى الليل
قال : فأخرجهم من المسجد ثم رجع فإذا بقوم قد دخلوا من باب بني مخزوم فحمل
عليهم وهو يقول :

لو كان قَرْنِي واحداً كُفَيْتُهُ أوردته الموت وذكيتُهُ
قال : وعلى ظهر المسجد من أعوانه من يرمي عدوه بالآجر وغيره فحمل عليهم فأصابته
أجرة في مفرقه حتى حُلقت رأسه فوقف قائماً وهو يقول .

ولسنا على الأعقاب تدمي كلومنا ولكن على أقدا منا تقطر الدماء
قال : ثم وقع فأكب عليه موليّان له وهما يقولان : العبد يحمي ربه ويحتي . قال : ثم
سير إليه . فخر رأسه رضي الله عنه . ١ هـ روايات الحاكم .

١٧٣٣ - * روى البخاري ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وعن أبيها أنها
حملت بعبد الله بن الزبير بمكة . قالت : فخرجت وأنا مَيمٌ . فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَنَزَلْتُ بِقُبَاءَ ،
فولدتُه بِقُبَاءَ . ثم أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فوضعتُه في حجره . ثم دعا بتمر فضعها . ثم تفل
في فيه ، فكان أول شيء دخل جوفه : ريق رسول الله ﷺ ، ثم حنكه بالتمر ، ثم دعا
له . وبرك عليه ، وكان أول مولود ولد في الإسلام .

زاد في رواية (١) : ففرحوا به فرحاً شديداً ، لأنهم قيل لهم : إن اليهود قد سخرتكم ،

١٧٣٣ - البخاري (٩ / ٥٨٧) ٧١ - كتاب العقيقة - ١ - باب تسمية المولود غداة يولد لمن يعق عنه وتحنيكه .

ومسلم (٣ / ١٦٩١) ٣٨ - كتاب الآداب - ٥ - باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته

مَيمٌ : امرأة : إذا كانت حاملاً ، وقد دنا ولادها .

بِقُبَاءَ : قُبَاء - بالمد - موضع بالمدينة معروف ، يُضْرَف ولا يُضْرَف .

قَفَلَ : التَّنَلُّ أَنْ يَبْصُقَ أَقْلُ شَيْءٍ ، وهو فوق النَّفْث .

حَنَكُهُ : التَّحْنِيكُ : أَنْ يَذْلِكَ بِالْتَّمَرِ حَنَكَ الصَّبِيِّ .

وبرك عليه : التبريك على الولد : أَنْ يَدْعُوَ لَهُ بِالْبَرَكَةِ .

(١) للبخاري في نفس الموضع السابق .

فَلَا يُؤَلِّدُ لَكُمْ .

١٧٣٤ - * روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ رأى في بيت الزبير مصباحاً ، فقال : « يا عائشة ، ما أرى أسماء إلا قد نُفِستُ ، فلا تسموه حتى أسمىه » فسماه عبد الله ، وحنكه بتمر .

١٧٣٥ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : أول مولود في الإسلام : عبد الله بن الزبير ، أتوا به النبي ﷺ ، فأخذ النبي ﷺ تمر فلاكها ، ثم أدخلها في فيه ، فأول ما دخل بطنه ريق رسول الله ﷺ .

١٧٣٦ - * روى مسلم عن عروة وفاطمة بنت المنذر قالوا : خرجت أسماء بنت أبي بكر حين هاجرت وهي حُبلى بعبد الله بن الزبير ، فقدمت قباء ، فنُفِست بعبد الله بقباء ، ثم خرجت حين نُفِست إلى رسول الله ﷺ ليُحنكه ، فأخذه رسول الله ﷺ منها فوضعه في حجره ثم دعا بتمر . قال : قالت عائشة : فكشنا ساعة نلتسها - يعني تمر - قبل أن نجدها ، فضعها ثم بصقها في فيه ، فأول شيء دخل بطنه لريق رسول الله ﷺ ثم قالت أسماء : ثم مسح ، وصلى عليه ، وسماه عبد الله ، ثم جاء وهو ابن سبع سنين - أو ثمان - ليُبايع رسول الله ﷺ ، وأمره بذلك الزبير ، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآه مُقبلاً إليه ثم بايعه .

وفي رواية ^(١) قالت : جئنا بعبد الله بن الزبير إلى النبي ﷺ يُحنكه ، فطلبنا تمر ، فَعَزَّ علينا طلبها .

١٧٣٧ - * روى البخاري عن ابن أبي مليكة رحمه الله قال : كان بين ابن العباس وابن

١٧٣٤ - الترمذي (٦٨٠ / ٥) - ٥٠ - كتاب المناقب - ٤٥ - باب مناقب عبد الله بن الزبير ، وقال هذا حديث حسن غريب .

١٧٣٥ - البخاري (٢٤٨ / ٧) - ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٤٥ - باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

١٧٣٦ - مسلم (١٦٩٠ / ٣) - ٣٨ - كتاب الآداب - ٥ - باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته

نُفِست المرأة : بضم النون وفتحها : إذا ولدت .

(١) مسلم (١٦٩٠ / ٣) - ٣٨ - كتاب الآداب - ٥ - باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته .

١٧٣٧ - البخاري (٣٢٦ / ٨) - ٦٥ - كتاب التفسير - ٩ - باب ﴿ ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ

معنا ﴿ .

الزبير شيء ، فَعَدَوْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ : أُرِيدُ أَنْ تَقَاتِلَ ابْنَ الزُّبَيْرِ فَتَحِلَّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ؟ فقال : مَعَاذَ اللَّهِ . إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَبَنِي أُمَيَّةَ مُحَلِّينَ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُحِلُّهُ أَبَدًا . قال : قال الناسُ : بايع لابن الزُّبَيْرِ ، فَقُلْتُ : وَأَيْنَ بِهَذَا الْأَمْرِ عَنْهُ ، أَمَا أَبُوهُ فَحَوَّارِيُّ النَّبِيِّ ﷺ - يريد الزُّبَيْرَ - وَأَمَّا جَدُّهُ فَصَاحِبُ الْغَارِ - يريدُ أبا بكرٍ - وَأَمَّا أُمَةُ فَذَاتُ النَّطَاقِ - يريدُ أَسْمَاءَ - وَأَمَّا خَالَتهُ فَأُمُ الْمُؤْمِنِينَ - يريدُ عَائِشَةَ - وَأَمَّا عَمَتُهُ فَزَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ - يريدُ خَدِيجَةَ - وَأَمَّا عَمَةُ النَّبِيِّ ﷺ فَجَدَّتُهُ - يريدُ صَفِيَّةَ - ثُمَّ عَفِيفٌ فِي الْإِسْلَامِ ، قَارِئٌ لِلْقُرْآنِ . وَاللَّهُ إِنْ وَصَلُونِي وَصَلُونِي مِنْ قَرِيبٍ ، وَإِنْ رَبَّوْنِي رَبَّوْنِي أَكْفَاءَ كِرَامًا . فَأَثَرُ عَلَيَّ التَّوَيْتَاتِ وَالْأَسَامَاتِ وَالْحَمِيدَاتِ يُرِيدُ أَبْطَنًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ : بَنِي تَوَيْتَ وَبَنِي أَسَامَةَ وَمِنْ أَسَدٍ . إِنَّ ابْنَ أَبِي الْعَاصِ بَرَزَ يَمْشِي الْقَدَمِيَّةَ ، يَعْنِي عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ . وَإِنَّ لَوِيَّ ذَنْبَهُ - يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ - .

(الْقَدَمِيَّةُ) الذي جاء في الحديث فيما رواه البخاري « الْقَدَمِيَّةُ » ومعناها : أنه يقدم في الشرف والفضل على أصحابه ، وقد جاء في كتب غير الحديث « مَشْيُ التَّقْدِيمِ وَالْيَقْدَمِيَّةُ » بالتاء والياء ، وَالْقَدَمِيَّةُ ، والكل بمعنى واحد ، قال الميداني صاحب كتاب الأمثال : إن اليقدمية بالياء المعجمة من تحت وهو التقدُّم بهمة وأفعاله ، يقال : مشى فلان التقديمية ، واليقدمية : إذا تقدَّم في الشرف والفضل ولم يتأخَّر عن غيره في الإفضال عن الناس ، وقال : قال أبو عمرو : معناه : التبختر ، ولم يرد المشي بعينه .

وفي رواية (١) : أن ابن عباس قال حين وقع بينه وبين ابن الزبير : قلتُ : أبوه الزبير ، وأُمُّه أَسْمَاءُ ، وخَالَتهُ عَائِشَةُ ، وَجَدَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَجَدَتْهُ صَفِيَّةُ .

وفي أخرى (١) قال : دخلنا على ابن عباس ، فقال : ألا تعجبون لابن الزبير ، قام في أمره هذا ؟ فَقُلْتُ : لِأَحَاسِبَنَّ نَفْسِي لَهُ مَا حَاسِبْتُهَا لِأَيِّ بَكْرٍ وَلَا لِعَمْرٍ ، وَلِهَذَا كَانَا أَوْلَى بِكُلِّ خَيْرٍ مِنْهُ ، فَقُلْتُ ابْنَ عَمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَابْنَ الزُّبَيْرِ ، وَابْنَ بَنَتِ أَبِي بَكْرٍ ، وَابْنَ أَخِي

= رُبُونِي : أَيِ كَانُوا لِي أَرْبَابًا ، يَعْنِي رُؤُسًا وَأَصْحَابًا مُقَدَّمِينَ .
أكفاء : الأكفاء النظراء والأمثال .
(١) البخاري في نفس الموضع السابق .

خديجة ، وابنُ أختِ عائشةَ ، فإذا هو يتعلّى عني ، ولا يريد ذلك ، فقلتُ : ما كنتُ أظنُّ
أني أغرِضُ هذا من نفسي فيده ، وما أراه يريد خيراً ، وإن كان لابد أن يرَبِّي بنو عمي
أحبُّ إليَّ من أن يرَبِّي غيرهم .

١٧٢٨ - * روى البخاري عن نافع - مولى ابن عمر - رحمه الله : أنَّ ابنَ عمر رضي الله
عنهما أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا : إنَّ الناسَ قد ضَيَّعوا وأنت ابنُ عمر وصاحبُ
النبيِّ ﷺ ، فما يمنعك أن تخرجَ ؟ فقال : يمنعني أنَّ اللهَ حَرَّمَ دَمَ أخي . فقالا . ألم يقلِ الله
﴿ وَقَاتِلْهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً ﴾ ^(١) ؟ فقال : قاتلنا حتى لم تكن فتنة ، وكان الدين
لله ، وأنتم تريدون أن تُقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله .

١٧٢٩ - * روى البخاري عن أبي المنهال قال : لما كان ابنُ زيادٍ ومروانُ بالشام ، وثبَّ
ابنُ الزبير بمكة ، وثبَّ القرَاءُ بالبصرة ، فانطلقتُ مع أبي إلى أبي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ حَتَّى دَخَلْنَا
عليه في داره وهو جالسٌ في ظِلِّ عُلْيَةٍ لَهُ مِنْ قَصَبٍ فَجَلَسْنَا إِلَيْهِ ، فَأَنْشَأَ أَبِي يَسْتَطِيعُهُ
الحديثَ فقال : يَا أَبَا بَرْزَةَ ، أَلَا تَرَى مَا وَقَعَ فِيهِ النَّاسُ ؟ فَأَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ : إِنِّي
احْتَسِبْتُ عِنْدَ اللَّهِ أَنِّي أَصْبَحْتُ سَاخِطاً عَلَى أَحْيَاءٍ قَرِيشَ ، إِنَّكُمْ يَامَعْشَرَ الْعَرَبِ كُنْتُمْ عَلَى
الْحَالِ الَّذِي عَلِمْتُمْ مِنَ الذَّلَّةِ وَالْقِلَّةِ وَالضَّلَالَةِ ، وَإِنَّ اللَّهَ أَنْقَذَكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَمُحَمَّدٍ ﷺ حَتَّى بَلَغَ
مَا تَرُونَ ، وَهَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَفْسَدَتْ بَيْنَكُمْ . إِنَّ ذَاكَ الَّذِي بِالشَّامِ وَاللَّهُ إِنْ يُقَاتِلُ إِلَّا عَلَى
دُنْيَا ، إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَاللَّهُ إِنْ يُقَاتِلُونَ إِلَّا عَلَى دُنْيَا ، وَإِنَّ ذَاكَ الَّذِي بِمَكَّةَ وَاللَّهُ
إِنْ يُقَاتِلُ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا .

وزاد في رواية للبخاري ^(٢) : أنه سمع أبا بَرْزَةَ قال : إِنَّ اللَّهَ نَعَشَكُمُ بِالْإِسْلَامِ وَمُحَمَّدٍ

ﷺ .

١٧٢٨ - البخاري (٨ / ١٨٣) ٦٥ - كتاب التفسير - ٣٠ - باب ﴿ وَقَاتِلْهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِذَا
انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ .

(١) البقرة : ١٩٣ .

١٧٢٩ - البخاري (١٣ / ٦٨) ٩٢ - كتاب الفتن - ٢١ - باب إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه .
استطعمته الحديث : إذا جاريته فيه وجذبه إليك ليحدثك .

(٢) البخاري (١٣ / ٢٤٥) ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، في الترجمة .

١٧٤٠ - * روى مسلم عن أبي نوفل قال : رأيتُ عبد الله بن الزُّبَيْرِ عَلَى عَقَبَةِ الْمَدِينَةِ ، فجعلتُ قَرِيشُ تَمُرُّ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ ، حَتَّى مَرَّ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ ، فقال : السلام عليك أبا خَبِيبٍ ، السلام عليك أبا خَبِيبٍ السلام عليك أبا خبيب ، أما والله لقد كنتُ أنْهَكَ عن هذا ، أما والله لقد كنتُ أنْهَكَ عن هذا ، أما والله لقد كنتُ أنْهَكَ عن هذا ، أما والله لقد كنتُ أنْهَكَ عن هذا ، قَوَّاماً وَصَوَّاماً ، قَوَّاماً وَصَوَّاماً ، أما والله لأُمَّةٌ أَنْتَ أَشْرُهَا لَأُمَّةٍ خَيْرٌ ، ثُمَّ نَفَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، فَبَلَغَ الْحَجَّاجَ مَوْقِفَ عَبْدِ اللَّهِ وَقَوْلَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ، فَأَنْزَلَ عَنْ جِذْعِهِ ، فَأَلْقَى فِي قُبُورِ الْيَهُودِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ، فَأَبَتْ أَنْ تَأْتِيَهُ ، فَأَعَادَ عَلَيْهَا الرَّسُولَ : لِتَأْتِيَنِي ، أَوْ لِأَبْعَثَنَّ إِلَيْكَ مَنْ يَسْحَبُكَ بِقُرُونِكَ ، قَالَ : فَأَبَتْ ، وَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَا أَتِيكَ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ يَسْحَبُنِي بِقُرُونِي ، قَالَ : فَقَالَ : أُرُونِي سَيْئِي ، فَأَخَذَ نَعْلَيْهِ ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَتَوَدَّفُ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا ، قَالَ : كَيْفَ رَأَيْتَنِي صَنَعْتُ بَعْدَ اللَّهِ ؟ قَالَتْ : رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ ، وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ ، بَلَّغْنِي أَنْكَ تَقُولُ لَهُ : يَا ابْنَ ذَاتِ النُّطَاقَيْنِ ، أَنَا وَاللَّهُ ذَاتُ النُّطَاقَيْنِ ، أَمَا أَحَدُهُمَا : فَكَنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَطَعَامَ أَبِي بَكْرٍ مِنَ الدَّوَابِّ ، وَأَمَا الْآخَرُ : فَنِطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّذِي لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ ، وَأَمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا : أَنَّ فِي تَقْيِيفِ كَذَابٍ وَمُبِيرٍ ، فَأَمَّا الْكَذَابُ : فَرَأَيْنَاهُ ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ : فَلَا إِخَالَكَ إِلَّا إِيَّاهُ قَالَ : فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يَرَجِعْهَا .

* * *

١٧٤٠ - مسلم (٤ / ١١٧١) - ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٥٨ - باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرا .

قرون : المرأة : ضفائرها ، واحدها : قُرْن .

سَيْئِي : السَّيِّئَاتُ : النِّعْلَانِ ، وَأَصْلُهُ مِنَ السَّيِّئِ ، وَهِيَ جُلُودُ الْبَقَرِ الْمَدْبُوعَةِ بِالْقِرْظِ تَعْمَلُ مِنْهَا النِّعَالُ ، كَأَنَّهَا

نُسِيتُ إِلَيْهَا ، وَقِيلَ : هُوَ مِنَ السَّيِّئِ : خَلَقَ الشَّعْرَ ، لِأَنَّ شَعْرَ الْجُلُودِ يَرْمِي عَنْهَا ، ثُمَّ يَعْمَلُ مِنْهَا النِّعَالُ .

يَتَوَدَّفُ : مَثَى يَتَوَدَّفُ ، أَي : يَتَبَخَّرُ ، وَقِيلَ : يُسْرِعُ وَهُوَ الْمَقْصُودُ هُنَا .

المبير : المهلك الذي يسرف في إهلاك الناس .

تعليقات

كانت محاولة ابن الزبير أقوى محاولة لإعادة الخلافة الراشدة بعد الملك العضوض ، ولقد كادت هذه المحاولة أن تنجح ، بل كان ابن الزبير هو الخليفة الشرعي للمسلمين في المدة التي أخذ فيها البيعة لنفسه ، وها أنت ترى أن الأكثرية المطلقة من المسلمين قد بايعته ثم قتل بعد ذلك ، وعاد الأمر إلى بني أمية وإلى الشام ، ولعلّ السرّ في ذلك يكمن في أن الشام وقتذاك هي ذات الجند الأقوى وهي الأكثر قدرة على الحركة فمن غلب عليها فقد غلب .

كانت المناطق التي تصلح أن تكون قواعد للحكم ثلاثة : العراق والشام والحجاز فهذه من الأمة الإسلامية في القلب ، ولقد دخلت العراق أكثر من حرب خاسرة مع بني أمية فلم تريح الجولة لا مع علي رضي الله عنه ولا مع الحسن رضي الله عنه ، وقد خذلت الحسين رضي الله عنه وكانت الشام لبني أمية خالصة فلم يبق إلا الحجاز ، وقد ثارت الحجاز ثورتين : ثورة في المدينة ، وانتهت نهاية مأساوية ، والثورة الثانية في مكّة وكان على رأسها ابن الزبير رضي الله عنه وانتهت نهاية مأساوية . ولقد ثارت العراق مرّة أخرى بزعامة عبد الرحمن بن الأشعث فلم تفلح .

كان انتزاع السلطة من بني أمية يحتاج إلى قوة أخرى ، ولقد استطاع العباسيون أن يدخلوا هذه القوة في الميدان فأزالوا سلطان بني أمية .

من بعض الروايات التي مرّت معنا ندرك سبباً من أسباب تغلب بني أمية وهو أن رؤوس المسلمين لم يكونوا متحمسين لاستخلاص الحكم من بني أمية لأنهم كانوا يرون أن الصراع ضدّهم صراع دنيوي ، فلم يكن أهل الآخرة متحمسين ، وكان أهل الشام يصارعون بعقلية الجندي .

الوصل الثالث
في
نماذج من أصحابه

تمهيد

ذكرنا من قبل عددا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رضوان الله عنهم ، فذكرنا أزواجه وهن من أصحابه ، وذكرنا عدداً من أهل بيته الذين يعتبرون من أصحابه ، وذكرنا الخلفاء الراشدين وهم من أصحابه ، ونحن في هذا الوصل سنخص بالذكر عدداً من أصحابه ما بين رجل وامرأة بأكثر ما يكون الاختصار ، وقد نكتفي عند ذكر بعضهم ببعض ماورد فيهم ليأخذ القارئ صورة عن هذه النماذج الرفيعة وإلا فالأمر أوسع من أن يسعه هذا الكتاب ، فقد ترجم ابن حجر العسقلاني في الإصابة لحوالي (١٢٢٧٩) من الصحابة ، وهؤلاء إنما دخلوا في دائرة الترجمة عند المحدثين لأن لهم رواية عن رسول الله ﷺ ، وإلا فعدد الصحابة أكثر بكثير ، فقد ذكر كتاب السير أن الذين حجوا مع رسول الله ﷺ حجة الوداع بلغوا تسعين ألفاً ويعتبرون هؤلاء جميعاً من أصحابه ولم يحج كل المسلمين ، فعدد الصحابة أكبر من ذلك .

﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ ﴾ (١) .

ولنبداً ذكر الصحابة مبتدئين بذكر ماسوى الخلفاء الراشدين من العشرة المبشرين بالجنة ، مبتدئين بأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه مقلدين في ذلك الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء ، وقد تخيرنا ثلاثة كتب ننقل عنها شذرات لبعض التراجم هي : البداية والنهاية ، والإصابة ، وسير أعلام النبلاء ، وذلك لأن أصحاب هذه الكتب ممن استقر في ضمير هذه الأمة حبهم والثقة بهم ، ثم هم من المتأخرين الذين استوعبوا ماكتب قبلهم ، وكانوا من المحققين الذين حصوا الروايات والمرويات فكانوا أئمة في هذا الشأن ، وقد استفدنا في هذا المقام وغيره من تحقیقات الشيخ شعيب الأرناؤوط حفظه الله على كتاب الذهبي .

١ - أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه

قال ابن كثير في البداية والنهاية :

عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي أبو عبيدة بن الجراح الفهري ، أمين هذه الأمة ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الخمسة الذين أسلموا في يوم واحد ، وهم عثان بن مظعون ، وعبيدة بن الحارث ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وأبو عبيدة بن الجراح أسلموا على يدي الصديق . ولما هاجروا آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن معاذ وقيل بين محمد بن مسلمة . وقد شهد بدرًا وما بعدها ، وقال رسول الله ﷺ « إن لكل أمة أمينًا وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح » ثبت ذلك في الصحيحين . وثبت في الصحيحين أيضاً أن الصديق قال يوم السقيفة : وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوه - يعني عمر بن الخطاب وأبا عبيدة - وبعثه الصديق أميراً على ربيع الجيش إلى الشام ، ثم لما انتدب خالدًا من العراق كان أميراً على أبي عبيدة وغيره لعلمه بالحروب . فلما انتهت الخلافة إلى عمر عزل خالدًا وولى أبا عبيدة ابن الجراح ، وأمره أن يستشير خالدًا ، فجمع للأمة بين أمانة أبي عبيدة وشجاعة خالد . قال ابن عساکر : وهو أول من سمي أمير الأمراء بالشام ...

توفي بالطاعون عام عُمَواس والصحيح أن عُمَواس كانت في سنة ثمانٍ عشرة - بقرية فِخْلٍ ، وقيل بالجابية . وقد اشتهر في هذه الأعصار قبر بالقرب من عقبة ينسب إليه والله أعلم . وعمره يوم مات ثمان وخمسون سنة . ا . هـ

وقال ابن حجر العسقلاني : كان فتح أكثر الشام على يده .

وقال الذهبي : « يجتمع هو والنبي ﷺ في فهر ، شهد له النبي ﷺ بالجنة وسماه أمين الأمة ، ومناقبه شهيرة جمة ، روى أحاديث معدودة وغزا غزوات مشهودة .

هاجر إلى الحبشة وشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها ، وهو صاحب غزوة سيف البحر المشهورة بقصة حوت العنبر ، وقد أمدَّ به رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في غزوة ذات الملاس ، وهو ممن جمع القرآن ، واجتمع له حسن الخلق والحلم الزائد والتواضع ، وقد ولي

لأبي بكر بيت المال ثم وجهه إلى الشام وولاه رُبْعاً من الأرباع ، ثم جعله عمر أمير الأمراء في الشام وكان هو الأمير يوم فتحت دمشق .

كان رجلاً نحيفاً معروق الوجه (قليل اللحم) خفيف اللحية طوالاً أجنى (ينعطف كاهله نحو صدره) أهتم (منزوع الثنيتين بسبب نزعه حلقتي المغفر من وجنتي رسول الله ﷺ يوم أحد) وكان من أجمل الناس صورة .

قال الذهبي في ترجمته :

ولما تفرغ الصديق من حرب أهل الردّة ، وحرب مُسَيِّمة الكذاب ، جهّز أمراء الأجناد لفتح الشام . فبعث أبا عبيدة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، وشُرْحُبِيل بن حسنة ، فمِت وقعة أجنادين بقرب الرملة ، ونصر الله المؤمنين ، فجاءت البشري ، والصديق في مرض الموت ، ثم كانت وقعة فِحْل وقعة مرج الصفر ، وكان قد سير أبو بكر خالداً لغزو العراق ، ثم بعث إليه لينجِد من بالشام ، فقطع المفاوز على برية السماوة ، فأمره الصديق على الأمراء كلهم ، وحاصروا دمشق ، وتوفي أبو بكر . فبادر عمر بعزل خالد ، واستعمل على الكلّ أبا عبيدة ، فجاءه التقليد ، فكتبه مدة ، وكل هذا من دينه ولينه وحلمه ، فكان فتح دمشق على يده ، فعند ذلك أظهر التقليد ، ليعقد الصلح للروم ، ففتحوا له باب الجابية صلحاً ، وإذا بخالد قد افتتح البلد غنوة من الباب الشرقي ، فأمضى لهم أبو عبيدة الصلح .

فعن المغيرة : أن أبا عبيدة صالحهم على أنصاف كنائسهم ومنازلهم ، ثم كان أبو عبيدة رأس الإسلام يوم وقعة اليرموك ، التي استأصل الله فيها جيوش الروم ، وقُتِلَ منهم خلق عظيم . ١ هـ .

قال الزبير بن بكار : قد انقرض نسل أبي عبيدة وولد إخوته جميعاً .

وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ^(١) فقد أخرج الطبراني بسند جيد عن عبد الله بن شاذب قال : جعل

والد أبي عبيدة يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر فيحيد عنه فلما أكثر قصده فقتله فنزلت .
وقد مر معنا اسمه في أكثر من مكان من قبل في غزوة ذات السلاسل وفي الأحاديث
الواردة في فضل الصحابة .

ولأهمية ما حدث في غزوة ذات السلاسل في باب القدوة فإننا ننقل ما ذكره ابن حجر :

قال موسى بن عقبة في المغازي أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمرو بن العاص في
غزوة ذات السلاسل وهي من مشارف الشام في بلي ونحوهم من قضاة ، فخشى عمرو فبعث
يستد فندب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس من المهاجرين الأولين فانتدب أبو بكر
وعمر في آخرين فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح مدداً لعمرو بن العاص فلما قدموا عليه قال
أنا أميركم فقال المهاجرون بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين فقال إنما أنتم
مددي فلما رأى ذلك أبو عبيدة وكان حسن الخلق متبعاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم وعهده فقال تعلم يا عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لي : « إن قدمت
على صاحبك فتطاوعا » ، وإنك إن عصيتني أطعتك . وفي فوائد ابن أخي سمي بسند
صحيح إلى الشعبي قال : قال المغيرة بن شعبة لأبي عبيدة : إن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم أمرك علينا وإن ابن النابغة ليس لك معه أمر يعني عمرو بن العاص فقال أبو عبيدة :
إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرنا أن نتطاول فأننا أطيعه لقول رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم . « أه

وما ورد فيه :

١٧٤١ - * روى البخاري ومسلم عن حذيفة : جاء السيد والعاقب صاحباً نجران إلى النبي
ﷺ يريدان أن يلاعنا ، فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل ، والله إن كان نبياً فلاعننا لا نفلح
أبدأ نحن ولا عقبنا بعدنا ، قال : إنا نعطيك ما سألتنا وأبعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا

١٧٤١ - البخاري (٧ / ٩٣) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٢١ - باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه .
ومسلم (٤ / ١٨٨٢) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٧ - باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه
العاقب : الذي يلي السيد . يلاعنا : يباهله من قوله تعالى : ﴿ ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾

أميناً ، فقال : « لأبعثنَّ معكما رجلاً أميناً حقّ أمين حقّ أمين » فاستشرفتْ لها أصحابُ النبي ﷺ ، فقال : « قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ » فلما قامَ قال ﷺ : « هذا أمينٌ هذه الأمة » .

١٧٤٢ - * روى البخاري ومسلم عن أنس رفعه : « إن لكلِّ أمةٍ أميناً وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح » .

وفي رواية : ^(١) « إن أهلَ البينِ قدموا على النبي ﷺ فقالوا : ابعثُ معنا رجلاً يعلمنا السنة والإسلامَ ، فأخذ بيدَ أبي عبيدة فقال : « هذا أمينٌ هذه الأمة » .

١٧٤٣ - * روى أبو نعيم والحاكم عن عمر بن الخطاب ، قال لأصحابه : تمنّوا فقال أحدهم : أتمنى أن يكون ملء هذا البيت دراهم فأنفقها في سبيلِ الله فقال : تمنّوا ، فقال آخر : أتمنى أن يكون ملء هذا البيت ذهباً فأنفقته في سبيلِ الله . قال : تمنّوا قال آخر : أتمنى أن يكون ملء هذا البيت جوهراً أو نحوه ، فأنفقته في سبيلِ الله . فقال عمر : تمنّوا فقالوا : ما تمنينا بعد هذا . قال عمر : لكني أتمنى أن يكون ملء هذا البيت رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وحذيفة بن اليمان ، فأستعملهم في طاعة الله قال : ثم بعث بمالٍ إلى حذيفة قال : انظر ما يصنع ، قال : فلما أتاه قسمته ، ثم بعث بمالٍ إلى معاذ بن جبل فقسّمه ، ثم بعث بمالٍ - يعني إلى أبي عبيدة - قال : انظر ما يصنع . فقال عمر : قد قلتُ لكم . أو كما قال . .

أقول : المراد أن أبا عبيدة قسّمه ووزعه وأنه بذلك تحققت فِراسة عمر رضي الله عنه فيما سيصنع هؤلاء جميعاً .

١٧٤٤ - * روى أحمد عن عمر قال : إن أدركني أجلي وأبو عبيدة حي استخلفتُه ، فإن

١٧٤٢ - البخاري (٨ / ٩٣) ٦٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٧٢ - باب قصة أهل نجران .

ومسلم (٤ / ١٨٨١) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٧ - باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه .

(١) مسلم : الموضع السابق .

١٧٤٣ - الخلية (١ / ١٠٢) ، والمستدرک (٣ / ٢٦٢) ، مختصراً وسكت عنه الحاكم وكذلك الذهبي . وأورده البخاري في

تاريخه الصغير .

١٧٤٤ - أحمد في مسنده (١ / ١٨) مطولاً . وهو مرسل ورجاله ثقات .

قال الله لم استخلفته على أمة محمد ﷺ ؟ قلت إني سمعته ﷺ يقول : « لكل نبي أمين ، وأميني أبو عبيدة » .

١٧٤٥ - * روى الحاكم عن ثابت بن حجاج قال : قال عمر بن الخطاب : لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح لاستخلفته وماشاورت . فإن سئلت عنه قلت : استخلفت أمين الله وأمين رسوله ﷺ .

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : بلغ عمر أن أبا عبيدة حصر بالشام ، ونال منه العدو ، فكتب إليه عمر : أما بعد ، فإنه ما نزل بعبد مؤمن شدة ، إلا جعل الله بعدها فرجاً ، وإنه لا يغلب عسر يسرين ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ ، الآية ^(١) قال : فكتب إليه أبو عبيدة : أما بعد ، فإن الله يقول : ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ ^(٢) قال : فخرج عمر بكتابه ، فقرأه على المنبر فقال : يا أهل المدينة ! إنما يعرض بكم أبو عبيدة أو بي ارغبوا في الجهاد .

١٧٤٦ - * روى الحاكم عن طارق بن شهاب قال أتانا كتاب عمر لما وقع الوباء بالشام ، فكتب عمر إلى أبي عبيدة إنه قد عرضت لي إليك حاجة لا غنى لي بك عنها ، فقال أبو عبيدة يرحم الله أمير المؤمنين يريد بقاء قوم ليسوا بباقين قال : ثم كتب إليه أبو عبيدة إني في جيش من جيوش المسلمين لست أرغب بنفسي عن الذي أصابهم فلما قرأ الكتاب استرجع فقال الناس مات أبو عبيدة ؟ قال : لا وكان كتب إليه بالعزيمة فظاهر من أرض الأردن فإنها عميقة وبيدة إلى أرض الجابية فإنها نزهة ندية فلما أتاه الكتاب بالعزيمة أمر مناديه أذن في الناس بالرحيل . فلما قدم إليه بعيره ليركبه وضع رجله في الغرير ثم رجله فقال ما أرى داءكم إلا قد أصابني قال ومات أبو عبيدة ، ورجع الوباء عن الناس .

١٧٤٥ - المستدرك (٣ / ٢٦٨) وسكت عنه الحاكم والذهبي .

(١) آل عمران : ٢٠٠ . (٢) الحديد : ٢٠ .

(٣) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ، وعزاه لابن المبارك في « الجهاد » . وقال محقق السير : إسناده قوي ورجاله ثقات .

١٧٤٦ - المستدرك (٣ / ٢٦٣) . وقال : رواية هذا الحديث كلهم ثقات وقال الذهبي : وهو على شرط البخاري ومسلم .

١٧٤٧ - * روى الحاكم والطبراني عن الحارث بن عميرة الحارثي قال : أخذ معاذ بن جبل يرسل الحارث بن عميرة إلى أبي عبيدة بن الجراح يسأله كيف هو ؟ وقد طعن فأراه أبو عبيدة طعنة خرجت في كفه فكأنه شائها وقرق منها حين رآها فأقسم أبو عبيدة له بالله ما يحب أن له مكانها حر النعم .

٢ - طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

قال ابن كثير في البداية والنهاية :

طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة أبو محمد القرشي التيمي ، ويعرف بطلحة الخير ، وطلحة الفياض لكرمه ولكثرة جوده . أسلم قديماً على يدي أبي بكر الصديق ، فكان نوفل بن خويلد بن العدوية يشدهما في جبل واحد ، ولاستطيع بنو تيم أن تمنعهما منه ، فلذلك كان يقال لطلحة وأبي بكر القرينان ، وقد هاجر وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي أيوب الأنصاري ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا بدرأ - فإنه كان بالشام لتجارة - وقيل في رسالة ، ولهذا ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره من بدر ، وكانت له يوم أحد اليد البيضاء وشلت يده يوم أحد ، وقى بها رسول الله ﷺ واستمرت كذلك إلى أن مات ، وكان الصديق إذا حدث عن يوم أحد يقول : ذاك يوم كان كله لطلحة .

وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وقد صحب رسول الله ﷺ ، فأحسن صحبته حتى توفي وهو عنه راض ، وكذلك أبو بكر وعمر ، فلما كان قضية عثمان اعتزل عنه فنسبه بعض الناس إلى تحامل فيه ، فلهذا لما حضر يوم الجمل واجتمع به علي فوعظه تأخر فوقف في بعض الصفوف ا . هـ .

وكان قد بايع علياً من قبل ، وقد قتله مروان بن الحكم كما سنرى . قال الذهبي : « قاتل طلحة في الوزر كقاتل علي » ولنعد إلى ابن كثير :

وكان (قتله) يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، ودفن طلحة إلى جانب الكلا وكان عمره ستين سنة ، وقيل بضعا وستين سنة ، وكان آدم ، وقيل أبيض ، حسن الوجه كثير الشعر إلى القصر أقرب وكانت غلته في كل يوم ألف درهم .

وقال ابن حجر في ترجمته : أحد العشرة ، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام ، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر ، وأحد الستة أصحاب الشورى .

ومما ورد فيه :

١٧٤٨ - * روى أحمد والترمذي عن الزبير كان على النبي ﷺ درعان يوم أحد ، فنهض إلى صخرة فلم يستطع ، فأقعد طلحة تحته وصعد حتى استوى على الصخرة فسمعتة يقول : « أوجب طلحة » .

١٧٤٩ - * روى الترمذي وابن ماجه عن موسى بن طلحة ، وأخيه عيسى عن أبيهما : أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جَاهِلٍ : سَلْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ﴿ قَضَى نَحْبَهُ ﴾ (١) من هو ؟ وكانوا لا يجترئون على مَسْأَلَتِهِ ، وكانوا يُوقِرُونَهُ وَيَهَابُونَهُ ، فسأله الأعرابي ، فأعرض عنه ، ثم سأله ، فأعرض عنه ، قال طلحة : ثم طلعتُ من باب المسجد وعليَّ ثيابٌ خُضْرٌ ، فلما رأيَ رسولُ الله ﷺ ، قال : « أين السائلُ عَمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ ؟ » قال الأعرابي : أنا يا رسول الله ، فقال : « هذا مِن قَضَى نَحْبِهِ » .

١٧٥٠ - * روى البخاري عن قيس بن أبي حازم : رأيتُ يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ قد شَلَّتْ .

١٧٥١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي عثمان النهدي قال : لم يبق مع النبي ﷺ في

١٧٤٨ - أحمد في مسنده (١ / ١٦٥) .

والترمذي (٥ / ٦٤٣ ، ٦٤٤) ٥٠ - كتاب المناقب - ٢٢ - باب مناقب طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه . وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

١٧٤٩ - الترمذي (٥ / ٦٤٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٢٢ - باب مناقب طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه .

وقال : وهذا حديث حسن غريب .

وابن ماجه (١ / ٤٦) مختصراً في المقدمة - ١١ - باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ (فضل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه) .

النحْبُ : النذر ، وقيل : الموت ، وذلك أن طلحة بن عبيد الله ألزم نفسه إذا لقي العدو ، أن يصدقه القتال ففَعَلَ . الاجترَاء : الإقدام على الأمر ، والجسارة عليه .

(١) الأحزاب ٢٣ .

١٧٥٠ - البخاري (٧ / ٣٥٩) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٧ - باب غزوة أحد .

١٧٥١ - البخاري (٧ / ٨٢) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ١٤ - باب ذكر طلحة بن عبيد الله .

ومسلم (٤ / ١٨٧٩) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٦ - باب فضائل طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما . عن حديثهما : أي هما حدثاني بذلك .

تلك الأيام التي قاتل فيهن غير طلحة وسعد عن حديثهما .

١٧٥٢ - * روى الطبراني عن قُبَيْصَةَ : ما رأيتُ رجلاً قط أعطى الجزيلَ من المال من غير مسألة من طلحة بن عبيد الله ، وكان أهله يقولون إن النبي ﷺ ساء الفياض .

١٧٥٣ - * روى الطبراني عن طلحة بن يحيى عن جدته سَعْدِي قالت : دخل عليّ يوماً طلحة فرأيتُ منه فعلاً فقلتُ له مالك ؟ لعله رابك مناشيء فَيَغْمُكَ قال : لا ، ولنعم حليلة المرأة المسلم أنتِ ولا كِبَرٌ ، ولكن اجتمع عِنْدِي مَالٌ ولأدري كيف أصنع به ؟ قالت : وما يغمك منه ! ادع قومك فاقسمه بينهم فقال : يا غلام عليّ قومي . فسألتُ الخازنَ كم قسم ؟ قال أربعمائة ألفٍ .

١٧٥٤ - * روى النسائي عن جابر قال : لما كان يوم أُحُدٍ ، وولّى الناسُ ، كان رسولُ الله ﷺ في ناحيةٍ في اثني عشر رجلاً ، منهم طلحةٌ ، فأدركهم المشركون ، فقال النبي ﷺ : « مَنْ لِلْقَوْمِ ؟ » قَالَ طَلْحَةُ : أَنَا ، قَالَ : « كَمَا أَنْتَ » فقال رجلٌ : أَنَا ، قَالَ : « أَنْتِ » فقاتلَ حتى قتلَ ، ثم التفت فإذا المشركون ، فقال : « مَنْ لَهُمْ ؟ » قَالَ طَلْحَةُ : أَنَا . قَالَ : « كَمَا أَنْتِ » فقال رجلٌ من الأنصارِ : أَنَا ، قَالَ : « أَنْتِ » فقاتلَ حتى قتلَ ، فلم يزل كذلك حتى بقي مع نبي الله طلحةٌ ، فقال : « مَنْ لِلْقَوْمِ ؟ » قَالَ طَلْحَةُ : أَنَا ، فقاتلَ طلحةٌ ، قَتَلَ الأَحَدَ عَشَرَ ، حتى قُطِعَتْ أَصَابِعُهُ ، فقال : حَسْبُ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « لَوْ قُلْتَ : بِاسْمِ اللَّهِ لَرَفَعْتُكَ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ » ثم رَدَّ اللَّهُ المشركين .

١٧٥٥ - * روي الحاكم عن علقمة بن وقاص قال : لما خرجَ طلحةٌ والزبيرُ وعائشة

١٧٥٢ - المعجم الكبير (١ / ١١١ ، ١١٢) .

وأورده المهيثي في جمع الزوائد (٩ / ١٤٧) . وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن .

١٧٥٣ - المعجم الكبير (١ / ١١٢) .

وأورده المهيثي في جمع الزوائد (٩ / ١٤٨) . وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

رأيت منه فعلاً : أي رأيت منه فعلاً يدل على انزعاج .

١٧٥٤ - النسائي (٦ / ٢٩ ، ٣٠) كتاب الجهاد ، باب ما يقول من يطمعن العدو . ورواه ثقات .

١٧٥٥ - المستدرک (٣ / ١١٨) وقال : الذهبي : إسناده جيد .

لطلب دم عثمان رضي الله عنهم عَرَضُوا مِنْ مَعَهُمْ بِذَاتِ عِرْقٍ فَاسْتَصَفَرُوا عُرْوَةَ بْنَ الزَّيْبِرِ وَأَبَا بَكْرَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَرَدُّوهُمَا قَالَ : وَرَأَيْتُهُ وَأَحَبُّ الْمَجَالِسِ إِلَيْهِ أَخْلَاهَا أَوْ هُوَ ضَارِبٌ بِلَحِيَّتِهِ عَلَى زَوْرِهِ . فَقُلْتُ لَهُ . يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنِّي أُرَاكَ وَأَحَبُّ الْمَجَالِسِ إِلَيْكَ أَخْلَاهَا ، وَأَنْتَ ضَارِبٌ بِلَحِيَّتِكَ عَلَى زَوْرِكَ . إِنْ تَكَرَّرَ هَذَا الْيَوْمَ فِدَعِهِ ، فَلَيْسَ يُكْرَهُكَ عَلَيْهِ أَحَدٌ قَالَ : يَا عَلْقَمَةُ بْنُ وَقَاصٍ لَا تَلْمِني ، كُنَّا يَدًا وَاحِدَةً عَلَى مَنْ سَوَانَا فَأَصْبَحُوا الْيَوْمَ جَبِلِينَ يَزْحَفُ أَحَدُنَا إِلَى صَاحِبِهِ وَلَكِنَّهُ كَانَ مِنِّي فِي أَمْرِ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا لَا أَرَى كِفَارَتَهُ إِلَّا أَنْ يُسْفِكَ دَمِي فِي طَلَبِ دَمِهِ . قُلْتُ : فَحَمْدُ بْنُ طَلْحَةَ لَمْ تَخْرُجْهُ وَلَكَ وَلَدٌ صَغَارَ دَعُوهُ فَإِنْ كَانَ أَمْرًا خَلَفَكَ فِي تَرْكِكَ قَالَ هُوَ أَعْلَمُ أَكْرَهُ أَنْ أَرَى أَحَدًا لَهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ نِيَّةَ فَأَرَدَهُ فَكَلِمَتُ مُحَمَّدَ بْنَ طَلْحَةَ فِي التَّخَلُّفِ فَقَالَ : أَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ الرِّجَالَ عَنْ أَلِيٍّ .

١٧٥٦ - * رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى طَلْحَةَ فَقَالَ : أَرَأَيْتَكَ هَذَا الْيَمَانِيُّ هُوَ أَعْلَمُ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكَ - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - نَسِعَ مِنْهُ أَشْيَاءَ لَا نَسْمَعُهَا مِنْكَ ، قَالَ : أَمَّا إِنْ قَدْ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَمْ نَسْمَعْ ، فَلَا أَشْكُ ، وَسَأُخْبِرُكَ : إِنَّا كُنَّا أَهْلَ بَيْوتٍ ، وَكُنَّا إِذَا نَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَدَوَةٌ وَعَشِيَّةٌ ، وَكَانَ مِسْكِينًا لَا مَالَ لَهُ ، إِذَا هُوَ عَلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَا أَشْكُ أَنَّهُ قَدْ سَمِعَ مَا لَمْ نَسْمَعْ ، وَهَلْ تَجِدُ أَحَدًا فِيهِ خَيْرٌ يَقُولُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَمْ يَقُلْ ؟

١٧٥٧ - * رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ بُكَيْرٍ قَتَلَ طَلْحَةَ يَوْمَ الْجَمَلِ فِي جُمَادَى سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ ، وَسَنَةِ ثِنْتَانِ وَخَمْسُونَ أَوْ أَرْبَعٍ وَخَمْسُونَ سَنَةً .

١٧٥٨ - * رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ قَيْسِ بْنِ حَازِمٍ قَالَ : رَأَيْتُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ حِينَ رَمَى

= ضَارِبٌ بِلَحِيَّتِهِ عَلَى زَوْرِهِ : أَيُّ مَطْرَقٍ ، وَالزَّوْرُ : الصَّدْرُ .

١٧٥٦ - التِّرْمِذِيُّ (٥ / ٦٨٣ ، ٦٨٤) ٥٠ - كِتَابُ الْمَنَاقِبِ - ٤٧ - بَابُ مَنَاقِبِ لَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ .

١٧٥٧ - الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ (١ / ١١٣) .

أَوْرَدَهُ الْمِثْقَالِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (٩ / ١٥٠) وَقَالَ : رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ يَحْيَى هَكَذَا وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ .

١٧٥٨ - الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ (١ / ١١٣) .

أَوْرَدَهُ الْمِثْقَالِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (٩ / ١٥٠) وَقَالَ : رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ .

طلحة بسهم فوق في عين ركبتة ، فما زال يسيحُ إلى أن مات .

١٧٥٩ - * روى الطبراني عن طلحة بن مُصَرِّف : أن علياً انتهى إلى طلحة بن عبيد الله وقد مات فنزل عن دابته وأجلسه فجعلَ يمسحُ الغبار عن وجهه ولحيته وهو يترحمُ عليه ويبكي ويقولُ : ليتني مت قبلَ هذا اليوم بعشرين سنة .

١٧٥٩ - المعجم الكبير (١ / ١١٣ ، ١١٤) .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٥٠) وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن .

٣ - الزبير بن العوام رضي الله عنه

قال ابن كثير في ترجمته :

الزبيرُ بن العوام بن خُوَيْلِدٍ بن أسد بن عبد العزى بن قُصَي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة أبو عبد الله القرشي الأسدي ، وامه صفية بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ أسلم قديماً وعمره خمس عشرة سنة وقيل أقل وقيل أكثر هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فأخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمة بن سلامة ابن وقش ، وقد شهد المشاهد كلها .

وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ ، وصحبة الصديق فأحسن صحبته ، وكان ختنه على ابنته أسماء بنت الصديق ، وابنه عبد الله منها أول مولود ولد للمسلمين بعد الهجرة ، وخرج مع الناس إلى الشام مجاهداً فشهد اليرموك فتشرفوا بحضوره ، وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العليا ، اخترق جيوش الروم وصفوقهم مرتين من أولهم إلى آخرهم ، وكان من جملة من دافع عن عثمان وحاجف عنه ، فلما كان يوم الجمل ذكره عليّ بما ذكره به فرجع عن القتال وكرّ راجعاً إلى المدينة ، فر يقوم الأحنف بن قيس - وكانوا قد انزلوا عن الفريقين - فقال قائل يقال له الأحنف : ما بال هذا جمع بين الناس حتى إذا التقوا كرّ راجعاً إلى بيته ؟ من رجل يكشف لنا خبره ؟ فاتبعه عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع في طائفة من غواة بني تميم ، فيقال إنهم لما أدركوه تعاونوا عليه حتى قتلوه ، ويقال : بل أدركه عمرو بن جرموز فقال له عمرو : إن لي إليك حاجة فقال : ادن ! فقال مولى الزبير ، واسمه عطية - إن معه سلاحاً فقال : وإن ، فتقدم إليه فجعل يحدّثه وكان وقت الصلاة فقال له الزبير : الصلاة فقال : الصلاة فتقدم الزبير ليصلي بها فطعنّه عمرو بن جرموز فقتله ، ويقال بل أدركه عمرو بواد يقال له وادي السباع وهو نائم في القائلة فهجم عليه فقتله ، وهذا القول هو الأشهر .

وقد كان الزبير ذا مال جزيل وصدقات كثيرة جداً ، لما كان يوم الجمل أوصى إلى ابنه عبد الله فلما قتل وجدوا عليه من الدين ألفي ألف ومائتي ألف فوقوها عنه ، وأخرجوا بعد

ذلك ثلث ماله الذي أوصى به ثم قسمت التركة بعد ذلك فأصاب كل واحدة من الزوجات الأربع من ربع الثمن ألف ألف ومائتا ألف درهم ، فعلى هذا يكون مجموع ما قسم بين الورثة ثمانية وثلاثين ألف ألف وأربعمائة ألف والثلث الموصى به تسعة عشر ألف ألف ومائتا ألف فتلك الجملة سبعة وخمسون ألف ألف وستمائة ألف والذين المخرج قبل ذلك ألف ألف ومائتا ألف .

وقد جمع ماله هذا بعد الصدقات الكثيرة والمآثر الغزيرة مما أقاء الله عليه من الجهاد ومن خمس الخمس ما يخص أمه منه ، ومن التجارة المبرورة من الخلال المشكورة ، وقد قيل إنه كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج ، وربما تصدق في بعض الأيام بخرجهم كلهم رضي الله عنه وأرضاه ، وكان قتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وقد نيف على الستين بست أو سبع أ . هـ .

١٧٦٠ - * روى الطبراني عن أبي الأسود : أسلم الزبير وهو ابن ثمان سنين ، وهاجر وهو ابن ثمان عشرة ، وكان عمه يعلق الزبير في حصير ويدخن عليه بالنار ويقول : ارجع إلى الكفر ، فيقول لأكفر أبداً .

وكانت أمه صفية عمة رسول الله ﷺ حازمة في تأديبه صغيراً فنشأ على الفتوة والقوة والصبر والجلد ، وهو من جملة من أسلم على يد أبي بكر وكان هو وطلحة وعلي أتراباً (في سن واحدة) ، وكان أسمر طويلاً إذا ركب خطت رجلاه الأرض ، خفيف اللحية والعارضين .

قال الذهبي : وعن الثوري قال : هؤلاء الثلاثة نجدة الصحابة حمزة وعلي والزبير ، وكان إذا جعله بعض الصحابة وصياً على ذرية أنفق عليهم من ماله وحفظ أموالهم .

وقال الذهبي في عثمان وعلي وطلحة والزبير : من العشرة المشهود لهم بالجنة ، ومن البدرين ، ومن أهل بيعة الرضوان ، ومن السابقين الأولين الذين أخبر الله تعالى أنه رضي

١٧٦٠ - المعجم الكبير (١ / ١٢٢) .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٥١) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات إلا أنه مرسل .

عنهم ورضوا عنه ، ولأن الأربعة قتلوا ورزقوا الشهادة فنحن محبون لهم مبغضون للأربعة الذين قتلوا الأربعة .

وهذه بعض روايات في مناقبه وقد مرت روايات من قبل تشبهه :

١٧٦١ - * روى البخاري ومسلم عن جابر : قال النبي ﷺ يوم الأحزاب : « من يأتينا بخبر القوم ؟ » فقال الزبير أنا ، ثم قال : « من يأتينا بخبر القوم ؟ » فقال الزبير أنا ، ثم قال في الثالثة : « إن لكل نبي حوارياً وإن حوارياً الزبير » .

١٧٦٢ - * روى البخاري ومسلم عن ابن الزبير قال : كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمرو بن أبي سلمة مع النساء يعني نسوة النبي ﷺ في أطمر حسان بن ثابت ، فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة ، فلما رجعت قلت : يا أبت رأيتك تختلف ، قال وهل رأيتني يا بني ؟ قلت : نعم ؟ قال : كان النبي ﷺ قال : « من يأتي بني قريظة فيأتيهم ؟ » فانطلقت فلما رجعت جمع لي ﷺ أبويه قال : « فذاك أبي وأمي » .

١٧٦٣ - * روى الترمذي عن عروة أوصى الزبير إلى ابنه عبد الله صبيحة يوم الجمل فقال : مامني عضو إلا وقد جرح مع النبي ﷺ حتى انتهى ذلك مني إلى الفرج .

١٧٦٤ - * روى البخاري عن مروان بن الحكم قال : أصاب عثمان رصاصة شديدة سنة الرغاف حتى حبسه عن الحج ، وأوصى ، فدخل عليه رجل من قريش فقال : استخلف ، فقال عثمان : أو قالوه ؟ قال : نعم ، قال : ومن هو ؟ فسكت ، قال فلعلهم قالوا الزبير ؟

١٧٦١ : البخاري (٥٢ / ٦) ٥٦ - كتاب الجهاد - ٤٠ - باب فضل الطليعة .

ومسلم (١٨٧٩ / ٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٦ - باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما .

١٧٦٢ : البخاري (٨٠ / ٧) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ١٣ - باب مناقب الزبير بن العوام .

ومسلم (١٨٧٩ / ٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٦ - باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما .

١٧٦٣ : الترمذي (٦٤٧ / ٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٢٥ - باب مناقب الزبير بن العوام رضي الله عنه .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

١٧٦٤ : البخاري (٧٩ / ٧) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ١٣ - باب مناقب الزبير بن العوام .

قال : نعم ، قال أما والذي نفسي بيده إنه لخيرهم ما علمتُ ، وإن كان لأحبهم إلى رسول الله ﷺ .

١٧٦٥ - * روى البخاري عن عروة : كان في الزبير ثلاث ضَرَبَات : إحداهن في عاتقه إن كنت لأدخل أصابعي فيها ألعب بها وأنا صغير ، قال له أصحابُ النبي ﷺ يوم اليرموك : ألا تشد فنشدَ معك ؟ قال : إن شددتُ كذبتُ ، قالوا : لا نفعل ، فحمل عليهم حتى شق صفوفهم فجاوزهم وما معه أحد ، ثم رجع مقبلاً فأخذوا بلجامه فضربوه ضربتين بينهما ضربة ضَرَبَهَا يومَ بدر . وكان معه عبد الله يومئذ (أي يوم اليرموك) وهو ابن عشر سنين [وقيل اثني عشر أو ثلاث عشر ، عامًا] فحمله على فرسه فوكل به رجلاً .

١٧٦٦ - * روى البخاري عن عروة ، قال لي عبد الملك بن مروان حين قتل عبد الله : يا عروة هل تعرف سيف الزبير ؟ قلت : نعم ، قال : فما فيه ؟ قلت فيه فلة فلها يوم بدر ، وقال صدقت بهن فلول من قراع الكتائب ، ثم رده على عروة ، قال هشام : فأقنناه بثلاثة آلاف فأخذه بعضنا ، ووددت أني كنتُ أخذته وكان على بعضه .

١٧٦٧ - * روى البخاري عن الزبير بن العوام القرشي رضي الله عنه قال : أَلْقَيْتُ يوم بدرِ عَبِيدَةَ - ويقال : عَبِيدَةَ - بنَ سعيد بنِ العاص ، وهو مُدَجِّجٌ ، لا يُرى منه إلا عيناه ، وكان يُكْنَى أبا ذاتِ الكَرَشِ ، فقال : أنا أبو ذاتِ الكَرَشِ ، فحملتُ عليه بِالْعَنْزَةِ ، فطعنته في عينه ، فمات ، قال هشام بن عروة : فَأُخْبِرْتُ أن الزبير قال : لقد وضعتُ رجلي عليه ، ثم تَمَطَّيْتُ فكان الجَهْدُ : أن نَزَعْتُهَا ، وقد انثنى طرفاها ، قال عروة : فسأله إياها رسولُ الله ﷺ ، فأعطاه إياها ، فلما قَبِضَ أخذها ، ثم طلبها أبو بكر ، فأعطاه إياها ، فلما قَبِضَ أبو بكر أخذها ، ثم سألها عمرُ ، فأعطاه إياها ، فلما قبض عمر أخذها ، ثم طلبها عثمان

١٧٦٥ - البخاري (٧ / ٢٩٩) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨ - باب قتل أبي جهل .

١٧٦٦ - البخاري (٧ / ٢٩٩) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨ - باب قتل أبي جهل .

١٧٦٧ - البخاري (٧ / ٣١٤) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٢ - باب حدثني خليفة .

مُدَجِّجٌ : غائص في سلاحه .

الجَهْدُ : بضم الجيم : الوسع والطاقة ، وبفتحها : المشقة ، وقيل : هما لغتان في المشقة .

العَنْزَةُ : شبه العكازة ، في رأسها سنان كسنان الرمح .

منه ، فأعطاه إياها ، فلما قُتِلَ وَقَعَتْ إلى آل عليٍّ ، فطلبها عبد الله بن الزبير ، فكانت عنده حتى قُتِلَ .

١٧٦٨ - * روى البزار عن ابن عمر أنَّ الزبيرَ استأذنَ عمرَ في الجهاد فقال : اجلس فقد جاهدتَ معَ رسولِ الله ﷺ .

١٧٦٩ - * روى البزار عن نافع قال : سمعَ ابنُ عمرَ رجلاً يقول : يا ابنَ حواريِّ رسولِ الله ﷺ قال : إن كنتَ من آل الزبير وإلا فلا .

١٧٧٠ - * روى الحاكم عن زرِّ بن حَبِيشٍ قال : كنتُ جالساً عند عليٍّ فأُتِيَ برأسِ الزبيرِ ومعه قاتله ، فقال عليٌّ للأذنِ بشرُ قاتلِ ابنِ صَفِيَّةَ بالنارِ ، سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول : « لِكُلِّ نبيٍّ حواريٌّ وإن حواريَّ الزبيرِ » .

١٧٧١ - * روى البخاري ومسلم عن جابر ، قال رسول الله ﷺ يوم الخندق : « مَنْ يَأْتِينَا بِخَبْرٍ بَنِي قُرَيْظَةَ ؟ » فقال الزبير : أنا ، فذهبَ على فرسٍ ، فجاءَ بخبرهم . ثم قال الثانية ، فقال الزبير : أنا ، فذهب ، ثم الثالثة ، فقال النبي ﷺ : « لِكُلِّ نبيٍّ حواريٌّ » وحواريُّ الزبيرِ .

١٧٧٢ - * روى أحمد عن جابر قال قال رسول الله ﷺ : « الزُّبَيْرُ ابنُ عَمَّتِي ، وحواريٌّ من أمتي » .

١٧٧٣ - * روى الحاكم عن الزبير قال : أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال : « لِكُلِّ نبيٍّ

١٧٦٨ - البزار : كشف الأستار (٢ / ٢١٢) . وقال الميثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٥٢) : رواه البزار وإسناده حسن .
١٧٦٩ - البزار : كشف الأستار (٣ / ٢١١ ، ٢١٢) . وقال الميثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٥١) : رواه البزار ورجاله ثقات .

قال : إن كنت : أي قال ابن عمر للمخاطب .

١٧٧٠ - المستدرک (٣ / ٣٦٧) . وصححه ووافقه الذهبي ، وإسناده حسن .

١٧٧١ - البخاري (٦ / ٥٢) ٥٦ - كتاب الجهاد - ٤ - باب فضل الطليعة .

ومسلم (٤ / ١٨٧٩) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٦ - باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما .

١٧٧٢ - أحمد في مسنده (٣ / ٣١٤) وإسناده صحيح .

١٧٧٤ - المستدرک (٣ / ٣١٢) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة . ووافقه الذهبي .

خَوَارِيٍّ وَخَوَارِيٍّ الزَّبِيرِ وَابْنُ عَمِّي .

١٧٧٤ - * روى الحاكم عن عروة قال : لما كان يومَ الجمل دعا الزبيرُ ابنه عبدَ الله فأوصى إليه فقال : يا بني إن هذا يومٌ لَيَقْتُلَنَّ فيه ظالمٌ أو مظلومٌ والله لئن قُتِلْتُ لأُقْتَلَنَّ مظلوماً ، والله ما فعلتُ ولا فعلتُ أنظر يا بني دَينِي فاني لأدعُ شيئاً أهمُّ إليَّ منه ، وهو ألف ألف ومائتا ألف .

وقصة وصاته لابنه عبد الله في دينه وتركته مذكورة في البخاري تفصيلاً .

١٧٧٥ - * روى الحاكم عن عروة قال قالَ عبدُ الله بن الزبير لأبيه يَأْبَتِ حَدَّثَنِي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أحدثَ عنك ، فإن كل أبناء الصحابة يحدثُ عن أبيه . فقالَ : يا بُنَيَّ ما من أحدٍ صحبَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم بصحبةٍ إلا وقد صحبته بمثلها أو أفضل منها ولقد علمتُ بأن أمك أسباء ابنة أبي بكرٍ كانت تحتي وأن خالتك عائشة بنتُ أبي بكرٍ ولقد علمتُ أن أُمِّي صفية بنتُ عبدِ المطلب وأن أخوالي حمزةُ بنُ عبدِ المطلب وأبو طالبٍ وعباسُ وأن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنُ خالي ولقد علمتُ أن عمي خديجة بنت خويلدٍ كانت تحته ، وأن ابنتها فاطمة ابنة رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ولقد علمتُ أن خديجة أُمُّ أمها حبيبة بنت أسد بن عبد العزى ولقد علمتُ أن أُمَّ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم آمنة بنت وهبٍ بن عبد مناف بن زُهرَةَ . ولقد صحبته بأحسن صحبةٍ والحمد لله ، ولقد سمعته يقول : « من قال عليّ مالم أقل فليتبوأ مقعده من النار » .

١٧٧٦ - * روى الطبراني عن عروة قال : كانت على الزبير يومَ يديرُ عمامةَ صفراءَ ، فنزل جبريلُ على سيّءِ الزبير .

١٧٧٤ - المستدرك (٣ / ٢٦٥) ورواته ثقات .

١٧٧٥ - المستدرك (٣ / ٢٦١ ، ٢٦٢) . وفي معناه روايات كثيرة والقسم الأخير منه معناه متواتر ، وبعض روايات الحديث حسنة السند مرسلة ، والقسم الأول من الرواية المراد منه : أن نسب الزبير مرتبط بنسب رسول الله ﷺ ارتباطاً وثيقاً .

١٧٧٦ - المعجم الكبير (١ / ١٢٠) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٨٤) : وهو مرسل صحيح الإسناد .

١٧٧٧ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها في الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرخ للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ﴿^(١)﴾ قالت لعروة : يا ابن أخي ، كان أبواك منهم : الزبير وأبو بكر . لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا ، قال : من يذهب في إثرهم ؟ فانتدب منهم سبعون رجلاً . قال : كان فيهم أبو بكر والزبير .

١٧٧٨ - * روى الحاكم عن عروة قال : كانت نفحة من الشيطان أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قد أخذ فسمع بذلك الزبير وهو ابن إحدى عشرة سنة فخرج بالسيف مسلولا حتى وقف على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال « ماشأنك ؟ » فقال : أردت أن أضرب من أخذك فدعا له النبي صلى الله عليه وآله وسلم وليسفه وكان أول سيف سل في سبيل الله عز وجل .

١٧٧٩ - * روى أحمد (عن مطرف) قال : قلت للزبير : ما جاء بك ؟ ضيعة الخليفة حتى قتل ، ثم جئتم تطلبون بدمه ؟ قال : إنا قرأنا على عهد رسول الله ﷺ ، وأبي بكر ، وعمر ، وعثمان : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ ^(٢) ، لم نكن نحسب أنا أهلها ، حتى وقعت منا حيث وقعت .

١٧٨٠ - * روى ابن سعد عن ابن عباس أنه أتى الزبير فقال : أين صفية بنت عبد المطلب حيث تقاتل بسيفك علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ؟ قال : فرجع الزبير فلقيه ابن جرموز فقتله ، فأتى ابن عباس علياً فقال : إلى أين قاتل ابن صفية ؟ قال علي : إلى النار .

(١) آل عمران : ١٧٢ .

١٧٧٧ - البخاري (٧ / ٣٧٢) ٦٤ - كتاب المغازي ٢٥ - باب في الذين استجابوا لله والرسول .

١٧٧٨ - المستدرک (٣ / ٣٦٠ ، ٣٦١) . رجاله ثقات لكنه مرسل ، وسكت عنه الذهبي .

نفحت نفحة من الشيطان : المراد ظهرت شائعة .

(٢) الأنفال : ٢٥ .

١٧٧٩ - أحمد في مسنده (١ / ١٦٥) وإسناده حسن .

١٧٨٠ - الطبقات الكبرى (٣ / ١١٠) ورجالها ثقات . وقال الحافظ في الإصابة : سنده صحيح .

١٧٨١ - * روى ابن سعد عن (جَوْنُ بن قَتَادَةَ) قال : كنتُ مع الزبير يومَ الجملِ ، وكانوا يُسَلِّمون عليه بالإمرة ، إلى أن قال : فطعنَه ابنُ جَرْمُوزٍ ثانياً ، فأثبَّتَه ، فوقَّعَ ، ودَفَنَ بوادي السباعِ ، وجلسَ عليّ رضي الله عنه يبكي عليه هو وأصحابه .

١٧٨٢ - * روى الطبراني عن (يحيى بن بُكَيْرٍ) : قتل الزبير يومَ الجملِ لأدري الأولى ، أو الآخرة سنة ست وثلاثين ، وأسلم وهو ابن ثمان سنين ، فإن كان النبي ﷺ أقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، فهو يوم قتل ابن سبع وخمسين ، وإن أقام عشر سنين فالزبير ابن أربع وخمسين .

١٧٨٣ - * روى البخاري عن عبد الله بن الزبير قال : لما وَقَفَ الزبيرُ يومَ الجملِ دَعَانِي فقمْتُ إلى جنبه فقال : يَا بُنَيَّ لَا يُقْتَلُ الْيَوْمَ إِلَّا ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ ، وَإِنِّي لَا أُرَانِي إِلَّا سَاقِطاً الْيَوْمَ مَظْلُوماً ، وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّي لَدَيْنِي ، أَفْتَرَى بُقَيْدًا مِنْ مَالِنَا شَيْئاً فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، بَعْ مَالَنَا ، فاقضِ دَيْنِي وَأَوْصِ بِالْثَلَاثِ ، وَثَلَاثُهُ لَبْنِيهِ - يعني بني عبد الله بن الزبير ، يقول : ثَلَاثُ الثَلَاثِ - فَإِنْ فَضَلَ مِنْ مَالِنَا فَضْلاً بَعْدَ قِضَاءِ الدَّيْنِ فَثَلَاثُهُ لَوْلَدِكَ . قال هشامٌ : وكان بعضُ وَلَدِ عبد الله قد وازَى بعضَ بني الزبير - حَبِيبَ وَعَبَادَ - وَلَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعَةُ بَنِينَ وَتِسْعُ بَنَاتٍ . قال عبدُ الله : فجعلَ يُوصِينِي بِدِينِهِ ويقولُ : يَا بُنَيَّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِزْ عَلَيْهِ مَوْلَايَ . قال : فواللهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ : يَا أَبَتِ مَنْ مَوْلَاكَ ؟ قال : الله . قال : فواللهِ مَا وَقَعْتُ فِي كَرْبَةٍ مِنْ دِينِهِ إِلَّا قُلْتُ : يَا مَوْلَى الزبيرِ اقضِ عَنْهُ دَيْنَهُ ، فيقضيه . فَقَتَلَ الزبيرُ رضي الله عنه ولم يَدَعْ دِينَاراً ولا دِرْهماً ، إِلَّا أَرْضِينَ مِنْهَا الْغَابَةَ ، وإحدى عشرة داراً بالمدينة ، ودارين بالبصرة ، وداراً بالكوفة ، وداراً بمصر . قال : وإنما كان دِينُهُ الذي عليه أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَأْتِيهِ بِالْمَالِ فَيَسْتَوْدِعُهُ إِيَّاهُ ، فيقولُ الزبيرُ : لا ، وَلَكِنَّهُ سَلَفَ ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ الضَّيْعَةَ . وما ولي إمارة قط ولا جباية خراج ولا شيئاً إلا أن

١٧٨١ - الطبقات الكبرى (٣ / ١١١ ، ١١٢) ورجاله ثقات .

١٧٨٢ - المعجم الكبير (١ / ١٢٢) .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٥٢) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٧٨٣ - البخاري (٦ / ٢٢٧ ، ٢٢٨) ٥٧ - كتاب فرض الجس - ١٣ - باب بركة الغازي في ماله حيا وميتا مع النبي ﷺ وولاه الأمر .

يَكُونُ فِي غَزْوَةٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ الزُّبَيْرِ فَحَسِبْتُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ فَوَجَدْتُهُ أَلْفِي أَلْفٍ وَمِائَتِي أَلْفٍ قَالَ : فَلَقِيَّ حَكِيمُ بْنُ
حِزَامٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي : كَمْ عَلَى أَخِي مِنَ الدِّينِ ؟ فَكْتَمَهُ . فَقَالَ : مِائَةٌ
أَلْفٍ . فَقَالَ حَكِيمُ : وَاللَّهِ مَا أَرَى أَمْوَالَكُمْ تَسَعُ لِهَذِهِ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : أَرَأَيْتَكَ إِنْ كَانَتْ
أَلْفِي أَلْفٍ وَمِائَتِي أَلْفٍ ؟ قَالَ : مَا أَرَأَيْتَ تَطِيقُونَ هَذَا ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِينُوا
بِي : قَالَ : وَكَانَ الزُّبَيْرُ اشْتَرَى الْعَابَةَ بِسَبْعِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ . فَبَاعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بِالْأَلْفِ أَلْفٍ وَسِتِّ مِائَةٍ
أَلْفٍ : ثُمَّ قَامَ فَقَالَ : مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ حَقٌّ فَلْيُؤَاغِرْنَا بِالْعَابَةِ . فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ -
وَكَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ - فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ : إِنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُهَا لَكُمْ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَا .
قَالَ : فَإِنْ شِئْتُمْ جَعَلْتُهَا فِيمَا تُؤَخَّرُونَ إِنْ أَخَّرْتُمْ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَا . قَالَ قَالَ : فَاقْطَعُوا
لِي قِطْعَةً . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَكَ مِنْهَا هُنَا إِلَى هُنَا . قَالَ فَبَاعَ مِنْهَا فَقَضَى دَيْنَهُ فَأَوْفَاهُ .
وَبَقِيَ مِنْهَا أَرْبَعَةُ أَصْهُمٍ وَنِصْفٌ ، فَقَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ - وَعِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ وَالْمُنْذَرُ بْنُ
الزُّبَيْرِ ، وَابْنُ زَمْعَةَ - فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : كَمْ قَوَّمتِ الْعَابَةُ ؟ قَالَ : كُلُّ سَهْمٍ مِائَةُ أَلْفٍ . قَالَ :
كَمْ بَقِيَ ؟ قَالَ : أَرْبَعَةُ أَصْهُمٍ وَنِصْفٌ . فَقَالَ الْمُنْذَرُ بْنُ الزُّبَيْرِ : قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ .
وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ : قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ . وَقَالَ ابْنُ زَمْعَةَ : قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ
أَلْفٍ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ كَمْ بَقِيَ ؟ فَقَالَ : سَهْمٌ وَنِصْفٌ . قَالَ : أَخَذْتُه بِخَمْسِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ .
قَالَ : وَبَاعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ نَصِيبَهُ مِنْ مُعَاوِيَةَ بِسِتِّ مِائَةِ أَلْفٍ . فَلَمَّا فَرَغَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ
قَضَاءِ دَيْنِهِ قَالَ بَنُو الزُّبَيْرِ : اقْسُمْ بَيْنَنَا مِيرَاثَنَا . قَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ حَتَّى أَنْادِيَ
بِالْمَوْسَمِ أَرْبَعَ سِنِينَ : أَلَا مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَلِنَقْضِهِ : قَالَ : فَجَعَلَ كُلُّ سَنَةٍ
يُنَادِي بِالْمَوْسَمِ . فَلَمَّا مَضَى أَرْبَعُ سِنِينَ قَسَمَ بَيْنَهُمْ . قَالَ : وَكَانَ لِلزُّبَيْرِ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ ، وَرَفَعَ
الثَّلَاثَ فَأَصَابَ كُلُّ امْرَأَةٍ أَلْفَ أَلْفٍ وَمِائَتَا أَلْفٍ .

٤ - عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

قال ابن كثير في ترجمته :

عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة ، أبو محمد القرشي الزهري ، أسلم قديماً على أيدي أبي بكر ، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة ، وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع ، وشهد بدرًا وما بعدها ، وأمره رسول الله ﷺ حين بعثه إلى بني كلب وأرخص له عذبة بين كتفيه ، لتكون أمانة عليه للإمارة ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الثانية السابقين إلى الإسلام ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، ثم أحد الثلاثة الذين انتهت إليهم منهم ، كما ذكرنا . ثم كان هو الذي اجتهد في تقديم عثمان رضي الله عنه ، وقد تناول هو وخالد بن الوليد في بعض الغزوات فأغلظ له خالد في المقال ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال « لاتسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدكم ولا تصيفه » وهو في الصحيح .

وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ صلى وراءه الركعة الثانية من صلاة الفجر في بعض الأسفار ، وهذه منقبة عظيمة لاتبارى . ولما حضرته الوفاة أوصى لكل رجل من بقي من أهل بدر بأربعمائة دينار - وكانوا مائة - فأخذوها حتى عثمان وعلي ، وقال علي : اذهب يا ابن عوف فقد أدركت صفوها ، وسبقت زنتها (كدرها) وأوصى لكل امرأة من أمهات المؤمنين بمبلغ كثير ، حتى كانت عائشة تقول سقاها الله من السلسبيل . وأعتق خلقاً من ماله ثم ترك بعد ذلك كله مالا جزيلاً ، من ذلك ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال ، وترك ألف بعير ومائة فرس ، وثلاثة آلاف شاة ترعى بالبقيع ، وكان نساؤه أربعاً فصولت إحداهن من ربيع الثمن بثمانين ألفاً ، ولما مات صلى عليه عثمان بن عفان ، وحل في جنازته سعد بن أبي وقاص ، ودفن بالبقيع عن خمس وسبعين سنة . وكان أبيض مشرباً حمرة حسن الوجه ، رقيق البشرة ، أعين أهدب الأشفار ، أقنى ، له جُمة ، ضخم الكفين ، غليظ الأصابع ، لا يغير شبيهه رضي الله عنه . ١ . هـ .

وقال ابن حجر في ترجمته :

وأسلم قديماً قبل دخول دار الأرقم وهاجر المهجرتين وشهد بداراً وسائر المشاهد ... وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع وبعثه النبي ﷺ إلى دومة الجندل وأذن له أن يتزوج بنت ملكهم الأصمغ بن ثعلبة الكلبي ففتح عليه فتزوجها وهي تماضر أم ابنة أبي سلمة وهو الذي رجع عمر بمحدثه من سُرْع (موضع قرب الشام بين المغيرة وتبوك) ، ولم يدخل الشام بسبب الطاعون ورجع إليه عمر في أخذ الجزية من المجوس كما في صحيح البخاري ويقال إنه جرح يوم أحد إحدى وعشرين جراحة وعاش اثنين وسبعين سنة أ . هـ .

وقال الذهبي في ترجمته :

ومن أفضل أعمال عبد الرحمن عزله نفسه من الأمر وقت الشورى واختياره للأمة مَنْ أشار به أهل الحل والعقد ، فنهض في ذلك أتم نهوض على جمع الأمة على عثمان ، ولو كان محايياً فيها ، لأخذها لنفسه ، أو لولائها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص .

عن طلحة بن عبد الله بن عوف قال : كان أهل المدينة عيالاً على عبد الرحمن بن عوف : ثلث يُقرضهم ماله ، وثلث يقضي دينهم ، ويصل ثلثاً .

عن ابن المسيب قال : كان بين طلحة وابن عوف تباعد ، فرض طلحة ، فجاء عبد الرحمن يعوده ، فقال طلحة أنت والله يا أخي خير مني . قال : لاتفعل يا أخي ، قال : بلى والله ، لأنك لو مرضت ماعدتُك .

عن سعد بن الحسن قال : كان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من بين عبده . ا . هـ .

أقول : لقد كان عقل عبد الرحمن بن عوف من أثق العقول في الحكم والسياسة والاقتصاد ، فكثير من مفضلات السياسة والحكم والاقتصاد كان له رأي سديد في حلها وهذه بعض الروايات فيه وفي مناقبه .

١٧٨٤ - * روى ابن ماجه عن المغيرة بن شعبة قال : تَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَأَنْتَهَيْنَا إِلَى الْقَوْمِ وَقَدْ صَلَّى بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَكْعَةً فَلَمَّا أَحَسَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ ذَهَبَ يَتَأَخَّرُ ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَمَّ الصَّلَاةَ ، قَالَ : « وَقَدْ أَحْسَنْتَ كَذَلِكَ فَأَفْعَلُ » .

١٧٨٥ - * روى الحاكم عن عبد الرحمن بن عوف قال : كان اسمي في الجاهلية عبد عمرو ، فسماني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الرحمن .

١٧٨٦ - * روى الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : ابْتَلَيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالضَّرَاءِ ، فَصَبْرُنَا ، ثُمَّ ابْتَلَيْنَا بَعْدَهُ بِالسَّرَاءِ فَلَمْ نَصْبِر .

١٧٨٧ - * روى الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول لنسائه : « إِنْ أَمَرَكُنَّ مَا يَهْمُنِي مِنْ بَعْدِي ، وَلَنْ يَصْبِرَ عَلَيْكُنَّ إِلَّا الصَّابِرُونَ الصَّادِقُونَ » قالت عائشة : يعني المتصدقين - ثم قالت عائشة لأبي سلمة بن عبد الرحمن : سَقَى اللَّهُ أَبَاكَ مِنْ سُلْسِيلِ الْجَنَّةِ ، وكان ابنُ عوفٍ قد تصدَّقَ عَلَى أَمْهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَحْدِيقَةٍ بِيَعْتُ بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا .

١٧٨٨ - * روى الترمذي والحاكم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن رضي الله عنهما أن عبد الرحمن بن عوف أوصى بمحديقة لأمهات المؤمنين بيعت بأربعمئة ألف .

١٧٨٤ - ابن ماجه (١ / ٣٩٢) ٥ - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها - ١٤٣ - باب ما جاء في صلاة رسول الله ﷺ خلف رجل من أمته .

١٧٨٥ - المستدرک (٣ / ٣٠٦) . وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

١٧٨٦ - الترمذي (٤ / ٦٤٢) ٣٨ - كتاب صفة القيامة - ٣٠ - باب حدثنا قتيبة . . .

وقال : هذا حديث صحيح .

١٧٨٧ - الترمذي (٥ / ٦٤٨) ٥٠ - كتاب المناقب - ٢٦ - باب مناقب عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه .

وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

والمستدرک (٢ / ٣١١ ، ٣١٢) . وقال : فقد صح الحديث عن عائشة وأُم سلمة رضي الله عنهما . ووافقه الذهبي .

سلسبيل : السلسبيل : اسم عين في الجنة ، ويقال : شرابٌ سُلْسُلٌ وسلسالٌ وسُلْسِيلٌ : إذا كان سائغاً سَلِسًا في الحلق ، وهو صفة لما كان في غاية السلاسة .

الحديقة : البستان عليه حائط أحرق به .

١٧٨٨ - الترمذي (٥ / ٦٤٩) ٥٠ - كتاب المناقب - ٢٦ - باب مناقب عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

١٧٨٩ - * روى الحاكم وابن سعد عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أنه غشي على عبد الرحمن بن عوف في وجعه غشية فظنوا أنها قد فاضت نفسه فيها حتى قاموا من عنده وجللوا ثوباً وخرجت أم كلثوم بنت عقبة امرأته إلى المسجد تستعين فبأمرت به من الصبر والصلاة ، فلبثوا ساعة وهو في غشيته ثم أفاق فكان أول ما تكلم به أن كبر فكبر أهل البيت ومن يليهم ثم قال لهم : غشي علي أنفا قالوا : نعم . فقال : صدقتم . فقال : إنه انطلق بي في غشيتي رجلان ، أحدهما فيه شدة وفظاظة فقالا : انطلق نحاك إلى العزيز العليم . فقال : أرجعاه فإنه من الذين كتب الله لهم السعادة والمغفرة في بطون أمهاتهم وإنه سيتبع به بنوه إلى ما شاء الله ، فعاش بعد ذلك شهراً ثم توفي رضي الله عنه .

١٧٩٠ - * روى الحاكم وابن سعد عن إبراهيم بن سعد قال سمعت أبي يحدث عن أبيه قال : سمعت علياً رضي الله عنه يقول لعبد الرحمن بن عوف يوم مات : أذهب يا ابن عوف فقد أدركت صفوها وسبقت رتقها .

عن سعيد بن المسيب أن سعد بن أبي وقاص أرسل إلى عبد الرحمن رجلاً وهو قائم يخطب : أن أرفع رأسك إلى أمر الناس . أي ادع إلى نفسك . فقال عبد الرحمن : فكيف لك أمك ! إنه لن يلي هذا الأمر أحد بعد عمر إلا لامة الناس^(١) .

عن (ابن عمر) قال : استخلف عمر عبد الرحمن بن عوف على الحج سنة ولبي الخلافة ، ثم حج عمر في بقية عمره^(٢) .

١٧٩١ - * روى البخاري عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : لما قدمنا المدينة

= والمستدرک (٣ / ٢١٢) بنحوه . وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وله شاهد صحيح على شرط الشيخين . ووافقه الذهبي .

١٧٨٩ - المستدرک (٣ / ٣٠٧) . وسكت عنه الذهبي . والطبقات الكبرى (٣ / ١٣٤ ، ١٣٥) وأسانيد صحبه .

١٧٩٠ - المستدرک (٣ / ٣٠٨) . وإسناده صحيح . والطبقات الكبرى (٣ / ١٣٥ ، ١٣٦) .

رتقها : الرق الكدر .

(١) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (١ / ٨٧) . وقال محققه : رجاله ثقات .

(٢) ذكره الحافظ في الإصابة (٤ / ١٧٧) عن خليفة بسند له قوي .

١٧٩١ - البخاري (٦ / ٢٨٨) ٣٤ - كتاب البيوع - ١ - باب ما جاء في قول الله عز وجل : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ﴾ إلى قوله : ﴿ والله خير الرازقين ﴾ وقوله : ﴿ لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ .

آخى رسول الله ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع . فقال سعد بن الربيع : إني أكثر الأنصار مالا ، فأقسم لك نصف مالي . وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها ، فإذا حلت تزوجتها . قال : فقال له عبد الرحمن : لاحتاجة لي في ذلك . هل من سوق فيه تجارة ؟ قال : سوق قينقاع . قال : فغدا إليه عبد الرحمن فأق باقظ وسمي . قال : ثم تابع الغدو . فما لبث أن جاء عبد الرحمن عليه أثر صفرة . فقال رسول الله ﷺ : « تزوجت ؟ » قال : نعم . قال : « ومن ؟ » قال : امرأة من الأنصار . قال : « كم سقت ؟ » قال : زنة نواة من ذهب - أو نواة من ذهب - فقال له النبي ﷺ : « أولم ولو بشاة » . أخرجه البخاري .

قال الذهبي : ثم آل أمره في التجارة إلى مآل . قال أبو عمر بن عبد البر : كان محدوداً في التجارة خلف ألف بعير وثلاثة آلاف شاة ومائة فرس ، وكان يوزع بالجرف على عشرين ناضحاً .

أقول : هذا على كثرة إنفاقه في سبيل الله ، قال الذهبي : هذا هو الغني الشاكر ، وأويس فقير صابر ، وأبو ذر أو أبو عبيدة زاهد عفيف .

٥ - سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

قال ابن كثير في ترجمته :

سعد بن أبي وقاص واسمه (أبو وقاص) مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، أبو إسحاق القرشي الزهري ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، أسلم قديماً ، قالوا : وكان يوم أسلم عمره سبع عشرة سنة . وثبت عنه في الصحيح أنه قال : ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام سابع سبعة ، وهو الذي كَوَّفَ الكوفة (جعلها مدينة) ونفى عنها الأعاجم ، وكان مجاب الدعوة ، وهاجر وشهد بدرأ وما بعدها ، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله ، وكان فارساً شجاعاً من أمراء رسول الله ﷺ ، وكان في أيام الصديق معظماً جليل المقدار ، وكذلك في أيام عمر ، وقد استنابه على الكوفة ، وهو الذي فتح المدائن ، وكانت بين يديه وقعة جلولاء . وكان سيداً مطاعاً ، وعزله عن الكوفة عن غير عجز ولا خيانة ، ولكن لمصلحة ظهرت لعمر في ذلك . وقد ذكره في الستة أصحاب الشورى ، ثم ولاء عثمان بعدها ثم عزله عنها .

وكانت وفاة سعد بالعقيق خارج المدينة ، فحمل إلى المدينة على أعناق الرجال فصلى عليه مروان ، وصلى بصلاته أمهات المؤمنين الباقيات الصالحات ، ودفن بالبقيع . وكان ذلك في هذه السنة - سنة خمس وخمسين - على المشهور الذي عليه الأكثرون ، وقد جاوز الثمانين على الصحيح .

قالوا كان قصيراً غليظاً شثن الكفين أفطس أشعر الجسد ، يخضب بالسواد ، وكان ميراثه مائتي ألف وخمسين ألفاً [من الدراهم] أ . هـ .

وقد وصفه النووي في تهذيب الأسماء والصفات : وكان آدم [أسمر] طوالاً ذا هامة . ومن كلام ابن حجر في ترجمته : وكان مجاب الدعوة مشهوراً بذلك ولما قتل عثمان لزم بيته واعتزل الفتنة وكان من أحد الناس بصرأ ، وكان سعد أول من رمى بسهم في سبيل الله [وذلك في جيش عبيدة بن الحارث حين بعثه رسول الله ﷺ إلى رابغ يلقي غير

قريش [عن أبي إسحاق قال : أشد الصحابة [أقوام جَسَمًا] أربعة : عمر وعلي والزبير وسعد . أ . هـ .

قال الذهبي : ومن مناقب سعد أنَّ فتح العراق كان على يديَّ سعد ، وهو كان مقدّم الجيوش يوم وقعة القادسية ، ونصر الله دينه . ونزل سعد بالمدائن ، ثم كان أمير الناس يوم جلّولاء فكان النصر على يده ، واستأصل الله الأكرسة .

وقع له في مسند بقيّ بن مخلد مثنان وسبعون حديثاً ، فمن ذلك في الصحيح ثمانية وثلاثون حديثاً . أ . هـ .

وما ورد فيه وفي مناقبه:

١٧٩٢ - * روى البخاري ومسلم عن علي : ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك ، فإني سمعته يقول يوم أحد : « ياسعد ارم فذاك أبي وأمي » .

١٧٩٣ - * روى البخاري عن سعد : ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام .

قوله : (ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه) : قال ابن حجر : هذا بحسب اطلاعه أو يحتمل قوله على الأحرار البالغين أ . هـ ، ويشتمل قول سعد على ظاهره أنه لم يسلم أحد قبله ، لكن وردت بدون « إلا » ولا إشكال فيها وعلى هذه الرواية تحمل « حسب اطلاعه » والله أعلم .

١٧٩٤ - * روى مسلم عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال : خلّفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه . ولا تأكل ولا تشرب . قالت : زعمت أن الله وصاك بالدينك . وأنا أمرك بهذا .

١٧٩٢ - البخاري (٣٥٨ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٨ - باب : ﴿ إذا همت طائفتان منكم أن تفشلا ... الآية ﴾

ومسلم (١٨٧٦ / ٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٥ - باب فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

١٧٩٣ - البخاري (٨٣ / ٧) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ١٥ - باب مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري .

١٧٩٤ - مسلم (١٨٧٧ / ٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٥ - باب مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري .

قَالَ : مَكَثْتُ ثَلَاثًا حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ . فَقَامَ ابْنُ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةٌ . فَسَقَاهَا . فَجَعَلْتُ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي ﴾ ^(١) وَفِيهَا : ﴿ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ ^(٢) .

قَالَ : وَأَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَنِيَّةٌ عَظِيمَةٌ . فَإِذَا فِيهَا سَيْفًا فَأَخَذَتْهُ . فَأَتَيْتُ بِهِ الرَّسُولَ ﷺ . فَقُلْتُ : تَقْلِنِي هَذَا السَّيْفَ . فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتُ حَالَهُ . فَقَالَ « رُدُّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ » فَأَنْطَلَقْتُ . حَتَّى إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَلْقِيَهُ فِي الْقَبْضِ لَأَمْتَنِي نَفْسِي ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ . فَقُلْتُ : أَعْطِنِيهِ . قَالَ فَشَدَّ لِي صَوْتَهُ « رُدُّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ » قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾ ^(٣) .

قَالَ : وَمَرِضْتُ فَأُرْسِلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَتَانِي فَقُلْتُ : دَعْنِي أَقْسِمَ مَالِي حَيْثُ شِئْتُ . قَالَ فَأَبَى . قُلْتُ : فَالْنِّصْفَ . قَالَ فَأَبَى . قُلْتُ : فَالْثُلُثَ . قَالَ فَسَكَتَ . فَكَانَ ، بَعْدُ ، الثُّلُثُ جَائِزًا .

قَالَ : وَأَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ . فَقَالُوا : تَعَالَ نُطْعِمَكَ وَنُسْقِيكَ خَمْرًا . وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُحَرَّمَ الْخَمْرُ . قَالَ فَأَتَيْتُهُمْ فِي حَشٍّ - وَالْحَشُّ الْبُسْتَانُ - فَإِذَا رَأْسُ جَزْوَرٍ مَشْوِيٍّ عِنْدَهُمْ ، وَرِيقٌ مِنْ خَمِيرٍ . قَالَ فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ مَعَهُمْ . قَالَ فَذَكَرْتُ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرُونَ عِنْدَهُمْ . فَقُلْتُ : الْمُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ . قَالَ فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لَحْيِي الرَّأْسِ فَضَرَبَنِي بِهِ فَجَرَحَ بِأَنْفِي . فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ - يَعْنِي نَفْسَهُ - شَأْنَ الْخَمْرِ - ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْمِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ ^(٤) .

(١) العنكبوت : ٨ .

(٢) لقمان : ١٥ .

القبض : هو الموضع الذي يجمع فيه الغنائم .

(٣) الأنفال : ١ .

(٤) المائدة : ٩٠ .

١٧٩٥ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة : كان رسول الله ﷺ سهر مقدمه المدينة ليلة ، فقال : « ليت رجلاً من أصحابي صالحاً يحرسني الليلة » فبينما نحن كذلك إذ سمعنا خشخشة سلاح ، فقال « من هذا ؟ » قال : أنا سعد ، قال له « ما جاء بك ؟ » قال : وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه ، فدعا له ثم نام .

١٧٩٦ - * روى الترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم استجب لسعد إذا دعاك » .

وقال : وقد روي هذا الحديث عن قيس بن سعد : أن النبي ﷺ قال : « اللهم استجب لسعد إذا دعاك » . وهذا أصح .

١٧٩٧ - * روى الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كنت جالساً مع رسول الله ﷺ ، فأقبل سعد إلى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا خالي ، فليبرني امرؤ خالهُ » .

وقال : كان سعد من بني زهرة ، وكانت أم النبي ﷺ من بني زهرة ، فلذلك قال النبي ﷺ « هذا خالي » .

١٧٩٨ - * روى البخاري عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : شكاه أهل الكوفة سعداً إلى عمر بن الخطاب ، فعزله ، واستعمل عليهم عماراً ، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن

١٧٩٥ - البخاري (٨١ / ٦) ٥٦ - كتاب الجهاد - ٧٠ - باب الحراسة في الغزو في سبيل الله .

ومسلم (٤ / ١٨٧٥) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٥ - باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

١٧٩٦ - الترمذي (٥ / ٦٤٩) ٥٠ - كتاب المناقب - ٢٧ - باب مناقب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

وقال : حديث صحيح الإسناد .

والمستدرک (٣ / ٤٩٩) . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

١٧٩٧ - الترمذي (٥ / ٦٤٩) ٥٠ - كتاب المناقب - ٢٧ - باب مناقب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

والمستدرک (٣ / ٤٩٨) . وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

١٧٩٨ - البخاري (٢ / ٢٣٦) ١٠ - كتاب الأذان - ٩٥ - باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر

والسفر وما يجهر فيها وما يخافت .

يُصَلِّي ، فأرسل إليه ، فقال : يا أبا إسحاق ، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تُحَسِّنُ تَصَلِّي ، قال :
 أمّا أنا فوالله إني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ، لأخريم عنها : أصلي صلاتي
 العشي ، فأركد في الأوليين ، وأخفف في الآخرين ، قال : فإن ذاك الظن بك يا أبا
 إسحاق ، فأرسل معه رجلاً - أو رجلاً - إلى الكوفة ، يسأل عنه أهل الكوفة ، فلم يدع
 مسجداً إلا سأل عنه ؟ ويشنون عليه معروفاً ، حتى دخل مسجداً لبني عبّس ، فقام رجل
 منهم يقال له : أسامة بن قتادة - يكنى أبا سعدة - فقال : أمّا إذ نشدتنا فإن سعداً كان
 لا يسير بالسرية ، ولا يقسم بالسوية ، ولا يُعْدِلُ في القضية ، قال سعد : أمّا والله ، لأدعون
 بثلاث : اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً ، قام رياءً وسمعة ، فأطيل عُمَرَهُ ، وأطيل قُفْرَهُ ،
 وعرضه للفتن . فكان بعد ذلك إذا سئل يقول : شيخ كبير مفتون ، أصابتني دعوة سعد .
 قال عبد الملك بن عمير - الراوي عن جابر بن سمرة - فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على
 عينيه من الكِبَر ، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق ، فيغمزهن .

١٧٩٩ - * روى البزار عن سعد قال : بعثني رسول الله ﷺ أستخبر له خبراً ، فذهبت
 وأنا أسمى حتى صرت إلى القوم ، ثم جئت وأنا أمشي على هينتي حتى صرت إلى النبي ﷺ
 فسألني فأخبرته ، فقال : « ذهبت شديداً ثم جئت على هينتك » أو كما قال . فقلت :
 يا رسول الله إني كرهت أن أسمى فيظن بي القوم أني قد فرقت فقال النبي ﷺ « إن سعداً
 لمجرب » .

= لا أخرم عنها : ما خرمت منه شيئاً ، أي : ما قصت .

صلاتي العشي : صلاتا العشي ها هنا : هما صلاة الظهر والعصر ، فإن العشي : هو من لدن زوال الشمس إلى آخر
 النهار ، وقيل : إلى طلوع الفجر .
 الركود : كناية عن السكون والثبات .
 لا يسير بالسرية : لا يسير بالسرية ، أي لا يخرج بنفسه معها في الغزو ، ويجوز أن يريد : لا يسير فينا بالقضية
 السرية ، أي : النفيسة .

رياءً وسمعة : يقال : فعل فلان كذا وكذا رياءً وسمعة ، أي ليرى فعله ويسمع عنه ذلك .

١٧٩٩ - البزار : كشف الأستار (٣ / ٢٠٧) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٥٥) : رواه البزار وإسناده حسن .
 أسمى : أعدو .

١٨٠٠ - * روى البخاري ومسلم والترمذي عن قيس بن أبي حازم رحمه الله قال : سمعتُ سعدَ بنَ أبي وقاص يقول : إني لأولُ رجلٍ رمى بسهم في سبيل الله ورأيتُنا نغزو مع رسول الله ﷺ ومالنا طعام إلا الحَبْلَةُ وورقَ السَّمَر ، وإن كان أحدنا ليَضَعُ كما تضع الشاة ، ماله خِلْطٌ ، ثم أصبحتُ بنو أسد تُعزّزني على الإسلام ، لقد خِبتُ إذا وُضِلَّ عملي .
وكانوا وشّوا به إلى عَمَرَ ، وقالوا : لا يُحْسِنُ يَصَلِّي .

١٨٠١ - * روى البخاري عن قبيصة بن جابر قال ابن عم لنا يوم القادسية :

ألم تر أن الله أنزل نصره وسعدٌ بباب القادسية مُعَصِّمٌ
فأبنا وقد أمتُ نساء كثيرة ونسوة سعدٍ ليس فيهن أيم

فبلغ سعداً قوله فقال عبي لسانه ويده فجاءت نشابة فأصابت فاه فخرس ثم قطعت يده في القتال فقال [سعد] احملوني على باب ، فخرج به محمولاً ثم كشف عن ظهره وفيه قروح فأخبر الناس بعذره فعذروه ، وكان سعد لا يجبن . وفي رواية يقاتل حتى ينزل الله نصره وقال : وقطعت يده وقتل .

١٨٠٠ - البخاري (٩ / ٥٤٩) ٧٠ - كتاب الأطعمة - ٢٢ - باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون .

مسلم (٤ / ٢٢٧٨) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق حديث ١٢ .

الترمذي (٤ / ٥٨٢) ٢٧ - كتاب الزهد - ٢٩ - باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ .

وقال : حديث حسن صحيح غريب .

الحَبْلَةُ : ثمر البضاه .

والسَّمَر : شجر معروف من شجر البادية وأشجار الشوك .

يضع كما تضع الشاة : أراد أن نجوهم يخرج بقرأ ، ليبسه وعدم الغذاء المألوف .

ماله خِلْطٌ : أي : لا يختلط بعضه ببعض ، لجفافه ويبسه .

تُعزّزني : على الإسلام : أي : توقّفي وتوثّقي على التقصير فيه ، وقيل : معناه يعلمونني الفقه .

١٨٠١ - المعجم الكبير (١ / ١٤١ ، ١٤٢) .

وأورده الميحي في مجمع الزوائد (٩ / ١٥٤) . وقال : رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات .

مُتَمَصِّمٌ : مَحْصَمٌ لا يغادره ، بمعنى أنه لم يشارك في القتال ، وكان سعد وقتذاك مريضاً وإلا فهو سيد الشجعان

والمتفق عليه في عصرنا أن القائد لا يصح أن يكون في الصف الأول لأنه إذا حدث له شيء اختل توازن المعركة .

أبنا : رجعتنا .

أمتُ : ترملت .

١٨٠٢ - * روى البزار عن عبد الله يعني ابن مسعود قال : كَانَ سَعْدٌ يُقَاتِلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ قِتَالِ الْفَارِسِ وَالرَّاجِلِ .

١٨٠٣ - * روى الطبراني عن عامر بن سعد قال : بينما سعد يمشي إذ مر برجل وهو يشتم علياً وطلحة والزبير فقال له سعد : إنك تشتم أقواماً قد سبق لهم من الله ماسبق ، والله لتكفن عن شتمهم أو لأدعون الله عز وجل عليك قال : يخوفني كأنه نبي فقال سعد : اللهم إن كان يشتم أقواماً قد سبق لهم منك ماسبق فاجعله اليوم نكالا فجاءت بختية فأفرج الناس لها فتخبطته فرأيت الناس يتبعون سعداً يقولون : استجاب الله لك يا أبا إسحاق .

١٨٠٤ - * روى الطبراني عن عامر الشعبي قال : قيل لسعد بن أبي وقاص : متى أحبت الدعوة ؟ قال : يوم بدر كنت أرمي بين يدي النبي ﷺ فأضع السهم في كبد القوس ثم أقول اللهم زلزل أقدامهم وارعب قلوبهم وافعل بهم وافعل بهم فيقول النبي ﷺ « اللهم استجب لسعد » .

قال الهيثمي : السهام التي رمى بها يومئذ [يوم أحد] ألف سهم .

١٨٠٥ - * روى الطبراني عن سعيد بن المسيب قال : خرجت جارية لسعد يقال لها زبراء وعليها قميص حرير فكشفتها الريح ، فشد عليها عمر بالدرة وجاء سعد لينعه فتناوله بالدرة ، فذهب سعد يدعو على عمر ، فناوله عمر الدرة وقال : اقتص فعفا عن عمر .

١٨٠٢ - البزار : كشف الأستار (٢ / ٣١٥) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٨٢) : رواه البزار بإسنادين أحدهما متصل والآخر مرسل ورجاله ثقات .

١٨٠٣ - المعجم الكبير (١ / ١٤٠) .
وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٥٤) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .
البختية : الأنثى من الجمال الحراسانية .

١٨٠٤ - المعجم الكبير (١ / ١٤٣) .
وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٥٣) . وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن .

١٨٠٥ - المعجم الكبير (١ / ١٤١) .
وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٥٣ ، ١٥٤) . وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٨٠٦ - * روى الحاكم عن حسين بن خارجة الأشجعي قال : لما قُتل عثمان ، أشكلت عليّ الفتنة ، فقلتُ : اللهم أرني من الحق أمراً أتمسك به ، فرأيتُ في النوم الدنيا والآخرة بينهما حائط ، فهبطتُ الحائط فإذا بنفر ، فقالوا : نحن الملائكة ، قلتُ : فأين الشهداء ؟ قالوا : اصعد الدرجات ، فصعدتُ درجةً ثم أخرى ، فإذا محمد وإبراهيم ، صلى الله عليهما ، وإذا محمد يقول لإبراهيم : استغفر لأمتي ، قال : إنك لاتدري ماأحدثوا بعدك ، إنهم أهرقوا دماءهم ، وقتلوا إمامهم ، ألا فعلوا كما فعل خليلي سعد ؟ .

قال : قلتُ : لقد رأيتُ رؤيا ، فأتيتُ سعداً ، فقصصتها عليه ، فأكثر فرحاً ، وقال : قد خاب من لم يكن إبراهيم عليه السلام خليله ، قلتُ : مع أيّ الطائفتين أنت ؟ قال : ماأنا مع واحد منهما ، قلتُ : فما تأمرني ؟ قال : هل لك من غنم ؟ قلتُ : لا ، قال : فاشتر غنماً ، فكن فيها حتى تنجلي .

١٨٠٧ - * روى البزار عن سعد قال : سمعني النبي ﷺ وأنا أدعو فقال : « اللهم استجب له إذا دعاك » .

١٨٠٨ - * روى الطبراني وابن سعد عن ابن عُلَيَّة : حدثنا أيوب ، عن محمد قال : نبئتُ أنّ سعداً قال : ماأزعم أنّي بقميصي هذا أحقُّ مني بالخلافة ، جاهدتُ وأنا أعرفُ بالجهاد ، ولاأبجّع نفسي إن كان رجلاً خيراً مني ، لاأقاتل حتى يأتوني بسيف له عينان ولسانٌ ، فيقول هذا مؤمن وهذا كافر ؟ .

١٨٠٩ - * روى الطبراني عن سعد أنه قال لابنه عند الموت : يا بني إنك لن تلقى أحداً هو أنصح لك مني ، إذا أردت أن تُصلي فأحسن وضوءك ثم صل صلاةً لا ترى أنك تصلي

١٨٠٦ - المستدرک (٣ / ٥٠١ ، ٥٠٢) . وسكت عنه الذهبي .

وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (١ / ١٢٠) . وقال محققه : ورجاله ثقات .

١٨٠٧ - البزار : كشف الأستار (٣ / ٢٠٧) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٥٣) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

١٨٠٨ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢٩٩) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح . والطبقات الكبرى (٣ / ١٤٣) .

١٨٠٩ - المعجم الكبير (١ / ١٤٢) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٤ / ٢٢١) . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

بعدها ، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر ، وعليك بالإياس فإنه الغني وإياك وما يعتذر إليه من العمل والقول واعمل ما بدا لك .

١٨١٠ - * روى مسلم عن سعد رضي الله عنه ولا تطرد الذين يدعون ربهم عليهم السلام ^(١) قال : نزلت في ستة أنا وابن مسعود منهم .

١٨١١ - * روى مسلم وأحمد عن غامر بن سعد قال : كان سعد بن أبي وقاص في إبله . فجاءه ابنه عمر . فلما رآه سعد قال : أعود بالله من شر هذا الرّاكب . فنزل . فقال له : أنزلت في إبلك وغنمك وتركك الناس يتنازعون الملك بينهم ؟ فصرّب سعد في صدره فقال : استكث . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله يحب العبد التقي ، الغني ، الخفي » .

١٨١٢ - * روى أحمد عن سعد قال : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ضحك يوم الخندق ، حتى بدت نواجذه . كان رجل [من المشركين] معه ترس ، وكان سعد رامياً ، فجعل يقول كذا يحوي بالترس ، ويغطي جبهته . فنزع له سعد بسهم ، فلما رفع رأسه ، رماه فلم يخط هذه منه ، يعني جبهته ، فانقلب ، وأشال برجله ، فضحك رسول الله من فعله ، حتى بدت نواجذه .

١٨١٣ - * روى البخاري ومسلم عن سعد قال : رأيت رجلين عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ويساره يوم أحد ، عليهما ثياب بيض ، يقاتلان عنه كأشد القتال ، ما رأيتها قبل ولا بعد .

= عليك بالإياس : يعني بالزهد والقناعة فيما في أيدي الناس .

١٨١٠ - مسلم (٤ / ١٨٧٨) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٥ - باب فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .
(١) الأنعام : ٥٢ .

١٨١١ - مسلم (٤ / ٢٢٧٧) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق ، حديث ١١ . وأحمد في مسنده (١ / ١٦٨) .

١٨١٢ - أحمد في مسنده (١ / ١٨٦) . وهو حسن لشواهده .

يحوي : يقبض ويحوي : تجمع واستدار . نزع : نزع في القوس : مدها .

١٨١٣ - البخاري (٧ / ٣٥٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٨ - باب رضي الله عنه إذا همت طائفتان منكم أن تغشوا والله وليها وعلى الله فليتوكل المؤمنون عليهم السلام .

ومسلم (٤ / ١٨٠٢) ٤٣ - كتاب الفضائل - ١٠ - باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد .

٦ - سعيد بن زيد رضي الله عنه

قال ابن كثير في ترجمته :

وأما سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي فهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب ، وأخته عاتكة زوجة عمر ، وأخت عمر فاطمة زوجة سعيد ، أسلم قبل عمر هو وزوجته فاطمة ، وهاجرا ، وكان من سادات الصحابة . قال عروة والزهري وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق والواقدي وغير واحد : لم يشهد بدرأ لأنه قد كان بعثه رسول الله هو وطلحة بن عبيد الله بين يديه يتجسسان أخبار قريش فلم يرجعا حتى فرغ من بدر ، فضرب لهما رسول الله بسهمهما وأجرهما ، ولم يذكره عمر في أهل الشورى لثلاثي يحايي بسبب قرابته من عمر فيولي فتركه لذلك ، وإلا فهو ممن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة في جملة العشرة ، كما صحت بذلك الأحاديث المتعددة الصحيحة .

مات بالكوفة ، وقيل بالمدينة وهو الأصح ، قال الفلاس وغيره : سنة إحدى وخمسين وقيل سنة ثنتين وخمسين والله أعلم . وكان رجلاً طويلاً أشعر ، وقد غسله سعد ، وحمل من العقيق على رقاب الرجال إلى المدينة ، وكان عمره يومئذ بضعا وسبعين سنة أ . ه .

قال شَبَابُ الْمُصَفَّرِيِّ وهو خليفة بن خياط المؤرخ :

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح ابن عدي بن كعب ، وأمه فاطمة بنت بعجة بن أمية بن خويلد من خزاعة .

وقال ابن حجر في ترجمته :

أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم وهاجر وشهد أحداً والمشاهد كلها وقد شهد سعيد بن زيد اليرموك وفتح دمشق ، وقال سعيد بن حبيب : كان مقام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد وسعيد وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف مع النبي ﷺ واحدا كانوا أمامه في القتال وخلفه في الصلاة .

وقال الذهبي في السير :

شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ وشهد حصار دمشق وفتحها فولاه عليها أبو عبيدة بن الجراح فهو أول من عمل نيابة دمشق من هذه الأمة ، كان والده زيد بن عمرو بن نفيل ممن فر إلى الله من عبادة الأصنام ، رأى النبي ﷺ ولم يعيش حتى بعث وهو ابن عم الإمام عمر بن الخطاب وامراته هي ابنة عمه فاطمة أخت عمر بن الخطاب وكان لإسلامه وإسلام زوجته دخل في إسلام عمر رضي الله عن الجميع .

قال الذهبي : « لم يكن سعيد متأخراً عن رتبة أهل الشورى في السابقة والجلالة وإنما تركه عمر رضي الله عنه لثلاث يبق له فيه شائبة حظ لأنه ختنه وابن عمه ... فأخرج منها ولده وعصبته فكذلك فليكن العمل لله . ا . هـ .

وقد تقدمت عدة أحاديث أنه من أهل الجنة ، ثم هو من الشهداء فقد مات مبطوناً ، فَمَعِدَتُهُ لم تعد تهضم طعاماً وكان يكنى أبا الأعور .

١٨١٤ - * روى البخاري عن قيس بن حازم سمعت سعيد بن زيد في مسجد الكوفة يقول : والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقي على الإسلام أنا وأخته قبل أن يسلم عمر ، ولو أن أحداً انقضَّ للذي صنعتم بعثان ، لكان محقوقاً أن ينقضَّ .

١٨١٥ - * روى أحمد ومسلم عن أبي بكر بن حزم قال : جاءت أروى بنت أؤيس إلى محمد بن عمرو بن حزم فقالت : إن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قد بنى ضفيرة في حقي ، فائته ، فكلمه ، فوالله لئن لم يفعل ، لأصيحن به في مسجد رسول الله ﷺ ، فقال لها : لا تؤذي صاحب رسول الله ! ما كان ليظلمك ، ما كان ليأخذ لك حقاً . فخرجت ، فجاءت عمارة بن عمرو وعبد الله بن سلمة ، فقالت لهما : اثنيا سعيد بن زيد ، فإنه قد

١٨١٤ - البخاري (٧ / ١٧٦) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار ٢٤ - باب إسلام سعيد بن زيد رضي الله عنه .

انقض : انقص ظهره وانهد جسمه .

١٨١٥ - مسند أحمد (١ / ١٨٨) .

مسلم (٢ / ١٢٣٠) ٢٢ - كتاب المساقاة ٣٠ - باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها .

المعجم الكبير (١ / ١٤٩ ، ١٥٠) .

ظلمي ، وبنى ضفيرة في حقي ، فوالله لئن لم ينزع ، لأصيحن به في مسجد رسول الله ﷺ ، فخرجنا حتى أتياه في أرضه بالعقيق ، فقال لها : مأتى بكما ؟ قالا : جاء بنا أروى ، زعت أنك بنيت ضفيرة في حقها ، وحلفت بالله لئن لم تنزع لتصيحن بك في مسجد رسول الله ﷺ ، فأحببنا أن نأتيك ، ونذكرك بذلك . فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « مَنْ أَخَذَ شَيْراً مِنَ الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، طَوَّقَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ » لتأتين ، فلتأخذ ما كان لها مِنْ حَقٍّ ، اللهم إن كانت كَذَبْتُ عَلَيَّ ، فلا تَمِتْهَا حتى تُعْمِيَ بصرها ، وتجعل منيَّتها فيها . ارجعوا فأخبروها بذلك ، فجاءت ، فهدمت الضفيرة ، وبنيت بيتاً ، فلم تمكث إلا قليلاً حتى عميت ، وكانت تقوم من الليل ، ومعها جارية تقودها ، فقامت ليلة ، ولم توقظ الجارية ، فسقطت في البئر ، فانت .

١٨١٦ - * روى الحاكم عن ابن عمر أنه استُصْرِخَ في جنازة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وهو خارج من المدينة يوم الجمعة فخرج إليه ولم يشهد الجمعة .

١٨١٧ - * روى أحمد وأبو داود عن رباح بن الحارث ، أن المغيرة كان في المسجد الأكبر ، وعنده أهل الكوفة فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة ، فسبَّ وسبَّ ، فقال سعيد بن زيد : من يسبُّ هذا يامغيرة ؟ قال : يسبُّ عليَّ بنَ أبي طالب ، قال : يامغير بن شعيب ، يامغير بن شعيب ! ألا تسمع أصحاب رسول الله ﷺ ، يسبُّون عندك ، ولا تُنْكِر ولا تُغَيِّر ؟ فأنا أشهد على رسول الله ﷺ ، بما سمعت أذناي ، ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ ، فإني لم أكن أروي عنه كذباً ، إنه قال : « أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعلي في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وعبد الرحمن في الجنة ، وسعد بن مالك في الجنة » ، وتوسع المؤمنين في الجنة ، ولو شئت أن أسميَ لَسَمَّيْتُهُ ، فضجَّ أهل المسجد يَنَاشِدُونَهُ : يا صاحبَ رسول الله ! من التاسع ؟

١٨١٦ - المستدرك (٣ / ٢٨) . وسكت عنه الذهبي .

١٨١٧ - أحمد في مسنده (١ / ١٨٧) . وإسناده صحيح .

وأبو داود (٤ / ٢١٢) كتاب السنة ، باب في الخلفاء .

قال : ناشدتموني بالله والله عظيم ، أنا هو ، والعاشر رسول الله ﷺ ، والله لمشهد شهده رجل
مع رسول الله ﷺ ، أفضل من عمل أحدكم ، ولو عمّر ماعمر نوح .

٧ - زيد بن حارثة حِبُّ رسول الله ﷺ ومولاه رضي الله عنه

قال ابن كثير في ترجمته :

زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات ابن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة الكلبي القضاعي مولى رسول الله ﷺ . وذلك أن أمه ذهبت تزور أهلها فأغارت عليهم خيل فأخذوه فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد . وقيل اشتراه رسول الله ﷺ لها فوهبته من رسول الله ﷺ قبل النبوة فوجده أبوه فاختر المقام عند رسول الله ﷺ فأعتقه وتبناه ، فكان يقال له زيد بن محمد ، وكان رسول الله ﷺ يحبه حباً شديداً ، وكان أول من أسلم من الموالى ، ونزل فيه آيات من القرآن منها قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلَ أَذْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ ^(١) وقوله تعالى ﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ^(٢) وقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ ^(٣) وقوله ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ ^(٤) الآية أجمعوا أن هذه الآيات أنزلت فيه ، ومعنى أنعم الله عليه أي بالإسلام ، وأنعمت عليه أي بالعتق ، وقد تكلنا عليها في التفسير . والمقصود أن الله تعالى لم يسم أحداً من الصحابة في القرآن غيره ، وهده إلى الإسلام وأعتقه رسول الله ﷺ وزوجه مولاته أم أيمن واسمها بركة فولدت له أسامة بن زيد ، فكان يقال له الحِبُّ بن الحِبِّ ، ثم زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش وأخى بينه وبين عمه حمزة بن عبد المطلب وقدمه في الإمرة على ابن عمه جعفر بن أبي طالب يوم مؤتة كما ذكرناه . ا . ه .

(١) الأحزاب : ٤ .

(٢) الأحزاب : ٥ .

(٣) الأحزاب : ٤٠ .

(٤) الأحزاب : ٣٧ .

وقال الحافظ ابن حجر : شهد زيد بن حارثة بدرأ ومابعداها وقتل في غزوة مؤتة وهو أمير واستخلفه النبي ﷺ في بعض أسفاره على المدينة أ . هـ .

قال الذهبي : وكانت مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان وهو ابن خمس وخمسين سنة ا هـ .

١٨١٨ - * روى الترمذي والحاكم عن جبلة بن حارثة ، قدمت على النبي ﷺ ، فقلت يا رسول الله ابعث معي أخي زيدا ، قال : هو ذاك انطلق إليه ، فإن ذهب معك لم أمنعه ، فجاء زيد فقال يا رسول الله : أو أختار عليك أحدا ؟ قال جبلة : فأقمت أنا مع أخي ، ورأيت رأي أخي أفضل من رأيي .

١٨١٩ - * روى البخاري ومسلم والترمذي عن ابن عمر ، بعث النبي ﷺ بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد فطعن بعض الناس في إمارته ، فقال ﷺ : « إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل ، وإيم الله إن كان خليقاً للإمارة ، وكان لمن أحب الناس إليّ ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده » .

قال الحافظ : أخرج ابن أبي شيبة بإسناد قوي عن عائشة :

ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في سرية إلا أمره عليهم ولو بقي لاستخلفه . أ . هـ .

أقول : هذا يشير إلى أن مذهب عائشة رضي الله عنها أنه يجوز استخلاف غير القرشي .

١٨١٨ - الترمذي (٦٧٦ / ٥) - ٥٠ - كتاب المناقب - ٤٠ - باب مناقب زيد بن حارثة رضي الله عنه .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

والمستدرک (٢ / ٢١٤) . وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

١٨١٩ - البخاري (٧ / ٤٩٨) - ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٢ - باب غزوة زيد بن حارثة .

ومسلم (٤ / ١٨٨٤) - ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٠ - باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد رضي الله عنها .

والترمذي (٥ / ٦٧٦ ، ٦٧٧) - ٥٠ - كتاب المناقب - ٤٠ - باب مناقب زيد بن حارثة رضي الله عنه .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

خليق : فلان خليق بهذا الأمر : إذا كان أهلاً له ، وأن ذلك من خلقه وهو به حقيق .

١٨٢٠ - * روى أحمد وابن سعد عن أسامة قال : قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة :
« يا زيد أنت مولاي وميِّي وإليَّ وأحبُّ الناس إليَّ » .

١٨٢١ - * روى البخاري عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : غزوتُ مع النبي ﷺ تسعَ غزوات ، وغزوتُ مع ابن حارثة استعمله علينا .

١٨٢٢ - * روى ابن سعد عن عمرو بن شرحبيل الهمداني التابعي قال : لما بلغ رسول الله ﷺ قتل زيد وجعفر وابن رواحة قام ﷺ فذكر شأنهم فبدأ يزيد فقال : « اللهم اغفر لزيد اللهم اغفر لزيد ثلاثاً » .

وعن بريدة أن رسول الله ﷺ قال : « دخلت الجنة فاستقبلتني جارية شابة فقلت : لمن أنت ؟ قالت : أنا لزيد بن حارثة » (١) .

١٨٢٣ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : إن رسول الله ﷺ دخل عليَّ مسروراً ، تَبَرَّقَ أسارير وجهه ، فقال : « أَلَمْ تَرَيِ أَنَّ مَجَزَّراً الْمُدْلَجِيَّ ؟ نظر أنفاً إلى زيد بن حارثة ، وأسامة بن زيد ، فقال : إن هذه الأقدام بعضها من بعض » .

١٨٢٠ - مسند أحمد (٢٠٤ / ٥) مطولا والطبقات الكبرى (٤٤ / ٣) . وقال الحافظ : إسناده حسن .

١٨٢١ - البخاري (٥١٧ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٥ - باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الخرقات من جبهة .

١٨٢٢ - الطبقات الكبرى (٤٦ / ٣) . وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٢٩ / ١) . وقال محققه : رواه ثقات إلا إنه مرسل .

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير وقال : أخرجه الروياني والضياء عن بريدة ورمز إلى حسنه صاحب فيض القدير (٥٢١ / ٣) .

١٨٢٣ - البخاري (١٢٣ / ٥٦) ٨٥ - كتاب الفرائض - ٣١ - باب القائف .

ومسلم (١٠٨١ / ٢ ، ١٠٨٢) ١٧ - كتاب الرضاع - ١١ - باب العمل بإلحاق القائف الولد .

تَبَرَّقَ أسارير وجهه : الأسارير : التكاثير التي تكون في الجبين ، وبريقها : ما يعرض لها من البشاشة عند الفرح والاستبشار بالشيء السار .

القافة : جمع قائف ، وهو الذي يعرف الآثار ، تقول قُفْتُ أثره ، أي : اتبعتُه ، وهم قومٌ معروفون من العرب يعرفون الناس بالشَّبه ، فيُلْحَقُونَ إنساناً بإنسان ، لما يدركون من الشَّبه الذي يَرونه بينها مما يخفى على غيرهم ، وكلام القافة يستأنس به للإثبات لا للنفي .

وفي رواية « ألم تسمعي ما قال المدلجيُّ لزيدٍ وأُسامَةَ ، ورأى أقدامَهُما : إن بعض هذه الأقدام لَمِنْ بعض » .

وفي أخرى قال : إن عائشة قالت : دخل قائف والنبي ﷺ شاهد ، وأُسامَةُ بن زيد ، وزيد بن حارثة مضطجعان ، فقال : إن هذه الأقدام بعضها من بعض ، فسُرَّ بذلك النبي ﷺ ، وأعجَبَهُ ، وأخبر به عائشة .

وفي أخرى « أَلَمْ تَرَيَّ أَنْ مُجَزَّزاً المدلجيُّ دخل عليَّ ، فرأى أُسامَةَ وزيداً ، وعليهما قطيفةٌ ، قد غَطَّيا رؤوسَهُما ، وبَدَتُ أقدامُهُما ، فقال : إن هذه الأقدام بعضها من بعض ؟ » وفي رواية : وكان مُجَزَّزٌ قائفاً .

وقال أبو داود : قال أحمد بن صالح : كان أُسامَةُ بنُ زيدٍ أسودَ شديد السواد ، مثل القار ، وكان زيدٌ أبيضَ من القطن ^(١) .

* * *

(١) أبو داود (٢ / ٢٨٠) كتاب الطلاق ، باب في القافة .

٨ - أسامة بن زيد الحب بن الحب رضي الله عنه

قال ابن حجر في ترجمته :

الحب بن الحب يكنى أبا محمد ويقال أبو زيد وأمه أم أيمن حاضنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .. قال ابن سعد ولد أسامة في الإسلام ومات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وله عشرون سنة وقال ابن أبي خيثمة ثمانى عشرة ، وكان أمره على جيش عظيم فمات النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يتوجه فأنفذه أبو بكر وكان عمر يجله ويكرمه وفضله في العطاء على ولده عبد الله بن عمر واعتزل أسامة الفتن بعد قتل عثمان إلى أن مات في أواخر خلافة معاوية ، وكان قد سكن المزة من عمل دمشق ثم رجع فسكن وادي القرى ثم نزل إلى المدينة فمات بها بالجرف ، وصحح ابن عبد البر أنه مات سنة أربع وخمسين وقد روى عن أسامة من الصحابة أبو هريرة وابن عباس ومن كبار التابعين أبو عثمان النهدي وأبو وائل وآخرون وفضائله كثيرة وأحاديثه شهيرة . أ . هـ .

قال الذهبي :

وكان شديد السواد خفيف الروح شاطراً شجاعاً رباة عليه السلام وأحبه كثيراً .

وقالت عائشة (تصف ماقاتله قريش) في شأن الخزومية التي سرقت : من يجترئ على رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه فيها إلا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) .

قال وكيع : سلم من الفتنة من المعروفين سعد وابن عمر وأسامة بن زيد ومحمد بن مسلمة وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحب الناس إليّ أسامة ماحاشا فاطمة ولا غيرها » ^(٢) . أ . هـ .

(١) البخاري (١٢ / ٨٧) - كتاب الحدود - ١٢ - باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان .

(٢) أورده الميثقي في جمع الزوائد (٩ / ٢٨٦) . وقال : هو في الصحيح باختصار ورواه أبو يعلى ورجال رجال الصحيح .

١٨٢٤ - * روى ابن سعد عن عروة أن النبي ﷺ أخر الإفاضة من عرفة من أجل أسامة ينتظره ، فجاء غلام أسود أفتس . فقال أهل الين : إنما جلسنا لهذا ! فلذلك ارتدوا يعني أيام الردة .

١٨٢٥ - * روى أحمد وابن ماجه عن عائشة قالت : عثر أسامة بعتبة الباب فشج في وجهه ، فقال رسول الله ﷺ : « أميطي عنه الأذى » فتذرت ، فجعل يمص عنه الدم ويمجه عن وجهه ثم قال : « لو كان أسامة جارية لحليت وكسوته حتى أنفقه » .

١٨٢٦ - * روى الترمذي عن عائشة : أراد رسول الله ﷺ أن ينحي مخاط أسامة ، قالت عائشة : دعني حتى أنا أفعله ، قال يا عائشة : « أحبيه فيني أحبه » .

١٨٢٧ - * روى الترمذي عن ابن عمر أن عمر فرض لأسامة في ثلاثة آلاف وخمسة ، وفرض لعبد الله بن عمر في ثلاثة آلاف ، فقال ابن عمر : لم فضلت أسامة علي ؟ فوالله ماسبقني إلى مشهد قال : لأن زيدا كان أحب إلى النبي ﷺ من أليك ، وأسامة أحب إليه منك ، فأثرت حبه ﷺ على حيي .

١٨٢٨ - * روى البخاري عن ابن عمر وقد نظر وهو في المسجد إلى رجل يسحب ثيابه في ناحية من المسجد ، فقال انظروا من هذا ؟ فقيل له : هذا محمد بن أسامة ، فطأطأ ابن عمر رأسه ثم قال : لو رآه النبي ﷺ لأحبه .

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ كان يجلس الحسن على فخذه ويجلس أسامة

١٨٢٤ - الطبقات الكبرى (٤ / ٦٣) . وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢ / ٥٠٠) . وقال محققه : رجاله ثقات .

١٨٢٥ - أحمد في مسنده (٦ / ١٣٩ ، ٢٢٢) .

وابن ماجه (١ / ٦٣٥) ٩ - كتاب النكاح - ٤٩ - باب الشفاعة في التزويج .

١٨٢٦ - الترمذي (٥ / ٦٧٧) ٥٠ - كتاب المناقب - ٤١ - باب مناقب أسامة بن زيد رضي الله عنه .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

١٨٢٧ - الترمذي (٥ / ٦٧٥ ، ٦٧٦) ٥٠ - كتاب المناقب - ٤٠ - باب مناقب زيد بن حارثة رضي الله عنه .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

١٨٢٨ - البخاري (٧ / ٨٨) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ١٨ - باب ذكر أسامة بن زيد .

على فخذ الأخرى ويقول « اللهم إني أرحمهما فارحمهما » (١) .

١٨٢٩ - * روى أحمد عن عائشة قالت : لا ينبغي لأحد أن يبغض أسامة بعد ما سمعت رسول الله ﷺ يقول « من كان يحب الله ورسوله فليحب أسامة » .

لقي عليُّ أسامة بن زيد ، فقال : ما كنا نعدُّك إلا من أنفسنا يا أسامة ، فلم لا تدخل معنا ؟ قال : يا أبا حسن ، إنك والله لو أخذت بمشفر الأسد ، لأخذت بمشفره الآخر معك ، حتى نهلك جميعاً ، أو نغيباً جميعاً ، فأما هذا الأمر الذي أنت فيه ، فوالله لأدخل فيه أبداً (٢) .

١٨٣٠ - * روى البخاري عن حرملة مولى أسامة قال : أرسلني أسامة إلى علي وقال : إنه سيسألك الآن فيقول : ما خلفت صاحبك ؟ فقل له : يقول لك لو كنت في شدة الأسد لأحببت أن أكون معك فيه ، ولكن هذا أمر لم أزه . فلم يعطني شيئاً ، فذهبت إلى حسن وحسين وابن جعفر فأوقروا لي راحتي .

١٨٣١ - * روى البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد ، قال : بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة . فأذركت رجلاً . فقال : لا إله إلا الله . قطعته فوق في نفسي من ذلك . فذكرته للنبي ﷺ . فقال رسول الله ﷺ « أقال : لا إله إلا الله وقتلته ؟ » قال قلت : يا رسول الله ! إنما قالها خوفاً من السلاح . قال : « أفلا شققت »

(١) البخاري (١٠ / ٤٣٤) ٧٨ - كتاب الأدب - ٢٢ - باب وضع الصبي على الفخذ .

١٨٢٩ - أحمد في مسنده (٦ / ١٥٦ ، ١٥٧) . وأورده الميثقي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٨٦) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٢) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢ / ٥٠٤) .

١٨٣٠ - البخاري (١٣ / ٦١ ، ٦٢) ٩٢ - كتاب الفتن - ٢٠ - باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي : « إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين » .

١٨٣١ - البخاري (٢ / ٥١٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٥ - باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة .

ومسلم (١ / ٩٦) ١ - كتاب الإيمان - ٤٥ - باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال : لا إله إلا الله .

فصبحنا الحرقات : أي أتيناهم صباحاً . والحرقات موضع ببلاد جهينة . والتسمية به كالتسمية بعرفات وأذرعاء وفي رائه الضم والفتح . والهاء مضمومة في الوجهين .

أفلا شققت عن قلبه : معناه إنما كلفت بالعمل بالظاهر وما ينطق به اللسان . وأما القلب فليس لك طريق إلى =

عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا . فَصَارَ لَا يَكْرَهُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمْنَيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ . قَالَ فَقَالَ سَعْدٌ : وَأَنَا وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُ مُسْلِمًا حَتَّى يَقْتُلَهُ ذُو الْبَطْنَيْنِ يَغْنِي أُسَامَةَ . قَالَ رَجُلٌ : أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ : ﴿ وَفَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ فَقَالَ سَعْدٌ : قَدْ قَاتَلْنَا حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ . وَأَنْتَ وَأَصْحَابُكَ تُرِيدُونَ أَنْ تَقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ .

١٨٣٢ - * روى الطبراني وابن حبان ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : رأيت أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ مُضْطَجِعًا عِنْدَ بَابِ حَجْرَةِ عَائِشَةَ رَافِعًا عَقِيرَتَهُ يَتَغَنَّى ، وَرَأَيْتُهُ يُصَلِّي عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَرَّ بِهِ مِرْوَانُ ، فَقَالَ : أَتُصَلِّي عِنْدَ قَبْرِ ! وَقَالَ لَهُ قَوْلًا قَبِيحًا . فَقَالَ : يَا مِرْوَانُ ، إِنَّكَ فَاحِشٌ مُتَفَحِّشٌ ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ » .

١٨٣٣ - * روى مسلم عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جهم ، قال : دَخَلْتُ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ ، وَقَدْ طَلَّقَهَا زَوْجَهَا - ... الْحَدِيثُ - فَلَمَّا حَلَّتْ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هَلْ ذَكَرَكَ أَحَدٌ ؟ » قَالَتْ : نَعَمْ ، مُعَاوِيَةُ وَأَبُو الْجَهْمِ . فَقَالَ : « أَمَّا أَبُو الْجَهْمِ فَشَدِيدُ الْخُلُقِ ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصَعْلُوكٌ ، لَا مَالَ لَهُ . وَلَكِنْ أَنْكِحْكِ أُسَامَةَ » ؟ فَقُلْتُ : أُسَامَةُ ! - تَهَاوَنًا بِأَمْرِ أُسَامَةَ - ثُمَّ قُلْتُ : سَمِعَا وَطَاعَةَ اللَّهِ وَلِرَسُولِهِ .

= معرفة ما فيه . فأذكر عليه امتناعه من العمل بما ظهر باللسان . وقال : أفلا شغقت عن قلبه لتنظر هل قالها القلب واعتقدها ، وكانت فيه أم لم تكن فيه ، بل جرت على اللسان فحسب .

١٨٣٢ - المعجم الكبير (١ / ١٦٦) .
وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٦٤) وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط بأسانيد ، وأحد أسانيد الطبراني رجاله ثقات .
الإحسان بترتيب ابن حبان (٧ / ٤٨١) - كتاب الحظر والإباحة - باب الاستماع المكروه .. وصححه ابن حبان .

وانظر : مسند أحمد (٥ / ٢٠٢) .

١٨٣٣ - مسلم (٢ / ١١١٩) ١٨ - كتاب الطلاق - ٦ - باب المطلق ثلاثا لانفقه لها .
أبو زيد : هي كنية أسامة .

فزوجنيه ، فكَرَّمَنِي اللهُ بِأَبِي زَيْدٍ ، وَشَرَّفَنِي اللهُ وَرَفَعَنِي بِهِ .

١٨٣٤ - * روى الطبراني عن الزَّهْرِيِّ قال : كان أسامة بن زيد يدعى بالأمير حتى مات يقولون بعثه رسول الله ﷺ ثم لم ينزعه حتى مات .

١٨٣٤ - المعجم الكبير (١ / ١٥٩) .

أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٨٦) . وقال : رواه الطبراني مرسلا ورجاله رجال الصحيح .

٩ - عمار بن ياسر رضي الله عنه

قال ابن حجر في ترجمته :

عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوديم من بني ثعلبة ابن عوف بن حارثة بن عامر بن يام بن عَنَس بنون ساكنة ابن مالك العنسي أبو اليقظان حليف بني مخزوم وأمه سمية مولاة لهم .. كان من السابقين الأولين هو وأبوه وكانوا ممن يعذب في الله فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمر عليهم فيقول « صَبْرًا آل ياسر موعِدكم الجنة » واختلف في هجرته إلى الحبشة وهاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها ثم شهد اليمامة فقطعت أذنه بها ، ثم استعمله عمر على الكوفة وكتب إليهم أنه من النجباء من أصحاب محمد . قال عاصم عن زر عن عبد الله أن أول من أظهر إسلامه سبعة فذكر منهم عماراً أخرجه ابن ماجه وعن وبرة عن همام عن عمار قال رأيت رسول الله ﷺ ومامعه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر .

وتواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن عماراً تقتله الفئة الباغية وأجمعوا على أنه قتل مع علي بصفين سنة سبع وثمانين في ربيع وله ثلاث وتسعون واتفقوا على أنه نزل فيه ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ . أ هـ .

وقال ابن كثير : وكان آدم اللون ، طويلاً ، بعيد ما بين المنكبين ، أشهل العينين ، رجلاً لا يغير شيبه .

وقال الذهبي : له عدة أحاديث ففي مسند بقي له اثنان وستون حديثاً ومنها في الصحيحين خمسة ...

وروى منصور عن مجاهد : أول من أظهر إسلامه سبعة فذكرهم ، زاد فجاء أبو جهل يشتم سمية وجعل يطعن بحربته في قبلها حتى قتلها فكانت أول شهيدة في الإسلام ... قال الشعبي : سئل عمار عن مسأله فقال : هل كان هذا بعد ؟ قالوا : لا ، قال : فدعونا حتى يكون فإذا كان تحشناه لكم .

قال عبد الله بن أبي الهذيل : رأيت عمارا اشترى قتاً^(١) بدرهم وحمله على ظهره وهو أمير الكوفة .

عن الشعبي قال عمر لعمار : أساءك عزلنا إياك : قال . لكن قلت ذاك : لقد ساءني حين استعملتني وساءني حين عزلتني قال أبو عاصم : عاش عمار ثلاثاً وتسعين سنة وكان لا يركب على سرج ويركب راحلته [قتل في صفين] وكانت صفين في صفر وبعض ربيع الأول من سنة سبع وثلاثين قالت عائشة : وقد كان عمار ينكر على عثمان أموراً لو كف عنها لأحسن ، فرضي الله عنها . ا . ه .

١٨٣٥ - * روى الترمذي عن علي : جاء عمار بن ياسر يستأذن على النبي ﷺ ، فقال : « ائذنوا له ، مرحباً بالطيب المطيب » .

١٨٣٦ - * روى الترمذي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال لعمار : « أبشر تقتلك الفئة الباغية » .

١٨٣٧ - * روى البخاري عن أبي سعيد رفعه : « ويح عمار ، تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » .

١٨٣٨ - * روى الترمذي عن عائشة رفعته : « ما خيرَ عمارَ بين أمرين إلا اختار أَرشدهما » .

١٨٣٩ - * روى البزار عن بلال بن يحيى : لما قتل عمار قيل لخديفة قتل هذا الرجل

(١) القت : الفَصِيصَة من علف الدواب .

١٨٣٥ - الترمذي (٦٦٨ / ٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٥ - باب مناقب عمار بن ياسر رضي الله عنه . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

١٨٣٦ - الترمذي (٦٦٩ / ٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٥ - باب مناقب عمار بن ياسر رضي الله عنه . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

١٨٣٧ - البخاري (٥٤١ / ١) ٨ - كتاب الصلاة - ٦٣ - باب التعاون في بناء المسجد .

١٨٣٨ - الترمذي (٦٦٨ / ٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٥ - باب مناقب عمار بن ياسر رضي الله عنه . وقال : هذا حديث حسن غريب .

١٨٣٩ - البزار : كشف الأستار (٢ / ٢٥٢) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٩٥) : رواه البزار والطبراني في الأوسط =

وقد اختلف الناس فما تقول ؟ قال سمعت النبي ﷺ يقول : « أبو اليقظان على الفطرة لا يدعها حتى يموت أو يمسه الهرم » .

١٨٤٠ - * روى أحمد عن عثمان : أقبلت مع النبي ﷺ نتشى في البطحاء حتى أتى على عمار وأبيه وأمه يعذبون ، فقال أبو عمار يارسول الله : الدُّهر هكذا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « اصبر ، اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت » .

١٨٤١ - * روى الطبراني عن خالد بن الوليد رفعه : « من يحقر عماراً يحقره الله ، ومن يسبه يسبه الله ، ومن ينتقصه ينتقصه الله » .
وفي رواية : « ومن يُعَادِ عماراً يُعَادِهِ الله » .

١٨٤٢ - * روى الطبراني عن عمرو بن العاص وقد أتاه رجلان يختصمان في دم عمار وسلبه ، فقال عمرو : خلّينا عنه ، فإني سمعت النبي ﷺ يقول : « قاتِلْ عمار وسالِبُه في النار » .

١٨٤٣ - * روى أحمد والطبراني عن عبد الله بن الحارث أن عمرو بن العاص قال لمعاوية ياأمير المؤمنين : أما سمعت رسول الله ﷺ يقول حين كان يبني المسجد لعمار : « إنك لحريصٌ على الجهاد ، وإنك لَمِنْ أهل الجنة ، وَلَتَقُتْلَنَّكَ الفئة الباغية؟ » قال : بلى . قال : فلم قتلتموه ؟ قال : والله ما تزالُ تَدْحَضُ في بؤلك أنحن قتلناه ؟ إنما قتله الذي جاء به .

قال محقق السير : وهذه مغالطة من معاوية ، غفر الله له ، وقد رد عليه علي ، رضي

= باختصار ورجالها ثقات .

١٨٤٠ - أحمد في مسنده (٦٢ / ١) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٣ / ١) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .
١٨٤١ - المعجم الكبير (١١٢ / ٤ ، ١١٣) مطولا . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٤ / ١) : رواه الطبراني مطولا ومختصرا بأسانيد منها ما وافق أحمد ورجاله ثقات ، ومنها ما هو مرسل . كما أخرج نحوه أحمد في مسنده (٩٠ / ٤) .

١٨٤٢ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٧ / ١) . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .
١٨٤٣ - أحمد في مسنده (١٩٩ / ٤) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٧ / ١) : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

الله عنه بأن محمداً ﷺ ، إذا قتل حمزة حين أخرجه .

قال ابن دحية : هذا من علي إلزام مفحم لأجواب عنه ، وحجة لا اعتراض عليها . ونقل المناوي في فيض القدير قول عبد القاهر الجرجاني في كتاب « الإمامة » : أجمع فقهاء الحجاز ، والعراق من فريقين الحديث والرأي منهم مالك ، والشافعي ، وأبو حنيفة ، والأوزاعي ، والجمهور الأعظم من المتكلمين والمسلمين أن علياً مصيب في قتاله لأهل صفين . كما هو مصيب في أهل الجمل . وأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له ، ولكن لا يكفرون ببنهم . وقال القرطبي ص : (٦١٣٨) : ... فتقرر عند علماء المسلمين ، وثبت بدليل الدين ، أن علياً رضي الله عنه كان إماماً ، وأن كل من خرج عليه باغ ، وأن قتاله - يعني الخارج - واجب حتى يفيء إلى الحق ، وينقاد إلى الصلح .

١٨٤٤ - * روى ابن سعد والحاكم عن عبد الله قال : أول من أظهر إسلامه سبعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد . فأما رسول الله ﷺ ، ففنه الله بعمه ، وأما أبو بكر ، ففنه الله بقومه ، وأما سائرهم ، فآلبسهم المشركون أدرع الحديد ، وصفدوهم في الشمس ، وما فيهم أحد إلا وقد وآتاهم على ما أرادوا إلا بلال ، فإنه هانت عليه نفسه في الله ، وهان على قومه ، فأعطوه الولدان يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول : أخذ أخذ .

١٨٤٥ - * روى ابن سعد والحاكم عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال : أخذ المشركون عماراً ، فلم يتركوه حتى نال من رسول الله ﷺ وذكر آلهتهم بخير ، فلما أتى النبي ﷺ ، قال : « ما وراءك ؟ » قال : شتر يارسول الله . والله ما تركت حتى نلت منك ، وذكر آلهتهم بخير ، قال : « فكيف تجد قلبك ؟ » قال : مطمئن بالإيمان . قال : « فإن عادوا فعد » .

١٨٤٤ - الطبقات الكبرى (٣ / ٢٤٧) . والمستدرک (٣ / ٢٨٤) ، وصححه ووافقه الذهبي ، وأورده الذهبي في السير

(١ / ٣٤٧) وقال محقق السير : سنده حسن .

١٨٤٥ - الطبقات الكبرى (٣ / ٢٤٩) والمستدرک (٢ / ٢٥٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم

يخرجاه . ووافقه الذهبي .

١٨٤٦ - * روى أحمد والترمذي والحاكم عن حذيفة ، مرفوعاً : « اقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي : أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عُمَارَ ، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ » .

١٨٤٧ - * روى مسلم وأحمد وابن سعد ، عن أبي سعيد قال : أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَاءَ الْمَسْجِدِ ، فَجَعَلْنَا نَنْقُلُ لَبَنَةً لَبَنَةً ، وَعِمَارٌ يَنْقُلُ لَبَنَتَيْنِ لَبَنَتَيْنِ ، فَتَرَبَّ رَأْسُهُ ، فَحَدَّثَنِي أَصْحَابِي وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ أَنَّهُ جَعَلَ يُنْفِضُ رَأْسَهُ وَيَقُولُ : « وَيُحَكِّ يَا ابْنَ سُمَيَّةَ ! تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ » .

قال الحافظ في « الفتح » : روى حديث عمار (تقتل الفتنه الباغية) جماعة من الصحابة . منهم قتادة بن النعمان كما تقدم ، وأم سلمة عند مسلم ، وأبو هريرة عند الترمذي ، وعبد الله بن عمرو بن العاص عند النسائي ، وعثمان بن عفان ، وحذيفة وأبو أيوب ، وأبو رافع ، وخزيمة بن ثابت ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص ، وأبو اليسر ، وعمار نفسه . وكلها عند الطبراني وغيره . وغالب طرقها صحيحة أو حسنة . وفيه عن جماعة آخرين يطول ذكرهم أ . هـ .

١٨٤٨ - * روى ابن سعد وعبد الرزاق عن طارق بن شهاب : إن أهل البصرة غزوا نهاوند ، فأمدتهم أهل الكوفة وعليهم عمار ، فظفروا ، فأراد أهل البصرة أن لا يقسموا لأهل الكوفة شيئاً . فقال رجل قمبي : أيها الأجدع ! تريد أن تشاركنا في غنائنا ؟ فقال : خير

١٨٤٦ - أحمد في مسنده (٣٨٥ / ٥) .

والترمذي (٦٧٢ / ٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٨ - باب مناقب عبد الله بن مسعود .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

والمستدرک (٧٥ / ٣) . وصححه ووافقه الذهبي .

١٨٤٧ - مسلم (٢٢٣٥ / ٤) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة - ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى ير الرجل بغير الرجل

فيتنى أن يكون مكان الميت من البلاء .

وأحمد في مسنده (٥ / ٣) .

الطبقات الكبرى (٢٥٢ / ٣) .

١٨٤٨ - الطبقات الكبرى (٢٥٤ / ٣) . والمصنف (٣٠٣ / ٥) . وأورده الذهبي في السير (٤٢٢ / ١) . وقال محققه :

إسناده صحيح .

أذنتي سببت ، فإنها أُصيبت مع رسول الله ﷺ . قال : فكتب في ذلك إلى عمر ، فكتب عمر : إن الغنية لمن شهد الواقعة .

١٨٤٩ - * روى أحمد عن عمار قال : إن أمنا - يعني عائشة - قد مضت لسبيلها ، وإنها لزوجته في الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلانا بها ليعلم إياه تطيع أو إياها .
١٨٥٠ - * روى البخاري عن عمار ، قال : إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلاكم لتبعوه أو إياها .

١٨٥١ - * روى أحمد وابن سعد والحاكم عن أبي البختري قال : قال عمار يوم صفين :
أتسوني بشربة لبن ، قال : فشرب ، ثم قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ آخِرَ شَرْبَةٍ تَشْرَبُهَا مِنَ الدُّنْيَا شَرْبَةُ لَبَنٍ » ثم تقدم فقتل .

١٨٥٢ - * روى البخاري عن عمار أنه قال : ثلاثة مَنْ كُنَّ فِيهِ ، فقد استكمل الإيمان ،
أَوْ قَالَ : مَنْ كَالَ الْإِيمَانَ : الْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ ، وَالْإِنصَافُ مِنْ نَفْسِكَ ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ .

١٨٥٣ - * روى الحاكم عن حارثة بن مضرب قال : كتب إلينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إني قد بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً ، وهما من النُّجَبَاءِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ فَاسْمَعُوا ، وَقَدْ جَعَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ عَلَى بَيْتِ مَا لَكُمْ فَاسْمَعُوا فَتَعَلَّمُوا مِنْهَا وَاقْتَدُوا بِهَا وَقَدْ آثَرْتُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ عَلَى نَفْسِي .

١٨٥٤ - * روى الترمذي والحاكم عن خيثمة بن أبي سبرة الجعفي قال : أتيت المدينة

١٨٤٩ - أحمد في المسند (٤ / ٣٦٥) . وأورده الذهبي في السير (١ / ٤٢٤) .

١٨٥٠ - البخاري (٧ / ١٠٦) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٠ - باب فضل عائشة .

١٨٥١ - أحمد في مسنده (٤ / ٣١٩) ، والطبقات الكبرى (٣ / ٢٥٧) ، والمستدرک (٣ / ٢٨٩) . وصححه ووافقه الذهبي .

١٨٥٢ - علقه البخاري ووصله غير واحد ، منهم الإمام أحمد وعبد الرزاق وابن أبي شيبة .

١٨٥٣ - المستدرک (٣ / ٢٨٨) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

١٨٥٤ - الترمذي (٥ / ٦٧٤) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٨ - باب مناقب عبد الله بن مسعود .

فسألتُ الله أن يُيسر لي جليساً صالحاً فيُسر لي أبا هريرة فقال لي : ممن أنت ؟ فقلت : من أرض الكوفة جئت ألتبس العلم والخير ، فقال : أليس فيكم سعد بن مالك مُجاب الدعوة ، وعبد الله بن مسعود صاحب طهور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونعليه ، وحذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ ، وعمار بن ياسر الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وسلمان صاحب الكتابين ؟ قال قتادة والكتابان الإنجيل والفرقان .

١٨٥٥ - * روى ابن سعد والحاكم عن عبد الله بن سلمة قال : رأيت عمار بن ياسر يوم صفين شيخاً طويلاً أخذ الحربه بيده ويده ترعد فقال : والذي نفسي بيده لقد قاتلت بهذه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث مرات وهذه الرابعة ثم قال : والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سقافات هَجَرَ لعرفتُ أنا على الحق وهم على الباطل .

١٨٥٦ - * روى الطبراني وعبد الله بن أحمد عن كلثوم بن جبر قال : كنت بواسط القصب عند عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كرز القريشي في منزل عنبة بن سعيد إذ جاء رجل فقال : إن قاتل عمار بالباب أفتأذنون له فيدخل ، فكره بعض القوم وقال بعض : أدخلوه ، فدخل فإذا رجلاً عليه مقطعات له . فقال : لقد أدركت رسول الله ﷺ وأنا أنفع أهلي فأرد عليهم الغنم ، فقال رجل من القوم : أبا العادية كيف كان أمر عمار ؟ قال : كنا نعد عماراً من خيارنا حتى سمعته يوماً في مسجد قباء يقع في عثمان فلو خلصت إليه لو طئنته برجلي فما صليت بعد ذلك صلاة إلا قلت : اللهم لقني عماراً ، فلما كان يوم صفين استقبلني رجل يسوق الكتيبة فاختلفت أنا وهو ضربتين فبدرته فضربته فكبا لوجهه

وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

والمستدرک (٢ / ٣٩٢) . وصححه ووافقه الذهبي .

١٨٥٥ - الطبقات الكبرى (٣ / ٢٥٧) . والمستدرک (٣ / ٣٩٢) . وصححه الحاكم وسكت عنه الذهبي .

١٨٥٦ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٩٨) : رواه كله الطبراني وعبد الله باختصار ورجال أحد إسنادي الطبراني

رجال الصحيح .

وذكره الذهبي في السير (١ / ٤٢٥) . وقال محققه : رجاله ثقات .

مقطعات : برود عليها وثني مقطّع .

ثم قتله . وفي رواية قال عبد الأعلى أدخلوه ، فأدخل عليه مقطعات له ، فإذا رجل طوال ضُرب من الرجال كأنه ليس من هذه الأمة - قلت فذكر نحوه حتى قال : فلما كان يوم صفين أقبل يمشي أول الكتيبة راجلاً حتى كان بين الصفين طعن رجلاً في ركبته بالرمح فصرعه فانكفاً المغفر عنه فأضربه فإذا رأس عمار بن ياسر . قال له يقول له مولى : لنا أي يد كفتاه فلم أر رجلاً أبين ضلالة منه ..

١٨٥٧ - * روى الترمذي عن عمرو بن غالب رحمه الله ، أن رجلاً نال من عائشة عند عمار بن ياسر رضي الله عنه ، فقال : أَعْرَبُ مَقْبُوحاً مَنبُوحاً ، أتودّي حبيبة رسول الله ﷺ ؟ .

١٨٥٨ - * روى البزار والطبراني عن بلال بن يحيى قال : لما قُتل عثمان رضي الله عنه أتيت حذيفة فقيل له : يا أبا عبد الله قُتل هذا الرجل وقد اختلف الناس فما تقول ؟ قال : أسندوني - وقد كان مريضاً - فأسندوه إلى ظهر رجل فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « أبو اليقظان على الفطرة لا يدعها حتى يموت أو يمسه الهرم » .

١٨٥٩ - * روى أبو يعلى والبزار والطبراني عن مولاة لعمار بن ياسر قالت : اشتكى عمار ابن ياسر شكوى بعل منها فغشى عليه فأفاق ونحن نبكي حوله ، فقال : ما يبيكم تحسبون أني مت على فراشي ، أخبرني حبيبي ﷺ أنه تقتلني الفئة الباغية وأن آخر زادي مذقة من لبن .

= الضرب : البطل الخفيف اللحم مشوق القد .

١٨٥٧ - الترمذي (٥ / ٧٠٧) ٥٠ - كتاب المناقب - ٦٣ - باب فضل عائشة .

وقال هذا حديث حسن .

غرب : أعرب : بمعنى ابعد ، كأنه أمره بالغروب والاختفاء .

مقبوحاً : المنبوح : الذي يرد ويطرده ، ويقال : قبحه الله ، أي : أبغده .

منبوحاً : المنبوح : الذي يضرب له مثل الكلب .

١٨٥٨ - رواه البزار : كشف الأستار (٣ / ٢٥٢) . وقال الميمني في جمع الزوائد (٩ / ٢٩٥) : رواه البزار والطبراني في

الأوسط باختصار ورجالها ثقات .

١٨٥٩ - البزار : كشف الأستار (٣ / ٢٥٢) . وقال الميمني في جمع الزوائد (٩ / ٢٩٥) : رواه أبو يعلى والطبراني بنحوه

ورواه البزار باختصار وإسناده حسن .

بعل منها : ضعف منها .

مذقة : شربة .

- ١٨٦٠ - * روى الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : جاء عمار بن ياسر ، يَسْتَأْذِنُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فقال : « ائذِنُوا لَهُ ، مرحباً بالطَّيِّبِ الْمُطَيِّبِ » .
- ١٨٦١ - * روى الطبراني عن جابر : أن النبي ﷺ مرَّ بعمار بن ياسر وبأهله يعذبون في الله عز وجل فقال « أبشروا آل ياسر موعدكم الجنة » .
- ١٨٦٢ - * روى أحمد والترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « ما خَيْرَ عَمَّارٍ بين أمرين إلا اختار أَسَدَهُمَا » .
- ١٨٦٣ - * روى النسائي والحاكم والبزار عن عمرو بن شرحبيل رحمه الله عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مُلِيَءٌ عَمَّارٌ إِيمَاناً إِلَى مَشَاشَةٍ » .
- ١٨٦٤ - * روى أحمد عن حنظلة بن خويلد العنبري قال : بينا أنا عند معاوية إذ جاءه رجلان يَخْتَصِمَانِ فِي رَأْسِ عَمَارٍ يَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنَا قَتَلْتُهُ ، فقال عبد الله بن عمرو : ليطب به أحدهما نفساً لصاحبه فيأني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تقتله الفئة الباغية » فقال معاوية : فما بالك معنا ؟ قال : إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ قال : « أطع أباك ما دام حياً ولا تعصه » فأنا معكم ولست أقاتل .

* * *

-
- ١٨٦٠ - الترمذي (٥ / ٦٦٨) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٥ - باب مناقب عمار بن ياسر .
وقال : هذا حديث حسن صحيح .
- ١٨٦١ - قال الهيثمي في جمع الزوائد (٩ / ٢٩٣) : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم وهو ثقة .
- ١٨٦٢ - أحمد في مسنده (٦ / ١١٣) .
والترمذي (٥ / ٦٦٨) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٥ - باب مناقب عمار بن ياسر .
وقال : حديث حسن غريب . والمستدرک (٢ / ٣٨٨) .
- ١٨٦٣ - النسائي (٨ / ١١١) كتاب الإيمان وشرائعه ، باب تفاضل أهل الإيمان .
والمستدرک (٣ / ٣٩٢) . وصححه ووافقه الذهبي .
- والبزار : كشف الأستار (٣ / ٢٥٢) . وقال الهيثمي في جمع الزوائد (٩ / ٢٩٥) : رجاله رجال الصحيح . وقال الحافظ في الفتح : إسناده صحيح .
- مشاشة : المشاش : جمع مشاشة : وهي رؤوس العظام اللينة التي يمكن مضغها .
- ١٨٦٤ - أحمد في مسنده (٢ / ١٦٤) .

١٠ - عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

قال ابن حجر :

عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي أبو عبد الرحمن حليف بني زهرة ، أحد السابقين الأولين أسلم قديماً وهاجر الهجرة ، وشهد بدرأ والمشاهد بعدها ولازم النبي ﷺ وكان صاحب نعليه ، من أخباره بعد رسول الله ﷺ أنه شهد فتوح الشام وسيّره عمر إلى الكوفة ليعلمهم أمور دينهم .

وقال ابن كثير :

وقد شهد ابن مسعود بعد النبي ﷺ مواقف كثيرة منها اليرموك وغيرها وكان قدم العراق حاجاً ، فر بالرُبْدَة - موضع قرب المدينة نحو الشرق فشهد وفاة أبي ذر ودفنه ، ثم قدم إلى المدينة فرض بها فجاءه عثمان بن عفان عائداً ، ودفن بالبقيع عن بضع وستين سنة .

وقال الذهبي في ترجمته :

الإمام الحَبْرُ فقيه الأُمَّة ، كان من السابقين الأولين ومن النّجباء العالمين ومناقبه غزيرة روى علماً كثيراً ، وروى عنه القراءة أبو عبد الرحمن السلمي وعَبِيدُ بن نَضْلَةَ وطائفة ، اتفقا له في الصحيحين على أربعة وستين وانفرد له البخاري بإخراج أحد وعشرين حديثاً ومسلم بإخراج خمسة وثلاثين حديثاً وله عند بقي بالمكرّر ثمان مائة وأربعون حديثاً ، كان معدوداً في أذكياء العلماء ، وروى الأعمش عن إبراهيم قال : كان عبد الله لطيفاً فطنا ... وعن عبيد الله بن عبد الله قال : مات ابن مسعود بالمدينة ودفن بالبقيع سنة اثنتين وثلاثين وكان نحيفاً قصيراً شديد الأذمة . أ . هـ .

أقول : اجتمع له رضي الله عنه السبق والجهاد ومخالطة رسول الله ﷺ وخدمته والعبادة الكثيرة والعلم الواسع والتعليم العريض ، ويكفي أنه إمام أهل الكوفة في الفقه ، وعن مدرسته انبثقت مدرسة الحنفية أوسع المدارس الفقهية وأكثرها انتشاراً وأبعدها تأثيراً في تاريخ القضاء والفتيا ، وكان له اجتهاد يخالف اجتهاد عثمان في إبقاء القراءات المأثورة على غير حرف قریش الذي كتب به مصحف عثمان ولذلك لم يحرق مصحفه .

١٨٦٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى قال : قدمت أنا وأخي من الين ، فكثنا حيناً ولا ندري إلا أن ابن مسعود وأمه من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم من كثرة دخولهم عليه ولزومهم به .

١٨٦٦ - * روى ابن ماجة عن ابن مسعود قال : إن أبا بكر وعمر بشراه أن النبي ﷺ قال : « من أحب أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل ، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » .

١٨٦٧ - * روى البزار والطبراني والحاكم عن ابن مسعود قال : لقد رأيتني وإني لسادس ستة ما على الأرض مسلماً غيرنا .

١٨٦٨ - * روى أحمد عن ابن مسعود قال : كنت أرمي غنماً لَعْقَبَةَ بن أبي مُعَيْط ، فمرُّ رسول الله ﷺ وأبو بكر ، فقال : « يا غلام ! هل من لبن ؟ » قلت : نعم ، ولكني مؤتمن ، قال : « فهل من شاة لم ينز عليها الفحل ؟ » فأتيتُه بشاة ، فسح ضرعها ، فنزل لبنٌ ، فحلب في إناء ، فشرب ، وسقى أبا بكر ، ثم قال للضرع : « اقلص » فقلص . زاد أحمد قال : ثم أتيتُه بعد هذا ، ثم اتفقا - فقلت : يا رسول الله ! علّمني من هذا القول ، فسح رأسي ، وقال : « يرحمك الله إنك علّيمٌ معلّم » .
وفي رواية لأحمد ^(١) زاد : فأتيتُه بصخرة منقورة ، فحلب فيها ، قال : فأسلتُ وأتيتُه .

١٨٦٩ - * روى البخاري عن شقيق بن سلمة ، قال : خطبنا عبد الله بن مسعود ،

١٨٦٥ - البخاري (١٠٢ / ٧) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٧ - باب مناقب عبد الله بن مسعود .

ومسلم (٤ / ١٩١١) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٢ - باب من فضائل عبد الله بن مسعود .

١٨٦٦ - ابن ماجة (١ / ٤٩) المقدمة - ١١ - باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ، فضل عبد الله بن مسعود .

ورجاله رجال الصحيح غير عاصم بن هذلة ، صدوق له أوهام .

١٨٦٧ - البزار : كشف الأستار (٣ / ٢٤٨) .

والمعجم الكبير (٩ / ٥٨) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٨٧) : رواه الطبراني والبزار ورجالهما رجال الصحيح .

والمستدرک (٣ / ٣١٣) وصححه ووافقه الذهبي .

١٨٦٨ - أحمد في مسنده (١ / ٣٧٩) . وذكره الذهبي في السير (١ / ٤٦٥) . وقال محققه : حديث حسن .

(١) أحمد في مسنده (١ / ٤٦٢) .

١٨٦٩ - البخاري (٩ / ٤٦) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن - ٨ - باب القراء من أصحاب النبي ﷺ .

فقال : والله لقد أخذت من في رسول الله ، ﷺ ، بضعا وسبعين سورة . والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ ، أني من أعلمهم لكتاب الله ، وما أنا بخيرهم . قال شقيق : فجلست في الخلق أسمع ما يقولون . فما سمعت رادا يقول غير ذلك .

وذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة عن عروة بن الزبير عن أبيه قال : أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود .

١٨٧٠ - * روى الحاكم عن أنس : أن النبي ﷺ آخى بين الزبير وابن مسعود .

١٨٧١ - * روى مسلم عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « يا عبد الله ، إذْ نَكَ عَلِيٌّ أَنْ تَرْفَعَ الْحِجَابَ ، وَتَسْمَعَ سَوَادِي حَتَّى أَنْهَاكَ » .

١٨٧٢ - * روى مسلم ، عن أبي الأحوص قال : أتيت أبا موسى وعنده عبد الله وأبو مسعود الأنصاري وهم ينظرون إلى مصحف ، فحدثنا ساعة ، ثم خرج عبد الله ، وذهب ، فقال أبو مسعود : والله ما أعلم النبي ﷺ ، ترك أحدا أعلم بكتاب الله من هذا القائم .

١٨٧٣ - * روى الحاكم أحمد والترمذي والحاكم عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار ، وتمسكوا بعهد ابن أم عبد » .

١٨٧٤ - * روى الحاكم عن جعفر بن عمرو بن حريث : عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « قد رضيت لكم ما رضي لكم ابن أم عبد » .

١٨٧٠ - المستدرك (٣ / ٢١٤) . وصححه ووافقه الذهبي .

١٨٧١ - مسلم (٤ / ١٧٠٨) ٣٩ - كتاب السلام - ٦ - باب جواز جعل الإذن رفع حجاب أو نحوه من العلامات . السواد : السرار والحادثة .

١٨٧٢ - مسلم (٤ / ١٩١٢) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه .

١٨٧٣ - أحمد في مسنده (٥ / ٣٨٥) .

والترمذي (٥ / ٦٧٢) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٨ - باب مناقب عبد الله بن مسعود .

قال : وهذا حديث حسن غريب . والمستدرك (٣ / ٧٥) . وصححه ووافقه الذهبي .

١٨٧٤ - المستدرك (٢ / ٣١٩) . وصححه ووافقه الذهبي .

١٨٧٥ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله قال : قال لي النبي ﷺ : « اقرأ علي » قلت : يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : « إني أشتهي أن أسمع من غيري » فقرأت النساء حتى بلغت : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً ﴾ ^(١) قال لي : كف أو أمسك . فرأيت عينيه تذرفان .

١٨٧٦ - * روى ابن سعد والحاكم عن حارثة بن مضرب قال : كتب عمر بن الخطاب إلى أهل الكوفة : إني قد بعثت إليكم عمراً أميراً ، وابن مسعود معلماً ووزيراً ، وهما من النجباء من أصحاب محمد ، ﷺ ، من أهل بدر ، فاسمعوا لها واقتدوا بها ، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي .

وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ^(٢) عن زيد بن وهب قال : لما بعث عثمان إلى ابن مسعود يأمره بالمجيء إلى المدينة ، اجتمع إليه الناس ، فقالوا : أقم فلا تخرج ، ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه . فقال : إن له علي طاعة ، وإنها ستكون أمور وقتن لا أحب أن أكون أول من فتحها . فرد الناس وخرج إليه .

وذكر الذهبي في السير ^(٣) عن أبي وائل أن ابن مسعود رأى رجلاً قد أسبل ، فقال : ارفع إزارك ، فقال : وأنت يا ابن مسعود فارفع إزارك ، قال : إن بساقي حُموشة وأنا أؤم الناس . فبلغ ذلك عمر ، فجعل يضرب الرجل ، ويقول : أترد على ابن مسعود ؟

وذكر الذهبي أيضاً ^(٤) عن مسروق قال : شامت أصحاب محمد ، ﷺ ، فوجدت علمهم انتهى إلى ستة : علي ، وعمر ، وعبد الله ، وزيد ، وأبي الدرداء ، وأبي . ثم شامت الستة ،

١٨٧٥ - البخاري (٩٨ / ١) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن - ٣٥ - باب البكاء عند قراءة القرآن .
ومسلم (٥٥١ / ١) ٦ - صلاة المسافرين وقصرها - ٤٠ - باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظ للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر .

(١) النساء : ٤٠ .

١٨٧٦ - الطبقات الكبرى (٢٢٥ / ٢) . والمستدرک (٣٨٨ / ٣) . وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) السير (٤٨٩ / ١) . وقال محققه : رجاله ثقات وذكره الحافظ في الفتح (٢١٧ / ٦) ونسبه إلى ابن سعد .

(٣) السير (٤٩٢ / ١) . وقال محققه : رجاله ثقات وقد ذكره ابن حجر في الإصابة ونسبه إلى البغوي .

(٤) السير (٤٩٣ / ١) . وقال محققه رجاله ثقات .

فوجدتُ عليهم انتهى إلى علي وعبد الله .

١٨٧٧ - * روى البخاري عن علقمة قال : جلستُ إلى أبي الدرداء ، فقال : ممن أنت ؟ قلتُ : من الكوفة . فقال : أو ليسَ عندكم ابنُ أمِّ عبد ، صاحب النعلين ، والوساد والمِطهرة ، وفيكم صاحبُ السرِّ ، وفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيِّه . وذكر الذهبي في السير^(١) عن عبد الله قال : من أراد الآخرة أضُرَّ بالدُّنيا ، ومن أراد الدنيا ، أضُرَّ بالآخرة ، ياقوم فأضِرُّوا بالفاني للباقي .

١٨٧٨ - * روى ابن سعد عن قيس قال : دخل الزبير على عثمان رضي الله عنه بعد وفاة عبد الله فقال : أعطني عطاءَ عبد الله ، فعيالُ عبد الله أحقُّ به من بيت المال . فأعطاه خمسة عشر ألفاً .

١٨٧٩ - * روى الحاكم عن زيد بن وهب قال : كنت جالساً عند عمر إذ جاءه رجل نحيف فجعل ينظر إليه ويتهلل وجهه ثم قال : كُنْتُفٌ مُلِئٌ علماً ، كُنْتُفٌ ملِئٌ علماً . يعني عبد الله بن مسعود .

١٨٨٠ - * روى الحاكم عن عمرو بن ميمون قال : كان عبد الله يأتي عليه السنة لا يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحدث ذات يوم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحديث فعلته كآبةً وجعل العرق يتحادر على جبهته ويقول : نحو هذا أو قريباً من هذا .

١٨٨١ - * روى الحاكم عن علي رضي الله عنه قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وآله

١٨٧٧ - البخاري (٧ / ١٠٢) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٧ - باب مناقب عبد الله بن مسعود .

(١) السير (١ / ٤٩٦) . وقال محققه : رجاله ثقات .

١٨٧٨ - الطبقات الكبير (٣ / ١٦٠) ، وذكره الذهبي في السير (١ / ٤٩٨) . وقال محققه : رجاله ثقات .

١٨٧٩ - المستدرك (٣ / ٢١٨) ، وصححه ووافقه الذهبي .

الْكُنْتُفُ : تصغير كُنْتُفٍ : وهو الوعاء ، والتصغير هنا تصغير تعظيم .

١٨٨٠ - المستدرك (٣ / ٢١٤) . وصححه ووافقه الذهبي .

١٨٨١ - المستدرك (٢ / ٢١٧) . وصححه ووافقه الذهبي .

وسلم ومعه أبو بكر رضي الله عنه وما شاء الله من أصحابه فمررنا بعبد الله بن مسعود وهو يصلي فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « من هذا ؟ » فقيل : عبد الله بن مسعود . فقال : « إن عبد الله يقرأ القرآن غضا كما أنزل » . فأثني عبد الله على ربه وحده فأحسن في حمده على ربه ثم سأله فأجمل المسألة وسأله كأحسن مسألة سألهما عبد ربه ثم قال : اللهم إني أسألك إيماناً لا يَرْتَدُّ ، ونعياً لا ينفد ، ومرافقة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أعلى عليين في جناتك جنات الخلد . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « سل تعط سل تعط » . مرتين . فانطلقت لأبشره فوجدت أبا بكر قد سبقني وكان سباقاً بالخير .

١٨٨٢ - * روى البخاري والترمذي عن عبد الرحمن بن يزيد قال : أتينا على خديفة فقلنا : حدثنا من أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم هدياً ودلاً فنأخذ عنه ونستع منه ؟ قال : كان أقرب الناس هدياً ودلاً وسماً برسول الله صلى الله عليه وسلم ابن مسعود حتى يتوارى منا في بيته ، ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد أن ابن أم عبد هو أقربهم إلى الله زلفى .

١٨٨٣ - * روى أبو يعلى عن قيس بن مروان قال : جاء رجل إلى عمر وهو بعرفة فقال : يا أمير المؤمنين جئت من الكوفة وتركت بها رجلاً يلي المصاحف عن ظهر قلب ، قال : فغضب عمر وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبي الرجل فقال : ويحك من هو ؟ فقال : عبد الله بن مسعود . فما زال عمر يطفئ ويسري عنه الغضب حتى عاد إلى حاله التي كان عليها . فقال : ويحك والله ما أعلمه بقي أحد من الناس هو أحق بذلك منه ،

١٨٨٢ - البخاري مختصراً (٧ / ١٠٢) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٧ - باب مناقب عبد الله بن مسعود .

والترمذي (٥ / ٦٧٢) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٨ - باب مناقب عبد الله بن مسعود .

السمت : والدُّلُّ والهُدْيُ : متقاربات ، وهي بمعنى السيرة والحالة .

حتى يتوارى : احتراز من الشهادة على الباطل المستور .

لقد علم المحفوظون : يعني : الذين حفظهم الله من تحريف في قول أو فعل .

١٨٨٣ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٨٧) رواه أبو يعلى بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح ، غير قيس بن

مروان وهو ثقة .

انتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبي الرجل : تعبير عربي شائع كناية عن شدة الغضب .

وسأحدثك عن ذلك كان رسول الله ﷺ لا يزال يَسْمُرُ عند أبي بكر الليلة كذلك لأمر من أمر المسلمين وإنه سَمَرَ عنده ذات ليلة وأنا معه ثم خرج رسول الله ﷺ يمشي ونحن غشي معه فإذا رجل قائم يصلي في المسجد فقام رسول الله ﷺ يستمع قرآنه فلما كدنا نعرف الرجل قال رسول الله ﷺ : « من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » . قال : ثم جلس الرجل يدعو فجلس رسول الله ﷺ يقول « سلْ تعطْ » . قال عمر فقلت : والله لأعودن إليه فلاأبشره . قال : فعدوت إليه لأبشره فوجدت أبا بكر قد سبقني فبشره ، فلا والله ما سابقته إلى خير قط إلا سبقني إليه . وفي رواية : فأتى عمر عبد الله ليبشره فوجد أبا بكر خارجاً فقال : إن فعلت إنك لسباق بالخير .

١٨٨٤ - * روى أحمد والبخاري عن مجاهد عن ابن عباس قال : أي القراءتين كانت آخر ، قراءة عبد الله أو قراءة زيد ؟ قال : قلنا قراءة زيد . قال : ألا إن رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام كل عام مرة ، فلما كان العام الذي قبض فيه عرضه عليه مرتين ، وكان آخر القراءة قراءة عبد الله .

١٨٨٥ - * روى أحمد وأبو يعلى والطبراني عن علي قال : أمر النبي ﷺ ابن مسعود فصعد شجرة فأمره أن يأتيه منها بشيء فنظر أصحابه إلى ساق عبد الله حين صعد فضحكوا من حموشة ساقه فقال النبي ﷺ : « ما تضحكون ؟ لرجل عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد » .

١٨٨٦ - * روى الطبراني والبخاري والحاكم عن عبد الله بن مسعود قال : لقد رأيتني وإني

١٨٨٤ - أحمد في مسنده (١ / ٣٢٥) .

والبخاري : كشف الأستار (٢ / ٢٥١) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٨٨) : رواه أحمد والبخاري ورجال أحمد رجال الصحيح .

١٨٨٥ - أحمد في مسنده (١ / ١١٤) ، والمعجم الكبير (٩ / ٩٧) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٨٨) : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم رجال الصحيح . حموشة : دقة .

١٨٨٦ - البخاري : كشف الأستار (٢ / ٢٤٨) ، والمعجم الكبير (٩ / ٥٨) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٨٧) : رواه البخاري والطبراني ورجالهم رجال الصحيح . والمستدرک (٣ / ٣١٢) ، وصححه ووافقه الذهبي .

لسادس ستة ما على الأرض مسلم غيرنا .

١٨٨٧ - * روى أحمد والطبراني عن الحسن قال : قال رجل لعمر بن العاص : أ رأيت رجلاً مات رسول الله ﷺ وهو يحبه أليس رجلاً صالحاً ؟ قال : قلت بلى . قال : قد مات رسول الله ﷺ وهو يحبك وقد استعملك . قال : قد استعملني فوالله ما أدري حباً كان لي منه أو استعانة بي ولكن سأحدثك برجلين مات رسول الله ﷺ وهو عنهما راض عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر .

١٨٨٨ - * روى الطبراني عن حارثة بن مُضَرَّب قال : كتب عمر إلى أهل الكوفة قد بعثت عماراً أميراً وعبد الله بن مسعود وزيراً وهما من النجباء من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم من أهل بدر فاقتدوا بهما واسمعوا من قولهما وقد آثرتكم بعد الله على نفسي .

١٨٨٩ - * روى الحاكم عن علقمة قال : قدمت الشام فصليت ركعتين ثم قلت : اللهم يسر لي جليساً صالحاً . فلقيت قوماً فجلست فيأذا بواحد جاء حتى جلس إلى جنبي ، فقلت : من ذا ؟ قال : أبو الدرداء . فقلت : إني دعوت الله أن يسر لي جليساً صالحاً فيسّر لي . فقال : ممن أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة . قال : أ ليس عندكم ابن أم عبد صاحب النعلين والوسادة والمطهرة ، وفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وفيكم صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا يعلمه غيره .

١٨٩٠ - * روى الحاكم عن علي رضي الله عنه قيل له : أخبرنا عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : عن أيهم ؟ قال : أخبرنا عن عبد الله بن مسعود قال : عَلِمَ

١٨٨٧ - أحمد في مسنده (٢٠٣ / ٤) . وقال الهيثبي في مجمع الزوائد (٢٩٠ / ٩) : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح .

١٨٨٨ - المعجم الكبير (٨٥ / ٩) . وقال الهيثبي في مجمع الزوائد (٢٩١ / ٩) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير حارثة وهو ثقة .

١٨٨٩ - المستدرک (٢١٦ / ٢) . وصححه ووافقه الذهبي .

١٨٩٠ - المستدرک (٢١٨ / ٢) . وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

الكتاب والسنة ثم انتهى وكفى به. وذكر باقي الحديث .

١٨٩١ - * روى مسلم عن أبي الأحوص عوف بن مالك رحمه الله قال : شهدتُ أبا موسى وأبا مسعود الأنصاري رضي الله عنهما حين مات ابن مسعود ، فقال أحدهما لصاحبه : أترأه ترك بعده مثله ؟ فقال : إن قلت ذلك إن كان ليؤذَنُ له إذا حُجِبْنَا ، ويشهدُ إذا غِبْنَا .

وفي رواية ^(١) قال : كنَّا في دار أبي موسى مع نفرٍ من أصحاب عبد الله وهم ينظرون في مصحفٍ ، فقام عبد الله ، فقال أبو مسعود : ما أعلمَ رسولَ الله ﷺ ترك بعده أعلم بما أنزل الله من هذا القائم . فقال أبو موسى : أما لئن قلت ذلك لقد كان يؤذَنُ له إذا حُجِبْنَا ، ويشهدُ إذا غِبْنَا .

وفي رواية ^(٢) : قال زيد بن وهب الجهني : كنتُ جالساً مع حذيفة وأبي موسى .. وساق الحديث .

١٨٩٢ - * روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لما نزلتُ هذه الآية ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ... ﴾ ^(٣) إلى آخر الآية قال رسولُ الله ﷺ : « قيل لي : أنتَ منهم » .

وفي رواية الترمذي ^(٤) قال عبد الله بن مسعود : لما نزلتُ - وقرأ الآية - قال لي رسولُ الله ﷺ : « أنتَ منهم » .

* * *

١٨٩١ - مسلم (٤ / ١٩١١) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٢ - باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه .

(١) مسلم (٤ / ١٩١٢) للموضع السابق .

(٢) مسلم (٤ / ١٩١٢) للموضع السابق .

١٨٩٢ - مسلم (٤ / ١٩١٠) للموضع السابق .

(٣) النساء : ٩٣ .

(٤) الترمذي (٥ / ٢٥٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٦ - باب ومن سورة المائدة .

١١ - أبو ذر الغفاري رضي الله عنه

قال ابن كثير في ترجمته :

أبو ذر الغفاري واسمه جُنْدَبُ بن جُنَادَةَ على المشهور ، أسلم قديماً بمكة فكان رابع أربعة أو خامس خمسة وهو أول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام ، ثم رجع إلى بلاده وقومه ، فكان هناك حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة فهاجر بعد الخندق ثم لزم رسول الله ﷺ حضراً وسفراً ، وروى عنه أحاديث كثيرة ، وجاء في فضله أحاديث كثيرة ، ثم لما مات رسول الله ﷺ ومات أبو بكر خرج إلى الشام فكان فيه حتى وقع بينه وبين معاوية فاستقدمه عثمان إلى المدينة ، ثم نزل الرَبِذَةَ^(١) فأقام بها حتى مات في ذي الحجة من هذه السنة ، وليس عنده سوى امرأته وأولاده ، فبينما هم كذلك لا يقدرّون على دفنه إذ قدم عبد الله بن مسعود من العراق في جماعة من أصحابه ، فحضر موتهم ، وأوصاهم كيف يفعلون به ، وقيل قدموا بعد وفاته فولوا غسله ودفنوه ، وكان قد أمر أهله أن يطبخوا لهم شاة من غنمه ليأكلوه بعد الموت ، وقد أرسل عثمان بن عفان إلى أهله فضمهم مع أهله . أ . ه .

وقال ابن حجر في ترجمته :

الزَّاهِد المشهور الصَّادِق اللَّهْجَةُ ... ويقال : إن إسلامه كان بعد أربعة وانصرف إلى بلاد قومه فأقام بها حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة ، ومضت بَذْرٌ وأحد ولم تنهياً له الهجرة إلا بعد ذلك ، وكان طويلاً أسمر اللون نحيفاً ، وكان يوازي ابن مسعود في العلم ، وكانت وفاته بالربذة سنة إحدى وثلاثين وقيل التي بعدها ، وعليه الأكثر .

وقال الذهبي في ترجمته :

وكان يفتي في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ... وكان رأساً في الزهد والصدق والعلم والعمل قوالاً بالحق ، لا تأخذه في الله لوم لائم ، على حدة فيه ، وله مائتا حديث وواحد وثمانون حديثاً ، اتفقا منها على اثني عشر حديثاً ، وانفرد البخاري بحديثين ، ومسلم بتسعة عشر

(١) الربذة : موضع قريب من المدينة نحو الشرق .

وما ورد فيه :

١٨٩٣ - * روى مسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ ، قَالَ : قَالَ أَبُو ذَرٍّ : خَرَجْنَا مِنْ قَوْمِنَا غِفَار . وَكَانُوا يُحِلُّونَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَخِي أَنَيْسٌ وَأُمُّنَا ، فَنَزَلْنَا عَلَى خَالٍ لَنَا ، فَأَكْرَمَنَا خَالُنَا وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا ، فَحَسَدَنَا قَوْمُهُ فَقَالُوا : إِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ عَنْ أَهْلِكَ خَالَفَ إِلَيْهِمْ أَنَيْسٌ . فَجَاءَ خَالُنَا فَتَنَا عَلَيْنَا الَّذِي قِيلَ لَهُ ، فَقُلْتُ : : أَمَا مَا مَضَى مِنْ مَعْرُوفِكَ فَقَدْ كَذَرْتَهُ ، وَلَا جِمَاعَ لَكَ فِيهَا بَعْدُ . فَقَرَّبْنَا صِرْمَتَنَا ، فَاحْتَمَلْنَا عَلَيْهَا ، وَتَفَطَّيْ خَالُنَا ثَوْبَهُ فَجَعَلَ يَبْكِي . فَأَنْطَلَقْنَا حَتَّى نَزَلْنَا بِحَضْرَةِ مَكَّةَ ، فَنَافَرَ أَنَيْسٌ عَنْ صِرْمَتِنَا وَعَنْ مِثْلِهَا ، فَأَتَيْنَا الْكَاهِنَ ، فَخَيَّرَ أَنَيْسًا ، فَأَتَانَا أَنَيْسٌ بِصِرْمَتِنَا وَمِثْلِهَا مَعَهَا .

قَالَ : وَقَدْ صَلَّيْتُ ، يَا ابْنَ أَخِي ! قَبْلَ أَنْ أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِثَلَاثِ سِنِينَ . قُلْتُ : لِمَنْ ؟ قَالَ : لِلَّهِ . قُلْتُ : فَأَيْنَ تَوَجَّهَ ؟ قَالَ : أَتَوَجَّهَ حَيْثُ يُوَجِّهُنِي رَبِّي ، أَصَلِّي عِشَاءَ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَلْقَيْتُ كَأَنِّي خِفَاءٌ ، حَتَّى تَغْلُوَنِي الشَّمْسُ .

فَقَالَ أَنَيْسٌ : إِنَّ لِي حَاجَةً بِمَكَّةَ فَأَكْفِنِي . فَأَنْطَلَقَ أَنَيْسٌ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ ، فَرَأَتْ عَلَى ، ثُمَّ جَاءَ فَقُلْتُ : مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : لَقِيتُ رَجُلًا بِمَكَّةَ عَلَى دِينِكَ ، يَزْعَمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ . قُلْتُ : فَمَا يَقُولُ النَّاسُ ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : شَاعِرٌ ، كَاهِنٌ ، سَاحِرٌ . وَكَانَ أَنَيْسٌ أَحَدَ الشُّعْرَاءِ .

١٨٩٣ - مسلم (٤ / ١٩١٩) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٨ - باب من فضائل أبي ذر .
فنشأ : أي أشاعه وأفشاه .

صيرمتنا : الصرمة هي القطعة من الإبل . وتطلق أيضاً على القطعة من الغنم .
فنافر : قال أبو عبيد وغيره في شرح هذا : المنافرة المفاخرة والمحاكمة . فيفخر كل واحد من الرجلين على الآخر ثم يتحاكان إلى رجل ليحكم أيها خير وأعز نفرا . وكانت هذه المفاخرة في الشعر أيها أشعر .
عن صيرمتنا وعن مثليها : معناه تراهن هو وآخر أيها أفضل . وكان الرهن صرمة ذا وصرمة ذاك . فأيهما كان أفضل أخذ الصيرمتين . فتحاكا إلى الكاهن . فحكم بأن أنيساً أفضل . وهو معنى قوله فخير أنيساً . أي جعله الخيار والأفضل .

خفاء : هو الكساء . وجمعه أخفية . ككساء وأكسية .

فراث عبي : أي أبطأ .

قَالَ أَنِيسٌ : لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ ، فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ ، وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشَّعْرِ فَمَا يَلْتِمُ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي أَنَّهُ شِعْرٌ ، وَاللَّهِ ! إِنَّهُ لَصَادِقٌ ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ .

قَالَ : قُلْتُ : فَأَكْفِينِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَنْظُرَ : قَالَ : فَأَتَيْتُ مَكَّةَ ، فَتَضَعْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَقُلْتُ : أَيْنَ هَذَا الَّذِي تَدْعُونَهُ الصَّابِي ؟ فَأَشَارَ إِلَيَّ ، فَقَالَ : الصَّابِي . فَمَالَ عَلَيَّ أَهْلُ الْوَادِي بِكُلِّ مَدَرَةٍ وَعَظْمٍ . حَتَّى خَرَزْتُ مَغْشِيًا عَلَيَّ . قَالَ فَأَرْتَفَعْتُ حِينَ ارْتَفَعْتُ ، كَأَنِّي نَصَبٌ أَحْمَرٌ . قَالَ : فَأَتَيْتُ زَمْزَمَ فَعَسَلْتُ عَنِّي الدَّمَاءَ ، وَشَرِبْتُ مِنْ مَائِهَا ، وَلَقَدْ لَبِثْتُ ، يَا ابْنَ أَخِي ثَلَاثِينَ ، بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ ، مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ ، فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عَكَنٌ بَطْنِي ، وَمَا وَجَدْتُ عَلَى كَبِدِي سَخْفَةً جُوعٍ .

قَالَ : فَبَيْنَا أَهْلُ مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ قَمَرَاءَ إِضْحِيَانٍ ، إِذْ ضَرَبَ عَلَيَّ أَسِيخَتِهِمْ ، فَمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ أَحَدٌ ، وَامْرَأَتَيْنِ مِنْهُمْ تَدْعَوَانِ إِسَافًا وَنَائِلَةً . قَالَ فَأَتَتَا عَلَيَّ فِي طَوَافِهَا فَقُلْتُ : أَنْكِحَا أَحَدَهُمَا الْأُخْرَى . قَالَ فَمَا تَنَاهَتَا عَنْ قَوْلِهِمَا . قَالَ : فَأَتَتَا عَلَيَّ . فَقُلْتُ : هُنَّ مِثْلُ

= أَقْرَاءَ الشَّعْرِ : أَي طَرَقَهُ وَأَنْوَاعَهُ .

فَتَضَعْتُ : نَظَرْتُ إِلَى أَوْعَفِهِمْ فَسَأَلْتُهُ . لِأَنَّ الضَّعِيفَ مَأْمُونُ الْغَائِلَةِ دَائِمًا .

الصَّابِي : مَنْصُوبٌ عَلَى الْإِغْرَاءِ . أَي انظُرُوا وَخَذُوا هَذَا الصَّابِي .

نَصَبٌ أَحْمَرٌ : يَعْنِي مِنْ كَثَرَةِ الدَّمَاءِ الَّتِي سَالَتْ مِنْ بَضْرِهِمْ . وَالنَّصَبُ وَالنَّصْبُ الصَّمُّ وَالْحَجَرُ كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَنْصِبُهُ وَتَذْبِيحُ عَنْدَهُ ، فَيَحْمَرُّ بِالدَّمِ . وَجَمْعُهُ أَنْصَابٌ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا ذَبَحْ عَلَى النَّصْبِ ﴾ .

عَكَنٌ بَطْنِي : جَمْعُ عَكْنَةٍ ، وَهُوَ الطَّيُّ فِي الْبَطْنِ مِنَ السَّمَنِ : مَعْنَى تَكَسَّرَتْ أَي انْتَثَتْ وَانْطَوَتْ طَاقَاتُ لَحْمِ بَطْنِهِ . سَخْفَةُ جُوعٍ : يَفْتَحُ السِّنُّ وَضَمُّهَا . هِيَ رَقَّةُ الْجُوعِ وَضَعْفُهُ وَهَزَالُهُ .

قَمَرَاءَ : مَقْمَرَةٌ .

إِضْحِيَانٌ : مَضِيئَةٌ ، مَنْوَرَةٌ . يُقَالُ : لَيْلَةٌ إِضْحَانٌ وَإِضْحِيَانَةٌ . وَضَحِيَاءٌ وَيَوْمٌ أَضْحِيَانٌ .

أَسْمَخْتَهُمْ : هَكَذَا هُوَ فِي جَمِيعِ النُّسخِ . وَهُوَ جَمْعُ سَمَخٍ ، وَهُوَ الْخَرَقُ الَّذِي فِي الْأُذُنِ يَفْضِي إِلَى الرَّأْسِ . يُقَالُ : صَمَخَ وَصَمَخَ . وَالصَّادُ أَفْصَحُ وَأَشْهَرُ . وَالْمُرَادُ بِأَسْمَخْتَهُمْ هُنَا : آذَانَهُمْ . أَي نَامُوا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَضَرْبُنَا عَلَى آذَانِهِمْ ﴾ . أَي أَعْمَانَاهُمْ .

وَامْرَأَتَيْنِ : هَكَذَا هُوَ فِي مَعْظَمِ النُّسخِ بِالْيَاءِ . وَفِي بَعْضِهَا : وَامْرَأَتَانِ ، بِالْأَلْفِ . وَالْأَوَّلُ مَنْصُوبٌ بِفِعْلِ مَحْذُوفٍ . أَي وَرَأَيْتُ امْرَأَتَيْنِ .

فَمَا تَنَاهَتَا : أَي مَا انْتَهَتَا .

هُنَّ مِثْلُ الْخَشْبَةِ : الْهَنْ وَالْهَنْةُ ، بِتَخْفِيفِ نُونِهَا ، هُوَ كُنَايَةٌ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَأَكْثَرُ مَا يَسْتَعْمَلُ كُنَايَةً عَنِ الْفَرْجِ وَالذِّكْرِ . فَقَالَ لَهَا أَوْ مِثْلُ الْخَشْبَةِ فِي الْفَرْجِ . وَأَرَادَ بِذَلِكَ سَبَّ إِسَافٍ وَنَائِلَةٍ وَغَيْظَ الْكَفَّارِ بِذَلِكَ .

=

الْخَشْبَةِ . غَيْرَ أَنِّي لَا أَكْنِي . فَاَنْطَلَقْنَا تَوَلَّوَانِ ، وَتَقُولَانِ : لَوْ كَانَ هَهُنَا أَحَدٌ مِنْ أَنْفَارِنَا ! قَالَ : فَاسْتَقْبَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ . وَهُمَا هَابِطَانِ . قَالَ : « مَا لَكُمَا ؟ » قَالَتَا : الصَّابِيُّ بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَأَسْتَارِهَا . قَالَ : « مَا قَالَ لَكُمَا ؟ » قَالَتَا إِنَّهُ قَالَ لَنَا كَلِمَةً تَمْلَأُ الْقَمَمَ . وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى اسْتَلَمَ الْحَجَرَ . وَطَافَ بِالْبَيْتِ هُوَ وَصَاحِبَتُهُ ، ثُمَّ صَلَّى ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ (قَالَ أَبُو ذَرٍّ) : فَكُنْتُ أَنَا أَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ . قَالَ : فَقُلْتُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَقَالَ : « وَعَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ » . ثُمَّ قَالَ « مَنْ أَنْتَ ؟ » قَالَ قُلْتُ : مِنْ غِفَارٍ . قَالَ : فَأَهْوَى يَدَيْهِ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : كَرِهَ أَنْ انْتَمَيْتُ إِلَى غِفَارٍ . فَذَهَبْتُ أَخَذُ يَدَيْهِ ، فَقَدَعَنِي صَاحِبَتُهُ ، وَكَانَ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّي . ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ، ثُمَّ قَالَ : « مَتَى كُنْتَ هَهُنَا ؟ » قَالَ قُلْتُ : قَدْ كُنْتُ هَهُنَا مِنْذُ ثَلَاثَيْنِ ، بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ . قَالَ : « فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ ؟ » قَالَ قُلْتُ : مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ ، فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُنْكَ بَطْنِي ، وَمَا أَجِدُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةً جُوعٍ . قَالَ : « إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ . إِنَّهَا طَعَامٌ طَعْمٍ » .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتَدْنُ لِي فِي طَعَامِهِ اللَّيْلَةَ . فَاَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا ، فَفَتَحَ أَبُو بَكْرٍ بَاباً ، فَجَعَلَ يَقْبِضُ لَنَا مِنْ زَيْبِ الطَّائِفِ ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ طَعَامٍ أَكَلْتُهُ بِهَا . ثُمَّ غَبَرْتُ مَا غَبَرْتُ . ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ « إِنَّهُ قَدْ وَجَّهَتْ لِي أَرْضٌ ذَاتُ نَخْلٍ . لَا أَرَاهَا إِلَّا يَثْرِبَ . فَهَلْ أَنْتَ مُبْلَغٌ عَنِّي

= تولولان : الولولة الدعاء بالويل .

أفغارنا : الأنفار جمع نفر أو نفر ، وهو الذي ينفر عند الاستغاثة .

تملأ القمم : أي عطية لا شيء أقبح منها ، كالشيء الذي يملأ الشيء ولا يسع غيره . وقيل معناه لا يمكن ذكرها وحكايتها . كأنها تملأ فحاكيها وتملؤه لا تستعظمها .

فقدعني : أي كفني . يقال : قدعه وأقدعه ، إذا كفه ومنعه .

طعام طعم : أي تشيع شاربها كما يشبعه الطعام .

غبرت ما غبرت : أي بقيت ما بقيت .

وجهت لي أرض : أي أريت جهتها .

أراها : ضبطوه أراها بضم الهمزة وفتحها .

يثرِب : هذا كان قبل تسمية المدينة طابة وطيبة . وقد جاء بعد ذلك حديث في النهي عن تسميتها يثرِب . =

قَوْمَكَ ؟ عَنِ اللَّهِ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُزَكَ فِيهِمْ . فَأَتَيْتُ أَنْبَسًا فَقَالَ : مَا صَنَعْتَ ؟ قُلْتُ : صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ . قَالَ : مَا بِي رَغْبَةً عَنْ دِينِكَ ، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ . فَأَتَيْنَا أُمَّنَا ، فَقَالَتْ : مَا بِي رَغْبَةً عَنْ دِينِكُمَا ، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ . فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا ، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ ، وَكَانَ يَوْمُهُمْ إِيمَاءُ بْنُ رَحْصَةَ الْغِفَارِيِّ ، وَكَانَ سَيِّدَهُمْ .

وَقَالَ نِصْفُهُمْ : إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا . فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي . وَجَاءَتْ أَسْلَمٌ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِخْوَتُنَا ، نُسَلِّمُ عَلَى الَّذِي أَسْلَمُوا . عَلَيْهِ . فَأَسْلَمُوا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا . وَأَسْلَمُ سَأَلَهَا اللَّهَ » .

١٨٩٤ - * روى مسلم عن ابن عباس ، قَالَ : لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ قَالَ لِأَخِيهِ : ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ ، فَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ أَتْنِي . فَاِنْطَلَقَ الْآخَرُ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ : رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَكَلَامًا مَا هُوَ بِالشَّعْرِ . فَقَالَ : مَا شَفِيتَنِي فِيهَا أَرَدْتُ . فَتَرَوُةٌ وَحَمَلُ شَنْةٍ لَهُ ، فِيهَا مَاءٌ ، حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَاتَى الْمَسْجِدَ فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ ﷺ وَلَا يَعْرِفُهُ . وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ . حَتَّى أَذْرَكَهُ - يَعْنِي اللَّيْلَ - فَاضْطَجَعَ قَرَاهُ عَلَى فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ . فَلَمَّا رَأَاهُ تَبِعَهُ ، فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدًا مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ . حَتَّى أَصْبَحَ . ثُمَّ احْتَمَلَ قَرِيبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ . فَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، وَلَا يَرَى

= ما بي رغبة عن دينكما : أي لا أكرهه ، بل أدخل فيه .

فاحتملنا : يعني حملنا أنفسنا ومتاعنا على إبلنا ، وسرنا .

إيماء : الهمة في أوله مكسورة ، على المشهور . وحكى القاضي فتحها أيضاً ، وأشار إلى ترجيحها ، وليس براجح .

١٨٩٤ - مسلم (٤ / ١٩٢٣) - ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٨ - باب من فضائل أبي ذر .

ما شفيتني فيها : كذا في جميع نسخ مسلم : فيها . بالغاء وفي رواية البخاري : بما ، بالميم ، وهو أجود . أي ما بلغتني

غرضي ، وأزلت عني هم كشف هذا الأمر .

شنة : هي القرية البالية .

= قريبتته : على التصغير : وفي بعض النسخ : قريته ، بالتكبير ، وهي الشنة المذكورة قبله .

النَّبِيُّ ﷺ . حَتَّى أَمْسَى ، فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ . فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ . فَقَالَ : مَا أَنِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ ؟ فَأَقَامَهُ . فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ . وَلَا يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ . حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ . فَأَقَامَهُ عَلِيٌّ مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَلَا تَحَدِّثُنِي ؟ مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ هَذَا الْبَلَدَ ؟ قَالَ : إِنْ أُعْطِيتُنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنِي ، فَعَلْتُ . فَقَعَلَ . فَأَخْبَرَهُ . فَقَالَ : فَإِنَّهُ حَقٌّ ، وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتَّبِعْنِي ، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ ، قُمْتُ كَأَنِّي أَرِيقُ الْمَاءَ . فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتَّبِعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي . فَقَعَلَ . فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَدَخَلَ مَعَهُ ، فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ . وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي » . فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُصْرَخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ . فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ . فَتَدَاى بِأَعْلَى صَوْتِهِ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . وَثَارَ الْقَوْمُ فَضْرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ . فَأَتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ . فَقَالَ : وَيْلَكُمْ ! أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ ، وَأَنَّ طَرِيقَ تَجَارِكُمْ إِلَى الشَّامِ عَلَيْهِمْ . فَأَتَقَذَّهْ مِنْهُمْ . ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ بِمِثْلِهَا . وَثَارُوا إِلَيْهِ فَضْرَبُوهُ . فَأَكَبَّ عَلَيْهِ الْعَبَّاسُ فَأَتَقَذَّهْ .

١٨٩٥ - * روى الطبراني عن أبي ذر قال : لقد رأيتني رُبِعَ الإسلام ، لم يسلم قبلي إلا النبي ﷺ وأبو بكر وبلال .

١٨٩٦ - * روى أحمد والبخاري عن إبراهيم بن الأشتر أن أبا ذر حضره الموت بالرَّبَذَةِ ، فبكت امرأته فقال : ما يبكيك ؟ قالت : أبكي ، إنه لا يد لي بنفسك وليس عندي ثوب

= ما أتى : وفي بعض النسخ : أن . وها لغتان . أي ما حان . وفي بعض النسخ : أما بزيادة ألف الاستفهام ، وهي مرادة في الرواية الأولى ، ولكن حذفت ، وهو جائز . يقفوه : أي يتبعه .

لأصْرَخَنَّ بِهَا : أي لأرفعن صوتي بها .

بين ظَهْرَانِيهِمْ : أي بينهم . وهو بفتح النون . ويقال : بين ظَهْرِيهِمْ .

١٨٩٥ - المعجم الكبير (٢ / ١٤٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٢٧) : رواه الطبراني بإسنادين وأحدهما متصل الإسناد ورجاله ثقات .

١٨٩٦ - أحد في مسنده (٥ / ١٦٦) ، و (٥ / ١٥٥) . البخاري : كشف الأستار (٣ / ٢٦٤) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٣١) : رواه أحمد من طريقين ورجال الأولى رجال الصحيح ورواه البخاري بنحوه باختصار . =

يسعك كفنًا . فقال : لاتبكي ، فياني سمعت النبي ﷺ يقول : « ليوتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين » . فكل من كان معي في ذلك المجلس مات في جماعة وقرية ولم يبق منهم غيري ، وقد أصبحت بالفلاة أموت ، فراقبي الطريق فإنك سوف ترين ما أقول ، فياني ما كذبت ولا كذبت . فبينما هي كذلك إذا يقوم تحب بهم رواحلهم حتى وقفوا عليها ، فقالوا : مالك ؟ قالت : امرؤ من المسلمين تكفونه وتؤجروا . قالوا : ومن هو ؟ قالت : أبو ذر . ففدوه بأبائهم وأمهاتهم فابتدروه ، فقال : أبشروا فأنتم النفر الذي قال فيكم النبي ﷺ ما قال ، فأنشدم بالله لا يكفني رجل منكم كان عريفًا أو أميرًا أو بريداً . فكل القوم قد نال من ذلك شيئاً إلا فتى من الأنصار ، قال : عندي ثوبان في عيبي من غزل أمي . قال : أنت صاحبي .

أقول : وإنما لم يرد أن يكفنه واحد من هؤلاء لأن الأمير والعريف يحتمل أن يخالط أعمالهما شيء من جور ، وأما البريد فلأنه قد يحمل رسالة في زور أو جور .

وذكر الذهبي في السير ^(١) عن زيد بن خالد الجهني قال : كنت عند عثمان ، إذ جاء أبو ذر ، فلما رآه عثمان قال : مرحباً وأهلاً بأخي . فقال أبو ذر : مرحباً وأهلاً بأخي ، لقد أغلظت علينا في العزيمة ، والله لو عزمت علي أن أحبو لحبوت ما استطعت ، إني خرجت مع النبي ﷺ نحو حائط بني فلان ، فقال لي : « ويحك بعدي » ! فبكيت ، فقلت : يارسول الله ، وإني لباقي بعدك ؟ قال : « نعم ، فإذا رأيت البناء على سلع ^(٢) ، فالحق بالمغرب ، أرض قضاة » .

قال عثمان : أحببت أن أجعلك مع أصحابك وخفت عليك جهال الناس .

= عريفًا : من كان له إمرة دون إمرة الأمير الأعلى .
بريدًا : الذي يحمل البريد .

عيبي : العيبة وعاء من آدم ونحوه يكون فيه المتاع .

(١) السير (٢ / ٧٠) . وقال محققه : رجاله ثقات .

(٢) سلع : جبل من جبال المدينة .

١٨٩٧ - * روى أحمد عن أبي أسماء أنه دخل على أبي ذرٍّ بالرَّيْدَةِ ، وعنده امرأة له سوداء مُشَعَّةٌ ، ليس عليها أثرُ المَجَاسِدِ والخلُوق . فقال : ألا تنظرون ما تأمرني به ؟ تأمرني أن أتّي العراق ، فإذا أتيتها مالوا عليّ بدُنياهم ، وإنّ خليلي عَهِدَ إليّ : « إنّ دون جسر جهنّم طريقاً ذا دَحْضٍ ومَزَلَّةٍ » . وإنا أن نأتي عليه وفي أحوالنا اقتِدارٌ أخرى أن ننجو من أن نأتي عليه ونخن مواخير .

١٨٩٨ - * روى ابن سعد عن ابن بُريدة قال : لما قدم أبو موسى لقي أبا ذر فجعل أبو موسى يُكرمه - وكان أبو موسى قصيراً خفيف اللحم ، وكان أبو ذر رجلاً أسود كثر الشعر - فيقول أبو ذر : إليك عنّي ! ويقول أبو موسى : مرحباً بأخي ! فيقول : لست بأخيك ! إنما كنتُ أخاك قبل أن تلي .

١٨٩٩ - * روى مسلم عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أباذر ، إني أراك ضعيفاً ، وإني أُحِبُّ لك ما أُحِبُّ لنفسي ، لا تأمرنّ على اثنين ، ولا تولّين مال يتيم » .

قال الذهبي : فهذا محمول على ضعف الرأي [في أمر الدنيا] ؛ فإنه لو ولي مال يتيم ، لأنفقَه كُلّه في سبيل الخير ، ولترك اليتيم فقيراً ، فقد كان لا يستجيز ادّخار النقدين . والذي يتأمرّ على الناس ، يريد أن يكون فيه حلمٌ ومُدَاراةٌ ، وأبو ذرّ رضي الله عنه كانت فيه حِدّةٌ فنصحه النبي ﷺ . اهـ .

١٩٠٠ - * روى ابن سعد عن أبي عثمان النهدي قال : رأيت أبا ذرٍّ يميّد على راحلته ، وهو مُستقبلٌ مَطْلَعُ الشمس ، فظننته نائماً ، فدنوتُ وقلتُ : أنائمٌ أنت يا أبا ذر ؟ قال :

١٨٩٧ - أحمد في مسنده (٥ / ١٥٩) . وأورده الذهبي في السير (٢ / ٧٣) . وقال محققه : رجاله ثقات .

المجاسد : جمع مجسد وهو المصبوغ المشيع بالجسد ، والجسد : الزعفران أو العُصفر .

الخلوق : ضرب من الطيب .

١٨٩٨ - الطبقات الكبرى (٤ / ٢٣٠) مطولاً ، وأورده الذهبي في السير (٢ / ٧٤) . وقال محققه : رجاله ثقات .

١٨٩٩ - مسلم (٣ / ١٤٥٨) ٣٣ - كتاب الإمارة - ٤ - باب كراهة الإمارة بغير ضرورة .

١٩٠٠ - الطبقات الكبرى (٤ / ٢٣٦) . وذكره الذهبي في السير (٢ / ٧٨) . وقال محققه : رجاله ثقات .

لا ، بل كنتُ أصلي .

١٩٠١ - * روى البزار عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا ذر رأيتُ كَأني وُزِنْتُ بأربعين أنتَ فيهم فوزُنتُهم » .

١٩٠٢ - * روى أبو داود عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال لي رسولُ الله ﷺ : « أبا ذر ! » قلتُ : لبيك وسعديك يا رسول الله ، وأنا فداؤك .

١٩٠٣ - * روى البخاري عن زيد بن وهب رحمه الله قال : مررت بالربذة ، فإذا بأبي ذر ، فقلت له : ما أنزلَكَ منزلَكَ هذا ؟ قال : كنتُ بالشام ، فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ^(١) . فقال معاوية : نزلت في أهل الكتاب . فقلت : نزلت فينا وفيهم . فكان بيني وبينه في ذلك كلام ، فكتب إلى عثمان يشكوني ، فكتب إليَّ عثمان : أن أقدم المدينة . فقدمتها فكثرت عليَّ الناس ، حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك ، فذكرتُ ذلك لعثمان ، فقال لي : إن شئتَ تنحيتُ ، فكنتُ قريباً ، فذاك الذي أنزلني هذا المنزلَ ولو أمروا عليَّ حبشياً لسيئتُ وأطعتُ .

قال الحافظ في « الفتح » : وفي هذا الحديث من الفوائد : أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة لاتفاق أبي ذر ومعاوية على أن الآية نزلت في أهل الكتاب ، وفيه ملاطفة الأئمة للعلماء ، فإن معاوية لم يجسر على الإنكار عليه ، حتى كاتب من هو أعلى منه في أمره ، وعثمان لم يحنق على أبي ذر ، مع كونه كان مخالفاً له في تأويله ، وفيه التحذير من الشقاق والخروج على الأئمة ، والترغيب في الطاعة لأولي الأمر ، وأمر الأفضل بطاعة الفضول خشية المفسدة ، وجواز الاختلاف في الاجتهاد ، والأخذ بالشدة في الأمر بالمعروف وإن أدى إلى

١٩٠١ - البزار : كشف الأستار (٣ / ٢٦٥) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٢٠) : رواه البزار ورجاله ثقات .

١٩٠٢ - أبو داود (٤ / ١٠١) - كتاب الفتن والملاحم - باب في النهي عن السعي في الفتن .

١٩٠٣ - البخاري (٣ / ٢٧١) ٢٤ - كتاب الزكاة - ٤ - باب ما أدى زكاته فليس بكنز .

يَكْنِزُونَ : الكَنَزُ : الأَخبار والجمع : مصدر كَنَزَ المالَ يَكْنِزُهُ كَنَزاً .

(١) التوبة : ٣٤ .

فراق الوطن ، وتقديم دفع المفسدة على جلب المصلحة ، لأن في بقاء أبي ذر بالمدينة ، مصلحة كبيرة من بث علمه في طالب العلم ، ومع ذلك فرجع عند عثمان دفع ما يتوقع من المفسدة من الأخذ بذهبه الشديد في هذه المسألة ، ولم يأمره بعد ذلك بالرجوع عنه ، لأن كلاً منها كان مجتهداً . اهـ .

وقال ابن كثير رحمه الله :

وكان من مذهب أبي ذر رضي الله عنه ، تحريم ادخار ما زاد على نفقة العيال ، وكان يفقي بذلك ويحثهم عليه ، ويأمرهم به ، ويغلظ في خلافه ، فنهاه معاوية فلم ينته ، فخشي أن يضر بالناس في هذا ، فكتب يشكوه إلى أمير المؤمنين عثمان وأن يأخذه إليه ، فاستقدمه عثمان إلى المدينة ، وأنزله بالربذة وحده ، وبها مات رضي الله عنه في خلافة عثمان . اهـ .

١٩٠٤ - * روى الترمذي عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر ، شبه عيسى بن مريم » . فقال عمر بن الخطاب كالحاسد : يا رسول الله أفنعرِفُ ذلك له ؟ قال : « نعم فاعرفوه » .

١٩٠٥ - * روى مسلم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، ألا تستعلمني ؟ قال : فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ : « يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا » .

وفي رواية ^(١) قال له : « يَا أَبَا ذَرٍّ ، إني أراك ضعيفاً ، وإني أحبُّ لك ما أحبُّ

١٩٠٤ - الترمذي (٥ / ٦٦٩) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٦ - باب مناقب أبي ذر .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

وقد روى بعضهم هذا الحديث ، فقال : أبو ذر يمثي في الأرض بزهد عيسى بن مريم عليه السلام .

الحاسد : هنا حسد غبطة وهو حسد محمود .

١٩٠٥ - مسلم (٣ / ١٤٥٧) ٣٣ - كتاب الإمارة - ٤ - باب كراهة الإمارة بغير ضرورة .

(١) وأبو داود (٣ / ١١٤) - كتاب الوصايا - باب ما جاء في الدخول في الوصايا .

لِنَفْسِي ، لَا تَأْمَرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ .

١٩٠٦ - * روى أحمد عن أبي ذر عن النبي ﷺ ، قال : أوصاني بخمس : أَرْحَمَ المساكين وأَجَالَسَهُمْ ، وَأَنْظَرُ إِلَى مَنْ تَحْتِي وَلَا أَنْظَرُ إِلَى مَنْ فَوْقِي ، وَأَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَذْبَرْتُ ، وَأَنْ أَقُولَ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مَرًّا ، وَأَنْ أَقُولَ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

١٩٠٧ - * روى ابن سعد عن عبد الله بن الصامت قال : دخلتُ مع أبي ذرٍّ في رَهْطٍ من غِفَارٍ على عَثْمَانَ من باب لا يدخل عليه منه - قال : وَتَخَوَّفْنَا عَثْمَانَ عَلَيْهِ - فَاَنْتَهَى إِلَيْهِ ، فَسَلَّمْ ، مَا بَدَأَهُ بِشَيْءٍ إِلَّا أَنْ قَالَ : أَحَسِبْتَنِي مِنْهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ وَاللَّهِ مَا أَنَا مِنْهُمْ وَلَا أُدْرِكُهُمْ . ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ إِلَى الرَّبْدَةِ .

١٩٠٨ - * روى ابن سعد عن ابن سيرين : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَبِي ذَرٍّ : « إِذَا بَلَغَ الْبِنَاءَ سَلْعًا فَاخْرُجْ مِنْهَا » . وَلَمَّا بِيَدَهُ نَحْوُ الشَّامِ ، « وَلَا أَرَى أَمْرًا لَكَ يَدْعُونَكَ » ! قَالَ : « أَوَّلًا أَقَاتِلْ مَنْ يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَمْرِكَ ؟ قَالَ : « لَا » . قَالَ : « فَمَا تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ : « اسْمَعْ وَأَطِيعْ ، وَلَوْ لَعَبَدَ حَبْشِيٌّ » .

فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ ، خَرَجَ إِلَى الشَّامِ . فَكُتِبَ مُعَاوِيَةَ : إِنَّهُ قَدْ أَفْسَدَ الشَّامَ . فَطَلَبَهُ عَثْمَانُ ؛ ثُمَّ بَعَثُوا أَهْلَهُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَوَجَدُوا عَنْدهُمْ كَيْسًا أَوْ شَيْئًا ؛ فَظَنُّوهُ دِرْهَمًا ، فَقَالُوا : مَا شَاءَ اللَّهُ ! فِإِذَا هِيَ فِلُوسٌ .

فَقَالَ عَثْمَانُ : كُنْ عِنْدِي . قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي فِي دُنْيَاكُمْ ، ائْذَنْ لِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى الرَّبْدَةِ . فَأَذِنَ لَهُ ، فَخَرَجَ إِلَيْهَا ، وَعَلَيْهَا عَبْدٌ حَبْشِيٌّ لِعَثْمَانَ ، فَتَأَخَّرَ وَقْتُ الصَّلَاةِ لَمَّا رَأَى أَبَا ذَرٍّ . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : تَقَدَّمَ فَصَلِّ ، فَقَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْمَعَ وَأَطِيعَ وَلَوْ لَعَبَدَ حَبْشِيٌّ ، فَأَنْتَ عَبْدٌ حَبْشِيٌّ .

١٩٠٦ - أحمد في مسنده (٥ / ١٥٩ ، ١٧٣) . وسنده حسن .

١٩٠٧ - الطبقات الكبرى (٤ / ٢٣٢) . ورجاله ثقات .

تخوفنا عثمان عليه : أي خفنا على عثمان منه .

أحسبني منهم : أي من الذين سيخرجون عليك .

١٩٠٨ - الطبقات الكبرى (٤ / ٢٢٦) ورجاله ثقات إلا أنه مرسل .

١٩٠٩ - * روى أحمد وابن سعد عن أبي ذر قال : كنت رُدْفَ رسولِ الله ﷺ على حمارٍ وعليه بَرْدَعَةٌ ، أو قطيفة .

١٩١٠ - * روى البخاري ومسلم عن الأحنف ، قال : قدمت المدينة ، فبينما أنا في حلقة فيها ملأ من قريش ، إذ جاء رجلٌ أخشنُ الشياب ، أخشنُ الجسد ، أخشنُ الوجه ، فقام عليهم فقال : بشر الكنازين بِرَضْفٍ يُحْمِي عليه في نار جهنم ، فيوضع على حمة ثدي أحدهم ، حتى يخرج من نُغْضِ كتفه ، ويوضع على نُغْضِ كتفه حتى يخرج من حمة ثديه يتجلجل .

قال : فوضع القوم رؤوسهم ، فما رأيتُ أحداً منهم رجع إليه شيئاً .

فأدبر ، فتبعته حتى جلس إلى سارية ، فقلتُ : ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ما قلت لهم . قال : إن هؤلاء لا يعقلون شيئاً ، إن خليلي أبا القاسم ﷺ دعاني فقال : « يا أبا ذر . فأجبتُه . فقال : « ترى أحداً ؟ » فنظرت ما عليّ من الشمس - وأنا أظنُّه يبعثني في حاجة - فقلتُ : أراه فقال : « ما يسرني أن لي مثله ذهباً ، أنفقه كله ، إلا ثلاثة دنانير » . ثم هؤلاء يجمعون الدنيا ، لا يعقلون شيئاً .

فقلتُ : مالك وإخوانك من قريش ، لا تعترهم ولا تصيبُ منهم ؟ قال : لا وربك ، ما أسألهم دنياً ، ولا أستفتيهم عن دين حتى ألحق بالله ورسوله .

١٩٠٩ - أحمد في مسنده (١٦٤ / ٥) .

والطبقات الكبرى (٢٢٨ / ٤) وإسناده صحيح .

١٩١٠ - البخاري (٢٧١ / ٣) ٢٤ - كتاب الزكاة - ٤ - باب ما أدى زكاته فليس بكنز .

ومسلم (٦٨٩ / ٢) ١٢ - كتاب الزكاة - ١٠ - باب في الكنازين للأموال والتغليظ عليهم .

والرَضْفُ : الحجارة المحيطة ، الواحدة رضة ، مثل : تمر وتمرّة ، والنُّغْضُ : العظم الدقيق الذي على طرف الكتف ،

أو على أعلى الكتف ، وأصل النغض : الحركة ، فسمي ذلك الموضع نغضاً لأنه يتحرك بحركة الإنسان .

ويتجلجل : يفوص ، ورواية البخاري ومسلم « يتزلزل » : أي يضطرب ويتحرك .

لا تعترهم : لا تزورهم أو تقصدهم . تصيب منهم : تأخذ من عطياتهم .

١٩١١ - * روى الطبراني عن محمد بن سريّن قال : بلغ الحارث - رجل كان بالشام من قريش - أن أبا ذر كان به عَوَز فبعث إليه بثلاثمائة دينار . فقال : ما وجد عبد الله من هو أهون عليه مني ؟ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « من سأل وله أربعون فقد ألحف » ولأبي ذر أربعون درهماً وأربعون شاة وماهنان . قال أبو بكر بن عياش : يعني خادمين .

* * *

١٩١١ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٣١) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن عبد الله ابن يونس وهو ثقة .

١٢ - حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما

قال ابن حجر :

حذيفة بن اليمان العسبي .. من كبار الصحابة ، كان أبوه قد أصاب دما فهرب إلى المدينة فحالف بني عبد الأشهل فسماه قومه اليمان لكونه حالف اليمانية ، وتزوج والده حذيفة فولد له بالمدينة ، وأسلم حذيفة وأبوه وأرادا شهود بدر فصدما المشركون ، وشهدا أحداً فاستشهد اليمان بها ، وروى حديث شهوده أحداً واستشهاده بها البخاري ، وشهد حذيفة الخندق وله بها ذكر حسن وما بعدها . وروى حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكثير وعن عمر ، قال العجلي : استعمله عمر على المدائن فلم يزل بها حتى مات بعد قتل عثمان وبعد بيعة علي بأربعين يوماً قلت وذلك في سنة ست وثلاثين ، وروى علي بن يزيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن حذيفة : خيرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الهجرة والنصرة . فاخترت النصره وفي الصحيحين أن أبا الدرداء قال لعقمة : أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره ؟ يعني حذيفة . وشهد حذيفة فتوح العراق وله بها آثار شهيرة . اهـ .

وقال الذهبي في ترجمته : وله في الصحيحين اثنا عشر حديثاً ، وفي البخاري ثمانية ، وفي مسلم سبعة عشر حديثاً .. وحذيفة هو الذي ندبه رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب ليحس له خبر العدو ، وعلى يده فتح الدّينور عنوة ومناقبه تطول .

وكان له مذهب في المداراة ذكره الذهبي في السير : من ذلك عن حذيفة قال : ما كلام أتكلم به ، يردني عشرين سوطاً ، إلا كنت متكلماً به . وعن حذيفة ، قال : إني لأشتري ديني بعضه ببعض ، مخافة أن يذهب كله .

وعن بلال بن يحيى ، قال : بلغني أن حذيفة كان يقول : ما أدرك هذا الأمر أحد من الصحابة إلا قد اشترى بعض دينه ببعض . قالوا : وأنت ؟ قال : وأنا والله ، إني لأدخل على أحدهم - وليس أحد إلا فيه محاسن ومساوئ - فأذكر من محاسنه ، وأعرض عما سوى ذلك ، وربما دعاني أحدهم إلى الغداء ، فأقول : إني صائم . ولست بصائم .

وكان النبي ﷺ قد أسر إلى حذيفة أسماء المنافقين ، وضبط عنه الفتن الكائنة في الأمة .
وقد ناشده عمر : أأنا من المنافقين ؟ فقال : لا ، ولا أزكي أحداً بعدك . اهـ .

وذكر الذهبي^(١) أيضاً عن زاذان : أن علياً سئل عن حذيفة ، فقال : عَلِمَ المنافقين وسأل
عن الْمُغْضِلَات ؛ فَإِنْ تَسَأَلُوهُ تَجِدُوهُ بِهَا عَالِماً .

١٩١٢ - * روى مسلم عن حذيفة قال : ما منعني أن أشهد بدرأ إلا أني خرجت أنا
وأبي ، فأخذنا كُفَّارَ قُرَيْش ، فقالوا : إنكم تريدون محمداً ! فقلنا : ما نريد إلا المدينة .
فأخذوا العهد علينا : لنصرفن إلى المدينة ولا تقاتل معه . فأخبرنا النبي ﷺ . فقال :
« نَفَيْ بَعْدَهُمْ ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ » .

١٩١٣ - * روى مسلم عن حذيفة قال : أخبرني ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ،
فأمنه شيء إلا قد سأله إلا أني لم أسله ما يخرج أهل المدينة من المدينة .

١٩١٤ - * روى البخاري ومسلم عن حذيفة قال : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ
عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، مخافة أن يدركني ، فقلت : يا رسول الله ، إنا كنا في
جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : « نعم » قلت :
وهل بعد هذا الشر من خير ؟ قال : « نعم ، وفيه دَخَنٌ » . قلت : وما دَخْنُهُ ؟ قال :
« قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر » . قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟
قال : « نعم ، دعاة إلى أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها » . قلت : يا رسول
الله صفهم لنا ؟ فقال : « هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا » . قلت : فأتأمرني إن
أدركني ذلك ؟ قال : « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » . قلت : فإن لم يكن لهم جماعة

(١) السير (٢ / ٣٦٣) . وقال محققه : رجاله ثقات .

١٩١٢ - مسلم (٣ / ١٤١٤) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٣٥ - باب الوفاء بالعهد .

١٩١٣ - مسلم (٤ / ٢٢١٧) ٥٢ - كتاب الفتن وأثرها الساعة - ٦ - باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة .

١٩١٤ - البخاري (٦ / ٦١٥) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٥ - باب علامات النبوة في الإسلام .

ومسلم (٣ / ١٤٧٥) ٣٣ - كتاب الإمارة - ١٣ - باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال .
الدَّخَنُ : فساد واختلاف في النفوس .

ولا إمام ؟ قال : « فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة ، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » .

١٩١٥ - * روى البخاري ومسلم ، عَنْ حَذِيفَةَ قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَاماً ، مَا تَرَكَ شَيْئاً يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ، إِلَّا حَدَّثَ بِهِ ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَ مَنْ نَسِيَ ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ . وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيْتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ ، كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ، ثُمَّ إِذَا رَأَاهُ عَرَفَهُ .

قال الذهبي : قد كان ﷺ يَرْتَلُّ كلامه وَيُفَسِّرُهُ ؛ فلعله قال في مجلسه ذلك ما يُكْتَبُ في جُزء ؛ فذكر أكبر الكوائن ، ولو ذكر أكثر ما هو كائن في الوجود ، لما تهياً أن يقول في سنة ، بل ولا في أعوام ، ففكر في هذا .

١٩١٦ - * روى مسلم عن حذيفة قال : كنا مع رسول الله ﷺ : فقال : « أحصوا لي كم يلفظ الإسلام » . قال : فقلنا : يا رسول الله أخاف علينا ونحن ما بين الست مئة إلى السبع مئة ؟ قال : « إنكم لا تدرون ، لعلمكم أن تبتلوا » . قال : فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سرا .

١٩١٧ - * روى الحاكم عن بلال بن يحيى قال : لما حضر حذيفة الموت وكان قد عاش بعد عثان أربعين ليلة قال لنا : أوصيكم بتقوى الله والطاعة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب .

١٩١٨ - * روى الطبراني عن الزهري أن حذيفة كان أحد بني عبس وكان عِدَادُهُ في الأنصار .

١٩١٥ - البخاري (١١ / ٤٩٤) ٨٢ - كتاب القدر - ٤ - باب ﴿ وكان أمر الله قدراً مقدوراً ﴾ .

ومسلم (٤ / ٢٢١٧) ٥٢ - كتاب الفتن وأثرها الساعة - ٦ - باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة .

١٩١٦ - مسلم (١ / ١٣١) ١ - كتاب الإيمان - ٦٧ - باب الاستمرار بالإيمان للخائف .

١٩١٧ - المستدرک (٣ / ٣٨٠) .

١٩١٨ - المعجم الكبير (٣ / ١٦٢) .

١٩١٩ - * روى الترمذي عن حذيفة بن اليان رضي الله عنه قال : سألتني أمي : متى عَهْدَكَ برسولِ الله ﷺ ؟ فقلت : مالي به عهد منذ كذا وكذا . فنالتُ مني ، فقلتُ لها : دعيني آتي رسول الله ﷺ ، فأصلي معه المغرب ، وأسأله أن يستغفر لي ولك . فأتيته ، فصليتُ معه المغرب ، ثم قام فصلّى حتى صلى العشاء ، ثم انقَتَلَ ، فتَبِعْتُهُ ، فسمع صوتي ، فقال : « مَنْ هذا ، حذيفة ؟ » قلت : نعم . فقال : « ما حاجتُك ؟ غفر الله لك ولأُهلك » . قال : « إن هذا ملكٌ لم ينزل إلى الأرض قطّ قبل هذه الليلة ، استأذن ربه أن يسلم عليّ ويبشّرني أن فاطمة سيدهُ نساء أهل الجنة ، وأن الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة » .

١٣ - سعد بن معاذ رضي الله عنه

هو في الأنصار كأبي بكر في المهاجرين .

قال ابن حجر في الإصابة : سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي سيد الأوس . وأمه كبشة بنت رافع لها صحبة . ويكنى أبا عمرو .. شهد بدرًا باتفاق ، ورمي بسهم يوم الخندق ، فعاش بعد ذلك شهراً حتى حكم في بني قريظة ، وأجيب دعوته في ذلك ، ثم انتقض جرحه فمات أخرج ذلك البخاري وذلك سنة خمس ، وقال المنافقون لما خرجت جنازته : ما أخفها . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الملائكة حملته » . في الصحيحين وغيرهما من طرق أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اهتز العرش لموت سعد بن معاذ » . وروى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت : كان في بني عبد الأشهل ثلاثة لم يكن أحد أفضل منهم : سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعباد بن بشر . وذكر ابن إسحاق أنه لما أسلم علي يد مصعب بن عمير قال لبني عبد الأشهل : كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تسلموا . فأسلموا ، فكان من أعظم الناس بركة في الإسلام . وروى ابن إسحاق في قصة الخندق عن عائشة قالت : كنت في حصن بني حارثة وأم سعد بن معاذ معي فرسعد بن معاذ وهو يقول :

لبث قليلاً يلحق الهيجاجمل ما أحسن الموت إذا حان الأجل

فقال له أمه : الحق يابني فقد تأخرت . فقلت : يا أم سعد لو ددت أن درع سعد أسبغ مما هي . قال : فأصابه السهم حيث خافت عليه . وقال الذي رماه : خذها وأنا ابن العرقة . فقال : عرق الله وجهك في النار . اهـ .

وقال ابن كثير : كان قدوم الأحزاب في شوال سنة خمس كما تقدم ، فأقاموا قريباً من شهر ثم خرج رسول الله ﷺ لحصار بني قريظة فأقام عليهم خمساً وعشرين ليلة ، ثم نزلوا على حكم سعد فمات بعد حكمه عليهم بقليل ، فيكون ذلك في أواخر ذي القعدة أو أوائل ذي الحجة من سنة خمس والله أعلم . اهـ .

وقال الذهبي : قيل كان سعد بن معاذ وأسعد بن زرارة ابني خالة . وقال ابن إسحاق :
 أخى رسول الله ﷺ بين سعد بن معاذ وأبي عبيدة بن الجراح ، وقيل أخيه بينه وبين سعد
 ابن أبي وقاص . اهـ .

قال الذهبي في السير : نقل ابن الكلبي أن قريشاً سمعت هاتفاً على أبي قُبَيْس يقول :
 فَإِنْ يَسْلَمُ السَّعْدَانِ يُصْبِحُ مُحَمَّدٌ بِمَكَّةَ لَا يَخْشَى خِلَافَ الْمُخَالِفِ
 فقال أبو سفيان : من السعدان ؟ سعدٌ بكر ، سعدٌ تميم ؟ فسمعوا في الليل الهاتف
 يقول :

أَيَا سَعْدِ الْأَوْسِ كُنْ أَنْتَ نَاصِراً وَيَا سَعْدِ سَعْدِ الْخَزْرَجِينَ الْغَطَارِفِ
 أَجِيبَا إِلَى دَاعِي الْهَدَى وَتَمْنِيَا عَلَى اللَّهِ فِي الْفِرْدَوْسِ مُنِيَّةَ عَارِفِ
 فَإِنَّ ثَوَابَ اللَّهِ لِلطَّالِبِ الْهَدَى جَنَّاتٍ مِنَ الْفِرْدَوْسِ ذَاتُ رَفَارِفِ
 فقال أبو سفيان : هو والله سعدٌ بن معاذ وسعدٌ بن عباد .

أسلم سعد بن معاذ على يد مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ . فقال ابن إسحاق : لما أسلم وقف على
 قومه ، فقال : يا بني عبد الأشهل ! كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا : سيدنا فضلاً ، وأميننا
 نقيبةً . قال : فإن كلامكم على حرام ، رجالكم ونساؤكم ، حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قال :
 فوالله ما بقي في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا وأسلموا .

أبو إسحاق : عن عمرو بن ميمون ، عن ابن مسعود قال : انطلق سعد بن معاذ معترفاً ،
 فنزل على أمية بن خلف وكان أمية إذا انطلق إلى الشام يَمُرُّ بالمدينة ، فينزل عليه ، فقال
 أمية له : انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس طفت . فبينما سعد يطوف إذ أتاه أبو
 جهل ، فقال : من الذي يطوف أمناً ؟ قال : أنا سعد . فقال : أتطوف أمناً وقد أويتم
 محمداً وأصحابه ؟ قال : نعم . فتلاحيا . فقال أمية : لا ترفع صوتك على أبي الحكم ، فإنه
 سيد أهل الوادي . فقال سعد : والله لو منعني ، لقطعت عليك متجرك بالشام . قال :
 فجعل أمية يقول : لا ترفع صوتك . فغضب وقال : دعنا منك ، فياني سمعت محمداً ﷺ
 يقول : يزعم أنه قاتلك . قال : إيَّاي ؟ قال : نعم . قال : والله ما يكذب محمد فكاد

يُحْدِثُ^(١) ، فرجع إلى امرأته فقال : أما تعلمين ما قال لي أخي اليثري ؟ زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي . قالت : والله ما يكذب محمد . فلما خرجوا لبدر قالت امرأته : ما ذكرت ما قال لك أخوك اليثري ؟ فأراد أن لا يخرج . فقال له أبو جهل : إنك من أشرف أهل الوادي ، فسر معنا يوماً أو يومين . فسار معهم ، فقتله الله .

قال ابن شهاب : وشهد بدرأ سعد بن معاذ ، ورُمي يومَ الخندق ، فعاش شهراً ، ثم انتفض جرحه فمات .

ابن إسحاق : حدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل أن عائشة كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق وأم سعد معها ، فعبر سعد عليه درع مقلصة قد خرجت منه ذراعة كلها وفي يده حربة يرقل بها [يمشي بقوة وجد] ويقول :

لَبْتُ قَلِيلاً يَشْهَدُ الْهَيْجَا جَمْلَ لَا بِأَسْ بِالمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

يعني : حمّل بن بدر . فقالت له أمه : أي بني ! قد أخرت . فقلت لها : يالأم سعد ، لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي . فرمي سعد بسهم قطع منه الأكحل ، رماه ابن العرقعة ، فلما أصابه قال : خذها مني وأنا ابن العرقعة . فقال : عرق الله وجهك في النار . اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً ، فأبقني لها ، فإنه لا قوم أحب من أن أجاهدكم فيك من قوم آذوا نبيك وكذبوه وأخرجوه . اللهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فاجعلها لي شهادة ، ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة^(٢) . ا.هـ .

١٩٢٠ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : أصيب سعد يوم

(١) كاد يحدث : من الحدث . وهو خروج خارج من أحد السبيلين ، والضمير لأمية . أي أنه كاد أن يخرج منه شيء لشدة فزعه . وهذه رواية البيهقي . أما رواية البخاري : « والله ما يكذب محمد إذا حدث » . من التحديث . وعد الحافظ رواية البيهقي تصحيفاً .

(٢) قال محقق السير : رجاله ثقات ، وهو في سيرة ابن هشام (٢ / ٢٢٦) . وأخرجه أحمد (٦ / ١٤١) .

١٩٢٠ - البخاري (٧ / ٤١١) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٠ - باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة .

ومسلم (٢ / ١٢٨٩) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٢٢ - باب جواز قتال من نقض العهد . =

الخنديق ، رماه رجلٌ من قريش يقال له حِثَّانُ بن العَرِيقَةِ ، رَمَاهُ فِي الْأَكْحَلِ ، فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ خِيَةً فِي الْمَسْجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ . فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْخَنْدَقِ وَضَعَ السِّلَاحَ وَاسْتَسَلَّ ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الْغُبَارِ فَقَالَ : قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ ، وَاللَّهِ مَا وَضَعْتُهُ ، اخْرُجْ إِلَيْهِمْ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « فَأَيْنَ ؟ » فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ . فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَزَلُّوا عَلَى حَكَمِهِ ، فَرَدَّ الْحَكَمَ إِلَى سَعْدٍ . قَالَ : فَإِنِّي أَحْكُمُ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ ، وَأَنْ تُسَبَّ النِّسَاءُ وَالذَّرِيَّةُ ، وَأَنْ تُقَسَمَ أَمْوَالُهُمْ . قَالَ هِشَامٌ : فَأَخْبِرْنِي أَيْ عَنْ عَائِشَةَ أَنْ سَعْدًا قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ مِنْ قَوْمٍ كَذَبُوا رَسُولَكَ وَأَخْرَجُوهُ ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي لَهُ حَتَّى أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ ، وَإِنْ كُنْتُ وَضَعْتَ الْحَرْبَ فَافْجَرْهَا وَاجْعَلْ مَوْتِي فِيهَا . فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ ، فَلَمْ يَرَعْهُمْ - وَفِي الْمَسْجِدِ خِيَةً مِنْ بَنِي غِفَارٍ - إِلَّا الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ ، فَقَالُوا : يَا أَهْلَ الْخِيَةِ ، مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ ؟ فَإِذَا سَعْدٌ يَغْدُو جُرْحُهُ دَمًا . فَمَاتَ مِنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

١٩٢١ - * روى أحمد عن عائشة قالت : حضر رسول الله ، وأبو بكر وعمر ، سعد بن معاذ ، وهو يموت في القبة التي ضربها عليه رسول الله ﷺ في المسجد قالت : والذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر ، وإني لفي حَجْرَتِي ، فَكَانَا كَمَا قَالَ اللَّهُ ﴿ رَحْمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ ^(١) . قَالَ عَلْقَمَةُ فَقُلْتُ : أَيُّ أُمَةٍ ! كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، يَصْنَعُ ؟ قَالَتْ : كَانَ لَا تَدْمَعُ عَيْنُهُ عَلَى أَحَدٍ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ إِذَا وَجَدَ ، فَإِنَّمَا هُوَ آخِذٌ بِلَحِيَّتِهِ .

١٩٢٢ - * روى ابن سعد عن محمود بن لبيد قال : لَمَّا أُصِيبَ أَكْحَلُ سَعْدٍ ، فَثَقُلَ :

= الْأَكْحَلُ : عَرَقٌ فِي وَسْطِ الذَّرَاعِ .

الذَّبَّةُ : النَّحْرُ .

يَغْدُو : يَسِيلُ .

١٩٢١ - أحمد في مسنده (٦ / ١٤١) . وإسناده حسن .

(١) الفتح : ٢٩ .

١٩٢٢ - الطبقات الكبرى (٣ / ٤٢٧) . وإسناده حسن .

حوّلوه عند امرأة يقال لها زُفيدة تُداوي الجرحى . فكان النبي ﷺ إذا مر به يقول : « كيف أمسيت ، وكيف أصبحت ؟ » فيخبره حتى كانت الليلة التي نقله قومه فيها وثقل ، فاحتلوه إلى بني عبد الأشهل إلى منازلهم ، وجاء رسول الله ، فقيل : انطلقوا به . فخرج وخرجنا معه ، وأسرع حتى تقطعتُ شسوعُ نعالنا ، وسقطت أرديتنا ، فشكا ذلك إليه أصحابه ، فقال : « إني أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة فتغسله كما غلست حنظلة » . فانتهى إلى البيت ، وهو يُغسل ، وأمه تبكيه وتقول :

ويل أم سعيدٍ سعدا حزامنةً وجداً

فقال : « كُلُّ باكيةٍ تكذبُ إلا أمُّ سعد » . ثم خرج به . قال : يقول له القوم : ما حملنا يا رسول الله ميتاً أخفَّ علينا منه . قال : « ما يمنعه أن يخيفَ وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قطُّ قبل يومهم ، قد حملوه معكم » .

١٩٢٣ - * روى ابن سعد عن شعبة : عن سماك ، سمع عبد الله بن شداد يقول : دخل رسولُ الله ﷺ ، على سعد وهو يكيد بنفسه فقال الرسول ﷺ ، « جزاك الله خيراً من سيد قوم ، فقد أنجزت ما وعدته . وليُنجزنَّك الله ما وعدك » .

١٩٢٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري قال : نزل أهل قريظة على حُكمِ سعد بن معاذ ، فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى سعد ، فأثاء على حصار ، فلما دنا قريباً من المسجد ، قال رسولُ الله ﷺ للأَنْصار « قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ » ، أَوْ : « خَيْرِكُمْ » . ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ » . قَالَ : تَقْتُلُ مَقَاتِلَتَهُمْ ، وَتَسْبِي ذُرِّيَّتَهُمْ . قَالَ : فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ » .

١٩٢٥ - * روى ابن سعد عن عامر بن سعد عن أبيه قال : لما حكم سعد في بني قريظة

١٩٢٣ - الطبقات الكبرى (٣ / ٤٢٧) . وإسناده حسن .

يكيد بنفسه : يجود بها وهو يتوفى .

١٩٢٤ - البخاري (٧ / ٤١١) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٠ - باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب وعرجه إلى بني قريظة .

ومسلم (٣ / ١٣٨٨) ٣٢ - كتاب الجهاد - ٢٢ - باب جواز قتال من نقض العهد .

١٩٢٥ - الطبقات الكبرى (٣ / ٤٢٦) . وإسناده حسن .

أَنْ يُقْتَلَ مَنْ جَرَتْ عَلَيْهِ الْمَوَاسِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَقَدْ حَكَمَ فِيهِمُ اللَّهُ الَّذِي حَكَمَ بِهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ » .

١٩٢٦ - * روى ابن سعد عن محمد بن شرحبيل بن حسنة قال : أخذ إنسان قبضة من تراب قبر سعد ، فذهب بها ، ثم نظر فإذا هي مسك . ورواها محمد بن عمرو بن علقمة ، عن ابن المنكدر .

ذكر الذهبي في السير^(١) عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبيه ، عن جده ، عن عائشة قالت : ما كان أحدٌ أشدَّ فقدراً على المسلمين بعد النبي ﷺ وصاحبيه أو أحدهما من سعد بن معاذ .

١٩٢٧ - * روى الحاكم عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت : لما توفي سعد بن معاذ صاحبت أمه فقال لها النبي ﷺ : « ليرقاً دمعك ويذهب حزنك فإن ابنك أول من ضحكك الله إليه واهتز له العرش » .

١٩٢٨ - * روى أحمد والحاكم والطبراني عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت : لما أخرج بجنازة سعد بن معاذ صاحبت أمه فقال لها رسول الله ﷺ : « ليرقاً دمعك ويذهب حزنك » . والباقي بنحوه .

= المواسي : جمع موسى وهي الآلة التي يخلق بها . والمراد هنا من بلغ الحلم وطالت شعرتة ، وصار يحلقها . يفسر ذلك حديث عطية القرظي قال : عرضنا على النبي ﷺ ، يوم قرىظة ، فكان من أنبت قتل ، ومن لم ينبت خلي سبيله ، فكنت ممن لم ينبت فخلي سبيلي . أخرجه أبو داود ، والترمذي وسنده حسن .

١٩٢٦ - الطبقات الكبرى (٣ / ٤٣١) . وإسناده حسن .

(١) السير (١ / ٢٩٥) وقال محققه : إسناده حسن .

١٩٢٧ - المستدرک (٣ / ٢٠٦) . وصححه ووافقه الذهبي .

١٩٢٨ - أحمد في مسنده (٦ / ٤٥٦) .

والمستدرک (٣ / ٢٠٦) . وصححه ووافقه الذهبي .

والمعجم الكبير (٦ / ١٢) ، (٢٤ / ٤٦٧) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٠٩) : رواه الطبراني ورجاله

رجال الصحيح .

ليرقاً : لينقطع .

١٩٢٩ - * روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما حُمِلَتْ جنازة سعد ابن معاذ قال المنافقون : ما أخفَّ ما كانت جنازته - يعني لحكمه في بني قريظة - فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : « إن الملائكة كانت تحمله » .

١٩٣٠ - * روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اهتَزَّ العَرْشُ لموت سعد بن معاذ » .

فقال رجل لجابر : إن البراء يقول : اهتَزَّ السرير ؟ فقال : إنه كان بين هذين الحيتين ضغائن ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اهتَزَّ عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ » .

وفي رواية لمسلم^(١) قال : قال رسول الله ﷺ - وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم :- « اهتَزَّ لها عرش الرحمن عز وجل » .

١٩٣١ - * روى ابن سعد عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : اهتَزَّ العرشُ لحب لقاء الله سعداً . قال : إنما يعني السرير . وقرأ ﴿ وَرَفَعَ أَبُويَهُ عَلَى الْعَرْشِ ﴾^(٢) قال : إنما تفسحت أعواده . قال : ودخل رسول الله ﷺ قبره ، فاحتبس ، فلما خرج ، قيل يا رسول الله ! ما حبستك ؟ قال : « ضَمَّ سعد في القبر ضمة ، فدعوتُ الله أن يكشفَ عنه » .

قال الذهبي : تفسيره بالسرير ما أدري أهو من قول ابن عمر ، أو من قول مجاهد . وهذا تأويل لا يفيده ، فقد جاءنا ثابتاً عرش الرحمن وعرش الله ، والعرش خلق الله مسخراً إذا شاء أن يهتَزَّ اهتَزَّ بمشيئة الله ، وجعل فيه شعوراً لحب سعد ، كما جعل تعالى شعوراً في جبل أُحُد

١٩٢٩ - الترمذي (٥ / ٦٩٠) ٥٠ - كتاب المناقب - ٥١ - باب مناقب سعد بن معاذ .

وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

١٩٣٠ - البخاري (٧ / ١٢٣) ٦٢ - كتاب مناقب الأنصار - ١٢ - باب مناقب سعد بن معاذ .

اهتزاز العرش : كناية عن ارتياحه بروحه حين صُعد بها لكرامته على ربِّه ، وكلُّ من خَفَّ لأمرٍ وارتاح له ، فقد اهتَزَّ له ، والمعنى : فرح أهل العرش بقدومه على الله لما رأوا من منزلته وكرامته وفضله .

ضغائن : الضغائن : الأحقاد والعداوات ، واحدها : ضَغِينَة .

(١) مسلم في نفس الموضع السابق .

١٩٣١ - الطبقات الكبرى (٣ / ٤٢٣) .

(٢) يوسف : ١٠٠ .

بجبه النبي ﷺ . وقال تعالى : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ ﴾ ^(١) . وقال : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ ﴾ ^(٢) ثم عمم فقال : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ ^(٣) . وهذا حق . وفي صحيح البخاري قول ابن مسعود : كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل . وهذا باب واسع سبيله الإيمان . اهـ .

١٩٣٢ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أهدني لرسول الله ﷺ جبة من سندس - وكان ينهى عن الحرير - فَعَجَبَ النَّاسُ مِنْهَا ، فقال : « والذي نفس محمد بيده ، إن مناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا » .

وفي رواية الترمذي والنسائي ^(٢) عن واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ قال : قدم أنس ابن مالك فأتيته ، فقال : مَنْ أَنْتَ ؟ فقلت : أنا واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ قال : فبكى ، وقال : إِنَّكَ لَشَبِيهٌ بِسَعْدٍ ، وَإِنْ سَعْدًا كَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ وَأَطْوَلِهِمْ ، وَإِنَّهُ بُعِثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ جُبَّةً مِنْ دِيْبَاجٍ ، مَنَسُوجٌ فِيهَا الذَّهَبُ ، فَلَبِسَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَصَعِدَ الْمَنْبَرُ ، فَقَامَ - أَوْ قَعَدَ - فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْمُسُونَهَا ، فَقَالُوا : مَا رَأَيْنَا كَالْيَوْمِ ثَوْبًا قَطُّ . فقال : « أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا ؟ لَمَنَادِيلُ سَعْدٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا تَرَوْنَ » ^(٣) .

١٩٣٣ - * روى البزار عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد نزل لسعد بن معاذ رضي الله عنه سبعون ألف ملك ما وطئوا الأرض قبلها » .

وقال حين دفن : « سبحان الله لو انفلت أحد من ضغطة القبر لانفلت منها سعد » .

(٢) الإسراء : ٤٤ .

(١) سبأ : ١٠ .

١٩٣٢ - البخاري (٢١٩ / ٦) ٥٩ - كتاب بدء الخلق - ٨ - باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة .

ومسلم (٤ / ١٩١٦) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٤ - باب من فضائل سعد بن معاذ .

السندسي : الحرير وما رق من الإبرسم .

(٣) الترمذي (٢١٨ / ٤) ٢٥ - كتاب اللباس - ٣ - باب حدثنا أبو عمار ..

وقال : هذا حديث صحيح .

والنسائي (٨ / ١٩٩) ٤٨ - كتاب الزينة - ٨٨ - باب لبس الديباج المنسوج بالذهب .

١٩٣٣ - البزار : كشف الأستار (٢ / ٢٥٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٠٨) : رواه البزار بإسنادين ورجال أحدهما

رجال الصحيح .

قال الذهبي : هذه الضمة ليست من عذاب القبر في شيء ، بل هو أمر يجده المؤمن كما يجد ألم فقد ولده وحميه في الدنيا ، وكما يجد من ألم مرضه ، وألم خروج نفسه ، وألم سؤاله في قبره وامتحانه ، وألم تأثره ببكاء أهله عليه ، وألم قيامه من قبره ، وألم الموقف وهوله ، وألم الورود على النار ، ونحو ذلك فهذه الأراجيف كلها قد تنال العبد وما هي من عذاب القبر ، ولا من عذاب جهنم قط ، ولكن العبد التقي يَرْفُقُ الله به في بعض ذلك أو كله ، ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه . قال تعالى : ﴿ وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْخُسْفِ ﴾ ^(١) . وقال : ﴿ وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ ﴾ ^(٢) . فنسأله الله تعالى العفو واللفظ الخفي . ومع هذه الهزات ، فسعد من نعم أنه من أهل الجنة ، وأنه من أرفع الشهداء ، رضي الله عنه . كأنك يا هذا تظن أن الفائز لا يناله هول في الدارين ، ولا روع ولا ألم ، ولا خوف . سل ربك العافية ، وأن يحشرنا في زمرة سعد . اهـ

(١) مريم : ٢٩ .

(٢) غافر : ١٨ .

١٤ - عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما

قال ابن كثير في ترجمته :

عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي . أبو عبد الرحمن المكي ثم المدني ، أسلم قديماً مع أبيه ولم يبلغ الحلم وهاجرا وعمره عشر سنين ، وقد استصغر يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق أجازه وهو ابن خمس عشرة سنة فشاهدها وما بعدها ، وهو شقيق حفصة بنت عمر أم المؤمنين ، أمهما زينب بنت مطعون أخت عثمان بن مظعون ، وكان عبد الله بن عمر ربعة من الرجال آدم له حمة تضرب إلى منكبيه جسيماً يخضب بالصفرة ويحفي شاربه ، وكان يتوضأ لكل صلاة ويدخل الماء في أصول عينيه ، وقد أراه عثمان على القضاء فأبى ذلك ، وكذلك أبوه ، وشهد اليرموك والقادسية وجلولاء وما بينهما من وقائع الفرس ، وشهد فتح مصر ، واختط بها داراً ، وقدم البصرة وشهد غزو فارس وورد المدائن مرارا وكان عمره يوم مات النبي ﷺ ثنتين وعشرين سنة ، وكان إذا أعجبه شيء من ماله يقربه إلى الله عز وجل وكان في مدة الفتنة لا يأتي أمير إلا صلى خلفه ، وأدى إليه زكاة ماله ، وكان أعلم الناس بمناسك الحج ، وكان يتتبع آثار رسول الله ﷺ ، يصلي فيها ، حتى إن النبي ﷺ نزل تحت الشجرة وكان ابن عمر يتعاهدها ويصب في أصلها الماء ، وكان إذ فاتته العشاء في جماعة أحياء تلك الليلة ، وكان يقوم أكثر الليل ، وقيل إنه مات وهو في الفضل مثل أبيه ، وكان يوم مات خير من بقي ، ومكث سنة يفقي الناس من سائر البلاد . اهـ

وقال ابن حجر : وقال الزبير بن بكار : وكان ابن عمر يتحفظ ما سمع من رسول الله ويسأل من حضر عن قوله وفعله وكان يتبع آثاره في كل مسجد .

وقد ذكر الذهبي بعض من أخذ عنهم العلم غير رسول الله ﷺ فعَدَّ منهم خمسة عشر ، وذكر مئتين وسبعة وعشرين ممن أخذوا عنه العلم ورووا عنه ، وقال : ولابن عمر في مسند بقي ألفان وست مائة وثلاثون حديثاً بالمرر ، واتفقا له على مئة وثمانية وستين حديثاً ، وانفرد له البخاري بأحد وثمانين حديثاً ، ومسلم بأحد وثلاثين ، وتكلم الذهبي عن يوم التحكيم بين علي ومعاوية فقال : كاد أن تنعقد البيعة له [لابن عمر] يومئذ مع وجود

الإمام علي وسعد بن أبي وقاص ولو يبيع لما اختلف عليه اثنان ولكن الله حماه وخار له ،
والظاهر أنه توفي في آخر سنة ثلاث وسبعين . وقال مالك : بلغ ابن عمر سبعاً وثمانين سنة ،
ورجح الذهبي أنه عمّ خمساً وثمانين سنة ودفن في فحّ من مكة (وفحّ : حي الزاهر) في
مقبرة المهاجرين . اهـ .

قال الذهبي :

وأولاده من صَفِيَّة بنت أبي عبيد بن مسعود الثقفي : أبو بكر ، وواقد ، وعبدُ الله ،
وأبو عبيدة ، وعمر ، وحفصة ، وسودة .

ومن أمّ علقمة الحاربية : عبدُ الرحمن وبه يُكنى .

ومن سُرَيَّة له : سالم ، وعبيدُ الله ، وحزمة .

ومن سُرَيَّةٍ أخرى : زيد ، وعائشة .

ومن أخرى : أبو سلمة ، وقلابة .

ومن أخرى : بلال ، فالجملة ستة عشر . اهـ .

قال الحافظ في الإصابة :

وأخرج أبو سعيد بن الأعرابي بسند صحيح وهو في الغيلانيات والمحاملات عن سالم بن
أبي الجعد عن جابر : مامنا من أحد أدرك الدنيا إلا مالت به ومال غير عبد الله بن عمر .
وفي تاريخ أبي العباس السراج بسند حسن عن السدي : رأيت نفرأ من الصحابة كانوا يرون
أنه ليس أحد فيهم على الحالة التي فارق عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا ابن عمر .
وفي الشعب للبيهقي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : مات ابن عمر وهو مثل عمر في
الفضل . ومن وجه آخر عن أبي سلمة : كان عمر في زمان له فيه نظراء ، وكان ابن عمر في
زمان ليس له فيه نظير . وفي معجم البغوي بسند حسن عن سعيد بن المسيب : لو شهدت
لأحد من أهل الجنة لشهدت لابن عمر . ومن وجه صحيح : كان ابن عمر حين مات خير
من بقي . اهـ .

قال الذهبي : قال ابن حزم في كتاب (الإحكام) في الباب الثامن والعشرين :
المكثرون في الفتيا من الصحابة ؛ عمر وابنه عبد الله ، علي ، عائشة ، ابن مسعود ، ابن
عباس ، زيد بن ثابت ، فهم سبعة فقط يمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم سفر
ضخم . وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب بن أمير المؤمنين المأمون فتيا ابن عباس
في عشرين كتاباً . وأبو بكر هذا أحد أئمة الإسلام .

١٩٣٤ - * روى ابن سعد عن سليمان بن بلال : عن زيد بن أسلم : أن عمر كان
يُصَفِّرُ حتى يملأ ثيابه منها ، ف قيل له : تصبغ بالصفرة ؟ فقال : إني رأيتُ رسول الله ﷺ
يَصْبِغُ بها .

١٩٣٥ - * روى ابن سعد عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لو تركنا هذا
الباب للنساء » . قال نافع : فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات .

وذكر الذهبي في السير^(١) عن نافع : أن ابن عمر كان إذا فاتته العشاء في جماعة ، أحيا
بقية ليلته .

وذكر أيضاً^(٢) أن ابن عمر كان له مِهْرَاسٌ فيه ماء ، فَيَصَلِّي فيه ما قَدَّرَ له ، ثم يصيرُ إلى
الفراش ، فيَغْفِي إغفاءة الطائر ، ثم يقوم ، فيتوضأ ويصلي ، يفعل ذلك في الليل أربع
مرات أو خمساً .

وذكر أيضاً^(٣) عن عطاء مولى ابن سباع ، قال : أقرضتُ ابنَ عمر ألفي درهم ،
فوفَّانيها بزائد مئتي درهم .

١٩٣٤ - الطبقات الكبرى (١٧٩ / ٤) وسنده صحيح .

١٩٣٥ - انظر : سير أعلام النبلاء ، للذهبي (٢١٣ / ٣) .

وقال محققه : رجاله ثقات .

الباب : يعني أحد أبواب المسجد النبوي .

(١) السير (٢١٣ / ٣) . وقال محققه : رجاله ثقات .

السير (٢٣٥ / ٣) . وقال محققه : رجاله ثقات .

المهراس : حجر منقور ويتوضأ منه .

(٢) السير (٢١٥ / ٣) وقال محققه : رجاله ثقات .

قال محقق السير : وإنما تحل له الزيادة فيما إذا لم يكن ذلك على شرط منها أو عادة ، أما إذا شرط في القرض أن يرد أكثر أو أفضل ، فهو حرام لا خير فيه وفعل ابن عمر هذا له سند من السنة ، ففي الموطأ ومسلم من طريق زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي رافع أن رسول الله ﷺ استلف من رجل بكرة فقدمت عليه إبل من إبل الصدقة ، فأمر أبا رافع أن يقضي الرجل بكرة ، فرجع إليه أبو رافع ، فقال : لم أجد فيها إلا خياراً رباعياً ، فقال : « أعطه إياه إن خيار الناس أحسنهم قضاء » . وأخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة .

وذكر أيضاً ^(١) ، عن عاصم ، أن مروان قال لابن عمر - يعني بعد موت يزيد - : هلم يدك نبيعتك ، فإنك سيد العرب وابن سيدها . قال : كيف أصنع بأهل المشرق ؟ قال : نضربهم حتى يبايعوا . قال : والله ما أحب أني دانت لي سبعين سنة ، وأنه قتل في سيفي رجلاً واحداً .

قال : يقول مروان :

إني أرى فتنة تغلي مراحلهما والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا

وذكر أيضاً ^(٢) عن عمر بن محمد بن زيد ، عن أبيه : أن ابن عمر كاتب غلاماً له بأربعين ألفاً ، فخرج إلى الكوفة ، فكان يعمل على حمار له ، حتى أدى خمسة عشر ألفاً ، فجاءه إنسان ، فقال : أجنون أنت ؟ أنت ها هنا تعذب نفسك . وابن عمر يشتري الرقيق بمينا وشالاً ، ثم يعتقهم ؛ ارجع إليه ، فقل : عجزت . فجاء إليه بصحيفة ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ! قد عجزت ، وهذه صحيفتي ، فامحها . فقال : لا ، ولكن امحها أنت إن شئت . فمحاها ، ففاضت عينا عبد الله ، وقال : اذهب فأنت حر . قال : أصلحك الله ، أحسن إلى ابني . قال : هما حران . قال : أصلحك الله ، أحسن إلى أمي ولدي . قال : هما حران .

(١) السير (٣ / ٢٦٦) . وقال : محققه إسناده حسن . وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٤ / ١٦٩) .

(٢) السير (٣ / ٢١٧) وقال محققه رجاله ثقات .

المكاتبة : أن يكتب السيد لمولاه وثيقة يتعهد له فيها بالعتق إذا أعطاه مبلغاً يسميه من المال ، فإذا جمعه العبد ، ودفعه لسيد ، أصبح حراً .

وذكر أيضاً ^(١) عن عاصم بن محمد العمري : عن أبيه ، قال : أعطي عبد الله بن جعفر ابن عمر بنافع عشرة آلاف ، فدخل على صَفِيَّةَ امرأته ، فحدثها ، قالت : فما تنتظر ؟ قال : فهلا ما هو خير من ذلك ، هو حرٌّ لوجه الله : فكان يُخَيَّلُ إليَّ أنه كان ينوي قول الله ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ^(٢) .

وقال ابنُ شهاب : أراد ابنُ عمر أن يلعن خادماً ، فقال : اللهم الع ، فلم يُتَّبِعْها ، وقال : ما أحبُّ أن أقول هذه الكلمة .

وعن سالم ، قال : ما لعن ابنُ عمر خادماً له قط إلا واحداً ، فأعتقه ^(٣) .

وذكر الذهبي في السير ^(٤) عن عمر بن محمد العمري ، عن نافع قال : ما مات ابنُ عمر حتى أعتق ألفَ إنسان ، أو زاد .

وذكر أيضاً ^(٥) : عن نافع ، قال : بعث معاويةُ إلى ابن عمر بمئة ألف ، فما حال عليه الحولُ وعنده منها شيء .

وذكر أيضاً ^(٦) عن حمزة بن عبد الله ، قال : لو أنَّ طعاماً كثيراً كان عند أبي ما شبع منه بعد أن يجد له آكلًا ، فعاده ابنُ مطيع ، فرآه قد نَحَلَ جَسْمَهُ ، فكلمه ، فقال : إنه ليأتي عليَّ ثمان سنين ، ما أشبع فيها شَبْعَةً واحدة - أو قال : إلا شبعة - فالآن تريد أن أشبع حين لم يبقَ من عُمرِي إلا ظِمٌّ حار .

١٩٣٦ - * روى الطبراني عن مُطْعِمِ بْنِ الْمُقْدَامِ قال : كتبَ الحجاجُ إلى ابن عمر : بلغني أنَّكَ طلبتَ الخِلافةَ وأنها لاتصلحُ لعيٍّ ولا بخيلٍ ولا غَيُورٍ . فكتب إليه : أمَّا ما ذكرتَ من

(١) السير (٣ / ٢١٧) . وقال محققه : إسناده صحيح .

(٢) آل عمران : ٩٢ .

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه (١٠ / ٤١٣) وإسناده صحيح .

(٤) السير (٣ / ٢١٨) . وقال محققه : إسناده صحيح .

(٥) السير (٣ / ٢١٩) . قال محققه : إسناده صحيح .

(٦) السير (٣ / ٢١٨) . وعبد الرزاق في مصنفه (١١ / ٣١٢) . وقال محقق السير : إسناده صحيح .

ظمٌّ حار : أي شيء يسير وخص الحمار لأنه أقل الدواب صبراً على الماء .

الخلافة فما طلبتها ، وماهي من بالي ، وأما ما ذكرت من العي ، فمن جمع كتاب الله ،
فليس بعي . ومن أدى زكاته ، فليس ببخيل . وإن أحق ما غرت فيه ولدي أن يشركني
فيه غيري .

وذكر الذهبي في السير ^(١) عن نافع : أن المختار بن أبي عبيد كان يرسل إلى ابن عمر
بالمال ، فيقبله ، ويقول : لا أسأل أحدا شيئا ، ولأرؤ ما رزقني الله .

وذكر أيضا ^(٢) عن الثوري : عن أبي الوازع : قلت لابن عمر : لا يزال الناس بخير ما
أبقاك الله لهم . فغضب ، وقال : إني لأحسبك عراقيا ، وما يدريك ما يغلق عليه ابن أمك
بابه .

١٩٣٧ - * وروى ابن سعد عن نافع ، أن ابن عمر كان يقبض على لحيته ، ويأخذ ما
جاوز القبضة .

١٩٣٨ - * روى البخاري عن نافع قال : وكان ابن عمر إذا اعتمر ، قبض على لحيته ، فما
فضل أخذه .

وذكر الذهبي في السير : ^(٣) عن ابن سيرين أن رجلا قال لابن عمر : أعل لك
جوارش ؟ قال : وما هو ؟ قال : شيء إذا كظك الطعام ، فأصبت منه ، سهل . فقال :
ما شبع منذ أربعة أشهر ، وما ذاك أن لا أكون له واجدا ، ولكني عهدت قوما يشبعون
مرة ، ويجوعون مرة .

= قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٤٧) : رواه الطبراني ورجاله ثقات إلا أنه مرسل ، فإن المظعم لم يسمع من ابن عمر .

(١) السير (٣ / ٢٢٠) وقال محققه : إسناده صحيح .

ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٤ / ١٥٠) .

(٢) السير (٣ / ٢٢٠) . وقال محققه : إسناده حسن .

ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٤ / ١٦١) .

١٩٣٧ - الطبقات الكبرى (٤ / ١٧٨) .

١٩٣٨ - البخاري (١٠ / ٣٤٩) ٧٧ - كتاب اللباس - ٦٤ - باب تقليم الأظفار .

(٣) السير (٣ / ٢٢٢) . وقال محققه : أخرجه أبو نعيم (١ / ٣٠٠) ورجاله ثقات .

جوارش : نوع من الأدوية المركبة يقوي المعدة ويضم الطعام وليست اللفظة عربية .

إذا كظك الطعام : إذا امتلأت منه وأثقلت .

وذكر أيضاً : ^(١) عن ابن عمر : قال بعث إليّ عليّ ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ! إنك رجل مطاع في أهل الشام ، فسر فقد أمرتك عليهم . فقلت : أذكرك الله ، وقرايتي من رسول الله ﷺ وصحبي إياه ، إلا ما أغفيتني . فأبى عليّ ، فاستعنت عليه بحفصة ، فأبى ، فخرجت ليلاً إلى مكة ، فقيل له : إنه قد خرج إلى الشام . فبعث في أثري ، فجعل الرجل يأتي المريد ، فيخطم بعيره بعامته ليدركني . قال : فأرسلت حفصة : إنه لم يخرج إلى الشام ، إنما خرج إلى مكة . فسكن .

وذكر أيضاً : ^(٢) عن ابن عمر قال يوم دومة جندل : جاء معاوية على بُخّي عظيم طويل ، فقال : ومن الذي يطمع في هذا الأمر ويمد إليه عنقه ؟ فحدثت نفسي بالدنيا إلا يومئذ ، همت أن أقول : يطمع فيه من ضربك وأباك عليه ، ثم ذكرت الجنة ونعيمها ، فأعرضت عنه .

وذكر أيضاً : ^(٣) ، عن نافع : أن معاوية بعث إلى ابن عمر بمئة ألف ، فلما أراد أن يبائع ليزيد ، قال : أرى ذاك أراد ، إن ديني عندي إذا لرخيص .

وذكر أيضاً : ^(٤) قال : حلف معاوية على منبر رسول الله ﷺ ليقتل ابن عمر ، يعني وكان ابن عمر بمكة . فجاء إليه [أي إلى ابن عمر] عبد الله بن صفوان ، فدخل بيتاً ، وكنت على الباب ، فجعل ابن صفوان يقول : أفتركه حتى يقتلك ؟ ! والله لو لم يكن إلا أنا وأهل بيتي ، لقاتلته دونك فقال : ألا أصير في حرم الله ؟ وسمعت نحيته مرتين ، فلما دنا معاوية تلقاه ابن صفوان ، فقال : إياها جئت لتقتل ابن عمر . قال : والله لا أقتله .

١٩٣٩ - * روى ابن سعد عن ميمون بن مهران قال : دس معاوية عمراً وهو يريد أن

(١) السير (٣ / ٢٢٤) . وقال محققه : رجاله ثقات .

(٢) السير (٣ / ٢٢٤) . وقال محققه : رجاله ثقات .

(٣) السير (٣ / ٢٢٥) . وقال محققه : إسناده صحيح .

(٤) السير (٣ / ٢٢٥) . وقال محققه : إسناده صحيح .

إياها : اسم فعل أمر بمعنى اسكت وكف .

١٩٣٩ - الطبقات الكبرى (٤ / ١٦٤) وسنده صحيح .

يعلم ما في نفس ابنِ عمر، فقال : يا أبا عبد الرحمن ! ما يمنعك أن تخرج تبائعك الناس ، أنت صاحبُ رسول الله ﷺ وابنُ أمير المؤمنين ، وأنتَ أحقُّ الناس بهذا الأمر . فقال : قد اجتمعَ الناسُ كلُّهم على ما تقول ؟ قال : نعم ، إلا نفر يسير . قال : لو لم يبقَ إلا ثلاثةُ أعلامٍ يجرُّهم لي فيها حاجة . قال : فعلم أنَّه لا يريدُ القتال . فقال : هل لك أن تبائعَ من قد كاذَّ النَّاسُ أن يجتمعوا عليه ويكتب لك من الأرضين والأموال ؟ فقال : أفأ لك ! أخرج من عندي ، إنَّ ديني ليس بدينساركم ولا درهمكم ، وإني أرجو أن أخرج من الدنيا ويدي بيضاء نقية .

١٩٤٠ - * روى ابن سعد عن نافع ، قال : كان ابنُ عمر يُسلم على الحشبيَّة والخوارج وهم يقتتلون وقال : من قال (حي على الصلاة) أجبتُه ، ومن قال (حي على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله) فلا .

١٩٤١ - * روى ابن سعد عن نافع ، قال : أصابت ابنَ عمر عارضةٌ محمِل بين أصبعيه عند الجمعة ، فمض فدخل عليه الحجَّاج ، فلما رآه ابنُ عمر ، غمض عينيه ، فكلمه الحجَّاج ، فلم يكلمه ، فغضب ، وقال : إنَّ هذا يقول إني على الضرب الأول .

وذكر الذهبي في السير : ^(١) عن ابن عمر ، أنه قام إلى الحجَّاج ، وهو يخطبُ فقال : يا عدوَّ الله ! استحلَّ حرَّم الله ، وخرب بيتَ الله . فقال : يا شيخاً قد خرف . فلما صدر الناس ، أمر الحجَّاج بعضَ مسودته ، فأخذ حربةً مسمومةً ، وضرب بها رجلَ ابنِ عمر ، فمض ، وماتَ منها ودخل عليه الحجَّاج عائداً ، فسلم فلم يردَّ عليه ، وكلمه ، فلم يجبه .

١٩٤٢ - * روى البخاري عن سعيد بن عمرو ، قال : دخل الحجَّاج على ابنِ عمر وأنا عنده ، فقال : كيف هو ؟ فقال : صالح . قال : من أصابك ؟ قال : أصابني من أمر بمحمل السلاح في يوم لا يحل فيه حمله . يعني الحجَّاج .

١٩٤٠ - الطبقات الكبرى (٤ / ١٦٩) وإسناده حسن .

الحشبيَّة : هم أصحاب الختار بن أبي عبيد .

١٩٤١ - الطبقات الكبرى (٤ / ١٨٦) وإسناده صحيح .

(١) السير (٣ / ٢٣٠) .

١٩٤٢ - البخاري (٢ / ٤٥٥) ١٢ - كتاب العيدين - ٩ - باب ما يكره من حل السلاح في العيد والحرم .

١٩٤٣ - * روى ابن سعد عن سعيد بن جبير، قال : لما احتَضَرَ ابنُ عمر ، قال : ما أَسَى على شيءٍ من الدنيا إلا على ثلاث ؛ ظمأُ المَواجِر ، ومُكابدةُ الليل ، وأني لم أَقاتِلِ الفِئَةَ الباغيةَ التي نزلتُ بنا . يعني الحجاج .

وذكر الذهبي ^(١) في السير : عن نافعٍ أو غيره ، أن رجلاً قال لابنِ عمر : يا خيرَ النَّاسِ ، أو ابنَ خيرِ النَّاسِ . فقال : ما أنا بخيرِ النَّاسِ ، ولا ابنَ خيرِ النَّاسِ ، ولكني عبدٌ من عبادِ الله ، أرجو الله ، وأخافه ، والله لن تزالوا بالرجل حتى تُهْلِكُوهُ .

١٩٤٤ - * روى ابن سعد عن عروة قال : خطبتُ إلى ابنِ عمرَ ابنتَه ، ونحن في الطواف ، فسكت ولم يُجِبني بكلمةٍ ، فقلتُ : لورضي ، لأجابني ، والله لا أراجعه بكلمة . فقَدَّرَ له أنه صَدَرَ إلى المدينة قبلي ، ثم قدمتُ ، فدخلتُ مسجدَ الرسول ﷺ ، فسلمتُ عليه ، وأديتُ إليه حقَّه ، فرحَّبَ بي ، وقال : متى قَدِمْتَ ؟ قلتُ : الآن . فقال : كنتُ ذكرتُ لي سَؤْدَةً ونحنُ في الطواف ، تتخايلُ الله بين أعيننا ، وكنتُ قادراً أن تلقاني في غير ذلك الموطن . فقلتُ : كان أمراً قَدَّرَ . قال : فما رأيك اليوم ؟ قلتُ : أحرصُ ما كنتُ عليه قطُ . فدعا ابنه سالماً وعبد الله ، وزوجني .

١٩٤٥ - * روى ابن سعد عن ابنِ عمر ، قال : إنما مَثَّلْنَا في هذه الفتنة كَمَثَلِ قومٍ يسرون على جاذيةٍ يعرفونها ، فبينما هم كذلك ، إذ غَشِيَتْهُمُ سحابةٌ وظُلُمَةٌ ، فأخذ بعضهم يميناً وشمالاً ، فأخطأ الطريقَ ، وأقننا حيث أدركنا ذلك ، حتى جلا الله ذلك عنا ، فأبصرنا طريقنا الأول . فعرفناه ، فأخذنا فيه . إنما هؤلاء فتیان قريش يَقْتُلُونَ على هذا السلطان وعلى هذه الدنيا ، ما أبالي أن لا يكونَ لي ما يَقْتُلُ عليه بعضهم بعضاً بنعليَّ هاتين الجرَداوين .

١٩٤٦ - * روى ابن سعد عن أبي جعفر القارئ : خرجتُ مع ابنِ عمرَ من مكة ، وكان

١٩٤٣ - الطبقات الكبرى (٤ / ١٨٥) . وذكره الذهبي في السير (٣ / ٢٢٢) وقال : محققه إسناده صحيح .

(١) السير (٣ / ٢٣٦) . وقال محققه : سنده صحيح .

١٩٤٤ - الطبقات الكبرى (٤ / ١٧١) . وذكره الذهبي في السير (٣ / ٢٣٧) . وقال محققه : رجاله ثقات .

١٩٤٥ - الطبقات الكبرى (٤ / ١٧١) . وذكره الذهبي في السير (٣ / ٢٣٧) . وقال محققه : إسناده صحيح .

١٩٤٦ - الطبقات الكبرى (٤ / ١٤٨) . وذكره الذهبي في السير (٣ / ٢٣٩) . وقال محققه : إسناده حسن . =

له جفنة من ثريد يجتمع عليها بنوه ، وأصحابه ، وكل من جاء حتى يأكل بعضهم قائماً ، ومعه بعير له ، عليه مزادتان ، فيها نبيذ وماء ، فكان لكل رجل قدح من سويق بذلك النبيذ .

١٩٤٧ - * روى ابن سعد عن عبد الله بن دينار قال : لما اجتمعوا على عبد الملك كتب إليه ابن عمر : أما بعد : فأني قد بايعت لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين بالسمع والطاعة على سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت وإن بني قد أقرؤا بذلك .

١٩٤٨ - * روى البزار عن ابن عمر أنه كان يأتي شجرة بين مكة والمدينة فيقبل تحتها ويخبر أن النبي ﷺ كان يفعل ذلك .

١٩٤٩ - * روى الطبراني عن ابن عمر قال : لم أجدي آسى على شيء إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية مع علي .

١٩٥٠ - * روى الطبراني عن نافع قال : إن كان ابن عمر ليقسم في المجلس ثلاثين ألفاً ثم يأتي عليه شهر ما يأكل فيه مزعة لحم . قال بَرْد : قلت لنافع هل كان يأكل اللحم ؟ قال : كان إذا صام أو سافر فإنه أكثر طعامه .

١٩٥١ - * روى الطبراني عن زيد بن أسلم قال : مر ابن عمر براعي غنم فقال : ياراعي الغنم هل من جزرة ؟ قال : ماههنا رؤها . قال : تقول أكلها الذئب . فرفع الراعي رأسه

= النبيذ : ما يعمل في الأشربة من التمر والزبيب ولا يسكر .

١٩٤٧ - الطبقات الكبرى (٤ / ١٨٣) . وذكره الذهبي في السير (٢ / ٢٢١) . وقال محققه إسناده قوى .

١٩٤٨ - رواه البزار ورجاله موثقون .

١٩٤٩ - رواه الطبراني بأسانيد وأحدها رجاله رجال الصحيح .

١٩٥٠ - المعجم الكبير (١٢ / ٢٦٠ ، ٢٦١) .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٤٧) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير برد بن سنان وهو ثقة .

مزعة لحم : قطعة لحم .

١٩٥١ - المعجم الكبير (١٢ / ٢٦٢) .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٤٧) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن الحارث الحاطبي

وهو ثقة .

جزرة : جل للذبح .

إلى السماء ثم قال : فأين الله ؟ فقال ابن عمر : فأنا والله أحقُّ أن أقول فأين الله . فاشترى ابن عمر واشترى الغنم فأعتقه وأعطاه الغنم .

أقول : كان فعل ابن عمر امتحاناً للراعي .

١٩٥٢ - * روى الطبراني عن مكحول قال : بينا أنا مع ابن عمر وهو يمشي إذ مر به رجل أسود معه رُمح فوضع رُج الرمح بين السبابة والإبهام من قدم ابن عمر ، فحِيلَ الشيخُ فأدخل ، فورمت ساقه ، فأتاه الحجاج يعوده فقال : يا أبا عبد الرحمن من أصابك بهذا حتى أخذ لك منه ؟ قال : آله ليأخذنَّ منه ؟ الله ليأخذن منه ؟ قال : ما بال حرم الله وأمنه يُحْمَلُ فيه السلاح ؟ قال : فأت فيه .

أقول : في الحديث إشارة إلى أن القاتل الحقيقي هو الحجاج الذي سمح بإدخال السلاح إلى حرم الله .

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة : في الزهد للبيهقي بسند صحيح عن عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر : سمعت أبي يقول : ما ذَكَرَ ابنُ عمرَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا بكى ، ولا مر على ربِّهم إلا غمض عينيه . وأخرجه الدارمي من هذا الوجه في تاريخ أبي العباس بسند جيد عن نافع : كان ابن عمر إذا قرأ هذه الآية : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ يبكي حتى يُفْنِيَهُ البكاء . وعند ابن سعد بسند صحيح ، قيل لنافع : ما كان ابن عمر يصنع في منزله ؟ قال : الوضوء لكل صلاة والمصحف فيما بينهما . وعند الطبراني وهو في الحلية بسند جيد عن نافع : أن ابن عمر كان يحكي الليل صلاة ثم يقول : يانافع أسحرنا . فيقول : لا . فيعاود فإذا قال : نعم . قعد يستغفر الله حتى يصبح اهـ .

والمقصود بربهم : دار الرسول ﷺ .

١٩٥٢ - المعجم الكبير (١٢ / ٢٥٩) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٤٧) : رواه الطبراني بإسنادين ورجال هذا ثقات .

الزج : حربة الرمح .

١٩٥٣ - * روى ابن سعد عن نافع أن ابن عمر كان لا يصوم في السفر ولا يكاد يفطر في

الحضر .

١٩٥٤ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال :
كان الرجلُ في حياة رسول الله ﷺ إذا رأى رؤيا قصّها على النبي ﷺ ، فتَمَنَّيتُ أَنْ أَرَى
رُؤْيَا أَقْصَاهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا عَزْبًا ، أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ ، فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ مَلَكَئِينَ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَبِيِّ
الْبُئْرِ ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَيْ الْبُئْرِ ، وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ : أَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنَ النَّارِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ ، فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ آخَرٌ ، فَقَالَ لِي : لَمْ
تَرْعُ . فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ ، فَقَصَّتُهَا حَفْصَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « نَعَمْ
الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ » . قَالَ سَالِمٌ : فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ لَا يَنَامُ مِنَ
الَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا .

وللبخاري ^(١) أيضاً ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ : رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ : كَأَنَّ فِي كَفِّي سَرَقَةً مِنْ
حَرِيرٍ ، لِأَهْوَى بِهَا إِلَى مَكَانٍ فِي الْجَنَّةِ إِلَّا طَارَتْ بِي إِلَيْهِ ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ ، فَقَصَّتُهَا
حَفْصَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : « إِنَّ أَخَاكَ رَجُلٌ صَالِحٌ » . أَوْ قَالَ : « إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ
رَجُلٌ صَالِحٌ » .

وفي أخرى ^(٢) له قال : إِنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانُوا يَزُونَ الرُّؤْيَا عَلَى
عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَيَقْصُصُونَهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَيَقُولُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ
اللَّهُ وَأَنَا غُلَامٌ حَدِيثُ السِّنِّ ، بَيْتِي الْمَسْجِدُ قَبْلَ أَنْ تُنْكِحَ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : لَوْ كَانَ فِيكَ

١٩٥٣ - الطبقات الكبرى (٤ / ١٤٨) وسنده جيد .

١٩٥٤ - البخاري (٢ / ٦) ١٩ - كتاب التهجد - ٢ - باب فضل قيام الليل .

مسلم (٤ / ١٩٢٧) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣١ - باب فضائل عبد الله بن عمر .

(١) البخاري (١٢ / ٤٠٣) ٩١ - كتاب التعبير - ٢٥ - باب الإستبرق ودخول الجنة في المنام .

سَرَقَةٌ : السَّرَقَةُ بفتح السين : الحرير ، وجمعها : سَرَقٌ .

أَهْوَى : بيده إلى الشيء : مَدَّهَا إِلَيْهِ لِأَخْذِهِ .

(٢) البخاري (١٢ / ٤١٨) ٩١ - كتاب التعبير - ٣٥ - باب الأمن وذهاب الروح في المنام .

خير، لَرَأَيْتَ مَا يَرَى هَؤُلَاءِ ، فَلَمَّا اضْطَجَعْتَ لَيْلَةً قُلْتَ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ فِي خَيْرٍ ، فَأَرِنِي رُؤْيَا . فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَنِي مَلَكَانِ ، فِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِقْمَعَةٌ حَدِيدٌ ، فَحَمَلَانِي إِلَى جَهَنَّمَ ، وَأَنَا بَيْنَهُمَا أَدْعُو اللَّهَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهَنَّمَ . ثُمَّ أَرَانِي لَقِيَنِي مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ ، فَقَالَ : لَمْ تُرَعْ ، نِعَمَ الرَّجُلُ أَنْتَ ، لَوْ تَكْثُرُ الصَّلَاةُ . فَأَنْطَلَقُوا بِي ، حَتَّى وَقَفُوا بِي عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبُرِّ ، وَلَهَا قُرُونٌ كَقُرُونِ الْبُرِّ بَيْنَ كُلِّ قَرْنَيْنِ مَلَكٌ بِيَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ ، وَأَرَى فِيهَا رَجَالًا مُعْلَقِينَ بِالسَّلَاسِلِ ، رُؤُوسُهُمْ أَسْفَلُهُمْ ، عَرَفْتُ فِيهَا رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ ، فَأَنْصَرَفُوا بِي عَنْ ذَاتِ الْيَمِينِ ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ ، فَقَصَصْتُهَا حَفْصَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ » . قَالَ نَافِعٌ : فَلَمْ يَزَلْ بَعْدَ ذَلِكَ يُكْثِرُ الصَّلَاةَ .

وفي رواية لمسلم ^(١) : رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ فِي يَدَيَّ قِطْعَةً إِسْتَبْرَقٍ ، وَلَيْسَ مَكَانَ مِنَ الْجَنَّةِ أُرِيدُ إِلَّا طَارَتْ بِي إِلَيْهِ ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَرَى عَبْدَ اللَّهِ رَجُلًا صَالِحًا » .

(لو كان يصلي من الليل) هي هنا للتني ، لالشرط ، ولذلك لم يذكر الجواب .

قال المهلب : إنما فسر رسول الله ﷺ هذه الرؤيا في قيام الليل من أجل قول الملك . « لم ترع » . أي لم تعرض عليك النار ، لأنك مستحقها ، وإنما ذكرت بها ، ثم نظر رسول الله ﷺ في أحواله ، فلم ير شيئاً يغفل عنه من الفرائض فيسدي من النار ، وعلم مبيته في المسجد ، فعبر ذلك بأنه تنبيه له على قيام الليل فيه .

١٩٥٥ - * روى الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لما فَرَضَ عمر لأسامة بن زيد ثلاثة آلاف وفرض لي ألفين وخمس مائة ، فقلت له : يا أبت لم تفرض لأسامة بن زيد ثلاثة

= لَمْ تُرَعْ : أَي لَمْ تَفْرَعْ .

مِقْمَعَةٌ : وَاحِدَةُ الْمَقَامِيعِ ، وَهِيَ سِیَاطٌ تُعْمَلُ مِنْ حَدِيدٍ رُؤُوسُهَا مَعْوِجَةٌ .

شَفِيرُ جَهَنَّمَ : شَفِيرُ الْوَادِي : جَانِبُهُ وَخَرْقُهُ .

(١) مسلم (٤ / ١٩٢٧) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣١ - باب من فضائل عبد الله بن عمر .

إِسْتَبْرَقٌ : الْإِسْتَبْرَقُ : مَا غُلِظَ مِنَ الدِّبَاجِ .

١٩٥٥ - المستدرک (٣ / ٥٥٩) . وصححه ووافقه الذهبي .

آلاف وتفرض لي ألفين وخمس مائة ؟ والله ماشهد أسامة مشهداً غبت عنه ، ولاشهد أبوه مشهداً غاب عنه أبي . قال : صدقت يا بني ، ولكنني أشهد : لأبوه كان أحب الناس إلى رسول الله صلى عليه وآله وسلم من أبيك ، وهو أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منك . قال الحاكم : فإن توهم متوهم أن هذه الفضيلة لأسامة فليعلم أنني إنما خرجت هذا الحديث لأمرين ؛ أحدهما شهادة عمر لابنه أنه لم يشهد أسامة مشهداً إلا شهدته ، وهذه من أجل فضائل ابن عمر ، والثاني أن الشيخين رضي الله عنهما قد خرجا أكثر ما روي من فضائل ابن عمر على شرطهما من المسانيد فأنا أجتهد في تحصيل خبر مسند صحيح لم يخرجاه .

* * *

١٥ - بلال بن رباح رضي الله عنه

قال ابن حجر في ترجمته :

بلال بن رباح الحبشي المؤذن ، وهو بلال بن حمادة وهي أمه .. اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين لما كانوا يعذبونه على التوحيد فأعتقه ، فلزم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأذن له ، وشهد معه جميع المشاهد ، وأخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح ، ثم خرج بلال بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم مجاهداً إلى أن مات بالشام . قال أبو نعيم : كان ترب أبي بكر وكان خازن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وروى أبو إسحاق الجوزجاني في تاريخه من طريق منصور عن مجاهد قال : قال عمار كل قد قال ما أرادوا - يعني المشركين - غير بلال .

ومناقبه كثيرة مشهورة قال ابن إسحاق : كان لبعض بني جمح . مولد من مولديهم واسم أمه حمادة ، وكان أمية بن خلف يخرجها إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة على صدره ، ثم يقول : لا يزال على ذلك حتى يموت أو يكفر بمحمد . فيقول وهو في ذلك أحد أحد . فمر به أبو بكر فاشتراه منه بعبد له أسود جلد .

قال البخاري : ومات بالشام زمن عمر . وقال ابن بكير : مات في طاعون عمواس . وقال عمرو بن علي : مات سنة عشرين . وقال ابن زبير : مات بداريا . وفي المعرفة لابن منده أنه دفن بجلب . ا.هـ .

وقال ابن كثير : ولما شرع الأذان بالمدينة كان هو الذي يؤذن بين يدي رسول الله ﷺ وابن أم مكتوم يتناوبان ، تارة هذا وتارة هذا ، وكان بلال ندي الصوت حسنه ، فصيحاً ... وأذن يوم الفتح على ظهر الكعبة .. قالوا : وكان بلال آدم شديد الأدمة طويلاً نحيفاً كثير الشعر خفيف العارضين .

قال ابن بكير : توفي بدمشق في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة . وقال محمد بن إسحاق وغير واحد : توفي سنة عشرين . قال الواقدي : ودفن بباب الصغير ، وله بضع وستون

سنة . ا. هـ .

ومما ورد فيه :

١٩٥٦ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال ، قال النبي ﷺ لبلال صلاة الغداة : « حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام منفعة ، فياني سمعت الليلة خشف نعليك بين يدي في الجنة » . قال بلال : ما عملت عملاً في الإسلام أرجى عندي منفعة من أني لا أتطهر طهوراً تاماً في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلي .

١٩٥٧ - * روى البخاري عن جابر قال : كان عمر يقول : أبو بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا . يعني بلالا .

١٩٥٨ - * روى الحاكم عن عبد الله بن مسعود قال : أول من أظهر إسلامه سبعة ؛ رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر ، وأمه سمية ، وبلال ، وصهيب ، والمقداد . فأما النبي ﷺ ، وأبو بكر ففتحهما الله بقومهما ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون ، فألبسهم أذراع الحديد ، وصهروهم في الشمس ، فما منهم أحدٌ إلا وأتاهم على ما أرادوا إلا بلال ، فإنه هانت عليه نفسه في الله ، وهان على قومه ، فأعطوه الولدان ، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة ، وهو يقول : أحدٌ أحد .

ذكر الذهبي في السير^(١) عن قيس قال : اشترى أبو بكر بلالاً وهو مدفون في الحجارة بخمس أواق ذهباً ، فقالوا : لو أبيت إلا أوقية لبعناكه . قال : لو أبيتُم إلا مئة أوقية لأخذته .

١٩٥٦ - البخاري (٣ / ٣٤) ١٩ - كتاب التهجد - ١٧ - باب فضل الطهور بالليل والنهار وفضل الصلاة بعد الوضوء بالليل والنهار .

(١) ومسلم (٤ / ١٩١٠) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢١ - باب من فضائل بلال .

١٩٥٧ - البخاري (٧ / ٩٩) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة ٢٣ - باب مناقب بلال بن رباح .

١٩٥٨ - المستدرک (٣ / ٢٨٤) . وصححه ووافقه الذهبي .

السير (١ / ٣٥٣) . وقال محققه : إسناده قوي .

١٩٥٩ - * روى مسلم عن سعد قال : كنا مع رسول الله ﷺ ستة نفر ، فقال المشركون : اطرد هؤلاء عنك فلا يجترئون علينا . وكنت أنا وابن مسعود وبلال ورجل من هذيل وآخران ، فأنزل الله : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ ^(١) .

١٩٦٠ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة قالت : لما قدم النبي ﷺ المدينة ، وعك أبو بكر وبلال ، قالت : فدخلت عليهما ، فقلت : يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟ قالت : فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كُلُّ امْرئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وكان بلال إذا أُلْقِيَ عنه يرفع عقيرته ويقول :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُبَيِّنُ لَيْلَةً بِوَادٍ وَخَوَّلِي إِذْخِرَ وَجْلِيلُ
وَهَلْ أَرِدُنْ يَوْمًا مِيَاهَ مِجَنَّةٍ وَهَلْ يُبَدِّدُونُ لِي شَامَةً وَطَفِيلُ

اللهم العن شيبَةَ بن ربيعة ، وَعُتْبَةَ بن ربيعة وأُمَيَّةَ بن خلف ، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء . ثم قالت : قال رسول الله ﷺ : « اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كحَبِّنا مكة أو أَشَدَّ » ، اللهم صَحِّحْهَا ، وبارك لنا في مُدَّهَا وصاعها ، وانقلُ حُمَاهَا فاجعلها بِالْجَحْفَةِ . قالت : وَقَدِمْنَا المدينة وهي أُوْبَأُ أرض الله . قالت : وكان نَطْحَانُ يجري تَجَلًّا . يعني ماءً أَجَنًّا .

١٩٥٩ - مسلم (٤ / ١٨٧٨) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٥ - باب في فضل سعد بن أبي وقاص .
(١) الأنعام : ٥٢ .

١٩٦٠ - البخاري (٧ / ٢٦٢) ٦٢ - كتاب مناقب الأنصار - ٤٦ - باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة .

ومسلم (٢ / ١٠٠٢) ١٥ - كتاب الحج - ٨٦ - باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها .

وَعِكَ : أصيب بالوعك وهو الحمى .

مُصَبَّحٌ : أي مصاب بالموت صباحاً .

يرفع عقيرته : يرفع صوته .

مِجَنَّةٌ : موضع على ستة أميال من مكة وكان فيه سوق .

شامة وطفيل : جبلان بأرض مكة وقيل هما غينان لاجبلان .

إذخر وجليل : نبات .

النجل : الماء القليل الذي ينزراً وهو كالرشح .

أَجَنٌ : يَأْجَنُ الماء فهو أَجَنٌ : إذا تغير لونه وطعمه وريحه .

١٩٦١ - * روى الحاكم عن عمرو بن ميمون : أن أخاً لبلال كان ينتهي إلى العرب ويزعم أنه منهم فخطب امرأة من العرب فقالوا : إن حضر بلال زوجناك . قال : فحضر بلال فقال : أنا بلال بن رباح وهذا أخي وهو امرؤ سيء الخلق والدين فإن شئتم أن تزوجوه فزوجوه وإن شئتم أن تدعوا فدعوا . فقالوا : من تكن أخاه نزوجه . فزوجوه . قال الحاكم : أخو بلال هذا له رواية .

١٩٦٢ - * روى الحاكم عن عائشة ، قالت : أعتق أبو بكر رضي الله عنه سبعة ممن كان يعذب في الله عز وجل منهم بلال وعامر بن فهيرة .

١٩٦٣ - * روى الطبراني : عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « مثل بلال مثل النخلة غدت تأكل من الحلو والمر ، ثم هو حلو كله » .

* * *

١٩٦١ - المستدرك (٢ / ٢٨٣) وصححه ووافقه الذهبي .

١٩٦٢ - المستدرك (٢ / ٢٨٤) وصححه ووافقه الذهبي .

١٩٦٣ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٠٠) : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

١٦ - أبي بن كعب رضي الله عنه

قال ابن حجر في الإصابة :

أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري النجاري أبو المنذر وأبو الطفيل سيد القراء.. كان من أصحاب العقبة الثانية وشهد بدرًا والمشاهد كلها ، قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « لِيَهْنِكَ الْعِلْمَ أَبَا الْمُنْذِرِ » . وقال له : « إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ » . وكان عمر يسميه سيد المسلمين ، ويقول اقرأ : يا أبي . ويروى ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً . وأخرج الأئمة أحاديثه في صحاحهم . وعده مسروق في الستة من أصحاب الفتيا . قال الواقدي : وهو أول من كتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأول من كتب في آخر الكتاب : وكتب فلان بن فلان . وكان ربعة أبيض اللحية لا يغير شيبه . ومن روى عنه من الصحابة عمر ، وكان يسأله عن النوازل ويتحاكم إليه في المعضلات ، وأبو أيوب وعبادة بن الصامت وسهل بن سعد وأبو موسى وابن عباس وأبو هريرة وأنس وسليمان بن صرد وغيرهم . قال ابن أبي خيثمة سمعت يحيى ابن معين يقول : مات أبي بن كعب سنة عشرين أو تسع عشرة . وقال الواقدي : ورأيت آل أبي وأصحابنا يقولون مات سنة اثنين وعشرين ، فقال عمر : اليوم مات سيد المسلمين . قال : وقد سمعت من يقول مات من خلافة عثمان سنة ثلاثين . وهو أثبت الأقاويل . وقال ابن عبد البر : الأكثر على أنه في خلافة عمر . قلت : وصحح أبو نعيم أنه مات في خلافة عثمان سنة ثلاثين ، واحتج له بأن زر بن حبيش لقيه في خلافة عثمان .

وروى البخاري في تاريخه عن عبد الرحمن بن أبزي قال : قلت لأبي لما وقع الناس في أمر عثمان فذكر القصة ، وروى البغوي عن الحسن في قصته له : أنه مات قبل قتل عثمان بجمعة .

وقال ابن حبان : مات سنة ثنتين وعشرين في خلافة عمر وقد قيل إنه بقى إلى خلافة عثمان .

وثبت عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً من المسلمين قال : يا رسول الله أرأيت هذه

الأمراض التي تصيبنا مالنا فيها ؟ قال : « كفارات » . فقال أبي بن كعب : يارسول الله وإن قلت ؟ « وإن شوكة . فما فوقها » . فدعا أبي أن لا يفارقه الوعك حتى يموت ، وأن لا يشغله عن حج ولا عمرة ولا جهاد ولا صلاة مكتوبة في جماعة . قال : فما مس إنسان جسده إلا وجد حره حتى مات . رواه أحمد وأبو يعلى وابن أبي الدنيا وصححه ابن حبان ورواه الطبراني من حديث أبي بن كعب بمعناه وإسناده حسن .هـ .

وقال ابن كثير في ترجمته : كان سيداً جليل القدر . وهو أحد القراء الأربعة الخزرجين الذين جمعوا القرآن في حياة رسول الله ﷺ وقد قال لعمر يوماً : إني تلقيت القرآن بمن تلقاه من جبريل وهو رطب . وفي المسند والنسائي وابن ماجة من طريق أبي قلابة عن أنس مرفوعاً : « أقرأ أمي أبي بن كعب » . وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال له : « إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن » . قال : وسأني لك ؟ قال : « نعم » . فذرفت عيناه ... قال الهيثم ابن عدي : توفي أبي سنة تسع عشرة . وقال يحيى بن معين : سنة سبع عشرة أو عشرين . وقال الواقدي عن غير واحد : توفي سنة ثنتين وعشرين . وبه قال أبو عبيد وابن غير جماعة . وقال الفلاس وخليفة : توفي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه . هـ .

قال الذهبي : شهد العقبة ، وبدراً ، وجمع القرآن في حياة النبي ﷺ ، وعرض على النبي ، عليه السلام ، وحفظ عنه علماً مباركاً ، وكان رأساً في العلم والعمل ، رضي الله عنه .. وكان أبي نحيفاً ، قصيراً ، أبيض الرأس واللحية .هـ .

ومما ورد فيه :

١٩٦٤ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ لأبي : « إن الله عز وجل أمرني أن أقرأ عليك : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ » . قال : وسأني ؟ قال : « نعم » . فبكي .

وفي رواية ^(١) مثله ، ولم يسم سورة ، وفيه قال : آله سَمَّاني لك ؟ قال : « الله سَمَّاك

١٩٦٤ - البخاري (٧ / ١٢٧) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ١٦ - باب مناقب أبي بن كعب .

ومسلم (٤ / ١٩١٥) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٣ - باب من فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار .

(١) مسلم في نفس الموضع السابق .

لي « . قال : فجعل أبي يبكي .

وللبخاري ^(١) أن النبي ﷺ قال لأبي بن كعب : « إن الله أمرني أن أقرئك القرآن » . قال : الله سمائي ؟ قال : « نعم » . قال : وقد ذكرت عند رب العالمين ؟ قال : « نعم » . فذكرت عيناه .

قال الحافظ في الفتح : ويؤخذ من هذا الحديث مشروعية التواضع في أخذ الإنسان العلم من أهله وإن كان دونه . وقال القرطبي : خص هذه السورة بالذكر ، لما اشتملت عليه من التوحيد والرسالة والإخلاص والصحف والكتب المنزلة على الأنبياء ، وذكر الصلاة والزكاة ، والمعاد وبيان أهل الجنة والنار مع وجازتها .

١٩٦٥ - * روى أحمد والنسائي عن قيس بن عباد قال : أتيت المدينة للقاء أصحاب محمد ﷺ ، ولم يكن فيهم رجل ألقاه أحب إلي من أبي ، فأقيمت الصلاة ، وخرج عمر مع أصحاب رسول الله ﷺ فقمتم في الصف الأول ، فجاء رجل فنظر في وجوه القوم ، فمرهم غيري ، فنحناني ، وقام في مقامي ، فما عقلت صلاتي . فلما صلى ، قال : يا بني ! لا يسؤوك الله ، فإني لم أت الذي أتيت بجهالة ، ولكن رسول الله ﷺ قال لنا : « كونوا في الصف الذي يليني » وإني نظرت في وجوه القوم ، فعرفتهم غيرك . وإذا هو أبي رضي الله عنه .

١٩٦٦ - * روى البخاري عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً : « استقرئوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ، وأبي ، ومعاذ ، وسالم مولى أبي حذيفة » .

١٩٦٧ - روى أبو داود عن ابن عمر أن النبي ﷺ صلى صلاة ، فلبس عليه ، فلما

(١) البخاري (٨ / ٧٢٥) - ٦٥ - كتاب التفسير - ٩٨ - سورة : لم يكن .

١٩٦٥ - أحمد في مسنده (٥ / ١٤٠) .

والنسائي (٢ / ٨٨) كتاب الإمامة - ٢٣ - باب من يلي الإمام ثم الذي يليه .

وإسناده صحيح .

١٩٦٦ - البخاري (٧ / ١٠١) - ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٦ - باب مناقب مولى أبي حذيفة .

١٩٦٧ - أبو داود (١ / ٢٣٩) كتاب الصلاة ، باب الفتح على الإمام في الصلاة .

انصرف ، قال لأبي : « أصليت معنا ؟ » قال : نعم . قال : « فما منعك » .

قال الخطابي : أراد : مامنعك أن تفتح علي إذ رأيتني قد لبس علي ؟ وفيه دليل على جواز تلقين الإمام .

١٩٦٨ - * روى الترمذي وابن ماجه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ « أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدهم في أمر الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، ألا وإن لكل أمة أميناً ، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح » .

١٩٦٩ - * روى أحمد عن أبي سعيد قال : قال أبي : يا رسول الله ﷺ ! ماجزأ الحمى ؟ قال : « تُجري الحسنات على صاحبها » . فقال : اللهم إني أسألك حمى لاتمنني خروجاً في سبيلك . فلم يمس أبي قط إلا وبه الحمى .

قال الذهبي : ملازمة الحمى له حرّفت خلّقه يسيراً ، ومن ثم يقول زر بن حبيش : كان أبي فيه شراسة .

١٩٧٠ - * روى مسلم عن أبي بن كعب : قال : قال رسول الله ﷺ : « يَا أَبَا الْمُنْدَرِ ! أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ ؟ » قَالَ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « يَا أَبَا الْمُنْدَرِ ! أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ ؟ » . قَالَ قُلْتُ : « اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ » قَالَ : فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ : « وَاللَّهِ ! لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْدَرِ » .

١٩٦٨ - الترمذي (٥ / ٦٦٥) - ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٣ - باب مناقب معاذ بن جبل .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وابن ماجه (١ / ٥٥) المقدمة - ١١ - باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ .

١٩٦٩ - أحمد في مسنده (٣ / ٢٣) .

١٩٧٠ - مسلم (١ / ٥٥٦) - ٦ - كتاب صلاة المسافرين - ٤٤ - باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي .

ليهنك العلم : ليكن العلم هنيئاً لك .

١٩٧١ - * روى البخاري ومسلم عن قَتَادَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ : جَمَعَ الْقُرْآنَ ، عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَرْبَعَةً ، كُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَأَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَأَبُو زَيْدٍ .

قَالَ قَتَادَةُ : قُلْتُ لَأَنَسٍ : مَنْ أَبُو زَيْدٍ ؟ قَالَ : أَحَدُ عُمُومَتِي .

١٩٧٢ - * روى أحمد عن ابن عباس قال : قال أبي لعمر بن الخطاب : إني تلقيت القرآن من تلقاه من جبريل عليه السلام وهو رطب .

١٩٧٣ - * روى البخاري عن ابن عباس قال : قال عمر رضي الله عنه : أقرؤنا أبي ، وأقضانا علي . وإنا لندع من قول أبي ، وذاك أن أياً يقول : لأدع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ . وقد قال الله تعالى : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ ^(١) .

١٩٧٤ - * روى ابن سعد عن عتي بن ضمرة قال : رأيت أهل المدينة يمججون في سيكهم . فقلت : ما شأن هؤلاء ؟ فقال بعضهم : ما أنت من أهل البلد ؟ قلت : لا . قال : فإنه قد مات اليوم سيّد المسلمين ، أبي بن كعب .

١٩٧٥ - * وروى ابن سعد عن أبي قال : إنا لنقرؤه في ثمان ليالٍ . يعني القرآن .

١٩٧١ - البخاري (٤٧ / ٩) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن - ٨ - باب القراء من أصحاب النبي ﷺ .
ومسلم (٤ / ١٩١٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٣ - باب من فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار .
١٩٧٢ - أحمد في مسنده (٥ / ١١٧) .
١٩٧٣ - البخاري (٨ / ١٦٧) ٦٥ - كتاب التفسير - ٧ - باب قوله : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ .
وقوله : ننسأها : من النسيان . وهي قراءة ما سوى ابن كثير ، وأبي عمرو من السبعة . وفي رواية البخاري « أو ننسأها » أي : نؤخرها . وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو .
(١) البقرة : ١٠٦ .

١٩٧٤ - الطبقات الكبرى (٣ / ٥٠١) ورجاله ثقات .

وانظر السير (١ / ٢٣٩) .

١٩٧٥ - الطبقات الكبرى (٣ / ٥٠١) وإسناده صحيح .

١٧ - أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه

قال ابن حجر في الإصابة :

زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عمرو بن مالك بن عدي
ابن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي أبو طلحة .. مشهور بكنيته ، وهم من
سباه سهل بن زيد وهو قول ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة في تسمية من شهد العقبة ،
وقد قال ابن سعد : أخبرنا معن بن عيسى أخبرنا أبو طلحة من ولد أبي طلحة قال : اسم
أبي طلحة زيد .

وهو القائل :

أنا أبو طلحة واسمى زيد

وكل يوم في سلاحى صيد

كان من فضلاء الصحابة وهو زوج أم سليم . ا.هـ .

وقال الذهبي : وكان قد سرد الصوم بعد النبي ﷺ ... وذكر عروة وموسى بن عقبة وابن
إسحاق : أن أبا طلحة من شهد العقبة وبدراً ... عاش بعد النبي ﷺ نيفاً وعشرين سنة
... وكان جُلُداً صَيِّتاً آدم مربوعاً لا يغير شبيهه ... مات سنة أربع وثلاثين ... روى عن النبي
ﷺ نيفاً وعشرين حديثاً منها في الصحيحين حديثان وتفرد البخاري بحديث ومسلم
بحديث . ﷺ .

وبما ورد فيه :

١٩٧٦ - * روى الطبراني عن أنس قال : خطب أبو طلحة أم سليم قبل أن يسلم ،
فقال : أما إني فيك لراغبة ، ومماثلك يرد ، ولكنك رجل كافر ، وأنا امرأة مسلمة ، فإن
تسلم فذلك مهري لا أسألك غيره . فأسلم أبو طلحة وتزوجها .

قال ثابت البناني : فما سمعنا بهرٍ كان قط أكرم من مهر أم سليم : الإسلام .

١٩٧٧ - * روى أبو داود والحاكم عن أنس أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين : « مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ » . فَقَتَلَ أَبُو طَلْحَةَ يَوْمَئِذٍ عَشْرِينَ رَجُلًا ، وَأَخَذَ أَسْلَابَهُمْ .

١٩٧٨ - * روى مسلم عن أنس بن مالك : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْبُذْنِ فَفَنَحَرَهَا ، وَالْحَجَّامُ جَالِسٌ ، وَقَالَ بِيَدِهِ عَنْ رَأْسِهِ : فَحَلَقَ شَقَّهُ الْأَيْمَنَ فَقَسَمَهُ فِيمَنْ يَلِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَحْلِقِ الشَّقَّ الْآخَرَ » . فَقَالَ : « أَتَيْنَ أَبُو طَلْحَةَ ؟ » فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ .

١٩٧٩ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ، يَقُولُ : كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بِالْمَدِينَةِ مَالًا ، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ يَبْرَحِي ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ .

قَالَ أَنَسٌ : فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ ^(١) قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ . وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ يَبْرَحِي ، وَإِنَّهَا صَدَقَةُ اللَّهِ ، أَرْجُو بَرَّهَا وَذَخَرَهَا عِنْدَ اللَّهِ ، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، حَيْثُ شِئْتُ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « بَخْ ! ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ . ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ . قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهَا » .

١٩٧٧ - أبو داود (٣ / ٧١) - كتاب الجهاد ، باب في السلب .

وللمستدرک (٣ / ٣٥٣) . وصححه ووافقه الذهبي .

١٩٧٨ - مسلم (٢ / ٩٤٧) ١٥ - كتاب الحج - ٥٦ - باب بيان أن السنة يوم النحر .

١٩٧٩ - البخاري (٣ / ٣٢٥) ٢٤ - كتاب الزكاة - ٤٤ - باب الزكاة على الأقارب .

ومسلم (٢ / ٦٩٣) ١٢ - كتاب الزكاة - ١٤ - باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين .

بیرحی : اختلفوا في ضبط هذه اللفظة على أوجه . قال القاضي رحمه الله : رويها هذه اللفظة عن شيوخنا بفتح الراء وضمتها مع الكسر الباء . وافتح الباء والراء . وهذا الموضع يعرف بقصر بني جديلة قبلي للمسجد . وهو حائط يسمى بهذا الاسم . ومعنى الحائط ، هنا ، البستان . وقال في الفائق : إنها فُيْعَلَى ، من البراح ، وهي الأرض المنكشفة الظاهرة .

أرجو برها وذخرها : يعني لا أريد ثمرتها العاجلة الدنيوية الفانية ، بل أطلب ثبوتهما الآجلة الأخروية الباقية .

بخ : قال أهل اللغة : بخ ، بإسكان الحاء وتنوينها مكسورة . قال ابن دريد : معناه تعظيم الأمر وتفخيمه .

(١) آل عمران : ٩٢ .

١٩٨٠ - * روى أحمد عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لصوت أبي طلحة أشد على المشركين من فئة » .

وفي رواية « لصوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة » .

١٩٨١ - * روى مسلم ، عن أبي هريرة ، قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إني مجهود فأرسل إلى بعض نسائه ، فقالت : والذي بعثك بالحق ! ما عندي إلا ماء . ثم أرسل إلى أخرى ، فقالت مثل ذلك . حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا ، والذي بعثك بالحق ! ما عندي إلا ماء . فقال « من يضيف هذا ، الليلة ، رحمة الله » . فقام رجل من الأنصار فقال : أنا . يا رسول الله ! فأنطلق به إلى رجليه ، فقال لامرأته : هل عندك شيء ؟ قالت : لا . إلا قوت صبياني . قال : فعلليهم بشيء . فإذا دخل ضيفنا فأطفيئي السراج وأريه أنا نأكل ، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفيئي . قال : فقعدوا وأكل الضيف . فلما أصبح غدا على النبي ﷺ . فقال : « قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة » .

وفي رواية للبخاري ^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رجل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، أصابني الجهد . فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا ، فقال رسول الله ﷺ : « ألا رجل يضيفه الليلة يرحمه الله ؟ » فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله . فذهب إلى أهله فقال لامرأته : ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئا . فقالت : والله ما عندي إلا قوت الصبية . قال : فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم ، وتعالى فأطفيئي السراج ونطوي بطوننا الليلة . فقعدت . ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال :

١٩٨٠ - أحمد في مسنده (٣ / ١١٢ ، ٢٤٩) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٣١٢) : رواه أحمد وأبو يعلى ورجال الرواية الأولى رجال الصحيح .

١٩٨١ - مسلم (٣ / ١٦٢٤) ٣٦ - كتاب الأشربة - ٣٢ - باب إكرام الضيف وفضل إيثاره .

مجهود : رجل مجهود : مهزول جائع .

فعلليهم : تعليل الطفل : وعده وتسييفه وتثنيته ، وشغله عما يراد صرفه عنه .

(١) البخاري (٨ / ٦٣١) ٦٥ - كتاب التفسير - ٥٩ - سورة الحشر - ٦ - باب ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ﴾ .

نطوي بطوننا الليلة : أي نبيت بغير عشاء .

« لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - أَوْضَحِكَ - مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ ». فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ ^(١) .

وفي رواية الترمذي ^(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً من الأنصارِ باتَ به ضَيْفًا ، ولم يَكُنْ عندهُ إلا قُوْتُهُ وَقُوْتُ صَبِيَّانِهِ ، فقال لامرأته : نَوْمِي الصَّبِيَّةَ ، وَأَطْفِئِي السَّرَاجَ ، وَقَرِّي للضَيْفِ مَاعِنْدَكَ . فنزلت هذه الآية : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ .

١٩٨٢ - * روى الحاكم عن أنس : أن أبا طلحة قال : لأتأمر على اثنين ولاأذمهما .

١٩٨٣ - * روي الحاكم أخبرنا حماد بن سلمة عن أنس بن مالك أن أبا طلحة قرأ هذه الآية ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً ﴾ . فقال : استنفرنا الله وأمرنا الله واستنفرنا شيوخاً وشباباً جهزوني . فقال بنوه : يرحمك الله إنك قد غزوت على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر ونحن نغزو عنك الآن . ففزا البحر فمات . فطلبوا جزيرة يدفنونه فيها فلم يقدرُوا عليه إلا بعد سبعة أيام وماتغير .

١٩٨٤ - * روي الحاكم عن أنس بن مالك أن أبا طلحة كان يرمي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرفع ظهره من خلفه لينظر أين يقع نبله فيتناول أبو طلحة بصدرة يقي به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هكذا : يانبي الله جعلني الله فداك نحري دون نحرك .

= خصاصة : الخصاص : الحاجة والفاقة .

(١) الحشر : ٩ .

(٢) الترمذي (٤٠٩ / ٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٦٠ - باب ومن سورة الحشر .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

١٩٨٢ - المستدرک (٣ / ٢٥٣) . وصححه ووافقه الذهبي .

١٩٨٣ - المستدرک (٣ / ٢٥٣) . وصححه وسكت عنه الذهبي .

قال ابن حجر : أخرجه الفسوي في تاريخه ، وأبو يعلى وإسناده صحيح .

١٩٨٤ - المستدرک (٣ / ٢٥٣) . وصححه وسكت عنه الذهبي . وقال في الإصابة : صحيح الإسناد .

١٨ - المقداد بن عمرو (المشهور بابن الأسود) رضي الله عنه

قال ابن حجر في الإصابة :

المقداد بن الأسود الكندي هو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود البهراني وقيل الحضرمي .. قال ابن الكلبي كان عمرو بن ثعلبة أصاب دماً في قومه فلحق بمحضر موت فحالف كندة فكان يقال له الكندي ، وتزوج هناك امرأة فولدت له المقداد ، فلما كبر المقداد وقع بينه وبين أبي ثمر بن حجر الكندي فضرب رجله بالسيف وهرب إلى مكة فحالف الأسود بن عبد يغوث الزهري ، وكتب إلى أبيه فقدم عليه ، فتبني الأسود المقداد فصار يقال له المقداد بن الأسود ، وغلبت عليه واشتهر بذلك ، فلما نزلت : ﴿ ادعواهم لآبائهم ﴾ . قيل له المقداد بن عمرو ، واشتهرت شهرته بابن الأسود وكان المقداد يكنى أبا الأسود ، وقيل كنيته أبو عمرو ، وقيل أبو سعيد ، وأسلم قديماً وتزوج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ابنة عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهاجر المهجرتين وشهد بدرأ والمشاهد بعدها ، وكان فارساً يوم بدر حتى إنه لم يثبت أنه كان فيها على فرس غيره . وقال زر بن حبیش عن عبد الله بن مسعود : أول من أظهر إسلامه سبعة . فذكره فيهم . وقال مخارق بن طارق عن ابن مسعود : شهدت مع المقداد مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به . وذكر البغوي من طريق أبي بكر بن عياش عن عاصم عن زر : أول من قاتل على فرس في سبيل الله المقداد بن الأسود . ومن طريق موسى بن يعقوب الزمعي عن عمته قريبة عن عمته كريمة بنت المقداد عن أبيها : شهدت بدرأ على فرس لي يقال لها سبعة . ومن طريق يعقوب بن سلمان عن ثابت البناني قال : كان المقداد وعبد الرحمن بن عوف جالسين فقال له : مالك لا تتزوج ؟ قال : زوجني ابنتك . فغضب عبد الرحمن وأغلظ له ، فشكا ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « أنا أزوجك » . فزوجه بنت عمه ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب . وعن المدائني قال : كان المقداد طويلاً آدم كثير الشعر أعين مقروناً يصفر لحيته . وأخرج يعقوب بن سفيان وابن شاهين من طريقه بسنده إلى كريمة زوج المقداد : كان المقداد عظيم البطن ، وكان له غلام رومي فقال له : أشق بطنك ، فأخرج من شحمه حتى تلطف . فشق بطنه ثم خاطه ، فمات المقداد وهرب الغلام . وقال

أبو ربيعة الإيادي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم علي والمقداد وأبو ذر وسلمان » . وأخرجه الترمذي وابن ماجه ، وسنده حسن . وروي المقداد عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث ، روي عنه علي وأنس وعبيد الله بن عدي بن الخيار وهام بن الحارث وعبد الرحمن بن أبي ليلى وآخرون . اتفقوا على أنه مات سنة ثلاث وثلاثين في خلافة عثمان ، قيل وهو ابن سبعين سنة ١هـ .

وقال الذهبي : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد السابقين الأولين ... القضاعي الكندي البهراني شهد بدمراً والمشاهد له جماعة أحاديث حديث في الستة ، له حديث في الصحيحين ، وانفرد له مسلم بأربعة أحاديث ١هـ .

١٩٨٥ - * روي الحاكم عن المقداد بن الأسود قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم معي خولي ، وإيم الله لأعمل على رجلين بعدها .

١٩٨٦ - * روي مسلم عن المقداد بن عمرو - وهو ابن الأسود - رضي الله عنه قال : أقبلت أنا وصاحبان لي ، وقد ذهب أسامعنا وأبصارنا من الجهد ، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فليس أحد منهم يقبلنا فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بنا إلى أهله ، فإذا ثلاثة أعز ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « احْتَلَبُوا هَذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا » . قال : فكنا نحتلب ، فيشرب كل إنسان منا نصيبه ونرفع لرسول الله صلى الله عليه وسلم نصيبه . قال : فيجيء من الليل ، فيسلم تسلياً لا يوقظ نائماً ويسمع اليقظان . قال : ثم يأتي إلى المسجد فيصلّي . قال : ثم يأتي شرايته فيشرب ، فأتاني الشيطان ذات ليلة وقد شربت نصيبي ، فقال : محمد يأتي الأنصار فيتخفونه ، ويصيب عندهم ، مابه حاجة إلى هذه الجرعة . فأتيتها فشربتها ، فلما أن وعلت في بطني ، وعلمت أنه ليس إليها سبيل ، ندمني الشيطان ، فقال : ويحك ،

١٩٨٥ - المستدرك (٢ / ٢٥٠) . وصححه ووافقه الذهبي .

١٩٨٦ - مسلم (٣ / ١٦٢٥) ٢٦ - كتاب الأشربة - ٣٢ - باب إكرام الضيف .

الجهد : المشقة .

فيتخفونه : التحفة : الهدية والبر .

وَعَلَّتْ : وَغَلَّ الرجلُ يَغْلُ : إذا دخل في السَّخَرِ (قبيل الفجر) فاستعار الوغول لدخول اللبن البطن . =

وفي أوله : بعث رسول الله ﷺ سرية فيها المقداد ، فلما أتوهم وجدوهم تفرقوا ، وفيهم رجل له مال كثير لم يبرح ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فأهوى إليه المقداد فقتله ... الحديث وفيه : فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : « يا مقداد قتلت رجلاً قال : لا إله إلا الله ، فكيف لك بـ لا إله إلا الله » فأنزله الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾ ^(١) الآية ، فقال النبي ﷺ للمقداد : « كان رجلاً مؤمناً يخفي إيمانه » .

(١) النساء : ٩٤ .

١٩ - أبو قتادة الأنصاري السلمي رضي الله عنه

قال ابن حجر في ترجمته :

أبو قتادة بن ربعي الأنصاري ، المشهور أن اسمه الحارث .. وجزم الواقدي وابن القداح وابن الكلبي بأن اسمه النعمان وقيل اسمه عمرو . وأبوه ربعي هو ابن بلدهة بن خُناص بضم المعجمة وتخفيف النون وآخره مهملة ابن عبيد بن غنم بن سَلَمَة الأنصاري الخزرجي السلمي ، وأمه كبشة بنت مطهر بن حرام بن سواد بن غنم ، اختلف في شهوده بدرأ فلم يذكره موسى بن عقبة ولا ابن إسحاق واتفقوا على أنه شهدا أحداً وما بعدها وكان يقال له فارس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثبت ذلك في صحيح مسلم في حديث سلمة بن الأكوع الطويل الذي فيه قصة ذي قَرْد وغيرها . وكانت وفاة أبي قتادة بالكوفة في خلافة عليٍّ ، ويقال إنه كَبُرَ عليه سِتًّا وقال : إنه بَدْرِي . وقال الحسن بن عثمان : مات سنة أربعين وكان شهد مع علي مشاهده : وقال خليفة : ولاءه على مكة ثم ولاها قثم بن العباس . اهـ .

وما ورد فيه :

١٩٨٨ - * روى الطبراني عن سلمة بن الأكوع عن النبي ﷺ ، قال : « خَيْرُ فُرْسَانِنَا أَبُو قَتَادَةَ ، وَخَيْرُ رَجَالِنَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ » .

١٩٨٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي قَتَادَةَ ، قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ حُنَيْنٍ ، فَلَمَّا التَقَيْنَا كَانَتْ لِلْمُسْلِمِينَ جَوْلَةٌ . قَالَ : فَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ عَلَا رَجُلًا

١٩٨٨ - المعجم الكبير (٢ / ٢٣٩) . وإسناده حسن .

١٩٨٩ - البخاري (٦ / ٢٤٧) ٥٧ - كتاب فرض الخمس - ١٨ - باب من لم يخمس الأسلاب ومن قتل قتيلًا فله سلبه .

ومسلم (٣ / ١٣٧٠) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ١٣ - باب استحقات القاتل سلب القتيل .

جولة : أي انهزام وخيفة ذهبوا فيها : وهذا إنما كان في بعض الجيش . وأما رسول الله ﷺ وطائفة معه فلم يولوا . والأحاديث الصحيحة بذلك مشهورة . وسيأتي بيانها في مواضعها . وقد نقلوا إجماع المسلمين على أنه لا يجوز أن يقال انهزم النبي ﷺ . ولم يرو أحد قط أنه انهزم بنفسه ﷺ في موطن من المواطن . بل ثبتت الأحاديث الصحيحة بإقدامه وثباته ﷺ في جميع المواطن .

مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَاسْتَدْرَتْ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَيْتُهُ مِنْ وَرَائِهِ ، فَضَرَبْتُهُ عَلَى حَبْلِ عَاتِقِهِ ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَصَنَنِي صَمَةً وَجَدْتُ مِنْهَا رِيحَ الْمَوْتِ ، ثُمَّ أَذْرَكَةُ الْمَوْتِ ، فَأَرْسَلَنِي ، فَلَحِقْتُ عَمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ فَقَالَ : مَا لِلنَّاسِ ؟ فَقُلْتُ : أَمَرَ اللَّهُ . ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ رَجَعُوا ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا ، لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ ، فَلَهُ سَلْبَةٌ » . قَالَ : فَقُمْتُ ، فَقُلْتُ : مَنْ يَشْهَدُ لِي ؟ ثُمَّ جَلَسْتُ . ثُمَّ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ . فَقَالَ : فَقُمْتُ فَقُلْتُ : مَنْ يَشْهَدُ لِي ؟ ثُمَّ جَلَسْتُ . ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ ، الثَّالِثَةَ . فَقُمْتُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَا لَكَ ؟ يَا أَبَا قَتَادَةَ ! » فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : صَدَقَ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ! سَلَبَ ذَلِكَ الْقَتِيلَ عِنْدِي ، فَأَرْضِيهِ مِنْ حَقِّهِ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ : لَهَا اللَّهُ ! إِذَا لَا يَعْمِدُ إِلَى أَسَدٍ مِنْ أَسَدِ اللَّهِ يُقَاتِلُ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ رَسُولِهِ فَيُعْطِيكَ سَلْبَةً . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « صَدَقَ فَأَعْطِيهِ إِيَّاهُ » . فَأَعْطَانِي . قَالَ : فَبِعْتُ الدَّرْعَ فَابْتَعْتُ بِهِ مَخْرَفًا فِي بَنِي سَلَمَةَ . فَإِنَّهُ لِأَوَّلِ مَالٍ تَأْتَلُثُهُ فِي الْإِسْلَامِ .

وَفِي حَدِيثِ اللَّيْثِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : كَلَّا لَا يُعْطِيهِ أَصْبَحَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَدْعُ أَسَدًا مِنْ أَسَدِ اللَّهِ وَفِي حَدِيثِ اللَّيْثِ : لِأَوَّلِ مَالٍ تَأْتَلُثُهُ .

ذكر الذهبي في السير ^(١) موسى بن عبد الله بن يزيد الخطمي قال : صلى عليّ على أبي قتادة ، فكبّر عليه سبعا .

وذكر أيضاً ^(٢) : أن عمر بعث أبا قتادة ، فقتل ملك فارس بيده ، وعليه منطقة قتيها خمسة عشر ألفاً ، فنقلها إياه عمر .

١٩٩٠ - * روى أبو داود عن أبي قتادة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ كان في سفرٍ له ،

= على حبل عاتقه : حبل العاتق : عصبه ، والعاتق : موضع الرداء من المنكب . الخرف : البستان : سمى بذلك لأنه يجترف من الثمر ، أي : يجني . وتأثلثه : أي اقتنيته وتأصلته ، وأثلة كل شيء : أصله . وقوله : « لَهَا اللَّهُ » أي : لا والله ، فالهاء هنا بمنزلة الواو .

(١) السير (٢ / ٤٥٦) . ورجاله ثقات .

(٢) السير (٢ / ٤٥٢) . ورجاله ثقات .

١٩٩٠ - أبو داود (٤ / ٣٥٨) كتاب الأدب - باب في الرجل يقول للرجل : حفظك الله .

وهو طرف من حديث طويل رواه مسلم .

فَقَطِّشُوا ، فَاَنْطَلَقَ سَرْعَانَ النَّاسِ ^(١) ، فَلَزِمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَقَالَ :
 « حَفِظَكَ اللَّهُ بِمَا حَفَظْتَ بِهِ نَبِيَّهِ » .

* * *

(١) سرعان الناس : أولهم ومقدموهم .

٢٠ - سلمان الفارسي رضي الله عنه

قال ابن حجر :

سلمان أبو عبد الله الفارسي .. ويقال له سلمان ابن الإسلام وسلمان الخير . وقال ابن حبان : من زعم أن سلمان الخير آخر فقد وهم ، أصله من رام هرمز وقيل من أصبهان . وكان قد سمع بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سيبعث فخرج في طلب ذلك فأسر ويبيع بالمدينة ، فاشتغل بالرق حتى كان أول مشاهدته الخندق وشهد بقية المشاهد وفتوح العراق وولى المدائن .

وقال ابن عبد البر يقال : إنه شهد بدرًا وكان عالمًا زاهدًا ، روى عنه أنس وكعب بن عجرة وابن عباس وأبو سعيد وغيرهم من الصحابة ، ومن التابعين : أبو عثمان النهدي وطارق ابن شهاب وسعيد بن وهب وآخرون بعدهم . كان اسمه ما به بكسر الموحدة ابن بود . قاله ابن منده بسنده وساق له نسبا . وقيل اسمه بهبود .

قال الذهبي : وجدت الأقوال في سنه كلها دالة على أنه جاوز المائتين وخسين والاختلاف إنما هو في الزائد . قال : ثم رجعت عن ذلك وظهر لي أنه مازاد على الثمانين .

قال أبو ربيعة الإيادي عن أبي بريدة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن الله يحب من أصحابي أربعة » . فذكره فيهم . وقال سلمان بن المغيرة عن حميد بن هلال : أخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين أبي الدرداء وسلمان . ونحوه في البخاري من حديث أبي جحيفة في قصته . ووقع في هذه القصة : فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي الدرداء : « سلمان أفقه منك » . مات سنة ست وثلاثين في قول أبي عبيد ، أو سبع في قول خليفة . وروى عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس : دخل ابن مسعود على سلمان عند الموت . فهذا يدل على أنه مات قبل ابن مسعود ، ومات ابن مسعود قبل سنة أربع وثلاثين ، فكانه مات سنة ثلاث أو سنة اثنتين . وكان سلمان إذا خرج عطاؤه تصدق به وينسج الخوص ويأكل من كسب يده . أه .

وقال الذهبي :

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر : هو سلمان ابن الإسلام ، أبو عبد الله الفارسيّ سابقُ
الفرس إلى الإسلام ، صحب النبي ﷺ وخدمه وحدث عنه .

وروى عنه ابن عباس ، وأنس بن مالك ، وأبو الطفيل ، وأبو عثمان النهديّ ، وشريحيل
ابن السمط ، وأبو قرة سلمة بن معاوية الكنديّ ، وعبد الرحمن بن يزيد النخعي ، وأبو عمر
زاذان ، وأبو ظبيان حصين بن جندب الجنيّ ، وقرنّع الضبيّ الكوفيون .

له في مسند بقيّ ستون حديثاً ، وأخرج له البخاري أربعة أحاديث ، ومسلم ثلاث
أحاديث .

وكان لبيباً حازماً ، من عقلاء الرجال وعبّادهم ونبلائهم . اهـ

ومما ورد فيه :

ما ذكره الذهبي أيضاً في السير^(١) : القاسم أبي عبد الرحمن قال : زارنا سلمان الفارسيّ
فصلى الإمام الظهر ، ثم خرج وخرج الناس ، يتلقونه كما يتلقى الخليفة ، فلقيه وقد صلى
بأصحابه العصر ، وهو يمشي ، فوقفنا نسلم عليه ، فلم يبق فينا شريفٌ إلا عرض عليه أن
يُنزلَ به ، فقال : جعلتُ على نفسي مَرَقِي هذه أن أنزل على بشر بن سعد . فلما قدم ، سأل
عن أبي الدرداء ، فقالوا : هو مرابط . فقال : أين مرابطكم ؟ قالوا : بيروت . فتوجه قبّله ،
قال : فقال سلمان : يا أهل بيروت ! ألا أحدثكم حديثاً يذهب الله به عنكم الرباط ،
سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ كَصِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ ، وَمَنْ
مَاتَ مَرَابِطاً أُجِرَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ ، وَجَزَى لَهُ صَالِحُ عَمَلِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

١٩٩١ - * روى مسلم عن عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وبلال وصهيب في
نفرٍ فقالوا : والله ما أخذت سيوفُ الله من عُنُقِ عَدُوِّ الله مأخذها . فقال أبو بكر : أتقولون
هذا لشيخ قريش وسيدهم . فألقى النبي ﷺ ، فأخبره ، فقال : « يا أبا بكر ! لَعَلَّكَ

(١) السير (١ / ٥٠٦) وإسناده حسن ، ولكنه مرسل .

١٩٩١ - مسلم (٤ / ١٩٤٧) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤٢ - باب من فضائل سلمان وصهيب وبلال .

أَغْضَبْتَهُمْ ، لَئِنْ كُنْتُ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ » . فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ : يَا إِخْوَتَاهُ أَغْضَبْتُمْ ؟ قَالُوا : لَا . يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي .

١٩٩٢ - * روى الطبراني عن أبي البختري قال : قيل لعليّ : أخبرنا عن أصحاب محمد ، ﷺ . قال : عن أيّهم تسألون ؟ قيل : عن عبد الله . قال : علم القرآن والسنة ، ثم انتهى وكفى به علماً . قالوا : عمار ؟ قال : مؤمن نسيّ فإن ذكرته ذكر . قالوا : أبو ذر ؟ قال : وعى علماً عجز عنه . قالوا : أبو موسى ؟ قال : صبغ في العلم صبغة ، ثم خرج منه . قالوا : حذيفة ؟ قال : أعلم أصحاب محمد بالمنافقين . قالوا : سلمان ؟ قال : أدرك العلم الأول ، والعلم الآخر بحر لا يُدركُ قعره ، وهو منا أهل البيت . قالوا : فأنتَ يَا أمير المؤمنين ؟ قال : كنت إذا سألتُ أعطيتُ ، وإذا سكتُ ابتديت .

وذكر الذهبي في السير ^(١) عن أبي هريرة أن النبي ، ﷺ ، تلا هذه الآية : ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ ^(٢) . قال : يا رسول الله ! من هؤلاء ؟ قال : ف ضرب على فخذ سلمان الفارسي ثم قال : « هذا وقومه ، لو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس » .

١٩٩٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، قال : كنا جلوساً ، عند النبي ، ﷺ ، فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿ وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ . قال : قلت من هم يا رسول الله ؟ فلم يراجعهم حتى سألت ثلاثاً - وفينا سلمان الفارسي . وضع رسول الله ، ﷺ ، يده على سلمان - ثم قال : « لو كان الإيمان عند الثريا ، لناله رجال من هؤلاء » .

١٩٩٤ - * روى الترمذي والحاكم عن يزيد بن عُميرة قال : لما حضر معاذاً الموت قلنا :

١٩٩٢ - المعجم الكبير (٦ / ٢١٣) . ورجاله ثقات .

(١) السير (١ / ٥٤٢) وقال الذهبي : إسناده وسط .

(٢) الفتح : ٢٨ .

١٩٩٣ - البخاري (٨ / ٦٤١) ٦٥ - كتاب التفسير - ٦٢ - سورة الجمعة .

ومسلم (٤ / ١٩٧٢) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٥٩ - باب فضل فارس .

١٩٩٤ - الترمذي (٥ / ٦٧١) ٥٠ - كتاب المناقب - ٢٧ - باب مناقب عبد الله بن سلام .

وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ،

أوصنا ، قال : أجلسوني . ثم قال : إن الإيمان والعلم مكانها ، من ابتغاهما وجدها . قالها ثلاثاً . فالتسوا العلم عند أربعة : أبي الدرداء ، وسلمان ، وابن مسعود ، وعبد الله بن سلام الذي كان يهودياً فأسلم . فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ ، يقول : « إِنَّهُ عَاشِرُ عَشْرَةٍ فِي الْجَنَّةِ » .

ذكر الذهبي ^(١) في السير عن عَبِيدَةَ السُّلَمِيِّ أَنَّ سَلْمَانَ مَرَّ بِمَجَرِّ الْمَدَائِنِ غَازِيَا وَهُوَ أَمِيرُ الْجَيْشِ وَهُوَ رَدَفَ رَجُلٍ مِنْ كَنْدَةَ عَلَى بَغْلٍ مُوَكَّوْفٍ ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ : أُعْطِنَا اللَّوَاءَ أَهْيَا الْأَمِيرُ نَحْمِلُهُ ، فَيَأْبَى حَتَّى قُضِيَ غَزَاؤُهُ وَرَجَعَ وَهُوَ رَدَفُ الرَّجُلِ .

١٩٩٥ - * روى مالك عن يحيى بن سعيد أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان : أن هَلُمَّ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ . فكتب إليه سلمان : إن الأرض لا تُقَدَّسُ أَحَدًا ، وَإِنَّمَا يُقَدَّسُ الْإِنْسَانُ عَمَلُهُ ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ جَعَلْتَ طَبِيبًا ، فَإِنْ كُنْتَ تُبْرِئُ ، فَنَعْمًا لَكَ ، وَإِنْ كُنْتَ مُتَطَبِّبًا فَاحْذَرْنَا تَقْتُلَ إِنْسَانًا ، فتدخل النار . فكان أبو الدرداء إذا قضى بين اثنين ، ثم أدبرا عنه ، نظر إليهما ، وقال : ارجعا إليَّ أعيدا عليَّ قصتكما ، متطَّيِّبٌ وَاللَّهِ .

١٩٩٦ - * روى الطبراني عن أَبِي الْبَخْتَرِيِّ قَالَ : جَاءَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ وَجَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فدخلوا على سلمان في خُصٍّ ، فسلموا وحيَّاه ، ثم قالوا : أَنْتَ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي . فارتابا . قال : إِنَّمَا صَاحِبَةٌ مِنْ دَخَلَ مَعَهُ الْجَنَّةُ . قالوا : جِئْنَا مِنْ عِنْدِ أَبِي الدَّرْدَاءِ . قَالَ : فَأَيْنَ هَدَيْتُهُ ؟ قالوا : مَا مَعَنَا هَدِيَّةٌ . قَالَ : اتَّقِ اللَّهَ ، وَأَدِيبَا الْأَمَانَةَ ، مَا أَتَانِي أَحَدٌ مِنْ عِنْدِهِ إِلَّا بِهَدِيَّةٍ . قالوا : لا ترفع علينا هذا ، إن لنا أموالاً فاحتكم . قال : مَا أُرِيدُ إِلَّا الْهَدِيَّةَ . قالوا : وَاللَّهِ مَا بَعَثَ مَعَنَا شَيْءًا إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ فِيكُمْ رَجُلًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَلَا بِهِ ، لَمْ يَبِغْ غَيْرَهُ ، فَإِذَا أَتَيْتَاهُ ، فَأَقْرَأَاهُ مِنْ السَّلَامِ . قَالَ : فَأَيُّ هَدِيَّةٍ كُنْتُ أُرِيدُ مِنْكُمْ غَيْرَ هَذِهِ ؟ وَأَيُّ هَدِيَّةٍ أَفْضَلُ مِنْهَا .

= والمستدرك (٤١٦ / ٣) . وصححه ووافقه الذهبي .

(١) السير (٥٤٥ / ١) ورجاله ثقات .

١٩٩٥ - الموطأ (٧٦٩ / ٢) ٣٧ - كتاب الوصية - ٨ - باب جامع القضاء وكراهيته .

١٩٩٦ - المعجم الكبير (٢١٩ / ٦) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤١ / ٨) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح - غير يحيى بن إبراهيم السعدي وهو ثقة .

١٩٩٧ - * روى الطبراني عن أبي وائل قال : ذهبت أنا وصاحب لي إلى سلمان ، فقال : لولا أن رسول الله ﷺ نهانا عن التكلف ، لتكلفت لكم . فجاءنا بخبز وملح . فقال صاحبي : لو كان في ملحنا صغتر . فبعث سلمان بمطهرته ، فرهنها فجاء بصعتر ، فلما أكلنا ، قال صاحبي : الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا . فقال سلمان : لو قنعت لم تكن مطهرتي مرهونة .

١٩٩٨ - * روى ابن ماجه والطبراني عن أنس قال : دخل سعد وابن مسعود على سلمان عند الموت ، فبكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : عهد عهده إلينا رسول الله ﷺ لم نحفظه . قال : « ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب » . وأما أنت ياسعد فأتق الله في حكمك إذا حكمت ، وفي قسمك إذا قسمت ، وعند همك إذا هممت . قال ثابت : فبلغني أنه مات ترك إلا بضعة وعشرين درهماً نفيسة كانت عنه .

قال الذهبي في السير : روى جعفر بن سليمان عن ثابت البناني وذلك في (العلل) لابن أبي حاتم ، قال : لما مرض سلمان ، خرج سعد من الكوفة يعود ، فقدم ، فوافقه وهو في الموت يبكي ، فسلم وجلس ، وقال : ما يبكيك يا أخي ؟ ألا تذكر صحبة رسول الله ؟ ألا تذكر المشاهدة الصالحة ؟

قال : والله ما يبكيني واحدة من ثنتين : ما أبكي حباً بالدنيا ولا كراهية للقاء الله . قال سعد : فما يبكيك بعد ثمانين ؟ قال : يبكيني أن خليلي عهد إلي عهداً ، قال : « ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب » . وإنا قد خشينا أن قد تعدينا .

١٩٩٩ - * روى البخاري عن ابن عثمان النهدي رضي الله عنه قال : سمعت سلمان

١٩٩٧ - المعجم الكبير (٦ / ٢٣٥) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ١٧٩) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الطوسي وهو ثقة .

١٩٩٨ - ابن ماجه (٢ / ١٣٧٤) . ٣٧ - كتاب الزهد - ١ - الزهد في الدنيا .

والمعجم الكبير (٦ / ٢٢٧) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٢٥٤) : رجاله رجال الصحيح غير الحسن بن يحيى بن الجعد وهو ثقة .

السير (١ / ٥٥٦) وتخريجه كتخريج الحديث الذي قبله .

١٩٩٩ - البخاري (٧ / ٢٧٧) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٥٣ - باب إسلام سلمان الفارسي .

يقول : أنا من رامَهْزُمَز .

٢٠٠٠ - * روى البخاري عن أبي عثمان التهدي رضي الله عنه : عن سلمان الفارسي أنه تَدَاوَلَه بضعة عشر ، من ربٍّ إلى ربٍّ .

٢٠٠١ - * روى أحمد وابن سعد والطبراني عن ابن عباس قال : حدثني سلمان الفارسيُّ قال : كنتُ رجلاً فارسيًّا من أهل أَصْبَهَانَ ، مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا جِيٌّ ، وَكَانَ أَبِي دِفْقَانَهَا ، وَكَنتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ يِي حُبِّهِ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ كَمَا تُحَبَسُ الْجَارِيَةُ ، فَاجْتَهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَاطِنَ النَّارِ الَّذِي يُوقِدُهَا لِأَيْتَرَكْهَا تَخْبُو سَاعَةً . وَكَانَتْ لِأَبِي ضِيعَةٌ عَظِيمَةٌ ، فَشَغِلَ فِي بَنِيَانٍ لَهُ يَوْمًا ، فَقَالَ لِي : يَا بَنِي ! إِنِّي قَدْ شَغِلْتُ فِي بَنِيَانِي هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضِيعَتِي ، فَاذْهَبْ فَاطْلَعْهَا . وَأَمَرَنِي بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ ، فَخَرَجْتُ ، ثُمَّ قَالَ : لَا تُحْتَبِسْ عَلَيَّ ، فَإِنَّكَ إِنِ احْتَبَسْتَ عَلَيَّ كُنْتُ أَهْمٌ إِلَيَّ مِنْ ضِيعَتِي ، وَشَغَلْتَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِي . فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضِيعَتَهُ ، فَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كُنَائِسِ النَّصَارَى ، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَكَنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمَرَ النَّاسُ بِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ ، فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ ، وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ ، دَخَلْتُ إِلَيْهِمْ أَنْظُرَ مَا يَصْنَعُونَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبْتَنِي صَلَوَاتُهُمْ ، وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ ، وَقُلْتُ : هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ . فَوَاللَّهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرِبَ الشَّمْسُ ، وَتَرَكْتُ ضِيعَةَ أَبِي وَلَمْ أَتَهَا ، فَقُلْتُ لَهُمْ : أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ ؟ قَالُوا : بِالشَّامِ . قَالَ : ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلْبِي وَشَغَلْتُهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ ، فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ : أَيُّ بَنِي ! أَيْنَ كُنْتَ ؟ أَلَمْ أَكُنْ عَهْدْتُ إِلَيْكَ مَا عَهَدْتُ ؟ قُلْتُ : يَا أَبَتِي ! مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ ، فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ ، فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ عَنْدهُمْ حَتَّى غَرِبَتِ الشَّمْسُ . قَالَ : أَيُّ بَنِي ! لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ ، دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ . قُلْتُ : كَلَّا وَاللَّهِ !

٢٠٠٠ - البخاري في نفس الموضوع السابق .

٢٠٠١ - أحمد في مسنده (٥ / ٤٤١ - ٤٤٤) .

والطبقات الكبرى (٤ / ٧٥ - ٨٠) .

والمعجم الكبير (٦ / ٢٢٢) ، وذكره الذهبي في السير (١ / ٥٠٦) . وقال محققه : رجاله ثقات . وإسناده قوي فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث عند أحمد وابن هشام وابن سعد ، وأخرجه أحمد ، وابن سعد والجزري في « أسد الغابة » وابن هشام والطبراني في « الكبير » ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » . وقال الذهبي في السير بعد أن ساق رواية أوفى من هذه : هذا حديث جيد حكم الحاكم بصحته .

إنه لخير من ديننا . قال : فخافني ، فجعل في رجلي قيداً ، ثم حبسني في بيته . قال : وبعثت إلى النصارى فقلت : إذا قديم عليكم ركب من الشام تجار من النصارى ، فأخبروني بهم . فقدم عليهم ركب من الشام . قال : فأخبروني بهم ، فقلت : إذا قضوا حوائجهم ، وأرادوا الرجعة ، فأخبروني . قال : ففعلوا . فألقيت الحديد من رجلي ، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام ، فلما قدمتها ، قلت : من أفضل أهل هذا الدين ؟ قالوا : الأسقف في الكنيسة . فجئته ، فقلت : إني قد رغبت في هذا الدين ، وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك ، وأتعلّم منك ، وأصلي معك . قال : فادخل ، فدخلت معه ، فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ، فإذا جمعوا إليه منها شيئاً ، اكتنزه لنفسه ، ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق ، فأبعضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع .

ثم مات ، فاجتعت إليه النصارى ليدفنوه ، فقلت لهم : إن هذا رجل سوء ، يأمركم بالصدقة ، ويرغبكم فيها ، فإذا جئتم بها ، كنزها لنفسه ، ولم يعط المساكين ، وأريتهم موضع كنزه سبع قلال مملوءة ، فلما رأوها قالوا : والله لا ندفيه أبداً . فصلبوه ثم رموه بالحجارة . ثم جاؤوا برجل جعلوه مكانه ، فما رأيت رجلاً - يعني لا يصلي الخمس - أرى أنه أفضل منه ، أزهّد في الدنيا ، ولا أرغب في الآخرة ، ولا أدأب ليلاً ونهاراً ، ما أعلمني أحببت شيئاً قط قبله حبّه ، فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة ، فقلت : يا فلان ! قد حضرك ماترى من أمر الله ، وإني والله ما أحببت شيئاً قط حبك ، فإذا تأمرني وإلى من توصيني ؟

قال لي : يا بني والله ما أعلمه إلا بالمؤصل ، فائته ، فإنك ستجده على مثل حالي .

فلما مات وغيب ، لحقت بالمؤصل ، فأتيته صاحبها ، فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزهد . فقلت له : إن فلاناً أوصاني إليك أن آتيك وأكون معك .

قال : فأقم أي بني . فأقمت عنده على مثل أمر صاحبه حتى حضرته الوفاة . فقلت له : إن فلاناً أوصي بي إليك وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فيالي من توصي بي ؟ وما تأمرني به ؟ قال : والله أعلم ، أي بني ، إلا رجلاً بنصيبين . فلما دفناه ، لحقت بالآخر ، فأقمت عنده على مثل حالهم حتى حضره الموت ، فأوصى بي إلى رجل من أهل عمورية بالروم ، فأتيته فوجدته على مثل حالهم ، واكتسبت حتى كان لي غنية وبقيرات .

ثم احتضر فكلّمته إلى من يوصي بي ؟ قال : أيُّ بُنَي ! والله ما أعلمه بقي أحد على مثل ما كنا عليه أمرك أن تأتيه ، ولكن قد أظلك زمان نبي يُبعث من الحرم ، مهاجرة بين حرّتين إلى أرض سبخة ذات نخل ، وإنّ فيه علامات لا تخفي ، بين كتفيه خاتم النبوة ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل ، فإنه قد أظلك زمانه .

فلما واريناه ، أقمت حتى مرّ بي رجال من تجار العرب من كلب ، فقلت لهم : تحملوني إلى أرض العرب ، وأعطيتكم غنيمي وبقراي هذه ؟ قالوا : نعم . فأعطيتهم إياها وحملوني ، حتى إذا جاؤوا بي وادي القرى ، ظلموني ، فباعوني عبداً من رجل يهودي بوادي القرى . فوالله لقد رأيت النخل ، وطمعت أن يكون البلد الذي نعت لي صاحبي .

وما حثت عندي حتى قدّم رجل من بني قريظة وادي القرى ، فابتاعني من صاحبي ، فخرج بي حتى قدّمنا المدينة . فوالله ما هو إلا أن رأيتها ، فعرفت نعتها . فأقمت في رقي ، وبعث الله نبيه ، ﷺ ، بكّة لا يذكر لي شيء من أمره مع ماأنا فيه من الرّق ، حتى قدّم رسول الله ﷺ قباء ، وأنا أعمل لصاحبي في نخلة له ، فوالله إني لفيها إذ جاءه ابن عم له ، فقال : يا فلان ! قاتل الله بني قيلة ، والله إنهم الآن لفي قباء مجتمعون على رجل جاء من مكة يزعمون أنه نبي .

فوالله ما هو إلا أن سمعتها فأخذتني العرواء - يقول الرّعدة - حتى ظننت لأسقطن على صاحبي . ونزلت أقول : ما هذا الخبر ؟ .

فرفع مولاي يده فلكمني لكمة شديدة ، وقال : مالك ولهذا ، أقبل على عملك . فقلت : لاشيء ، إنما سمعتُ خبراً ، فأحببت أن أعلمه .

فلما أُمسيت ، وكان عندي شيء من طعام ، فحملته وذهبت إلى رسول الله ﷺ وهو بقبّاء ، فقلت له : بلغني أنك رجل صالح ، وأن معك أصحاباً لك غرباء ، وقد كان عندي شيء من الصدقة فرأيتكم أحقّ من هذه البلاد ، فهاك هذا ، فكلّ منه .

قال : فأمسك ، وقال لأصحابه : « كُلُوا » . فقلت في نفسي : هذه خَلَّةٌ مما وَصَفَ لي صاحبي .

ثم رجعتُ ، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فجمعتُ شيئاً كان عندي ثم جئتُ به فقلتُ : إني قد رأيتك لاتأكل الصدقة ، وهذه هدية . فأكل رسول الله ﷺ وأكل أصحابه ، فقلت : هذه خَلَّتَانِ .

ثم جئتُ رسول الله ﷺ وهو يتبع جنازة وعليَّ شملتانِ لي وهو في أصحابه ، فاستدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف .

فلما رأي استدبرته عرف أنني أستثبت في شيء وصف لي ، فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فانكبتُ عليه أقبله وأبكي .

فقال لي : « تحول » . فتحولت ، فقصصتُ عليه حديثي كما حدثتُك يا ابن عباس ، فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه .

ثم شغل سلمان الرِّقَ حتى فاتته مع رسول الله ﷺ بدرٌ وأُحُد .

ثم قال رسول الله ﷺ : « كَاتِبُ يا سلمان » . فكاتبتُ صاحبي على ثلاث مئة نخلة .

أحييها له بالفقير وبأربعين أوقية . فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « أَعِينُوا أَخَاكُمْ » . فأعانوني بالنخل الرجل بثلاثين وَدِيَّةً ^(١) ، والرجل بعشرين ، والرجل بخمس عشرة ، حتى اجتمعت ثلاث مئة وَدِيَّةً ، فقال : « اذهب ياسلمان ففقر لها ، فإذا فرغت فائتني أكون أنا أضعها بيدي » . ففقرت لها وأعاني أصحابي ، حتى إذا فرغت منها ، جئتُ وأخبرته ، فخرج معي إليها تقرب له الودي ، ويضعه بيده . فوالذي نفس سلمان بيده مامات منها ودية واحدة ، فأدبت النخل ، وبقي عليَّ المال . فأُتي رسول الله ﷺ بمثل بيضة دجاجة من ذهب من بعض المغازي . فقال : « ما فعل الفارسي المكاتب ؟ » فدُعيت له ، فقال : « خُذْهَا فَأَدِّهَا ما عليك » . قلت : وأين تقع هذه يارسول الله مما عليَّ ؟ قال : « خُذْهَا فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ » . فأخذتها فوزنتُ لهم أربعين أوقية ، وأوفيتهم حقهم وعتقت ، فشهدتُ مع رسول الله ﷺ الحندق حراً ، ثم لم يفتني معه مشهد .

٢١ - عبد الله بن قيس (المشهور بأبي موسى الأشعري) رضي الله عنه

قال ابن حجر في ترجمته :

عبد الله بن قيس بن سليم بن خضار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عذب بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر ، أبو موسى الأشعري ، مشهور باسمه وكنيته معاً . وأمه طيبة بنت وهب بن عك أسلمت وماتت بالمدينة ، وكان هو سكن الرملة وحالف سعيد بن العاص ثم أسلم وهاجر إلى الحبشة ، وقيل بل رجع إلى بلاد قومه ولم يهاجر إلى الحبشة ، وهذا قول الأكثر ، فإن موسى بن عقبة وابن إسحاق والواقدي لم يذكروه في مهاجرة الحبشة . وقدم المدينة بعد فتح خيبر ، صادفت سفينته سفينة جعفر بن أبي طالب فقدموا جميعاً . واستعمله النبي صلى الله عليه وآله وسلم على بعض الين كزبيد وَعَدَن وأعمالها . استعمله عمر على البصرة بعد المغيرة فافتتح الأهواز ثم أصبهان ، ثم استعمله عثمان على الكوفة ، ثم كان أحد الحكمين بصفين ، ثم اعتزل الفريقين . وأخرج ابن سعد والطبري من طريق عبد الله بن بريدة أنه وصف أبا موسى فقال : كان خفيف الجسم قصيراً ثظاً [قليل شعر اللحية] . وروى أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن الخلفاء الأربعة ومعاذ وابن مسعود وأبي بن كعب وعمار ، روى عنه أولاده موسى وإبراهيم وأبو بردة وأبو بكر وامراته أم عبد الله . ومن الصحابة أبو سعيد وأنس وطارق بن شهاب ، ومن كبار التابعين فمن بعدهم زيد بن وهب وأبو عبد الرحمن السلمي وعبيد بن عمير وقيس بن أبي خازم وأبو الأسود وسعيد بن المسيب وزر بن حبيش وأبو عثمان النهدي وأبو رافع الصائغ وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود وربيع بن خراش وحطبان الرقاشي وأبو وائل وصفوان ابن محرز وآخرون . قال مجاهد عن الشعبي : كتب عمر في وصيته لا يقر لي عامل أكثر من سنة وأقروا الأشعري أربع سنين . وكان حسن الصوت بالقرآن ، وفي الصحيح المرفوع : « لقد أوتى مزماراً من مزامير آل داود » . وقال أبو عثمان النهدي : ماسمعت صوت صنج ولا يربط ولا ناي أحسن من صوت أبي موسى بالقرآن . وكان عمر إذا رآه قال : ذكرنا ربنا يا أبا موسى .

وفي رواية : شوقنا إلى ربنا . فيقرأ عنده . وكان أبو موسى هو الذي فقه أهل البصرة

وأقرأهم . وقال الشعبي : انتهى العلم إلى ستة فذكره فيهم . وذكره البخاري من طريق الشعبي بلفظ العلماء ، وقال ابن المديني : قضاة الأمة أربعة عمر وعلي وأبو موسى وزيد بن ثابت . وأخرج البخاري من طريق أبي التياح عن الحسن قال : مأتاها يعني البصرة راكب خير لأهلها منه يعني من أبي موسى . وقال البغوي : حدثنا علي عن مسلم ، حدثنا أبو داود ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس : كان لأبي موسى سراويل يلبسه بالليل مخافة أن ينكشف . صحيح . وقال أصحاب الفتوح : كان عامل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على زبيد وعدن وغيرهما من اليمن وسواحلها ، ولما مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدم المدينة وشهد فتوح الشام ووفاة أبي عبيدة ، واستعمله عمر على إمرة البصرة بعد أن عزل المغير ، وهو الذي افتتح الأهواز وأصبهان ، وأقره عثمان على عمله قليلاً ثم صرفه ، واستعمل عبد الله بن عامر فسكن الكوفة وتفقه به أهلها حتى استعمله عثمان عليهم بعد عزل سعيد ابن العاص . قال البغوي : بلغني أن أبا موسى مات سنة اثنتين وقيل أربع وأربعين وهو ابن نيف وستين .

قلت : بالأول جزم ابن غير وغيره ، وبالشاني أبو نعيم وغيره . وقال أبو بكر بن أبي شيبة : عاش ثلاثاً وستين . وقال الهيثم وغيره : مات سنة خمسين . زاد خليفة ويقال سنة إحدى . وقال المدايني : سنة ثلاث وخمسين ، واختلفوا مات بالكوفة أو بمكة . اهـ

وقال الذهبي : عبد الله بن قيس بن سلم بن حصار بن حرب ، الإمام الكبير . صاحب رسول الله ﷺ . وأبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المقرئ ...

وهو معدود فيمن قرأ على النبي ﷺ . أقرأ أهل البصرة ، وفقههم في الدين . قرأ عليه حطان بن عبد الله الرقاشي ، وأبو رجاء العطاردي .

ففي « الصحيحين » ^(١) ، عن أبي بردة بن أبي موسى ، عن أبيه : أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه ، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً » .

(١) البخاري (٨ / ٤١) ٦٤ - كتاب المغازي - ٥٥ - باب غزاة أوطاس .

ومسلم (٤ / ١٩٤٣) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٨ - باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين .

وقد استعمله النبي ﷺ ومُعَاذًا على زَيْبِد ، وَعَدَن . وولي إمرة الكوفة لعمر ، وإمرة البصرة . وقدم ^(١) ليالي فتح خيبر ، وغزا ، وجاهد مع النبي ﷺ ، وحمل عنه علماً كثيراً .

قال سعيد بن عبد العزيز : حدثني أبو يوسف ، حاسب معاوية : أن أبا موسى الأشعري قدم على معاوية ، فنزل في بعض الدور بدمشق ، فخرج معاوية من الليل ليستمع قراءته .

قال أبو عبيد : أم أبي موسى هي ظبيبة بنت وهب : كانت أسلمت ، وماتت بالمدينة .

وقال ابن سعيد ^(٢) : حدثنا الهيثم بن عدي ، قال : أسلم أبو موسى بمكة ، وهاجر إلى الحبشة ، وأول مشاهدته خيبر ، ومات سنة اثنتين وأربعين .

قال محقق السير : وكونه ممن شهد خيبر فيه نظر ، فقد جاء في صحيح البخاري قول أبي موسى : فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر . وزاد في رواية : فأسهم لنا ولم يسهم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً ! إلا لمن شهدا معه ، إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه ، فإنه قسم لهم معهم .

قال أبو أحمد الحاكم : أسلم بمكة ، ثم قدم مع أهل السفينتين بعد فتح خيبر بثلاث ، فقسم لهم النبي ﷺ . ولي البصرة لعمر وعثان : وولي الكوفة ، وبها مات . وقال ابن منده : افتتح أصبهان زمن عمر .

وقال العجلي : بعثه عمر أميراً على البصرة ، فأقرأهم وفقهم ، وهو فتح تستر [مدينة بخورستان] . ولم يكن في الصحابة أحد أحسن صوتاً منه .

ابن بريدة قال : كان الأشعري قصيراً ، أظط ^(٣) ، خفيف الجسم . اهـ .

(١) قدم : يري قدومه من الحبشة مع من كان هاجر إليها .

(٢) الطبقات الكبرى (٦ / ١٦) .

(٣) الأظط : القليل شعر اللحية .

٢٠٠٢ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى قال: بلغنا مخرج رسول الله ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه، أنا وأخوان لي، أنا أصغرهما، أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم، إما قال بضعا وإما قال ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا من قومي - قال: فركبنا سفينة، فالتفتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثنا ههنا، وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا، قال: فوافقنا رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر، فأشهدهم لنا، أو قال: أعطانا منها، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئا، إلا لمن شهد معه، إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه، قسم لهم معهم، قال: فكان ناس من الناس يقولون لنا - يعني لأهل السفينة - : نحن سبقناكم بالهجرة.

قال: فدخلت أسماء بنت عميس، وهي ممن قدم معنا، على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه، فدخل عمر على حفصة، وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، قال عمر: الحشية هذه؟ البحرية هذه؟ فقالت أسماء: نعم، فقال عمر: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم، فغضبت، وقالت كلمة: كذبت، ياعمرو! كلا، والله! كنتم مع رسول الله ﷺ تطعم جائعكم، ويعط جاهلكم، وكنا في دار، أو في أرض البعداء البغضاء في الحشة، وذلك في الله وفي رسوله، وإيم الله! لا أطعم ولا أشرب شربا حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ، ونحن كنا نؤذي ونخاف، وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ وأسأله، والله! لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك، قال: فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله! أن عمر قال كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم، أهل السفينة، هجرتان».

٢٠٠٢ - البخاري (٧ / ٤٨٥) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٨ - باب غزوة خيبر.

ومسلم (٤ / ١٩٤٦) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤١ - باب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عيسى وأهل سفينتهم.

قَالَتْ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السِّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالًا . يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ . مَا مِنْ الدُّنْيَا شَيْءٍ هُمْ بِهِ أَفْرَحَ وَلَا أَغْظَمَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . قَالَ أَبُو بَرْدَةَ : فَقَالَتْ أَسْمَاءُ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَعِيدُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنِّي .

٢٠٠٣ - * روى أحمد عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقْدَمَ عَلَيْكُمْ غَدَاً قَوْمٌ هُمْ أَرْقُ قُلُوبًا لِلْإِسْلَامِ مِنْكُمْ » . فقدم الأشعريون ، فلما دنوا جعلوا يرتجزون :

غَدَاً نَلْقَى الْأَجْبُـهُ مُحَمَّـداً وَحِـزْـنُهُ

فلما أن قَدِمُوا تصافحوا ، فكانوا أَوَّلَ من أحدث المصافحة .

٢٠٠٤ - * روى ابن سعد والحاكم عن عياض الأشعري قال : لما نزلت : ﴿ قَسُوفٌ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾^(١) قال رسول الله ﷺ : « هُمْ قَوْمُكَ يَا أَبَا مُوسَى ، وَأَوْمًا إِلَيْهِ » .

٢٠٠٥ - * روى البخاري ومسلم عن أَبِي بَرْدَةَ ، عَنْ أَبِي مُوسَى ، قَالَ : لَمَّا فَرَّغَ النَّبِيُّ مِنْ حَتَّينَ ، بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أُوطَاسٍ . فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصَّمَةِ . فَقَتِلَ دُرَيْدٌ وَهَزَمَ اللَّهُ أَصْحَابَهُ . فَقَالَ أَبُو مُوسَى : وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ . قَالَ : فَرَمَى أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ . رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جُشَمٍ بِسَهْمٍ . فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ . فَأَتَتْهُمُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : يَا عَمَّ ! مَنْ رَمَاكَ ؟ فَأَشَارَ أَبُو عَامِرٍ إِلَى أَبِي مُوسَى . فَقَالَ : إِنَّ ذَاكَ قَاتِلِي . تَرَاهُ ذَلِكَ الَّذِي رَمَانِي . قَالَ أَبُو مُوسَى : فَقَصَدْتُ لَهُ فَأَعْتَمَدْتُهُ فَلَحِقْتُهُ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ وَلِيَّ عَنِّي ذَاهِبًا . فَأَتْبَعْتُهُ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ : أَلَا تَسْتَحْيِي ؟ أَلَسْتَ عَرَبِيًّا ؟ أَلَا تَتُبْتُ ؟ فَكَفَّ . فَأَلْتَقَيْتُ أَنَا

٢٠٠٣ - أحمد في مسنده (١٥٥ / ٣) . وإسناده صحيح .

٢٠٠٤ - الطبقات الكبرى (١٠٧ / ٤) . والمستدرک (٣١٣ / ٢) . وصححه ووافقه الذهبي .

(١) المائدة : ٥٧ .

٢٠٠٥ - البخاري (٤١ / ٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ٥٥ - باب غزاة أوطاس .

ومسلم (١٩٤٣ / ٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٨ - باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين .

أوطاس : واد في ديار قوازين ، وهو غير وادي حنين .

وَهُوَ . فَاخْتَلَفْنَا أَنَا وَهُوَ صَرْبَتَيْنِ . فَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ . ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى عَامِرٍ فَقُلْتُ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَتَلَ صَاحِبَكَ . قَالَ : فَأَنْزِعْ هَذَا السَّهْمَ . فَنَزَعْتُهُ فَنَزَا مِنْهُ الْمَاءُ . فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ! انْطَلِقْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ . وَقُلْ لَهُ : يَقُولُ لَكَ أَبُو عَامِرٍ : اسْتَغْفِرُ لِي . قَالَ : وَاسْتَغْمَلَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ . وَمَكَثَ يَسِيرًا ثُمَّ إِنَّهُ مَاتَ . فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ دَخَلْتُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ فِي بَيْتٍ عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ ، وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ ، وَقَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَنَبَيْهِ . فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا وَخَبَرَ أَبِي عَامِرٍ . وَقُلْتُ لَهُ : قَالَ : قُلْ لَهُ : يَسْتَغْفِرُ لِي . فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَاءٍ . فَتَوَضَّأَ مِنْهُ . ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ . ثُمَّ قَالَ « اللَّهُمَّ ! اغْفِرْ لِعَبِيدِ ، أَبِي عَامِرٍ » . حَتَّى رَأَيْتُ نَبَاضَ إِبْطَيْهِ . ثُمَّ قَالَ « اللَّهُمَّ ! اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ مِنْ النَّاسِ » فَقُلْتُ : وَلِي . يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَاسْتَغْفِرُ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « اللَّهُمَّ ! اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ . وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا » .

قَالَ أَبُو بَرْدَةَ : إِحْدَاهُمَا لِأَبِي عَامِرٍ . وَالْأُخْرَى لِأَبِي مُوسَى .

٢٠٠٦ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي مُوسَى ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَازِلٌ بِالْجِعْرَانَةِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ . وَمَعَهُ بِلَالٌ . فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ أُعْرَابِيٌّ . فَقَالَ : أَلَا تُنَجِّزُ لِي ، يَا مُحَمَّدُ ! مَا وَعَدْتَنِي ؟ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَبْشُرْ » . فَقَالَ لَهُ الْأُعْرَابِيُّ : أَكْثَرْتَ عَلَيَّ مِنْ « أَبْشُرْ » . فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي مُوسَى وَبِلَالٍ ، كَهَيْئَةِ الْغَضْبَانِ . فَقَالَ « إِنَّ هَذَا قَدْ رَدَّ الْبُشْرَى . فَأَقْبَلَا أَنْتُمَا » . فَقَالَا : قَبِلْنَا . يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ فِيهِ . وَمَجَّ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ « اشْرَبَا مِنْهُ ، وَأَفْرَغَا عَلَى وُجُوهِكُمَا وَأَبْشُرَا » فَأَخَذَا الْقَدَحَ . فَفَعَلَا مَا أَمَرَهُمَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَنَادَتْهُمَا أُمُّ سَلَمَةَ مِنْ وَرَاءِ السُّرَّةِ : أَفْضِلَا لَأَمْكُمَا مِمَّا فِي إِيْنَاكُمَا . فَأَفْضَلَا لَهَا مِنْهُ طَائِفَةً .

٢٠٠٦ - الْبُخَارِيُّ (٨ / ٤٦) ٦٤ - كِتَابُ الْمَغَازِي - ٦٥ - بَابُ غَزْوَةِ الطَّائِفِ .

وَمُسْلِمٌ (٤ / ١٩٤٣) ٤٤ - كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ - ٢٨ - بَابُ مَنْ فَضَّلَ أَبِي مُوسَى وَأَبِي عَامِرٍ الْأَشْعَرِيَيْنِ .

الْجَعْرَانَةُ : بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ ، وَهِيَ إِلَى مَكَّةَ أَقْرَبُ . وَقَالَ الْفَاكُهِيُّ : بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَكَّةَ بَرِيدٌ . وَقَالَ الْبَاهِجِيُّ : ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِيلًا .

٢٠٠٧ - * روى أحمد عن ابن بريدة عن أبيه قال : خرج بريدة عشاء فلقية النبي ﷺ فأخذ بيده فأدخله المسجد فإذا صوت رجل يقرأ فقال النبي ﷺ : « تراه مرئياً » . فأسكت بريدة فإذا رجل يدعو فقال : اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . فقال النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده أو قال والذي نفس محمد بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب » . قال فلما كان من القابلة خرج بريدة عشاء فلقية النبي ﷺ فأخذ بيده فأدخله المسجد فإذا صوت الرجل يقرأ فقال النبي ﷺ : « أتقوله وراء » . فقال بريدة : أتقوله وراء يارسول الله ؟ فقال النبي ﷺ : « لا بل مؤمن منيب لا بل مؤمن منيب » . فإذا الأشعري يقرأ بصوت له في جانب المسجد فقال رسول الله ﷺ « إن الأشعري أو إن عبد الله بن قيس أعطي مزماراً من مزامير داود » . فقلت : ألا أخبره يارسول الله ؟ قال : « بلى فأخبره » . فأخبرته . فقال : أنت لي صديق أخبرني عن رسول الله ﷺ بحديث .

وذكر الذهبي في السير^(١) عن الأسود بن يزيد قال : لم أر بالكوفة أعلم من عليٍّ وأبي موسى .

وذكر أيضاً^(٢) عن مسروق قال : كان القضاء في الصحابة إلى ستة : عمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وأبي ، وزيد ، وأبي موسى .

٢٠٠٨ - * روى ابن سعد عن عمر قال : بالشام أربعون رجلاً ، ما منهم رجل كان يلي أمر الأمة إلا أجزأه ، فأرسل إليهم . فجاء رهط ، فيهم أبو موسى ، فقال : إني أرسلك إلى قوم غشَّكَ الشيطان بين أظهرهم . قال : فلا ترسلني . قال : إن بها جهاداً ورباطاً . فأرسله

٢٠٠٧ - أحمد في مسنده (٢٤٩ / ٥) وأورده الهيثمي في المجمع (٣٥٨ / ٩) . وقال : رواه أحمد ، وفي الصحيح منه أن عبد الله بن قيس أعطي مزماراً من مزامير آل داود ، وهنا : من مزامير داود ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

(١) السير (٣٨٨ / ٢) .

(٢) السير (٣٨٨ / ٢) وهو صحيح الإسناد .

٢٠٠٨ - الطبقات الكبرى (١٠٩ / ٤) . ورجالها ثقات .

إلى البصرة^(١) .

وذكر الذهبي في السير عن أنس : بعثني الأشعري إلى عمر ، فقال لي : كيف تركت الأشعري ؟ قلت : تركته يُعَلِّمُ النَّاسَ الْقُرْآنَ . فقال : أَمَا إِنَّهُ كَيْسٌ ! وَلَا تُسَبِّحْهَا إِيَّاهُ .

٢٠٠٩ - * روى ابن سعد عن أبي سلمة : كان عمر إذا جلس عنده أبو موسى ، ربما قال له : ذَكَّرْنَا يَا أَبَا مُوسَى . فيقرأ .

٢٠١٠ - * روى ابن سعد عن أبي موسى : أن معاوية كتب إليه : أَمَا بَعْدَ : فَإِنْ عَمِرُوا ابْنَ الْعَاصِ قَدْ بَايَعَنِي عَلَى مَا أُرِيدُ ، وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ ، لَنْ بَايَعَنِي عَلَى الَّذِي بَايَعَنِي ، لَأَسْتَعْمِلَنَّ أَحَدَ ابْنَيْكَ عَلَى الْكُوفَةِ ، وَالْآخِرَ عَلَى الْبَصْرَةِ ؛ وَلَا يَغْلُقُ دُونَكَ بَابَ ، وَلَا تُقْضَى دُونَكَ حَاجَةٌ . وقد كتبت إليك بخطي ، فاكتب إليّ بخط يدك .

فكتب إليه : أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّكَ كَتَبْتَ إِلَيَّ فِي جَسَمِ أَمْرِ الْأُمَّةِ ، فَاذَا أَقُولُ لِرَبِّي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْهِ ، لَيْسَ لِي فِيهَا عَرْضَةٌ مِنْ حَاجَةٍ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ .

قال أبو بردة : فَلَمَّا وَلِيَ مُعَاوِيَةُ أَمْرَهُ ، فَمَا أَغْلَقَ دُونِي بَاباً ، وَلَا كَانَتْ لِي حَاجَةٌ إِلَّا قُضِيَتْ .

قال الذهبي : قد كان أبو موسى صَوَاماً قَوَاماً رَبَّانِيّاً زَاهِداً عَابِداً ، مَنْ جَمَعَ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ وَالْجِهَادَ وَسَلَامَةَ الصَّدْرِ ، لَمْ تُغَيِّرْهُ الْإِمَارَةُ ، وَلَا اغْتَرَّ بِالدُّنْيَا .

٢٠١١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى ، قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَيُّهَا النَّاسُ ! ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِباً . إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعاً قَرِيباً . وَهُوَ مَعَكُمْ » .

(١) السير (٢ / ٣٩٠) ورجاله ثقات .

٢٠٠٩ - الطبقات الكبرى (٤ / ١٠٩) . ورجاله ثقات .

٢٠١٠ - الطبقات الكبرى (٤ / ١١١) . وإسناده صحيح .

٢٠١١ - البخاري (٧ / ٤٧٠) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٨ - باب غزوة خيبر .

ومسلم (٤ / ٢٠٧٦) ٤٨ - الذكر والدعاء - ١١ - باب استحباب خفض الصوت بالذكر .

قَالَ : وَأَنَا خَلَفَهُ ، وَأَنَا أَقُولُ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . فَقَالَ : « يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ ! أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ ؟ » .

فَقُلْتُ : بَلَى . يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : « قُلْ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » .

قال الذهبي : وقد ذكرتُ في طبقات القراء : توفي أبو موسى في ذي الحجة سنة أربع وأربعين ، على الصحيح .

٢٠١٢ - * روى ابن سعد عن أنس : أنَّ أبا موسى كان حُلُو الصَّوْتِ ، فقام ليلة يُصلي ، فسمع أزواجَ النبي ﷺ ، فَقَمَنَ يَسْتَمِعُن . فلما أصبح ، قيل له : إِنَّ النساءَ سمعنك . قال : لوعلمتُ لِحَبْرَتِكُنَّ تحبيراً ، ولشَوْقَتِكُنَّ تشويقاً .

٢٠١٣ - * روى ابن سعد عن أبي نضرة قال عَمَرَ لَأبي موسى : شَوْقُنَا إِلَى رَبِّنَا . فَقَرَأ . فقالوا : الصلاة . فقال : أَوْ لَسْنَا فِي صَلَاةٍ .

٢٠١٤ - * روى ابن سعد عن أبي لبيد قال : مَا كُنَّا نُسَبِّهُ كَلَامَ أَبِي مُوسَى إِلَّا بِالْحَزَارِ الَّذِي مَا يُخْطِئُ الْحَفْصِيلَ .

٢٠١٥ - * روى ابن سعد عن أبي موسى قال : لِأَن يَتْلَى مَنْخَرِي مِنْ رِيحٍ جِيْفَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَتْلَى مِنْ رِيحِ امْرَأَةٍ .

٢٠١٦ - * روى ابن سعد عن عبد الرحمن بن مولى أم بَرَثْن قال : قَدِمَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِي وَزِيَادٌ عَلَى عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَرَأَى فِي يَدِ زِيَادٍ خَاتِماً مِنْ ذَهَبٍ ، فَقَالَ : اتَّخَذْتُمْ حِلَقَ الذَّهَبِ . فَقَالَ أَبُو مُوسَى : أَمَّا أَنَا فَخَاتِمِي مِنْ حَدِيدٍ . فَقَالَ عَمْرٌ : ذَاكَ أَتَنَنْ ، أَوْ أَخْبَثُ ، مَنْ كَانَ مَتَّخِطاً فَلْيَتَّخِمْ بِخَاتَمٍ مِنْ فِضَّةٍ .

٢٠١٢ - الطبقات الكبرى (١٠٨ / ٤) . وإسناده صحيح .

٢٠١٣ - الطبقات الكبرى (١٠٩ / ٤) . وإسناده صحيح .

٢٠١٤ - الطبقات الكبرى (١١١ / ٤) . وإسناده صحيح .

٢٠١٥ - الطبقات الكبرى (١١٤ / ٤) . ورجاله ثقات .

٢٠١٦ - الطبقات الكبرى (١١٤ / ٤) . ورجاله ثقات .

٢٠١٧ - * روى ابن سعد عن أبي بردة عن أبيه : أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر إلى أرض النجاشي ، فبعثت قريش عمراً وعماراً بن الوليد ، وجمعوا له هدية .

ولم يذكره ابن عقبة ، وابن إسحاق ، وأبو معشر ، فبن هاجر إلى الحبشة .

٢٠١٨ - * روى الترمذي عن أبي موسى قال : يَا بَنِي لَوْ رَأَيْتُنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصَابَتُنَا السَّمَاءُ لَحَسِبْتُ أَنَّ رِيحَنَا رِيحُ الضَّانِ .

قال الترمذي : وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ : أَنَّهُ كَانَ يَتَابَهُمُ الصُّوفُ ، فَإِذَا أَصَابَهُمُ الْمَطَرُ يَجِيءُ مِنْ تِيَابِهِمْ رِيحُ الضَّانِ .

٢٠١٩ - * روى ابن سعد عن أبي بردة قال : دخلتُ على معاوية حين أصابته قرحتُه ، فقال : هَلُمَّ يَا ابْنَ أَخِي ، فَنَظَرْتُ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ سَبَرْتُ - يعني : قرحته - فقلتُ : ليس عليك بأس . إذ دخل ابنه يزيد ، فقال له معاوية : إِنْ وَلَيْتَ ، فَاسْتَوْصِ بِهَذَا ، فَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ أَحَا لِي ، أَوْ خَلِيلاً ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي الْقِتَالِ مَا لَمْ يَر .

روى ابن سعد ^(١) عن الحسن ، قال : كان الحكمان : أبا موسى ، وعمراً . وكان أحدهما يبتغي الدنيا ، والآخر يبتغي الآخرة .

روى ابن سعد ^(٢) عن أبي موسى قال : أعمقوا لي قبري .

٢٠٢٠ - * روى أبو يعلى عن أنس قال : قعد أبو موسى في بيته واجتمع إليه ناس فأنشأ يقرأ عليهم القرآن . قال : فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أُعْجِبُكَ مِنْ أَبِي

٢٠١٧ - الطبقات الكبرى (٤ / ١٠٥) . ورجاله ثقات .

٢٠١٨ - الترمذي (٤ / ٦٥٠) ٢٨ - كتاب صفة القيامة والرقائق والورع - ٣٨ - باب حدثنا قتيبة ... وقال : هذا حديث صحيح .

٢٠١٩ - والطبقات الكبرى (٤ / ١١٢) . ورجاله ثقات .

السبر : مصدر سبر الجرح يسبره ويسبره سبراً : نظر مقداره وقاسه ليعرف غوره .

(١) الطبقات الكبرى (٤ / ١١٣) . ورجاله ثقات .

(٢) الطبقات الكبرى (٤ / ١١٦) . ورجاله ثقات .

٢٠٢٠ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٦٠) . وقال : رواه أبو يعلى وإسناده حسن .

موسى قعد في بيت واجتمع إليه ناس فأنشأ يقرأ عليهم القرآن . فقال رسول الله ﷺ : « أتستطيع أن تقعدني حيث لا يراني أحد منهم ؟ » قال : نعم . قال : فخرج رسول الله ﷺ . قال : فأقعدته الرجل حيث لا يراه منهم أحد فسمع قراءة أبي موسى ، فقال : « إنه يقرأ على زممار من مزامير آل داود » .

٢٠٢١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لو رأيتني ، وأنا أسمع لقراءتك البارحة ؟ لقد أوتيت زمماراً من مزامير آل داود » .

قال ابن الأثير : قال الحميدي : زاد البرقاني . قلت : والله يارسول الله لو علمت أنك تسمع قراءتي لحببته لك تحبيراً . قال : وحكي أن مسلماً أخرجه . ولم أجد هذه الزيادة عندنا من كتاب مسلم ، وليس عند البخاري والترمذي قوله : « لو رأيتني وأنا أسمع قراءتك البارحة » .

وقول رسول الله ﷺ زمماراً : المزمار : واحد المزامير ، وهو من آلات الغناء ، وقد ضرب رسول الله ﷺ المزمار مثلاً لحسن صوت داود عليه السلام وحلاوة نغمته ، كأن في حلقه مزامير يزمر بها ، والآل في قوله « آل داود » مقحمة ، ومعناه : الشخص .

٢٠٢١ - البخاري (١٢ / ٩) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن - ٣١ - باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن .
ومسلم (١ / ٥٤٦) ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - ٣٤ - باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن .
لمبرقه : التحبير : التحسين .

٢٢ - عبد الله بن سلام رضي الله عنه

قال ابن حجر : عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف من ذرية يوسف النبي عليه السلام ، حليف القواقل من الخزرج ، الإسرائيلي ثم الأنصاري . كان حليفاً لهم وكان من بني قينقاع يقال كان اسمه الحصين فغيره النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وجزم بذلك الطبري . وقال ابن سعد : وأخرجه يعقوب بن سفيان في تاريخه عن أبي الهيثم عن شعيب عن عبد العزيز قال : كان اسم عبد الله بن سلام الحصين فسماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله روى عنه ابنه يوسف ومحمد ، ومن الصحابة فمن بعدهم أبو هريرة وعبد الله بن معقل وأنيس وعبد الله بن حنظلة ، وحرشة بن الحر ، وقيس بن عباد ، وأبو سامة بن عبد الرحمن وآخرون . أسلم أول ما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة ، وقيل تأخر إسلامه إلى سنة ثمان . قال قيس بن الربيع عن عاصم عن الشعبي قال : أسلم عبد الله بن سلام قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعامين . أخرجه ابن البرقي . وهذا مرسل وقيس ضعيف . وقد أخرج أحمد وأصحاب السنن من طريق زرارة بن أوفى عن عبد الله بن سلام قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة كنت ممن انجفل فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب فسمعتة يقول : « أفشوا السلام وأطعموا الطعام » الحديث . وفي البخاري من طريق حميد عن أنس أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمة المدينة فقال : إني سائلك عن ثلاث خصال لا يعلمها إلا نبي . الحديث . وفيه قصته مع اليهود وأنهم قوم بهت . ومن طريق عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال : أقبل نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة فاستشرفوا ينظرون إليه فسمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله فعجل ، وجاء فسمع من نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أشهد إنك رسول الله حقاً وأنتك جئت بحق ولقد علمت أني سيدهم وأعلمهم فأسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي . الحديث .

وفي الحديث الصحيح عن سعد بن أبي وقاص قال : ما سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول لأحد يعيش على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام . وفي التاريخ الصغير للبخاري بسند جيد عن يزيد بن عمير قال : حضرت معاذاً الوفاة فقيل له أوصنا

فقال : التمسوا العلم عند أبي الدرداء وسلمان وابن مسعود وعبد الله بن سلام الذي كان يهودياً فأسلم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إنه عاشر عشرة في الجنة » . وأخرجه الترمذي عن معاذ مختصراً . وأخرج البغوي في المعجم بسند جيد عن عبد الله بن معقل قال : نهى عبد الله بن سلام علياً عن خروجه إلى العراق ، وقال : الزم منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن تركته لاتراه أبداً . فقال علي : إنه رجل صالح منا وأخرج ابن عساكر بسند جيد عن أبي بردة بن أبي موسى : أتيت المدينة فإذا عبد الله بن سلام جالس في حلقة متخشعاً عليه سيما الخير .

وروى الزبيدي من طريق ابن أخي عبد الله بن سلام قال : لما أريد قتل عثمان جاء عبد الله بن سلام فقال : جئت لأنصرك . فخرج عبد الله فقال : إنه كان اسمي في الجاهلية فلانا فسماني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله ونزلت في آيات من كتاب الله ونزل في : ﴿ وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله ﴾ . ونزل في : ﴿ قل كفي بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ . قال الطبراني : مات في قول جميعهم بالمدينة سنة ثلاث وأربعين . قلت : وفيها أرخه الهيثم بن عدي وابن سعد وأبو عبيدة والبغوي وأبو أحمد العسكري وآخرون .أ.هـ

وقال ابن كثير في ترجمته :

عبد الله بن سلام أبو يوسف الإسرائيلي أحد أخصاب اليهود ، أسلم حين قدم رسول الله ﷺ المدينة ، قال : لما قدم رسول الله المدينة انجفل الناس إليه فكنت فيمن انجفل إليه ، فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب ، فكان أول ما سمعته يقول : « أياها الناس افشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام تدخلوا الجنة بسلام » . وهو ممن شهد له رسول الله بالجنة ، وهو ممن يقطع له بدخولها . أ.هـ .

وقال الذهبي في ترجمته :

عبد الله بن سلام بن الحارث . الإمام الحنبل ، المشهود له بالجنة . أبو الحارث الإسرائيلي ، حليف الأنصار . من خواص أصحاب النبي ﷺ .

حدث عنه أبو هريرة ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن معقل ، وعبد الله بن حنظلة ابن الغسيل ، وابناء : يوسف ومحمد ، وبشر بن شغاف ، وأبو سعيد المقرئ ، وأبو بردة بن أبي موسى ، وقيس بن عباد ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، وعطاء بن يسار ، وزرارة بن أوفى ، وآخرون .

وله إسلام قديم بعد أن قدم النبي ﷺ المدينة ، وهو من أحبار اليهود . أ. هـ .

٢٠٢٢ - * روى أحمد والترمذي والحاكم عن عبد الله بن سلام ، قال : لما قدم النبي ﷺ المدينة ، انجفل الناس عليه ، وكنتم فين انجفل ، فلما رأيته ، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب . فكان أول شيء سمعته يقول : « يا أيها الناس ، أفسحوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » .

٢٠٢٣ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أقبل نبي الله ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر ، وأبو بكر شيخ يعرف ونبي الله ﷺ شاب لا يعرف . قال : فيلقى الرجل أبا بكر فيقول : يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهديني السبيل . قال : فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق ، وإنما يعني سبيل الخير . فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم ، فقال : يا رسول الله ، هذا فارس قد لحق بنا . فالتفت نبي الله ﷺ فقال : « اللهم اصرعه » . فصرعه الفرس ، ثم قامت تحميم ، فقال : يانبي الله مرني بما شئت . قال : « فقف مكانك ، لا تترك أحدًا يلحق بنا » . قال : فكان أول النهار جاهدًا علي نبي الله ﷺ ، وكان آخر النهار مسلحة له . فنزل رسول الله ﷺ جانب الحرّة ، ثم بعث إلى الأنصار فجاءوا إلى نبي الله ﷺ وأبي

٢٠٢٢ - أحد في مسنده (٥ / ٤٥١) .

والترمذي (٤ / ٦٥٢) ٣٨ - كتاب صفة القيامة والرقائق والورع - ٤٢ - باب حدثنا محمد بن بشار ...

وقال : هذا حديث صحيح .

والستدرك (٣ / ١٣) . وصححه ووافقه الذهبي .

انجفل الناس عليه : أي : ذهبوا مسرعين نحوه .

٢٠٢٣ - البخاري (٧ / ٢٤٩) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٤٥ - باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

بكر فسلموا عليها وقالوا : اركبا آمنين مطاعين . فركب نبي الله ﷺ وأبو بكر وحفوا
دونهما بالسلاح ، فقبل في المدينة : جاء نبي الله ، جاء نبي الله ﷺ . فأشرفوا ينظرون
ويقولون : جاء نبي الله . فأقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب ، فإنه ليحدث أهله إذ
سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله يخترف لهم ، فعجل أن يضع الذي يخترف لهم
فيها ، فجاء وهي معه ، فسمع من نبي الله ﷺ ثم رجع إلى أهله ، فقال نبي الله ﷺ :
« أي بيوت أهلنا أقرب ؟ » فقال أبو أيوب : أنا يانبي الله ، هذه داري وهذا بابي .
قال : « فانطلق فهيئ لنا مقبلاً » . قال : قوما على بركة الله . فلما جاء نبي الله ﷺ
جاء عبد الله بن سلام فقال : أشهد أنك رسول الله ، وأنت جئت بحق . وقد علمت يهود أني
سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم ، فادعهم فأسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت ،
فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا في ماليس في . فأرسل نبي الله ﷺ فأقبلوا فدخلوا
عليه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « يامعشر اليهود ، ويحكم اتقوا الله ، فوالله الذي
لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً ، وأني جئتكم بحق ، فأسلموا » .
قالوا : مانعلمه - قالوا للنبي ﷺ قالها ثلاث مرار - قال : « فأني رجل فيكم عبد الله بن
سلام ؟ » قالوا : ذاك سيدنا ، وابن سيدنا ، وأعلمنا وابن أعلمنا . قال : « أفرأيتم إن
أسلم ؟ » قالوا : حاشا لله ماكان ليسلم . قال : « أفرأيتم إن أسلم ؟ » قالوا : حاشا لله
ماكان ليسلم . قال : « أفرأيتم إن أسلم ؟ » قالوا : حاشا لله ماكان ليسلم . قال : « يا ابن
سلام اخرج عليهم » . فخرج ، فقال : « يامعشر اليهود ، اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا
هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، وأنه جاء بحق . فقالوا : كذبت ، فأخرجهم رسول الله
ﷺ » .

٢٠٢٤ - * روى أحمد والحاكم عن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ أتى بقصة من
ثريد ، فأكل ، ففضل منه فضلة ، فقال : « يدخل من هذا الفج رجل من أهل

٢٠٢٤ - مسند أحمد (١ / ١٦٩) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٢٦) : رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري ، وفيه عاصم بن بهدلة وفيه خلاف ،
وبقية رجالهم رجال الصحيح .

والستدرك (٣ / ٤١٩) وصححه ووافقه الذهبي .

الجنة ، يأكل هذه الفضلة » . قال سعد : وقد كنت تركت أخي عمير بن أبي وقاص يتهياً لأن يأتي النبي ﷺ ، فطعمت أن يكون هو ، فجاء عبد الله بن سلام ، فأكلها .

٢٠٢٥ - * روى الترمذي والحاكم عن يزيد بن عُميرة قال : لما حَضَرَ مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ الْمَوْتَ قِيلَ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَوْصِنَا . قَالَ : أَجْلِسُونِي . فَقَالَ : إِنَّ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ مَكَائِهِمَا ، مَنْ ابْتِغَاهُمَا وَجَدَهُمَا . يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . وَالتَّمِسُوا الْعِلْمَ عِنْدَ أَرْبَعَةِ رَهْطٍ ، عِنْدَ عَوْنِ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، وَعِنْدَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ، وَعِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَعِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ الَّذِي كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّهُ عَاشِرُ عَشْرَةٍ فِي الْجَنَّةِ » .

ذكر الذهبي في السير^(١) : عن أبي بردة بن أبي موسى قال : أتيت المدينة ، فإذا عبد الله ابن سلام جالس في حلقة متخشعاً عليه سياء الخير ، فقال : يا أخي ، جئت ونحن نريد القيام . فأذنت له ، أو قلت : إذا شئت . فقام ، فأتبعته ، فقال : من أنت ؟ قلت : أنا ابن أخيك ؛ أنا أبو بردة بن أبي موسى . فرحب بي ، وسألني ، وسقاني سويقاً ، ثم قال : إنكم بأرض الريف ، وإنكم تسالفون الدهاقين ، فيهدون لكم حُمْلَانَ الْقَتِّ والدواخل ، فلا تقربوها ، فإنها نار .

٢٠٢٦ - * روى أحمد عن يوسف بن عبد الله بن سلام قال : أجلسني النبي ﷺ في حجره ومسح على رأسي وسقاني يوسف .

٢٠٢٥ - الترمذي (٥ / ٦٧١) - ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٧ - مناقب عبد الله بن سلام .

وقال : وهذا حديث حسن صحيح غريب .

والحاكم (٣ / ٤١٦) . وصححه ووافقه الذهبي ، وذكره الحافظ في الإصابة عن التاريخ الصغير للبخاري ، وجود إسناده .

(١) السير (٢ / ٤٢٤) ورجال إسناده ثقات ونسبه الحافظ ابن حجر إلى ابن عساكر ، وأخرج البخاري نحوه .

تسالفون : من السلف وهو القرض .

حُمْلَان : ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة .

قت : علف الدواب .

دواخل : جمع دوخلة : زبيل أوقف من خوص يجعل فيه التمر والرطب .

٢٠٢٦ - مسند أحمد (٤ / ٣٥) .

٢٠٢٧ - * روى البخاري عن قيس بن عباد رضي الله عنه قال : كنت جالساً في مسجد المدينة ، في ناس فيهم بعض أصحاب رسول الله ﷺ ، فجاء رجل في وجهه أثر من خشوع ، فقال بعض القوم : هذا رجل من أهل الجنة ، هذا رجل من أهل الجنة . فصلّى ركعتين يتجوّز فيهما ، ثم خرج ، فاتّبعتُه فدخل منزله ودخلت فتحدّثنا ، فلما استأنس قلت له : إنك لما دخلتَ قبلُ قالَ رجل كذا وكذا . قال : سبحان الله ! ما ينبغي لأحدٍ أن يقولَ ما لا يعلم ، وسأحدثك لِمَ ذاك ؟ رأيتُ رؤياً على عهدِ رسولِ الله ﷺ ، فقَصَصْتُها عليه : رأيتُني في رَوْضَةٍ - ذَكَرَ سَعَتَهَا وَعُشْبَتَهَا وَخَضَرَتَهَا - وَوَسَطَ الرَوْضَةِ عَمودٌ من حديد ، أسفلُه في الأرض ، وأعلاه في السماء ، في أعلاه عُرْوَةٌ ، فقيّل لي : اِرْقُ . فقلت له : لأستطيع . فجاءني مُنْصَفٌ - قال ابنُ عَوْنٍ ، والمِنْصَفُ : الخادم - فقال بشيبي من خلفي - وَصَفَ أَنَّهُ رَفَعَهُ من خلفه بيده - فرقيتُ حتى كنتُ في أعلى العمود ، فأخذتُ بِالْعُرْوَةِ ، فقيّل لي : اسْتَمْسِكْ ، فلقد اسْتَيْقَظْتُ وإِنها لفي يدي ، فقَصَصْتُها على النبي ﷺ ، فقال : « تلك الروضة : الإسلام ، وذلك العَمودُ : عمود الإسلام ، وتلك العروة : عروة الوثقى ، وأنت على الإسلام حتى تموتَ » . والرجل : عبد الله بن سلام .

ولسلم^(١) أيضاً من رواية خَرَشَةَ بن الحَرِّ قال : كنتُ جالساً في حلقة في مسجد المدينة ، قال : وفيها شيخٌ حَسَنُ الهيئة ، وهو عبد الله بن سلام . قال : فجعل يحدّثهم حديثاً حَسَناً . قال : فلما قام قال القومُ : من سرّه أن ينظرَ إلى رجل من أهل الجنة فليَنظر إلى هذا . قال : قلتُ : والله لأتَّبَعَنَّهُ ، فَلَأُعْلِمَنَّ مكانَ بيته . قال : فَتَبَّعْتُهُ ، فانطلق حتى كاد أن يخرج من المدينة ، ثم دخل منزله . قال : فاستأذنت عليه . قال : فأذن لي ، فقال : ما حاجتك يا ابن أخي ؟ قال . فقلت له : سمعت القوم يقولون لك - لما

= وقال المهيبي في جمع الزوائد (٩ / ٣٢٦ ، ٣٢٧) : رواه أحمد بأسانيد ، ورجال إسناده منها ثقات ، ورواه الطبراني بنحوه وقال : ودعا .

٢٠٢٧ - البخاري (٧ / ١٢٩) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ١٩ - باب مناقب عبد الله بن سلام .

ومسلم (٤ / ١٩٣٠) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٣ - باب من فضائل عبد الله بن سلام .

تجوّز : في صلاته : إذا اختصرها وقصرها .

منصف - المنصف بكسر الميم : الخادم .

= مسلم (٤ / ١٩٣١) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٣ - باب من فضائل عبد الله بن سلام .

قمت - : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فليُنظر إلى هذا ، فأعجبني أن أكون معك . قال : الله أعلم بأهل الجنة ، وسأحدثك مِمَّ قالوا ذلك ؟ إني بينا أنا نائم إذ أتاني رجل فقال لي : قم . فأخذ بيدي ، فانطلقت معه ، قال . فإذا أنا بجوَاد على شمالي . قال : فأخذتُ لآخذَ فيها ، فقال لي : لاتأخذُ فيها ، فإنها طُرُق أصحاب الشمال . وإذا جَوَادُ منهجٌ على يميني ، فقال لي : خذها هنا . قال : فأُتِيَ بي جَبَلًا ، فقال لي : اصعد . قال : فجعلتُ إذا أردتُ أن أصعدَ خَزَرْتُ على أُسْتي . قال : حتى فعلتُ ذلك مراراً . قال : ثم انطلق بي حتى أتى بي عموداً ، رأسه في السماء وأسفله في الأرض ، في أعلاه حَلْقَةٌ ، فقال لي : اصعد فوق هذا . قال : قلتُ : كيف أصعدُ هذا ، ورأسه في السماء ؟ قال : فأخذ بيدي . فرحل بي ، قال : فإذا أنا مُتعلق بالحلقة . قال : ثم ضربَ العمودَ فخرَّ . قال : وبقيتُ متعلقاً بالحلقة ، حتى أصبحتُ . قال : فأُتيتُ النبي ﷺ : فقصصتها عليه ، فقال : « أما الطُّرُق التي رأيتَ عن يسارك : فهي طرق أصحاب الشمال ، وأما الطرق التي رأيتَ عن يمينك : فهي طرق أصحاب اليمين : وأما الجبلُ : فهو منزل الشهداء ، ولن تنالهُ ، وأما العمودُ ، فهو عمودُ الإسلام ، وأما العُرْوَةُ : فهي عُرْوَةُ الإسلام ، ولن تزالَ مَتَمَسِّكاً بها حتى تموتَ » .

٢٠٢٨ - * روى البخاري عن أنس قال : إنَّ عبدَ الله بن سلامَ بَلَغَهُ مَقْدَمُ النبي ﷺ المدينة ، فأتاهُ يَسْأَلُهُ عن أشياء فقال : إني سَأَلْتُكَ عن ثلاثٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إلا نبيٌّ : ما أولُ أشرَاطِ الساعة ، وما أولُ طعامٍ يأكلُهُ أهلُ الجنة ، وما بالُ الولدِ يَنزِعُ إلى أبيه أو إلى أمِّه ؟ قال : « أَخْبَرَنِي به جِبْرِيلُ آنفًا » . قال ابنُ سلام : ذاك عدوُّ اليهود من الملائكة . قال « أما أولُ أشرَاطِ الساعةِ فنارٌ تحشُرهم من المشرقِ إلى المغرب . وأما أولُ طعامٍ

= جَوَادٌ : الجَوَادُ جمع جَاذَةٌ ، وهي الطريق .

المنهج : الطريق الواضح المطروق .

خررت : خَرَّ يَخِرُّ : إذا وقع من فوق إلى أسفل .

فرجل : زَجَلْتُهُ وزَجَلْتُ به : إذا دفعته ورميته .

٢٠٢٨ - البخاري (٧ / ٢٧٢) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٥١ - باب حدثني حامد بن عمر ...

الأشراط : العلامات ، وأشرَاطُ الساعة : العلامات التي تتقدمها ، مثل خروج الدجال ، وطلوع الشمس من المغرب .

= يَنزِعُ الولد : إلى أبيه أو أمِّه : إذا جاء يشبه أحدهما .

يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت . وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد .

قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله . قال : يا رسول الله ، إن اليهود قوم بُهت ، فسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي . فجاءت اليهود ؛ فقال النبي ﷺ : « أي رجل عبد الله بن سلام فيكم ؟ » قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وأفضلنا وابن أفضلنا . فقال النبي ﷺ : « رأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام ؟ » قالوا : أعاده الله من ذلك . فأعاده عليهم فقالوا مثل ذلك . فخرج إليهم عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . قالوا : شربنا وابن شربنا . وتنقصوه . قال : هذا كنت أخاف يا رسول الله .

٢٠٢٩ - * روى الحاكم عن عوف بن مالك الأشجعي قال : انطلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود ، فقال : « يامعشر اليهود أروني اثني عشر رجلاً يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليهم » . قال : فأسكتوا ما أجابه منهم أحد . ثم رد فلم يجبه منهم أحد فقال : « أبيتم فوالله لأنا الحاشر وأنا العاقب وأنا النبي المصطفى آمنتم أو كذبتكم » . ثم انصرف وأنا معه حتى كدنا أن نخرج فإذا رجل من خلفنا يقول : كما أنت ياعمد . فقال ذلك الرجل : أي رجل تعلموني فيكم يامعشر اليهود ؟ قالوا : والله مانعنا أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك ولا أفاقه منك ولا من أبيض قبلك ولا من جدك قبل أبيض . قال : فإني أشهد له بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة . فقالوا : كذبت . ثم ردوا عليه قوله ، وقالوا فيه شراً . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « كذبتكم ، لن يُقبل قولكم ، أما أنفأ فتثنون عليه من الخير ما أثنتيم ، وأما إذا آمن فكذبتموه وقلتم فيه ما قلتم فلن يُقبل قولكم » . قال : فخرجنا ونحن ثلاثة : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا وعبد الله بن سلام ، وأنزل الله تعالى فيه : ﴿ قل رأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به ﴾ الآية .

= قوم بُهت : بهتَ فلان فلاناً : إذا كذب عليه ، فهو باهت ، وقوم بُهت .

٢٠٢٩ - المستدرک (٢ / ٤١٥) وصححه ووافقه الذهبي .

٢٠٣٠ - * روى البخاري عن أبي بردة قال : قَدِمْتُ المدينة فلقيني عبد الله بن سلام فقال لي : انطلقْ إلى المنزلِ فأسقيكَ في قَدَحٍ شَرِبَ فيه رسولُ الله ﷺ ، وتصلِّي في مسجدِ صلَّى فيه النبي ﷺ . فانطلقتُ معه فأسقاني سَوِيْقاً وأطعمني تمرأً وصليتُ في مسجده .

وفي رواية للبخاري ^(١) أيضاً عن أبي بردة عن أبيه قال : أتيتُ المدينةَ فلقيتُ عبدَ الله ابنَ سلامَ رضيَ الله عنه فقال : ألا تجيءُ فأطعمِكَ سَوِيْقاً وتمرأً وتدخُلُ في بيت ؟ ثم قال : إنكَ في أرضِ الرِّبَا بها فاش ، إذا كان لك على رجل حقٌّ فأهدى إليك حملَ تبنٍ أو حملَ شعيرٍ أو حملَ قَتٍ فإنه رِبَا . ولم يذكرِ النَّضْرُ وأبو داودَ وَوَهَبَ عن شعبة البيت .

قال الحافظ في الفتح : يحتل أن يكون ذلك رأي عبد الله بن سلام ، وإلا فالفقهاء على أنه إنما يكون ربا إذا شرطه ، نعم الورع تركه .

٢٠٣١ - * روى البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : ماسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لأحدٍ يمشي على الأرض : إنه من أهل الجنة . إلا لعبد الله بن سلام ، قال : وفيه نزلت هذه الآية : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ... ﴾ ^(٢) الآية قال الرواي : لأدري ، قال مالك : الآية ، أو في الحديث ؟

٢٠٣٠ - البخاري (١٢ / ٢٠٥) ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - ١٦ - باب ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم .

(١) البخاري (٧ / ١٢٩) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ١٩ - باب مناقب عبد الله بن سلام .

إنك بأرض : يعني أرض العراق .

فاش : منتشر .

قت : القَتُ البَضْفَصَةُ وهي التي يسميها الناس الرطبة من علف الدواب .

٢٠٣١ - البخاري (٧ / ١٢٨) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ١٩ - عبد الله بن سلام .

ومسلم (٤ / ١٩٣٠) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ٣٣ - باب من فضائل عبد الله بن سلام مختصراً .

(٢) الأحقاف : ١٠ .

٢٣ - جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه

قال ابن حجر :

جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نضرة بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن خزيمه ابن حرب بن علي البجلي الصحابي الشهير ، يكنى أبا عمرو وقيل يكنى أبا عبد الله .
اختلف في وقت إسلامه : ففي الطبراني الأوسط عن جرير قال : لما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتيته فقال : « ما جاء بك » ؟ قلت : جئت لأسلم فألقى إليّ كساءه ، وقال : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه . حصين [أحد الرواة] فيه ضعف ، ولو صح يحمل على المجاز ، أي لما بلغنا خبر بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أو على الحذف ، أي لما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أي لما بلغنا خبر بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم دعا إلى الله ثم قدم المدينة ثم حارب قريشاً وغيرهم ثم فتح مكة ثم وفدت عليه الوفود . وجزم ابن عبد البر عنه بأنه أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأربعين يوماً وهو غلط ، ففي الصحيحين عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له : « استنصت الناس في حجة الوداع » . وجزم الواقدي بأنه وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شهر رمضان سنة عشر ، وأن بعثه إلى ذي الخلصة كان بعد ذلك ، وأنه وافى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم حجة الوداع من عامه . وفيه عندي نظر ؛ لأن شريكاً حدث عن الشيباني عن الشعبي عن جرير قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن أخاكم النجاشي قد مات » . الحديث ، أخرجه الطبراني . فهذا يدل على أن إسلام جرير كان قبل سنة عشر لأن النجاشي مات قبل ذلك ؛ وقدمه عمر في حروب العراق على جميع بجيلة وكان لهم أثر عظيم في فتح القادسية . ثم سكن جرير الكوفة ، وأرسله عليّ رسولاً إلى معاوية ثم اعتزل الفريقين وسكن قرقيسيا حتى مات سنة إحدى وقيل أربع وخمسين ، وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وآله وسلم بعثه إلى ذي الخلصة فهدمها .

ومن طريق إبراهيم بن إسماعيل الكهيلي قال : كان طول جرير ستة أذرع . وروى الطبراني من حديث علي مرفوعاً : جرير منا أهل البيت . وروى عنه من الصحابة أنس بن

مالك ، قال : كان جرير يخدمني وهو أكبر مني . أخرجه الشيخان . ا.هـ .

قال ابن كثير :

فأما جرير بن عبد الله البجلي فأسلم بعد نزول المائدة ، وكان إسلامه في رمضان سنة عشر ، وكان قدومه ورسول الله يخطب ، وكان قد قال في خطبته : « إنه يقدم عليكم من هذا الفج من خير ذي يمن ، وإن على وجهه مسحة ملك » . فلما دخل نظر الناس إليه فكان كما وصف رسول الله ﷺ ، وأخبروه بذلك فحمد الله تعالى . ويروى أن رسول الله لما جالسه بسط له رداءه وقال : « إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه » . وقد كان عاملاً لعثمان على همدان . ا.هـ .

٢٠٣٢ - * روى أحمد عن جرير بن عبد الله قال : لما دنوت من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنخت راحتي ثم حللت عييتي ثم لبست خلتي ، دخلت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ، فرماني الناس بالحدق ، فقلت لجليسي : يا عبد الله هل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمري شيئاً ؟ قال : نعم ذكرك بأحسن الذكر بينما هو يخطب إذ عرض له في خطبته ، فقال : « إنه سيدخل عليكم من هذا الباب أو من هذا الفج من خير ذي يمن ، ألا وإن على وجهه مسحة ملك » قال : فحمدت الله على ما أبلاني .

وقال الذهبي في السير :

جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جثم بن عوف ، الأمير النبيل الجميل . أبو عمرو - وقيل : أبو عبد الله - البجلي القسري . وقيل : من قحطان . من أعيان الصحابة .

٢٠٣٢ - أحمد في مسنده (٤ / ٣٥٩ ، ٣٦٤) وإسناده قوي .

جمع الزوائد (٩ / ٣٧٢) : وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط باختصار عنها وأسانيد الكبير رجاله رجال الصحيح .

عبيتي : ما يوضع فيه المتاع .

حدث عنه : أنس ، وقيس بن أبي حازم ، وأبو وائل ، والشعبي ، وهمام بن الحارث ، وأولاده الأربعة : المنذر ، وعبيد الله ، وإبراهيم - لم يدركه - وأيوب . وشهر بن حوشب ، وزياد بن علاقة ، وحفيذه أبو زرعة بن عمرو بن جرير ، وأبو إسحاق السبيعي ، وجماعة .

وبايع النبي ﷺ على النصح لكل مسلم .

٢٠٣٣ - * روى البخاري ومسلم عن همام قال : بال جرير ، ثم توضأ ، ومسح على خفيه فقيل : تفعل هذا ؟ فقال : نعم . رأيت رسول الله ﷺ بال ثم توضأ ومسح على خفيه . قال إبراهيم : فكان يعجبهم هذا ؛ لأن جريراً من آخر من أسلم .

أقول :

يعجب علماء التابعين لأن تأخر إسلام جرير دل على أنه غير منسوخ .

٢٠٣٤ - * روى البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله البجلي ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يَا جَرِيرُ ! أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ » . نَيْتٌ لِيَخْتَمَ كَانَ يُدْعَى كَعْبَةَ الْيَمَانِيَةِ . قَالَ : فَتَفَرَّتْ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ . وَكُنْتُ لَا أَتُبْتُ عَلَى الْخَيْلِ . فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَضَرَبَ يَدَهُ فِي صَدْرِي فَقَالَ : « اللَّهُمَّ ! ثَبِّتْهُ . وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا » .

قال : فانطلق فحرقها بالنار . ثم بعث جرير إلى رسول الله ﷺ رجلاً يبشّره ، يكنى أبا أرطاة ، منّا . فأتى رسول الله ﷺ فقال له : مَا جِئْتُكَ حَتَّى تَرَكْنَاهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْرَبُ . فَبَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا ، خَمْسَ مَرَّاتٍ .

ومسند جرير نحو من مئة حديث ، بالمرور . اتفق له الشيخان على ثمانية أحاديث

٢٠٣٣ - البخاري (١ / ٤٩٤) ٨ - كتاب الصلاة - ٢٥ - باب الصلاة في الخفاف .

ومسلم (١ / ٢٢٧) ٢ - كتاب الطهارة - ٢٢ - باب المسح على الخفين .

٢٠٣٤ - البخاري (٧ / ١٣١) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ٢١ - باب ذكر جرير بن عبد الله البجلي .

ومسلم (٤ / ١٩٢٦) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٩ - باب من فضائل جرير بن عبد الله .

وانفرد البخاري بحديثين ، ومسلم بستة .

ذكر الذهبي في السير ^(١) عن جرير قال : كنتُ عند عُمر ، فتنفَّسَ رجلٌ - يعني : أحدث - فقال عُمر : عزمْتُ على صاحبِ هذه ، لَمَّا قامَ ، فتَوَضَّأَ . فقال جرير : اعزِمُ علينا جميعاً . فقال : عزمْتُ عليَّ وعليكم ، لما قَمْنَا ، فتَوَضَّأْنَا ، ثم صَلَّيْنَا .

وذكر أيضاً ^(٢) عن إبراهيم بن جرير : أن عُمر قال : جرير يوسف هذه الأمة .

ورواه يحيى القطان ، عن مجالد ، عن الشعبي - وله طرق - وزاد بعضهم - فقال عُمر : يرحمُكَ الله ، نِعْمَ السَّيِّدُ كُنْتَ في الجاهلية ، ونعم السَّيِّدُ كُنْتَ في الإسلام .

وذكر أيضاً ^(٣) عن جرير ، قال : رَأَى عُمرُ بن الخطاب مُتَجَرِّداً ، فناداني : خُذْ رِدَاءَكَ ، خُذْ رِدَاءَكَ . فأخذتُ رِدائي ؛ ثم أَقْبَلْتُ إلى القوم ، فقلتُ : ماله ؟ قالوا : لما رَأَى مُتَجَرِّداً ، قال : ما أَرَى أحداً من الناس صَوْرَ صورة هذا ، إلا ما ذُكِرَ من يُوسف عليه السلام .

وذكر أيضاً ^(٤) ، عن الشعبي : كان على مَبِينة سعد بن أبي وقاص يوم القادسية جريرُ ابنُ عبد الله .

(١) السير (٢ / ٥٣٥) . ورجاله ثقات .

(٢) السير (٢ / ٥٣٥) . ورجاله ثقات .

(٣) السير (٢ / ٥٣٤) ورجاله ثقات ، ونسبه الحافظ في الإصابة إلى البغوي .
متجرّداً : أي يَازَارُ يستر عورته دون رداء يستر صدره وظهره وأعلى بطنه .

(٤) السير (٢ / ٥٣٥) .

٢٤ - ٢٥ - جابر بن عبد الله وأبوه عبد الله بن عمرو بن حرام

قال ابن حجر :

جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي .. يكنى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن وأبا محمد أقوال ، أحد المكثرين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وروى عنه جماعة من الصجابة ، وله ولأبيه ، وفي الصحيح عنه أنه كان مع من شهد العقبة . ومن طريق حجاج بن الصواف حدثني أبو الزبير أن جابراً حدثهم قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إحدى وعشرين غزوة بنفسه شهدت منها تسع عشرة غزوة ، وأنكر الواقدي رواية أبي سفيان عن جابر المذكور ، وروى مسلم من طريق زكريا بن إسحاق حدثنا أبو الزبير أنه سمع جابراً يقول : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسع عشرة غزوة . قال جابر : لم أشهد بديراً ولا أحداً منعي أبي فلما قتل لم أتخلف .

وفي مصنف وكيع عن هشام بن عروة قال : كان لجابر بن عبد الله حلقة في المسجد يعني النبوي يؤخذ عنه العلم . وروى البغوي من طريق عاصم بن عمرو بن قتادة قال : جاءنا جابر بن عبد الله وقد أصيب بصره وقد مس رأسه ولحيته بشيء من صفة . من طريق أبي هلال عن قتادة قال : كان آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم موتاً بالمدينة جابر . قال البغوي : هو وهم وآخرهم سهل بن سعد . قال يحيى بن بكير وغيره : مات جابر سنة ثمان وسبعين . وقال علي بن المديني : مات جابر بعد أن عمّر فأوصى أن لا يصلي عليه الحجاج . قلت : وهذا موافق لقول الهيثم بن عدي إنه مات سنة أربع وسبعين . وفي الطبراني وتاريخ البخاري ما يشهد له وهو أن الحجاج شهد جنازته . ويقال مات سنة ثلاث ويقال سنة سبع ويقال إنه عاش أربعاً وتسعين سنة .

وقال :

عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام الأنصاري الخزرجي السلمي والد جابر ابن عبد الله الصحابي المشهور .. معدود في أهل العقبة وبدر ، وكان من النقباء ، واستشهد

بأحد ، ثبت ذكره في الصحيحين من حديث ولده . قال : أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دين كان على أبي فدفعت عليه الباب . الحديث بطوله . ومن حديثه أيضاً قال : لما قتل أبي يوم أحد جعلت أكشف الثوب عن وجهه . الحديث ، وفيه : مازالت الملائكة تظله بأجنحتها . وروى الترمذي من حديث جابر : لقيني النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال « يا جابر مالي أراك منكسراً؟ » فقلت : يا رسول الله قتل أبي وترك ديناً وعيلاً . فقال : « ألا أخبرك ، ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب ، وكلم أباك كفاحاً ، قال : يا عبدي سلمي أعطك » . الحديث . وقال جابر : حولت أبي بعد ستة أشهر فما أنكرت منه شيئاً إلا شعرات من لحيته كانت مستها الأرض . وروى مالك في الموطأ عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجحوم وعبد الله بن عمرو بن حرام كانا قد حفر السيل عن قبرها وكانا في قبر واحد مما يلي السيل فحفر عنها فوجدوا لم يتغيرا كأنها ماتا بالأمس وكان أحدهما وضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فأميظت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين الوقعتين ست وأربعون سنة . وروى أبو يعلى وابن السكن من طريق حبيب بن الشهيد عن عمرو بن دينار عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « جرى الله الأنصار عنا خيراً لاسيما عبد الله بن عمرو بن حرام وسعد بن عباد » . وأخرجه النسائي من هذا الوجه لكن لفظه لاسيما آل عمرو بن حرام . اهـ .

وقال الذهبي عن عبد الله بن حرام :

الأنصاري السلمي ، أبو جابر أحد النقباء ليلة العقبة ، شهد بدرأ واستشهد يوم أحد . اهـ .

٢٠٣٥ - * روى مسلم عن جابر : لما قُتلَ أبي يوم أحد ، جعلت أكشف عن وجهه ، وأبكي ، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ، ينهوني وهو لا ينهاني . وجعلت فاطمة بنت عمرو تبكيه ، فقال النبي ﷺ : « تبكية أو لا تبكيه ، مازالت الملائكة تظللُه بأجنحتها حتى رفعتموه » .

٢٠٣٥ - مسلم (٤ / ١٩١٨) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٦ - باب من فضائل عبد الله عمرو بن حرام والد جابر رضي الله عنهما .

٢٠٣٦ - * روى أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي عن جابر قال : لَمَّا كَانَ يَوْمُ أَحَدٍ جَاءَتْ عَمَّتِي بِأَبِي لِتَدْفِنَهُ فِي مَقَابِرِنَا فَنَادَى مُنَادِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَدُّوا الْقَتْلَى إِلَى مَضَاجِعِهِمْ .

قال الذهبي في السير : قال مالك : كَفَّنَ هُوَ وَعَمْرُو بْنُ الْجَوْحِ فِي كَفْنٍ وَاحِدٍ .

وعن جابر أن رسول الله ، ﷺ ، لما خرج لدفن شهداء أحد ، قال : « زَمَلُوهُمْ بِجِرَاحِهِمْ ، فَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْهِمْ » وَكَفَّنَ أَبِي فِي نَمِرَةٍ .

قال ابن سعد : قالوا : وكان عبد الله أول من قُتل يوم أحد ، وكان أحرَّ أصلع ليس بالطويل ، وكان عمرو بن الجوح طويلاً ، فدفننا معاً عند السيل ، فحفر السيل عنهما ، وعليهما غرة ، وقد أصاب عبد الله جرحٌ في وجهه فيده على جرحه ، فأميظتُ يده ، فانبعث الدم ، فَرَدَّتْ ، فسكن الدم .

قال جابر : فرأيت أبي في حفرته ، كأنه نائم ، وماتغير من حاله شيء ، وبين ذلك ست وأربعون سنة ، فحوَّلَا إلى مكان آخر ، وأخرجوا رطاباً يتشنون .

عن جابر قال : صُرخ بنا إلى قتلانا ، حين أجرى معاوية العين ، فأخرجناهم لِيَنَّةِ أَجْسَادِهِمْ ، تَتَشَنَّى أَطْرَافُهُمْ .

عن عطاء ، عن جابر قال : دُفن رجلٌ مع أبي ، فلم تطب نفسي ، حتى أخرجته ، ودفنته وحده . ا.هـ

٢٠٣٧ - * روى البخاري عن جابر قال : لَمَّا خَضَرَ أَحَدٌ دَعَانِي أَبِي مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ :

٢٠٣٦ - أحمد في مسنده (٢٠٨ / ٣) .

وأبو داود (٢٠٢ / ٣) كتاب الجنائز ، باب في الميت يحمل من أرض إلى أرض وكراهة ذلك .

والترمذي (٢١٥ / ٤) ٢٤ - كتاب الجهاد - ٣٧ - باب ما جاء في دفن القتيل في مقتله .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

والنسائي (٧٩ / ٤) كتاب الجنائز ٨٣ - باب أين يدفن الشهيد .

وابن ماجة (١٨٦ / ١) ٦ - كتاب الجنائز - ٢٨ - باب ما جاء في الصلاة على الشهداء ودفنهم .

وسنده قوى .

٢٠٣٧ - البخاري (٢١٤ / ٢) ٢٣ - كتاب الجنائز - ٧٧ - باب هل يخرج الميت من القبر واللدن لبعلة . =

ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ ، وإنني لا أترك بعدي أغز علي منك ، غير نفس رسول الله ﷺ . وإن علي ديناً ، فاقض ، واستوص بأخواتك خيراً . فأصبحتنا ، فكان أول قتيل ، ودفن معه آخر في قبر ، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع الآخر ، فاستخرجته بعد ستة أشهر ، فإذا هو كيوم وضعته هنيئة ، غير أذنه .

٢٠٣٨ - * روى البخاري عن جابر رضي الله عنه أن أباه توفى وعليه دين ، فأتيت النبي ﷺ فقلت : إن أبي ترك عليه ديناً ، وليس عندي إلا ما يخرج نخله ، ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه ، فانطلق معي لكي لا يفحش علي الغرماء ، فشى حول يئدي من يادير التبر فذعا ، ثم آخر ، ثم جلس عليه فقال : « انزعوه » . فأوفاهم الذي لهم ، وبقي مثل ما أعطاهم .

٢٠٣٩ - * روى الترمذي والحاكم عن جابر بن عبد الله يقول : لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال لي : « يا جابر مالي أراك منكسراً ؟ » قلت : يا رسول الله استشهد أبي قتل يوم أحد ، وترك عيلاً وذنباً . قال : « أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟ » قال : قلت : بلى يا رسول الله . قال : « ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب ، وأحياناً أباك فكلمته كفاحاً . فقال : يا عبدي ممن علي أعطيك . قال : يارب تحييني فأقتل فيك ثانية . قال الرب عز وجل : إنه قد سبق مني » أنهم إليها لا يرجعون » . قال : وأنزلت هذه الآية : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً ﴾ (١) الآية .

٢٠٤٠ - * روى أحمد عن جابر أنه سمع رسول الله ﷺ ، يقول إذا ذكر أصحاب

= هنية : أي شيئاً يسيراً ، وهو تصغير « هنة » أي شيء ، فصغره لكونه أثراً يسيراً .

٢٠٣٨ - البخاري (٦ / ٥٨٧) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٥ - باب علامات النبوة في الإسلام .

٢٠٣٩ - الترمذي (٥ / ٢٣٠) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٤ - باب « ومن سورة آل عمران » .

وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

والمستدرک (٣ / ٢٠٣) . وصححه ووافقه الذهبي .

كفاحاً : أي مواجهة ليس بينهما حجاب .

(١) آل عمران : ١٦٩ .

٢٠٤٠ - أحمد في مسنده (٣ / ٢٧٥) وإسناده قوي .

أَحَدٍ : « والله لوددت أني غودرت مع أصحاب فحص الجبل » .

يقول : قَتَلْتُ معهم ﷺ .

وقال الذهبي عن جابر عن عبد الله :

الإمام الكبير ، المجتهد الحافظ ، صاحب رسول الله ﷺ ، أبو عبيد الله ، وأبو عبد الرحمن ، الأنصاري الخزرجي السلمي المدني الفقيه . من أهل بيعة الرضوان ، وكان آخر من شهد ليلة العقبة الثانية موتاً .

روى علماً كثيراً عن النبي ﷺ ، وعن عمر ، وعلي ، وأبي بكر ، وأبي عبيدة ، ومعاذ بن جبل ، والزبير ، وطائفة .

وكان مفتي المدينة في زمانه . عاش بعد ابن عمر أعواماً وتفرّد . شهد ليلة العقبة مع والده . وكان والده من النقباء البدرين ، استشهد يوم أُحُد وأحياء الله تعالى ، وكلّمه كفاحاً .

وقد انكشف عنه قبره إذ أجرى معاوية عيناً عند قبور شهداء أُحُد ، فبادر جابر إلى أبيه بعد دهر ، فوجده طرياً لم يَبُل . وكان جابر قد أطاع أباه يوم أُحُد وقَعَدَ لأجل أخواته ، ثم شهد الخندق وبيعة الشجرة . وشاخ وذهب بصره ، وقارب التسعين . هـ .

٢٠٤١ - * روى الترمذي عَنْ جَابِرٍ قَالَ : اسْتَغْفَرَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْبَعِيرِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً .

قال الترمذي : وَمَعْنَى قَوْلِهِ لَيْلَةَ الْبَعِيرِ : مَا رَوَيْ عَنْ جَابِرٍ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ أَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَبَاعَ بَعِيرَهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَشْتَرَطَ ظَهْرَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، يَقُولُ جَابِرٌ لَيْلَةَ بَعْتُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَعِيرَ اسْتَغْفَرَ لِي خَمْسًا

= فحص الجبل : سفحه وما انبسط منه .

٢٠٤١ - الترمذي (٥ / ٦٩١) ٥٠ - كتاب المناقب - ٥٣ - باب في مناقب جابر بن عبد الله .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

وَعِشْرِينَ مَرَّةً ، وَكَانَ جَابِرٌ قَدْ قُتِلَ أَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ بَنَاتٍ ، فَكَانَ جَابِرٌ يَمُولُهُنَّ وَيُنْفِقُ عَلَيْهِنَّ ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْرُ جَابِرًا وَيَرْحَمُهُ لِسَبَبِ ذَلِكَ . هَكَذَا رَوَى فِي حَدِيثٍ عَنْ جَابِرٍ نَحْوُ هَذَا .

وذكر الذهبي في السير ، عن جابر قال : كُنْتُ أُمْتَحُ [الماء] لأصحابي يوم بدر^(١) .

قال الذهبي : قال ابنُ عَينَةَ : لقي عطاءً وعمرو جابرَ بنَ عبد الله سنة جاور بكة .

وقيل : إنه عاش أربعاً وتسعين سنة ، فعلى هذا ، كان عمره يوم بدر ثمانين سنة .

روي ابنُ عَجَلان ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِقْسَمٍ ، قال : رَحَلَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي آخِرِ عُمُرِهِ إِلَى مَكَّةَ فِي أَحَادِيثَ سَمِعَهَا ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

وَيُرَوَّى أَنَّ جَابِرًا رَحَلَ فِي حَدِيثِ الْقِصَاصِ إِلَى مِصْرَ لِيَسْمَعَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ .

أ. هـ .

قال الشيخ شعيب محقق السير :

الصواب : إلى الشام ، فقد أخرج الإمام أحمد ، والبخاري في (الأدب المفرد) ، والخطيب البغدادي في « الرحلة » من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : بلغني عن رجل حديث سمعه من رسول الله ﷺ ، فاشتريتُ بهيراً ، ثم شددتُ عليه رحلي ، فسرتُ إليه شهراً ، حتى قدمت عليه الشام ، فإذا عبد الله بن أنيس ، فقلتُ للبواب : قل له : جابر على الباب . فقال : ابن عبد الله ؟ قلت : نعم . فخرج يظاً ثوبه ، فاعتنقني واعتنقته ، فقلت : حديثاً بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصص ، فخشيتُ أن تموتَ أو أموتَ قبل أن أسمع . قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ الْعِبَادُ - غُرَّةً غُرَّةً بِهَامٍ » . قال : قلنا : وما بهما ؟ قال : ليس معهم شيء ، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد - أحسبه قال - كما يسمعه من قرب : أنا الملك ، أنا الديان ، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار ، وله عند

(١) صحح إسناده الحافظ في الإصابة .

أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه حتى اللطمة » . قال : قلنا : كيف وإنما نأتي الله عز وجل عراة غرلاً بهما ؟ قال : « بالحسنات والسيئات » . وحسنه الحافظ في « الفتح » ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي .

٢٠٤٢ - * روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية : « أنتم خير أهل الأرض » . وكنا ألفاً وأربعمائة . ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة . تابعة الأعمش : سمع سالماً سمع جابراً ألفاً وأربعمائة .

قال الذهبي : وروي عن جابر ، قال : كنت في جيش خالد في حصار دمشق .

قال ابن سعد : شهد جابر العقبة مع السبعين ، وكان أصغرهم .
قال جابر : عادني رسول الله ﷺ ، وأنا لأعقل ، فتوضأ وصب علي من وضوئه فعتقت .

وقال زيد بن أسلم : كف بصر جابر .

قال الواقدي ويحيى بن بكير وطائفة : مات سنة ثمان وسبعين .

وقال أبو نعيم : سنة سبع وسبعين .

قيل : إنه عاش أربعاً وتسعين سنة : وأضر بأخرة .

مسنده بلغ ألفاً وخمس مئة وأربعين حديثاً ، اتفق له الشيخان على ثمانية وخمسين حديثاً ، وانفرد له البخاري بستة وعشرين حديثاً ، ومسلم بمئة وستة وعشرين حديثاً .

عن أبي نضرة قال : كان جابر بن عبد الله عريفاً ، عرفه عمر .

عن أبي بكر المديني قال : كان جابر لا يبلغ إزاره كعبه ، وعليه عمامة بيضاء ، رأيته قد أرسلها من ورائه .

وقال عاصم بن عمر : أتانا جابر وعليه ثلثتان - وقد غمي - مصفراً لحيته ورأسه بالورس ، وفي يده قدح . ا.هـ .

٢٠٤٣ - * روى البزار عن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، قال : أمر أبي بحريرة ، فَصَنَعَتْ ، ثم أمرني فحملتها إلى رسول الله ﷺ ، فقال لي : « ما هذا يا جابر ؟ ألحم ذا ؟ » قلت : لا يا رسول الله ! ولكن أبي أمر بحريرة فصنعتها ، ثم أمرني فحملتها إليك ، فقال : « ضَعُهَا » . فَأَتَيْتُ أَبِي ، فقال لي : ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : قال لي : ما هذا يا جابر ! ألحم ؟ قال أبي : أرى رسول الله ﷺ - أو أحسب - يشتهي اللحم ، فقام إلى داجني ، فذَبَحَهَا ، ثم أمر بها ، فشَوَّيْتُ ، ثم أمرني ، فَأَتَيْتُ بِهَا ، فقال رسول الله ﷺ : « جَزَاكُمُ اللَّهُ مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ خَيْرًا ، وَلَا سَيِّئًا آلَ عَمْرٍو بن حزام ، وسعد بن عُبَادَةَ » .

٢٠٤٤ - * روى الطبراني عن أبي نعيم قال : مات جابر بن عبد الله سنة تسع وسبعين .

٢٠٤٣ - كشف الأستار (٣ / ٢٦٠) . وقال الهيثبي في مجمع الزوائد (٩ / ٣١٧) : رواه البزار ورجاله ثقات .

٢٠٤٤ - المعجم الكبير (٢ / ١٨١) . وقال الهيثبي في المجمع (١٠ / ١٠) : رجاله ثقات .

٢٦ - البراء بن مالك رضي الله عنه

قال ابن حجر :

البراء بن مالك بن النضر الأنصاري أخو أنس . تقدم نسبه في ترجمة أنس ، وهو أخو أنس لأبيه . قاله أبو حاتم . وقال ابن سعد : أخوه لأبيه وأمه أمها أم سليم انتهى . وفيه نظر لأنه سيأتي في ترجمة شريك بن سحاء أنه أخو البراء بن مالك لأمه ، أمها سمحاء ، وأما أم أنس فهي أم سليم بلا خلاف . وتقدم في ترجمة أنجشة أن البراء كان حادي النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وفي المستدرک من طريق ابن إسحاق عن عبد (عبيد) الله بن أنس سمعت أنس بن مالك يقول : كان البراء بن مالك حسن الصوت وكان يرجز لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض أسفاره فقال له : « إياك والقوارير » . فأمسك . وروى السراج من طريق حماد عن ثابت عن أنس قال : كان البراء حادي الرجال . وقد تقدم بآتم منه في أنجشة . وشهد البراء مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المشاهد إلا بداراً ، وله يوم اليمامة أخبار ، واستشهد يوم حصن تستر في خلافة عمر سنة عشرين وقيل قبلها وقيل سنة ثلاث وعشرين . ذكر سيف أن الهرمزان هو الذي قتله ، وروى عنه أخوه أنس ، وروى البغوي بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين عن أنس قال : دخلت على البراء بن مالك وهو يتغنى فقلت له : قد أبدلك الله ما هو خير منه . فقال : أترهب أن أموت على فراشي لا والله ما كان الله ليحرمي ذلك وقد قتلت مائة منفرداً سوى من شاركت فيه . وقال بقي بن مخلد في مسنده عن أبي إسحاق قال : زحف المسلمون إلى المشركين يوم اليمامة حتى ألبسواهم إلى حديقة فيها عدو الله مسيماً ، فقال البراء بن مالك يامعشر المسلمين ألقوني إليهم فاحتمل حتى إذا أشرف على الجدار اقتحم فقاتلهم على الحديقة حتى فتحها على المسلمين ودخل عليهم المسلمون فقتل الله مسيماً .

عن أنس قال : رمى البراء بنفسه عليهم فقاتلهم حتى فتح الباب وبه بضع وثمانون جراحة من بين رمية بسهم وضربة فحمل إلى رحله يداوى وأقام عليه خالد شهراً . وفي تاريخ السراج من طريق يونس عن الحسن وعن ابن سيرين عن أنس أن خالد بن الوليد قال للبراء يوم اليمامة : قم يا براء . قال : فركب فرسه فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

يا أهل المدينة لامدينة لكم اليوم وإنما هو الله وحده والجنة . ثم حمل وحمل الناس معه فانهزم أهل اليمامة ، فلقي البراء مُحَكَّم اليمامة فضربه البراء وصرعه ، فأخذ سيف مُحَكَّم اليمامة فضرب به حتى انقطع . وروى البغوي عن البراء قال : لقيت يوم مسيلمة رجلاً يقال له حمار اليمامة رجلاً جسيماً بيده السيف أبيض فضربت رجله فكأنما أخطأته واتقعر فوق على قفاه فأخذت سيفه وأغمدت سيفي ، فما ضربت به ضربة حتى انقطع . وفي الطبراني من طريق إسحاق عن عبد الله بن أبي طلحة قال : بينا أنس بن مالك وأخوه عند حصن من حصون العدو يعني بالحريق (بالعراق) فكانوا يلقون كلابيب في سلاسل عمدة فتعلق بالإنسان فيرفعونه إليهم ، ففعلوا ذلك بأنس فأقبل البراء حتى تراءى في الجدار ثم قبض بيده على السلسلة فما برح حتى قطع الحبل ثم نظر إلى يده فإذا عظامها تلوح قد ذهب ما عليها من اللحم وأنجى الله أنس بن مالك بذلك . وروى الترمذي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « رب أشعث أغبر لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك » . فلما كان يوم تُسْتَر من بلاد فارس انكشف الناس ، فقال المسلمون : يا براء أقسم على ربك . فقال : أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك . فحمل وحمل الناس معه فقتل مرزيان الزاره من عطاء الفرس وأخذ سلبه فانهزم الفرس وقتل البراء . وفي المستدرك من طريق سلامة عن عقيل عن الزهري عن أنس نحوه . ا.هـ .

وقال الذهبي : البراء بن مالك بن النضر بن ضَمَم بن زيد بن حرام بن جُنْدَب بن عامر ابن غَنَم بن عدي بن النجَّار ، الأنصاري النجاري المدني .

البطل الكرار صاحب رسول الله ﷺ وأخو خادم النبي ﷺ ، أنس بن مالك ، شهد أحداً ، وباع تحت الشجرة .

قيل : كتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الجيش : لاتستعملوا البراء على جيش ، فإنه مهلكة من المهالك يقدّم بهم .

وبلغنا أن البراء يوم حرب مسيلمة الكذاب أمر أصحابه أن يحتلوه على ترس ، على أسنة رماحهم ، ويلقوه في الحديقة . فاقتحم إليهم ، وشد عليهم ، وقاتل حتى افتتح باباً

الحديقة . فجرح يومئذ بضعة وثمانين جرحاً ، ولذلك أقام خالد بن الوليد عليه شهراً يُداوي جراحه .

وقد اشتهر أن البراء قتل في حروبه مئة نفس من الشجعان مبارزة ا.هـ .

٢٠٤٥ - * روى الحاكم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « كم من ضعيف متضعف ذي طميرين لو أقسم على الله لأبرقسه منهم البراء بن مالك » . فإن البراء لقي زحفاً من المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين فقالوا : يا براء إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إنك لو أقسمت على الله لأبرك فأقسم على ربك . فقال : أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم . ثم التقوا على قنطرة السوس فأوجعوا في المسلمين فقالوا له : يا براء أقسم على ربك . فقال : أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك صلى الله عليه وآله وسلم فنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً .

٢٠٤٦ - * روى الترمذي ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « كم من أشعث أغبر ذي طميرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره . منهم البراء بن مالك » .

٢٠٤٧ - * روى الحاكم عن أنس بن مالك أنه دخل على أخيه البراء وهو مستلق واضعاً إحدى رجليه على الأخرى يتغنى فنهاه ، فقال : أترهب أن أموت على فراشي وقد تفردت بقتل مائة من الكفار سوى من شركني فيه الناس .

وفي رواية : يا أخي تتغنى بالشعر وقد أبدلك الله به القرآن ؟

٢٠٤٥ - المستدرك (٣ / ٢٩١) وصححه ووافقه الذهبي .

الطمر : الثوب الخلق . لأبره : لصدقه وجعله باراً غير حائث .

٢٠٤٦ - الترمذي (٥ / ٦٩٣) ٥٠ - كتاب المناقب - ٥٥ - باب مناقب البراء بن مالك .

وقال : هذا حديث صحيح من هذا الوجه .

الأشعث : البعيد العهد بالدهن والتسريح والغسل .

لا يؤبه له : لا يعرف ولا يعلم به لقلة شأنه .

٢٠٤٧ - المستدرك (٣ / ٢٩١) وصححه ووافقه الذهبي ، وذكره الحافظ في الإصابة عن البغوي وقال : إسناده صحيح .

ورواه أبو نعيم في الحلية .

٢٠٤٨ - * روى ابن سعد عن أنس قال : دخلتُ على البراء وهو يتغنى ، ويُرنم قوسه ، فقلتُ : إلى متى هذا ؟ قال : أتراني أموتُ على فراشي ؟ والله لقد قتلْتُ بضْعاً وتسعين .
قال الذهبي : ابن عون : عن محمد قال : بارز البراء مرزبان الزَّارة فطعنه ، فصرعه ، وأخذ سَلْبَه .

الزارة : لفظ المرة من الزَّار . وعين الزارة بالبحرين معروفة . والزارة قرية كبيرة بها .
ومنها مرزبان الزارة وله ذكر في الفتوح . وقد فتحت الزارة سنة (١٢) للهجرة في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وصلحوا .

استشهد يوم فتح تستر سنة عشرين ا.هـ .

٢٠٤٩ - * روى الحاكم عن أنس بن مالك قال : كان البراء بن مالك رجلاً حسن الصوت فكان يرجز لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض أسفاره فبينما هو يرجز إذ قارب النساء فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إياك والقوارير » . قال فأمسك :
قال محمد : كره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تسمع النساء صوته .

٢٠٥٠ - * روى الطبراني عن ابن سيرين قال : بارز البراء بن مالك أخو أنس بن مالك مرزبان الزار فقتله فأخذ سلبه فبلغ سلبه ثلاثين ألفاً .

٢٠٤٨ - الطبقات الكبرى لابن سعد (١٧ / ٧) وإسناده صحيح .

٢٠٤٩ - المستدرک (٢ / ٢٩١) . وصححه ووافقه الذهبي .

٢٠٥٠ - المعجم الكبير (٢ / ٢٢) .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥ / ٢٣١) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

٢٧ - أنس بن مالك رضي الله عنه

قال ابن حجر :

أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي . خادم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأحد المكثرين من الرواية عنه .

عن أبي خلدة قلت لأبي العالية : أسمع أنس من النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : خدمه عشر سنين ودعا له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين ، وكان فيه ريحان ويحيى منه ريح المسك . وكانت إقامته بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة ثم شهد الفتوح ثم قطن البصرة ومات بها . قال علي بن المديني : كان آخر الصحابة موتاً بالبصرة ، وقال البخاري : حدثنا موسى حدثنا إسحاق بن عثمان : سألت موسى بن أنس : كم غزا أنس مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : ثمان غزوات . وروى ابن السكن من طريق صفوان بن هبيرة عن أبيه قال : قال ثابت البناني : قال لي أنس بن مالك : هذه شعرة من شعر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضعها تحت لساني ، قال : فوضعها تحت لسانه فدفن وهي تحت لسانه .

قال جرير بن حازم . قلت لشعيب بن الحبحاب : متى مات أنس ؟ قال : سنة تسعين . أخرجه ابن شاهين . وقال سعيد بن عفير والهيثم بن عدي ومعتز بن سليمان مات سنة إحدى وتسعين . وقال ابن شاهين : حدثنا عثمان بن أحمد حدثنا حنبل حدثنا معتز ابن سليمان عن حميد مثله وزاد : وكان عمره مائة سنة إلا سنة . قال ابن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن زيد الهذلي أنه حضر أنس بن مالك سنة ثنتين وتسعين . وقال أبو نعيم الكوفي : مات سنة ثلاث وتسعين وفيها أرخه المدائني وخليفة وزاد : وله مائة وثلاث سنين . وحكى ابن شاهين عن يحيى بن بكير أنه مات وله مائة سنة وسنة ، قال وقيل مائة وسبع سنين . ورواه البغوي عن عمر بن شبة عن محمد بن عبد الله الأنصاري كذلك . قال الطبراني عن أنس قال : قالت أم سليم : يا رسول الله ادع الله لأنس فقال : « اللهم أكثر ماله

وولده وبارك له فيه . قال أنس لقد دفنت من صليبي سوى ولد ولدي مائة وخمسة وعشرين وإن أرضي لتثمر في السنة مرتين . عن أنس جاءت بي أم سليم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنا غلام ، فقالت : يا رسول الله أنس ادع الله له . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة » . قال قد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة .

وروى الطبراني في الأوسط من طريق عبيد بن عمرو الأصبحي عن أبي هريرة أخبرني أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يشير في الصلاة وقال . لا تعلم روى أبو هريرة عن أنس غير هذا الحديث . وقال محمد بن عبد الله الأنصاري : حدثنا ابن عون عن موسى بن أنس أن أبا بكر لما استخلف بعث إلى أنس ليوجهه إلى البحرين على السعاية فدخل عليه عمر فاستشاره فقال : أبعثه فإنه لبيب كاتب . قال : فبعثه . ومناقب أنس وفوائده كثيرة جداً . ١. هـ .

قال الذهبي في ترجمته :

الإمام ، المفتي ، المقرئ ، المحدث ، راوية الإسلام ، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي النجاري المدني ، خادم رسول الله ﷺ ، وقربته من النساء ، وتلميذه ، وتبعه ، وآخر أصحابه موتاً . ١. هـ .

٢٠٥١ - * روى مسلم عن أنس قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر ، ومات وأنا ابن عشرين ، وكُنْ أُمَّهَاتِي يَحْتَشُنِّي عَلَى خِدْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فدخل علينا دارنا ، فَحَلَبْنَا لَهُ مِنْ شَاةٍ دَاجِنٍ ، وشيب له من بئر في الدار ، فشرب رسول الله ﷺ ، فقال له عمر - وأبو بكر على شماله : يا رسول الله أعط أبا بكر ، فأعطاه أعرابياً عن يمينه ، وقال رسول الله ﷺ : « الأيمن فالأيمن » .

قال الذهبي : فصحب أنس نبيّه صلى الله عليه وسلم أتمّ الصحبة ، ولازمه أكمل الملازمة منذ هاجر ، وإلى أن مات ، وغزا معه غير مرة ، وباع تحت الشجرة .

وقد روى محمد بن سعد في (طبقاته): حدثنا الأنصاري، عن أبيه، عن مولى لأنس، أنه قال لأنس: أشهدت بدرًا؟ فقال: لأُمّ لك، وأين أغيب عن بدر. ثم قال الأنصاري: خرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر، وهو غلام يخدمه.

وقد رواه عمر بن شبة، عن الأنصاري^(١)، عن أبيه، عن ثمامة، قال: قيل لأنس:.... فذكر نحوه.

قلت: لم يعمده أصحاب المغازي في البدرين لكونه حضرها صبيًا ما قاتل، بل بقي في رحال الجيش. فهذا وجه الجمع. ا.هـ.

٢٠٥٢ - * روى مسلم عن أنس قال: جاءت بي أمي، أم أنس إلى رسول الله ﷺ، وقد أزرّني بنصف خمارها ورّدّني بنصفه. فقالت: يا رسول الله! هذا أنيس، ابني، أتيتك به يخدمك. فادع الله له. فقال: «اللهم أكثر ماله وولده».

قال أنس: فوالله! إن مالي لكثير، وإن ولدي وولدت ولدي ليتعادون على نحو المائة، اليوم.

٢٠٥٣ - * روى البخاري ومسلم، عن أنس، أن أم سَلِيم قالت: يا رسول الله! خادمك أنس، ادع الله له. فقال: «اللهم أكثر ماله، وولده، وبارك له فيما أعطيته».

٢٠٥٤ - * روى ابن سعد عن أنس، قال: دعا لي رسول الله ﷺ، فقال: «اللهم أكثر ماله وولده، وأطّل حياته». فوالله أكثر مالي حتى إن كرمًا لي لتحمل في السنة مرتين، وولدت لصلبي مئة وستة.

(١) قال محقق السير: محمد بن عبد الله بن المشني الأنصاري ثقة، وأبوه عبد الله صدوق، خرج له البخاري إلا أنه كثير

الغلط، ومولى أنس لا يعرف، لكن تابعه ثمامة في رواية عمر بن شبة، وهو صدوق.

٢٠٥٢ - مسلم (٤ / ١٩٢٩) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٢ - باب من فضائل أنس بن مالك.

٢٠٥٣ - البخاري (١١ / ١٤٤) ٨٠ - كتاب الدعوات - ٢٦ - باب دعوة النبي ﷺ لخدمته بطول العمر وبكثرة ماله.

ومسلم (٤ / ١٩٢٨) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٢ - باب من فضائل أنس بن مالك.

٢٠٥٤ - الطبقات الكبرى (٧ / ١٩) وسنده حسن.

٢٠٥٥ - * روى عن أنس رضي الله عنه قال : دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أُمِّ سَلِيمٍ ، فَأَتَتْهُ بِتَمْرِ وَتَمِينٍ ، قَالَ : « أَعِيدُوا سَمَنَكُمْ فِي سِقَائِهِ وَتَمَرَكُمْ فِي وَعَائِهِ فَإِنِّي صَائِمٌ » . ثُمَّ قَامَ إِلَى نَاحِيَةِ مَنِ الْبَيْتِ فَصَلَّى غَيْرَ الْمَكْتُوبَةِ ، فَدَعَا لَأُمِّ سَلِيمٍ وَأَهْلِ بَيْتِهَا . فَقَالَتْ أُمُّ سَلِيمٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي خُويصَّةً ، قَالَ : « مَا هِيَ ؟ » قَالَتْ : خَادِمَتُ أَنْسٍ . فَا تَرَكَ خَيْرَ آخِرَةٍ وَلَا دُنْيَا إِلَّا دَعَا لِي بِهِ : « اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالاً وَوَلَدًا ، وَبَارِكْ لَهُ » . فَإِنِّي لِمَنْ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ مَالًا . وَحَدَّثَنِي ابْنَتِي أُمَيْنَةُ أَنَّهُ دُفِنَ لِصُلْبِي مَقْدَمَ الْحَجَّاجِ الْبَصْرَةِ بَضْعٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةً .

٢٠٥٦ - * روى الترمذي عن أبي خلدة قال : قُلْتُ لِأَبِي الْعَالِيَةِ : سَمِعَ أَنَسٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ؟ قَالَ : خَدَمَهُ عَشْرَ سَنِينَ ، وَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَكَانَ لَهُ بَسْتَانٌ يَحْمِلُ فِي السَّنَةِ الْفَاكِهِةَ مَرَّتَيْنِ ، وَكَانَ فِيهَا رِيحَانٌ يَجِيءُ مِنْهَا رِيحُ الْمِسْكِ .

٢٠٥٧ - * روى ابن سعد عن أبي هريرة قال : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَبَّهَ بِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ ابْنِ أُمِّ سَلِيمٍ . يَعْنِي أَنْسًا .

قال الذهبي : عن موسى بن أنس : أَنَّ أَنْسًا غَزَا غَزَوَاتٍ .

وقال أنس بن سيرين : كَانَ أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ أَحْسَنَ النَّاسِ صَلَاةً فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ .

وروى الأنصاري عن أبيه ، عن ثُمَامَةَ ، قَالَ : كَانَ أَنْسٌ يُصَلِّي حَتَّى تَفْطُرَ قَدَمَاهُ دَمًا ، مِمَّا يُطِيلُ الْقِيَامَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

ثَابِتُ الْبُنَانِيِّ قَالَ : جَاءَ قَيْمٌ أَرْضِ أَنْسٍ ، فَقَالَ : عَطَشْتُ أَرْضُوكَ . فَتَرَدَّى أَنْسٌ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْبَرِيَّةِ ، ثُمَّ صَلَّى ، وَدَعَا ، فَثَارَتْ سَحَابَةٌ ، وَغَشِيَتْ أَرْضَهُ وَمَطَرَتْ ، حَتَّى مَلَأَتْ صَهْرِيحَهُ وَذَلِكَ فِي الصَّيْفِ ، فَأَرْسَلَ بَعْضَ أَهْلِهِ ، فَقَالَ : انْظُرْ أَيْنَ بَلَغَتْ ؟ فَإِذَا هِيَ لَمْ تَعُدْ أَرْضَهُ إِلَّا يَسِيرًا .

٢٠٥٥ - البخاري (٢٢٨ / ٤) ٣٠ - كتاب الصوم - ٦١ - باب من زار قومًا فلم يفطر عندهم .

خويصة : تصغير خاصة وهي ما يخص به الإنسان .

٢٠٥٦ - الترمذي (٦٨٢ / ٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٤٦ - باب مناقب لأنس بن مالك .

وقال هذا حديث حسن . وأبو خلدة ثقة ورجاله ثقات .

٢٠٥٧ - الطبقات الكبرى (٢٠ / ٧) . ورجاله ثقات .

روى نحوه الأنصاري ، عن أبيه ، عن ثُمّامة .

قلتُ (أي الذهبي) : هذه كرامة بينة ثبتت بإسنادين .

قال همام بن يحيى : حدثني من صحب أنس بن مالك قال : لمّا أحرم أنس ، لم أقدر أن أُكَلِّمَه حتى حلّ من شدة إبقائه على إحرامه .

ابن عثون : عن موسى بن أنس : أنّ أبا بكر الصديق بعث إلى أنس ليُوجِّهه على البحرين ساعياً ، فدخل عليه عمر ، فقال : إني أردتُ أن أبعث هذا على البحرين وهو في شاب . قال : ابعثه فإنّه لبيبٌ كاتبٌ . فبعثه فلما قبض أبو بكر قدم أنس على عمر ، فقال : هاتِ ما جئتَ به . قال : يا أمير المؤمنين ، البيعةُ أوّلاً ، فبسطَ يده .

عن أنس ، قال : استعملني أبو بكر على الصدقة ، فقدمتُ ، وقد مات ، فقال عمر : يا أنس أجمتُنا بظهير ؟ قلتُ : نعم . قال : جئنا به ، والمالُ لك . قلتُ : هو أكثرُ من ذلك . قال : وإن كان ، فهو لك . وكان أربعة آلاف .

روى ثابتٌ ، عن أنس ، قال : صحبتُ جرير بن عبد الله ، فكان يخدمني ، وقال : إني رأيتُ الأنصار يصنعون برسول الله ﷺ شيئاً ، لا أرى أحداً منهم إلا خدمته .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال لأنس : « ياذا الأذنين » .

وقد كان النبي ﷺ يَخْصُهُ ببعض العلم . فنقل أنس عن النبي ﷺ ، أنه طافَ على تسع نسوة في ضحوةٍ بغسلٍ واحد .

قال خليفة بن خياط : كتب ابنُ الزبير بعد موت يزيد إلى أنس بن مالك ، فصلّى بالناس بالبصرة أربعين يوماً . وقد شهد أنس فتحَ تَستَرٍ فقدم على عمر بصاحبها الهُرَمَزَان فأسلم ، وحسَنَ إسلامه رحمه الله .

قال الأعمش : كتب أنس إلى عبد الملك بن مروان - يعني لما آذاه الحجاجُ - : إني خدمتُ رسول الله ﷺ تسع سنين ، والله لو أنّ النصراني أدركوا رجلاً خدّم نبيّهم ، لأكرموه .

قال سلمة بن وُرْدَان : رأيتُ على أنسٍ عِمَامَةً سوداء قد أَرخاها من خلفه .

وقال أبو طالوت عبدُ السلام : رأيتُ على أنسٍ عمامة .

حماد بن سلمة : عن حميد ، عن أنس : نهى عمر أن نكتبَ في الخواتيم عريبًا . وكان في خاتم أنس ذئب أو ثعلب ^(١) .

وقال ابن سيرين : كان نقش خاتم أنس : أسد رابض ^(٢) .

قال ثُمَامَةُ بن عبد الله : كان كَرَمُ أنس يحملُ في السنة مرتين .

قال المثنى بن سعيد : سمعتُ أنسًا يقولُ : ما مِن ليلةٍ إلا وأنا أرى فيها حبيبي . ثم يبكي ^(٣) .

عن أنس - وقيل له : ألا تُحدثُنَا ؟ - قال : يأتيني إنَّه من يُكثِرُ يَهْجُرُ ^(٤) .

عن أنس ، أنه نَقَشَ في خاتمه : « محمد رسول الله » . فكان إذا دَخَلَ الخلاء ، نزعَه ^(٥) .

قال ابن عَوْن : رأيتُ على أنسٍ مِطْرُفَ خَزٍّ ، وعِمَامَةَ خَزٍّ ، وَجِبَّةَ خَزٍّ ^(٦) .

روى عبدُ الله بن سالم الأشعري ، عن أزهر بن عبد الله ، قال : كنتُ في الخيل الذين يَبْتَئُوا أنسَ بنَ مالك ، وكان فينَ يُولَّبُ على الحَجَّاج ، وكان مع ابن الأشعث ، فأتوا به الحَجَّاج ، فوسَمَ في يده : عتيق الحجاج .

عن أنس : يقولون : لا يجتمع حبُّ عليٍّ وعثمان في قلب . وقد جمع الله حُبَّهُما في قلوبنا .

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٨ / ٧) . ورجاله ثقات .

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٨ / ٧) . ورجاله ثقات .

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٠ / ٧) . ورجاله ثقات .

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٢ / ٧) . ورجاله ثقات .

قال محقق السير : أن بني أنس بن مالك قالوا لأبيهم : يا أبانا ألا تحدثنا كما تحدث الغرباء ؟

وقوله يهجر : ومن هجر في كلامه : إذا خلط فيه وإذا هذى .

(٥) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٢ / ٧) .

(٦) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٣ / ٧) .

الخز : نوع من الثياب ينسج من صوف ونحوه .

قال أبو اليقظان : مات لأنس في طاعون الجارف ثمانون ابناً وقيل : سبعون .
عن أيوب قال : ضعف أنس عن الصوم ، فصنع جَفَنَةً مِنْ ثَرِيد ، ودعا ثلاثين مسكيناً ، فأطعمهم ^(١) .

قلت [أي الذهبي] : ثبت مولد أنس قبل عام الهجرة بعشر سنين .
وأما موته فاختلفوا فيه ، فروى مَعْمَر ، عن حَمِيد ؛ أنه مات سنة إحدى وتسعين ، وكذا أرّخه قتادة ، والهيثم بن عدي ، وسعيد بن عفّير ، وأبو عبّيد .
وروى معن بن عيسى ، عن ابن لأنس بن مالك : سنة اثنتين وتسعين . وتابعه الواقدي .

وقال عدّة - وهو الأصح - : مات سنة ثلاث وتسعين . قاله ابن عُلَيَّة وسعيد بن عامر ، والمدائني ، وأبو نعيم ، وخليفة ، والفلاس ، وقَعْنَب . فيكون عمره على هذا مئة وثلاث سنين .

قال الأنصاري : اختلف علينا في سن أنس ؛ فقال بعضهم : بلغ مئة وثلاث سنين . وقال بعضهم : بلغ مئة وسبع سنين .

مسند ألفان ومئتان وستة وثمانون ، اتفق له البخاري ومسلم على مئة وثمانين حديثاً ، وانفرد البخاري بثمانين حديثاً ، ومسلم بتسعين . اهـ الذهبي .

(١) قال محقق السير : وكان طاعون الجارف بالبصرة سنة ٦٩ هـ ، قال المدائني : حدثني من أدرك ذلك ، قال : كان ثلاثة أيام ، فأت فيها نحو مئتي ألف نفس ، وقال غيره : مات في طاعون الجارف لأنس من أولاده وأولادهم سيمون نفساً .

وروى البخاري تعليقاً في (٨ / ١٧٩) - ٦٥ - كتاب التفسير ٢ - سورة البقرة - ٢٥ - باب (أياماً معدودات) فقال : فقد أطعم أنس بن مالك بعدما كبر عاماً أو عامين كل يوم مسكيناً خبزاً ولحماً وأفطر .
وقال الحافظ : وروى عبد بن حميد من طريق النصر بن أنس ، عن أنس أنه أفطر في رمضان وكان قد كبر ، فأطعم مسكيناً كل يوم ، ورويناه في فوائد محمد بن هشام بن ملاس ، عن مروان ، عن معاوية ، عن حميد ، قال : ضعف أنس عن الصوم عام توفي ، فألت ابنه عمر بن أنس : أطباق الصوم ؟ قال : لا فلما عرف أنه لا يطيق القضاء ، أمر بجفان من خبز ولحم ، فأطعم العدة أو أكثر .

٢٠٥٨ - * روى مسلم والترمذي ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال له : « يَا بُنَيَّ » .

٢٠٥٩ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لم يَبْقَ مِمَّنْ صَلَّى القبلتين غيري .

يعني الصلاة إلى بيت المقدس وإلى الكعبة ، وفي هذا إشارة إلى أن أنسا آخر من مات من صلى القبلتين ، والظاهر أن أنسا قال ذلك وبعض الصحابة ممن تأخر إسلامه موجود ، ثم تأخر أنس إلى أن كان آخر من مات بالبصرة من أصحاب رسول الله ﷺ ، قاله علي بن المديني والبخاري وغيرهما ، بل قال ابن عبد البر : هو آخر الصحابة موتًا مطلقًا ، لم يبق بعده غير أبي الطفيل . كذا قال ، وفيه نظر ، فقد ثبت لجماعة من سكن البوادي من الصحابة تأخرهم عن أنس .

وعن ثابت البناني رحمه الله : أن أنسا قال له : خُذْ عَنِّي فَإِنَّكَ لَنْ تَأْخُذَ عَنْ أَحَدٍ أَوْثَقَ مِنِّي ، أَخَذْتُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ جَبْرِيلَ ، وَأَخَذَهُ جَبْرِيلُ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

٢٠٦٠ - * روى الطبراني عن أنس قال : كانت لي ذؤابة وكان رسول الله ﷺ يدها ويأخذ بها .

٢٠٦١ - * روى الطبراني عن قتادة قال : لما مات أنس بن مالك قال مورك العجلي : ذهب اليوم نصف العلم . فقليل وكيف ذاك يا أبا المغيرة ؟ قال : كان رجل من أهل الأهواء إذا خالفنا في الحديث عن رسول الله ﷺ قلنا له : تعال إلى من سمعه منه .

٢٠٥٨ - مسلم (٣ / ١٦٩٣) ٣٨ - كتاب الأدب - ٦ - باب جواز قوله لغير ابنه : يا بني .

الترمذي (٥ / ١٣١) ٤٤ - كتاب الأدب ٦٢ - باب ما جاء في يا بني

وقال : هذا حديث حسن صحيح ، غريباً من هذا الوجه .

٢٠٥٩ - البخاري (٨ / ١٧٣) ٦٥ - كتاب التفسير - ١٥ - باب ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ - إلى - تعملون ﴿ .

٢٠٦٠ - المعجم الكبير (١ / ٢٤٩) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٢٥) : إسناده جيد .

٢٠٦١ - المعجم الكبير (١ / ٢٥٠) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٢٥) : رجاله رجال الصحيح .

٢٠٦٢ - * روى مسلم عن أنس ، قال : دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا . وَمَا هُوَ إِلَّا أَنَا وَأُمِّي وَأُمُّ حَرَامٍ خَالَتِي . فَقَالَ : « قُومُوا فَلَأُصَلِّيَ بِكُمْ » (فِي غَيْرِ وَقْتِ صَلَاةٍ) فَصَلَّى بِنَا . فَقَالَ رَجُلٌ لِثَابِتٍ : أَيْنَ جَعَلَ أُنْسًا مِنْهُ ؟ قَالَ : جَعَلَهُ عَلَى يَمِينِهِ . ثُمَّ دَعَا لَنَا ، أَهْلَ الْبَيْتِ ، بِكُلِّ خَيْرٍ مِنَ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَقَالَتْ أُمِّي : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! خَوِّدْمُكَ . ادْعُ اللَّهَ لَه . قَالَ : فَدَعَا لِي بِكُلِّ خَيْرٍ . وَكَانَ فِي آخِرِ مَا دَعَا بِهِ أَنْ قَالَ : « اللَّهُمَّ ! أَكْثَرُ مَالِهِ وَوَلَدُهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ » .

* * *

٢٨ - ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه خطيب رسول الله ﷺ وخطيب الأنصار

قال ابن حجر :

ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي .

لم يذكره أصحاب المغازي في البدرين ، وقالوا أول مشاهده أحد وشهد ما بعدها وبشره النبي ﷺ بالجنة في قصة شهيرة رواها موسى بن أنس عن أبيه أخرج أصل الحديث مسلم ا. هـ .

قال الذهبي في ترجمته :

أبو محمد ، وقيل : أبو عبد الرحمن .

خطيب الأنصار . كان من نجباء أصحاب محمد ، ﷺ ، ولم يشهد بدرًا ، شهد أحدًا ، وبيعة الرضوان .

وأمه هند الطائية ، وقيل : بل كبشة بنت واقد بن الإطنابة . وإخوته لأمه عبد الله ابن رواحة ، وعمرة بنت رواحة . وكان زوج جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول ، فولدت له محمدًا .

قال ابن إسحاق : قيل : أخى رسول الله ﷺ ، بينه وبين عمار ، وقيل : بل المؤاخاة بين عمار وحذيفة . وكان جهوري الصوت ، خطيباً ، بليغاً .

٢٠٦٣ - * روى الحاكم عن أنس قال : خطب ثابت بن قيس مقدّم رسول الله ، ﷺ ، المدينة ، فقال : ممنعك مما منع منة أنفسنا وأولادنا ، فما لنا ؟ قال : « الجنة » . قالوا : رَضِينَا .

٢٠٦٤ - * روى الحاكم عن إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس أن ثابت بن قيس قال :
يا رسول الله ! إني أخشى أن أكون قد هلكت ، ينهانا الله أن نحب أن نحمد بما لا نفعل ،
وأجدي أحب الحمد . وينهانا الله عن الخيلاء ، وإني امرؤ أحب الجمال . وينهانا الله أن
نرفع أصواتنا فوق صوتك . وأنا رجل رفيع الصوت ، فقال : « يا ثابت ! أما ترضى أن
تعيش حميداً ، وتقتل شهيداً ، وتدخل الجنة » . اهـ .

٢٠٦٥ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ افتقد ثابت
ابن قيس ، فقال رجل : يا رسول الله أنا أعلم لك علمه . فأتاه ، فوجده جالساً في بيته
منكساً رأسه ، فقال : ما شأنك ؟ قال : شر ، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ ،
فقد حبط عمله ، وهو من أهل النار . فأتى الرجل النبي ﷺ ، فأخبره أنه قال كذا وكذا ،
فقال موسى بن أنس : فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة ، فقال : اذهب إليه ، فقل
له : « إنك لست من أهل النار ، ولكنك من أهل الجنة » .

وفي رواية ^(١) : أنه لما نزلت هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ
صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ ^(٢) جلس ثابت في بيته ، وقال : أنا من أهل النار ، واحتبس عن النبي
ﷺ ، فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ ، فقال : « يا أبا عمرو ، ما شأن ثابت ؟
اشتكى ؟ » فقال سعد : إنه لجاري ، وما علمت له شكوى . قال : فأتاه سعد ، فذكر له
قول النبي ﷺ ، فقال ثابت : أنزلت هذه الآية ، وقد علمت أني من أرفعكم صوتاً على
رسول الله ﷺ ، فأنا من أهل النار . فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ ، فقال : « بل هو من
أهل الجنة » . هذا لفظ رواية حماد عن أنس .

٢٠٦٤ - المستدرک (٣ / ٢٣٤) . وصححه ووافقه الذهبي .

وقال الحافظ في الفتح (٦ / ٦٢١) : وهذا مرسل قوي الإسناد .

٢٠٦٥ - البخاري (٨ / ٥٩٠) ٦٥ - كتاب التفسير - ٤٩ - سورة الحجرات .

حبط عمله : إذا بطل أجره ولم يشب عليه .

(١) مسلم (١ / ١١٠) ١ - كتاب الإيمان - ٥٢ - باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله .

(٢) الحجرات : ٢ .

وفي رواية لمسلم ^(١) كان ثابت بن قيس بن شماس خطيب الأنصار ، فلما نزلت هذه الآية - وذكر قول ثابت - زاد في حديث سليمان التيمي : فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجلاً من أهل الجنة .

٢٠٦٦ - * روى أحمد عن أنس بن مالك قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ إلى قوله ﴿ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ : وكان ثابت بن قيس بن الشماس رفيع الصوت فقال : أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله ﷺ ، حبط عملي ، أنا من أهل النار . وجلس في أهله حزينا ، فتفقده رسول الله ﷺ فانطلق بعض القوم إليه فقالوا له : تفقدك رسول الله ﷺ مالك ؟ فقال : أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي وأجهر بالقول ، حبط عملي وأنا من أهل النار . فأتوا النبي ﷺ فأخبره بما قال فقال : « لا . بل هو من أهل الجنة » . قال أنس : وكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة ، فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف فجاءنا ثابت بن قيس بن شماس وقد تحنط ولبس كفنه فقال : بئسما تعودون أقرانكم فقاتلهم حتى قتل .

٢٠٦٧ - * روى البخاري عن موسى بن أنس قال : وذكر يوم اليمامة قال : أتى أنس بن مالك ثابت بن قيس وقد حَسَرَ عن فَخْذَيْهِ وهو يَتَحَنُّطُ فقال : يا عم ما يحبسك أن لا تجيء ؟ قال : الآن يا ابن أخي . وجعل يَتَحَنُّطُ - يعني من الحَنَوط - ثم جاء فجلس ، فذكر في الحديث انكشافاً من الناس فقال : هكذا عن وجوهنا حتى نُضَارِبَ الْقَوْمَ ، ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله ﷺ ، بئس ما عودتم أقرانكم .

٢٠٦٨ - * روى الحاكم عن أنس : أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة ، وقد تحنط ، ولبس ثوبين أبيضين ، فكفن فيهما ، وقد انهزم القوم ، فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به

(١) مسلم (١ / ١١١) - كتاب الإيمان - ٥٢ - باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله .

٢٠٦٦ - أحمد في مسنده (٢ / ١٣٧) .

٢٠٦٧ - البخاري (٦ / ٥١) - ٥٦ - كتاب الجهاد - ٣٩ - باب التحنط عند القتال .

٢٠٦٨ - المستدرک (٣ / ٢٤٥) . وصححه ووافقه الذهبي .

هؤلاء ، وأعتذر من صنيع هؤلاء ، بئس ما عودتم أقرانكم ! خلوا بيننا وبينهم ساعة . فحَمَل ، فقاتل حتى قُتِل ، وكانت درعه قد سُرقت ، فرآه رجلٌ في النوم ، فقال له : إنها في قدر تحت إكاف ، بكان كذا وكذا . وأوصاه بوصايا ، فنظروا فوجدوا الدرع كما قال ، وأنفذوا وصاياهم .

٢٠٦٩ - * روى الترمذي والحاكم عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : « نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس » .

وذكر الذهبي في السير عن الزهري : أن وفد تميم قدموا ، واقتخر خطيبهم بأمور ، فقال النبي ﷺ ، لثابت بن قيس : « قم فأجب خطيبهم » . فقام ، فحمد الله وأبلغ ، وسُرَّ رسول الله ﷺ والمسلمون بمقامه .

٢٠٧٠ - * روى البخاري عن ابن عباس ، أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ، ثابت بن قيس ما أعتبَ عليه في خلق ولا دين ، ولكنني أكره الكفر في الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : « أتردِّينَ عليه حديقته ؟ » قالت : نعم . قال رسول الله ﷺ : « اقبل الحديقة وطلِّقها تطليقةً » . قال أبو عبد الله : لا يتابع فيه عن ابن عباس .

قال الحافظ ابن حجر : قال ابن عبد البر : اختلف في امرأة ثابت بن قيس ، فذكر البصريون أنها جميلة بنت أبي ، وذكر المدنيون أنها حبيبة بنت سهل . قلت (القائل ابن حجر) : والذي يظهر أنها قصتان وقعتا لامرأتين لشهرة الخبرين وصحة الطريقين ، واختلاف السياقين .

قال الذهبي : وقيل : ولدت محمداً بعد ، فجعلته في لفيف وأرسلت به إلى ثابت . فأتى به

٢٠٦٩ - الترمذي (٥ / ٦٦٧) - ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٣ - باب مناقب معاذ .

وقال هذا حديث حسن .

والستدرك (٢ / ٢٣٣) ، وصححه ووافقه الذهبي .

٢٠٧٠ - البخاري (٩ / ٢٩٥) - ٦٨ - كتاب الطلاق - ١٢ - باب الخلع وكيف الطلاق فيه .

رسول الله ، ﷺ ، فحنكه وسماه محمداً . فاتخذ له مريضاً .

قال الحاكم : كان ثابت على الأنصار يوم اليمامة . ثم روى في ترجمته أحاديث منها لعبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، قال : حدثني عطاء الخراساني قال : قدمت المدينة ، فأتيته ابنة ثابت بن قيس ، فذكرت قصة أبيها ، قالت : لما نزلت ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ ﴾ جلس أبي بيبي . فذكرت الحديث .

وفيه : فلما استشهد ، رآه رجل : فقال : إني لما قُتِلْتُ ، انتزعَ درعي رجلٌ من المسلمين ، وخبأه ، فأكبَّ عليه بُرْمةً ، وجعل عليها رحلاً ، فأتى الأمير ، فأخبره ، وإياك أن تقول : هذا حلم ، فتضييعه ، وإذا أتيت المدينة ، فقل لخليفة رسول الله ﷺ : إن عليَّ من الدين كذا وكذا ، وغلامي فلان عتيق ، وإياك أن تقول : هذا حلم ، فتضييعه . فأتاه ، فأخبره الخبر ، فنقذ وصيته ، فلا نعلم أحداً بعد ما مات أنفذت وصيته غير ثابت بن قيس رضي الله عنه ^(١) .

وقد قُتل محمد ، ويحيى ، وعبد الله بنو ثابت بن قيس يوم الحرة . ا . هـ .

* * *

(١) أخرجه الحاكم وذكره الهيثمي في المجمع (٣٢١/ ٩ ، ٣٢٢) وقال : رواه الطبراني ، وبنى ثابت بن قيس لم أعرفها ، وبقية رجاله رجال الصحيح والظاهر أن بنت ثابت صحابية لأنها قالت : سمعت أبي . والله أعلم . قال محقق السير : وذكره الحافظ في المطالب العالية ونسبه إلى أبي يعلى ، وقال البوصيري : أصله في صحيح البخاري ومسلم والترمذي من حديث أنس . والبرمة : قدر من الحجارة .

٢٩ - أبو هريرة رضي الله عنه

قال ابن حجر في الإصابة :

قال النووي في مواضع من كتبه : اسم أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر على الأصح من ثلاثين قولاً . وقال القطب الحلبي اجتمع في اسمه واسم أبيه أربعة وأربعون قولاً مذكورة في الكنى للحاكم وفي الاستيعاب وفي تاريخ ابن عساكر . قلت : وجه تكثره أنه يجتمع في اسمه خاصة عشرة أقوال مثلاً وفي اسم أبيه نحوها ثم تركبت ولكن لا يوجد جميع ذلك منقولاً .

وقد أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثاً وذكر أبو محمد بن حزم أن مسند بقي بن مخلد احتوى من حديث أبي هريرة على خمسة آلاف وثلاثمائة حديث وكسر .

وأخرج ابن سعد بسند صحيح عن عكرمة أن أبا هريرة كان يسبح كل يوم اثني عشرة ألف تسبيحة يقول : أسبح بقدر ذنبي .

وفي الحلية من تاريخ أبي العباس السراج بسند صحيح عن مضارب بن جزء : كنت أسير من الليل فإذا رجل يكبر فلحقته فقلت ما هذا ؟ قال : أكثر شكر الله على أن كنت أجيراً لبشرة بنت غزوان لنفقة رحلي وطعام بطني فإذا ركبوا سقت بهم وإذا نزلوا خدمتهم فزوجنيها الله فأنا أركب وإذا نزلت خدمت . وأخرجه ابن خزيمة من هذا الوجه وزاد : وكانت إذا أتت على مكان سهل نزلت فقالت : لا أريم [لا أبرح] حتى تجعل لي عصيدة فها أنا ذا أتيت على نحو من مكانها ، قلت : لا أريم حتى تجعل لي عصيدة .

وأخرج ابن أبي الدنيا في المختصرين بسند صحيح عن أبي سامة بن عبد الرحمن قال : دخلت على أبي هريرة وهو شديد الوجع فاحتضنته ، فقلت : اللهم اشف أبا هريرة . فقال : اللهم لا ترجعها . قالها مرتين ، ثم قال : إن استطعت أن تموت فت والله الذي نفس أبي هريرة بيده ليأتين على الناس زمان يمر الرجل على قبر أخيه فيمتني أنه صاحبه . قلت : وقد جاء هذا الحديث مرفوعاً عن أبي هريرة عن عمير بن هانيء قال : كان أبو هريرة يقول : تشبثوا بصدغي معاوية اللهم لا تدركني سنة ستين . وأخرج أحمد والنسائي بسند صحيح عن عبد الرحمن بن مهران عن أبي هريرة أنه قال حين حضره الموت : لا تضربوا عليّ

فسطاطاً ولا تتبعوني بمجرة وأسرعوا بي .

وكانت وفاته بقصره بالعقيق فحمل إلى المدينة . قال هشام بن عروة وخليفة وجماعة : توفي أبو هريرة سنة سبع وخمسين . وقال الهيثم بن عدي وأبو معشر وضمرة بن ربيعة : مات سنة ثمان وخمسين . وقال الواقدي وأبو عبيد وغيرهما : مات سنة تسع وخمسين . ا . هـ .

وقال الذهبي : الإمام الفقيه المجتهد الحافظ ، صاحب رسول الله ﷺ ، أبو هريرة الدوسي البجلي . سيد الحفاظ الأثبات .

اختلف في اسمه على أقوال جمة ؛ أرجحها : عبد الرحمن بن صخر . وقيل : ابن غنم . والمشهور عنه أنه كني بأولاد هرة بريّة . قال : وجدتها ، فأخذتها في كمي ؛ فكُنيتُ بذلك .

قال الطبراني : وأمه رضي الله عنها ، هي : ميمونة بنتُ صبيح .

حمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه - لم يلحق في كثرته - وعن أبي ، وأبي بكر ، وعمر ، وأسامة ، وعائشة ، والفضل ، وبصرة بن أبي بصرة ، وكعب الخير . حدث عنه خلقٌ كثيرٌ من الصحابة والتابعين ؛ فقليل : بلغ عددُ أصحابه ثمان مئة . ا . هـ .

وذكر الذهبي في السير ^(١) عن أبي هريرة قال : قال لي النبي ﷺ : « مِمَّنْ أَنْتَ ؟ » قلتُ : مِنْ دَوْس . قال : « مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ فِي دَوْسٍ أَحَدًا فِيهِ خَيْرٌ » .

وذكر أيضاً ^(٢) عن أبي هريرة ، قال : خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ ، وَقَدِمَتِ الْمَدِينَةُ مَهَاجِرًا ، فَصَلَّيْتُ الصُّبْحَ خَلْفَ سَيَّاحِ بْنِ عُرْفُطَةَ - كَانَ اسْتَخْلَفَهُ - فَقَرَأَ فِي السَّجْدَةِ الْأُولَى بِسُورَةِ مَرْيَمَ ، وَفِي الْآخِرَةِ : ﴿ وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾ .

(١) السير (٢ / ٥٨٨) . ورجاله ثقات .

(٢) السير (٢ / ٥٨٩) وإسناده قوي .

فقلتُ : ويل لأبي ! قلَّ رجلٌ كان بأرض الأزد ، إلا وكان له مكيالان : مكيال لنفسه ، وآخر يبخسُ به الناس .

٢٠٧١ - * روى البخاري عن محمد قال : كنا عند أبي هريرة وعليه ثوبان ممشقان من كتان ، فمخبط فقال : بخ بخ ، أبو هريرة يتمخط في الكتان ، لقد رأيتني وإني لأخِرُ فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حُجرة عائشة مَغشياً عليّ ، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويَرى أُنَى مجنون وماي من جنون ، ما بي إلا الجوع .

٢٠٧٢ - * روى البخاري عن مجاهد : أن أبا هريرة كان يقول : الله الذي لا إله إلا هو ، إن كنت لأعتد بكيدي على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع . ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه ، فرأى أبو بكر فسأله عن آية من كتاب الله ، ما سأله إلا ليشبعني ، فرأى ولم يفعل ، ثم مر بي عمر فسأله عن آية من كتاب الله ، ما سأله إلا ليشبعني ، فرأى فلم يفعل ، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رأيته وعرف ما في نفسي وما في وجهي ، ثم قال : « يا أبا هريرة » . قلت : لبيك رسول الله . قال : « الحق » . ومضى . فتبعته ، فدخل فاستأذن فأذن لي ، فدخل فوجد لبناً في قدح فقال : « من أين هذا اللبن ؟ » قالوا : أهداة لك فلان - أو فلانة - قال : « أبا هريرة » . قلت : لبيك يا رسول الله . قال : « الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي » . قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد ، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها ، فسألت ذلك ، فقلت : وما هذا اللبن في أهل الصفة ؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوي بها ، فإذا جاءوا أمرني فكنت أنا أعطيهم ، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن . ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد ، فأتيتهم فدعوتهم ، فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم ، وأخذوا مجالستهم من البيت . قال : « يا أبا هريرة » قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : « خذ فأعطهم » فأخذت القدح فجعلت أعطيهم الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يرد على

٢٠٧١ - البخاري (١٣ / ٣٠٢) ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - ١٦ - باب ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم .

٢٠٧٢ - البخاري (١١ / ٢٨١) ٨١ - كتاب الرقاق - ١٧ - باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتحليلهم عن الدنيا .

القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يرد علي القدح ، فيشرب حتى يروى ، ثم يرد علي القدح ، حتى انتهت إلى النبي ﷺ وقد روي القوم كلهم ، فأخذ القدح فوضعه علي يده ، فنظر إلي فتبسم فقال : « أبا هر » . قلت : لبيك يا رسول الله . قال : « بقيت أنا وأنت » . قلت : صدقت يا رسول الله . قال : « اقعد فاشرب » . فقعدت فشربت . فقال : « اشرب » . فشربت ، فما زال يقول : اشرب ، حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ، ما أجدل له مسلماً . قال : « فأرني » : فأعطيته القدح ، فحمد الله وسمي وشرب الفضلة .

٢٠٧٣ - * روى مسلم عن أبي هريرة قال : كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره . فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي . قلت : يا رسول الله ! إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره ، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة . فقال رسول الله ﷺ : « اللهم ! اهْدِ أم أبي هريرة » : فخرجت مستبشرة بدعوة نبي الله ﷺ . فلمّا جئت فصرت إلى الباب . فإذا هو مجاف . فسمعت أمي خشف قدمي . فقالت : مكانك ! يا أبا هريرة ! وسمعت خضضة الماء . قال : فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها . ففتحت الباب . ثم قالت : يا أبا هريرة ! أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ ، فأتيتُهُ وأنا أبكي من الفرح . قال قلت : يا رسول الله ! أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة . فحمد الله وأثنى عليه وقال خيراً . قال قلت : يا رسول الله ! ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عبادِهِ المؤمنين ، ويحببهم إلينا . قال : فقال رسول الله ﷺ « اللهم ! حبّب عبديك هذا - يعني أبا هريرة - وأمه إلى عبادِكَ المؤمنين وحبّب إليهم المؤمنين » فما خلق مؤمن يسمع بي ، ولا يراني ، إلا أحببني .

قال الذهبي : وكان حفظ أبي هريرة الخارق من معجزات النبوة .

عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « أَلَا تَسْأَلُنِي مِنْ هَذِهِ الْغَنَائِمِ الَّتِي يَسْأَلُنِي أَصْحَابُكَ » ؟ قُلْتُ : أَسْأَلُكَ أَنْ تُعَلِّمَنِي مَا عَلَّمَكَ اللَّهُ . فَنَزَعَ نَمِرَةً كَانَتْ عَلَى ظَهْرِي ، فَبَسَطَهَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النِّلِ يَدْبُ عَلَيْهِ ، فَحَدَّثَنِي ، حَتَّى إِذَا اسْتَوْعِبْتُ حَدِيثَهُ ، قَالَ : « اجْمَعُهَا فَضَرُهَا إِلَيْكَ » . فَأَصْبَحْتُ لَا أُسْقِطُ حَرْفًا مِمَّا حَدَّثَنِي ^(١) . هـ .

٢٠٧٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قَالَ : يَقُولُونَ : إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَدْ أَكْثَرَ . وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ . وَيَقُولُونَ : مَا بَالُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا يَتَحَدَّثُونَ مِثْلَ أَحَادِيثِهِ ؟ وَسَأَخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ : إِنَّ إِخْوَانِي مِنَ الْأَنْصَارِ كَانُوا يَشْغَلُهُمْ عَمَلُ أَرْضِهِمْ . وَإِنَّ إِخْوَانِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانُوا يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ . وَكُنْتُ أَلْزِمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلءِ بَطْنِي . فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا . وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا . وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا : « أَيُّكُمْ يَبْسُطُ ثَوْبَهُ فَيَأْخُذُ مِنْ حَدِيثِي هَذَا ، ثُمَّ يَجْمَعُهُ إِلَى صَدْرِهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْسَ شَيْئًا سَمِعَهُ » . فَبَسَطْتُ بُرْدَةً عَلَيَّ . حَتَّى فَرَعْتُ مِنْ حَدِيثِهِ . ثُمَّ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي . فَمَا نَسِيتُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ شَيْئًا حَدَّثَنِي بِهِ . وَلَوْلَا آيَتَانِ أَنْزَلَهُمَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مَا حَدَّثْتُ شَيْئًا أَبَدًا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ﴾ ^(٢) إِلَى آخِرِ الْآيَتَيْنِ .

وفي رواية لمسلم ^(٣) عن أبي هريرة قال : إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ . كُنْتُ رَجُلًا مِسْكِينًا ، أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلءِ بَطْنِي . وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمُ الْقِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ يَبْسُطُ ثَوْبَهُ فَلَنْ يَنْسِيَ شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي » . فَبَسَطْتُ ثَوْبِي حَتَّى قَضَيْتُ حَدِيثَهُ . ثُمَّ خَمَمْتُهُ إِلَيَّ . فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ .

(١) السير (٢ / ٥٩٣) . ورجاله ثقات .

المرة : شملة بها خطوط بيض وسود .

٢٠٧٤ - البخاري (٤ / ٢٨٧) ٣٤ - كتاب البيوع - ١ - باب ما جاء في قول الله عز وجل : ﴿ إِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَانْتَشِرُوا ﴾ .

ومسلم (٤ / ١٩٤٠) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٥ - باب من فضائل أبي هريرة .

الصفق بالأسواق : المقصود صوت وقع يد البائع على يد المشتري عند عقد التبايع في البيع والتجارة .

(٢) البقرة : ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٣) مسلم (٤ / ١٩٣٩) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٥ - باب من فضائل أبي هريرة .

٢٠٧٥ - * روى البخاري عن أبي هريرة ، قال : حفظتُ من رسول الله ﷺ وعاءين : قَأَمًا أَحَدَهُمَا ، فَبَثَّتُهُ فِي النَّاسِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ ، فَلَوْ بَثَّتُهُ لَقَطِيعَ هَذَا الْبَلْعُومِ .

قال محقق السير : وقد حمل العلماء الوعاء الذي لم يَبْثْهُ على الأحاديث التي فيها تبين أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم . وقد كان أبو هريرة يَكْنِي عن بعضه ، ولا يصرح به خوفاً على نفسه منهم . كقوله : أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان . يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية ، لأنها كانت سنة ستين من الهجرة ، واستجاب الله دعاء أبي هريرة ، فمات قبلها بقليل .

وقال ابن المنير : جعل بعضهم هذا الحديث ذريعة إلى تصحيح باطلهم حيث اعتقدوا أن للشرعة ظاهراً وباطناً ، وذلك الباطل ، إنما حاصله الانحلال من الدين ، وإنما أراد أبو هريرة بقوله : قطع . أي : قطع أهل الجور رأسه إذا سمعوا عيبه لفعالهم ، وتضليله لسعيهم ، يؤيد ذلك أن الأحاديث المكتومة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعه كتابها .

قال الذهبي : هذا دالٌّ على جواز كتمان بعض الأحاديث التي تُحَرِّكُ فِتْنَةً فِي الْأَصُولِ ، أو الفروع ؛ أو المدح والذم ؛ أما حديثٌ يتعلق بِحِلٍّ أو حرام فلا يحل كتمانُه بوجه ؛ فإنه من البينات والهدى . وفي « صحيح البخاري » : قول الإمام علي رضي الله عنه : حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ ، ودعوا ما يُنْكُرُونَ ، أَتَحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؟ وكذا لو بثَّ أبو هريرة ذلك الوعاء ، لأُذِيَ ، بل لُقِّتِلَ . ولكن العالم قد يُؤدِّيهِ اجتهاده إلى أن يَنْشُرَ الحديثَ الفلاني إحياءً للسنة ، فله ما نوى وله أجر - وإن غلط - في اجتهاده .

وقال الحافظ في « الفتحة » : وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة ، ومثله قول ابن مسعود : ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة . رواه مسلم في مقدمة صحيحه .

٢٠٧٦ - * روى الحاكم عن سعيد بن أبي الحسن ، قال : لم يكن أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً من أبي هريرة عن النبي ﷺ ، وإن مروان - زمن إمرته على المدينة - أراد أن يكتب حديثه كله ، فأبى ، وقال : اُروِ كما رَوينا .

فلما أبى عليه تغفله مروان ، وأقعد له كاتباً ثقيفاً ودعاه : فجعل أبو هريرة يحدثه ، ويكتب ذلك الكتب ، حتى استفرغ حديثه أجمع .

ثم قال مروان : تعلم أنا قد كتبنا حديثك أجمع ؟ قال : وقد فعلت ! قال : نعم . قال : فاقرووه عليّ ، فقرأوه . فقال أبو هريرة : أما إنكم قد حفظتم ، وإن تطعني ، تمحه . قال : فحاه .

٢٠٧٧ - * روى البخاري عن وهب بن منبه ، عن أخيه همام سمعت أبا هريرة يقول : ما أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً مني عنه إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب ، وكنت لا أكتب .

قال محقق السير : وهذا الحديث يدل على أن أبا هريرة كان يجزم بأنه ليس في الصحابة أكثر حديثاً عن النبي ﷺ منه إلا عبد الله ، مع أن الموجود المروي عن عبد الله بن عمرو أقل من الموجود المروي عن أبي هريرة بأضعاف مضاعفة . وقد قال العلماء : إن السبب فيه من جهات .

أحدها : أن عبد الله كان مشغولاً بالعبادة أكثر من اشتغاله بالتعليم ، فقلت الرواية عنه . ثانيها : أنه كان أكثر مقامه بعد فتوح الأمصار بمصر أو بالطائف ، ولم تكن الرحلة إليها من يطلب العلم كالرحلة إلى المدينة ، وكان أبو هريرة متصدياً فيها للفتوى والتحديث إلى أن مات ، ويظهر هذا من كثرة من حمل عن أبي هريرة ، فقد ذكر البخاري أنه روى عنه ثمان مئة نفس من التابعين .

ثالثها : ما اختص به أبو هريرة من دعوة النبي ﷺ له بأن لا ينسى ما يحدثه به .

٢٠٧٦ - المستدرك (٣ / ٥٠٩) . ورجاله ثقات .

٢٠٧٧ - البخاري (١ / ٢٠٦) ٢ - كتاب العلم - ٣٩ - باب كتابة العلم .

رابعها : أن عبد الله كان قد ظفر في الشام بحمل جل من كتب أهل الكتاب ، فكان ينظر فيه ويحدث منها ، فتجنب الأخذ عنه لذلك كثير من أئمة التابعين . اهـ .

وذكر الذهبي في السير^(١) عن السائب بن يزيد : سَمِعَ عُمَرَ يَقُولُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ : لَتَتْرُكَنَّ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ لِالْحَقْنَكِ بِأَرْضِ دُوسِ ! وَقَالَ لَكُمِبِ [الْأَحْبَارُ] : لَتَتْرُكَنَّ الْحَدِيثَ ، أَوْ لِالْحَقْنَكِ بِأَرْضِ الْقِرْدَةِ .

قال ابن كثير بعد أن أورد الخبر : وهذا محمول من عمر على أنه خشي من الأحاديث التي قد تضعها الناس على غير مواضعها ، وأنهم يتكلمون على ما فيها من أحاديث الرخص ، وأن الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع في أحاديثه بعض الغلط أو الخطأ ، فيحملها الناس عنه أو نحو ذلك .

قال الذهبي : كان عمر رضي الله عنه يقول : أَقْلُوا الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وزجر غير واحد من الصحابة عن بث الحديث ، وهذا مذهب لعمر ولغيره .

فبالله عليك ، إذا كان الإكثار من الحديث في دولة عمر ، كانوا يَمْنَعُونَ منه ، مع صديقهم وعدائهم وعدم الأسانيد ، بل هو غَضُّ لَمْ يُشَبَّ ؛ فَمَا ظَنُّكَ بِالْإِكْثَارِ مِنْ رِوَايَةِ الْغُرَائِبِ وَالْمَنَاقِيرِ فِي زَمَانِنَا مَعَ طُولِ الْأَسَانِيدِ ، وَكَثْرَةِ الْوَهْمِ وَالْغُلْطِ ، فَبِالْحَرِيِّ أَنْ نَزْجُرَ الْقَوْمَ عَنْهُ ، فَيَالِيَتَهُمْ يَقْتَصِرُونَ عَلَى رِوَايَةِ الْغَرِيبِ وَالضَّعِيفِ ، بَلْ يَرَوْنَ - وَاللَّهِ - الْمَوْضُوعَاتِ وَالْأَبَاطِيلَ وَالْمُسْتَحِيلَ فِي الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ ، وَالْمَلَا حِمَّ وَالزُّهْدَ ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ .

فمن روى ذلك مع علمه ببطلانه ، وَغَرَّ الْمُؤْمِنِينَ ، فبهذا ظالم لنفسه جانٍ على السنن والآثار ، يُسْتَتَابُ مِنْ ذَلِكَ ؛ فَإِنْ أَنْابَ وَأَقْصَرَ ، وَإِلَّا فَهُوَ فَاسِقٌ ؛ كَفَى بِهِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ . وَإِنْ هُوَ لَمْ يَعْلَمْ ، فَلْيَتَوَرَّعْ ، وَلْيَسْتَعِزْ بِمَنْ يُعِينُهُ عَلَى تَنْقِيَةِ مَرْوِيَّاتِهِ . نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ ؛ فَلَقَدْ عَمَّ الْبَلَاءُ ، وَشَمَلَتِ الْغَفْلَةُ ، وَدَخَلَ الدَّخْلُ عَلَى الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ يَرْكَنُ إِلَيْهِمُ الْمَسَامُونَ ؛ فَلَا عَتَبِيٍّ عَلَى الْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الْكَلَامِ .

(١) السير (٢ / ٦٠٠) . وإسناده صحيح .

أقول : الظاهر أن هذا كان من عمر قبل أن يتأكد من ضبط أبي هريرة بدليل أن أبا هريرة استمر بالتحديث ، أما نهيه لكعب الأحبار فلأنه كان يتحدث عن الإسرائيليات مع صدقه لكن عمر خشى أن تؤثر هذه الإسرائيليات على فطرة الصحابة وتبعدهم عن الإقبال الكامل على القرآن .

قال محقق السير : قال محدث الديار الشامية في عصره العلامة الشيخ بدر الدين الحسني رحمه الله ورضي عنه فيما نقله عنه الشيخ العلامة محمود ياسين في مجلة الهداية الإسلامية : لا يجوز إسناد حديث لرسول الله ﷺ إلا إذا نص على صحة هذا الحديث حافظ من الحفاظ المعروفين ، فمن قال : قال رسول الله ﷺ ، وهو لا يعلم صحة ذلك من طريق أحد الحفاظ يوشك أن يصدق عليه حديث : « من قال علي ما لم أقل ، فليتبوأ مقعده من النار » . فليحذر الخطباء والكتاب والمدرسون والوعاظ من إسناد حديث إلى رسول الله ﷺ ما لم يعلموا صحته من طريق حافظ مشهور من حفاظ الحديث ، وعليهم إذا لم يعلموا ذلك أن يذكروا الحديث معزوا إلى الكتاب الذي نقلوا منه ، كالترمذي ، والنسائي مثلاً ، وبذلك يخرجون من العهدة ، أما الذين يحملون بأيديهم الكتب التي لا قيمة لها عند علماء الحديث الشريف ككثير من كتب الأخلاق والوعظ المنتشرة بالأيدي ، فلا يكفي عزو الحديث إليها ، ولا يخرج القارئ من الوزر .

٢٠٧٨ - * روى أحمد عن عاصم بن كليب : حدثنا أبي : سمع أبا هريرة ، وكان يبتدئ حديثه بأن يقول : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

وذكر الذهبي في السير^(١) عن بسر بن سعيد ، قال : اتقوا الله ، وَتَحَفَّظُوا مِنَ الْحَدِيثِ ، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة ! فَيَحْدُثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَيُحَدِّثُنَا عَنْ كَعْبٍ ، ثُمَّ يَقُومُ ، فَأَسْمَعُ بَعْضَ مَنْ كَانَ مَعَنَا يَجْعَلُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَعْبٍ ، وَيَجْعَلُ حَدِيثَ كَعْبٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

٢٠٧٨ - أحمد في مسنده (٤١٣ / ٢) . وإسناده قوي .

(١) السير (٦٠٦ / ٢) . وأورده ابن كثير وإسناده صحيح .

قال الذهبي : مسنده : خمسة آلاف وثلاث مئة وأربعة وسبعون حديثاً .

المتفق في البخاري ومسلم منها ثلاث مئة وستة وعشرون . وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين حديثاً ، ومسلم بثمانية وتسعين حديثاً .

٢٠٧٩ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أسمع منك أشياء فلا أحفظها ، قال : « ابسط رداءك » . فَبَسَطْتُه ، فحدّث حديثاً كثيراً ، فما نسيت شيئاً حدّثني به .

وللترمذي في أخرى ^(١) : قال : أتيت رسول الله ﷺ فَبَسَطْتُ ثوبي عنده ، ثم أخذه ، فجمعه على قلبي ، فما نسيت بعده .

ذكر الذهبي في السير ^(٢) : محمد بن كُنَاسة الأسدي ، عن إسحاق بن سعيد ، عن أبيه ، قال : دخل أبو هريرة على عائشة ، فقالت له : أكثرت يا أبا هريرة عن رسول الله ! قال : إي والله يا أمّاه ، ما كانت تشغلني عنه المرأة ، ولا المكحلة ، ولا الدهن . قالت : لعلّه .

٢٠٨٠ - * روى الحاكم عن عائشة أنها دعت أبا هريرة ، فقالت له : يا أبا هريرة ، ما هذه الأحاديث التي تبلغنا أنك تحدث بها عن النبي ﷺ ، هل سمعت إلا ما سمعنا ؟ وهل رأيت إلا ما رأينا ؟ قال : يا أمّاه ، إنه كان يشغلك عن رسول الله ﷺ المرأة والمكحلة والتصنع لرسول الله ﷺ ، وإني والله ما كان يشغلني عنه شيء .

٢٠٧٩ - الترمذي (٦٨٤ / ٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٤٧ - باب مناقب لأبي هريرة .
وقال هذا حديث حسن صحيح وهو كما قال .

(١) الترمذي (٦٨٣ / ٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٤٧ - باب مناقب لأبي هريرة .
وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

(٢) السير (٦٠٤ / ٢) . ورجاله ثقات . وذكره الحافظ في الإصابة ونسبه لابن سعد ، وجوّد إسناده وهو في تاريخ ابن عساكر ، وذكره ابن كثير في البداية عن سعيد .

٢٠٨٠ - المستدرک (٥٠٩ / ٣) وصححه ووافقه الذهبي .

٢٠٨١ - * روى مالك عن معاوية بن أبي عياش الأنصاري : أنه كان جالساً مع ابن الزبير ، فجاء محمد بن إياس بن البكير ، فسأل عن رجلٍ طلق ثلاثاً قبل الدخول . فبعثه إلى أبي هريرة ، وابن عباس - وكانا عند عائشة - فذهب ، فسألها .

فقال ابن عباس لأبي هريرة : أفتيه يا أبا هريرة ؛ فقد جاءتك مَعْضِلَةٌ .

فقال : الواحدة تُبينها ، والثلاث تُحَرِّمُها . وقال ابن عباس مثله .

أقول : الظاهر أنهم اعتبروا أن الطلقة الواحدة تجعلها بائنة وذلك نص قرآني ، والثلاث معاً تجعلها بائنة بينونة كبرى فلا تحل لزوجها حتى تنكح زوجاً غيره ، وهذا من جملة الأدلة التي تعاضدت حتى استقر بالإجماع على أن الثلاثة دفعة واحدة توجب البينونة الكبرى على خلاف ما ذهب إليه ابن تيمية بعد قرون من انعقاد الإجماع .

٢٠٨٢ - * روى مسلم عن عروة بن الزبير أن عائشة قالت : ألا يعجبك أبو هريرة جاء فجلس إلى جنب حجرتي يحدث عن النبي ﷺ يُسمعي ذلك ، وكنت أسبح (أصلي نافلة) فقام قبل أن أقضي سبحتي ، ولو أدركته لرددت عليه ، إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردهم .

قول عائشة : ولو أدركته لرددت عليه . أي : لأنكرت عليه ، وبينت له أن الترتيل في الحديث أولى من السرد . قال الحافظ : واعتذر عن أبي هريرة بأنه كان واسع الرواية ، كثير المحفوظ ، فكان لا يتمكن من المهل عند إرادة التحديث ، كما قال بعض البلغاء : أريد أقتصر ، فتزدهم القوافي على في .

قال الذهبي : وأصح الأحاديث ما جاء عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة .

وما جاء عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة .

٢٠٨١ - الموطأ (٢ / ٥٧١) ٢٩ - كتاب الطلاق - ١٥ - باب طلاق البكر .

٢٠٨٢ - مسلم (٤ / ١٩٤٠) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٥ - باب من فضائل أبي هريرة الدوسي .

وما جاء عن ابن عون ، وأيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة .
وأين مثل أبي هريرة في حفظه وسعة علمه .

وذكر الذهبي في السير^(١) عن أبي عثمان النهدي قال : تضيّفتُ أبا هريرة سبعا ؛ فكان هو وامراته وخادمه يعتقبون الليلَ أثلاثاً : يُصلي هذا ، ثم يُوقظ هذا ، ويُصلي هذا ، ثم يُوقظ هذا . قلتُ : يا أبا هريرة ، كيف تصوّم ؟ قال : أصومُ من أول الشهر ثلاثاً .

٢٠٨٣ - * روى مالك عن حميد بن مالك بن خثيم ، أنه قال : كنتُ جالسا مع أبي هريرة بأرضه بالعقيق . فأتاه قومٌ من أهل المدينة على دوابٍ . فنزلوا عنده . قال حميد : فقال أبو هريرة : اذهب إلى أمي فقل : إن ابنك يُفركُ السلام ويقول : أطعمينا شيئا . قال : فوضعتُ ثلاثة أقراصٍ في صحفة ، وشيئا من زيت وملح ، ثم وضعتها على رأسي ، وحملتُها إليهم . فلما وضعتها بين أيديهم ، كبر أبو هريرة ، وقال : الحمد لله الذي أشبعنا من الخبز بعد أن لم يكن طعامنا إلا الأسودين الماء والتمر . فلم يصب القوم من الطعام شيئا . فلما انصرفوا ، قال : يابن أخي ، أحسن إلى غنمك ، وامسح الرغام عنها ، وأطبب مراحها ، وصل في ناحيتها فإنها من دواب الجنة . والذي نفسي بيده ليوشك أن يأتي على الناس زمان تكون الثلثة من الغنم أحب إلى صاحبها من دار مروان .

٢٠٨٤ - * روى ابن سعد عن معمر ، عن أيوب ، عن محمد : أن عمر استعمل أبا هريرة على البحرين ، فقدم بعشرة آلاف ، فقال له عمر : استأثرت بهذه الأموال يا عدو الله ، وعدو كتابه ؟

(١) السير (٢ / ٦٠٩) . ورجاله ثقات . وذكره الحافظ في الإصابة ونسبه لأحمد في الزهد وصحح إسناده .

يعتقبون : يتناوبون .

٢٠٨٣ - الموطأ (٢ / ٩٣٣) ٤٩ - كتاب صفة النبي ﷺ - ١٠ - باب جامع ما جاء في الطعام والشراب .

وسنده صحيح البخاري في كتاب الأدب عن أبي أويس عن مالك ووثق النسائي حيداً .

الأقراص : الأرفعة .

الرغام : غطاء رقيق يجري من أنوف الغنم . وأطبب مراحها : نطّفه . الثلثة : جماعة الغنم ، قليلة كانت أو كثيرة ، وقيل : الثلثة : الكثير منها .

٢٠٨٤ - الطبقات الكبرى (٤ / ٢٣٥) . ورجاله ثقات .

فقال أبو هريرة : فقلتُ : لستُ بعدو الله وعدو كتابه ، ولكني عدو من عاداهما .
قال : فمن أين هي لك ؟ قلتُ : خيلَ تُتَجْتُ ، وغَلَّة رقيقٍ لي ، وأعطيةٌ تتابعُ .
فنظروا ، فوجدوه كما قال .

فلما كان بعد ذلك ، دعاه عَمْرُ لِيُوَلِّيْهِ ، فأبى . فقال : تكررَ العملَ وقد طلبَ العَمَلُ
مَنْ كان خَيْراً منك : يوسفُ عليه السلام ! فقال : يوسفُ نبي ابنِ نبي وأنا أبو
هريرة بنُ أُمَيَّة ، وأخشى ثلاثاً واثنين . قال : فهلا قُلْتَ : خمساً ؟ قال : أخشى أن أقولَ
بغير علم ، وأقضي بغير حلم ، وأن يضربَ ظهري ، ويُنتزَعَ مالي ، ويُشتمَ عِرْضي .

ذكر الذهبي في السير^(١) عن محمد بن زياد قال كان معاوية يبعثُ أبَا هريرة على
المدينة ؛ فإذا غَضِبَ عليه ، بعثَ مَروان ، وَعَزَلَهُ ، قال : فلم يلبثُ أن نَزَعَ مروان ، وبعثَ
أبا هريرة ، فقال للعلامِ أسود : قِفْ على الباب ، فلا تمنع إلا مروان . ففعلَ الغلامُ ، ودخلَ
النَّاسُ ، وَمَنَعَ مَروان . ثم جاء نوبةً ، فدخل ، وقال : حَجَبْنَا عنك . فقال : إنَّ أَحَقَّ مَنْ
لا أنكر هذا لأنت .

٢٠٨٥ - * روى مسلم عن ابن أبي رافع ، قال : استخلف مروان أبا هريرة على المدينة ،
وخرج إلى مكة ، فصلى لنا أبو هريرة الجمعة ، فقرأ بعد سورة الجمعة في الركعة الآخرة :
﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ . قال : فأدركت أبا هريرة حين انصرف ، فقلت له : إنك قرأت
بسورتين كان على بن أبي طالب يقرأ بهما في الكوفة . فقال أبو هريرة : إني سمعت رسول
الله ﷺ يقرأ بهما يوم الجمعة .

وذكر الذهبي في السير^(٢) عن أبي رافع قال : كان مروان رُبَّاً استخلفَ أبا هريرة على
المدينة ، فركبَ حماراً ببرذعة ، وفي رأسه خُلْبَةٌ من ليف ، فيسير ، فيلقى الرجلُ ، فيقولُ :

(١) السير (٢ / ٦١٤) . ورجاله ثقات .

٢٠٨٥ - مسلم (٢ / ٥١٧) - ٧ - كتاب الجمعة - ١٦ - باب ما يقرأ في صلاة الجمعة .

(٢) السير (٢ / ٦١٤) . ورجاله ثقات ، وأبو رافع اسمه نفع الصائغ المدني وهو ثقة ثبت .

الخُلْبَةُ : واحد الخلب : الحبل الرقيق الصلب من الليف والقطن وغيرها .

الطريق ، قد جاء الأمير .

وربما أتى الصبيان ، وهم يلعبون بالليل لعبة الأعراب ، فلا يشعرون ، حتى يلقي نفسه بينهم ، ويضرب برجليه ، فيفرغ الصبيان ، فيفرون . وربما دعاني إلى عشائه ، فيقول : دَعِ العراق للأمير . فأنظر ، فإذا هو ثريدة بريت .

هذه بعض مداعبات أبي هريرة للناس وكان عنده مرح ودعابة رضي الله عنه .

وذكر الذهبي في السير : ^(١) ثعلبة بن أبي مالك القرظي قال : أقبل أبو هريرة في السوق يحمل خزمة حطب ، وهو يومئذ خليفة مروان ، فقال : أوسع الطريق للأمير .

٢٠٨٦ - * روى الحاكم عن محمد بن قيس بن مخزومة : أن رجلاً أتى زيد بن ثابت ، فسأله عن شيء ، فقال : عليك بأبي هريرة . فإني بينها أنا وهو وفلان في المسجد ، خرج علينا رسول الله ﷺ ، ونحن ندعو ، ونذكر ربنا . فجلس إلينا ، فسكتنا . فقال : « عودوا للذي كنتم فيه » . فدعوت أنا وصاحبي قبل أبي هريرة . فجعل رسول الله ﷺ يقول : ثم دعا أبو هريرة ، فقال : اللهم ، إني أسألك ما سألك صاحباي هذان ، وأسألك علماً لا ينسى فقال النبي ﷺ : « آمين » .

فقلنا : يا رسول الله ، ونحن نسأل الله علماً لا ينسى ! قال : « سبّحكما الغلام الدوسي » .

٢٠٨٧ - * روى أحمد والحاكم عن ابن عمر : أنه مرّ بأبي هريرة - وهو يحدث - أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ تَبَعَ جِنَازَةَ ، فَلَهُ قِيْرَاطٌ » . فقال : انظر ما تحدث عن رسول الله ! فقام أبو هريرة ، فأخذه بيده إلى عائشة ، فقال لها : أنشدك بالله ، هل سمعت رسول الله يقول : « مَنْ تَبَعَ جِنَازَةَ ... » - الحديث - فقالت : اللهم نعم .

= القراق : العظم الذي أخذ عنه معظم اللحم .

(١) السير (٢ / ٦١٤) . ورجاله ثقات .

٢٠٨٦ - المستدرک (٢ / ٥٠٨) . وصححه ، وقال الذهبي : حماد بن شعيب ضعيف . وقال عقق السير (٢ / ٦١٦) :

لكنه لم ينفرد به فقد تابعه الفضل بن العلاء وهو صدوق .

= ٢٠٨٧ - أحمد في مسنده (٢ / ٢) . والمستدرک (٢ / ٥١١) . وصححه ووافقه الذهبي .

فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : لَمْ يَكُنْ يَشْغَلُنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَرْسُ الْوَدِيِّ ، وَلَا صَفْقُ فِي الْأَسْوَاقِ ؛ وَإِنَّمَا كُنْتُ أَطْلُبُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَلِمَةً يُعَلِّمُنِيهَا ؛ أَوْ أَكَلَةً يُطْعِمُنِيهَا .

فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : كُنْتُ أَلْزَمُنَا لِرَسُولِ اللَّهِ ، وَأَعْلَمُنَا بِحَدِيثِهِ .

٢٠٨٨ - * رَوَى الْحَاكِمُ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ : رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَخْرُجُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَيَقْبِضُ عَلَى رُمَاتِنِي الْمَنِيرِ قَائِمًا ، وَيَقُولُ : حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ﷺ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ . فَلَا يَزَالُ يُحَدِّثُ حَتَّى يَسْمَعَ فَتَحَ بَابِ الْمَقْصُورَةِ لَخُرُوجِ الْإِمَامَةِ ، فَيَجْلِسُ .

ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ فِي السِّيرِ ^(١) عَنْ عُمَيْرِ بْنِ هَانِئِ الْعَنَسِيِّ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : اللَّهُمَّ ، لَا تُدْرِكُنِي سَنَةٌ سَتِينَ . فَتَوَفَّى فِيهَا ، أَوْ قَبْلَهَا بَسَنَةً .

وَقَالَ مُحَقِّقُهُ : وَذَكَرَهُ الْحَافِظُ فِي « الْفَتْحِ » فِي شَرْحِهِ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ الْمَرْفُوعِ : « هَلَكَةُ أُمِّي عَلَى يَدَيِ غُلَامَةٍ مِنْ قَرِيْشٍ » . وَنَسَبَهُ لِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ بَلْفَظٍ : إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَمْشِي فِي السُّوقِ ، وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ لَا تُدْرِكُنِي سَنَةٌ سَتِينَ وَلَا إِمَارَةَ الصَّبِيَّانِ . وَقَالَ : وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ أَوَّلَ الْأَغْلِمَةِ كَانَ فِي سَنَةِ سَتِينَ ، وَهُوَ كَذَلِكَ ، فَإِنْ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ اسْتَخْلَفَ فِيهَا ، وَبَقِيَ إِلَى سَنَةِ ٦٤ ، فَمَاتَ ، ثُمَّ وَلِيَ وَلَدَهُ مَعَاوِيَةَ ، وَمَاتَ بَعْدَ أَشْهُرٍ .

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ ^(٢) عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ : رَأَيْتُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ كِسَاءَ خَزَمٍ .

قَالَ الذَّهَبِيُّ : قَالَ ابْنُ حَزْمٍ فِي كِتَابِ « الْإِحْكَامِ فِي أَصُولِ الْأَحْكَامِ » : الْمُتَوَسِّطُونَ فِيمَا رَوَوْهُ عَنْهُمْ مِنَ الْفُتَاوَى : عَثَّانُ ، أَبُو هُرَيْرَةَ ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، أُمُّ سَلَمَةَ ، أَنَسُ ، أَبُو سَعِيدٍ ، أَبُو مُوسَى ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، سَلْمَانَ ، جَابِرٌ ، مَعَاذٌ ، أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ .

= الْوَدِيُّ : بِفَتْحِ الْوَاوِ ، وَكَسْرِ الدَّالِ ، وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ : صِفَارُ النَّخْلِ ، الْوَاحِدَةُ : وَدِيَّةٌ .
الْصَّفْقُ : الْمَرَّةُ مِنَ التَّصْفِيقِ ، وَالْمُرَادُ هُنَا : التَّبَايُعُ ، لِأَنَّ التَّبَايُعِينَ يَضَعُ أَحَدُهُمَا يَدَهُ عَلَى يَدِ الْآخَرِ ، يَرِيدُ أَبُو هُرَيْرَةَ : أَنَّهُ لَمْ يَشْغَلْهُ عَنْ حِفْظِ سَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ زَرْعٌ وَلَا تِجَارَةٌ .

٢٠٨٨ - الْمُسْتَدْرَكُ (٣ / ٥١٢) . وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ .

(١) السِّيرُ (٢ / ٦٣٦) . وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ .

(٢) الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى (٤ / ٣٣٣) . وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ .

فهم ثلاثة عشر فقط ، يُمْكِنُ أَنْ يُجْمَعَ مِنْ قُتِيَا كُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ صَغِيرٌ .

ويُضَافُ إِلَيْهِمْ : الزبير : طلحة ، عبد الرحمن ، عمران بن حصين ، أبو بكره الثقفي ،
عبادة بن الصامت ، معاوية .

ثم باقى الصحابة مَقْلُونٌ فِي الْقَتِيَا ، لَا يُرَوَّى عَنْ الْوَاحِدِ إِلَّا الْمَسْأَلَةُ وَالْمَسْأَلَتَانِ .

ثم سرد ابنُ حزم عِدَّةً مِنَ الصَّحَابَةِ ، مِنْهُمْ : أَبُو عُبَيْدَةَ ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ ، وَأَبُو ذَرٍّ ،
وجرير ، وحسان .

٢٠٨٩ - * روى أحمد والترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِتَرَاتٍ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اذْعُ اللَّهُ فِيهِمْ بِالْبَرَكَةِ فَضَمَّهِنَّ ثُمَّ دَعَا لِي فِيهِمْ بِالْبَرَكَةِ ،
فَقَالَ : « خُذْهُنَّ وَاجْعَلْهُنَّ فِي مِرْوَدِكَ هَذَا أَوْ فِي هَذَا الْمِرْوَدِ ، كُلَّمَا أَرَدْتَ أَنْ
تَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا فَأَدْخِلْ فِيهِ يَدَكَ فَخُذْهُ وَلَا تَنْثُرْهُ نَثْرًا » . فَقَدْ حَمَلْتُ مِنْ ذَلِكَ التَّمْرِ
كَذَا وَكَذَا مِنْ وَسْقٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَكُنَّا نَأْكُلُ مِنْهُ وَنُطْعِمُ ، وَكَانَ لَا يَفَارِقُ حَقْوِي حَتَّى كَانَ
يَوْمَ قَتْلِ عُمَانَ فَإِنَّهُ انْقَطَعَ .

٢٠٩٠ - * روى الترمذي عَنْ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ
اللَّهِ فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَرَأَيْتَ هَذَا الْيَمَانِيَّ ، يَغْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ ، هُوَ أَعْلَمُ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكُمْ ، نَسَمِعُ مِنْهُ مَا لَا نَسَمِعُ مِنْكُمْ ، أَوْ يَقُولُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ يَقُلْ . قَالَ : أَمَا أَنْ يَكُونَ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ
نَسَمِعْ فَلَا أَشْكُ إِلَّا أَنَّهُ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ نَسَمِعْ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ
مِسْكِينًا لاشيءَ لَهُ ضَيْفًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدُهُ مَعَ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

٢٠٨٩ - أحمد في مسنده (٢ / ٣٥٢) .

والترمذي (٥ / ٦٨٥) - ٥٠ - كتاب المناقب - ٤٧ - باب مناقب لأبي هريرة .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

الْوَسْقُ : مَكِيلَةٌ مَعْلُومَةٌ عَنْهُمْ ، يُقَالُ : هُوَ حُلٌّ بَعِيرٌ . وَهُوَ سِتُونَ صَاعًا بِصَاعِ النَّبِيِّ ﷺ .

الْحَقْوُ : مَعْقِدُ الْإِزَارِ . وَالْمِرْوَدُ : مَا يُجْعَلُ فِيهِ الزَّادُ مِنْ شَرَابٍ وَنَحْوِهِ .

٢٠٩٠ - الترمذي (٥ / ٦٨٤) - ٥٠ - كتاب المناقب - ٤٧ - باب مناقب لأبي هريرة .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُنَّا نَحْنُ أَهْلَ بَيْتَاتٍ وَغَنَى ، وَكُنَّا نَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفِي النَّهَارِ . فَلَا نَشْكُ إِلَّا أَنَّهُ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَا نَسْمَعُ ، وَلَا نَجِدُ أَحَدًا فِيهِ خَيْرٌ يَقُولُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ يَقُلْ .

٢٠٩١ - * روى أحمد والحاكم عن أبي بن كعب أن أبا هريرة كان جريئاً على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره .

٢٠٩٢ - * روى البزار عن أبي هريرة قال : قلت : يا رسول الله إني إذا رأيتك قرت عيني وطابت نفسي وإذا لم أرك لم تطب نفسي أو كلمة نحوها .

٢٠٩٣ - * روى البخاري عن أبي هريرة قال : كنت ألزم النبي ﷺ لَشَعِ بطني ، حين لا أكلَ الحَمِيرَ ، ولا أَلَبَسَ الحريرَ ، ولا يَخْدُمَنِي فلانٌ ولا فلانة ، وأَلْصَقَ بطني بالحصباء ؛ وأستقري الرجل الآية - وهي معي - كي يَنْقَلِبَ بي فيطعمني . وخيرُ الناسِ للمساكين جعفرُ ابن أبي طالب ، يَنْقَلِبُ بنا فيطعمنا ما كان في بيته ، حتى إن كان ليُخْرِجَ إلينا العُكَّةَ ليس فيها شيء ، فنشتقها ، فنعلق ما فيها .

وفي رواية الترمذي ^(١) قال : إن كنت لأسأل الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ عن الآيات من القرآن ، أنا أعلم بها منه ، ما أسأله إلا ليطعمني شيئاً ، وكنت إذا سألت جعفر

٢٠٩١ - أحمد في مسنده (١٣٩ / ٥) .

والحاكم في المستدرک (٥١٠ / ٣) وصححه ووافقه الذهبي ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٦١ / ٩) وقال :

رواه عبد الله بن أحمد في المسند في حديث طويل في علامات النبوة ورجاله ثقات .

٢٠٩٢ - البزار : كشف الأستار (٢٦٨ / ٣) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٦٢ / ٩) : رواه البزار ورجاله رجال

الصحيح غير أبي ميمونة الفارسي وهو ثقة .

٢٠٩٣ - البخاري (٥٥٧ / ٩) - ٧٠ - كتاب الأطعمة - ٣٢ - باب الحلوى والعسل .

الخبر : الطعام المختبر .

استقرأت : فلاناً آية كذا ، أي : طلبت إليه أن يقرئنيها .

العُكَّة : ظرف السمن .

اللمق : أخذ الطعام بالأصابع ولحسها ، وذلك لقلة الشيء .

(١) الترمذي (٦٥٥ / ٥) - ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٠ - باب مناقب جعفر بن أبي طالب .

وقال : هذا حديث غريب .

ابن أبي طالب لم يُجِبني حتى يذهب بي إلى منزله ، فيقول لامرأته : يا أسَاءُ أَطْعَمِينَا شَيْئاً .
فإذا أَطْعَمْتَنَا أَجَابَنِي ، وكان جعفر يحب المساكين ، ويجلس إليهم ويحدثهم ويحدثونه ، وكان
رسولُ الله ﷺ يَكْنِيهِ بأبي المساكين .

٢٠٩٤ - * روى الترمذي عن عبد الله بن رافع رضي الله عنه قال : قلت لأبي هريرة :
لم كُنَيْتَ بأبي هريرة ؟ قال : أما تَفَرِّقُ مِنِّي ؟ قلت : بلى ، والله إني لأهابك . قال : كنت
أرعى غَنَمَ أَهْلِي ، وكانت لي هُرَيْرَةٌ صَغِيرَةٌ ، فكنت أضعُهَا بِاللَّيْلِ فِي شَجَرَةٍ ، فإذا كان
النهار وَسَرَّخْتُ الغنم ذَهَبْتُ بِهَا مَعِيَ ، فَلَعِبْتُ بِهَا ، فَكَنَوْنِي أبا هريرة .

* * *

٢٠٩٤ - الترمذي (٥ / ٦٨٦) ٥٠ - كتاب المناقب - ٤٧ - باب مناقب لأبي هريرة رضي الله عنه .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

تَفَرَّقَ : الْفَرَقَ : الْفَرَعَ وَالْخَوَفَ .

هُرَيْرَةٌ : الْهَرِيرَةُ : تَصْغِيرُ الْهَرَّةِ .

٣٠ - حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه

قال ابن حجر في الإصابة : حاطب بن أبي بلتعة بفتح الموحدة وسكون اللام بعدها مثناة ثم مهملة مفتوحات ابن عمرو بن عير بن سلمة بن صعب بن سهل اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزي .. يقال إنه حالف الزبير ، وقيل كان مولى عبيد الله بن حميد بن زهير ابن الحارث بن أسد فكتبه فأدى مكاتبته . اتفقوا على شهوده بدرًا ، وثبت ذلك في الصحيحين من حديث علي في قصة كتابة حاطب إلى أهل مكة يخبرهم بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم فنزلت فيه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَكُمْ ﴾ ^(١) الآية فقال عمر : دعني أضرب عنقه . فقال : إنه شهد بدرًا . واعتذر حاطب بأنه لم يكن له في مكة عشيرة تدفع عن أهله فقبل عذره .

وروى قصته ابن مردويه من حديث ابن عباس فذكر معنى حديث علي وفيه : فقال : « يا حاطب ما دعاك إلى ما صنعت ؟ » فقال : يا رسول الله كان أهلي فيهم فكتبت كتاباً لا يضر الله ولا رسوله . وروى ابن شاهين والباوردي والطبراني وسمويه من طريق الزهري عن عروة عن عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة قال : وحاطب رجل من أهل اليمن ، وكان حليفاً للزبير ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد شهد بدرًا ، وكان بنوه وإخوته بمكة فكتب حاطب من المدينة إلى كبار قريش ينصح لهم فيه ، فذكر الحديث نحو حديث علي ، وفي آخره : فقال حاطب : والله ما ارتبت في الله منذ أسلمت ولكنني كنت أمراً غريباً ولي بمكة بنون وإخوة الحديث ، وزاد في آخره : فأنزل الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ الآيات .

ورواه ابن مردويه من حديث أنس وفيه نزول الآية . ورواه ابن شاهين من حديث ابن عمر بإسناد قوي . وروى مسلم وغيره من طريق أبي الزبير عن جابر أن عبداً لحاطب ابن أبي بلتعة جاء يشكو حاطباً فقال : يا رسول الله ليدخلن حاطب النار . فقال : « لا فإنه شهد بدرًا والحديبية » .

(١) المتحنة : ١ .

وروى ابن السكن من طريق محمد بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه عن حاطب :
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « يزوج المؤمن في الجنة ثنتين وسبعين
زوجة سبعين من نساء الجنة وثلثين من نساء الدنيا » وأغرب أبو عمر فقال : لا أسلم
له غير حديث واحد : « من رآني بعد موتي » . الحديث ، قلت : وقد ظفرت بغيره كما ترى
ثم وجدت له ثلاثة أحاديث غيرها .

وروى مالك في الموطأ له قصة مع رفيقه في عهد عمر وقال المرزباني في معجم الشعراء :
كان أحد فرسان قريش في الجاهلية وشعرائها . وقال ابن أبي خيثمة : قال المدائني : مات
حاطب في سنة ثلاثين في خلافة عثمان وله خمس وستون سنة . وكذا رواه الطبراني عن يحيى
ابن بكير . ا . هـ .

قال الذهبي في ترجمته : من مشاهير المهاجرين ؛ شهد بدرًا والمشاهد .

وكان رَسُولَ النَّبِيِّ ﷺ إلى الْمَقْوَس ، صاحب مصر .

وكان تاجراً في الطعام ، له عبيد . وكان من الرماة الموصوفين .

ذكره الحاكم في « مستدركه » فقال : كان حسنَ الجسم ، خفيفَ اللحية ، أجنى ^(١) ، إلى
القصر ما هو ، شَتْنُ الأصابع ^(٢) . اهـ .

٢٠٩٥ - * روى مسلم عن جابر : أن عبداً لحاطب شكاً حاطباً فقال : يا نبي الله ،
ليدخلن النار . قال : « كذبت ، لا يدخلها فإنه قد شهد بدرًا والحديثية » .

٢٠٩٦ - * روى البخاري ومسلم عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ - وَهُوَ كَاتِبُ عَلِيٍّ - قَالَ :

(١) أجنى : في كاهله انحناء على صدره ولم يبلغ الاحديداب .

(٢) شَتْنُ الأصابع : غليظها .

٢٠٩٥ - مسلم (٤ / ١٩٤٢) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٦ - باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب
ابن أبي بلتعة .

٢٠٩٦ - البخاري (٦ / ١٤٣) ٥٦ - كتاب الجهاد - ١٤١ - باب في الجاسوس .

ومسلم (٤ / ١٩٤١ ، ١٩٤٢) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٦ - باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة
حاطب ابن أبي بلتعة .

سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَقُولُ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرُ وَالْمِقْدَادُ . فَقَالَ : « أَتُوا رَوْضَةَ خَاجٍ . فَإِنَّ بِهَا ظِعِينََّةً مَعَهَا كِتَابٌ . فَخُذُوهُ مِنْهَا » . فَأَنْطَلَقْنَا تَعَادَى بَنَّا حَيْلُنَا . فَإِذَا نَحْنُ بِالْمَرْأَةِ . فَقُلْنَا : أَخْرِجِي الْكِتَابَ . فَقَالَتْ : مَا مَعِيَ كِتَابٌ . فَقُلْنَا : لَتُخْرِجِي الْكِتَابَ أَوْ لَتُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ . فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا ، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . فَإِذَا فِيهِ : مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا حَاطِبُ ! مَا هَذَا ؟ » قَالَ : لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ قَالَ سَفِيَانُ : (كَانَ حَلِيفًا لَهُمْ . وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا) وَكَانَ مِمَّنْ كَانَ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ ، فَأَحْبَبْتُ ، إِذْ قَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ ، أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي . وَلَمْ أَفْعَلْهُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي . وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « صَدَقَ » . فَقَالَ عُمَرُ : دَعْنِي . يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَضْرِبُ عَنْقَ هَذَا الْمُنَافِقِ . فَقَالَ : « إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا . وَمَا يُذَرِّيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلٍ بَدْرٍ فَقَالَ : اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ . فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ (١) .

وقال الذهبي : وقد أتى بعضُ مواليه إلى عمر بن الخطاب يشكون منه من أجل النفقة عليهم ، فلامه في ذلك .

وعبد الرحمن ولده ، ممن وُلد في حياة النبي ﷺ ، وله رؤية .

يروى عنه ولده الفقيه يحيى ، وعروة بن الزبير ، وغيرهما . توفي سنة ثمان وستين .

ومات حاطب سنة ثلاثين . ا . هـ .

= روضة خاج : هي بخاءين معجمتين . هذا هو الصواب الذي قاله العلماء كافة من جميع الطوائف في جميع الروايات والكتب . وهي بين مكة والمدينة . بقرب المدينة .
لأن بها ظمينة : الظمينة هنا الجارية . وأصلها المودج . وسُميت بها الجارية لأنها تكون فيه .
تغاذى : أي تجري .
عقاصها : أي شعرها المظفور ، جمع عقصة .
(١) المتحنة : ١ .

٣١ - جَلِيْبِيْب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

قال ابن حجر : جليبيب غير منسوب .. وهو تصغير جلياب .. روى مسلم من حديث حماد عن ثابت عن كنانة بن نعيم عن أبي برزة الأسلمي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في مغزى له فأفاء الله فقال : « هل تفقدون من أحد ؟ » قالوا : نفقد فلاناً وفلاناً قال : ولكنني أفقد جليبيباً فذكر الحديث . وأخرجه النسائي . وله ذكر في حديث أنس في تزويجه بالأنصارية وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لكنك عند الله لست بكاسد » . وهو عند البرقاني في مستخرجه في حديث أبي برزة أيضاً ، وقد أخرجه أحمد مطولاً ، وأخرجه أحمد عن عبد الرزاق . وحكى ابن عبد البر في ترجمته أنه نزل في قصته ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ الآية . ولم أر ذلك في شيء من طرقه الموصولة من حديث أنس ومن حديث أبي برزة . ا.هـ .

٢٠٩٧ - * روى أحمد والبخاري عن أنس قال : كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له جليبيب في وجهه دمامة فعرض عليه رسول الله ﷺ التزويج ، قال : إذن تجدي كاسداً . فقال : « غير أنك عند الله لست بكاسد » .

٢٠٩٨ - * روى مسلم عن أبي برزة : أن النبي ﷺ كان في مغزى له ، فأفاء الله عليه ، فقال لأصحابه : « هل تفقدون من أحد ؟ » قالوا : نعم . فلاناً وفلاناً وفلاناً . ثم قال : « هل تفقدون من أحد ؟ » قالوا : نعم . فلاناً وفلاناً وفلاناً . ثم قال : « هل تفقدون من أحد ؟ » قالوا : لا . قال : « لكنني أفقد جليبيباً . فاطلبوه » . فطلب في القتلى . فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ، ثم قتلوه . فأتى النبي ﷺ فوقف عليه فقال : « قتل سبعة . هذا مني وأنا منه . هذا مني وأنا منه » . قال : فوضعه على ساعديه . ليس له إلا ساعدا النبي ﷺ . قال : فحفر له ووضع في قبره . ولم يذكر غسله .

٢٠٩٧ - أحمد في مسنده : (١٦١ / ٣) .

وأخرج نحوه البخاري مطولاً : كشف الاستار (٣٠ / ٢٧٥ ، ٢٧٦) كتاب علامات النبوة ، باب مناقب جليبيب . وقال الهيثمي في المجمع (٩ / ٣٦٨) : رواه أحمد والبخاري ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

٢٠٩٨ - مسلم (٤ / ١٩١٨) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٧ - باب من فضائل جليبيب رضي الله عنه .

٢٠٩٩ - * روى أحمد عن أبي برزة الأسلمي أن جلييباً كان امراً يدخل على النساء يمر بهن ويلعبهن ، فقلت لامرأتي : لا تدخلن عليكم جلييباً إن دخل عليكم لأفعلن ولأفعلن . قال : وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم لم يزوجه حتى يعلم هل للنبي ﷺ فيها حاجة أم لا . فقال النبي ﷺ لرجل من الأنصار : « زوجني ابنتك » . قال : نعم وكرامة يارسول الله ونعمة عين . قال : « إني لست أريدها لنفسي » . قال : فلمن يارسول الله ؟ قال : « لجلييب » . قال : أشاور أمها . فقال : إن رسول الله ﷺ يخطب ابنتك . قالت : نعم ونعمة عين . قال : إنه ليس يخطبها لنفسه إنما يخطبها لجلييب . قالت : لجلييب أنيه لجلييب أنيه لا لعمر الله لا نزوجه . فلما أن أراد ليقوم ليأتي النبي ﷺ ليخبره بما قالت أمها ، قالت الجارية : من خطبني إليكم ؟ فأخبرتها أمها ، فقالت : أتردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ادفعوني إليه فإنه لن يضيعني ، فانطلق أبوها إلى رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال : « شأنك بها فزوجها جلييباً » . قال : فخرج رسول الله ﷺ في غزاة له . قال : فلما أفاء الله عز وجل عليه قال : « هل تفقدون من أحد ؟ » . قالوا : لا . قال : « لكنني أفقد جلييباً » . قال : « فاطلبوه » . فوجدوه إلى جنب سبعة قتلهم ثم قتلوه ، فقالوا : يارسول الله ها هو ذا إلى جنب سبعة قتلهم ثم قتلوه ، فأتاه النبي ﷺ فقال : « قتل سبعة ثم قتلوه هذا مني وأنا منه » . مرتين أو ثلاثاً ، ثم وضعه رسول الله ﷺ على ساعديه وحفر له ما له سرير إلا ساعد النبي ﷺ ثم وضعه في قبره لم يذكر أنه غسله . قال ثابت : فما كان في الأنصار أيم أنفق منها . وحدث إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ثابتاً هل تعلم ما دعا لها رسول الله ﷺ ، قال : « اللهم صب عليها الخير صباً ولا تجعل عيشها كذا كذا » . قال : فما كان في الأنصار أيم أنفق منها .

* * *

٢٠٩٩ - أحمد في مسنده (٤ / ٤٢٢) . وأورده المهيبي في جمع الزوائد (١ / ٣٦٧) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال

الصحيح .

أيم : الأيم : المرأة التي لا زوج لها ، بكرًا كانت أو ثيبًا .

كذا : الكد الشدة والتعب .

٣٢ - حارثة بن سراقه رضي الله عنه

قال ابن حجر : حارثة بن سراقه بن الحارث بن عدي بن مالك بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري النجاري ، وأمه الرُبَيْع بنت النضر عمة أنس بن مالك .. استشهد يوم بدر . وروى أحمد والطبراني من طريق حماد بن سلمة عن ثابت بن أنس والبخاري والنسائي من غير وجه عن حميد عن أنس والترمذي من طريق سعيد عن قتادة عن أنس فاتفقوا على أنه قتل يوم بدر . وهكذا ذكره ابن إسحاق وموسى بن عقبة وأبو الأسود فيمن شهد بدرًا وقتل بها من المسلمين ولم يختلف أهل المغازي في ذلك ، واعتمد ابن منده على ما وقع في رواية لحماة بن سلمة فقال : استشهد يوم أحد ، وأنكر ذلك أبو نعيم فبالغ كعادته ، ووقع في رواية للطبراني من طريق حماد ، والبغوي من طريق حميد أنه قتل يوم أحد فالله أعلم والمعتد الأول . ١ هـ .

٢١٠٠ - * روى البخاري عن أنس أن أم حارثة بن سراقه أتت النبي ﷺ فقالت يا نبي الله : ألا تحدثني عن حارثة ؟ - وكان قُتِلَ يوم بدر أصابه سهمٌ غَرَبَ - فإن كان في الجنة صبرتُ ، وإن كان غير ذلك اجتهدتُ عليه في البكاء ، قال : « يا أم حارثة : إنها جنانٌ في الجنة ، وإن أثبتكِ أصابَ الفردوسَ الأعلى » .

* * *

٢١٠٠ - البخاري (٦ / ٢٥) ٥٦ - كتاب الجهاد ، باب : ١٤ .

سهم غَرَبَ : سهم بعيد من غير توقع .

٣٣ - قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنها

قال ابن كثير في ترجمته : قيسُ بنُ سعدِ بنِ عبادةَ الخزرجي صحابي جليل كآبيه ، وله في الصحيحين حديث ، وهو القيام للجنائز ، وله في المسند حديث في صوم عاشوراء ، وحديث غسل رسول الله ﷺ في دارهم وغير ذلك ، وخدم رسول الله ﷺ عشر سنين ، وحمل لواء رسول الله ﷺ في بعض الغزوات ، واستعمله على الصدقة ، ولما بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح ومعه ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار ، فأصابهم ذلك الجهد الكثير فنحر لهم قيس بن سعد تسع جزائر ، حتى وجدوا تلك الدابة على سيف البحر فأكلوا منها ، وأقاموا عليها شهراً حتى سمنوا ، وكان قيس سيداً مطاعاً كريماً مدحاً شجاعاً ، ولّاه عليّ نيابة مصر ، وكان يقاوم بدهائه وخديعته وسياسته لمعاوية وعمرو بن العاص ، ولم يزل معاوية يعمل عليه حتى عزله علي عن مصر وولى عليها محمد بن أبي بكر الصديق ، فاستخفه معاوية ، ولم يزل حتى أخذ منه مصر .

وقال موسى بن عقبة : قالت عجوز لقيس : أشكو إليك قلة فأر بيتي ، فقال قيس : ما أحسن هذه الكناية ! ! املأوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمرّاً .

وقال غيره : كانت له صحيفة يدار بها حيث دار ، وكان ينادي له مناد : هلموا إلى اللحم والثريد وكان أبوه وجده من قبله يفعلان كفعله ، وقال عروه بن الزبير : باع قيس ابن سعد من معاوية أرضاً بتسعين ألفاً ، فقدم المدينة فنادى مناديه : من أراد القرض فليأت ، فأقرض منها خمسين ألفاً وأطلق الباقي ، ثم مرض بعد ذلك فقل عواده ، فقال لزوجته - قريبة بنت أبي عتيق أخت أبي بكر الصديق - إني أرى قلة من عادي في مرضي هذا ، وإني لأرى ذلك من أجل مالي على الناس من القرض ، فبعث إلى كل رجل من كان له عليه دين بصكه المكتوب عليه ، فوهبهم ماله عليهم ، وقيل : إنه أمر مناديه فنادى : من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو منه في حل ، فما أمسى حتى كسرت عتبة بابه من كثرة العواد ، وكان يقول : اللهم ارزقني مالاً وفعالاً ، فإنه لا يصلح الفعال إلا بالمال . وقال سفيان الثوري : اقترض رجل من قيس بن سعد ثلاثين ألفاً فلما جاء ليوفيه إياها قال له قيس : إنا قوم ما أعطينا أحداً شيئاً فنرجع فيه . وقال الهيثم بن عدي : اختلف ثلاثة

عند الكعبة في أكرم أهل زمانهم ، فقال أحدهم : عبد الله بن جعفر ، وقال الآخر : قيس ابن سعد ، وقال الآخر : عرابة الأوسي ، فتأروا في ذلك حتى ارتفع ضجيجهم عند الكعبة ، فقال لهم رجل : فليذهب كل رجل منكم إلى صاحبه الذي يزعم أنه أكرم من غيره ، فلينظر ما يعطيه وليحكم على العيان . فذهب صاحب عبد الله بن جعفر إليه فوجده قد وضع رجله في الغرّز [ركاب الخيل] ليذهب إلى ضيعة له ، فقال له : يا ابن عم رسول الله ابن سبيل ومنقطع به ، قال : فأخرج رجله من الغرّز وقال : ضع رجلك واستو عليها فهي لك بما عليها ، وخذ ما في الحقيبة ولا تخذعنّ عن السيف فإنه من سيوف علي ، فرجع إلى أصحابه بناقة عظيمة وإذا في الحقيبة أربعة آلاف دينار ، ومطارف من خز وغير ذلك ، وأجلّ ذلك سيف علي بن أبي طالب . ومضى صاحب قيس بن سعد إليه فوجده نائماً ، فقالت له الجارية : ما حاجتك إليه ؟ قال : ابن سبيل ومنقطع به ، قالت : فحاجتك أيسر من إيقاظه ، هذا كيس فيه سبعة دنانير ما في دار قيس مال غيره اليوم ، واذهب إلى مولانا في معاطن الإبل فخذ لك ناقة وعبداء ، واذهب راشداً . فلما استيقظ قيس من نومه أخبرته الجارية بما صنعت فأعتقها شكراً على صنيعها ذلك ، وقال : هلا أيقظتيني حتى أعطيه ما يكفيه أبداً ، فلعل الذي أعطيتيه لا يقع منه موقع حاجته . وذهب صاحب عرابة الأوسي إليه فوجده وقد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يتوكأ على عبيدين له . وكان قد كفّ بصره . فقال له : يا عرابة ، فقال : قل ، فقال : ابن سبيل ومنقطع به ، قال : فخلى عن العبدین ثم صفق بيديه ، باليمنى على اليسرى ، ثم قال : أوّه أوّه ، والله ما أصبحت ولا أمسيت وقد تركت الحقوق من مال عرابة شيئاً ، ولكن خذ هذين العبدین ، قال : ما كنت لأفعل ، فقال : إن لم تأخذها فهما حران ، فإن شئت فأعتق ، وإن شئت فخذ . وأقبل يلتبس الحائط بيده ، قال : فأخذها وجاء بها إلى صاحبيه ، قال فحكم الناس على أن ابن جعفر قد جاد بمال عظيم ، وأن ذلك ليس بمستنكر له ، إلا أن السيف أجلها ، وأن قيساً أحد الأجواد حكم مملوكته في ماله بغير علمه واستحسن فعلها وعتقها شكراً لها على ما فعلت ، وأجمعوا على أن أسخى الثلاثة عرابة الأوسي ، لأنه جاد بجميع ما يملكه ، وذلك جهد من مقل . وقال سفيان الثوري عن عمرو عن أبي صالح قال : قسم سعد بن عباد ماله بين أولاده وخرج إلى الشام فمات بها ، فولد له ولد بعد وفاته ، فجاء أبو بكر وعمر إلى

قيس بن سعد فقالا : إن أباك قسم ماله ولم يعلم بحال هذا الولد إذ كان حملاً ، فاقسموا له معكم ، فقال قيس : إني لا أغير ما فعله سعد ولكن نصيبي له ...

وقال ابن أبي خيثمة : كان قيس بن سعد لا يزال هكذا رافعاً أصبعه المسبحة - يعني يدعو - وقد تقدم أن محمد بن أبي حذيفة كان قد تغلب على مصر وأخرج منها عبد الله بن أبي سرح ، نائب عثمان بعد عمرو بن العاص ، فأقره عليها عليّ مدة يسيرة ثم عزله بقيس بن سعد ، فلما دخلها سار فيها سيرة حسنة وضبطها ، وذلك سنة ست وثلاثين ، فتقل أمره على معاوية وعمرو بن العاص ، فكاتباه ليكون معها على علي فامتنع وأظهر للناس مناصحته لهما ، وفي الباطن هو مع عليّ ، فبلغ ذلك علياً فعزله وبعث إلى مصر الأشتر النخعي فأتى الأشتر في الرملة قبل أن يصل إليها ، فبعث عليّ محمد بن أبي بكر فخفف أمره على معاوية وعمرو ، فلم يزالا حتى أخذاه منه الديار المصرية ، وقتل محمد بن أبي بكر هذا وأحرق في جيفة حمار . ثم سار قيس إلى المدينة ، ثم سار إلى علي بن أبي طالب إلى العراق ، فكان معه في حروبه حتى قتل علي ، ثم كان مع الحسن بن علي حين سار إلى معاوية ليقاتله ، فكان قيس على مقدمة الجيش ، فلما بايع الحسن معاوية ساء قيساً ذلك وما أحبه ، وامتنع من طاعة معاوية ، ثم ارتحل إلى المدينة ، ثم قدم على معاوية في وفد من الأنصار فبايع معاوية بعد معاتبة شديدة وقعت بينهما ، وكلام فيه غلظة ، ثم أكرمه معاوية وقدمه وحظي عنده ، فبينما هو مع الوفود عند معاوية إذ قدم كتاب ملك الروم على معاوية وفيه : أن ابعث إلي سراويل أطول رجل في العرب ، فقال معاوية : ما أرانا إلا قد احتجنا إلى سراويلك ؟ - وكان قيس مديد القامة جداً لا يصل أطول الرجال إلى صدره - فقام قيس فتنحى ثم خلع سراويله فألقاها إلى معاوية فقال له معاوية : لو ذهبت إلى منزلك ثم أرسلت بها إلينا ، فأنشأ يقول عند ذلك : -

أردتُ بها كي يعلمَ الناسُ أنها سراويلُ قيسٍ والوفودُ شهودُ
وأنْ لا يقولوا غابةَ قيسٍ وهذه سراويلُ عادٍ مُتَّةٌ وثمودُ
وإني منَ الحيِّ النِّبانيِّ لسيِّدٍ وما الناسُ إلا سيِّدٌ ومَسودُ
فكيِّدُهم بمثلي إنْ مثلي عليهم شديداً وخلقي في الرجالِ مديدُ

وفضّلني في الناس أصلً والِدٌ وباعَ بهِ أعلو الرجالَ مديدٌ

قال : فأمر معاوية أطول رجل في الوفد فوضعها على أنفه فوقعت بالأرض ، وفي رواية أن ملك الروم بعث إلى معاوية برجلين من جيشه يزعم أن أحدهما أقوى الروم ، والآخر أطول الروم فانظر هل في قومك من يفوقها في قوة هذا وطول هذا ، فإن كان في قومك من يفوقها بعثت إليك من الأسارى كذا وكذا ، ومن التُّحف كذا وكذا ، وإن لم يكن في جيشك من هو أقوى وأطول منهما فهادِنِي ثلاث سنين . فلما حضرا عند معاوية قال : من لهذا القوي ؟ فقالوا : ماله إلا أحد رجلين ، إما محمد بن الحنفية ، أو عبد الله بن الزبير ، فجاء بمحمد بن الحنفية وهو ابن علي بن أبي طالب ، فلما اجتمع الناس عند معاوية قال له معاوية : أتعلم فيم أرسلت إليك ؟ قال : لا ! فذكر له أمر الرومي وشدة بأسه ، فقال للرومي : إما أن تجلس لي أو أجلس إليك وتناولني يدك أو أناولك يدي ، فأينما قدر أن يقيم الآخر من مكانه غلبه ، وإلا فقد غلب . فقال له : ماذا تريد ؟ تجلس أو أجلس ؟ فقال له الرومي : بل اجلس أنت ، فجلس محمد بن الحنفية وأعطى الرومي يده فاجتهد الرومي بكل ما يقدر عليه من القوة أن يزيله من مكانه أو يحركه ليقينه فلم يقدر على ذلك ، ولا وجد إليه سبيلاً ، فغلب الرومي : عند ذلك ، وظهر لمن معه من الوفود من بلاد الروم أنه قد غلب ، ثم قام محمد بن الحنفية فقال للرومي : اجلس لي ، فجلس وأعطى محمداً يده فما أمهله أن أقامه سريعاً ، ورفع في الهواء ثم ألقيه على الأرض فسر بذلك معاوية سروراً عظيماً ، ونهض قيس بن سعد فتنحى عن الناس ثم خلع سراويله وأعطاهما لذلك الرومي الطويل فلبسها فبلغت إلى ثدييه وأطرافها تخط بالأرض ، فاعترف الرومي بالغلب ، وبعث ملكهم ما كان التزمه لمعاوية ، وعاتب الأنصار قيس بن سعد في خلعه سراويله بحضرة الناس فقال ذلك الشعر المتقدم معذراً به إليهم ، وليكون ذلك ألزم للحجة التي تقوم على الروم ، وأقطع لما حاولوه . ورواه الحميدي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال : كان قيس بن سعد رجلاً ضخماً جسيماً صغير الرأس له لحية في ذقنه ، وكان إذا ركب الحمار العالي خطت رجلاه بالأرض ، وقال الواقدي وخليفة بن خياط وغير واحد : توفي بالمدينة في آخر خلافة معاوية . وذكر ابن الجوزي وفاته في هذه السنة ، فتبعناه في ذلك . اهـ .

وقال ابن حجر في الإصابة : قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري الخزرجي مختلف في كنيته فقليل أبو الفضل وأبو عبد الله وأبو عبد الملك ، وذكر ابن حبان أن كنيته أبو القاسم وأمه بنت عم أبيه واسمها فكيهة بنت عبيد بن دليم وقال ابن عيينة عن عمرو بن دينار : كان قيس ضخماً حسناً طويلاً إذا ركب الحمار خطت رجلاه الأرض وقال الواقدي : كان سخيّاً كريماً داهية . وأخرج البغوي من طريق ابن شهاب قال : كان قيس حامل راية الأنصار مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان من ذوي الرأي من الناس . وقال ابن يونس : شهد فتح مصر واختط بها داراً ثم كان أميرها لعل ، وذكر الزبير أنه كان سناً ليس في وجهة شعرة فقال : إن الأنصار كانوا يقولون وددنا أن نشترى لقيس بن سعد لحية بأموالنا قال أبو عمر : وكذلك كان شريح وعبد الله بن الزبير لم يكن في وجوههم شعرة . وأخرج البخاري في التاريخ من طريق مريم بن أسعد قال : رأيت قيس بن سعد وقد خدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشر سنين . وقال أبو عمر : كان أحد الفضلاء الجليلة من دهاة العرب من أهل الرأي والمكيدة في الحرب مع النجدة والسخاء والشجاعة ، وكان شريف قومه غير مدافع وكان أبوه وجده كذلك . وفي الصحيح عن جابر في قصة جيش العسرة أنه كان في ذلك الجيش ، وأنه كان ينحر ويطعم حتى استدان بسبب ذلك ، ونهاه أمير الجيش وهو أبو عبيدة وفي بعض طرقه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : الجود من شية أهل ذلك البيت ، رويناه في الغيلانيات وأخرجه ابن وهب من طريق بكر بن سودة عن أبي حمزة ابن جابر ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المشاهد وأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الفتح الراية من أبيه فدفعها له .

روى قيس بن سعد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن أبيه روى عنه أنس وثلعبنة ابن أبي مالك وأبو ميسرة وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعروة وآخرون ، وصحب قيس علياً وشهد معه مشاهدته وكان قد أمره على مصر فاحتال عليه معاوية فلم ينخدع له فاحتال على أصحاب علي حتى حسنوا له تولية محمد بن أبي بكر فؤاده مصر ، وارتحل قيس فشهد مع علي صفين ثم كان مع الحسن بن علي حتى صالح معاوية فرجع قيس إلى المدينة فأقام بها .

قال خليفة وغيره : مات في آخر خلافة معاوية بالمدينة . قال ابن حبان : كان هرب

من معاوية ومات سنة خمس وثمانين في خلافة عبد الملك ، قال وقيل مات في آخر خلافة معاوية : قلت : وقول خليفة ومن وافقه هو الصواب . ا هـ .

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء : قيس بن سعد بن عبادة بن ذؤلم بن حارثة بن أبي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، الأمير المجاهد ، أبو عبد الله سيّد الخزرج وابن سيّدهم أبي ثابت ، الأنصاري الخزرجي الساعدي ، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه . وفد على معاوية ، فاحترمه ، وأعطاه مالا .

قال أحمد بن البرقي : كان صاحب لواء النبي في بعض مغازيه . وكان بمصر والياً عليها لعلي .

وقال ابن يونس : شهد فتح مصر ، واختط بها داراً ، ووليها لعلي سنة ست [وثلاثين] ، وعزله عنها سنة سبع [وثلاثين] .

الزهري : أخبرني ثعلبة بن أبي مالك : أن قيس بن سعد - وكان صاحب لواء النبي ﷺ - أراد الحج ، فرجل أحد شقي رأسه ، فقام غلام له ، فقلّد هديّة ، فأهلّ وما رجل شقة الآخر .

أقول : لم يرجل لأنه دخل في الإحرام ، وقد خشي أن يتساقط شيء من شعر رأسه بسبب ترجيله .

وذكر عاصم بن عمر : أن النبي ﷺ استعمل قيس بن سعد على الصدقة .

قال مسعر : عن معبد بن خالد ، قال : كان قيس بن سعد لا يزال هكذا رافعاً أصبعه المسبحة ، يعني : يدعو .

وجود قيس يضرب به المثل ، وكذلك دهاؤه .

روى الجراح بن مليح البهراي ، عن أبي رافع ، عن قيس بن سعد ، قال : لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المكّر والحديعة في النار » لكنت من أمكر هذه الأمة ^(١) .

(١) إسناده حسن والمكر والحديعة : اسنان لكل فعل يقصد فاعله في باطنه خلاف ما يقتضيه ظاهره ، والمذموم من =

ابن عيينة : حدثني عمرو ، قال : قال قيس : لولا الإسلام ، لمكرت مكرأ لا تطيقه العرب .

وعن الزهري : كانوا يَعْدُونَ قيساً من دُهاة العرب ، وكان من ذوي الرأي ، وقالوا : دُهاة العرب حين ثارت الفتنة خمسة : معاوية ، وعمرو ، وقيس ، والمغيرة ، وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي (١) .

وكان قيس وابن بديل مع علي ، وكان عمرو بن العاص مع معاوية ، وكان المغيرة معزلاً بالطائف حتى حكم الحكمان .

عوف عن محمد ، قال : كان محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن أبي حذيفة بن عتبة من أشدهم على عثمان ، فأمر علي قيس بن سعد على مصر ، وكان حازماً . فنبئت أنه كان يقول لولا أن المكر فجور ، لمكرت مكرأ تضطرب منه أهل الشام بينهم ، فكتب معاوية وعمرو إليه يدعوانه إلى مبايعتهما ، فكتب إليهما كتاباً فيه غلظ ، فكتب إليهما بكتاب فيه عنف ، فكتب إليهما بكتاب فيه لين ، فلما قرآه ، علما أنهما لا يدان لهما بمكره ، فأذاعا بالشام أنه قد تابعنا ، فبلغ ذلك علياً ، فقال له أصحابه : أدرك مصر فإن قيساً قد بايع معاوية ، فبعث محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن أبي حذيفة إلى مصر ، وأمر ابن أبي بكر ، فلما قدما على قيس بنزعه ، علم أن علياً قد خديع فقال لمحمد : يا ابن أخي احذر - يعني أهل مصر - فإنهم سيسلمونكم ، فتقتلان . فكان كما قال .

وعن الزهري ، قال : قدم قيس المدينة فتوأم (٢) فيه الأسود بن أبي البختري ، ومروان أن يبيتاه (٣) ، وبلغ ذلك قيساً ، فقال : والله إن هذا لقبيح أن أفارق علياً وإن عزلي ، والله لألحقن به . فلحق به ، وحدثه بما كان يعتمد بمصر . فعرف علي أن قيساً كان يُداري

= ذلك أن يقصد فاعله إنزال مكروه بالخدوع ، وإياه قصد المصطفى ﷺ بهذا الحديث ، ومعناه : يؤديان بقاصدهما إلى النار . قاله الراغب .

(١) عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي الصحابي الجليل ، انتهت إليه رئاسة خزاعة ، وكان فصيحاً لساناً ، أسلم يوم الفتح ، وشهد حنيناً وما بعدها ، وقتل يوم صفين .

(٢) يتوأم : أي تأمر . (٣) يبيتاه : يقتلاه ليلاً .

أمراً عظيماً بالمكيدة ، فأطاع عليّ قيساً في الأمرِ كُلِّه ، وجعله على مُقَدِّمَةِ جيشه ، فبعث معاويةً يؤنب مروان والأسود ، وقال : أمددتهما عليّاً بقيس ؟ والله لو أمددتهما بمائة ألف مقاتل ، ما كان بأغيظَ عليٍّ من إخراجكما قيساً إليه .

هشام بن عروة : عن أبيه ، كان قيسٌ مع عليٍّ في مُقَدِّمته ومعه خمسة آلاف قد حلقوا رؤوسهم بعد ما مات عليٌّ ، فلما دخل الحسن في بيعة معاوية أبي قيسٍ أن يدخل ، وقال لأصحابه : إن شئتم جالدتُ بكم أبداً حتى يموت الأعجل ، وإن شئتم أخذتُ لكم أماناً . فقالوا : خذ لنا ، فأخذ لهم ، ولم يأخذ لنفسه خاصة . فلما ارتحل نحو المدينة ومعه أصحابه ، جعل ينحرُ لهم كلَّ يوم جزوراً حتى بلغ صِراًراً^(١) .

عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان ، قال : دخل قيسٌ بنُ سعيديٍّ في رهطٍ من الأنصار على معاوية فقال : يامعشر الأنصار ! بما تطلبون ما قبلي ؟ فوالله لقد كنتم قليلاً معي ، كثيراً عليٍّ ، وأفلتم حذّي يوم صفّين ، حتى رأيتُ المنايا تلطّفي في أسنتكم ، وهجوتوني حتى إذا أقام الله ما حاولتم ميله ، قلتُم : ارجع فينا وصية رسول الله ﷺ ، هيهات يا أبا الحقيين العُدرة^(٢) ، فقال قيسٌ : نطلب ما قبلك بالإسلام الكافي به الله ما سواه ، لا بما تمّت به إليك الأحزاب ، فأما عدواننا لك ، فلو شئت ، كففتها عنك ، وأما الهجاء فقول يزول باطله ، ويثبتُ حقه ، وأما استقامة الأمر عليك فعلى كُرهِ منا ، وأما قلنا حدّك ، فإننا كنا مع رجل نرى طاعته [طاعة] الله ، وأما وصية رسول الله ﷺ بنا فن آمن به رعاها .

وأما قولك : يا أبا الحقيين العُدرة ، فليس دون الله يد تحجزُك ، فشأنك فقال معاوية : سوءة^(٣) . ارفعوا حوائجكم . ا هـ . الذهبي .

(١) صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق .

(٢) العُدرة : العذر وهو مثل يضرب للرجل يعتذر ولا عذر له ، قال أبو عبيد : أصل ذلك أن رجلاً ضاف قوماً ، فاستسقام لبناً ، وعندهم لبن قد حقنوه في وطب ، فاعتلوا عليه ، واعتذروا فقال : أبا الحقيين العُدرة ، أي : هذا الحقيين يكذبكم .

(٣) السوءة : الفاحشة ، وكل عمل وأمر شائن ، يقال يُشعر بها قائلها أنه قد ارتكب غلطة .

٢١٠١ - * روى البخاري والترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كَانَ قَيْسُ ابْنِ سَعْدٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ يَمْنُزِلُهُ صَاحِبُ الشُّرْطِ مِنَ الْأَمِيرِ قَالَ الْأَنْصَارِيُّ . يَعْنِي مِمَّا يَلِي مِنْ أُمُورِهِ .

* * *

٢١٠١ - البخاري (١٣ / ١٣٣) ٩٣ - كتاب الأحكام - ١٢ - باب الحاكم يحكم بالقتل على من وجب عليه دون الإمام الذي فوّقه ، ولكن دون قول الأنصاري .
 والترمذي (٥ / ٦٩٠) ٥٠ - كتاب المناقب - ٥٢ - باب في مناقب قيس بن سعد بن عبادة .
 الشُّرْطُ : أعوان السلطان المرتّبون لتتبع أحوال الناس ، سَمُّوا بذلك لأنهم كانوا يُعَلِّمون على أنفسهم بعلامات يُعرّفون بها ، والأشراط : العلامات .

٣٤ - خالد بن الوليد رضي الله عنه

قال ابن حجر في الإصابة : خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي .. سيف الله أبو سليمان ، أمه لبابة الصغرى بنت الحارث بن حرب الهلالية وهي أخت لبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطلب وهما أختا ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان أحد أشراف قريش في الجاهلية ، وكان إليه أعنة الخيل في الجاهلية ، وشهد مع كفار قريش الحروب إلى عمرة الحديبية . كما ثبت في الصحيح أنه كان على خيل قريش طليعة ثم أسلم في سنة سبع بعد خير وقيل قبلها وروى عن أنه أسلم سنة خمس . قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس عن حبيب حدثني عمرو بن العاص من فيه قال : خرجت عامداً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبل الفتح وهو مقبل من مكة فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ قال : أذهب والله أسلم فحتى متى قلت وما جئت إلا لأسلم فقدمنا جميعاً فتقدم خالد فأسلم وباع ثم دنوت فبايعته ثم انصرفت ، ثم شهد غزوة مؤتة مع زيد بن حارثة فلما استشهد الأمير الثالث أخذ الراية فأنحاز بالناس وخطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأعلم الناس بذلك كما ثبت في الصحيح وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتح مكة فأبلى فيها وجرى مع له بني جذيمة ما جرى ، ثم شهد حنيناً والطائف وهذم العزى ، وله رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصحيحين وغيرهما . روى عنه ابن عباس وجابر والمقدام بن معدي كرب وقيس بن أبي حازم وعلقمة بن قيس وآخرون وأخرج الترمذي عن أبي هريرة قال : نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منزلاً فجعل الناس يرون فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من هذا » فأقول فلان ، حتى مر خالد فقال : « من هذا » قلت خالد بن الوليد فقال : « نعم عبد الله » ، هذا سيف من سيوف الله » ، رجاله ثقات . وأرسله النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أكيدر دومة فأسره ، وعن أنس وعن عمرو بن أبي سلمة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث خالداً إلى أكيدر دومة فأخذوه فأتوا به فحقن له دمه وصالحه على الجزية ، وأرسله أبو بكر إلى قتال أهل الردة فأبلى في قتالهم بلاء عظيماً ، ثم ولاء حرب فارس والروم فأثر فيهم تأثيراً شديداً ،

وافتح دمشق . وروى يعقوب بن سفيان من طريق أبي الأسود عن عروة قال : لما فرغ خالد من اليمامة أمره أبو بكر بالمسير إلى الشام فسلك عين النمر فسي ابنه الجودي من دومة الجندل ومضى إلى الشام فهزم عدو الله واستخلفه أبو بكر على الشام إلى أن عزله عمر .

وقال ابن أبي الدنيا عن قتادة قال : بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم خالد بن الوليد إلى العزى فهدمها وقال أبو زرعة الدمشقي حدثني علي بن عباس حدثنا الوليد حدثني وحشي عن أبيه عن جده أن أبا بكر عقد لخالد بن الوليد على قتال أهل الردة فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكفار » وقال أحمد عن عبد الملك بن عمير قال : استعمل عمر أبا عبيدة على الشام وعزل خالد بن الوليد فقال خالد : بعث عليكم أمين هذه الأمة سمعت رسول الله ﷺ يقول ، فقال أبو عبيدة سمعت رسول الله ﷺ يقول : خالد سيف من سيوف الله ، نعم فتى العشيرة ، وروى أبو يعلى من طريق الشعبي عن ابن أبي أوفى رفعه لا تؤذوا خالداً فإنه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار .

عن أبي هريرة في قصة الصدقة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إن خالداً احتبس أذراعه وأعتاده في سبيل الله » وفي البخاري عن قيس بن أبي حازم عن خالد بن الوليد قال : لقد اندق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما صبرت معي إلا صفيحة يمانية . وقال يونس بن أبي إسحاق عن أبي السفر : لما قدم خالد بن الوليد الحيرة أتى بسم فوضعه في راحته ثم سعى وشربه فلم يضره ، رواه أبو يعلى ورواه ابن سعد من وجهين آخرين وروى ابن أبي الدنيا بإسناد صحيح عن خيثمة قال : أتى خالد بن الوليد رجلاً معه زقٌ خمر فقال : اللهم اجعله عسلاً فصار عسلاً . وفي روايه له من هذا الوجه : مر رجل بخالد ومعه زق خمر فقال : ما هذا ؟ قال : خل . قال : جعله الله خلًا فنظر فإذا هو خل وقد كان خمرًا . وقال ابن سعد عن زياد مولى آل خالد قال : قال خالد عند موته ما كان في الأرض من ليلة أحب إلي من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو فعليكم بالجهاد وروى أبو يعلى من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن قيس قال : قال خالد : ما ليلة يهدى إلي فيها عروس أنا لها محب أو أبشر فيها بغلام أحب إلي من ليلة شديدة

الجليد ، فذكر نحوه ومن هذا الوجه عن خالد : لقد شغلني الجهاد عن تعلم كثير من القرآن وكان سبب عزل عمر خالداً ما ذكره الزبير بن بكار قال : كان خالد إذا صار إليه المال قسمه في أهل الغنائم ولم يرفع إلى أبي بكر حساباً وكان فيه تقدم على أبي بكر يفعل أشياء لا يراها أبو بكر وأقدم على قتل مالك بن نويرة ونكح امرأته فكره ذلك أبو بكر وعرض الدية على متمر بن نويرة وأمر خالداً بطلاق امرأة مالك ولم ير أن يعزله ، وكان عمر ينكر هذا وشبهه على خالد وكان أميراً عند أبي بكر بعثه إلى طليحة فهزم طليحة ومن معه ثم مضى إلى مسيلة فقتل الله مسيلة . قال الزبير : وحدثني محمد بن مسلم عن مالك بن أنس قال : قال عمر لأبي بكر اكتب إلى خالد لا يعطيني شيئاً إلا بأمرك فكتب إليه بذلك فأجابه خالد : إما أن تدعني وعملي والإفشأنك بعملك ، فأشار عليه عمر بعزله فقال أبو بكر : فمن يجزيء عني إجزاء خالد ؟ قال عمر : أنا . قال : فأنت ، فتجهز عمر حتى أنيخ الظهر في الدار فشى أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبي بكر فقالوا : ما شأن عمر يخرج أنت محتاج إليه وما بالك عزلت خالداً وقد كفأك ؟ قال : فما أصنع ؟ قالوا : تعزم على عمر فيقيم وتكتب إلى خالد فيقيم على عمله ، ففعل ، فلما قبل عمر [أي الخلافة] كتب إلى خالد أن لا تعطي شاة ولا بعيراً إلا بأمري ، فكتب إليه خالد بمثل ما كتب إلى أبي بكر فقال عمر : ما صدقت الله إن كنت أشرت على أبي بكر بأمر فلم أنفذه فعزله ، ثم كان يدعو إلى أن يعمل فيأبى إلا أن يخليه يفعل ما شاء ، فيأبى عمر . قال مالك : وكان عمر يشبه خالداً قال الزبير : ولما حضرت خالداً الوفاة أوصى عمر فتولى عمر وصيته وسمع راجزاً يذكر خالداً فقال : رحم الله خالداً فقال له طليحة ابن عبيد الله :

لا أعرفنك بعد الموت تنديني وفي حياتي مازودتنني زادي

فقال عمر : إني ما عتبت على خالد إلا في تقدمه ^(١) وما كان يصنع في المال . مات خالد بن الوليد بمدينة حمص سنة إحدى وعشرين وقيل توفي بالمدينة النبوية . اه ابن حجر .

(١) إلا في تقدمه : كان يتقدم الناس في الحرب وهو القائد ، وتلك خاطرة .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية : خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي أبو سليمان المخزومي ، سيف الله ، أحد الشجعان المشهورين ، لم يقهر في جاهلية ولا إسلام . وأمه عصماء بنت الحارث ، أخت لبابة بنت الحارث ، وأخت ميونة بنت الحارث أم المؤمنين . قال الواقدي : أسلم أول يوم من صفر سنة ثمان ، وشهد مؤتة وانتهت إليه الإمارة يومئذ عن غير إمرة ، فقاتل يومئذ قتالاً شديداً لم ير مثله ، اندقت في يده تسعة أسياف ، ولم تثبت في يده إلا صفيحة يمانية .

وقد روي أن خالداً سقطت قلنسوته يوم اليرموك وهو في الحرب فجعل يستحث في طلبها فعوتب في ذلك ، فقال : إن فيها شيئاً من شعر ناصية رسول الله ﷺ وإنها ما كانت معي في موقف إلا نصرت بها .

وقد روي في مسند أحمد ^(١) عن أبي بكر الصديق أنه لما أمر خالداً على حرب أهل الردة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « فنعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد ، خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين » .

وفي الصحيح : ^(٢) « وأما خالد فإنكم تظلمون خالداً وقد احتبس أذراعه وأعتدّه في سبيل الله » وشهد الفتح وشهد حنيناً وغزا بني جذيمة أميراً في حياته عليه السلام ، واختلف في شهوده خيبر وقد دخل مكة أميراً على طائفة من الجيش وقتل خلقاً كثيراً من قريش .

وبعثه رسول الله ﷺ إلى العزى - وكانت لهوازن - فكسر قناتها أولاً ثم دعثرها وجعل يقول : يا عَزْرُ كُفْرَانِكَ لا سبْحَانِكَ إني رأيتُ الله قد أهانك . ثم حرقها وقد استعمله الصديق بعد رسول الله ﷺ على قتال أهل الردة ومانعي الزكاة ، فشفى واشتفى ، ثم وجهه إلى العراق ثم أقي الشام فكانت له من المقامات ما ذكرناها مما تقرر بها القلوب والعيون ،

(١) أحمد في مسنده (٨ / ١) .

(٢) البخاري (٣ / ٣٣١) ٢٤ - كتاب الزكاة - ٤٩ - باب قول الله تعالى (التوبة : ٦٠) ﴿ وفي الرقاب والغارمين وفي

سبيل الله ﴾ .

وتتشنف بها الأسباع ، ثم عزله عمر عنها وولي أبا عبيدة وأبقاه مستشاراً في الحرب ، ولم يزل بالشام حتى مات على فراشه رضي الله عنه .

وقد روى الواقدي قال : لما حضرت خالداً الوفاة بكى ثم قال : لقد حضرت كذا وكذا زحفاً ، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة سيف ، أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، وهما أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء .

عن أنس قال : لقي خالد عدواً له فولى عنه المسلمون منهزمين وثبت هو وأخوه البراء ابن مالك ، وكنت بينهما واقفاً ، قال : فنكس خالد رأسه ساعة إلى الأرض ثم رفع رأسه إلى السماء ساعة - قال : وكذلك كان يفعل إذا أصابه مثل هذا - ثم قال لأخي البراء : قم فركبا ، واختطب خالد من معه من المسلمين وقال : ما هو إلا الجنة وما إلى المدينة سبيل ، ثم حمل بهم فهزم المشركين .

وقد روى البخاري في التاريخ وغيره عن ياسر بن سمي البرقي ، قال : سمعت عمر يعتذر إلى الناس بالجابية من عزل خالد ، فقال : أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين فأعطاه ذا البأس ، وذا الشرف واللسان ، فأمرت أبا عبيدة . فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة : ما اعتذرت يا عمر ، لقد نزعت عاملاً استعمله رسول الله ﷺ ، ووضعت لواء رفعه رسول الله ﷺ ، وأغمدت سيفاً سله الله ، ولقد قطعت الرحم ، وحسدت ابن العم . فقال عمر : إنك قريب القرابة ، حديث السن مغضب في ابن عمك .

وعن خالد أنه طلق امرأة من نسائه وقال : إني لم أطلقها عن ريبة ، ولكنها لم تمرض عندي ولم يصبها شيء في بدنّها ولا رأسها ولا في شيء من جسدها ، وروى سيف وغيره : أن عمر قال حين عزل خالداً عن الشام ، والمثنى بن حارثة عن العراق : إنما عزلتها ليعلم الناس أن الله نصر الدين لا بنصرهما وأن القوة لله جميعاً . وروى سيف أيضاً أن عمر قال حين عزل خالداً عن قنسرين وأخذ منه ما أخذ : إنك عليّ لكريم ، وإنك عندي لعزيز ، ولن يصل إليك مني أمر تكرهه بعد ذلك .

قال عبد الله بن المبارك : ولما حضرت خالد بن الوليد الوفاة قال : لقد طلبت القتل

في مظانه فلم يَقْدَر لي إلا أن أموت على فراشي ، وما من علي شيء أرجى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلة بتها وأنا متترس والسماء تهلني تمطر إلى الصبح ، حتى نغير على الكفار . ثم قال : إذا أنا متُ فانظروا إلى سلاحي وفرسي فاجعلوه عدة في سبيل الله . فلما توفي خرج عمر على جنازته فذكر قوله : ما على آل نساء الوليد أن يسفحن على خالد من دموعهن ما لم يكن نَقْعٌ أو لَقْلَقَةٌ ^(١) . وقد علق البخاري في صحيحه ^(٢) بعض هذا فقال : وقال عمر : دعهن يبكين على أبي سليمان ما لم يكن نَقْعٌ أو لَقْلَقَةٌ .

وقال محمد بن سعد : لما مات خالد بن الوليد اجتمع نسوة بني المغيرة في دار خالد يبكين عليه فقيل لعمر : إنهن قد اجتمعن في دار خالد يبكين عليه ، وهن خلفاء أن يسمعنك بعض ما تكره ، فأرسل إليهن فأنهن ، فقال عمر : وما عليهن أن ينزفن من دموعهن على أبي سليمان ، ما لم يكن نَقْعاً أو لَقْلَقَةً . ورواه البخاري في التاريخ من حديث الأعمش بنحوه .
وقال إسحاق بن بشر وقال محمد : مات خالد بن الوليد بالمدينة فخرج عمر في جنازته وإذا أمه تندبه وتقول :

أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ الْقُلُوبِ مَ إِذَا كَبَتْ وَجُوءَ الرَّجَالِ
فقال : صدقت والله إن كان كذلك .

وقال سيف بن عمر عن شيوخه عن سالم . قال : فأقام خالد في المدينة حتى إذا ظن عمر أنه قد زال ما كان يخشاه من افتتاح الناس به ، وقد عزم على توليته بعد أن يرجع من الحج ، واشتكى خالد بعده وهو خارج من المدينة زائراً لأمه فقال لها : احذرْوني إلى مهاجري ، فقدمت به المدينة ومرضته ، فلما ثقل وأظلم قدم عمر لقيه لاق على مسيرة ثلاث صاعداً عن حجة فقال له عمر مَهْمِمْ (أي مَالِكٌ ؟) فقال خالد بن الوليد : ثقيل لما به ، فطوى عمر ثلاثاً في ليلة فأدركه حين قَضَى ، فرق عليه واسترجع وجلس ببابه حتى جهز ، وبكته البواكي ، فقيل لعمر : ألا تسمع ؟ ألا تنهاهن ؟ فقال : وما على نساء قريش

(١) نَقْعٌ : نثر التراب على الرأس ، لَقْلَقَةٌ : صوت .

(٢) البخاري (٢ / ١٦٠) ٢٣ - كتاب الجنائز - ٣٣ - باب ما يكره من النياحة على الميت .

أن يبكين أبا سليمان ؟ ما لم يكن تقع ولا لقلقة . فلما خرج جنازته رأى عمر امرأة مُحَرِّمَةً تبكيه وتقول :

أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ النَّاسِ إِذَا مَا كَبَتْ وَجُوهَ الرِّجَالِ
أَشْجَاعَ فَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ لَيْثِ ضَمْرِ بْنِ جَهْمٍ أَبِي أَشْبِـيَالٍ
أَجْوَادَ فَأَنْتَ أَجْوَدُ مِنْ سَيْلِ دِيَّاسٍ يَسِيلُ بَيْنَ الْجِبَالِ
فقال عمر : من هذه ؟ فقيل له : أمته . فقال : أمه والا له - ثلاثاً - وهل قامت النساء عن مثل خالد . قال : فكان عمر يتمثل في طيه تلك الثلاث في ليله وفي قدومه .

تبكي ما وصلت ، به الندامى ولا تبكي فوارس كالجبال
تمنى بعدهم قوم مدام فلم يدنوا لأسباب الكمال
وفي رواية أن عمر قال لأم خالد : أخالداً أو أجره ترزئين ؟ عزمت عليك أن لا تبيني ^(١) حتى تسود يداك من الحضاب ، وهذا كله مما يقتضي موته بالمدينة النبوية ، وإليه ذهب دحيم عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي .

ولكن المشهور عن الجمهور أنه مات بمحصر سنة إحدى وعشرين . زاد الواقدي : وأوصى إلى عمر بن الخطاب . وقد روى محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد وغيره قالوا : قدم خالد المدينة بعد ما عزله عمر فاعتمر ثم رجع إلى الشام ، فلم يزل بها حتى مات في سنة إحدى وعشرين .

لما مات خالد بن الوليد قال عمر : رحم الله أبا سليمان ، لقد كنا نظن به أموراً ما كانت . وقال جويرية عن نافع قال : لما مات خالد لم يوجد له إلا فرسه وغلामه وسلاحه . قال أبو علي الحرنازي : دخل هشام بن البحتري في ناس من بني مخزوم على عمر بن

(١) عزمت عليك أن لا تبيني : عزمت عليك بعد أن تفارقيني أن تخضي يديك لأن المرأة لا يحل لها أن تظهر الحزن أكثر من ثلاثة أيام على أحد إلا على زوجها .
تسود : أن تخضب يديها بالحناء إشارة إلى تركها الحزن على فقد خالد .

الخطاب فقال له : ياهشام أنشدني شعرك في خالد . فأنشده فقال : قصرت في الثناء على أبي سليمان رحمه الله ، إنه كان ليحب أن يذل الشرك وأهله ، وإن كان الشامت به لمتعرضاً لمقت الله . ثم قال عمر : قاتل الله أخا بني تميم ما أشعره :

وقلّ للذي يبقى خلافاً الذي مضى تهيأ لأخرى مثلها فكأن قدي
فما عيش من قد عاش بعدي بنافعي ولا موت من قد مات بمخليدي
ثم قال عمر : رحم الله أبا سليمان ما عند الله خير له مما كان فيه . ولقد مات سعيداً وعاش حميداً ولكن رأيت الدهر ليس بقائل ^(١) . اهـ ابن كثير .

وقال الذهبي في ترجمته : سيف الله تعالى ، وفارس الإسلام ، وليث المشاهد ، السيد الإمام الأمير الكبير ، قائد المجاهدين ، أبو سليمان القرشي الخزومي المكي ، وابن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث .

هاجر مسلماً في صفر سنة ثمان ، ثم سار غازياً ، فشهد غزوة مؤتة واستشهد أمراً رسول الله ﷺ الثلاثة : مولاه زيد ، وابن عمه جعفر ذو الجناحين ، وابن رباح ، وبقي الجيش بلا أمير ، فتأمر عليهم في الحال خالد ، وأخذ الراية ، وحمل على العدو ، فكان النصر ، وسماه النبي ﷺ ، سيف الله ، فقال : « إِنَّ خَالِدًا سَيَفِّ سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ » . وشهد الفتح وحنينا ، وتأمر في أيام النبي ﷺ ، واحتبس أذراعه ولأمتة في سبيل الله وحارب أهل الردة ، ومسيلمة ، وغزا العراق ، واستظهر ، ثم اخترق البرية السماوية بحيث إنه قطع المفازة من حد العراق إلى أول الشام في خمس ليال في عسكر معه ، وشهد حروب الشام ، ولم يبق في جسده قيد شبر إلا وعليه طابع الشهداء ، ومناقبة غزيرة ، أمره الصديق على سائر أمراء الأجناد ، وحاصر دمشق فافتتحها هو وأبو عبيدة . اهـ الذهبي .

(١) رأيت الدهر ليس بقائل : من القيلولة ، بمعنى أن الدهر لا يغفل عنه .

أقول : إن عمر كان يعرف قدر خالد ومقامه وليس مثل عمر يجهل الرجال كما أنه فوق أن يحمله غرض نفسي على عزل خالد ولكنه خشي أن يستشهد خالد وهو أمير فتنه معنويات المسلمين وترتفع معنويات الكافرين ، وحتى تبقى قلوب المسلمين تتعلق بالله وتثق أن النصر منه جلّ جلاله فلا يداخلها نوع من الاعتقاد على غير الله .

٢١٠٢ - * روى الطبراني والبخاري عن عبد الله بن أبي أوفى قال : شكَا عبد الرحمن بن عوف خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ : « يا خالداً لا تؤذ رجلاً من أهل بدرٍ ، فلو أنفقتَ مثلَ أحدٍ ذهباً لم تدركَ عمله » فقال : يقعونَ في فأردُ عليهم . فقال : « لا تؤذوا خالداً فإنه سيفٌ من سيوفِ اللهِ صبه اللهُ على الكفارِ » .

٢١٠٣ - * روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ نعى زيدا وجعفرأ وابن رَواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال : « أخذَ الرايةَ زيدٌ فأصيبَ ، ثم أخذَ جعفرُ فأصيبَ ، ثم أخذَ ابنُ رَواحةٍ فأصيبَ » - وعيناهُ تذرفان - « حتى أخذَها سيفٌ من سيوفِ اللهِ . حتى فتح الله عليهم » .

٢١٠٤ - * روى البخاري عن قيس قال سمعت خالداً يقول : لقد دق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، وصبرتُ في يدي صفيحةً لي يمانية .

٢١٠٥ - * روى أبو يعلى عن قيس بن أبي حازم قال : قال خالد بن الوليد : لقد منعني كثيراً من القراءة الجهاد في سبيل الله .

قال الذهبي : عاش ستين سنة وقتل جماعة من الأبطال ، ومات على فراشه ، فلا قرئت أعينُ الجبناء .

توفي بمحصر سنة إحدى وعشرين . ومشهده على باب حصص . الصحيح مؤتة بمحصر ، وله مشهد يُزار . ا . هـ .

وذكر الذهبي في السير ^(١) عن أبي العالية : أن خالد بن الوليد قال : يا رسول الله إن

٢١٠٢ - المعجم الصغير : الروض الداني (١ / ٣٤٨) .

وكشف الأستار (٣ / ٢٦٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٤٩) : رواه الطبراني في الصغير والكبير باختصار والبخاري بنحوه ورجال الطبراني ثقات .

٢١٠٣ - البخاري (٧ / ١٠٠) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٥ - باب مناقب خالد بن الوليد .

٢١٠٤ - البخاري (٧ / ٥١٥) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٤ - باب غزوة مؤتة من أرض الشام .

٢١٠٥ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٥٠) : رواه أبو يعلى ورجال رجال الصحيح .

(١) السير (١ / ٣٦٨) ورجال ثقات ولكنه مرسل . وأخرج أحمد الدعاء في مسنده (٣ / ٤١٩) عن عبد الرحمن بن

خنيس التيمي بإسناد صحيح .

كأدأ من الجن يكيدني ، قال : « قُلْ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يَجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا ذُرَاً فِي الْأَرْضِ ، وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ فِي السَّمَاءِ وَمَا يَنْزِلُ مِنْهَا ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ » ففعلت فأذهب الله عني .

٢١٠٦ - * روى الطبراني عن عمرو بن العاص قال : ما عدل رسول الله ﷺ بي وبخالد ابن الوليد أحداً منذ أسلمنا في حربه .

٢١٠٧ - * روى أحمد عن الزهري قال : وكان عبد الرحمن بن الأزهر يحدث أن خالد ابن الوليد بن المغيرة خرج يومئذ وكان على الخيل خيل رسول الله ﷺ . قال ابن الأزهر : قد رأيت رسول الله ﷺ بعدما هزم الله الكفار ورجع المسلمون إلى رحالهم يمشي في المسلمين ويقول : « من يدل على رجل خالد بن الوليد » قال : فمشيت أو قال فسعيت بين يديه وأنا محتلم أقول من يدل على رجل خالد حتى حللنا على رحله فإذا خالد بن الوليد مستند إلى مؤخرة رحله فأتاه رسول الله ﷺ فنظر إلى جرحه . قال الزهري : وحسبت أنه قال : ونفت فيه رسول الله ﷺ .

٢١٠٨ - * روى البخاري عن سالم عن أبيه قال : بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صَبَّأْنَا ، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر . ودفع إلى كل رجلٍ منا أسيرَه . حتى إذا كان يومَ أمر خالد أن يقتل كل رجلٍ منا أسيره ، فقلت : والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجلٌ من أصحابي أسيره . حتى قديمنا على النبي ﷺ فذكرناه ، فرفع النبي ﷺ يديه فقال : « اللهم إني أبرأ إليك بما صنع خالد » مرتين .

٢١٠٩ - * روى ابن سعد عن هشام بن عروة : عن أبيه قال : كان في بني سليم ردة ، فبعث أبو بكر إليهم خالد بن الوليد فجمع رجالاً منهم في الحظائر ، ثم أحرقهم ، فقال عمر

٢١٠٦ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٣٥٠) : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ورجاله ثقات .

٢١٠٧ - أحمد في مسنده (٤ / ٨٨) وإسناده صحيح .

٢١٠٨ - البخاري (٨ / ٥٦) ٦٤ - كتاب المغازي - ٥٨ - باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة .

٢١٠٩ - الطبقات الكبرى : ورجاله ثقات ، لكنه مرسل .

لأبي بكر: أتدع رجلاً يعذب بعذاب الله ؟ قال : والله لا أشيم سيفاً سلّه الله على عدوه ، ثم أمره ، فمضى إلى مسيلمة .

* * *

٣٥ - عمرو بن العاص رضي الله عنه

قال ابن كثير : عمرو بن العاص : بن وائل بن هشام بن سعد بن سهم عمرو بن هيصم بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي السهمي ، أبو عبد الله ، ويقال أبو محمد ، أحد رؤساء قريش في الجاهلية ، وهو الذي أرسلوه إلى النجاشي ليرد عليهم من هاجر من المسلمين إلى بلاده فلم يجبههم إلى ذلك لعدله ، ووعظ عمرو بن العاص في ذلك ، فيقال إنه أسلم على يديه والصحيح أنه إنما أسلم قبل الفتح بستة أشهر هو وخالد بن الوليد ، وعثمان بن طلحة العبدري ، وكان أحد أمراء الإسلام ، وهو أمير ذات السلاسل ، وأمه رسول الله ﷺ بمدد عليهم أبو عبيدة ومعه الصديق وعمر الفاروق ، واستعمله رسول الله ﷺ على عُمَان فلم يزل عليها مدة حياة رسول الله ﷺ ، وأقره عليها الصديق ، ثم إن الصديق بعثه في جملة من بعث من أمراء الجيش إلى الشام فكان من شهد تلك الحروب ، وكانت له الآراء السديدة ، والمواقف الحميدة ، والأحوال السعيدة ، ثم بعثه عمر إلى مصر فافتتحها واستنابه عليها ، وأقره عليها عثمان بن عفان أربع سنين ثم عزله ، وقد كان معدوداً من دهاة العرب وشجعانهم وذوي آرائهم وله أمثال حسنة وأشعار جيدة . وقد روي عنه أنه قال : حفظت من رسول الله ﷺ ألف مثل ، ومن شعره :

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه ولم ينه قلباً غاوياً حيث يما
قضى وطراً منةً وغادر سبةً إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

أ.هـ. ابن كثير

وقال ابن حجر في الإصابة : عمرو بن العاص من بني عَنَزَة بفتح المهملة والنون .. أسلم قبل الفتح في صفر سنة ثمان وقيل بين الحديبية وخيبر وكان يقول أذكر الليلة التي ولد فيها عمر بن الخطاب . وقال داخر المعافري : رأيت عَمْرًا على المنبر أدعج ^(١) أبلج ^(٢) قصير القامة وذكر الزبير بن بكار والواقدي بسنديهما أن إسلامه كان على يد النجاشي وهو بأرض الحبشة . وذكر الزبير بن بكار أن رجلاً قال لعمر : ما أبطأ بك عن الإسلام وأنت

(١) أدعج : شديد سواد العين مع شدة بياض ما يحيط بالسواد .

(٢) أبلج : بعيد ما بين الحاجبين .

أنت في عقلك ؟ قال : إنا كنا مع قوم لهم علينا تقدم وكانوا ممن يوازي حلومهم الجبال فلما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنكروا عليه فلذنا بهم ، فلما ذهبوا وصار الأمر إلينا نظرنا وتدبرنا فإذا حق بين فوق في قلبي الإسلام فعرفت قریش ذلك مني من إبطائي عما كنت أسرع فيه من عونهم عليه فبعثوا إليّ فقي منهم فناظرني في ذلك فقلت : أنشدك الله ربك ورب من قبلك ومن بعدك أنحن أهدي أم فارس والروم ؟ قال : نحن أهدي . قلت : فنحن أوسع عيشاً أم هم ؟ قال : هم قلت : فما ينفعنا فضلنا عليهم إن لم يكن لنا فضل إلا في الدنيا وهم أعظم منا فيها أمراً في كل شيء وقد وقع في نفسي أن الذي يقوله محمد من أن البعث بعد الموت ليجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته حق ولا خير في التادي في الباطل . وأخرج البغوي بسند جيد عن عمرو بن إسحاق أحد التابعين قال : استأذن جعفر ابن أبي طالب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في التوجه إلى الحبشة فأذن له قال عمير: فحدثني عمرو بن العاص قال : لما رأيت مكانه قلت : والله لأستقلن ^(١) لهذا ولأصحابه فذكر قصتهم مع النجاشي قال : فلقيت جعفرأ خالياً فأسلمت قال وبلغ ذلك أصحابي فغبنوني وسلبوني كل شيء فذهبت إلى جعفر فذهب معي إلى النجاشي فردوا علي كل شيء أخذوه ولما أسلم كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقربه ويدنيه لمعرفته وشجاعته وولاه غزاة ذات السلاسل وأمهه بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح ثم استعمله على عَمَان فمات وهو أميرها ثم كان من أمراء الأجناد في الجهاد بالشام في زمن عمر وهو الذي افتتح قَنْسَرِينَ ^(٢) وصالح أهل حلب ومَنْبِيج وأنطاكية ، وولاه عمر فلسطين أخرج ابن أبي خيثمة من طريق الليث قال : نظر عمر إلى عمرو يمشي فقال : ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميراً . وقال إبراهيم بن مهاجر عن الشعبي عن قبيصة بن جابر : صحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلاً أبين قرآناً ولا أكرم خلقاً ولا أشبه سريرة بعلانية منه وقال محمد بن سلام المجعي كان عمر إذا رأى الرجل يتلجلج في كلامه يقول أشهد أن خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد . وولي عمرو إمرة مصر في زمن عمر بن الخطاب وهو الذي

(١) لأستقلن : أي لأقللن من شأنهم عند النجاشي .

(٢) قَنْسَرِينَ : كورة بالشام .

افتتحها وأبقاه عثمان قليلاً ثم عزله وولى عبد الله بن أبي سرح وكان أخا عثمان من الرضاعة فآل أمر عثمان بسبب ذلك إلى ما اشتهر ثم لم يزل عمرو بغير إمرة إلى أن كانت الفتنة بين علي ومعاوية فلحق بمعاوية فكان معه يدبر أمره في الحرب إلى أن جرى أمر الحكيم ثم سار في جيش جهزه معاوية إلى مصر فولبها لمعاوية من صفر سنة ثمان وثلاثين إلى أن مات سنة ثلاث وأربعين على الصحيح الذي جزم به ابن يونس وغيره من المتقنين وقيل قبلها بسنة وقيل وبعدها ثم اختلفوا فقليل بست وقيل بثمان وقيل بأكثر من ذلك قال يحيى بن بكير : عاش نحو تسعين سنة . وذكر ابن البرقي عن يحيى بن بكير عن الليث توفي وهو ابن تسعين سنة . ١ هـ ابن حجر .

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء : عمرو بن العاص داهية قريش ورجل العالم ، ومن يضرب به المثل في الفطنة ، والدهاء ، والحزم .

هاجر إلى رسول الله ﷺ مسلماً في أوائل سنة ثمان ، مرافقاً لخالد بن الوليد ، وحاجب الكعبة عثمان بن طلحة ، وفرح النبي ﷺ بقبضهم وإسلامهم ، وأمر عمرأ على بعض الجيش ، وجهزه للغزو . له أحاديث .

قال البخاري : ولأه النبي ﷺ على جيش ذات السلاسل . نزل المدينة ثم سكن مِصرَ ، ومها مات .

روى مجالد ، عن الشعبي قال : ذهاة العرب أربعة : معاوية ، وعمرو ، والمغيرة ، وزياد . فأما معاوية فللأناة والحلم ؛ وأما عمرو فللمعضلات ؛ والمغيرة للمبادة ؛ وأما زياد فللصغير والكبير .

وكان من رجال قريش رأياً ، ودهاءً ، وحزماً ، وكفاءةً ، وبصراً بالحروب ، ومن أشراف ملوك العرب ، ومن أعيان المهاجرين ، والله يغفر له ويعفو عنه ، ولولا حُبُّه للنبي [للإمرة] ودخوله في أمور ، لصلح للخلافة ، فإن له سابقة ليست لمعاوية . وقد تأمر على مثل أبي بكر وعمر ، لبصره بالأمور ودهائه . ١ هـ .

٢١١٠ - * روى أحمد وابن سعد والحاكم عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : « ابْنَا العاصِ مُؤْمِنَانِ ، عمرو وهشام » .

٢١١١ - * روى أحمد عن عمرو بن العاص قال : كان فرع بالمدينة فأتيت على سالم مولى أبي حذيفة وهو محتب بجائل سيفه فأخذت سيفاً فاحتبيت بجائله فقال رسول الله ﷺ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا كَانَ مَفْزَعُكُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ » ثم قال : « أَلَا فَعَلْتُمْ كَمَا فَعَلَ هَذَانِ الرَّجُلَانِ الْمُؤْمِنَانِ » .

٢١١٢ - * روى أحمد عن عقبه سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أسلم الناس وأمن عمرو بن العاص » .

٢١١٣ - * روى أحمد والحاكم عن موسى بن علي عن أبيه قال : سمعت عمرو بن العاص يقول : بعث إلي رسول الله ﷺ فقال : « خُذْ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ وَسِلَاحَكَ ثُمَّ أَتِنِي » فأتيته وهو يتوضأ فصعد في النظر ثم طأطأه فقال : « إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ فَيَسَلِّمَكَ اللَّهُ وَيَغْنَمَكَ وَأَرْغَبُ لَكَ مِنَ الْمَالِ رَغْبَةً صَالِحَةً » قال قلت : يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال ولكني أسلمت رغبة في الإسلام وأن أكون مع رسول الله ﷺ فقال : « يَا عَمْرُو نِعَمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ » .

٢١١٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي عثمان أن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن العاص على جيش ذات السلاسل ، قال : فأتيت فقلت : أيُّ الناس أحبُّ إليك ؟ قال : « عائشة »

٢١١٠ - أحمد في مسنده (٣٠٤ / ٢) ، والطبقات الكبرى (١٩١ / ٤) ، والمستدرک (٢٤٠ / ٣) وصححه وسكت عنه الذهبي .

٢١١١ - أحمد في مسنده (٢٠٣ / ٤) .

٢١١٢ - أحمد في مسنده (١٥٥ / ٤) وإسناده حسن .

والترمذي (٦٨٧ / ٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٤٩ - باب مناقب لعمر بن العاص .

٢١١٣ - أحمد في مسنده (١٩٧ / ٤) وسنده صحيح .

والمستدرک (٢ / ٢) وصححه ووافقه الذهبي .

٢١١٤ - البخاري (٧٤ / ٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ٦٣ - باب غزوة ذات السلاسل .

ومسلم (١٨٥٦ / ٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١ - باب من فضائل أبي بكر الصديق .

قلت : من الرجال ؟ قال : « أبوها » قلت : ثم من ؟ قال : « عمر » فعُدَّ رجالاً . فسكتُ
مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ .

٢١١٥ - * روى أبو داود والحاكم عن عمرو بن العاص ، قال : احتلمت في ليلة باردة في
غزوة ذات السلاسل ، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك ، فتيّمت ، ثم صليت بأصحابي
الصبح ، فذكروا ذلك للنبي ﷺ ، فقال : « يا عمرو صليت بأصحابك وأنت
جُنُبٌ » ؟ فأخبرته بالذي منعي من الاغتسال ، وقلت : إني سمعت الله يقول : ﴿ وَلَا
تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ ^(١) فضحك رسول الله ﷺ ، ولم يقل شيئاً .

قال الذهبي : ولما تُوِّفِيَ النبي ﷺ كان عمرو على عُان ، فأُتاه كتابُ أبي بكر بوفاة رسول
الله ﷺ .

وشهد عمرو يوم اليرموك ، وأبلى يومئذ بلاءً حسناً . وقيل : بعثه أبو عبيدة ، فصالح
أهل حلب وأنطاكية ، وافتتح سائر قنسرين عَنوةً .

وقال خليفة : ولَّى عمرُ عمرًا فلسطين والأردن ، ثم كتب إليه عمر ، فصار إلى مصر،
وافتحها ، وبعث عمرُ الزبير مدداً له .

قال الزهري : استخلف عثمانُ ، فنَزَعَ عن مصر عمرًا ، وأمر عليها عبد الله بن أبي
سرح . ا . هـ .

٢١١٦ - * روى أحمد في مسنده عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص أن عمرو بن العاص
كان يسرد الصوم وقلمًا كان يصيب من العشاء أول الليل أكثر ما كان يصيب من السحر
قال : وسمعتَه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ فَصْلًا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ
الْكِتَابِ أَكُلَةُ السَّحَرِ » .

٢١١٥ - أبو داود (١ / ٩٢) كتاب الطهارة ، باب إذا خاف الجنب البرد أن يتيّم .

والحاكم بنحوه (١ / ١٧٧) وصححه وأقره الذهبي . وعلقه البخاري في صحيحه وقواه الحافظ وحسنه المنذري .

(١) النساء : ٣٩ .

٢١١٦ - أحمد في مسنده (٤ / ١٩٧) وروى مسلم بعضه (٢ / ٧٧١) ١٣ - كتاب الصيام - ٩ - باب فضل السحور وتأكيده
استحبابه .

٢١١٧ - * روى أحمد عن أبي نوفل بن أبي عقرب قال : جزع عمرو بن العاص عند الموت جزعاً شديداً فلما رأى ذلك ابنه عبد الله بن عمرو قال : يا أبا عبد الله ما هذا الجزع وقد كان رسول الله ﷺ يدينك ويستعملك ؟ قال : أي بني قد كان ذلك وسأخبرك عن ذلك إني والله ما أدري أحباً ذلك كان أم تألفاً يتألفني ولكن أشهد على رجلين أنه قد فارق الدنيا وهو يحبها ابن سمية وابن أم عبد فلما حدثه وضع يده موضع الغلال من ذقنه وقال : اللهم أمرتنا فتركنا ونهيتنا فركبنا ولا يسعنا إلا مغفرتك وكانت تلك هجيراء حتى مات .

٢١١٨ - * روى مسلم عن عبد الرحمن بن شماس المهدي رحمه الله قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت ، فبكى طويلاً ، وحول وجهه إلى الجدار ، فجعل ابنه يقول : يا أبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا ؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا ؟ قال : فأقبل بوجهه ، فقال : إن أفضل ما نُعِدُّ : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله . إني كنتُ على أطباقٍ ثلاثٍ : لقد رأيتني وما أحدٌ أشدَّ بغضاً لرسول الله ﷺ مني ، ولا أحبُّ إليَّ أن أكون قد استكنتُ منه فقتلته ، فلو ميتٌ على تلك الحال لكنتُ من أهل النار ، فلما جعل الله الإسلام في قلبي ، أتيتُ النبي ﷺ ، فقلتُ : ائسِطْ يمينك فلأبايعُك ، فبسطَ يمينه ، قال : فقبضتُ يدي ، قال : « مالك يا عمرو ؟ » قال : قلتُ : أردتُ أن أشرطَ ، قال : « تشرطُ بماذا ؟ » قلتُ : أن يغفر لي قال : « أما علمتَ أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهديم ما كان قبلها ، وأن الحجَّ يهدم ما كان قبله ؟ » وما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسول الله ﷺ ، ولا أجلُّ في عيني منه ، وما كنتُ أطيقُ أن أملأ عيني منه إجلالاً له ، ولو سئلتُ أن أصفه ما أطقُ : لأنني لم أكن أملأ عيني

٢١١٧ - أحمد في مسنده (٤ / ١٩٩) وإسناده صحيح .

أخرجه الإمام أحمد وإسناده صحيح .

هجيراء : أي لم يزل يرددّها .

ابن سمية وابن أم عبد : أبي عمار بن ياسر وابن مسعود .

٢١١٨ - مسلم (١ / ١١٢) ١ - كتاب الإيمان - ٥٤ - باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الحج والهجرة .

سياقة الموت : وقت حضور الأجل ، كأن روحه تُساق لتخرج من جسده .

أطباق : جمع طبق ، وهو الحالة .

منه ، ولو متُّ على تلك الحال لرجوتُ أن أكون من أهل الجنة ، ثم وَلِينَا أشياء ، ما أدري ما حالي فيها ؟ فإذا أنا ميتٌ فلا تَصْحَبْنِي نائحةً ولا نارَ ، فإذا دفنتوني فشنُّوا عليَّ الترابَ شَنًّا ، ثم أقيموا حولَ قبري قدرَ ما تُنَحَّرَ جزور ويَقسم لَحْمُهَا ، حتى أَسْتَأْنَسَ بكم ، وأنظِرَ ماذا أراجعُ به رُسُلَ ربي ؟ .

٢١١٩ - * روى الطبراني عن عمرو بن العاص قال : خرج جيش من المسلمين أنا أميرهم حتى نزلنا الأسكندرية فقال صاحبها أخرجوا إلي رجلاً منكم أكله ويكلمني ، فقلت : لا يخرج إليه غيري فخرجت ومعني ترجبان ومعه ترجبان حتى وضع لهما منبران فقال : من أنتم ؟ فقلنا : نحن العرب ونحن أهل الشوك والقرظ ونحن أهل بيت الله كنا أضيق الناس أرضاً وأشدَّه عيشاً نأكل الميتة ويغيِّر بعضنا على بعض بشر عيش عاش به الناس حتى خرج فينا رجل ليس بأعظمنا يومئذ شرفاً ولا أكثرنا مالاً فقال : أنا رسول الله يأمرنا بما لا نعرف وينهانا عما كنا عليه وكانت عليه آباؤنا فشئنا له وكذبناه ورددنا عليه مقالته حتى خرج إليه قوم من غيرنا فقالوا : نحن نصدِّقك ونؤمن بك وتتبعك وتقاتل من قاتلك فخرج إليهم وخرجنا إليه فقاتلناه فقتلنا وظهر علينا وغلبننا وتناول من يليه من العرب فقاتلهم حتى ظهر عليهم ، فلو يعلم من ورائي ما أنتم فيه من العيش لم يبق أحد إلا جاءكم حتى يَشْرَكَكُمْ فيما أنتم فيه من العيش . فضحك ثم قال : إن رسولكم قد صدق قد جاءتنا رسلنا بمثل الذي جاءكم به رسولكم فكنا عليه حتى ظهر فينا ملوك فجعلوا يعملون فينا بأهوائهم ويتركون أمر الأنبياء فإن أنتم أخذتم بأمر نبيكم لم يقاتلكم أحد إلا غلبتموه ولم يتناولكم أحد إلا ظهرتم عليه فإذا فعلتم مثل الذي فعلنا وتركتم أمر الأنبياء وعلمتم مثل الذي عملوا بأهوائهم خلَّي بيننا وبينكم فلم تكونوا أكثر منا عدداً ولا أشد منا قوة قال عمرو بن العاص : فما كلمت رجلاً أذكر منه .

= شَنًّا : بالشين : الصب ، وقيل بالسين : التفريق .

٢١١٩ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٢١٨) : رواه الطبراني وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث وبقيته رجاله ثقات .

القرظ : ورق شجر يدبغ به .

فشئنا له : أعرضنا عنه .

أذكر منه : أعرف منه .

قال الذهبي : كان أكبر من عُمر بنحو خمس سنين . كان يقول : أذكر الليلة التي ولد فيها عُمر ، وقد عاشَ بعد عمر عشرين عاماً ، فيُنتج هذا أن مجموع عمره بضْعَ وثمانون سنة ، ما بلغ التسعين رضي الله عنه .

وخلف أموالاً كثيرة ، وعبيداً ، وعقاراً ، يقال : خلف من الذهب سبعين رقبة جل مملوءة ذهباً . ١ هـ .

٢١٢٠ - * روى ابن سعد عن عبد الله بن عمرو أن أباه أوصاه قال : يائِني إذا متُ فاغسلني غسلةً بالماء ، ثم جفّفني في ثوب ، ثم اغسلني الثانية بماء قراح ، ثم جفّفني في ثوب ، ثم اغسلني الثالثة بماء فيه شيء من كافور ، ثم جفّفني في ثوب ، ثم إذا ألبستني الثياب ، فأزرّ عليّ ، فإني مخصّص ، ثم إذا أنت حملتني على السرير ، فامش بي مشياً بين المشيّتين ، وكن خلف الجنازة ، فإنّ مقدّمها للملائكة ، وخلفها لبني آدم ، فإذا أنت وضعتني في القبر ، فسُنّ عليّ التراب سنّاً . ثم قال : اللهم إنك أمرتنا فأضعنا ، ونهيتنا فركبنا ، فلا بريء فأعتذر ، ولا عزيز فأنتصر ، ولكن لا إله إلا الله ، ما زال يقولها حتى مات .

* * *

٣٦ - أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه

قال ابن حجر في الإصابة : صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو سفيان القرشي الأموي مشهور باسمه وكنيته وكان يكنى أيضاً أبا حنظلة ، وأمه صفية بنت حرب الهلالية عمة ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان أسن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعشر سنين وقيل غير ذلك بحسب الاختلاف في سنة موته وهو والد معاوية ، أسلم عام الفتح وشهد حنيناً والطائف كان من المؤلفة وكان قبل ذلك رأس المشركين يوم أحد ويوم الأحزاب ويقال إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استعمله على نجران ولا يثبت ، قال الواقدي : أصحابنا ينكرون ذلك ويقولون كان أبو سفيان بمكة وقت وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان عاملها حينئذ عمرو بن حزم وذكر ابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجهه إلى مناة فهدمها وتزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابنته أم حبيبة قبل أن يسلم وكانت أسلمت قديماً وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة فمات هناك . وقد روى أبو سفيان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وروى عنه ابن عباس وقيس بن حازم وابنه معاوية وعن ثابت البناني إنما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أوى بمكة دخل دار أبي سفيان ، رواه ابن سعد وروى ابن سعد أيضاً بإسناد صحيح عن عكرمة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهدى إلى أبي سفيان بن حرب تمر عجوة وكتب إليه يستهديه أدماً^(١) مع عمرو بن أمية فنزل عمرو على إحدى امرأتي أبي سفيان فقامت دونه وقبل أبو سفيان الهدية وأهدى إليه أدماً . وروى ابن سعد من طريق أبي السفر قال : لما رأى أبو سفيان الناس يطؤون عقب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسده فقال في نفسه : لو عاودت الجمع لهذا الرجل فضررت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صدره ثم قال : إذا يخزيك الله ، فقال : أستغفر الله وأتوب إليه والله ما تقوهت به إلا شيء حدثت به نفسي . ومن طريق أبي إسحاق السبيعي نحوه وقال : ما أيقنت أنك رسول الله حتى الساعة . ومن طريق

(١) أدماً : أي جلوداً .

عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال : قال أبو سفيان في نفسه : ما أدري بم يغلبنا محمد ؟ فضرب في ظهره وقال : بالله نغلبك فقال : أشهد أنك رسول الله . وروى الزبير بن بكار من طريق إسحاق بن يحيى عن أبي الهيثم عن أخبره أنه سمع أبا سفيان بن حرب يمازح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيت بنته أم حبيبة ويقول : والله إن هو إلا أن تركتك فتركك العرب إن انتطحت فيك جَمَاءٌ^(١) ولا ذات قرن ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضحك ويقول : أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة . وروى الزبير من طريق سعيد بن عبيد الثقفي قال : رميت أبا سفيان يوم الطائف فأصبت عينه فألقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : هذه عيني أصيبت في سبيل الله ، قال : إن شئت دعوت فردت عليك وإن شئت فالجنة ، قال : الجنة . وروى يعقوب بن سفيان وابن سعد بإسناد صحيح عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : فقدت الأصوات يوم اليرموك إلا صوت رجل يقول : يا نصر الله اقترب ، قال فنظرت فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد ويقال : فقتت عينه يومئذ . وروى البغوي بإسناد صحيح عن أنس أن أبا سفيان دخل على عثمان بعد ما عمي وغلماه يقوده .

قال علي بن المديني : مات لست خلون من خلافة عثمان ، وقال الهيثم : لتسع خلون ، وقال الزبير : في آخر خلافة عثمان ، وقال المدائني : مات سنة أربع وثلاثين ، وقيل مات أبو سفيان سنة إحدى ، وقيل اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان ، وقيل مات سنة أربع وثلاثين . قيل عاش ثلاثاً وتسعين سنة ، وقال الواقدي وهو ابن ثمان وثمانين وقيل غير ذلك . اهـ ابن حجر .

وقال الذهبي عنه : رأسُ قُرَيْشٍ وقائدهم يوم أحد ويوم الخندق . وله هناتٌ وأمور صعبة ، لكن تداركه الله بالإسلام يوم الفتح فأسلم شبه مكره خائف . ثم بعد أيام صلح إسلامه .

وكان من ذُهاة العرب ومن أهل الرأي والشرف فيهم ، فشهد حُنيناً وأعطاه صهراً رسولاً

(١) جَمَاءٌ : الشاة لا قرون لها .

الله ﷺ من الغنائم مئة من الإبل ، وأربعين أوقية من الدّراهم يتألفه بذلك . ففرغ عن عبادة « هبل » ، ومال إلى الإسلام .

وشهد قتال الطائف ، فقلعت عينه حينئذ ، ثم قلعت الأخرى يوم اليرموك ، وكان يومئذ قد حسن إن شاء الله إيمانه ، فإنه كان يومئذ يحرض على الجهاد . وكان تحت راية ولده يزيد ، فكان يصيح : يا نصر الله اقترب . وكان يقف على الكراديس ^(١) يذكّر ، ويقول : الله الله ، إنكم أنصار الإسلام ودائرة العرب ^(٢) ، وهؤلاء أنصار الشّرك ودائرة الروم ؛ اللهم هذا يوم من أيامك ، اللهم أنزل نصرك .

فإن صحّ هذا عنه ، فإنه يغبط بذلك . ولا ريب أن حديثه عن هرقل وكتاب النبي ﷺ يدلّ على إيمانه ، والله الحمد .

وكان أسنّ من رسول الله ﷺ بعشر سنين . وعاش بعده عشرين سنة . وكان عمر يحترمه ؛ وذلك لأنه كان كبير بني أمية .

وكان حمّو النبي ﷺ . وما مات حتى رأى ولديه : يزيد ، ثم معاوية أميرين على دمشق .

وكان يحبّ الرّئاسة والذكر ، وكان له سورة ^(٣) كبيرة في خلافة ابن عمه عثمان .

توفي بالمدينة سنة إحدى وثلاثين . وقيل : سنة اثنتين ، وقيل : سنة ثلاث أو أربع وثلاثين ، وله نحو التسعين . ا هـ ذهبي .

* * *

(١) الكراديس : كتائب الخيل .

(٢) دائرة العرب : أي : أرضها الطيبة النبات .

(٣) سورة : منزلة .

٣٧ - معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما

قال ابن حجر : معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي أمير المؤمنين ، ولد قبل البعثة بخمس سنين وقيل بسبع وقيل بثلاث عشرة والأول أشهر ، وحكى الواقدي أنه أسلم بعد الحديبية وكنم إسلامه حتى أظهره عام الفتح وأنه كان في عمرة القضاء مسلماً ، وهذا يعارضه ما ثبت في الصحيح عن سعد بن أبي وقاص أنه قال في العمرة في أشهر الحج فعلناها وهذا يومئذ كافر ، ويحتمل إن ثبت الأول أن يكون سعد أطلق ذلك بحسب ما استصحب من حاله ولم يطلع على أنه كان أسلم لإخفائه لإسلامه ، وقد أخرج أحمد من طريق محمد بن علي بن الحسين عن ابن عباس أن معاوية قال : قصرت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند المروة ، وأصل الحديث في البخاري من طريق طاوس عن ابن عباس بلفظ : قصرت بمشقص ولم يذكر المروة ، وذكر المروة يعين أنه كان معترراً لأنه كان في حجة الوداع حلق بمنى كما ثبت في الصحيحين عن أنس ، وأخرج البغوي من طريق محمد بن سلام الجمحي عن أبان بن عثمان كان معاوية بمنى وهو غلام مع أمه إذ عثر فقالت : قم لا رفعك الله ، فقال لها أعرابي : لم تقولين له هذا والله إنني لأراه ليسود قومه ، فقالت : لا رفعه الله إن لم يسد إلا قومه قال أبو نعيم : كان من الكتبة الحسبة الفصحاء حلياً وقوراً . وعن خالد بن معدان : كان طويلاً أبيض أجلع ، وصحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكتب له .

عن معاوية قال : اتبعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بوضوء فلما توضأ نظر إلي فقال : « يا معاوية إن وليت أمراً فأتق الله واعدل » فما زلت أظن أني مبتلى بعمل ، سويد فيه مقال وقد أخرجه البيهقي في الدلائل من وجه آخر .

قال ابن عباس : ما رأيت أحداً أحلى للملك من معاوية . وقال البغوي [بسنده] : كان عمر إذا نظر إلى معاوية قال : هذا كسرى العرب ، وذكر ابن سعد عن المدائني قال : نظر أبو سفيان إلى معاوية وهو غلام فقال : إن ابني هذا لعظيم الرأس وإنه لخليق أن يسود قومه ، فقالت هند : قومه فقط ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة . وقال المدائني : كان زيد

ابن ثابت يكتب الوحي وكان معاوية يكتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما بينه وبين العرب وفي مسند أحمد وأصله في مسلم عن ابن عباس قال قال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « ادع لي معاوية » وكان كاتبه .

وقال ابن المبارك في كتاب الزهد عن أسلم مولى عمر قال : قدم علينا معاوية وهو أبصر الناس وأجلهم فخرج إلى الحج مع عمر بن الخطاب ، وكان عمر ينظر إليه فيتعجب منه ثم يضع أصبعه على جبينه ثم يرفعها عن مثل الشراك فيقول : يخ يخ إذا نحن خير الناس أن جمع لنا خير الدنيا والآخرة ، فقال معاوية : يا أمير المؤمنين سأحدثك أنا بأرض الحمامات والريف ... فقال عمر : سأحدثك ما بك إلفافك نفسك بأطيب الطعام وتصبحك حتى تضرب الشمس متنيك وذوو الحاجات وراء الباب ، قال : حتى جئنا ذا طوى فأخرج معاوية حلة فلبسها فوجد عمر منها ريحاً كأنه ريح طيب فقال : يعمد أحدكم فيخرج حاجاً تفلأ حتى إذا جاء أعظم بلدان الله حرمة أخرج ثوبه كأنها كنا في الطيب فلبسها ، فقال له معاوية : إنما لبستها لأدخل بها على عشيرتي يا عمر : والله لقد بلغني أذاك ههنا وبالشام فالله يعلم أن لقد عرفت الحياء في عمر فنزع معاوية الثوبين ولبس ثوبيه اللذين أحرم فيهما وهذا سند قوي .

وأخرج ابن سعد [بسنده] قال : دخل معاوية على عمر بن الخطاب وعليه حلة خضراء فنظر إليه الصحابة فلما رأى ذلك عمر قام ومعه الدرة فجعل ضرباً بمعاوية ومعاوية يقول : الله الله يا أمير المؤمنين فيم فيم ، فلم يكلمه حتى رجع فجلس في مجلسه فقالوا له : لم ضربت الفتى وما في قومك مثله ؟ فقال : ما رأيت إلا خيراً وما بلغني إلا خير ، ولكني رأيته وأشار بيده يعني إلى فوق فأردت أن أضع منه .

وقال ابن أبي الدنيا : قال عمر إياكم والفرقة بعدي فإن فعلتم فاعلموا أن معاوية بالشام فإذا وكلتم إلي رأيكم كيف يستبزه منكم .

مات معاوية في رجب سنة ستين على الصحيح . وسنة بضع وسبعون إلى الثمانين هـ .

ابن حجر .

وقال ابن كثير : أسلم هو وأبوه وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يوم الفتح . وقد روى عن معاوية أنه قال : أسلمت يوم عمرة القضاء ولكنني كتمت إسلامي من أبي إلى يوم الفتح ، وقد كان أبوه من سادات قريش في الجاهلية ، وألت إليه رياسة قريش بعد يوم بدر ، فكان هو أمير الحروب من ذلك الجانب ، وكان رئيساً مطاعاً ذا مال جزيل ، ولما أسلم قال : يا رسول الله مرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال : « نعم » قال ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك ، قال : « نعم » ثم سأل أن يزوجه رسول الله ﷺ بابنته ، وهي عزة بنت أبي سفيان واستعان على ذلك بأختها أم حبيبة ، فلم يقع ذلك ، وبين رسول الله ﷺ أن ذلك لا يحل له .

والمقصود أن معاوية كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ مع غيره من كتاب الوحي رضي الله عنهم . ولما فتحت الشام ولاه عمر نيابة دمشق بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان ، وأقره على ذلك عثمان بن عفان وزاده بلاداً أخرى ، وهو الذي بنى القبة الخضراء بدمشق وسكنها أربعين سنة ، قاله الحافظ ابن عساكر . ولما ولي علي بن أبي طالب الخلافة أشار عليه كثير من أمرائه ممن باشر قتل عثمان أن يعزل معاوية عن الشام ويولي عليها سهل بن حنيف ، فعزله فلم ينتظم عزله والتف عليه جماعة من أهل الشام ومنايع عليها وقد قال : لا أبايعه حتى يسلمني قتلة عثمان فإنه قُتل مظلوماً ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً ﴾ (١) .

وروى الطبراني عن ابن عباس أنه قال مازلت موقناً أن معاوية يلي الملك من هذه الآية فلما امتنع معاوية من البيعة لعلي حتى يسلمه القتلة ، كان من صفين ما قدمنا ذكره ، ثم آل الأمر إلى التحكيم .

أقول : هناك روايات مشهورة فيما توصل إليه الحكمان والتحقيق أن هذه الروايات المشهورة لا تمثل الحقيقة . وعلى كل الأحوال فقد ترتب على هذا التحكيم ضعف وضع علي وقوة معاوية ، فالتحقيق أنها اتفقا على تولية غير علي ومعاوية ولكن الأمر لم يتم .

الحب ، مُفَرِّطاً في البغض ، ومن أئِن يَقَعُ له الإِنصافُ والاعتدال ؟ فنحمدُ الله على العافية الذي أوجدنا في زمانٍ قد انحص فيه الحقُّ ، وأنضح من الطرفين ، وعرفنا مآخذَ كل واحدٍ من الطائفتين ، وتبصرنا ، فعدرنا ، واستغفرنا ، وأحببنا باقتصاد ، وترحمنا على البُغاة بتأويلٍ سائغٍ في الجملة ، أو بخطأٍ إن شاء الله مغفورٍ ، وقلنا كما علّمنا الله ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ^(١) وترضينا أيضاً عن اعتزل الفريقين ، كسعد بن أبي وقاص ، وابنِ عُمَر ، ومحمد بنِ مسلمة ، وسعيد بن زيد ، وخلق . وتبرأنا من الخوارج المارقين الذين حاربوا علينا ، وكفروا الفريقين ، فالخوارجُ كلابُ النار ، وقد مَرَقُوا من الدين ، ومع هذا فلا تقطع لهم بخلود النار ، كما تقطع به لعبدة الأصنام والصلبان .

قلت : [الذهبي] حسبك بمن يؤمّره عُمَر ، ثم عثمان على إقليم - وهو ثغر - فيضبطه ، ويقومُ به أئِمُّ قِيَام ، ويُرضي الناسَ بسخائه وحلمه ، وإن كان بعضهم تألّم مرةً منه ، وكذلك فليكن الملك . وإن كان غيره من أصحاب رسولِ الله ﷺ خيراً منه بكثيرٍ وأفضلَ وأصلحَ ، فهذا الرجلُ ساد ، وساسَ العالمَ بكَمال عقله ، وفرط حلمه ، وسعة نفسه ، وقوة دهائه ، ورأيه . وله هناتٌ وأمور ، والله الموعِد .

وكان مُحَبِّباً إلى رعيّته . عمل نيابةَ الشام عشرين سنة ، والخلافةَ عشرين سنة ، ولم يَهْجُةَ أحداً في دولته ، بل دانت له الأمم ، وحكم على العرب والعجم ، وكان ملكه على الحرمين ، ومصر ، والشام ، والعراق ، وخراسان ، وفارس ، والجزيرة ، واليمن ، والمغرب ، وغير ذلك .

عن إسماعيل بن أمية : أن عُمَرَ أفرد معاوية بالشام ، ورزقه في الشهر ثمانين ديناراً . والمحفوظ أن الذي أفرد معاوية بالشام عثمان .

وفي أول صفر شبّت الحربُ ، وقَتِلَ خُلُقٌ ، وضجروا ، فرقع أهلُ الشام المصاحفَ ، وقالوا : ندعوكم إلى كتاب الله والحكم بما فيه ، وكان ذلك مكيدةً من عمرو بن العاص ،

فاصلطحووا وكتبوا بينهم كتاباً على أن يوافقوا أذرح^(١) . ويحكموا حكيم .

قال : فلم يقع اتفاق . ورجع عليٌّ إلى الكوفة بالدَّعَلِ^(٢) من أصحابه والاختلاف ، فخرج منهم الخوارجُ ، وأنكروا تحكيمه ، وقالوا : لا حكم إلا لله . ورجع معاويةٌ بالألفة والاجتماع ، وبايعه أهل الشام بالخلافة في ذي القعدة سنة ثمانٍ وثلاثين . فكان يبعثُ الغاراتِ ، فيقتلون من كان في طاعة عليٍّ ، أو من أعان على قتلِ عثمان ، وبعثَ بُسرَ بنَ أبي أرطاة إلى الحجاز واليمن يستعرضُ الناسَ ، فقتل باليمن عبد الرحمن وقتلاً ولدي عبيد الله بن عباس ، ثم استشهد عليٌّ في رمضان سنة أربعين .

وصالَحَ الحسنُ بنُ عليٍّ معاويةَ ، وبايعه ، وسُمِّيَ عام الجماعة ، فاستعمل معاويةٌ على الكوفة المُنْغِيرَةَ بنَ شُعْبَةَ ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر بن كُرَيْزٍ ، وعلى المدينة أخاه عُبَيْدَةَ ثم مروان ، وعلى مصر عمرو بن العاص ، وحجَّ بالناس سنة خمسٍ ، وكان على قضائه بالشام فضالة بن عبيد .

ثم اعتمر سنة ستٍ وخمسين في رجب ، وكان بينه وبين الحسين ، وابنِ عمر ، وابنِ الزبير ، وابنِ أبي بكر ، كلام في بيعة العهد ليزيد ، ثم قال : إني متكلِّمٌ بكلام ، فلا تردُّوا عليَّ أَقْتُلُكُمْ ، فخطب ، وأظهر أنهم قد بايعوا ، وسكتوا ولم ينكروا ، ورحل على هذا وأدَّعى زياداً أنه أخوه ، فولاة الكوفة بعد المُنْغِيرَةَ ، فكتب إليه في حُجْرِ بنِ عدي وأصحابه ، وحلهم إليه ، فقتلهم بمرج عذراء ثم ضمَّ الكوفة والبصرة إلى زياد ، فات ، فولاهما ابنه عبيد الله بن زياد . ا.هـ الذهبي .

٢١٢١ - * روى مسلم عن أبي عثمان : قال : لما ادَّعى زيادُ ، لقيتُ أبا بكرَ ، فقلتُ له : ما هذا الذي صنعتُم ؟ إني سمعتُ سعد بنَ أبي وقاصٍ يقول : سمعُ أذناي من رسول الله ﷺ وهو يقول : « من ادَّعى أباً في الإسلام غير أبيه يعلم أنه غير أبيه ، فالجنة عليه

(١) أذرح : اسم بلد في أطراف الشام من نواحي البلقاء وعان مجاورة لأرض الحجاز .

(٢) الدَّعَلُ : الفساد .

٢١٢١ - مسلم (١ / ٨٠) - كتاب الإيمان - ٢٧ - باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم .

حرام» ؛ فقال أبو بكر : وأنا سمعته من رسول الله ﷺ .

قال الحافظ : والمراد بزياد الذي ادّعى : زياد بن سمية وهي أمه ، كانت أمة للحارث ابن كلفة وهو زوجها لمولاه عبيد ، فأدت بزياد على فراشه وهم بالطائف قبل أن يسلم أهل الطائف ، فلما كان في خلافة عمر ، سمع أبو سفيان بن حرب كلام زياد عند عمر ، وكان بليغاً فأعجبه ، فقال : إني لأعرف من وضعه في أمه ، ولو شئت لسميته ، ولكن أخاف من عمر ، فلما ولي معاوية الخلافة ، كان زياد على فارس من قبل علي ، فأراد مداراته ، فأطمعه في أنه يلحقه بأبي سفيان ، فأصغى زياد إلى ذلك ، فجرت في ذلك خطوب إلى أن ادّعاه معاوية ، فأمره على البصرة ، ثم على الكوفة ، وأكرمه ، وسار زياد سيرته المشهورة ، وسياسته المذكورة ، فكان كثير من الصحابة والتابعين ينكرون ذلك على معاوية محتجين بحديث « الولد للفراش » .

وأما حديث حُجر بن عدي فعن ابن سيرين أن زياداً أطال الخطبة ، فقال حجر بن عدي : الصلاة ، فمضى في خطبته ، فقال له : الصلاة وضرب بيده إلى الحصى ، وضرب الناس بأيديهم إلى الحصى ، فنزل ، فصلّى ، ثم كتب فيه إلى معاوية ، فكتب معاوية : أن سرح به إلي ، فسرّحه إليه ، فلما قدم عليه ، قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، قال : وأمير المؤمنين أنا ؟ إني لا أقيلك ولا أستقيلك ، فأمر بقتله ، فلما انطلقوا به ، طلب منهم أن يأذنوا له ، فيصلّي ركعتين ، فأذنوا له . فصلّى ركعتين ، ثم قال : لا تطلقوا عني حديداً ولا تغسلوا عني دماً . وادفنوني في ثيابي ، فإني مخاض ، قال : فقتل ^(١) .

وذكر الذهبي في السير عن ^(٢) يعلى بن عبيد عن أبيه ، قال : جاء أبو مسلم الخولاني وأناس إلى معاوية ، وقالوا : أنت تنازع علياً أم أنت مثله ؟ فقال : لا والله ، إني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر مني ، ولكن أستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً ، وأنا ابن عمه ، والطالب بدمه ، فائتوه ، فقولوا له ، فليدفع إليّ قتلة عثمان ، وأسلم له . فأتوا علياً ،

(١) رواه الحاكم في المستدرک (٤٦٩ / ٣) وذكره الطبري وابن الأثير وابن كثير وتاريخ الإسلام وتاريخ خليفة .

(٢) السير (١٤٠ / ٣) ورجاله ثقات وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (١٢٩ / ٨) .

فكلموه ، فلم يدفعهم إليه .

وذكر الذهبي في السير^(١) عن أنس قال : تعاهد ثلاثة من أهل العراق على قتل معاوية ، وعمرو بن العاص ، وحبيب بن مسلمة . وأقبلوا بعد بيعة معاوية بالخلافة حتى قدموا إيلياء ، فصلوا من السحر في المسجد ، فلما خرج معاوية لصلاة الفجر ، كبر ، فلما سجد انبطح أحدهم على ظهر الحرسى الساجد بينه وبين معاوية حتى طعن معاوية في مآكته فانصرف معاوية ، وقال : أتوا صلاتكم ، وأمسك الرجل ، فقال الطبيب : إن لم يكن الخنجر مسموماً ، فلا بأس عليك . فأعد الطبيب عقاقيره ، ثم لحس الخنجر ، فلم يجده مسموماً ، فكبر ، وكبر من عنده وقيل : ليس بأمر المؤمنين بأس .

قال الذهبي : هذه المرة غير المرة التي جرح فيها وقتل علي رضي الله عنه . فإن تلك فلق أليته وسقي أدوية خلصته من السم ، لكن قطع نسله .

قال الذهبي : قتل بين الفريقين [يعني في صفين] نحو من ستين ألفاً . وقيل : سبعون ألفاً وقُتل عمار مع علي ، وتبين للناس قول رسول الله ﷺ : « تقتله الفئة الباغية » . أهـ .

٢١٢٢ - * روى البخاري عن عكرمة قال لي ابن عباس ولابنه علي : انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه . فانطلقنا ، فإذا هو في حائط يصلحه ، فأخذ رداءه فاحتبى ، ثم أنشأ يحدثنا ، حتى أتى على ذكر بناء المسجد فقال : « كنا نحمل لبنة لبنة وعماراً لبنتين لبنتين . فرأه النبي ﷺ ، فینفض التراب عنه ويقول : « وَيَحْ عَمَارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ » قال يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن .

قال الشيخ شعيب : وهو حديث صحيح مشهور بل متواتر ، ولما لم يقدر معاوية على إنكاره ، قال : إنما قتله الذين جاؤوا به ، كما في [المسند] بسند صحيح ، فأجابه علي رضي الله عنه بأن رسول الله ﷺ إذن قتل حمزة حين أخرجه ، وهذا منه رضي الله عنه إلزام

(١) السير (١٤٣ / ٢) ورجاله ثقات .

إيلياء : اسم مدينة بيت المقدس . مآكته : عجيزته . أليته : العجيزة .

٢١٢٢ - البخاري (١ / ٥٤١) ٨ - كتاب الصلاة - ٦٣ - باب التعاون في بناء المسجد .

مُفحَم لا جواب عنه . وحجة لا اعترض عليها .

وما ذهب إليه الذهبي من كون طائفة معاوية هي الباغية هو مذهب فقهاء الحجاز والعراق من فريقَي الحديث والرأي ، منهم مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي ، وغيرهم كما قال الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتاب « الإمامة » . نقله عنه المناوي في « فيض القدير » .

قال الذهبي : وتسلم معاوية الخلافة في آخر ربيع الآخر ، وسُمِّي عام الجماعة لاجتماعهم على إمام ، وهو عام أحد وأربعين .

وقال ابنُ إسحاق : بُويع معاوية بالخلافة في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين لما دخل الكوفة .

وقال أبو معشر : بايعه الحسنُ بأذُن في جُمادى الأولى ، وهو عام الجماعة . اهـ .

ذكر الذهبي في السير^(١) عن القاسم بن محمد : أن معاوية لما قدم المدينة حاجاً ، دخل على عائشة ، فلم يشهد كلامها إلا ذكوان مولاها ، فقالت له : أمنت أن أخبأ لك رجلاً يقتلك بأخي محمد ؟ قال : صدقت . ثم وعظته ، وحضته على الاتباع ، فلما خرج ، اتكأ على ذكوان ، وقال : والله ما سمعتُ خطيباً - ليس رسولَ الله ﷺ - أبلغ من عائشة .

٢١٢٣ - * روى أحمد عن سعيد بن المسيب أن معاوية دخل على عائشة ، فقالت له : أما خفت أن أقعد لك رجلاً ، فيقتلك ؟ فقال ؟ : ما كنت لتفعليه وأنا في بيت أمان ، وقد سمعتُ النبي ﷺ يقول : « الإيمان قيد الفتك » .

(١) السير (١٤٧ / ٣) ورجاله ثقات .

٢١٢٣ - أحمد في مسنده (٩٢ / ٤) ولمرفوع منه شاهد من حديث الزبير عند أحمد وعبد الرزاق ، وآخر من حديث أبي هريرة عند أبي داود فالحديث صحيح . قال أبو عبيد : الفتك : أن يأتي الرجلُ الرجلَ وهو غارٌ غافل حتى يشد عليه فيقتله ، وقوله : « الإيمان قيد الفتك » أي أن الإيمان يمنع القتل كما يمنع القيد عن التصرف ، فكأنه جعل الفتك مقيداً .

ذكر الذهبي في السير^(١) عن عروة أنَّ المِسْوَر بنَ مَخْرَمَةَ أخبره أنه وَقَد على مُعَاوِيَةَ ، فقضى حاجته ، ثم خلا به ، فقال : يامِسْوَر ما فعل طعنك على الأئمة ؟ قال : دعنا من هذا وأحسن . قال : لا والله ، لتكلمنني بذات نفسك بالذي تعيبُ عَلَيَّ . قال مِسْوَر : فلم أترك شيئاً أعيبه عليه إلا بيئتُ له . فقال : لا أبرأ من الذنب . فهل تعدُّ لنا يا مِسْوَر مانلي من الإصلاح في أمر العامة ، فإن الحسنه عشرة أمثالها ، أم تعدُّ الذنوب ، وتترك الإحسان ؟ قال : ما تذكر إلا الذنوب . قال مُعَاوِيَةُ : فإننا نعتزُّ بالله بكل ذنب أذنبناه ، فهل لك يا مِسْوَر ذنوبٌ في خاصتك تخشى أن تهلكك إن لم تُغفر ؟ قال : نعم . قال : فما يجعلك الله برجاء المغفرة أحقَّ مني ، فوالله ما ألي من الإصلاح أكثر مما تلي ، ولكن والله لا أخير بين أمرين بين الله وبين غيره ، إلا اخترتُ الله على ما سواه ، وإني لعلّ ديني يقبل فيه العملُ ويجزى فيه بالحسنات ، ويجزى فيه بالذنوب إلا أن يعفو الله عنها . قال : فخصني . قال عروة : فلم أسمع المِسْوَر ذكر مُعَاوِيَةَ إلا صَلَّى عليه [ترحم عليه] .

عن كَرِيب مولى ابن عباس : أنه رأى مُعَاوِيَةَ صلى العِشاءَ ، ثم أوتر بركعة واحدة لم يزد ، فأخبر ابنَ عباس ، فقال : أصاب . أي بني ليس أحدٌ منا أعلم من مُعَاوِيَةَ . هي واحدة أو خمس أو سبع أو أكثر^(٢) .

وذكر الذهبي في السير^(٣) عن سعيد بن عبد العزيز قال : لما قُتِلَ عَثَانُ ، ووقع الاختلاف ، لم يكن للناس غزو حتى اجتمعوا على مُعَاوِيَةَ ، فأغزاهم مرات . ثم أغزى ابنه في جماعة من الصحابة برأً وبحراً حتى أجاز بهم الخليج ، وقاتلوا أهل القسطنطينية على بابها ، ثم قفل .

قال الذهبي : قال الزُّبَيْر بنُ بَكَّار : كان مُعَاوِيَةُ أولَ من اتخذ الديوان للختم ، وأمر بالنيروز والمهرجان ، واتخذ المقاصير في الجامع ، وأولَ من قتل مسلماً صبراً [يعني حُجْر بن عدي وأصحابه] وأولَ من قام على رأسه حرسٌ ، وأولَ من قُيِّدت بين يديه الجنائب ، وأولَ

(١) السير (٢ / ١٥٠) ورجاله ثقات ، وأخرجه عبد الرزاق بنحوه في مصنفه (١١ / ٢٤٤) .

(٢) مسند الشافعي (١ / ١٠٨) ورجاله ثقات .

(٣) السير (٣ / ١٥٠) وأخرجه أبو زرعة في تاريخ دمشق (١ / ١٨٨ ، ٢٤٦) .

من اتخذ الخُدَّام الخُصَّيان في الإسلام ، وأول من بُلِّغ درجات المنبر خمس عشرة مرقاة ، وكان يقولُ : أنا أوَّلُ الملوك .

قلت : نعم . فقد روى سفيانة عن رسولِ الله ﷺ ، قال : « الخِلافةُ بعدي ثلاثون سنة . ثم تكون ملكاً » . فانقضت خلافةُ النبوة ثلاثين عاماً ، وولي معاوية ، فبالغ في التَّجَمُّل والهَيْئَة ، وقلَّ أن بلغ سلطانٌ إلى رتبته ، ولَيْثته لم يعهد بالأمر إلى ابنه يزيد ، وترك الأُمَّة من اختياره لهم .

ومعاوية من خيار الملوك الذين غلب عدلُهم على ظلمهم ، وما هو بريء من الهنات ، والله يعفو عنه .

قال أبو مُشْهَر : صَلَّى الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ الْفَهْرِيُّ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، وَدَفِنَ بَيْنَ بَابِ الْجَايَةِ وَبَابِ الصَّغِيرِ فِيمَا بَلَّغْنِي . ا هـ .

قال الشيخ شعيب : (دخل قبره اليوم في مقبرة الباب الصغير إحدى مقابر دمشق وهو ما زال معروفاً ثَمَّةً ، وقد جُدِّدَ بناؤه في السنوات الأخيرة) .

٢١٢٤ - * روى أحمد وأبو داود والترمذي عن سعيد بن جهمان عن سفيانة مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « الخِلافةُ في أمتي ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً » قال سعيد : قال لي سفيانة : أمسك خلافة أبي بكر سنتين وعمر عشر ، وعثمان ثنتي عشرة ، وعلي ست . قال سعيد : قلت لسفيانة : إن هؤلاء يزعمون أن علياً عليه السلام لم يكن بخليفة ، قال : كذبت أستاذة بني الزرقاء . يعني مروان .

٢١٢٥ - * روى مسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كنتُ ألعبُ مع

٢١٢٤ - أحمد في مسنده (٥ / ٢٢٠) .

وأبو داود (٤ / ٢١١) كتاب السنة ، باب في الخلفاء .

والترمذي (٤ / ٥٠٣) ٣٤ - كتاب الفتن - ٤٨ - باب ما جاء في الخلافة وقال : هذا حديث حسن وسنده حسن .

وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي .

٢١٢٥ - مسلم (٤ / ٢٠١٠) ٤٥ - كتاب البر والصلة والآداب - ٢٥ - باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس هو

أهلاً لذلك ، كان له زكاة وأجرٌ ورحمة .

الصبيان ، فجاء رسول الله ﷺ ، فَتَوَارَيْتُ خَلْفَ بَابٍ ، قال : فجاء فَحَطَّأَنِي حَطَّاءٌ ، وقال : « اذهب ، وادع لي معاوية » قال : فجئتُ ، فقلتُ : هو يأكل ، ثم قال لي : « اذهب ، فادع لي معاوية » قال : فجئتُ ، فقلتُ : هو يأكل ، فقال : « لا أشبع الله بطنه » قال ابن المثنى : فقلتُ : لأمية : ما حطاني ؟ قال : قَفَدَنِي قَفْدَةً .

قال الإمام النووي في شرح حديث : اللهم إنما أنا بشر ، فأيا رجل من المسلمين سبته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة . وفي رواية إني اشتطت على ربي فقلت : إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر فأيا أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن تجعلها له طهوراً وزكاة وقربة ، قال : هذه الأحاديث مبينة ما كان عليه ﷺ من الشفقة على أمته والاعتناء بمصالحهم والاحتياط لهم والرغبة في كل ما ينفعهم وهذه الرواية المذكورة آخرها تبين المراد بباقي الروايات المطلقة وأنه إنما يكون دعاؤه عليه رحمة وكفارة وزكاة ونحو ذلك إذا لم يكن أهلاً للدعاء عليه والسب واللعن ونحوه وكان مسلماً وإلا فقد دعا ﷺ على الكفار والمنافقين ولم يكن ذلك لهم رحمة ، فإن قيل كيف يدعو على من ليس هو بأهل للدعاء عليه أو يسبه أو يلعنه ونحو ذلك ؟ فالجواب ما أجاب به العلماء ومختصره وجهان : أحدهما : أن المراد ليس بأهل لذلك عند الله تعالى وفي باطن الأمر ولكنه في الظاهر مستوجب له فيظهر له ﷺ استحقاقه لذلك بأمانة شرعية ويكون في باطن الأمر ليس أهلاً لذلك وهو ﷺ مأمور بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر ، والثاني : أن ما وقع من سبه ودعائه ونحوه ليس بمقصود بل هو مما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية كقوله تربت يمينك وعقري حلقي وفي هذا الحديث لا كبرت سنك وفي حديث معاوية لا أشبع الله بطنه ونحو ذلك لا يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء فخاف ﷺ أن يصادف شيء من ذلك إجابة فسأل ربه سبحانه وتعالى ورغب إليه في أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهوراً وأجرأ وإنما كان يقع هذا منه في النادر والشاذ من الأزمان ولم يكن ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ولا لعاناً ولا منتقماً لنفسه . اهـ .

= فحطَّأَنِي : الحَطُّءُ بالهمز : الدفع بوسط الكف بين الكتفين ، وقد جاء في الحديث غير مهموز ، وهو أن تحرك الشيء وترعزعه .

قَفَدَنِي : القَفْدُ : صنع الرأس يتسطر الكف من قبل القفا ، تقول : قَفَدْتُهُ قَفْدًا .

٢١٢٦ - * روى الطبراني عن قيس يعني ابن أبي حازم - قال : قال معاوية لأخيه : ارتد فأنى ، فقال : بئس ما أدبت فقال أبو سفيان : دع أخاك .

٢١٢٧ - * روى الطبراني عن عبد الله بن عمرو : أن معاوية كان يكتب بين يدي رسول الله ﷺ .

٢١٢٨ - * روى البخاري عن ابن عمر قال : دخلت على حفصة ونؤساتها تنظف ، قلت : قد كان من أمر الناس ما ترين ، فلم يجعل لي من الأمر شيء . قالت : الحق فيأنهم ينتظرونك ، وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة . فلم تدعه حتى ذهب . فلما تفرق الناس خطب معاوية قال : من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه ، فلنحن أحق به ومن أبيه . قال حبيب بن مسلمة : فهلا أجبتة ؟ قال عبد الله : فحللت حيويتي وهمت أن أقول : أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام . فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ويحمل عني غير ذلك ، فذكرت ما أعد الله في الجنان . قال حبيب : خفيظت وعصمت .

٢١٢٩ - * روى الطبراني عن إسحاق بن يسار قال : رأيت معاوية بالأبطح أبيض الرأس واللحية .

٢١٣٠ - * روى الطبراني عن خالد بن معدان قال : كان معاوية طويلاً أبيض أجلع .

* * *

٢١٢٦ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٥٨) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

٢١٢٧ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٥٧) : رواه الطبراني وإسناده حسن .

٢١٢٨ - البخاري (٧ / ٤٠٣) ٦٤ - كتاب المغازي - ٢٩ - باب غزوة الخندق وهي الأحزاب نؤساتها تنظف : ذوابها تقطر ماء .

٢١٢٩ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٥٥) : رواه الطبراني وإسناده حسن .

٢١٣٠ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٥٥) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير صالح بن صفوان وهو ثقة .

٣٨ - عَبَّادُ بْنُ بَشْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال ابن حجر في ترجمته : عَبَّادُ بْنُ بَشْرٍ بْنُ وَقْشِ بْنِ زَغَبَةَ بْنِ زَعُورَاءَ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ .. ذكره عقبه فيمن شهد بدرًا قال : واستشهد باليمامة وهو ابن خمس وأربعين سنة ، وكان من قتل كعب بن الأشرف وقال في ذلك شعراً ...

وفي الصحيح ^(١) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمع صوت عباد بن بشر فقال : « اللهم ارحم عباداً » . الحديث وله ذكر في الصحيح ^(٢) من حديث أنس أن عباد ابن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة فأضاءت عصا أحدهما فلما افترقا أضاءت عصا كل واحد منهما . ا هـ .

وقال الذهبي في ترجمته : الإمام أبو الربيع الأنصاري الأشهلي ، أحد البدرين . كان من سادة الأوس ، عاش خمساً وأربعين سنة ، وهو الذي أضاءت له عصاته ليلة انقلب إلى منزله من عند رسول الله ﷺ ، أسلم على يد مصعب بن عمير ، وكان أحد من قتل كعب بن الأشرف اليهودي .

ابن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : قالت عائشة : ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد يعتد عليهم فضلاً ، كلهم من بني عبد الأشهل : سعد بن معاذ ، وعباد بن بشر ، وأسيد بن حضير ^(٣) .

أخى النبي ﷺ ، بينه وبين أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة .

وروي بإسناد ضعيف عن أبي سعيد الخدري : سَمِعَ عَبَّادُ بْنُ بَشْرٍ يَقُولُ : رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ كَأَنَّ السَّمَاءَ فَرَجَتْ لِي ، ثُمَّ أَطْبَقَتْ عَلَيَّ ، فَهِيَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ الشَّهَادَةُ .

عن عائشة قال : تَهَجَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِي ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ عَبَّادِ بْنِ بَشْرٍ ، فَقَالَ :

(١) البخاري مطولاً (٥ / ٢٦٤) ٥٢ - كتاب الشهادات - ١١ - باب شهادة الأعمى وأمره ونكاحه وإنكاحه ومبايعته .

(٢) البخاري (٧ / ١٢٥) ٦٢ - كتاب مناقب الأنصار - ١٣ - باب منقبة أسيد بن حضير وعباد بن بشر .

(٣) المستدرک (٢ / ٢٢٩) وصححه ووافقه الذهبي .

« يا عائشة ! هذا صوت عبّاد بن بشر » قلت : نعم . قال : « اللهم اغفر له » ^(١) .

عبّاد بن بشر بن قبيصة الأشهلي ! قال ابن الأثير : وقع تخبيط في اسم جده . قال : وإنما هو عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث ابن الخزرج بن الأوس الأوسي . استشهد رضي الله عنه يوم اليمامة .

أما عباد بن بشر بن قبيصة ، فهو أنصاري من بني حارثة ، أمّ قومه في عهد النبي ﷺ ، له حديث في الاستدارة في الصلاة إلى الكعبة . والله أعلم .

قال عبّاد بن عبد الله بن الزبير : ما سباني أبي عبّاداً إلا به يعني بالأشهلي ، ومن شعره :

صَرَحْتُ لَهُ فَلَمْ يَغْرِضْ لِيَصَوْتُ	ووافى طالعا من رأس جذر
فَعُدْتُ لَهُ فَقَالَ مِنَ الْمُنَادِي	فَقُلْتُ أَخُوكَ عَبَّادُ بْنُ بَشْرٍ
وهذي دِرْعُنَا رَهْنًا فَخُذْهَا	لِشَهْرٍ ، إِنْ وَفَى ، أَوْ نِصْفِ شَهْرٍ
فَقَالَ : مَعَاشِرُ سَغَبُوا وَجَاعُوا	وَمَا عَدِمُوا الْفَنَى مِنْ غَيْرِ فَقَرٍ
فَأَقْبَلَ نَحْوَنَا يَهْوِي سَرِيعاً	وَقَالَ لَنَا لَقَدْ جِئْتُمْ لَأَمْرٍ
وَفِي أَيْتَانِنَا بَيْضٌ حِدَادٌ	مُجْرِبَةٌ ، هَذَا الْكُفَّارُ نَفَرِي
فَعَانَقَهُ ابْنُ مَسْلَمَةَ الْمُرْدِي	بِهِ الْكُفَّارُ كَاللَيْثِ الْهَزْبَرِي
وَشَدَّ بِسَيْفِهِ صِلَتَا عَلَيْهِ	فَقَطَّرَهُ أَبُو عَيسٍ بْنُ جَبْرِ
وَكَانَ اللَّهُ سَادِسَنَا فَأَبْنَا	بِأَنْعَمِ نِعْمَةٍ وَأَعَزَّ نَصْرِ

واستعمله النبي ﷺ ، على صدقات مَرْيُونة ، وبني سليم ، وجعله على حرسه في غزوة تبوك ، وكان كبير القدر رضي الله عنه ، أبلى يوم اليمامة بلاءً حسناً ، وكان أحد الشجعان الموصوفين .

نَظَرَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ وَهُوَ يَصِيحُ : احْطِمُوا جَفُونَ السُّيُوفِ . وقاتل حتى قُتِلَ بضربات في وجهه ، رضي الله عنه . اهـ الذهبي .

* * *

(١) البخاري تعليقاً (٥ / ٢٦٤) وقال الحافظ في الفتح : وصله أبو يعلى من طريق محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد ابن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة لكن بلفظ « اللهم ارحم عبّاداً » .

٣٩ - ضِمَاد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال ابن حجر : ضِمَاد بن ثعلبة الأزدي من أزد شنوءة . وله ذكر في حديث أخرجه مسلم .

وروى مسدد في مسنده في أوله زيادة قال : وكان ضِمَاد صديقاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان يتطيب فخرج يطلب العلم ، ثم جاء وقد بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكره قال البغوي : لا أعلم لضِمَاد غيره ووقع في الصحابة لابن حبان ضِمَاد الأزدي كان صديقاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كذا رأيته بخط الحافظ أبي علي البكري وكذا قال ابن منده أنه يقال فيه ضِمَاد وضَام . ١ - هـ ابن حجر .

٢١٣١ - * روى مسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أن ضِمَاداً قدم مكة ، وكان من أزدِ شَنُوءة ، وكان يَرْقِي من هذه الريح ، فسمع سَفْهَاء من أهل مكة يقولون : إنَّ محمداً مجنونٌ ، فقال : لو أني رأيتُ هذا الرجل ، لعلَّ الله يشفيه على يدي ، قال : فلقية ، فقال : يا محمد ، إنني أرقى من هذه الريح ، وإن الله يشفي على يدي من شاء ، فهل لك ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، مَنْ يَهْدِ الله فلا مُضِلَّ له ، وَمَنْ يَضِلَّ فلا هادي له ، ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنَّ محمداً عبده ورسوله ، أما بعدُ » قال فقال : أعد عليّ كلماتك هؤلاء ، فأعادهنَّ عليه رسولُ الله ﷺ ثلاث مراتٍ ، قال فقال : لقد سمعتُ قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعتُ مثل كلماتك هؤلاء ، وقد بلغن ناعوسَ البحر ، قال فقال : هاتِ يدك أبايعك على الإسلام ، قال : فبايعه فقال رسولُ الله ﷺ : « وعلى قومك ؟ » قال : وعلى قومي ؟ فبعث رسولُ الله ﷺ سَرِيَّةً فرؤوا بقومه ، فقال صاحب السَّريَّة للجيش : هل أصبتم من هؤلاء شيئاً ؟ فقال رجل من القوم : أصبتُ منهم مِطْهَرة . فقال : ردُّوها ، فإن هؤلاء قومٌ ضِمَادٍ .

٢١٣١ - مسلم (٢ / ٥١٣) - ٧ - كتاب الجمعة - ١٣ - باب تخفيف الصلاة والخطبة .

من هذه الريح : المراد بالريح هنا : الجنون ومن الجن .

فاعوس : وردت في النسخ قاموس والأولى أشهر ومعناه : وسطه . وقيل : لجنته وقيل : قعره الأقصى .

مِطْهَرة : الإداوة أو السطيجة .

٤٠ - عدي بن حاتم رضي الله عنه

قال ابن حجر : عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي الطائي ولد الجواد المشهور أبو طريف .. أسلم في سنة تسع وقيل سنة عشر وكان نصرانياً قبل ذلك وثبت على إسلامه في الردة وأحضر صدقة قومه إلى أبي بكر وشهد فتح العراق ثم سكن الكوفة وشهد صفين مع علي ومات بعد الستين وقد أسن قال خليفة بلغ عشرين ومائة سنة وقال أبو حاتم السجستاني بلغ مائة وثمانين . قال عدي بن حاتم : ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء ... وفي الصحيحين أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أمور تتعلق بالصييد وفيها قصة في حمله قوله تعالى : ﴿ هُوَ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنِي لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ ^(١) على ظاهره وقوله له إنك لعريض الوسادة .

وروى أحمد والترمذي من طريق عباد بن حبيش الكوفي عن عدي بن حاتم قال : أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد فقال الناس هذا عدي بن حاتم قال : وجئتُ بغير أمانٍ ولا كتاب وكان قال قبل ذلك : إني لأرجو الله أن يجعل يده في يدي فقام فأخذ بيدي فلقيته امرأة وصبي معها فقالا : إن لنا إليك حاجة فقام معها حتى قضى حاجتهما ثم أخذ بيدي حتى أتى إلى داره فألقت إليه الوليدة وسادة فجلس عليها وجلست بين يديه فقال : هل تعلم من إله سوى الله ؟ قلت : لا . ثم قال : هل تعلم شيئاً أكبر من الله ؟ قلت : لا . قال : فإن اليهود مغضوب عليهم وإن النصارى ضالون .

وذكر ابن المبارك في الزهد عن ابن عيينة أنه حدث عن الشعبي عن عدي بن حاتم قال : ما دخل وقت صلاة قط إلا وأنا أشواق إليها .

وكان جواداً وقد أخرج أحمد عن تميم بن طرفة قال : سأل رجل عدي بن حاتم مائة درهم ، فقال : تسألني مائة درهم وأنا ابن حاتم والله لا أعطيك ، وسنده صحيح اهـ ابن حجر .

(١) البقرة : ١٨٧ .

وقال الذهبي في ترجمته : الشريف ، أبو وهب وأبو طريف الطائي ، صاحب النبي ﷺ ، ولد حاتم طي الذي يضرب بجوده المثل .

وقد عدي على النبي ﷺ في وسط سنة سبع ، فأكرمه واحترمه .

وكان أحد من قطع بريّة السّباوة مع خالد بن الوليد إلى الشام ، وقد وجهه خالد بالأخماس إلى الصّدّيق .. نزل الكوفة مدّة ثم قرقيسيا من الجزيرة .

عن أبي عبيدة بن حذيفة ، قال : كنت أسأل الناس عن حديث عدي بن حاتم وهو إلى جنبي لا آتيه ، ثم أتيتُه فسألته ، فقال : بعث النبي ﷺ فكرهته ، ثم كنت بأرض الروم ، فقلت : لو أتيت هذا الرجل ، فإن كان صادقاً ، تبعته ، فلما قدمت المدينة ، استشرفتني الناس ، فقال لي : يا عدي ! أسلم تسلم ، قلت : إن لي ديناً ، قال : أنا أعلم بدينك منك ، أأنت ترأس قومك ؟ قلت : بلى قال : أأنت ركوسياً ^(١) تأكل المِرْبَاع ^(٢) ؟ قلت : بلى . قال : فإن ذلك لا يحل لك في دينك . فتَضَعَضْتُ لذلك . ثم قال : يا عدي ! أسلم تسلم . فأظنّ ممّا يمنعك أن تسلم خصاصة تراها بمن حولي ، وأنت ترى الناس علينا إلباً واحداً . هل أتيت الحيرة ؟ قلت : لم أتها ، وقد علمت مكانها . قال : توشك الطعينة أن ترحل من الحيرة بغير جوارٍ حتى تطوف بالبيت ، ولتفتحن علينا كنوز كسرى . قلت : كسرى بن هُرْمُز ! قال : كسرى بن هرمز ، وليفيضنّ المال حتى يهيم الرجل من يقبل منه ماله صدقة .

قال عدي : فلقد رأيت اثنتين ، وأحلف بالله لتجيئن الثالثة ، يعني فيض المال ^(٣) .

قال أبو عبيدة : كان عدي بن حاتم على طيء يوم صيفين مع علي .

وروى سعيد بن عبد الرحمن ، عن ابن سيرين ، قال : لما قُتِلَ عثمان ، قال عدي : لا

(١) رَكُوسِيَا : دين بين النصارى والصابئين .

(٢) المِرْبَاع وهو ربع الفنية الذي يأخذه الرئيس خالصاً دون أصحابه وذلك حينما تغزو قبيلة الأخرى وتغنم .

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤ / ٢٧٨) وإسناده قوي .

ينتطح فيها عنزان ^(١) ففقت عينه يوم صقن ، فقبل له : أما قلت : لا ينتطح فيها عنزان ، قال : بلى وتفقاً عيون كثيرة وقيل : قتل ولده يومئذ .

قال أبو إسحاق : رأيت عدياً رجلاً جسيماً أعور ، يسجد على جدار ارتفاعه نحو ذراع .

جرير عن مغيرة قال : خرج عدي ، وجرير البجلي وحنظلة الكاتب من الكوفة ، فنزلوا قرقيسيا ^(٢) ، وقالوا : لا نقيم ببلد يشتم فيه عثمان اهـ .

٢١٣٢ - * روى البخاري عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : أتينا عمر في وفد ، فجعل يدعو رجلاً رجلاً ، ويسمهم ، فقلت : أما تعرفني يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلى ، أسلمت إذ كفروا ، وأقبلت إذ أدبروا ، ووفيت إذ غدروا ، وعرفت إذ أنكروا ، فقال عدي : فلا أبالي إذا .

وفي رواية أحمد ^(٣) قال : أتيت عمر بن الخطاب في أناس من قومي ، فجعل يفرض للرجل من طيء في ألفين ، ويفرض عني ، قال : فاستقبلته فأعرض عني ، ثم أتيت من حيال وجهه ، فأعرض عني ، قال : فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتعرفني ؟ قال : فضحك ، ثم قال : نعم ، والله إنني لأعرفك آمنت إذ كفروا ، وأقبلت إذ أدبروا ، ووفيت إذ غدروا ، وإن أول صدقة تيسر وجه رسول الله ﷺ ووجه أصحابه صدقة طيء ، جئت بها إلى النبي ﷺ ، ثم أخذ يعتذر ، ثم قال : إنما فرضت لقوم أجحقت بهم الفاقة ، وهم سادة

(١) لا ينتطح فيها عنزان ، لا يلتقي فيها اثنان ضعيفان لأن النطاح من شأن التيوس والكباش لا العنز ، فكان عدي . يظن بعد مقتل عثمان أو الناس سيجمعون على علي دون نزاع ولكن جرى خلاف ما ظن .

(٢) قرقيسيا : بلد في الشام على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق على ستة فراسخ ، وعندها مصب الخابور في الفرات ، فهي في مثلث بين الخابور والفرات .

٢١٣٢ - البخاري (١٠٢ / ٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ٧٦ - باب قصة وفد طيء .

(٣) أحمد في مسنده (٤٥ / ١) مسلم بعضه (٤ / ١٩٥٧) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤٧ - باب من فضائل غفار وأسلم .

يفرض في ألفين : أي يوجب له هذا المقدار من المال في العطاء .

حيال الشيء : تلقاؤه وما يواجهه .

أجحقت : به الحاجة ، إذا أفقرته وأذهب ماله ، وجعلته محتاجاً إلى غيره ، والفاقة ، الفقر والحاجة . =

عشائرم ، لما ينوبهم من الحقوق ، فقال عديّ : فلا أبالي إذا .
 قال الذهبي : قال ابنُ الكلبي : مات عديّ سنة سبعمِ وستين ، وله مئة وعشرون سنة .
 وقال ابنُ سعد : سنة ثمان وستين ، وقيل : سنة ست وستين . اهـ .

* * *

٤١ - ثمامة بن أثال رضي الله عنه

قال ابن حجر : ثمامة بن أثال بن النعمان بن سامة بن عتيبة بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة الحنفي أبو أمامة الياامي .. حديثه في البخاري من طريق سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد ، فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أطلقوا ثمامة فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأخرجه أيضاً مطولاً ورواه ابن إسحاق في المغازي عن سعيد المقبري مطولاً وأوله أن ثمامة كان عرض لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأراد قتله فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربه أن يمكنه منه فلما أسلم قدم مكة معترفاً فقال : والذي نفسي بيده لا تأتيكم حبة من الياامة وكانت ريف أهل مكة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورواه الحميدي عن سفيان عن ابن عجلان عن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة ، وذكر أيضاً ابن إسحاق أن ثمامة ثبت على إسلامه لما ارتد أهل الياامة وارتحل هو ومن أطاعه من قومه فلحقوا بالعلاء ابن الحضرمي فقاتل معه المرتدين من أهل البحرين ، فلما ظفر واشترى ثمامة حلة كانت لكبيرهم فراها عليه ناس من بني قيس بن ثعلبة فظنوا أنه هو الذي قتله وسلبه فقتلوه .

وروى ابن منده من طريق علباء بن أحر عن عكرمة عن ابن عباس قصة إسلام ثمامة ورجوعه إلى الياامة ومنعه عن قريش الميرة ونزول قوله تعالى : ﴿ ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ﴾ ^(١) وإسناده حسن وذكر وثية له مقاماً حسناً في الردة وأنشد له في الإنكار على بني حنيفة أبياتاً منها :

أهم بترك القول ثم يردني إلى القول إنعام النبي محمد
شكرت له فكي من الغل بعدما رأيت خيلاً من حسام مهند

ا هـ . ابن حجر .

٢١٣٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْلًا قَبْلَ نَجْدٍ ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ . سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ « مَاذَا عِنْدَكَ ؟ يَا ثُمَامَةُ ! » فَقَالَ : عِنْدِي ، يَا مُحَمَّدُ ! خَيْرٌ . إِنْ تَقَتَّلْتُ تَقَتَّلَ ذَا دَمٍ . وَإِنْ تَنَعَّمْتُ تَنَعَّمْ عَلَى شَاكِرٍ ، وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطِ مِنْهُ مَا شِئْتَ . فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْعَدِ . فَقَالَ : « مَا عِنْدَكَ ؟ يَا ثُمَامَةُ ! » قَالَ : مَا قُلْتُ لَكَ . إِنْ كُنْتُ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطِ مِنْهُ مَا شِئْتَ . فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَانَ مِنَ الْعَدِ . فَقَالَ : « مَاذَا عِنْدَكَ ؟ يَا ثُمَامَةُ ! » فَقَالَ : عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ . إِنْ تَنَعَّمْتُ تَنَعَّمْ عَلَى شَاكِرٍ . وَإِنْ تَقَتَّلْتُ تَقَتَّلَ ذَا دَمٍ . وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطِ مِنْهُ مَا شِئْتَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ » فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ . فَاغْتَسَلَ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . يَا مُحَمَّدُ ! وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ . وَاللَّهِ ! مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ . فَأَصْبَحَ دِينَكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ . وَاللَّهِ ! مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ . فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ . وَإِنْ خَيْلُكَ أَخَذَتْني وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ . فَمَاذَا تَرَى ؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . وَأَمَرَهُ أَنْ يَغْتَمِرَ . فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ : أَصَبَوْتَ ؟ فَقَالَ : لَا . وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَلَا ، وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطِيَّةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

وأخرج النسائي ^(١) منه طرفاً في غُسل الكافر إذا أراد أن يُسَلَّمَ ، وهذا لفظه . قال أبو هريرة : إِنَّ ثُمَامَةَ بْنَ أَثَالٍ الْحَنْفِيَّ انْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَاغْتَسَلَ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ،

٢١٣٣ - البخاري (٨ / ٨٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٧٠ - وفد بني حنيفة ، وحديث ثُمَامَةَ بْنِ أَثَالٍ .

ومسلم (٣ / ١٣٨٦) ٢٢ - كتاب الجهاد والسير - ١٩ - باب ربط الأسير وحجسه ، وجواز المن عليه .

إِنْ تَقَتَّلْتُ تَقَتَّلَ ذَا دَمٍ : إِنْ تَقَتَّلْتُ تَقَتَّلَ صَاحِبُ دَمٍ ، لَدَمِهِ مَوْقِعٌ يَشْتَفِي بِقَتْلِهِ قَاتِلُهُ ، وَيَدْرِكُ قَاتِلُهُ بِهِ شَأْرَهُ ، أَيْ لِرِيَاسَتِهِ وَفُضِيلَتِهِ وَقِيلَ : تَقَتَّلْتُ مِنْ عَلَيْهِ دَمٌ مَطْلُوبٌ بِهِ ، وَهُوَ مُسْتَحَقٌّ عَلَيْهِ فَلَا عَتَبَ عَلَيْكَ فِي قَتْلِهِ .

(١) النسائي (١ / ١٠٩) كتاب الطهارة ، باب تقديم غسل الكافر إذا أراد أن يُسَلَّمَ .

يا محمد ، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحبّ الوجوه كلّها إليّ ، وإن خيلك أخذتني ، وأنا أريد العمرة ، فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله ﷺ ، وأمره أن يعتز .

* * *

٤٢ - عمرو بن عَبَسَةَ السُّلَمِي رضي الله عنه

قال ابن حجر : عمرو بن عبسة بن خالد بن عامر بن غاضرة بن خفاف بن امرئ القيس بن هبة بن سليم .. وقيل ابن عبسة بن خالد بن حذيفة بن عمرو بن خالد بن مازن ابن مالك بن ثعلبة بن هبة . كذا ساق نسبه ابن سعد وتبعه ابن عساكر والأول أصح ، وهو الذي قاله خليفة وأبو أحمد الحاكم وغيرهما ، السُّلَمِي أبو نجيح ويقال أبو شُعَيْب قال الواقدي : أسلم قديماً بككة ثم رجع إلى بلاده فأقام بها إلى أن هاجر بعد خيبر وقبل الفتح فشهدا قاله الواقدي ، وزعم أحمد بن محمد بن عيسى البغدادي في ذكر من نزل حص من الصحابة عمرو بن عبسة من المهاجرين الأولين شهد بدرأ كذا قال وتبعه عبد الصمد بن سعيد ؛ قال أحد وذكر بقية أنه نزلها أربعمئة من الصحابة منهم عمرو بن عبسة أبو نجيح ، قال ابن عساكر كذا قالوا ولم يتابعا على شهوده بدرأ ويقال إنه كان أخا أبي ذر لأمه قاله خليفة واسمها رملة بنت الوقعة . أخرج مسلم في صحيحه قصة إسلامه وسؤاله عن أشياء من أمور الصلاة وغيرها ، وقد روى عنه ابن مسعود مع تقدمه وأبو أمامة الباهلي وسهل بن سعد ومن التابعين شرحبيل بن السمط وسعدان بن أبي طلحة وسليم بن عامر وعبد الرحمن ابن عامر وجبير بن نفير وأبو سلام وآخرون . قال ابن سعد : كان قبل أن يسلم اعتزل عبادة الأوثان ، وأخرج أبو يعلى من طريق لقمان بن عامر عن أبي أمامة من طريق ابن عبسة لقد رأيتني وإني لرابع الإسلام ، وفي رواية أبي أحمد الحاكم من هذا الوجه وإني لرابع الإسلام .

وأخرج أبو نعيم عن مولى لكعب قال : انطلقنا مع المقداد بن الأسود وعمرو بن عبسة وشافع بن حبيب الهذلي فخرج عمرو بن عبسة يوماً للرعية فانطلقت نصف النهار لأراه فإذا سحابة قد أظلمت ما فيها عنه مفصل فأيقظته فقال : إن هذا شيء إن علمت أنك أخبرت به أحداً لا يكون بيني وبينك خير ، قال : فوالله ما أخبرت به حتى مات . وقال الحاكم أبو أحمد : قد سكن عمرو بن عبسة الشام ويقال إنه مات بمحص ، وأظنه مات في أواخر خلافة عثمان فإنني لم أر له ذكراً في الفتنة ولا في خلافة معاوية . ١ هـ .

قال الذهبي : عمرو بن عبسة بن خالد بن حذيفة ، الإمام الأمير ، أبو نجيح السُّلَمِي

البجلي ، أحد السابقين ، ومن كان يُقال هو رُبع الإسلام . وبنو بَجيلة رهط من سُلَم وكان من أمراء الجيش يوم وَقعة اليرموك .

نزل عمرو حمص باتفاق . ويقال : شهد بدرًا ، وما تابع أحد عبدَ الصمد بن سعيد ، وأحمد بن محمد بن عيسى على ذا (١) هـ .

ذكر ابن سعد (٢) عن عمرو بن عبسة قال : أتيتُ رسول الله ﷺ ، وهو نازلٌ بعكاظ ، فقلتُ : من معك ؟ قال : « أبو بكر وبلال » فأسلمتُ . فلقد رأيتني رُبع الإسلام .

وذكر الذهبي في السير (٣) عن عمرو بن عبسة ، قال : أسلمتُ ، فقال لي النبي ﷺ : « الحقُّ بقومك » ثم أتيتُهُ قبل الفتح .

٢١٣٤ - * روى مسلم عن أبي أمامة الباهلي قال : قال عمرو بن عبسة السلمي : كُنتُ وأنا في الجاهلية أَظُنُّ أَنَّ الناسَ على ضلالةٍ ، وأنهم لَيَسُوا على شيء ، وهم يَعْبُدُونَ الأوثان ، فسمعتُ بَرَجْلَ بَكَّةَ يُخْبِرُ أخبارًا ، فقعدتُ على راحلتي ، فقدمتُ عليه ، فإذا رسول الله ﷺ مُسْتَخْفِيًا ، حِرَاءٌ عليه قومه ، فتَلَطَّفْتُ حتى دخلتُ عليه بكَّةَ ، فقلتُ له : ما أنت ؟ قال : « أنا نبيٌّ » فقلتُ : وما نبيٌّ ؟ قال : « أرسلني الله » فقلتُ : فبأي شيء أرسلك ؟ قال : « أرسلني بصلَةِ الأرحام ، وكسر الأوثان ، وأن يُوحِدَ الله ولا يُشْرَكَ به شيء » قلتُ له : فمن معك على هذا ؟ قال : « حُرٌّ وعبدٌ » قال : ومعه يومئذ أبو بكر وبلال مِمَّنْ آمَنَ به ، فقلتُ : إني مُتَّبِعُكَ ، قال : « إنك لا تستطيع ذلك يومئذ هذا ، ألا ترى حالي وحال الناس ؟ ولكن ارجع إلى أهلِكَ ، فإذا سمعتَ بي قد ظهرتُ

(١) أي على كونه شهد بدرًا ، ولفظ الإصَابَة : وزم أحمد بن محمد بن عيسى البغدادي في ذكر من نزل حمص من الصحابة عمرو بن عبسة من المهاجرين الأولين شهد بدرًا . كذا قال ، وتبعه عبد الصمد بن سعيد قال ابن عساكر : كذا قال ، ولم يتابعا على شهوده بدرًا .

(٢) الطبقات الكبرى (٤ / ٢١٥) ونسبه ابن حجر للطبراني وإسناده حسن .

(٣) السير (٢ / ٤٥٩) وإسناده حسن .

٢١٣٤ - مسلم (١ / ٥٦٩) ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - ٥٢ - باب إسلام عمرو بن عبسة .
ما أنت : هكذا هو في الأصول ما أنت ولم يقل : من أنت ، لأنه سأله عن صفته ، ولا عن ذاته ، والصفات بما لا يعقل .

فأنتني « قال : فذهبت إلى أهلي ، وقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وكنت في أهلي ، فجعلت أختبر الأخبار ، وأسأل الناس حين قدم المدينة ، حتى قدم عليّ نفر من أهل يثرب من أهل المدينة فقلت : ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة ؟ فقالوا : الناس إليه سراع ، وقد أراد قومه قتله ، فلم يستطيعوا ذلك ، فقدمت المدينة ، فدخلت عليه ؛ فقلت : يا رسول الله ، أتعرفني ؟ قال : « نعم ، أنت الذي لقيتني بمكة ؟ » قال : فقلت : بلى . فقلت : يا رسول الله ، أخبرني عما علمك الله وأجهله أخبرني عن الصلاة ؟ قال : « صل صلاة الصبح ، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس ، حتى ترتفع ، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار ، ثم صل ، فإن الصلاة مشهودة محضرة ، حتى يستقل الظل بالرمح ، ثم أقصر عن الصلاة ، فإن حينئذ تستجر جهنم ، فإذا فاء الفياء فصل فإن الصلاة مشهودة محضرة ، حتى تصلي العصر ، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس ، فإنها تغرب بين قرني شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار » .

قال فقلت : يا نبي الله فالوضوء ؟ حدثني عنه . قال : « ما منكم رجل يقرب وضوءه فيتوضأ ويستنشق فينتثر إلا خرت خطايا وجهه وفيه وخياشيه ، ثم إذا غسل وجهه ، كما أمره الله تعالى ، إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء ، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من أنامله مع الماء ، ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء ، فإن هو قام فصلّى ، فحمد الله وأثنى عليه ، ومجّده بالذي هوله أهل ، وفرّغ قلبه لله ، إلا انصرف من

== مشهودة : تشهدا الملائكة ومحضرونها .

يستقل الظل بالرمح : استقلال الظل بالرمح : كناية عن وقت الظهر ، وهو أن يصير الظل مثل ذي الظل .

تسجر : تسجرت النار ، إذا أوقدتها .

قرني شيطان : قرنا الشيطان : كناية عن جنبي رأسه ، وقيل : هو مثل ، معناه : أنه في هذا الوقت يتحرك

الشيطان فيتسلط ، وقيل : القرني : القوة .

فاء : الفياء : أي رجوع من جانب الغرب إلى جانب الشرق .

مجّدة : التجديد : التعظيم ، والمجيد : الكريم الشريف .

خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه .

فحدث عمرو بن عبسة بهذا الحديث أبا أمامة صاحب رسول الله ﷺ فقال له أبو أمامة : يا عمرو بن عبسة انظر ما تقول ؟ في مقام واحد يعطى هذا الرجل ؟ فقال عمرو : يا أبا أمامة ، لقد كبرت سنِّي ، ورَقَّ عَظْمي ، واقترب أَجلي ، وما بي حاجة أن أكذب على الله ولا على رسوله ، لو لم أسمع من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً - حتى عد سبع مرات - ما حدثت به أبداً ، ولكنني سمعته أكثر من ذلك .

قال الذهبي : لم يؤرخوا موته ، لعله مات بعد سنة ستين . فالله أعلم .

* * *

٤٣ - خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال ابن حجر : خباب بن الارت بتشديد المثناة بن جندلة بن سعد بن خزيمه بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي ويقال الخزاعي أبو عبد الله .. سي في الجاهلية فبيع بمكة فكان مولى أم أنمار الخزاعية وقيل غير ذلك ، ثم حالف بني زهرة ، وكان من السابقين الأولين . قال ابن سعد : بيع بمكة ثم حالف بني زهرة وأسلم قديماً وكان من المستضعفين . وروى الباوردي أنه أسلم سادس ستة وهو أول من أظهر إسلامه وعذب عذاباً شديداً لأجل ذلك . وقال الطبري : إنما انتسب في بني زهرة لأن آل سباع حلفاء عمرو بن عوف بن الحارث بن زهرة وآل سباع منهم سباع بن أم أنمار الخزاعية ثم شهد المشاهد كلها ، آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبين خبّر بن عتيك . روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

روى الطبراني من طريق زيد بن وهب قال : لما رجع علي من صفين مر بقبر خباب فقال : رحم الله خباباً أسلم رغباً وهاجر طائعاً وعاش مجاهداً وابتلي في جسمه أحوالاً ولن يضيع الله أجره وشهد خباب بداراً وما بعدها ونزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين ، زاد ابن حبان منصرف علي من صفين وصلى عليه علي ، وقال مات سنة تسع عشرة والأول أصح وكان يعمل السيوف في الجاهلية ثبت ذلك في الصحيحين وثبت فيها أيضاً أنه تمول وأنه مرض مرضاً شديداً حتى كاد أن يمتن الموت روى مسلم من طريق قيس بن أبي حازم قال : دخلنا على خباب وقد اكتوى فقال : لولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به ، ويقال إنه أول من دفن بظهر الكوفة ذكر ذلك الطبري بسند له إلى علقمة بن قيس النخعي عن ابن الخباب قال وعاش ثلاثاً وستين سنة . ١ هـ .

قال الذهبي في ترجمته : من أنجباء السابقين . له عدة أحاديث . وقيل : كنيته أبو عبد الله ، شهد بداراً ، والمشهد .

قال منصور ، عن مجاهد : أول من أظهر إسلامه رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وخباب ، وبلال ، وصهيب ، وعمار .

وأما ابنُ إسحاق ، فذكر إسلامَ خُبَّابٍ بعد تسعةَ عشرَ إنساناً ، وأنه كلَّ العشرين. اهـ.

٢١٣٥ - * روى ابن ماجه وابن سعد عن أبي ليلى الكِنْدِي ، قال : قال عمرُ لخبَّاب : ادنّه ، فما أحدٌ أحقُّ بهذا المجلس منك إلا عمَّار . قال : فجعل يُريه بظهره شيئاً يعني من آثار تعذيب قريش له .

٢١٣٦ - * روى البخاري وابن سعد عن خُبَّاب ، قال : كنت قَيْناً بككة ، فعملتُ للعاص بن وائل سيفاً ، فجئتُ أتقاضاه ، فقال : لا أعطيك حتى تكفرَ بِمُحمَّد . فقلتُ : لا أكفرُ بِمُحمَّد ﷺ حتى تموتَ ثم تبعثَ . فقال : إذا بُعثتُ كان لي مال ، فسوف أقضيك . فقلتُ ذلك لرسول الله ﷺ . فأنزلت : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا ﴾ (١) .

قال الذهبي : لخبَّاب - بالمركر - اثنان وثلاثون حديثاً ومنها : ثلاثة في الصحيحين وانفرد له البخاري بحديثين ومسلم بحديث . اهـ الذهبي .

٢١٣٧ - * روى البخاري عن علقمة بن قيس النخعي رحمه الله قال : كنا جلوساً مع ابن مسعود ، فجاء خُبَّابٌ ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، أيسطيع هؤلاء الشباب أن يقرؤوا كما تقرأ ؟ قال : أما إنك لو شئتَ أمرتُ بعضهم يقرأ عليك ، قال : أجل ، قال : اقرأ يا علقمة ، فقال زيد بن حُدَيْر - أخو زياد بن حُدَيْر - : أتأمر علقمة أن يقرأ وليس بأقرئنا ؟ فقال : أما إنك إن شئتَ أخبرتك بما قال النبي ﷺ في قومك وقومه ، فقرأت خمسين آية من سورة مريم ، فقال عبد الله : كيف ترى ؟ قال : قد أحسن ، قال عبد الله : ما أقرأ شيئاً إلا وهو يقرؤه ، ثم التفتَ إلى خُبَّاب وعليه خاتمة من ذهب ، فقال : ألم يأن لهذا الخاتم أن يلقى ؟ قال : أما إنك لن تراه عليّ بعد اليوم ، فالتقاه .

٢١٣٥ - ابن ماجه (١ / ٥٤) المقدمة - ١١ - باب من فضائل أصحاب رسول الله ﷺ . فضائل خباب وقال في الزوائد : إسناده صحيح . والطبقات الكبرى (٣ / ١٦٥) .

٢١٣٦ - البخاري بنحوه (٨ / ٤٢٩) - ٦٥ - كتاب التفسير - ١٠ - باب ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَا لَا يُؤْتُونَ ﴾ .

الطبقات الكبرى (٢ / ٣٢٤) .

(١) مريم : ٧٨ .

٢١٣٧ - البخاري (٨ / ١٠٠) - ٦٤ - كتاب المغازي - ٧٤ - باب قدوم الأشعرين وأهل البين .

قال الذهبي : قيل : مات في خلافة عمر ، وصلى عليه عمر . وليس هذا بشيء ، بل مات بالكوفة سنة سبع وثلاثين ، وصلى عليه عليّ .

وقيل : عاش ثلاثاً وسبعين سنة .

نعم ، الذي مات سنة تسع عشرة وصلى عليه عمر : هو خباب مولى عبّبة بنِ غَزَّوان ، صحابيٌّ مهاجريٌّ أيضاً . ١ هـ .

* * *

٤٤ - سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما

قال ابن حجر في الإصابة : سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .. أحد السابقين الأولين قال البخاري : مولاته امرأة من الأنصار وقال ابن حبان يقال لها ليلي ويقال ثبيثة بنت يعار وكانت امرأة أبي حذيفة وبهذا جزم ابن سعد ، وقال ابن شاهين : سمعت ابن أبي داود يقول : هو سالم بن معقل وكان مولى امرأة من الأنصار يقال لها فاطمة بنت يعار أعتقته سائبة فوالى أبا حذيفة وسيأتي في ترجمته وديعة أن اسمها سلمى وزعم ابن منده أنه سالم بن عبيد بن ربيعة وتعقبه أبو نعيم فأجاد وإنما هو مولى أبي حذيفة ابن عتبة ابن ربيعة فوقع فيه سقط وتصحيف وكان أبو حذيفة قد تبناه كما تبني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زيد بن حارثة فكان أبو حذيفة يرى أنه ابنه فأنكحه ابنة أخته فاطمة بنت الوليد بن عتبة فلما أنزل الله ﴿ ادعوهم لأبائهم ﴾ رد كل أحد تبني ابناً من أولئك إلى أبيه ومن لم يعرف أبوه رد إلى مواليه ، أخرجه مالك في الموطأ عن الزهري عن عروة بهذا وفيه قصة إرضاعه . وروى البخاري من حديث ابن عمر كان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين الأولين في مسجد قباء فيهم أبو بكر وعمر أخرجه الطبراني من طريق هشام بن عروة عن نافع وزاد وكان أكثرهم قرأناً ، وفي الرضاع مشهورة فعند مسلم من طريق القاسم عن عائشة أن سالماً كان مع أبي حذيفة فأتت سهلة بنت سهيل بن عمرو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت إن سالماً بلغ ما يبلغ الرجال وإنه يدخل عليّ وأظن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئاً فقال : أرضعني تحرمي عليه الحديث ، ومن طريق الزهري عن أبي عبيد الله بن عبد الله بن زمعة عن أمه زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة أن أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قلن لعائشة : ما نرى هذا إلا رخصة رخصها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسالم ، وقال مالك في الموطأ عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير أن أبا حذيفة فذكر الحديث قال جاءت سهلة بنت سهيل وهي امرأة أبي حذيفة فقالت : يا رسول الله إنا كنا نرى سالماً ولداً وكان يدخل علي وأنا فضل [أي أستقبله دون تكلف وكأنني أمه لا أستر منه تستر الأجنبية عنه] فإذا ترى فيه فذكره . ووصله عبد الرزاق عن مالك فقال عن عروة عن عائشة وأخرجه البخاري من طريق الليث عن الزهري موصولاً وروى البخاري ومسلم

والنسائي والترمذي من طريق مسروق عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رفعه خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل .

وروى ابن المبارك في كتاب الجهاد أن لواء المهاجرين كان مع سالم ف قيل له في ذلك . فقال : بئس حامل القرآن أنا - يعني إن فررت - فقطعت يمينه فأخذه بيساره فقطعت فاعتنقه إلى أن صرع ، فقال لأصحابه ما فعل أبو حذيفة يعني مولاه قيل قتل قال فأضجعوني بجانبه فأرسل عمر ميراثه إلى معتقته ثبيته فقالت : إنما أعتقته سائبة فجعله في بيت المال وذكر ابن سعد أن عمر أعطى ميراثه لأمه فقال كليه . ١ هـ ابن حجر .

وقال الذهبي في ترجمته : من السابقين الأولين البدرين المقربين العالمين .

قال موسى بن عقبة : هو سالم بن مَعْقِل . أصله من إصطخر . وإلى أبا حذيفة ، وإنما الذي أعتقه هي ثبيته بنت يعار الأنصارية ، زوجة أبي حذيفة بن عتبة وتبناه أبو حذيفة ، كذا قال .

وعن ابن عمر ، قال : كان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين الذين قدموا من مكة ، حتى قدم المدينة ، لأنه كان أقرأهم . ١ هـ .

٢١٣٨ - * روى ابن سعد ، عن القاسم بن محمد أن سَهْلَةَ بنت سهيل أتت رسول الله ﷺ وهي امرأة أبي حذيفة فقالت : يا رسول الله ! إنَّ سالماً معي ، وقد أدرك ما يُدرك الرجال ، فقال : « أَرْضِعِيهِ ، فَإِذَا أَرْضَعْتِهِ فَقَدْ حَرَّمَ عَلَيْكَ مَا يَحْرُمُ مِنْ ذِي الْمَحْرَمِ » . قالت أم سلمة : أباي أزواج رسول الله ﷺ أن يدخل أحد عليهن بهذا الرضاع ، وَقُلْنَ : إنما هي رخصة لسالم خاصة .

٢١٣٩ - * روى أحمد والحاكم عن عائشة قالت : استبطأني رسول الله ذات ليلة ، فقال : ما حسبك ؟ قلت : إنَّ في المسجد لأحسنَ مَنْ سمعتُ صوتاً بالقرآن ، فأخذ رداءه ، وخرج

٢١٣٨ - الطبقات الكبرى (٢ / ٨٧) ورجاله ثقات ، لكنه مرسل .

وروى مسلم بنحوه (٢ / ١٠٧٧) ١٧ - كتاب الرضاع - ٢ - باب رضاعة الكبير .

٢١٣٩ - أحمد في مسنده (٦ / ١٦٥) ، والمستدرک (٣ / ٢٣٦) وصححه ووافقه الذهبي .

يسمعه ، فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة ، فقال : « الحمد لله الذي جعل في أمي مثلك » .

٢١٤٠ - * روى البخاري عن ابن عمر قال : لما قدم المهاجرون الأولون العُصبة - موضع بقاء - قبل مقدم رسول الله ﷺ كان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة وكان أكثرهم قرآناً .

قال الذهبي : ورورى عبيد بن أبي الجعد ، عن عبد الله بن الهاد أن سالمًا باع ميراثه عمر ابن الخطاب فبلغ مئتي درهم ، فأعطها أمه ، فقال : كليها .

وقيل : إن سالمًا وجد هو ومولاه أبو حذيفة ، رأس أحدهما عند رجلي الآخر صريعين ، رضي الله عنهما .

ومن مناقب سالم : عن أبي رافع أن عمر بن الخطاب قال : من أدرك وفاقي من سبي العرب فهو من مال الله . فقال سعيد بن زيد : أما إنك لو أشرت برجل من المسلمين ، لائتبتك الناس ، وقد فعل ذلك أبو بكر الصديق ، وائتمنه الناس ، فقال : قد رأيت من أصحابي حرصاً سيئاً ، وإني جاعلٌ هذا الأمر إلى هؤلاء نفر الستة . ثم قال : لو أدركني أحد رجلين ، ثم جعلتُ إليه الأمر لو ثقتُ به : سالم مولى أبي حذيفة ، وأبو عبيدة بن الجراح^(١) .

فإن صحَّ هذا ، فهو دالٌّ على جلالة هذين في نفس عمر ، وذلك على أنه يجوز الإمامة في غير القرشي ، والله أعلم . اهـ الذهبي .

٢١٤١ - * روى أحمد عن عمرو بن العاص قال : كان فرع بالمدينة فأتيت على سالم مولى أبي حذيفة وهو محتب بمحامل سيفه فأخذت سيفي فاحتبيت بمحامله فقال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس ألا كان مفزعكم إلى الله ورسوله » قال : « ألا فعلتم كما فعل هذان الرجلان المؤمنان » .

* * *

٢١٤٠ - البخاري (٢ / ١٨٤) - ١٠ - كتاب الأذان - ٥٤ - باب إمامة العبد والمولى .

(١) أحمد في مسنده (١ / ٢٠) .

٢١٤١ - أورده المهيثي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٠٠) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

٤٥ - عامر بن ربيعة رضي الله عنه

قال ابن حجر : عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن سعد بن عبد الله بن الحارث بن رفيدة بن عَنَزْ بن وائل العَنَزِي وقيل في نسبه غير ذلك ، وَعَنَزْ بسكون النون أخو بكر بن وائل ، أبو عبد الله حليف بني عدي ثم ، الخطَّاب والد عمر ومنهم من ينسبه إلى مَذْحِج واستخلفه عثمان على المدينة لما حج . وقال ابن سعد : كان الخطَّاب قد تبنى عامراً فكان يقال عامر بن الخطَّاب حتى نزلت : ﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ ﴾ ^(١) قال يحيى بن سعيد الأنصاري عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قام عامر بن ربيعة يصلي من الليل وذلك حين نشب الناس في الطعن على عثمان فنام فأتاه آت فقال له : قم فاسأل الله أن يعيذك من الفتنة فقام فصلى ثم اشتكى فما خرج بعد إلا بجنازته أخرجه مالك في الموطأ . قال مصعب الزبيري : مات سنة اثنتين وثلاثين كذا قال أبو عبيدة ثم ذكره في سنة سبع وثلاثين وقال : أظن هذا أثبت وقال الواقدي كان موته بعد قتل عثمان بأيام وقيل في وفاته غير ذلك . اهـ .

وقال الذهبي في ترجمته : من السابقين الأولين . أسلم قبل عمر ، وهاجر المهجرتين ، وشهد بدرأ .

قال ابن إسحاق : أول من قدم المدينة مهاجراً : أبو سلمة بن عبد الأسد ، وبعده ، عامر ابن ربيعة .

وكان الخطَّاب قد تبناه . وكان معه لواءً عُمَر لما قدم الجابية ^(٢) .

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة : أن أباه رُئي في المنام حين طعنوا على عثمان ، فقيل له : قُمْ فَسَلِ الله أن يُعيذك من الفتنة .

(١) الأحزاب : ٥ .

(٢) والجابية : قرية في الشام من ناحية الجولان قرب مرج الصُّفَر في شمالي حوران إذا وقف الإنسان في الصنين ، واستقبل الشمال ، ظهرت له ، وتظهر من نوى أيضاً .
وفيهما خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب خطبته المشهورة لما قدم الشام ، وباب الجابية الذي بدمشق منسوب إليها .

٢٠٠٣

توفي عامر سنة خمس وثلاثين ، قبل مقتل عثمان بيسير . ا هـ .

٢١٤٢ - * روى الطبراني عن الزهري قال : حدثني ابن عامر بن ربيعة وكان من كبراء بني عدي وكان أبوه شهد بدرأ .

* * *

٤٦ - عبد الله بن جحش رضي الله عنه

قال ابن حجر في الإصابة : عبد الله بن جحش بن رِيَاب براء وتختانية وآخره موحدة ابن يعمر الأسدي حليف بني عبد شمس .

أحد السابقين . قال ابن حبان : له صحبة ، وقال ابن إسحاق هاجر إلى الحبشة وشهد بدرًا وروى البغوي من طريق إبراهيم بن سعد عن مسلم بن محمد الأنصاري عن رجل من قومه قال آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين عبد الله بن جحش وعاصم بن ثابت ومن طريق زياد بن علاقة عن سعد بن أبي وقاص قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سرية وقال : لأبعثنَّ عليكم رجلاً أصبركم على الجوع والعطش فبعث علينا عبد الله ابن جحش فكان أول أمير في الإسلام . وروى السراج من طريق زَرِّ بن حُبَيْش قال : أول راية عقدت في الإسلام لعبد الله بن جحش عن عروة قال : بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن جحش إلى نخلة فذكر القصة بطولها . وروى الطبراني من طريق أبي السوار عن جندب بن عبد الله البجلي قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن جحش على سرية فذكر الحديث بطوله وقال ابن أبي حاتم له صحبة ، دعا الله يوم أحد أن يرزقه الشهادة فقتل بها ، وروى عنه سعد بن أبي وقاص وسعيد بن المسيب انتهى . وروى البغوي من طريق إسحاق بن سعد بن أبي وقاص حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد : ألا تأتي فندعو ؟ قال : فخلونا في ناحية فدعا سعد فقال : يارب إذا التقينا اليوم غدا فلقتني رجلاً شديداً حَرَدَه أقاتله فيك ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله وأخذ سلبه قال : فأمن عبد الله بن جحش ثم قال عبد الله : اللهم ارزقني رجلاً شديداً حَرَدَه أقاتله فيك حتى يأخذني فيجدع أنفي وأذني فإذا لقيتك قلت هذا فيك وفي رسولك فتقول صدقت . قال سعد : فكانت دعوة عبد الله خيراً من دعوتي فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلق في خيط وأخرجه ابن شاهين من وجه آخر عن سعيد بن المسيب أن رجلاً سمع عبد الله بن جحش فذكر نحوه وهذا أخرجه ابن المبارك في الجهاد مرسلًا وقال الزبير كان يقال له المجدع في الله ، وكان سيفه انقطع يوم أحد فأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عُرْجُونًا فصار في يد سيفاً فكان يسمى العُرْجُون قال وقد بقي هذا السيف حتى

٢٠٠٥

بيع من بَغَاء التركي بِائِي دِينَار . وروى زكريا الساجي من حديث أبي عبيدة بن عبد الله ابن مسعود عن أبيه قال : استشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر وعمر وعبد الله بن حنبل في أسارى بدر فذكر القصة وأخرجه أحمد وكان قاتله أبو الحكم بن الأحنس بن شريق ودفن هو وحمة في قبر واحد وكان له يوم قتل نيف وأربعون . ا هـ .

* * *

٤٧ - صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال ابن حجر : صهيب بن سنان بن مالك .. ويقال خالد بن عمرو بن عَقِيل ويقال طفيل بن عامر بن جندلة بن سعد بن جذيم بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس بن زيد مناة بن النمر بن قاسط النمرى أبو يحيى ، وأمه من بني مالك بن عمرو بن تميم وهو الرومي قيل له ذلك لأن الروم سبوه صغيراً ! قال ابن سعد : وكان أبوه وعمه على الأبلّة (١) من جهة كسرى وكانت منازلهم على دجلة من جهة الموصل فنشأ صهيب بالروم فصار ألكن (٢) ثم اشتراه رجل من كلب فباعه بكّة فاشتراه عبد الله بن جُدعان التيمي فأعتقه ويقال بل هرب من الروم فقدم مكة فحالف ابن جدعان .

وروى ابن سعد أنه أسلم هو وعمار ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دار الأرقم ، ونقل الوزير أبو القاسم المغربي أنه كان اسمه عميرة فسماه الروم صهيبيّاً قال : وكانت أخته أمية تنشده في المواسم وكذلك عماء لبيد وزحر ابنا مالك وزعم عمارة بن وثبة أن اسمه عبد الملك ، ونقل البغوي أنه كان أحمر شديد الصهوبة تشوبها حمرة وكان كثير شعر الرأس يخضب بالحناء ، وكان من المستضعفين ممن يعذب في الله وهاجر إلى المدينة مع علي بن أبي طالب في آخر من هاجر في تلك السنة فقدا في نصف ربيع الأول وشهد بدرأ والمشاهد بعدها . وروى ابن عدي عن صهيب قال : صحبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يبعث ، وروى ابن عدي من حديث أنس والطبراني من حديث أم هانيء ومن حديث أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : السَّبَّاقُ أربعة أنا سابق العرب ، وصهيب سابق الروم ، وبلال سابق الحبشة ، وسلمان سابق الفرس ، وروى ابن عيينة في تفسيره وابن سعد من طريق منصور عن مجاهد أول من أظهر إسلامه سبعة فذكره فيهم ، وروى ابن سعد من طريق عمر بن الحكم قال : كان عمار بن ياسر يعذب حتى لا يدري ما يقول وكذا صهيب وأبو فائذ وعامر بن فهيرة وقوم وفيهم نزلت هذه الآية ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ ﴾

(١) الأبلّة : بلدة بالعراق تبعد البصرة أربعة فراسخ وهي أقدم من البصرة .

(٢) ألكن : هو الذي لا يقيم العربية من عجمة في لسانه .

هاجروا من بعد ما فتنوا» (١) .

وروى البغوي من طريق زيسد بن أسلم عن أبيه خرجت مع عمر حتى دخلت على صهيب بالعالية فلما رآه صهيب قال : ياناس ياناس فقال عمر : ماله يدعو الناس . قلت : إنما يدعو غلامه يُحَنَس . فقال : له يا صهيب : ما فيك شيء أعيبه إلا ثلاث خصال أراك تنتسب عريباً ولسانك أعجمي وتكنى باسم نبي [كان يكنى بأبي يحيى] وتبذر مالك ، قال : أما تبذيري مالي فما أنفقه إلا في حق ، وأما كنييتي فكنتانيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأما انتمايي إلى العرب فإن الروم سبتني صغيراً فأخذت لسانهم ، ولما مات عمر أوصى أن يصلي عليه صهيب وأن يصلي بالناس إلى أن يجتمع المسلمون على إمام رواه البخاري في تاريخه . وروى الحميدي والطبراني من حديث صهيب من طريق الستة عنه قال : لم يشهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مشهداً قط إلا كنت حاضره ، ولم يبايع بيعة قط إلا كنت حاضره ، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضرها ، ولا غزا غزاة إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله ، وما خافوا أمامهم قط إلا كنت أمامهم ولا ما وراءهم إلا كنت وراءهم ، وما جعلت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيني وبين العدو قط حتى توفي . ومات صهيب سنة ثمان وثلاثين وقيل سنة تسع . ا هـ .

قال الذهبي في ترجمته : أبو يحيى النُمَيْرِيُّ . من النُمَيْرِ بْنِ قَاسِطٍ . ويُعرف بالرومي ، كان من كبار السابقين البدرين .

قال الحافظُ ابنُ عساكر : صَهِيبُ بْنُ سَنانٍ بنِ مالك بن عبد عمرو بن عَقِيل بنِ عامر ، أبو يحيى - ويُقال : أبو غسان - النُمَيْرِيُّ الروميُّ البدرِيُّ المهاجريُّ .

عن حمزة بن صهيب عن أبيه قال : كنتُاني النبي ﷺ : أبا يحيى (٢) .

عن صَيْفِي بنِ صَهِيب عن أبيه ، قال : صحبتُ النبي ﷺ قبل أن يُوحى إليه (٣) .

(١) النحل : ١١٠ .

(٢) الطبقات الكبرى (٢ / ٢٣٧) .

(٣) المستدرک (٢ / ٤٠٠) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

قال مُجاهدٌ : أولُ مَنْ أظهرَ الإسلامَ سبعةٌ : رسولُ الله ﷺ ، وأبو بكر وبلالٌ ، وخبَّابٌ ، وصُهَيْبٌ ... مختصر .

عن أبي عثمان : أنَّ صُهَيْباً حينَ أرادَ الهجرة ، قالَ له أهلُ مكة : أتيتنا صُغُلُوكَ حَقيراً ، فتغيَّرَ حالُكَ ! قالَ : رأيتمُ إنَّ تركتُ مالي ، أمْخَلُونُ أنتم سبيلي ؟ قالوا : نعم . فخلعَ لهم مالَه . فبلغَ ذلكَ النبيَّ ﷺ ، فقالَ : « رِيحَ صُهَيْب ! رِيحَ صُهَيْب » ^(١) .

يعقوبُ بنُ محمد الزهري : حدثنا حُصَيْنُ بنُ حُذيفة بنِ صيفي حدثنا أبي وعمومتي ، عن سعيد بنِ المسيَّب ، عن صُهَيْب ، قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « أريتُ دارَ هِجرتكم سَبْخَةً بينَ ظَهْراني حَرَّة ! فإِما أنْ تكونَ هَجْرٌ ، أو يَثْرِب » ^(٢) .

قال [صهيب] : وخرج رسولُ الله ﷺ إلى المدينة ، وقد كنتُ هَمَمْتُ بالخروج معه ، فصَدَّني فتیانٌ من قريش ، فجعلتُ ليلتي تلكَ أقومُ لا أقعدُ ، فقالوا : قد شغله الله عنكم بيطنه - ولم أكن شاكياً - فناموا ، فذهبتُ ، فلحقني ناسٌ منهم على بريد ، فقلتُ لهم : أعطيكم أوقايٍّ من ذهبٍ وتُخلُوني ؟ ففعلوا ، فقلتُ : احفروا تحتَ أسْكُفَةِ البابِ ^(٣) تجدوها ، وخذُوا من فلانة الحُلَّتَيْنِ . وخرجتُ حتى قدمتُ على رسولِ الله ﷺ قُبَاءَ فلما رآني ، قالَ : « يَا أَبَا يَحْيَى ، رِيحَ البَيْعِ ! ثلاثاً . فقلتُ : ما أخبركَ إلا جبريلُ .

قالَ : قدمتُ على رسولِ الله ﷺ قُبَاءَ ، وقد رَمِدَتْ في الطريقِ وجُعتُ ، وبينَ يديه رُطْبٌ ، فوقعتُ فيه . فقالَ عمرُ : يا رسولَ الله : ألا ترى صُهَيْباً يأكلُ الرطبَ وهو أرمَدُ ؟ فقالَ النبيُّ ﷺ لي ذلكَ . قلتُ : إِنما أكلُ على شِقِّ عيني الصحيحة . فتبسمَ ^(٤) .

عن عائذ بن عمرو أن سلمان ، وصهيباً ، وبلالاً ، كانوا قعوداً ، فرأىهم أبو سفيان ،

(١) الطبقات الكبرى (٣ / ٢٢٧) ورجاله ثقات .

(٢) [ذكره الحافظ في « الفتح » ونسبه إلى البيهقي ، وسكت عليه ، وأخرج البخاري : من حديث أبي موسى ، عن النبي ﷺ قالَ : رأيتُ في المنامُ أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وُهلي إلى أنها البصرة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب]

(٣) أسكفة الباب : هي خشبة الباب التي يوطأ عليها .

(٤) الطبقات الكبرى : (٢ / ٢٢٨) وأخرج بحوه ابن ماجه (٢ / ١١٣٩) - كتاب الطب - ٢ - باب الحمية . وقال البوصيري في الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات .

فقالوا : ما أخذتُ سيوفَ الله من عتقِ عدو الله مأخذَها بعد . فقال أبو بكر : أتقولون هذا لشيخِ قريش وسيدها ؟ قال : فأخبرَ بذلك النبي ﷺ ، فقال : « يا أبا بكر ، لعلك أغضبتهم ، لأن كنتَ أغضبتهم ، لقد أغضبتَ ربَّك » . فرجع إليهم ، فقال : أي إخواننا ، لعلكم غضبتُم ؟ قالوا : لا يا أبا بكر ، يغفرُ الله لك ^(١) .

قال الواقدي : مات صُهيب بالمدينة في شوال سنة ثمان وثلاثين عن سبعين سنة . وكذلك قال المدائني وغيره في وفاته .

وقال المدائني : عاش ثلاثاً وسبعين سنة .

وقال الفسوي : عاش أربعاً وثمانين سنة . رضي الله عنه . اهـ الذهبي .

* * *

(١) مسلم (٤ / ١٩٤٧) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤٢ - باب من فضائل سلمان وصهيب وبلال .

٤٨ - عثمان بن مظعون رضي الله عنه

قال ابن حجر : عثمان بن مظعون بالظاء المعجمة ابن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح الجحفي .. قال ابن إسحاق : أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً وهاجر إلى الحبشة هو وابنه السائب الهجرة الأولى في جماعة فلما بلغهم أن قريشاً أسلمت رجعوا فدخل عثمان في جوار الوليد بن المغيرة ثم ذكر رده جواره ورضاه بما عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر قصته مع لبيد بن ربيعة حين أنشد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل ، فقال عثمان بن مظعون : صدقت ، فقال لبيد : وكل نعيم لا محالة زائل ، فقال عثمان : كذبت نعيم الجنة لا يزول ، فقام سفيه منهم إلى عثمان فلطم عينه فاخضرت . وفي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص ، قال : رد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على عثمان بن مظعون التَّبَتُّلَ ولو أذن له لاختصينا ، وروى ابن شاهين والبيهقي في الشعب من طريق قدامة بن إبراهيم الجحفي عن عمر بن حسين عن عائشة بنت قدامة عن أبيها عن عمها قال قلت : يا رسول الله ، إني رجل تشق على العزبة في المغازي فتأذن لي في الخصى فأختصي ، فقال : لا ولكن عليك يا ابن مظعون بالصوم ، وروى البزار من طريق قدامة بن موسى عن أبيه عن جده قدامة بن مظعون حديثاً وقال : لا أعلم له غيره ، وفي الصحيحين عن أم العلاء قالت : لما مات عثمان ابن مظعون قلت شهادتي عليك أبا السائب لقد أكرمك الله ، توفي بعد شهوده بداراً في السنة الثانية من الهجرة ، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين وأول من دفن بالبقيع منهم وروى الترمذي من طريق القاسم عن عائشة قالت : قبَّل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عثمان بن مظعون وهو ميت وهو يبكي وعيناه تذرفان ، ولما توفي إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون وقالت امرأة ترثيه :

يا عين جودي بدمع غير ممنون على رزية عثمان بن مظعون

ا هـ. ابن حجر .

قال الذهبي في ترجمته : من سادة المهاجرين ، ومن أولياء الله المتقين الذين فازوا بوفاتهم في حياة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو السائب رضي الله عنه أول من دفن بالبقيع .

روى كثير بن زيد المدني : عن المطَّلِب بن عبد الله قال : لما دُفِنَ النبي ﷺ عُثْمَانُ بن مظعون ، قال لرجل : هَلُمَّ تلك الصخرة ، فاجعلها عند قبر أخي ، أعرفه بها ، أدفن إليه من دفنت من أهلي ، فقام الرجل فلم يُطَقها ، فقال - يعني الذي حدثه :- فلَكَأني أنظر إلى بياض ساعدي رسول الله ﷺ حين احتملها ، حتى وضعها عند قبره هذا مرسل ^(١) وكان ممن حرَّم الخمر في الجاهلية . ا هـ .

٢١٤٣ - * روى عبد الرزاق وابن سعد عن عائشة قالت : دخلت امرأة عثمان بن مظعون - واسمها خولة بنت حكيم - على عائشة ، وهي باذة الهيئة . فسألتهما ما شأنك ؟ فقالت : زوجي يقوم الليل ويصوم النهار ، فدخل النبي ﷺ ، فذكرت ذلك له عائشة ، فلقي النبي ﷺ ، فقال : « يا عثمان ! إن الرهبانية لم تكتب علينا ، أما لك في أسوة ؟ فوالله إن أخشاكم لله ، وأحفظكم لحدوده لأنا » .

قال الذهبي : وعن عبيد الله بن عتبة قال : خطَّ رسول الله ﷺ لآل مظعون موضع دارهم اليوم بالمدينة .

ومات في شعبان سنة ثلاث .

وعن عائشة بنت قدامة قالت : كان بنو مظعون متقاربين في الشبه . كان عثمان شديداً الأدمة ، كبير اللحية . رضي الله عنه ا هـ .

٢١٤٤ - * روى الترمذي والحاكم عن عائشة : أنَّ رسول الله ﷺ قبَّل عثمان بن مظعون وهو ميت ، ودموعه تسيل على خدَّ عثمان بن مظعون .

(١) رواه أبو داود (١٣ / ٢١٢) كتاب الجنائز ، باب في جمع اللوق في قبر والقبر يُعلم ، وسنده حسن مرسل . وابن

ماجة بنحوه مختصراً عن أنس (١ / ٤٩٨) ٦ - كتاب الجنائز - ٤٢ - باب ما جاء في العلامة في القبر . وقال

البوصيري في الزوائد : هذا إسناد حسن .

٢١٤٣ - المصنف (٦ / ١٦٧) ، والطبقات الكبرى (٣ / ٢٩٥) عن أبي بردة .

٢١٤٤ - أبو داود (٣ / ٢٠١) كتاب الجنائز ، باب تقبيل الميت .

والترمذي (٣ / ٣٠٥) ٨ - كتاب الجنائز - ١٤ - باب ما جاء في تقبيل الميت . وقال : هذا حديث حسن

صحيح . والمستدرک (٣ / ١٩٠) وصححه الذهبي .

٢١٤٥ - * روى الإمام مالك عن أبي النضر قال : لما مرَّ بجنادة عثمان بن مظعون قال رسول الله : « ذهبتم ولم تلبس منها بشيء » .

٢١٤٦ - * روى البخاري عن خارجة بن زيد بن ثابت أن أم العلاء - امرأة من نسائهم بايعت النبي ﷺ - أخبرته أن عثمان بن مظعون طار لهم في السكنى حين اقتربت الأنصار على سكنى المهاجرين . قالت أم العلاء : فاشتكى عثمان عندنا ، فرضته حتى توفي ، وجعلناه في أثوابه ، فدخل علينا النبي ﷺ ، فقلت : رحمة الله عليك أبا السائب ، شهادتي عليك لقد أكرمك الله . فقال النبي ﷺ : « وما يدريك أن الله أكرمك ؟ » قالت : قلت : لا أدري ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، فمن ؟ قال : « أما هو فقد جاءه والله اليقين ، والله إني لأرجو له الخير ، وما أدري والله - وأنا رسول الله - ما يفعل بي » قالت : فوالله لا أركى أحدا بعده . قالت فأحزنتي ذلك ، فنيمت ، فرأيت لعثمان عينا تجري فجيئت رسول الله ﷺ وأخبرته ، فقال : « ذلك عمله » .

* * *

٢١٤٥ - الموطأ (١ / ٢٤٢) ١٦ - كتاب الجنائز - ١٦ - باب جامع الجنائز ، وهو مرسل وقد وصله ابن عبد البر عن عائشة .

٢١٤٦ - البخاري (٧ / ٢٦٤) ٦٢ - كتاب مناقب الأنصار - ٤٦ - باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة .

٤٩ - معاذ بن جبل رضي الله عنه

قال ابن حجر : معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عابد بن عدي بن كعب بن عمرو ابن أدي بن علي بن أسد بن سارة بن يزيد بن جُثَم بن عدي بن باني بن تميم بن كعب بن سلمة أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي الإمام المقدم في علم الحلال والحرام .. قال أبو إدريس الخولاني : كان أبيض وضيء الوجه براق الثنايا أكحل العينين ، وقال كعب بن مالك : كان شاباً جميلاً سمحاً من خير شباب قومه ، وقال الواقدي : كان من أجل الرجال وشهد المشاهد كلها .. وشهد بدرأ وهو ابن إحدى وعشرين سنة وأمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم على اليمين ، والحديث بذلك في الصحيح من رواية ابن عباس عنه . وذكر سيف في الفتوح بسند له عن عبيد بن صخر قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمين : إني قد عرفت بلاءك في الدين والذي قد ركبك من الدين وقد طيبت لك الهدية فإن أهدى لك شيء فاقبل ، قال فرجع حين رجع بثلاثين رأساً أهديت له قال بهذا الإسناد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له لما ودعه : حفظك الله من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك ومن فوقك ومن تحتك ودرأ عنك شرور الإنس والجن . وقال أبو نعيم في الحلية : إمام الفقهاء وكثر العلماء شهد العقبة وبدرأ والمشاهد ، وكان من أفضل شباب الأنصار حلياً وحياءً وسخاءً ، وكان جميلاً وسيماً ، روى عنه من الصحابة عمر وأبو قتادة وعبد الرحمن بن سمرة وغيرهم ، وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر والزهري عن ابن كعب بن مالك كان معاذ شاباً جميلاً سمحاً لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه .

وفي مرسل أبي عون الثقفي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأتي معاذ يوم القيامة أمام الناس برثوة^(١) أخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في تاريخه ، وأورده ابن عساكر من طريق عن محمد بن الخطاب والرتوة بفتح الراء المهملة وسكون المثناة وفتح الواو . وفي طبقات ابن سعد من طريق منقطع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتب إلى أهل اليمين لما بعث معاذاً إني بعثت لكم خير أهلي . ومناقبه كثيرة جداً ، وقدم من اليمين في خلافة أبي

(١) رَثْوَةٌ : رمية سهم وقيل : مدى البصر .

بكر ، وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة سبع عشرة أو التي بعدها ، وهو قول الأكثر وعاش أربعاً وثلاثين سنة وقيل غير ذلك . ١ هـ ابن حجر .

وقال الذهبي عنه : السيد الإمام أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي المدني البصري ، شهد العقبة شاباً أمرد ، وله عدة أحاديث .

قال شباب : أمه هي هند بنت سهل من بني رفاعة ، ثم من جُهينة ، ولأمه ولد من الجدّ بن قيس .

وروى الواقدي عن رجاله أن معاذاً شهد بدرأ وله عشرون سنة أو إحدى وعشرون . قال ابن سعد : شهد العقبة في روايتهم جميعاً مع السبعين . وقال عبد الصمد بن سعيد : نزل حصص . وكان طويلاً ، حسنأ ، جليلاً . وقال الجماعة : كنيته أبو عبد الرحمن ، إلا أبا أحمد الحاكم ، فقال : كنيته أبو عبد الله .

قال علي بن محمد المدائني : معاذ لم يولد له قط ، طوال ، حسن الثغر ، عظيم العينين ، أبيض ، جعد ، قَطَط (١) .

وأما ابن سعد ، فقال : له ابنان عبد الرحمن وآخر .

قال عطاء : أسلم معاذ وله ثمان عشرة سنة .

وقال ابن إسحاق : ومن السبعين (٢) من بني جُثَم بن الخزرج معاذ بن جبل . ١ هـ .

٢١٤٧ - * روى البخاري ومسلم عن أنس قال : جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار : أبي بن كعب ، وزيد ، ومعاذ بن جبل ، وأبو زيد قال قتادة : قلت لأنس : من أبو زيد ؟ قال : أحد عمومي .

(١) قَطَط : شديد الجمودة .

(٢) ومن السبعين : أي الذين شهدوا العقبة من الأنصار .

٢١٤٧ - البخاري (٩ / ٤٧) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن - ٨ - باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ومسلم (٤ / ١٩١٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٣ - باب من فضائل . أبي بن كعب وجماعة من الأنصار .

٢١٤٨ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ :
« خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ : مِنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَأَبِيٍّ ، وَمَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، وَسَلَامِ مَوْلَى
أَبِي حَذِيفَةَ » .

٢١٤٩ - * روى أحمد والترمذي وابن ماجه عن أنس مرفوعاً « أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو
بَكْرٍ ، وَأَشَدُّهَا فِي دِينِ اللَّهِ عُمَرُ ، وَأَصْدَقُهَا حَيَاءً عُثْمَانُ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ
مُعَاذٌ ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدٌ ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ » .

٢١٥٠ - * روى أحمد وأبو داود والترمذي عن معاذ قال : لما بعثني النبي ﷺ ، إلى
الين ، قال لي : « كيف تقضي إن عَرَضَ قِضَاءٌ ؟ » قال : قلت : أقضي بما في كتاب
الله ، فإن لم يكن ، فما قضى به رسول الله ﷺ ، قال : « فإن لم يكن فيما قضى به
الرسول ؟ » قال : أجتهد رأيي ولا آلو ، فضرب صدرى ، وقال : « الحمد لله الذي وفق
رسولَ رسول الله ﷺ ، لما يُرضي رسول الله » .

٢١٥١ - * روى البخاري ومسلم عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه قال : « بعث النبي ﷺ
جَدَّةَ أَبِي مُوسَى وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ : « يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفِرَا وَتَطَاوَعَا »

٢١٤٨ - البخاري (٤٦ / ٩) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن - ٨ - باب القراء من أصحاب النبي ﷺ .

ومسلم (١٩١٣ / ٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٢ - باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه .

٢١٤٩ - أحمد في مسنده (١٨٤ / ٣ ، ٢٨١) وإسناده صحيح .
والترمذي (٦٦٥ / ٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٢٣ - باب مناقب معاذ بن جبل . وقال : هذا حديث حسن
صحيح .

وابن ماجه (٥٥ / ١) المقدمة - ١١ - باب من فضائل أصحاب رسول الله ﷺ .

٢١٥٠ - أحمد في مسنده (٢٣٦ / ٥ ، ٢٤٢)

وأبو داود (٣٠٣ / ٣) كتاب الأقضية ، باب اجتهد الرأي في القضاء .

والترمذي (٦٠٧ / ٣) ١٣ - كتاب الأحكام - ٣ - باب ما جاء في القاضي كيف يقضي .

وقد صحح الحديث غير واحد من المحققين العلماء . انظر شرح السنة بتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط
(١٠ / ١١٦) .

٢١٥١ - البخاري (٦٢ / ٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ٦٠ - باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع .

ومسلم بعضه (١٣٥٩ / ٣) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٣ - باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير .

وبعضه (١٥٨٧ / ٣) ٣٦ - كتاب الأشربة - ٧ - باب بيان أن كل مسكر خمر ، وأن كل خمر حرام .

فقال أبو موسى : يانبي الله ، إن أرضنا بها شرابٌ من الشعير : المزِر ، وشرابٌ من العسل : فقال : « كلُّ مسكرٍ حرام » فانطلقا . فقال معاذٌ لأبي موسى : كيف تقرأ القرآن ؟ قال : قائماً وقاعداً وعلى راحلتي ، وأتفوقه تفوقاً . قال : أما أنا فأنام وأقوم ، فأحتسبُ نومتي ، كما أحتسبُ قومتي . وضربَ قُسطاطاً فجعللا يتزوران ، فزار معاذُ أبا موسى ، فإذا رجلاً مَوْثِقاً . فقال : ما هذا ؟ فقال أبو موسى : يهودي أسلمَ ثم ارتدَّ فقال معاذ : لأضربنَّ عنقه .

٢١٥٢ - * روى الترمذي عن أبي هريرة قال رسول الله ، ﷺ : « نِعَمَ الرَّجُلُ أَبُو بكر ، نِعَمَ الرَّجُلُ عُمَر ، نِعَمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بْنُ جَبَل » .

٢١٥٣ - * روى أبو داود والنسائي والحاكم عن معاذ قال : لقيني النبي ، ﷺ ، فقال : « يامعاذ إني لأحبُّكَ في الله » قلت : وأنا والله يارسول الله أحبُّكَ في الله . قال : « أفلا أعلمك كلماتٍ تقولهنَّ ذُبِّرَ كلُّ صلاة : رَبِّ أَعِنِّي على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عبادتك » .

قال الذهبي في السير عن الشعبي قال : قرأ عبد الله : إن معاذاً كان أُمَّةً قانتاً لله حنيفاً . فقال له فروة بن نوفل : إن إبراهيم ، فأعادها ، ثم قال : إن الأُمَّة معلَّم الخير ، والقانت المطيع ، وإن معاذاً ، رضي الله عنه ، كان كذلك .

وروى حيان ، عن الشعبي ، نحوها . فقليل له : يابأبا عبد الرحمن نسيتهما قال : لا ، ولكننا كنا نشبهه بإبراهيم ^(١) .

وعن محمد بن سهل بن أبي حنيفة : عن أبيه قال : كان الذين يُفتنون على عهد رسول الله

= البتة : تبيذ العسل .

المزِر : تبيذ الشعير .

٢١٥٢ - الترمذي (٥ / ٦٦٦) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٣ - باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت .

وقال : هذا حديث حسن ، إسناده حسن وصححه ابن حبان .

٢١٥٣ - أبو داود (٢ / ٨٦) كتاب الصلاة ، باب في الاستغفار .

والنسائي (٣ / ٥٢) كتاب السهو ، باب نوع آخر من الدعاء .

والمستدرک (٣ / ٢٧٢) وصححه ووافقه الذهبي .

(١) المستدرک (٣ / ٢٧١) وصححه ووافقه الذهبي .

ﷺ ثلاثة من المهاجرين : عُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ . وثلاثة من الأنصار : أَبِي بَن كعب ، ومعاذ ، وزيد .

وعن نيار الأسلمي : أن عمر كان يستشير هؤلاء ، فذكر منهم معاذاً وروى موسى بن علي بن رباح ، عن أبيه ، قال : خطبَ عمر الناسَ بالجالية فقال : من أراد الفقه فليأت معاذَ بن جبل (١) .

وروى الأعمش عن أبي سفيان ، قال : حدثني أشياخ منا أن رجلاً غاب عن امرأته سنتين ، فجاء وهي حُبلى ، فأتى عمر ، فهُمْ برجمها ، فقال له معاذ : إن يك لك عليها سبيل فليس لك على ما في بطنها سبيل ، فتركها ، فوضعت غلاماً بان أنه يشبه أباه قد خرجت ثَنِيَّتاه ، فقال الرجل : هذا ابني فقال عمر : عَجَزَت النساءُ أنْ يَلِدْنَ مثل معاذ ، لولا معاذ لهلك عمر .

عن شهر بن حوشب ، قال : كان أصحاب محمد ﷺ إذا تحدثوا وفيهم معاذ ، نظروا إليه هيبَةً (٢) له .

عن أبي مسلم الخولاني قال : دخلتُ مسجدَ حِمص ، فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً من الصحابة ، فإذا فيهم شاب أكحل العينين ، بَرِاقُ الثنايا ساكت ، فإذا امترى القوم ، أقبلوا عليه ، فسألوه ، فقلت : مَنْ هذا ؟ قيل معاذُ بن جبل . فوقعت محبته في قلبي (٣) .

عن عبد الرحمن بن كعب قال : كان معاذ شاباً جليلاً سُمِحاً من خير شباب قومه ، لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه ، حتى كان عليه دينٌ أغلق ماله كله ، فسأل رسول الله ، ﷺ ، أنْ يَكَلِّمَ له غرماءه ففعل ، فلم يضعوا له شيئاً ، فلو تَرَكَ أحدٌ لكلام أحد ، لَتَرَكَ لمعاذ لكلام رسول الله ، ﷺ ، فدعاه النبي ﷺ ، فلم يبرح حتى باع ماله ، وقسمه بينهم ، فقام معاذ ولا مالَ له ، ثم بعثه على الين ليَجْبُرَه ، فكان أول من تَجَرَّ في هذا المال ، فقدم على أبي

(١) للمستدرک (٣ / ٢٧٢) وصححه ووافقه الذهبي ، وصححه الحافظ في الفتح (٧ / ١٢٦)

(٢) أبو نعيم في الحلية (١ / ٢٣١)

(٣) المستدرک (٣ / ٢٦٩) ، وأبو نعيم في الحلية (١ / ٢٣٠) .

امترى القوم : اختلفوا وتجادلوا .

بكر، فقال له عمر: هل لك يامعاذ أن تطيعني؟ تدفع هذا المال إلى أبي بكر، فإن أعطاكه فاقبله، فقال: لا أدفعه إليه، وإنما بعثني نبي الله ليَجْبُرَنِي، فانطلق عمر إلى أبي بكر، فقال: خذ منه ودع له، قال: ما كنت لأفعل، وإنما بعثه رسول الله ﷺ ليَجْبُرَهُ، فلما أصبح معاذ، انطلق إلى عمر، فقال: ما أُراني إلا فاعل الذي قلت، لقد رأيتني البارحة، أظنه قال: أُجْرُ إلى النار، وأنت أخذت بِجُزْئِي فانطلق إلى أبي بكر بكل ما جاء به، حتى جاءه بسوطه قال أبو بكر: هو لك لا أخذ منه شيئاً، وفي لفظ قد وهبته لك، فقال عمر: هذا حين حلّ وطاب، وخرج معاذ عند ذلك إلى الشام^(١).

ورواه الذهلي: عن عبد الرزاق عن معمر: فقال: بدل (أجر إلى النار) كأنني في ماء قد خشيت الغرق فخلّصتني.

الأعشى عن شقيق قدم معاذ من الين برقيق، فلقى عمر بكّة، فقال: ما هؤلاء؟ قال: أهدؤا لي، قال: ادفعهم إلى أبي بكر، فأبى، فبات، فرأى كأنه يجر إلى النار وأن عمر يجذبه، فلما أصبح، قال: يا ابن الخطاب ما أُراني إلا مطيعك. إلى أن قال: فدفعهم أبو بكر إليه، ثم أصبح فرأهم يصلّون، قال: لمن تُصلّون؟ قالوا: لله، قال: فأنتم لله^(٢).

عن سعيد بن المسيّب أن عمر بعث معاذاً ساعياً على بني كلاب أو غيرهم، فقسم فيهم فيئهم حتى لم يدع شيئاً، حتى جاء مجلسه الذي خرج به على رقبته.

وعن نافع قال: كتب عمر إلى أبي عبيدة ومعاذ: انظروا رجالاً صالحين، فاستعملوهم على القضاء وارزقوهم.

روى أيوب: عن أبي قلابة وغيره أن فلاناً مرّ به أصحاب النبي ﷺ، فقال: أوصوني، فجعلوا يوصونه، وكان معاذ بن جبل في آخر القوم، فقال: أوصيني يرحمك الله، قال:

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١ / ٢٣١) بطوله، والحاكم في المستدرک (٣ / ٢٧٢) مختصراً.

(٢) أبو نعيم في الحلية (١ / ٢٣٢) مرسلًا، ووصله الحاكم في المستدرک (٣ / ٢٧٢) من طريق الأعشى عن أبي وائل عن عبد الله. وصححه ووافقه الذهبي.

قد أوصوك فلم يألوا ، وإني سأجمع لك أمرك : اعلم أنه لاغنى بك عن نصيبك من الدنيا ، وأنت إلى نصيبك إلى الآخرة أفقر ، فابدأ بنصيبك من الآخرة ، فإنه سير بك على نصيبك من الدنيا فينتظمه ، ثم يزول معك أينما زلت .

روى حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت عن معاذ قال : ما بزقت على يميني منذ أسلمت (١) .

عن معاذ قال : ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله . قالوا : يا أبا عبد الرحمن ! ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولا ، إلا أن يضربَ بسيفه حتى ينقطع ، لأن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ (٢) (٣) .

عن أم سلمة أن أبا عبيدة لما أصيب ، استخلف معاذ بن جبل ، يعني في طاعون عَمُواس ، اشتد الوجع ، فصرخ الناس إلى معاذ : ادع الله أن يرفع عنا هذا الرجز ، قال : إنه ليس برجز ولكن دعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم ، وشهادة يخص الله من يشاء منكم ، أيها الناس أربع خلال من استطاع أن لا تدركه ، قالوا : ما هي ؟ قال : يأتي زمان يظهر فيه الباطل ، ويأتي زمان يقول الرجل : والله ما أدري ما أنا ، لا يعيش على بصيرة ، ولا يموت على بصيرة (٤) .

عن خالد بن مَعْنَان أن عبد الله بن قُرْط قال : حضرت وفاة معاذ بن جبل ، فقال : رُوحوني ألقى الله مثل سنّ عيسى ابن مريم ابن ثلاث أو أربع وثلاثين سنة . قلت [أي الذهبي] : يعني عندما رُفِعَ عيسى إلى السماء .

(١) الطبقات الكبرى (٥٨٦ / ٣) والمستدرک (٣ / ٢٧١) .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١١ / ٩) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٢) العنكبوت : ٤٥ .

(٣) أبو نعيم في الحلية (١ / ٢٣٥) .

(٤) الطبقات الكبرى (٥٨٨ / ٣) .

وقع الوباء في عَمُواس - قرية في غور الأردن - وكان طاعوناً عظيماً مات فيه كثير من فضلاء الصحابة والتابعين وذلك سنة ١٨ هـ .

قال ضمرة بن ربيعة : توفي معاذ بقصير خالد من الأردن ، قال يزيد بن عبيدة : توفي معاذ سنة سبع عشرة ، وقال المدائني وجماعة : سنة سبع أو ثمان عشرة ، وقال ابن إسحاق والفلاس : سنة ثمان عشرة . ا هـ الذهبي .

* * *

٥٠ - عمرو بن الجموح رضي الله عنه

قال ابن حجر : عمرو بن الجموح بفتح الجيم وتخفيف الميم ابن زيد بن حَرَام بن كعب بن غنم بن سلمة الأنصاري السامي .. من سادات الأنصار واستشهد بأحد قال ابن إسحاق في المغازي : كان عمرو بن الجموح سيداً من سادات بني سَلَمَة وشريفاً من أشرافهم ... وقال ابن الكلبي : كان عمرو بن الجموح آخر الأنصار إسلاماً ... علي قال : وكان عمرو يولم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا تزوج ورواه أبو نعيم في المعرفة قال أحمد عن أبي قتادة قال : أتى عمرو بن الجموح النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله ، أ رأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل أمشي برجلي هذه في الجنة ؟ قال : نعم وكانت رجله عرجاء حينئذ . وقال ابن أبي شيبة [بسنده] عن أبي قتادة أنه حضر ذلك قال : أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله أ رأيت إن قاتلت حتى أقتل في سبيل الله تراني أمشي برجلي هذه في الجنة ؟ قال : نعم وكانت عرجاء فقتل يوم أحد هو وابن أخيه فرمى النبي صلى الله عليه وآله وسلم به فقال : فإني أراك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بها ومولاهما فجعلوا في قبر واحد وأنشد له المرزباني قوله لما أسلم : :

أتوب إلى الله سبحانه	وأستغفر الله من ناره
وأثني عليه بالآل	بإعلان قلبي وأساره

اهـ. ابن حجر .

قال الذهبي في ترجمته :

والد معاذ ، ومَعَوَّذ ، وَخَلَّادٍ وعبد الرحمن ، وهند .

روى ثابت البناني ، عن عكرمة قال : قَدِمَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ المدينة يُعَلِّمُ النَّاسَ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ : مَا هَذَا الَّذِي جِئْتُنَا ؟ قَالُوا : إِنْ شِئْتَ جِئْنَاكَ ، فَأَسْمَعْنَاكَ الْقُرْآنَ . قَالَ : نَعَمْ . فَقَرَأَ صَدْرًا مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ . فَقَالَ عَمْرُو : إِنْ لَنَا مَوَازِيرُ فِي قَوْمِنَا ^(١) ، وَكَانَ

(١) إِنْ لَنَا مَوَازِيرُ فِي قَوْمِنَا : أَيِ عَلَيْنَا أَنْ نَشَاوِرَ قَوْمَنَا .

سيد بني سلمة . فخرجوا ، ودخل على مناف فقال : يا مناف ! تعلم والله ما يريد القوم غيرك ، فهل عندك من نكير ؟ قال : فقلده السيف وخرج ، فقام أهله فأخذوا السيف ، فلما رجع قال : أين السيف يا مناف ؟ ويحك ! إن العز لمتنع استها . والله ما أرى في أبي جعار غداً من خير . ثم قال لهم : إني ذاهب إلى مالي فاستوصوا بمناف خيراً . فذهب ، فأخذوه فكسروه وربطوه مع كلب ميت وألقوه في بئر ، فلما جاء قال : كيف أنتم ؟ قالوا : بخير ياسيدنا . طهر الله بيوتنا من الرجس ، قال : والله إني أراكم قد أسأتم خلافتي في مناف . قالوا : هو ذاك ، انظر إليه في ذلك البئر . فأشرف فرآه ، فبعث إلى قومه فجاءوا فقال : ألسم على ما أنا عليه ؟ قالوا : بلى . أنت سيدنا . قال : فأشهدكم أنني قد آمنت بما أنزل على محمد .

قال : فلما كان يوم أخذ قال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين » فقام وهو أعرج فقال : والله لأفحزن^(١) عليها في الجنة . فقاتل حتى قتل .

وعن عاصم بن عمر أن إسلام عمرو بن الجحوح تأخر . وكان له صنم يقال له مناف ، وكان فتيان بني سلمة قد آمنوا ، فكانوا يمهلون ، حتى إذا ذهب الليل دخلوا بيت صنمه فيطرحونه في أثن حفرة منكسأ . فإذا أصبح عمرو غم ذلك ، فيأخذه فيغسله ويطيبه . ثم يعودون لمثل فعلهم . فأبصر عمرو شأنه وأسلم ، وقال أبياتاً منها :

والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وكلب وسوط بئر في قرن^(٢)
أفي لشواك إلهاً مستبدن^(٣) فالآن فتشاك عن شر الغبن

روى محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار وفطر بن خليفة ، عن حبيب بن أبي ثابت ، وابن عيينة ، عن ابن المنكدر أن رسول الله ﷺ قال : يا بني سلمة ! من سيدكم ؟ قالوا :

(١) لأفحزن : أي لأؤبى .

(٢) والقرن : الحبل .

(٣) ومستبدن : ذليل مستعبد . وقال السهيلي : مستبدن من السدانة ، وهي خدمة البيت وتعظيمه . وكان لكل صنم سدة يقومون بخدمة البيت الذي فيه الصنم .

الجدُّ بن قيس ، وإنا لنُبخلُّه . قال : وأي داء أدوى من البُخل ؟ بل سيدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح ^(١) . اهـ .

قال ابن حجر : قال ابن عائشة فقال بعض الأنصار في ذلك :

وقال رسول الله والقول قوله لمن قال منا من تسبون سيِّداً
فقالوا له جدُّ بن قيس على التي نبخله منها وإن كان أسوداً
فسود عمرو بن الجموح لجوده وحق لعمرو بالندي أن يسودا
فلو كنت يا جد بن قيس على التي على مثلها عمرو لكنت المسودا

قال الذهبي قال الواقدي : لم يشهد بدرأ . كان أعرج . ولما خرجوا يوم أخذ منعه بنوه وقالوا : عذرك الله . فأتي رسول الله ﷺ ، يشكوه . فقال : لا عليكم أن لا تمنعوه ، لعل الله يرزقه الشهادة .

قالت امرأته هند أخت عبد الله بن عمرو بن حرام : كأني أنظر إليه قد أخذ درقته وهو يقول : اللهم لا تردني . فقتل هو وابنه خلاد .

قال مالك : كفن هو وعبد الله بن عمرو بن حرام في كفن واحد .

مالك : عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صَعَصَعَةَ أنه بلغه أن عمرو بن الجموح ، وابن حرام كان السيل قد خرب قبرهما ، فحفر عنها ليغيراً من مكانها ، فوجدوا لم يتغيرا ، كأنما ماتا بالأمس . وكان أحدهما قد جرح ، فوضع يده على جرحه ، فدفن كذلك . فأميطت يده عن جرحه ، ثم أرسلت ، فرجعت كما كانت . وكان بين يوم أخذ ويوم حفر عنها ست وأربعون سنة ^(٢) . اهـ .

(١) رجاله ثقات لكنه مرسل . ورواه أبو نعيم في « الحلية » من طريق : ابن عيينة ، عن ابن النكدر ، عن جابر . وأخرجه البخاري في « الأدب المفرد » من طريق عبد الله بن أبي الأسود ، حدثنا حميد بن الأسود ، عن الحجاج الصواف قال : حدثني أبو الزبير قال : حدثنا جابر قال : قال رسول الله ﷺ وذكره ، وهذا سند قوي .

(٢) رواه مالك في الموطأ (٢ / ٤٧٠) ٢١ - كتاب الجهاد - باب الدفن في قبر واحد من ضرورة . ورجاله ثقات ، لكنه مرسل ، وأخرجه ابن سعد (٢ / ٥٦٢ ، ٥٦٣) ، من طريق الوليد بن مسلم ، حدثني الأوزاعي ، عن الزهري ، عن جابر فذكره بأطول مما هنا ، وهذا سند صحيح كما قال الحافظ في « الفتح » .

٥١ - حارثة بن النعمان رضي الله عنه

قال ابن حجر : حارثة بن النعمان بن تقيع بن زيد بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك ابن النجار الأنصاري . ذكره موسى بن عقبة وابن سعد فين شهد بدرًا وقد ذكره ابن إسحاق إلا أنه سمي جده رافعاً وقال ابن سعد يكنى أبا عبد الله .

وروى ابن شاهين من طريق المسعودي عن الحكم عن القاسم أن حارثة أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يناجي رجلاً ولم يسلم فقال جبرائيل : أما إنه لو سلم لرددنا عليه ، فقال لجبرائيل وهل تعرفه ؟ فقال : نعم هذا من الثنائين الذين صبروا يوم حنين رزقهم ورزق أولادهم على الجنة . ورواه الحارث من وجه آخر عن المسعودي فقال عن القاسم عن الحارث بن النعمان كذا قال . ورواه الطبراني من طريق ابن أبي ليلى عن الحكم فقال عن ابن عباس فذكر نحوه وله حديث آخر عند أحمد وغيره ورواه البخاري في التاريخ من طريق ثابت عن عبد الله بن رباح أن حارثة بن النعمان قال لعثمان : إن شئت قاتلنا دونك وقال مقسم ابن سعد أدرك خلافة معاوية ومات فيها بعد أن ذهب بصره . وروى الطبراني والحسن بن سفيان من طريق محمد بن أبي فديك عن محمد بن عثمان عن أبيه قال : كان حارثة بن النعمان وفي رواية له عن حارثة بن النعمان وكان قد ذهب بصره فاتخذ خيطاً في مصلاه إلى باب حجرته فكان إذا جاء المسكين أخذ من مكتله شيئاً ثم أخذ بطرف الخيط حتى يناوله فكان أهله يقولون له نحن نكفيك فيقول إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول مناولة المسكين تقي مصارع السوء اهـ .

وقال الذهبي في ترجمته : وله من الولد : عبد الله ، وعبد الرحمن ، وسودة ، وعمرة ، وأُمُّ كُلثوم يكنى : أبا عبد الله .

شهد بدرًا ، والمشاهد ، ولا نعلم له رواية ، وكان ديناً خيراً ، برّاً بأهله .

ومن ذريته : المحدث أبو الرجال محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حارثة بن النعمان الأنصاري ، ولد عمره الفقيه (١) اهـ .

(١) عمرة : هي بنت عبد الرحمن بن سعيد بن زرة الأنصاري ، المدينة ، أكثرت عن عائشة ، روى حديثها الستة .

٢١٥٤ - * روى أحمد والطبراني عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن حارثة بن النعمان قال : مررت على رسول الله ﷺ ومعه جبريل جالس في المقاعد فسلمت عليه ثم أجزت فلما رجعت وانصرف النبي ﷺ قال : « هل رأيت الذي كان معي ؟ » قلت : نعم ، قال : « إنه جبريل صلى الله عليه وسلم وقد ردّ عليك السلام » .

٢١٥٥ - * روى أحمد عن موسى بن عقبة قال : حدثني أبو سلمة عن الرجل الذي مر برسول الله ﷺ وهو يناجي جبريل عليه السلام فزعم أبو سلمة أنه تجنب أن يدنو من رسول ﷺ خوفاً أن يسمع حديثه ، فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ : « ما منعك أن تسلم إذ مررت بي البارحة ؟ » فقال : رأيتك تناجي رجلاً فخشيت أن تكره أن أدنو منك ، قال : « فهل تدري من الرجل ؟ » قال : لا ، قال : « جبريل صلى الله عليه وسلم ولو سلمت لرد السلام » وقد سمعت من غير أبي سلمة أنه حارثة بن النعمان .

٢١٥٦ - * روى أحمد والحاكم عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « نمتُ فرأيتني في الجنة فسمعت صوت قارئ يقرأ فقلت من هذا قالوا : هذا حارثة بن النعمان » فقال لها رسول الله ﷺ « كذاك البر ، كذاك البر » وكان أبر الناس بأمه .

* * *

٢١٥٤ - أحمد في مسنده (٤٣٣ / ٥) ، المعجم الكبير (٢٢٨ / ٣) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح .

المقاعد : اسم مكان .

٢١٥٥ - أحمد في مسنده (١٧ / ٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٤ / ٩) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

٢١٥٦ - أحمد في مسنده (١٥١ / ٦) وإسناده صحيح .

والمستدرک (٢٠٨ / ٣) وصححه ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٣ / ٩) : رواه أحمد وأبو يعلى ورجاله رجال الصحيح . ونسبه الحافظ في الإصابة إلى النسائي وقال : إسناده صحيح .

٥٢ - عبد الله بن رَوَاحَةَ رضي الله عنه

قال ابن حَجَر : عبد الله بن رَوَاحَةَ بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي الشاعر المشهور ، يكنى أبا محمد ، ويقال كنيته أبو رَوَاحَةَ ، ويقال أبو عمرو ، وأمه كبشة بنت واقد بن عمرو بن الأطنابة خزرجية أيضاً ، وليس له عقب ، من السابقين الأولين من الأنصار ، وكان أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرًا وما بعدها إلى أن استشهد بمؤتة .

قال ابن سعد : كان يكتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو الذي جاء ببشارة وقعة بدر إلى المدينة ، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ثلاثين راكباً إلى أُسَير بن رِزَام اليهودي بخيبر فقتله ، وبعثه بعد فتح خيبر فخرص عليهم . عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : نعم الرجل عبد الله بن رَوَاحَةَ في حديث طويل ، وفي الزهد لأحمد من طريق زياد النيرري عن أنس كان عبد الله بن رَوَاحَةَ إذا لقي الرجل من أصحابه يقول : تعال نؤمن بربنا ساعة . الحديث ، وفيه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : رحم الله ابن رَوَاحَةَ إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة .

وفي الزهد لعبد الله بن المبارك بسند صحيح عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : تزوج رجل امرأة عبد الله بن رَوَاحَةَ فسألها عن صنيعه فقالت : كان إذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين وإذا دخل بيته صلى ركعتين لا يدع ذلك ، قالوا وكان عبد الله أول خارج إلى الغزو وآخر قافل .

وقال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم وقال : كان زيد بن أرقم يتيمًا في حجر عبد الله بن رَوَاحَةَ : فخرج معه إلى سرية مؤتة فسمعه في الليل يقول :

إذا أدنيتني وحملتِ رحلي	مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمي وخلاك ذم	ولا أرجع إلى أهلي ورائي
وجاء المؤمنون وخلفوني	بأرض الشام مشهور الثواء

فبكى زيد . فخفقه بالدرة فقال : ما عليك يالكع أن يرزقني الله الشهادة وترجع بين شعبي الرجل فذكر القصة في صفة قتله في غزوة مؤتة بعد أن قتل جعفر وقبلة زيد بن حارثة . وقال ابن سعد : لما نزلت ﴿ والشعراء يتبعهم الغاؤون ﴾ قال عبد الله بن رواحة : قد علم الله أني منهم فأنزل الله ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾^(١) .

ومناقبه كثيرة قال المزياني في معجم الشعراء كان عظيم القدر في الجاهلية والإسلام ، وكان يناقض قيس بن الخطيم في حروبهم ، ومن أحسن ما مدح به النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله :

لـو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديته تنبيك بالخبر

ا هـ .

وقال الذهبي : عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن ثعلبة الأمير السعيد الشهيد أبو عمرو الأنصاري الخزرجي البصري النقيب الشاعر . له عن النبي ﷺ وعن بلال . حدث عنه أنس بن مالك ، والنعمان بن بشير ، وأرسل عنه قيس بن أبي حازم ، وأبو سلمة ابن عبد الرحمن ، وعطاء بن يسار ، وعكرمة وغيرهم . شهد بدرًا والعقبة . يكنى أبا محمد ، وأبا رواحة ، وليس له عقب ، وهو خال النعمان بن بشير ، وكان من كتّاب الأنصار . استخلفه النبي ﷺ على المدينة في غزوة بدر الموعد^(٢) وبعثه النبي عليه الصلاة والسلام سرية في ثلاثين راكباً إلى أسير بن رزام اليهودي بخيبر فقتله .

قال الواقدي : وبعثه النبي ﷺ خارصاً على خيبر .

قلت [الذهبي] : جرى ذلك مرة واحدة ، ويحتمل على بعد مرتين .

(١) الشعراء : ٢٢٧ .

(٢) قال محقق السير : (بدر الموعد) : هي التي تواعدوا عليها من أحد ، وذلك أن أبا سفيان لما انصرف منها نادى : إن موعدكم بدر ، العام المقبل . ولما رجع النبي ﷺ ، من غزوة ذات الرقاع أقام في المدينة إلى شعبان حيث خرج لميعاد أبي سفيان ، وخرج أبو سفيان حتى نزل بحنة من ناحية الظهران ثم رجع ورجع الناس ، فمأهله أهل مكة : جيش السوق ، إذ يقولون : خرجتم تشربون السوق .

قال قتيبة : ابن رواحة وأبو الدرداء أخوان لأم .

حماد بن زيد : حدثنا ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عبد الله بن رواحة أتى النبي ﷺ وهو يخطب ، فسمعه وهو يقول : « اجلسوا » فجلس مكانه خارج المسجد حتى فرغ من خطبته ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فقال : « زادك الله حرصاً على طواعية الله ورَسُولِهِ » (١) . ا هـ .

٢١٥٧ - * روى ابن سعد عن ابن عمران الجوني ، أن عبد الله بن رواحة أغمى عليه ، فأتاه النبي ، فقال : « اللهم إن كانَ حضر أجلك ، فيسّرْ عليه ، وإلا فاشفِه » فوجد خفة ، فقال يا رسولَ الله أمي قالت : واجبله ، واظهره ! وملك رفع مِرْزَبَةٍ مِنْ حديد يقول : أنت كذا ، فلو قلت : نعم لَقَمَعَنِي بِهَا .

وقوله « أمي » خطأ والصواب ما ورد في حديث البخاري التالي :

٢١٥٨ - * روى البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ، قال : أغمى على عبد الله ابن رواحة ، فجعلت أخته عمرة تبكي : واجبله ، واكذا ، واكذا تعدد عليه . فقال حين أفاق : ما قلت شيئاً إلا قيل لي : أنت كذلك ؟ .

فعلم من ذلك أن الباكية أخته عمرة وليست أمه . وهي والدة النعمان بن بشير راوي الحديث .

٢١٥٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي الدرداء قال : خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في يوم حار ، حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر ، وما فينا صائم إلا ما

(١) إسناده صحيح ، لكنه مرسل . وذكره الحافظ في « الإصابة » ٦ / ٧٨ ، قال : أخرجه البيهقي بسند صحيح من طريق : ثابت ، عن ابن أبي ليلى ... وأخرجه من وجه آخر إلى هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، والمرسل أصح سنداً . ونسبه صاحب « الكنز » (٢٧١٧٢) إلى ابن عساكر .

٢١٥٧ - الطبقات الكبرى : (٢ / ٥٢٩) مرسلأ .

٢١٥٨ - البخاري (٥١٦ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٤ - باب غزوة مؤتة من أرض الشام .

٢١٥٩ - البخاري (١٨٢ / ٤) ٣٠ - كتاب الصوم - ٣٥ - باب حدثنا عبد الله بن يوسف .

ومسلم (٧٩٠ / ٢) ٣١ - كتاب الصيام - ١٧ - باب التخيير في الصوم والفطر في السفر .

كان من النبي ﷺ ، وابن رواحة .

قال الذمبي في السير : عن ابن أبي ليلى قال : تزوج رجل امرأة ابن رواحة فقال لها :
تدريين لم تزوجتك ؟ لتخبريني عن صنيع عبد الله في بيته . فذكرت له شيئاً لا أحفظه ،
غير أنها قالت : كان إذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين ، وإذا دخل صلى ركعتين ، لا
يدع ذلك أبداً ^(١) .

قال ابن سيرين : كان شعراء رسول الله ﷺ ، عبد الله بن رواحة ، وحسان بن
ثابت ، وكعب بن مالك .

قيل : لما جهز النبي ﷺ ، إلى مؤتة الأمراء الثلاثة ، فقال : الأمير زيد ، فإن أصيب
فجعفر ، فإن أصيب ، فابن رواحة ، فلما قُتِلَا ، كره ابن رواحة الإقدام فقال :

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلُنِي طَائِفَةٌ أَوْ لَا لَتَكْرَهُنِي
فَطَالَمَا قَدْ كُنْتُ مُطْمَئِنِّئُهُ مَا لِي أَرَاكَ تَكْرَهُينَ الْجَنَّةَ

فقاتل حتى قُتل .

قال مدرك بن عمار : قال ابن رواحة : مررتُ بمسجد النبي ﷺ ، فجلستُ بين يديه ،
فقال : كيف تقول الشعر إذا أردت أن تقول . قلتُ أنظر في ذاك ، ثم أقول . قال : فعليك
بالمشركين ، ولم أكن هيأت شيئاً . ثم قلتُ :

فَخَبَّرُونِي أَثْمَانَ الْعَبَاءِ مَتَى كُنْتُمْ بِطَارِيقِ أَوْ ذَانَتْ لَكُمْ مُضَرٌ

فرايته قد كره هذا أن جعلتُ قومه أثمان العباء فقلتُ :

يَا هَاشِمَ الْخَيْرِ إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْبَرِيَّةِ فَضْلاً مَا لَهُ غَيْرُ
إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ أَعْرِفْهُ فِرَاسَةً خَالَفَتْهُمْ فِي الَّذِي نَظَرُوا
وَلَوْ سَأَلْتَ إِنِ اسْتَنْصَرْتَ بَعْضَهُمْ فِي جُلٍّ أَمْرِكَ مَا آوُوا وَلَا نَصَرُوا
فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا أَتَاكَ مِنْ حَسَنِ تَثْبِيتَ مُوسَى وَنَصَرَ كَالَّذِي نَصَرُوا

(١) ورجاله ثقات ، ونسبه الحافظ في (الإصابة) إلى ابن المبارك في الزهد وصححه سنده .

فأقبل ، ﷺ ، بوجهه مستبشراً وقال : « وإيّاكَ فَنَبِّتُ اللهَ » .

وقال ابن سيرين : كان حسان وكعبٌ يُعارضانَ المشركين بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر . وكان ابنُ رَواحة يُعَيِّرهم بالكفر ، وينسبهم إليه ، فلما أسلموا وفقهوا ، كان أشدَّ عليهم .

قال أبو زرعة الدمشقي : قلتُ لأحمد بن حنبل : فحديثُ أنس : دخل النبي عليه السلام مكة وابن رَواحة أخذ بغرزه ^(١) فقال : ليس له أصل .

وعن قيس بن أبي حازم أنَّ رسولَ الله ﷺ ، قال لابن رَواحة : « أَنْزِلْ فَحَرِّكِ الرِّكَابَ » . قال : يا رسول الله لقد تركتُ قولي ، فقال له عمر : اُتَمِّعْ وَأَطِيعْ ، فنزل وقال :

تَاللهِ لَوْلاَ اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا ^(٢)

أهـ كلام الذهبي .

٢١٦٠ - * روى الترمذي والنسائي عن أنس أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَمْشِي وَهُوَ يَقُولُ :

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْباً يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخُلَيْلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فقال له عُمَرُ : يَا ابْنَ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِي حَرَمِ اللهِ تَقُولُ الشَّعْرَ ، فقالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ « خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ ، فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ » .

(١) غرزه : ركاب الخيل .

(٢) رواه ابن سعد مطولاً في الطبقات الكبرى (٣ / ٥٢٧) ورجاله ثقات ، لكنه مرسل .

٢١٦٠ - الترمذي (٥ / ١٣٩) ٤٤ - كتاب الأدب - ٧٠ - باب ما جاء في إنشاد الشعر وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

والنسائي (٥ / ٢٠٢) كتاب مناسك الحج ، باب إنشاد الشعر في الحرم والمشى بين يدي الإمام .

وذكره الحافظ في الإصابة (٤ / ٦٧) ونسبه إلى أبي يعلى ؛ وقال : سنده حسن .

٢١٦١ - * روى أحمد وابن المبارك عن بكر بن عبد الله المزني قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ ذهب عبد الله بن رواحة إلى بيته فبكى ، فجاءت المرأة فبكت ، وجاءت الخادم فبكت . وجاء أهل البيت فجعلوا يبكون . فلما انقطعت عبرتهم قال : يا أهلاه ما الذي أبكاكم ؟ قالوا : لا ندري . ولكن رأينا بكيت فبكينا . قال : إنه أنزلت على رسول الله ﷺ ، آية ينبئني فيها ربي تبارك وتعالى أنني وارد النار ، ولم ينبئني أنني صادر عنها ، فذاك الذي أبكاني .

٢١٦٢ - * روى أبو نعيم عن ابن شهاب الزهري قال : زعموا أن ابن رواحة بكى حين أراد الخروج إلى مؤتة . فبكى أهله حين رأوه يبكي فقال : والله ما بكيت جزعاً من الموت ، ولا صباة لكم . ولكني بكيت من قول الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتماً مَقْضِيّاً ﴾ ^(١) فأيقنت أنني واردها ، ولم أدر أنجو منها أم لا .

قال الذهبي : الزهري عن سليمان بن يسار أن النبي ﷺ ، كان يبعث ابن رواحة خبيراً فيخترص بينه وبين يهود ، فجمعوا حلياً من نسائهم فقالوا : هذا لك وخفف عنا . قال : يامعشر يهود ! والله إنكم لمن أبغض خلق الله إليّ ، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم ، والرشوة سحت . فقالوا : بهذا قامت السماء والأرض ^(٢) .

ابن وهب : حدثني أسامة بن زيد أن نافعاً حدثه قال : كانت لابن رواحة امرأة ، وكان يتقيها ، وكانت له جارية ، فوقع عليها . فقالت له . فقال : سبحان الله ! قالت : اقرأ عليّ إذا ، فإنك جُنُب فقال :

٢١٦١ - أخرجه ابن المبارك وأحمد في الزهد وابن عساكر .

٢١٦٢ - حلية الأولياء (١ / ١١٨) .

(١) مريم : ٧١ .

(٢) وقال ابن هشام : فكان رسول الله ﷺ ، كما حدثني عبد الله بن أبي بكر ، يبعث عبد الله بن رواحة خارصاً بين المسلمين ويهود . فإذا قالوا : تعديت علينا ، قال : إن شئتم فلکم ، وإن شئتم فلنا . فتقول يهود : بهذا قامت السماوات والأرض .

(أي كأن يقدر في هذا البستان مائة وسق ، للمسلمين منها خمسون وسقاً ، فإن رفضتم فنحن نأخذها جميعاً ونعطيك حصتكم « النصف » منها خمسين وسقاً) .

شَهِدْتُ بِإِذْنِ اللَّهِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ مِنْ عِلٍّ
وَأَنَّ أَبَا يَحْيَى وَيَحْيَى كِلَاهُمَا لَهُ عَمَلٌ مِنْ رَبِّهِ مُتَقَبَّلٌ^(١)
عن عروة قال : ثم أخذ الراية ، يعني بعد قتل صاحبه ، قال : فالتوى بعض الالتواء ،
ثم تقدم بها على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ، ويتردد بها بعض التردد .

قال : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم أنه قال عند ذلك :
أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَتَنْزِلَنَّهُ طَائِعَةً أَوْ لَا تُكْرِهِنَّهُ
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّئْهَ مَالِي أَرَاكَ تَكْرِهِينَ الْجَنَّةَ
قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتَ مُطْمَئِنِّئَةً هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَنَّةٍ
ثم نزل فقاتل حتى قتل .

وقال أيضاً :

يَا نَفْسُ إِنْ لَا تُقْتَلِي تَمُوتِي هَذَا حِيَامُ الْمَوْتِ قَدْ لَقِيتِ
وَمَا تَمْنَيْتِ فَقَدْ أُعْطِيتِ إِنْ تَقْعَلِي فَعَلَهَا هُـــــــدَيْتِ
وإِنْ تَأَخَّرْتِ فَقَدْ شَقِيتِ^(٢)

قال الوليد بن مسلم : فسمعت أنهم ساروا بناحية معان ، فأخبروا أن الروم قد جمعوا لهم
جوعاً كثيرة ، فاستشار زيد أصحابه فقالوا : قد وطئت البلاد وأخفت أهلها ، فانصرف وابن
رواحة ساكت ، فسأله فقال : إنا لم نسير لغنائم ، ولكننا خرجنا للقاء ، ولسنا نقاتلهم بعدد
ولا عُدَّة ، والرأي المسير إليهم . قال عروة بن الزبير : قال النبي ﷺ : « فإِنْ أُصِيبَ ابْنُ
رواحة ، فليترض المسلمون رجلاً » ثم ساروا حتى نزلوا بمعان ، فبلغهم أن هرقل قد نزل بباب في
مئة ألف من الروم ، ومئة ألف من المستعربة ، فشجع الناس ابنَ رواحة ، وقال : يا قوم والله إن
الذي تكرهون لَلَّتِي خَرَجْتُمْ لَهَا : الشهادة . وكانوا ثلاثة آلاف^(٣) . اهـ .

(١) ورواه أبو نعيم في الحلية (١ / ١١٩) .

(٢) رجاله ثقات ، ولكنه مرسل .

(٣) ورواه أبو نعيم في الحلية (١ / ١٢٠) .

٢٠٣٣

٢١٦٣ - * روى الطبراني عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « رحم الله أخي عبد الله بن رواحة ، كان أينما أدركته الصلاة أناخ » .

* * *

٥٣ - عبد الله بن عبد الله بن أبي رضي الله عنه

قال ابن حجر : عبد الله بن عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن مالك بن سالم بن غنم ابن عوف بن الخزرج الأنصاري الخزرجي .. وهو ابن أبي ابن سلول وكانت سلول امرأة من خزاعة وكان أبوه رأس المنافقين ... وشهد عبد الله هذا بدرأً وأحدًا والمشاهد ... ويقال إنه استأذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قتل أبيه . فقال : « بل أحسن صحبتته » روى ذلك ابن منده من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة بهذا وفيه قصة ، وروى الطبراني من طريق عروة عن عبد الله بن عبد الله بن أبي أنه استأذن نحوه فقال : لا تقتل أباك وذكره ابن عبد البر فيمن كتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم واستشهد عبد الله باليامة في قتال الردة سنة اثنتي عشرة . ١ هـ

وقال الذهبي : عبد الله بن عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم - وسالم هو الذي يقال له الحُبلى لعظم بطنه - بن غنم بن عوف بن الخزرج ، الأنصاري الخزرجي ، المعروف والده بابن سلول المنافق المشهور ، وسلول الخزاعية هي والدته أُمِّي المذكور ، وقد كان عبد الله بن عبد الله من سادة الصحابة وأخيارهم ، وكان اسمه الحَبَاب ، وبه كان أبوه يكنى ، فغيَّره النبي ﷺ ، وسماه عبد الله . شهد بدرأً وما بعدها .

روي عن عائشة ، عن عبد الله بن عبد الله بن أبي أنه قال : نَدَرْتُ^(١) ثنيثي فأمرني رسول الله ﷺ أن أتخذ ثنية من ذهب .

استشهد عبد الله يوم اليمامة ، وقد مات أبوه سنة تسع ، فألبسه النبي ﷺ قميصه وصلى عليه ، واستغفر له إكراماً لولده ، حتى نزلت : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾^(٢) .

وقد كان رئيساً مطاعاً ، عزم أهل المدينة قبل أن يهاجر النبي ﷺ ، على أن يملكوه عليهم ، فاخلأ أمره ، ولا حصل دنيا ولا آخرة ، نسأل الله العافية . ١ هـ .

(١) ندرت : أي سقطت .

(٢) ، التوبة : ٨٤ .

٢١٦٤ - * روى مسلم عن عبد الله بن عمر ، قال : لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ ، فسأله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه أباه ، فأعطاه ، ثم سأله أن يصلي عليه ، فقام رسول الله ﷺ ، ليصلي عليه . فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إنما خيرني الله فقال : استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة وسأزيد على السبعين » قال : إنه منافق . فصلى عليه رسول الله ﷺ ، وأنزل الله عز وجل : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ (١) .

* * *

٢١٦٤ - مسلم (٤ / ١٨٦٥) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢ - باب من فضائل عمر .

(١) سورة التوبة ٨٤ .

٥٤ - قتادة بن النعمان رضي الله عنه

قال ابن حجر : قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظَفَر الأوسي ثم الظَّغري أخو أبي سعيد الخدري لأمه أمهما أنيسة بنت قيس النجارية مشهور ، يكنى أبا عمر والأنصاري يكنونه أبا عبد الله وقيل كنيته أبو عثمان ... قال البخاري له صحبة وقال خليفة وابن حبان وجماعة شهد بداراً وحكى ابن شاهين عن ابن أبي داود أنه أول من دخل المدينة بسورة من القرآن وهي سورة مريم ... وأخرج البغوي وأبو يعلى [بسندهما] عن قتادة بن النعمان أنه أصيب عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته ، فأرادوا أن يقطعوها فقالوا لا حتى نستأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فاستأمره فقال : لا ، ثم دعا به فوضع راحته على حدقته ثم غمزها فكان لا يدري أي عينيه ذهب . ومن طريق يعقوب بن محمد الزهري عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه عن عاصم بن عمر بن قتادة عن جده أنه سألت عينه على خده يوم بدر فردها فكانت أصح عينيه قال عاصم فحدثت به عمر بن عبد العزيز فقال :

تلك المكارم لا قَعْبَانٍ من لبن شيئا بماء فعادا بعدد أبوالا

وجاء من أوجه أخر أنها أصيب يوم أحد ، أخرجه الدارقطني وابن شاهين من طريق عبد الرحمن بن يحيى العذري عن مالك عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن قتادة بن النعمان أنه أصيب عينه يوم أحد فوقعت على وجنته فردها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكانت أصح عينيه ، وأخرجه الدارقطني والبيهقي في الدلائل [بسندهما] .

عن قتادة أن عينه ذهبت يوم أحد فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فردها فاستقامت وساقها ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة مطولة مرسله وذكر الواقدي أنه كان معه يوم حنين وأنه من ظفر .

مات في خلافة عمر فصلى عليه ونزل في قبره ، وعاش خساً وستين سنة ، قاله ابن أبي حاتم وابن حبان وغيرهما . ا هـ .

وقال الذهبي في ترجمته : الأمير المجاهد من نجباء الصحابة ، وهو أخو أبي سعيد الخدري

لأمه ، وهو الذي وقعت عينه على خذّه يوم أحد ، فأقى بها إلى النبي ﷺ ، فغمزها رسول الله ﷺ بيده الشريفة ، فردّها ؛ فكانت أصحّ عينيه . وكان على مقدّمة أمير المؤمنين عمّره ابن الخطّاب لما سار إلى الشام وكان من الرّماة المعدودين .

وقال الواقدي : شهد العقبة مع السبعين ، وكذا قال ابن عّقبة ، وأبو معشر ، ولم يذكره ابن إسحاق فيمن شهد العقبة رضي الله عنه .

عاش خمساً وستين سنة ، توفي في سنة ثلاث وعشرين بالمدينة ، ونزل عمّر يومئذ في قبره . اهـ الذهبي .

٢١٦٥ - * روى أحمد والطبراني والبخاري عن قتادة بن النعمان قال : كانت ليلة شديدة الظلمة والمطر فقلت : لو أني اغتنت هذه الليلة شهود العتمة مع النبي ﷺ ، ففعلت فلما انصرف النبي ﷺ أبصرني ومعه عرجون يمشي عليه فقال : « ما لك يا قتادة ههنا هذه الساعة ؟ » قلت : اغتنت شهود الصلاة معك يا رسول الله ، فأعطاني العرجون ، فقال : « إن الشيطان قد خلفك في أهيك . فاذهّب بهذا العرجون فأمسك به حتى تأتي بيتك فخذ من وراء البيت فاضربه بالعرجون » فخرجت من المسجد فأضاء العرجون مثل الشمعة نوراً فاستضأت به ، فأتيت أهلي فوجدتهم ، فنظرت في الزاوية فإذا فيها قنفذ ، فلم أزل أضربه بالعرجون حتى خرج .

* * *

٢١٦٥ - أحمد في مسنده (٦٥ / ٢) عن أبي سعيد الخدري عن أبي هريرة والمعجم الكبير (٦ / ١٦) .
والبخاري : كشف الأستار (٣ / ٢٦١) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني وأحمد في حديث طويل تقدم في الصلاة ، ورواه البخاري أيضاً ورجال أحمد الذي تقدم في الصلاة رجال الصحيح .

٥٥ - عبادة بن الصامت رضي الله عنه

قال ابن حجر في الإصابة : عبادة بن الصامت بن قيس بن صرم بن فهر بن قيس بن ثعلبة بن غم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأنصاري الخزرجي أبو الوليد ، قال خليفة بن خياط : وأمه قرة العين بنت عبادة بن نضلة بن العجلان .. شهد بدرًا وقال ابن سعد : كان أحد النقباء بالعقبة ، وأخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبين أبي مرثد الغنوي ، وشهد المشاهد كلها بعد بدر . وقال ابن يونس : شهد فتح مصر وكان أمير ربيع المدد ، وفي الصحيحين عن الصنابحي عن عبادة قال : أنا من النقباء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة العقبة الحديث ، وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً

أخرج حميد بن زنجويه في كتاب الترغيب من طريق أبي الأشعث أنه راح إلى مسجد دمشق فلقي شداد بن أوس والصنابحي فقالا : اذهب بنا إلى أخ لنا نعوذه ، فدخلنا على عبادة فقالا : كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت بنعمة من الله وفضله . قال عبد الصمد بن سعيد في تاريخ حمص : هو أول من ولي قضاء فلسطين . ومن مناقبه ما ذكر في المغازي لابن إسحاق حدثني أبي - إسحاق بن يسار - عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال : لما حارب بنو قينقاع بسبب ما أمرهم عبد الله بن أبي وكانوا حلفاءه فشى عبادة بن الصامت وكان له من الحلف مثل الذي لعبد الله بن أبي فخلعهم وتبرأ إلى الله ورسوله من خلفهم فنزلت ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ﴾ ^(١) الآية وذكر خليفة أن أبا عبيدة ولاة إمرة حمص ثم صرفه وولى عبد الله بن قرط .

وروى ابن سعد في ترجمته من طريق محمد بن كعب القرظي أنه من جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذا أورده البخاري في التاريخ من وجه آخر عن محمد بن كعب وزاد : فكتب يزيد بن أبي سفيان إلى عمر : قد احتاج أهل الشام إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم فأرسل معاذًا وعبادة وأبا الدرداء فأقام عبادة بفلسطين . وقال السراج في

(١) المتحنة : ١ .

تاريخه : حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن جنادة دخلت على عبادة وكان قد تفقه في دين الله ، هذا سند صحيح ، وفي مسند إسحاق بن راهويه والأوسط للطبراني من طريق عيسى بن سنان عن يعلى بن شداد قال ذكر معاوية الفرار من الطاعون - فذكر قصة له مع عبادة - فقام معاوية عند المنبر بعد صلاة العصر فقال : الحديث كما حدثني عبادة فاقتبسوا منه فهو أفقه مني . ولعبادة قصص متعددة مع معاوية وإنكاره عليه أشياء ، وفي بعضها رجوع معاوية له ، وفي بعضها شكواه إلى عثمان منه تدل على قوته في دين الله وقيامه في الأمر بالمعروف .

وروى ابن سعد في ترجمته أنه كان طويلاً جميلاً ومات بالرملة سنة أربع وثلاثين ، وكذا ذكره المدايني وفيها أرخه خليفة بن خياط وآخرون ، ومنهم من قال : مات ببيت المقدس ، وأورد ابن عساكر في ترجمته أخباراً له مع معاوية تدل على أنه عاش بعد ولاية معاوية الخلافة ، وبذلك جزم الهيثم بن عدي وقيل : إنه عاش إلى سنة خمس وأربعين . اهـ ابن حجر .

قال الذهبي عنه : الإمام القدوة أبو الوليد الأنصاري ، أحد النقباء ليلة العقبة ، ومن أعيان البدرين . سكن بيت المقدس . وقال ابن إسحاق في تسمية من شهد العقبة الأولى : عبادة بن الصامت . شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ . اهـ .

عن قبيصة بن ذؤيب : أن عبادة أنكر على معاوية شيئاً ، فقال : لا أسأكنك بأرض ، فرحل إلى المدينة ، قال له عمر : ما أقدمك ؟ فأخبره بفعل معاوية . فقال له : ارحل إلى مكانك ، فقبح الله أرضاً لست فيها وأمثالك ، فلا إمرة لك عليك ^(١) .

عن عبيد بن رفاع : أن عبادة بن الصامت مرث عليه قطارة ، وهو بالشام ، تحمّل الخمر ، فقال : ما هذه ؟ أزيّت ؟ قيل : لا ، بل خمر يباع لفلان ، فأخذ شفرة من السوق ، فقام إليها ، فلم يذر فيها راوية إلا بقرها - وأبو هريرة إذ ذاك بالشام - فأرسل فلان إلى أبي هريرة ، فقال : ألا تمسك عنا أخاك عبادة ، أما بالغدوات ، فيغدو إلى

(١) رجاله ثقات .

السوق يُفسد على أهل الذمة متاجرهم ، وأما بالعشي ، فيَقْعُد في المسجد ليس له عملٌ إلا شتم أعراسنا وعيبتنا !

قال : فأتاه أبو هريرة ، فقال : يا عبادة ، مالك ولعاوية ؟ ذرّه وما حُمِّل . فقال : لم تكن مَعَنَا إذْ بايعنا على السمع والطاعة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وألا يأخذنا في الله لومةً لائم ، فسكت أبو هريرة ، وكتبَ فلانٌ إلى عثمان : إنّ عِبَادَةَ قد أفسد عليّ الشام ^(١) .

أقول : الذي عليه الفتوى أن خر الذمي لا تراق ، ولكن الظاهر أن عبادة فعل ذلك لأنه كان يرى أنه ليس لأهل الذمة أن يظهروا ما هو منكر عند المسلمين فيتأذى به المسلمون .

٢١٦٦ - * روى الحاكم عن عبادة بن الصامت قال : وكان قد غزا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ست غزوات .

٢١٦٧ - * روى الحاكم عن أبي سلام الأسود قال : كنت إذا أتيت بيت المقدس نزلت على عبادة بن الصامت .

٢١٦٨ - * روى الحاكم عن عبادة بن الصامت أن معاوية قال لهم : يامعشر الأنصار ما لكم لم لا تأتوني مع إخوانكم من قريش ؟ قال عبادة : الحاجة . قال : فهلا على النواضع ، قال : أمضيها يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قوله الحاجة : أي يمنعنا من المجيء إليك فقرنا فلا تقدر أن نسافر حتى نصل إليك فلما قال له معاوية : فهلا على النواضع أي : إنكم تستطيعون أن تأتوا على الإبل ، قال له معرضاً فقدناها يوم بدر .

(١) قال محقق السير : إسناده محتمل للتحيين .

القطارة : أن تشد الإبل على نسق ، واحد خلف واحد .

٢١٦٦ - المستدرك (٢ / ٢٥٥) وصححه ووافقه الذهبي .

٢١٦٧ - المستدرك (٢ / ٢٥٥) .

٢١٦٨ - المستدرك (٢ / ٢٥٥) .

قال الذهبي : عن الوليد بن عباد قال : كان عباد رجلاً طوالاً جسيماً جليلاً . مات بالرملة سنة أربع وثلاثين ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . قال ابن سعد : وسمعتُ من يقول : إنه بقي حتى توفّي زمن معاوية في خلافته . وقال يحيى بن بكير وجماعة : مات سنة أربع وثلاثين . وقال ضمرة ، عن رجاء بن أبي سلمة ، قال : قبر عباد ببيت المقدس ، وقال الهيثم بن عدي : مات سنة خمس وأربعين رضي الله عنه . ١ هـ .

* * *

٥٦ - خَزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال ابن حجر : خزيمة بن ثابت بن الفاكه بالفاء وكسر الكاف ابن ثعلبة بن ساعدة ابن عامر بن غياث بالمعجمة والتحتانية وقيل بالمهملة والنون - ابن عامر بن حطمة - بفتح المعجمة وسكون المهمل - واسمه عبد الله بن جَشْتَم - بضم الجيم وفتح المعجمة - ابن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي ثم الحَطْمِي : وأمه كبشة بنت أوس الساعدية أبو عَمارة من السابقين الأولين شهد بدرًا وما بعدها ، وقيل أول مشاهده أحد وكان يكسر أصنام بني خطمة وكانت راية خطمة بيده يوم الفتح ، وروى أبو داود من طريق الزهري عن عمارة بن خزيمة بن ثابت أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابتاع فرساً من أعرابي الحديث ، وفيه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من شهد له خزيمة فحسبه ، وروى الدارقطني من طريق أبي حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن أبي عبد الله الجدلي عن خزيمة بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعل شهادته شهادة رجلين ، وفي البخاري من حديث زيد بن ثابت قال : فوجدتها مع خزيمة بن ثابت الذي جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم شهادته بشهادتين ، وروى أبو يعلى عن أنس قال : افتخر الحيان الأوس والخزرج ، فقال الأوس : ومنا من جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شهادته بشهادة رجلين الحديث ، وعند أحمد عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري أن خزيمة استشهد بصفين ، وروى أحمد من طريق أبي معشر عن محمد بن عَمارة بن خزيمة قال : ما زال جدي كافاً سلاحه حتى قتل عمار بصفين فسل سيفه وقاتل حتى قتل ، ورواه يعقوب بن شيبه من طريق أبي إسحاق نحوه .

قتل مع علي بصفين وهو القائل :

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا أبو الحسن مما نخاف من الفتن
وفيه الذي فيهم من الخير كله وما فيهم بعض الذي فيه من حسن

وقال ابن سعد شهد بدرًا وقتل بصفين . اهـ ابن حجر .

وقال الذهبي في ترجمته : الفقيه ، أبو عمارة الأنصاري الحَطْمِيُّ المَدَنِيُّ ، ذو الشهادتين .

قيل : إنه بدري . والصواب : أنه شهد أحداً وما بعدها ، وكان من كبار جيش علي ، فاستشهد معه يوم صفين . ١ هـ .

٢١٦٩ - * روى البخاري عن زيد بن ثابت قال : لما نَسَخْنَا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ فَقَدْتُ آيَةَ مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ كُنْتُ كَثِيراً أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقرأها لم أجدها عند أحدٍ إِلَّا مَعَ خَزِيمَةَ الْأَنْصَارِيِّ الَّذِي جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهَادَتَهُ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ .

٢١٧٠ - * روى أبو داود عن عمارة بن خزيمة ، أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي ، فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه ، فأسرع رسول الله ﷺ المشي ، وأبطأ الأعرابي ، فطفق رجال يعترضون الأعرابي ، فيساومونه بالفرس ، ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه ، فنادى الأعرابي رسول الله ﷺ ، فقال : إن كنت مبتاعاً هذا الفرس ، وإلا بعته فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي ، فقال : « أو ليس قد ابتعته منك » ؟ فقال الأعرابي : لا ، والله ما بعته ، فقال النبي ﷺ : « بلى قد اتبعته منك » فطفق الأعرابي يقول : هلم شهيداً ، فقال خزيمة بن ثابت : أنا أشهد أنك قد اتبعته ، فأقبل النبي ﷺ على خزيمة ، فقال : « بم تشهد » ؟ فقال : بتصديقك يا رسول الله ، فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين .

قال الذهبي : قال قتادة ، عن أنس ، قال : افتخر الحَيَّانِ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَتْ الْأَوْسُ : مَنَا غَسِيلَ الْمَلَائِكَةِ حَنْظَلَةُ بْنُ الرَّاهِبِ ؛ وَمَنَا مِنْ اهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ سَعْدٌ ، وَمَنَا مِنْ حَمْتِهِ الدَّبَرُ (١) عَاصِمُ بْنُ أَبِي الْأَقْلَحِ ؛ وَمَنَا مِنْ أُجِيزَتْ شَهَادَتُهُ بِشَهَادَتَيْنِ : خَزِيمَةُ بْنُ ثَابِتٍ (٢) . قال الذهبي : قُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ ، وَكَانَ حَامِلَ رَايَةِ بَنِي خَطْمَةَ . وشهد مؤته . ١ هـ .

٢١٦٩ - البخاري (٨ / ٥١٨) ٦٥ - كتاب التفسير - ٢ - باب ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ﴾ .
٢١٧٠ - أبو داود (٣ / ٣٠٨) كتاب الأفضية ، باب إذا علم الحاكم صدق الشاهد الواحد يجوز له أن يحكم به ، وإسناده

صحيح .

(١) الدبّر : النحل والزناير .

(٢) نسبه الحافظ في الإصابة (٢ / ١١١) لأبي يعلى .

٥٧ - خالد بن زيد المشهور بأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه

قال ابن حجر في الإصابة : خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار أبو أيوب الأنصاري التجاري معروف باسمه وكنيته ، وأمه هند بنت سعيد ابن عمرو من بني الحارث بن الخزرج .. من السابقين روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، شهد العقبة وبدراً وما بعدها ، ونزل عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لما قدم المدينة فأقام عنده حتى بنى بيوته ومسجده وأخى بينه وبين مصعب بن عمير وشهد الفتوح وداوم الغزو واستخلفه علي على المدينة لما خرج إلى العراق ثم لحق به بعد وشهد معه قتال الخوارج قال ذلك الحكم بن عيينة ، وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة وابن أبي عاصم من طريق أبي الخير عن أبي رهم أن أبا أيوب حدثهم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزل في بيته وكنت في الغرفة فهريق ماء في الغرفة فقممت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا نتتبع الماء شققاً أن يخلص إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا مشفق فسألته فانتقل إلى الغرفة قلت : يا رسول الله كنت ترسل إلي بالطعام فأنظر فأضع أصابعي حيث أرى أثر أصابعك حتى كان هذا الطعام قال : أجل إن فيه بطلاً فكرهت أن أكل من أجل الملك وأما أنتم فكلوا .

وقال ابن سعد أخبرنا ابن علية عن أيوب عن محمد شهد أبو أيوب بدراً ثم لم يتخلف عن غزاة المسلمين إلا وهو في أخرى إلا عاماً واحداً استعمل على الجيش شاب فقعد فتلهم بعد ذلك فقال ما ضربي من استعمل ، فرض وعلى الجيش يزيد بن معاوية فأتاه يعوده فقال : ما حاجتك ؟ قال : حاجتي إذا أنا مت فأركب بي ما وجدت مساعاً في أرض العدو فإذا لم تجد فادفني ثم أرجع ففعل . ورواه أبو إسحاق الفزاري عن هشام عن محمد وسمى الشاب عبد الملك ابن مروان ولزم أبو أيوب الجهاد بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن توفي في غزاة القسطنطينية سنة خمسين وقيل إحدى وثلثين وخمسين وهو الأكثر ، عن سعيد بن عبد العزيز قال أغزى معاوية ابنه يزيد سنة خمس وخمسين في جماعة من الصحابة في البر والبحر حتى أجاز القسطنطينية وقاتلوا أهل القسطنطينية على بابها . ا هـ . إصابة .

وقال الذهبي عنه : الخزرجي التجاري البصري . السيد الكبير ، الذي خصه النبي ﷺ

بالنزول عليه في بني النجار إلى أن بُنيت له حجرة أم المؤمنين سودة ، وبني المسجد الشريف . ١ هـ .

٢١٧١ - * روى أحمد وابن حبان والحاكم والطبراني عن أبي أيوب الأنصاري : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اكْتُمُ الْخِطْبَةَ ثُمَّ تَوَضَّأْ فَأَحْسِنْ وُضُوءَكَ ثُمَّ صَلِّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكَ ثُمَّ اْحْمِدْ رَبَّكَ وَمَجِّدْهُ ثُمَّ قُلِ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ لِي فُلَانَةً تَسَمِّيَهَا بِاسْمِهَا خَيْرًا لِي فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَآخِرَتِي فَأَقْدِرْهَا لِي وَإِنْ كَانَ غَيْرُهَا خَيْرًا لِي مِنْهَا فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَآخِرَتِي فَأَقْضِ لِي بِهَا » أَوْ قَالَ « فَأَقْدِرْهَا لِي » .

٢١٧٢ - * روى الحاكم عن سعيد بن المسيب عن أبي أيوب أنه أخذ من حلية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً فقال : « لَا يَكُنْ بِكَ السُّوءُ يَا أَبَا أَيُّوبَ » .

قال الذهبي : إسحاق بن سليمان الرازي : حدثنا أبو سنان ، عن حبيب بن أبي ثابت : أن أبا أيوب قَدِمَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ الْبَصْرَةِ ، ففَرَّغَ لَهُ بَيْتَهُ ، وَقَالَ : لِأَصْنَعَنَّ بِكَ كَمَا صَنَعْتَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، كَمْ عَلَيْكَ ؟ قَالَ : عَشْرُونَ أَلْفًا فَأَعْطَاهُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، وَعَشْرِينَ مَمْلُوكًا ، وَمَتَاعَ الْبَيْتِ ^(١) .

ابن عُلَيَّةَ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ مُحَمَّدٍ ، قَالَ شَهِدَ أَبُو أَيُّوبَ بَدْرًا ، ثُمَّ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ غَزَاةٍ إِلَّا عَامًا ، اسْتَعْمَلَ عَلَى الْجَيْشِ شَابًّا ، فَقَعْدَ ، ثُمَّ جَعَلَ يَتَلَهَّفُ ، وَيَقُولُ : مَا عَلَيَّ مَنْ اسْتَعْمَلَ عَلَيَّ . فَمُرَضَ ، وَعَلَى الْجَيْشِ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ ، فَأَتَاهُ يَعُوذُهُ ، فَقَالَ : حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، إِذَا أَنَا مِتُّ ، فَارْكَبْ بِي ، ثُمَّ تَبَيَّعْ بِي فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ مَا وَجَدْتَ مَسَاغًا ؛ فَإِذَا لَمْ تَجِدْ

٢١٧١ - أحمد في مسنده (٥ / ٤٢٣) .

وابن حبان : موارد الظمان حديث ١٧٧ ، والمعجم الكبير (٤ / ١٢٣) والمستدرک (١ / ٢١٤) وصححه ووافقه الذهبي .

٢١٧٢ - المستدرک (٣ / ٤٦٢) وصححه ووافقه الذهبي .

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٤ / ١١٨ ، ١٢٥) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٢٣٠) : رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح إلا أن حبيب بن أبي ثابت لم يسمع من أبي أيوب . والمستدرک (٢ / ٤٥٩) وصححه ووافقه الذهبي .

مساغاً ، فادفني ، ثم ارجع .

فلما مات ، ركبَ به ، ثم سار به ، ثم دفنه . وكان يقول : قال الله : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ ^(١) لا أجدني إلا خفيفاً أو ثقیلاً ^(٢) .

وروى همام ، عن عاصم بن بهذلة ، عن رجل : أن أبا أيوب قال ليزيد : أقرئ الناس مني السلام ؛ ولينطلقوا بي وليبعدوا ما استطاعوا . قال : ففعلوا .

قال الواقدي : توفي عامَ غزا يزيدَ في خلافة أبيه القسطنطينية . فلقد بلغني : أن الروم يتعاهدون قبره ، ويرمونه ، ويستسقون به . وذكره عروة والجماعة في البدرين .

وقال ابنُ إسحاق : شهد العقبة الثانية .

قال محمد بن سيرين : النجار ^(٣) : سمي بذلك ؛ لأنه اختتنَ بقَدُوم ^(٤) .

وعن ابن إسحاق : أن النبي ﷺ آخى بين أبي أيوب ومصعب بن عمير شهد أبو أيوب المشاهد كلها .

وقال أحمد بن البرقي : جاء له نحو من خمسين حديثاً .

وقال ابنُ يونس : قدم مصر في البحر سنة ست وأربعين .

وقال أبو زرعة النصري : قدم دمشق زمن معاوية .

وقال الخطيب : شهد حربَ الخوارج مع علي . أ هـ الذهبي .

(١) التوبة : ٤١ .

(٢) أخرجه ابن سعد (٣ / ٤٨٥) من طريق إسماعيل بن إبراهيم الأسدي ، ورجاله ثقات .
ثم تبيح : تبيح به الدم ، أي : تردد فيه الدم ، وتبيح الماء إذا تردد فتحير في مجراه مرة كذا ومرة كذا وفي الطبقات « ، » والنهاية « وأسد الغابة » « وتهذيب ابن عساكر » : « ثم سَغ » ، وفسره ابن الأثير ، فقال : أي : ادخل فيها ما وجدت مدخلاً ، وسأغت به الأرض ، أي : سأخت ، وسأغ الشراب في الخلق يسوغ ، أي : دخل سهلاً .

(٣) النجار : الجدد الأعلى لأبي أيوب .

(٤) القَدُوم : الفأس التي ينحت بها الخشب ، وفي تهذيب ابن عساكر : إنما سمي النجار لأنه نجَّر وجه رجل بقدم .

٢١٧٣ - * روى أحمد والطبراني والحاكم عن أبي رهم السماعي أن أبا أيوب حدثه أن رسول الله ﷺ نزل في بيته الأسفل ، وكنت في الغرفة فأهريق ماء في الغرفة ، فقامت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا نتبع الماء شفقة أن يخلص إلى رسول الله ﷺ ، فنزلت إلى رسول الله ﷺ ، وأنا مشفق ، فقلت : يا رسول الله ليس ينبغي أن نكون فوقك ، انتقل إلى الغرفة ، فأمر رسول الله ﷺ بمتاعه فنقل ، ومتاعه قليل ، فقلت : يا رسول الله كنت ترسل إلينا بالطعام فأبصر فيه ، فإذا رأيت أثر أصابعك وضعت يدي فيه ، حتى كان هذا الطعام الذي أرسلت به إليّ ، فنظرت فيه فلم أر أثر أصابعك ، فقال رسول الله ﷺ : « أَجَلُ إِنَّ فِيهِ بَصَلًا ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَكُلَهُ مِنْ أَجْلِ الْمَلِكِ الَّذِي يَأْتِينِي ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَكُلُوهُ » .

٢١٧٤ - * روى أحمد والطبراني عن جبير بن نفير عن أبي أيوب قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة اقترعت الأنصار أيهم يؤوي رسول الله ﷺ فقرعهم أبو أيوب فأوى رسول الله ﷺ فكان إذا أهدى لرسول الله ﷺ طعام أهدى لأبي أيوب قال : فدخل أبو أيوب يوماً فإذا قصعة فيها بصل فقال ما هذا فقالوا أرسل به رسول الله ﷺ قال : فطلع أبو أيوب إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ما منعك من هذه القصعة قال : « رَأَيْتُ فِيهَا بَصَلًا » قال : ولا يحل لنا البصل ؟ قال : « بلى : فَكُلُوهُ وَلَكِنْ يَغْشَانِي مَا لَا يَغْشَاكُمْ » وقال حيوة « إِنَّهُ يَغْشَانِي مَا لَا يَغْشَاكُمْ » .

٢١٧٥ - * روى الطبراني عن سالم بن عبد الله بن عمر ، قال : أعرست ، فدعا أبي الناس ، فيهم أبو أيوب ، وقد ستروا بيتي بجنادي أخضر . فجاء أبو أيوب ، فطأ رأسه ، فنظر فإذا البيت مُسْتَرٌّ . فقال : يا عبد الله ، تسترون الجدر ؟ فقال أبي واستحي : غلبنا النساء يا أبا أيوب . فقال : مَنْ خَشِيتُ أَنْ تَغْلِبَنِي النساء ، فلم أخش أن يغلبنك . لا أدخل

٢١٧٣ - أحمد في مسنده (٥ / ٤٢٠) وإسناده صحيح .

والطبراني (٤ / ١٢٦) ، والمستدرک (٣ / ٤٦١) وصححه ووافقه الذهبي .

٢١٧٤ - أحمد في مسنده (٥ / ٤١٤) ، المعجم الكبير (٤ / ١٨٦) .

ورجاله ثقات ، إلا أن بقية مدلس ، وقد عنعن .

٢١٧٥ - المعجم الكبير (٤ / ١١٩) وإسناده قوي وقال الهيثمي في جمع الزوائد (٤ / ٥٥) رجاله رجال الصحيح .

جنادي أخضر : هو جنس من الأنماط أو الثياب يستر بها الجدران .

لكم بيتاً ، ولا آكلُ لكم طعاماً !

٢١٧٦ - * روى الطبراني عن مُحَمَّد بن كعب ، قال : كان أبو أيوب يُخَالِفُ مروان ، فقال : ما يَحْمِلُكَ على هذا ؟ قال : إني رأيتُ رسول الله ﷺ يُصلي الصَّلوات ، فإن وافقته ، وافقناك ، وإن خالفته ، خالفناك .

٢١٧٧ - * روى الحاكم عن مقسم أن أبا أيوب أتى معاوية فذكر له حاجة قال : أأنت صاحب عثمان ؟ قال أما إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبرنا أن سيصيبنا بعده أثرٌ قال : وما أمركم ؟ قال : أمرنا أن نصبر حتى نرد عليه الخوض ، قال فاصبروا ، قال : فغضب أبو أيوب وحلف أن لا يكلمه أبداً ثم إن أبا أيوب أتى عبد الله بن عباس فذكر له فخرج له عن بيته كما خرج أبو أيوب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن بيته وقال : إيش تريد ؟ قال : أربعة غلّة يكونون في محلي ، قال : لك عندي عشرون غلاماً .

٢١٧٨ - * عن أبي عمران التُّجيبِي قال : غزونا القسطنطينية ومعنا أبو أيوب الأنصاري فصففنا صفين ما رأيت صفين قط أطول منها ، ومات أبو أيوب الأنصاري في هذه الغزاة ، وكان أوصى أن يدفن في أصل سور القسطنطينية وأن يقضى دين عليه ففعل . قال الذهبي : ذكر خليفة : أن علياً استعمل أبا أيوب على المدينة . وقال الحاكم : لم يشهد أبو أيوب مع عليٍّ صفين .

عمر بن كثير بن أفلح قال : قدم أبو أيوب على معاوية ، فأجلسه معه على السرير ، وحادثه ، وقال : يا أبا أيوب ، مَنْ قتلَ صاحب الفرس البلقاء التي جعلتُ تجولُ يوم كذا وكذا ؟ قال : أنا ؛ إذ أنتَ وأبوك على الجمل الأحمر معكمَا لواء الكُفر . فنكس معاوية ، وتبمر أهل الشام ، وتكلموا . فقال معاوية : مه ! وقال : ما نحن عن هذا سألناك .

٢١٧٦ - المعجم الكبير (٤ / ١٥٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢ / ٦٨) : رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات . ويخالف مروان : أي لا يصلي بصلاته ، إذا أخرها عن الوقت المستحب .

٢١٧٧ - المستدرک (٣ / ٤٥٩) وصححه ووافقه الذهبي .

في محلي : ينوب عني في عملي .

٢١٧٨ - المستدرک (٣ / ٤٥٧) وسكت عنه الذهبي .

عن أبي ظبيان ، قال : غزى أبو أيوب ، فرض ، فقال : إذا مت فاحملوني ، فإذا صافقتم العدو ، فارموني تحت أقدامكم . أما إني سأحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ ، سمعته يقول : « مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ » إسناده قوي (١) .

قال الوليد ، عن سعيد بن عبد العزيز : أغزى معاوية ابنه في سنة خمس وخمسين في البر والبحر ، حتى أجاز بهم الخليج ، وقاتلوا أهل القسطنطينية على بابها ، ثم قفل .

وعن الأصمعي ، عن أبيه : أن أبا أيوب قُبر مع سور القسطنطينية ، وُئني عليه ، فلما أصبحوا ، قالت الروم : يامعشر العرب ، قد كان لكم الليلة شأن . قالوا : مات رجل من أكابر أصحاب نبينا ، والله لئن نبش ، لا ضربة بناقوس في بلاد العرب ، فكانوا إذا قحطوا ، كشفوا عن قبره ، فأمطروا وقال خليفة : مات سنة خمسين . وقال يحيى بن بكير : سنة اثنتين وخمسين . اهـ .

* * *

٥٨ - زيد بن ثابت رضي الله عنه

قال ابن حجر : زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوزان بن عمرو بن عبد عوف ابن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي أبو سعيد .. وقيل أبو ثابت وقيل غير ذلك في كنيته استصغر يوم بدر ، ويقال إنه شهد أحداً ويقال أول مشاهده الخندق ، وكانت معه راية بني النجار يوم تبوك ، وكانت أولاً مع عُمارة بن حَزْم فأخذها النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه فدفعها لزيد بن ثابت فقال : يا رسول الله بلغك عني شيء ؟ قال : لا ولكن القرآن مقدم وكتب الوحي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمه النُّوار بنت مالك بن معاوية ابن عدي ، وقتل أبوه يوم بعاث ، وذلك قبل الهجرة بخمس سنين وهو الذي جمع القرآن في عهد أبي بكر ثبت ذلك في الصحيح ، وقال له أبو بكر إنك شاب عاقل لا نتهمك .

وروى الواقدي من طريق زيد بن ثابت قال لم أُجَزَّ في بدر ولا أحد وأُجِزْتُ في الخندق . قال وكان فين ينقل التراب مع المسلمين فنعمس زيد فجاء عماره بن حزم فأخذ سلاحه وهو لا يشعر فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا أبا رقاد ، ويومئذ نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يروع المؤمن ولا يؤخذ متاعه جاداً ولا لاعباً ... وعن أنس قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفرضكم زيد رواه أحمد بإسناد صحيح وقيل إنه معلول ، وروى ابن سعد بإسناد صحيح قال : كان زيد بن ثابت أحد أصحاب الفتوى ، وهم ستة : عمر وعلي وابن مسعود وأبيّ وأبو موسى وزيد بن ثابت ، وروى بسند فيه الواقدي من طريق قبيصة قال : كان زيد رأساً بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض [وهو العلم بقسمة الموارث] .

مات زيد سنة اثنتين أو ثلاث أو خمس وأربعين وقيل سنة إحدى أو اثنتين أو خمس وخمسين وفي خمس وأربعين قول الأكثر وقال أبو هريرة حين مات اليوم مات حبر هذه الأمة وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً . اهـ .

وقال الذهبي : الإمام الكبير ، شيخ المقرئين ، والفرضيين ، مفتي المدينة أبو سعيد ، وأبو خارجة . الخزرجي ، النجاري الأنصاري . كاتب الوحي ، رضي الله عنه .

حدث عن النبي ﷺ ، وعن صاحبيه . وقرأ عليه القرآن بعضه أو كله ، ومناقبة جمة .

وتلا عليه ابنُ عباس ، وأبو عبد الرحمن السُّلمي ، وغيرَ واحد وكان مِن حَمَلَةِ الحُجَّة ، وكان عمرُ بنِ الخطاب يستخلفه إذا حجَّ على المدينة .

وهو الذي تولَّى قسمةَ الغنائم يومَ اليرموك . وقد قُتِلَ أبوه قبل الهجرة يومَ بُعث (١) ، فرَبِّي زيدٌ يتيمًا . وكان أحدَ الأذكىاء . فلما هاجر النبي ﷺ ، أسلم زيدٌ ، وهو ابنُ إحدى عشرة سنة ، فأمره النبي ﷺ أن يتعلَّم خطَّ اليهود : ليقرأ له كتبهم . قال : « فيأني لا آمنُهم » . ١ هـ .

٢١٧٩ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان يومَ بعث يوماً قدمه الله لرسوله ﷺ ، فقدم رسول الله ﷺ وقد افترقَ ملوكُهم ، وقُتِلَتُ سَرَوَاتُهُمْ ، وجرحوا ، فقدمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم في الإسلام .

قال الذهبي : قال ابنُ سعد : وَلَدَ زيدُ بنُ ثابت : سعيداً ، وبه كان يُكنى ، وأُمُّه أم جميل .

وَوُلِدَ لزيد : خارجةٌ ، وسليمانُ ، ويحيى ، وعُمارةٌ ، وإسماعيلُ ، وأَسعدُ ، وعَبادةٌ ، وإسحاقُ ، وحسنةٌ ، وعُمرةٌ ، وأُمُّ إِسحاقَ ، وأُمُّ كُلثومَ ، وأُمُّ هُؤلاء : أُمُّ سعد ابنة سعد بن الرِّبيع ، أحدِ البدرين .

وَوُلِدَ له : إبراهيمُ ، ومحمدُ ، وعبدُ الرحمن ، وأُمُّ حسنَ ، من عُمرة بنت معاذ بن أنس . وَوُلِدَ له : زيدٌ ، وعبدُ الرحمن ، وعَبِيدُ الله ، وأُمُّ كُلثومَ : لأم ولد . وسليطُ ، وعمرانُ ، والحارثُ ، وثابتُ ، وصَفِيَّةٌ ، وقَرِيبَةُ ، وأُمُّ محمدَ : لأم ولد .

قال البخاري ومسلم والنسائي زيد : يكنى أبا سعيد . ويقال : أبو خارجة . وقال محمد ابن أحمد المَقْدَمي : له كنيستان .

روى خارجة عن أبيه، قال : قدم النبي عليه السلام المدينة ، وأنا ابنُ إحدى عشرة سنة . وأمره النبي ﷺ أن يتعلَّم كتابَةَ يهود . قال : وكنتُ أَكْتُبُ ، فأقرأ إذا كتبوا إليه . ١ هـ .

(١) بعث : موضع على ليلتين من المدينة المنورة ، وفيه كانت الوقعة بين الأوس والخزرج ونسبت إليه .

٢١٨٠ - * روى أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والحاكم عن خارجة بن زيد أن أباه زيدا أخبره أنه لما قدم النبي ﷺ المدينة قال زيد : ذهب بي إلى النبي ﷺ فأعجب بي فقالوا : يارسول الله هذا غلام من بني النجار معه ما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة فأعجب ذلك النبي ﷺ وقال : « يا زيد تعلم لي كتاب يهود فإني والله ما آمن يهود على كتابي » قال زيد : فتعلمت كتابهم ما مرت بي خمس عشرة ليلة حتى حذقته وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه وأجيب عنه إذا كتب .

٢١٨١ - * روى أحمد والحاكم عن ثابت بن عبيد قال زيد : قال لي رسول الله : « أتُحسِنُ السُّريانيَّةَ ؟ قلتُ : لا . قال : « فَتَعَلَّمُهَا » فتعلَّمْتُها في سبعة عَشَرَ يوماً .

٢١٨٢ - * روى البخاري عن البراء ، قال لي رسول الله ﷺ : « ادْعُ لي زَيْدًا ، وَقُلْ له : يَحْيِءُ بالكُتفِ والدَّوَاةِ » قال : فقال : « اكْتُبْ » ﴿ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ وخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم . فقال : يارسول الله ، أنا ضرير ، فنزلت مكانها : ﴿ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (١) .

٢١٨٣ - * روى أحمد عن شَرَحْبِيلِ بن سعد قال : كنتُ مع زيد بن ثابت بالأسْوَافِ ، فأجَدَ طَيْرًا ؛ فدخلَ زيدٌ ، قال : فدفعوا في يدي ، وفروا ، فأخذَ الطيرَ ، فأرسله ، ثم ضربَ في قَفَايَ ، وقال : لا أُمُّ لك ، ألم تعلم أن رسولَ الله ﷺ حرَّم ما بين لابتَيْها .

٢١٨٠ - أحمد في مسنده (١٨٦ / ٥) ، والبخاري تعليقاً (١٣ / ١٨٥) ٩٣ - كتاب الأحكام - ٤٠ - باب ترجمة الحكم ، وهل يجوز ترجمان واحد . وأبو داود (٣ / ٣١٨) كتاب العلم ، باب رواية حديث أهل الكتاب والترمذي (٥ / ٦٧) ٤٣ - كتاب الاستئذان - ٢٢ - باب ما جاء في تعلم السريانية . وقال : هذا حديث حسن صحيح . والمستدرک (١ / ٢٧٥) وصححه ووافقه الذهبي .

٢١٨١ - أحمد في مسنده (٥ / ١٨٢) وإسناده صحيح . والمستدرک (٣ / ٤٢٢) وصححه ووافقه الذهبي .

٢١٨٢ - البخاري (٢٥٩٨ / ٦٥) - كتاب التفسير - ١٨ - باب لا يستوي القاعدون من المؤمنين .

(١) النساء : ٩٥ .

٢١٨٣ - أحمد في مسنده (٥ / ١٩٢) وشرحبيل فيه لين ما والحديث يتقوى بما أخرجه البخاري ، وسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً : « ما بين لابتَيْها حرام » ، وسلم من حديث سعد أن رسول الله ﷺ قال : « إني أحرم ما بين =

٢١٨٤ - * روى البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : أرسل إليّ أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر رضي الله عنه : إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرآن القرآن ، وإنني أخشى إن استحرّ القتل بالقرآن بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإنني أرى أن تأمر بجمع القرآن . قلت لعمر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير . فلم يزل عمر يُراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن فاجمعه . فوالله لو كلفوني ثقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : هو والله خير . فلم يزل أبو بكر يُراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . فتبعت القرآن أجمعه من العُسب واللُخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدُها مع أحدٍ غيره ﴿ لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم ﴾ (١) حتى خاتمة براءة ، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه .

٢١٨٥ - * روى البخاري عن أنس قال : جمع القرآن على عهد رسول الله أربعة ، كلهم من الأنصار : أبي ، ومعاذ ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد .

= لابي المدينة أن يقطع عضاها ، أو يقتل صيدها . واللاية : هي الحرة . والمدينة النورة بين حرتين شرقيه وغربية تكتنفان ، والحرة : هي الأرض ذات الحجارة السوداء ، كأنها أحرقت بالنار . ومعنى ذلك : اللاتبان وما بينهما .

الأسواف : موضع ببعض أطراف المدينة بين الحرتين . وفي « الموطأ » عن رجل ، قال : دخل عليّ زيد بن ثابت وأنا بالأسواف ، وقد اصطدت نهساً (طائر يشبه الصُرَد) ، فأخذته من يدي ، وأرسله .

٢١٨٤ - البخاري (١٠ / ١) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن - ٣ - باب جمع القرآن .

القَسَب : جمع عسيب : وهو جريد النخل إذا نحى عنه خوصه . وكانوا يكتبون في تلك الأشياء ، لقلة القراطيس عندهم يومئذ .

(١) التوبة : ١٢٨ .

٢١٨٥ - البخاري (٩ / ٤٧) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن - ٨ - باب القراء من أصحاب النبي ﷺ .

٢١٨٦ - * روى الترمذي والحاكم عن أنس : قال رسول الله ﷺ : « أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ ، وَأَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أَبِي ابْنُ كَعْبٍ ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ » .

قال الذهبي : بتقدير صحّة « أفرضهم زيد ، وأقرأهم أبي » لا يدلّ على تحتمّ تقليده في الفرائض ، كما لا يتعين تقليد أبي في قراءته ، وما انفرد به .

روى عاصم ، عن الشعبي ، قال : غلب زيد الناس على اثنتين الفرائض والقرآن .

عن أبي سعيد ، قال : لما توفّي رسول الله ، قام خطباء الأنصار ، فتكلّموا ، وقالوا : رجلٌ منا ، ورجلٌ منكم . فقام زيد بن ثابت ، فقال : إنّ رسول الله كان من المهاجرين ونحن أنصاره ؛ وإنّا يكون الإمام من المهاجرين ونحن أنصاره .

فقال أبو بكر : جزاكم الله خيراً يا معشر الأنصار ، وثبّت قائلكم ، لو قلتم غير هذا ما صالحناكم ^(١) .

عن مسروق ، قال : كان أصحاب الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ : عمر ، وعليّ ، وابن مسعود ، وزيد ، وأبيّ ، وأبو موسى ^(٢) .

وعن القاسم بن محمد : كان عمر يستخلف زيدا في كل سفر .

عن الشعبي ، قال : القضاة أربعة : عمر ، وعليّ ، وزيد وابن مسعود .

وعن يعقوب بن عتبة : أن عمر استخلف زيدا ، وكتب إليه من الشام : إلى زيد بن

٢١٨٦ - الترمذي (٥ / ٦٦٥) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٣ - مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت .

وقال : هذا حديث حسن صحيح وهو كما قال .

والستدرك (٣ / ٤٢٢) وصححه ووافقه الذهبي .

(١) ورواه أحمد في مسنده (٥ / ١٨٦) ، والمعجم الكبير (٥ / ١١٤) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ورجاله رجال الصحيح .

(٢) إسناده صحيح .

ثابت ، من عمر .

قال خارجة بن زيد : كان عمر يستخلف أبي ، فقلها رجع إلا أقطعه حديقة من نخل .

عن الشعبي قال : تنازع أبي وعمر في جداد نخل^(١) . فبكى أبي ، ثم قال : أفي سلطانك يا عمر ؟ قال : اجعل بيني وبينك رجلاً . قال أبي : زيد . فانطلقا ، حتى دخلا عليه ، فتحاكما إليه . فقال : يئسك يا أبي ؟ قال : مالي بيئة . قال : فاعف أمير المؤمنين من اليمن . فقال عمر : لا تغف أمير المؤمنين من اليمن إن رأيتها عليه .

عن نافع ، قال : استعمل عمر زيداً على القضاء ، وفرض له رزقاً^(٢) .

قال الزهري : لو هلك عثمان وزيد في بعض الزمان ، لهلك علم الفرائض ، لقد أتى على الناس زمان وما يعلمها غيرها^(٣) .

وقال جعفر بن برقان : سمعت الزهري يقول : لولا أن زيد بن ثابت كتب الفرائض ، لرأيت أنها ستذهب من الناس .

قال مالك : كان إمام الناس عندنا بعد عمر ، زيد بن ثابت . وكان إمام الناس عندنا بعد زيد ، ابن عمر .

قال أحمد بن عبد الله العجلي : الناس على قراءة زيد ، وعلى فرض زيد .

وعن ابن عباس ، قال : لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أن زيد بن ثابت ، من الراسخين في العلم^(٤) .

عن عبد الله بن مسعود ؛ أنه كان يقول في أخوات لأب وأم ، وإخوة وأخوات لأب : للأخوات لأب والأم الثلثان ، فما بقي ، فللذكور دون الإناث .

(١) جداد النخل : قطع ثمره .

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٢ / ٢٥٩) .

(٣) وأخرجه الدرامي (٢ / ٣٤١) كتاب الفرائض ، باب في تعلم الفرائض .

(٤) نسبة الحافظ في الإصابة (٢ / ٢٣) للبغوي . وأخرج أبو زرعة في تاريخ دمشق نحوه .

فقدم مسروق المدينة ، فسمع قولَ زيد فيها ، فأعجبه . فقال له بعض أصحابه : أتترك قول عبد الله ؟ فقال : أتيت المدينة ، فوجدتُ زيد بن ثابت من الراسخين في العلم . يعني : كان زيدٌ يُشركُ بين الباقرين ^(١) .

عن أبي سامة ، أن ابنَ عباس قام إلى زيد بن ثابت . فأخذ له بِرِكابه ، فقال : تَنَحَّ يا ابنَ عمِّ رسول الله ﷺ ! فقال : إِنَّا هكذا نفعلُ بعلماؤنا وكبرائنا ^(٢) .

قال عليُّ بنُ المديني : لم يكن من الصحابة أحدٌ له أصحابٌ حفظوا عنه ، وقاموا بقوله في الفقه ، إلا ثلاثة : زيد ، وعبد الله ، [بن مسعود] ، وابن عباس .

عن الزُّهري : بلغنا أن زيد بن ثابت كان يقولُ إذا سئل عن الأمر : أكانَ هذا ؟ فإن قالوا : نعم . حدث فيه بالذي يعلم . وإن قالوا : لم يكن . قال : فدَروهُ حتى يكون .

عن الشعبي : أن مروان دعا زيدَ بن ثابت ، وأجلس له قوماً خلف سترٍ ، فأخذ يسأله ، وهم يكتبون ؛ ففَطِنَ زيدٌ ، فقال : يا مروان ، أَعْدَرَأ ، إِنَّا أَقولُ برأْي ^(٣) .

رواه إبراهيم بن حَمِيد الرُّؤاسي ، عن ابن أبي خالد ، نحوه « وزاد » : فمحوه .

عن ابن سيرين ، قال : حجَّ بنا أبو الوليد ، ونحن ولد سيرين سبعة ؛ فمرُّ بنا على المدينة ، فأدخلنا على زيد بن ثابت ، فقال : هؤلاء بنو سيرين . فقال زيدٌ : هؤلاء لأم ، وهذان لأم ، وهذان لأم . قال : فما أخطأ ، وكان محمد ، ومعبد ، ويحيى لأم ^(٤) .

عن ثابت بن عبيد ، قال : كان زيدٌ بن ثابت من أفكهِ الناس في أهله ، وأزمتِه ^(٥) عند القوم .

(١) إسناده صحيح : يشرك بين الباقرين : يسوى بينهم في القسمة .

(٢) ورواه ابن سعد في الطبقات (٢ / ٣٦٠) وإسناده حسن . والحاكم في المستدرک (٣ / ٤٢٣) وصححه وسكت عنه الذهبي .

(٣) ورواه ابن سعد في الطبقات (٢ / ٣٦١) من طريقين عن سفيان به ، والطبراني بنحوه (٥ / ١٣٧) عن خارِجة ابن زيد .

(٤) ورواه ابن سعد في الطبقات (٢ / ٤٣٨) وأخرجه الفسوى في تاريخه ورجاله ثقات .

(٥) أَرْزَمَتِه : أي من أرزهم وأوقرهم ، الرِّزْمِيَّتُ : الحليم الساكن القليل الكلام .

هشام ، عن ابن سيرين ، قال : خرج زيد بن ثابت يُريدُ الجمعة ، فاستقبل الناس راجعين ، فدخل داراً ، فقبل له . فقال : إنه من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله (١) .

ومن جلاله زيد : أن الصديق اعتمد عليه في كتابة القرآن العظيم في صحف ، وجمعه من أفواه الرجال ، ومن الأكتاف والرقاع ، واحتفظوا بتلك الصحف مدة ، فكانت عند الصديق ؛ ثم تسلمها الفاروق ، ثم كانت بعد عند أم المؤمنين حفصة ، إلى أن ندب عثمان زيد بن ثابت ونفراً من قريش إلى كتابه هذا المصحف العثماني الذي به الآن في الأرض أزيد من ألفي نسخة ، ولم يبق بأيدي الأمة قرآن سواه ؛ والله الحمد .

حفص ، عن عاصم ، عن أبي عبد الرحمن [السلمي] ، قال : لم أخالفُ علياً في شيء من قراءته ، وكنت أجمعُ حروفه عليّ ، فألقى بها زيداً في المواسم بالمدينة . فما اختلفا إلا في « التابوت » كان زيدٌ يقرأ [الحرف الأخير] بالهاء وعليّ بالتاء .

عن مكحول : أن عبادة بن الصامت دعا نبطياً يُسمكُ دابته عند بيت المقدس ، فأبى . فضربه ، فشجّه . فاستعدي عليه عمر . فقال : ما دعاك إلى ما صنعت بهذا ؟ قال : أمرته ، فأبى ؛ وأنا في حدة ، فضربته . فقال : اجلس للقصاص . فقال زيد بن ثابت : أتقيد لعبديك من أخيك ؟ فترك عمر القود ، وقصّ عليه بالدية (٢) .

عن عمار بن أبي عمار ، قال : لما مات زيد ، جلسنا إلى ابن عباس في ظل ، فقال : هكذا ذهب العلماء ، دفن اليوم علم كثير (٣) .

وفيه يقول حسان بن ثابت :

فَمَنْ لِّلْقَوَا فِي بَعْدَ حَسَّانَ وَابْنِهِ وَمَنْ لِّلْمَثَانِي (٤) بَعْدَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ

(١) وذلك لأن زيدا رضي الله عنه كان في منطقة لا يسمع الأذان فيها .

(٢) ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٣٢ / ٨) ورجاله ثقات .

(٣) ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣٦١ / ٢) والحاكم في المستدرک (٤٢٨ / ٣) والطبراني الكبير (١٠٨ / ٥) ورجاله ثقات .

(٤) المثاني : القرآن وسمي بذلك لأن المعاني تنثني منه .

وقد اختلفوا في وفاة زيد رضي الله عنه على أقوال : فقال الواقدي ، وهو إمام المؤرخين : مات سنة خمس وأربعين ، عن ست وخمسين سنة ، وتبعه على وفاته يحيى بن بكير ، وشباب ، ومحمد بن عبد الله بن نُمير .

قال أبو عُبَيْد : مات سنة خمس وأربعين . ثم قال : وسنة ست وخمسين أثبت .

وقال أحمد بن حنبل ، وعمرو بن علي : سنة إحدى وخمسين .

وقال المدائني ، والهيثم ، ويحيى بن مَعِين : سنة خمس وخمسين . وقال أبو الزناد : سنة خمس وأربعين . فالله أعلم . ١ هـ ذهبي .

* * *

٥٩ - سَلَمَةُ بْنُ الْأَكُوعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال ابن حجر: سلمة بن عمرو بن الأكوع .. واسم الأكوع سنان بن عبد الله ، يأتي بقية نسبه في عامر بن الأكوع ، وقيل اسم أبيه وهب ، وقيل غير ذلك أول مشاهده الحديبية ، وكان من الشجعان ويسبق الفرس عدواً ، وباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الشجرة على الموت رواه البخاري من حديثه ... وقيل مات سنة أربع وستين وزعم الواقدي ومن تبعه أنه عاش ثمانين سنة وهو على القول الأول باطل إذ يلزم منه أن يكون له في الحديبية نحو من عشر سنين ومن يكون في ذلك السن لا يبايع على الموت ، ثم رأيت عند ابن سعد أنه مات في آخر خلافة معاوية وكذا ذكر البلاذري اه ابن حجر .

قال الذهبي في ترجمته : أبو عامر وأبو مسلم . ويقال : أبو إياس الأسلمي الحجازي المدني .

قيل : شهد مؤتة ، وهو من أهل بيعة الرضوان .

قال مولاة يزيد : رأيت سَلَمَةَ يُصَفِّرُ لِحْيَتَهُ . وسمعه يقول : بايعتُ رسولَ الله ﷺ على الموت ، وغزوتُ معه سبع غزوات .

عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : بَيَّئْنَا هَوَازِنَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، فَقَتَلْتُ بِيَدِي لَيْلَتَيْهِ ، سَبْعَةَ أَهْلِ أُبَيَّاتٍ ^(١) .

عكرمة بن عمار : حدثنا إياس ، عن أبيه [سلمة بن الأكوع] قال : خرجتُ أنا ورباحُ غلامُ النبي ﷺ بظهرِ النبي ﷺ . وخرجتُ بفرسٍ لطلحة ، فأغارَ عبدُ الرحمن بن عَينَةَ على الإبل ، فَقَتَلَ راعيها ، وطرد الإبل هو وأناسٌ معه في خيل . فَقُلْتُ : يا رباحُ ! اقعدْ على هذا الفرس ، فَأَلْحِقْهُ بطلحة ، وأعلمُ رسولَ الله ﷺ . وقمتُ على تلٍّ ، ثم ناديتُ ثلاثاً : يا صباحاه ! وَاتَّبَعْتُ الْقَوْمَ ، فجعلتُ أرميهم ، وأعقرُ بهم ، وذلك حين يكثرُ الشجرُ فإذا رجعَ إليَّ فارسٌ ، قعدتُ له في أصل شجرة ، ثم رميته ، وجعلتُ أرميهم ، وأقول :

(١) ورواه أحمد في مسنده (٤ / ٤٦) وأبو داود بنحوه (٢ / ٤٣) كتاب الجهاد ، باب في البيات وإسناده حسن .
التبويب : الطروق ليلاً على غفلة للغارة .

أَنَا ابْنُ الْأَكُوعِ وَالْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضْعِ

وأصبتُ رجلاً بين كتفيه ، وكنتُ إذا تضايقتُ الشنايا ، علوتُ الجبل ، فردأتهم بالحجارة ، فما زال ذلك شأني وشأنهم حتى ما بقي شيء من ظهر النبي ﷺ إلا خلفته وراء ظهري ، واستنقذته . ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رجلاً ، وأكثر من ثلاثين بردةً يستخفون منها ، ولا يلقون شيئاً إلا جعلتُ عليه حجارةً ، وجمعتُ على طريق رسول الله ﷺ ، حتى إذا امتدَّ الضحى ، أتاهم عيينة بنُ بدر مَدَداً لهم ، وهم في ثِيَّةٍ ضيقة ، ثم علوتُ الجبل ، فقال عيينة : ما هذا ؟ قالوا : لقينا من هذا البرج ، ما فارقنا بسحر إلى الآن ، وأخذ كلُّ شيء كان في أيدينا . فقال عيينة : لولا أنه يرى أن وراءه طلباً لقد ترككم ، ليقيم إليه نفر منكم . فصعد إليّ أربعة ، فلما سمعتهم الصوت ، قلت : أتعرفوني ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قلت : أنا ابنُ الأكوع . والذي أكرم وجه محمد ﷺ لا يطلبني رجل منكم فيدركني ، ولا أطلبه فيفوتني . فقال رجل منهم : إني أظن . فما برحتُ ثم ، حتى نظرتُ إلى فوارس رسول الله ﷺ يتخلَّلون الشجر وإذا أولهم الأخرم الأسدي ، وأبو قتادة ، والمقداد ؛ فولَّى المشركون . فأنزل ، فأخذتُ بعنان فرس الأخرم ، لا آمن أن يقتطعوك ، فاتَّيْتُ حتى يلحقك المسلمون ؛ فقال : ياسلمة ! إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم أن الجنة حق والنار حق ، فلا تحلُ بيني وبين الشهادة ، فخلَّيتُ عنان فرسه ، ولحقَ بعبد الرحمن بن عيينة ، فاختلفا طعنتين ، فعقر الأخرم بعبد الرحمن فرسه ، ثم قتله عبد الرحمن ، وتحولَ عبد الرحمن على فرس الأخرم ، فيلحق أبو قتادة بعبد الرحمن ، فاختلفا طعنتين فعقرَ بأبي قتادة ، فقتله أبو قتادة ، وتحولَ على فرسه .

وخرجتُ أعدو في أثر القوم حتى ما أرى من غبار أصحابنا شيئاً ، ويعرضون قبيل المغيب إلى شعب فيه ماء يقال له : « ذو قرد » ^(١) ، فأبصروني أعدو وراءهم ، فعطفوا

(١) ذو قرد : ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر ، وقال البخاري في « صحيحه » : وهي الغزوة التي أغاروا فيها على لقاح النبي ﷺ قبل خيبر بثلاث [ليال] . قال الحافظ : كذا جزم به ، ومستنده في ذلك حديث إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، فإنه قال في آخر الحديث الطويل الذي أخرجه مسلم من طريقه ، قال : فرجعنا ، أي : من الغزوة إلى المدينة ، فوالله ما لبثنا بالمدينة إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر ، وأما ابن سعد ، فقال : كانت غزوة ذي قرد في ربيع الأول سنة ست قبل الحديبية ، وقيل في جمادى الأولى ، وعن ابن إسحاق : في شعبان منها .

عنه ، وأسندوا في الثَّنيَّة ، وغربت الشمسُ ، فألحقَ رجلاً ، فأرميه ؛ فقلتُ : خذها وأنا ابنُ الأَكُوْع ، واليوم يوم الرُّضْع . فقال : يائِثُ كُلِّ أُمِّي أَكُوْعِي بُكْرَةَ ؟ قلتُ : نعم ياعدوْ نفسه . وكان الذي رميته بُكْرَةَ ، فأتبعته سهياً آخر ، فعلقَ به سهمان . ويخلفون فرسين ، فسقتهما إلى رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي خلَّيْتُهُمْ عنه - « ذو قرد » - وهو في خمس مئة ، وإذا بلالٌ نحرَ جَزَوراً مما خلفتُ ، فهو يشوي لرسول الله ﷺ ، فقلتُ : يارسولَ الله ! خلَّني فأنتخبُ من أصحابك مئة ، فأخذَ عليهم بالعشوة ، فلا يبقى منهم مُخبَّر . قال : « أكنت فاعلاً يا سَلَمَةَ ؟ » قلتُ : نعم . فضحك حتى رأيتُ نواجذه في ضوء النار . ثم قال : إنهم يُقَرُّونَ الآن بأرضِ عَطَفَان .

قال : فجاء رجلٌ ، فأخبر أنهم مَرُّوا على فلان الغطفاني ، فنحروا لهم جَزَوراً ، فلما أخذوا يكشطون جلدها ، رأوا غبرةً ، فهربوا . فلما أصبحنا ، قال رسولُ الله ﷺ : « خيرُ فُرسَاننا أبو قتادة ، وخيرَ رَجَالِنَا سَلَمَةُ » وأعطاني سهمَ الراجلِ والفارسِ جميعاً . ثم أردفني وراءه على العُضْبَاءِ راجعين إلى المدينة .

فلما كان بيننا وبينها قريباً من ضَحوة ، وفي القوم رجلٌ كان لا يُسَبِّقُ جعلَ يُنادي : ألا رجلٌ يُسابقُ إلى المدينة ؟ فأعاد ذلك مراراً . فقلتُ : ما تكريمٌ كريماً ولا تهابُ شريفاً ؟ قال : لا ، إلا رسولُ الله ﷺ . فقلتُ : يارسولَ الله بأبي وأمي ، خلَّني أسأله . قال : إن شئت . وقلتُ : امض .

وصبرتُ عليه شرفاً أو شرفَيْن حتى استبقيتُ نفسي ، ثم إنني عدوتُ حتى ألحقه ، فأصكُّ بين كتفيه ، وقلتُ : سبقتك والله ، أو كلمةً نحوها ، فضحك ، وقال : إن أظنُّ ، حتى قدمنا المدينة . اهـ .

هكذا ذكره الذهبي وهو عند مسلم بأطول منه .

٢١٨٧ - * روى البخاري عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : « غزوتُ مع رسولِ الله ﷺ سبعَ غزوات ، فذكر خيبر ، والحديبية ، ويومَ حُنين ، ويومَ القَرَد ، قال يزيد بن

٢١٨٧ - البخاري (٧ / ٥١٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٥ - باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحركات من جهينة .

أبي عبيد : ونسيتُ بقيَّتَهُم .

وفي رواية ^(١) : أنه سمعه يقول : غزوتُ معَ رسولِ الله ﷺ سبعَ غزواتٍ ، وخرجتُ فيما يَبْعَثُ من البعوثِ تسعَ غزواتٍ ، مرةً علينا أبو بكر ، ومرةً علينا أسامة .

٢١٨٨ - * روى ابن سعد عن عبد الرحمن بن رزين ، قال : أتينا سلمة بن الأكوع بالربذة ، فأخرج إلينا يداً ضخمةً كأنها خفُ البعير ، فقال : بايعتُ بيدي هذه رسولَ الله ﷺ . قال : فأخذنا يده ، فقبَّلناها .

٢١٨٩ - * روى الطبراني عن إياس بن سلمة عن أبيه قال : أردفني رسولُ الله ﷺ مراراً ، ومسحَ على وجهي مراراً ، واستغفر لي مراراً عددَ ما في يدي من الأصابع .

٢١٩٠ - * روى البخاري ومسلم عن سلمة بن الأكوع : أنه دخلَ على الحجاج فقال : يَا ابْنَ الْأَكُوْعِ ! ائْتَدَدْتَ عَلَى عَقْبَيْكَ ؟ تَعَرَّبْتَ ؟ قَالَ : لَا . وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَذِنَ لِي فِي الْبَثِّ .

وذكر الذهبي في السير ^(٢) عن عبادة بن الوليد أن الحسن بن محمد بن الحنفية قال : اذهبُ بنا إلى سلمة بن الأكوع ، فلنساله ، فإنه من صالحِي أصحابِ النبي ﷺ القُدَم ، فخرجنا نريده ، فلقيناه يقوده قائده . وكان قد كُفَّ بصره .

٢١٩١ - * روى البخاري عن يزيد بن أبي عبيد ، قال : لما قُتل عثمان ، خرج سلمة إلى

(١) البخاري في نفس الموضع السابق .

ومسلم (٣ / ١٤٤٨) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٤٩ - باب عدد غزوات النبي ﷺ .

٢١٨٨ - الطبقات الكبرى (٤ / ٣٠٦) وإسناده حسن .

٢١٨٩ - المعجم الكبير (٧ / ٢٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٦٣) رجاله رجال الصحيح غير علي بن يزيد بن أبي حكمة وهو ثقة .

٢١٩٠ - البخاري (١٣ / ٤٠) ٩٢ - كتاب الفتن - ١٤ - باب التفرب في الفتنة .

ومسلم (٣ / ١٤٨٦) ٣٣ - كتاب الإمارة - ١٩ - باب تحريم رجوع المهاجر إلى استيطان وطنه .

(٢) السير (٣ / ٣٣١) ورواه ابن عساكر في تاريخه .

٢١٩١ - * البخاري (١٣ / ٤٠) ٩٢ - كتاب الفتن - ١٤ - باب التفرب في الفتنة .

٢٠٦٣

الرَّيْذَةُ ، وتزوَّجَ هناك امرأةً ، فولدت له أولاداً ، فلم يزل بها حتى قبل أن يموت بليالٍ ،
نزلَ المدينة .

* * *

الرَّيْذَةُ : من قرى المدينة على ثلاثة أميال قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيدٍ تريد
مكة . قال الحافظ في « الفتح » : ويستفاد من هذه الرواية مدة سكْنى سلة البادية وهي نحو الأربعين سنة ،
لأن قتل عثمان كان في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، وموت سلمة سنة أربع وسبعين على الصحيح .

٦٠ - أبو الدرداء رضي الله عنه

قال ابن حجر في الإصابة : عويمر أبو الدرداء .. مشهور بكنيته وباسمه جميعاً واختلف في اسمه فقيل هو عامر وعويمر لقب حكاه عمرو بن الغلاس عن بعض ولده وبه جزم الأصمعي في رواية الكديمي عنه واختلف في اسم أبيه فقيل عامر أو مالك أو ثعلبة أو عبد الله أو زيد وأبوه ابن قيس بن أمية بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي . قال أبو شهر عن سعيد بن عبد العزيز : أسلم يوم بدر وشهد أحداً وأبلى فيها ، قال صفوان بن عمر . وعن شريح بن عبيد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد : نعم الفارس عويمر ، وقال هو حكيم أمي . وقال ابن حبان : ولاء معاوية قضاء دمشق في خلافة عمر . قال أبو شهر عن سعيد بن عبد العزيز : مات أبو الدرداء وكعب الأبحار لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ، وقال الواقدي وجماعة مات سنة اثنتين وثلاثين ، وقال ابن عبد البر إنه مات بعد صفين والأصح عند أصحاب الحديث أنه مات في خلافة عثمان ا هـ .

قال الذهبي : أبود الدرداء ، الإمام القدوة . قاضي دمشق ، وصاحب رسول الله ﷺ ، أبو الدرداء عويمر بن زيد بن قيس ، ويقال : عويمر بن عامر ، ويقال : ابن عبد الله . وقيل : ابن ثعلبة بن عبد الله - الأنصاري الخزرجي . حكيم هذه الأمة . وسيّد القراء بدمشق .

وقال ابن أبي حاتم : هو عويمر بن قيس بن زيد بن قيس بن أمية بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج . قال : ويقال : اسمه عامر بن مالك .

روى عن النبي ﷺ عِدَّةُ أحاديث ، وهو معدود فيمن تلا على النبي ﷺ ، ولم يبلغنا أبداً أنه قرأ على غيره ، وهو معدود فيمن جمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ ، وتصدّر للإقراء بدمشق في خلافة عثمان ، وقبل ذلك ، وقرأ عليه عَطِيَّةُ بن قيس ، وأم الدرداء .

وقال أبو عمرو الداني : عَرَضَ عليه القرآن ، خَلِيدُ بن سعد ، وراشدُ بن سعد ، وخالدُ ابن مَعْدَان ، وابنُ عامر . كذا قال الداني . وَوَلِيَ القَضَاءَ بدمشق ، في دولة عُثْمَانَ . فهو أولُ من ذَكَرَ من قَضَاتِها ، ودَاوَةَ بباب البريد . ثم صارت في دولة السلطان صلاح الدين تُعرَفُ

بدار الغزي .

وأخر من زعم أنه رأى أبا الدرداء ، شيخ عاش إلى دولة الرشيد ، فقال أبو إبراهيم الترمذاني : حدثنا إسحاق أبو الحارث ، قال : رأيت أبا الدرداء أقفى أشهل يخضب بالصفرة .

عن خيثمة : قال أبو الدرداء : كنت تاجراً قبل المبعث ، فلما جاء الإسلام ، جمعت التجارة والعبادة ، فلم يجتمعا ، فتركت التجارة ، ولزمت العبادة ^(١) .

قلت [القائل الذهبي] : الأفضل جمع الأمرين مع الجهاد ، وهذا الذي قاله ، هو طريق جماعة من السلف والصوفية ، ولا ريب أن أمزجة الناس تختلف في ذلك ، فبعضهم يقوى على الجمع ، كالصديق ، وعبد الرحمن بن عوف ، وكما كان ابن المبارك ؛ وبعضهم يعجز ، ويقتصر على العبادة ، وبعضهم يقوى في بدايته ، ثم يعجز ، وبالعكس ؛ وكل سائغ . ولكن لا بد من النهضة بحقوق الزوجة والعيال .

قال سعيد بن عبد العزيز : أسلم أبو الدرداء يوم بدر ، ثم شهد أحد وأمره رسول الله ﷺ يومئذ أن يرد من على الجبل ، فردهم وحده . وكان قد تأخر إسلامه قليلاً .

قال شريح بن عبيد المحصي : لما هزم أصحاب رسول الله يوم أحد ، كان أبو الدرداء يومئذ فيمن فاء إلى رسول الله في الناس ، فلما أظلمهم المشركون من فوقهم ، قال رسول الله : « اللهم ، ليس لهم أن يعلونا » فثاب إليه ناس ، وانتدبوا ^(٢) ، وفيهم عويمر أبو الدرداء ، حتى أدهضهم ^(٣) عن مكانهم ، وكان أبو الدرداء يومئذ حسن البلاء . فقال رسول الله : نعم الفارس عويمر .

وقال [رسول الله ﷺ] « حكيم أمي عويمر » ! هذا رواه يحيى البائلقي : حدثنا صفوان بن عمرو ، عن شريح ، عن أنس : مات النبي ﷺ ، ولم يجمع القرآن غير أربعة :

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٧ / ٣٩١) .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٦٧) وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

(٢) انتدبوا : أسرعوا .

(٣) أدهضهم : أزالهم .

أبو الدرداء ، ومعاذ ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد ^(١) .

عن الشعبي : جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، وهم من الأنصار : معاذ ، وأبو الدرداء ، وزيد ، وأبو زيد ، وأبي ، وسعد بن عبيد ^(٢) .

قال أبو الزاهرية : كان أبو الدرداء من آخر الأنصار إسلاماً ، وكان يعبد صنماً ، فدخل ابن رواحة ، ومحمد بن مسلمة بيته ، فكسرا صنمه ، فرجع فجعل يجمع الصنم ، ويقول : ويحك ! هلا امتنعت ! ألا دفعت عن نفسك ، فقالت أم الدرداء : لو كان ينفع أو يدفع عن أحد ، دفع عن نفسه ونفعها !

فقال أبو الدرداء : أعد لي ماء في المغتسل . فاغتسل ، ولبس حلتته ثم ذهب إلى النبي ﷺ : فنظر إليه ابن رواحة مقبلاً ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو الدرداء ، وما أراه إلا جاء في طلبنا ؟ فقال : « إنما جاء ليسلم ، إن ربي وعدني بأبي الدرداء أن يسلم .

عن جابر ، عن أبي الدرداء : قال النبي ﷺ : « إن الله وعدني إسلام أبي الدرداء فأسلم » .

عن سعيد بن عبد العزيز : أن أبا الدرداء أسلم يوم بدر ، وشهد أحداً . وفرض له عمر في أربع مئة - يعني في الشهر - ألحقه في البدرين .

عن مكحول : كانت الصحابة يقولون : أرحمنا بنا أبو بكر ؛ وأنطقنا بالحق عمر ؛ وأميننا أبو عبيدة ؛ وأعلمنا بالحرام والحلال معاذ ؛ وأقرأنا أبي ، ورجل عنده علم ابن مسعود ، وتبعهم غویر أبو الدرداء بالعقل .

وقال ابن إسحاق : كان الصحابة يقولون : أتبعنا للعلم والعمل أبو الدرداء ^(٣) .

وروى عون بن أبي حنيفة ، عن أبيه : أن رسول الله ﷺ أخى بين سلمان وأبي الدرداء ؛ فجاءه سلمان يزوره ، فإذا أم الدرداء متبذلة ، فقال : ما شأنك ؟ قالت : إن أخاك لا

(١) رواه البخاري (٩ / ٤٧) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن - ٨ - باب القراء من أصحاب النبي ﷺ .

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٢ / ٣٥٥) ورجاله ثقات ، وسنده صحيح مع إرساله .

(٣) رواه البخاري في تاريخه (٧ / ٧٧) .

حاجة له في الدنيا ، يقوم الليل ، ويصوم النهار . فجاء أبو الدرداء ، فرحب به ، وقرب إليه طعاماً . فقال له سلمان : كُلْ . قال : إني صائم . قال : أقسمت عليك لتفطرن ، فأكل معه ، ثم بات عنده ، فلما كان من الليل ، أراد أبو الدرداء أن يقوم ، فنعه سلمان وقال : إن لجسدك عليك حقاً ، ولربك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ؛ صم ، وأفطر ، وصل ، وائت أهلك ، وأعط كل ذي حق حقه .

فلما كان وجه الصبح ، قال : قم الآن إن شئت ؛ فقاما ، فتوضا ، ثم ركعا ، ثم خرجا إلى الصلاة ، فدنا أبو الدرداء ليخبر رسول الله بالذي أمره سلمان . فقال له : « يا أبا الدرداء ، إن لجسدك عليك حقاً ، مثل ما قال لك سلمان » ^(١) .

قال أبو الدرداء : لو أنسيت آية لم أجد أحداً يذكرنيها إلا رجلاً بيزك الغنادر ^(٢) ، رحلت إليه .

عن أبي الدرداء ، قال : سلوني ، فوالله لئن فقدتوني لتفقدن رجلاً عظيماً من أمة محمد ﷺ .

عن يزيد بن عَميرة ، قال : لما حضرت معاذاً الوفاة ، قالوا : أوصنا . فقال : العلم والإيمان مكانهما ، من ابتغاهما وجدهما - قالها ثلاثاً - فالتسوا العلم عند أربعة : عند عويمر أبي الدرداء ، وسلمان ، وابن مسعود ، وعبد الله بن سلام ، الذي كان يهودياً فأسلم .

عن عبد الرحمن الحجري ، قال : قال أبو ذر لأبي الدرداء : ما حملت ورقاء ، ولا أظلت خضراء ^(٣) ، أعلم منك يا أبا الدرداء .

عن مسروق : قال : وجدت علم الصحابة انتهى إلى ستة : عمر ، وعلي ، وأبي ، وزيد ،

(١) رواه البخاري (٢٠٩ / ٤) - كتاب الصوم - ٥١ - باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع .

والترمذي (٦٠٨ / ٤) - ٣٧ - كتاب الزهد ، باب : ٦٣ .

مبتذلة : لابس ثياب البذلة وهي المهنة .

(٢) برك الغنادر : موضع بناحية اليمن ، وقيل : هو موضع في أقاصي أرض هجر .

(٣) الورقاء : الغبراء ، أراد بها الأرض ، والخضراء : السماء .

وأبي الدرداء ، وابن مسعود ؛ ثم انتهى عليهم إلى عليٍّ ، وعبدِ الله ^(١) .

وقال خالد بن معدان : كان ابنُ عمر يقول : حدثونا عن العاقلين فيقال : من العاقلان ؟ فيقول : معاذ ، وأبو الدرداء ^(٢) .

عن محمد بن كعب ، قال : جمع القرآن خمسة : معاذٌ ، وعُبادَةُ بنُ الصامت ، وأبو الدرداء ، وأبيُّ ، وأبو أيوب . فلما كان زمنُ عمرَ ، كتب إليه يزيدُ بنُ أبي سفيان : إنَّ أهل الشام قد كثروا ، وملؤوا المدائن ، واحتاجوا إلى من يَعْلَمُهم القرآن وَيُفْقَهُهم . فأعني برجال يَعْلَمُونهم . فدعا عمرُ الخمسة ؛ فقال : إنَّ إخوانكم قد استعانوني من يَعْلَمُهم القرآن ، وَيُفْقَهُهم في الدين ، فأعينوني يرحمكم الله بثلاثة منكم إن أحببتم ، وإن انتدب ثلاثة منكم فليخرجوا .

فقالوا : ما كنا لتساهم ، هذا شيخٌ كبير - لأبي أيوب - وأما هذا فسقيم - لأبي - فخرج معاذٌ ، وعُبادَةُ ، وأبو الدرداء .

فقال عمرُ : ابدؤوا بحمص ، فإنكم ستجدون الناسَ على وجوه مختلفة ، منهم من يلقنُ ، فإذا رأيتم ذلك ، فوجهوا إليه طائفة من الناس ، فإذا رضيتم منهم ، فليقم بها واحد ، وليخرج واحد إلى دمشق ، والآخر إلى فلسطين . قال : فقدموا حمص فكانوا بها ؛ حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عُبادَةُ بنُ الصامت ؛ وخرج أبو الدرداء إلى دمشق ، ومعاذٌ إلى فلسطين . فمات في طاعون عمواس ، ثم صارَ عبادةً بعدُ إلى فلسطين وبها مات . ولم يزل أبو الدرداء بدمشق حتى مات ^(٣) .

عن يحيى بن سعيد ، قال : كان أبو الدرداء ، إذا قضى بين اثنين ، ثم أدبرا عنه ، نظر

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٢ / ٢٥١) وإسناده صحيح .

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٢ / ٢٥٠) ورجاله ثقات .

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (٢ / ٢٥٦) والبخاري في التاريخ الصغير (١ / ٤١) .

تساهم : تتقارع من القرعة .

يلقنُ : يفهم .

عموَّاس : قرية على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس ، وطاعون عمواس كان في سنة ١٨ هـ وفيه استشهد أبو عبيدة ومعاذ بن جبل ، ويزيد بن أبي سفيان وغيرهم .

إليهما ، فقال : ارجعا إليّ ، أعيذاً عليّ قضيتكما .

عن ابن أبي ليلى ، قال : كتب أبو الدرداء إلى مسلمة بن مخلد : سلام عليك . أما بعد ، فإن العبد إذا عمل بعصية الله ، أبغضه الله ؛ فإذا أبغضه الله ، بغضه إلى عباده .

عن أبي الدرداء : إني لأمركم بالأمر وما أفعله ، ولكن لعل الله يأجرني فيه .

سعد بن إبراهيم ، عن أبيه : أن عمر قال لابن مسعود وأبي ذر ، وأبي الدرداء : ما هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ؟ وأحسبه حبسهم بالمدينة حتى أصيب . الذهبي . اهـ .

أقول : كان مذهب عمر أن يقلل الحديث عن رسول الله ﷺ إلا فيما لا بد منه كي لا ينشغل الناس عن القرآن ، وكان يحب أن لا يتفرق الصحابة بالأمصار كي تبقى حوله نخبة من الصحابة يستشيرها ، وكي تبقى للعاصمة مركزيتها القوية .

قال الذهبي : عن مسلم بن مشكم قال لي أبو الدرداء : اعدد من في مجلسنا . قال : فجاؤوا ألفاً وست مئة ونيّفاً . فكانوا يقرؤون ويتسابقون عشرة عشرة ، فإذا صلى الصبح ، انفتل وقرأ جزءاً ؛ فيحديقون به يسمعون ألفاظه . وكان ابن عامر مقدماً فيهم ^(١) .

يزيد بن أبي مالك ، عن أبيه ، قال : كان أبو الدرداء يصلي ، ثم يقرئ ويقرأ ، حتى إذا أراد القيام ، قال لأصحابه : هل من ولية أو عقيقة ^(٢) نشهدها ؟ فإن قالوا : نعم ، وإلا قال : اللهم ، إني أشهدك أني صائم . وهو الذي سنّ هذه الحلق للقراءة .

وعن يزيد بن معاوية قال : إن أبا الدرداء من العلماء والفقهاء ، الذين يشفون من الداء .

وقال الليث ، عن رجل عن آخر : رأيت أبا الدرداء دخل مسجد النبي ﷺ ومعه الأتباع مثل السلطان : فمن سائل عن فريضة ، ومن سائل عن حساب ، وسائل عن حديث ، وسائل عن مفضلة ، وسائل عن شعر .

(١) رجاله ثقات .

(٢) العقيقة : هي الشاة التي تذبح عن الولد في اليوم السابع من ولادته .

قال ربيعة بن يزيد القصير : كان أبو الدرداء إذا حدث عن رسول الله قال : اللهم إن لا هكذا ، وإلا فكشكليه .

قال أبو الدرداء : مالي أرى علماءكم يذهبون ، وجهالكم لا يتعلمون ! تعلموا ، فإن العالم والمتعلم شريكان في الأجر .

وعن أبي الدرداء ، من وجه مرسل : لن تكون عالماً حتى تكون متعلماً ، ولا تكون متعلماً حتى تكون بما علمت عاملاً ؛ إن أخوف ما أخاف إذا وقفت للحساب أن يقال لي : ما علمت فيما علمت ؟ .

قال أبو الدرداء : ويل للذي لا يعلم مرة ، وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات .
عن عون بن عبد الله : قلت لأبي الدرداء : أي عبادة أبي الدرداء كانت أكثر ؟ قالت : التفكير والاعتبار .

وعن أبي الدرداء : تفكر ساعة خير من قيام ليلة .

عن ابن خلبس : قيل لأبي الدرداء - وكان لا يفتر من الذكر - : كم تسبح في كل يوم ؟ قال : مئة ألف ، إلا أن تخطيء الأصابع .

عن بلال بن سعد ، أن أبا الدرداء قال : أعوذ بالله من تفرقة القلب . قيل : وما تفرقة القلب ؟ قال : أن يجعل لي في كل واد مال .

روى عن أبي الدرداء ، قال : لولا ثلاث ما أحببت البقاء : ساعة ظمأ الهواجر ، والسجود في الليل ، ومجالسة أقوام ينتقون جيد الكلام كما ينتقى أطايب الشر .

عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبيه : أن أبا الدرداء أوجعت عينه حتى ذهب ، فقيل له : لو دعوت الله ؟ فقال : ما فرغت بعد من دعائه لذنوبي ؛ فكيف أدعو لعيني ؟ .

حريز بن عثمان : حدثنا راشد بن سعد ، قال : جاء رجل إلى أبي الدرداء فقال : أوصني . قال : اذكر الله في السراء يذكرْك في الضراء ؛ وإذا ذكرت الموتى ، فاجعل نفسك

كأحدهم ، وإذا أشرفتُ نَفْسُكَ على شيء ^(١) من الدنيا ، فانظرْ إلى ما يصير .

عن عبدِ الله بنِ مَرَّة ، أنَّ أبا الدرداء قال : اعبد الله كأنك تراه وعُدْ نَفْسُكَ في الموتى ، وإياكَ ودعوة المظلوم ، واعلم أنَّ قليلاً يَغْنِيكَ خيرٌ من كثيرٍ يُلْهِيكُ ، وأنَّ البرَّ لا يَبْثُلُ ، وأنَّ الإثمَ لا يُنْسَى .

عن أبي الدرداء : إياك ودعوات المظلوم ؛ فإنَّهُنَّ يَصْعَدْنَ إلى الله كأنهن شراراتٌ من نار .
وروى لقمانُ بنُ عامر ، أن أبا الدرداء قال : أهلُ الأموال يأكلون ونأكل ، ويشربون ونشرب ، ويلبسون وتلبس ، ويركبون ونركب ، ولهم فضول أموال ينظرون إليها ، وننظرُ إليها معهم ، وحسائهم عليها ونحنُ منها بُراء .

وعنه ، قال : الحمد لله الذي جعل الأغنياء يَتَمَنُّونَ أنهم مثلنا عند الموت ، ولانتمنَّيْ أننا مثلهم حينئذ ، ما أنصفنا إخواننا الأغنياء : يُحِبُّونَا على الدين ، وَيُعَادُونَا على الدنيا .

قال : لما فَتَحْتُ قَبْرِس ، مَرَّ بالسَّيِّ على أبي الدرداء ، فبكى ، فقلتُ له : تبكي في مثل هذا اليوم الذي أَعَزَّ اللهُ فيه الإسلامَ وأهله ؟ قال : يا جَبِير ، بينا هذه الأمة قاهرة ظاهرة إذ عَصَوْا الله ، فلقوا ما ترى . ما أهونَ العبادَ على الله إذا هم عصوه .

عن أمِّ الدرداء ، قالت : كان لأبي الدرداء ستون وثلاث مئة خليل في الله . يدعوهم في الصلاة ، فقلتُ له في ذلك ، فقال : إنه ليس رجلٌ يدعو لأخيه في الغيب ، إلا وَكَّلَ اللهُ به ملكين يقولان : ولك بمثل . أفلا أرغبُ أنْ تدعو لي الملائكة ^(٢) .

قالت أمُّ الدرداء : لما احتَضِرَ أبو الدرداء ، جعل يقولُ : من يعملُ لمثل يومي هذا ؟ من يعملُ لمثل مضجعي هذا ؟ .

عن يزيد بن مَزِيد ، قال : ذُكِرَ الدُّجَالُ في مجلس فيه أبو الدرداء فقال توف

(١) وإذا أشرفت نَفْسُكَ على شيء : أي تطلعت إليه .

(٢) أقول : هذا محمول على الدعاء في صلاة .

البِكَالِي^(١) : إني لغير الدجال أخوف مني من الدجال . فقال أبو الدرداء : وما هو ؟ قال : أخاف أن أَسْتَلَبَ إيماني وأنا لأشعر . فقال أبو الدرداء : ثكلتك أمك يا ابن الكندية ! وهل في الأرض خسون يَتَخَوِّفُونَ ما تَتَخَوِّفُ ؟ ثم قال : وثلاثون ، وعشرون ، وعشرة ، وخسة . ثم قال : وثلاثة . كل ذلك يقول : ثكلتك أمك ! والذي نفسي بيده ما آمن عبدٌ علي إيمانه إلا سَلَبَهُ ، أو انتزع منه فيفقدته . والذي نفسي بيده ما الإيمان إلا كالقميص يتقمصه مرة ويضعه أخرى .

وقيل : الذين في حلقة إقراء أبي الدرداء كانوا أزيد من ألف رجل ، ولكل عشرة منهم ملقن ، وكان أبو الدرداء يطوف عليهم قائماً ، فإذا أحكم الرجل منهم ، تحول إلى أبي الدرداء - يعني يعرض عليه .

وعن أبي الدرداء ، قال : من أكثر ذكر الموت قل فرحة ، وقل حسده .

قال الواقدي ، وأبو مسهر ، وابن نمير : مات أبو الدرداء سنة اثنتين وثلاثين .

وعن خالد بن معدان ، قال : مات سنة إحدى وثلاثين .

فهذا خطأ ، لأن الثوري روى عن الأعمش ، عن عمارة بن عمير ، عن حريث بن ظهير ، قال : لما جاء نعي - يعني ابن مسعود - إلى أبي الدرداء ، قال : أما إنه لم يخلف بعده مثله ! ووفاة عبد الله في سنة ٣٢ .

وروى إسماعيل بن عبيد الله ، عن أبي عبيد الله الأشعري ، قال : مات أبو الدرداء قبل مقتل عثمان ، رضي الله عنهما مات قبل عثمان بثلاث سنين . أهد الذهبي .

وروى أبو زرعة في تاريخ دمشق عن الأوزاعي قال : مات أبو الدرداء وكعب الأحمار في خلافة عثمان لسنتين من خلافته .

٢١٩٢ - * وروى الطبراني عن أبي الدرداء قلت : يا رسول الله بلغني أنك تقول : إن قوماً من أمتي سيكفرون بعد إيمانهم ؟ قال : « أجل يا أبا الدرداء ولست منهم » .

(١) هو ابن امرأة كعب الأحمار .

٢١٩٢ - أورده الميمني في مجمع الزوائد (٩ / ٣٦٧) وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح غير أبي عبد الله الأشعري وهو ثقة .

٦١ - عبد الله بن الأرقم رضي الله عنه

قال ابن حجر في ترجمته : عبد الله بن الأرقم بن أبي الأرقم واسمه عبد يغوث بن وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري .. قال البخاري : عبد يغوث جده وكان خال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أسلم يوم الفتح وكتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولأبي بكر وعمر وكان على بيت المال أيام عمر وكان أميراً عنده . حديث حفصة أنه قال لها : لولا أن ينكر علي قومك لاستخلفت عبد الله بن الأرقم وقال السائب بن يزيد ما رأيت أخشى الله منه وأخرج البغوي عن عبد الله بن الزبير أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استكتب عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث وكان يجيب عنه الملوك وبلغ من أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتب إلى بعض الملوك فيكتب ويختم ولا يقرأه لأمانته عنده واستكتب أيضاً زيد بن ثابت وكان يكتب الوحي وكان إذا غاب بن الأرقم وزيد بن ثابت واحتاج أن يكتب إلى أحد أمر من حضر أن يكتب فمن هؤلاء عمر وعلي وخالد بن سعيد والمغيرة ومعاوية ، ومن طريق محمد بن صدقة الفديكي عن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن أبيه قال قال عمر : كتب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتاب فقال لعبد الله بن الأرقم الزهري أجب هؤلاء عني فأخذ عبد الله الكتاب فأجابهم ثم جاء به فعرضه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أصبت قال عمر : فقلت رضي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما كتبت فما زالت في نفسي يعني حتى جعلته على بيت المال وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وعنه عبد الله بن عتبة بن مسعود وأسلم مولى عمر ويزيد بن قتادة وعروة قال ابن السكن : توفي في خلافة عثمان وهو مقتضى صنيع البخاري في تاريخه الصغير ، ووقع في ثقات ابن حبان أنه توفي سنة أربع وأربعين وهو وهم ، وقال مالك : بلغني أن عثمان أجاز عبد الله بن الأرقم بثلاثين ألفاً فأبى أن يقبلها وقال : إنما عملت لله . وأخرج البغوي من طريق ابن عيينة عن عمرو بن دينار : استعمل عثمان عبد الله بن الأرقم على بيت المال فأعطاه عمالة ثلاثمائة ألف فأبى أن يقبلها فذكر نحوه . ١ هـ .

وقال الذهبي في ترجمته : من مُسَلِّمَةِ الفتح ، وكان من حَسَنِ إسلامه ، وكتب للنبي ﷺ ، ثم كتب لأبي بكر ، ولعمر ، وولاه عمر بيت المال ، وولي بيت المال أيضاً لِعُثْمَانَ

مدة ، وكان من جُلَّةِ الصحابة وصلحاءهم .

وروي عن عمر أنه قال لعبدِ الله بن الأرقم : لو كَانَتْ لَكَ سَابِقَةٌ ، مَا قَدَّمْتُ عَلَيْكَ أَحَدًا ! وكان يقول : مَا رَأَيْتُ أَخْشَى لِلَّهِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَرْقَمِ .

وروى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبيه ، قال : والله ما رأيت رجلاً قط كان أَخْشَى لِلَّهِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَرْقَمِ . ا هـ .

٦٢ - عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه

قال ابن حجر : عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان بن عبد الله بن همام الثقفي أبو عبد الله نزيل البصرة .. أسلم في وفد ثقيف فاستعمله النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الطائف وأقره أبو بكر ثم عمر ثم استعمله عمر على عمان والبحرين سنة خمس عشرة ثم سكن البصرة حتى مات بها في خلافة معاوية ، قيل سنة خمس وقيل سنة إحدى وخمسين ، وكان هو الذي منع ثقيفاً عن الردة خطبهم فقال : كنتم آخر الناس إسلاماً فلا تكونوا أولهم ارتداداً ، وجاء عنه أنه شهد أمانة لما ولدت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي قصة أخرجها البيهقي في الدلائل ، والطبراني من طريق محمد بن أبي سويد الثقفي عنه قال : حدثني أمي فعلى هذا يكون عاش نحواً من مائة وعشرين سنة . روى عثمان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث في صحيح مسلم وفي السنن ، وذكر المزياني في معجم الشعراء أن عثمان بن بشر بن عبد بن دهمان كان قد شد في الجاهلية على عمرو بن معد يكرب فهرب عمرو فقال عثمان :

لعمرك لولا الليل قامت مآتم حواسر يَخْمَشْنَ الوجوة على عمرو
فأفلتتنا فوت الأسنة بعدما رأى الموت والخطي أقرب من شغل

فأدري أهو هذا نسب إلى جده أو هو عمه . اهـ ابن حجر .

وقال الذهبي في السير : عثمان بن أبي العاص الأمير الفاضل المؤمن . أبو عبد الله الثقفي الطائفي .

قدم في وفد ثقيف على النبي ﷺ في سنة تسع . فأسلموا ، وأمره عليهم لما رأى من عقله وحرصه على الخير والدين ، وكان أصغر الوفد سناً .

ثم أقره أبو بكر على الطائف ، ثم عمر ، ثم استعمله عمر على عمان والبحرين ، ثم قدمه [أمره] على جيش ، فافتتح تَوْج^(١) ، ومصرها ، وسكن البصرة .

(١) توج : مدينة بفارس وكان فتحها سنة ٢١ .

ذكره الحسن البصري ، فقال : ما رأيت أحداً أفضل منه وكانت أمه قد شهدت ولادة رسول الله ﷺ .

حدث عنه : سعيد بن المسيب ، ونافع بن جبير بن مطعم ، ويزيد ، ومطرف : ابنا عبد الله بن الشخير ، وموسى بن طلحة ، وآخرون . اهـ ذهبي .

٢١٩٣ - * روى الطبراني عن عثمان بن أبي العاص قال : قدمت في وفد ثقيف حين قدموا على رسول الله ﷺ فلبسنا حللنا بباب النبي ﷺ ، فقالوا من يسك لنا رواحنا ؟ فكل القوم أحب الدخول على النبي ﷺ وكره التخلف عنه . قال عثمان : وكنت أصغرهم فقلت : إن شئتم أمسكت لكم على أن عليكم عهد الله لتمسكن لي إذا خرجتم ؟ قالوا : فذلك لك ، فدخلوا عليه ثم خرجوا ، فقالوا : انطلق بنا ، قلت : أين ؟ قالوا : إلى أهلك ، فقلت : خرجت من أهلي حتى إذا حللت بباب النبي ﷺ أرجع ولا أدخل عليه وقد أعطيتوني ما قد علمت ، قالوا فاعجل فإننا قد كفيناك المسألة فلم ندع شيئاً إلا سألناه فدخلت ، فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يفقهني في الدين ويعلمني ، قال : « ماذا قلت » فأعدت عليه القول ، فقال : « لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد من أصحابك ، اذهب فأنت أمير عليهم وعلى من يقدم عليك من قومك » .

٢١٩٤ - * روى مسلم عن عثمان بن أبي العاص الثقفي : أن النبي ﷺ قال له : « أم قومك » قال قلت : يا رسول الله ! إني أجد في نفسي شيئاً . قال : « أدنه » فجلست بين يديه ، ثم وضع كفّه في صدري بين يدي . ثم قال : « تحوّل » فوضعتها في ظهري بين كتفي ثم قال : « أم قومك » . فمن أم قوماً فليخفف ، فإن فيهم الكبير ، وإن فيهم المريض وإن فيهم الضعيف ، وإن فيهم ذا الحاجة ، وإذا صلى أحدكم وحده ، فليصل كيف شاء » .

٢١٩٣ - أورده الميثقي في جمع الزوائد (٣٧٠ / ٩) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير حكيم بن حكيم بن عباد وقد وثق . وقال عنه في التزيين : صدوق .

٢١٩٤ - مسلم (١ / ٣٤١) ٤ - كتاب الصلاة - ٣٧ - باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام .

٢١٩٥ - * روى أبو داود والنسائي عن عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ قَالَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْنِي إِمَامَ قَوْمِي فَقَالَ : « أَنْتَ إِمَامُهُمْ وَاقْتَدِ بِأَضْعَفِهِمْ وَاتَّخِذْ مُؤَدَّنًا لَا يَأْخُذُ عَلَى أَذَانِهِ أَجْرًا » .

٢١٩٦ - * روى الطبراني عن أبي نضرة قال : أتيت عثمان بن أبي العاص في أيام العشر وكان له بيتٌ قد أخلاه للحديث فمر عليه بكبش فقال لصاحبه : بكم أخذته ؟ فقال : باثني عشر درهماً فقلتُ : [أي أبو نضرة] لو كان معي اثنا عشر درهماً اشتريت بها كبشاً فضحيت وأطعمت عيالي ، فلما قَدِمْتُ [إلى بيتي] اتبعني [عثمان] بِصَرَّةٍ فيها خمسون درهماً فما رأيتُ دراهمَ قط كانت أعظمَ بركة منها أعطاني وهو لها محتسب وأنا إليها محتاج .

قال الذهبي : عن عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ : أنه بعث غلاماً له تَجَّاراً ؛ فلما جاؤوا ، قال : ما جئتم به ؟ قالوا : جئنا بتجارة يربح الدرهم عشرة . قال : وما هي ؟ قالوا : خمر . قال : خمر ! وقد نهينا عن شربها وبيعها ، فجعل يفتح أفواه الزُّفَّاق ، وَيَصْبُهَا ^(١) .

توفي رضي الله عنه سنة إحدى وخمسين . ا هـ .

٢١٩٥ - أحمد في مسنده (٢١ / ٤) أبو داود (١٤٦ / ١) كتاب الصلاة ، باب أخذ الأجر على التأذين .

والنسائي (٢٣ / ٢) كتاب الآذان ، باب اتخاذ المؤذن الذي لا يأخذ على أذنه أجراً .

اقتد بأضعفهم : أي لا تطل وصل بقدر طاقة أضعفهم .

٢١٩٦ - أورده الهيثمي في جمع الزوائد (٢٧١ / ٩) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(١) إسناده حسن ، سالم بن نوح صدوق له أوهام ، وباقي رجاله ثقات .

٦٣ - أبو زيد عمرو بن أخطب رضي الله عنه

قال ابن حجر: أبو زيد بن أخطب اسمه عمرو بن أخطب بن رفاعه بن محمود بن يسير ابن عبد الله بن الصيف بن يعمر بن عدي بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن عامر الأنصاري الخزرجي أبو زيد ، مشهور بكنيته وهو جد عذرة بن ثابت لأمه .. أخرج الترمذي من طريق أبي عاصم عن عذرة عن علباء بن أحمر عن أبي زيد بن أخطب قال : مسح النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده على وجهي ودعا لي ، وفي رواية أحمد في هذا الحديث وحده : زادني جلالاً ، قال فأخبرني غير واحد أنه بلغ بضعا ومائة سنة أسود الرأس واللحية وفي رواية لأحد من وجه آخر عن أبي نهيك : حدثني أبو زيد قال : استسقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماء فأتيته بقدح فيه ماء فكانت فيه شعرة فأخذتها فقال : اللهم جملة ، قال فرأيت ابن أربع وتسعين ليس في لحيته شعرة بيضاء ، وصححه ابن حبان والحاكم وعند مسلم من هذا الوجه عن أبي بكر صلى بنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضر الظهر الحديث ، وفي الشمائل للترمذي من الطريق المذكورة عن أبي زيد قال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يا أبا زيد ادن مني امسح ظهري فمسحت ظهره فوضعت أصابعي على الخاتم الحديث وصححه ابن حبان والحاكم . ١ هـ .

قال الذهبي في ترجمته : أبو زيد الأنصاري الخزرجي المدني الأعرج من مشاهير الصحابة الذين نزلوا البصرة ، وله بالبصرة مسجد يُعرف به ، وغزا معه ثلاث عشرة غزوة ^(١) .
توفي في خلافة عبد الملك بن مروان . ١ هـ .

(١) ورواه أحمد في مسنده (٢٤٠ / ٥) ورجاله ثقات .

٦٤ - أبو أمانة الباهلي رضي الله عنه

قال ابن حجر : صُدِّيَ بالتصغير ابن عجلان بن الحارث ويقال ابن وهب ويقال ابن عمرو بن وهب بن غريب بن وهب بن رياح بن الحارث بن معن بن مالك بن الباهلي أبو أمانة . مشهور بكنيته روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن عمر وعثمان وعلي وأبي عبيدة ومعاذ وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت وعمرو بن عَبَسَة وغيرهم . روى عنه أبو سلام الأسود ومحمد بن زياد الألماني وشرحبيل بن مسلم وشداد وأبو عمار والقاسم بن عبد الرحمن وشهر بن حوشب ومكحول وخالد بن معدان وآخرون قال ابن سعد : سكن الشام ، وأخرج الطبراني ما يدل على أنه شهد أحداً لكن بسند ضعيف ، وروى أبو يعلى من طريق أبي غالب عن أبي أمانة قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى قوم فأنتهيت إليهم وأنا طاي وهم يأكلون الدم ، فقالوا : هلم ، قلت : إنما جئت أنهاكم عن هذا ، فبنت وأنا مغلوب ، فأتاني آت يأناء فيه شراب فأخذته وشربته فكظني بطني فشبع ورويت ، ثم قال لهم رجل منهم : أتاكم رجل من سراة قومكم فلم تنجموه فأتوني بلبن فقلت لا حاجة لي به وأريتهم بطني فأسلموا عن آخرهم ، ورواه البيهقي في الدلائل وزاد فيه أنه أرسله إلى قومه باهلة ، وقال ابن حبان كان مع علي بصفين . مات أبو أمانة الباهلي سنة ست وثمانين قال ابن البرقي بغير خلاف ، وأثبت غيره الخلاف فقليل سنة إحدى قاله محمد بن سعد ، وقال عبد الصمد بن سعيد ولما مات خلف ابناً يقال له المغلس ، وله يعني صاحب الترجمة مائة وست سنين فقد صح عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مات وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وأخرج البخاري في تاريخه من طريق عبد الحميد بن ربيعة : رأيت أبا أمانة خرج من عند الوليد بن عبد الملك في ولايته سنة ست وثمانين ومات ابنه الوليد سنة ست وتسعين .

عن يوسف بن حزن الباهلي سمعت أبا أمانة الباهلي يقول : لما نزلت ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ قلت : يا رسول الله أنا ممن بايعك تحت الشجرة قال : أنت مني وأنا منك . وأخرج أبو يعلى عن أبي أمانة أنشأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غزواً فأتيته فقلت : ادع الله لي بالشهادة فقال : اللهم سلمهم وغنهم . الحديث . اهـ.

قال الذهبي عنه : صاحب رسول الله ﷺ ، ونزيل حمص . روى علماً كثيراً ، وحديثاً عن عمر ، ومعاذ ، وأبي عبيدة . قال سُلَيْم بن عامر : سمعتُ أبا أُمَامَةَ ، سمعتُ النبي ﷺ يقولُ في حجة الوداع ، قلتُ لأبي أُمَامَةَ : مثلُ مَنْ أنتَ يومئذ ؟ قال : أنا يومئذ ابنُ ثلاثين سنة .

وروي أنه بايع تحت الشجرة .

رَجَاءُ بنُ حَبِوَةَ ، عن أبي أُمَامَةَ ، قلتُ : يا رسول الله ادعُ الله لي بالشهادة ، فقال : « اللهم سلمهم وغممهم » فغزونا ، فسلمنا ، وغممنا ، وقلتُ : يا رسول الله ، مُرني بعمل . قال : « عَلَيْكَ بالصَّوْمُ فإنه لا مثيلَ له » فكان أبو أُمَامَةَ ، وامرأته وخادمه لا يَلْفُونَ إِلَّا صِيَاماً ^(١) .

مُحَمَّد بن زياد : رأيتُ أبا أُمَامَةَ أتى على رجل في المسجد ، وهو ساجدٌ يبكي ، ويدعو ، فقال : أنت أنت لو كان هذا في بيتك .

سُلَيْم بن عامر قال : كنا نجلسُ إلى أبي أُمَامَةَ ، فيُحدثنا حديثاً كثيراً عن رسول الله ﷺ ، ثم يقول : اعقلوا ، وبلغوا عنا ما تسمعون . اهـ الذهبي .

٢١٩٧ - * روى الطبراني عن أبي أُمَامَةَ قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى قومي فانتهيت إليهم وأنا طارٍ فانتهيت إليهم وهم يأكلون دماً ، فقلت : إنما جئتُ أنْهاكم عن هذا ، فوضعت رأسي فقمتم وأنا مغلوب فأتاني آت في منامي يأناء فيه شراب ، فقال : خذ هذا واشرب ثم كظني بطني فشبعتم ثم رويت ، فسمعتهم يقولون أتاكم رجل من سراة قومكم فلم تنجموه بالمذيقه ، فأتوني بمذيقتهم ، فقلت : لا حاجة لي فيها إن الله أطعمني وسقاني فأريتهم بطني فأسلموا عن آخرهم .

* * *

(١) رواه أحمد في مسنده (٥ / ٢٤٨) وسنده صحيح .

٢١٩٧ - المعجم الكبير (٨ / ٣٣٥) وأورده الهيثبي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٨٧) وقال : رواه الطبراني في الكبير بإسنادين وإسناد أحدهما حسن فيها أبو غالب ، وقد وثق وقال في التقريب : صدوق يخطأ .

٦٥ - عبد الله بن بُسر رضي الله عنه

قال الذهبي في ترجمته : عبد الله بن بسر بن أبي بسر ، الصحابيُّ المعمرُ ، بركة الشام ، أبو صفوان المازني نزيلُ حصص ، وقد غزا جزيرة قُبرس مع معاوية في دولة عثمان .

عثمان قال : رأيتُ عبدَ الله بنَ بسرٍ وثيابه مُثَمَّرة ، ورداؤه فوق القميص ، وشعره مفروقٌ يغطي أذنيه ، وشاربه مقصوصٌ مع الشَّفة ، كُنَّا نقفُ عليه ونتعجبُ .

قال صفوان بن عمرو : رأيتُ في جبهة عبد الله بن بسرٍ أثر السجود .

عصام بن خالد : حدثنا الحسن بن أيوب الحضرمي قال : أراني عبدُ الله بنَ بسرٍ شامةً في قرنيه ، فوضعتُ أصبعي عليها ، فقال : وضع رسولُ الله ﷺ أصبعه عليها ، ثم قال : « لَتَبْلُغَنَّ قَرْنًا » .

رواه أحمد في « المسند » (١) .

عبد الله بن بسرٍ قال : أكل رسولُ الله ﷺ عندنا حَيْسًا ، ودعا لنا ، ثم التفتَ إليَّ وأنا غلام ، فمسحَ على رأسي ، ثم قال : « يعيشُ هذا الغلامُ قرناً » فعاش مئة .

روى نحوه سلمة بن حواس عن محمد بن القاسم ؛ أنه كان مع ابن بسرٍ في قريته ، وزاد فيه : فقلتُ : يا رسولَ الله ! كم القرن ؟ قال : مئة سنة .

وفي « صحيح البخاري » (٢) لحريز بن عثمان أنه سأل عبدَ الله بنَ بسرٍ : أكان النبي ﷺ شيخاً ؟ قال : كان في عُنُقَتِهِ (٣) شعراتٌ بيض .

أم هاشم الطائية قالت : رأيتُ عبدَ الله بنَ بسرٍ يتوضأ ، فخرجتُ نفسهُ رضي الله عنه .

وقال أبو زُرعة الدمشقي : ماتَ قبلَ سنة مئة . وقال عبدُ الصمد بنُ سعيد الحافظ :

(١) أحمد في مسنده (١٨٩ / ٤) وسنده حسن وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٤٠٥) رواه الطبراني . وأحمد ورجال

أحمد رجال الصحيح غير الحسن بن أيوب ، وهو ثقة ، ورجال الطبراني ثقات .

(٢) البخاري (٦ / ٥٦٤) ٦١ - كتاب المناقب - ٢٣ - باب صفة النبي ﷺ .

(٣) المنققة : ما بين الذقن والشفة السفلى .

توفي سنة ست وتسعين . وقال يزيد بن عبد ربّه الجرجسي : توفي في إمرة سليمان
ابن عبد الملك . اهـ الذهبي .

٢١٩٨ - * روى البزار والطبراني عن عبد الله بن بسر وضع النبي ﷺ يده على رأسي
فقال : « يعيش هذا الغلام قرناً » فعاش مائة سنة ، وكان في وجهه ثألول فقال : لا
يموت حتى يذهب الثألول من وجهه ، فلم يميت حتى ذهب الثألول من وجهه .

* * *

٢١٩٨ - البزار : كشف الأستار (٣ / ٢٨٠) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٤٠٤) : رواه الطبراني في الكبير والبزار
ورجال أحد إسنادي البزار رجال الصحيح غير الحسن بن أيوب الحضرمي وهو ثقة .

٦٦ - السائب بن يزيد رضي الله عنه

قال في الإصابة : السائب بن يزيد بن سعيد بن ثُمَامَةَ ، ويقال عائذ بن الأسود الكندي أو الأزدي . وقيل هو كناني ثم ليثي وقيل هذلي ، يعرف بابن أخت النمر ، والنمر خال أبيه يزيد هو النمر بن جبل ، وهم من قال أنه النمر بن قاسط ، وقال الزهري : هو أزدي حالف بني كنانة ، له ولأبيه صحبة .

ومن طريق الزهري عنه قال : خرجت مع الصبيان نتلقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تبوك . وفي الصحيحين أيضاً من طريق محمد بن يوسف عن السائب أن خالته ذهبت به وهو وجع فمسح النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأسه ودعا له وتوضأ فشرب من وضوئه ونظر إلى خاتم النبوة ، وأم أم السائب أم العلاء بنت شريح الحضرمية وكان العلاء ابن الحضرمي خاله . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث .

قال مصعب الزبيري : استعمله عمر على سوق المدينة هو وسليمان بن أبي خيثمة وعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وقال أبو نعيم : مات سنة اثنتين وثمانين وقيل بعد التسعين وقيل سنة إحدى وقيل سنة أربع . وقال ابن أبي داود : هو آخر من مات بالمدينة من الصحابة وهم يعقوب بن سفيان فذكره فيمن قتل يوم الحرة . ١ هـ .

وقال الذهبي في ترجمته : أبو عبد الله ، وأبو يزيد الكندي المدني ، ابن أخت نمر ، وذلك شيء عرفوا به ، وكان جدّه سعيد بن ثُمَامَةَ حليف بني عبد شمس . قال السائب : حَجَّ بي أبي مع النبي ﷺ وأنا ابن سبع سنين ^(١) .

عكرمة بن عمار : حدثنا عطاء مولى السائب قال : كان السائب رأسه أسوداً من هامته إلى مقدم رأسه ، وسائر رأسه - مؤخره وعارضاه وحيته - أبيض . فقلت له : ما رأيت أعجب شعراً منك ! فقال لي : أوتدري ممّا ذاك يابني ؟ إن رسول الله ﷺ مرّ بي وأنا ألعب ، فمسح يده على رأسي ، وقال : « بارك الله فيك » فهو لا يشيب أبداً . يعني :

(١) البخاري (٤ / ٧١) - ٢٨ - كتاب جزاء الصيد - ٢٥ - باب حج الصبيان .

موضع كفه (١).

عن الزهري ، قال : ما اتَّخَذَ رسولُ الله ﷺ قاضياً ، ولا أبو بكر ، ولا عمر ، حتى قال
عمر للسائب ابنِ أختِ تَمِر : لو رَوَّحْتُ عني بعضَ الأمر . حتى كان عَثْمَان .
قال عبدُ الأعلى القُرُوي : رأيتُ على السائب بنِ يزيدِ مِطْرَفَ خَزْ ، وَجِبَّةَ خَزْ ، وعمامةَ
خَز .

يُروى عن الجَعِيد بن عبد الرحمن ، وفاةُ السائب بن يزيد في سنة أربع وتسعين .
وقال الواقدي ، وأبو مُسْهِر ، وجماعة : تُوفِّي سنة إحدى وتسعين ، وشذَّ الهيثمُ بنُ عدي
فقال : مات سنة ثمانين . ا هـ . الذهبي .

* * *

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٦٠ / ٧) والصغير (٢٤٩ / ١) .
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٠٩ / ٩) : رجال الكبير رجال الصحيح غير عطاء مولى السائب وهو ثقة .

٦٧ - وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال ابن حجر في الإصابة :

وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ بْنُ أَسَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ قَصِي الْقُرَشِيِّ الْأَسَدِيِّ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .. ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ وَالْبَغَوِيُّ وَابْنُ قَانِعٍ وَابْنُ السَّكَنِ وَغَيْرُهُمْ فِي الصَّحَابَةِ ، وَأُورِدُوا كُلُّهُمْ مِنْ طَرِيقِ رَوْحِ بْنِ مَسَافِرٍ أَحَدِ الضَّعَفَاءِ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ قَالَ : قُلْتُ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ يَأْتِيكَ الَّذِي يَأْتِيكَ ؟ قَالَ : « يَأْتِينِي مِنَ السَّمَاءِ جَنَاحَاهُ لَوْلُؤُ وَبَاطِنُ قَدَمَيْهِ أَخْضَرُ » .

قال ابن عساکر : لم يسمع ابن عباس من ورقة ولا أعرف أحداً قال إنه أسلم . وقد غاير الطبري بين صاحب هذا الحديث وبين ورقة بن نوفل الأسدي ، لكن القصة مغايرة لقصة ورقة التي في الصحيحين من طريق الزهري عن عروة عن عائشة أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ... الحديث في مجيء جبريل بحراء ، وفيه : فانطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان تنصر في الجاهلية ... الحديث ، وفيه : فقال ورقة هذا الناموس الذي أنزل على موسى ياليتني فيها جَدَعًا [شاباً] ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك ، وفي آخره : ولم ينشب ورقة أن توفي فهذا ظاهره أنه أقر بنبوته ولكنه مات قبل أن يدعو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس إلى الإسلام فيكون مثل بحيرا . وفي إثبات الصحبة له نظر ، لكن في زيادات المغازي من رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال يونس بن بكير عن يونس بن عمرو وهو ابن أبي إسحاق السبيعي عن أبيه عن جده عن أبي ميسرة ، واسمه عمرو بن شرحبيل وهو من كبار التابعين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لخديجة : « إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء فقد والله خشيت على نفسي » فقالت : معاذ الله ما كان الله ليفعل بك فوالله إنك لتؤدي الأمانة الحديث ، فقال له ورقة : أبشر ثم أبشر فأنا أشهد إنك الذي بشر به ابن مريم وإنك على مثل ناموس موسى وإنك نبي مرسل وإنك سوف تؤمر بالجهاد بعد

يومك هذا وإن يدركني ذلك لأجاهدن معك ، فلما توفي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدقني » وقد أخرجه البيهقي في الدلائل من هذا الوجه وقال هذا منقطع .

(قلت) [أي ابن حجر] : يعضده ما أخرجه الزبير بن بكار حدثنا عثمان عن الضحاک ابن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عروة بن الزبير قال : كان بلال لجارية من بني جحج وكانوا يعذبونه برمضاء مكة يلصقون ظهره بالرمضاء لكي يشرك فيقول أحد أحد ، فيمر به ورقة وهو على تلك الحال فيقول أحد أحد يابلل والله لأن قتلتموه لأخذنه حناناً ، وهذا مرسل جيد يدل على أن ورقة عاش إلى أن دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإسلام حتى أسلم بلال ، والجمع بين هذا وبين حديث عائشة أن يحمل قوله : ولم ينشب ورقة أن توفي ، أي قبل أن يشتهر الإسلام ويؤمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجهاد ، ولكن يعكر على ذلك ما أخرجه محمد بن عائذ في المغازي من طريق عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس في قصة ابتداء الوحي وفيها قصة خديجة مع ورقة بنحو حديث عائشة ، وآخرها لأن كان هو ثم أظهر دعاءه وأنا حي لأبلى الله من نفسي في طاعة رسوله وحسن موازرتة فمات ورقة على نصرانيته ، كذا قال لكن عثمان ضعيف وقال الزبير : كان ورقة قد كره عبادة الأوثان وطلب الدين في الآفاق وقرأ الكتب وكانت خديجة تسأله عن أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيقول لها : ما أراه إلا نبي هذه الأمة الذي بشر به موسى وعيسى .

وفي المغازي الكبير لابن إسحاق وساقه الحاكم من طريقه قال : حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن حارثة الثقفي وكان راعيه ، قال قال ورقة بن نوفل فيما كانت خديجة ذكرت له من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

يا للرجال وصرف الدهر والقدر

وفيها :

ومالنا بخفي الغيب من خبر
جبريل أنك مبعوث إلى البشر

هذي خديجة تأتيني لأخبرها
بأن أحمد يأتيه فيخبره

فقلت عل الذي ترجين ينجزه له الإله فرجي الخير وانتظري

وأخرج ابن عدي في الكامل من طريق إسماعيل بن مجالد عن أبيه عن الشعبي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : رأيت ورقة في بطنان الجنة عليه السندس ، قال ابن عدي تفرد به إسماعيل عن أبيه .

(قلت) قد أخرجه ابن السكن من طريق يحيى بن سعيد الأموي عن مجالد لكن لفظه : رأيت ورقة على نهر من أنهار الجنة لأنه كان يقول ديني دين زيد وإلهي إله زيد [هو زيد ابن عمرو بن نفيل وكان من الخنفاء على ملة إبراهيم دون أن يعرف تفاصيلها] وأخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في تاريخه من هذا الوجه .

وأخرج الزبير من طريق أبي معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن سب ورقة ، وهو في زيادات المغازي ليونس بن بكير ، أخرجه عن هشام بن عروة عن أبيه قال : ساب أخ لورقة رجلاً فتناول الرجل ورقة فسبه ، فبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « هل علمت أني رأيت لورقة جنة أو جنتين » فنهى عن سبه وأخرجه البزار من طريق أبي أسامة عن هشام مرسلًا .

وأخرج أحمد من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة عن عائشة : أن خديجة سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ورقة بن نوفل ؟ فقال : « قد رأيته فرأيت عليه ثياباً بيضا فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بيض » . هـ ابن حجر .

٢١٩٩ - * روى الطبراني عن أسماء بنت أبي بكر أن النبي ﷺ سئل عن ورقة بن نوفل فقال : « يُبعث يوم القيامة أمة وحده » .

* * *

٦٨ - حَكِيم بن حِزَام رضي الله عنه

قال ابن حجر في الإصابة :

حكيم بن حِزَام بن خُوَيْلِد بن أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيِّ الأسدي ابن أخي خديجة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، واسم أمه صفية وقيل فاختة وقيل زينب بنت زهير ابن الحارث بن أَسَد بن عبد العزى ويكنى أبا خالد ... موسى بن عقبة عن أبي حبيبة مولى الزبير سمعت حكيم بن حزام يقول : ولدت قبل الفيل بثلاثة عشر سنة وأعقل حين أراد عبد المطلب أن يذبح عبد الله ابنه وقتل والد حكيم في الفجار ، وشهدها حكيم . وحكى الزبير بن بكار أن حكيماً ولد في جوف الكعبة . قال : وكان من سادات قريش ، وكان صديق النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل المبعث ، وكان يوده ويحبه بعد البعثة لكنه تأخر إسلامه حتى أسلم عام الفتح ، وثبت في السيرة وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن » وكان من المؤلفة ، وشهد حنيناً وأعطي من غنائمها مائة بعير ثم حسن إسلامه ، وكان قد شهد بدرًا مع الكفار ونجا مع من نجا ، فكان إذا اجتهد في البين قال والذي نجاني يوم بدر ، وكنيته أبو خالد . قال الزبير جاء الإسلام وفي يد حكيم الوفادة . وكان يفعل المعروف ويصل الرحم ...

وكان من العلماء بأنسب قريش وأخبارها . مات سنة خمسين وقيل سنة أربع وقيل ثمان وخمسين وقيل سنة ستين وهو من عاش مائة وعشرين سنة شطرها في الجاهلية وشطرها في الإسلام . قال البخاري في التاريخ : مات سنة ستين وهو ابن عشرين ومائة سنة قاله إبراهيم بن المنذر . هـ ابن حجر .

وقال الذهبي في السير عن حكيم : أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه . وغزا حنيناً والطائف . وكان من أشراف قريش ، وعقلائها ، ونبلائها . وكانت خديجة عمته ، وكان الزبير ابن عمه وقدم دمشق تاجراً . قيل : إنه كان إذا اجتهد في بينه ، قال : لا والذي نجاني يوم بدر من القتل . وقال البخاري في (تاريخه) : عاش ستين سنة في الجاهلية ، وستين في الإسلام . قلت : لم يعيش في الإسلام إلا بضعا وأربعين سنة .

وقال أحمد بن البرقي : كان من المؤلفة ، أعطاه النبي ﷺ من غنائم حنين مئة بعير ، فيما ذكر ابن إسحاق . وأولاده هم : هشام ، وخالد ، وحزام ، وعبد الله ، ويحيى ، وأم سمية ، وأم عمرو ، وأم هشام وقيل : قتل أبوه يوم الفجار الأخير^(١) .

وعن هشام ، عن أبيه : [حكيم] : أن رسول الله ﷺ قال يوم الفتح : « مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ، فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ بُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ »^(٢) .

وعن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن أبا سفيان ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، أسلموا وبايعوا رسول الله ﷺ ، فبعثهم إلى أهل مكة يدعونهم إلى الإسلام^(٣) . اهـ .

٢٢٠٠ - * روى البخاري ومسلم عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم قال : « يَا حَكِيمُ ! هَذَا الْمَالُ خَضِرٌ خُلُوْ ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى . » قَالَ حَكِيمٌ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أُرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدْعُو حَكِيمًا لِيُعْطِيَهُ الْعَطَاءَ ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَا لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَشْهَدُكُمْ عَلَى حَكِيمٍ أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقُّهُ الَّذِي قَسَمَ اللَّهُ لَهُ

(١) قال محقق السير : الفجار : بالكسر بمعنى المفاجرة ، وذلك أنه كان قتالاً في الشهر الحرام ، ففجروا فيه جميعاً ، فسمي الفجار . وللعرب فجارات أربعة ، والفجار الأخير هذا شهده رسول الله ﷺ مع أعماسه ، وعمره إذ ذاك ﷺ

عشرون سنة ، وكانت هذه الحرب بين قريش ومن معهم وبين قيس عيلان .

(٢) رجاله ثقات لكنه مرسل . ونسبه الحافظ في الفتح إلى موسى بن عقبة في المغازي .

(٣) رجاله ثقات لكنه مرسل .

٢٢٠٠ - البخاري (٣ / ٢٤) - كتاب الزكاة - ٥٠ - باب الاستغفار عن المسألة .

ومسلم مختصراً (٢ / ٧١٧) ١٢ - كتاب الزكاة - ٣٢ - باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى .

يرزأ : لم يأخذ من أحد شيئاً .

إشراف النفس : تطلعها وطمعها وشرها .

سخاوة النفس : ضد ذلك .

في هَذَا الْفِيءِ ، فَيَأْتِي أَنْ يَأْخُذَهُ ، وَلَمْ يَزِرْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تُوَفِّيَ رِضَى اللَّهِ عَنْهُ .

قال الذهبي : قال ابنُ مَنْدَةَ : وُلِدَ حَكِيمٌ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ ، وَعَاشَ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً .

روى الزُّبَيْرُ ، عَنْ مَصْعَبِ بْنِ عُثْمَانَ قَالَ : دَخَلْتُ أُمَّ حَكِيمٍ فِي نِسْوَةِ الْكَعْبَةِ ، فَضَرَبَهَا الْحَاضُ ، فَأَتَيْتُ بِنَطْعٍ^(١) حِينَ أَعْجَلَتْهَا الْوِلَادَةُ ، فَوَلَدَتْ فِي الْكَعْبَةِ .

وكان حَكِيمٌ مِنْ سَادَاتِ قَرِيشٍ . قال الزُّبَيْرُ : كان شديدة الأذمة ، خفيفة اللحم .

عن عِرَاكِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ قَالَ : كان مُحَمَّدٌ ﷺ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَلَمَّا نُبِّئَ وَهَاجَرَ ، شَهِدَ حَكِيمُ الْمُؤَسِّمَ كَافِرًا ، فَوَجَدَ حُلَّةً لَدِي يَزَنُ تَبَاعَ ، فَاشْتَرَاهَا بِخَمْسِينَ دِينَارًا لِيَهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَقَدِمَ بِهَا عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ ، فَأَرَادَهُ عَلَى قَبْضِهَا هَدِيَّةً ، فَأَبَى ، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ : حَسِبْتُهُ قَالَ : « إِنَّا لَا نَقْبَلُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَيْئًا ، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ بِالْثَّمَنِ » قَالَ : فَأَعْطَيْتُهُ حِينَ أَبَى عَلَيَّ الْهَدِيَّةَ^(٢) .

وفي رواية : فلبسها ، فرأيتها عليه على المنبر ، فلم أر شيئا أحسن منه يومئذٍ فيها ، ثم أعطاها أسامة فراها حَكِيمٌ على أسامة ، فقال : يا أسامة أتلبس حلة يزَن ؟ قال : نعم ، والله لأنا خير منه ، ولأبي خير من أبيه . فانطلقت إلى مكة ، فأعجبته بقوله .

الزُّبَيْرُ : أخبرنا إبراهيم بنُ حمزة قال : كان مشركو قريش لما حصروا بني هاشم في الشعب ، كان حَكِيمٌ تأتيه العيرُ بالحنطة فيقبلها^(٣) الشعب ، ثم يضرب أعجازها ، فتدخل عليهم ، فيأخذون ما عليها .

الزُّبَيْرُ : أخبرنا مصعب بن عثمان : سمعهم يقولون : لم يدخل دار الندوة للرأي أحد

(١) النطع : قطعة من الجلد يُوقى بها ماتحتها .

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤٠٢ / ٣) والطبراني في الكبير (٢٠٢ / ٣) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥١ / ٤) : رواه أحمد والطبراني في الكبير ، وإسناده رجاله صحيح .

والحاكم في مستدركه (٤٨٤ / ٣) وصححه ووافقه الذهبي .

(٣) أقبل الإبل الطريق : أسلكها إياه ، وذلك أن يجعل وجوها مستقبلة وجه الطريق .

حتى بلغ أربعين سنة ، إلا حكيم بن حزام ، فإنه دخل للرأي وهو ابنُ خُمسِ عَشْرَةٍ . وهو أَحَدُ النَّفَرِ الَّذِينَ دَفَنُوا عَثَانَ لَيْلًا .

وعن أبي حازم قال : ما بلغنا أنه كان بالمدينة أكثرَ حَمَلًا في سبيل الله من حكيم .

وقيل : إِنَّ حَكِيمًا باع دارَ النَّدْوَةِ من مُعَاوِيَةَ بِمِئَةِ أَلْفٍ . فقال له ابنُ الزُّبَيْرِ : بِعْتُ مَكْرُمَةَ قَرِيشٍ ، فقال : ذهبت المكارمُ يا ابنَ أَخِي إِلَّا التَّقْوَى ، إني اشتريتُ بها دارًا في الْجَنَّةِ ، أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قد جعلتها لله ^(١) .

الأصمعيّ : حدثنا هشامُ بن سعد صاحب الحامل ، عن أبيه قال : قال حكيمُ بنُ حِزَامٍ : ما أَصْبَحْتُ وليس بياني صاحبُ حاجةٍ ، إلا علمتُ أنها من المصائبِ التي أسألُ الله الأجرَ عليها .

وكان حَكِيمٌ عَلَامةٌ بالنَّسبِ فقيه النِّفْسِ ، كبير الشُّأْنِ .

قال الميثمُ : والمدائنيُّ ، وأبو عُبَيْدٍ ، وشَبَّابٌ : مات سنة أربع وخمسين رضي الله عنه .
وقيل : إنه دُخِلَ على حَكِيمٍ عند الموت وهو يقول : لا إله إلا الله قد كنتُ أخشاك ، وأنا اليوم أَرْجُوكَ . هـ الذهبي .

٢٢٠١ - * روى الحاكم عن حسان بن بلال عن حكيم بن حزام : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما بعثه والياً إلى اليمن قال : « لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر » .

٢٢٠٢ - * روى البخاري ومسلم عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن حكيم بن حزام أعتق في الجاهلية مئة رقبةٍ ، وحمل على مئة بغير ، فلما أسلم حمل على مئة بغير ، وأعتق مئة رقبةٍ ، قال : فسألت رسول الله ﷺ ، فقلتُ : يا رسول الله ، أرايت أشياء كنت أصنعها

(١) رواه الطبراني في الكبير (٣ / ١٨٧) .

وقال الميثم في جمع الزوائد (٩ / ٣٨٤) : رواه الطبراني بإسنادين أحدهما حسن .

٢٢٠١ - المستدرک (٣ / ٤٨٥) وصححه ووافقه الذهبي .

٢٢٠٢ - البخاري (٣ / ٣٠١) ٢٤ - كتاب الزكاة - ٢٤ - باب من تصدق في الشرك ثم أسلم .

ومسلم (١ / ١١٣) ١ - كتاب الإيمان - ٥٥ - باب بيان حكم عمل الكافر إذا أبلم بعده .

في الجاهلية ، كنت أَتَحَنُّهَا ، (يعني : أثير بها) قال : فقال رسول الله ﷺ :
« أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ لَكَ مِنْ خَيْرٍ » .

قال إبراهيم بن المنذر الحزامي : حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن
قصي يكنى أبا خالد ، مات سنة أربع وخمسين وهو ابن مائة وعشرين سنة ولد قبل الفيل
بثلاث عشرة سنة ومات بالمدينة (١) .

* * *

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢ / ٤٧٢) .

٦٩ - قيس بن عاصم المنقري رضي الله عنه

قال ابن حجر : قيس بن عاصم بن سنان بن منقر بن خالد بن عبيد بن مقاعس ، واسمه الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي المنقري ، يكنى أبا علي . وحكى ابن عبد البر أنه قيل في كنيته أيضاً أبو طليحة وأبو قبيصة والأول أشهر وبه جزم البخاري ، وقال : له صحبة وجزم ابن أبي حاتم بأنه أبو طلحة .

قال ابن سعد : كان قد حرم الخمر في الجاهلية ثم وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وفد بني تميم فأسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « هذا سيد أهل الوبر » وكان سيداً جواداً ، ثم ساق بسند حسن إلى الحسن بن قيس بن عاصم قال : أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما دنوت منه قال « هذا سيد أهل الوبر » فذكر الحديث ... وفيه فقال قيس : كيف تصنع بالمنيحة [المنحة] فقال قيس : إني لأمنح في كل عام مائة . قال : فكيف تصنع بالعارية ؟ فذكر الحديث ، وفي آخره قال قيس : لئن عشت لأدعن عِدَّتَهَا قليلاً . قال الحسن : ففعل والله ثم ذكر وصيته .

وقال ابن السكن : كان عاقلاً حليماً يقتدى به ، وقال أبو عمر : قيل للأحنف : من تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم رأيته يوماً محتبياً فأتي برجل مكتوفٍ وآخر مقتول ، فقيل : هذا ابن أخيك قتل ابنك ، فالتفت إلى ابن أخيه فقال : يا ابن أخي بئسما فعلت أثمت بربك وقطعت رحمك ورميت نفسك بسهمك ، ثم قال لابن له آخر : قم يا بني فوار أخاك وحل أكتاف ابن عمك وسق إلى أمه مائة ناقة دية ابنها فإنها غريبة .

وذكر الزبير في الموفقيات عن عمه عن عبد الله بن مصعب قال قال أبو بكر لقيس بن عاصم : ما حملك على أن وأدت ؟ وكان أول من وأد - فقال : خشيت أن يخلف عليهن غير كفء . قال : فصف لنا نفسك ؟ فقال : أما في الجاهلية فاهتمت بلامه ولاخمت على تهمة ولم أر إلا في خيل مغيرة أو نادي عشيرة أو حامي جزيرة ، وأما في الإسلام فقد قال الله تعالى ﴿ فلا تزكوا أنفسكم ﴾ فأعجب أبو بكر بذلك .

روى قيس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث ، روى عنه ابنه حكيم وحسين

وابن ابنه خليفة بن حصين والأحنف بن قيس ومنفعة بن التوأم وآخرون .

النعمان بن بشير يقول : سمعت عمر بن الخطاب يقول وسئل عن هذه الآية ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ فقال : جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إني وأدت ثمان بنات لي في الجاهلية ، فقال « أعتق عن كل واحدة منهن رقبة » قال : إني صاحب إبل ، قال « اهد إن شئت عن كل واحدة منهن بدنة » .

خليفة بن حصين عن جده قيس بن عاصم أنه أسلم فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يغتسل بماء وسدر ... وأخرج أحمد والنسائي من طريق حكيم بن قيس عن أبيه أنه قال : لاتنوحوا عليّ فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم ينح عليه ، الحديث اختصره النسائي وأورده أحمد مطولاً ، وفيه : أنه قال لبنيه اتقوا الله وسودوا أكبركم فإن القوم إذا سودوا أكبرهم أحيوا ذكر أبيهم وإياكم والمسئلة فإنها آخر كسب الرجل فذكر بقية الوصية وهي نافعة اهـ .

ونورد الوصية بتمامها كما أخرجها الحاكم ^(١) للفائدة :

عن عبد الملك بن أبي سوية المنقري قال شهدت قيس بن عاصم عند وفاته وهو يوصي فجمع بنيه اثنان وثلاثون ذكراً فقال : يا بني إذا أنا ميتٌ فسودوا أكبركم تخلفوا آباءكم ، ولا تسودوا أصغركم فيزري بكم ذاك عند أكفائكم ، ولا تقيوا علي نائحة فياني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن النياحة ، وعليكم بإصلاح المال فإنه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم ، ولا تعطوا رقاب الإبل في غير حقها ولا تمنعوها من حقها ، وإياكم وكل عرق سوء فهما يسركم يوما فما يسوءكم أكبر ، واحذروا أبناء أعدائكم فإنهم لكم أعداء على منهاج آبائهم ، وإذا أنا ميتٌ فادفوني في موضع لا يطلع علي هذا الحي من بكر بن وائل فإنها كانت بيني وبينهم خُمَاشَات ^(٢) في الجاهلية فأخاف أن ينبشوني من قبري فتفسدوا عليهم دنياهم ويفسدوا عليكم آخرتكم ، ثم دعا بكنائته فأمر ابنه الأكبر وكان يسمى علياً فقال : أخرج

(١) المستدرك (٢ / ٦١١) .

(٢) خُمَاشَات : من الجروح والجنايات مما ليس له دية .

سهماً من كنانتي فأخرجه فقال : اكسره ، فكسره ، ثم قال : أخرج سهمين ، فأخرجهما ، فقال : اكسرهما ، فكسرهما فلم يستطع كسرهما ، فقال : يا بني هكذا أنتم في الاجتماع وكذلك أنتم في الفرقة ثم أنشأ يقول :

إنما المجد ما بنى والد الصد	ق وأحيا فعاله المولود
وكفى المجد والشجاعة والحلم	إذا زانه عفاف وجود
وثلاثون ياتي إذا ما	عقدتم للنائبات العهود
كثلاثين من قذاح إذا ما	شدها للزمان عقد شديد
لم تكسر وإن تقطعت الأسهم	أودى بجمعها التبيد
وذوو السن والمروءة أولى	إن يكن منكم لهم تسويد
وعليكم حفظ الأصاغر حتى	يلبغ الحنث الأصغر المجهود

قال ابن حجر : ونزل قيس البصرة ومات بها ، ولما مات رثاه عبدة بن الطيب بقوله :

عليك سلام الله قيس بن عاصم	ورحمته ماشاء أن يترحمها
وما كان قيس هلكه هلك واحد	ولكنه ببيان قوم تهدما

قال ابن حبان : كان له ثلاثة وثلاثون ولداً وتقل البغوي عن ابن أبي خيثمة عن يحيى ابن معين أن قيس بن عاصم كان يكنى أبا هراسة . وذكر ابن شاهين من طريق المدائني عن أبي معشر ورجاله قالوا : قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قيس بن عاصم ونعيم ابن بدر وعمر بن الأهم قبل وفد بني تميم وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم استبطأ قيس ابن عاصم ، فقال له عتبة ائذن لي أن أغزوه فاقتل رجاله وأسبي نساءه ، فأعرض عنه وقدم قيس ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « هذا سيد أهل الوبر » ثم تقدم فأسلم فسأله النعمان بن مقرن فقال : يا رسول الله ائذن لي أن يكون منزله علي ؟ قال : نعم ، فبينما هو يتعشى إذ قال أخو النعمان بئسما قال عتبة ، فقال له قيس وما قال ؟ فأخبره فغدا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أأما لي سبيل إلى الرجوع ؟ قال : لا ، قال : لو كان لي إلي الرجوع سبيل لأدخلت على عتبة ونسائه الذل أه من الإصابة .

٧٠ - عِكْرَمَة بن أبي جهل رضي الله عنه

قال ابن حجر في الإصابة : عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي . كان كأبيه من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم أسلم عكرمة عام الفتح وخرج إلى المدينة ثم إلى قتال أهل الردة ، ووجهه أبو بكر الصديق إلى جيش نعبان فظهر عليهم ، ثم إلى الين ثم رجع فخرج إلى الجهاد عام وفاته فاستشهد . وذكر الطبري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استعمله على صدقات هوازن عام وفاته وأنه قُتل بأجنادين وكذا قال الجمهور [وقيل قتل يوم اليرموك] .

روى سيف في الفتوح بسند له أن عكرمة نادى : من يسايح على الموت فبايعه عمه الحارث وضَرَّار بن الأزور في أربعمائة من المسلمين وكان أميراً على بعض الكراديس وذلك سنة خمس عشرة في خلافة عمر فقتلوا كلهم الإضراراً وقيل قتل يوم مرج الصفر وذلك سنة ثلاث عشرة في خلافة أبي بكر . وله عند الترمذي حديث من طريق مصعب بن سعد عنه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم جئته : مرحباً مرحباً بالراكب المهاجر ، وهو منقطع لأن مصعباً لم يدركه ، وقد أخرج قصة مجيئه موصولة الدارقطني والحاكم وابن مردويه من طريق أسباط بن نصر عن السدي بن مصعب بن سعد عن أبيه قال : لما كان فتح مكة أمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس إلا أربعة نفر وامرأتين فذكر الحديث وفيه وأما عكرمة فركب البحر فأصابهم عاصف فقال أصحاب السفينة أخلصوا فإن ألهتمكم لاتغني عنكم ههنا شيئاً فقال عكرمة : والله لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص لا ينجيني في البر غيره اللهم إن لك علي عهداً إن عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلا أجده إلا عفوا كريماً . قال فجاء فأسلم . اهـ ابن حجر .

قال الذهبي : عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي ، الشريف الرئيس الشهيد ، أبو عثمان القرشي المخزومي المكي . لما قُتل أبوه ، تحولت رئاسة بني مخزوم إلى عكرمة ، ثم إنه أسلم وحسن إسلامه بالمرة . قال ابن أبي ملكية : كان عكرمة إذا اجتهد في البين قال : لا والذي نجاني

يوم بدر . ولما دخل رسول الله ﷺ [مكة] ، هرب منها عكرمة وصفوان بن أمية بن خلف ، فبعث النبي ﷺ ، يُؤمنُها ، وصفح عنها ، فأقبل إليه .

قال الشافعي : كان محمودة البلاء في الإسلام ، رضي الله عنه .

قال أبو إسحاق السبّيعي : نزل عكرمة يوم اليرموك ، فقاتل قتالاً شديداً ، ثم استشهد ، فوجدوا به بضعا وسبعين من طعنة ورمية وضربة . وقال عروة وابن سعد وطائفة : قُتل يوم أجنادين . ا.هـ الذهبي .

* * *

٧١ - عبد الله بن حذافة السهمي

قال ابن حجر : عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي أبو حذافة أو أبو حذيفة . وأمه بنت حرثان من بني الحارث بن عبد مناة من السابقين الأولين .. يقال شهد بدرأ ولم يذكره موسى بن عقبة ولا ابن إسحاق ولا غيرها من أصحاب المغازي .. عن عبد الله بن حذافة قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أنادي أهل منى أن لا يصوم هذه الأيام أحد . ومن طريق شعيب عن الزهري عن مسعود أخبرني بعض أصحابه أنه رأى ابن حذافة . وأخرجه من طريق الحارث بن أسامة عن روح عن صالح عن ابن أبي الأخضر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث عبد الله بن حذافة ، وأخرجه أبو نعيم في المعرفة من طريق سليمان ابن أرقم عن الزهري عن سعيد عن عبد الله بن حذافة والاحتال فيه كثير جداً ، وقال البخاري في التاريخ : يقال له صحبة ولا يصح . إسناده حديثه ثقات . مات في خلافة عثمان ، حكاه البغوي ، وقال أبو نعيم : توفي بمصر في خلافة عثمان وكذلك قال ابن يونس إنه توفي بمصر ودفن بمقبرتها . ١. هـ .

قال الذهبي : أبو حذافة السهمي . أحد السابقين . هاجر إلى الحبشة ، ونفذه النبي ﷺ رسولاً إلى كسرى خرج إلى الشام مجاهداً ، فأسير على قيسارية ، وحملوه إلى طاعيتهم ، فزادته عن دينه ، فلم يفتتن . وقال أبو سعيد بن يونس ، وابن مندة شهد بدرأ . ١. هـ .

٢٢٠٣ - * روى ابن سعد عن أبي سلمة : أن عبد الله بن حذافة قام يصلي ، فجهر ، فقال النبي ﷺ : « يَا ابْنَ حَذَافَةَ ، لَا تَسْمَعَنِي وَتَسْمَعِ اللَّهَ » .

٢٢٠٤ - * روى ابن ماجه عن عُمَرَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ ثَوْبَانَ ، أن أبا سعيد قال : بعث رسول الله ﷺ سرية ، عليهم عَلَقَمَةُ بْنُ مُجَزَزٍ ، وأنا فيهم ، فخرجنا ، حتى إذا كنا ببعض

٢٢٠٣ - الطبقات الكبرى (٤ / ١٩٠) ورجاله ثقات .

٢٢٠٤ - ابن ماجه (٢ / ٩٥٥) ٢٤ - كتاب الجهاد ٤٠ باب لا طاعة في معصية الله .

وقال في الزوائد : إسناده صحيح . ورواه أحمد (٢ / ٦٧) والحاكم (٢ / ٦٣٠) .

الطريق ، استأذنه طائفة ، فَأَذِنَ لَهُمْ ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ ، وَكَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ . فَبَيْنَمَا نَحْنُ فِي الطَّرِيقِ ، فَأَوْقَدَ الْقَوْمُ نَارًا يَصْطَلُكُونَ بِهَا ، وَيَصْنَعُونَ عَلَيْهَا صَنِيعًا لَهُمْ ، إِذْ قَالَ : أَلَيْسَ لِي عَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ؟ قَالُوا : بَلَى . قَالَ : فَإِنِّي أَعَزُّمُ عَلَيْكُمْ بِحَقِّي وَطَاعَتِي إِلَّا تَوَاتَبْتُمْ فِي هَذِهِ النَّارِ ، فَقَامَ نَاسٌ ، فَتَحْجَزُوا حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُمْ وَاقِعُونَ فِيهَا قَالَ : أَمْسِكُوا ، إِنَّمَا كُنْتُ أَضْحِكُ مَعَكُمْ . فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ . فَقَالَ : « مَنْ أَمَرَكَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا تُطِيعُوهُ » .

٢٢٠٥ - * روى البخاري عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتْبَةَ ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كَسْرَى مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كَسْرَى ، فَلَمَّا قَرَأَهُ خَرَقَهُ ، قَالَ الزَّهْرِيُّ : فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ .

٢٢٠٦ - * روى البخاري ومسلم عن ابن عباس قال في قوله تعالى ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ : نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدِي ، إِذْ بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي سَرِيَةٍ .

٢٢٠٧ - * روى البخاري ومسلم عن أنس ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ ، فَصَلَّى الظُّهْرَ ، فَلَمَّا سَلَّمَ ، قَامَ عَلَى الْمَنْبَرِ ، فَذَكَرَ السَّاعَةَ ، وَذَكَرَ أَنْ يَبْنِي يَدِيهَا أُمُورًا عَظِيمًا ، ثُمَّ قَالَ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ ، فَلْيَسْأَلْ عَنْهُ ، فَوَاللَّهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ ، إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ ، مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا » قَالَ أَنَسٌ : فَأَكْثَرَ النَّاسُ الْبُكَاءَ ، وَأَكْثَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ : « سَلُونِي » فَقَالَ أَنَسٌ : فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ : أَيْنَ

= تَحْجَزُوا : شَدُّوا أَوْسَاطَهُمْ فَعَلَّ مِنْ يَتَهَيَّأ .

٢٢٠٥ - البخاري (١ / ١٥٤) ٢ - كتاب العلم - ٧ - باب ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان .

٢٢٠٦ - البخاري (٨ / ٢٥٣) ٦٥ - كتاب التفسير - ٤ - سورة النساء - ١١ - باب ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ .

ومسلم : (٣ / ١٤٦٥) ٣٣ - كتاب الإمامة - ٨ - باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية .

٢٢٠٧ - البخاري (٢ / ٢١) ٩ - كتاب مواقيت الصلاة - ١١ - باب وقت الظهر عند الزوال .

ومسلم (٤ / ١٨٣٢) ٤٢ - كتاب الفضائل - ٢٧ - باب توقيره ﷺ .

مدخلي يارسول الله ؟ قال : « النار » فقام عبد الله بن حذافة ، فقال : من أبي يارسول الله ؟ قال : « أبوك حذافة » قال : ثم أكثر أن يقول : « سلوني سلوني » فبرك عمر على ركبتيه ، فقال : رضينا بالله ربا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ رسولا . قال : فسكت رسول الله ﷺ حين قال عمر ذلك ، ثم قال رسول الله ﷺ : « أُولَى ، والذي نفسي بيده لقد عرضت علي الجنة والنار آنفاً في عَرْضِ هذا الحائط وأنا أصلي ، فلم أر كاليوم في الخير والشر .

ذكر الذهبي في السير^(١) عن أبي رافع ، قال : وجّه عُمَرُ جيشاً إلى الروم ، فأسروا عبد الله بن حذافة ، فذهبوا به إلى ملكهم ، فقالوا : إن هذا من أصحاب محمد . فقال : هل لك أن تتنصر وأعطيك نصف ملكي ؟ قال : لو أعطيتني جميع ما تملك ، وجميع ما تملك ، وجميع ملك العرب ، ما رجعت عن دين محمد طرفة عين . قال : إذا أقتلك . قال : أنت وذاك . فأمر به ، وقال للرؤماة : ارموه قريباً من بدنه ، وهو يعرض عليه ويأبى ، فأنزله . ودعا بقدر ، فصب فيها ماء حتى احترقت ، ودعا بأسيرين من المسلمين ، فأمر بأحدهما ، فألقي فيها ، وهو يعرض عليه النصرانية ، وهو يأبى . ثم بكى . فقيل للملك : إنّه بكى . فظن أنّه قد جزع ، فقال : ردّوه . ما أبكاك ؟ قال : قلت : هي نفس واحدة تلقى الساعة فتذهب ، فكنت أشتهي أني يكون بعدد شعري أنفس تلقى في النار في الله .

فقال له الطاغية : هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك ؟

فقال له عبد الله : وعن جميع الأسارى ؟ قال : نعم . فقبل رأسه .

وقدّم بالأسارى على عمر ، فأخبره خبره . فقال عمر : حق على كل مسلم أن يقبل رأس ابن حذافة ، وأنا أبداً . فقبل رأسه .

أقول : في هذا النص تعليم للمتشددين الذين تختلط عندهم قوة النفس بقوة الإيمان فتمنعهم قوة النفس بما تقتضيه قوة الإيمان من الأخذ بالعزائم في محلها والرخص في محلها ،

(١) السير : (٢ / ١٤) وأخرجه ابن عساكر في تاريخه من طريق البيهقي وله شاهد من حديث لابن عباس موصولاً عند ابن عساكر .

فهنا نجد عبد الله بن حذافة يقبل رأس هرقل في مقابل أن يخلص أسرى المسلمين وهذا مقتضى قوة الإيمان على حساب قوة النفس ، فكثيرون من الناس تمنعهم قوة النفس من الأخذ بالفتوى التي تناسب المقام وخاصة فيما يظنه الناس رخصة فيحبون أن يسجلوا مواقف بطولية لا تتحقق فيها مصلحة للإسلام والمسلمين ، وما فعله عبد الله بن حذافة درس لهؤلاء فليس العبرة بقوة الموقف أو ضعفه بل العبرة في أن يكون المسلم عاملاً بحكم الشريعة في تعامله مع الكافرين والمسلمين ، ملاحظاً أن في الشريعة فتوى أصلية وأخرى استثنائية وفيها رخصة وعزيمة والرخصة في عملها قد تكون أقوى من العزيمة ، ولا يفطن لمثل هذه الدقائق إلا أصحاب البصيرة ممن اجتمع لهم علم وتقوى وتوفيق .

قال الذهبي :

الوليد بن مسلم : حدثنا أبو عمرو ، ومالك بن أنس : أن أهل قيسارية أسروا ابن حذافة ، فأمر به ملكهم ، فجزبَ بأشياء صبرَ عليها ، ثم جعلوا له في بيتٍ معه الخمر ولحم الخنزير ثلاثاً لا يأكل ، فاطلعوا عليه ، فقالوا للملك : قد انثنى عنقه ، فإن أخرجته وإلا مات . فأخرجه ، وقال : ما منعك أن تأكل وتشرب ؟

قال : أما إنَّ الضرورة كانت قد أحلتها لي ، ولكن كرهت أن أشتك بالإسلام . قال : فقبِّلْ رأسي ، وأخلِّي لك مئة أسير . قال : أمّا هذا ، فنعم . فقبِّل رأسه ، فخلَّى له مئة ، وخلَّى سبيله .

وقد روى ابن عائد قصة ابن حذافة فقال : حدثنا الوليد بن محمد : أن ابن حذافة أُسر . فذكر القصة مطولة ، وفيها : أطلق له ثلاث مئة أسير ، وأجازه بثلاثين ألف دينار ، وثلاثين وصيفة ، وثلاثين وصيفاً .

ولعل هذا الملك قد أسلم سرّاً . ويدلُّ على ذلك مبالغته في إكرام ابن حذافة .

وكذا القول في هرقل إذ عرَّض على قومه الدخول في الدين ، فلما خافهم قال : إننا كنبتُ أختبر شِدَّتكم في دينكم .

فمن أسلم في باطنه هكذا ، فيُرجى له الخلاصُ من خلود النار ؛ إذ قد حصل في باطنه إيماناً ما وإنما يُخاف أن يكون قد خضع للإسلام وللرسول ، واعتقد أنها حق ، مع كون أنه على دين صحيح ، فتراه يُعظّم الدينين ، كما قد فعله كثير من المسلمين الدواوين ، فهذا لا ينفعه الإسلام حتى يتبرأ من الشرك .

مات ابنُ حنّافة في خلافة عثمان رضي الله عنهم ا.هـ .

* * *

٧٢ - عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه

قال ابن حجر : عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سَعِيد بن سهم بن عمرو بن هَصِيص بن كعب بن لُؤي القرشي السهمي ... قال الطبري : قيل كان طَوَّالاً أحمر عظيم الساقين أبيض الرأس واللحية ، وعي في آخر عمره . وقال ابن سعد : أسلم قبل أبيه ويقال لم يكن بين مولدهما إلا اثنتا عشرة سنة أخرجه البخاري عن الشعبي ، وجزم ابن يونس بأن بينهما عشرين سنة ... قال الواقدي ، مات بالشام سنة خمس وستين وهو يومئذ ابن اثنتين وسبعين ، وقال ابن البرقي : وقيل مات بمكة ، وقيل بالطائف وقيل بمصر ودفن في داره قاله يحيى بن بكير . وحكى البخاري قولاً آخر : أنه مات سنة تسع وستين وبالأول جزم ابن يونس ، وقال ابن أبي عاصم : مات بمكة وهو ابن اثنتين وسبعين وقيل مات سنة ثمان وستين وقيل تسع وستين .هـ .

قال الذهبي : الإمام الحَبْر العابد ، صاحبُ رسول الله ﷺ وابنُ صاحبه ، أبو محمد ، وقيل : أبو عبد الرحمن . وقيل : أبو نصير القرشي السَّهْمِي . وأُمُّه هي رائطة بنتُ الحَجَّاج ابنِ مُنَبِّه السَّهْمِيَّة ، وليس أبوه أكبر منه إلا بإحدى عشرة سنة أو نحوها .

وقد أسلم قبل أبيه فيما بلغنا ، ويقال : كان اسمه العاص ، فلما أسلم ، غيَّره النبي ﷺ بعبد الله .

وله مناقب وفضائل ومقام راسخ في العلم والعمل ، حلَّ عن النبي ﷺ علماً جماً . وكتب الكثير بإذن النبي ﷺ ، وترخيصه له في الكتابة بعد كراهيته للصحابة أن يكتبوا عنه سوى القرآن وسوَّغ ذلك ﷺ ، ثم انعقد الإجماع بعد اختلاف الصحابة رضي الله عنهم على الجواز والاستحباب لتقييد العلم بالكتابة .

والظاهر أنَّ النهي كان أولاً لَتَتَوَفَّرَ هِمَمُهُمْ على القرآن وحده ، وَلِيَمْتَنَزَ القرآنُ بالكتابة عما سواه من السنن النبوية ، فَيُؤْمَنَ اللَّبْسُ ، فلما زال المحذورُ واللُّبْسُ ، ووضَّح أنَّ القرآن لا يشتهر بكلام الناس أُذِنَ في كتابة العلم ، والله أعلم .هـ .

قال محقق السير : قال ابن القيم رحمه الله في (تهذيب السنن) : قد صح عن النبي ﷺ

النهي عن الكتابة والإذن فيها متأخر ، فيكون ناسخاً لحديث النهي ، فإن النبي ﷺ قال في غزاة الفتح « اكتبوا لأبي شاة » يعني خطبته التي سأل أبو شاة كتابتها ، وأذن لعبد الله ابن عمرو في الكتابة ، وحديثه متأخر عن النهي ، لأنه لم يزل يكتب ، مات وعنده كتابته ، وهي الصحيفة التي كان يسميها (الصادقة) ولو كان النهي عن الكتابة متأخراً ، لحاها عبد الله ، لأمر النبي ﷺ بحو ما كُتِبَ عنه غير القرآن ، فلما لم يحجها ، وأثبتها ، دل على أن الإذن في الكتابة متأخر عن النهي عنها ، هذا واضح والحمد لله .

٢٢٠٨ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « اقرأ القرآن في كل شهر » قال : قلت : إني أجد قوة ، قال : « فاقراه في عشرين ليلة » قال : قلت : إني أجد قوة ، قال : « فاقراه في سبع ولا تزدد على ذلك » .

وقد نازله رسول الله ﷺ إلى ثلاث ليالٍ ونهاه أن يقرأه في أقل من ثلاث .

٢٢٠٩ - * روي أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال : « لم يَفْقَهُ من قرأ القرآن في أقل من ثلاث » .

قال الذهبي : وهذا [التنازل] كان في الذي نزل من القرآن ، ثم بعد هذا القول نزل ما بقي من القرآن . فأقل مراتب النهي أن تكرر تلاوة القرآن كله في أقل من ثلاث ، فما فقه ولا تدبر من تلاه في أقل من ذلك . ولو تلا ورتل في أسبوع ، ولازم ذلك ، لكان عملاً فاضلاً ، فالدين يشر ، فوالله إن ترتيل سبع القرآن في تهجد قيام الليل مع المحافظة على النوافل الراتبة ، والضحي ، وتحية المسجد ، مع الأذكار الماثورة الشابتة ، والقول عند النوم واليقظة ، ودبر المكتوبة والسحر ، مع النظر في العلم النافع والاشتغال به مخلصاً لله ، مع الأمر بالمعروف ، وإرشاد الجاهل وتفهميه ، وزجر الفاسق ، ونحو ذلك ، مع أداء الفرائض

٢٢٠٨ - البخاري (٩ / ١٥) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن - ٣٤ - باب في كم يقرأ القرآن .

ومسلم (٢ / ٨١٣) ١٣ - كتاب الصيام - ٣٥ - باب النهي عن صوم الدهر لمن تضر به .

٢٢٠٩ - أبو داود (٢ / ٥٦) كتاب الصلاة ، باب تحزيب القرآن .

والترمذي (٥ / ١٩٨) ٤٧ - كتاب القراءات باب ١٣ : حدثنا غُبَيْدُ بْنُ أَشْبَاطٍ

وابن ماجه (١ / ٤٢٨) ٥ - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها - ١٧٨ - باب في كم يستحب يختم القرآن .

في جماعةٍ بخشوعٍ وطهانيةٍ وانكسارٍ وإيمانٍ ، مع أداء الواجب ، واجتناب الكبائر ، وكثرة الدعاء والاستغفار ، والصدقة وصلية الرحم ، والتواضع ، والإخلاص في جميع ذلك ، لشغل عظيمٍ جسمٍ ، ولمقام أصحاب اليمين وأولياء الله المتقين ، فإن سائر ذلك مطلوب . فتشغل العابد بختة في كل يوم ، فقد خالف الحنيفية ، ولم ينهض بأكثر ما ذكرناه ولا تدبر ما يتلوه .

هذا السيد العابد صاحب كان يقول لما شاخ : ليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ .

وكذلك قال له عليه السلام في الصوم ، وما زال يناقضه ، حتى قال له : « صم يوماً وأفطر يوماً ، صوم أخي داود عليه السلام » وثبت أنه قال : « أفضل الصيام صيام داود » ^(١) . ونهى عليه السلام عن صيام الدهر ^(٢) . وأمر عليه السلام بنوم قسطٍ من الليل ، وقال : « لكني أقوم وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، وأكل اللحم ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » اهـ الذهبي .

قال الحافظ في الفتح : والمراد بالسنة : الطريقة ، لالتي تقابل الفرض ، والرغبة عن الشيء : الإعراض عنه إلى غيره ، والمراد : من ترك طريقي ، وأخذ بطريقة غيري ، فليس مني ولج بذلك إلى طريق الرهبانية ، فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى ، وقد عابهم بأنهم ماوفوه بما التزموه ، وطريقة النبي ﷺ الحنيفية السمحة ، فيفطر ليقوى على الصوم ، وينام ليتقوى على القيام ، ويتزوج لكسر الشهوة ، وإعفاف النفس ، وتكثير النسل .

ثم قال الذهبي : وكل من لم يلزم نفسه في تعبدته وأوراده بالسنة النبوية ، يندم ويترهب ويسوء مزاجه ، ويفوته خير كثير من متابعة سنة نبيه الرؤوف الرحيم بالمؤمنين ، الحريص على نفعهم ، وما زال ﷺ معلماً للأمة أفضل الأعمال ، وأمرأ بهجر التبتل والرهبانية التي لم

(١) رواه البخاري (٢٢٠ / ٤) - ٣٠ - كتاب الصوم - ٥٦ - باب صوم الدهر .

ومسلم (٢ / ٨١٦) - ١٣ - كتاب الصيام - ٣٥ - باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به .

(٢) رواه البخاري (٢٢٤ / ٤) - ٣٠ - كتاب الصوم - ٥٩ - باب صوم داود عليه السلام .

ومسلم في الموضع السابق .

يُبْعَثُ بِهَا ، فَهِيَ عَنْ سِرِّ الصَّوْمِ ، وَنَهَى عَنْ الْوَصَالِ ، وَعَنْ قِيَامِ أَكْثَرِ اللَّيْلِ إِلَّا الْعَشْرَ الْأَخِيرَ ، وَنَهَى عَنْ الْعَزْبَةِ لِلْمُسْتَطِيعِ ، وَنَهَى عَنْ تَرْكِ اللَّحْمِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي ، فَالْعَابِدُ بِلَا مَعْرِفَةٍ لِكَثِيرٍ مِنْ ذَلِكَ مَعْدُورٌ مَاجُورٌ ، وَالْعَابِدُ الْعَالِمُ بِالْأَثَارِ الْحَمْدِيَّةِ . الْمَتَجَاوِزُ لَهَا مَفْضُولٌ مَغْرُورٌ ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ .
أَلْهَمْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ حُسْنَ الْمَتَابَةِ ، وَجَنَّبْنَا الْهَوَى وَالْمُخَالَفَةَ ١.هـ .

٢٢١٠ - * رَوَى أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : قُلْتُ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَكْتُبُ مَا أَسْمَعُ مِنْكَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » قُلْتُ : فِي الرِّضَى وَالْغَضَبِ ؟ قَالَ :
« نَعَمْ ، فَإِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا » .

٢٢١١ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
أَكْثَرَ حَدِيثًا مِنِّي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ .

٢٢١٢ - * رَوَى أَبُو نَعِيمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبَلِيِّ ، سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ :
لَأَنْ أَكُونَ عَاشِرَ عَشْرَةِ مَسَاكِينِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ عَاشِرَ عَشْرَةِ أَغْنِيَاءَ ،
فَإِنَّ الْأَكْثَرِينَ هُمُ الْأَقْلَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا ، يَقُولُ : يَتَصَدَّقُ بَيْنَنَا
وَشِمَالًا .

٢٢١٣ - * رَوَى أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : زَوَّجَنِي أَبِي امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ ، فَلَمَّا
دَخَلْتُ عَلَيْهَا ، جَعَلَتْ لَا أَنْحَاشَ لَهَا مِنِّي مِنَ الْقُوَّةِ عَلَى الْعِبَادَةِ ، فَجَاءَ أَبِي إِلَى كَنَّتِهِ ، فَقَالَ :
كَيْفَ وَجَدْتِ بَعْلَكَ ؟ قَالَتْ : خَيْرَ رَجُلٍ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يُفْتَشْ لَهَا كِنْفًا ، وَلَمْ يَقْرَبْ لَهَا
فِرَاشًا ، قَالَ : فَأَقْبَلِ عَلَيَّ ، وَعَضْنِي بِلِسَانِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَنْكَحْتُكَ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ ، فَعَضَّلْتُهَا

٢٢١٠ - أحمد في مسنده (٢ / ١٦١ ، ١٩٢) .

وأبو داود (٣ / ٣١٨) كتاب العلم ، باب في كتاب العلم .

والدارمي (١ / ١٢٥) المقدمة ، باب من رخص في كتابة العلم .

٢٢١١ - البخاري (١ / ٢٠٦) ٣ - كتاب العلم - ٣٩ - باب كتابة العلم .

٢٢١٢ - الحلية (١ / ٢٨٨) ورجاله ثقات .

٢٢١٣ - أحمد في مسنده (٢ / ١٥٨) ورجاله ثقات .

وفعلت ، ثم انطلق ، فشكاني إلى النبي ﷺ ، فطلبني ، فأتيت ، فقال لي : « أتصوم النهار وتقوم الليل » ؟ قلت : نعم . قال : « لكنني أصوم وأفطر ، وأصلي وأنام ، وأمس النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

٢٢١٤ - * روى البخاري ، عن عبد الله بن عمرو قال : أنكحني أبي امرأة ذات حسب ، فكان يتعاهد كنته ، فيسألها عن بعلها ، فتقول : نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشاً ، ولم يفتش لنا كنفاً منذ أتيناها ، فلما طال ذلك عليه ، ذكر للنبي ﷺ ، فقال : « ألقي به »

والكنة : زوج الولد ، وقولها لم يفتش لنا كنفاً : الكنف : الجانب ، أرادت أنه لم يقرها ، ولم يطلع منها على ماجرت به عادة الرجال مع نسائهم . واسم المرأة : أم محمد بنت مخيمية بن جزء الزبيدي حليف قريش ، ذكرها الزبير .

٢٢١٥ - * روى أحمد عن عبد الله بن عمرو ، قال : دخل رسول الله ﷺ بيبي هذا ، فقال : « يا عبد الله ! ألم أخبر أنك تكلفت قيام الليل وصيام النهار » ؟ قلت : إني لأفعل . فقال : « إن من حسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، فالحسنة بعشر أمثالها ، فكأنك قد صمت الدهر كله » قلت : يا رسول الله ، إني أجد قوة ، وإني أحب أن تزيدني . فقال : « فخمسة أيام » قلت : إني أجد قوة . قال : « سبعة أيام » ، فجعل يستزيده ، ويزيده حتى بلغ النصف . وأن يصوم نصف الدهر : « إن لأهلك عليك حقاً ، وإن لعبدك عليك حقاً ، وإن لضيفك عليك حقاً » فكان بعد ما كبر وأسن يقول : ألا كنت قبلت رخصة النبي ﷺ أحب إلي من أهلي ومالي .

أقول : الأصل في حياة المسلم أن يلزم نفسه من النوافل بما يستطيع وإذا ألزم نفسه بشيء من النوافل دون نذر ، وعجز أو حيل بينه وبين أن يؤدي ما ألزم نفسه به فالأمر واسع في

٢٢١٤ - البخاري (٩ / ٩٤) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن - ٣٣ - باب قول القرئ للقارئ حسبك .

٢٢١٥ - أحمد في مسنده (٢ / ٢٠٠) وإسناده حسن .

وهذا الحديث له طرق مشهورة في الصحيحين وغيرهما .

حقه ، وقد ورد أن رسول الله ﷺ لما كبر وثقل خفف بعض ما كان يلزم به نفسه من قبل ولو أن عبد الله فعل ذلك لما كان عليه من حرج ، ولكن التزامه أمام رسول الله ﷺ جعله يستشعر أن عليه أن يبقى على الحالة التي فارقه عليها رسول الله ﷺ ، وهذا من باب الورع ولم يكن واجباً في حقه ، ومن كلامه نأخذ درساً ألا يضيق الإنسان على نفسه فيما وسعت به الشريعة ، ونخص بالتذكير بعض الطبقات التي تتعامل مع المباح وكأنه فريضة ومع المندوب وكأنه فريضة أو مع خلاف الأولى وكأنه محرم ، فهؤلاء لهم أجرهم ولكنهم يضيقون واسعاً وخاصة إذا كانوا أئمة يقتدى بهم أو يلتزم الناس بأوامرهم .

٢٢١٦ - * روى أحمد عن حَنْظَلَةَ بنِ خُوَيْلِدِ العَنْبَرِيِّ ، قال : بينما أنا عند معاوية ، إذ جاءه رجلان يَخْتَصِمَانِ في رأسِ عمارِ رضي الله عنه ، فقال كلُّ واحدٍ منهما : أنا قتلته . فقال عبدُ الله بنُ عمرو : لِيَطْبُبْ به أَحَدُكُمَا نفساً لصاحبه ، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « تَقْتُلُهُ الفُتَّةُ الباغِيَةُ » فقال معاوية : يا عمرو ألا تَغْنِي عَنَّا مجنونك ، فما بالك معنا ؟ قال : إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ ، فقال : « أطع أباك مادام حيّاً » فأنا معكم ، ولست أَقَاتِلُ .

أقول : أمر الرسول صلى الله ﷺ ههنا عام ، ومن ورع عبد الله أنه حمل العموم على عومه ، ولكن مقتضى الفتوى أن ما يخص العام تخصيصاً لالبس فيه فإن على المسلم أن يأخذ به ، وفي الواقعة التي نحن فيها كان مقتضى الفتوى ألا يكون عبد الله مع جند معاوية بل أن يكون مع جند عليّ ، فكان الواجب عليه أن يأخذ بهذا الخصوص الواضح البين ، ولكنه اجتهد فحمل العام على عومه ، فخرجوا أن يكون مأجوراً إن شاء الله .

٢٢١٧ - * روى ابن سعد عن ابن أبي مُلَيْكَةَ ، قال : قال عبدُ الله بنُ عمرو رضي الله عنه : مالي ولصِفِّينَ ، مالي ولقتالِ المسلمين ، لَوَدِدْتُ أَنِّي مِتُّ قبلها بعشرين سنة - أو قال بعشرين سنين - أما والله على ذلك ما ضربتُ بسيفٍ ، ولا رميتُ بسهمٍ . وذكر أنه كانت الراية بيده .

٢٢١٦ - أحمد في مسنده (٢ / ١٦٤) وإسناده صحيح .

٢٢١٧ - الطبقات الكبرى (٤ / ٢٦٦) ورجاله ثقات .

٢٢١٨ - * روى الحاكم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو قال : كانت أم عبد الله بن عمرو ورِيْطَة بنت منبه بن الحجاج تُلْطِفُ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأثاها ذات يوم فقال « كيف أنت يا أم عبد الله » ؟ قالت : بخير وعبد الله رجل قد ترك الدنيا . قال له أبوه يوم صفين : اخرج فقاتل ، . قال : يا أبتاه أتأمرني أن أخرج فأقاتل وقد كان من عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماقد سمعت ؟ قال : أنشدك بالله أتعلم أن ما كان من عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليك أنه أخذ بيدك فوضعها في يدي فقال أطع أباك عمرو بن العاص قال : نعم ، قال : فإني أمرك أن تقاتل . قال : فخرج يقاتل . فلما وضعت الحرب قال عبد الله :

لو شهدت جل مقامي ومشهدي	بصفين يوما شاب منها الذوائب
عشية جاء أهل العراق كأنهم	سحاب ربيع زعزعتة الجنائب
إذا قلت قد ولوا سراعا ثبتت لنا	كتائب منهم وارجحت كتائب
فقالوا لنا إنا نرى أن تبائعوا	عليا فقلنا نرى أن تضاربوا

٢٢١٩ - * روى الحاكم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة له ففرغ الناس ، فخرجت وعلي سلاحي فنظرت إلى سالم مولى أبي حذيفة عليه سلاحه يمشي وعليه السكينة ، فقلت : لأقتدين بهذا الرجل الصالح حتى أتى فجلس عند باب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجلست معه ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مغضبا فقال : « يا أيها الناس ماهذه الخفة ماهذا الترف أعجزتم أن تصنعوا كما صنع هذان الرجلان المؤمنان » .

قال الذهبي :

عن سلمان بن ربيعة الغنوي : أنه حجَّ زمنَ معاويةَ في عصابةٍ من القُرَّاء ، فحدَّثنا أنَّ

٢٢١٨ - المستدرك (٣ / ٥٢٧) .

تُلْطِفُ : أَلْطَفَ فلاناً بكذا : أحفّه وأبره ، واللُّطْفُ : الهدية واليسير من الطعام وغيره .

٢٢١٩ - المستدرك (٣ / ٥٢٧) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

عبد الله في أسفل مكة . فعمدنا إليه ، فإذا نحنُ بثقلٍ عظيمٍ يرتحلون ثلاث مئة راحلة ، منها مئة راحلة ومئة زاملة ^(١) وكنا نحدثُ أنه أشدُّ الناس تواضعاً . فقلنا : ما هذا ؟ قالوا : لإخوانه يحملهم عليها ولن ينزل عليه ، فعجبنا ، فقالوا : إنه رجلٌ غنيٌّ ، ودلُّونا عليه أنه في المسجد الحرام ، فأتيناهُ ، فإذا هو رجلٌ قصيرٌ أرمص ^(٢) ، بين بردين وعمامة ، قد علق نعليه في شماله .

عن سليمان بن الربيع قال : انطلقتُ في رهطٍ من نساء أهل البصرة إلى مكة ، فقلنا : لو نظرنا رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ، فدلُّنا على عبد الله بن عمرو ، فأتينا منزله ، فإذا قريبٌ من ثلاث مئة راحلة . فقلنا : على كلِّ هؤلاء حجَّ عبد الله بن عمرو ؟ قالوا : نعم . هو ومواليه وأحبَّاءه . قال : فانطلقنا إلى البيت ، فإذا نحنُ برجلٍ أبيض الرأس واللحية ، بين بردين قطريين ، عليه عمامةٌ وليس عليه قيص .

عن عبيد بن سعيد : أنه دخلَ مع عبد الله بن عمرو المسجد الحرام ، والكعبةُ محترقةٌ حين أدير جيش حصين بن نمير ، والكعبةُ تتناثر حجارُتها . فوقف وبكى حتى إنِّي لأنظرُ إلى دموعه تسيلُ على وجنتيه . فقال : أيُّها الناس ! والله لو أنَّ أبا هريرة أخبركم أنكم قاتِلو ابن نبيكم ، ومحرَقو بيت ربكم ، لقلتم : ما أحدٌ أكذب من أبي هريرة . فقد فعلتم ، فانتظروا نعمة الله فليلبسكم شيعاً ، ويذيقَ بعضكم بأسَ بعض .

وقد أسلم عبد الله وهاجر بعد سنة سبع ، وشهد بعض المغازي .

قال أبو عبيد : كان على مينة جيش معاوية يوم صفين . وذكره خليفة بن خياط في تسمية عمال معاوية على الكوفة . قال : ثم عزله وولَّى المغيرة بن شعبة .

ورث عبد الله من أبيه قناطيرَ مقنطرةٍ من الذهب المصري ، فكان من ملوك الصحابة . قال قتادة : كان رجلاً سميناً .

(١) الراحلة من الإبل : البعير النجيب القوي على الأسفار والأحمال ، الذكر والأنثى فيه سواء ، وهي التي يختارها الرجلُ لمركبه ، والماء فيه للبالغة في الصفة كما يقال : رجلٌ داعية وباقمة وعلامة ، والزاملة : بعير يستظهر به الرجل ، يحمل عليه متاعه وطعامه .

(٢) الرَّمْص : قذى في عينه .

قال أحمد بن حنبل : مات عبد الله ليالي الحرّة سنة ثلاثٍ وستين . وقال يحيى بن
 بُكير : تُوِّفِيَ عبدُ الله بن عمرو بمصر ، ودُفِنَ بداره الصغيرة سنة خمسٍ وستين ، وكذا قال في
 تاريخ موته : خليفة ، وأبو عَبِيد ، والواقديّ ، والفلاس وغيرهم . [وهو الصحيح] وقال
 خليفة : مات بالطائف ، ويقال : بمكة . وقال ابنُ البرقيّ أبو بكر : فأما ولده فيقولون :
 مات بالشام . اهـ الذهبي .

* * *

٧٣ - محمد بن مَسْلَمَةَ رضي الله عنه

محمد بن مَسْلَمَةَ بن سَلَمَةَ بن خالد بن عديّ بن مَجْدَعَةَ بن حارثة بن الخزرج بن عمرو ابن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي الحارثي أبو عبد الرحمن المدني حليف بني عبد الأشهل .. ولد قبل البعثة باثنتين وعشرين سنة في قول الواقدي ، وهو من سمي في الجاهلية محمدا وقيل يكنى أبا عبد الله وأبا سعيد والأول أكثر .

قال ابن شاهين : حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث أنه شهد بدرًا وصحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو وأولاده جعفر وعبد الله وسعد وعبد الرحمن وعمر ، وقال : وسمعتة يقول قتله أهل الشام ثم أخرج من طريق هشام عن الحسن أن محمد بن مسلمة قال : أعطاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيفاً فقال « قاتل به المشركين ماقاتلوا فيأذا رأيت أمتي يضرب بعضهم بعضاً فائت به أحدا فاضرب به حتى ينكسر ثم اجلس في بيتك حتى تأتئك يد خاطئة أو منية قاضية » ففعل قلت [القائل ابن حجر] ورجاله هذا السند ثقات إلا أن الحسن لم يسمع من محمد بن مسلمة وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي عبيدة وشهد المشاهد بدرًا وما بعدها إلا غزوة تبوك فإنه تخلف بإذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم له أن يقيم بالمدينة وقال ابن عبد البر ، كان من فضلاء الصحابة واستخلفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة في بعض غزواته ، وكان ممن اعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولا صفين .

وقال ابن الكلبي : ولاء عمر على صدقات جهينة ، وقال غيره كان عند عمر معداً لكشف الأمور المعضلة في البلاد وهو كان رسوله في الكشف عن سعد بن أبي وقاص حين بنى القصر بالكوفة وغير ذلك .

وقال ابن المبارك في الزهد أنبأنا ابن عيينة عن عمر بن سعيد عن عباية بن رفاعة قال : بلغ عمر بن الخطاب أن سعد بن أبي وقاص اتخذ قصراً وجعل عليه باباً وقال انقطع الصوت ، فأرسل محمد بن مسلمة وكان عمر إذا أحب أن يؤقى بالأمر كما يريد بعثه فقال له : ائت سعداً فأحرق عليه بابه فقدم الكوفة فلما وصل إلى الباب أخرج زنده فاستورى ناراً ثم

أحرق الباب فأخبر سعد فخرج إليه فذكر القصة .

قال ابن شاهين : كان من قدماء الصحابة سكن المدينة ثم سكن الرَبْذَة يعني بعد قتل عثمان . قال الواقدي : مات بالمدينة في صفر سنة ست وأربعين وهو ابن سبع وسبعين سنة وأرخه المدائني سنة ثلاث وأربعين وقال ابن أبي داود : قتله أهل الشام ، وكذا قال يعقوب ابن سفيان في تاريخه دخل عليه رجل من أهل الشام من أهل الأردن وهو في داره فقتله وقال محمد بن الربيع في صحابة مصر : بعثه عُمر إلى عمرو بمصر فقاسمه ماله وأسند ذلك في حديث ، ثم قال : مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين وله سبع وسبعون سنة ، وكان طويلاً معتدلاً أصلع . اهـ ابن حجر .

وقال الذهبي عنه : من نجباء الصحابة ، شهد بدرًا والمشاهد .

وقيل : إن النبي ﷺ استخلفه مرةً على المدينة . وكان رضي الله عنه ممن اعتزل الفتنة ، ولا حضر الجمل ، ولا صفين ؛ بل اتَّخَذَ سيفاً من خَشَب ، وتحولَ إلى الرَبْذَة ، فأقام مُدَيِّدَةً . وهو حارثيٌّ ، من خلفاء بني عبد الأشهل . وكان رجلاً طويلاً أسمر معتدلاً أصلع وقوراً . قد استعمله عُمر على زكاة جُهينة . وقد كان عُمر إذا شكى إليه عاملٌ ، نَفَذَ محمداً إليهم ليكشف أمره . خلف من الولد عشرة بنين ؛ وست بنات . رضي الله عنه . وقديم للجابية ، فكان على مُقَدِّمة جيش عمر .

عباد بن موسى السعدي : حدثنا يونس ، عن الحسن ، عن محمد بن مسلمة ، قال : مررتُ ، فإذا رسولُ الله ﷺ على الصفا ، واضعاً يده على يد رجلٍ ، فذهبتُ . فقال : « ما مَنَعَكَ أَنْ تُسَلِّمَ » ؟ قلتُ : يا رسولَ الله ، فعلتَ بهذا الرجل شيئاً ما فعلته بأحد ، فكرهتُ أن أقطع عليك حديثك ، مَنْ كانَ يا رسولَ الله ؟ قال : « جبريلُ ، وقالَ لي : هذا مُحَمَّدٌ بْنُ مُسْلِمَةَ لم يُسَلِّم ، أما إِنَّه لو سَلَّمَ رَدَدْنَا عليه السَّلَام » . قلتُ : فما قال لك يا رسولَ الله ؟ قال : « مَا زال يُوصيني بالجار ، حتى ظننتُ أَنه يَأْمُرُنِي فَأُورِثُهُ » (١) .

(١) وعباد بن موسى السعدي لم يوثقه غير ابن حبان ، والحسن هو البصري لم يسمع من محمد بن مسلمة . لكن حديث =

قال ابنُ سعد : أسلم محمدُ بنُ مَسْلَمَةَ على يدِ مُصْعَبِ بنِ عَمِيرٍ ، قبل إسلامِ سعدِ بنِ معاذٍ . قال : وأخى رسولُ الله ﷺ بينه وبين أبي عُبَيْدَةَ ، واستخلفه على المدينة عام تَبُوك^(١) .

قال ابنُ يونس : شهد محمدٌ فتح مصر ، وكان فيمن طلع الحصنَ مع الزُّبير . قال عَبَّاسَةُ ابنِ رِفَاعَةَ : كان مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ ، أسودَ طويلًا عظيمًا .

وفي الصحاح ، من حديث جابر : مقتلُ كعبِ بنِ الأشرفِ على يدِ محمدِ بنِ مَسْلَمَةَ^(٢) عاش ابنُ مَسْلَمَةَ سبعاً وسبعين سنة . قال يحيى بنُ بكير ، وإبراهيم بن النُّنَير ، وابنُ نُمير ، وشبابٌ ، وجماعة : مات محمدُ بنُ مسلمة في صفر سنة ثلاث وأربعين . ١٠هـ .

٢٢٢٠ - * روى الحاكم عن عمرو بن دينار سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول : بعثني عثمان رضي الله عنه في خمسين فارساً إلى ذي خُشْبٍ وأميرنا محمد بن مسلمة الأنصاري ، فجاء رجل في عنقه مصحف وفي يده سيف وعيناه تذرفان ، فقال : إن هذا يأمرنا أن نضرب بهذا على ما في هذا.. فقال له محمد بن مسلمة : اجلس فقد ضربنا بهذا على ما في هذا قبل أن تولد فلم يزل يكلمه حتى رجع .

٢٢٢١ - * روى أبو داود عن ثعلبة بن ضبيعة ، قال : دخلنا على حذيفة ، فقال : إني لأعرف رجلاً لا تضره الفتن شيئاً ، قال : فخرجنا فإذا فسطاط مضرٍ ، فدخلنا ، فإذا فيه محمد بن مسلمة ، فسألناه عن ذلك ، فقال : ما أريد أن يشتم عليَّ شيء من أمصاركم حتى تنجلي عما انجلت .

= « مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » صحيح من حديث عائشة وابن عمر ، أخرجه البخاري ومسلم .

(١) تبوك : موضع بين وادي القرى والشام ، وبه كانت الغزوة .

(٢) رواه البخاري (٣٣٦ / ٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٥ - باب قتل كعب بن الأشرف .

ومسلم (١٤٢٥ / ٢) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٤٢ - باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود .

٢٢٢٠ - المستدرک (٤٣٦ / ٣) وصححه ووافقه الذهبي .

٢٢٢١ - أبو داود (٢١٦ / ٤) كتاب السنة ، باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة .

وفي رواية ^(١) عن حذيفة قال : ما أحد من الناس تدركه الفتنة إلا أنا أخافها عليه إلا محمد بن مسلمة فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لَا تَضُرُّكَ الْفِتْنَةُ » .

٢٢٢٢ - * روى الحاكم عن محمد بن إسحاق في ذكر من شهد بدرا قال : ومن الأوس ثم من حلفائهم من بني عبد الأشهل محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس كان حليفاً لبني عبد الأشهل ، توفي سنة ثلاث وقيل سنة ست وأربعين وهو يومئذ ابن سبع وسبعين سنة ، وكان يكنى أبا عبد الرحمن وصلى عليه مروان بن الحكم .

* * *

(١) أبو داود في نفس الموضع السابق .
 ما أريد أن يشتمل علي من أمصاركم شيء : لأسكن بلداً فأتعرض للفتنة حتى تنقضي .
 ٢٢٢٢ - المستدرك (٢ / ٤٣٣) .

٧٤ - حسان بن ثابت

قال الذهبي في السير : ابن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مَنَاة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار ، سيد الشعراء المؤمنين ، المؤيد بروح القدس . أبو الوليد ؛ ويقال : أبو الحسام . الأنصاري الخزرجي النجاري المدني ، ابن الفريضة .

شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه . قال ابن سعد : عاش ستين سنة في الجاهلية ، وستين في الإسلام . أمه الفريضة بنت خنيس . قال مسلم : كنيته أبو عبد الرحمن . وقيل : أبو الوليد . قال ابن إسحاق : سألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان : ابن كم كان حسان وقت الهجرة ؟ قال : ابن ستين سنة ، وهاجر رسول الله ﷺ ابن ثلاث وخمسين .

الزهري ، عن ابن المسيب ، قال : كان حسان في حلقة فيهم أبو هريرة ، فقال : أنشدك الله يا أبا هريرة ، هل سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أجِبْ عني ، أيَّدَكَ الله بروح القدس » ؟ فقال : اللهم نعم ^(١) .

وروى عدي بن ثابت ، عن البراء : أن رسول الله ﷺ قال لحسان : « اهْجِئْهُمْ وهاجِهم وجبريل مَعَكَ » ^(٢) .

وقال سعيد بن المسيب : مرَّ عَمَرُ بحسان ، وهو يَنشِدُ الشعر في المسجد ، فلحظته . فقال حسان : قد كنت أنشد فيه ، وفيه خير منك . قال : صدقت ^(٣) .

عن عائشة ، قالت : كان حسان يضع له النبي ﷺ منبراً في المسجد ، يقوم عليه قائماً ينافح عن رسول الله ﷺ ، ورسول الله يقول : « إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ حَسَانَ بَرُوحِ الْقُدُسِ مَا نَافَحَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » ^(٤) .

(١) رواه البخاري (٣٠٤ / ٦) - ٥٩ - كتاب بدء الخلق - ٦ - باب ذكر الملائكة .

ومسلم (١٩٣٣ / ٤) - ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٤ - باب فضائل حسان بن ثابت .

(٢) رواه البخاري ومسلم في نفس الموضعين السابقين . (٣) رواه البخاري ومسلم في نفس الموضعين السابقين .

(٤) رواه أحمد في مسنده (٧٢ / ٦) ، وأبو داود (٣٠٤ / ٤) كتاب الأدب ، باب ماجاء في الشعر .

والترمذي (١٣٨ / ٥) - ٤٤ - كتاب الأدب - ٧٠ - باب ماجاء في إنشاد الشعر .

والحاكم في المستدرک (٤٨٧ / ٣) وصححه ووافقه الذهبي .

وعن عُرْوَة ، قال : سَبَبْتُ ابنَ قُرَيْعَةَ عندَ عائِشةَ ، فقالتُ : يا ابنَ أخي ، أقسمتُ عليك لما كَفَفْتُ عنه ، فإنه كان يَنافِخُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ .^(١)

أقول : وفي منع ابن أختها من سب حسان مع دوره في حادثة الإفك دليل على أن المسلم لا يحقد ويمتنع عن أن يشفي قلبه من غيظ الغيبة منه أو من غيره ، وهو خلق عز في عصرنا وقل أصحابه .

عمر بن حوشب ، عن عطاء بن أبي رباح ، سمعه يقول : دخل حسانُ على عائِشةَ ، بعدما عَمِيَ ، فوضعتُ له وِسَادَةً ، فدخل أخوها عبدُ الرحمنَ ، فقال : أجلسَتيه على وِسَادَةٍ ، وقد قالَ ما قال ؟ - يريدُ : مقالته نوبة الإفك - فقالت : إنه - تعني أنه كان يَجِيبُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ويشفي صدره من أعدائه - وقد عَمِيَ ، وإني لأرجو ألا يُعَذَّبَ في الآخرة .

وروي عن عائِشةَ قالت : قدم رسولُ اللَّهِ المدينةَ ، فهجَّته قريشٌ ، وهجَّوا معه الأنصارَ . فقال لحسان : « اهْجِهمْ ، وإني أخافُ أن تُصَيِّبَنِي معهم بهَجْرِ بني عَمِّي » .

قال : لأسلنك منهم سلَّ الشعرة من العجين ، ولي مقول يفري مالا تفريه الحربة . ثم أخرج لسانه ، فضرب به أنفه ، كأنه لسان شجاع^(٢) بطرقه شامة سوداء ، ثم ضرب به ذقنه .

عن أبي سلمة : أن حسان قال : والذي بعثك بالحق لأفريئنهم بلساني هذا . ثم أطلع لسانه ، كأنه لسان حيَّة .

فقال رسول اللَّهِ ﷺ : « إن فيهم نَسَباً ، فائتِ أبا بكرٍ ، فإنه أعلمُ قريشَ بأنسابها ، فيخلصُ لك نَسَبِي » . قال : والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم ونَسَبَكَ سلَّ الشعرة من

(١) رواه البخاري (١٠ / ٥٤٦) ٧٨ - كتاب الأدب - ٩١ - باب هجاء المشركين .

ومسلم (٤ / ١٩٣٣) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٤ - فضائل حسان بن ثابت .

(٢) شجاع : الحية الذكر .

العجين . فهجأهم . فقال له رسول الله ﷺ : « لقد شَفِيتَ واشْتَفَيْتَ » (١) .

محمد بن السائب بن بركة ، عن أمه : أنها طافتُ مع عائشة ، ومعها نسوة ، فوقعن في حِسان ، فقالت : لاتسبوه ، قد أصابه ما قال الله : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢) وقد عني ، والله إني لأرجو إن يَدْخِلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ بكلمات قالهنَّ لأبي سفيان بن الحارث :

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعَنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ
فَإِنْ أَبِي وَوَالِدَةٍ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكَفَاءٍ فَشَرُّكُمْ لِخَيْرِكُمَا الْفِـئْدَاءُ

انتهى . من السير للذهبي .

قال الشيخ شعيب : أبو سفيان بن الحارث : هو ابن عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة ، كان يألف النبي ﷺ في الجاهلية ، فلما بعث عاداه ، وهجأه ، ثم أسلم عام الفتح ، وشهد حنيناً . وقوله : (فشرُّكم لخيركم الفداء) . قال السهيلي : وفي ظاهر اللفظ بشاعة ، لأن المعروف أن لا يقال : هو شرهما إلا وفي كليهما شر .. ولكن سيبويه قال في (كتابه) : تقول : مررت برجل شر منك : إذا نقص عن أن يكون مثله ، وهذا يدفع الشناعة ، ونحو منه قوله ﷺ : « شر صفوف الرجال آخرها » يريد : نقصان حظهم عن حظ الأول .

عن مسروق ، قال : كنتُ عند عائشة ، فدخل حسانٌ - بعد ما عَمِيَ - فقال :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرَبِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرُثِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

فقالت : لكن أنت لست كذاك . فقلتُ لها : تأذنين له ، وقد قال الله : ﴿ وَالَّذِي

تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣) فقالت : وأيُّ عذابٍ أشدُّ من العمى .

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٨ / ٤) ومسلم بنحوه في (٤ / ١٩٣٥) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٤ - باب

فضائل حسان بن ثابت .

(٢) آل عمران ٩١ .

(٣) النور : ١١ .

وقالت: إنه كان ينافح، أو يهاجي عن رسول الله ﷺ^(١).

خديج بن معاوية، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبّير، قال: قيل لابن عباس: قدم حسان اللّعين، فقال ابن عباس: ما هو بلعين، قد جاهد مع رسول الله ﷺ بنفسه ولسانه^(٢).

وقال [الذهبي] هذا دال على أنه غزا.

أقول: من المشهور عن حسان قلة مشاركته في القتال وذلك يرجع في نظري إلى أنه كان كبير السن عندما دخل في الإسلام كما مر، وقد علل بعضهم عدم مشاركته في القتال تعليقات لاتليق ولم تثبت بسند صحيح يطمئن إليه القلب، وإنما هو ما ذكرناه فقد كان معذورًا بدليل أنه لم يعاقب ولم يعاتب ولم يؤثر عن رسول الله ﷺ لوم له في هذا الشأن.

قال الذهبي: عبدة بن سليمان، عن أبي حيّان التيمي، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: أنشد حسان النبي ﷺ:

شَهِدْتُ بِإِذْنِ اللَّهِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ مِنْ عِلٍّ
وَأَنَّ أَبَا يَحْيَى وَيَحْيَى كِلَاهُمَا لَهُ عَمَلٌ مِنْ رَبِّهِ مُتَقَبَّلٌ
وَأَنَّ أَخَا الْأَحْقَافِ إِذْ قَامَ فِيهِمْ يَقُولُ بِذَاتِ اللَّهِ فِيهِمْ وَيَعْدِلُ^(٣)
فقال النبي ﷺ: «وأنا».

وروى أبو غسان النهدي: حدثنا عمر بن زياد، عن عبد الملك بن عمير: أن النبي ﷺ أنشده حسان. فذكرها وزاد:

وَأَنَّ الَّذِي عَادِيَ الْيَهُودَ ابْنُ مَرْيَمَ نَبِيٌّ أَتَى مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ مُرْسَلٌ

(١) البخاري (٧ / ٤٣٦) - ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٤ - باب حديث الإفك.

ومسلم (٤ / ١٩٣٤) - ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٤ - باب فضائل حسان بن ثابت.

(٢) أخرجه أبو الفرج في الأغاني، وهو في تهذيب ابن عساكر.

(٣) أبو يحيى: هو زكريا عليه السلام. أخو الأحقاف: هو هود عليه السلام.

قال ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر ، وعبد الله بن حزم : إن حسان لما قال هذه الأبيات :

مَنَعَ النَّوْمَ بِالْعِشَاءِ الْهَمُّومُ وَخَيَّالٌ إِذَا تَغُورُ النُّجُومُ
مِنْ حَبِيبٍ أَصَابَ قَلْبَكَ مِنْهُ سَقَمَ فَهُوَ ذَاخِلٌ مَكْتُومُ
يَا الْقَوْمُ هَلْ يَقْتُلُ الْمَرْءَ مِثْلِي قَاهِنُ الْبَطْشِ وَالْعِظَامِ سَوْومُ
شَأْنُهَا الْعِطْرُ وَالْفِرَاشُ وَيَغْلُو هَا لُجَيْنٌ وَلَوْلَوْ مَنْظُومُ
لَوْ يَدِبُ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذِّئْبِ رَّ عَلَيْهَا لِأَنْدَبَتْهَا الْكَلُومُ
لَمْ تَقْفُهَا شَمْسُ النَّهَارِ بِشَيْءٍ غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ لَيْسَ يَدُومُ

زاد بعضهم :

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَالِ لِ وَجْهٍ لِي غَطَّى عَلَيْهِ النَّعِيمُ
نادى بأعلى صوته على أطفة فارح : يا بني قِيلَةَ ، فلما اجتمعوا ، قالوا : مالك وملك ؟
قال : قلت قصيدة لم يقل أحد من العرب مثلها ، ثم أنشدها لهم ، فقالوا : ألهذا جمعنا ؟
فقال : وهل يصبر من به وَخَر الصدر . [أي وسأوسه] .

قال سليمان بن يسار : رأيت حسان له ناصية قد سدّها بين عينيه .

قال ابن إسحاق : توفي حسان سنة أربع وخمسين . وأما الهيثم بن عدي ، والمدائني
فقالا : توفي سنة أربعين . قلت : له وفادة على جبلة بن الأيهم ، وعلى معاوية .
قال ابن سعد : توفي زمن معاوية . اهـ الذهبي .

وقال ابن حجر : قال أبو عبيدة فضل حسان بن ثابت على الشعراء بثلاث : كان شاعر
الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أيام النبوة ، وشاعر اليمن كلها
في الإسلام ... مات حسان قبل الأربعين في قول خليفة وقيل سنة أربعين وقيل خمسين
وقيل أربع وخمسين وهو قول ابن هشام حكاه عنه ابن البرقي وزاد وهو ابن عشرين ومائة
سنة أو نحوها وذكر ابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدم المدينة ولحسان ستون

سنة (قلت [القائل ابن حجر] من قال إنه مات سنة أربعين بلغ مائة أو دونها أو في سنة خمسين مائة وعشرة أو سنة أربع وخمسين مائة وأربع عشرة ، والجمهور أنه عاش مائة وعشرين سنة وقيل عاش مائة وأربع سنين جزم به ابن أبي خيثمة عن المدائني وقال ابن سعد عاش في الجاهلية ستين وفي الإسلام ستين ومات وهو ابن عشرين ومائة ا.هـ .

٢٢٢٣ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : « استأذنَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي هِجَاءِ الْمُشْرِكِينَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَكَيْفَ يَنْسَبِي ؟ » فَقَالَ حَسَّانُ : لَأَسْلُنَنَّ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشُّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ .

وفي رواية قال عروة : ذهبتُ أَسْبُ حَسَّانَ عِنْدَ عَائِشَةَ ، فَقَالَتْ : لَا تَسْبُهُ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَنْفَعُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وفي رواية لمسلم ^(١) قالت : قال حسان : يا رسول الله ، ائذن لي في أبي سفيان ، قال : « كيف بقرأتي منه ؟ » قال : والذي أكرمك ، لأسلنك كما تسلُّ الشعرة من الخمير ، فقال حسان :

وَإِنْ سَنَامُ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بَنُو بَيْتٍ مَخْزُومٍ ، وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ
قصيدة هذه .

وبعد بيت « وإن سنام المجد ... » بيت لم يذكره البخاري ومسلم ، وبذكره تتم الفائدة والمراد ، وهو :

وَمِنْ وَلَدَتِ أَبْنَاءَ زَهْرَةٍ مِنْهُمْ كِرَامٌ وَلَمْ يَقْرَبْ عَجَائِزُكَ الْمَجْدُ

والمراد بيت مخزوم : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم أم عبد الله والزيبر وأبي طالب بني عبد المطلب ، والمراد بأبي سفيان المهجو في الحديث : أبو سفيان بن الحارث

٢٢٢٣ - البخاري (١٠ / ٥٤٦) ٧٨ - كتاب الأدب - ٩١ - باب هجاء المشركين .

(١) مسلم (٤ / ١٩٣٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٤ - باب فضائل حسان بن ثابت .

سَنَامُ الْمَجْدِ : سَنَامُ كُلِّ شَيْءٍ : أَعْلَاهُ ، وَالْمَجْدُ : الشَّرَفُ وَالْعِلَاءُ وَالْفَخْرُ وَالسُّؤْدُ . وَمَأْشَبُهُ .

ابن عبد المطلب ، وهو ابن عم رسول الله ﷺ وكان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين في ذلك الوقت ، ثم أسلم وحسن إسلامه .

وقوله : ولدت أبناء زهره منهم ، مراده : هالة بنت وهب بن عبد مناف أم حمزة وصفية ، وأما قوله في البيت الأول : ووالدك العبد ، فهو سب لأبي سفيان بن الحارث ، ومعناه : أن أم الحارث بن عبد المطلب والد أبي سفيان هذا : هي سمية بنت موهب ، وموهب غلام لبني عبد مناف ، وكذا أم أبي سفيان بن الحارث كانت كذلك ، وهو مراده بقوله ، ولم يقرب عجائزك المجد .

وفي رواية لمسلم ^(١) أن رسول الله ﷺ قال : « أَهْجُوا قَرِيْشًا ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقِ النَّبْلِ » فأرسل إلى ابن رَوَاحَةَ ، فقال : اهْجُهُمْ ، فلم يُرْضِ ، فأرسل إلى كعب بن مالك ، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت ، فلما دخل عليه قال حسان : قد آن لكم أن تُرسلوا إلى هذا الأسد الضاربِ بِذَنبِهِ ، ثم أذْلَعَ لسانه ، فجعل يُحَرِّكُهُ ، فقال : والذي بعثك بالحق لأُفْرِيتَنَّهُم بلساني فَرِيٍّ الأَدِيمِ ، فقال رسول الله ﷺ : « لَا تَعْجَلْ ، فَإِنْ أَبَا بَكَرَ أَعْلَمَ قَرِيْشَ بِأَنْسَابِهَا ، وَإِنْ لِي فِيهِمْ نَسَبًا ، حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي » فأتاه حسان ، ثم رجع ، فقال : والذي بعثك بالحق ، لأُسَلِّتَنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ ، قالت عائشة : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لحسان : إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ . وقالت عائشة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : هَجَاهُمْ حَسَانٌ ، فَشَفَى وَاشْتَفَى ، قَالَ حَسَانُ :

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا ، فَأَجَبْتُ عَنْهُ	وعند الله في ذاك الجزاء
هَجَوْتُ مُحَمَّدًا بَرًّا تَقِيًّا	رسول الله شيمته الوفاء

(١) مسلم في نفس الموضع السابق .

رشق النَّبْلِ : الرُّشْقُ : الرمي ، وهو بالفتح : المصدر ، تقول : رَشَقْتُهُ رَشْقًا ، وبالكسر : الوجه من الرمي : إذا رموا بأجمعهم ، قالوا : رمينا رَشْقًا .

أذْلَعَ : دلج لسانه وأدله إذا أخرجه ، ودلج لسانه يتعدى ولا يتعدى .

لأُفْرِيتَنَّهُم فَرِيٍّ الأَدِيمِ : أفريت الشيء ، إذا قطعته على جهة الإفساد ، فإذا فعلته على جهة الإصلاح قلت : فريتته ، وفري الأديم : قطع الجزاء الجلد .

بَرًّا : البر : الصادق .

فَإِنْ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِزِّي
 تَكَلَّمْتُ بَيْنِي إِنْ لَمْ تَرَوْهُمَا
 يُبَارِينَ الْأَعْنَةَ مُصْعِدَاتِ
 تَطْلُ جِيَادُنَا مَتَمَطَّرَاتِ
 فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ عَنَّا اعْتَمَرْنَا
 وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِضِرَابِ يَوْمِ
 وَقَالَ اللَّهُ : قَدْ أُرْسِلْتُ عَبْدًا
 وَقَالَ اللَّهُ : قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا
 تَلَاقَى كُلُّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ
 فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ
 وَجَبِيلَ رَسُولِ اللَّهِ فِينَا
 لِعِزِّ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
 تَثِيرِ النَّقْعِ مِنْ كَنْفِي كَدَاءُ
 عَلَى أَكْتَفَاهَا الْأَسْلَ الظَّهَاءُ
 تَلَطَّمُنَّ بِسَاحِطِ النَّسَاءُ
 وَكَانَ الْفَتْحُ ، وَانْكَشَفَ الْغَطَاءُ
 يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
 يَقُولُ الْحَقُّ ، لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ
 هُمْ الْأَنْصَارُ عَرَضَتْهُمَا اللَّقَاءُ
 سِبَابٌ ، أَوْ قِتَالٌ ، أَوْ هِجَاءُ
 وَيُمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ
 وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

أقول : ترجنا لحسان رضي الله عنه لأنه يشكل ظاهرة تحتاج إلى تأمل كبير ليأخذ منها دعاة الإسلام دروساً كثيرة ، فلقد كان الشعر في الجاهلية هو الأداة الأقوى في التأثير على الرأي العام ، وقد استعمل الرسول ﷺ هذا السلاح استعمالاً كثيراً فلم يبق شاعراً إلا وقد استخرج أقصى ما عنده في نصرته الإسلام أو الدعوة له أو الذب عنه أو الرد على خصومه أو في

= حنيفاً : الحنيف : المائل عن الأديان إلى الإسلام .

تَثِيرِ النَّقْعِ : النقع : الغبار ، وإثارته : نشره وإظهاره في الحق .

كَدَاءُ : الممدود - بفتح الكاف - : هو بأعلى مكة عند المقبرة ، وتسمى الناحية : المعلى ، وهنالك المحصب ، وليس بمحصب بني ، وكان باب بني شيبه بإزائه ، وكُدَيْ - بالقصر والضم مصروفاً - : هو بأسفل مكة ، وهو بقرب شعب الشافعيين وابن الزبير ، عند قَعِيقَتَان ، وهنالك موضع آخر يقال له : كُدَيْ ، مصغراً ، وإِنَّمَا هُوَ مَنْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْبَيْتِ ، فَهُوَ فِي طَرِيقِهِ ، وَلَيْسَ مِنْ هَذَيْنِ الْمُقَدِّمِينَ فِي شَيْءٍ .

يُبَارِينَ الْأَعْنَةَ : المباراة : المجارة والمسابقة .

الْأَسْلَ الظَّهَاءُ : الأسل : الرماح ، وهو في الأصل : نبات له أغصان .

دَقَاقُ طَوَالٍ . وَالظَّهَاءُ : جمع ظاميء ، وهو العطشان ، جعل الرماح عطاشاً إلى ورود الدماء استعارة ، فهي إلى ذلك أسرع ، كسارعة العطشان إلى ورود الماء .

مَتَمَطَّرَاتٍ : مطر الفَرَسِ يَطْرُ مَطَرًا وَمَطُورًا : إذا أسرع ، وتَطَرَّ تَطَرُّاً : مثله .

عَرَضَتْهُمَا : يقال : فلان عَرَضَ لَكُنَا : إذا كان مستمعاً له ، متعرضاً له .

التعليل للمواقف ، وهذا يعطينا درساً في أن يبذل الدعاة أقصى ما يستطيعونه للتأثير على الرأي العام بكل وسيلة مشروعة متاحة ، وقد كان من سننه عليه السلام أن يرد على شاعر بشاعر وعلى خطيب بخطيب ، وهذا درس كذلك للدعاة في أن يردوا على الجريدة بالجريدة وعلى الكتاب بالكتاب وعلى البيان بالبيان على ضوء الحكمة والفتوى .

ومن الدروس في ترجمة حسان أن نعرف أن للشاعر وللبيان قيمته للدعوة الإسلامية ، قال تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام ﴿ وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً ﴾ ولقد أثر رسول الله ﷺ على كثير من شعرائه ، ووصف قوة تأثير شعرهم في العدو ، كما دعا لبعضهم ، وهذا رد على بعض المتنطعين الذين لا يعطون للشعر الإسلامي أهميته .

* * *

٧٥ - حُجْرُ بن عدي رضي الله عنه

قال ابن حَجَرٍ في ترجمته :

حجر بضم أوله وسكون الجيم ابن عدي بن معاوية بن جَبَلَة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين الكندي المعروف بحُجْر بن الأديب حُجْر الخير . ذكر ابن سعد ومصعب الزبيري فيما رواه الحاكم عنه أنه وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو وأخوه هانئ بن عدي وأن حجر بن عدي شهد القادسية وأنه شهد بعد ذلك الجمل وصفين وصحب علياً فكان من شيعته وقتل بمرج عذراء بأمر معاوية وكان حجر هو الذي افتتحها فقدر أن قتل بها .

وقد ذكر ابن الكلبي جميع ذلك وذكره يعقوب بن سفيان في أمراء علي يوم صفين ، وروى ابن السكن وغيره من طريق إبراهيم بن الأثير عن أبيه أنه شهد هو وحجر بن الأديب موت أبي ذرّ بالرَبَذَة ، وأما البخاري وابن أبي حاتم عن أبيه وخليفه بن خَياط وابن حبان فذكروه في التابعين ، وكذا ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من أهل الكوفة ، فيما أن يكون ظنه آخر وإما أن يكون ذهل . وروى ابن قانع في ترجمته من طريق شعيب بن حرب عن شعبة عن أبي بكر بن حفص عن حجر بن عدي رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « إن قوماً يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها » وروى أحمد في الزهد والحاكم في المستدرک من طريق ابن سيرين قال : أطال زياد الخطبة فقال حجر : الصلاة ، فضى في خطبته فحصبه حجر والناس ، فنزل زياد فكتب إلى معاوية ، فكتب إليه أن سرح به إليّ ، فلما قدم قال : السلام ، عليك يا أمير المؤمنين ، فقال : أو أمير المؤمنين أنا ؟ قال : نعم ، فأمر بقتله ، فقال : لاتطلقوا عني حديداً ولا تغسلوا عني دماً فإني لاق معاوية بالجادة وإني مخاصم . وروى الروياني والطبراني والحاكم من طريق أبي إسحاق قال : رأيت حجر بن عدي وهو يقول ألا إني على بيعتي لأقيلها ولا أستقيلها . هـ ابن حجر .

وقال الذهبي : هو حُجْر الخير ، وأبوه عدي الأديب . وكان قد طعن مولياً . فسَمِيَ الأديب ، الكوفي ، أبو عبد الرحمن الشهيد . له صحبة وَوفاة .

قال غير واحد : وفد مع أخيه هانئ بن الأذتر ، ولارواية له عن النبي ﷺ . وسمع من عليٍّ وعمار .

وكان شريفاً ، أميراً مطاعاً ، أثاراً بالمعروف ، مقدماً على الإنكار ، من شيعة عليٍّ رضي الله عنهما . شهد صفين أميراً ، وكان ذا صلاحٍ وتعبُد .

قال ابنُ عون : عن محمد [بن سيرين] ، قال : لما أتى بحجر ، قال : ادفنوني في ثيابي ، فأني أبعثُ مُخاصِماً^(١) .

وروى ابنُ عون عن نافع ، قال : كان ابنُ عمر في السوق ، فنُعِيَ إليه حجر ، فأطلق حبَّوته ، وقام ، وقد غَلَبَ عليه النُّحَيْبُ^(٢) .

هشام بن حسان : عن محمد ، قال : لما أتى معاويةَ بحجر ، قال : السلامُ عليك يا أمير المؤمنين ! قال : أو أمير المؤمنين أنا ؟ ا ضربوا عنقه ، فصلُّوا ركعتين ، وقال لأهله : لا تَطْلِقُوا عني حديداً ، ولا تَغْسِلُوا عني دماً ، فأني ملاقٍ معاوية على الجادة .

وقيل : إنَّ رسولَ معاوية عرضَ عليهم البراءة من رجلٍ والتوبة . فأبى ذلك عشرة ، وتبرأ عشرة ، فلما انتهى القتلُ إلى حجر ، جعل يرعد .

وقيل : لما حجَّ معاوية ، استأذن على عائشة ، فقالت : أقتلتَ حجراً ؟ قال : وجدتُ في قتله صلاحَ الناس ، وخفتُ من فسادهم .

ومشهدهم ظاهرٌ بعذراء^(٣) يزار . وخلفَ حجرٌ ولدين : عبيد الله ، وعبد الرحمن . قتلهما مُصْعَبُ بن الزبير الأمير ، وكانا يتشيَّعان . ا.هـ .

أقول : إننا مع رغبتنا في أن لا نذكر الصحابة إلا بخير ، ولكن لا بد أن نسجل أن

(١) رواه ابن سعد (٦ / ٢٢٠) .

(٢) رواه أحمد كما في البداية (٨ / ٥٥) من طريق ابن علية بهذا الإسناد ، وهو صحيح .

(٣) عذراء : هي من قرى غوطة دمشق ، تقع في الشمال الشرقي منها ، وتبعد عنها خمسة عشر ميلاً تقريباً ، وبها قبر حجر وأصحابه ، في مسجدها ، ولا تزال إلى يومنا هذا .

معاوية رضي الله عنه كان بداية الملك العضوض بالنص الصريح عن رسول الله ﷺ كما كان رأس الفئة الباغية التي قتلت عماراً ، وهذا كذلك منصوص عليه ، ثم هو أول من سن القتل السياسي بقتله حجر بن عدي وأصحابه صبراً فكانت سنة سيئة في تاريخ الأمة الإسلامية ، ونحن إذ نسجل هذه الظواهر نسجلها للعبرة والله تعالى هو الذي يحاسب عباده ، ولمعاوية عندنا كما لبقية الصحابة : طلب الرضوان والغفران والأمر لله من قبل ومن بعد .

* * *

٧٦ - عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال ابن حجر: عمران بن حصين بن عبيد بن خَلَف بن عبد نهم بن حذيفة بن جهمه ابن غاضرة بن حبشة بن كعب بن عمرو الخزاعي .. هكذا نسبه ابن الكلبي ومن تبعه وعند أبي عمر عبد نهم بن سالم بن غاضرة ويكنى أبا نُجَيْد بنون وجيم مصغراً . روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدة أحاديث ، وكان إسلامه عام خيبر ، وغزا عدة غزوات ، وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح قاله ابن البرقي ، وقال الطبراني : أسلم قديماً هو وأبوه وأخته ، وكان ينزل ببلاد قومه ثم تحول إلى البصرة إلى أن مات بها ... وأخرج الطبراني بسند صحيح عن سعيد بن أبي هلال عن أبي الأسود الدئلي قال : قدمت البصرة وبها عمران بن حصين وكان عمر بعثه ليفقه أهلها ، وقال خليفة : استقضى عبد الله بن عامر عمران بن حصين على البصرة فأقام أياماً ثم استعفاه ، وقال ابن سعد : استقضاه زياد ثم استعفاه فأعفاه . وأخرج الطبراني وابن منده بسند صحيح عن ابن سيرين قال : لم يكن تقدم على عمران أحد من الصحابة ممن نزل البصرة ، وقال أبو عمر : كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم يقول عنه أهل البصرة إنه كان يرى الحَفَظَةَ وكانت تكلمه حتى اكتوى ... وقال ابن سيرين : أفضل من نزل البصرة من الصحابة عمران وأبو بكر ، وكان الحسن يحلف أنه ما قدم البصرة والسرو خير لهم من عمران أخرجه أحمد في الزهد عن سفيان قال : كان الحسن يقول نحوه وكان قد اعتزل الفتنة فلم يقاتل فيها ، وقال أبو نعيم : كان مجاب الدعوة . اهـ ابن حجر .

وقال الذهبي في ترجمته : القدوة الإمام ، صاحب رسول الله ﷺ . أبو نُجَيْد الخزاعي .

أسلم هو وأبوه وأبو هريرة في وقت ، سنة سبع . وله عدة أحاديث .

وولي قضاء البصرة ، وكان عمر بعثه إلى أهل البصرة ليفقههم ؛ فكان الحسن يحلف : ما قدم عليهم البصرة خير لهم من عمران بن الحصين .

قال زُرارة : رأيت عمران بن حصين يلبس الخنزير .

وقال مَطَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : قال لي عمران بن حصين : أحدثك حديثاً عسى الله أن

ينفعك به : إنَّ رسولَ الله ﷺ جمع بين الحج والعمرة ، ولم ينه عنه حتى مات ، ولم ينزل فيه قرآنٌ يُحرِّمُه ، وأنه كان يُسَلِّمُ عَلَيَّ - يعني الملائكة - قال : فلما اكتويتُ ، أمسَكَ ذلك ؛ فلما تركتُه ، عادَ إليَّ ^(١) .

أقول : في تسليم الملائكة على عمران بن حصين رضي الله عنه دليل على أنه يمكن للمسلم أن يكون له صلة بعالم الغيب ، وهي الظاهرة التي يسميها أهل السلوك إلى الله (الكشف) وهي ليست مستغربة فالقرآن وصف مريم بالصَّديقيَّة ، ومع ذلك ذكر أن الملائكة خاطبتها ومن وقعت له واقعة من هذه الوقائع فله أن يذكرها إذا ترتب على ذلك مصلحة شرعية ، ويجوز للمسلم أن يصدقه في كلامه إذا لم يعرف عنه كذب أو فسوق ، ولم يترتب على كلامه تكليف شرعي أو نقض لشرع ، ولا ينفي ما حدث لعمران جواز الكي وأمثاله للتداوي ولكن يشعر أن الكمال في حق عمران ألا يكتوي .

قال الذهبي : وقد غزا عمرانُ مع النبي ﷺ غير مرة . وكان ينزلُ ببلاد قومه ، ويتردَّدُ إلى المدينة .

عن الحكم بن الأعرج ، عن عمران بن حصين ، قال : مامَسْتُ ذكري بيمني منذُ بايعتُ بها رسول الله ﷺ ^(٢) .

عن محمد : ما قدم البصرةَ أحدٌ يفضِّلُ على عمران بن حصين ^(٣) .

قال قتادة : بلغني أن عمران قال : وددتُ أني رماةٌ تذرُوني الرياح ^(٤) .

قلت [القائل الذهبي] : وكان ممن اعتزل الفتنة ، ولم يجارب مع علي .

عن أبي قتادة : قال لي عمران بن حصين : الزمُ مسجدك . قلتُ : فإنْ دَخِلَ عليّ ؟

(١) رواه مسلم (٢ / ٨٩٨) ١٥ - كتاب الحج - ٣ - باب جواز التمتع .

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤ / ٤٣٩) ورجاله ثقات .

والحاكم في المستدرک (٣ / ٤٧٢) وصححه ووافقه الذهبي .

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٤ / ٢٨٧) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد : (٩ / ٢٨١) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٤) رواه ابن سعد (٤ / ٢٨٧) .

قال : الزَّمُ بَيْتَكَ . قلتُ : فَإِنْ دَخِلَ عَلَيَّ ؟ قال : لو دخل عليَّ رجلٌ يُريدُ نفسي ومالي ، لرأيتُ أن قد حلَّ لي أن أقتله ^(١) .

عن عمران ، قال : اكنوتينا ، فما أفلحن ، ولا أنجحن - يعني المكاوي ^(٢) .

عن مطرّف : قال لي عمرانُ في مرضه : إنه قد كان يُسلمُ عليَّ ، فإن عشتُ ، فاكنتم عليَّ ^(٣) .

قال مطرّف : قال لي عمران : أشعرت أن التسليم عادةٌ إليَّ ؟ قال : ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى مات ^(٤) .

عن مطرّف ، قلت لعمران : ما يعني من عيادتكَ إلا ما أرى من حالكَ . قال : فلاتفعل ، فإن أحبه إليَّ أحبه إلى الله ^(٥) .

إبراهيمُ بنُ عطاء مولى عمران ، عن أبيه أن عمران قضى على رجل بقضية ، فقال : والله ، قضيت عليَّ بجورٍ ، وما ألوت . قال : وكيف ؟ قال : شهدَ عليَّ يزور . قال : فهو في مالي ، والله لأجلس مجلسي هذا أبداً ^(٦) .

عن أبي رجاء ، قال : خرج علينا عمران في مطرّف خزّ لم نره قط ، فقال : قال رسولُ الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً يُحِبُّ أَنْ تَرَى عَلَيْهِ » ^(٧) .

قال ابنُ سيرين : سقى بطنُ عمران بن حصّين ثلاثين سنة ، كل ذلك يُعرضُ عليه

(١) رواه ابن سعد (٢٨٧ / ٤) ورجاله ثقات .

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤٢٧ / ٤) ، وأبو داود (٥ / ٤) كتاب الطب : باب في الكي .
والترمذي (٢٨٩ / ٤) ٢٩ - كتاب الطب - ١٠ - باب ماجاء في كراهية التداوي بالكي .
وابن ماجه (١١٥٥ / ٢) ٣١ - كتاب الطب - ٣ - باب الكي .

وإسناده صحيح .

(٣) الحاكم في المستدرک (٤٧٢ / ٣) .

(٤) ابن سعد (٢٨٩ / ٤) .

(٥) ابن سعد (٢٨٧ / ٤) ورجاله ثقات .

(٦) ابن سعد بنحوه (٢٨٧ / ٤) ورجاله ثقات ، لا أجلس مجلسي هذا أبداً لأقضي .

(٧) رواه أحمد في مسنده (٤٣٨ / ٤) وابن سعد (٢٩١ / ٤) وسنده صحيح .

الكبي، فيأبى؛ حتى كان قبل موته بسنتين، فاكتوى^(١).

عمران بن حدير، عن أبي مجلز، قال: كان عمران ينهى عن الكبي، فابتلّى، فاكتوى، فكان يعج^(٢).

عن الحسن: أن عمران بن حصين أوصى لأمهات أولاده بوصايا، وقال: مَنْ صَرَخَتْ عليّ، فلا وصية لها.

توفي عمران سنة اثنتين وخمسين. رضي الله عنه. اهـ الذهبي.

٢٢٢٤ - * روى الحاكم عن إبراهيم بن عطاء عن أبيه أن زياداً أو ابن زياد بعث عمران ابن حصين ساعياً فجاء ولم يرجع معه درهم فقال له: أين المال؟ قال: وللمال أرسلتني أخذناها كما كنا نأخذها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووضعناها في الموضع الذي كنا نضعها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٢٢٢٥ - * روى الحاكم عن هلال بن يساف قال: انطلقت إلى البصرة فدخلت المسجد فإذا شيخ مستند إلى اسطوانة يحدث يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم تأتي أقوام يعطون الشهادة قبل أن يسألوها» فقلت: من هذا الشيخ؟ قالوا: عمران بن حصين.

٢٢٢٦ - * روى الحاكم عن رافع بن سحبان أن رجلاً أتى عمران بن حصين وهو في المسجد فقال: رجل طلق امرأته وهو في مجلس ثلاثاً، فقال: إنهم لزمه وحرمت عليه امرأته، فانطلق فذكر ذلك لأبي موسى يريد عيبه، فقال أبو موسى: أكثر الله فينا مثل أبي نجيد.

* * *

(١) ابن سعد (٤ / ٢٨٨).

السقي: ماء أصفح يقع في البطن، يقال: سقي بطنه يسقي سقياً.

(٢) ابن سعد (٤ / ٢٨٩).

يعج: يضح ويرفع صوته.

٢٢٢٤ - المستدرک (٣ / ٤٧١) وصححه ووافقه الذهبي.

٢٢٢٥ - المستدرک (٣ / ٤٧١) وصححه ووافقه الذهبي.

٢٢٢٦ - المستدرک (٣ / ٤٧٢).

٧٧ - سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال ابن حجر : سهيل بن عمرو بن شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري خطيب قريش أبو يزيد .. قال البخاري سكن مكة ثم المدينة ، وذكره ابن سميع في الأولى ممن نزل الشام ، وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية ، وكلامه ومراجعته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك في الصحيحين وغيرها ، وله ذكر في حديث ابن عمر في الذين دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليهم في القنوت فنزلت ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ زاد أحمد في روايته ، فتأبوا كلهم . وروى حميد بن زنجويه في كتاب الأموال من طريق ابن أبي حسين قال : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة دخل البيت ثم خرج فوضع يده على عضادتي الباب فقال ماذا تقولون ؟ فقال سهيل بن عمرو : نقول خيراً ونظن خيراً أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال : أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم . وذكره ابن إسحاق فيمن أعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم مائة من الإبل من المؤلفة وذكر ابن أبي حاتم عن عبد الله بن أحمد عن أبيه عن الشافعي كان سهيل محمود الإسلام من حين أسلم . وروى البيهقي في الدلائل من طريق الحسن بن محمد بن الحنفية قال قال عمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : دعني أنزع ثنيتي سهيل فلا يقوم علينا خطيباً ؟ فقال : دعها فلعلها أن تسرك يوماً فلما مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم قام سهيل بن عمرو فقال لهم : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وروى أوله يونس بن بكير في مغازي ابن إسحاق عنه عن محمد بن عمرو بن عطاء وهو في المحامليات . موصول من طريق سعيد بن أبي هند عن عمرة عن عائشة وذكر ابن خالويه أن السر في قوله أنزع ثنيتيه أنه كان أعلم والأعلم إذا نزع ثنيتاه لم يستطع الكلام ... وروى أبو قرّة من طريق ابن أبي حسين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استهداه من ماء زمزم ، وروى البخاري في تاريخه والباوردي من طريق حميد عن الحسن قال : كان المهاجرون ، والأنصار بباب عمر فجعل يأذن لهم على قدر منازلهم وثم جماعة من الطلقاء فنظر بعضهم إلى بعض فقال لهم سهيل بن عمرو : على أنفسكم فاغضبوا دعني القوم ودعيتهم فأسرعوا وأبطأتم فكيف بكم إذا دعيتهم إلى أبواب الجنة ثم خرج إلى الجهاد ، وأخرجه ابن المبارك في الجهاد أتم منه ، وروى ابن شاهين من طريق ثابت البناني قال قال

سهيل بن عمرو : والله لأأدع موقفاً وقفته مع المشركين إلا وقفت مع المسلمين مثله ولا نفقة أنفقتها مع المشركين إلا أنفقت على المسلمين مثلها لعل أمري أن يتلو بعضه بعضاً ، وقال ابن أبي خيثمة : مات سهيل بالطاعون سنة ثمان عشرة ويقال قتل باليرموك وقال خليفة بمرج الصفر والأول أكثر ، وأنه مات بالطاعون وأخرجه ابن سعد بإسناد له إلى أبي سعد بن فضالة وكانت له صحبة ، قال : اصطحبت أنا وسهيل بن عمرو إلى الشام فسمعتة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : مقام أحدكم في سبيل الله ساعة من عمره خير من عمله عمره في أهله ، قال سهيل : فإنما أربط حتى أموت ولأرجع إلى مكة ، قال : فلم يزل مقيماً بالشام حتى مات في طاعون عمّواس . ا.هـ ابن حجر .

وقال الذهبي : يكنى أبا يزيد . وكان خطيباً قريش ، وفصيحتهم ، ومن أشرافهم .

لما أقبل في شأن الصلح ، قال النبي ﷺ ، « سَهْلٌ أَمْرٌ » ^(١) تأخر إسلامه إلى يوم الفتح ، ثم حسن إسلامه . وكان قد أُسِرَ يوم بدر وتخلّص . قام بمكة وحضاً على النفير ، وقال : يال غالب ! أتاكون أنتم محمداً والصبّة ^(٢) يأخذون غيركم ؟ مَنْ أراد مالا ، فهذا مال ، وَمَنْ أراد قوّة ، فهذه قوّة . وكان سمحاً جواداً مفوّهاً . وقد قام بمكة خطيباً عند وفاة رسول الله ، ﷺ ، بنحو من خطبة الصديق بالمدينة ، فسكنهم وعظّم الإسلام .

قال الزبير بن بكار : كان سهيل بعد كثير الصلاة والصوم والصدقة ، خرج بجماسته إلى الشام مجاهداً ، ويُقال : إنه صام وتهجد حتى شَحَبَ لَوْنُهُ وتغيّر ، وكان كثير البكاء إذا سمع القرآن . وكان أميراً على كُرْدُوسٍ ^(٣) يوم اليرموك .

قال المدائني وغيره : استشهد يوم اليرموك . وقال الشافعي ، والواقدي : مات في طاعون عمّواس . ا.هـ .

* * *

(١) أخرجه البخاري بأطول منه (٥ / ٣٢٩) ٥٤ - كتاب الشروط - ١٥ - باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط .

وفيه : عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو ، قال النبي ﷺ « قد سهل لكم من أمركم » .

(٢) الصبّة : جمع صابئ . وهو من يترك دينه لدين آخر .

(٣) الكردوس : الطائفة العظيمة من الخيل والجيش . والجمع كراديس .

٧٨ - أبو سعيد الخدري رضي الله عنه

قال ابن حجر : سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبرج ، وهو خذرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي أبو سعيد الخدري .. مشهور بكنيته استصغر بأحد واستشهد أبوه بها وغزا هو مابعدا ^(١) كان من أفقه أحداث الصحابة ، وقال الخطيب : كان من أفاضل الصحابة وحفظ حديثاً كثيراً ^(٢) ، وروى الهيثم ابن كليب في مسنده من طريق عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال بايعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنا وأبو ذر وعبادة بن الصامت ومحمد بن مسلمة وأبو سعيد الخدري وسادس على أن لاتأخذنا في الله لومة لائم فاستقال السادس فأقاله ، وروى ابن سعد من طريق حنظلة بن سفيان الجمحي عن أشياخه قال : لم يكن أحد من أحداث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفقه من أبي سعيد الخدري ، ومن طريق يزيد بن عبد الله بن الشخير قال : خرج أبو سعيد يوم الحرة فدخل غاراً فدخل عليه شامي ، فقال : أخرج ، فقال : لا أخرج وإن تدخل عليّ أقتلك ، فدخل عليه فوضع أبو سعيد السيف ، وقال : بؤ يا ثعلب ، قال : أنت أبو سعيد الخدري ؟ قال : نعم . قال : فاستغفر لي . وروى أحمد وغيره من طريق عطية عن أبي سعيد قال : قتل أبي يوم أحد شهيداً وتركنا بغير مال ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسأله فحين رآني قال « من استغنى أغناه الله ومن يستعفف يعفه الله » فرجعت ، وأصل هذا الحديث في الصحيحين من طريق عطاء بن يزيد عن أبي سعيد بقصة أخرى غير هذه ولفظه : « من يستغن يغنه الله ومن يستعفف يعفه الله ومن يتصبر يصبره الله » الحديث ، قال شعبة عن أبي سلمة سمعت أبا نضرة عن أبي سعيد رفعه : لا يمتنع أحدكم مخافة الناس أن يتكلم بالحق إذا رآه أو علمه ، قال أبو سعيد : فحملني ذلك على أن ركبت إلى معاوية . فلأت أذنيه ثم رجعت ، وقال ابن أبي خيثمة حدثنا يحيى بن معين حدثنا عمرو بن محمد بن عمرو بن معاذ الأنصاري سمعت هند ابنة سعيد بن أبي سعيد الخدري عن عمها جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عائداً إلى

(١) مسند أبي سعيد ألف ومئة وسبعون حديثاً [بالمركر] ، ففي البخاري ومسلم ثلاثة وأربعون ، وانفرد البخاري بستة عشر حديثاً ، ومسلم باثنين وخمسين .

أبي سعيد فقدمنا إليه ذراع شاة . عن أبي سعيد قلنا له : هنيأ لك برؤية رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه قال إنك لاتدري ما أحدثنا بعده ، وقال علي بن الجعد حدثنا شعبة عن سعيد بن يزيد سمع أبا نضرة يحدث عن أبي سعيد قال : تحدثوا فإن الحديث يهيج الحديث ، قال الواقدي : مات سنة أربع وسبعين وقيل أربع وستين وقال المدائني : مات سنة ثلاث وستين ، وقال العسكري : مات سنة خمس وستين .

وقال الذهبي عنه : الإمام المجاهد ، مفتي المدينة . وأخو أبي سعيد لأمه هو قتادة بن النعمان الظفري أحد البدرين .

استشهد أبوه مالك يوم أحد ، وشهد أبو سعيد الخندق ، وبيعة الرضوان . وحدث عن النبي ﷺ ، فأكثر وأطاب ، وعن أبي بكر ، وعمر ، وطائفة ، وكان أحد الفقهاء المجتهدين .

وعن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه ، قال : عرضت يوم أحد على النبي ﷺ وأنا ابن ثلاث عشرة ، فجعل أبي يأخذ بيدي ويقول : يا رسول الله ! إنه عبث العظام . وجعل نبي الله ﷺ يصعد في النظر ، ويصوبه . ثم قال : رده ، فردني .

إسماعيل بن عيَّاش : أنبأنا عقيل بن مذك ، يرفعه إلى أبي سعيد الخدري قال : عليك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء . وعليك بالجهاد ، فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن ، فإنه روحك في أهل السماء ، وذكرك في أهل الأرض ، وعليك بالصمت إلا في حق ، فإنك تغلب الشيطان .

وروى حنظلة بن أبي سفيان ، عن أشياخه : أنه لم يكن أحد من أحداث أصحاب رسول الله ﷺ أعلم من أبي سعيد الخدري .

قال أبو عقيل الدؤري : سمعت أبا نضرة يحدث قال : دخل أبو سعيد يوم الحرة غاراً ، فدخل عليه رجل ، ثم خرج ، فقال لرجل من أهل الشام : أدلك على رجل تقتله ؟ فلما انتهى الشامي إلى باب الغار ، وفي عنق أبي سعيد السيف ، قال لأبي سعيد : اخرج ، قال : لا أخرج ، وإن تدخل أقتلك ، فدخل الشامي عليه ، فوضع أبو سعيد السيف ، وقال : يؤ يا بني وإثمك . وكُنْ من أصحاب النار . قال : أنت أبو سعيد الخدري ؟ قال : نعم . قال :

فاستغفر لي ، غَفَرَ اللهُ لكَ .

عبد الله بن عمر : عن وهب بن كيسان ، قال : رأيتُ أبا سعيد الخُدري يلبس الخنزير .

ابن عجلان : عن عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع ، قال : رأيتُ أبا سعيد يُحفي^(١) شاربهُ كأخي الحلق .

عن أبي سعيد ، قال : أتى علينا رسولُ الله ﷺ ونحنُ أناسٌ من ضَعَفَةِ المسلمين ما أظنُّ رسولَ الله يعرفُ أحداً منهم ، وإنَّ بعضهم ليتوارى من بعضٍ من العُري . فقال رسولُ الله بيده ، فأدارها شبه الحلقة ، قال : فاستدارت له الحلقة ، فقال : « بما كنتم تَراجعون ؟ » قالوا : هذا رجلٌ يقرأ لنا القرآن ، ويدعولنا ، قال : « فعودوا لما كنتم فيه » ، ثم قال : « الحمد لله الذي جعل في أمتي من أميرتُ أنْ أصيرَ نفسي معهم » ثم قال : « لِيُبَشِّرَ فقراءُ المؤمنين بالفوز يوم القيامة قبل الأغنياء بمقدار خمس مئة عام ، هؤلاء في الجنة يتنعمون ، وهؤلاء يُحاسبون »^(٢) .

* * *

(١) يُحفي : المبالغة في القصد .

(٢) أخرجه أبو داود (٣ / ٣٢٢) كتاب العلم ، باب في القصص بنحوه . قال محقق السير : والعلاء بن بشير : [أحد الرواة] قال ابن المديني : مجهول لم يرو عنه غير المولى ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وباقي رجاله ثقات . وفي الباب عن أبي هريرة عند أحمد والترمذي ، وابن ماجه بلفظ « يدخل فقراءُ المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمس مئة عام وسنده حسن ، وصححه الترمذي ، وابن حبان .

٧٩ المَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال ابن حجر : المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن مَعْتَب بن مالك بن كعب ابن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس الثقفي أبو عيسى أو أبو محمد ، وقال الطبري يكنى أبا عبد الله . قال وكان ضخماً القامة عبل الذراعين بعيد ما بين المنكبين أصهب الشعر جعد . وكان لا يفرقه . أسلم قبل عمرة الحديبية وشهدها وبيعة الرضوان وله فيها ذكر ، وحدث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ... قال ابن سعد : وشهد اليمامة وفتوح الشام والعراق قال البغوي : كان أول من وقع ديوان البصرة ، وقال ابن حبان : كان أول من سلم عليه بالإمرة ، ثم ولاء عمر الكوفة وأقره عثمان ثم عزله ، فلما قتل عثمان اعتزل القتال إلى أن حضر مع الحكمين ثم بايع معاوية بعد أن اجتمع الناس عليه ثم ولاء بعد ذلك الكوفة فاستمر على إمرتها حتى مات سنة خمسين عند الأكثر وتقل فيه الخطيب الإجماع وقيل مات قبل سنة وقيل بعدها سنة ، وقال الطبري أيضاً كان مع أبي سفيان في هدم طاغية ثقيف بالطائف وبعثه أبو بكر الصديق إلى أهل النَجْد وأصيبت عينه باليرموك ثم كان رسول سعد إلى رستم ، وفي صحيح البخاري في قصة النعمان بن مقرن في قتال الفرس أنه كان رسول النعمان إلى امرئ القيس وشهد تلك الفتوح

وقال ابن سعد كان رجلاً طويلاً مصاب العين أصيبت عينه باليرموك وقال البخاري في التاريخ قال أبو نعيم عن زكريا عن الشعبي : انكسفت الشمس في زمن المغيرة بن شعبة يوم الأربعاء في رجب سنة تسع وخمسين فقام المغيرة وأنا شاهد فذكر القصة كذا قال والصواب سنة تسع وأربعين . ا.هـ .

وقال الذهبي : الأمير أبو عيسى ، ويقال : أبو عبد الله ، وقيل : أبو محمد . من كبار الصحابة أولي الشجاعة والمكيدة . شهد بيعة الرضوان . كان رجلاً طويلاً مهيباً ، ذهبت عينه يوم اليرموك ، وقيل : يوم القادسية .

قالت عائشة : كُسِفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فقامَ المَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ، فَذَهَبَتْ عَيْنُهُ .

قال ابنُ سعد : كان المغيرةُ أصهبَ الشعرِ ^(١) جداً ، يفرقُ رأسه فروقاً أربعة ، أقلصَ الشفتين ، مهتوماً ، ضخماً الهامة ، عَبلَ الذراعين ، بعيد ما بين المنكبين ، . وكان داهيةً ، يقالُ له : مغيرةُ الرأي .

وعن الشعبي : أن المغيرةَ سار من دمشق إلى الكوفة خساً .

معمر ، عن الزهري قال : كان دهاةُ الناس في الفتنة خمسة ، فَمِنْ قريش : عمرو ، ومعاوية ، ومن الأنصار : قيس بن سعد ، ومن ثقيف : المغيرةُ . ومن المهاجرين : عبدُ الله ابن بُذيل بن ورقاء الخزاعي . فكان مع عليٍّ قيسٌ وابن بُذيل ، واعتزل المغيرة بن شعبة .

وعن أبي موسى الثَّقفي قال : كان المغيرةُ رجلاً طَوَّالاً ، أعور ، أُصِيبَتْ عينُه يومَ اليرموك .

وعن غيره : ذهبت عينُه يومَ القادسيَّة ، وقيل : بالطائف ، ومر أنها ذهبت من كُسوفِ الشمس .

ابن إسحاق ، عن عامر بن وهب ، قال : خرج المغيرةُ في ستّة من بني مالكٍ إلى مِصَرَ تُجاراً ، حتّى إذا كانوا بِبُزَاقِ ^(٢) عدا عليهم ، فذبحهم ، واستاقَ العير ، وأسلم .

عن المغيرة ، قال : أنا آخرُ الناسِ عهداً برسولِ الله ﷺ ، لما ذُفِنَ عليٌّ بن أبي طالب من القبر ، فألقيتُ خاتمي ، فقلتُ : يا أبا الحسن ، خاتمي . قال : انزِلْ فخذهُ ، قال : فمسحتُ يدي علي الكفن ، ثم خرجتُ .

عن سماك بن سلمة قال : أوَّلَ مَنْ سَلَّمَ عليه بالإمرة المغيرةُ بنُ شعبة .

يعني : قولَ المؤدّن عند خروجِ الإمام إلى الصلاة : السلامُ عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته .

عن ابن سيرين : كان الرجل يقولُ للآخر : غضبَ الله عليك كما غضِبَ أميرُ المؤمنين

(١) أصهب الشعر : الأصفر الضارب إلى شيء من الحمرة والبياض .

(٢) بُزَاق : موضع قريب من مكة ، وهو بالصاد أعرف .

على المغيرة ، عزله عن البصرة ، فولاه الكوفة .

قال الليث : وقعة أذربيجان كانت سنة اثنتين وعشرين ، وأميرها المغيرة بن شعبة .
وقيل : افتتح المغيرة همدان غنوة .

سلمة بن بلال : عن أبي رجاء العطاردي قال : كان فتح الأبلّة ^(١) على يد عتبة بن غزوان ، فلما خرج إلى عمر ، قال للمغيرة بن شعبة ، صلّ بالناس ، فلما هلك عتبة ، كتب عمر إلى المغيرة بإمرة البصرة ، فبقي عليها ثلاث سنين .

سعيد بن داود الزنبري : حدثنا مالك ، عن عمه أبي سهيل ، عن أبيه : قال : لقي عمّار المغيرة في سبك المدينة ، وهو متوشح سيفاً ، فناداه يامغيرة ! فقال : ماتشاء ؟ قال : هل لك في الله ؟ قال : وددت والله أني علمت ذلك ، إني والله مارأيت قتله صواباً ، فهل لك يا أبا اليقظان أن تدخل بيتك ، وتضع سيفك حتى تنجلي هذه الظلمة ، ويطلع قمرها فمشي مبصرين . قال : أعود بالله أن أعمى بعد إذ كنت بصيراً . قال : يا أبا اليقظان ، إذا رأيت السيل ، فاجتنب جريته .

عن الزهري : قال : دعا معاوية عمرو بن العاص بالكوفة ، فقال : أعني على الكوفة ، قال : كيف بمصر ؟ قال : استعمل عليها ابنك عبد الله بن عمرو ، قال : فنعنم . فبينما هم على ذلك جاء المغيرة بن شعبة - وكان معتزلاً بالطائف - فناجاة معاوية . فقال المغيرة : تؤمر عمراً على الكوفة ، وابنة على مضر ، وتكون كالقاعد بين لحيي الأسد ، قال : ماترى ؟ قال : أنا أكفيك الكوفة . قال : فافعل . فقال معاوية لعمرو حين أصبح : إني قد رأيت كذا ، ففهم عمرو ، فقال : ألا أدلك على أمير الكوفة ؟ قال : بلى ، قال : المغيرة ، واستعين برأيه وقوته عن المكيدة ، واعزله عن المال ، قد كان قبلك عمر وعثمان ففعلا ذلك ، قال : نعم مارأيت . فدخل عليه المغيرة ، فقال : إني كنت أمرتكَ على الجند والأرض ، ثم ذكرت سنة عمر وعثمان قبلي ، قال : قد قبلت .

قال الليث : كان المغيرة قد اعتزل ، فلما صار الأمر إلى معاوية كاتبه المغيرة .

(١) الأبلّة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة المعظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة .

عن عبد الملك بن عمير قال : كتب المغيرة إلى معاوية ، فذكر فناء عمره ، وفناء أهل بيته ، وجفوة قريش له . فورد الكتاب على معاوية وزياد عنده ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ولني إجابته ، فألقى إليه الكتاب ، فكتب : أما ما ذكرت من ذهاب عمرك ؛ فإنه لم يأكله غيرك . وأما فناء أهل بيتك ، فلو أن أمير المؤمنين قدر أن يقي أحداً لوقى أهله ، وأما جفوة قريش ؛ فأنى يكون ذاك وهم أمروك .

قال ابن شاذب : أحسن المغيرة أربعاً من بنات أبي سفيان ، وكان آخر من تزوج منهن بها عرج .

عن أبي السفر ؛ قيل للمغيرة : إنك تحابي ، قال : إن المعرفة تنفع عند الجهل الصَّوْل (١) ، والكلب العقور (٢) ، فكيف بالمسلم .

عن المغيرة بن شعبة قال : لقد تزوجت سبعين امرأة أو أكثر .

ابن المبارك قال : كان تحت المغيرة بن شعبة أربع نسوة . قال : فصفهن بين يديه وقال : أتتن حسنات الأخلاق ، طويلات الأعناق ، ولكني رجل مطلق ، فأتنن الطلاق .

حدثنا مالك قال : كان المغيرة نكاحاً للنساء ، ويقول : صاحب الواحدة إن مرضت مريض ، وإن حاضت حاض ، وصاحب المراتين بين نارين تُشعلان ، وكان ينكح أربعاً جميعاً ويطلقهن جميعاً .

عن زياد بن علاقة ، سمعت جريراً يقول حين مات المغيرة بن شعبة : أوصيكم بتقوى الله ، وأن تسمعوا وتطيعوا حتى يأتكم أمير ، استغفروا للمغيرة غفر الله له ، فإنه كان يحب العافية .

وفي لفظ أبي عوانة عن زياد : فإنه كان يحب العقو .

قال عبد الملك بن عمير : رأيت زياداً واقفاً على قبر المغيرة يقول :

(١) الجمل الصَّوْل : الذي يأكل راعيه ، ويؤايب الناس فيأكلهم .

(٢) الكلب العقور : كل سبع يجرح ويقتل ويفترس .

إِنَّ تَحْتَ الْأَجَارِ حَزْماً وَعَزْماً وَخَصِيماً أَلَدَّ ذَا مِعْلَاقٍ
حَيَّةً فِي الْوَجَارِ أَرَبْدَ لَا يَتَدَفَّعُ مِنْهُ السَّلِيمُ تَفَثُةً رَاقٍ^(١)

وقال الجماعة : مات أمير الكوفة المغيرة في سنة خسين في شعبان ، وله سبعون سنة .
انتهى من السير الذهبي .

٢٢٢٧ - * روى أبو داود عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، أن عمر بن الخطاب ضرب ابناً له تكنى بأبي عيسى ، وأن المغيرة بن شعبة تكنى بأبي عيسى ، فقال له عمر : أما يكفيك أن تكنى بأبي عبد الله ؟ فقال : إن رسول الله ﷺ كناني ، فقال : إن رسول الله ﷺ قد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر ، وإننا في جُلجَلَتِنَا . فلم يزل يَكْنِي بأبي عبد الله حتى هلك .

٢٢٢٨ - * روى الطبراني عن ابن أبي مرحب قال : نزل في قبر النبي صلى الله عليه وسلم أربعة أحدهم عبد الرحمن بن عوف وكان المغيرة بن شعبة يدعي أنه أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ ويقول أخذت خاتمي فألقيته عدواً وقلت إن خاتمي سقط من يدي لأمس رسول الله ﷺ فأكون آخر الناس عهداً به .

* * *

(١) قال الشيخ شعيب : يقال : رجل معلاق ، أي : خصم شديد الخصومة يتعلق بالحجيج ويستدركها ، والمعلاق : اللسان البليغ ، ورواه ابن دريد : ذا معلاق ، قال الزمخشري عن المبرد : من رواه بالعين المهملة ، فعناه : إذا علق خصماً لم يتخلص منه ، وبالعين المعجمة ، فتأويله : يعلق الحجة على الخصم ، انظر « تاج العروس » : علق . والبيتان للمهلل في رثاء أخيه كليب .
والوَجَار : جُحْر الضيع والأسد والذئب والثعلب ونحوه ، ذلك .
والأَرَبْد : ما اختلط سواده بكثرة .

٢٢٢٧ - أبو داود (٤ / ٢٩١) كتاب الأدب ، باب فيمن يتكنى بأبي عيسى . بسند حسن .
إننا في جلجلتنا : إننا بقينا في عدد من أمثالنا من المسلمين ، لاندري ما يُصنع بنا ، وفي النهاية الجليج : رؤوس الناس ، واحدها جلجة .

٢٢٢٨ - المعجم الكبير (٩ / ٣٦١) وقال الميثقي : رواه الطبراني وإسناده حسن .

٨٠ - النَّجَاشِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال الذهبي :

النجاشي : واسمه أَسْحَمَةُ ملك الحبشة . معدود في الصحابة رضي الله عنهم ، وكان ممن حَسَنَ إسلامه ولم يهاجر ، ولا له رؤية ، فهو تابعيٌّ من وجه ، صاحبٌ من وجه ، وقد توفي في حياة النبي ، فصلّى عليه بالناس صلاة الغائب ولم يثبت أنه صلى ﷺ على غائب سواه ، وسببُ ذلك أنه مات بين قوم نصارى ، ولم يكن عنده من يُصلي عليه ، لأن الصحابة الذين كانوا مهاجرين عنده خرجوا من عنده مهاجرين إلى المدينة عامٍ خير .

عن أمّ سلمة زوج النبي ﷺ ، قالت : لما نزلنا أرضَ الحبشة جاورنا بها خيرَ جارٍ النجاشي ، أمناً على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشاً ، ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جليدين ، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يُستطَرَف من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها إليه الأَدمُ ^(١) فجمعوا له أَدَمًا كثيراً ، ولم يتركوا من بطارقتِه ^(٢) بطريقاً إلا أهدوا إليه هديةً ، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي ، وعمر بن العاص السهمي ، وأمروهما أمرهم ، وقالوا لهما : ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم ، ثم قدّموا له هداياه ، ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يُكلمهم . قالت : فخرجنا ، فقدمنا على النجاشي ، ونحن عنده بخير دار عند خير جار . فلم يبق من بطارقتِه بطريق إلا دفعنا إليه هديته ، وقالوا له : إنه قد ضَوَى ^(٣) إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع لانعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردّهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم ، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يُكلمهم ، فإن قومهم أعلى بهم عينا ^(٤) وأعلم بما عابوا عليهم ، فقالوا لهم : نعم . ثم إنهما قرّبا هدايا النجاشي ، فقبلها منهم ،

(١) الأَدمُ : الأَدمُ : جمع آدمٍ وهي الجلود ، والأَدمُ : اسم جمع .

(٢) البطريق : الخاذق بأمور الحرب ، كالضابط .

(٣) ضوى : أوى ولاذ .

(٤) عينا : أبصرهم .

ثم كلماه ، . فقالا له : أيها الملك إنه ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاؤوا بدين مبتدع لانعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائهم لتردّهم إليه ، فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم فيه . قالت : ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله وعمره من أن يسمع النجاشي كلامهم . فقالت بطارقتة حوله : صدقوا أيها الملك . فأسلمهم إليها . فغضب النجاشي ، ثم قال : لا ها الله إذا لأسلمهم إليها ، ولا أكاد^(١) قوماً جاوروني ، ونزلوا بلادني ، واختاروني على من سواي حتى أدعّوهم فأسلمهم . ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله ، اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ماتقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا ، وما أمرنا به نبينا ﷺ كأننا في ذلك ما كان . فلما جاؤوه ، وقد دعا النجاشي أساقفتة ، فنشروا مصاحفهم حوله ، سألمهم فقال : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم ؟ .

قالت : وكان الذي يكلمه جعفر بن أبي طالب ، فقال له : أيها الملك ، إنا كنا قوماً أهل جاهلية : نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأفي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف . فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبدّه ، ونخلع ما كنا نعبد وآبأؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله لأنشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . قالت : فعّد له أمور الإسلام . فصّدّقناه وأمانا به واتبعناه ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردّونا إلى عبادة الأوثان ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلدك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن لانظلم عندك أيها الملك .

قالت : فقال : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ قال : نعم ؟ قال : فاقراه

(١) لا أكاد : من الكيدة .

عليّ ، فقرأ عليه صدرًا من ﴿ كهيعص ﴾ . فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيتَه (١) ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ماتلي عليهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة . انطلقا ، فوالله لأسلمهم إليكم أبداً ولأأكاد .

فلما خرجا قال عمرو : والله لأنبئنه غداً عيبتهم ثم أستأصل خضراءهم (٢) فقال له عبدُ الله ابن أبي ربيعة ، وكان أتقى الرجلين فينا : لاتفعل ، فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا . قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى عبدٌ . ثم غدا عليه ، فقال : أيها الملك ! إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً ، فأرسل إليهم ، فسلمهم عما يقولون فيه . فأرسل يسألهم .

قالت . ولم ينزل بنا مثلها ، فاجتمع القوم ، ثم قالوا : نقولُ والله فيه ما قال الله تعالى كائناً ما كان . فلما دخلوا عليه قال لهم : ماتقولون في عيسى ؟ فقال له جعفر : نقولُ فيه الذي جاء به نبينا . هو عبدُ الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول . فضرب النجاشي يده إلى الأرض ، فأخذ عوداً ، ثم قال : ماعدا عيسى ماقلتَ هذا العودَ . فتناخرت (٣) بطارقتة حوله فقال : وإن نخرتُم والله ، اذهبوا فأنتم سيومٌ بأرضي - والسيوم الآمنون - من سبكم غُرْمٌ ثم من سبكم غُرْمٌ ، ماأحب أن لي دُبري ذهباً وأني أذيتُ رجلاً منكم والدُّبرُ بلسانهم الجبل ، زُدوا عليها هداياها ، فوالله ماأخذ الله مني الرشوة حين ردَّ علي ملكي ، فأخذ الرشوة فيه ، وماأطاع الناس في ، فأطيعهم فيه . فخرجوا مقبوحين ، مردوداً عليها ما جاء به ، وأقنا عنده بخير دار مع خير جار . فوالله إنا على ذلك ، إذ نزل به ، يعني من ينازعه في ملكه ، فوالله ما علمنا حرباً قطَّ كان أشدَّ من حربِ حربناه (٤) ، تخوفاً أن يظهر ذلك على النجاشي ، فيأتي رجل لايعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه ، وسار النجاشي وبينهما عرض النيل . فقال أصحابُ رسول الله ﷺ : من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر ؟ فقال الزبير : أنا ، وكان من أحدث القوم سناً . فنفضوا

(١) أخضل لحيته : بلها بالدموع .

(٢) استأصل خضراءهم : أي أبيهم .

(٣) تناخرت : تكلمت كلام غضب وتنفور .

(٤) وفي المسند : (حزنًا قط أشد من حزن حزنناه) .

له قربةً ، فجعلها في صدره ، ثم سَبَحَ عليها حتى خرج إلى مكان الملتقى ، وحضر ، فدعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده ، واستوسق^(١) له أمر الحبشة ، فكننا عنده في خير منزل حتى قَدُمْنَا على رسول الله ﷺ وهو بمكة^(٢) .

عن عمير بن إسحاق أن جعفرًا قال : يا رسول الله ائذن لي حتى أصيرَ إلى أرضٍ أعبدُ الله فيها ، فأذن له ، فأتى النجاشي . فحدثنا عمرو بن العاص قال : لما رأيتُ جعفرًا أمينًا بها هو وأصحابه حسدته ، فأتيتُ النجاشي ، فقلت : إن يارضك رجلًا ابنُ عمه بأرضنا يزعم أنه ليس للناس إلا إله واحد ، وإنك إن لم تقتله وأصحابه لأقطعُ إليك هذه النطفة أبدًا ولأأخذ من أصحابي . قال : اذهب إليه ، فادعه . قلت : إنه لا يجيء معي ، فأرسل معي رسولًا . فأتيناه وهو بين ظهري أصحابه يحدثهم . قال له : أجب . فلما أتينا الباب ناديتُ : ائذن لعمرو بن العاص ، ونادى جعفر : ائذن لحزب الله . فسمع صوته ، فأذن له قبلي^(٣) .

وحدثني جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي : فارقت ديننا . وخرجوا عليه ، فأرسل إلى جعفر وأصحابه ، فهبأ لهم سفنًا ، وقال : اركبوا ، فإن هزمتُ ، فامضوا ، وإن ظفرتُ فاثبتوا . ثم عمد إلى كتاب ، فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم . ثم جعله في قبة ، وخرج إلى الحبشة ، وصَفُوا له ، فقال : يامعشر الحبشة : ألسنُ أحقَّ الناسِ بكم ؟ قالوا : بلى . فكيف رأيتم سيري فيكم ؟ قالوا : خير سيرة ، قال : فما بالكم ؟ قالوا : فارقت ديننا ، وزعمت أن عيسى عبد . قال : فما تقولون فيه ؟ قالوا : هو ابنُ الله ، فقال - ووضع يده على صدره على قَبَائِهِ - هو يشهد أن عيسى ، لم يزد على هذا شيئًا ، وإنما عني على ما كتب ، فرضوا ، وانصرفوا . فبلغ ذلك النبي ﷺ ،

(١) استوسق : استقر .

(٢) ورواه أحمد (٢٠١ / ١ ، ٢٩٠) وابن هشام وصرح ابن إسحاق بالسباع وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤ / ٦) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، وإسناده قوي .

(٣) رواه البزار : كشف الأستار (٢٩٧ / ٢) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد مطولاً (٢٩ / ٦) وقال : رواه الطبراني والبزار ، وعمير بن إسحاق وثقه ابن حبان وغيره ، وفيه كلام لا يضر ، وبقية رجاله رجال الصحيح .
النطفة : الماء القليل والمراد هنا : البحر الأحمر ، أي أنهم لا يأتون إليه أبدًا .

فلما مات النجاشي صلى عليه ، واستغفر له .

ومن محاسن النجاشي أن أم حبيبة رَمَلَة بنت أبي سفيان بن حرب الأموية أم المؤمنين أسلمت مع زوجها عبيد الله بن جحش الأسدي قديماً ، فهاجر بها زوجها ، فاعلست بها إلى أرض الحبشة ، فولدت له حبيبة ربيعة النبي ﷺ . ثم إنه أدركه الشقاء فأعجبه دين النصرانية فتنصر ، فلم ينسب أن مات بالحبشة ، فلما وفّت العدة ، بعث رسول الله ﷺ ، يخطبها ، فأجابت ، فنهض في ذلك النجاشي ، وشهد زواجها بالنبي ﷺ ، وأعطاهما الصداق عن النبي ﷺ من عنده أربع مئة دينار ، فحصل لها شيء لم يحصل لغيرها من أمهات المؤمنين ، ثم جهزها النجاشي .

وكان الذي وفد على النجاشي يخطبها عمرو بن أمية الضمري ، فيما نقله الواقدي بإسناد مرسل .

عن عبد الله بن أبي بكر : كان الذي زوجها ، وخطب إليه النجاشي خالد بن سعيد بن العاص الأموي ، وكان عمرها لما قدمت المدينة بضعا وثلاثين سنة .

معمر : عن الزهري ، عن عروة ، عن أم حبيبة أنها كانت تحت عبيد الله بن جحش ، وكان رحل إلى النجاشي ، وأن رسول الله ﷺ تزوجها بالحبشة ، زوجه إياها النجاشي ، ومهرها أربعة آلاف درهم من عنده ، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة ، وجهازها كله من عند النجاشي ^(١) .

ف قيل : بنى بها رسول الله ﷺ سنة ست . وقال خليفة : دخل بها سنة سبع من الهجرة .

وأصحمة بالعربي : عطية . ولما توفي ، قال النبي ﷺ للناس : « إِنَّ أَخَا لَكُمْ قَدْ مَاتَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ » فخرج بهم إلى الصحراء وصفهم صفوفاً ، ثم صلى عليه . فنقل بعض العلماء أن ذلك كان في شهر رجب سنة تسع من الهجرة . ا . هـ الذهبي .

(١) رواه أبو داود (٢ / ٢٣٥) كتاب النكاح ، باب الصداق .

والنسائي (٦ / ١١٩) كتاب النكاح ، باب القسط في الأصدقة .

٢٢٢٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم إلى المصلى ، فصف بهم وكبر عليه أربع تكبيرات .

٢٢٣٠ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مات اليوم عبد لله صالح ، أضحمة » فقام فأما وصلى عليه .

٢٢٣١ - * روى البزار والطبراني عن أنس أن النبي ﷺ صلى على النجاشي حين نعي ، فقيل : يا رسول الله : نصلي على عبد حبشي ؟ ، فأنزل الله عز وجل ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾ (١) الآية .

٢٢٣٢ - * روى البزار عن عبد الله بن الزبير قال : نزلت هذه الآية ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ قال نزلت في النجاشي وأصحابه .

أقول : ترجنا للنجاشي رضي الله عنه لأنه يمثل نموذجاً يُحتذى وسابقةً كثر تكرارها في تاريخ الأمة الإسلامية وخاصة في العصور المتأخرة ، فهذا حاكم مسلم بشهادة النصوص يحكم شعباً غير مسلم وبغير أحكام الإسلام ومع ذلك فبالإجماع إنه من خيار المسلمين ، وهذا يدل على أن كسر النظام لا يعني كفر كل مشارك فيه ، وهذه القضية من أخطر قضايا عصرنا ، فإذا لم نتوسع في الفتوى حيث لا تتعسف ولا تكلف فإن مآل الأمة الإسلامية ألا يبقى رجل مسلم في أجهزة الحكم وبالتالي يفقد المسلمون الخدمة والرعاية كما يفقدون قوة التجربة ، ولذلك فإننا نعتبر أن أمر المشاركة في الأعمال الحكومية والمؤسسات يخضع للفتوى البصيرة من أهلها .

٢٢٢٩ - البخاري (١١٦ / ٣) ٢٣ - كتاب الجنائز - ٤ - باب الرجل ينعي إلى أهل البيت بنفسه .

ومسلم (٦٥٦ / ٢) ١١ - كتاب الجنائز - ٢٢ - باب في التكبير على الجنائز .

٢٢٣٠ - مسلم (٦٥٧ / ٢) في نفس الموضع السابق .

٢٢٣١ - البزار : كشف الأستار (٣٩٢ / ١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨ / ٣) : رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجال الطبراني ثقات .

(١) آل عمران : ١٩٩ .

٢٢٣٢ - البزار : كشف الأستار (٢٨٦ / ٣) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩١ / ٩) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عثمان بن بحر وهو ثقة ، وقال في التريب : صدوق يُعرب .

كما أن في قصة أصحاب الرسول ﷺ عند النجاشي وعدم وجود رواية صحيحة تدل على أنهم قاموا بنشاط في الدعوة تعتبر سابقة لأدب اللجوء السياسي الإسلامي فإذا اضطرَّ مسلم للجوء السياسي في بلد آخر فلا عليه أن لا يقوم بنشاط دعوي إذا كان الظرف أو القانون لا يسمحان بذلك ، على أن هناك رواية تُذكر في أسباب النزول أن جعفرًا أثرَّ على عددٍ من نصارى الحبشة فَوَقَدُوا على رسول الله ﷺ وأسلموا .

* * *

٨١ - أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال ابن حجر :

أسيد بن الحضير بن سِمَاك بن عَتِيكَ بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي .. يكنى أبا يحيى وأبا عتيك ، وكان أبوه حُضَيْرُ فارس الأوس ورئيسهم يوم بُعَاث وكان أسيد من السابقين إلى الإسلام ، وهو أحد النقباء ليلة العقبة وكان إسلامه على يد مصعب بن عمير قبل سعد بن معاذ ، واختلف في شهوده بدرأ قال ابن سعد : كان شريفاً كاملاً وأخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبين زيد بن حارثة ، وكان ممن ثبت يوم أحد وجرح حينئذ سبع جراحات ... عن عائشة قالت : ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد منهم يلحق في الفضل كلهم من بني عبد الأشهل سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعَبَاد ابن بشر ، وأخرج أحمد في مسنده عن عائشة قالت : كان أسيد بن حضير من أفاضل الناس ... روى ابن السكن من طريق ابن عيينة عن هشام بن عروة عن أبيه قال : لما مات أسيد بن حضير باع عمر ماله ثلاث سنين فوفى بها دينه وقال لأترك بني أخي عالة فرد الأرض وباع ثمرها ، وأرخ البغوي وغيره وفاته سنة عشرين وقال المدائني سنة إحدى وعشرين . ١٠ هـ .

وقال الذهبي :

الإمام أبو يحيى ، وقيل أبو عتيك الأنصاري ، الأوسي الأشهلي . أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة ، أسلم قديماً ، وقال : ماشهد بدرأ ، وكان أبوه شريفاً مطاعاً يُدعى حُضَيْرُ الكتائب ، وكان رئيس الأوس يوم بُعَاث ^(١) ، فقتل يومئذ قبل عام الهجرة بست سنين ، وكان أسيد يُعَدُّ من عقلاء الأشراف وذوي الرأي .

قال محمد بن سعد : أخى النبي ﷺ ، بينه وبين زيد بن حارثة ، وله رواية

(١) بُعَاث : موضع في نواحي المدينة كانت به وقائع بين الأوس والخزرج في الجاهلية ، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج . وكان على الأوس يومئذ حضير والد الصحابي الجليل المترجم وكان على الخزرج عمر بن النعمان البياضي فقتلا جميعاً .

أحاديث ، روت عنه عائشة ، وكعب بن مالك ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، ولم يلحقه .
قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « نِعَمَ الرجلُ أبو بكر . نِعَمَ الرجلُ عمر ،
نِعَمَ الرجلُ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ » . أخرجه الترمذي ، وإسناده جيد ^(١) .

ابن إسحاق : عن يحيى بن عباد بن عبد الله ، عن عائشة قالت : ثلاثة من الأنصار من
بني عبد الأشهل لم يكن أحد يعتد عليهم فضلاً بعد رسول الله ﷺ : سعد بن معاذ ، وأُسَيْدُ
ابن حُضَيْرٍ ، وعَبَّاد بن بشر رضي الله عنهم ^(٢) .

وروي أن أُسَيْدًا كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن .

قال ابن إسحاق : أُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ ، نقيب لم يشهد بدرًا ، يكنى أبا يحيى . ويقال : كان
في أُسَيْدٍ مُزَاحٌ وطيب أخلاق .

عن أُسَيْدِ بن حُضَيْرٍ - وكان فيه مُزَاح - أنه كان عند النبي ﷺ ، فطعنه النبي ﷺ
بعود كان معه ، فقال : أصبرني ، فقال : اصطبر ، قال : إن عليك قيصاً وليس عليّ قيص ،
قال : فكشف النبي ﷺ قيصه ، قال : فجعل يقبل كشحه ويقول : إنما أردت هذا يا رسول
الله ^(٣) .

قال يحيى بن بكير : مات أُسَيْدُ سنة عشرين ، وحمله عمر بين العمودين - عمودي
السريير - حتى وضعه بالبقيع ، ثم صلى عليه .

وندُم على تخلفه عن بدر ، وقال : ظننتُ أنها العير ، ولو ظننت أنه غزو ما تخلفت .
وقد جرح يوم أحد سبع جراحات . ا . هـ الذهبي .

(١) الترمذي : (٥ / ٦٦٦) ٥٠ - كتاب المناقب ، ٣٣ - باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت .

والحاكم في المستدرک (٢ / ٢٦٨) وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) رواه الحاكم في المستدرک : (٢ / ٢٢٩) وصححه ووافقه الذهبي .

(٣) أبو داود (٤ / ٣٥٦) كتاب الأدب ، باب في قبلة الجسد . وإسناده قوي .

والحاكم في المستدرک (٢ / ٢٨٨) وصححه ووافقه الذهبي .

أصبغني : أقذني . واصطبر : استقد . الكشح : ما بين الخصرة والضلع .

٢٢٣٣ - * روى الحاكم عن أسيد بن حضير أنه كان تأوه وكان يؤمنا فصلى بنا قاعداً فعاده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : يا رسول الله إن أسيداً إمامنا وإنه مريض وإنه صلى قاعداً . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « فصلوا وراءه قعوداً فإن الإمام ليؤتم به فإذا صلى قاعداً فصلوا خلفه قعوداً » .

٢٢٣٤ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ، ومعها مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما ، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد ، حتى أتى أهله .

وفي رواية (١) قال : كان أسيد بن حضير وعباد بن بشر عند النبي ﷺ ، فخرجوا في ليلة مظلمة ، فإذا نور بين أيديهما .. وذكر نحوه .

٢٢٣٥ - * روى البخاري ومسلم عن أسيد بن حضير قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفترسه مربوط عنده إذ جالت الفرس ، فسكت فسكت ، فقرأ فجالت الفرس ، فسكت وسكت الفرس ، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف ، وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه ، فلما اجتثه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها ، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال له : « اقرأ يا ابن حضير ، اقرأ يا ابن حضير » قال : فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى ، وكان منها قريباً ، فرفعت رأسي فانصرفت إليه ، فرفعت رأسي إلى السماء ، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح ، فخرجت حتى لأراها ، قال : « وتدرى ماذا قال : لا ، قال « تلك الملائكة دنت لصوتك ، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها ، لا تتوازي منهم » .

٢٢٣٦ - * روى البخاري ومسلم عن البراء قال : كان رجل يقرأ سورة الكهف ، وإلى

٢٢٣٣ - المستدرک (٢ / ٢٨٩) . وصححه ووافقه الذهبي .

٢٢٣٤ - البخاري (١ / ٥٥٧) ٨ - كتاب الصلاة ، باب : ٧٩ .

(١) البخاري (٧ / ١٢٥) ٦٢ - كتاب مناقب الأنصار - ١٣ - باب منقبة أسيد بن حضير وعباد بن بشر .

٢٢٣٥ - البخاري (٩ / ٦٣) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن - ١٥ - باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن .

ومسلم (١ / ٥٤٨) ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - ٣٦ - باب نزول السكينة لقراءة القرآن .

٢٢٣٦ - البخاري (٩ / ٥٧) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن - ١١ - باب فضل الكهف .

مسلم (١ / ٥٤٨) ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - ٣٦ - باب نزول السكينة عند قراءة القرآن .

جانبه حصانٌ مَرْبُوطٌ بِشَظَنَيْنِ ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ ، فَجَعَلَتْ تُدْنُو وَتُدْنُو ، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ .
فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له ، فقال : « تلك السَّكِينَةُ تَنْزَلُ بِالْقُرْآنِ » .

قال ابن حجر في الفتح : قيل هو أسيد بن حضير ...

وقد وقع قريب من القصة التي لأسيد لثابت بن قيس بن شماس لكن في سورة البقرة
أيضاً . وأخرج أبو داود من طريق مرسله قال « قيل للنبي ﷺ : ألم تر ثابت بن قيس لم
تزل داره البارحة تزهر بمصابيح ؛ قال : « فلعله قرأ سورة البقرة » . فسئل قال : قرأت
سورة البقرة ، ويحتمل أن يكون قرأ سورة البقرة وسورة الكهف جميعاً أو من كل منهما » .
انتهى من الفتح .

* * *

٨٢ - عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه

قال ابن حجر في الإصابة :

عمرو بن أم مكتوم القرشي ويقال اسمه عبد الله وعمرو أكثر وهو ابن قيس بن زائدة بن الأصم .. ومنهم من قال عمرو بن زائدة لم يذكر قيساً ومنهم من قال قيس بدل زائدة وقال ابن حبان من قال ابن زائدة نسبة لجدّه ؟ ويقال كان اسمه الحصين فسماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله حكاه ابن حبان ، وقال ابن سعد أهل المدينة يقولون اسمه عبد الله وأهل العراق يقولون اسمه عمرو ، وقال واتفقوا على نسبه وأنه ابن قيس بن زائدة بن الأصم وفي هذا الاتفاق نظر (قلت) [القائل ابن حجر] نسبه كذلك ابن منده وتبعه أبو نعيم وحكي في اسمه أيضاً عبد الله بن عمرو قال وقيل عمرو بن قيس بن شريح ابن مالك .

واسم أمه أم مكتوم عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة بمهملة ونون ساكنة وبعد الكاف مثلثة ، ابن عائد بن مخزوم ، وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين فإن أم خديجة أخت قيس ابن زائدة واسمها فاطمة ، أسلم قديماً بمكة ، وكان من المهاجرين الأولين قدم المدينة قبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستخلفه على المدينة في عامة غزواته يصلي بالناس ... وقال ابن عبد البر : روى جماعة من أهل العلم بالنسب والسير أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استخلف ابن أم مكتوم ثلاث عشرة مرة في الأبواء وبواط وذى العشيرة وغزوته في طلب كرز بن جابر وغزوة السويق وغطفان وفي غزوة أحد وحمراء الأسد ونجران وذات الرقاع وفي خروجه في حجة الوداع وفي خروجه إلى بدر ثم استخلف أبا لبابة لما رده من الطريق ، قال : وأما رواية قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استخلف ابن أم مكتوم فلم يبلغه ما بلغ غيره ، ... انتهى ، وهو المذكور في سورة عبس وتولى ونزلت فيه غير أولى الضرر لما نزلت ﴿ لا يستوي القاعدون ﴾ أخرجه البخاري وفي السنن من طريق عاصم بن أبي رزين عن ابن أم مكتوم قال قلت يا رسول الله رجل ضرير ... الحديث في تأكيد الصلاة في الجماعة والله أعلم . ا . هـ إصابة .

وقال في السير :

ابن أم مكتوم مختلف في اسمه ، فأهل المدينة يقولون : عبد الله بن قيس بن زائدة بن الأصم بن رواحة القرشي العامري .

وأما أهل العراق ، فسموه عمرواً . وأمه أم مكتوم : هي عاتكة بنت عبد الله بن عنكشة ابن عامر بن مخزوم بن يقظة الخزومية . من السابقين المهاجرين .

وكان ضريباً مؤذناً لرسول الله ﷺ مع بلال ، وسعد القرظ ، وأبي مَحْذُورَة ، مؤذن مكة . هاجر بعد وقعة بدر ييسير ، قاله ابن سعد ، وقد كان النبي ﷺ يحترمه ، ويستخلفه على المدينة ، فيصلي ببقايا الناس .

قال الشعبي : استخلف النبي ﷺ عمرو بن أم مكتوم يوم الناس ، وكان ضريباً ، وذلك في غزوة تبوك . كذا قال ، والحفوظ أن النبي ﷺ إنما استعمل على المدينة عامين علي بن أبي طالب .

عن أبي إسحاق ، سمع البراء يقول : أول من قدم علينا مصعب بن عمير ، وابن أم مكتوم ، فجعلوا يقرئان الناس القرآن ^(١) .

حدثنا أبو ظلال ، قال : كنت عند أنس ، فقال : متى ذهبت عينك ؟ قلت : وأنا صغير . فقال : إن جبريل أتى رسول الله ﷺ وعنده ابن أم مكتوم ، فقال : متى ذهب بصرك ؟ قال : وأنا غلام ، فقال : قال الله تعالى : « إذا أخذت كريمة عبدي لم أجده له جزاء إلا الجنة » ^(٢) قالت عائشة : كان ابن أم مكتوم مؤذناً لرسول الله ﷺ وهو أعمى ^(٣) .

وقال ابن عمر : قال رسول الله ﷺ : « إن بلالاً يؤذن بليل ، فكلوا واشربوا

(١) رواه ابن سعد (٢٠٦ / ٤) والحاكم في المستدرک (٦٣٤ / ٣) ورجاله ثقات .

(٢) رواه ابن سعد (٢٠٦ / ٤) والترمذي (٦٠٢ / ٤) - كتاب الزهد - ٥٧ - باب ما جاء في ذهاب البصر .
وأبو ظلال ضعيف لكن أخرجه البخاري عن أنس قال : سمعت النبي ﷺ ، يقول : « إن الله تعالى قال : إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصر عوضته منها الجنة » .

(٣) رواه ابن سعد (٢٠٧ / ٤) .

حَتَّى يُنَادِيَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ « وَكَانَ أَعْمَى لَا يَنْدَادِي حَتَّى يَقَالَ لَهُ : أَصَبَحْتَ أَصَبَحْتَ »^(١) .

قال عروة : كان النبي ﷺ ، مع رجالٍ من قريش منهم عُبَيْدُ بْنُ رِيعَةَ ، فجاء ابنُ أمِّ مَكْتُومٍ يسأل عن شيء ، فأعرضَ عنه ، فأنزلت ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾^(٢) .
١ . هـ الذهبي .

٢٢٣٧ - * روى أبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أنَّ رسولَ الله ﷺ استخلفَ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ على المدينة مرتين .

وذكر الذهبي^(٣) عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن عبد الله بن معقل ، قال : نزل ابنُ أمِّ مَكْتُومٍ على يهودية بالمدينة كانت تُرْفِقُهُ ، وتؤذيه في النبي ﷺ ، فتناولها فضربها ، فقتلها ، فرفع ذلك إلى النبي ﷺ ، فقال هو : أما والله إن كانت لترْفِقُنِي ، ولكن آذنتني في الله ورسوله . فقال النبي ﷺ : « أَبْعَدَهَا اللَّهُ ، قَدْ أَبْطَلْتُ دَمَهَا » .

٢٢٣٨ - * روى أبو داود عن علي رضي الله عنه . أن يهودية كانت تشتم النبي ﷺ ، وتقع فيه . فخنقها رجل حتى ماتت ، فأبطل رسول الله ﷺ ، دمها .

٢٢٣٩ - * روى البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ أملى عليه : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^(٤) فجاءه

(١) رواه البخاري (٩٩ / ٢) - ١٠ - كتاب الأذن - ١١ - باب أذان الأعمى إذا كان له من يخبره .

ومسلم (٢ / ٧٦٨) - ١٢ - كتاب الصيام - ٨ - باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الشمس .

(٢) عبس : ١ .

أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤ / ٢٠٨) ورجاله ثقات إلا أنه منقطع ، وذكره السيوطي في الدر المنثور عن عائشة ونسبه إلى ابن المنذر وابن مردويه .

٢٢٣٧ - أبو داود (٣ / ١٣١) كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب في الضير يؤلّي وإسناده حسن .

(٣) ورجاله ثقات .

٢٢٣٨ - أبو داود (٤ / ١٢٩) كتاب الحدود ، باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ ورجاله ثقات . تُرْفِقُهُ : تُرْفِقُ بِهِ تَنْفَعُهُ .

٢٢٣٩ - البخاري (٨ / ٢٥٩) - ٦٥ - كتاب التفسير - ١٨ - باب ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

والترمذي (٥ / ٢٤٢) - ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٥ - باب ومن سورة النساء .

والنسائي (٦ / ٩) كتاب الجهاد ، باب فضل المجاهدين على القاعدين .

تُرْضُ : الرِّضُ : شِبْهُ الدَّقِ والكسر من غير إبانة .

(٤) النساء : ٩٥ .

ابن أم مكتوم - وهو يَمْلُها عليٌّ فقال : يا رسول الله والله لو أستطيعُ الجهادَ لجاهدتُ - وكان أعمى - فأنزل الله عز وجل على رسول الله ﷺ - وَخِذْهُ عَلَىٰ فَخِذِي - فَثَقَلْتُ عَلَيْهِ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرْضَ فَخِذِي ، ثُمَّ سَرَّيَ عَنْهُ ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ غَيْرِ أُولِيَ الضَّرَرِ ﴾ .

وفي رواية أبي داود ^(١) قال : كنتُ إلى جنبِ رسول الله ﷺ ، فغَشِيَتْهُ السَّكِينَةُ ، فَوَقَعْتُ فَخِذَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَخِذِي ، فَمَا وَجَدْتُ ثَقُلَ شَيْءٌ أَثْقَلَ مِنْ فَخِذِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ سَرَّيَ عَنْهُ ، فقال لي : « أَكْتُبُ » فَكَتَبْتُ فِي كَتِفِ : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ... ﴾ إلى آخر الآية . فقام ابن أم مكتوم - وكان رجلاً أعمى - لِمَا سَمِعَ فَضِيلَةَ الْمُجَاهِدِينَ ، فقال : يا رسول الله ، فكيف بمن لا يستطيعُ الجهادَ من المؤمنين ؟ فَلَمَّا قَضَى كَلَامَهُ ، غَشِيَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ السَّكِينَةُ ، فَوَقَعْتُ فَخِذَهُ عَلَى فَخِذِي ، وَوَجَدْتُ مِنْ ثِقَلِهَا فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ ، كَمَا وَجَدْتُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى ، ثُمَّ سَرَّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقال : « أَقْرَأُ يَا زَيْدُ » فَقَرَأْتُ : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فقال رسول الله ﷺ : ﴿ غَيْرِ أُولِيَ الضَّرَرِ ... ﴾ الآية كلها ، قال زيد : أَنْزَلَهَا اللَّهُ وَخُذَهَا ، فَأَلْحَقَهَا . وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَلْحَقِهَا عِنْدَ صَدْعٍ فِي كَتِفِ .

٢٢٤٠ - * روى ابن سعد عن أنس : أن عبد الله بن أم مكتوم يومَ القادسية كانت معه راية سوداء ، عليه درعٌ له .

وأخرج ابن سعد ^(٢) عن أنس : أن عبد الله بن زائدة وهو ابن أم مكتوم ، كان يُقَاتِلُ يومَ القادسية وعليه درع له حصينة سابعة .

قال الذهبي : ويقال استشهد يومَ القادسية .

والقادسية ملحمة كبرى تمت بالعراق ، وعلى المسلمين سعد بن أبي وقاص ، وعلى

(١) أبو داود (٣ / ١١) كتاب الجهاد ، باب في الرخصة في القعود من العذر . وإسناده حسن .

السَّكِينَةُ من السكون ، والمراد بها : ما كان يأخذه ﷺ عند الوحي من ذلك .

كَتِف : عَظْمُ كَتِفِ الشَّاةِ العريض .

٢٢٤٠ - الطبقات الكبرى (٤ / ٢١٢) سابعة : تقضي الجسم والأطراف .

(٢) الطبقات الكبرى (٤ / ٢١٢) .

المشركين رُسْتَمَ ، وذو الحاجب ، والجالينوس .

قال أبو وائل : كان المسلمون أزيدَ من سبعة آلاف ، وكان العدو أربعينَ وقيل : ستين ألفاً معهم سبعون فيلاً .

قال المدائني : اقتتلوا ثلاثة أيام في آخر شوال سنة خمس عشرة ، فقتلَ رُسْتَمَ وانهزموا .
ا . هـ .

[ويقال : الأصح أن المسلمين كانوا نحواً من ثلاثين ألفاً وأن الفرس كانوا نحواً من مائة وثلاثين ألفاً] .

* * *

٨٣ - أسعد بن زُرارة رضي الله عنه

قال ابن حجر في الإصابة : أسعد بن زُرارة بن عَدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غَنَم بن مالك ابن النجار أبو أمانة الأنصاري الخزرجي النجاري .. قديم الإسلام شهد العقبتين وكان تقيّاً على قبيلته ولم يكن في النقباء أصغر سناً منه ويقال إنه أول من بايع ليلة العقبة .

قال ابن إسحاق : إن أسعد إنما أسلم في العقبة الأولى مع نفر الستة فآله أعلم ، وهم ابن منده فقال : كان في بني ساعدة . وقيل إنه أول من بايع ليلة العقبة . وقال ابن إسحاق شهد العقبة الأولى والثانية والثالثة . وذكر ابن إسحاق إنه مات والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يبني المسجد ... قال البغوي بلغني أنه أول من مات من الصحابة بعد الهجرة وأنه أول ميت صلى عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وروى الحاكم بسنده عن زينب بنت نبيسط أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حلّى أمها وخالتها رِغاثاً^(١) من تبر وذهب فيه لؤلؤ ، وكان أبوهما أسعد بن زُرارة أوصى بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أبي أمانة بن سهل قال دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أسعد بن زُرارة وكان أحد النقباء ليلة العقبة وقد أخذته الشوكة^(٢) فكواه ... الحديث ، وكذلك رواه الحاكم من طريق يونس عن الزهري (قلت) [القائل ابن حجر] هذا هو المحفوظ ورواه عبد الأعلى عن معمر عن الزهري عن أنس أخرجه الحاكم أيضاً وهي شاذة ، ورواه ابن أبي ذئب عن الزهري عن عروة عن عائشة وهي شاذة أيضاً ، ورواه زمعة بن صالح عن الزهري عن أبي أمانة بن سهل عن أبي أمانة أسعد بن زُرارة ، وهذا موافق لرواية عبد الرزاق لأنه لم يرد بقوله عن أبي أمانة أسعد بن زُرارة الرواية وإنما أراد أن يقول عن قصة أسعد بن زُرارة والله أعلم ، وقد اتفق أهل المغازي والتواريخ على أنه مات في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل بدر .

١. هـ ابن حجر .

(١) رِغاثا : أفرط .

(٢) الشوكة : مرض وهو حمرة تملو الوجه والجسد .

قال في السير : السيد نقيب بني النجار ، أبو أمانة الأنصاري الخزرجي ، من كبار الصحابة . توفي شهيداً بالذُّبجة ^(١) .

قال أبو العباس الدَّغُولي : قيل : إنه لقي النبي ﷺ بمكة قبل العقبة الأولى بسنة مع خمسة نفرٍ من الخزرج ، فأمنوا به . فلما قَدِمُوا المدينة تكلموا بالإسلام في قومهم ، فلما كان العام المقبل ، خرج منهم اثنا عشر رجلاً ، فهي العقبة الأولى ، فانصرفوا معهم ، وبعث النبي ﷺ ، مصعب بن عمير يقرئهم ويفقههم .

قال ابن إسحاق : حدثنا محمد بن أبي أمانة بن سهل ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كنتُ قائداً أبي حين عَمِيَ ، فإذا خرجتُ به إلى الجمعة ، فسمع الأذان ، صلى على أبي أمانة ، واستغفر له . فقلت : يا أباةٍ أَرَأَيْتَ استغفارك لأبي أمانة كلما سمعتُ أذان الجمعة ماهو ؟ قال : أي بني كان أول من جَمَعَ بنا بالمدينة في هَزمِ النَّبِيتِ من حرة بني تَيْيَاضة يقال له : تقيع الحَضَمَاتِ قُلْتُ : فكم كنتم يومئذ ؟ قال : أربعون رجلاً . فكان أسعدُ مقدم النقباء الاثني عشر ، فهو نقيب بني النجار ، وأُسَيْدُ بن الحَضِيرِ نقيب بني عبد الأشهل ، وأبو الهيثم بن التَّيَّهَانِ الْبَلَوِيّ من حلفاء بني عبد الأشهل ، وسعد بن خيثمة الأوسي أحد بني عَنَمِ بن سلم ، وسعد بن الربيع الخزرجي الحارثي قتل يوم أحد ، وعبد الله بن رَواحة بن ثعلبة الخزرجي الحارثي قتل يوم مؤتة ، وعبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر السَّلمِيُّ نقيب بني سَلَمَةَ [استشهد في أحد] وسعدُ بن عبادَة بن ذَلِيمِ الخزرجي الساعدي رئيس ، نقيب ، والنذر بن عمرو الساعدي النقيب قُتِلَ يومَ بئر معونة ، والبراء بن معرور الخزرجي السَّلمِيُّ ، وعبادَة بن الصامت الخزرجي من القَوَاقِلَةِ ورافعُ بن مالك الخزرجي الزُّرَقِيُّ رضي الله عنهم ^(٢) .

(١) الذُّبجة : وجع الحلق . أو داء يأخذ بالخلق وربما قتل .

(٢) وروى أبو داود بعضه (٢٨٠ / ١) كتاب الصلاة ، باب الجمعة في القرى .
والحاكم في المستدرک (٢٨١ / ١) والبيهقي في السنن الكبرى (١٧٦ / ٢) وسنده حسن وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث .

الهزم : ما اطمان من الأرض . النَّبِيتُ : بطن من الأنصار . النقيع : بطن من الأرض يستنقع فيه الماء مدة ، فإذا نضب الماء أنبت الكلال . الحَضَمَاتِ الحَضَمَاتِ : قرية قرب المدينة .
= القول : اسم أبي بطن من الأنصار ، لأنه كان إذا أتاها إنسان يستجير به أو يثرب ، قال له : فَوُتِلَ في هذا الجبل

وروى شعبة : عن محمد بن عبد الرحمن ، أن جده أسعد بن زرارة أصابه وجع الذبح في خلقه ، فقال رسول الله ، ﷺ : « لأُبَلِّغَنَّ أو لأُبَلِّينَ في أبي أَمَامَةَ عَذْرَاءَ » فكواه بيده فمات . فقال رسول الله ﷺ : « مِثَّةٌ سَوْءٌ لليهود يقولون : هلا دَفَعَ عَنْ صَاحِبِهِ ، ولا أَمْلِكُ لَهُ ولا لِنَفْسِي من الله شَيْئاً » (١) . هـ .

٢٢٤١ - * روى أحمد وابن سعد عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن بعض أصحاب النبي ، ﷺ ، قال : كوى رسول الله ﷺ أسعد أو سعد بن زرارة مرتين في خلقه من الذُّبْحَةِ . وقال : « لأَدْعِ في نفسي منه حرجاً » .

أقول : لله الحكمة البالغة فقد بعث رسوله ﷺ ليكون قدوة للناس جميعاً ، ومن هذه الحادثة نأخذ درساً أن الطبيب غير مسؤول عما يحدث بسبب طبعه مادام الطبيب قد طبب في حدود المعروف ، ومن الحكم في هذه الحادثة أن يستقر في قلوب الخلق جميعاً معنى التوحيد الذي يدخل فيه أن الله وحده هو الذي يملك الضر والنفع وأنه حتى رسول الله ﷺ لا يملك ضراً ولا نفعاً إلا بإذن الله ، وقد غلب على كثير من المسلمين وهم أن من تتلمذ على بعض الصالحين فإنه لا يصيبه ضرر وأن الصلاح لا يرافقه ابتلاء وهذا يتناقض مع نصوص كثيرة . والأمر لله من قبل ومن بعد .

قال الذهبي : عن عائشة قالت : نَقَّبَ النبي ﷺ أسعد على النقباء .

وعن أم خارجة : أخبرتني النوار أم زيد بن ثابت أنها رأت أسعد بن زرارة قبل مقدم النبي ﷺ ، يُصَلِّي بالناس الصلوات الخمس ، يُجَمِّعُ بهم في مسجد بناه . قالت : فأنظُرُ إلى رسول الله ﷺ لما قَدِمَ صَلَّى في ذلك المسجد وبناه ، فهو مسجده اليوم (٢) .

= وقد أمنت . أي : ارتق ، وهم القوافل . ونقل الزبيدي عن ابن هشام في سبب تسميتهم بذلك ، أنهم كانوا إذا أجازوا أحداً أعطوه سهماً وقالوا : قوئل به حيث شئت ، أي : سر به حيث شئت .

(١) ورواه ابن ماجه (١١٥٥ / ٢) ٣١ - كتاب الطب - ٢٤ - باب من اكتوى . وإسناده صحيح .

مِثَّةٌ سَوْءٌ لليهود : فتنة لليهود حيث قالوا ما قالوا .

٢٢٤١ - أحمد في مسنده (٦٥ / ٤) و (٣٧٨ / ٥) والطبقات الكبرى (٦١٠ / ٣) .

(٢) ابن سعد (٣٠٩ / ٣) .

الشوري : عن أبي الزبير ، عن جابر قال : كواه رسول الله ، ﷺ ، في أكتله مرتين ^(١) .

وقيل : كواه فحجر ^(٢) به حلقه يعني بالكى .

وقيل : أوصى أسعدُ بناته إلى رسول الله ، ﷺ ، وكنَّ ثلاثاً . فكنَّ في عيال رسول الله ، ﷺ ، يدرن معه في بيوت نسائه ، وهن : فريعة ، وكبشة ، وحبيبة . فقدم عليه حلي فيه ذهب ولؤلؤ ، فحلاهن منه ^(٣) .

وقيل : إنه مات في السنة الأولى من الهجرة ، رضي الله عنه ، وقد مات فيها ثلاثة أنفس من كبراء الجاهلية ، ومشخة قريش : العاص بن وائل السهمي والد عمرو ، والوليد ابن المغيرة المخزومي ، والد خالد ، وأبو أحيحة سعيد بن العاص الأموي ، اهـ الذهبي .

* * *

(١) ابن سعد (٢ / ٦١٠) الأكلع : عرق وسط الذراع ينصد .

(٢) حجر : يقال حجر عين البعير : إذا وسم حولها بيسم مستدير .

(٣) ابن سعد (٢ / ٦١٠) .

٨٤ - أبو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ الْخَزْرَجِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال ابن حجر :

أبو دُجَانَةَ الأنصاري اسمه سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ وقيل ابن أوس بن خَرَشَةَ .. متفق على شهوده بَدْرًا وقال علي إنه استشهد باليَمامة وأُسند ابن إسحاق من طريق يزيد بن السكن أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما التحم القتال ذب عنه مصعب بن عمير يعني يوم أحد حتى قتل ، وأبو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ حتى كثرت فيه الجراحة ، وقيل أنه ممن شارك في قتل مسيلمة ، وثبت ذكره في الصحيح لمسلم ا . هـ .

وقال الذهبي : أبو دُجَانَةَ الأنصاري : سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ بن لَوْذَانَ بن عَبْدُ وَدِّ بن زيد السَّاعدي . كان يوم أُحُد عليه عصابة حمراء ، يُقال : أخى النبي ﷺ بينه وبين عُتْبَةَ بن غزوان . وقيل : هو سِمَاكُ بْنُ أَوْسِ بن خَرَشَةَ .

وقال زيد بن أسلم : دُخِلَ على أبي دُجَانَةَ وهو مريض ، وكان وجهه يتَهَلَّلُ . فقيل له : مالوجهك يتَهَلَّلُ ؟ فقال : مامن عمل شيء أوثق عندي من اثنتين : كنت لا أَتَكَلَّمُ فيما لايعينني ، والأخرى فكان قلبي للمسلمين سليماً ^(١) .

وعن أنس بن مالك قال : رمى أبو دُجَانَةَ بنفسه يومَ اليَمامة إلى داخل الحديقة ، فانكسرت رجله ، فقاتل وهو مكسورُ الرجل حتى قُتل رضي الله عنه .

وكان سيفُ أبي دُجَانَةَ غيرَ دميم . وذلك أن النبي ﷺ عَرَضَ ذلك السيف حتى قال : مَنْ يَأْخُذْ هذا السيفَ بحقه ؟ فأحجم الناسُ عنه . فقال أبو دُجَانَةَ : وماحقه يارسولَ الله ؟ قال : تُقَاتِلُ به في سبيلِ الله حتى يفتحَ الله عليك أو تقتل . فأخذه بذلك الشرط . فلما كان قبل الهزيمة يومَ أحد خرج بسيفه مصلتاً وهو يتبختر ، ماعليه إلا قميص وعباءة حمراء قد عصَبَ بها رأسه ، وإنه ليرتجزُ ويقول :

إني امرؤ عَاهَدَني خليلي إذ نَحْنُ بالسُّفْحِ لَدَى النُّخِيلِ

(١) ابن سعد (٣ / ٥٥٧) .

أَنْ لَا أَقِيمَ الدَّهْرَ فِي الْكُتُبِ وَأَضْرِبُ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ
 قَالَ : يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّمَا لَمْشِيَّةٌ يُبْغِضُهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا
 الْمَوْطِنِ » ا . هـ .

٢٢٤٢ - * روى مسلم عن أنس : أن رسول الله ﷺ ، أخذ سيفاً يوم أحد فقال : « من
 يأخذ مني هذا ؟ » فبسطوا أيديهم ، كل إنسان منهم يقول : أنا ، أنا . قال : « فمن
 يأخذه بحقه ؟ » قال : فأحجم القوم . فقال سماك بن خرشة ، أبو دجاجة : أنا أخذه
 بحقه . قال : فأخذه ففلق به هام المشركين .

* * *

٨٥ - أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما

قال ابن حجر :

أسماء والدة عبد الله بن الزبير بن العوام التَّيْمِيَّة ، وهي بنت أبي بكر الصديق وأما قتلة أوقتيمة بنت عبد العزى قرشية من بني عامر بن لؤي .. أسلمت قديماً بمكة قال ابن إسحاق بعد سبعة عشر نفساً وتزوجها الزبير بن العوام . وأخرج ابن سعد بسند حسن عن ابن أبي مليكة كانت تصدع فتضع يدها على رأسها وتقول بذنبي وما يغفر الله أكثر ، وقال هشام بن عروة عن أبيه بلغت أسماء مائة سنة لم يسقط لها سن ولم ينكر لها . هـ ابن حجر .

وقال الذهبي : أم عبد الله القرشية التَّيْمِيَّة ، المكية ، ثم المدينة . والدة الخليفة عبد الله ابن الزبير ، وأخت أم المؤمنين عائشة ، وآخر المهاجرات وفاة روت عدة أحاديث . وعُمِّرت دهرًا . وتُعرف بذات النطاقين . وكانت أسنً من عائشة ببضع عشرة سنة . هاجرت حاملاً بعبد الله . وقيل : لم يسقط لها سنٌ وشهدت اليرموك مع زوجها الزبير . وهي ، وأبوها ، وجدُّها ، وابنتها ابن الزبير ، أربعتهم صحابيون . ا . هـ .

٢٢٤٣ - * روى أحمد عن مسلم القرني ، قال : دخلنا على أم ابن الزبير ، فإذا هي امرأة ضخمة عمياء - نسألها عن متعة الحج . فقالت : قد رخص رسول الله ﷺ فيها .

٢٢٤٤ - * روى البخاري عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، وفاطمة بنت المنذر ، عن أسماء ، قالت : صنعت سفرَةَ النبي ﷺ في بيت أبي حين أراد أن يهاجرَ ؛ فلم أجد لسفرته ولا لِسِقائِهِ ما أربطُهَا ، فقلتُ لأبي : ما أجدُ إلا نِطَاقِي ، قال : شَقِيهِ بائنين ، فاربطي بهما ؛ قال : فلذلك سَمَّيْتُ : ذات النطاقين .

٢٢٤٥ - * روى البخاري عن وهب بن كيسان رحمه الله قال : كان أهلُ الشام يغيرون

٢٢٤٣ - أحمد في مسنده (٦ / ٢٤٨) وإسناده صحيح .

٢٢٤٤ - البخاري (٧ / ٢٤٠) ٦٣ كتاب مناقب الأنصار - ٤٥ - باب هجرة النبي ﷺ .

٢٢٤٥ - البخاري (٩ / ٥٣٠) ٧٠ - كتاب الأطعمة - ٨ - باب الخبز المرقق والأكل على الخوان والسفرة .

ابن الزبير ، يقولون : يا ابنَ ذاتِ النطاقينِ ، فقالت له أسماء : يا بنيَّ إنهم يميرونك بالنطاقينِ ، وهل تدري ما كان النطاقان إنما كان نطاقي شَقَّقْتَهُ نِصْفَيْنِ ، فَأُوْكَيْتُ قُرْبَةَ رسولِ الله ﷺ بأحدهما ، وجعلتُ في سَفَرْتِهِ آخَرَ ، فكان ابنُ الزبير إذا عيروه بالنطاقين يقول : إِيَّهَا وَالإله :

وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها .

٢٢٤٦ - * روى البخاري ومسلم عن أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ . قالت : تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ وَمَالَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلَا مَمْلُوكٍ وَلَا شَيْءٍ غَيْرَ قَرَسِهِ . قالت : فَكُنْتُ أَغْلِفُ قَرَسَهُ ، وَأَكْفِيهِ مَوْنَتَهُ ، وَأَسْوِسُهُ ، وَأَذِقُّ النَّوْىَ لِنَاضِحِهِ ، وَأَغْلِفُهُ ، وَأَسْتَقِي الْمَاءَ ، وَأُخْرِزُ غَرْبَهُ ، وَأُعَجِّنُ . وَلَمْ أَكُنْ أَحْسِنُ أَخْبِرُ . وَكَانَ يَخْبِرُ لِي جَارَاتٍ مِنَ الْأَنْصَارِ . وَكُنْ نِسْوَةً صِدْقِي . قَالَتْ : وَكُنْتُ أَثْقُلُ النَّوْىَ ، مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، عَلَى رَأْسِي . وَهِيَ عَلَى ثَلَاثِي قَرْسَخٍ قَالَتْ : فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوْىَ عَلَى رَأْسِي . فَلَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ . فَدَعَانِي ثُمَّ قَالَ « إِنْ ! إِنْ ! » لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ . قَالَتْ :

= ذات النطاقين : النطاق : ما تشد به المرأة وسطها عند معاناة الأشغال لترفع به ثوبها .

فأوكيت : أوكيت الوعاء : إذا شددته .

أهيا : زجرٌ ، ونهي (إيه) بمعنى الاستزادة ، فكانه قال : زيدوني من قولكم هذا ، فإنه ما يزيدني فخراً وشرفاً ، أو أنه زجر عما بنوا عليه قولهم من إرادة عيبه وذمِّه ، فقال : كفوا عن جهلكم .
الإله : قسم ، أي : والله إن الأمر كما تزعمون ، أو أنه استعطاف ، كما تقول : بالله أخبرني ، لما تريد أن تستعلمه منه .

شكاة : الشكاة : الذم والعيب .

ظاهر عنك عارها : بعيد عنك ، مجاوز لك ، والبيت لأبي ذؤيب الهذلي ، وأوله :

وغيرها الواشون : أفي أجبها
وتلك شكاة ظاهر عنك عارها
وهذا البيت من قصيدة أولها :

هل الدهر إلا ليلة ونهارها
وإلا طلوع الشمس ثم غيثارها
أبي القلب إلا أم عمرو فـأصبحت
تحرق ناري بالشكاة ونارها

٢٢٤٦ - البخاري (١ / ٣١١) ٦٧ - كتاب النكاح - ١٠٧ باب الغيرة .

ومسلم (٤ / ١٧١٦) ٣٩ - كتاب السلام - ١٤ - باب جواز إرداف المرأة الأجنبية إذا أقيمت في الطريق .

ناضح : الناضح : البعير يستقى عليه الماء والنوى : عجم التمر كانوا يدقونه ويعلفونه دواهم .

غربة : الغرب ، الدلو ، يعني أنها كانت تخزله دلوه ورايته .

فَاسْتَحْيَيْتُ وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ ! لَحْمُكَ النَّوَى عَلَى رَأْسِكَ أَشَدُّ مِنْ رُكُوبِكَ مَعَهُ . قَالَتْ : حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ ، بَعْدَ ذَلِكَ ، بِخَادِمٍ ، فَكَفَّنْتَنِي سِيَّاسَةَ الْفَرَسِ . فَكَأَنَّا أَعْتَقْتَنِي .

وفي رواية لمسلم ^(١) عن أسماء قالت : كُنْتُ أَخْدُمُ الزُّبَيْرَ خِدْمَةَ الْبَيْتِ . وَكَانَ لَهُ فَرَسٌ . وَكُنْتُ أَسْوِسُهُ . فَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْخِدْمَةِ شَيْءٌ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ سِيَّاسَةِ الْفَرَسِ . كُنْتُ أَحْتَسُّ لَهُ عَلَيْهِ وَأَسْوِسُهُ . قَالَ ثُمَّ إِنَّهَا أَصَابَتْ خَادِمًا . جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ سَبِيَّ فَأَعْطَاهَا خَادِمًا . قَالَتْ : كَفَّنْتَنِي سِيَّاسَةَ الْفَرَسِ . فَأَلْقَتْ عَنِّي مَوْتَهُ .

فَجَاءَنِي رَجُلٌ فَقَالَ : يَا أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ ! إِنِّي رَجُلٌ فَقِيرٌ . أَرَدْتُ أَنْ أُبِيعَ فِي ظِلِّ دَارِكَ . قَالَتْ : إِنْ رَخَّصْتُ لَكَ أَبِي ذَاكَ الزُّبَيْرُ . فَتَعَالَ فَاطْلُبْ إِلَيَّ ، وَالزُّبَيْرُ شَاهِدٌ . فَجَاءَ فَقَالَ : يَا أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ ! إِنِّي رَجُلٌ فَقِيرٌ أَرَدْتُ أَنْ أُبِيعَ فِي ظِلِّ دَارِكَ . فَقَالَتْ : مَا لَكَ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا دَارِي ؟ فَقَالَ لَهَا الزُّبَيْرُ : مَا لَكَ أَنْ تَمْنَعِي رَجُلًا فَقِيرًا يَبِيعُ ؟ فَكَانَ يَبِيعُ إِلَيَّ أَنْ كَسَبَ . فَبِعْتُهُ الْجَارِيَةَ . فَدَخَلَ عَلَيَّ الزُّبَيْرُ وَتَمَنَّا فِي حِجْرِي . فَقَالَ : هَبِيهَا لِي قَالَتْ : إِنْ قَدْ تَصَدَّقْتُ بِهَا .

قال الذهبي : عن أسماء ، قالت : لما توجه النبي من مكة حل أبو بكر معه جميع ماله - خمسة آلاف ، أوسنة آلاف - جذي أبو قحافة وقد عمي ، فقال : إن هذا قد فجعكم بماله ونفسه . فقلت : كلا ، قد ترك لنا خيراً كثيراً .

فعمدت إلى أحجار ، فجعلتهن في كوة البيت ، وغطيت عليها بثوب ، ثم أخذت بيده ، ووضعتها على الثوب ، فقلت : هذا تركه لنا . فقال : أما إذ ترك لك هذا ، فنعم ^(٢) .

قال ابن أبي مليكة : كانت أسماء تضدع ، فتضع يدها على رأسها ، وتقول : بذني ، وما يغفره الله أكثر .

وفي « الصحيح » : قالت أسماء : يا رسول الله ، إن أُمِّي قَدِمْتُ ، وهي راغبة [أي في

(١) مسلم (٤ / ١٧١٧) في نفس الموضع السابق .

(٢) رواه ابن هشام (١ / ٤٤٨) عن ابن إسحاق وإسناده صحيح .

الصلة وهي مشركة [، أفأصلها ؟ قال : « نعم ، صلي أمك » ^(١) .

عن محمد بن المنكدر ، قال : كانت أسماء بنت أبي بكر سخيّة النفس .

عن القاسم بن محمد : سمعت ابن الزبير يقول : ما رأيت امرأة قط أجود من عائشة وأسماء ؛ وجودهما مختلف : أمّا عائشة ، فكانت تجمع الشيء إلى الشيء ، حتى إذا اجتمع عندها وضعت مواضعه ، وأمّا أسماء ، فكانت لا تدخر شيئاً لغيرها .

قال عروة : دخلت أنا وأخي ، قبل أن يقتل ، على أمنا بعشر ليال ، وهي وجعة ، فقال عبد الله : كيف تجدينك ؟ قالت : وجعة . قال : إنّ في الموت لعافية . قالت : لعلك تشتهي موتي ؛ فلا تفعل ، وضحكت ، وقالت : والله ، ما أشتي أن أموت ، حتى تأتي على أحد طرفيك : إما أن تقتل فأحتسبك ؛ وإما أن تظفر فتقر عيني . إياك أن تعرض على خطة فلا توافق ، فتقبلها كراهية الموت .

قال : وإنما عني أخي أن يقتل ، فيحزنها ذلك . وكانت بنت مئة سنة .

قال مصعب بن سعد : فرض عمر للمهاجرات : ألفاً ألفاً ، منهن : أم عبد ، وأسماء ^(٢) .
عن قاطمة بنت المنذر : أن أسماء كانت تمرض المرضة ، فتعتق كل مملوك لها ^(٣) .
ا . هـ الذهبي .

٢٢٤٧ - * روى الحاكم عن أسماء : أنها اتخذت خنجراً في زمن سعيد بن العاص في الفتنة فوضعت تحت مرفقيها ، ففعل لها : ماتصنعين بهذا ؟ قالت : إن دخل على لص بعجت بطنه ، وكانت عياء . وروى ابن سعد : ^(٤) أن أسماء اتخذت خنجراً زمن سعيد بن العاص

(١) رواه البخاري (٤١٣ / ١٠) ٧٨ - كتاب الأدب - ٧ - باب صلة الوالد المشرك .
ومسلم (٦٩٦ / ٢) ١٢ - كتاب الزكاة - ١٤ - باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوجة والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين .

(٢) ابن سعد (٢٥٢ / ٨) .

(٣) ابن سعد (٢٥١ / ٨) .

٢٢٤٧ - المستدرک (٦٦ / ٤) .

(٤) ابن سعد (٢٥٢ / ٨) . استمر : كثر .

للصوص ، وكانوا قد استَعَرُوا بالمدينة ، فكانت تجعله تحت رأسها .

٢٢٤٨ - * روى مسلم عن أبي نوفل بن أبي عقرب من حديث مطول ، فيه : أن الحجاج لما قتل ابن الزبير وصلبه ثم أنزله عن جذعه ، وألقاه في قبور اليهود ، أرسل إلى أمه أسماء بنت أبي بكر ، فأبت أن تأتیه ، فأعاد عليها الرسول : لتأتيني أو لأبعثنَّ إليك من يسحبك بقرونك ، قال : فأبت ، وقالت : والله لا آتيك حتى تبعث إليَّ من يسحبني بقروني ، فانطلق حتى دخل عليها ، فقال : كيف رأيتني صنعت بعدو الله ؟ قالت : رأيتك أفسدت عليه دنياه ، وأفسد عليك آخرتك ، بلغني أنك تقول له : يا ابن ذات النطاقين ! أنا والله ذات النطاقين ! أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله ﷺ ، وطعام أبي بكر من الدواب . وأما الآخر فنطاق المرأة التي لاتستغني عنه . أما إن رسول الله ﷺ حدثنا « إن في ثقيف كذاباً ومبيراً » فأما الكذاب فرأيناه ، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه . قال فقام عنها ولم يراجعها .

قال الذهبي عن ابن أبي مليكة ، قال : دخلت على أسماء بعد ما أصيب ابن الزبير ، فقالت : بلغني أن هذا صلب عبد الله ؛ اللهم لاتميتني حتى أوتي به ، فأحنطه وأكفنه .

فأتيت به بعد ، فجعلت تُحنطه بيدها ، وتكفنه ، بعد ما ذهب بصرها .

ومن وجه آخر - عن ابن أبي مليكة - : وصلت عليه ؛ وماأتت عليه جمعة إلا ماتت .

عن الرُّكَيْنِ بنِ الرَّبِيع ، قال : دخلت على أسماء بنت أبي بكر ، وقد كبرت ، وهي تصلي ، وامرأة تقول لها : قومي ، اقعدي ، افعلي ، من الكبر .

قال ابن سعد : ماتت بعد ابنها بليال . وكان قتلُه لسبع عشرة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين .

قلت [القائل الذهبي] : كانت خاتمة المهاجرين والمهاجرات .

* * *

٨٦ - أم حَرَامٍ رضي الله عنها

قال الذهبي : أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار . الأنصارية التجارية المديئة .

أخت أم سلم . وخالة أنس بن مالك . وزوجة عبادة بن الصامت . حديثها في جميع الدواوين ، سوى جامع أبي عيسى . [الترمذي] كانت من عليّة النساء .

عن أنس ، قال : دخل علينا رسول الله ﷺ ، ما هو إلا أنا وأمّي وخالتي أم حرام ، فقال : « قَوْمُوا فَلَأُصَلِّ بِكُمْ » فصلّى بنا في غير صلاة ^(١) .

قلت [القائل الذهبي] : يقال هذه غزوة قُبُرس في خلافة عثمان .

[قُبُرس : هي الجزيرة المعروفة اليوم باسم قبرص ، وكان أمير ذلك الجيش معاوية بن أبي سفيان ومعه أبو ذر وأبو الدرداء ، وغيرها من الصحابة وذلك سنة سبع وعشرين] .
وبلغني أنّ قبرها تزوره الفرنج . ١ . هـ الذهبي .

٢٢٤٩ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يدخل على أم حرام بنت ملحان ، فتطمعه ، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت ، فدخل عليها رسول الله ﷺ يوماً ، ثم جلست تفلي رأسه ، فنام رسول الله ﷺ ، ثم استيقظ وهو يضحك ، قالت : فقلت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : « ناس من أمتي عَرَضُوا عليّ غَزَاةً في سبيل الله ، يركبون ثَبَجَ هذا البحر ملوكاً على الأسرة ، أو مثل الملوك على الأسرة » قالت : فقلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، ثم وضع رأسه ، فنام ، ثم استيقظ وهو يضحك ، قالت : فقلت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : « ناس من أمتي عرضوا عليّ غَزَاةً في سبيل الله » كما قال في الأولى . قالت : فقلت : يا رسول

(١) رواه مسلم (١ / ٤٥٧) ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - ٤٨ - باب جواز الجماعة في النافلة .

٢٢٤٩ - البخاري (١٢ / ٣٩١) ٩١ - كتاب التعبير - ١٢ - باب رؤيا النهار .

ومسلم (٣ / ١٥١٨) ٣٣ - كتاب الإمارة - ٤٩ - باب فضل الغزو في البحر .

الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : « أنت من الأولين » فركبت أم حرام بن ملحان البحر في زمن معاوية ، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر ، فهلكت .

قال النووي : اتفق العلماء أن أم حرام بنت ملحان كانت محرماً له ﷺ ، واختلفوا في كيفية ذلك ، فقال ابن عبد البر وغيره كانت إحدى خالاته من الرضاعة ، وقال آخرون كانت خالته لأبيه أو لجدّه لأنّ عبد المطلب كانت أمه من بني النجار . هـ .

وقد ذكر ابن حجر أنها كانت خالته .

* * *

٨٧ - أُمُّ سَلِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

قال ابن حجر : أُمُّ سَلِيمٍ بِنْتُ سَلَمَانَ بْنِ خَالِدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَرَامِ بْنِ جَنْدَبِ الْأَنْصَارِيَّةِ ، وَهِيَ أُمُّ أَنْسٍ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، اشتهرت بكُنيتها واختلف في اسمها فقيل سهلة وقيل رَمَيْلَة وقيل رُمَيْثَة وقيل مَلَيْكَة وقيل الْعَمَيْصَاءُ أَوْ الرُّمَيْصَاءُ ، تزوجت مالك بن النضر في الجاهلية فولدت أنساً في الجاهلية ، وأسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار فغضب مالك وخرج إلى الشام فمات بها ، فتزوجت بعده أباً طلحة ... وكانت أُمُّ سَلِيمٍ تقول لا أتزوج حتى يبلغ أنس ويجلس في المجالس ، فيقول جزى الله أمي خيراً لقد أحسنت ولايتي ، فقال لها أبو طلحة فقد جلس أنس وتكلم فتزوجها ... وفي الصحيح عن أنس أن أُمَّ سَلِيمٍ لما قدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قالت : يا رسول الله هذا أنس يخدمك وكان حينئذ ابن عشر سنين ، فخدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ منذ قدم المدينة حتى مات ، فاشتهر بخادم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ... وذكر أبو عمر نسبها من كتاب ابن السكن بحروفه ولكن قال اسم أمها مليكة والذي في كتاب ابن السكن اسم أمها أنيقة نبه عليه ابن فتحون ، وكان أباً عمر أخذه عن ابن سعد وأنه جزم بأن أمها مليكة بنت مالك بن عدي بن زيد مناة .

وقال الذهبي : مات زوجها مالك بن النضر ، ثم تزوجها أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري ، فولدت له : أبا عمير ، وعبد الله .

شهدت : حُثَيْنَاءُ ، وأحداً . من أفاضل النساء .

قال محمد بن سيرين : كانت أُمُّ سَلِيمٍ مع النبي ﷺ يوم أُحُدٍ ، ومعها خنجر ^(١) .

عن أنس : أن أُمَّ سَلِيمٍ اتخذت خنجراً يوم حنين ، فقال أبو طلحة : يا رسول الله هذه أُمُّ سَلِيمٍ معها خنجر ! فقالت : يا رسول الله ، إن دنا مني مُشْرِكٌ بَقَرْتُ به بطنه ^(٢) .

(١) ورواه ابن سعد (٨ / ٤٢٥) .

(٢) ورواه ابن سعد (٨ / ٤٢٥) وإسناده صحيح .

عن إسحاق بن عبد الله ، عن جَدِّهِ أُمِّ سُلَيْمٍ : أَنَّهَا آمَنَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَتْ : فَجَاءَ أَبُو أَنَسٍ ، وَكَانَ غَائِبًا ، فَقَالَ أَصْبَوْتُ ؟ فَقَالَتْ : مَا صَبَوْتُ ، وَلَكِنِّي آمَنْتُ ! .

وَجَعَلْتُ تُلْقِنُ أَنَسًا : قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قُلْ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَفَعَلَ . فَيَقُولُ لَهَا أَبَوْهُ : لَا تُفْسِدِي عَلَيَّ ابْنِي . فَتَقُولُ إِنِّي لَأُفْسِدُهُ ! فَخَرَجَ مَالِكٌ ، فَلَقِيَهُ عَدُوٌّ لَهُ ، فَقَتَلَهُ . فَقَالَتْ : لَا جَرِمَ ، لَا أَطْعِمُ أَنَسًا حَتَّى يَدَعَ الثُّدِيَّ ؛ وَلَا أَتَزَوَّجُ حَتَّى يَأْمُرَنِي أَنَسٌ .

فَخَطَبَهَا أَبُو طَلْحَةَ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ مُشْرِكٌ ^(١) . هـ الذهبي .

٢٢٥٠ - * روى النسائي عن أنس قال : تزوج أبو طلحة أم سليم ، فكان صداق ما بينهما الإسلام . أسلمت أم سليم قبل أبي طلحة فخطبها ، فقالت : إني قد أسلمت ، فإن أسلمت نكحتك ، فأسلم ، فكان صداق ما بينهما .

٢٢٥١ - * روى ابن سعد عن أنس بن مالك : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَزُورُ أُمَّ سُلَيْمٍ ، فَتُتَحِفُّهُ بِالشَّيْءِ تَصْنَعُهُ لَهُ ، وَأَخَّ لِي أَصْغَرَ مِنِّي يَكْنَى أَبَا عُمَيْرٍ ، فَزَارَنَا يَوْمًا ، فَقَالَ : مَالِي أَرَى أَبَا عُمَيْرٍ خَاطِرَ النَّفْسِ ؟ قَالَتْ : مَاتَتْ صَعْوَةٌ [لَهُ كَانَ يَلْعَبُ بِهَا] . فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْحُ رَأْسَهُ ، وَيَقُولُ : « يَا أَبَا عُمَيْرٍ ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ ؟ » .

٢٢٥٢ - * روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان لا يدخل في المدينة بيت امرأة ، غير بيت أم سليم ، إلا على أزواجه ، ف قيل له ، فقال : « إِنِّي أُرْحَمُهَا ، قُتِلَ مَعِيَ أَخُوهَا » .

(١) ورواه ابن سعد (٨ / ٤٢٥) وقامه : فقالت له يوماً فبما تقول : أرايت حجراً تعبده لا يضرك ولا ينفعك أو خشبة تأتي بها النجار ، فينجرها لك : هل يضرك ؟ هل ينفعك ؟ قال : فوقع في قلبه الذي قالت ، قال : فأناها فقال : لقد وقع في قلبي الذي قلت ، وأمن ، قالت : فإني أتزوجك ولا أخذ منك صداقاً غيره .

٢٢٥٠ - النسائي (٦ / ١١٤) كتاب النكاح ، باب التزويج على الإسلام .

٢٢٥١ - الطبقات الكبرى (٨ / ٤٢٧) وإسناده صحيح .

وأخرجه البخاري مختصراً (١٠ / ٥٣٦) ٧٨ - كتاب الأدب - ٨١ - باب الانبساط إلى الناس .

الصعوبة : طائر أصغر من العصفور : النُّغَيْرُ : تصغير نُفْرٍ ، وهو فرخ العصفور .

٢٢٥٢ - البخاري (٦ / ٥٠) ٥٦ - كتاب الجهاد ، ٧٨ - باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير .

وفي رواية : (١) كان رسول الله ﷺ لا يدخل على أحد من النساء إلا على أزواجه ، إلا أم سليم ، فإنه كان يدخل عليها ، فقليل له في ذلك ، فقال : « أرحمها ، قتل معي أخوها » .

وأم سليم : هي أم أنس بن مالك ، ولعله أراد : على الدوام ، فإنه كان يدخل على أم حرام ، وهي خالة أنس .

قد سبق القول إن أم حرام خالته ﷺ ، . وأم سليم أختها فهي محرم ودخوله ﷺ عليها صلة رحم .

٢٢٥٣ - * روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيتني دخلت الجنة ، فسمعت خشقة ، فإذا أنا بالرميضاء امرأة أبي طلحة » .

٢٢٥٤ - * روى ابن سعد عن أنس : أن النبي ﷺ دخل على أم سليم ، وقربة معلقة ، فشرب منها قائماً ، فقامت إلى في السقاء ، فقطعت .

وفي الباب ما يقويه عن أم ثابت كبشة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت رضي الله عنها قالت : دخل علي رسول الله ﷺ ، فشرب من قربة معلقة قائماً ، فقامت إلى فيها فقطعت (٢) .

قال النووي في (رياضه) : (وإنما قطعنها لتحفظ موضع فم رسول الله ﷺ ، وتتبرك به ، وتصونه عن الابتذال) .

(١) مسلم (٤ / ١٩٠٨) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٩ - باب من فضائل أم سليم .

٢٢٥٣ - البخاري (٧ / ٤٠) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٦ - باب مناقب عمر بن الخطاب .

ومسلم (٤ / ١٩٠٨) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٩ - باب من فضائل أم سليم أم أنس بن مالك لكن عن أنس . الخشقة : الحس والحركة ، وقيل هو الصوت ليس بالشديد . ومعنى الحديث هنا : ما يسع من حس وقع القدم .

٢٢٥٤ - الطبقات الكبرى (٨ / ٤٢٨) .

(٢) الترمذي (٤ / ٣٠٦) ٢٧ - كتاب الأشربة - ١٨ - باب ماجاء في الرخصة في ذلك .

وابن ماجه (٢ / ١١٣٢) ٣ - كتاب الأشربة - ٢١ - باب الشرب قائماً وإسناده صحيح .

٢٢٥٥ - * روى ابن سعد عن أم سليم ، قالت : كان رسول الله ﷺ يَقيِلُ في بيتي ، فكنْتُ أبسطُ له نِطْعاً ، فيَقيِلُ عليه ، فيَغْرِقُ ، فكنْتُ آخذُ سَكّاً فأعجنُه بَعَرَقِهِ .
وأخرج بنحوه البخاري ومسلم عن أنس ^(١) .

وزاد ابن سعد في طبقاته :

قال ابن سيرين : فاستوهبتُ من أم سليم من ذلك السُّكِّ ، فوهبتُ لي منه .
قال أيوب : فاستوهبتُ من محمد [هو ابن سيرين] من ذلك السُّكِّ ، فوهب لي منه ؛
فإنَّه عندي الآن .

قال : ولما مات محمد حُطَّ بذلك السُّكِّ .

قال أنس : ثَقُلَ ابنُ لأم سليم ، فخرج أبو طلحة إلى المسجد ، فتَوَفَّى الغلام . فهيأت أمُّ سليم أمره ، وقالت : لا تَخْبِرُوهُ . فرجع ، وقد سَيَّرتْ له عشاءه ، فتعشى ، ثم أصاب من أهله . فلما كان من آخر الليل ، قالت : يا أبا طلحة ، ألم تَرَ آل أبي فلان استعاروا عارية ، فنَعَوْها ، وطَلَبْتُ منهم ، فَشَقُّ عليهم . فقال : ما أنصفوا . قالت : فإن ابنك كان عارية من الله ، فَقَبَضَ . فاسترجع ، وحمد الله .

فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآه ، قال : « بَارَكَ اللهُ لَكُمَا في لَيْلَتِكُمَا » .
فَحَمَلْتُ بعبد الله بن أبي طلحة ، فولدتُ ليلاً ، فأرسلتُ به معي ، وأخذتُ تمرات عَجْوَة ، فانتَهَيْتُ به إلى النبي ﷺ ، وهو يهنا أباعر له ، وَيَسِمُهَا ، فقلتُ : يا رسول الله ، ولدتُ أم سليم الليلة .

فَضَعَ بعضُ التمرات بريقه ، فأوجره ^(٢) إياه ، فتَمَطَّطَ الصبيُّ ، فقال : « حِبُّ الأنصارِ

٢٢٥٥ - الطبقات الكبرى (٨ / ٤٢٨) .

(١) البخاري (١١ / ٧٠) - ٧٩ - كتاب الاسئذان - ٤١ - باب من زار قوماً فقال عندهم .

ومسلم (٤ / ١٨١٦) - ٤٣ - كتاب الفضائل - ٢٢ - باب طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به .

يَقِيلُ : قال يَقيِلُ من القيلولة : وهي النوم في الظهيرة عند اشتداد الحر . السُّكُّ : نوع من الطيب .

(٢) أوجره : وضعها في فيه بشيء من الكلفة .

الْتَمَرُ» فقلت : سَمِّه يا رسول الله . قال : « هُوَ عَبْدُ اللَّهِ » ^(١) .

سعيدُ بنُ مسروق الشوري ، عن عَباية بن رِفاعَة ، قال : كانت أُمُّ أنس تحت أبي طلحة . فذكر نحوه . وفيه : فقال رسولُ الله : « اللهم بَارِكْ لهما في ليلتهما » .

قال عَباية : فلقد رأيت لذلك الغلام سِيعَ بنين ، كُلُّهم قد خَتَمَ القرآن ^(٢) .

عن أنس : أن النبي ﷺ لما أرادَ أنْ يخلقَ رأسه بِنِي ، أخذ أبو طلحة شِقْ شَعْرَه ، فجاء به إلى أم سليم ، فكانتُ تَجْعَلُهُ في سَكِّها .

قالت : وكان يَقيِلُ عندي على نِطْعٍ ، وكان مِغْرَاقا ^(٣) ﷺ ، فجعلتُ أُسْلِتُ العرقَ في قارورة . فاستيقظ ، فقال : « ماتجعين » ؟ قلت : أريد أن أدوف ^(٤) بَعَرَقِكَ طِيبِي ^(٥) .

عن أنس : أن النبي ﷺ دخل على أم سليم ، فأنتهه بسمن وتمر . فقال : إني صائم . ثم قام ، فصلّى ، ودعا لأم سليم ولأهل بيتها ، فقالت : إن لي خَوِصَّةً ^(٦) قال : « ماهي » ؟ قالت : خادمك أنس ، فما تركَ خيرَ آخرة ولا دُنْيا إلا دَعَا لي به ، وبعثتُ معي بِكُتْلٍ من رُطَبٍ إلى رسول الله ﷺ ^(٧) . ا . هـ ابن سعد .

* * *

(١) البخاري (٥٨٧ / ٩) - كتاب العقيقة - ١ - باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه وتحنيكه .
ومسلم (١٩٠٩ / ٤) - ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٠ - باب من فضائل أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه .

(٢) رواه ابن سعد (٤٣٤ / ٨) ورجاله ثقات .

(٣) المِغْرَاق : كثير العرق .

(٤) أدوف : أخلط .

(٥) رواه أحمد في مسنده (٢٨٧ / ٣) وابن سعد (٤٢٨ / ٨) .

(٦) خَوِصَّة : قال الحافظ : بتشديد الصاد وتخفيفها تصغير خاصة . وهو مما اغْتَنِرَ فيه التقاء الساكنين .

(٧) ورواه البخاري (٢٢٨ / ٤) - ٣٠ - كتاب الصوم - ٦١ - باب من زار قوما فلم يفتطر عندهم .

٨٨ - هند بنت عتبة رضي الله عنها

قال ابن حجر في الإصابة :

هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية العبشية والدة معاوية ابن أبي سفيان . أخبارها قبل الإسلام مشهورة ، وشهدت أحداً ، وفعلت ما فعلت بحمزة ثم كانت تؤلب على المسلمين ، إلى أن جاء الله بالفتح فأسلم زوجها ثم أسلمت هي يوم الفتح ، وقصتها في قولها عند بيعة النساء وأن لا يسرقن ولا يزنين فقالت وهل تزني الحرة ، وعند قوله ﴿ ولا يقتلن أولادهن ﴾ وقد ربيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً مشهورة ، ومن طرقه ما أخرجه ابن سعد بسند صحيح مرسل عن الشعبي وعن ميمون بن مهران ، ففي رواية الشعبي : ولا يزنين ، قالت هند : وهل تزني الحرة ولا تقتلن أولادكن قالت : أنت قتلتهم ، وفي رواية نحوه لكن قالت : وهل تركت لنا ولداً يوم بدر وسؤالها عن أخذها من مال زوجها بغير إذنه ما يكفيها وهل عليها فيه من حرج مخرج في الصحيحين ، وفيه خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك وولدك ، وهو من رواية هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، وشذ عبد الله بن محمد بن عروة فقال عن هشام عن أبيه عن هند ، أخرجه ابن منده وأوله قالت هند : إني أريد أن أبايع محمداً ، قال قد رأيتك تكفرين ، قالت : أي والله والله ما رأيت الله تعالى عبد حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة والله إن باتوا إلا مصليين قياماً وركوعاً وسجوداً قال : فإنك قد فعلت ما فعلت فاذهبي برجل من قومك معك فذهبت إلى عمر ، فذهب معها فاستأذن لها فدخلت وهي متنقبة ، فذكر قصة البيعة وفيه ما قدمته ، وفيه فقالت : إن أبا سفيان رجل بخيل ولا يعطيني ما يكفيني إلا ما أخذت منه من غير علمه ... الحديث ، وفيه عن مرسل الشعبي المذكور قالت هند : قد كنت أفنيت من مال أبي سفيان ، فقال أبو سفيان : ما أخذت من مالي فهو حلال ، وقال ابن سعد : قال الواقدي : لما أسلمت هند جعلت تضرب صماً لها في بيتها بالقدوم حتى فلذته فلذة فلذة ، وتقول : كنا معك في غرور . قال أبو عمر : ماتت في خلافة عمر بعد أبي بكر بقليل في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة كذا قال ، وقد ذكر صاحب الأمثال ما يدل على أنها بقيت إلى خلافة عثمان بل بعد ذلك لأن أبا سفيان مات في خلافة عثمان بلا خلاف ، وقال هذا

قال رجل لمعاوية زوجني هنداً قال إنها قعدت عن الولد ولا حاجة إلى الزواج قال فولني ناحية كذا فأنشد معاوية :

طلب الأبيض العقوق فلما أعجزته أراد بيض الأنوق^(١)

يعني أنه طلب مالا يصل إليه فلما عجز عنه طلب أبعد منه . ثم رأيت في طبقات ابن سعد الجزم بأنها ماتت في خلافة عثمان ا . ه . عن الإصابة .

٢٢٥٦ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاءت هند بنت عتبة ، فقالت : والله يا رسول الله ، ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلي من أن يذلوا من أهل خبائك ، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي من أن يعزوا من أهل خبائك ، قال رسول الله ﷺ : « وأيضاً ، والذي نفسي بيده » ثم قالت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجلاً مسيئاً ، فهل علي حرج أن أطعم من الذي له عيالنا ؟ قال : « لا حرج عليك أن تنفقي عليهم » .

أقول :

ترجنا لهند بنت عتبة كنموذج على امرأة ذات شخصية قوية هائلة فعلت الأفاعيل ضد الإسلام والمسلمين ، وحرضت بأقصى ماتستطيع على حرب الإسلام والمسلمين ، وكان في قلبها إحن ولها ثارات ، ومع ذلك كله فقد أسامت وقبِلَ إسلامها . فهذا درس للدعاة إلى الله ألا يئسوا من إنسان مادام على قيد الحياة . وعليهم أن يعرفوا أنهم بقدر ما يحققون للإسلام من انتصارات تتغير القلوب وتتبدل المواقف .

وإن إسلامها ليدل على أكثر من دلالة ، منها : أن أعظم الشخصيات تذوب في النهاية

(١) الأنوق : جمع ناقة .

٢٢٥٦ - البخاري (٧ / ١٤١) ٦٢ - كتاب مناقب الأنصار - ٢٢ - باب ذكر هند بنت عتبة .

ومسلم (٣ / ١٣٢٩) ٣٠ - كتاب الأفضية - ٤ - باب قضية هند .

مسيك : رجل مسيك : بوزن شريف ، إذا كان بخيلاً شديداً يمك ماله ، ومسيك ، بالكسر والتشديد : المبالغ في البخل .

أمام قوة شخصية رسول الله وتستسلم له . وأن هذا الإسلام من العظمة بحيث يصهر أقوى الشخصيات فيه ، وهذا درس آخر يأخذه الدعاة .

أن الإسلام كما أنه يحمل في أحقيته قوة انتصاره فإنه يحتاج إلى شخصيات ذات كفاءة عالية تستطيع أن تكسب ثقة الآخرين فيسلموا للقيادة وللإسلام .

ثم إن هناك درساً آخر للدعاة وهي أن استجابة الناس للإسلام أقوى عندهم من الشار والغضب للذات والقبيلة ، فهذه هند التي بقرت بطن حمزة ولاكت كبده قبلها رسول الله ﷺ ، والحالات النادرة التي أهدر الرسول ﷺ فيها دم بعض الناس كانت لأن هؤلاء ارتكبوا جرائم في حق الدعوة تقتضي العقاب .

ومع ذلك فإن من أسلم منهم قد عفا عنه رسول الله ﷺ وقبِلَ إسلامهم .

* * *

٨٩ - نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

قال ابن حجر في الإصابة :

نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أَيْضاً بِنْتُ كَعْبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَبْدُولَ بْنِ عَمْرِو بْنِ غَنَمَ بْنِ مَازِنَ بْنِ النُّجَارِ الْأَنْصَارِيَّةِ أُمُّ عَمَّارَةَ مَشْهُورَةٍ بِكُنْيَتِهَا وَاسْمُهَا مَعَا .. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي رِوَايَةٍ يُونُسُ بْنُ بَكِيرٍ وَغَيْرُهُ عَنْهُ فِي بَيْعَةِ الْعُقَبَةِ الثَّانِيَةِ ، وَكَانَ مِنْ بَنِي الْخَزْرَجِ أَشْنَانُ وَسِتُونَ رَجُلًا وَامْرَأَتَانِ فَيَزْعُمُونَ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ بَايَعَتَا النَّبِيَّ ﷺ ، وَكَانَ لَا يَصَافِحُ النِّسَاءَ إِنَّمَا كَانَ يَأْخُذُ عَلَيْهِنَ فَإِذَا أَقْرَرْنَ قَالَ أَذْهَبِينَ ، وَامْرَأَتَانِ هُمَا مِنْ بَنِي مَازِنَ بْنِ النُّجَارِ ، نَسِيبَةُ وَأُخْتُهَا ابْنَتَا كَعْبٍ فَسَاقَ النَّسَبَ ، قَالَ : وَكَانَ مَعَهَا زَوْجُهَا زَيْدُ بْنُ عَاصِمٍ وَابْنَاهَا مِنْهُ حَبِيبُ الَّذِي قَتَلَهُ مُسْلِمَةٌ بَعْدَ وَعْدِ اللَّهِ وَهُوَ رَاوِي حَدِيثِ الْوُضُوءِ

(قلت) : [أي ابن حجر] : ذكر ابن هشام في زياداته من طريق أم سعد بنت سعد ابن الربيع قال : دخلت على أم عمارة فقلت يا خالة أخبريني ؟ فقالت : خرجت يعني يوم أحد ومعني سقاء وفيه ماء فانتبهينا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكنت أبأشر القتال وأذب عنهم بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إليّ فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور ، فقلت : من أصابك بهذا ؟ قالت ابن قنّة . قال أبو عمر وشهدت بيعة الرضوان ثم شهدت اليمامة فقاتلت حتى قطعت يدها وجرححت اثني عشر جرحاً ورويت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : الصائم إذا أكل عنده صلت عليه الملائكة . ا . هـ من الإصابة .

وقال الذهبي في السير :

أُمُّ عَمَّارَةَ نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفِ بْنِ مَبْدُولَ الْفَاضِلَةِ الْمَجَاهِدَةِ الْأَنْصَارِيَّةِ الْخَزْرَجِيَّةِ النَّجَّارِيَّةِ الْمَازِنِيَّةِ الْمَدْنِيَّةِ .

كان أخوها عبدُ الله بنُ كعب المازنيُّ من البدريين . وكان أخوها عبدُ الرحمن ، من البكائين ^(١) .

شَهِدَتْ أُمُّ عُمَارَةَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ ، وَشَهِدَتْ أَحَدًا ، وَالْحَدِيثِيَّةَ ، وَيَوْمَ حُنَيْنَ ، وَيَوْمَ الْيَامَةِ . وَجَاهَدَتْ ، وَفَعَلَتْ الْأَفَاعِيلَ .

رَوَى لَهَا أَحَادِيثَ . وَقَطَعَتْ يَدَهَا فِي الْجِهَادِ . خَرَجَتْ تَسْقِي ، وَمَعَهَا شَنْ ^(٢) ، وَقَاتَلَتْ ، وَأَبْلَتْ بِلَاءً حَسَنًا . وَجُرِحَتْ اثْنِي عَشَرَ جَرْحًا .

وَكَانَ ضَمْرَةُ بْنُ سَعِيدٍ الْمَازِنِيُّ يُحَدِّثُ عَنْ جَدَّتَيْهِ ، وَكَانَتْ قَدْ شَهِدَتْ أَحَدًا ، قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « لَمَقَامُ نَسِيبَةِ بِنْتِ كَعْبِ الْيَوْمِ خَيْرٌ مِنْ مَقَامِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ » .

وَكَانَتْ تَرَاهَا يَوْمَئِذٍ تَقَاتِلُ أَشَدَّ الْقِتَالِ ، وَإِنَّهَا لِحَاجِزَةٌ ثَوْبَهَا عَلَى وَسْطِهَا ، حَتَّى جُرِحَتْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ جَرْحًا ؛ وَكَانَتْ تَقُولُ : إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى ابْنِ قَمِيَّةٍ وَهُوَ يَضْرِبُهَا عَلَى عَاتِقِهَا . وَكَانَ أَعْظَمَ جِرَاحِهَا ، فِدَاوُتُهُ سَنَةً . ثُمَّ نَادَى مُنَادِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : إِلَى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ ^(٣) . فَشَدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا ، فَمَا اسْتَطَاعَتْ مِنْ نَزْفِ الدَّمِ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَرَحِمَهَا .

وَعَنْ مُوسَى بْنِ ضَمْرَةَ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : أَتَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِمِرْطٍ فِيهَا مِرْطٌ ^(٤) جَيِّدٌ ؛ فَبَعَثَ بِهِ إِلَى أُمِّ عُمَارَةَ .

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ ، قَالَ : جُرِحَتْ أُمُّ عُمَارَةَ بِأَحَدِ اثْنِي عَشَرَ جَرْحًا ، وَقَطَعَتْ يَدَهَا يَوْمَ الْيَامَةِ ؛ وَجُرِحَتْ يَوْمَ الْيَامَةِ سَوَى يَدِهَا أَحَدَ عَشَرَ جَرْحًا . فَقَسِدِمَتْ الْمَدِينَةَ وَبِهَا الْجِرَاحَةُ ، فَلَقْدَ رُئِيَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ خَلِيفَةٌ ، يَأْتِيهَا يَسْأَلُ عَنْهَا .

(١) البكائين : أي من الذين يكثرون البكاء من خشية الله .

(٢) الشن : القرية الخلق .

(٣) حمراء الأسد : موضع على ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا حليفة .

(٤) المِرْط : كساء من خز أو صوف أو كتان .

وابْنُهَا حَبِيبُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ عَاصِمٍ هُوَ الَّذِي قَطَّعَهُ مُسَيْلَمَةُ وَابْنُهَا الْآخِرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ الْمَازَنِيِّ ، الَّذِي حَكَّى وَضُوءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قُتِلَ يَوْمَ الْحَرَّةِ ؛ وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابَ بِسَيْفِهِ . ا . هـ . من السير .

قال محقق السير :

الحرة : كل أرض ذات حجارة سود ، وأكثر الحرار حول مدينة الرسول . والحرة المرادة هنا حرة واقم ، وهي الشرقية من حرتي المدينة كانت فيها الوقعة فنسبت إليها . وسببها : أن أكابر أهل المدينة نقضوا بيعته يزيد بن معاوية وخرجوا عليه لسوء سيرته ، فجهز لحربهم جيشاً عليه مسلم ابن عَقْبَةَ المري ، فالتقوا بظاهر المدينة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٦٣ هـ . وانهزم أهل المدينة ، وقتل جهراً ظلماً في الحرب وصبراً أفاضل المسلمين وبقية الصحابة ، وخيار المسلمين من جلة التابعين . ا . هـ .

قال الذهبي :

انفرد أبو أحمد الحاكم ، وابن منده بأنه شهد بدرأ . قال ابن عبد البر : بل شهد أحداً قلت [أي الذهبي] : نعم الصحيح أنه لم يشهد بدرأ . والله أعلم . ا . هـ .

* * *

٩٠ - أم أيمن بركة بنت ثعلبة رضي الله عنها

قال ابن حجر في الإصابة :

أم أيمن مولاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحاضنته .. قال أبو عمر اسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سامة بن عمرو بن النعمان وكان: يقال لها أم الظباء . وقال ابن أبي خيثمة حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال : أم أيمن اسمها بركة وكانت لأم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول أم أيمن أُمِّي بعد أُمِّي ، وقال أبو نعيم ، قيل كانت لأخت خديجة فوهبتها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال ابن سعد قالوا : كان ورثها عن أمه فأعتق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم أيمن حين تزوج خديجة ، وتزوج عبيد بن زيد من بني الحارث بن الخزرج أم أيمن فولدت له أيمن فصحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاستشهد يوم خيبر ، وكان زيد بن حارثة لخديجة فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأعتقه وزوجه أم أيمن بعد النبوة فولدت له أسامة

وقال ابن سعد : أخبرنا أبو أمامة عن جرير بن حازم سمعت عثمان بن القاسم يقول لما هاجرت أم أيمن أُمست بالنصر ودون الروحاء فعطشت وليس معها ماء وهي صائفة فأجهدتها العطش فدلي عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض فأخذته فشربته حتى رويت ، فكانت تقول ما أصابني بعد ذلك عطش ولقد تعرضت للعطش بالصوم في المهاجر فما عطشت وأخرجه ابن السكن من طريق هشام بن حسان عن عثمان بنحوه وقال في روايته : خرجت مهاجرة من مكة إلى المدينة وهي ماشية ليس معها زاد ، وقال فيه : فلما غابت الشمس إذ أنا يائس معلق عند رأسي ، وقالت فيه : ولقد كنت بعد ذلك أصوم في اليوم الحار ثم أطوف في الشمس كي أعطش فما عطشت بعد . أخبرنا عبد الله بن موسى أخبرنا فضيل بن مرزوق عن سفيان بن عيينة قال : كانت أم أيمن تُلطف ^(١) النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقدم عليه فقال : « من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج

(١) تُلطف : تهدي له ما يحب .

أم أيمن «فتزوجها زيد بن حارثة

وأخرج البخاري في تاريخه ومسلم وابن السكن من طريق الزهري قال : كان من شأن أم أيمن أنها كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانت من الحبشة فلما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعدما توفي أبوه كانت أم أيمن تحضنه حتى كبر ثم أنكحها زيد بن حارثة ... لفظ ابن السكن . ا . هـ . الإصابة .

وقال الذهبي في السير :

أم أيمن الحبشية ، مولاة رسول الله ﷺ ، وحاضنته . ورثها من أبيه ، ثم أعتقها عندما تزوج بخديجة . وكانت من المهاجرات الأول . اسمها : بركة . وقد تزوجها عبيد بن الحارث الخزرجي ، فولدت له : أيمن . ولأيمن هجرة وجهاد ، استشهد يوم حنين . ثم تزوجها زيد ابن حارثة ليألي بعث النبي ﷺ ، فولدت له أسامة بن زيد ، حب رسول الله ﷺ . ا . هـ . ٢٢٥٧ - * روى ابن سعد عن أنس : إن الرجل كان يعمل للنبي ﷺ من ماله النخلات ، حتى فتحت قريظة والنضير ، فجعل يرده . وإن أهلي أمرتني أن أسأل النبي ﷺ الذي كان أهله أعطوه أو بعضه ، وكان النبي ﷺ أعطى ذاك أم أيمن ، فسألته فأعطانيهن . فجاءت أم أيمن ، فجعلت الثوب في عنقي ، وجعلت تقول : كلا والله لا يعطينكن ، وقد أعطانيهن . فقال النبي ﷺ : « لك كذا » وتقول : كلا والله . أو كالذي قالت . ويقول : لك كذا ، الذي أعطها ، حسبت أنه قال : عشرة أمثاله ، أو قريباً من عشرة أمثاله ، أو كما قال .

٢٢٥٨ - * روى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : انطلق النبي ﷺ إلى أم أيمن ، فانطلقت معه فناولته إناء فيه شراب ، قال : فلا أدري أصادفتها صائماً ، أو لم يرده ، فجعلت تصخب عليه ، وتذمر عليه .

٢٢٥٧ - الطبقات الكبرى (٢٢٥ / ٨) وإسناده صحيح . وروى البخاري ومسلم نحوه .

٢٢٥٨ - مسلم (١٩٠٧ / ٣) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٨ - باب من فضائل أم أيمن .

يصخب : الصخب : الضجة والغلبة والجلبة ، أراد : أنها تصيح عليه .

وتذمر الذامر : الغاضب ، وتذمرت أذمرت : إذا غضبت وتهذمت .

قال النووي : أي : تصيح وترفع صوتها ، إنكاراً لإمساكه عن شرب الشراب الذي قدمته و (تذر) هو بفتح التاء والذال المعجمة والميم ، أي : تتذر ، وتتكلم بالغضب ، يقال : ذمر يذمر ، كقتل يقتل : إذا غضب وإذا تكلم بالغضب ، ومعنى الحديث : أن النبي ﷺ رد الشراب عليها ، إما لصيام وإما لغيره ، فغضبت وتكلمت بالإنكار والغضب ، وكانت تدل عليه ﷺ ، لكونها حضنته وربته .

قال الطبراني : أم أيمن أم أسامة بن زيد مولاة رسول الله ﷺ كانت لأخت خديجة فوهبتها لرسول الله ﷺ فأنكحها زيد بن حارثة ويقال اسمها بركة . وعن ابن عباس قال : أم أيمن هي أم أسامة بن زيد ^(١) .

٢٢٥٩ - * روى ابن سعد عن حُرْمَلَةَ مولى أسامة بن زيد : أنه بينما هو جالس مع ابن عمر ، إذ دخل الحجاج بن أيمن ، فصلّى صلاة لم يتم ركوعها ولا سجودها . فدعاه ابن عمر ، وقال : أحسب أنك قد صليت ؟ إنك لم تصل ، فعدّ لصلاتك فلما ولّى ! قال ابن عمر : من هذا ؟ فقلت : الحجاج بن أيمن بن أم أيمن فقال : لو رآه رسول الله ﷺ ، لأحبّه .

٢٢٦٠ - * روى مسلم عن أنس قال : قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر : انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها ، فلما انتهينا إليها بكت ، فقالا لها : ما يبكيك ؟ ما عند الله خير لرسوله ، فقالت : ما أبكي ألا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء ، فهيجهتا على البكاء .

وفي رواية ^(٢) عن أنس : أن أم أيمن بكت حين مات النبي ﷺ . قيل لها : أتبكين ؟ قالت : والله ، لقد علمت أنه سيوت ؛ ولكنني إننا أبكي على الوحي إذ انقطع عنا من السماء .

(١) للمعجم الكبير (٩ / ٢٥٨) وإسناده حسن .

٢٢٥٩ - الطبقات الكبرى (٨ / ٢٢٥) ورجاله ثقات .

٢٢٦٠ - مسلم (٤ / ١٩٠٧) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٨ - باب من فضائل أم أيمن .

(٢) ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨ / ٢٢٦) وإسناده صحيح .

قال الذهبي : وروى قيسُ بنُ مسلم ، عن طارق قال : لما قُتل عُمر ، بكّت أمُ أيمن ،
وقالت : اليومَ وهىُ الإسلامُ . وبكّت حينَ قبضِ النبي .

قال الواقدي : ماتت في خلافة عُثمان . ا . ه .

وذكر الحاكم عن مصعب بن عبد الله قال : توفيت أمُ أيمن مولاة رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وحاضنته في أول خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

* * *

٩١ - أُمُّ عَطِيَّةُ الْأَنْصَارِيَّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

قال ابن حجر في الإصابة :

أم عطية الأنصارية اسمها نُسِيبَةُ بنون وسين مهملة وباء موحدة مصغر وقيل بفتح النون وكسر السين معروفة باسمها وكُنيتها وهي بنت الحارث .. وقيل بنت كعب وأنكره أبو عمر ... دخل النبي ﷺ على عائشة رضي الله عنها فقال : « هل عندكم من شيء ؟ » قالت : إلا شيء بعثت به إلينا نُسِيبَةُ من الشاة التي بعثت إليها من الصدقة قال : « إنها قد بلغت محلها » ... وفي الصحيح عن حفصة بنت سيرين بن أم عطية قدمت البصرة فنزلت قصر بني خلف . ا . هـ . من الإصابة .

قال الذهبي في السير : أم عطية الأنصارية من فقهاء الصحابة . لها عدة أحاديث . وهي التي غسّلت بنت النبي ﷺ زينب . حديثها مخرّج في الكتّاب الستة . ا . هـ .

٢٢٦١ - * روى البخاري ومسلم عن أم عطية قالت : نُهيْنَا عن اتِّباعِ الجنازة ولم يُعزَمْ علينا .

قال الشيخ شعيب : (ولم يعزم علينا) أي لم يؤكد علينا في المنع كما أكد علينا في غيره من المنهيات ، فكأنها قالت : كره لنا اتباع الجنائز من غير تحریم . وقال القرطبي : ظاهر سياق أم عطية أن النهي نهي تنزيه ، وبه قال جمهور أهل العلم . ومال مالك إلى الجواز ، وهو قول أهل المدينة . ويدل على الجواز ما رواه ابن أبي شيبه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان في جنازة ، فرأى عمر امرأة ، فصاح بها ، فقال : « دعها يا عمر ... » وأخرج ابن ماجه والنسائي من هذا الوجه ، ومن طريق أخرى ، ورجاله ثقات كما قال البوصيري وابن حجر .

٢٢٦١ - البخاري (٢ / ١٤٤) ٢٣ - كتاب الجنائز - ٢٩ - باب اتباع النساء الجنائز .
ومسلم (٢ / ٦٤٦) ١١ - كتاب الجنائز - ١١ - باب نهي النساء عن اتباع الجنائز .

٢٢٦٢ - * روى مسلم عن أم عطية رضي الله عنها قالت : غَزَوْتُ مع رسولِ الله ﷺ
 سَبْعَ غَزَوَاتٍ ، أَخْلَفَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ، فَأَصْنَعُ لَهُمُ الطَّعَامَ وَأُدَاوِي الْجَرْحَى ، وَأَقُومُ عَلَى الْمَرْضَى .

٢٢٦٢ - مسلم (٣ / ١٤٤٧) ٢٢ - كتاب الجهاد والسير - ٤٨ - باب النساء الغازيات يرضخ لهن ولايسهم والنهي عن قتل
 صبيان أهل الحرب .

٩٢ - أم سليط رضي الله عنها

قال ابن حجر :

أم سليط .. قال أبو عمر من المبايعات حضرت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد قال عمر بن الخطاب كانت ممن يزفر لنا القرب يوم أحد (قلت) ثبت ذكرها في صحيح البخاري عن عمر ، كناها عمر بابنها سليط بن أبي سليط بن أبي حارثة وهي أم قيس بنت عبيد ذكر ذلك ابن سعد ... ثم ذكر أنها تزوجت بعد أبي سليط مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري فولدت أبا سعيد فهو أخو سليط بن أبي سليط لأمه . ا . هـ الإصابة .

٢٢٦٣ - * روى البخاري عن ثعلبة بن أبي مالك رضي الله عنه إنَّ عمرَ بنَ الخطابِ رضي الله عنه قَسَمَ مَرُوطاً بَيْنَ نِساءٍ من نِساءِ المدينة ، فبَقِيَ مِرْطٌ جَيِّدٌ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ من عِنْدَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْطِ هَذَا ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي عِنْدَكَ - يُرِيدُونَ أُمَّ كُلْثُومَ بِنْتَ عَلِيٍّ - فَقَالَ عُمَرُ : أُمُّ سَلِيطٍ أَحَقُّ . وَأُمُّ سَلِيطٍ من نِساءِ الْأَنْصَارِ من بايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قال عمر : فَإِنَّهَا كَانَتْ تَزْفِرُ لَنَا الْقَرَبَ يَوْمَ أَحَدٍ .

قال الشيخ شعيب :

[أم سليط] هي والدة أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، كانت زوجاً لأبي سليط بن أبي حارثة عمرو بن قيس من بني عدي بن النجار ، فولدت له سليطاً قبل الهجرة فتزوجها مالك بن سنان الخدري ، فولدت أبا سعيد الخدري . ويقال لها : أم قيس ، وهي بنت عبيد بن زياد بن ثعلبة من بني مازن .

* * *

٢٢٦٢ - البخاري (٧ / ٣٦٦) ٦٤ - كتاب المغازي - ٢٢ - باب ذكر أم سليط .
و (٦ / ٧٩) ٥٦ - كتاب الجهاد - ٦٦ - باب حل النساء القرب إلى الناس في الغزو .
مَرُوطاً : المروط جمع مِرْط ، وهو كساء من خِر أو صوفٍ يُؤْتَرَرُ به .
تَزْفِرُ : زَفَرُ الْجِمَلِ يزفره : إذا حَتَلَه .

٩٣ - بَرِيرَةَ مَوْلَاةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

٢٢٦٤ - * روى مسلم عَنْ عُرْوَةَ ؛ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ ؛ أَنَّ بَرِيرَةَ جَاءَتْ عَائِشَةَ تَسْتَعِينُهَا فِي كِتَابَتِهَا . وَلَمْ تَكُنْ قَضَتْ مِنْ كِتَابَتِهَا شَيْئاً . فَقَالَتْ لَهَا عَائِشَةُ : ارْجِعِي إِلَى أَهْلِكَ . فَإِنْ أَحْبَبُوا أَنْ أَقْضِيَ عَنْكَ كِتَابَتَكَ ، وَيَكُونَ وَلَاؤُكَ لِي ، فَعَلْتُ . فَذَكَرْتُ ذَلِكَ بِرِيرَةَ لِأَهْلِهَا . فَأَبَوْا . وَقَالُوا : إِنْ شَاءَتْ أَنْ تَحْتَسِبَ عَلَيْكَ فَلْتَفْعَلْ . وَيَكُونَ لَنَا وَلَاؤُكَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اِئْتَاعِي قَاعُتِقِي . فَإِنَّا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ » ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « مَا بَالُ أَنْاسٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطاً لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ؟ مَنْ اشْتَرَطَ شُرُوطاً لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، فَلَيْسَ لَهُ ، وَإِنْ شَرَطَ مِائَةَ مَرَّةٍ . شَرَطَ اللَّهُ أَحَقُّ وَأَوْثَقُ » .

وفي رواية ^(١) عَنْ عَائِشَةَ . قَالَتْ : دَخَلْتُ عَلَى بَرِيرَةَ فَقَالَتْ : إِنَّ أَهْلِي كَاتِبُونَ عَلَيَّ تِسْعَ أَوَاقٍ فِي تِسْعِ سِنِينَ . فِي كُلِّ سَنَةٍ أَوْقِيَةٌ فَأُعِينِنِي . فَقُلْتُ لَهَا : إِنْ شَاءَ أَهْلُكَ أَنْ أَعِدَّهَا لَهُمْ عِدَّةً وَاحِدَةً ، وَأُعْتِقَكَ ، وَيَكُونَ الْوَلَاءُ لِي ؛ فَعَلْتُ . فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَهْلِهَا فَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْوَلَاءُ لَهُمْ فَأَتْنَنِي فَذَكَرْتُ ذَلِكَ . قَالَتْ : فَأَتَنَهَرْتُهَا . فَقَالَتْ : لَاهَا اللَّهُ إِذَا .

٢٢٦٤ - مسلم (٢ / ١١٤١) - ٢٠ - كتاب المعتقد - ٢ - باب إذا الولاء لمن أعتق .

أقضي عنك كتابتك : أي أؤدي عنك جميع ما عليك من بدل الكتابة .

إن شاءت أن تحتسب عليك فلتفعل : أي إن أرادت الثواب عند الله وأن لا يكون لها ولاء ، فلتفعل .

ما بال أناس : أي ما شأنهم .

يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله : أي ليست في حكمه ولا على موجب قضاء كتابه . لأن كتاب الله أمر

بطاعة الرسول ، وأعلم أن سنته بيان له . وقد جعل الرسول الولاء لمن أعتق ، لا أن الولاء مذكور في القرآن نصاً .

مسلم في نفس الموضع السابق .

كاتبوني : الكتابة أن يكتب عبده على مال يؤديه إليه منجماً . فإذا أداها صار حراً . وسميت كتابة لمصدر كتب ،

كأنه يكتب على نفسه لمولاه ثمنه . ويكتب مولاه له عليه المعتقد . وقد كاتبه مكاتبة . والعبد مكاتب وإنما خص

العبد بالفعل لأن أصل المكاتب من المولى ، وهو الذي يكتب عبده .

أن أعدها لهم عدة واحدة : أي أعطيتها لهم جملة حاضرة .

لاها الله إذا : وفي بعض النسخ : لاهاه الله إذا . قال المازري وغيره من أهل العربية : هذان لحنان . وصوابه لاها

الله ذا . بالقصر في ها وحذف الألف من إذا . قالوا ومعناه : ذا يميني . ومعناه : لا والله هذا ما أقسم به . فأدخل

اسم الله تعالى بين ها وذا .

قَالَتْ : فَسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَسَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ « اشْتَرِيهَا وَأَعْتِقِهَا . وَاشْتَرِطِي لَهُمُ الْوَلَاءَ . فَإِنَّ الْوَلَاءَ لِمَنْ أَعْتَقَ » فَفَعَلْتُ . قَالَتْ : ثُمَّ خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشِيَّةً . فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ . ثُمَّ قَالَ « أَمَّا بَعْدُ . فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ؟ مَا كَانَ مِنْ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ بَاطِلٌ وَإِنْ كَانَ مِائَةً شَرْطٍ . كِتَابُ اللَّهِ أَحَقُّ . وَشَرِطَ اللَّهُ أَوْثَقُ . مَا بَالُ رِجَالٍ مِنْكُمْ يَقُولُ أَحَدُهُمْ : أَعْتَقْتُ فَلَانًا وَالْوَلَاءَ لِي . إِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ » .

وعن جرير زاد (١) : قَالَ : وَكَانَ زَوْجُهَا عَبْدًا . فَخَيَّرَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَأَخْتَارَتْ نَفْسَهَا . وَلَوْ كَانَ حُرًّا لَمْ يُخَيِّرَهَا . وَلَيْسَ فِي حَدِيثِهِمْ : (أَمَّا بَعْدُ) .

٢٢٦٥ - * روى مسلم عن عائشة . قَالَتْ : كَانَ فِي بَرِيرَةَ ثَلَاثُ قَضِيَّاتٍ : أَرَادَ أَهْلُهَا أَنْ يَبِيعُوهَا وَيَشْتَرِطُوا وِلَاءَهَا . فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ . فَقَالَ : « اشْتَرِيهَا وَأَعْتِقِهَا ، فَإِنَّ الْوَلَاءَ لِمَنْ أَعْتَقَ » قَالَتْ : وَعَتَقْتُ . فَخَيَّرَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَأَخْتَارَتْ نَفْسَهَا . قَالَتْ : وَكَانَ النَّاسُ يَتَصَدَّقُونَ عَلَيْهَا وَتَهْدِي لَنَا . فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : « هُوَ عَلَيْهَا صَدَقَةٌ . وَهُوَ لَكُمْ هَدِيَّةٌ فَكُلُّوهُ » .

٢٢٦٦ - * روى ابن سعد عن ابن سيرين : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ خَيَّرَ بَرِيرَةَ . فَكَلَّمَهَا فِيهِ . فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَشَيْ وَاجِبٌ ؟ قَالَ : « لَا إِنَّمَا أَشْفَعُ لَهُ » .

٢٢٦٧ - * روى البخاري عن ابن عباس أن زوج بريرة كان عبداً يقال له مغيث كأي أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ، ودموعه تسيل على لحيته ، فقال النبي ﷺ لعباس : « يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثاً » فقال النبي ﷺ : « لو راجعته » قالت : يا رسول الله تأمرني ؟ قال : « إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ » قالت : فلا حاجة لي فيه .

(١) مسلم في نفس الموضع السابق .

٢٢٦٥ - مسلم (٢ / ١١٤٣) ٢ - كتاب العتق - ٢ - باب إنما الولاء لمن أعتق .

٢٢٦٦ - الطبقات الكبرى (٨ / ٢٥٩) ورجاله ثقات لكنه مرسل .

٢٢٦٧ - البخاري (٩ / ٤٠٨) ٦٨ - كتاب الطلاق ١٦ - باب شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة .

أقول : في قصة بريرة عبّرت كثيرة منها :

إن الإسلام رفع من مكانة المرأة حتى جعل امرأة كبريرة ترفض شفاعته رسول الله ﷺ مادامت غير ملزمة .

كما أن في قصة زوجها معها والسكوت على تصرفاته دليلاً على أن الإسلام قد راعى العواطف الشريفة الجائزة ما لم يكن إثم ، ومن ذلك عاطفة الحب والتعبير العفيف عنها .

* * *

٩٤ - الرُّبَيْعُ بِنْتُ مُعَوِّذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

قال الذهبي في السير :

الرُّبَيْعُ بِنْتُ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءِ الْأَنْصَارِيَّةِ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ . لَهَا صَحْبَةٌ وَرِوَايَةٌ ، وَقَدْ زَارَهَا النَّبِيُّ ﷺ صَبِيحَةَ عَرُسِهَا صَلَاحَ لِرَجْمِهَا . عَمَّرَتْ دَهْرًا ، وَرَوَتْ أَحَادِيثَ . وَأَبُوهَا مِنْ كِبَارِ الْبَدْرِيِّينَ ، قَتَلَ أَبَا جَهْلٍ .

تُوَفِّيتُ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ سَنَةً بَضْعَ وَسَبْعِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَحَدِيثُهَا فِي الْكُتُبِ السَّتَةِ . وَالرُّبَيْعُ : هِيَ وَالِدَةُ مُحَمَّدِ بْنِ إِيَّاسَ بْنِ الْبَكْرِ . ١ . هـ .

٢٢٦٨ - * رَوَى الْبَخَارِيُّ عَنْ خَالِدِ بْنِ ذَكْوَانَ قَالَ : قَالَتِ الرُّبَيْعُ بِنْتُ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ : جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْخُلُ حِينَ بُنِيَ عَلِيٌّ ، فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي كَجُلَسِكَ مِنِّي ؛ فَجَعَلْتُ جَوِيرِيَّاتٍ لَنَا يَضْرِبْنَ بِالذَّفِّ وَيَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِي يَوْمَ بَدْرٍ ، إِذْ قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ ، فَقَالَ : « دَعِي هَذِهِ وَقُولِي بِالَّذِي كُنْتَ تَقُولِينَ » .

قوله ﷺ : (دعي هذه) :

قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : وَإِنَّمَا أَنْكَرَ عَلَيْهَا ﷺ وَصَفَهَا لَهُ بِعِلْمِ الْغَيْبِ ، لِأَنَّهُ صِفَةٌ تَخْتَصُّ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ . وَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾ . وَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُخْبِرُ بِهِ مِنَ الْغُيُوبِ إِنَّمَا هُوَ بِإِعْلَامِ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهُ ، لِأَنَّهُ يَسْتَقِلُّ بِعِلْمِ ذَلِكَ قَالَ سُبْحَانَهُ ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾ .

٢٢٦٩ - * رَوَى أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ عَنِ الرُّبَيْعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ قَالَتْ : بَعْثَنِي مُعَوِّذُ بْنُ

٢٢٦٨ - الْبَخَارِيُّ (٢٠٢ / ٩) ٦٧ - كِتَابُ النِّكَاحِ - ٤٨ - بَابُ ضَرْبِ الدَّفُوفِ فِي النِّكَاحِ وَالْوَلِيَّةِ .

٢٢٦٩ - أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٣٥٩ / ٦) وَالْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ (٢٧٤ / ٢٤) وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي جَمْعِ الزَّوَالِدِ (١٣ / ٩) : رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَالْفَلْظُ لَهُ وَأَحْمَدُ بَنَحُوهُ . وَزَادَ : فَقَالَ تَحْلِي بِهِذَا ، وَإِسْنَادُهُمَا حَسَنٌ .

عفراء بصاع من رطب عليه آخر من قشاء زغب إلى رسول الله ﷺ وكان النبي ﷺ يحب القشاء ، وكانت حلية قد قدمت من البحرين فلأ يده منها فأعطانيها .

وفي رواية فأعطاني ملء كفي حلياً أو ذهباً .

٢٢٧٠ - * روى البخاري عن الرِّبِّيع بنت مَعُوذٍ رضي الله عنها قالت : كُنَّا نَغْزُو مع رسول الله ﷺ لِنَسْقِي الْقَوْمَ وَنَخْدِمَهُمْ ، وَنَرُدُّ الْقَتْلَى وَالْجُرْحَى إِلَى الْمَدِينَةِ .

* * *

٩٥ - أسماء بنت عُمَيْس رضي الله عنها

قال في الإصابة :

أسماء بنت عُمَيْس بن مُعَدٍ بوزن سعد أوله ميم قيده ابن حبيب [وقيل مُعَد] .. ووقع في الاستيعاب معد بفتح العين وتعقب ابن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن غانم بن معاوية بن زيد الحثعمية وقيل عيس هو ابن النعمان ابن كعب والباقي سواء ، كانت أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأُمها وأخت جماعة والصحابيات لأب أو أم أو لأب وأم يقال إن عدتهن تسع وقيل عشر لأم وست لأم وأب واسمها خولة بنت عوف بن زهير ووقع عند أبي عمر هند بدل خولة ... تزوجها أبو بكر بعد قتل جعفر وذكر ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد ابن أبي هلال وقال : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم زوج أبا بكر أسماء بنت عُمَيْس يوم حنين ، أخرجه عمر بن شبة في كتاب مكة وهو مرسل جيد الإسناد .. وكان عمر يسألها عن تفسير المنام ونقل عنها أشياء من ذلك ومن غيره ووقع في البخاري في باب هجرة الحبشة من طريق أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه وأسماء فذكر حديثاً وأسماء هي صاحبة هذه الترجمة ويقال إنها لما بلغها قتل ولدها محمد بمصر قامت إلى مسجد بيتها وكظمت غيظها حتى شخب ثديها دماً . ١ . ه الإصابة .

وقال الذهبي في السير :

أسماء بنت عُمَيْس بن معبد ، بن الحارث الحثعمية أم عبد الله من المهاجرات الأول قيل : أسامت قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم . وهاجر بها زوجها جعفر الطيار إلى الحبشة ، فولدت له هناك : عبد الله ، ومحمداً ، وعوناً .

فلما هاجرت معه إلى المدينة سنة سبع ، واستشهد يوم مؤتة ، تزوج بها أبو بكر الصديق : فولدت له : محمداً ، وقت الإحرام ، فحجّت حجة الوداع ، ثم توفي الصديق ، ففسلته ^(١) وتزوج بها علي بن أبي طالب . ١ . ه من السير .

(١) رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ (٨ / ٢٨٢) .

٢٢٧١ - * روى مالك عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ : أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ عُمَيْسٍ غَسَلَتْ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ ، حِينَ تَوَفَّى . ثُمَّ خَرَجَتْ فَسَأَلَتْ مَنْ حَضَرَهَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ . فَقَالَتْ : إِنِّي صَائِمَةٌ وَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ شَدِيدُ الْبَرْدِ ، فَهَلْ عَلَيَّ مِنْ غُسْلٍ ؟ فَقَالُوا : لَا .

روى عبد الرزاق ^(١) عن ابن أبي مليكة : أن امرأة أبي بكر غسلته حين توفي . أوصى بذلك .

٢٢٧٢ - * روى ابن سعد عن الشعبي ، قال : قَدِمْتُ أَسْمَاءَ مِنَ الْحَبْشَةِ ، فَقَالَ لَهَا عُمَرُ : يَا حَبِيشِيَّةَ ، سَبَقْنَاكَ بِالْهَجْرَةِ .

فَقَالَتْ : لَعُمْرِي ، لَقَدْ صَدَقْتَ : كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ ، وَيَعْلَمُ جَاهِلَكُمْ ؛ وَكُنَّا الْبُعْدَاءَ الطُّرْدَاءَ . أَمَا وَاللَّهِ لَأَذْكُرَنَّ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ . فَأَتَتْهُ . فَقَالَ : « لِلنَّاسِ هَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَلَكُمْ هِجْرَتَانِ » .

٢٢٧٣ - * روى ابن سعد عن عامر ، قال : قَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ هَؤُلَاءَ يَزْعُمُونَ أَنَّا لَسْنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ . قَالَ : « كَذَبَ مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ ، لَكُمْ الْهَجْرَةُ مَرَّتَيْنِ : هَاجَرْتُمْ إِلَى النَّجَاشِيِّ ، وَهَاجَرْتُمْ إِلَيَّ » .

عن الشعبي قال : أَوَّلُ مَنْ أَشَارَ بِنَعَشِ الْمَرْأَةِ - يَعْنِي الْمَكْبَّةَ - أَسْمَاءُ ، رَأَتْ النَّصَارَى يَصْنَعُونَهُ بِالْحَبْشَةِ ^(٢) .

٢٢٧١ - الموطأ (١ / ٢٢٣) ١٦ - كتاب الجنائز - ١ - باب غسل الميت .

(١) المصنف (٣ / ٤٠٨) حديث: ٦١١٧ .

٢٢٧٢ - الطبقات الكبرى (٨ / ٣٨) وأخرجه البخاري ومسلم بأطول منه .

البخاري (٧ / ٤٨٤) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٨ - باب غزوة خيبر .

ومسلم (٤ / ١٩٤٦) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤١ - باب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عيسى وأهل سفينتهم .

٢٢٧٣ - الطبقات الكبرى (٨ / ٢٨١) .

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٨ / ٣٨١) .

٢٢٧٤ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله في حديث طويل وصف فيه حجة النبي ﷺ وفيه : حتى إذا أتينا ذا الحليفة ، فولدت أسماء بنت عيسى محمد بن أبي بكر ، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ : كيف أصنع ؟ قال : اغتسلي واستنصري بثوب ، وأحرمي .

قال الذهبي في السير عن قيس ، قال : دخلتُ مع أبي بكر - رضي الله عنه - وكان أبيض ، خفيف اللحم ، فرأيتُ يدي أسماء موشومة تذبُّ عن أبي بكر .

قال سعد بن إبراهيم قاضي المدينة : أوصى أبو بكر أن تغسله أسماء قال قتادة : فغسلته بنتُ عُمَيْس ، امرأته ^(١) .

وقيل : عَزَمَ عليها لما أفطرت ، وقال : هو أقوى لك . فذكرت يمينه في آخر النهار ، فدعت بماء ، فشربتُ ، وقالت : والله لأتبعه اليوم حنثاً . ^(٢) .

مالك ، عن عبد الله بن أبي بكر : أن أسماء غسَلَتْ أبا بكر ؛ فسألتُ مَنْ حضر من المهاجرين ، وقالت : إني صائِمة ، وهذا يوم شديد البرد ، فهل عليَّ من غُسل ؟ فقالوا : لا ^(٣) .

روى أبو إسحاق ، عن مصعب بن سعد : أن عمرَ قَرَضَ الأعطية ؛ ففرض لأسماء بنتِ عُمَيْس ألفَ درهم ^(٤) .

زكريا بن أبي زائدة : سمعتُ عامراً يقول : تزوج عليُّ أسماء بنتَ عُمَيْس ، فتفاخر ابنائها : محمدُ بنُ أبي بكر ، ومحمدُ بنُ جعفر ، فقال كلُّ منها : أنا أكرمُ منك ، وأبي خيرُ من أبيك .

٢٢٧٤ - مسلم (٢ / ٨٨٧) ١٥ - كتاب الحج - ١٩ - باب حجة النبي ﷺ .

ذو الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة ، وهي ميقات أهل المدينة .

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٨ / ٢٨٣) .

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٨ / ٢٨٤) .

(٣) ورواه مالك في الموطأ (١ / ٢٢٣) ١٦ - كتاب الجنائز - ١ - باب غسل الميت .

(٤) ابن سعد (٨ / ٢٨٤) .

قال : فقال لها عليُّ ، اقضي بينهما . قالت : ما رأيت شاباً من العرب خيراً من جعفر ، ولا رأيتُ كهلاً خيراً من أبي بكر .

فقال عليُّ : ما تركتِ لنا شيئاً ، ولو قلتِ غير الذي قلتِ لمقتك . قالت : إنَّ ثلاثةً أنت أخسُّهم خيار .

عاشت بعد علي . ا . هـ . من السير .

* * *

تعليقات على هذا الباب

١ - دأب بعض الكتّاب أن يغفلوا الجانب السلبي في علاقات الصحابة بعضهم ببعض ، ودأب بعضهم ممن في قلوبهم زيغ يضخمون هذه السلبات كذباً وزوراً ، وليس هذا صحيحاً ، ولا هذا ، فإغفال الجوانب السلبية يصور الصحابة وكأنهم معصومون وليس كذلك ، ثم إن هذا يعمق معنى المثالية عند القراء فيستغربون بسبب ذلك ما يصادفهم من وقائع حياتية تجري بين المسلمين عامة وبين الدعاة خاصة ، وأما الذين يضخمون السلبات فهؤلاء كاذبون أولاً ثم هم يريدون أن يطعنوا في الرسالة ثانياً ، فالسلبات في حياة أصحاب رسول الله ﷺ قليلة وعارضة ثم إنهم يفيثون لأول تذكير ولولا كآلمهم ما حسبت عليهم .

٢ - لقد ربي رسول الله ﷺ جيلاً قوياً في كل شيء ، ولعل هذا هو سر الكثير مما حدث فيما بينهم فهذا الجيل العاشق للحق الوقاف عنده كان منصهراً في بوتقة واحدة زمن الرسالة ، فلما توفي رسول الله ﷺ أصبح للاجتهاد محل ، وفي جو الاجتهاد وشدة الشككية وقوة الوقوف مع الحق يكون ما يكون ، ومن عرف هذا أدرك أن الكثير مما وقع بين الصحابة كان ميزة لهذا الجيل على أن هذا مما يذكر في معرض الدفاع وفي معرض تقرير الحكمة ، وإلا فما حدث بين الصحابة رضي الله عنهم من أمور ينبغي أن تؤخذ منه العبرة ، فالكمال هو ما كان زمن رسول الله ﷺ وفي زمن أبي بكر وعمر من وحدة المسلمين والتفافهم حول قيادتهم .

٣ - لم يصل جيل من الأجيال في تاريخ البشرية إلى ما وصل إليه هذا الجيل من توضيحات في سبيل الحق الخالص ومن تفاعل مع هذا الحق ومن ارتقاء فيه ، هناك من يضحى ولكن من أجل الباطل ، وهناك من يعمل لحق ولكن أفعاله تناقض أقواله ، لكن هذا الجيل أصاب الحق وتفاعل معه وانسجم مع ضميره وذاته وكل ذلك ببركات رسول الله ﷺ .

تأمل في عدد الشهداء من هذا الجيل وتأمل مَنْ مِنْ هذا الجيل لم يُبتل بالنفس أو المال أو الأهل أو بذلك كله ، ثم لاحظ تلك الاندفاع من المركز أو الثورة الضوئية نحو هذا العالم لترى شيئاً عجباً تعرف به وبغيره أن هذا الجيل لم يُسبق ولن يلحق .

خاتمة القسم الأول

لقد عرضنا لك في هذا القسم ستة أبواب في السيرة النبوية كل منها يأخذ بحجز الآخر ، وكلها يدل على أن محمداً رسول الله ﷺ ، فمن رأى محمداً قبل النبوة وعرف ما أكرم به ورأى المقدمات التي مهدت لبعثته علم أنه رسول الله ﷺ ، ومن رأى قيامه بالدعوة واستقراره فيها قبل استقراره في المدينة عرف أنه رسول الله ﷺ ، ومن رأى قيامه بدين الله في المدينة المنورة وما فعله عرف أنه رسول الله ﷺ ، ومن رأى معجزاته وصفاته والدوائر المحيطة به عرف أنه رسول الله ﷺ .

وهذا كله يوصلنا للتعرف على رسالته التي مضمونها الكتاب والسنة ، وها نحن نبدأ في عرض المضمون من خلال نصوص السنة مبتدئين بعرض العقائد وهي مضمون القسم الثاني من هذا الكتاب .

ومن عرف العقائد التي بُعث بها رسول الله ﷺ كفاه ذلك دليلاً على صحة رسالته ، ومن عرف عبادات الإسلام ونظام الحياة في الإسلام ونظام الحكم في الإسلام ورحمة الإسلام في المستضعفين عرف صحة رسالته عليه الصلاة والسلام .

والأقسام التالية تتحدث عن هذا كله ، وقسم العقائد مقدم على غيره .

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
عثمان بن عفان رضي الله عنه	١٦٣١
قصة استخلافه	١٦٣٤
ذكر زوجاته وبنيه وبناته رضي الله عنهم	١٦٤٠
سنة خمس وعشرين	١٦٤١
سنة ست وعشرين	١٦٤١
سنة سبع وعشرين	١٦٤١
غزوة الأندلس	١٦٤٢
وقعة جرجير والبربر مع المسلمين	١٦٤٢
فتح قبرص	١٦٤٣
سنة تسع وعشرين	١٦٤٣
سنة ثلاثين	١٦٤٤
سنة إحدى وثلاثين	١٦٤٤
سنة ثنتين وثلاثين	١٦٤٥
سنة ثلاث وثلاثين	١٦٤٥
سنة أربع وثلاثين	١٦٤٦
سنة خمس وثلاثين وفيها مقتل عثمان رضي الله عنه	١٦٤٦
ذكر مجيء الأحزاب إلى عثمان للمرة الثانية في مصر	١٦٤٩
ذكر حصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان	١٦٥١
تعليقات	١٦٧٥
شرح مختصر لأسباب الفتنة	١٦٧٦
١ - ظهور الورع الجاهل	١٦٧٦
٢ - تأمر الحاقدين	١٦٧٦

- ٣ - طموح الطامحين ١٦٧٦
- ٤ - العفوية ١٦٧٦
- ٥ - عدم مراعاة الرأي العام السائد ١٦٧٧
- علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١٦٧٨
- سنة ست وثلاثين من الهجرة ١٦٨٤
- سنة تسع وثلاثين ١٦٨٨
- ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ١٦٨٩
- صفة مقتله رضي الله عنه ١٦٨٩
- تعليقات ١٧١١
- عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ١٧١٤
- تعليقات ١٧٢٥
- الوصل الثالث : في نماذج من أصحابه ١٧٢٧
- تمهيد ١٧٢٩
- ١ - أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ١٧٣٠
- ٢ - طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ١٧٣٦
- ٣ - الزبير بن العوام رضي الله عنه ١٧٤١
- ٤ - عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ١٧٥٠
- ٥ - سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ١٧٥٥
- ٦ - سعيد بن زيد رضي الله عنه ١٧٦٤
- ٧ - زيد بن حارثة حب رسول الله ﷺ ومولاه رضي الله عنه ١٧٦٨
- ٨ - أسامة بن زيد الحب بن الحب رضي الله عنه ١٧٧٢
- ٩ - عمار بن ياسر رضي الله عنه ١٧٧٧
- ١٠ - عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ١٧٨٦
- ١١ - أبو ذر الغفاري رضي الله عنه ١٧٩٥
- ١٢ - حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ١٨٠٨

- ١٣ - سعد بن معاذ رضي الله عنه ١٨١٢
- ١٤ - عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ١٨٢١
- ١٥ - بلال بن رباح رضي الله عنه ١٨٣٥
- ١٦ - أبي بن كعب رضي الله عنه ١٨٣٩
- ١٧ - أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه ١٨٤٤
- ١٨ - المقداد بن عمرو (المشهور بابن الأسود) رضي الله عنه ١٨٤٨
- ١٩ - أبو قتادة الأنصاري السلمي رضي الله عنه ١٨٥٢
- ٢٠ - سلمان الفارسي رضي الله عنه ١٨٥٥
- ٢١ - عبد الله بن قيس (المشهور بأبي موسى الأشعري) رضي الله عنه ١٨٦٤
- ٢٢ - عبد الله بن سلام رضي الله عنه ١٨٧٥
- ٢٣ - جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه ١٨٨٤
- ٢٤ ، ٢٥ - جابر بن عبد الله ، وأبوه عبد الله بن عمرو بن حرام ١٨٨٨
- ٢٦ - البراء بن مالك رضي الله عنه ١٨٩٦
- ٢٧ - أنس بن مالك رضي الله عنه ١٩٠٠
- ٢٨ - ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه خطيب رسول الله ﷺ ١٩٠٩
- وخطيب الأنصار ١٩٠٩
- ٢٩ - أبو هريرة رضي الله عنه ١٩١٤
- ٣٠ - حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ١٩٣٢
- ٣١ - جُلَيْبِيْب رضي الله عنه ١٩٣٥
- ٣٢ - حارثة بن سراقة رضي الله عنه ١٩٣٧
- ٣٣ - قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما ١٩٣٨
- ٣٤ - خالد بن الوليد رضي الله عنه ١٩٤٧
- ٣٥ - عمرو بن العاص رضي الله عنه ١٩٥٨
- ٣٦ - أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه ١٩٦٦
- ٣٧ - معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ١٩٦٩

- ٣٨ - عَبَاد بن بِشْر رضي الله عنه ١٩٨٢
- ٣٩ - ضِبَاد رضي الله عنه ١٩٨٤
- ٤٠ - عدي بن حاتم رضي الله عنه ١٩٨٥
- ٤١ - ثَمَامَة بن أَثَال رضي الله عنه ١٩٨٩
- ٤٢ - عمرو بن عَبَسَة السامي رضي الله عنه ١٩٩٢
- ٤٣ - خَبَاب بن الْأَرْث رضي الله عنه ١٩٩٦
- ٤٤ - سالم مولى أَبِي حذيفة رضي الله عنهما ١٩٩٩
- ٤٥ - عامر بن ربيعة رضي الله عنه ٢٠٠٢
- ٤٦ - عبد الله بن جحش رضي الله عنه ٢٠٠٤
- ٤٧ - صَهَيْب بن سنان رضي الله عنه ٢٠٠٦
- ٤٨ - عَثَان بن مطعون رضي الله عنه ٢٠١٠
- ٤٩ - معاذ بن جبل رضي الله عنه ٢٠١٣
- ٥٠ - عمرو بن الجموح رضي الله عنه ٢٠٢١
- ٥١ - حارثة بن النعمان رضي الله عنه ٢٠٢٤
- ٥٢ - عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ٢٠٢٦
- ٥٣ - عبد الله بن عبد الله بن أَبِي رضي الله عنه ٢٠٣٤
- ٥٤ - قتادة بن النعمان رضي الله عنه ٢٠٣٦
- ٥٥ - عبادة بن الصامت رضي الله عنه ٢٠٣٨
- ٥٦ - خزيمَة بن ثابت رضي الله عنه ٢٠٤٢
- ٥٧ - خالد بن زيد المشهور بأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ٢٠٤٤
- ٥٨ - زيد بن ثابت رضي الله عنه ٢٠٥٠
- ٥٩ - سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ٢٠٥٩
- ٦٠ - أبو الدرداء رضي الله عنه ٢٠٦٤
- ٦١ - عبد الله بن الأرقم رضي الله عنه ٢٠٧٣
- ٦٢ - عَثَان بن أَبِي العاص رضي الله عنه ٢٠٧٥